

شرح
كتاب الجمانية
للأبي تمام

تأليف
أبي علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي
المتوفى سنة ٤٢١ هـ

علوه عليه وكتب حواشيه
عبد الشَّيْخ

وضع فهرسته العامة
إبراهيم شمس الدين

٢-١

منشورات
مركز بحوث بيروت
لنشر كتب السنة والجماعة
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

منشورات مكتبة بروت



دار الكتب العلمية

جميع الحقوق محفوظة

Copyright

All rights reserved

Tous droits réservés

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة
لدار الكتب العلمية بيروت - لبنان.
ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب كاملاً أو
مجزأً أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر
أو برمجته على اسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً

Exclusive rights by

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Beirut - Lebanon

No part of this publication may be translated,
reproduced, distributed in any form or by any means,
or stored in a data base or retrieval system, without the
prior written permission of the publisher.

Droits exclusifs à

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Beyrouth - Liban

Il est interdit à toute personne individuelle ou morale
d'éditer, de traduire, de photocopier, d'enregistrer sur
cassette, disquette, C.D, ordinateur toute production
écrite, entière ou partielle, sans l'autorisation signée
de l'éditeur.

الطبعة الأولى

٢٠٠٢ م - ١٤٢٤ هـ

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

رمل الطريف - شارع البحتري - بناية ملكارت
الإدارة العامة: عرمون - القبة - مبنى دار الكتب العلمية
هاتف وفاكس: ٨٠٤٨١٠ / ١١ / ١٢ / ١٣ (+٩٦١ ٥)
صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah

Beirut - Lebanon

Raml Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg. 1st Floor

Head office

Aramoun - Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.

Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13

P.O.Box: 11-9424 Beirut - Lebanon

Dar Al-Kutub Al-ilmiyah

Beyrouth - Liban

Raml Al-Zarif, Rue Bohtory, Imm. Melkart, 1er Étage

Administration général

Aramoun - Imm. Dar Al-Kotob Al-ilmiyah

Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13

P.P: 11-9424 Beyrouth - Liban

ISBN 2-7451-3589-9



9 782745 135896

<http://www.al-ilmiyah.com/>

e-mail: sales@al-ilmiyah.com

info@al-ilmiyah.com

baydoun@al-ilmiyah.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

أبو تمام وديوان الحماسة

حبيب بن أوس الطائي الذي كانت حياته سياحة متصلة ووطنه ظهور المطايا، هو نفسه مؤلف كتاب الحماسة.. ولكن ما هي حكاية هذا الكتاب المتميز بشموليته وحُسن اختياره.

في إحدى رحلاته وكان قد قصد عبد الله بن طاهر بخراسان فمدحه فأثابه الأخير على مدحه، وعاد أبو تمام إلى بغداد، فكان من حُسن الحظ - حظ التراث الأدبي - أن وقع ثلج عظيم قطع الطريق ومنعه من السفر.

في هذا الوقت كان شاعرنا ضيفاً لدى صديقه أبي الوفاء بن سلمة في همذان.. ضاق صدر أبي تمام الذي تعود الترحال والتنقل، فما كان من صديقه أبي الوفاء إلا أن وضع مكتبته بين يديه وطلب منه أن يوطن النفس على الإقامة فالثلج لن ينحسر إلا بعد زمن.

وهكذا بدأت رحلة الاختيار والانتقاء لدى شاعرنا الذي وافق العمل ما يعتلج في نفسه من حبّ للشعر والأدب، وولد كتاب «ديوان الحماسة» الذي يُعدّ اليوم من أهم الكتب وأجلّها.

ولا نعرف إن كانت تسمية الكتاب من صنيع أبي تمام نفسه أم هي عُرف جرى بين الأدباء وشهرة سارت على وجه الدهر حتى انتقلت إلينا جيلاً بعد جيل. فالديوان ليس مختصاً بأشعار الحماسة فقط وإنما جمع فيه أبو تمام المراثي، والأدب والنسيب والهجاء، والأضياف، والمديح، والسّير، والمُلح، وحذمة النساء. وربما كان أبو تمام قد سمّاه باسم أول أبوابها وأهمها.

يقول المرزوقي في وصف عمل أبي تمام في الحماسة: «وهذا الرجل لم يعمد من الشعراء إلى المشتهرين منهم دون الأغفال، ولا من الشعر إلى المتردد في الأفواه،

المجيب لكل داع، بل اعتسف في دواوين الشعراء جاهليتهم ومخضرمهم، وإسلاميتهم ومولدهم، واختطف منها الأرواح دون الأشباح، واخترف الأثمار دون الأكمام، وجمع ما يوافق نظمه ويخالفه، لأن ضروب الاختيار لم تخف عليه، وطرق الإحسان والاستحسان لم تستر عنه، وحتى إنه ينتهي إلى البيت الجيد فيه لفظة تشينه، فيجبر نقيصته من عنده، ويبدل الكلمة بأختها في نقده.

شرح الكتاب:

«أبو تمام في اختياره الحماسة أشعر منه في شعره» هكذا قالوا، وهكذا فتح الباب أمام النقاد واللغويين وأصحاب المعاني ليعملوا على هذا الكتاب ويشرّحوه ويدققوا النظر في اختياراته.

وقد ذكر صاحب كشف الظنون أسماء بعض من شرحوا الحماسة وهم:

- ١ - أبو بكر محمد بن يحيى الصولي (ت ٣٣٥ هـ / ٩٤٦ م).
- ٢ - أبو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢ هـ / ١٠٠٢ م). وقد سمي شرحه: «التنبيه على شرح مشكلات الحماسة».
- ٣ - أبو القاسم الحسن بن بشر الأمدي صاحب الموازنة (ت ٣٧٠ هـ / ٩٨٠ م).
- ٤ - أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري (ت بعد ٣٩٥ / ١٠٠٥ م). وقد اعتمد التبريزي على شرحه، ويمتاز شرحه بالعناية بتصحيح نسبة الأبيات إلى الشعراء مع بيان اشتقاق أسمائهم.
- ٥ - أبو المظفر محمد بن آدم الهروي (ت ٤١٤ هـ / ١٠٢٣ م).
- ٦ - أبو علي أحمد بن محمد المرزوقي (ت ٤٢١ هـ / ١٠٣٠ م).
- ٧ - أبو عبد الله الخطيب الإسكافي (ت ٤٢٠ هـ / ١٠٢٩ م).
- ٨ - أبو الحسن علي بن سيده، اللغوي المشهور (ت ٤٥٨ هـ / ١٠٦٣ م) وسمى كتابه (الأنيق) وهو في ست مجلدات.
- ٩ - أبو القاسم زيد بن علي الفسوي (ت ٤٦٧ هـ / ١٠٧٥ م).
- ١٠ - أبو الفضل عبد الله بن أحمد الميكالي (ت ٤٧٥ هـ / ١٠٨٢ م).
- ١١ - عبد الله بن أحمد الشاماتي (ت ٤٧٥ هـ / ١٠٨٢ م).
- ١٢ - الأعلام أبو الحجاج يوسف بن سليمان الشنتمري (ت ٤٧٦ هـ / ١٠٨٣ م).
- ١٣ - أبو بكر بن يحيى الصولي (ت ٤٧٦ هـ / ١٠٨٣ م).

- ١٤ - عبد الله بن إبراهيم بن حكيم الخبري (ت ٤٧٦ هـ / ١٠٨٣ م).
 - ١٥ - أبو زكريا يحيى بن علي الخطيب التبريزي (ت ٥٠٢ هـ / ١١٠٩ م).
 - ١٦ - أبو المحاسن مسعود البيهقي (ت ٥٤٤ هـ / ١١٥٠ م).
 - ١٧ - أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن منذر بن سعيد بن ملكون الحضرمي الإشبيلي (ت ٥٨٤ هـ / ١١٩٠ م).
 - ١٨ - أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري. (ت ٦١٦ هـ / ١٢١٩ م) وهو شرح مختصر اقتصر فيه على الإعراب.
 - ١٩ - أبو نصر منصور بن مسلم بن علي الحلبي، المعروف بابن الدميك.
 - ٢٠ - أبو علي حسن بن علي الاسترابادي النحوي.
 - ٢١ - أبو نصر قاسم بن محمد النحوي.
 - ٢٢ - أبو رياش أحمد بن إبراهيم الشيباني (ت ٣٣٩ هـ / ٩٥٠ م) وقد نقل التبريزي الكثير من هذا الشرح.
 - ٢٣ - أبو عبد الله النمري ألف كتاباً في «مشكلات الحماسة» والتبريزي يورد نصوصاً من هذا الكتاب ثم يعقبها برّد أبي محمد الأعرابي عليها وتخطته لها معتمداً على شيخه أبي الندى في أكثر الأمور.
 - ٢٤ - أبو محمد الأعرابي: صنع نقداً لشرح النمري وأسماء: «إصلاح ما غلط فيه أبو عبد الله الحسين بن علي النمري البصري مما فتره من أبيات الحماسة».
 - ٢٥ - أبو العلاء المعري (ت ٤٤٩ هـ / ١٠٥٧ م). وقد نقل التبريزي الكثير منه في شرحه.
 - ٢٦ - وهناك شرح حديث منسوب إلى محمد سعيد الرافعي وهو في الحقيقة لإبراهيم الدلجموني وقد طبع عدة مرات.
 - ٢٧ - شرح للعلامة الشيخ سعيد بن علي المرصفي.
 - ٢٨ - شرح لبهاء الدين بن عبد القادر بن لقمان سَمَاء «الرصافة القادرية» طبع بالهند سنة ١٢٩٩.
- المرزوقي:**

أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي، أبو علي، من أهل أصبهان، كان غاية في الذكاء والفطنة وحسن التصنيف، وإقامة الحجج وحسن الاختيار.

وتصانيفه لا مزيد عليها في الجودة.

قرأ على أبي علي الفارسي كتاب سيبويه وتلمذ له.

له من الكتب: كتاب شرح الحماسة، كتاب شرح المفضليات، كتاب شرح الفصيح، كتاب شرح أشعار هذيل، كتاب الأزمنة والأمكنة، كتاب شرح الموجز في النحو، كتاب شرح النحو.

أما كتابه الأول وهو شرح الحماسة فقد أسماه: «شرح الاختيار المنسوب إلى أبي تمام الطائي المعروف بكتاب الحماسة».

قال صاحب بن عباد: «فاز بالعلم من أصبهان ثلاثة: حائك وحلاج وإسكاف، فالحائك هو المرزوقي، والحلاج هو أبو منصور بن ماثدة، والإسكاف أبو عبد الله الخطيب بالري، صاحب التصانيف في اللغة».

وكان المرزوقي معلم أولاد بني بويه بأصبهان، ودخل إليه صاحب فما قام له، فلما أفضت الوزارة إلى صاحب جفاه.

ترجمته في معجم الأدباء ٤: ٣٥، وبغية الوعاة ١٥٩.

ديوان الحماسة بين المرزوقي والتبريزي:

مما لا شك فيه أن التبريزي قد أخذ الكثير من شرح المرزوقي، فهو في أحيان كثيرة ينقل شرح المرزوقي دون أن يكلف نفسه عناء الصياغة، حتى إنه يشرح رواية المرزوقي رغم أنها مخالفة لروايته في النص الشعري ويتجاهل التعليق على روايته هو. ويمتاز شرح المرزوقي باهتمامه بمعاني الشعر وبالنقد والموازنة والاهتمام باللغة والاشتقاق وكذلك بالنحو والصرف، أما تقصيره فهو في الاهتمام بالشعراء والمناسبات.

والمرزوقي ذو عبارة رصينة متخيرة يتكلف لها الصنعة حيناً، ويعمد حيناً آخر إلى السجع الهين. وأهم ما يميّز شرحه هو المقدمة النفيسة التي تُعدّ وثيقة هامة في تاريخ النقد الأدبي: نقد الشعر ونقد النثر، ضمنها مسائل شتى تتعلق بموازنة النظم والنثر، وما أثر الصنعة والطبع في الآثار الأدبية في قيمتها وفي جمالها.

هذا إلى أن هناك اختلافاً بين شرحي المرزوقي والتبريزي في ترتيب المقطوعات والأبيات وعددها، وقد أثبتنا هذه الاختلافات في الحواشي، مع ذكر الأبيات الزائدة عند التبريزي.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله خالق الإنسان، متميِّزًا بما علَّمه من التبيين والبيان، وصلى الله على أفضل من صدح بأمره وزجره، داعيًا وناهيًا، وعلى الطاهرين من آله وسلم.

وبعد فإنك جازيتني - أطال الله بقاءك في أشمل سعادة وأكمل سلامة، لما رأيته أقصر ما أستفضله من وقتي، وأستخلصه من وكدي، على عمل شرح للاختيار المنسوب إلى أبي تمام حبيب بن أوس الطائي، المعروف بكتاب الحماسة أُمَر - الشعر وفنونه، وما نال الشعراء في الجاهلية وما بعدها، وفي أوائل أيام الدولتين وأواخرها من الرفعة به، إذ كان الله عز وجل قد أقامه للعرب مقام الكُتُب لغيرها من الأمم، فهو مستودع آدابها، ومُستحفَظ أنسابها، ونظام فخارها يوم الثَّفار، وديوان حجاجها عند الخصام.

ثم سألتني عن شرائط الاختيار فيه، وعمَّا يتميز به النظم عن التثر، وما يحمد أو يذم من العُلُو فيه أو القصد، وعن قواعد الشعر التي يجب الكلام فيها وعليها، حتى تصير جوانبها محفوظة من الوهن، وأركانها محروسة من الوهي إذ كان لا يُحكم للشاعر أو عليه بالإساءة أو بالإحسان إلا بالفحص عنها، وتأمل مأخذ منها، ومدى شأوه فيها، وتمييز المصنوع مما يحوكُه من المطبوع والآتي المُستسهل من الأبيّ المستكره. وقضيت العَجَب كيف وقع الإجماع من الثَّقاد على أنه لم يتفق في اختيار المقطعات أنقى مما جمعه، ولا في اختيار المُقَصِّدات أوفى مما دونه المفضل ونقده.

وقلت إن أبا تمام معروف المذهب فيما يقرضه، مألوف المسلك لما ينظمه نازع في الإبداع إلى كل غاية، حامل في الاستعارات كلَّ مشقة، متوصل إلى الظفر بمطلوبه من الصنعة أين اعتسَف وبماذا عثر، متغلغل إلى توعير اللفظ وتغميض المعنى أتى

تَأْتِي لَهُ وَقَدَرٌ؛ وَهُوَ عَادِلٌ فِيمَا انتَخَبَهُ فِي هَذَا الْمَجْمُوعِ عَنْ سُلُوكِ مَعَاطِفِ مَيْدَانِهِ، وَمُرْتَضٍ مَا لَمْ يَكُنْ فِيمَا يَصُوغُهُ مِنْ أَمْرِهِ وَشَأْنِهِ، فَقَدْ فَلَيْتُهُ فَلَمْ أَجِدْ فِيهِ مَا يُوَافِقُ ذَلِكَ الْأُسْلُوبَ إِلَّا الْيَسِيرَ. وَمَعْلُومٌ أَنَّ طَبِيعَ كُلِّ امْرِئٍ - إِذَا مَلَكَ زِمَامَ الْاِخْتِيَارِ - يَجْذِبُهُ إِلَى مَا يَسْتَلْذُهُ وَيَهْوَاهُ، وَيَصْرِفُهُ عَمَّا يَنْفِرُ مِنْهُ وَلَا يَرْضَاهُ. وَزَعَمْتُ بَعْدَ ذَلِكَ أَجْمَعَ أَنَّكَ مَعَ طُولِ مَجَالَسَتِكَ لَجَهَابِذَةِ الشَّعْرِ وَالْعِلْمَاءِ بِمَعَانِيهِ، وَالْمُبَرِّزِينَ فِي اتِّقَادِهِ، لَمْ تَقِفْ مِنْ جِهَتِهِمْ عَلَى حَدٍّ يُوْذِيكَ إِلَى الْمَعْرِفَةِ بِجَيِّدِهِ وَمَتَوَسِّطِهِ وَرَدِيئِهِ، حَتَّى تَجْرُدَ الشَّهَادَةَ فِي شَيْءٍ مِنْهُ، وَتَبْتَئِ الْحُكْمَ عَلَيْهِ أَوْ لَهُ، آمَنَّا مِنَ الْمَجَازِبِينَ وَالْمُدَافِعِينَ. بَلْ تَعْتَقِدُ أَنَّ كَثِيرًا مِمَّا يَسْتَجِيدُهُ زَيْدٌ يَجُوزُ أَنْ لَا يَطَابَقَهُ عَلَيْهِ عَمْرُو، وَأَنَّهُ قَدْ يُسْتَحْسَنُ الْبَيْتُ وَيُثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ يَسْتَهْجِنُ نَظِيرُهُ فِي الشَّبْهِ لَفْظًا وَمَعْنَى حَتَّى لَا مَخَالَفَةَ، فَيُعْرَضُ عَنْهُ، إِذْ كَانَ ذَلِكَ مَوْقُوفًا عَلَى اسْتِحْلَاءِ الْمُسْتَخْلِيِّ وَاجْتِوَاءِ الْمُجْتَوِي، وَأَنَّهُ كَمَا يُرْزَقُ الْوَاحِدُ فِي مَجَالِسِ الْكِبَارِ مِنَ الْإِصْغَاءِ إِلَيْهِ وَالْإِقْبَالِ عَلَيْهِ، مَا يُخْرَمُ صِنُوهُ وَشَبِيهَتُهُ، مَعَ أَنَّهُ لَا فَضِيلَةَ لَذَلِكَ وَلَا تَقْيِصَةَ لِهَذَا إِلَّا مَا فَازَ بِهِ مِنَ الْجَدِّ عِنْدَ الْأَصْطِفَاءِ وَالْقَسَمِ.

وَقُلْتُ أَيْضًا: إِنِّي أَتَمْنَى أَنْ أَعْرِفَ السَّبَبَ فِي تَأَخُّرِ الشُّعْرَاءِ عَنْ رُتْبَةِ الْكِتَابِ الْبُلْغَاءِ، وَالْعَذَرِ فِي قِلَّةِ الْمُرْسَلِينَ وَكَثْرَةِ الْمُفْلِقِينَ، وَالْعِلَّةَ فِي نَبَاهَةِ أَوْلَئِكَ وَخُمُولِ هَؤُلَاءِ، وَلِمَاذَا كَانَ أَكْثَرُ الْمُرْسَلِينَ لَا يُقْلِقُونَ فِي قَرْضِ الشَّعْرِ، وَأَكْثَرُ الشُّعْرَاءِ لَا يَبْرَعُونَ فِي إِنْشَاءِ الْكُتُبِ، حَتَّى خُصَّ بِالذِّكْرِ عَدَدُ يَسِيرِ مِنْهُمْ، مِثْلَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْعَبَّاسِ الصُّوْلِيِّ، وَأَبِي عَلِيٍّ الْبَصِيرِ، وَالْعَتَّابِيِّ، فِي جَمْعِهِمْ بَيْنَ الْفَتْنَيْنِ، وَاجْتِرَازِهِمْ رِكَابَ الظُّهْرَيْنِ. هَذَا وَنِظَامُ الْبَلَاغَةِ يَتَسَاوَى فِي أَكْثَرِهِ الْمَنْظُومُ وَالْمَنْثُورُ.

وَأَنَا إِنِّ شَاءَ اللَّهُ وَبِهِ الْحَوْلُ وَالْقُوَّةُ، أَوْرَدُ فِي كُلِّ فَضْلٍ مِنْ هَذِهِ الْفُصُولِ مَا يَحْتَمِلُهُ هَذَا الْمَوْضِعُ، وَيُمْكِنُ الْاِكْتِفَاءُ بِهِ؛ إِذْ كَانَ لَتَقْصِي الْمَقَالِ فِيهِ مَوْضِعٌ آخَرُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ أَنْصِبَ لِمَا تُصَوِّرُهُ النُّعُوثُ الْأَمْثَلَةُ، تَفَادِيًا مِنَ الْإِطَالَةِ، وَلِأَنَّهُ إِذَا وَضَحَ السَّبِيلَ وَقَعَتِ الْهَدَايَةُ بِأَيْسَرٍ دَلِيلَ. وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْمَوْفَّقُ لِلصَّوَابِ، وَهُوَ حَسْبُنَا وَنَعْمَ الْوَكِيلُ.

اعْلَمْ أَنَّ مَذَاهِبَ نِقَادِ الْكَلَامِ فِي شَرَايِطِ الْاِخْتِيَارِ مُخْتَلِفَةٌ، وَطَرَائِقُ ذَوِي الْمَعَارِفِ بِأَعْطَافِهَا وَأَرْدَافِهَا مُفْتَرَقَةٌ، وَذَلِكَ لَتَفَاوُتِ أَقْدَارِ مَنَادِحِهَا عَلَى اتِّسَاعِهَا وَتَنَازُحِ أَقْطَارِ مِظَانِهَا وَمَعَالِمِهَا، وَلِأَنَّ تَصَارِيفَ الْمَبَانِي الَّتِي هِيَ كَالْأَوْعِيَةِ، وَتَضَاعِيفُ الْمَعَانِي الَّتِي هِيَ كَالْأَمْتَعَةِ فِي الْمَنْثُورِ، اتَّسَعَ مَجَالُ الطَّبِيعِ فِيهَا وَمَسْرَحُهُ، وَتَشَعَّبَ مَرَادُ الْفِكْرِ لَهَا وَمَطَرَحُهُ. فَمِنْ الْبُلْغَاءِ مَنْ يَقُولُ: فَقَرَّ الْأَلْفَاظُ وَعُزِّزَتْهَا، كَجَوَاهِرِ الْعُقُودِ وَدَرَرَهَا، فَإِذَا

وَسِمَ أَغْفَالُهَا بِتَحْسِينِ نَظْمِهَا وَخُلِّيَ أَعْطَالُهَا بِتَرْكِيبِ شُدُورِهَا، فَرَأَى مَسْمُوعُهَا وَمَضْبُوطُهَا، وَزَانَ مَفْهُومُهَا وَمَحْفُوظُهَا، وَجَاءَ مَا خُرَّرَ مِنْهَا مُصَفًّى مِنْ كَدَرِ الْعِيِّ وَالْخَطَلِ، مَقُومًا مِنْ أَوْدِ اللَّحْنِ وَالْخَطَا، سَالِمًا مِنْ جَنْفِ التَّأْلِيفِ، مُوزُونًا بِمِيزَانِ الصَّوَابِ، يَمْوجُ فِي حَوَاشِيهِ رَوْنَقُ الصَّفَاءِ لَفْظًا وَتَرْكِيبًا - قَبْلَهُ الْفَهْمُ وَالتَّدْبِيرُ بِهِ السَّمْعُ. وَإِذَا وَرَدَ عَلَى ضِدِّ هَذِهِ الصِّفَةِ صِدْيُ الْفَهْمِ مِنْهُ، وَتَأَذَّى السَّمْعُ بِهِ تَأَذَّى الْحَوَاسُّ بِمَا يَخَالِفُهَا.

وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ يَرْضَ بِالْوُقُوفِ عَلَى هَذَا الْحَدِّ فَتَجَاوَزَهُ، وَالتَزَمَ مِنَ الزِّيَادَةِ عَلَيْهِ تَتِمُّمَ الْمَقْطَعِ، وَتَلَطُّفِ الْمَطْلَعِ، وَعَطَفِ الْآخِرِ عَلَى الْأَوَّلِ، وَذِلَالَةِ الْمَوَارِدِ عَلَى الْمَصَادِرِ، وَتَنَاسُبِ الْفُصُولِ وَالْوُصُولِ، وَتَعَادُلِ الْأَقْسَامِ وَالْأَوْزَانِ، وَالكَشْفِ عَنْ قِنَاعِ الْمَعْنَى بِلَفْظٍ هُوَ فِي الْإِخْتِيَارِ أَوْلَى، حَتَّى يَطَابِقَ الْمَعْنَى اللَّفْظَ، وَيَسَابِقَ فِيهِ الْفَهْمُ السَّمْعُ. قَالَ: وَلَا غَايَةَ وَرَاءَ هَذَا.

وَمِنْهُمْ مَنْ تَرَقَّى إِلَى مَا هُوَ أَشَقُّ وَأَصْعَبُ، فَلَمْ تُقْنِعْهُ هَذِهِ التَّكَالِيفُ فِي الْبَلَاغَةِ حَتَّى طَلَبَ الْبَدِيعَ: مِنَ التَّرْصِيعِ وَالتَّسْجِيعِ، وَالتَّطْبِيقِ وَالتَّجْنِيسِ، وَعَكْسِ الْبِنَاءِ فِي النِّظْمِ، وَتَوْشِيحِ الْعِبَارَةِ بِالْفَافِ مُسْتَعَارَةً، إِلَى وَجْهِ آخَرَ تَنْطِقُ بِهَا الْكُتُبُ الْمُؤَلَّفَةُ فِي الْبَدِيعِ، فَإِنِّي لَمْ أَذْكَرْ هَذَا الْقَدْرَ إِلَّا دَلَائِلَ عَلَى أَمْثَالِهَا. وَلِكُلِّ مِمَّا ذَكَرْتُهُ وَمِمَّا لَمْ أَذْكَرْ رَسْمٌ مِنَ النُّفُوزِ وَالْإِعْتِلَاءِ، بِإِزَائِهِ مَا يَضَادُّهُ فَيُسَلِّمُ لِلْكُفُوفِ وَالْإِسْتِقَالِ. وَأَكْثَرُ هَذِهِ الْأَبْوَابِ لِأَصْحَابِ الْأَلْفَاظِ، إِذْ كَانَتْ الْمَعَانِي بِمَنْزِلَةِ الْمَعَارِضِ لِلْجَوَارِي، فَأَرَادُوا أَنْ يَلْتَدَّ السَّمْعُ بِمَا يُدْرِكُ مِنْهُ وَلَا يَمُجُّ، وَيَتَلَقَّاهُ بِالْإِصْغَاءِ إِلَيْهِ وَالْإِذْنَ لَهُ فَلَا يَحْجُبُهُ.

وَقَدْ قَالَ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ طَبَّاطَبَا رَحِمَهُ اللَّهُ، فِي الشُّعْرِ: هُوَ مَا إِنْ عَرِيَ مِنْ مَعْنَى بَدِيعٍ لَمْ يَغَرَّ مِنْ حُسْنِ الدِّيَابِجَةِ؛ وَمَا خَالَفَ هَذَا فَلَيْسَ بِالشُّعْرِ.

وَمِنَ الْبُلْغَاءِ مَنْ قَصِدَ فِيمَا جَاشَ بِهِ خَاطِرُهُ إِلَى أَنْ يَكُونَ اسْتِفَادَةُ الْمُتَأَمِّلِ لَهُ، وَالبَاحِثِ عَنْ مَكْنُونِهِ مِنْ آثَارِ عَقْلِهِ أَكْثَرَ مِنْ اسْتِفَادَتِهِ مِنْ آثَارِ قَوْلِهِ أَوْ مِثْلِهِ. وَهُمْ أَصْحَابُ الْمَعَانِي، فَطَلَبُوا الْمَعَانِي الْمُعْجِبَةَ مِنْ خَوَاصِّ أَمَاكِنِهَا، وَانْتَزَعُوا جَزَلَةَ عَذْبَةِ حَكِيمَةٍ ظَرِيفَةٍ أَوْ رَائِقَةٍ بَارِعَةٍ، فَاضِلَةً كَامِلَةً، لَطِيفَةً شَرِيفَةً، زَاهِرَةً فَاحِشَةً؛ وَجَعَلُوا رَسْمَهَا أَنْ تَكُونَ قَرِيبَةً مِنَ التَّشْبِيهِ، لَائِقَةً مِنَ الْإِسْتِعَارَةِ، صَادِقَةً مِنَ الْأَوْصَافِ، لَائِقَةً مِنَ الْأَوْضَاحِ، خَلَابَةً فِي الْإِسْتِعْطَافِ، عَطَافَةً لَدَى الْإِسْتِنْفَارِ، مُسْتَوِيَةً لِحُظُوظِهَا عِنْدَ الْإِسْتِهَامِ مِنْ أَبْوَابِ التَّصْرِيحِ وَالتَّعْرِيزِ، وَالْإِطْنَابِ وَالتَّقْصِيرِ، وَالْجِدِّ وَالْهَزْلِ، وَالْخُشُونَةِ وَاللَّيَانِ،

والإباء والإسماح، من غير تفاوت يظهر في خلال أطباقها، ولا قصور ينبع من أثناء أعماقها، مبتسمة من مثاني الألفاظ عند الاستشفاف، محتجة في غموض الصيآن، لدى الامتهان تعطيك مُرادك إن رفقت بها، وتمنعك جانبها إن عثقت معها. فهذه مناسيب المعاني لطلابها، وتلك مناصب الألفاظ لأربابها. ومتى اعترف اللفظ والمعنى فيما تَصُوبُ به العقول فتعانقا وتلايسا، متظاهرين في الاشتراك وتوافقا، فهناك يلتقي ثريا البلاغة فيمطر روضها، وينشر وشيها، ويتجلى البيان فصيح اللسان، نجيح البرهان، وترى رائدي الفهم والطبع متباشرين لهما من المسموع والمعقول بالمسرح الخضب والمكزع العذب. فإذا كان الشر - بما له من تقاسيم اللفظ والمعنى والنظم - اتسع نطاق الاختيار فيه على بيئته بحسب اتساع جوانبها وموادها، وتكاثر أسبابها ومواطنها، وكان الشعر قد ساواه في جميع ذلك وشاركه، ثم تفرّد عنه وتميّز بأن كان حده «لفظ موزون مُقْفَى يَدُلُّ على معنى»، فازدادت صفاته التي أحاط الحدُّ بها بما انضَمَّ من الوزن والتقفية إليها، ازدادت الكُلف في شرائط الاختيار فيه، لأن للوزن والتقفية أحكاما تماثل ما كانت للمعنى واللفظ والتأليف أو تقارب، وهما يقتضيان من مراعاة الشاعر والمتقّد، مثل ما تقتضيه تلك من مراعاة الكاتب والمتصفّح، ثلا يختل لهما أصل من أصولهما، أو يعتلّ فرع من فروعهما.

فإذا كان الأمر على هذا، فالواجب أن يُتَبَيَّن ما هو عمود الشعر المعروف عند العرب، ليميّز تليد الصنعة من الطريف، وقديم نظام القريض من الحديث، ولتعرف مواطن أقدام المختارين فيما اختاروه، ومراسم إقدام المزيّفين على ما زيّفوه، ويُعلَم أيضا فرق ما بين المصنوع والمطبوع، وفضيلة الأتبي السنج على الأبي الصعب، فنقول وبالله التوفيق:

إنهم كانوا يحاولون شرف المعنى وصحّته، وجزالة اللفظ واستقامته، والإصابة في الوصف - ومن اجتماع هذه الأسباب الثلاثة كثرت سوائر الأمثال، وشوارد الأبيات - والمقاربة في التشبيه، والتحام أجزاء النظم والتشامها على تخيير من لذيد الوزن، ومناسبة المستعار منه للمستعار له، ومشاكلة اللفظ للمعنى وشدة اقتضائهما للقافية حتى لا منافرة بينهما - فهذه سبعة أبواب هي عمود الشعر، ولكل باب منها مغيار.

فيعتار المعنى أن يُعرَض على العقل الصحيح والفهم الثاقب، فإذا انعطف عليه جَنَّبْنَا القَبُول والاصطفاء، مستائسا بقرائته، خرج وافيا، وإلا انتقص بمقدار شؤبه ووخشيته.

وعيار اللفظ الطَّبْعُ والرَّوَايَةُ والاستعمال، فما سَلِمَ مما يُهْجَنُ عند العَرَضِ عليها فهو المختار المستقيم. وهذا في مُفرداته وجملته مُرَاعَى، لَأَنَّ اللفظة تُسْتَكْرَمُ بانفرادها، فإذا ضَامَهَا ما لا يوافقها عادت الجملة هَجِيئًا.

وعيار الإصابة في الوصف الذِّكَاءُ وحسُنُ التَّمْيِيزِ، فما وجداه صادقًا في العُلُوقِ مازَجًا في اللُّصُوقِ، يتعَسَّرُ الخروجُ عنه والتَّبَرُّؤُ منه، فذاك سِيَمَاءُ الإِصَابَةِ فيه. ويروى عن عمر رضي الله عنه أنه قال في زهير: «كَانَ لَا يَمْدَحُ الرَّجُلَ إِلَّا بِمَا يَكُونُ لِلرِّجَالِ». فتأمل هذا الكلامَ فَإِنَّ تفسيره ما ذكرناه.

وعيار المقاربة في التشبيه الفطنة وحسُنُ التقدير، فأصدَقُهُ ما لا ينتَقِضُ عند العكس، وأحسنُهُ ما أوقع بين شيئين اشتراكهما في الصفات أكثر من انفرادهما لِيَبِينَ وجهُ التشبيه بلا كَلْفَةٍ، إلا أن يكون المطلوب من التشبيه أشهر صفات المشبَّه به وأملكها له، لأنه حينئذٍ يدلُّ على نفسه ويحميه من الغموض والالتباس. وقد قيل: «أقسام الشعر ثلاثة: مَثَلٌ سائرٌ، وتشبيه نادر، واستعارة قريبة».

وعيار التحام أجزاء النظم والتشامه على تَخْيِيرٍ من لذيذ الوزن، الطَّبْعُ واللسان، فما لم يتعَسَّرَ الطَّبْعُ بأبنيتِهِ وعقودِهِ، ولم يتحبَّسَ اللسانُ في فصوله ووصله، بل استمرَّ فيه واستسهلاه، بلا مَلَالٍ ولا كلالٍ، فذاك يُوشِكُ أن يكون القصيدة منه كالبيت، والبيت كالكلمة تَسَالُمًا لأجزائه وتَقَارُنًا، وَأَلَّا يَكُونُ كما قيل فيه:

وَشِعْرٌ كَبَعْرِ الْكَبْشِ فَرَّقَ بَيْنَهُ لِسَانٌ دَعِيَ فِي الْقَرِيضِ دَخِيلٌ^(١)
وكما قال خَلَفٌ:

وَبَعْضُ قَرِيضِ الشَّعْرِ أَوْلَادُ عَلَةٍ يَكْدُ لِسَانِ النَّاطِقِ الْمَتَحَفِّظِ^(٢)
وكما قال رُوَيْبَةُ لابنه عَقَبَةَ وقد عَرَضَ عليه شيئًا مما قاله، فقال:

قَدْ قَلْتُ لَوْ كَانَ لَهُ قِرَآنٌ^(٣)

ولأنما قلنا «على تَخْيِيرٍ من لذيذ الوزن» لَأَنَّ لذيذَهُ يَطْرُبُ الطَّبْعَ لإيقاعه، وَيُمَازِجُهُ بصفائِهِ، كما يَطْرُبُ الفهمُ لصواب تركيبه، واعتدالِ نظوميهِ. ولذلك قال

(١) لأبي البيداء الرياحي في البيان ١: ٦٦. (٢) انظر البيان ١: ٦٦، والعمدة ١: ١٧٢.

(٣) البيان ٢: ٦٨.

حَسَّان: [البسيط]

تَعَنَّ فِي كُلِّ شَعْرٍ أَنْتِ قَائِلَةٌ إِنَّ الْغِنَاءَ لِهَذَا الشَّعْرِ مِضْمَارٌ^(١)

وعيار الاستعارة الذَّهْنُ والفطنة. وَمِلَّاكُ الْأَمْرِ تقريب التشبيه في الأصل حتى يتناسب المشبَّه والمشبَّه به، ثم يكتفي فيه بالاسم المستعار لآته المنقولُ عَمَّا كَانَ لَهُ فِي الْوَضْعِ إِلَى الْمُسْتَعَارِ لَهُ.

وعيارُ مشاكلة اللفظ للمعنى وشِدَّةُ اقْتِضَائِهِمَا لِلْقَافِيَةِ، طَوْلُ الدُّزْبَةِ ودَوَامُ الْمَدَارَسَةِ، فَإِذَا حَكَمًا بِحَسَنِ التَّبَاسِ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ، لَا جَفَاءَ فِي خِلَالِهَا وَلَا ثُبُوءَ، وَلَا زِيَادَةَ فِيهَا وَلَا قُصُورَ. وَكَانَ الْلفْظُ مَقْسُومًا عَلَى رُتَبِ الْمَعَانِي: قَدْ جُعِلَ الْأَخْصُ لِلْأَخْصِ، وَالْأَخْسُ لِلْأَخْسِ، فَهُوَ الْبَرِيءُ مِنَ الْعَيْبِ. وَأَمَّا الْقَافِيَةُ فَيَجِبُ أَنْ تَكُونَ كَالْمَوْعُودِ بِهِ الْمُنْتَظَرِ، يَتَشَوَّفُهَا الْمَعْنَى بِحَقِّهِ وَالْلفْظُ بِقِسْطِهِ، وَإِلَّا كَانَتْ قَلَقَةً فِي مَقَرِّهَا، مُجْتَلِبَةً لِمُسْتَعْنٍ عَنْهَا.

فهذه الخصال عَمُودُ الشَّعْرِ عِنْدَ الْعَرَبِ، فَمَنْ لَزِمَهَا بِحَقِّهَا وَبَنَى شِعْرَهُ عَلَيْهَا، فَهُوَ عِنْدَهُمُ الْمُغْلِقُ الْمَعْظَمُ. وَالْمُحْسِنُ الْمُقَدَّمُ. وَمَنْ لَمْ يَجْمَعْهَا كُلَّهَا فَيَقْدِرُ سُهْمَتَهُ مِنْهَا يَكُونُ نَصِيبُهُ مِنَ التَّقْدِيمِ وَالْإِحْسَانِ، وَهَذَا إِجْمَاعٌ مَأْخُودٌ بِهِ وَمُتَّبَعٌ نَهَجُهُ حَتَّى الْآنَ.

وَأَعْلَمُ أَنَّ لِهَذِهِ الْخِصَالَ وَسَائِطَ وَأَطْرَافًا، فِيهَا ظَهَرَ صَدَقُ الْوَاصِفِ، وَغُلُوءُ الْغَالِي؛ وَاقْتِصَادُ الْمُقْتَصِدِ. وَقَدْ افْتَقَرَهَا اخْتِيَارُ النَّاقِدِينَ، فَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: «أَحْسَنُ الشَّعْرِ أَصْدَقُهُ» قَالَ: لِأَنَّ تَجْوِيدَ قَائِلِهِ فِيهِ مَعَ كَوْنِهِ فِي إِسَارِ الصَّدَقِ يَدُلُّ عَلَى الْاِقْتِدَارِ وَالْحِذْقِ. وَمِنْهُمْ مَنْ اخْتَارَ الْغُلُوءَ حَتَّى قِيلَ «أَحْسَنُ الشَّعْرِ أَكْذَبُهُ»؛ لِأَنَّ قَائِلَهُ إِذَا أَسْقَطَ عَنْ نَفْسِهِ تَقَابُلَ الْوَصْفِ وَالْمَوْصُوفِ امْتَدَّ يَمِينُهُ إِلَى أَعْلَى الرُّتْبَةِ، وَظَهَرَ قُوَّتُهُ فِي الصِّيَاغَةِ وَتَمَهُّدُهُ فِي الصَّنَاعَةِ، وَاتَّسَعَتْ مَخَارِجُهُ وَمَوَالِجُهُ، فَتَصَرَّفَ فِي الْوَصْفِ كَيْفَ شَاءَ، لِأَنَّ الْعَمَلَ عِنْدَهُ عَلَى الْمَبَالِغَةِ وَالتَّمْثِيلِ، لَا الْمَصَادَقَةِ وَالتَّحْقِيقِ. وَعَلَى هَذَا أَكْثَرُ الْعُلَمَاءِ بِالشَّعْرِ وَالْقَائِلِينَ لَهُ. وَبَعْضُهُمْ قَالَ: «أَحْسَنُ الشَّعْرِ أَقْصَدُهُ»؛ لِأَنَّ عَلَى الشَّاعِرِ أَنْ يَبَالِغَ فِيمَا يَصِيرُ بِهِ الْقَوْلُ شِعْرًا فَقَطُّ، فَمَا اسْتَوْفَى أَقْسَامَ الْبِرَاعَةِ وَالتَّجْوِيدِ أَوْ جُلَّهَا، مِنْ غَيْرِ غُلُوءٍ فِي الْقَوْلِ وَلَا إِحَالَةٍ فِي الْمَعْنَى، وَلَمْ يُخْرِجِ الْمَوْصُوفَ إِلَى أَنْ لَا يُؤْمَنَ

(١) لحسان في ديوانه ٢٨٠، وبلا نسبة في اللسان (غنا)، وأساس البلاغة (ضم).

لشيء من أوصافه، لظهور السرف في آياته، وشمول التزئد لأقواله، كان بالإيثار والانتخاب أولى.

ويتبع هذا الاختلاف مئيل بعضهم إلى المطبوع وبعضهم إلى المصنوع. والفرق بينهما أن الدواعي إذا قامت في النفوس، وحركت القرائح، أعملت القلوب. وإذا جاشت العقول بمكنون ودائعها، وتظاهرت مكتسبات العلوم وضرورياتها، نبعت المعاني ودرت أخلافتها، وافترقت خفيات الخواطر إلى جليات الألفاظ، فمتى رُفِضَ التكلف والتعمُّل، وحُلِّيَ الطبع المهذب بالزواية، المدرَّب في الدراسة، لاختياره، فاسترسل غيرَ محمولٍ عليه، ولا ممنوعٍ مما يميل إليه، أدَّى من لطافة المعنى وحلاوة اللفظ ما يكون صفواً بلا كدَرٍ، وعَفْواً بلا جَهْدٍ، وذلك هو الذي يسمَّى «المطبوع». ومتى جعل زمام الاختيار بيد التعمُّل والتكلف، عاد الطبع مستخدماً متمكناً، وأقبلت الأفكار تستحمله أثقالها، وتردده في قبول ما يؤذيه إليها، مُطالَبَةً له بالإغراب في الصناعة، وتجاوز المألوف إلى البدعة، فجاء مؤذاه وأثر التكلف يُلَوِّح على صفحاته، وذلك هو «المصنوع».

وقد كان يتفق في أبيات قصائدهم - من غير قصدٍ منهم إليه - اليسيرُ التَّزُّرُ، فلما انتهى قرضُ الشعر إلى المُحدِّثين، ورأوا استغراب الناس للبديع على افتنانهم فيه، أُلْعوا بتزؤده إظهاراً للاقتدار، ودَهَاباً إلى الإغراب. فمن مُفْرِطٍ ومُقْتَصِدٍ، ومحمودٍ فيما يأتيه ومذموم، وذلك على حسب نُهوض الطبع بما يُحْمَلُ، ومَدَى قُوَّاه فيما يطلب منه ويُكَلَّفُ. فمن مال إلى الأول فلائته أشبه بطرائق الإغراب، لسلامته في السُّبُك، واستوائه عند الفحص. ومن مال إلى الثاني فلدلالته على كل البراعة، والالتذاذ بالغرابة.

وأما تعجُّبك من أبي تمام في اختيار هذا المجموع وخروجه عن ميدان شعره، ومفارقته ما يهواه لنفسه؛ وإجماع نقاد الشعر بعده على ما صحبه من التوفيق في قصده، فالقول فيه أنَّ أبا تمام كان يختار ما يختار لجودته لا غير، ويقول ما يقوله من الشعر بشهوته. والفرق بين ما يُشْتَهَى وبين ما يُسْتَجَاد ظاهراً، بدلالة أنَّ العارف بالبرزِّ قد يشتهي لُبْس ما لا يستجيده، ويستجيد ما لا يشتهي لُبْسَه. وعلى ذلك حال جميع أعراض الدنيا مع العقلاء العارفين بها، في الاستجادة والاشتواء. وهذا الرجل لم يغمِذ من الشعراء إلى المشتهرين منهم دون الأغفال، ولا من الشعر إلى المتردِّد في الأفواه، المجيب لكلِّ داعٍ، فكان أمره أقرب، بل اعتسَف في دواوين الشعراء

جاهليهم ومخضرمهم، وإسلاميهم ومولديهم، واختطف منها الأرواح دون الأشباح، واخترف الأثمار دون الأكمام، وجمع ما يوافق نظمه ويخالفه؛ لأن ضروب الاختيار لم تخف عليه، وطرق الإحسان والاستحسان لم تستر عنه، حتى إنك تراه ينتهي إلى البيت الجيد فيه لفظة تسيئه، فيجبر نقيضه من عنده، ويبدل الكلمة بأختها في نقده. وهذا يبين لمن رجع إلى دواوينهم، فقابل ما في اختياره بها. ولو أن نقد الشعر كان يدرك بقوله لكان من يقول الشعر من العلماء أشعر الناس. ويكشف هذا أنه قد يميز الشعر من لا يقوله، ويقول الشعر الجيد من لا يعرف نقده. على ذلك كان البخترى، لأنه فيما حكى عنه كان لا يوجب من الشعر إلا بما وافق طبعه ومعناه ولفظه.

وحكى الصولي أنه سمع المبرد يقول: سمعت الحسن بن رجاء يقول: ما رأيت أحدا قط أعلم بجيد الشعر قديمه وحديثه من أبي تمام. وحكى عنه أنه مر بشعر ابن أبي عيثة فيما كان يختاره من شعر المحدثين فقال: «وهذا كله مختار». هذا وشعره أبعد الأشياء من شعره. وهذا واضح.

وأما ما غلب على ظنك من أن اختيار الشعر موقوف على الشهوات؛ إذ كان ما يختاره زيد يجوز أن يزيقه عمرو، وأن سبيلها سبيل الصور في العيون، إلى غير ذلك مما ذكرته - فليس الأمر كذلك؛ لأن من عرف مستور المعنى ومكشوفه، ومرفوض اللفظ ومألوفه، وميز البديع الذي لم تقتسمه المعارض، ولم تعسفه الخواطر، ونظر وتبحر، ودار في أساليب الأدب فتخير، وطالت مجاذبته في التذاكر والابتحاث، والتداول والابتعاث، وبأن له القليل النائب عن الكثير، واللحظ الدال على الضمير، وذرى تراتيب الكلام وأسرارها، كما درى تعاليق المعاني وأسبابها، إلى غير ذلك مما يكمل الآلة، ويشحذ القريحة - تراه لا ينظر إلا بعين البصيرة، ولا يسمع إلا بأذن النصفة، ولا ينتقد إلا بيد المعدلة، فحكمه الحكم الذي لا يبدل، ونقده النقد الذي لا يغير.

واعلم أنه يعرف الجيد من يجهل الرديء. والواجب أن تعرف المقابح المتسخطة كما عرفت المحاسن المرتضاة، وجماعها إذا أجملت أنها أضداد ما بيناه من عمد البلاغة، وخصال البراعة، في النظم والنثر. وفي التفصيل كأن يكون اللفظ وخشياً أو غير مستقيم، أو لا يكون مستعملاً في المعنى المطلوب، فقد قال عمر رضي الله عنه في زهير: «لا يتتبع الوحشي ولا يعاظم الكلام». أو يكون فيه زيادة

تفسد المعنى أو نقصان، أو لا يكون بين أجزاء البيت التثام، أو تكون القافية قَلَقَةً في مقرّها، أو مَعِيبةً في نفسها، أو يَكُونُ في القَسَمِ أو التَقَابُلِ، أو في التفسير فساد، أو في المعنى تناقض وخروج إلى ما ليس في العادة والطبع، أو يَكُونُ الوصفُ غيرَ لائقٍ بالموصوف، أو يَكُونُ في البيت حَشَوٌ لا طائِلَ فيه، إلى غير ذلك مما يحصلُ لك تأمُّلكُ جُمَلِ المحاسن وتفصيلها، وتتبعك ما يُضَادُّها وينافها، وهذا هَيِّنٌ قريب.

وإنما قلت هذا لأن ما يختاره الناقد الحاذق قد يتفق فيه ما لو سُئِلَ عن سبب اختياره إياه، وعن الدلالة عليه، لم يمكنه في الجواب إلا أن يقول: هكذا قضية طَبِيعِي، أو ازجَعُ إلى غيري ممن له الدُرْبَةُ والعلم بمثله فإنه يَحْكُمُ بمثل حُكْمِي. وليس كذلك ما يَسْتَرْدِلُهُ التَّقْدُّرُ أو ينفيه الاختيار، لأنه لا شيء من ذلك إلّا ويمكن التنبيه على الخلل فيه، وإقامة البرهان على رداءته، فاعلمه.

وأما تمنيك معرفة السبب في تأخر الشعراء عن رتبة الكُتَّابِ البُلْغَاءِ، والعذر في قلة المترسلين وكثرة المُفْلِقِينَ، والعلة في نباهة أولئك وخمول هؤلاء، ولماذا كان أكثر المُفْلِقِينَ لا يبرعون في إنشاء الكتب، وأكثر المترسلين لا يُفْلِقُونَ في قَرْض الشعر، فإنّي أقول في كل فضلٍ من ذلك بما يَخْضُرُ، والله وَلِيُّ توفيقِي، وهو حسبي وعليه توكلِي.

اعلم أن تأخر الشعراء عن رتبة البلغاء، مُوجِبُهُ تأخُرُ المنظوم عن رتبة المنثور عند العرب، لأمرين:

أحدهما: أنَّ ملوكهم قبل الإسلام ويعدّه كانوا يتبجحون بالخطابة والافتتان فيها، ويعدّونها أكملَ أسباب الرياسة، وأفضلَ آلات الزعامة. فإذا وقف أحدهم بين السُّمَّاطِينَ لحصولِ تناقُرٍ أو تضاعفٍ أو تظالمٍ أو تشاجر، فأحسن الاقتضاب عند البُداة، وأنجَعُ في الإسهاب وقت الإطالة، أو اعتلى في ذِوَةِ مِنبرٍ فتصرّف في ضروب من تخشين القول وتليينه، داعيًا إلى طاعة، أو مُسْتَضْلِحًا لرعية، أو غير ذلك مما تدعو الحاجة إليه، كان ذلك أبلغَ عندهم من إنفاق مَالٍ عظيم، وتجهيز جيش كبير. وكانوا يأنفون من الاشتهار بقَرْض الشعر، ويعدّهُ ملوكهم دناءة. وقد كان لامرئ القيس في الجاهلية مع أبيه حُجر بن عَمْرِو، حين تعاطى قول الشعر فنهاء عنه وقتًا بعد وقت، وحالًا بعد حال، ما أخرجَه إلى أن أمر بقتله. وقصته مشهورة، فهذا واحد.

والثاني: أنهم اتخذوا الشعر مَكْسَبَةً وتجارة، وتوصلوا به إلى السُّوق كما توصلوا به إلى العَلِيَّة، وتعرضوا الأعراض الناس، فوصفوا اللثيم عند الطمع فيه بصفة الكريم، والكريم عند تأخر صلته بصفة اللثيم، حتى قيل: «الشعر أدنى مروءة السري، وأسرى مروءة الدني». وهذا الباب أمره ظاهر. وإذا كان شرف الصانع بمقدار شرف صناعته، وكان النظم متأخرًا عن رتبة النثر، وجب أن يكون الشاعر أيضًا متخلفًا عن غاية البليغ.

ومما يدل على أن النثر أشرف من النظم، أن الإعجاز من الله تعالى جده والتحدّي من الرسول عليه السلام وقعا فيه دون النظم؛ يكشف ذلك أن معجزات الأنبياء عليهم السلام في أوقاتهم كانت من جنس ما كانت أممهم يؤلّعون به في حينهم، ويغلب على طبائعهم، وبأشرف ذلك الجنس. على ذلك كانت معجزة موسى عليه السلام، لأنها ظهرت عليه وزمنه زمن السحر والسحرة، فصارت من ذلك الجنس وبأشرفه. وكذلك كان حال عيسى عليه السلام، لأن زمنه كان زمن الطب، فكانت معجزته وهي إحياء الموتى، من ذلك الجنس وبأشرفه. فلما كان زمن النبي ﷺ من الفصاحة والبيان، جعل الله معجزته من جنس ما كانوا يؤلّعون به وبأشرفه، فتحداهم بالقرآن كلامًا مثورًا، لا شعرًا منظومًا.

وقد قال الله عز وجل في تنويه النبي عليه السلام: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾ [يس: الآية ٦٩].

وقال أيضًا: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْفَاوَنُ﴾ ١٢٦ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾ ١٢٧ ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ ١٢٨ [الشُعراء: الآيات ٢٢٤ - ٢٢٦].

ولما كان الأمر على ما بيّناه وجب أن يكون النثر أرفع شأنًا، وأعلى سَمَكًا وبناء من النظم، وأن يكون مزاوله كذلك، اعتبارًا بسائر الصناعات وبمزاويلها.

وأما السبب في قلة المترسلين وكثرة المُفْلِقِينَ وعِزٌّ مَنْ جمع بين النوعين مبررًا فيهما، فهو أن مبنى «الترسل» على أن يكون واضح المنهج، سهل المعنى، متيسر الباع، واسع النطاق، تدلّ لوائحه على حقائقه، وظواهره على بواطنه، إذ كان مؤرّده على أسماع مفترقة: من خاصي وعامي، وأفهام مختلفة: من ذكي وغبي. فمتى كان متسهلًا متسويًا، ومتسلسلًا متجاويًا، تساوت الآذان في تلقيه، والأفهام في درايته، والألسن في روايته، فيسمح شارده إذا استدعى، ويتعجل وافده إذا استدنى، وإن

تطاولَ أنفاسُ فصوله، وتباعَدَ أطرافُ حُزونه وسهوله. ومبنى «الشعر» على العكس من جميع ذلك لأنه مبنيٌّ على أوزان مقدّرة، وحدود مقسّمة، وقواف يُساق ما قبلها إليها مهيّأة، وعلى أن يقوم كلُّ بيت بنفسه غير مفتقرٍ إلى غيره إلا ما يكون مضمّنًا بأخيه، وهو عيب فيه. فلما كان مداه لا يمتدُّ بأكثر من مقدار عَرُوضه وضَرْبه، وكلاهما قليل، وكان الشاعر يعمل قصيدته بيتًا بيتًا، وكلُّ بيت يتقاضاه بالاتحاد، وجب أن يكون الفضل في أكثر الأحوال في المعنى، وأن يبلغ الشاعرُ في تلطيفه، والأخذ من حواشيه، حتى يتسع اللفظ له، فيؤدّيه على غموضه وخفائه - حدًّا يصير المُدرِكُ له والمشرِفُ عليه، كالفائزِ بذخيرة اغتنمها، والظافرِ بدفينة استخرجها. وفي مثل ذلك يُحسنُ أمحاء الأثر، وتباطؤُ المطلوب على المنتظر. فكلُّ ما يُحمَدُ في الترسل ويُختار، يُذمُّ في الشعر ويُزَفَض.

فلما اختلف المَبْنِيانِ كما بيتًا، وكان المتولّي لكل واحدٍ منهما يختار أبعدَ الغايات لنفسه فيه، اختلفت فيهما الإصابات، لتبايُن طرفيهما، وتفاوتِ قطريهما، ويَعُدُّ على القرائح الجمع بينهما. يكشفُ ذلك أن الرَّجَزَ وإنْ خالف القصيدَ مخالفةً قريبة ترجع إلى تقطيع شأو اللفظ فيه، وتزاحم السجع عليه، قلَّ عددُ الجامعين بينهما، لتقاصر الطباع عن الإحاطة بهما. فإذا كان الرَّجَزُ والقصيد مع أنهما من وادٍ واحد، أفضت الحالُ بمتعاطيهما إلى ما قلْتُ على خلافٍ يسير بينهما - فالنثر والنظم وهما في طرفين ضِدِّين، وعلى حالتين متباينتين، أولى وأخص.

وأما السبب في قلة البلغاء وكثرة الشعراء، ونباهة أولئك وخمول هؤلاء، فهو أن المترسل محتاجٌ إلى مراعاة أمورٍ كثيرة، إن أهملها أو أهمل شيئًا منها رجعت النقيصة إليها، وتوجهت اللائمة عليه.

منها تبيينُ مقادير من يكتب عنه وإليه، حتى لا يرفع وضيعةً، ولا يضع ربيعًا.

ومنها وزن الألفاظ التي يستعملها في تصاريفه، حتى تجيء لائقةً بمن يُخاطَب بها، مُفحّمة لحضرة سلطانه التي يصدر عنها.

ومنها أن يعرف أحوالَ الزمان، وعوارضَ الحدثان، فيتصرّف معها على مقاديرها في النقص والإبرام، والبسط والانقباض.

ومنها أن يعلم أوقات الإسهاب والتطويل، والإيجاز والتخفيف؛ فقد يَنفَق ما يحتاج فيه إلى الإكثار، حتَّى يستغرق في الرسالة الواحدة أَقدَارَ القصائد الطويلة، وَيَتَّفِق أَيضًا ما تُغْنِي فيه الإشارة، وما يجري مَجْرَى الْوَحْي في الدَّلالة.

ومنها أن يعرف من أحكام الشريعة ما يقف به على سَوَاء السبيل ولا يَشْتَطُّ في الحُكُومة، ولا يَعْدِل فيما يَخْطُ عن المَحَجَّة. فهو إِنَّمَا يَتَرَسَّل في عهود الوُلاة والقضاة، وتأکید البیعة والأیمان، وعمارۃ البُلدان، وإصلاح فساد، وتحريض على جهاد، وسَدُّ ثغورٍ ورَتَق فتوق، واحتجاج على فئَةٍ، أو مجادَلَةٌ لِمِلَّةٍ، أو دعاءٍ إلى أَلْفَةٍ، أو نهی عن فِرْقَةٍ، أو تهنئة بعطية، أو تعزية برزية، أو ما شاكل ذلك من جلائل الخطوب، وعظام الشؤن التي يحتاج فيها إلى أدوات كثيرة، ومعرفة مفتتة.

فلما كان الأمرُ على هذا صار وجود المضطلعين بِجُودَةِ النثر أعزَّ، وعددهم أَثَر. وقد سَمَّتهم الكتَّابُ بِشرفها، وبِوَأَتِهِمْ منزلةَ ریاستها، فأخطارُهم عالية بحسب غُلُو صناعتهم، ومَعاقِدِ ریاستهم، وشدة الفاقة إلى كِفايتهم.

والشعراء إِنَّمَا أغراضُهم التي يُسَدِّدون نحوها، وغاياتُهم التي يَنزِعون إليها، وصفُ الدِّيار والآثار، والحنين إلى المعاهد والأوطان، والتشبيب بالنساء، والتلطيف في الاجتداء، والتفنُّن في المديح والهجاء، والمبالغة في التَّشْبِيهِ والأوصاف. فإذا كان كذلك لم يتدأَّنوا في المِضمار، ولا تقارَّبوا في الأقدار. وهذا القول كافٍ.

وإذ قد أتينا بما أردنا، ووقينا بما وَعَدْنَا، فإننا نشتغل بما هو القصد من شرح الاختيار، والله الموفق للصواب، والصلاة والسلام على رسوله محمد وآله الأخيار.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

باب الحماسة

قال الشيخ أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي الأصفهاني رحمه الله .

الحماسة: الشجاعة، والفعل منه حَمَسَ، ورجلٌ أحمَسُ . وكانت العرب تسمي قريشًا: حُمْسًا لتشددهم في أحوالهم دينًا ودنيا وتسمي بني عامر: الأحامِسَ، وكأنهم ذهبوا في واحد حُمْسٍ إلى أنه صِفَةٌ، فجمعوه جمع الصفات، كما يقال أحمَرُ وحُمْرُ، وأشقر وشَقْرُ، وذهبوا في واحد الأحامس إلى أنه اسم، فجمعوه جمع الأسماء كما يقال أحمد وأحامِد، وأجدل وأجادِلُ . وهم يُخرجون الأسماء إلى باب الصفات كثيرًا، فيقولون: بنو فلان الذوائب لا الذنائب، والمراد هم الأعالي لا الأسافل، كما يُخرجون الصفات إلى باب الأسماء كثيرًا . وعلى هذا الأساود: الحياتُ، والأداهِمُ: القيود: قال: [الرجز]

أَوْعَدَنِي بالسُّجْنِ والأداهِمِ^(١)

والأباطح: جمع الأبطح . وكلُّ ذلك صفات أُخرجت إلى باب الأسماء .

وقال الدُرَيْدِيُّ^(٢): حَمَسَ الشرُّ: اشتدَّ . والحُمْسُ: قريش، وكنانة وخُزَاعَةُ، تَحَمَّسُوا في دينهم . وبنو حِمَاسٍ: قبيلة من العرب، وكذلك بنو حُمَيْسٍ . وقوله:

(١) للعديل بن الفرخ في خزانة الأدب ٥ : ١٨٨ ، والدرر ٦ : ٦٢ ، وتاج العروس (دهم) . وبلا نسبة في ديوان الأدب ٣ : ٢٦٦ ، واللسان (وعد، رهم) .
(٢) الدريدي: يعني أبا بكر محمد بن الحسن بن دريد .

١ - قال بعض شعراء بلعبر^(١):

المراد بني العنبر، ولهذا وجب ألا يصحب الكسرة التي في الراء التنوين. وإنما حذف النون من «بني» لاجتماعه مع اللام من العنبر، وتقاربهما في المخرج. وذلك لأنه لما تعذر الإدغام فيه جعل الحذف بدلاً من الإدغام. وإنما تعذر الإدغام لأن الأول متحرك والثاني ساكن سكوتاً لازماً، فلما كان من شرط المُدْغَم تحريك الثاني إذا أُدْغِمَ الأول فيه، وكان لام التعريف ساكناً سكوتاً لازماً، جعل الحذف لكونه مؤدياً إلى التخفيف المطلوب من الإدغام بدلاً لما تعذر هو. ولا يلزم على هذا أن يُحذف النون من بني التَّجَار لأن اللام قد أُدْغِمَ في النون التي بعده، فلا يمكن تقدير إدغام النون التي قبله فيه، حتى إذا تعذر جعل الحذف بدلاً من الإدغام، بدلالة أن ثلاثة أشباه لا يصح إدغام بعضها في بعض، ومما يشبه هذا من اجتماع المتجانسين من كلمتين واستعمال الحذف في أحدهما بدلاً من الإدغام قولهم عَلماءُ بنو فلان^(٢)، والمعنى على الماء. ومما يشبهه لكنهما التقيا في كلمة واحدة، قولهم ظَلَلْتُ وَمَسِسْتُ يقال منهما ظَلَلْتُ وَمَسِسْتُ، وإن شئت ظَلَلْتُ وَمَسِسْتُ. تلقى حركة المحذوف على فاء الفعل. قال الله تعالى: ﴿فَطَلَّتُمْ تَقْكُونُ﴾ [الواقعة: الآية ٦٥]. وإنما تعذر الإدغام ههنا لأن لَامَ الفعل في مثل هذا المكان إذا اتصل به ضميرُ الفاعل يُسَكِّنُ البتة، فلما لزمه التكون لم يصح إدغام العين فيه، فلذلك حُذِفَ.

والعَنَبَرُ في اللغة: الثَّرَسُ والطَّيْبُ. وَعَنَبَرَةُ الشَّتَاءِ: شِدَّتُهُ. وعنبرة القوم: خلوص أنسابهم. ويقال: رأيته بهذا البلدِ عَنَبَرِيًّا، يُضْرَبُ به مثلاً في الهداية. وبنو العنبر أهدى قوم. ويمكن تقدير النون زائدة فيه، فيكون فُعْلاً من عَنَبَرْتُ، كأنه بحسن تأنيهِ للاهتمام بِغَيْرِ الطُّرُق. ومنه قيل في البعير: هو عَنَبَرُ أسفار. [البسيط]

١ - لَوْ كُنْتُ مِنْ مَازِنٍ لَمْ تَسْتَبِخْ إِلَيَّ بَنُو اللَّقِيطَةِ مِنْ ذُهَلٍ بَنِي شَيْبَانَ

مَازِنُ بْنُ مَالِكِ بْنِ عَمْرِو بْنِ تَمِيمٍ، هُمُ بَنُو أَخِي الْعَنْبَرِ بْنِ عَمْرِو بْنِ تَمِيمٍ، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَمَذَحَ هَذَا الشَّاعِرُ لَهُمْ يَجْرِي مَجْرَى الْاِفْتِخَارِ بِهِمْ، وَفِي بَنِي مَازِنٍ عَصِيَّةٌ

(١) في التبريزي: «واسمه قُرَيْظُ بْنُ أَيْفٍ» وهو شاعر جاهلي، ترجمته في (شرح شواهد المغني ص ٢٥، وسط اللآلي ٥٤٥، والأعلام ٦: ٣٨).

(٢) استشهد التبريزي في شرحه ١: ١٤ بقول قطري بن الفجاءة: [الطويل]
غداة طفت علماء بكر بن وائل
وعجنا صدور الخيل نحو تميم

شديدة قد عُرِفُوا بها وَحُمِدُوا من أجلها، ولذلك قال^(١) بعض الشعراء مَوْتِخًا لغيرهم:
[الطويل]

فَهَلَّا سَعَيْتُمْ سَعْيَ عُضْبَةٍ مَازِنٍ وهل كُفَلَّيْتُمْ فِي الْوَقَاءِ سَوَاءِ
كَأَنَّ دَنَائِيرًا عَلَى قِسْمَاتِهِمْ وإنْ كَانَ قَدْ شَفَّ الْوَجُوهَ لِقَاءِ

وقصد الشاعر في هذه الأبيات عندي إلى بَغْث قومه على الانتقام له من أعدائه
وَمُهْتَزِمِيهِ، وتهيجهم وهزهم، لا دَمَهُمْ. وكيف يَذْمُهُمْ ووبالُ الذمِّ راجع إليه؟! لكنه
في هذا المعنى سالك لطريقة كَبْشَةَ أخت عمرو بن مَعْدِيكَرَبٍ في قولها^(٢): [الطويل]

أَرْسَلَ عَبْدُ اللَّهِ إِذْ حَانَ يَوْمُهُ إِلَى قَوْمِهِ لَا تَعْقِلُوا لَهُمْ دِمِّي

أَلَا تَرَى أَنَّهُ قَالَتْ فِي جُمْلَةٍ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ: [الطويل]

وَدَغَ عَنْكَ عَمْرًا إِنْ عَمْرًا مُسَالَمٌ وَهَلْ بَطُنُ عَمْرٍِ غَيْرُ شِبْرِ لِمَطْعَمٍ

فلا يجوز أن يَتَوَهَّم أنها كانت تهجو أخاها عَمْرًا أو تَنسُبُهُ إِلَى الْعَجْزِ والتقصير
في طلب ثَارِ أَخِيهِ، وعمرو هو الذي كَانَ يُعَدُّ بِالْأَلْفِ فَارِسٍ، ولكن مرادها بَغْثُهُ
وتهيجُهُ. وهذا كما يقول العبد لمولاه والغلام لصاحبه وقد لحقتهما هَضِيمَةٌ من
أَجْنَبِيٍّ: لو كُنَّا فِي خِدْمَةِ فَلَانٍ عَمَّكَ أو أَخِيكَ لَمَا جَسَرَ هَذَا أَنْ يَنَالَنَا بِمَكْرُوهِ! ولا
يجوز أن يقال إنهما هَجَوَا سَيِّدِيهِمَا أو فَضَّلَا غَيْرَهُمَا عَلَيْهِمَا، ولكن المراد تحريكُهُمَا
لَهُمَا، وإذا كَانَ الْأَمْرُ عَلَى هَذَا فَمِنَ الظَّاهِرِ بَطْلَانُ قَوْلٍ مِنْ يَذْهَبُ إِلَى أَنَّ هَذَا الشَّاعِرَ
هَجَا قَوْمَهُ وَمَدَحَ بَنِي مَازِنٍ يُوَكِّدُ مَا قُلْتُهُ قَوْلُهُ: [البسيط]

يَجْزُونَ مِنْ ظُلْمِ أَهْلِ الظُّلْمِ مَغْفِرَةً وَمِنْ إِسَاءَةِ أَهْلِ السُّوءِ إِحْسَانًا

لأنه لا يقال لِمَنْ يُنْسِكُ عَجْرًا عَنِ الْإِنْتِصَارِ إِنَّهُ غَفَرَ، وَلَا لِمَنْ يَقْدِرُ عَلَى جِزَاءِ
الْإِسَاءَةِ إِنَّهُ اخْتَارَ الْإِحْسَانَ. فَإِنْ قِيلَ: أَلَيْسَ قَدْ قَالَ: [البسيط]

لَيْسُوا مِنَ الشَّرِّ فِي شَيْءٍ وَإِنْ هَانَا

وقال أيضًا: [البسيط]

فَلَيْتَ لِي بِهِمْ قَوْمًا إِذَا رَكَبُوا شَتُّوا الْإِغَارَةَ فُرْسَانًا وَرُكْبَانًا

(١) البيتان لمحرز بن المكبر الضبي ضمن أبيات أخرى في الحماسة رقم (٦١١).

(٢) البيت في الحماسة رقم (٥٢).

قلت: ليس يزيدُ شيءٌ مما قاله على قول كبشة: [الطويل]

وَدَغَ عَنْكَ عَمْرًا إِنَّ عَمْرًا مُسَالِمٌ

وإذا كانت أبياتها باتفاقٍ من أصحاب المعاني لا تكون هجواً، فكذلك أبيات هذا العنبري. ومما يشهد للطريقة التي سلكتها ويؤيدها، أن في جملة أبياته التي وصف فيها قومه: [البسيط]

يُخْبُونُ نِيرَانَهُمْ حَتَّى إِذَا خَمَدَتْ شَبُّوا لِمُوقِدِ نَارِ الْحَرْبِ نِيرَانًا^(١)

وهذا المعنى هو مثل ما افتخر به غيره في صفات نفسه فقال: [المتقارب]

أَفْرُ مِنْ الشَّرِّ فِي رِخْوِهِ فَكَيْفَ الْفِرَارُ إِذَا مَا اقْتَرَبَ

بل الذي ذكره العنبري أزيد، لأنه وصفهم بالاحتمال والصبر ما أمكن، فإذا احتاجوا زادوا على كل هائج. ألا ترى أنه قال:

شَبُّوا لِمُوقِدِ نَارِ الْحَرْبِ نِيرَانًا

ومعنى البيت لو كنت مازنًا لم تُغَرِّ بنو اللَّقِيطَةِ على إبلي.

وَلَقِيطَةُ أُلْحِقَ بِهَا الْهَاءُ وَإِنْ كَانَ فَعِيلًا فِي مَعْنَى مَفْعُولَةٍ، لِأَنَّهُ أَفْرَدَ عَنِ الْمَوْصُوفِ بِهِ وَجَعَلَ اسْمًا. وهذا كما يقال التَّشِيطَةُ وَالذَّبِيعَةُ، وَالْبَيْتَةُ فِي الْكَعْبَةِ.

فأما الاستباحة، فقد قيل هي في معنى الإباحة، وقد قيل: إن الإباحة هي التخليَّة بين الشيء وبين طَالِيهِ، والاستباحة اتخاذُ الشيء مباحًا للنفس. وكان الأصل في الإباحة إظهار الشيء للمَنَاطِرِ لِيَتَنَاوَلَهُ مَنْ شَاءَ وَمِنْهُ بَاحٌ بِسَرِّهِ بَوْحًا وَبُؤْوَحًا. وَالْمَازِنُ فِي اللُّغَةِ: بَيْضُ الثَّمَلِ، وَيُقَالُ: هُوَ يَتَمَزَّنُ عَلَى أَصْحَابِهِ، كَأَنَّهُ يَتَفَضَّلُ عَلَيْهِمْ. وَذَهَلُ مَنْ ذَهَلَتْ عَنْ الشَّيْءِ.

٢ - إِذَا لِقَامَ بِنَصْرِي مَغْشَرُ حُشْنٍ عِنْدَ الْحَفِيطَةِ إِنْ ذُو لَوْثَةٍ لَأَنَّا

اللام في «لقام» جوابٌ يمينٍ مضمرة، والتقدير إذا والله لقام بنصري. فإن قيل: فأين جواب لو كنت؟ قلت: هو لم تستبح إبلي. وفائدة «إذا» هو أن هذا أخرج البيت الثاني مُخْرَجَ جواب قائل قال له: ولو استباحوا ماذا كان يفعل بنو مازن؟ فقال: إذا لقام بنصري مَغْشَرُ حُشْنٍ. قال سيبويه: «إذا جوابٌ وجزاء»، وإذا كان كذلك فهذا

(١) هذا البيت ليس من مختارات أبي تمام في الحماسة.

البيت جواب لهذا السائل وجزاء على فعل المستريح. ويجوز أن يكون أيضًا إذا لقام جواب «لو»، كأنه أجيب بجوابين. وهذا كما تقول: لو كنت حُرًّا لاستبحت ما يفعلُه العبيد، إذا لاستحسنْتَ ما يفعلُه الأحرار. وقوله «إِنْ ذُو لُوثَةٍ» يرتفع ذو عند خُذَّاق النحويِّين بفعل مُضَمَّر، الفعلُ الذي بعده تفسيره، وهو لَانَ. والتقديرُ إِنْ لَانَ ذُو لُوثَةٍ لَنَا. وإِنَّمَا قالوا هذا لَأَنَّ «إِنْ» لَمَّا كَانَ شرطًا كَانَ بالفعل أُولَى، وعملُه الجزم فيجب أن لا يفارقَ معمولُه في اللفظ والتقدير. وليس هذا موضعَ الكلام على من يجعل «ذو» بعد إِنْ وما أَشَبَّهُه مبتدأ. ومعنى البيت: إذا والله لَقَامَ بَنَضْرِي، أي لَتَكْفَلَ به قومٌ أشدُّاء عند الغضب، إذا الضعيفُ لَانَ. ويقال: قام بالأمر، أي تكفل به، وهو القائم والقيِّم. وقام بالقسطِ والعَدْل في الرعيَّة، وقَامَ عليه إذا ساسه ووليه، ومنه القيومُ والقيِّامُ في صفات الله تعالى، وقوله: ﴿إِلَّا مَا دُمْتُ عَلَيْكَ قَائِمًا﴾ [آلِ عِمْرَانَ: الآية ٧٥] أي قاهرًا. وأقمتُ الرُحْمَ فقام، بمعنى قَوْمْتُهُ فتقوم. وقوله «إِنْ ذُو لُوثَةٍ» تعريضٌ منه بقومه ليَغْضَبُوا ويهتاجُوا لِنُضْرَتِهِ، وهو في البعثِ والتهيجِ أحسن من التصريح، كما أنه في الدُّمِّ والهجو كذلك. وهذا بعضُ الناس رواه «إِنْ ذُو لُوثَةٍ» وزعم أن ذُو لُوثَةٍ ليس يجيّد لأن الضعيف أبداً مَهِينٌ، والواجب أن يقول إِنْ القويُّ لَانَ، واللُّوثَةُ هي القوَّة. والرَّوَاية الصحيحة هي ضم اللام من اللُّوثَةُ؛ والفائدة ما ذُكرت من التعريض بقومه. ولَأَنَّ يكون طَرَفًا البيت متناولين لمعنيين متقابلين، أحسن من أن يكونا مفيدَين لمعنى واحد. و«الْمَعْشَرُ»: اسم للجماعة، لا واحد له من لفظه. وقال الخليل: هو اسم لجماعةٍ أَمْرُهُم واحد. ويقال جاؤوا مَعْشَرَ مَعْشَرَ، أي عَشْرَةَ عَشْرَةَ. و«خُشْنٌ»: جمعُ خَشِنٍ وأَخْشَن. و«الحَفِظَةُ»: الْخَصْلَةُ يُحَفِّظُ لها، أي يُغَضِّبُ. وقيل هي الْحَمِيَّة، وفي المثل: «الحفائظُ تحلُّلُ الأحقاد» وقيل أيضًا: «أهل الحَفَائِظُ أهل الحِفَافِظ». وذلك أن ذا الأنثى يحترسُ من العارِ، فلا يزال يَتَحَفِّظُ ويحافظُ حتى يَسْلَمَ منه. وكانَ الأصل في الكلِّ الحِفِظُ الذي هو نقيضُ النسيان. وقد طابَقَ الخشونة باللين فظهرت الصنعةُ به، وجادَ البيتُ له، كأنه قال: معشَرُ خَشِثُونَ عند الحفِظَةِ إِنْ كَانَ ذُووُ اللُّوثَةِ لَيُّينَ عندها.

٣ - قَوْمٌ إِذَا الشَّرُّ أَبْدَى نَاجِدِيهِ لَهُمْ طَارُوا إِلَيْهِ زَرَافَاتٍ وَوُخْدَانَا

أراد أن يصف بني مازن بما يحتاج له قومه فينصرونه، فقال: هم قوم إذا ظهر لهم الشرُّ واشتدَّ سارعوا إليه غير متوقعين لتَجْمُع، ولا مُعْرَجِينَ على تأمُّب، لكنهم

يتبادرون أفرادًا وثبات، وأشتاتًا وجماعات. وإبداء التاجذ - وهو ضرر الجلم - مثل
لاشتداد الشر. ومثله قول الآخر: [الطويل]

فَمَنْ يَكُ مِغْزَالِ الْيَدِينِ، مَكَائُهُ إِذَا كَشَرَتْ عَنْ نَابِهَا الْحَزْبُ خَامِلُ
فأما قول^(١) عترة: [الكامل]

إِذْ تَقْلِيصُ الشَّفَتَانِ عَنْ وَضَحِ الْقَمِ
وقول^(٢) الأغشى: [الرملي]

سَعَةُ الشُّذُقِ عَنِ الثَّابِ كَلَخِ
وقول الآخر: [المقارب]

وَقَدْ أَسْلَمَ الشُّفَّتَانِ الْقَمَا

فإنما هو صفة للمصطفى بنار الحرب عند اشتداد الأمر عليه. ومثله لبعض
البلغاء: «صار الأكس كالأزوق، والمُحتال كالأحمق؟ وذو البصيرة كالأخرق». ^(٣)
ويقال: عَضَّ على ناجذه، إذا صَبَرَ على الأمر. ونَجَذْتُهُ الأَمْرُ: أَحْكَمْتُهُ. قال^(٣)
الشاعر: [الوافر]

وَنَجَذَنِي مُدَاوَرَةُ الشُّؤُونِ

ويقول الرجل إذا أراد أن يتشدد على صاحبه: لَأَرِيَنَّكَ نَاجِذِي! والمعنى أنه
يَكْشِرُ له ويكَلِّخُ في وجهه حتى يبدو ناجذه. ويقولون: «خِلْتُهُ لِعُبُوسِهِ يَبْتَسِمُ،
ولإِقْدَامِهِ يَنْهَجِمُ». وقال بعضهم: النَوَاجِذُ: الصُّوَاجِكُ، واحتجَّ بحديث النبي ﷺ:
«أَنَّهُ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ». قال: وأقاصي الأسنان لا يُبْدِيهَا الضُّحْكُ. والصحيح
الأول، فأما الْخَبَرُ فمحمولٌ على الْمُبَالَغَةِ وإن لم تَبْدُ النَوَاجِذُ.

وجواب «إذا» طاروا. و«وُخِدْنَا» هو جَمْعُ واحد، وواحدٌ صِفَةٌ، كصاحب
وَصُخْبَانٍ، وَرَاعٍ وَرُعْيَانٍ. ويقال: طِرْتُ إِلَى كَذَا، إِذَا أَسْرَعْتَ إِلَيْهِ، وَطِرْتُ بِكَذَا، أَيِ

(١) لعترة في ديوانه ٢١٥، وتاج العروس (قصر)، وصدرة:
«ولقد حفظت وصاة عمي في الضحى»

(٢) للأغشى في ديوانه ١٦١، وصدرة:

«وله المقدم في الحرب إذا»

(٣) لسحيم بن وثيل الرياحي في اللسان (نجد، دور، دري)، وأساس البلاغة (دور). وصدرة:
«أخو خمسين مجتمع أشدي»

سَبَقْتُ بِهِ. وَالزَّرَافَاتُ: الجماعاتُ، واشتقاقه من الزَّرَف، وهو الزيادة على الشيء. ويقال زَرَفْتُ الْقَوْمَ قُدَّامِي، أي قَدَّمْتُهُمْ قَرَفًا. وَحُكِي فِي الزَّرَافَةِ تَشْدِيدُ الْفَاءِ، يُقَالُ: جَاءَ الْقَوْمُ بِزَرَّافَتِهِمْ، أي بجماعتهم؛ وهو غريب. والمعنى أنهم لحرصهم على القتال وجزأتهم، لا ينتظرُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، لكنَّ كُلًّا مِنْهُمْ يَعْتَقِدُ أَنَّ الْإِجَابَةَ تَعَيَّنَتْ عَلَيْهِ إِذَا تَشَدَّدَ الشَّرُّ لَهُمْ. وَفِي طَرِيقَتِهِ قَوْلُ بَعْضِ الشُّعْرَاءِ: [الكامل]

قَوْمٌ إِذَا هَتَفَ الصَّرِيخُ رَأَيْتَهُمْ مِنْ بَيْنِ مُلْجِمٍ مُهْرِهِ أَوْ سَافِعٍ

سَافِعٌ: أَخَذَ بِنَاصِيَةِ قَرَسِهِ. وَمِنْهُ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿لَتَسْفُكُنَّ الْأَنفُسَ﴾ [العلق: الآية ١٥].

وقول الآخر: [الطويل]

وَكُنْتُ إِذَا جَارِي دَعَا لِمَضُوفَةٍ أَشْمَرُ حَتَّى يَنْصُفَ السَّاقَ مَنزَرِي

٤ - لَا يَسْأَلُونَ أَحَاهُمْ حِينَ يَنْدُبُهُمْ فِي النَّايَاتِ عَلَى مَا قَالَ بُرْهَانًا

الْأَصْلُ فِي الثُّبُتِ - وَإِنْ اشتهرت ببيكاء الأموات وقولهم عنده: وَأَفْلَانَاهُ: - الدُّعَاءُ، وَتَوَسَّعُوا فِيهِ فَقَالُوا: نُدِبَ فُلَانٌ لَكَذَا وَكَذَا، إِذَا نُصِبَ لَهُ وَرُشِّحَ لِلْقِيَامِ بِهِ. وَيَقُولُونَ: تَكَلَّمَ فُلَانٌ فَانْتَدَبَ لَهُ فُلَانٌ، إِذَا عَارَضَهُ. وَالشَّاعِرُ يَقُولُ: هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ، يَعْنِي بَنِي مَازِنَ، لِحَسَنِ مَحَافِظَتِهِمْ وَقُوَّةِ تَنَاهِيهِمْ فِي نُصْرَةِ الْمُتَنَسِّبِ إِلَيْهِمْ وَالْمُعَلَّقِ حَبْلَهُ بِحَبْلِهِمْ، لَا يَسْأَلُونَ الْوَاحِدَ مِنْهُمْ إِذَا دَعَاهُمْ حُجَّةً عَلَى دَعْوَاهُ، وَلَا يَرَاجِعُونَهُ فِي كَيْفِيَّةِ مَا أَلْجَأَهُ إِلَيْهِمْ، لَكِنْهُمْ يُعَجِّلُونَ الْإِغَاثَةَ لَهُ. وَهَذَا تَعْرِضٌ مِنْهُ بِمَا لَحِقَهُ مِنْ قَوْمِهِ أَوْ رَأَى مِنْ عَادَتِهِمْ عِنْدَ الْاسْتِغَاثَةِ بِهِمْ. وَالْعَرَبُ تَقُولُ: يَا أَخَا قَرِيشٍ؛ وَالْمَعْنَى يَا وَاحِدًا مِنْهُمْ. وَمِثْلُهُ: [الطويل]

إِذَا اسْتَنْجِدُوا لَمْ يَسْأَلُوا مِنْ دَعَاهُمْ لَأَيَّةِ حَزْبٍ أَمْ بِأَيِّ مَكَانٍ^(١)

وَقَدْ وَصَفَ بَنِي مَازِنٍ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الشُّعْرَاءِ بِمِثْلِ مَا وَصَفَهُمْ هَذَا الشَّاعِرُ، فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ بَعْضِهِمْ: [السريع]

نَفْسِي فِدَاءٌ لِبَنِي مَازِنٍ مِنْ شُمُسٍ فِي الْحَزْبِ أَبْطَالٍ

وقول^(٢) الآخر: [الطويل]

فَهَلَّا سَعَيْتُمْ سَعْيَ عُصْبَةِ مَازِنٍ وَهَلْ كُفَلَاتِي فِي الْوَفَاءِ سَوَاءٍ

(١) ورد البيت ضمن الحماسية رقم (١٨). (٢) انظر الحماسية رقم (٦١١).

٥ - لَكِنَّ قَوْمِي وَإِنْ كَانُوا ذَوِي عَدَدٍ لَيْسُوا مِنَ الشَّرِّ فِي شَيْءٍ وَإِنْ هَآئَا

رَجَعَ إِلَى صِفَةِ قَوْمِهِ بِمَا يَأْنِفُونَ مِنْهُ عِنْدَهُ؛ وَتَذَخَّلَهُمُ الْحِمِيَّةُ لَدَى الْإِضْغَاءِ إِلَيْهِ، وَلَيْسَ قُضْدُهُ ذَمُّهُمْ فَقَالَ: لَكِنَّ قَوْمِي وَإِنْ كَانَ فِيهِمْ كَثْرَةٌ عَدَدٍ وَعُدَّةٌ لَيْسُوا مِنْ دَفْعِ الشَّرِّ وَإِنْكَارِهِ، وَقُضْدِهِ وَارْتِكَابِهِ فِي شَيْءٍ، وَإِنْ كَانَ فِيهِ خِيفَةٌ وَقَلَّةٌ. وَقَدْ قَابَلَ الشَّرْطُ بِالشَّرْطِ فِي الصَّدْرِ وَالْعَجْزِ، وَطَابَقَ الْعَدَدُ وَالْكَثْرَةُ بِالْهَوْنِ وَالْخِيفَةُ فِي هَذَا الْكَلَامِ، وَيُرِيدُ أَنْ يَصِفَهُمْ بِأَنَّهُمْ يُؤْثِرُونَ السَّلَامَةَ وَالْعَفْوَ عَنِ الْجُنَاةِ مَا أَمَكْنَ، وَلَوْ أَرَادُوا الْإِنْتِقَامَ لَقَدَّرُوا بَعْدَهُمْ وَعُدَّتَهُمْ وَلَكِنَّ الْمِرَاقَبَةَ وَالتَّقْوَى تَدْعُوهُمْ إِلَى إِثَارِ الْحُسْنَى.

٦ - يَجْزُونَ مَنْ ظَلَمَ أَهْلَ الظُّلْمِ مَغْفِرَةً وَمِنْ إِسَاءَةِ أَهْلِ السُّوءِ إِحْسَانًا

رَوَى بَعْضُهُمْ «مَنْ ظَلَمَ أَهْلَ الظُّلْمِ» وَالظُّلْمُ بِالْفَتْحِ الْمَصْدَرُ وَبِالضَّمِّ الْأِسْمُ. وَهَذِهِ الرِّوَايَةُ عِنْدِي أَحْسَنُ وَقَدْ بَيَّنْتُ مَا فِي الْمَغْفِرَةِ وَالْإِحْسَانِ مِنَ الدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّهُمْ كَانُوا يَقْدِرُونَ عَلَى إِثَارِ ضِدِّهِمَا. وَالظُّلْمُ: انْتِقَاصُ الْحَقِّ وَالنَّصِيبِ. وَقِيلَ: هُوَ وَضْعُ الشَّيْءِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ، وَنَقِيضُهُ الْعَدْلُ. وَيَنْتَصِبُ إِحْسَانًا يَجْزُونَ مُضْمَرًا، كَأَنَّهُ قَالَ: وَيَجْزُونَ مِنَ الْإِسَاءَةِ إِحْسَانًا. وَجَازَ حَذْفُهُ لِأَنَّ الْفِعْلَ قَبْلَهُ يَدُلُّ عَلَيْهِ.

٧ - كَأَنَّ رَبَّكَ لَمْ يَخْلُقْ لِحَشِيَّتِهِ سِوَاهُمْ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ إِنْسَانًا^(١)

الْحَشِيَّةُ وَالْحَشْيُ وَالْمَخْشَاءُ: مَصْدَرُ حَشِيَ. وَيَقُولُونَ: هَذَا الْمَكَانُ أَخْشَى مِنْ ذَلِكَ، وَهُوَ نَادِرٌ لِأَنَّ الْمَكَانَ يُخْشَى فَهُوَ مَفْعُولٌ. وَرَجُلٌ حَشِيَّانٌ وَامْرَأَةٌ حَشِيَّانَةٌ. وَقَوْلُهُ «سِوَاهُمْ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ» هُوَ اسْتِثْنَاءٌ مَقْدَّمٌ، وَلَوْ وَقَعَ مَوْقَعُهُ لَكَانَ الْكَلَامُ لَمْ يَخْلُقْ لِحَشِيَّتِهِ إِنْسَانًا سِوَاهُمْ، فَكَأَنَّ يَجُوزُ فِي سِوَاهُمْ الْبَدَلُ وَالْإِسْتِثْنَاءُ وَالصِّفَةُ، فَلَمَّا قُدِّمَ بَطَلَ أَنْ يَكُونَ بَدَلًا وَصِفَةً لِأَنَّهُمَا لَا يَتَقَدَّمَانِ عَلَى الْمَوْصُوفِ وَالْمَبْدَلِ مِنْهُ، فَبَقِيَ أَنْ يَكُونَ اسْتِثْنَاءً. وَقَدْ ثَبَتَ بِهَذَا الْكَلَامُ أَنَّ احْتِمَالَهُمْ لِاحْتِسَابِ الْأَجْرِ عَلَى زَعْمِهِمْ، وَإِبْقَاءَهُمْ فِي الْإِنْتِقَامِ لِحَشِيَّةِ فَوَاتِ الدُّخْرِ فِي دَعْوَاهُمْ، فَكَأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَخْلُقْ لَخَوْفِهِ غَيْرَهُمْ.

(١) أورد التبريزي في حماسته بيتًا ثامنا هو:

فليت لي بهم قوما إذا ركبوا شذا الإغارة فرسانا وركبانا

وقال في تفسيره: «شئوا الإغارة: فزقوها، وفرسانا وركبانا: أي إنهم كانوا يقاتلون على الخيل والإبل».

٢ - وقال شهلُ بن شيانَ الزماني^(١):

وَيُلَقَّبُ بِالْفِنْدِ، وَالْفِنْدُ فِي اللُّغَةِ: الْقِطْعَةُ الْعَظِيمَةُ مِنَ الْجَبَلِ، وَجَمْعُهُ أَقْنَادٌ. قَالَ الدَّرِيدِيُّ: لُقِّبَ بِهِ لِعَظَمِ شَخْصِهِ. قَالَ: وَهُوَ أَحَدُ الْفَرَسَانِ. وَقَالَ غَيْرُهُ: لُقِّبَ بِهِ لِأَنَّهُ قَالَ لِأَصْحَابِهِ فِي يَوْمِ حَرْبٍ: «اسْتَبْدُوا إِلَيَّ فَإِنِّي لَكُمْ فِنْدٌ». [الهمزج]

١ - صَفَحْنَا عَنْ بَنِي دُهَلٍ وَقُلْنَا الْقَوْمُ إِخْوَانُ
صَفَحْتُ عَنْهُ: عَفَوْتُ عَنْ جُزْمِهِ. وَيُقَالُ أَعْرَضْتُ عَنِ الْأَمْرِ صَفْحًا، إِذَا تَرَكْتَهُ. وَقَدْ يُقَالُ: أَصَفَحْتُ عَنْهُ، كَمَا يُقَالُ أَضْرَبْتُ عَنْهُ. وَيُقَالُ: أَبْدَى لِي صَفْحَتَهُ، إِذَا مَكَّنَكَ مِنْ نَفْسِهِ. يَقُولُ عَفَوْنَا عَنْ جَرَمِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ، وَرَاعَيْنَا مِنَ الْأَحْوَالِ الْمَتَوَاشِجَةِ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ، مَا حَمَلْنَا عَلَى الْإِغْضَاءِ عَلَى قَبِيحِ يَتَّقُ مِنْهُمْ، وَالتَّجَاوُزِ عَنْ هَفْوَةٍ تَحْصُلُ مِنْ جِهَتِهِمْ، وَقُلْنَا: إِنَّ مَا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ مِنَ الْأَخْوَةِ يَقْتَضِي الْإِبْقَاءَ عَلَى الْحَالِ مَعَهُمْ، وَانْتِظَارَ لَفِيئَةٍ تَكُونُ مِنْهُمْ. وَحَقِيقَةُ صَفَحْنَا عَنْ بَنِي دُهَلٍ: أَعْرَضْنَا عَنْهُمْ: وَلَيْتَنَاهُمْ صَفْحَةً أَعْنَانَا وَوُجُوهَنَا، وَهِيَ جَانِبُهَا، فَلَمْ نَوَاضِخْهُمْ بِمَا كَانَ مِنْهُمْ. وَقَالَ فِي هَذَا الْمَعْنَى ضَرْبْنَا عَنْهُمْ صَفْحًا، وَفِي الْقُرْآنِ: ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا﴾ [الزَّخْرُفُ: الْآيَةُ ٥].

٢ - عَسَى الْيَوْمَ أَنْ يَرْجِعَ مِنْ قَوْمًا كَالَّذِي كَانُوا

إِنَّمَا نَكْرُ قَوْمًا لِأَنَّهُ فَائِدَتُهُ مِثْلُ فَائِدَةِ الْمَعَارِفِ، أَلَا تَرَى أَنَّهُ لَا فَضْلَ بَيْنَ أَنْ تَقُولَ: عَفَوْتُ عَنْ زَيْدٍ فَلَعَلَّ الْيَوْمَ تَرُدُّ رَجُلًا مِثْلَ الَّذِي كَانَ، وَبَيْنَ أَنْ تَقُولَ فَلَعَلَّ الْيَوْمَ تَرُدُّ الرَّجُلَ مِثْلَ الَّذِي كَانَ؛ لِأَنَّكَ تَرِيدُ فِي الْمَوْضِعَيْنِ بِهِ رَجُلًا أَوْ الرَّجُلَ. وَالْمَعْنَى: فَعَلْنَا ذَلِكَ بِهِمْ رَجَاءً أَنْ تَرُدَّهُمُ الْيَوْمَ إِلَى أَحْسَنِ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ قَبْلُ. وَعَسَى: مِنْ أَفْعَالِ الْمَقَارَبَةِ. وَأَنْ يَرْجِعَنَّ: فِي مَوْضِعِ خَبَرِ عَسَى، وَلَوْ قَالَ: عَسَى أَنْ يَرْجِعَ الْيَوْمَ قَوْمًا لَكَانَ أَنْ يَرْجِعَ فِي مَوْضِعِ فَاعِلِ عَسَى وَكَانَ يَكْتَفِي بِهِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ عَسَى لِمُقَارَبَةِ الْفِعْلِ، وَالْفِعْلُ لَا بُدَّ لَهُ مِنَ الْفَاعِلِ، فَإِذَا تَقَدَّمَ الْفِعْلُ مَعَ أَنْ وَتَبِعَهُ الْفَاعِلُ فَقَدْ حَصَلَ مَا يَطْلُبُهُ، فَإِذَا وَلِيَهِ الْأِسْمُ بَقِيَ يَنْتَظِرُ الْفِعْلَ وَإِنْ ارْتَفَعَ ذَلِكَ الْأِسْمُ بِهِ، فَيَجْرِي الْفِعْلُ مَعَ أَنْ بَعْدَهُ مَجْرَى خَبَرِ كَانَ بَعْدَ اسْمِ كَانَ. وَمَعْنَى يَرْجِعَنَّ: يَرُدُّدَنَّ، وَهُوَ بَابُ فَعَلَ وَقَعَلْتُهُ. يُقَالُ: رَجَعَ فَلَانٌ رَجوعًا وَمَرْجَعًا وَرُجُوعًا وَرُجُوعَانًا،

(١) شهل بن شيان، ويُلَقَّبُ بِالْفِنْدِ الزماني: شاعر جاهلي، كان سيّد بكر وفارسها (ت ٧٠ ق. هـ).

٥٥٥ م). ترجمته في الأغاني ٢٠: ١٤٣ (بولاق)، وشرح الأملاني ٥٧٩، والخزانة ٢: ٥٨.

وَرَجَعْتُهُ رَجْعًا. ومعنى يرجعن قومًا: يَرُدُّونَ بأمرهم أمر قوم، وبإتلافهم إتلاف قوم؛ فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه. وخبر (كان) محذوف كأنه قال: كالذي كانوا عليه قبلُ من الإتلاف والتوآد والاتفاق. والضمير الذي أظهرناه في «كانوه» هو الذي تصحُ الصلة به، لأنَّ الموصول لا بدَّ من أن يكون في صلته ضمير يعود إليه إذا كان اسمًا، والذي ليس يرجع إليه من كانوا شيء إلا ما أبرزناه من الضمير. ومن جَوَزَ حذف الجار والمجرور من الصفة في نحو قوله تعالى: ﴿وَأَتَقُوا يَوْمًا لَا تَجْرَى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ [البقرة: الآية ٤٨] ويقدر فيه أنَّ الكلام لا تجزي فيه نفس عن نفس شيئًا، لا يسوِّغُ له أن يقدر في الصلة أيضًا كذلك. وإذا كان الأمر على هذا فلا يجوز أن يكون التقدير يَرْجَعْنَ قَوْمًا كالذي كانوا عليه، لأن مثل عليه لا يجوز حذفه من الصلة، لا تقولُ الذي مَرَزْتُ جالسًا، وأنت تريدُ مررتُ به، والذي دَخَلْتُ منطلقًا، وأنت تريد الذي دخلت عليه. ويمثل هذا تَوَصَّلَ مَنْ زعم في الآية أنَّ التقدير: وأتقوا يومًا لا تجزيه نفس عن نفس شيئًا، لأنه قال: الصفة كالصلة، فكما لا يجوز حذف فِيهِ وأشباهه من الصلة، كذلك لا يجوز حذفها من الصفة، فاعلمه. ويجوز أن يكون قوله كالذي كانوا، أراد «كالذين» كانوا، وحذف النون تخفيفًا، كما قال: [الطويل]

إِنَّ الَّذِي حَانَتْ بِفُلْجٍ دِمَاؤُهُمْ هُمُ الْقَوْمُ كُلُّ الْقَوْمِ يَا أُمَّ خَالِدٍ

فيكون المعنى يَرْجَعْنَ بهم قومًا كالذين كانوا من قبل. وفي هذا الوجه يجوز أن يُجْعَلَ «الذي» للجنس، كما قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ﴾ [الزمر: الآية ٣٣] ثم قال ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [الزمر: الآية ٣٣]، والفصل بين هذا الوجه وبين الوجه الأول أنه أُمِّلَ في الوجه الأول أنهم إذا عَفَوْا عنهم أدَبَتْهُمْ الأيام ورَدَّتْ أحوالهم في التَوَادُّ والتَّحَابِّ كأحوالهم فيما مضى، وأزالت من فساد ذات البين ما اعترض بسوء عشرتهم. وفي الوجه الثاني أُمِّلَ أن ترجع الأيام أنفسهم إذا صفحوا عنهم كما عَهِدَتْ: سلامة صدورهم، وكَرَمَ اعتقادهم وعُهُودهم.

٣ - فَلَمَّا صَرَّحَ الشَّرُّ فَأَمْسَى وَهُوَ غُرَيَانُ

فائدة أَمْسَى وأصبح وظلَّ وبات في مثل هذا المكان على حدِّ الفائدة في «صار» لو وَقَعَ موقعها، ألا ترى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا يُنِيرُ أَحَدَهُم بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا﴾ [النحل: الآية ٥٨]، والبشارة بالأنثى تقع ليلاً ونهارًا. وكذلك تقول: أصبحوا خاسرين وأمسوا نادمين، وإن كانوا في كلِّ أوقاتهم على ذلك. «وَلَمَّا» عَلَّمَ للظرف،

وهو لوقوع الشيء لوقوع غيره، ولهذا لا بدُّ له من جواب. ويقال: صَرَّحَ الشيء إذا كشف عنه وأظهره، وصَرَّحَ هو إذا انكشف. ومثله بَيَّنَ الشيء وبيَّن هو، أي تبيَّن، وفي المثل «قد بيَّن الصُّبحُ لذي عينين». وفَعَّلَ بمعنى تفعل واسِعَ، يقال وَجَّهَ بمعنى توجه، وقَدَّمَ بمعنى تقدَّم، ونَبَّهَ بمعنى تنبه، ونَكَّبَ بمعنى تنكَّب. فيقول: لَمَّا ظَهَرَ الشَّرُّ كُلُّ الظُّهُورِ وصار بحيث لا يسترهُ شيء ولم يبقَ بيننا وبينهم سِوَى الصُّبرِ على الظلم الصريح. والمعنى أنهم لَمَّا تجاوزُوا الأحوالَ المتشابهة، والأخذُ بالإنصافِ والمَعْدِلَةِ، إلى استعمالِ الظلمِ وَرَفَعَ الحِشْمَةَ، حيثُ جازيناهم بمثل ما ابتدؤونا. وذكر العُرَيَّانِ مَثَلٌ لظهور الشر. وقد اشتمل هذا الكلام على تفسير البيت الذي يتلوه، وهو قوله:

٤ - وَلَمْ يَنْبَقِ سِوَى الْعُدْوَا نِ دِنَاهُمْ كَمَا دَانُوا

الْعُدْوَانُ وَالْعَدَاءُ وَالْعُدْوُ: الظُّلْمُ. وأما قوله دِنَاهُمْ كما دانوا، والأول ليس بجزء، فهذا لميلهم إلى المطابقة والموافقة، وإخراج اللفظ في مِعْرَضٍ صاحبه لِيُعْلَمَ أَنَّهُ جَزَاؤُهُ عَلَى حُدِّهِ وَقَدْرِهِ، أو ابتدأه. وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿يُخَذِّعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِّعُهُمْ﴾ [النساء: الآية ١٤٢] و﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: الآية ١٥] وَمَا أَشْبَهَهُ. وجواب لَمَّا صَرَّحَ «دِنَاهُمْ». وقوله في البيت التالي هو تفصيل لما أجمله قوله دِنَاهُمْ، لأنه فَسَّرَ كيف كان ذلك الجزء. والدِّينُ لفظةٌ مشتركة في عدة معانٍ: الجزء، والعادة، والطاعة، والحِسَابُ. وهو ههنا الجزء. ويقولون: «كما تدين تُدان» أي كما تَصْنَعُ يُصْنَعُ بِكَ.

٥ - مَشِينًا مِشْيَةَ اللَّيْثِ عَدَا وَاللَّيْثُ غَضَبَانُ

كَرَّرَ اللَّيْثَ وَلَمْ يَأْتِ بِضَمِيرِهِ تَفْخِيمًا وَتَهْوِيلًا، وَهُمْ يَفْعَلُونَ ذَلِكَ فِي أَسْمَاءِ الْأَجْنَاسِ وَالْأَعْلَامِ. قال عدي: [الخفيف]

لَا أَرَى الْمَوْتَ يَسْبِقُ الْمَوْتَ شَيْءٌ نَعَصَ الْمَوْتُ ذَا الْغَنِيِّ وَالْفَقِيرِ^(١)

فيقول: سَعَيْنَا إِلَيْهِمْ مِشْيَةَ الْأَسَدِ ابْتِكْرَ وَهُوَ جَائِعٌ، وَكَتَى عَنِ الْجُوعِ بِالْغَضَبِ لِأَنَّهُ يَصْحَبُهُ. وهذا التشبيه أخرج ما لا قُوَّةَ لَهُ فِي التَّصَوُّرِ إِلَى مَا لَهُ قُوَّةٌ فِيهِ، وَمَنْ رَوَى «عَدَا» عَلَى أَنْ يَكُونَ مِنَ الْعُدْوَانِ فَلَيْسَتْ رَوَايَتُهُ بِحَسَنَةٍ، لِأَنَّ اللَّيْثَ فِي أَكْثَرِ أَحْوَالِهِ ظَالِمٌ عَادٍ. وَالْمِشْيَةُ: اسْمُ الْحَالَةِ الَّتِي يَكُونُ عَلَيْهَا الْمَاشِي فِي مَشْيِهِ، وَالْمَشْيَةُ

(١) لعدي بن زيد في ديوانه ٦٥، وخزانة الأدب ١: ٣٧٨، ولسوادة بن عدي في الكتاب ١: ٦٢.

المَرَّة الواحدة، والفعل يتعدى إلى كل واحد منهما. والليث من أسماء الأسد، ويقال: استَلَيْت الرجل، إذا شتد وقوي.

٦ - بِضَرْبٍ فِيهِ تَوْهِيْبٌ مِّنْ وَتَخْضِيْعٍ وَإِقْرَانٍ^(١)

تَعَلَّقَ الباء منه بمَشْنَتَا، أي مَشْنَتَا بِضَرْبٍ في ذلك الضرب تضعيف للمضروب به، وتذليل ولين. ويجوز أن يكون المعنى فيه تَوْهِيْبٌ وصوت في القَْطْع وكسر العظام وإِطَاقَةً وقوة. ويكون حينئذٍ «تَخْضِيْعٌ» من الْخَضْعَةِ وَالْخَضِيْعَةِ وهما اختلاط الصَّوت في الحرب. ومنه خَضِيْعَةٌ بَطْنُ الْفَرَس، قال الأصمعي: يقال: «لِلسَّيَاطِ خَضْعَةٌ» لا أَذْرِي أَمِنْ الصُّزْبِ هو أو من القَْطْع. وقد روى بَعْضُهُمْ: [الرجز] والضَّارِبِينَ الْهَامَ تحت الْخَيْضَةِ^(٢)

وقال: هي السيوف. و«إِقْرَانٌ» من قولهم: أَقْرَنَ فُلَانٌ، أي أطاق. قال الله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا لَكُمْ مُقْرِنِينَ﴾ [الرَّحْف: الآية ١٣]. وفي الأوَّل إِقْرَانٌ من قولهم: أَقْرَنَ الدُّمْلُ، إذا نَضِجَ ولان. ويقال: اسْتَقْرَنَ الْجَبْنُ أَيضًا. و«تَخْضِيْعٌ» من الخضوع يكون، وهو الدُّل. ويقال: خَضَعَ الرجل وأَخْضَعَ، إذا لَبِنَ كَلَامَهُ لِلنِّسَاءِ. وفي الحديث: «نَهَى أَنْ يَخْضَعَ الرَّجُلُ لغير امرأته»، أي يَلْبِنَ كَلَامَهُ.

٧ - وَطَعْنٍ كَفَمِ الرُّقِّ غَذَاً وَالرُّقُّ مَلَاكٌ

كَرَّرَ ذَكَرَ «الرُّقِّ» كما كرَّر ذكر الليث فيما قبله؛ وهذا الوصف أبلغ من قول النابغة: [الطويل]

وَطَعْنٍ كَلِيزَاغٍ الْمَخَاضِ الصَّوَارِبِ^(٣)

(١) عند التبريزي: «وَيُرَوَّى:

بِضَرْبٍ فِيهِ تَفْجِيْعٌ وَتَأْيِيْمٌ وَإِرْنَانٌ والتأيم: قتل الأزواج، والإرنان: من الرنين، وهو رفع الصوت بالبكاء.

(٢) الخيضة: صوت القتال، والبيت للبيد في لسان العرب (خضع): المطعمون الجفنة المددعة الضاربون السهام تحت الخيضة

وفي ديوانه ٧ - ٨، والعمدة ١: ٢٧، والخزانة ٤: ١١٧.

(٣) للنابغة الذبياني في ديوانه ٤٦، واللسان (سكن) وأساس البلاغة (سكن)، ويُرَوَّى «كليزاغ» بالعين المعجمة. وصدرة:

«بِضَرْبٍ يَزِيلُ الْهَامَ عَنْ سَكَانَتِهِ»

وهذا التشبيه أبرَزَ ما يقلّ في الاعتياد في صورة ما يكثر فيه، ومثله: [الخفيف]

فَجَبَهْنَاهُمْ بِضَرْبٍ كَمَا يَخُ رُجٌّ مِنْ خُرْبَةِ الْمَزَادِ الْمَاءِ^(١)

أي وبطعن في اتساعه وخروج الدم منه كغم الزق إذا سال بما فيه وهو مملوء.
وَعَدَا يَغْدُو غَدْوًا، إذا سال. وَغَدَاهُ يَغْدُوهُ غَدْوًا، والاسم الغداء. فَأَمَّا قول الهذلي^(٢):
[البسيط]

فَالطَّعْنُ شَغْشَعَةٌ وَالضَّرْبُ هَيْقَعَةٌ

فهو حكاية صوت الوقع، وقوله: «غَدَا» في موضع النصب على الحال، والأجود أن يُجْعَلَ «قَدْ» مُضْمَرَةً.

٨ - وَبَعْضُ الْجِلْمِ عِنْدَ الْجَهِّ لِي لَلَّذَلَّةِ إِذْعَانُ

يَعْتَدِرُ مِنْ تَرْكِهِمُ التَّحَلُّمَ مَعَ الْأَوْدَاءِ وَالْأَقَارِبِ، لَمَّا كَانَ مُقْضِيًا إِلَى اكْتِسَاءِ ذَلِكَ،
واكتساب خُضُوعٍ وَعَارٍ. والتقدير: بعض الجلم إذعان للذلة عند جهل الجاهل. وهذا
إذا تَوَهَّمُ أَنْ الْمُخْتَمِلِ إِنَّمَا فَعَلَ مَا فَعَلَهُ خَوْفًا وَعَجْزًا؛ لَا مَيْلًا مِنْهُ إِلَى التَّجَاوُزِ
وَالْإِعْضَاءِ وَاسْتِبْقَاءِ الْأُخُوةِ وَالْوُدَادِ. ويقال: أَدْعَنَ لِكَذَا: إذا انقاد له، ومنه ناقةٌ
مِذْعَانُ، وَأَدْعَنَ بِكَذَا: أَقْرَبَهُ.

٩ - وَفِي الشَّرِّ نَجَاةٌ حَيْثُ لَا يُنْجِيكَ إِحْسَانُ

قوله «في الشرّ نجاة» أراد: وفي دفع الشرّ، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه
مُقَامَهُ. ويجوز أن يريد: وفي عمل الشرّ نجاة، كأنه يريد وفي الإساءة مَخْلَصٌ إذا لم
يُخْلَضْكَ الْإِحْسَانُ. وهذا مِثْلُ قَوْلِهِمْ: «الطَّعْنُ يَظْأَرُ» أَي يَغْطِيفُ، وكما قال زهير:
[الطويل]

وَمَنْ يَغْصِ أَطْرَافَ الزُّجَاجِ فَلَهُهُ مُطِيعُ الْعَوَالِي رُكِبَتْ كُلُّ لَهْدَمٍ^(٣)

وهذا الكلام يجري منه مجرى الاعتذار مما أَجْرَى إِلَيْهِ مَعَ الْقَوْمِ، فَاغْلَمَهُ
ويقولون أيضًا: «مَنْ لَمْ تُقَوْمِهِ الْكَرَامَةُ قَوْمَتِهِ الْإِهَانَةُ».

(١) للحارث بن حلزة اليشكري في معلقته.

(٢) لعبد مناف بن ريع الهذلي في شرح أشعار الهذليين ٦٧٤، واللسان (عضد، هقع، شغغ، عول). وعجزه:

«ضَرْبُ الْمُؤَلِّ تَحْتَ الدِّيمَةِ الْعَضْدَا»

(٣) لزهير في ديوانه ٣١، واللسان (زجج)، وتاج العروس (زجج). وصدّره:

٣ - وقال أبو الغول الطهوي^(١):

الغول مأخوذٌ من غَالَهُ يَغُولُهُ غَوْلًا، إذا أَهْلَكَهُ. وهم يُسْمُون كلَّ داهية غَوْلًا، وبذلك سَمَوْا الشَّيْطَانَ وَالْحَيَّةَ غَوْلًا. وَالْغِيلَانَ عِنْدَهُمْ سَحَرَةُ الْجِنِّ. قال: [البسيط]

كَمَا تَلَوُّن فِي أَثَوَابِهَا الْغُولُ^(٢)

[الوافر]

١ - قَدَّتْ نَفْسِي وَمَا مَلَكَتْ يَمِينِي فَوَارِسَ صَدَّقُوا فِيهِمْ ظُنُونِي

لَفْظُهُ لَفْظُ الْخَبَرِ، وَالْمَعْنَى مَعْنَى الدَّعَاءِ. يَقُولُ: تَفْدِي نَفْسِي مَالِي أَجْمَعُ فَوَارِسَ يَكُونُونَ عِنْدَ الظَّنِّ بِهِمْ فِي الْحَرْبِ، وَقَدْ رُوِيَ آخِرُ الْبَيْتِ عَلَى وَجْهِهِ تَقَارُبُ مَعَانِيهَا. رُوِيَ: «فَوَارِسَ صُدِّقَتْ فِيهِمْ ظُنُونِي». وَيَكُونُ ظُنُونِي فِي مَوْضِعٍ رَفِيعٍ بِصُدِّقَتْ، وَيُرْوَى: «صُدِّقَتْ فِيهِمْ ظُنُونِي»^(٣) بِفَتْحِ الصَّادِ وَتَضْعِيفِ عَيْنِ الْفِعْلِ يَدُلُّ عَلَى التَّكْثِيرِ، وَظُنُونِي يَرْتَفِعُ بِالْفِعْلِ، وَتَخْصِيصُ الْيَمِينِ فِي قَوْلِهِ: «وَمَا مَلَكَتْ يَمِينِي» لِفَضْلِهَا وَقُوَّةِ التَّصَرُّفِ بِهَا. وَهُمْ يَقِيمُونَ الْبَعْضَ مَقَامَ الْجُمْلَةِ فَيَسُبُّونَ إِلَيْهِ الْأَحْدَاثَ وَالْأَخْبَارَ كَثِيرًا، عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَطَلَّكَ أَغْنَتْهُمْ لَهَا خُضَيْعِينَ﴾ [الشُّعْرَاءُ: الْآيَةُ ٤]. وَقَوْلُهُمْ: عُدْتُ بِحَقْرِ فُلَانٍ، وَهُوَ عَبْدُ الْمُقَدَّدِ، وَحُرُّ الْوَجْهِ، وَلِثِيمُ الْقَفَا وَمَا أَشْبَهَهُ. وَفِي الْقُرْآنِ: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَنُكُمْ﴾ [النِّسَاءُ: الْآيَةُ ٣]. وَفَوَارِسَ شَاذٌ فِي الْجُمُوعِ عِنْدَ سَبْيُوهِ، لِأَنَّ فَوَاعِلَ إِنَّمَا تَكُونُ جَمْعَ فَاعِلَةٍ فِي صِفَاتٍ مَا يَعْقِلُ دُونَ فَاعِلٍ، وَاسْتَدْرَكَ عَلَى سَبْيُوهِ هَالِكٌ فِي الْهَوَالِكِ.

وبيث الفرزدق: [الكامل]

وَإِذَا الرُّجَالُ رَأَوْا يَزِيدَ رَأَيْتَهُمْ خُضَعَ الرِّقَابُ نَوَاحِسَ الْأَبْصَارِ^(٤)

(١) قال التبريزي: «هو شاعر إسلامي»، وكان في الدولة المروانية. انظر الخزانة ١٠٩:٣، واللاقي ٥٧٩.

(٢) البيت لكعب بن زهير في ديوانه ص ٨، والمخصص ١٧: ٥، والمذكر والمؤنت للأنباري ص ٤١١، وشرح ديوان الحماسة للتبريزي ٢٨: ١. وصدرة:

«فما تدوم على وصلٍ تكون به»

(٣) هذه رواية التبريزي.

(٤) البيت في ديوانه ٣٠٤: ١، وجمهرة اللغة ص ٦٠٧، وخزانة الأدب ٢٠٦: ١، وشرح أبيات سبويه ٣٦٧: ٢، وشرح ديوان الحماسة للتبريزي ٢٩: ١.

وبيث عتيبة بن الحارث: [الوافر]

ومثلي في عَوَائِكُمْ قَلِيلٌ^(١)

وقال أبو العباس المبرد: هو الأضل في جميعه، ويجوز في الشعر.

٢ - فَوَارِسُ لَا يَمْلُونُ الْمَنَائِيَا إِذَا دَارَتْ رَحَى الْحَزْبِ الرُّبُونِ

مَلِلْتُ الشَّيْءَ أَمَلُهُ مَلَالًا وَمَلَالَةٌ وَمَلَلًا، إِذَا سَمِئْتُهُ. ويقال: فَلَانَ ذُو مَلَةٍ طَرَفٌ، إِذَا ضَجَرَ بِشَيْءٍ فَطَرَفَهُ. قال^(٢): [السريع]

إِنَّكَ وَاللَّهِ لَذُو مَلَلَةٍ

ويجوز الرفع في فوارس على أن يكون خبر ابتداءٍ مُضْمَرٍ، كأنه قال: هم فوارِسُ. ويجوز النصب فيه على أن يكون بدلًا من فوارِسِ الأولى، ولا يملون في موضع الصفة للفوارس. والمعنى: قَدَّتْ نفسِي فوارِسَ لَا يَضْجِرُونَ بِمُكَايِدَةِ الْحَرْبِ وَمَقَاسَاةِ الشَّدَائِدِ فِيهَا، وَلَا يَكْرَهُونَ الْمُقَاتَلَةَ إِذَا دَارَتْ رَحَى الْحَرْبِ بِأَهْلِهَا. وَالرُّبُونُ: الدَّفُوعُ، وَمِنْهُ الرُّبَانِيَّةُ. وَإِنَّمَا شَبَّهَ الْحَرْبَ بِالنَّاقَةِ الرُّبُونِ فوصف بصفتها، وهي التي تَرْبِي حَالِبَهَا وتدفعه برجلها. قال:

تَرْبِي بِالْأَخْفَافِ وَالْمَنَاسِمِ عَنْ ذِرْوَةٍ تَخْضِبُ كَفَّ الْهَاشِمِ

ويقولون: ثَبَّتَ فَلَانٌ فِي مَرْحَى الْحَزْبِ، أَيِ حَيْثُ دَارَتْ رَحَاهَا، وَمَيْئَةً وَمَنَائِيَا، كَصَحِيفَةٍ وَصَحَائِفَ، وَالْأَصْلُ مَنَائِيٌّ فَاسْتَقْلَبَتْ الضَّمَّةُ فِي الْيَاءِ فَحَذَقَتْ ثُمَّ فَرَوَا مِنَ الْكُسْرَةِ وَبَعْدَهَا يَاءٌ إِلَى الْفَتْحَةِ فَانْقَلَبَتْ الْيَاءُ أَلِفًا فَصَارَ مَنَاءً، فَأَبْدَلُوا مِنَ الْهَمْزَةِ لَتَوْسُطِهَا أَلْفَيْنِ يَاءً فَصَارَ مَنَائِيَا.

٣ - وَلَا يَجْزُونَ مِنْ حَسَنِ بَسْنِيٍّ وَلَا يَجْزُونَ مِنْ غِلَظِ بِلِينِ

هذا الكلام من صفة الفوارس، يريد أنهم يعرفون مَجَارِي الْأُمُورِ ومقادير الأحوالِ فَيُوزَنُونَ الْحَسِينَ بِالْحَسَنِ وَاللَّيْنَ بِاللَّيْنِ، كَمَا قَالَ الْآخَرُ: [الرجز]

تُجَازِي الْوَافِي بَكَيْلٍ وَافٍ مَلَانٌ وَالطُّفَافُ بِالطُّفَافِ

(١) البيت لعتيبة في أمالي ابن الشجري ١٤١، وشرح التبريزي ٣٠:١، وبلا نسبة في شرح شافية ابن الحاجب ١٥٣:٢. وصدرة:

«أحامي عن ذمار بني أبيكم»

(٢) البيت لعمر بن أبي ربيعة في اللسان (طرف)، وإصلاح المنطق ٢٢٢. وعجزه:

«يطرفك الأدنى عن الأبعد»

وقوله «بَسِيءٍ» أراد بَسِيءٍ فحَقَّفَ، كما قالوا في هَيْنٍ هَيْنٍ، وفي لَيْنٍ لَيْنٍ. وروى بعضهم: «بَسِيءٍ». والمعنى أنهم يزيدون في الجزاء على قَدَرِ الابتداء. وليس ذلك بَسِيءٍ لَأَنَّ سَيِّئاً في مقابلة حَسَنٍ، كَمَا أَنَّ اللَّيْنَ في مقابلة الغِلظ، وفي العُدُول عنه إلى سَيِّئٍ إخلالٌ بالتقابل، والبيت إنما حَسُنَ به.

٤ - وَلَا تَبْلَى بِسَالَتِهِمْ وَإِنْ هُمْ صَلُّوا بِالْحَرْبِ حِينًا بَعْدَ حِينٍ
يقال: بَلِيَ الثوبُ يَبْلَى بِلَى وَبَلَاءً، ويستعار فيقال: لِبِسْتَ فُلَانًا وَبَلَيْتُهُ، إذا استمتعْتَ به وَتَمَلَّيْتُهُ. وإنما يصفهم بالاستمرار على حالة واحدة في مُزَاوَلَةِ الْحَرْبِ، وَأَنَّ شَجَاعَتَهُمْ لَا تَنْقُصُ وَلَا تَبْلَى عند امتداد الشَّرِّ، واتصال البَلَاءِ. وَالبَسَاءَةُ تُوصَفُ بها الْأَسَدُ وَالرَّجَالُ، يقال أَسَدٌ بَاسِلٌ وَبَسُولٌ. كما يقال رجل باسل وبسول. قال امرؤ القيس: [السريع]

مَا عَرَّكُمُ بِالْأَسَدِ الْبَاسِلِ^(١)

و«صَلُّوا» هو من صَلَّيْتُ بكذا أي مُنِيْتُ به، وهو من الْفِعْلِ فَعَلُوا بكسر العين، ولهذا انضمَّ اللام من صَلُّوا، ولو كان فَعَلُوا بفتح العين لقليل صَلُّوا، كما قيل دَعَا وَرَمَا. فَإِنْ قِيلَ: فأين جواب الشرط في قوله «وإن هُمْ صَلُّوا بالحرب»؟ قيل: هو متقدِّم، والتقدير إِنْ صَلُّوا وَمُتُوا بالحرب لم تَخْلُقْ شَجَاعَتَهُمْ. وَفَصَّلَ بَيْنَ الْفِعْلِ وَإِنْ بِهِمْ، لأنه ماضٍ لم يَظْهَرْ فيه أثرُ إِنْ بِالْجَزْمِ. ولو كان الْفِعْلُ مُسْتَقْبَلًا لَظَهَرَ الْجَزْمُ فيه، وَلَمَّا حَسُنَ الْفَصْلُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ إِنْ بِالْأَسْمِ. يَثْبُحُ أَنْ يَقَالَ إِنْ زَيْدٌ يَأْتِينِي أَكْرَمُهُ، وتقولُ إِنْ اللَّهَ أَفْذَرْنِي عَلَى زَيْدٍ فَعَلْتُ بِهِ كَذَا. وهذا شيءٌ يجوزُ في إِنْ دون سائر حروف الجزاء، لأنه الْأَضْلُ في الجزاءِ وَالْحَرْفُ الَّذِي لَا يَزُولُ عنه. وروى بعضهم: «وَلَا تُبْلَى بِسَالَتِهِمْ» مِنْ بَلَوْتُهُ إِذَا اخْتَبَرْتُهُ، ويكون المعنى لا يمكن اختبار شجاعَتِهِمْ فَيُعْرِفَ غَوْرَهَا وَمُنْتَهَاها عَلَى مَرِّ الْأَزْمَانِ، واختلاف الأحوال.

٥ - هُمْ مَتَّعُوا حِمَى الْوُقَبَى بِضَرْبٍ يُؤَلَّفُ بَيْنَ أَشْجَاتِ الْمَثُونِ^(٢)

(١) لامرؤ القيس في ديوانه ١٤٨. وصدرة:

«قولا لبرصان عبيد العصا»

(٢) الْوُقَبَى: ضبطه ياقوت بفتح القاف وكذلك التبريزي (١: ٣١)، وقال: «الوقبي: موضع، وهو مأخوذ من الوقب، وهو مثل النقرة في الصخرة، يقال: وقب الشيء، إذا دخل، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾» [القلق: الآية ٣] قيل: أراد الليل إذا دخل. وقد جاء خبر الوقبي عند التبريزي ١: ٣٣.

قوله «بضرب يؤلف» وقد وقع المنع والضرب جميعًا حكايةً حال، لولا ذلك لقال: بضرب ألف. ومثله في القرآن: ﴿وَنُقَلِّبُهمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾ [الكهف: الآية ١٨]. يقول: هؤلاء القوم الذين أشرّت إليهم بقولي: فوارس صدّقوا فيهم ظنوني، هم الذين منعوا حمى هذا المكان بضربٍ يجمع بين المنايا المتفرقة. وهذا تقييدٌ بعد إطلاق، وتخصيصٌ بعد تعميم: والحمى: موضع الماء والكلاب. ويقال: أحميتُ المكان، أي جعلته حمى. وَحَمَيْتُهُ: ذَبَبْتُ عنه. وقوله «يؤلف» من صفة الضرب، ويحتمل وجوها: يجوز أن يكون المعنى إن هؤلاء لو بقوا في أماكنهم ولم يجتمعوا في هذه المعركة لوقعت موتاتهم متفرقة في أمكنة متغايرة، وأزمنة متفاوتة، فلما اجتمعوا تحت الضرب الذي وصفه صار الضرب جامعاً لتلك المنايا وجوهرها. وحكي عن أبي سعيد الضرير أن المعنى إذا وقع بهم ألف بين أقدارهم التي قُدرت عليهم. ويجوز أن يكون المعنى أن أسباب الموت مختلفة، وكأن هذا الضرب جمع بين الأسباب كلها. ويجوز أن يكون المراد ضرباً لا يُنفَسُ المضروب ولا يمهلُهُ، لأنه جمع فَرَق الموت له. وقوله «أشتات المئون» واحداً شتت. والمئون: الموت، وهو من مَتَت أَي قطعت.

٦ - فَتَكَبَّ عَنْهُمْ دَرَّةُ الْأَعَادِي وَدَاوَا بِالْجُثُونِ مِنَ الْجُثُونِ

نَكَبَ قد جاء متعدياً إلى مفعولين، قال أوس: [البسيط]

نَكَبْتُهَا مَاءَهُمْ لَمَّا رَأَيْتُهُمْ ضَهَبَ السَّبَالِ بِأَيْدِيهِمْ بِيَازِيرٍ^(١)

والأكثر نَكَبْتُ عَنْ كذا. يقول: حَرَفَ عن هؤلاء القوم هذا الضرب اعوجاج الأعداء وخلافهم، ودَاوَا الشر بالشر. وهذا كما يقال: «الحديد بالحديد يُفْلَحُ». وكما قيل: «لَا يَفْلُ الحَديدُ إِلَّا الحَديدَ». وأصلُ النَّكَبِ: المَيْلُ، ولذلك يقال نَكَبْتُ الإِنَاءَ، إِذَا أَمَلْتَهُ. وَنَكَبَ الرَّجُلُ نَكْبَةً. وعلى هذا النكباء في صفة الريح: والدَّزءُ، أصله الدَّفْع، ثم اسْتَعْمِلَ في الخلاف، لأن المختلفين يتدافعان. ومثله: [الطويل]

وَقَوْمٌ عَنْهُ دَرَاهُ فَتَنَكَّبَا^(٢)

(١) البيت لأوس بن حجر في ديوانه ٤٤، ومقاييس اللغة ١: ٢٤٦، والتبريزي ١: ٣٢.

(٢) لابن مفرغ الحميري في البيان ٢: ٢٨١. وصدده:

«فيا رب خصمٍ قد كفت دفاعه»

٧ - ولا يَزَعُونَ أَكْنَافَ الْهُونَى إِذَا حَلُّوا وَلَا أَزْضَ الْهُدُونِ

يُروى: «ولا رَوْضَ الْهُدُونِ»، وهو أفصح. والهُدُون: الصُّلح والسُّكون. وفي الحديث: «هُدْنَةٌ عَلَى دَخْنٍ»، أي صَلُحَ عَلَى فَسَادٍ دَخِيلَةٍ. يصفهم بالميل إلى الشر، والحرص على القتال والقتل، وأنهم يؤثرون جانب الخصومة على الصلح، وناحية الذعر على السكون، فيقول: لا يرعى هؤلاء القوم جوانب الخصال السهلة والأمور الهينة، ولا ينزلون منازل الأمن والراحة. والهُونَى: تصغير الهونى، والهونى: تأنيث الأهنون. ويجوز أن يكون الهونى فُعْلَى اسمًا مبنياً من الهينَةِ، وهي السكون. ولا تجعله تأنيث الأهنون.

٤ - وقال جعفر بن عتبة الحارثي: [الطويل]

١ - أَلْهَفَى بِقُرَى سَحْبَلٍ حِينَ أَخْلَبَتْ عَلَيْنَا الْوَلَايَا وَالْعَدُوَّ الْمُبَاسِلَ

التلُف يكون على الفائت بعد الإشراف عليه، يقولون: وا لَهْفاه، ووالَهْفَ أمَّاه. وَلَهْفَ نفسه وأمَّه إذا قال ذلك. وفي المثل: «إِلَى أُمِّهِ يَلْهَفُ اللَّهْفَان»^(١). وقوله «أَلْهَفَى» يجوز أن يكون مُنَادَى مَفْرَدًا، ويجوز أن يكون مضافًا، فإذا جَعَلْتَهُ مضافًا فَإِنَّ أَصْلَهُ أَلْهَفِي أَوْ أَلْهَفِ، فإذا كان أَلْهَفِي فَكَأَنَّهُ قَرَّ مِنَ الْكسرة وبعدها ياء إلى الفتحة فانقلبت أَلْفًا. وعلى ذلك: يا غُلَامًا أَقْبِلْ. وقوله: [الطويل]

وهل جَزَعُ أَنْ قَلْتُ وَابْأَاهُمَا

وإنما المعنى بَأَيْ هُمَا. وعلى ذلك طريقتهم في مَدَارِي وَمَدَارَى، وَعَذَارِي وَعَذَارَى، وَصَحَارِي وَصَحَارَى، وفي بَقِيَّ بَقَى، وفي رَضِيَّ رَضَى. وإذا كان أَلْهَفِ يكون الألف قد زيدت لامتداد الصوت به ليكون أدلَّ على التحسُّر. وكذا إن جعلته أَلْهَفُ مَفْرَدًا يكون الألفُ زيدت لذلك. ومعنى «أَخْلَبَتْ»: أعانت. وأصله الإعانة في الْحَلَبِ خَاصَّةً، ثم استمرت في الإعانات كلها. وقد يكون الشيء مختصًا في الأصل ثم يصير بالعُرف عامًّا، كما قد يكون عامًّا في الأصل ثم يصير به مختصًا. وَرُوي: «الْوَلَايَا» وهي جَمْعُ الْوَلِيَّةِ، وهي الْبِرْذَعَةُ، وهي تكون كنايةً عن النساء إن شئت، وعن الضعفاء الذين لا غناء عندهم إن شئت. ويشبه هذا قول أم تَابِطُ شَرًّا تَوْبَتَهُ: «وا ابناه ليس بَعْلُفُوفٍ، حُشِيَّ مِنْ صَوْفٍ، تَلْفُهُ هُوفٌ»^(٢). وقولهم: «هو كالْحِلْسِ

(١) في اللسان (لهف): «يقال لمن اضطرب فاستغاث بأهل ثقته».

(٢) العلفوف: الجاني الكثير اللحم والشعر، والهوف: الريح الحارة.

المُلْقَى». ويُروى: «المَوَالِي» ومعنى البيت أنه يتلطف لِمَا نزل بهم في الموضع الذي ذكره حين أعان الأعداء عليهم كَوْنُ الحُرْمِ مَعَهُمْ أو مَنْ يجري مَجْرَى الحُرْمِ من الضعفاء الذين لا دِفَاعَ بهم؛ لِمَا وَجَبَ عليهم من الذَّبِّ عنهم، والاشتغال بالحماية عليهم. ومن رَوَى المَوَالِي - وهم أبناء العم - فإنما خَصَّهم بالذكر لأن الجفاء منهم أشدَّ تأثيرًا في النفس. ألا تَرَى أنَّ من كان بنو عمه عليه فهو كمن قُوِّلَ بسلاحِهِ، ألا ترى إلى قول الآخر حيث يقول: [الطويل]

مَخَافَةٌ جَوْرٍ مِنْ أَمِيرٍ مُسَلِّطٍ وَرَهْطِي وَمَا عَادَاكَ مِثْلُ الْأَقَارِبِ

والعدو إشارة إلى الجنس، والمُبَايِل، من البَسَالَةِ. وأجراه على لفظ العدو لا على معناه. وفي القرآن: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشُّعَرَاءُ: الآية ٧٧].

٣ - فقالوا لنا نِنْتَانِ لَا بُدَّ مِنْهُمَا صُدُورُ رِمَاحٍ أَشْرَعَتْ أَوْ سَلَالِسُ التَّاءِ فِي «نْتَان» كالتاء في بنتان، إلا أنه لم يُستعمل واحده كما استعمل بنت. وكذلك التاء في اثنتان كالتاء في اثنتان إلا أنهم لم يقولوا اثْنَةٌ كما قالوا ابْنَةٌ. والشاعر حَكَّى ما دار بينهم عند الالتقاء فيقول: أَدَارَنَا أَعْدَاؤُنَا عَلَى خَصْلَتَيْنِ حَكَمُوا عَلَيْنَا بِهِمَا، وَخَيَّرُونَا فِيهِمَا، وهو الاستسلام الذي آخره الأسْرُ، أو القتل الذي أَوَّلُهُ الامْتِنَاعُ والدَّفْعُ. وقوله «ننتان» أراد خصلتان اثنتان، ثم فسرها بقوله «صُدُورُ رِمَاحٍ أَشْرَعَتْ» وخَصَّ الصُّدُورَ لَأَنَّ المَقَاتِلَةَ بها تقع، ويجوز أن يكون ذَكَرَ الصُّدُورَ وَإِنْ كَانَ المراد الكُلُّ كما قال: [الكامل]

الوَاطِئِينَ عَلَى صُدُورِ نِعَالِهِمْ

وإن كان الوطء للصدور والأعجاز، وكنى عن الأسر بالسلاسل. وقوله «لا بدَّ منهما» أراد لا بدَّ منهما على طريق التعاقب لا على طريق الجمع بينهما، وإلا سقط التخيير الذي أفاده «أو» من قوله «أو سلاسل». ألا ترى أَنَّهُ إِذَا قَالَ: خُذِ الدِّينَارَ أَوْ الثُّوبَ، وَكُلِّ السَّمَكِ أَوْ اشْرَبِ اللَّبَنَ، فَلَيْسَ فِيهِ الْجَمْعُ بَيْنَهُمَا. وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ عَلَى هَذَا فَالْمَعْنَى لَا بُدَّ مِنْ إِحْدَاهُمَا. وَ«أَشْرَعَتْ»: هُيِئَتْ لِلطَّعْنِ. وَكَذَلِكَ شَرِيعَتْ. وَيُسْتَعْمَلُ فِي السَّيْفِ أَيْضًا وَكَانَ الْأَصْلُ فِيهِ مِشَارِعُ الْمِيَاهِ. وَفِي الْمَثَلِ: «أَهْوَنُ الْوَزْدِ التَّشْرِيعُ»^(١)، أَيِ إِيرَادِ الشَّرِيعَةِ.

٣ - فقلنا لهم تِلْكُمْ إِذَا بَغْدَ كَرَّةٌ تُغَادِرُ صَرْعَى نَوْؤَهَا مَتَخَاذِلُ

يقول: أجبناهم وقلنا تِلْكُمْ، أي تلك التخييرة وذلك التحكّم، ولا يجوز أن تكون الإشارة بتلكم إلى واحدة من هاتين الخَصْلَتَيْنِ اللتين تقدّم ذكرهما، لأنّه لا اختيار فيهما لمختارٍ حكمه حكم هؤلاء، إلا أن يكون الكلام على طريق التهكّم والسخرية. والمعنى إنّما يكون ذلك بعد عَطْفَةٍ وَجَوْلَةٍ تترك بيننا قومًا مصروعين يخذلهم الثهوض ولا يطيقون الحَرَكَ. وإذا، هو جوابٌ وَجَزَاءٌ، وهو مُلْقَى هَلْهَنَا. وَكُم من (تِلْكُمْ) للخطاب لا للضمير، فلا موضع له من الإعراب. واختار أن يقول «متخاذل» لأن هذا البناء يختصّ بما يَخْذُلُ شيئًا بعد شيء. على ذلك قولهم تداعى البناء كأن أجزاء النهوض يخذل بعضها بعضًا فلا يكمل، وكأنه أنكر عليهم الاشتراط والتحكّم والإلجاء منهم إلى ذلك، فقال: يَسُوغُ ما ابتدأتم فيه لَكُمْ بعد جولةٍ يتعقّبها هذا الأمر. ويجوز أن يكون الحُكْم والتخيير بقوله «ثنتان لا بدّ منها» وقع بين الحرب والاستتسار، لا القتل والاستتصال، فاختاروا المحاربة. والإشارة بقوله تِلْكُمْ حينئذٍ يجوز أن تكون على ما قدّمته، ويجوز أن تكون إلى ما دلّ عليه قوله أو سَلَالِيلُ، من الأسر فكانه قال: الخَصْلَةُ الثَّانِيَةُ نَوَّخَرَهَا ونظر في الأولى ماذا يَنْتَبِجُ منها. وقوله «تُغَادِرُ» صِفَةٌ لِلْكَرَّةِ، وقوله «نَوْؤَهَا» الضمير يعود إلى صَرْعَى، والجمع مآله إلى التأنيث، ولو قال: نَوْؤُهُمْ لكان أحسن. والنَّوؤُ: الثهوض، وهو أصل المناوأة، وإن اشتهرت في المعادة. ويكون النَّوؤُ: السقوط أيضًا: وَيُسَبِّه هذا قول الآخر: [الوافر]

ينوءُ بصدرة والرمح فيه

٤ - ولم نذر إن جِضْنَا من الموت جِيضَةً كَمِ الْعُمُرِ بَاقٍ وَالْمَدَى مُتَطَاوِلُ

جَاضَ عن قِرْنِهِ وَحَاصَ بِمَعْنَى، أي عَدَلَ وانحَرَفَ. وَالْعُمُرُ والعَمَرُ لغتان: الحياة والبقاء. ومنه قولهم: لَعُمَرَ الله، وَعَمَرَكَ الله. إلا أنه في اليمين لا يستعمل إلا بفتح العين. وقوله «كَمِ الْعُمُرِ» في موضع الظرف، والمعنى: كم يومًا أو وقتًا العمر باقٍ، وارتفع العمر بالابتداء. والواو في قوله «والمدى متطاوِلُ» واو الحال، أي كم العمر باقٍ ومداه متطاوِل. ولم يأت بالضمير لأنّ الواو أَغْنَى عنه، والمعنى: لم نَعْلَمْ إن عَدَلْنَا عن الحرب عَدْلَةً كم بَقِيَ من أعمارنا، وغايات العمر ممتدة مبهمة حتّى لا يتبهي أحدٌ منها إلى حدٍّ إلّا وكما يرجو أن يتصل بعده أيضًا لا يأمن أن ينقطع، فكانه قال: إذا كان الحال في الأعمار على هذا أبدًا فلا مَعْنَى لِلْعُدُولِ عن الحَرْبِ، إذ لا

يَمْتَنِعُ مع تطاول المدى في رجاء العُمَر أن يَفْضَرَ في نفسه وينقطع عن المأمول فيه. وَيَجُوز أن يَتَعلَق الحال الذي دَلَّ عليه «والمَدَى متطاول» بِأن جِضْنَا. والتقدير: لم نَذِرْ إن جِضْنَا وَمَدَانَا مَطَاوِلَ كَم العُمَر باقٍ أي مَدَى رَجَائِنَا، وهذا حَسَنٌ عندي. ويجوز أن يكون الواو عاطفةً كأنه قال: لم نَعْلَمْ كَم العُمَر باقٍ وكَم المدى متطاولٌ إِنْ جِضْنَا. وَحِكْمِي عن بعض المتأخرين أنه فَسَّرَ العُمَر على أَنَّهُ الحِينُ، قال: ومنه قوله تعالى: ﴿فَكَذَّبْتَ بِكُفْرِكُمْ عُمَرًا﴾ [يونس: الآية ١٦] وهذا إذا حُقِّقَ يرجع إلى الأول.

٥ - إذا ما ابْتَدَرْنَا مَازِقًا فَرَجَحْتَ لَنَا بِأَيْمَانِنَا بِيَضِّ جَلَّتْهَا الصِّيَاقِلُ يقول: إذا ما اسْتَبَقْنَا إلى مَضِيْقٍ في الحرب وَسَعَتْهُ لَنَا سُبُوفٌ مَضْقُولَةٌ بِأَيْمَانِنَا والفائدة في قوله «جلتها الصياقل» اهتمامهم بإصلاح آلات الحرب، لذوام مُزَاوَلَتِهِمْ لَهَا. وَجَعَلَ الفِعْلَ للسُّيُوفِ على المجاز والسَّعة.

٦ - لَهُمْ صَدْرٌ سِنْفِي يَوْمَ بَطْحَاءٍ سَخْبَلٍ وَلِي مِثْلُهُ مَا ضُمْتُ عَلَيْهِ الْأَنَامِلُ هذا مثل قوله: [المتقارب]

مَنَابِرُهُنَّ بَطُونُ الْأُكْفِ وَأَعْمَادُهُنَّ رُؤُوسُ الْمُلُوكِ

وإن كان في هذا تقسيمٌ خَلَا مِنْهُ المُشَبَّه. وَلَكَّ أن تَرَوِي «ما ضُمْتُ عليه الأنامل» و«ضُمْتُ»، فإذا قُلْتُ ضُمْتُ فالمعنى: قُبِضْتُ عليه الأنامل. وإذا قُلْتُ ضُمْتُ فالمعنى قُبِضَتْهُ الأناملُ. وَالْبَطْحَاءُ وَالْأَبْطَحُ: مَسِيلٌ فِيهِ دُقَاقُ الْحَصَى واسعٌ. وهما صفتان أُخْرِجَتَا إلى باب الأسماء. وبطحاء مَكَّةَ وَأَبْطَحُهَا معروفان، والتأنيث والتذكير فيهما يُخْمَلَانِ على البلدة والبُقعة، والبلد والمكان، إَلَّا أَنَّهُ لَا يُقَالُ مَكَانٌ أَبْطَحٌ وَلَا بُقْعَةٌ بَطْحَاءٌ. ويقال: تَبَطَّحَ السَّيْلُ، إذا سَالَ عَرِيضًا. فَأَمَّا «سَخْبَلٌ» فاسم موضع أَضِيفَ البطحاء إليه، كما يقال صَخْرَاءُ سَخْبَلٍ. ويقال: ضَبَّ سَخْبَلٌ، إذا كان عَرِيضَ الْبَطْنِ. وَلَا يَمْتَنِعُ أن يكون المكانُ سُمِّيَ بِهِ لِاتِّسَاعِهِ.

٥ - وقال أيضًا: [الطويل]

١ - لَا يَكْشِفُ الْعَمَاءُ إِلَّا ابْنَ حُرَّةٍ يَرَى عَمَرَاتِ الْمَوْتِ ثُمَّ يَزُورُهَا

مَعْنَى «يرى عَمَرَاتِ الْمَوْتِ» أَنَّهُ يَتَحَقَّقُهَا بِالْمُمَارَسَةِ حَتَّى يَصِيرَ كَأَنَّهُ أَدْرَكَهَا بِحَاسَةِ الْعَيْنِ وَشَاهَدَهَا، فيقول: لَا يَكْشِفُ الْخَصْلَةَ الشَّدِيدَةَ إِلَّا رَجُلٌ كَرِيمٌ يَرَى قُحْمَ

الموت ثم يتوسطها ويصبر فيها ولا يَعدِلُ عنها. وإنما قال «ابنُ حُرَّة» لينبّه على زوال الهُجْنة منه، وخلص مَوْلده مما يَشوبه، وليصير كَرَمه مهيجًا. لِأَنفَتِهِ، ومصبّرًا له على كلِّ ما يَدْفَعُ إليه من الشرِّ إِلَّا أَنْ يُزِيلَهُ. ولأنَّ ما يَسْتَنكِفُ منه العَرَبُ هو الهُجْنة إِذْ كان مَنْ ليس أبوه من العربِ خارِجًا من أن يكون عَرَبِيًّا. والعَمَاءُ والعَمُّ والعُمةُ والعَمَمُ مَرْجَعُ جميعها إلى التَّغْطِيَةِ. فَإِنْ قِيلَ: لِمَ عَطَفَ الزَّيَّارَةُ على رُؤية العَمَرَاتِ بِحَرْفِ المُهْلَةِ، وهَلَّا جعلَهَا عَقِيبَ الرُّؤية؟ قلتُ: إِنَّ «ثُمَّ» وإن كان في عطْفِهِ المفردَ على المفردِ يدلُّ على التَّراخي فإنه في عطْفِهِ الجملةُ على الجملةِ ليس كذلك. أَلَا تَرَى قَوْلَهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْمَقْبُةُ ۖ فَكَ رَقَبَةٍ ۖ﴾ (١٢) أَوْ إِبْلَعَتْ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبٍ ۖ يَسْمَا ذَا مَقْرَبَةٍ ۖ﴾ (١٣) أَوْ مَشِيكًا ذَا مَقَرٍّ ۖ﴾ (١٤) ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا ۖ﴾ [البَلَد: الآيات ١٢ - ١٧]. ولا يجوز تراخي الإيمان عن شيء مما عَدَدَهُ وذكره.

٢ - تُقَاسِمُهُمْ أَسْيَافُنَا شَرَّ قِسْمَةٍ فَفِينَا فَوَاشِيَهَا وَفِيهِمْ صُدُورُهَا
وَضَعَ «قِسْمَةٍ» موضع مقاسمة، أراد شَرَّ مَقَاسِمَةٍ. وانتصاب «شَرَّ» على المضمر. والعَوَاشِي: القوائم، وتكون الأعمادُ أيضًا. والصُّدُور، أراد بها المضارب، وإنما قال: شَرَّ قِسْمَةٍ، لِأَنَّ مَنْ حُمِلَ على مثل هذه القِسْمَةِ فيما يُقَاسَمُ عليه كان الشُّرُّ لَهُ. وهذا أيضًا مِثْلُ قَوْلِهِ: [الطويل]

لَهُمْ صَدْرُ سِنْفِي يَوْمَ بَطْحَاءِ سَخْبِلٍ^(١)

والمعنى قاسمناهم سيوفنا ففينا مقابضها وفيهم مضاربها.

٦ - وقال أيضًا: [الطويل]

١ - هَوَايَ مَعَ الرُّكْبِ الْيَمَانِيْنَ مُضْعِدٌ جَنِيْبٌ وَجُثْمَانِي بِمَكَّةَ مُوْتِقٌ

هذه الأبيات ضَمَّنَهَا هذا الباب لِمَا اشتملت عليه مِنْ حُسْنِ صَبْرِهِ على البَلَاءِ، وَقَلَّةِ دُغْرِهِ مِنَ الموتِ والفناء، واستهانته بوعيد المتوَعَّدِ وَحِدْقِهِ بِرِسْفَانٍ^(٢) الْمُقَيَّدِ. و«هَوَايَ» ياءُ الإِضَافَةِ فُتِحَتْ مِنْهُ عَلَى الْأَصْلِ، وَذَاكَ أَنَّ هَذِهِ الْيَاءَ لَمَّا كَانَ ضَمِيرُ اسْمٍ عَلَى حَرْفٍ وَاحِدٍ مَطْرُفٌ كَرِهُوا أَنْ تُسَكَّنَ فَتُخْتَلَّ فُجِعُوا مِنْ أَصْلِهِ التَّحْرِيكِ، فَإِذَا كَانَ

(١) البيت السادس من الحماسة رقم (٤) لجعفر بن عتبة الحارثي. وعجزه:

«ولي منه ما ضمت عليه الأنامل»

(٢) الرسفان: مشي المُقَيَّدِ.

ما قبله متحرّكًا كغَلَامِي ودَارِي كان لك فيه وجوة: تحريك الياء وهو الأصل، وتسكينه تخفيفًا، وحَذْفُهُ من التّداء إذا قُلْتُ: يَا غَلَامَ، وإبدالُ الألفِ منها مع انفتاح ما قبلها كقولك: وإِ بِأَبَاهُمَا وَإِ غَلَامًا أَقِيلَ. وإذا سَكُونُ ما قبله فمتى كان واوًا أو ياءً أَذْغَمَ فيه ولم يَكُنْ بُدُّ من تحريكه لثلاً يلتقي ساكنان، تقول: مُسْلِمِي في الجميع، ومُسْلَمِي في التثنية. وإذا كان ما قبله أَلِفًا كَعَصَايَ وَقَفَايَ وَهَوَايَ، لم يكن بُدُّ من الإتيان به على الأصل، وهو تحريكه، لثلاً يلتقي ساكنان أيضًا، ولا يجوز الإدغام ههنا كما جاز مع الواو والياء، لأنّ الألف لا تُذْغَمُ في شيء ولا يُدْغَمُ فيها غيرها، لكونها هوائية لا مُعْتَمَدَ لها في المخرج، إلّا في لُغَةٍ هَذِلٍ، لأنهم يُبَدِّلُونَ من الألفِ الياء وَيُذْغِمُونَ. على هذا قوله: [الكامل]

سَبَقُوا هَوِيَّ وَأَغْنَقُوا لِهَوَاهُمْ فَتَخَرَّمُوا وَلِكُلِّ جَنْبٍ مَضْرَعٌ^(١)

وَالْيَمَانُونَ: جمع يَمَانٍ، والنسبة إلى يَمَنِ يَمَنِي، لكنه حُذِفَ إحدى ياءي النسب وأُتِيَ بالألفِ عَوَضًا مِنْهُ. ومثله شَامَ وَتَهَامَ، ومعنى: البيت هَوَايَ رَاحِلٌ وَمُبْعَدٌ مع رُكْبَانِ الإبلِ الْقَاصِدِينَ نحو اليَمَنِ، مُنْضَمٌّ إِلَيْهِمْ، مَقُودٌ مَعَهُمْ، وبديني مَأْسُورٌ مُقَيَّدٌ بمكة. وَرَاكِبٌ وَرُكْبٌ مثلُ تَاجِرٍ وَتَجَرٍ. وقد قيل في الْجُثْمَانِ إِنَّهُ الشَّخْصُ وَالْجُسْمَانُ الجسم، هكذا قاله الأضْمَعِيُّ. وَالشَّخْصُ إِنَّمَا يُسْتَعْمَلُ في بدن الإنسان إذا كان قائمًا. والخليلُ ذَكَرَ في العين أَنَّ الْجُثْمَانَ وَالْجُسْمَانَ بِمَعْنَى وَاحِدٍ. وَأَضْعَدَ في الأرض: أَبْعَدَ، وَحَكِيَّ أَنَّ صَغْدَةَ اسْمٌ عَلِمَ لِلأَرْضِ، وَأَنَّ الصُّعِيدَ مِنْهُ. ولهذا قيل لَحُمَرُ الوحش: بَنَاتٌ صَغْدَةٌ، وَأَوْلَادٌ صَغْدَةٌ، وهذا إن ثَبَتَ فهو كما يقال بناتُ الْبَرِّ. وقوله «جَنِيبٌ» أي مَجْنُوبٌ مُسْتَتَبِعٌ. وذكر أَنَّ بَعْضَهُمْ يرويه «حَيْثٌ»، والصحيحُ الأولُ لفظًا ومعنى.

٢ - عَجِبْتُ لِمَسْرَاهَا وَأَنَّى تَخَلَّصْتُ إِلَيَّ وَيَابَ السَّجْنُ دُونِي مُغْلَقٌ

يقول: تعجبتُ من سير هذه الخيالِ إِلَيَّ، ومن حُسْنِ تَوَصُّلِهَا مع هذه الحال، وهو أَنَّ بَابَ السَّجْنِ مَرْتَجٌ دُونِي. فأينما تعجبه من سيرها فَعَلَى عادة العرب والشُعراء في وصف الخيال، وذاك أَنَّهُمْ يُجَرُّونَهَا مَجْرَى الْمَرَاةِ نَفْسِهَا، فيستطرفون منها ما

(١) البيت لأبي ذؤيب في شرح أشعار الهذليين ١: ٧، وإنباه الرواة ١: ٥٢، وشرح شواهد المغني ١: ٢٦٢، وشرح قطر الندى ص ١٩١، وشرح الحماسة للتبريزي ١: ٤٤.

يُسْتَطَرَفُ مِنْ تِلْكَ لَوْ وَقَعَ الْفِعْلُ مِنْهَا عَلَى الْحَقِيقَةِ مَعَ نَعْمَتِهَا. وَهَذَا كَمَا قَالَ غَيْرُهُ:
[الكامل]

طَرَقَ الْخِيَالُ وَلَا كَلِيلَةَ مُذْلَجٍ سَدِكًا بِأَزْحَلِنَا وَلَمْ يَتَعَرَّجْ^(١)
وَكَمَا قَالَ الْآخَرُ^(٢): [الطويل]

وَأَتَى اهْتَدَتْ وَالِدُو بَيْنِي وَبَيْنَهَا وَمَا خَلْتُ سَارِي اللَّيْلِ بِالْدُّو يَهْتَدِي

وَأَمَّا تَعَجُّبُهُ مِنْ تَوْصِيلِهَا فَهُوَ تَعَجُّبٌ مِنْ لُطْفِهَا فِي ذَلِكَ، وَحُسْنِ تَأْتِيهَا، مَعَ
الْعَوَارِضِ وَالْمَوَانِعِ. وَالْمَسْرَى يَصْلُحُ فِي اللُّغَةِ أَنْ يَكُونَ مُصَدِّرًا وَمَكَانًا وَوَقْتًا وَالْبَيْتُ
لَا يَمْتَنِعُ مِنْ وُجُوهِهِ. وَأَتَى مَعْنَاهُ كَيْفَ، أَوْ مِنْ أَيْنَ، كَذَا قَالَ سَيَبَوِيهِ. وَقَدْ تَجَرَّدَ لِأَنْ
يَكُونَ بِمَعْنَى كَيْفَ فِي قَوْلِ الْكَمِيتِ: [المنسرح]

أَتَى وَمِنْ أَيْنَ أَبْكَ الطَّرَبُ

٣ - أَتَيْنَا فَحَبِثْ ثُمَّ قَامَتْ فَوَدَّعَتْ فَلَمَّا تَوَلَّتْ كَادَتْ النَّفْسُ تَرْهَقُ^(٣)

التَّحِيَّةُ: السَّلَامُ وَالْمُلْكُ وَالْبَقَاءُ. وَالْمَحْيَا: الْوَجْهُ مِنَ الْإِنْسَانِ، لِأَنَّهُ يُخْصَصُ عِنْدَ
التَّسْلِيمِ بِالذِّكْرِ فَيُقَالُ حَيًّا اللَّهُ وَجْهَكَ، وَإِنْ كَانَتْ الْجُمْلَةُ مُتْلَقَةً بِهِ. وَقِيلَ: التَّحِيَّةُ
مَشْتَقَّةٌ مِنَ الْحَيَاةِ أَوْ الْحَيَاءِ. وَالْمَحَايَا: تَحِيَّةُ الْقَوْمِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا. وَالْمَحْيَا مِنَ
الْفَرَسِ: حَيْثُ انْفَرَقَ اللَّحْمُ تَحْتَ النَّاصِيَةِ. فَيَقُولُ حَاكِيًا لِحَالِ الْخِيَالِ: جَاءَتْنَا فَسَلِمَتْ
عَلَيْنَا، ثُمَّ لَمْ تَلْبَثْ إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى قَامَتْ وَأَعْرَضَتْ، فَلَمَّا تَوَلَّتْ كَادَتْ النَّفْسُ تَخْرُجُ
فِي أَثَرِهَا. وَيُرْوَى: «أَلَمْتُ فَحَيْتَ». وَالْإِلْمَامُ: الزِّيَارَةُ الْخَفِيفَةُ. وَقَوْلُهُ «لَمَّا تَوَلَّتْ»
جَوَابُهُ «كَادَتْ النَّفْسُ» وَهُوَ عَلَّمَ لِلظَّرْفِ. وَمَتَى كَانَ عَلَمًا لِلظَّرْفِ لَمْ يَكُنْ لَهُ بُدٌّ مِنْ
جَوَابٍ، لِأَنَّهُ يَكُونُ لَوْقُوعَ الشَّيْءِ لَوْقُوعَ غَيْرِهِ. وَتَرْهَقُ خَبَرُ كَادَتْ، لِأَنَّ كَادَ كَكَانَ
وَأَخَوَاتُهُ هَلْهَذَا إِذَا وَقَعَ بَعْدَهُ الْاسْمُ، وَهُوَ مَوْضُوعٌ لِمَشَارَفَةِ الْفِعْلِ وَمَشَافَهَتِهِ، وَلِهَذَا
وَجِبَ أَلَّا يَكُونَ مَعَهُ «أَنْ». تَقُولُ: كَادَ يَفْعَلُ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَفْعَلَ إِلَّا فِي الشَّعْرِ.
وَمَعْنَى تَرْهَقُ: تَهْلِكُ، وَمِنْهُ قِيلَ لِلْبَشْرِ الْبَعِيدَةِ الْقَعْرِ وَالْمُتَلَفَةِ الْبَعِيدَةِ: زَاهِقَةٌ وَزَهْوَقٌ.
وَفِي الْقُرْآنِ: ﴿فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء: الآية ١٨]. وَيَجُوزُ أَنْ يَرِيدَ بِهِ فِي الْبَيْتِ

(١) للحارث بن حنزة في ديوانه ٤٢، واللسان (سجج) وتاج العروس (مدك، رحل)، وأمالى القالي
٢٠٥:١، وشرح اختيارات المفضل ٣٣٧.

(٢) للحطينة في ديوانه ٢١. (٣) عند التبريزي (ألمت) بدل (أتنا).

تَخْرُجُ فِي إِثْرِهَا سَرِيعَةً لَمَّا تَوَلَّتْ. وَمِنْهُ زَهَقَتِ الرَّاحِلَةُ: تَقَدَّمْتُ، وَزَهَقَ السَّهْمُ: أَسْرَعَ.

٤ - فَلَا تَحْسَبِي أَنِّي تَخَشَّعْتُ بَعْدَكُمْ لِشَيْءٍ وَلَا أَنِّي مِنَ الْمَوْتِ أَفْرَقُ

ترك الإخْبَارَ عنها وأقبل عليها يخاطبُها، جَزِيًّا على عادتهم في التَّنْقُلِ والافتنانِ في التصرف. ومعنى تَخَشَّعْتُ: تَكَلَّفْتُ الخشوع، والخشوعُ في البَصْرِ كَالْخُضُوعِ في البدن. ويقال: اختشع فلانٌ، إذا طأطأ رأسه رَامِيًا ببصره إلى الأرض وهو خاشع الطرف خاضِعُ العُنُقِ. يقول مُسْتَهِينًا بما اجتمع عليه من الحبس والتقييد، ومتبجحًا عندها بالصبر على الهوى والتهالك فيه - وبهذا دخلت الأبياتُ في الحماسة - لا تظنِّي أَنِّي تَكَلَّفْتُ الخشوعَ بَعْدَكُمْ لشيءٍ عارض، ولا أَنِّي أخاف من الموت. والفرق: الخوفُ، وهو فَرِقَ وفُرِقَ وفَرُوقَةً. وقال^(١): [الوافر]

أَنزَوْا سَرْعَ مَاذَا يَا فَرُوقُ

فإن قيل: فأين مفعول تحسبي؟ قلت: قد نابت الجملة، وهي قوله «أني تخشعت بعدكم» عن المفعولين. ألا ترى أَنَّ تقديره لا تحسبيني خائِئًا، فكما أَنَّ المفعولين يحصلان من دون «أَنَّ» كذلك إذا دخل «أَنَّ» في الكلام ينوب مع ما بَعْدَهُ عنهما، لأن اللفظ بالمفعولين قد حَصَلَ وإن كانا في صلة أُنْ. وَأَنَّ وما بعده في تقدير اسم، وهذا كما تقول: لو أنك جئتني لأكرمك، إذ كنت قد لفظت بالفعل في صلة أُنْ، وإن كنت لا تقول لَوْ مجيئك.

٥ - وَلَا أَن نَفْسِي يَزِدُّهَا وَعِيدُكُمْ وَلَا أَنَّنِي بِالْمَفْسِي فِي الْقَيْدِ أَخْرَقُ

الوَعِيدُ وَالْوَعْدُ من أَضِلِّ واحدٍ، وإن كَانَ أَحَدُهُمَا ضَمَانًا فِي الْخَيْرِ وَالْآخِرِ ضَمَانًا فِي الشَّرِّ، لكنه فُرِقَ بين المعنيين بتغيير البناءين، كما فعلوا مثل ذلك في العِذْلِ والعَدِيلِ، فجعلوا أَحَدَهُمَا فِي الْإِنْسَانِي وَالْآخَرِ فِي غَيْرِهِمْ. يقول: ولا تظنِّي أَن نفسي يَسْتَحِفُّهَا تَهْدُؤُكُمْ، ولا أَنِّي ضَجَرْتُ بِالرَّسَقَانِ، وهو المشي في القيد. ويقال زَهَاةُ زَهْوًا وازدهاء، إذا استخفَّه. وَيُسْتَعْمَلُ الزَّهْوُ فِي الْبَاطِلِ وَالتَّزْيِيدِ فِي الْقَوْلِ. يقال: قال زَهْوًا، وفي الكِبَرِ يقال زُهِيَ لا غير، وهو مَزْهُوٌّ، والأصل الْخِفَّةُ. وَالْأَخْرَقُ: القليل

(١) لِمَالِكِ بْنِ زُغَبَةَ الْبَاهِلِيِّ فِي اللِّسَانِ (نور، سريع)، وَلِزُغَبَةَ الْبَاهِلِيِّ فِي اللِّسَانِ (حذق)، وَلِزُغَبَةَ أَوْ لِحِزْمَةَ بْنِ رِيَّاحِ الْبَاهِلِيِّ فِي اللِّسَانِ (بوق). وعجزه:

«وحبل الوصل منتكث حذيق»

الرَّفَقُ بالشَّيءِ. وقال أهل اللغة: الحُرْقُ: ضَدُّ الرَفَقِ، وفلان رَقِيقٌ وفلان أخرق. وربما قالوا: فلانٌ صَنَعَ وفلان أخرق. قال: [الرجز]

وهي صَنَاعُ الرَّجُلِ حَرَقَاءَ يَدِهِ

وَيُزَوَّى «أَخْرُق» بضم الراء فيكون فِعْلاً، و«أَخْرُق» بفتح الراء فيكون صِفَةً.

٦ - وَلَكِنْ عَرَّثْنِي مِنْ هَوَاكِ صَبَابَةٍ كَمَا كُنْتَ أَلْقَى مِنْكَ إِذْ أَنَا مُطْلَقٌ

قوله «كما كنت ألقى منك»، الأجود أن يكون «ما» موصوفة غير موصولة، لأنك إذا جعلتها موصولة كانت مَعْرِفَةٌ وفي تَقْدِيرِ الذي، والقصد إلى تشبيه صَبَابَةٍ مجهولة بمثلها، والتقدير: عَرَّثَ صَبَابَةً تُشَبِّهُ صَبَابَةً كُنْتَ أَكْبِدُهَا فِيكَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ. كَأَنَّهُ شَبَّهَ حَالَهُ فِيهَا بَعْدَ مَا مُنِيَ بِهِ بِحَالِهِ مِنْ قَبْلِ. ومفعول أَلْقَى محذوف تخفيفاً له، أراد كما كُنْتُ أَلْقَاهُ مِنْكَ. ويقال: عَرَّاهُ وَأَعْرَاهُ بِمعْنَى واحد، ومنه عَرَّاءُ الدَّارِ وَعَزَوْتَهَا بفتح العين، أي حيث تُعْرَى مِنْهُ أَي تُؤْتَى. يقول: وَلَكِنِّي تَعْرُونِي فِي الْهَوَى رِقَّةً شَوْقٍ وَجَهْدَ صَبَابَةٍ، كَمَا كُنْتُ أَقَاسِيهِ مِنْكَ وَفِيكَ حِينَ كُنْتُ مُطْلَقًا وَمُخَلًى. والفعل من الصَّبَابَةِ صَبَّبْتُ بِكسر الباء، والصفة صَبٌّ. وقوله: «إِذَا أَنَا مُطْلَقٌ» الجملة في موضع جَزْ بِالْإِضَافَةِ، وقد شُرحَ بِهَا «إِذَا» كَأَنَّهُ قَالَ: وَقْتُ إِطْلَاقِي.

٧ - وَقَالَ أَبُو عَطَاءٍ السَّنْدِيُّ^(١): [الطويل]

١ - ذَكَرْتُكَ وَالْخَطِيئِي يَخْطِرُ بَيْنَنَا وَقَدْ نَهَلْتُ مِنَّا الْمُثَقَّفَةَ السُّمُرُ

يَعْنِي بِالْخَطِيئِي رُمَحَ نَفْسِهِ، أَيْ يَتَرَدَّدُ بِالطَّغْنِ. كَأَنَّهُ يُصَوِّرُ حَالَهُ وَمَا يَكَابِدُهُ فِي مُجَاهَدَةِ أَعْدَائِهِ. وَالْخَطُّ: سَيْفُ الْبَحْرَيْنِ وَعُمَانُ وَإِلَيْهِ يُنْسَبُ الْقَنَا. وَكَأَنَّ قَوْلَهُمْ: الْخَطِيطَةُ، وَهِيَ أَرْضٌ لَمْ تُنْمَظَرْ بَيْنَ أَرْضَيْنِ مَمْطُورَتَيْنِ، مِنْهُ. وَالْخَطْرُ أَصْلُهُ التَّحَرُّكُ، يُقَالُ مَرٌّ يَخْطِرُ خَطَرًا، وَخَطَرُ الْبَعِيرِ بِذَنْبِهِ خَطَرًا وَخَطَرَانًا. فَنَبَّهَ بِهَذَا الْكَلَامِ عَلَى قِلَّةِ مَبَالَاتِهِ بِالْحَرْبِ، وَأَنَّ نَفْسَهُ تَاقَتْ وَالرَّمَحُ يَخْتَلُ بِالطَّغْنِ بَيْنَهُمْ إِلَيْهَا حَتَّى كَانَتْ تِلْكَ هَمَّهُ وَشُغْلُهُ، فَقَالَ: ذَكَرْتُكَ بِقَلْبِي وَرِمَاحُ الْخَطِّ تُضْطَرِبُ فِي الْحَرْبِ بَيْنَنَا، وَقَدْ رُوِيَ مَتَى أَي مِنْ دَمَائِنَا. وَرَوَى بَعْضُهُمْ: «وَقَدْ نَهَكْتُ مِنَّا الْمُثَقَّفَةَ» مِنْ نَهَكِ الْمَرَضِ، وَلَيْسَ

(١) أبو عطاء السندي: اسمه أفلح، مولى غبر بن سماك بن حصين، شاعر فحل قوي البديهة، من شعراء بني أمية، شهد حرب بني أمية وبني العباس (توفي بعد سنة ١٨٠ هـ / ٧٩٦ م)، ترجمته في: فوات الوفيات ١: ٧٣، وسمط اللالكى ٦٠٢. والأبيات الثلاثة في الزهرة ١: ٢٧٨.

بشيء. ومصدر ذكرْتُكَ ذُكْرٌ بضم الذال، لأنَّ الذُّكْرَ بِالْقَلْبِ والذُّكْرَ بِاللِّسَانِ، والاسْمُ من نَهَلْتُ النَّهْلُ. والمُورِدُ: المَنْهَلُ، وقد عُدَّ النَّاهِلُ في الأضداد، لوقوعه على الرِّئَانِ والعَطْشَانِ، وكان حقيقة النَّهْلِ أَوَّلُ السَّقْيِ، والاكتفاء بِهِ قَدْ يَقَع وقد لا يَقَعُ فلهذا استعمل النَّاهِلَ في الرِّيِّ والعَطَشِ.

٢ - فَوَالله ما أَذْرِي وإِنِّي لَصَادِقٌ أَداءً عَرَاني من حَبَابِكَ أم سِخْرُ

أَقْسَمَ بالله على استواء علمه بالحالتين اللتين ذكرهما. ويسمى الألف التي في قوله «أداءً عَرَاني» أَلْفَ التَّسْوِيَةِ، لهذا الذي ذكرناه. وكذلك لو قال: ليت شعري أُرِيدُ في الدار أم عَمُرُو، لكان الألفُ أَلْفَ التَّسْوِيَةِ أيضاً، لأنه بتمنيهِ العِلْمَ بما ذَكَرَهُ من الأمرين، ذَلَّ على استواءِ دِرَايته بهما: «وعَرَاني». معناه أصابني. يقال: عَرَاه يَغْرُوهُ، واعتراه يعتريه، وعَرَهُ يَغْرُهُ بمعنَى واحد. و«الجَبَابُ» بمعنى الحُبِّ، كأنه مصدر حَبَبْتُهُ. وقد يكون مصدر حَابَبْتُهُ ويكون من اثنين. ويكون أيضاً جَمَعَ الحُبِّ، وكأنه جَمَعَهُ على اختلاف أحواله فيه، كما تُجْمَعُ الشَّمْسُ على مَوَاقِعِهَا. وَيُرَوَّى «جَبَابِكَ»^(١) والمعنى من ناحيتك. وقوله «إِنِّي لَصَادِقٌ» يجوز أن يريد به صِدْقَهُ في الخَبَرِ، ويجوز أن يُريدَ بَرَّهُ في الخَلْفِ، ومرجع الوجهين إلى معنى واحد.

٣ - فَإِنْ كَانَ سِخْرًا فَاغْذِرْنِي عَلَى الْهَوَى وَإِنْ كَانَ دَاءً غَيْرَهُ فَلَكَ الْعُذْرُ

السَّحَرُ والتمويه يرجعان إلى معنى واحد، ولذلك قال تعالى: ﴿سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ﴾ [الأعراف: الآية ١١٦]، أي أخرجوه على وَجْهِ في مَرَأَى العين وحقيقته على خِلَافِهِ. والسَّحَاةُ: لُغْبَةٌ ذلك صِفَتُهَا. ويقال: عَنَزَ مسحورةً، إذا عَظُمَ ضَرْعُهَا وَقَلَّ لَبَنُهَا. وأَرْضٌ مسحورةٌ، إذا لم تُنْبِتْ شَيْئًا: فيقول: إِنْ كَانَ ما بي سِخْرًا فلي عُدْزُ في هَوَاكِ، لأنَّ من يُسَحَّرُ يُخِيبُ، وإن كان داءً غيرَ السحر فالعُدْزُ لك، لآتي وقعت فيه بتعرضي لك، وفكُري في مَحَاسِنِكَ، والدَّلالة على أن «فاغْذِرْنِي» في موضع فلي عُدْزُ، ما قَابَلَهُ به من قوله «فَلَكَ العُدْزُ». وفي هذا إسقاطُ سؤال السائل: لم قال اغْذِرْنِي ولا ذَنْبَ له وإنما يحتاجُ إلى بَسْطِ العُدْزِ مَنْ له ذَنْبٌ أو يَتَصَوَّرُ بصورته، وانتصاب «داء» على أن يكون خبر كان، كأنه قال: وإن كان ما بي داءً. ويجوز أن يكون تَوْهَمٌ أن تلك تصوُّرُهُ بصورة المَذْنَبِ فيما أظهره من عشيقه فقال لها: إن أنتِ فَتَنْتَنِي وأوقعْتَنِي في جَبَالَتِكَ لِمَا عَرَضَتْ عَلَيَّ من محاسنِكَ فلي عُدْزُ حين افتتنت،

(١) وقال التبريزي ١: ٥١: «ويُروى (من جَبَابِكَ) أي من مجانبتك».

لأن مثل محاسنك تُزلّ العفيف، وتَنقُلُ عن طبعه الحليم. وإن كنتَ المتعرّضَ لك والجالب على نفسي ما شقيتُ به، فاعذُرْ لك.

٨ - وقال آخر^(١): [البسيط]

١ - وَفَارِسٍ فِي عُمَارِ الْمَوْتِ مُنْغَمِسٍ إِذَا تَأَلَّى عَلَى مَكْرُوهِهِ صَدَقًا

جَعَلَ لِلْمَوْتِ غِمَارًا عَلَى التَّشْبِيهِ بِالْمَاءِ، ثُمَّ جَعَلَهُ مُنْغَمِسًا فِيهَا فَحَسُنَتِ الِاسْتِعَارَةُ جِدًّا: وَتَأَلَّى وَاتَّخَذَ وَآلَى مِنَ الْأَلْيَةِ. وَلَا حَلْفَ ثَمَّ، إِنَّمَا يَرِيدُ الْحَثْمَ وَالْإِجَابَ، فَيَقُولُ: رُبَّ فَارِسٍ دَاخِلٍ فِي شِدَائِدِ الْمَوْتِ إِذَا حَلَفَ عَلَى مَا يُكْرَهُ مِنْهُ أَوْ يَكُونُ كَرِيهًا فِي نَفْسِهِ بَرٌّ وَلَمْ يَخْنُثْ أَنَا فَعَلْتُ بِهِ كَذَا. وَيُرْوَى «مَكْرُوهَةً» وَالْمَعْنَى خَصَلَةٍ تُكْرَهُ وَتَشْقَى. فَعَلَى هَذَا يَكُونُ صِفَةً مُفْرَدَةً عَنِ الْمَوْصُوفِ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مُصَدَّرًا كَالْمُصَدُّوقَةِ وَمَا أَشْبَهَهَا مِنَ الْمَصَادِرِ الْجَائِيَةِ عَلَى زَنَةِ الْمَفْعُولِ. وَأَضَافَ الْمَكْرُوهَ إِذَا رَوِيَ «مَكْرُوهِهِ» إِلَى الْفَارِسِ لَوُقُوعِهِ مِنْهُ. وَالْمُنْغَمِسُ: الدَّاخِلُ فِي الشَّيْءِ، يُقَالُ غَمَسْتُهُ فِي الْمَاءِ وَغَيْرِهِ، وَرَجُلٌ مُغَامِسٌ لِلَّذِي يَغْشَى الْحَرْبَ وَيَتَرَدَّدُ فِيهَا. وَالْغِمَارُ وَالْغَمَرَاتُ جَمْعُ غَمْرَةٍ، وَهِيَ فِي الْمَاءِ وَالْحَرْبِ وَالشَّرِّ تَرْجِعُ إِلَى السُّتْرِ. وَيُقَالُ: رَجُلٌ مُغَامِرٌ، إِذَا أَلْقَى نَفْسَهُ فِي الْغَمَرَاتِ وَالْمِهَالِكِ. وَرَوَى بَعْضُهُمْ «فِي عُمَارِ الْمَوْتِ» بِضَمِّ الْغَيْنِ، وَكَسَرُهَا أَجُودٌ مَعَ ذِكْرِ الْمُنْغَمِسِ.

٢ - عَشَّيْتُهُ وَهُوَ فِي جَأَوَاءَ بِأَسِيلَةٍ عَضْبًا أَصَابَ سَوَاءَ الرَّأْسِ فَاَنْفَلَقَا

الْعَضْبُ: الْقَطْعُ، وَتَوَسَّعُوا فِيهِ فَقَالُوا: عَضَبُهُ عَنْ حَاجَتِهِ، أَيْ حَبَسَهُ، وَامْرَأَةٌ مَعْضُوبَةٌ أَيْ مَعْضُولَةٌ، وَسَيَفُ عَضْبٌ أَيْ قَاطِعٌ، كَأَنَّهُ وُصِفَ بِالمَصْدَرِ. وَالتَّغَشَّى أَصْلُهُ الْإِتْيَانُ وَالْمَلَابَسَةُ، وَمِنْهُ الْغِشَاوَةُ: الْغِطَاءُ. وَتَوَسَّعُوا فِيهِ حَتَّى قِيلَ تَغَشَّاهُمْ بِالْعَدْلِ أَوْ الْجَوْرِ. وَفِي الْقُرْآنِ: ﴿إِذَا يُعَاقِبُكُمُ النَّعَاسُ أَمْنَةً مِنْهُ﴾ [الْأَنْفَالُ: الْآيَةُ ١١]. فَقَوْلُهُ عَشَّيْتُهُ، هُوَ كَمَا يُقَالُ قَتَعْتُهُ، وَهُوَ جَوَابُ رُبِّ فَارِسٍ هَكَذَا أَنَا ضَرْبَتُهُ وَهُوَ فِي جَيْشٍ تَامَ السَّلَاحِ كَرِيهَ الْإِلْقَاءِ، بِسَيْفٍ قَاطِعٍ أَصَابَ وَسَطَ رَأْسِهِ فَشَقَّهُ. وَالسَّوَاءُ: الْوَسْطُ هُنَا، وَفِي التَّنْزِيلِ: ﴿فِي سَوَاءٍ الْجَحِيمِ﴾ [الصَّافَاتُ: الْآيَةُ ٥٥]. وَيَوْضَعُ مَوْضِعَ الْمَصْدَرِ ثُمَّ يَوْصَفُ بِهِ، وَفِي التَّنْزِيلِ: ﴿سَوَاءٌ لِلْسَّالِكِينَ﴾ [فُصِّلَتْ: الْآيَةُ ١٠]. وَأَصَابَ،

(١) عند التبريزي: «وقال بلعاء بن قيس الكنانى». وبلعاء: شاعر محسن، كان رأس بني كنانة في حروبهم. مات قبل يوم الحرية وهو اليوم الخامس من أيام الفجار. انظر المؤلف ١٠٦.

بمعنى طَلَبَ وبمعنى نَالَ، ويقالُ: أَصْبَتْ الصَّوَابَ فَأَخْطَأْتَهُ. والجأؤاء: المخضرة، وهو من الجؤوة، يعنى اخضرار السلاح. والبسالة تستعمل في الناس وغيرهم، وهي الشجاعة. ويقال: رَجُلٌ باسل وأَسَدٌ باسِلٌ وبَسُولٌ. قال: [السريع]

[قولاً لدودان عبيد العصا] ما عَرَّكُم بِالْأَسَدِ الْبَاسِلِ

وهذا يجوز أن يكون من البَسَلِ، وهو الحرام، كأنه لتمنعه محرّم.

٣ - بِضْرَبَةٍ لَمْ تَكُنْ مِنِّي مُخَالَسَةً وَلَا تَعَجَّلْتُهَا جُبْنًا وَلَا فَرْقًا

يُقَالُ: تَعَجَّلْتُ الشَّيْءَ، أَي تَكَلَّفْتُهُ عَلَى عَجَلَةٍ. ويقال أيضًا: أَعَجَلْتُهُ واستعجلته وتعجلته بمعنى. والخَلْسُ: أَخَذَ الشَّيْءَ مَخَاتَلَةً، وقيل الاختلاسُ أَوْحَى مِنَ الْخَلْسِ. ويقال: هُوَ لَكَ خُلْسَةٌ، كَمَا يُقَالُ نُهْزَةٌ وَفُرْصَةٌ. يقول: عَشِيَّتُهُ سَيِّفًا بَانَ ضَرْبُهُ ضَرْبَةً هَكَذَا. فأما قوله لَمْ تَكُنْ مِنِّي مُخَالَسَةً، فهو خلاف قول الآخر^(١): [الهج]

وَقَدْ أَخْلَسَ الضَّرْبَ — لَا يَذْمَى لَهَا نَضْلِي

وقول الهذلي^(٢): [الطويل]

وَطَغَنَةِ خَلْسٍ قَدْ طَعَنْتَ مُرِشَةً

لأن قصد الشاعر ههنا إلى أنه تناول من خصمه ما تناول بثبوت وقوة قلب لا كما يفعله الجبان. وثم يذكر تمكّنه من خصمه على شدة احتراز منه حتى تناول ما تناوله خلْسًا. وقد وُصِفَ الشجاع بالمخالس والخليس، وكذلك المصارع. ومن مدح خصمه ثم ذكر غلبته له كان أبلغ في الافتخار به، فاعرف فرق ما بين الموضعين. وقوله: «ولا تعجلتها جبناً ولا فرقاً» يؤكّد ما ذكرناه. وانتصاب «جبناً» على أنه مفعول له، وهو الذي يُسمّى مصدرًا لعلّة. والمعنى: ولم أتكلّف عجلتها لضغف قلبي ولا لخوفي من صاحبي، وضربة الجبان أعجل وأسرع.

(١) لامرئ القيس بن عابس الكندي في اللسان (عرقب، دفنس، فقا)، وللفند الزماني في تاج العروس (دفنس)، وبلا نسبة في أساس البلاغة (فلي).

(٢) لربيع بن جحدر الهذلي في شرح أشعار الهذليين ٦٤٦، واللسان (مجب)، وتاج العروس (مجب). وعجزه:

«يمح بها عرق من الجوف قالس»

٩ - وقال ربيعة بن مقروم الضبي^(١): [الكامل]

١ - وَلَقَدْ شَهِدْتَ الْخَيْلَ يَوْمَ طَرَادِهَا بِسَلِيمٍ أَوْظَفَةِ الْقَوَائِمِ هَيْكَلِ

اطراد الماء والسراب والكلام: اتساقها على حد الاستقامة والمراد. ويقال: جَذُولٌ مطردٌ، وَبِلْدٌ طَرَادٌ، أي واسعٌ يطرد فيه السراب. وأراد بالخيل الفُرسانَ لا الأفراسَ، أَلَا تَرَى أَنَّهُ قَالَ «يَوْمَ طَرَادِهَا». والطَرَادُ من الفُرسَانِ: حَمَلُ بعضهم على بَعْضٍ. وعلى هذا ما رَوَى عن النبي ﷺ، وهو «يَا خَيْلَ اللَّهِ اركبي». والمعنى: حَضَرْتُهُمْ يَوْمَ تَطَارَدَهُمْ بِالرِّمَاحِ وَأَنَا عَلَى فَرَسٍ ضَخَمَ سَلِيمِ الْأَوْظَفَةِ مِنَ الْعُيُوبِ. ولـ «شهدت» موضعان: الحضورُ من قول الله تعالى: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التَّوْر: الآية ٢]. وقوله عز وجل: ﴿مَّا أَشْهَدُكُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الكهف: الآية ٥١]، وحينئذٍ يتعدى إلى مفعول واحد. والعِلْمُ والتبيين، على ذلك قول الله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: الآية ١٨]، وحينئذٍ يتعدى إلى مفعولين. وقد يُقَسَّمُ به كما يُقَسَّمُ بالعلم، فيقال يشهد الله كما يقال يَعْلَمُ الله. فأما شهادةُ الشاهد فلا بدُّ من القول فيها. والهَيْكَلُ أصله في البناء العظيم، ثم وُصِفَ به الفرس.

٢ - فَدَعَوْا: نَزَالٍ، فَكُنْتُ أَوَّلَ نَازِلٍ وَعَلَامَ أَزْكَبُهُ إِذَا لَمْ أَنْزِلِ

قوله: «دَعَوْا نَزَالٍ» أي صاحوا: نزال نزال. ومنه قيل لتطريب النائحة في نياحتها: التَّدْعَى. وهذا كما قال^(٢) الأعشى: [البسيط]

قَالُوا الطَّرَادَ فَقُلْنَا تِلْكَ عَادَتُنَا

وفي القرآن: ﴿وَبَاخِرُ دَعْوَتِهِمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يُونُس: الآية ١٠]. ويجوز أن يكونوا جعلوا نَزَالٍ على التوسُّع هي المَدْعُوَّة وإن كانت دُعِيَ إليها؛ وَيَشْهَدُ لهذا الوجه قولهم: [الكامل]

دُعِيَتْ نَزَالٍ وَلُجَّ فِي الدُّغْرِ^(٣)

(١) ربيعة بن مقروم الضبي: من مخضرمي الجاهلية والإسلام. وفد على كسرى في الجاهلية، وشهد بعض الفتوح في الإسلام، وحضر وقعة القادسية (ت بعد ١٦ هـ / ٦٣٧ م). ترجمته في الإصابة ٢: ٢٢٠، والشعر والشعراء ١١٥.

(٢) للأعشى في ديوانه ١١٣، وخزانة الأدب ٨: ٣٩٤، والدرر ٥: ٨٠. وعجزه:

«أَوْ تَنْزَلُونَ فَلِنَا مَعْشَرٌ نُزِّلُ»

(٣) البيت لزهير بن أبي سلمى في ديوانه ص ٨٩. وصدرة:

«وَلَنَعْمَ حَشْوُ الدَّرْعِ أَنْتَ إِذَا»

وفي القرآن: ﴿دَعُوا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ [الفرقان: الآية ١٣] ﴿لَا نَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا﴾ [الفرقان: الآية ١٤]. ونزال: اسم لانزال، مبني على الكسر، معرفة مؤنث معدول. والدلالة على تأنيثه قول زهير:

دُعَيْتَ نَزَالٍ وَلُجَّ فِي الدَّعْرِ

والمعنى: تنادوا وقالوا نزال فكنث أول النازلين. ثم قال مظهرًا لترك التحمُّد بذلك، وأنه فيما فعله كمن أذى واجبًا عليه: «وعلام أركبُه». المعنى: لأي شيء أركب فرسي إذا لم أنزل إذا دُعيت إلى النزال. و«ما» من «عَلَامَ» حذف ألفه لأنه في الاستفهام إذا اتَّصل بحرف الجر يخفَّف بالحذف، على ذلك بِمَ وَلِمَ وفيَمَ وعَمَ ومِمَّ، إلا إذا اتَّصل بدا فيقال بماذا ولماذا، لأنه يصير ماذا كالشيء الواحد فلا يغيَّر «ما»، وقوله: «وعلام أركبُه إذا لم أنزل» يجري مجرى الالتفات ويقاربه. وفائدته أنه أسقط التحمُّد بما فعله به. وفي طريقته من جهة المعنى قول الآخر: [الطويل]

ولا يَحْمَدُ القَوْمُ الكِرَامَ أَخَاهُمْ الـ عَتِيدَ السِّلَاحِ عَنْهُمْ أَنْ يَمَارِسَا

ومثل الأول قوله: [الطويل]

عَلَامَ تَقُولُ الرُّمَحُ يُثْقِلُ سَاعِدِي إِذَا أَنَا لَمْ أَطْعُنْ إِذَا الْخَيْلُ كَرَّتْ^(١)

٣ - وَالَّذِي حَسَقَ عَلَيَّ كَأَنَّمَا تَغْلِي عَدَاوَةُ صَدْرِهِ فِي مِرْجَلٍ

أخرج التشبيه ما لا يُدْرِك من العداوة بالحس إلى ما يُدْرِك من غليان القدر، حتَّى تَجَلَّى، فصارَ كالمشاهد. والألدُّ: الشديد الخصومة، كأنه لدُّ بالخصومة، أي أوجرَ فلدَّ به. ولذلك كان اللدُّ مصدر اللد. ويقال في معناه أَلْدَدُ. والَحَقْتُ: شدة الغيظ، يقال: أَخْتَفُّهُ فَحَقَّ، يقول: رُبَّ حَصَمٍ شديد الخصومة ذي غيظٍ وغضبٍ عليّ تغلي عداوته لي في صدره غليانَ المِرْجَلِ بما فيه إذا كان على النار، أنا دفعته عن نفسي. وجواب رُبَّ هو صدر البيت الثاني. والَحَتِّيُّ يجوز أن يكون من اللُّزوق، كأنَّ الحقد لَزِقَ بصدرة، ومنه يقال أَخْتَفَّتْ الدَابَّةُ، إذا ضَمَرَتْه.

(١) لعمرو بن معديكرب في ديوانه ٧٢، وخزانة الأدب ٤٣٦:٢، والدرر ٢: ٢٧٤.

٤ - أَزَجِيئُهُ عَنِّي فَأَبْصَرَ قَضْدَهُ وَكَوَيْئُهُ فَوْقَ النَوَاطِرِ مِنْ عَلٍ
ذكر بعض المتأخرين في أَرْجِيئُهُ، أن الرواية الصحيحة «أَوْجِيئُهُ» وما عداها
تصحيف. قال: وهو أفعلة من الوَجَى، وإنما أوجب ذلك ليكون قوله يَرْغِمُهُ:
«وَكَوَيْئُهُ». والمعنى: أَذْلَلْتُهُ ورددته رازحاً كزوح القَرَسِ الوَجِي. ثم أنشد قول طَرْفَةٍ
مُؤَنِّسًا به: [الطويل]

وَقَوْمٍ تَنَاهَوْا عَنْ أَذَاتِي بَعْدَمَا أَصَابَ الْوَجَى مِنْهُمْ مُشَاشَ السَّنَابِكِ
قال الشيخ: ولقد قضيت العَجَبَ من هذا المُسْتَذْرِكِ، ومن ضَلَالِهِ عن طريق
الرُّشَادِ فيما قَضَدَهُ من المعنى، ورواه في الاستشهاد، وذلك أن شعر طَرْفَةٍ إنما هو:
[الطويل]

وَمَا زَالَ شُرَيْبِي الرَّاحَ حَتَّى أَشْرَنِي صَدِيقِي وَحَتَّى سَاءَنِي بَعْضُ ذَلِكَ
وَحَتَّى يَقُولَ الْأَقْرَبُونَ نَصَاحَةً دَعِ الْغِيَّ وَاصْرِمْ حَبْلَهُ مِنْ حِبَالِكِ
وَحَتَّى تَنَاهَوْا عَنْ أَذَاتِي بَعْدَمَا أَصَابَ الْوَجَى مِنْهُمْ مُشَاشَ السَّنَابِكِ

فقوله: «حتى تناهوا» ليس مما قُسرَه واستشهد له بسبيل، إنما يُريدُ طَرْفَةُ أَنَّهُ
أَبْعَدَ غَايَتِهِ فِي الْخَسَارَةِ، وتماذى في تعاطي الصَّبَا وَالْجَهَالَةِ، فلم يُصِخْ لناصح، ولم
يَرْغَوْ لِعَازِلٍ، حَتَّى نَقُضُوا أَيْدِيَهُمْ مِنْ إِنْابَتِهِ، وَيَتَسَوَّا مِنْ قَبُولِهِ وَإِعْتَابِهِ، فَالْقَوْا حَبْلَهُ
عَلَى غَارِبِهِ: وصاروا من بين ناسٍ له إِلَى الشَّرِّ، ومسيءٍ إِلَيْهِ فِي الْقَوْلِ، وَقَازِفٍ إِثَاءً
بِالْغِيِّ، فَأَقْضَتْ بِهِمُ الْحَالُ إِلَى أَنْ تَنَاهَوْا بَعْدَ أَنْ بَلَغَ مِنْهُمْ الْعَنَاءُ كُلِّ مَبْلَغٍ، وَأَثَرُ فِيهِمُ
الْإِعْيَاءُ وَالْإِحْقَاءُ أَشَدُّ تَأْثِيرًا. أَلَا تَرَى أَنَّهُ جَعَلَ الْوَجَى فِي الْمُشَاشِ مِنَ السَّنَابِكِ مِنْهُمْ.
فهذا ما عليه في الرواية، والدُّهَابُ عَنْ طَرِيقَةِ الشَّاعِرِ. وَبَعْدُ فَإِنَّهُ لَا يَقَالُ أَوْجِيئُ
الدَّابَّةَ عَنِّي وَيُرَادُ الْإِحْقَاءُ، وَلَمْ يُسَمَّعْ فِي التَّدْلِيلِ ذِكْرَ الْحَقَى وَالْوَجَى مُسْتَعَارًا كَمَا
سَمِعَ الْكُفَى وَالْوَسْمُ فِيهِ. وَبَعْدُ الْغَوْصُ لَا يُدْرَى عَلَى مَاذَا يَهْجُمُ بِصَاحِبِهِ. وَالرَّوَايَةُ
الصَّحِيحَةُ «أَزَجَائُهُ» وَ«أَزَجِيئُهُ» وَهِيَ لُغَتَانِ، وَالْهَمْزُ أَفْصَحُ. قَدْ قُرِئَ: ﴿تَرَى مَن تَشَاءُ
مِثْنًا﴾ [الْأَحْزَابُ: الْآيَةُ ٥١] وَ﴿تَرَى﴾. وَيُرْوَى: «أَوْحِيئُهُ»، وَيُرْوَى: «أَزَجِيئُهُ»
وَالْمَعْنَى تَتَقَارَبُ فِي الْكُلِّ. يَقُولُ: رَبُّ خَضَمٍ هَكَذَا أَنَا وَحِيئُهُ عَنْ نَفْسِي وَصَرْفَتِهِ،
وَقَدْ أَبْصَرَ رُشْدَهُ، وَعَرَفَ مِقْدَارَ نَفْسِهِ، فَعَادَ إِلَيْهِ بَعْدَ أَنْ كَانَ يَشْتَطُّ فِيهَا لَهُ، وَيَتَغَابَى
عَمَّا عَلَيْهِ. وَالْقَضْدُ: مَا لَا سَرَفَ فِيهِ، وَلِذَلِكَ قِيلَ: اقْتَصِدْ فِي كَذَا، وَطَرِيقٌ قَاصِدٌ،
إِذَا كَانَ عَلَى حَدِّ الْإِسْتَوَاءِ. وَمِنْ كَلَامِهِمْ: ضَلَّ عَنْ قَضْدِ الطَّرِيقِ، كَمَا قِيلَ: ضَلَّ عَنْ

سواء السبيل. قال الراجز:

إني إذا حَارَ الجبانُ الهُدْرَةَ رَكِبْتُ من قصد الطريقِ مَنْجَرَةً^(١)

وقوله: «وكويته فوق الثواظر»، يشبهه قول الآخر: [الطويل]

ولَوْ غَيْرُ أَخَوَالِي أَرَادُوا نَقِيصَتِي جَعَلْتُ لَهُمْ فوق العرانيين مِيسَمًا^(٢)

أي كَوَيْتُهُ مِنْ عَلٍ فوق نَاطِرِهِ، أي وَسَمْتُهُ بِسَمَةٍ من الدَّلَّ اشتهر بها، ولم يمكنه إخفاؤها. ويقال لمن يَتَوَعَّد بالإذلال والتشويه: لَأَسِمَنَّكَ وَسَمًا لا يفارقُكَ. ولذلك قال جرير: [الكامل]

لَمَّا وَضَعْتُ على الفرزدق مِيسِمِي وَضَعَا الْبَعِيثُ جَدَعْتُ أَنْفَ الْأَخْطَلِ

وكما يجعلون هذه السمة في الجبين يجعلونها في الأنف، ولذلك قال الأعشى:

[الطويل]

أَنْفَ مَنْ أَنْتَ وَاسِمٌ^(٣)

وفي القرآن: ﴿سَمِئْتُ عَلَى الْغُلُوِّ ۖ﴾ [القلم: الآية ١٦]. فإن قيل: لم أتى بقوله من عَلٍ، وقد قال: فَوْقَ النواظر وَيُعْلَمُ منه أَنَّهُ أَعْلَى؟ قيل: إِنَّ التَّقديرَ كَوَيْتُهُ من عله فوقَ النواظر، أي من أَغْلَاهُ فوقَ ناظره، وفيه التَّقديم والتأخير، ولو سكت عَلَى من عَلٍ لكان يجوز أن يكون فوقَ النواظر ودونِ النواظر، لكنه بَيَّنَّ أَنَّ قَصْدَهُ إِلَى الجبين بمِيسمه. والمعنى شَهْرَتُهُ بِإِذْلالِي، وَوَسَمْتُهُ بِكَيْي حَيْثُ يَظْهَرُ لِلنَّاظِرِينَ وَلَا يَخْفَى. وانتصاب «فوق» يجوز أن يكون على الْبَدَلِ من الضمير في كَوَيْتُهُ، لأن «فوق» من الظُّرُوفِ الْمُتَمَكِّنَةِ. ويجوز أن تجعله ظرفًا تُرِيدُ كَوَيْتُهُ في هذا المكان مما علا مِنْهُ. وإنما لم يَبَيِّنْ من عَلٍ لَأَنَّهُ جَعَلَهُ نَكْرَةً، كَمَا تَقُولُ أَتَيْتَهُ قَبْلًا أَيِ أَوَّلًا، وَأَنْتَ لَا تَقْصِدُ إِلَى أَنَّهُ مُضَافٌ إِلَى مَعْرِفَةٍ مَخْصُوصَةٍ، فاعلمه ومنه: [الطويل]

كَجُلْمُودٍ صَخِرَ حَطُّهُ السَّيْلُ من عَلٍ^(٤)

(١) للحصين بن بكير الربيعي في اللسان (هدر)، والتنبية والإيضاح ٢: ٢٦٦، وبلا نسبة في اللسان (نجر).

(٢) للمتلمس في ديوانه ٢٩، والأصمعيات ٢٤٥، وخزانة الأدب ١٠: ٥٩.

(٣) ديوانه ص ٥٧ وتماه:

«... يَغْنِيكَ وَاعْمَد لغيرها بشعرك واغلب أنف من أنت واسم»

(٤) لامرئ القيس في معلقته. وصدرة:

«مَكْرَزٌ مَفْرَزٌ مَقْبِلٌ مَدْبِرٌ مَعَا»

فالكسرة في الموضعين كسرة إعراب، وإن شئت جعلته معتلًّا الآخر لا مَنقُوصًا كشَجٍّ وقَاضٍ، وجعلته في النِّيَّةِ مُضَافًا، فيكون مَعْرِفَةً وتنوَّى ضَمَّةُ البناء في موضع لاهمه، كما تنوَّها في الياء من قَاضٍ وغَازٍ إذا ناديت بهما واحدًا بعينه. وفي عليّ لَفَاتٌ كثيرةٌ، وله نَحْوٌ في البناء والإعراب لَيْسَ لأخواته من الغايات، وليس هذا موضع شرحه.

١٠ - وقال سَعْدُ بْنُ نَاشِبٍ بْنُ مَازِنٍ بْنُ عَمْرٍو

ابن تميم^(١): [الطويل]

١ - سَأَغْسِلُ عَنِّي الْعَارَ بِالسَّيْفِ جَالِيًا عَلَى قِضَاءِ اللَّهِ مَا كَانَ جَالِبًا

القضاء، أصله الحثُّ والإيجاب، ثم يستعمل في إكمال الصُّنْعِ والفِرَاقِ من الشيء. ولهذا قيل قُضِيَ قِضَاؤُكَ، أي فُرِغَ من أَمْرِكَ. وفي القرآن: ﴿فَقَضَّاهُنَّ سَبْعَ سَنَواتٍ﴾ [فُضِّلَتْ: الآية ١٢]. ويروى: «قضاء الله» بالرفع والنصب، فإذا رفعته فإنه يكون فاعلاً لِجَالِبٍ عَلَيَّ، وما كان جَالِيًا في موضع مَفْعُولِهِ، ويكون القضاء بمعنى الحكم؛ والتقدير: سأغسل العارَ عن نفسي باستعمال السيف في الأغْدَاءِ، في حال جَلَبِ حَكَمِ اللَّهِ عَلَيَّ الشَّيْءِ الذي يجلبه. وإذا نَصَبَ القضاء فإنه يكون مفعولًا لِجَالِبٍ وَفَاعِلُهُ ما كان جَالِيًا، ويكون القضاء الموت المحتوم والقَدَرُ المقدور، كما يقالُ لِلْمَصِيدِ الصَّيْدُ، وَلِلْمَخْلُوقِ الْخَلْقُ. والمعنى: جَالِيًا الْمَوْتُ عَلَيَّ جَالِيَةً. وذَكَرَ بعضهم أَنَّ «كان» من قوله ما كان جَالِيًا في معنى صار. قال: ومثله: [الطويل]

بِتَيْهَاءٍ قَفِيرٍ وَالْمَطْيُ كَأَنَّهُ قَطَا الْحَزَنِ قَدْ كَانَتْ فِرَاحًا بِيَوْضُهَا^(٢)

لأن المعنى قد صارت.

٢ - وَأَذْهَلُ عَنْ دَارِي وَأَجْعَلُ هَذَمَهَا لِعِزْضِي مِنْ بَاقِي الْمَذْمَةِ حَاجِبًا

الذهول: تَرَكَ الشَّيْءَ مَتَنَاسِيًا له ومتسليًا عنه، ومنه اشتقاق ذُهْلٍ، يقول: إذا ضاق المنزلُ بي حتى يصيرَ دارَ الهوان انتقلت عنه، وأَجْعَلُ خَرَابَهُ وقايةً لِلنَفْسِ من

(١) سعد بن ناشب: شاعر إسلامي، من الفُتَّاكِ المردة، من أهل البصرة، وهو صاحب يوم الوقيط في الإسلام بين تميم ويكر بن وائل. (ت ١١٠ هـ / ٧٢٨ م). ترجمته في (سمط اللاكبي ص ٧٩٢، والشعر والشعراء ٦٧٧).

(٢) البيت لمعمرو بن أحمر في ديوانه ص ١١٩، والحيوان ٥: ٥٧٥، وخزانة الأدب ٩: ٢٠١، وله أو لابن كنزة في شرح شواهد الإيضاح ص ٥٢٥، وبلا نسبة في أسرار العربية ١٣٧، وشرح الأشموني ١: ١١١، وشرح الحماسة للتبريزي ١: ٥٧.

العار الباقي، والدَّمّ اللاحق. وهذا قَرِيبٌ من قوله: [الكامل]

وَإِذَا نَبَا بِكَ مَنَزِلٌ فَتَحَوَّلُ^(١)

وهو ضدّ المعنى الذي يقصِدونه بالثُّبَات فيه والصُّبْر عليه، من الإقامة في دار الحفاظ والافتخار به، لأنّ الانتقال ثُمَّ هو الجالب للعار، كما أن الإقامة هنا هو الجالب. فمن ذلك قوله: [الكامل]

وَتُقِيمُ فِي دَارِ الْحِفَاطِ بُيُوتُنَا زَمْنَا وَيَظَعُنْ غَيْرُنَا لِلْأَمْرِجِ^(٢)

ومنه قوله: [البيسط]

يُقَال مَخْبِسُهَا أَذْنَى لِمَرْتَعِهَا وَإِنْ تَعَادَى بِبِكَ كُلُّ مَحْلُوبٍ^(٣)

وفي ضِدّه قوله: [الكامل]

دَارُ الْهَوَانِ لِمَنْ رَأَاهَا دَارُهُ أَقْرَاحِلٌ عَنْهَا كَمَنْ لَمْ يَرَحَلِ

وقول الآخر: [الطويل]

وَلَسْنَا بِمُحْتَلِينَ دَارَ هَضِيمَةٍ مَخَافَةَ مَوْتٍ إِنْ بَنَا نَبَتِ الدَّارُ

وانتصب «حاجبا» على أنه مفعول ثانٍ لأَجْعَلُ، لأنه بمعنى أَصِيرُ. والتقدير: أجعل هَذِمَهَا حاجِبًا لِعِزِّي، ومايَعَا من باقي الدَّم. ولـ «جعلت» غير هذا مواضع، يكون بمعنى خَلَقْتُ وأنشأت فيتعدى إلى مفعول واحد، كقول الله تعالى: ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ [الأنعام: الآية ١]؛ ويكون بمعنى سَمَّيْتُ، كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِنْدَ الرَّحْمَنِ إِنْسًا﴾ [الزخرف: الآية ١٩]؛ ويكون بمعنى ظَنَنْتُ، تَقُولُ: جَعَلْتُهُ عَبْدًا وَشَتَمْتُهُ، أي ظَنَنْتُهُ، ويكون بمعنى طَفِقَ فلا يتعدى. تقول: جَعَلَ يَكَلِّمُهُ، أي أَقْبَلَ. وعلى هذا قوله: [الطويل]

جَعَلْتُ وَمَا بِي مِنْ جَفَاءٍ وَلَا قِلَى أَزُورُكُمْ يَوْمًا وَأَهْجُرُكُمْ شَهْرًا

٣ - وَيَضْغُرُ فِي عَيْنِي تِلَادِي إِذَا أَتَيْتُ يَمِينِي بِإِذْكَ الَّذِي كُنْتُ طَالِبًا

(١) البيت لعنترة في ديوانه ص ١٧٦، ولعبد القيس بن خفاف التيمي في حماسة البحتري ص ١٧٩، وبلا نسبة في شرح التبريزي ١: ٥٨. وصدده:

«احذر محلّ السوء لا تحلل به»

(٢) للحادرة الذيباني في المفضليات ١: ٤٣. (٣) لسلامة بن جندل في المفضليات ١: ١٢٢.

أراد بقوله «يَصْغُرُ» صِغَرَ القدر وخَفَّتْه ونَزَارَتْه في الهمِّ والفِكرِ. وخصَّ «التلاد» وهو المَالُ القديم، لأنَّ النَّفْسَ بمثله أَضْنُ، وبه أَنْفَسَ، وله أَضْبَطُ. نبّه بهذا الكلام على أَنَّهُ يَخْفُفُ على قَلْبِهِ تَرْكُ الدار والوَطن خوفاً من التزام العار، كذلك يقلُّ في عينه إنفاق المالِ عند انصراف اليدِ حائزةً للمطلوب، جامعةً له. وجوابُ «إذا» قُدِّمَ عليه وهو قوله «يَصْغُرُ»، فأما قوله «كنت طاليتاً»، فقد حُذِفَ منه الضمير العائد إلى الذي، والتقدير كنت طاليتُهُ.

٤ - فَإِنْ تَهْلِمُوا بِالْغَدْرِ دَارِي فَإِنَّهَا ثَرَاتُ كَرِيمٍ لَا يُبَالِي الْعَوَاقِبَا
الهَذْمُ: القَلْعُ والتخريبُ، ويسمى المهْدوم هَذْمًا. قال: [البسيط]
كَأَنَّهُ هَذَمَ فِي الْجَفْرِ مُنْقَاضُ^(١)

وتوسَّعوا فيه فقليل للشوب الخَلْقِ هَذَمَ، وجمعه أهْدَامٌ. وقيل عَجُوزٌ متَهَذِّمَةٌ أي هَرِمَةٌ فائِئَةٍ. وَتَهَذَّمْ عليه من الْعَضْبِ، كما يقال تَهَجَّمْ. والغَدْرُ: تَرْكُ الوفاءِ، ومنه غادرته، والغدير. وكأنَّ هذا الرجل كان أَخْلًا بدارِهِ لَنائِبَةٍ نَابَتْهُ فصار يَخَاطِبُ أعداءَهُ ويريهِم قِلَّةَ فِكْرِهِ فيما تجري عليه أحواله من جهتهم، وفيما تُفْضِي عَوَاقِبُ أمرِهِ إليه معهم، فيقول: إِنْ تَخْرَبُوا دَارِي غَدْرًا مِنْكُمْ فَإِنَّهَا مِيرَاثُ رَجُلٍ هَكَذَا، ويعني بِهِ نَفْسَهُ، وَسَمَّى مِلْكَهُ مِيرَاثًا وهو حَيٌّ والمعنى أَنَّهُ سَيُورَثُ، وهذا تسمية الشَّيْءِ المُنْتَقِلِ في أيدي مَلَائِكَةٍ والمتصرِّفين فيه على التشبيه: مِيرَاثًا، وإن لم يَنْتَقِلْ بالأسباب والأنساب. على ذلك قول الله عزَّ وجل: ﴿وَاللَّهُ يَرِثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: الآية ١٨٠]، وقوله: ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَبَنَاتَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ﴾ [الأحزاب: الآية ٢٧]. وَثَرَاتٌ، أصله وَرَاثٌ، والتاء فيه كالتاء في تَكَاةٍ وَتَحْمَةٍ. وقوله: «ثَرَاتُ كَرِيمٍ» أراد بالكَرَمِ التَّنَزُّهَ عن الأقدار، والتَّبَاعُدَ مِنْ جَوَالِبِ العار. على ذلك قول الله تعالى: ﴿وَلِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان: الآية ٧٢]. وقوله: «لا يبالي العواقبا» يقال: ما بَالَيْتُهُ بَالَةً وبَالِيَةً ومِبَالَةً وبِلَاءً، وما بَالَيْتَ بِهِ. وكأنه أَخَذَ مِنَ الْبَلَاءِ، واستعمل في المفاخرة وتَعْدَادِ الْخِصَالِ الْحَسَنَةِ عند الْمُتَأَفَّرَةِ، ثم كَثُرَ استعماله حتَّى صار يُقَالُ في الاستهانة بالشَّيْءِ. ويشهد لهذا الذي قلناه قولُ الآخر: [الرجز]

مَا لِي أَرَاكَ قَائِمًا تُبَالِي وَأَنْتَ قَدْ مِتُّ مِنَ الْهُزَالِ^(٢)

(١) اللسان (هدم). وصدرة:

«تمضي إذا زجرت عن سواة قدماً»

(٢) البيت في اللسان (بلي) بلا نسبة.

أي تفاخر.

٥ - أَخِي عَزَمَاتٍ لَا يُرِيدُ عَلَى الَّذِي يَهُمُّ بِهِ مِنْ مَقْطَعِ الْأَمْرِ صَاحِبًا

يقال: ما له عزم وما له عزيمة، أي تثبت وصبر فيما يعزم عليه. وحقيقة العزم: توطين النفس وعقد القلب على ما يرى فعله، ولذلك لم يُجْزَ على الله عز وجل. والاعتزام: لزوم القصد وترك الانثناء، ولذلك قيل اعتزَمَ الفرسُ على الجري. يصف نفسه بأنه صاحب همم وأخو عزمات، مستبد برأيه فيها غير متخذ رفيقًا، ولا مستنصر أخًا وصديقًا. ومَقْطَعُ الأمرِ: أراد فضله والخروج منه. ويُرَوَّى: «أخي عَمَرَاتٍ» وهي الشدائد. ويروى: «من مَقْطَعِ الأمرِ» وهو من قَطَعَ الأمرُ وأَقْطَعَ، قَطَاعَةً وإِفْطَاعًا، وهو قَطِيعٌ ومُقْطِعٌ. أو من أَقْطَعَنِي الأمرُ فَفَقِطَعْتُ به، أي أعياني فضيقت به ذرعًا. وقوله: «صاحبًا» صفة في الأصل استُعْمِلَتْ استعمالَ الأسماءِ، فلم يَجْرِ مَجْرَى أَسْمَاءِ الفاعلين، وَيَجْرِي على طَرِيقَتِهِ قولُهُم وَالِدٌ.

٦ - إِذَا هَمَّ لَمْ تُزْدَغْ عَزِيمَةً هَمُّهُ وَلَمْ يَأْتِ مَا يَأْتِي مِنَ الْأَمْرِ هَائِبًا

الهَمُّ: ما تُجِيلُ لِفِعْلِهِ وإيقاعه فِكْرَكَ. والهَيْمَةُ: اسم الحالة التي تكون عليها في ذلك. ويقال في المَثَلِ لِمَنْ يُعَيِّرُ بِطُولِ الْأَمَلِ: «تَهُمُّ وَهَهُمُ بكَ»، ومنه المِهْمَاتُ، وهذا يخبر عن نفسه بأنه يتبع الرأي الأول. وهذا طريقةُ الْفَتَّاكِ لَأَنَ الرجوع عن الرَّأْيِ إلى غيره طريقة من يتدبَّرُ العواقبَ فَيَتْرَكَ الشَّيْءَ إلى الشَّيْءِ لما يرجوه من حُسْنِ الْمَآبِ. فقال: إِذَا هَمَّ هذا الرجلُ بِشَيْءٍ أَتَفَذَّ عَزِيمَتَهُ ولم يَزْدَغْهَا، ولم يَفْعَلْ ما يفعله خائفًا. ومثله قول الآخر: [الوافر]

جَسُورٌ لَا يَرْدَعُ عِنْدَ هَمٍّ وَلَا يَثْنِي عَزِيمَتَهُ اتِّقَاءً^(١)

ويقال: رَدَعْتُهُ فَارْتَدَعَ، أي كَفَفْتُهُ ورددته رَدْعًا. ومنه الرُّدَاعُ في الْعِلَّةِ وهو التُّكْسُ، يقالُ رُدِعَ رَدْعًا ورُدَاعًا. والهَيْبَةُ تكون من الذُّعْرِ ومن الإِجْلَالِ جميعًا، ويقال للجبان هَيُوبٌ وهَيُوبَةٌ، والهَاءُ للمبالغة، وللمحتشم مهيبٌ. وفي الحديث: «الإيمان هَيُوبٌ»^(٢). ويقال: تَهَيَّيْتُ الشَّيْءَ وَتَهَيَّيْنِي بِمَعْنَى، لَمَّا كَانَ لَا يَلْتَبِسُ، ومثله من المقلوب كثير.

(١) بلا نسبة في الحماسة للتبريزي ١: ٥٩.

(٢) رواه ابن الأثير الجزري في النهاية في غريب الحديث ٢٨٥: ٥ بلفظ (في حديث عبيد بن عمير: «الإيمان هَيُوبٌ» أي يهاب أهله) فالناس يهابون أهل الإيمان لأنهم يهابون الله تعالى.

٧ - فَيَا رِزَامَ رَشُّحُوا بِي مُقَدِّمًا إِلَى الْمَوْتِ خَوَاضًا إِلَيْهِ الْكَتَائِبُ

ويروى: «الكرائب». الفاء من قوله «فَيَا رِزَامَ» التَّيَّةُ بها استئناف ما بعدها وإن نُسِقَ بها جملة على جملة. واللام من يال رِزَامَ، هو لَامُ الاستغاثة، ورِزَامَ ينجُرُ به وهم المدعوون. وأصل حركة لام الإضافة إذا دَخَلَ على ظاهِرِ الكسر، ولهذا إذا غُطِفَ على هذه اللام بلام أخرى كُسِرَت الثانية، تقول: يا لَزِيدَ لِعَمْرٍو، ولكن هذه فُتِحَتْ لكون ما بَعْدَهَا مُنَادَى، ووقوعِ المنادى على هذا الحدِّ موقعَ المضمرات، فكما قيل لك وله، قيل يا لَزِيدَ. وقوله «رَشُّحُوا بِي مُقَدِّمًا» بكسر الدال بمعنى متقدِّمًا، فهذا كما يقال وَجَّةٌ بمعنى توجُّه، وَتَبَّهٌ بمعنى تنبُّه وَنَكَبٌ بمعنى تَنَكُّب. وعلى هذا قولهم مُقَدِّمَةُ الجِيشِ، ومن فتح الدال فالمعنى على أَنَّهُ يُقَدِّمُ لِيَقْبِيَهُمْ بنفسه. «خَوَاضًا إِلَيْهِ الْكَتَائِبُ»، انتصب الكتائب على أَنَّهُ مفعول خَوَاضٍ. ويروى «الكرائب» وهي الشدائد جمع كَرِييَّة، والأصل في الْكَرْبِ: الْعَمُّ الذي يأخذ بالنَّفْسِ. والترشيح أصله التَّثْنِيت والتَّريَّة، ومنه قيل رَشَّحَتِ الْمَرْأَةُ وَلَدَهَا إذا دَرَجَتْهُ فِي اللَّبَنِ، ثم قيل رَشَّحَ فُلَانٌ لَكَذَا، تَوْسَعًا. ومعنى البيت: يا بني رِزَامَ هَيِّثُوا بِي رَجُلًا يَتَقَدَّمُ إِلَى الْمَوْتِ وَلَا يَحِيدُ عَنْهُ، مُقْتَحِمًا الْجِيُوشَ وَالشَّدَائِدَ غَيْرَ مُتَنَكِّبٍ وَلَا حَائِدٍ. ويروى: «رَشُّحُوا بِي مُقَدِّمًا»، وتلخيصه: رَشُّحُوا بِتَرْشِيحِكُمْ رَجُلًا هَذِهِ صَفَتُهُ، فَأَقَامَ الصِّفَةَ مَقَامَ الْمَوْصُوفِ.

٨ - إِذَا هَمَّ أَلْقَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ عَزْمَهُ وَنَكَبَ عَنْ ذِكْرِ الْعَوَاقِبِ جَانِبًا

قوله: «أَلْقَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ عَزْمَهُ»، أي جعله بمرأى منه لا يَغْفُلُ عَنْهُ، وقد طابَقَ فِي الْمَعْنَى لَمَّا قَابَلَ قَوْلُهُ أَلْقَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ عَزْمَهُ، بقوله: نَكَبَ عَنْ ذِكْرِ الْعَوَاقِبِ جَانِبًا. ومثله قول الآخر: [الطويل]

وَلَا نَاطِرٌ عِنْدَ الْوَعَى فِي الْعَوَاقِبِ

وانتصب «جَانِبًا» عَلَى أَنَّهُ ظَرْفٌ. وَنَكَبَ يَكُونُ بِمَعْنَى تَنَكَّبَ. وَالْمَعْنَى أَنَّهُ إِذَا هَمَّ بِالشَّيْءِ جَعَلَهُ نَضَبَ عَيْنَيْهِ إِلَى أَنْ يَنْقُذَ فِيهِ وَيُخْرِجَ مِنْهُ، وَيَصِيرُ فِي جَانِبٍ مِنَ الْفِكْرِ فِي الْعَوَاقِبِ. وَيَجُوزُ أَنْ يَنْتَصِبَ جَانِبًا عَلَى الْمَفْعُولِ، وَيَكُونُ نَكَبَ بِمَعْنَى حَرَفَ. وَالْمُرَادُ انْحَرَفَ عَنْ ذِكْرِ الْعَوَاقِبِ وَطَوَى كَشْحَهُ دُونَهُ. وَسُمِّيَ الْمَعْزُومُ عَلَيْهِ عَزْمًا عَلَى عَادَةِ الْعَرَبِ فِي وَصْفِ الْفَاعِلِ وَالْمَفْعُولِ بِالْمَصَادِرِ.

٩ - ولم يَسْتَشِيرْ فِي أَمْرِهِ غَيْرَ نَفْسِهِ وَلَمْ يَرْضَ إِلَّا قَائِمَ السَّيْفِ صَاحِبًا^(١)

مِثْلُ الْمِصْرَاعِ الْأَوَّلِ قَوْلِ ابْنِ مَرْزُوقٍ: [الطويل]

وَلَا يَنْتَحِجِي الْأَذْنَيْنِ فِيمَا يُحَاوِلُ

وَيُقَارِبُ الثَّانِي قَوْلَ الْآخَرِ: [الطويل]

فَفِي السَّيْفِ مَوْلى نَضْرُهُ لَا يُحَارِدُ

والشاعر يصف استبداده وتفردّه عندما يذهب بما يأتيه فغلاً ورأياً. وإنما نبّه على الرأي بقوله: «لَمْ يَسْتَشِيرْ»، وعلى الفعل بقوله: «وَلَمْ يَرْضَ إِلَّا قَائِمَ السَّيْفِ صَاحِبًا». وانتصب قائم على أنّه استثناء مقدّم، ألا تَرَى أَن الْأَصْلَ وَلَمْ يَرْضَ صَاحِبًا إِلَّا قَائِمَ السَّيْفِ، ولو أتى على هذا لكان الوجه أين يكون بدلاً، فقدم المستثنى كما ترى.

١١ - وَقَالَ تَأْبَطُ شَرًّا^(٢): [الطويل]

١ - إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَخْتَلْ وَقَدْ جَدَّ جِدُّهُ أَضَاعَ وَقَاسَى أَمْرَهُ وَهُوَ مُذْبِرٌ

قوله: «لَمْ يَخْتَلْ» ذهب بعضهم إلى أن الحيلة مأخوذة من قولهم حَالُ الشَّيْءِ، أي انقلب عن جهته، كأنَّ صَاحِبَهَا يريد أن يستنبط ما يحول عند غيره ولذلك قيل: فَلَا نَحُولَ قُلُوبٍ. وقوله «جَدَّ جِدُّهُ» أي ازداد جدّه جدّاً. ويكون مثل قوله: [الطويل]

حَتَّى اسْتَدَقَّ نُحُولُهَا^(٣)

المعنى ازداد دَقِيقُهَا دَقَّةً، ويجوز أن يكون المعنى صار غَيْرُ الْجَدِّ جَدّاً بماله، وهذا كما يقال رِيعَ رَوْعُهُ، وَخَرَجَتْ خَوَارِجُهُ، وَجُنَّ جُنُونُهُ، وقال الهذلي: [البيسيط]

يُذْعَوْنَ حُمْسًا وَلَمْ يَرْتَعْ لَهُمْ فَرْغٌ

وإنما هو رِيعُ أَمْنِهِ، وَخَرَجَتْ دَوَاخِلُهُ، وَلَمْ يَرْتَعْ لَهُمْ أَمْنٌ. فَسَمَى الشَّيْءَ بِمَا آلَ إِلَيْهِ. وقوله «أَضَاعَ» يجوز أن يكون معناه وَجَدَ أَمْرَهُ ضائعاً، ويجوز أن يكون بمعنى

(١) في رواية التبريزي: «ولم يستشر في رأيه».

(٢) تأبط شراً: هو ثابت بن جابر بن سفيان، من مضر، شاعر عداء من فتاك العرب في الجاهلية. (ت ٨٠ ق. هـ، ٥٤٠ م). ترجمته في: الشعر الشعراء ٢٧١، والأغاني ١٨: ٢٠٩.

(٣) هذا البيت لأبي ذؤيب الهذلي في شرح أشعار الهذليين ١٧٥، واللسان (نحل، عجم). وتماهه: «وكنث كعظم العاجمات اكتنفته بأطرافها حتى استدقّ نحولها»

ضَيِّعَ. ويقال: ضاع الشيء ضَيْعَةً وضَيَاعًا، وتَزَكَّهم بضَيْعَةٍ ومَضِيْعَةٍ. وإذا أَخَذَ الرَّجُلُ فيما لا يَغْنِيهِ، قيل: فَشَّتْ عَلَيْهِ الضَّيْعَةُ. ويقاربه قولهم: [السريع]

أَتَسَّعَ الْحَزَقُ عَلَى الرَّاقِعِ^(١)

وقوله: «وهو مُذْبِرٌ» يجوز أن يكون الضمير للأمر، والمعنى قاسى أمره، أي شَقِيَ به وهو مُؤَلٌّ فائتٌ. ويجوز أن يكون الضمير للمرء، والمعنى عَالَجَ أمره وكابَذَه مُذْبِرًا فيه غير مُقْبِلٍ ولا مُنْصَوِرٍ، ومعنى البيت إذا الرَّجُلُ لم يَطْلُبْ رَشْدَهُ ولم يُنْفِذِ الحيلةَ في إِصْلَاحِ أمرِهِ، في الوقت الذي يجب أن يَفْعَلَهُ، وقد صار الأمرُ جِدًّا لا شُبْهَةً فيه، عَالَجَهُ وهو هَكَذَا، أو عَالَجَهُ والأمر هَكَذَا. ومثله: [الطويل]

ولَكِنْ مَنْ لَا يَلْقُ أَمْرًا يَثْوِيهِ بَعْدَتِهِ يَنْزِلُ بِهِ وَهُوَ أَعَزَلُ

٢ - وَلَكِنْ أَخُو الْحَزْمِ الَّذِي لَيْسَ نَازِلًا بِهِ الْخَطْبُ إِلَّا وَهُوَ لِلْقَصْدِ مُبْصِرُ

السائر عنهم في مَثَلٍ قولهم: «رَوَيْتُ حَزْمًا، فإذا رَوَاتُ فاعزِمُ»، فيقول: صاحبُ الحَزْمِ هو الذي يَسْتَعِدُّ للأمر قبل نزوله، ويدبُرُهُ قبل فَوْتِهِ، حتى إذا نَزَلَ به يَكُونُ عَارِفًا بالقصة فيه، سَالِكًا لِلوَجْهِ الذي يَفْصِلُهُ مِنْهُ. وهذا كما قيل في المَثَلِ: «قَبْلَ الرَّمَاءِ ثُمْلًا الْكَثَائِنُ». والحَزْمُ في اللغة: الشَّدُّ والضَبْطُ، ومنه الحِزَامُ، والحَزْمَةُ، والحِزْوَمُ، والمَحْزَمُ: والخَطْبُ: الأمر المطلوب، ويقال: حَظَبْتُ الأَمْرَ فَأَخْطَبْتُ، كما تقول طَلَبْتُهُ فَأَطْلَبْتُ.

٣ - فَذَاكَ قَرِيعُ الدَّهْرِ مَا عَاشَ حَوْلَ إِذَا سُدَّ مِنْهُ مَنَخِرُ جَاشٍ مَنَخِرُ

«ذَاكَ» أشار به إلى أخِي الحَزْمِ. و«قَرِيعُ الدَّهْرِ» يحتمل وجهين: يجوز أن يكون في معنى مختار الدهر، ويكون من قَرَعْتُ الشَّيْءَ أي اخْتَرْتُهُ وَخَصَصْتُهُ بِقَرَعَتِي، ويقال: هو قَرِيعُهُمْ وقَرِيعَتُهُمْ وقَرِيعُهُمْ بمعنى واحد. ويجوز أن يكون بمعنى مَنْ قَرَعَهُ الدهر بنوائبه حتى جَرَّبَ وَتَبَصَّرَ. ويكون قَرِيعٌ في الوجهين فَعِيلًا في معنى مفعول. ولا يمتنع أن يكون المراد بقَرِيعِ الدهرِ فَخْلُ الدهرِ، ويكون في هذا الوجه قَرِيعٌ في معنى فاعل، لأنه يَقْرَعُ الناقة أي يضربها. وما تَقَدَّمَ أَحْسَنُ. وقوله «ما عاش» في

(١) البيت لشقران السلمي في المجتنى لابن دريد ص ٧٨، أو لابن حمام الأزدي في المؤلف ٩٢. وصدرة:

موضع الظرف، والمعنى مُدَّة عَيْشِهِ. وقوله «إِذَا سُدَّ مِنْهُ مَنَخَرٌ» مَثَلٌ لِلْمَكْرُوبِ الْمُضْطَّقِ عَلَيْهِ، وهذا كما استعمل فيه الْخَنْقُ وَالْخِنَاقُ. وأصل المنخر في الأنف من النخير؛ ويسمى الثُّخْرَةُ أَيْضًا. والجميع الثُّخَرُ. والنخير: مَدُّ النَّفْسِ، ومنه نَخِيرُ الْحِمَارِ. وقيل: تُخْرَتَا الْأَنْفِ: حَزَفَاهُ. وَجَاشَتِ الْقِدْرُ: غَلَّتْ. وَجَاشَ الْبَحْرُ: اهْتَجَّ، وَأَصْلُهُ التَّحْرُكُ فِي الْمَوْضِعَيْنِ وَالْاضْطِرَابُ: ومنه الجيش وَاحِدُ الْجِيُوشِ. والمعنى: لافْتِنَانِهِ فِي الْحَيْلِ لَا يُوْخَذُ عَلَيْهِ طَرِيقٌ إِلَّا نَفَذَ فِي آخَرٍ. و«الْحَوْلُ»: الكثير التحول في الأمور. ويقال هو قُلُوبٌ وَحَوْلٌ، وفي معناه رَجُلٌ حَوْلٌ وَحَوَالِيٍّ. قال ابن أحمر^(١):

[السريع]

أَوْ يُنْسِئَنَّ يَوْمِي إِلَى غَيْرِهِ أَتِي حَوَالِيٍّ وَأَتِي حَلِيزِ

ويقال: هو ذو حَوْلٍ وَحَوِيلٍ، وفي المثل: «لو كان ذا حيلة تحوّل». فأما قولهم: هو ذو مَخَلَّةٍ، فهو في معنى مَخَالَةٍ، وَلَيْسَ مِنْ بَنَائِهِ، لأن الميم في مَخَلَّةٍ أصلية، وفي مَخَالَةٍ زائدة.

٤ - أَقُولُ لِلْخِيَانِ وَقَدْ صَفِرَتْ لَهُمْ وَطَائِبِي وَيَوْمِي ضَيِّقُ الْحَجَرِ مُغَوِّرُ^(٢)

من كلامهم: «نعوذ بالله من صَفَرِ الْإِنَاءِ، وَفَرَعِ الْفِنَاءِ». وهذه الاستعارة من شُمُولِ الْقَحْطِ وَهَلَاكِ الْمَالِ. وَلِخِيَانِ: بَطْنٌ مِنْ هَذَيْلٍ كَانَ تَأَبَّطَ شَرًّا رَاغِمَهُمْ وَوَتَرَهُمْ، فَكَانُوا يَطْلُبُونَ غَفْلَتَهُ، حَتَّى اتَّفَقَ مِنْهُ الصُّعُودُ إِلَى الْجَبَلِ الَّذِي وَصَفَهُ لِيَشْتَارَ الْعَسَلَ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ إِلَّا طَرِيقٌ وَاحِدٌ، فَجَاؤُوا وَأَخَذُوا عَلَيْهِ ذَلِكَ الطَّرِيقَ، فَقَالَ: أَقُولُ لَهُمْ، يَعْنِي عِنْدَ مَخَاطَبَتِهِ إِيَّاهُمْ وَهُوَ عَلَى الْجَبَلِ. وقوله: «وقد صَفِرَتْ لَهُمْ وَطَائِبِي» يَحْتَمِلُ وَجُوهًا: يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى وَقَدْ خَلَا قَلْبِي مِنْ وَدْهِمْ. وَبَعْضُهُمْ يَسْتَضَعِفُ هَذَا وَيَقُولُ: وَمَتَى كَانَ يَوْمُهُمْ؟ وَهَذَا اللَّفْظُ كَيْفَ يَفِيدُ هَذَا الْمَعْنَى. وَيُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ فِي ذَلِكَ إِنَّمَا أَرَادَ وَطَابَ وَدِّي. وَهَذَا كَمَا قَالَ بَشَرُ:

[الوافر]

وَإِذْ صَفِرَتْ عِيَابُ الْوُدِّ مِنْكُمْ وَلَمْ يَكْ بَيْنَنَا فِيهَا ذِمَامُ^(٣)

(١) البيت في اللسان (حول) لابن أحمر أو للمرار بن منقذ العدوي، وفي التبريزي «نَيْسَانُ».

(٢) في التبريزي ١: ٦٣ «ضَيِّقُ الْجُرْحِ»: مَثَلٌ ضَرِبَهُ لَضَيِّقِ مُنْقِذِهِ وَتَخَوُّفِ ظَفَرِ الْأَعْدَاءِ بِهِ، وَالْخَائِفِ مُضْطَّقٍ عَلَيْهِ وَإِنْ كَانَ فِي فِضَاءِ اللَّهِ.

(٣) له في المفضليات ٢: ١٣٥.

كَأَنَّهُ تَبَيَّنَ مِنْهُمْ أَنَّهُمْ لَا يُبَيِّنُونَ عَلَيْهِ، وَلَا يَرَعُونَ ذِمَامًا لَهُ، فَلَا رِعَاةَ وَلَا رِقَّةَ لَدَيْهِمْ، وَلَا بُقْيَا وَلَا مَحَافِظَةً عِنْدَهُمْ، فَصَارَ اعْتِقَادُهُ فِيهِمْ كَمَا بَانَ لَهُ اعْتِقَادُهُمْ فِيهِ. فَلِهَذَا قَالَ مَا قَالَ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى أَشْرَفْتُ نَفْسِي، بِسَبَبِهِمْ وَلِتَعَرُّضِهِمْ وَهَمُّهُمْ بِانْتِهَازِ الْفُرْصَةِ لِمَا أَمَكْنَهُمْ، عَلَى الْهَلَاكِ. وَيَكُونُ هَذَا مِنْ قَوْلِهِ: [الوافر]

وَلَوْ أَدْرَكْنَاهُ صَفِيرَ الْوِطَابِ^(١)

وَفِي طَرِيقَتِهِ قَوْلُ الْآخِرِ^(٢): [الطويل]

هَزَقْنَ بِسَاحِقٍ جَفَانًا كَثِيرَةً وَأَذَيْنَ أُخْرَى مِنْ حَقِيقٍ وَحَازِرٍ
وَقَالَ غَيْرُهُ: [البسيط]

يَا جَفَنَةً كَنْضِيجِ الْحَوْضِ قَدْ كُفِنْتُ بِثَنِي صَفِينٍ يعلو فوقها القُتْرُ^(٣)

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَشَارَ بِالْوِطَابِ إِلَى الْجِسْمِ، أَيْ كَادَ تَفَارَقَهُ الرُّوحُ. وَهَذَا كَمَا يُقَالُ: الْإِنْسَانُ: زَقٌّ مُنْفُوخٌ. وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ الْإِشَارَةُ إِلَى ظُرُوفِ الْعَسَلِ الَّتِي اشْتَارَهَا لِأَنَّهُ لَمَّا تَبَيَّنَ قَضْدُهُمْ لِقَتْلِهِ وَتَرْكُهُمْ مَسَامَحَتَهُ صَبَّ الْعَسَلِ عَلَى الْجَبَلِ مِنَ الْجَانِبِ الْآخِرِ وَرَكِبَهُ مَتَرَلِّقًا عَلَيْهِ، حَتَّى لَحِقَ بِالسَّهْلِ. قَوْلُهُ: «وَيُؤْمِي صَبِيقُ الْحَجَرِ مُعَوَّرٌ»، أَيْ صَبِيقُ النَّاحِيَةِ مُمَكَّنٌ. وَيُقَالُ فِي الْحَجَرِ الْحَجَرَةُ أَيْضًا. وَفِي الْمَثَلِ: «يَرِبُضُ حَجَرَةٌ وَيَزْعِي وَسَطًا». وَمُعَوَّرٌ، مِنْ أَعَوَّرَ لَكَ الشَّيْءَ، إِذَا بَدَتْ لَكَ عَوْرَتُهُ، وَهِيَ مَوْضِعُ الْمُخَافَةِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْحِكَايَةِ عَنِ الْمُنَافِقِينَ لَمَّا قَعَدُوا عَنْ نُصْرَةِ النَّبِيِّ ﷺ: ﴿إِنَّ يُونُسَ عَوْرَةً﴾ [الْأَحْزَابُ: الْآيَةُ ١٣] أَيْ وَاهِيَةً يَجِبُ سَتْرُهَا وَتَحْصِيئُهَا بِالرَّجَالِ، وَكَمَا قِيلَ يَوْمَ مُعَوَّرٍ قِيلَ مَكَانَ مُعَوَّرٍ، أَيْ مَخُوفٍ. وَيُقَالُ: عَوَّرَ الْمَكَانَ إِذَا صَارَ كَذَلِكَ، وَقُرِءَ: ﴿إِنَّ يُونُسَ عَوْرَةً﴾. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: كُلُّ مَا طَلَبْتَهُ فَأَمَكَّنَكَ فَقَدْ أَعَوَّرَكَ وَأَعَوَّرَ لَكَ. وَمَعْنَى الْبَيْتِ: أَقُولُ لِهَؤُلَاءِ الْقَوْمِ وَالْحَالِ هَذَا، وَهُوَ أَنِّي قَدْ جَعَلْتُ لِنَفْسِي طَرِيقًا إِلَى الْخَلَّاصِ مِنْهُمْ أَوْ أَنِّي أَشْرَفْتُ عَلَى الْهَلَاكِ وَالْيَوْمُ يَوْمٌ شَدِيدٌ عَسِيرٌ.

(١) الْبَيْتُ لَامِرِي الْقَيْسِ فِي دِيَوَانِهِ ١٦٠. وَصَدْرُهُ:

«وَأَفْلَسْتُهُنَّ عِلْبَاءَ جَرِيضًا»

(٢) لِسْلَمَةُ بْنُ الْخَرْشَبِ الْأَنْمَارِيِّ فِي تَاجِ الْعُرُوسِ (هَرَقٌ) وَالْمُفْضَلِيَّاتُ ٢٦: ١.

(٣) لِأَمِي زَيْدِ الطَّائِي ٦٩، وَالْمَعَانِي الْكَبِيرُ ٨٨٦.

٥ - هُمَا خُطَطَا إِمَّا إِسَارٌ وَمِئَةٌ وَإِمَّا دَمٌ وَالْقَتْلُ بِالْحَرِّ أَجْدَرُ
 الخُطَّةُ مأخوذةٌ من الخطِّ، وهي تجري مجرى القِصَّة، وإن كان لها مواضع
 تنفرد بها، وحذف النون من «خُطَطَا» إذا رَفَعْتَ «إِمَّا إِسَارٌ» استطالةً للاسم، كأنه
 استطال خُطَطَا ببذله وهو قوله إِمَّا إِسَارٌ، كما استطال الشاعرُ الآخرُ الموصول بصلته،
 والموصوفُ بصفته فقال: [الكامل]

أَبْنِي كَلِيبَ إِنْ عَمِي اللَّذَا قَتَلَا الْمُلُوكَ وَفَكَكَا الْأَغْلَالَا^(١)

فحذف النون من اللَّذَا. ومثله في الحذف قول الآخر: [المقارب]

لَهَا مَثْنَتَانِ خَطَّاتَا كَمَا أَكَبَّ عَلَى سَاعِدَيْهِ النُّجْمُ^(٢)

فحذف النون من خطَّاتَا. وقول الآخر: [الطويل]

لَنَا أَعْزُزٌ لُبْنٌ ثَلَاثٌ فَبَغَضُهَا لِأَوْلَادِهَا ثُنْتَا وَمَا بَيْنَنَا عَثْرُ^(٣)

ويجوز أن يكون الحذف على وجه الحكاية، كأنه قال: هُمَا خُطَطَا قولُكم إِمَّا
 كَذَا وَإِمَّا كَذَا، فلما نَوَى ذلك حَذَفَ النونَ للإضافة. وكأنهم كانوا يُدِيرُونَهُ عَلَى
 الْخَصْلَتَيْنِ، فأخذ يتهم عليهما ويحكي مقالتهما، ونحوه قولُ الخليلِ في قوله: ﴿ثُمَّ
 لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عَيْنًا﴾ [مريم: الآية ٦٩]، قال معناه
 لَنَنْزِعَنَّ مِنَ الْمُتَشَابِعِينَ الَّذِي يَقَالُ لَعْتَوْهُ أَيُّهُمْ أَشَدُّ؛ فَحَكَى. وقوله: [الكامل]

فَأَبِيتُ لَا حَرِجَ وَلَا مَخْرُومُ^(٤)

وإذا جَرَزْتَ «إِمَّا إِسَارٍ» يكون حذف النون لنية الإضافة، والتقدير: هُمَا خُطَطَا
 إِسَارٍ وَمِئَةٌ. والمعنى: ليس لي إلا واحدةٌ من خَصْلَتَيْنِ اثنتين على زُعَمِكم: إما
 استئسارٌ والتزامٌ مِنِّيكم إن رأيتُم العفو، وإِمَّا قَتْلٌ وهو بالحرِّ أَجْدَرُ من التعرُّض لما

(١) البيت للأخطل في ديوانه ص ٣٨٧، والأزهية ٢٩٦، والاشتقاق ص ٣٣٨، والكتاب ١: ١٨٦،
 وبلا نسبة في الأشباه والنظائر ٣٦٢: ٢، وخزانة الأدب ١٠: ٨، وشرح التبريزي ١: ٦٣.

(٢) لامرئ القيس في ديوانه ص ١٦٤، وخزانة الأدب ٧: ٥٠٠، وشرح اختيارات المفضل ٢: ٩٢٣.

(٣) بلا نسبة في خزانة الأدب ٧: ٥٨٠، والخصائص ٢: ٤٣٠، وسر صناعة الإعراب ٢: ٤٨٧،
 والتبريزي ١: ٦٤.

(٤) للأخطل في ديوانه ٦١٦، وخزانة الأدب ٣: ٢٥٤، وشرح المفضل ٣: ١٤٦، واللسان (ضم).

وصلره:

«ولقد أبيت من الفتاة بمنزلي»

يُخْزِيهِ وَيُكْسِبُهُ الذِّلَّ. فهاتان الحَصلتان هما اللتان أشار إليهما بقوله هما خُطْتان؛ وقد ثلَّثهما بخطَّة أخرى ذكرها فيما بعد. وفي هذا الكلام تهكُّم وهُزء. وقوله: «والقتل بالحرِّ أجدر» يسمَّى اعتراضاً لوقوعه بين ما عدَّه من الخصال.

٦ - وَأُخْرَى أَصَادِي النَّفْسِ عَنْهَا وَإِنِّهَا لَمَوْرِدُ حَزْمٍ إِنْ فَعَلْتُ وَمَصْدَرُ

المصاداة: إدارة الرَّأي في تدبير الشيء والإتيانُ به على اتِّقْيهِ، ومنه يقال: إنَّه لَصَدَى مال، إذا كان حَسَنَ القيام به. يقول: وهلْنا خَصْلَةٌ أُخْرَى أَدَارِي نَفْسِي فِيهَا، وَأُدَاوِرُهَا عَلَيْهَا، وَإِنِّهَا لِلْمَوْضِعِ الَّذِي يَرُدُّهُ الْحَزْمُ وَيَصْدُرُّ عَنْهُ إِنْ فَعَلْتُ. وهذا إِنَّمَا قَسَمَ الْكَلَامَ هَذِهِ الْأَقْسَامَ لِأَنَّهُ رَأَى أَنَّهُ يَبْنُونَ أَمْرَهُ عَلَيْهَا، وَلِأَنَّهُ نَظَرَ إِلَى جِهَتِي الْجَبَلِ فَعَلِمَ أَنَّهُ إِنْ رَضِيَ الطَّرِيقَ الَّتِي عَلَيْهَا بَنُو لِحْيَانَ لِنَفْسِهِ طَرِيقًا كَانَ فِيهَا إِحْدَى الْحَالَتَيْنِ: مِنَ الْأَشْرِ أَوْ الْقَتْلِ، عَلَى مَا كَانُوا يَزْعُمُونَ وَيَقُولُونَ. وَإِنْ احْتَالَ لِلْجِهَةِ الْأُخْرَى وَالْحَزْمُ فِيهَا، لِأَنَّهُ خَلَّصَهُ مِنْهَا، كَانَ أَمْرًا ثَالِثًا. ثُمَّ اقْتَصَصَ مَا فَعَلَهُ. وقوله «وإنَّها لموردُ حزم» اعتراضٌ أيضًا، لوقوعه بين قوله وأخرى أصادي النفس عنها، وبين تبين كيفية مزاولته لها وشرجها.

٧ - فَرَشْتُ لَهَا صَدْرِي فَرَلْتُ عَنِ الصِّفَا بِهِ جَوْجُؤُ عَيْلٍ وَمَثْنٌ مُخْصَرُ

الفرش: البَسْط، ثم توسَّعوا فيه فقالوا: فَرَشْتُهُ أَمْرِي، وافترش لسانه فتكلَّم كيف شاء. وقوله «لها» الضمير للخصلة التي عبَّر عنها بقوله «وأخرى». يقول: فَرَشْتُ مِنْ أَجْلِ هَذِهِ الْخُطَّةِ صَدْرِي عَلَى الصِّفَا. وهذا حين صَبَّ الْعَسَلُ فَرَلَقَ بِهِ عَنِ الصِّفَا. أَي بِصَدْرِهِ صَدْرٌ ضَخْمٌ وَمَثْنٌ دَقِيقٌ، وَالصَّدْرُ وَالْمَثْنُ صَدْرُهُ وَمَثْنُهُ، وَلَكِنْ أَخْرَجَهُ مَخْرَجَ قَوْلِهِمْ: لَقِيْتُ بِزَيْدِ الْأَسَدِ، وَزَيْدٌ هُوَ الْأَسَدُ عِنْدَهُمْ. وَوَضَعَ فَرَشْتُ مَوْضِعَ أَلْقَيْتُ وَوَضَعْتُ. وَيُقَالُ: فَرَشْتُ سَاحَتِي بِالْأَجْرِ، وافترشت الشاة للذَّبْحِ إِذَا أَضْجَعْتَهَا. وَذَكَرَ بَعْضُهُمْ أَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الضَّمِيرُ مِنْ «لَهَا» لِلصِّفَاةِ، وَالْكَلِمَةُ مَقْلُوبَةٌ، وَالْمَعْنَى فَرَشْتُهَا لَصَدْرِي. وَفِي هَذَا إِضْمَارٌ قَبْلَ الذِّكْرِ وَالْقَلْبِ، وَإِذَا كَانَ كَذَا فَلَاوُلُ هُوَ الْوَجْه.

٨ - فَخَالَطَ سَهْلَ الْأَرْضِ لَمْ يَكْدَحِ الصِّفَا بِهِ كَذْحَةُ وَالْمَوْتُ خَرْيَانُ يَنْظُرُ

الخلط أصله تداخل أجزاء الشيء في الشيء، وقد توسَّع فيه حتَّى قيل: رَجُلٌ خَلِطٌ، إِذَا اخْتَلَطَ بِالنَّاسِ كَثِيرًا. وجاء في الحديث: «لَا خِلَاطَ وَلَا وِرَاطَ»^(١)، وفي

(١) رواه ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث ٥ : ١٧٤.

المثل: «ليس أَوَّانَ يُكَرُّهُ الْخِلَاطُ». يقول: أَسْهَلْتُ ولم يؤثر الصِّفا في صدري أثرًا، لَا خَذْشًا وَلَا خَمْشًا، والموت كَانَ طَمِعَ فِيّ، فلما رَأَيْتُ وقد تَخَلَّصْتُ بقي مُسْتَحْيَا ينظُر ويتحير. والواو من قَوْلِهِ «والموت» وأو الحال. وهذا من فصيح الكلام، ومن الاستعارات المليحة. وقد حُمِلَ قولُ الله عز وجل: ﴿وَأَنشَرِ جَيْدًا نُّظْرُونَ﴾ [الواقعة: الآية ٨٤] على أن يكون. المعنى تحيرون. وقد سَلَكَ أَبُو تَمَّامٍ مَسْلَكَ هذه الاستعارة فقال:

إِنْ تَنَقَّلْتُ وَأَتَوَفَّ الْمَوْتَ رَاغِمَةً^(١)

ويقال إنَّ الموضع الذي يقع عليه كان بينه وبين الطريق الذي عليه بنو لحيان أَمِيالًا عِدَّةً. وقوله «يَنْظُر» يجوز أن يكون في موضع الحال ويجوز أن يكون خَبَرًا بعد خَبَرٍ، ويكون معناه في مَقَابَلَتِي. ويقال: يُبَوِّثُهُمْ تَتَنَاطَرُ، إذا تَقَابَلَتْ، لَأَنَّ النَّظَرَ تَقْلِيلُ الْعَيْنِ نَحْوَ الْمَرِيِّ وفي مقابلته. لذلك صَحَّ أن يقال للأَعْمَى: نَظَّرْ إِلَيَّ، ويجوز أن يكون معنى يَنْظُرُ يَعْلَمُ حُسْنَ جِيلَتِي وَغَنَائِي فيما يَدَهْمُنِي. وفُسِّرَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يُسَافِرُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ [الأنفال: الآية ٦]، أي يعلمون ذلك ويتيقنون. وقوله «لم يَكْذَحِ الصِّفَا» قيل: الكَذْحُ بِالْأَسْنَانِ وَالْحَجَرِ دُونَ الْكَذْمِ، ومنه قيل المَكْذَحُ الْمَكْذَمُ فِي حِمَارِ الْوَحْشِ، لتعريض بعضها بَعْضًا. وقوله «خَزَيَانُ» يجوز أن يكون من الْخِزْي: الْهَوَانِ، ويجوز أن يكون مِنَ الْخَزَايَةِ: الاستحياء.

٩ - فَأَبْتُ إِلَى فَهْمٍ وَلَمْ أَكُ آيِبًا وَكَمْ مِثْلُهَا فَارَقْتُهَا وَهِيَ تَضْفِرُ^(٢)

يقول: رجعتُ إِلَى قَبِيلَتِي فَهْمٌ، وَكَذْتُ لَا أَزُوبُ، لَأَنِّي شَافَهُتُ التَّلَفَ. ويجوز أن يُرِيدَ: وَلَمْ أَكُ آيِبًا فِي تَقْدِيرِهِمْ وَظَنِّهِمْ. واختار بعضهم أن يُرَوَى: «فَأَبْتُ إِلَى فَهْمٍ وَمَا كَذْتُ آيِبًا» وقال: كَذَا وَجَدْتُهُ فِي أَصْلِ شِعْرِهِ. قال: ومثله في أَنَّهُ رَدَّ إِلَى الْأَصْلِ وَوَضَعَ اسْمَ الْفَاعِلِ مُوَضَّعَ الْفِعْلِ قَوْلُ الْآخِرِ: [الرجز]

أَكْثَرْتُ فِي الْعَذْلِ مُلِحًا دَائِمًا لَا تُكْثِرُنْ إِنِّي عَسَيْتُ صَائِمًا^(٣)

(١) ديوانه ٩٨، وعجزه:

«فأذهب فأنت طليق الركض يا لبد»

(٢) في التبريزي ضبطت «كم ومثلها».

(٣) الرجز لرؤية في ملحقات ديوانه ص ١٨٥، وخزانة الأدب ٣١٦: ٩، والخصائص ٨٣: ١،

والدرر ١٤٩: ٢، وبلا نسبة في تخلص الشواهد ٣٠٩، وشرح التبريزي ٦٥: ١.

والمثل السائر: «عَسَى الْغَوِيرُ أَبُوسًا»^(١). ولا أدري لِمَ اختار هذه الرواية! إلَّا أنَّ فيها ما هو مَرْفُوضٌ في الاستعمال شاذٌّ؟ أم لآثِه غَلَبَ في نَفْسِهِ أنَّ الشاعرَ كذا قالَه في الأضلِّ؟ وكلاهما لا يُوجِبُ الاختيار. عَلَى أَنِّي قد نَظَرْتُ فوجدتُ أبا تَمَامٍ قد غَيَّرَ كثيرًا من ألفاظ البيوت التي اشتملَ عليها هذا الكتاب، ولعلَّه لو أنشَرَ اللهُ الشُعراء الذين قالوها لتبعوه وسَلَمُوا له. ويُرَوَّى: «ولم آلَ آيَبًا» والمعنى: لم أَدْعُ جَهْدِي آيَبًا وفي الإياب، والأوَّلُ أَحْسَنُ. وكم مِثْلُهَا، أي كم مِثْلِ هذه الخُطَّةِ فَارَقَتْهَا بالخروج منها، وهي مغْلُوبَةٌ تَضْفُو^(٢) وأنا الغالب. وصَفِيرُ الطائر معروف، ومنه ما في الدار صَافِرٌ، أي ذو صفير.

١٢ - وَقَالَ أَبُو كَبِيرِ الْهَذَلِيِّ^(٣): [الكامل]

١ - وَلَقَدْ سَرِنْتُ عَلَى الظَّلَامِ بِمِغْشَمٍ جَلَدٍ مِنَ الْفِثْيَانِ غَيْرِ مُثْقَلٍ
يقال: سَرَى يَسْرِي سَرًى، وأسْرَى إِسْرَاءً بمعنى، وهو سَيْرُ الليل. وفي القرآن: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾ [الإسراء: الآية ١]. وعلى الظلام، أي في الظلام موضعه نَضَبٌ على الظرف. ويقال: فَعَلْتُهُ ظَلَامًا وَلَيْلًا في مُقَابَلَةٍ فَعَلْتُهُ نَهَارًا. ويقولون: عِمَ ظَلَامًا وَعِمَ صَبَاحًا، وهذا كما جعلوا في مُقَابَلَةِ اليومِ اللَّيْلَةَ. ويجوز أن يكون على الظلام في موضع الحال، أي وأنا على الظلام، أي راكِبٌ له. يقول: ولقد سَرِنْتُ لَيْلًا بِرَجُلٍ عَشُومٍ قَوِيٍّ من الرِّجَالِ غَيْرِ مَنْسُوبٍ إِلَى الثَّقَلِ والكسلِ في الأمور. فإن قال قائلٌ: إذا كَانَ السَّرَى لا يكون إلا لَيْلًا فَلِمَ قال على الظلام، ولم جاء في القرآن: ﴿أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾ و﴿قَاتِرٍ يَبِيدُ لَيْلًا﴾ [الدخان: الآية ٢٣]؟ قلتُ: المرادُ تَوَسُّطُ الليل والدخولُ في معظمه، تقول: جاء فلانُ الْبَارِحَةَ بَلِيلٍ، أي في معظم ظُلْمَتِهِ وَتَمَكَّنَ ذلك الوقتِ من لَيْلَتِهِ. والجَلْدُ: الصُّلْبُ القويُّ؛ ومنهُ الجَلْدُ من الأرض. وإنما قال «مِغْشَمٍ» لآثِه جَعَلَهُ كَالآلَةِ في الْعَشْمِ، ومِفْعَلٌ بناءٌ لهذا المعنى، ويريد به تَأَيُّطٌ شَرًّا. وكان لأبي كَبِيرٍ مَعَهُ قِصَّةٌ معروفة، والأبياتُ مَقْصُورَةٌ عليها، وناطِقَةٌ بها أو بأكثرها. والعَشْمُ والاعتِسَافُ يتقاربان، ويقالُ: عَشَمَ الْوَالِي

(١) قال الأصمعي: «وأصله أنه كان غارَ فيه ناس فانهار عليهم أو أتاهاهم فيه عدو فقتلهم فيه، فصار مثلاً لكل شيء يُخاف أن يأتي منه شرٌّ ثم صُعِرَ الغار فقليل: غَوِيرٌ» (اللسان، غور).

(٢) الضغاء: صوت الذليل المقهور.

(٣) أبو كبير الهذلي: عامر بن الحليس الهذلي، من بني سهل بن هذيل، شاعر فحل، (أدرك الإسلام وأسلم) ترجمته في الشعر والشعراء ٢٥٧، وخزانة البغدادي ٤٧٣: ٣.

رَعِيَّتُهُ غَشَمًا وفي كلام بعضهم: «أَسَدٌ حَطُومٌ خَيْرٌ من سلطان غَشُومٍ». ويجوز أن يكون معنى «غَيْرِ مُثْقَلٍ» أي كان حَسَنَ الْقَبُولِ، مُحَبِّبًا إلى القلوب.

٢ - مِمَّنْ حَمَلْنَ بِهِ وَهُنَّ عَوَاقِدُ حُبِّكَ الشُّطَاقِ قَشَبٌ غَيْرُ مُهَبَّلٍ

قوله: «وَهُنَّ عَوَاقِدُ حُبِّكَ» حكاية الحال وإن كان ذلك فيما مضى. ومثله قوله تعالى: ﴿وَكَلَّبُهُمْ بِسِطْرِ ذَرَأَتِهِ بِالْوَصِيدِ﴾ [الكهف: الآية ١٨]. ويُرْوَى: «مِمَّا حَمَلْنَ بِهِ» أي هو من الحمل الذي حَمَلْنَ بِهِ. والضميرُ في حَمَلْنَ للنساء ولم يَجِرْ لَهُنَّ ذِكْرٌ، ولكن لما كان المراد مفهوماً جازاً إضمارها. ويُرْوَى: «مِمَّنْ حَمَلْنَ بِهِ»، والمعنى: هذا الفتى من الفتيان الذين حَمَلَتْ أمهاتهم بهم وهُنَّ غير مستعداتٍ للفراس ولا واضعاتٍ ثِيَابَ الْحَقْلَةِ فنشأ مُحَمودًا مَرْضِيًّا، لم يُذْعَ عَلَيْهِ بِالْهَبَلِ وَالثُكُلِ. وإنما قيل: مِمَّنْ حَمَلْنَ بِهِ، لَأَنَّهُ رَدَّ الضَّمِيرَ عَلَى لَفْظِ مَنْ، ولو رَدَّ عَلَى المعنى لقال بهم. وفي القرآن في موضع: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ [الأنعام: الآية ٢٥]، وفي آخر: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ [يونس: الآية ٤٢]. وحكي عن بعضهم: إذا أُرِدَتْ أَنْ تُنَجَّبَ الْمَرْأَةُ فَأَغْضِبْهَا عِنْدَ الْجِمَاعِ. وأنشد: [الطويل]

تَسْتَمْتِهَا غَضَبِي فَجَاءَ مُسَهَّدًا وَأَنْفَعُ أَوْلَادِ الرِّجَالِ الْمُسَهَّدُ^(١)

وكذلك يقال في ولد المذعورة: إِنَّهُ لَا يُطَاقُ. وَالْحُبُّكَ: الطَّرَاقُ. وَالشُّطَاقُ: مَا تَشُدُّ الْمَرْأَةُ فِي حَقْوِهَا. والرواية: «حُبُّكَ الثِّيَابِ»، لِأَنَّ الشُّطَاقَ قَدْ جَاءَ مِنْ بَعْدُ فِي صِفَةِ أُمِّ الْمِغْشَمِ فَتَكَرَّرَ، وَلِأَنَّ الشُّطَاقَ لَا يَكُونُ لَهُ حُبُّكَ وَطَرَاقُ. وواحد الحُبُّكَ حَبِيكُ، ومنه قوله تعالى: ﴿وَالْمَلَأَ ذَاتَ اللَّيْلِ^(٢)﴾ [الذَّارِيَات: الآية ٧]. وقال الباهلي: الْحُبُّكَةُ وَالْجِبَّاكُ: الْإِزَارُ أَيْضًا. وَقَدْ احْتَبَكَّتِ الْمَرْأَةُ. وَذَكَرَ بَعْضُهُمْ أَنَّ الْمُهَبَّلَ: الْمَعْتَوَةَ الَّذِي لَا يَتِمَّاسَكَ فَإِنْ صَحَّ ذَلِكَ فَكَأَنَّهُ مِنَ الْإِسْرَاعِ، يُقَالُ جَمَلٌ هَبِلٌ.

٣ - وَمُبَرِّإٍ مِنْ كُلِّ غُبَرٍ حَبِضَةٍ وَفَسَادٍ مُرْضِعَةٍ وَدَاءٍ مُفْضِلٍ^(٣)

غُبَرُ الْحَيْضِ وَغُبْرُهُ: بَاقِيهِ قَبْلَ الطُّهْرِ. وَكَذَلِكَ غُبَرُ اللَّبَنِ: بَاقِيهِ فِي الضَّرْعِ. وَتَزَوَّجَ رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ بِامْرَأَةٍ مُسِنَّةٍ فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ: «لَعَلِّي أَنْعَبُرَ مِنْهَا وَلَدًا». وَالْحَبِضَةُ وَالْحَيْضُ وَاحِدٌ وَالْغُبَرُ يَكُونُ جَمْعَ غَابِرٍ أَيْضًا. وَلَمْ يَرِضْ بِلَفْظِ الثَّبْرَةِ حَتَّى

(١) بلا نسبة في أساس البلاغة (سنم).

(٢) في التبريزي: «وداءٌ مُغْبِلٌ، والمُغْبِلُ: مِنَ الْغَيْلِ، وَهُوَ أَنْ تَغْشَى الْمَرْأَةُ وَهِيَ تُرْضِعُ، وَذَلِكَ اللَّبَنِ الْغَيْلُ».

أتى بلفظ الكلّ مَعَهُ تأكيدًا، كأنه نَقَى قليل ذلك وكثيره. وأضاف الفسادَ إلى المُرْضِعَةِ لأنّه أرادَ الفسادَ الذي يكونُ من قِبَلِهَا. وهم يُضَيِّفُونَ الشيءَ إلى الشيءِ لأدنى مناسِبَةٍ. ويروى «مبرأ» بالنصبِ والجَرَ، فإذا نصبتهُ فإنه ينعطفُ على «غير مُهَبَّلٍ»، كأنه قال: شَبَّ في هاتين الحالتين. وإذا جَرَزْتُهُ ينعطفُ على قَوْلِهِ «جَلِدَ من الفتیان» كأنه بِمِغْشَمِ جَلِدٍ ومِيزًا. والمعنى أن الأمَ حَمَلَتْ به وهي طَاهِرٌ ليس بها بَقِيَّةُ حَيْضٍ، ووضَعَتْه ولَا دَاءَ به استصحَبَهُ من بطنها فلا يَقْبَلُ عِلَاجًا، لأنَّ دَاءَ البَطْنِ لا يفارق. ولم تُرْضِعْهُ أمُّهُ غَيْلًا، وهي أن تَسْقِيَهُ وهي حُبْلَى بعد ذلك. ويروى عن أم تَابِطٍ شَرًّا قالت: «ما وضَعْتُهُ يَتَنًّا»^(١)، ولا أرضعتهُ غَيْلًا، ولا أَبَتْهُ مَيْقًا^(٢)، ولا رَأَيْتُ بنفسي دَمًا. ولقد حَمَلْتُ به في لَيْلَةٍ مظلمة وتحت رأسي سَرْجٌ، وعلى أبيهِ دِزْعٌ. وإنما تريد بهذا الكلام الآخر ما تقولُ العربُ من أن المرأةَ إذا أَكْرَهَتْ على الوطءِ، أو وَطِئَتْ وهي مذعورة، أنجبت وأذْكَرَتْ. الداءُ المُغْضِلُ: الذي لا دواءَ له كأنه أعضل الأطباء وأعيامهم، وأصل العَضْلُ المنع، ومنه عَضَلَت المرأةُ إذا نَشِبَ وَلَدُهَا في بطنها فلم يَخْرُج. وَعَضَلْتُهَا: منعها التزويجَ ظلمًا.

٤ - حَمَلْتُ به في لَيْلَةٍ مَزْوُودَةٍ كَزَمًا وَعَقَدُ نِطَاقِهَا لم يَخْلَلِ

الرَّأْدُ: الذُّعْرُ، وقد زِيدَ فهو مَزْوُودٌ. والمعنى حملت الأمُ بهذا المِغْشَمِ. ويروى «مزوودة» بالنصب على الحال للمرأة؛ ويروى «مزوودة» بالجَرِ، ويجوز فيه وجهان: أحدهما أن تجعله صفةً لِلَّيْلَةِ، كأنه لما وقع الزُّوُودُ والذُّعْرُ فيها جَعَلَهُ لَهَا، والأكثر في المجاز والاتساع أن يُنسَبَ الفعلُ إلى الوقتِ، فيُؤْتَى به على أنّه فاعل، كما قيل: نهأه صائمه، وليله قائمٌ. وحَسُنَ هذا لأنَّ الظَّرْفَ قد يقدَّرُ تقدير المفعول الصحيح، بأن يُنزَعَ منه مَعْنَى في، كما قال الشاعر: [الطويل]

وَيَوْمَ شَهِدْنَاهُ سُلَيْمًا^(٣)

فعلى ذلك تقول شَهِدَتِ اللَّيْلَةُ، وَزِيدَتِ اللَّيْلَةُ، وليلةٌ مشهودة ومزوودة. ويجوز أن يكون انجرازه على الجوار، وهو في الحقيقة للمرأة، كما قيل: هذا جُخْرُ صَبٍّ

(١) البيهقي في اللسان: الولاد المنكوس ولدته أمه تخرج رجلا المولود قبل رأسه ويديه، وتكره الولادة إذا كانت كذلك. ووضعت أمه يتنا.

(٢) مَيْقًا. بأكثا.

(٣) لرجل من بني عامر في الدرر ٣: ٩٦، وبلا نسبة في خزائن الأدب ٧: ١٨١، واللسان (جزى). وتماه:

«ويوم شهدناه سُلَيْمًا وعامرًا قليل سوى الطعن النبال نوافلة»

خَرِبَ. وهذا لميلهم إلى الحَمَل على الأقرب، ولأَمْنِهِم الالتباس. وانتصاب «كَرْهًا» على أنه مَضَر في موضع الحال، والتقدير كارهةً. ومعنى البيت بما تقدّم ظاهر. وقوله: «عَقْدُ نِطَاقِهَا لَمْ يُحْلَلْ»، ابتداء وخبر، والواو للحال. وأظهر التّضعيف في قوله لَمْ يُحْلَلْ، وهو لغةٌ تميم، ووجه الكلام لَمْ يُحْلَلْ. والنّطاق: ما تَنْتَطِقُ به المرأة: تشدُّ به وَسَطُهَا للعمل. قال الأصمعي: كَرَنَ في القديم ينتطقن بِخَيْطٍ أَوْ يَكَّةُ. وذات النّطّاقين: أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنه، والمِنْطَقَةُ أُخِذَتْ من هذا. والمعنى: أَكْرِهَتْ ولم تحُلْ نِطَاقَهَا. وحكي عنها في وصف ابنها قالت فيه: «إِنَّه والله شيطان، ما رأيته قطّ مستقيمًا ولا ضَجِجًا ولا هَمَّ بشيء منذُ كان صبيًّا إلّا فعله، ولقد حَمَلْتُ به في ليلةٍ ظلماء وإنّ نطاقي لمشدد».

٥ - فَاتَتْ بِهِ حُوشَ الْفُؤَادِ مُبْطِنًا سُهْدًا إِذَا مَا نَامَ لَيْلُ الْهُوْجَلِ
حُوشُ الْفُؤَادِ وَحُوشِي الْفُؤَادِ: وَحْشِيَّةٌ، لِحَدِّثِهِ وَتَوَقُّدِهِ. وَرَجُلٌ حُوشِيٌّ: لَا يُخَالِطُ النَّاسَ. وَلَيْلٌ حُوشِيٌّ: مُظْلِمٌ هَائِلٌ، وَكَذَلِكَ إِبِلٌ حُوشٌ وَحُوشِيَّةٌ أَيْ وَحْشِيَّةٌ. وَهَذَا كَمَا يَقَالُ: لَيْلٌ سُخَامٌ وَسُخَامِيٌّ: أَسْوَدٌ. وَقِيلَ: الْحُوشُ: بِلَادُ الْجَنِّ. مُبْطِنًا: خَمِصُ الْبَطْنِ. وَقَوْلُهُ «نَامَ لَيْلُ الْهُوْجَلِ»، جَعَلَ الْفِعْلَ لِلَّيْلِ، لَوُقُوعِهِ فِيهِ. وَالْمَعْنَى نَامَ الْهُوْجَلُ فِي لَيْلِهِ. وَالْهُوْجَلُ: الثَّقِيلُ الْكَسْلَانُ ذُو الْغَفْلَةِ. يَقُولُ: أَتَتْ الْأُمُّ بِهَذَا الْوَلَدِ مَتِيقًا حَذِرًا، حَدِيدَ الْفُؤَادِ ذَكِيًّا، يَسْهَرُ إِذَا نَامَ الثَّقِيلُ الْبَلِيدُ. وَالشَّهَادُ وَالسَّهْدُ: السَّهَرُ. وَرَجُلٌ سُهْدٌ وَمُسْهَدٌ. وَيَقُولُونَ لِلْمَلْدُوحِ: سَهْدُوهُ لَا يَسْرِ فِيهِ السَّمُ. وَقِيلَ الْهُوْجَلُ: الْأَحْمَقُ لَا مُسَكَّةَ بِهِ. قَالُوا: وَبِهِ سُمِّيَ الْفَلَاةُ لَا أَعْلَامَ بِهَا وَلَا يُهْتَدَى فِيهَا: الْهُوْجَلُ^(١).

٦ - وَإِذَا نَبَذْتَ لَهُ الْحَصَاةَ رَأَيْتَهُ فَرَعًا لَوْقَعَتِهَا طُمُورُ الْأَخْيَلِ^(٢)
يَقَالُ: نَبَذْتُ الشَّيْءَ مِنْ يَدِي، إِذَا طَرَحْتَهُ، وَتَوَسَّعُوا فِيهِ فَقِيلَ صَبِيٌّ مَنبُودٌ، وَنَابَذْتُ فَلَانًا، إِذَا فَارَقْتَهُ عَنْ قَلْبِي. وَالْحَصَى: صَغَارُ الْحَجَارَةِ. وَالشَّاعِرُ إِنَّمَا يَحْكِي مَا رَأَاهُ مِنْهُ؛ وَذَلِكَ أَنَّ أَبَا كَبِيرٍ ذَكَرَ أَنَّهُ كَانَ أَرَادَ أَنْ يَغْتَالَهُ، وَكَانَ يَطْلُبُ مِنْهُ فُرْصَةً يَنْتَهِزُهَا

(١) ذكر التبريزي في تفسير الهوجل: «والهوجل أيضًا: الناقة الضلّبة الشديدة، قال الشاعر: [السريع]

وأقطع الهوجل مستأنسا بهوجل غيرانة عنتريس»
(٢) عند التبريزي: «ينزو لوقعتها».

في نومه أو غفلته مع أنه كان لا يجترىء عليه، فكان يَروِز أحواله ليتمكن من مراده فيه. والمعنى: إذا رميته بحصاة وهو نائم وجدته ينتبه انتباه من سمع بوقعتها هذه عظيمة، فيطمُرُ طُمُورَ الأَخِيل، وهو الشَّقِرَاق. وانتصاب «طمور» بما دلّ عليه قوله «فزعا لوقعتها»، كأنه رأيته يطمُرُ طُمُوره؛ لأنّ الخائف المتيقظ يفعل ذلك. والطمور: الوثب؛ ومنه قيل فَرَسٌ طِمِرٌ، أي وثاب. وذكر أبو العباس أن الطِمِرَ في وصف الفرس هو المُشْرِف، ومنه قيل للموضع العالي: طَمَار. وفزعا انتصابه على الحال، وجواب إذا قوله رأيته. وقال بعضهم: الأَخِيل: الشاهين. ومنه قيل تَحَيَّلَ الرَّجُلُ، إذا جَبَنَ عند القتال فلم يَثْبَت. والتَّخِيل: المُضْيِ والسُرْعَةُ والتَّلُون.

٧ - وإذا يَهَبُ من المَمانِ رأيته كَرُتُوبٍ كَغَبِ السَّاقِ لَيْسَ بِزُملٍ

أصلُ هَبَ تحرك واضطرب، ثم قيل: هَبَ من نومه هبًا، وهَبَتِ الريح هُبُوبًا، وهَبَّتِ الثَّاقَةُ في سيرها هَبَابًا، وهَبَ التَّيْسُ هَبِيًّا. وأهْبَيْتُ السَّيْفَ: هَزَزْتُهُ. يقول: إذا استيقظَ هذا الرجل من منامه انتصب في مضجعه سريعًا كانتصاب كَغَبِ السَّاقِ في الساق، وهو ليس بضعيف. وإنما يعني شهامته وتشمُّره في تلك الحالة. وكَغَبِ السَّاقِ مُنْتَصِبٌ أَبَدًا في موضعه، فلذلك شَبَّهَهُ به. والرَّاتِب: القائم، ومنه المراتب. وتحقيق الكلام: وإذا يَهَبُ رأيت زُتُوبَهُ كَرُتُوبٍ كَغَبِ السَّاقِ، لكُتُهُ حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه، وهذا التشبيه يجري مجرى التصوير. والزُمل والزُّمَال والزُّمَيْلَةُ، كلُّه الضَّعِيف، واشتقاقه من التَّلْفِفِ كأنه متساقط لا مُتَشَمِّرٌ مُتَجَرِّدٌ.

٨ - ما إنَّ يَمْسُسَ الأَرْضَ إلَّا جَانِبٌ منه وَحَرْفُ السَّاقِ طَيِّ المِخْمَلِ^(١)

إنَّ، زيد لتوكيد النفي، ويبطل عمل «ما» بانضمامه إليه في لغة من يُعْمِلُهُ. وانتصب طَيِّ على المصدر مما دلّ عليه ما قبله، لأنّه لما قال، ما يمسُّ الأرض منه إذا نامَ إلَّا جانبُهُ وَحَرْفُ السَّاقِ، عَلِمَ منه أنَّ الرَّجُلَ مَطْوِيٍّ غيرَ سَمِينٍ، وهَضِيم الكَشْحِ غير ثَقِيل. والمعنى أنّه إذا نام لا يتبسّط على الأرض ولا يتمكن منها بأعضائه كلها، ففعل من يُرْخِيهِ نومه ويتمكن منه، حتى لا يكاد يتجمّع ويتشَمَّر عند الانتباه إلَّا بعد مزاولةٍ وتهَيُّؤٍ يُعْمِلُهُ في كلِّ عضو. وهذا من أبيات كتاب سيبويه^(٢). واحتج به بقوله «طَيِّ المِخْمَلِ». وأراد بالمِخْمَلِ حمائل السَّيْف، وهذا كما يُقال: هو كالجديل، وكالزُّمام. والمِخْمَلُ والجِمَالَةُ بمعنى.

(١) عند التبريزي: «إلا منكب».

(٢) انظر الكتاب: ١: ١٨٠.

٩ - وَإِذَا رَمَيْتَ بِهِ الْفِجَاجَ رَأَيْتَهُ يَهْوِي غَوَارِبَهَا هَوِيَّ الْأَجْدَلِ

قال الخليل: الفَجْجُ: الطريق الواسع في قَبْلِ جَبَلٍ وَتَحْوِهِ، وَالْجَمِيعُ الْفِجَاجُ. وَغَارِبُ كُلِّ شَيْءٍ: أَعْلَاهُ، وَمِنْهُ غَارِبُ الْبَعِيرِ. وَالشَّاعِرُ يَحْكِي فِي هَذَا أَيْضًا عَنْهُ مَا رَأَاهُ مِنْهُ عِنْدَ اسْتِصْحَابِهِ لَهُ، فَيَقُولُ: إِذَا وَجَّهْتَهُ فِي طُرُقِ الْجَبَلِ رَأَيْتَهُ يَقْصِدُ عَالِيَهَا قَصْدَ الصَّقْرِ. وَالْهُوْيُ بَضْمُ الْهَاءِ، هُوَ الْقَصْدُ إِلَى أَعْلَى، وَبِفَتْحِ الْهَاءِ الْقَصْدُ إِلَى أَسْفَلِ. عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ: [الوافر]

هَوِيَّ الدَّلْوِ أَسْلَمَهُ الرُّشَاءُ^(١)

وَلَا تَخْتَرُ فِي رَوَايَةِ الْبَيْتِ عَلَى الضَّمِّ. وَأُنْشِدَ فِيهِ قَوْلُهُ: [الوافر]

كَأَنَّ هَوِيَّهَا خَفَقَانُ رِيحٍ خَرِيْقٍ بَيْنَ أَغْلَامٍ طِبْوَالٍ^(٢)

وُروى: «مَخَارِمَهَا» وَالْمَخَارِمُ: جَمْعُ الْمَخْرَمِ؛ وَهُوَ مَنْقَطَعُ أَنْفِ الْجَبَلِ. وَالْمَخْرَمُ: أَنْفُ الْجَبَلِ، وَجَمْعُهُ خُرُومٌ. وَمِنْ فَصِيحِ كَلَامِهِمْ: «هَذِهِ يَمِينٌ طَلَعَتْ فِي الْمَخَارِمِ»، وَهِيَ الَّتِي تَجْعَلُ لِمُصَاحِبِهَا مِنْهَا مَخْرَجًا. وَالْأَجْدَلُ، مِنْ جَدَلِ الْخَلْقِ.

١٠ - وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى أَسِيرَةٍ وَجْهَهُ بَرَقَتْ كَبَرَقِ الْعَارِضِ الْمُتَهَلِّلِ

الخطوط التي في الجبهة الأغلب عليها سِرَارٌ وَيَجْمَعُ عَلَى الْأَسِيرَةِ، وَالَّتِي فِي الْكَفِّ الْأَغْلَبُ عَلَيْهَا سِرَرٌ وَيَجْمَعُ عَلَى الْأَسْرَارِ. قَالَ: [السريع]

أَنْظُرْ إِلَى كَفِّ وَأَسْرَارِهَا هَلْ أَنْتَ إِنْ أَوْعَدْتَنِي ضَائِرِي^(٣)

وَقَدْ قِيلَ: الْأَسِيرَةُ: الطَّرَائِقُ. يَقُولُ: إِذَا نَظَرْتَ فِي وَجْهِ هَذَا الرَّجُلِ رَأَيْتَ أَسَارِيرَ وَجْهِهِ تَبْرُقُ وَتُشْرِقُ إِشْرَاقَ السُّحَابِ الْمُتَشَقِّقِ بِالْبَرْقِ. يَصْفُهُ بِحُسْنِ الْبَشَرِ وَتَطْلُقُ الْوَجْهَ فِي كُلِّ حَالٍ. وَالْعَارِضُ: مَا يَعْرِضُ فِي جَانِبٍ مِنَ السَّمَاءِ مِنَ السُّحَابِ. وَعَلَى ذَلِكَ الْعَارِضُ فِي الْأَسْنَانِ، وَلِهَذَا قِيلَ الْعَارِضَانِ لَمَّا يَدُو مِنْ جَانِبَيْهَا. وَيَقَالُ: تَهَلَّلَ الرَّجُلُ فَرَحًا، وَاهْتَلَّ، إِذَا افْتَرَّ عَنْ أَسْنَانِهِ فِي التَّبَسُّمِ^(٤).

(١) البيت لزهير في ديوانه ص ٦٧، وعجزه في شرح التبريزي ١: ٧٠ وصدوره:

«فَشَجَّ بِهَا الْأَمَاعِزُ وَهِيَ تَهْوِي»

(٢) البيت للأعلم الهذلي في لسان العرب (خرق).

(٣) البيت للأعشى في ديوانه ص ١٠٧، واللسان (سرر)، وصدر البيت فقط عند التبريزي ١: ٧١.

(٤) في شرح التبريزي بيتان زيادة على العشرة:

«١١ - صَعْبُ الْكَرْبِيَّةِ لَا يُرَامُ جَنَابُهُ مَاضِي الْعَزِيمَةِ كَالْحَسَامِ الْمُفْصَلِ =

١٣ - قال آخر، ويقال إنها لتأبط شراً^(١): [الطويل]

١ - إني لمُهَدٍ من ثَنائي فَقَاصِدٌ به لابن عَمِ الصَّدَقِ شَمْسِ بن مالِك لا يُقال في الهدية إلا أهديت. ويُقال في العروس: هَدَيْتُهَا وأهديتها جميعاً. والأصل واحد، لأنَّ المعنى على القَصْدِ والدَّلالة، فيقول: إني أمدح ابنَ عَمِّي الكريمِ الصادقِ في الودِّ شَمْسِ بن مالِك، بما أَقْصِدُ به رَاغِبًا، وَأُنْفِذُهُ إِلَيْهِ مُتَحِفًا. والمعنى: إني في غيبتِي منه وحضورِي له، مولِّعٌ بالثناءِ عليه، فلا أُخْلِيهِ من المَدْحِ في الحالتين جميعاً. واللامُ في قوله: «لابن عَمِ الصَّدَقِ» يجوز أن يتعلّق بمُهَدٍ، يقال: أهديتُ له كذا، وعلى هذا تكون أَصَلَّتِ الْفِعْلُ الْأَوَّلُ، وما أَهْدَاهُ يكون محذوفًا لِعِلْمِ السامِعِ بأنَّ يُرِيدُ شِغْرَهُ وتَرْيِظَهُ. وكان الْأَجْوَدُ أن يقال فقاَصِدَ إِيَّاهُ به، ويجوز أن يكون على قَوْلٍ من يزيد «مِنْ» في الواجب أن يكون قوله ثنائي مفعولٌ مُهَدٍ، فيكون أَهْدَاهُ مذكورًا. ويجوز أن يتعلّق اللام بقولِهِ فقاَصِدَ، يقال: قَصَدْتُهُ بكذا وقَصَدْتُ له به. وعلى هذا تكون قد أَصَلَّتِ الْفِعْلُ الثَّانِي، وهو المختار إذا جَمَعْتَ بين فعلين عند أصحابنا البصريّين، ويُقال: هذا ثوبٌ صِدْقٍ وأخو صِدْقٍ، وَضِعَ الصَّدَقُ موضعَ الْفَضْلِ وَالصَّلَاحِ. والتَّسْمِيَةُ بِالشَّمْسِ كالتَّسْمِيَةِ بِالْبَذْرِ وَالْهَلَالِ. وذكر بعضُ المتأخِّرين أنه يُروى «شَمْسِ بن مَالِك» بضمِّ الشين، قال: ويكون هذا في أَنَّهُ عَلَّمَ لهذا الرجل فقط، كَحَجَرٍ في أَنَّهُ عَلَّمَ أَبِي أَوْسٍ الشاعِر، وَأَبِي سُلَيمَى في أَنَّهُ عَلَّمَ أَبِي زهير الشاعِر، والأعلام لا مضايقة فيها.

٢ - أَهْرُ بِهٍ فِي نَدْوَةِ الْحَيِّ عِطْفُهُ كَمَا هَرُ عِطْفِي بِالْهَجَانِ الْأَوَارِكِ عِطْفُ كُلِّ شَيْءٍ: جَانِبُهُ. ويقال: ثَنَى عِطْفُهُ، إِذَا أَعْرَضَ وَجَفَا. وكان الْقَوْسُ وَالرِّدَاءُ سُمِّيَا عِطْفًا لاشتِمَالِهِمَا عِنْدَ التَّوَشُّعِ بِهِمَا عَلَى الْعِطْفِ. يقول: أَحْرَكُ بِالثَّنَاءِ جَانِبَهُ كَمَا حَرَّكَ جَانِبِي بِعَطِيَّتِهِ، أَي أَسْرُهُ بِذَلِكَ حَتَّى يَرْتَاحَ وَيَطْرِبَ كَمَا سَرَّنِي حَتَّى اهْتَزَزْتُ. وَالْهَجَانُ: الْإِبِلُ الْبَيْضُ الْكَرَامُ. وَالْأَوَارِكُ: الَّتِي رَعَتِ الْأَرَاكُ، يُقَالُ أَرَكَّتِ الْإِبِلُ فِيهِ أَرَكَةً. وقال ابن السَّكَيْتِ: الْأَوَارِكُ الَّتِي تَرْعَى الْأَرَاكُ، وَهُوَ ثَبْتُ. وَالتَّنْدُوَةُ أَصْلُهُ الْجَمْعُ، ويقال: نَدَاهُمُ النَّادِي، أَي جَمَعَهُمْ.

= ١٢ - يحمي الصحاب إذا تكون عظيمة
وإذا هم نزلوا فمأوى المُئِيلِ
ذكر التبريزي خبر هذه الأبيات مفصلاً.
(١) في شرح التبريزي: «وقال تأبط شراً».

وَانْتَدَى الْقَوْمُ وَتَنَادَوْا، إِذَا تَجَمَّعُوا، وَمِنْهُ دَارُ النَّدْوَةِ. وَالتَّدْيُ: الْمَجْلِسُ، وَالْجَمِيعُ أَنْدِيَّةٌ. وَيَقَعُ لَفْظُ هَجَانٍ لِلوَاحِدِ وَالْجَمْعِ، يُقَالُ: نَاقَةٌ هِجَانٌ وَتَوْقٌ هِجَانٌ، وَمِثْلُهُ دِرْعٌ دِلَاصٌ، وَدِرْوَعٌ دِلَاصٌ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ فِعَالًا وَقِيْعِيْلًا يَشَارِكَانِ كَثِيرًا، وَكَمَا جُمِعَ فَعِيلٌ فِعَالًا كَذَلِكَ جُمِعَ فِعَالٌ فِعَالًا. أَلَا تَرَى أَنَّ الْعِدَدَ وَالْوِزْنَ فِيهِمَا وَاحِدٌ وَحَرْفُ الْمَدِّ مِنْ كُلِّ وَاحِدٍ بِلِزَاءٍ مَا فِي الْآخَرِ؟ فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ حُمِلَ عَلَيْهِ، إِلَّا أَنَّ فِعَالًا إِذَا كَانَ جَمْعًا يُنَوَّى بِحَرَكَاتِهِ وَأَلْفَهُ أَتَتْهَا حَرَكَاتُ بِنَائِهِ وَهُوَ جَمْعٌ لَا وَاحِدَ، كَأَنَّ الْكُسْرَةَ فِي أَوَّلِهِ الْكُسْرَةُ الَّتِي فِي أَوَّلِ ظُرَافٍ وَكِرَامٍ، لَا الْكُسْرَةُ الَّتِي فِي أَوَّلِ حِمَارٍ وَإِزَارٍ، وَكَذَلِكَ أَلْفُهُ فَاعْلَمْهُ.

٣ - قَلِيلُ التَّشْكِي لِلْمُهْمِ يُصِيبُهُ كَثِيرُ الْهَوَى شَتَّى النَّوَى وَالْمَسَالِكِ

الْمُهْمُ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْهَمِّ الَّذِي هُوَ الْحُزْنُ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْهَمِّ الَّذِي هُوَ الْقَضْدُ. يَقُولُ: هُوَ صَبُورٌ عَلَى النَّوَائِبِ وَالْعِلَّاتِ، لَا يَكَاذُ يَتَأَلَّمُ مِمَّا يَغْرُوهُ مِنَ الْمَهْمَاتِ. وَاسْتَعْمَلَ لَفْظَ الْقَلِيلِ وَالْقَضْدُ إِلَى نَفْيِ الْكُلِّ، وَهَذَا كَمَا يُقَالُ فَلَانٌ قَلِيلُ الْاِكْتِرَاطِ بُوْعِيدِ فَلَانٍ، وَالْمَعْنَى: لَا يَكْتَرِثُ. وَعَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُمْ: قَلَّ رَجُلٌ يَقُولُ كَذَا، وَأَقَلَّ رَجُلٌ يَقُولُ كَذَا. وَالْمَعْنَى مَعْنَى النَفْيِ، وَلَيْسَ يَرَادُ بِهِ إِبْثَاتٌ قَلِيلٍ مِنْ كَثِيرٍ. فَإِنْ قِيلَ: مِنْ أَيْنَ سَأَغَ أَنْ يُسْتَعْمَلَ لَفْظُ الْقَلِيلِ وَهُوَ لِلْإِبْثَاتِ فِي النَفْيِ؟ قُلْتُ: إِنَّ الْقَلِيلَ مِنَ الشَّيْءِ فِي الْأَكْثَرِ يَكُونُ فِي حَكْمٍ مَا لَا يُعْتَدُّ بِهِ وَلَا يُعْرَجُ عَلَيْهِ، لَدُخُولِهِ بِخَفَةِ قُدْرِهِ فِي مَلَكَةِ الْفَنَاءِ، وَالْدُّرُوسِ وَالْأَمْحَاءِ، فَلَمَّا كَانَ كَذَلِكَ اسْتَعْمَلَ لَفْظَهُ فِي النَفْيِ عَلَى مَا فِي ظَاهِرِهِ مِنَ الْإِبْثَاتِ مُحْتَزِّينَ مِنَ الرَّدِّ، وَمُجْمَلِينَ فِي الْقَوْلِ، وَلِيَكُونَ كَالْتَعْرِضِ الَّذِي أَثَرُهُ أَبْلَغُ وَأَنْكَى مِنَ التَّصْرِيحِ. وَقَوْلُهُ: «كَثِيرُ الْهَوَى» طَابَقَ الْقَلِيلَ بِقَوْلِهِ كَثِيرٌ، مِنْ حَيْثُ اللَّفْظُ لَا أَنَّهُ أُثْبِتَ بِالْأَوَّلِ شَيْئًا نَزْرًا فَقَابَلَهُ بِكَثِيرٍ. وَالْمَعْنَى أَنَّهُ كَثِيرُ الْهَمِّ مُخْتَلَفُ الْوَجْهِ وَالطَّرْقِ، لَا يَوْقِفُ مِنْهُ عَلَى مَدَى غَوْرِهِ فِي الْأُمُورِ، وَلَا يَقِفُ بِهِ أَمَلُهُ عَلَى قَنٍّ لَا يَتَجَاوِزُهُ إِلَى الْفَنُونِ. وَيُرِيدُ بِالْهَوَى الْجِنْسَ وَكَذَلِكَ النَّوَى، وَهِيَ وَجْهَتُهُ الَّتِي يَنْوِيهَا. وَمِثْلُهُ قَوْلُ الْآخَرِ:

[الوافر]

شديد مجامع الكتفين باقٍ عَلَى الْحَدَثَانِ مُخْتَلِفُ الشُّوْنِ^(١)

٤ - يَظَلُّ بِمَوْمَاءَ وَيُمْسِي بِغَيْرِهَا جَحِيشًا وَيَغْرُورِي ظُهُورَ الْمَهَالِكِ

المَوْمَاءُ: المَفَازَةُ، ووزنه فَعْلَلَةٌ، وجمعها مَوَامٍ. وإنما قال «يُمْسِي بِغَيْرِهَا» ولم يقل يَبِيتُ، لأنَّ قَصْدَهُ إِلَى أَنْ يَصِفَهُ بأنه يَقْطَعُ فِي بَيَاضِ نَهَارِهِ مَفَازَةً، ولو قال يَبِيتُ لم يَتَبَيَّنْ مِنْهُ ذَلِكَ. فيقول: يَقْطَعُ الْمَفَاوِزَ لَاقْتِسَابِ الْمَكَارِمِ، فَتَرَاهُ يَكُونُ نَهَارَهُ بِمَفَازَةٍ فَإِذَا أَتَى عَلَيْهِ الْمَسَاءُ تَجَدَّدَ فِي أُخْرَى فَرِيدًا وَحِيدًا - ويقال: حَلَّ فُلَانٌ جَحِيشًا، أي منفردًا - وَيَرْكَبُ ظُهُورَ الْمَهَالِكِ وَالْمَعَاطِبِ غَيْرِ مُسْتَصْحِبٍ رَفِيقًا، وَلَا مُسْتَجْمِعٍ سِلَاحًا. وهذا كما يقال: اعْرُورِي الْفَرَسَ، إِذَا رَكَبْتَهُ غُرْبًا. وَكَانَتْ طِبَاعُهُمْ أَنَّ مَنْ كَدَّ نَفْسَهُ وَابْتَذَلَهَا، وَتَوَخَّشَ فِي الْمَهَالِكِ وَلَزِمَهَا، وَتَعَرَّضَ لِلْمَعَاطِبِ وَلَمْ يَتَوَقَّعْهَا، كَانَ ذَلِكَ أَذْعَى إِلَى مَا يُنَوِّهُ بِهِ وَيُمَيِّزُهُ عَنْ رِجَالِ جَنْسِهِ. وَانْتَصَبَ «جَحِيشًا» عَلَى الْحَالِ، وَقَوْلُهَا بِغَيْرِهَا لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مُسْتَقَرًّا فَاعْلَمْهُ.

٥ - وَيَسْبِقُ وَقَدْ الرِّيحِ مِنْ حَيْثُ يَنْتَحِي بِمُنْخَرِقٍ مِنْ شَدِّهِ الْمَتَدَارِكِ

قوله «مِنْ حَيْثُ يَنْتَحِي» يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ لِلْمَمْدُوحِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ لَوْفِدِ الرِّيحِ، لِأَنَّ الْمُرَادَ أَنَّهُ يَسْبِقُهُ وَإِنْ أَعْطَاهُ مُهْلَةً. وَمَعْنَى يَنْتَحِي: يَقْصِدُ. وَالشَّاعِرُ إِنَّمَا يَصِفُ خَفَّتَهُ وَتَشْمُرَهُ وَجِدَّهُ وَتَيْقُظَهُ، فَيَقُولُ: مِنْ حَيْثُ اعْتَمَدَ فِي السَّيْرِ جَاءَ سَابِقًا لِلرِّيحِ بَعْدُو لَهُ وَاسِعَ مِنْ عَذْوِهِ. الْمَتَدَارِكُ: الْمَتَابِعُ. وَجَعَلَ الْعَذْوَ مُنْخَرِقًا لِاتِّسَاعِهِ. وَالْمَتَدَارِكُ: الْمَتَلَاخِقُ. وَيَقَالُ: أَذْرَكَ فُلَانٌ عِدَّةً مِنْ أَصْحَابِهِ، أَيْ لَحِقَهُمْ وَشَاهَدَ أَيَامَهُمْ. وَأَخَذَ أَبُو تَمَّامٍ هَذَا فَزَادَ عَلَيْهِ وَإِنْ كَانَ فِي لَفْظِهِ رَكَاكَةً، فَقَالَ: [الوافر]

فَمَرَّ وَلَوْ يَجَارِي الرِّيحَ خَيْلَتْ لَدَيْهِ الرِّيحُ تَرْسُفُ فِي الْقِيُودِ

٦ - إِذَا خَاطَ عَيْنِيهِ كَرَى الثُّومِ لَمْ يَزَلْ لَهُ كَالِيَّةٌ مِنْ قَلْبٍ شَنِحَانَ فَاتِكِ^(١)

الكَرَى: النَّوْمُ الْخَفِيفُ، وَكَأَنَّهُ مَأْخُوذٌ مِنْ كَرَيْتٍ، إِذَا عَدَوْتَ عَذْوًا شَدِيدًا. فَقَوْلُهُ: «خَاطَ عَيْنِيهِ» يَرِيدُ مَرَّ فِيهِ، وَلَيْسَ يَرِيدُ التَّمَكُّنَ مِنْهُ حَتَّى يَجْعَلَ أَجْفَانَهُ كَالْمَخِيطَةِ. وَمِنْهُ قَوْلُهُ: [الكامل]

حَتَّى تُخِيطَ بِالْبَيَاضِ قُرُونِي^(٢)

(١) في شرح التبريزي «إذا حاص».

(٢) البيت لبدر بن عامر الهذلي في اللسان (خيطة)، وعجز البيت فقط بلا نسبة في شرح التبريزي ١: ٧٥، وصدرة:

وأضاف الكَرَى إلى التَّوَم كما يُضاف البعض إلى الجِنس، كأنَّ النوم لِجِنس الفعل، والكَرَى لما كانَ على جهةٍ مخصوصةٍ. يقول: إذا نامَ التَّوَمَةُ التي أشارَ إليها لم يَزَلْ له رقيبٌ وحافظٌ من قَلْبِ رَجُلٍ جَادٍ في الأمور، مفاجيء عَرِيضٍ، وهذا الرَّجُلُ هُوَ هُوَ، كأنه يريد إذا نامَ عينُه لا ينامُ قلبُه. والشَّيْحَانُ والشَّائِخُ والشَّيْخُ: الحَذِرُ الحازِم. قال الهذلي: [الطويل]

وشايختَ قَبْلَ اليَوْمِ أَتَكَ شَيْخٌ^(١)

والفاتك: الذي يفاجيء غيره بمكروه أو قتل. وفي الحديث: «الإيمانُ قَيْدُ الفَتَكِ»^(٢). وقال الدُرَيْدِي: هو الذي إذا هَمَّ بالشَّيءِ فَعَلَ.

٧ - وَيَجْعَلُ عَيْنِي رَيْبَةً قَلْبِي إِلَى سَلَةٍ مِنْ حَدِّ أَخْلَقَ بَابِكَ^(٣) يُرَوَى:

إذا طَلَعْتَ أَوْلَى الْعَدِيِّ فَتَفَرَّهُ إِلَى سَلَةٍ

وهي أَسْلَم الروایتين. والعَدِي: الرَّجَالَةُ الَّذِينَ يَغْدُونَ قُدَّامَ الْخَيْلِ. وهو اسم صِيغٍ لِلْجَمْعِ، كَالْكَلْبِ وَالضُّبَيْنِ. وعلى الرواية الأولى يقول: لَا يَغْفُلُ قَلْبُهُ عَنِ التَّحْفُظِ، وَعَيْنُهُ دَيِّبَانُهُ إِلَى سَلِّ سَيْفِهِ. فَإِنْ قِيلَ: كَيْفَ يَكُونُ الْعَيْنُ دَيِّبَانِ الْقَلْبِ، وَهَذَا يَقُولُ إِذَا نَامَ بَعِينُهُ لَمْ يَنْمَ بِقَلْبِهِ، أَمْ كَيْفَ تَصِحُّ هَذِهِ الرِّوَايَةُ وَفِيهَا يَتَكَزَّرُ مَعْنَى وَاحِدٍ فِي مَصْرَاعِي الْبَيْتَيْنِ، وَهَلِ الْوَاجِبُ فِي هَذَا إِلَّا أَنْ يَقَالَ إِنَّ الْقَلْبَ هُوَ دَيِّبَانُ الْعَيْنِ، لِأَنَّ الْعَيْنَ نَائِمَةٌ وَالْقَلْبُ مَنِيَّةٌ؟ قُلْتُ: إِنَّهُ وَصَفَ حَالَتَيْنِ، بِالْمَتَقَدِّمِ صِفَةً حَالِ التَّوَمِ، وَالثَّانِي هُوَ صِفَةُ حَالِ الْيَقْظَةِ وَالْمَعْنَى أَنَّ الْعَيْنَ رَقِيبُ الْقَلْبِ، وَالْمَنْتَظَرُ لِإِظْهَارِ مَا يَكْرَهُهُ وَتَغْيِيرِهِ، فَإِذَا كَرِهَ الْقَلْبُ شَيْئًا كَانَ الْعَيْنُ صَاحِبَهُ الَّذِي يُظْهِرُهُ، فَهُوَ رَيْبَتُهُ إِلَى نَزْعِ السَّيْفِ وَتَجْرِيدِهِ، وَإِنْكَارِهِ مَا أَنْكَرَهُ وَتَغْيِيرِهِ. وَالْأَخْلَقُ: الْأَمْلَسُ. وَالبَابُ: الْقَاطِعُ. وَقَوْلُهُ «إِلَى سَلَةٍ» يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ إِلَى بِمَعْنَى مَعَ، كَمَا تَقُولُ هَذَا إِلَى ذَاكَ، أَيْ

(١) البيت لأبي ذؤيب الهذلي في ديوانه ص ١١٦، واللسان (شيخ)، وعجز البيت بلا نسبة في شرح التبريزي ١: ٧٥، وصدرة:

«بدرت إلى أولاهم فسيقتهم»

(٢) رواه أحمد في مسنده ١: ١٦٧ هكذا: «الإيمان قيد الفتك لا يفتك مؤمن»، وورد في المعجم الكبير للطبراني ١٩: ٣١٩، وفي مستدرک الحاكم ٤: ٣٥٢، وشرح السنة للبغوي ١١: ٤٥.

(٣) رواية التبريزي: «أخْلَقَ صَانِك».

مع ذاك، ويجوز أن يكون المعنى أنها ربيته إلى أن يستل سيفه، وبعد ذلك فالعمل للقلب، ويكون إلى للانتهاز. وقوله: «من حدّ أخلق» فيه توسع، لأن السيف يستل من الغنم فيصير مسلولا. ألا ترى قوله: [الطويل]

إذا سُلّ من جفني تأكل أثره على مثل مصحاة اللجين تأكلا^(١)

وهذا جعل الجفن مسلولا والسيف مسلولا منه. ألا ترى قوله: «إلى سلّة من حدّ أخلق»، فهو في ذلك كقولهم: أدخلت الخف في رجلي، والقلنسوة في رأسي.

٨ - إذا هزّة في عظم قرن تهلكت نواجذ أفواه المنايا الضواحي

مثله قول الآخر: [الطويل]

سقاء الردى سيف إذا سُلّ أو مضت إليه تنايا الموت من كل مرّقب

وإن كان هذا وصف السيف وقوة صاحبه في الضرب. والمعنى أنه متى حرّكه في الضربة ضحك الموت علما بظفره بالمضروب. وذكر التهليل والناجذ مثل وتصوير للمراد. وقوله «المنايا الضواحي»: أي التي من شأنها أن تضحك عند الظفر بمطلوبها، وإنما قال «في عظم قرن» إيدانا بأنه لا يتعرض له إلا من يقارنه بأسا وشدة، وكذلك هو لا يعمل هذا السيف إلا في عظم من يقارنه حزما ونجدة. ونسبة التهليل إلى النواجذ مجاز وسعة، وهذا كما يقال سرّ فلان بكذا حتى صار لكل سن له ضحك، وقد سُميت ما يبدو من الأسنان عند الضحك الضواحي.

٩ - يرى ألوحشة الأتس الأنيس ويهتدي بحيث اهتدت أم النجوم الشوابك

قوله: «يرى ألوحشة الأتس» أي ذلك مذهبه. وهذا كما يقال: هو يرى رأي أبي حنيفة، أي يذهب مذهبه. فيقول: أنس هذا الرجل التام في التفرّد الذي يعدّه غيره وحشة، وإتباعه الأتس الأنيس تأكيد وإظهار للمبالغة. وهذا كما قيل: ظلّ ظليل، وداهية ذهياء. وهم يبنون من لفظ الشيء ما يُتبعونه به طريق التأكيد. وقوله: «يهتدي بحيث اهتدت» يصف علمه بالطرق واستغناءه عن الدليل. وقد قيل في «أم النجوم» إنه الشمس، وقيل هو المجرّة. والمعنى أنه يهتدي بحيث تهتدي الشمس.

(١) البيت لأوس بن حجر في ديوانه ص ٢٠، وفي اللسان (صحا)، وبلا نسبة في شرح التبريزي

وَيُسَمَّى مُعْظَمُ الشَّيْءِ أُمَّهُ، وَالشَّمْسُ أَعْظَمُ الْكَوَاكِبِ. وَيُسَمَّى جَامِعُ الْأَشْيَاءِ أُمُّهَا، يُعْنَى أَنَّهَا تَأْوِي إِلَيْهِ. وَالشُّوَابِكُ: الْمَشْتَبِكَةُ. وَإِذَا جَعَلْتَ أُمَّ النُّجُومِ الْمَجْرَةَ فَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى أَنَّهُ يَهْتَدِي بِالْكَوَاكِبِ الَّتِي تَجْمَعُهَا، فَجَعَلَ الْفِعْلَ لَهَا لِاجْتِمَاعِهَا فِيهَا، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى أَنَّهُ يَسْتَغْنِي عَنِ الدَّلِيلِ كَمَا تَسْتَغْنِي تِلْكَ.

١٤ - قَالَ بَعْضُ بَنِي قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ،

وَيَقَالُ إِنَّهَا لِبَشَامَةَ بْنِ جَزْءٍ^(١) النَّهْشَلِي:

١ - إِنَّا مُحْبَبُونَ يَا سَلَمَى فَحَيِّينَا وَإِنْ سَقَيْتِ كِرَامَ النَّاسِ فَاسْقِينَا

يقول: إِنَّا مُسَلَّمُونَ عَلَيْكَ أَيَّتُهَا الْمَرْأَةُ فَقَابِلِينَا بِمِثْلِهِ، وَإِنْ خَدَمْتَ الْكَرَامَ وَسَقَيْتِهِمْ فَأَجْرِينَا مُنْجَرَاهُمْ فَإِنَّا مِنْهُمْ. وَالْأَصْلُ فِي التَّحِيَّةِ أَنْ يُقَالَ حَيَّاكَ اللَّهُ، ثُمَّ اسْتَعْمِلَ فِي غَيْرِهِ مِنَ الدُّعَاءِ عِنْدَ الْإِلْقَاءِ. وَأَمَّا قَوْلُهُ: [الكامل]

وَلَكُلِّ مَا نَالَ الْفَتَى قَدْ نِلْتُهُ إِلَّا التَّحِيَّةُ^(٢)

فالمراد به تحية الملوك خاصة، وهو قولهم: أَيْتَتِ اللَّعْنُ! وقيل في سَقَيْتِ إِنَّ مَعْنَاهُ: إِنْ دَعَوْتَ لِأَمَائِلِ النَّاسِ بِالسَّقْيَا فَادْعِي لَنَا أَيْضًا. وَالْأَشْهُرُ فِي الدُّعَاءِ أَنْ يُقَالَ فِيهِ سَقَيْتِ فَلَانًا فَيُنْقَلُ، وَالْحِجَةُ فِي التَّخْفِيفِ قَوْلُ أَبِي ذُؤَيْبٍ: [المتقارب]

سَقَيْتِ بِهِ دَارَهَا إِذْ نَأَتْ وَصَدَقْتَ الْحَالَ فِيهِ الْأَثْرَحَا^(٣)

وعلى هذا يَكُونُ فِي الْكَلَامِ إِضْمَارٌ، كَأَنَّهُ قَالَ: وَإِنْ سَقَيْتِهِ بظَهْرِ الْعَيْبِ الْكِرَامَ بِالدُّعَاءِ عِنْدَ ذِكْرِهِمْ فَافْعَلِي بِنَا مِثْلَهُ، وَقُولِي سَقَاكُمُ اللَّهُ. وَقَدْ فَصَّلَ بَعْضُهُمْ بَيْنَ سَقَيْتِ وَأَسْقَيْتِ بِأَنْ قَالَ: أَسْقَيْتُهُ: جَعَلْتُ لَهُ سُقْيَا يَفْعَلُ بِهَا مَا شَاءَ، وَسَقَيْتِهِ: أَعْطَيْتِهِ مَاءً لَفِيهِ. وَمِثْلُهُ كَسَوْتُهُ وَأَكْسَيْتُهُ، لِأَنَّ مَعْنَى كَسَوْتُهُ أَلْبَسْتُهُ، وَأَكْسَيْتُهُ جَعَلْتُ لَهُ كِسْوَةً، وَبَعْضُهُمْ يَجْعَلُهُمَا سَوَاءً، وَيَحْتَجُّ بَيْتَ لَبِيدٍ: [الوافر]

سَقَى قَوْمِي بَنِي مَجْدٍ وَأَسَقَى ثَمِيرًا وَالْقَبَائِلَ مِنْ هِلَالٍ^(٤)

(١) أعند التبريزي «لبشامة بن حزن»، ونسب ابن قتيبة الأبيات في الشعر والشعراء ص ٦٢٠ إلى نهشل بن حري، وفي عيون الأخبار ١: ١٩٠ إلى بشامة.

(٢) لزهير بن جناب الكلبي في الأغاني ١٨: ٣٠٧، والشعر والشعراء ١٣٠، واللسان (بجل، حيا).

(٣) البيت له في اللسان (أ ن ح)، والتبريزي ٧٨: ١.

(٤) البيت في اللسان (سقى)، وديوانه ١٢٧، والتبريزي ٧٨: ١.

وَإِذَا فُصِّلَ بَيْنَهُمَا فِي الْبَيْتِ لَمْ يَخْتَلُ بِهِ لَفْظًا وَلَا مَعْنَى، كَمَا أَنَّهُ إِذَا سُوِّيَ بَيْنَهُمَا لَمْ يَخْتَلِ مَعْنَى وَلَا لَفْظًا، فَكَأَنَّهُ لَا حُجَّةَ فِيهِ لَوَاحِدٍ مِنَ الْقَوْلَيْنِ. وَالْقَصْدُ فِي الدَّعَاءِ بِالسُّقْيَا إِلَى أَنْ يُمَهَّدَ اللَّهُ الْمَدْعُوُّ لَهُ بِمَا يَزِيدُ فِي نَمَائِهِ وَنَضَارَتِهِ. أَلَا تَرَى الْآخَرَ قَالَ لَمَّا دَعَا عَلَى مَا تَسَخَّطَهُ: [البسيط]

إِذَا سَقَى اللَّهُ أَرْضًا صَوَّبَ غَايِيَةً فَلَا سَقَاهُنَّ إِلَّا النَّارُ تَضْطَرُّمُ^(١)
فذكر ما يحرق ويستأصل.

٢ - وَإِنْ دَهَوَتْ إِلَى جُلَى وَمَكْرُمَةٍ يَوْمًا سَرَاةَ كِرَامِ النَّاسِ فَادْعِينَا
جُلَى فُغْلَى، أَجْرَاهَا مَجْرَى الْأَسْمَاءِ وَيُرَادُ بِهَا جَلِيلَةٌ. كَمَا يُرَادُ بِأَفْعَلٍ فاعِلٌ وفِعْلٌ، نَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ أَفْوَتْ عَلَيْنِ﴾ [الرُّوم: الآية ٢٧]، أَي هَيِّنْ؛ وَكَمَا قَالَ: [الطويل]

فَتَلَكَّ سَبِيلٌ لَسْتُ فِيهَا بِأَوْحَدٍ^(٢)

أَي بَوَاحِدٍ؛ وَكَقَوْلِكَ: اللَّهُ أَكْبَرُ، تَرِيدُ كَبِيرَ. يَقُولُ: إِنَّ أَشَدَّ بَذَرَ خِيَارِ النَّاسِ بِجَلِيلَةٍ نَابَتْ، أَوْ مَكْرُمَةٍ عَرَضَتْ وَسَتْحَتْ، فَأَشِيدِي بِذِكْرِنَا أَيْضًا. وَهَذَا الْكَلَامُ ظَاهِرُهُ اسْتِعْطَافٌ لَهَا، وَالْقَصْدُ بِهِ التَّوَصُّلُ إِلَى بَيَانِ شَرْفِهِ وَاسْتِحْقَاقِهِ مَا يَسْتَحِقُّهُ الْأَفَاضِلُ الْأَشْرَافُ، وَالْأَمَانِلُ الْكَرَامُ. وَلَا سَقْيَ ثُمَّ وَلَا تَحِيَّةَ وَلَا دُعَاءَ وَلَا مَعَانَةَ. أَلَا تَرَى كَيْفَ اشْتَغَلَ بِمَقْصُودِهِ مِنَ الْإِفْتَخَارِ فِيمَا يَتَلَوُّ هَذَا الْبَيْتَ. وَهُمْ كَمَا يَتَخَلَّصُونَ مِنَ التَّشْبِيهَاتِ وَغَيْرِهَا إِلَى أَغْرَاضِهِمْ عَلَى اخْتِلَافِهَا فَإِنَّهُمْ قَدْ يَتَوَصَّلُونَ بِمَبَادِيءِ كَلَامِهِمْ إِلَى أَمْثَالِهَا، فَتَقْلُ الْمُؤَوَّنَةُ، وَتَخَفُ الْكُلْفَةُ. وَلِهَذَا نَظَائِرُ وَأَشْبَاهُ تَجِيءُ فِيمَا بَعْدَ. وَالسَّرَاةُ فِي النَّاسِ، وَالسَّرَاةُ بِالشَّيْنِ مَعْجَمَةٌ فِي الْمَالِ وَالْخَيْلِ. وَفِي حَدِيثٍ أَمْ زَرَعَ: «فَتَكْنَحُ بَعْدَهُ رَجُلًا سَرِيًّا، رَكِبَ شَرِيًّا، وَأَخَذَ خَطِيًّا، وَأَزَاحَ عَلَيَّ نَعْمًا ثَرِيًّا»^(٣). وَالْجُلَى بِالْأَلْفِ وَاللَّامِ: تَأْنِيثُ الْأَجَلِ، كَمَا يَقَالُ الْأَكْبَرُ وَالْكُبْرَى، وَكَمَا قِيلَ السَّبْعُ الطُّوْلُ جَمْعُ الطُّوْلَى. وَلَا يُحْذَفُ الْأَلْفُ وَاللَّامُ مِنْهُ حِينَئِذٍ، لِأَنَّهُ أَضْلَهُ يَكُونُ أَفْعَلٌ الَّذِي يَتَمُّ بِمِنْ. وَيَقَالُ لِكُلِّ مَا عَلَا شَيْئًا: جَلَّلَهُ، وَمِنْهُ الْجَلَّالَةُ.

(١) لزياد بن منقذ في تاج العروس (نقم)، ومعجم البلدان (نقم).

(٢) للإمام الشافعي في ملحقات ديوانه ١٥٩، وتاج العروس (وحد)، وللإمام علي في ديوانه ٦٧، ولطرفة بن العبد في بهجة المجالس ٢: ٧٤٦. وصدرة:

«تَمْنَى أَنَاسٌ أَنْ أَمُوتَ وَإِنْ أَمِتْ»

(٣) انظر حديث أم زرع عند السيوطي في المزهري ٢: ٥٣٢.

٣ - إِنَّا بَنِي نَهْشَلٍ لَا نَدْعِي لِأَبٍ عَنْهُ وَلَا هُوَ بِالْأَبْنَاءِ يَشْرِينَا^(١)

نَدْعِي: نَفْتَعِلُ من الدَّعْوَةِ. وقوله «عنه» تَعَلَّقَ به. ويقال: ادَّعى فلانٌ في بني هاشم، إذا انتسب إليهم؛ وادَّعى عنهم، إذا عدَّلَ بنسبِهِ عنهم. وهذا كما يقال: رَغِبْتُ في كَذَا ورَغِبْتُ عن كَذَا. وقوله: «لأب» أي من أَجْلِ أَبٍ ولمكان أَبٍ. وانتصاب «بني» على إضمارِ فِعْلٍ، كأنه قال: أَذكر بني نَهْشَلٍ، وهذا على الاختصاص والمَذْح. وخبر إنَّ «لا نَدْعِي». ولو رَفَعَ فقال: بنو نَهْشَلٍ، على أن يكون خبر إنَّ لكان لا نَدْعِي في موضع الحال. والفضل بين أن يكون اختصاصاً وبين أن يكون خبراً صَراحاً: هو أنه لو جَعَلَهُ خبراً لَكَانَ قَصْدُهُ إلى تعريف نفسه عند المخاطَب، وكان لا يَخْلُو فِعْلُهُ لذلك من حُمُولٍ فيهم، أو جَهْلٍ من المخاطَب بشأنهم. فإذا جُعِلَ اختصاصاً فقد أَمِنَ هو الأمرين جميعاً. فقال مفتخراً: إِنَّا نَذْكُر من لا يخفى شأنه، لا نَفْعَلُ كذا وكذا. وإِنَّمَا قُلْتُ خبراً صَراحاً، لأنَّ لفظ الخَبَر قد يُستعار لمعنى الاختصاص، لكنه يُسْتَدَلُّ على المُراد منه بقرائنه؛ على هذا قوله: [الرجز]

أَنَا أَبُو النُّجْمِ وَشِغْرِي شِغْرِي^(٢)

ومعنى البيت: إِنَّا لَا تَرَعُبُ عن أبينا فننتسب إلى غيره، وهو لَا يَزَعُبُ عنا فيتبئى غيرنا وبيعتنا به، لأنه قد رَضِيَ كُلُّ منا بصاحبه، عَلِمَا بأن الاختيار لَا يَغْدُوهُ لو خَيْرٌ فاختار. ويقال: شَرَيْتُ الشيءَ بمعنى بَعْتُهُ واشتريته جميعاً، ومنه الشَّرَوَى، وهو المِثْلُ.

٤ - إِنْ تُبْتَدَرَ غَايَةٌ يَوْمًا لِمَكْرَمَةٍ تَلَقَّ السَّوَابِقَ مِنَّا وَالْمُصَلِّينَا

يقال: بِادَرْتُهُ مكان كذا وكذا، وإلى مكان كذا. قال:

فَبَادَرَهَا وَلَجَاتِ الْحَمَرِ

وكذلك يقال: ابْتَدَرْنَا الْغَايَةَ وَإِلَى الْغَايَةِ. وقوله: «لمكرمة» أي لاكتساب مكرمة. ويجوز أن يكون اللامُ مُضِيفَةً لِلْغَايَةِ إِلَى الْمَكْرَمَةِ، كأنه يريدُ تَسَابُقَهُمْ إِلَى

(١) عند التبريزي: «إِنْ كَانَ الشَّعْرُ لِلْقَيْسِيِّ فَالرَّوَايَةُ (إِنَّا بَنِي مَالِكٍ)».

(٢) الرجز لأبي النجم الراجز، الفضل بن قدامة العجلي: من أكابر الرجاز ومن أحسن الناس إنشاداً للشعر، نبغ في العصر الأموي (ت ١٣٠ هـ / ٧٤٧ م). ترجمته في معاهد التنصيص ١: ١٨، والأغاني طبعة الدار ١٠: ١٥٠، والشعر والشعراء ٢٣٢.

أَفْصَاهَا. يَقُولُ: إِنْ تُسْتَبَقِ نَهَائُهُ مَجْدٍ أَوْ غَايَةُ مَكْرَمَةٍ تَرَى السَّابِقِينَ مِنَّا وَالتَّالِيَيْنِ أَيْضًا مِنَّا. وَإِنَّمَا قَالَ «الْمُصَلِّينَ» وَلَمْ يَقُلِ الْمُصَلِّيَّاتِ مَعَ السُّوَابِقِ، لِأَنَّ قَصْدَهُ إِلَى الْآدَمِيِّينَ، وَإِنْ كَانَ اسْتِعَارَهُمَا مِنْ صِفَاتِ الْخَيْلِ. وَيجوزُ أَنْ يَكُونَ أَخْرَجَ السَّابِقَ لَانْقِطَاعِهِ عَنِ الْمَوْصُوفِ فِي أَكْثَرِ الْأَحْوَالِ، وَلِنِيَابَتِهِ عَنِ الْمُجَلِّيِّ وَهُوَ اسْمُ الْأَوَّلِ مِنْهَا إِلَى بَابِ الْأَسْمَاءِ فَجَمَعَهُ عَلَى السُّوَابِقِ، كَمَا يَقَالُ كَاهِلٌ وَكَوَاهِلٌ، وَغَارِبٌ وَغَوَارِبٌ. وَالْمُصَلِّيُّ هُوَ الَّذِي يَتْلُو السَّابِقَ فَيَكُونُ رَأْسُهُ عِنْدَ صَلَاةِ. وَالصُّلَوَانِ: الْعِظْمَانِ النَّاتِثَانِ مِنْ جَانِبِي الْعَجْزِ. وَقَالَ الدُّرَيْدِيُّ: هُوَ الْعِظْمُ الَّذِي فِيهِ مَغْرِزُ عَجَبِ الذَّنْبِ. وَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ اللُّغَةِ: هُمَا عِزْقَانِ فِي مَوْضِعِ الرُّدْفِ.

٥ - وَلَيْسَ يَهْلِكُ مِنَّا سَيِّدٌ أَبَدًا إِلَّا افْتَلَيْنَا غُلَامًا سَيِّدًا فِينَا

تَبَّ بِهَذَا الْكَلَامِ عَلَى أَنَّ مَنْ يَسْتَحِقُّ السِّيَادَةَ فِيهِمْ يَكْثُرُ وَلَا يَقِلُّ، فَمَتَى دَرَجَ مِنْهُمْ رَئِيسٌ تَرَشَّعَ لِسَدِّ مَكَانِهِ وَاحِدًا. وَهَذَا مِثْلُ قَوْلِهِ: [الطويل]

وَأَنِّي مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ هُمْ هُمْ إِذَا مَاتَ مِنْهُمْ سَيِّدٌ قَامَ صَاحِبُهُ^(١)

وَالِافْتِلَاءُ: الْإِفْتَطَامُ وَالْأَخْذُ عَنِ الْأَمْرِ، وَمِنْهُ الْفُلُوءُ. وَالْمَعْنَى هُنَا: التَّشْرِيحُ وَالتَّهْيِئَةُ وَالرَّفْعُ عَمَّا عَلَيْهِ إِلَى الرِّيَاسَةِ. وَ«أَبَدًا» فِي الْمُسْتَقْبَلِ بِمَنْزِلَةِ قَطْعٍ فِي الْمُضِيِّ. وَالْقَصْدُ أَنَّهُمْ كُلُّ وَقْتٍ عَلَى ذَلِكَ. فَلَا يَحْتَاجُونَ إِلَى الْإِسْتِعَانَةِ بِالْأَجَانِبِ دُونَ الْأَقَارِبِ. وَالْأَبَدُ: الدَّهْرُ، وَقِيلَ سُمِّيَتِ الرَّخْشُ أَوَّابِدَ لِأَنَّهَا تُعَمَّرُ عَلَى الدَّهْرِ، حَتَّى لَا تَمُوتَ إِلَّا بَاقَةً. وَأَنْ يَكُونَ مِنَ التَّابُّدِ التَّوَحُّشُ أَحْسَنُ، وَإِنْ أَمَكْنَ رَدُّ الْكُلِّ إِلَى أَصْلٍ وَاحِدٍ.

٦ - إِنَّا لَنُزَخِّصُ يَوْمَ الرُّوْعِ أَنْفُسَنَا وَلَوْ نُسَامُ بِهَا فِي الْأَمْنِ أَغْلِيْنَا

«أَغْلَيْنَا» الْأَلْفَ لِلْإِطْلَاقِ، وَالنُّونُ ضَمِيرُ الْأَنْفُسِ، وَمَعْنَى أَغْلَيْنَ وَجَدْتَ غَالِيَةً أَوْ جُعِلْتَ غَالِيَةً. وَهُوَ هَكَذَا أَجُودَ، وَلَيْسَ يُرِيدُ أَنَّهُمْ مَعَ الْغَلَاءِ يُمْكِنُونَ مِنْهَا، بَلِ الْمَرَادُ قَطْعُ الْمَقْدَرَةِ عَنْهَا. وَمِثْلُ هَذَا: [الوافر]

تُعَرِّضُ لِلسَّيْفِ بِكُلِّ تُغْرِ خُدُودًا لَا تُعَرِّضُ لِلسَّبَابِ^(٢)

(١) اللقيط | بن زرارة في الحيوان ٩٣: ٣، ولأبي الطمحن القيني في الكامل ٣٠، والوساطة ١٥٩.
(٢) البيت للقتال الكلابي في الكامل ص ٦٧، وبلا نسبة عند التبريزي ٨١: ١ (إذا التقينا) بدل (بكل) (نغر).

فيقول: نَبْتَذِلْ أَنْفُسَنَا فِي الْحُرُوبِ وَلَا نَصُوئُهَا، وَلَوْ عَرِضَ عَلَيْنَا إِذَالَتُهَا فِي غَيْرِهَا لَامْتَنَعْنَا. وَهَذَا لِحِرْصِهِمْ عَلَى تَخْلِيدِ الذِّكْرِ الْجَمِيلِ، وَالْإِبَانَةِ عَنْ مَحَلِّ النَّفْسِ فِي الشَّجَاعَةِ. وَالرُّخْصُ فِي السَّعْرِ: سَهْلَتُهُ وَلَيْثُهُ، وَهُوَ مِنْ قَوْلِهِمْ فِيمَا أَظُنُّ امْرَأَةً رَخْصَةً، إِذَا كَانَتْ نَاعِمَةً. وَقَوْلُهُ: «لَوْ نُسَامُ بِهَا» أَيِ تُحْمَلُ عَلَى أَنْ نُسَوِّمَ بِهَا. وَيُقَالُ سَامٌ بِسَلْعَتِهِ كَذَا وَكَذَا، وَاسْتَامَ أَيْضًا، وَأَعْلَى السُّوَمِ وَالسَّيْمَةِ وَأَسَمْتُهُ أَنَا، أَيِ حَمَلْتُهُ عَلَى أَنْ سَامَ. وَلَا يَمْتَنَعُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُمْ: سَمْتُهُ خَسْفًا، أَصْلُهُ مِنْ ذَاكَ وَإِنْ اسْتَعْمِلَ فِي الْمَكْرُوهِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَسْأَلُونَكَ سَوَاءَ الْكَلَابِ﴾ [البقرة: الآية ٤٩]. وَفِي الْبَيْتِ طِبَاقٌ بِذِكْرِ الْإِرْخَاصِ وَالْإِغْلَاءِ، وَالرُّزُوعِ وَالْأَمْنِ، فِي مَوْضِعَيْنِ، وَهُوَ حَسَنٌ جَيِّدٌ.

٧ - بِيضٌ مَفَارِقُنَا تَغْلِي مَرَاجِلُنَا نَأْسُو بِأَمْوَالِنَا آثَارَ أَيْدِينَا
يُروى: «بِيضٌ مَعَارِفُنَا»، وَهِيَ الْوَجْهَةُ. وَالْمَرَادُ بِذَلِكَ نَقَاءُ الْعَرِضِ وَانْتِفَاءُ الذَّمِّ وَالْعَيْبِ. وَيُقَالُ: امْرَأَةٌ حَسَنَةُ الْمَعَارِفِ، أَيِ الْوَجْهِ بِمَا يَشْتَمِلُ عَلَيْهِ، وَقِيلَ الْأَثْفُ وَمَا وَالَاهُ. وَقِيلَ: الْحُسْنُ فِي الْأَنْفِ، وَالْمَلَاخَةُ فِي الْأَسْنَانِ. وَوَاحِدُ الْمَعَارِفِ مَعْرِفٌ وَمَعْرِفٌ، وَكَأَنَّ الْوَجْهَ سُمِّيَ بِهَا لِأَنَّهُ مَعْرِفَةُ الْأَجْسَامِ وَتَمْيِيزُهَا تَقَعُ بِهَا. وَالْأَشْهُرُ وَالْأَحْسَنُ «بِيضٌ مَفَارِقُنَا». وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ ابْيَضَّتْ مَفَارِقُنَا مِنْ كَثْرَةِ مَا نَقَاسِي الشَّدَائِدِ. وَهَذَا كَمَا يَقَالُ أَمْرٌ يُشِيبُ الذُّوَابِ. وَفِي الْقُرْآنِ: ﴿يَوْمًا يَجْمَلُ أَوَّلُ لَدُنَّ شَيْئًا﴾ [المزمل: الآية ١٧]. وَ«تَغْلِي مَرَاجِلُنَا» أَيِ حُرُوبُنَا، كَقَوْلِ الْآخَرِ: [الطويل]

تَقُورُ عَلَيْنَا قِدْرُهُمْ فَتُذِيْمُهَا وَتَفْتُوْهَا عَنَّا إِذَا حَمِيْهَا غَلًا^(١)
وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَرَادُ: ابْيَضَّتْ مَفَارِقُنَا لِانْحِسَارِ الشَّعْرِ عَنْهَا، بِاعْتِيَادِنَا لُبْسِ الْمَغَافِرِ وَالْبَيْضِ، وَإِدْمَانِنَا إِيَّاهُ، وَيَكُونُ هَذَا كَمَا قَالَ: [السريع]

قَدْ حَصَّتِ الْبَيْضَةُ رَأْسِي فَمَا أَطْعَمُ نَوْمًا غَيْرَ تَهْجَاعٍ^(٢)

(١) البيت منسوب للناطقة الجعدي في اللسان (فتا). وبلا نسبة في التبريزي ١: ٨٢. ونفتوها: تُسَكِّنُ غُلِيَانَهَا.

(٢) البيت منسوب لأبي قيس بن الأسلت في اللسان (ح ص ص)، والمفضليات ٢: ٨٤، وبلا نسبة عند التبريزي ١: ٨٢.

وتكون المراحل على هذا كناية عن الحروب أيضًا. ويجوز أن يكون المراد: ابيضت مفارقنا من كثرة استعمالنا للطيب، ويكون كقول الآخر: [الطويل]
جَلَا الْأَذْفَرُ الْأَحْوَى مِنَ الْمِسْكِ قَرْفَةً^(١)

ويكون على هذا معنى «تغلي مراجلنا» أي قدورنا للضيافة، ويجوز أن يُريدَ: مَشِيئًا مَشِيْبُ الكرام، لا مشيب اللثام. وأنشد ابن الأعرابي في نوادره: [الطويل]
وَشَبَّتْ مَشِيْبُ الْعَبْدِ فِي ثُقْرَةِ الْقَفَا وَشَبِبُ كِرَامِ النَّاسِ فَوْقَ الْمَفَارِقِ^(٢)

وعلى هذا يُحمل المراحل على أن المراد بها قدور الضيافة. فأما قوله: «نأسو بأموالنا آثار أيدينا» وإنما يريد ترفعهم عن القود ودفع أطماع الناس عن مقاصبتهم، فيداون جراحاتهم ببذل الأروش والديات. والأسو: مداواة الجرح وإن استعمل في موضع الإصلاح. قال:

وَالْأَسَاءُ الشُّفَاءُ لِلدَّاءِ ذِي الرِّبِ بَةِ وَالْمُذْرِكُونَ لِلْأَوْغَامِ
وَيُقَالُ لِلضَّارِ النَّافِعِ: يَشُجُّ وَيَأْسُو. ومنه اشتقاق الإسو، ويقال الأسوة أيضًا. وَيُرْوَى أَنَّ مُضْعَبَ بْنَ الزُّبَيْرِ لَمَّا انْهَزَمَ النَّاسُ عَنْهُ يَوْمَ مَسْكَنَ جَعَلَ يُقَاتِلُ وَيَتَمَثَّلُ:
[الطويل]

وَإِنَّ الْأَلَى بِالطُّفِّ مِنْ آلِ هَاشِمٍ تَأَسَّوْا فَسَتُّوا لِلْكَرَامِ التَّأَسِّيَا^(٣)
وفي البيت مع حُسن المعاني التي بيئتها توازن في اللفظ مستقيم، وسلامة مما يجلب عليه التهجين.

٨ - إِنِّي لَمِنْ مَعْشَرٍ أَفْنَى أَوَائِلِهِمْ قَوْلُ الْكُمَاةِ أَلَا أَيْنَ الْمُحَامُونَا^(٤)
يقاربه قول الخنساء: [الطويل]

أَقَلْتُ مُسَامَاةَ الرِّجَالِ عَدِيدَنَا

فيقول مفتخرًا إني لمن قوم أهلك أسلافهم قول الأبطال لهم: ألا أين الذابتون والمُحَامُون؟ فكانوا يتقدمون ويفتنون. والكمأة: جمع الكمي، وهو من قولهم كمي

(١) بلا نسبة عند التبريزي ٨٢: ١.

(٢) عند التبريزي ٨٢: ١ (وشيب مشيب).

(٣) لسليمان بن قتيبة في تاج العروس (أسا)، وبلا نسبة في اللسان (أسا، أولى). وديوان الأدب ٢٤٤: ٤.

(٤) التبريزي: «قيل الكماة».

شهادته، إذا كَتَمَهَا؛ لَأَنَّ الشُّجَاعَ يَسْتَغْنِي بِالْفَعَالِ، عَنِ الدُّعْوَى وَالْمَقَالِ، فَكَأَنَّهُ يَسْتُرُ أَمْرَهُ وَشَأْنَهُ لَوْ قَتَّ الْحَاجَةُ، وَلَآئِهِ إِذَا سَكَتَ ذَلَّ عَلَى صِفَاتِهِ بِلاؤُهُ.

٩ - لو كان في الألف مئا واحد فدعوا مَن فارس خالهم إياه يغثوننا

يعني بقوله «فَدَعَوْا» أعلنوا الاستغاثة بِيَالِ فَلَانٍ، وَمَنْ فَتَى، وما أشبهه. ويقال: خِلْتُهُ أَخَاهُ خَيْلاً وَمَخِيلَةً وَخَيْلَانًا. وهذا مثل قول طَرْفَةَ: [الطويل]

إذا القوم قالوا من فتى خلت أنني غنيث فلم أكسل ولم أتبلد

وقد زاد هذا عليه بقوله «لو كان في الألف مئا واحد». لأن ذلك قال:

إذا القوم قالوا من فتى، فنصب نفسه مع قومه؛ وهذا جعله مُنْضَمًّا مع الكثرة إلى الغرباء. وإنما قال: «مَن فَارِسٌ» فَتَكَّرَ، كما قال طَرْفَةُ: «مَنْ فَتَى» فَتَكَّرَ. ولم يُعَرَّفْ واحدٌ، منهما، لأنَّ السؤال بالمنكر لشدة إبهامه يكون أشمل لتناوله واحداً واحداً لا سيمًا وليس القصد في الاستفهام إلى معهود معين، ولا إلى الجنس فيقال: من الفتى، ومن الفارس. وفي هذه الطريقة قول الآخر: [الطويل]

إذا القوم قالوا من فتى لعظيمة فَمَا كُلُّهُمْ يُدْعَى وَلَكِنَّهُ الْفَتَى^(١)

وبيت بشامة أجود الثلاثة. وقد أحسن الفرزدق كل الإحسان لما أشار إلى هذا

المعنى فقال: [الوافر]

إذا ما قيل يا لحمة قوم فنحن بدعوة الداعي غنيينا

١٠ - إذا الكُماة تنحوا أن ينالهم حَدُّ الطُّبَاتِ وصلناها بأيدينا^(٢)

إنما قال حَدُّ الطُّبَاتِ - وَطَبَةُ السَّيْفِ: حَدُّهُ - لَأَنَّهُ أَرَادَ الْمَضَارِبَ بِأَسْرِهَا. وكما صَلَحَ أَنْ يُقَالَ أَصَابَتْهُ طَبَةُ السَّيْفِ صَلَحَ أَنْ يُقَالَ حَدُّ الطُّبَةِ. وقيل الطَّبَةُ: طَرَفُ السَّيْفِ، وَالشَّبَاةُ حَدُّ طَرَفِهِ. يقول: إذا الأبطال تباعدوا عن المصادمة والمكافحة، مخافة أن ينالهم حَدُّ السُّيُوفِ مَدَدْنَا أَبْوَاعَنَا إِلَيْهِمْ بِهَا أَوْ وَصَلْنَاهَا، وفي هذا المعنى قوله: [الطويل]

إذا قصرت أسيافنا كان وصلها خُطَانَا إِلَى أَعْدَائِنَا لِلتَّضَارِبِ

(٢) التبريزي: «أن يصيبهم».

(١) بلا نسبة في التبريزي ١: ٨٣.

وقوله «تنحوا أن ينالهم» أي تنحوا أن ينالهم، ومخافة أن ينالهم؛ فلما حذف من وَصَلَ الْفِعْلُ فَعَمِلَ. وعلى هذا قولهم: تَحَصَّنَ فلانٌ أن يُطْلَبَ، وقول الله تعالى: ﴿يَبِئْسَ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا﴾ [النساء: الآية ١٧٦]. وقوله: «وصلناها بأيدينا» أي إذا عَجَزَتْ جعلنا وصلها أيدينا. وهذه الأبيات إذا تَوَمَّلْتَ فكلٌ منها غاية يدعُو إلى نفسه لَفْظًا وَمَعْنَى.

١١ - وَلَا تَرَاهُمْ وَإِنْ جَلَّتْ مُصِيبَتُهُمْ مع البُكَاءِ على من مَاتَ يَبْكُونَا يصف تعودهم للثكل، وإلْقَهُم للمصائب والقتل، وأن قلوبهم قد مَرَّتْ عليها حتى قَسَتْ، فلا يَبْكُون مع البُكَاءِ على من قُتِلَ منهم. ومثله قول عمرو بن كلثوم: [الطويل]

مَعَاذَ الْإِلَهِ أَنْ تَنُوحَ نِسَاؤُنَا على هَالِكٍ أو أَنْ نَصِيحَ من الْقَتْلِ
١٢ - وَتَرْكَبُ الْكُرَّةَ أَحْيَانًا فَيَفْرُجُهُ عَنَّا الْحِفَاظُ وَأَسْيَافُ تَوَاتِينَا
يجوز أن يكون هذا كما قال الآخر: [الطويل]

فحَالَفْنَا السُّيُوفَ على الدهرِ

ويجوز أن يكون أراد بالسيوف رجالاً كأنهم السيوف مضاء ونفاذاً، والأول أولى. وإنما يَصِفُ خِطَارَهُمْ بِمَهْجِهِمْ، وَرُكُوبَهُم المَهَالِكِ، وَرَمِيَهُمْ بِأَنْفُسِهِم المَرَامِي المُنْغِطَةِ. فيقول: إذا فعلنا ذلك في الوقت بعد الوقت، وَسَعَتِ المضايِقُ عَنَّا مُحَافَظَتُنَا على الكرم وَصَبْرُنَا على الشدائد، واستعمالنا سِيُوفَنَا المِطَاوِعَةَ لَنَا. ومعنى يَفْرُجُهُ: يكشفه ويوسِّعه. ويقال: فَرَجَ اللهُ غَمَّهُ وفَرَّجَهُ، بالتخفيف والتشديد. ومنه سُمِّيَ ما بين القوائم: الفروج. وإطلاق لفظ الفَرَجِ على العَوْرَةِ يجري مجرى الكنايات. وعلى هذا قيل: رَجُلٌ فَرَجَةٌ، إذا كان كَشَافًا لَأَسْرَارِهِ.

١٥ - عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي

ويقالُ إِنَّهُ لِلْسَّمَوَالِ بنِ عَادِيَا اليهودي^(١): [الطويل]

١ - إِذَا المرءُ لم يَذْنَسْ مِنَ اللُّؤْمِ عِزُّهُ فكلُّ رِذَاءٍ يَرْتَدِيهِ جَمِيلٌ

(١) وقال التبريزي: (ويقال: إنها لعبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي، وهو إسلامي).

يقال: ذَنَسَ ذَنَسًا، وَتَذَنَسَ تَذَنَسًا، إِذَا تَكَلَّفَهُ. فيقول: إِذَا لَمْ يَتَذَنَسِ الرَّجُلُ بِاِكْتِسَابِ اللُّؤْمِ وَاعْتِيَادِهِ فَأَيُّ مَلَبَسٍ لَبَسَهُ بَعْدَ ذَلِكَ كَانَ حَسَنًا جَمِيلًا. وَذَكَرَ الرَّدَاءُ هَلْهَذَا مُسْتَعَارًا، وَقَدْ قِيلَ: رَدَّاهُ اللَّهُ رَدَاءَ عَمَلِهِ، فَجُعِلَ كَنَاءَةً عَنْ مَكَافَأَةِ الْعَبْدِ بِمَا يَعْمَلُهُ، أَوْ تَشْهِيرِهِ بِهِ، كَمَا جَعَلَهُ هَذَا الشَّاعِرُ كَنَاءَةً عَنِ الْفِعْلِ نَفْسِهِ. وَتَحْقِيقُهُ: فَأَيُّ عَمَلٍ عَمِلَهُ بَعْدَ تَجَنُّبِ اللُّؤْمِ كَانَ حَسَنًا. وَاللُّؤْمُ: اسْمٌ لَخِصَالٍ تَجْتَمِعُ، وَهِيَ الْبُخْلُ وَاخْتِيَارُ مَا تَقْيِيهِ الْمَرْوَةُ، وَالصَّبْرُ عَلَى الدَّنِيَّةِ، وَدَنَاءَةُ النَّفْسِ وَالْآبَاءِ. وَإِذَا يَتَضَمَّنُ مَعْنَى الْجَزَاءِ، وَالْفَاءُ مَعَ مَا بَعْدَهُ جَوَابُهُ. وَلَيْسَ هُنَا مِنْ قَوْلِ عَمْرُو بْنِ مَعْدِيكَرِبَ: [الكامل]

لَيْسَ لَجَمَالٍ بِمَثْرَزٍ فاعلم وإن رُدِّيتَ يُرَدًّا^(١)
فَيُعتَقَدُ أَنَّهُ يَرِيدُ بِالرَّدَاءِ الثَّيَابَ بِسَبِيلٍ، فاعلمه.

٢ - إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَخْجِلْ عَلَى النَّفْسِ ضَيْمَهَا فَلَيْسَ إِلَى حُسْنِ الثَّنَاءِ سَبِيلٌ^(٢)

يقول: إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَخْجِلْ ظَلَمَ نَفْسَهُ عَلَيْهَا، وَلَمْ يَصْبِرْهَا عَلَى مَكَارِهَا، فَلَيْسَ لَهُ طَرِيقٌ إِلَى الثَّنَاءِ الْحَسَنِ. وَهَذَا يُشِيرُ إِلَى كَظْمِ الْغَيْظِ، وَاسْتِعْمَالِ الْجِلْمِ، وَتَرْكِ الظُّلْمِ وَالتَّبَيُّعِ مَعَ ذَوِيهِ، وَالصَّبْرِ عَلَى الْمَشَاقِّ، وَإِهَانَةِ النَّفْسِ فِي طَلَبِ الْحَقُوقِ؛ لِأَنَّ مَنْ تَعَوَّدَ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ عَلَا ذِكْرُهُ، وَحَسُنَ ثَنَاؤُهُ. وَيُقَالُ: ضَامَهُ ضَيْمًا، وَهُوَ مَضِيْمٌ، إِذَا عَدَلَ بِهِ عَنْ طَرِيقِ التَّصَفِّهِ وَاهْتَضَمَهُ. وَمِنْهُ قِيلَ: قَعَدَ فِي ضَيْمِ الْجَبَلِ، أَيِ فِي نَاحِيَةِ تَنْعِيدِ إِلَيْهِ. وَكَمَا اسْتَعْمِلَ الضَّيْمُ مِنْ ضَامٍ، كَذَلِكَ اسْتَعْمَلَ الْهَضْمُ وَاجِدُ أَهْضَامِ الرَّادِي مِنْ هَضَمٍ. وَيَنْبَغِي مِنْ طَرِيقِ الْمَعْنَى أَنْ يُرِيدَ بِقَوْلِهِ «ضَيْمَهَا» ضَيْمَ الْغَيْرِ لَهَا فَأَضَافَ الْمَضْدَرَ إِلَى الْمَفْعُولِ، لِأَنَّ احْتِمَالَ ضَيْمِ الْغَيْرِ لَهُمْ يَأْتُونُ مِنْهُ، وَيَعْدُونَهُ تَذَلُّلًا.

٣ - تُعَيِّرُنَا إِنَّا قَلِيلٌ عَدِيدُنَا فَقُلْتُ لَهَا إِنَّ الْكِرَامَ قَلِيلٌ

يقال: عَيَّرْتُهُ كَذَا، وَهُوَ الْمَخْتَارُ الْحَسَنُ، وَقَدْ جَاءَ غَيْرُهُ بِكَذَا. قَالَ عَدِيٌّ:

[الخفيف]

أَيُّهَا الشَّامِتُ الْمُعَيِّرُ بِالذُّهْرِ رِ آأَنْتَ الْمَبْرَأُ الْمَوْفُورُ

وَالْمَعْنَى: أَنْكَرْتُ مَنَّا قَلَّةَ عَدَدِنَا فَعَدَّتْهُ عَارًا، فَاجْتَبَتْهَا وَقُلْتُ إِنَّ الْكِرَامَ يَقْلُونَ. وَالْكَرَمُ: اسْمٌ لَخِصَالٍ تُضَادُّ خِصَالَ اللُّؤْمِ، وَقَدْ ذَكَرْنَاهَا. وَهَذَا الْاعْتِرَافُ الَّذِي حَصَلَ

(١) البيت في ديوانه ٣٣، والتبريزي ١: ٨٦. (٢) عند التبريزي: «وإن هو لم يحمل».

منه إنما هو اعترافٌ بقلّة العدد لا بقلّة القُدْرِ والعَنَاءِ، ألا تَرَى أنه رَجَعَ عليه بالتقي في البيت الثاني فقال:

وما قَلٌّ مَنْ كانت بقاياها مِثْلَنَا

على أن قوله «إِنَّ الكرام قليل» يشتمل على معانٍ كثيرة: وهي وَلَوْغُ الذَّهْرِ بهم، واعتيام الموت إِيَّاهم، وقلة النُّسْلِ فيهم، واستقتالهم في الدِّفاع عن أَحْسَابِهِمْ، وإِهَانَتُهُمْ كرائم نفوسهم مخافة لزوم العار لهم، ومحافظةُهم على عِمارة ما ابتناه أسلافُهم، وكلُّ ذلك يقلِّل العَدَدَ، ويقصر المَدَدَ. وقليلٌ وكثيرٌ يوصف بهما الواحد والجمع.

٤ - وما قَلٌّ مَنْ كَانَتْ بَقَايَاهُ مِثْلَنَا شَبَابٌ تَسَامَى لِلْعُلَا وَكُهُولٌ

الهاء من قوله «بقاياها» راجعة إلى لفظ «مَنْ» لأنَّ معناه الكثرة. ولو ردَّ عليه لقال بقاياهم. يقول: وما حصلت القِلَّةُ في القُدْرِ والعَنَاءِ، ولا لِحِقَّتِ الذُّلَّةُ في اللُّقَاءِ والدِّفاع لأسلافٍ أخلافُهم نحنُ، شَبَابٌ وكُهُولٌ يتسامون في اكتساب المعالي، ويترقون في درجات الفضل. و«شبابٌ» مُضَدَّرٌ في الأُضْلِ ووُصِفَ به، ولذلك لا يثنى ولا يُجْمَع. يقال: شَبَّ الصَّبِيُّ يَشْبُ شَبَابًا. وقوله «تَسَامَى» أراد تَتَسَامَى، فحذف إحدَى التائين استثقالاً للجمع بينهما. فَإِنْ قُلْتَ: هَلَا أَدْعَمْتُ كَمَا أَدْعَمْتُ فِي أَدْرَاكِ - والأصل تدارك؟ قلت: ليس هذا موضع إدغام، لأنَّه فعل مضارع. ألا تَرَى أنه لو أَدْعِمَ لاحتيج إلى جَلْبِ ألف الوصل لكون أوله، وألفُ الوصل لا يدخل على الفعل المضارع. والكَهْلُ: الذي قد وَخَطَهُ الشَّيْبُ، ومنه اكْتَهَلَ الثُّبْتُ، إذا شَمِلَهُ النُّورُ.

٥ - وما ضَرَرْنَا أَنَا قَلِيلٌ وَجَارُنَا عَزِيزٌ وَجَارُ الْأَكْثَرِينَ ذَلِيلٌ

في هذا الكلام تعريض بعشيرة من جاذبه الكلام. يقول: وما يضرُّنا قَلَّةُ عددنا وجارُنَا في عِزٍّ، وجار من لهم العدَدُ والكثرة في ذُلٍّ. وقوله: «وما ضَرَرْنَا» يجوز أن يكون ما حَزَفَ نفي، والمعنى: لم يضرُّنا؛ ويجوز أن يكون اسمًا مستفهمًا به على طريق التَّقْرِيرِ، والمعنى: أي شيءٍ يَضُرُّنا. والواو من قوله: «وجارُنَا عَزِيزٌ» واو الحال، أي لا يضرُّنا ذلك والحال هذا. وكذلك الواو من قوله: «وجارُ الأكثرين ذليلٌ» واو الحال. وإِنَّمَا صَلَحَ الجمع بين الحالين لأنَّهما لذاتين مختلفتين، ولو كانا لذات واحدةٍ لم يَصْلَحْ. والعِزُّ والعزاة استعمل في القُدْرَةِ والمَنعِ، وفي الصَّلابة

والشدة. ويقال: تعزّز اللحم، لأنّ الكلّ يرجع إلى أصل واحد، كما أنّ الذلّ والذلّ الذي هو ضده استعمل في الانقياد والسهولة واللّين والوطأة، إذ جميعه يدعو إلى شيء واحد. وفي طريقته: [الوافر]

فجارك عند بيتك لحم ظنبي وجاري عند بيتي لا يرام
وقول الآخر: [الطويل]

وهم يمتنعون جازهم أن يُقرّدا^(١)

٦ - لثا جبل يخلّله من نجيره منيع يزود الطّرف وهو كليل
ومثله: [الطويل]

لنا هضبة لا يدخل الذلّ وسطحها ويأوي إليها المستجير ليغصما^(٢)

وأراد بذكر الجبل العزّ والسمو. فيقول: لنا جبل عزّ يدخله من نُدخله في جوارنا، ممتنع على طاليه، يزود لإشرافه وسُموقه طَرف الناظر إليه وهو حسير. ومنيع: اسم الفاعل من مَنَعَ مَنَاعَةً وَمَنَاعًا، ومنه المَنَعَةُ. ويجوز أن يكون فاعلاً في معنى مفعول، أي ممنوع منه، وكما استعمل المنيع في العزّ استعمل أيضاً في العفة، فليل: امرأة منيعة وممتنعة أي عفيفة. وحلّ واحتلّ بمعنى. والطّرف: النّظر والعين جميعاً. وقال الدّزّيدي: طَرف العين امتداد لحظها.

٧ - رسا أصله تحت الشرى وسما به إلى النجم فزغ لا ينال طويل
رَسَا الجبل: ثبت أصله في الأرض. ومنه رَسَت السفن، إذا انتهت إلى قرار البحر، والرُسُو والرُسوخ يتقاربان. والثرى: الندى. وما تحت الأرض ثرى. ويقال: ثرى ثرى، على المبالغة. يقول: ثبت أصل هذا الجبل - وهو يريد العزّ على ما بينت - تحت الأرض وارتفع به أعلى طويل لا ينال إلى محلّ النجم. والمراد: عزنا أصله تحت الأرض السابعة، وفزعه عند النجم. ومعنى لا ينال: لا يوصل إليه ولا يحصل

(١) البيت للحصين بن القعقاع في لسان العرب (سنت) و (قرد)، والتنبيه والإيضاح ١: ١٦٥، وللأعشى في أساس البلاغة (قرد) وليس في ديوانه، وبلا نسبة في ديوان الأدب ١: ٣٣٢، وتهذيب اللغة ١٢: ٣٨٥. وصدّره:

«هُمُ السَّمْنُ بالسَّنَوْتِ لَا أَلْسَ بَيْنَهُمْ»

(٢) بلا نسبة عند التبريزي ١: ٨٨.

مثله. وكما كان يقال في الرُفيع الشَّانِ العالي القَدْر: هو في النجم وهو في السَّكَّاءِ، وكان قصده في الفَرْع أنه مديدٌ حتَّى اتَّصل بالنجم، زاده صِفَةً فقال طويل. وقد طابَقَ الرُّسُو بالسُّمُو، كما قابل الأصل بالفَرْع. ونقله أبو تَمَامٍ فقال: [المتقارب]

لنا نَبْعَةٌ فرُعها في السماءِ وفي هامةِ الحوتِ أغْرَاقُها

٨ - وإِنَّا لَقَوْمٌ ما نَرى القَتْلَ سُبَّةً إذا ما رَأَتْهُ عَامِرٌ وَسَلُولٌ

كان وجه الكلام أن يقول: ما يَرَوْنَ القتلَ سُبَّةً، حتَّى يرجع الضمير من صفة القوم إليه ولا تَغْرَى منه، لكنَّه لما عَلِمَ أن المراد بالقَوْمِ هُم قال: ما نرى. وقد جاء في الصَّلَة مثل هذا، وهو فيه أَفْطَح، قال: [الرجز]

أنا الذي سَمَّيْتَنِي أُمِّي حَيْدَرَةً^(١)

والوجه «سَمَّيْتَهُ» حتَّى لا يَغْرَى الصَّلَة من ضمير الموصول. قال أبو عثمان المازني: لولا صحة مورِدِهِ وتكرُّره لردَّدته. فَضَّلَ عشيرته في الصُّبر على الموت، والثُّبَات في الحرب على عامِرٍ وَسَلُول، وهما قبيلتان. فيقول: إِذَا حَسِبَ هؤلاء القتل والقتال عارًا ومنقَصَةً عَدَمًا عشيرتي فخرًا ومكْرَمَةً. والسُّبَّة: ما يُسَبَّ به، كما أن الخُدعة ما يُخْدَع به. وأصل السُّب: القَطْع، ثم اسْتَعْمِلَ في الشُّتْم. وهذا كما يقال: فلانٌ يَقْطَعُ أعراضَ الناس. وقوله: «ما نَرَى» أي لا نجعل ذلك مذهبًا.

٩ - يَقْرَبُ حُبُّ الموتِ أَجَالَنَا لَنَا وَتَكْرَهُهُ أَجَالُهُمْ فَتَطُولُ^(٢)

قوله: «يقرب حبُّ الموت» أي حُبُّنا للموت. وجعل في مقابلته: «وتكرهه أَجَالُهُمْ» لأنَّه يشتمل على ما يوفِّيها حَقُّها من اللفظ. وإن كانت من حيث المعنى قد حَصَلَتْ: ويبعدُ بُغْضُهُمْ إِياه أَجَالُهُمْ. ويكون الشاعر مُلِمًّا في المصراع الأوَّل بقول الآخر: [الطويل]

رَأَيْتُ الكَرِيمَ الحُرَّ ليس له عُمُرُ

لأنَّه يشير إلى أنَّهم يُغْتَبَطُونَ لاقتحامهم المنايا، وجِرْصهم على ملابسة الحروب، وأن أولئك يعمِّرون لمجانبتهم الشرور، وزهدهم في مجاذبة العدو. ويجوز

(١) لعلي بن أبي طالب في اللسان (ح د ر)، وبلا نسبة في شرح التبريزي ١: ٨٨، وحيدة: الأسد.

(٢) عند التبريزي (وتطول).

أن يكون أضافَ الحُبَّ من قوله «حُبُّ الموت» إلى الفاعل، فيكون المعنى: يقرَّب حُبُّ الموت لنا آجالنا، ويكون هذا كقول طَرْفَة: [الطويل]

أَرَى الموتَ يَعتامُ الكِرَامَ وَيُصْطَفِي عَقِيلَةَ مَالِ الْفَاجِسِ الْمَتَشَدِّدِ^(١)

ويكون على هذا قوله: «وتكرهه آجالهم» محمولاً على أنه إذا كرهت آجالهم الموت فقد كره الموت آجالهم أيضاً. ألا ترى قول دُرَيْد: [الطويل]

أَبَى الْقَتْلَ إِلَّا آلَ صِمَّةَ إِنَّهُمْ أَبْوَا غَيْرُهُ وَالْقَدْرُ يَجْرِي إِلَى الْقَدْرِ
وقول مُتَمِّم: [الطويل]

أَرَى الموتَ طَلَأًا عَلَى مَنْ تَرَفَّعَا^(٢)

وإذا كان كذلك فالتقابل في هذا الوجه حاصلٌ أيضاً. وبعضهم روى: «يُقَصِّرُ حُبُّ الموت» واختاره، ليكون القَصْرُ بإزاء الطول. وهم لا يُراعون مثل هذا إذا تناسبت المعاني وتقابلت، ويكون ذلك منهم كالمتهربى من التكلف. ألا ترى أبا دُوَيْبِ الهذلي قال: [المتقارب]

وَشَيْكُ الْفُضُولِ بَعِيدُ الْقُفُولِ إِلَّا مُشَاحَا بِهِ أَوْ مُشِيحَا^(٣)

وقد كان يمكنه أن يقول بطيء القفول فلم يُراع ذلك. وقد أحسنَ عنتره كلَّ الإحسان في سلوك هذه الطريقة، حين قال: [الكامل]

لَيْسَ الْكَرِيمُ عَلَى الْقَنَا مُحَرَّمٌ^(٤)

١٠ - وَمَا مَاتَ مِنَّا سَيِّدٌ خَفَّ أَنْفُهُ وَلَا طُلٌّ مِنَّا حَيْثُ كَانَ قَتِيلٌ

«حتف» انتصب على الحال، ولم يُستعمل منه حُتِفَ ولا هو محتوف. وليس هذا مثل تَبَسَّمَت ومِيضَ الْبَرْقِ، فاعلمه. يقول: لم يَمُتْ رَيْسٌ مِنَّا على فراشه، بل

(١) لطرفة بن العبد في ديوانه ٣٤، ولسان العرب (شدد) و(فحش) و(عيم)، وتهذيب اللغة ٤: ١٨٨.

(٢) المفضليات ٢: ٧٠. وصدده:

«فلا تفرحن يوماً بنفسك إنني»

(٣) البيت في شرح أشعار الهذليين ص ٢٠٢، ولسان العرب (فصل) و(فضل)، وتاج العروس (فصل)، والتبريزي ١: ٨٩.

(٤) لعنترة في ديوانه ص ٢١٠، ولسان العرب (طهر)، و(شكك)، وجمهرة اللغة ١٣٩. وصدده:

«وشككت بالرمح الأصم ثيابي»

مات ميتةً كريمةً في الحرب تحتَ ظلالِ السُّيوفِ والرِّماحِ، ولا أبطلَ دَمٌ قَتِيلٍ مِثْلَ
حيث كان، وعلى يدِ مَنْ اتَّفَقَ. وهذا غاية ما يَتَحَمَّدُ به الفُتَّاكُ وأبناءُ الحروبِ، حتَّى
إنَّ بعضهم اعتدَرَ عمن مات على فراشه فقال: [الوافر]

بَحْمَدٍ مِنْ سِنَانِكَ لَا يَدَمُ أَبَا قُرَّانٍ مُتَّ عَلَى مِثَالِ^(١)
وفي هذه الطريقة قوله: [الخفيف]

كُتِبَ الْقَتْلُ وَالْقِتَالُ عَلَيْنَا وعلى الغانياتِ جَرُّ الدُّيُولِ^(٢)

وقوله: «مات حتف أنفه» يقال إنَّ أَوَّلَ مَنْ تكلم به النبي ﷺ. وتحقيقه: كان
حتفه بأنفه، أي بالأنفاس التي خرجت من أنفه عند نزوع الروح، لا دَفْعَةً واحدة.
ويقال: خُصَّ الأنفُ بذلك لأنه من جهته ينقضي الرَّمَق. ويقال: طُلَّ دمه يُطْلُ طَلًّا،
إذا أُهْدِرَ.

١١ - تَسِيلُ عَلَى حَدِّ الطُّبَّاتِ نَفُوسُنَا وليست على غَيْرِ السُّيُوفِ تَسِيلُ
يُروى: «تسيل على حَدِّ السُّيُوفِ نفوسُنَا». ولم يقل وليست على غيرها تَسِيلُ
في الروایتين، لأنهم يكررون أسماء الأجناس والأعلام كثيرًا، ولا سِيَمًا إذا قَصَدُوا
التفخيم بها. كما قال عَدِيٌّ: [الخفيف]

لَا أَرَى الْمَوْتَ يَسْبِقُ الْمَوْتَ شَيْءٌ نَعَصَ الْمَوْتُ ذَا الْغِنَى وَالْفَقِيرَا^(٣)

وفي الرواية الثانية - وهي المشهورة - أضافَ الحَدَّ إلى الطُّبَّاتِ. وهذا فيه
وجهان: أحدهما أن يكون أراد بالطُّبَّاتِ السُّيُوفَ كُلَّهَا ثم أضافَ الحَدَّ إليها، والمعنى:
تسيل على حَدِّ السُّيُوفِ دماؤنا وليست تسيل على غيرها. وهذا كما يُسَمَّى السيفُ كما
هُوَ نَضْلًا، وكما يُسَمَّى السَّهْمُ نَضْلًا كما هو. والثاني أن إضافةَ الحَدِّ إلى الطُّبَّاتِ
كإضافة البعض إلى الكل، ويكون التقدير: تسيل على الحَدِّ من الطُّبَّاتِ، وتكون
الطُّبَّاتُ مَضَارِبَ السُّيُوفِ. فإن قيل: كيف تبجح بأن تكون دماؤهم تسيل على حَدِّ
السُّيُوفِ لا على غيره؟ قلت: إنَّ الدماء قد تُسال بالعِصِيَّ وبغيرها مما لا يكون شَرَفًا،

(١) المثال: الفرائش.

(٢) لعمر بن أبي ربيعة في الأغاني ٨: ١٣٣، وزهر الآداب ٣: ٧٦، وديوانه -.

(٣) البيت لعدي بن زيد في ديوانه ص ٨٥، وخزانة الأدب ١: ٣٧٨، وشرح التبريزي ١: ٩٠،
ولسواده بن عدي في شرح أبيات سيويه ١: ١٢٥، وشرح شواهد المغني ٢: ١٧٦.

فَعَدَّ الْقِتْلَةَ الَّتِي تَكُونُ بِالسَّيْفِ أَكْرَمَ . أَلَا تَرَى أَنَّ بَنِي أَسَدٍ يُسَمُّونَ «عَبِيدَ الْعَصَا» لَمَّا كَانَ حُجْرٌ أَبُو أَمْرِئِ الْقَيْسِ حِينَ أَوْقَعَ بِهِمْ قَتْلَهُمْ بِهَا، لَتَكُونَ قَتْلَتُهُمْ ذَمِيمَةً . وَقَدْ قُتِلَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ بِالْجَلَامِيدِ وَالصُّخُورِ، وَلِذَلِكَ قَالَ بَعْضُهُمْ : [الطويل]

جَلَامِيدُ أَمْلَاءُ الْأَكْفَفِ كَأَنَّهَا رُؤُوسُ رِجَالٍ خُلِقَتْ فِي الْمَوَاسِمِ^(١)
وَقَالَ آخِرُ^(٢) : [الكامل]

وَلَا تُقَاتِلْ بِالْعَصَا يَ لَا نَرَامِي بِالْحِجَارَةِ
إِلَّا عُـلَّالَةً أَوْ بُـدَا هَـةَ سَابِحٍ نَهْدِ الْجُزَارَةِ

وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ عَلَى هَذَا فَمَعْنَى التَّبَجُّحِ أَنْ تَكُونَ مَنِيتُهُمْ بِالسُّيُوفِ ظَاهِرَةً . وَأَمَّا قَوْلُهُ : [المنسرح]

لَوْ بِأَبَائِنِ جَاءَ يَخْطُبُهَا رُمْلٌ مَا أَنْفُ خَاطِبٍ بِدَمٍ^(٣)
فَإِنَّ الْفَخْلَ الْهَجِينَ إِذَا تَعَرَّضَ لِلنَّاقَةِ الْكَرِيمَةِ قُرَعَ أَنْفُهُ بِالْعَصَا وَضُرِبَ وَجْهُهُ بِهَا، فَهُوَ مِنْ ذَلِكَ مَاخُذٌ .

١٢ - صَفَوْنَا فَلَمْ نَكْذُرْ وَأَخْلَصَ سِرُّنَا إِنَّا أَطَابَتْ حَمَلُنَا وَفُحُولُ

أَشَارَ بِهَذَا الْكَلَامِ إِلَى كَرَمِ الْمَنَاصِبِ وَالْمَنَاسِبِ، وَطِيبِ الْمَنَنِ وَالْمَغْرِسِ . فَيَقُولُ : صَفَّتْ أَنْسَابُنَا فَلَمْ يَشْبَهْهَا كُدُورَةٌ . وَخَلَصَ نِكَاحُنَا أُمَهَاتٍ طَيِّبَتْ حَمَلُنَا، وَأَبَاءَ كَرَمَتْ غُرُوقُنَا . وَيَقَالُ : كَذِرَ الْمَاءُ يَكْذُرُ كَذَرًا وَكُدُورًا وَكُدُورَةً، وَهُوَ أَكْذَرُ وَكَذِيرٌ . وَفِي ضِدِّهِ صَفَا الْمَاءُ يَصْفُو صُفُوءًا؛ وَالصُّفَاءُ الْأَسْمُ . وَمِنْ أَمْثَالِهِمْ : «خُذْ مَا صَفَا وَدَعْ مَا كَذِرَ» . وَالسُّرُّ : النَّكَاحُ . وَسِرُّ الشَّيْءِ : خَالِصُهُ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُمْ سُرِّيَّةً فَعْلِيَّةً مِنْ هَذَا .

١٣ - عَلَوْنَا إِلَى خَيْرِ الظُّهُورِ وَحَطْنَا لَوْقَتِ إِلَى خَيْرِ الْبُطُونِ نُزُولُ

يَصِفُ تَرَدُّدَهُمْ فِي شَرَفِ الْمَضْعَدِ وَالْمُنْحَدِرِ، وَكِرَمِ الْعُنْصَرِ وَالْمَتَحَوَّلِ، كَمَا ذَكَرَ طَهَارَةَ الْمَنِيكِحِ وَالْمَوْلِدِ، وَجَلَالَةَ الْمُعْتَلَى وَالْمُسْتَقَرِّ، فَيَقُولُ : عَلَوْنَا فِي خَيْرِ الظُّهُورِ، أَيِ حَصَلْنَا فِي أَعْلَى الْمَرَاتِبِ مِنْ ظُهُورِ أَكْرَمِ الْأَبَاءِ، وَحَدَرْنَا مِنْهَا لَوْقَتٍ مَعْلُومٍ - يُشِيرُ

(١) انظر الكامل ٣٣٣ ليسك، والبيان ١٥:٣ .

(٢) اليتان للأعشى في ديوانه ١١٤، واللسان (بده) والكتاب ٩: ١، ٢٩٥ .

(٣) الشعر لمهلل بن ربيعة أخو كليب في معجم البلدان (أبانان) .

إلى وقتِ الأطهار - نزولٌ إلى خيرِ البطون من أشرفِ الأمهات. والمعنى أنا كرام الأطراف. وهذه الأبيات إذا تَوَلَّمَتْ أدَّى التأمل منها إلى سلامة اللفظ والمعنى من كل مَعَاب، وَحُصُولِ الفخامة والجلالة لها في كل جانبٍ وبابٍ.

١٤ - فَنَحْنُ كَمَا الْمُزْنِ مَا فِي نَصَابِنَا كَهَامٌ وَلَا فِينَا يُعَدُّ بِخِيلِ
ماء المطر أَصْفَى المِياه عندهم، فَشَبَّهَ صَفَاءَ أَنَسَابِهِمْ بِصَفَاءِ مَاءِ الْمَطَرِ. وَالْمُزْنُ: السحابُ. وَقَوْلُهُ: «مَا فِي نَصَابِنَا كَهَامٌ»، أَي لَيْسَ فِينَا كَلِيلُ الْحَدِّ، وَلَكِنْ كُلُّ مَثَا ماضٍ نَافِذٌ، وَلَا فِينَا بِخِيلٍ فَيُعَدُّ. وَهُوَ تَقْيُّ لِلْبَخْلِ رَأْسًا، وَلَيْسَ يَرِيدُ أَنْ فِيهِمْ بِخِيلًا وَمَعَ ذَلِكَ لَا يَعُدُّ. وَمِثْلُهُ: [السريع]

وَلَا تَرَى الضَّبَّ بِهَا يَنْجَحِرُ^(١)

أَي لَيْسَ بِهَا ضَبٌّ رَأْسًا فَيَنْجَحِرُ، وَمِثْلُ هَذَا كَثِيرٌ. وَيَقَالُ: كَهَمٌ وَكَهْمٌ يَكْهَمُ وَيَكْهُمُ كَهَامَةً، فَهُوَ كَهَامٌ وَكَهِيمٌ؛ يَقَالُ ذَلِكَ لِلرَّجُلِ إِذَا ضَعُفَ، وَلِلسَّيْفِ إِذَا كَلَّ.

١٥ - وَتُنَكِّرُ إِنْ شِئْنَا عَلَى النَّاسِ قَوْلَهُمْ وَلَا يُنَكِّرُونَ الْقَوْلَ حِينَ نَقُولُ
هذا مثل قول الآخر: [الطويل]

وَمَا يَسْتَطِيعُ النَّاسُ عَقْدًا نَشُدُّهُ وَنَنْقُضُهُ مِنْهُمْ وَإِنْ كَانَ مُبَرِّمًا^(٢)

يَصِفُ رِيَاسَتَهُمْ وَعَلَوْ كَلَامَهُمْ وَنَفَادَ حُكْمِهِمْ، وَرَجُوعَ النَّاسِ فِي الْمَهْمَاتِ إِلَى رَأْيِهِمْ، وَالاعْتِمَادَ عَلَى تَدْبِيرِهِمْ وَمَشُورَتِهِمْ. فَيَقُولُ: نُنَقِّزُ مَا نُرِيدُ تَغْيِيرَهُ مِنْ قَوْلٍ غَيْرِنَا، وَاحِدٌ لَا يَجْسُرُ عَلَى الْإِعْتِرَاضِ عَلَيْنَا، وَالْإِنْكَارِ لِقَوْلِنَا، انْقِيَادًا لِهَوَانَا، وَاقْتِدَاءً بِحِزْمِنَا. وَهَذَا كَمَا قَالَ الْأَعَشَى: [البسيط]

كُلُّ سَيْرَاضَى بَأَن يُلْقَى لَهُ تَبَعًا^(٣)

١٦ - إِذَا سَيِّدٌ مِنَّا خَلَا قَامَ سَيِّدٌ قُوُولٌ لِمَا قَالَ الْكَرَامُ قُمُوُولٌ

(١) البيت في أساس البلاغة (ج ح ر)، وفي الخزانة ٤: ٢٧٣ لابن أحمر. وصدده:

«وَلَا تَفْزَعُ الْأَرْنبُ أَهْوَالَهَا»

(٢) عند التبريزي «يَشُدُّهُ وَيَنْقُضُهُ».

(٣) ديوانه ص ٨٦، وصدده:

«تَلْقَى لَهُ سَادَةُ الْأَقْوَامِ تَابِعَةً»

يشبهه قول حاتم: [الطويل]

إذا مات منا سيّد قامَ بَعْدَهُ نُظِيرَ له يُغْنِي عَنَّا وَيُخْلِفُ
وقولُ عُرْوَة: [الطويل]

إذا ماتَ منهم سيّد قامَ بَعْدَهُ عَلَى مجده غَمَرُ المروءة سيّد

١٧ - وما أَخِمدَتْ نَارَ لَنَا دُونَ طَارِقٍ وَلَا ذَمَّنا فِي النازِلِينَ نَزِيلُ

أراد بقوله «نارَ لنا» نار الضيافة. يقول: نُديم إيقادها فلا تُطْفَأ دون طَارِقٍ ليلٍ. والضيفُ إذا فارقنا حَمَدنا ولم يَذُمَّنا، لِحُسْنِ توفُّرنا عليه، واحتفالنا عند سَوِي الخير إليه. والنَزِيل، كالرَفِيق والجليس والأكيل. والطَّرُوق يَخْتَصُّ بالليل، وَسُمِّي النجم طَارِقًا لذلك.

١٨ - وَإِيامُنَا مَشهُورَةٌ فِي عَدُوَّنَا لَهَا غُرَرٌ مَعْلُومَةٌ وَحُجُوبُ

يقول: وَقَعَاتُنَا مشهورةٌ في أعدائنا معلومةٌ، فهي بين الأَيَّام كالأفراس الغُرُّ الْمُحَجَّلَة بين الخَيْل، يُعرَفُ بلاؤنا فيها، وَحُسْنُ آثارنا عند الثُّهَوض لها. وهذا كما قال:

وَلَمَّا يَكُونُ يَوْمٌ أَغْرُ مُحَجَّلُ

والتحجيل: أن يبيضَّ من الأوظفة مواضعَ الجَنْجَلِ، وهو القَيْدُ والخلخالُ. فإذا ارتفع التَّحْجِيلُ حتى يبلُغَ الفخْذَين فما فَوْقَ فَهُوَ التجويف. قال^(١) طُفَيْلٌ: [الطويل]

شَمِيطُ الدُّنَابَى جُوقَتْ فِيهِ جَوْنَةٌ

١٩ - وَأَسِيفُنَا فِي كُلِّ غَرْبٍ وَمَشْرِيقٍ بِهَا مِنْ قِرَاعِ الدَّارِ عَيْنٌ قُلُوبُ

مثله قولُ النابغة: [الطويل]

وَلَا عَيْنَ فِيهِمْ غَيْرُ أَنْ سَيُوقَهُمْ بِهِنَّ قُلُوبٌ مِنْ قِرَاعِ الْكَتَائِبِ^(٢)

(١) لطفيال الغنوي في ديوانه ١٠٤، ولسان العرب (شمط)، و(جوف)، وتاج العروس (شمط) و(جوف)، وبلا نسبة في جمهرة اللغة ٨٦٦، وعجزة:

«بشقة ديباج ورِبَط مُقَطَّع»

(٢) للناطقة الدياني في ديوانه ص ٤٤، والأزهية ١٨٠، وخزانة الأدب ٣: ٣٢٧، والكتاب ٢: ٣٢٦.

يقول: قد تَمَلَّكتُ سيوفُنا بما نضارب بها الأعداء، في مشارق الأرض ومغاربها. وقال: «من قِرَاعِ الدَّارِعِينَ»، لأنَّ العَرَضَ أن يكون عدوهم على غاية الاحتراز منهم؛ وفي أكمل الاستعداد لهم. وقوله: «في كلِّ غَرْبٍ وَمَشْرِقٍ» ظَرَفَ لِقِرَاعِ الدَّارِعِينَ، أي بأسيفنا قُلُوبُ من القِرَاعِ في كلِّ غَرْبٍ وَمَشْرِقٍ.

٢٠ - مُغَوِّدَةٌ أَلَّا تُسَلَّ نِصَالُهَا فَتُغَمَّدَ حَتَّى يُسْتَبَاحَ قَبَائِلُ

مثله قَوْلُ الْآخَرِ: [الطويل]

بأيدي رجالٍ لَمْ يَشِيمُوا سيوفَهُمْ وَلَمْ تَكْثُرِ الْقَتْلَى بها حين سُلَّتِ^(١)

وانتصب «مُغَوِّدَةٌ» على الحال. ويجوز أن تُرْفَعَ على أن تكون خَبَرُ ابتداءٍ مُضْمَرٍ، والعامل فيه إذا كان خَالَا ما يَدُلُّ عليه قوله: «بها من قِرَاعِ الدَّارِعِينَ قُلُوبُ». فيقول: عُوِّدَتْ سيوفُنا أَلَّا تُجَرَّدَ من أغمادها فثَرَدَ فيها إلا بعد أن يُسْتَبَاحَ بها قبائلُ. ويقال: عَوِّدْتُهُ كَذَا فَعَوِّدُهُ واعتادَهُ. والعادةُ من العَوْدِ وهو الرُّجُوعُ، ولذلك قالوا للمُواظِبِ على الشيء: هو معاوِدُ له. وقوله «فَتُغَمَّدَ»، يُقال غَمَدْتُ السَّيْفَ وَأَغَمَدْتُهُ، وَأَضْلُهُ السَّيْفَ، ومنه تَغَمَّدَهُ اللهُ بِرَحْمَتِهِ.

٢١ - سَلِي إِنْ جَهِلَتِ النَّاسَ عَنَّا وَعَنكُمُ وَلَيْسَ سَوَاءَ عَالِمٍ وَجَاهُولٍ

يُرَوَّى: «عَنَّا فَتُخْبِرِي». كأنه استدَلَّ على تصحيح ما ادَّعاهَا من الخصال التي عَدَّدَهَا بِشَهَادَةِ النَّاسِ لَهُ وَتَصْدِيقِهِمْ مَقَالَهُ. يقول: سَلِي النَّاسَ عَنَّا إِنْ جَهِلَتِ مَا حَكَيْتُهُ مِنْ أَعْمَالِنَا حَتَّى تُخْبِرِي فَتُؤْمِنِي بِهِ وَتَسْكُنِي إِلَيْهِ، فَلَيْسَ الْعَالِمُ بِالشَّيْءِ كَالْمُخْمَنِ أَوْ الْمُجَوِّزِ أَوْ الشَّاكِّ أَوْ الْحَادِسِ أَوْ الْمُقَدَّرِ. وَالْعِلْمُ قَدْ يَخْصُلُ بِإِخْبَارِ الْمُخْبِرِينَ كَمَا يَخْصُلُ بِالْمُشَاهَدَةِ، فَلِذَلِكَ دَعَاها إِلَى مَا دَعَا مِنَ السُّؤَالِ وَالْكَشْفِ. وقوله: «فَتُخْبِرِي» يَنْتَصِبُ بِأَنْ مُضْمَرَةٌ وَهُوَ جَوَابُ الْأَمْرِ بِالْفَاءِ. وَالسَّوَاءُ يَكُونُ مُضْذَرًّا وَوَضْعًا فِي مَعْنَى مُسْتَوٍ. يُقال: هَذَا دِرْهَمٌ سَوَاءٌ، أَيْ مُسْتَوٍ؛ وَهَذَا دِرْهَمٌ سَوَاءٌ أَيْ اسْتَوَاءٌ، كَمَا تَقُولُ هَذَا دِرْهَمٌ تَمَامًا، أَيْ تَمَّ تَمَامًا. وَفِي الْقُرْآنِ: ﴿فِي أَرْبَعَةِ آيَاتٍ سَوَاءٌ لِلْسَّائِلِينَ﴾ [فُضِّلَتْ: الْآيَةُ ١٠] أَيْ مُسْتَوِيَاتٍ، وَقُرِءَ ﴿سَوَاءٌ﴾ عَلَى الْمَصْدَرِ كَأَنَّهُ قَالَ: اسْتَوَاءٌ. حَكَى أَبُو الْحَسَنِ الْأَخْفَشُ: هُمَا سَوَاءٌ وَهُمَا سَوَاءَانِ.

(١) للفرزدق في ديوانه ١٣٩ (طبعة الصاوي)، وشرح شواهد المغني ص ٧٧٨، ولسان العرب (شليم)، وبلا نسبة في اللسان (جزر)، والإنصاف ٦٦٧.

٢٢ - فَلَانُ بَنِي الدِّيَّانِ قُطِبَ لِقَوْمِهِمْ تَدُورُ رَحَاهُمْ حَوْلَهُمْ وَتَجُولُ

القُطْبُ: الحديدية في الطَّبَقِ الأسْفَلِ مِنَ الرِّحَى يدور عليها الطَّبَقُ الْأَعْلَى. وَسُمِّيَ قُطْبُ السَّمَاءِ لِمَا يَدُورُ عَلَيْهِ الْفَلَكَ، وَعَلَى التَّشْبِيهِ قَالُوا: فَلَانٌ قُطْبُ بَنِي فَلَانٍ، أَي سَيِّدُهُمُ الَّذِي يَلُودُونَ بِهِ، وَهُوَ قُطْبُ الْحَرْبِ.

١٦ - الشَّمِيزُ الْحَارِثِيُّ:

قال الدَّرِيدِيُّ: شَمِيزَر: دَابَّةٌ زَعَمُوا، وَلَا أَحْسِبُهَا عَرَبِيَّةً صَحِيحَةً.

قال الْبَرَقِيُّ: هَذَا الشَّعْرُ لِسُوَيْدِ بْنِ صُمَيْعِ الْمَرْثَدِيِّ، مِنْ بَنِي الْحَارِثِ، وَكَانَ قُتِلَ أَخُوهُ غَيْلَةً فَقَتَلَ قَاتِلَ أَخِيهِ نَهَارًا فِي بَعْضِ الْأَسْوَاقِ مِنَ الْحَضَرِ. [الطويل]

١ - بَنِي صَمْنَا لَا تَذْكُرُوا الشَّعْرَ بَعْدَمَا دَفَنْتُمْ بِصَحْرَاءِ الْغُمَيْرِ الْقَوَافِيَا

الصَّحْرَاءُ: اسْمٌ لِلْمَكَانِ الْوَاسِعِ، وَجَمْعُهُ صَحَارٍ وَصَحْرٌ. قال: [الوافر]

أَتَيْ مَدَّةً صَحَرَ وَلُوبٌ^(١)

وَأَصْحَرَ الْقَوْمُ: يَرْزُوا إِلَيْهَا، وَمِنْهُ قِيلَ لِقَيْتِهِ صَخْرَةٌ بَحْرَةً، أَي عَيْنَانَا وَمُبَارَزَةً. يَقُولُ: دَعُوا التَّفَاخَرَ فِي الشَّعْرِ وَبِالشَّعْرِ، فَإِنَّكُمْ قَصَّرْتُمْ بِصَحْرَاءِ الْغُمَيْرِ وَلَمْ تُبَلِّغُوا فِيهَا فَتَنْطَلِقِ الْأَسْنَتُكُمْ لَدَى الْمَسَاجِلَةِ، وَتَسْتَجِيبُ قَوَافِي الشَّعْرِ لَكُمْ، إِذَا أَرَدْتُمْ نَظْمَهَا وَإِنْشَادَهَا، عِنْدَ الْمُنَافَرَةِ وَالْمَحَاكِمَةِ، لِأَنَّكُمْ أَمْتُمْ قَوَافِي الشَّعْرِ وَدَفَنْتُمُوهَا. فَكَمَا أَنَّ الْمَيِّتَ لَا يُجِيبُ إِذَا دُعِيَ، كَذَلِكَ لَا يُجِيبُكُمْ الشَّعْرُ إِذَا أَرَدْتُمُوهُ، مَعَ سُوءِ بِلَاتِكُمْ، وَقُبْحِ آثَارِكُمْ. وَالْقَافِيَةُ: آخِرُ الْبَيْتِ الْمُشْتَمِلُ عَلَى مَا بُنِيَ عَلَيْهِ الْقَصِيدَةُ، وَقَدْ يُسَمَّى الْبَيْتُ كَمَا هُوَ قَافِيَةٌ. قال: [المتقارب]

وَقَافِيَةٌ مِثْلُ حَدِّ السَّنَانِ تَبْقَى وَيَذْهَبُ مِنْ قَالِهَا^(٢)

قال الْأَخْفَشُ: وَتُسَمَّى الْقَصِيدَةُ بِأَسْرِهَا قَافِيَةً. قال^(٣): [الطويل]

فَمَنْ لِلْقَوَافِي بَعْدَ كَعْبٍ يَحُوكُهَا

(١) لأبي ذؤيب الهذلي في شرح أشعار الهذليين ص ١٠٦، ولسان العرب (صحر، سبي، يرع نفى)، وتهذيب اللغة ٤: ٢٣٧. وصدرة:

«سبي من أبااته نفاه»

(٢) للخنساء في ديوانها ص ١٠٦، ولسان العرب (قفا)، وتاج العروس (قفو)، وتهذيب اللغة ٩: ٣٢٧.

(٣) البيت لكعب بن زهير في ديوانه ص ٥٩، ولسان العرب (فوز، ثوا)، والتنبيه والإيضاح =

٢ - فَلَسْنَا كَمَنْ كُنْتُمْ تَصِيبُونَ سَلَةً فَتَقْبَلُ ضَيْمًا أَوْ نُحَكِّمَ قَاضِيًا

في هذا الكلام تعريضٌ بقومٍ أشار إليهم بقوله: «كمن كنتم»، وتصريحٌ للمخاطبين، ومُجَاهَرَةٌ بالقَوْلِ، فهو يرميهم بالضعف وأتهم إذا نالوا من العدو شيئاً نالوه سَرِقَةً. فيقول: لسنا كالذين كنتم تنالونهم سَرِقَةً، فنلتزم لكم الضيم، أو نُصِيبُ حَاكِمًا يقضي بيننا وبينكم. وأشار بالضيم إلى التغميض على ما يكون من سَرِقَتِهِمْ. وكأَنَّ القوم الذين أشار إليهم وانتفى من أن يكون خَالُهُ كحالهم، كانوا يقابلون سَرِقَتَهُمْ وَتَجَاسُرَهُمْ عليهم إِمَّا بالتغميض، وهو التزام الضيم عنده، وإِمَّا بالمرافعة إلى الحاكم ونُصِيبُ المتوسط، والعَجْزُ في حُكْمِهِ. وانتصاب «نقبل» على أنه جوابُ التقي بالفاء. ويقولون: في بني فلان سَلَةٌ، أي سَرِقَةٌ. وانتصاب سَلَةٌ على أنه مُضَدَّرٌ ففي موضع الحال، والتقدير: تصيبونهم سَالِينَ وساقين.

٣ - وَلَكِنْ حُكْمُ السَّيْفِ فِيكُمْ مُسَلِّطٌ فَتَرْضَى إِذَا مَا أَضْبَحَ السَّيْفُ رَاضِيًا

يقول: مَتَى عَدَوْتُمْ طَوَزَكُمْ، أَوْ خَرَجْتُمْ مِنْ حَدِّكُمْ، فَإِنَّا نُسَلِّطُ السَّيْفَ عَلَيْكُمْ، وَلَا تَرْضَى إِلَّا بِحُكْمِهِ فِيكُمْ. فَمَتَى رَضِيَ رَضِيًا، وفي طريقته قوله: [الطويل]

وَنَشْتِمُ بِالْأَفْعَالِ لَا بِالشُّكْلِمْ

٤ - وَقَدْ سَاءَنِي مَا جَرَّتِ الْحَرْبُ بَيْنَنَا بَنِي عَمْنَا لَوْ كَانَ أَمْرًا مُدَانِيًا

دَلَّ بقوله: «لو كان أمرًا مُدَانِيًا» على أنه لم يسؤه ما جَنَّتِ الحربُ بينهم، لأنه وقع بالاستحقاق. ألا ترى أنه قال ساءني ذلك لو كان الأمرُ المؤدِّي إليه أمرًا مُدَانِيًا، وَكُنَّا نَعْرِفُ للاحْتِمَالِ فِيهِ مَوْضِعًا، وَلِلصَّبْرِ عَلَيْهِ مَجَالًا وَمَذْهَبًا. فَأَمَّا الشَّانُ مُسْتَفْجِلٌ، وتعديكم متفاقم، فإنه لا يسوءني. وقوله: «لو كان أمرًا مُدَانِيًا»، أراد لو كان الأمرُ أمرًا أَسْأَنِي. وإذا كان كذلك فجواب لو متقدم، وتلخيصه: لو كان ما ترددنا فيه قريبًا لساءني ما جنته الحرب بيننا، ولكن الآن لم يسؤ. وهذا تعظيم لما كان منهم إليهم، وكالاعتذار عن الأخذ بالفضل عليهم، وَتَرَكِ الصَّفْحَ عَنْهُمْ.

٥ - فَإِنْ قُلْتُمْ إِنَّا ظَلَمْنَا فَلَمْ نَكُنْ ظَلَمْنَا وَلَكِنَّا أَشَانَا التَّقَاضِيَا

رواه بعضهم: «فَإِنْ تَزْعُمُوا أَنَّا ظَلَمْنَا». وَالزُّعْمُ فِي دَفْعِ الدَّغْوَى أِبْلَغُ، وَإِنَّمَا نَبَّهَ بِهَذَا الْكَلَامِ عَلَى أَنَّهُ لَا يَعُدُّ مَا عُوْمِلُوا بِهِ ظُلْمًا، مَعَ كَوْنِ ابْتِدَائِهِ مِنْهُمْ، وَإِنْ كَانَ فِيهِ سَرَفٌ. فَيَقُولُ: إِنْ ادَّعَيْتُمْ عَلَيْنَا أَنَّا ظَلَمْنَاكُمْ فَإِنَّا لَمْ نَظْلَمْكُمْ، مَعَ عُدْوَانِكُمْ، وَسَبْقِكُمْ إِلَى الشَّرِّ وَتَهْيِيجِهِ، وَلَكِنَّا أَسَانَا فِي تَقَاضِيكُمْ الْحَقَّ، وَإِيفَائِكُمُ الْجَزَاءَ، حِينَ اسْتَخْرَجْنَا بِالْعُنْفِ وَالْقَهْرِ، وَمَجَاوِزَةَ الْأَدْنَى مِنَ الْأَمْرَيْنِ إِلَى الْأَفْصَى. فَكَأَنَّهُ سَمَّى مَا عَدَّهُ أَوْلَئِكَ ظُلْمًا سُوءَ تَقَاضٍ. وَالظُّلْمُ قِيلَ فِيهِ: إِنَّهُ وَضَعَ الشَّيْءَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ، وَلِذَلِكَ قِيلَ لِلْأَرْضِ الصُّلْبَةِ إِذَا حُفِرَتْ: مَظْلُومَةٌ، وَلِلسَّقَاءِ إِذَا تَثَوَّلَ مَا فِيهِ قَبْلَ إدْرَاكِهِ: ظَلِيمٌ. وَقِيلَ: الظُّلْمُ: انتقاصُ الحقِّ. قَوْلُهُ «فَلَمْ نَكُنْ ظَلَمْنَا» إِذَا كَانَ مِنْ حَكْمِ الْجَوَابِ أَنْ يَكُونَ طَبَقًا لِلْإِبْتِدَاءِ وَمِثْلًا عَلَيْهِ، فَمَنْ الْوَاجِبُ عَلَيْهِ كَانَ أَنْ يَقُولَ: فَإِنْ قُلْتُمْ إِنَّا كُنَّا ظَلَمْنَا. أَلَا تَرَى أَنَّا نَقُولُ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا كُنَّا اللَّهُ لِنُعَذِّبَهُمْ﴾ [الأنفال: الآية ٣٣] إِنَّهُ كَانَ جَوَابَ قَائِلٍ قَالَ كَانَ اللَّهُ سَيَعَذِّبُهُمْ. فَتَنَى عَلَى حَدِّ الْإِبْتِدَاءِ وَطَرِيقَتِهِ، لَكِنَّ الشَّاعِرَ حَدَفَ مِنَ الْإِبْتِدَاءِ كُنَّا، لِأَنَّ مَا فِي الْجَوَابِ يَذَلُّ عَلَيْهِ.

١٧ - وَدَاكُ بْنُ ثُمَيْلٍ الْمَازِنِي:

قال البرقي هو وَدَاكُ بْنُ سَيَّانٍ بْنِ ثُمَيْلٍ^(١): [الطويل]

١ - رُوِيَ بَنِي شَيْبَانَ بَعْضَ وَعِيدِكُمْ تَلَاقُوا عَدَا خَيْلِي عَلَى سَفَوَانٍ رُوَيْدًا: تصغيرُ إزود، وهو مصدرُ أَرُوْدْتُ فَلَانًا، عَلَى طَرِيقِ التَّرْخِيمِ، وَانْتِصَابِهِ بِفَعْلٍ مُضْمَرٍ ذَلَّ عَلَيْهِ لَفْظُهُ. وَأَكْثَرُ مَا يَجِيءُ تَصْغِيرَ التَّرْخِيمِ يَجِيءُ فِي الْأَعْلَامِ، وَقَدْ يُجْعَلُ رُوَيْدًا اسْمًا لِأَرْفُقَ، فَيُبْنَى حِينَئِذٍ كَمَا يُبْنَى أَخَوَاتُهُ مِنْ أَسْمَاءِ الْأَفْعَالِ. عَلَى ذَلِكَ مَا جَاءَ فِي الْمَثَلِ مِنْ قَوْلِهِمْ: «رُوَيْدٌ يَغْلُونَ الْجَدَّةَ». وَقَدْ تَرَاذَ كَافُ الْخُطَابِ عَلَيْهِ فَيَقَالُ: «رُوَيْدُكَ»، عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُمْ: «رُوَيْدُكَ الشُّعْرَ يَغِبُّ». وَقَوْلُهُ: «بَعْضُ وَعِيدِكُمْ» انْتَصَبَ بِفَعْلٍ مُضْمَرٍ ذَلَّ عَلَيْهِ رُوَيْدٌ، لِأَنَّ مَعَ اسْتِعْمَالِ الرَّفْقِ كَفًّا عَنْ بَعْضِ الْوَعِيدِ، فَكَأَنَّهُ لَمَّا قَالَ أَرُوْدُوا يَا بَنِي شَيْبَانَ قَالَ: كُفُّوا بَعْضَ الْوَعِيدِ. وَهَذَا تَهْكُمٌ وَسُخْرِيَّةٌ. وَقَوْلُهُ: «تَلَاقُوا»، الْجَزْمُ عَلَى أَنَّهُ جَوَابٌ لِلْأَمْرِ الَّذِي ذَلَّ عَلَيْهِ رُوَيْدًا. وَإِنَّمَا جُعِلَ لِلْأَمْرِ الْجَوَابُ لِأَنَّهُ ضَمَّنَ مَعْنَى الْجَزَاءِ وَالشَّرْطِ. وَسَفَوَانُ: اسْمٌ

(١) ورد الاسم عند التبريزي «ابن ثميل» وقال: «وثميل: تصغير ثمل أتاامل على الترخيم». وهو شاعر من الفرسان (ترجمته في سمط اللآلي ٤٢١، ٥٤٤، ومعجم ما استعجم ص ٧٤٠).

ماءٍ قالوا هو من البَصْرَةِ على أُمَيَّالٍ، ومعنى البيت مفهوم. وقوله «عَدَا» لم يُشِرْ به إلى اليوم الذي يلي يومه، وإنما دلَّ على تقريب الأمر، فكانه قال: تَلَّاقُوا خَيْلي قريبًا على هذا الماء.

٢ - تَلَّاقُوا جِيَادًا لَا تَجِيدُ عَنِ الْوَعَى إِذَا مَا عَدَتْ فِي الْمَازِقِ الْمُتَدَانِي الْوَعَى، أصله، الْجَلْبَةُ وَالصَّوْتُ، وكذلك الْوَعَى بالعين غير معجمة. قال^(١): [الوافر]

كَأَنَّ وَعَى الْخُمُوشِ بِجَانِبَيْهَا

وَجِيَادٌ هُنَا: جَمْعُ جَوَادٍ، يُقَالُ فَرَسٌ جَوَادٌ: عَتِيقٌ، وَخَيْلٌ جِيَادٌ: عَنَاقٌ. وَفِي غَيْرِ هَذَا الْمَكَانِ يَكُونُ جَمْعُ جَيْدٍ. وَتَلَّاقُوا بَدَلَ مَنْ تَلَّاقُوا الْأَوَّلَ. ثَبَّةٌ بِهَذَا عَلَى أَنَّ الْمَرَادَ بِالْخَيْلِ الْفُرْسَانُ، عَلَى عَادَتِهِمْ فِي قَوْلِهِمُ الْخَيْلُ وَالرَّجُلُ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَجِبَ عَلَيْهِمْ بِخِيَالِكُمْ لِوَجِيَالِكُمْ﴾ [الإسراء: الآية ٦٤]، وَلِهَذَا قَالَ فِيمَا بَعْدَهُ: «تَلَّاقُوهُمْ فَتَعْرِفُوا كَيْفَ صَبَرُهُمْ». وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ بِالْخَيْلِ الدَّوَابَّ، وَوَصَفَهَا بِأَنَّهَا لَا تَجِيئُ عَنِ الْوَعَى، لِدَوَامِ مُمَارَسَتِهَا لَهُ، وَتَعَوُّدِهَا إِلَيْه. ثُمَّ خَبَّرَ فِي قَوْلِهِ: «تَلَّاقُوهُمْ» عَنْ أَرْبَابِهَا، فَيَقُولُ: أَرُفُّوْا تَلَّاقُوا فُرْسَانًا كِرَامًا لَا تَمَلُّ الْحُرُوبَ وَلَا تَعْدِلُ عَنْهَا إِذَا ابْتَكَرَتْ فِي مَضِيقٍ مِنْهَا، تَتَلَاخَمُ فِيهِ الْفُرْسَانُ وَتَتَدَانِي فِيهِ الْأَبْطَالُ وَالشُّجْعَانُ. وَإِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ لِأَنَّهُ مَعَ التَّدَانِي لَا يَكُونُ إِلَّا التَّجَالُدُ، وَعِنْدَهُ تَثَكُّلُ الْأُمْهَاتِ. وَالْمَازِقُ: الْمَضِيقُ، وَكَأَنَّ أَصْلَهُ مِنَ الْأَزَقِ فِي الْحَرْبِ، فَهُوَ مَفْعِلٌ مِنْهُ.

٣ - تَلَّاقُوهُمْ فَتَعْرِفُوا كَيْفَ صَبَرُهُمْ عَلَى مَا جَنَّتْ فِيهِمْ يَدُ الْحَدَثَانِ قَوْلُهُ: «عَلَى مَا جَنَّتْ فِيهِمْ يَدُ الْحَدَثَانِ» يَرِيدُ عَلَى جَنَائَةٍ، وَمَوْضِعُهُ نَصَبٌ عَلَى الْحَالِ، وَالْعَامِلُ فِيهِ تَعْرِفُوا. أَوْ تَلَّاقُوا. يَقُولُ: تَلَّاقُوا مِنْ بَلَائِهِمْ مَا يُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَى حُسْنِ صَبْرِهِمْ وَثَبَاتِهِمْ فِي جَلَادِهِمْ، هَذَا مَعَ تَحَامُلِ الزَّمَانِ عَلَيْهِمْ، وَسُوءِ تَأْثِيرِ الدَّهْرِ فِيهِمْ. وَأَصْلُ الصَّبْرِ: الْحَبْسُ، وَمِنْهُ قُتِلَ فُلَانٌ صَبْرًا. وَحَدَّثَ الدَّهْرُ وَأَخَذَتْهُ وَحَدَّثَتْهُ وَحَوَّاثُهُ: نَوَازِلُهُ.

(١) البيت للمتنخل الهذلي في شرح أشعار الهذليين ص ١٢٧٢، واللسان (خمش، زيت، لَغَط، وعى)، والتنبيه والإيضاح ٣١٧:٢، وللهمذلي في جمهرة اللغة ص ٦٠٣، والمخصص ١٨٥:٨، والتبريزي ٩٦:١. وعجزه:

«وعى ركب أميم ذوي هياط»

٤ - مَقَادِيمُ وَصَّالُونَ فِي الرَّوْعِ خَطْوَهُمْ بِكُلِّ رَقِيقٍ الشَّفَرَتَيْنِ يَمَانِ

مَقَادِيمُ: جمع مِقْدَام. ويشبه هذا البيت قوله: [الطويل]

إِذَا قَصُرَتْ أَسْيَافُنَا كَانَ وَضْلُهَا خُطَانَا إِلَى أَعْدَائِنَا لِلتَّضَارِبِ

وقد مرَّ مثله، لكنَّ في هذا قَلْبًا، وذلك أنه قال: وَصَّالُونَ خَطْوَهُمْ بِكُلِّ رَقِيقِ الشَّفَرَتَيْنِ، وكان الواجب أن يقول: كُلُّ رَقِيقٍ الشَّفَرَتَيْنِ بِخَطْوِهِمْ. ألا ترى أنه قال: إِذَا قَصُرَتْ أَسْيَافُنَا وَضَلْنَا بِخُطَانَا؟ وقال^(١) الآخر: [الكامل]

نَصِلُ السَّيُوفَ إِذَا قَصُرْنَ بِخُطُونَا

ومثل هذا البيت في القَلْبِ بل في تبين جواز القلب، وقول حُمَيْد بن ثَوْر:

[الطويل]

ووصلُ الخُطَى بالسَّيْفِ والسَّيْفِ بالخُطَى إِذَا ظَنَّ أَنَّ السَّيْفَ ذَا الْأَثْرِ قَاصِرُ^(٢)

٥ - إِذَا اسْتَنْجِدُوا لَمْ يَسْأَلُوا مِنْ دَعَاهُمْ لِأَيَّةِ حَزْبٍ أَمْ بِأَيِّ مَكَانٍ

هذا مثل قوله: [البيسط]

لَا يَسْأَلُونَ أَخَاهُمْ حِينَ يَنْدُبُهُمْ فِي النَّائِبَاتِ عَلَى مَا قَالَ بُرْهَانَا^(٣)

والمعنى: إِنَّا لَا نَطْلُبُ الْعِلَلَ عَلَى الْمُسْتَنْجِدِ تَوْصُلًا إِلَى دَفْعِهِ أَوْ مَطْلِهِ، وَلَكِنَّا نَعَجِّلُ عَوْنَهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ. والاستنجاد: الاستصراخ، ورجل مِنْجَادٍ: مِغْوَان، وقد أَنْجَدْنِي، ويقالُ هُوَ نَجَدٌ مِنْ قَوْمٍ أَنْجَاد. ومثله قول الآخر: [البيسط]

كُنَّا إِذَا مَا أَتَانَا صَارِخٌ فَنَزِعَ كَانَ الصُّرَاخُ لَهُ قَرْعُ الظَّنَائِبِ^(٤)

١٨ - سَوار بن المَضْرَب السَّعْدِي:

من سَعْدِ بَنِي تَمِيم. وقال البرقي: من سعد بني كلاب.

١ - قَلَوُ سَأَلَتْ سَرَاةَ الْحَيِّ سَلَمَى عَلَى أَنْ قَدْ تَلَوْنَ بِي رَمَانِي

(١) البيت لكعب بن مالك الأنصاري في السيرة ص ٧٠٥، وشرح شواهد المغني ص ١٢٢، والخزانة ٢٢:٣، والتبريزي ٩٧:١، ونسبه ابن قتيبة في الشعر والشعراء ص ٢٧٩ إلى ربيعة بن مقروم. وعجزه:

«قَدَمًا وَنَلْحَقُهَا إِذَا لَمْ تَلْحَقْ»

(٢) البيت في ديوانه ص ٨٨. (٣) هذا البيت الرابع في الحماسة الأولى.

(٤) لسلامة بن جندل في المفضليات ١: ١٢٣.

سَرَاةُ النَّاسِ: خِيَاظُهُمْ. وَسَرَاةُ الْإِبِلِ بِالشَّيْنِ مَعْجَمَةٌ: كَرَامَتُهَا. وَقَدْ مَرَّ ذِكْرُهُ.
وَقَالَ الْخَلِيلُ: السَّرُوءُ: سَخَاءٌ فِي مُرُوءَةٍ. وَسَرًا يَسْرُو فَهُوَ سَرِيٌّ وَقَوْمٌ سَرَاءٌ، وَلَمْ يَجِءْ
عَلَى فَعْلَةٍ غَيْرِهَا؛ يَعْنِي أَنَّ فَعْلَةً يُخْنَصُّ بِهَا الصَّحِيحُ فِي الْجَمْعِ دُونَ الْمَعْتَلِّ، وَذَلِكَ
كَالْفَجْرَةِ وَالْفَسَقَةِ. وَتَلَوْنُ الزَّمَانِ يُشِيرُ بِهِ إِلَى تَصَارُفِهِ بِالْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَالتُّفْعُ وَالضَّرُّ.
فَيَقُولُ: لَوْ بَحِثْتُ هَذِهِ الْمَرَّةَ بِالسُّؤَالِ عَنْ أَحْوَالِي عَلَى تَبَدُّلِ الْأَبْدَالِ، وَتَغْيِيرِ النُّفَعِ
وَالضَّرِّ بِي فِيمَا مَضَى، وَتَثَقُّلِ الْأَحْدَاثِ عَلَيَّ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى. وَجَوَابُ «لَوْ» يَجِيءُ مِنْ
بَعْدِ قَوْلِهِ: «أَنْ تَلَوْنَ»، وَأَنْ إِذَا وُصِّلَ بِالْمَاضِي أَفَادَ حَدَثًا مَاضِيًّا، وَإِذَا وُصِّلَ بِالْمُسْتَقْبَلِ
أَفَادَ حَدَثًا مُسْتَقْبَلًا.

٢ - لَخْبَرَهَا قُوُو أَخْسَابِ قَوْمِي وَأَعْدَائِي فَكُلُّ قَدْ بَلَانِي

قَوْلُهُ: «لَخْبَرَهَا» جَوَابُ لَوْ. وَأَخْسَابٌ: جَمْعُ حَسَبٍ، وَهُوَ مَا يُحْسَبُ وَيُعَدُّ
عِنْدَ التَّفَاخُرِ. يَقُولُ: لَوْ سَأَلْتُ لِأَنْبِيَائِهَا بِخَيْرِي أَشْرَافَ قَوْمِي، وَأَمَائِلُ أَعْدَائِي، فَكُلُّ
مَنْهُمْ قَدْ خَبَّرَنِي. يُشِيرُ بِهَذَا الْكَلَامِ إِلَى أَنَّ زَعَمَاءَ قَبِيلَتِهِ وَذَوِي الشَّرَفِ مِنْ رَهْطِهِ،
يَعْتَرِفُونَ لَهُ بِالْفَضْلِ، وَيَشْهَدُونَ لَهُ بِمَا يَكْسِبُهُ جَمِيلَ الذِّكْرِ، وَأَنَّ أَعْدَاءَهُ عَلَى مَا
قَاسُوا مِنْ وَقَعَاتِهِ بِهِمْ، وَكَابَدُوا مِنْ بَدَرَاتِهِ فِيهِمْ، لَا يَجْحَدُونَ تَبَرُّزَهُ، وَلَا يُنْكِرُونَ
تَقْدِيمَهُ. وَمَنْ اعْتَرَفَ لَهُ بِالْفَضْلِ مُوَالِيَهُ وَمُعَادِيَهُ، وَصَدَّقَهُ فِي دَعْوَاهِ أَقَارِبُهُ وَأَجَانِبُهُ،
فَهُوَ النِّهَايَةُ فِي الْكَمَالِ، وَالْغَايَةُ عِنْدَ الْبَحْثِ عَنِ الْفَعَالِ. وَقَوْلُهُ: «فَكُلُّ قَدْ بَلَانِي»
اعْتِرَاضٌ خَصَلَ بَيْنَ خَبَرٍ وَمَفْعُولِهِ، وَهُوَ قَوْلُهُ «بَذَّبِي الدَّمَ»، وَالْفَاءُ دَخَلَتْ مَعْلَقَةً
لِجَوَابِ الْجُمْلَةِ بِهَا.

٣ - بِذَّبِي الدَّمَ عَنْ حَسْبِي بِمَالِي وَزُبُونَاتِ أَشْوَاسِ نَيْحَانِ

الْبَاءُ مِنْ قَوْلِهِ «بَذَّبِي» تَتَعَلَّقُ بِقَوْلِهِ لَخْبَرَهَا، وَكَأَنَّ الْإِخْبَارَ بِحَسَنِ دِفَاعِهِ عَنْ حَسْبِهِ
بِمَالِهِ، وَكَرَمِ مُحَافَظَتِهِ عَلَى شَرْفِهِ وَحَالِهِ، مِنْ تَرْكِيَةِ ذَوِي الْأَخْسَابِ مِنْ عَشِيرَتِهِ وَثَنَائِهِمْ
عَلَيْهِ، وَالْإِنْبَاءَ بِدَفْعِهِ مَعْرَةَ الْأَشْوَاسِ النَّيْحَانِ، مِنْ إِخْبَارِ أَعْدَائِهِ وَشَهَادَتِهِمْ لَهُ. فَكَمَا
أَجْمَلَ فِي الْأَوَّلِ أَجْمَلَ فِي الثَّانِي، ثَقَّةً بِأَنْ مَسَامِعَ عِنْدَ التَّفْصِيلِ يَرُدُّ كُلًّا إِلَى مَوْضِعِهِ.
وَلِنَّمَا خَصَّ ذَوِي الْأَخْسَابِ مِنْ قَوْمِهِ لِأَنَّ شَهَادَتَهُمْ أَوْجَهَ، وَالتَّحَاسُدَ لَهُمْ أَشْمَلُ،
وَالْقَرِينَ بِمُقَارِنِهِ. أَعْلَمَ. وَقَوْلُهُ: «زُبُونَاتِ» فَعُولَاتٌ مِنَ الزَّبْنِ، وَهُوَ الدَّفْعُ. وَالنَّيْحَانِ:
الْعَرِضُ الْمِقْدَامُ، وَهُوَ فَيَعْلَانُ بِفَتْحِ الْعَيْنِ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُزَوَّى بِكُسْرَاهَا، لِأَنَّ فَيَعْلَانُ
لَمْ يَجِءْ فِي الصَّحِيحِ فَيَبْنَى الْمَعْتَلَّ عَلَيْهِ قِيَاسًا، وَفَيَعْلُ كَسِيدٌ مِنَ الْأَبْنِيَةِ الْمُخْتَصَّةِ

بالمعتل. ومثل تَيْحَان هَيْبَان، وهما صفتان حكاهما سيبويه بالفتح، ومثالهما من الصحيح قَيْبَانٌ وَسَيْبَانٌ. وتَيْحَانٌ، مَنْ تَاحَ لَهُ يَتَوَخَّ وَيَتَيْحُ لغتان، إذا أشرف وتهيا. ورجُلٌ مَيْتِيحٌ، ويقال: قَلْبٌ مَيْتِيحٌ أَيضًا. وأتَيْحَ له كذا. ومثُلُ الرُّبُونِ البَيُوتِ، وهو السَّقِيظُ، والهَمُّ المُبَايْتُ لصاحبه. يقال: زَبَنْتَهُمُ الحَزْبُ، وَحَزَبُ زُبُونٍ وَطُحُونٍ. والزَّيْنَةُ واحد الزُّبَانِي من هذا. وَفَعْلِيَّةٌ من الأبنية التي تلزمها الهاء. والأشْوَسُ: الذي يُعْرِفُ في نظره الغَضَبُ والحَقْدُ، ثم استعمل في المتكبر والمهيب.

٤ - وَأَنْتِي لَا أَزَالُ أَخَا حُرُوبٍ إِذَا لَمْ أَجْنِ كُنْتُ مِجْنُ جَانٍ

في هذه الطريقة قول الآخر: [الطويل]

وَلَمْ يَجْنِيهَا لَكِنْ جَنَاهَا وَلِيُّهُ فَأَسَى وَأَدَاهُ فَكَانَ كَمَنْ جَنَى

ويُزَوَى: «وَأَنْتِي لَا أَزَالُ أَخَا حُرُوبٍ» فيعطف على (بذبي الذم)، ويكون موضعه جراً، ويكون هذا مما شهد به الأعداء له أيضاً. فإن كسرت إني فهو على الاستئناف والانقطاع عما قبله. والمعنى: إِنِّي أَلْبَسُ الحُرُوبَ وأمارسُهَا دائماً، فإذا لم يكن لي من أحوالي وزماني ما يبعثني على مُجَادَبَةِ الأعداء ومدافعتهم، طلبت من قد شقي بمثل ذلك، فداغمتُ دونه وحاميتُ عليه، لأنني لا أصبر على حالِ السلامة والسلم. ومثله قول الآخر: [الطويل]

وَمَا إِنْ تَرَاهُ الدُّهْرَ إِلَّا مُعَرَّرًا بِنَفْسٍ أَبَتْ إِلَّا صِعَابَ الْمَرَائِبِ

١٩ - آخر^(١): [الكامل]

١ - وَلَقَدْ شَهِدْتُ الْخَيْلَ يَوْمَ طَرَادِهَا فَطَعَنْتُ تَحْتَ كِنَانَةِ الْمُتَمَطِّرِ

يقال: تَمَطَّرَ الرَّجُلُ، إذا أَسْرَعَ. ويقال: مَطَرَ بِهِ، وَقَطَرَ بِهِ، إذا بادر. وأراد بالخيال الفرسان، كأنه يخاطب بهذا الكلام مَنْ شَهِدَ معه المعركة، فخيَّره بمعاملته المتمطر^(٢) الذي عَهِدَهُ، وقوله: «تَحْتَ كِنَانَةٍ» أشار به إلى المقتل. وهذا المتمطر كأنه كان بارزاً، أو أراد أن يُبادِرَ إلى أمرٍ، فحال بينه وبينه. والكِنَانَةُ من الكَنِّ: السَّتر، لأنه يُصَانُ بها النَّبْلُ.

(١) التبريزي: «وقال بعض بني تيم الله بن ثعلبة».

(٢) قال التبريزي: «المتمطر: اسم رجل من لخم».

٢ - وَلَقَدْ رَأَيْتُ عَدَاةَ شُلْنٍ عَلَيْكُمْ شَوْلَ الْمَخَاضِ أَبَتْ عَلَى الْمُتَغَبِّرِ^(١)

يُروى: «ولقد رأيت الخيل شُلْنَ عليكم»، أي شائلة، والتقدير: وقد شُلْنَ. وأراد بالخيـل ههنا الدواب، وهي تَشُولُ بأذنانها إذا اشتدَّ عَدْوُها؛ وَيُسْتَدَلُّ بذلك منها على قوة ظَهرها. فيقول: لقد رأيتكم منهزمين والخيـل تَعْدُو عليكم رافعةً أذنانها، رَفَعَ الثُّوقَ الحَوَامِلَ لها إذا طُلِبَ حَلَبُ غُبَرٍ لبنها. والغُبَرُ: البقية تبقى من اللبن في الضَّرْعِ. وَيُقَالُ: تَغَبَّرْتُ الغُبَرَ، كما يُقَالُ تَحَلَّبْتُ المحلوب. والمخاض لا واحد لها من لفظها، وهي اسم مفردٌ موضوع للثُّوقِ الحوامل، والواحد من غير لفظها: حَلِيفَةٌ. وقوله: «أَبَتْ عَلَى المتغَبِّرِ» قَدْ معه مضمرة، وهو واقعٌ موقع الحال. أراد: رأيت الخيلَ شائلةً أذنانها عليكم شَوْلَ المخاضِ آبيَّةً عَلَى المتغَبِّرِ. ومن رُوي: «ولقد رأيت عَدَاةً» فقد أضمر مفعول رأيت، وهو الخيل. وساغ ذلك، لأنَّ قوله ولقد شهدت الخيلَ - وإن أريد به الفُرسان - يدلُّ عليه.

٣ - وَطَافِئُ الْأَبْطَالِ عَنْ أَبْنَائِنَا وَعَلَى بَصَائِرِنَا وَإِنْ لَمْ تُبْصِرِ

ذَكَرَ الْأَبْنَاءُ كَنَاءَةً عَنِ الْحَرَمِ، كما قال الآخر: [السريع]

نُقَاتِلُ الْأَبْطَالِ عَنْ بَنِينَا

والبصائر: جمع بصيرة، وهو ما يستدلُّ به الرجل من رأيه وعَقْلِهِ على ما يَغِيبُ منه. وعلى ذا سُمِّيتِ الطَّرِيقَةُ من الدم بصيرة، لأنَّه يُسْتَدَلُّ بها على الجُرْحِ، وُفسر قوله: [الكامل]

رَاحُوا بِبَصَائِرِهِمْ عَلَى أَكْتَافِهِمْ وَبَصِيرَتِي يَعْدُو بِهَا عَتْدٌ وَأَيُّ^(٢)

على الوجهين جميعاً، فإذا جعلتها بصائر الرأي يكون المعنى: خَلَفُوا آرَاءَهُمْ وطَرَحُوهَا، كما يقال: تَرَكْتُ الرَّأْيَ بموضع كذا وكذا، وَجَعَلْتُ عَدَاةً مِثِّي عَلَى ظَهْرِي. ومعنى «وبصيرتي يعدو بها عَتْدٌ وَأَيُّ» أَنَّ رأيه معه نَافِذٌ مستمرٌّ، وإذا جَعَلْتُهَا بِبَصَائِرِ الدَّمِ يكون المعنى أَنَّهُمْ مَهْزُومُونَ مَكْلُومُونَ في ظهورهم وأَقْفَائِهِمْ، فدماؤهم على أَكْتَافِهِمْ. ومعنى «وبصيرتي يعدو بها عَتْدٌ وَأَيُّ» في هذا الوجه أَنَّ دَمِي سَالَمٌ في نفسي

(١) هذا البيت ترتبه الثالث عند التبريزي وعنده «ولقد رأيت الخيلَ شُلْنَ».

(٢) البيت في اللسان (ب ص ر) بدون نسبة، والتبريزي ١: ١٠٠، وللأسعر الجعفي في اللسان (وأي).

وَقَرَسِي يَغْدُو بِي. ومعنى البيت: إنا ندافع عن حُرَمِنَا وحريمنا، وعلى ما يعترض في الوقت، نَفْعَلُ ذلك وإن لم تُبَصِرْ عاقبة الأمر، ولم نَتَتَبَّعْهَا بالفكر فيها، وتأمل نتائجها، فَتَعْلَمَ مَوَادَّهَا. وهذا شأنُ الْفَتَاكِ فيما يُمَشُّونه من أحكام الحرب وينفذونه، ويفتُلونه من أسباب الجِذاب والنزاع ويُبرِمونه. وقد قيل في هذا البيت إنه كما حُكِيَ عن مُسَيِّلَمَةَ حين قال لبني حنيفة: «قَاتِلُوا عَنْ أَحْسَابِكُمْ، فَأَمَّا الدِّينُ فَلَا دِينَ». وكانَ المعنى على هذا: وعلى بصائرنا في الحرب عند المحافظة على الشرف وإن لم تُبَصِرْ أمرَ الدين. وهذا بعيدٌ متعسِّفٌ، وإذا تأمَّلْتُهُ ظَهَرَ لَكَ. وفي الطريقة الأولى قول الْقُطَامِي: [الوافر]

وَحَيْرُ الْأَمْرِ مَا اسْتَقْبَلَتْ مِنْهُ وَلَيْسَ بِأَنْ تَتَّبِعَهُ أَتْبَاعَا^(١)

وسمعت بعض أصحاب المَعَانِي يقول: المعنى: إنا نقاتل الأبطالَ جَزِيًّا على عادةِ النَّاسِ عندَ نَظَرِهِمْ لَدُنْيَاهُمْ ودينهم، في الدُّبِّ عن الحُرَمِ والعشيرة والشَّرَفِ، وعلى الأديان والاعتقادات والبصائر، وإن لم تُبَصِرْ وَجْهًا واحدًا من هذه الوجوه نَقَاتِلُ أيضًا، لأنَّ هَمَّنَا الْقَتْلُ والقتال. قال: فَحُذِفَ مفعولٌ وإن لم تُبَصِرْ لأنَّ المراد مفهوم، وكذلك حُذِفَ جوابٌ إنَّ، لأنَّ فيما تقدَّم دليلًا عليه.

٢٠ - الْقَطْرِيُّ بنُ الْفَجَاءَةِ الْمَازِنِيِّ^(٢): [الكامل]

١ - لَا يَزَكِّنْ أَحَدٌ إِلَى الْإِحْجَامِ يَوْمَ الْوَعَى مُتَخَوِّفًا لِجَمَامِ
قَصْدُهُ إِلَى الْبَعْثِ والتحضيض، على التَّغْرِيرِ بالنفس والتعريض. أَلَا تَرَى أَنَّهُ يَحُثُّ بهذا الكلام على تركِ الْفِكْرِ في العواقب، وَرَفُضِ التَّحَرُّزِ خَوْفًا مِنَ الْمَعَاطِبِ. وَيُنَبِّهُ عَلَى أَنَّ الْحَذَرَ لَا يُنْجِي مِنَ الْقَدَرِ، وَأَنَّ الْأَجَلَ إِذَا جَاءَ لَمْ تُغْنِ مَعَهُ قُوَّةُ الْأَمَلِ، فيقول: لَا يَمِيلَنَّ أَحَدٌ إِلَى هَجْرِ الْإِقْدَامِ، وَالسَّكُونِ إِلَى الْإِحْجَامِ فِي الْحَرْبِ مُتَخَشِّعًا مِنَ الْمَوْتِ. وَالْإِحْجَامُ: مَطَاوَعَةٌ حَجَمْتُ أَي كَفَفْتُ وَدَقَعْتُ. فَهُوَ كَالْإِكْبَابِ فِي أَنَّهُ لِمَطَاوَعَةٍ كَبِثْتُ. وَيُقَالُ: حَجَمْتُ الْبَعِيرَ، إِذَا حَطَمْتُهُ بِمَا يَمْنَعُهُ مِنَ الْعَصْرِ، وَيُسَمَّى ذَلِكَ الشَّيْءُ الْحِجَامَ.

(١) البيت للقطامي في ديوانه ٣٥، وشرح أبيات سيبويه ٣٣٢:٢، والشعر والشعراء ٧٢٨:٢، ولسان العرب (تبع)، وبلا نسبة في أدب الكاتب، وجمهرة الأمثال ٤١٩:١.

(٢) قطري بن الفجاءة: من رؤساء الخوارج وأبطالهم، كان خطيبًا فارسًا شاعرًا. (ت ٧٨ هـ / ٦٩٧ م). ترجمته في وفيات الأعيان ٤٣٠:١، وابن الأثير ١٧١:٤.

٢ - فَلَقَدْ أَرَانِي لِلرَّمَاكِ دَرِيَّةٌ مِنْ عَن يَمِينِي مَرَّةً وَأَمَامِي

الدَّرِيَّةُ تُهَمَزُ وَلَا تُهَمَزُ، فَتُجْعَلُ مِنَ الدَّرِيَّةِ وَهُوَ الدَّفْعُ، وَمِنَ الدَّرِيَّةِ وَهُوَ الْخُتْلُ، وَلِهَذَا سُمِّيَتِ الدَّابَّةُ الَّتِي يَخْتَلُ بِهَا الصَّيْدُ لِيُمْكِنَ فَيْرَمَى: دَرِيَّةً، وَالْحَلْفَةُ الَّتِي يُتَعَلَّمُ عَلَيْهَا الطَّعْنَ دَرِيَّةً، وَيُمْكِنُ حَمْلُ الْبَيْتِ عَلَيْهِمَا جَمِيعًا. فَإِذَا جَعَلَتِ الدَّرِيَّةُ الْحَلْفَةَ يَقُولُ: لَا يَفْعَلُنْ ذَلِكَ أَحَدٌ وَلِيَعْتَبِرَ بِحَالِي، فَلَقَدْ رَأَيْتُ نَفْسِي فِي غَيْرِ وَقْتٍ وَحَالٍ، وَكَأَنِّي لِلرَّمَاكِ بِمَنْزِلَةِ الْحَلْفَةِ الَّتِي يُتَعَلَّمُ عَلَيْهَا الطَّعْنَ، فَتَأْتِينِي الرَّمَاكِ مِنْ جَوَانِبِي كُلِّهَا ثُمَّ سَلِمْتُ. وَإِنَّمَا اقْتَصَرَ عَلَى ذِكْرِ الْيَمِينِ وَالْقُدَامِ لِأَنَّهُ يَغْلُمُ أَنَّ الْيَسَارَ فِي ذَلِكَ كَالْيَمِينِ. فَأَمَّا الظُّهْرُ فَإِنَّ الْفَارِسَ لَا يُمَكِّنُ مِنْهُ أَحَدًا. وَإِذَا جَعَلَتِ الدَّرِيَّةُ الدَّابَّةَ الْمَوْصُوفَةَ بِكَوْنِ الْمَعْنَى: فَلَقَدْ أَرَانِي وَقَدْ أَتَيْتُ بِي فَصِرْتُ سُرَّةً لَغَيْرِي مِنَ الطَّعْنِ، كَمَا تَكُونُ تِلْكَ الدَّابَّةُ سُرَّةً لِلصَّائِدِ وَالطَّعْنُ يَتَنَاوَلُنِي. وَعَلَى هَذَا يَكُونُ مَعْنَى «الرَّمَاكِ» مِنْ أَجْلِ الرَّمَاكِ، وَالْأَوَّلُ أَحْسَنُ. وَقَوْلُهُ: «مِنْ عَن يَمِينِي» مِنْ تَعَلُّقٍ بِفِعْلِ دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ أَرَانِي دَرِيَّةً لِلرَّمَاكِ، وَهُوَ تَأْتِينِي وَمَا يَجْرِي مَجْرَاهُ. وَعَنْ مِنْ قَوْلِهِ «عَن يَمِينِي» اسْمٌ هُنَا، وَلَيْسَ بِخَرْفٍ. وَالْمَعْنَى: مِنْ جَانِبِ يَمِينِي، وَمِثْلُهُ قَوْلُ الْأَعَشَى: [البسيط]

مِنْ عَن يَمِينِ الْحُبَيَّا نَظَرَةً قَبْلَ^(١)

وقال الآخر: [السريع]

مِنْ عَن يَمِينِ الدَّارِ وَالْحَائِطِ

٣ - حَتَّى خَضَبْتُ بِمَا تَحَدَّرَ مِنْ دَمِي أَكْثَافَ سَرْجِي أَوْ عِثَانَ لَجَامِي

وقوله «أَوْ عِثَانَ لَجَامِي»، أَوْ: هُنَا لَيْسَتْ لِلشَّكِّ، وَإِنَّمَا هِيَ الَّتِي يُرَادُ بِهَا أَحَدُ الْأَمْرَيْنِ عَلَى طَرِيقِ التَّعَاقُبِ، أَيِ إِمَّا ذَا وَإِمَّا ذَا. وَلَكِ أَنْ تَرِيدَ الْجَمْعَ، لِأَنَّ أَصْلَ «أَوْ» الْإِبَاحَةُ. وَهَذَا كَمَا يُسْأَلُ الرَّجُلُ فَيَقَالُ لَهُ: مَا كَانَ طَعَامُكَ فِي بَلَدِكَ؟ فَيَقُولُ: الْحِنْطَةُ، أَوْ الْأَرْزُ، وَالْمَعْنَى: أَحَدُ هَذَيْنِ، عَلَى أَنْ يَكُونَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بَدَلًا مِنْ صَاحِبِهِ أَوْ الْجَمِيعِ. وَمَعْنَى الْبَيْتِ: انْتَصَبْتُ لِلرَّمَاكِ حَتَّى خَضَبْتُ بِمَا سَالَ مِنْ دَمِي إِمَّا عِثَانَ

(١) للقطامي في ديوانه ص ٢٨، وأدب الكاتب ٥٠٤، وشرح المفصل ٤١: ٨، واللسان (عنن، وحب)، وبلا نسبة في أسرار العربية ص ٥٥، والجنى الداني ٢٤٣، وجواهر الأدب ٣٢٢. وصدرة:

«فقلت للركب لما أن علا بهم»

لجامي وإما جوانب سَرْجِي، أي على حَسَب ما اتَّفَق من الطعن. فالعِنان لما سأل من أعاليه، وجوانب السَّرج لما سأل من أسافله.

٤ - ثم انصرفْتُ وقد أَصَبْتُ ولم أَصَبْ جَذَعُ البَصِيرَةِ قَارِحَ الإقدام

الجُدُوعَةُ قبل الإثناء بَسَنَةٍ، والدَّهْرُ لَجِدَّتِهِ يُسَمَّى جَذَعًا، وكذلك يقال لمن يَرَى في أمر ما على حالةٍ واحدة: هو جَذَعٌ فيه. وانتصابُ «جَذَعُ البصيرة» على أنه حالٌ وهو نَكْرَةٌ. والمعنى: ثم انصرفْتُ مع ما وصفتُ من حالي واتَّفَقَ مع ضيق المجال عَلَيَّ، وقد نَلْتُ ما أردتُ من الأعداء ولم ينالوا مِنِّي ما أرادوا، وأنا على بصيرتي الأولى لم يَبْدُ لي في الاقتحام، ولا غَلَبَ في اختياري التَّطَرُّفَ والانحراف، بل صار إقدامي في الحرب قَارِحًا لَطُولِ ممارستي، وتكرُّر مبارزتي، وإن كان بَقِيَ رأيي فيه جَذَعًا. وهذا يريدُ به ما يَتَرَقَّى فيه الإنسان من التدرُّب والتمرُّن عند مزاولة الأعمال، ومن بقاء وَلُوعِهِ بها، وَجُزْئِهِ عليها على حَدِّهِ في أوَّل الشَّأن. وكما جَعَلَ هذا القُرُوح والجُدُوعَة: البصيرة والإقدام، قال أبو تمام: [الكامل]

كَهَلُ الْأَنَاءِ فَتَى الشَّدَاةِ [إذا عدا للحرب كان القشعم الخطريفا]^(١)

فَنَقَلَهُ كما ترى، واقتدى به البحرِيُّ فقال: [الكامل]

إِقْدَامُ غِرٍّ وَاعْتِزَامُ مُجَرَّبٍ^(٢)

وقد أشار الأعشى إلى كلِّ ذلك في قوله: [المقارب]

تَمَهَّلَ فِي الْحَرْبِ حَتَّى امْتَهَنَ^(٣)

وفي طريقته قَوْلُ أَبِي الْغَوْلِ: [الوافر]

وَلَا تَبْلَى بِسَأَلَتَهُمْ وَإِنْ هُمْ صَلُّوا لِلْحَرْبِ جِيئًا بَعْدَ جِيئٍ^(٤)

(١) ديوانه ص ٢٠٧.

(٢) ديوانه ص ٢٠، وصدده:

«ملك له في كل يوم كربة»

(٣) ديوانه ص ٢١، وصدده:

«عليه سلاح امرئ ماجد»

(٤) انظر الحماسة ٣، البيت الرابع.

٢١ - الْحَرِشُ، وَيَزَوَى لِلْعَبَّاسِ بْنِ مِرْدَاسٍ^(١):

١ - شَهِدْنَا مَعَ النَّبِيِّ مُسَوِّمَاتٍ حُنَيْنًا وَهِيَ دَائِمَةُ الْحَوَامِي

الْحَوَامِي مِنَ الْجَمَاةِ، وَهِيَ الْمَنَعُ. وَكَمَا جَعَلُوا لِلْحَوَافِرِ حَوَامِيَّ سَمَّوْا مَا يُطَوَّى بِهِ الْبُثْرُ مِنَ الْحَجَارَةِ وَغَيْرِهَا لِيَحْمِيَ جَوَانِبَهَا مِنَ التَّشْعِثِ وَالتَّهْدُمِ: حَوَامِيَّ. يَصِفُ خَيْلًا فَيَقُولُ: حَضَرْتُ حُنَيْنًا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَعَلَى آلِهِ، مُغْلَمَاتٍ وَقَدْ دَمِيتُ جَوَانِبُ حَوَافِرِهَا لَكثْرَةِ الْقُدُوِّ، وَلَمَّا لَحِقَهَا مِنَ التَّعَبِ. وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ غَزَا هَوَازِنَ بُوَادِي حُنَيْنٍ، وَرَئِيسُ هَوَازِنَ مَالِكُ بْنُ عَوْفٍ النَّصْرِيُّ، وَهُوَ الْيَوْمَ الَّذِي قُتِلَ فِيهِ دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ الْجُسَمِيُّ. وَإِنَّمَا قَالَ «مُسَوِّمَاتٍ» لِأَنَّهُمْ أَعْلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِعَلَامَاتٍ لِيَبَيِّنَ بِهَا فَضْلُ كُلِّ مِنْهُمْ وَيَلَاؤُهُ. وَالسِّمَاءُ: الْعَلَامَةُ، وَقَدْ فُسِّرَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ﴾ [آلْ عِمْرَانَ: الْآيَةُ ١٤] عَلَى ذَلِكَ. وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: ﴿سِيَمَاءُهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ الْقُدُوِّ﴾ [الْفَتْحُ: الْآيَةُ ٢٩].

٢ - وَوَقَعَةَ خَالِدٍ شَهِدَتْ وَحَكَّتْ سَنَابِكُهَا عَلَى الْبَلَدِ الْحَرَامِ

أَصْلُ الْحَكِّ صَدْمُ جَسْمٍ بِآخَرٍ وَتَرْدِيدُهُ عَلَيْهِ لِيؤْثِرَ فِيهِ، وَتَوَسَّعُوا فِيهِ فَقَالُوا: حَكَّ هَذَا الْأَمْرُ فِي صَدْرِي، لَمَّا يَتَرَدَّدُ فِي خَاطِرِكَ. وَهُوَ يَتَحَكَّكَ بِفُلَانٍ أَيْ يَتَعَرَّضُ لَهُ، حَتَّى إِتْمَمَ يَقُولُونَ لِلشَّيْءِ الْخَفِيِّ: هُوَ حَكَبِكَ نَحِيتَ، وَيَعْنِي خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ بْنُ الْمُغِيرَةِ. وَأَشَارَ بِهَذَا إِلَى فَتْحِ مَكَّةَ، وَإِنَّمَا نَسَبَهَا إِلَى خَالِدٍ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ اسْتَعْمَلَ خَالِدًا يَوْمَ الْفَتْحِ عَلَى الْخَيْلِ فَلَقِيَ قَرِيشًا بِالْخَنْدَمَةِ^(٢)، فَقَاتَلَهُمْ وَهَزَمَهُمْ. فَيَقُولُ: وَحَضَرَتْ أَيْضًا وَقَعَةَ خَالِدٍ يَوْمَ الْفَتْحِ، وَحَكَّتْ أَطْرَافَ حَوَافِرِهَا بِأَرْضِ الْحَرَمِ. وَالْمُرَادُ بَيَانُ طَوْلِ مُمَارَسَتِهَا لِلْحُرُوبِ وَالْوَقَعَاتِ، وَتَرَدُّدِهَا فِي تَحْمُلِ أَعْيَاءِ الشَّرِّ وَالْمَسْئَقَاتِ.

٣ - نَعْرَضُ لِلسُّيُوفِ بِكُلِّ ثَغْرِ خُدُودًا مَا نَعْرَضُ لِلطَّمَامِ^(٣)

(١) الحريش بن هلال التميمي القريني: شاعر إسلامي اختلف في صحبته (انظر الإصابة ترجمة رقم ٢٠٨٧)، والعباس بن مرداس: شاعر فارس من سادات قومه، أمه الخنساء الشاعرة، أسلم قبيل فتح مكة (ت نحو ١٨ هـ - ٦٣٩ م). (ترجمته في خزانة الأدب ١: ٧٣، والشعر والشعراء ١٠١). وقال التبريزي ١: ١٠٣: «ويروى للجحاف بن حكيم بن عاصم». وهو شاعر فاتك ثائر، عاصر عبد الملك بن مروان (ت نحو ٩٠ هـ / ٧٠٩ م). (ترجمته في طبقات فحول الشعراء ٤١١).

(٢) الخندمة: جبل معروف عند مكة، كانت عنده وقعة يوم فتح مكة.

(٣) عند التبريزي: «نعرض للسيف إذا التقينا».

مثله: [المقارب]

نُهَيْنُ الثُّفُوسَ وَهُوَ الثُّفُو سِ يَوْمَ الْكَرِيهَةِ أَوْقَى لَهَا^(١)

يقول: نبتذل في الحروب أنفسنا طلباً لصيانتها، ونستقيل فتعرض ولا نتقبض عنها، بل نبذل لها وجوهنا التي هي حرَم الثُّفُوسِ، ولو عُرِضَ علينا في السُّلْمِ والسَّلامَةِ بذلُها لِلطَّامِ، لا نَفْتًا منه وامتنعنا. والمعنى: نتلقى السيوف بخدودنا إذا كَسَبْنَا ذُكْرًا، وإن صُنَّاها عن الأذى اليسير. وأكشَفَ من هذا وأشرفَ قولُ الآخر: [الطويل]

ويبتذلُ النَّفْسَ المَصُونَةَ نَفْسَهُ إذا ما رأى حَقًّا عليه ابتذالها

٤ - وَلَسْتُ بِخَالِعٍ عَنِّي ثِيَابِي إذا هَرَّ الكَمَاءُ ولا أَرَامِي الثِّيَابُ يعني بها السَّلاح، وهذا كما يُسمَّى بَرًّا. ألا تَرَى قَوْلَ^(٢) الآخر: [السريع]

بَرُّ امرئٍ مُسْتَسْلِمٍ حَازِمٍ

وقول الهذلي: [الطويل]

فَوُقِرَ بَرُّ ما هُنَالِكَ ضَائِعُ^(٣)

يعني السَّيف، وهذا يحتمل وجهين: يجوز أن يكون المعنى لا أُنزِعُ ثيابي وقتَ هَرِيرِ الأبطالِ تَشْمَرًا وَتَخَفًّا ثم لا أُبْلِي ولا أَجْتَهِدُ، ولكن إذا وطئت نفسي على الشَّرِّ تَقْصِيْتُ أَبْلَغَ ما يكون منه بأبلغ ما يكون من بلائي. وموضع «ولا أرامي» نُصِبَ على الحال، أي لا أفعل ذلك غَيْرَ مُرَامٍ. ويعني بالمرامةِ مدافعةَ الخَصْمِ ومجاهدته بكلِّ ممكن ومُعْرِضٍ، وليس يريدُ الرِّمِيَّ بالثَّبَالِ. وقد توسَّعُوا في الرِّمِيِّ والمرامةِ حتَّى استعمل في الافتخار، واستعير لتأثير الدَّهرِ والشَّيبِ وَلِنَظَرِ المَحْبُوبِ الْمُفْتَتِنِ. ويجوز أن يكونَ نَفَى الأمرين جميعًا فقال: لا أَخْلَعُ ثيابي تخفيفًا عن نفسي في التَّوَلَّى

(١) البيت في الحيوان ٤٢٧:٦ وقد نسبته للخنساء.

(٢) البيت في المفضليات ٨٥:٢ وقد نسبته لأبي قيس بن الأسلت الأنصاري وعجزه:

«للدهر جلد غير مجزاع»

(٣) البيت لقيس بن عيزارة الهذلي في ديوان الهذليين ٧٨:٣، والتبريزي ١٠٥:١. وصدده:

«فويل أم بَرُّ جَرَّ شَعْلٍ على الحصا»

والانهزام عند هَرِيرِ الشُّجْعَانِ، ولا أُرَامِي أيضًا، يعني الرَّمْيَ بالنَّبَالِ، ولكن أَتَلَقَّى الشَّرَّ وأُضِدُّهُ بوجهي. ويشهد لهذا أول البيت التالي له، وإنما قال ذلك لأنَّ المَرَمَاءَ تكون من بعيد فتخطيء وتصيب، وعند المكافحة تتكَلُّ الأمهات.

٥ - وَلِكِنِّي يَجُولُ الْمُهْرُ تَخْتِي إِلَى الْغَارَاتِ بِالْعَضْبِ الْخُسَامِ
الْعَضْبُ: الْقَطْعُ وَالْمَنْعُ، ثم قيل سَيْفٌ عَضْبٌ، أي قاطِعٌ، كما قيل صَيْفٌ في الضَّائِفِ. وقال الخليل: سُمِّيَ السَيْفُ خُسَامًا لَأَنَّهُ يَحْسِمُ الْعَدُوَّ عَمَّا يُرِيدُ من بلوغ عَدَاوَتِهِ. وقوله: «بِالْعَضْبِ»، أي وَمَعِي الْعَضْبُ، وهو في موضع الحال، ومعنى البيت ظاهر.

٢٢ - ابْنُ زَبَابَةَ التَّيْمِيِّ: (١)

١ - نُبِيتُ عَمَرًا غَارَرًا رَأْسُهُ فِي سِنَّةٍ يُوعَدُ أَخْوَالُهُ
جَعَلَ عَزَزَ الرَّأْسِ كَنَاءَةً عَنِ الْجَهْلِ وَالذَّهَابِ عَمَّا عَلَيْهِ وَلَهُ مِنَ التَّحْفِظِ. وَنُبِّيَ وَأُنْبِئِيَ مِمَّا يَتَعَدَّى إِلَى ثَلَاثَةِ مَفَاعِيلٍ، فَعَمَرًا انتصب على أَنَّهُ مفعول ثانٍ، وغاررًا، انتصب عَلَى أَنَّهُ مفعولٌ ثالث، ورأسه انتصب من غاررًا. وأرادَ بالسَّنَةِ: الْعُقْلَةَ، وهي ما يحدث من أوائل الثَّوْمِ فِي الْعَيْنِ ولم يستحْكَمْ بعد. وهذا من أحسن التشبيه وأبلغ التعريض. والإبعاد إذا كان على ما وَصَفَ حَقِيقٌ بِالتَّهْجِينَ، يَدُلُّ على ذلك قوله: [الكامل]

وَسَنَانٌ أَقْصَدَهُ النَّعَاسُ فَرْنُقَتْ فِي عَيْنِهِ سِنَّةٌ وَلَيْسَ بِنَائِمٍ (٢)

وقد فَصَّلَ الله تعالى بينهما بقوله: ﴿لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: الآية ٢٥٥]. والفِعْلُ وَسِنٌ يَوْسَنٌ وَسَنًا. وموضع «يُوعَدُ» نَصَبٌ على الحال. ومعنى «غاررًا» رَأْسُهُ: مُدْخِلًا، ومنه الْعَزَزُ بِالْإِبْر. ويقال: عَزَزَ فُلَانٌ رِجْلَهُ فِي الْعَزَزِ، أي فِي الرُّكَابِ. وتَوَسَّعُوا حَتَّى قَالُوا: اغْتَرَزَ فُلَانٌ فِي رُكَابِ الْقَوْلِ.

٢ - وَتِلْكَ مِنْهُ غَيْرُ مَأْمُوءَةٍ أَنْ يَفْعَلَ الشَّيْءَ إِذَا قَالَهُ

(١) ابن زبابة التيمي: هو عمرو بن الحارث بن همام، من بني تيم اللات بن ثعلبة، شاعر جاهلي، ترجمته في المَرْزَبَانِي ص ٢١٤، والأعلام ٢٥٦:٥.

(٢) لعدي بن الرقاع في اللسان (ردق).

هذا الكلام تَهَكُّمٌ وسُخْرِيَّةٌ، وفي طريقته قول الآخر: [الطويل]

وأما أخو قُزَيطِ فلستُ بساخِرٍ فقولاً ألا يا أسْلَمَ بمُرَّةٍ سالماً

قال هذا ومُرَّةٌ مُعَرَّضٌ لكلِّ بلاءٍ. «أن يفعل» موضِعُهُ رَفَعَ على البدل من قوله وتلك منه. والمعنى: تلك الخَصْلَةُ لا يُوَمِّنُ وقوعها من عَمَرٍ، وهو فِعْلُهُ لما يقوله.

٣ - الرُّنْحُ لا أَمْلَأُ كَفِّي بِهِ وَاللَّبْدُ لا أَتْبَعُ تَزْوَالَهُ

هذا التمدح منه تعريضٌ بخُصمه وإزراءٌ بفروسيته، وإشارةٌ إلى أن أضدادَ هذه الأوصاف مجتمعة فيه. فيجوز أن يكون المعنى: إني لا أَقْتَصِرُ مِنْ تعاطي أنواع السلاح على الرُّنْحِ فقط، ولكنِّي أَجْمَعُ في الاستعمال بينها. وهذا كما يُقال: مَلَأَ كَفَّهُ من كذا فليس فيه موضِعٌ لغيره. ويجوز أن يكون المعنى: إني أَسْتَعْمِلُ رمحي بأطراف أصابعي لحذقي واقتداري، ولا أخذه بجميع كَفِّي. وهذا كما يُقال: أَقْبَضُهُ ولا أَقْبِضُهُ؛ لأن القَبْضَ: الأَخْذَ بأطراف الأصابع، والقَبْضُ بالكَفِّ كُلِّها. ومثله قول الآخر: [الطويل]

لَبِيقًا بِتَصْرِيفِ الْقَنَاءِ بِنَانِيَا^(١)

وقوله: «وَاللَّبْدُ لا أَتْبَعُ تَزْوَالَهُ» أراد: ألزم ظهر دابَّتي، وإن مال اللَّبْدُ لم أَمِلْ معه. وهذا كما قال أبو النجم: [الرجز]

أَذْرَكَ عَقْلًا وَالرَّهَانُ عَمَلُهُ ثَقِفْ أَعَالِيهِ وَقَارَ أَسْفَلُهُ^(٢)

أي كأنه يُلْصِقُ الأسفل بظهر الفَرَسِ فلا يَزُول ولا يَمِيلُ.

٤ - وَالذُّرْعُ لا أَبْغِي بِهَا ثَرْوَةً كُلُّ امْرِئٍ مُسْتَوْدَعٌ مَالُهُ

لولا أن قَصَدَهُ في التمدح إلى التعريض بالمخبر عنه لكان لا معنى لهذا الكلام. ألا تَرَى أَنَّ قوله: «وَالذُّرْعُ لا أَبْغِي بِهَا ثَرْوَةً» وقد فُسِّرَ على أنه يجوز أن يكون المراد: لا أَقْتَنِي الدَّرْعَ لكي أَتَجَرَّ فيها فَأَتَمَوَّلَ، وتَرْكُ التَّجَارَةِ في الأسلحة ليس فيه

(١) البيت لعبد يغوث بن وقاص في شرح اختيارات المفضل ص ٧٧٢، وبلا نسبة في مقاييس اللغة ٢٣١: ٥. صدره:

«وَكُنْتُ إِذَا مَا الْخَيْلُ شَمَصَهَا الْقَنَا»

(٢) الشطر الأول من الرجز بلا نسبة في اللسان (خمس).

كبير تَمْدُح. ويجوز أن يكون المعنى: لا أعدُّها سبباً في ارتفاع المغانم فأثري،
ويكون كقول عترة: [الكامل]

يُخَيِّرُكَ مِنْ شَهْدِ الْوَقِيعَةِ أَنَّنِي أَغْشَى الْوَعَى وَأَعِثُّ عِنْدَ الْمُغْنَمِ^(١)

وقوله: «كلُّ امرئٍ مُسْتَوْدِعٌ مَالَهُ». يريدُ به؛ المال ودائع عند الناس، ولا بدَّ من ارتجاعها والتقاضي بها وإن أمهلوا مُدَّةً، فلم أَتَجَزَّ في دزعي أو لم ألبسها لَتَغْنَمُ الأنفالَ بها، والمالُ هذه حاله عند أربابه. ويكون هذا كما قال الآخر^(٢):
[الطويل]

وَمَا الْحَالُ وَالْأَهْلُونَ إِلَّا وَدَائِعٌ وَلَا بُدَّ يَوْمًا أَنْ تُرَدَّ الْوَدَائِعُ

ويجوز أن يكون «ما» من قوله «مَالَهُ» بمعنى الذي، فيكون المعنى: كلُّ امرئٍ مُرْتَهَنٌ بِأَجَلِهِ، وبالذي كُتِبَ له، ولا يمتنع أن يكون أشار بـ«ما» إلى ما يُقْتَنَى من أغراض الدنيا. ويروى: «كلُّ امرئٍ مُسْتَوْدِعٌ مَالَهُ» بكسر الدال، والمعنى أن ما يجمعه المرءُ يَكْسِبُهُ إذا جاء مَخْتَوِّمُ الْقَضَاءِ يتركه لغيره لا محالة، فلم أرغب فيه وفي ادخاره، وأزهد في اكتساب المحامد والمَعَالِي؟ وهذا الكلام نهاية في التنقُّص ممن عَرَّضَ به، وغاية في الطعن عليه، والقُدْح في عَادَتِهِ. ويروى: «والدُّزَع لا أبغي بها ثثرة»، وهي الواسعة. والمعنى: إني أَكْتَفِي من الدُّزَع ببدنة، فلا أطلب ما يفيضُ فَيْضًا، ويجب مع هذه الرواية والتفسير أن يكون معنى المِضْرَاع الثاني: كلُّ امرئٍ مُرْتَهَنٌ بِأَجَلِهِ، ومُمَهَّلٌ ليوومه.

هـ - أَلَيْسَتْ لَا أَذِفُنُ قَسْلَاكُمُ فَدَخْنُوا الْمَرْءَ وَسِرْبَالَهُ^(٣)

هذا البيت لم أجده في نسخ كثيرة، فيغلب في ظني أنه ليس من الاختيار، وعلى ما به فله قِصَّة مشهورة زَعَمُوا. وهي أنه يُزَوَّى فيه أن واحدًا من المُخَاطَبِينَ كان أخذت في حَزْبٍ حَضَرَهَا خَوْفًا على نفسه، فَعَرَّضَ الشاعِرُ بهم ودَكَرهم سوء بلائهم، وَضَعَف ثباتهم. وإنما يريد أنهم إذا صُرِعُوا في المعركة عُثِر منهم إن لم يُطَيَّبُوا على مثل ما فَعَلَهُ ذلك الواحد المَعْرُضُ به، أو استدلَّ بِالرَّائِحَةِ عليه فافتضحوا. وهذا تهكُّم

(١) ديوانه ص ٢٠٩، وأساس البلاغة (وقع).

(٢) للبيد في ديوانه ١٧٠، واللسان (عمر) وتاج العروس (شيع، ودع).

(٣) قبل هذا البيت عند التبريزي بيت آخر هو:

«إنك يا عمرو وتزك الندى كالعبد إذ قِيدَ أَجْمَالُهُ»

أَيْضًا وَتَعْيِيرٌ بِالِاتِّفَاقِ السَّيِّئِ. وَآلَيْتُ: مَعْنَاهُ حَلَقْتُ وَلَفْظُهُ لَفْظُ الْخَبَرِ، وَالْمَعْنَى مَعْنَى الْقَسَمِ. وَرَبِّمَا قَالُوا: آلَيْتُ عَلَى نَفْسِي.

٢٣ - الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ الشَّيْبَانِيُّ^(١): [السريع]

١ - أَيَا أَبْنَ زُبَابَةَ إِنْ تَلَقَّنِي لَا تَلَقَّنِي فِي الثَّعَمِ الْعَازِبِ
الثَّعَمُ يُذَكِّرُ وَيُؤْنِتُ، وَالتَّذْكِيرُ فِيهِ أَغْلَبُ. وَفَائِدَتُهُ فِي الْإِفْرَادِ الْإِبْلُ فِي الْأَكْثَرِ،
وَإِذَا جُمِعَ ذَلَّتْ عَلَى الْأَزْوَاجِ الثَّمَانِيَةِ^(٢). يُعَرِّضُ بِأَنَّهُ رَاعٍ فَيَقُولُ: يَا ابْنَ زُبَابَةَ إِنَّكَ لَا
تَجِدُنِي رَاعِيًا يَبْعُدُ فِي الْمَرْعَى بِبَابِلِهِ. وَالْمَعْنَى: أَنْتَ كَذَلِكَ، وَيُقَالُ: مَا لَ عَازِبٌ
وَعَزَبٌ، إِذَا بَعُدَ عَنْ أَهْلِهِ. وَرَوْضٌ عَازِبٌ: بَعِيدُ الْمَطْلَبِ.

٢ - وَتَلَقَّنِي يَشْتَدُّ بِي أَجْرَدُ مُسْتَقْدِمُ الْبِرْكَ كَالرَّاكِبِ
قَوْلُهُ: «وَتَلَقَّنِي» عَطَفَهُ عَلَى الْجَوَابِ، لِأَنَّهُ يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ جَوَابًا. أَلَا تَرَى
أَنَّهُ لَوْ قَالَ: إِنْ تَلَقَّنِي تَلَقَّنِي كَذَا، لَصَلَحَ؟ يَقُولُ: تَلَقَّنِي يَغْدُو بِي فَرَسٌ قَصِيرُ
الشَّعْرِ، مُتَقَدِّمُ الصَّدْرِ، مُشْرِفٌ كَالرَّاكِبِ، أَيْ إِشْرَافُهُ إِشْرَافُ الرَّاكِبِ لَا الْمَرْكُوبِ.
وَيَشْتَدُّ: يَفْتَعِلُ مِنَ الشَّدِّ، وَهُوَ الْعَدُو. وَيُقَالُ: اسْتَقْدَمُ وَتَقَدَّمَ، وَاسْتَأْخَرَ وَتَأَخَّرَ،
بِمَعْنَى. وَالْبِرْكََةُ، كُسِيرٌ بِأَوَّاهَا عِنْدَ اتِّصَالِ الْهَاءِ بِهَا، لَوْلَا ذَلِكَ لَقِيلَ لَبَزَكَ بِفَتْحِ
الْبَاءِ.

٢٤ - فَأَجَابَهُ ابْنُ زُبَابَةَ: [السريع]

١ - يَا لَهْفَ زُبَابَةَ لِلْحَارِثِ الْـ صَّابِحِ فَالْغَنِيمِ فَالْأَيْبِ
يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَوْرَدَ هَذَا الْكَلَامِ سَاحِزًا مُتَهَانِفًا^(٣)، وَمُسْتَهْزَأًا مُتَهَكِّمًا، فَوَصَفَهُ
بِهَذِهِ الصِّفَاتِ وَكَانَ الْأَمْرُ بِخِلَافِهِ، وَيَقْرَبُ هَذَا أَنَّ مَا قَبْلَ هَذِهِ الْمَقْطُوعَةِ فِي مِثْلِ هَذِهِ
الطَّرِيقَةِ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ذَكَرَ مَا كَانَ مِنْهُ عَلَى الْحَقِيقَةِ، فَهُوَ يَتَحَسَّرُ لِمَا رَأَى مِنْ
فَلَاحِهِ فِي عَزَاتِهِ، وَسَلَامَتِهِ فِي مَأْيِهِ. وَيَقُولُ: يَا حَسْرَةً أُمِّي مِنْ أَجْلِ هَذَا الرَّجُلِ فِيمَا
ارْتَفَعَ لَهُ مِنَ الْمَرَادِ فِي الْغَزْوِ، وَجُمِعَ لَهُ مِنَ السَّلَامَةِ وَالْوَفْرِ. وَالصَّابِحُ، يَجُوزُ أَنْ

(١) الحارث بن همام بن مرة، شاعر جاهلي.

(٢) الأزواج الثمانية هي: الضأن والمعز والإبل والبقرة، ذكورها وإناثها.

(٣) الإهتاف: ضحك فيه فتور كضحك المستهزئ، وكذلك المهانة والتهافت.

يكون في معنى مُضْبِح، كما قال: [الخفيف]

حين لاحت للصباح الجُوزاء^(١)

والغارة وقُتْها الغداة، فلذلك قال: للحارث المُضْبِح عندنا والغايم منا. والترتيب الذي يفيدُه الفاء جارٍ على سَنَنِه، كأنه أرادَ للحارث الغازي نَحُونًا والغانم منا - والعُنْمُ بعد الغزو - فالآيِبُ إلى قومه - والأوْبَةُ بعد الاستغنام. ويجوز أن يكون الصباحُ من صَبَحْتُ القومَ، إذا أَتَيْتَهُمْ صباحًا. وفي المَثَلُ السائر «صَبَحْنَاهُمْ فَعَدَّوْا شَأْمَةً»^(٢). وهذا الوجهُ أَوْجَهُ وأجودُ. واعلم أن الصِّفة إذا جاءت للتبيين وإزالة اللَّبس عن الموصوف، فالوجهُ أن يُعَمَّدَ إلى أَحْصَاهَا بالموصوف، وأحَقَّهَا بالبيان والشرح، حتى تُغْنِي عن العُدُول عنها إلى غيرها من الصِّفات، فإن اتَّفَقَ بعد ذلك لَبَسَ حينئذٍ يُزال بما يُضَمُّ إليه. وإذا جاءت للتعظيم أو التهجين فإنه قد يُوالَى بين عِدَّةٍ منها بحروف التَّسْقِي ومن دونها: تقول: جاءني زيدُ الظريفُ الكاتبُ الفاضلُ العالمُ: وإن أتيت بالواو العاطفة متخلِّلةً له ساعً، فإن قيل: إذا كانت الصِّفة هي الموصوف، والشيء لا يُعْطَفُ على نَفْسِهِ، فكيف جازَ عطفُ بعضِ الصِّفاتِ على بعض؟ قلت: تَغَايُرُ المعاني الحاصلةِ بها وقوَّةُ اتِّصالِ بعضها ببعضٍ في بابي الصِّلَةِ والصِّفَةِ، سَوَّغَ ذلك في ألفاظها.

٢ - والله لو لَأَيُّتُهُ خَالِيَا لَأَب سَيِّفَانَا مَعَ الْغَالِبِ

أَقَسَمَ بالله فيقول: والله لو لَقِيتُهُ منفردًا عن أشياعه لحَصَلَ سيفانا للغالب منا. وَذَكَرَ السَّيْفَيْنِ والمرادُ جميعُ ما معهم من بَزْهُمَا وسِلاحهما، لعلَّوْ شأنهما. وجعلَ الْفِعْلَ للسَّيْفَيْنِ على المجاز. والمعنى: لو خَلَوْتُ به لَقَتَلْتُهُ أو قَتَلَنِي.

٣ - أَنَا أَبْنُ زَبَابَةٍ إِنْ تَذَهْنِي آتِكَ وَالظَّنُّ عَلَى الْكَاذِبِ

(١) البيت لأبي زيد الطائي في ديوانه ص ٢٤، ولسان العرب (صبح)، والشعر والشعراء ٣١٠، والأغاني ١٥١:٥، والحماسة البصرية ٣٥٨:٢، والحيوان ٢٣١:٥، وخزانة الأدب ٣٢١:٧. وصدده:

«أَيُّ سَاعٍ سَعَى لِيَقْطَعَ شَرِبِي»

(٢) أوردَه الميداني في مجمع الأمثال ٥٥٧:٢، وقال «أَيُّ أَوْقَعْنَا بِهِمْ صَبَحًا فَأَخَذُوا الشَّقَّ الْأَشَامَ، أَيُّ صَارُوا أَصْحَابَ شَأْمَةٍ وَهِيَ ضِدُّ الْيَمَةِ».

قوله: «والظنُّ على الكاذب» يجري مَجْرَى الأمثال، ويكون مبنياً على ما قال لبيد، وهو: [الرمْل]

واكْذِبِ النَّفْسَ إِذَا حَدَّثَتْهَا إِنْ صَدَّقَ النَّفْسَ يُزِرِّي بِالْأَمَلِ^(١)

والمعنى: كلُّ منا يحدِّث نفسه ويكذبها، ثم الظنُّ على من لا يتحقَّق أمَله. ويجوز أن يريد: أنا المعروف المشهور، إِنْ دَعَوْتَنِي لمبارزتكَ جئتكَ، فَإِنْ كُنْتُ تَظُنُّ غير هذا فظنُّكَ عليك، لأنَّكَ تَكْذِبُ نَفْسَكَ فيما تتوهمه من قُعودي عنكَ، أو نُكُولي عن الإقدام عليك. ويجوز أن يكون المعنى: إِنْ تَدْعُنِي أَجِبْكَ، فَإِنْ ظَنَنْتَ أَنْ تكون الغالب فظنُّكَ عليك، لأنَّكَ تكذب نفسك.

٢٥ - الأَشْرُ النَّخَعِيُّ^(٢): [الكامل]

١ - بَقِيتُ وَفَرِي وَانْحَرَفْتُ عَنِ الْعَلَا وَلَقِيتُ أَضْيَافِي بِوَجْهِ عَبُوسٍ
الْوَفَرُ: المالُ الكثير. والعُبُوسُ: الكُلُوحُ عن غَضَبٍ، وتوسَّعوا فقالوا: يومَ عَبُوسٍ، أي شديدٍ. وهو جِنْسٌ عَيْنٌ، في اللثيم. وهذا من الأيمان الشريفة، واللفظُ لفظُ الْخَبَرِ، وظاهرُه الدُّعاء، ومحصولُه الْقَسَمُ. فيقول: أذخرْتُ مالي ولم أفرِّقه فيما يَكْسِبُ لي حَمْدًا، فَعَلَّ الْبُخْلَاءُ، وزهَّدْتُ في اكتساب المعالي والمآثر زُهْدَ الْأَدْنِيَاءِ، وتلقَّيتُ الْأَضْيَافَ بوجه رجلٍ كالحِ إِنْ لم أَفْعَلْ كذا. ومثله في اليمين قولُ النابغة:
[البسيط]

إِذَا فَلَ رَفَعْتَ سَوْطِي إِلَيَّ يَدِي^(٣)

٢ - إِنْ لَمْ أَشْنُ عَلَى ابْنِ حَرْبٍ عَارَةً لَمْ تَخْلُ يَوْمًا مِنْ نِهَابِ نُفُوسٍ^(٤)
شَنْ الْعَارَةِ مُعْجَمَةٌ، وسَنُّهَا معجمةٌ: صَبُّهَا. وأصلُ جميعها في الماء، ثم حَصَلَ التوسُّعُ فيها. يقول: تَصَوَّرْتُ بتلك الصورة التي ذكرتها وأقْسَمْتُ بها، إِنْ لَمْ أَصَبْ

(١) البيت للبيد في ديوانه ص ١٨٠، ولسان العرب (كذب، وخزا)، وجمهرة اللغة ٥٩٦.

(٢) الأشر النخعي: مالك بن الحارث بن عبد يغوث النخعي، أمير من كبار الشجعان، كان رئيس قومه، حضر اليرموك وذهبت عينه بها (ت ٣٧ هـ / ٦٥٧ م). ترجمته في الإصابة رقم ٨٣٤٣، والولاة والقضاة ص ٢٣، والمرزباني ٣٦٢.

(٣) البيت للنابغة الذبياني ص ٢٥، والأزهية ص ٥٢، وخزانة الأدب ٧٣:٥، ولسان العرب (ندي). وصدرة:

«ما إِنْ أَتَيْتُ بِشَيْءٍ أَنْتَ تَكْرَهُهُ»

(٤) التبريزي ١: ١١٣؛ «ابن حرب، يعني معاوية بن أبي سفيان».

على هذا الرجل خَيْلاً لا تخلو يَوْماً من اختلاس نُفُوسٍ، وانتهاجِ آجال. وَسَمَى الخَيْلَ غَارَةً لَمَّا كانت من قَبْلِهَا تكون. وموضع «لَمْ تَخُلْ يَوْماً» نَضَبٌ على الصفة للغارة، أي خَيْلاً جَرَتْ عَادَتُهَا بذلك. والْتِهَابٌ يجوز أن يكون مصدرَ نَاهَبْتُهُ وَيُسْتَعْمَلُ في الْمُغَاوَرَةِ والمُماراة، ويجوز أن يكون جَمْعُ التَّهَبِ. وجوابُ «إِنْ لَمْ أَشْنِ» فيما تقدم.

٣ - خَيْلاً كَأَمْثَالِ السَّعَالِي شُرْبًا تَغْدُو بِبَيْضٍ فِي الْكَرْيَةِ شُوسٍ

الشُّرْبُ: الضُّمَر. والشُّوس: جمع أشُوس، ويقال شَاسَ يَشُوسُ وشُوسَ يَشُوسُ، إِذَا عُرِفَ فِي نَظَرِهِ الْغَضَبُ أَوِ الْكِبَرُ. وَانْتَضَبَ «خَيْلاً» عَلَى أَنَّهُ بَدَلٌ مِنْ غَارَةٍ. وَشَبَّهَ الْخَيْلَ فِي ضَمَرِهَا وَسُرْعَةِ نَفَاذِهَا بِالْحِجْنِ. وَانْتَضَبَ «شُرْبًا» عَلَى أَنَّهُ صِفَةٌ لِلْخَيْلِ، لِأَن قَوْلَهُ «كَأَمْثَالِ»، أَيْضًا صِفَةٌ، وَيجوز أن يكون حَالًا لِلْمُضْمَرِ فِي كَأَمْثَالِ السَّعَالِي. وَالْمَعْنَى: خَيْلاً تَشَابَهَ السَّعَالِي فِي حَالِ شُرُوبِهَا وَضَمَرِهَا. وَقَوْلُهُ: «تَغْدُو بِبَيْضٍ» أَيْضًا صِفَةٌ، إِمَّا لِقَوْلِهِ شُرْبًا، وَإِمَّا لِلأَوَّلِ تَغْدُو بِرَجَالٍ كِرَامٍ، مُتَكَبِّرِينَ فِي الْحَرْبِ، ذَوِي أَفْقَةٍ. وَإِذَا جُمِعَ بَيْنَ مَفْرَدَاتٍ وَجُمِلَ فِي الْوَضْعِ، فَالترتيب المختار تقديم المفردات على الجُمْلِ، وَقَدْ جَاءَ الْبَيْتُ عَلَى ذَلِكَ. وَالْعَرَبُ تَجْعَلُ الْبَيَاضَ كِنَايَةً عَنِ الْكَرَمِ، كَأَنَّهَا تُرِيدُ نَقَاءَ الْعِرْضِ. عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ^(١): [المنسرح]

أُمُّكَ بَيْضَاءُ مِنْ قُضَاعَةٍ

وَكَمَا فَعَلُوا هَذَا جَعَلُوا الْغُرَّ كِنَايَةً عَنِ الْكِرَامِ، وَرُبَّمَا قَالُوا غُرَّانَ. فَأَمَّا قَوْلُهُمْ: «بَيْضُ الْوُجُوهِ» فَالمراد أَنَّهُمْ لَمْ يَفْعَلُوا شَيْئًا يَشِيهُهُمْ فَيُغَيِّرُ لَوْنَهُمْ عِنْدَ ذِكْرِهِ. وَقَدْ قَالُوا فِي ضِدِّهِ: «أَوْجُهُهُمْ كَالْحَمِّ»، وَ«سُودُ الْوُجُوهِ». وَأَمَّا الشُّوسُ فَكَمَا وُصِفَ بِهِ الرِّجَالُ وَصِفَ بِهِ الْخَيْلُ أَيْضًا، وَالْمُرَادُ بِهِ عِزَّةُ النَّفْسِ. وَقَوْلُهُ «فِي الْكَرْيَةِ» لِلْحَقِيقِ الْهَاءُ بِهَا أَلْحَقَ بِبَابِ الْأَسْمَاءِ، وَيُسْتَعْمَلُ فِي نَوَازِلِ الدَّهْرِ وَشِدَائِدِ الْأَمْرِ. وَهُوَ ظَرْفٌ إِنْ شَتَّ لَمَّا دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ «بَيْضٌ» مِنَ الْكَرَمِ، وَإِنْ شَتَّ لِقَوْلِهِ شُوسٌ. وَالْكَرَمُ فِي الْكَرَائِي: نَزَاهَةُ النَّفْسِ عَنِ لَوَازِمِ الْعَارِ.

٤ - حَمِي الْحَدِيدُ عَلَيْهِمْ فَكَأَنَّهُ وَمَضَانُ بَزَقِ أَوْ شَعَاعُ شُمُوسٍ

(١) البيت لزهير في ديوانه ص ٥٢، واللسان (بيض)، وتماه:

«أُمُّكَ بَيْضَاءُ مِنْ قُضَاعَةٍ فِي الدَّ - جَيْتِ الَّذِي يَسْتَكْنُ فِي طَنْبِهِ»

شُعَاعُ الشَّمْسِ: انتشار ضوئها. ويقال: أَشْعَتِ الشَّمْسُ: انتشر شعاعها. يقول: حَمِيَّتِ الأسلحةُ يَوْمَ الوَعَى لصبرهم وثباتهم، وطول مُقَامِهِمْ. ثُمَّ شَبَّهَ لمعانها بومضان البرق أو شعاع الشمس، وَجَمَعَ الشُّمُوسَ لاختلاف مطالعها. والوَمَضَانُ: مُضَدَّر وَمَضٌ، وكذلك الوَمَضُ والوَيْيْضُ، ويقال في فعله أَوْمَضَ أيضًا.

٢٦ - مَعْدَانُ بْنُ جَوَّاسٍ الْكَنْدِيُّ^(١):

وَدَخَلَ هَذَانِ الْبَيْتَانِ فِي الْبَابِ لِمَا اشْتَمَلَا عَلَيْهِ لَفْظًا وَمَعْنَى مِنَ الْفِطَاظَةِ وَالْقِسْوَةِ. [الطويل]

١ - إِنْ كَانَ مَا بُلِّغْتِ عَنِّي فَلَا مَنِي صَدِيقِي وَشَلْتُ مِنْ يَدَيِ الْأَنَامِلِ^(٢)

قوله «صديقي» يجب أن يُريدَ به الكثرة لا الواحد. ويقال: شَلْتُ يَدَهُ شَلَلًا. وهذا من الجنس الأول في أن لفظه لفظُ الخبر، والمعنى معنى الدعاء، والمراد القسم. وقوله «فلامي» لامي في موضع رفع على أنه خبر ابتداءٍ محذوف، كأنه قال: فَأَنَا لَامِنِي، والفاء مع ما بعده جواب إن. والمعنى: إِنْ كَانَ مَا أُدِي إِلَيْكَ عَنِّي حَقًّا ففعلت ما استحققتُ به لَوَمِ الصديق، واسترخت أصابعي. فإن قيل: اليمين والشَّروط كيف يصح؟ قلت: هذا كلام مُبْطِلٌ لما ادَّعِي عليه، نافٍ له، فاليمين تناوَلَتْ نَفِيَّ مَا أُثْبِتَ فِيهِ، ودفع ما قُرِفَ به. ودلَّ على ذلك فَخْوَى الكلام. ويجوز في «كان» أن يكون التامة لا الناقصة، فيكتفي بالفاعل ولا يحتاج أن يُضَمَّرَ بَعْدَهُ «حقًا». والمعنى: إِنْ وَقَعَ مَا بُلِّغْتِ عَنِّي وَحْدَتْ. وتخصيصه للأنامل لأن أكثر المنافع بها. وجاز إضمارُ خبر كان إذا جعلتها ناقصةً لأنَّ في الكلام والحال دليلًا عليه، ولأنَّ دُخُولَهُ على المبتدأ والخبر، فكما يُحذفُ الخبر في ذلك الباب يُحذفُ هنا.

٢ - وَكَفَنْتُ وَخَيْدِي مُنْذِرًا بِرَدَائِهِ وَصَادَفَ حَوْطًا مِنْ أَعَادِي قَاتِلِ^(٣)

وَخَيْدِي انتَصَبَ على المصدر، وهو في موضع التَّوَحُّد. وفي التَّحْوِينَ من يجعله وإن كان مَعْرِفَةً في موضع الحال. يقول: وَفَجِئْتُ بِمُنْذِرٍ وَأُحِوِجْتُ إِلَى أَنْ أَبَاشَرَ تَكْفِيئَهُ وَتَجْهِيئَهُ بِنَفْسِي - وهذا مما يزيد المصائب كَلَمًا وَدَاءً - وَصَادَفَ ابْنِي مِنْ أَعْدَائِي مَنْ لَا يُبْقِي عَلَيْهِ. وَأَعَادِي بَنَاءٌ عَلَى الْفَتْحِ لِحَقَّتِهِ، ولأنَّه الْأَصْلُ فِي يَاءٍ

(١) معدان بن جؤاس الكندي: شاعر مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام، كان نصرانيًا. (ت ٣٠ هـ/

٦٥٠ م). ترجمته في الإصابة ٨٤٤٣، والمرياني ص ٤٠٧.

(٢) عند التبريزي: (ما بُلِّغْتِ). (٣) عند التبريزي: «في رداه».

الضمير إِذَا حُرِّكَ. وعلى هذا تقول: هؤلاء بَنِيَّ ومعطي، وهذا قاضي. وأعادي يجوز أن يكون أَفَاعِلَ وأضافه، ويجوز أن يكون أَفَاعِلَ كأباييت وخَفَّفَه، كما خَفَّفَ أَنَابِ ثم أضافه. ويجوز أن يكون لَمَّا رَامَ الإضافة اجتمع ثلاث ياءات فَخَذَفَ مَدَّة أَفَاعِلَ.

٢٧ - عامر بن الطفيل الكلابي^(١): [الطويل]

١ - طَلَّقْتَ إِنْ لَمْ تَسْأَلِي أَيُّ فَارِسٍ حَلِيلُكَ إِذْ لَأَقَى صُدَاءَ وَخْثَعَمَا
جَعَلَ الإقسام عليها بما يضيّق طريقها في التجوُّز والإهمال، لَمَّا وَلَّاهَا البحث والسؤال، هذا إذا جعلت الكلام دُعاء. يقول: بَنَيْتُ مِنْ زَوْجِكَ إِنْ لَمْ تُفَشِّبِي بِالسَّوَالِ عَنْ أَحْوَالِهِ حِينَ لَأَقَى هَاتَيْنِ الْقَبِيلَتَيْنِ، هَلْ أَبْلَى فِي مَلَاقَاتِهِمَا، وَكَيْفَ ثَبَّتَ فِي وَجْهِهِمَا. ويجوز أن يكون طَلَّقْتَ وَعِيدًا تَوَعَّدَهَا بِهِ إِنْ لَمْ تَنْتَهَ إِلَى مَرْسُومِهَا. وَالْحَلِيلُ: الزَّوْجُ، سُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ يُحَالُ صَاحِبَتَهُ. وَخْثَعَمٌ هُوَ خَثْعَمُ بْنُ أَمَّارٍ، وَالْخَثْعَمَةُ: التَّلَطُّخُ بِالْدم. وَيُقَالُ: كَانُوا تَحَالَفُوا فَعَمَسُوا أَيْدِيَهُمْ فِي دَمٍ بَعِيرٍ نَحَرُوهُ وَاجْتَمَعُوا عَلَيْهِ فَسُمُوا خَثْعَمًا. وَمَفْعُولُ تَسْأَلِي مَحْذُوفٌ، الْمُرَادُ تَسْأَلِي النَّاسِ. وَقَوْلُهُ «أَيُّ فَارِسٍ» هُوَ الْمَسْأَلَةُ، وَهُوَ فِي مَوْضِعِ الْمَفْعُولِ أَيْضًا. وَجَوَابُ الشَّرْطِ مُقَدَّمٌ، كَأَنَّهُ قَالَ: إِنْ لَمْ تَسْأَلِي النَّاسَ عَنْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ فَانْتِ مَطْلُوقَةٌ مِنْ بَعْدُ، أَوْ فَجَعَلَ اللَّهُ خَاتَمَةً أَمْرِكَ ذَلِكَ.

٢ - أَكْرُ عَلَيْهِمْ دَغَلَجًا وَلَبَانُهُ إِذَا مَا اشْتَكَى وَقَعَ الرِّمَاحُ تَحْمَحَمًا
أَجْمَلَ فِي إِقْتِصَاصِ بَلَانِهِ، ثِقَّةً بِأَنَّهُ بَحَثَهَا وَاسْتَقْصَاها يَأْتِي عَلَى تَفَاصِيلِهِ. يَقُولُ: أَغْطِفُ فَرَسِي دَغَلَجًا عَلَيْهِمْ، حَالًا بَعْدَ حَالٍ، وَكِرًّا بَعْدَ فَرٍّ وَإِذَا اشْتَكَى مِنْ كَثَرَةِ وَقُوعِ الطَّعْنِ بِصَدْرِهِ أَحْمَحُ. وَجَعَلَ الْفِعْلَ لِلصُّدْرِ عَلَى الْمَجَازِ وَالسَّعَةِ لَكُونِهِ مَوْقِعَ الطَّعْنِ. هَذَا إِذَا زَوَّيْتُ: «وَلَبَانُهُ» بِالرَّفْعِ، لِأَنَّهُ بَعْضُ النَّاسِ رَوَى «وَلَبَانُهُ» بِالنَّصْبِ، كَأَنَّهُ فَرَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ الْاِشْتِكَاءُ وَالتَّحْمَحُمُ لِلْبَّانِ عَلَى كَثَرَةِ نِسْبَةِ الْاِشْتِكَاءِ إِلَى الْأَعْضَاءِ الْأَكْمَةِ. فَوْقَ فِيمَا هُوَ أَقْبَحُ؛ لِأَنَّهُ الْمُرَادُ أَكْرُ عَلَيْهِمْ فَرَسِي، فَلَا مَعْنَى لِعَطْفِ اللَّبَّانِ عَلَيْهِ. وَسَمِعْتُ مَنْ يَجْعَلُهُ مِنْ بَابِ تَكَرُّرِ الْبَعْضِ مِنَ الْكُلِّ بِالْعَطْفِ عَلَيْهِ، وَإِنْ

(١) عامر بن الطفيل الكلابي: من بني عامر بن صعصعة، فارس قومه، وأحد فئلك العرب وشعرائهم وساداتهم في الجاهلية. كان أعور أصيب عينه في إحدى وقائعه، وهو ابن عم لبيد الشاعر. (ت ١١ هـ / ٦٣٢ م) ترجمته في الإصابة ٦٥٥٠، والشعر والشعراء ص ١١٨.

كان داخلاً فيما دَخَلَ فيه على وجه الاختصاص وتفخيم الشأن، كقوله عز وجل: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾ [البقرة: الآية ٩٨]. قال: ووجه الاختصاص أن الذكَرَ بصدرة، كما أن الأنثى بعجزه. والدَّغْلُجُ: المَرِخُ في السَّيْرِ والتردُّد، ويوصَفُ به الفَرَسُ والبَعِيرُ والحمارُ، وذكر بعضهم أنه يقال في الضَّبِّ الهائج أيضًا. وقد أحسنَ عنترَةُ كلَّ الإحسان حينَ سَلَكَ هذا السبيل فقال: [الكامل]

فازورُ مِنْ وَقَعَ القنا بلبائنه وشكا إليَّ بعبرةٍ وتحمُّمٍ^(١)

٢٨ - زُفَرُ بن الحارثِ الكلابي^(٢): [الطويل]

١ - وَكُنَّا حَسْبِنَا كُلَّ بَيْضَاءِ شَحْمَةٍ لَيْئَالِي قَارَضْنَا جُذَامَ وَجَمِيرًا
حكى الأصمعي في الأمثال: «ما كلُّ بَيْضَاءِ شَحْمَةٍ، ولا كُلُّ سَوْدَاءِ تَمْرَةٍ». والمعنى: ليس كلُّ ما أشبه شيئاً ذلك الشيء. ومعنى البيت: ظَنَّنَا لما التقينا مع جُذَامَ وَجَمِيرَ أَنْ سَبِيلَهُمْ سَبِيلُ سائر الناس، وَأَنَا سَتَفْهَرُهُمْ قَهْرًا قَرِيبًا ثم وجدناهم بخلاف ذلك، لكون أصلهم من أصلنا، واجتماعهم فيما تَمَيَّزْنَا فيه عن سائر الناس مَعْنًا، وَجُذَامُ أبو هذه القبيلة فَسُمِّيَتْ به، وأصله الجَذْمُ: القَطْع، وَبه سُمِّيَ الداءُ المعروف جُذَامًا، وقيل للمقطوع اليد: أَجْذَم. وَحَكَى بعضهم: ما سَمِعْتُ لَهُ جَذْمَةً ولا رَجْمَةً، أي كلمة، لتقطع الصوت بها عند الثطق. والفرْعُ: ضَرْبُ الشيء بغيره، ثم توسَّعُوا فقالوا: قَرَعْتُ باطله بحقي، وَقَرَعَ الشاربُ جبهته بالإناء، إذا استوفى ما فيه.

٢ - فَلَمَّا قَرَعْنَا الثَّنْبَ بالنبع بَغْضُهُ بِبَغْضِ أَبْث عِيْدَانُهُ أَنْ تَكْسُرًا
بعضه، انتصب على البدل من الثَّنْبِ. وجوابُ لما قوله «أَبْث». وتكسَّر أصله تتكسَّر. والشاعر اعترف بأنَّ أصل أولئك ثَبْنٌ، كما أنَّ أصلهم ثَبْنٌ، الثَّبْنُ خَيْرُ الأشجار التي يُتَّخَذُ منها القِيسِي وأصلها، كما أنَّ العَرَبَ شَرُّها وأرْخاها، فجعلت العرب تَضْرِبُ المثل بهما في الأصل الكريم واللَّئيم، حتى إنَّ بعض المُحدِّثين

(١) ذكره الميداني معجمه ٣٠٧:٢.

(٢) زفر بن الحارث الكلابي: أبو الهذيل، أمير، من التابعين من أهل الجزيرة، كان كبير قيس في زمانه، شهد صفين مع معاوية، وشهد وقعة مرج راهط. (ت ٧٥ هـ / ٦٩٥ م) ترجمته في خزانة الأدب ٣٩٣.

قال: [المنسرح]

هِنَهَاتِ أَبْدَى الْيَقِينُ صَفْحَتَهُ وَبَانَ نَبْعُ الْفَخَارِ مِنْ غَرَبِهِ

فيقول: لما قَرَعْنَا أَصْلَهُمْ بِأَصْلِنَا أَبَتِ الْعِيدَانُ مِنَ التَّكْسَرِ. والمعنى أَنَّ كَلَامَنَا أَبَى أَنْ يَنْهَزَ عَنْ صَاحِبِهِ. فالعِيدَانُ مَثَلٌ لِلرَّجَالِ، وَالتَّنْعُ مَثَلٌ لِلْأَضْلِ.

٣ - وَلَمَّا لَقِينَا عُضْبَةً تَغْلِييَّةً يَسْقُودُونَ جُرْدًا لِلْمَنِيَّةِ ضُمَرًا

يقال تَغْلِييٌّ وَتَغْلِييَّةٌ، وَالْكَسْرُ أَكْثَرُ، وَمَنْ فَتَحَ فَلْتَوَالِي الْكَسَرَاتِ وَالْيَاءَيْنِ. وَهَذَا كَمَا قَالُوا: نَمَرِيٌّ فَرَدُّوا مِنْ فَعِلٍ إِلَى فَعَلٍ. يقول: لَمَّا لَقِينَا جَمَاعَةً مِنْ بَنِي تَغْلِبٍ^(١) يَقُودُونَ لِلْحَرْبِ خَيْلًا ضُمَرًا قِصَارَ الشُّعُورِ. وَجَوَابُ لَمَّا فِيمَا بَعْدَ، وَهُوَ سَقِينَاهُمْ. وَإِنَّمَا احْتِاجُ إِلَى الْجَوَابِ مَتَى كَانَ عَلَمًا لِلظَّرْفِ، لِأَنَّهُ يَجِيءُ لَوْقُوعِ الشَّيْءِ لَوْقُوعَ غَيْرِهِ. وَجَعَلَ الْخَيْلَ جُرْدًا لِأَنَّ الْعَرَابَ مِنْهَا تَكُونُ كَذَلِكَ. وَاللَّامُ مِنْ قَوْلِهِ «لِلْمَنِيَّةِ» يَجُوزُ أَنْ يَتَعَلَّقَ بِيَقُودُونَ، وَيَجُوزُ أَنْ يَتَعَلَّقَ بِقَوْلِهِ ضُمَرًا، أَيْ ضُمَرَتْ لَهَا.

٤ - سَقِينَاهُمْ كَأَسَا سَقُونَا بِمِثْلِهَا وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْمَوْتِ أَضْبَرًا

يقول: قَابَلْنَاهُمْ بِمِثْلِ مَا بَدَّوْنَا بِهِ مِنْ سَقَى كَأْسِ الْمَوْتِ، لَكِنْ الْقَتْلُ كَانَ فِيهِمْ أَعْمَ، وَلَهُمْ أَشْمَلُ. وَجَعَلَ ذَلِكَ فِيهِمْ كَالضَّبْرِ مِنْهُمْ عَلَيْهِ. وَيَقْرُبُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ [البقرة: الآية ١٧٥] عَلَى هَذَا الْوَجْهِ. كَانَ النَّارَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ وَوَجِبَتْ، بِمَا كَانَ مِنْهُمْ مِنَ الْمَعْصِيَةِ، فَجَعَلَ ذَلِكَ فِيهِمْ كَالضَّبْرِ مِنْهُمْ عَلَيْهِ، وَلِذَلِكَ قَالَ بَعْضُ الْمَفْسَّرِينَ فِي مَعْنَاهُ: مَا أَعْمَلَهُمْ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ. كَأَنَّ إِصْرَاهُمْ عَلَى ذَلِكَ الْعَمَلِ كَالضَّبْرِ مِنْهُمْ عَلَى النَّارِ. وَرَدُّ الْآيَةِ إِلَى الْبَيْتِ وَإِجْرَاءُ الْقَوْلِ فِيهَا عَلَى هَذَا الْحَدِّ غَرِيبٌ حَسَنٌ. وَقَوْلُهُ: «أَضْبَرُ» أَيْ أَضْبَرُ مَتَا، وَأَفْعَلُ الَّذِي يَتَمَّ بِمَنْ يُحَذَفُ مِنْهُ «مَنْ» فِي بَابِ الْخَبَرِ دُونَ الْوَصْفِ. وَسَاغَ ذَلِكَ لِأَنَّ الْخَبَرَ كَمَا يَجُوزُ حَذْفُهُ بِأَسْرِهِ لِقِيَامِ الدَّلَالَةِ عَلَيْهِ يَجُوزُ حَذْفُ بَعْضِهِ أَيْضًا لَهُ.

(١) قال التبريزي ١: ١١٨: «يعني تغلب بن حلوان بن عمران لأن الظفر يوم مرج راهط كان لكلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان، وليس لتغلب وائل».

٢٩ - عَمْرُو بْنُ مَعْدِيكَرِبٍ^(١):

حَكَى ابن الأعرابي: قالوا مَعْدِيكَرِبٌ لِأَنَّهُ عَدَا الْفَسَادَ. وَالْكَرْبُ: الْفَسَادُ. [الطويل]

١ - وَلَمَّا رَأَيْتُ الْخَيْلَ زُورًا كَأَنَّهَا جَدَاوِلَ زَرْعٍ خُلَيْتٍ فَاسْبَطَرْتُ^(٢)

اسبطرت: امتدّت، والسَّبَطَرُ والسَّبْطُ بمعنًى واحد. يقول: لَمَّا رَأَيْتُ الْفُرْسَانَ مُنْحَرِفِينَ لِلطُّغْنِ، وَقَدْ خَلَوْا أَعْتَةً دَوَابَّهُمْ وَأَرْسَلُوهَا، وَقَرَّطُوا آذَانَهَا بِهَا، فَكَأَنَّهَا أَنْهَارُ زَرْعٍ أُرْسِلَتْ مِيَاهُهَا فَامْتَدَّتْ بِهَا. وَالتَّشْبِيهُ وَقَعَ عَلَى جَزْيِ الْمَاءِ فِي الْأَنْهَارِ لَا عَلَى الْأَنْهَارِ، كَأَنَّهُ شَبَّهَ امْتِدَادَ الْخَيْلِ فِي انْحِرَافِهَا عِنْدَ الطُّغْنِ بِامْتِدَادِ الْمَاءِ فِي الْأَنْهَارِ، وَهُوَ يَطْرُدُ مَلْتَوِيًا وَمُضْطَرِبًا. وَكَمَا وَصَفَ الْخَيْلَ فِي انْحِرَافِهَا بِزُورٍ وَصِفَتْ أَيْضًا بِتُكْبٍ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: [الطويل]

لِأَعْدَائِنَا تُكْبٌ إِذَا الطُّغْنُ أَفْقَرًا^(٣)

فَالْتُكْبُ: جَمْعُ اْتُكْبِ، وَهُوَ الَّذِي يَنْحَطُّ أَحَدُ مَنْكِبَيْهِ عَنِ الْآخَرِ، كَمَا أَنَّ الزُّورَ جَمْعُ أَزُورٍ، وَهُوَ الْمُغْوَجُ الزُّورُ. وَهَذَا مِنَ التَّشْبِيهِ الْحَسَنِ الصَّائِبِ. وَقَوْلُهُ: «خُلَيْتٍ فَاسْبَطَرْتُ» جُعِلَ لِلْجَدَاوِلِ عَلَى الْمَجَازِ وَالسَّعَةِ، لِأَنَّ الْمِيَاهَ هِيَ الَّتِي تَخْلَى وَتَمْتَدُّ. وَهَذَا كَمَا يُقَالُ نَهْرٌ جَارٍ، وَإِنْ كَانَ الْمَاءُ هُوَ الَّذِي يَجْرِي.

٢ - فَجَاشْتُ إِلَيَّ النَّفْسُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَرُدَّتْ عَلَى مَكْرُوهِهَا فَاسْتَقَرَّتْ^(٤)

فجاشت إلي النفس أول مرة. اعترض بعضهم فقال: لَوْلَا أَنَّهُ جَبُنَ لَمَّا جَاشَتْ إِلَيْهِ النَّفْسُ. قَالَ: وَمِثْلُهُ فِي الرِّدَاءِ قَوْلُ عَنَتْرَةَ: [الكامل]

إِذْ يَتَّقُونَ بِيَ الْأَسِنَّةَ لَمْ أَخْمِ عَنْهَا وَلِكِنِّي تَضَايِقُ مُقَدِّمِي

(١) عمرو بن معديكرب الزبيدي: فارس اليمن، وصاحب الغارات المعروفة، أسلم ثم ارتد بعد وفاة النبي ﷺ ثم رجع إلى الإسلام وشهد القادسية. (ت ٢١ هـ / ٦٤٢ م). ترجمته في الإصابة ٥٩٧٢، والشعر والشعراء ١٣٨.

(٢) عند التبريزي «أرسلت» بدل «خليت».

(٣) للنابغة الجعدي في ديوانه ص ٥٤، ولسان العرب (صبا)، وتهذيب اللغة ١٢: ٢٥٧، وكتاب الجيم ٤٨: ٣. وصدرة:

«مصابين خِرْصَانُ الْوَشِيحِ كَأَنَّا»

(٤) عند التبريزي «فردت».

هَلَّا قَالَ كَمَا قَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ مُرْدَاسٍ: [الوافر]

أَشَدُّ عَلَى الْكُتَيْبَةِ لَا أَبَالِي أَحْتَفِي كَانَ فِيهَا أَمْ سِوَاهَا^(١)

قال الشيخ: وليس الأمر كما توهم، لأن ما ذكره عمرو وعنترة بيان حال النفس، ونفس الجبان والشجاع على طريقة واحدة فيما يدهمها عند الوهلة الأولى، ثم يختلفان: فالجبان يزكّب نفرتة، والشجاع يدفعها فيثبت. فأما قول العباس بن مرداس فليس مما ذكرها بسبيل، وإنما هو بيان الحالة الثانية وما يعزم عليه بعد الاعتصام والمراجعة والتمسك. فاعلمه إن شاء الله. وقوله: «أَوَّلَ مَرَّةٍ» وذات مَرَّةٍ، لا يكونان إلا ظرفين: لأن مَرَّةٍ ليس باسم للزمان لازم، وإنما هو مُدْخَلٌ عليه. فإذا قلت مَرَّةً فإنما حقيقتها فَعْلَةٌ واحدة، ويجوز أن يكون وقتاً واحداً. ويجوز أن يكون الفاء في «فجاشت» زائدة، في قول الكوفيين وأبي الحسن الأخفش، ويكون جاشت جَوَابًا لِمَا. والمعنى: لما رأيت الخيل هكذا خافت نفسي وثارت. وطريقة جُلُّ أصحابنا البصريين في مثله أن يكون الجواب محذوفاً، كأنه قال: لما رأيت الخيل هكذا فجاشت نفسي ورذت على ما كرهته فقرت، طَعَنْتُ أو أَبْلَيْتُ. ويدل على ذلك قوله: «عَلَامٌ تَقُولُ الرَّمْحُ يَثْقُلُ سَاعِدِي إِذَا أَنَا لَمْ أَطْعَنْ»، فحذف طَعَنْتُ أو أَبْلَيْتُ لأن المراد مَفْهُومٌ. وهذا كما حذفوا جواب لو رأيت زَيْدًا وفي يده السيف! وعلى هذا الكلام على المذهبين في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهَا وَقَفَتْ أَتْبَتُهَا﴾ [الزمر: الآية ٧٣]، وفي قول امرئ القيس: [الطويل]

فَلَمَّا أَجَزْنَا سَاحَةَ الْحَيِّ وَانْتَحَى بِنَا بَطْنُ خَبْتِ ذِي قِفَافٍ عَقَنْقَلٍ^(٢)

وحذف الجواب في مثل هذه المواضع أبلغ وأدل على المراد وأحسن، بدلالة أن المولى إذا قال لعبده: «والله لئن قُمتُ إليك» وسكت، تزاحمت عليه من الظنون المعترضة للوعيد ما لا يتزاحم لو نص من مؤاخذته على ضرب من العذاب. وكذلك إذا قال المتبجح: «لو رأيته شاباً» وسكت، جالت الأفكار له بما لم تجل به لو أتى بالجواب.

(١) للعباس بن مرداس في خزنة الأدب ٤٣٨: ٢، وبلا نسبة في الإنصاف ١: ٢٩٦، وخزنة الأدب ٤٣٨: ٣.

(٢) البيت لامرئ القيس في ديوانه ص ١٥، وأدب الكاتب ص ٣٥٣، وخزنة الأدب ١١: ٤٣، ولسان العرب (جوز)، وتاج العروس (عقل).

٣ - عَلَامَ تَقُولُ الرُّمَحُ يُثْقِلُ سَاعِدِي إِذَا أَنَا لَمْ أَطْعُنْ إِذَا الْخَيْلُ كَرَّتِ

«ما» في الاستفهام إذا اتصل بحرف جز يُحذف الألف من آخره تخفيفاً، على ذلك فِيمَ وَبِمَ وَلِمَ، إلّا إذا اتَّصلَ ما بِدأ فقلت: بماذا ولماذا، لأنه يُترك على تَمَامِهِ. وقوله: «تَقُولُ الرُّمَحُ» يُرَوَّى بفتح الحاء وضمِّها، فإذا نَصَبْتَ فلأنك جَعَلْتَ تَقُولُ في معنى تَطْنُ. وهُم - عند الخطاب والكلام استفهام - يحملون القول على الطَّن. على ذلك قَوْلُهُ: [الكامل]

فَمَتَى تَقُولُ الدَّارَ تَجْمَعُنَا^(١)

أي متى تَطْنُ ذلك فتقول، فجعل القول يَدُلُّ على الطَّن لَمَّا كان القول تَرْجَمَةً عن الطَّن. والخطاب والاستفهام يحتملان ما لا يحتمل غيرهما. وإذا رَفَعْتَ الرُّمَحَ فَالْقَوْلُ مَثْرُوكٌ على بابه، والرُّمَحُ يرتفع بالابتداء، والكلامُ حكايةً، وما بَعْدَ الْقَوْلِ إذا كان كَلَامًا مُفِيدًا يُحْكِي. ومعنى البيت: على أي شيءٍ ولأي وجهٍ تقول: أَخِجِلُ الرُّمَحَ فَيُثْقِلُ سَاعِدِي إذا لم أَغْمِلْهُ إذا حَصَلَ الكَرُّ من الْخَيْلِ بعد الْفَرِّ، واشتَدَّ عليهم الأمر. والمعنى: بأي حُجَّةٍ أَخِجِلُ السَّلَاحَ إذا لَمْ أَهْلِ فِي الْحَرْبِ ولم أَسْتَغْمِلْهُ فِي وَقْتِهِ. وهذا الكلامُ إسْقَاطٌ للتَّجْحُّجِ بِالْبَلَاءِ الذي كان منه أيضًا. وقوله: «إِذَا أَنَا لَمْ أَطْعُنْ» أي لم يُثْقِلُ سَاعِدِي الرُّمَحُ في وقت تَرْكِي الطَّنِ زَمَانَ كَرَّ الْخَيْلِ، فإذا الْأَوَّلُ ظَرَفَ لقوله يُثْقِلُ، وإذا الثاني ظَرَفَ لقوله لم أَطْعُن.

٤ - لَمَّا اللَّهُ جَزَمًا كُلَّمَا دَرَّ شَارِقٌ وَجُوهَ كِلَابٍ هَارَشَتْ فَازْبَارَتْ

ازْبَارَتْ: انتفش حتى ظهر أصولُ شعره. قال: [الرملة]

فهو وَرَدَ اللَّونَ فِي ازْبِشْرَارِهِ وَكَمِيتُ اللَّونَ مَا لَمْ يَزْبِزْ^(٢)

كُلَّمَا: انتصب على الظرف، و«وَجُوهَ» انتصب على الشتم والذم، والعاملُ فيه فِعْلٌ مُضَمَّرٌ وهو أَذْكَرُ. كَأَنَّهُ شَبَّهَ وَجُوهَهُمْ بِوَجُوهِ الْكِلَابِ فِي الْحَالَةِ الْمَذْكُورَةِ، ويجوز أن يكون انتصابه على الْبَدَلِ من قَوْلِهِ «جَزَمًا». ومعنى لَمَّا اللَّهُ: قَسَرَ اللَّهُ، أي فَعَلَ ذلك بهم عَدَاةً كُلَّ يَوْمٍ، أَذْكَرُ قَوْمًا يُشْبِهُونَ الْكِلَابَ إِذَا وَاثَبَتْ غَيْرَهَا وَسَاوَرَتْ،

(١) لعمر بن أبي ربيعة في ديوانه ص ٤٠٢، وخزانة الأدب ٤٣٩:٢، والكتاب ١٢٤:١. وصدرة:

«أما الرحيل فدون بعد غدي»

(٢) للمرار بن منقذ الحنظلي في لسان العرب (زبار)، وتاج العروس (زبر)، وجمهرة اللغة ١٣٣١،

والمخصص ١٥١:٦.

فانتفشت وتجمعت للوثب؛ وتلك الحالة من أحوالها أشنع وأنكر. وهذا تحقيقٌ للشبهة، وتصويرٌ لقباحة المنظر. والذُّرُور في الشمس أصله الانتشار والتفريق. قال: [الرجز]

كالشمس لم تغدُ سوى ذرورها

أي طلوعها وانتشار ضوئها. قال الخليل: المهارشة من الكلاب وغيرها كالمُحارشة. ويقال: فلان يُهارش بين الكلبيين.

٥ - قَلَمَ ثَمَنُ جَزْمٍ نَهْدَهَا إِذْ تَلَاقِيَا وَلَكِنْ جَزَمًا فِي اللَّقَاءِ أَبْدَعَرْتُ^(١)

جَزَمٌ وَنَهْدٌ: قبيلتان من قُضَاعَة. ومعنى ابْدَعَرْتُ: تَفَرَّقْتُ. وَأَصَافَ نَهْدًا إِلَى ضَمِيرِ جَزَمٍ، لِاعْتِمَادِهِ كَانَ عَلَيْهَا، وَاعْتِقَادِهِ الْاِكْتِفَاءَ بِهَا. وَالْمَعْنَى لَمْ تَنْصُرْهَا فَكَانَتْ تَكْتَفِي بِهَا وَتَقْنِي، وَلَكِنْ جَزَمًا اِنْهَزَمَتْ، وَهَامَتْ عَلَى وَجْهِهَا فَمَضَتْ، وَاصْطَلَتْ نَهْدُ بَنَارِ الْحَرْبِ، فَمَسَتْ حَاجَتُهَا إِلَى مَنْ يُوَازِرُهَا، وَيَنَاضِضُ الْأَعْدَاءَ مَعَهَا.

٦ - ظَلِلْتُ كَأَنِّي لِلرُّمَاحِ دَرِيَّةٌ أَقَاتِلُ عَنْ أَبْنَاءِ جَزْمٍ وَقَرَّتْ

يقول: بقيتُ نهاري منتصبًا في وجوه الأعداء، والظعنُ يأتيني من جَوَانِبِي، وَكَأَنِّي لِلرُّمَاحِ بِمَنْزِلَةِ الْحَلْقَةِ الَّتِي يُتَعَلَّمُ عَلَيْهَا الطَّعْنُ، أَذُبُّ عَنْ جَزْمٍ وَقَدْ هَرَبَتْ هِيَ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ: كَأَنِّي لِلرُّمَاحِ صَبْدٌ. فَقَدْ حَكَى أَبُو زَيْدٍ أَنَّهُ يُقَالُ لِلصَّيْدِ خَاصَةً دَرِيَّةٌ، غَيْرُ مَهْمُوزَةٍ، وَدَرَايَا؛ كَانَ هَذَا مِنْ دَرَيْتُ أَيْ خَتَلْتُ. فَأَمَّا الدَّابَّةُ الَّتِي يُسْتَرُّ بِهَا مِنَ الصَّيْدِ، فَإِذَا أَكْثَبَ رُمِيٍّ مِنْ خَلْفِهَا، فَذَكَرَ أَبُو زَيْدٍ أَنَّهَا تَسْمَى دَرِيَّةَ الصَّيْدِ، بِالْهَمْزِ. قَالَ: وَيُقَالُ: دَرَأْتُهَا نَحْوَ الصَّيْدِ إِلَى الصَّيْدِ وَاللَّصِيدِ، إِذَا سَقَتْهَا. وَكَانَ هَذَا مِنَ الدَّرْءِ، وَهُوَ الدَّفْعُ. وَقَدْ تَسْمَى تِلْكَ الدَّابَّةُ الدَّرِيعةَ وَالسَّيْقَةَ وَالْقَيْدَةَ. وَأَنْشِدْتُ عَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ الْمُبَرِّدِ، رَحِمَهُ اللَّهُ، أَنْشَدَنِي حَمْزَةَ بْنِ الْحَسَنِ، قَالَ: أَنْشَدَنِي عَلِيٌّ بْنُ سُلَيْمَانَ الْأَخْفَشُ عَنْهُ: [البسيط]

إِذَا نَصَبْنَا لِقَوْمٍ لَا تَدِبُ لَهُمْ كَمَا تَدِبُ إِلَى الْوَحْشِيَّةِ الدُّرُعُ^(٢)

الدُّرُع: جمع ذريعة، كصحيفة وصُحُف. وَإِنْ جَعَلْتُ «كَأَنِّي» فِي مَوْضِعِ الْحَالِ فَأَقَاتِلُ فِي مَوْضِعِ الْخَيْرِ لَظَلِلْتُ حَيْثُذِ.

(٢) البيت بلا نسبة في التبريزي ١: ١٢٤.

(١) عند التبريزي: «إِذْ تَلَاقَتَا».

٧ - فلو أن قومي أنطقني رماخهم نطقت ولكن الرماح أجرت

الطوق استعمل في الكلام وغيره، ولذلك قيل منطلق الطير، ثم توسعوا فقالوا: نطق الكتاب بكذا. يقول: لو أن قومي أبلوا في الحرب واجتهدوا لافتخرت بهم، وذكرنا بلاءهم، ولكن رماخهم أجرت لساني، كما يجز لسان الفصيل. وجعل الفعلين للرماح لأن المراد مفهوم في أن التقصير كان منهم لا منها. والإجرا: أن يشق لسان الفصيل للرماح فيجعل فيه عوئذ لثلا يرضع أمه. وقد استعمل الإجرا في الرمح إذا تكسر في المطعون. قال: [الرجز]

أجره الرمح ولا ثهاله^(١)

وفي طريقة قوله: «أنطقني رماخهم» قول الآخر: [الطويل]

أقول وقد شدوا لساني بنسعة أمعشر تيم أطلقوا عن لساني^(٢)
لأن المعنى أحسنوا إلي ينطلق لساني بشركم.

٣٠ - سيار بن قصير الطائي: [الطويل]

١ - لو شهدت أم القديد طعاننا بمزعش خيل الأرميني أرتت

جواب لو، «أرتت». يقال: رن وأرن بمعنى واحد. ومزعش من ثغور أرمينية. وأم القديد، قيل هي امرأته. والخيل ينتصب من قوله «طعاننا». ومعنى البيت: لو حضرت هذه المرأة مطاعتنا بمزعش خيل هذا الرجل الأرميني لولت وضجت، إشفافاً علينا، لكثرتهم وقتلنا. والباء من قوله «بمزعش» تعلق بطعاننا، وهو ظرف مكان له قد عمل فيه. وإنما قلت هذا لثلا يتوهم أنه تعلق بشهدت، وأنه في موضع الحال للخيل أو للمطاعنين، فيكون قد فصل به بين الصلة والموصول، وهما طعاننا وخيل الأرميني.

٢ - عشيّة أزمي جمعهم بلأيه ونفسي وقد وطئت فاطمات

(١) الرجز بلا نسبة في لسان العرب (هول) و(ويه)، و(خطا)، وجمهرة اللغة ٨٨، وسر صناعة الإعراب ٨١، ونوادر أبي زيد ١٣، وقبلة:

«وئها فداء لك يا فضالة»

(٢) البيت لعبد يغوث بن وقاص الحارثي في المفضليات ٥٥: ١.

لَبَّانِ الفرس: صدره. ويقال: وطئت نفسي على كذا فتوطئت، أي حَمَلْتُهَا عليه فذَلَّت. وانتصب «عَشِيَّة» على أنه ظَرْفٌ لَطِعَائِنَا. ويجوز أن يكون ظرفًا لِشَهْدَتِ، ولا يجوز أن يكون ظرفًا لأرْمِي؛ لأن أَرْمِي أَضِيفَتْ عَشِيَّةً إِلَيْهِ، والمضاف إليه لا يعمل في المضاف. ومعنى البيت: عَشِيَّةُ أَخِيْلٍ عَلَى الْقَوْمِ وَلَا أَبَالِي إِنْ كَانَتْ عَلَيَّ أَوْ لِي، لأنِّي وطئت نفسي على الشر فأَلْفَنُهُ وسكنتُ إليه. فمن رَوَى: «وَنَفْسِي قَدْ وَطَّئْتُهَا» يكون الواو للحال، ونفسي يرتفع بالابتداء، ووطئْتُهَا في موضع الخبر. ومن رَوَى: «وَنَفْسِي» وقد وَطَّئْتُهَا فَإِنَّ نَفْسِي يكون في موضع الجبر عطفًا على بَلْبَانِهِ، أي أَرْمِي جِيشَهُمْ بِنَفْسِي وفَرَسِي، ويكون قد وَطَّئْتُهَا في موضع الحال. وتحقيق الكلام: وقد وَطَّئْتُهَا على الشر فَسَكَنْتُ إِلَيْهِ، وَرَضِيتُ بِهِ. ومثله قول عترة: [الكامل]

مَا زِلْتُ أَرْمِيهِمْ بِقُرْحَةٍ مُهْرِي وَلَبَّانٍ لَا وَكَلٍ وَلَا هَيَابٍ
وقول الآخر: [الطويل]

مَا زِلْتُ أَرْمِيهِمْ بِثَغْرَةٍ نَخْرِهِ وفارِسِهِ حَتَّى ثَارَتْ ابْنُ وَاقِدٍ

٣ - وَلَا حِقَّةَ الْأَطَالِ أَسْنَذْتُ صَفَّهَا إِلَى صَفِّ أُخْرَى مِنْ عِدَى فَاقْشَعَرَّتْ
إنما نَكَّرَ قَوْلُهُ «عِدَى» لِيَنْبَهَ بِهِ عَلَى اخْتِلَافِهِمْ وَكَثْرَتِهِمْ، وَأَنَّ ذَلِكَ لَتَوْفُرِ فُضَائِلِهِمْ، وَتَظَاهُرِ عِزِّهِمْ وَرِيَاسَتِهِمْ، إِذْ كَانَ الْحَسَدُ يَتَّبِعُ ذَلِكَ، وَلَأَنَّهُمْ يَتَرَوْنَ مَنْ لَا يَذِلُّ لَهُمْ، وَلَا يَهْوَى هَوَاهُمْ. يقول: وَرُبَّ خَيْلٍ قَدْ لَحِقَتْ بِطَوْنُهَا بِظَهْرِهَا، وَارْتَفَعَتْ جَنُوبُهَا إِلَّا مَتُونَهَا. أَنَا أَمَلْتُ صَفَّهَا إِلَى صَفِّ خَيْلٍ مِثْلِهَا مِنَ الْأَعْدَاءِ، فَخَافَتْ لِقَائَنَا وَكَثُرْتِهِمْ. وَأَصْلُ الْاقْشَعَارِ تَقْبُضُ الْجِلْدِ وَانْتِصَابُ الشَّعْرِ، وَقَدْ تَكَلَّمَ النَّاسُ فِي قَوْلِ امْرِئِ الْقَيْسِ: [المقارب]

وَالْقَلْبُ مِنْ خَشْيَةٍ مُقْشَعِرٌ^(١)

فقال بعضهم: الاقشعرار لا يصح في القلب، لأنه يُخْبِرُ بِهِ عَمَّا عَلَيْهِ شَعَرٌ، وَلَا شَعَرَ عَلَى الْقَلْبِ. وقال غيره: إنما هو كنايةٌ عَنِ الْوَجَلِ، وَلَمَّا كَانَ الْاقْشَعَارُ يَقَعُ عِنْدَهُ كَثِيرٌ بِهِ عَنْهُ. وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَكَأَنَّهُ قَالَ: وَالْقَلْبُ مِنْ خَشْيَةٍ وَجَلٍ.

(١) لامرئ القيس في ديوانه ص ١٥٨، ولسان العرب (تمم)، وأساس البلاغة (تمم)، وتماه: «فبث أكابد ليل التما م والقلب من خشية مقشعر»

٣١ - بعض بني بولان من طئىء:

بُولان فَعْلان، من قولهم رَجُلٌ بُوْلَةٌ، إذا كان كثير البَوْل. والبُوال: داء يصيب الغنم فيبول حتى يموت: [المنسرح]

١ - نَحْنُ حَبَسْنَا بَنِي جَدِيلَةَ فِي نَارٍ مِنَ الْحَرْبِ جَحْمَةَ الضَّرَمِ جَدِيلَةُ مِنَ الْجَدَلِ، وهي فيما زعموا أُمُّهُمْ. والجَدَلُ: القَتْلُ. قال الدُرَيْدِيُّ: جَدِيلَةُ من قولهم امرأةٌ مَجْدُولَةٌ، إذا كانت قَضِيْفَةً. ويقال ضَرَمَتِ النَّارُ، إذا تَهَبَّتْ، تَضَرَّمُ ضَرَمًا. ولهذا ما تلتهب به النارُ سريعًا من الحطب قيل له الضَّرَامُ. فيقول: حبسنا هؤلاء القومَ على نارٍ من الحَرْبِ شديدة الالتهاب. والجَحْمَةُ: مَصْدَرُ جَحِمَتْ النَّارُ فَهِيَ جاحمةٌ، إذا اضْطَرَمَّتْ؛ ومنه الجحيم. قال: وَصِفَتِ النَّارُ بِالْجَحِيمِ لِحُمْرَتِهَا، ولذلك سُمِّيَتْ عَيْنُ الْأَسَدِ جَحْمَةً، لأنها تتراءى بالليل كأنها نار. وقال الدُرَيْدِيُّ: الْجَحْمَةُ العَيْنُ، لغةٌ يمانيةٌ. وعين الأسد خاصة في كلِّ اللغات الجَحْمَةُ.

٢ - نَسْتَوْقِدُ النَّبْلَ بِالْحَضِيضِ وَنَضْ طَادَ نَفُوسًا بُنِثَ عَلَى الْكَرَمِ قَوْلُهُ «نَسْتَوْقِدُ النَّبْلَ» من فصيح الكلام، كأنه جَعَلَ خُرُوجَ النَّارِ مِنَ الْحَجَرِ عِنْدَ صَدْمَةِ النَّبْلِ اسْتِيقَادًا مِنْهُمْ. وَالْوَقْدُ تَوَسُّعُوا فِيهِ حَتَّى قِيلَ قَلْبٌ وَقَادَ. فَإِنْ قِيلَ: هَلَّا قَالَ نَسْتَقْدِخُ النَّبْلَ، فَكَانَ أَصَحُّ؟ قُلْتُ: الَّذِي قَالَهُ أَفْصَحُ؛ وَقَدْ قِيلَ زُنْدٌ مِيقَادٌ، إِذَا كَانَ سَرِيعَ الْوَرِيِّ. وَقَالَ الْخَلِيلُ: كُلُّ مَا تَلَأَلَ فَقَدْ وَقَدَ، حَتَّى الْحَافِرُ. يَقُولُ: تَنْفَذُ سَهَامُنَا فِي الرِّمِيَةِ حَتَّى تَصِلَ إِلَى حَضِيضِ الْجَبَلِ فَتَخْرُجَ مِنْهُ النَّارُ لَشِدَّةِ رَمِيَّتِنَا، وَقُوَّةِ سَوَاعِدِنَا، وَنَصِيدُ بِهَا نَفُوسًا مَبْنِيَّةً عَلَى كَرَمٍ. أَيْ نَقْتُلُ الرُّؤَسَاءَ وَمَنْ تَكْرُمُ نَفْسُهُ وَتَعِزُّ حَيَاتُهُ. وَقَوْلُهُ «بُنِثَ» أَصْلُهُ بُنِثْتُ، فَأَخْرَجَهُ عَلَى لُغَةِ طئِيءٍ، لِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ فِي بَقِيٍّ بَقَى، وَفِي رُضِيٍّ رُضِيَ. وَلِهَذَا قَالَ بَعْضُهُمْ: [الطويل]

عَلَى مِخْمَرٍ تَوْنُثُمُوهُ وَمَا رُضِيَ^(١)

وَقَالُوا فِي بَادِيَةٍ: بَادَاةٌ، كَأَنَّهُمْ يَفْرُونَ مِنَ الْكَسْرَةِ بَعْدَهَا يَاءٌ إِلَى الْفَتْحَةِ، فَتَنْقَلِبُ الْيَاءُ أَلْفًا. وَالْحَضِيضُ: قَرَارُ الْأَرْضِ عِنْدَ سَفْحِ جَبَلٍ. وَالنَّبْلُ لَا وَاحِدَ لَهُ مِنْ لَفْظِهِ.

(١) لزيد الخيل في ديوانه ص ٦٧، وخزانة الأدب ٩: ٤٩٣، والشعر والشعراء ١: ٢٩٣، والكتاب ١: ١٢٩، ولسان العرب (أثم)، ونوادر أبي زيد ٨٠. وصدرة:

«أني كل عام مانم تجمعونه»

٣٢ - وقال رُوَيْشِدُ بن كَثِيرِ الطَّائِي:

١ - يا أَيُّهَا الرَّاكِبُ الْمُزْجِي مَطِيَّتَهُ سَائِلُ بَنِي أَسَدٍ مَا هَذِهِ الصُّوْتُ

الْمَطِيَّةُ مِنَ الْمَطَا، وهو الظَّهْرُ. ويقال مَطَاةً وامْتِطَاهُ، إذا ركبهُ. وَلِلْحَقِّ الهَاءُ بِهِ صَارَ اسْمًا، وقد مرَّ مثله. وَيُرْوَى: «بَلَّغَ بَنِي أَسَدٍ». وقوله: «ما هذه الصُّوْتُ» الجملة في موضع المفعول، وارتفع الصوت على أنه عطف البيان يُخَاطَبُ الرَّاكِبُ السَّائِقَ لِمَطِيَّتِهِ بِإِعْجَالٍ، يسأله أن يُبَلِّغَ بَنِي أَسَدٍ عنه عن طريقِ الفحص والاستعلام: ما هذه الْجَلْبَةِ. وهذا الكلامُ تهكُّمٌ وسخريةٌ، لأنه هو الذي أثار عليهم ما احتاجوا له، وَجَلَبَ عَلَيْهِمَ مَا أَشْكَاهُمْ. وإنما قال ما هذه الصوت، والصوت مُذَكَّرٌ، لأنه قَصَدَ بِهِ إِلَى الصَّيْحَةِ وَالْجَلْبَةِ، وهذا كما قال حاتم: [الطويل]

أَمَاوِيٌّ قَدْ طَالَ التَّجَنُّبُ وَالْهَجْرُ وَقَدْ عَذَّرْتَنِي فِي طِلَابِكُمُ الْعُذْرُ^(١)

يريد المعذرة. وكما قال الآخر: [الطويل]

وَكَانَ مِجْنِي دُونَ مَنْ كُنْتُ أَتَّقِي ثَلَاثُ شُخُوصٍ كَاعِبَانٍ وَمُعْصِرٍ^(٢)

فَأَنَّ الشُّخُوصَ لأنه قصد بها إلى النفوس. وحكي عن أبي عمرو بن العلاء أنه سَمِعَ بَعْضَهُمْ يَقُولُ: «جَاءَتْهُ كِتَابِي فَاحْتَقَرَهَا». قال أبو عمرو: فقلت: أَتَقُولُ جَاءَتْهُ كِتَابِي؟ قال: نعم، أليست هي صحيفة؟ وقد قيل: لَمَّا كَانَتِ الشُّخُوصُ شُخُوصَ النِّسَاءِ أَتَتْ الْعِدْدَ. وقوله: «الرَّاكِبُ الْمُزْجِي» الرَّاكِبُ يَقَعُ عَلَى رَاكِبِ الْبَعِيرِ خَاصَّةً؛ لِأَنَّ رَاكِبَ الْخَيْلِ يُقَالُ لَهُ فَارَسٌ. وَالْمُزْجِي، يُقَالُ رَجَا الشَّيْءُ يَزْجُو رَجْوًا وَرَجَاءً، وَأَرْجَيْتُهُ أَنَا وَرَجَيْتُهُ، إِذَا اسْتَحْشِيتُهُ، وَمِنْهُ رَجَاءُ الْخَرَّاجِ. وفي هذا الكلام دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ يَقْنَعُهُ مَا أَوْقَعَهُمْ فِيهِ. أَلَا تَرَى أَنَّهُ يَتَوَعَّدُ بِالِاسْتِصْغَالِ إِنْ لَمْ يَصْخَ عُذْرُهُمْ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ «مَا هَذِهِ الصُّوْتُ» مَا الَّذِي يَتَأَدَّى إِلَيَّ عَنْكُمْ، وَيَتَحَدَّثُ بِهِ النَّاسُ مِنْ شَأْنِكُمْ وَقَصَصِكُمْ. وَيُقَالُ: ذَهَبَ صَوْتُ هَذَا الْأَمْرِ فِي النَّاسِ لِلتَّحَدُّثِ بِهِ، وَذَهَبَ صَيْتُ بَنِي فَلَانٍ فِي النَّاسِ إِذَا ذُكِرُوا بِالْخَيْرِ. فَكَأَنَّهُ عَلَى هَذَا يُوْهِمُهُمْ أَنَّهُ لَمْ يَصْخَ

(١) لحاتم الطائي في ديوانه ١٩٨، ولسان العرب (عذر)، وتاج العروس (عذر)، والتنبيه والإيضاح ١٦٦:٢.

(٢) لعمر بن أبي ربيعة في ديوانه ١٠٠، والأشياء والنظائر ٥: ٤٨، والأغاني ١: ٩٠، وأمالي الزجاجي ١١٨، وخزانة الأدب ٥: ٣٢٠، ولسان العرب (شخص)، وعيون الأخبار ٢: ١٧٤.

عنده ما يُقال، وأنهم إن لم يقيموا المعذرة والدلالة على براءة الساحة حينئذ عاقبهم. وهذا المعنى في نهاية الحُسن.

٢ - وَقُلْ لَهُمْ بَادِرُوا بِالْعُذْرِ وَالتَّمِسُوا قَوْلًا يُبَرِّتُكُمْ إِنِّي أَنَا الْمَوْتُ

مفعول بادروا محذوف، كأنه قال: بادِرُوا الْعُقَاب بِالْعُذْرِ، أي سَابِقُوهُ. يقول: قُلْ لَهُمْ: سَارِعُوا بِالْعُذْرِ فِيمَا رَكِبْتُمُوهُ وَاطْلُبُوا قَوْلًا يُبَرِّتُ سَاحَتَكُمْ، إِنِّي أَنَا خَفْتُكُمْ إِنْ لَمْ تَفْعَلُوا، أي أَقْرَبْ حَيْثُكُمْ، وَأَسْعَى فِي هَلَاكِكُمْ إِنْ لَمْ تَفْعَلُوا. ويقال: لَمْ تَسْ وَالتَّمَسْ فِي مَعْنَى طَلَب. عَلَى ذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى حَاكِيًا عَنْ مَسْرِقَةِ السَّمْع: ﴿وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلْتَثَّتًا حَرًّا شَدِيدًا﴾ [الجن: الآية ٨]، أي طَلَبْنَاهَا. وقال الشاعر: [الهمزج]

أَلَا مَ عَلَى تَبَكِّيهِ وَأَلْمُسُهُ فَلَا أَجْدَهُ

و«يبرئكم» في موضع الصفة للقول، أي قولًا مبرئًا لكم من الذنب.

٣ - إِنْ تُذْنِبُوا ثُمَّ يَأْتِينِي بِقِيَّتِكُمْ فَمَا عَلَيَّ بِذَنْبٍ عِنْدَكُمْ فَوْتُ

قوله «بذنب» أي بسبب ذنب، وقد حَذَفَ المضاف وأقام المضاف إليه مقامه، كأنه قال بجزاء ذنب، ويقال: «لا فوت عليك في كذا»، كما يقال: لا بأس عليك. والمعنى: لا يفوتك. وفي هذا الكلام إيذان بأنه مستعمل الأناة والحلم معهم، ثقةً بأنهم لا يفوتونه. يقول: إِنْ تُجْرِمُوا ثُمَّ يَصِحُّ عِنْدِي تَعْمُدُكُمْ فِي إِجْرَامِكُمْ وَتَيَقُّنُكُمْ مَا يُلْحَقُكُمْ مِنْ لَائِمَةٍ وَعَيْبٍ وَأَنْكُمْ أَقْدَمْتُمْ مُسْتَهِينِينَ، وَبِمَنْ يَأْخُذُكُمْ نَكِيرُهُ غَيْرِ حَافِلِينَ، فَمَا يَفُوتُنِي مَكَافَأَتُكُمْ، وَلَا يُغَيِّبُنِي مُوَاخَذَتُكُمْ وَمَحَاسِبَتُكُمْ. وَرُؤْيِي: «ثُمَّ يَأْتِينِي بِقِيَّتِكُمْ»^(١) وَفُسِّرَ عَلَى وَجْهَيْنِ: أَحَدُهُمَا أَنَّ الْمَعْنَى ثُمَّ تَأْتِينِي خِيَارُكُمْ وَأَمَّا ثَلَاثُكُمْ، فَيَقِيمُونَ مَعْذَرَةَ أَنْفُسِهِمْ، وَيَبَيِّنُونَ أَنَّهُمْ لَمْ يَسَاعِدَوْكُمْ لَا بِالرَّأْيِ وَلَا بِالْفِعْلِ. وَهَذَا كَمَا يُقَالُ: فَلَأَنْ مِنْ بَقِيَّةِ أَهْلِيهِ، أَي مِنْ أَفْضَلِهِمْ. وَالْآخِرُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى: ثُمَّ تَأْتِينِي بِقِيَّتِكُمْ الَّذِينَ لَمْ يَذْنِبُوا مُتَنَصِّلِينَ بِأَنَّهُمْ قَدْ فَارَقَوْكُمْ وَأَسْلَمَوْكُمْ، لِعَظِيمِ جَنَائِتِكُمْ، وَخَلَعُوا رِبْقَةَ النُّصْرَةِ وَالْمَعَاوَنَةِ لَكُمْ.

(١) كما عند التبريزي.

٣٣ - أنيف بن حَكَم النّبْهاني^(١):

١ - جَمَعْنَا لَهُمْ مِنْ حَيِّ عَوَفِ بْنِ مَالِكٍ كِتَابَ يُزْدِي الْمُقْرِفِينَ نَكَالَهَا
 الكِتِيبَةُ من الجيش: ما جُمِع فلم ينتشر. وقوله: «يُزْدِي» مع ما بعده في موضع
 الصِّفَةِ للكتائب. يقول: جمعنا لهؤلاء القوم جُيُوشًا من خُلَصِ العرب تُهْلِك عُقُوبَتَهَا
 الذين في نَسَبِهِمْ هُجْنَةٌ أو إِقْرَافٌ إذا برَكُوا عليهم. وهذا يجوز أن يكون تعريضًا
 بمنابذيه ووعيدًا لهم. والإقْرَاف يكون من قِبَلِ الفحل، والهُجْنَةُ من قبل الأُمِّ. وَذَكَرَ
 الْمُقْرِفِينَ ولم يذكر الهُجْنَاءَ لأنَّهم وإن كانوا يأخذون مأخذهم في أنه لا يَخْلُصُ
 نَسَبُهُمْ، ولا يَصْفُو سِبْهُم، فنافهم أشدَّ نقدًا، ومزيفهم أَكْثَرُ دَفْعًا، وكان عَتْرَةُ العَبْسِيِّ
 هَجِيئًا فقال: [الكامل]

إِنِّي امْرُؤٌ مِنْ خَيْرِ عَبْسٍ مَنْصِبًا شَطْرِي وَأَحْمِي سَائِرِي بِالْمُنْصِلِ^(٢)

نافيًا للإقْرَاف، فجعل أحدَ شَطْرِيهِ من خيرِ عَبْسٍ، وجعل الباقيَ يحميه من الذَّمِّ
 باستعمال السَّيفِ يوم الرُّوْع، وحسنِ البلاءِ في الحَرْبِ، حَتَّى يُلْجِئَهُ بِالْخُلُصِ، ولا
 تَقْعُدَ بِهِ هُجْنَتُهُ عَنِ الدُّخُولِ فِي زُمرَةِ الصُّرَحَاءِ.

٢ - لَهُمْ عَجَزٌ بِالْحَزَنِ فَالرَّمْلُ فَاللَّوَى وقد جَاوَزَتْ حَيِّي جَدِيسَ رِعَالِهَا
 الرِّعِيلُ: قطعة من الخيل متقدِّمَةٌ، وتوسَّعوا فقالوا: أَرَاعِيلُ الرِّيحِ. ويقال:
 اسْتَرْعَلَ فَلَانٌ، أي خَرَجَ فِي الرِّعِيلِ الأول. يقول: سَوَّاقِ هذه الكتائب وأوائِلُها قد
 جاوزت بلادَ طَسَمٍ وَجَدِيسٍ، ولَوَاجِقُها قد شُجِنَتْ بِهَا هذه المواضع. وبين بلاد حَيِّي
 جَدِيسَ والبقاع التي ذكرها مَسَافَةٌ بعيدة. واللَّوَى، حيث يَرِقُّ الرَّمْلُ فيخرج السائر فيه
 إلى الحَزَنِ. وَطَسَمٌ وَجَدِيسُ: أُمَّةٌ من العرب بادوا وانقرضوا. وقيل: أراد بالحَيِّينَ
 جَدَسًا وَجَدِيسًا، وَذَكَرَهُمُ والقَصْدُ إلى ديارهم وبلادهم، وَرَتَّبَ المواضع الذي عدَّها
 بالفاء، وجعل أعجاز الكتائب فيها تكثيرًا لها.

٣ - وَتَحْتَ نُحُورِ الْخَيْلِ حَرَشَفُ رَجُلَةٍ نُسَاحُ لَغِرَاتِ الْقُلُوبِ نِبَالُهَا

(١) عند التبريزي: «ابن زَبَان النّبْهاني من طَيِّء».

(٢) لعترة في ديوانه ص ٢٤٨، ولسان العرب (ضمـر)، وتاج العروس (ضمـر، ونصل)، وبلا نسبة
 في مقاييس اللغة ٥: ٤٣٣.

رَجَلَةً موضوعةً لأدنى العدد، بدلالة أنك تقول: ثَلَاثَةُ رَجَلَةٍ. ومن عادتهم أن يُقَدِّمُوا الرِّجَالَ عند تعبئة الجيش، ليستَبْدُوا إلى الفُرْسَان. وقوله: «وتحت نُحُورِ الخيل حَزَشَفُ رَجَلَةٍ» أراد قطعة من الرِّجَالَة. ومعنى تُتَاحُ: تُقَدَّرُ وتُهَيَّأُ. ويقال: تَاحَ له كذا وَاتَّخَذَهُ أَنَا؛ رَجُلٌ مَتَّيْحٌ. وموضَعُهُ جَزٌّ على الصِّفَةِ لِرَجَلَةٍ. فيقول: تحت صدور الدواب قطعاً من الرِّجَالَة تُقَدَّرُ نِبَالُهَا للقلوب الغافلة، أي لا يُشْعِرُ بِهِمْ فإذا نبأهم تَعَمَّلَ هذا العمل. والحَزَشَفُ: الأصل فيها أن تُستعمل في الجراد، ثم استُعير للجماعة من الرِّجَالَة على التَّشْبِيهِ، وقال امرؤ القيس: [مخلع البسيط]

كَأَنَّهُمْ حَزَشَفَ مَبْنُوثٌ بِالْجَوِّ إِذْ تَبَرَّقَ النُّعَالُ^(١)

وِغَرَاتٍ: جمع غِرَّة، وهي صَفَةٌ، يقال رجلٌ غِرٌّ وَغَرِيرٌ، وجاريةٌ غِرَّةٌ وَغَرِيرَةٌ، ومصدره الْغَرَارَة.

٤ - أَبَى لَهُمْ أَنْ يَغَرُّوا أَنَّهُمْ بَنُو نَاتِقٍ كَانَتْ كَثِيرًا عِيَالُهَا

هذا الكلام من صفة الكتاب. و«أن يعرفوا» في موضع المفعول لِأَبَى، وفاعله قوله «أنهم بنو ناتيقي». وقوله «كانت» من صفة الناتيقي. يقول: مَنَعَ لَهُمْ معرفة الضِّمِّ كَثَرَتُهُمْ وَتَرَادُفُهُمْ. والناتيقي: المرأة الكثيرة الأولاد. وَجَعَلَ الْعِيَالُ كِنَايَةً عَنِ الْأَوْلَادِ، وهو جمعٌ عَيْلٍ، كجَيْدٍ وَجِيَادٍ. يقال: عند فلانٍ كذا عَيْلًا، وهو مُعِيلٌ وَمُعِيلٌ: كثير العيال. والفعل من نَاتِقٍ نَتَّقْتُ نَتِيقُ نَتَقًا.

٥ - فَلَمَّا أَتَيْنَا السَّفْحَ مِنْ بَطْنِهِ حَائِلٍ بِحَيْثُ تَلَأَى طَلْحُهَا وَسِيَالُهَا

الباء من قول «بحيث» تَعَلَّقَ بِفِعْلِ دَلَّ عَلَيْهِ أَتَيْنَا، كأنه قال: حَصَلْنَا بِحَيْثُ تَلَأَى طَلْحُهَا وَسِيَالُهَا وموضَعُهُ من الإعراب نَضَبٌ على الحالِ لِلْمُضْمَرَيْنِ فِي أَتَيْنَا. والسَّفْحُ: أسفل الجبل، ولاشتهاره بما وُضِعَ لَهُ أَغْنَى عَنِ إِضَافَتِهِ إِلَى الْجَبَلِ. وَالطَّلْحُ وَالسِّيَالُ: شَجَرَانِ. فيقول: لما بلغنا أسفلَ الجبل من بطن هذا الوادي بحيث التَقَى هَذَانِ الْجَنَسَانِ مِنَ الشَّجَرِ؛ وهذا إشارةٌ منه إِلَى مَوْضِعِ الْعِرَاكِ وَالْقِتَالِ. وجوابٌ لِمَا فيما بعده:

٦ - دَهَوَا لِنَزَارٍ وَأَنْتَمَيْنَا لِطَيْيٍ كَأَسَدِ الشَّرَى إِقْدَامُهَا وَنَزَالُهَا

(١) لامرؤ القيس في ديوانه ص ١٩٣، ولسان العرب (حزشف، ونعل)، وجمهرة اللغة ص ٩٥٠، والمخصص ٨: ١٧٤، وتاج العروس (حزشف، ونعل).

انتمينا: انتسبنا، أي قالوا يا لِنَزَارٍ، وقلنا نحن: يا لَطِيئِي، مشابهين للأسود.
 وقوله «كَأَسَدُ الشَّرَى» حَذَفَ المضاف وأقام المضاف إليه مقامه، كأنه قال: وكإقدام
 أسد الشَّرَى إقدامها ونزالها وجاز الحذف لأنه لا يلتبس وجه التشبيه بغيره. ومعنى
 «دَعَوْا لِنَزَارٍ»: انتسبوا إلى نزار. وهذا الاعتزاء الذي أشار إليه قد يفعله الفارس عند
 الطعن والضرب أيضًا، يقول الواحد منهم: خُذْهَا وأنا من بني فلان، وأنا فلان ابن
 فلان.

٧ - فَلَمَّا التَقَيْنَا بَيْنَ السَّيْفِ بَيْنَنَا لِسَائِلَةٍ عَنَّا حَفِي سَوَالِهَا

الإحفاء يكون في السؤال عن الشيء، ويكون في طلب الشيء من الغير، وهو
 المبالغة فيهما، والذي بينه السيف هو حُسن بلاءٍ أحدِ الفريقين وزيادته فيما يُحْمَدُ من
 الصُّبر والثبات على صاحبه. وقد حَذَفَهُ من اللفظ لأن المفاعيل تُحذف كثيرًا إذا دَلَّ
 الدليل عليها. ومعنى قوله: «لِسَائِلَةٍ عَنَّا حَفِي سَوَالِهَا» أَنَّ الإحفاء في السؤال
 والاستقصاء في البحث، ممَّا يزداد معه بينات الأحوال، وجَلِيَّاتِ الأمور. وجَعَلَ
 الحَفِيَّ للسؤال على المجاز والسعة. وفُسِّرَ قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾
 [الأعراف: الآية ١٨٧]: كَأَنَّ المعنى كأنك عالمٌ بها، لَمَّا كان الإحفاء في المسألة
 حقيقًا بأن يُوَدِّيَ إلى العلم بالمسؤول عنه. والسَّائِلَةُ يجوز أن يريد بها قبيلة، ويجوز
 أن يريد بها امرأة. وجَعَلَ قوله «السَّيْفُ» كنايةً عن أنواع السلاح، بدلالة أنه أعاد ذكر
 استعمال السيف فيما بعده، لَمَّا فَصَّلَ أخوالَهُمْ وقَسَرَ مقاماتِهِمْ فقال: «ولَمَّا عَصِينَا
 بالسُيُوفِ».

٨ - وَلَمَّا تَدَانَا بِالرِّمَاحِ تَضَلَّعَتْ صُدُورُ الْقَنَا مِنْهُمْ وَعَلَتْ نِهَالُهَا

يقول: ولما تقارَنا باستعمالِ الرِّمَاحِ رَوَيْتِ الْقَنَا من دمايِهِمْ، وصار النَّاهِلُ منها
 عَالًا: والنَّهْلُ: الشُّرْبُ الأوَّلُ، والعَلْلُ: الشُّرْبُ الثاني كأنهم عاودُوا الطَّعْنَ وكروا
 حالًا بعد حال. والتَضَلَّعُ، حقيقته أن يُسْتَعْمَلَ فيما له ضِلْعٌ، وعند الارتواء تنتفخ
 الأضلاع؛ واستعاره ههنا. ويقال: تَضَلَّعَ شَيْعًا، وَتَحَبَّبَ رِيًا. وَحَصَّ الصُّدُورَ لَأَنَّ
 الطَّعْنَ بها. ويقال: عَلَّ إِبِلَهُ يَعْلُ وَيَعْلُ، فَعَلَّتْ هِيَ. وإن شئت على هذا رَوَيْتِ:
 «وَعَلَّتْ نِهَالُهَا»، وإن شئت رويت: «وَعَلَّتْ».

٩ - وَلَمَّا عَصِينَا بِالسُّيُوفِ تَقَطَّعَتْ وَسَائِلُ كَانَتْ قَبْلُ سِلْمًا حِبَالُهَا

وَسَلْتُ إِلَيْهِ وَبَيْلَةً، أَي تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بِقُرْبَةٍ. وَيُقَالُ تَوَسَّلْتُ أَيْضًا. وَفِي الْقُرْآنِ: ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: الآية ٣٥]. وَيُقَالُ: عَصِيْتُ بِالسَّيْفِ، إِذَا ضَرَبْتُ بِهِ، وَعَصَوْتُ بِالْعَصَا. وَجَعَلَ انْبِتَاتَ الْوَسَائِلِ وَانْقِطَاعَ الْأَوَاخِي عِنْدَ اسْتِعْمَالِ السُّيُوفِ لِأَنَّ الْأَمْرَ يَشْتَدُّ عِنْدَهُ، وَالْفِنَاعُ يَكْشِفُ مَعَهُ. وَلِهَذَا لَمَّا اسْتُوصِفَ عَمْرُو بْنُ مَعْدِيكَرِبٍ أَنْوَاعُ السُّلَاحِ قَالَ فِي السَّيْفِ: «عِنْدَهُ تَثَكُّلُ الْأَمْهَاتِ». وَقَوْلُهُ: «كَانَتْ قَبْلُ سِلْمًا حِبَالُهَا»، يَرِيدُ بِهِ أَنَّ حِبَالَ تِلْكَ الْوَسَائِلِ كَانَتْ مَفْتُولَةً عَلَى الصُّلْحِ فَتَقَطَّعَتْ بِاسْتِعْمَالِ السُّيُوفِ، لِأَنَّ كُلًّا مِنْهَا صَارَ وَاتِرًا وَمُتَوَرًّا، فَسَقَطَ الْمَلَامَةُ مِنْ بَيْنِهِمْ.

١٠ - قَوْلُوا وَأَطْرَافَ الرِّمَاحِ عَلَيْهِمْ قَوَادِرَ مَرْبُوعَاتِهَا وَطَوَالَهَا قَوْلُهُ: «وَأَطْرَافَ الرِّمَاحِ» فِي مَوْضِعِ الْحَالِ لِلْمُضْمَرِ فِي وَلَّوْا. وَذَكَرَ الْأَطْرَافَ لِأَنَّ الطَّنْفَ بِهَا يَقَعُ، وَإِنْ كَانَتْ الرِّمَاحُ بِأَسْرِهَا مَقْصُودَةً. يَقُولُ: انْهَزَمُوا وَأَسَيْتُ الرِّمَاحَ مَتَمَكِّنَةً مِنْهُمْ، وَمُقْتَدِرَةً عَلَيْهِمْ، طَوَالَهَا وَأَوْسَاطُهَا. وَالْمَرْبُوعُ وَالْمُرْتَبِعُ: مَا كَانَ بَيْنَ الْقَصِيرِ وَالطَّوِيلِ، وَمِنْهُ رَجُلٌ رَبْعَةٌ. وَإِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ لِأَنَّ الْمَنْهَزِمِينَ إِذَا مَتَّحُوا أَكْتَفَاهُمْ لِمَنْ يَطْلُبُ أَثَرَهُمْ وَيَقْصِدُ التَّكَايَةَ فِيهِمْ، فَتَأْثِيرُ الْأَسْلِحَةِ عَلَى اخْتِلَافِهَا مُتَقَارِبٌ. وَارْتَفَعَ «مَرْبُوعَاتُهَا» عَلَى الْبَدَلِ مِنَ الْأَطْرَافِ. وَهَذَا يُبَيِّنُ أَنَّ الْقَصْدَ بِهَا إِلَى جَمِيعِهَا، لَا إِلَى بَعْضِهَا.

٣٤ - قَالَ عَمْرُو بْنُ مَعْدِيكَرِبٍ: [مِرْقَلُ الْكَامِلِ]

١ - لَيْسَ الْجَمَالُ بِمُثَرَّرٍ فَاعْلَمْ وَإِنْ رُدِّيتَ بُرْدًا

قَوْلُهُ «فَاعْلَمْ» اعْتِرَاضٌ تَأَكَّدَ بِهِ الْكَلَامُ، وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا أَقْسِمُ بِمَوْقِعِ النَّجْوِيِّ ٧٥ وَإِنَّهُ لَفَسُّدٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ٧٦ إِنَّهُمْ لَقَوْمٌ كَرِيمٌ ٧٧﴾ [الواقعة: الآيات ٧٥ - ٧٧]؛ لِأَنَّ قَوْلَهُ «وَإِنْ رُدِّيتَ» مُتَعَلِّقٌ بِمَا قَبْلَهُ تَعَلَّقَ جَوَابُ الْقَسَمِ بِالْقَسَمِ. يَقُولُ: لَيْسَ جَمَالُ الْمَرْءِ فِيمَا يَلْبَسُهُ مِنَ الثِّيَابِ وَإِنْ اسْتَسْرَى الْمَلَابِسَ وَاخْتَارَ أَرْضَاهَا وَأَكْمَلَهَا. وَكَانُوا يَأْتِرُونَ بِبُرْدٍ وَيَرْتَدُونَ بِآخَرٍ، وَيُسَمِّيَانِ حُلَّةً، وَبِاجْتِمَاعِهَا كَانَ يَكْمُلُ اللَّبُوسُ، حَتَّى كَانَتْ خِلْعَةً مَلُوكِهِمْ لَا تَعْدُوهُمَا. وَلِذَلِكَ سُمِّيَ مِنْ سُمِّيَ ذَا الْبُرْدَيْنِ. قَالَ: [الطَّوِيلُ]

أَيَا ابْنَةَ عَبْدِ اللَّهِ وَابْنَةَ مَالِكٍ وَيَا ابْنَةَ ذِي الْبُرْدَيْنِ وَالْفَرَسِ الْوَرْدِ^(١)

(١) بلا نسبة في لسان العرب (رأي)، ولحاتم الطائي في ديوانه ٤٣.

وقوله: «وإن رُدِّيت بُرْدًا» في موضع الحال، كأنه قال: ليس جمالك بمنزري مُرْدَى مَعَهُ بُرْدًا. والحال قد يكون فيه معنى الشرط، كما أنَّ الشرط يكون فيه معنى الحال. فالأول كقولك: لافعلته كائنًا ما كان، أي إن كان هذا وإن كان هذا. والثاني كبيت الكتاب: [البسيط]

عَاوِذَ هَرَاةَ وَإِنْ مَعْمُورُهَا خَرِبًا^(١)

لأنَّ الواو منه في موضع الحال، كما هو في بيت عمرو، وفيه لفظ الشرط ومعناه، وما قبله نائب عن الجواب. والمعنى: إن خرب معمر هرة فعاوِذها. وكذلك بيت عمرو، تقديره: إن رُدِّيت بُرْدًا على منزري فليس الجمال ذلك.

٢ - إِنْ الْجَمَالَ مَمَادِنْ وَمَنَاقِبَ أَوْزَنْ مَجْدًا

أراد أنَّ جمال المرء في أصوله الزكية، وأفعاله له كريمة تورث المجد والشرف. والمَعْدِنُّ، هو من عَدَنَ بالمكان عَدَنًا وَعُدُونًا، إذا أقام. وكذلك عَدَنَتِ الإبلُ في الْحَمَضِ، وقيل المَعْدِنُّ اشتقاقه من عَدَنَتِ الْحَجَرُ، إذا قَلَعَتْه. وإذا جَمَعَ الرجلُ بين الشرف الموروث والمستحدث المكسوب فهو النهاية. وَمَنَاقِبُ الإنسان: ما عُرف فيه من الخصال الجميلة، والطرائق الحميدة، والوحدة مُثَقَّبَةٌ. والثَّقِبُ كأنه منه. قال الدَّريدي: يَقَالُ ثَقَبٌ بَيْنَ الثَّقَابَةِ بِالْفَتْحِ، مثل كَفِيلٍ بَيْنَ الْكَفَالَةِ. فأما التعريف فمصدره العِرافَةُ بالكسر: والمَجْد: الشرف والرَّفْعَةُ، وَسُمِّيَتِ الْأَرْضُ الْمَرْفُوعَةُ مَجْدًا وَنَجْدًا به. ويجوز أن يكون أصله الكثرة، يقال أَمَجَدْتُ الدَّابَّةَ عِلْفًا، أي وَسَعْتَهُ لها.

٣ - أَغْدَذْتُ لِلْحَدَثَانِ سَا بِغَةً وَعَدَاءَ عَلْنَدَى

أَغْدَذْتُ وَأَعْدَذْتُ واحد، والاسم العُدَّة والعَتَاد. يقول: هَيَّأت لنوابي الدَّهْرَ، أي لدفعيها دِرْعًا وَاسِعَةً وَفَرَسًا ضَخْمًا جَيِّدَ الْعَدُو كَثِيرِهِ. وَالْعَلْنَدَى أَلْفُهُ لِلْإِلْحَاقِ، كَسَفَرَجَلٍ. وأصل الكلمة ثلاثي، والنون والألف زائدتان، فهو من الْعَلْد. قال الخليل: هو الغليظ الشَّدِيد من كلِّ شيء. والدلالة على أن الألف للإلحاق أنك تقول للمؤنث عَلْنَدَاءُ، وَأَنْتَ تَتَوَّنُ فَنَقُولُ عَلْنَدَى. وذكر بعضهم أَنَّ الْعَلْنَدَى: الضَّخْم من الإبل والخيل جميعًا، وجمعه عَلَانِد وإن شئت عَلَادٍ، كما قالوا في حَبْنَطَى حَبَانِطُ وَحَبَاطٍ. وفَرَسٌ عَدَاءٌ وَعَدَوَانٌ، إذا كان كثير العدو.

٤ - نَهَذَا وَذَا شَطَبٍ يَقُ - لُ الْبَيْضِ وَالْأَبْدَانِ قَدْ

نَهَذَا، أي فرساً غليظاً. والثهود في الثدي: بيان حجمه وتثوره من هذا وسينفاً ذا شَطَبٍ: ذا طرائق، يقطع البيض والدروع قطعاً. والقَدْ: القَطْعُ طَوَّلاً، والقَطُّ: القطع عرضاً. والبَدَنُ من الدرع: قدر ما يَنْشُرُ البَدَنُ. ويقال سَيْفٌ مُشَطَّبٌ: فيه شُطُوبٌ وطرائق.

٥ - وَعَلِمْتُ أَنِّي يَوْمَ ذَا لَكُ مُنَازِلٌ كَغَبَا وَنَهَذَا

قوله: «يَوْمَ ذَاكَ» يجوز أن يُشَارَ بذلك إلى أمرٍ قد عَلِمَهُ السامعون، وهو الحزب، لأنَّ التَّزَالَ يكون فيها. ويجوز أن يكون أشار به إلى السِّلَاح الذي رَعِمَ أنه أَعَدَّهُ. ويَوْمُ السِّلَاحِ: يوم الحرب. ويجوز أن يكون أشار به إلى الحَدَثَانِ، لأنه قد قال «أَعَدَدْتُ لِلْحَدَثَانِ». ومعنى البيت: عَلِمْتُ أَنَّ مُنَازِلَ هَؤُلَاءِ فَاَعَدَدْتُ لَهُمْ هَذِهِ السِّلَاحَ، لعلمي بالحاجة إليه. وَالْحَازِمُ يَتَهَيَّأُ لِلأَمْرِ قَبْلَ وَقُوعِهِ، فكأنه قال: فَعَلْتُ ذَلِكَ بِحِزَامَتِي، وعلمي بموارد الأمور ومصادرها.

٦ - قَوْمٌ إِذَا لَبَسُوا الْحَدِيدَ - لَدَ تَنَمَّرُوا حَلَقًا وَقَدْ

انتصب حَلَقًا على أنه بَدَلٌ من الحديد، ويريدُ به الدروع التي تُسَجَّتْ حَلَقَتَيْنِ. والقِدُّ، أراد به اليلْبَ، وهو شبه دِزَعٍ كان يُتَّخَذُ من القَدِّ. ويُرْوَى: «حُلَقًا وَقَدْ» ويكون انتصاب حُلَقًا على التمييز، أي تشبَّهوا بالنَّمِرِ في أخلاقهم وَخِلَاقِهِمْ. وَدَلَّ على الخِلَاقِ قوله قَدْ. ومعنى الرواية الأولى أنهم إِذَا لَبَسُوا الحديد الدروع واليلْبَ تشبَّهوا بالنَّمِرِ في أفعالهم في الحرب. ويجوز أن يُريدَ بَتَنَمَّرُوا تَلَوَّنُوا بِالْوَانِ النَّمِرَ، لَطُولِ ثَبَاتِهِمْ وَمَلَاذِمَتِهِم الحديد وحينئذٍ يصحُّ أن يكون انتصاب حَلَقًا على التمييز؛ والمعنى الأول أجود. فَإِنْ قِيلَ: كيف دخل قوله: «وَقَدْ» بالعطف على حَلَقًا في أن يكون بَدَلًا من الحديد وليس منه؟ قيل: لَمَّا كَانَ يُغْنِي غَنَاءَ دِرْعِ الحديد، جاز أن يصحبه في أن يكون بَدَلًا. وقوله «إِذَا لَبَسُوا الحديد» ظَرْفٌ لَتَنَمَّرُوا.

٧ - كُلُّ أَمْرٍ يَجْرِي إِلَى يَوْمِ الْهِجَابِ بِمَا اسْتَعَدَّا

هذا كما قيل في المَثَلِ: «قَبْلَ الرَّمَاءِ تُمَلَأُ الْكِنَانُ»^(١)، فيقول: كُلُّ رَجُلٍ يَجْرِي إِلَى يَوْمِ الْحَزْبِ بِمَا أَعَدَّهُ وَاسْتَعَدَّهُ. والضمير من صلة «مَا» محذوفٌ استطراداً للاسهم.

(١) الكِنَانُ: جمع كَنَانَةٍ، جعبة السهام.

ويجوز أن يكون استعدّ فعلاً ليوم الهياج لا لكل امرئ، ويكون معناه بما كلف يوم الهياج أن يُعدّ له. يقال: استعدته كذا، أي سألته أن يُعدّ.

٨ - لَمَّا رَأَيْتُ نِسَاءَنَا يَفْحَضْنَ بِالْمَغْزَاءِ شَدًّا

الأمعز والمغزاء: الأرض الحزنة ذات الحجارة، والجميع المغز والأماعز والمغزاوات. والأصل في المعز الصلابة، ويقال رجل ماعز ومعز. ويروى: «يَفْحَضْنَ»، ومعناه يؤثرون لشدة العدو في المغزاء، حتى يصير به لآثارهن كالأفاحيص. ويقال: استضحك فلان حتى فحَصَ برجله. وقيل على التوسع: فحَضَتْ عن الأمر. وينتصب «شداً» على أن يكون مفعولاً له، كأنه قال: يَفْحَضْنَ بِالْمَغْزَاءِ لَشَدْنِ. ويجوز أن يكون شداً مصدرًا في موضع الحال، أي يفعلن ذلك بالمغزاء شاذات. ويروى: «يَمْحَضْنَ»، والمَحْضُ: العدو الشديد، وينتصب شداً على أنه مصدرٌ من غير لفظه، كأنه قال: يشدّذن شداً ويمحَضْنَ محَضًا. وجواب لَمَّا قوله «نازلت» وسيجيء من بعده، وإنما عَمِلَت النساء ما ذَكَرَ إشفافاً من الغارة والسبّاء.

٩ - وَبَدَتْ لَمِيسُ كَأَنَّهَا بَدَرُ السَّمَاءِ إِذَا تَبَدَّى^(١)

قوله: «كأنها بدرُ السماء» في موضوع الحال للمرأة، أي بدت مُشَبَّهةً البدر، وقوله: «إذا تبَدَّى» ظَرَفَ لما دلَّ عليه كأن من معنى الفعل. يقول: وبرزت هذه المرأة كاشفةً عن وجهها سافرةً، كأنها قد أرسلت نقابها. ودلَّ على هذا بقوله: «كأنها بدرُ السماء إذا تَبَدَّى»، وإنما فَعَلْتُ كذلك لأحد وجهين: إمّا للتشبه بالإماء حتى تأمن السبّاء، أو لما تَدَاخَلَهَا من الرعب. وفي طريقته: [الطويل]

وَنَسَوْتُكُمْ فِي الرُّوعِ بِادٍ وَجُوهَهَا يُخْلَنُ إِمَاءٌ وَالْإِمَاءُ حَرَائِرُ^(٢)

١٠ - نَازَلْتُ كَنَبَشَهُمْ وَلَمْ أَرِ مِنْ نِزَالِ الْكَنْبَشِ بُدًّا

لا بُدَّ يستعمل استعمالاً لا محالة، وتحقيقه لا مَحِيدٌ ولا مَغْدِل. ومنه قولهم: استبدَّ فلانٌ بالأمر، أي انفرد به. والبَدْدُ والتَّبَدُّدُ: مَصْدَرُ الْأَبْد. وهذا جواب قوله:

(١) روى التبريزي بعد هذا البيت:

«وبدت محاسنها التي تخفى وكان الأمر جذاً»

(٢) هذا البيت من الحماسية رقم (٦٠) لسيرة بن عمرو الفقعسي.

«لما رأيْتُ نساءنا يَفْحَصْنَ». وَكَبِشَ الكَتِيبةَ: رئيسها. فيقول: لَمَّا رَأَيْتِ الأَمْرَ على ما ذَكَرْتُ أَنْفَعْتُ وَقَصَدْتُ رَئِيسَ الأَعْدَاءِ وَمِلاقَاتِهِ وَلَمْ أَجِدْ مِنْ ذَلِكَ بُدًّا. وَإِنَّمَا قَالَ: «نَازَلْتُ كِبَشَهُمْ» لِإِرْيَ أَنَّهُ مِمَّنْ تَدْعُوهُ نَفْسُهُ إِلَى مُجَاهَدَةِ الرُّؤَسَاءِ وَالتَّعَرُّضِ لَهُمْ فِي الْحَرْبِ، وَأَنَّهُ مِمَّنْ لَا يَرْضَى عَنِ الْمُبَارَزةِ بِالْمَنْزِلِ الْأَدْنَى. وَالرَّئِيسُ مَنْ كَانَ وَائِقًا بِنَفْسِهِ طَلَبَ أَمْثَالَهُ، وَاسْتَعْفَى مِنْ مِبَارَزةِ مَنْ لَا يُؤْبَهُ لَهُ، وَتَفَادَى مِنْهَا، إِلَّا عِنْدَ الضَّرورةِ.

١١ - هُمْ يَنْذِرُونَ دَمِي وَأَنْتَ لَقَيْتَ بِأَنْ أَشَدًّا

يقول: هُم يَقُولُونَ اللَّهُ عَلَيْنَا سَفْكُ دَمِ عَمْرُو، وَأَنَا أَقُولُ اللَّهُ عَلَيَّ أَنْ أَحْمَلَ عَلَيْهِمْ وَأَبْذُلَ نَفْسِي لَهُمْ، ثَقَّةٌ بِكِفَايَتِي وَاسْتِهَانَةٌ بِنَذِيرِهِمْ. وَيُقَالُ فِي الْحَمَلَةِ: شَدَدْنَا عَلَيْهِمْ شُدَّةً صَادِقَةً، وَشُدَّةً غَيْرَ كَاذِبَةٍ، إِذَا أَرَادُوا الْمِبَالِغةَ.

١٢ - كَمْ مِنْ أَخٍ لِي صَالِحٍ بِوَأْتِهِ بِإِدْيٍ لَخَدًا

بَوَأْتُهُ مُبَوًّا صَدِيقٌ: أَنْزَلْتُهُ. وَالْمَبَاءَةُ: الْمَنْزِلُ. وَإِنَّمَا فَرَعَ مِنَ التَّبَجُّحِ بِالشَّجَاعَةِ ثُمَّ ذَكَرَ صَبْرَهُ عَلَى الْبَلَاءِ، وَتَوَطُّيْنَ نَفْسِهِ عَلَى اللُّأْوَاءِ، فيقول: كَمْ مِنْ أَخٍ مَوْثُوقٍ بِهِ فُجِعْتُ بِمَوْتِهِ، وَأُحْوجُّتُ إِلَى تَوَلِّيِّ دَفْنِهِ، وَمِبَاشَرَةِ تَجْهِيزِهِ. وَهَذَا إِذَا ابْتُلِيَ بِهِ الْمَرْءُ كَانَ أَعْظَمَ لَجْزِهِ، وَأَنْكَى فِي قَلْبِهِ.

١٣ - مَا إِنْ جَزِغْتُ وَلَا هَلِيفَ ثَ لَا يَرُدُّ بُكَايَ زَنْدًا

الْهَلِيفُ: أَنْحَشُ الْجَزَعِ، لِأَنَّهُ جَزَعٌ مَعَ قَلَّةٍ صَبْرٍ. وَقَدْ فَسَّرَهُ التَّنْزِيلُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۝ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ۝ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا ۝ لَهُمْ أَجْرٌ يُسْمَوْنَ ۝﴾ [المعارج: الآيات ١٩ - ٢٢]. لِأَنَّ الْمَعْنَى أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَصْبِرُ عَلَى ضَمِيرٍ، وَلَا عَلَى خَيْرٍ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: مَا حَزِنْتُ عَلَيْهِ حُزْنًا هَيِّئًا قَرِيبًا، وَلَا فَظِيحًا شَدِيدًا. وَهَذَا نَفْيٌ لِلْحُزَنِ رَأْسًا، فَهُوَ كَقَوْلِكَ: مَا رَأَيْتُ صَغِيرَهُمْ وَلَا كَبِيرَهُمْ. وَقَدْ أُعْطِيَ التَّرْتِيبُ حَقُّهُ لِأَنَّهُ ارْتَقَى فِيهِ مِنَ الْأَذْوَانِ إِلَى الْأَعْلَى، إِذْ كَانَ قَوْلُهُ «مَا إِنْ جَزِغْتُ» وَإِنْ كَانَ مُسْتَصْلَحًا لِجَمِيعِ أَنْوَاعِهِ مُفِيدًا لِلأَذْوَانِ، وَقَدْ جَاءَ بَعْدَهُ «وَلَا هَلِيفُ»، وَقَوْلُهُ: «وَلَا يَعْرُدُّ بُكَايَ زَنْدًا»، وَكَانَ بَعْضُ النَّاسِ يَرَوِيهِ: «وَلَا يَرُدُّ بُكَايَ زَنْدًا»، وَزَعَمَ أَنَّهُ أَخٌ لَهُ. وَرَأَيْتُ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ فَتَشَّ عَنْ نَسَبِ عَمْرٍو فَلَمْ يَجِدْ لَهُ نَسَبِيًّا وَلَا شَقِيقًا يَسْمَى زَنْدًا. عَلَى أَنَّ قَوْلَهُ «كَمْ مِنْ أَخٍ لِي صَالِحٍ» لَا يَلِائِمُهُ - فِيمَا يَقْتَضِيهِ سِيَاقُ اللَّفْظِ وَنِظَامُ الْمَعْنَى، وَمَعَ إِفَادَتِهِ الْكَثْرَةَ - أَنْ يُقَابَلَ بِوَلَا يَرُدُّ بُكَايَ أَخِي زَنْدًا مَعَ تَخْصُّصِهِ. فَأَمَّا مَنْ

روى «زُنْدًا» فبعض الشيوخ كان يقول: أراد ولا يَزُدُّ بكاي شَرَرَةً، فذكر الزُّنْد وأراد ما يَخْرُجُ منه عند القُدْح. وأحسن من هذا أن يكون ذكر الزُّنْد تقييلاً لعائدة الحزن لو تكلفه عندما دَهَمَهُ من الفَجِيعَةِ بالأخ المذكور. وهم يستعملون الزُّنْد في هذا المعنى، كما يستعملون القُوفَ والثَّقِيرَ والقَطِيمِرَ والفَتِيلَ. وحكى أبو زيد أنهم يقولون إذا قللوا مالَ الرجل: «زُنْدَانِ فِي مُرَقَّةٍ»^(١). وهذا المعنى حسنٌ، والشاهد له قويٌّ. ورأيت في بعض النسخ: «ولا يَزُدُّ بكاي رَدًّا»، وهذا حسنٌ أيضًا، ويكون المعنى: ولا يَزُدُّ بكائي مردودًا. والمعنى: ولا يُغْنِي بكائي شيئًا. وفي كلام الناس: هذا الأمرُ أَرَدُّ عليك، أي أنفع وأجدى. وإنما عَقَّبَ نَفَى الْجَزَعِ بهذا الكلام تنبيهًا على أن صبره عن تأذِبٍ وتبصُرٍ ومعرفةٍ بالعواقب، وحسنٍ تأملٍ.

١٤ - أَلْبَسْنَاهُ أَثْوَابَهُ وَخُلِقْتُ يَوْمَ خُلِقْتُ جَلْدًا

يقول: توليت تكفينه وتجهيزه بنفسى، وخُلِقْتُ صبورًا حين خُلِقْتُ. وهذا يريد به أنه جمع إلى الجَلَادَةِ المكتسبة جَلَادَةَ الْخِلْقَةِ والطبيعة.

١٥ - أَغْنَيْ عَنَاءَ الذَّاهِبِ - عَنَ الْأَعْدَاءِ عَدًّا

قول «الذاهبين» يجوز أن يريد بهم مَنْ انقَرَضَ من عشيرته وذويه، ويكون المعنى أنه المعتمدُ عليه بعدهم، ويجوز أن يريد بهم المتغيبين عن المشاهدة والمعارك. وقوله «أَعَدُّ لِلْأَعْدَاءِ عَدًّا» يجوز أن يكون المعنى: يقال فيّ للأعداء: خُذُوا فلاتًا فإنه يُعَدُّ بكذا وكذا من الفرسان. ويقال إن عمرًا كان يعدُّ بألف فارس. ويجوز أن يكون المعنى: أهَيَّئْ لِلْأَعْدَاءِ مَعْدُودًا، فيكون عَدًّا انتصابه على الحال، وموضوعًا موضعَ المعدود، وأَعَدُّ مستقبلُ أُعِدِّدْتُ، أي هَيَّئْتُ. وفي الأول يكون مَصَدَرًا لأَعَدُّ. والواحد لا يصح عَدُّه ولكن كأنه يقال فيه: إنه يقوم مقام كذا وكذا من العَدَد. ويروى «أَعَدُّ لِلْأَعْدَاءِ» بفتح الهمزة، ويحتمل وجهين من المعنى: أن يقول أعدُّ لهم وقعاتي وأيامي عند المفاخرة والمنافرة عَدًّا؛ وهذا معنى حسنٌ. والآخر أن يكون المعنى: أعدُّ لهم كلَّ ما يُحْتَاجُ إليه من عَدَدٍ وَعُدَّةٍ، وهذا يؤذُنُ بأنه يدبُرُ أمرَ الحربِ؛ وَيَرْجِعُ إليه في أسبابها والجمع لها وهذا يرجع معناه إلى معنى مَنْ يَرِوِي «أَعَدُّ لِلْأَعْدَاءِ» بضم

(١) المثل في معجم الأمثال للميداني ١: ٤٥٠، قال: «قال أبو عبيدة: نرى المرقعة كنانة أو خريطة قد رقت. يضرب للرجل المحقر لا يغني شيئًا».

الهمزة وكسر العين. وفي هذه الرواية يجوز أن يكون عَدًا مفعولًا به، والمعنى: أعد لها معدوداتها.

١٦ - ذَهَبَ الَّذِينَ أَحْبَبُهُمْ وَيَقِيْتُ مِثْلَ السَّيْفِ فَرَدًا

يقول: فُجِعْتُ بِأَحْبَائِي وَيَقِيْتُ مَفْرَدًا بِالسِّيَادَةِ، فَأَنَا كَالسَّيْفِ لَا يُجْمَعُ اثْنَانِ مِنْهُ فِي غَمْدٍ. ويجوز أن يكون: بقيت لنفاذي في الأمور ومضائي كالسيف. وفردًا ينتصب على الحال، أي مفردًا.

٣٥ - وقال عمرو أيضًا: [الرمل]

١ - وَلَقَدْ أَجْمَعُ رِجْلِي بِهَا حَذَرَ الْمَوْتِ وَإِنِّي لَفَرُّوْ

هذا كلام من جَمَعَ إلى شجاعته وإقدامه حَذَرًا وَخَزَامَةً، وإلى جراته ونهوّره رَفَقًا وَأَصَالَةً، ثم يكون عارقًا بوقت كل منها، وبالحالة الموجبة لاختياره بغضها. وَأَجْمَعُ رِجْلِي، أي اسْتَحِثُّ قَرَسِي. وهو من فصيح الكلام، ومن العبارة التي تصوّر المعنى. ومن لفظه وبابه قولهم: جَمَعْتُ يَدِي عَلَى كَذَا، وَرَفَعْتُ يَدِي عَنْ كَذَا. وَحَذَرَ الْمَوْتِ، انتصب على أنه مفعول له، والضمير من قوله: «بها» للفرس. والمعنى: أركضها وأستدير جريها، ذهابًا في الفرار، واحترازًا من الموت إذا كَانَ الْوَقْتُ وَثْتُهُ، وَإِنِّي لَكثيرُ الْحَرْبِ إذا كان الهربُ أَغْنَى، وإلى مراعاة العدو أَدْعَى.

٢ - وَلَقَدْ أَضْطَفْتُهَا كَارِهَةً حِينَ لِلنَّفْسِ مِنَ الْمَوْتِ هَرِيرُ

يقول: كما أهربُ وقت الهربِ فَإِنِّي أَعْطِفُ وَقْتُ الْعَطْفِ؛ لِأَنَّ الْكَرَّ وَالْفَرَّ مِنْ شَأْنِي، وَالْإِقْدَامَ وَالْإِحْجَامَ عَادَتِي وَدَائِي. وأشار بقوله: «حين للنفس من الموت هَرِيرُ» إلى شدة الأمر وتفاقم الخطب. أي أَغْطِفُ الْفَرَسَ وهي كارهة في الوقت الذي تَهْرِئُ النَّفْسُ وَتَضِجُ مِنْ شِدَّةِ الْبَلْوَى. والهَرِيرُ: قيل هو دون الثَّباح.

٣ - كُلُّ مَا ذَلِكَ مِنِّي خُلِقَ وَبِكُلِّ أَنَا فِي الرُّوعِ جَدِيرُ

«ما» زائدة. وأشار بقوله: «ذلك» إلى ما قَدَّمَهُ مِنَ الْكَرِّ وَالْفَرِّ. أي كُلُّ مَا وَصَفْتُ عَادَةً مِنِّي وَطَبِيعَةً، وَبِفَعْلٍ كُلُّهُ أَنَا خَلِيقٌ فِي الرُّوعِ. ويقال: هو جَدِيرٌ بِكَذَا، وَجَدِيرٌ لِكَذَا، وَجَدِيرٌ أَنْ يَنَالَ كَذَا، وَلَقَدْ جَدَرَ جَدَارَةً، وَاجْدِرْ بِهِ أَنْ يَفْعَلَهُ.

قال: [الطويل]

جَدِيرُونَ يَوْمًا أَنْ يَنَالُوا وَيَسْتَغْلُوا^(١)

٤ - وَابْنُ صُبْحٍ سَادِرًا يُوعِدُنِي مَا لَهُ فِي النَّاسِ مَا عِشْتُ مُجِيرُ

قال الدُّرَيْدِي: يُقَالُ أَتَى فُلَانٌ أَمْرَهُ سَادِرًا، إِذَا جَاءَهُ مِنْ غَيْرِ جِهَتِهِ. يَقُولُ: وَهَذَا الرَّجُلُ مَعَ مَا ذَكَرْتُ مِنْ قِصَّتِي فِي الْحَرْبِ يَتَهَدَّدُنِي سَاهِيًا لَاهِيًا، وَمَا لَهُ عَاصِمٌ مِنِّي فِي النَّاسِ مَا عِشْتُ. وَمَوْضِعُ «مَا عِشْتُ» ظَرْفٌ، بَيَانُهُ أَنَّ مَا مَعَ الْفِعْلِ فِي تَقْدِيرِ الْمَصْدَرِ، وَاسْمُ الزَّمَانِ مَحْذُوفٌ مَعَهُ، كَأَنَّهُ قَالَ: مَدَّةَ عِيشِي.

٣٦ - قَيْسُ بْنُ الْخَطِيمِ الْأَوْسِيِّ^(٢): [الطويل]

١ - طَعَنْتُ ابْنَ عَبْدِ الْقَيْسِ طَعْنَةً ثَائِرٍ لَهَا نَفَذٌ لَوْلَا الشُّعَاعُ أَضَاءَهَا

الشُّعُ وَالشُّعَاعُ: الْمَتَفَرِّقُ. وَمِنْهُ شَعَّ الْغَارَةُ، وَتَطَايَرَ الْقَوْمُ شَعَاعًا. يَقُولُ: طَعَنْتُ هَذَا الرَّجُلَ طَعْنَةً طَالِبٍ بِالْذَّمِّ فَاتِكَ لَا بُقْيَا مَعَهَا، وَلَا تَقْصِيرَ فِي الْمَبَالِغَةِ فِيهَا، لَهَا نَفَذٌ، أَيُ خَزَقٌ، لَوْلَا انْتِشَارُ الذَّمِّ لِأَضَاءِهَا. وَأَضَاءَهَا جَوَابُ لَوْلَا، وَالْمَبْتَدَأُ وَهُوَ «الشُّعَاعُ» خَبْرُهُ مَحْذُوفٌ، كَأَنَّهُ قَالَ: لَوْلَا الشُّعَاعُ مَانِعٌ لِأَضَاءِهَا التُّفَذُ. وَمَنْ رَوَى «الشُّعَاعُ» بَضْمَ الشَّيْنِ، فَإِنَّهُ يُرِيدُ بِهِ نُورَ الشَّمْسِ. وَالْأَوَّلُ أَجْوَدُ وَأَشْهَرُ. وَيُقَالُ: أَشْعَبَ الشَّمْسُ، إِذَا امْتَدَّ نُورُهَا وَانْتَشَرَ.

٢ - مَلَكْتُ بِهَا كَفِّي فَاتَّهَزْتُ فَتَحَقَّهَا يُرَى قَائِمًا مِنْ دُونِهَا مَا وَرَاءَهَا

يُرَى: «يَرَى قَائِمٌ مِنْ دُونِهَا مَن وَرَاءَهَا» وَ«مَا وَرَاءَهَا»، وَيُرَى: «يَرَى قَائِمًا» أَيْضًا. وَيُقَالُ: مَلَكْتُ الْعَجِينَ وَأَمْلَكْتُهُ، إِذَا بِالْعُتِّ فِي عَجْنِهِ وَشَدَّدْتَ. وَكَانَ الْأَصْمَعِيُّ يَمْتَنِعُ مِنْ أَمْلَكْتُ، فَيَكُونُ الْمَعْنَى: شَدَّدْتُ بِهَذِهِ الطَّعْنَةِ كَفِّي وَوَسَّعْتُ خَزَقَهَا حَتَّى يَرَى الْقَائِمُ مِنْ دُونِهَا الشَّيْءَ الَّذِي وَرَاءَهَا، وَهَذَا التَّفْسِيرُ فِي مَلَكْتُ تَفْسِيرُ الْقَدَمَاءِ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَى «مَلَكْتُ بِهَا كَفِّي» أَيُ تَمَكَّنْتُ مِنْ فَعْلِهَا، فَأَطَقْتُ تَصْرِيفَ كَفِّي فِي إِيقَاعِهَا عَلَى مُرَادِي. وَهَذَا كَمَا يَقُولُ: أَنَا أَمْلِكُ هَذَا الْأَمْرَ، إِذَا كَانَ قَادِرًا عَلَيْهِ. وَكَأَنَّهُ

(١) البيت لزهير في ديوانه ١٠٣، ولسان العرب (جدر، عبقر)، وتهذيب اللغة ٢: ٢٩٣، وأساس البلاغة (جدر)، وصدرة:

«بخيل عليها حنة عبقرية»

(٢) قيس بن الخطيم: شاعر الأوس وأحد صنائدها في الجاهلية، أدرك الإسلام (ت ٢ ق. هـ/ ٦٢٠ م) ترجمته في الإصابة ٧٣٥٠، والأغاني ١٥٤: ٢.

أشار بهذا الكلام إلى أن الطعنة لم تكن على دَهَشٍ واختلاس، ولكن عن تمكّنٍ واقتدار. ويُروى: «يُرى قائماً من دونها مَنْ وِراءَها» و«ما وِراءَها» ومن روى «من وِراءَها» فالمعنى يُرى مَنْ وِراءَها إذا كان قائماً من دونها. ووراء ههنا بمعنى خَلْف، وإن كان يقع على الخَلْف والقُدَام جميعاً. وَمِنْ دُونِها، أي من قُدَامِها، وبيت الأعشى على هذا، وهو قوله^(١): [الطويل]

تُريك القَدَى من دُونِها وهي دُونُ

أي تريك الخَمْرَةَ في الزجاجة القَدَى من قُدَامِها، وهي قُدَام القَدَى؛ أي تريك الرُّجاجة ما خلفها من قُدَامِها لصفاء الخمرة فيها. ومعنى أَنهَزْتُهُ: وسَعْتُهُ حتى جعلته كالنَّهر سَعَةً. والنهر نفسه سُمِّيَ بذلك لاتساعه. ومنه المَنْهَرَةُ، وهي فَضَاءٌ بين بُيُوتِ الحيِّ يَلْقَوْنَ فيه كُنَاسَتَهُمْ. وفي هذا الوصف سَرَفٌ مُسْتَنَكِرٌ وخروجٌ عن القَصْدِ مُسْتَهْجَنٌ. ويجري مَجْرَاهُ في الغُلُوِّ قول مُهْلَهْلٍ: [الوافر]

فلَوْلَا الرِّيحُ أَسْمَعَ أَهْلَ حَجْرٍ صَلِيلَ الْبَيْضِ يُقْرِعُ بِالذُّكُورِ^(٢)

واستعمل عترة لَفَظَ الإنْهَارَ مع اقتصَادٍ فقال: [الكامل]

أَنهَزْتُ لَبَنَهُ بِأَخْمَرَ قَانِيٍّ وَرَشَاشٍ نَافِذَةٍ عَلَى الْأَثْوَابِ

٣ - يَهُونَ عَلَيَّ أَنْ تَرُدَّ جِرَاحُهَا عَيْوَنَ لَأَوَاسِي إِذْ حَمِذْتُ بَلَاءَهَا

الأوَاسِي: النساءُ المداويات للجراح، والفِعْلُ منه أَسَوْتُ. ويقال للرجال الآسُونُ والأسَاءَةُ. وإنما ذَكَرَ النِّسَاءَ لأنَّهُمْ يَأْتِفُونَ من الصناعات، ويعلمونها العَبيد والإماء وحرائر النساء أحياناً، إذا لم يَكُنْ في غايةِ بَعِيدَةٍ من الشَّرَفِ. وقوله «أَنْ تَرُدَّ» موضِعُهُ رَفَعٌ على أنه فاعِلٌ يَهُونُ. و«إِذْ حَمِذْتُ» ظَرَفٌ لِيَهُونَ، وهي حكاية حالٍ ماضية. والمعنى: يخفُّ عَلَيَّ رُدُّ جِرَاحِ هذه الطعنة عيُونَ النِّسَاءِ المداويات لها، إِذْ حَمِذْتُ أثري فيها. وبلاءها، يجوز أن يكون المراد بلائي فيها، ويجوز أن يريد ببلائها شِدَّتْها وفظاعتها. والمصادر تُضَافُ إلى الفاعِلين والمفعولين جميعاً.

(١) للأعشى في ديوانه ٢٦٩، وتهذيب اللغة ١٦: ٩، وأساس البلاغة (مطلق)، وتاج العروس (مطلق)، وبلا نسبة في لسان العرب (مطلق، ودون)، وجمهرة اللغة ٩٢٤. وعجزه:

«إذا ذاقها من ذاقها يتمططي»

(٢) له في البيان ١: ١٢٤، والحيوان ٦: ٤١٨، ونقد الشعر ٨٤.

٤ - وساعدني فيها ابن عمرو بن عامر زُهَيْرٌ فَأَدَى نِعْمَةً وَأَفَاءَهَا^(١)

يجوز أن ينتصب نعمة على الحال ويكون مفعول أدى محذوفاً كأنه قال: فأذاها نعمةً ويدًا يستحق عليها شكرًا، ويجوز أن ينتصب على أنه مفعول أدى، ويكون المعنى: ساعدني في هذه الطعنة زهير بن عمرو، فأدى صنيعه كانت لي عنده بمساعدته، واتخذها مغنماً لنفسه أيضًا. ويجوز أن يكون أفاءها من الفيء: الغنيمة، وهذا قول أبي عبيدة. ويجوز أن يكون أفاءها من الفيء: الرجوع، أي أذاها ورجعها إلى مضطجها، لأن الأيادي قروض في الصالحين.

٥ - وكنْتُ أَمْرًا لَا أَسْمَعُ الدَّهْرَ سُبَّةً أَسْبُ بِهَا إِلَّا كَشَفْتُ غِطَاءَهَا^(٢)

يُرْوَى «لَا أَسْمَعُ» و«لَا أَسْمَعُ». ومن الغطاء قيل غطَّ الليلُ، وغطا عليهم الشر وغيره. يقول: كنت رجلًا لا أُعَيِّرُ شيئًا طول الدهر إلا بيئت للناس براءة سآحتي منه. وحقيقة «كشفت غطاءها» أي لم أتُرك الشُّبَّةَ ملتبسةً على سامعها، فكان يتردد بين تصديقها وتكذيبها، بل أبنت أمرها وأظهرت وجهها، حتى بان للناس اختلاق الساب بها، وكذابه فيها. والشُّبَّةُ، كالنُّمَّةِ والعُصَّةِ وما أشبهها. وذهب بعضهم إلى أن المعنى: إذا رُميت بعيبٍ كان حقًا عَلَيَّ مَخُوهُ عن نفسي، بما استأنقته من سغيي، والأول أحسن.

٦ - مَتَى يَأْتِ هَذَا الْمَوْتُ لَا تَبْقُ حَاجَةٌ لِنَفْسِي، إِلَّا قَدْ قَضَيْتُ قَضَاءَهَا

يُرْوَى «لَا يُلْفِ حَاجَةٌ» على أن يكون الفعل للموت، و«لَا تُلْفَ حَاجَةٌ»^(٣) على ما لم يسم فاعله، أي لا توجد. يقول: اجتهد في إدراك الآثَارِ^(٤)، وطلب الأوتار، قبل دُئْوِ الأجل، فمتى جاء الموت لا يجد حَاجَةً تَتَعَلَّقُ نَفْسِي بِهَا قَبْلُ إِلَّا وَهِيَ مَقْضِيَّةٌ. ومعنى «قَضَيْتُ قَضَاءَهَا» أي فَرَعْتُ منها كقضائي لأمثالها. وقوله «هذا الموت» يجوز أن يكون تصوُّره حاضرًا لمعرفته بإدراكه لا محالة، وأشار إليه. ويجوز أن يكون لدوام استقتاله وتحذنه بمجيئه، وكونه من همِّه، أشار إليه على جهة التقريب له.

(١) عند التبريزي: «خداش فأدى» وخداش هو خداش بن زهير بن ربيعة.

(٢) روى التبريزي بعد هذا البيت:

«فلأني في الحرب الضروس مؤكلٌ بإقدام نفس ما أريد بقاءها»

(٣) هكذا عند التبريزي.

(٤) الآثَار: مقلوب الآثَار جمع ثَار.

٧ - إِذَا مَا شَرِبْتُ أَزْبَعًا خَطَّ مِثْرِي وَأَتْبَعْتُ دَلْوِي فِي السَّمَاحِ رِشَاءَهَا^(١)

يقول: إِذَا شَرِبْتُ أَرْبَعَةَ أَكْوُوسٍ جَرَرْتُ مِثْرِي، فَأَثَّرَ فِي الْأَرْضِ خَيْلَاءً وَكِبْرًا، وَتَمُنْتُ مَا بَقِيَ عَلَيَّ مِنَ السَّمَاحِ فِي حَالِ الصُّخْرِ، كَأَنَّ مَعْظَمَهُ فَعَلَهُ صَاحِبًا، وَالْبَاقِي مِنْهُ تَمَمَهُ فِي حَالِ الشُّكْرِ. وَهَذَا الْكَلَامُ يَجْرِي مَجْرَى الْمَثَلِ لِلْمَعْنَى الَّتِي بَيَّنْتُ. حَكَى الْأَصْمَعِيُّ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: «أَتَّبِعَ الْفَرَسَ لِحَامَتِهَا»، وَ«أَتَّبِعَ الدَّلْوُ رِشَاءَهَا» أَي تَمَمَ مَا بَقِيَ عَلَيْكَ مِنْ أَمْرِكَ، وَكَأَنَّهُ يُضْرَبُ لِمَنْ جَادَ بِالْكَثِيرِ وَتَرَكَ الْقَلِيلَ الْحَقِيرَ. وَهَذَا أَجُودُ مِنْ قَوْلِ عَنْتَرَةَ الْعَبْسِيِّ، وَإِنْ كَانَ مَفْضَلًا عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ عَلَى قَوْلِ عَمْرِو بْنِ كُلْثُومٍ، وَقَوْلِ^(٢) عَنْتَرَةَ: [الْكَامِل]

وَإِذَا انْتَشَيْتُ فَإِنَّنِي مُسْتَهْلِكٌ مَالِي وَعِزِّي وَافِرٌ لَمْ يُكَلِّمْ
وَإِذَا صَحَوْتُ فَمَا أَقْصُرُ عَنْ نَدَى وَكَمَا عَلِمْتَ شِمَائِلِي وَتَكْرُمِي

وبيت عمرو: [الوافر]

مُشْغَشَعَةً كَأَنَّ الْحُصَّ فِيهَا إِذَا مَا الْمَاءُ خَالَطَهَا سَخِينًا^(٣)

لَأَنَّ هَذَا قَالَ: إِنَّا نَتَسَخَّى إِذَا شَرَبْنَا الْخَمْرَ مَمْرُوجَةً. وَمَا قَالَهُ عَنْتَرَةُ فِي بَيْتَيْنِ أَشَارَ إِلَيْهِ قَيْسٌ فِي مِضْرَاعٍ. وَكَانَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ يَذْهَبُ فِي قَوْلِهِ «سَخِينًا» إِلَى أَنَّهُ يَقَالُ مَاءٌ مُسَخَّنٌ وَسَخِينٌ، وَإِنْ كَانَ فَعِيلٌ فِي مَعْنَى مُفْعَلٍ قَلِيلًا، وَانْتَصَبَ عِنْدَهُ عَلَى أَنَّهُ حَالٌ لِلْمَاءِ. وَيَكُونُ الْمُرَادُ عَلَى طَرِيقَتِهِ: كَأَنَّ الْحُصَّ فِيهَا إِذَا مَزَجَ بِمَاءِ سَخِينٍ، وَهَذَا لَهُزْيه مِمَّا اسْتَقْبَحَهُ النَّاسُ. وَهُوَ حَسَنٌ، لَكِنَّهُ يَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ بِلَاذِهِمْ صُرُودًا^(٤).

٣٧ - الْحَارِثُ بْنُ هِشَامِ الْمَخْزُومِيُّ^(٥):

وَهُوَ أَخُو أَبِي جَهْلٍ لَعَنَهُ اللَّهُ. وَكَانَ هَرَبَ يَوْمَ بَدْرٍ لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى النَّصْرَ عَلَى رَسُولِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: [الْكَامِل]

١ - اللَّهُ يَغْلُمُ مَا تَرَكْتُ قِتَالَهُمْ حَتَّى هَلَلُوا فَرَسِي بِأَشَقَرِ مُزِيدٍ

(١) عند التبريزي: «إِذَا مَا اصْطَبَحْتُ». (٢) ديوانه ص ٢٠٦.

(٣) لعمر بن كلثوم في ديوانه ص ٦٤، ولسان العرب (طلح، وحصص، سخن، سخا)، والأغاني ١١: ٤٥، وجمهرة أشعار العرب ١: ٣٨٩.

(٤) الصرود: البلاد الباردة.

(٥) الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي: صحابي، شهد بدرًا مع المشركين فغيّره حسان وأسلم يوم فتح مكة (ت ١٨ هـ / ٦٣٩ م) ترجمته في (الإصابة ١: ٢٩٣، والاستيعاب ١: ٣٠٧، وابن عساكر ٤: ٥).

أخذ يستشهد بربه، ويتصل من هربه، بأنه لم يأت إلا بعد غلبة اليأس من نفسه عليه إن ثبت، وإلا بعد أن ضُرِّج بالدم الشامل له ولفرسه. ومثله قول مهلهل:
[الخفيف]

لَمْ أَرَمْ حَوْمَةَ الْكُتَيْبَةِ حَتَّى حُذِيَ الْوَزْدُ مِنْ دُمِّي نَعَالًا

وهذا قاصِرٌ عن درجة ما تقدّم، لأنّه يعتذر مما آثره من الهرب في وقته، وذلك أوردّه مورد المتبجّح، وأنّه خُلِّفَ ومذهبه، لعلّه بمصادر الحروب ومواردها. وقوله: «الله يعلم» لفظه لفظ الخبر، والقصد إلى الحلف؛ لأنّه يستشهد بربه فيقول: علم الله ما تركت مقاتلتهم، حتّى جرحوني فسال مِنِّي على فرسي دم أشقر كثير، علاه زُبد.

٢ - وَعَلِمْتُ أَنِّي إِنْ أَتَانِلْ وَاحِدًا أَقْتُلْ وَلَا يَضُرُّ عَدُوِّي مَشْهَدِي^(١)

أراد: وحتى عَلِمْتُ، وإنما أُطْلِقَ لَفْظُهُ عَلِمْتُ لارتفاع الشبهة عن اعتقاده ذلك. وانتصب واحدًا على الحال، والمعنى منفردًا وواحدًا ههنا صفة، والمعنى: وحتى تيقنْتُ أنني إِنْ ثَبْتُ في وجوههم، وأنتصب منفردًا لمقاتلتهم قُتِلْتُ، وَلَا يَضُرُّ حضور أعدائي. ونبه بقوله: «ولا يَضُرُّ عَدُوِّي مَشْهَدِي» أنه لو كان في ثباته ضُرُّ عَدُوِّ لَثَبَ في وجهه، ولم يُبَالِ بِقَتْلِهِ. وقوله «عَدُوِّي» يفيد الكثرة وإن كان لفظُهُ مَوْحَدًا.

٣ - فَصَدَدْتُ عَنْهُمْ وَالْأَحِبَّةُ فِيهِمْ طَمَعًا لَهُمْ بِعِقَابِ يَوْمِ سَرْمَدٍ^(٢)

يقال: صَدَّ قُلَانٌ عَنِّي، إِذَا صَرَفَ وَجْهَهُ صَدُودًا، وصددته أنا عن كذا صَدًّا. وَحَكِي أَصَدَدْتُهُ، وليس بشيء. يقول: أَعَرَضْتُ عَنْهُمْ وَدَمَاؤُهُمْ وَأَسْرَاؤُهُمْ فِيهِمْ، وَلَمْ أَتْلُهَا وَلَمْ أَظْفَرْ بِهَا، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ كَانَ مَوْتُورًا. وَإِنَّمَا حَارِبُهُمْ لَطَلَبِ دَمَاءٍ كَانَتْ لَهُ فِيهِمْ. وَقَوْلُهُ «الْأَحِبَّةُ» عَلَى هَذَا التفسير يجب أن تكون أَحِبَّتُهُمْ. وَيجوز أن يريد بِالْأَحِبَّةِ أَحِبَّةَ نَفْسِهِ، وَيَكُونُ الْمُرَادُ: وَدَمَاءَ أَحِبَّتِي وَأَسْرَائِي فِيهِمْ. وَقَوْلُهُ «طَمَعًا» انْتَصَبَ عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ لَهُ، وَهُوَ الَّذِي يَسْمَى مُصَدِّرًا لِعَلَّةٍ. وَالْمَعْنَى: فَعَلْتُ ذَلِكَ لَطْمَعِي فِي

(١) روى التبريزي قبل هذا البيت بيتًا آخر:

«وَشِئْنْتُ رِيحَ الْمَوْتِ مِنْ تَلْقَائِهِمْ فِي مَازِيٍّ وَالْخَيْلُ لَمْ تَتَبَدَّ»
وقال: «التلقاء: مأخوذ من لقيت، فيجوز أن يستعمل في معنى اللقاء».

(٢) عند التبريزي: «يوم مُرْمَدٍ».

أَنْ يُعَقِّبَ اللَّهُ تَعَالَى لِي يَوْمًا يُرْصِدَ الشَّرَّ لَهُمْ، وَيَمَكِّنَنِي مِنْهُمْ، فَأَنْتَهَزُ الْفُرْصَةَ وَأُرْوِي الْغُلَّةَ. وَيَقَالُ: رَصَدْتُ فَلَانًا بِالمِكَافَاةِ، وَرَصَدْتُ لَهُ أَيْضًا وَأُرْصَدْتَهُ، وَأَنَا مُرْصِدٌ لِفُلَانٍ بِمَا كَانَ مِنْهُ حَتَّى أَكَاثَتِهِ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ انْتِصَابُ «طَمَعًا» عَلَى أَنَّهُ مُصَدِّرٌ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ، وَالتَّقْدِيرُ: صَدَدْتُ عَنْهُمْ طَامِعًا. وَالْعِقَابُ يَجُوزُ أَنْ يَرَادَ بِهِ الْعَاقِبَةُ، وَيَجُوزُ أَنْ يَرَادَ بِهِ الْمِكَافَاةُ. وَيَقَالُ: أَوْلَاهُ خَيْرًا فَعَقِبَهُ بَشَرٌ، عُقْبَةً وَعِقَابًا وَعُقْبَى. وَإِذَا كَانَ لِلْفَرَسِ بَعْدَ انْقِطَاعِ جَرِيهِ جَمَامٌ قِيلَ لَهُ عِقَابٌ، وَهُوَ مِنْ ذَاكَ. وَمَنْ رَوَى «يَوْمَ سَرْمِدٍ» فَالسَّرْمِدُ قَالَ الْخَلِيلُ: هُوَ دَوَامُ الزَّمَانِ وَاتِّصَالُهُ مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ، وَاسْتَدَلَّ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الْإِلَّهَ سَرْمِدًا إِلَّا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [الْقَصَصُ: الْآيَةُ ٧١]، فَيَكُونُ الْمَعْنَى: بِعِقَابِ يَوْمٍ طَوِيلٍ يَتَّصِلُ زَمَانُهُ، وَيَمْتَدُّ بِلَاؤُهُ. وَأَيَّامُ الْغَمِّ وَالْمِحْنَةِ تَوْصَفُ بِالطُّوْلِ، وَلِهَذَا قِيلَ: مَضَى لِفُلَانٍ يَوْمٌ كَأَيَّامٍ، وَشَهْرٌ كَدَهْرٍ.

٣٨ - قَالَ الْفَرَارُ السَّلْمِيُّ^(١): [الكَامِلُ]

١ - وَكُنِّيَّةٌ لَبَسَتْهَا بِكُنِّيَّةٍ حَتَّى إِذَا التَّبَسَّثَ نَفَضْتُ لَهَا يَدِي
هَذَا يَتَّبَحُّ بِأَنَّهُ مِهْنَانُ شَرٍّ وَأَذَى، وَجَمَاعٌ بَيْنَ كِتَابَتَيْنِ تَتَقَاتَلُ مِنْ دُونِهِ، ثُمَّ يَخْرُجُ هُوَ مِنْ بَيْنِهِمْ غَيْرَ مُبَالٍ بِمَا يُجْرُونَ إِلَيْهِ، وَلَا مُفَكِّرٍ فِيمَا يَنْتُجُ مِنَ الشَّرِّ فِيهِمْ. فَيَقُولُ: رَبُّ كُنِّيَّةٍ خَلَطَتْهَا بِكُنِّيَّةٍ، فَلَمَّا اخْتَلَطَتْ نَفَضْتُ يَدِي مِنْهُمْ وَلَهُمْ، وَخَلَّيْتُهُمْ وَشَأْنَهُمْ. وَكُنِّيَّةٌ، أَلْحَقَ الْهَاءَ بِهَا لِأَنَّهُ جُعِلَ اسْمًا، وَهُوَ مِنْ كَتَبْتُ أَيْ جَمَعْتُ. وَتَوَسَّعُوا فِي النَّفْضِ - وَأَصْلُهُ الْإِلْقَاءُ وَالْإِمَاطَةُ - فَقِيلَ: نَفَضْتُ الْيَدَ مِنْ فُلَانٍ وَلِفُلَانٍ أَشَدَّ النَّفْضِ، إِذَا وَكَلَّتَهُ إِلَى نَفْسِهِ، يَأْسًا مِنْ رَجْعَتِهِ، وَفِي ضِدِّهِ يُقَالُ: قَبَضْتُ عَلَيْهِ كَفِّي، وَجَمَعْتُ عَلَيْهِ يَدِي. وَقَدْ قَالُوا: نَفَضْتُ الطَّرِيقَ أَيْضًا، وَفَرَّقْتُ النَّفْضَةَ فِي الطَّرِيقِ. وَذَكَرَ بَعْضُهُمْ أَنَّ قَوْلَهُ: «حَتَّى إِذَا التَّبَسَّثَ نَفَضْتُ لَهَا يَدِي» وَ«بِهَا يَدِي»، الْمُرَادُ بِهِ قَتَعْتُ فَرَسِي بِسَوْطِي، كَأَنَّهُ لَمَّا ضَرَبَ فَرَسَهُ إِنَّمَا نَفَضَ يَدَهُ. يَصِفُ سُرْعَةَ ضَرْبِهِ بِالسَّوْطِ، وَأَنَّهُ لَا كُلْفَةَ عَلَيْهِ بِهِ. قَالَ: وَهَذِهِ السَّرْعَةُ مُسْتَحَبَّةٌ فِي ضَرْبِ السَّوْطِ، كَمَا يَسْتَحَبُّ فِي الْعَمَلِ بِالسَّلَاحِ. وَمَنْ رَوَى «بِهَا» يَجُوزُ أَنْ يُرِيدَ الْمَخْصَرَةَ. انْتَهَتْ الْحِكَايَةُ عَنْهُ. وَالتَّعَجُّبُ مِنْ إِدْرَاكِهِ لِهَذَا الْمَعْنَى يَمْنَعُ مِنَ الْكَلَامِ عَلَيْهِ. فَسَبْحَانُ مِنْ لَا يَحْتَاجُ إِلَى التَّفْسِيرِ.

(١) الْفَرَارُ السَّلْمِيُّ: وَاسْمُهُ حَيَّانُ بْنُ الْحَكَمِ، وَيُقَالُ (حَيَّانُ)، شَاعِرٌ مَخْضَرُمٌ أَدْرَكَ الْجَاهِلِيَّةَ وَالْإِسْلَامَ، وَكَانَ مِمَّنْ شَهِدَ حَيَّنًا تَرْجُمَتَهُ فِي الْإِصَابَةِ (١٥٥١).

٢ - فَتَرَكْتُهُمْ تَقِصُ الرِّمَاحُ ظُهُورَهُمْ مِنْ بَيْنِ مُنْعَفِرٍ وَآخَرَ مُسْنَدٍ

قوله «تَقِصُ» أي تَكْسِرُ في موضع الحال لهم. وكنت قوله «من بين مُنْعَفِرٍ وَآخَرَ مُسْنَدٍ» والعامل في الأول تركتُهُمْ، وفي الثاني تَقِصُ. يقول: فارتقتهم والرِّمَاح تختلف بالظعن بينهم، وتكسر ظهورهم، فهُم من بَيْنِ مصروع أَلْقِي في العَفْرِ، وهو الثراب، وآخَرَ مطعون أو مجروح، وقد أُسْنِدَ إلى ما يُمِسُّكُهُ وبه رَمَقَ.

٣ - مَا كَانَ يَنْفَعُنِي مَقَالُ نِسَائِهِمْ قُتِلْتُ خَلْفَ رِجَالِهِمْ لَا تَبْعَدُ^(١)

قول «ما كان» يجوز أن يكون ما استفهاماً وكان تجعله الناقصة، ويجوز أن يكون نفيًا وتَجْعَلُ كَأَنَّ مؤكدة، ونَبَّه بهذا الكلام على أَنَّهُ لو ثَبَّتَ لم يَنْفَعُهُ الثَّبات. فيقول: أَيُّ شَيْءٍ كان يَنْفَعُنِي قَوْلُ التَّوَادِبِ لِي لَا تَبْعَدُ وقد قُتِلْتُ. ومعنى لَا تَبْعَدُ: لَا تَهْلِكُ. يقال بَعَدَ، إِذَا هَلَكَ، وَبَعْدَ، إِذَا نَأَى. وكانوا يَدُلُّونَ بهذه اللفظة عند التذبة بها على مَسَاسِ الحاجة إلى حياة المندوب، وقلة الاستغناء عنه. وإذا كان كذلك فالوجه أَن يُنْذَبَ به من كان مَحْمُودَ الحياة، وعزيز الفِقدان. وقوله «خَلْفَ رِجَالِهِمْ» نَبَّه على أَنَّهُ لو ثَبَّتَ لكان يَدْفَعُ وَجَهَ الكتيبة، ويصير واقياً لأصحابه، وحائلاً بين الأعداء وبينهم، فلا يمكنهم تجاوزه إلا وقد قَرَّغُوا منه. فلهذا قال «وَقُتِلْتُ خَلْفَ رِجَالِهِمْ». وموضع «لَا تَبْعَدُ» وهو حكاية، رَفَعَ أو نُصِبَ على أَنَّهُ بَدَلٌ أو مَفْعُولٌ مِنْ مَقَالِ نِسَائِهِمْ. وقوله وَقُتِلْتُ، في مَوْضِعِ الحال للمضمر في يَنْفَعُنِي، والعاملُ فِيهِ مَقَالُ أَيْضًا، وَخَلْفَ رِجَالِهِمْ حَالٌ لِلْمُضْمَرِ فِي قُتِلْتُ.

٣٩ - وَقَالَ بَغُضُّ بَنِي أَسَدٍ^(٢): [الوافر]

١ - يَذِيْتُ عَلَى ابْنِ حَسْحَاسٍ بَن وَهْبٍ بِأَسْفَلِ ذِي الْجَدَاةِ يَدُ الْكَرِيمِ^(٣)

إنما عُدِّي يَذِيْتُ بِعَلَى، لَأَنَّهُ أَجْرِي مجرى أَنْعَمْتُ. وَهُمْ يَحْمِلُونَ النُّظِيرَ عَلَى النُّظِيرِ، كما يحملون النقيض على النقيض. وقال الأخفش: يقال يَذِيْتُ عِنْدَهُ وَيَذِيْتُ جَمِيعًا، إِذَا اتَّخَذْتُ عِنْدَهُ صَنِيعًا، وَإِنْ كَانَتْ أَيْذِيْتُ فِي هَذَا الْمَعْنَى أَشْهَرُ مِنْ يَذِيْتُ،

(١) عند التبريزي: «دون رجالها».

(٢) قال التبريزي في نهاية الأبيات: «وكان سبب ذلك أن معقل بن عامر الأسدي أخا حضرمي بن عامر، وهو فارس الدهماء، مرَّ يوم جبلة على ابن الحسحاس بن وهب الأعيوي وهو صريع فاحتمله إلى رحله وداواه حتى برى ثم كساه وأداه إلى أهله فقال هذه الأبيات».

(٣) عند التبريزي: «الجداة» بالذال المعجمة.

لَأَنَّ يَدَيْتُ اشْتَهَر فِي أَصْبَتْ يَدُهُ، كَمَا تَقُولُ: رَأْسُهُ وَوَجْهَتُهُ وَصَدْرَتُهُ، إِذَا أَصْبَتْ هَذِهِ الْأَعْضَاءَ مِنْهُ. وَمَعْنَى هَذَا الْبَيْتِ: اتَّخَذْتُ عِنْدَ هَذَا الرَّجُلِ بِهَذَا الْمَكَانِ يَدًا عَرَاءً، وَصَنِيعَةً شَرِيفَةً، مِثْلَهَا يَفْعَلُهُ الْكَرَامُ. وَقَوْلُهُ: «يَدُ الْكَرِيمِ» نَبَّةٌ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى الَّذِي ذَكَرْنَاهُ، وَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ مَصْدَرُ يَدَيْتُ يَدْيًا، مِثْلَ جَزَيْتُ جَزْيًا، لَكِنَّهُ وَضَعَ الْيَدَ مَكَانَهُ. فَإِنْ قِيلَ: مَا تُنَكِّرُ أَنْ يَكُونَ اسْمُ الْحَدِيثِ، وَقَدْ حُذِفَ لَامُهُ كَمَا حُذِفَ مِنَ اسْمِ الْعَيْنِ؟ قُلْتُ: اسْمُ الْحَدِيثِ لَمْ يَكُنْ كَثْرَةً اسْمُ الْعَيْنِ، وَإِذَا كَانَ حُذِفَ اللَّامُ مِنْ اسْمِ الْعَيْنِ حُذِفَ لِكثْرَةِ الِاسْتِعْمَالِ، فَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ اسْمُ الْحَدِيثِ الَّذِي لَمْ يَكُنْ اسْتِعْمَالُهُ لَا يَجْرِي مَجْرَاهُ. وَقَوْلُهُ: «ابْنُ حَسْحَاسٍ» مِنَ الْحَسْحَاسَةِ، وَهُوَ إِحْرَاقُ الْجِلْدِ بِالنَّارِ.

٢ - قَصَّرْتُ لَهُ مِنَ الْحَمَاءِ لَمَّا شَهِدْتُ وَغَابَ عَنِ دَارِ الْحَمِيمِ الْقَصْرُ: الْحَبْسُ وَالرَّدُّ، وَمِنَ الْقَصْرِ وَالْقَصَارَى: الْغَايَةُ. وَالْحَمَاءُ: تَانِثُ الْأَحْمِ، وَهُوَ الْأَسْوَدُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ. وَالْحَمَمُ: الْفَحْمُ. وَجَارِيَةُ حُمَمَةٌ، أَيُ سَوْدَاءُ. وَهَذَا تَفْسِيرُ الثَّعْمَةِ الَّتِي اتَّخَذَهَا عِنْدَهُ. فَيَقُولُ: لَمَّا وَجَدْتُهُ جَرِيحًا، وَفِي الْمَعْرَكَةِ طَرِيحًا، قَدْ غَابَ عَنْهُ دَوُوهُ وَالْمَشْفِقُونَ عَلَيْهِ، حَبَسْتُ عَلَيْهِ فَرَسِي فَأَزْدَقْتُهُ. وَجَوَابُ لَمَّا مُقَدَّمٌ، وَهُوَ قَصَّرْتُ. كَأَنَّهُ قَالَ: لَمَّا رَأَيْتُهُ كَذَا حَبَسْتُ عَلَيْهِ فَرَسِي. وَحُذِفَ مَفْعُولُ شَهِدْتُ لِأَنَّهُ أَمِنَ الْإِلْتِبَاسَ. وَقَوْلُهُ: «وَوَغَابَ عَنِ دَارِ الْحَمِيمِ» كَانَ وَجْهُهُ أَنْ يَقُولَ: لَمَّا شَهِدْتُهُ وَغَابَ حَمِيمُهُ، لَكِنَّ الْمَعْنَى لَا يُخِيلُ. وَالْحَمِيمُ: الْقَرِيبُ الْمُشْفِقُ. وَالْحَامَةُ: خَاصَّةُ الرَّجُلِ مِنْ أَهْلِهِ وَوَلَدِهِ، وَيُقَالُ هُوَ الْأَحْمُ مِنْ ذَوِي قَرَابَتِهِ، أَيُ الْأَخْصُ.

٣ - أُنْبِئْتُهُ بِأَنَّ الْجُرْجَ يُشْوِي وَأَنَّكَ فَوْقَ عِجْلِزَةٍ جَمُومٍ هَذَا مِمَّا تَمَّمَ بِهِ الصَّنْعَةَ عِنْدَهُ، بَعْدَ أَنْ ارْتَدَّقَهُ، وَذَلِكَ أَنَّهُ سَلَاهُ بِقَوْلِهِ «الْجُرْجُ يُشْوِي»، وَمَتَاهُ بِقَوْلِهِ «وَأَنَّكَ فَوْقَ عِجْلِزَةٍ جَمُومٍ». وَيُقَالُ: رَمَاهُ فَأَشْوَاهُ، إِذَا أَصَابَ غَيْرَ الْمَقْتُلِ. وَالْجَمُومُ: الَّذِي لَا يَنْقَطِعُ جَرْيُهُ. وَالْعِجْلِزَةُ: الصُّلْبَةُ. وَيُتْرَكُ جَمُومٌ مِنْ هَذَا، لِأَنَّ مَاءَهَا يَغُورُ أحيانًا ثُمَّ يَتَوَدُّ وَيَغْزُرُ. وَالْمُرَادُ: أَنَّ تَبْلِيغَكَ الْمَأْمَنَ بِهِ سَهْلٌ، وَأَنَّ مَا بَكَ مِنَ الْجُرْجِ هَيِّنٌ.

٤ - وَلَوْ أَنِّي أَشَاءُ لَكُنْتُ مِنْهُ مَكَانَ الْفَرْقَدَيْنِ مِنَ النُّجُومِ يُبَيِّنُ بِهَذَا أَنَّهُ تَبَرَّجَ بِمَا فَعَلَ، وَأَنَّهُ لَمْ يَلْزِمْهُ لَزُومُ الْوَاجِبِ الَّذِي لَا يَسُوغُ الْإِخْلَالَ بِهِ، فَيَقُولُ: لَوْ شِئْتُ لَبَعْدْتُ مِنْهُ بَعْدَ الْفَرْقَدَيْنِ مِنَ النُّجُومِ السَّيَّارَةِ، وَهِيَ الَّتِي يَحُلُّ

فيها النيران، والفرقدان لا حُلُولَ فيه، وهذا يجري مجرى قولهم: «هو مني منأط الثريا» في أن المراد به التباعد، ويجوز أن يريد بُعدُ منه بُعد الفردين، ثم بين أن الفرقدنين من النجوم، فيكون من النجوم تبيينًا، كقوله تعالى: ﴿فَاجْتَبُوا إِلَيْكُمْ الْأَوَّلِينَ﴾ [الحج: الآية ٣٠]. ويجوز أن يريد بالنجوم نبات الأرض، لأن كل ما طلع فقد نجم، ويكون المعنى: بُعد الفردين من الأرض ومنابيتها، ويكون في هذا المعنى شبه الغاز فيضعف.

٥ - ذَكَرْتُ بَعْلَةَ الْفَتِيَانِ يَوْمًا وَإِلْحَاقَ الْمَلَامَةِ بِالْمُلِيمِ
 بَيَّنَّ بهذا الكلام أنه اتقى بما فَعَلَ تَوَجُّهُ الدَّمِ إِلَيْهِ مِنَ النَّاسِ، فيقول: أَخْطَرْتُ بِبَالِي مَا يَتَعَلَّلُ بِهِ الْفَتِيَانُ فِي مُحَافِلِهِمْ وَمَجَالِسِهِمْ، وَتَقْبِيحُهُمْ مِنْ أَخْبَارِ النَّاسِ مَا يُسْتَحَقُّ بِفَعْلِهِ أَوْ بَتَرِكِهِ عِنْدَهُمْ دَمٌ، فَيُلْحِقُونَ بِهِ اللَّوْمَ، وَيَهْجُونَهُ فِي أَحْكَامِ الْفُتُوَّةِ. وَمَصْدَرُ قَوْلِهِ «ذَكَرْتُ» الذَّكْرُ بِضَمِّ الذَّالِ لِأَنَّ هَذَا كَانَ بِالْقَلْبِ، وَالذَّكْرُ بِكسْرِ الذَّالِ بِاللِّسَانِ. وَالْمُلِيمُ: الَّذِي يَأْتِي بِمَا يُلَامُ عَلَيْهِ. قَوْلُهُ «تَعَلَّةٌ» مُصْدَرٌ عَلَّلْتُهُ، فَهِيَ كالتَّعْدِمَةِ وَالتَّكْرِمَةِ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ تَسْمِيَتُهُمُ الْمُعَلَّلَ، وَهُوَ يَوْمٌ مِنْ أَيَّامِ الْعَجُوزِ، مِنْ هَذَا، كَأَنَّهُ يَعْلَلُ النَّاسَ بِشَيْءٍ مِنْ تَخْفِيفِ الْبَرْدِ.

٤٠ - وَقَالَ الشَّدَاخُ بْنُ يَعْمَرَ الْكِنَانِيِّ^(١): [المنسرح]

١ - قَاتِلِي الْقَوْمَ يَا خُرَاعَ وَلَا يَذْ خُلُكُمُ مِنْ قِتَالِهِمْ فَشَلْ
 يُرَوَّى «قَاتِلُوا» و«قَاتِلِي» عَلَى اللَّفْظِ مَرَّةً وَعَلَى الْمَعْنَى أُخْرَى، وَجَعَلَ النَّهْيَ فِي اللَّفْظِ لِلْفِشْلِ، وَالْمُرَادُ لَا تَفْشَلُوا. وَهَذَا بَغْتُ وَتَحْضِيضُ، فيقول: حَارَبِي أَعْدَاءُكَ يَا خُرَاعَ، وَلَا يَتَدَاخِلُكَ الْجُبْنُ وَالضَّعْفُ مِنْهُمْ. وَخُرَاعَ، قَالَ الْخَلِيلُ: هُوَ مَنْ خَزَعَ عَنْ أَصْحَابِهِ إِذَا تَخَلَّفَ، لِأَنَّهُمْ تَخَلَّفُوا عَنْ قَوْمِهِمْ بِمَكَّةَ أَيَّامَ سَبِيلِ الْعَرَمِ.

٢ - الْقَوْمُ أَمْسَالُكُمْ لَهُمْ شَعَرٌ فِي الرُّأْسِ لَا يُنْشَرُونَ إِنْ قُتِلُوا

(١) الشداخ بن يعمر الكناني: من كنانة بن خزيمة، قال التبريزي: «وسمي شداخا لأنه شدخ الدماء بين قريش وخزاعة، وخبر هذه الأبيات: أنه كان بين كنانة وخزاعة حلف على التناصر والتعاقد على سائر الناس، فاقتتل خزاعة وبنو أسد، فاعتلتها بنو أسد، فاستعانت خزاعة ببني كنانة فذكر الشداخ قرابة بني أسد، فخذل كنانة عن نصرة خزاعة فقال: قاتلي القوم، وبهذا السبب انحدرت بنو أسد من تهامة إلى نجد غضبا على بني كنانة إذ لم تنصرهم».

يبين بهذا الكلام أنهم ناسٌ كما أن خُرَاعَةَ ناسٍ، فيقول: لا تهابوهم فإن خَلَقْتُهُمْ كخَلَقَتِكُمْ، وإنهم إذا قُتِلُوا لم يَحْيُوا مِنْ قُورِهِمْ، فيرجعوا إلى القتال. هذا مبالغة في الاستحاث والتجسير. وجعل قوله: «لَهُمْ شَغَرٌ فِي الرُّاسِ» بما بعده، تفسيرًا للمائلة وتبيينًا. وجواب إن قُتِلُوا فيما تقدّم عليه.

٣ - أَكَلَمَا حَارَبَتْ خُرَاعَةُ تَخْدُ دُونِي كَأَنِّي لَأَمِهِمْ جَمَلٌ
قوله «كأنني لأمهم» في موضع الحال، أي تحدونني مُشَبِّهًا جملاً لأمهم. وكلما ظَرَفَ لقوله تجدوني. وكأنه قال: تَخْدُونِي خُرَاعَةُ كُلَّمَا حَارَبَتْ، أي تسوقني لنصرها والدفاع عنها، كأنني ناضحٌ لأمهم يُسْتَقَى عليه الماء، فيقال له أَقْبِلْ بِالذَّلْوِ وَأَذْبِرْ، وذَكَرَ الأمَ تغليظًا للقول وتخشينًا. وقوله «أكَلَمَا»، كأنه أَقْبَلَ على إنسانٍ بغد أن كان بَعَثَهُمْ وَجَرَّاهُمْ على قتالٍ أعدائهم، فقال على طريق الإنكار ما قال.

٤١ - وقال الْحُصَيْنُ بْنُ الْحُمَامِ الْمَرِّي^(١): [الطويل]

١ - تَأَخَّرْتُ أَسْتَبْقِي الْحَيَاةَ فَلَمْ أَجِدْ لِنَفْسِي حَيَاةً مِثْلَ أَنْ أَتَقَدَّمَ
يجوز أن يكون هذا مثل قولهم: «الشَّجَاعُ مُوقَى». وفي طريقته قول الآخر:
[المقارب]

أَكَانَ الْجَبَانَ يُرَى أَنَّهُ سَيُقْتَلُ قَبْلَ انْقِضَاءِ الْأَجَلِ
فَقَدْ تُذِرُكَ الْحَادِثُ الْجَبَانَ وَنَسَلُمُ مِنْهَا الشَّجَاعُ الْبَطْلُ
ومثله قول الآخر: [المقارب]

نُهَيْنُ الثُّفُوسَ وَهُوَ الثُّفُو سِ يَوْمَ الْكُرَيْهَةِ أَوْفَى لَهَا^(٢)

ويجوز أن يقول: أَخَجَمْتُ مُسْتَبْقِيًا لِعَيْشِي، فلم أجِدْ لِنَفْسِي عَيْشًا كما يكون في الإقدام، وذلك لأنَّ الأحْدُوَّةَ الجميلة، والشُّجْعَ عند الناس في المَبَاغِي الحميدة، إنما يكون بالتقدم لا بالتأخير، وبالاقتدار لا بالانحراف، ومن ذَكَرَ بالجميل وتُحَدِّثُ عنه

(١) الحصين بن الحمام المري: شاعر، فارس جاهلي، كان سيد بني سهم بن مرة وكان يلقب «مانع الصنيم»، في شعره حكمة. أدرك الإسلام (ت ١٠ ق. هـ / ٦١٢ م). ترجمته في (سمط اللآلي ص ٢٢٦، وخزانة البغداد ٢: ٩).

(٢) للخنساء في الحيوان ٦: ٤٢٧.

بالبلاء الحسنِ حَيَّيْ ذِكْرُهُ واسمُهُ، وإنْ ذَهَبَ أثرُهُ وجِسْمُهُ. وقولُهُ: «حَيَاةٌ مِثْلُ أَنْ
اتَّقَدَّمَ» معناه حَيَاةٌ تُشَبِّهُ الحَيَاةَ المكتسبةَ في التقدُّمِ وبالتقدُّمِ.

٢ - فَلَسْنَا عَلَى الْأَعْقَابِ تَذْمَى كُلُّومُنَا ولكن على أَقْدَامِنَا تَقْطُرُ الدِّمَا

أراد: لَسْنَا بِدَامِيَةِ الْكُلُومِ عَلَى الْأَعْقَابِ. ولو لم يجعل الإخبار عن أَنْفُسِهِمْ لكان
الكلام لَيْسَتْ كُلُّومُنَا بِدَامِيَةِ عَلَى الْأَعْقَابِ. فيقول: نتوجَّه نحو الْأَعْدَاءِ فِي الْحَزْبِ وَلَا
نُعْرِضُ عَنْهُمْ، فإذا جَرَحْنَا كَانَتْ الْجَرَاحَاتُ فِي مُقَدِّمِنَا لَا مُؤَخَّرِنَا، وسالت الدِّمَا عَلَى
أَقْدَامِنَا لَا عَلَى أَعْقَابِنَا. وقولُهُ «تَقْطُرُ الدِّمَا» إِذَا رُوِيَتْ بِالتَّاءِ كَانَ الْمَعْنَى تَقْطُرُ الْكُلُومُ
الدِّمَّ، فيكون الدِّمَا مفعولاً به. ويقال: قَطَرُ الدِّمِّ وَقَطَرْتُهُ، وهذا وَجْهٌ حَسَنٌ، وإن
شئتَ جَعَلْتَ الدِّمَّ منصوباً على التمييز، كأنَّهُ أَرَادَ تَقْطُرُ دِمًّا، وأَدْخَلَ الْإِلْفَ وَاللَّامَ وَلَمْ
يَعْتَدْ بِهِمَا، كقول الآخر: [الوافر]

وَلَا بِفَرَاةِ الشُّغْرِ الرَّقَابَا^(١)

ويجوز أَنْ يُرَوَى «يَقْطُرُ الدِّمَا» بِالْيَاءِ، ويكون الدِّمَا فِي مَوْضِعِ الرَّفْعِ عَلَى أَنَّهُ
فَاعِلٌ يَقْطُرُ، لَكِنَّهُ رَدَّهُ إِلَى أَصْلِهِ فَاتَى بِهِ مَقْصُورًا وَإِنْ كَانَ الْإِسْتِعْمَالُ يَحْذِفُ لَامَهُ.
ومثل هذا البيت قولُ الْقَطَامِيِّ: [البسيط]

لَيْسَتْ تُجَرِّحُ فُرَارًا ظُهُورَهُمْ وفي النحورِ كُلُّومٌ ذَاتُ أَبْلَادٍ^(٢)

٣ - نُفَلِّقُ هَامًا مِنْ أَنْاسٍ أَعِزَّةٍ عَلَيْنَا وَهُمْ كَانُوا أَعَقَّ وَأَظْلَمًا^(٣)

يقول: نُشَفِّقُ هَامَاتٍ مِنْ رِجَالٍ يَكْرُمُونَ عَلَيْنَا لِأَنَّهُمْ مَنَا، وَهُمْ كَانُوا أَسْبَقَ إِلَى
الْعُقُوقِ وَأَوْقَرَ ظُلْمًا، لِأَنَّهُمْ بَدُّوْنَا بِالْشَّرِّ، وَالْجُؤُنَا إِلَى الْقِتَالِ، وَنَحْنُ مُنْتَقِمُونَ
وَمُجَاوِرُونَ.

٤٢ - وَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي عُقَيْلٍ: [الوافر]

وَحَارِبُهُ بَنُو عَمِّهِ فَقَتَلَ مِنْهُمْ:

١ - يَكْرَهُ سَرَاتِنَا يَا آلَ عَمْرٍو نُغَادِيكُمْ بِمُرْزَفَةٍ صِقَالٍ

(١) لحارث بن ظالم المري في الأغاني ١١: ١١٩، والإنصاف ١٣٣، وشرح أبيات سيبويه
٢٥٨: ١، والكتاب ٢٠١: ١. وصدرة:

«فما قومي بشعلبة بن سعد»

(٢) للقطامي في ديوانه ص ٨٩، ولسان العرب وتاج العروس (بلد).

(٣) عند التبريزي: «من رجالٍ أَعِزَّةٍ».

الكَزْهُ بالضم: المشقة، والكَزْهُ بالفتح الإكراه. وسَرَاةُ القوم: خِيَارُهُمْ. فيقول: بمشقة رؤسائنا وكراهيتهم نباكركم بسيفٍ مُحَدَّدة الحد مصقولة، وإنما قال «بكَزْهُ سَرَاتِنَا» لأن الرؤساء يحبون التألف بين العشيرة وإصلاح ذات البين، وترك التدابر والاختلاف، إذ كان عزُّ الرئيس بأصحابه، وجشمتُهُ في نفوس مُنَابِذِيهِ بقوة ذَوِيهِ وأقاربه. ويجوز أن يكون ذَكَرَ السَّراة والمراد الجميع. والمعنى: على كُزْهِ مَنَّا نَقَاتِلُكُمْ ولكنكم ألجأتونا إليه. وجمع صقيلاً وهو فعيل بمعنى مفعول على صقالٍ وذلك على غير بابهِ، لأن التكسير على فعَالٍ يكون في الأصل فعِيلٍ إذا كان بمعنى فاعِلٍ، نحو ظريف وظرفٍ وكريم وكِرامٍ، ومثله قولهم قصيلٌ وفصالٌ، وساغ ذلك لانتفاقهما في الزنة والوصفية. وروي: «بمُزْهَفَةِ الصَّقَالِ»، وتكون إضافة المُزْهَفَةِ إلى الصَّقَالِ كإضافة البعض إلى الكل، لأن المعنى بالمُزْهَفَةِ الحد من الصَّقَالِ، أي من السيوف المصقولة.

٢ - نَعْدِيهِنَّ يَوْمَ الرُّوْحِ عَنْكُمْ وَإِنْ كَانَتْ مُثْلَمَةُ النُّضَالِ

قوله «نعديهن» أي نصرهن. ويقال: عدَّ الهمَّ عنك، أي اصرفه. والبيت يحتمل وجهين: أحدهما أن يكون المعنى نصرفُ السيوفَ عنكم إبقاءً عليكم، وكراميةً لاستئصالكم، وإن كانت نصالها قد تفلَّثت من كثرة ما تُفَارِقُ بها الأعداء. ويجوز أن يكون المعنى: نصرُها وإن تثلَّمت بكم وفيكم، لأن القدرة تُذْهَبُ الحفيظة، ولأن ما يَجْمَعُنَا يدعو إلى البُغْيَا، والأخذ فيكم بالحُسْنَى.

٣ - لَهَا لَوْنٌ مِنَ الْهَامَاتِ كَابٍ وَإِنْ كَانَتْ تُحَادِثُ بِالصَّقَالِ

قوله «من الهامات» أي من دماء الهامات ومن التأثير فيها. يقول: لهذه السيوف لونٌ متغيَّرٌ قبيحٌ، لكثرة ما يُسْفَكُ بها الدَّماءُ، وإن كانت يجددُ صَفْلُهَا كُلَّ يَوْمٍ. والمحاذئة: إعادة الماء إلى السيفِ بالصَّقل. وقد قال الحسن رحمه الله فيما حُكِيَ عنه من مواعظه: «حادثوا هذه القلوب فإنها سريعةُ الدُّثورِ، واقدعوا هذه الأنفُسَ فإنها طُلْعَةٌ». وقوله «كابٍ» من قولهم كَبَا وَجْهُهُ، إذا اربَدَّ واسودَّ. وكَبَا نُورُ الصُّبْحِ والشمس، إذا نَقَصَ وأظلم. وجوابُ إن كَانَتْ فيما تقدَّم عليه، والجملة في موضع الصِّفَةِ لِلْمُزْهَفَةِ.

٤ - وَنَبْكِي جِبْنَ نَقْتُلُكُمْ عَلَيْكُمْ وَنَقْتُلُكُمْ كَأَنَّا لَا نُبَالِي

وَصَفَ حُسْنَ صَبْرِهِمْ، عَلَى مَا يَتَّفِقُ مِنْ نَائِبَةٍ، وَيَتَجَدَّدُ مِنْ عَارِضِ حَادِثَةٍ،
 فيقول: نبكي قتلاكُم إذا قتلناكُم لما يَجْمَعُنَا وَإِيَّاكُم مِنَ الرَّجْمِ الْمَاسَةِ، وَالْقِرَابَةِ الدَّانِيَةِ،
 وَنَقْتَلِكُم إِذَا أَحْوَجْتُمُونَا إِلَى قَتْلِكُم، كَأَنَّا لَا نَبَالِي بِمَا يَمْنَعُ مِنْ ذَلِكَ، أَوْ يَدْعُو إِلَى
 الْجَزَعِ لَهُ. وَقَوْلُهُ «نُبَالِي» تَفَاعُلٌ مِنَ الْبَلَاءِ. فَإِذَا قَالَ لَا أُبَالِيهِ كَأَنَّهُ أَرَادَ: لَا أُحْتَفِلُ بِهِ
 فَأَعَادَهُ بِلَاثِي وَبِلَاءِهِ وَأَفَاخِرِهِ. هَذَا أَضْلُهُ، وَقَدْ مَضَى. وَحَكَى سَيَبَوِيه: مَا أُبَالِيهِ بِأَلَّةٍ،
 وَذَكَرَ أَنَّ الْبَالَّةَ كَالْحَانَةِ، وَأَنَا حَذِفَ يَأْوُهُ حَذَفَ تَخْفِيفَ لَا حَذَفَ قِيَاسٍ.

٤٣ - وَقَالَ الْقَتَالُ الْكَلَابِيُّ^(١): [الطويل]

١ - نَشَدْتُ زِيَادًا وَالْمَقَامَةَ بَيْنَنَا وَذَكَرْتُهُ أَرْحَامَ سِفْرِ وَهَيْئَمِ

يقال: نَشَدْتُكَ اللَّهُ وَالرَّجِمَ، وَنَشَدْتُكَ اللَّهُ، أَي سَأَلْتُكَ بِاللَّهِ وَبِالرَّجِمِ. يَقُولُ:
 أَقْسَمْتُ عَلَى زِيَادِ اللَّهِ وَأَهْلِ الْمَجْلِسِ بَيْنَنَا حَاضِرُونَ، وَلَمَّا يَأْتِيهِ كُلُّ مَتَا مُشَاهِدُونَ،
 وَذَكَرْتُهُ مَا يَجْمَعُنِي وَإِيَّاهُ مِنَ الرَّجِمِ مِنْ جِهَةِ هَذَيْنِ الرَّجْلَيْنِ، وَإِنَّمَا ذَكَرَهُ بِهَذَا عَلَى
 رُغْمِهِ طَلَبًا لِلصُّلْحِ، أَوْ اسْتَظْهَارًا بِإِقَامَةِ الْحَجَجِ عَلَيْهِ، وَإِلْقَاءِ مَغَالِيقِ الْبَغْيِ إِلَيْهِ.

٢ - فَلَمَّا رَأَيْتُ أَنَّهُ غَيْرَ مُنْتَهٍ أَمَلْتُ لَهُ كَفِّي بِلَذْنِ مُقَوِّمِ

يقول: لَمَّا وَجَدْتُهُ لَا يَنْتَهِي بِالْقَوْلِ، وَلَا يَزْعَوِي بِالزُّجْرِ، حَدَرْتُ لَهُ كَفِّي بِرُمَحٍ
 لَتَيْنِ مَثْقَفٍ قَطَعْتُهُ. وَقَوْلُهُ «أَمَلْتُ لَهُ»، أَي مِنْ أَجْلِهِ «كَفِّي بِلَذْنِ»، مِنْ فَصِيحِ الْكَلَامِ،
 وَبَلِغِ الْكُنَايَاتِ.

٣ - وَلَمَّا رَأَيْتُ أَنَّنِي قَدْ قَتَلْتُهُ نَدِمْتُ عَلَيْهِ أَيَّ سَاعَةٍ مَنَدَمِ

يقول: لَمَّا بَانَ لِي إِتْيَانُ تِلْكَ الطَّعْنَةِ عَلَيْهِ نَدِمْتُ فِي وَقْتٍ لَمْ تَنْفَعِ النَّدَامَةُ فِيهِ،
 لَقَوْتُ الْأَمْرَ فِي الْإِبْقَاءِ. وَهَذَا فِي إِظْهَارِ التَّحَسُّرِ بِهِ كَقَوْلِ الْآخَرِ: [الوافر]

وِدِدْتُ وَأَيْسَنَ مَا مِئِّي وَدَادِي^(٢)

وَانْتَصَبَ أَيَّ سَاعَةٍ عَلَى الظَّرْفِ، لِأَنَّ أَيَّأَ لَمَّا كَانَ لِلْبَعْضِ مِنَ الْكَلِّ جُعِلَ حُكْمُهُ
 حُكْمَ الْمُضَافِ إِلَيْهِ مِنْ جَمِيعِ الْأَجْنَاسِ.

(١) القتال الكلابي: عبيد أبو بكر بن كلاب، جدّ جاهلي من بني عامر بن صعصعة من العدنانية
 (ترجمته في نهاية الأرب ٢٨٣، والشعر والشعراء ٦٨٦).

(٢) البيت لعمر بن معديكرب في اللآلئ ص ٦٣، وصدرة:

«تمناني ليلقاني قبيس»

٤٤ - قَيْسُ بْنُ زُهَيْرِ الْعَبْسِيِّ^(١): [الوافر]

١ - شَفَيْتُ النَّفْسَ مِنْ حَمَلِ بْنِ بَذْرِ وَسَيْفِي مِنْ حُذَيْفَةَ قَدْ شَفَانِي
كان حَمَلُ بْنُ بَذْرِ قَتَلَ مَالِكَ بْنَ زُهَيْرِ أَخَا قَيْسٍ، فَظَفِرَ بِهِ وَبِأَخِيهِ حُذَيْفَةَ
فَقَتَلَهُمَا. يَقُولُ: اشْتَفَيْتُ بِقَتْلِ حَمَلِ بْنِ بَذْرِ. ثُمَّ قَالَ: وَشَفَانِي سَيْفِي أَيْضًا مِنْ أَخِيهِ
حُذَيْفَةَ، لِأَنَّهُ أَتَى عَلَيْهِ لَمَّا أَعْمَلْتُهُ فِيهِ. وَهَذَا مِمَّا جَرَى بَيْنَ عَبْسٍ وَفَزَارَةَ بِسَبَبِ دَاجِسٍ
وَالْغُبَرَاءِ.

٢ - فَإِنْ أَكْ قَدْ بَرَزْتَ بِهِمْ غَلِيلِي فَلَمْ أَقْطَعْ بِهِمْ إِلَّا بَنَانِي
يقول: إِنْ سَكَنْتُ لَوْعَتِي بِمَجَازَاتِهِمْ، وَبَرَزْتُ غُلَّتِي، فَإِنِّي لَمْ أَقْطَعْ بِهِمْ إِلَّا
أَطْرَافَ أَصَابِعِي. وَذَلِكَ أَنْ عَزَى كَانَ بِهِمْ، وَكَانُوا كَالْكَفِّ، فَلَمَّا مَاتُوا وَأَعْوَزَنِي
التَّبَجُّحُ بِمَكَانِهِمْ، وَالِاسْتِعْلَاءُ عَلَى الْعَدُوِّ بِهِمْ. صِرْتُ كَمَنْ قُطِعَتْ أُنَامِلُهُ. وَمِنْ الْأَمْثَالِ
فِي هَذِهِ الطَّرِيقَةِ: «بِالسَّاعِدِ تَبْطِشُ الْكَفَّ».

٤٥ - وَقَالَ الْحَارِثُ بْنُ وَعَلَةَ الذَّهْلِيُّ: [الكامل]

الْوَعْلَةُ: الصخرة المشرفة من أعلى الجبل.

١ - قَوْمِي هُمْ قَتَلُوا أُمَيْمَ أَخِي فَإِذَا رَمَيْتُ يُصِيبُنِي سَهْمِي
يقول: قَوْمِي، يَا أُمَيْمَةُ، هُمُ الَّذِينَ فَجَعُونِي بِأَخِي وَوَتَرُونِي فِيهِ، فَإِذَا رُمْتُ
الْإِنْتِصَارَ مِنْهُمْ عَادَ ذَلِكَ بِالنِّكَايَةِ فِي نَفْسِي، لِأَنَّ عِزَّ الرَّجُلِ بَعْثِيرَتُهُ، وَهَذَا الْكَلَامُ
تَحَزُّنٌ وَتَفَجُّعٌ وَلَيْسَ بِإِخْبَارٍ.

٢ - فَلَيْتَ عَفَوْتُ لِأَعْفُونَ جَلَلًا وَلَيْتَ سَطَوْتُ لِأَوْهِنِّ عَظَمِي
عَفَاً عَنِ الْمُذْنِبِ وَالذَّنْبِ عَفَوًا، إِذَا صَفَحَ. وَحَذَفَ حَرْفَ الْجُرِّ فَوَصَلَ لِأَعْفُونَ
بِنَفْسِهِ، وَالْكَلامُ تَحَسُّرٌ وَتَوَجُّعٌ. يَقُولُ: إِنْ تَرَكْتُ مُؤَاخَذَتَهُمْ، وَأَطْرَحْتُ طَلَبَ الْإِنْتِقَامِ
مِنْهُمْ، صَفَحْتُ عَنْ أَمْرِ عَظِيمٍ، وَإِنْ سَطَوْتُ عَلَيْهِمْ أَضَعَفْتُ عَظَمِي، وَهَدَدْتُ رُكْنِي.
وَالْجَلَلُ يَزْعُمُ أَهْلُ اللُّغَةِ أَنَّهُ مِنَ الْأَضْدَادِ، يَقَعُ عَلَى الصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ، وَهَلْهَذَا يُرَادُ بِهِ

(١) قيس بن زهير بن جذيمة العبسي: أمير عبس وداهيتها وأحد السادة القادة في عرب العراق، لقَّبَ
به «قيس الرأي» لجودة رأيه. (ت ١٠ هـ/ ٦٣١ م). ترجمته في الكامل لابن الأثير ١: ٢٠٤،
وسمط اللاكبي ٥٨٢.

الكبير. وكذلك في قوله: [الرمل]

وَمِنْ الْأَزْزَاءِ رُزْءٌ دُو جَلَلٌ^(١)

والسُّطو: الأخذ بِعُنف. وفي كلِّ واحدٍ من المِصرعين يمينٌ مُضْمَرَةٌ، جوابها في الأولِ لَأَعْفُونُ، وفي الثاني لأَوْهِنُن. واللام من لثن في الموضعين موطنٌ للقَسَم.

٣ - لَا تَأْمَنَنَّ قَوْمًا ظَلَمْتَهُمْ وَيَدَأَتْهُمْ بِالشُّثْمِ وَالرَّغْمِ حَوْلَ الْكَلَامِ عَنِ الْإِخْبَارِ تَوَجُّعًا عَلَى عَادَتِهِمْ إِلَى الْخُطَابِ، مَتَوَعَّدًا.

يقول: لَا تَسْكُنْ إِلَى نَاحِيَةِ قَوْمٍ اهْتَضَمْتَهُمْ وَيَدَأَتْهُمْ بِسَبِّهِمْ وَأَطْرَاحِهِمْ، وَإِسْقَاطِهِمْ وَتَذْلِيلِهِمْ. وَظَلَمْتَهُمْ مَعَ مَا بَعْدَهُ مِنْ صِفَةِ الْقَوْمِ. وَالرَّغْمُ مُصَدَّرُ رَغِمْتُ فَلَا تَأْمَنَنَّ إِذَا قُلْتَ لَهُ رَغِمًا أَوْ فَعَلْتَ بِهِ مَا يَرْغَمُ بِهِ أَنْفُهُ وَيُذَلُّ. وَالرَّغَامُ: الثَّرَابُ، وَحَكِي الْخَلِيلُ: أَرغَمْتُهُ: حَمَلْتُهُ عَلَى مَا لَا يَقْدِرُ عَلَى الْامْتِنَاعِ مِنْهُ.

٤ - أَنْ يَأْبُرُوا نَخْلًا لَغَيْرِهِمْ وَالْقَوْلُ تَحْقِيرُهُ وَقَدْ يَنْمِي^(٢)

موضع قوله «أَنْ يَأْبُرُوا» نَصَبٌ عَلَى الْبَدَلِ مِنْ قَوْمًا فِي الْبَيْتِ الَّذِي قَبْلَهُ، كَأَنَّهُ قَالَ: لَا تَأْمَنَنَّ أَبْرَ قَوْمٍ ظَلَمْتَهُمْ وَأَوْحَشْتَهُمْ نَخْلًا لغيرهم. وَيُقَالُ: أَبْرَثُ النَّخْلَ وَأَبْرَثَهُ، إِذَا أَلْقَيْتَهُ. وَجَعَلَ هَذَا الْكَلَامَ وَعِيدًا فِي مَفَارِقَةِ الْقَوْمِ الَّذِينَ وَصَفَهُمْ لِأَيَّامِهِمْ، وَتَقْوِيَتِهِمْ لِأَعْدَائِهِمْ بَعْدَ الْإِنْتِقَالِ إِلَيْهِمْ، وَإِصْلَاحِهِمُ الْفَاسِدَ مِنْ فُخْرِهِمْ وَأَمْرِهِمْ نُصْرَةً لَهُمْ، وَجَعَلَ قَوْلَهُ «أَنْ يَأْبُرُوا» كِنَايَةً عَنْ هَذَا الْمَعْنَى، كَمَا قَالَ طَرَفَةُ: [الرمل]

وَلِيَّ الْأَضْلُ الَّذِي فِي مِثْلِهِ يُضْلِحُ الْآبِرُ زَرْعَ الْمُؤْتَبِرِ^(٣)

وقد قيل: أَرَادَ: لَا تَأْمَنَنَّ قَوْمًا أَسَاءَتْ فِي مَعَامِلَتِهِمْ أَنْ يَتْرَكُوا أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَيَلْحَقُوا بِالْأَعْدَاءِ فَيَأْبُرُوا نَخْلَهُمْ وَيَتَصَرَّفُوا فِي مَهْنَتِهِمْ، لِيَكُونُوا مَعَهُمْ عَلَيْكُمْ، وَالْأَوَّلُ أَحْسَنُ وَأَغْرَبُ. وَقَوْلُهُ «وَالْقَوْلُ تَحْقِيرُهُ وَقَدْ يَنْمِي» يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ضَرْبُهُ مِثْلًا فِي التَّهَاؤُنْ بِمَا لَا يَجُوزُ التَّهَاؤُنْ فِيهِ، وَيَجُوزُ أَنْ يُشِيرَ بِالْقَوْلِ إِلَى مَا يَقُولُهُ فِي شِعْرِهِ هَذَا، وَيُرِيدُ أَنَّهُ سَيَزِدَادُ بِانْضِمَامِ الْفِعْلِ إِلَيْهِ.

(١) للبيد في ديوانه ص ١٩٧، وكتاب العين ٧: ٣٨٣. وصدرة:

«وَأَرَى أَرِيدَ قَدْ فَارَقْنِي»

(٢) عند التبريزي: «والشيء تحقيره».

(٣) لطرفة في ديوانه ٥٤، ولسان العرب (أبر)، وتهذيب اللغة ١٥: ٢٦١، وكتاب العين ٨: ٢٩١، وديوان الأدب ٤: ٢٣٣.

٥ - وَزَعَمْتُمْ أَنْ لَا حُلُومَ لَنَا إِنَّ الْعَصَا قُرِعَتْ لَلِيَّ الْجِلْمِ

زَعَمَ زُعْمًا وَزَعَمًا وَمَزَعَمًا، وأكثر ما يستعمل فيه ما كان باطلاً أو فيه ارتياب. ولذلك يقال: تَزَعَّم، أي تكذَّب؛ وَزَعَمَ في غير مَزَعَم، أي طَمِعَ في غير مَطْمَع. و«أَنْ لَا حُلُومَ» أَنْ فيه مخففة من الثقيلة. أراد: زَعَمْتُمْ أَنَّهُ لَا حُلُومَ لَنَا. والهاء ضميرٌ للأمر والحديث، و«لَا حُلُومَ» في موضع الخبر. أراد: وزعمتُمْ أَنَّ الأمر والشأن لَا عقولَ لَنَا، فَإِنَّ كَانَ الأمر على ما زعمتُمْ فنبهونا أَنْتُمْ، فَإِنَّ عَامِرَ بْنَ الظَّرِبِ حَكَمَ الْعَرَبِ كَانَ يُقْرِعُ لَهُ الْعَصَا فَيَنْبُتُهُ، لَمَّا كَانَ يَزِيغُ فِي الْحُكْمِ لِكَبَرِيَّتِهِ وَسِنِّهِ. وهذا الكلام تهكُّمٌ وسخرية. ومثله قولك لِمَنْ أَنْكَرَ عَلَيْكَ مَا لَا يُشْكُ فِي صِلَاحِهِ وَصَحَّتِهِ: إِنَّ كَانَ ذَلِكَ فَاسِدًا فَصَحَّحْهُ أَنْتَ، وهذا ظاهر. وذو الْجِلْمِ الَّذِي قُرِعَ لَهُ الْعَصَا مُخْتَلَفٌ فِيهِ، فَتَدْعِيهِ الْيَمَنُ وتقول: هُوَ عَمْرُو بْنُ حُمَمَةَ الدُّوسِيِّ، رَوَى ذَلِكَ الشَّعْبِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وَتَدْعِيهِ مُضَرٌّ، فتقول: هُوَ عَامِرُ بْنُ الظَّرِبِ الْعَدَوَانِيُّ، وَإِيَّاهُ عَنَى ذُو الْإِصْبِيعِ فِي قَوْلِهِ: [الوافر]

وَمِنْهُمْ حَكَمٌ يَقْضِي وَلَا يُنْقَضُ مَا يَقْضِي

وتدعيه ربيعة فتقول: هُوَ قَيْسُ بْنُ خَالِدِ الشَّيْبَانِيِّ، وَهُوَ جَدُّ بَسْطَامِ بْنِ قَيْسِ بْنِ مَسْعُودِ بْنِ قَيْسِ بْنِ خَالِدٍ.

٦ - وَوَطِئْنَا وَطْئًا عَلَى حَقِّ وَطْءِ الْمُقَيَّدِ نَابِتِ الْهَزْمِ

يقول: أَثَرْتُ فِيْنَا تَأْثِيرَ الْحَقِّ الْغَضْبَانِ، كَمَا يُؤْثَرُ الْبَعِيرُ الْمُقَيَّدُ إِذَا وَطِئَ هَذِهِ الشَّجِيرَةَ. وَخَصَّ الْمُقَيَّدَ لِأَنَّهُ وَطْأَهُ أَثْقَلَ، كَمَا خَصَّ الْحَقِّ لِأَنَّهُ إِبْقَاءُهُ أَقْلُ. وَالْهَزْمُ: ضَرْبٌ مِنَ الْحُمُضِ، يُقَالُ جَمَلٌ هَارِمٌ، وَإِبِلٌ هَوَارِمٌ إِذَا رَعَتِ الْهَزْمَ. وَانْتَصَبَ وَطْءُ الْمُقَيَّدِ عَلَى الْبَدَلِ، أَيِ وَطْئًا يُشَبِّهُ هَذَا الْوَطْءَ. وَمِمَّا حُكِيَ عَنِ الْعَرَبِ: «أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ طَلَّةِ الدَّلِيلِ»، أَيِ مَنْ أَنْ يَطْأَنِي، لِأَنَّهُ وَطْأَهُ أَشَدُّ، لِسُوءِ مَلَكَتِهِ، كَمَا قَالَ الْآخَرُ^(١): [الطويل]

وَلَمْ يَغْلِبْكَ مِثْلُ مُغْلَبٍ

وَعَلَى هَذَا قِيلَ: ضَرَبَتْهُ ضَرْبَةُ الْجَبَانِ، وَضَبَطَتْهُ ضَبْطَةُ الْأَعْمَى.

(١) لامرئ القيس في ديوانه ص ١٧٧. وتماه:

«وإنك لم يفخر عليك كفاخر ضعيف ولم يغلبك مثل مغلب»

٧ - وَتَرَكْنَنَا لَحْمًا عَلَى وَضْمٍ لَوْ كُنْتُ تَسْتَبْقِي مِنَ اللَّحْمِ
هذا مَثَلٌ يُضْرَبُ فِي الانْقِيَادِ وَالذُّلِّ. ولذلك يقولون: «النَّسَاءُ لَحْمٌ عَلَى وَضْمٍ
إِلَّا مَا دُبَّ عَنْهُ». يقول: تَرَكْنَنَا لَا دِفَاعَ بِنَا، كَاللَّحْمِ عَلَى خِوَانِ الْجَزَارِ يَتَنَاوَلُهُ مَنْ
شَاءَ، لَوْ كُنْتُ تَرَكْتُ مِنَّا بَقِيَّةً، وَتَطْلُبُ عَلَيْنَا بَقِيَّةً. والمعنى أَنَّكَ تَرُومُ اسْتِصْلَانَنَا، فَلَسْتَ
تَرْضَى بِالْإِذْلَالِ. وجواب لو فيما تقدّم عليه.

٤٦ - وقال أغرابي^(١):

قَتَلَ أَخُوهُ ابْنًا لَهُ فَقَدَّمُ إِلَيْهِ لِيَقْتَادَ مِنْهُ، فَالْقَى السَّيْفَ وَهُوَ يَقُولُ: [البسيط]

١ - أَقُولُ لِلنَّفْسِ نَاسَاءً وَتَغْزِيَّةً إِحْدَى يَدَيَّ أَصَابَتْنِي وَلَمْ تُرِدْ
النَّاسَاءُ: تَفْعَالٌ مِنَ الْإِسْوَةِ. وَيُقَالُ: إِسْوَةٌ وَأُسْوَةٌ، فَيُضْمُّ أَوَّلُهُ وَيُكْسَرُ، وَانْتِصَابُهُ
عَلَى أَنَّهُ مُصَدَّرٌ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ. أَيِ أَقُولُ مُتَأَسِّيًا بِغَيْرِي، وَمُسْلِيًا لِنَفْسِي: جَنَى عَلَيَّ
أَخِي الَّذِي مَحَلَّهُ مِنِّي مَحَلٌّ إِحْدَى يَدَيَّ، سَهْوًا لَا إِرَادَةَ لِمَسَاءَتِي وَخَطَأً لَا عَمْدًا.
وقوله «إِحْدَى يَدَيَّ» فِي مَوْضِعِ الْمَبْتَدَأِ وَ«أَصَابَتْنِي» خَبَرُهُ، وَقَوْلُهُ «وَلَمْ تُرِدْ» فِي مَوْضِعِ
الْحَالِ، وَالْجُمْلَةُ فِي مَوْضِعِ النَّصْبِ عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ لِقَوْلِهِ أَقُولُ.

٢ - كِلَاهُمَا خَلَفَ مِنْ فَقْدِ صَاحِبِهِ هَذَا أَخِي حِينَ أَدْعُوهُ وَذَا وَلَدِي
يقول: كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْأَخِ الْوَاتِرِ وَالابْنِ الْمَفْقُودِ يَصْلُحُ لِأَن يَرْضَى بِهِ عَوَضًا مِنْ
فَقْدَانِ الْآخَرِ، فَإِنْ اقْتَدَتْ مِنَ الْأَخِ مُنْتَصَفًا لِلابْنِ فَقَدْتُهُمَا جَمِيعًا، فَاسْتَبْقَانِي أَخِي هُوَ
عَلَى كُلِّ حَالٍ أَقْرَبُ وَأَعْوَدُ.

٤٧ - وقال إِيَّاسُ بْنُ قَبِيصَةَ الطَّائِي^(٢):

١ - مَا وَلَدْتَنِي حَاصِنٌ رَبِيعِيَّةً لَيْثُنَ أَنَا مَالَأْتُ الْهَوَى لَأَتْبَاعِهَا
امْرَأَةٌ حَاصِنٌ وَحَصَانٌ، أَيِ مَمْتَنَعَةٌ عَنِ الرُّفْقِ، عَفِيفَةٌ. وَمَصْدَرُهُ الْحَصَانَةُ
وَالْحُصْنُ، وَرَبِيعِيَّةٌ: مُنْسَوْبَةٌ إِلَى رَبِيعَةٍ: وَهَذَا الْكَلَامُ خَبَرٌ يَجْرِي مَجْرَى الْيَمِينِ، وَاللَّامُ
مِنْ «لَيْثُنَ» يُؤْذَنُ بِأَنَّ الْكَلَامَ قَسَمٌ، فَيَقُولُ: لَسْتُ ابْنَ امْرَأَةٍ مِنْ بَنِي رَبِيعَةٍ كَرِيمَةٍ عَفِيفَةٍ
إِنْ كُنْتُ شَايَعْتُ الْهَوَى وَتَابَعْتُهُ فِي طَلَبِ امْرَأَةٍ. وَالْمَعْنَى: لَسْتُ لِرِشْدَةٍ إِنْ فَعَلْتُ

(١) الشعر في الزهرة ٢: ٥٥٠، وقد نسبته للعريان بن سهلة النبهاني.

(٢) إِيَّاسُ بْنُ قَبِيصَةَ الطَّائِي: مِنْ أَشْرَافِ طَيْئِهِ وَفَصَحَائِهَا وَشَجْعَانِهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ (ت ٤ ق. هـ/

٦١٨ م). تَرْجَمَتْهُ فِي ابْنِ خُلْدُونِ ٢: ٢٦٥، وَالْكَامِلُ لِابْنِ الْأَثِيرِ ١: ١٧٣.

ذلك. ومالأت، مأخوذ من قولهم: هو مَلِيءٌ بكذا، وقد مَلَأُوا مَلَأَةً. وجواب الشرط فيما تقدم.

٢ - أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْأَرْضَ رَحْبٌ فَسِيحَةٌ فَهَلْ تُعْجِزُنِي بُقْعَةٌ مِنْ بِقَاعِهَا

قال الخليل: البُقْعَةُ: قطعة من الأرض على غير هيئة التي إلى جنبها، واستشهد الشاعر لنفسه في إنكار ما انتفى من فعله بقوله: أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْأَرْضَ، لأن أَلَمْ تَرَ وإن كان لفظه لفظ الاستفهام، كلمة يُوَاقِفُ بها الْمُخَاطَبُ في تحقيق الأمور، وتثبيت الخطوب، وربما صَحِبَهَا معنى التعجب. فيقول: إنك تعلم أن الأرض واسعة عريضة، وَأَنَّ بِقَاعَهَا لَا تُنْبِئُ بِي، ولو نَبَتْ لم تُعْجِزُنِي، فكما أتني في هذا بهذه الصفة، فكذلك أنا في الأول. ومذهب هذا الكلام مذهب قول القائل عند تحقيق أمر وتصويره للمخاطب: إن هذا حَقٌّ كما أنني حاضرٌ، وكما أنك تسمع وتُجيب.

٣ - وَمَبْنُوثَةٌ بِكَ الدُّبَا مُنْسَبَطَةٌ رَدَدْتُ عَلَى بِطَائِهَا مِنْ سِرَاعِهَا

يقول: رُبَّ حَيْلٍ متفرقة ممتدة في وجه الأرض امتداداً فِرَاحَ الدُّبَا وتفرقها - والمعنى أنهم يُمَوِّجُونَ في انتشارهم، كما أن الجراد إذا انبثَّت مَاجَ بعضها في بعض - أنا رددت أولها على آخرها، وَحَبَسْتُ متقدماتها على متأخراتها، حتى لَحِقَتْ الأعجازُ بالصدور، واختلطت اللواحق بالسوابق. ويقال: هم يتهافئون تهافتَ الفَرَّاشِ، ويتماوجون تماوجَ الجراد.

٤ - وَأَفْذَنْتُ وَالْخَطِيئُ يَخْطِرُ بَيْنَنَا لِأَعْلَمَ مَنْ جَبَائِهَا مِنْ شَجَاعِهَا

قوله «والخطيئ» واوه واو الحال. واللام من «لأعلم» لام العلة. يقول: تركتُ الإحجام، وأثرتُ الإقدام، ورمأخ الخطُ تختلف بالطعن، وتحكم للشجاعة على الجبن، لأتبيّن الضعيفَ من القوي، والمتقدم من المتخلف، والمعنى: فعلت ذلك لَيَبِينَ فضلي على غيري.

٤٨ - وقال رجل من بني تميم^(١):

وطلَبَ منه ملك من الملوك قَرَسًا يقال له سَكَابٍ فمنعه إياها: [الوافر]

١ - أَبَيْتَ أَلْفَنَ إِذْ سَكَابَ عِلْقُ نَفِيسٍ لَا نَعَارَ وَلَا نُبَاعَ

(١) هو عبيدة بن ربيعة بن قحطان بن ناشرة المازني كما ورد في كتاب الخيل لابن الأعرابي ٦٢ حيث ذكر الأبيات.

قوله «عَلِقُ نَفِيسٌ» أي مَالٌ يُنْخَلُ به. وهذا كما يقال: هو عَلِقٌ مَضِئَةٌ. ويقال: عَالِقَتُهُ بِعَلْقِي وَعَلِقِهِ، إذا خَاطَرَتْهُ بِكَرَائِمِ المَالِ. يقول: مُنِعْتُ أَنْ تَفْعَلَ مَا تَسْتَحِقُّ بِهِ اللَّعْنُ، إِنْ فَرَسِي سَكَابٍ مَتَاعٌ نَفِيسٌ، وَعَلِقٌ كَرِيمٌ، لَا يُغَرِّضُ لِلْبَيْعِ، وَلَا يُبْذَلُ لِلْإِعَارَةِ. و«سَكَابٍ» إذا أَعْرَبْتَهُ مَنَعْتَهُ الصَّرْفَ، لِأَنَّهُ عَلِمَ، فَلَحْصُولُ التَّعْرِيفِ فِيهِ وَالتَّأْنِيثُ مَعَ كَثَرَةِ الْحُرُوفِ يُنَمِّعُ الصَّرْفَ. وَالشَّاعِرُ تَمِيمِيٌّ، وَهَذَا لُغَةٌ قَوْمِهِ. وَإِذَا بَنَيْتُهُ عَلَى الْكَسْرِ أَجْرَبْتَهُ مَجْرَى حَدَامٍ، لِأَنَّهُ مَوْثٌ مَعْدُولٌ مَعْرِفَةً، فَلَمُشَابَهَتُهُ بِهَذِهِ الْأَوْصَافِ دَرَاكِ وَنَزَالٍ يُبْنَى؛ وَهَذِهِ اللَّغَةُ حِجَازِيَّةٌ. وَاشْتِقَاقُ سَكَابٍ مِنْ سَكَبْتُ إِذَا صَبَبْتُ. وَيُقَالُ فِي صِفَةِ الْفَرَسِ: هُوَ بَخَرٌ وَسَكَبٌ. وَقَوْلُهُ: أَبَيْتُ اللَّعْنَ، تَحِيَّةٌ كَانَ يُسْتَغْفَفُ بِهِ الْمُلُوكِ. وَأَصْلُ اللَّعْنِ: الطُّرْدُ. وَقَوْلُ الشَّاعِرِ^(١): [مَجْزُوءُ الْكَامِلِ]

وَلِكُلِّ مَا نَالَ الْقَتَى قَدْ نِلْتُهُ إِلَّا التَّحِيَّةَ

يعني إلا أن يقال لي: أبيت اللعن، لأنه تحية الملوك. وكأته قال: نِلْتُ كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا الْمُلْكَ.

٢ - مَفْدَاةٌ مُكَرَّمَةٌ عَلَيْنَا يُجَاعُ لَهَا الْعِيَالُ وَلَا تُجَاعُ

يقول: لِعَزَّتْهَا عَلَى أَرْبَابِهَا تُقْدَى بِالْآبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ، وَتُؤَثَّرُ تَكْرِيمًا لَهَا عَلَى الْعِيَالِ عِنْدَ الْإِضَافَةِ وَالْإِفْتَارِ، فَيَجُوعُ الْعِيَالُ وَلَا تَجُوعُ هَذِهِ.

٣ - سَلِيلَةٌ سَابِقَتَيْنِ تَنَاجَلَاهَا إِذَا تُسَبَّا يَضْمُهُمَا الْكُرَاعُ

يقول: هِيَ وَلَدٌ قَرَسَتَيْنِ سَابِقَتَيْنِ، إِذَا تُسَبَّا ضَمَّ مَنَاسِبَهُمَا وَمَنَاصِبَهُمَا الْكُرَاعُ، وَهُوَ فَحْلٌ كَرِيمٌ مَعْرُوفٌ. وَسَلِيلَةٌ أُلْحِقَ الْهَاءَ بِهَا وَإِنْ كَانَ فَعِيلًا فِي مَعْنَى مَفْعُولٍ، لِأَنَّهُ جُعِلَ اسْمًا، كَمَا تَقُولُ هِيَ قَتِيلَةٌ بَنِي فُلَانٍ. وَمَعْنَى سُلٍّ: نُزْعٌ. وَيُقَالُ: نَجَلَا وَلَدَهُمَا وَتَنَاجَلَا، بِمَعْنَى وَاحِدٍ، قَالَ: [الْمَنْسَرَحُ]

إِذْ نَجَلَاهُ فِينِمْ مَا نَجَلَا^(٢)

وَأَصْلُ الْكُرَاعِ فِي اللَّغَةِ: أَنْفٌ يَتَقَدَّمُ مِنَ الْجَبَلِ، فَسُمِّيَ هَذَا الْفَحْلُ بِهِ لِعَظَمِهِ. وَأَمَّا الْكُرَاعُ الْاسْمُ الْجَامِعُ لِلْخَيْلِ، فَهُوَ غَيْرُ ذَا.

(١) لزهير بن جناب الكلبي في اللسان (حيا)، والمعمرين ٢٦.

(٢) للأعشى في ديوانه ٢٨٥، والدرر ٤٩:٥، ولسان العرب (نجل)، وتاج العروس (نجل)، وصدرة:

٤ - فَلَا تَطْمَعُ أَبَيْتَ اللَّعْنِ فِيهَا وَمَنْعُكَهَا بِوَجْهِ يُسْتَطَاعُ

يقول: ارفعْ طَمَعَكَ في تحصيل هذه الفرس، أَبَيْتَ أَنْ تَأْتِيَ مَا تَسْتَحِقُّ بِهِ اللَّعْنُ، وَدَفَعْتُ عَنْهَا يُقَدَّرُ عَلَيْهِ بِوَجْهِ مَا وَبَحِيلَةَ مَا. والمعنى: إِنِّي لَا أَسْعِفُكَ بِهَا اسْتَبَعَتْهَا أَوْ اسْتَوْفَيْتَهَا، مَا وَجَدْتُ إِلَى الرَّدِّ طَرِيقًا، فَلَا تَطْمَعُ فِيهِ مَا دَامَتْ لِي هَذِهِ الْحَالَةُ. وقوله «ومنعكها» أي منعك عنها. ويقال: مَنَعْتُكَ كَذَا، وَمَنَعْتُكَ عَنْ كَذَا، وَأَمَّا الْمَنَعَةُ الْعِزُّ فَهُوَ مُصَدِّرٌ كَالْحَرَكَةِ وَالْجَلْبَةِ مِنْ مَنَعَ مَنَاعَةً وَمَنَاعًا، فَهُوَ مَنِيْعٌ.

٤٩ - وَقَالَتْ امْرَأَةٌ مِنْ طَيْيٍّ: [الطويل]

١ - دَعَا دَهْوَةَ يَوْمَ الشَّرَى يَا لَمَالِكِ وَمَنْ لَا يُجِبُ عِنْدَ الْحَفِيزَةِ يُكَلِّمُ

يقول: اسْتَغَاثَ هَذَا الرَّجُلُ فِي يَوْمِ اجْتِمَاعِنَا بِالشَّرَى - وَهُوَ مَكَانٌ مَعْرُوفٌ اتَّفَقَتْ فِيهِ وَقَعَةٌ فَتُسَبِّحُ يَوْمُهَا إِلَيْهِ - اسْتَغَاثَهُ وَقَالَ: يَا لَمَالِكِ؛ وَمَنْ لَا يُجِبُ إِذَا اسْتَصْرَخَ، وَلَمْ يُعِثْ إِذَا اسْتَنْصَرَ، يُهْتَضَمُ وَيُجْرَحُ. وقوله «يا لَمَالِكِ» اللام فيه للإضافة، وَإِنَّمَا فُتِّحَ لِأَنَّهُ دَخَلَ عَلَى مَا هُوَ وَاقِعٌ مَوْقِعَ الْمَضْمَرِ، فَكَمَا يُفْتَحُ لَامُ الْإِضَافَةِ مَعَ الْمَضْمَرِ كَذَلِكَ فُتِحَ مَعَ الْمُنَادَى لَوْقُوعِهِ مَوْقِعَهُ. فَإِنْ قِيلَ: فَمَا الْمَدْعُو؟ قُلْتُ: مَالِكُ، كَأَنَّهُ قَالَ: دُعَائِي لَمَالِكِ. وَالْحَفِيزَةُ: الْخُضْلَةُ الَّتِي يُحْفَظُ الْإِنْسَانُ عِنْدَهَا، أَيْ يُغَضَّبُ. وَكَذَلِكَ الْحِفْظَةُ. قَالَ: [الرجز]

وَحِفْظَةٌ أَكْنُهَا ضَمِيرِي^(١)

وقوله «يُكَلِّمُ» كناية عن الْعَلَبَةِ أَوْ الْقَتْلِ.

٢ - فَيَا ضَبِيعَةَ الْفَتَيَانِ إِذْ يَغْتُلُونَهُ بِبَطْنِ الشَّرَى مِثْلَ الْفَنِيقِ الْمُسَدِّمِ

الفنيق: الْفَحْلُ الْمُفْتَقُّ لَا يُرَكَّبُ لِكِرَامَتِهِ عَلَى أَهْلِهِ. وَالْمُسَدِّمُ: الْفَحْلُ الْهَائِجُ الْمَمْنُوعُ. وَيَقَالُ: عَتَلَهُ يَغْتَلُهُ وَيَعْتَلُهُ جَمِيعًا، إِذَا قَادَهُ بِغُتْفٍ. وَمَعْنَى «يَا ضَبِيعَةَ الْفَتَيَانِ» وَإِنْ كَانَ لَفْظُهُ لَفْظُ النِّدَاءِ، مَعْنَى الْخَبَرِ، كَأَنَّهُ قَالَ: ضَاعَ الْفَتَيَانُ جَدًّا. فيقول على وجه التعجب والاختصاص: مَا أَضَيَعَ الْفَتَيَانُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتُ وَفِي تِلْكَ الْحَالَةِ. كَأَنَّهُ لَمَّا لَمْ يُنْصَرَفْ فِي تِلْكَ الْحَالَةِ وَلَمْ يَخْضُرْهُ فَتَى يَعِيْنُهُ كَانَ الْفَتَيَانُ ضَائِعَيْنِ، إِذْ كَانُوا يَغْتَفُونَ فِي قُرُودِهِمْ إِبَاهُ، وَهُوَ كَأَنَّهُ فَحْلٌ مُشْدُودُ الْفَمِ خَوْفًا مِنْ صِيَالِهِ، فَلَا يُنَاكَرُ

(١) الرجز للعجاج في ديوانه ١: ٣٣٢، ولسان العرب (حفظ)، وأساس البلاغة (حفظ)، ولرؤية في

مقاييس اللغة ٣: ٢٠٤ وليس في ديوانه.

بنفسه، ولا يدافع أحد دونه. وذكر بعضهم أن هذا المقتول هو بهذل بن قِرْزَة، أحد بني نهان، وأخذ بسبب دم ابن جَعْدَةَ المخزومي فقتل بالمدينة صَبْرًا. وما اقتُصَّ في الأبيات يدلُّ على خلافه.

٣ - أَمَا فِي بَنِي حِصْنٍ مِنْ ابْنِ كَرِيهَةٍ مِنْ الْقَوْمِ طَلَابِ الثَّرَاتِ غَشْمُشَمِ
هذا الكلام بَعَثَ وتحضيض لأبناء حِصْنٍ. والغَشْمُشَمِ: الذي يركبُ رأسه ولا يَهَابُ الإقدامَ على شيء. والكلام لفظُهُ استِفْهَامٌ، والمعنى معنى التَّمْنِي، كأنه يَبْعَثُ وَيُحْضِضُ مَنْ يَطْلُبُ دَمَهُ إِذْ فَاتَ نُصْرَتُهُ حَيًّا. فيقول: أَمَا فِي هَذِهِ الْقَبِيلَةِ ابْنُ حَرْبٍ مُتَنَاهٍ فِي طَلَبِ الدَّمِ وَإِدْرَاكِ الثَّارِ، ظُلُومٌ غَشُومٌ، يركب الكرائةَ والأُمُورَ الصَّعْبَةَ، غير مُزْعَوٍ ولا مُنْقَبِضٍ.

٤ - فَيَقْتُلُ جَبْرًا بِأَمْرٍ لَمْ يَكُنْ لَهُ بَوَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَكَايِلَ بِالدَّمِ
جَبْرٌ هُوَ الْقَاتِلُ لِوَلِيِّ هَذِهِ الْمَرْأَةِ. ويقال: بَاءَ فُلَانٌ بِفُلَانٍ يَبُوءُ بَوَاءً، إِذَا ارْتَضِيَ لِقَتْلِهِ بَدَلًا مِنْهُ. وَأَبَاتُ فُلَانًا بِفُلَانٍ، أَي قَتَلْتُهُ. وانتصب «يَقْتُلُ» على أَنه جواب التَّمْنِي بالفاء، والعامل في الفعل أَن مضمرة، أَي أَمَا فِيهِمْ رَجُلٌ هَكَذَا فَيَقْتُلُ هَذَا الرَّجُلَ بِرَجُلٍ لَمْ يَكُنْ لَهُ نَظِيرًا، فَيَكُونُ فِي دَمِهِ وَفَاءَ بِدَمِهِ، وَلَكِنْ سَقَطَتِ الْمَكَائِلَةُ فِي الدَّمَاءِ مِنْذُ جَاءَ الْإِسْلَامُ، فَلَا يَقْتُلُ بَدَلَ الْوَاحِدِ إِلَّا وَاحِدًا، شَرِيفًا كَانَ أَوْ وَضِيعًا.

٥٠ - وَقَالَ بَغُضُ بَنِي قَفْعَسٍ^(١): [الطويل]

١ - رَأَيْتُ مَوَالِيَّ الْأَلَى يَخْذُلُونَنِي عَلَى حَدَثَانِ الدَّهْرِ إِذْ يَتَقَلَّبُ
الموالي ههنا: أبناء العم. والألَى في معنى الذين، ويخذلونني من صِلَتِهِ. يقول: رَأَيْتُ أَبْنَاءَ عَمِّي هُمُ الَّذِينَ يَقْعُدُونَ عَنْ نُصْرَتِي عَلَى تَقَلُّبِ الزَّمَانِ، وَتَصَرُّفِ الْحَدَثَانِ. وَقَوْلُهُ «عَلَى حَدَثَانِ الدَّهْرِ» فِي مَوْضِعِ الْحَالِ، أَي يَخْذُلُونَنِي مُقَاسِيًا لِمَا يَحْدُثُ فِي الدَّهْرِ أَوْ أَنَّ تَقَلُّبَهُ وَتَغْيِيرَهُ.

٢ - فَهَلَّا أَعْدُونِي لِمِثْلِي تَفَاقَدُوا إِذَا الْخَضَمُ أَبْرَى مَائِلُ الرَّأْسِ أَتَكَبُّ
قوله: «تَفَاقَدُوا» دَعَاءٌ، وَقَدْ اعْتَرَضَ بَيْنَ أَوَّلِ الْكَلَامِ وَآخِرِهِ، وَلَكِنَّهُ أَكَّدَ مَا يَقْتَضِيهِ فَصَلَحَ لِلذَّكَاءِ. يَقُولُ: هَلَّا جَعَلُونِي عُدَّةً لِرَجُلٍ مِثْلِي، فَقَدْ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَقَدْ جَاءَهُمُ

(١) عند التبريزي: «وقيل: هو مرة بن عداء الفقعسي».

الْخَضْمُ متأخر العَجْز مائل الرأس منحرفًا. وهذا تصويرٌ لحال المُقاتل إذا انتصب في وجه مقصوده، وهو أبلغ في الوصف من كلِّ تشبيه، ومثله قول الآخر: [الرجز]

جاؤوا بِمَذْقٍ هَلْ رَأَيْتَ الذئبَ قَطَّ^(١)

ألا ترى أنه صوِّر لون المَذْق لَمَّا قال: هل رأيت الذئب قط؟ وقوله: «إذ الخصم» هو حكاية الحال المتوهمة، وهو الرواية المختارة. وقد روي: «إذا الخَضْمُ» والجُمْلَةُ التي تبين بها إذا هذه يجب أن يكون فيها فعلٌ، وقد عرِيت منه ههنا، وأظنُّ أن الأَخْفَشَ جَوَزَ مثله. والمعنى: لِمَ أفاتوني أنفسهم، وهلا أدخروني ليوم الحاجة إذا كان الخصم هكذا. وأراد بالخصم الجنس. وقال الأصمعي: البَزَى: تأخر العَجْز. وقال غيره: هو إشرافٌ وَسَطُ الظَّهْرِ على الإِست، والبيت يشهد للأصمعي. والتَّكَبُّ: شِبْه الميل في المَشْيِ ومنه الأَنْكَب من الإِبِل، وهو الذي يَمِشِي في شِقِّ.

٣ - وَهَلَّا أَعْلُونِي لِمَثْلِي تَفَاقَدُوا وفي الأرض مَبْثُوثٌ شُجَاعٌ وَعَقْرَبٌ

الكلام في «تفادوا» وأنه دعاءٌ واعتراض، على ما مرَّ. وإنما وكَّرَ ما كَرَّرَه على وجه التأكيد، وتفطيعًا للأمر. والمعنى: هَلَّا جعلوني عُدَّةً لرجُلٍ مثلي في البأس، فَقَدَ بعضهم بعضًا. وقد انتشرَ في الأرض أعداءٌ كثيرة، وأنواعٌ من الشرِّ فطبيعة. والشُّجَاعُ: الْحَيَّةُ. وَكَتَى بالعَقْرَبِ وبه عَنِ الأَعْدَاءِ وَالشَّرِّ. وارتفاعُ شُجَاعٍ، يجوز أن يكون على البَدَل، ويجوز أن يكون على الابتداء ومبْثُوثٌ خَبَرٌ له قُدِّمَ عليه، ويجوز أن ينصب مَبْثُوثٌ على الحال، ويُجْعَلُ في الأرض الخَبَرُ. ولم يثنَّ مَبْثُوثٌ لأنَّ القصد بالشُّجَاع والعقرب إلى خيل الأعداء والشرِّ، فكأنهما شيء واحد.

٤ - فَلَا تَأْخُذُوا عَقْلًا مِنَ الْقَوْمِ إِنِّي أَرَى الْعَارَ يَنْقَى وَالْمَعَاقِلُ تَذْهَبُ

لك أن ترفعَ المعاقِلَ على الاستئناف، ولك أن تحمله على ما قَبْلُه فتعطفه على العار. يقول: لا ترغبوا في قبول الدِّية فإنه عَارٌ، والعار يبقى أثره، والأموال تَفْنَى. والمعاقِلُ: جمع المَعْقَلَةِ. والمَعْقَلَةُ والعَقْلُ: الدِّيةُ، وأصله الإِبِلُ كانت تُعْقَلُ بفناء وَلِيِّ المقتول، وهو مصدرٌ وَصِفَ به. وحكى الأصمعي: صار دَمُهُ مَعْقَلَةً على قومه، أي صاروا يَدُونُهُ.

(١) الرجز للمعاج في ملحقات ديوانه ٣٠٤:٢، وخزانة الأدب ١٠٩:٢، والدرر ١٠:٦، وبلا نسبة في خزانة الأدب ٣٠:٣، وشرح المفصل ٥٢:٣، واللسان (خضر مذق).

٥ - كَأَنَّكَ لَمْ تُسَبِّقْ مِنَ الدَّهْرِ لَيْلَةً إِذَا أَنْتِ أَدْرَكْتَ الَّذِي كُنْتِ تَطْلُبُ
يقول: مَنْ أدرك ما طلبه من الثَّارِ فكأنه لم يُصَبِّ ولم يُوتَرَ. وهذا بَعَثَ
وتحريض على طلب الدِّمِ والزَّهْدِ في الدِّية. وفي طريقته قول الآخر: [الطويل]
كَأَنَّ الْفَتَى لَمْ يَغَرَّ يَوْمًا إِذَا اكْتَسَى وَلَمْ يَكْ صُغْلوكَا إِذَا مَا تَمَوَّلَا^(١)
لَكِنْ هَذَا بَعَثَ عَلَى طَلَبِ الْمَالِ.

٥١ - وَقَالَ آخَرُ: [الطويل]

١ - قَلَوُ أَنْ حَيًّا يَفْجَبِلُ الْمَالَ فِذْيَةً لَسُقْنَا لَكُمْ سَيْلًا مِنَ الْمَالِ مُفْعَمًا
انتصب فِذْيَةً على الحال من المال، والمُرَاد به الإِبِلُ لا غير، وَنَكَرَ قَوْلَهُ
«حَيًّا» وهو يقصد به قُضِدَ حَيٌّ بعينه، لِأَنَّ الْمُرَاد كان مفهوماً عند مَنْ عَرَفَ
الْقِصَّةَ، فجعله كالتعريض. وقوله «سَيْلًا مُفْعَمًا» وَالسَّيْلُ يُفْعَمُ بِهِ الشَّيْءُ، يجوز أن
يكون من باب هَمْ ناصِبٍ وما أَشْبَهَهُ، ويكون المعنى سَيْلًا ذَا إِفْعَامٍ، وَلَكِنْ أَكْثَرُ مَا
يَجِيءُ معنى النِّسْبَةِ فيما كان للفاعل، كطالِقٍ وَمُرْضِعٍ، ومثله قولهم نَخْلَةٌ مُوقِرٌ.
ويجوز وهو الْأَجُودُ أن يكون عَبْرَ عن الكثرة بقوله مُفْعَمٌ كما عَبَّرَ في قولهم شِغْرٌ
شَاعِرٌ وَمَوْتُ مَائَتْ عن التَّنَاهِي بلفظ فاعل، وإن كان الموت لا يموت، والشَّعْر لا
يشغُر، كما أَنَّ السَّيْلَ لَا يُفْعَمُ. وقد قيل: امرأةٌ قَعَمَةُ الْمُخْلَخِلِ، أي غليظة كثيرة
اللَّحْمِ عليه. والمعنى: لو كانت معاملتنا مع حَيٍّ يَرَى قَبُولَ الْمَالِ فِدَاءً لِأَرْضِيئَاهُ
بِالْمَالِ الْكَثِيرِ.

٢ - وَلَكِنْ أَبَى قَوْمٌ أَصِيبَ أَخُوهُمْ رَضَى الْعَارَ وَاخْتَارُوا عَلَى اللَّبَنِ الدِّمَ
يقول: ولكن امتنع قَوْمٌ أَصِيبَ أَخُوهُمْ من الرِّضَا بالدُّنْيَا، وَآثَرُوا طَلَبَ الدِّمِ
عَلَى قَبُولِ الدِّيَةِ. وجعل اللَّبَنَ كنايةً عن الإِبِلِ تَوَدَّى عَقْلًا، لِأَنَّهُ مِنْهَا، وكما نَكَرَ حَيًّا
فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ نَكَرَ أَيْضًا فِي الثَّانِي قَوْلَهُ «أَبَى قَوْمٌ»، وَالْعَرَضُ بِهِمَا عَلَى حَدٍّ وَاحِدٍ،
وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ «يَقْبَلُ الْمَالَ فِذْيَةً» صِفَةً لِقَوْلِهِ حَيًّا، لِأَنَّهُ يَبْقَى أَنْ بَلَ خَيْرٍ. فَأَمَّا
قَوْلُهُ «أَصِيبَ أَخُوهُمْ» فَهُوَ صِفَةٌ لِقَوْلِهِ قَوْمٌ. وقوله «رَضَى الْعَارَ» الْعَارُ فِي مَوْضِعِ
الْمَفْعُولِ، أَي أَبَوْا أَنْ يَرْضَوْا الْعَارَ خُطَّةً لَأَنْفُسِهِمْ.

(١) لجابر بن الثعلب في الحماسة ٩٥، ولجابر بن ثعلبة الطائي في الكامل ٢٩٩ (لييسك).

٥٢ - وقالت كبشة أخت عمرو بن معديكرب^(١):

١ - أَرْسَلَ عَبْدُ اللَّهِ إِذْ حَانَ يَوْمُهُ إِلَى قَوْمِهِ لَا تَعْقِلُوا لَهُمْ دَمِي
الشعر لكبشة أخت عبد الله، والكلام بَعَثَ وتهييج. وإنما تَكَلَّمْتُ به على أنه
إخبار عما فعله عبد الله، وأقامته من الوصاة عند الوفاة، فتقول: راسل عبد الله بن
معديكرب لما دنا أجله قومه وذويه، بأن لا تَعْقِلُوا دَمِي. وعَرَضَ كَبِشَةً تحضيضهم
على إدراك الثَّأر، وترك التباطؤ والتكاسل فيه، وإن كانت آمنة من مَنِيْلِهِمْ إلى قَبُولِ
الدَّيَّةِ، فَعَلَّظَتْ القولَ لتهتاج حميتهم. ويقال: عَقَلْتُ فُلَانًا، إِذَا أُعْطِيَ دَيْتُهُ. وَجَعَلَ
هذا المفعول الدَّمُ لأنَّ المراد مفهوم، كأنه قال: لا تأخذوا بَدَلَ دَمِي عَقْلًا. ويقال:
عَقَلْتُ عَنْ فُلَانٍ، إِذَا غَرِمْتُ عَنْهُ دِيَّةَ جَنَائِيهِ أَوْ أَرَشَهَا.

٢ - وَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُمْ إِنْ أَلَا وَإِبْكَرًا وَأَتْرَكَ فِي بَيْتٍ بِصَغْدَةٍ مُظْلِمٍ
الإِقَالُ: جَمْعٌ وَواحدة أَيْل، وهي صِغَارُ الإِبِلِ، وَالْإِبْكَرُ: جَمْعُ الْبَكْرِ، وهو
الْفَتْيُ منها. يقول: لا تأخذوا من قَتَلْتِي صِغَارَ الإِبِلِ وَبِكَارَتِهَا، فتتركوني في قَبْرِ مُظْلَمٍ
بِصَغْدَةٍ؛ وهو مكان بِالْيَمَنِ. وإنما جَعَلَ قَبْرَهُ هَكَذَا، لأنهم كانوا يزعمون أن المقتول
إِذَا ثَارُوا بِهِ أَضَاءَ قَبْرَهُ، فَإِنْ أَهْدَرَ دَمَهُ أَوْ قُبِلَتْ دَيْتُهُ بَقِيَ قَبْرُهُ مُظْلِمًا. فَإِنْ قِيلَ: لَمْ
ذَكَرَ الْإِقَالَ وَالْإِبْكَرَ وَمَا يُوْدِي فِي الدِّيَاتِ لَا يَكُونُ مِنْهُمَا؟ قُلْتُ: أَرَادَ تَحْقِيرَ الدِّيَاتِ،
وهذا كما يقول الرَّجُلُ إِذَا أَرَادَ تَحْقِيرَ أَمْرِ خِلَعَةٍ فَآزَ بِهَا إِنْسَانًا: إِنَّمَا أُعْطِيَ خِرْقًا
وَقُلُوسًا! وَإِنْ كَانَتِ الثِّيَابُ الْمُغَطَّةُ كِسْوَةً فَآخِرَةً، وَالْمَالُ الْمَوْفَّرُ جَائِزَةً سَنِيَّةً. وَانْتَصَبَ
«وَأَتْرَكَ» بِإِضْمَارٍ أَنْ وَهُوَ جَوَابُ النَّهْيِ بِالْوَاوِ.

٣ - وَدَخَ عَنْكَ عَمْرًا إِنْ عَمْرًا مُسَالِمٌ وَهَلْ بَطْنُ عَمْرٍو غَيْرُ شَبِيرٍ لِمَطْعَمٍ
عَمْرٍو هو أخوها، وَكَانَ يُعَدُّ بِأَلْفِ فَارَسٍ، وَلَمْ يَكُنْ مِمَّنْ يُسَالِمُ وَلَا سِيْمًا فِي
طَلَبِ دَمِ أَخِيهِ. وَإِنَّمَا رَمَتْهُ بِهَذَا الْكَلَامِ لِتَهْيِيجِ مِنْهُ وَتَبَعُّثِهِ عَلَى التَّعَجُّلِ فِي ذَرِكِ الثَّأرِ،
والتَّسَرُّعِ فِي الْإِنْتِقَامِ. وَقَوْلُهُ: «وَهَلْ بَطْنُ عَمْرٍو غَيْرُ شَبِيرٍ لِمَطْعَمٍ» تَزْهِيدٌ فِي الدَّيَّةِ،
وهذا كما رَوِيَ فِي الْخَبَرِ: «وَهَلْ بَطْنُ ابْنِ آدَمَ إِلَّا شَبِيرٌ فِي شَبِيرٍ» لَمَّا أُرِيدَ تَزْهِيدُهُ فِي
الدُّنْيَا وَخُطَايَاهَا. أَيِ مَا يَصْنَعُ بِالْمَالِ وَجَوْفِهِ يَمْتَلِئُ بِالْيَسِيرِ. وَعَمْرٍو لَمْ يَكُنْ مِمَّنْ

(١) كبشة بنت معديكرب: شاعرة صحابية، أدركت الإسلام (ت ٢٠ هـ / ٦٤٠ م) ترجمتها في
الإصابة، كتاب النساء ٩١٩، والشعر والشعراء، طبعة الحلبي ٥: ٢٢٣.

يميل إلى الدِّيَّة، كما لم يكن يميل إلى المسالمة، ولكنَّ المراد ما ذكرناه من التحضيض والحث.

٤ - فَإِنْ أَنْتُمْ لَمْ تَفَارُوا وَاتَّذَيْتُمْ فَمَشُوا بِأَذَانِ النُّعَامِ الْمُصْلَمِ الصَّلْمُ: قَطَعَ الْأَذْنَ مِنْ أَصْلِهَا، وَمِنْ الصَّيْلَمِ: الدَّاهِيَةِ الْمُسْتَأْصِلَةِ. وَاتَّذَيْتُمْ، مَعْنَاهُ قَبِلْتُمْ الدِّيَّةَ. يُقَالُ: وَدَيْتُهُ فَاتَّذَى، كَمَا يُقَالُ: وَهَبْتُ فَاتَّهَبْتُ، أَيْ قَبِلَ الْهَبَّةَ. وَفِي الْحَدِيثِ: «هَمَمْتُ أَلَّا أَتَّهَبَ إِلَّا مِنْ قَرَشِيٍّ أَوْ أَنْصَارِيٍّ»^(١) وَمِثْلُهُ قَضَيْتُهُ الَّذِينَ فَاقْتَضَاهُ، أَيْ قَبِلَهُ وَتَوَفَّرَهُ. وَقَوْلُهُ: «فَمَشُوا» أَيْ امْشَوْا. وَضَعَفَ الْفِعْلُ لِلتَّكْثِيرِ. وَمَنْ رَوَى «فَمَشُوا» بِضَمِّ الْمِيمِ فَمَعْنَاهُ امْسَحُوا؛ وَيُقَالُ لِمَنْدِيلِ الْعَمْرِ: الْمَشُوشُ. وَالْمَعْنَى: إِنَّ لَمْ تَقْتُلُوا قَاتِلِي وَقَبِلْتُمْ دِيَّتِي فامشوا أدلاءً بِأَذَانِ مُجْدَعَةٍ كَأَذَانِ النُّعَامِ. وَوَصَفَ النُّعَامَ بِالْمُصْلَمِ تَصْوِيرًا لَهَا، وَإِنْ كَانَتْ خِلْقَةً جَمِيعَهَا ذَلِكَ. وَمَنْ أَحَادِيثُهُمْ عَنِ الْبَهَائِمِ: «ذَهَبَتِ النُّعَامَةُ تَطْلُبُ قَرْزِينَ فُجِدَعَتْ آذَانُهَا»^(٢). وَمَنْ رَوَى «فَمَشُوا» فَالْمَعْنَى امْسَحُوا بِأَذَانِكُمْ مُجْدَعَةً مِثْلَةً بِكُمْ كَأَذَانِ النُّعَامِ.

٥ - وَلَا تَرِدُوا إِلَّا فُضُولَ نَسَائِكُمْ إِذَا ارْتَمَلْتِ أَغْقَابُهُنَّ مِنَ الدِّمِّ تَرَمَلْ وَارْتَمَلْ إِذَا تَلَطَّخَ بِالْدَمِ. قَالَ: [الرجز]

إِنَّ بَنِي رَمْلُونِي بِالْدِّمِّ^(٣)

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْكَلَامُ دَعَاءَ عَلَيْهِمْ، أَيْ أَحْلَكُمُ اللَّهُ مَحَلَّ مِنْ ذَا صِفَتِهِ. وَعَلَى هَذَا يَكُونُ قَوْلُهُ «فَمَشُوا» مِنَ الْبَيْتِ الْأَوَّلِ أَيْضًا. وَإِنْ شئتَ جَعَلْتُهُ نَهْيًا، وَفَمَشُوا أَمْرًا. وَالْمَعْنَى: إِذَا فَعَلْتُمْ ذَلِكَ فَتَأَخَّرُوا فِي الْمَوَاطِنِ كُلِّهَا وَالْمَنَاجِعِ، وَتَخَلَّفُوا عَنِ الْمَشَاهِدِ وَالْمَوَارِدِ، وَالْبَسُوا الدُّلَّ رَاضِينَ بِهِ، فَإِنَّ مَالَ أَمْرِكُمْ مَعَ تَضْيِيعِكُمْ دَمَ صَاحِبِكُمْ إِلَى مِثْلِ ذَلِكَ. وَكَانَ عَادَتُهُمْ إِذَا وَرَدُوا الْمِيَاهَ أَنْ يَتَقَدَّمَ الرِّجَالُ ثُمَّ الْعَضَارِيطُ وَالرُّعَاةُ، ثُمَّ النِّسَاءُ، إِذَا صَدَرَتْ كُلُّ فِرْقَةٍ عَنْهُ، فَكُنَّ يَغْسِلُنَّ أَنْفُسَهُنَّ وَثِيَابَهُنَّ وَيَتَطَهَّرْنَ آمِنَاتٍ مِمَّا يَزْعِجُهُنَّ غَيْرَ مُسْتَعْجَلَاتٍ، فَمَنْ تَأَخَّرَ عَنِ الْمَاءِ حَتَّى تَصُدَّرَ النِّسَاءُ فَهُوَ الْغَايَةُ فِي

(١) الحديث في كنز العمال رقم ١٤٤٨٠.

(٢) فِي اللِّسَانِ (نعم): «يَقُولُونَ لِلَّذِي يَرْجِعُ خَائِبًا: جَاءَ كَالنُّعَامَةِ لِأَنَّ الْأَعْرَابَ يَقُولُونَ إِنَّ النُّعَامَةَ ذَهَبَتْ تَطْلُبُ قَرْزِينَ فَقَطَعُوا أَذْنِيهَا فَجَاءَتْ بِهَا أَذْنَيْنِ».

(٣) الرَّجَزُ لِأَبِي أَحْزَمِ الطَّائِي فِي اللِّسَانِ (رمل)، وَمَجْمَلُ اللُّغَةِ ٢: ١٨٣، وَلَمَقِيلُ بْنُ عُلْفَةَ فِي جَمْعِهِ فِي اللُّغَةِ ٥٩٦، وَبِلَا نِسْبَةٍ فِي تَهْذِيبِ اللُّغَةِ ٧: ٢١٨، وَدِيْوَانُ الْأَدَبِ ٣: ١٠٦.

الدَّلَّ. وَجَعَلَ النِّسَاءَ مُزْتِمَاتٍ بِدَمِ الحَيْضِ تَفْطِيحًا لِلشَّانِ، وَتَدْنِيَسًا لِلْمَاءِ. وَالْأَعْقَابُ وَاحِدُهَا عَقَبٌ، وَهُوَ مُؤَخَّرُ الرَّجُلِ. يُقَالُ: وَلَّى عَلَى عَقْبِيهِ، إِذَا انْصَرَفَ رَاجِعًا عَنْ مَطْلُوبِهِ.

٥٣ - وَقَالَ عَتْرَةُ بْنُ الْأَخْرَسِ الْمَغْنِيُّ

من طَيِّئ^(١): [الوافر]

١ - أَطْلَحَ حَمَلَ الشَّنَاءَةِ لِي وَبُغْضِي وَعِشَ مَا شِيتَ فَاَنْظُرْ مِنْ تَضِيرٍ^(٢)

يقال: شَنِئْتُه شَنَاءً وَشَنَأًا وَشَنَائًا وَمَشَنَاءَةً، إِذَا كَانَ بُغْضًا مُخْتَلَطًا بِعَدَاوَةٍ وَسُوءِ خُلُقٍ، كَمَا أَنَّ الشَّنْفَ اسْمٌ لِشِدَّةِ الْعَدَاوَةِ. يَقُولُ: أَدِمَّ احْتِمَالَ الضُّغَائِنِ وَالْبُغْضِ لِي، وَعِشَ مَدَّةَ مَشِيَّتِكَ فَتَأْمَلْ مِنْ يَضُرُّهُ ذَلِكَ. وَيُقَالُ ضَارَهُ يَضِيرُهُ، وَضَرَّهُ يَضُرُّهُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ. وَانْتَصَبَ مَوْضِعَ مَا شِيتَ عَلَى أَنَّهُ ظَرَفٌ. وَ«مَنْ» مَفْعُولُ تَضِيرٍ، لِأَنَّهُ اسْتَفْهَمَ فَلَا يَغْمَلُ فِيهِ مَا قَبْلَهُ. أَيِ انْظُرْ تَضِيرَ مَنْ.

٢ - فَمَا بِيَدَيْكَ خَيْرٌ أَرْتَجِيهِ وَغَيْرُ صَدُوكَ الْخَطْبُ الْكَبِيرُ

بَيَّنَّ وَجْهَ اسْتَهَانَتِهِ، بِهِ، وَقَلَّةَ مُبَالَاتِهِ بِبَعْضَائِهِ وَعَدَاوَتِهِ. فَيَقُولُ: لَا نَفْعَ عِنْدَكَ أَعْلَقَ رَجَائِي بِهِ، وَغَيْرُ إِعْرَاضِكَ هُوَ الْخَطْبُ الْكَبِيرُ، فَأَمَّا إِعْرَاضُكَ فَأَهْوُونَ بِهِ وَأَخْفِزُ بِكَوْنِهِ. وَأَرْتَجِيهِ، فِي مَوْضِعِ الصِّفَةِ لِلنَّفْعِ، أَيِ نَفْعِ مُرْتَجَى.

٣ - أَلَمْ تَرَ أَنَّ شِغْرَكَ سَارَ عَنِّي وَشِغْرِي حَوْلَ بَيْتِكَ مَا يَسِيرُ

هَذَا تَقْرِيرٌ لَهُ فِي بَيَانِ فَضْلِهِ عَلَيْهِ، وَسَلَامَةِ عِزِّهِ مِنْ قَرْفِهِ إِيَّاهُ. يَقُولُ: أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ شِغْرَكَ الَّذِي قَلْتَهُ فِيَّ لَمْ يَغْلُقْ بِي دَمُهُ، لِأَنَّهُ كَانَ كَذِبًا وَزُورًا، وَشِعْرِي الَّذِي قَلْتَهُ فِيكَ يَطُوفُ حَوْلَ دَارِكَ وَبَيْتِكَ وَلَا يَفَارُقُكَ، لِأَنَّهُ كَانَ صِدْقًا. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى: أَلَمْ تَرَ أَنَّ شِغْرِي الَّذِي قَلْتَهُ فِيكَ سَارَ عَنِّي، لِأَنَّ الرِّوَاةَ احْتَمَلُوهُ اسْتِجَادَةً لَهُ وَاسْتِلْذَاقًا، وَشِعْرَكَ الَّذِي قَلْتَهُ فِيَّ مُلَازِمٌ لَكَ لَزْهْدِ النَّاسِ فِيهِ لَمَّا كَانَ سَفْسَافًا. وَسَاعَ الْوُجْهَانِ جَمِيعًا لِأَنَّ الْمَصْدَرَ يُضَافُ إِلَى الْمَفْعُولِ كَمَا يُضَافُ إِلَى الْفَاعِلِ، فَعَلَى ذَلِكَ

(١) عترة بن الأخرس، ويعرف أيضًا بعترة ابن عكبرة نسبة إلى أمه، شاعر محسن وفارس. انظر: المؤلف ١٥٢.

(٢) قال التبريزي: «ويروى (حبل) بالباء وهو استعارة حسنة أيضًا، جعل للشناة حبلًا».

جاز أن يقول شعرك ويريد شعري المَقول فيك. ورَوَى بعضهم:

ألم تر أن شعري سارَ عني وشعرك حول بيتك ما يسيرُ
وهذا الراوي صرح بالتفسير الثاني.

٤ - إِذَا أَبْصَرْتَنِي أَغْرَضْتَ عَنِّي كَأَنَّ الشَّمْسَ مِنْ قِبَلِي تَدُورُ
في طريقته قول أوس: [البسيط]

إِذَا يَشْزُرُونَ إِلَيَّ الطَّرْفَ عَنْ غُرْضٍ كَأَنَّ أَعْيُنَهُمْ مِنْ بَغْضَتِي عُورُ
يقول: إذا رميتني ببصرك لم يمكنك ملؤه مني بغضًا وعداوة، حتى تُغْرِضَ عني
فعلَ الناظرِ إلى الشمس، فكان الشمس تدور من جهتي. فأما قول الآخر: [الكامل]

نَظَرْتُ يُزِلُّ مَوَاطِيءَ الْأَقْدَامِ^(١)

فهو صفة نظر المهيب المعظم. وفي نظر الناظرين على اختلافهم ما يستدل به
على أحوالهم، وسنذكر وما يجيء عنه مبيِّنًا من بُعد.

٥٤ - وقال الأحوص بن محمد^(٢): [الكامل]

١ - إِنِّي عَلَى مَا قَدْ عَلِمْتَ مُحَسَّدٌ أَنَّمِي عَلَى الْبَغْضَاءِ وَالشُّنَّانِ
عَلِمْتُ بمعنى عَرَفْتُ، ولهذا اكتفى بمفعول واحد. ومعنى البيت. إني مرموقٌ
محسودٌ على ما قد عَرَفْتِهِ من أحوالي، زائد كل يوم على بغضاء الناس وشنائهم لي،
ويكون قوله «على ما قد عَلِمْتُ»، وقوله «على الْبَغْضَاءِ» جميعًا في موضع الحال.
والعامل في الأول قوله مُحَسَّدٌ، وفي الثاني أَنَّمِي. ويجوز أن يكون على ما قد عَلِمْتُ
من صِلَةِ مُحَسَّدٍ، كما تقول حَسَدْتُهُ على كذا. وقال بعض الناس: الشَّنَّانُ: بُغْضٌ
يختلط به عداوة وسوء خُلُقٍ، فلهذا جاز الجمعُ بينه وبين الْبَغْضَاءِ. وقال غيره: بل
هُمَا بمعنى واحد، واللفظان إذا اختلفا على اتفاقٍ معناهما جاز الجمعُ بينهما تأكيدًا.

(١) البيت بلا نسبة في اللسان (قرض، وزلق)، وتاج العروس (قرض، زلق)، وتهذيب اللغة
٣٤٢: ٨، ومقاييس اللغة ٢١: ٣، وصدرة:

«يتقارضون إذا التقوا في موطن»

(٢) الأحوص الأنصاري: هو عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عاصم، من بني ضبيعة، شاعر
هجاء، صافي الديباجة، كان مقدمًا في النسب في عصره (ت ١٠٥ هـ / ٧٢٣ م). ترجمته في
الأغاني ٤: ٤٠، والشعر والشعراء ٢٠٤.

واحتج بقوله: [الطويل]

وهَندُ أتى من دُونِها النَّأْيُ والبُعْدُ^(١)

قال: ولا خلاف بين أهل اللغة أنه لا فضل بينهما.

٢ - ما تَعَتَرِني من خُطوبٍ مُلِمةٍ إِلا تُشَرِّفُني وتُغْظِمُ شَأني

أضاف الخطوب إلى ملمة لأنه أراد بها أوائل أمر عظيم، وجوانب شر فطيع. وأصل الخطب الطلب، يقال: خطبت كذا فأخطبني، كما تقول: طلبته فأطلبني، فكأنه أراد أوائل ملمة وأسبابا لها تطلبه. ويقال: هذا خطب أمر عظيم، وهذا خطب أمر يسير. فيقول: ما يطرق ساحتي أسباب نازلة شديدة إلا عظم شأني، ورفعت قدري، لأنه يعرف بلائي فيها، وحسن مخلصي منها، فازدث في عيون الناس وقلوبهم.

٣ - فإذا تَزُولُ تَزُولُ عن مُتَخَمِطٍ تُخْشَى بَوَادِرُهُ لَدَى الأَقْرانِ

المتخمط: المتغضب له سورة والتهاب، واستعير في آذي البحر وأواجه إذا

التجت. قال: [الرمل]

خِيطُ الثَّيَارِ يَزِمِي بِالْقَلْعِ^(٢)

يقول: إذا انكشفت تلك الخطوب والملمات انكشفت عن رجل متكبر يخاف فلتاته ويدراته عند نظرائه في البأس والشدة. والمعنى: إن الدواهي إذا نزلت بساحتي لا تلين لها عريكتي، ولا تحصل علي تذلا لم يكن من قبل لي. وقوله: «تخشى بواده» في موضع الصفة للمتخمط. ولم يرض حتى يجعل البوادر مخشية عند أشباهه، فكملت الصفة، وتمكنت القافية.

٤ - إني إذا خَفِيَ الرُّجَالُ وَجَدْتَنِي كالشَّمْسِ لا تَخْفَى بِكُلِّ مَكَانٍ

(١) البيت للحطيئة في ديوانه ص ٣٩، والدرر ٥: ٢٢١، واللسان (سند، ونأي)، وبلا نسبة في المفصل ١: ١٠، وجمع الهوامع ٢: ٨٨، وصدرة:

«ألا حبذا هند وأرض بها هند»

(٢) لسويد بن أبي كاهل في ديوانه ٣٥، ولسان العرب (خمت)، وشرح اختيارات المفضل ٩١٩، وبلا نسبة في تهذيب اللغة ٧: ٢٦١، وكتاب العين ٤: ٢٢٧. وصدرة:

«ذو عباب زيد أذيه»

إِنِّي إِذَا خَفِي مَوَاقِعُهُمْ مِنْ قُلُوبِ الرُّؤَسَاءِ، وَمَوَاضِعُهُمْ مِنْ صُدُورِ الْمَجَالِسِ فَأَنَا بِخِلَافِهِمْ. يَصِفُ اشْتِهَارَهُ فِي الْأَمَاكِنِ وَجَلَالَتَهُ فِي النُّفُوسِ، فَيَقُولُ: إِذَا غَشِيَ الرَّجَالُ خُمُولَ الْفَتَيْنِي فِي شَهْرَتِي وَنِبَاهَتِي كَالشَّمْسِ الَّتِي يَتَّصِلُ شُعَاعُهَا بِكُلِّ مَكَانٍ، وَيُغْرَفُ شَاتِئُهَا فِي كُلِّ نَفْسٍ وَكُلِّ زَمَانٍ.

٥٥ - قَالَ الْفَضْلُ بْنُ الْعَبَّاسِ بْنِ عُتْبَةَ

ابن أبي لهب^(١): [البسيط]

١ - مَهَلًا بَنِي عَمَّنَا مَهَلًا مَوَالِينَا لَا تَنْبُشُوا بَيْنَنَا مَا كَانَ مَذْفُونًا

الْمَهْلُ وَالْمَهْلُ وَالْمَهْلَةُ تَتَقَارَبُ فِي آدَاءٍ مَعْنَى الرِّفْقِ وَالسَّكُونِ. وَيُقَالُ: لَا مَهْلَ لَكَ، وَمَا لَكَ مِنْ مَهْلٍ. قَالَ: [الطويل]

يَقُولُونَ مَهَلًا يَا جَمِيلُ وَإِنِّي لِأَقْسِمُ مَا بِي عَنْ بُيُوتَةٍ مِنْ مَهْلٍ^(٢)

يقول: رِفْقًا يَا بَنِي عَمَّنَا، رِفْقًا مَوَالِينَا. وَهَذَا التَّكْرَارُ يُرِيدُ بِهِ التَّأَكِيدَ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْكَلَامُ تَهْكُمًا، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ رَأْهُمُ ابْتَدَوْا فِي أَمْرٍ لَمْ يَأْمَنْ مَعَهُ مِنْ تَفَاقُمِ الشَّأْنِ، وَاسْتَفْحَالِ الْخُطْبِ، مَا لَا يَقْدِرُ عَلَى تَلَاوِيهِ، فَاسْتَرْفَقَهُمْ لَذَلِكَ. وَقَوْلُهُ: «لَا تَنْبُشُوا بَيْنَنَا» أَيِ لَا تُبَيِّرُوا مَا كَانَ مُسْتَوْرًا مِنَ الشَّجَرِ. وَذَكَرَ الدَّفْنَ وَالتَّبَشُّ اسْتِعَارَةً فِي الْإِظْهَارِ وَالتَّكْتِمَانِ.

٢ - لَا تَطْمَعُوا أَنْ تُهَيِّئُونَا وَتُكْرِمَكُمُ وَإِنْ نَكُفَّ الْأَدَى عَنْكُمْ وَتُؤَدُّونَا

يُقَالُ: طَمِعَ فُلَانٌ فِي كَذَا طَمَعًا وَطَمَاعِيَّةً وَمَطْمَعًا. وَأَوْصَلَ الْفِعْلَ بِنَفْسِهِ مِنْ دُونَ فِي، لِأَنَّ الْخَفِيفَةَ وَالشَّدِيدَةَ إِذَا اتَّصَلَتْ بِهَا حُرُوفُ الْجَرِّ حَسَنَ حَذْفُهَا لَطَوِيلِ الْكَلَامِ بِهَا. تَقُولُ: أَنَا رَاغِبٌ فِي أَلْقَاكَ، وَطَامِعٌ فِي أَنْ يُحَسِّنَ زَيْدٌ إِلَيْكَ، وَحَرِيصٌ أَنْ أَصِلَكَ. وَلَوْ قُلْتَ: أَنَا رَاغِبٌ أَنْ أَلْقَاكَ، وَطَامِعٌ فِي أَنْ يُحَسِّنَ زَيْدٌ إِلَيْكَ، وَحَرِيصٌ عَلَى أَنْ أَصِلَكَ، وَلَوْ قُلْتَ: أَنَا رَاغِبٌ أَنْ أَلْقَاكَ، وَطَامِعٌ أَنْ يُحَسِّنَ زَيْدٌ إِلَيْكَ، وَحَرِيصٌ أَنْ أَصِلَكَ لَجَازَ. وَلَوْ جَعَلْتَ مَكَانَ أَنْ الْمَصْدَرَ فَقُلْتَ: أَنَا رَاغِبٌ فِي لِقَائِكَ،

(١) الفضل بن العباس بن عتبة: شاعر، من فصحاء بني هاشم، كان معاصرًا للفرزدق والأحوص.

(ت ٩٥ هـ / ٧١٤ م). ترجمته في نسب قريش ص ٩٠، وسبط اللاكبي ٧٠١.

(٢) لجميل في ديوانه ١٧٣، والأغاني ١: ١١٨، وأمالى القالي ٢: ٧٤، وتزيين الأسواق ٦٥، وزهر الآداب ١: ٥٥٦.

وطامع في إحسانٍ زَئِدٍ إليك، وَحَرِيصٌ عَلَى صِلَتِكَ، لم يَجْزُ حذف حرف الجرِّ. لا تقول: أنا راغب لقاءك، وطامع إحسانه إليك، وحريصٌ صلتك؛ لأن ما كان يطول الكلام به لم يَحْضَلْ. يقول: لا تُقَدِّرُوا أنكم إذا أهنتُمونا قابلناكم، بالإكرام، وأنكم إذا آذيتُمونا كَفَفْنَا عن أذاكم، لأنَّ عَزَّتَا تَمْنَعُ من ذلك.

٣ - مَهْلًا بَنِي عَمَّنَا عَنْ نَحْتِ أَثْلَيْنَا سِيرُوا رُونِدًا كَمَا كُنْتُمْ تَسِيرُونَا

هذا الكلام فيه تَهْكُم فيقول رِفْقًا يا بني عَمَّنَا عن ثَلَيْنَا، والوقوف فينا، وسيروا على هَيْئَةٍ ووقارٍ، وسكينةٍ وانخفاضٍ، على عادتكم المتقدمة، وستتكم المعهودة، ودَعُوا ما استأنفتموه من الأخلاق المنكرة، والسَّيرِ الذميمة. والأثلة: شجرة تُجْعَلُ مَثَلًا لِلْعَرِضِ، فيقال: فُلَانٌ يَنْحَتُ أَثْلَةَ فُلَانٍ، إذا دَمَهُ وَتَنَقَّصَهُ. وقوله «سِيرُوا رُونِدًا» أراد سِيرُوا وَسِيرُوا وَزَوْدُونَ فيه، أي تَزُقُّوْنَ فيه وَتَسْكُثُونَ. «كما كنتم تَسِيرُونَا» أي ارجعوا إلى مثل سيرتكم الأولى، وإلى طريقتكم المثلى، واتركوا ما ابتدعتموه، فإننا لا نَحْتَمِلُهُ ولا نُصَابِرُكُمْ عليه. وروى بعضهم بَدَلًا من المِضْرَاعِ الثاني:

مَهْلًا بَنِي عَمَّنَا مَهْلًا مَوَالِينَا

ويُحْمَلُ التكرار فيه على أنه تَوَعَّدُ وتأکید.

٤ - اللَّهُ يَفْلَمْ أَنَا لَا نَحْبُوكُمْ وَلَا نَلُومُكُمْ أَلَا تُحِبُّونَا

استَشْهَدَ بربِّه في انتفاء الحبِّ عن قلوبهم، وذكر أنهم لا يلومونهم إذا لم يحبَّوهم. كأن المعنى أَنَّ الْقُلُوبَ مَجْبُودَةٌ عَلَى حَبِّ الْمُحْسِنِ وَبُغْضِ الْمُسِيءِ، فإذا ارتَفَعَ التَّعَامُلُ بِالْإِحْسَانِ مما بينهم، وَحَدَّثَ التَّجَادُوبُ بِالْإِسَاءَةِ فيهم، فَالْتَّحَابُ لا محالة ساقطٌ، والتباغضُ حاصلٌ.

٥ - كُلُّ لَهْ نِيَّةٌ فِي بُغْضِ صَاحِبِهِ بِنِعْمَةِ اللَّهِ نَقْلِيكُمْ وَتَقْلُونَا

يقول: كُلُّ واحدٍ منا ومنكم من قَبْلُ وإلى الآنَ له نِيَّةٌ صادقة لصاحبه في العداوة والبغضاء، وعقيدةٌ خالصة في القطيعة والجفاء، فيحمد الله ومَنَّهُ وَجَزِيلَ مَنِّجِهِ قد استمرَّ أَمْرُنَا على أَنَا نبغضكم وتبغضوننا. وقوله «بنعمة الله» هو كما جاء في القرآن: ﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْتَبٍ﴾ [القلم: الآية ٢]. وقوله «نقلِيكم وتقلونا» إشارة إلى الحال. وَحَذَفَ المفعول من الثاني لأنَّ في الكلام ما يَدُلُّ عليه. ويجوز أن يكون أراد

وتقلوننا فَحَذَفَ الثَّانِيَةَ عن الإعراب، وهي لغة حجازية ومثله: [الرجز]

قَدْ رُفِعَ الْقَحُّ فَمَاذَا تَحْذَرِي^(١)

يريد تحذرين، وعلى هذا قول الآخر: [الوافر]

إِلَى مَنْ بِالْحَزَنِينِ تُشَوِّقِينِي

وهذا يؤيد مذهب سيبويه في تجويزه للشاعر حذف حركة الإعراب عند الضرورة.

٥٦ - وقال الطرماح بن حكيم الطائي^(٢):

١ - لَقَدْ زَادَنِي حُبًّا لِنَفْسِي أَنَّنِي بَغِيضٌ إِلَى كُلِّ أَمْرٍ غَيْرِ طَائِلٍ

قوله «أنني بغيض» في موضع الفاعل، والمعنى: زادني بغاضتي إلى كل رجل لا فضل فيه ولا خير عنده، حُبًّا لنفسي، لأن التمايز بيني وبينه والتباين، هو الذي أذاه إلى بغضي، ولو كان بيننا تشاكل وتقارب لما تبا عني ولا أبغضني. وهذا الكلام تعريض بمنايذ له. وقوله «غير طائل» هو من طال عليهم يطول طوًلاً. والطول: الفضل. وقال الخليل: يقال للشئء الدون الخسيس: هذا غير طائل، والمذكر والمؤنث فيه سواء. ويقال: زهدت فضلاً كما يقال: ازددت فضلاً وزادني كذا.

٢ - وَأَنِّي شَقِيٌّ بِاللُّثَامِ وَلَا تَرَى شَقِيًّا بِهِمْ إِلَّا كَرِيمَ الشَّمَائِلِ

قوله «وأنني شقي» أصله أنني، لكنه حذف النون الأولى من أن تخفيفاً لأنه اجتمع ثلاث نونات. وهو محمول في الإعراب على أنني في البيت الأول ومعطوف عليه، فيقول: وزادني حُبًّا لنفسي أيضاً شِقْوَتِي بِاللُّثَامِ حَتَّى تَنْقُصُونِي وَاغْتَابُونِي، ثم قطع الإخبار وكأنه أقبل على مخاطبٍ ملتفتاً إليه فقال: وَلَا تَرَى أَحَدًا يَشْقَى بِهِمْ إِلَّا وَهُوَ كَرِيمُ الطَّبَائِعِ، مجانب لهم بعرضه وأصله، وَخُلِقَهِ وَفَعَلَهُ. ويقال شَقِيْتُ شِقْوَةً

(١) ينسب البيت لكليب وائل هكذا في اللسان (قبر):

يَا لَكَ مِنْ قَبْرَةٍ بِمَغْمَرٍ خَلَا لَكَ الْجَوْ فَبِغْضِي وَاحْذَرِي

ونسب في الحيوان ٦٦:٣ لطرفة بن العبد وفي ديوانه ٤٦، واللسان (عمر).

(٢) الطرماح بن حكيم: شاعر إسلامي فحل، اعتقد مذهب الأزارقة، كان معاصراً للكُميت وصديقاً له. (ت ١٢٥ هـ / ٧٤٣ م). ترجمته في تهذيب ابن عساكر ٥٢:٧، والذريعة ٣٣٨:١، والشعر والشعراء ٥٦٦.

وَشَقَاوَةٌ وَشَقَاءٌ. والشَّمَالُ: الطَّبَائِعُ، واحدها شِمَالٌ. قال: [الطويل]

أَلُوْمٌ وَمَا لَوْمِي أَخِي مِنْ شِمَالِيَا^(١)

ثم يقال: هو حَسَنُ الشَّمَالِ، والمراد به الهَيْئَةُ وَالشَّكْلُ.

٣ - إِذَا مَا رَأَيْتُ قَطَعَ الطَّرْفَ بَيْنَهُ وَبَيْنِي فَعَلَ الْعَارِفَ الْمُتَجَاهِلِ

رجع إلى اقتصاص الحال بينه وبين من عَرَّضَ به فيقول: إِذَا أَبْصَرْنِي الْمُبَاغِضُ
لِي ارْتَدَّ طَرَفُهُ عَنِّي، وَقَطَعَ نَظْرَهُ إِلَيَّ، فَعَلَ مَنْ يَعْرِفُ الشَّيْءَ وَيَتَكَلَّفُ جَهْلَهُ. وقوله
«قَطَعَ الطَّرْفَ بَيْنَهُ»، الطَّرْفُ: مصدر طَرَفْتُهُ، إِذَا أَبْصَرْتَهُ. وعلى هذا قوله^(٢): [الرملي]

تَخْسِبُ الطَّرْفَ عَلَيْهَا نَجْدَةٌ

وقد يراد بالطَّرْفِ العين أيضًا فيكون اسمًا للجراحة والْحَدَثِ جميعًا. وانتصب
«فَعَلَ الْعَارِفَ» على المصدر مما دَلَّ عليه قَطَعَ الطَّرْفَ بَيْنَهُ وَبَيْنِي. والمتجاهل:
متكَلَّفُ الْجَهْلِ. وعلى هذا: تَعَامَى، وَتَعَارَجَ، وَتَخَاوَزَ. وفي طريقته لفظًا ومعنى قول
الآخر: [الطويل]

تَشَاوَسَ يَزِيدُ إِنْسِي مَنْ تَأَمَّلُ^(٣)

٤ - مَلَأْتُ عَلَيْهِ الْأَرْضَ حَتَّى كَانَهَا مِنْ الضُّيُوقِ فِي عَيْنِهِ كِفَّةٌ حَابِلُ^(٤)

(١) البيت مع اختلاف بسيط وهو «قَلِيلٌ وَمَا لَوْمِي» لعبد يغوث بن وقاص الحارثي في الأغاني ١٦/ ٢٥٩، وخزانة الأدب ١٩٧: ٢، وسر صناعة الإعراب ٦١٢: ٢، وشرح اختيارات المفضل ٧٦٧، وبلا نسبة في أدب الكاتب ص ١٠٨، وصدرة:

«أَلَمْ تَعْلَمَا أَنَّ الْمَلَامَةَ نَفْعُهَا»

(٢) البيت لطرفة في ديوانه ٥١، ولسان العرب (نجد)، وتهذيب اللغة ١٠: ٦٦٨، وكتاب العين ٤٦٠: ٨. وعجزة:

«يَا لِقَوْمِي لِلشَّبَابِ الْمَسْبُكُزْ»

(٣) البيت باختلاف (رويدًا) بدل (يزيد)، لأوس بن حجر في ديوانه ص ٩٨، وبلا نسبة في الإنصاف ٥٨٩: ٢، وخزانة الأدب ٢٢٤: ١٠، ومجالس ثعلب ١٥٥. وصدرة:

«يَقْلَبُ عَيْنِهِ كَمَا لِأَخَاهُ»

(٤) يوجد عند التبريزي بعد هذا البيت ثلاثة أبيات أخرى:

٥ - أَكُلْ أَمْرِي أَلْفَى أَبَاهُ مُقَصِّرًا مُعَادٍ لِأَهْلِ الْمَكْرَمَاتِ الْأَوَائِلِ

٦ - إِذَا ذُكِرَتْ مَسَاعِدُ وَالِدِي اضْطَنَى وَلَا يَضْطَنِي مَنْ شَتَمَ أَهْلَهُ الْفَضَائِلِ

٧ - وَمَا مُنَعْتُ دَارًا وَلَا عَزَّ أَهْلُهَا مِنْ النَّاسِ إِلَّا بِالْقَنَابِلِ وَالْقَنَابِلِ

اضْطَنَى: مِنَ الضَّنَى، وَالْقَنَابِلُ: جَمَاعَاتُ الْخَيْلِ.

يقال: ملأْتُ عليه الأرضَ، إذا ضَيَّقْتُها عليه. وملأتُ منه الأرضَ، إذا قُمت وقعدتُ بذكره. والحابل: ناصِبُ الجِبَالِ. ويقال: حَبَلْتُ الصَّيْدَ واحتَبَلْتُهُ، إذا أخذته؛ وتوسَّعوا فيه فقالوا: اخْتَبَلَهُ الموتُ بحبائله. والكِفَّةُ، يجوز أن يريدَ به الحَفيرة التي ينصِبُ الحابلُ فيها الجِبَالِ، ويجوز أن يُريدَ بها قُتْرَتُهُ، ويجوز أن يريدَ بها عَيْنَ الجِبَالِ، لأنها تُجعل كالطُّوقِ. وهذا أقرب لأنَّ الخليل فسَّرَ الكِفَّةَ على ذلك. وجاز إضافتها إلى الحابل كما يجوز إضافة نفسِ الجِبَالِ إليه، والمعنى: ضَيَّقْتُ عليه الأرضَ على اتِّساعِها، لشدةِ بغضِهِ لي، أي حتَّى كأنَّها برُحْبِها في عينيه كِفَّةٌ حابل إذا اجتمع فيها معي. وهذا يشير به إلى تضادِّ الطَّبْعَيْنِ، وتبايُنِ الخُلُقَيْنِ، وأنَّه لو أمكنه لانتفى وجودُهُ في الأرض انتفاء الضدِّ للضدِّ، قلَّةَ موافقةٍ وكثرةِ مُخَالَفةٍ.

٥٧ - وقال بَعْضُ بني فُقَعَسٍ^(١):

١ - وَدَوِي ضِبَابٍ مُظْهِرِينَ عَدَاوَةَ قَرْحَى الْقُلُوبِ مَعَاوِدِي الْإِفْنَادِ

يقول: رُبُّ قَوْمِ دَوِي أَحْفَادٍ وَضغائن، مجاهرين بعداوتي، مراجعين حالاً بعد حالٍ قولَ الفُحْشِ فيّ، مُتَقَرِّجِي الأفئدة لشدةِ الحسدِ والبُغْضِ لي، فَعَلْتُ بهم كذا. وجواب رُبُّ فيما بعد. وَذَكَرَ قَرْحَ الْقَلْبِ مَثَلًا في العداوة، كما يُذكر مرضُهُ مَثَلًا في التَّفَاق. على ذلك قول الله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ [البقرة: الآية ١٠]. فأما ذكر الصَّعَرِ والشُّوسِ فهو من هذا الباب، لكنَّه تصوير حالِ المبالغِضِ أو المتكَبِّرِ في نظره، أو إقباله أو التفاته، وكذلك ما يشبهه. وقوله «معاودي الإفناد» الإفناد بكسر الهمزة: مصدر أفنَدَ الرجلُ، إذا أتى بالفَنَدِ. وإذا رُوِيَ «الأفناد» بفتح الهمزة فهو جمع الفَنَدِ، وهو الفُحْشُ والخطأُ في الرأْيِ. ويقال في اللُّومِ: فَنَدْتُهُ، لأنَّه يجمع تخطئة الرأْيِ وذكرَ القبيحِ. والضُّباب: جمع الضَّبِّ، وهو الحِفْد. قال: [الرجز]

يا رُبَّ ذِي ضِغْنٍ وَضَبِّ فَارِضٍ^(٢)

ويقال: فلان حَبٌّ ضَبٌّ، إذا كان مُنكَرًا في المعادة.

(١) قال التبريزي ١: ١٧٥: «قال أبو محمد الأعرابي: إنما هو لمرداس بن جشيش أخي بني

سعد بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة».

(٢) الرجز بلا نسبة في اللسان (بغض، وفرض) وتهذيب اللغة ١٢: ١٥، وأساس البلاغة (فرض)

وديان الأدب ١: ٣٥٣.

٢ - نَاسَيْتُهُمْ بَغْضَاءَهُمْ وَتَرَكْتُهُمْ وَهُمْ إِذَا ذُكِرَ الصَّدِيقُ أَعَادِي
يقول: رُبَّ قَوْمٍ هَكَذَا أَنَا نَسِيتُ بُغْضَهُمْ لِي حَتَّى نَسُوا أَيْضًا - لَأَنَّ الْمُنَاسَاةَ
تَكُونُ مِنْ اثْنَيْنِ فَصَاعِدًا - وَتَرَكْتُهُمْ وَهُمْ مِنْ جَمَلَةِ الْأَعْدَاءِ، إِذَا مُيزَتْ بِالذِّكْرِ
الْأَصْدِقَاءِ. وَقَوْلُهُ «الصَّدِيقُ» أَرَادَ بِهِ الْجِنْسَ.

٣ - كَيْمَا أَعِدُّهُمْ لِأَبْعَدَ مِنْهُمْ وَلَقَدْ يُجَاءُ إِلَى ذَوِي الْأَخْقَادِ
يقول: لَمْ أَكَاثِفُهُمْ، وَلَا أَظْهَرْتُ لَهُمْ عِلْمِي بِعِدَاوَتِهِمْ، بَلِ اسْتَمَرَرْتُ فِي
مَدَاجَاتِهِمْ وَمَسَاتَرَتِهِمْ، وَعَرَكْتُ بِجَنِّي مَا بَدَرَ مِنْ هَفَوَاتِهِمْ، طَلَبًا لِأَن أَعِدَّهُمْ لِمَنْ هُوَ
أَبْعَدُ شَأْوًا فِي الْعِدَاوَةِ، أَوْ أَشَدُّ تَأْخُرًا فِي الْإِلْتِحَامِ وَالْقَرَابَةِ. ثُمَّ قَالَ: وَلَقَدْ يُضْطَرُّ
الْإِنْسَانُ إِلَى نُصْرَةِ بَنِي الْأَعْمَامِ وَإِنْ كَانَ مُنْظَوِّينَ عَلَى ضِغَافِنَ، فَإِذَا قَاتَلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا
لِأَمَّةٍ ذَلِكَ وَوَافَقَهُ، وَحَصَلَتِ الدُّبْرَةُ^(١) عَلَى مَنْ حَصَلَ، إِذْ كَانَ فِيهِ تَفَانِيهِمْ، وَاشْتِفَاءُ
الصُّدُورِ مِنْهُمْ. وَهَذَا كَمَا قِيلَ لِبَعْضِ حُكَمَاءِ الْعَرَبِ: مَا تَقُولُ فِي ابْنِ الْعَمِّ؟ قَالَ:
عَدُوُّكَ وَعَدُوُّكَ عَدُوُّكَ.

٥٨ - وَقَالَ يَزِيدُ بْنُ الْحَكَمِ^(٢): [الطويل]

١ - دَفَعْنَاكُمْ بِالْقَوْلِ حَتَّى بَطَرْتُمْ وَبِالرَّاحِ حَتَّى كَانَ دَفْعُ الْأَصَابِعِ
يقول: دَرَجْنَاكُمْ فِي اسْتِبْقَائِكُمْ وَرَتَّبْنَا الْقَوْلَ وَالْفِعْلَ فِي اسْتِفَاءَتِكُمْ
وَإِصْلَاحِكُمْ، فَوَعظْنَاكُمْ أَوَّلًا بِاللِّسَانِ وَضَرَبَ الْأَمْثَالَ فِي الْجِدَالِ، حَتَّى أَبْطَرَكُم
ذَلِكَ وَزَادَكُمُ إِغْرَاءً، فَارْتَقَيْنَا مِنَ الْقَوْلِ إِلَى الدَّفْعِ بِالرَّاحِ، وَتَقْبِيحِ مَا تَأْتُونَهُ بِأَحْسَنِ
الْمَسْرِ، فَلَمَّا لَمْ يُغْنِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ عَدَلْنَا مِنْهُ إِلَى الدَّفْعِ بِالْأَصَابِعِ، وَمَا بَيْنَ هَذِهِ
الْمَنَازِلِ مِنَ التَّفَاوُتِ فِي الْخَشُونَةِ وَاللِّيَانِ مَعْلُومٌ عِنْدَ ذَوِي الْأَلْبَابِ. وَمَرَّ بِي فِيمَا قَرَأْتُهُ
مِنْ مَجَابِيآتِ قُرَيْشٍ، أَنَّ بَعْضَهُمْ قَالَ لِأَخْرَ مِنْهُمْ مُسْتَضْعِفًا لَمَّا أوردَهُ عَلَيْهِ: هَذَا دَفْعٌ
بِالرَّاحِ! فَقَالَ مَجِيبًا: كَلَّا إِنَّ مَعَهَا الْأَصَابِعَ! وَقَوْلُهُ «حَتَّى كَانَ دَفْعُ الْأَصَابِعِ» انْتَصَبَ
دَفْعٌ عَلَى أَنَّهُ خَبَرٌ كَانَ، وَاسْمُهُ مُضْمَرٌ كَأَنَّهُ قَالَ: حَتَّى كَانَ الدَّفْعُ دَفْعَ الْأَصَابِعِ. وَلَكِ
أَنْ تَرْفَعَهُ عَلَى أَنْ يَكُونَ اسْمُهُ، وَتَضْمُرَ الْخَبَرَ، كَأَنَّهُ قَالَ: حَتَّى كَانَ دَفْعُ الْأَصَابِعِ
دَفْعَنَا، أَوْ عَلَى أَنْ يَكُونَ كَانَ بِمَعْنَى حَدَثَ، فَتَكْتَفِي بِالْفَاعِلِ، وَهِيَ الَّتِي تُسَمَّى كَانَ
التَّامَّةُ.

(٢) التبريزي: «يزيد بن الحكم الكلابي».

(١) الدُّبْرَةُ: الظفر والنصرة.

٢ - فَلَمَّا رَأَيْنَا جَهْلَكُمْ غَيْرَ مُنْتَهٍ وَمَا غَابَ مِنْ أَخْلَامِكُمْ غَيْرَ رَاجِعٍ

يقول: ولما وجدناكم لا ترفعون لمواعظكم وتذركم، ولا يعاودكم ما عذب من بصائرکم وعقولكم، ولا يقف الجهل بكم على غاية لا متجاوز وراءها، ولا يغني ما استفرغنا فيه الوسع من ردكم وزجركم، راجعنا أنفسنا منكبين ومتعجبين، وأقبلنا نباحث عن أصولنا وفروعنا معتزين، لنقف على ما وطأ لكم مراكب العقوق، وحسن في آرائكم تخطي موانع الحقوق، إلى نكت قوى العهود.

٣ - مَسِينَا مِنَ الْأَبَاءِ شَيْئًا وَكُلْنَا إِلَى حَسَبٍ فِي قَوْمِهِ غَيْرِ وَاضِعٍ

قوله: «مسينا» يجوز أن يكون بمعنى أصبنا واختبرنا، لأن المس باليد قد يقصد به الاختبار، ويجوز أن يكون بمعنى طلبنا، وقد قال بعض الناس في قول الله تعالى: ﴿لَا يَسْأَلُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة: الآية ٧٩]: إن المعنى لا يطلبه. قال: واللئس كالمس في أنه يوضع في معنى الطلب. قال: وعلى هذا يحمل قول الله جل ثناؤه: ﴿وَأَنَّا لَسْنَا أَلَسَّمَا فَوَجَدْنَاهَا مُلْتَثَّ حَرَسًا﴾ [الجن: الآية ٨]. فمن الأول قولهم: مسه الكبير، وأفضى الرجل إلى امرأته إفضاء مسيس. ومن الثاني مساس الحاجة. فأما قولهم: به مس من جنون، فيصح أن يكون من الأول ومن الثاني جميعاً. وهذا كما يقال: به لثم من جنون، وأصله من اللثم وهو الجمع أو الإلمام. وقوله «وكلنا إلى حسب» أي ينتمي وننتمي. ف«إلى» تعلق بهذا وما أشبهه من المضمرات. وهذا كما يقال: أنا منك وإليك. وقوله «كلنا» أي كل واحد منا، يعني أهل بيتهم. ألا ترى أنه قال «إلى حسب في قومه». ومعنى البيت: لما اشتد لجأهم وطال تماذيههم، وصاروا لا ينزلون عن مراكب البغي، ولا يزجعون عن الذهاب في طرق الفساد، نظرننا: أي عزق يقتضي منكّر الخلاف معنا، وما الذي يوجب التدابر من الأنساب والأسباب بيننا، فلمسنا أطراف أبوتنا، واستشفقنا جوانبها، ووجدنا كلاً منا ينتمي إلى حسب يرفعه ولا يضعه. ويقال: وضعته، إذا خططت منه. ووضع الرجل، وهو وضع بين الضعة والضعّة. والتوضيع: التأث والتأثر والانكسار من هذا. ويقال: دابة حسنة الموضوع، وضده المرفوع. وبغير عارف الموضوع، أي دلول عند الركوب.

٤ - فَلَمَّا بَلَّغْنَا الْأَمْهَاتِ وَجَدْتُمْ بَنِي عَمِّكُمْ كَانُوا كِرَامَ الْمَضَاجِعِ^(١)

(١) ورد عند التبريزي بعد هذا البيت بيتان هما:

٥ - بني عمنا لا تشتمونا ودافعوا

على حسب ما فات قيد الأكارع

جَعَلَ المضاجِعَ كنايةً عن الأزواج. وهذا كما يُكنى عنهنَّ بالمفارش. قال:

[الكامل]

سُجَرَاءُ نَفْسِي غيرِ جمعِ أَشَابَةٍ حُشْدٍ وَلَا هُلُكِ الْمَفَارِشِ عُدْلٍ

يعني أَنَّ أمهاتهم عفاف. فيقول: لما تقصينا بالبحث والكشف أنساب آبائنا، وعلائق وُصلها فلم نجد فيها مَعَمَرًا، ولا إلى ما دُفِننا من أخلاقكم منها داعيًا، عَدَلْنَا إلى النظر في أنساب أمهاتنا، والتوصل إلى مكنون وشائجها، ومجهول مواصلها، فالقيتم أبناءَ عمكم كانوا كرامَ الفُرُش. وهذا من أحسن المعاريض، لأن المراد: كانت أمهاتنا أشرف من أمهاتكم، فعلمنا أن ما خالفتمونا فيه، وصرتم على حَرْفٍ مباينةٍ لنا من أَجْلِهِ، شيء يرجع إليهنَّ. وإنما قال «وجدتم» ليكون كالتقرير لهن، ويصير ما ادَّعَى من الفضل عليهم باتِّفاقٍ منهم. وذكر بعضهم أنه كان يجب أن يقول: وجدتمونا، فوضع بني عمكم مكان «نا»، وهو أخص من بني عمكم، بدلالة أن ما يكون للنفس أخص مما يكون للغائب، وإذا كان كذلك فقد وضع الأذون موضع الأخص. وليس الأمر على ما قال، لأن الرُّجُل إنما يريد ببني عمكم الآباء، وقد قدَّم ذكرهم في قوله «ميسنا من الآباء» ألا ترى أنه قال: كانوا كرامَ المضاجع. وإذا كان الأمر على هذا، كان الواجب عليه أن يقول: وجدتم آباءنا كانوا، لا وجدتمونا.

٥٩ - وقال جَابِرُ بْنُ رَالَانَ^(١) [الطويل]

١ - لَعَمْرُكَ مَا أَخْزَى إِذَا مَا نَسَبْتَنِي إِذَا لَمْ تَقُلْ بُطْلًا عَلَيَّ وَمَيْنًا

لَعَمْرُكَ مبتدأ، وخبره محذوف، فكأنه قال لَعَمْرُكَ ما أقسم به، ولا يستعمل في اليمين إلا بفتح العين، وإن كان ضمها لغة فيه. و«أخزى» يجوز أن يكون من الخِزْي: الهوان، ويجوز أن يكون من الخَزَاية: الاستحياء. والبُطل يُراد به الباطل. والمَيْنُ: الكذب، وَقَدْ مَانَ، وهو مَائِنٌ وَمَيُونٌ. والمعنى: وبقيائك ما أستحيي أو ما أهون ولا أدل متى ما ذكرت أسلافي وأبائي ولم تقل باطلاً، ولم تدع عليَّ زوراً. وقوله «إذا ما نسبتي» ظرف لقوله ما أخزى. و«إذا لم تقل» يجوز أن يكون بدلاً منه. ولولا أنه كرر «إذا» لكان الكلام ما أخزى إذا ما نسبتي ولم تقل بطلاً وميناً. ولا

= ٦ - وكنا بني عم نزا الجهل بيننا فكلُّ يوقى حقه غير وادع

والأكراع: جمع الكراع: مستدق الساق من الفرس وغيره.

(١) عند التبريزي: «جابر بن رالن السبسي».

يجوز أن يكون العاملُ في إذا «ما نسبْتَنِي» لأن ذا قد أضيف إليه ويُنْبَيِّن به، والمضاف إليه لا يُعمل في المضاف. ويجوز أن يكون إذا الأولى بما اتَّصَلَ به وما عَمِلَ فيه الجملةُ في جواب إذا الثانية، كأنه قال: إذا لم تَقُلْ بُطْلًا فلَعَمْرُكَ ما أَخْزَى إذا ما نَسَبْتَنِي. وانتصب «بُطْلًا» على أنه مفعول لم تقل، لأن القول يُحكى بعده الجمل فيعمل في مواضعها لا في لفظها، ويقع المُفْرَدُ بعده - إذا كان معنى الجملة - منصوبًا به.

٣ - وَلَكِنَّمَا يَخْزَى امْرُؤٌ يَكْلِمُ أَسْتَهَ قَنَّا قَوْمِهِ إِذَا الرَّمَاخُ هَوَيْنَا^(١)

هذا تعريض بالمخاطب، يقول: أنا لا أَخْزَى إذا ذُكِرَ مَسْعَاةُ آبائي على حَدِّهَا وَحَقِّهَا، إِنَّمَا يَخْزَى لَذَلِكَ رَجُلٌ هَذَا صِفَتُهُ وَنَعْتُهُ، وهو أنه يَجْرَحُ أَسْتَه، لكونه موليًا ومنهزمًا، رماخُ قومه إذا شَرِعَتْ لِلطَّعْنِ. وإنما قال «قَنَّا قَوْمِهِ» لأنه أشار في تعريضه إلى حالة اتَّفَقَتْ لِلْمُخَاطَبِ مع أبناء عمِّه، وكلُّ جرحٍ صَغُرَ أو كَبُرَ فهو كَلَمٌ.

٣ - فَإِنْ تُبْغِضُونَا بِغُضَّةٍ فِي صُدُورِكُمْ فَإِنَّا جَدَعْنَا مِنْكُمْ وَشَرَيْنَا

قوله: «في صدوركم» بما تَعَلَّقَ به في موضع الصفة لِلْبِغْضَةِ. والمعنى: إن ائْطَوْتَ صُدُورُكُمْ لَنَا على بِغْضَةٍ رَاسِخَةٍ فِيهَا، مَتَمَكِّنَةٍ مِنْهَا فغَيْرُ مُسْتَنْكَرٍ عِنْدَنَا وَلَا مُسْتَطَرَفٍ مِنْ أَحْوَالِنَا، لَأَنَّ مَا ارْتَكَبْنَاهُ فِيكُمْ مِنْ جَذَعِ الْأَنْوَفِ وَبَيْعِ الثُّفُوسِ بِإِذْلَالِنَا إِيَّاكُمْ، وَبِمَا أَخَذْنَاهُ فِي فِدَائِكُمْ، يوجب البغضاء، وَيَقْتَضِي الشُّنَّانَ.

٤ - وَنَحْنُ عَلَيْنَا بِالْجِبَالِ وَعِزُّهَا وَنَحْنُ وَرِثْنَا عَيْثُنَا وَبُدَيْنَا

يعني بالجبال أَجَاً وَسَلَّمَى وهضابهما، ولذلك جمع. وقوله «وعِزُّها» أراد وعِزَّ أربابها وسكَّانها. ويجوز أن يريد العِزَّ الذي يحصل لهم عند التحصُّن بها. وَطَيْئٌ أَبَدًا تَفْتَخِرُ بِذَلِكَ، لِأَنَّهُمْ إِذَا اعْتَصَمُوا بِهَا لَمْ تَتَوَصَّلِ الْأَعْدَاءُ إِلَيْهِمْ فِيهَا. وَغَيْثٌ وَبُدَيْنٌ: قَبِيلَتَانِ^(٢). يريد: وَرِثْنَا أَحْسَابَهُمْ وَمَفَاخِرَهُمْ. وَغَيْثٌ: فِعْلٌ مِنَ الْعَوْثِ، وَفِي بَطُونِ طَيْئٍ بِطُنْ يُقَالُ لَهُمُ الْعَوْثُ، وَمِنْهُمْ أَبُو زَيْيْدِ الطَّائِي.

٥ - وَأَيُّ ثَنَائِيَا الْمَجْدِ لَمْ نَطْلِعْ لَهَا وَأَنْتُمْ غِضَابٌ تَحْرِقُونَ عَلَيْنَا

(١) عند التبريزي: «تَكْلِمٌ».

(٢) عند التبريزي: «وغيث وبدين: أسماء رجلين من طيء والغيث».

الاستفهام هنا يجري مجرى الثقي، كأنه قال: ما ثبّنت من ثنايا المجد إلا طَلَعْنَا لها. والثنية: فعيلة من ثَنَيْتُ، أي عَظُمْتُ وصرَفْتُ، وكما استُعْمِلَتْ في الجبال استُعْمِلَتْ في الأمور والخُطّات. قال: [الكامل]

وَتَبَيَّنَتْ مِنْ أَمْرِ قَوْمٍ وَغَرَّةٍ فَرَجَتْ يَدَايَ فَكَانَ فِيهَا الْمَطْلَعُ

فلذلك ذكرها هنا مثلاً، والمعنى: إن مَطَالِيعَ الشَّرَفِ على توَعُّرِها أو تَسْهِيلِها ارتَفَقْنَا إليها، وأنتم تهتّدوننا في غضبِكُم، والحَزَقُ: حَزَقُ أَحَدِ النَّابِينَ بِالْآخِرِ. وقد حَرَقَ نَابَهُ يَحْرِقُ وَيَحْرُقُ، حَزَقًا وَخُرُوقًا، مِنَ الْغَيْظِ. وذكر الخليل: حَرِيقُ النَّابِ كَصَرِيفِ النَّابِ. و«فَلَانٌ يَحْرُقُ عَلَيَّ الْأَزْمُ» وَيُرْوَى «الْأَزْمُ». والأَزْمُ: الأكل، والأَزْمُ: العض، وهما جميعًا بالأسنان، والمعنى يَحْرُقُ عَلَيَّ أَسْنَانَهُ. والمتوَعَّدُ يفعل ذلك يُظْهِرُ بِهِ شِدَّةَ الْغَيْظِ. واكتفى بقوله «يَحْرُقُونَ» عن ذكر المفعول، لأنَّ المراد مفهوم. ويقال: أَطْلَعَ عَلَيْهِ وَلَهُ، إِذَا أَشْرَفَ. والمعنى: إِنَّا رَدَدْنَا عَلَى جَسَدِكُمْ لَنَا، وَتَغِيظُكُمْ فِينَا، قُوَّةً وَشَرَفًا، وَعِزَّةً وَكِرَمًا، حَتَّى لَمْ تَبَقْ غَايَةٌ مِنَ الْمَجْدِ إِلَّا ارْتَقَيْنَا إِلَيْهَا وَعَلَوْنَاهَا.

٦٠ - وَقَالَ سَبْرَةُ بْنُ عَمْرِو الْفَقْعَسِيِّ: [الطويل]

وَعَيْرُهُ ضَمْرَةٌ بِنِ ضَمْرَةِ التَّهْلِيلِ كَثْرَةً إِلَيْهِ.

١ - أَتَنْسَى دِفَاعِي عَنْكَ إِذْ أَنْتَ مُسْلِمٌ وَقَدْ سَالَ مِنْ دُلِّ عَالِيكَ قُرَاقِرُ

لفظه لفظ الاستفهام، والمعنى معنى الإنكار. أي لِمَ تَنْسَى مُدَافَعَتِي عَنْكَ حِينَ كُنْتُ مَخْذُولًا لَا نَاصِرَ مَعَكَ، وَقَدْ امْتَدَّ سَيْلُ الذِّلِّ نَحْوَكَ فَسَالَ عَلَيْكَ. فإِذَا ظَرَفَ لِدِفَاعِي. وقُرَاقِرُ: اسْمُ وَادٍ، وَيَكُونُ ذَكَرُهُ مَثَلًا. وَمِنْ كَلَامِهِمْ: «سَالَ عَلَيْهِ الذِّلُّ»، كَمَا يَسِيلُ السَّيْلُ. وَلَا يَمْتَنِعُ أَنْ يَكُونَ لِحَقِّهِ مَا لِحَقِّهِ مِنَ الذِّلِّ مِنْ نَاحِيَةِ قُرَاقِرٍ، فَلِذَلِكَ خَصَّهُ. وَقَوْلُهُ «إِذْ أَنْتَ مُسْلِمٌ» يُقَالُ: أَسْلَمْتُهُ وَسَلَّمْتُهُ، إِذَا خَلَيْتَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَنْ يَرِيدُ النُّكَايَةَ فِيهِ. وَأَسْلَمْتُ الصَّبِيَّ فِي حِزْفَةٍ، إِذَا أَرْسَلْتَهُ فِيهَا. وَقَوْلُهُ «وَقَدْ سَالَ» فِي مَوْضِعِ الْحَالِ، أَيِ أَسْلَمْتُ وَحَالَ ذَلِكَ.

٢ - وَنَسَوْتُكُمْ فِي الرُّوْعِ بَادٍ وَجُوهُهَا يُخْلَنُ إِمَاءً وَإِمَاءٌ حَرَائِرُ

قَوْلُهُ: «وَنَسَوْتُكُمْ» مَعَ خَبَرِهِ جُمْلَةٌ انْعَطَفَتْ عَلَى قَوْلِهِ «وَقَدْ سَالَ مِنْ دُلِّ» وَهَذَا وَصَفُ الْحَالِ الَّتِي مُنِيَ بِهَا حِينَ نَصَرَهُ مَخَاطِبُهُ. وَالْمُرَادُ: وَنَسَاؤُكُمْ تَشْبِيهُنَّ بِالْإِمَاءِ،

مخافة السَّاءِ، حتى تَبَرَّجَنَ وبرَّزَن مكشوفاتِ ناسياتٍ للحياء وإن كنَّ حرائر. وإنما قال هذا لأنهم كانوا يَقْصِدُونَ بِسَبْيٍ من يَسْبُونَ من النساء إلحاقَ العار، لا اغتنامَ الفداءِ والمال، ولما كان الأمرُ على هذا فالْحَرَّةُ كانت في مثل ذلك الوقتِ تتشبهُ بالأمَةِ، لكي يُزَهَّدَ في سَبْيِها. ومعنى «الإماء حرائر»: واللاتي يُخَسِّنُ إماءَ حرائر. ولو قال يُخَلِّنُ إماءَ وهنَّ حرائر لكان مأخوذُ الكلام أقرب، لكنَّه عدل إلى «والإماء حرائر»، ليكون الذِّكر به أفخم، والاقتصاص أشنع وأعظم. وقال «بادِ وجوها» لتقدُّم الفعل، وأنَّ تأنيث الوجوه غير حقيقي، ولو قال باديَّة وجوها لجاز. وفي هذه الطريقة قول الآخر: [الكامل]

وَحِمَارٍ غَانِيَةٍ عَقَذْتُ بِرَأْسِهَا أَصْلًا وَكَانَ مُنْشَرًّا بِشِمَالِهَا

٣ - أَعْيَزْتَنَا أَلْبَانُهَا وَلُحُومُهَا وَذَلِكَ عَارٌ يَابِسٌ رِنَطَةٌ ظَاهِرٌ

يريدُ على وجه الإنكار والتفريع: لِمَ عَيَّرْتَنَا أَلْبَانَ الإبل ولحومها واقتناء الإبلِ مُباحٌ لا محظورٌ في القديم والحديث، والانتفاعُ بلحمانها وألبانها مُسَوِّغٌ غير مردودٍ في الدِّين والعقل، وتفريقُها في المحتاجين إليها إحسانٌ ومعروفٌ يَجْلِبَانِ الحَمْدَ والشكر، وذلك عارٌ ظاهرٌ، أي زائلٌ. قال أبو ذؤيب: [الطويل]

وَعَيَّرَهَا الْوَأَشُونَ أَنِّي أَحْبَبُهَا وَتِلْكَ شَكَاةٌ ظَاهِرٌ عَنْكَ عَارُهَا

ومن هذا قولك: ظَهَرَ فوق السُّطح، وقولك: جعلتهُ مِنِّي بَظْهَرٍ، وقوله تعالى: ﴿وَأَخَذْنَاهُ وَرَأَاهُ كَيْفَ ظَهَرَ﴾ [هود: الآية ٩٢]. ويجوز أن يريد بالظاهر أنَّ الحال في أنَّ ذلك ليس بعارٍ ظاهرةٌ غيرُ مُلبِسةٍ ولا خافية. ويقالُ عَيَّرْتَهُ كذا وهو الأَفْصَحُ، وعَيَّرْتَهُ بكذا. قال^(١) عدي: [الخفيف]

أَيُّهَا الشَّامِتُ الْمَعْيِرُ بِالذُّهْرِ رِ [أَنْتَ الْمُبَرِّأُ الْمَوْفُورُ]

والواو من قوله «وذلك عارٌ» واو الحال، أي: أتعيرُّنا والحال ذلك.

٤ - نَحَابِي بِهَا أَكْفَاءُنَا وَنُهَيْتُهَا وَنَشَرَبُ فِي أَثْمَانِهَا وَنُقَامِرُ

يبين وجوه تصرفهم فيما عَيَّرَهم به، فقال: نجعلها جِباءَ لنظرائنا فتهاذي بها، ونُسَهِّلُ تمكنَ الغفاةِ والزَّوَارِ منها، بابتذالها وإهانتها - وَحَدَفَ ذِكْرَ مَنْ أَهْيَيْتَ لَهُ لَأَن

(١) البيت في الأغاني ٣٤:٢ (ساسي).

المراد مفهوم - وبيعها فنصرف أثمانها إلى الخمر والإنفاق، ونَضْرِبُ بِالْقِدَاحِ عليها في المَيْسِر عند اشتداد الزَّمان، فنَفَرَتْهَا في الضُّعْفَاء والمحتاجين إليها. وفي تَعْدَادِ هذه الوجوه إبطال لكل ما أُوهِمَ أو ادَّعِيَ يَلْحَقُ من العار في اقتنائها وأدْخَارِها، وَرَوَى بعضهم: «تَحَايِي بِهَا أَكْفَاءَنَا» على أن يكون تَفَاعُلٌ من الحياة، أي نَعَايِشُهُمْ بِهَا ونَجَامِلُ؛ وليس بشيء، فلا تُعْرَجُ عليه.

٦١ - وقال آخر من بني فُقَيْسٍ^(١): [الوافر]

١ - أَبْنِي آلَ شَدَادٍ عَلَيْنَا وما يُزْغِي لَشَدَادٍ فَصِيلُ
مخرُجُ هذا الكلام مخرُجُ الكلام المتقدم، في أنه إنكار وتقرُّع، وفيه إشارة إلى ما يتضمنه قول الآخر من التَّبْخِيلِ، وهو: [الوافر]

فَلَا وَاللَّهِ مَا لَبَسَنِي بَرَبٌ وَلَا لَحِمِي عَلَيَّ وَلَا سِلَاتِي^(٢)

أي ما لَهُم يَنْعُونَ علينا وحالهم في أنفسهم ما هو نهايةُ البخل والشُّوم، والدَّقَّةِ واللوم، حتى لا يُحْمَلَ فَصِيلُ لَهُم على إزْغَاءٍ بآن يُفْصَلُ بَيْنَهُ وبين أُمِّه بَنَخِرٍ أو هَبَةٍ، ضَبًّا بِهِ، وإِشْفَاقًا عَلَيْهِ. أي إنهم لا يَسُوغُ لَهُم البَغْيُ مع هذه الحال. ويجوز أن يكون قوله «وما يُزْغِي لَشَدَادٍ فَصِيلُ» يراد به ما لَهُم فَصِيلُ فَيُزْغَى، كما قال الآخر: [السريع]

وَلَا تَرَى النُّضْبُ بِهَا يَنْجَحِرُ^(٣)

والمعنى: لَا ضَبُّ بِهَا فَيَنْجَحِرُ. يَرْمِيهِم بِالْفَقْرِ والفاقة، وَضَعْفُ الْمُئْتَةِ، وقصور الاستطاعة. ويقال: أَزْغَى فُلَانٌ فَصِيلَهُ، وَإِذَا حَمَلَهُ عَلَى الرُّغَاءِ، وَأَزْغَى فُلَانٌ فُلَانًا وَأَثَقَى، إِذَا أَعْطَاهُ إِبْلًا وَغَنَمًا. وَرَوَى بعضهم: «وما يُزْغِي» بكسر الغين، أي لَا يُعْمَلُ بِالفَصِيلِ مَا يَحْمِلُ أُمُّهُ عَلَى الرُّغَاءِ لَهُ. وليس بشيء.

٢ - فَإِنْ تَغْمِزْ مَفَاصِلَنَا تَجِدْنَا غِلَظًا فِي أَنْامِلٍ مَنْ يَصُولُ
هذا تعريض وإيعاد، فيقول: إِنْ رَزَّمْتُمَا وَجَدْتُمَا غِلَظًا عَلَى مَنْ يَصُولُ عَلَيْنَا،

(١) قال التبريزي: «قال أبو هلال: هو لعمرو بن مسعود بن عبد مرارة».

(٢) البيت للنمر بن تولب في ديوانه ص ٣٢٩، وجمهرة اللغة ص ١٠٩٩.

(٣) البيت لابن أحمر في ديوانه ٦٧، وأمالى المرتضى ٢٢٩: ١، وخزانة الأدب ١٠: ١٩٢، وبلا نسبة في خزانة الأدب ١١: ٣١٣، والخصائص ٣: ١٦٥، وصدرة:

«لا تُفزع الأرنب أهوالها»

جُفَاءَ عند من يَسُومُنَا مَكْرُوهًا. والمعنى: لا نُسْتَلَان عند الامتحان. وَجَعَلَ الْعَمَزَ عَمَزًا
المفاصل كناية عن الاختبار. وَحَكِي عن بعضهم: «لَا أُعَمَزُ كَتَغْمَازِ الثَّيْنِ»^(١)، ولذلك
صَلَحَ أَنْ يَقُولَ اسْتَعْلَظْتَنَّا فِي أَنَامِلِهِمْ. وَخَصَّ الْأَنَامِلَ لِأَنَّ الْإِنْفَتَالَ عَنِ الشَّيْءِ وَالْإِقْبَالَ
عليه بسلامتها من الْآفَاتِ يَقْوَى.

٦٢ - وقال جَزْءُ بن كَلَيْبِ الْفَقْعَسِيِّ: ^(٢)

١ - تَبَغَّى ابْنُ كُوزٍ وَالسَّفَاهَةُ كَاسِمِهَا لِيَسْتَنَادَ مِنَّا أَنْ شَتُونَا لِيَالِيَا

قوله: «السَّفَاهَةُ كَاسِمِهَا» اعتراضٌ دخل بين تَبَغَّى ومفعوله. والأصل في
السَّفَهَةِ: الخِفَّةُ. ويقال: زِمَامٌ سَفِيهٌ، لا ضطرابه، كما يقال زِمَامٌ عَيَّازٌ. فيقول: تَطَلَّبَ
هَذَا الرَّجُلُ مَا تَطَلَّبَهُ سَفَهًا، وفعلُ السَّفَاهَةِ قَبِيحٌ كما أَنَّ اسْمَهَا قَبِيحٌ. وإنَّما قال هذا
لأنَّ السَّفَهَةَ كما تُنْكَرُ الْعُقُولُ وَالْقُلُوبُ ذَاتَهُ وَفَعْلُهُ، كذلك تَمْجُ الْآذَانُ وَالصُّدُورُ اسْمَهُ.
فإن قيل ما اسمُ السَّفَاهَةِ حتى قال: والسَّفَاهَةُ كَاسِمِهَا؟ قلت: قوله والسَّفَاهَةُ، أراد ما
يُسَمَّى سَفَاهَةً، أي المسمى بهذا الاسم، كما أَنَّ الاسمَ الذي هو السَّفَهَةُ قَبِيحٌ. إلا أَنَّهُ
لَمَّا لم يَجِدْ إلى العبارة عن الذَّاتِ طريقًا إلا بِاسْمِهِ قال: والسَّفَاهَةُ. ويجوز أن يكونَ
أَرَادَ تَبَغَّيًّا: أَدَخَلَ نَفْسَهُ فِي الْبَغْيِ، حينَ عَدَا طَوْرَهُ، وَسَامَنَّا مُوَاصَلَتَهُ، كما يقال
تَشَجَّعَ وَتَمَرَّأَ. وقوله «لِيَسْتَنَادَ مِنَّا أَنْ شَتُونَا لِيَالِيَا» أتى بالفعل واللام، لأنَّ تَبَغَّيًّا مثل
أَرَادَ. فكما قال الله عز وجل: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ [الصف: ٨]،
وقال الشاعر: [الطويل]

أَرَادَتْ لِيَسْتَنَاشَ الرُّوَاقَ فَلَمْ تَقْمِ

والمعنى يريدون إطفاء نور الله، وأرادت انتياشَ الرُّوَاقِ - كذلك قال هذا: تَبَغَّيًّا
لِيَسْتَنَادَ، والمعنى تَبَغَّيًّا الْإِسْتِيَادَ مِنَّا وَمُرَادَ الشَّاعِرِ تَطَلَّبَ الْكُفَاخَ فِي سَادَتِنَا مِنْ أَجْلِ أَنَّا
دَخَلْنَا فِي الشِّتَاءِ. والمعنى: مِنْ أَجْلِ أَنَّا افْتَقَرْنَا وَاشْتَدَّ الزَّمَانُ عَلَيْنَا فَأَثَّرَ فِيْنَا. قوله «أَنْ
شَتُونَا» موضعه نَضْبٌ، أصله لِأَنَّ شَتُونَا، فَلَمَّا حَذَفَ الْحَرْفَ الْجَارُ وَصَلَ الْفِعْلُ
فَعْمِلَ. ومعنى شَتُونَا: قَبِحْنَا وَأَقْمَنَّا فِي الْقَحْطِ، كما تقول شَتُونَا بِمَكَانٍ كَذَا. ويقال:
اسْتَيْتْنَا، إِذَا أُرِيدَ دَخَلْنَا فِي الشِّتَاءِ.

(١) هذه فقرة من خطبة للحجاج قالها في مسجد الكوفة. انظر البيان ٣٠٩:٢.

(٢) قال التبريزي: «قال أبو محمد الأعرابي: هو جرير بن كليب لا جزء».

٢ - فما اكْبَرُ الأشياءِ عندي حَزَازَةٌ بِأَنْ أُبْتَ مَزْرُئًا عليك وَزَارِيَا

انتصب «حزازة» على التمييز، فيقول: ليس انصرافك عنا عائبًا علينا حين لم نُسْعِفْكَ بِمُرَادِكَ، ولم تُجِنِكَ لِمَا خَطَبْتَ من خَطَبْتَ إلى ملتَمِسِكَ، وَمَعِيْبًا عندنا حين عَدَوْتَ طُورَكَ فتجاوزتَ مستَحَقَّكَ وَقَدْرَكَ، بشيءٍ يَكْبُرُ عندي تقطيعه في الصُّدر، وتأثيره في النَّفس، أي إرغامك وإسقاطك يَهون علينا. والباء الذي في قوله «بأن أُبْتَ» هو الباء الذي في قولك ما زِيدَ بمنطلي. ويقال: زَرَيْتُ عليه فِعْلُهُ، إذا عَيَبْتَ عليه فِعْلُهُ؛ وَأَزْرَيْتُ به، إذا وَضَعْتَ منه وَقَصَّرْتَ به. وقوله «وزاريا» أي وزاريا علينا، فحذف لأن المراد مفهوم.

٣ - وَإِنَّا عَلَى عَضِّ الزَّمَانِ الَّذِي تَرَى نُعَالِجُ مِنْ كُرْهِ المَحَازِي الدَّوَاهِيَا

يقول: إِنَّا نَقَاسِي هَرَبًا من المكروه الشدائد، ونصبر تفاديًا منها على العظائم. هذا - ما تَرَى من نكاية الحَدَثَانِ، وسوء تأثير الزَّمَانِ، وقصده إِيَّانَا بالمكاره والبلاء، والمفارقة والضُّراء. وهذا تنبيهٌ على أَنَّ محافظتهم على الشرف يمنعهم من مناكحة مَنْ ليس بِكُفٍّ لَهُمْ، وَأَنَّ مُسَاعَفَتَهُمْ إِيَّاهُ بما طلبه مُخْزِيَةٌ عندهم. وقوله «على عَضِّ الزمان» موضعه موضع الحال والمعنى: إِنَّا منكوبين وفقراء نفعل ذلك حَدَرًا من العار.

٤ - فَلَا تَطْلُبُنَّهَا يَابْنَ كُوزٍ فَإِنَّهُ غَدَا النَّاسُ مُدَّ قَامَ النَّبِيِّ الجَوَارِيَا

يقول: لَا تَطْلُبِ التَّزَوُّجَ بالمرأة التي خطبتُها يابن كوز، فلك في سائر النساء مندوحةٌ، سِيَّمًا ومنذ بَعَثَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ النبي عليه السلام، وقام بأداء الرسالة عنه، رَبَّى النَّاسُ البناتِ وتركوا وَأَدْهَنُ فِكْزُن. ويقال: غَدَاهُ يَغْذُوهُ غَدَوًا، وتغذى بكذا. والغذاء: الطَّعام والشُّراب.

٥ - وَإِنَّ السَّيِّئَةَ حُدَّتْهَا فِي أَنْوْفِنَا وَأَعْنَاقِنَا مِنَ الْإِبَاءِ كَمَا هِيََا

يقول: وَإِنَّ النُّخْوَةَ التي أُبْلِغَتْهَا، والْحِمِيَّةَ التي حُدَّتْهَا، باقيةً في أَنْوْفِنَا حتى لا نَشَمَّ بها مَزْغَمَةً، وفي أعناقنا ورؤوسنا حتى لا نَلْوِيَهَا إلى مُخْزِيَةٍ وَمُنْقَصَةٍ هي حاصلةٌ فيها كما أُبْلِغَتْ؛ فالامتناعُ مِنْ مِثْلِ مَا سُمِّتَ معروفٌ مَثًا، ومأخوذ به في عاداتنا، فلا نَسْتَطِرُّهُ. وقوله «في أنوفنا» في موضع المفعول الثالث لحُدَّتْهَا. وقوله «كما هيا» في موضع خبر إنَّ، وما زائدة. أراد كَهَيَّ، أي هي باقيةٌ بحالها، مستمرةٌ على طريقها. ويجوز أن يكون هي مبتدأ، وكما في موضع الخبر. ويقولون: كما أنا كما أنت، أي

تشابهنا، ويكون ما نَكِرَةً غير موصوفة. ويجوز أن يكون حَذَفَ صَفَتَهُ كأنه قال: كما حُدِّثْتُهُ أي كشيءٍ حُدِّثْتُهُ. وإنما حَصَصَ «في أنوفنا وأعناقنا» بالذكر لأنه يقال في الكِبَرِ والصُّعُوبَةِ: في أنفٍ فلانٍ حُنْزُوانَةٌ، وَزَمْ فلانٌ بأنفِهِ، وأنفُهُ أنفُ الليث، وهو أَخَمَى أنفًا من أن يَقْبَلَ كذا. ويقولون: في خَدِّهِ صَعَرٌ، وفي عُنُقِهِ صَوْرٌ وَصِيدٌ، وفي ناظرِهِ شَوْسٌ وَصَادٌ. قال يصف سَيُوفًا: [الطويل]

يُدَاوِي بِهَا الصَّادُ الَّذِي فِي التَّوَاظِرِ^(١)

٦٣ - وقال زِيَادَةُ الْحَارِثِيِّ^(٢): [الطويل]

١ - لَمْ أَرْ قَوْمًا مِثْلَنَا خَيْرَ قَوْمِهِمْ أَقْلٌ بِهِ مِثًا عَلَى قَوْمِنَا فُخْرًا^(٣)
ينتصب قوله «خير قومهم» على أنه بدلٌ من قوله «قَوْمًا». ويجوز أن يكون صفة. و«أَقْلٌ» ينتصب على أنه مفعول ثانٍ، و«فُخْرًا» ينتصب على التمييز. وقوله «به» الضمير منه يرجع إلى ما ذكره ودلَّ عليه من قوله «خير قومهم» يريد أقل بكونهم خيرين. ومثله قول^(٤) القائل: [الوافر]

إِذَا رُجِرَ السَّفِيهُ جَرَى إِلَيْهِ

أي إلى السُّفْه. وتقدير البيت: لَمْ أَرْ خَيْرَ قَوْمٍ مِثْلَنَا أَقْلٌ بِذَاكَ فُخْرًا مِثًا عَلَى قَوْمِنَا. والمعنى: إِنَّا لَا نَبْغِي عَلَى قَوْمِنَا، وَلَا نَتَكَبَّرُ عَلَيْهِمْ، بَلْ نَعُدُّهُمْ أَمْثَالَنَا ونظرًا، فنباسِطُهم ونوازِئُهم قولًا بقولٍ، وفعلًا بفعلٍ.

٢ - وَمَا تَرَدَّدِينَا الْكِبْرِيَاءَ عَلَيْهِمْ إِذَا كَلَّمُونَا أَنْ نُكَلِّمَهُمْ نَزْرًا^(٥)

(١) للراعي النميري في ديوانه ١٣٢، واللسان (سنن)، وأساس البلاغة (كبر). وصدرة:

«وَيْضُ كَسْتَهْنَ الْأَسْنَةَ هَبْوَ»

(٢) زيادة الحارثي: زيادة بن زيد من سعد هذيم بن ليث، شاعر إسلامي، كان بينه وبين هذبة بن الخشرم مهاجرة ومناقضة. الأغاني (٢١: ١٦٩).

(٣) عند التبريزي: «على قومهم».

(٤) البيت بلا نسبة في الخزائنة ٣: ٣٨٣، وأمالى ابن الشجري ١: ٦٨، ٢: ٣٠٥. وعجزة:

«وخالف والسفيه إلى خلاف»

(٥) روى التبريزي بعد هذا البيت بيتًا آخر:

٣ - ونحن بنو ماء السماء فلا نرى لأنفسنا من دون مملكة قصرًا

القصر: الغاية، وماء السماء: امرأة كانت في حسنها وصفاء بشرتها مثل ماء السماء فسُمِّيتَ بِهِ، وماء السماء الملك سُمِّيَ بذلك لأنه كان للناس بمنزلة المطر في جوده.

يَتَتَصَّبُ قَوْلُهُ «نَزَّرَا» عَلَى أَنَّهُ صِفَةٌ لِمَصْدَرٍ مَحْذُوفٍ، كَأَنَّهُ قَالَ: نَكَلَّمَهُمْ كَلَامًا نَزَّرَا. وَالْمَعْنَى: لَا يَسْتَحْفُظُنَا التَّكْبُرُ إِلَى أَنْ تَتَعَلَّى عَلَيْهِمْ، وَنَقْلُ الْكَلَامِ مَعَهُمْ تَرْفَعًا عَنْ مَسَاوَاتِهِمْ، بَلْ نَبَاسِطُهُمْ وَنَكَائِثُهُمْ فِي الْقَوْلِ وَالسُّؤَالِ، إِيْنَاسًا لَهُمْ وَتَسْكِينًا مِنْهُمْ. وَيُقَالُ: زَهَاهُ وَازْدَهَاهُ بِمَعْنَى. وَالْأَصْلُ فِي أَزْدَهَى: أَزْتَهَى، لِأَنَّهُ افْتَعَلَ مِنَ الزَّهْوِ، لَكِنَّهُ أَبْدَلَ مِنَ التَّاءِ دَالًا تَقْرِيْبًا لِلْحَرْفِ مِنَ الزَّايِ. وَقَوْلُهُ «أَنْ نَكَلَّمَهُمْ» أَرَادَ لِأَن نَكَلَّمَهُمْ، فَحَذَفَ حَرْفَ الْجَرِّ. وَ«أَنْ» يَفْعُلُ بِهِ ذَلِكَ كَثِيرًا.

٦٤ - وَقَالَ ابْنُهُ مِسُورُ:

حِينَ عَرَّضَ عَلَيْهِ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ سَبْعَ دِيَارٍ بِأَبِيهِ فَأَبَى. وَيُقَالُ: هِيَ لَعْمُهُ: [الطويل]

١ - أَبْغَدَ الَّذِي بِالتَّغْفِ نَعْفٍ كُوَيْكِبٍ رَهِيْنَةً رَمْسٍ ذِي تُرَابٍ وَجَسَدِلٍ

أَلْفُ الْإِسْتِفْهَامِ دَخَلَ هَلْهَنَا عَلَى مَعْنَى الْإِنْكَارِ، وَتَنَاوَلَ الْفِعْلَ الَّذِي فِي صَدْرِ الْبَيْتِ الثَّانِي، لِأَنَّ أَلْفَ الْإِسْتِفْهَامِ يَطْلُبُ الْأَفْعَالَ. وَالْمَعْنَى: أَذْكُرُ بِالْإِبْقَاءِ بَعْدَ الْمَدْفُونِ بِنَعْفٍ هَذَا الْجَبَلَ - وَهُوَ مَا اسْتَقْبَلَكَ مِنْهُ - الْمَرْهُونِ فِي قَبْرِ ذِي تُرَابٍ وَحِجَارَةٍ. وَالتَّغْفُ، اسْتَقَى مِنْهُ انْتَعَفَ لَهُ، أَيْ تَعَرَّضَ. وَالْمَنَاعَقَةُ: الْمَعَارِضَةُ مِنْ رَجُلَيْنِ فِي طَرِيقَيْنِ يَرِيدُ كُلُّ وَاحِدٍ سَبْقَ الْآخَرِ. وَقِيلَ التَّغْفُ: الْمَكَانُ الْمَرْتَفِعُ فِي اعْتِرَاضٍ. وَقَوْلُهُ «رَهِيْنَةً» جَعَلَهُ اسْمًا فَلِهَذَا أَلْحَقَ الْهَاءَ بِهَا. وَالرَّمْسُ: الْقَبْرِ. وَيُقَالُ رَهْنَتْهُ رَهْنًا بِمَعْنَى رَهْنَتْهُ عِنْدَهُ، وَأَصْلُهُ مِنَ الزُّرْمِ وَالِدَوَامِ وَيُقَالُ هَذَا لَكَ زَاهِنٌ. وَالْأَصْلُ فِي الرَّمْسِ: التَّغْطِيَةُ، يُقَالُ: رَمَسْتُهُ بِالتُّرَابِ؛ وَمِنْهُ الرِّيَاحُ الزَّوَامِسُ.

٢ - أَذْكُرُ بِالْبُقْيَا عَلَى مَنْ أَصَابَنِي وَبُقْيَايَ أَنِّي جَاهِدْتُ حَيْرَ مُؤْتَلٍ

يَقُولُ: أَلَسَّامُ الْإِبْقَاءِ عَلَى مَنْ وَتَرَنِي؟ إِبْقَائِي عَلَيْهِ أَنِّي أَجْتَهِدُ فِي قَتْلِهِ، وَلَا أَقْصُرُ. وَالْإِبْقَاءُ لَا يَكُونُ الْجَهْدُ، وَلَكِنْ الْمَعْنَى: يَكُونُ هَذَا مَنِي عَوْضًا مِنْ ذَاكَ. وَمِثْلُهُ قَوْلُ الْآخَرِ: [الوافر]

تَحِيَّةُ بَيْنَهُمْ ضَرْبٌ وَجِيعٌ^(١)

(١) لَعَمْرُو بْنُ مَعْدِيكَرِبٍ فِي دِيْوَانِهِ ص ١٤٩، وَخَزَانَةُ الْأَدَبِ ٩: ٢٥٢، وَنَوَادِرُ أَبِي زَيْدٍ ١٥٠، وَبَلَا نَسْبَةٍ فِي أَمَالِي ابْنِ الْحَاجِبِ ١: ٣٤٥. وَصَدْرُهُ:

«وَحِيلَ دَلَفَتْ لَهَا بِخَيْلٍ»

والبُقْيَا: اسْمٌ عَلَى فَعْلَى، مَبْنِيٌّ مِنَ الْإِبْقَاءِ وَفِي مَعْنَاهُ، وَالْوَاوُ مِنْهُ وَאוُ الْحَالِ، وَلَوْ لَمْ يَأْتْ بِهِ لَكَانَ الْكَلَامُ عَلَى الْاسْتِثْنَاءِ وَالْإِنْقِطَاعِ مِمَّا قَبْلَهُ. وَيُقَالُ: لَا أَلُوفِي كَذَا وَلَا أَتَلِي، أَيِ لَا أَقْصُرُ، وَلَا أَلُو كَذَا، أَيِ لَا أَسْتَطِيعُهُ.

٣ - فَلَا أَتْلُ ثَأْرِي مِنَ الْيَوْمِ أَوْ غَدٍ بَنِي عَمْنَا فَالْدَهْرُ ذُو مَتَطَوَّلٍ^(١)
يقول مُخْبِرًا عَنْ صَبْرِهِ وَحُسْنِ رِفْقِهِ فِي طَلَبِ الْأُمُورِ، وَأَنَّهُ لَا يَتَسَلَّطُ عَلَيْهِ الْمَلَالُ وَإِنْ تَرَخَى الْمَطْلُوبَ، وَتَدَافَعَ الْوَقْتُ فِي الْحَصُولِ، فَيَقُولُ: إِنْ لَمْ أَذْرِكْ ثَأْرِي قَرِيبًا يَا بَنِي عَمْنَا فَعَلِي الدَّهْرُ تَطَاوُلَ، وَالزَّمَانُ بِتَبْدِيلِ الْأَبْدَالِ وَتَحْوِيلِ الْأَحْوَالِ كَافِلٌ، وَلَهُ ضَامِنٌ، وَمَا يَتَعَسَّرُ فِي وَقْتٍ يَتيسَّرُ فِي آخَرٍ. وَذَكَرَ الْيَوْمَ وَالْغَدَ إِشَارَةً إِلَى تَقَرُّبِ الْوَقْتِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ، كَمَا يُقَالُ فِي الْمَاضِي: كَانَ بِالْأَمْسِ يَفْعَلُ كَذَا. وَمُتَطَوَّلٌ: مُصَدِّرٌ مِثْلُ تَطَوَّلَ.

٤ - فَلَا يَذْعُنِي قَوْمِي لِيَوْمٍ كَرِهَةٍ لَنْ لَمْ أُعْجَلْ ضَرْبَةً أَوْ أُعْجِلَ جَزَمَ «يَذْعُنِي» بَلَا عَلَى أَنَّهُ دَعَاءٌ، وَالْمَعْنَى: لَا دُعِيْتُ لِكَشْفِ مَكْرُوهِهِ، وَلَا لِلدَّفْعِ عَنْ مَظْلُومٍ، إِنْ لَمْ أُعْجَلْ ضَرْبَةً لِمَنْ وَتَرَنِي، أَنْ يَعْجِلَهَا لِي. وَالْمَعْنَى: إِنْ لَمْ أَقْتُلْهُ أَوْ يَقْتُلْنِي. وَهَذَا الْكَلَامُ وَإِنْ كَانَ لَفْظُهُ لِفِظِ الدُّعَاءِ فَالْمَعْنَى مَعْنَى الْقَسَمِ. وَقَوْلُهُ: «أَوْ أُعْجِلَ» أَرَادَ: أَوْ لَمْ أُعْجَلْ لِمِثْلِهَا، فَحَذَفَ. وَفِي هَذَا بَيَانٌ لِلتَّوَعُّدِ بِالْإِقْدَامِ، وَالتَّسْرُّعِ إِلَى الْقَتْلِ أَوْ الِاسْتِقْتَالِ بَعْدَ الْإِمْكَانِ.

٥ - أَنْخُتُمْ عَلَيْنَا كُلَّكَ الْحَرْبِ مَرَّةً فَنَخُنْ مُنِيخُوهَا عَلَيْكُمْ بِكُلِّكَ^(٢)
هَذَا الْكَلَامُ تَهْدُدٌ، وَضَمَانٌ فِي أَنَّهُ سَيَكَاثُهُمْ عَلَى مَا بَدَأُوا. وَالْمَعْنَى: سَنُؤَثِّرُ فِيكُمْ كَمَا أَثَرْتُمْ فِيْنَا، وَنُنْزِلُ الْحَرْبَ بِكُمْ كَمَا أَنْزَلْتُمُوهَا بِنَا. وَيُقَالُ: أَنْخُتُ الْبَعِيرَ فَاسْتَنَاخَ وَبَرَكَ، وَلَا يُقَالُ فَنَاخَ. وَتَقُولُ فِي شِدَّةِ التَّأْثِيرِ: بَرَكَ عَلَيْهِمُ الدَّهْرُ بِكُلِّكَلِهِ، وَوِطْئُهُمْ بِمَنَاسِمِهِ، وَأَنْخَى عَلَيْهِمْ بِجِرَائِهِ. وَهَذَا جَعَلَ الْكُلِّكَلَ هُوَ الْمُنَاخَ فِي صَدْرِ

(١) عند التبريزي: «فإن لم أنل».

(٢) روى التبريزي بعد هذا البيت ثلاثة أبيات هي:

٦ - يقول رجال ما أصيب لهم أب
ولا من أخ أقبل على المال تُعْقِل
٧ - كريم أصابته ذناب كثيرة
فلم يدِرْ حتى جثث من كل مدخل
٨ - ذكرث أبا أروى فأسبلت عبرة
من الدمع ما كادت عن العين تنجلي

البيت، وفي العَجْز جعل الحرب مُنَاخَةً بـكـلـكـهـا. وكلُّ ذلك أمثال، والمعنى مِن جميعها ظاهر.

٦٥ - وقال بعض بني جَرمٍ من طئىء:

١ - إِخَالُكَ مُوعِدِي بِنَبِي جُفَيْفٍ وَهَالَةٌ، إِنْنِي أَنُهَاكِ هَالًا

في قوله «إخال» ضرب من الاستهانة، يقول: أَحَسْبُكَ تُهْدِدُنِي بِنَبِي جُفَيْفٍ وَهَالَةٍ. ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى هَالَةٍ فَقَالَ: إِنِّي أَزْجُرُكِ عَنِ التَّحَكُّكِ بِنَا، وَنُضْرَةٍ مِنْ يَنَابِذِنَا. ومثل هذا الكلام يُسَمَّى التَّفَاتًا. والعرب قد تَجَمَّعَ فِي الْخُطَابِ أَوْ الْإِخْبَارِ بَيْنَ عِدَّةٍ، ثُمَّ تُقْبَلُ أَوْ تَلْتَفَتُ مِنْ بَيْنِهِمْ إِلَى وَاحِدٍ لِكُونِهِ أَكْبَرَهُمْ، أَوْ أَحْسَنَهُمْ سَمَاعًا لِمَا يُلْقَى إِلَيْهِ، أَوْ أَخْصَهُمْ بِالْحَالِ الَّتِي تَنْطِقُ بِالشُّكْوَى بَيْنَهُمْ، فَتَفْرِدُهُ بِكَلَامٍ. عَلَى هَذَا بَيْتُ الْهَذَلِيِّ^(١): [البسيط]

أَخِيَا أَبَاكُنَّ يَا لَيْلَى الْأَمَادِيحُ

فَقَالَ أَبَاكُنَّ، ثُمَّ قَالَ يَا لَيْلَى. وَيُقَالُ: خِلْتُ أَخَالَ، وَإِخَالٌ طَائِيَةٌ، فَكَثُرَ اسْتِعْمَالُهَا فِي أَلْسِنَةٍ غَيْرِهَا، حَتَّى صَارَ أَخَالَ كَالْمَرْفُوضِ. وَالْهَالَةُ: الدَّارَةُ حَوْلَ الْقَمَرِ، فِي اللُّغَةِ، وَإِذَا أَثَّتْ خُطَابُهَا فَإِنَّهُ جَعَلَهَا قَبِيلَةً، وَإِذَا ذَكَرَهَا فَعَلَى إِرَادَةِ رَجُلٍ هُوَ أَبُو الْقَبِيلَةِ، وَإِذَا جُمِعَ فَعَلَى الْمَعْنَى. وَفِي جَمِيعِ ذَلِكَ قَدْ صَرَّفَ كَلَامَهُ.

٢ - فَإِلَّا تَنْتَهِي يَا هَالَ عَنِّي أَذْغَكَ لِمَنْ يُعَادِيَنِي نَكَالًا

يقول: إِنْ لَمْ تَنْزَجِرِي عَنِّي وَلَمْ تَرْتَدِعِي بِكَلَامِي، أَجْعَلُكَ لِأَعْدَائِي عِبْرَةً رَادِعَةً، وَعَقُوبَةً زَاجِرَةً. وَالنَّكَالُ: اسْمٌ لِمَا يُجْعَلُ عِبْرَةً لِلْغَيْرِ، وَيُقَالُ: نَكَلَ يَنْكُلُ، وَنَكَلَ يَنْكَلُ لَغْتَانِ، الْأُولَى تَمِيمِيَّةٌ وَالْأُخْرَى حِجَازِيَّةٌ.

٣ - إِذَا أَخْصَبْتُمْ كُنْتُمْ عَدُوًّا وَإِنْ أَجْدَبْتُمْ كُنْتُمْ عِيَالًا

يُصَنِّفُهُم بِالْأَثَرِ وَالْبَطَرِ وَسُوءِ الْحِفَاطِ، وَالتَّعَجُّلِ إِلَى الشَّرِّ، فَيَقُولُ: إِذَا نَلْتُمْ بِالْخَيْرِ وَطَاوَعَكُمْ الْوُجْدُ خَرَجْتُمْ لَنَا أَعْدَاءٌ، ثُمَّ إِنْ أَثَّرَ فِيكُمْ الدَّهْرُ، أَوْ صَغَطَكُمْ الْبُؤْسُ وَالضَّرُّ، أَوْيْتُمْ إِلَيْنَا، وَلَحَقْتُمْ بِجَمَلَتْنَا، فَاحْتَجْنَا إِلَى أَنْ تُؤْمِنَ بِكُمْ.

(١) لأبي ذؤيب الهذلي في ديوان الهذليين ١: ١١٣. وصدرة:

«لو كان مدحة حتى أنشئت أحدًا»

٦٦ - وقال آخر^(١): [البسيط]

١ - اللُّؤْمُ أَكْبَرُ مِنْ وَبَرٍ وَوَالِدِهِ واللُّؤْمُ أَكْرَمُ مِنْ وَبَرٍ وَمَا وَلَدَا
فَضَّلَ اللُّؤْمُ فِي اللَّفْظِ عَلَيْهِمْ وَعَلَى أَسْلَافِهِمْ، وَالْقَصْدُ بِهِ إِلَى تَفْضِيلِهِ عَلَى
أَخْلَاقِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ وَطِبَاعِهِمْ، لِأَنَّ الشَّرْطَ تَشْبِيهِ الْأَحْدَاثِ بِالْأَحْدَاثِ، وَالذَّوَاتِ
بِالذَّوَاتِ. وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَقَدْ حُذِفَ الْمُضَافُ وَأَقِيمَ الْمُضَافُ إِلَيْهِ مَقَامَهُ، كَأَنَّهُ قَالَ:
اللُّؤْمُ أَكْرَمُ مِنْ أَخْلَاقِ وَبَرٍ وَأَخْلَاقِ وَالِدِهِ، وَقَوْلُهُ «وَوَالِدِهِ» دَخَلَ فِيهِ كُلُّ أَبِي لَهُمْ، كَمَا
دَخَلَ فِي قَوْلِهِ «وَمَا وَلَدَا» كُلُّ وَلَدٍ لَهُمْ. وَاللُّؤْمُ: خِصَالٌ مُنْكَرَةٌ، إِذَا اجْتَمَعَتْ سَمِيَتْ
لُؤْمًا، كَدَنَاءَةِ النَّفْسِ وَالْآبَاءِ وَالْبُخْلِ مُرَدَّدًا فِيهِمْ، وَالنَّظَرُ فِي الْأُمُورِ التَّافِهَةِ الْمُخْزِيَّةِ.
وَوَبَرٍ فِي اللُّغَةِ: دَوِيَّةٌ أَصْغَرَ مِنَ السُّتُورِ طَحْلَاءُ اللَّوْنِ تَرَجُّنٌ فِي الْبُيُوتِ، وَجَمْعُهُ وَبَارٌ.
وَيُسَمَّى بِهَا، ثُمَّ جُعِلَتْ لِلْقَبِيلَةِ. فَإِنْ قِيلَ: لِمَ لَمْ يَقُلْ: وَمَنْ وَلَدَا؟ قُلْتَ: أَشَارَ إِلَى
الْجِنْسِ وَمَا يَقَعُ لِلْأَجْنَاسِ.

٢ - قَوْمٌ إِذَا مَا جَنَى جَانِبَهُمْ أَمِنُوا مِنْ لُؤْمٍ أَحْسَابِهِمْ أَنْ يُقْتَلُوا قَوْدًا
يقول: هُمْ قَوْمٌ إِذَا جَرَّ وَاحِدٌ مِنْهُمْ جَرِيرَةً أَمِنَ جَمِيعُهُمْ، لِدَقَّةِ أَصُولِهِمْ، وَلُؤْمٍ
أَحْسَابِهِمْ، أَنْ يُوَاقِدُوا كُلَّهُمْ بِهَا، فَكَيْفَ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ. كَأَنَّ الْقَبِيلَةَ بِأَسْرِهَا لَا يُعْدُونَ
بَوَاءَ لِقَتِيلٍ فَيُقْتَلُوا بِهِ، فَالْأَمْنُ الَّذِي شَمَلَهُمْ عِنْدَ اتِّفَاقِ الْجَنَايَاتِ مِنْهُمْ لِهَذَا. وَالْقَوْدُ: أَنْ
يُقْتَلَ الْقَاتِلُ بِالْقَتِيلِ، فَيَقَالُ: أَقْدَتُهُ بِهِ. وَإِذَا أَتَى الرَّجُلَ صَاحِبُهُ بِمَكْرُوهَةٍ فَانْتَقَمَ مِنْهُ
بِمِثْلِهَا، قِيلَ: اسْتَقَادَهَا مِنْهُ، وَهَذَا كَمَا قَالَ الْآخَرُ: [الرجز]

مَنْ ذَا يَعَضُّ الْكَلْبَ إِنْ عَضًّا

ونقله أبو تمام فقال: [الكامل]

أَمَّا الْهَجَاءُ فَدَقَّ عِرْضُكَ دُونَهُ وَالْمَذْحُ عَنْكَ كَمَا عَلِمْتَ جَلِيلُ
فَازْهَبْ فَانْتَ طَلِيقُ عِرْضِكَ إِنَّهُ عِرْضُ عَزَزْتَ بِهِ وَأَنْتَ ذَلِيلُ

٣ - وَاللُّؤْمُ دَاءٌ لَوَبَرٍ يُقْتَلُونَ بِهِ لَا يُقْتَلُونَ بِدَاءٍ غَيْرِهِ أَبَدًا

(١) قال التبريزي: «قال أبو هلال: لم يذكر أبو تمام اسمه، واسمه الحكم ابن زهرة، وزهرة أمه، وهو الحكم بن المقداد بن الحكم بن الصباح، أحد بني زهرة بن قيس، ويعرف بالحكم الأصم الفزاري، وقال أبو رياش: هو لعوف القوافي».

أشار بهذا إلى أنَّ مطامعهم الخسيسة تُزديهم، وإسفافهم لها يعرضهم للقتل ويهلكهم، فقال: هذا داؤهم لا يقتلون إلا به، ولأنَّ حينَ كلِّ حائنٍ فيما يَغلب به وعليه. ويجوز أن يريد أنه لما ترفع القصاص عنهم عند وقوع الجرائر منهم، كانت القِتلةُ الكريمة فيهم أزهى، وعندهم أبعد، ولا يموتون إلا بدائهم الذي هو اللوم. والموت قد يُسمى قَتْلًا. وإنَّما أدخل هذه الأبيات في الباب لقوله «قَوْمٌ إِذَا مَا جَنَى جَانِيهِمْ أَمْنُوا» فلما ذَكَر من يجتهد في إدراك الثَّار من جهته تيسر أو تعسر، ذَكَر أيضًا ما يُضاده ممن يُرغب عنه ويُزهد في الثَّيل منه، ترفعًا عن مكافأته. وهذا عادته في اتباع الشيء بضده، فاعلمه.

٦٧ - وقال آخر: [المقارب]

١ - أَلَا أُبْلِغَا خُلَّتِي رَاشِدًا وَصِنُوي قَدِيمًا إِذَا مَا اتَّصَلَ
قَدِيمًا، انتصبَ على الظرف لقوله خُلَّتِي. والمراد: أُبْلِغَا خَلِيلِي قَدِيمًا رَاشِدًا، وَصِنُوي إِذَا مَا اتَّسَبَّ. والصُّنَوَانِ: الفَرَعَانِ يَخْرُجَانِ مِنْ أَصْلٍ وَاحِدٍ. ويقال للأَخَوَيْنِ هُمَا صُنَوَانٍ، تشبيهاً بذلك، ولعمَّ الرجلِ صِنُو أَبِيهِ. ويقال صِنُو، وَصِنَوَانٍ فِي التَّشْبِيهِ، وَصِنَوَانٌ فِي الْجَمِيعِ، وَلَا يُعْرَفُ لَهُ نَظِيرٌ إِلَّا قِنُو. فيقول: رَاشِدٌ خَلِيلِي الْقَدِيمُ، وَنَسِيبِي الْقَرِيبُ، فَأُبْلِغَاهُ عَنِي رِسَالَةً. وَفِي جَمْعِهِ بَيْنَ خُلَّتِي وَصِنُوي، وتأخيرهُ قَدِيمًا إِذَا مَا اتَّصَلَ، مَا ذَكَرَهُ أَبُو الْعَبَّاسِ الْمُبَرِّدُ رَحِمَهُ اللَّهُ، مِنْ أَنَّ الْعَرَبَ تَلَفَّ الْخَبْرَيْنِ لَفًّا، ثُمَّ تَرْمِي بِتَفْسِيرِهِمَا جَمْلَةً، ثَقَّةٌ بِأَنَّ السَّامِعَ يَرُدُّ إِلَى كُلِّ مَا لَهُ.

٢ - بِأَنَّ الدَّقِيقَ يَهِيْجُ الْجَلِيلَ وَأَنَّ الْمَعَزِيْرَ إِذَا شَاءَ ذَلَّ
الباء دخل للتأكيد، وموضع أنَّ مفعول ثانٍ من أُبْلِغَا. فيقول: أُبْلِغَاهُ أَنَّ صَغِيرَ الْأُمُورِ يَجْنِي الْكَبِيرَ، وَأَنَّ الْعَزِيْزَ مِنَ الرِّجَالِ مَتَى أَرَادَ عَادَ ذَلِيلًا، بِأَنَّ يَغْدُو طَوْرُهُ، وَيَشْتَغِلُ بِمَا لَا يَهْمُهُ. ومثل هذا قولهم: «الشَّرُّ يَبْدُوهُ صَغَارُهُ»، وقول شاعرهم^(١):
[الكامل]

الْحَزْبُ أَوَّلُ مَا تَكُونُ فُتْيَةً

(١) لعمرو بن معديكرب في ديوانه ١٥٤، وأمالي ابن الحاجب ٦٦٦:٢، وشرح أبيات سيبويه ٢٩٣:١، والكتاب ٤٠١:١، واللسان (خدع)، ولامرئ القيس في ملحقات ديوانه ٣٥٣، وعجزه:

«تسعى بزينتها لكل جهول»

وقول الآخر: [مخلع البسيط]

كَمْ مَطَرٍ بِذُوَّةٍ مُطَيَّرٍ^(١)

٣ - وَأَنَّ الْحَزَامَةَ أَنْ تَضُرُّوْا لِحَيِّ سَوَانَا صُدُورَ الْأَسْلَنِ

هذا الكلام تحذير وإنذار. يقول: وأبلغاه أَنَّ الْحَزَمَ فِي صَرْفِ أَعْتَةِ خِيَلِكُمْ إِلَى غَيْرِنَا، فَإِنَّكُمْ لَا تَقُومُونَ لَنَا إِذَا هَيَّجْتُمُونَا؛ وَالرَّأْيَ فِي أَنْ تَعْدِلُوا بِصُدُورِ رِمَاحِكُمْ إِلَى طَعْنِ مَنْ سَوَانَا، فَإِنَّكُمْ لَا تَكْمُلُونَ لِدِفَاعِنَا، وَلَآنَ الْكَزَّةَ لَا يُخْرِجُ مَنَا إِلَّا إِبَاءً وَامْتِنَاعًا.

٤ - فَإِنْ كُنْتَ سَيِّدَنَا سُدَّتْنَا وَإِنْ كُنْتَ لِلْحَالِ فَادْهَبْ فَخَلْ

العرب تقول: «سَيِّدُ الْقَوْمِ أَشْقَاهُمْ». ولذلك قَالَ شَاعِرُهُمْ؛ [الوافر]

وَإِنْ سَيَادَةُ الْأَقْوَامِ فَأَعْلَمَ لَهَا صُعْدَاءَ مَطْلَعُهَا طَوِيلٍ^(٢)

فيقول: إِنْ رُمْتَ سَيَادَتَنَا مِنْ وَجْهِهَا، وَبِالْآلَاتِ الَّتِي يُحْتَاجُ إِلَيْهَا فِي تَحْصِيلِهَا، تَمْ لَكَ ذَلِكَ؛ وَإِنْ كُنْتَ لِلْكَبَرِ فَادْهَبْ فَاحْشِبْ أَنَّكَ سَيِّدٌ، فَإِنَّكَ لَا تَكُونُ. هَذَا إِذَا رُوِيَ «فَخَلْ» بِفَتْحِ الْخَاءِ. وَإِنْ رُوِيَ «خُلْ» بِضَمِّهَا فَالْمَعْنَى: اذْهَبْ وَتَكَبَّرْ، فَإِنَّا لَنْ نَنْقَادَ لَكَ، وَاسْتَعْمَالُ الْبَغْيِ وَالصِّلَفِ وَالْكَزَّةَ لَا يَزِيدُنَا إِلَّا إِبَاءً عَلَيْكَ، وَتِمَادِيًا فِي اللَّجَاجِ مَعَكَ. وَالْحَالُ: الْكِبَرُ. وَاخْتَالَ الرَّجُلُ فَهُوَ مُخْتَالٌ وَخَالَ أَيضًا. قَالَ الشَّاعِرُ: [البسيط]

إِذَا تَجَرَّدَ لَا خَالَ وَلَا بَخَلَ^(٣)

ويقال خَالَ يَخُولُ وَيَخَالُ خَوْلًا وَخَالًا، وَفِي الظَّنِّ يُقَالُ خَالَ يَخَالُ لَا غَيْرَ.

وقوله «فادْهَبْ» أَمْرٌ مِنْ قَوْلِكَ ذَهَبَ يَقُولُ كَذَا. وَعَلَى هَذَا قَوْلُ الشَّاعِرِ: [البسيط]

فَادْهَبْ فَمَا بِكَ وَالْأَيَّامُ مِنْ عَجَبٍ^(٤)

(١) البيت لأبي تمام في البيان والتبيين ٦٧:٣. وصدرة:

«رَبِّ قَلِيلٍ حَتَّى كَثِيرًا»

(٢) البيت للأعلم الهذلي في شرح أشعار الهذليين ٣٢٣، وللهمذلي في تهذيب اللغة ١١:٢، وأساس البلاغة (صعد)، وبلا نسبة في اللسان (صعد).

(٣) للمتنخل الهذلي في خزانة الأدب ١٠:٥، وشرح أشعار الهذليين ١٢٨١:٣، وللهمذلي في الإنصاف ٨٠٩:٢، وبلا نسبة في أدب الكاتب ٢٤٢، واللسان (خيل). وصدرة:

«وَيُلْمُهُ رَجُلًا تَأْبَى بِهِ غِبْنًا»

(٤) بلا نسبة في الكتاب ٣٩٢:١، والخزانة ٣٣٨:٢، والإنصاف ٢٧٣. وصدرة:

وكذلك قولك للغريم: قُمْ فَاغْطِنِي حَقِّي. فالأمر في الحقيقة بالعطية لا بما سِوَاهُ. وَأُجْرِي مَجْرَاهُ قَوْلُهُمْ: أَخَذَ يَتَمَسَّكَ بِكَذَا، وَطَفِقَ يَتَحَدَّثُ بِكَذَا، وَجَعَلَ يَشْتَمُنِي. وَخَرَجُوا فِي التَّوَسُّعِ إِلَى أَنْ قَالُوا: قَامَ يَهْزَأُ بِي، وَقَعَدَ يَظُنُّ أَنَّهُ أَمِيرٌ. وَلَيْسَ الْقَضْدُ إِلَى فَعْلِهِ الْقِيَامُ وَالْقَعُودُ، وَلَكِنْ زِيَادَةُ كَالْتَّصْوِيرِ لِلْحَالِ وَالتَّأَكِيدِ لِلْقِصَّةِ.

٦٨ - وَقَالَ بَعْضُ بَنِي أَسَدٍ: [الطويل]

١ - كَلَّا أَخَوْنَنَا إِنْ يُرْغَ يَذْغُ قَوْمَهُ دَوِي جَامِلٍ دَثِرٍ وَجَنَحٍ عَرَمَرَمٍ
يقوله رجلٌ اقتتلَ فريقانِ من قومه على بثرٍ، فيقول: كَلَّا صَاحِبِينَا إِنْ يُفْرَغُ
يَسْتِغْثُ بِقَوْمِ ذَوِي عَدَدٍ وَعُدَّةٍ. وَالْجَامِلُ: الْإِبِلُ، وَهُوَ اسْمُ صَيْغٍ لِلْجَمْعِ. وَالذُّثْرُ:
الكثير. وَالْعَرَمَرَمُ: الْجَيْشُ الْعَظِيمُ. وَغَرَامُ الْجَيْشِ؛ حَدُّهُمْ وَكَثْرَتُهُمْ. وَانْتَصَبَ «ذَوِي»
عَلَى الْحَالِ. الْجَزَاءُ مَعَ جَوَابِهِ خَبَرُ الْمَبْتَدَأِ، وَهُوَ كَلَّا.

٢ - كَلَّا أَخَوْنَنَا ذُو رِجَالٍ كَانَتْهُمْ أَسْوَدُ الشَّرَى مِنْ كُلِّ أَغْلَبَ ضَنِغَمٍ
يقول: كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ صَاحِبِينَا مُؤَيَّدٌ بِرِجَالٍ كَانَتْهُمْ أَسْوَدُ هَذِهِ الْمَاسِدَةِ، مِنْ كُلِّ
لَيْثٍ غَلِيظِ الْعُنُقِ، شَدِيدٍ. وَضَنِغَمٌ: فَيَعْلُ مِنَ الضَّغْمِ، وَهُوَ الْعَضُّ. وَكَلَّا مُوَحَّدٌ
اللفظ، موضوع للمثنى؛ لَكِنَّ الْمَرَادَ بِهِ هُنَا كُلُّ وَاحِدٍ.

٣ - فَمَا الرُّشْدُ فِي أَنْ تَشْتَرَوْا بِنَعِيمِكُمْ بَيْئَسَا وَلَا أَنْ تَشْرَبُوا الْمَاءَ بِالنِّمِ
يدعوهم إلى المصالحة، ويعرفهم أَنَّهُ لَا خَيْرَ فِي مَاءٍ، يَصِلُونَ إِلَيْهِ بِإِرَاقَةٍ دَمَاءٍ؛
ويزهدهم فِي خِضْبٍ وَنَعِيمٍ، يَخْصُلُ عَنْ عَيْشِ بَيْئَسٍ، فيقول: لَيْسَ الصَّلَاحُ وَالنَّجَاحُ
فِي أَنْ تَسْتَبْدِلُوا بِنَعِيمِكُمْ بُوسًا، وَبِسَلَامَتِكُمْ هَلْكَأً، وَلَا أَنْ تَشْرَبُوا الْمَاءَ بِسَفْكِ الدَّمَاءِ.
وَالْبَيْئَسُ، يَكُونُ مَصْدَرًا كَالْبُؤْسِ، وَيُوضَعُ فِي مَقَابِلَةِ النَّعِيمِ كَمَا فَعَلَهُ هَذَا، وَيَكُونُ
صَفَةً، عَلَى هَذَا قَوْلِ الْهَذَلِيِّ: [الكامل]

وَمَعِيَ لُبُوسٌ لِلْبَيْئَسِ كَأَنَّهُ رَوْقٌ بِجَبْهَةٍ نِعَاجٍ مُجْفِلٍ^(١)
وهو الرَّجُلُ الشُّجَاعُ ذُو الْبَاسِ.

= «فاليوم قربت تهجونا وتشتمنا»

(١) البيت لأبي كبير الهذلي في شرح أشعار الهذليين ص ١٠٧٨، والمعاني الكبير ص ٥٥٠، وبلا
نسبة في جمهرة اللغة ص ٤٨٧.

٦٩ - وقال حُرَيْثُ بْنُ عَتَّابٍ^(١): [الطويل]

١ - تَعَالَوْا أَفْأَجِرْكُمْ: أَعْيَا وَفَقَّعَسَ إِلَى الْمَجْدِ أَذْنَى أُمَ عَشِيرَةِ حَاتِمٍ
يقول: هَلُمُّوا أَنَا فِرْكُمْ: أهؤلاء البطون أقرب إلى المجد أم زَهْطُ حاتم؟ وبنو
أعيا: مِن بني سعد بن قيس، وبنو فقَّعس: حَيٌّ مِن بني أَسَد. وروى بعضهم: «أَعْيَا
فَقَّعَسَ»، يريد رؤساء فَقَّعَسَ. ورغم أنَّ أَعْيَا لا يعرفه اسمَ قبيلة، وأنَّ هذا تصحيف
استدركه. فأما إنكاره لأَعْيَا قبيلة فلا وَجْهَ لَهُ لِأَنَّ بني أَعْيَا من قبائل سعد بن قيس،
وهو مشهورُ ذكره النَّسَائِيُّ وغيرهم، وَوَهَبُ بْنُ أَعْيَا بنِ طَرِيفِ الأَسَدِي، معروفٌ
معدود في الأعلام. وأما من طريق النَّظْمِ فَلَأَنَّ تكون القبيلةَ مقابلةً بمثلها، ومذكورةً
في المنافرة معها - أَحْسَنُ من أن يُقَابَلَ الأفراد بالقبيلة. و«أَعْيَا» إشارة إلى الأفراد،
لأنَّه يُراد بها الرُّؤساء. يقال: هو عَيْرٌ قَوْمِهِ، أي سَيِّدُهُمْ. هذا وقد رجعنا إلى نُسخِ
مختلفات المصادر، فوجدناها متوافقةً في تحمُّلها «أَعْيَا وَفَقَّعَسَ». وإذا كان كذلك لَا
يجوز العُدُولُ عَمَّا قاله الشَّاعر إلى ما لم يقله. وقوله «أَعْيَا وَفَقَّعَسَ» استفهام في
الأصل نُقِلَ عن بابهِ، والمعنى: أَنَا فِرْكُمْ بالقضية التي تكون نتيجة هذا الاستفهام،
وقوله «أَذْنَى إِلَى الْمَجْدِ» لم يَثْبُتْ وإن كان خَبَرًا عن اثنين، لأنَّه أفعُلُ الذي يتم بِمَنْ،
وقد دَخَلَ عليه الاستفهام، فيجب أن يستوي فيه الواحد والاثنان، والمذكر والمؤنث.
وهذا الكلام لو أتى به على وجهه لكان: أُمَ عَشِيرَةِ حَاتِمٍ أَذْنَى إِلَى الْمَجْدِ مِنْهُمْ، لكنَّه
حَذَفَ إِذْ كان المرادُ مفهومًا. وإِنَّمَا جاء على حرف الاستفهام لِيُصَيِّرُوا ضَلَالَتَهُمْ. وفي
طريقته بيت جرير: [الطويل]

هَلُمُّوا نُحَاكِمْكُمْ فَفِي الْحُكْمِ مَقْنَعٌ إِلَى الْعُرِّ مِنْ آلِ الْبَطَاحِ الْأَكَارِمِ

والتقدير: أَنَا فِرْكُمْ أَيُّهُمْ أَمْجَدُ وَأَعْرَفُ. وَحَاتِمُ المذكور هو حاتم بن عبد الله
الطائي. و«تَعَالَوْا» كان يقوله من هو في رَابِيةٍ لِلْمَتَسَقِّلِ، لأنَّه تفاعلٌ مِنَ الْعُلُوِّ،
فكثُرَ استعماله حتَّى جرى مجرى هَلُمُّ، فصار المتسقلُ يقولُه عند الدِّعَاءِ
لِلْمُسْتَعْلِي.

٢ - إِلَى حَكَمٍ مِنْ قَيْسِ عَيْلَانَ قَيْصَلٍ وَأَخَرٍ مِنْ حَيْثِي رَيْبَعَةَ عَالِمٍ

(١) حريث بن عتاب النبهاني الطائي: من شعراء العصر الأموي، كان بدويًا، لا يتصدى للناس
بمدح أو هجاء (ت ٨٠ هـ / ٧٠٠ م). ترجمته في تهذيب التهذيب ٢: ٢٣٧، وتاريخ بغداد
٢٦٥: ٨.

قيل: أراد بأحد الحكمين عامر بن الظرب^(١) وبالأخر دغفلاً النسابة، والفَيْصَل: الذي يفصلُ الأمور، والياء دَخَلَتْهُ لتلحقه ببناء جعفر، كما أَنَّ الضَّيْغَمَ فَيَنْعَلُ من الضَّغَم، والبناء انِ بحصول الياء فيهما صارا صِفَتَيْنِ بعد أن كانا مصدرين، لأنَّ فَضْلاً من دون الياء مصدرٌ فَصَلَ، كما أَنَّ ضَغْماً من دون الياء مصدرٌ ضَغَمَ، فلما حَصَلَ الياء فيهما وُصِفَ بهما وأفاداً مبالغةً في المعنى. ألا ترى أَنَّ فَيَضَلاً يفيد ما لا يفيدُه فاصِلٌ، وكذلك ضَيْغَمٌ يفيد ما لا يفيد ضاغَمَ، فاعلمه.

٣ - ضَرَبْنَاكُمْ حَتَّى إِذَا قَامَ مَيْلُكُمْ ضَرَبْنَا الْعِدَى عَنْكُمْ بِبَيْضِ صَوَارِمٍ
قام له بمعنى تَقَوَّمَ وترك الخلاف، وقام عليه بمعنى دَامَ ولازَمَ. وفي القرآن: ﴿إِلَّا مَا دُمَّتْ عَلَيْهِ قَالِبًا﴾ [آلِ عِمْرَانَ: الآية ٧٥]. يقول: قَدَعْنَاكُمْ بِالْمَكْرُوهِ، حَتَّى إِذَا بَانَ لَنَا فَيَتَنَكَّمُ واستقامتكم، حينئذٍ ذَبَبْنَا الأعداء عَنْكُمْ بِسِوْفٍ قَوَاطِعٍ. والمعنى: نَعَامِلُكُمْ بِمَعَامِلَةِ الأعداء، فإذا استقمتم لَنَا وَذَهَبَ الخِلَافُ عَنْكُمْ، ضَمَمْنَاكُمْ إِلَى أَنْفُسِنَا، وَحَمَيْنَا عَلَيْكُمْ مع الأولياء.

٤ - فَحَلُّوا بِأَكْنَافِي وَأَكْنَافِ مَغَشَرِي أَكُنْ حِرْزُكُمْ فِي الْمَاقِطِ الْمُتَلَاخِمِ
في جمعه للأكناف ظُهُورٌ تَجَبَّرَ فِيهِمْ، وَأَخَذَ بِالتَّعْلِي عَلَيْهِمْ. يقول: انزِلُوا بِجَنَابِي وَجَنَابِ عَشِيرَتِي، وَتَحَصَّنُوا بِفَنَائِي وَفَنَاءِ قَوْمِي أَكُنْ كَهَفُكُمْ فِي الْمَضِيقِ مِنَ الْحَرْبِ الْمُتَلَاصِقِ. والمتلاخِم، يجوز أن يكون من اللَّحَام، لأنَّ كُلَّ شَيْءٍ كَانَ مُتَابِئًا ثُمَّ تَلَازَمَ يُقَالُ فِيهِ: التَّحَمَّ وَتَلَاخَمَ، ويجوز أن يكون من الْمَلْحَمَةِ، لأنَّ أَهْلَهَا يَتَلَاخَمُونَ فِيهَا. يقال: لُحِمَتْهُ فَهُوَ لَحِيمٌ، أي قَتَلَتْهُ. قال الهذلي: [الطويل]

فَلَا رَيْبَ أَنَّ قَدْ كَانَ ثُمَّ لَحِيمٌ^(٢)

(١) قال التبريزي ١: ١٩٠: «قال أبو محمد الأعرابي: كيف يكون الحكم من قيس عيلان ههنا عامر بن الظرب العدواني وهو قبل الإسلام بمائتي عام، ومتى لحقه حريث بن عتاب وهو في عصر عمر بن الخطاب، وبعد ذلك إلى زمن معاوية؟ وإنما عني بالحكم من قيس عيلان هرم بن قطبة بن يسار الفزاري، والحكم من حنّي ربيعة دغفلاً النسابة، وحنّا ربيعة ذهل بن شيبان بن ثعلبة وذهل بن ثعلبة وهم عم ذهل بن شيبان، وعم الرجل أبوه».

(٢) البيت لساعدة بن جؤية في شرح أشعار الهذليين ١: ٢٣٢، واللسان (عصب، وحصر، وصدق، ولحم)، وتاج العروس (عصب، ولحم)، وللهمذلي في جمهرة اللغة ١٢٦٦، واللسان (حصر). وصدره:

«وَأُنْبِثْتُ أَنَّ الْقَوْمَ قَدْ حَدَّ قَوَابِهِ»

٥ - فَقَدْ كَانَ أَوْصَانِي أَبِي أَنْ أَضِيفَكُمْ إِلَيَّ وَأَنْهَى عَنْكُمْ كُلَّ ظَالِمٍ
نَبَّهَ بهذا الكلام على استعلائه عليهم قديمًا وحديثًا، وأنهم كانوا لهم كَالْخَوْلِ
وَالْتَّبَعِ، وَأَنَّ الْأَسْلَافَ كَانَتْ تُوصِي الْأَخْلَافَ بِهِمْ لِنُطَاوُلِ أَيَامِهِمْ فِي جَنَبَتِهِمْ، وَاكْتِنَافِ
الْعَنَايَةِ بِهِمْ مِنْ مَاضِيهِمْ وَغَابِرِهِمْ.

٧٠ - وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ كُثَيْفٍ النَّبْهَانِيُّ^(١): [الطويل]

١ - تَعَزَّرُ فَإِنَّ الصَّبْرَ بِالْحَزَرِ أَجْمَلُ وَلَيْسَ عَلَى رَبِّ الزَّمَانِ مُعَوَّلُ^(٢)

الخطاب بهذا الكلام للنفس على طريق التَّسْلِيَةِ، فيقول: تَصَبَّرْ فَإِنَّ الصَّبْرَ
بِالرَّجُلِ الْكَرِيمِ أَحْسَنُ مِنَ التَّخَشُّعِ فِيمَا لَا يَخْسُنُ الْخُضُوعُ فِيهِ وَلَهُ. وَالْأَصْلُ فِي الصَّبْرِ
الْحَبْسُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: قُتِلَ فَلَانٌ صَبْرًا. وَقَوْلُهُ «لَيْسَ عَلَى رَبِّ الزَّمَانِ مُعَوَّلُ»، يَرِيدُ
بِهِ أَنَّ الْأَحْدَاثَ لَا تَقِفُ عَلَى شَيْءٍ بِحُكْمٍ وَاحِدٍ، وَلَكِنَّهَا تَتَنَقَّلُ وَتَتَبَدَّلُ، فَلَا مُتَكَلِّ
عَلَيْهَا، وَلَا مُعْتَمِدَ عَلَى عَهْدِهَا، فَهِيَ كَمَا تُحْسِنُ تُسِيءُ، وَكَمَا تُدْوِي تُدَاوِي، وَكَمَا
تَجْمَعُ تُفَرِّقُ. وَقَوْلُهُ «تَعَزَّرَ» هُوَ مِنْ عَزَا الرَّجُلُ وَعَزَى الرَّجُلُ، إِذَا صَبَرَ عَزَاءً، وَرَجُلٌ
عَزِيٌّ أَيْ صَبُورٌ. وَفِي بِنَاءِ تَفْعَلُ زِيَادَةُ تَكْلُفٍ، وَدَلَالَةٌ عَلَى فِرَاطٍ تَعَمُّلٍ. وَالْمُعَوَّلُ:
الْمَحْمَلُ وَالْمُتَكَلِّ. وَالْحَزَرُ أَصْلُهُ الْأَعْتَقُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَالْأَكْرَمُ، وَلِذَلِكَ قِيلَ لِمَا بَدَأَ مِنَ
الْوَجْهِ فِي اللَّقَاءِ: حُرَّ الْوَجْهِ. قَالَ الشَّاعِرُ: [الطويل]

لَقَدْ شَانَ حُرَّ الْوَجْهِ طَعْنَةً مُسْهِرِ^(٣)

٢ - فَإِنَّ تَكْنِ الْأَيَّامِ فِينَا تَبَدَّلَتْ بِبُؤْسَى وَنُغْمَى وَالْحَوَادِثُ تَفْعَلُ

قوله: «والحوادث تفعل» يسمى اعتراضًا، ومثل هذا من الاعتراض يَزِيدُ الْقِصَّةَ
تَأْكِيدًا، وَهُوَ هَلْهَنَا حَائِلٌ بَيْنَ الْجَزَاءِ وَجَوَابِهِ، لِأَنَّ جَوَابَ إِنْ تَكُنْ قَوْلُهُ «فَمَا لَيْتَنَّا مِثَّا
قَنَاءَةً صَلِيبَةً» وَحَسَنَ الْكَلَامِ بِهِ جِدًّا إِذْ كَانَ تَأْكِيدًا لِمَا يَقْتَضِيهِ مِنْ تَحَوُّلِ الْأَحْوَالِ،

(١) إبراهيم بن كُثَيْف النِّهاني: شاعر إسلامي ترجمته في سبط اللاكبي ٤٣٠، والأعلام ١: ٥٣.

(٢) بعد هذا البيت عند التبريزي ثلاثة أبيات:

«فلو كان يغني أن يرى المرء جازعًا لحادثة أو كان يغني التذللُ
- لكان التعزي عند كل مصيبة ونائبة بالحرز أولى وأجمل
- فكيف وكل ليس يعدو جماعه وما لامرئ عما قضى الله مَزْحَلُ»

(٣) لعامر بن الطفيل في ديوانه ١١٩، والشعر والشعراء ٢٩٣ وصدوره:

«لعمري وما عمري عليَّ بهين»

وتحقيقًا لما شكاه من رَيْبِ الزمان، وَبَعَثًا على التَّسْلِي، وَأَخَذَ النفسَ بالتَّأْسِي. فيقول: إن كانت الأيام دارت فينا بالثُّعْمَاءِ مَرَّةً وبالبأساءِ أخرى - وهذا عادةُ الدهر وحوادثه - فما غَيَّرَتْ مِنَّا شيئًا.

٣ - فما لَيْنَتْ مِنَّا قَنَاءَ صَليْبَةٍ ولا ذَلَّلْنَا لِلَّذِي لَيْسَ يَجْمَلُ^(١)
ذِكْرُ الْقَنَاءِ مَثَلٌ، وقد مَضَى الكلام في مثله. وأبين ما يُسْتَشْهَد به في استعارتها للإباء والتشدد قوله: [الكامل]

كانت قَنَاتِي لا تَلِينُ لَغَامِرٍ فَأَلَانَهَا الإِصْبَاحُ وَالْإِنْسَاءُ^(٢)
وهذا البيت بيانٌ لفائدة الصبر الذي دعاه إليه، وَبَعَثَ نفسَه عليه، لأن الصابر على الشدائد حَقِيقٌ بِالْأَلَا يَتَذَلَّلُ لما لا يَحْسُنُ به، ولا تَجْمَلُ الأحداثُ فيه عنه، وأَلَا يَتَلَيَّنُ لما كان يَتَصَلَّبُ له من قبل. فَإِنْ قال قائلٌ: فإذا كان غاية الصبر ومعناه هذا، فإلى أي شيء دعا نفسه بقوله: تَعَزَّ فَإِنَّ الصبرَ بِالْحُرِّ أَجْمَلُ؟ وقد خَبِرَ عن نفسه بأنه أَخَذَ بما هو حَقِيقَتُهُ؟ قلتُ: يجوز أن يكون معنى «تَعَزَّ» دُمَ على التَّعَزِّي، ويكون بناء الأمر لما هو الحال، ولا يريد استثنائه، كما أن قولَ الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [النساء: الآية ١٣٦] معناه دُومُوا على الإيمان. ويجوز أن يكون أمر نفسه في المستقبل بما كان عادتهم في المُسْتَقْدَم.

٤ - وَلَكِنْ رَحَلْنَاهَا نُفُوسًا كَرِيمَةً نُحْمَلُ مَا لَا يُسْتَطَاعُ فَتُخْمَلُ^(٣)
يجوز أن يكون معنى رَحَلْنَاهَا رَحَلْنَا لها نفوسًا، والضمير للحوادث، ويكون هذا كقولهم كِلْتُكَ وَكَلْتُ لَكَ، وَوَزَنْتُكَ وَوَزَنْتُ لَكَ، ويكون نفوسًا مفعولًا لِرَحَلْنَا. ويجوز أن يكون الضمير أعني ضمير المنصوب في «رحلناها» للنفوس، على أن يكون مفعولًا. وأتى بالضمير قبل الذَّكْر، ثم جعلَ قوله نُفُوسًا بدلًا منها، على طريق التبيين. وقوله «ولكن» حَزَفَ يُسْتَدْرَكُ بها بَعْدَ النفي، فيكون المعنى ما تَذَلَّلْنَا للنوائب،

(١) عند التبريزي: «التي ليس تجمل».

(٢) للنمر بن تولب في ملحق ديوانه ٤٠٠، وللبيد بن ربيعة في نهاية الأرب ٧٠: ٣، ولعمرو بن قميصة في ملحق ديوانه ٢٠٤، وزهر الآداب ٢٢٣: ١، ولبعض شعراء الجاهلية في الكامل ٢٨٤: ١.

(٣) بعد هذا البيت عند التبريزي بيت آخر هو:

«وقينا بحسن الصبر منا نفوسنا فصحت لنا الأعراض والناس هزل»

ولكن هيأنا لها نفوساً تأنف من الرضا بالدنية، فلا تنسى كرمها، وتكلف أموراً لا تنهض بها فتتكلفها. وفي وصف النفوس بالكرم إشارة إلى الظلف والعفة، والتأني من المخزنية، ومجانبة الريبة، والنفور من كل قبيحة. ولذلك قال الله عز وجل في صفة المختارين من عباده المزكّين: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان: الآية ٧٢]. فأما قوله «رَحَلْنَاهَا» في الاستعارة، فكما يقال استَحْمَلْتُ فلاناً نفسي، وركبْتَنِي ظلماتٌ وما أشبهها. وحكي: هو يَزْخِلُهُ بما يكرهه، أي يَزْكِبُهُ، ولا رَحَلْتُكَ بالسيف، أي لا عَلَوْتُكَ.

٧١ - وقال آخر: [الطويل]

١ - وكم دَهَمْتَنِي من خُطوبٍ مُلِمَّةٍ صَبَرْتُ عَلَيْهَا ثم لم أَتَخَشَّعِ

يقول: مراراً كثيرة فاجأتني خطوبٌ شديدة، ونزلت بي، فحبست نفسي عليها، وتجذلت لها، فلم يَظْهَرْ في مناظري خُشوعٌ، ولا بَدَأَ في جوارحي خُضوع. وموضع كم على هذا التأويل ظَرْفٌ. «ومن» على طريقة الأخفش تكون زائدة، لأنه يُجوز زيادة «من» في الواجب، ويستبدل من المسموع بقول بعضهم: «قد كان من مَطَرٍ فَخَلَ عَنِّي» وبغيره. فكانه قال: كم مرّة دَهَمْتَنِي خطوبٌ كثيرة. ويكون قوله صَبَرْتُ عليها صفةً للخطوب. ويجوز أن يكون كم في موضع الابتداء، ومن خطوبٍ هو بيان له، وقد فَصَلَ بينهما بخبره، وهو دَهَمْتَنِي، وتقديره كم من خطوبٍ دَهَمْتَنِي، أي كثير من الخطوب. فأما فائدة العطف بثَمَ من قوله «ثُمَّ لم أَتَخَشَّعِ» فهو إبانة الاستمرار في الضّير، وإن طالت المهلة إلى أن انكشفت تلك الملمات العارضة وانفرجت. ومعنى دَهَمْتَنِي: فاجأتني، ومنه الذّم وذمّاء الناس.

٢ - فأدرُكْتُ ثَأْرِي الذي قد فَعَلْتُمُ قَلَائِدُ في أعناقِكُمْ لم تُقَطِّعِ

يقول: أصبت ما طلبتُهُ، وتقاضيتُ به ممن كان لي عنده ثأرٌ أو وِثْرٌ، فاستنزته عنه، وما فعلتم من القُعودِ عن نُصْرَتِي، وخذلاني فيما نابني لِزِمَكُم، فكانتْها قَلَائِدُ وأطواقٌ لا تَنَحِلُ عنكم ولا تنقطع. وهذا تحقيقٌ للزوم العار لهم فيما أتوا. ومثله قول بشر: [الطويل]

وَقُلْدَهَا طَوْقَ الْحَمَامَةِ جَعْفَرُ^(١)

(١) لبشر بن أبي خازم في ديوانه ص ٨٩، ومقاييس اللغة ٢٠: ٥، وصدرة:

«حباك بها مولاك عن ظهر بغضة»

يَصِفُ غَدْرَةَ ارْتِكَبُوهَا. ومثله في القرآن: ﴿سَيَطْلَوْهُنَّ مَا بَاطِلًا يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [آل عمران: الآية ١٨٠].

٧٢ - وقال عُوَيْفُ القَوَافِي^(١): [الكامل]

١ - ذَهَبَ الرُّقَادُ فَمَا يُحَسُّ رُقَادُ مِمَّا شَجَاكَ وَنَامَتِ الْعُودُ^(٢)

يقول: طَارَ النُّومُ فَلَا يُعْرِفُ لَهُ أَثَرٌ، مِمَّا دَهَاكَ وَحَزَبَكَ، وَنَامَ الَّذِينَ كَانُوا يَعُودُونَكَ وَلَمْ يَسْهَرُوا لَكَ. والمعنى: إِنِّي اخْتَصِمْتُ فِيكَ بِمَا عَرِي مِنْهُ عُودُكَ، وَتَحَمَّلْتُ مِنَ الْجَزَعِ مَا سَقَطَ عَنْهُمْ وَخَفَّ عَلَيْهِمْ. والرُّقَادُ والرُّقُودُ: النُّومُ بِاللَّيْلِ، وَعَرِفَ الْأَوَّلَ تَعْرِيفَ الْجِنْسِ، وَتَكَرَّرَ الثَّانِي لِأَنَّهُ أَرَادَ نَوْعًا مِنَ الْجِنْسِ، كَأَنَّ الْمَرَادَ: ذَهَبَ النُّومُ عَلَى اخْتِلَافِهِ حَتَّى مَا يُرَى لِنَوْعٍ مِنْهُ مُخْتَصٌّ أَثَرٌ.

٢ - لَمَّا أَتَانِي عَنْ عِيْنَةٍ أَنَّهُ أَمَسَتْ عَلَيْهِ نَظَاهَرُ الْأَقْيَادِ^(٣)

قوله: «لَمَّا أَتَانِي» ظَرْفٌ لِقَوْلِهِ «نَخَلْتُ لَهُ نَفْسِي» لِأَنَّ لَمَّا إِذَا وَلِيَهُ الْفِعْلُ الْمَاضِي، كَانَ عَلَمًا لِلظَّرْفِ، وَفُسِّرَ بِحِينَ. والمعنى: حِينَ تَسَاقَطَ إِلَيَّ عَنْ هَذَا الرَّجُلِ وَتَأَذَى أَنَّهُ أُسِرَ وَقِيدَ بِقَيْدٍ بَعْدَ قَيْدٍ، فَارْقَنِي مَا كُنْتُ أَخَايَرُهُ وَأَنْطَوِي عَلَيْهِ مِنَ التَّنَكُّرِ لَهُ، وَأَزَلْتُ عَنْ نَفْسِي مَا اسْتَجَفَيْتَهُ فِيهِ، لِأَنَّ الْكَرِيمَ يَرُقُّ لِمِثْلِهِ مِنَ الْكِرَامِ عِنْدَ التَّوَازُلِ. ومعنى التَّظَاهَرِ: أَنْ يَصِيرَ الشَّيْءُ فَوْقَ الشَّيْءِ فَيَقْوَى. ويقال: ظَاهَرَ بَيْنَ ثَوْبَيْنِ، إِذْ لَيْسَ أَحَدُهُمَا فَوْقَ الْآخَرِ. وقوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ﴾ [التَّحْرِيمُ: الآية ٤] مَعْنَاهُ تَعَاوَنَا، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: هُوَ ظَهَرَ ظَهِيرٌ، أَيِ قَوِيٌّ فِي الْإِسْتِغَاثَةِ.

٣ - نَخَلْتُ لَهُ نَفْسِي النَّصِيحَةَ إِنَّهُ عِنْدَ الشَّدَائِدِ تَنَقَّبُ الْأَخْقَادُ

يقول: أَضْفَقْتُ عِنْدَ ذَلِكَ نَفْسِي لَهُ التُّضْعَ، لِأَنَّ الضَّغَائِنَ تُفَارِقُ عِنْدَ الشَّدَائِدِ. وَهَذَا الْكَلَامُ هُوَ بَيَانٌ عِلَّةَ مَفَارِقَةِ ضِغْنِهِ وَرَجُوعِهِ إِلَى سَلَامَةِ الصُّدْرِ لَهُ. وَقَدْ ذَكَرَ فِيمَا

(١) عُوَيْفُ بْنُ مَعَاوِيَةَ: اشتهر في الدولة الأموية بالشام (ت ١٠٠ هـ / ٧١٨ م). ترجمته في (سمط اللالكى ٨١٤، وخزانة البغدادى ٣: ٨٧).

(٢) بعد هذا البيت روى التبريزي ثلاثة أبيات:

«خبرأتاني عن عينة موجع

«بلغ النفوس بلاؤه فكاننا

«يرجون عشرة جدنا ولوائهم

(٣) عند التبريزي: «رأس عليه».

كادت عليه تصدع الأكباد

موتى وفيينا الروح والأجساد

لا يدفعون بنا المكاره بادوا»

بَعْدَهُ مَا يَدُلُّ عَلَى حَسَنِ الْإِنْصَافِ مِنَ النَّفْسِ، وَالاعْتِرَافِ بِالْفَضْلِ لِلْغَيْرِ. وَيَجُوزُ أَنْ يُرْوَى «أَنَّهُ» بَفَتْحِ الْهَمْزَةِ، وَالْمَعْنَى لِأَنَّهُ عِنْدَ الشَّدَائِدِ، وَإِذَا رُوِيَ بِالْكَسْرِ يَكُونُ عَلَى الْإِسْتِنَافِ.

٤ - وَذَكَرْتُ أَيُّ فَتًى يَسُدُّ مَكَانَهُ بِالرُّفْدِ حِينَ تَقَاصَرُ الْأَرْفَادُ

مصدر ذكرْتُ في هذا الذُّكْرُ بضم الذال، لأنَّه بالقلب. وقوله «بالرُّفْد»، يريد ببذل الرُّفْد، فحذف المضاف. يقول: أَجَلْتُ في فِكْرِي، وَقُلْتُ في حديث نفسي: لو خَلَى مكانه مَنْ كَانَ يَسُدُّ مَسَدَّهُ، وَمَنْ يُغْطِي عَطَاءَهُ عِنْدَ تَقَاصُرِ الْعَطَايَا وَتَرَاجُعِ الْمَعُونَاتِ. وهذا إشارةٌ إِلَى زَمَانِ الْجَذْبِ وَالْقَحْطِ وَقَتِ تَنَافُسِ النَّاسِ فِي الْمَتَمَلِّكَاتِ، وَالذَّفْعِ عَنْهَا بِإِغْدَادِ الْعِلَاتِ. وَالْمَعْنَى: إِنَّ مِثْلَهُ لَا يُوجَدُ وَلَا يُظَفَّرُ بِهِ فِي مِثْلِ ذَلِكَ الْوَقْتِ، فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَكَيْفَ يَسْمَحُ الْمُنْصِيفُ بِهِ لِدَهْرِهِ، أَوْ كَيْفَ يَنْطَوِي الصَّدْرُ عَلَى السُّلُوءِ عَنْهُ وَالْخُلُوءِ مِنْهُ، مَعَ شِدَّةِ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ. وَيَقَالُ: رَفَدْتُ الرَّجُلَ رِفْدًا إِذَا أَعْطَيْتَهُ، ثُمَّ سَمِّيَ الْعَطِيَّةُ رِفْدًا بِكسر الراءِ، وَجَمْعُهُ الْأَرْفَادُ. وَأَرْفَدْتُهُ مَحْكِيًّا لَكِنَّهُ لَيْسَ بِالْمُتَخَيَّرِ. وَتَقَاصَرُ، أَصْلُهُ تَقَاصَرُ فَحذف إحدى التاءين تخفيفًا، وَهُوَ فِي مَوْضِعِ الْجَرِّ بِإِضَافَةِ حِينَ إِلَيْهِ.

٥ - أَمْ مَنْ يُهَيِّنُ لَنَا كَرَامَتَ مَالِهِ وَلَنَا إِذَا عُذْنَا إِلَيْهِ مَعَاذُ^(١)

أَمْ هَذِهِ هِيَ الْمُنْقَطَعَةُ، وَالِاسْتِفْهَامُ دَخَلَ فِي الْكَلَامِ عَلَى طَرِيقِ التَّوَجُّعِ وَالتَّلَهُّفِ لَمَّا جَرَى عَلَى غَيِّبَتِهِ الْمَذْكُورِ. وَالْمَعْنَى: لَوْ فَقَدْنَاهُ مَنْ كَانَ يَبْذُلُ لَنَا عَقَائِلَ أَمْوَالِهِ، وَمَتَى شَتْنَا وَجَدْنَا عَنْدهُ مَعَاذًا فَلَا يَمْلُ السُّؤَالُ، وَلَا يُغِبُّ التَّوَالُ؛ وَهَذَا الْكَلَامُ تَنْبِيْهُ عَلَى أَنَّهُ كَانَ يُدِيمُ الْإِحْسَانَ، وَلَا يَخُولُ عَطَاءُ يَوْمِهِ دُونَ عَطَاءِ غَدِهِ. وَقَوْلُهُ «كَرَامَتَ مَالِهِ»، جَمْعُ كَرِيمَةٍ، وَقَدْ أُجْرِيَ مَجْرَى الْأَسْمَاءِ حَتَّى جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: «إِذَا جَاءَكُمْ كَرِيمٌ قَوْمٍ فَأَكْرَمُوهُ»^(٢).

٧٣ - وَقَالَ بَشْرُ بْنُ الْمُغِيرَةِ:

١ - جَفَانِي الْأَمِيرُ وَالْمَغِيرَةُ قَدْ جَفَا وَأَمْسَى يَزِيدُ لِي قَدْ أَوَزَّ جَانِبُهُ

(١) يوجد بيت بعد هذا في ديوان الحماسة برواية الجواليقي (دار الكتب العلمية ط ١، ١٩٩٨) وهو:

«وَرَأَيْتُ فِي وَجْهِ الْعَدُوِّ شَكَاةً وَتَنَكَّرْتُ لِي أَوْجَةً وَبِلَادَةً»

(٢) الحديث في سنن ابن ماجه ٣٧١٢، والسنن الكبرى للبيهقي ١٦٨:٨، وحلية الأولياء ٢٠٥:٦.

أراد بالأمير المهلب بن أبي صفرة. والمغيرة أخوه، ويزيد ابنه. وقائل هذا الشعر بشر بن المغيرة، وهو أحد الفرسان المشتهرين، فيقول: جفاني عمي المهلب، وأبي المغيرة، وصار يزيد ابن عمي لاقتدائه بهم منحرفاً عني، غير مائل إلي. والازورار: الانحراف، وهو من الزور: نثو أحد شقي الصدر واطمئنان الآخر: ويقال رجُلٌ أزور، وامرأة زوراء.

٢ - وكلهم قد نال شيناً لبطنه وشين الفتى لؤم إذا جاع صاحبه

أراد بالكل الاتحاد لا الجميع. يقول: كل واحد منهم قد نال من الدنيا وأعراضها قدر ما يشبعه ويمكنه الاكتفاء به، ثم قال: وشين الإنسان لؤم إذا لم يشرك صاحبه فيه فبقي جائعاً. أي هو كذلك في ذلك الوقت، وعلى تلك الحالة. والشين لا يكون لؤماً، لكن التفرد به من دون ذويه على حاجة منهم إليه يكونه، فرمى بالكلام على ما ترى لأن المراد منه مفهوم. والفرق بين الشين والشبع، أن الشين يسكون الباء: القدر الذي يُشبع، والشين بفتح الباء: الامتلاء من الطعام، وقد استعمل الشين في غير الطعام فيقال: أشبعت الثوب صبغاً، وكذلك في كل ما وقرته من القول وغيره، حتى قيل تشبع الرجل، إذا تكثر.

٣ - فبا عم مهلاً واتخذني لنوبة نلّم فإن الدهر جم نوائبه^(١)

قوله «مهلاً» معناه رفقا ودع العجلة. ويحرك الهاء منه فيقال: انت كذا على مهل ومهل جميعاً. ويقال: ما بي عن كذا مهل، أي إني فيه مستعجل. وفي هذا بعض التوعّد والتطنز وإن كان ظاهره أنه يستعطف المهلب ويعرفه أن الدهر ذو غير وذو ألوان فلا يؤمن بوائقه؛ وأنه قد يحتاج إلى المستغنى عنه لحادثة تحدث. فيقول: أذخني لنوبة تنزل، وهي المصيبة أو النكبة، ولا تطرخني اغتراراً بالأمن، فإن الدهر كثير النوائب، وشيك النحول. وقوله «يا عم» حذف الباء منه لوقوعه موقع ما يحذف في هذا الباب، وهو التنوين، ولأن باب النداء باب إيجاز، ولأن الكسرة تدل عليه.

٤ - أنا السيف إلا أن للسيف نبوة ومثلي لا تنبو عليك مضاربه

يُفضّل نفسه في نفاذه في الأمور ومضائه، على السيف؛ فقال أولاً: أنا السيف، أي أشبهه، ثم تلاه فقال: إلا أن السيف رُبما نبا عن الضريبة وكبّا، ومثلي لا تكل

(١) عند التبريزي: «عجائبه» بدل «نوائبه».

ولا تَنْبُو حُدُودَهُ عَنْ شَيْءٍ ثَلَاثِيهِ. وفي هذه الطريقة قول جرير: [الطويل]
 وليس لسيفي في العظام بقيَّةٌ وللسيف أشوى وقعةً من لسانيا
 والمضاربُ: جمع مضربٍ، وهو الموضع الذي يضربُ به من السيف.

٧٤ - وقال بعض بني قحس: [البسيط]

١ - يا أيها الرَّاكِبَانِ السَّائِرَانِ مَعَا قُولَا لِسِنَنِسَ فَلْتَقُطِفْ قَوَافِيهَا
 الراكب: اسمٌ لمن ركب حيوانًا إلا الفرس، فإنه يقال لراكبه فارسٌ متى أطلق.
 ومَعَا، انتصب على الحال، ومعناه مُصْطَحِبَيْنِ ومُجْتَمِعَيْنِ. فيقول: يا أيها السائران
 المصطحبان، قولاً لهذه القبيلة لتترك قولَ الشعر، أو تتوقف قليلاً حتى تتباطأ قوافيها
 عني. وفي هذا الكلام ضَرْبٌ من الاستهزاء بهم، وإشارةٌ إلى التجبر والتعالي عليهم.
 والقُطُوفُ من الدواب: الذي في حَطْوِهِ بَطْءٌ مع تقارب. وجعلَ فعلَ الأمرِ للقوافي
 على السَّعة والمجاز. وسِنَنِسُ هم المأمورون. وهذا كما يقال في التَّهْيِ: لا أَرَيْتَكَ
 ههنا، والمخاطبُ هو المنهي، لأنَّ المعنى: لا تكن ههنا فأراك. ثم بيَّن هذا الشاعرُ
 الوجه الذي أوجبَّ منه أطراح الافتخار ورفض الهجاء له، فقال:

٢ - إني امرؤٌ مُكْرِمٌ نفسي ومُتَّيِّدٌ مِن أن أَقَاذِعَهَا حتى أَجَازِيهَا
 يقول: إني رجلٌ أزيأ بقذري عن مكابلتهم، وأترفع عن موازنتهم، وأتوقف عن
 مُلاحاتهم، طلباً لمجازاتهم. والتقدير: لا أَقَاذِعُهَا لكي أَجَازِيهَا، لأنَّ حتى الداخلةُ
 على الفعلِ مرَّةً يكون بمعنى كَيٍّ، ومرَّةً يكون بمعنى إلى أن. ويجوز أن يكون
 المعنى: لا أَقَاذِعُهَا إلى أن أَجَازِيهَا، أي أولاً أَجَازِيهَا فعلاً لأرى القُدرةَ عليها، ثم
 حينئذٍ أَجَازِيهَا بالكلام، والأول أحسن. ثم أخذ يقتصُّ ما كان منهم لَمَّا طلب
 مكافأتهم بالفعل. والمُقَاذعة: المُفَاخَشة. ويقال قَدَعْتُهُ، إِذَا رَمَيْتَهُ بِالْفُحْشِ. ومُتَّيِّدٌ:
 مُفْتَعِلٌ من التَّوَدَّة، وهي الرِّفْق.

٣ - لَمَّا رَأَوْهَا مِنَ الْأَجْزَاعِ طَالِعَةً شُعْثًا قَوَارِسُهَا شُعْثًا نَوَاصِيهَا

يقول لَمَّا رَأَوُا الخيلَ بارزةً لهم ومفاجئةً لإياهم من أجزاء الوادي - وهي جوانبها -
 مُعَبَّرَةً النَّوَاصِي مغبرة الفرسان. وجواب لَمَّا فيما بعده. ويقال شَعِثَ شُعْثًا وشُعُوثةً،
 وهو أَشَعَثَ وشَعِثَ. وَأَضْمَرَ الخيل في قوله «لَمَّا رَأَوْهَا» وإن لم يَجْر لها ذِكْرٌ، لأنَّ
 الحالة الحاضرة تدلُّ عليه ويجوز أن يكون تقدُّم ذكرها فيما تُرِكَ من أبياته.

٤ - لَأَذَتْ هُنَالِكَ بِالْأَشْعَافِ عَالِمَةً أَنْ قَدْ أَطَاعَتْ بَلِيلٍ أَمَرَ غَاوِيَهَا

يقول: التجأت في ذلك الوقت إلى قُلل الجبال وأعالي الهضاب، عارفة سوء اختيارها في تحكُّكها بي، وتعرضها بالشعر لي، وأنها قد ائتمرت لغواتها بلِيل. وذُكر الليل ههنا إشارة إلى خَيْرَتها فيما أَتته من تَزكها الرِّشاد، وقَبولها مَشورة الغُواة. والأشعاف: جمع الشَّعْفَة، وهي أعلى الجبل، وأعلى كلِّ شيء، ولذلك قيل شَعْفَة القَلْب لرأسه عند مَعْلَى الثَّيَاط. وهنالك ظرف، ويكون للزَّمانِ والمكان جميعًا، وزيادة اللام تكون للتأكيد فيه، كأنَّ البُعْدَ فيما يُشار إليه بُهْنَالِكَ أبلغ مما يكون فيما يشار إليه بهنالك. وهذا على طريقة ما تقوله في ذلك وذاك. وقوله «أَنْ قَدْ أَطَاعَتْ» أن فيه مخففة من الثقيلة، أي عالمة أنها قد أطاعت. ويقولون لما لا يُعْمَل بتثبِتٍ وحُسن تدبُّر: «هذا أَمْرٌ قَدْ قُدِّرَ بلِيل». وعلى هذا قوله تعالى: ﴿بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ﴾ [النساء: الآية ٨١].

٧٥ - وقال آخر في ابن له: [الطويل]

١ - لَا تَعْذُلِي فِي حُنْدُجٍ إِنْ حُنْدُجًا وَلَيْتَ عِفْرَيْنٍ لَدَيَّ سَوَاءٍ
يخاطب لأئمةً عَذَلَتْهُ في التوفُّر على ابنه حُنْدُج واختصاصه إيَّاه واستخلاصه، وذكر الخليل أن حُنْدُجًا في اللغة: رَمْلَةٌ طَيِّبَةٌ تُنْبِتُ ألوانًا من النبات. فيقول: لا تلوميني في أمر حُنْدُج، إِنْ حُنْدُجًا وَلَيْتَ هذه المَأْسَدَةُ متساويان عندي. وقد قيل في لَيْث عِفْرَيْن: إنها هي التي تصيد الذُّبَابَ وثَبًا، فشبَّهه في كَيْدِهِ ومكرِهِ به، وقد وُصِفَ الخبيث المُنْكَرُ بالعِفْر والعِفْرِيَّةُ وعِفْرَتِي، ويقال أيضًا للأسد عِفْرٌ وعِفْرَتِي. وقيل هو أَشَدُّ عَفَازَةً، واستعْفَرَ فلانٌ. وحكى الأصمعي أن لَيْث عِفْرَيْنَ دَابَّةً كَالْجِرْبَاءِ يَتَحَدَّى الرَّاكِبَ ويضرب بذَنِبِهِ. وقيل: عِفْرَيْنٌ، موضع نُسِبَ إليه، وقيل: عِفْرَيْنٌ، فِعْلَيْنِ من العَفَر، وهو الثَّرَاب، لأنَّ عادة الأسد. أن لا يصيب من فريسته حتى يُعَفِّرَهُ، يشهد لذلك قول الآخر في صفته: [الطويل]

وَلَا تَالَ قَطُّ الصَّيْدَ حَتَّى تَعَفِّرَا^(١)

(١) لحسان بن نشبة في لسان العرب (فظظ) وتاج العروس (فظظ)، وبلا نسبة في مقاييس اللغة ٤: ٤٤١. وصدرة:

«فكونوا كأنف الليث لا شتم مرغماً»

وذكر بعضهم أَنَّ لَيْثَ عَفْرَيْنَ كَقَوْلِهِمْ: لَيْثٌ لُيُوثٌ، لِأَنَّهُ يُقَالُ لِلْمُنْكَرِ الدَاهِيَةِ عِفْرٌ، وَيُوصَفُ بِهِ الْأَسُودُ وَالرُّجَالُ. وَيَكُونُ عَلَى هَذَا عَفْرَيْنَ جُمُوعَ جَمَعَ السَّلَامَةِ كَالْأَقْوَرَيْنِ، وَمَرْبِي أَنَّ قَوْلَهُمْ لَيْثَ عَفْرَيْنَ يَسْتَعْمَلُ فِي الْمَدْحِ وَالذَّمِّ وَسَوَاءٌ: مُصَدَّرٌ فِي الْأَصْلِ وَصِفَ بِهِ.

٢ - حَمَيْتُ عَلَى الْعُهَّارِ أَطْهَارَ أُمِّهِ وَبَغَضُ الرُّجَالِ الْمُدْعِينَ جُفَاءً^(١)

يُبَيِّنُ فِي هَذَا الْكَلَامِ انْتِفَاءَ الرُّبِّ عَنْ مُشَابَهَتِهِ لَهُ. وَتَقِيلُهُ إِتْيَاهُ، وَأَنَّهُ لَا يُشْكُ فِي كَوْنِهِ مِنْ صُلْبِهِ، فَيَقُولُ: حَفَظْتُ أَطْهَارَ أُمِّهِ عَنِ الزُّنَاةِ، لِأَنِّي اخْتَرْتُهَا مِنْ بَيْتِ الْعَقَّةِ، وَأُرُومَةِ الْكِرْمِ، وَمَغْرِسِ النَّجَابَةِ، وَالْعِتْقِ وَالشُّهَامَةِ وَدَعَاوِي حَقٍّ، وَبَعْضُ دَعَاوِي الْمُدْعِينَ كَالَّذِي يَغْلُو السَّيْلَ وَيَحْتَمِلُهُ مِنْ سَقَطِهِ الْأَرْضِ. وَالْمُرَادُ بِقَوْلِهِ: وَبَعْضُ دَعَاوِي الرُّجَالِ، فَحَذَفَ الْمُضَافَ وَأَقَامَ الْمُضَافَ إِلَيْهِ مَقَامَهُ. وَالْعَهْرُ وَالْعُهَّورُ: الْفَجُورُ. وَيَجُوزُ أَنْ يُرِيدَ بِقَوْلِهِ «حَمَيْتُ عَلَى الْعُهَّارِ» مَا أَرَادَ امْرَأُ الْقَيْسِ بِقَوْلِهِ: [الطويل]

وَأَمْنَعُ عِزِّي أَنْ يُزَنُّ بِهَا الْخَالِي^(٢)

أَيِ بَقَرْتُ غَيْرَتِي وَكَمَالَ رُجُولِيَّتِي وَتَمَامَ مُحَاسِنِي. وَإِنَّمَا خَصَّ الْأَطْهَارَ لِمَا فِي الْمَحِيضِ مِنَ الْاعْتِزَالِ، وَكَمَا قَالَ الْآخَرُ: [البسيط]

دُونَ النِّسَاءِ وَلَوْ بَاتَتْ بِأَطْهَارٍ^(٣)

وذكر بعضهم أَنَّ الْمُرَادَ بِقَوْلِهِ جُفَاءً: وَبَعْضُ الرُّجَالِ مُحْمُولٌ دَعِيٍّ، فَهُوَ كَالْجُفَاءِ لَا يُعْنَدُ بِهِ، وَالصَّحِيحُ الْأَوَّلُ.

٣ - فَجَاءَتْ بِهِ سَبْطُ الْعِظَامِ كَأَنَّمَا عِمَامَتُهُ بَيْنَ الرُّجَالِ لَوَاءً^(٤)

يَقُولُ: جَاءَتْ الْأُمُّ بِهَذَا الْوَلَدِ وَهُوَ تَأَمُّ الْعِظَامِ مَدِيدُ الْقَامَةِ، فَكَأَنَّ قَامَتَهُ رَمَحَ، وَكَأَنَّ عِمَامَتَهُ إِذَا تَوَسَّطَ الرُّجَالُ لَوَاءً مُحْمُولٌ عَلَيْهِ. وَأَحْسَنُ صَنْعَةً مِنْهُ قَوْلُ مُسْلِمٍ، وَإِنْ

(١) عند التبريزي: «عُثَاءً».

(٢) لامرئ القيس في ديوانه ٢٨، ولسان العرب (خلا)، وتاج العروس (خلو)، وجمهرة اللغة ١٣١٩، وديوان الأدب ١: ٣٦٠. وصدرة:

«ألم ترني أصبي على المرء عرسه»

(٣) للأخطل في ديوانه ٨٤، وحماسة البحتري ٣٤، ونوادر أبي زيد ص ١٥٠، وبلا نسبة في الجني الداني ٢٨٥، ووصف المباني ٢٩١. وصدرة:

«قوم إذا حاربوا شذوا مآزرهم»

(٤) عند التبريزي: «سبط البنان».

كان هذا سليماً من العَيْب: [الطويل]

يَقُومُ مَعَ الرُّمَحِ الرُّدْنِيِّ قَامَةً وَيَقْصُرُ عَنْهُ طُولُ كُلِّ نِجَادٍ

وفي طريقته قول الآخر: [الطويل]

يَكَادُ يُسَاوِي غَارِبَ الْفَخْلِ غَارِبُهُ^(١)

٧٦ - وقال آخر^(٢): [الطويل]

١ - إِذَا كَانَ أَوْلَادُ الرُّجَالِ حَرَازَةً فَأَنْتَ الْحَلَالُ الْحُلُوُّ وَالْبَارِدُ الْعَذْبُ^(٣)

إذا يتضمّن معنى الجزاء، ولهذا احتاج إلى الجواب فجعل بالفاء. فيقول: إذا كان الأولاد تقطيعاً في الصدور وتحزيراً في القلوب، لعقوبهم واستعمالهم الجفاء في موضع البرّ مع آبائهم، فأنت العسل مشوباً بالماء العذب. وقد وصف بعضهم كلاماً فقال: «هو السُّخْرُ الحلال، والعَذْبُ الزُّلال». ويشير الشاعر إلى سهولة جانبه، وحسن طاعته، ودماثة خلقه. وقال الخليل: الحزاة: وَجَعٌ في القلب من غَيْظٍ أو أذى. والحزّاز أيضاً كذلك، وأنشد بيت الشّماخ: [الطويل]

وفي الصُّدْرِ حَزَّازٌ مِنَ اللَّوْمِ حَامِزُ^(٤)

٢ - لَنَا جَانِبٌ مِنْهُ دَمِيثٌ وَجَانِبٌ إِذَا رَامَهُ الْأَعْدَاءُ مُنْتَنِعٌ صَفْبُ

خاطب في الأوّل ثم عدل في الثاني إلى الإخبار، وهذا عادتهم إذا افتتوا في كلامهم، نظموا أو نثروا، لِمَا في التحوّل من سهولة تجاوب الألفاظ، وتلاؤم طرائق النظام. فيقول: لنا من هذا الولد خُلِقَ سَجِيحٌ، ومذهبٌ في البرّ فسيح، فهو هَيِّنٌ لَيِّنٌ

(١) لفرعان التميمي في لسان العرب (جعد)، والمقاصد النحوية ٣٩٨:٢، والحماسية رقم ٦٠٣. وصدره:

«وبالمحض حتى آمن جعداً عتظنتاً»

(٢) عند التبريزي: «قال أبو رياش: هو لأبي الشغب العبسي، وقال أبو عبيدة: للأقرع بن معاذ القشيري».

(٣) مطلع المقطوعة عند التبريزي:

«رأيت رباطاً حين تمّ شبابه وولّى شبابي ليس في برّو عتب»

(٤) للشماخ في ديوانه ١٩٠، واللسان (حز، حمز)، وصدره:

«فلما شراها فاضت العين عبرة»

ومقاييس اللغة ٨:٢، ١٠٤، وأساس البلاغة (حز)، وتاج العروس (حز وحمز)، وبلا نسبة في ديوان الأدب ١٥٩:٢.

معنا، وللأعداء منه إذا طلبوه أو جربوه جانبٌ خَشِنٌ مَذْقَعٌ، وطريقٌ صعبٌ مُثْلِفٌ، وَخُلِقَ وَغَرَّ شَرِسٌ. ولم يقل وللأعداء جانب ولكن عَطَفَ الثاني على الأول، بمعنى أَنَّ أحدهما لاجتذاب الخير، والآخر لدِفَاع الشر. فكأنَّ التقدير: ولنا منه جانبٌ مُعَدٌّ للأعداء ذلك صفته، فصار الجانبان لهم في اللفظ، والقِسْمَةُ ثابتة في المعنى. والدُّمَانَةُ: سهولة الخُلُقِ وليِّن الجانب. ويُرَوَّى «مَمْتَنِعٌ صَغْبٌ»، و«مَثْلَفَةٌ صَغْبٌ»، والمعنى ظاهر.

٣ - وَتَأْخُذُهُ عِنْدَ الْمَكَارِمِ هِزَّةٌ كَمَا اهْتَزَّتْ تَحْتَ الْبَارِحِ الْغُضْنُ الرُّطْبُ

البارحُ: رِيحٌ حَارَةٌ تَجِيءُ مِنْ قِبَلِ الْيَمَنِ: فيقول: تملكه عند اكتساب المكارم أريحية يهتزّ عندها اهتزازُ الغُضْنِ الرُّطْبِ، الذي جرى الماء فيه، إذا هَبَّتْ عليه البارح. و«كما اهتزّ» أراد كاهتزاز. وقوله «تحت البارح» حسنٌ جدًّا، لأنَّ الريح تَعْلُو الغُضُونُ في مرورها. وقد نسبوا البارحَ إلى النجوم إذا ذكروا الأنواء. قال: [الطويل]

أَيَا بَارِحِ الْجَوَازِ مَا لَكَ لَا تَرَى عِيَالَكَ قَدْ أَمْسَوْا مَرَامِيلَ جُوعًا^(١)

هذا يقوله بعض المتلصّصة. وعيالها: السُّرَاقُ، وذلك أَنَّ البارحَ تَحْمِلُ الغُبَارَ وَتَذْرُسُ الآثارَ، فَتَجْسُرُ المتلصّصة على السَّعي، وتُمْكِنُهُم السَّرَقَةُ.

٧٧ - وَقَالَ آخِرُ^(٢): [الطويل]

١ - وَفَارَقْتُ حَتَّى مَا أَبَالِي مِنَ النَّوَى وَإِنْ بَانَ جِيرَانٌ عَلَيَّ كِرَامٌ^(٣)

يُروى: «مَنْ اتَّوَى» وهو افْتَتَلَ مِنَ النَّوَى، وهي الوجهة المنوَّية للقوم، أو البُعد. يقول: أَلْفْتُ مفارقة الوَطَنِ والإخوانِ شَيْئًا بعد شيءٍ، واعتدتُ التَّبَاعُدَ عنهم يَوْمًا بعد يومٍ، حَتَّى لَا أَبَالِي مَنْ اتَّوَى مِنْهُمْ أَوْ نَأَى، وَإِنْ كَرُمُوا عَلَيَّ عِنْدَ الْمَجَاوِرَةِ. ومن روى: «لَا أَبَالِي مِنَ النَّوَى» فمعناه لَا أُحْتَفَلُ بِهِ، وَالْأَوَّلُ أَحْسَنُ. فَإِنْ قِيلَ: كَيْفَ تَعْلَقُ «حَتَّى» بِفَارَقْتُ؟ وَمَا مَعْنَاهُ؟ قُلْتُ: أَرَادَ تَكَرَّرَتِ الْمَفَارِقَةُ عَلَيَّ وَقْتًا بَعْدَ وَقْتٍ، وَحَالًا بَعْدَ حَالٍ، إِلَى أَنْ صِرْتُ لَا أَبَالِي بِالْفِرَاقِ. فمعنى حَتَّى: إِلَى أَنْ. وقوله «فَارَقْتُ» مُسْتَصْلَحٌ لِلْقَلِيلِ وَالكَثِيرِ فَانصَرَفَ إِلَى الْكَثِيرِ، بِدَلَالَةِ أَنَّ الْمُتَمَرِّنَ بِالْبَلَاءِ قَدِيمًا، وَالْمُتَحَكِّكَ بِهِ كَثِيرًا، هُوَ الَّذِي يَسْتَهِينُ بِهِ كَثِيرًا، دُونَ مَنْ مَارَسَهُ يَسِيرًا، وَعَالَجَهُ حَدِيثًا.

(١) بلا نسبة في اللسان (جن)، وجمهرة اللغة ٢٧٤، والأزمة والأمكنة ٢١٦: ١، ومجالس ثعلب ٤٩٠.

(٢) التبريزي: «وذكر أنه لعبد الصمد بن المعدل، وقيل: للحسين بن مطير».

(٣) التبريزي: «ويروى: وفارقت حتى ما أحق من النوى».

٢ - فَقَدْ جَعَلْتُ نَفْسِي عَلَى النَّأْيِ تَنْطَوِي وَعَيْنِي عَلَى فَقْدِ الصَّدِيقِ تَنَامُ^(١)
 جعلت نفسي، بمعنى طَفِقْتُ وأقبلتُ، ولذلك لا يتعدى. فيقول: أخذت نفسي
 تَصْبِرُ عَلَى النَّأْيِ، وتنطوي على الفراق، فلا يظهر منها جَزَعٌ، ولا تبوحُ بِشُكْرِ،
 وعيني تنام على فَقْدِ الصديق منهم فلا تسهر، ولا تبكي فتذرِفُ وهكذا النفسُ إذا
 وُطِنَتْ على الشدائد، وتمرَّنت بالمصائب. وقوله «تنطوي» أصلُ الطَّيِّ الثَّني والقَبْضُ،
 ومنه الطاوي والطيَّان.

٧٨ - وقال آخر^(٢): [البيط]

١ - رُوغْتُ بِالْبَيْنِ حَتَّى مَا أَرَاغُ لَهُ وَبِالْمَصَائِبِ فِي أَهْلِي وَجِيرَانِي
 يقول: فَرُغْتُ بِالْفِرَاقِ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى، وَثَانِيَةً بَعْدَ أُولَى، حَتَّى صِرْتُ لَا أَرَتَاغُ
 لَهُ، وَوَاظَبْتُ الْمَصَائِبَ عَلَيَّ وَاتَّصَلْتُ فِي الْأَهْلِ تَارَةً، وَالْإِخْوَانَ أُخْرَى، حَتَّى صَارَتْ
 الرِّزَايَا بِالْإِلْفِ كَأَنَّهَا مَرَايِي وَعَطَايَا. وَالْكَلَامُ فِي حَتَّى وَاتِّصَالِهِ وَمَعْنَاهُ عَلَى مَا تَقَدَّمَ.
 ٢ - لَمْ يَتْرِكْ الدَّهْرُ لِي عِلْقًا أَضْنُ بِهِ إِلَّا اصْطَفَاهُ بِئْسَ أَوْ بِهِجْرَانِ
 يقول: لَمْ أَذْخِرْ لِنَفْسِي عِلْقًا نَافِسْتُ فِيهِ إِلَّا زَاخَمَنِي الدَّهْرُ عَلَيْهِ فَاسْتَأَثَرَ بِهِ، إِمَّا
 بِإِيقَاعِ بُعْدٍ بَيْنَنَا، أَوْ إِحْدَاثِ هَجْرَانٍ تَوَسَّطَنَا. وَأَصْلُ الْعِلْقِ: الْمَالُ الْكَرِيمُ، وَجَمْعُهُ
 أَغْلَاقٌ وَعُلُوقٌ، وَاسْتَعَارَهُ هَلْنَا.

٧٩ - وقال طفيل الغنوي^(٣): [الطويل]

١ - وَمَا أَنَا بِالْمُسْتَنْكَرِ الْبَيْنِ إِنِّي بِذِي لَطْفٍ الْجِيرَانِ قَدَمًا مُفْجَعُ
 يقال: نَكِرَ وَأَنْكَرَ وَاسْتَنْكَرَ بِمَعْنَى وَاحِدٍ. فيقول: أُنِسْتُ بِفِرَاقِ الْأَحَبَّةِ بَعْدَ
 نَفَرَتِي، وَيُبْعِدُ ذُوِي اللَّطْفِ عَقَبَ قَلْقِي، وَذَلِكَ لِأَنِّي فُجِعْتُ بِالْخُلُطَاءِ وَالْجِيرَانِ قَدِيمًا،
 حَتَّى صَارَ كَالْعَادَةِ الْمَأْلُوفَةِ. وَقَوْلُهُ «بِذِي لَطْفٍ الْجِيرَانِ» أَزَادَ بِلَطِيفِ الْجِيرَانِ، أَيْ
 بِاللَّطِيفِ مِنْهُمْ. وَقَدَمًا ظَرَفٌ لِلْمُفْجَعِ.

(١) عند التبريزي: «على فقد الحبيب».

(٢) التبريزي: «قال أبو العلاء: هذا يروى لمؤرج السدوسي».

(٣) طفيل الغنوي: طفيل بن عوف، أو هو طفيل بن كعب الغنوي، من قيس عيلان، شاعر جاهلي، وهو أوصف العرب للخيال. (ت ١٣ هـ / ٦١٠ م). ترجمته في الشعر والشعراء ١٧٣، والأغاني ١٤: ٨٥.

٢ - جَدِيرَ بِهِمْ مِنْ كُلِّ حَيٍّ صَجِبْتُهُمْ إِذَا أَنَسَ عَزُّوا عَلَيَّ تَصَدَّعُوا^(١)

يقول: أنا خَلِيقٌ بِالْبَيْنِ مِنْ كُلِّ حَيٍّ أَجَارُهُمْ إِذَا اسْتَوْقَفْتُ قُرْبَهُمْ، واستحليت الكَوْنُ معهم، حَتَّى لَا يَمِزُّ عَلَيَّ أَنَسٌ إِلَّا تَفَرَّقُوا عَنْ كَثَبٍ. وَالْأَنَسُ: الطَّائِفَةُ مِنَ النَّاسِ. يُقَالُ: رَأَيْتُ مَعَهُ أَنَسًا كَثِيرًا، أَيْ نَاسًا. تَصَدَّعُوا: تَفَرَّقُوا. وَمِنْهُ يُقَالُ تَصَدَّعَتِ الْأَرْضُ بَقْلَانٍ، إِذَا تَغَيَّبَ هَارِبًا.

٨٠ - وَقَالَ الرَّاعِي^(٢): [الطويل]

١ - وَقَدْ قَادَنِي الْجَبِرَانُ حِينًا وَقُدَّتُهُمْ وَفَارَقْتُ حَتَّى مَا تَحِنُّ جِمَالِيَا

يقول: جَذَبَنِي الْخُلَطَاءُ زَمَانًا وَجَذَبْتُهُمْ، حَتَّى كُنْتُ فِي حُكْمٍ مِنْ لَا يَصْبِرُ عَنْهُمْ، وَلَا يَنْفُكُ مِنْهُمْ، كَالْقَائِدِ لِلشَّيْءِ، وَهُوَ مَقْوَدٌ لَهُ، لِأَنَّهُ مِنْ كَانَ هَذِهِ صِفَتُهُ مَعَ شَيْءٍ فَهُوَ يَلْزَمُهُ وَلَا يَفَارِقُهُ. وَالْآنَ فَارَقْتُهُمْ فَلَا أَحِنُّ إِلَيْهِمْ، وَلَا أَتَزِعُّ نَحْوَهُمْ. وَنَسَبَ الْحَنِينَ إِلَى جِمَالِهِ وَإِنْ كَانَ الْمُرَادُ النَّفْسَ، لِأَنَّهَا فِي الْحَنِينِ أَقْلٌ صَبْرًا حَتَّى رُبَّمَا تَهِيمُ عَلَى وَجْهِهَا، وَتَبْدُ عَنْ صَوَاحِبِهَا، طَلَبًا لِلْإِلْفِ، وَجَزَاً مَعَ الْهَوَى. وَعَلَى هَذَا قَالَ مَنْ قَالَ فِي مَخَاطَبَةِ رَاحِلَتِهِ وَقَدْ رَأَاهَا: [الوافر]

فإِنِّي مِثْلُ مَا تَجِدِينَ وَجِدِي وَلَكِنْ أَصْحَبْتُ عَنْهُمْ قَرُونِي^(٣)

٢ - رَجَاؤُكَ أَنَسَانِي تَذَكَّرَ إِخْوَتِي وَمَالُكَ أَنَسَانِي بَوْهَبِينَ مَالِيَا

يقول: أَمَلِي فِيكَ أَنَسَانِي الْفِكْرُ فِي إِخْوَتِي وَأَهْلِ بَيْتِي، وَطَمَعِي فِي مَالِكَ أَنَسَانِي مَالِي بَوْهَبِينَ. وَهَذَا قَالَهُ لِأَنَّهُ يَرَى أَنَّ رَجَاءَهُ فِيهِ لَتَحَقُّقِهِ صَارَ مُؤَثِّرًا عَلَى ذِكْرِ وَطْنِهِ وَعَشِيرَتِهِ، وَأَنَّ مَا طَمِعَ فِيهِ مِنْ مَالِهِ لَمَّا كَانَ أَكْثَرَ مِمَّا لَمَلَكَهُ بَوْهَبِينَ صَارَ مُنْسِيًا لَهُ.

وهذه المقطوعات بما اشتملت عليه من الفظاظاة والقسوة، وذكر قلة الفكر في الأوطان والأحبة، وتناسي العهود والأدمة، ومفارقة الأماكن المألوفة. والجَلَلِ المورودة، وشكوى النفس إلى التناهي والغربة، دَخَلَتْ فِي بَابِ الْحِمَاسَةِ. وَبِمِثْلِ هَذِهِ الْمُنَاسِبَةِ دَخَلَ فِيهِ كَثِيرٌ مِنْ نِظَائِرِهَا، وَسَنَدُلُّ عَلَيْهَا إِذَا انْتَهَيْنَا إِلَيْهَا.

(١) ذكر التبريزي بعد هذا البيت بيت ثالث وهو:

«وَإِنِّي بِالْمَوْلَى الَّذِي لَيْسَ نَافِعِي وَلَا ضَائِرِي فَقْدَانِهِ لَمَمْتَحُ»

(٢) الراعي النميري: عبيد بن حصين، شاعر من فحول المحدثين، عاصر جريرا والفرزدق (ت ٩٠ هـ / ٧٠٩ م). ترجمته في الأغاني ٢٠: ١٦٠، والشعر والشعراء ٣٧٧.

(٣) بلا نسبة في اللسان (قرن) وتاج العروس (قرن)، وهو لرجل من كليب في الحماسة رقم ٩٠.

٨١ - وقال آخر^(١): [المتقارب]

١ - وَإِنَّا لَتُضْبِحُ أَسْيَافُنَا إِذَا مَا اضْطَبَّخْنَ بَيَوْمِ سَفُوكِ
 يزوى «تضبح» بفتح الباء على ما لم يسم فاعله، فيكون المعنى: إِنَّا لَتُسْقَى
 أسيافنا الصُّبُوحُ بيوم سَفُوكِ إِذَا مَا اضْطَبَّخْنَ. ومن روى «لَتُضْبِحُ» بكسر الباء فخبُرُ
 تُضْبِحُ في الثاني، وهو «منابرهنَّ بَطُونُ الْأَكْفِ». والمعنى: إِنَّا لتصير أسيافنا إِذَا شَرَبَتْهُ
 الصُّبُوحُ في يوم سَفُوكِ للدماء بهذه الحالة. ونسبة السَّفكِ إِلَى الْيَوْمِ مَجَازٌ لَمَّا كَانَ يَقَعُ
 فيه، فهو كقولهم: نَهَارُهُ صَائِمٌ.

٢ - مَنَابِرُهُنَّ بَطُونُ الْأَكْفِ وَأَغْمَادُهُنَّ رُؤُوسُ الْمُلُوكِ
 أراد أنها تَتَضَيُّ فتخطبُ واعظةٌ للأعداءِ زاجرةٌ، ومُنْذِرَةٌ لِلْكَمَامَةِ محدِّرةٌ، لكن
 منابرهنَّ أَكْفُ الضَّارِبِينَ، وأغمادها إِذَا أَغْمَدْتَ رُؤُوسَ الْمُلُوكِ المعظمين، وهم
 يتبجحون بقتل الملوك وقتالها، ويقربُ من هذا قوله: [الوافر]
 يَكُونُ جَفِيرُهَا الْبَطْلُ النَّجِيدُ

وقوله: [الكامل]

من عَهْدِ عَادٍ كَانَ مَعْرُوفًا لَنَا أَسْرُ الْمُلُوكِ وَقَتْلُهَا وَقِتَالُهَا
 والمنابرُ: مواضع الثُّبْرِ، وهو الصوت، لأنها نُصِبَتْ لِلخُطْبِ والمواظ
 والتحميدات.

٨٢ - وقال آخر^(٢): [البسيط]

١ - لَا يَمْنَعُكَ حَفْضُ الْعَيْشِ فِي دَعَةٍ نِزَاعُ نَفْسٍ إِلَى أَهْلِ وَأَوْطَانِ
 يقول: لَا يُزْهَدُكَ اسْتِيقَاكَ إِلَى السُّكْنِ، وحينئذٍ إِلَى الْوَطَنِ، فِي إِثَارِ سَعَةِ
 الْعَيْشِ وَرَغْدِهِ مَعَ الرَّاحَةِ وَالسُّكُونِ. وَيُزَوَى: «نِزَوُعُ نَفْسٍ» وَالنِّزْوَعُ اسْتِهَارُهُ فِي الْكَفِّ
 عَنِ الشَّيْءِ، وَالنِّزَاعُ فِي الشُّوقِ، وَإِنْ كَانَ جَائِزًا وَقَوُعُ أَحَدِهِمَا مَوْقِعَ الْآخَرِ فِي
 التَّشْوُقِ. وَيَقَالُ: نَاقَةُ مَنَازِعُ وَنِزْوُعُ. وَقَدْ أَنْزَعُوا، إِذَا حَثَّتْ إِلَيْهِمْ. وَالتَّنْزُعُ: الْجَذْبُ،
 وَيَقَالُ: خَرَجَ نَازِعَ يَدٍ، إِذَا خَرَجَ عَنِ الطَّاعَةِ.

(١) الأبيات في ديوان المعاني ٢: ٤٠٠ وقد نسبها للحماني.

(٢) دُكِرَ فِي دِيوَانِ الْحَمَاسَةِ بِرَوَايَةِ الْجَوَالِيْقِي أَنَّهُ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ الْعَبَّاسِ الصُّوْلِيِّ، وَالْأَبْيَاتُ فِي الْحَمَاسَةِ
 الْبَصْرِيَّةِ ٢: ٢٢٠.

٢ - تَلَقَّى بِكُلِّ بِلَادٍ إِنْ حَلَلَتْ بِهَا أَهْلًا بِأَهْلٍ وَجِيرَانًا بِجِيرَانٍ

هذا تسلية للنفس عن الأهل. يقول: تجذب بكل بلد تنزل به أهلاً بدلاً من أهلك، وجيراناً بدلاً من جيرانك. والعرب تقول: هذا بذاك، أي هو عوض منه. وإنما ضمّن أبو تمام هذه الأبيات باب الحماسة، لما قدّمته من أنها صادرة عن قسوة شديدة، وقلة فكر في التحول عن الإلف والعادة، ولأن ترك الوطن والإخلال بالعشيرة يضمّن إلى القتل وتلف النفس، فالصبر عليه كالصبر على القتل. ألا ترى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أَخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٦٦].

٨٣ - وقال بعض بني أسد^(١): [الطويل]

١ - إِلَّا أَكُنْ مِنْ عِلْمِي فَلِئَنِّي إِلَى نَسَبِ مَنْ جَهِلْتُ كَرِيمٍ

يقول: إن لم أكن ممن عرفتهم بالشرف، فلاني أنتمي إلى شرف كريم ممن جهلتهم. كأنه يريد: ليس الاعتبار بما تعدّينه شرفاً أو تعريفه نسباً، لكن الاعتبار بحصول الكرم على أي وجه حصل، وخوّر المجد وإن جهله من جهل. وقوله «إلى نسب» يتعلّق بفعل مضمر، كأنه قال: فلاني أنتمي إلى نسب.

٢ - وَإِلَّا أَكُنْ كُلَّ الْجَوَادِ فَلِئَنِّي عَلَى الزَّادِ فِي الظُّلُمَاءِ غَيْرُ شَتِيمٍ

يقول: إن لم أكن النهاية في الجود فلاني لا أشتّم بسبب الزاد في الليلة المظلمة، فلا أدّم لصرفي الضيف عن نفسي بالعلل الكاذبة في الشّوة القحطة. وقد اشتمل قوله «على الزاد في الظلماء» على ما بيّنا وأكثر منه. وهذا الذي خبر به عن نفسه هو الجود، لكنه أراد أن يري من نفسه ترك ادعاء النهايات، والأخذ بالاقتصاد في الحالات، وإن كان تنأى من حيث اقتصد. ويقال: زيد الشجاع كل الشجاع، والمعنى أنه الكامل في معناه. ومن هذا الباب قوله عز وجل: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَوْ لِيَاكُمْ لَعَلَّ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ﴾ [سبأ: ٢٤]. وهذا كلام من نظر لنفسه وغيره، وتبين ما عليه وله، فأثبت ما أثبت في أحسن مغرض، ودفع ما دفع بالطف تعريض. وتعلّق على من قوله: «على الزاد» بشتيم وإن كان مضافاً إليه، لأنه أجري غير مجرى لا،

(١) التبريزي: «قيل: هي لعبد العزيز بن زرارة ٢٢. وعبد العزيز بن زرارة الكلابي: قائد من الشجعان المقدمين في زمن معاوية، كان فيمن غزا القسطنطينية وأبلى في قتال الروم بلاء عجيبة (ت ٥٠ هـ/ ٦٧٠ م). ترجمته في الكامل لابن الأثير، حوادث سنة ٤٩.

لأنهما للثقي، فحُمِلَ الكلام على المَعْنَى فكانه قال: إِنِّي على الزاد لا أَشْتَمُ. ونزید هذا شرحًا فيما بَعْدَه.

٣ - وَلَا أَكُنْ كُلَّ الشُّجَاعِ فَإِنِّي بَضْرِبِ الطُّلَى وَالْهَامِ حَقُّ عَلِيمٍ

هذا كالبيت الذي قبله. يقول: إِنْ لَمْ أَكُنِ النِّهَايَةَ فِي الشُّجَاعَةِ، وَالْمَعْنَى إِنْ لَمْ يَكُنْ فِعْلِي النِّهَايَةَ فِيمَا يَفْعَلُهُ الشُّجَاعُ، فَإِنِّي عَالِمٌ حَقًّا بِضَرْبِ الرُّؤُوسِ وَالطُّلَى. وَالْمَتَنَاهِي فِي الشُّجَاعَةِ لَا يَتَعَدَّى فَعْلُهُ هَذَا، لَكِنَّهُ سَلَكَ طَرِيقَتَهُ فِيمَا قَبْلَهُ. الطُّلَى: الْأَعْنَاقُ وَأَعْرَاضُهَا، وَالوَاحِدَةُ طُلَيْةٌ. وَالْبَاءُ مِنْ قَوْلِهِ «بَضْرِبِ الطُّلَى» تَعَلَّقَ بِقَوْلِهِ عَلِيمٌ.

فإن قيل: كَيْفَ سَأَغْ ذَلِكَ وَالْمُضَافُ إِلَيْهِ لَا يَعْمَلُ فِيمَا قَبْلَ الْمُضَافِ؟ قُلْتُ: لَمَّا كَانَ قَوْلُهُ «حَقُّ عَلِيمٍ» لَا زِيَادَةَ فِيهِ إِلَّا التَّوْكِيدَ لَمْ يُعْتَدَ بِالْمُضَافِ، فَحُمِلَ الْكَلَامُ عَلَى الْمَعْنَى لَا عَلَى اللَّفْظِ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: إِنِّي بِضَرْبِ الطُّلَى عَلِيمٌ جَدًّا. وَيَجْرِي هَذَا الْمَجْرَى إِجَازَتُهُمْ لِقَوْلِ الْقَائِلِ أَنْتَ زَيْدًا غَيْرَ ضَارِبٍ، مَعَ امْتِنَاعِهِمْ مِنْ إِجَازَةِ أَنْتَ زَيْدًا مِثْلُ ضَارِبٍ، لَمَّا كَانَتْ مَعْنَى غَيْرٍ مَعْنَى لَا، فَحُمِلَ الْكَلَامُ عَلَى الْمَعْنَى لَا عَلَى اللَّفْظِ، حَتَّى كَانَهُ قِيلَ: أَنْتَ زَيْدًا لَا ضَارِبٍ. فَاعْلَمْ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ.

٨٤ - وَقَالَ عَمْرُو بْنُ شَاسٍ^(١): [الطويل]

١ - أَرَادَتْ عِرَارًا بِالْهَوَانِ وَمَنْ يُرْدُ عِرَارًا لَعَمْرِي بِالْهَوَانِ فَقَدْ ظَلَمَ الْمُضْمَرَّةُ فِي أَرَادَتْ رَابِعَةَ عِرَارٍ، فَقَالَ وَالِدُهُ عَمْرُو: أَرَادَتْ أَمْرَاتِي إِهَانَةَ عِرَارٍ وَالِاسْتِخْفَافَ بِهِ، وَمَنْ يَطْلُبُ ذَلِكَ فِي مِثْلِهِ فَقَدْ وَضَعَ الشَّيْءَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ. فَإِنْ قِيلَ: هَلْ تَفْصِلُ بَيْنَ قَوْلِهِ أَرَادَتْ عِرَارًا بِالْهَوَانِ وَبَيْنَ قَوْلِهِ لَوْ قَالَ أَهَانَتْ عِرَارًا؟ قُلْتُ: بَلَى، لِأَنَّ مَعْنَى أَرَادَتْهُ بِالْهَوَانِ أَرَادَتْ كَوْنَهُ لَهَا وَصَحْبَتَهُ إِيَّاهَا بِاسْتِعْمَالِ الْهَوَانِ مَعَهُ، فَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْهَوَانُ وَاقِعًا، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ غَيْرَ وَاقِعٍ. وَمَعْنَى أَهَانَتْهُ: ابْتَذَلَتْهُ وَأَذَلَّتْهُ، فَهُوَ إِخْبَارٌ لَوْقُوعِ الْفِعْلِ بِهِ فِيمَا مَضَى. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَى ظَلَمَ: تَخَيَّفَ حَقُّهُ وَيَخْشَهُ.

(١) عمرو بن شأس: شاعر جاهلي مخضرم أدرك الإسلام وأسلم، شهد القادسية (ت ٢٠ هـ / ٦٤٠ م). ترجمته في الإصابة ٥٨٦: ٨، والاستيعاب ٥١٩: ٢. قال التبريزي: «وكانت له امرأة من قومه وابن من أمّة سوداء يقال له عرار، فكانت تعيره إياه وتؤذيه ويؤذيها فأنكر عمرو عليها أذاها فقال هذه الآيات».

٢ - فَإِنْ كُنْتُ مَنِي أَوْ تُرِيدِينَ صُحْبَتِي فَكُونِي لَهُ كَالسَّمَنِ رُبْتُ لَهُ الْأَدَمَ

نَقَلَ الْكَلَامَ عَنِ الْإِخْبَارِ إِلَى الْخِطَابِ، عَلَى عَادَةِ تَقْنِيهِمْ. يَقُولُ: إِنْ كُنْتُ تَهْوِينَ هَوَايَ، أَوْ تُرِيدِينَ الْكَوْنَ مَعِي وَمَصَاحِبَتِي، وَإِنْ انْطَوَيْتِ فِي حُبِّهِ عَلَى مُخَالَفَتِي، فَكُونِي لَهُ فِي تَصْنَعِكَ كَأَنَّكَ مُوَافِقَةُ الظَّاهِرِ لِلْبَاطِنِ، جَارِيَةٌ مَعَهُ عَلَى الْحَدِّ الْوَاحِدِ مِنْ حُسْنِ الْعِشْرَةِ، وَإِظْهَارِ الْمِيلِ وَالْمَوَدَّةِ. وَالسَّمْنُ إِذَا رُبَّ نَحْيُهُ لَمْ يَتَغَيَّرْ، يَرِيدُ فَلَا تَتَغَيَّرِي أَنْتِ أَيْضًا. وَمَعْنَى رُبْتُ لَهُ أَيِّ مِنْ أَجْلِهِ، وَالْأَدَمُ: جَمْعٌ، يَقَالُ أَدِيمٌ وَأَدَمٌ. وَلَهُ نَظَائِرُ قَلِيلَةٌ: إِهَابٌ وَأَهَبٌ، وَأَفِيقٌ وَأَفَقٌ، وَعَمُودٌ وَعَمَدٌ.

٣ - وَإِنْ كُنْتُ تَهْوِينَ الْغِرَاقَ طَعِبَتِي فَكُونِي لَهُ كَالذُّبِ ضَاعَتْ لَهُ الْغَنَمُ

يَقُولُ: وَإِنْ كُنْتُ تُؤْثِرِينَ مَفَارِقَتِي وَتَمِيلِينَ إِلَى التَّبَايُنِ عَنِّي فَأَسِيبُنِي عِشْرَتَهُ وَكُونِي لَهُ كَالذُّبِ ضَاعَتْ الْغَنَمُ مِنْ أَجْلِ وَقُوعِهِ فِيهَا. وَالْمَعْنَى عَاشِرِيهِ عِشْرَتُهُ لَهَا. وَيَجُوزُ أَنْ يَرِيدَ بِقَوْلِهِ «ضَاعَتْ لَهُ الْغَنَمُ» فَاتَتْهُ الْغَنَمُ بَعْدَ أَنْ أَمَكَّنَتْهُ. وَالسَّبْعُ إِذَا شَارَفَ فَرِيستَهُ ثُمَّ فَاتَهُ كَانَ ذَلِكَ مُهَيِّجًا لَهُ، وَدَاعِيًا إِلَى الْفَسَادِ فِيمَا يُمَكِّنُهُ.

٤ - وَإِلَّا فَسِيرِي مِثْلَ مَا سَارَ رَاكِبٌ تَجَشَّمُ خِمْسًا لَيْسَ فِي سَيْرِهِ أَمَمٌ

هَذَا كَمَا يَقَالُ عَلَى طَرِيقِ الْوَعِيدِ أَوْ إِظْهَارِ الزُّهْدِ لِمَنْ يُؤْمَرُ شَيْئًا: اْعْمَلْ كَذَا وَكَذَا وَإِلَّا قَدْغَهُمَا وَلَا تَعْمَلْ أَحَدَهُمَا فَلَا حَاجَةَ لَنَا فِيهِ. يَقُولُ: وَإِلَّا فَلَا تُخَسِّنِي إِلَيْهِ وَفَارِقْنِي مِنْ وَقْتِكَ. وَهَذَا إِظْهَارُ لَزْهَدِهِ فِيهَا، وَاطَّرَاحَ تَكْلُفِ الْاِشْتِرَاطَاتِ مَعَهَا. ثُمَّ قَالَ: لَيْكِنْ سَيْرُكَ سَيْرَ الرَّاكِبِ تَكْلَفٌ وَرُودُ الْمَاءِ لَخْمِيسٍ، وَلَيْسَ فِي سَيْرِهِ قَصْدٌ وَلَا قُرْبٌ. وَقَوْلُهُ «مِثْلَ مَا سَارَ رَاكِبٌ» أَيُّ سَيْرًا يُشَابِهُ سَيْرَهُ. وَقَوْلُهُ «تَجَشَّمُ» مِنْ صِفَةِ رَاكِبٍ. وَالْأَمَمُ: الْقَرَبُ، وَيَقَالُ: أَمَرِي مِنْ أَمْرِكُمْ أَمَمٌ. وَيُرْوَى: «لَيْسَ فِي سَيْرِهِ يَتَمُّ» أَيُّ إِبْطَاءٍ.

٥ - فَإِنْ عَرَاذَا إِنْ يَكُنْ ذَا شَكِيمَةٍ ثَلَاثِينَهَا مِنْهُ فَمَا أَمْلِكُ الشَّيْمَ^(١)

يَقُولُ: إِنْ عَرَاذَا إِنْ يَكُنْ ذَا سُوءِ خُلُقٍ تُثْمِنِينَ بِهِ وَتَشْقِيْنَ بِمَقَاسَاتِهِ، فَإِنِّي لَا أَمْلِكُ تَغْيِيرَ الطَّبَاعِ وَالْخُلَاقِ. وَكَأَنَّهُ جَوَابٌ لَاعْتِزَالِهَا مِنْ قَلَّةِ الْمَلَامَةِ بَيْنَهُمَا. وَالشَّكِيمَةُ: الْحَدُّ وَالشَّدَّةُ. وَيَقَالُ: إِنَّهُ لَشَدِيدُ الشَّكِيمَةِ، أَيُّ شَدِيدِ الْعَارِضَةِ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ

(١) عِنْدَ التَّبْرِيزِيِّ: «تَقَاسِينَهَا» بِدَلِّ «ثَلَاثِينَهَا».

شَكِيمَةُ اللَّجَامِ - وهي الحديدَةُ المَعْتَرِضَةُ منه في الفم - مأخوذةً منه، والجميع الشكائم.

٦ - وَإِنْ عِرَارًا إِنْ يَكُنْ غَيْرَ وَاضِحٍ فَإِنِّي أَحِبُّ الْجَوْنَ ذَا الْمَنَكِبِ الْعَمَمِ

يقول: وَإِنْ وَلَدِي عِرَارًا إِنْ لَمْ يَكُنْ وَضِيءَ الْوَجْهِ مَمْسُوحًا بِالْجَمَالِ، فَإِنِّي أَحِبُّهُ عَلَى سَوَادِهِ وَتَمَامِ خَلْقِهِ. وهذا كَأَنَّهُ إِسْقَاطُ لِقَوْلِ مَنْ يُزَيِّفُ أَبْنَاهُ وَيُعَيِّرُهُ الْقُبْحَ وَالذَّمَامَةَ. وكان عِرَارٌ هذا أَحَدَ الْفَضْلَاءِ، وَتَوَجَّهَ عَنِ الْمُهَلَّبِ بْنِ أَبِي صُفْرَةَ إِلَى الْحِجَاجِ رَسُولًا فِي بَعْضِ فُتُوْحِهِ، فَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ يَدَيِ الْحِجَاجِ لَمْ يَعْرِفْهُ، وَازْدَرَاهُ، فَلَمَّا اسْتَنْطَقَهُ أَبَانٌ وَأَعْرَبَ مَا شَاءَ، وَبَلَغَ الْغَايَةَ وَالْمَرَادَ فِي كُلِّ مَا سَأَلَ، فَأَنْشَدَ الْحِجَاجُ: «أَرَادَتْ عِرَارًا بِالْهَوَانِ...». الْأَبْيَاتُ مَتَمَثِّلًا، فَقَالَ عِرَارٌ: أَنَا أَيَّدَ اللَّهُ الْأَمِيرَ عِرَارًا! فَأَعِجِبَ بِهِ وَبَذَلَ الْإِتْفَاقَ. وَفِي هَذِهِ الطَّرِيقَةِ قَوْلُ الْمَأْمُونِ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ: [الخفيف]

إِنْ يَكُنْ لِلْسَّوَادِ فِيكَ نَصِيبٌ قَبِيَاضُ الْأَخْلَاقِ مِنْكَ نَصِيبِي

وَالْعَمِيمُ وَالْعَمَمُ: الطَّوِيلُ التَّامُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ. وَالْجَوْنَ الْأَسْوَدَ هُنَا، وَيُجْعَلُ مِنَ الْأَضْدَادِ.

٨٥ - وَقَالَ آخِرُ^(١): [البسيط]

١ - لَوْلَا أُمَيْمَةٌ لَمْ أَجْزَعْ مِنَ الْعَدَمِ وَلَمْ أَقَاسِ أَلْدُجَى فِي حِنْدِسِ الظُّلَمِ يُرْوَى: «وَلَمْ أُجِبْ فِي اللَّيَالِي حِنْدِسَ الظُّلَمِ». وَالْمَبْتَدَأُ بَعْدَ لَوْلَا يُحَذَفُ خَبَرُهُ أَبَدًا، وَيُسْتَغْنَى بِجَوَابِ لَوْلَا عَنْهُ. وَالتَّقْدِيرُ: لَوْلَا أُمَيْمَةٌ مَانِعَةٌ لَمْ أَجْزَعْ. فَيَقُولُ: لَوْلَا ابْنَتِي أُمَيْمَةٌ لَمْ أَخَفِ الْفَقْرَ وَلَمْ أَرْحَلْ فِي طَلَبِ الْمَالِ، وَلَمْ أُرْكَبِ اللَّيْلَ، فَكُنْتُ أَجُوبَ ظُلُمَاءَهُ، وَأُكَابِدُ أَهْوَالَهُ. وَالْحِنْدِسُ: شِدَّةُ الظُّلْمَةِ، وَقَدْ اشْتَقَّ مِنْهُ الْفَعْلُ، فَقِيلَ: حَنَدَسَ اللَّيْلُ فَهُوَ مُحْنَدَسٌ. وَمَعْنَى لَمْ أُجِبْ: لَمْ أَقْطَعْ. وَقَاطَعَ الْمَوَاضِعَ الْمُظْلَمَةَ كَأَنَّهُ قَاطَعَ لِلظُّلْمَةِ. وَمَنْ رَوَى «وَلَمْ أَقَاسِ أَلْدُجَى» يَرِيدُ أَهْوَالَهَا. وَإِضَافَةُ الْحِنْدِسِ إِلَى الظُّلَمِ كإِضَافَةِ الْبَعْضِ إِلَى الْكُلِّ، أَيْ فِي الشَّدِيدِ مِنَ الظُّلَمِ. وَيَقَالُ: تَحْنَدَسَ الرَّجُلُ، إِذَا ضَعُفَ وَسَقَطَ.

(١) عند التبريزي: «وهو إسحاق بن خلف». وإسحاق بن خلف المعروف بابن الطبيب، كان في منشأه من أهل الفتوة (ت ٢٣٠ هـ / ٨٤٥ م). ترجمته في فوات الوفيات ١: ١٠.

٢ - وَزَادَنِي رَغْبَةً فِي الْعَيْشِ مَعْرِفَتِي ذُلَّ الْيَتِيمَةِ يَجْفُوهَا ذُوو الرِّجَمِ
يقول: زادني حرصًا على الدنيا ورغبة في العيش فيها، علمي بذل اليتيمة وقد
جفاها أقاربها، وأطرحها أهلها. وموضع «يجفوها» من الإعراب نَصَبٌ على الحال
لليتيمة، والعامل فيه ذُلُّ اليتيمة. والتقدير: زادني معرفتي بذل اليتيمة إذا جفاها ذووها
رغبة في العيش ومهلة العمر.

٣ - أَحَاذِرُ الْفَقْرَ يَوْمًا أَنْ يَلِمَ بِهَا فَيَهْتِكَ السُّتْرَ عَنْ لَحْمٍ عَلَى وَضَمٍ
قوله «أن يلم بها» موضعه نَصَبٌ على البدل من الفقر. والمعنى: أحاذر إلمام
الفقر بها فيكشف الستر عمن لا دفاع به، فتناولته من شاء بما شاء. والعرب تقول:
«النساء لحم على وضَمٍ إلا ما دُبَّ عنه». والوضم: خَوَانُ الجزارِ والخباز، وموضعه
مِيضَمَةٌ، والجميع المواضيم.

٤ - تَهْوَى حَيَاتِي وَأَهْوَى مَوْتَهَا شَفَقًا وَالْمَوْتُ أَكْرَمُ نَزَالٍ عَلَى الْحَرَمِ
يقول: تحب ابنتي بقائي لها، وأنا أود موتها إشفاقًا عليها، وخوفًا من ابتذال
يلحقها، وابتلاء بمن لا يعرف لها ما يعرف لمثلها، ثم قال: والموت أكرم نزالٍ على
الحرم، كما قيل: «نِعِمَّ الْحَتْنُ الْقَبْرِ» و«دَفَنُ الْبَنَاتِ مِنَ الْمَكْرُمَاتِ». وانتصب شَفَقًا
على أنه مفعول له.

٥ - أَخْشَى فُظَاظَةً عَمٍّ أَوْ جَفَاءً أَخٍ وَكُنْتُ أَبْقِي عَلَيْهَا مِنْ أَدَى الْكَلِمِ
هذا تفسير قوله «أهوى موتها شفقًا» يريد: أشفق من مغالطة عم لها، أو جفوة
أخ تلحقها، وأنا كنت أبقي عليها من إيدائها بالكلم فضلاً عن غيرها من الأفعال.
يقال: رَجُلٌ قَطٌّ، إذا كان قَاسِي الْقَلْبِ غليظ القول. والكلم: جمع كلمة. ومعنى:
«أدَى الكلم» الأذى الذي يلحق من الكلم.

وهذه الأبيات مع ما يشبهها لما ضادت ما قبلها في تضمينها رقة القلب،
والتعطف على الولد والأهل، أتبعها بها. وكل ذلك كالعارض ثم يعود إلى ما بني
عليه الباب، وهذا عادة أبي تمام في أبواب هذا الاختيار ويشبهها قول الآخر^(١):
[الوافر]

لَقَدْ زَادَ الْحَيَاةَ إِلَيَّ حُبًّا بَنَاتِي لِتُهُنُّ مِنَ الضَّعَافِ

(١) لأبي خالد القناني في الكامل ٥٢٩ (ليسك)، واللسان (كرم).

أَحَازِرُ أَنْ يَرَيْنَ الْبُؤْسَ بَعْدِي وَأَنْ يَشْرَبْنَ رَنْقًا بَعْدَ صَافٍ
وَأَنْ يَغْرَيْنَ إِنْ كُسيَ الْجَوَارِي فَتَنْبُو الْعَيْنُ عَنْ كَرَمِ عَجَافٍ

٨٦ - وَقَالَ خُطَّابُ بْنُ الْمَعْلَى^(١): [السرّيع]

١ - أَنْزَلَنِي الدَّهْرُ عَلَى حُكْمِهِ مِنْ شَامِخٍ عَالٍ إِلَى خَفْضٍ
يقول للدَّهْرِ حُكْمٌ مَعْرُوفٌ، وَطَرِيقٌ مَالُوفٌ، فِي رَفْعِ الْوَضِيعِ، وَحُطِّ الرَفِيعِ،
فَأَجْرَى حُكْمَهُ عَلَيَّ، وَأَنْزَلَنِي عَنْ رُتْبَةٍ عَالِيَةٍ إِلَى مُنْزَلَةٍ مُنْخَفِضَةٍ، وَالْخَفْضُ: ضِدُّ
الرَّفْعِ، وَهُوَ مَضَدَّرٌ وَضِعَ مَوْضِعَ الْمَفْعُولِ. يَرِيدُ إِلَى مَكَانٍ مُنْخَفِضٍ.

٢ - وَعَالَيْنِي الدَّهْرُ بِوَفْرِ الْغِنَى فَلَيْسَ لِي مَالٌ سِوَى عِزِّضِي
يُرْوَى: «عَالَيْنِي» وَمَعْنَاهُ غَلِبَنِي، وَيُرْوَى: «غَالَيْنِي» وَمَعْنَاهُ أَهْلَكَنِي بَارْتِجَاعِ عَوَارِيهِ
مِنَ الْمَالِ، وَاسْتِلَابِ مَا كُنْتُ وَفِزْتُ بِهِ مِنَ الْعَتَادِ، فَمَالِي مَالٌ سِوَى نَفْسِي، وَلَيْسَ
النَّفْسُ مِنَ الْمَالِ فِي شَيْءٍ. وَمَوْضِعُ «سِوَى» نَضْبٌ عَلَى أَنَّهُ اسْتِثْنَاءٌ خَارِجٌ، وَهَذَا
الْاسْتِثْنَاءُ يَتَأَكَّدُ بِهِ انْتِفَاءُ الْغِنَى. وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ: [الطويل]

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنْ سِوَاهُمْ بِهِنَ قُلُوبٍ مِنْ قِرَاحِ الْكِتَابِ^(٢)

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى: لَيْسَ لِي غِنًى سِوَى غِنَى نَفْسِي، فَحُذِفَ الْمُضَافُ،
وَالْمَعْنَى: إِنَّ نَفْسِي غَنِيَّةٌ فَلَا تَطْمَعُ فِي الْمَكَاسِبِ الْوَضِيعَةِ، وَلَا تَتَدَنَسُ بِالْمَأْكَلِ
الْخَبِيثَةِ. وَقَوْلُهُ «بِوَفْرِ الْغِنَى» أَيِ بِسَلْبِ وَفْرِ الْغِنَى، فَحُذِفَ الْمُضَافُ. وَيَتَعَلَّقُ الْبَاءُ
مِنْهُ بِقَوْلِهِ غَالَيْنِي. وَالْوَفْرُ: كَثْرَةُ الْمَالِ، وَأَضَافَهُ إِلَى الْغِنَى، لِأَنَّ الْمُرَادَ الْمَالُ الَّذِي
يَحْصُلُ بِهِ الْغِنَى. وَهُمْ يَضِيفُونَ الشَّيْءَ إِلَى الشَّيْءِ لِأَدْنَى مَنَاسِبَةٍ بَيْنَهُمَا، سَوَاءً كَانَ لَهُ
أَوْ عَلَيْهِ، أَوْ مَعَهُ أَوْ فِيهِ، أَوْ مِنْ أَجْلِهِ، أَوْ مِمَّا يَلِيهِ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَوْضِعُ «بِوَفْرِ
الْغِنَى» نَضْبًا عَلَى الْحَالِ لِلدَّهْرِ، كَمَا تَقُولُ: فَاتْنِي قُلَانٌ بِكَذَا، وَالْمَعْنَى فَاتْنِي
مُسْتَضْجِبًا لَهُ. وَمِثْلُهُ: جَاءَ فِي أَطْمَارٍ، أَيِ لَا يَسَا لَهَا. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ حَمَلُ الْكَلَامِ
عَلَى الْمَعْنَى، فَعَدَى غَالَيْنِي تَغْدِيَةً فَجَعَلَنِي، لِأَنَّهُ فِي مَعْنَاهُ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: فَجَعَلَنِي بِوَفْرِ
الْغِنَى وَأَصَابَنِي.

(١) التبريزي: «حُطَّانُ بْنُ الْمَعْلَى» وَهُوَ شَاعِرٌ إِسْلَامِي تَرَجَمَتْهُ فِي سَمَطِ اللَّكَلِيِّ ٨٠٣.

(٢) لِلنَّبَاغَةِ الذِّبْيَانِي فِي دِيَوَانِهِ ٤٤، وَالْأَزْهِيَّةُ ١٨٠، وَخَزَانَةُ الْأَدَبِ ٣: ٣٢٧، وَبِلَا نِسْبَةٍ فِي اللِّسَانِ (قَرَعَ، فَلَ).

٣ - أَبْكَانِي الدَّهْرُ وَيَا رُبَّمَا أَضْحَكَنِي الدَّهْرُ بِمَا يُرْضِي
 قوله «بما يُرْضِي» يدلُّ على أنه أضمرَ مع قوله أبكاني الدهر شيئاً يكونُ في
 مقابَلَتِهِ، وحذف لأنَّ المراد مفهومٌ. والمعنى: أبكاني الدهرُ بما يُسْخِطُ. وقوله «يا
 رُبَّمَا» المُنادَى فيه محذوف، كأنه قال: يا قوم رُبَّمَا. وهذا النداء على وجه التحسُّر
 والتوجع من معاملة الدهر وسوء تَنَقُّلِهِ. وقوله «رُبَّمَا» «ما» هذه دخلتْ كافةً لِرُبِّ عن
 العمل، ومخرِجَةً لها إلى أن تُصيرَ مشتركةً حتَّى جازَ وقوعُ أضحكني بعده. ومثله قوله
 تعالى: ﴿رُبَّمَا يَوْدُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الحجر: الآية ٢]. ومعنى البيت: أبكاني الدهر
 بما أسخطني، ويا قوم ربما أضحكني الدهرُ فيما مضى بما أَرْضَانِي. وفي طريقته قولُ
 الآخر^(١): [الطويل]

فإن تَكُنِ الأيامُ أَحْسَنَ مَرَّةً إليَّ فقد عادتْ لَهُنَّ دُثُوبُ

٤ - لَوْلَا بُنَيَّاتُ كَرْغَبِ الْقَطَا رُدَّدَنَ مِنْ بَعْضٍ إِلَى بَعْضٍ
 بُنَيَّاتٌ في موضع المبتدأ، وجاز الابتداء به لكونه محدوداً بما اتصل به من
 الصفات. وجوابُ لولا «لكان لي مُضْطَرَبٌ واسعٌ» وهو أول البيت الذي يليه،
 واستغنى به عن خبر المبتدأ، والتقدير: لولا بُنَيَّاتٌ صفاتهنَّ هذه مانعةٌ لي لَفَعَلْتُ.
 ومعنى البيت: لولا بُنَيَّاتٌ لي صغيراتٌ كِفْرَاخِ الْقَطَا التي عليها الرُّعْبُ - وهو الشَّعْرُ
 اللَّيْنُ لصغرهنَّ - اجتمعنَّ لي في مُدَّةٍ يسيرةٍ، فَمِنْ ثَانِيَةٍ بعد أُولَى، وواحدةٌ إلى جنب
 أُخْرَى فَكَثُرْنَ - لكان كذا. ومثله: [الطويل]

تَجَمُّعَنَ مِنْ شَتَّى ثَلَاثًا وَأَرْبَعًا وَواحدةٌ حتَّى أَجْتَمَعْنَ ثَمَانِيًا

أي جئن متواليات. ويُروى: «رَدَّدَنَ مِنْ بَعْضِي إِلَى بَعْضِي»، بفتح الراء من
 رَدَّدَنَ وإضافة البعض، والمعنى: قَوَّسْنِي وَحَنَّنِي ظَهْرِي. ويجوز في الرواية الأولى أن
 يكون المعنى أنَّ هذه البنات رَوَّجْنَ فَرَدَّدَنَ مع بناتٍ لَهُنَّ صغار. ويقال: ابنتك
 مردودة، أي مطلَّقة. وإلى في موضع مَعَ، يقال: هذا إلى ذلك أي معه. ويكون «من
 بَعْضٍ إِلَى بَعْضٍ» في موضع الحال، أي رُدَّدَنَ مع غيرهن. وقد شَبَّهَ الحُطَيْبَةُ وغيره

(١) لكعب بن سعد الغنوي في أمالي القالي ١٤٩:٢، وبلا نسبة في شرح الحماسة للتبريزي

الأولادَ بَرْغَبِ الْقَطَا، فقال: [البسيط]

ماذا تقول لأفراخِ بذي مَرخِ رُغْبِه الحَوَاصِلِ لا ماء ولا شَجَرٌ^(١)
يجوز أن يُروى «رُودُن» على ما لم يسم فاعله. و«من بعضي إلى بعضي»
مُضَافَتَيْن. والمعنى: كُنْ في صُلْبِي، فلما وَلَذَتْهُنَّ صِرَنَ في كَيْدِي فهي تحترق عليهن
لفرط شفقتي.

٥ - لَكَانَ لِي مُضْطَرَبٌ وَاسِعٌ في الأَرْضِ ذَاتِ الطُّولِ والعَرْضِ
المضْطَرَبُ يكون الاضطرابَ، ويكون موضع الاضطراب. يقول: لَوْلا خَوْفِي
من ضَيَاعِهِنَّ وإِبْقَائِي عليهنَّ، لَكَانَ لِي مَجَالٌ وَاسِعٌ، ومَذْهَبٌ فسيحٌ في الأرضِ
الطويلة العريضة. وإنما تَلَوَّمْتُ وَلَزِمْتُ مكاني هذا لهنَّ وبسببهنَّ.

٦ - وَإِنَّمَا أَوْلَادُنَا بَيْنُنَا أَكْبَادُنَا تَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ^(٢)

يقول: محلُّ أولادنا من أنفسنا فيما بيننا وإن كانت ماشيةً على الأرض محلُّ
الأكباد من الأجواف. ويقال «الْوَلَدُ فَلَذَّةٌ من الكبد»، أي قِطْعَةٌ. وقوله «تمشي على
الأرض» في موضع الحال لأولاد، وبيننا ظَرْفٌ لتمشي. والتقدير: أولادنا وهي ماشيةٌ
على الأرض بيننا أكبادنا. وقوله «إنما» يدخل لتحقيق الشيء على وجهه مع نفي غيره
عنه.

٨٧ - وقال حيان بن ربيعة^(٣): [الوافر]

١ - لَقَدْ عَلِمَ الْقَبَائِلُ أَنَّ قَوْمِي ذَوُو جِدٍّ إِذَا لُبَسَ الْحَدِيدُ^(٤)

يقول: شَهِدَتِ الْقَبَائِلُ أَنَّ قَوْمِي يَجِدُّونَ في الحربِ إِذَا تَدَجَّجَ أَهْلُهَا في
الأسلحة، وَيُبْلَوْنَ فيها ولا يَقْصُرُونَ. و«إِذَا لُبَسَ الحديد» ظَرْفٌ لقوله «ذَوُو جِدٍّ» كأنه
قال: إنهم يجتهدون في ذلك الوقت. وَأَنَّ قَوْمِي مع ما بَعْدَهُ سَدَّ مَسَدَ مَفْعُولِي عَلِمَ.

(١) للحطيثة في ديوانه ١٦٤، والأغاني ١٥٦:٢، وخزانة الأدب ٢٩٤:٣، والشعر والشعراء ٣٣٤:١، واللسان (طلع).

(٢) عند التبريزي يوجد بيت بعد هذا:

لَوْ هَبَّتِ الرِّيحُ عَلَى بَعْضِهِمْ لَامْتَنَعْتُ عَيْنِي مِنَ الْغُمُضِ

(٣) عند التبريزي: «قال أبو هلال: هكذا قال أبو تمام، ونحن نقول: هو حيان بن عُليق بن ربيعة الطائي أخو بني أخزم ثم أجد بني عدي بن أخزم».

(٤) التبريزي: «ويروى: ذَوُو حِدٍّ، والحدُّ السلاح».

٢ - وَأَنَا نِعَمَ أَخْلَاسُ الْقَوَافِي إِذَا اسْتَعْمَرَ التَّنَافُرُ وَالتَّشِيدُ

يقول: ويشهدون أيضًا أنه نعم أصحاب القوافي وأربابها نحن، إذا التهبّت نارُ التفاخر والتناشد والتحاكم. والجِلس، أضلُّه البرْدَعَةُ وما يلي الظُّهر تحت الرِّخل، ثم يُستعمل على طريق التشبيه على وجهين: يقال في الذم: فلان كالجلس الملقى، فيمن لا غناء عنده ولا كفاية إذا حَزَبَهُ أمرٌ. ويقال فيمن لَزِمَ ظهورَ الخيل: هم أخلاصُها؛ وهذا إذا مدَّحُوا بالفروسيّة. ثم قالوا: ما هذا من أخلاصٍ فلان، أي ليس من آلايه. وقد مرّ بي أيضًا أنه يقال للكفّل الذي ليس بفارسٍ: هو كالجلس. وأخلاصُ البيت: ما يُلقَى تحت حُرّ مناعه:

٣ - وَأَنَا نَضْرِبُ الْمَلْحَاءَ حَتَّى تُؤَلِّيَ وَالسُّيُوفُ لَنَا شُهُودُ

يقول: وشهدوا أيضًا أنا نضاربُ الكتيبة البيضاء لكثرة سلاحها فتغليبهم حتى تُؤَلِّيَ منهزمةً، وسيوفنا لها حاضرةٌ نكتسحهم بها في الهرب أيضًا، والمَلْحَاءُ من المَلَح، وهو البَيَاضُ. يقال: كَبَشَ أَمْلَحُ. وَيُزَوَّى «نَضْرِبُ الْمَلْحَاءَ» بضمّ الراء ويقال: ضاربته فضربته أضربه، أي غلبته في الضراب.

٨٨ - وقال الأعرج المعني^(١): [مشطور الرجز]١ - أَنَا أَبُو بَرْزَةَ إِذْ جَدَّ الْوَهْلُ^(٢)

٢ - خُلِفْتُ غَيْرَ رُؤْمِلٍ وَلَا وَكَلٍ

يريد أنا الذي لشهرته تُغني كُنْيَتُهُ عن صفاته وذكر أخواله، وقت اشتداد الخوف. فإن قيل: ما العايلُ في قوله «إِذْ جَدَّ»؟ قُلْتُ: ما دلّ عليه قوله أنا أبو بَرْزَةَ من المعنى الذي يَبَيِّنُهُ هو العايلُ - ومثله: [الرجز]

أنا أبو النّجم وشعري شعري^(٣)

(١) التبريزي: «وقيل: الصحيح أنها لعمر بن يثربي»، والأعرج المعني: هو عدي بن عمرو بن سويد بن ريان الأعرج الطائي المعني، وقيل اسمه سويد بن عدي، وهو شاعر مخضرم. انظر معجم المرزباني ٢٥١.

(٢) التبريزي: «ويروى: أنا أبو بردة».

(٣) الرجز لأبي النجم في أمالي المرتضى ٣٥٠: ١، وخزانة الأدب ٤٣٩: ١، والدرر ١٨٥: ١، وبلا نسبة في خزانة الأدب ٣٠٧: ٨.

وقوله «خُلِفْتُ غَيْرَ زُمْلٍ»، أي غير ضعيف ولا جَبَان يتكلُّ على غيره فيما يَتَوْبُهُ. والزُّمْل والزُّمَال والزُّمَيْلَة: الضعيف. والوَكْل: الذي يتكلُّ على غيره.

٣ - ذَا قُوَّةٍ وَذَا شَبَابٍ مُفْتَبَلٍ

٤ - لَا جَزَعَ الْيَوْمَ عَلَى قُرْبِ الْأَجْلِ

٥ - الْمَوْتُ أَخْلَى عِنْدَنَا مِنَ الْعَسَلِ

يقول: خُلِفْتُ قَوِيًّا مُفْتَبَلُ الشَّباب، لم تُبْلِنِي السُّنُونُ، ولم يُضْعِفْنِي مَا مَسَّنِي مِنَ التَّوَابِ وَالْهَموم. فإن قيل: ما الزَّيَادَة فِي قَوْلِهِ «ذَا قُوَّةٍ» عَلَى قَوْلِهِ «غَيْرَ زُمْلٍ»؟ قُلْتُ: يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ذَا قُوَّةٍ مُصْرُوفًا إِلَى الرَّأْيِ، وَغَيْرَ زُمْلٍ مُصْرُوفًا إِلَى الْبَيْتَةِ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِذَا قُوَّةٍ الْجَلَادَة، لِأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ كَانَ غَيْرَ ضَعِيفٍ كَانَ جَلْدًا. وَاقْتِبَالُ الشَّبَابِ: أَلَّا يُرَى أَثَرُ مِنَ الْكِبَرِ مَعَهُ.

وقوله: «لَا جَزَعَ الْيَوْمَ» يَقُولُ: اسْتَفْتَلْنَا يَوْمَنَا، فَلَا نَجْزِعُ عَلَى دُنُو الْأَجْلِ فِيهِ إِنْ دَنَا، لِأَنَّ الْمَوْتَ إِذَا غَشِيَنَا فِيمَا نَطْلِبُهُ، أَخْلَى طَعْمًا عِنْدَنَا مِنْ طَعْمِ الْعَسَلِ، وَقَوْلُهُ «الْيَوْمَ» ظَرَفَ لِقَرَبِ الْأَجْلِ، وَعَلَى قُرْبِ الْأَجْلِ، خَبَرَ لَلَا. وَيَجُوزُ أَنْ تَجْعَلَ الْيَوْمَ خَبْرًا «عَلَى قَرَبِ الْأَجْلِ» تَبْيِينًا لَهُ أَوْ حَالًا. وَإِنْ جَعَلْتَهُ خَبْرًا بَعْدَ خَبَرٍ، كَمَا نَقُولُ: هَذَا حَلَوٌ حَامِضٌ، جَازَ أَيْضًا. وَذَكَرَ بَعْضُ الْمُتَأَخِّرِينَ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَى «عَلَى» هُنَا مَعْنَاهَا فِي قَوْلِكَ جَزَعْتُ عَلَى كَذَا، أَيْ أَشْفَقْتُ عَلَيْهِ، لِأَنَّهُ غَيْرُ الْغَرَضِ الْمَقْصُودِ. أَلَّا تَرَى أَنَّ مَعْنَاهَا لَا جَزَعَ الْيَوْمَ مِنَ الْمَوْتِ عَلَى أَنَّ الْأَجَلَ قَرِيبٌ مَنَّا، فَإِذَا قُرْبَ مِنَّا فَلَمْ نَجْزِعْ مِنْهُ فَمَا ظَنُّكَ بِنَا إِذَا بَعُدَ عَنَّا. وَأَنَا أَقُولُ: وَإِنْ مِنَ الْبَيَانِ لِسِحْرَاءَ، وَإِنْ مِنَ الْغَوْصِ عَلَى الْمَعَانِي لِمِثْلِهِ دُرًّا.

٦ - رُدُّوْا عَلَيْنَا شَيْخَنَا ثُمَّ بَجَلْ^(١)

٧ - نَحْنُ بَنِي ضَبَّةٍ أَصْحَابُ الْجَمَلِ^(٢)

٨ - نَنْمَى ابْنُ عَفَّانَ بِأَطْرَافِ الْأَسَلِ

(١) ترتيب هذا الشعر هو الأخير عند التبريزي ورقمه (٩).

(٢) رقم هذا الشعر عند التبريزي (٦). ويأتي بعده شعر تحت الرقم (٧):

«نحن بنو الموت إذا الموت نزل»

يعني بالشيخ عثمان بن عفان رضي الله عنه. المعنى: إِنَّا طَالِبُونَ بَدَمِهِ، فإذا أَدْرَكْنَا ثَأْرَهُ فَحَسْبُنَا ذَاكَ. وهذا معنى قوله «ثُمَّ بَجَلْ». وموضع بَجَلْ رَفَعَ عَلَى الْإِبْتِدَاءِ وَخَبْرُهُ مُضْمَرٌ، كأنه قال: «ثُمَّ بَجَلْنَا ذَلِكَ»، أي حَسْبُنَا ذَلِكَ. وَثُمَّ عَاطِفَةٌ لَجُمْلَةٍ عَلَى جُمْلَةٍ. وقال لَيْدٌ: [الرملة]

بَجَلِي الْآنَ مِنَ الْعَيْشِ بَجَلٌ^(١)

وحكى الأخفش أَنَّ بَجَلًا سَاكِنَةٌ أَبَدًا. يقولون: بَجَلْكَ، كما يقولون قَطْلْكَ وَقَذْلْكَ، إِلَّا أَنَّهُمْ يَقُولُونَ بَجَلِي وَلَا يَقُولُونَ بَجَلْنِي كما يقولون قَطْنِي وَقَذْنِي، وهو القياس مع مجيئه على السكون. وانتصاب «بني ضَبَّةَ» بِفِعْلِ مُضْمَرٍ، والقصد فيه المدح والاختصاص. وخبر المبتدأ الذي هو نحنُ «أَصْحَابُ»، والتقدير: نحنُ - أَذْكَرُ بَنِي ضَبَّةَ - أَصْحَابُ الْجَمَلِ. وهذا الكلام يُنبِئُ به على أَنَّهُمْ مُجَدِّدُونَ فِي طَلَبِ دَمِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لِأَنَّ الَّذِينَ خَرَجُوا مَعَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَقَاتَلُوا يَوْمَ الْجَمَلِ كَانَ دَعْوَاهُمْ طَلَبُ الثَّأْرِ. ولو قال نحن بنو ضَبَّةَ لَكَانَ يَسْقُطُ فَخَامَةُ الْمَدْحِ وَتَعْظِيمُهُ، وَكَانَ يَصِيرُ أَصْحَابُ صِفَةً وَبَنُو خَبْرًا، وَكَانَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَا جَمِيعًا خَبْرِينَ، وَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَصْحَابُ بَدَلًا مِنْ بَنُو. وقوله «نَتَعَى ابْنَ عَفَانَ» كَانَ عَادَتُهُمْ إِذَا مَاتَ رَئِيسٌ فِيهِمْ عَظِيمُ الشَّانِ وَالْمَحَلُّ أَنْ يَطُوفَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ عَلَى الْقَبَائِلِ، وَيَضَعُدُ الرُّوَابِي الْمِطْلَةَ عَلَيْهِمْ، وَالْآكَامَ الْمَرْتَفِعَةَ بِمَحَالِّهِمْ وَيَقُولُ: نَعَاءُ فُلَانًا! يَرِيدُونَ تَشْهِيرَ أَمْرِهِ، وَتَعْظِيمَ الْفَجْعِ بِهِ، وَرَبِمَا أَرْخَوْا بِمَوْتِهِ. فيقول: نحن نجعلُ بَدَلَ هَذَا الْفِعْلِ أَنْ نَطْلُبَ دَمَهُ بِأَطْرَافِ الرَّمَاكِ. وهذا معنى حَسَنٌ.

٨٩ - وقال آخر^(٢): [الطويل]

١ - دَاوِ أَبْنَ عَمِّ السُّوءِ بِالنَّيِّ وَالْفَيْئِ كَفَى بِالْغِنَى وَالنَّيِّ عَنْهُ مَدَاوِيَا
يقول: عالِجُ مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ابْنِ عَمِّ السُّوءِ مِنَ التَّضَاعُنِ وَالتَّبَايُنِ، وَالتَّغَايُظِ وَالتَّحَاسُدِ، بِالْبُعْدِ مِنْهُ، وَالِاسْتِغْنَاءِ عَنْهُ. ثُمَّ قَالَ: وَكَفَى بِهِمَا مِنْ مَدَاوِيٍّ مَعَهُ. وَهَذَا يَجْرِي مَجْرَى الْإِلْتِفَاتِ، وَهُوَ تَنْبِيءٌ عَلَى أَنَّهُمَا الْغَايَةُ فِيمَ يُخَسِّمُ بِهِ شُرَّهُ، وَيُدْفَعُ بِهِ

(١) للبيد في ديوانه ١٩٧، وحماسة البحري ١٠٠، وخزانة الأدب ٢٤٦: ٦، واللسان (بجل، وحفل)، وتاج العروس (بجل). وصدرة:

«فمضى أهلك فلا أحفله»

(٢) التبريزي: «وقيل: إنه لرجل من بني أسد».

ضيّره. وموضع بالغنى رفع بكفى. ومداونا يجوز أن يكون حالاً ويجوز أن يكون تمييزاً، وهو أحسن، ومثله: ﴿كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [الزّعد: الآية ٤٣]. والكلام يجري أيضاً مجرى التأكيد فيما دُعا إليه، والتحقيق لغناء ما أشار به.

٢ - جَزَى اللهُ عَنَّا مَخَصَّنًا بِبَلَاءِهِ وَإِنْ كَانَ مَوْلَايَ الْقَرِيبَ وَخَالِيَا مَخَصَّنَ الْمَذْكُورَ، هُوَ ابْنُ عَمِّهِ الَّذِي تَأْذَى بِهِ فِدَعَا عَلَيْهِ. يَقُولُ: جَزَاهُ اللهُ بِفَعْلِهِ فِينَا، إِنْ خَيْرًا فَخَيْرًا وَإِنْ شَرًّا فَشَرًّا، وَإِنْ كَانَ مَتَصِلَ النَّسَبِ بِطَرَفَيَّ أَبِي وَأُمِّي.

٣ - يَسْأَلُ الْغِنَى وَالنَّأْيُ أَدَوَاءَ صَدْرِهِ وَيُبْدِي التَّدَانِي غِلْظَةً وَتَقَالِيَا السَّلُّ: التَّرُغُّ. وَالْأَدَوَاءُ: جَمْعُ الدَّاءِ. وَهَذَا مِثْلُ مَا رُوِيَ: «أَنْ مُرَّ دَوِي الْقَرَابَاتِ أَنْ يَتَزَاوَرُوا وَلَا يَتَجَاوَرُوا»، وَزَادَ عَلَيْهِ أَيْضًا بِمَا شَفَعَ النَّأْيُ بِهِ مِنْ ذِكْرِ الْغِنَى. وَنَبَّهَ أَيْضًا عَلَى أَنَّ فِي التَّدَانِي تَحَاسُدًا يَبْدُو مَعَهُ الْقِلَى وَالْقَسْوَةُ لِأَنَّ الْكَلَامَ كَالْتَعْلِيلِ لِلْأَمْرَيْنِ اللَّذَيْنِ رَغَبَ فِي أَحَدِهِمَا وَزَهَّدَ فِي الْآخَرِ، وَهُمَا التَّدَانِي وَالتَّنَائِي. وَالْمِثْلُ السَّائِرُ: «فَرَّقْ بَيْنَ مَعْدٍ تَحَابٍّ»^(١) مِثْلُ الْبَيْتِ.

٤ - أَصَانَ عَلَيَّ الدُّهْرُ إِذْ حَكَ بَزَكُهُ كَفَى الدُّهْرُ لَوْ وَكَلَّتُهُ بِي كَافِيَا^(٢)

هذا الكلام شكاية مما عامله به مخصن، وتصريح بأذاه، فيقول: لم يرض بالقعود عني وإسلامي للدهر حتى صار عوناً له عليّ، لئلا أخذ يؤثر تأثيره، ويلقي كلنكه وجزائه. ثم قال متقلاً عن الأخبار عنه إلى مخاطبته، إظهاراً للجزع من فعله. لو اتخذت الدهر وكيلًا واعتمدت عليه، دون أن تُبَاشِرَ مَسَاعَتِي بِفِعْلِكَ لَكُفَاكَ. ومثل هذا القول، أغني كفى الدهر، يسمّى التفاتاً. وقوله «كافياً» يجوز أن يكون تمييزاً، ويجوز أن يكون في موضع المصدر، أراد: كفى الدهر لو وكَلَّتُهُ بي كفايةً. واسمُ الفاعل يقع موقعَ المصدر كثيراً كما يَقَعُ المصدر مَوْقِعَ اسمِ الفاعل. ومثله قول^(٣)

(١) ذكره الميداني في مجمع الأمثال ٢: ٢٤: «قال الأصمعي: يقول إن ذوي القرابة إذا تراخت ديارهم كان أحرى أن يتحابوا، وإذا تدانوا تحاسدوا وتباغضوا. وكتب عمر رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري أين مر ذوي القربى أن يتزاوروا ولا يتجاوروا».

(٢) التبريزي: «ويروى: إذا حلَّ بركته».

(٣) لبشر بن أبي خازم في ديوانه ١٤٢، وخزانة الأدب ٤: ٤٣٩، ولأبي حنيفة النميري في اللسان (قفا)، وبلا نسبة في خزانة الأدب ٣: ٤٤٣. وعجزه:

«وليس لحبها ما عشت شافي»

بِشْرِ: [الوافر]

كَفَى بِالنَّأْيِ مِنْ أَسْمَاءٍ كَافٍ

فقوله كافٍ في أحد الوجوه مَصْدَرٌ لكنه لم يَنْصِبْهُ، وجعله كقول^(١) الآخر:

[الرجز]

كَأَنَّ أَيْدِيَهُنَّ بِالسَّقَاعِ الْقَرِيقِ

في ترك إعراب المعتل في موضع النَّصْبِ أَيْضًا، إِذْ كَانَ مِنَ الْعَرَبِ مَنْ يَسْتَثْقِلُ
الفتحة في الياء، والتقدير: كَفَى النَّأْيُ مِنْ أَسْمَاءٍ كَافِيًا، أَيِ كِفَايَةً. وقد جاء في
المثل: «أَعْطِ الْقَوْمَ بَارِيهَا»، بسكون الياء في باريها، ولم يَزِرْ أَحَدٌ بَارِيهَا بِالْفَتْحِ،
فليس يجوز إِلَّا مَا حُكِيَ، لِأَنَّ الْأَمْثَالَ لَا تُغَيَّرُ.

٩٠ - وَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي كَلَيْبٍ^(٢):

١ - وَحَثَّتْ نَاقَتِي طَرَبًا وَشَوْقًا إِلَى مَنْ بِالْحَنِينِ تَشْوَقِيْنِي

انتصب «طَرَبًا» على أَنَّهُ مَصْدَرٌ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ، أَوْ عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ لَهُ. وَأَوَّلُ
البيت خَبَرٌ عَنْ رَاحِلَتِهِ، وَآخِرُهُ خِطَابٌ لَهَا. وَقَوْلُهُ «تَشْوَقِيْنِي» حَذَفَ نُونَهُ اسْتِثْقَالًا
لِاجْتِمَاعِ نُونَيْنِ، وَالْأَصْلُ تَشْوَقِيْنِي. وَمِثْلُهُ فِي الْحَذْفِ قَوْلُ الْآخَرِ: [الوافر]

يَسُوءُ الْفَالِيَاتِ إِذَا فَلَيْنِي^(٣)

يُرِيدُ فَلَيْتَنِي. وَالْمَعْنَى: اشْتَكَّتْ نَاقَتِي حَائَةً لَطَرَبِهَا وَشَوْقِهَا. ثُمَّ أَخَذَ يَخَاطِبُهَا
مُنْكَرًا عَلَيْهَا مَا ظَهَرَ مِنْهَا فَقَالَ: تَشْوَقِيْنِي بِحَنِينِكَ إِلَى مَنْ؟ أَرَادَ أَنَّهُ مَعَ حُصُولِ الْيَأْسِ
يَجِبُ أَلَّا تَحْنُ وَلَا تُشَوِّقَ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى تَعْظِيمُ الْمَشْتَاكِ إِلَيْهِ، فَكَأَنَّهُ قَالَ:
تَشْوَقِيْنِي إِلَى مَنْ بِحَنِينِكَ؟ أَيِ إِلَى إِنْسَانٍ وَأَيِّ إِنْسَانٍ؟ وَمَنْ مِنْ قَوْلِهِ «إِلَى مَنْ» فِي هَذَا
الوجه يَكُونُ تَكْرَرًا غَيْرَ مَوْصُوفَةٍ وَإِنْ كَانَ الْكَلَامُ خَبَرًا، وَفِي الْمَعْنَى الْأَوَّلِ يَكُونُ مَنْ

(١) لرؤية في ملحق ديوانه ١٧٩، وخزانة الأدب ٣٤٧:٨، والدرر ١:١٦٦، وتاج العروس (زهق)،
قرق، وبلا نسبة في اللسان (قرق، ثمن)، وبعده:

«أَيْدِي جَوَارٍ يَتَعَاطِينَ السُّورَقِ»

(٢) التبريزي: «من بني كلب».

(٣) لعمرو بن معديكرب في ديوانه ١٨٠، وخزانة الأدب ٣٧١:٥، والدرر ١:٢١٣، واللسان
(فلا)، وصدرة:

«تراه كالشغام يُعَلُّ مَسْكًَا»

استفهامًا. وتقول: مَرَزْتُ بما صَالِح، وَمَرَزْتُ بِمَنْ كَرِيم، تريدُ بإنسانٍ كَرِيم. وقد حِيلَ قوله عَزَّ وجلَّ: ﴿مَثَلًا مَّا بَعُوضَةٌ﴾ [البقرة: الآية ٢٦]، على أَنَّ معناه مَثَلًا شَيْئًا بَعُوضَةٌ. والطَّرَبُ: خِفَّةٌ تعتري لعارض سُرُورٍ أو هَمٍّ.

٣ - فإني مثلُ ما تجدِينِ وَجدي ولكن أصحبت عنهم قروني

هذا الكلام اعترافٌ بالحبِّ، وتسويغٌ لحنين الناقه وإن كره التذكير الحاصل منه، والشَّجْوُ المُنتَجِعُ عنه. وقوله «مثل ما تجدين» يجوز أن يكون خبرًا مقدمًا والمبتدأ وَجدي، فيكون التقدير: إني وَجدي مثلُ ما تجدين، والجملة خبرٌ إنَّ. ويجوز أن يكون مثلُ خَبَرٍ إنَّ، وَوَجدي بدلٌ من ياء الضمير المتصل بإني، كأنه قال: إنَّ وَجدي مثلُ ما تجدين. وما بمعنى الذي، وتجدين مِنْ صِلَتِهِ، والضمير العائد إليه محذوف، كأنه قال: مثلُ ما تجدينه، أي مثلُ الوجد الذي تجدينه. ويجوز أن يكون ما مَعَ الفعل في تقدير مَصَدَرٍ، كأنه قال: إني وَجدي مثلُ وَجديكَ. والأصلُ في إني إُنِّي، لكِنَّه حُذِفَ نُونُهُ لاجتماع ثلاث نونات، ويجوز أن يكون لم يَأْتِ بنون العِماد كما لم يُؤْتِ به في لَعَلِّي وَلَيْتِي، والمعنى إنَّ وَجدي مثلُ وَجديكَ، ولكن تَابَعْتَنِي نَفْسِي باليأس منهم، وأنت لا تعرفين اليأس. والإصحاب: الانقياد. والقرون والقرونة: النَّفْسُ. ويقولون: أَخَذْتُ قُرُونِي من هذا الأمر، أي رَفَضْتُهُ. واطَّرَحْتُهُ.

٣ - رأوا عرشي تَلَمَّ جانباه فلما أن تَلَمَّ أفرَدوني

يقول: رأوا عِرْزِي قد تَهَدَّم جانباه، وانهَدَّ رُكْنَاهُ، فلما صار أَمْرِي كذلك تَرَكُونِي وَحِيدًا، وَقَعَدُوا عن مشايعتي ومُتَابَعَتِي، فدَعَتْنِي الحالُ إلى مفارقتهم، والتحوُّل عنهم. والعرش: سَرِيرُ المُلْكِ، وقوام أَمْرِ الرُّجُلِ وعِزُّه، فإذا زال قيل: ثُلَّ عَرَشُهُ وَتَثَلَّمَ. وقد أَلَمَّ في هذا بقول^(١) أوسٍ: [الطويل]

وهم لِمُقِلِّ المالِ أولادُ عَلَّةٍ

ويقوله^(٢): [الطويل]

بنو أم ذي المالِ الكثير

(١) لأوس بن حجر في ديوانه ٩١، وجمهرة اللغة ١٥٦، ومعاهد التنصيص ١٣٥:١، ويلا نسبة في لسان العرب (علل)، وعجزة:

«وإن كان محضًا في العمومة فحولاً»

(٢) لأوس في ديوانه ٩١، واللسان (حجفل)، وجمهرة اللغة ١١٣٥. وتماه:

«بنو أم ذي المالِ الكثير يرونه وإن كان عبدًا سيّد القوم جحفلًا»

٤ - هَنِيتًا لَابِنَ عَمِّ السَّوءِ أَنِّي مُجَاوِرَةٌ بَنِي ثَعْلٍ لَبُونِي

أني في موضع الفاعل لهنيئًا، ومجاورة ارتفع على أن يكون خبر أن، ولبوني في موضع الرفع على أنها فاعلة لمجاورة، وبني ثعلٍ مفعول به. والمعنى: ليهنئ ابن العم السوء بُعدي عنهم، ومجاورة لبوني لغيرهم. واللَّبُون: الناقة التي بها لبَن. ويجوز أن يرتفع مجاورة على أنه خبرٌ مُقَدَّم، والمبتدأ لبوني والجملة كما هي تكون خبر أن. ويجوز أن يكون لبوني بدلًا من الضمير المتصل بآني، والخبر مجاورة. والمعنى والتقدير: أن لبوني مجاورة بني ثعلٍ. وهذا الكلام إنباء أن ما حصل من بُعده عن العشيرة كانوا يتمنونه، فقال هُنَا الله أبناء عمي ما أرادوه وفازوا به، ويجوز أن يكون وعيدًا وتهكُّمًا.

٩١ - وَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي أَسَدٍ: [الطويل]

١ - وَمَا أَنَا بِالنَّكْسِ الدَّنِيِّ وَلَا الَّذِي إِذَا صَدَعْتَنِي ذُو الْمَوَدَّةِ أَخْرَبَ

النَّكْسُ أَضْلُهُ فِي السَّهَامِ، وَنُقِلَ إِلَى الضَّعِيفِ مِنَ الرِّجَالِ. يُقَالُ: نَكَسْتُهُ نَكْسًا ثُمَّ يُسَمَّى الْمَنَكُوسُ نِكْسًا، كَمَا يُقَالُ نَقَضْتُهُ نَقْضًا ثُمَّ يُسَمَّى الْمُنْقُوضُ نِقْضًا بِكسر النون. كأنَّ السهم انكسر فوقه فنكس فسَمِيَ نِكْسًا. فيقول: ما أنا بِالْمُسْتَضْعَفِ اللَّثِيمِ، وَلَا الَّذِي إِذَا انْحَرَفَ عَنْهُ مَنْ يُؤَادُّهُ دَعَا بِالْوَيْلِ وَالْحَرْبِ فَقَالَ: وَاحْرِبَاهُ. وفي طريقته: [البسيط]

وَلَا أَقُولُ إِذَا مَا خُلَّةٌ صَرَمَتْ يَا وَنَحْ نَفْسِي مِنْ شَوْقٍ وَإِشْفَاقٍ^(١)

ويجوز أن يكون مَعْنَى أَخْرَبَ: أَغْتَاطَ. ومنه قوله^(٢): [البسيط]

إِنِّي إِذَا الشَّاعِرُ الْمَغْرُورُ حَرَّ بَنِي

وهذا أسلك في طريقة العربية؛ وكان يجب أن يقول: وَلَا الَّذِي إِذَا صَدَّ عَنْهُ ذُو الْمَوَدَّةِ يَخْرَبُ، حَتَّى يَكُونَ فِي الصَّلَاةِ مَا يَعُودُ إِلَى الْمَوْصُولِ، لَكِنَّهُ لَمَّا كَانَ الْقَضْدُ فِي الْإِخْبَارِ إِلَى نَفْسِهِ وَكَانَ الْآخِرُ هُوَ الْأَوَّلُ لَمْ يُبَالِ بِرَدِّ الضمير على الأول وَحَمَلَ الْكَلَامَ عَلَى الْمَعْنَى، لِأَمْنِهِ مِنَ الْإِلْتِبَاسِ. وهو مع ذلك قبيح عند النحويين، حتى إن أبا

(١) لتأبط شراً في المفضليات ٢٦: ١، وبلا نسبة في شرح الحماسة للتبريزي ٢١٨: ١.

(٢) لجرير في التبريزي ٢١٨: ١. وعجزه:

«جَارَ لِقَبْرِ عَلَى مَرَّانٍ مَرْمُوسٌ»

عثمان المازني قال: لولا اشتهاؤ موديه وكثرته لرددته. ومثله: [الرجز]
أنا الذي سَمَّيْنِي أُمِّي حَيْدَرَهُ^(١)

٢ - وَلَكِنِّي إِنْ دَامَ دُمْتُ وَإِنْ يَكُنْ لَهُ مَذْهَبٌ عَنِّي فَلِي عَنْهُ مَذْهَبٌ

يقول: أَمَلْتُ نَفْسِي وَوَدَّيْ فِي مَصَادِقَةِ الْأَخْلَاءِ، فَإِنْ دَامُوا لِي عَلَى الْعَهْدِ دُمْتُ لَهُمْ، وَلَزِمْتُ الْوَفَاءَ مَعَهُمْ، وَإِنْ رَأَوْا ذَهَابًا عَنِّي وَمِيلًا إِلَى غَيْرِي ذَهَبْتُ عَنْهُمْ، وَمِلْتُ إِلَى غَيْرِهِمْ. وَيُزَوَّى: «وَلَكِنِّي مَا دَامَ دُمْتُ» وَيَكُونُ مَوْضِعُ مَا دَامَ ظَرْفًا، وَخَبِرٌ لَكِنْ دُمْتُ. وَفِي الْأَوَّلَى يَكُونُ الْجَزَاءُ وَجَوَابَهُ خَبَرًا. وَفِي طَرِيقَتِهِ قَوْلُ لَيْيَدٍ: [الكامل]

فَاقْطَعْ لُبَّائَةً مَنْ تَعَرَّضَ وَضَلُّهُ وَلَخَيْرٌ وَاصِلِ خُلَّةٍ صَرَّامُهَا^(٢)

٣ - أَلَا إِنَّ خَيْرَ الْوُدِّ وَدُّ تَطَوُّعَتْ بِهِ النَّفْسُ لَا وَدُّ أَتَى وَهُوَ مُتَعَبٌ

يقول: خَيْرُ الْوُدِّ مَا جَاءَ عَفْوًا مِنْ غَيْرِ جَهْدٍ، وَلَا إِكْرَاهِ نَفْسٍ وَطَبْعٍ، بَلْ يَبْعَثُهُ الْمِيلُ، وَيَحْكُمُهُ الْخُلُوصُ؛ فَأَمَّا الْمُتَعَبُ مِنَ الْمَوَدَّاتِ، الْمَشُوبُ بِالتَّعَمُّلِ وَالتَّكْلُفِ، فَلَا طَائِلَ فِيهِ. وَمِثْلُهُ قَوْلُ بَعْضِهِمْ: [الطويل]

وَلَا خَيْرَ فِي وَدِّ امْرِئٍ مُتَكَارِهِ عَلَيْنِكَ وَلَا فِي صَاحِبٍ لَا تُؤَافِقُهُ^(٣)

وقول الآخر: [الطويل]

إِذَا أَنْتَ لَا يَثْنِيكَ إِلَّا شَفَاعَةٌ فَلَا خَيْرَ فِي وَدِّ يَكُونُ بِشَافِعٍ

٩٢ - وَقَالَ أَبُو حَنْبَلٍ الطَّائِي^(٤): [البسيط]

١ - لَقَدْ بَلَّانِي عَلَى مَا كَانَ مِنْ حَدَثٍ عِنْدَ اخْتِلَافِ زِجَاجِ الْقَوْمِ سَيَّارُ

(١) لعلي بن أبي طالب في اللسان (حدر، سندر).

(٢) للبيد في ديوانه ٣٠٣، واللسان (عرض، صرم)، وتاج العروس (عرض، صرم) وكتاب العين (٢٧٣: ١).

(٣) ذكره التبريزي مع بيتين آخرين ونسبهم لمسلم بن الوليد.

(٤) أبو حنبل الطائي: هو جارية بن مَرْ، شاعر جاهلي فارسي (المؤتلف ٩٩). وقال التبريزي: «قال أبو هلال: هو الذي نزل به امرؤ القيس فأشارت عليه امرأته بالغدر به فأبى، وكان أعور سناطًا، قصير الساقين، فقالت ابنته: والله ما رأيت كاليوم ساقني وافٍ، فقال: هما ساقا غادر شر، فذهب مثلاً، يضرب للزري الذي له خصال محمودة». وقصة المثل في تمثال الأمثال ص ٥٨٣، والمستقصى ٤٣٤: ١، والدرة الفاخرة ٤١٧: ٢.

ارتفع «سَيَّارٌ» بقوله بلاني. واللام في «لقد» تُؤذِنُ بِيَمِينٍ. يقول: لَقَدْ خَبَّرَنِي هذا الرجل على ما اتَّفَقَ من حَدِيثٍ، واعتَرَضَ من شَرٍّ، فَعَرَفَ حُسْنَ بلاني عند اختلاف القنا بالطَّغْنِ. وَذَكَرَ الزَّجَّاجُ، والمُرَادُ الرَّمَاخُ بِكَمَالِهَا، ومثله قول الآخر: [الكامل]

الوَاطِئِينَ عَلَى صُدُورِ نِعَالِهِمْ^(١)

وإنما يُوطَأُ الثُّغْلُ كُلُّهَا. ويقال: رَجَجْتُهُ بِالرَّمْحِ، إِذَا زَرَقْتُهُ.

٢ - حَتَّى وَفَيْتُ بِهَا ذَهْمًا مُعْقَلَةً كَالْقَارِ أَرَدَفُهُ مِنْ خَلْفِهِ قَارُ

يقول: صَبَرْتُ لِمَا عَزَّ مِنْ أَمْرِ، وَتَعَسَّرَ مِنْ وِفَاءٍ وَأَدَاءٍ، لِأَخْرَجَ مِمَّا بِهِ تَكَلَّمْتُ، مِنَ الْعَهْدَةِ الَّتِي فِيهَا دَخَلْتُ. وقد كان أبو حنبل تَضَمَّنَ لِسَيَّارٍ إِبِلًا لَهُ بِأَعْيَانِهَا أَوْ شُرُوَاهَا، أَيْ مِثْلَهَا، فيقول: أَخَذَ سَيَّارٌ يَنْتَظِرُ مَاذَا يَكُونُ مِنِّي فِيمَا تَضَمَّنْتُ حَتَّى وَفَيْتُ بِإِبِلِهِ سَوْدًا مَشْدُودَةً بِمُقْلَهَا، كَانَهَا فِي سَوَادِهَا قَارٌ غُولِي بِقَارٍ. وهذا يَرَادُ بِهِ تَأْكِيدُ السَّوَادِ. ويقال: رَدَفْتُهُ وَأَرَدَفْتُهُ، إِذَا جِئْتَ بَعْدَهُ. وَرَدَفَكُمُ وَرَدَفَ لَكُمْ، أَيْ تَبِعَكُمْ وَجَاءَ بَعْدَكُمْ. وَانْتَصَبَ «ذَهْمًا» عَلَى أَنَّهُ حَالٌ لِلإِبِلِ. وَفائدة قوله «كَالْقَارِ» تَصْوِيرٌ لِلإِبِلِ بِأَلْوَانِهَا. وَمَعْنَى لَقَدْ بَلَانِي حَتَّى وَفَيْتُ، أَيْ انْتَظَرْتُ مَا يَكُونُ مِنَ الْبَلَاءِ فِي وَفَائِي عِنْدَمَا ضَمِنْتُ، وَصَارَ يُحَرِّبُنِي إِلَى أَنْ وَفَيْتُ. وَفائدة قَوْلِهِ مُعْقَلَةً، أَنَّهُ سَلَّمَهَا فِي مَبَارِكِهَا آمِنَةً. وَيجوزُ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ إِبِلًا مُتَقَدِّمَاتِهَا وَمَتَأَخِّرَاتِهَا سَوْدَ، فَلِذَلِكَ قَالَ كَالْقَارِ أَرَدَفَ بِقَارٍ، وَيجوزُ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ بِالْقَارِ جَمْعَ قَارَةٍ، وَهِيَ الْجِبَالُ، فَشَبَّهَهَا بِهَا فِي عَظَمِهَا.

٣ - قَدْ كَانَ سَيْرٌ فَحَلُّوا عَنْ حُمُولَتِكُمْ إِنِّي لَكُلِّ امْرِئٍ مِنْ جَارِهِ جَارُ

يقول: وَجَبَ السَّيْرُ لِلْخَوْفِ وَالْحَذَرِ قَبْلَ هَذَا الْوَقْتِ، وَأَمَّا السَّاعَةُ وَقَدْ بَلَغْتُمُ الْمَأْمَنَ فِي جَوَارِي فَحَلُّوا عَنْ أَجْمَالِكُمْ، إِنِّي لَكُلِّ رَجُلٍ مِنْكُمْ جَارٌ بَدَلًا مِنْ جَارِهِ الْأَوَّلِ. وَالْعَرَبُ تَقُولُ: هَذَا مِنْ ذَاكَ، وَهَذَا بِذَاكَ أَيْ عَوَضَ. وَفُسِّرَ قَوْلُ الشَّاعِرِ: [الطويل]

فَلَيْتَ لَنَا مِنْ مَاءٍ زَمَزَمَ شَرْبَةً مُبَرَّدَةً بَاتَتْ عَلَى الطَّهْيَانِ^(٢)

(١) لِلْأَعْشَى فِي دِيْوَانِهِ ١٨١، وَاللِّسَانُ (دَفْنٌ)، وَكِتَابُ الْجِيمِ ١: ٢٧٦، وَتَاجُ الْعُرُوسِ (دَفْنٌ). وَعَجَزُهُ:

«يَمْشُونَ فِي الدَّفْنِ وَالْأَبْرَادِ»

(٢) لِلْأَحْوَلِ الْكَنْدِيِّ فِي مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ (الطَّهْيَانِ)، وَهُوَ اسْمُ جَبَلٍ بِالْيَمَنِ، وَبِاخْتِلَافِ كَلِمَةِ الْقَافِيَةِ =

على أَنَّ المعنى لَيْتَ لَنَا بَدَلًا مِنْ مَاءٍ زَمَزَمَ شَرْبَةً. ويقولون: فلانٌ لك من الجارِ جَارٌ، ومن النديمِ، ومن الأكيلِ أَكِيلٌ. ويحتمل أن يكون معناه: إِنِّي لِكُلِّ رَجُلٍ مُجِيرٌ مِمَّنْ يَجَاوِرُهُ، أَي مِمَّنْ يَدَانِيهِ بِسَوْءٍ، وَالْأَوَّلُ أَجُود وَأَضُوبَ وَالْحُمُولَةُ: جَمْعُ حِمْلٍ، ودخلت الهاء فيه توكيدًا لتأنيث الجمع. والحُمُولَةُ: الإبل التي يُحْمَلُ عليها، وهي فَعُولَةٌ كَالْقَتُولَةِ، والرُّكُوبَةِ، وَلَا يَجْرِي عَلَى الموصوف، لَا يَقَالُ ذَابَةٌ حُمُولَةٌ.

٩٣ - وقال يزيد بن حِمْان السَّكُونِي^(١): [البسيط]

١ - إِنِّي حَمِدْتُ بَنِي شَيْبَانَ إِذْ حَمَدْتُ نِيرَانَ قَوْمِي وَفِيهِمْ شُبَّتِ النَّارُ

الحمد: الثناء على الرجل بما فيه من الخصال المرتضاة. وبهذا المعنى فارق الشكر، لأنَّ الشكر لَا يكون إِلَّا على صَنِيعَةٍ. فيقول: لَمَّا رَأَيْتُ بَنِي شَيْبَانَ عِنْدَ إِمْحَالِ الْأَرْضِ وَإِجْدَابِهَا، وَإِقْتَارِ النَّاسِ وَإِضَاقَتِهِمْ، يُوْقِدُونَ نَارَ ضِيَافَتِهِمْ وَيَقِيمُونَهَا، وَإِنْ كَانَتْ نِيرَانٌ غَيْرُهُمْ خَامِدَةً مَثْرُوكًا إِشْعَالُهَا، أَتَيْتُ عَلَيْهِمْ، وَنَشَرْتُ فَضِيلَتَهُمْ. وَقَالَ «نِيرَانُ قَوْمِي» وَإِنْ أَرَادَ غَيْرَهُمْ مَعَهُمْ، تَفْضِيلًا لَهُمْ عَلَى قَوْمِهِ، وَإِذْنًا بِالْصَّدَقِ فِي مَخْبَرِهِ، فَبَدَأَ بِذِكْرِ قَوْمِهِ وَذَوِيهِ. وَيُرْوَى: «نِيرَانُ قَوْمٍ» وَالْأَوَّلُ أَجُود.

٢ - وَمِنْ تَكْرُمِهِمْ فِي الْمَخْلِ أَنَّهُمْ لَا يَغْلَمُ الْجَارُ فِيهِمْ أَنَّهُ الْجَارُ

٣ - حَتَّى يَكُونَ عَزِيزًا مِنْ نَفْسِهِمْ أَوْ أَنْ يَبِينَ جَمِيعًا وَهُوَ مُخْتَارُ

يقول: مِنْ تَكْلُفِهِمْ الْكَرَمَ كَأَنَّهُمْ لَا يَرْضَوْنَ فِي مِثْلِ ذَلِكَ الْوَقْتِ بِمَا طُبِعُوا عَلَيْهِ وَجُبِلُوا، حَتَّى تَكْلُفُوا أَكْثَرَ مِنْهُ، أَنَّهُمْ يُحْلُونَ جَارَهُمْ مِنَ الْعَنَاءِ بِهِ وَالْإِتْحَافِ وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ وَالْإِصْطِنَاعِ، مَحَلًّا يَتَشَكَّكُ مِنْ بَعْدُ فِي نَفْسِهِ: هَلْ هُوَ جَارُهُمْ أَمْ مِنْ صَمِيمِهِمْ. وَعَلَى هَذَا يَتَعَلَّقُ حَتَّى مِنْ قَوْلِهِ «حَتَّى يَكُونَ عَزِيزًا» بِالْمَعْنَى الَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ لَا يَغْلَمُ الْجَارُ فِيهِمْ أَنَّهُ الْجَارُ، أَي يَعَامِلُونَهُ بِهَذِهِ الْمَعَامَلَةِ إِلَى أَنْ يَكُونَ عَزِيزًا فِيمَا بَيْنَ ظَهْرَانِيهِمْ، أَوْ يَخْتَارَ مَفَارِقَتَهُمْ. وَالْمَعْنَى: ذَلِكَ لَهُ فِيهِمْ، مَا اعْتَزَّ بِجَوَارِهِمْ، أَوْ مَالٍ إِلَى فِرَاقِهِمْ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ «مِنْ نَفْسِهِمْ» فِي مَوْضِعِ الْحَالِ، وَعَزِيزًا خَيْرٌ

= (الهميان) له في تاج العروس (همي).

(١) التبريزي: «يزيد بن حمار» ويزيد بن حمار: من فرسان الجاهلية شهد حرب ذي قار وكان حليفًا لبني شيبان، ترجمته في معجم المرزباني ٤٩٣، والأعلام ٩: ٢٣٣.

كان. وَإِنْ جَعَلْتُ «عَزِيزًا» فِي مَوْضِعِ الْحَالِ وَمِنْ نَفْسِهِمْ خَبْرًا جاز. والمعنى: حتى يكون كأنه من أَضْلِيهِمْ، كما قال الله عز وجل: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ [التوبة: الآية ١٢٨]، والمعنى من جَنْسِكُمْ ومن بَطَانَتِكُمْ. ويجوز أن يكون البيت مُضْمَّنًا، ويكون معنى لَا يَعْلَمُ الْجَارُ فِيهِمْ أَنَّهُ جَارٌ، أَنَّ الْجَارَ لَا يَكُونُ قَدْ أَحْسَرَ بِمَجَاوِرَتِهِ لَهُمْ حَتَّى يَتَفَقَّدُوهُ هَذَا التَّفَقُّدَ، وَيُحِلُّوهُ هَذَا الْمَحَلَّ. وقوله «أَوْ أَنَّ يَبِينَ جَمِيعًا» انتصب جمیعًا على الحال، والمعنى أو أن يُفَارِقَ وهو مجتمع الحال غير مُتَشَبِّهٍهَا، وَمُخْتَارٌ لَذَلِكَ غَيْرُ مُضْطَرٍّ إِلَيْهِ. ومِثْلُ هَذَا بَيْتُ زَهِيرٍ: [الوافر]

ضَمِنَّا مَالَهُ وَغَدَا جَمِيعًا عَلَيْنَا نَقْصُهُ وَلَهُ الثَّمَاءُ^(١)

وقيل بَيْتُ زَهِيرٍ هَذَا قَوْلُهُ:

وَجَارٍ سَارٍ مَعْتَمِدًا إِلَيْنَا أَجَاءَتُهُ الْمَخَافَةُ وَالرَّجَاءُ
فَجَاوَزَ مُكْرَمًا حَتَّى إِذَا مَا دَعَا الضَّيْفُ وَانْقَطَعَ الشِّتَاءُ
ضَمِنَّا مَا لَهُ وَغَدَا جَمِيعًا

فقد عَلِمَتْ اشْتِمَالُهَا عَلَى مَا ذَكَرَهُ هَذَا الشَّاعِرُ وَتَفَرُّدُهَا بِمَا زَادَ عَلَيْهِ مِنَ الْمَعْنَى. ويجوز أن يكون «حَتَّى» بِمَعْنَى كَيْ، فَيَكُونُ الْمُرَادُ لَا يَعْلَمُ الْجَارُ لِحُسْنِ تَوْفُرِهِمْ عَلَيْهِ، وَتَوْخُّدِهِمْ إِيَّاهُ بِاتِّخَاذِ الصَّنَائِعِ لَدَيْهِ أَنَّهُ جَارٌ، لَكَيْ يَكُونَ عَزِيزًا مُدَّةَ مُقَامِهِ، أَوْ يُفَارِقَهُمْ مُخْتَارًا، مَوْفُورَ الْمَالِ، مَصُونُ الْحَالِ.

٤ - كَأَنَّهُ صَدَعَ فِي رَأْسِ شَاهِقَةٍ مِنْ دُونِهِ لِعِتَاقِ الطَّيْرِ أَوْكَارُ

يقول: كَأَنَّ الْجَارَ لَتَمْتِنَعَهُ بِهِمْ، وَتَعَزَّزَهُ حِينَ اسْتَظْهَرَ عَلَى الزَّمَانِ بِمَكَانِهِ فِيهِمْ، وَعَلَّ احْتِرَازَ عَنْ طُلَابِهِ فِي رَأْسِ قُلَّةٍ شَامِخَةٍ أَوْكَارُ عِتَاقِ الطَّيْرِ دُونَهُ، وَهُوَ أَرْفَعُ مِنْهَا وَأَحْصَنُ. فَالتَّشْبِيهُ تَنَاوَلَ مَا ذَكَرْتُ مِنَ التَّمْنَعِ وَالتَّحَصُّنِ. وَيَغْنِي بَعِتَاقُ الطَّيْرِ: الْعِقْبَانُ وَمَا أَشْبَهَهَا مِنْ أَحْرَارِ الطَّيْرِ، وَمَا يَتَّخِذُ الْوُكُورَ فِي الْجِبَالِ. وَإِلَى هَذَا أَشَارَ الْهَذَلِيُّ^(٢) فِي قَوْلِهِ: [الكامل]

حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى فِرَاشِ عَزِيزَةٍ سَوْدَاءَ رَوْثَةٍ أَنْفِهَا كَالْمِخْصَفِ

(١) لزهير مع الأبيات التالية في ديوانه ص ٧٧، وفي تاج العروس (ج١).

(٢) لأبي كبير الهذلي في شرح أشعار الهذليين ص ١٠٨٩، واللسان (روث، عزز، فرش، خصف)، وتاج العروس (روث، عزز، فرش، خصف)، وللهمذلي في مقاييس اللغة ٢: ١٨٦.

يعني وكَرَّ عُقَاب. والصَّدْع والصَّدِيعُ: الفتى من الأوعال، وقيل: هو المربوع وقد استعمل في الرُّبْعَةِ من الرجال.

٩٤ - وقال آخر^(١): [الطويل]

١ - نَزَلْتُ عَلَى آلِ الْمُهَلَّبِ شَاتِيَا غَرِيبًا عَنِ الْأَوْطَانِ فِي زَمَنِ مَخْلٍ
يقول: أَوَيْتُ لِمَا تَغَرَّبْتُ عَنْ أَوْطَانِي دَاخِلًا فِي الشِّتَاءِ، مُنْتَحِنًا بِالْجَذْبِ
وَالْقَحْطِ، مُلْجَأً إِلَى الْإِسْتِعَانَةِ عَلَى الزَّمَانِ بَغِيرِي، إِلَى آلِ الْمُهَلَّبِ بْنِ أَبِي صُفْرَةَ
وَنَزَلْتُ فِيهِمْ، ثُمَّ أَخَذَ يَقْتَصُّ مَا رَأَى فِيهِمْ. وَيُقَالُ: زَمَنْ مَخْلٌ، وَصِفَ بِالْمَضْدَرِّ،
وَزَمَنْ مَاجِلٌ وَزَمَنْ مُمَجِّلٌ. وَالْأَصْلُ فِي الْمَحَلِّ: انْقِطَاعُ الْمَطَرِ وَيُبْسُ الْكَلَالِ. وَيُقَالُ
أَرْضٌ مَخْلٌ وَأَرْضٌ مُحُولٌ، وَصِفَ بِالْجَمْعِ، كَأَنَّهُ أُجْرِيَ عَلَى أَقْطَاعِ الْأَرْضِ، كَمَا
يُقَالُ: ثَوْبٌ مِرْقٌ.

٢ - فَمَا زَالَ بِي إِكْرَامُهُمْ وَاقْتِفَاؤُهُمْ وَإِنْفَائُهُمْ حَتَّى حَسِبْنَاهُمْ أَهْلِي

يقول: لَمْ يَزَالُوا يُؤَثِّرُونَنِي بِالْإِحْسَانِ وَالْحُسْنَى، وَيَخْتَصُّونَنِي بِإِسْدَاءِ الْجَمِيلِ
وَالثُّغْمَى، وَيَلْتَزِمُونَ لِي مِنَ الْإِكْرَامِ وَالتَّقْرِيبِ، وَالْإِدْنَاءِ وَالتَّرْحِيبِ، حَتَّى ظَنَنْتُهُمْ
عَشِيرَتِي، وَتَشَكَّيْتُ فِي اغْتِرَابِي مِنْهُمْ، وَبَعْدَ نَسْبِي عَنْهُمْ. وَمِنَ الْإِقْتِفَاءِ الْقَفْيُ، وَهُوَ
الْمَكْرَمُ مِنَ الضِّيْفِ وَالسَّكَنِ، وَالْقَفَاؤَةُ. قَالَ: [البسيط]

يُغَطِّي دَوَاءَ قَفْيِي السَّكَنُ مَرْبُوبٌ^(٢)

٩٥ - وقال جابر بن ثعلب الطائي^(٣): [الطويل]

١ - وَقَامَ إِلَيَّ الْعَادِلَاتُ يَلْمَنَنِي يَقُلْنَ أَلَا تَنْفُكُ تَرْحَلُ مَرْحَلًا^(٤)

يقول: انْتَصَبَ اللِّوَامُ عَاتِبَاتٍ عَلَيَّ، سَائِقَاتٍ الْعُنْفِ إِلَيَّ قَائِلَاتٍ: أَلَا تَزَالُ
تَرْحَلُ ارْتِحَالًا فَلَا تَسْتَقِرُّ بِكَ دَارٌ، وَلَا يُقَرَّبُ لَكَ مَزَارٌ، وَلَا يُحْطُ عَنْ رَاحِلَةٍ رَحْلٌ.

(١) في شرح الحماسة برواية الجواليقي: «قال الأخنس الطائي يمدح المهلب». وفي البيان والتبيين ٣: ٢٣٣ لبكير بن الأخنس: وهو من شعراء العصر الأموي.

(٢) لسلامة بن جندل في ديوانه ص ٩٨، واللسان (رب، سغل، سكن، دوا، سفا)، وكتاب العين ٥: ٣١٣، وأساس البلاغة (سفو). وصدرة:

«ليس بأقنى ولا أسفى ولا سغلي»

(٣) التبريزي: «جابر بن الثعلب».

(٤) التبريزي: «ويروى: ألا يا ارحل لأهلك مرحلا».

وَمَرْحَلًا انتصب على المَضْدَر، كما تقول: أما تَنْفُكُ تَخْرُجَ مَخْرَجًا وَتَبْعُدُ مَبْعَدًا، ومعنى تَرْحَلُ تَشُدُّ الرَّحْلَ. وموضع «يَلْمَنِي» موضع الحال، «وَيَقْلَنُ» في موضع البدل من يَلْمَنِي.

٢ - فَإِنَّ الْفَتَى ذَا الْحَزْمِ رَامَ بِنَفْسِهِ جَوَاشِينَ هَذَا اللَّيْلِ كَيْ يَسْمُولَا
في الكلام اختصار، كأنه قال: فأجبتهم فقلت: إِنَّ الْفَتَى الْحَازِمَ يُحْمَلُ نَفْسَهُ
الْمَشَقَّاتِ، وَيَزِمِي بِنَفْسِهِ الْمَتَالِفَ الصُّعْبَاتِ، وَيَمْطِي الْأَهْوَالَ، كَيْ يَنَالَ الْأَمْوَالَ، غَيْرَ
مُفَكِّرٍ فِي ظِلْمَةِ لَيْلٍ، وَلَا مُسْتَضْعِبٍ لِرُكُوبِ خَطْبٍ. وقوله: «جَوَاشِينَ هَذَا اللَّيْلِ» يَعْنِي
صُدُورَهَا وَأَوَائِلَهَا. وَاللَّيْلُ بِإِزَاءِ النَّهَارِ فِي الْإِسْتِعْمَالِ، وَاللَّيْلَةُ بِإِزَاءِ الْيَوْمِ. وَالْإِشَارَةُ
بِهَذَا عَلَى طَرِيقِ التَّقْرِيبِ. وَهُمْ يَسْتَعِيرُونَ الْجَوَاشِينَ وَالْهَوَادِي وَالصُّدُورَ وَالْثُحُورَ
وَالْأَغْنَاءَ وَالرُّؤُوسَ لِأَوَائِلِ الْأُمُورِ، كَمَا يَسْتَعِيرُونَ الْأَعْجَازَ وَالْأَدْبَارَ وَالْأَعْقَابَ
وَالْأَذْنَابَ لِأَوَاخِرِهَا.

٣ - وَمَنْ يَفْتَقِرَ فِي قَوْمِهِ يَحْمَدُهُ الْغَنَى وَإِنْ كَانَ فِيهِمْ وَاسِطُ الْعَمِّ مُخَوَّلًا
افْتَقَرَ فَعُلُ مُفْتَقِرٍ وَفَقِيرٍ جَمِيعًا، اسْتَغْنِي بِهِ عَنْ فَقِيرٍ. يَقُولُ: مَنْ نَالَهُ الْفَقْرُ بَيْنَ
عَشِيرَتِهِ وَأَهْلِيهِ حَمِدَ الْغَنَى، وَصَارَ عِنْدَهُ الْمَطْلُوبُ وَالْمَتَمَنَّى، وَإِنْ كَانَ مَغْطُوفًا عَلَيْهِ
مُكْرَمًا، وَمُعَمًّا فِيهِمْ مُخَوَّلًا. وَقَوْلُهُ: «وَاسِطُ الْعَمِّ» سِطَةُ الْحَسَبِ: كَرَمُهُ، وَالْفِعْلُ مِنْهُ
وَسَطَ قَالَ: [الرجز]

وَقَدْ وَسَطْتُ مَا لَكَ وَحَسَطَلَا^(١)

ويقال: فلانٌ وسيطٌ في قومه: جليلٌ، وفلانٌ واسطُ القومِ، وهو أوسطُهم أي
أشرفُهم.

٤ - كَأَنَّ الْفَتَى لَمْ يَغَرَّ يَوْمًا إِذَا اكْتَسَى وَلَمْ يَكْ صُغْلُوكَا إِذَا مَا تَمَوْلَا^(٢)

هذا الكلام بعث على التَّجَوُّلِ، وَتَخْضِيفِ فِي اكْتِسَابِ الْمَالِ، فيقول: إِذَا
اِفْتَنَيْتَ بَعْدَ فَقْرِكَ، وَاكْتَسَيْتَ عَنْ غُرْبِكَ، فَكَأَنَّكَ مَا كُنْتَ قَطُّ فَقِيرًا وَلَا غُرْبَانًا.

(١) الرجز لغيلان بن حريث في مجالس ثعلب ٣٠٦، وبلا نسبة في اللسان (صيب)، وتاج العروس
(صيب)، وأساس البلاغة (وسط)، وديوان الأدب ٣: ٢٥٢.

(٢) قبل هذا البيت عند التبريزي بيت آخر:

«ويزري بعقل المرء قلته ماله وإن كان أسرى من رجالٍ وأحولا»

والمعنى: إن من استبدلَ بعُسْرِهِ يُسْرًا، ونال عَقْبَ ضَيْقِهِ رِخَاءً، فكأنه ما سَبَقَ إليهما، ولا زوَجَمَ فيهما. وفي طريقته ما بَعْدَهُ، وهو: «ولم يَكُ في بُوسٍ». والصُّغْلُوك: الفقير.

٥ - وَلَمْ يَكُ فِي بُوسٍ إِذَا بَاتَ لَيْلَةً يَنْأِيهِ غَزَالًا سَاجِي الطَّرْفِ أَكْحَلًا^(١)

يقول: وإذا استمتع لَيْلَةً بمناجاةِ إِنْسَانٍ كَأَنَّهُ غَزَالٌ فِي طَرْفِهِ فَتَرَ، وفي عَيْنِهِ كَحَلٌّ، فكأنه ما كان ذا بُوسٍ قَطُّ. أي تُعْفَى الثَّغْمَةُ على آثاره الضَّرِّ، وتَمَحُّوْهَا حتى تُنْسَى. وقولُهُ «ولم يَكُ في بُوسٍ» قد مرَّ الكلام في حذف النون مِنْهَا تخفيفًا. والمناغة: المغازلة، وأصلُهُ مِنَ الثَّغْيَةِ، وهي الصوت اللطيف، والثَّغْمَةُ الحسنة الخفيفة، ولذلك يُفَسِّرُ المُنَاغَاةُ على المُسَاوَةِ. والسَاجِي: الساكن، يقال لَيْلٌ سَاجٍ. قال: [الرجز]

يَا حَبِّذَا الْقَمْرَاءُ وَاللَّيْلُ السَّاجُ^(٢)

٩٦ - وقال بعض بني طئىء: [السريع]

١ - إِنْ أَدَعَ الشُّغْرَ فَلَمْ أَكْذِبْهُ إِذْ أَزَمَ الْحَقُّ عَلَى الْبَاطِلِ

قوله «إِذْ أَزَمَ» ظرفٌ لقوله أَدَعَ. وتقدير الكلام: إِنْ أَدَعَ الشُّغْرَ إِذْ أَزَمَ الْحَقُّ عَلَى الْبَاطِلِ فلم أَكْذِبْهُ. ويريد بالحق كَبْرَتَهُ وشيخوخته، وما أَخَذَ بِهِ النَّفْسَ عِنْدَهُ من مراعاة الحق، والرجوع عن الهزلِ إلى الجِدِّ. وأراد بالباطل الضُّبَا واللَّهُو وما يَتَّبِعُهُمَا مما يَعْدُ سَفَهًا وقوله «فَلَمْ أَكْذِبْهُ» أصله من حَفَرَ فَأَكْدَى، إِذَا بَلَغَ الكُذْيَةَ، فَتَعَدَّرَ عَلَيْهِ الحَفَرُ وَإِنْبَاطُ الماء. والكُذْيَةُ: مَكَانٌ صُلْبٌ يُغْيِي الحَافِرَ. ويقال أيضًا: حَفَرَ فَأَجْبَلَ، إِذَا بَلَغَ جَبَلًا. وتوسَّعوا فيه فقالوا: أَكْدَى فِي الشُّغْرِ والعَطَاء. وفي القرآن: ﴿وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْثَى﴾ [التنجم: الآية ٣٤]. وقالوا أيضًا: فَلَانَ بَلَغَ النَّاسُ كُذْيَتَهُ، أي كان يُعْطِي ثم أَمْسَكَ. ومعنى البيت: إِنْ تَرَكْتُ الشُّغْرَ حِينَ تَحَلَّمْتُ وَازْعَوَيْتُ، وَصَارَ الْحَقُّ عَاضًا عَلَى بَطَالَتِي، وَالْجِلْمُ مَانِعًا مِنْ جَهَالَتِي، فَلَمْ أَتْرُكْهُ عَنْ عَجْزٍ لَاجِئٍ، وَإِفْحَامٍ حَاصِلٍ. وَالْأَزْمُ: الْعَضُّ، وَتَوَسَّعَ فِيهِ، فَقِيلَ: «نعم الدواء الأزمُ»، يريدون الجِمِيَّةَ.

(١) في التبريزي: «فاتر الطرف». وروى بعد هذا البيت بيتًا آخر هو:

«إِذَا جَانِبَ أَعْيَاكَ فَاعْمَدْ لْجَانِبِ فَلَمَّا لَاقِي فِي بِلَادٍ مَعُولًا»

(٢) للحرثي في اللسان (سجا)، وبلا نسبة في المخصص ٢٦: ٩، وتهذيب اللغة ١١: ١٤٠، وتاج العروس (سجا، قمر).

٢ - قَدْ كُنْتُ أَجْرِيهِ عَلَى وَجْهِهِ وَأَكْثَرُ الصَّدِّ عَنِ الْجَاهِلِ
يقول: كُنْتُ أَجْرِي الشَّعْرَ عَلَى حَقِّهِ وَكُنْهِهِ، وَأَقْرَضُهُ مُسْتَمِرًّا فِيهِ عَلَى حَدِّهِ أَيَّامَ
شَبَابِي، وَقَبْلَ ارْتِدَاعِي، وَمَعَ ذَلِكَ كُنْتُ أَكْثَرُ الإِعْرَاضِ عَنِ الْجُهَالِ، وَأَتَصَوَّنُ عَنِ
مَكَائِلَتِهِمْ وَمَوَازَنَتِهِمْ. وَهَذَا يَجْرِي مَجْرَى قَوْلِ الْآخَرِ: [البسيط]

إِنِّي أَمَرْتُ مُكْرِمَ نَفْسِي وَمُتَثَبِّدًا مِنْ أَنْ أَقَاذِعَهَا حَتَّى أَجَازِيهَا^(١)
والمعنى أَرَبْتُ بِقُدْرِي عَنِ مَقَارَضَةِ الشُّعْرَاءِ، وَمَجَازِبَةِ السُّفَهَاءِ، وَلَكِنْ إِنْ دَعَتِ
الْحَالُ مَعَهُمُ، وَالضُّجْرُ بِهِمْ، إِلَى الْمَجَازَاةِ مَعَ مَرَاةِ الْجَلْمِ، فَبِالْفِعْلِ لَا بِالْقَوْلِ،
وَعَلَى هَذَا كُنْتُ قَبْلَ هَذَا الْأَوَانِ مَعَ الْجُهَالِ.

٩٧ - وَقَالَ آخِرُ^(٢): [الكامل]

١ - زَعَمَ الْعَوَازِلُ أَنَّ نَاقَةَ جُنْدَبٍ بِجُنُوبِ خَبْتٍ عُرِيَتْ وَأَجْمَتْ
يقول: قَالَ اللَّوَائِمُ عَائِبَةً عَلَى جُنْدَبٍ، وَمُنْكَرَةً لِتَوَدُّعِهِ وَمَيْلِهِ إِلَى الرَّاحَةِ
وَالْحَفْضِ وَتَرْكِ السَّفَرِ: إِنَّ نَاقَتَهُ حُطَّ عَنْهَا رَحْلُهَا، وَأُزِيلَ كَلَالُهَا، فَهِيَ جَائِمَةٌ بِجُنُوبِ
خَبْتٍ: وَالْخَبْتِ، أَصْلُهُ مَا أَطْمَأَنَّ مِنَ الْأَرْضِ. وَيُقَالُ: أَخَبَّتِ الرَّجُلُ، إِذَا صَارَ فِي
الْخَبْتِ؛ وَتَوَسَّعَ فِيهِ فَقِيلَ لِلْمَتَالَةِ الْخَاشِعِ: هُوَ مُخَبْتٌ.

٢ - كَذَبَ الْعَوَازِلُ لَوْ رَأَيْنَ مُنَاخَنَا بِالْقَادِسِيَّةِ قُلْنَ لَيْجٌ وَذَلَّتِ
أَبْطَلُ قَوْلَهُنَّ فَذَكَرَ أَتَهُنَّ لَوْ رَأَيْنَ مَنَزِلَنَا وَمَنَزَكَنَا بِهَذَا الْبَلَدِ، لَقُلْنَ لَيْجٌ جُنْدَبٌ فِي
السَّيْرِ وَذَلَّتِ النَّاقَةُ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ «مُنَاخَنَا» لَمْ يُشِيرْ بِهِ إِلَى إِيَّاخَةٍ وَإِلَى مَوْضِعٍ
لَهَا، وَإِنَّمَا يَكُونُ كَقَوْلِهِ: [الطويل]

فَإِنَّ الْمُنْدَى رِخْلَةً وَرُكُوبٌ^(٣)

فَيَكُونُ الْمَعْنَى: لَوْ رَأَيْنَا مَا جُعِلَ بَدَلًا لِنَاقَتِنَا فِي مَوْضِعِ الْإِيَّاخَةِ لَقُلْنَا ذَلِكَ.
ومثله: [الرجز]

تَغْلِيْقُهَا الْإِسْرَاحُ وَالْإِلْجَامُ

(١) هَذَا الْبَيْتُ مِنَ الْحِمَاسَةِ رَقْمُ (٧٤).

(٢) فِي دِيْوَانِ الْحِمَاسَةِ بِرَوَايَةِ الْجَوَالِيْقِيِّ: «وَقَالَ آخِرُ مِنْ طَيِّيءٍ وَهُوَ جُنْدَبُ بْنُ عِمَارٍ».

(٣) لَعَلِمَةُ الْفَحْلِ فِي دِيْوَانِهِ ص ٤٢، وَسَمَطُ اللَّكَلِيِّ ٢٥٤، وَشَرْحُ اخْتِيَارَاتِ الْمَفْضَلِ ١٥٨٩،
وَاللِّسَانُ (رُكْبَ، وَدَمْنٌ، نَدَى). وَصَدْرُهُ:

«تَرَادَ عَلَى دَمْنِ الْحِيَاضِ فَإِنْ تَعَفَّ»

أَي جُعِلَ الإسراجُ بدلًا مما كان يُعلَقُ عليه . وَيَقْرُبُ منه قوله : [البسيط]
لَمَّا تَذَكَّرْتُ بِالذِّيرِزِينَ أَرْقَنِي صَوْتُ الدَّجَاجِ وَقَرَعَ بِالنَّوَاقِيسِ^(١)
وإنما شاهدَ وقتَهُما فذكرَهُما به ، ولم يكن ثَمَّ دَجَاجٌ ولا نَوَاقِيسٌ .

٩٨ - وقال الرَّاعِي : [الطويل]

١ - كَفَّانِي عِرْقَانُ الْكَرَى وَكَفَيْتُهُ كُلُّوهُ الشُّجُومَ وَالثُّعَاسَ مُعَانِقُهُ
عِرْقَانُ : اسم صاحبه . فيقول : نام هذا الرجلُ وكفاني الاشتغالَ بالنوم ،
وكلَّأتُ النجومَ وارتقبْتُها ، وكفَيْتُهُ السهرَ ، وقد لازَمَ الثُّعَاسَ وعانقَهُ . فإن قيل :
كيف كَفَّاهُ الْكَرَى ؟ قلتَ : هذا على مطابقةِ الكلامِ ، فلما قال كَفَيْتُهُ مُرَاعَاةَ النجومِ
وُثِّبَتْ عنه فيها ، قال : كَفَّانِي الْكَرَى ، وإن كانت نيابةً ذلك عنه في الْكَرَى لا
يَصِحُّ . وَيُرْوَى : «كفاني عِرْقَانُ الْكَرَى وكَفَيْتُهُ» ، أي مَعْرِفَةُ الْكَرَى ، وليس
بِمُرْتَضَى .

٢ - قَبَاتٌ يُرِيهِ عِرْسَهُ وَيَنَاتِيهِ وَبِثُّ أُرْيِهِ التَّجَمُّ أَنْتَنَ مَخَافِقُهُ
هذا تَطْلُفٌ من القولِ ، لأن الساهرَ لا يَغْلُمُ من حال النَّائمِ أنه يَحْلُمُ أو لا يَحْلُمُ .
وإنما ثَبَّهَ بهذا الكلامِ على استحكامِ نومي وتَلَذُّذِهِ به ، إذ كانت الأحلامُ لا تحضُلُ للنائمِ
إلا عند ذلك . ولَمَّا قال بات يُرِيهِ النومُ امرأته وأولاده ، قال في مقابَلَتِهِ على الطريقةِ
التي في البيت الأول : وَبِثُّ أُرْيِهِ التَّجَمُّ . وهذا الجنسُ يَكْثُرُ في كلامِ البُلغاءِ ، ومثله
قولُ الله عزَّ وجلَّ : ﴿فَمَنْ أَعِثَّتْ عَلَيْكُمْ فَأَعِدُوا عَلَيْهِ﴾ [البقرة : الآية ١٩٤] . و﴿إِنَّمَا نَحْنُ
مُسْتَهْزِئُونَ﴾ [البقرة : الآية ١٤] ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة : الآية ١٥] . وقول
الشاعر^(٢) : [الهزج]

دِنَاهُمْ كَمَا دَانُوا

وقد مرَّ جميعُهُ مُسْتَقْصَى .

(١) لجرير في ديوانه ٣٢١ ، والحيوان ٢ : ٣٤٢ .

(٢) البيت الرابع من الحماسة رقم (٢) ، وتماه :

«ولم يبقَ سوى العدوا ن دِنَاهُمْ كَمَا دَانُوا»

٩٩ - وقال آخر^(١): [الوافر]

١ - فَلَسْتُ بِنَازِلٍ إِلَّا أَلَمْتُ بِرَخْلِي أَوْ خَيَّالَتَهَا الْكَذُوبُ
حَذَفَ مَفْعُولَ نَازِلٍ لِأَنَّ الْمَرَادَ مَفْهُومٌ، كَأَنَّهُ قَالَ: لَا أَنْزِلُ مَثَرَلًا. وَمِثْلُهُ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَذُوقُوا يَمَّا نَسِيْتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ [السَّجْدَةُ: الْآيَةُ ١٤]، أَيْ الْعَذَابُ. وَالْإِلْمَامُ: زِيَارَةٌ لَا لَبَثٌ مَعَهَا. يَقُولُ: لَا أَنْزِلُ مَحَلًّا إِلَّا رَأَيْتُ هَذِهِ الْمَرْأَةَ مُلِمَّةً بِرَخْلِي، أَيْ مَتَصَوِّرَةً لِي بِهَذِهِ الصُّورَةِ، تَشْوُقًا مِثِّي وَتَحَفِّيًّا. هَذَا فِي حَالِ الْيَقِظَةِ وَعِنْدَ فَرَاغِ الْبَالِ وَالِاشْتِغَالِ بِحَالِ النَّفْسِ. أَوْ رَأَيْتُ خَيَّالَتَهَا الْكَذُوبَ الْقَلِيلَةَ الْوَفَاءَ إِذَا نِمْتُ. وَيُقَالُ: خَيَّالٌ وَخَيَّالَةٌ، كَمَا يُقَالُ مَكَانٌ وَمَكَائَةٌ. وَجَعَلَهَا كَذُوبًا لَمَّا لَمْ يَتَحَقَّقْ فِعْلُهَا وَقَوْلُهَا. وَالْمَعْنَى: إِنِّي لَا يُخْلِنِي مِنْهَا لَا النَّوْمُ وَلَا الْبَقِظَةُ، وَلَا يَلْفُتْنِي عَنْهَا لَا الرَّخَاءُ وَلَا الشَّدَّةُ، وَفِي هَذِهِ الطَّرِيقَةِ قَوْلُ أَمْرِئِ الْقَيْسِ: [الطويل]

تَنَوُّزْتُهَا مِنْ أَذْرَعَاتٍ وَأَهْلُهَا بِيَثْرِبٍ أَذْنَى دَارِهَا نَظَرُ عَالٍ^(٢)
وقال الأصمعي في قول الآخر: [الطويل]

أَلَيْسَ بِصَبِيرًا مَنْ رَأَى وَهُوَ قَاعِدٌ بِمَكَّةَ أَهْلَ الشَّامِ يَخْتَبِرُونَا
هُوَ عَلَى التَّشْوُفِ وَالتَّحَفِّيِّ.

٢ - فَقَدْ جَعَلْتُ قُلُوصَ أَبْنِي سُهَيْلٍ مِنْ الْأَكْوَارِ مَزْتَعُهَا قَرِيبٌ
جَعَلْتُ هُنَا بِمَعْنَى طَفِقْتُ وَأَقْبَلْتُ، وَلِذَلِكَ لَا يَتَعَدَّى. وَالْقُلُوصُ: الْفَتِيَّةُ مِنَ الْإِبِلِ، وَمَزْتَعُهَا قَرِيبٌ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ. يَقُولُ: أَقْبَلْتُ قُلُوصَ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ قَرِيبَةً الْمَزْتَعِ مِنْ رِخَالِهِمْ، قَصِيرَةَ الْمَسْرَحِ فِي رَوَاجِهِمْ، لِأَنَّهُ لَمَّا لَحِقَهَا مِنَ الْكَلَالِ وَالْإِعْيَاءِ، لَمْ تَقْدِرْ عَلَى التَّبَاعُدِ فِي الْمَرْعَى وَالْإِرْتِيَادِ.

٣ - كَأَنَّ لَهَا بِرَخْلٍ الْقَوْمَ بَوًّا وَمَا إِنْ طُبُّهَا إِلَّا الْفُؤُوبُ
يقول: كَأَنَّ لِهَذِهِ النَّاقَةِ وَلَدًا بِرَخْلٍ الْقَوْمِ، تَتَعَطَّفُ عَلَيْهِ، وَلَا تَتَبَاعَدُ عَنْهُ، وَمَا دَاوُهَا إِلَّا الْإِعْيَاءُ. وَمِثْلُ هَذَا قَوْلُ الْآخَرِ: [الرجز]

مِنَ الْكَلَالِ لَا يَذُقْنَ عُوْدًا لَا عُقْلًا تَبْغِي وَلَا قُيُودًا

(١) فِي دِيْوَانِ الْحِمَاسَةِ بِرَوَايَةِ الْجَوَالِيْقِيِّ: «لِرَجُلٍ مِنْ بَحْتَرِ بْنِ عَتُودٍ».

(٢) لِأَمْرِئِ الْقَيْسِ فِي دِيْوَانِهِ ٣١، وَخَزَانَةُ الْأَدَبِ ٥٦: ١، وَالدَّرَرُ ٨٢: ١، وَرِصْفُ الْمَبَانِي ٣٤٥.

وَالطُّبُّ أَصْلُهُ الْعِلْمُ، والمراد به ههنا الداء الذي يُعْلَمُ وَيُعْرِفُ. وَالْبَوُّ، أَصْلُهُ: جِلْدٌ فَصِيلٌ يُخْشَى تَبَنًا لِيَذُرَ الْأُمُّ عَلَيْهِ.

١٠٠ - وقال آخر^(١): [الطويل]

١ - إِنْ كُنْتُ لَا أَرْمَى وَتَرَمَى كِنَائِي نُصِبَ جَانِحَاتُ الثُّبُلِ كَشَحِي وَمَنْكَبِي
هذا مَثَلٌ. والمعنى: إذا لم أَقْصِدْ فِي خَاصِّ أَمْرِي، ثُمَّ قُصِدْتُ فِيمَنْ يَشْمَلُهُ
عِنَايَتِي، عَادَ ذَلِكَ الْقَصْدُ بِالشَّرِّ وَالْمَسَاءَةِ عَلَيَّ، وَصِرْتُ كَأَنِّي أَنَا الْمَقْصُودُ.
و«الْجَانِحَاتُ»: الْمَائِلَاتُ، وَرَوَى بَعْضُهُمْ «جَانِحَاتُ الثُّبُلِ» وَهِيَ الْمُسْتَاصِلَاتُ
الْمُهْلِكَاتُ. وَيَقَالُ: جَاخَهُ وَاجْتَاخَهُ بِمَعْنَى: وَلَيْسَتْ هَذِهِ الرِّوَايَةُ بِجَيِّدَةٍ، لِأَنَّ
الْغَرَضَ مَا ذَكَرْتُهُ مِنْ أَنَّ مَنْ يَمَسُّهُ أَمْرُهُ إِذَا قُصِدَ كَانَ كَتَفْسِهِ. فَإِنْ قِيلَ: فَلِمَ خَصَّ
الْجَانِحَاتُ؟ قُلْتُ: الْمَرَادُ فِيمَا ضَرَبَ الْمَثَلَ لَهُ: إِنِّي رُمِيتُ إِذَا رُمِيتَ الْجَعْبَةُ
الْمَعْلُوقَةُ عَلَيَّ، لِأَنَّ بَعْضَ السُّهَامِ يَصِيبُهُ وَيَعْصِيهَا يَصِيبُنِي. وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَلَا بَدَّ
مِنْ ذِكْرِ الْجَانِحَاتِ. وَ«الثُّبُلُ»: اسْمٌ صَبِيحٌ لِلْجَمْعِ. وَالْكِنَائَةُ: مَا يُعْطَى بِهِ الشَّيْءُ فِي
الْأَصْلِ، وَاخْتَصَّ بِهَا الْجَعْبَةُ وَهُوَ مِنَ الْكَنْزِ، كَالسُّتَارَةِ مِنَ السُّتْرِ. وَفِي الْقُرْآنِ:
﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ﴾ [فُصِّلَتْ: الْآيَةُ ٥]. وَقَدْ فُصِّلَ بَيْنَ كُنْتُ وَاكْتَنَنْتُ، فَجُعِلَ
اِكْتَنَنْتُ لَمَّا يُضْمَرُ فِي الْقَلْبِ مِنَ الْحَدِيثِ وَالسَّرِّ، وَكُنْتُ لَمَّا يُسْتَرُّ بِشَيْءٍ. وَذَكَرَ
الدُّرَيْدِيُّ أَنَّ الْكِنَائَةَ لَا يَكُونُ إِلَّا لِلثُّبُلِ، وَيَكُونُ مِنْ أَدَمٍ، فَإِذَا كَانَتْ مِنْ خَشَبٍ فَهُوَ
جَفِيرٌ، وَإِنْ كَانَتْ مِنْ قِطْعَتَيْنِ مَقْرُونَتَيْنِ فَهِيَ قَرْنٌ، وَالْجَعْبَةُ تَكُونُ لِلثُّبُلِ وَالنَّشَابِ
جَمِيعًا.

٢ - أَفْبِقُوا بَنِي حَزْنٍ وَأَفْوَؤُنَا مَعًا وَأَرْحَامُنَا مَوْصُولَةً لَمْ تُقْضَبِ^(٢)

يقول: اصْحَوْا بَنِي حَزْنٍ مِنْ سَكْرَةِ جَهْلِكُمْ، وَانْتَبِهُوا مِنْ رَقْدَةِ غَفْلَتِكُمْ، الْأَهْوَاءُ
بَعْدُ مَتَفَقَّةٌ، وَأَسْبَابُ الرِّجْمِ مَوْصُولَةٌ، لَمْ يَتَسَلَّطْ عَلَيْهَا الْعُقُوقُ، وَلَمْ يَقْطَعْهَا الْحَقَاءُ
وَالثُّبُورُ. وَالْمَعْنَى: كُفُّوا عَمَّا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ سَيِّئَاتِ التَّقَاطُعِ وَالتَّدَابُرِ، قَبْلَ تَفَاقُمِ الْخُطْبِ،
وَاسْتَفْحَالِ الشَّانِ. وَالْقَضْبُ: الْقَطْعُ، وَمَنْهُ قِيلَ لِلسَّيْفِ الْمَقْضَبُ وَالْقَضِيبُ. وَقَوْلُهُ
«مَعًا» فِي مَوْضِعِ الْخَبَرِ، أَيِ مَجْتَمِعَةً.

(١) التبريزي: «وقال آخر، وضرب بنو عم له مولى اسمه حوشب».

(٢) جاء قبل هذا البيت عند التبريزي بيت آخر هو:

«فقل لبني عمي فقد وأبيهم
مئوا بهريت الشدي أشوس أغلب»

٣ - فَلِنْ تَبِعْتُوها تَبِعْتُوها ذَمِيمَةً قَبِيحَةً ذَكَرَ الْغَيْبُ لِلْمُتَعَبِّبِ^(١)

يقول: إِنْ هَيَّجْتُمُ الْحَرْبَ هَيَّجْتُمُها مَذْمُومَةً قَبِيحَةً ذَكَرَ الْعَاقِبَةُ لِمَنْ يَتَّبِعُ الْعَوَاقِبَ فَيَتَدَبَّرُها، وَيَتَعَهَّدُ الْمَصَائِرَ فَيَتَأَمَّلُها. ويقال: تَغَيَّبْتُ الْأَمْرَ كَمَا يُقَالُ تَعَقَّبْتُهُ، أَيْ تَفَقَّدْتُ عَاقِبَتَهُ وَغَيْبَهُ. وَالْغَيْبُ أَصْلُهُ فِي وَرُودِ الْمَاءِ وَالزِّيَارَةِ، وَهُوَ يَتُوبُ فِي أَسْمَاءِ الْأَطْمَاءِ وَغَيْرِها عَنِ الثَّلْثِ. فَأَمَّا قَوْلُهُمْ: «زُرْ غَيًّا تَزْدُدُ حُبًّا» فَالْمُهْلَةُ فِيهِ أَوْسَعُ.

٤ - سَأَخُذُ مِنْكُمْ آلَ حَزْنٍ لِحَوْشِبٍ وَإِنْ كَانَ مَوْلَى لِي وَكُنْتُمْ بَنِي أَبِي

إِنَّمَا قَالَ هَذَا لِأَنَّ بَنِي عَمِّهِ ضَرَبُوا مَوْلَى لَهُ، فَيَقُولُ: سَأَنْتَقِمُ مِنْكُمْ يَا آلَ حَزْنٍ وَإِنْ كُنْتُمْ بَنِي أَعْمَامٍ، وَكَانَ حَوْشِبٌ مَوْلَى مُحَالِفَةٍ وَجَوَارٍ. وَفِي طَرِيقَتِهِ قَوْلُ الْآخَرِ: [الطويل]

فَإِنْ غَضِبْتَ فِيهَا حَبِيبُ بْنُ حَبِيرٍ فَخُذْ خُطَّةً تَرْضَاكَ فِيهَا الْأَبَاعِدُ وَرَوَى بَعْضُهُمْ: «وَإِنْ كَانَ مَوْلَانِي وَكُنْتُمْ»، وَالْبَصْرِيُّونَ لَا يَجُوزُونَ مَدَّ الْمَقْصُورِ، لِأَنَّهُ إِدْخَالٌ زِيَادَةٌ عَلَى كَلَامِهِمْ، وَيَجُوزُونَ قَصْرَ الْمَمْدُودِ، لِأَنَّهُ حَذْفٌ لِلتَّخْفِيفِ، وَرَدُّ إِلَى الْأَصْلِ. وَحَوْشِبٌ عِنْدَ النُّحَوِيِّينَ أَنَّهُ مِمَّا لَمْ يَجِءْ إِلَّا بِزِيَادَةِ الْوَاوِ، وَأَنَّهُ مِثْلُ كَوَكَبٍ. وَحَكَى الْخَاوَزَنْجِيُّ أَنَّ حَشْبًا اسْمُ رَجُلٍ، وَأَنَّهُ يُقَالُ أَخَشَبْنِي كَذَا، أَيْ حَشَمْنِي.

١٠١ - وَقَالَ جَمِيلٌ^(٢): [الوافر]

١ - أَبُوكَ أَبُوكَ أَزِيدُ غَيْرَ شَكٍّ أَحَلَّكَ فِي الْمَخَازِي حَيْثُ حَلَّا

ارْتَفَعَ أَبُوكَ بِالْإِبْتِدَاءِ، وَكَرَّرَهُ تَأْكِيدًا، وَأَزِيدُ بَدَلٌ مِنْهُ، وَخَبِرَ الْمَبْتَدَأُ أَحَلَّكَ. وَانْتَصَبَ «غَيْرَ» عَلَى الْمَصْدَرِ، وَهُوَ مِمَّا يُوَكِّدُ بِهِ مَا قَبْلَهُ. وَمِثْلُهُ حَقًّا وَمَا أَشْبَهَهُ. وَالْمَعْنَى أَنَّ لُؤْمَ أَبِيهِ مَوْرُوثٌ، وَأَنَّهُ اقْتِدَاءٌ بِسَلْفِهِ قَدْ أَنْزَلَ ابْنَهُ مَنَزِلَهُ فِي الْمَخَازِي وَالْقَبَائِحِ، حَقًّا لَا مِزْيَةَ فِيهِ.

(١) ورد عند التبريزي قبل هذا البيت بيت آخر وهو:

«وَلَا تَبِعْتُوهَا بَعْدَ شَذِّ عَقَالِهَا ذَمِيمَةً ذَكَرَ الْغَيْبُ فِي الْمَتَعَبِّبِ»

(٢) جميل بن عبد الله بن معمر العذري: شاعر، من عشاق العرب، افتتن ببشينة فتناقل الناس أخبارهما. أكثر شعره في النسيب والغزل والفخر (ت ٨٢ هـ / ٧٠١ م). ترجمته في وفيات الأعيان ١: ١١٥، وابن عساكر ٣: ٣٩٥، والأغاني طبعة دار الكتب ٨: ٩٠. وعند التبريزي: «قال آخر».

٢ - فَمَا أَنفِيكَ كَيْ تَزْدَادَ لَوْمًا لِأَلَامٍ مِنْ أْبِيكَ وَلَا أَذَلًا

يقول: لا أبرئكَ من أبيك طلبًا لأن أنسبك إلى من هو أَلَامٌ منه وأذلّ لتزدادَ لَوْمًا ولَوْمًا؟ لأنَّ أباك النهايةُ في هذين. واثْتَصَبَ «لَوْمًا» على التمييز، واللام من «لألام» تَعَلَّقَ بفعل مُضْمَرٍ، كأنه قال: ما أنفيك من أبيك وأدعوك لألامٍ منه، لأنه إذا نفاه من أبيه فقد جعله لغيره. ويجوز أن يُحْمَلَ الكلام فيه على المعنى، فَيَتَصَوَّرُ أَنفِيكَ بِأَدْعُوكَ، وَيُعَدَّى تَعْدِيَّتُهُ. ومثله قولُ الله عزَّ وجلَّ: ﴿هَلْ لَكَ إِلَهٌ أَنْ تَزُكَّ﴾ [التَّازِعَات: الآية ١٨]. وعلى هذا يُحْمَل قول الفرزدق: [الرجز]

قَدْ قَتَلَ اللَّهُ زِيَادًا عَنِّي^(١)

لَمَّا كَانَ مَعْنَاهُ صَرَفَهُ اللَّهُ عَنِّي. ومن أبيات الكتاب: [البسيط]

إِذَا تَعَنَّى الْحَمَامُ الْوَزْقُ هَيَّجَنِي وَلَوْ تَعَزَّيْتُ عَنْهَا أُمَّ عَمَارٍ^(٢)
لأنه تُصَوَّرُ هَيَّجَنِي أَنَّهُ ذَكَرَنِي، فَعُدِّي تَعْدِيَّتَهُ.

١٠٢ - وَقَالَ آخِرُ^(٣): [الطويل]

١ - أَبُوكَ حُبَابٌ سَارِقُ الضَّيْفِ بُزْدَةٌ وَجَدِّي يَا حَجَّاجُ فَارِسُ شَمْرًا

يقول: أبوك الذي سَرَقَ بُزْدَ ضَيْفِهِ وَغَدَرَ بِهِ وَخَانَهُ، وَجَدِّي فارس هذا الفرس المعروف. وسارق الضيف بُزْدَةٌ، أصله سَارِقُ بُزْدِ الضَّيْفِ، لكنه أَضَافَهُ إِلَى الضَّيْفِ بناءً على قولهم سَرَقْتُ الضَّيْفَ بُزْدَةً، والمراد سَرَقْتُ مِنَ الضَّيْفِ، لكنه لما حَذَفَ الْجَارَ تَخْفِيفًا وَصَلَ الْفِعْلُ فَعْمَلٌ فِيهِ، ثُمَّ أَضَافَ اسْمَ الْفَاعِلِ إِلَيْهِ. وعلى هذا يقال اخْتَرْتُ الرِّجَالَ زَيْدًا: وَشَمَّرُ فِعْلٌ فِي الْأَصْلِ سُمِّيَ بِهِ الْفَرَسُ، لأنه ليس في الأسماء شَيْءٌ عَلَى فَعْلٍ. ومثله خَضَّمُ، وهو لَقَبٌ لِلْعَبْدِ بْنِ مَازِنٍ. وَحُبَابٌ يجوز أن يكون بَدَلًا وَسَارِقُ الضَّيْفِ خَبْرًا، ويجوز أن يكون حُبَابٌ خَبْرًا وَسَارِقُ الضَّيْفِ صِفَةً، وهذا أجود حتى يكون في مقابلة فَارِسِ شَمْرٍ. كأنَّ المراد: أبوك المعروف بهذا الاسم،

(١) للفرزدق في ديوانه ١٨١، واللسان (ظهر، قتل، جنن)، وشرح الأشموني ١: ٢٠٠. وصدده:

«كيف تراني قالبًا مجنني»

(٢) للناطقة الذبياني في معلقته في ديوانه ٢٠٣، ويلا نسبة في الخصائص ٢: ٤٢٥، والكتاب ٢٨٦: ١، واللسان (هيج).

(٣) عند التبريزي: «وقال جميل».

وَجَدِّي المعروف بِذَا. ورواه بعضهم «فَارِسُ شِمْرٍ» بكسر الشين، وقال: هو عَلَمٌ مؤنث مثل امرأة تُسَمِّيها قَتَبٌ وذُنْبٌ.

٢ - بَنُو الصَّالِحِينَ الصَّالِحُونَ وَمَنْ يَكُنْ لَأَبَاءِ صِدْقٍ يَلْقَهُمْ حَيْثُ سَيرًا
كما فَضَّلَ جَدُّه على أبيه في البيت الأول فَضَّلَ نفسه عليه في البيت الثاني.
والمعنى أَنَّ المرءَ يَتَقَبَّلُ أباه، فإذا كان جَدِّي صَالِحًا فَأَنَا صَالِحٌ، وإذا كان أبوك صَالِحًا
فَأَنْتَ صَالِحٌ. وقوله «وَمَنْ يَكُنْ لَأَبَاءِ صِدْقٍ» يُرِيدُ مَنْ كَانَ وَلَدَ آبَاءٍ كِرَامٍ عُرِفَ بِهِمْ
حيث ذهب، ولقيهم أَنَّى سَارَ وظَعَنَ. واللام دَخَلَ في قوله لَأَبَاءِ صِدْقٍ لهذا المعنى.
ومثاله: [الطويل]

لَيْتَ كَانَ لِلْقَبْرِينِ قَبْرٍ بِجِلْقٍ وَقَبْرِ بَصِيدَاءَ الَّتِي عِنْدَ حَارِبٍ^(١)

أي إن كان وَلَدَهُمَا. وَصِدْقٍ يُضَافُ إِلَيْهِ الواحد والجمع، والمؤنث والمذكر،
وَيُرَادُ به المَدْحُ. فإذا قُلْتُ ثَوْبٌ صِدْقٍ وَرَجُلٌ صِدْقٍ، فالمعنى نِعَمَ الشيء ذاك، أي
هو صَادِقٌ فيما يُحْمَدُ فيه لا كاذبٌ. وإذا أَرَدْتَ أَنْ تَجْعَلَهُ نَعْتًا فَتَحْتَ الصَّادَ منه
فقلت: هو الرَّجُلُ الصَّدْقُ، وَيُثَنَّى وَيُجْمَعُ وَيُؤَنَّثُ. قال: [الرجز]
مَقْدُودَةُ الْأَذَانِ صَدَقَاتِ الْحَدَقِ^(٢)

٣ - فَإِنْ تَغَضَّبُوا مِنْ قِسْمَةِ اللَّهِ حَظَّكُمْ فَلَلَّهُ إِذْ لَمْ يُزْضِكُمْ كَانَ أَبْصَرَا
يقول: إن تَسَخَطْتُمْ مَا قَسَمَهُ اللَّهُ، تَعَالَى جَدُّهُ، لَكُمْ، وجعله نصيبكم، فَلَلَّهُ كَانَ
أَعْلَمَ بِكُمْ وبقدر استحقاقكم، لَمَّا لَمْ يَزْكَمْ أَهْلًا لأكْثَرِ منه. والمعنى: إنَّ مَا حَصَلْتُمْ
عليه مِنَ الْبَخْسِ فِي الْقِسْمَةِ، وَالنَّقْصِ مِنَ الْمَقْدَرَةِ. والتأخر في المنزلة، حِكْمَةٌ مِنَ اللَّهِ
عَزَّ وَجَلَّ وَنَصْفَةٌ، ولو زاد مستحقُّكُمْ عليه لأعطاكم، فَإِنَّهُ الْعَالِمُ الْحَكِيمُ فِي أَعْمَالِهِ
وَأَقْضِيَّتِهِ. والبصير في صفة الله، تحقيقه الْعَالِمُ.

١٠٣ - وَقَالَ أَبُو النَّشَاشِ^(٣): [الطويل]

١ - إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَسْرِخْ سَوَامًا وَلَمْ يُرَخْ سَوَامًا وَلَمْ تَغْطِفْ عَلَيْهِ أَقَارِبُهُ

(١) للنابغة الذبياني في ديوانه ٤١، واللسان (جلق)، وديوان الأدب ٣٩٥:٢، وتاج العروس (حلق).

(٢) لرؤية في ديوانه ١٠٤، وأساس البلاغة (قذذ)، ويلا نسبة في اللسان (صدق).

(٣) أبو النشاش: من لصوص بني تميم، كان يعترض القوافل بين طريق الحجاز والشام (الأغاني ٤٢:١١).

يُقَالُ سَرَحْتُ الماشِيَةَ، إِذَا أَخْرَجْتَهَا بِالْعَدَاةِ إِلَى المَرَعَى؛ وَأَرَحْتُهَا، إِذَا رَدَدْتُهَا بِالْعِشِيِّ. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: لِمَ قَالَ «وَلَمْ يُرَخَّ سَوَامًا» وَالتَّكْرَةُ إِذَا أُعِيدَ ذِكْرُهَا يَجِبُ تَعْرِيفُهَا، بِدَلَالَةِ أَنَّكَ تَقُولُ رَأَيْتَ رَجُلًا بِمَكَانٍ كَذَا، فَقَالَ لِي الرَّجُلُ كَذَا؟ قُلْتُ: يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ تَكْرُهُمَا لِأَنَّهُ تَصَوَّرَ المُرَاحَ بِمَا دَخَلَهُ مِنَ التَّنَاقُصِ وَالتَّزَايُدِ، بِالأَخْذِ مِنْهُ وَالرَّدِّ إِلَيْهِ غَيْرَ المَسْرُوحِ، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَالثَّانِي غَيْرُ الأولِ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ السَّوَامُ الثَّانِي غَيْرُ الأولِ، وَذَلِكَ أَنَّ المُكْثِرِينَ مِنْهُمْ كَانُوا يَأْمُرُونَ رِعَاءَهُمْ بِأَنْ يَقْتَضِبُوا قِطْعَةً مِنَ المَالِ كَيْفَ اتَّفَقَتْ، لِيَحْيِسُوهَا عَلَى الحَقُوقِ العَارِضَةِ، سِوَى المُوْنِ اللَّازِمَةِ، فَكَانَتْ الغَادِيَةِ لَمَّا يَقِيمُونَهَا مِنَ الثُّوبِ فِي ذَلِكَ غَيْرِ الرَّائِحَةِ، وَالرَّائِحَةُ غَيْرُ الغَادِيَةِ. وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَالسَّوَالُ سَاقِطٌ. وَالمَعْنَى: إِذَا الرَّجُلُ لَمْ يَكُنْ ذَا مَالٍ يُسْرَحُ بَغْضِهِ وَيُرَاحَ عَلَيْهِ بَغْضُهُ، عَلَى حَسَبِ مَا يَتَّفَقُ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ أَقَارِبٌ يَتَعَطَّفُونَ عَلَيْهِ وَيَرَوْنَ مِنَ الفُرُوضِ الوَاجِبَةِ الإِحْسَانَ إِلَيْهِ، فَالْمَوْتُ خَيْرٌ لَهُ. وَجَوَابُ إِذَا فِي البَيْتِ الثَّانِي. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ المُرَادُ بِقَوْلِهِ وَلَمْ تَغْطِفْ عَلَيْهِ أَقَارِيهَ تَغَطَّفُ النُّصْرَةِ وَالْإِعْزَازِ، فَيَكُونُ المَعْنَى إِذَا لَمْ يَكُنْ غَنِيًّا وَلَمْ يَكُنْ مُؤَيَّدًا بِذَوِيهِ فَيَعْتَرِ بِهَمٍّ، فَالْمَوْتُ أَصْلَحُ لَهُ مِنَ الحَيَاةِ، وَهَذَا المَعْنَى أَحْسَنُ.

٢ - قَلَّلَ مَوْتَ خَيْرٍ لِلْفَتَى مِنْ قُعُودِهِ عَدِيمًا وَمِنْ مَوَلَى تَدِبُ عَقَارِيهَ

فَلَمَمْتُ جَوَابُ إِذَا، لِتَضَمُّنِهِ مَعْنَى الْجَزَاءِ. يَقُولُ: إِذَا الرَّجُلُ لَمْ يَكُنْ عَلَى مَا وَصَفْتُ فَوَرُودُ المَوْتِ عَلَيْهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ قُعُودِهِ رَاضِيًا بِفَقْرِهِ، وَبِإِفْضَالِ مَوَلَى يُوْذِيهِ بِالْمَنْ، وَلَا يُخَلِّصُ النِّعْمَةَ عِنْدَهُ مِنَ السَّوَابِ. وَدَبِيبُ العَقَارِبِ كِنَايَةٌ عَنْ فِعْلِ الأَدَى وَالتَّحْمِيدِ بِالكَلِمَاتِ المُكْدَّرَةِ. وَانْتَصَبَ «عَدِيمًا» عَلَى الحَالِ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ المَعْنَى فِي قَوْلِهِ «وَمِنْ مَوَلَى تَدِبُ عَقَارِيهَ» أَنْ يَخْصُلَ الفَسَادُ بَيْنَ العَشِيرَةِ، وَالتَّدَابُرِ وَالاخْتِلَافِ، فَكُلُّ يَفْصِدُ صَاحِبَهُ بِالمَسَاءَةِ، وَيَبْغِي لَهُ الْغَوَائِلَ. وَهَذَا المَعْنَى يَتَلَفَّقُ مَعَ المَعْنَى الثَّانِي فِي البَيْتِ الَّذِي قَبْلَهُ.

٣ - وَنَائِيَةِ الأَزْجَاءِ طَامِسَةِ الصُّوَى خَدَتْ بِأَبِي النُّشَاشِ فِيهَا رَكَائِيَةٌ^(١)

(١) بعد هذا البيت عند التبريزي بيت آخر:

«ليكسب مجداً أو ليدرك مغنماً
جزيلاً وهذا الدهرُ جَمُّ عَجَائِبِهِ»

انجرت «نائية» بإضمار رُب، والواو داخلَةٌ للمعطف، ولم يَصِرْ بدلًا من رُب
بدلالة وقوع الفاء العاطفة موقعه ويل في نحو^(١): [الطويل]
فَمِثْلِكَ حُبْلَى قَدْ طَرَقَتْ

و: [الرجز]

بَلْ بَلَدٌ ذِي عُقْدٍ وَإِحْبَابٍ^(٢)

يقول: ورُبْ مَفَازَةٌ بعيدة الأطراف، دراسةُ الأعلام، سارت بأبي النشاش فيها
رواحله يَطْلُبُ المالَ، وَيَكْتَسِبُ المَجْدَ. وهذا الكلامُ تَبَجُّعٌ منه بأنه لم يَتَّخِذْ الفقرَ
ضجيعًا، ولا الدَّعَةَ حليفًا، بل رَمَى بنفسه نحو المرامي المُتَلَفِّةِ، وطَوَّحَهَا في المَوَامِي
المُعْطَبَةِ. والأزجاءُ واجدُها رَجَا. والطَّامِسُ: الدَّارِسُ. ويقالُ: طَمَسَ وطَسَمَ.
والصُّوَى: الأعلام، والواحدة صُوءٌ، ومثله قُوَّةٌ وقُوَى. ومعنى خَذَتْ: أَسْرَعَتْ،
ومَصْدَرُهُ الحَدْيَان. والركائبُ: جَمْعُ الرُّكُوبَةِ، وهي المركوبة، ولا يَتَّبِعُ الموصوف،
بل يُسْتَعْمَلُ على انفرادها، ومثلها الحُلُوبَةُ.

٤ - وسائلٌ بالغيبِ عني وسائلٍ ومن يسأل الصُّعْلُوكَ أين مذاهبه

يقول: رُبْ رَجُلٍ وامرأةٌ سَأَلَا عَنِّي بظَهْرِ الغَيْبِ، لما تداخل القلوب من هَيْبَتِي،
والإشفاق من وَقَعَتِي. ثم قال مستفهِمًا على طريق الإنكار: ومن يسأل الصُّعْلُوكَ، أي
يجب ألا يسأل الصُّعَالِيكَ عن مذاهبهم وطُرُقهم، لأنها لا تُعْلَمُ، إذ لم يكن يستقرُّ بهم
موضعٌ، ولم يكن يخويهم بَلَدٌ ومَذَهَبٌ يلزموه أو يختصُّون به. وكان وَجْهُ الكلام أن
يقول: ومن يسأل عن الصُّعْلُوكَ ليكونَ وَفْقَ قوله «وسائلٌ بالغيبِ عني»، لكنه عَدَلَ
عنه إلى ما قاله تأكيدًا للمراد، وذلك أنه إذا كان سؤالٌ نَفْسِهِ عن مَذَهَبِهِ مُتَكَرِّرًا
لاستبهامه عليه، فسؤال غيره عنه أبعد من الصواب.

٥ - فلم أرَ مِثْلَ الْفَقْرِ ضَاجِعَةً أَلْفَتِي ولا كَسَوَادِ اللَّيْلِ أَخْفَقَ طَالِبِيه^(٣)

(١) لامرئ القيس في ديوانه ١٢، والأزهية ٢٤٤، وجواهر الأدب ٦٣، وخزانة الأدب ١: ٣٣٤،
واللسان (رضع، غيل)، وتماه:

«فمِثْلِكَ حُبْلَى قَدْ طَرَقَتْ ومرضع

(٢) عند التبريزي: «بل بلدة» فقط.

(٣) عند التبريزي بعد هذا البيت بيتان آخران:

«فمَشَّ معدماً أو مت كريماً فلأنني
ولو كان حيي ناجياً من منية»
أرى الموت لا ينجو من الموت هارئة
لكان أثيراً حين جدت ركائبه

يُرَوَّى «مِثْلَ الْهَمِّ»، هو مَصْدَرُ هَمَمْتُ بِالشَّيْءِ، أي إذا هَمَّ يجب عليه أن يُنْفِذَهُ ولا يُؤَخِّرَهُ. ويقول: لم أَرْ كالفقر يتخذهُ الفتى ضَجِيعًا، أي يَرْضَى به ويلزومه له ولم أَرْ كسوادِ الليل أكْدَى رَاكِبُهُ والطالب فيه. والمعنى: يجب ألا يحصلَ واحدٌ منهما، لا الرُّضَا بالفقر، ولا الإخفاق مع رُكوبِ الليل. ويقال ضَجُعَ ضَجْعًا وضُجُوعًا واضطجع بمعْنَى واحد، ومنه قيل للعاجز الضَّجْعِيُّ والضَّجْعَةُ. وتُسَمَّى الكواكِبُ التي لا تسير: الضُّوْاجِعُ. والإخفاقُ: أن يَغْزُوَ فلا يغنم، أو يَرْجُوَ فيخيّب. قال عنترة: [الوافر]

فِيخْفِقُ مَرَّةً وَيُصِيبُ أُخْرَى وَيَفْجَعُ ذَا الضَّغَائِنِ بِالْأَرِيبِ^(١)

وقوله «أَخْفَقَ طَالِبُهُ»، أي الطالب فيه. وهذا من إضافة الشيء إلى الشيء لكونه فيه.

١٠٤ - وقال آخر: [الطويل]

١ - أَلَا قَالَتْ أَلْحَنَسَاءُ يَوْمَ سُوءِقَةِ عَهْدَتِكَ دَهْرًا طَاوِي كَشْحِ أَفْضَمَا يقول: قالت هذه المرأة يومَ اجتماعنا في سُوءِقَةِ: عَهْدَتِكَ زمانًا ممتدًا صغيرَ البطن، مطوًى كَشْحٍ والجَنَبِ. وإنما أنكرت سِمَنَهُ وكثرة لحمه، فأجابها بالبيت الثاني. والهَضْمُ: انضمامُ الضلوع، وتقاربُ الجَنَبَيْنِ.

٢ - فإِذَا تَرَيْنِي الْيَوْمَ أَصْبَحْتُ بِإِدْنَا لَدَيْكَ فَقَدْ أُلْقَى عَلَى الْبُزْلِ مِرْجَمًا يقول: إن كنتِ تَرَيْنِي الْيَوْمَ - وهو إشارة إلى يومِهِ وما يَقْرُبُ منه - أَصْبَحْتُ مُثْقَلِ النَّفْسِ، مُبَدَّنَ الْخَلْقِ لَدَيْكَ، أي في مَنَظَرِكَ ومَعْتَقِدِكَ، فإني إذا رَكِبْتُ الْبُزْلَ وَجِدْتُ عَلَيْهَا مِرْجَمًا. والمِرْجَمُ: الذي كأنه آلَةٌ في رَجَمِ الأرض بأخفاف الإبل ووطء الأقدام. ويتنصب «مِرْجَمًا» على الحال. وقيل المِرْجَمُ في السَّفَرِ: البعيد في الغاية. وكما قيل: رَجُلٌ مِرْجَمٌ، قيل: يَدٌ مِرْجَمٌ، وَرِجْلٌ مِرْجَمٌ، وَلِسَانٌ مِرْجَمٌ، قال الشاعر: [الطويل]

شَدِيدُ الرُّجَامِ بِاللِّسَانِ وَبِالْيَدِ

و«إِذَا»، في أكثر الأحوال يلزَمُ الفعلُ الواقع بعده إحدى النونين الثقيلة والخفيفة، لأنه كما أُكِّدَ حرفُ الشرط بـ«ما» أُكِّدَ الفعلُ المشتَرَطُ به بالنون أيضًا، وهلهنا جاء خاليًا من النون.

(١) ولعمرة في ديوانه ٣٢١، واللسان (خفق) وأساس البلاغة (خفق).

١٠٥ - وقال آخر^(١): [الطويل]

١ - أَلَا قَالَتِ الْعِصْمَاءُ يَوْمَ لَقِيَتْهَا أَزَاكَ حَدِيثًا نَاعِمَ الْبَالِ أَفْرَعًا

هذا في طريقة ما قَبْلَهُ. فيقول: قالت هذه المرأة لما التقيت معها؛ أَعْلَمْتُكَ عن قريبٍ نَاعِمَ الحال، تَأَمَّ شَعْرَ الرأس، لم يتسلَّطْ عليك صَلَعٌ، ولا حدثَ انحسارُ شَعْرٍ، ولا شُحُوبُ لَوْنٍ، فكيف تَغَيَّرَتْ مع قُرْبِ الأَمَدِ. وانتصب «حَدِيثًا» على الظرفِ. وناعِمَ البال، مفعولٌ ثانٍ من أَزَاكَ. والأفرعُ: الثَّام شعر الرأس، وَجَمَعُهُ فُرْعَانٌ. والأصلعُ خِلافُهُ.

٢ - فَقُلْتُ لَهَا لَا تُنْكِرِينِي فَقُلْ مَا يَسُودُ الْفَتَى حَتَّى يَشِيبَ وَيَضْلَعَا

يقول: أَجَبْتُهَا وَقُلْتُ: لَا تُسْتَكْرِينِي مَا رَأَيْتَ مِنْ شُحُوبٍ لَوْنِي، وانحسارِ الشَّعْرِ عن رأسي، فما يَنَالُ الْفَتَى السِّيَادَةُ حَتَّى يَسْتَبْدِلَ بِشَيْبَتِهِ شَيْئًا، وَوُفُورِ شَعْرِهِ صَلَعًا، وإلا بعد استحكامِ الرَّأْيِ، واستنفادِ الْعُمُرِ فِي اكْتِسَابِ الْمَجْدِ. وَقَوْلُهُ «قُلْ مَا» يفيد التَّقْيِ هُنَا، وما تكونُ كَافَةً لِقُلْ عن طلبِ الْفَاعِلِ، وناقلةٌ له عن الاسمِ إِلَى الْفِعْلِ، فإذا قلت: قُلْ مَا يَقُومُ زَيْدٌ فَكَأَنَّكَ قُلْتَ مَا يَقُومُ زَيْدٌ. يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ أَنَّهُمْ قَالُوا: قُلْ رَجُلٌ يَقُولُ ذَاكَ إِلَّا زَيْدٌ، وَأَجْرِي مَجْرَى مَا يَقُولُ ذَاكَ إِلَّا زَيْدٌ، وَقَالُوا أَيْضًا: أَقُلْ رَجُلٌ يَقُولُ ذَاكَ إِلَّا زَيْدٌ. وَأَنَّهُمْ أَجْرَوْا خِلَافَهُ مَجْرَاهُ، فيقول: كَثُرَ مَا يَقُولُ زَيْدٌ. وعلى ذلك بيت الْكِتَابِ: [الطويل]

..... وَقُلْ مَا وَصَالَ عَلَى طُولِ الصُّدُودِ يَدُومُ^(٢)

ويجوز أن يكون «ما» من قُلْ ما يسود الفتى، مع الفعل في تقدير المَصْدَرِ، كأنه قال: قُلْ سِيَادَةُ الْفَتَى، أَي يَنْزُرُ اسْتِكْمَالُهَا إِلَّا مَعَ هَذِهِ الْحَالَةِ. ومثله قولُ لَبِيدٍ: [الرملي]

قُلْ مَا عَرَسَ حَتَّى هِجَّتُهُ بِالتَّبَاشِيرِ مِنَ الصُّبْحِ الْأَوَّلِ^(٣)

(١) روى هذه الحماسة صاحب الخزانة ١: ٤٨٢، وذكر أن أحدًا لم يعرف نسبتها، والبيت الأول ورد في ديوان متمم بن نويرة ص ١١٣ وفيه: «أَلَا قَالَتِ الْخَنَسَاءُ».

(٢) للمزار الفقعسي في ديوانه ٤٨٠، وخزانة الأدب ١٠: ٢٢٦، وبلا نسبة في خزانة الأدب ١: ١٤٥، والكتاب ١: ٣١، واللسان (طول، قلل) وتماهه:

«صَدَدَتْ فَأَطُولُ الصُّدُودَ وَقُلْ مَا وَصَالَ عَلَى طُولِ الصُّدُودِ يَدُومُ»

(٣) للبيد في ديوانه ١٨٢، وخزانة الأدب ٣: ٣٦٣، واللسان (بشر، عرس).

لأنه ليس يريد نفي التَّغْرِيسِ رأساً؛ إذ كان يعتاده قُطَاعُ الفَلَاةِ، وَرُكَّابُ الظَّلَامِ، بل يريدُ عَرَسَ تَعْرِيسًا قَلِيلًا فَهَجْتُهُ. ويقال: صَلَّعَ صَلْعًا وَصَلْعَةً، وهو أَصْلَعُ وَصَلِيعٌ.

٣ - وَلَلْفَارِخِ السَّيْغُبُوبِ خَيْرُ عُلَالَةٍ من الجَدْعِ المُرْخِي وَأَبْعَدُ مَنَزَعًا هذا مَثَلٌ ضَرْبُهُ في تفضيل نفسه على شيخوخته وقد أدبه الكِبَرُ، ونازعَ الدهرَ وأبناءه أطرافَ الخطوبِ، ومرائر السَّيَادَةِ والعُلُوِّ على الأحداث الذين لم يجربوا الأمور، والأغمار الذين لم يُجَاذِبُوا الشدائد، فيقول: لِلْفَرَسِ الْمُتَنَاهِي في القُوَّةِ والسَّن، الذي يجري جَرِيَّةَ الماءِ سَهْوَةً وَنَفَادًا، خَيْرٌ إِبْقَاءً وَأَبْعَدُهُ غَايَةً من ابن سنتين وهو مُهْمَلٌ لم يُسْتَفَنَّ به في رُكُوبٍ ونزولٍ، ولم يُرَضَّ بِإِسْرَاجٍ وإِلْجَامٍ. واليعبوب: الفرس الكثير الجري، والجَدُولُ الكثير الماء. والعُلَالَةُ: البقية من الجزي وغيره، وههنا يريد الجزي. قال الشاعر: [م. الكامل]

إِلَّا عُلَالَةً أَوْ بُدَا هَةَ سَابِحٍ نَهْدِ الْجُزَاةِ^(١)

فألبدها: أَوَّلُ الْجَزِي، والعُلَالَةُ: آخره. وقوله «من الجَدْعِ المُرْخِي» يُرَوَّى المُرْخِي بكسر الخاء، والإرخاء: لين في العدو. قال: [الطويل]

وإِرْخَاءُ سِرْحَانٍ وَتَقْرِبُ تَثْقُلِ^(٢)

وإذا رُوِيَ بفتح الخاء فهو المُرْسَلُ المُهْمَلُ التَّزَوُّعُ إلى الغاية. وانتصاب «عُلَالَةٍ» وَمَنَزَعًا على التمييز.

١٠٦ - وقال شبيب بن عوانة^(٣): [الطويل]

١ - قَضَى بَيْنَنَا مَزَوَانُ أَمْسٍ قَضِيَّةٌ فَمَا زَادَنَا مَزَوَانُ إِلَّا تَنَائِيًا يقول: قَضَى بَيْنَنَا هذا الرجل بحكومةٍ تَسْخُطُنَاهَا، ولم تَرْضَ بها، إذ لم يُقْصَدَ بها صَلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ، ولا تَلَاْفِي جَمْعِ الشَّغْلِ، فازدَدْنَا بها تَبَائِيًا عن الإصلاح

(١) للأعشى في ديوانه ٢٠٩، وخزانة الأدب ١٧٢: ١، والشعر والشعراء ١: ١٦٣، والكتاب ١٧٩: ١، واللسان (جزر، بده).

(٢) لامرئ القيس في ديوانه ٢١، واللسان (غور، تغل، رخا)، وشرح الأشموني ٣: ٧٨٣. وصدده:

«له أَيْطَلَا ظَبِي وَسَاقَا نَعَامَةٍ»

(٣) التبريزي: «قال أبو هلال: ورواه بعض علماء البصرة للكرؤس الطائي» وهو شاعر إسلامي من أهل الكوفة (ت ٧٠ هـ / ٦٩٠ م).

والمراجعة واختلافًا وتناهيًا عن الالتئام والموافقة وتَبَاعُدًا، وقوله «أَمْسٍ» تقريبٌ لزمانٍ فَعْلِهِ، ولم يُرِدِ اليومَ الذي وَلِيَ يَوْمَهُ. وهذا كما تقول: فلانٌ بِالْأَمْسِ يَفْعَلُ كذا وَأَمْسٍ مَعْرِفَةٌ، وإنما بُنِيَ لَتَضُمُّهُ معنى الألف واللام.

٢ - فلو كنتُ في الأرضِ الفضاءِ لَعَفْتُهَا ولكن أَتَتْ أَبوابُهُ من وَرائِيا^(١)

يقول: لو كنت بالبدو لرددتُ حكومته وأبديتُ كراحتي لها، ولكنني كنت أسيرًا إذ كنتُ في الحَصْرِ حاصلًا في داره، وداخلًا تحت مَلَكْتِهِ. ومعنى «أتَتْ أَبوابُهُ من ورائِيا» أي حالت مَسالِحه ومراصِده بيني وبين مرادي. ووراء بمعنى قُدَامَ هنا، ومِثْلُهُ في القرآن: ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُم مِّلَّةٌ﴾ [الكهف: الآية ٧٩].

١٠٧ - وقال جميل:

١ - فَلَيْتَ رِجَالًا فِيكَ قَدْ نَلَزُوا دَمِي وَمَمُوا بِقَتْلِي يَا بُشَيْنَ لَقُونِي

فيك أي في معنك وبسبك. . وقوله «قد نلّزوا» من صِفة رِجَالًا، ولقوني خَبَرٌ لَيْتَ. والمعنى: تَمَيَّنْتُ أَنَّ رِجَالًا فَعَلُوا في معنك ما فَعَلُوا من الهَمِّ بقتلي، وعَقْدُ التَّذرُّعِ في سَفَكِ دَمِي، التقوا معي، ماذا كانوا يفعلون. وفي هذا الكلام إيهامٌ أنهم لا يَجْسُرُونَ على التعرُّضِ له، وفيه استهانةٌ بأقوالهم ومكايدهم، وإن كانوا قد بذلوا من القَوْلِ ما بذلوا، وأَضْمَرُوا فيه ما أضمروا. وقد فَسَّرَ تَهَيُّهُمْ له، ونُكُوصَهُم عن الإقدام عليه في البيت الثاني.

٢ - إِذَا مَا رَأَوْنِي طَالَعًا مِنْ نَنِيَّةٍ يَقُولُونَ مَنْ هَذَا وَقَدْ عَرَفُونِي

يقول: إِذَا مَا أَبْصَرُونِي مُقْبِلًا عَنْ عَقَبَةٍ، طَالَعًا عَلَيْهِمْ من طريقٍ إِلَيْهِمْ مُفْضِيَّةً، يتساءلون فيما بينهم بقولهم: مَنْ هَذَا، وإن كانوا عارفين بي، أي يتجاهلونني جُبْنًا وإحجامًا.

٣ - يَقُولُونَ لِي أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْحَبًا وَلَوْ ظَفِرُوا بِي سَاعَةً قَتَلُونِي

نَبَّةٌ بهذا الكلام على تملُّقهم وإظهارهم بالتَّفَاق ما لا يوافق باطِنَهُمْ، عَجْزًا وَضَعْفَ كَيْدٍ. والمعنى: يستقبلونني بالتأهيل ويتلقَّونني بالترحيب عند الالتقاء، ولو أَعْطُوا الظَّفَرَ لَأَتَوْا عَلَيَّ وما أَبْقَوْا.

(١) التبريزي: «بالأرض الفضاء».

٤ - فَكَيْفَ وَلَا تُوفِي دِمَاؤَهُمْ دَمِي وَلَا مَالَهُمْ ذُو كَثْرَةٍ فَيَدُونِي^(١)

يقال: أَوْفَيْتُهُ وَوَفَيْتُ لَهُ بِكَذَا وَأَوْفَيْتُ، وفي هذا بيانٌ عُذْرَهُمْ فِي تَرْكِ الْوَفَاءِ بِالذِّمْرِ، وَتَعْجَبُ مِنْ أَعْمَالِهِمْ عِنْدَ اخْتِلَافِ أَحْوَالِهِمْ. فيقول: كَيْفَ يُقَدِّمُونَ عَلَيَّ وَلَيْسَ فِي دِمَائِهِمْ كُلِّهِمْ وَفَاءٌ بِدَمِي، وَلَا فِي مَالِهِمْ اتِّسَاعٌ، فَإِذَا عَجَزَتْ دِمَاؤُهُمْ عَنْ دَمِي فَكَيْفَ يُعْطُونَ دِيَّتِي.

ويقال: وَدَيْتُهُ أَدِيهِ دِيَّةً وَوَذِيَا.

١٠٨ - وَقَالَ يَحْيَى بْنُ مَنْصُورٍ^(٢): [الطويل]

١ - وَجَدْنَا أَبَانَا كَانَ حَلَّ بِبِلْدَةٍ سَوَى بَيْنِ قَيْسٍ قَيْسِ عَيْلَانَ وَالْفَزْرِ

سَوَى فِي مَوْضِعٍ جَرَّ عَلَى أَنَّهُ صِفَةُ لِبِلْدَةٍ. والمعنى: وَجَدْنَا أَبَانَا حَلَّ بِبِلْدَةٍ مُتَوَسِّطَةٍ لِدِيَارِ قَيْسِ بْنِ عَيْلَانَ وَسَعْدِ بْنِ زَيْدٍ مَنَاءً. والمعنى: حَلَّ بَيْنَ مُضَرَ وَنَأَى عَنْ رِبْعَةٍ، لِأَنَّ قَيْسًا وَالْفَزَرَ مِنْ مُضَرَ. وَالْفَزْرُ: لَقَبٌ لِسَعْدِ بْنِ زَيْدٍ مَنَاءً. وَقَالَ الْأَخْفَشُ: سَوَى وَسَوَاءٌ فِي مَعْنَى الْعَدَلِ. وفي القرآن: ﴿إِلَّا كَلِمَةً سَوًّا بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ ٦٤]. وفي موضعٍ آخَرَ: ﴿فَلَجَعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سَوًّا﴾ [طه: الْآيَةُ ٥٨]، أَيِ مَكَانًا عَدْلًا.

٢ - فَلَمَّا نَأَتْ عَنَّا الْعَشِيرَةُ كُلُّهَا أَنْخَنَّا فَحَالَفْنَا السُّيُوفَ عَلَى الدَّهْرِ

٣ - فَمَا أَسْلَمْتَنَا عِنْدَ يَوْمٍ كَرِيهَةٍ وَلَا نَحْنُ أَغْضَيْنَا الْجُفُونَ عَلَى وَثْرِ

يقول: لَمَّا خَذَلَّتْنَا عَشِيرَتُنَا - وَهِيَ رِبْعَةٌ - فِيمَا نَابَتْنَا، وَتَبَاعَدَتْ بِنُصْرَتِهَا وَمَعُونَتِهَا عَنَّا، وَتَرَخَّصَتْ فِي الْقُعُودِ عَنْ مُسَاعَدَتِنَا، اكْتَفَيْنَا بِأَنْفُسِنَا فَأَقَمْنَا بَدَارَ الْحِفَافِ وَالصَّبْرِ، وَاتَّخَذْنَا سِيُوفَنَا حُلُقَاءَ عَلَى الدَّهْرِ، فَمَا خَذَلَّتْنَا فِي يَوْمٍ حَرْبٍ وَعِنْدَ مُدَافَعَةٍ وَجْهِدٍ، وَلَا نَحْنُ غَمُضْنَا جُفُونَنَا عَلَى وَثْرِ وَحِفْدٍ. والمعنى: إِنَّا وَسِيُوفُنَا تَوَاقِفًا فِيمَا عَلَيْهِ تَعَاقُدُنَا، وَتَوَازَرْنَا فِيمَا لَهُ تَحَالَفُنَا، فَبَلَّغْنَا نَحْنُ أَقْصَى الْمَبَالِغِ فِي طَلَبِ الْأَوْتَارِ، وَانْتَهَتْ هِيَ إِلَى

(١) التبريزي: «ذو ندهة».

(٢) التبريزي: «وقال يحيى بن منصور الحنفي، قال أبو رياش: هذا غلط من أبي تمام، يحيى بن منصور ذهلي، وهذه الأبيات لموسى بن جابر الحنفي». وموسى بن جابر الحنفي: شاعر أكثر من مخضرمي الجاهلية والإسلام ترجمته في المَرْزَبَانِي ٣٧٦.

أَبْعَدِ النِّهَايَاتِ فِي الْمَعَاوَنَةِ وَالْإِخْلَابِ. وَهَذَا مِثْلُ ضَرْبِهِ لاسْتِقْلَالِهِمْ فِيمَا نَهَضُوا فِيهِ بَعْدَ دِهِمٍ وَغَدَّتِهِمْ، وَبِلَانِهِمْ وَصَبْرِهِمْ وَاسْتِغْنَائِهِمْ عَنِ الْقَاعِدِيِّينَ عَنِ التَّحْمُلِ مَعَهُمْ وَالذَّبِّ عَنْهُمْ مِنْ عَشِيرَتِهِمْ. وَقَوْلُهُ: «أَتَخُنَا» كِنَايَةٌ عَنِ الْإِقَامَةِ وَالثَّبَاتِ فِي وَجْهِ الْأَعْدَاءِ، إِلَى أَنْ وَصَلُوا إِلَى الْمَرَادِ.

١٠٩ - وَقَالَ أَبُو صَخْرٍ الْهَذَلِيُّ^(١): [الوافر]

١ - رَأَيْتُ فَضِيلَةَ الْقُرَشِيِّ لَمَّا رَأَيْتُ الْخَيْلَ تُشَجَّرُ بِالرَّمَاكِ^(٢)

جَعَلَ الْقُرَشِيُّ جِنْسًا لَا عَيْنًا. وَالْمَعْنَى: رَأَيْتُ فَضِيلَةَ الْقُرَشِيِّينَ حِينَ قَسَتْهُمْ إِلَى غَيْرِهِمْ عِنْدَ اشْتِجَارِ الْخَيْلِ بِالرَّمَاكِ، وَانْتِظَامِهَا بِهَا لِلطُّغْيَانِ الْمُخْتَلِفِ بَيْنَهُمْ، الْمُرْتَدِّ فِيهِمْ وَجَوَابُ لَمَّا مُقَدَّمٌ، وَهُوَ «رَأَيْتُ» فِي صَدْرِ الْبَيْتِ. يَرِيدُ: عِنْدَ هَذَا الْأَمْرِ بَانَ فَضْلُهُمْ عَلَى النَّاسِ، وَقَوْلُهُ «تُشَجَّرُ» كُلُّ شَيْءٍ دَخَلَ بَعْضُهُ فِي بَعْضٍ فَقَدْ تَشَاجَرَ، وَمِنْهُ سُمِّيَ الْمِشْجَبُ مِشْجَرًا، وَتَشَاجَرَ الْقَوْمُ بِالرَّمَاكِ: تَطَاعَنُوا.

٢ - وَرَنَقَتِ الْمَمْنِيَّةُ فَهِيَ ظِلٌّ عَلَى الْأَبْطَالِ دَانِيَةُ الْجَنَاحِ^(٣)

انْعَطَفَ «رَنَقَتْ» عَلَى الْفِعْلِ الَّذِي تَنَاولَهُ لَمَّا. فَيَقُولُ: وَلَمَّا اسْتَدَارَتْ. الْمَمْنِيَّةُ وَحَلَقَتْ عَلَى رُؤُوسِ الْأَبْطَالِ، فَهِيَ ظِلٌّ دَانِيَةُ الْجَنَاحِ مِنْ قِمَمِ رُؤُوسِهِمْ. وَهَذَا مِثْلُ. وَالْمَعْنَى: لَمَّا أَشْرَفَتِ الْمَمْنِيَّةُ عَلَيْهِمْ إِشْرَافَ الطَّائِرِ عَلَى مَا يَرِيدُ انْكَدَارَهُ عَلَيْهِ، بَانَتْ فَضِيلَتُهُمْ. وَيَقَالُ: رَنَقَ الطَّائِرُ فِي الْهَوَاءِ، إِذَا حَلَقَ وَاسْتَدَارَ، وَجَعَلَ لِلْمَمْنِيَّةِ ظِلًّا تَحْقِيقًا لِلْاسْتِعَارَةِ مِنَ الطَّائِرِ، لِأَنَّهُ يُوقِفُ ظِلَّهُ فِي تِلْكَ الْحَالَةِ. وَجَعَلَ الْجَنَاحَ دَانِيًا تَأْكِيدًا لَطَمَعِ الْمَوْتِ فِي الْفَوْزِ بِالْأَرْوَاحِ الْإِخْتِلَاسِ. وَكَذَا الطَّائِرُ فِي التَّحْلِيقِ عِنْدَ الْانْقِضَاضِ. وَارْتَفَعَ «دَانِيَةُ الْجَنَاحِ» وَ«ظِلٌّ» جَمِيعًا عَلَى أَنْ يَكُونَانِ خَبْرَيْنِ لِقَوْلِهِ هِيَ، كَمَا تَقُولُ: هَذَا حُلُوٌّ حَامِضٌ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ دَانِيَةً صَفَةً لِلظِّلِّ، وَأَنَّهَا عَلَى الْمَعْنَى، وَيَجُوزُ أَنْ يُرْوَى «دَانِيَةً» بِالنُّصْبِ عَلَى أَنْ يَكُونَ حَالًا.

(١) أبو صخر الهذلي: هو عبد الله بن سلمي من بني هذيل، شاعر من الفصحاء، كان في العصر الأموي (ت ٨٠ هـ / ٧٠٠ م). في الأغاني ٢١: ٩٤، والخزانة ١: ٥٥٥.

(٢) التبريزي: «رأيت فضيلة، أي ضربت رثته، ويجوز أن يكون من رؤية العين، أي رأيته في مشجر الرماح».

(٣) بعد هذا البيت عند التبريزي بيت ثالث وهو:

«فكان أشدهم قلبًا وبأسًا وأصبر في الحروب على الجراح»

١١٠ - وقال بَعْضُ بَنِي عَبْسٍ : [الطويل]

١ - أَرِقُّ لَأَزْحَامِ أَرْأَمَا قَرِيبَةً لِحَارِ بْنِ كَعْبٍ لَا لَجَزْمٍ وَرَاسِبٍ
يقول: يَرِقُّ قَلْبِي بِمَا تَمَلَّكُهُ مِنَ الرَّحْمَةِ، فَانْعَطَفَ مِنْ أَجْلِ أَوَاصِرَ أَرَاهَا
قَرِيبَةً مُشْتَبِكَةً بَيْنَنَا، مِنْ جِهَةِ الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ، لَا مِنْ جِهَةِ جَزْمٍ وَرَاسِبٍ.
وَالْحَارِثُ بْنُ كَعْبٍ فِي نِزَارٍ، وَجَزْمٌ وَرَاسِبٌ مِنْ قِضَاعَةَ، وَهُمْ مِنَ الْيَمَنِ، وَكَانَ
الْحَارِثُ بْنُ كَعْبٍ انْتَقَلَتْ إِلَى الْيَمَنِ، وَلَمْ تَكُنْ مِنْهُمْ، فَلِهَذَا قَالَ مَا قَالَ. وَقِيلَ:
عَيْسٌ وَضَبَةُ وَالْحَارِثُ بْنُ كَعْبٍ إِخْوَةٌ لَأُمٍّ وَرَحْمُ الْحَارِثِ فِي غَيْرِ النَّدَاءِ وَذَاكَ فِي
الشَّعْرِ جَائِزٌ.

٢ - وَأَنَا نَرَى أَقْدَامَنَا فِي نِعَالِهِمْ وَأَتَفَنَّا بَيْنَ اللَّحَى وَالْحَوَاجِبِ
ذَكَرَ الْمَشَابِهَ الْحَاصِلَةَ بَيْنَهُمْ تَأْكِيدًا لِلْقُرْبَى وَالْقَرَابَةِ، الْمَوْجِبَةَ لِمَا ذَكَرَ مِنَ الرُّقَّةِ
وَالشُّفْقَةِ، عَلَى مَا حَدَّثَ فِيهِمْ مِنْ وَقُوعِ الْفُرْقَةِ، وَسُقُوطِ التَّجَاوُرِ وَالْخُلْطَةِ. فَيَقُولُ:
أَرِقُّ لِلرَّجَمِ الْقَرِيبَةِ، وَأَنَا نَرَى أَقْدَامَهُمْ فِي النِّعَالِ كَأَقْدَامِنَا، وَأَتَفَنُّهُمْ بَيْنَ لِحَاهِمِ
وَحَوَاجِبِهِمْ كَأَتَفَنَّا. وَقَالَ بَيْنَ اللَّحَى وَلَمْ يَقُلْ لِحَاهُمْ، لِأَنَّهُ بِإِضَافَةِ الْأَقْدَامِ وَالنِّعَالِ
اكْفَى. وَذَكَرَ الْأَطْرَافَ لِأَنَّهُ تَظْهَرُ لِلْعَيُونِ، وَالْمَشَابِهَ تَعَلَّقَ بِهَا أَكْثَرُ.

٣ - وَأَخْلَقْنَا إِصْطَاءَنَا وَإِبَاءَنَا إِذَا مَا أَبَيْنَا لَا نَدْرُ لِعَاصِبٍ
جَعَلَ الشَّبَهَ فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ فِي الْخُلُقِ وَهُنَا فِي الْخُلُقِ، تَأْكِيدًا لِلأَمْرِ. وَكَانَ
يَجِبُ أَنْ يَقُولَ وَأَخْلَقْنَا أَخْلَاقَهُمْ، فَاعْتَمَدَ عَلَى أَنَّ الْعَطْفَ عَلَى قَوْلِهِ أَقْدَامَنَا يَدُلُّ
وَيُغْنِي - لِمَا يُفِيدُهُ مِنَ الْإِشْتِرَاكِ - مَا يُغْنِي فِي قَوْلِهِمْ قَامَ زَيْدٌ وَعَمَرُو، وَإِنَّ زَيْدًا مُنْطَلِقٌ
وَعَمَرُو، فَكَأَنَّهُ قَالَ: وَأَنَا نَرَى أَخْلَاقَنَا كَأَخْلَاقِهِمْ، إِذَا أَعْطَيْنَا أَوْ أَبَيْنَا. ثُمَّ ذَكَرَ مَا دَلَّ
عَلَى تَشَدُّدِهِمْ بَعْدَ الْإِمْتِنَاعِ فَقَالَ: وَإِذَا أَبَيْنَا لَا تَنْسَهُلُ لِمَنْ يُرِيدُ قَهْرَنَا. وَأَصْلُ الْعَضْبِ
الشَّدُّ، وَمِنْهُ الْعِصَابَةُ. وَضَرْعُ الْحُلُوبَةِ إِذَا اشْتَدَّ الزَّمَانُ بِهَا، وَسَاءَ خُلُقُهَا فَرَقَعَتِ اللَّبَنَ،
يُسَدُّ وَيُحْتَلَبُ وَإِنْ ضَجَرَتْ، لِمَسَاسِ الْحَاجَةِ، وَاسْتِيْلَاءِ الْفَاقَةِ. وَهَذَا الْكَلَامُ مَثَلٌ هُنَا
وَمِثْلُ الْبَيْتِ قَوْلُ الْآخَرِ^(١): [البسيط]

لَا يُخْرِجُ الْكَرْهَ مِثِّي غَيْرَ مَأْيِيَّةٍ وَلَا الْبَيْنَ لِمَنْ لَا يَبْتَغِي لِيْنِي

يُرِيدُ: إِنَّ الْإِكْرَاهَ لَا يَزِيدُنَا إِلَّا امْتِنَاعًا، وَالْإِفْتِسَارَ لَا يُخْصِلُ مِنَّا إِلَّا إِبَاءً. وَيُشْبِهُ
مِنْ حَيْثُ التَّنْظُمُ قَوْلَهُ: «إِذَا مَا أَيْبَنَّا لَا نَذَرُ لِعَاصِبٍ» الِاتِّفَاتِ. أَلَا تَرَى أَنَّهُ تَرَكَ مَا كَانَ
يَطْرُدُهُ مِنَ الْقَوْلِ وَصَارَ كَأَنَّهُ التَّقَتَ فَقَالَ ذَلِكَ.

١١١ - وَقَالَ بَعْضُ شُعَرَاءِ حَمِيرٍ^(١): [المنسرح]

١ - مَنْ رَأَى يَوْمَنَا وَيَوْمَ بَنِي الثَّيْبِ حِمٍ إِذَا التَّفَّ صِيْقُهُ بِدَمِهِ
ذَكَرَ أَنَّهَا قِيلَتْ فِي وَقْعَةٍ كَانَتْ بَيْنَ حَمِيرٍ وَعَبْدِ مَنَاةَ وَكَلْبٍ، وَكَانَتْ عَلَى حَمِيرٍ،
وَقُتِلَ فِيهَا عَلَقْمَةُ بْنُ ذِي يَزَنَ. وَقَوْلُهُ «مَنْ رَأَى» لَفْظُهُ اسْتِفْهَامٌ، وَمَعْنَاهُ التَّفْطِيحُ
وَالْتَعْظِيمُ. وَأَرَادَ بِالْيَوْمِ الْوَقْعَةَ، لَوْلَا ذَلِكَ لَمَا صَلَحَ أَنْ يَكُونَ إِذَا ظَرَفًا لَهُ. وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ
تَعَالَى: ﴿إِذَا نَفَرَ فِي الْغَوَارِ (٨) فَذَلِكَ يَوْمَهُدٍ يَوْمَ عَسِيرٍ (٩)﴾ [المدثر: الآيتان ٨، ٩]. أَلَا
تَرَى أَنَّ فِي قَوْلِهِ «يَوْمَ عَسِيرٍ» مَعْنَى فِعْلٍ، فَصَارَ يَوْمُهُدٍ ظَرَفًا لَهُ، كَأَنَّهُ قَالَ: فَذَلِكَ النَّفَرُ
يَوْمُهُدٍ نَفَرُ يَوْمٍ عَسِيرٍ. فيقول: مَنْ شَاهَدَ يَوْمَنَا مَعَ بَنِي الثَّيْبِ حِينَ التَّفَّ غُبَارُ الْجَوِّ
بِالدَّمِ، وَتَنَدَّى بِهِ وَابْتَلَّ، حَتَّى قَلَّ. وَالصَّيْقُ: الْغُبَارُ الْجَائِلُ فِي الْجَوِّ. وَأَضَافَهُ إِلَى
الْيَوْمِ لِكُونِهِ فِيهِ، وَالتَّفَافِيهِ كَانَ بِرَشَاشِ الدَّمِ الْقَاطِرِ مِنَ الْجِرَاحِ. وَيُقَالُ صِيْقَةً أَيْضًا: قَالَ
رُوبَةُ^(٢): [الرجز]

يَشْرُكُنْ تُرَبَّ الْأَرْضِ مَجْنُونُ الصَّيْقِ

وَصَيْقٌ: جَمْعُ صِيْقَةٍ.

٢ - لَمَّا رَأَوْا أَنْ يَوْمَهُمْ أَثِيبٌ شَدُّوا حَيَازِمَهُمْ عَلَى أَلَمِهِ

قَوْلُهُ: «أَثِيبٌ» أَيُ كَثِيرُ الْجَلْبَةِ، صَيَّقُ الْاِخْتِلَاطِ، وَالْمَكَانُ الْأَثِيبُ فِيهِ شَجَرٌ
مُتَلَفٌ. وَجَوَابُ لَمَّا «شَدُّوا». يَقُولُ: لَمَّا أَحَسَّ بَنُو الثَّيْبِ بِفُظَاعَةِ الْأَمْرِ وَاخْتِلَاطِ
الشَّانِ، وَتَضَائِقِ الْمَجَالِ وَالْمَكَزِّ، وَظَنُّوا أَنْفُسَهُمْ عَلَى الْأَلَمِ، وَشَدُّوا حَيَازِمَهُمْ لِلْجَهْدِ،
وَتَهَيَّؤُوا لِلصَّبْرِ عَلَى مَا ابْتَلَوْا بِهِ وَشَقُّوا لَهُ. وَالْحَيَازِمُ: الصَّدْرُ، لِأَنَّهُ مَوْضِعُ الْحَزْمِ
وَالْعَزْمِ، لِاشْتِمَالِهِ عَلَى الْقَلْبِ الَّذِي هُوَ مَوْضِعُهُمَا. وَيُسَمَّى حَزِيمًا أَيْضًا، كَأَنَّهُ الْمَوْضِعُ
الَّذِي يُشَدُّ بِالْحِزَامِ. وَالْحِزَامُ مِنَ الْحِزْمِ أَيْضًا. وَشَدُّ الْحَيَازِمِ مَثَلٌ لِلصَّبْرِ عَلَى مَا

(١) التبريزي: «وقال رجل من حمير في وقعة كانت لبني عبد مناة وكلب على حمير».

(٢) لرؤبة في ديوانه ١٠٦، واللسان (صنج، دهن، صيق)، وأساس البلاغة (جن).

لَحِقَهُمْ. وَرُوي عن أمير المؤمنين عليه السلام: [الهمزج]
حَيَازِيْمَكَ لَلْمَوْتِ فَإِنَّ الْمَوْتَ لَا قِيْلَكَ^(١)
يُرِيدُ؛ أَشَدُّ حَيَازِيْمَكَ.

٣ - كَأَنَّمَا الْأَسَدُ فِي عَرِيْنِهِمْ وَنَحْنُ كَاللَّيْلِ جَاشَ فِي قَتْمِهِ
يقول: إِنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ يَتَمَنَعُونَ عَلَى الْأَعْدَاءِ، وَيَبْطِشُونَ بِهِمْ، تَمَنُّعَ الْأَسَدِ فِي
أَجْمَتِهَا وَبَطْشِهَا مِنْهَا، وَنَحْنُ كَاللَّيْلِ، يَرِيدُ نَحْنُ فِي كَثْرَتِنَا وَهَوْلِنَا وَإِحَاطَتِنَا بِهِمْ،
وإِدْرَاكِتِنَا إِيَّاهُمْ كَاللَّيْلِ إِذَا جَاشَ ظُلْمَتُهُ، وَتَرَكَ سَوَادَهُ. وَالْقَتَامُ وَالْقَتْمُ وَالْقَتْمَةُ، يَجِيءُ
فِي الظُّلْمَةِ وَالْغُبَارِ وَالرَّيْحِ، وَجَاءَ الْفِعْلُ مِنْهُ فَقِيلَ قَتِمَ يَقْتَمُ قَتْمًا وَقَتَامًا. وَذَكَرَ بَعْضُهُمْ
أَنَّهُ أَرَادَ بِالْقَتْمِ الْقَتَامَ فَحَذَفَ الْأَلِفَ، كَمَا قَالَ غَيْرُهُ وَرَوَاهُ قُطْرُبٌ: [الوافر]

أَلَا لَا بَارَكَ اللَّهُ فِي سُهَيْلٍ إِذَا مَا اللَّهُ بَارَكَ فِي الرِّجَالِ^(٢)

وَمَضِدُ مَا كَانَ عَلَى فَعَلَ الْفَعْلُ فِي الْأَكْثَرِ، فَلَا أُدْرِي لِمَ أَنْكَرَهُ حَتَّى اعْتَذَرَ بِمَا
ذَكَرَهُ. وَالْعَرِيْنُ: الْأَجْمَةُ، أَجْمَةُ الْأَسَدِ، ثُمَّ يُسَمَّى مُقْتَتِلُ الْقَوْمِ عَرِيْنًا. وَيُقَالُ لِلرَّجُلِ:
هُوَ عَرِيْنٌ لَا يُطَاقُ، إِذَا كَانَ خَبِيْثًا وَقَوْلُهُ «عَرِيْنُهُمْ» مَوْضِعُهُ مَوْضِعُ الْحَالِ، وَالْأَسَدُ خَبِرُ
مَبْتَدَأٍ مَحْذُوفٍ، كَأَنَّهُ قَالَ كَأَنَّمَا هُمُ الْأَسَدُ فِي مُقْتَتَلِهِمْ، وَنَحْنُ كَاللَّيْلِ فِي هَوْلِنَا
وإِدْرَاكِتِنَا، وَيَكُونُ قَوْلُهُ جَاشَ فِي قَتْمِهِ، فِي مَوْضِعِ الْحَالِ أَيْضًا، وَالْأَجُودُ أَنْ يَكُونَ قَدْ
مَعَهُ مُضْمَرَةٌ، أَيْ كَاللَّيْلِ وَقَدْ جَاشَ.

٤ - لَا يُسْلِمُونَ الْغَدَاةَ جَارَهُمْ حَتَّى يَزِلَّ الشَّرَاكُ عَنْ قَدَمِهِ
مَدَحَهُمْ بِحُسْنِ الْمُحَامَاةِ عَلَى الْجَارِ، وَتَرَكَ الْإِسْلَامَ لَهُ مَدَّةَ بَقَائِهِ فِيهِمْ. وَقَوْلُهُ
«الْغَدَاةُ» أَشَارَ بِهَا إِلَى غَدَاةِ اللَّقَاءِ، أَوْ صَبَاحِ الْغَوَارِ. وَقَوْلُهُ «حَتَّى يَزِلَّ الشَّرَاكُ عَنْ
قَدَمِهِ» فِيهِ قَلْبٌ، وَالْأَصْلُ زَلَّتِ الْقَدَمُ عَنِ الشَّرَاكِ. وَهَذَا مَثَلٌ لِمَوْتِهِ، لِأَنَّهُ لَا يَلْبَسُهَا
بَعْدَهُ. وَاحْتَمَلَ الْكَلَامُ الْقَلْبَ لِأَنَّ الْمَعْنَى لَا يُخِيلُ كَمَا لَا يُخِيلُ فِي قَوْلِهِمْ: أَدَخَلْتُ
الْخُفَّ فِي رِجْلِي، وَالْقَلْنُسُوةُ فِي رَأْسِي. وَهَذَا كَمَا يُقَالُ: هُرَيْقُ جِفَانِهِ، وَصَفَرُ وَطَائِبِهِ،
وَطُوبَى حَصِيرِهِ، وَخَلَى مَكَائِهِ. وَالْمَعْنَى: لَا يُسْلِمُونَ الْجَارَ إِلَى أَنْ يَمُوتَ فِيهِمْ،
وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْهَاءُ مِنْ قَدَمِهِ رَاجِعًا إِلَى الشَّرَاكِ وَيَكُونُ الْكَلَامُ مَثَلًا لَتَفْطِيعِ الْأَمْرِ،

(١) انظر الأغاني ١٤: ٣٣، والعمدة ١: ٩٢.

(٢) بلا نسبة في خزنة الأدب ١٠: ٣٤١، والخصائص ٣: ١٣٥، واللسان (أله).

وهذا كما يقال: «زال السُرْجُ عن المَعْدَةِ»^(١) و«بَلَغَ الحِزَامُ الطَّبِيبِينَ»^(٢) وما أَشَبَّهُهُمَا. والمعنى إلى أن يَزَلَّ الرَّجُلُ عن مَقَرِّهِ فلا يَثْبُتَ في الثَّعل، والمعنى إلى أن يَبْلُغَ الأمرُ كُلَّ مَبْلَغٍ فَطِيعٍ.

٥ - ولا يَخِيمُ اللَّقَاءُ فَارِسُهُمْ حَتَّى يَشُقُّ الصُّفُوفَ مِنْ كَرَمِهِ يقول: ولا يَجْبُنُ عن اللقاء فَارِسُهُمْ فَيُخْجِمُ، ولا يَضْعُفُ دُونَهُ فَيَحَارَ، بل يُقَدِّمُ إِقْدَامًا تُخْرَقُ الصُّفُوفُ به عِزَّةُ نَفْسٍ، وَكَرَمُ عِرْقٍ. واللقاء ينتصبُ على المفعول، الأصل عن اللقاء، فلَمَّا حَذَفَ حَرْفَ الْجَرِّ تَخْفِيفًا وَصَلَ الْفِعْلُ فَعَمِلَ. ويجوز أن يكون ظَرْفًا كَمَطْلَعِ الشَّمْسِ، أراد وقت اللقاء. وقوله «حَتَّى يَشُقُّ الصُّفُوفَ» يريد إلى أن يَشُقَّهَا كَرَمًا مِنْهُ، كَأَنَّهُ لَا يَرْضَى بِأَذْوَنِ الْمَنْزِلَتَيْنِ فِي اللَّقَاءِ لِنَفْسِهِ، بل يَأْبَى إِلَّا النِّهَايَةَ وَالْعُلُوَّ. وَيُقَالُ: خَامَ الرَّجُلُ يَخِيمُ، إِذَا كَادَ كَيْدًا فَلَمْ يُفْلِحْ فِيهِ، أَوْ تَقَدَّمَ فِي الْحَرْبِ فَتَنَكَّصَ وَلَمْ يَظْفَرْ. قال الشاعر، وَأَنْشَدَهُ الْخَلِيلُ: [الوافر]

رَمَوْنِي عَنْ قِيسِي الزُّورِ حَتَّى أَخَامَهُمُ الْإِلَهُ بِهَا فَخَامُوا^(٣)

ويجوز أن يكون قولهم خَيمَ بالمكان، إِذَا أَقَامَ، وَالْخَيْمَةُ وَاحِدَةُ الْخِيَامِ، مِنْهُ أُخِذًا.

٦ - وما بَرِحَ التَّيْمُ يَغْتَرُونَ وَرُزُّ قُ الْحَطِّ تَشْفِي السَّقِيمَ مِنْ سَقَمِهِ ما بَرِحَ وما زَالَ بِمعْنَى، وليس هذا من الْبَرَّاحِ مِنَ الْمَكَانِ. أَلَا تَرَى أَنَّ اللَّهَ قَالَ: ﴿لَا أَبْرَحَ حَقًّا أَبْلَغَ مَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ﴾ [الكهف: الآية ٦٠]، وَمُحَالٌ أَنْ يَبْلُغَ هَذَا الْمَوْضِعَ، وَهُوَ لَمْ يَبْرَحْ مِنْ مَكَانِهِ. وَكَأَنَّ الْكَلِمَةَ فِي اللُّغَةِ تَدُلُّ عَلَى مَعْنَى الْمَجَاوِزَةِ، وَلِذَلِكَ قِيلَ: [المتقارب]

أَبْرَحْتَ رَبًّا وَأَبْرَحْتَ جَارًا^(٤)

(١) ورد في مجمع الأمثال ٤٥٥: ١: «زال سرجهم عن المَعْدَةِ، أي تغيرت أحوالهم، والمعْدَةُ: ما تحت رجل الفارس من جنب الفرس.

(٢) ورد في مجمع الأمثال ٢٢٩: ١: «جاء الحزام الطيبين، والطبي لدوات الحافر والسباع كالضرع لغيرها. يضرب هنا عند بلوغ الشدة متنهاها».

(٣) بلا نسبة في اللسان (خيم)، وتهذيب اللغة ٦٠٦: ٧.

(٤) للأعشى في ديوانه ٣٧ وتماهه:

«تقول ابنتي حين جد الر حيل أبرحت ربًّا وأبرحت جارا»

أي جاوزت ما يكون عليه أمثالك من الجلال المَرَضِيَّة. والمعنى: ما زال بنو
 التَّيْم ينتسبون ويدْعُونَ بيالفلان مُعْتَزِينَ، أو يَخِذُ الطَّعْنَ وأنا فلان مُدْعِين، والرَّماح
 المحمولة من الخط الزُّرْق في ألوانها تُشْفِي المتكبر من كِبَره، والعدوُّ المُخاتل من
 دَائِهِ. وقوله «السقيم» يجوز أن يكون كناية عن المنافق المُدَاجي، كما قال الله تعالى
 لَمَّا وَصَفَهُمْ: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ نَرَسٌ﴾ [البقرة: الآية ١٠]. ويجوز أن يكون يُرَادُ به
 الصِّلَفُ النَّيَّاه، كما يقال عند صفته: فِي طَرْفِهِ شَوْسٌ، وكما جاء في صفة السُّيُوف:
 [الطويل]

يُدَاوِي بِهَا الصَّادُ الَّذِي فِي التَّوَاطُرِ^(١)

ويجوز أن يكون المعنى: والرَّماحُ في اختلافها تُشْفِي الموتورين من أوتارهم
 ودُخُولهم، وَجَعَلَ الْفِعْلَ لِلرَّماحِ عَلَى الْمَجَازِ وَالسَّعَةِ. وقوله «وَزُرْقُ الْخَطِّ» الواوُ واو
 الحال، وَيَعْتَزُّونَ خَبَرٌ مَا بَرَحَ.

٧ - حَتَّى تَوَلَّتْ جُمُوعُ حِمَيْرٍ فَأَذَّ قَلٌّ سَرِيعٌ يَهْوِي إِلَى أَمِينَةٍ^(٢)

يريد: ما زالوا بهذه الحالة إلى أن انهزمت جيوش حِمَيْرٍ، فَصَارَ الْمَفْعُولُ
 الْمُنْهَزِمُ مُبَادِرًا فِي السَّرْعَةِ إِلَى مَقْصِدِهِ. وقوله الْقَلُّ مَصْدَرٌ فِي الْأَضْلِ وَصِفَ
 فِي وَهُوَ مَوْضُوعٌ مَوْضِعَ الْمَفْعُولِ، وَلِذَلِكَ جَازَ أَنْ تَقُولَ: رَجُلٌ قَلٌّ وَقَوْمٌ قَلٌّ
 وَنِسْوَةٌ قَلٌّ. وَمِثْلُهُ: رَجُلٌ قَرٌّ، إِلَّا أَنَّهُ مَوْضِعٌ مَوْضِعَ فَارٍّ، وَيَقَعُ لِلوَاحِدِ
 وَالْجَمِيعِ.

٨ - وَكَمْ تَرَكْنَا هُنَاكَ مِنْ بَطَلٍ تَسْفِي عَلَيْهِ الرِّيحُ فِي لَمِينَةٍ

مَوْضِعُ (كَمْ) تَصَبُّ عَلَى الْمَفْعُولِ مِنْ تَرَكْنَا. يَقُولُ: وَكَثِيرًا تَرَكْنَا فِي تِلْكَ
 الْمَعْرَكَةِ مِنَ الْأَبْطَالِ وَهُمْ مُصْرَعُونَ مُعَقَّرُونَ فِي تِلْكَ الْمَعْرَكَةِ، بَادُونَ لِلضِّيَاءِ وَالظُّلْمَةِ،
 تَأْتِي الرِّيحُ بِسَفَاهَا وَتَجْعَلُهُ فِي لَمِينِهِمْ وَلِحَاهُمْ. وَأَشَارَ بِقَوْلِهِ هُنَاكَ إِلَى مُعْتَرِكِ الْقَوْمِ
 وَمُزْدَحِمِ الطَّعَنِ وَالضَّرْبِ.

(١) للراعي النميري في ديوانه ١٣٢. وصدده:

«وبعض كسستهن الأسنة هبوة»

(٢) التبريزي: «والقلُّ سريعًا».

١١٢ - وقال حَسَّانُ بْنُ نُسَبَةَ^(١): [الطويل]

١ - وَنَحْنُ أَجْرُنَا الْحَيَّ كَلْبًا وَقَدْ آتَتْ لَهَا حِمِيرٌ تَرْجِي الْوَشِيحَ الْمُقْوَمَا^(٢)
يقول: أَدْخَلْنَا فِي جِوَارِنَا هَذِهِ الْقَبِيلَةَ، وَضَمِنَّا لَهَا الذَّبَّ عَنْهَا وَسَلَامَتَهَا عَلَى مَا
يَعْرِضُ لَهَا، وَقَدْ قَصَدَتْ لَهَا حِمِيرٌ بَعْدَهَا وَعُدَّتْهَا، تَسُوقُ نَحْوَهَا الْخَيْلَ الْمُطَهَّمَةَ،
وَالرَّمَاخَ الْمُثَقَّفَةَ. وَالْوَشِيحُ أَصْلُهُ عُرُوقٌ، ثُمَّ جُعِلَ لِلرَّمَاخِ أَنْفُسُهَا. وَجَعَلَهَا مُثَقَّفَةً،
لِيُرِيَ عَنَانِيهِمْ بِإِعْدَادِ آلَةِ لِرْمَانِ الْمُقَاتِلَةِ.

٢ - تَرَكْنَا لَهُمْ شِقَّ الشَّمَالِ فَأَصْبَحُوا جَمِيعًا يُزْجُونَ الْمَطِيَّ الْمُخَرَّمَا
لَهُمْ يعني لِحِمِيرٍ، وَالْعَرَبُ تَجْعَلُ الشَّمَالَ كَنَاءَةً عَنِ الشُّومِ. فَمِنْ أَمْثَالِهِمْ:
صَبَخْنَاهُمْ فَعَدَوْا شَأْمَةً

ويقولون: خَلَيْنَاهُمْ وَالْجَانِبَ الْأَشْأَمَ، وَخَلَيْنَاهُمْ وَالنَّاحِيَةَ الشُّؤْمَى. فَكَأَنَّهُمْ
يَقُولُونَ ذَلِكَ لِلْمَنْهَزِمِ وَإِنْ كَانَ مَأْخَذُهُ فِي الشَّقِّ الْأَيْمَنِ، لِأَنَّ الشُّومَ مَعَهُ وَالْإِدْبَارَ، أَيْ
طَرِيقَ أَخَذٍ، وَمَسَلِّكَ تَوَجُّهٍ. وَهَذَا كَمَا يَقَالُ: فَلَانٌ مِنِّي بِالْيَمِينِ، وَفَلَانٌ بِالشَّمَالِ،
وَفَلَانٌ بَعْلِيَاءَ عِنْدِي، وَفَلَانٌ فِي الْمَهَابِطِ؛ إِذَا جَعَلْتَ مَنْزِلَتَهُ عَلَيْهِ أَوْ مُتَسَقِّلَةً. وَمَعْنَى
الْبَيْتِ: خَلَيْنَا لَهُمْ فِي الْإِنْهَزَامِ شِقَّ الشُّومِ وَجَانِبَهُ، فَأَصْبَحُوا يُزْجُونَ مَطَايَاهُمْ مُخَرَّمَةً
حَسَرَى كَالَّةٍ لَا يُبْقَى عَلَى وَجَاهِهَا، وَلَا يُتَّقَى حَفَاها وَالْخَزْمُ: الشَّدُّ وَالْقَطْعُ. وَيَقَالُ:
شِرَاكٌ مُخْرُومٌ، أَيْ مُقْطُوعٌ.

٣ - فَلَمَّا دَنَوْا ضَلْنَا فَفَرَّقَ جَمْعَهُمْ صَحَابَتُنَا تَنْدَى أَسْرَتُهُمْ دَمًا^(٣)
يقول، لَمَّا قَرَّبُوا فِي الْإِلْتِقَاءِ، ضَلْنَا عَلَيْهِمْ وَبَطَشْنَا بِهِمْ، فَبَدَّدَ شَمْلَهُمْ جَيْشَنَا
الَّذِي كَأَنَّهُ سَحَابَةٌ تَنْدَى طَرَائِقُهَا دَمًا. جَعَلَ السَّحَابَةَ تَرَشُّعًا بِالدَّمِ لَمَّا كَثُرَ سَفْكُهُمْ لَهُ.
وَتَنْدَى فِي مَوْضِعِ الْحَالِ. وَانْتَصَبَ دَمًا عَلَى التَّمْيِيزِ. وَيَقَالُ: نَدِي يَنْدَى نَدَى.
وَالْأَسْرَةُ: الْأَوْسَاطُ وَالطَّرَائِقُ، وَاحِدُهَا سِرَرٌ، وَيَسْتَعْمَلُ فِي بَطُونِ الْأَوْدِيَةِ أَيْضًا.

٤ - فَعَادَزَنَ قَبِيلًا مِنْ مَقَاوِلِ حِمِيرٍ كَأَنَّ بِخَلْدِيهِ مِنَ الدَّمِ عَنَدَمًا

(١) التبريزي: «أخو بني عدي بن عبد مناة بن آد»، قال أبو محمد الأعرابي: هذا الاسم مصحف والصواب: جساس بن نُسَبة، مثل عساس.

(٢) التبريزي: «أسرتها».

(٣) التبريزي: «نحن أجرنا».

يقول: تَرَكْتَ الْخَيْلُ فِي تَجَوَّالِهَا مِنْهُمْ رَئِيسًا مَضْرُوعًا، قَدْ سَالَ الدَّمُ عَلَى خَدَّيْهِ فَكَانَهُمَا خُضْبًا بِالْعَدَمِ، وَهُوَ دَمُ الْأَخْوَيْنِ. وَالْمِقُولُ بِلُغَةِ أَهْلِ الْيَمَنِ: الْقَيْلُ، وَالْمَقَاوِلُ وَالْمَقَاوِلَةُ جَمْعُهُ، وَهُمْ الْأَقْوَالُ وَالْأَقْبَالُ. وَقَيْلٌ مُحَقَّقٌ مِنْ قَيْلٍ، فَهُوَ مِنَ الْوَاوِ أَيْضًا، وَمَعْنَاهُ هُوَ الَّذِي يَنْفُذُ قَوْلَهُ، وَيُعْتَمَدُ أَمْرُهُ وَنَهْيُهُ. وَوُصِفَ بِهِ الْمَلِكُ كَمَا وَصِفَ بِالْهُمَامِ، لَمَّا كَانَ إِذَا هَمَّ بِالشَّيْءِ فَعَلَ، لَا يُرَدُّ وَلَا يُدْفَعُ. وَقِيلَ لِلْسَّانِ مِقُولٌ لَمَّا كَانَ آلَةً فِي الْقَوْلِ.

٥ - أَمَرَ عَلَى أَفْوَاهٍ مِنْ ذَاقَ طَعْمَهَا مَطَاعِمُنَا يَمْجُجْنَ صَابًا وَعَلَقَمًا

يقول: صَارَتْ مَطَاعِمُنَا مُرَّةً عَلَى أَفْوَاهٍ مِنْ ذَاقَهَا، حَتَّى إِنَّهَا تَمُجُّ بَعْدَ ذَوَاقِهَا صَابًا وَعَلَقَمًا، وَالصَّابُ: شَجَرَةٌ لَهَا لَبَنٌ إِذَا أَصَابَ الْعَيْنَ حَلَبَهَا. وَالْعَلَقَمُ: شَجَرٌ مُرٌّ، وَقِيلَ هُوَ الْحَنْظَلُ، حُكِّي أَنَّ الْعَلَقَمَةَ الْمَرَارَةَ. وَيُقَالُ: عَلَقَمَ الْحَنْظَلُ، إِذَا أَذْرَكَ مَرَارَتَهُ. وَقَوْلُهُ: «يَمْجُجْنَ» حَالٌ لِلْأَفْوَاهِ، وَالتَّقْدِيرُ: أَمَرَ مَطَاعِمُنَا عَلَى أَفْوَاهِ الدَّائِقِينَ طَعْمَهَا، مَاجَّةً صَابًا وَعَلَقَمًا، أَيِ إِذَا ذَاقَتْ رَمَتْ بِمَا هُوَ كَهَذَيْنِ. وَالْمَعْنَى: إِذَا خُبِرْنَا حُصْلَ مَنْ عَلَى مَا هُوَ كَذَلِكَ. وَجَازَ فِي «طَعْمَهَا» الْإِضْمَارُ قَبْلَ الذِّكْرِ؛ لِأَنَّ الْكَلَامَ يَحْتَمِلُ نِيَّةَ التَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ، لَمَّا كَانَ رُبُّنَةُ الْفَاعِلِ وَهُوَ مَطَاعِمُنَا التَّقْدِيمِ، وَرُبُّنَةُ الْمَفْعُولِ وَمَا يَجْرِي مَجْرَاهُ التَّأْخِيرِ، وَهُوَ عَلَى أَفْوَاهٍ مِنْ ذَاقَ طَعْمَهَا. وَفِي طَرِيقَةِ هَذَا الْبَيْتِ قَوْلُ الْآخِرِ^(١): [الوافر]

فَإِنْ تَغْمِزَ مَفَاصِلَنَا تَجِدُنَا غِلَظًا فِي أَنْامِلٍ مِنْ يَصُولُ

وَالطَّعْمُ: الذَّوْقُ، وَالْمَطَاعِمُ: جَمْعُ الْمَطْعَمِ. وَيُقَالُ هُوَ حَسَنُ الْمَطْعَمِ، أَيِ طَيِّبُ الطَّعَامِ.

١١٣ - وَقَالَ فِي ذَلِكَ أَيْضًا: [الطويل]

١ - وَإِنِّي وَإِنْ لَمْ أَفِدْ حَيًّا سَوَاهُمْ فِدَاءً لَتَنِيْمٍ يَوْمَ كَلْبٍ وَجَمِيرًا

يقول: أَنَا وَإِنْ كُنْتُ أَرْبَا بِقَدْرِي، وَأَرْفَعُ نَفْسِي أَنْ أَجْعَلَهَا فِدَاءً لَغَيْرِي، أَفِدِي نَيْمًا بِهَا؛ لَمَّا كَانَ مِنْهُمْ مَنْ حُسْنُ الْبَلَاءِ يَوْمَ اجْتِمَاعِ كَلْبٍ وَجَمِيرٍ لِلْقِتَالِ. وَجَوَابُ الشَّرْطِ، وَهُوَ قَوْلُهُ «إِنْ لَمْ أَفِدْ» قَدْ اشْتَمَلَ عَلَيْهِ الْكَلَامُ، لِأَنَّ الْمَعْنَى: إِنْ لَمْ أَفِدْ غَيْرَهُمْ تَرْفَعًا، فَإِنِّي أَفِدِيهِمْ تَشَكُّرًا.

(١) البيت الثاني من الحماسة رقم (٦١).

٢ - أَبَوْا أَنْ يُبَيِّحُوا جَارَهُمْ لَعَدُوَّهُمْ وقد نَارَ نَفْعُ الْمَوْتِ حَتَّى تَكُوْثِرَا

أَبَوْا، الْفِعْلُ لِبَنِي النَّيْمِ. يَقُولُ: امْتَنَعُوا مِنْ أَنْ يُخْلَوْا بَيْنَ جِيرَانِهِمْ قَبِيلَةَ كُلِّ وَبَيْنَ أَعْدَائِهِمْ جَمِيْرَ. وَقَدْ ارْتَفَعَ غُبَارُ الْمَوْتِ حَتَّى التَّفَّ فِي الْجَوِّ. وَأَرَادَ بِالْجَارِ وَالْعَدُوِّ الْكَثْرَةَ، إِذْ كَانَ الْمُرَادُ بِهِمَا الْقَبِيلَتَيْنِ، وَإِنَّمَا أَضَافَ التَّفَّ إِلَى الْمَوْتِ تَهْوِيلًا، وَيَجُوزُ أَنْ يُرِيدَ بِالْمَوْتِ الْحَزْبَ. وَتَكُوْثَرُ: تَفْوَعَلُ مِنَ الْكَثْرَةِ، يَرِيدُ تَرَاكُمُ الْغُبَارِ وَالتَّفَافَهُ. وَهَذَا الَّذِي أَشَارَ إِلَيْهِ بِقَوْلِهِ تَكُوْثَرُ مِنَ التَّرَاكُمِ، جَعَلَهُ بَعْضُهُمْ كَالسَّحَابِ، وَجَعَلَهُ بَعْضُهُمْ يَسُدُّ عَيْنَ الشَّمْسِ حَتَّى ظَهَرَتْ لَهُ الْكَوَاكِبُ، وَحَتَّى صَارَ النَّهَارُ بِسَبَبِهِ كَاللَّيْلِ. وَتَجَاوَزَ الْمُنْتَبَهُ جَمِيعَ ذَلِكَ، حَتَّى بَلَغَ حَدًّا مِنَ الْإِفْرَاطِ مُسْتَشْنَعًا فَقَالَ: [الْكَامِلُ]

عَقَدْتُ سَنَابِكُهَا عَلَيْهَا عَثِيرًا لَوْ تَبَتَّخِي عَنَّقًا عَلَيْهِ أَمَكْنَا^(١)

وَإِذَا أَرَدْتَ بِالْمَوْتِ الْمَنِيَّةَ يَكُونُ الْمُرَادُ: كَأَنَّ الْمَوْتَ أَثَارَ الرَّهَجِ فِي سَلْبِ الثَّقُوسِ حَتَّى كُتِفَ فِي الْهَوَاءِ، وَهَذَا مَثَلٌ.

٣ - سَمَوْا نَحْوَ قَبِيلِ الْقَوْمِ يَبْتَدِرُونَهُ بِأَسْيَافِهِمْ حَتَّى هَوَى فَتَقَطَّرَا

يَعْنِي بَنِي نَيْمٍ. يَقُولُ: ارْتَفَعُوا نَحْوَ رَئِيسِ الْقَوْمِ مُسْتَبِقِينَ إِلَيْهِ بِأَسْيَافِهِمْ فَتَنَاقَلُوهُ حَتَّى سَقَطَ. وَمَعْنَى تَقَطَّرَ: وَقَعَ عَلَى أَحَدٍ قُطْرِيْهِ. وَالْقَطْرَانُ: الْجَانِبَانِ. وَفِي الْكَلَامِ اخْتِصَارٌ، كَأَنَّهُ قَالَ: ابْتَدَرُوهُ بِالْأَسْيَافِ وَضَرَبُوهُ حَتَّى سَقَطَ، فَحَذَفَ ضَرْبَهُ. وَمَوْضِعُ يَبْتَدِرُونَهُ نَضَبٌ عَلَى الْحَالِ، وَتَعَلَّقَ حَتَّى بِالْمَحْذُوفِ الَّذِي يَبْتَنُّهُ.

٤ - وَكَانُوا كَأَنفِ اللَّيْثِ لَا شَمَّ مَرْغَمًا وَلَا نَالَ قَطُ الصَّيْدِ حَتَّى تَعَفَّرَا

الْأَسَدُ أَخَمَى الْحَيَوَانَ أَنْفًا، وَيَبْلُغُ مِنْ عُجْبِهِ بِنَفْسِهِ أَنَّهُ لَا يَتَوَاضَعُ لِأَكْلِ صَيْدٍ غَيْرِهِ. وَنُسِبَ الْأَنْفَةُ إِلَى الْأَنْفِ كَمَا يُنْسَبُ الْحَمِيَّةُ إِلَيْهِ. يَقَالُ: هُوَ أَخَمَى أَنْفًا مِنْ فُلَانٍ، وَأَنْفٌ أَنْفًا مِنْهُ، وَخَمَى فُلَانٌ أَنْفَهُ مِنْ كَذَا، أَيْ أَنْفَ مِنْهُ وَلَمْ يَرْضَ بِهِ. وَحَسَنٌ فِي الْكِتَابَةِ عَنْ الْإِبَاءِ وَالتَّصَوُّنِ عَنِ الدَّنَاءَةِ وَالْمَذَلَّةِ قَوْلُهُ: «لَا شَمَّ مَرْغَمًا» بَعْدَ ذِكْرِ الْأَنْفِ. فَيَقُولُ: وَكَانَ بَنُو النَّيْمِ فِي التَّمَنُّعِ كَاللَّيْثِ الَّذِي لَا يُغْمِضُ عَلَى قَذَى، وَلَا يَشَمُّ مَرْغَمًا وَمَذَلًا، وَلَا يَضْبِرُ لَشَيْءٍ عَلَى هَوَايَ، وَلَا يَغْطِفُ عَلَى مَكْرِهِ وَصَغَارِهِ، وَلَا يَنَالُ الصَّيْدَ قَطُّ حَتَّى يَكُونَ هُوَ الْمُعَفَّرُ. وَالْعَفَرُ: التُّرَابُ. هَذَا إِذَا رَوَيْتَ «قَطُ الصَّيْدِ

(١) ديوانه ٢٠٤: ٤ «عليها أمكنا».

حتى تَعَفَّرَا وقال ذلك لأنه فيما يتصيده لا يَرْضَى بالاختلاس، ولا يعتمد على صَيْدٍ غيره والإصابة مِنْهُ. وَيُرْوَى: «ولا نَالَ فَظُ الصَّيْدِ حتى تَعَفَّرَا». والْفَظُّ: ماء الكَرْشِ. ويُقال افْتِظَظْتُ الكَرْشَ، إذا استخرجت ذلك الماء منه. والمعنى: ولا نَالَ الْفَظُّ من بَطْنِ الصَّيْدِ حتى يتَعَفَّرَ أي يسقط في الْعَفَرِ ويتمكّن منه. والأسدُ يبدأ من الصَّيْدِ بحشوه بَطْنِهِ، فلذلك خَصَّ الْفَظُّ. والثَّمِيلَةُ خِلافُ الْفَظِّ، لأنه اسمٌ لما يبقى في البطن من الْعَلْفِ والرُّطْبِ. وَقَطُّ في الماضي كأَبَدَا في المستقبل، وهو مَعْرِفَةٌ مَبْنِيٌّ كَأَمْسَ، وأَبَدَا نِكْرَةً كَعَدَا. ولا نَالَ ولا شَمَّ في مَعْنَى لم يَسْمَ ولم يَنْلُ. ومثله قوله تعالى: ﴿فَلَا صَلَتْ وَلَا صَلَّى﴾ [الْقِيَامَةِ: الآية ٣١].

١١٤ - وقال هلال بن رزين^(١): [الوافر]

١ - وَبِالْبَيْدَاءِ لَمَّا أَنْ تَلَاكَتْ بِهَا كَلْبٌ وَحَلَّ بِهَا الثُّدُورُ
يقول: لَمَّا تَلَاكَتْ كَلْبٌ وَحَمِيرٌ بِالْبَيْدَاءِ وأدركوا الأوتار، فَحَلَّ بها الثُّدُورُ وسقطت الأقسامُ عن الحالفين بها لإدراكِهِم الآثار^(٢). وجوابٌ لما يجوز أن يكون ما دَلَّ عليه قوله «فَحَانَتْ حَمِيرٌ» أو قوله: «وَحَلَّ بها الثُّدُورُ». ويجوز أن يكون قوله «أَجَاذَتْ وَبَلَّ مُذْجِنَةٌ»، وهو أول البيت الرابع، وعند من يُجَوِّزُ زِيَادَةَ الْحُرُوفِ في مثل هذا المكان يكون «حَلَّ بها الثُّدُورُ» أو «فَحَانَتْ» الجواب، فيكون الفاء والواو مُفَحَمَةً، وهكذا يقولون في قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَهَا وَقِيحَتْ أَبْوُئُهَا﴾ [الزُّمَرُ: الآية ٧٣] عندهم الواو زائدة، والمُرَاد فُتِحَتْ، وقول^(٣) امرئ القيس: [الطويل]

فَلَمَّا أَجَزْنَا سَاحَةَ الْحَيِّ وَأَنْتَحَى

يقولون: المراد انتحى، والواو زائدة.

٢ - فَحَانَتْ حَمِيرٌ لَمَّا التَّقَيْنَا وَكَانَ لَهُمْ بِهَا يَوْمٌ عَسِيرٌ

(١) التبريزي: «أحد بني ثور بن عبد مناة بن أذ». وهلال بن رزين، شاعر جاهلي، ترجمته في المَرْزَبَانِي ٤٨٢، والأعلام ٩: ٩٢.

(٢) الآثار: المقلوب.

(٣) لامرئ القيس في ديوانه ١٥، وأدب الكاتب ٣٥٣، وخزانة الأدب ٤٣٠١١، واللسان (جوز، عقل) وعجزه:

«بنا بطن حقف ذي قفاف عقنقل»

يقول: هَلَكْتُ حَمِيرٌ عِنْدَ الْإِتْقَاءِ، لَأَنَّ الدُّبْرَةَ كَانَتْ عَلَيْهِمْ لَا لَهُمْ، وَكَانَ لَهُمْ بِالْبِيدَاءِ يَوْمٌ صَغَبٌ. وَيُقَالُ: يَوْمٌ وَأَمْرٌ عَسِيرٌ وَعَسِيرٌ، وَالْفِعْلُ مِنْهُ عَسُرَ بِالضَّمِّ وَعَسِرَ بِالْكَسْرِ، وَيُقَالُ: هُوَ الْعُسْرُ وَالْيُسْرُ، وَالْعُسْرَى وَالْيُسْرَى.

٣ - وَأَبْقَنْتِ الْقَبَائِلُ مِنْ جَنَابٍ وَعَامِرٌ أَنْ سَيَمْنَعُهَا نَصِيرٌ
يقول: وَتَبَقَّتْ جَنَابٌ وَعَامِرٌ بِطَوْنِ بَنِي كَلْبٍ أَنَّهُ سَيَذُبُّ عَنْهَا نَصِيرٌ ظَهِيرٌ، وَمُعِينٌ قَوِيٌّ، وَيَعْنِي بِالنَّصِيرِ بَنِي التَّيْمِ. وَجَعَلَ اللَّفْظُ نَكْرَةً لِيَكُونَ أَبْلَغُ فِي تَعْظِيمِ النُّصْرَةِ، لِأَنَّهُ أَرَادَ نَصِيرٌ مِنَ النُّصَارِ، أَيِ كَامِلٌ فِي مَعْنَاهُ. وَجَعَلَهُمْ كُلَّهُمْ نَصِيرًا لَا نُصَارًا. لِاتِّفَاقِ كَلِمَتِهِمْ وَأَهْوَائِهِمْ. وَقَوْلُهُ «أَنْ سَيَمْنَعُهَا» أَنْ مُخَفَّفَةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ، وَاسْمُهُ مُحذُوفٌ، يَرِيدُ: أَنَّهُ سَيَمْنَعُهَا وَالسَّيْنُ فِي الْفِعْلِ لَثَلًا تَلْتَبِسُ الْمُخَفَّفَةُ بِالنَّاصِبَةِ لِلْفِعْلِ. وَالِهَاءُ الَّذِي أَظْهَرْتُهُ ضَمِيرُ الْأَمْرِ وَالشَّانِ.

٤ - أَجَادَتْ وَبَلَّ مُدْجِنَةٌ فَذَرَتْ عَلَيْهِمْ صَوْبٌ سَارِيَةٌ دُرُورٌ^(١)
يُقَالُ: هَذَا يَوْمٌ دَجْنٍ، أَيِ يَوْمٌ إِبْلَاسٍ غَيْمٍ. وَالْمُدْجِنَةُ: الظُّلْمَةُ، وَلَيْلَةٌ مُدْجَانٌ. فَيَقُولُ: أَنْتَ سَحَابَةُ الْجَيْشِ بِمَطَرٍ جَوْدٍ، فَوَبَلْتَ وَبَلَّ مُدْجِنَةٌ - أَيِ سَحَابَةٍ لَهَا ظَلَامٌ، لِكُثَافَتِهَا وَقُرْبِهَا مِنَ الْأَرْضِ - فَصَبَّتْ عَلَيْهِمُ الْمَنَائَا دُرُورًا سَارِيَةً، أَيِ سَحَابَةٍ تَسْرِي لَيْلًا. وَالذُّرُورُ، هِيَ الْكَثِيرَةُ الدَّرُورُ. وَيَرْتَفِعُ عَلَى أَنَّهُ فَاعِلٌ ذَرَّتْ. وَصَوْبٌ مَصْدَرٌ مِنْ غَيْرِ لَفْظِهِ، كَأَنَّهُ قَالَ: صَابَتْ دُرُورٌ صَوْبٌ سَارِيَةً. وَجَعَلَ مَا فِي الْعَجْزِ مِنْ هَذَا فِي مِقَابَلَةِ مَا فِي الصَّدْرِ، مِنْ قَوْلِهِ «أَجَادَتْ وَبَلَّ مُدْجِنَةٌ» كَأَنَّهُ قَالَ: أَجَادَتْ الْخَيْلُ وَبَلَّ مُدْجِنَةٌ فَذَرَتْ دُرُورَ الْمَوْتِ دُرُورًا سَارِيَةً، فَالسَّارِيَةُ بِإِزَاءِ الْمُدْجِنَةِ لَا غَيْرَ. وَكُلُّ ذَلِكَ مَثَلٌ لِكَثِيرِ الشَّرِّ، وَتَفْظِيعِ الْبَلَاءِ وَالْقَتْلِ. وَفِي هَذِهِ الطَّرِيقَةِ قَوْلُ النَّابِغَةِ: [الكَامِلُ]

وَمُعَلِّقِينَ عَلَى الْجِيَادِ حُلِيِّهَا حَتَّى تَصُوبَ سَمَاوَهُمْ بِقِطَارٍ

وَذَكَرَ بَعْضُهُمْ أَنَّ أَجَادَتْ وَذَرَتْ فِعْلَانِ جُمِعَا لِلدُّرُورِ، فَهُوَ كَمَا يُقَالُ: قَامَ وَقَعَدَ زَيْدٌ. قَالَ: وَالذُّرُورُ: حَزْبٌ تُدْرُ بِالْذَّمَاءِ. وَيُقَالُ: جَادَتْ وَأَجَادَتْ بِمَعْنَى وَاحِدٍ؛ وَالْمَرَادُ جَادَتْ دُرُورٌ فَذَرَتْ عَلَيْهِمْ كَوْبِلٌ مُدْجِنَةٌ، وَكَصُوبٌ سَارِيَةٌ. وَالْأَوَّلُ أَقْرَبُ وَأكْشَفُ وَأَصَحُّ.

(١) التبريزي: «ويروى: صوبٌ سارية، قال أبو رياش: آتت الصوب لأنه أراد الدفعة».

٥ - قَوْلُوا تَحْتَ قِطْقِطِهَا سِرَاعًا تَكْبُهُمُ الْمُهَيَّذَةُ الذُّكُورُ

يقول: انهزمت جَمِيرُ مُسْرِعين تحت صِغَارِ الْبَرْدِ، ولم يصبروا إلى كِبَارِهِ، وَالسُّيُوفُ الْهِنْدِيَّةُ تُسْقِطُهُمْ لوجوهم. وَيُقَالُ: هَنَدْتُ السَّيْفَ، إِذَا نَسَبْتَهُ إِلَى الْهِنْدِ. وقال أبو عمرو: وَهَنَدْتُ السَّيْفَ، إِذَا أَخَذْتَهُ. وَذَكَرَ الدَّرِيدِيُّ فِي الْقِطْقِطِ أَنَّهُ ضَرَبَ مِنَ الْمَطَرِ، وَلَمْ يَحْذَهُ. وَمَوْضِعُ «تَكْبُ» نَصَبٌ عَلَى الْحَالِ، وَمَا قَدَّمْنَاهُ فِي الْقِطْقِطِ قول الخليل.

١١٥ - وقال جَزْءُ بن ضِرَارٍ^(١): [الطويل]

١ - أَتَانِي فَلَمْ أُسْرَرْ بِهِ حِينَ جَاءَنِي حَدِيثٌ بِأَعْلَى الْقَتْنَيْنِ عَجِيبُ

تقديره: أَتَانِي حَدِيثٌ عَجِيبٌ بِأَعْلَى الْقَتْنَيْنِ^(٢)، فَلَمْ أُسْرَرْ بِهِ حِينَ جَاءَنِي. وَإِنَّمَا اسْتَعْجَبَ مِنَ الْحَدِيثِ لِتَضَمُّنِهِ مَا كَرِهَهُ، فَكَانَ يَرُدُّهُ بِمَا يَقْوَى فِي أَمَلِهِ مِنْ ضِدِّهِ. وَقَدْ اجْتَمَعَ فِعْلَانِ أَتَانِي وَجَاءَنِي، فَأَعْمَلَ الْأَوَّلَ. وَمِثْلُهُ قَوْلُ الْآخَرِ^(٣): [الوافر]

وَلَمْ أُمْدَحْ لِأَرْضِيهِ بِشَعْرِي لَيْيَمًا

٢ - تَصَامَمْتُهُ حَتَّى أَتَانِي يَقِينُهُ وَأَفْرَعُ مِنْهُ مُخْطِئُهُ وَمُصِيبُ^(٤)

تصاممته، أَرَادَ تَصَامَمْتُ عَنْهُ، حَتَّى أَتَانِي يَقِينُهُ، أَيِ الْجَلِيِّ الْوَاضِحِ مِنْهُ. وَأَفْرَعُ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ صَادَفَ الْفَرَعُ فَلَا يَقْتَضِي مَفْعُولًا، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَفْرَعُ الْغَيْرُ فَيَكُونُ مَفْعُولُهُ مَحْذُوفًا. وَمَعْنَى الْبَيْتِ: تَكَلَّفْتُ الصَّمَمَ عَنْ ذَلِكَ الْخَبَرِ حَتَّى جَاءَ مَا لَمْ يُمْكِنُ رَدُّهُ، لَكُونِ الشُّبْهِ مُنْتَفِيَةً عَنْهُ، وَاتَّفَقَ الْمُخْطِئُ وَالْمُصِيبُ عَلَى تَصْحِيحِهِ، وَصَادَفَا الْفَرَعَ فِيهِ، أَوْ أَفْرَعَا الْغَيْرَ مِنْهُ. وَمِثْلُ قَوْلِهِ «تَصَامَمْتُ» فِي انْحِذَافِ حَرْفِ الْجَزْرِ مِنْهُ قَوْلُ الْآخَرِ: [الطويل]

وأخفي الذي لولا الأسى لَقَضَايِي^(٥)

(١) التبريزي: «جزء بن ضرار أخو الشماخ». وهو شاعر مخضرم ذكره ابن حجر في الإصابة ١٢٨١.

(٢) التبريزي: «القَتْنَان: جبل أسود مشرف بعض الإشراف وليس فيه شواهد ولا صخور، ينبت الكلاء».

(٣) لذي الرمة في التنبيه لابن جني، وبلا نسبة في التبريزي ٢٤٨: ١، وتمامه:

«ولم أمدح لأرضيه بشعري لَيْيَمًا أَنْ يَقَالَ أَصَابَ مَا لَا»

(٤) التبريزي: «لما أَتَانِي»، وَأَفْرَعُ بِالرَاءِ الْمَهْمَلَةِ وَقَالَ: «وَأَفْرَعُ مَعْنَاهُ: صَادَفَ الْفَرَعَ».

(٥) لعروة بن حزام في خزائن الأدب ٨: ١٣٠، والدرر ٤: ١٣٦، ولرجل من بني حلاف في تخلص=

يريد: لَقَضَى عَلَيَّ. وفي القرآن: ﴿وَإِذَا كَالُهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ﴾ [المطففين: الآية ٣]، يريد كالوا عليهم أو وزنوا عليهم. وأضاف اليقين إلى ضمير الخبر لأنه يريد المتيقن منه.

٣ - وَحُدِّثْتُ قَوْمِي أَخَذْتُ الدَّهْرُ فِيهِمْ وَعَهْدُهُمْ بِالْحَادِثَاتِ قَرِيبُ

٤ - فَإِنْ يَكُ حَقًّا مَا أَتَانِي فَإِنَّهُمْ كِرَامٌ إِذَا مَا النَّائِبَاتُ تَنُوبُ

قوله «حُدِّثْتُ» يتعدى إلى ثلاثة مفاعيل، فالأول قام مقامَ الفاعل وضميره التاء، والثاني قومي، والثالث أَخَذْتُ الدَّهْرُ فِيهِمْ أَخَذْتُ. وكما قال الآخر: [الطويل]

وَإِنْ تُكَلِّمُكَ تَبْلُتُ^(١)

يريد تَبْلُتُ كَلَامَهَا. ويجوز أن يكون أَخْرَى قوله «أَخَذْتُ الدَّهْرُ فِيهِمْ» مَجْرَى نَكَى الدَّهْرُ فِيهِمْ، فاستغنى عن المفعول. وقوله: «وَعَهْدُهُمْ بِالْحَادِثَاتِ قَرِيبُ» يجوز أن يكون من جملة ما بُلِّغَ وَأْتَبَى به، ويجوز أن يكون الواو للحال، كأنه نَكَى الدَّهْرُ فِيهِمْ وَحَالُهُمْ قَرُبَ الْعَهْدِ بِحَوَادِثِهِ، ويجوز أن يكون جاريًا مجرى الاعتراض بين ما قبله وما بعده، وحقيقة معناه تصديقه لما خُبِرَ به، وَأَنَّ قَوْمَهُ مِنَ الْكِرَامِ الَّذِينَ لَا يَسْلُمُونَ عَلَى الدَّهْرِ، بَلْ يُوَلِّغُ بِالتَّأْثِيرِ فِيهِمْ كما قال: [الطويل]

أَرَى الدَّهْرَ يَغْتَامُ الْكِرَامَ وَيَصْطَفِي عَقِيلَةَ مَالِ الْفَاحِشِ الْمُتَشَدِّدِ^(٢)

وَإِذَا عُرِّلَ هَذَا الاعتراض يكون الكلام: وَحُدِّثْتُ قَوْمِي أَخَذْتُ الدَّهْرَ فِيهِمْ، فَإِنْ يَكُ حَقًّا مَا أَتَانِي. ومعنى البيتين: أُنَبِّئُ أَنَّ قَوْمِي نَكَى الدَّهْرَ فِيهِمْ، وَحَمَلَ أَثْقَالَهُ عَلَيْهِمْ، فَإِنْ كَانَ مَا بُلِّغْتُ حَقًّا مِنْ إِخْنَاءِ الدَّهْرِ عَلَيْهِمْ، وَسُوءِ تَأْثِيرِهِ فِيهِمْ، فَإِنَّ أَخْبَارَهُمْ كَرِيمَةً فِي الثَّوَابِ إِذَا نَابَتْهُمْ، وَنَفُوسُهُمْ عَزِيزَةٌ تَأْبَى الانْقِيَادَ لِمَا لَا يَخْشَنُ، وَالْمُطَاوَعَةَ فِيمَا يَشِينُ وَلَا يَزِينُ. وجواب «فَإِنْ يَكُ حَقًّا» مَا دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ فَإِنَّهُمْ كِرَامٌ،

= الشواهد، وللكلابي في لسان العرب (غرض، وقضى)، وبلا نسبة في الجنى الداني ص ٤٧٤، وخزانة الأدب ٩: ١٢٠. وصدرة:

«تَحَنَّنْتُ فِتْبَدِي مَا بِهَا مِنْ صَبَابَةٍ»

(١) للشنفرى في ديوانه ص ٣٣، واللسان (بليت، ونسا)، وأدب الكاتب ٤٩٣، والأغاني ٢١: ٢١٠. وتماه:

«كَأَنَّ لَهَا فِي الْأَرْضِ نَسِيًّا تَقْصَهُ عَلَى أَمْهَا وَإِنْ تَكَلَّمْتَ تَبْلُتِ»

(٢) لطرفة في معلقته في ديوانه ص ٣٤، واللسان (شدد، فحش، عيم).

لأنَّ معناه فإنهم يَضْبِرُونَ صَبَرَ الْكَرَامِ. ومثله قوله تعالى: ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ [المائدة: الآية ١١٨]؛ لأنَّ المعنى: فإنك تملكهم وتقدير عليهم.

٥ - فقيرهم مُبْدِي الْغِنَى وَغَنِيهِمْ لَهُ وَرَقٌ لِّلْسَائِلِينَ رَطِيبٌ
يقول: محتاجهم متجمل، وبما لا تتأله مقدّرتة ولا ينهضُ وسعُه متكثر، وظاهره الغنى اكتفاء بما يملكه، وتَصْنَعًا لمن يَرْمُقُه؛ وغنيهم له إفضال على الغفاة، ومعروف عند السؤال، يَخَيُّونَ في جنابه، ويعيشون في كنفه وظلاله. وقوله «له ورق» مثل ضربه للندى، وأصله هلهنا ورق الشجر، وبه عيش المال: الإبل والغنم. وإذا لم يمتنعوا من الورق عاش الناس في فنائهم. هذا الأصل، ثم يتمثل به بغد لغيره من ضروب المنافع، ووجوه المرازى. وسلك في هذه الاستعارة والتمثيل مسلك زهير حيث يقول: [البسيط]

وليس مانع ذي قُرْبَى ولا رَحِمٍ يَوْمًا، ولا مُعْدِمًا من خَابِطٍ وَرَقًا^(١)
ويقال: وَرَقَتِ الشَّجَرَةُ وَأُورِقَتْ، وشجرة وَرِيقَةٌ، إذا كثر ورقها والوراق: رَمَنُ خروج الورق، كالصَّرام والجِدَاد.

٦ - ذَلُّوْلُهُمْ صَغْبُ الْقِيَادِ وَصَغْبُهُمْ ذَلُّوْلُ بِحَقِّ الرَّافِضِينَ رَكُوبٌ
يقول: مَنْ كان سهل الجانب منهم تراه متعسرًا إذا سيم الضيم، مُتَّصِعًا في التزام الظلم والجور؛ والأبْيَ الْخَشِنُ الْخُلُقِ منهم مُعْتَرَفٌ بِحَقِّ الرَّافِضِينَ، يُرَكَّبُ به ولا يَمْنَعُ، ويُقَادُ له ولا يَأْبَى. وقوله رَكُوبٌ، هو في معنى مفعول هلهنا. والذَّلُّوْلُ: الوطيء الظهر، والذَّلُّ والذَّلُّ يَزْجَعَانِ إِلَى السَّهْوَةِ وَالْوَطَاءَةِ، وإن كان كلُّ تفرّد بمعنى يتميز عن صاحبه بما يُضَادُّه. أَلَا تَرَى أَنَّ ضِدَّ الذَّلِّ بِالضَّمِّ الْعِزُّ، وَضِدَّ الذَّلِّ بِالْكَسْرِ الصُّعُوبَةُ.

٧ - إِذَا رَنَقْتَ أَخْلَاقَ قَوْمٍ مُصِيبَةً تُصَفِّى بِهَا أَخْلَاقَهُمْ وَتَطِيبُ^(٢)
يقول: إذا كدّرت المصائب أخلاق الناس فتغيّرت، حتى لا يصير عليها مخيل، ولا إليها من النوائب ملجأ، فإن أخلاق هؤلاء تُصَفِّى بها ولها، وتطيب عند تحاملها؛ كأنهم كلما ازدادوا امتحانًا بالدهر ازدادوا طلاقًا وهشاشة، ولين مغطف ولذونة،

(١) لزهير في ديوانه ٥٣، واللسان (خط)، وتهذيب اللغة ٢: ٢٥١، وأساس البلاغة (خط).

(٢) التبريزي: «تصفى لها».

وَتُهُوِّضًا بِالْأَعْبَاءِ، وَصَبْرًا لَدَى الْأَلْوَاءِ. ويقال: ماء رَنَقَ وَرَنَقَ، وما في عَيْشِهِ رَنَقٌ أَي كَدْرٌ.

٨ - وَمَنْ يَغْمُرُوا مِنْهُمْ بِفَضْلِ فَإِنَّهُ إِذَا مَا انْتَمَى فِي آخِرِينَ نَحِيبُ أَضْلُ الْعَمْرِ التَّغْطِيَةُ، ومنه قولهم: دَخَلَ فِي عُمَارِ النَّاسِ. وَالتَّجِيبُ: الْكَرِيمُ مِنَ النَّاسِ وَالْخَيْلِ وَالْإِبِلِ، وَلِذَلِكَ قِيلَ لِلْمَخْتَارِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ الْمُتَجَبِّ، وَقَدْ نَجِبَ الرَّجُلُ تَجَابَةً، وَأَتَجَبَّ: أَتَى بِأَوْلَادٍ تُجَبَاءِ. يَقُولُ: وَالْمَغْمُورُ الْخَامِلُ مِنْهُمْ، لظُهُورِ الْفَضْلِ عَلَيْهِ، إِذَا انْتَسَبَ فِي قَوْمٍ آخَرِينَ عُدَّ تَجِيًّا. وَمِثْلُهُ قَوْلُ الْآخِرِ^(١): [الطويل]

يَسُودُ بِنَانًا مَنْ سِوَانَا وَيَذُونَا يَسُودُ مُعَدًّا كُلُّهَا مَا تَدْفِئُهُ

وإن كان هذا زائداً على ذلك. وحذف مفعول «يغمروا» لأنه لا يلتبس. أراد ومن يغمروه، أي المفضول فيهم إذا انتمى في غيرهم كان فاضلاً.

١١٦ - وَقَالَ الْقُطَامِيُّ^(٢): [الوافر]

١ - مَنْ يَكُنِ الْحِضَارَةُ أَعْجَبَتْهُ فَأَيُّ أَنْاسٍ بِأَدِيَةِ تَرَانَا الْحِضَارَةُ تُكْسِرُ مِنْهُ الْحَاءُ وَتُفْتَحُ، وَكَذَلِكَ الْبَدَاةُ تُكْسِرُ مِنْهُ الْبَاءُ وَتُفْتَحُ. وَالْمُرَادُ بِالْحِضَارَةِ أَهْلُ الْحِضَارَةِ، فَحُذِفَ الْمُضَافُ، يَذُلُّ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ «فَأَيُّ أَنْاسٍ بِأَدِيَةٍ»، لِأَنَّ التَّفْضِيلَ إِنَّمَا يَصْحُ بَيْنَ الْحَضَرِيِّينَ وَالْبَدَوِيِّينَ. وَأَيُّ هَذِهِ تَضَافُ إِلَى الثَّيْبَةِ، وَلَا تُضَافُ إِلَى أَكْثَرِ مِنَ الَّذِي جَعَلْتَهُ خَبْرًا، لِأَنَّكَ تَرِيدُ صِفَتَهُ. أَلَا تَرَى أَنَّكَ تَقُولُ مَرَزْتُ بِرَجُلٍ أَيْ رَجُلٍ، وَأَيُّ رَجُلٍ أَخُوكَ إِذَا جَعَلْتَهُ خَبْرًا يَكُونُ مَخْرَجَ الْكَلَامِ الْمَذْحِ وَالتَّعْجُبِ، كَأَنَّكَ قُلْتَ: نِهَائَةُ فِي الرَّجُولِيَّةِ أَخُوكَ. فَعَلَى هَذَا قَوْلُهُ فَأَيُّ رَجَالٍ بِأَدِيَةٍ. فَيَقُولُ: مَنْ أَعْجَبَهُ رَجَالُ الْحَضَرِ؛ فَأَيُّ رَجَالٍ يَذُو نَحْنُ، إِذَا حُصِّلَتْ الرُّجَالُ. وَالْمَعْنَى: أَيُّ أَنْاسٍ نَحْنُ وَإِنْ كُنَّا مِنْ أَهْلِ الْبَدُو. وَالْمُرَادُ التَّمْدُحُ وَالتَّعْجُبُ.

٢ - وَمَنْ رَبَطَ الْجَحَاشَ فَإِنَّ فِينَا قَنَا سُلْبًا وَأَفْرَاسًا حِسَانًا

(١) البيت لحجر بن خالد في الحماسية رقم ١٧٠.

(٢) القطامي: عمير بن شسيم، كان من نصارى تغلب في العراق ثم أسلم. (ت ١٣٠ هـ / ٧٤٧ م). ترجمته في الشعر والشعراء ٢٧٧، والأغاني ١١٨: ٢٠.

يقول: ومن ارتبط الحُمُر واقتناها، وكان عيشه منها، فإنَّا أربابُ العَزو، وآلاتنا رِمَاحٌ طِوالٌ، وخَيْلٌ رائقةٌ عِناقٌ. والجحشُ من أولاد الحُمُر كالمُهرِ في الخيل، والجمع الجحاش والجَحَشَةُ. والسُّلْبُ: الطوال، والواحد سَلُوبٌ.

٣ - وَكَانَ إِذَا أَغْرَزَ عَلَى جَنَابٍ وَأَعْوَزَهُمْ نَهَبٌ حَيْثُ كَانَا
يقال: عَوَزَ الرَّجُلُ كَذَا عَوَزًا، مثل عَدِمَ، وأَعْوَزَهُ الدهرُ: أَفْقَرَهُ. وأَعْوَزَ الرَّجُلُ: ساءت حاله، وهذا لا يَتَعَدَّى. يقول: كانت هذه الخيل إذا أغارت على ما حَوْلَهَا من القبائل فَبَدَدَتْ شَمْلَهَا، وَخَوَّقَتْ أَمْنَهَا، وصارت تأخذ حِذْرَهَا، وتتنقِها بِالْبُعْدِ عنها؛ حتى أَغْوَزَهَا النَّهْبُ حيث كان النهبُ، لمعاوَدَتِهِم الغارة وقتًا بعد وقتٍ، وإدامتهم إِيَّاهَا، وإلحاحهم بها. وقوله «إِذَا أَغْرَزَ» ظَرَفٌ لقوله أَغْرَزَ من البيت الذي يليه، وهو جوابٌ له، والجملة خَبَرٌ كُنَّ.

٤ - أَغْرَزَ مِنَ الضُّبَابِ عَلَى حُلُولٍ وَضَبَّةٌ إِنَّهُ مَنَ حَانَ حَانًا
٥ - وَأَخِيَانَا عَلَى بَكْرٍ أَخِيَانَا إِذَا مَا لَمْ نَجِدْ إِلَّا أَخَانَا
الضُّبَابُ يشتمل على ضَبَّةٍ وَضَبِيْبٍ، وَحَسِلٍ وَحُسَيْلٍ، فلذلك سُمُوا الضُّبَابِ. يقول: أغارت على أقاربهم وعلى الْجِلَّاتِ النازِلَةِ حَوْلَهُمْ وفيهم، لِأَنَّ مَنْ قُدِّرَ لَهُ الْخَيْنُ فَقَدْ أَدْرَكَهُ. والمعنى: إنهم لا اعتيادهم الغارة لا يَضْبِرُونَ عنها، حَتَّى إِذَا أَعْوَزَهُمُ الْأَبَاعِدُ عَطَفُوا عَلَى الْأَقَارِبِ. أَلَا تَرَى أَنَّهُ تَمَّ ذَلِكَ بقوله:

وَأَخِيَانَا عَلَى بَكْرٍ أَخِيَانَا إِذَا مَا لَمْ نَجِدْ إِلَّا أَخَانَا

وقوله: «إِنَّهُ مَنْ حَانَ حَانًا» يُسَمَّى الالتفات، كأنه التَفَتَ إِلَى إِنْسَانٍ فَقَالَ: إِنَّهُ مِنْ هَلَكٍ بَغْزُونًا فَقَدْ هَلَكَ. وقوله «عَلَى بَكْرٍ» تَعَلَّقَ بِفِعْلِ مَضْمَرٍ دَلَّ عَلَيْهِ مَا تَقَدَّمَ فِيما قبله، كأنه قال: وَأَخِيَانَا أَغْرَزَ عَلَى بَكْرٍ.

١١٧ - وقال الأعرج المعني: [الطويل]

١ - أَرَى أَمْ سَهْلٍ مَا تَزَالُ تَفْجَعُ تَلُومُ وَمَا أَذْرِي عَلامَ نَوَجُعِ

يقول: أرى هذه المرأة تتفجع تارةً وتتوجع أخرى، تَغْتَيْبُ عَلَيَّ وتَلُومُ، وما أَذْرِي مِنْ أَيْ شَيْءٍ شَكَّوْاهَا، وَفِي أَمْرِ تَوَجَّعَ عَلَيَّ عَثْبُهَا، لِأَنِّي لَا أَنْعَاطِي مُنْكَرًا فَاسْتَحَقُّ بِهِ ذَلِكَ: وَقَدْ مَرَّ الْكَلَامُ فِي عَلامَ وَأَشْبَاهِهِ. وقوله: «ما زال» يريدُ بِهِ اتِّصَالَ تِلْكَ الْحَالَةِ مِنْهَا، لِأَنَّ مَا زَالَ لِدَوَامِ الْمَاضِي، وَمَا يَزَالُ هُوَ مُسْتَقْبَلُ مَا زَالَ، فَيَصِيرُ

لامتداد الحال. فإن قيل: أليس زال ضدّ دام فكيف يُفيدُ وهو للثّفي معنى الدوام؟ قُلْتُ: لَمَّا دَخَلَ ما النافية عليه تَغَيَّرَ معناه إلى الإيجاب، لأنَّ نَفْيَ الثّفي إيجاب، فعاد إلى معنى الدوام. وقوله: «تَلُومٌ» في موضع الحال، أي تَفَجَّعُ لائِمَةً، وقوله: «وما أدري عَلَامَ»، يريدُ وما أدري ما يقتضي هذا السؤال.

٢ - تَلُومٌ عَلَى أَنْ أُضْطِىَ الْوَرْدَ لِقِحَّةً وما تَسْتَوِي وَالْوَرْدَ سَاعَةً تَفْرَعُ

يقول: تعيبُ عليّ في إيثاري فَرَسِي الْوَرْدَ بلبن لِقِحَّتِي - وهي الناقة التي بها لَبَنٌ - وما تَسْتَوِي هِيَ مع الورد ساعة الْفَرْعِ ووقت الغارة. وقوله «وَالْوَرْدَ» منصوب على أَنَّهُ مَفْعُولٌ مَعَهُ. يريد: لا تَسْتَوِي هِيَ مع الورد. ولو أراد ما تستوي هي وما يستوي الورد لم يكن يجوز إلّا الرفع، والعاملُ في هذا المعمول لا يعمل بتوسط الواو بينهما. وإذا أردت تجريد الفعل على ما يدلُّ عليه قوله تستوي، يكون تقديره إذا أظهرته عاملاً فيه: وما تُساوي الْوَرْدَ. وعلى هذا قولهم: استوى الماء وَالْخَشَبَةُ لأن المعنى سَاوَى الماءَ الْخَشَبَةَ. فإن قيل: كيف قال ولا أدري عَلَامَ تَوَجَّعُ، ثم اتَّبَعَهُ بقوله تَلُومٌ على أَنْ أُضْطِىَ الْوَرْدَ لِقِحَّةً، وهل كَذَبَ نفسه؟ فالجواب أَنَّ قوله ما أدري إنكارٌ وتفظيُّعٌ لِلشَّانِ، والمتضجُّرُ بالشَّيء يقول ذلك وإن كان عالماً. وروى بعضهم «وَالْوَرْدَ» بالرفع وكان الأجود أن يقول: وما تستوي هي والورد، لأنَّ عطفَ الظاهرِ على الْمُضْمَرِ المرفوع ضعيفٌ حتَّى يُؤَكَّدَ. ويكون المعنى: وما تستوي أم سَهْلٍ وفَرَسِي في ذلك الوقت، لاختلاف غنائهما، ولأنَّ قُصَارَى تلك الهَرْبِ والدَّهْشِ، وغَنَاءَ فَرَسِي كونه عُدَّةً لِلدَّفَاعِ والدَّبِّ، والأوَّلُ أجود وأفصح وأسلم.

٣ - إِذَا هِيَ قَامَتْ حَاسِرًا مُشْمَعِلَةً نَحِيبَ الْفَوَادِ رَأْسَهَا مَا تُقَنِّعُ^(١)

هذا بيانُ الحالِ ساعة الْفَرْعِ، وموضع إذا نَضَبَ على أَنَّهُ بَدَلٌ من سَاعَةِ تَفْرَعُ، ويكون على ذلك قوله «هنالك يجزيني الذي كنت أضنُّ» من البيت الذي يليه مُتَقَطَّعًا، وإن كان بيانٌ عِلَّةٍ إشارته بِاللَّبَنِ وانتفاء المساواة بينه وبين المرأة. والمعنى: ما تُساوي هذه المرأة الْفَرَسَ إذا هي قامت بلا قِنَاعٍ، جَادَّةٌ فِي الْعَدُوِّ، مَنَحُوبَةٌ الْقَلْبِ، طائِرة اللَّبِّ، لا خِمَارَ عليها ولا قِنَاعَ، لَدَهْشِهَا في اختمارها، ودَهَابِهَا عن عاداتها وإفهامها. وقوله «مشمعلة» أي جَادَّةٌ فِي الْعَدُوِّ. وانتصب «رأسها» لأنه مفعولٌ مقدَّم. ويجوز أن

(١) التبريزي: «ما يَقْنَعُ».

يكون «إذا هي قامت» استئناف كلام، وحينئذ يكون جوابُ إذا قوله هنالك يجزيني الذي كنت أضنع.

٤ - وَفُئْتُ إِلَيْهِ بِاللَّجَامِ مُيَسَّرًا هُنَالِكَ يَجْزِينِي الَّذِي كُنْتُ أَضْنَعُ
يقول: وَفُئْتُ إلى فرسي في تلك الحال، مُهَيِّئًا له باللجام، للدِّفَاع والقتال. ثم قال: في ذلك الوقت يجزيني ما أَعَامِلُهُ به السَّاعَةَ من إِيْثَارٍ بَلْبَنٍ، وتضميرِ وصْنَعَةٍ. وقوله «مُيَسَّرًا» أي مُهَيِّئًا. وفي القرآن: ﴿فَسَيِّرُهُ لِّلْمُتَرَيِّفِ﴾ [الليل: الآية ١٠]. هنالك إشارة إلى الوقت، ويستعمل في المكان، ويقال هناك أيضًا فيهما. والعاملُ فيه هلهنا يجزيني.

١١٨ - وَقَالَ حُجْرُ بْنُ خَالِدٍ^(١): [الكامل]

١ - كَلْبِيَّةٌ عَلِقَ الْفَوَادُ بِذِكْرِهَا مَا إِنْ تَرَأَى لَهَا أَهْوَالَ
يقول: عَلِقَ الْفَوَادُ بِذِكْرِ امْرَأَةٍ كَلْبِيَّةٍ، لا تزال تُقَاسِي من أَجْلِهَا أَهْوَالَ، وتَحْمِلُ مَشَقَّاتٍ. قوله «عَلِقَ الْفَوَادُ بِذِكْرِهَا» يجوز أن يكون أَرَادَ عَلِقَ ذِكْرُهَا بِالْفَوَادِ فَقَلَّبَ، لأن المراد مفهومٌ، ويكون كقول الآخر: [الرملة]

عَلِقَ الْأَحْشَاءُ مِنْ هِنْدٍ عَلَقَ

وكما يقال عَلِقَ بِقَلْبِهِ عِلَاقَتُهُ. ويجوز أن يكون جَعَلَ الْفَوَادَ تَابِعًا لِلذِّكْرِ فَكَانَ تَعَلَّقَ بِهِ. وكلُّ شَيْءٍ وَقَعَ مَوْقَعُهُ قَبْلَ عَلِقٍ مَعَالِقُهُ. وجعل صدر البيت على الإخبار عنها، ثُمَّ نَقَلَ الْكَلَامَ إِلَى مَخَاطَبَةِ نَفْسِهِ. ويجوز أن يكون استمرَّ في الإخبار عنها ويكون المعنى: عَلِقَ الْفَوَادُ فَلَا تَرَأَى هِيَ تُقَاسِي أَنْتَ بِسَبَبِهَا أَهْوَالَ. و«إِنْ» من قوله «ما إِنْ» زيدت لتأكيد النفي.

٢ - فَأَقْنِي حَيَاءَكَ لَا أَبَا لِكَ إِنْسِي فِي أَرْضِ فَارِسٍ مُوْتَقٍّ أَخْوَالَ
أقبل يخاطب المرأة فقال: أَلْزَمِي حَيَاءَكَ، أي لا تفعلِي ما يُقَالُ نُسَيِّ الْحَيَاءِ مَعَهُ وَأَطْرَحَ، إِنْسِي مَحْبُوسٌ فِي أَرْضِ فَارِسٍ سَيْنِينَ لَا أَبَا لِكَ. وقوله «لَا أَبَا لِكَ» بَغْتُ وَتَحْضِيضُ، وليس بنفيٍّ لِلْأَبْوَةِ، وَخَبَرٌ لا مَحْذُوفٌ، لَأَنَّ الْمَعْنَى لَا أَبَاكَ، ودخلت

(١) التبريزي: «وقال حَجْر بن خالد بن محمود بن عمرو بن مرثد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة». وحجر: شاعر جاهلي كان معاصرًا لعمر بن كلثوم.

اللام مؤكدة للإضافة، لأن هذه إضافة لا تُخَصَّصُ، فسأغ تأكيدها باللام، ولو كانت الإضافة مخصصة لكان لا يعمل في أبا لك. وتقدير الخبر: لا أبا لك موجود. ويقال: قَنِي يَقْنِي، واقْنِي: أَمَرُ منه. وقنا يَقْنُو. قال المتلمس: [الطويل]

كَذَلِكَ أَقْنُو كُلَّ قِطٍّ مُضَلَّلٍ^(١)

وإنما قال: إني موثق ولم يكن قد أُسِرَ وأوثق، لعلمه بما يؤول إليه في مقصده أمره، كأنه لما وطّن نفسه على ترك التّحامي والاتقاء علم أن أحسن العاقبتين فيه الأسر، فذكره. ويكون هذا كقول الآخر: [الرجز]

قَدْ يَتَمِثْ بِنَتِي وَأَمَتْ كُنْتِي

فهذا وجه، ويجوز أن يكون قال هذه الأبيات بعد الأسر.

٣ - وَإِذَا هَلَكْتُ فَلَا تُرِيدِي حَاجِرًا غُصًّا وَلَا بَرَمًا وَلَا مِغْرَالًا

ليس قصده في هذه الوصاة إلى أن ينعثها على تخيير الرجال، أو يرشدها لوجه الانتخاب، وإنما المراد: اطلبي مثلي. وهو يعلم أنها لا تظفر بمن يماثله أو يقاربه. والغس: الضعيف. قال: [الطويل]

فَطَفَنَةُ لَا غُسٍّ وَلَا بِمُغْمَرٍ^(٢)

والبرم: الذي لا يَدْخُلُ مع القوم في الميسر، لضيق صدره وتبرمه بما يلتزم في مثله. والمِغْرَال: الذي لا يحمل السلاح، ويتناهى اعتزله ورفضه إياه. والأعزل مثله. ومثل هذا قول ابن أحمَر: [الوافر]

فإِذَا زَالَ سَرْجٌ مِنْ مَعَدٍّ وَأَجْدِزٌ بِالْحَوَادِثِ أَنْ تَكُونَا

فَلَا تَصْلِي بِمَطْرُوقٍ إِذَا مَا سَرَى فِي الْقَوْمِ أَضْبَحَ مُسْتَكِينَا

إِذَا شَرَبَ الْمُرِضَةُ قَالَ أَوْكِي عَلَى مَا فِي سِقَائِكَ قَدْ رَوِينَا

٤ - وَاسْتَبْدِلِي خَتَنًا لِأَهْلِكَ مِثْلَهُ يُغْطِي الْجَزِيلَ وَيَقْتُلُ الْإِبْطَالَ

(١) البيت في تاج العروس (قنو)، واللسان (قنو) وصدره:

«ألفيته بالثني من جذب كافر»

(٢) لزهير بن مسعود في اللسان (غسس) ونوادر أبي زيد ٧٠، وصدره:

«فلم أرقه إن ينبج منها وإن يمت»

يقال: اعتاضني مَنِي لأَهْلِكَ خَتَنًا مِثْلَ ذَلِكَ الْخَتَنِ، يُعْطِي عَطَاءً جَزَلًا، وَيَقْتُلُ الْأَبْطَالَ بَطْلًا فَبَطْلًا. ومثله يرتفع بالابتداء، وما بعده في مَوْضِعِ الْخَبَرِ لَهُ، والجملة في مَوْضِعِ الصِّفَةِ لِلْخَتَنِ، ولا يجوز نصب «مِثْلُهُ».

٥ - غَيْرَ الْجَدِيرِ بَأَن تَكُونُ لَقُوحُهُ رُبًّا عَلَيْهِ وَلَا الْفَصِيلُ عِيَالًا

هذا أيضًا من صِفَةِ الْخَتَنِ. يقول: لا يكون خَلِيقًا بَأَن يكون مَمْلُوكًا لِمَالِهِ لَا مَالَكَا، وَيَحُلُّ الْفَصِيلُ مِنْهُ مَحَلَّ الْعِيَالِ لَا مَحَلَّ الْمَالِ. وهذا كما قال الْآخَرُ: [الوافر]

فَلَا وَاللَّهِ مَا لَبَسَنِي بَرَبٌ وَلَا لَحِمِي عَلَيَّ وَلَا سِلَاطِي^(١)

وَاللَّقُوحُ صِفَةٌ، يُقَالُ نَاقَةٌ لَقُوحٌ إِذَا كَانَ بِهَا لَبَنٌ، وَجَمْعُهُ لُقُوحٌ قَالَ الْخَلِيلُ: فَإِذَا أَرَادُوا اسْتِعْمَالَهَا عَلَى حَدِّ الْأَسْمَاءِ قَالُوا لِقْحَةً، يُقَالُ: هَذِهِ لِقْحَةُ فُلَانٍ، لِلثَّاقَةِ الْحَلُوبِ - وَلَا يُقَالُ نَاقَةٌ لِقْحَةً - وَالْجَمِيعُ لِقَاحٌ.

١١٩ - وَقَالَ ابْنُ رُمَيْضِ الْعَنْبَرِيِّ^(٢): [مشطور الرجز]

١ - بَاتُوا نِيَامًا وَابْنُ هِنْدٍ لَمْ يَنَمْ

٢ - بَاتَ يُقَاسِيهَا غُلَامٌ كَالرَّزَمِ

يقول: مَكَثَ النَّاسُ نَائِمِينَ فِي لَيْلِهِمْ، وَهَذَا الرَّجُلُ لَمْ يَنَمْ، لِأَنَّهُ كَانَ بَيَّتَ لِلْغَارَةِ، ثُمَّ قَالَ «بَاتَ يَقَاسِيهَا»، أَيِ يُعَانِي الْغَارَةَ كَيْفَ يُوقِعُهَا وَيُدَبِّرُهَا مَتَى يَأْخُذُ فِيهَا، غُلَامٌ مُذْمُوجُ الْخَلْقِ خَفِيفٌ ثَقَفٌ مُشَمَّرٌ، كَأَنَّهُ قَدْخٌ. يَعْنِي ابْنُ هِنْدٍ. وَالرَّزَمُ بَفَتْحِ الزَّاءِ وَضَمُّهَا: الْقَدْخُ كَانَ يُسْتَقْسَمُ بِهِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ ذَلِكُمْ فَسُقُوءٌ﴾ [الْمَائِدَةُ: الْآيَةُ ٣]. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمُضْمَرِّينَ فِي بَاتُوا الْمَغَارَ عَلَيْهِمْ.

٣ - خَدَلَجَ السَّاقِينَ خَفَاقَ الْقَدَمِ

٤ - قَدْ لَفَّهَا اللَّيْلُ بِسَوَاقٍ حُطَمٍ^(٣)

يُصِفُهُ بِأَنَّهُ غَلِظَ السَّاقِينَ، وَلَوْطَيْهِ الْأَرْضَ صَوْتٌ، وَلَقَدَّمَهُ خَفَقٌ، وَهُوَ سُرْعَةٌ الْخَطْوِ مَعَ ضَرْبِ الْأَرْضِ بِهَا، كَأَنَّهُ يَشِيرُ بِهَذَا إِلَى ثَبَاتِهِ وَقُوَّتِهِ فِي الْعَمَلِ وَالسَّيْرِ،

(١) البيت للنمر بن تولب في ديوانه ٣٢٩.

(٢) التبريزي: «وقال رشيد بن رميض العنبري، العنزّي».

(٣) التبريزي: «لسواقٍ حُطَمٍ».

وشدة بلائه وصبره على الكد. وقوله «قد لَفَّها» يريد الإبل. وجعل الفعل لليل على المجاز. والمعنى: جَمَعَهَا بِرَجُلٍ مُتْنَاهِي الْقُوَّة، عنيف السُّوقِ، يَكْسِرُ الطرائدَ بَعْضًا على بعضٍ، لِقَلَّةِ رَفِقِهِ وكثرة عَشْفِهِ، ولأنه قليل الفِكْرِ فيها إذ كانت حُصِّلَتْ بالغارة، فَإِنْ سَلِمَتْ فِيهِ غُثْمٌ، وَإِنْ تَلَفَتْ فَلَيْسَتْ بِغُزْمٍ، فَالْعَوَضُ مِنْهَا بِالْقُرْبِ. وقوله «حُطِمَ» بناءً للمبالغة، وهو من الحَطَمِ الكسر.

٥ - لَيْسَ بِرَاعِيٍ لِإِبِلٍ وَلَا غَنَمٍ

٦ - وَلَا بِجَزَّارٍ عَلَى ظَهْرِ الْوَضْمِ^(١)

يقول: لا يَزُقُّ هذا الرجل بوسائقه رِفَقَ الرُّعَاةِ، وَلَا رِفَقَ الْجَزَّارِ، وذلك أن الراعي مُكْتَرَى لاستصلاح مَرْعِيَّهِ، وحفظ ما ضُمَّ إليه بِجَهْدِهِ، وَالْجَزَّارُ لَا يَسْتَهْلِكُ مَالَهُ وَلَا يَغْنُفُ غَنَفَ مَنْ لَا يُبَالِي بِهِ. وهذا صِفَةُ الْمَغْوَارِ الْقَلِيلِ الْفِكْرِ فِي فَسَادِ مَا يَخُوبِهِ مِنْهَا، الذَّاهِبِ عَنْ اسْتِبْقَائِهَا، لَا يُبَالِي كَيْفَ اسْتَوْسَقَتْ، وَعَلَى أَيِّ حَالَةٍ تَحَصَّلَتْ.

١٢٠ - وَقَالَ جَعْفَرُ بْنُ عَلْبَةَ الْحَارِثِيُّ^(٢): [الطويل]

١ - أَلَا لَا أُبَالِي بَعْدَ يَوْمِي بِسَخْبَلٍ إِذَا لَمْ أُعَذِّبْ أَنْ يَجِيءَ حِمَامِيَا

يقول: اسْتَقَيْتُ مِنْ أَعْدَائِي يَوْمَ سَخْبَلٍ - وهو اسم وادٍ - وَأَدْرَكْتُ أَثَارِي عِنْدَهُمْ فَلَا أُبَالِي بِدُنُوِّ مَوْتِي بَعْدَهُ إِذَا لَمْ يُعَذِّبْنِي اللَّهُ تَعَالَى تَبَارَكَ اسْمُهُ، إِذْ كُنْتُ نِلْتُ أُمْنِيَّتِي، وَقَضَيْتُ مَأْرَبَتِي. وَالَّذِي تَنَاولَهُ قَوْلُهُ «لَا أُبَالِي» هُوَ أَنْ يَجِيءَ حِمَامِيَا، وَيُقَالُ: لَا أُبَالِي كَذَا وَلَا أُبَالِي بِكَذَا. وَإِذَا لَمْ أُعَذِّبْ ظَرْفٌ لِلأُبَالِي، أَيْ لَا أُبَالِي بِالموت إِذَا سَلِمْتُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. وَإِنَّمَا أَتَى بِإِذَا رَجَاءً أَنْ يَكُونَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ. وَقَدْ مَضَى الْقَوْلُ فِي أُبَالِي وَأَصْلُهُ وَمَا اسْتَقَرَّ عَلَيْهِ فِي الِاسْتِعْمَالِ، وَأَنْ قَوْلُهُمْ لَا أُبَالِيهِ بِأَلَّةٍ أَصْلُهُ عِنْدَ سَبْيُوهِ بِأَلَّةٍ فَخُفَّفَ. وَقَدْ ذَهَبَ غَيْرُهُ إِلَى أَنَّهَا مَقْلُوبَةٌ، وَيَقُولُ فِي بِأَلَّةٍ إِنَّهَا فَعْلَةٌ، وَإِنْ أَلْفَهَا مَنْقَلَبَةٌ عَنْ وَاوٍ، وَأَنْ أُبَالِي كَانَ أُبَاوِلَ أَيْ لَا أَكْأَثِرُ، ثُمَّ وُضِعَ مَوْضِعَ لَا أَخْمِلُ وَلَا أَكْثَرْتُ. وَلِلتَّرْجِيحِ وَالنَّظَرِ فِي الْمَسْأَلَةِ مَوْضِعٌ غَيْرُ هَذَا.

(١) بعد هذا الشطر شطر آخر عند التبريزي:

«مَنْ يَلْقَنِي يُوَدُّ كَمَا أُوَدُّ إِزَمٌ»

(٢) التبريزي: «وقال جعفر بن علبه الحارثي حين لقي بني عقيل».

٢ - تَرَكْتُ بِجَنْبَيْ سَخْبَلٍ وَتَلَايِهِ مُرَاقٍ دَمٍ لَا يَبْرُحُ الدَّهْرَ ثَاوِيَا

أخذ يقتص ما هوّن عليه الموت من فِغْلِهِ، فيقول: تركت بجانبَي هذا الوادي ومسائل مياهه مَضُوبَ دَمٍ، يلزم ذلك المكان على مرور الأيام فلا يبرح. وقوله «ثَاوِيَا» مِنْ ثَوَى بِالْمَكَانِ، إِذَا أَقَامَ. يقال ثَوَى وَاثَوَى جَمِيعًا. وقوله «مُرَاقٍ دَمٍ» يجوز أن يريد موضعاً أريق به دَمٌ، كما يجوز أن يريد به دَمًا مُرَاقًا، ولكنه إذا أريد به الموضع يكون لا يبرح من صفة الدَمِ، ويجوز أن يريد به رجلاً أريق دمه ويكون كقولك هو حَسَنٌ وَجْهِ. وذكر بعضهم أن المراد مُرَاق دَمٍ لا يزال ذكره باقياً على الدهر فحذف المضاف. والتَّلَاعُ: جَمْعُ تَلْعَةٍ، وهي أرض مرتفعة يتردد فيها السَّيْلُ إلى بطن الوادي. ومن الاستعارة الحسنة: فَلَانٌ لَا يُوثِقُ بِسَيْلٍ تَلْعَتِهِ، إذا كان غير صدوقٍ في أخباره.

٣ - إِذَا مَا أَتَيْتَ الْحَارِثِيَّاتِ فَاثْنَعْنِي لَهْنٌ وَخَبْرُهُنَّ أَنْ لَا تَلَاقِيَا

هذا كلامٌ رجل يونسُ أَجَبْتُهُ من نفسه لاستقتاله، أو لأنه مُنِيَّ بما لم يَزُجُ الخلاصَ منه. فقال: إِذَا زُرْتِ نِسَاءَ بَنِي حَارِثَةَ فَأَذْكُرْ مَوْتِي لَهْنٌ، وأعلمهنَّ أنه لا التقاء بيني وبينهن. فقوله «أَنْ لَا تَلَاقِيَا» أَنْ مَخْفَقَةٌ مِنْ أَنَّ الثَّقِيلَةَ، واسمه مُضْمَرٌ، وَتَلَاقِيَا نَضَبٌ بِلَا وَخَبَرُهُ مَحذُوفٌ، المرادُ لَا تَلَاقِي لَنَا، والهاءُ في أَنَّهُ ضَمِيرُ الشَّانِ وَالْأَمْرِ، وَالْجُمْلَةُ خَبَرٌ أَنْ. وهذا البيت مع ما بَعْدَهُ لِمَالِكِ بْنِ الرَّيْبِ فِيمَا أَظُنُّ، وانضمًّا إلى أبيات جَعْفَرِ بْنِ عُثْبَةَ عَلَى سَبِيلِ الْغُلْطِ.

٤ - وَقَوِّدْ قَلُوصِي فِي الرِّكَابِ فَإِنَّهَا سَتُضْجِكُ مَسْرُورًا وَتُبْكِي بَوَاكِيًا

يقول: وَأَكْثِرْ قَوِّدَ نَاقَتِي حَالًا بَعْدَ حَالٍ، فَإِنَّ الْأَعْدَاءَ يَشْمَتُونَ إِذَا اسْتَدْلُوا بِهَا وَيَضْحَكُونَ سُرُورًا، وَالْأَصْدِقَاءُ ذَوَاتُ الشَّفَقَةِ يَغْتَمُونَ فَيَبْكُونَ تَوَجُّعًا، وَهَذَا الْكَلَامُ تَحْزُنٌ وَتَحَسُّرٌ. وقوله «سَتُضْجِكُ مَسْرُورًا وَتُبْكِي بَوَاكِيًا» مِنْ بَابِ وَضَفَ الشَّيْءُ بِمَا يُوَوِّلُ إِلَيْهِ، وَمِثْلُهُ قَوْلُهُمْ: خَرَجْتَ جَوَارِجُهُ، وَقَوْلُ الْفَرَزْدَقِ: [الطويل]

فَقَتَلْتُ قَتِيلًا لَمْ يَرَ النَّاسُ مِثْلَهُ

وَالْقُلُوصُ، قَالَ الْخَلِيلُ: هِيَ النَّاقَةُ الْبَاقِيَةُ عَلَى السَّيْرِ، لَا تَزَالُ قُلُوصًا حَتَّى تَبْزَلَ، وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ قُلُوصًا لِطُولِ قَوَائِمِهَا وَلَمْ تَجْسُمْ بَعْدُ.

١٢١ - وقال آخر^(١): [الطويل]

١ - لَعَمْرِي لَرَهْطُ الْمَرْءِ خَيْرٌ بَقِيَّةً عَلَيْهِ وَإِنْ عَالُوا بِهِ كُلَّ مَرْكَبٍ
 خَيْرٌ «لَعَمْرِي» مُضْمَرٌ وَلَا يَجُوزُ إِظْهَارُهُ، وَهُوَ قَسَمٌ، وَلَا يَجُوزُ أَيْضًا فِيهِ إِلَّا فَتْحُ
 الْعَيْنِ، وَلَرَهْطُ جَوَابُهُ. وَالرَّهْطُ يَقَعُ عَلَى مَا دُونَ الْعَشْرَةِ، وَلِهَذَا دَخَلَ عَلَيْهِ مِنَ الْأَسْمَاءِ
 أَسْمَاءَ الْأَحَادِ فَقِيلَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ. وَمِثْلُهُ نَقَرٌ، وَلَوْ كَانَ يَقَعُ عَلَى الْكَثِيرِ لَمَا جَازَ لَكَ فِيهِ
 إِلَّا تَرَى أَنَّكَ لَا تَقُولُ ثَلَاثُ إِبِلٍ. وَانْتِصَابُ «بَقِيَّةً» عَلَى التَّمْيِيزِ، وَمَوْضِعُ «وَأَنْ عَالُوا
 بِهِ» نَضْبٌ عَلَى الْحَالِ لِلرَّهْطِ، وَجَوَابُ الشَّرْطِ فِيمَا دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ «خَيْرٌ بَقِيَّةً». وَقَوْلُهُ
 «كُلُّ مَرْكَبٍ» يَرِيدُ بِهِ كُلَّ مَرْكَبٍ مَذْمُومٍ. وَعَالَيْتُ بِفُلَانٍ بِمَعْنَى أَعْلَيْتُهُ. وَمَعْنَى الْبَيْتِ:
 وَبِقَائِي، لَعِتْرَةُ الرَّجُلِ أَحْسَنُ إِبْقَاءٍ عَلَيْهِ، وَأَكْثَرُ حَشْمَةً لَهُ، وَإِنْ أَزَكَّبُوهُ مَرَكَبَ صَغْبَةٍ
 مَكْرُوهَةٍ، وَأَنْزَلُوهُ مَنَازِلَ حَزَنَةٍ مَذْمُومَةٍ.

٢ - مِنَ الْجَانِبِ الْأَقْصَى وَإِنْ كَانَ ذَا غَنًى جَزِيلٍ وَلَمْ يُخْبِرْكَ مِثْلُ مُجَرَّبٍ
 تَعَلَّقَ «مِنْ» بِقَوْلِهِ خَيْرٌ بَقِيَّةً، لِأَنَّ مَعْنَاهُ أَفْعَلُ الَّذِي يَتِمُّ بِمِنْ. يَقُولُ: هُمْ أَحْسَنُ
 إِبْقَاءٍ عَلَيْهِ مِنَ الْغَرِيبِ الْأَبْعَدِ، وَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ مُحْتَشِمًا فِي نَفْسِهِ غَنِيًّا، وَمُعْظَمًا مَهِيًّا.
 وَقَوْلُهُ «وَأِنْ كَانَ ذَا غَنًى» فِي مَوْضِعِ الْحَالِ أَيْضًا. وَالْجَانِبُ يَرَادُ بِهِ الْجَنْسُ لَا وَاحِدٌ
 بَعِيْنُهُ. وَقَوْلُهُ «وَلَمْ يُخْبِرْكَ مِثْلُ مُجَرَّبٍ» يَجْرِي مَجْرَى الْإِلْتِفَاتِ، وَهُوَ تَوْكِيدٌ لِلْخَبَرِ
 الَّذِي أَوْرَدَهُ، وَتَحْقِيقٌ لِمَا أَنْبَأَ بِهِ وَشَرَحَهُ، وَأَنَّ مَا قَالَهُ عَنْ تَجَرُّبَةٍ وَخَبْرَةٍ، لَا عَنْ سَمَاعٍ
 وَخَبَرٍ.

٣ - إِذَا كُنْتَ فِي قَوْمٍ وَلَمْ تَكُ مِنْهُمْ فَكُلَّ مَا عُلِفَتْ مِنْ خَبِيثٍ وَطَيْبٍ
 هَذَا الْكَلَامُ تَحْذِيرٌ مِنَ الْإِغْتِرَارِ بِالْأَجَانِبِ، وَالِاسْتِنَامَةِ إِلَى نَاحِيَتِهِمْ، وَيَعْنَى عَلَى
 طَلَبِ مُوَافَقَتِهِمْ وَتَرْكِ الْخِلَافِ عَلَيْهِمْ، بَعْدَ الْحَصُولِ فِيهِمْ، وَأَنَّ اسْتِعْمَالَ الْإِدْلَالِ
 مَعَهُمْ، وَالْأَخْذَ بِالْمُضَاقِقَةِ فِي إِفْيَاقِهِمْ وَالِاسْتِيفَاءِ مِنْهُمْ غَيْرُ وَاجِبٍ. وَيُرْوَى: «فِي قَوْمٍ
 عِدَى لَسْتُ مِنْهُمْ» وَيَكُونُ مَعْنَى لَسْتُ مِنْهُمْ: وَأَنْتَ لَا تَهْوَى هَوَاهُمْ. وَالْعِدَى يَقَعُ
 عَلَى الْوَاحِدِ وَالْجَمِيعِ، يَقَالُ: رَجُلٌ عِدَى، وَقَوْمٌ عِدَى، أَيْ بُعْدٌ غَرِيبًا. وَقَوْلُهُ «كُلَّ مَا
 عُلِفَتْ» مِثْلٌ. وَمِثْلُهُ:

وَلَا تَطْعَمَنَّ مَا يَغْلِفُوكَ

(١) الأبيات في الحيوان ١٠٣: ٣، والبيان ٢٥٠: ٣ لخالد بن نضلة، وفي ديوان الحماسة برواية الجواليقي قال: «رويت لنهشل بن حري».

وكان العلف مختص بهذا المعنى؛ فلأني لم أجده في غيره.

١٢٢ - وقال البرج بن مسهر^(١): [الوافر]

١ - فَنِعْمَ الْحَيِّ كَلْبٌ غَيْرَ أَنَا رَأَيْنَا فِي جَوَارِهِمْ هَنَاتِ

هذا الكلام تهكم وسخرية، وجاز أن يأتي به بلفظ المذح لأنه بما بعده تبيين الغرض؛ فيكون أبلغ في الهزء. والهئات: الأمور المنكرة، ولا تستعمل إلا في الشَّرِّ، وهي جمع هَنَةٍ، وإنما يُكْنَى بها عن المَحَقَّرات، كأنه يرى الإبقاء والمجاملة، ويُجري الأمر على المَدَاجاة وتزك المجاهرة. وقد يُجْمَعُ هَنَةٌ على هَنَاتٍ، فمن ردّ اللام في الجمع رَدَّهُ في النسبة أيضًا، ومن لم يَرُدَّهُ فهو في النسبة بالخيار، إن شاء قال هَنِيٌّ وإن شاء قال هَنَوِيٌّ. فيقول: قبيلة كلب محمودة في الأخياء، غير أنا مُنِينَا في جوارهم بدواه وبليتنا بمُنَكَّرَاتٍ، والاستثناء في هذا المكان يكون منقطعًا. وكان فارق قومه طَيِّبًا مُرَاعِمًا وجاور كلبًا فلم يَحْمَدْ جَوَارَهُمْ ففارقهم دائمًا لهم.

٢ - وَنِعْمَ الْحَيِّ كَلْبٌ غَيْرَ أَنَا رُزِينَا مِنْ بَنِينَ وَمِنْ بَنَاتِ

يريد مثل ما أراد في البيت الأول من السخرية. ومعنى رُزِينَا: أَصْبْنَا ببنين وبَنَاتٍ. ويقال: فلان مُرَزٌّ في ماله فيكون مَذْحًا، وفلان مرزًا في أهله فيكون تَرَحُّمًا وتَوَجُّعًا. ومثل هذا التهكم قول الآخر^(٢): [المنسرَح]

فَدَى لِسَلْمَى ثَوْبَايَ إِذْ دَنَسَ الْ قَوْمُ وَإِذْ يَدْسُمُونَ مَا دَسُمُوا

فالتفدية ههنا كالمذح بنعم ثم. وقوله «من بنين» من دَخَلَ لِلتَّفْضِيلِ، كأنه قال: رُزِينَا أَنَا مِنْ بَنِينَ وَمِنْ بَنَاتٍ، ومفعول رُزِينَا محذوف، ويجوز أن يكون ذاد من في الواجب على ما أجازهُ الأَخْفَش وحكاه عنهم من قولهم: «قد كان من مطر فخل عُنِّي»، فيكون المراد رُزِينَا ببينين وبَنَاتٍ.

٣ - فَإِنَّ الْغَدَرَ قَدْ أَمْسَى وَأَضْحَى مُقِيمًا بَيْنَ خَبَتْ إِلَى الْمَسَاتِ^(٣)

(١) البرج بن مسهر بن جلاس الطائي: شاعر، من معمرى الجاهلية. (ت ٣٠ ق. هـ / ٥٩٥ م). ترجمته في الأعلام ١٧: ٤.

(٢) للجميع الأسدي في المفضليات ٤٠: ١، وبلا نسبة في التبريزي ٢٥٧: ١.

(٣) المسات: ضبطها ياقوت بالضم وكذلك التبريزي.

يقول زارياً عليهم ومبيّناً: إِنَّهُ نَالَهُمْ مَا نَالَهُمْ لَأَن الْعَذْرَ مُقِيمٌ فِيمَا بَيْنَ دِيَارِهِمْ، وَمِمَّا انْطَوَى عَلَيْهِ أَحْشَاؤُهُمْ: وَفَائِدَةُ قَوْلِهِ أَمْسَى وَأَصْحَى بَيَانُ اتِّصَالِ الرَّقْتِ. وَقَوْلُهُ «فَلِإِنَّ الْعَذْرَ» الْفَاءُ رَظَطُ الْجُمْلَةِ الَّتِي بَعْدَهَا بِمَا تَقَدَّمَ وَرَثَبُهَا عَلَيْهِ، كَأَنَّهُ قَالَ: قَاسَوْا مَا قَاسَوْهُ فِي جَوَارِهِمْ فَلِإِنَّهُمْ غَادِرُونَ. وَخَبَبْتُ وَالْمَسَاتُ: مَاءَانٍ لِكَلْبٍ. يَقُولُ: الْعَذْرُ مُقِيمٌ فِي كَلْبٍ بَيْنَ هَٰذَيْنِ، أَيِ فِي أَوَّلِ دِيَارِهِمْ وَآخِرِهَا.

٤ - تَرَكْنَا قَوْمَنَا مِنْ حَرْبٍ عَامٍ أَلَا يَا قَوْمِ لِلْأَمْرِ الشَّتَاتِ

هَذَا الْكَلَامُ اقْتِصَاصٌ لِحَالِهِ وَإِظْهَارٌ لِلتَّأْسُفِ عَلَى مَجَاوِزَةِ كَلْبٍ، وَالتَّوَدُّعِ عَلَى مَا اتَّفَقَ مِنْ مَفَارِقَةِ الْعَشِيرَةِ: وَقَوْلُهُ «يَا قَوْمِ لِلْأَمْرِ الشَّتَاتِ» تَعْجِبٌ. وَالشَّتَاتُ: مَصْدَرٌ وَصِفٌ بِهِ. وَاللَّامُ فِي الْأَمْرِ لَامُ الْإِضَافَةِ، لَكِنْ فَائِدَتُهُ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ التَّعَجُّبِ، وَأُتِيَ بِهِ مَعَ الْمَدْعُوِّ. وَقَدْ يَقَالُ يَا لَزَيْدٍ فَيَكُونُ الْمُتَنَادِي مُحَذَوْفًا. وَهَذِهِ اللَّامُ تَدْخُلُ مَفْتُوحَةً فِي الْمُتَنَادِي وَيُرَادُ بِهِ الْاعْتِرَافُ، كَقَوْلِكَ يَا لَبَكْرٍ وَيَا لَتَمِيمٍ. فَيَقُولُ: انْتَقَلْنَا عَنْ قَوْمِنَا وَفَارَقْنَاهُمْ مِنْذُ زَمَنِ الْحَرْبِ الَّتِي اتَّفَقْتَ بَيْنَنَا عَامًا أَوَّلًا. ثُمَّ أَخَذَ يَسْتَعْطِفُهُمْ، وَيَتَذَمُّهُمْ مِنْ مَرَاغَمَتِهِمْ، وَيُظْهِرُ الْحَاجَةَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ: يَا قَوْمَهُ أَقْبِلُوا لِمَا تَشْتَتُ مِنْ أَمْرِنَا، وَاخْتَلُّ مِنْ حَالِنَا. وَقَوْلُهُ «مِنْ حَرْبٍ عَامٍ» جَعَلَ مِنْ بَدَلٍ مُثَدِّ، لِأَنَّهُ فِي الْمَكَانِ مِثْلُهُ فِي الزَّمَانِ، كَمَا قَالَ زُهَيْرٌ: [الكَامِل]

أَقْوَيْنَ مِنْ حِجَجٍ وَمِنْ دَفَرٍ^(١)

٥ - وَأَخْرَجْنَا الْأَيَّامِي مِنْ حُصُونٍ بِهَا دَارُ الْإِقَامَةِ وَالثُّبَاتِ

يَقُولُ: أَخْرَجْنَا النِّسَاءَ اللَّاتِي صِرْنَ أَيَّامِي مِنْ مَقَرِّ عَزْهِنَّ، وَدَارِ أَمْنِهِنَّ، إِلَى جَوَارِ كَلْبٍ، حَتَّى اتَّفَقَ عَلَيْهِنَّ مِنَ الْأَعْدَاءِ مَا اتَّفَقَ، وَمِنْ حُلُولِ الرِّزَايَا وَمَقَاسَاةِ الْهَنَاتِ بِهِنَّ مَا أَقْلَقَ. وَوَصَفَ النِّسَاءَ بِمَا آلَ إِلَيْهِ أَمْرُهُنَّ مِنَ الْإِيْمَةِ، وَإِنْ كُنَّ وَقْتُ الْإِخْرَاجِ ذَوَاتِ بُعُولٍ. وَمِثْلُهُ قَوْلُ الْآخَرِ: [الطَوِيل]

سَتَضْحِكُ مَسْرُورًا وَتُبْكِي بَوَاكِيًا^(٢)

(١) لزهير بن أبي سلمى في ديوانه ٨٦، وأسرار العربية ٢٧٣، وخزانة الأدب ٤٣٩: ٩، والشعر والشعراء ١٤٥: ١. وصدرة:

«لَمَنِ الدِّيارُ بِقِنَةِ الْحَجَرِ»

(٢) لِمَالِكِ بْنِ الرِّيبِ فِي دِيوانِهِ ٤٧، وَاللِّسانُ (بِرْد)، وَالْأَمالي ١٣٨: ٣، وَالْخزانة ٣١٩: ١. وَصدرة:

«وَعَطَّلَ قُلُوصِي فِي الرِّكابِ فَلِإِنَّهَا»

وفي القرآن: ﴿إِنِّي أَرْسَلْتُ أَهْبِيرَ خَمْرًا﴾ [يوسف: الآية ٣٦]. وأيامي: جمع أيام، ويقع على الرجل والمرأة. والفعل منه أم، أي بقي بلا زوج. وهو من الفعل فَعِيلٌ، وجمعه أيام على فياعل. وأيامي مقلوبٌ كأنه قُدِّمَ اللام على العين فصار أيامي على فيالع، ثم فرؤوا من الكسرة وبعدها ياء إلى الفتحة، فانقلبت أَلْفًا.

٦ - فلان تَرْجِعْ إِلَى الْجَبَلَيْنِ يَوْمًا نَصَالِحَ قَوْمَنَا حَتَّى الْمَمَاتِ

هذا إظهار رَغْبَةٍ فِي الرُّجُوعِ إِلَى الْعَشِيرَةِ، وَمَعَاوِدَةِ الْوَطَنِ وَالْمَحَلَّةِ. يَقُولُ: إِنْ اتَّفَقَ لَنَا عَوْدَةٌ إِلَى بِلَادِنَا تَرَكْنَا الْخِلَافَ عَلَى ذَوِينَا، وَأَقَمْنَا بِهَا إِلَى انْقِضَاءِ الْأَجَلِ، وَاسْتِنْفَادِ الْمَهْلِ. وَيَعْنِي بِالْجَبَلَيْنِ أَجَا وَسَلَمَى: جَبَلَيْنِ طَيِّبَيْنِ. وَقَوْلُهُ «حَتَّى الْمَمَاتِ» أَرَادَ بِهِ إِلَى حِينِ الْمَمَاتِ، فَحَذَفَ الْمُضَافَ. وَالْمَمَاتُ يَكُونُ مُصَدَّرًا، وَإِنْ جَعَلْتَهُ اسْمًا لِلْحَيْنِ فَلَا حَذْفَ.

١٢٣ - وَقَالَ مُوسَى بْنُ جَابِرٍ: [الكامل]

١ - لَا أَشْتَهِي يَا قَوْمُ إِلَّا كَارِهًا بَابَ الْأَمِيرِ وَلَا دِفَاعَ الْحَاجِبِ

يَصِفُ بِهَذَا الْكَلَامَ مِثْلَهُ إِلَى الْبَدْوِ، وَتَفْضِيلَهُ رِجَالَهُ عَلَى رِجَالِ الْحَضَرِ، فَيَقُولُ: لَا أَتَمْنَى وَرُودَ بَابِ الْأَمْرَاءِ، وَمُدَافَعَةَ الْحُجَابِ، وَلَا أَعْلَقُ شَهْوَتِي بِهِمَا إِلَّا عَلَى كَرَاهٍ وَعَنْ دَاعِيَةٍ عَارِضَةٍ؛ إِذْ كُنْتُ أَلْفَتْ الصَّحَارِي وَالْبَرَارِي، وَصَاحَبْتُ بِهَا مَنْ لَا تَمْلِكُنِي مَعَهُ جِسْمَةً، وَلَا يَصُدُّنِي دُونُهُ عِزَّةً. وَانْتَصَبَ «كَارِهًا» عَلَى الْحَالِ.

٢ - وَمِنَ الرِّجَالِ أَسِنَّةٌ مَذْرُوبَةٌ وَمُرْزُدُونَ شُهُودُهُمْ كَالْغَائِبِ

يَقُولُ: مِنَ الرِّجَالِ رِجَالٌ كَالْأَسِنَّةِ الْمَطْرُورَةِ، أَيْ يَمْضُونَ فِي الْأُمُورِ وَيَفْصِلُونَهَا نَفَادَ الْأَسِنَّةِ؛ وَمِنْهُمْ مُرْزُدُونَ. وَالْمُرْزُدُ: الْمُبْخُلُ الْمُقَلَّلُ. وَقِيلَ: الزُّنْدُ ضُرِبَ بِهِ الْمَثَلُ فِي الْقِلَّةِ. يَقَالُ: «زُنْدَانٍ فِي مُرْقَعَةٍ»، ثُمَّ قِيلَ هُوَ مُرْزُدٌ مُشْتَقٌّ مِنْهُ. وَقَوْلُهُ «شُهُودُهُمْ كَالْغَائِبِ» أَيْ لَا غِنَاءَ عِنْدَهُمْ، وَلَا دِفَاعَ بِهِمْ، فَحُضُورُهُمْ كَغَيْبَتِهِمْ، وَأَرَادَ بِالْغَائِبِ الْكَثْرَةَ لَا التَّوْحِيدَ. وَكَانَ مِنْ حَقِّ التَّقْسِيمِ أَنْ يَقُولَ: وَمِنْهُمْ مُرْزُدُونَ، لَكِنَّهُ اكْتَفَى بِمِنْ الْأَوَّلِ. وَمِثْلُهُ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ﴾ [هود: الآية ١٠٠]. وَسَمِعْتُ أَبَا عَلِيٍّ الْفَارِسِيَّ رَحِمَهُ اللَّهُ يَقُولُ: كُلُّ صِفَتَيْنِ تَتَنَافَيَانِ وَتَتَدَافِعَانِ فَلَا يَصِحُّ اجْتِمَاعُهُمَا لِمَوْصُوفٍ لَا بُدَّ لِإِضْمَارِ مَنْ مَعَهُمَا إِذَا قُضِلَ جُمْلَةُ بِهِمَا، مَتَى لَمْ يَجِءْ ظَاهِرًا، ثُمَّ

أَنشَدَ: [الطويل]

وما زودوني غَيْرَ سَخِي عِبَاءَةٍ وَخَمْسِ مِيٍّ مِنْهَا قَسِيٌّ وَزَائِفٌ^(١)
وقال: يريد ومنها زائف. وهذا كما تقول زَيْدٌ مُنْطَلِقٌ وَعَمْرُو، والمعنى وعمرو
منطلق، فحذف اكتفاءً بالخبر عن الأول، وعلمًا بأنَّ المنعطف ذلك حاله. قال: فإن
أمكن اجتماع الصفتين لموصوفٍ واحد استغني عن إضمار من، ذلك كقولك صاحبك
منهما ظريف وكريم.

٣ - مِنْهُمْ لِيُوثَّ لَا تُرَامُ وَيَغْضُهِمْ مِمَّا قَمَشَتْ وَضَمَّ حَبْلُ الْحَاطِبِ
يقول: من الرجال رجالٌ كالأسود عِزَّةً وَأَنْفَةً، لا يُطلب اقتسارهم واحتضامهم،
ومنهم متقاربون كالقماش واللغائف، جُمِعُوا على ما اتَّفَقَ من شيءٍ إلى شيء. كأنه لم
يُقْنِعْه ذلك التشبيه وتلك القسمة، فاستأنفهما على وجه آخر. وقوله «وبعضهم مما
قَمَشَتْ» ينوب فيه ذكر البعض عن قوله «ومنهم»، لأنَّ من للتبعيض فاستغنى به.
وقوله «وضمَّ حبلُ الحاطبِ» كقول الآخر: [الرجز]

وكلُّهُمْ يَجْمَعُهُمْ بَيْتُ الْأَدَمِ^(٢)

قال الأصمعي: لأنَّ بَيْتَ الْأَدَمِ يجمع الجيّد والردّيء، على تقارب بينهما، ففيه
من كلِّ جِلْدٍ رُقْعَةٌ. وكذلك الحاطب يجمع في حبله الجيّد والردّيء، والرُّطْب
واليابس، على تَدَانٍ بينهما. فإن قيل: وما الفائدة في إعادة التَّقْسِيمَ والتشبيه؟ فالجواب
أن يقال: كأنه صَنَّفَهُمْ في الأولى من حيث اختلفوا عنده في الأعمال والأخلاق،
وعلى توهُمِ تباعدِ بينهم، بدلالة قوله من الرِّجَالِ أَسِنَّةٌ ومنهم مزندون لا يُعْتَدُّ
بحضورهم، وبين الصفتين تفاوتٌ عظيم، وتباينٌ شديد. وَصَنَّفَهُمْ في الأخرى من
حيث اختلفوا فيها على توهُمِ تقاربٍ بينهم؛ لأنَّ فيمن يُقَمَّشُ من لا يُبَايِنُ المَبَايِنَةَ
الفاحشة، ولا يُخَالِفُ المخالفةَ المنكرة.

١٢٤ - وقال آخر^(٣): [الطويل]

١ - أَقُولُ لِنَفْسِي حِينَ خَوَدَ رَأْيُهَا مَكَانَكَ لَمَّا تُشْفِقُنِي حِينَ مُشْفَقِي

(١) لمزرد بن ضرار في ديوانه ٥٣، واللسان (زيف، سحق، قسا) وبلا نسبة في التبريزي ١: ٢٦١.

(٢) قبله: «الناس أضيافٌ وشتى في الشيم» وهو بلا نسبة في اللسان (حلب، آدم، سوا)، والتنبيه والإيضاح ١: ٦٨، وتاج العروس (خيف، آدم).

(٣) التبريزي «وقال آخر من بني أسد، قالها في يوم اليمامة».

يقال: حَوَّدَ رَأْلَهُ، للمذعور المرتع، والرَّأْل: فَرْخُ النَّعَامِ. وهذا مَثَلٌ. والتخويد: ضَرْبٌ مِنَ السَّيْرِ سَرِيعٌ. والتَّخْوِيدُ وَالْوَخْدُ وَالْحَذْيُ مُتَقَارِبَةٌ الْمَعْنَى، فِي أَنَّهَا تَفِيدُ ضَرُوبًا مِنَ الْمَشْيِ، وَيُوصَفُ بِجَمِيعِهَا النَّعَامُ. وَيُقَالُ فِي هَذَا الْمَعْنَى «زَفَّ رَأْلَهُ»، لِأَنَّ الزَّفِيفَ ضَرْبٌ مِنَ الْعَدُوِّ سَرِيعٌ أَيْضًا. وَفِي هَذِهِ الطَّرِيقَةِ قَوْلُهُمْ «طَارَ طَائِرُهُ». وَيَقُولُونَ: «هُوَ أَنْفَرُ مِنْ نَعَامٍ»، وَ«أَشْرَدُ مِنْ ظَلِيمٍ». وَمَعْنَى الْبَيْتِ: إِنِّي أَثْبِتُ نَفْسِي عِنْدَمَا يَبْدُو مِنْ دُغْرِ الْحَرْبِ، وَيَفْجَأُ مِنْ رَوْعَةِ الْقِتَالِ، فَأَخَاطِبُ نَفْسِي إِذَا هَمَّتْ بِالْإِحْجَامِ، أَوْ وَسَّوَسَ إِلَيْهَا وَجُوبُ الْإِنْهَازِ: أَلْزَمِي مَكَانَكَ لَمْ تُدْعِرِي وَقْتُ دُغْرِ. وَقَوْلُهُ «مَكَانَكَ» أَمْرٌ، وَهُوَ مَوْضُوعٌ مَوْضِعُ الْفِعْلِ الَّذِي عَمِلَ فِيهِ، وَمَكْتَفَى بِهِ عَنْهُ، فَهَذَا إِيْجَابٌ. وَقَوْلُهُ «لَمَّا تُشْفِقِي حِينَ مُشْفَقِي» تَأْنِيسٌ، أَي لَمْ تَخَافِي وَقْتُ مَخَافَةٍ. فَهِيَ كَلَامَانِ. وَالْإِشْفَاقُ: الدُّغْرُ، وَقَدْ يَخْتَلِطُ بِالْضُّحَى وَيَتَجَرَّدُ عَنْهُ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلَ فِيْ أَهْلِنا مُشْفِقِينَ﴾ [الطور: الآية ٢٦].

٢ - مَكَانَكَ حَتَّى تَنْظُرِي عَمَّ تَنْجَلِي عَمَايَةَ هَذَا الْعَارِضِ الْمَتَالِقِ^(١)

يقول: أَسْتَأْنِي وَأَتَرْفُقُ، وَأَقُولُ فِي تِلْكَ الْحَالَةِ، تَمَاسِكِي يَا نَفْسُ وَاحْفَظِي مَكَانَكَ إِلَى أَنْ يَتَبَيَّنَ لَكَ عَنْ أَيِّ شَيْءٍ تَنْكَشِفُ لَكَ ظِلْمَةُ هَذَا الْعَارِضِ الْمَتَشَقِّقِ بِالْبَرْقِ. وَالْعَارِضُ، أَصْلُهُ فِي السَّحَابِ، وَهَلْهَذَا أَرَادَ بِهِ الْجَيْشَ. وَجَعَلَ التَّالِقَ مَثَلًا لِلْمَعَانِ الْأَسْلِحَةِ. وَيُقَالُ ائْتَلَقَ الْبَرْقُ أَي تَلَأَلَا، وَتَأَلَّقَ. وَالْعَمَايَةُ: الظِّلْمَةُ وَالْهَبْوَةُ. وَيُرْوَى: «غَيَاةُ هَذَا الْعَارِضِ» وَهِيَ فِي طَرِيقِ الْعَمَايَةِ لِأَنَّهَا مِنَ الْعَيِّ وَالْعَمَى، وَقَدْ تَوَسَّعَ فِيْهَا. وَإِنَّمَا طَلَبَ مِنَ النَّفْسِ الصَّبْرَ إِلَى ذَلِكَ الْوَقْتِ، لِأَنَّ مَنْ ثَبَّتَ فِي الْحَرْبِ إِلَى انْكِشَافِ الْحَالِ فِيْهِ فَقَدْ أَعْطَاهَا حَقَّهَا.

١٢٥ - وَقَالَ مُوسَى بْنُ جَابِرٍ: [الطويل]

١ - وَقَلْتُ لَزِيدٍ لَا تُتَرَتِّزْ فِإِنَّهُمْ يَرَوْنَ الْمَنَائِيَا دُونَ قَتْلِكَ أَوْ قَتْلِي^(٢)

التَّرْتَرَةُ: الْعَجَلَةُ. وَحَكَى الدُّرَيْدِيُّ أَنَّهَا كَثْرَةُ الْحَرَكَةِ، فَهِيَ كَالْتَّلْتَلَةِ. وَرُويَ الْحَدِيثُ: «تَلْتَلُوهُ وَمَزْمِرُوهُ» بِالرَّاءِ وَاللَّامِ جَمِيعًا. وَيُرْوَى «لَا تُبْرِزْ»، وَالْبَرْزَةُ: كَثْرَةُ

(١) ذكر التبريزي بعد هذين البيتين بيتين آخرين:

وإن كذبت نفس المقصّر فاصدقي
كررنا ولم نحفل بقول المعوق

«وكوني مع التالي سبيل محمد
إذا قال سيف الله كزوا عليهم

(٢) التبريزي: «قلت لزيد».

الكلام، وكذلك الثُّرثرة بالشاء، وَرَجُلٌ ثَرثارٌ. ويقال: ما أَكْثَرَ بَزْبَرَتِهِمْ، إذا ما جُوا في الكلام. ومنه سُمِّيَ البَزْبَرُ: جِنْسٌ من المغاربة، وكذلك البَزْبَرَةُ بالزاي: كثرة الحركة. وقد رُوِيَ: «لا تُبْزِرْ». ويقال: ما أَكْثَرَ بَزْبَرَتِهِمْ، ورجل بَزْبَارٌ وبَزَابِرٌ، إذا كان يكثرُ حركاته ويخفُ فيقول: لا تَعَجَلْ يا زَيْدُ، أو لا تُكْثِرْ كلامَكَ ولا تَضْطَرِبْ، فَإِنَّ القومَ يَزَوْنَ الصبر على المنايا ويخفُ عليهم ويقلّ عندهم إذا ثبت فيه قَتْلُكَ أو قَتْلِي لهم. وانتَهَزُوا في تحصيل أحدهما قُرْصَهُمْ. ويكون «يَزَوْنَ» في هذا الوجه من الرأْي، كما يقال فلانٌ يَرى في دينه أو في مروءته كذا، أي يتَّخِذه مَذْهَبًا ويدومُ عليه. ويجوز أن يريد بِيَزَوْنَ المنايا: يُقَاسِمُونَ الشَّدائد، ويدوقون المنايا، ولم يَصِلُوا بَعْدُ إلى قَتْلِي أو قَتْلِكَ. ويكون معنى «دون قَتْلِكَ» كما يقال «دُونَ هذا الأمرِ خَرُطُ القَتَادِ»^(١)، وكما قال بِشْرٌ: [الطويل]

وَمِنْ دُونَ لَيْلَى ذُو بَحَارٍ وَمَنْوَرٌ^(٢)

ومعنى يَرى كما يُقال: لو عَلِمْتَ ماذا رَأَيْتُ من فلانٍ، يراد أي شيءٍ مَارَسْتُ وكَايَدْتُ. والكلام في المعنى الأول تصويرٌ لِحَالِ القوم في عداوتهم، ونَهْيٌ عن المعالجة مَعَهُمْ، وَيَعْنَى على مصابرتهم ومحاذرتهم. وعلى المعنى الثاني يكون تثبيتاً لصاحبه وتشجيعاً، وتسكيناً منه وتصبيراً، فيكون مثل قوله:

أَقُولُ لِنَفْسِي حِينَ خَوْدَ رَأْلَهَا^(٣)

وكان أبا تمامٍ تَصَوَّرَ هذا المعنى، فلذلك ألَحَقَ الأبيات بما يليها.

٢ - فَإِنْ وَضَعُوا حَزْبًا فَضَعَهَا وَإِنْ أَبَوْا فَعَرَضَهُ عَضُ الحَزْبِ مِثْلُكَ أَوْ مِثْلِي

يقول: إِنْ حَطُّوا الحربَ أَوْ أَطْرَحُوهَا، وراموا المسالمةَ والمُتارَكَةَ فيها، فَاتَّبِعْهُمْ في ذلك واقتَدِ بِهِمْ، وَإِنْ أَبَوْا إِلَّا الشَّرَّ فَالْقَوِيُّ عَلَى عِضَاضِ الحَزْبِ والصُّبُورِ عَلَى

(١) ورد في مجمع الأمثال ٣٧٥:١ بلفظ: «دون غُلَيَّانِ خِطُّ القَتَادِ، وغُلَيَّانِ اسمُ فحل، يضرب للمتَّعِ». للمتنع.

(٢) لبشر بن أبي خازم في ديوانه ٨٠ واللسان (نور)، وتاج العروس (بحر، نور)، ومعجم البلدان (بحار، منور). وصدرة:

«أليلى على بعد المزار تذكر»

(٣) البيت الأول من الحماسة رقم (١٢٤)، وعجزة:

«مكانك لما تشفقي حين مشفق»

لزامِهَا مِثْلُكَ أو مثلي، والمعنى: أنا وأنت. وهذا كما يقال: مثله لا يَغْتَاضُ منه، والمعنى هو لا يَغْتَاضُ منه. ويقول: فلانٌ غُرْضَةُ الشَّرِّ، إذا كان قويا عليه.

٣ - وَإِنْ رَفَعُوا الْحَرْبَ الْعَوَانَ الَّتِي تَرَى فَتُسَبِّ وَقُودَ الْحَرْبِ بِالْحَطْبِ الْجَزْلِ

جَعَلَ الرَّفْعَ فِي مَقَابِلَةِ الْوَضْعِ مِنَ الْبَيْتِ الْأَوَّلِ، وَالْمَعْنَى: إِنْ هَيَّجُوهَا. وَالْعَوَانَ: الَّتِي قُتِلَ فِيهَا مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى، فَتَقَادَمَ وَتَطَاوَلَ لَبِثُهَا، وَاتَّصَلَ هَيْجَانُهَا، وَاتَّسَعَ نَفْيَانُهَا، وَهَذَا عَلَى التَّشْبِيهِ بِالْعَوَانَ مِنَ النَّسَاءِ. فَهُوَ كَمَا وَصَفَهَا غَيْرُهُ - لَمَّا أَرَادَ ابْتِدَاءَهَا وَجِدَتْهَا - بِأَنَّهَا فَتَاةٌ وَيَكْرُ، فَقَالَ: [الكامل]

الْحَرْبُ أَوَّلُ مَا تَكُونُ فَتِيَّةٌ تَسْعَى بِرِزْتِهَا لِكُلِّ جَهُولٍ^(١)

وَقَدْ اسْتَعْمَلُوا الْبِكْرَ وَالْعَوَانَ فِي الْحَاجَاتِ أَيْضًا، فَقَالَ: هِيَ بِكْرٌ حَاجَاتِي، وَحَاجَتِي بِكْرٌ، وَحَاجَتُكَ عَوَانٌ. يَقُولُ: وَإِنْ أَجْجُوا نَارَ الْحَرْبِ الْعَوَانَ الَّتِي تَشَاهِدُ وَاسْتَجَاشُوا لَهَا، وَأَثَارُوا كَوَامِئَهَا، فَاسْتَجَشَّ أَنْتَ أَيْضًا وَأَوْقَدَ نَارَهَا بِالْحَطْبِ الْغَلِيظِ الْجَزْلِ.

١٢٦ - وَقَالَ أَيْضًا: [الطويل]

١ - إِذَا ذُكِرَ ابْنَا الْعَنْبَرِيَّةِ لَمْ تَضِقْ ذِرَاعِي وَأَلْقَى بِاسْتِهِ مَنْ أُنَاجِرُ

قَوْلُهُ: «لَمْ تَضِقْ ذِرَاعِي» مَثَلٌ، وَيُقَالُ: دَزَعِي. قَالَ الْخَلِيلُ: الذَّرَاعُ اسْمُ جَامِعٍ لِكُلِّ مَا يُسَمَّى يَدًا مِنَ الرُّوحَانِيِّينَ. يَقُولُ: إِذَا ذُكِرَ هَذَانِ الرَّجُلَانِ مِنْ آبَائِي اتَّسَعَ نِطَاقُ افْتِخَارِي، وَرَحَبَ مَجَالِي وَبَاعِي، وَلَمْ تُغَيِّبْ غَلْبَةً مِنْ أَسَاجِلِهِ، وَلَمْ يَقْعُدْ بِي ذِكْرُهُمَا عَنِ الِارْتِقَاءِ فِي الْفَخْرِ إِلَى مَا لَا يَطْلُعُ لَهُ مِنْ أَوَازِنُهُ وَأَكَابِلِهِ، حَتَّى أَلْقَاهُ بِاسْتِهِ دُونَ وَجْهِهِ لِتَوَلِيهِ وَإِعْرَاضِهِ. وَذَكَرُ الْإِسْتِ تَقْيِيحٌ لِفَعْلِهِ عِنْدَ التُّكُوصِ وَالْإِنْهَزَامِ، وَتَشْنِيعٌ عَلَيْهِ فِي التَّوَلَّى وَالْإِذْبَارِ.

٢ - هَلَالَانِ حَمَلَانِ فِي كُلِّ شَنْوَةٍ مِنَ الثُّغْلِ مَا لَا تَسْتَطِيعُ الْأَبَاعِرُ

يَقُولُ: هُمَا فِي الْأَشْتِهَارِ وَاعْتِلَاءِ الشَّانِ، وَاسْتِضَاءَةِ النَّاسِ بِنُورِهِمَا، وَالِانْتِفَاعِ بِمَكَانِهِمَا، بِمَنْزِلَةِ هَلَالَيْنِ؛ وَيتكلفانِ عِنْدَ كُلِّ جَذْبٍ وَمَخْلٍ، مِنَ الْأَثْقَالِ وَالْأَعْبَاءِ، مَا

(١) لعمرو بن معديكرب في ديوانه ١٥٤، وأمالى ابن الحاجب ٦٦٦:٢، والكتاب ٤٠١:١، واللسان (خدع)، ولامرى القيس في ملحق ديوانه ٣٥٣.

لو صارت أَجْرَامًا لَعَجَزَ عن النهوض بها وتحملها البُعْرَانُ. فَإِنْ قِيلَ: إِذَا كَانَ قَصْدُهُ فِي تَحْمُلِ الْأَثْقَالِ إِلَى قَرَى الضَّيْفِ، وَنَحَرَ الْجُزُورِ وَقِسَمَتِهَا فِي الْمَيْسِرِ، وَالصَّبْرِ عَلَى الْمُؤْنِ، وَالتَّهْوُضِ بِالْكُلْفِ، فَكَيْفَ قَالَ حَمَلَانِ مِنَ الثَّقَلِ مَا لَا يَسْتَطِيعُ الْأَبَاعِرُ؟ وَكَيْفَ مَثَلُ مَا يَثْقُلُ عَلَى الْقُلُوبِ مِنَ الْغَرَامَاتِ وَالْحَقُوقِ، بِالْأَوْقَارِ الَّتِي تَثْقُلُ عَلَى الظُّهُورِ؟ قُلْتُ: إِنَّمَا يَرِيدُ أَنَّ تِلْكَ الْمُؤْنِ وَالتَّكَالِيفِ الَّتِي يَلْتَزِمُهَا، وَيَسْعَى بِهَا وَفِيهَا، لَوْ جُسِّمَتْ ثُمَّ حُمِلَتْ، لَكَانَتْ الْجَمَالَ لَا تَسْتَقِلُّ بِهَا، وَلَا تَقْوَى عَلَيْهَا، فَهَذَا وَجْهُ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ لَمَّا قَالَ حَمَلَانِ فِي كُلِّ شَنْوَةٍ مِنَ الثَّقَلِ، جَعَلَ لِفَقْهِ مَا لَا تَسْتَطِيعُ الْأَبَاعِرُ، إِذْ كَانَتْ الْجَمَالَ وَأَشْبَاهُهَا هِيَ الَّتِي لِحَمْلِ الْأَثْقَالِ خُلِقَتْ، وَبِهَا اشْتَهَرَتْ، وَلِيَكُونَ فِي اللَّفْظِ تَوَافُقٌ، مَعَ الْأَمْنِ مِنْ عَارِضِ الْإِلْتِبَاسِ. وَيَكُونُ هَذَا كَمَا قَالَ^(١) غِيَرَهُ: [الوافر]

أَلَا هَلْكَ أَمْرُو ظَلَلْتُ عَلَيْهِ بِجَنْبِ عُنَيْزَةٍ بَقَرٌ هُجُودٌ
سَمِعَنْ بِمَوْتِهِ فَظَلِلَنْ نَوْحًا قِيَامًا مَا يَحِلُّ لَهْنٍ عُودٌ

أَلَا تَرَى أَنَّهُ لَمَّا كَانَ قَدْ كَتَبَ عَنِ النِّسَاءِ بِقَوْلِهِ «بَقَرٌ هُجُودٌ» عَبَّرَ عَنِ إِسْكَاهِ عَنْ الطَّعَامِ تَحْرُتًا بِقَوْلِهِ «مَا يَحِلُّ لَهْنٍ عُودٌ» إِذْ كَانَتْ الْبَقَرُ وَمَا يَجَانِسُهَا مِنَ الْبَهَائِمِ تَعْتَلِفُ الْعُودَ وَمَا يَكُونُ كَالْعُودِ. وَلَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا لِطَلَبِ الْمَوَافَقَةِ فِي اللَّفْظِ، مَعَ الْأَمْنِ مِنَ اللَّبْسِ. فَأَمَّا قَوْلُ لَبِيدٍ: [الرملي]

فَلِذَا جُوزِيَتْ قَرْضًا فَاجْزِهِ إِنَّمَا يَجْزِي الْفَتَى لَيْسَ الْجَمَلُ^(٢)

فَمَعْنَاهُ إِنَّمَا يَعْرِفُ النَّعَمَ وَمَا يَجِبُ لَهَا مِنْ شُكْرِ الْمُنْعِمِ أَرْبَابُ الْعُقُولِ وَذَوُ التَّمْيِيزِ، لَا الْبَهَائِمِ. فَمَتَى أَزَلَّتْ إِلَيْكَ نِعْمَةٌ فَكُنْ مِنَ الْمَجَازَاةِ عَلَيْهَا بِمَرَصِدٍ، فَإِنَّ مَعْرِفَةَ ذَلِكَ وَالْأَخْذَ بِهِ مِنْ تَمَامِ الْعَقْلِ، وَيُوجِبُهُ الْمُمَيِّزُونَ وَأَوَّلُو الْحِجَى، لَا غَيْرُهُمْ مِمَّا لَا تَمْيِيزَ لَهُ، وَلَا مَعْرِفَةَ بِذَلِكَ عِنْدَهُ. وَذَكَرَ الْجَمَلُ مُكْتَفِيًا وَإِنْ كَانَ الْقَصْدُ جِنْسَهُ أَوْ أَجْنَاسَ مِثْلِهِ. وَفِي طَرِيقَةٍ مَا نَحْنُ فِيهِ قَوْلُ أَبِي تَمَامٍ إِلَّا أَنَّهُ فَصَّلَ بَيْنَ الْمَنْزِلَتَيْنِ،

(١) الأول لمرة بن شيان في اللسان (هجد)، وبلا نسبة في اللسان (نوح، خلل). والثاني لامرأة من بني حنيفة في شرح اختيارات المفضل ص ١٢٠٢، وبلا نسبة في اللسان (نوح، خلل)، وجمهرة اللغة ١٠٧، ومجالس ثعلب ٢٤٨.

(٢) لبديد في ديوانه ١٧٩، واللسان (قرض)، وتهذيب اللغة ٣٤: ٨، وأساس البلاغة (جزري)، وجمهرة الأمثال ٥٧: ١، وخزانة الأدب ٢٩٦: ٩.

وهو: [الكامل]

وَالضُّبْرُ بِالْأَزْوَاحِ يُعْرِفُ فَضْلُهُ صَبْرُ الْمَلُوكِ وَلَيْسَ بِالْأَجْسَامِ

١٢٧ - وقال: [الطويل]

١ - أَلَمْ تَرَيَا أَنِّي حَمَيْتُ حَقِيقَتِي وَيَاشَرْتُ حَدَّ الْمَوْتِ وَالْمَوْتُ دُونَهَا

الحقيقة: الخصلة التي يحق على الإنسان حمايتها. وقال الخليل: الحقيقة: ما يصير إليه حق الأمر ووجوبه. وقوله «أَلَمْ تَرَيَا» تقرير للغير على ما كان من بلائه. يقول: أَلَمْ تَعْلَمَا أَنِّي دَبَبْتُ عَمَّا يَجِبُ عَلَيَّ الذُّبُّ عَنْهُ، وباشرت الموت بنفسي، والموت دون حماية الحقيقة. يريد أن المحافظة على الشرف أشق من اقتحام الموت والاستقتال، لأنه يحتاج أن يضبر فيه من المكاره على ما لا يُحَدُّ ولا يُحَصَّرُ، وَيُتَكَلَّفُ له من المشاق ما لا يُعَدُّ ولا يُضْبَطُ. فهذا وجه. والضمير من قوله «دُونَهَا» يرجع إلى ما دَلَّ عليه حَمَيْتُ من الحماية والحفظ. ويجوز أن يكون قوله «والموت دونها» أي قريب من الحقيقة التي دَفَعْتُ عنها أو من الحماية التي التزمْتُها، وحائِلٌ بيني وبينها، ويكون هذا بياناً لكيفية مباشرته لحَدِّ الموت ومشاقهته إِيَّاه على سَمَتِ الْقَرْبِ، والواو من قوله «والموت» واو الحال. وإذا جَعَلْتُ المعنى الأول فيكون الكلام بياناً لتفضيل حماية الحقائق على مباشرة المَنَآيَا.

٢ - وَجَذْتُ بِنَفْسٍ لَا يُجَادُ بِمِثْلِهَا وَقُلْتُ اطْمِئْنِي حِينَ سَاءَتْ ظُنُونُهَا

يصف ابتذاله نفسه فيما تعناه على حاجة من العشيرة إلى بقائها، وحلولها من القلوب محل ما يُضَنُّ بها، فيوجب صيانتها. يقول: تَسَخَّيْتُ بِنَفْسٍ لَا يُتَسَخَّى بِمِثْلِهَا كَرَمًا وَعِزَّةً، وَشَرَفًا وَأَبْهَةً، وَقُلْتُ تَثْبِيَّتًا لَهَا: اسْكُنِي وَاصْبِرِي عِنْدَ اسْتِيلَاءِ الرُّعْبِ عَلَيْهَا، وَاخْتِلَافِ الظُّنُونِ بِهَا. وهذه إشارة إلى ما يلحق النفس في الأول من الالتقاء، للوهلة العارضة، والفجعة المروعة. ومثله: [الطويل]

أَقُولُ لِنَفْسِي حِينَ خَوَدَ رَأْيُهَا مَكَانِكِ لَمَّا تُشَفِّقِي حِينَ مُشَفِّقِي^(١)٣ - وَمَا خَيْرُ مَالٍ لَا يَبْقِي الدَّمَ رِيَّهُ وَنَفْسٍ أَمْرِيءٍ فِي حَقِّهَا لَا يُهِنُهَا^(٢)

(١) البيت الأول من الحماسية رقم (١٢٤). (٢) التبريزي: «بنفس امرئ».

لفظه لفظ الاستفهام، والمعنى معنى الإنكار الذي يجري مجرى النفي. يقول:
أَيُّ خَيْرٍ فِي مَالٍ لَا يَصُونُ صَاحِبَهُ مِنْ ذَمٍّ وَعَارٍ، وَلَا يَحْمِيهِ مِنْ لُحُوقِ تَهْجِينٍ وَشَنَارٍ؟
وأي شيء غناء نفس لا يبتذلها صاحبها في استيفاء حقوقها، ولا يتعيبها في الدفاع دون
حقائقها؟ وهذا الكلام تبرؤ من التحمد بما كان منه من إنفاق المال، وابتذال النفس.
ومثله قول الآخر: [الطويل]

وَيَبْتَذِلُ النَّفْسَ الْمَصُونَةَ طَائِعًا إِذَا مَا رَأَى حَقًّا عَلَيْهِ ابْتِدَالُهَا^(١)

١٢٨ - وقال: [الطويل]

١ - ذَهَبْتُمْ فَلَذْتُمْ بِالْأَمِيرِ وَقُلْتُمْ تَرَكْنَا أَحَادِيثًا وَلَحْمًا مُوَضَّعًا^(٢)

يخاطب قومه ويلومهم على ما كان منهم من القعود عن نصرته، والتكوص عن
مشايعته، واعتلالهم عند اعتذارهم من ذلك بالمعاذير المشوبة بالكذب، التجأهم إلى
الأمير وقولهم تركنا قومنا يقولون ولا يفعلون، وعند تسلط الأعداء عليهم لا يمتنعون
منهم ولا يدافعون، فهم كاللحم الموضَّع على خوان الجزار، تمتد الأيدي على موضعه
إليه، وتتعلق الأطماع بتناوله وأخذه. ويكون هذا كقول الآخر: [الوافر]

رَضُوا بِصِفَاتِ مَا عَدِمُوهُ جَهْلًا وَحُسْنِ الْقَوْلِ مِنْ حُسْنِ الْفِعَالِ

هذا إذا رَوَيْتَ «تَرَكْنَا» بفتح التاء، وإن رَوَيْتَ بضم التاء كان المعنى: ادعيتهم
علينا فيما نابنا، وعندما هَمَمْتُمْ به من مفارقتنا وخذلاننا، أننا تَرَكْنَا أُحْدُوْتَهُ لِلنَّاسِ
قَبِيحَةً، يقومون ويقعدون بذكرنا، وأذلاء مهتضمين لا دِفَاعَ بِنَا، ولا امْتِنَاعَ مِنْ مَذْمَةٍ
فِي طَبَاعِنَا. والموضع: الْمُقْطَعُ الْمُفْرَقُ فِي مَوَاضِعَ.

٢ - فَمَا زَادَنِي إِلَّا سَاءَاءَ وَرَفَعَةً وَمَا زَادَكُمْ فِي النَّاسِ إِلَّا تَخَضُّعًا

يقول: لم يَزِدْنِي فِعْلَكُمْ وَقَوْلَكُمْ عند اعتلالكم في مفارقتكم إلا ارتفاعَ مَحَلٍّ،
وَسُمُوَ حَالٍ، وَجَلَالَةُ قَدْرٍ، وَلَمْ يَزِدْكُمْ فِي النَّاسِ إِلَّا تَرَاْجُعًا وَتَذَلُّلًا، وَتَصَوُّرًا بِالْقَبِيحِ
وَتَسْقُطًا، لِأَنَّ مَنْ لَا يَضْلُحُ لِعَشِيرَتِهِ وَأَقْرَبِيهِ، وَفَصِيلَتِهِ وَذَوِيهِ، لَمْ يَسْكُنْ إِلَيْهِ الْبَعِيدُ
الَّذِي يُؤْوِيهِ، وَالْمُسْتَعَانُ بِهِ لَمَّا يَرْتَجِيهِ.

٣ - فَمَا نَفَرْتُ جِنِّي وَلَا قُلَّ مَبْرَدِي وَلَا أَضْبَحْتُ طَيْرِي مِنَ الْخَوْفِ وَقَمَا

(١) البيت عند التبريزي ١: ٢٦٥ بلا نسبة. (٢) التبريزي: «ولذتم».

وهذا يحتمل وجوها: يجوز أن يريد لم يَنْخزل - لما أُتِيتُمْ وأخبرتُمْ - أصحابي الذين هم كالجن، ولا قُلَّ لسانِي الذي هو كَالْمَيْزِدِ، ولا دُعِرَ جَاشِي فصار طَيْرِي واقعة. ويكون الأول كقول الآخر: [الطويل]

عَلَيْهِنَّ فِثْيَانٌ كَجِنَّةٍ عَنُقَر

وتشبيه اللسان بالميزد وحَدَّ السيف أكثرُ من أن يُحتَاجَ له إلى شاهد. وقد قيل في «نفرت جثي» إنه مثلُ لَفَاتَاتِهِ وَبَدْرَاتِهِ، ويكون هذا كما وصف امرؤ القيس فرسه بالمرح وَجِدَّةَ القلب فقال: [الطويل]

به طائفٌ من جِنَّةٍ غَيْرِ مُغَقِّبٍ^(١)

وإنْ ذَكَرَهُ الْمَيْزِدَ مَثَلٌ لِمَصْلَاحِهِ، وإنْ ذَكَرَهُ الطيرَ مَثَلٌ لِمَصِيَّتِهِ وَذِكْرُهُ الذاهِبِ فِي النَّاسِ. ويجوز في هذا الوجه أن يريد به ذكاءه ونشاطه وشهامته، فقد قيل في ضده: هو سَاكِنُ الطائر، وكأنَّ على رؤوسهم الطير. ويجوز أن يشير بالجنِّ إلى ما يدعيه الشعراء من أنَّ لكلِّ واحدٍ منهم تابعًا من الجنِّ يستعين به فيما يحزُّبه، ويُجعلُ المراد بالميزد في هذا الوجه اللسان لا غير. ويجوز أن يريد بالطير سرَّاياه وطوائفَ خَيْلِهِ التي يطيرُها للغارات والارتبَاء، وتجسُّس الأخبار وغيرها.

١٢٩ - وقال حُرَيْثُ بْنُ جَابِرٍ^(٢): [الطويل]

١ - لَعَمْرُكَ مَا أَنْصَفْتَنِي حِينَ سُمِّنِي هَوَاكَ مَعَ الْمَوْلَى وَأَنْ لَا هَوَى لِيَا الْعَمْرُ وَالْعَمْرُ لِفَتَانٍ، وَلَا يُسْتَعْمَلُ فِي الْقَسَمِ إِلَّا بَفَتْحِ الْعَيْنِ. وَأَنْصَفْتَنِي: أَعْطَيْتَنِي النِّصْفَةَ وَالنُّصْفَ. ويقال: انْتَصَفْتُ مِنْ فُلَانٍ، أي استوفيتُ حَقِّي مِنْهُ كَامِلًا حَتَّى صَرْتُ أَنَا وَهُوَ عَلَى النِّصْفِ سَوَاءً. ومعنى سُمِّنِي: جَسَّمْتَنِي خُطَّةً مِنَ الشَّرِّ. ويقال أيضًا: سَامَ فُلَانٌ فُلَانًا، إِذَا دَاوَمَ عَلَيْهِ وَالْحُ فِي شَيْءٍ. يقول: وبقائك ما أَعْطَيْتَنِي النِّصْفَةَ حِينَ عَرَضْتُ عَلَيَّ الرِّضَا بِأَنْ يَكُونَ لَكَ هَوَى مَعَ مَوْلَاكَ، حَتَّى تَنْتَقِمَ لَهُ وَتَذَبُّ دُونَهُ، وَأَلَّا يَكُونَ لِي هَوَى مَعَ مَوْلَايَ وَأُخْلِي بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَعْدَائِهِ. قَوْلُهُ «وَأَنْ لَا هَوَى لِيَا» أَرَادَ: وَأَنَّهُ لَا هَوَى لِيَا.

(١) لامرؤ القيس في ديوانه ٤٩، واللسان (عقب، خضد، عرر)، وديوان الأدب ١٥٢: ٢، وأساس البلاغة (خضد).

(٢) التبريزي: «وقال حرث بن جابر بن سُرَيِّ بن عبد بن ثعلبة بن يربوع بن الدئل بن حنيفة بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل».

٢ - إِذَا ظَلِمَ الْمَوْلَى فَرِغَتْ لِفْظِهِ فَحَرَّكَ أَحْشَائِي وَهَرَّتْ كِلَابِيَا

يَبِينُ كَيْفَ يَتَعَصَّبُ لِمَوَالِيهِ، وَكَيْفَ يَأْتِفُ مِنْ اهْتِضَامِ يَلْحَقُهُمْ، يَقُولُ: إِذَا اهْتَضِمَ حَلِيفٌ لِي أَوْ ابْنُ عَمٍّ، دُعِرَتْ لَامَتُهُانِ وَاهْتِضَامُهُ، فَاضْطَرَبَ أَحْشَائِي وَنَبَحَتْ كِلَابِي. وَالْمَعْنَى: لَمْ أَغْتَدِ الْهَضِيمَةَ فِيمَنْ يَتَّصِلُ بِي، وَيَتَسَبَّبُ إِلَيَّ، فَإِذَا اتَّفَقَ وَتَوَعَّاهَا صَارَتْ كِلَابِي تَنْبَحُ، وَاخْذَتْ نَفْسِي تَفْلَقُ. فَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ تَحَرَّكَ أَحْشَاؤُهُ لَوَجِيبِ قَلْبِهِ وَخَفَقَانِهِ، وَنَبَحَتْ كِلَابُهُ لَتَهَيُّيِهِ لِلانْتِقَامِ، وَتَدَجُّجِهِ فِي السَّلَاحِ لَهُ، وَتَجَمُّعِ أَصْحَابِهِ وَإِعْدَادِهِمُ الْخَيْلَ وَالرَّجُلَ لِإِغَاثَتِهِ. وَالْكَلْبُ يُنَكِّرُ أَصْحَابَهُ إِذَا رَأَاهُمْ بِهَذِهِ الْأَحْوَالِ فَيَنْبَحُ. أَنْشَدَ الْأَصَمِّي فِي مِثْلِهِ: [الطويل]

أَنَاسَ إِذَا مَا أَتَكَرَّ الْكَلْبُ أَهْلَهُ حَمَوَا جَارَهُمْ مِنْ كُلِّ شَنْعَاءٍ مُظْلِمٍ^(١)
وَوَجْهَ آخِرٍ، وَهُوَ أَنْ يَكُونَ تَحَرَّكَ أَحْشَاؤُهُ لِاضْطِرَابِهِ فِي جَمْعٍ مِنْ يَجْمَعُ،
وَإِعْدَادٍ مَا يُعِدُّ، وَالمُسْرَعُ فِي الشَّيْءِ يَلْحَقُهُ ذَلِكَ، وَمِثْلُهُ: [الطويل]

أَشَارَتْ لَهُ الْحَرْبُ الْعَوَانُ فَجَاءَهَا يُقْعِقِعُ بِالْأَقْرَابِ أَوَّلَ مَنْ أَتَى
فَقَعَقَعَةُ الْأَقْرَابِ كَتَحَرَّكَ الْأَحْشَاءِ وَأَكْثَرُ. وَيَكُونُ مَعْنَى فَرِغَتْ أَغْثَتْ عَلَى هَذَا.
وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ: [الطويل]

حَلَلْنَا الْكَثِيبَ مِنْ زُرُودٍ لِنَفْرَعَا^(٢)
أَي لِنُغِيثَ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَزَادَ بِالْكَلامِ الْأَصْحَابَ، وَيَكُونُ مِثْلُ قَوْلِ
الْهَذَلِيِّ^(٣): [الطويل]

وَلَا هَرَّهَا كَلْبِي لِيَبْعُدَ نَفْرُهَا وَلَوْ تَبَحَّتْنِي بِالشُّكَاوِ كِلَابُهَا
فَقَدْ فُسِّرَ فِي بَعْضِ الْوُجُوهِ عَلَى هَذَا. وَكَذَلِكَ قَوْلُ تَابُطُ شَرًّا: [البسيط]
لَيْلَةً صَاحُوا وَأَغْرَوْا بِي كِلَابَهُمْ^(٤)

(١) لَطْفِيلُ الْغَنَوِيِّ فِي الْحَيَوَانِ ٧: ٢، وَبِلَا نِسْبَةٍ فِي الْأَمَالِيِّ ٥٥: ١، وَالتَّبْرِيزِيُّ ٢٦٧: ١.
(٢) لِلْكَلْبَةِ الْيَرْبُوعِيِّ، هَبِيرَةُ بْنُ عَبْدِ مَنْفٍ فِي اللِّسَانِ (زَرْد، فَرْع)، وَتَهْذِيبُ اللُّغَةِ ١٤٦: ٢، وَتَاجُ
الْعُرُوسِ (زَرْد، كَاس)، وَالْكَامِلُ ١٣١٣. وَصَدْرُهُ:
«وَقُلْتُ لِكَاسِ الْجَمْعِهَا فَإِنَّمَا»

(٣) لِأَبِي ذُؤَيْبٍ فِي دِيْوَانِ الْهَذَلِيِّينَ ٨٠: ١.
(٤) لِتَابُطِ شَرًّا فِي دِيْوَانِهِ ١٣٢، وَاللِّسَانُ عِيكَ، وَمَجْمَلُ اللُّغَةِ ٤٣٠: ٢، وَتَاجُ الْعُرُوسِ (بَرْق،
عِيكَ)، وَشَرْحُ اخْتِيَارَاتِ الْمَفْضَلِ ص ١٠٨، وَعَجَزُهُ:
«بِالْعِيكَتَيْنِ لَدَى مَعْدَى ابْنِ بَرَّاقِ»

فُسِّرَ على ذلك أيضًا.

١٣٠ - وقال البَيْعُثُ بنُ حُرَيْثٍ^(١): [الطويل]

١ - خَيَالٌ لَأَمِ السُّلُسَيْلِ ودُونَهَا مَسِيرَةٌ شَهْرٍ لِلْبَرِيدِ الْمُذْبَذَبِ

خبر الابتداء محذوف، كأنه قال: خَيَالٌ لهذه المرأة أتاني أو زارني، وبينني وبينها مسيرة شهرٍ للبريد المُسْرِعِ المتعجِّل. كأنه استطرَفَ من الخيال ما كان يستطرِفُه من المرأة لو زارت. وقوله «البريد المُذْبَذَبِ» كما يُقَالُ للسائق الحاث طَارِدًا. ألا تَرَى قوله يَصِفُ قَرَسًا: [الطويل]

وَيَنْسَبِقُ مطرودًا ويلحق طارِدًا

لأنَّ المذْبَذَبَ والمُذْبَذَبَ الأصل فيهما واحدٌ، يَرْجِعُ إلى الطَّرْدِ والاستعجال. والمُسْرِعُ المُسْتَعَجِلُ يتذبذبُ، أي يضطرب. فأما قوله تعالى: ﴿مُذْبَذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ﴾ [النساء: الآية ١٤٣] فهو من صفة المنافقين، ومعناه مطرودين بين المؤمنين والكافرين، فليسوا بمقبولين عند واحدة من الفرقتين. ومثْلُ ذَبٍّ وَذَبْذَبٍ، كَبٌّ وَكَبْكَبٍ. فإن قيل: لم تُكَّرَ فقال خيالٌ لَأَمِ السُّلُسَيْلِ؟ قلت: يجوز أن يكونَ كان يرى خَيَالَهَا على هيئاتٍ مختلفة، فاعتقَدَ لاختلاف هيئته أَنَّهُ عِدَّةُ خَيَالٍ، فلذلك نُكَّرُهُ، كأنه قَصَدَ إلى واحدٍ منها، ومثله: [المقارب]

خَيَالٌ لَزَيْنَبَ قَدْ هَاجَ لِي نُكَّاسًا من الحبِّ بعد اندِمَالِ^(٢)

٢ - فَقُلْتُ لَهَا أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْحَبًا فَرَدَّتْ بِتَاهِيلٍ وَسَهْلٍ وَمَرْحَبٍ

حكى ما دارَ بينه وبين الخيالِ، والخيالُ يُذَكَّرُ وَيؤنَّثُ. ونَبَّهَ بكلامِهِ على أَنَّهُ أظهر لها قبولًا حَسَنًا، وبِشْرًا وطلاقةً، فَعَلَّ المتشَوِّفَ لها، المتشَوِّقَ إلى لقائِها، وأنه تلقاها بالترحيب والتأهيل ساعة طلوعها، فأجابته بمثل ذلك. وانتَصَبَ أَهْلًا بِفِعْلِ مُضْمِرٍ كأنه قال أَتَيْتْ أَهْلًا لَا غُرَبَاءَ، وَسَهْلًا مِنَ المَنَازِلِ لَا حَزَنًا، وَرَحْبًا مِنَ الأَمَاكِنِ لَا ضَيْقًا: والتأهيل: مصدر أَهْلَتُهُ أي قلتُ له أَهْلًا. وكان يجب أن يقول فردت بتأهيل وتسهيل وترحيب، لو أتى بالكلام على جِدٍّ واحدٍ، لكنَّهُ أتى في بعضه بحكاية اللَّفْظِ،

(١) التبريزي: «هو ابن حريث بن جابر الذي مضى ذكره».

(٢) لامية بن أبي عائذ في شرح أشعار الهذليين ٤٩٥، واللسان (نكس، دمل)، وتاج العروس (نكس).

وفي بعضه ببناء الأخبار. وقال سيبويه: إذا قال الرَّأْدُ وبك أَهْلًا، فإنما يقول: أنت عندي بمنزلة من يقال له هذا لو جِئْتَنِي. وإنما قال هذا لأنَّ الحال لا تقتضي من الزَّائِر أن يُصَادَفَ الْمُرُورَ عندهُ ذلك، فحمل الكلام - وقد اعتيد فيه ما ذَكَرَهُ - على أنه يُرَادُّ لو جِئْتَنِي لَكُنْتُ بهذه المنزلة.

٥ - مَعَادُ الْإِلَهِ أَنْ تَكُونَ كَظُلْبِيَّةٍ وَلَا ذُمِّيَّةٍ وَلَا عَقِيلَةَ رَبِّبٍ
معادُ انتَصَبَ على المصدر، والمعنى: أَسْتَعِيذُ بِاللَّهِ أَوْ أَعُوذُ بِهِ مَعَادًا، كَأَنَّهُ أَنْفَ وصار يَرْبَأُ بِصَدِيقَتِهِ أَنْ تَكُونَ فِي الْحُسْنِ بِحِثِّ تَشَبُّهِ الظُّلْبِيِّ أَوْ الظُّلْبِيَّةِ أَوْ بِالصُّورَةِ المنقوشَةِ، أَوْ بِكَرِيمَةٍ مِنْ بَقَرِ الْوَحْشِ، إِذْ كَانَتْ هَذِهِ الْأَشْيَاءُ عِنْدَهُ دُونَهَا، وَقَاصِرَةً عَنْ رُتْبَتِهَا. وَقَدْ سَلَكَ مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ أَمْرُ الْقَيْسِ هَذِهِ الطَّرِيقَةَ فَقَالَ^(١): [الطويل]

كَأَنَّ ذُمِّي سَقَفٍ عَلَى ظَهْرِ مَزْمَرٍ كَسَا مُزِيدُ السَّاجُومِ وَشَيْئًا مُصَوَّرًا
غَرَائِرُ فِي كِنٍّ وَصَوْنٍ وَنَعْمَةٍ يُحَلِّينَ يَاقُوتًا وَدُرًّا مُفَقَّرًا
فَشَبَّ الدُّمَى بِالنِّسَاءِ لَا النِّسَاءُ بِالدُّمَى. وَمِمَّا يَسْتَحْسِنُ مِنْ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ قَوْلُ أَبِي تَمَامٍ: [البسيط]

كَأَنَّمَا جَادَ مَغْنَاءُ فَعْيَرِهِ دُمُوعُنَا يَوْمَ بَانُوا وَهِيَ تَنْهَمِلُ
لَأَنَّهُ شَبَّ الْأَمْطَارَ الْمَغْيِرَةَ لِرُسُومِ الدِّيَارِ بِدُمُوعِ الْعُشَاقِ فِي إِثْرِ الْأَخْبَابِ يَوْمَ الْفِرَاقِ. وَالْعَقِيلَةُ: الْكَرِيمَةُ مِنَ النِّسَاءِ وَالذَّرُّ وَكُلُّ شَيْءٍ. وَالزُّبْرُبُ: الْقَطِيعُ مِنَ الْبَقَرِ.

٤ - وَلَكِنَّهَا زَادَتْ عَلَى الْحُسْنِ كُلَّهُ كَمَا لَا وَمِنْ طَيْبٍ عَلَى كُلِّ طَيْبٍ
يقال: زَدْتُهُ فَزَادَ وَازْدَادَ جَمِيعًا. وَكَمَا لَا يَنْتَصِبُ عَلَى التَّمْيِيزِ، وَالْمَعْنَى أَنَّهَا يَزِيدُ حُسْنُهَا عَلَى كُلِّ حُسْنٍ كَمَا لَا، لِأَنَّهُ لَا حُسْنَ إِلَّا وَتَدْخُلُهُ نَقِیْصَةٌ، سِوَى حُسْنِهَا. وَكَذَلِكَ كُلُّ الطَّيِّبِ يَتَخَلَّلُهُ خَطِیْطَةٌ إِلَّا طَيِّبَهَا. وَ«مِنْ طَيْبٍ» أَيِ وَزَادَتْ مِنْ طَيِّبِهَا عَلَى كُلِّ طَيْبٍ طَيِّبًا. وَالْعَرَضُ أَنْ يَبَيِّنَ لَمْ أَنْكَرْ لَهَا تَشْبِيْهَهَا بِغَيْرِهَا، فَقَالَ: هِيَ تَرْفَعُ عَنْ ذَلِكَ: إِذْ كَانَتْ جَامِعَةً لِلْمَحَاسِنِ، مُسْتَحَقَّةً لِلْوُصْفِ بِالْكَمَالِ، وَإِذْ كَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ تِلْكَ الْأَشْيَاءِ اسْتَبَدَّ بِصِفَةٍ دُونَ صِفَةٍ، وَيَتَفَرَّدُ بِنَوْعٍ دُونَ نَوْعٍ.

٥ - وَإِنْ مَسِيرِي فِي الْبِلَادِ وَمَنْزِلِي لِبِالْمَنْزِلِ الْأَقْصَى إِذَا لَمْ أَقْرَبِ

(١) لَامِرِيُّ الْقَيْسِ فِي دِيْوَانِهِ ٥٨، وَالْبَيْتُ الْأَوَّلُ فِي الْلسَانِ (سَجْم).

يقول: مكاني الذي أسير فيه من البلاد، وموضعي الذي أنزل فيه، لأبعدُ المنازل، وأوضع المسائر، إذا لم يلحقني فيها تقريبٌ وتعظيم. وقوله «أقرب» بمعنى أكرم وأدنى، على طريق الإعظام. وليس يريد تقريب المسافة به. ويجوز أن يكون المعنى إذا لم أقرب كنت بمنزلة المطرود المنفي، وإن كنت مقيمًا دانيًا. وكان الواجب أن يقول لبالمنزل والمسير؛ فاكْتَفَى بأحدهما، وأثر المنزل بالذكر لأنَّ التزول لا يكون إلا بعد السير. ودلَّ بهذا الكلام على أنه لا يَرْضَى في متصرفاته إلا بما يَفْضِي بتجيله، ويُفْضِي إلى اصطفائه والرفع منه؛ وأنه لا يصبر على الهوان والجفاء حيث سار وتَزَلَّ، بل يَطْلُبُ إكرامه ولا انتقل وتحول.

٦ - وَلَسْتُ وَإِنْ قُرْنْتُ يَوْمًا بِبَائِعِ خَلَاقِي وَلَا قَوْمِي ابْتِغَاءَ التَّحْبِيبِ

يقول: لست وإن أدنيت وُجِلْتُ ببائع نصيبي من شرفي، وموضعي من عشيرتي، طلبًا للتحبُّبِ إلى من أجاوره وأعاشِرُه، أو تهالكًا في تعليق الطَّمَعِ بمن أرجوه وأملُه. والخَلَاقُ: الحظُّ والنَّصيب من الصَّلاح. ويقال: ما لفلانٍ خَلَقٌ، إذا لم يكن له رغبة في الاستصلاح واكتساب الخير. وانتصب «ابتغاء التحبُّب» على أنه مفعول له.

٧ - وَيَنْفَعُهُ قَوْمٌ كَثِيرٌ تَجَارَةً وَيَمْنَعُنِي مِنْ ذَلِكَ دِينِي وَمَنْصِبِي

يقول: وَيَعُدُّ ما تَبَرَّأْتُ منه وَأَنْفَعْتُ من فعله كثيرٌ من الناس تجارةً رابحة، وصفقةً مفيدةً نَافِعَةً، وأنا يدفعني عنه ويَزْهَدُنِي فيه شرفي وديانتي. وهذا القول يجوز أن يكون تنزيهاً لنفسه، وتركياً لفعاله وخُلُقِهِ فَقَطْ، وأن يكون القصد منه التعريض بغيره. وهذه الأبيات وإن كان في جملتها ما ليس من الباب فإنه كَرِهَ تبديدها لسلامتها من العَابِ، ووفور حظها من الانتخاب.

٨ - دَعَانِي يَزِيدٌ بَعْدَ مَا سَاءَ ظَنُّهُ وَعَبَسَ وَقَدْ كَانَا عَلَى حَدِّ مَنْكَبٍ

ما قَدَّمَهُ تَوَصَّلَ إلى بيان مراعاته أَمْرَ العشيرة، والتعطف على القريب وقت الحاجة، والتمسك بما يوجهه الكَرَمُ والحرية. يقول: دعاني هذا الرجلٌ وصاحبه مستغيثين، بعد سوء ظنه بعشيرته وبي لما أسْلَفَ من الشرِّ، وقَدَّمَ من العُقوق والإيذاء، وقد كانا أَشْرَفًا على حَدِّ الهلاك. هذا إذا روئيت بفتح الكاف مَنْكَبٌ، والمعنى: شاقها حَدُّ الشرِّ وحَزَفُهُ، ولا يأمنان اقتحامه وتوسُّطه. ويقال: أصابَهُ نَكَبٌ من الدَّهرِ وَمَنْكَبٌ ونَكْبَةٌ ونُكُوبٌ كثيرة، ومنه قيل حافرٌ نَكِيبٌ ومنكوبٌ، إذا أثر فيه

حجّر أو غيره. ويروى «على حدّ منكِب» بكسر الكاف، والمعنى: كانا مُهاجِرَيْنِ لي. يقال: فلانٌ معي على حدّ منكِب، أي كلما رأيته ألتوى ولم يتلقني بوجهه، وتنكّب عني؛ أي اجتنبني. والمَنكِبُ من كلِّ شيء: جانِبُهُ وناحيَتُهُ. ومثله قولهم: فلانٌ يلقاني على حَرْفٍ؛ وهو منحرفٌ عني ومتحرّفٌ. ويجوز أن يريد بقوله «بعد ما ساء ظنُّه» بعد تسلّط اليأس والقنوط من الحياة عليه.

٩ - وقد علّمَا أنّ العشيرة كلّها سَوَى مَحْضَرِي من خاذِلِينَ وَغُيِبٍ

دَلّ بهذا الكلام على الضرورة الداعية إلى الاستعانة به، والاستظهار بدعوته وإجابته. يقول: استغاثا بي متيقّنين أنّ كلّ عشيرتهما إذا لم أخضّر من بين شاهِدٍ لا ينصّر، وغائب لا يحضّر وأنّ الكفاية لا توجد إلّا عندي، والنصرة لها لا تحصل إلّا بسعغي. وقوله «من خاذلين وغائب» أراد ومن بين غيِبٍ، فاكتمى بمن الأول عن الثاني، وقد مرّ القول في مثله مشروحا. ومعنى سَوَى ههنا معنى بدّل ومكان. وذكر المحضّر والمراد الثّفس؛ كأنه قال: وقد علّمَا أنّ العشيرة كلّها بدلا منّي ومكاني، من خاذِلٍ وغائبٍ.

١٠ - فكُنْتُ أَنَا الحامي حَقِيقَةً وإِثْلٍ كما كانَ يَحْمِي عن حَقَائِقِهَا أَبِي

يقول: أعنتهما على ضعف رجائهما، وتسلّط الظنون السيئة عليهما، جاريًا على الغاية الموروثة عن أسلافي، ومقتديًا في الذّبّ عن العشيرة، والمواظبة على حماية الحقيقة، بأبائي. ويقال: حميت الحقيقة وحميت عن الحقيقة، وهو يَحْمِي عليه ويحامي عليه.

١٣١ - وقال المثلّم بن رياح^(١):

١ - مَنْ مُبْلِغٌ عَنِّي سِنَانًا رِسَالَةً وَشِجْنَةً أَنْ قُومًا خُذَا الْحَقَّ أَوْ دَعَا

يقول: مَنْ يُوَدِّي عني رسالةً إلى هذين الرجلين، بأن أرضيا الحقّ وقوماً واستوفياه، أو اتركاه فما لكُما غيره وإن تسخطمأه، وهذا تَوَعُّدٌ واستهانة. وقوله «أن قوما» أن مخففة من أن الثقيلة والمراد: أنّه قوماً. ومثله قولهم في: أَمَا أَنْ جِزَاكَ اللهُ خَيْرًا، ويجوز أن يكون أن المفسرة، كأنه فسّر الرسالة بقوماً خُذَا الْحَقَّ. ومثله قولهم: اتَّفَحَرَ عَلَيَّ أَنْ أصحابك أكثر من أصحابي. وأن هذه تجري مجرى أي في أنّه

(١) التبريزي: «المثلّم بن رياح بن ظالم المري».

يُقَسَّرُ به. ولو قال قوما وخذا الحق، فأتى بحَرْفِ العطف كما قال الله تعالى: ﴿فَرَّ فَأَنزَرُ ۖ وَرَبَّكَ فَكَبَّرُ ۖ﴾ [المذثر: الآيتان ٢، ٣] كان أفصح. وقد جاء مثله بغير العاطف كثيرا. وقوله «قوما» ليس المراد به فعل القيام، لكنه وُضِلَتْ في الكلام، وقد بَيَّنَّ فيما مضى أمثاله. ويجوز أن يكون قوله خُذَا الحق على طريق التهكم والسخرية. أي إن قَدْزْتُما على أخذ الحق المُدْعَى فُخْذَا. ويجوز أن يكون المعنى: تَزَكَّكما ما سميتاه حَقًّا، وطلبكما له عندي سواء على الحقيقة.

٢ - سَأَكْفِيكَ جَنْبِي وَضَعُهُ وَوَسَادَهُ وَأَغْضَبُ إِنْ لَمْ تُغْطِ بِالْحَقِّ أَشْجَعًا^(١)

يقول: أكفيك ما يُمُسِّنِي ويخْصُنِي، ولا أضايقك فيما يرجع نفعه وضره إلي. وذكر وضع الجنب والوساد مأخوذ من المثل السائر في المعنيتين بالشئ المتعهد له، وهو قولهم: «أَمْ قَرَسَتْ فَأَنَامَتْ»: والمعنى: لا أكلفك عنايةً بأمرى، ولا أواخذك بمصالح أسبابي: ومتى لم تناول مولاى أَشْجَعَ الحق، ولم تُعامله فيما بينكما بالحق والعَدْلِ، غَضِبْتُ له واثْنَمْتُ؛ لأن في تضييع حق المولى والأخذ بالتغميض فيه لازم العار، وفي استعمال الثغابي فيما يتعلق بين وأطراحي المناقشة والمشاحة فيه باقِي الصَّيِّت والجمال. قوله «إِنْ لَمْ تُغْطِ بِالْحَقِّ» قيل فيه مفعولٌ تُغْطِ الثاني محذوف، ومعنى بالحق: بِالْعَدْلِ والإنصاف. كأنه قال: تُغْطِ أَشْجَعَ ما يَجِبُ له بالحق. وقيل: أراد بِتُغْطِ تُعاملُ فعْدَاه تَعْدِيته. وقيل بالحق هو المفعول الثاني، لكنه زاد الباء فيه تأكيدًا، كما قال الآخر: [البسيط]

سُودُ المحاجرِ لا يَقْرَأُ بالسُّورِ^(٢)

ويغلب في نفسي أَنَّ الشاعِرَ قال: وَأَغْضَبُ إِنْ لَمْ تُعْطِيا الحقَّ أَشْجَعًا، لأنه بَنَى الرسالة على أن تكون متوجهة نحو اثنين: سِنَانٍ وشِجْنَةٍ. ومخاطبَتُهُ من بَعْدُ أَحَدُهُما في قوله سأكفيك، على عادتهم في الافتتان والتصرف، لا يمنع من الرجوع إلى ما بَنَى كلامَهُ عليه من ذكر الاثنين، وهذا ظاهر لمن تأملَهُ.

(١) التبريزي: «هو أشجع بن سنان بن غطفان، وشجنة: اسم رجل».

(٢) للراعي النميري في ديوانه ١٢٢، وأدب الكاتب ٥٢١، واللسان (سور)، وللقنات الكلابي في ديوانه ٥٣، وللقنات أو للراعي في خزنة الأدب ٩: ١٠٧. وصدرة:

«هَنَ الحرائر لا رَبَاثَ أحمر»

٣ - نَصِيحُ الرُّدَيْنِيَّاتِ فِينَا وَفِيهِمْ صَبَاحَ بَنَاتِ الْمَاءِ أَصْبَحْنَ جُوعًا
يريد: تختلف الرِّمَاحُ المنسوبة إلى هذه المرأة بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ بِالطَّعْنِ، فصياحها
كصَبَاحِ بَنَاتِ الْمَاءِ إِذَا جَاعَتْ. وهذا كما حكى الْآخَرُ وَقَعَ أَلْقْنَا وَالسَّيْفُ عِنْدَ الطَّعْنِ
وَالضَّرْبِ، فقال^(١): [البسيط]

وَالطَّعْنُ شَغْشَغَةٌ وَالضَّرْبُ هَيْقَقَةٌ

وَيَغْنِي بَنَاتُ الْمَاءِ طَيُورَ الْمَاءِ. وهذا كما يقال في الوحش: بَنَاتُ الْقَلَا،
وللنواثب: بَنَاتُ الدُّهْرِ.

٤ - لَقَفْنَا الْبَبُوتَ بِالْبَبُوتِ فَاصْبَحُوا بَنِي عَمَّنَا مِنْ يَزْمِنَا يَزْمِنَا مَعَا^(٢)
يقول: استأنفنا حالةَ جامعةٍ لنا ولعشيرتنا، فاستبدلنا بالتبائن اجتماعًا، وبالتزائل
اختلاطًا، وبالتنافر تأنسًا، وبالتشارد تألفًا، حتى صِرْنَا يَدًا وَاحِدَةً عَلَى الْمُنَابِذِينَ،
ولسانًا وَاحِدًا عَلَى الْمُخَالِفِينَ، فَمَنْ رَمَى وَاحِدًا مِنَّا فَقَدْ رَمَى جَمِيعَنَا. هذا إذا رويت:
«مَنْ يَزْمِنَا يَزْمِنَا مَعَا». ومن روى: «مَنْ يَزْمِيهِمْ يَزْمِنَا مَعَا» يكون المعنى في اجتماع
الكلمة أبين. وفي هذه الطَّرِيقَةُ قَوْلُ الْآخَرِ: [الوافر]

فَأَمْسَى كَغَيْبِهَا كَغَيْبًا وَكَانَتْ مِنْ الشَّيْءِ قَدْ دُعِيَتْ كِعَابًا^(٣)

١٣٢ - وَقَالَ آخَرُ^(٤): [الكامل]

١ - يَا زَمَلُ إِنِّي إِنْ تَكُنْ لِي حَادِيًا أَفَكِرْ عَلَيْكَ وَإِنْ تَرُغْ لَا تَسْبِقِ
يقول: إِنْ تَخَلَّفْتَ عَنِّي حَتَّى يَكُونَ مَكَانُكَ مَكَانَ الْحَادِي مِنَ الْبَعِيرِ أَغْطِفُ
عَلَيْكَ. وَإِنْ تَقَدَّمْتَنِي هَارِبًا حَتَّى تُصِيرَ كَالْهَادِي لَيْسَ مُسْتَعْمَلًا الْخَدَاعُ وَالرُّوَاعُ
مَعِيَ لَمْ تَقْتْنِي. والمعنى: إِنِّي أُدْرِكُكَ عَلَى كُلِّ حَالٍ. وَقَدْ أَحْسَنَ النَّابِغَةُ فِي

(١) لعبد مناف بن ربيع الهذلي في شرح أشعار الهذليين ص ٦٧٤، واللسان (عضد، هقع، شغخ،
عول)، وجمهرة اللغة ٩٤٥، وديوان الأدب ٤٣٤:٣، وعجزة:

«ضَرْبُ الْمَعُولِ تَحْتَ الدِّيمَةِ الْعُضْدَا»

(٢) التبريزي: «مَنْ يَرْمِيهِمْ يَرْمِنَا مَعَا».

(٣) لمعاوية بن مالك بن جعفر بن كلاب في المفضليات ١٥٨:٢.

(٤) التبريزي: «وقال ابن دارة»، وابن دارة: هو سالم بن مسافع: شاعر مخضرم أدرك الجاهلية
والإسلام وكان هجاء (ت ٣ هـ / ٦٥٠ م). ترجمته في الإصابة ١٠٨:٢، وخزانة البغدادى
٢٩١:١.

قوله: [الطويل]

فإنَّكَ كاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُذْرِكِي وَإِنْ خِلْتُ أَنَّ المِتَّأَى عَنْكَ وَاسِعٌ^(١)

ويقال: عَسَّكَرَ واعتَكَّرَ بمعنى عَطَفَ، وإنَّه لَعَكَازٌ فِي الفِتَنِ، إِذَا كَانَ ثَابِتَ

الْقَدَمِ.

٢ - إِنِّي امْرُؤٌ تَجِدُ الرِّجَالَ عِدَاوَتِي وَجَدَ الرُّكَّابِ مِنَ الذُّبَابِ الْأَزْرَقِ

يقول: إِنِّي رَجُلٌ يَنَالُ أَعْدَائِي مِنْ عِدَاوَتِهِمْ لِي مَا يَنَالُ الْإِبِلَ مِنَ الذُّبَابِ الْأَزْرَقِ،

وَهَذَا الْجِنْسُ مِنَ الذُّبَابِ يَتَأَذَى بِهِ الْإِبِلُ تَأَذَّى الحُمْرُ بِالنَّعْرِ أَوْ أَشَدَّ. وَعِدَاوَتِي يَتَنَصَّبُ

عَلَى الْمَفْعُولِ. كَأَنَّهُ قَالَ: يَجِدُ الرِّجَالَ مِنْ عِدَاوَتِي، فَحَذَفَ حَزَفَ الْجَزِّ وَوَصَلَ الْفِعْلُ

فَعَمِلَ. يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ. «وَجَدَ الرُّكَّابِ مِنَ الذُّبَابِ». وَمِثْلُهُ^(٢): [البسيط]

أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ذَنْبًا لَسْتُ مُخَصِّصِيهِ

وقوله «عداوتي» يجوز أن يكون مضافاً إلى الفاعل، أي عداوتي لهم، ويجوز

أن يكون مضافاً إلى المفعول، أي عداوتهم لي ومعنى تَجِدُ تَخْزُنُ، وَلِذَلِكَ كَانَ الْوَجْدُ

مَضْدَرَةً. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ تَجِدُ بِمَعْنَى تَعْلَمُ، وَيَكُونُ عِدَاوَتِي الْمَفْعُولَ الْأَوَّلَ وَوَجَدَ

الرُّكَّابِ الْمَفْعُولَ الثَّانِي. وَالْمَعْنَى: إِنَّ عِدَاوَتَهُمْ لِي تُقْلِقُهُمْ وَتُنْزِيهِمْ، فَيَعْلَمُهَا الرِّجَالُ

مِثْلَ وَجَدِ الرُّكَّابِ مِنْ هَذَا الْجِنْسِ مِنَ الذُّبَابِ؛ أَيِ يَنَالُونَ مِنْهَا مَا يَنَالُ تِلْكَ مِنْهُمْ،

وَيَحْصِلُ فِي الْبَيْتِ تَجَنُّسٌ حَيْثُ ذُو.

١٣٣ - وَقَالَ الْحَصِينُ بْنُ الْحُمَامِ: [الطويل]

١ - فَقُلْتُ لَهُمْ يَا آلَ ذُبْيَانَ مَا لَكُمْ تَفَاقَدْتُمْ لَا تُقَدِّمُونَ مُقَدِّمًا

يقول: قُلْتُ لَهُؤُلَاءِ الْقَوْمِ: مَا لَكُمْ تُحْجِمُونَ وَلَا تُقَدِّمُونَ، فَقَدْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا

وَلَا اهْتَدَى أَحَدُكُمْ إِلَى الْآخَرِ. وَهَذَا الْكَلَامُ تَضْجُرُّ مِنْهُمْ لَمَّا تَخَادَلُوا وَلَمْ يَكُونُوا

عِنْدَ الظَّنِّ فِيهِمْ. وَوَضَعَ مُقَدِّمًا مَوْضِعَ الْإِقْدَامِ، وَسَاعَ ذَلِكَ لِأَنَّ مَصَادِرَ الْكَلِمَاتِ

(١) للناطقة الذبياني في ديوانه ٣٨، واللسان (طور، نأى)، وكتاب العين ٨: ٣٩٣، وتاج العروس (نأى).

(٢) بلا نسبة في أدب الكاتب ص ٥٢٤، وخزانة الأدب ٣: ١١١، والدرر ٥: ١٨٦، وأوضح المسالك ٢: ٢٨٣. وعجزه:

«رَبِّ الْعِبَادِ إِلَيْهِ الْوَجْهَ وَالْعَمَلَ»

الصَّادِرَةُ عَنْ أَضَلِّ وَاحِدٍ يَوْضَعُ بَعْضُهَا مَوْضِعَ الْبَعْضِ لِدَّاعٍ يَدْعُو إِذَا لَمْ يَكُنْ ثُمَّ مَا يَنْعُ. وَإِنَّمَا قُلْتُ هَذَا لِأَنَّ قَدَمَ يَكُونُ مَرَّةً مُتَعَدِّيًا، وَمَرَّةً يَكُونُ بِمَعْنَى تَقَدُّمٍ وَلَا يَتَعَدَّى، وَمُقَدِّمًا هَلْهَنَا مَا لَا يَتَعَدَّى، فَهُوَ مِثْلُ تَقَدُّمٍ لَهُ قَالَهُ، وَمِنْهُ مُقَدِّمَةُ الْجَيْشِ، يُزَادُ مُتَقَدِّمَتُهُ. وَقَوْلُهُ «تَفَاقَدْتُمْ» اعْتِرَاضٌ بَيْنَ مَا لَكُمْ وَبَيْنَ لَا تُقَدِّمُونَ، وَهُوَ دُعَاءٌ عَلَيْهِمْ. وَمِثْلُهُ فِي الْأَمْرَيْنِ جَمِيعًا قَوْلُ الْآخَرِ: [المنسرح]

إِنْ الشَّمَايِينَ وَبُلَّغَتْهَا قَدْ أَحْوَجَتْ سَمْعِي إِلَى تَرْجُمَانٍ^(١)

وإن كان هذا دُعَاءَ خَيْرٍ.

٢ - مَوَالِيكُم مَّوَلَى الْوِلَادَةِ مِنْهُمْ وَمَوَلَى الْيَمِينِ حَابِسًا مُتَقَسِّمًا

إِنَّمَا قَسَمَ الْمَوَلَى هَذِهِ الْقِسْمَةَ لِأَنَّ الْمَوَلَى لَهُ مَوَاضِعٌ فِي اسْتِعْمَالِهِمْ، مِنْهَا الْمَوَلَى فِي الدِّينِ: وَهُوَ الْوَلِيُّ. عَلَى ذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾ [مَحْمَدُ: الْآيَةُ ١١]، وَقَوْلُ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلَيْهِ مَوْلَاهُ»^(٢)، وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مُزَيْنَةٌ وَأَسْلَمٌ وَغِفَارٌ مَوَالِي اللَّهِ وَرَسُولِهِ»^(٣). وَمِنْهَا الْعَصْبَةُ وَبَنُو الْعَمِّ، وَهُوَ الَّذِي سَمَاهُ الشَّاعِرُ مَوَلَى الْوِلَادَةِ. وَمِنْهَا الْحَلِيفُ، وَهُوَ مَنْ انْضَمَّ إِلَيْكَ وَاعْتَزَّ بِعَزِّكَ وَامْتَنَعَ بِمَنْعِكَ، وَهُوَ الَّذِي سَمَاهُ مَوَلَى الْيَمِينِ؛ لِأَنَّهُ يُقَسِّمُ لَهُ عِنْدَ الْانْضِمَامِ بِذَلِكَ، وَهُوَ الْمُعْتَقُ لَكَ يَنْتَسِبُ بِنَسَبِكَ، وَأَنْتَ مَوْلَاهُ وَذَلِكَ مَوْلَاكَ. وَهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ الْمَوَلَى لَا يَكَادُ يُفْضَلُ الصِّمِيمِ، قَالَ: [الوافر]

وَلَيْسَ أَبْيَرُكُمْ كَأَبْيَرِ سَوْءٍ وَمَا جُعِلَ الْمَوَالِي كَالصِّمِيمِ

يقول: تَذَارَكُوا الَّذِينَ يَنْتَسِبُونَ بِالْوَلَاءِ، وَلَا يَتَسَبَّوْنَ، وَلَا يَجْلِفُ الْجَلْفَ وَالتُّضَرَّةَ، فَكُلُّ مَنْهُمْ ذُو حَبْسٍ عَلَى الشَّرِّ مُتَقَسِّمُ الْحَالِ، مُتَوَزِّعُ الْمَالِ مُعَارٍ عَلَيْهِ، فَمَا لَكُمْ لَا تَمْتَعِضُونَ وَلَا تَنْكُرُونَ.

وقوله: «حَابِسًا» فِي مَعْنَى مَخْبُوسٍ؛ لَكِنَّهُ أَخْرَجَهُ مَخْرَجَ النَّسَبِ؛ أَيِ ذُو حَبْسٍ، وَانْتِصَابِهِ عَلَى الْحَالِ. وَقَوْلُهُ «مَوَالِيكُم» عَلَى هَذَا انْتِصَابٍ بِفِعْلِ مُضْمَرٍ، كَأَنَّهُ قَالَ: أَغِيثُوا مَوَالِيَكُمْ وَتَدَارَكُوا. وَيُزَوَّى «حَابِسٌ» قَدْ تُقَسِّمًا. وَقِيلَ هُوَ اسْمٌ عَلَمٌ، وَارْتِفَاعُهُ

(١) لعوف بن ملحَم في الدرر ٣١: ٤، وشرح شواهد المغني ٨٢١: ٢، وطبقات الشعراء ١٨٧.

(٢) رواه أحمد في مسنده ٨٤: ٥، والهيتمي في موارد الظمان ٢٢٠٢.

(٣) رواه القرطبي في تفسيره ٢٦٧: ١.

على أنه بدلٌ من مولى اليمين، وقد تُقسِّمًا في موضعِ الخبر. واكتفى بالإخبار عن المُولَّيْنِ لأنَّ الموالي انقسموا إليهما.

٣ - وَفَلْتُ تَبَيَّنَ هَلْ تَرَى بَيْنَ وَاسِطٍ وَنَهْيِ أَكْفٍ صَارِحًا غَيْرَ أَعْجَمًا^(١)

يُزَوَّى «فَارِسًا غَيْرَ أَخْرَمًا»، كأنه أقبل على واحد منهم فقال: تأمل هل ترى بين هذين الموضعين فارسًا غيرَ مُنْقَطِعٍ. المعنى: أنهم يتواترون أرسالًا في الصُّرَاخِ غير متجمعين له، بل يَتَّبِعُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا في أَرْضِيكُمْ ودياركم يستنصرون فلا يُنْصَرُونَ، فما لَكُمْ لَا تَأْتَفُونَ. ومن رَوَى: «صَارِحًا غَيْرَ أَعْجَمًا» فمعناه مستغيثًا لَا يُجَابُ، فكأنه أعجم لَا يُفْهَمُ قوله. يريد: تَبَيَّنَ فَإِنَّكَ لَا تَرَى إِلَّا فَارِسًا أَخْرَمًا، أو صَارِحًا أَعْجَمًا. والأعجم: الذي لَا يُفْصِح. والصارخ والصُّرَيْخ واحد، ويقال صرَخَ فَاصْرَخْتُهُ، أي استغاثَ فَأَعَثَّتْهُ. وفي القرآن: ﴿مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ﴾ [إبراهيم: الآية ٢٢] والصُّرْخَةُ تُسْتَعْمَلُ فِي الْفَرْعِ والمصيبة. وفي المَثَلِ «لَهُ صَرْخَةُ الْحُبْلَى». وَالْخَرْمُ: الْقَطْع، ومنه أَخْرَمَ الْكَتِفَ، وهو مَحْزٌ فِي طَرَفِ عَيْرِهَا.

٤ - من الصُّبْحِ حَتَّى تَغْرُبَ الشَّمْسُ لَا تَرَى من الخَيْلِ إِلَّا خَارِجِيًا مُسَوِّمًا

أي ابتداء الأعداء يغيرون وَيَنْهَبُونَ، وهؤلاء يصرخون ويستغيثون، من وقت الغَدَاةِ إِلَى أَنْ غَابَتِ الشَّمْسُ، فَلَا تَرَى من الخَيْلِ إِلَّا مَا خَرَجَ بِنَفْسِهِ لَا أَوْلِيَّةَ لَهُ كَيْفِيَّةً، وَقَدْ أُغْلِمَ بِعَلَامَةٍ لِيَعْرِفَ بِلَاءَ صَاحِبِهِ. وقوله: «من الصُّبْحِ»، وَضِعَ مِنْ فِيهِ مَوْضِعٌ مُنْذُ، لِأَنَّ مُنْذُ فِي الْأَزْمَنَةِ بِمَنْزِلَةِ مَنْ فِي الْأَمْكَنَةِ. ومثله قول زهير: [الكامل]

أَفْوَيْنَ مِنْ جَجَجٍ وَمِنْ دَهْرٍ^(٢)

وقال الأصمعي: الْخَارِجِيُّ: كُلُّ مُتَنَاهٍ فِي جَنْسِهِ، فَائِقٍ نُظْرَاءَهُ فِي مَعْنَاهُ. وَالْمُسَوِّمُ من السَّيْمَا، وهي العَلَامَةُ، وفي القرآن: ﴿سَيِّمَاهُمْ فِي نُجُومِهِمْ﴾ [الفَتْح: الآية ٢٩].

٥ - عَلَيْهِنَ فَثَيَانٌ كَسَاهُم مَحْرَقٌ وَكَانَ إِذَا يَكْسُو أَجَادَ وَأَكْرَمَا

(١) التبريزي: «بين صارح».

(٢) لزهير في ديوانه ٨٦، وأسرار العربية ٢٧٣، والأغاني ٦: ٨٦. وصدرة:

«لمن الديار بقنة الحجر»

يقول: على هذه الخيل رَجَالٌ كَسَاهُمْ مُحَرَّقٌ، أي دروعهم وسائر أسلحتهم مما كان يكسوهم، وَيَجْعَلُهُ خِلْعَةً: وكان مُحَرَّقٌ إِذَا كَسَا الأَسْلِحَةَ أتى بها جَيِّدَةً كريمة. وَمُحَرَّقٌ: لَقَبٌ لِعَمْرُو بْنِ هِنْدٍ، وكان أَخْرَقَ قَوْمًا مِنْ تَمِيمٍ حِينَ أَجَّجَ النَّارَ بِأَوَارَةٍ، فَلَقَّبَ بِهِ، وقال بعضهم: لَقَّبَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ كَانَ إِذَا عَاقَبَ عَاقِبَ بِالنَّارِ. وقوله «إِذَا يَكْسُو» اعتراضٌ بين الفعل وهو يَكْسُو وبين المفعول به وهو «صَفَائِحُ بُضْرَى» من البيت الثاني. ويقال: أَجَادَ الشَّيْءَ بِمَعْنَى جَاءَ بِهِ جَيِّدًا، وبمعنى جَوْدَهُ. وكذلك أَكْرَمَهُ يَكُونُ بِمَعْنَى أَتَى بِهِ كَرِيمًا، وبمعنى كَرَّمَهُ. وقد توسَّعُوا فِي كَسَا وَإِنْ كَانَ أَصْلُ الكُسُوَةِ اللَّبَاسُ، فقيل: اكْتَسَى الأَرْضُ اللَّبَاتِ، على التشبيه، فقال رُوْبَةُ يُصِفُ الثَّوْرَ والكلاب: [الرجز]

وَقَدْ كَسَا فِيهِنَّ صِبْغًا بَزَزَعَا

أَي كَسَا الْكِلَابَ دَمًا طَرِيًّا. وقال بعضهم في وصف نبالٍ: [الطويل]

وَزُزِقِ كَسَتْهَا رِيَشَهَا مَضْرَجِيَّةٌ

أَي قُدِّدَهَا مِنْ رِيَشٍ مَضْرَجِيٍّ. فعلى هذا قوله «كسَاهم مُحَرَّقٌ».

٦ - صَفَائِحُ بُضْرَى أَخْلَصَتْهَا قُبُورُهَا وَمُطَرِدًا مِنْ نَسِجٍ دَاوُدَ مُبْنَهُمَا

صَفَائِحُ انْتَصَبَ عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ ثَانٍ مِنْ كَسَاهُمْ مُحَرَّقٌ. وَبُضْرَى: قَرْيَةٌ بِالشَّامِ تُطْبَعُ بِهَا السُّيُوفُ. فيقول: كَسَاهُمْ مُحَرَّقٌ سُبُوفًا بُضْرِيَّةً، اتَّخَذَهَا طَبَاغُهَا مِنْ خَالِصِ الْحَدِيدِ، وَدُرُوعًا لِيَنَّةٍ سَهْلَةٍ سَلِيسَةٍ، مُتَابَعَةِ السُّرْدِ، تَطَرَّدُ وَلَا تَخْتَلِفُ، دَاوِدِيَّةً. وَالصَّفَائِحُ: جَمْعُ صَفِيحَةٍ، وَهِيَ كُلُّ سَيْفٍ عَرِيضٍ أَوْ خَشَبَةٍ عَرِيضَةٍ. وَيُقَالُ: سَيْفٌ مُضَفَّحٌ أَيْضًا، أَيْ عَرِيضٌ، كَأَنَّهُ زِيدَ فِي صَفَحَتَيْهِ، أَيْ جَانِبَيْهِ. وَيُقَالُ أَصْفَحَ بِسَيْفِهِ، أَيْ ضَرَبَ بِصَفْحِهِ. وَمَعْنَى أَخْلَصَتْهَا: آتَتْ بِهَا خَالِصَةَ الْحَدِيدِ. وَاسْتَعْمِلَ الْكِسْوَةُ فِي السَّيْفِ كَمَا يَسْتَعْمَلُ فِيهِ الْبَزُّ. قال: [الطويل]

فَوُفِّرَ بَزٌّ مَا هُنَاكَ ضَائِعٌ^(١)

(١) لقيس بن عيزارة الهذلي في شرح أشعار الهذليين ٥٩١، وجمهرة اللغة ٦٨، وللهمذلي في اللسان (بزز، ويل). وصدرة:

«فويل أم بر جر شعل على الحصى»

يريدُ السيفَ. ووصَفَ الذُّع بالاطراد لتتابع سَردها على حَدِّ واحد، لا اختلاف في حَلِقِها، ولا تَفَاوُت في نَظْمِها. وجَعَلَهَا مُبْهَمًا لإِحْكَامِها.

٧ - فلما رَأَيْتُ الصَّبْرَ قَدْ حِيلَ دُونَهُ وَإِنْ كَانَ يَوْمًا ذَا كَوَاكِبٍ مُظْلِمًا^(١)

يقول: لما رأيتُ الأمرَ مُستَفْجِلًا، والخَطْبَ عظيمًا مُستَفْظَلًا، والصبرَ عامًّا لنا كُلُّنا، مغلوبًا عليه ممنوعًا، صَبَرْنَا نحن من بين أصحابنا على عَادَتِنَا المعهودة مِنَّا، ووطُنًا أَنفُسَنَا على الشرِّ. ويجوز أن يريد بقوله «لَمَّا رَأَيْتُ الصَّبْرَ قَدْ حِيلَ دُونَهُ» لَمَّا رَأَيْتُ الوقتَ وقتًا يُعَالُ فيه الصبرُ، ويُحَالُ بين طالِبِيهِ وبينَهُ. وقوله «وإن كان يومًا ذا كواكب مُظْلِمًا» اعتراضٌ بين لَمَّا وجوابِهِ، وهو شَرْطٌ في وقوع الصبرِ منهم يُترجم عن الحال. أي صَبَرْنَا وإن كان اليومُ يَوْمًا مُظْلِمًا تُرى فيه الكواكب ظُهْرًا، لانسدَادِ عَيْنِ الشَّمْسِ بِغُبارِ الموت. وجوابُ الجزاءِ اسْتِغْنِي عنه بجواب لَمَّا. وَرَوَى بَعْضُهُمْ: «وَأَنْ كَانَ يَوْمًا» بفتح الهمزة على أن يكون أنْ مخففة من الثَّقِيلَةِ، والمرادُ وأنه كان اليومُ يومًا ذا كواكب. وهذا الزاوي لعلَّه لم يعرف الاعتراضاتِ والفصاحةَ فيها، والتَبَسَ المعنى عليه أيضًا.

٨ - صَبَرْنَا وَكَانَ الصَّبْرُ مِنَّا سَجِيَّةً بِأَسْيَافِنَا يَفْطَنُ كَفًا وَمِغْصَمًا

يقول: حملْنَا أَنفُسَنَا على المكروه، وحَبَسْنَاها في مجالِ الموت والشرِّ، وكان ذلك مِنَّا عادةً وطبيعةً. وقوله «أَسْيَافِنَا» يجوز أن يتعلَّقَ الباءُ منه بصَبَرْنَا، واعتراضٌ بينهما قوله «وكان الصبرُ منا سَجِيَّةً»، إذ كان أرادَ أن يُبَيِّنَ أنْ ذلك الفِعلُ ليس بِمُسْتَبَدَعٍ ولا مُسْتَنَكِرٍ من أخلاقِهِمْ. ويجوز أن يتعلَّقَ بما دَلَّ عليه «وكان الصبرُ منا سَجِيَّةً». وَيَقْطَعُنَ في موضعِ الحالِ للأسِيفِ على الوجهين جميعًا. وفي طريقته قول نَهْشَلِ بن حَرْي: [الطويل]

وَيَوْمٍ كَأَنَّ الْمُضْطَلِينَ بِحَرِّهِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ نَارَ قُعُودٍ عَلَى جَمْرِ
صَبَرْنَا لَهُ حَتَّى يَبُوحَ وَإِنَّمَا تُفَرِّجُ أَيَّامُ الْكَرْيَةِ بِالصَّبْرِ

٩ - نُفَلِّقُ هَامًا مِنْ أَنَاسٍ أَعِزَّةٍ عَلَيْنَا وَهُمْ كَانُوا أَعَقَّ وَأَظْلَمًا

يقول: نُشَقِّقُ هَامَاتٍ من رجالٍ يَكْرُمُونَ علينا وَيَعِزُّونَ، لما يَجْمَعُنَا وإِيَّاهُمْ من الأحوالِ الوَكِيدَةِ، والحَرَمِ القَوِيَّةِ بِالأَنسابِ والأَسبابِ، وهم كانوا أَشدَّ عَقُوقًا وَأَتَمَّ

(١) التبريزي: «ولما رأينا».

ظلمًا، بما أطرحوه من مراعاة الحقوق، وبدؤوا به من تناسي العهود، واستعجلوه من البغي، وسلّكوه من سنن العي. ويُرَوَّى أن يزيد بن معاوية لا رحمه الله تمثّل بهذا البيت لما وُضِعَ بين يديه رأس الحسين بن علي رضي الله عنهما.

١٠ - وَلَمَّا رَأَيْتُ الْوُدَّ لَيْسَ بِنَافِعِي عَمَدْتُ إِلَى الْأَمْرِ الَّذِي كَانَ أَخْرَمَا

١١ - فَلَسْتُ بِمُبْتَاعِ الْحَيَاةِ بِذِلَّةٍ وَلَا مُرْتَقٍ مِنْ خَشْيَةِ الْمَوْتِ سُلْمَا

قوله «إلى الأمر الذي كان أخرمًا» جعل الحزم للأمر كما جعل له العزم في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ﴾ [محمّد: الآية ٢١]، فكل ذلك مجازًا واتساعًا. وصلح أن يريد بقوله أخزم، أخزم من غيره، لوقوعه خبرًا، لأنه كما يجوز حذف الخبر بأسره إذا دلّ دليل عليه، كذلك يجوز حذف ما يتم به منه إذا لم يلتبس بغيره، ولم يختل الكلام بسببه. وقوله «لما رأيت الودّ» حذف المضاف فيه وأقام المضاف إليه مقامه، كأنه قال: لما رأيت مراعاة الودّ ومحافظة، أو إظهار الود وإبقاءه. ومعنى البيت: لما رأيته لا يزدعون عن ركوب الرأس، والمجاذبة إلى أقصى ما في الطوق من اللجاج والشر، قصدت إلى ما كان أجمع للحزم معهم من مكاشفتهم، وترك الإبقاء عليهم؛ لأن ظهور التعادي والتكاشف خير من ركوب الغرور مع التشابك. ويلاحظ هذا البيت قول الآخر: [الطويل]

إذا حاجة عزّتك لا تستطيعها فدعها لأخرى لئن لك بابها

وقوله «فلسْتُ بمبتاع الحياة بسبّة»^(١)، يقال: ابتاع الشيء بمعنى اشترى، وإن كان بغته بمعنى اشترّيته وبغته جميعًا. والسبّة: الخصلة التي يسب بها، فهي كالهجنة والغرة. يقول: فعلت ذلك، فإني لست ممن يطلب العيش مع الدلّ، ولا ممن يرتقي في الأسباب خوفًا من الموت، بل الميتة الحسنة على ما يتعقّبها من الأحداث الجميلة أثر عندنا، وأوقع من هوانا، من العيشة الدميمة على ما يخالطها من الرضا بالدنيّة.

١٣٤ - وَقَالَ بَشَامَةُ بْنُ الْغَدِيرِ^(٢):

١ - وَلَقَدْ عَصِبْتُ لِحْنِدِيفٍ وَلِقَيْسِهَا لَمَّا وَنَى عَنْ نَضْرَهَا خُذْلَاهَا

(١) هذه رواية أشار إليها التبريزي.

(٢) التبريزي: «وقال بشامة بن حزن، قال أبو هلال: في الشعراء رجلان يقال لهما بشامة أحدهما بشامة بن الغدير وهو عمرو بن هلال بن سهم بن مرة، والآخر بشامة بن حزن النهشلي وهذا الشعر له».

خَنِدَفٌ: لَقَبٌ لِلْيَلَى امْرَأَةِ الْيَاسِ بْنِ مُضَرَ، لَقَوْلِهَا لَزَوْجِهَا يَوْمًا: مَا زِلْتُ أُخْنِدِفُ فِي أَثَرِكُمْ - وَالْخَنْدَقَةُ: مَشْيَةٌ كَالْهَزْوَلَةِ - فَقَالَ لَهَا: وَأَنْتِ خَنْدِفٌ. فَلَزِمَهَا، فَصَارَتْ مُضَرُّ نَسْلِينَ: أَحَدُهُمَا وَلَدُ قَيْسِ بْنِ عِيْلَانَ، وَالْآخَرُ خَنْدِفٌ. وَيُزَوَّى أَنَّ رَجُلًا عَلَى عَهْدِ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ ظُلِمَ. فَنَادَى: يَا لَخَنْدِفٍ. فَخَرَجَ الزُّبَيْرُ وَبِيَدِهِ السَّيْفُ، وَهُوَ يَقُولُ: خَنْدِفُ أَيُّهَا الْمَخْنَدِفُ، وَاللَّهِ لئن كُنْتُ مَظْلُومًا لَأَنْصُرَنَّكَ. يَقُولُ: غَضِبْتُ لِتَسْلِي مُضَرَ خَنْدِفٍ وَقَيْسٍ، لَمَّا وَنَى عَنْ مُعَاوَنَتِهَا وَالثُّهُوسِ لَهَا نُصَارَهَا. وَيُقَالُ: وَنَى يَنْيَ وَنِيًا، وَهُوَ وَإِنْ. وَإِنَّمَا قَالَ: «خَذَالُهَا» وَلَمْ يَقُلْ نُصَارَهَا، لِأَنَّهُ وَصَفَهُمْ بِمَا آلَ إِلَيْهِ أَمْرُهُمْ. وَهَذَا كَمَا يُقَالُ قَتَلْتُ قَتِيلَ بَنِي فُلَانٍ؛ وَقَدْ مَضَى لَهُ أَشْبَاهُ وَأَمْثَالُ. فَكَأَنَّ الشَّاعِرَ تَبَرَّعَ بِمَا كَانَ مِنْهُ مِنَ الْمَدَافِعَةِ دُونَهُمْ وَالْمَقَاتِلَةِ عَنْهُمْ، فَلِذَلِكَ تَحَمَّدَ بِهِ. وَقَالَ: غَضِبْتُ لَهُمْ لَمَّا رَأَيْتُ مِنْ وَجَبِ نُضْرَتِهِمْ عَلَيْهِ خَذْلَهُمْ. وَجَوَابُ لَمَّا وَنَى، مَا هُوَ صَدْرُ الْبَيْتِ.

٢ - دَافَعْتُ عَنْ أَعْرَاضِهَا فَمَنَعْتُهَا وَلَدَيْ فِي أَمْثَالِهَا أَمْثَالُهَا

هَذَا تَفْسِيرٌ لِلْغَضَبِ الَّذِي ذَكَرَهُ وَبَيَّانٌ نَتِيجَتُهُ. وَالْعَرَضُ: التُّفْسُ، وَيُسْتَعْمَلُ فِي الْحَسَبِ. يَقُولُ: دَبَبْتُ عَنْهَا وَمَنَعْتُ الْأَعْدَاءَ مِنْهَا، وَلَدَيْ فِي أَمْثَالِهَا مِنَ الْقَبَائِلِ أَمْثَالُ هَذِهِ النُّصْرَةِ. هَذَا وَجْهٌ، وَيَجُوزُ أَنْ يَرِيدَ وَلَدَيْ فِي أَمْثَالِ هَذِهِ النُّصْرَةِ أَمْثَالُ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ. وَالْقَرَائِنُ الَّتِي تَسُوِّغُ رَدَّ الضَّمِيرِينَ إِلَى جَمِيعِ مَا ذَكَرْنَاهُ حَاضِرَةً فِي الْكَلَامِ قَوِيَّةٌ.

٣ - إِنِّي أَمْرُقُ أَسْمَ الْقَصَائِدِ لِلْعِدَى إِنَّ الْقَصَائِدَ شَرُّهَا أَغْفَالُهَا

هَذَا يُمْكِنُ الْأَسْتِدْلَالُ بِهِ عَلَى صِحَّةِ الْمَعْنَى الثَّانِي، وَمَعْنَى «أَسْمُ الْقَصَائِدِ»: أَغْلَمُهَا بِمَا يَصِيرُ كَالسَّمَةِ عَلَيْهَا، حَتَّى لَا تُنْسَبَ إِلَى غَيْرِي، وَحَتَّى يُعْرَفَ مِنْهَا السَّبَبُ الَّذِي خَرَجَتْ عَلَيْهِ، فَمَنْ سَمِعَهَا عَرَفَ قِصَّتَهَا؛ وَلِهَذَا قَالَ إِنَّ الْقَصَائِدَ شَرُّهَا أَغْفَالُهَا، أَيُّ شَرِّ الشَّعْرِ مَا لَا يُمَيِّزُ لِقَائِلَهُ وَالْمَقُولُ فِيهِ عَلَيْهِ. وَيُقَالُ دَيْئَةً غُفْلٌ، إِذَا عَرِيَ مِنَ الْأَعْلَامِ. وَسَمِعْتُ مَنْ يَقُولُ فِي الْبَيْتِ إِنَّهُ مَقْلُوبٌ، وَالْمَرَادُ أَسْمُ الْعِدَى بِقَصَائِدِي، كَمَا قَالَ الْآخَرُ: [الطَوِيلُ]

جَعَلْتُ لَهُمْ فَوْقَ الْعَرَانِينَ مَيْسَمًا^(١)

(١) لِلْمَتَلَمَسِ فِي دِيْوَانِهِ ص ٢٩، وَالْأَصْمَعِيَّاتِ ص ٢٤٥، وَخَزَانَةُ الْأَدَبِ ١٠: ٥٩، وَاللَّامَاتِ

والأول أكشف وأصح، بدلالة أن الغفل جعله من القصائد، فكذلك الموسوم يجب أن يكون منها.

٤ - قَوْمِي بَنُو الْحَرْبِ الْعَوَانِ بِجَمْعِهِمْ وَالْمَشْرِفِيَّةُ وَالْقَنَا إِشْمَالُهَا

يُزَوَّى «والمشرفيَّة بالجر» ويكون معنى البيت قومي إخوان الشَّرِّ الفظيع، وأبناء الحرب التي قوتل فيها مرَّة بعد أخرى، فصارت عوانًا بعد أن كانت بكراً، أي رُوِّعَتْ من حالٍ إلى حالٍ أشدَّ منها، ويكون هذا مثل قول الآخر: [الوافر]

فلسنا من بني جداءٍ بِكْرٍ وَلَكِنَّا بَنُو جَدِّ النُّقَالِ

وعلى ما ذكرنا يتم الكلام بقوله العَوَانِ؛ ثم قال «بجمعهم» أي باجتماع قومي واجتماع آلات الحرب اشتعلت نارها. والباء من بجمعهم يتعلّق بقوله إشعالها. ويروى «والمشرفيَّة» بالرفع، ويكون على هذه الرواية تمام الكلام عند قوله بجمعهم؛ لأن الباء منه حينئذٍ يتعلّق بقوله العَوَانِ. والمعنى: قومي بنو الحرب التي عُوت، أي صارت عوانًا بهم، وباجتماع جيشهم؛ ثم استأنف الكلام؛ فقال: «والمشرفيَّة والقنا»، والمُراد واشتعال نارها بالرمّاح والسيوف المشرفيّة. وهذا الكلام - أعني والمشرفيّة - وإن استؤنّف به فمن صفة الحرب. وقيل في المشرفيّة إنّها نسبت إلى المشارف، وهي قرى معروفة تُجلب منها وتطبخ بها. ويقال: أشعلت النار في الحطب، وأشعلت الخيل في الغارة، وأشعلته غَضَبًا.

٥ - مَا زَالَ مَعْرُوفًا لِمُرَّةٍ فِي الْوَعَى عُلُّ الْقَنَا وَعَلَيْهِمْ إِنَّهَا

ما زال لدوام الماضي، وارتفع عُلُّ القنا على أنّه اسمه، وخبره معروفاً. والمعنى: سَقِيَ الرّماح عُلًّا بعد نَهْلٍ عَادَّةً معروفةً لهم، فيما نقاد من الأيّام إلى الآن إذا حضروا الحرب. والعُلُّ والعَلَلُ: الشَّرْبَةُ الثَّانِيَّة، ويقال: عُلٌّ إِبْلَهُ يَعْطُهَا فَعَلَّتْ هِيَ. وَأَنْهَلْتُ الإِبِلَ، إِذَا سَقَيْتَهَا أَوَّلًا، فَتَهَلَّتْ، إِذَا شَرِبَتْ فِي أَوَّلِ الْوَرُودِ حَتَّى رَوَيْتَ. ومثل هذا البيت قول الآخر: [الوافر]

نَهَلْنَا مِنْ دِمَاءِ بَنِي لُؤْيٍ وَأَنْهَلْنَا الْقَنَا حَتَّى رَوَيْنَا^(١)

= «ولو غير أخوالي أرادوا نقيمتي»

(١) بلا نسبة في اللسان (سند)، وكتاب العين ٥٢: ٤، وأساس البلاغة (نهل).

وتوسّعوا في الاستعمال حتى سمّوا منازل السّفَر على المياہ مَناہِلَ. وإنما قال: «وعليهم إنهاؤها» لأنّه كأنه جعل ذلك واجبًا عليهم.

٦ - من عهد عادٍ كان مغرورًا لنا أسرُ الملوك وقنلها وقنألها

وَضَعَ مِنْ فِي قَوْلِهِ «مِنْ عَهْدِ عَادٍ» مَوْضِعٌ مُنْذُ لِقَوَّتِهَا وَكَثْرَةِ تَصَرُّفِهَا وَتَمَكُّنِهَا فِي بَابِ الْجَزْ، وَأَدَاءَ مَعْنَى الْإِبْتِدَاءِ، وَمِثْلُهُ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ﴾ [التوبة: الآية ١٠٨]، وَقَوْلُ الرَّاجِزِ: [الرجز]

مِنْ غُدْوَةٍ حَتَّى كَأَنَّ الشَّمْسَ بِالْأَفْقِ الْغَرْبِيِّ تُطْلَى وَرَسًا^(١)

ومعنى البيت أنّه نبّه على مجاذبتهم للملوك والعليّة، لا للأذنان والسّفلة. والقتال في ترتيب الفعل مُسَابِقٌ لِلأَسْرِ والقتل، لكنّه لم يُبَالِ بتأخيرهِ في ترتيب اللفظ، لأنّ الواو لا يُوجِبُ في العَطْفِ ترتيبًا، إنّما هو مَوْضُوعَةٌ لِلْجَمْعِ فقط، وَتَبَجَّحَ أيضًا بأن ذلك قديمٌ فيهم منذ زمن عادٍ لا حديث.

١٣٥ - وقال أرطاة بن سُهَيْة:

١ - وَنَحْنُ بَنُو عَمٍّ عَلَى ذَاكَ بَيْنَنَا زَرَابِي فِيهَا بِغَضَّةٌ وَتَنَافُسُ

يقول: نحن أبناء عمٍّ، وعلى ما بيننا من القرّبي والقرابة فَرِشْتُ بَيْنَنَا بَسْطَ شَرٍّ تشتمل على تباغضٍ وتحاسدٍ. وذكر الزرابيّ مَثَلُ هَلْهنا، وهي البَسْطُ، واجدّها زَرْبِيَّةٌ وزَرْبِيّ، وقال أبو عبيدة: وهي في لغة أخرى الشّواذكين^(٢): وأنشد لذي الرّمة: [الطويل]

تَرَدَّيْتُ مِنْ أَفْوَافِ نَوْرِ كَأَنَّهَا زَرَابِي وَأَزْتَجْتُ عَلَيْكَ الرُّوَاعِدُ^(٣)

وفي القرآن: ﴿وَنَارُ مَصْفُوفَةٌ﴾ ٥٠ وَزَرَابِيٌّ مَبْنُوءَةٌ ١١ [الغاشية: الآيتان ١٥، ١٦]: أي مفرقة في المجالس. ويقال: اطو بساط الشر بيني وبينك. ويقولون أيضًا: أعطاني فلان في بساط كلامه كذا، أي فيما بسط منه. وقال الخليل في الزرابي: إنّها القُطُوعُ الحِيريّة الرّقيقة. وفي كلام بعض الفصحاء: «فَرِشْتُ بَيْنَنَا قُطُوعَ الثَّمَامِ». فعلى هذا استعمل هذا الشاعر الزرابي. فأما قوله «على ذاك بيننا»، فإنما أشار بذلك إلى ما

(١) بلا نسبة في المخصص ١٢٧:٧.

(٢) الشواذكين: لعل له صلة بكلمة شادكونه الفارسية، بمعنى الحشية التي ينام عليها الإنسان.

(٣) لذي الرمة في ديوانه ص ١٠٨٩، واللسان (فوه)، والمخصص ١١: ١٩٣.

جَمَعَهُمْ مِنْ سَبَبِ الْعُمُومَةِ وَنَسَبِهَا. وَيُرْوَى: «على ذات بيننا، زرابي» كأنه أراد بذات بينهم خالصة النسب والقربة، ثم جعل فوقها ما قد غمرها وسترها من زرابي الفساد. ويروى:

..... على ذاك بيننا تئاء وفينا بغضة وتنافس

والمعنى: وعلى ما يجمعنا من الرجم ينأى بعضنا عن البعض، ومع ذلك بيننا تدابر وتباغض، وتهاجر وتقاطع. كأنهم جعلوا التناهي مداواة في إزالة ما بينهم فلم ينفع.

٢ - ونحن كصديق العس إن يغط شاعبا يدعه وفيه عيبه متشاخص

العس: القدح الضخم: والشعب، يستعمل في الجمع والتفريق. ويقال أيضا: تفرق شعبهم. والشاعب ههنا: مصلح القدح. يقول: استحكم الفساد بيننا حتى لا يقبل صلحا ولا صلاحا، وتفاقم الانصداع حتى لا يلتحم تباينا وتداقعا، فلن تعود الحال إلى ما كانت وإن أمسكنا عن إثارة الشر والزيادة فيه زمانا، وتصنغنا في الاحتمال والمقاربة إبقاء على الحظ من المراجعة وإذناء، بل يكون ما بيننا كالشق في القدح، إن أعطي شاعبا تركه والعيب ظاهر فيه، غير منكّم ولا خاف. والمتشاخص: المتفاوت المتباين. ومنه قولهم: تشاخصت أسنائه من الكبر، إذا احتلفت. قال الخليل: هو أن يسقط بعضها ويميل بعضها. وقيل: الشخس في الأصل فتح الفم للتثاؤب. ويجوز أن يريد بقوله «وفيه عيبه»: ومعيبه هكذا. وفي طريقته قول الآخر: [الكامل]

ومن الموالى صب جندلة نخر المودة ظاهر الغمر

وقد أحسن الألاجقي في مزدوجته حين قال: [الرجز]

وإنما مودة الأشرار في وهبها كمثله الفخار

يصيبه أدنى يد فينكسر وليس يزرعى شغبه إذا جيز

٣ - كفى بيننا ألا نرد تحية على جانب ولا يشمت عاطس

يُروى «يشمت» بالشين والسين، وهما بمعنى واحد، وسمعت أبا علي الفارسي يقول في اشتقاق التسميت بالسين غير معجمة - وهو قولك للعاطس: يرحمك الله - فقال: كأنه إذا عطس لحقته نفضة في جسمه، فإذا دعا الداعي له فكانه ردّه إلى سمته

وهذيه. وقال في التسميت بالشين معجمة: كأنه التثيبت من الشوامت وهي القوائم. يقول: يكفيك من الشرِّ الراتب بيننا أنه لا تُرَدُّ تحية الواحد منا - يريد جواب تسليمه - وإن كان الالتقاء معه عن عُفْرِ كالالتقاء مع الأجانب والغُرباء، وأنه إذا عَطَسَ واحدٌ لا يُتَلَقَّى بالدُّعاء له على ما استمرَّ وعُرف من عادة الناس في تناديهم وتجاورهم. وقوله «كَفَى بَيْنَنَا» هو بينَ الذي كان ظَرْفًا، فنقله إلى باب الأسماء. ومثله قولُ الله عز وجل: ﴿لَقَدْ قَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: الآية ٩٤] وقال الشاعر: [الوافر]

كَأَنَّ رِمَاحَهُمْ أَشْطَانُ بِشْرِ بَعِيدٍ بَيْنَ جَالِيهَا جَرُورٍ^(١)

ويجوز أن يُزَوَى «أن لا تُرَدُّ» بالرفع، وكذلك «ولا يُشَمَّتُ» على أن تُجَعَلَ أن مُحَقَّقة من الثقيلة. ويكون المراد أنه لا تُرَدُّ تحية. ومثله قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ إِلَّا يَرْجِعُ﴾ [طه: الآية ٨٩]، بالنصب والرفع.

١٣٦ - وقال عَقِيلُ بْنُ عُقْلَةَ^(٢): [الوافر]

١ - تَنَاهَاؤُا وَاسْأَلُوا ابْنَ أَبِي لَيْبٍ أَعْتَبَهُ الضُّبَارِمَةُ الضَّجِيدُ

يقول: كُفُّوا عما أنتم عليه من تهيج الشرِّ، وأمسكوا عن الشرِّ في تأريث نار الحرب، واسألوا هذا الرجل: هل أرضاه الأسدُ القويُّ الغليظ الشديد لما تحكَّك به، وهل وفاه ما استحقَّه عليه. كأنه جعل إنزاله السُّوء به والزيادة عند تكرُّهه له إغْتَايَا، على التهكم والسُّخرية. ومثله في ذلك قول بِشْرِ: [الكامل]

غَضِبَتْ تَمِيمٌ أَنْ تُقْتَلَ عَامِرٌ يَوْمَ النَّسَارِ فَأَغْتَبُوا بِالصَّيْلِمِ^(٣)

والضُّبَارِمَةُ، قال الخليل: هو الجريء على الأعداء، وسمي الأسدُ ضُّبَارِمًا. قال: ويُقال هو الأسدُ الوثيقُ الخَلْقِ، المكتنز اللحم. ويجوز عندي أن يكون من معنى الْمُضْبَرِّ لا من لفظه، فيكون من باب دَمِيتٍ ودِمَثِرٍ، ودَلَامِصٍ ودِلَاصٍ وَسَبِطٍ وسَبْطَرٍ. والتَّجِيدُ: ذو التَّجْدَةِ، وهي البأسُ والسُّدَّةُ.

٢ - وَلَسْنُكُمْ فَاعِلِينَ إِخَالُ حَتَّى يَنَالَ أَقَاصِي الحَطَبِ الوُقُودُ

(١) البيت لمهلل في الكامل ٢١٢، ٣٥٢ (ليسك).

(٢) عقيل بن عُقْلَةَ، أبو العميس، شاعر مجيد مقلِّ من شعراء الدولة الأموية (ت نحو ١٠٠ هـ / ٧١٨ م). ترجمته في الأغاني ٨١/١١، وجمهرة الأنساب ص ٢٤١.

(٣) لبشر بن أبي خازم في ديوانه ص ٨٠، واللسان (عتب، صلم)، والعقد الفريد ٢٤٨:٥.

حَذَفَ مَفْعُولَ قَوْلِهِ فَاعِلَيْنِ، وَهُوَ مَا دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ فِي الْبَيْتِ قَبْلَهُ «تَنَاهَوْا» كَأَنَّهُ قَالَ: وَلَسْتُمْ فَاعِلَيْنِ التَّنَاهِي. يَقُولُ: مَا أَرَى أَنْكُمْ تَنْتَهَوْنَ إِلَى مَا رَسَمْتُ، أَوْ تَقْبَلُونَ كَلَامِي الَّذِي إِلَيْهِ أَشْرْتُ، حَتَّى يَغْطُمَ الْخَطْبُ، وَيَبْلُغَ الْبَلَاءُ أَفْصَى مَبَالِغِ الْجَهْدِ، فَيَتَعَدَّى الْأَقَارِبَ إِلَى الْأَبَاعِدِ، وَيَتَأَدَّى مِنَ السَّقِيمِ إِلَى الْبَرِيءِ. وَذَكَرَ الْخَطْبُ وَالْوُقُودُ هَلْهنا مَثَلٌ لَتَفَاقَمِ الشَّانِ وَاسْتَفْحَالِهِ، وَاتِّسَاعِ الْمَكْرُوهِ وَاسْتِمَالِهِ. وَقَدْ مَضَى الْقَوْلُ فِي «إِخَالٍ» وَكُسِرِ الْهَمْزَةِ مِنْهُ.

٣ - وَأَبْغَضُ مَنْ وَضَعْتُ إِلَيْهِ فِيهِ لِسَانِي مَفْشَرٌ عَنْهُمْ أَذُودُ

يقول: إِنِّي مَتَعَطَفٌ عَلَى عَشِيرَتِي وَإِنْ كَانُوا مُسِيئِينَ إِلَيَّ، مَتَكْرَمٌ مَعَهُمْ وَإِنْ كَانُوا مُتَحَامِلِينَ عَلَيَّ، فَأَبْغَضُ إِنْسَانٍ أَذْكُرُهُ وَأَتَنَاوَلُهُ بِلِسَانِي مُتَنَقِّصًا لَهُ، قَوْمٌ أَدْفَعُ عَنْهُمْ فِي وَقْتِي، وَأَحَامِي عَلَيْهِمْ فِي ظَاهِرِ أَمْرِي. وَفِي الْبَيْتِ تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ، وَأَصْلُ تَرْتِيبِهِ: أَبْغَضُ مَنْ وَضَعْتُ لِسَانِي فِيهِ إِلَيَّ قَوْمٌ هَكَذَا شَأْنِي مَعَهُمْ. وَهَذَا تَنْبِيْةٌ عَلَى أَنَّ الرَّشَادَ فِي الْمَحَافِظَةِ عَلَى حُرْمِ ذَوِي الرَّجْمِ وَإِنْ كَانُوا مُنَابِذِينَ. فَمَنْ مِنْ قَوْلِهِ «أَبْغَضُ مَنْ» نَكْرَةً موصوفةً، وَصِفَتُهُ وَضَعْتُ لِسَانِي فِيهِ الْجُمْلَةُ. وَقَدْ فَصَّلَ بَيْنَ بَغْضِهَا وَالبَعْضِ الْآخِرَ بِقَوْلِهِ «إِلَيَّ» وَهُوَ أَجْنَبِيٌّ مِنْهَا. وَهَذَا فِي الصِّفَةِ أَقْرَبُ مِنْهُ فِي الصِّلَةِ، فَاحْتِمَالُهُ فِيهِ أَقْرَبُ. وَمِثْلُ هَذَا قَوْلُ جَرِيرٍ: [الطويل]

فَلَوْ شَاءَ قَوْمِي كَانَ حِلْمِي فِيهِمْ وَكَانَ عَلَى جُهَالٍ أَعْدَائِهِمْ جَهْلِي

وَمَعْنَى أَذُود: أَدْفَعُ، وَمِنْهُ سُمِّيَ اللِّسَانُ الْمَذُودَ، وَهَذَا كَمَا سُمِّيَ الْبِفَصْلِ.

٤ - وَلَسْتُ بِسَائِلٍ جَارَاتٍ بَيْنِي أَغْيَابَ رِجَالِكَ أَمْ شُهُودَ

يَحْتَمِلُ وَجْهَيْنِ: أَحَدُهُمَا أَنْ يَتَجَبَّحَ بِتَعَقُّفِهِ فِي جَارَاتِهِ، وَأَنَّهُ لَا يَتَطَلَّبُ مَفَارِقَةَ الْقَيِّمِينَ بِهِنَّ، مَرَضِدًا لِلتَّمَكُّنِ مِنْهُنَّ، فَيَكُونُ ذَلِكَ بَاعِثًا لِلسُّؤَالِ عَنْ رِجَالِهِنَّ، لِيُغْتَنَمَ الْخَلْوَةُ بِهِنَّ. وَالثَّانِي أَنْ يَرِيدَ رَفَعَ الطَّمَعِ عَنْ جَبْرِتِهِ، وَقَلَّةِ الْفِكْرِ فِي تَتَبُعِ أَخْوَالِهِمْ، عِنْدَ حُضُورِهِمْ وَغَيْبَتِهِمْ، إِذْ لَمْ يَكُنْ هُمُهُ فِي التَّنِيلِ مِنْهُمْ، وَمِشَارِكَتِهِمْ فِيمَا يَتَجَدَّدُ لَهُمْ مِنْ خَيْرٍ، فِعْلُ الْمُسَيْفِ لِلْمَطَامِعِ الدِّيَّةِ. وَيَكُونُ هَذَا كَمَا قَالَ الْآخَرُ: [الكامل]

وَإِذَا أَتَى مِنْ وَجْهِهِ بِطَرِيقِهِ لَمْ أَطْلِعْ مِمَّا وَرَاءَ خِبَائِهِ

وَهَذَا أَوْجَهُ، لِأَنَّ ذِكْرَ الْعِفَّةِ قَدْ جَاءَ مِنْ بَعْدِ.

٥ - وَلَسْتُ بِصَادِرٍ عَنْ بَيْتِ جَارِي صُدُورِ الْعَيْرِ غَمْرَةَ الْوُرُودِ

هذا يَشْهَدُ لما اخْتَرَنَاهُ في تفسير ما قَبْلَهُ، فيقول: وإذا دَعَانِي الجار إلى بَيْتِهِ يُكْرِمُنِي بِبِرِّهِ، وَيُشْرِكُنِي في خَيْرِهِ، لا أَنْصَرِفُ عنه والطَّمَعُ فيه بحالِهِ، والاستغنام للحقير من مَالِهِ وطَعَامِهِ على حَدِّهِ، انصرافَ العَيْرِ عن المَاءِ وقد غَمَرَهُ الورود. والتغْمِيرُ كالتصريد، وهو شُرْبُ دون الرِّيِّ ومنه العَمَرُ: القَدْحُ الصَّغِيرُ، وقال الخليل: يُتَكَائِلُ به الماء في الْمَهَامِهِ. وأنشد: [البسيط]

تَكْفِيهِ حَزْرَةٌ فَلِذِ إِنْ أَلَمَ بِهَا من الشَّوَاءِ وَيُزَوِّي شُرْبُهُ الْعَمَرُ^(١)

وقيل في غَمَرَهُ معناه أرواهُ من العَمَرِ: الماء الكثير، فيكون المعنى: إنِّي لا أَتَهَالِكُ على طامه فَعَلَّ الْمَنْهُومُ الخسيس الهِمَّةَ فَاتَّضَلَّعَ، لكنِّي أَكُلُ أَكْلًا كَرِيمًا، وهذا المعنى أَقْرَبُ عِنْدِي.

٦ - ولا مُلْقٍ لِيذِي الْوَدَعَاتِ سَوْطِي الْأَعْبُهُ وَرَيْبَتُهُ أَرِيدُ^(٢)
هذا مثل قول الآخر: [الكامل]

لا أَخْذُ الصَّبِيَّانَ أَلْتُمُهُم والأمرُ قد يُغْيِي به الأمرُ^(٣)

وفي طريقته أيضًا قول الآخر: [الطويل]

أَحْبُ صَبِيٍّ السَّوِّءِ مِنْ أَجْلِ أُمِّهِ وأبغضُهُ مِنْ بُغْضِهَا، وهو حَادِرُ^(٤)

أي حَسَنُ الْخَلْقِ: يَصِفُ عَقَّتَهُ فيقول: لا أُلْقِي سَوْطِي بين يَدَي الصَّبِيِّ الذي في عُنُقِهِ عُوْدٌ وتمايم لصِغَرِهِ، أَلْعَبُهُ في الظاهر، وَأَضْمِرُ التَّوَدُّدَ إلى أُمِّهِ وأَطْلُبُ الْخُلُوةَ بها لاشتغاله. وهذا إذا رَوَيْتَ: «ورَيْبَتُهُ أَرِيدُ»، وقوله أَلْعَبُهُ في موضع الحال. وَيُزَوِّي: «ورَيْبَتُهُ» وهو أَكْشَفُ. ورأيتُ من يَقْصُرُ الأبيات الثلاثة على صفة العَقَّة عن الجارات، وأن يكون كلُّ بَيْتٍ منها لمعنى أَحْسَنُ وأوْلَى.

١٣٧ - وقال مُحَمَّد بن عبد الله الأزدي: [الطويل]

١ - لا أَذْفَعُ ابْنَ الْعَمِّ يَخْشِي على شَفَا وإنْ بَلَقْتَنِي مِنْ أَذَاهُ الْجَنَادُ

(١) لأعشى باهلة في اللسان (غمر، حرز)، وجمهرة اللغة ٥٦، وديوان الأدب ١٨٠.

(٢) التبريزي: «قال أبو ريش: البيتان الأخيران لابن أبي نمير القتالي من بني مرة جاء بهما أبو تمام ضلّة في هذه الأبيات وليسا منها».

(٣) لمسكين الدارمي في أمالي القالي ٤٥: ١.

(٤) بلا نسبة في اللسان (حدر)، وتاج العروس (حدر)، وتهذيب اللغة ٤: ٤٠٨.

الشَّقَا: حَزَفُ الشيء. ويمشي في موضع الحال. والبيت يحتمل وجهين: أحدهما أن يكون المعنى إذا أَشْفَى ابنُ عَمِّي على بلاءٍ وشرٍّ يُخَافُ عليه منه، وَيُخْشَى عَطْبُهُ فيه، فلإني لا أدْفَعُ في صدرِهِ تحاملاً عليه ليقْتحمه، ولا أَرْجُ به فيه لأغرِقَه. ويجوز أن يريد: إذا انْحَرَفَ عني مهاجراً لي ومَشَى على جانبٍ من المؤانسة معي لا أنْفَرَه، ولا أَتَمَمَ استيحاشَه بما أَثِيرُ من كوامن غيظه، وإن بلغَنِي الدواهي عنه، وقاسيَتُ الشدائد من التأذي به. أي لا أنتهزُ الفرصة في مكاشفته وإن اتصل بالسوء تعرَّضَه، ودام فيما يَعِنُ اعتراضَه. والجنادُعُ في الأضل تُستعمل في هوامِّ الأرض، تُستعمل كنايةً عن ضروب المكاره وأنواع الأذى. ومن قولهم: «بَدَتْ جَنَادِعُه والله جادِعُه». وهذا كما استعاروا العقاربَ فقالوا: دَبَّتْ عقاربُه. وقال الخليل: الجنادع: جنادب في جِحْرَةِ الحشرات يخرجُن إذا كان الحافِرُ يبلغ أقصاها. ومنه قيل في المثل: «جاءت جَنَادِعُ الشَّرِّ»^(١)، أي أوائله. واستعمل في الكلام أيضاً فقليل جنادُعُ القولِ لِمَا يَسُوءُ منه. ويجوز في قوله «يمشي على شَقَا» وَجْهٌ آخر حَسَنٌ، وهو أن يكونَ يمشي في معنى يَنْمُ وَيَحْطُبُ. وفي المَثَلِ: «هو أَضْرَبُ من مَشَى بِشَقَّةٍ». وكأنه مأخوذٌ من قوله تعالى: ﴿مَثَلُ يَنْبِئٍ﴾ [القلم: الآية ١١]، ويكون على هذا قوله «على شَقَا» متعلِّقاً بمضمر، كأنه قال: يَفْعَلُ ذلك كائناً على شَقَا أو حاصلاً؛ والمعنى مُنْحَرِفاً: أي لا أدفعُه عن التَّحْرِيشِ والتَّيْمِيةِ قَهْراً وعُتْفاً، ولكن أعطِفُه بالحُسْنَى.

٢ - ولكن أواسيه وأنسى ذنوبه لترجعهُ يوماً إلي الرواجعُ

قوله «أواسيه» أي أجعله إِسْوَةً نَفْسِي، فأقاسمه مالي ومُلْكِي: يقول: لكنِّي أُنَاسَى ذُنُوبَهُ وَهَفَوَاتِهِ، وَأَتَغَابَى جَرَائِمَهُ وَزَلَاتِهِ، وَأُخَسِّنُ النَّاتِيَّ في أثناء ذلك لمواساته، عندما أنتظر من قِيَّتِهِ وَعَطْفَتِهِ، حتَّى يرُدَّه إلى ما كان عليه من قَبْلُ دَوَاعِي الأحوالِ، وتَشَابُكِ الأَرْحَامِ، ورواجعِ الْعَقَبِ، ولواجِقِ السَّبَبِ. وهذا الذي وَصَفَهُ هو الغاية في الإبقاء والاستبقاء.

٣ - وَحَسْبُكَ مِنْ ذُلٍّ وَسُوءٍ صَنِيعَةٍ مُنَاوَاةُ ذِي الْقُرْبَى وَإِنْ قِيلَ قَاطِعُ

يقول: كافيك مِنْ سُوءِ الْفِعْلِ واكتسَاءِ الذُّلِّ، أَنْ تُنَاوِيَ أَقَارِبَكَ وَإِنْ كَانُوا قَاطِعِينَ عَاقِبِينَ، مَهَاجِرِينَ مُصَارِمِينَ. وإنما قال «من ذُلٍّ» لِأَنَّ عِزَّ الرَّجُلِ بعشيرَتِهِ، ومن

أَفَاتَ نَفْسَهُ الْحَظَّ مِنْهُمْ فَقَدْ ذَلَّ. وَالْمُتَاوَاةُ أَضْلَاهَا الْهَمْزُ، وَاشْتِقَاقُهَا مِنَ التَّوْءِ: التَّهْوِضُ. كَأَنَّ الْمُتَعَادِيَيْنِ يُتَاهِضُ كُلُّ صَاحِبِهِ إِمَّا بِنَفْسِهِ، وَإِمَّا بِعَقِيدَتِهِ وَنَيْتِهِ. وَقَوْلُهُ «سُوءٌ صَنِيعَةٌ» جَعَلَ الصَّنِيعَةَ اسْمًا فَهِيَ كَالْكِرِيهَةِ. وَقَوْلُهُ «وَأِنْ قِيلَ قَاطِعٌ» ارْتَفَعَ قَاطِعٌ عَلَى أَنَّهُ خَبَرٌ ابْتِدَاءً مُضْمَرٌ، كَأَنَّهُ أَرَادَ «وَأِنْ قِيلَ هُوَ قَاطِعٌ». وَفِي طَرِيقَتِهِ قَوْلُ الْحَطِيطَةِ: [الوافر]

فَأَبْقُوا لَا أَبَاكُمُ عَلَيْهِمْ فَإِنَّ مَلَامَةَ الْمَوْلَى شَقَاءٌ^(١)

وَرَوَى بَعْضُهُمْ: «وَأَنْ قِيلَ» بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ، كَأَنَّهُ يَغْطِفُهُ عَلَى قَوْلِهِ مُتَاوَاةٌ، وَالْمَعْنَى: حَسْبُكَ مِنَ الْأَمْرَيْنِ الْمَذْكُورَيْنِ مُتَاوَاةُ الْأَقَارِبِ، وَقَوْلُ النَّاسِ هُوَ قَاطِعٌ عَاقٌ. وَالْأَوَّلُ أَجْوَدُ وَأَشْبَهُ بِمَا اقْتَضَاهُ وَتَصَرَّفَ فِيهِ.

١٣٨ - وَقَالَ آخَرُ: [البسيط]

١ - إِنْ يَحْسِدُونِي فَلِإِنِّي غَيْرُ لَائِمِهِمْ قَبْلِي مِنَ النَّاسِ أَهْلُ الْفَضْلِ قَدْ حَسَدُوا

الضمير في «يحسدوني» لطائفة من الناس خَصَّهم بِالْإِخْبَارِ عَنْهُمْ، وَقَصَدَهُمُ بِالْكَلَامِ. فَيَقُولُ: إِنْ نَافَسُونِي وَحَسَدُونِي، وَرَمَقُوا النِّعْمَةَ عَلَيَّ بِعَيْنِ التَّسْحِطِ. فَإِنِّي لَا أُلَومُهُمْ وَلَا أُغْتِيبُ عَلَيْهِمْ، إِذْ كَانَ التَّنَافُسُ وَالْحَسَدُ يَتَّبَعَانِ الْفَضْلَ، وَإِذْ كَانَ مِنْ قَبْلَتَا عِتَادَ بَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ مِثْلَ مَا نَرَاهُ بِسَبَبِ الْفَضْلِ. وَقَدْ أَحْسَنَ كُلُّ الْإِحْسَانِ مَنْ قَالَ: [الكامل]

وَإِذَا سَرَخْتَ الطَّرْفَ حَوْلَ قِبَابِهِ لَمْ تَلَقْ إِلَّا نِعْمَةً وَحَسُودًا^(٢)

فَأَمَّا قَوْلُهُ «قَبْلِي مِنَ النَّاسِ أَهْلُ الْفَضْلِ قَدْ حَسَدُوا». فَمِثْلُهُ قَوْلُ عُمَرَ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ: [الرمل]

وَقَدِيمًا كَانَ فِي النَّاسِ الْحَسَدُ^(٣)

وَقَبْلِي جَعَلَهُ لَغَوًّا، وَمِنَ النَّاسِ تَبَيَّنَ، وَقَدْ حَسَدُوا خَيْرَ الْمَبْتَدَأِ.

٢ - قَدَامَ لِي وَلَهُمْ مَا بِي وَمَا بِهِمْ وَمَاتَ أَكْثَرُنَا غَنِيظًا بِمَا يَجِدُ

(٢) بلا نسبة عند التبريزي ١: ٢٩٠.

(١) ديوانه ص ٢٧.

(٣) ديوانه ص ٧٦، وصدرة:

«حسد حملته من شأنها»

هذا الكلام دُعَاءٌ لنفسه وعليهم، على طريق التَّسْلِي وقَلَّة الاحتفال، ولأنَّ الحاسِدَ يَرْفَعُ الخاملَ من الفضل ويُوَوِّه به. فيقول: أَدَامَ اللهُ لي ما أنا عليه من الفضل، ولَهُمْ ما هم عليه من الحَسَد، وماتَ أَكْثَرُنَا لَغَيْظِهِ بما يَجِدُ. وقوله «ومات أَكْثَرُنَا» الأكثرُ هم الحَسَدَةُ، لأنَّه - وإن أَدْخَلَ نَفْسَهُ فيمن أَضَافَ الأكثرَ إليه - واجدٌ. وقوله «بما يَجِدُ» حَذَفَ المَفْعُولَ، والمعنى بما يجدُهُ في نَفْسِهِ من الحَسَد، أو بما يَجِدُهُ من النِّعْمَةِ والفضلِ عند المَحْسُود. وحَدَّثني أبو عبد الله حَمَزَةُ بن الحسن قال: سمعت أبا الحسن علي بن مهدي الكِسْرِي يقول: أنا قد تَبَتَّعْتُ من دواوين الشعراء قديمهم ومُحَدِّثهم فوجدت أبا تمام الطائي متفردًا بمعنى قوله: [الكامل]

وَإِذَا أَرَادَ اللهُ نَشْرَ فَضِيلَةٍ طُوِيَتْ أَتَاخَ لَهَا لِسَانٌ حَسُودٌ

لَوْلَا التَّخَوُّفُ لِلْعَوَاقِبِ لَمْ يَزَلْ لِلْحَاسِدِ النُّعْمَى عَلَى الْمَحْسُودِ

غير مَسْبُوقٍ إليه، وعندي أَنَّهُ أَخَذَهُ من فَحْوَى هُذَيْنِ البَيْتَيْنِ وإن كان زاد عليه.

٣ - أنا الذي يَجِدُونِي فِي صُدُورِهِمْ لَا أَرْتَقِي صَدْرًا مِنْهَا وَلَا أَرُدُّ

قَوْلُهُ «يَجِدُونِي» كان يجب أن يقول يجدونني؛ لأنَّ الفِعْلَ في مَوْضِعِ رَفْعٍ، لَكِنَّهُ حَذَفَ النون تخفيفًا. وكان يجب أن يَقُولَ لَوْ جَرَى عَلَى حُكْمِ الصَّلَةِ: يجدونه، حتَّى يَكُونَ في الصَّلَةِ ضمير يَعود إلى الَّذِي. وإلَّا جازَ أن يَجِيءَ وليس فيه ما يَعودُ إلى الذي وإن كان صِلَةً لَهُ، لأنَّ الذي خَبِرَ أَنَا، وهو والمبتدأ شيء واحد، فلما كان الأول والثاني شيئًا واحدًا لم يُبَالِ أن يَرُدَّ الضمير الذي يجب رَجُوعُهُ إلى الثاني إلى الأول. ومثُلُ هذا ما نُسِبَ إلى أمير المؤمنين عليه السلام: [الرجز]

أنا الذي سَمَّيْنِي أُمِّي حَيْدَرَهُ

فقال: سَمَّيْنِي ولم يقل سَمَّيْتُهُ. وقد مَضَى القولُ في مثله فيما تقدَّم مُسْتَقْصَى، ومعنى البيت: أنا الذي صِرْتُ عُصَّةً في صُدُورِهِمْ قد نَشِبْتُ فَلَا تَصُدُّرُ وَلَا تَرُدُّ، أي صارت لازِمَةً لَا تَسُوعُ وَلَا تَوُوبُ. وقوله «صَدْرًا» مَصْدَرٌ في مَوْضِعِ الحال. و«لَا أَرْتَقِي» إن جعلتُ في صدورهم لَعْوًا يكون في مَوْضِعِ المفعول الثاني، وإن جعلتُ في صدورهم مفعولًا ثانيًا كان لَا أَرْتَقِي حَالًا.

١٣٩ - وقال آخر: [البيسط]

١ - الشَّيْءُ يَبْدُوهُ فِي الْأَضَلِّ أَضْفَرُهُ وَأَلَيْسَ يَضْلَى بِكُلِّ الْحَرْبِ جَانِبَهَا^(١)
يَبْدُوهُ أَي يَبْدَأُ مِنْهُ، فَحَذَفَ حَرْفَ الْجَرِّ وَوَصَلَ الْفِعْلَ فَتَصَبَّ. يَقُولُ: أَوَائِلُ
الْأُمُورِ ضَعِيفَةٌ، وَمَبَادِئُهَا صَغِيرَةٌ حَقِيرَةٌ، ثُمَّ تَسْتَحْكِمُ عَلَى مَرِّ الْأَيَّامِ وَتَصْرِفُ الْأَحْوَالَ
فَتَعْظُمُ. وَهَذَا كَمَا قَالَ الْآخَرُ: [الكامل]

الْحَرْبُ أَوَّلَ مَا تَكُونُ فُتَيَّةٌ تَسْعَى بِزَيْنَتِهَا لِكُلِّ جَهُولٍ^(٢)

وَفِي طَرِيقَتِهِ قَوْلُ الْآخَرِ: [مخلع البسيط]

كَمْ مَطَرٍ بَدُوهُ مُطَيَّرٌ^(٣)

وَقَوْلُهُ «وَلَيْسَ يَضْلَى بِنَارِ الْحَرْبِ جَانِبَهَا» يَرَوَى: «بِجُلِّ الْحَرْبِ». وَالْمَعْنَى: لَا
يَضْطَلِّي بِنَارِ الْحَرْبِ وَمُعْظَمُهَا مَنْ يَكْتَسِبُهَا وَيُوقِدُهَا فَقَطْ، بَلْ يَحْصُلُ بِالمُشَارَكَةِ فِيهَا
وَيُمْنَى بِبُلُوأِهَا، مَنْ لَمْ يَثْقُلْ خَطْوَتُهُ فِي بَعْثِهَا، وَلَمْ يَسْعَ فِي تَهْيِيجِهَا.

٢ - وَالْحَرْبُ يَلْحَقُ فِيهَا الْكَارِهُونَ كَمَا تَذْنُو الصَّحَاخُ إِلَى الْجَزَبِ فَتُعْذِبُهَا

يَقُولُ: شَرُّ الْحَرْبِ يُعْذِي إِعْدَاءَ الْجَرْبِ، فَتَرَى الْكَارِهُ لَهَا يَلْتَجِئُ بِهَا وَإِنْ كَانَ
غَيْرَ حَازِمٍ لَهَا، وَتَلْقَى الْبَعِيدَ مِنْهَا يَصْطَلِي بِحَرْهَا وَإِنْ لَمْ يُذَكِّهَا وَلَمْ يُشَيِّعْ مَوْقِدَهَا.
وَفِي هَذَا التَّشْبِيهِ خُرُوجُ الْمَشَبِّهِ مِنَ الْكُمُونِ إِلَى الظُّهُورِ، وَمِنَ الْخَفَاءِ إِلَى الْبُرُوزِ، حَتَّى
يَتَجَلَّى لِمُتَأَمِّلِهِ وَالْمُفَكِّرِ فِيهِ عَلَى بُعْدِهِ فِي التَّصَوُّرِ تَجَلَّى الْقَرِيبِ فِي الْعُزْفِ وَالْإِعْتِيَادِ،
وَهَذَا هُوَ غَايَةُ الْمُرَادِ مِنَ التَّشْبِيهَاتِ.

٣ - إِنِّي رَأَيْتُكَ تَقْضِي الدَّيْنَ طَالِيَةً وَقَطَرَةَ الدَّمِ مَكْرُوهَ تَقَاضِيهَا^(٤)

هَذَا الْبَيْتُ يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ مَذْحًا، فَيَكُونُ الْمَعْنَى: إِنِّي رَأَيْتُكَ تَخْرُجُ إِلَى
الْمُدِينِينَ سَرِيعًا مِنْ دَيْنِهِمْ عَلَيْكَ، غَيْرَ مُدَافِعٍ بِمَا فِي ذِمَّتِكَ لَهُمْ وَلَا مُمَاطِلٍ، فِإِذَا

(١) التبريزي: الشرُّ بدل الشيء، ويصلى بنار بدل بكل.

(٢) للمرو بن معديكرب في ديوانه ١٥٤، وأما ابن الحاجب ٦٦٦:٢، ولسان العرب (خدع)،
ولامروء القيس في ملحقات ديوانه ٣٥٣.

(٣) لأبي تمام في البيان والتبيين ٦٧:٣. وصدرة:

«رَبِّ قَلِيلٍ جَنَى كَثِيرًا»

(٤) بعد هذا البيت عند التبريزي بيت رابع هو:

«تَرَى الرِّجَالَ قَعُودًا يَأْنَحُونَ لَهَا دَابَّ الْمَعْضَلُ إِذْ ضَاقَتْ مَلَاقِيهَا»

طُولَيْتَ بِدَمٍ أَوْ نُوزِغْتَ فِي دَخْلٍ، شَقُّ تَقَاضِيكَ بِهِ وَتَعَذَّرَ، وَتَصَعَّبَ نَيْلُهُ مِنْ جِهَتِكَ وَتَعَسَّرَ. فَعَلَى هَذَا قَوْلُهُ «مَكْرُوءَةٌ تَقَاضِيهَا»، مَعْنَاهُ مَرُوءَةٌ تَقَاضِيكَ بِهَا. وَيَضْلُحُّ أَنْ يَكُونَ دَمًا، فَيَكُونُ الْمَعْنَى: إِنِّي رَأَيْتُكَ بِأَهْوَنِ سَعْيٍ وَأَقْرَبِ طَلَبٍ تَخْرُجُ مِنَ الْأَوْتَارِ وَالْأَمَاءِ إِلَى طُلَابِهَا، فَلَا كُفْلَةً فِي نَيْلِهَا وَإِدْرَاكِهَا مِنْ جِهَتِكَ، وَالتَّقَاضِي بِالدَّمِ عَسِيرٌ صَعْبٌ إِلَّا إِذَا كَانَ عِنْدَكَ وَقَبْلَكَ، فَمَا ذَلِكَ إِلَّا لَضَعْفِ كَيْدِكَ وَمَهَانَةِ نَفْسِكَ، وَقُصُورِ آبَائِكَ. وَالَّذِينَ فِي هَذَا الْوَجْهِ يُرَادُّ بِهِ الْوِثْرُ وَالْدَّمُ. وَقَوْلُهُ «مَكْرُوءَةٌ تَقَاضِيهَا» يَعْنِي تَقَاضِي غَيْرِكَ بِهَا. وَمِثْلُ قَوْلِهِ مَكْرُوءَةٌ تَقَاضِيهَا فِيمَا أُضِيفَ إِلَيْهِ قَوْلُ^(١) لَبِيدٍ: [الكامل]

بَاكَرْتُ حَاجَتَهَا الدُّجَاجَ بِسَحْرَةٍ

لَأَنَّ الْمَعْنَى بَاكَرْتُ حَاجَتِي إِلَيْهَا.

١٤٠ - وَقَالَ شَرِيحُ بْنُ قِرَوَاشٍ^(٢): [الطويل]

١ - لَمَّا رَأَيْتُ النَّفْسَ جَاشَتْ عَكَرْتُهَا عَلَى مِسْحَلٍ وَأَيُّ سَاعَةٍ مَعْكَرٍ

يقول: لما تحرَّكت حِمِيَّتِي وَغَلَبَ نَفْسِي، حَتَّى كَادَتْ تَثُورُ مِنْ مَقَرِّهَا فَتَجْرِي أَنْفَةً وَامْتِعَاضًا، عَطَفْتُهَا عَلَى صَاحِبِي مِسْحَلٍ وَفِي أَيِّ وَقْتٍ مَعْطَفٍ فَعَلْتُ ذَلِكَ. وَهَذَا تَفْطِيعٌ لِلشَّانِ، وَتَفْخِيمٌ لِلْأَمْرِ. فَإِذَا رَوَيْتَ «وَأَيُّ سَاعَةٍ مَعْكَرٍ» بِالرَّفْعِ يَكُونُ مُبْتَدَأً وَخَبَرَهُ مَحْذُوفٌ، كَأَنَّهُ قَالَ: وَأَيُّ سَاعَةٍ مَعْكَرٍ وَمَكْرٌ تِلْكَ السَّاعَةُ. وَإِذَا رَوَيْتَهُ بِالنَّصْبِ يَكُونُ ظَرْفًا. وَيَكُونُ الْعَامِلُ فِيهِ مَضْمَرًا، كَأَنَّهُ قَالَ: وَعَكَرْتُ أَيُّ وَقْتٍ مَعْكَرٍ. وَمَعْنَى عَكَرَ: عَطَفَ. وَيَقَالُ: هُوَ عَكَارٌ فِي الْفِتَنِ. وَجَوَابُ لَمَّا «عَكَرْتُهَا».

٢ - عَشِيَّةٌ نَارَلْتُ الْفَوَارِسَ عِنْدَهُ وَزَلَّ سِنَانِي عَنْ شَرَفِ بْنِ مُسْهِرٍ

عَشِيَّةٌ انْتَصَبَ عَلَى أَنْ يَكُونَ بَدَلًا مِنْ قَوْلِهِ وَأَيُّ سَاعَةٍ مَعْكَرٍ إِذَا نَصَبْتَ أَيًّا، وَإِنْ رَفَعْتَهُ فَانْتَصَابُ عَشِيَّةٍ عَلَى أَنْ يَكُونَ ظَرْفًا وَالْعَامِلُ فِيهِ فِعْلٌ مَضْمَرٌ ذَلَّ عَلَيْهِ مَا قَبْلَهُ، كَأَنَّهُ قَالَ عَكَرْتُ عَشِيَّةً. وَلَا يَكُونُ الْعَامِلُ نَارَلْتُ، لِأَنَّهُ مَضَافٌ إِلَيْهِ وَبَيَّانٌ لِلْوَقْتِ، وَالْمَضَافُ إِلَيْهِ لَا يَعْمَلُ فِي الْمَضَافِ. فَيَقُولُ: عَطَفْتُ عَلَيْهِ ذَابًا عَنْهُ وَمَدَافَعًا دُونَهُ، عَشِيَّةٌ مَنَارَلَتِي الْفَرَسَانَ بِحَضْرَتِهِ، وَحِينَ زَلَّ سِنَانُ رَمَحِي عَنْ ابْنِ مُسْهِرٍ، وَإِنَّمَا زَلَّ

(١) للبيد في ديوانه ٣١٥ من المعلقة، وخزانة الأدب ٣: ١٠٤. وعجزه:

«لَأَعْلُ مِنْهَا حِينَ هَبَّ نِيَامُهَا»

(٢) التبريزي: «العبيسي».

السَّنان عنه وسَلِمَ من طَعْنَتِهِ لَأنَّهُ كان لَيس دِرْعًا تحت ثِيابه وهو لا يَشْعُرُ، فَكانه يَعْتَذِرُ وَيَتَلَهَّفُ.

٣ - وَأَقْسِمُ لَوْلَا دِرْعُهُ لَتَرَكْتُهُ عَلَيْهِ عَوَافٍ مِنْ ضِبَاعٍ وَأَنْسَرِ
قوله أَقْسِمُ يَمِينٌ، والمحذوف به محذوف، وهو لفظةُ الله. ولكثرة مجيئها مع أَقْسِمُ صار وهو محذوف كالمنطوق به، وجوابُ الْقَسَمِ اسْتُغْنِيَ عنه بحديث لولا، لَأنَّهُ فيه. والمعنى أَنَّهُ يَبَيِّنُ الْعُذْرَ فيما اتَّفَقَ عليه، فقال لولا دِرْعُهُ التي استظهر بها، وظاهرُ بثوبه فوقها، لتَرَكْتُهُ بطَعْنَتِي مقتولًا، وعوافي السُّباع والطير تأتيه وتنالُ منه. ويقال: عَفَاهُ واعتفاه بمعنى واحد.

٤ - وَهَلْ غَمَرَاتُ الْمَوْتِ إِلَّا نَزَالُكَ أَلْ كَمِيَّ عَلَى لَحْمِ الْكَمِيَّ الْمُقْطَرِ^(١)
هذا الكلام بيانٌ ما تكلَّفه عند التعطُّف على مِسْحَلٍ، وتصويرٌ لَهْوُل ما رَكِبَهُ وعاناه من عظيم البلاء في نُصْرته. ولهذا جعل النفي بلفظ الاستفهام، فقال: وما شدائدُ الموتِ إِلَّا منازلُكَ الكميَّ فوق لحم الكميَّ، أي فوق جِيفِ القتلى. ولولا أَنَّ هَلْ في طريق النفي ههنا لما جاء بعده إِلَّا. والمُقْطَرُ: المُلقى على أحد قُطْرَيْهِ، وهما الجانبان. ولَقَطَرَ اختصاصٌ بالعبارة عن الإسقاط والصُّرع. على ذلك قول عمرو بن مَعْدِيكَرِبَ: [السريع]

مَا قَطَرَ الْفَارِسَ إِلَّا أَنَا^(٢)

ومن المَخَيَّي عنهم في المعنى الذي قَصَدَهُ هذا الشاعر، أَنَّهُ سُئِلَ بَعْضُهُمْ: ما أَشَدُّ ما رَأَيْتَهُ فيما زاولته من الحروب؟ فقال: «الزَّالُّ على العَلَقِ». وفي طريقتِهِ قولُ الآخر: [الطويل]

يَطَّانَ مِنَ الْقَتْلَى وَمَنْ قَصَدِ الْقَنَا شَرِيحًا فَمَا يَجْرِيَنَّ إِلَّا تَوَهُمَا

١٤١ - وقال طَرْفَةُ الْجَذِيمِي^(٣): [الطويل]

١ - يَا رَاكِبًا إِمَّا عَرَضْتَ فَبَلَّغْنِ بَنِي فُقَيْسٍ قَوْلَ امْرِئٍ نَاخِلِ الصَّدْرِ

(١) التبريزي: «وما غمرات الموت».

(٢) لعمر بن معديكرب في ديوانه ١٦٧، والأغاني ١٥: ١٦٩، والكتاب ٢: ٣٥٣، وله أو للفرزدق في شرح شواهد المغني ٢: ٧١٩، وصدرة:

«قد علمت سلمى وجاراتها»

(٣) أحد بني جذيمة بن رواحة بن قطيعة، شاعر فارس. انظر المؤلف والمختلف للآمدي ١٤٦.

يَخَاطِبُ واحداً من الركبان غير مُعَيَّنٍ، ويكلفُهُ إن عَرَضَ لِنبي فَقَعَسِ أن يُبَلِّغَهُمْ عنه قولَ رَجُلٍ نَاجِلٍ الصُّدْرِ ناصحِ الجَنِبِ، صَادِقِ الوُدِّ. وإنما نَكَّرَ المدْعُوَ لأمرين: أحدهما شدة اهتمامه بالرسالة وتحميلها رسوياً كائناً من كان. والثاني أنه أراد أن يضع رسالةً ظاهرها أنها أودِعَتْ متحملاً، علماً بأن الرسالة بنفسها إذا ضُمَّنَتْ الشُّعْرَ وعُقِدَتْ به ستبْلُغُ على أفواه الرُّوَاةِ. وقوله «نَاجِلِ الصُّدْرِ» يريدُ مُصَفِّى ما في الصُّدْرِ، فحذف المُضَافَ. أو يريد ناخل الصُّدْرَ لما يَعييه فجعل الفعل للصدر توسُّعاً، والمعنى أنه موافق الظاهر للباطن. ويقال: نَخَلْتُ الوُدَّ والنُّضَحَ لفلانٍ، إذا أخلصتهما.

٢ - فوالله ما فارقْتُكُمْ عن كَشَاحَةٍ ولا طَيِّبِ نَفْسٍ عنكم آخِرَ الدَّهْرِ يقول: أَخْلَفْتُ أَتَيْ لَمْ أُوِثِرَ فراقكم لعداوة لازمةٍ لِكَشْحِي، وبغضاء متمكنةٍ من طَوْنِيَّتِي، ولا لِسُلُوِّ نَفْسٍ عنكم وسخاءٍ قلب بكم آخر الدهر. وهذا الكلام إظهارٌ مَبْلٍ إلى إصلاح ذات البين لو تساعدت الأحوال، ومَغْدِرَةٌ أقامها فيما قَصَدَهُ من مُراغمتهم، وآثَرَهُ في مهاجرتهم ومفارقتهم، وإبَانَةٌ عن الأمرِ في أَنَّ الباعث على ما اتَّفَقَ لم يكن من سُوءِ خَلَةٍ، وانطواءً على حَسَدٍ وقطيعةٍ. وإنما قَرَنَ السُّلُوَّ بقوله آخر الدهر لِيُرِيَّ أن ذلك التقدير ليس بحاصِلٍ ولا واقعٍ أبداً، وهذا كما يقال لا أفعل كذا ما دامت السموات والأرض.

٣ - وَلَكِنِّي كُنْتُ امراً من قبيلةٍ بَغْتُ وَأَتَشْنِي بالمظالم والفَخْرِ هذا كَشَفُ العِذْرَةِ وِذْرُ السَّبَبِ الموجب للمجانبة والْفُرْقَةِ، فيقول: ولكنني كنت رَجُلًا من قبيلةٍ خرجت عن طريق التَّوَاضُّلِ إلى طريق التَّقَاطُعِ بما استعملته من البَغْيِ والشَّقَاقِ، وتعاظتُ معي من الظُّلْمِ والعِنادِ، حَتَّى تَدَاعَتْ مَبَانِي التَّوَاضُّعِ والتَّحَابِ، وانفصمت عَرَى العلائق بيننا والتَّوَادُّ، وَعِيَلِ الصَّبْرِ، بما لحق من الهُضْمِ، وَخَرَجَ الصُّدْرُ، لِمَا تَلَاحَقَ حالاً بعد حالٍ من الاستخفاف والدُّلِّ.

٤ - فَلَمَّا نَشَرُ النَّاسِ إن لم أَبْشُهُمْ على خَالَةٍ حَدْبَاءَ نَابِيَةِ الظُّهْرِ^(١) انتقل عن الخُطَابِ إلى الإخبار حين توَعَّدَهُمْ، وإن كان الكلُّ من جملة الرُّسَالَةِ، ويروى: «لِشَرِّ النَّاسِ» بكسر اللام، والمعنى: أنا ابنُ شَرِّ النَّاسِ، كما

(١) التبريزي: «على آلَةِ حَدْبَاءَ» والآلة: الحالة.

قال النابغة: [الطويل]

لئن كان للقبرين قبرٍ بجلّ^(١)

والكلام لفظه لفظ الخبر والمعنى معنى القسم. وهذا من الأيمان الشريفة. ويروى: «لَشَرُّ الناس». والمعنى: أنا شرُّ الناس إن أُخِيلَ هؤلاء القوم بيأتًا على حالةٍ منكورة، وخُطّةٍ صعبة، لا يُستقرُّ عليها، ولا يُثبَّت على ظَهرِها.

وفي هذه الطريقة قولُ الآخر^(٢): [الطويل]

لَقَدْ حَمَلْتُ قَيْسُ بْنُ عِيْلَانَ حَرْبَنَا عَلَى يَابِسِ السَّيَاسِ مُحَدَوِّبِ الظَّهْرِ

فقوله نابغة الظهر مثل قول هذا مُحَدَوِّبِ الظهر، أي ظَهرُها يَجْفُو لِتَوَّهِ وَبُؤْهِ فيقلق راكبها ولا يقرُّ، وجوابُ الجزاء الفاء في قوله وإني لَشَرُّ الناس.

٥ - وحتى يَفِرَّ النَّاسُ مِنْ شَرِّ بَيْنِنَا وَنَقْعُدَ لَا نَذْرِي أَنْتَزِعُ أَمْ نَجْرِي

تَعَلَّقَ حَتَّى بِفَعْلٍ مَضْمَرٍ، كَأَنَّهُ قَالَ: وَأَدِيمُ ذَلِكَ لَهُمْ حَتَّى يَفِرَّ النَّاسُ، أي إلى أن يَفِرَّ النَّاسُ. والمعنى: إني لا أزالُ أَمَادِي فِي اللَّجَاجِ وَالشَّرِّ، وَأَتَرَقَّى فِي دَرَجَاتِ التَّرَاعِ وَالْحَرْبِ، حَتَّى يَسْتَقِيلَ النَّاسُ مِنْ مِشَارِكَتِنَا وَمِلَابَسَتِنَا فِيمَا نُرَاوِلُهُ، وَيَسْتَغْفُوا مِنْ التَّوَسُّطِ بَيْنَنَا وَرَدَّنَا عَمَّا نَقْتَحِمُهُ، وَيَنْقُضُوا أَيْدِيَهُمْ مِنْ اسْتِطْلَاحِنَا وَنَتَحِيرُ نَحْنُ أَيْضًا وَنَرْتَبِكُ إِذَا تَوَسَّطْنَا أُمُورَنَا، فَلَا نَذْرِي أَنْقَصِرُ وَنَكْفُ، أَمْ نَجْرِي فَتَنْقُذُ. وهذا إلمامٌ بما سَارَ بِهِ الْمَثَلُ فِي قِصَّةِ السَّالَةِ لِلْسَّمْنِ، ويقول الشاعر: [الطويل]

وَكُنْتُ كَذَاتِ الْقَدْرِ لَمْ تَذَرِ إِذْ غَلَتْ أَتَنْزِلُهَا مَذْمُومَةً أَمْ تُذِيبُهَا^(٣)

وفي المثل السائر: «اخْتَلَطَ الْخَائِرُ بِالزُّبَادِ»^(٤). وقوله «لَا نَذْرِي» في موضع الحال.

(١) للنابغة الذبياني في ديوانه ٤١، واللسان (حلق)، وديوان الأدب ٣٩٥:٢، وعجزة:

«وقبر بصيداء التي عند حارب»

(٢) للأخطل في ديوانه ٧١، واللسان (سيس)، والتنبيه والإيضاح ٢٨٢:٢.

(٣) لبشر بن أبي خازم في المفضليات ١٣١:٢، وعند التبريزي (تذبيها).

(٤) الزُّبَاد: الزبد، وجماء في لسان العرب (زبد): «وقالوا في موضع الشدة: اختلط الخائر بالزُّبَاد: أي اختلط الخير بالشرّ والجيد بالردئ والصالح بالطالح، ويُضرب مثلاً لاختلاط الحق بالباطل».

١٤٢ - وَقَالَ أَبِي بْنُ حَنَمٍ الْمُرِّي^(١): [الطويل]

١ - تَمَتَّى لِي الْمَوْتُ الْمُعْجَلُ خَالِدٌ وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَيْسَ يُعْرِفُ حَاسِدُهُ

٢ - فَخَلَّ مَكَانًا لَمْ تَكُنْ لِتُسَدَّهُ عَزِيزًا عَلَى عَبَسٍ وَذُبْيَانَ ذَائِلُهُ^(٢)

يقول: وَدَّ لِي الْمَوْتُ الْوَجِيءَ السَّرِيعَ الْإِتْيَانِ خَالِدٌ، حَسَدًا مِنْهُ وَبُغْضًا، وَمَنَافَسَةً فِي الرِّيَاسَةِ وَحَقْدًا. ثُمَّ قَالَ مُتَسَلِّيًا: وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا حَاسِدَ لَهُ، لِأَنَّ الْحَسَدَ مِنْ تَوَابِعِ الْفَضْلِ وَمُسَبِّاتِهِ. وَمِثْلُ هَذَا قَوْلُ الْآخَرِ: [البسيط]

إِنْ يَحْسُدُونِي فإِنِّي غَيْرُ لَائِمِهِمْ قَبْلِي مِنَ النَّاسِ أَهْلُ الْفَضْلِ قَدْ حَسَدُوا^(٣)

وقد شرح القول فيه. وقوله «فَخَلَّ مَقَامًا» أَقْبَلَ عَلَى خَالِدٍ مُبَكِّتًا لَهُ وَمُقَصِّرًا بِهِ، يَعْرِفُهُ أَنَّهُ يَحْسُدُهُ فِيمَا لَا يَصْلُحُ لَهُ وَلَا يُسْتَكْفَى مِثْلُهُ فِيهِ، فَقَالَ: أَتَرُكُ مَقَامًا تَرَلَّ قَدَمُكَ عَنْهُ، وَتَسْقُطُ رُتْبَتُكَ دُونَهُ، وَأَنْتَ مَكَانًا لَا تَسُدُّهُ بِكَفَايَتِكَ، وَلَا تَقُومُ فِيهِ بِغَنَائِكَ، وَيَعِزُّ الْمَدَافِعُ دُونَهُ عَلَى طَوَائِفِ عَبَسٍ وَذُبْيَانَ - وَإِنَّمَا يَرِيدُ رِيَاسَةَ الْعَشِيرَةِ - وَخَلَّ الْقِيَامَ بِأَمْرِ عَبَسٍ وَذُبْيَانَ إِذْ لَسْتُ مِنْ رِجَالِ ذَلِكَ. وَقَوْلُهُ «لِتُسَدَّهُ» اللَّامُ فِيهِ لَامُ الْجُحُودِ، وَهِيَ لَامُ الْإِضَافَةِ، وَالْفِعْلُ بَعْدَهُ يَتَصَبَّ بِأَنْ مُمْضِرَةً وَلَا يَظْهَرُ الْبَتَّةَ.

١٤٣ - وَقَالَ أَيْضًا: [الطويل]

١ - لَسْتُ بِمَوْلَى سَوْءَةٍ أَدْعَى لَهَا فَلَنْ لَسَوْءَاتِ الْأُمُورِ مَوَالِيًا

مَوْلَى سَوْءَةٍ: مُتَوَلِّئُهَا وَصَاحِبُهَا. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْوَلِيِّ: الْقُرْبُ أَيُّ لَا أَقَارِبُهَا وَلَا أَدَانِيَهَا: وَقَوْلُهُ «أَدْعَى» مِنَ الدَّعَاوَةِ وَالِدَّعْوَةِ، وَهِيَ التَّنْسِبَةُ. يَقُولُ: لَا أَتَعَاطَى قَبِيحًا، وَلَا أَتَوَلَّى مُخْزِيَةً فَأَنْسَبَ إِلَيْهَا، وَأَعْرِفَ بِهَا، فَإِنَّ لِمَقَابِحِ الْأُمُورِ أَزْبَابًا غَيْرِي. وَهَذَا انْتِفَاءً مِنَ الْأَذْنَانِ، وَتَبَرُّؤٌ مِنَ الْمَقَابِحِ، وَتَعْرِضٌ بِأَنْ مَا يَنْتَزِعُ عَنْهُ حَاصِلٌ فِي مُجَازِيهِ وَمَلَاذِمٍ لَهُ.

٢ - وَلَنْ يَجِدَ النَّاسُ الصَّدِيقَ وَلَا الْوَلِيَّ إِذَا عَدُوا أَيْدِيَّ وَاهِيًا

يقول: إِنِّي صَاحِبُ الْأَصْلِ، تَقِيُّ الْعَرَضَ، فَلَوْ تَعَاوَنَ فِي الْكَشْفِ عَمَّا أَدْعِيهِ وَالْبَحْثِ دُونَهُ أَصْدِقَائِي وَأَعْدَائِي، وَمَنْ يَرَى التَّغْمِيزَ عَلَى مَا يُنْكَرُهُ. أَوْ التَّشْهِيرَ

(١) التبريزي: «وقال أبي بن حنم العبسي، وحنم: هو ابن جابر بن قراد بن مخزوم بن مالك بن غالب بن قلبية بن عبس».

(٢) البيت الأول من الحماسة رقم (١٣٨).

(٣) التبريزي: «فخلَّ مقامًا».

والتنديد بما يثيره، لما وجدوا غميرة، ولا ظفروا بنقيصة. وذكر الأديم مثل للعرض والأصل. والعُد والإحصاء كناية عن الفحص والتفتير.

٣ - وإن نجاري يابن غنم مخالف نجار الشام فابغني من ورائيا
التجَار: الأصل. وهذا تعريض بالمخاطب، يقول: أصلي مخالف لأصول
الأدنياء، فاطلبني للمفاخرة إذا غبت عنك أو فُتِكَ. فأما إذا حَصَرْتُ فإنك لا تقاومني
ولا يستقيم لك مساجلتي. هذا إذا جعلت وراء بمعنى خلف، فإن جعلته بمعنى قدام
يكون بمعنى أبغني إذا تقدمتني. ومن طلب من تخلف عنه من قدام لا يذركه،
والكلام على هذا يكون تهكمًا وسخرية. فالمعنى في الأول والثاني: إنك لا تلحق
شأوي فاطلبني طلب المَعْدَر واليائس. ويجوز أن يكون يُريد: إني كريم الأصل، رفيع
المحل، علي الرتبة، ومن كان كذلك لا يظفر به، ولا يضطاد مثله إلا بالخضوع له
والانقياد بالتذلل بين يديه، فابغني وأنت تابع لي، وواطيء عقيب، حتى تنالني، وإلا
لم تبلغ مرادك مني. ويقال: فلان من وراء فلان، إذا كان ناصرًا له، وتابعا. وأنشد
ابن السكيت: [الطويل]

لعمرك ما كان أقربني ورهطه بعمي ولا خالي ولا من ورائيا

وقال: المعنى: ولا ناصري. فأما قولهم الله من ورائك، فالمعنى: طالبك
ومترصد لمكافأتك. فعلى القول الأخير يكون من ورائي في موضع الحال لضمير
الفاعل في أبغ.

٤ - وسين عني أن أموت وإن أرى كبغض رجال يوطئون المخازيا
ارتفع سين على أنه خبر مقدم لقوله «أن أموت وإن أرى»، والمعنى: مثلاً
عندي موتي وإن أرى كمن يالف المخازي ويرضاها وطناً ومأوى، ولا يأنس إلا
بها، ولا يرجع إلا إليها، وهذا تعريض بالمخاطب أيضاً. والسِّي: المثل. قال:
[الوافر]

فليأكم وحيّة بطنٍ وإد هموز الثاب ليس لكم بسِي^(١)

٥ - ولست بهياب لمن لا يهابني ولست أرى للمزء ما لا يرى ليا

(١) للحطيفة في ديوانه ١٣٩، وجمهرة اللغة ١٣١٠، وخزانة الأدب ٨٦: ٥، واللسان (سوا).

يقول: لا أحتشمُ مَنْ لا يحتشمني، ولا أتهيبُهُ إذا لم يتهيبني، ولا أرى من إعظام المراء وإجلاله ما لا يراه لي، لكنني أوازنُ الناسَ في أفعالهم، وأجازيهم على قدر استحقاقهم. وقوله «ما لا يرى ليا» حَذَفَ مفعول يَرَى تخفيفاً، وهذا الحذفُ سائغٌ إن جَعَلْتَ ما مَعْرِفَةً فكان ما بعده صِلَةً، أو جعلته نكرة فكان صِفةً.

٦ - إذا المراء لم يُخَيِّبِكَ إلا تَكَرَّها عِرَاضَ العَلُوقِ لم يكن ذاك باقياً انتصب قوله «تَكَرَّها» على أنه مُضَدَّرٌ في موضع الحال، والتقدير: إلا متَكَرَّها. وانتَصَبَ «عِرَاضَ العَلُوقِ» على أنه مصدرٌ مما دلَّ عليه قوله «لم يُخَيِّبِكَ إلا تَكَرَّها»، لأنَّ المعنى إذا الرجلُ عازَصَكَ في الحُبِّ عِرَاضَ العَلُوقِ لم يكن ذلك الحُبُّ باقياً ولا ثابتاً. والعَلُوقُ، هي المرأة التي تَرَامُ ولدها وتَلْسُتُهُ حتَّى يأنسَ بها، فإذا أراد ارتضاع اللَّبَنِ منها ضَرَبَتْهُ وطرَدَتْهُ. قال: [المقارب]

ومائَحِنِي كَمِئَاحِ العَلُوقِ قِي ما تَرَّ من غِرَّةٍ تَضْرِبُ^(١)

ويشبه البيت الذي نحن في تفسيره قول الآخر: [البيسط]

أم كيف يَنْفَعُ ما تُعْطِي العَلُوقُ به رِثْمَانٍ أَنْفٍ إذا ما ضُنَّ باللِّينِ^(٢)

١٤٤ - وقال عَتْرَةُ بن شَدَادٍ: [المقارب]

١ - يُذَذِّبُ وَزْدٌ عَلَى إِنْهَرِهِ وَأَمَكْنَهُ وَقَعُ مِرْدَى خَشِيبِ

هذا وَزْدٌ بن حَابِسٍ طَلَبَ نَضْلَةَ الْأَسَدِيِّ بِوَثْرِ كان له عِنْدَهُ. فيقول: تَسْرِعُ هذا الرجل في إثر الهارب منه، واستحثَّ قَرْسَهُ في لَحَاقِهِ، فمَكْنَهُ منه عَدُوُّ قَرْسٍ صُلْبٍ كَأَنَّهُ مِرْدَاةٌ. والمِرْدَى: صَخْرَةٌ يُكْسَرُ بها الثَّوَى وغيره. ومعنى خَشِيبٍ خَشِنْ. ويقال: خَشِبْتُ الشَّيْءَ خَشْبًا فَخَشِيبٌ. والخَشِيبُ من السَّيْفِ: الذي بُدِيَءَ طَبْعُهُ فلم يَلِنْ بَعْدُ. وقوله «وَقَعُ مِرْدَى» هو من وَقَعْتُ الحديدَ، إذا ضَرَبْتَهَا بِالْمِيقَعَةِ، كَأَنَّ الْقَرْسَ كان يَضْرِبُ الْأَرْضَ بِحَوَافِرِهِ ضَرْبَ الْحَدِيدِ بِالْمِيقَعَةِ. ومن

(١) للنايعة الجمعدى في ديوانه ٢٦، ولسان العرب (علق)، وكتاب الجيم ٣٠١:٢، وتاج العروس (علق).

(٢) لأفنون التغلبى في خزانة الأدب ١٣٩:١١، والدرر ١١١:٦، وشرح اختيارات المفضل ص ١١٦٤، واللسان (علق).

هذا قول الهذلي ساعدة: [الكامل]

وَحَوَافِرُ تَقَعُ الْبَرَاخَ كَأَنَّمَا أَلْفَ الزُّمَاعِ بِهَا سِلَاحٌ صُلْبٌ^(١)

فمعنى تقع البراخ، أي تقرعه. وروى الجمحي هذا البيت:

..... كَأَنَّمَا أَلْفَ الزُّمَاعِ رَدَى سِلَاحٌ صُلْبٌ

وقال: رَدَى صَخْرَةً، شَبَّهَ الأنفَ بها، فعلى هذه الرواية يَحْصُلُ التوافق بين بَيْتَيْ عترة وساعدة الهذلي في اللفظ أيضًا.

٢ - يَتَابِعُ لَا يَبْتَغِي غَيْرَهُ بِأَبْيَضَ كَالْقَبَسِ الْمُتَنَهَبِ^(٢)

التابع والمتابعة يستعملان في أطراد الشيء واستمراره على حَدٍّ وَاحِدٍ. على هذا قوله:

وَعُرَاضَةُ السَّيْتَيْنِ تُوَبِّعَ بَرِيْهَها

ومفعول يُتَابِعُ محذوف، ويجوز أن يكون الفعل للزجل ويجوز أن يكون للفرس. كأن المراد: يتابع الركض أو العدو. وموضع لا يبتغي نَصْبٌ على الحال. والباء من قَوْلِهِ «بأبيض» يجوز أن يُريدَ به سَيْفًا. والقَبَسُ: النار. شَبَّهَهُ بها في بَرِيْقِها ولمعانها ويجوز أن يريد به رجلاً كريماً، ويكون على هذا «يتابع» للفرس. وشَبَّهَهُ بالنار لذكائه ونفاذه. واستعمالُ البياض في الكرم ونقاء العرض كثيرٌ معروف، على ذلك قول الآخر^(٣):

أُمُّكَ بَيْضَاءُ مِنْ قُضَاعَةٍ

فأما معنى قوله «يبتغي غيره» فيجوز أن يكون هِمَّتُهُ كانت موكولةً به لا بشيءٍ من الغنائم والأموال. وكأنه أَلَمَ بقوله: [الكامل]

أَغَشَى الْوَعَى وَأَعْفَ عِنْدَ الْمَغْنَمِ^(٤)

ويجوز أن يُريدَ أَنْ قَضَدَهُ فِي الطَّلَبِ كَانَ إِلَيْهِ لَا إِلَى غَيْرِهِ مِنَ النَّاسِ.

(١) البيت في ديوان الهذليين ١: ١٨٦. (٢) التبريزي: «يتابع».

(٣) لابن قيس الرقيات في ديوانه ٨٣، وتماهه:

«أُمُّكَ بَيْضَاءُ مِنْ قُضَاعِهِ فِي الدَّيْرِ بَيْتِ الَّذِي يَسْتَكْنُ فِي طَنْبِهِ»

(٤) لعترة في معلقته وصدوره:

«يخبرك من شهد الواقعة أنني»

٣ - فَمَنْ يَكُ فِي قَتْلِهِ يَمْتَرِي فَإِنَّ أبا نُؤْفَلٍ قَدْ شَجِبَ

أَصَافَ الْمَضْدَرَ فِي قَتْلِهِ إِلَى الْمَفْعُولِ. يقول: مَنْ شَكَّ فِي قَتْلِ وَزْدٍ لِنُضْلَةٍ فَلْيُزِلْ الشُّكَّ عَنْ نَفْسِهِ، وَلْيَدْعِ الْإِرْتِيَابَ إِلَى غَيْرِهِ فَإِنَّ هَلْكَ لَا مَحَالَةَ. وَأَبُو نُؤْفَلٍ: كَنِيَّةُ نُضْلَةٍ. وَفِي الْكَلَامِ تَهَكُّمٌ وَإِظْهَارُ شِمَاتَةٍ. وَيَقَالُ: شَجِبَ بَفَتْحِ الْجِيمِ، إِذَا هَلَكَ، فَهُوَ شَاجِبٌ، وَشَجِبَ بِكَسْرِ الْجِيمِ فَهُوَ شَجِبٌ، لَغْتَانِ.

٤ - وَغَادَرَنَ نَضْلَةً فِي مَفْرَكٍ يَجْرُ الْأَسِنَّةُ كَالْمُخْتَطِبِ

النون ضمير الخيل. يقول: تَرَكْتُ الْخَيْلُ هَذَا الرَّجُلَ لَمَّا انْكَشَفَتْ عَنْهُ وَهُوَ فِي مُزْدَحَمِ الْحَزْبِ جَارًا لِلْأَسِنَّةِ الْمَكْسُورَةِ فِيهِ عِنْدَ الطُّغْنِ، كَأَنَّهُ جَامِعٌ حَطَبٍ. وَيَقَالُ: أَخْرَزْتُ فَلَانًا الرُّمَحَ فَجَرَّهُ، أَيِ كَسَرْتُهُ فِيهِ لَمَّا طَعَنْتُهُ فَصَارَ بِجَرِّهِ. وَأَنشَدَ أَبُو زَيْدٍ: [الرجز]

أَجِرُّهُ الرُّمَحَ وَلَا تُهَالَهُ^(١)

وَحَكَى بَعْضُهُمْ أَنَّ الْمَحْتَطِبَ: دُؤَيْبَةُ تَمُرُّ عَلَى الْأَرْضِ فَيَغْلُقُ بِهَا الْعِيدَانِ. وَيَكُونُ الْمَعْنَى يَجْرُ الْأَسِنَّةُ كَمَا تَجْرُ هَذِهِ الدُّؤَيْبَةُ الْعِيدَانِ. وَهَذَا تَصْوِيرٌ لِلْخَفِيِّ بِالْجَلِيِّ.

١٤٥ - وَقَالَ عُرْوَةُ بْنُ الْوَزْدِ^(٢): [الطويل]

١- لَحَى اللَّهُ صُغْلُوكَا إِذَا جَنَّ لَيْلُهُ مُصَافِي الْمَشَاشِ أَلْفَا كُلَّ مَجْزِرٍ

لَحَى اللَّهُ: كَلِمَةٌ تُسْتَعْمَلُ فِي السَّبِّ، وَأَصْلُهُ اللَّؤْمُ وَالْقَسْرُ أَيْضًا. وَالصُّعْلُوكُ: الْفَقِيرُ. يَقُولُ: زَادَ اللَّهُ كُلَّ فَقِيرٍ يَرْضَى مِنْ عَيْشِهِ بَأْنَ يَطُوفَ فِي الْمَجَازِرِ إِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِ اللَّيْلُ، وَيَلْتَقَطُ الْمَشَاشَ مِنْهَا كَأَنَّهُ يَصَافِيهَا وَيَلْزِمُهَا حُبًّا لَهَا - فَقَرَأَ. وَإِنَّمَا قَالَ هَذَا عَلَى وَجْهِ الْإِنْكَارِ. أَيِ لِمَ يَقْنَعُ بِذَلِكَ، وَمَالَهُ يُسِفُّ لِمَثَلِ هَذَا الْمَطْمَعِ الْخَسِيسِ وَلَا يَطْلُبُ مَعَالِيَ الْأُمُورِ. وَالْمَشَاشُ: كُلُّ عَظْمٍ هَشٍّ دَسِيمٍ، وَالْوَاحِدُ مُشَاشَةٌ. وَقَوْلُهُ «مُصَافِي الْمَشَاشِ» نَكْرَةٌ، وَانْتَصَبَ عَلَى أَنَّهُ صَفَةٌ لِقَوْلِهِ صُغْلُوكَا. وَإِضَافَتُهُ ضَعِيفَةٌ، لِأَنَّ الْمَشَاشَ أَشِيرَ بِهِ إِلَى الْجِنْسِ، وَلَا يَحْصُلُ التَّخْصِيسُ بِالْإِضَافَةِ إِلَيْهِ. وَعَلَى هَذَا قَوْلُهُمْ: قَيْدٌ

(١) الرجز بلا نسبة في اللسان (هول، وبه، وخطا).

(٢) عروة بن الورد بن زيد العبسي: من شعراء الجاهلية وفرسانها وأجوادها، وكان يلقب بعروة الصعاليك لجمعه إياهم وقيامه بأمرهم إذا أخفقوا في غزواتهم (ت نحو ٣٠ ق. هـ / ٥٩٤ م). ترجمته في الأغاني ٣: ٧٣، والشعر والشعراء ٢٦٠.

الأوايد، وَدَرَكَ الطَّرِيدَةَ وما أشبهه. وكان يجب أن يحرك الياء من مُصَافِي بالفتح، فسكَّته لأن منهم من يُجْري الفتحة في مثله من المعتل مجرى سائر الحركات فلا يُنْبِئُهَا.

٢ - يَعُدُّ الْغِنَى مِنْ نَفْسِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ أَصَابَ قِرَاهَا مِنْ صَدِيقٍ مُيسَّرٍ يقول: لِفَرَجِهِ بما يَنَالُهُ مِنْ كَسْبِهِ الدِّينِي، ورضاهُ عن أَيَّامِهِ بِعَيْشِهِ اللِّثِيمِ يَعُدُّ - إذا أَصَابَ الْقِرَى لَدَى صَدِيقٍ وُلِدَتْ لَهُ شِيَاءٌ فَاتَّسَعَ اللَّبْنُ عنده وفي رَحْلِهِ - الْغِنَى مُحَوَّرًا لَهُ، ومَحْصُلًا عنده، فلا غَضَاضَةً تلحقه، ولا أَتْفَةً تَقْبِضُهُ. وَالْمُيسَّرُ ضِدُّ الْمَجْنُبِ، يقال يَسَّرَ الرَّجُلُ وَيَسَّرَتْ غَنِمُهُ. وَجَنَّبَ الرَّجُلُ، إِذَا قَلَّتْ الْخُلُوبَةُ فِي إِبِلِهِ وَغَنِمِهِ. قال: [البسيط]

وكلُّ عامٍ عليها عامٌ تجنِيبُ^(١)

وقوله «أَصَابَ قِرَاهَا» أَضَافَ الْقِرَى إِلَى اللَّيْلَةِ عَلَى الْمَجَازِ، والمرادُ قِرَاهُ فِيهَا.

٣ - يَنَامُ عِشَاءً ثُمَّ يُضْبِحُ نَاعِسًا يَحُتُّ الْحَصَى عَنْ جَنْبِهِ الْمُتَعَفَّرِ^(٢)

يقول: يَنَامُ هَذَا الضُّغْلُوكُ لِدَنَاءَةِ هِمَّتِهِ، وقِماءة معيشته، واستيلاء الكسل على نفسه ومكسبه قُبْلَ اللَّيْلِ، لأن هِمَّتَهُ فِي رَاحَتِهِ ونومه، وَجِرْصِهِ على ما يَسُدُّ جَوْعَتَهُ به. ثم يَأْتِي الصَّبَاحُ عليه وهو نَاعِسٌ بَعْدُ، غير قَاضٍ حَاجَتَهُ مِنَ الرُّقَادِ، ولا ضَجَرٍ فِي مَضْجَعِهِ بِالتَّسَاقُطِ والانْجِدَالِ، يَنْفِي عَنْ جَنْبِهِ مَا لَصِقَ بِهِ مِنَ الْحَصَى وَالتُّرَابِ، وَنَشِبَ فِيهِ مِنْ دُقَاقِ الْحَصَى. وذلك لِأَنَّهُ نَامَ بِلَا وِطَاءٍ. وقوله «يَحُتُّ الْحَصَى» أَي يُسْقِطُهُ، فهو قَرِيبٌ مِنْ يَحُطُّ. وَالْعَفَرُ: التُّرَابُ، وَيُقَالُ: عَفَرْتُهُ فَتَعَفَّرَ.

٤ - وَلَكِنْ ضُغْلُوكًا صَفِيحَةً وَجْهَهُ كَضَوْءِ شِهَابِ الْقَابِسِ الْمُتَنَوِّرِ

صَفْحَةُ الرَّجُلِ وَصَفِيحَتُهُ: عُرْضُ وَجْهِهِ. يقول: وَلَكِنْ فَقِيرًا مُشْرِقَ الْوَجْهِ صَافِي اللَّوْنِ، لَا يَتَخَشَّعُ لِفَقْرِهِ، وَلَا يَتَذَلَّلُ إِذَا أَثَّرَ الدَّهْرُ فِيهِ، فَكَأَنَّ ضَوْءَ وَجْهِهِ ضَوْءَ نَارِ الْقَابِسِ الْمُتَنَوِّرِ. وَالْقَابِسُ هُنَا ذُو الْقَبَسِ مَعْنَاهُ. وَالْقَبَسُ: النَّارُ، وَيَكُونُ الْقَابِسُ

(١) البيت للجميع الأسدي في المفضليات ١: ٣٣، وصدرة:

«لما رأت إبلي قلت حملتها»

(٢) بعد هذا البيت عند التبريزي بيت آخر:

«يُعِينُ نِسَاءَ الْحَيِّ مَا يَسْتَعِينُهُ وَيُمَسِّي طَلِيحًا كَالْبَعِيرِ الْمُحْتَرِّ»

الطالب. ويقال: أقْبِسْنِي نَارَكَ. والمتنور: المتفعل من النار. ويقال تنَوَّرْتُ النار، أي نظرتُ إليها واستضأتُ بنورها. ومنه قول امرئ القيس: [الطويل]

تَنَوَّرْتُهَا مِنْ أَذْرِعَاتِ وَأَهْلُهَا بِيَشْرِبِ أَذَى دَارِهَا تَنْظُرُ عَلِي

وموضع «صفحة وجهه» مع خَبَرِهِ نُضِبَ على أن يكون صفةً لَصُغْلُوكَا وَخَبَرُ لَكَنْ يَجِيءُ فيما يَجِيءُ من بَعْدُ. وقوله «صفحة وجهه» حَذَفَ الْمُضَافَ منه لأنَّ المراد ضوءُ صفحة وجهه كضوءِ شهابٍ، فأقام المضاف إليه مقامه.

٥ - مُطْلًا عَلَى أَهْدَائِهِ يَزْجُرُونَهُ بِسَاحَتِهِمْ رَجَرَ الْمَنِيحِ الْمُشْهَرِ

يقال: أَطْلُ على كذا، إذا أَوْقَى عليه. والمَنِيحُ، قال الخليل: هو الثَّامِنُ من القِدَاح. وقال أبو عمرو: المَنِيحُ والسَّفِيحُ والوَعْدُ قِدَاحٌ لَا أَنْصِبَاءَ لَهَا، وَإِنَّمَا يَكْثُرُ بِهَا الْقِدَاحُ فَهِيَ تُجَالُ أَبَدًا، وقال الأصمعي: المَنِيحُ الذي لَا يُعْتَدُّ بِهِ. فيقول: وَلَكِنْ الْفَقِيرُ الْوَضِيءُ الْوَجْهِ، الذي يَبْذُلُ جُهْدَهُ وَيَبْتَذِلُ نَفْسَهُ فِي طَلَبِ غِنَاهُ، وَيُقْصِرُ سَعْيَهُ عَلَى مَا يَبْلُغُ بِهِ عُذْرَهُ فَيُشْرِفُ عَلَى أَغْدَائِهِ غَازِيًا وَمُغِيرًا، وَهُمْ يَزْجُرُونَهُ حَالًا بَعْدَ حَالٍ، وَيَكْرَهُ هُوَ عَلَيْهِمْ وَقَتًا بَعْدَ وَقْتٍ يُزْجَرُ هَذَا الْقِدْحُ فِي خُرُوجِهِ وَمَعَ ذَلِكَ يُرَدُّ. وَخَبَرُ لَكَنْ بَعْدُ لَمْ يَجِيءْ.

٦ - إِذَا بَعُدُوا لَا يَأْمُنُونَ اقْتِرَابَهُ تَشَوُّفِ أَهْلِ الْغَائِبِ الْمُتَنَظِّرِ

يقول: هذا الْفَقِيرُ لَا يَقْعُدُ بِهِ عَنْ طَلَبِ الْأَعْدَاءِ وَالْإِغَارَةِ عَلَيْهِمْ وَالنَّيْلِ مِنْهُمْ بَعْدَ الْغَزَاةِ وَتَنَائِي الدَّارِ، فَهُمْ لَا يَأْمُنُونَهُ وَإِنْ شَحَطُوا، بَلَّانِ يَتَشَوَّفُونَهُ تَشَوُّفِ الْغَائِبِ الْمُتَنَظِّرِ، أَيِ كَمَا يَتَشَوَّفُ غَائِبٌ دَنَا قُفُولُهُ وَيُنْتَظَرُ. وَانْتَصَبَ «تَشَوُّفِ» عَلَى الْمَصْدَرِ فِيمَا دَلَّ عَلَيْهِ لَا يَأْمُنُونَ اقْتِرَابَهُ، وَمَفْعُولُ تَشَوُّفٍ مَحْذُوفٌ، كَأَنَّهُ قَالَ تَشَوُّفِ أَهْلِ الْغَائِبِ رُجُوعَهُ.

٧ - فَذَلِكَ إِنْ يَلْقَ الْمَنِيَّةَ يَلْقَاهَا حَمِيدًا وَإِنْ يَسْتَفِنِ يَوْمًا فَأَجِيرِ

يقول: ذَلِكَ الصُّغْلُوكُ إِنْ أَذْرَكَهُ الْأَجَلُ، قَبْلَ نَيْلِ الْأَمَلِ، لَقِيَهُ مَحْمُودًا، إِذْ كَانَ قَدْ فَعَلَ مَا وَجَبَ عَلَيْهِ، وَأَقَامَ عُذْرَهُ فِي مَطْلُوبِهِ بِاسْتِفْرَاحِ الْوُسْعِ فِي السَّعْيِ لَهُ، وَإِذْ كَانَ التَّبِعَةُ فِيمَا قَاتَ عَلَى مَنْ يَمْلِكُ الْعَوَاقِبَ دُونَهُ. وَإِنْ نَالَ الْغِنَى يَوْمًا فَمَا أَخْلَقَهُ بِذَلِكَ. وَقَوْلُهُ «إِنْ يَلْقَى الْمَنِيَّةَ» خَبَرُ قَوْلِهِ وَلَكِنْ صُغْلُوكَا لَوْ انْفَرَدَ عَنْ قَوْلِهِ فَذَلِكَ، لَكِنَّهُ لَمَّا تَرَخَى الْخَبَرَ عَنِ الْمَخْبَرِ عَنْهُ وَتَبَاعَدَ الْمُقْتَضِي عَنِ الْمُقْتَضَى لَهُ أَتَى بِقَوْلِهِ فَذَلِكَ،

مُشِيرًا به إلى الصُّلُوك. فصار إن يَلْتَقِ خبرًا عنه. وساغ ذلك لأن المراد بالأول والثاني شيء واحد، ومما أجري هذا المجرى لحصول مثل هذا التراخي فيه قول الله عز وجل: ﴿أَلَمْ يَلْمُوا أَنْتُمْ مَنْ يُكَاذِبُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ فَأَنْتُمْ لِمَنْ نَارُ جَهَنَّمَ﴾ [التوبة: الآية ٦٣]، فأعاد أن في قوله «فأن» كما ترى.

١٤٦ - وقال عترة بن شداد العبسي:

١ - تَرَكْتُ بَنِي الْهُجَيْمِ لَهُمْ دَوَارٌ إِذَا تَمَضِي جَمَاعَتُهُمْ تَعُودُ
البيت يُرَوَى على وجهين: أحدهما:

تركت بني الهُجيم لَهُ دَوَارًا إِذَا يَمْضِي جَمَاعَتُهُمْ يَعُودُ

ويكون الضمير في قوله له للفرس، ويمضي فعلٌ لَهُ، وجماعتهم ينتصب على المفعول، لأن يمضي هذا يتعدى، ومعناه يُجَاوِزُهُمْ. ويكون المعنى: تَرَكْتُ هؤلاء القومَ لفرسي مَطَافًا بمنزلة الدَّوَار - وهو صَنْمٌ كانوا يحجونه - يَطُوفُ حَوْلَ ذلك الصَّنَمِ، إِذَا تَقَدَّهْمُ وخرق صفوفهم ودار عليهم عاد إلى مثل فعله الأول، وإلى مكانه الأول. ويُشبه هذا البيت بيتُ الأعشى في المعنى واللفظ، وهو: [المقارب]

تَطُوفُ عَلَيْهِمْ وَتَمْضِيهِمْ كَمَا طَافَ بِالرُّجْمَةِ الْمُزْتَجِمُ^(١)

وجاء في الحديث حُجَّةٌ لَتَعْدِي يمضي، في صِفَةِ الْمَخْشَرِ: «يَمْضِيهِمِ الدَّاعِي وَيَتَقَدَّهْمُ الْبَصَرُ».

والثاني أن يُرَوَى:

تَرَكْتُ بَنِي الْهُجَيْمِ لَهُمْ دَوَارٌ إِذَا تَمَضِي جَمَاعَتُهُمْ تَعُودُ

والمعنى: تركتهم يطوفون حَوْلَ قتلاهم كما يُطَافُ على ذلك الصَّنَمِ، أو ذلك النُسك، فإذا انقَضَتْ جماعةٌ منهم عادت الأخرى للنظارة. وقوله «جماعتهم» يريد جماعةً منهم، فأضاف البعض إلى الكل، وليس يريد جُمْلَتَهُمْ، فهو في حكم التَّكْرَارِ، ومَوْضِعُ «لَهُمْ دَوَارٌ» نَصَبٌ على الحال، وقوله «تَعُودُ» فاعله مضمر، وهو جماعةٌ أخرى، فاكتمى بذكر الأولى عنها.

(١) للأعشى في ديوانه ٨٩، وبلا نسبة في اللسان (رجم)، وتاج العروس (رجم)، وتهذيب اللغة

٢ - تَرَكَتْ جُرْيَةَ الْعَمْرِي فِيهِ شَدِيدُ السَّيْرِ مُعْتَدِلٌ سَدِيدٌ^(١)

يفتخر بأنه أَصَابَ المذكور، لَمَّا رَمَاهُ بِسَهْمٍ مُحَكَّمِ النِّصْلِ، مُقَوِّمِ الْقِدْحِ، ضَلَبِ الْعَيْرِ، سَدِيدِ الْوَقْعِ. وموضع قوله «فيه شديد العير» نَضَبٌ عَلَى الْحَالِ. وَالْعَيْرُ: الثَّانِي مِنْ وَسْطِ النِّصْلِ. وَقَدْ أَقِيمَ الصِّفَةُ مَقَامَ الْمَوْصُوفِ، لِأَنَّ الْمُرَادَ بِهِ سَهْمٌ شَدِيدُ الْعَيْرِ، وَلَوْلَا مَا حَصَلَ مِنَ الْإِخْتِصَاصِ بِإِضَافَةِ الشَّدِيدِ إِلَى الْعَيْرِ لَمَّا جَازَ ذَلِكَ فِيهِ، لِأَنَّ الصِّفَةَ لَا يَقُومُ مَقَامَ الْمَوْصُوفِ حَتَّى يَدُلَّ عَلَيْهِ دَلَالَةٌ قَوِيَّةٌ. فَأَمَّا إِذَا كَانَتْ عَامَّةً فِي أَجْنَاسٍ، فَلَا يَجُوزُ ذَلِكَ فِيهِ. لَوْ قُلْتَ مَرَزْتُ بِطَوِيلٍ، وَأَنْتَ تَرِيدُ رَجُلًا، لَمْ يَخْسُنْ، لِأَنَّ الطَّوِيلَ يَكُونُ فِي غَيْرِ الرِّجَالِ كَمَا يَكُونُ فِي الرِّجَالِ وَلَوْ قُلْتَ مَرَرْتُ بِكَاتِبٍ، يَخْسُنُ إِذْ كَانَتْ الْكِتَابَةُ مُخْتَصَّةً.

٣ - فَإِنْ يَنْبَرَأَ فَلَمْ أَنْفِثْ عَلَيْهِ وَإِنْ يُفْقَدَ فَحَقٌّ لَهُ الْفُقُودُ

كَانَ مِنْ رَمَوْهُمْ أَنَّ الْوَاحِدَ إِذَا رَمَى بِسَهْمٍ وَأَرَادَ سَلَامَةَ الرَّمِيَّةِ مِنْهُ رَفَى سَهْمَهُ بَعُودَةً وَنَفَثَ فِيهِ، ثُمَّ رَمَى بِهِ، وَإِذَا أَرَادَ هَلَاكَهُ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ. وَمِثْلُ هَذَا قَوْلُ الْآخَرِ: [الطويل]

فَلَمْ أَزِقْهُ إِنْ يَنْجُ مِنْهَا وَإِنْ يَمُتْ قَرَمِيَّةٌ لَا غُسٌّ وَلَا بِمُعَمَّرٍ^(٢)

وقوله: «فحق له الفُوقْد» المبتدأ محذوف، كَأَنَّهُ قَالَ فَهُوَ حَقٌّ لَهُ الْفُوقْدُ، لِأَنَّ الْفَاءَ يُجْلِبُ فِي الْجَزَاءِ إِذَا كَانَ الْجَوَابُ بِالْإِبْتِدَاءِ وَالْخَبَرِ، وَلَوْ قُصِدَ إِلَى أَنْ يَكُونَ الْفِعْلُ جَوَابًا لَا يُسْتَعْنَى عَنِ الْفَاءِ. وَبَعْضُ مَنْ يَذْفَعُ هَذِهِ الطَّرِيقَةَ يَقُولُ لَا رُقِيَّةَ وَلَا نَفْثَ، إِنَّمَا كُنَّا عَنِ الْإِبْقَاءِ بِمِثْلِ هَذَا الْكَلَامِ. وَقَوْلُهُ: «وَإِنْ يُفْقَدُ» فَهُوَ مِثْلُ قَوْلِهِ «فَطَعْنَةُ لَا غُسٌّ». وَالْمَعْنَى: إِنْ يَنْبَرَأُ فَلَيْسَ ذَلِكَ مِنْ بُقْيَايَ، وَإِنْ يَهْلِكُ فَوَاجِبٌ لِأَنَّ الْمَصَابَ بِمِثْلِهِ يَهْلِكُ لَا مَحَالَةَ.

٤ - وَمَا يَذْرِي جُرْيَةً أَنْ نَبْلِي يَكُونُ جَفِيرَهَا الْبَطْلُ النُّجِيدُ

يُزَوَّى: «وَهْلُ يَذْرِي جُرْيَةً». وَالْمَعْنَى لَا يَعْلَمُ أَنَّهُ كَمَا أَنِّي أَصَبْتُهُ فِدَائِي وَعَادَتِي أَنْ تَكُونَ الْأَبْطَالُ النُّجْدَاءُ لِنَبْلِي بِمَنْزِلَةِ الْجَفْبَةِ، أَصِيبُهُمْ أَبَدًا بِهَا. وَفِي ذِكْرِ الْبَطْلِ

(١) التبريزي: «معتدل شديد». وذكر «إنما قال العمري لأن الهجيم ابن عمرو».

(٢) لزهير بن مسعود في اللسان (غسس) ونوادير أبي زيد ص ٧٠، وبلا نسبة في الإنصاف ٢: ٦٢٦.

النَّجِيدَ إِمَامًا يَقُولُ الْآخِرُ: [المنسرح]

..... وَنَضَ طَاؤُ نُفُوسًا بُنْتُ عَلَى كَرَمٍ^(١)

ويقول الآخر: [الكامل]

مَنْ عَهْدٍ عَادٍ كَانَ مَعْرُوفًا لَنَا أَسْرُ الْمُلُوكِ وَقَتْلُهَا وَقَتَالُهَا^(٢)

وأخذ أبو تمام هذا المعنى فقال: [الطويل]

فَلَا تَطْلُبُوا أَسْيَافَهُمْ فِي جُفُونِهَا فَقَدْ أَسْكَنْتَ بَيْنَ الطُّلَى وَالْجَمَاجِمِ^(٣)

ويجوز أن يُريد بالبطل النجيد جُرَيَّةَ بعينه، ثم يجوز أن يكون مُتَهَكِّمًا فيما وَصَفَهُ بِهِ، ويجوز أن يكون مَادِحًا لَهُ، لأن مدحَ خَصْمِهِ وَقْتُ غَلَبِهِ رَاجِعٌ إِلَيْهِ.

١٤٧ - وَقَالَ قَيْسُ بْنُ زُهَيْرٍ الْعَبْسِيُّ

سَيِّدُ بَنِي عَبْسٍ^(٤): [الوافر]

١ - تَعَلَّمُ أَنْ خَيْرَ النَّاسِ حَيًّا عَلَى جَفْرِ الْهَبَاءَةِ لَا يَرِيمُ^(٥)

يُزَوَى «أَنْ خَيْرَ النَّاسِ حَيًّا»، والمعنى هو حَيٍّ، وقوله «على جَفْرِ الْهَبَاءَةِ» خَبَرٌ أَنْ. وَيُزَوَى: «مَيَّنَا» وإعرابه على ما ذكرناه في حَيًّا. وَيُزَوَى «مَيَّنَتْ» وارتفاعه على أَنَّهُ خَبَرٌ أَنْ، و«على جَفْرِ الْهَبَاءَةِ» فِي مَوْضِعِ الصِّفَةِ لَهُ. وَمَعْنَى تَعَلَّمُ: اَعْلَمَ. وَلَا يُقَالُ فِي جَوَابِهِ تَعَلَّمْتُ، اسْتَغْنَيْ عَنْهُ بَعْلِمْتُ. وَيَغْنِي بِخَيْرِ النَّاسِ حَمَلُ بَنٍ بِذَرٍ. وَجَفْرُ الْهَبَاءَةِ: بِثَرٍّ قَرِيبَةُ الْقَعْرِ، وَمَاوَاهَا كَثِيرٌ مَعِينٌ. وَكَانَ حَمَلٌ اِنْهَزَمَ فِي وَقْعَةٍ بَيْنَ عَبْسٍ وَذُبْيَانٍ، فَلَمَّا اِنْتَهَى إِلَى الْهَبَاءَةِ أَمِنَ لِبُعْدِهَا عَنِ الطَّلَبِ، فَرَمَى بِنَفْسِهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْتَرِدَ، فَاتَّفَقَ لِحَاقِ قَيْسٍ بِهِ مَعَ عِدَّةٍ مِنْ ذَوِيهِ، فَقَتَلُوا عَنْ آخِرِهِمْ.

٢ - وَلَوْ لَا ظَلَمُهُ مَا زِلْتُ أَبْكِي عَلَيْهِ الدَّهْرَ مَا طَلَعَ النُّجُومُ

(١) البيت الثاني من الحماسة (٣١) وهو لبعض بني بولان من طيء، وتماه:

«نستوقد النبل بالحضيض ونصد طَاؤُ نُفُوسًا بُنْتُ عَلَى كَرَمٍ»

(٢) البيت السادس من الحماسة ١٣٤ وهو لبشامة بن الغدير.

(٣) ديوانه ٣٨٧.

(٤) قيس بن زهير العبيسي: أمير عبس وداهيتها، وأحد السادة القادة في عرب العراق. كان يلقب

بقيس الرأي لجودة رأيه (ت ١٠ هـ / ٦٣١ م). ترجمته في الكامل لابن الأثير ٢٠٤: ١،

والمرزباني ٣٢٢ والأغاني ١٤٣: ٧.

(٥) التبريزي: «أَنْ خَيْرَ النَّاسِ مَيَّنْتُ».

أشار بالظلم إلى ما جرى بينهم في أمر داحس والغبراء، وإنكاره السبق، وركوبه البغي. وقوله «ما طَلَعَ النُّجُومُ» ينتصب على أنه بدلٌ من الدهر. والمعنى: لولا ما أسلفه من الظلم لاقتضى ما يجمعني وإياه من الأحوال والذمم، والتشاجر والرحم - البكاء عليه مدة الدهر. وقوله «ما طَلَعَ» بمنزلة المصدر، وقد حذف اسم الزمان معه. والمراد بذكر الدهر الكثير والمبالغة والتأييد. وقد بيّنه بقوله «ما طَلَعَ النُّجُومُ»، لأنه على ذلك يصح أن يكون بدلًا منه. فمعنى «عليه الدهر» عليه طوال الدهر، وامتداد الدهر.

٣ - ولكن الفَتَى حَمَلَ بِنَّ بَذِرَ بَغَى والبَغْيُ مَرْتَعَةٌ وَخَيْمٌ يقول: استعمل البغي واستوبل العافية، واستدّم المَرْتَع، ومن بُغِيَ عليه فإنه يُنَصَّر. ويقال: بَغَى الرَّجُلُ عَلَى فُلَانٍ، أي جَارَ. وبَغَى الْفَرَسُ فِي عَذْوِهِ، وهو فَرَسٌ باغ، وذلك إذا اختَالَ وَمَرِحَ. وإذا اسْتُعْجِلَ فِي الْفَخَارِ والاستطالة فهو من هذا. وَالْوَحَامَةُ: الثَّقُلُ يَعْرِضُ مِنَ الطَّعَامِ. يقال: وَخَمَ وَخَامَةً فهو وَخِيمٌ وَوَخِمَ، أي لا يُسْتَمَرَّ.

٤ - أَظُنُّ الْحِلْمَ دَلَّ عَلَيَّ قَوْمِي وقد يُسْتَجْهَلُ الرَّجُلُ الْحَلِيمُ^(١)

يقول: احتمالي من عَشِيرَتِي، واستعمالُ الحلم معهم، هو الذي جَسَرَهُمْ عَلَيَّ فيما أَظُنُّ، ودَلَّهُمْ عَلَى قَضْدِي واهْتِصَامِي عَلَى مَا يَتَبَيَّن. ثم قال «وقد يُسْتَجْهَلُ الرَّجُلُ الْحَلِيمُ» أي إذا أَخَوَجَ الْحَلِيمُ وَأُحْرِجَ فَقَدْ يَتَكَلَّفُ مَا لَا يَكُونُ مَعْهُودًا فِي طَبْعِهِ، وَلَا مَوْجُودًا مِنْ خُلُقِهِ. وإنما نَبَّهَ بِهَذَا الْكَلَامِ عَلَى أَنَّهُ يَتَحَلَّمُ عَنِ الْأَذْيَانِ، وَيَضْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ، وَأَنَّهُ لَمَّا عِيلَ صَبْرُهُ وَحُمِلَ فَوْقَ مَا فِي وَسْعِهِ، خَرَجَ عَنِ الْمَعْتَادِ مِنْهُ إِلَى غَيْرِهِ.

١٤٨ - وقال مساور بن هند^(٢): [الكامل]

١ - سائل تَمِيمًا هَلْ وَفَيْتُ فِلَانِي أَحَدْتُ مُكْرَمَتِي لِيَوْمِ سَبَابِ

(١) أنشد التبريزي بعده:

«ومارسُ الرجال ومارسوني فمعوجٌ عليّ ومستقيمٌ»

(٢) مساور بن هند بن قيس بن زهير بن جذيمة العبسي: شاعر معمر، ولد في حرب داحس والغبراء (ت نحو ٧٥ هـ / ٦٩٥ م). ترجمته في الإصابة (٨٤٠٥)، والشعر والشعراء ١٢٥، والأغاني ١٥١:٩.

يقول: سائل تميمًا هل كان مني وفاة بما تَضَمَّنَتْه لجاري، فإني رجلٌ نَظَّارٌ في أعقابِ الأحاديث، مُهْتَمٌّ بإعداد المكارم ليومِ الثَّقَار، شديدُ التُّزاع في مجالسِ الفَخَّار. كأنه يقرُّرُ خَصْمَاءَهُ على ما كان من وفائه، لِيُسْقِطَ التَّبِعَةَ عنه فيه، وَيُنَبِّهَ على أنه يُرَاعِي أفعاله فيُخْلِصُها مما يُعَدُّ سَيِّئَةً وَسُبَّةً وَوَضْمَةً في حَسَبِهِ.

٢ - وَأَخَذْتُ جَارَ بَنِي سَلَامَةَ عَنُوءَةً فَدَفَعْتُ رِبْقَتَهُ إِلَى عَنَابٍ

عَنَابٌ هذا كان معتصمًا بحبله، ومستظهرًا بذِمَّتِهِ، فلَحِقَهُ من بني سلامة اهتضامٌ في أمرٍ، فجاء مُسَاوِرٌ ومَكْنَهُ من جَارِهِم، وأعطاه رِبْقَتَهُ ليتَحَكَّمُ فيه، ويشتفي لما لحقَهُ منهم. وهذا الكلامُ بيانٌ لكيفية وفائه والخروج إلى جَارِهِ مما كان تَضَمَّنَ لَهُ. وقوله «عَنُوءَةً» أي قَهْرًا، وهو مَصْدَرٌ في موضع الحال. ويقال: أَخَذَ بَلَدًا كَذَا عَنُوءَةً، أي قَهْرًا بالسيف. والرَّبْقَةُ: الْحَبْلُ يُشَدُّ فِي عُقِّي الْبَهْمِ، وقد تَوَسَّعُوا فِيهِ فَقَالُوا: خَلَعَ فَلَانٌ رِبْقَةً الْإِسْلَامِ. وقوله «فَدَعْتُ رِبْقَتَهُ»، هو كما يُقال دَفَعْتُ مَقَادَتَهُ.

٣ - وَجَلَبْتُهُ مِنْ أَهْلِ أَبِضَّةٍ طَائِعًا حَتَّى تَحْكُمَ فِيهِ أَهْلُ إِرَابٍ

الهَاءُ مِنْ «جَلَبْتُهُ» ترجع إلى دار بني سلامة. وَأَبِضَّةٌ: اسم ماءٍ. وقوله «جَلَبْتُهُ طَائِعًا» تنبيهٌ على أنه وإن لَزِمَهُ لجَارِهِ الانتقامُ له من خصمه ومهتَضِمِيهِ فقد تبرَّعَ له بما لم يَكُنْ عليه، وتكَلَّفَ فيه ما لم يَلْزِمَهُ. وإِرَابٌ: موضع، وقيل إِرَابٌ: ماءٌ لبني الْعَبَّيرِ. وَأَبِضَّةٌ: ماءٌ لَطِيءٌ. والأَبْضُ كَالْعَقْلِ، ومنه المَأْبِضُ في الرَّجْلِ. وقيل للغرابِ مُؤْتَبِضُ النِّسَاءِ، لأنه يَخِجِلُ فَكَأَنَّهُ مَأْبُوضٌ.

٤ - قَتَلُوا ابْنَ أُخْتِهِمْ وَجَارَ بُيُوتِهِمْ مِنْ حَيْنِهِمْ وَسَفَاهَةِ الْأَلْبَابِ

يشهرُ بفعلتهم الذميمة وَيُنَدِّدُ، فيقول: قَطَعُوا الرَّجِمَ وَنَقَضُوا الْعَهْدَ، وَارْتَكَبُوا مَا كَانَ مُحْظُورًا فِي الدِّينِ وَالْمَرْوَةِ، وَالْعَهْدِ وَالذِّمَّةِ، فَقَتَلُوا جَارَهُمْ وَأَبْنَ أَخِيهِمْ، بِخَفَةِ عَقُولِهِمْ، وَاقْتِرَابِ هَلَاكِهِمْ. وَالسَّفَةُ: الْخَفَةُ فِي الْأَصْلِ، وَمِنْهُ قِيلَ زِمَامٌ سَفِيءٌ، إِذَا كَانَ كَثِيرَ الْاضْطِرَابِ، وَمِنْهُ قِيلَ: تَسْفَهُتِ الرِّيحُ الْغَضْنَ، وَتَسْفَهُتُهُ عَنْ مَالِهِ. وَاللُّبُّ: الْعَقْلُ، وَالْفِعْلُ مِنْهُ لَبٌّ يَلْبُ. وَقَالَتْ صَفِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ: «أَضْرِبُهُ لَكِنِّي يَلْبٌ، وَيَقُودُ الْجَيْشَ ذَا الْجَلْبِ».

٥ - غَدَرَتْ جَدِيْمَةٌ غَيْرَ آتِي لَمْ أَكُنْ أَبَدًا لِأَوَّلَفَ غَدْرَةَ أُنْوَإِي

غَيْرَهُمْ بِاسْتِعْمَالِ الْغَدْرِ وَتَرْكِ الْوَفَاءِ لِلجَارِ، ثُمَّ بَرَأَ سَاحَتَهُ مِنْ تَعَاطِيِ مِثْلِ فَعْلِهِمْ، وَتَرَهَ نَفْسَهُ عَنْ ارْتِكَابِ نَظِيرِ مَا ارْتَكَبُوهُ. فَأَمَّا قَوْلُهُ «لَمْ أَكُنْ لِأَوَّلَفَ» فَالْأَمُّ فِيهِ

لام الجُحود، وانتصابُ الفعلِ بأنَّ مضمرةً بينه وبين اللام. وموضع «الأولف» نَضَبٌ على أنه خبر كان، وانتصابُ غَيْرَ على أنه استثناءٌ مُنْقَطِعٌ. وَذَكَرَ الثُّوبُ على عَادَتِهِمْ في الكِتَابَةِ عن النَّفس. وعلى هذا قوله: [الكامل]

نُبِيتُ أَنْ دَمًا حَرَامًا نِلْتُهُ فَهَرِيقٌ فِي ثُوبٍ عَلَيْكَ مُحَبَّرٌ^(١)

وقد قيل معنى قوله تعالى: ﴿وَيَايَاكَ فَطَعَزَ ①﴾ [المذثر: الآية ٤]، أي نفسك. ويقولون على هذه الطريقة: فَلَانْ غَمُرُ الرِّدَاءِ، وَعَفِيفُ الْحُجْزَةِ، والمراد النفس. وعلى هذا قول التابغة: [الطويل]

رِفَاقُ السَّعَالِ طَيِّبٌ حُجْرَاتُهُمْ^(٢)

وَقَوْلُ الْهَذَلِيِّ: [الطويل]

تَبَرَّأُ مِنْ دَمِ الْقَتِيلِ وَبَزَهُ وَقَدْ عَلِقَتْ دَمَ الْقَتِيلِ إِزَارُهَا^(٣)

٦ - وَإِذَا فَعَلْتُمْ ذَلِكَ لَمْ تَشْرُكُوا أَحَدًا يَذُبُّ لَكُمْ عَنِ الْأَخْسَابِ

الْخَطَابُ يُوجِّهُ إِلَى جَذِيْمَةٍ هُوَ مِنْهُمْ، وَلِذَلِكَ جَعَلَ لَهُمْ أَحْسَابًا يُخْتَاJ إِلَى الذَّبِّ عَنْهَا، وَيَنْصَحُ لَهُمْ بِالْإِبْقَاءِ عَلَيْهَا، وَتَرْكِ الْأَفْعَالِ الَّتِي تَدْعُو إِلَى الْبِرَاءَةِ مِنْهُمْ وَمِنْهَا، لَكِنَّهُ أَخْرَجَ نَفْسَهُ مِمَّا عَصَبَ مِنَ الدَّمِ بِهِمْ، وَالزَّمَهُمْ مِنْ دَمِيْمِ الْقَوْلِ فِي شَيْبِهِمْ وَطُرُقِهِمْ، فَقَالَ: إِذَا رَكِبْتُمْ مِنْ شَنِيعِ الْعَذْرِ مِثْلَ مَا أَتَكَرَّرَتْهُ اشْتَهَرَ أَمْرُكُمْ، وَانْتَفَى السَّبَبُ وَالْغَرِيبُ مِنْ مُلَابَسَتِكُمْ، وَخُلِّيَ بَيْنَ الْقَادِحِ فِي أَحْسَابِكُمْ وَأَعْرَاضِكُمْ وَبَيْنَكُمْ، فَلَا يَذُبُّ عَنْكُمْ ذَابٌ، وَلَا يُدَافِعُ دُونَكُمْ مُدَافِعٌ، وَتَفَرَّدْتُمْ بِالْعَارِ الْلَاخِقِ، وَالتَّهْجِينِ الْعَائِدِ.

١٤٩ - وَقَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ مِرْدَاسٍ^(٤): [الطويل]

١ - أَبْلِغْ أَبَا سَلَمَى رَسُولًا يَرَوْعُهُ وَلَوْ حَلَّ ذَا سِذْرِ وَأَهْلِي بِعَسَجَلٍ

(١) لأوس بن حجر في ديوانه ٤٧، واللسان (هرق)، وتاج العروس (هرق).

(٢) للتابغة الذبياني في ديوانه ٤٧، واللسان (سبب، طيب، حجز)، وأساس البلاغة (حجز)، وكتاب العين ٧١:٣، وعجزه:

«يُحَيِّوْنَ بِالرِّيحَانِ يَوْمَ السَّبَاسِ»

(٣) لأبي ذؤيب الهذلي في شرح أشعار الهذليين ص ٧٧، واللسان (أزر) وتاج العروس (أزر)، والمعاني الكبير ص ٤٨٣.

(٤) العباس بن مرداس السليم: صحابي، أسلم قبل فتح مكة، وأمه الخنساء الشاعرة، وهو شاعر فارس من سادات قومه (توفي نحو ١٨ هـ / ٦٣٩ م). ترجمته في تهذيب التهذيب ١٣٠:٥، والإصابة (٤٥٠٢)، وابن سعد ١٥:٤.

٢ - رَسُولُ امْرِئٍ يُهْدِي إِلَيْكَ نَصِيحَةً فَإِنْ مَغْشَرُ جَادُوا بِعِزِّكَ فَأَبْخَلِ

يخاطب بقوله «أبلغ» صاحبًا له، يقول أد إلى أبي سلمى رسالة تُفَرِّغُهُ على ما بيننا من البُعد، وعلى استيظانه ذا سِدرٍ ونزولٍ أهلي بَعَسَجَلٍ. وذو سِدرٍ: موضع فيه السُدر، وهو شَجَرُ التَّنْبِقِ. وَعَسَجَلٌ: موضعٌ من حَرَّةِ بني سُلَيْمٍ، وبينهما مسافةٌ بعيدة. والرُّسُولُ يقع على المُرسَلِ والرَّسالةِ جميعًا، وَيَجْري مَجْرى المصادر، فيقع على الواحد فما قُوَّتُهُ، ومجازٌ «لو حَلَّ» مَجَازُ الشَّرْطِ، فهو يفيدُ معنى إن، كأنه قال: أبلغه ذلك فلأنِّي لا أدخرُهُ نُصْجِي، وإن بَعَدَ عَنِّي وَعَنْ عَشِيرَتِي. وانتصب «رسول» من البيت الثاني على أنه بدلٌ من رَسُولًا يَرْعُهُ. ونَقَلَ الكلام في البيت الثاني عن الإخبار إلى الخطاب، لتكون الوَصاءُ أنجع، والرَّسالةُ أبلغ. وإثما قال «رَسُولًا يَرْعُهُ» لما فيه من التَّحذِيرِ. فيقول: أد إليه رسالة رَجُلٍ مُتَنَصِّحٍ مُتَقَرِّبٍ، وعلى ما يكون فيه صلاحه وخلاصه مُنْبِئُهُ. وقوله «إِنْ مَغْشَرُ جَادُوا بِعِزِّكَ» تَغْرِضٌ بمن كان يَعُشُّه ويخونُهُ، ويداجيه فيما استشاره فيه فلا يَصْدُقُهُ. وارتفع «مَغْشَرٌ» بِفِعْلِ مُضَمَّرٍ «جادوا» تفسيره؛ لِأَنَّ إِنْ بِالْفِعْلِ أَوَّلَى، وَالْمَعْنَى: إِنْ عَرَضَكَ مَنْ لَا يَهْمُهُ سَلَامَةُ عِزِّكَ لَمَّا فِيهِ ذَهَابُ النَفْسِ وَتَلَفُ الْمُهْجَةِ، وَتَسْخَى بِكَ وَبِمَا يَجْمَعُكَ وَإِيَّاهُ مِنْ أَسْبَابِ الْمَوَدَّةِ وَاللُّحْمَةِ، فَاِبْخَلْ أَنْتَ بِهِ وَتَمَاسَكَ، قَبِيلَ قُوَّتِ الْوَقْتِ، وَانْظُرْ لِيَوْمِكَ وَعَدِكَ قَدَامَ تَوَلِّي الْأَمْرِ.

٣ - وَإِنْ بَوَّوْكَ مَبْرَكًا غَيْرَ طَائِلٍ غَلِيظًا فَلَا تَنْزِلْ بِهِ وَتَحَوَّلْ

يقال: بَوَّأْتُهُ مَبْرَكًا صِدْقِي، أَي أَخْلَلْتُهُ. وَالْمَبَاءَةُ: الْمَنْزِلُ. يَقُولُ: وَإِنْ حَمَلُوكَ عَلَى مَرْكَبٍ غَيْرِ وَطِيٍّ يَسُومُونَكَ فِيهِ خَسْفًا، وَأَنْزَلُوكَ مَنْزِلًا خَشِيتًا حَزَنًا يُوَثِّرُ فِي ثِقَاتِ الْإِبِلِ فَيُذَمِّمُهَا، وَيَسْتَوَعِرُهُ الرُّكْبُ فَلَا يَرُونَهُ مَنْزِلًا لَهَا، فَلَا تَرْضَ بِهِ، وَانْتَقِلْ عَنْهُ. وَهَذَا مَثَلٌ لِمَا عَرَضُوهَ لَهُ، وَيَبْعَثُهُ بِضَرْبِهِ إِيَّاهُ عَلَى مُحَازَرَتِهِ، وَتَصَوُّرِ الْأَمْرِ مَعَهُمْ بِصَوْرَتِهِ. وَقَوْلُهُ «غَيْرَ طَائِلٍ» يَجِبُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الطَّوْلِ: الْفَضْلُ؛ يَقَالُ: طَالَ عَلَيْهِمْ طَوْلًا فَهُوَ طَائِلٌ. وَالْمَعْنَى: لَا خَيْرَ فِيهِ فَيَطُولُ عَلَى غَيْرِهِ. وَمِثْلُ هَذَا الْبَيْتِ قَوْلُ امْرِئِ الْقَيْسِ: [الطويل]

هُوَ الْمَنْزِلُ الْآلَافُ مِنْ جَوْ نَاعِيطٍ بَنِي أَسَدٍ حَزَنًا مِنَ الْأَرْضِ أَوْعَرَا

وقوله «فلا تنزل به» الفاء مع ما بعده جَوَابُ الشَّرْطِ فِي قَوْلِهِ وَإِنْ بَوَّوْكَ. وموضع فلا تَنْزِلْ رَفَعَ عَلَى أَنَّهُ خَبَرٌ مُبْتَدَأٌ مَحْذُوفٌ، كَأَنَّهُ قَالَ: فَأَنْتَ لَا تَنْزِلْ بِهِ.

٤ - وَلَا تَطْعَمَنْ مَا يَخْلِفُونَكَ إِنَّهُمْ أَتَوْكَ عَلَى قُرْبَاهُمْ بِالْمُثْمَلِ
أَخْرَجَ مَا قَدَّمَهُ مِنَ التَّمْثِيلِ لِكَيْدِهِمْ وَسُوءِ دِخْلَتِهِمْ، وَمَا يَجِبُ عَلَيْهِ مِنَ الْأَخْذِ
بِالتَّحَرُّزِ مَعَهُمْ، وَتَرْكِ الْأَسْتِنَاحَةِ فِي الْمَبْرَكِ الَّذِي اخْتَارُوهُ، وَالْمُبَوَّأَ الَّذِي أَعْدُوهُ، فِي
مِغْرَضٍ آخَرَ. وَالْمَعْنَى: وَمَا يُعَدُّ قَرَى لَكَ فَتَجْتَنِّهِ وَلَا تَتَنَاوَلْهُ، فَإِنَّهُمْ هَيَّؤُوا لَكَ بِهِ سَمًا
قَاتِلًا فَلَا تَطْعَمَهُ وَالْمُثْمَلُ، هُوَ السَّمُ الَّذِي قَدْ خُلِطَ بِهِ مَا يَقْوِيهِ وَيُهَيِّجُهُ، لِيَكُونَ أَنْفَذَ.
وَيَقَالُ لِلصُّوفَةِ الَّتِي تَوْضَعُ فِي الْهِنَاءِ عِنْدَ طَلْيِ الْبَعِيرِ بِهِ. الثَّمَلَةُ، وَهُوَ مِمَّا ذَكَرْتُ. قَالَ
الرَّاجِزُ:

كَمَا يُلَاثُ فِي الْهِنَاءِ الثَّمَلَةُ^(١)

وقوله «أَتَوْكَ عَلَى قُرْبَاهُمْ» يجوز أن يريد به على تقريبهم وتنصيحهم، ويجوز
أن يريد به على قربانهم وتشابك الأحوال بينك وبينهم. وإنما تنقل في المثل بعد
المثل تأكيداً للقول عليه في محاذرتهم، وإنذاراً في الركون إليهم، والاستنامة إلى
ناحياتهم.

٥ - أَبْعَدَ الْإِزَارِ مُجَسِّدًا لَكَ شَاهِدًا أَتَيْتَ بِهِ فِي الدَّارِ لَمْ يَخْرُجْ
هَذَا الْكَلَامُ وَإِنْ كَانَ لَفْظُهُ لَفْظَ الْأَسْتِفْهَامِ فَهُوَ تَقْرِيعٌ وَإِنْكَارٌ، وَتَنْبِيهٌُ وَإِنْدَارٌ، فِيمَا
يُضْرِبُ الْمُخَاطَبُ عَنْهُ، وَيَغْفُلُ دُونَهُ، مَعَ كَوْنِهِ أَعْدَلُ شَاهِدٍ عَلَى سُوءِ نِيَّتِهِمْ، وَخُبْنِ
طَوَيْتِهِمْ، وَمَعَ خُرُوجِهِ عَنْ حَيْزِ الْأَسْتِدْلَالِ عَلَيْهِ إِلَى الْمَشَاهِدَةِ، وَمِنْ خَلَلِ الْخَفَاءِ
وَالْتَشَكُّكَ إِلَى ظَاهِرِ الضَّرُورَةِ. فَيَقُولُ: أَتَغْتَرُّ بِهِمْ، أَوْ تَسْتَرِيبُ بِمَا أَحْذَرُكَ مِنْهُمْ، بَعْدَ
ظُهُورِ أَمْرِهِمْ وَانْكَشَافِ قُضْدِهِمْ، وَبَعْدَمَا أَتَيْتَ بِهِ فِي الدَّارِ مِنَ الْإِزَارِ الْمُتَلَطِّخِ بِدَمِ ابْنِ
عَمِّكَ، وَقَدْ يَبَسَ عَلَيْهِ وَلَمْ يَتَزَيَّلْ عَنْهُ. فَقَوْلُهُ «بَعْدَ الْإِزَارِ» يَتَعَلَّقُ بِفِعْلِ مُضْمَرٍ قَدْ دَلَّ
عَلَيْهِ خَبِيثَاتُ الْقِصَّةِ الْمُحْكِيَّةِ. وَالْمُجَسِّدُ: الثُّوبُ الْمُشْبَعُ صِبْغًا. وَالْجَسَادُ: الرَّعْفَرَانُ.
وَمَعْنَى لَمْ يَتَزَيَّلْ: لَمْ يَفَارِقِ الدَّمَ، وَلَمْ يَنْفَكْ مِمَّا خَالَطَهُ مِنْهُ.

٦ - أَرَاكَ إِذَا قَدْ صِرْتَ لِلْقَوْمِ نَاضِحًا يُقَالُ لَهُ بِالْقَرْبِ أَذْبَرُ وَأَقْبِلُ
الناضح: البعير الذي يُسْتَقَى عَلَيْهِ الْمَاءُ. وَالتَّضَحُّ مِنَ الْحِيَاضِ: مَا قَرَّبَ مِنَ
الْبِشْرِ فَيُفَرِّغُ الْمَاءَ مِنَ الدَّلْوِ فِيهِ، وَهَذَا الْكَلَامُ صَدَرَ عَنْ نَصَحِ جُهْدِهِ وَبَيَّنَ لِمَوْعِظِهِ

(١) لصخر بن عمير في اللسان (ثمل)، والتنبية والإيضاح ١: ١٨٨، وبلا نسبة في ديوان الأدب

رُشْدَهُ، فَلَمَّا لَمْ يُتَلَقَّ بِالْقَبُولِ قَوْلُهُ جَعَلَهُ قَضِيَّةً مِنْهُ عَلَى الْمُخَاطَبِ، بِسوء الاختيار، وركوب الاغترار، وأظهر أنه قد صار من التضجر به ورفَعَ الطمع عنه وعن صلاحه، في حكم اليائس من فلاحه، والمُمسِك عن وعظه وإبلاغه، لكونه في حكم المُسَخَّر لهم حتى لا رأي له ولا اعتبار، ولا تدبُّر ولا اختيار. فقال: أراك قد صِرْتَ معهم بمنزلة البعير الذي يُسْتَقَى عليه، طاعةً وانقيادًا، فيقال له أذِبْزْ وأقْبِلْ بالعَرَب. والمعنى تُسَام ما تُسَام فلتلزمه وتناقد، ففعلَ ذلك البعير. ومعنى «يَقَالُ له» أي يُحْمَلُ على ذلك. والتصرّف في القول على وجوه كثيرة من المجاز.

٧ - فَخُذْهَا فَلَيْسَتْ لِلْعَزِيزِ بِخُطَّةٍ وفيها مَقَالٌ لِمَرِيٍّ مِنْدَلٍّ

هذا الكلامُ خُرُوجٌ عن عَهْدَةٍ ما يفعله المخاطبُ، وِبَرَاءَةٍ إِلَيْهِ مع الإنكار عليه والتنبيه على موضع الخطأ فيه، فيقول: وَكَلْتُكَ إِلَى نَفْسِكَ، وَنَفَضْتُ يَدِي مِنْ مُرَاجَعَتِكَ، فَأَرْضَ بِمَا عَلَيْهِ تُدَارُ، وَإِنْدُنْ مَا تُرَاوِدُ عَنْهُ وَتُسَامُ، عَالِمًا أَنَّ مِثْلَهُ لَا يَرْضَى بِهِ عَزِيزٌ، وَلَا يَلْتَزِمُهُ آئِفٌ؛ وفيه مع ذلك نَظَرٌ وَجَدَالٌ لِمَنْ يَتَذَلُّ: هل هو خُطُّهُ أَيْضًا. والمعنى: إِنَّكَ تَرَكَبْتَ ظَهْرًا لَا يَقْتَعِدُهُ الْمُتَكَلِّفُ لِلذَّلِّ فكيف العزيز. ويجوز أن يكون المعنى: فيها للناس، إذا تَذَاكَرُوا الْأَحْوَالَ وَالْخُطَطَ، نَظَرَ وَكَلَامَ مَبْسُوطٌ: هل يَرْضَى بِمِثْلِهِ الْمُتَذَلُّ أَوْ لَا. ويجوز أن يريد: إِنَّ الدَّلِيلَ يَتَكَلَّمُ فِيمَنْ يَرْضَاهَا خُطَّةً وَيُعَيِّرُهُ إِثَابًا، فكيف يكون خُطَّةً للعزيز، وهذا الوجه أبلغ الوجوه الثلاثة وأدقها.

١٥٠ - وقال العباس بن مرداس: [الطويل]

١ - أَتَشْحَذُ أَرْمَاحًا بِأَيْدِي عَدُوِّنَا وَتَشْرُكُ أَرْمَاحًا بِهِنَّ تُكَايِدُ^(١)

هذا مَثَلٌ. والمعنى: أَتَعِينُ أَعْدَاءَنَا عَلَيْنَا، لِأَنَّ مَنْ أَحَدَ سِلَاحَ الْعَدُوِّ الَّذِي يَقَاتِلُ بِهِ، وَتَرَكَ سِلَاحَ صَاحِبِهِ الَّذِي يَكَايِدُهُ فَقَدْ أَعَانَهُ عَلَيْهِ. وَإِنَّمَا خَصَّ مِنْ بَيْنِ الْعُدَدِ الرِّمَاحَ لِأَنَّهَا كَانَتْهَا أَحْصَى بِهِمْ. وقوله «وتترك أَرْمَاحًا» أراد وتترك شَحْدَ أَرْمَاح، فَحَذَفَ الْمُضَافَ. ويجوز أن يكون كَتَى بِالْأَرْمَاحِ عَنِ الرِّجَالِ. والمعنى: أَتَهَيِّجُ أَصْحَابَ عَدُوِّي عَلَيَّ، وَتَسُدُّهُمْ نَحْوِي، وَتَرَكَ أَصْحَابِي الَّذِينَ بِهِمْ أَكَايِدُ، فَلَا تُقَوِّي فِي الْقِتَالِ وَالصَّبْرَ رَأْيَهُمْ وَلَا تُجِمُّ فِي الثَّبَاتِ عَزَائِمَهُمْ، وَمَنْ الْمَعْرُوفُ قَوْلُهُمْ: فَلَا تَنْفِي

(١) التبريزي: «تكايد».

ورُمحي، في الذي يستظهر به عند مُلاقاة الأعداء وفلانٌ تُزبِّي وجُتِّي، فيمن يُتَقَى به من الأسواء. وإنما قال في هذا الوجه أزمأحا بأيدي عدونا لأنه إذا كَتَى عنهم بما يَكُونُ آلَةً جعلها باليد. ويقال: شَحَذْتُ السَّكِين، إذا أَحَدَذْتَه. والباء من قوله «بأيدي» يتعلق بمضمر، كأنه قال أزمأحا مستقرّة وحاصلةً بأيدي. والعدوُّ يقع على الواحد وعلى الجمع. وفي القرآن: ﴿فَاتَّبَعْتُمُ عَدُوَّيَ﴾ [الشَّعْرَاء: الآية ٧٧]. [الطويل]

٢ - عَلَيْكَ بَجَارِ الْقَوْمِ عَبْدٌ بْنُ حَنْبَرٍ فَلَا تَرْشَدَنَّ إِلَّا وَجَارِكَ رَاشِدٌ

هذا الكلامُ بَعَثُ وتحضيضٌ على مراعاة العهود والذُّم، وصيانة الجار من الاهتضام، وإن لام فيها اللوائم. فيقول: أَنْتَصِفْ لَجَارِكَ وانتقم له بأن تؤثر في جار القوم، فإنك لا تكون راشداً إلا وقد رَشَدَ جَارُكَ معك. ويقالُ رَشِدَ يَرْشُدُ، وَرَشَدَ يَرْشُدُ، لغتان. والباء من قوله: «بحار» يتعلق بعليك، لأنَّ معنى عليك خُذْ، ويقال: خُذْ كَذَا وَخُذْ بِكَذَا. يقال أيضاً: عليك كذا وبكذا. ودخول النون الخفيفة في قوله «تَرْشَدَنَّ» لأنه ليس بواجبٍ فهو يجري مجرى الأمرِ والنهي والاستفهام.

٣ - فَإِنْ غَضِبْتَ فِيهَا حَبِيبُ بْنُ حَنْبَرٍ فَخُذْ خُطَّةً يَرْضَاكَ فِيهَا الْأَبَاعِدُ

الضمير في «فيها» للْفُغْلَةِ وَالْخُطَّة. ألا ترى قوله «فخذ خطّة يرضاك فيها الأبعاد». والمعنى: إن تَسَخَّطَ ما تتكلّفه لجارِكَ من الذُّبِّ عنه والانتقام له هؤلاء القوم فلا تُبال بهم، وَخُذْ في أمره ما يَحْمَدُكَ الْأَبَاعِدُ دون الأقارب، فَإِنَّ الْأَخْبَارَ إذا انتشرت عنك بالوفاء اسْتَرْجَحَكَ الْأَجَانِبُ. وَخَذَلُ الْجَارُ وتسليمه إيثاراً لهوى الأقارب، وَمُجَانِبَةٌ لكرهتهم، يجلب الذُّمَّ ويلحق العار.

٤ - إِذَا طَالَتِ النَّجْوَى بِغَيْرِ أُولِي الْقُوَى أَضَاعَتْ وَأَضَعَتْ خَذٌ مَنَ هُوَ فَارِدٌ

هذا بيان الرأى في قَبُولِ ما أشار به، وترك التّعريج على غيره. والعامل في «إذا طالت» أَضَاعَتْ، وهو جوابه أيضاً. فيقول: إذا طالت المناجاة وامتدت الاستشارة مع غير أرباب الآراء القويّة ضَيَعَتِ الْمُسْتَشِيرَ وأمالت خَذَهُ، وصار في الانفراد بما يعاينه بمنزلة مَنْ لَا نَاصِرَ لَهُ وَلَا مُشِيرَ، لوقوع التشاور على غير خَذِهِ، وتقصير المُشِيرِ في القيام بواجبه، وقد جمع بين فعلين في قوله «أضاعت» و«أضعّت» فأعمل الثاني، وهو المختار عند أصحابنا البصريّين. ويجوز أن يكون مفعول أَضَاعَتْ غير «خَذٌ مَنَ» فحَذَفَهُ، كأنه قال أَضَاعَتْ رَبَّهَا. وكان الحكمُ في هذا الوجه أن يقول لو أظهر المفعول: وَأَضَعَتْ خَذَهُ لكونه فارداً وحيداً، لكنّه لما كان الآخر هو الأول وقد

حذقه، لم يُبال بإظهاره، لأن الذي هو فاردٌ ربُّ النجوى لا غير . ومعنى إصغاء الخدّ الإذلال والانحراف للفتور والخجل . والقوى: جمع قوة، وأصلها طاقات الحبل، ثم استعملت في الآراء والعزائم . وأصل النجوى المسارة، فاستعيرت للمشورة لأنها في أكثر المواضع تقع بها . ويقال: فلانٌ نجى فلان، وتناجوا فيما بينهم واثتجوا، وهم نجوى، وضف بالمصدر . وفي هذه الطريقة قول الآخر: [الطويل]

وَمَنْ لَا يَكُنْ ذَا نَاصِرٍ يَوْمَ حَقِّهِ يُغْلَبُ عَلَيْهِ ذُو النَّصِيرِ وَيُضْهِدُ

٥ - فحارب فإن مولاك حارة نضره ففي السيف مولى نضره لا يحارده

يقول: حارب من قصد جارك وأعان عليه، ولا تقعد عن نصرته والانتصار له، فإن لم يعاونك فيما تزومه مواليك، وتأخروا عن الثهوض معك، فاستعن بالسيف، فإن فيه مولى لك لا يخذلك، ولا يتباطأ عنك . وهذا كما قال غيره: [الطويل]

أَنخَنَا فَحَالَفْنَا السَّيْفَ عَلَى الدَّهْرِ^(١)

والمُحَادَدة أصلها في قلة اللبن، واستعير في قلة الموازنة والمظاهرة . وقوله «فإن مولاك» ارتفع مولاك يفعل مضمير ما بعده . تفسيره، لأن إن بالفعل أولى .

١٥١ - وقال أيضا: [الطويل]

وهذه الأبيات تُعدّ من المنصّفات^(٢):

١ - فَلَمْ أَرِ مِثْلَ الْحَيِّ حَيًّا مُصَبِّحًا وَلَا مِثْلَنَا يَوْمَ التَّقِيْنَا فَوَارِسًا

أشار بالحي إلى قوم معهودين . يقول: لم أر مثلاً عليه كالذين صبحناهم، ولا مغيراً مثلنا يوم لقيناهم . فقسّم الشهادة قسّم السوء بين أصحابه وأصحابهم، وتناول بالمدح كلّ فزقة منهم . وانتصب قوله «حياً مصبّحاً» على التمييز، وفيه دلالة على جواز قول القائل: عندي عشرون درهماً وضحاً^(٣) . وكذلك قوله فوارساً تمييز وتبيين .

(١) ليحيى بن منصور في الحماسة رقم (١٠٨) وصدره:

«فلما نأت عنا العشيرة كلها»

(٢) المنصّفات: القصائد التي أنصف قائلوها فيها أعداءهم، وصدقوا عنهم وعن أنفسهم فيما اصططوه من حرّ اللقاء، وفيما وصفوه من أحوالهم من إحاض الإخاء . ويروى أن أول من أنصف في شعره هو مهلهل بن ربيعة .

(٣) الوضع: النقي الأبيض .

ويجوز أن يكون الأول والثاني في موضع الحال، والمُصْبِحُ الذي يُؤْتَى صُبْحًا للغارة، ويستعمل في الخير أيضًا، يقال: صَبَحَكَ اللهُ بِخَيْرٍ. فإن قيل. لِمَ قال فوارس والتميز يُؤْتَى به مُوَحَّدَ اللفظ. قلت: إذا لم يَتَبَيَّنْ كثرة العدد واختلاف الجنس من المميز يُؤْتَى بالتميز مجموع اللفظ متى أُريدَ التنبيه على ذلك. وعلى هذا قول الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ [الكهف: الآية ١٠٣]، كأنه لما كانت أعمالهم مختلفة كثيرة، نَبَّهَ على ذلك بقوله: أَعْمَالًا ولو قال عَمَلًا كان السامع لا يَنْغُدُ في وهمه أن خُسْرَهُم كان لجنس واحد من أجناس المعصية، أو لعمل واحد من الأعمال الذميمة. فكَذلك قوله «فوارس» جَمَعَهُ حَتَّى يكون فيه إيدانٌ بالكثير.

٢ - أَكْرَزُ وَأَخْمَى لِلْحَقِيقَةِ مِنْهُمْ وَأَضْرَبَ مِنَّا بِالسُّيُوفِ الْقَوَانِسَا

المصراع الأول ينصرف إلى أعدائه وهم بنو أسد، والمصراع الثاني إلى عِثْرَتِهِ وأصحابه. والمراد: لم أر أحسنَ كَرًّا، وأبلغَ حمايةً للحقائق منهم، ولا أَضْرَبَ للقوانس بالسُّيُوفِ منا: وانتصب القوانسُ من فِعْلِ ذَلْ عليه قوله «وَأَضْرَبَ مِنَّا». ولا يجوز أن يكون انتصابه عن أَضْرَبَ لأنَّ أَفْعَلَ الذي يَتِمُّ بِمَنْ لا يَفْعَلُ إِلَّا فِي التَّكْرَارِ، كقولك: هو أحسن منك وَجْهًا. وأفْعَلَ هذا يجري مجرى فعل التعجب، ولذلك تَعَدَّى إلى المفعول الثاني باللام، فقلْتُ ما أَضْرَبَ زَيْدًا لعَمْرٍو. وقول الله تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: الآية ١٢٤]، موضع حيث نَضَبَ مما ذَلَّ عليه أَعْلَمُ. والقَوْنُسُ، قال الدريدي: هو أعلى البَيْضَةِ وقال غيره: قَوْنُسُ الْفَرَسِ: ما بين أُذُنَيْهِ إلى الرَّأْسِ. ومثله قَوْنُسُ الْبَيْضَةِ من السِّلَاحِ.

٣ - إِذَا مَا حَمَلْنَا حَمَلَةً نَصَبُوا لَنَا صُدُورَ الْمَذَاكِي وَالرِّمَاحِ الدُّوَاعِيسَا

يُرَوَّى: «إِذَا مَا شَدَدْنَا شِدَّةً»^(١). يقول: إِذَا حَمَلْنَا عَلَيْهِمْ ثَبَتُوا فِي وُجُوهِنَا، وَنَصَبُوا صُدُورَ الْخَيْلِ الْقَرَحِ، وَالرِّمَاحِ الْمُعَدَّةَ لذلك.

والدُّغْسُ: الدَّفْعُ فِي الْأَصْلِ، ثُمَّ يُسْتَعْمَلُ فِي الطَّعْنِ وَشِدَّةِ الْوُطْءِ وَالْجَمَاعِ. وَالذُّكَاءُ: ضِدُّ الْفَتَاءِ. وَيُقَالُ: فَرَسٌ مُذَكٌّ، إِذَا تَمَّ سُنُّهُ وَكَمَلَ قَوْتُهُ. وَفِي الْمَثَلِ: «جَزِي الْمَذَكِّيَاتِ غِلَابٌ». وَيُقَالُ «غِلَاءٌ». وَيُقَالُ: فَتَاءُ فُلَانٍ كَذَكَاءُ فُلَانٍ وَكَتَذَكِيَّةُ فُلَانٍ، أَي حَزَامَتُهُ عَلَى نَقْصَانِ سَنَةِ كَحَزَامَةِ ذَاكَ مَعَ اسْتِكْمَالِهِ لِسَنَّتِهِ. وَقَالَ زَهِيرُ بْنُ

(١) هذه رواية التبريزي.

أبي سلمى: [الوافر]

يُفْضَلُهُ إِذَا اجْتَهَدَا عَلَيْهِ تَمَامُ السَّنِّ مِنْهُ وَالذِّكَا^(١)

٤ - إِذَا الْخَيْلُ جَالَتْ عَنْ صَرِيحٍ نَكُرُهَا عَلَيْهِمْ فَمَا يَزْجِفْنَ إِلَّا عَوَابِسًا

يقول: إِذَا الْخَيْلُ دَارَتْ عَنْ مَضْرُوعٍ مِمَّا كَرَّزْنَا عَلَيْهِمْ لِنَصْرِعَ مِنْهُمْ مِثْلَ مَا صَرَعُوا مِنَّا. ويجوز أن يريد: إِذَا جَالَتْ الْخَيْلُ عَنْ صَرِيحٍ مِنْهُمْ لَا يُقْنِعُنَا ذَلِكَ فِيهِمْ، بَلْ نَكُرُّهَا عَلَيْهِمْ لِمِثْلِهِ، وَإِنْ كَرِهَتْ الْكَرَّ لَشِدَّةِ الْبَاسِ فَلَمْ تَزْجِفْ إِلَّا كَوَالِحَ. والعامل في قوله «إِذَا الْخَيْلُ» نَكُرُّهَا، وهو جوابه أيضًا. وَإِلَّا عَوَابِسًا فِي مَوْضِعِ الْحَالِ، وَقَوْلُهُ «الْخَيْلُ» ارْتَفَعَ بِفَعْلٍ مُضْمَرٍ مَا بَعْدَهُ تَفْسِيرُهُ.

١٥٢ - وَقَالَ عَبْدُ الشَّارِقِ بْنُ عَبْدِ الْعَزَى

الْجَهَنِّي^(٢): [الوافر]

١ - أَلَا حُبِّيتَ عَنَّا يَا رُدَيْنَا نُحْبِبُهَا وَإِنْ كَرُمْتَ عَلَيْنَا

هذا على كلامين. و«أَلَا» افتتاح. والتحية، قال بعضهم: هِيَ الْوَدَاعُ هُنَا، يَقُولُ: أَلَا أُبْلِغْتِ وَدَاعَنَا يَا رُدَيْنَةُ. ثم قال: نُحْبِبُهَا، أَيِ نُودِّعُهَا وَإِنْ عَزَّتْ عَلَيْنَا مَفَارِقَتُهَا. ويجوز أن يكون دعا لرُدَيْنَةَ مبتدأ فقال: جَزَاكَ اللَّهُ عَنَّا، أَيِ تَوَلَّى اللَّهُ ذَلِكَ مِنْ دُونِنَا، ثُمَّ رَاجَعَ نَفْسَهُ فَقَالَ: نَفْعَلُ ذَلِكَ عَلَى فَخَامَةٍ مَوْقِعِهَا مِنَّا، وَجَلَالَةِ مَحَلِّهَا مِنْ قُلُوبِنَا، إِذْ كُنَّا لَا نَقْدِرُ لَهَا عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ. وقوله «نُحْبِبُهَا وَإِنْ كَرُمْتَ» يَسْمَى التَّفَاتَا، كَأَنَّهُ التَّفَتُّ إِلَى مَنْ مَعَهُ فَقَالَ ذَلِكَ.

٢ - رُدَيْنَةُ لَوْ رَأَيْتِ غَدَاةَ جِئْنَا عَلَى أَضْمَاتِنَا وَقَدْ أَخْتَوَيْنَا

تَوَصَّلَ بِمَخَاطِبَتِهَا إِلَى اقْتِصَاصِ الْحَالِ الَّتِي يَرِيدُ شَرْحَهَا، فَأَخَذَ يَبَيِّنُهَا فَيَقُولُ: لَوْ رَأَيْتِنَا غَدَاةَ جِئْنَا عَلَى حَزَازَاتٍ فِي النَّفْسِ، وَاحْتِرَاقَاتٍ فِي الْحُزْفِ وَالصَّدْرِ، مِنَ الْغَيْظِ وَالْحِقْدِ، وَقَدْ حَوَيْنَا أَمْوَالَ أَعْدَائِنَا، وَاسْتَبَخْنَا حَرِيمَهُمْ، وَمَلَأْنَا أَيْدِينَا مِنْ غَنَائِمِهِمْ. هَذَا إِذَا زَوَيْتَهُ بِالْحَاءِ غَيْرِ مُعْجَمَةٍ. وروى بعضهم: «أَخْتَوَيْنَا» بِالْحَاءِ الْمَعْجَمَةِ، وَيَكُونُ افْتَعَلَ مِنَ الْخَوَى، وَالْمَعْنَى: خَوْتُ أَفْتَدَيْنَا مِنَ الْوُدِّ، كَقَوْلِ الْآخَرِ: [الوافر]

وإِذْ صَفِيرَتْ عِيَابُ الْوُدِّ مِنْكُمْ وَلَمْ يَكُ بَيْنُنَا فِيهَا ذِمَامٌ^(٣)

(١) لزهير في ديوانه ٦٩، واللسان (ذكا)، ومقاييس اللغة ٣٥٨:٢، وأساس البلاغة (ذكى).

(٢) التبريزي: «وهي من المنصفات». (٣) لبشر بن أبي خازم في المفضليات ١٣٥:٢.

وأَجُودُ منها «وقد أَجْتَوَيْتَا» بالجيم، وهو أَفْتَعَلَ من الجَوَى، كأنه يريدُ ما اشتمَلَ الجوانحُ عليه من العداوة حتى صار جَوَى. والأَصَمُّ: الغَضَبُ. ومع ذكر الأَصَمِ أَجْتَوَى بالجيم أَشْبَهُ، وهو أَقْرَبُ. وجوابُ لو محذوفٌ، لأنَّ الأفعالَ التابعة لهذا البيت جميعُها مقصورٌ على بيان القِصَّةِ، وشَرَحَ أحوالَ الرَّفْعَةِ. وقد يَبْنَتْ فيما تقدَّم أنَّ حَذَفَ الجواب من مِثْل قولِ القائل: لو رَأَيْتَ زَيْدًا وفي يده السِّيفُ، أدُلُّ على التَّهْوِيلِ والتفخيم من إثباته.

٣ - فَأَرْسَلْنَا إِبْرَاهِيمَ رَيبًا فَقَالَ أَلَا أَنْعَمُوا بِالْقَوْمِ عَيْنًا يقول: توجَّهنا نحوهم وأنفذنا مِنْ قِبَلِنَا من اِزْتَبَّأَ لنا، فعادَ مَبْشَرًا وقال: قَرُّوا عَيْنًا واستَبْشِرُوا، فقد أَقْبَلُوا. وهذا ممَّا يُتَرَجَّمُ عن محبتهم لملاقاة الأعداء، وجَرِصَهُم على القتال، وتشوُّفَهُم للمجازبة والنزاع، حتى عَدُّوا قُرْبَهُم بِشَارَةً، والالتقاء معهم غنيمة. وهذا عندي أَبْلَغُ من قول الآخر: [البسيط]

يَسْتَعْدِبُونَ مَنَايَاهُمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَيَاسُونَ مِنَ الدُّنْيَا إِذَا قُتِلُوا
ومن قوله: [الطويل]

لِقَاءِ أَعَادٍ أَمْ لِقَاءِ حَبَائِبِ

وقوله «عَيْنًا» انتصبَ على التمييز، وهو من باب ما نُقِلَ الفعل عنه وَوُضِعَ التَّكْرَةُ فيه موضع المَعْرِفَةِ، لأنَّ الأصل في قَرِزْتُ به عَيْنًا: قَرِزْتُ عيني. ومثله قولهم: يَتَصَبَّبُ عَرَفًا، وَيَتَفَقَّأُ شَحْمًا. وفي القرآن: ﴿وَأَسْتَعْلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [مریم: الآية ٤].

٤ - وَدَسُّوا فَارِسًا مِنْهُمْ عِشَاءً فَلَمْ نَغْلِزْ بِفَارِسِهِمْ لَدَيْنَا يقول: وَجَّهوا فَارِسًا لِيَنْدَسَ في أثناء خيلِنَا، وَيَعْرِفَ سَرَّنَا وَعَلَنَنَا، ويقفَ على عَدَدِنَا وَعُدَّتِنَا، فيرجع إليهم بواضح الأحوال والأخبار، فخليناه والانصراف إليهم، ولم نُسْتَعْمِلْ عَدْرًا في احتباسه عندنا، وطَيَّ أخبارنا عنهم. وأصل الدَّسُّ: إخفاء الشيء تحت غيره. وفي القرآن: ﴿هَآءُ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ﴾ [التحل: الآية ٥٩] ويقال: اندسَ إلى فلانٍ، أي أتاه بالثَمَامِ. فإن قيل: ما فائدة ذكر العَدْرِ ههنا والفارس الذي أنفذوه جاسوسًا لم يكن اتَّخَذَ منهم أمانًا، ولا اشترطَ عليهم شرطًا يوجبُ سلامته به مع مخالطته لهم. قلت: كأنَّ المراد لم نُسْتَعْمِلْ مَكْرًا باحتباس الرُّسُولِ، إذ كان في منعه من الانصراف إليهم انطواءً أخبارنا عنهم، فيكون كالغَدْرِ بهم وبه. ويجوز أن

يكون ذلك الفارس الذي ظَهَرَ لَهُمْ ثِقَّةٌ بالمعرفة بينه وبينهم، فَعَدَّ ظهورَه أَخْذًا لِلْأَمَانِ عليهم. ويجوز أن يكون سَمَّى تركَ أَقْرَبِ الْأَمْرَيْنِ إِلَى الْكَرَمِ وَالْوَفَاءِ مَعَهُ غَدْرًا، ثُمَّ بَرَأَ سَاحَتَهُ مِنْهُ.

٥ - فَجَاؤُوا عَارِضًا بَرْدًا وَجِثًا كِمِثْلِ السَّيْفِ نَزَكَبُ وَإِزَعَيْنَا

يقول: تَسَارَعُوا مُقْبِلِينَ نَحُونَا، وَكَأَنَّهُمْ فِي كَثْرَتِهِمْ وَتَعَجُّلِهِمْ قِطْعَةً مِنَ السَّحَابِ فِيهَا بَرْدٌ - وَوَجْهُ التَّشْبِيهِ أَنَّ لَهُمْ حَفِيفًا وَوَقْعًا شَدِيدًا مَتَهَايَةً، كَمَا يَكُونُ لِلذَّكَاءِ السَّحَابِ - وَنَحْنُ لِكَثْرَتِنَا وَإِتْيَانِنَا عَلَى مَا يَعْتَرِضُ فِي طَرِيقِنَا كَالسَّيْلِ الَّذِي لَا يُبْقَى وَلَا يَذَرُ. وَمَعْنَى «نَزَكَبُ وَإِزَعَيْنَا» أَي لَا نَنْقَادُ لِمَنْ يَرِيدُ ضَنْبُنَا، وَلَا نُطَاوِعُ مَنْ يَطْلُبُ كَفْنَا مِنَ الْجَيْشَيْنِ جَمِيعًا. وَلَمْ يَثْنُ «وَإِزَعَيْنَا» لِأَنَّهُ يَشِيرُ إِلَى رَجُلَيْنِ، لَكِنَّهُ أَرَادَ الْكَثْرَةَ وَالْجَنْسَ بِالْوِزَاعِ، ثُمَّ ثَنَّى مَبِيتًا اخْتِلَافَ الطَّائِفَتَيْنِ مِنَ الْخَيْلَيْنِ. وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُرْوَى «وَإِزَعَيْنَا» بِكَسْرِ الْعَيْنِ لِمَا يَخْصُلُ مِنَ الْعَيْبِ بِالسُّنَادِ مَعَ ارْتِفَاعِ الضَّرُورَةِ.

٦ - فَنَادَوْا يَا لِبَهْتَةٍ إِذْ رَأَوْنَا فَقُلْنَا أَحْسِنِي ضَرْبًا جُهَيْنًا

يقول: لَمَّا شَارَفْنَاهُمْ اسْتَغَاثُوا بِنَبِيِّ بُهْتَةٍ مُغْتَرِزِينَ إِلَيْهِمْ، وَمُسْتَمِدِّينَ مِنْهُمْ، فَاسْتَشْرَزْنَا نَحْنُ أَيْضًا فِي مَقَابِلَةٍ مَا فَعَلُوا بَنِي جُهَيْنَةَ، وَهَزَزْنَاهُمْ لِلضَّرْبِ قِيَهُمْ، وَالْإِيْقَاعَ بِهِمْ. وَإِنَّمَا يَسْتَعْمِلُونَ الْاعْتِرَازَ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْحَالَةِ تَهْوِيلًا لِلْأَمْرِ، وَتَكْثِيرًا لِلْعَشِيرَةِ، لَيْسَتْ شَعْرَ كُلِّ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ الرُّغْبُ مِنْ صَاحِبِهِ، وَالتَّهْيُّبُ لَهُ. وَاللَّامُ مِنْ «يَا لِبَهْتَةٍ» لَامُ الْجَزْرِ، وَتَعَلَّقَتْ بِهَا: حَزَفُ الثَّدَاءِ. وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ تَعَلَّقْتُ بِالْفِعْلِ الَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ يَا، لِأَنَّ ذَلِكَ الْفِعْلَ لَمَّا لَمْ يَخْرُجْ إِلَى الْوُجُودِ سَقَطَ حُكْمُهُ. وَفَتَحَتْ لَوْقُوعِ الْمُنَادَى مَوْقِعَ الْمَضْمَرِ. وَبُهْتَةُ مَدْعُوءَةٌ، وَالْجَارُ مَعَ الْمَجْرُورِ فِي مَوْضِعِ نَصَبٍ لِأَنَّهُ مَنَادَى. وَقَوْلُهُ «أَحْسِنِي ضَرْبًا» يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ضَرْبًا مَفْعُولًا بِهِ مِنْ أَحْسِنِي، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ أَيِ ضَارِبَةٍ. وَيُرْوَى: «أَحْسِنِي مَلَأً»، وَمَعْنَاهُ خُلُقًا. وَالْمَرَادُ مَخَالَفَةً أَهْلِ الْحَرْبِ وَالْمُسْتَنْصَرِينَ؛ وَهَذِهِ رَوَايَةُ أَبِي زَيْدٍ. وَقَالَ ابْنُ السَّكَيْتِ: مَعْنَاهُ أَحْسِنِي تَمَالُّؤًا أَيِ تَعَاوُنًا. وَيُقَالُ: مَالَأْتُ عَلَى فُلَانٍ، وَكَأَنَّهُ مِنْ قَوْلِهِمْ رَجُلٌ مَلِئٌ، وَقَدْ مَلَأُوهُ مَلَاءً وَمَلَاءً.

٧ - سَمِعْنَا دَعْوَةً عَنْ ظَهْرِ غَيْبٍ فَجَلْنَا جَوْلَةً ثُمَّ ازْعَوْنَا

يقول: قَرَعَ أَسْمَاعُنَا فِي أَثْنَاءِ التَّهْيُّوِّ وَالتَّطَالُعِ دَعْوَةٌ تَأَدَّتْ مِنْ مَكَانٍ غَائِبٍ عَنِ عَيْونِنَا، فَذَرْنَا دَوْرَةً ثُمَّ رَجَعْنَا إِلَى أَمَاكِنِنَا. وَهَذَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونُوا خَافُوا الْكَمِينَ

فجأوا ليتأملوا، فلما آمنوا رجعوا. ويقال: ارعوى عن الجهل ارعواءً ورعوى حسنة ورعوى، أي رجع. ويقال: فعل فلان كذا بظهر الغيب، وأتاني خبر عن ظهر الغيب.

٨ - فلما أن توافقنا قليلاً أنحنّا للكلال فارتَمينا

هذه الموافقة التي أشار إليها، يجوز أن تكون للتعبية والتهيئة، ويجوز أن تكون لتداعي الأبطال والمبارزة، واعتراضهم بين الصّفين للمطاعة. وقوله «قليلاً» يجوز أن يُريد به زماناً قليلاً، فيكون ظرفاً، ويجوز أن يريد به: توافقاً قليلاً، فيكون صفةً لمصدرٍ محذوف. والصفات تثبُت عن المصادر والظروف كثيراً. وجواب لما «أنحنّا»، ومفعوله محذوف. والمعنى: إنّا بعد المطاردة نزلنا، وأنحنّا للصدور فتناضلنا.

٩ - فلما لم ندخ قوساً وسهماً مشينا نحوهم ومشوا إلينا

١٠ - تلالؤ مِرْنةٍ برقت لأخرى إذا حجلوا بأسياف ردينا

يقول: لما ملنا الطراد والرما، بإفناء النبال وتعطيل القسي لانقطاع الأوتار، مشى بغضنا إلى بغض للكفاح والجلاذ، طلباً للاشتفاء، كأنهم تنقلوا في درج القتال ومراتبه، حتى بلغوا أعلاها وأضعفها، وأولاهما بدرك الثار وأحقها. ولهذا لما سأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه عمرو بن مغديكرب عن أنواع السلاح، وانتهى إلى ذكر السيف، قال «عنده تكلّ الأمهات». وانتصب «تلالؤ مِرْنةٍ» على أنه مَصْدَرٌ مما دلّ عليه «مشينا نحوهم ومشوا إلينا»، لأن في ذلك تلالؤ السلاح من الجانبين جميعاً، ووميض كل واحدٍ من الطائفتين جميعاً للأخرى. وقوله «إذا حجلوا بأسياف ردينا»، أي إذا كان مشيهم إلينا حجلًا كان مشينا إليهم ردياناً والرديان فوق الحجلان، لأنه مشي الحمار بين آريه ومتمعه، فهو أسرع من الحجلان، إذ كان في الحجلان تقارب الخطو كمشي المقيد ووثبيته. فيقول: تلالؤنا لوفور أسلحتنا، وبريق دروعنا وبيضنا، وإيماض أعيننا، تلالؤ سحابة برقت لسحابة أخرى قابلتها. وقال أبو زيد: هذا من رديان الجوّاري إذا لعين ترفع إحداهن رجلاً وتخطو بأخرى خطوتين، ثم تضعها وترفع الأخرى، تفعل ذلك مراراً. قال: والغراب يردّي ويحجل.

١١ - شدّنا شدةً فقتلنا منهم ثلاثةً فنيّةً وقتلنا

١٢ - وشلّوا شدةً أخرى فجروا بأزجلٍ مثلهم ورموا جويّنا

يَقُولُ: حَمَلْنَا عَلَيْهِمْ حَمَلَةً مُنْكَرَةً، فَأَصَبْنَا مِنْهُمْ ثَلَاثَةً مِنَ الْفَتَيَانِ، وَقَتَلْتُ قَيْتًا. وَقَيْنِ: اسْمُ رَجُلٍ كَانَ مَشْهُورًا فِيهِمْ بِالْبَاسِ وَالشَّجْدَةِ، فَلِذَلِكَ عَيَّنَ عَلَيْهِ. وَقَوْلُهُ «ثَلَاثَةً فِتْيَةً» فِتْيَةٌ مِنْ أُنْبِيَةِ الْقَلِيلِ، كَغِلْمَةٍ وَصِيبَةٍ، وَلِذَلِكَ أَضَافَ الثَّلَاثَةَ إِلَيْهَا. وَبَنَاءُ الْكَثِيرِ الْفَتَيَانِ. وَ«شَدُّوا شِدَّةً أُخْرَى»، يَقُولُ: وَحَمَلُوا حَمَلَةً فَأَصَابُوا مِثْلَ مَا أَصَبْنَا مِنْهُمْ، وَارْتَثَ مِنْ قَتْلَانَا مِثْلُ مَا ارْتَثَ مِنْ قَتْلَاهُمْ، وَرَمَوْا جُوتِنَا أَخِي. قَوْلُهُ «بَارَزَجِلٍ مِثْلَهُمْ» لَوْ قَالَ أَمْثَالَهُمْ لَجَازَ، وَفِي الْقُرْآنِ: ﴿ثُمَّ لَا يَكُونُوا آمَنًا لَكُمْ﴾ [مُحَمَّدُ: الْآيَةُ ٣٨]، وَفِي مَوْضِعٍ آخَرَ: ﴿يَرَوْنَهُمْ وَمِنْهُمْ رَأَى الْقَمِينَ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ ١٣]، وَفِي مَوْضِعٍ آخَرَ: ﴿إِذْ إِشْلَهُمْ﴾ [النِّسَاءُ: الْآيَةُ ١٤٠]. وَهَذِهِ الْأَبْيَاتُ تُسَمَّى الْمُتَنَصِّفَةَ، لِمَا تَقَابَلَ فِيهَا مِنْ صِفَاتِ الْجَيْشَيْنِ عَلَى وَجْهِ التَّعَادُلِ، وَسَنَنَ التَّضَادِّقِ. إِنْ قِيلَ مَا فَائِدَةُ قَوْلِهِ «شِدَّةً أُخْرَى»، وَلَمْ يَكُنْ قَدْ تَقَدَّمَ لَهُمْ أَوْلَى؟ قُلْتُ: يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ تَوَالَى بَيْنَنَا حَمَلَتَانِ: الْأُولَى مِنَّا، وَالْأُخْرَى مِنْهُمْ، لِأَنَّ قُضْدَهُ اقْتِصَاصُ الْحَالِ الدَّائِرَةِ بَيْنَهُمْ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ أَنْ يَبِينَ أَنَّهُمْ كَانُوا السَّابِقِينَ وَالْمَبْتَدِئِينَ، فَوَصَفَ شِدَّتَهُمْ بِالْأُخْرَى لِيُغَلِّمَ أَنَّ الْمُتَقَدِّمَ فِي الذِّكْرِ كَانَتْ الْأُولَى.

١٣ - وَكَانَ أَخِي جُوتِنُ ذَا حِفَاطٍ وَكَانَ الْقَتْلُ لِلْفَتَيَانِ زَيْنًا
١٤ - فَابَّأُوا بِالرَّمَاكِ مَكْسَرَاتٍ وَأَبْنَا بِالسُّيُوفِ قَدِ أَنْحَنَيْنَا

نَبَّهَ عَلَى أَنَّهُ بِحُسْنِ مَحَافِظَتِهِ عَلَى الشَّرَفِ، وَجَمِيلِ مَدَافَعَتِهِ دُونَ الْعَشِيرَةِ ثَبَتَ حَتَّى قُتِلَ، وَأَنْ قُتِلَتْهُ كَانَتْ قِتْلَةً مَحْمُودَةً تَزِينُ وَلَا تَشِينُ. وَقَوْلُهُ: فَابَّأُوا بِالرَّمَاكِ مَكْسَرَاتٍ، وَأَبْنَا بِالسُّيُوفِ مُنْحَنِاتٍ، جَعَلَ فِيهِ أَعْلَى الصَّفَتَيْنِ لِنَفْسِهِ وَدَوَاهِ، وَإِنْ كَانَ الظَّاهِرُ مِنْ قُضْدِهِ فِي الْوَصْفِ الْجَزِيِّ عَلَى سَنَنِ التُّضْفِ، يَشْهَدُ لِذَلِكَ مَا رَتَّبَهُ زَهِيرٌ فِي قَوْلِهِ: [البسيط]

يَطْعَنُهُمْ مَا أَرَزَمُوا حَتَّى إِذَا أَطْعَنُوا ضَارَبَ حَتَّى إِذَا مَا ضَارِبُوا أَعْتَنَّا^(١)

أَلَا تَرَى أَنَّهُ جَعَلَ الطَّعْنَ فَوْقَ النَّضْلِ، وَالضَّرَابَ فَوْقَ الطَّعَانِ، وَالْعِنَاقَ فَوْقَ الْكِفَاحِ. وَكَذَلِكَ فَعَلَ فِي الرَّدْيَانِ وَالْحَجَلَانِ، وَفِي وَصْفِ أَخِيهِ بِحُسْنِ الْحِفَاطِ عِنْدَ قَوْلِهِ «وَرَمَوْا جُوتِنَا» فِي مَقَابَلَةِ «وَقَتَلْتُ قَيْتًا». وَأَمَّا قَوْلُ الْآخِرِ^(٢): [الطويل]

نُطَارِدُهُمْ نَسْتَنْقِذُ الْجُرْدَ كَالْقَنَّا وَيَسْتَنْقِذُونَ السُّمَهْرِيَّ الْمُقَوْمَا

(١) لَزْهِيرٌ فِي دِيَوَانِهِ ٥٤، وَاللِّسَانُ (وَصَلَّ)، وَكِتَابُ الْعَيْنِ ١: ١٦٨.

(٢) لِلْحَمَامِ بْنِ الْحَمَامِ الْمَزِينِيِّ فِي الْمَفْضَلِيَّاتِ.

فليس من التناصِفِ في شيء؛ إذ كان المعنى: إنا عند الطعانِ نُذوِبُهُم عن ظهور الدَّوَابِّ، فَتَغْنَمُ دَوَائِبَهُمْ ونفوز بها، وهم يستقذون رِمَاحَنَا لأننا نكسِرُها فيهم إذا طَعَنَناهم، ونُجِرُّها إياهم فيفوزون بها. فيقول: انصَرَفُوا وقد تَكَسَّرَتْ رماحهم بالإجْراحِ، وَرَجَعْنَا وقد تَنَثَّتْ سِوْفُنَا بإعمالنا إياها في البَيِّضِ والدُّرُوعِ وقت الجِلاَدِ.

١٥ - فبَاتُوا بِالصُّعِيدِ لَهُمْ أَحَاخَ وَلَوْ خَفَّتْ لَنَا الْكَلَمَى سَرَيْنَا

يقول: بَقُوا لِيَلَهُمْ يَثُون على الصعيد، وهو وجه الأرض، ولو سَاعَدَتْنَا الطائفة المَجْرُوحَةُ مِنَّا، وَقَدَّرَتْ على السَّرَى لَسَرَيْنَا، لَكِنْ كَلَّا مَنَّا اضْطُرَّ إِلَى الْإِقَامَةِ والتَلُومِ رِيثَمَا يَثُوبُ إِلَيْهِ الْقَوَى بَعْدَ لُحُوقِ الْجَهْدِ، ومشاركة الرَّدَى. وقد قيل إن الأحاح العطش، والمشرَف من الجراح على الهلاك يَغْطِش. وقد قيل إن الأحاح شِدَّةُ الْوَجْدِ من الغَيْظِ حتى يُسْمَعَ له من الصُّدْرِ صَوْتٌ، وهو على مثال الأذواء والأصوات جميعاً؛ لِأَنَّ فَعَالًا يَكْثُرُ فِيهِمَا. وَالْكَلَمَى: جَمْعُ كَلِيمٍ، وَقَعْلَى يَكُونُ جَمْعًا لما كان من الزَّمانَةِ والصُّرَرِ وأنواع البَلَايا. وأبْنِيَّةٌ واحِدَةٍ تَخْتَلِفُ.

١٥٣ - وَقَالَ بَشْرُ بْنُ أَبِي: [الطويل]

١ - إِنَّ الرِّبَاطَ الشُّكْبَ مِنْ آلٍ دَاحِسٍ كَبُونٌ فَمَا يُفْلِحْنَ يَوْمَ رِهَانٍ^(٢)

يُرَوِّى «أَبِينُ فَلَا يُفْلِحْنَ»، وَيُرَوِّى «كَبُونٌ» أَي سَقَطْنَ لَوُجُوهِهَا. قَالَ^(٣):

[الكامل]

فَكَبَا كَمَا يَكْبُو فَنِيْقُ تَارِزُ

وهذا الكلام تَضَجَّرُ بما أُنْتَجَحَ بَيْنَ أَبْنِي بَغِيضِ عَنَسٍ وَذُبْيَانٍ مِنَ الشَّرِّ، فِي الزَّهَانِ عَلَى دَاحِسٍ وَالْعَبْرَاءِ، وَدُعَاءٌ عَلَى دَاحِسٍ وَنَسْلِهِ بِأَلَّا تُفْلِحَ فِي خِطَارٍ، وَأَنْ تَأْتِيَ التَّجَاحَ فِي سِبَاقٍ، فَقَالَ: إِنَّ الْخَيْلَ الْمَرْبُوطَةَ الْمَشَاتِيمِ مِنْ آلِ دَاحِسٍ وَدَاحِسًا، أَبَتِ السَّبْقِ فِي حَلْبَةٍ وَمِيدَانٍ، وَالْفَلَاحَ يَوْمَ خِطَارٍ وَرِهَانٍ. وَالْمَعْنَى: لَا جَعَلَ اللَّهُ لَهَا ذَلِكَ، فَقَدْ تَرَدَّدْنَا

(١) التبريزي: «وقال بشر بن أبي بن حُمام العبسي لبني زهير بن جذيمة، ويروى بشير».

(٢) التبريزي: «أبين فما يفلح».

(٣) لأبي ذؤيب الهذلي في شرح أشعار الهذليين ص ٣٢، واللسان (ترز، كبا)، وكتاب العين ٣٥٨:٧ وعجزه:

«بالخُبْتِ إِلَّا أَنَّهُ هُوَ أَبْرَغُ»

من البلاء في عَمَايَاتٍ لَا انْكَشَافَ لَهَا. وَخَبِرُ إِنْ «جَلَبَنَ بِإِذْنِ اللَّهِ» وَقَوْلُهُ «كَبَوْنَ فَمَا يُفْلِحُنَّ» أَوْ «أَبَيْنَ فَلَا يُفْلِحُنَّ» اعْتِرَاضٌ بَيْنَ إِنْ وَخَبِرِهِ. وَالْمَعْنَى مَعْنَى الدُّعَاءِ، فَهُوَ كَمَا يُقَالُ إِنْ زَيْدًا خَذَلَهُ اللَّهُ فَعَلَ كَذَا. وَمِثْلُهُ فِي الْاعْتِرَاضِ بِالْدُّعَاءِ قَوْلُ الْآخَرِ: [الطويل]

..... مَا لَكُمْ تَفَاقَدْتُمْ لَا تُقَدِّمُونَ مُقَدِّمًا^(١)

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْكَلَامُ كُلُّهُ إِخْبَارًا مُتَجَرِّدًا عَنِ الدُّعَاءِ، فَيَكُونُ مَعْنَى كَبَوْنَ وَأَبَيْنَ، أَنَّهُ حَصَلَ لَهُنَّ ذَلِكَ. وَالنُّكْدُ: جَمْعُ أَتَكَدَ. وَالرِّبَاطُ: مَصْدَرُ رَابَطْتُ، وَلِذَلِكَ وَقَعَ عَلَى الْوَاحِدِ وَالْجَمْعِ. وَالْآلُ، ذَكَرَ الْبَصْرِيُّونَ أَنَّهُ فِي مَعْنَى الْأَهْلِ، لَا فَرْقَ بَيْنَهُمَا، وَأَنْ تَصْغِيرَهُ أَهَيْلٌ، وَهَذَا يُؤْذِنُ بِأَنْ أَصْلَ أَلْفِهِ هَاءٌ. وَحَكَى ثَعْلَبٌ عَنْ شَيْوَجِهِ أَنَّ الْأَهْلَ، الْقَرَابَةَ، مُتَّبِعًا كَانَ أَوْ غَيْرَ مُتَّبِعٍ، وَأَنَّ الْآلَ الْمُتَّبِعَ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ ذَا قَرَابَةٍ، فَهُمَا لِمَعْنَتَيْنِ. قَالَ: وَحَكَى الْكِسَائِيُّ فِي تَصْغِيرِ الْآلِ أَوَيْلٌ، وَفِي تَصْغِيرِ الْأَهْلِ أَهَيْلٌ.

٢ - جَلَبَنَ بِإِذْنِ اللَّهِ مَقْتَلَ مَالِكٍ وَطَرَحَنَ قَيْسًا مِنْ وَرَاءِ عُمَانَ

أَخَذَ يَعْتَدُ الْخِصَالَ الْمَكْرُوهَةَ الْحَاصِلَةَ بِهَا، فَيَقُولُ: جَلَبَ سَبْقُ دَاجِسٍ بِعِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى قَتَلَ مَالِكِ بْنِ زُهَيْرٍ، وَطَرِيحَ قَيْسِ بْنِ زُهَيْرٍ مِنْ أَرْضِ الْعَرَبِ إِلَى عُمَانَ. وَكَانَ قَيْسٌ نَذْرًا أَلَّا يَنْظُرَ فِي وَجْهِ غَطَفَانِيٍّ أَبَدًا، فَدَعَاهُ ذَلِكَ إِلَى مِرَاغِمَةِ الْعَشِيرَةِ، وَالتَّبَاعُدِ فِي الْعُرْبَةِ. وَقَوْلُهُ «بِإِذْنِ اللَّهِ» مِنْ قَوْلِكَ إِذْنَتْ بِالْقَوْمِ. وَفِي الْحَدِيثِ: «مَا أَذَنَ اللَّهُ لَشَيْءٍ»^(٢). وَقَصْدُ الشَّاعِرِ أَنْ يَذْكُرَ مَا أَغْقَبَ سَبْقُ دَاجِسٍ مِنَ الشَّرِّ، وَأَلْحَقَ مِنَ الشُّومِ. وَقَوْلُهُ «جَلَبَنَ» جَعَلَ اللَّفْظَ لِلْآلِ، وَالْمُرَادُ دَاجِسُ، لَكِنَّهُ لَمَّا جَعَلَ الدُّعَاءَ لآلِهِ اسْتَمَرَ فِي الْإِخْبَارِ عَلَى حَالِهِ وَلَمْ يَغْيِرْ. وَيَشْبَهُهُ قَوْلُ الْآخَرِ: [البسيط]

إِنَّ ابْنَ ضِرَارٍ حِينَ أَتَدُبُهُ زَيْدًا سَعَى لِي سَغِيًا غَيْرَ مَكْفُورٍ

أَرَادَ: إِنَّ ابْنَ ضِرَارٍ زَيْدًا، فَذَكَرَ الْآلَ وَالْمُرَادَ غَيْرَهُ. وَهُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْمَوَاضِعِ أَقَامُوا الْوَالِدَ مَقَامَ الْوَلَدِ وَالْوَلَدَ مَقَامَ الْوَالِدِ، وَالْعَشِيرَةَ مَقَامَ الْوَاحِدِ مِنْهَا، وَالْوَاحِدَ مَقَامَ

(١) البيت الأول من الحماسة رقم (١٣٣) للحصين بن الحمام. وتماه:

«فقلت لهم يا آل ذبيان ما لكم تَفَاقَدْتُمْ لَا تُقَدِّمُونَ مُقَدِّمًا»

(٢) تماه: «ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي يتغنى بالقرآن»، أخرجه أحمد في مسنده ٢٥: ٢٧١،

ومسلم في صحيحه في صلاة المسافرين حديث ٢٣٢، والبخاري في ٦: ٢٣٦.

العشيرة، لأغراض مختلفة، حين أمِنوا الالتباس. ومما يُجَانِسُ هذا زيادتهم «ذو» و«حي». أنشد أبو زيد: [الكامل]

يَا قُرْ إِنَّ أَبَاكَ حَيَّ حُوَيْلِدٍ قَدْ كُنْتَ خَائِفَهُ عَلَى الْإِحْمَاقِ^(١)

وقال الشَّمَاخ: [الوافر]

فَأَذِيحَ دَمَجٍ ذِي شَطَنِ بَدِيحٍ^(٢)

والْقَضْدُ إِلَى حُوَيْلِدٍ وَإِلَى شَطَنِ.

٣ - لَطِمَنَّ عَلَى ذَاتِ الْإِصَادِ وَجَمْعُكُمْ يَرَوْنَ الْأَذَى مِنْ ذِلَّةٍ وَهَوَانٍ

الملطومُ داجِسٌ، فجرى على ما بَنَى عليه الكلامُ من الإخبارِ عن نَسْلِهِ وآلِهِ. وكان حُدَيْفَةُ بْنُ بَذْرِ أَرْصَدَ فِتْنَتَنَا لَهُ مِنْ بَنِي قَزَازَةَ لَمَّا تَعَالَى هُوَ وَقَيْسٌ عَلَى الْفَرَسَيْنِ فِي مَوْضِعٍ مِنْ ذَاتِ الْإِصَادِ لُقِبَ بِشَغْبِ الْحَنِيسِ - لِحَنِيسٍ أَكَلُوهُ فِيهِ - وقال لهم: إِنْ جَاءَ دَاجِسٌ مُتَقَدِّمًا سَابِقًا فَالْطُمُوهُ وَتَهْنِئُوهُ عَنْ الْغَايَةِ حَتَّى تَتَقَدَّمَهُ الْعَبْرَاءُ، فَمَرُّ بِهِمْ دَاجِسٌ مُبَرِّزًا وَفَعَلُوا بِهِ مَا رَسَمَ لَهُمْ حَتَّى تَخْلَفَ عَنْ الْغَبْرَاءِ، فَاجْتَهَدَ دَاجِسٌ وَتَكَلَّفَ مِنَ الْعَدُوِّ مَا لِحَقَّ بِهَا، وَتَقَدَّمَ عَلَيْهَا ثَانِيًا فَجَاءَ سَابِقًا. وَقَوْلُهُ «وَجَمْعُكُمْ يَرَوْنَ الْأَذَى»، يَخَاطَبُ بِهِ بَنِي عَنِيسٍ، وَإِنَّمَا يَصِفُ مَا نِيلَ مِنْهُمْ وَرَكِبَهُمْ مِنَ الْهَضِيمَةِ فِي فَرَسِهِمْ لَمَّا لَطِمَ، وَفِي أَنْفُسِهِمْ حِينَ مُنِعُوا مَا اسْتَحَقُّ لَهُ. وَاللَّطْمُ: الضَّرْبُ فِي الْخَدِّ، ثُمَّ قِيلَ فَرَسٌ لَطِيمٌ تَشْبِيهًا بِذَلِكَ. وَهَذَا كَمَا يَقَالُ هُوَ مَمْسُوحٌ بِالْجَمَالِ مَسْحًا. وَذَاتُ الْإِصَادِ يُرِيدُ الْبُقْعَةَ الَّتِي فِيهَا الْإِصَادُ، وَيَقَالُ: هِيَ رَذْمَةٌ بَيْنَ أَجْبَلٍ. وَالرَذْمَةُ كَالْحُقْفِيرَةِ يَجْتَمِعُ فِيهَا الْمَاءُ، وَالْجَمِيعُ الرَّذَاةُ.

٤ - سَيَمْنَعُ مِنْكَ السَّبِقُ إِنْ كُنْتَ سَابِقًا وَتُقْتَلُ إِنْ رَلْتَ بِكَ الْقَدَمَانِ

هذا يحتمل وجهين: أحدهما أَنَّهُ جَعَلَ الْخَطَابَ لِصَاحِبِ الْفَرَسِ عَلَى الْمَجَازِ وَالسَّعَةِ، وَالْمَقْصُودُ الْفَرَسُ، فَيَقُولُ: تُمْنَعُ مِنَ السَّبِقِ إِنْ سَبَقْتَ - وَهَذَا إِشَارَةٌ إِلَى مَا كَانَ مِنْهُمْ مَنْ لَطِمَ دَاجِسٍ. وَقَدْ قُدِّمَ ذِكْرُهُ - فَإِنْ خَفَتْ قَدَمَاكَ بِكَ وَبَرَزْتَ ثَانِيًا أُتِيَ

(١) لجبار بن سلمى في خزانة الأدب ٣٣٤: ٤، ونوادير أبي زيد ١٦١، وبلا نسبة في أمالي ابن الحاجب ٤٤٣: ١.

(٢) للشماخ في ديوانه ٢٣٣، واللسان (بدع، عقق)، وتهذيب اللغة ٥٦: ١، وصدوره:

«أطار عقيقة عنه نسالاً»

عليك. ويكون قَوْلُهُ «زَلْتُ بِكَ الْقَدَمَانِ» على ما فَسَّرْنَاهُ من قولهم قَذَحَ زَلُولٌ، إذا كان خفيفًا. فهذا وَجْهٌ. والثاني أن يُتْرَكَ الخطاب على ظاهره وَحْدَهُ، فيكون المَعْنَى: سَيَمْنَعُ مِنْكَ الْمُتَّقُونَ عليه من الْخَطَرِ بِسَبْقِ قَرْسِكَ، فإن لم يَجُثَّ قَدَمَاكَ عند التَّقَاضِي به، وفي الدفاع عن نفسك فيما يُرَادُ من ظُلْمِكَ وِيرَامٍ من هَضْمِكَ قُتِلْتَ أيضًا. وهذا أَقْرَبُ وأشبه بالقِصَّة.

١٥٤ - وقال غَلَّاقُ بْنُ مَرْوَانَ^(١): [الطويل]

١ - هُمْ قَطَعُوا الْأَرْحَامَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ وَأَجْرَوْا إِلَيْهَا وَاسْتَحَلُّوا الْمَحَارِمَا
قَطَعُوا بالتخفيف يَضْلَحُ لقليل الفعل وكثيره، فإذا ثَقُلَتْ لم يَكُنْ إِلَّا للتكثير أو التكرير. والشَّاعِرُ يَصِفُ ما أَجْرَى إِلَيْهِ الْقَوْمُ في سَبْقِ دَاجِسٍ من قطيعة الرِّجَمِ، وانتهاك المَحْرَمِ، واستِخْلَالِ الْمَحْظُورِ المحْرَمِ؛ وَيَقْتَصُّ ما تَنَقَّلُوا فيه وتدرجوا إليه حالًا بعد حالٍ، وشيئًا بَعْدَ شيءٍ. وقوله «أَجْرَوْا إِلَيْهَا» الإجراء يُسْتَعْمَلُ في الْمُنْكَرِ المذموم، ومفعولُهُ محذوف، كأنَّهُ أَجْرَوْا فَعْلَهُمْ إِلَيْهَا، والضمير في «إِلَيْهَا» للقطيعة، لأنَّ الْفِعْلَ يَدُلُّ على مَصْدَرِهِ. وهذا كما يُقال: مَنْ كَذَبَ كان شَرًّا له، أي كان الكَذِبُ شَرًّا له.

٢ - فَيَا لَيْتَهُمْ كَانُوا لِأُخْرَى مَكَانَهَا وَلَمْ تَلِدِي شَيْئًا مِنَ الْقَوْمِ فَاطِمَا
البيت على كلامين: صَدْرُهُ إخبارٌ، وعَجْزُهُ خطابٌ لفاطمة، وهي أختُ لهم. ومثله في أَنَّهُ كلامين قوله تعالى: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَلِكِ﴾ [يوسف: الآية ٢٩]. والشَّاعِرُ قَصَّدهُ إلى إظهار التوجُّع من الحال، فيقول متمنيًا: بِوَدِّي أَنْ يكونوا لَوْضَلَةٍ وَقَرَابَةٍ غير وَصَلَتِهِمْ وَقَرَابَتِهِمْ، حتَّى لا يَبْلُغَ الْجَفَاءُ من جهتهم مَبَالِغَهُ في نُفُوسِنَا، لأنَّ ظُلْمَ دَوِي الْقُرْبَى أَشَدُّ تَأْثِيرًا. وَالشَّرُّ إِذَا وَرَدَ على الإنسان من مَظَلَّةِ الْخَيْرِ كان أَثَقَلْ تحزيرًا. فقولُهُ «كَانُوا لِأُخْرَى مَكَانَهَا» أي لِقَرَابَةٍ أُخْرَى مكان هذه القرابة؛ أو لِأَرْحَامٍ أُخْرَى مكانَ هذه الأرحام. وقوله «لَمْ تَلِدِي شَيْئًا» تمثيُّ ارتفاع الوُضَلَةِ كما تَمَثَّى في الأول انقطاع القرابة؛ كأنَّهُ وَدَّ بعد استبدالهم بالتناصرِ تَدَايُرًا، وبالتواصُلِ تَقَاطُعًا، أَنَّهُمْ كَانُوا مِنْهُمْ غُرَبَاءَ. وقوله «فَيَا لَيْتَهُمْ» الْمُتَادَى محذوف، أراد يا قَوْمَ لَيْتَهُمْ.

(١) التبريزي: «وقال غَلَّاقُ بْنُ مَرْوَانَ بن الحكم بن زنباع».

٣ - فَمَا تَدْعِي مِنْ خَيْرِ عَذْوَةٍ دَاجِسٍ فَلَمْ تَنْجُ مِنْهَا يَا ابْنَ وَبَرَةٍ سَالِمَا

يَذُمُّ مَا أَحْمَدُوهُ مِنْ سَبَقِ دَاجِسٍ وَتَبْرِيزِهِ، وَيُسَوِّي رَأْيَهُمْ فِي تَبْجِيحِهِمْ، وَيَعْرِفُهُمْ قُبْحَ عَاقِبَةِ مَا اخْتَارُوهُ، وَسَوْءَ مَعَبَّةٍ مَا شَرَعُوا فِيهِ. وَإِنَّمَا قَالَ «مَا تَدْعِي» لِأَنَّ أَصْحَابَ الْعَبْرَاءِ كَانُوا يَعْلَمُونَ سَبَقَ دَاجِسٍ وَيَنْكُرُونَهُ، فَلِهَذَا عَلَّقَ مَا حَكَاهُ عَنْهُ بِالْذَّغْوَى. وَقَوْلُهُ «مِنْ خَيْرِ عَذْوَةٍ» أَيِ مَنْ نَفَعَهُ وَسَنَاءٍ ذَكَرَهُ. وَقَوْلُهُ «فَلَمْ تَنْجُ مِنْهَا» رَدُّ الضَّمِيرِ عَلَى الْمَضَافِ إِلَيْهِ وَهُوَ الْعَذْوَةُ. يَرِيدُ: لَمْ يَزَجِّعْ إِلَيْكَ مِنْهَا جَذْوَى، وَلَا ارْتَفَعَ الْأَمْرُ فِيهِ كَفًّا. وَلَمَّا فَاتَتِ الْغَنِيمَةُ فِيهِ لَمْ تَحْصُلْ لَكَ السَّلَامَةُ أَيْضًا.

٤ - شَأْمَتْكُمْ بِهَا حَيِّي بَغِيضٍ وَغَرَّيْتُ أَبَاكَ فَأَوْدَى حَيْثُ وَآلَى الْأَعَاجِمَا

قال أبو زيد: يقال: شَأَمَ فلانٌ أصحابه، إذا أصابهم الشُّومُ من قِبَلِهِ. و«بها» يُرِيدُ بِالْعَذْوَةِ، وَهَذَا تَفْسِيرُ قَوْلِهِ: فَلَمْ تَنْجُ مِنْهَا يَا ابْنَ وَبَرَةٍ سَالِمَا. يَقُولُ: أَوْفَعْتُمْ بَعْدَوَتِهَا وَالْخِطَارَةَ عَلَيْهَا الشُّومُ فِي حَيِّي بَغِيضٍ: عَبَسَ وَذُبْيَانٌ، وَأُخْرِجَ أَبُوكَ - يَعْنِي قَيْسَ بْنَ زُهَيْرٍ - إِلَى تَرْكِ أَرْضِ الْعَرَبِ وَمَهَاجَرَتِهَا. يَعْنِي حِينَ أُخْرِجَ وَأُزْعِجَ إِلَى بِلَادِ الْعَجَمِ، حَتَّى صَارَ يُوَالِيهِمْ بِهَا، إِلَى أَنْ مَاتَ غَرِيبًا بَيْنَ ظَهْرَانِيهِمْ. وَأَشَارَ بِقَوْلِهِ «حَيْثُ» إِلَى عُمانَ وَمَا وَرَآه.

٥ - وَكَانَتْ بَنُو ذُبْيَانَ عِزًّا وَإِخْوَةً فَطَرِزْتُمْ وَطَارُوا يَضْرِبُونَ الْجَمَاجِمَا

يقول: كان بنو ذُبْيَانَ لَكُمْ يَا بَنِي عَبَسٍ مَلَأًا وَعِزًّا، وَعَتَادًا وَظَهْرًا، لَمَّا يَجْمَعُكُمْ وَإِيَّاهُمْ مِنَ الْأُخْوَةِ، فَاطْرَحْتُمْ مَوَاتِ التَّمَارِجِ وَالتَّشَابُكِ، وَتَجَاوَزْتُمُوهَا إِلَى التَّجَاذِبِ وَالتَّقَاتُلِ. وَهَذَا تَحْسِيرٌ لِلْمُخَاطَبِ فِيمَا انْتَقَلَ عَنْهُ مِنْ مَوَالَاةِ الْعَشِيرَةِ، وَالْإِبْقَاءِ عَلَى الْأَحْوَالِ الْجَامِعَةِ، وَتَلْهَيْفٌ فِيمَا انْتَقَلُوا إِلَيْهِ مِنْ تَهْيِيجِ الْحَرْبِ، وَبَسْطِ الْأَذَى وَالشَّرِّ، وَتَنْبِيْهُ عَلَى مَا يَتَعَقَّبُ أَحْوَالَهُمْ إِنْ اسْتَمَرُّوا عَلَيْهَا مِنَ التَّفَانِيِ وَالتَّهَالُكِ. وَكَانَ الْوَاجِبُ أَنْ يَقُولَ: فَطَرِزْتُمْ. تَضْرِبُونَ وَطَارُوا يَضْرِبُونَ، فَاكْتَفَى بِالْإِخْبَارِ عَنْ إِحْدَى الْفَرَقَتَيْنِ؛ إِذْ قَدْ عَلِمَ أَنَّ حَالَ الْأُخْرَى كَحَالِهَا. وَمَعْنَى طَرِزْتُمْ: تَسَرَّغْتُمْ، كَمَا قَالَ: [البسيط]

طَارُوا إِلَيْهِ زَرَفَاتٍ وَوُحْدَانًا^(١)

(١) البيت الثالث في الحماسة الأولى. وصدرة:

«قوم إذا الشر أبدى ناجذيه لهم»

٦ - فَأَضَحَّتْ زُهَيْرٌ فِي السَّنِينَ الَّتِي مَضَتْ وَمَا بَعْدُ لَا يُدْعَوْنَ إِلَّا الْأَشَائِمَا

أَنْتَ الْفِعْلُ لِأَنَّ الْمُرَادَ بِذِكْرِ زُهَيْرِ الْقَبِيلَةَ بِأَسْرِهَا، وَمَعْنَى يُدْعَوْنَ يُسَمُّونَ، كَمَا قَالَ ابْنُ أَحْمَرَ: [البسيط]

وَكُنْتُ أَذْعُو قَذَاهَا الْإِثْمَ الْقَرْدَا^(١)

يُرِيدُ أَسْمَى، وَلِذَلِكَ تَدْعَى إِلَى مَفْعُولَيْنِ، فَيَقُولُ: صَارَ أَسْلَافُ بَنِي زُهَيْرِ بْنِ حَذَيْفَةَ وَأَخْلَافُهُمْ لَا يُسَمُّونَ قَدِيمًا وَلَا حَدِيثًا إِلَّا الْمَشَائِمَ. وَالْأَشَائِمُ: جَمْعُ أَشَامٍ. وَيُقَالُ: جَرَتْ لَهُمْ طَيْرٌ أَشَائِمٌ، أَيِ جَرَتْ لَهُمْ بِالْشُّؤْمِ. وَقَالَ زُهَيْرٌ: [الطويل]

فَتُنْتِجَ لَكُمْ غِلْمَانٌ أَشَامٌ^(٢)

أَيِ غِلْمَانٍ أَمَرَ أَشَامٌ. وَقَوْلُهُ «فِي السَّنِينَ» يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ظَرْفًا لِأَضَحَّتْ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ظَرْفًا لِقَوْلِهِ «لَا يُدْعَوْنَ». وَقَوْلُهُ «وَمَا بَعْدُ» يَرَادُ بِهِ وَفِيمَا بَعْدَ فَيَكُونُ مَا مَعْطُوفًا عَلَى السَّنِينَ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَوْضِعَ «مَا» نَضْبًا عَلَى أَنْ يَكُونَ مَعْطُوفًا عَلَى مَوْضِعَ فِي السَّنِينَ لَا عَلَى لَفْظِهِ، لِأَنَّ مَوْضِعَهُ نَضَبٌ لِكَوْنِهِ ظَرْفًا. وَيَجُوزُ أَنْ يُجْعَلَ مَا صِلَةً، كَأَنَّهُ فِي السَّنِينَ الْمَاضِيَةِ وَبَعْدَهَا. وَيَجُوزُ أَنْ يُرْوَى: «وَمَنْ بَعْدُ لَا يُدْعَوْنَ»، وَهُوَ خَسَنٌ. وَذَكَرَ بَعْضُهُمْ أَنَّ مَا مِنْ قَوْلِهِ «وَمَا بَعْدُ» لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ إِلَّا صِلَةً وَزَائِدَةً لِأَنَّ بَعْدُ لَمَّا جُعِلَ غَايَةً وَدَخَلَ الثَّقُفَانِ بِحَذْفٍ مَا كَانَ مُضَافًا إِلَيْهِ امْتَنَعَ مِنْ أَنْ يَكُونَ مَبْنًى عَلَى شَيْءٍ وَخَبَرًا عَنْهُ، وَإِذَا امْتَنَعَ مِنْ ذَلِكَ امْتَنَعَ أَنْ يَكُونَ صِلَةً لِمَوْصُولٍ، لِأَنَّ الَّذِي يَكُونُ صِلَةً مِنَ الظُّرُوفِ وَالْجُمَلِ هُوَ مَا جَازَ أَنْ يَكُونَ خَبَرُ الْمَبْتَدَأِ. وَلَيْسَ الْأَمْرُ عَلَى مَا قَالَهُ، إِلَّا تَرَى أَنَّ قَوْلَهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قَالَ كَيْدُهُمْ أَتَمَّ تَعْلَمُوا أَنَّكَ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمَنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ﴾ [يوسف: الآية ٨٠]. مَعْنَاهُ: وَمَنْ قَبْلَ الَّذِي فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ، أَيِ قَدْ تَمُّتُمْ. وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ: وَمَنْ قَبْلَ تَفْرِيطِكُمْ، فَيَكُونُ مَا مَعَ الْفِعْلِ فِي تَقْدِيرِ مُضَدَّرٍ. وَعَلَى الْوَجْهِينِ جَمِيعًا مَا فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ وَمِنْ قَبْلُ خَبَرُهُ. وَذَكَرَ أَبُو إِسْحَاقَ الرَّجَاجُ فِي مَا مِنَ الْآيَةِ ثَلَاثَةَ أَوْجِهٍ، مَا ذَكَرْنَا أَحَدَهَا. وَإِذَا

(١) لابن أحمر في ديوانه ٤٩، واللسان (دعا، هوا)، وجمهرة اللغة ص ١٦٤، والمخصص ٩٨: ٩، وصدرة:

«أهدى لها مشقصا جشرا فشبرقها»

(٢) لزهير في ديوانه ٢٠، واللسان (سكف وشأم) وجمهرة اللغة ١٣٢٨، وتماهه: «فتنتج لكم غلماناً أشام كلهم كأحمر عاد ثم تُرضغ فتفطم»

كان الأمرُ على هذا فما ذَكَرَهُ هذا القائل غير صحيح، لأنني قد أَرَيْتُكَه بَعْدَ وهو غَايَةٌ خَبْرًا، وَكَوْنُهُ صِلَةٌ تَابِعٌ لكونه خَبْرًا، فَاغْلَمَهُ.

١٥٥ - وقال المُسَاوِرُ بن هِنْدٍ: [الكامل]

١ - أَوْدَى السُّبَابُ فَمَا لَهُ مُتَقَفَّرُ وَفَقَدْتُ أَتْرَابِي فَأَيْنَ الْمَغْبَرُ
يقول: أَذْبَرَ الشَّبَابُ وولَّى، فهو فائتٌ لا يَتَّبِعُ، ومطلوبٌ لا يُلْحَقُ، وَعَدِمْتُ
نُظْرَائِي وَأَقْرَابِي، فَأَيْنَ بَقَائِي بَعْدَهُمْ، وكيف خَلَّصِي مِمَّا اخْتَرَمَهُمْ وَأَفْنَاهُمْ. وهذا
الكلام تَوَجُّعٌ وَتَحَسُّرٌ لما تَقَضَّى من شَبَابِهِ، وَعُنْفوان عُمْرِهِ وَتَقَدَّمَ من أَقْرَانِهِ وَلِدَاتِهِ.
أي إِذَا خَلَوْتُ مِنْهُمْ، وَصِرْتُ عَائِشًا فِي غَيْرِهِمْ فَكَمْ عَسَى أَنْ أَبْقَى بَعْدَهُمْ. ويقال غَيْرَ
إِذَا مَضَى، وَغَيْرَ إِذَا بَقِيَ. ويريد بِالْمَغْبَرِ هنا البقاء، ويقال: اقْتَفَرْتُ الشَّيْءَ وَتَقَفَرْتَهُ،
إِذَا تَتَبَعْتَهُ.

٢ - وَارَى الْغَوَانِي بَعْدَمَا أَوْجَهَنِي أَغْرَضَنَ ثُمَّتَ قُلْنَ شَيْخَ أَصُورُ

الغواني: جمع غانية، وهي التي تَسْتَغْنِي بزوجها عن الرِّجال، وقيل: هي التي
تَسْتَغْنِي بمحاسنها عن التزُّين بالحلي. وقال أبو عبيدة: هي المتزوجة، وأنشد
لجميل بن مَعْمَرٍ: [الطويل]

حَبِثُ الْإِيَامَى إِذْ بُشِينَةُ أَيَّم فَلَمَّا تَغَعَّتْ أَغْلَقْتَنِي الْغَوَانِيَا^(١)

وأنشد^(٢) ابنُ الأَعرابي: [البيسط]

أَزْمَانٌ لَيْلَى كَعَابَ غَيْرُ غَانِيَةٍ

والشاعر يقول متشكِّيًا من الشَّيْبِ الْمُغْتَاضِ من الشَّبَابِ، ومن الضعف التابع
لصحة الجسم، ومن السقوط والانحطاط بعد الجاء عند الغانيات: أَرَى النِّسَاءَ بَعْدَمَا
كُنَّ يَجْعَلْنَ لِي عِنْدَهُنَّ جَاهًا أَغْرَضَنَ عَنِي وَأَطْرَحْتَنِي، وَأَبْدَلْتَنِي بِالْحَمْدِ دَمًا، وبالتسمية
تَلْقِيًّا وَتَبْزَا، فَمَتَى ذُكِرْتُ عِنْدَهُنَّ قُلْنَ هُوَ شَيْخٌ أَغْوَرُ. وقوله «أَوْجَهَنِي» من الوجاهة:
المنزلة. يُقَالُ وَجْهٌ وَجْهَةٌ، وَوَجْهَنِي السُّلْطَانُ وَأَوْجَهَنِي: جعل لي جَاهًا وَمَنْزَلَةً،

(١) لجميل في ديوانه ٢٢٦، واللسان (غنا)، وتاج العروس (غنى).

(٢) لنصيب في ديوانه ١١٦، واللسان (وحم، غنا، لها)، وبلا نسبة في تهذيب اللغة ٨: ٢٠٢، وعجزه:

«وَأَنْتَ أَمْرُدُ مَعْرُوفٌ لَكَ الْغَزْلُ»

وَرَجُلٌ مُوجَّهٌ وَوَجِيهٌ. وقوله «شيخ» ارتفع على أنه خبر مبتدأ محذوف، وقد مضى القول في التاء من ثُمَّتْ وَرُبَّتْ، وأنه علامة التأنيث للقصة. وجُعِلَتْ تاء مفتوحة قرآناً بينها وبين التي تَلَحَّقُ الفعل والاسم.

٣ - وَرَأَيْنَ رَأْسِي صَارَ وَجْهَهَا كُلُّهُ إِلَّا قَفَايَ وَلِخِيَةَ مَا تُضْفَرُ

يقول مستمراً في تكلفِ الجَزَعِ إثر ما تولى من الشَّبَابِ، وبإسقاطِ مَغْذِرَةِ النِّسَاءِ فيما اسْتَحْذَرْنَ له: رأيتني قد صَلَّيْتُ وانحسر الشَّعْرُ عن رأسي حتَّى صارَ كُلُّهُ كوجهي، إِلَّا قَفَايَ فَإِنَّ به تَبَدُّلاً مِنَ الشَّعْرِ، وإلا لَحِيَةً لَا تُقَامُ مَقَامَ الدُّوَابَةِ فِي الضَّفْرِ والتَّجْمُلِ. فقولوه «لِخِيَةَ مَا تُضْفَرُ» تَحَسُّرٌ عَلَى ما عَدِمَ فِي رَأْسِهِ مِنَ الضَّفَائِرِ وَإِنْ كَانَتِ اللَّحِيَةُ لَمْ يُعْتَدِ ضَفْرُهَا. وقوله «كُلُّهُ» ارْتَفَعَ عَلَى أَنَّهُ توكيدٌ لِلْمُضْمَرِ فِي صَارَ، أَوْ عَلَى أَنَّهُ اسْمُ صَارَ، أَوْ عَلَى أَنَّهُ يَرْتَفِعُ بِفَعْلِهِ وَفِعْلُهُ ما ذَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ «وَجْهَهَا» كَأَنَّ المراد تَوَجُّهَ كُلُّهُ، وَيَكُونُ كَقَوْلِكَ رَأَيْتَ زَيْدًا قَيْنِيًّا أَبُوهُ، أَيْ تَقَيَّسَ أَبُوهُ، وَمَرَرْتُ بِسَرْجٍ خَزُّ صُفْتُهُ.

٤ - وَرَأَيْنَ شَيْخًا قَدْ تَحَنَّى صُلْبُهُ يَمْشِي فَيَقْعُسُ أَوْ يُكِبُّ فَيَعْفُرُ

يقول: ورأيت شيخاً منحنياً الصُّلْبِ، مُحْدَوِدِ الطَّهْرِ، يَمْشِي مِشْيَةَ الْقُعْسَانِ إِذَا اسْتَمَرَّ فِي الْمَشْيِ، أَوْ يَتَعَثَّرُ فَيَسْقُطُ لَوَجْهِهِ. وَكَانَ الْوَاجِبُ أَنْ يَقُولَ: أَوْ يَغْتَرُّ فَيُكِبُّ، لِأَنَّ الْعِتَارَ قَبْلَ السَّقُوطِ لِلْوَجْهِ، لَكِنَّهُ لَمْ يُيَالِ بِتَغْيِيرِ التَّرْتِيبِ، لِأَمْنِهِ مِنَ الْإِلْتِبَاسِ، وَهَذَا دُونَ مَا يَجِيءُ فِي كَلَامِهِمْ مِنَ الْقَلْبِ، مِثْلُ قَوْلِهِ: [المديد]

كَمَا أَسْلَمْتُ وَخَشِيئَةً وَهَقَا^(١)

وكقول امرئ القيس: [الطويل]

كَمَا زَلَّتِ الصَّفْوَاءُ بِالْمُنَزَّلِ^(٢)

ويقال: قُعَسَ يَقْعُسُ، إِذَا صَارَ أَقْعَسَ خِلْقَةً فِيهِ، وَقَعَسَ يَقْعُسُ قَعْسَانًا إِذَا مَشَى مِشْيَةَ الْأَقْعَسِ تَكَلُّفًا، وَمِثْلُهُ عَرَجَ يَغْرَجُ وَعَرَجَ. وَيُقَالُ: أَكَبَ زَيْدٌ فَلَا يَتَعَدَّى؛ وَكَبَّهُ اللَّهُ لَوَجْهِهِ، وَهَذَا عَلَى الْعَكْسِ مِمَّا عَلَيْهِ أَكْثَرُ الْأَفْعَالِ. وَمِثْلُهُ أَقْلَعَ الْغَيْمُ وَقْلَعَهُ اللَّهُ.

(١) البيت بلا نسبة في المحتسب ١١٨:٢. وصدرة:

«أسلموها في دمشق كما»

(٢) لامرئ القيس في ديوانه ٢٠، واللسان (حول، صفا)، ومقاييس اللغة ٣: ٢٩٢، وصدرة:

«كميت يزُلُّ اللَّبْدُ عَنْ حَالِ مَتْنِهِ»

٥ - لَمَّا رَأَيْتُ النَّاسَ هَرُّوا فِتْنَةً عَمِيَاءَ ثَوَقَدُ نَارُهَا وَتَسَعَّرُ

إنما قَدَّمَ ما اقتَصَّه من ضَعْفِهِ وَكَبَّرَتِهِ، لِئُرِي العُدْرَ فيما يَعْجِزُ عنه من النهوضِ في الفتنَةِ التي ذَكَرَهَا، فيقول: لَمَّا وَجَدْتُ النَّاسَ قَدْ كَرِهُوا ما تَرَدَّدُوا فِيهِ مِنْ فِتْنَةٍ لَا يُهْتَدَى لَوَجْهِهَا، وَلَا يُقْتَدَرُ عَلَى كَشْفِهَا، تَسَعَّرَ نَارُهَا وَتَتَلَهَّبُ، وَيُبْتَعَثُ شَرْهَا فَتَشْمِلُ. وَيَعْنِي بِهَذَا فِتْنَةَ ابْنِ الزُّبَيْرِ وَعَبْدِ الْمَلِكِ. وَجَوَابُ لَمَّا مُنْتَظَرٌ، وَهُوَ هُنَا مَحذُوفٌ يَدُلُّ عَلَيْهِ الْكَلَامُ، كَأَنَّهُ قَالَ: انْقَبَضْنَا عَنِ النَّهْضِ فِيهَا وَالْحَرَكَ، لِنَنْظُرَ مَاذَا تَكُونُ. وَالْفِتْنَةُ الْعَمِيَاءُ: الَّتِي لَا يُهْتَدَى فِيهَا لَوَجْهِ أَمْرٍ، وَقُضِلَ شَأْنُ. وَالتَّغْمِيَةُ: التَّلْيِيسُ. وَيُقَالُ: هُوَ فِي عُمِيَانِهِ، أَيْ عَمَاءَهُ، مَضْدَرٌ كَالطُّغْيَانِ.

٦ - وَتَشْعَبُوا شُعَبًا فَكُلُّ جَزِيرَةٍ فِيهَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَمِنْبَرٌ

شَعَبْتُ يَكُونُ بِمَعْنَى جَمَعْتُ وَبِمَعْنَى قَرَعْتُ. وَيُقَالُ: التَّأَمَّ شُعْبُهُمْ، إِذَا اجْتَمَعُوا بَعْدَ تَفَرُّقٍ؛ وَتَفَرَّقَ شُعْبُهُمْ، إِذَا تَبَدَّدُوا بَعْدَ تَجْمُعٍ. وَالشُّعْبَةُ: الطَّائِفَةُ، وَجَمْعُهَا شُعَبٌ. يَقُولُ: تَفَرَّقَ النَّاسُ فِرْقًا، فَصَارَ الْاِخْتِلَافُ لَازِمًا لَأَهْوَائِهِمْ، وَالتَّبَايُنُ مُقْتَرِنًا بِأَرَائِهِمْ، فِي كُلِّ جَزِيرَةٍ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَمِنْبَرٌ، يَدْعُو إِلَى نَفْسِهِ وَيَخْطُبُ عَلَى مِنْبَرِهِ لِجَذْبِ الْأَمْرِ إِلَيْهِ. وَقَوْلُهُ «أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ» لَفْظُهُ مَعْرِفَةٌ لِلإِضَافَةِ الْمَعْتَادَةِ فِي هَذِهِ اللَّفْظَةِ الْمَأْلُوفَةِ عَلَى الْحَدِّ الَّذِي تَعْرَى، لَكِنَّ التَّنْوِينَ مَنَوِيًّا، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ كَانَ فِي حُكْمِ النِّكَرَاتِ. وَإِنَّمَا سَاغَ ذَلِكَ لِأَنَّ قَوْلَهُ «أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ» يُشَارُ بِهِ إِلَى الْحَالِ، أَيْ فِيهَا أَمِيرُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَاسْمُ الْفَاعِلِ إِذَا أُريدَ فِي الْحَالِ أَوْ الْاِسْتِقْبَالِ كَانَتْ إِضَافَتُهُ عَلَى وَجْهِ التَّخْفِيفِ لَا عَلَى وَجْهِ التَّعْرِيفِ، وَيَصِيرُ التَّنْوِينَ الَّذِي هُوَ الْأَصْلُ مَنَوِيًّا فِيهِ، وَعَلَى هَذَا قَوْلُهُ: ﴿عَارِضٌ مُظِرٌّ﴾ [الْأَحْقَافُ: الْآيَةُ ٢٤] لِأَنَّ التَّقْدِيرَ مُمَظِرٌّ لَنَا. وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿هَٰذَا بَلِّغِ الْكِتَابَ﴾ [الْمَائِدَةُ: الْآيَةُ ٩٥]. وَعَنَى بِذَلِكَ ابْنَ الزُّبَيْرِ وَنَظَرَاءَهُ مِمَّنْ كَانَ يَطْلُبُ الْخِلَافَةَ فِي أَيَّامِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ. وَهَذَا الْبَيْتُ مُنْعِطٌ بِمَا فِيهِ عَلَى قَوْلِهِ «هَرُّوا فِتْنَةً».

٧ - وَلَتَعْلَمَنَّ ذُبْيَانُ إِنْ هِيَ أَهْرَضَتْ أَنَا لَنَا الشَّيْبُخُ الْأَهْرُ الْأَكْبَرُ

يقول على وَجْهِ التَّوَعُّدِ: لَتَعْلَمَنَّ هَذِهِ الْقَبِيلَةُ إِنْ تَوَجَّهَتْ نَحْوَنَا أَنَّا لَنَا هَذَا الرَّئِيسُ الْمَشْهُورُ الشَّانُ، الْعَظِيمُ الْأَمْرُ. وَيُقَالُ: عَنَى بِهِ زُهَيْرَ بْنَ جَدِيمَةَ الْعَبْسِيَّ، وَقِيلَ: هُوَ قَيْسُ بْنُ زُهَيْرٍ. وَيُزَوَّى «إِنْ هِيَ أَذْبَرَتْ». وَالْمَعْنَى: إِنْ وَلَّتْ وَأَعْرَضَتْ، فَإِنَّمَا سَتَعْلَمُ أَنَّا نَكْتَفِي مِنْ دُونِهِمْ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِأَذْبَرَتْ: تَرَكْتَ الْحَقَّ. وَجَوَابُ إِنْ فِي قَوْلِهِ: «لَتَعْلَمَنَّ ذُبْيَانُ»، وَقَدْ مَضَى مِثْلُهُ.

٨ - وَلَنَا قَنَاءَةٌ مِنْ رُدَيْنَةٍ صَدَقَتْ رَزَاءً حَامِلَهَا كَذَلِكَ أَزُورُ

قوله: «مِنْ رُدَيْنَةٍ» أي من رِمَاح ردينة، وهي امرأة كانت تبيع الرِّمَاح، فحذف المضاف. والصَّدَقَةُ: الصُّلْبَةُ، والعَرَبُ تَذْكُرُ القَنَاءَ وصلابَتَهَا واعوجاجَهَا، وأَنَّهُ لَا تَلِينَ وَلَا تَقْبِلُ التَّقْوِيمَ والتَّثْقِيفَ، ضَارِبَةً بِهَا المِثْلَ فِي الخِلَافِ والإِبَاءِ، والامْتِنَاعِ والتَّعَسُّرِ عَلَى مَنْ يُرِيدُ إِكْرَاهَهُمْ، والتَّصْعُبِ عَلَى مَنْ يُرِيدُ تَلْيِينَهُمْ أَوْ الْعَضِّ مِنْهُمْ. والمعنى: قَنَاءَتُنَا لَا تَسْتَقِيمُ لِمَقْوَمٍ، وحَامِلُهَا لَا يَتَقَادُ لِمَجْتَذِبٍ. وعلى هذا قول عمرو بن كلثوم: [الوافر]

عَشْوَزَنَةٌ إِذَا غُمِرَتْ أَزْنَتْ تَشُجُّ قَفَا الْمُقْوَمِ وَالْجَبِينَا^(١)

وقول الآخر: [الكامل]

كَانَتْ قَنَاتِي لَا تَلِينَ لَغَايِرٍ فَأَلَانَهَا الْإِصْبَاحُ وَالْإِنْسَاءُ^(٢)

وهذا الشاعر لم يَرِضْ بِذِكْرِ القَنَاءِ وما جَرَتْ بِهِ العَادَةُ مِنْ وَضْفِ اعْوِجَاجِهَا، حَتَّى عَقَّبَهُ بِقَوْلِهِ «حَامِلُهَا كَذَلِكَ أَزُورُ»، فزاد عَلَى مَنْ تَقَدَّمَ كَمَا تَرَى، وَإِنَّمَا أَرَادَ التَّأْكِيدَ وَالْمَبَالِغَةَ وَتَبْيِينَ قُوَّةِ الْامْتِنَاعِ عَلَى مَنْ يَطْلُبُ اقْتِسَارَهُمْ. وَهَذَا كَمَا يَصِفُونَ الْمُتَكَبِّرَ بِالشُّوسِ وَالصُّعْرِ وَالصُّيْدِ. وَقَوْلُهُ: «حَامِلُهَا كَذَلِكَ» مِنْ صِفَةِ القَنَاءِ، وَارْتَفَعَ حَامِلُهَا بِالْإِبْتِدَاءِ، وَقَدْ أَخْبَرَ عَنْهُ بِخَبَرَيْنِ: كَذَلِكَ، وَأَزُورُ. وَقَوْلُهُ «كَذَلِكَ» إِذَا وَقَعَ هَذَا الْمَوْقِعُ لَا يُغَيِّرُ، بَلْ يَكُونُ لِلْمَذْكُورِ وَالْمَوْثُوثِ عَلَى حَالٍ وَاحِدَةٍ. وَأَنشَدَ أَبُو زَيْدٍ: [البسيط]

أَمَّا أَقَاتِلُ عَنْ دِينِي عَلَى قَرَسٍ وَلَا كَذًا رَجُلًا إِلَّا بِأَصْحَابِي^(٣)

وَالْمَعْنَى وَلَا كَمَا أَنَا السَّاعَةُ رَاجِلًا.

١٥٦ - وَقَالَ عُرْوَةُ بْنُ الْوَرْدِ: [الطويل]

١ - قُلْتُ لِقَوْمٍ فِي الْكَنِيفِ تَرَوْحُوا عَشِيَّةً بِثَنَّا عِنْدَ مَاوَانَ رُزْجٍ

تَقْدِيرُ الْبَيْتِ: قُلْتُ لِقَوْمٍ رُزْجٍ عَشِيَّةً بِثَنَّا عِنْدَ مَاوَانَ فِي الْكَنِيفِ: تَرَوْحُوا. وَالْمَعْنَى بَعَثْتُهُمْ عَلَى السَّيْرِ فِي الرُّوَاكِ، وَإِنْ كَانُوا مُتَسَاقِطِي الْقَوَى كَالْيَنْ، لَا حَرَكَ

(١) لعمرو بن كلثوم في ديوانه ٧٩، واللسان (عشرون)، وشرح القصائد السبع ٤٠٤.

(٢) لشاعر جاهلي في الكامل ١٢٥ (ليسك). (٣) نوادر أبي زيد ص ٥.

بهم، ولا تُهَوَّضُ يُقِيمُهُمْ، هَزَلَى لتأثير السَّفَرِ فيهم، وظهور أثر الشَّقَّةِ عليهم. وواحد الرِّزْحَ رَازِحٌ، ويقال: رَزَحَ البعيرُ رُزُوحًا، إذا أَعْيَا، وإِبِلَ رَزْحَى، وقَوْمٌ رِزَاحٌ أي مَهَازِيلُ سَاقِطُونَ. والكنيف: الحَظِيرَةُ من الشَّجَرِ.

٢ - تَنَالُوا الْغِنَى أَوْ تَبْلُغُوا بِنَفْسِكُمْ إِلَى مُسْتَرَجٍ مِنْ حِمَامٍ مُبْرِجٍ
قوله «تنالوا» جواب الأمر من البيت الأول، وهو تَرَوَّحُوا. والمعنى: سيروا واجتهدوا تنالوا الغنى، وتَبْلُغُوا حَدًّا من الطَّلَبِ يُفْضِي بكم إلى الموت المُرِيحِ الباسط لِعُذْرِكُمْ. والمُبْرِجُ: المُلِخُ الشديد، ومن هذا وصف الرِّيحِ بالبارح. ويقال: بَرَحَ بِي الحُبُّ، أي اشتدَّ؛ وَبَرَحَ بِي فلان، إذا آذَى؛ وَأَبْرَحَ الرَّجُلُ، إذا أتى بالبَرَحِ، والبَرَحُ يكون الشدةَ ويكون العَجَبَ، ومنه قول الأعشى: [المقارب]

أَبْرَحْتَ رَبًّا وَأَبْرَحْتَ جَارًا^(١)

٣ - لِيَبْلُغَ عُذْرًا أَوْ يُصِيبَ رَغِيبَةً وَمُبْلَغُ نَفْسٍ عُذْرَهَا مِثْلُ مُنْجِحٍ
قوله «لِيَبْلُغَ» تفسير ما قَدَّمَهُ. ويشير بقوله «عُذْرًا» إلى قاطع المَوْتِ لأنَّ المجتهد في طَلَبِ الشَّيْءِ إذا حَالَ أَجَلُهُ دُونَ أَمَلِهِ فَقَدْ أَعْذَرَ، إِذْ كَانَ قَدْ فَعَلَ مَا عَلَيْهِ. وقوله «أَوْ يُصِيبَ رَغِيبَةً» إشارة إلى نِيلِ الْغِنَى. والرُّغْبُ: اتِّسَاعُ الشَّيْءِ، ومنه بَطْنٌ رَغِيبٌ. وقوله «وَمُبْلَغُ نَفْسٍ عُذْرَهَا مِثْلُ مُنْجِحٍ» أي من أَعْذَرَ فِيمَا يَطْلُبُهُ، أَصَابَهُ أَوْ فَاتَهُ، فَقَدْ أَنْجَحَ. وهذا الْكَلَامُ وَإِنْ كَانَ ظَاهِرُهُ وَظَاهِرُ صَدْرِ الْبَيْتِ الْأَوَّلِ أَنَّهُ يَتَكَرَّرُ بِهِ الْمَعْنَى الَّذِي قَدَّمَهُ فِيهِ، فَلَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ، لِأَنَّهُ ذَكَرَ فِي الْأَوَّلِ إِبْلَاجَ النَّفْسِ مِنَ الْمَوْتِ حَدًّا يُرِيحُهُ، وَلَمْ يُبَيِّنْ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ: هَلْ أَنْجَحَ أَوَّلًا. وفي الثاني بَيَّنَّ أَنَّ الْمُغْذِرَ فِي طَلَبِ الشَّيْءِ كَالْمُنْجِحِ، وَأَنَّهُ إِذَا اسْتَعْرَقَ وَسَعَهُ فِي طَلَبِ مَا يَهْتَمُّ بِهِ ثُمَّ حَالَ دَوْنَهُ حَائِلٌ فَقَدْ أَعْذَرَ. وفي طريقته قَوْلُ أَبِي تَمَامٍ: [الطويل]

لِأَمْرِ عَلَيْهِمْ أَنْ تَتِمَّ صُدُورُهُ وَلَيْسَ عَلَيْهِمْ أَنْ تَتِمَّ عَوَاقِبُهُ

(١) للأعشى في ديوانه ٩٩، وخزانة الأدب ٣: ٣٠٢، واللسان (برج)، ونوادر أبي زيد ص ٥٥، وصدره:

«تقول ابنتي حين جد الرحيل»

١٥٧ - وقال أبو الأبيض العَبْسِيُّ^(١): [الطويل]

١ - أَلَا لَيْتَ شِغْرِي هَلْ يَقُولُنْ قَوَارِسَ وَقَدْ حَانَ مِنْهُمْ يَوْمَ ذَاكَ قِفُولُ
 قَوْلُهُ «شِغْرِي» اسم لَيْتَ، وَخَبَرُهُ مُضْمَرٌ اسْتَعْنِي عَنْهُ بِمَفْعُولِ شِغْرِي. وَلَيْتَ
 شِغْرِي لَا يَجِيءُ إِلَّا هَكَذَا، كَمَا أَنَّ لَوْلَا يَجِيءُ أَبَدًا مَحذُوفٌ خِبرَ الْمَبْتَدَأِ الَّذِي بَعْدَهُ،
 وَقَدْ اسْتَعْنِي عَنْهُ بِجَوَابِهِ، وَذَلِكَ كَقَوْلِكَ لَوْلَا عَبْدُ اللَّهِ لَفَعَلْتُ. وَقَوْلُهُ «هَلْ يَقُولُنْ
 قَوَارِسَ» سَدَّ مَسَدَ مَفْعُولِ لَيْتَ شِغْرِي. وَمَعْنَى الْكَلَامِ لَيْتَ عَلَيَّي وَاقِعٌ: هَلْ يَقَعُ هَذَا
 الْقَوْلُ مِنَ الْفُرْسَانِ فِي تِلْكَ الْحَالِ؟ وَمَفْعُولُ «يَقُولُنْ» أَوَّلُ الْبَيْتِ الثَّانِي، وَهُوَ قَوْلُهُ
 «تَرَكْنَا»، وَاعْتَرَضَ بَيْنَهُمَا قَوْلُهُ «وَقَدْ حَانَ مِنْهُمْ يَوْمَ ذَاكَ قِفُولُ» وَمَوْضِعُهُ نَضْبٌ عَلَى
 الْحَالِ، وَالَّذِي تَمْنَى عِلْمُهُ أَنَّهُ هَلْ يُقْتَلُ، فَإِذَا انْصَرَفَ الْأَبْطَالُ عَنْهَ قَالُوا هَذَا الْقَوْلُ
 أَوَّلًا. وَتَحْقِيقُ الْكَلَامِ: لَيْتَنِي عَلِمْتُ مَا يَقْتَضِي هَذَا السُّؤَالُ مِنَ الْجَوَابِ، لِأَنَّ ذَاكَ
 يُهِمُّهُ لَا نَفْسَ السُّؤَالِ. وَقَوْلُهُ: وَقَدْ حَانَ مِنْهُمْ قِفُولُ، أَيُّ رُجُوعٍ عَنِ الْمَعْرَكَةِ إِلَى
 دِيَارِهِمْ وَحَيِّهِمْ، كَأَنَّهُ كَانَ هَمٌّ بِالْإِسْتِقْبَالِ، وَوَطَنَ نَفْسَهُ مِنْ مُصَادِمَةِ الْعَدُوِّ، وَمُصَادِمَةِ
 الْقِتَالِ عَلَى مَا غَلَبَ الْيَأْسَ مِنَ الْإِنْصِرَافِ عَنْهُمْ، لَتَعَرُّضِهِ لِمَا لَا يَسْلُمُ مَعَهُ مِنْ يُلَاقِيهِ،
 فَتَكَلَّمَ بِذَلِكَ. وَقَوْلُهُ «يَوْمَ ذَاكَ» إِمَارَةً إِلَى يَوْمِ مِلَاقَةِ الْأَعْدَاءِ. فَإِنْ قِيلَ: هَلْ تُقَدَّرُ فِي
 الْكَلَامِ بَعْدَ الْإِسْتِفْهَامِ شَيْئًا لِأَنَّكَ إِذَا اسْتَفْهَمْتَ عَنْ شَيْءٍ كَانَ مَا تَسْتَفْهِمُ عَنْهُ وَخِلَافُهُ
 سَوَاءٌ عِنْدَكَ، وَإِلَّا لَمْ تَكُنْ مُسْتَفْهِمًا؟ قُلْتُ: مَعْنَى الْإِسْتِفْهَامِ هَلْ يَقُولُنْ قَوَارِسَ كَذَا،
 وَهَلْ زَيْدٌ عِنْدَكَ، عَلَى «أَوْ» أَوْ «أَمْ» وَلَوْلَا ذَلِكَ لَامْتَنَعَ الْإِسْتِفْهَامُ. وَسَنَشْرَحُ الْكَلَامَ
 فِيمَا يَقْتَضِيهِ هَذَا الْمَوْضِعُ فِي الْبَيْتِ الَّذِي بَعْدَهُ.

٢ - تَرَكْنَا وَلَمْ يُجَنِّنْ مِنَ الطَّيْرِ لَحْمُهُ أَبَا الْأَبْيَضِ الْعَبْسِيِّ وَهُوَ قَتِيلٌ^(٢)

يقول: لَيْتَنِي عَلِمْتُ هَلْ يَقُولُونَ فِي مُنْصَرِفِهِمْ تَرَكْنَا أَبَا الْأَبْيَضِ مَصْرُوعًا
 مَتْرُوكًا بِالْعَرَاءِ، تَعَفُّوهُ سِبَاغُ الطَّيْرِ وَتَأْكُلُ مِنْ لَحْمِهِ، غَيْرَ مُسْتَوْرٍ عَنْهَا وَلَا مَمْنُوعٍ
 مِنْهَا. وَقَدْ اعْتَرَضَ بَيْنَ تَرَكْنَا وَمَفْعُولِهِ وَهُوَ أَبُو الْأَبْيَضِ بِقَوْلِهِ «وَلَمْ يُجَنِّنْ مِنَ الطَّيْرِ
 لَحْمُهُ»، وَمَوْضِعُهُ نَضْبٌ عَلَى الْحَالِ. فَإِنْ قِيلَ: فَمَا الْمُقَدَّرُ بَعْدَ الْإِسْتِفْهَامِ هُنَا مِنْ

(١) التبريزي: «قال أبو هلال: وكان في أيام هشام بن عبد الملك، وخرج مجاهدًا في بعض
 الوجوه، فرأى في المنام كأنه أكل تمرًا وزبدًا ودخل الجنة، فلما كان من الغد أكل تمرًا وزبدًا
 وتقدم فقاتل حتى قتل».

(٢) التبريزي: «ولم يُجَنِّنْ».

حَرْفِي العطف: أم، وأو، وكيف يكون معنى الكلام مع ذلك المقدّر؟ قُلْتُ: المعنى على أو، بدلالة أنه يُجَابُ مثل هذا الكلام بِنَعْمَ أو لا، إذ كان المبني على ليتني عَلِمْتُ هل يَقَعُ ذلك منهم. فأما تقدير أم وهي عاطفة فلا يصح في مثل هذا الموضع، كما لا يجوز اللفظ بها على جهة المعادلة. وقد قال أبو العباس: لا يكونُ أم بَعْدَ شيءٍ من حروف الاستفهام سِوَى الألفِ إلّا على كلامين. وأما تقدير أم المنقطعة فبعيد، لأنه لو قُصِدَ لم يكن بُدٌّ من ذِكْرِهِ وذِكْرُ المُسْتَفْهِمِ به عنه بعده. فاعلمه.

٣ - وَذِي أَمَلٍ يَرْجُو تُرَاثِي وَإِنْ مَا يَصِيرُ لَهُ مِنِّي غَدًا لَقَلِيلُ

يقول: رُبَّ إِنْسَانٍ يُعَلِّقُ طَمَعَهُ بِمِثْرَائِي، ويرجو تحصيله بَعْدِي، والذي يَنَالُهُ مِنْهُ غَدًا - يُشِيرُ إِلَى يَوْمِ مَوْتِهِ - قَلِيلٌ غَيْرَ كَثِيرٍ. وَالْمَعْنَى: إِنِّي لَا أَذْخِرُ مَالِي بَلْ أَتْلَفُهُ فِي اكْتِسَابِ الْمَحَامِدِ، فَلَا يَكُونُ لِي تُرَاثٌ إِلَّا سِلَاحِي وَمَا لَا بُدَّ لِلْفَارِسِ مِنْهُ.

٤ - وَمَا لِي مَالٌ غَيْرُ دِرْعٍ حَصِيئَةٍ وَأَبْيَضُ مِنْ مَاءِ الْحَدِيدِ صَقِيلٌ^(١)

٥ - وَأَسْمَرُ خَطِيئِي أَلْقَاءِ مُتَقَفٍّ وَأَجْرَدُ غُرَيَّانِ السَّرَاةِ طَوِيلُ

نَقَى أَنْ يَكُونَ لَهُ مَالٌ يَدْخِرُهُ طَوْلَ حَيَاتِهِ، وَبَرِثُهُ الْوَارِثُ بَعْدَ مَمَاتِهِ إِلَّا دِرْعَهُ وَبَيْضَتَهُ، وَسَيِّفًا مَضْجُولًا طَبَعَ مِنْ خَالِصِ الْحَدِيدِ، وَرُمَحًا خُمِلَتْ قَنَاتُهُ مِنَ الْخَطِّ - وَهُوَ جَزِيرَةٌ بِالْبَحْرَيْنِ - وَفَرَسًا قَصِيرَ الشَّعْرِ مُنْجَرِدَ الظَّهْرِ مِنَ اللَّحْمِ، مُشْرِفَ الْهَامَةِ، طَوِيلَ الْقَامَةِ. الْمَغْفَرُ: حَلَقٌ يَنْقَعُ بِهَا الْمَتَسَلِّحُ، وَكَذَلِكَ الْغِفَارَةُ. وَقَالَ الْخَلِيلُ: الْمَغْفَرُ: زَفَرُ الْبَيْضَةِ. وَأَصْلُ الْغَفْرِ التَّغْطِيَةِ وَالسُّتْرِ. وَقَوْلُهُ «غَيْرُ دِرْعٍ» يَجُوزُ رَفْعُهُ، وَهُوَ الْوَجْهَ، عَلَى أَنْ يَكُونَ بَدَلًا، وَيَجُوزُ النُّصْبُ عَلَى الْإِسْتِثْنَاءِ.

٦ - أَقِيهِ بِنَفْسِي فِي الْحُرُوبِ وَأَتَّقِي بِهِدِيهِ إِنِّي لِلْخَلِيلِ وَضُولُ

هذا معنَى شَرِيفٍ حَسَنٍ. يَقُولُ: أَخْفَظُ مَقَاتِلَ فَرَسِي بِفَخْذِي وَرِجْلِي، وَأَتَّقِيهِ فِيمَا يَأْتِينِي بِمُتَّقِهِ. وَالْمَعْنَى: مَنْ أَرَادَ أَنْ يَصِيبَ مَقْتَلِي جَعَلْتُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ عُقًّا دَابَّتِي، كَمَا أَنَّ مَنْ أَرَادَ مَقْتَلَ فَرَسِي أَجْعَلُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ فَخْذِي وَرِجْلِي. ثُمَّ قَالَ: «إِنِّي لِلْخَلِيلِ وَضُولُ» أَيِ لَا أَخْذُلُهُ فِي الشَّدَائِدِ وَلَا أَتَنَفِّعُ بِهِ إِلَّا وَأَنْفَعُهُ. وَهَذَا مَثَلٌ. وَالْعَرَبِيُّ يُسَمِّي

(١) التبريزي: «غير درع ومغفر».

سَلَاخُهُ وَمَرْكُوبُهُ خَلِيلًا، عَلَى ذَلِكَ مَا أَتَشَدَّهُ الْأَصْمَعِيُّ، وَهُوَ: [الطويل]

وَإِنِّي كَمَا قَالَتْ نَوَارُ إِنَّ أَجْتَلْتُ عَلَى رَجُلٍ مَا شَدَّ كَفِّي خَلِيلَهَا^(١)

١٥٨ - وَقَالَ قَيْسُ بْنُ زُهَيْرٍ الْعَبْسِيُّ^(٢): [الوافر]

١ - لَعَمْرُكَ مَا أَضَاعَ بَنُو زِيَادٍ ذِمَارَ أَبِيهِمْ فَيَمْنُ يُضِيعُ

اللامُ من «لَعَمْرُكَ» لامُ الابتداء، وخبر المبتدأ محذوف، كأنه قال: لعمرُك قَسَمِي. يقول: وبقاتك ما ضَيَّعَ لهؤلاء العصابةُ من حقِّ أبيهم وشرَفِ أسلافهم، ما يوجب التذمُّرَ عند المحافظة عليه في جملة من يُضِيعُ حقوقَ آبائهم، وما أثلَّوه من مَفَاخِرِهِمْ ومحاسِنِهِمْ؛ بل حافظوا عليه بما ضَمُّوا مما استحدثوه وأطرفوه إليه. وحذف مفعول يُضِيعُ كأنه قال: فيمن يُضِيعُ الذَّمَارَ. ويُقال: فلانٌ حامي الذَّمَارِ، أي إذا ذَمَرَ وغَضِبَ حَمِي. وهذا كما يُقال، هو ثَبُتُ الْخَبَارِ، أي إذا حَصَلَ فِي الْخَبَارِ ثَبَتٌ. وقوله «ما أضاع» تَهَكُّمٌ أو تعريضٌ؛ لأنَّ الذين أخبر عنهم أشهرُ أَمْرًا وأعظمُ شَأْنًا مِنْ أَنْ يُقَالَ فِيهِمْ ذَلِكَ.

٢ - بَنُو جَنْبِيٍّ وَلَدَتْ سَيْوَفًا صَوَارِمَ كُلِّهَا ذَكَرَ صَنِيعُ

يَغْنِي وَلَدَ زِيَادِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نَاشِئِ الْعَبْسِيِّ، يقول: هم بنو امرأةٍ كأنَّها في فَضْلِهَا وَدَهَانِهَا مِنَ الْجَنِّ. وهذه المرأة هي فاطمة بنت الخُرْشُبِ الْأَنْمَارِيَّةِ، وهي إِحْدَى الْمُتَنَجِّبَاتِ مِنَ الْعَرَبِ، وكانت قد رأت في مَنَامِهَا كَأَنَّ قَاتِلًا قَالَ لَهَا: «أَعَشْرَةٌ هِدْرَةٌ، أَحَبُّ إِلَيْكَ أَمْ ثَلَاثَةُ كَعَشْرَةٍ» فلما انتهت اقتصت رؤياها على زوجها فقال لها: إِنْ عَاوَدَكَ فَقُولِي: بل ثَلَاثَةُ كَعَشْرَةٍ. فرجعت إلى المنام ورأت مثل ما رأت من قبل، فجعلت تَقُولُ فِي الْجَوَابِ: بل ثَلَاثَةُ كَعَشْرَةٍ. فولدت بنين ثَلَاثَةَ صَارَ كُلُّ مِنْهُمْ أَبَا لَقْبِيلَةٍ، وَمُعَظَّمًا فِي قَوْمِهِ وَعَشِيرَتِهِ، وَهُمْ رَبِيعُ الْحِفَاطِ، وَعُمَارَةُ الْوَهَّابِ، وَأَنْسُ الْفَوَارِسِ. وكما جعل الأمُ جَنْبِيَّةً لخروجها فيما أَتَتْ بِهِ عَنِ الْمَعْتَادِ مِنَ الْإِنْسِ جَعَلَ الْأَوْلَادَ سَيْوَفًا. ومعنى البيت: هم أولاد امرأةٍ ولدت رجالًا كأنهم في التَّفَاقُذِ سَيْوَفٌ قَوَاطِعُ، كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا ذَكَرُ الْحَدِّ، مَضْنُوعٌ صَقِيلٌ. و«صَنِيعٌ» كما اسْتَعْمِلَ فِي السَّيْفِ اسْتَعْمِلَ فِي الْخَيْلِ. يقال: صَنَعْتُ الْفَرَسَ، إِذَا ضَمَّرْتَهُ.

(١) للفرزدق في ديوانه ٦١:٢، واللسان (شكك) وتاج العروس (شكك).

(٢) التبريزي: «وقال قيس بن زهير في بني زياد الربيع وعمارة وأنس، وكان يقال لهم الكلمة».

٣ - شَرَى وَدَّى وَشَكَرِي مِنْ بَعِيدٍ لآخرِ غَالِبٍ أَبَدًا رِبِيع
يقال: شَرَيْتُ الشَّيْءَ بِمَعْنَى اشْتَرَيْتُ وَبِغَتْ جَمِيعًا، وَكَذَلِكَ بِغَتْ يَضْلُجُ
لِلأَمْرَيْنِ، وَمَنْ شَرَيْتُ الضَّرْوَى، وَهُوَ المِثْلُ، لَكِنْ لَامُهُ وَهُوَ يَاءٌ قُلَيْتَ وَآوًا، لِأَنَّ
فَعَلَى إِذَا كَانَ اسْمًا وَلَامُهُ يَاءٌ يَفْعَلُ بِهِ ذَلِكَ، فَرُفًا بَيْنَ الْأَسْمِ وَالصِّفَةِ، وَعَلَى هَذَا
قَوْلُهُمُ الْفَتَوَى فَيَقُولُ: اشْتَرَى رَبِيعُ الْحِفَاطِ عَلَى بُعْدِهِ مِنِّي، وَدَّى لَهُ، وَتَنَائِي عَلَيْهِ
وَعَلَى آخِرِ رُجُلٍ يَبْقَى مِنْ بَنِي غَالِبٍ أَبَدًا. وَقَوْلُهُ «مَنْ بَعِيدٍ» فِي مَوْضِعِ الْحَالِ. وَإِنَّمَا
قَالَ هَذَا لِأَنَّهُ نَالَهُ إِحْسَانَهُ وَوَجَبَ عَلَيْهِ شُكْرُهُ وَبَيْنَهُمَا مَسَافَةٌ وَبُعْدٌ.

١٥٩ - وَقَالَ هُدْبَةُ^(١): [الوافر]

١ - إِنِّي مِنْ قَضَاعَةٍ مَنْ يَكْذِبُهَا أَكْذَهُ وَهِيَ مِنِّي فِي أَمَانٍ
ليس يريد بهذا الكلام نسبة نفسه إلى قَضَاعَةٍ فَقَطْ، بَلْ يَرِيدُ اخْتِصَاصَهُ بِهِمْ،
وَتَعْصِبَهُ لَهُمْ. وَهَذَا كَمَا يَقَالُ: أَبَا مِنْ فُلَانٍ وَإِلَى فُلَانٍ، أَيِ ابْتِدَائِي مِنْهُ وَانْتِهَائِي إِلَيْهِ،
فَيَقُولُ: إِنِّي مُنْتَمٍ إِلَى قَضَاعَةٍ أَهْوَى هَوَاهَا، وَضَلَّيِي مَعَهَا، فَمَنْ عَادَاهَا أَوْ نَابَذَهَا
عَادِيَتُهُ وَنَابَذَتْهُ، وَهِيَ أَمَنَةٌ مِنْ مَكْرُوهِي وَأَذَايَ، إِذْ كُنْتُ أَتَعَطَّفُ عَلَيْهَا فِيمَا يَنْتَوِيهَا،
وَأَعْتَفِرُ زَلَاتِهَا فِيمَا يَتَّفِقُ مِنْهَا. وَهَذَا الْكَلَامُ فِي التَّنْبِيهِ فِي الْاِخْتِصَاصِ، وَالْإِبَانَةِ عَنْ
الطَّاعَةِ وَالْإِخْلَاصِ، مَنْ أَبْلَغَ كَلَامًا وَأَكْرَمَ إِيْنَاسًا. أَلَا تَرَى أَنَّهُ فَضَّلَ مَا أَجْمَلَ، وَفَسَّرَ
مَا أَبْهَمَ بِقَوْلِهِ «مَنْ يَكْذِبُهَا أَكْذَهُ وَهِيَ مِنِّي فِي أَمَانٍ»؟ وَهَذَا صِفَةُ جَوَارِحِ الْإِنْسَانِ مَعَ
جَمَلَتِهِ وَأَبْعَاضِهِ مَعَ كُلِّهِ، بِدَلَالَةٍ أَنَّهُ يَدَافِعُ مَنْ يَرِيدُ إِصَابَةَ أَحَدِهَا ثُمَّ هِيَ أَمَنَةٌ مِنْ جُنَايَتِهِ
عَلَيْهَا، أَوْ عَلَى شَيْءٍ مِنْهَا.

٢ - وَلَسْتُ بِشَاعِرِهِ السُّفْسَافِ فِيهِمْ وَلَكِنْ مِذْرَةَ الْحَرْبِ الْعَوَانِ
يقول: لَيْسَ مَحَلِّي مِنْهُمْ وَفِيهِمْ مَحَلٌّ شَاعِرٍ يُسْفِسِفُ الْقَرِيضَ، ثُمَّ يَقِفُ دُونَ
غَايَتِهِ بِالْيَدِ وَاللِّسَانِ. وَالسُّفْسَافُ: مَا لَا خَيْرَ فِيهِ مِنَ الْأَفْعَالِ وَالْأَقْوَالِ: وَفِي الْحَدِيثِ:
«إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُحِبُّ مَعَالِيَ الْأُمُورِ وَيُبْغِضُ سَفْسَافَهَا»^(٢). وَالْعَوَانُ مِنَ الْحَرْبِ: الَّتِي
قُوتِلَ فِيهَا مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى. فَإِنْ قِيلَ: أَيْنَ عَجَزَ الْبَيْتِ مِنْ صَدْرِهِ فِي النِّظَامِ، وَهَلَّا قَالَ
بَعْدَ مَا نَفَى عَنْ نَفْسِهِ مِنَ الشَّعْرِ الزَّكِيكِ: وَلَكِنِّي شَاعِرٌ الْمُتَخَيَّرِ الرِّصِينِ؟ قُلْتُ: إِنَّمَا

(١) التبريزي: «هَدْبَةُ بْنُ خَشْرَمٍ».

(٢) أَخْرَجَهُ السَّيُوطِيُّ فِي جَمْعِ الْجَوَامِعِ (٥١٩٢)، وَالْقَاضِي عِيَّاضُ فِي الشِّفَاءِ ٢: ٢٩٨.

المُرَاد التنبيةُ على فَضْلِهِ فِيهِمْ وَطَوْلِهِ، وعلى كفاية بيانه، وعلى غناء سِنَانِهِ. والحرب كما تقع بالضَّرَابِ والطَّعَانِ تقع بمجاذبة الحِجَاجِ عند الثَّفَارِ والفَخَّارِ. وأثر أن يقول: «ولكن مَذَرَهُ الْحَزْبُ» ليدخل تحته الأَمْرَانِ جميعاً. وقيل: المِذْرَهُ هو السَّيِّدُ الذي يُدْفَعُ به الشَّرُّ فينتظم به أُمُورُ الْحَزْبِ، ويقوم بأسباب الصُّحَابِ. وذكرَ بعضهم أنه من ذَرَهُ عَلَيْنَا، أي طلع. وقيل إنه من ذَرَأَ أي دَفَعَ، وأنَّ الهاء فيه بَدَلٌ من الهمزة. ويجوز أن يكون الكلام تعريضاً بإنسان نَقَى عن نفسه حَالَهُ وَأَثْبَاءً أَنَّ الأمر بخلافه.

٣ - سَأَهْجُو مِنْ هَجَاهُمْ مِنْ سِوَاهُمْ وَأَعْرِضُ مِنْهُمْ عَمَّنْ هَجَانِي
قوله «من سواهم» يتعلق مِنْ بِهِجَاهُمْ، وموضعه نَضَبٌ على الحال. ويحتمل معاني: يجوز أن يريد به مخالطاً لغيرهم؛ لأنَّ مِنْ هَذِهِ تَكُونُ لِلْمَلَابَسَةِ؛ على ذلك قولهم: أنت مِنِّي فرسخين، أي أنت مُخَالِطِي. يقوله الدليل والخفير. ويكون للولاء والثُغْرَةِ، على ذلك قول النابغة: [الوافر]

إِذَا حَاوَلْتَ فِي أَسَدٍ فُجُورًا فَلَمَنِي لَسْتُ مِنْكَ وَلَسْتُ مِنِّي

فيكون معنى «مِنْ سِوَاهُمْ» ناصراً لغيرهم. وتكون للثَّغْلِ والولادة. يقول هُجَمٌ مِنْ أَبٍ وَاحِدٍ وبعضهم مِنْ بَعْضٍ، فيكون المعنى منتسباً إلى غير أَصْلِهِمْ. وعلى هذا قوله «وَأَعْرِضُ مِنْهُمْ» يتعلق مِنْ بِهِجَانِي، ويكون الكلام في موضعه ومعناه على الحدِّ الذي بَيْنَاهُ. مَنْ تَعَرَّضَ لَهُمْ بِمَكْرِهِمْ أَوْ ذَكَرَهُمْ بِسُوءٍ فَلَمَنِي أَدَاغُهُ عَنْهُمْ، وَأَعَارَضَهُ دُونَهُمْ، وَأَقَاتَلَهُ عَنْ تَنَاوُلِهِ مِنْهُمْ، وَمَنْ تَعَرَّضَ لِي مِنْهُمْ فَلَمَنِي أَعْرِضُ عَنْهُ، وَأَضْفَحُ عَنْ غِيهِ فَلَا أُوَاجِدُهُ بِهِ، صِيَانَةٌ لَهُمْ، ومحافظة على ما يجمعني وإياهم.

١٦٠ - وَقَالَ عَمْرُو بْنُ كُلْثُومٍ^(١):

١ - مَعَاذَ الْإِلَهِ أَنْ تَسْأُوْنَا عَلَى هَالِكٍ أَوْ أَنْ نَضِجَ مِنَ الْقَتْلِ

مَعَاذَ اللَّهِ، مِنْ الْمَصَادِرِ الَّتِي لَا تَكُونُ إِلَّا مَنْصُوبَةً، وَضِعَتْ مَوْضِعًا وَاحِدًا مِنْ الْإِضَافَةِ عَلَى مَا تَرَى، وَلَا يَتَصَرَّفُ. وَالْعِيَاذُ فِي مَعْنَاهُ وَمِنْ أَصْلِهِ، وَهُوَ يَتَصَرَّفُ مَرْفُوعًا وَمَنْصُوبًا وَمَجْرُورًا، وَبِالْأَلْفِ وَاللَّامِ. وَانْتَصَبَ مَعَاذَ الْإِلَهِ عَلَى إِضْمَارِ فِعْلٍ

(١) عمرو بن كلثوم التغلبي: شاعر جاهلي من الطبقة الأولى، وكان من أعز الناس نفساً ومن الشجعان، وقد عَمَّرَ طويلاً. (ت نحو ٤٠ هـ / ٥٨٤ م). ترجمته في الأغاني ١١: ٥٢، والشعر والشعراء ص ٦٦.

تُرِكَ إظهاره. ويقولون: عائذًا بالله من شرّها، فيجري مَجْرَى عِيَاذًا بالله، كأنه قال: أعوذ بالله عائذًا وعِيَاذًا. ومن أبيات الكتاب: [البسيط]

أَلْحِقْ عَذَابَكَ بِالْقَوْمِ الَّذِينَ طَعَنُوا وعائذًا بك أن يَغْلُوا فَيُطْغُونِي^(١)

ويقال: عَذْتُ بالله عَوْدًا وَمَعَاذًا وَعِيَاذًا. ويقال: أَقَلْتُ منه عَوْدًا بفتحيتين، أي عائذًا، وَأَتَيْتُهُ عَوْدًا. وهذا الكلام تَبَرُّؤٌ من إظهار الجَزَعِ على قَتْلَاهُمْ، واستعمال البكاء والضَّجَاجِ في بَلْوَاهُمْ، وَتَصَبُّرٌ على نوائب الدهر، وانتفاء من تَكَرُّهِ الْقَتْلِ. يقول: نفوذُ بالله من نَوْحِ نَسَائِنَا على مُتَوَقِّئٍ منا مَفْقُودٍ، ومن ضَجِيجِنَا من الْقَتْلِ وَالْقِتَالِ، وكيف يكون أحدُ هَٰذَيْنِ مِنَّا وقد تَعَوَّدَتْ نَسَاؤُنَا الثُّكُلَ، ونَشَأْنَا في ممارسة الْحَرْبِ ومزاولتها. وفي طريقته قولُ الآخر: [الطويل]

إذا ما أَتَيْتَنِي مَبِيتَتِي لَمْ أَبَالِهَا ولم تُذَرِ خَالَاتِي الدُّمُوعَ وَعَمَّتِي^(٢)

٢ - قِرَاعُ السُّيُوفِ بِالسُّيُوفِ أَحَلَّنَا بِأَرْضِ بَرَاجٍ ذِي أَرَاكِ وَذِي أَثْلٍ
الأصلُ في الْبَرَاجِ الْأَرْضُ التي لا بناء فيها ولا عُمُرَان. وَالْمُقَارَعَةُ: مُضَارَبَةُ الْقَوْمِ في الْحَرْبِ. وكلُّ شَيْءٍ ضَرَبْتُهُ بِشَيْءٍ فَقَدْ قَرَعْتُهُ. وهذا على حَذْفِ الْمِضَافِ، كأنه قال قِرَاعُ أَصْحَابِ السُّيُوفِ بِالسُّيُوفِ. أَخْبَرَ عن نفسه وذويه بَأَن صَبَرَهُمْ في دَارِ الْجِفَافِ هو الذي أَنْزَلَهُمْ بِأَرْضٍ وَاسِعَةٍ ذَاتِ أَثْلٍ وَأَرَاكِ، وَصَرَفَهُمْ عن الْإِتِّجَاعِ وَتَطَلُّبِ الْخُضْبِ في الْمَظَانِّ. وهذا صَرِيحٌ ما قاله غَيْرُهُ، وهو: [الطويل]

أَنَحْنَا فَحَالَفْنَا السُّيُوفَ عَلَى الدَّهْرِ^(٣)

والأَرَاكِ: شَجَرٌ تُتَّخَذُ مِنْهُ الْمَسَاوِيكُ. ويقال: إِبْلٌ أَوَارِكٌ، إذا اعتادت أَكْلَهَا. وَالْأَثْلُ أَيْضًا: شَجَرٌ. وهذا كما قال الآخر: [الكامل]

وَتَحُلْ في دَارِ الْجِفَافِ بِيُوثُنَا زَمْنَا وَيَطْعَنُ غَيْرُنَا بِالْأَمْرِجِ^(٤)

(١) لعبد بن الحارث السهمي في الكتاب ١: ٣٤٢، واللسان (عوذ)، وبلا نسبة في شرح أبيات سيبويه ١: ٣٨١، وشرح المفصل ١: ١٢٣.

(٢) للشنفرى في المفضليات ١: ١١٠.

(٣) البيت الثاني في الحماسة رقم (١٠٨). وهو ليحيى بن منصور. وصدرة: «ولمّا نأت عنا العشيرة كلها»

(٤) للحادرة الدياني في المفضليات ١: ٨.

وَبَّهَ بِذِكْرِ الْأَرْضِ الْبَرَّاحِ عَلَى أَنَّهُمْ غَيْرُ مُحْتَجِزِينَ بِحُصُونٍ وَلَا قِلَاحٍ، وَلَا مَمْتَنِعِينَ بِهَضَابٍ وَلَا جِبَالٍ. وَالْأَثَلُ وَالْأَرَاكُ يَنْبُتَانِ فِي السَّهْلِ أَكْثَرُ، فَوَكَّدَ بِذِكْرِهِمَا الْمُرَادَ، وَجَعَلَ الْبَرَّاحَ بَلًّا مِنْ قَوْلِهِ «بَارِضٍ» وَلِذَلِكَ قَالَ «ذِي أَرَاكِ» وَلَمْ يَقُلْ ذَاتِ.

٣ - فَمَا أَبَقَتِ الْأَيَّامُ مِلْمَالٍ جِئْنَا سِوَى جَذَمِ أَذْوَادٍ مُحَذَفَةِ النُّسْلِ
أَرَادَ بِالْأَيَّامِ الْوَقَعَاتِ. وَقَوْلُهُ «مِلْمَالٍ» أَرَادَ مِنَ الْمَالِ، فَجَعَلَ الْحَذْفَ بَدَلًا مِنَ الْإِدْغَامِ لَمَّا تَقَى بِالنُّونِ وَاللَّامِ حَرْفَانِ مُتَقَابِلَانِ، الْأَوَّلُ مُتَحَرِّكٌ وَالثَّانِي سَاكِنٌ سَكُونًا لَازِمًا. وَالْمَعْنَى: مَا بَقِيَ تَأْثِيرُ الْحَوَادِثِ وَتَكَبَّاتُ الْأَيَّامِ عِنْدَنَا مِنْ أَصُولِ الْمَالِ وَمُقْتَنِيَاتِهَا، إِلَّا بَقَايَا أَذْوَادٍ قَطَعَ الضَّرُّ نَسْلَهَا، وَتَمَكَّنَ الْهُزَالُ وَسُوءُ الْحَالِ مِنْهَا، فَهِيَ عَلَى شَرَفٍ فَنَاءٍ وَذَهَابٍ. وَالْجَذْمُ: الْأَصْلُ. وَالْأَذْوَادُ: جَمْعُ الدُّودِ، وَالدُّودُ يَقَعُ عَلَى مَا دُونَ الْعَشْرَةِ. وَقَالَ أَكْثَرُ أَهْلِ اللُّغَةِ: إِنَّهَا تَقَعُ عَلَى الْإِنَاثِ دُونَ الذُّكُورِ. وَبَعْضُهُمْ يَجُوزُ وَقُوعَهَا عَلَى الذُّكُورِ أَيْضًا، وَمَا فِي الْبَيْتِ يَشْهَدُ لِلأَوَّلِ.

٤ - ثَلَاثَةُ أَثْلَاثٍ فَأَثْمَانُ خَيْلِنَا وَأَقْوَانَا وَمَا نَسُوقُ إِلَى الْعَقْلِ
أَرَادَ: أَمْوَالُنَا ثَلَاثَةُ أَثْلَاثٍ، فِيرْتَفِعُ الثَّلَاثَةُ عَلَى أَنَّهُ خَبِرَ مُبْتَدَأَ مُحذوفٍ، وَمَا بَعْدَهَا تَفْسِيرٌ لَهَا وَتَفْصِيلٌ. وَبَّهَ بِمَا أَوْرَدَ وَقَسَمَ عَلَى الْوَجْهِ الَّتِي انصَرَفَتْ إِلَيْهَا أَمْوَالُهُمْ فَأَفْتَنَتْهَا، وَالطَّرْقُ الَّتِي تَوَزَّعَتْهَا فَقَلَّلَتْهَا، فَقَالَ: افْتَرَقَتْ أَمْوَالُنَا فِرْقًا ثَلَاثًا ففِرْقَةٌ مِنْهَا صَرَفْنَاهَا إِلَى أَثْمَانٍ خَيْلِنَا لِأَنَّا غَزَاوُنَ، وَمُعَالَجُو حُرُوبٍ، فَلَا نَسْتَغْنِي عَنْهَا؛ إِذْ كَانَ جَدُّنَا وَهَزَلْنَا مِنْهَا وَبِهَا. وَفِرْقَةٌ مِنْهَا حَبَسْنَاهَا عَلَى أَقْوَانِنَا وَمَعَايِشِنَا؛ لِأَنَّ الْعَقَاةَ وَالزُّوَارَ كَانَتِ تَتَابُنَا وَتَتَنَاوَبُ عَلَيْهَا حَتَّى تَسْتَغْرِقَهَا، لِأَنَّ إِقَامَتَنَا بِدَارِ الْحِفَافِ شَغَلَتْنَا عَنِ الْغَزْوِ وَاجْتِنَابِ الزِّيَادَةِ إِلَيْهَا. وَفِرْقَةٌ مِنْهَا وَجَّهْنَاهَا إِلَى الدِّيَاتِ، وَأَرْوَشُ الْجِنَايَاتِ الَّتِي كَسَبَتْهَا أَيْدِينَا، وَاجْتَرَحْنَاهَا رِمَاحُنَا، إِذْ كُنَّا لِعِزِّنَا وَمُنْعَتِنَا لَا يُطَمَعُ فِي الْاِقْتِصَاصِ مِثْلًا. وَمِثْلُ هَذَا قَوْلُ الْآخَرِ: [البسيط]

نَاسُوا بِأَمْوَالِنَا آثَارَ أَيْدِينَا^(١)

(١) الْبَيْتُ السَّابِعُ مِنَ الْحِمَاسَةِ رَقْمُ (١٤) لِبِشَامَةِ النَّهْشَلِيِّ. وَصَدْرُهُ:

«بَيْضُ مَفَارِقِنَا تَغْلِي مَرَاجِلِنَا»

١٦١ - وقال المثلّم بن عمرو^(١): [المنسرح]

١ - إني أرى الله أن أموت وفي صدري هم كانه جبل
يقول: يابى الله عز وجل لي الاخترام وفي نفسي هم عظيم لا أسعى في إمضائه وتنفيذه. ويغني بذلك دما يطلبه، أو حقدًا ينقضه، أو متى من عدوه يذركه. وهذا الكلام وعيد وإيدان بأنه مجتهد في الطلب، وزاج ألا يحول الأجل بينه وبين الأمل، بما عوده الله من الصنع والظفر بالمطلوب. والواو من قوله «وفي صدري» واو الحال. وموضع «كانه جبل» صفة لله. والهـم يجوز أن يكون مضدر همت بالشيء، ويجوز أن يكون واحد الهوم.

٢ - يمني لي لذة الشراب وإن كان قطابا كانه العسل
هذا من صفة الهـم. يقول: يصدني ذلك الهـم عن التلذذ بالشراب، وإن طاب وصار مزاجا كالعسل يستحلى ولا يتكره. ومثله لأبي ذؤيب: [الطويل]
فجاء بمنزج لم ير الناس مثله^(٢)

جعل ما يمزج به مزجا. ورواية الأصمعي «مزجا» بكسر الميم. فالمزج كالمزاج والقطاب، سماء بما يستصلح له من ذلك أو يفعل به من بعد. وإنما قال هذا لأن الواحد منهم إذا أصيب بمن يمسّه أو وّرّ فيمن يقرب منه ويختصه، كان يعقد على نفسه نذرا في مجانية بعض اللذات أو أكثرها، من معاورة الشراب أو مجامعة النساء أو ما يجري مجراهما، إلى أن ينال المراد، ويحصل المتراد. ويقال قطبت الشراب، أي مزجته. ويروى: «وإن كان رصابا». ويجوز أن يريد به ماء قم محبوب. ويجوز أن يريد ماء محلّه في جنسه ذلك المحل من الشراب.

٣ - حتى أرى فارس الصموت على أكسائ خيل كانه الإبل
حتى تعلق إن شئت بقوله أرى الله، وإن شئت تعلق بيمينني، والتقدير في الوجهين: يابى الله موتي حتى أرى هذا الأمر، أو يمينني الهـم اللتذاد بالشراب حتى

(١) التبريزي: «المثلّم بن عمرو التنوخي».

(٢) لأبي ذؤيب الهذلي في شرح أشعار الهذليين ص ٩٦، واللسان (مزج، فطظ، ضحك، سحل)، وتهذيب اللغة ٩٠: ٤. وعجزه:

«هو الضحك إلا أنه عمل النحل»

أراه وأشاهدَه. والصُّمُوت: اسمُ قَرَسِه. ويعني بفارسه نفسَه. وأكساء الخيل: أدبارها. ويقال هو يَكْسُوهُ وَيَذْبُرُهُ وَيَذْبُثُهُ، أي يكونُ في أثره. وحكى الخليل أكسأته الخيل. والمعنى: لا يكون ذلك حتى أرى نفسي تَرَكُضُ في أدبار خَيلٍ منهزمةٍ وتَسوقُها، كما تُساق الإبلُ. وقيل شَبَّهَها بالإبل في عِظَمِ خَلْقِها وإشرافِها. والكلام على هذا يُرادُ به خيل مخصوصةٌ يتوَعَّدُها ويعيِّنُ عليها.

٤ - لا تحسبني مُحَجَّلًا سَبِطَ الـ سَاقِينَ أَبْكِى أَنْ يَظْلَعَ الْجَمَلُ

هذا توَعَّدٌ وتعريضٌ بالمخاطَب. المحجَّل، يجوز أن يكون مأخوذاً من الحِجَل الذي هو القَيْد، ومن الحِجَل الذي هو الخَلْخَالُ، ويجوز أن يكون من الحَجَلَة. والمعنى: لا تظنني إنساناً مُتَرَفِّحاً مُتَعَمِّلاً لا عَنَاءَ عِنْدَه، ولا كفايةَ لَدَيْه، ولا رأيي يُسْتَنَدُ إليه، ويعوَّلُ في المهمَّات عليه، فهو في العجز كالمنوع المُقَيَّد، وكالمرأة المَخْلُخَلَة، وكالمخدَّر الملازم للحجال والفرش يجزع - لضعف نُهوِضه، وسقوط قُوَّاه، وسوء بصيرته - من ظَلَعِ جَمَلِه فَضْلاً من غيره. وقوله «أبكي أن يَظْلَعَ الْجَمَلُ» صَرَفَ الكلامَ إلى الإخبار عن نفسه، ولو قال «يبكي أن يَظْلَعَ» لَتَرَكَّ الاستمرار في صفة المحجَّل جارياً على حَدِّه، غير متحوِّل عنه، وكان الكلام أحسنَ في قِرَانِ النَّظْمِ.

٥ - إِنِّي امْرُؤٌ مِنْ تَتَوَخَّ نَاصِرُهُ مُخْتَمِلٌ فِي الْحُرُوبِ مَا احْتَمَلُوا

قوله «من تتوخ» أي اتَّسَبَ إليها، وأهْوَى هَوَاهَا. و«ناصرُهُ» نَكْرَة لأن إضافته إضافة تخفيف لا إضافة تعريف، والتثوين منويٌّ فيه، أراد: ناصرٌ له. وقوله: «ما احتملوا» أراد: ما احتملوه، فحذَفَ المفعولَ لطول الصَّلَة. والمعنى: إِنِّي مخالطُهُم وناصرٌ لهم، وصابرٌ على ما يَصْبِرُونَ عليه، وناهُضٌ تحت الْعِبَاءِ الذي ينهضون فيه.

١٦٢ - وقال عبد الله بن سيرة^(١): [الطويل]

١ - إِذَا شَالَتْ الْجَوَازُ وَالنَّجْمُ طَالِعٌ فَكُلُّ مَخَاضَاتِ الْفُرَاتِ مَعَابِرُ

(١) التبريزي: «قال أبو رياش: كان عبد الله بن سيرة أحد فتاك العرب في الإسلام، وكان رجل من الروم يقال له سعد الطلائع يأتي صاحب الصوائف، فيقول سعد لصاحب الصوائف: ابعت معي جنداً أدلهم على عورات الروم، فيتوغل بهم. فانتدب عبد الله بن سيرة ومضى معه حتى انتهى إلى غيضة، فقال لعبد الله: ادخل، فقال عبد الله: أنا الدليل أم أنت؟ فأبى وعرف عبد الله ما أراد فقتله».

٢ - وَأَنَسِي إِذَا ضَنَّ الْأَمِيرُ بِإِذْنِهِ عَلَى الْإِذْنِ مِنْ نَفْسِي إِذَا شِئْتُ قَادِرِ
أراد بالنجم الثريا، وأكثر ما يعترض هذه اللفظة في استعمالهم مُعَرِّفًا يُرَادُ به
الثريا لا غير، أَلَا تَرَى قول الهذلي: [الكامل]

فَوَزَدَنَ وَالْعَيُوقُ مَقْعَدَ رَابِيءِ الدَّ ضَرْبَاءِ خَلَفَ النُّجْمَ لَا يَتَتَلَعُ^(١)
والجوزاء سُمِّيَتْ بذلك لِأَنَّ وَسَطَهَا أبيض. وَجُوزَ كُلُّ شَيْءٍ: وَسَطُهُ.
وَالْوَقْتُ الذي يشير إليه يشتد فيه الحر. لذلك قال ساجعهم: «إِذَا طَلَعَ النُّجْمُ،
فَالصَّيْفُ فِي حَذْمٍ، وَالْعُشْبُ فِي حَظْمٍ». فَكَأَنَّ قَاتِلَ هَذَا الشَّعْرِ اسْتَأْذَنَ صَاحِبَهُ فِي
الانتقال إِلَى الْبَدْوِ فَلَمْ يَأْذُنْ لَهُ، فَأَخَذَ يَتَشَكَّى عَنْ مُرَادِهِ بِهَذَا الْكَلَامِ وَيَتَوَجَّدُ.
ويقول: إِذَا تَنَاهَى الْحَرُّ وَارْتَفَعَتِ الْجُوزَاءُ فِي أَوَّلِ اللَّيْلِ إِلَى كَيْدِ السَّمَاءِ، وَطَلَعَ
الثُّرَيَّا عِنْدَ السَّحَرِ، فَكُلُّ مَخَاضَةٍ مِنْ جَوَانِبِ الْفُرَاتِ مَغْبَرٌ لِي أَهْرُبُ فِيهِ؛ لِأَنَّ
تَضُوبَ الْمَاءِ وَنَقْصَانَهُ يَكُونُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ. وَقَوْلُهُ «وَالنُّجْمُ طَالَعٌ» لَوْ وَلَّيْتُهُ «إِذَا»
فَقِيلَ إِذَا النُّجْمُ طَالَعٌ، لَمْ يَضْلُحْ؛ لِأَنَّ الْجُمْلَةَ الَّتِي يُبَيِّنُ بِهَا إِذَا لَا بُدَّ فِيهَا مِنْ
فِعْلٍ، لَمَّا يَتَضَمَّنُ مِنْ مَعْنَى الشَّرْطِ وَالْجُزَاءِ. تَقُولُ آتِيكَ إِذَا زَيْدٌ يَأْمُرُ. وَلَوْ قُلْتَ:
آتِيكَ إِذَا زَيْدٌ أَمِيرٌ لَمْ يَضْلُحْ؛ لَكُنْهُ لَمَّا انْعَطَفَ عَلَى قَوْلِهِ «شَالَتْ الْجُوزَاءُ» حَسَنٌ
خَفَلًا عَلَى الْمَعْنَى، كَأَنَّهُ قِيلَ: وَطَلَعَ النُّجْمُ. وَهَذَا إِذَا كَانَ الْوَاوُ فِيهِ لِلْعَطْفِ،
وَيَجُوزُ أَنْ يُجْعَلَ الْوَاوُ وَاوَ الْحَالِ، يُرِيدُ إِذَا شَالَتْ الْجُوزَاءُ فِي حَالِ طُلُوعِ النُّجْمِ.
وَالْعَامِلُ فِي «إِذَا» مَا دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: «فَكُلُّ مَخَاضَاتِ الْفُرَاتِ مَعَابِرُ». وَقَوْلُهُ: «وَإِنِّي
إِذَا ضَنَّ الْأَمِيرُ»، يَقُولُ: إِذَا تَمَتَّعَ الْأَمِيرُ مِنَ الْإِذْنِ لِي، وَصَدَّنِي الْوَقْتُ عَنْ مُرَادِي،
وَلَمْ أَقْدِرْ عَلَى جَوَازِ الْمَسَالِحِ وَالْمَرَاصِدِ، لَكُونَهَا مَشْحُونَةً بِالْمُرْتَبِينَ فِيهَا، انْتَهَرْتُ
غَيْضَ الْمَاءِ وَجَزَرَهُ فِي الْفُرَاتِ، وَإِمَّا كَانَ الْمَخَاضَاتِ مِنَ الْعُبُورِ وَالذَّهَابِ، فَحِينَئِذٍ
أَدْنُ لِنَفْسِي وَأَهْرُبُ. وَإِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ لِأَنَّ الْمَشَارِعَ لَا تُضْبَطُ كَمَا تُضْبَطُ الْجُسُورُ
وَمَضَائِقُ الطُّرُقِ.

١٦٣ - وقال الربيع بن زياد العبسي: [المقارب]

١ - حَرَّقَ قَيْسٌ عَلَيَّ الْبَلَا دَحْنِي إِذَا اضْطَرَمْتُ أَجْدَمًا

(١) لأبي ذؤيب في خزانة الأدب ١: ٤١٨، وشرح أشعار الهذليين ١: ١٩، وشرح اختيارات
المفضل ١٧٠٢، واللسان (تلع، ضرب، رقب).

يقول: أَلْهَبَ قيس بن زهير البلادَ عليّ نازًا تتوهّجُ، فلَمَّا اسْتَعَرَتْ وتَأَجَّجَتْ هَرَبَ وترَكَنِي أضطلي بها وإنما قال هذا لأنّ قَيْسًا ترك أرضَ العَرَبِ وانتقل إلى عَمَّانَ بعد إثارة الفِتْنِ واحتياج الشر، في سَبَقِ داحس. والإجذام: الإسراعُ في السَّيرِ، وجعله مثلاً لانزوائه ونَفْضِهِ اليَدَ مما كَانَ لَابَسِهِ وتولّاهُ من إيقاد نار الحزبِ بين الفريقين.

٢ - جَنِيَّةُ حَرْبٍ جَنَّاها فما تُفَرِّجُ عنه وما أَسْلِمَا

جَنِيٌّ: فَعِيلٌ في معنى مفعول، لكنّه أَلْحَقَ الهاءَ به لأنّه جعله اسمًا، كما أَلْحَقَ بالْبَيْتَةِ وهي الكعبة، وبالذَّبِيحَةِ والنطيحة. وهذا اعتدادٌ على قَيْسٍ بما جَنَّاهُ، وتحمُّدٌ بما أتاها، وامتنانٌ بأنّه لَمْ يَقْعُدْ عن نُصْرَتِهِ، ولم يَخْذُلْهُ وقت حاجته، ولم يَخْلِهِ للأعداءِ وقت إقامتِهِ، ولا تَرَكَ النِّيَابَةَ عنه واعتناقِ الأمرِ بعد غيبته، بل نهَضَ في الشرِّ والقتالِ ما اتَّصَلَ نهوضُهُ، وتفرَّدَ بالدِّفاعِ عنه عند قُتُورِهِ ونُفُورِهِ. وقوله «فما تُفَرِّجُ عنه»، أي ما تُفَرِّقُ عنه ولا تُكْشِفُ.

٣ - عَدَاةَ مَرَزَتْ بِآلِ الرِّبَا بِ تُعْجَلُ بِالرَّكْضِ أَنْ تُلْجِمَا

أَقْبَلَ يَخاطِبُ بعد ما كان يُخَيِّرُ، على عاداتهم في تصاريف كلامهم، وقوله «عَدَاةَ مَرَزَتْ» ظَرَفٌ لما دَلَّ عليه أَجْذَمًا. أي هَرَبَتْ في ذلك الوقت والأوان. و«تُعْجَلُ» في موضع الحال. والمعنى: اجتَرَزَتْ بِآلِ هذه المرأةِ مُسْتَعْجَلًا بِرَكْضِ الأعداءِ في أَثَرِكَ، حتّى لم تَتَسِعْ لِلْجَامِ دَائِيكَ، ولم تَأْمَنَ رَيْثَ إِصْلَاحِ أَمْرِكَ، والتهيؤُ لنجاتك. وقوله «أَنْ تُلْجِمَ» في موضع النَّصبِ مِنْ تُعْجَلُ، وكان الواجب أَنْ يَقُولَ تُعْجَلُ بِالرَّكْضِ عن أَنْ تُلْجِمَ، فحذَفَ الجارَ ووصلَ الفِعْلَ فَعَمِلَ. وفي القرآن: ﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يٰمُوسَىٰ﴾ ﴿٨٧﴾ [طه: الآية ٨٣].

٤ - وَكُنَّا فَوَارِسَ يَوْمِ الْهَرِيرِ ر إِذْ مَالَ سَرْجُكَ فَاسْتَقْدَمَا^(١)

يَوْمُ الْهَرِيرِ^(٢) معروف. وإنما قال كنا فُرسانَ هذا اليوم، لِمَا كان عُرِفَ من جميل بلائهم، وحُسن ثباتهم فيه ووفائهم، وليذْكَرَ بتبريزهم حين نَكَّصُوا على أعقابهم، وقَصُرُوا عن شأْوهم. وَذَكَرُ مَيْلِ السَّرْجِ مَثَلٌ، وقولُ جرير يَشْهَدُ لذلك

(١) التبريزي: «فكنا».

(٢) التبريزي: «وليلة الهرير في الإسلام ليلة من ليلي صفين».

وَيَكْشِفُهُ، حين قال: [الكامل]

قُلْ لِلْجَبَانِ إِذَا تَأَخَّرَ سَرْجُهُ هَلْ أَنْتَ مِنْ شَرِّكَ الْمَنِيَّةِ نَاجٍ
والمراد اضطراب الأمر وفشل الرأي وتمكُّن الخوف والدَّهْشِ من المنهزم،
ونزوله عما يَهُمُّ بركوبه. وفي طريقته قول الآخر: [البسيط]

لَا تَجْعَلُونَا إِلَى مَوْلى يَحُلُّ بِنَا نَقْدَ الْحِزَامِ إِذَا مَا لَيْدُهُ مَا لَا
وكما جَعَلَ الحِزَامَ مَثَلًا لتدَارُك الأمر وتلافي فائِده على الوجه الذي تَرَاهُ، جَعَلَ
تَرَكَ شَدَّ الحِزَامِ عندما يَطْرُق أو يَتَوَبُّ مَثَلًا لِلتَّحَرُّمِ والتجمُّع قبل نُزُولِ الْخَطْبِ، حَتَّى
إِذَا بَدَتْ أَغْنَاؤُهُ لَا يَحْتَاجُ إِلَى اسْتِثْنَائِ شَيْءٍ لِتَمَامِ أَهْيَتِهِ. وعلى ذلك قولُ لَامِرِيِّ
الْقَيْسِ: [الكامل]

أَقْصِرْ إِلَيْكَ مِنَ الْوَعِيدِ فَإِنِّي مِمَّا أَلَاقِي لَا أَشَدُّ حِزَامِي^(١)
فَتَأْمَلُ مَا فَتَحْنَا مِنْهُمْ تَنْلُ كُلَّ فَائِدَةٍ، وَتُظَفِّرُ بِكُلِّ غَنِيْمَةٍ. ويقال: اسْتَقْدَمَ بمعنى
تَقَدَّمَ، وفي ضِدِّهِ اسْتَأَخَّرَ بمعنى تَأَخَّرَ. والمعنى: كُنَّا فُرْسَانًا هَذِهِ الْوَقْعَةِ فِي هَذَا الْيَوْمِ
الْمَشْهُورِ، حِينَ كُنْتُ لِلشَّرِّ مُغَوَّرًا، وَعَلَى شَفَا الْبَلَاءِ مُوَفِّيًا.

هـ - عَطَفْنَا وَرَاءَكَ أَفْرَاسَنَا وَفَدَّ أَسْلَمَ الشُّفَّتَانِ الْفَمَا
يقول: تَعَطَّفْنَا عَلَيْكَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، وَدَافَعْنَا دُونَكَ، وَقَدْ كَثُرَتْ الْأَسْنَانُ
وَأَسْلَمْتُهَا الشِّفَاهُ، تَقَلُّصًا عَنْهَا وَيُوسَةً حَادِثَةً فِيهَا. وَذَكَرُ الْفَمِ كُنَايَةً عَنِ الْأَسْنَانِ؛ كَمَا
يُقَالُ: فَضَّ اللَّهُ فَاهُ. وَيُقَالُ فِي هَذَا الْمَعْنَى: ذَبَّتِ الشِّفَاهُ^(٢). وَمِثْلُهُ قَوْلُ عَنَتْرَةَ:
[الكامل]

إِذْ تَقْلِصُ الشُّفَّتَانِ عَنْ وَضَحِ الْفَمِ^(٣)
وَالْوَاوُ مِنْ قَوْلِهِ قَدْ أَسْلَمَ الشُّفَّتَانِ وَآوِ الْحَالِ. وَالِاسْتِعَارَةُ بِإِسْلَامِ الشُّفَّتَيْنِ فِي
نَهَايَةِ الْحُسْنِ.

(١) لَامِرِيُّ الْقَيْسِ فِي دِيَوَانِهِ ١١٧، وَأَسَاسُ الْبَلَاغَةِ (حَزَمَ).

(٢) ذَبَّتِ الشِّفَاهُ: ذَبَلَتْ وَجَفَّتْ مِنَ الْعَطَشِ.

(٣) وَصَدَرَهُ:

٦ - إِذَا نَفَرْتَ مِنْ بَيَاضِ السَّيُو ف قُلْنَا لَهَا أَقْدِمِي مُقَدَّمَا

يقول: إِذَا جَبُنْتُ خَلَيْتُنَا وَحَادَتْ عَنْ تَلَالُؤِ السِّيُوفِ وَبَرِيقِ الشَّمْسِ وَشُعَاعِهَا فِي السَّلَاحِ، وَهَرِيرِ الْأَبْطَالِ وَتَدَاعِيهَا، أَكْرَهْنَاهَا عَلَى الْإِقْدَامِ. وَذَكَرُ الْقَوْلِ هُنَا كِنَايَةً عَنِ الْفِعْلِ، وَهَذَا كَمَا يُقَالُ: قَالَ بِرَأْسِهِ كَذَا، إِذَا حَرَّكَه، وَقَالَ بِسَوْطِهِ، إِذَا أَشَارَ بِهِ. وَالْمُقَدَّمُ وَالْإِقْدَامُ بِمَعْنَى. وَحَقِيقَةُ الْكَلَامِ إِذَا نَفَرْتَ قَدَّمْنَاها تَقْدِيمًا.

١٦٤ - وَقَالَ الشَّنْفَرِيُّ^(١):

١ - لَا تَغْبِرُونِي إِنْ قَبِرِي مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ وَلَكِنْ أَبْشِرِي أُمَّ عَامِرٍ

يقال: قَبِرْتُ الْإِنْسَانَ، إِذَا دَفَنْتَهُ؛ وَأَقْبَرْتُهُ إِذَا جَعَلْتُ لَهُ مَوْضِعَ قَبْرِ، وَفِي الْقُرْآنِ: ﴿ثُمَّ أَنَاَ لَهُ فَاقْبَرُ﴾ [عَبَسَ: الْآيَةُ ٢١]. وَالشَّاعِرُ كَأَنَّهُ نَبَّهَ بِهَذَا الْكَلَامِ عَلَى أَنَّهُ يَمُنُّ بِقَتْلِ وَيُتْرَكُ بِالْعَرَاءِ لَا يَزِيهِ لَهُ شَقِيقٌ، وَلَا يَرِثِيهِ نَسِيبٌ وَلَا رَفِيقٌ، فَيَأْتِيهِ عَوَافِي السَّبَاعِ وَالطَّيْرِ. فَخَاطَبَ أَصْحَابَهُ وَقَالَ: لَا تَدْفِنُونِي إِنْ دَفَنْتَنِي مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ، يَرِيهِمْ اسْتِغْنَاءَهُ عَنْهُمْ حَيًّا وَمَيِّتًا، وَرِفْعَةَ نَفْسِهِ عَنِ الِاسْتِنَامَةِ إِلَيْهِمْ وَالِاعْتِمَادِ عَلَيْهِمْ، وَذَهَابَهُ عَنْهُمْ فِعْلَ الْمَجَانِبِ لَهُمْ، الْبَعِيدِ مِنْهُمْ. ثُمَّ قَالَ «لَكِنْ أَبْشِرِي أُمَّ عَامِرٍ»، أَيِ وَلَكِنْ الضُّبُعُ تَأْكُلُ لَحْمِي فَأَبْشِرِي أُمَّ عَامِرٍ، جَعَلَهُ كَمَا هُوَ لَقَبُ الضُّبُعِ. وَمَوْضِعُهُ مِنَ الْإِعْرَابِ مُبْتَدَأٌ وَالْخَبَرُ مَحْذُوفٌ، وَهُوَ يَأْكُلْنِي وَتَتَوَلَّى أَمْرِي وَنَحْوُهُ. وَهَذَا فِي أَنَّهُ جُمْلَةٌ جُعِلَتْ لَقَبًا وَفِي أَنَّ شَرْطَهَا أَنْ تُحْكَى، كَتَابُطُ شَرًّا وَمَا أَشْبَهَهُ. وَإِنَّمَا جُعِلَتْ لَقَبًا لَهَا لِأَنَّ الْعَادَةَ فِي اصْطِيَادِ الضُّبُعِ أَنْ يَقْصِدَ وَجَارَهَا وَيُخَفِّرَ وَهِيَ تَتَأَخَّرُ شَيْئًا شَيْئًا. وَالصَّائِدُ يَقُولُ: أُمِّ عَمْرٍ لَيْسَتْ هُنَا؟ أَبْشِرِي أُمَّ عَامِرٍ بِشَاءٍ هَزْلِيٍّ، وَجَزَادٍ عَظْلِيٍّ؛ خَامِرِي أُمَّ عَامِرٍ لَيْسَتْ هُنَا؟ فَلَا يَزَالُ يَخْفِرُ الْوَجَارَ، وَيَكْرُرُ هَذَا الْكَلَامَ؛ وَالضُّبُعُ تَتَأَخَّرُ حَتَّى تَبْلُغَ أَقْصَى وَجَارَهَا فَتَخْرُجَ حِينَئِذٍ بِأَغْلَظِ عُنْفٍ. وَلَمَّا كَانَ الْأَمْرُ عَلَى هَذَا فِي اصْطِيَادِهَا لَقَبَهَا بِبَعْضِ مَا تُخَاطَبُ بِهِ فِي تِلْكَ الْحَالِ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: لَا تَقْرِبُونِي إِذَا مِتُّ فَقَدْ حَرَمْتُ دَفْنِي عَلَيْكُمْ، وَلَكِنْ الَّذِي يُقَالُ لَهُ أَبْشِرِي أُمَّ عَامِرٍ وَلِي أَمْرِي دُونَكُمْ. فَهَذَا وَجْهٌ حَسَنٌ إِلَيْهِ يَذْهَبُ الْحَذَاقُ مِنْ أَصْحَابِ الْمَعَانِي. وَحَكَى سَبِيوِيهِ عَنِ الْخَلِيلِ فِي

(١) الشنفرى الأزدي: عمرو بن مالك، من قحطان، شاعر جاهلي من فحول الطبقة الثانية، وكان من فئاة العرب وعدائهم (ت نحو ٧٠ ق.هـ/ ٥٢٥ م) ترجمته في الأغاني ٢١: ١٣٤، وخزانة الأدب ٢: ١٦.

قول الأخطل: [الكامل]

ولقد أبيت من الفتاة بمعزل فأبيت لا حرج ولا محروم^(١)
أنه قال: أبيت الذي يقال له لا حرج، فحكى. ثم قال: يقويه في ذلك قول
الأخطل: [الطويل]

على حين أن كانت عُقيلٌ وشائظًا وكانت كِلَابَ خَامِرِي أُمِّ عَامِرٍ^(٢)
لأنه أراد كانت كِلَابَ التي يقال لها خَامِرِي أُمِّ عَامِرٍ، فحكى ذلك الكلام وكنى
به عن الضُّع. ويحتمل أن يكون البيت على كلامين، كأنه قال: لا تدفوني، مخاطبًا
أصحابه ورفقاءه، وليس يُريدُ تَهَبُّهُم عن ذلك؛ ولكن يريد كَشْفَ حَالِهِ لَهُم، وبيانَ
عَاقِبَةِ أَمْرِهِ فِيهِمْ. ثم أَقْبَلَ على الضُّع فقال: أَبْشِرِي يَا أُمِّ عَامِرٍ، فَإِنَّكَ تَأْكُلِينَ مِنِّي.
ويكون هذا في تحويل الكلام عن شيء إلى آخر، كقول الله عز وجل: ﴿يُؤَسِّفُ
أَعْرَضَ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكَ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ [يوسف: الآية ٢٩]،
فاعلم ذلك تنتفع به إن شاء الله. ويقال: بَشَّرْتُهُ فَأَبْشَرَ، كما يُقال: قَطَرْتُهُ فَاظْطَرَّ.
ويقال: بَشَّرْتُهُ بالتخفيف بمعنى بَشَّرْتُهُ، فاستَبَشَرَ. وحكي أَبْشَرْتُهُ أيضًا.

٢ - إذا اخْتَمَلُوا رَأْسِي وفي الرأس أَكْثَرِي وَغُودِرَ عِنْدَ الْمُلتَقَى ثُمَّ سَائِرِي
إذا ظَرَفَ لِقَوْلِهِ تَقَبَّرُونِي، أو لِمَا دَلَّ عَلَيْهِ اللَّفْظُ والحال، وقد جُعِلَ خَبَرًا للمبتدأ
الذي بَعْدَ لَكِنْ، وهو قَوْلُهُ أَبْشِرِي أُمِّ عَامِرٍ مَن يَأْكُلُنِي أو يَتَوَلَّى أَمْرِي. ويجوز أن
يكون ظَرْفًا لِقَوْلِهِ أَبْشِرِي فِي الْقَوْلِ الثَّانِي. وإنما قَالَ «وفي الرأس أَكْثَرِي» لأنَّ
الحَوَاسَّ خَمْسٌ، وَأَرْبَعٌ مِنْهَا فِي الرَّأْسِ: البَصَرُ لِلْمَرْتِيَّاتِ، والأَذُنُ لِلْمَسْمُوعَاتِ،
والأنفُ لِلْمَشْمُومَاتِ، والفَمُ لِلْمَذْوَقاتِ. وقد اعْتَرَضَ به بين المعطوف والمعطوف
عليه، وسأغ ذلك لَأَنَّهُ يُسَدِّدُ المعنى المطلوب ويؤكدُه. وقَوْلُهُ «وَعُودِرَ عِنْدَ الْمُلتَقَى ثُمَّ
سَائِرِي»، يروى بفتح الثاء ويكون ظرفًا وإشارة إلى المعركة ومزْدَحِمِ الناس. والتقدير:
وَعُودِرَ ثُمَّ سَائِرِي حيث التَقَى الْقَوْمُ بعد أن حُجِلَ رَأْسُهُ لَشَهْرَتِهِ، أو لِيُعْلَمَ به إتيَانُ
الْقَتْلِ عَلَيْهِ. وَيُروى «ثُمَّ» بضم الثاء ويكون حرفَ العطف عُطِفَ به سَائِرِي على
المُضْمَرِ فِي عُودِرَ، والمعنى: عودِرَ رَأْسُهُ ثُمَّ سَائِرُهُ حَيْثُ التَقَى الْقَوْمُ لِلظَّطَارَةِ،

(١) للأخطل في ديوانه ٦١٦، وخزانة الأدب ٣: ٢٥٤، واللسان (ضم).

(٢) للربيع الأسدي في الكتاب ٢: ٨٥، وبلا نسبة في اللسان (وشظ).

والأولى أجود. وإنما ضَعُفَتْ هذه لأنَّ عَطَفَ الظاهر على المضمَر المرفوع ضَعِيفٌ حَتَّى يُؤَكِّدَ. وتأكيده: وغودِرَ هو عند الملتقى ثُمَّ سائرُهُ. ويجوز أن يكونَ سائري في موضع النُّصب معطوفاً على رأسي، كأنه احتملوا رأسه ثم سائرُهُ، فيكون أَقْرَبَ. وكان الشَّنْفَرَى أَحَدَ الخُلَفاء الذين تَبَرَّأَ عشائِرُهُم منهم وأَسْلِمُوا بجرائرهم، ولهذا قال في نَفْسِهِ: [الطويل]

طَرِيدُ جَنَائِيَاتٍ تَيَاسَرْنَ لَحْمَهُ عَقِيرَتُهُ لَأَيَّا بِمَا حَنُّ أَوَّلٍ^(١)

ومن أَجْلِ ذلك كَشَفَ القِنَاعَ مَعَ قومه، وأخذ يتفادى منهم ويقول: لا تَقْبِرُونِي إن قبري مُحَرَّمٌ عليكم. فإن قيل: أين جوابُ إذا؟ قلت: إن جعلته ظَرْفًا لقوله لا تقبروني فذاك جوابُهُ، وكذلك إن جعلته ظَرْفًا للخبر المقدَّر. والسائر: الباقي من الشيء، وهو من السُّور، وأسَارَتْ في الإِنَاءِ.

٣ - هُنَالِكَ لَا أَزْجُو حَيَاةَ تَسْرُنِي سَجِيسَ اللَّيَالِي مُبَسَّلًا بِالْجَرَائِرِ

أشار بقوله «هنالك» إلى الوقت الذي يتناهى فيه الأمد، ويدنو فيه الأجل، لا إلى الوقتِ الآني بَعْدَ القتل، وهو ظَرْفٌ لَلْأَزْجُو. والمعنى: في ذلك الوقت لا أطمع في حياة سارة لي، وأنا مخذولٌ مُسَلَّمٌ بحرائري في القبائل، لا يَرَى إلا شامِتٌ بي، أو طالبٌ للانتقام مِنِّي. وقوله «سَجِيسَ اللَّيَالِي» يرادُ به امتداده وسلاسته في الاتصال وهو اسم الفاعِل من سَجَسَ. وقد أَحْكَمْنَا القولَ فيه في كتابنا الأزمنة^(٢)، وهو ظَرْفٌ لقوله مُبَسَّلًا بِالْجَرَائِرِ. وانتصب مُبَسَّلًا على الحال. والجرائر: جَمْعُ الجريرة. وَأَبْسِلُوا: أَسْلِمُوا. وفي القرآن: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا﴾ [الأنعام: الآية ٧٠].

١٦٥ - وقال تَابُطُ شَرًّا: [الطويل]

١ - وَقَالُوا لَهَا لَا تَنْكِحِيهِ فَإِنَّهُ لِأَوَّلٍ نَضَلِ أَنْ يُلَاقِي مَجْمَعًا

كان تَابُطُ شَرًّا خَطَبَ امرأة عبسية، فأرادت إجابته وَوَعَدَتْ مُناكحته، فلما جاءها أَظْهَرَتْ الزُّهْدَ، وَأَخْلَفَتْ الوَعْدَ، واعتَلَّتْ بأنَّ الرُّغْبَةَ في شَرِّهِ وَفَضْلِهِ كما كانت لكَتُهُ قيل لها ما تَصْنَعِينَ برَجُلٍ يُقْتَلُ عَنْكَ قَرِيبًا، لأنَّ له في كل حَيٍّ جَنَايَةً، وعنده لكل إنسانٍ طائِلَةٌ، فَتَبَقَّيْنِ أَيَّمَا! فانصرف تَابُطُ شَرًّا وقال هذه الأبيات.

(١) البيت من لاميته التي يقال لها لامية العرب. (٢) انظر الأزمنة والأمكنة ١: ٢٩٣.

وقوله «أَنْ تُلَاقِي» يجوز أن يكون موضعه رَفَعًا بالابتداء، وَخَبَرُهُ لأَوَّلِ نَضْلِ، والجملة في موضع خبر إنَّ. والتقدير: إنَّ تَأْبِطُ شُرَا مُلَاقَاتُهُ مَجْمَعًا لأَوَّلِ نَضْلِ يُجْرَدُ. ويجوز أن يكون «يُلَاقِي» في موضع النصبِ على أن يكون بَدَلًا من الهاء في «إِنَّ»، كأنه قال إنَّ مُلَاقَاتُهُ مَجْمَعًا لأَوَّلِ نَضْلِ. والهاء في فائِئُهُ يجوز أن يكون لتَأْبِطُ شُرَا، وهو الأجود في الوجهين. ويجوز أن يكون للأمر والشأن في الوجه الأول، ويكون تفسيره الجملة. ويجوز أن يكون في موضع الظرف، أي زَمَنَ أن يُلَاقِي مَجْمَعًا. والمعنى هو: لأَوَّلِ نَضْلِ إذا لاقى مَجْمَعًا، أي يُقْتَلُ بأَوَّلِ نَضْلِ يُعْمَلُ في ذلك الوقت. وَيُزَوَّى «أَنْ يُلَاقِي مَضْرَعًا»، والمَضْرَعُ يجوز أن يكون مُضْدَرًا، ومكانًا، وزمانًا. وانتصابه يجوز أن يكون على أنه مفعول يُلَاقِي ويجوز أن يكون مفعولُ يُلَاقِي محذوفًا ويكون مَضْرَعًا في موضع الحال؛ كأنه قال إن تَلَاقِيَهُ ذا مَضْرَعٍ، أي مصروعًا، فَحَذَفَ الْمُضَافَ.

٢ - فَلَمْ تَرِ مِنِّي رَأْيِي فَتَيْلًا وَحَادَرْتُ تَأْيِمَهَا مِنْ لَإِسِ اللَّيْلِ أَرْوَعًا

يقول: لم تَرِ هذه المرأة من الرأي لما قَبِلْتُ مَشُورَةَ النَّاسِ وَتَمَنَعْتُ مِنْ مَنَاحَتِي ما يوازِي فَتَيْلًا، أي ما يغني غناء فتيل. وقد حَدَرْتُ بَقَاءَهَا أَيَّمَا مِنْ رَجُلٍ رَكَّابِ اللَّيْلِ لا يفارقه فِيمَا يَهْمُهُ، فكأنه لبَاسِهِ ذِكْيُ الْقَلْبِ شَهْمٌ. والقتيل والتقيير والقُطْمِيرُ يُضْرَبُ المَثَلُ بها في حَقَارَةِ الشَّيْءِ. والأَرْوَعُ يكون الحديدُ الْقَلْبِ المَرْوَعُ الفؤاد، ويكون الجميل. وقوله «وَحَادَرْتُ» في موضع الحال والأجود أن يُضْمَرَ معها «قَدْ» أي لم تَرِ فَتَيْلًا مِنْ الرَّأْيِ مُحَادَرَةً.

٣ - قَلِيلُ غِرَارِ النَّوْمِ أَكْبَرُ هَمِّهِ دَمُ الثَّارِ أَوْ يَلْقَى كَمِيًّا مُسْفَعًا

هذا من صفة لايس الليل. فإن قيل: ما معنى قليل غِرَارِ النَّوْمِ؟ وإذا كان الغِرَارُ القليل من النوم، بدلالة قولهم ما نَوْمُهُ إِلَّا غِرَارًا، فكيف جاز أن تقول قليل غرار النوم، وأنت لا تقول هو قليل قليل النوم؟ قلت: يجوز أن يُرَادَ بالقليل النَّفْيُ لا إثبات شيء منه، والمعنى: لا يَتَأَمُّ الغِرَارَ فكيف ما قُوَّةُهُ؟ ويجوز أن يكون المعنى نَوْمُهُ قَلِيلٌ ما يَقِلُّ مِنَ النَّوْمِ، أي نَوْمُهُ قَلِيلُ القليل، يريدُ به أَنَّهُ مُسَهَّدٌ، وَأَنْ أَكْبَرَ مَا يَهْتَمُّ لَهُ طَلَبُ دَمِ الثَّارِ، أو مُلَاقَاةَ كَمِيٍّ مُسْفَعٍ الْوَجْهِ، لَدَوَامِ تَبَذُّلِهِ لِلْسَمَائِمِ، وَتَسْيِيرِهِ فِي الْهَوَاجِرِ. والكَمِيُّ: الذي يَكْمِي شَجَاعَتَهُ لَوْقَتِ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ، وقيل: هو الذي يَتَكَمَّى فِي سِلَاحِهِ، وقوله «أَوْ يَلْقَى» أَنَّ مُضْمَرَهُ بَيْنَ أَوْ وَالْفِعْلِ، ولولا ذلك لم يَجُزْ عَطْفُ الْفِعْلِ

على الاسم، لاختلافهما. وإذا أُضْمِرَ «أَنْ» يَصِيرُ حرفُ العطفِ ناسقًا اسمًا على اسم، والتقدير: أَكْبَرُ هَمِّهِ دَمُ الثَّارِ أو لقاءُ كَيْمِي. ومثل هذا قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِشَرِّ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَكَايَ جِبَابٍ أَوْ رُسُلٍ رَسُولًا﴾ [الشورى: الآية ٥١] والتقدير: أو أن يرسل رسولًا، حتى يكون أن مع الفعل في تقدير مَصْدَرٍ مَنْسُوقٍ على قوله وَحْيًا، إذ قد ائْتَمَعَ أن يُخْمَلَ على أن يُكَلِّمَ.

٤ - يُمَاصِغُهُ كُلُّ يُشْجَعُ قَوْمُهُ وما ضَرَبُهُ هَامُ الْعِدَى لِيُشْجِعَا

يجوز أن يكون قوله «يماصِغُهُ» صفةً لكَيْمِيًا مُسَفَّعًا؛ لأنَّ مِثْلَهُ من الأفعالِ يكون صِفَةً لِلتَّكْرَرِ وَحَالًا لِلْمَعْرِفَةِ، ويكون الثناء على خَصْمِهِ الذي هَمُّه ملاقاتُهُ، كالثناء عليه. ويجوز أن يكون راجعًا إلى الأول، وداخلًا في صفاتِهِ فَيَتَّبِعُ قوله قليلُ غِرَارِ النوم. ومعنى يماصِغُهُ: يقاتله. وأصله الضَرْبُ بالسِّيفِ والرُّمْيِ. ويقال مُصَّعٌ بِذَنْبِهِ، إِذَا حَرَّكَهُ. وَمُصَّعُ الطَّائِرِ بِذَرْقِهِ، إِذَا رَمَى بِهِ. وقوله «كلُّ» أي كلُّ واحدٍ من الناس، فَأَقْرَدَ وهو في النِّية مضافٌ. ومعنى البيت: إِنَّ كُلَّ مَنْ قَاتَلَ هَذَا الرَّجُلَ قَاتَلَهُ طَمَعًا فِي أَنْ يَنْسُبَهُ قَوْمُهُ إِلَى الشُّجَاعَةِ، وليتَّبِعْ به عند أقرانه، ويذهب به صِبْغُهُ فِي الناس. وليس قَتْلُهُ لِلشُّجْعَانِ وَضَرْبُهُ هَامُ الْأَعْدَاءِ لِمِثْلِ ذَلِكَ، لَكِنَّهُ طَمَعٌ مِنْهُ، وَجَزْيٌ عَلَى عَادَتِهِ وقوله «يُشْجَعُ قَوْمُهُ» أي لأن يشجعه قومه، والمفعول محذوف بدلالة قوله: [الطويل]

أَلَا أَيُّهَذَا الرَّاجِرِي أَخْضَرَ الرَّغَى

يُرِيدُ أَنْ أَخْضُرَ، يَدُلُّ عَلَى هَذَا مَا بَعْدَهُ، وَهُوَ:

وَأَنْ أَشْهَدَ اللَّذَاتِ هَلْ أَنْتَ مُخْلِيْدِي^(١)

٥ - قَلِيلٌ إِذْخَارِ الرَّادِّ إِلَّا تَعِلَّةٌ فَقَدْ نَشَرَ الشُّرُوفُ وَالتَّصَقَّ الْجَمَاعُ

قوله «إِلَّا تَعِلَّةٌ» مِنْ عَلَلْتُهُ بِكَذَا، فَهُوَ كَالْتَقَدُّمَةِ مِنْ قَدُمْتُ. وَالشُّرَاسِيفُ: مَقَاطُ الْأَضْلَاعِ، وَلَا يَنْشُرُ إِلَّا لِلْهَزَالِ. وَذَكَرُ الْقِلَّةِ هُنَا مَقْصُودٌ بِهِ إِلَى التَّنْفِي لَا غَيْرَ، بِدَلَالَةِ مَجِيئِ الاستثناء بعده، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ لَمْ يَثْبِتِ الْقَلِيلُ بِهِ. وَالْمَعْنَى: مَا يَذْخُرُ مِنَ الرَّادِّ إِلَّا قَدْرًا يَتَعَلَّلُ بِهِ، فَقَدْ أَثَّرَ الطَّوِيُّ فِيهِ حَتَّى هَزَلَ، فَتَرَى رُؤُوسَ أَضْلَاعِهِ شَاخِصَةً، وَأَمْعَاءَهُ بِجَنْبِهِ مُلْتَصِقَةً، لِقِلَّةِ طَعْمِهِ، وَاتِّصَالِ مِمَارَسَتِهِ لِلشَّدَائِدِ. وَعَلَى هَذَا

(١) لطرفة بن العبد في ديوانه ٣٢ في المعلقة، وخزانة الأدب ١: ١١٩، والدرر ١: ٧٤.

قول الله عز وجل: ﴿قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾ [الحاقة: الآية ٤١] و﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: الآية ٣].

٦ - يَبِيتُ بِمَغْنَى الْوَحْشِ حَتَّى أَلْفَنَهُ وَيُضْبِحُ لَا يَحْمِي لَهَا الذُّهْرَ مَرْتَعًا
قوله «يبيت بمغنى الوحش»، أي استمرت هذه الحالة به، واتصلت منه ودامت، لأن الأماكن سواه ضاقت عنه، ومجاميع الإنس تكثرهته فلَقَطَنَتْهُ، فألف القفار ولزم مراتب الوحش ومساكنها، حتى أنست به وسكنت إليه، وعدته واحدا منها، وصار هو أيضا على تعاقب الزمان وتصرف الأحوال لا يحمي من أجلها مَرَعَى، ولا يُراعي من مَزَايِهَا مَأْوَى، لأن همته مصروفة إلى غيرها، ونفسه مشغولة بسواها، فلا تفرغها منه تفريضا عنه، ولا صنيده لها يجعلها من همه. ومثل هذا قول الآخر^(١): [الطويل]

عَلَامَ تَرَى لَيْلَى تُعَذِّبُ بِالْمُنَى أَخَا قَفْرَةٍ قَدْ كَانَ بِالْعُورِ يَأْنَسُ
وَأَضْحَى صَدِيقَ الذُّئْبِ بَعْدَ عَدَاوَةٍ وَيَغْضُ وَرِثَتَهُ الْقِفَارُ الْأَمَالِسُ

٧ - عَلَى غِرَّةٍ أَوْ جَهْرَةٍ مِنْ مَكَانِسٍ أَطَالَ نِزَالَ الْقَوْمِ حَتَّى تَسْفَسَعَا^(٢)
تعلّق قوله «على» بقوله «لا يحمي». والمعنى: لا يحافظ لها ولا يترقبها، لا على غفلة منها واغترارٍ منه إياها، ولا بمجاهرة لها ولا مكاشفة دونها، بل أطال مزاوله الغارات ومنازلة الكُماة مُنْذُ تَرَعَرَعَ، إلى أن ولى شبابه وتَسَفَّعَ. وهذه إشارة إلى ما تنقل فيه على تغير الأحوال ومضي الأوقات، من اكتساب العداوات وإيقاع الوقعات، وتهيج الغارات. وقوله «تَسَفَّعَ» من قولك تَسَفَّعَ الليلُ أو النهار، إذا أَدْبَرَ. وفي الحديث: «تَسَفَّعَ الشَّهْرُ»^(٣). والمكانس: المَلَازِمُ لِلْكَتَّاسِ. ويقال: كَسَسَ الظُّبْيُ فهو كَانَسٌ، إذا أَوَى إِلَى كِنَاسِهِ. قال لبيد: [الرملي]

تَسَلَّبَ الْكَانَسَ لَمْ يُؤَازَ بِهَا شُغْبَةُ السَّاقِ إِذَا الظِّلُّ عَقَلَ^(٤)

(١) لعبيد بن أبيوب العبدي أو عبيد بن ربيعة التميمي في الحيوان ٦: ١٦٨، وحماسة البحري ٤١١.

(٢) التبريزي: «أو نهزة من مكانس».

(٣) رواه ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث ٢: ٣٦٨، بلفظ: «إن الشهر قد تسعس فلو صمتا بقيته تسعس أي أدبر وفني إلا أقله» ويروى بالشين.

(٤) لبيد في ديوانه ١٧٥، واللسان (ورأ، أور، أر، أرى، وري)، وكتاب الجيم ٢: ٣٣٨، وكتاب العين ٨: ٣٠٢.

وَيُقَالُ لِلْكَنَاسِ الْمَكْنَسُ. يقال: ظَنَيْتُ كَيْسَ، إِذَا لَزِمَ كُنَاسَهُ.

٨ - وَمَنْ يُغَرِّ بِالْأَعْدَاءِ لَا بُدَّ أَنَّهُ سَيَلْقَى بِهِمْ مِنْ مَضْرَعِ الْمَوْتِ مَضْرَعًا
قوله «لا بُدَّ» يجري مجرى لا محالة، وهو من البَدَد مصدر للأبَد، وهو سَعَة ما
بين اليَدِ والجَنِبِ، كأنَّ المراد لا سَعَة في ذلك ولا تَجَوُّز. وكان الواجب أن يقول:
لا بُدَّ مِنْ أَنَّهُ سَيَلْقَى، فَحَذَفَ مِنْ. فإذا قُلْتُ: لا بُدَّ مِنْ كَذَا، فانتصاب بُدَّ بَلَا،
وخبَرُه من كذا. ولم يتعلَّق مِنْ بُدَّ كما تَعَلَّقَ بِخَيْرٍ مِنْ قولك لا خَيْرَ مِنْهُ لَكَ، لأنَّه لو
كان كذلك لَتَوَوَّنَ بُدَّ ولم يَجْزُ غَيْرُهُ: يقول: مَنْ أُولِعَ بِمَنَابِذَةِ الْأَعْدَاءِ، وَغَرِي
بِمُضَارَّتِهِمْ لَا بُدَّ أَنْ يَلْقَى بِهِمْ يَوْمًا مِنَ الْأَيَّامِ مَضْرَعًا مِنْ مَضَارِعِ الْمَوْتِ، لِأَنَّهُ كَمَا
يَرَى فِيهِمْ يَرَى بِهِمْ. ويقال: غَرِي بِكَذَا وَأَغْرِي بِهِ، وَقَدْ رُوي «يُغَرِّ» بفتح الياء،
و«يُغَرِّ» بضمِّها. والمَضْرَعُ ههنا مَضَدَّرٌ، وَقَدْ يَكُونُ فِي غَيْرِ هَذَا اسْمًا لِلْمَكَانِ وَالزَّمَانِ
وعلى طريقة هذا البيت المَثَلُ السَّائِرُ: «مَنْ يَرِ يَوْمًا يُرِ بِهِ». وجواب الجزاء في ضمن
قوله لا بُدَّ أَنَّهُ سَيَلْقَى، والتقدير: مَنْ يُغَرِّ بِالْأَعْدَاءِ فَهُوَ سَيَلْقَى بِهِمْ مَضْرَعِ الْمَوْتِ، لَا
بُدَّ مِنْ ذَلِكَ.

٩ - رَأَيْتُ فِتًى لَا صَيْدُ وَخَشٍ يَهْمُهُ فَلَوْ صَافَحَتْ إِنْسًا لَصَافَحَتْهُ مَعَا
رَجَعَ إِلَى ذِكْرِ الْوَحْشِ بَعْدَ أَنْ اعْتَرَضَ بَيْنَ الْكَلَامِ فِيهَا بِقَوْلِهِ: «أَطَالَ نِزَالَ
الْقَوْمِ»، وَقَوْلُهُ «وَمَنْ يُغَرِّ بِالْأَعْدَاءِ». وهو يريدُ أَنْ يَبَيِّنَ سَبَبَ أَنْسِهَا بِهِ، وَزَوَالَ نِفَارِهَا
مِنْهُ بِأَشْفَى مِمَّا قَدَّمَهُ. فيقول: رَأَيْتُ الْوَحْشَ بِهِ فِتًى صَيْدُ الْوَحْشِ مِمَّا لَيْسَ يَخْطُرُ
بِبَالٍ، وَلَا يَعُدُّهُ مِنْ جَمَلَةِ الْأَشْغَالِ. فَلَوْ مَكَّنْتُ مِنْ نَفْسِهَا إِنْسًا لَمَكَّنْتُ هَذَا. فَقَوْلُهُ «لَا
صَيْدُ وَخَشٍ يَهْمُهُ» مِنْ صِفَةِ الْفِتَى، وَنَقَى بِقَوْلِهِ لَا الْفِعْلَ، فَلِذَلِكَ لَمْ يَكْرَرْ لَا مَرَّتَيْنِ
كَمَا تَقُولُ لَا عَبْدٌ لَكَ وَلَا جَارِيَةٌ. وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَقَدْ أَضْمَرَ بَعْدَ لَا فِعْلًا، وَجَعَلَ
الصَّيْدَ يَرْتَفِعُ بِهِ، وَيَكُونُ الْفِعْلُ الظَّاهِرُ بَعْدَهُ تَفْسِيرًا، كَأَنَّهُ قَالَ لَا يَهْمُهُ صَيْدُ وَخَشٍ
يَهْمُهُ. وَالْمَصَافِحَةُ أَصْلُهَا فِي مِمَاسَّةِ صَفْحَةِ إِحْدَى الْيَدَيْنِ لِلْأُخْرَى عِنْدَ السَّلَامِ،
فَاسْتَعَارَهَا لِلتَّمَكُّينِ وَالِاسْتِسْلَامِ. وَقَوْلُهُ «مَعَا» فِي مَوْضِعِ الْحَالِ، أَيِ مَجْتَمِعَةً
وَمُصْطَحِبَةً. وَالْفَائِدَةُ فِي ذِكْرِ الْإِتْيَانِ بِلَفْظَةِ تَفْيِيدِ الْعُمُومِ، فَكَأَنَّ الْمُرَادَ الْوَحْشَ عَلَى
اِخْتِلَافِ أَجْنَاسِهَا.

١٠ - وَلَكِنْ أَرَبَابَ الْمَخَاضِ يَشْفُهُمْ إِذَا اقْتَفَرُوهُ وَاحِدًا أَوْ مُشَيِّعًا
١١ - وَإِنِّي وَإِنْ عُمِرْتُ أَهْلَمْتُ أَنِّي سَأَلْتَنِي سِنَانَ الْمَوْتِ يَبْرِقُ أَضْلَعًا

قوله «المَخَاض» هي الثوق الحوامل، وهو اسم صيغ للجماعة منها، ولا واحد لها من لفظها، وإنما خَصَّها لأن التنافس فيها أكثر، وأربابها بها أشح. والشاعر ترك قصة إلى قصة، فكأنه قال: لا يهتبه طَلَب الوحش، ولكن يهتبه قصد أرباب الإبل في أموالهم، فهو يؤذيهم ويفزعهم، ويضنهم إذا تتبعوا أثره. وقد أغار عليهم واستاق إبلهم منفردًا عن أصحابه، أو محتفلًا بهم معانًا بتشييعهم. وهذا بيان ما قدّمه في قوله «أطال نزال القوم حتى تسغسعا». وانتصب واحدًا على الحال، والعامل فيه اقتفروه، أي منفردًا. ويقال: اقتفرت للوحش إذا تتبعت أثره. ومعنى يشفّهم، يهزلهم ويكدّ عيشهم. ومشيتًا: معه شيعه، يريد أنه لا يبالي كيف سقط عليهم وأنه يشفّهم على كل حال. وقوله «واني وإن عُمِرْتُ» بيان قوله «ومن يُعزّ بالاعداء»، كما أن قوله «رأيت فتى» بيان قوله «بييت بمغنى الوحش حتى ألفتة»، لأنه فسّر كل بيت من الأبيات الثلاثة بيت. فيقول: أنا وإن أطيل عُمري، ومُدّ من نفسي بما يلحقني من واقية الله تعالى على ما أجترحه واختاضه، أتيقن أنني سألقى أجلي، وأوافي مضرعي إذا دنا الحين المعلوم، بالحين المحتوم، وتراءى سينان الموت لي بارزًا بارقًا، أي السنان الذي يكون به الموت، فلا اختار لنفسي إلا ما لا يكسبني عارًا. وفي الكلام مع هذا الذي ذكرناه التسلّي التام، والرضا بالمقدور. وجواب الشرط في قوله أعلم أنني، وهو على إرادة الفاء، ويجوز على نيّة التقديم والتأخير.

١٦٦ - وقال بعض بني فقعس^(١): [الطويل]

١ - دَعَوْتُ بَنِي قَيْسٍ إِلَيَّ فَشَمَّرْتُ خَنَازِيدُ مِنْ سَعْدِ طَوَالِ السَّوَادِ

يقول: استغثت بهؤلاء القوم وندبتهم إلى نُصرتي والدِّفاع دوني، فخفّت لي رجال كأنهم فحولٌ ممتدة القامات، مبسطة الأيدي بالضرب والطعن. ويجوز أن يريد بالطول الاقتدار والغلبة، كما يقال في السلاطة: هو طويل اللسان والخنازيد: الكرام من الخيل، فاستعارها للكرام من الرجال كما يستعار الثُروم المصاعب لهم. ومن زعم أن الخنازيد: الخضيان أو الفحولة، فقوله بعيدٌ عن الصواب؛ يشهد لما ذكرناه من أنه الكرام قول الشاعر: [الخفيف]

وَخَنَازِيدُ خَضِيَّةٌ وَفُحُولًا^(٢)

(١) التبريزي: «قال بعض بني قيس بن ثعلبة».

(٢) للناطقة الذبياني في ديوانه ١٧٠، وكتاب العين ٤: ٢٤٤، وله أو لخفاف بن عبد القيس في =

والطَّوَال، يكون جَمَعَ طَوِيل وطَوَالٍ جميعًا. ومفعول شَمَرَتْ محذوف، والمُراد، رَفَعَتْ دُيُولَهَا، ونَهَيَاتٌ مجتمعة ومتخففة للقتال. وكما قيل هم طَوَال الأيدي والسواعد في الجريء المُقَدِّم، المُسْتَعْلِي المُقْتَدِر، قيل في السخاء: هم بُسْطُ الأيدي والأَكْفُ، وقيل: هو شديد الساعدِ للقويِّ الجَلْد.

٢ - إِذَا مَا قُلُوبُ الْقَوْمِ طَارَتْ مَخَافَةً من المَوْتِ أَرْسَوْا بِالنَّفُوسِ الْمَوَاجِدِ انتصب مخافةً على أنه مفعولٌ له. وجواب إذا «أرسوا». والمعنى: إذا تمكَّن الرُّغْبُ من القُلُوبِ والصُّدُورِ حَتَّى طَاشَتْ له الألباب، وطَارَتْ له الأفئدة، ثَبِتَ هؤلاء الْقَوْمُ في مواقف التدافع والتحارب بنفوس كريمة لا تُغْضِي على قَدَى، ولا تُصْبِرُ على أَدَى، فهي آيَةٌ لِلدَّيَّانَاتِ، صابرةٌ عند الثَّابِتات. وقوله «أَرْسَوْا» مفعولُه محذوف، كأنه قَالَ أَرْسَوْا قُلُوبَهُمْ بِالنَّفُوسِ الْكَرِيمَةِ. ويجوز أن يكون الباء من بالنفوس زائدةً للتأكيد، كما قال [البسيط]

سُودُ الْمَحَاجِرِ لَا يَقْرَأَنَّ بِالسُّورِ^(١)

والمعنى: أَرْسَوْا النُّفُوسَ، أي أثبتوها إثباتًا لا تَحْلُحِلَ معه ولا تَمُوج. على هذا قولهم: الجبال الرُّاسِيَات، وهو راسي الدُّعَائِم. والمَوَاجِدُ: جَمْعُ مَاجِدَةٍ، وأصلُه الكثرة، يقال: أَمَجَدْتُ الدَّابَّةَ الْعَلْفَ، إِذْ أَكْثَرْتَهُ لَهَا.

١٦٧ - وَقَالَ سَعْدُ بْنُ مَالِكٍ^(٢): [مرقل الكامل]

١ - يَا بُوسَ لِلْحَرْبِ النَّيِّ وَضَعْتَ أَرَاهِطَ فَاَسْتَرَاخُوا اللام من قوله «يا بُوسَ للحرب» دَخَلَتْ لتأكيد الإضافة في هذا الموضع، وهي إضافةٌ لا تَخْصُصُ ولا تُعَرِّفُ. وهذه اللام لا تجيء على هذا الحَدِّ إِلَّا في بابَيْنِ: أحدهما بَابُ التَّنْفِي بَلَا، وَذَلِكَ مِنْهُ في قولكَ لا غَلَامِي لَكَ ولا أَبَاكَ وما أَشَبَّهُمَا، والثاني بَابُ النِّدَاءِ في قولكَ يا بُوسَ للحرب، وإنَّما المعنى يا بوس الحرب. ألا تَرَى

= اللسان (خذ) ولخفاف في تاج العروس (ضند). وصدرة:

«وسراذين كابييات وأتسأ»

(١) للراعي النميري في ديوانه ١٢٢، وأدب الكاتب ٥٢١، واللسان (سور)، وللقاتل الكلابي في ديوانه ٥٣، والراعي أو للقاتل في خزنة الأدب ٩: ١٠٧. وصدرة:

«هن الحرائر لاريات أحمر»

(٢) التبريزي: «وقال سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة جدَّ طرفة بن العبد».

أَنَّهُ لَوْ لَمْ يُرِدِ الْإِضَافَةَ لَنَوَّنَ يَا بُوَسَ فِي النَّصَبِ، لَكُونَهُ نَكْرَةً، أَوْ كَانَ يَجْعَلُهُ مَعْرِفَةً مَبْنِيَّةً عَلَى الضَّمِّ. وَقَدْ أَتَى الشَّاعِرُ فِي بَابِ التَّنْفِي عَلَى أَصْلِهِ فِي الْإِضَافَةِ فَقَالَ: [الوافر]

إِبَالْمَوْتِ الَّذِي لَا بُدَّ أَتْيِ مُلَاقِي لَا أَبَاكَ تَخَوَّفِينِي^(١)

وَالَّذِي يَدُلُّ عَلَى أَنَّ هَذِهِ الْإِضَافَةُ لَا تَخْصُصُ أَنَّ لَا قَدْ عَمِلَ مَعَهَا، وَهُوَ لَا يَعْمَلُ إِلَّا فِي التَّكْرَاتِ. وَمَعْنَى الْبَيْتِ أَنَّهُ عَلَى وَجْهِ التَّعْجُبِ دَعَا بُوَسَ الْحَرْبِ الَّتِي حَطَّتْ أَرَاهِطَ وَأَذَلَّتْهُمْ حَتَّى اسْتَسَلَمُوا لِلْأَعْدَاءِ، وَأَلْفَوْا وَضَعَ الْحَرْبِ، وَحَالَفُوا الرَّاحَةَ، وَآثَرُوا السَّلَامَةَ. وَهَذَا الْكَلَامُ فِيهِ مَعَ الْقَضْدِ إِلَى التَّعْجُبِ تَهَكُّمٌ وَتَعْبِيرٌ؛ كَأَنَّهُ أَرَادَ: مَا أَبَاسَ الْحَرْبِ الَّتِي فَعَلْتَ ذَلِكَ. وَقَوْلُهُ «فَاسْتَرَا حَوَا» فِيهِ تَهَكُّمٌ وَبَيَانٌ لَاسْتِغْنَائِهِمْ ذَلِكَ، وَمَيْلُهُمْ إِلَيْهِ؛ كَأَنَّهُمْ عَدُّوا نَفْضَ الْيَدِ مِنْ مَجَادِبَةِ الْأَعْدَاءِ وَمِرَاقِبَتِهِمْ وَالْإِحْتِرَازِ مِنْ مَكَايِدِهِمْ، لظُهُورِ عِزِّهِمْ، وَتَصَوُّرِهِمْ بِصُورَةٍ مِنْ لَا يُحْتَفَلُ لَهُ، وَلَا يُسْتَظْهَرُ عَلَيْهِ، وَلَا يُتَّقَى مِنْهُ - سَلَامَةً وَرَاحَةً، وَإِنْ كَانَ سُقُوطًا وَمِهَانَةً. وَكُلُّ ذَلِكَ لَخُرُوجِهِمْ عَنْ مَلَكَةِ الْعِزَّةِ، وَاطْرَاجِهِمْ قِنَاعَ الْحَيَمَةِ. وَأَرَاهِطُ جَمْعٌ، يُقَالُ زَهَطٌ وَأَزْهَطُ وَأَرَاهِطُ. وَالرَّفْطُ يَقْعُ عَلَى مَا دُونَ الْعِشْرَةِ - وَلِذَلِكَ جَازَ أَنْ يُضَافَ مَا دُونَ الْعِشْرَةِ مِنْ أَسْمَاءِ الْأَحَادِ إِلَيْهِ - وَفَارَقَ الْخَيْلَ وَالْغَنَمَ وَالْإِبِلَ.

٢ - وَالْحَرْبُ لَا يَبْقَى لِحَا جِمِهَا التَّخْيِيلُ وَالْمِرَاجُ

يُقَالُ: جَحَمَتِ النَّارُ فِيهِ جَاحِمَةً، إِذَا اضْطَرَمَتْ؛ وَمِنْهُ الْجَحِيمُ. وَهَذَا الْكَلَامُ جَارٍ مَجْرَى مَا قَبْلَهُ، وَفِيهِ إِزْرَاءٌ بِالَّذِينَ ذَكَرَهُمْ، وَإِبْهَامٌ بِأَنَّهُمْ كَانُوا أَصْحَابَ خِيَلٍ وَبَطَرٍ، وَمِرَاجٍ وَنَزَقٍ، فَلَمْ تَثْبُتْ أَقْدَامُهُمْ عِنْدَ اللَّقَاءِ، وَلَا صَبَرَتْ أَنْفُسُهُمْ أَوَّانَ الْكِفَاحِ، فَقَالَ مُعَرِّضًا: لَا يَبْقَى لِنَارِ الْحَرْبِ كِبَرِيَاءُ الْمُتَكَبِّرِينَ، وَلَا نَشَاطُ الْمَرَحِّينَ، بَلْ يَسْتَبْدِلُونَ بِهِمَا اللَّيْنَ وَالْكَسَلَ، وَالْإِنْخِرَالَ وَالْفُسْلَ، وَالصَّبْرَ عَلَى الْإِمْتِهَانِ، وَالِاسْتِسْلَامَ عِنْدَ الْإِمْتِحَانِ. وَقَوْلُهُ «لَا يَبْقَى لِحَا جِمِهَا التَّخْيِيلُ» يَجُوزُ أَنْ يُرِيدَ بِهِ صَاحِبَ التَّخْيِيلِ، فَحَذَفَ الْمُضَافَ وَأَقَامَ الْمُضَافَ إِلَيْهِ مَقَامَهُ، وَحِينَئِذٍ يَكُونُ الْبَدَلُ فِي إِلَّا الْفَتَى - وَهُوَ أَوَّلُ الْبَيْتِ الَّذِي يَلِيهِ مِنْهُ، وَجَهَ الْكَلَامِ وَمَخْتَارُهُ؛ لِأَنَّ الثَّانِيَّ يَكُونُ

(١) لأبي حية النميري في ديوانه ١٧٧، وخزانة الأدب ٤: ١٠٠، والدرر ٢: ٢١٩، واللسان (أبي)، والتبريزي ١: ٣٥٦.

من الجنس الأول، وفي الوجه الأول لا يكون من جنسه، والاختيار في المستثنى بعده النُضْبُ.

٣ - إِلَّا الْفَتَى الصَّبَّارُ فِي الْ- تَجَدَّاتِ وَالْفَرَسُ الْوَقَّاحُ

قوله «إِلَّا الْفَتَى» ارتفع على أنه بَدَلٌ من التخيُّل، وهذا لُغَةٌ تميم، ولُغَةٌ سائر العرب النُضْبُ فيما كان استثناءً خارجًا وإن كان جائيًا بعد النفي، لأن كونه ليس من الأول يَبْعُدُ الْبَدَلَ فيه. والنُضْبُ كان جائزًا على كُلِّ وَجْهِ. والتَّجَدَّاتُ: الشَّدائد. والصَّبْرُ أَضْلُهُ الْحَبْسُ، وَقَعَالٌ بِنَاءُ الْمَبَالِغَةِ، ولا يجوز أن يكون اسمُ الْفَاعِلِ من صَبَّرَ، لأن اسم الْفَاعِلِ من صَبَّرَ مُصَبَّرٌ. يقول: لكن لا يَبْقَى لِمُلَابَسَةِ الْحَرْبِ والصَّبْرِ على شِدَائِهَا إِلَّا الْفَتَى الْحَسَنُ الثَّبَاتِ فِي الْكِرَائِهِ، وَالْفَرَسُ الصُّلْبَةُ عَلَى الْجِرَاءِ. وَيُقَالُ: فَرَسٌ وَقَّاحٌ، وَحَافِزٌ وَقَّاحٌ، وَهُوَ وَقَّحَ الْوَجْهَ؛ وَمَصْدَرُهُ الْقِحَّةُ.

٤ - وَالنُّثْرَةُ الْحَضْدَاءُ وَالْ- بَيْضُ الْمُكَلَّلُ وَالرَّمَاخُ

عَدَدُ الْآلَاتِ التي يحتاج إليها الْفَتَى الصَّبَّارُ فِي التَّجَدَّاتِ عِنْدَ مِرَاسِ الْحَرْبِ، وَدِفَاعِ الشَّرِّ. فَالنُّثْرَةُ: الدَّرْعُ الْوَاسِعَةُ الْمُحْكَمَةُ السَّرْدِ، وَيُقَالُ فِيهَا الثُّلَّةُ بِاللَّامِ أَيْضًا. وَالْحَضْدَاءُ: الْجَدَلَاءُ، وَمَصْدَرُهُ الْحَضْدُ. يُقَالُ: حَصِدَ يَحْصِدُ حَصْدًا، وَأَخْصَدْتُهُ وَهُوَ مُخْصَدٌ. يُقَالُ ذَلِكَ فِي الْأَوْتَادِ وَالْجِبَالِ وَالْدُرُوعِ إِذَا أُخْكِمَتْ وَقِيلَتْ. وَيُقَالُ: هُوَ حَصِيدٌ وَمُسْتَحْصِدٌ أَيْضًا. وَقَوْلُهُ «الْبَيْضُ الْمُكَلَّلُ» يَغْنِي بِالْمَسَامِيرِ، كَأَنَّهَا عُشِيَتْ وَسُمِّرَتْ. وَالْمَعْنَى: إِنَّمَا يَبْقَى عَلَى صِلَاءِ الْحَرْبِ وَمَزَاوِلَتِهَا مَنْ كَانَ فِي نَفْسِهِ يَرْجِعُ إِلَى قُوَّةٍ وَجَلْدٍ، وَمَنْ صَبْرِهِ يَتَعَمَّدُ عَلَى أْبْلَغِ أَمَدٍ، وَمَنْ سِلَاحِهِ يَثِقُ بِأَتَمِّ عُدَدٍ. وَلَمْ يَصِفِ الرَّمَاخَ، وَيَغْنِي أَقْوَمَهَا لَا مُحَالَةً.

٥ - وَالْكَرُّ بَعْدَ الْفَرِّ إِذْ كَرِهَ التَّقَدُّمُ وَالنُّطَاحُ

بَيَّنَّ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الصَّبَّارُ مِنَ الْأَفْعَالِ فِي الْحَرْبِ، كَمَا بَيَّنَّ الْآلَاتِ الَّتِي مِنْ شَرْطِهَا اسْتِصْحَابُهَا فَكَأَنَّهُ قَالَ: وَيَبْقَى لِحَاجَتِهَا الْكَرُّ بَعْدَ الْفَرِّ فِي وَقْتِ يُكْرَهُ فِيهِ الْإِفْدَامُ وَالتَّقَدُّمُ، وَالنُّطَاحُ وَالتَّجَرُّدُ. وَبَعْضُهُمْ يَرَوِي هَذَا الْبَيْتَ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ، وَالصَّوَابُ هَذَا التَّرْتِيبُ. وَجَعَلَ النُّطَاحَ بَيْنَ الْكِبَاشِ مَثَلًا لِلْمَبَالِغَةِ بَيْنَ الْفَرَسَانِ.

٦ - وَتَسَاقَطَ الثَّنَوَاتُ وَالْ- لَذْنَبَاتُ إِذْ جُهِدَ الْفِضَاحُ^(١)

(١) التبريزي: «وتساقط الأوشاط» والأوشاط: جمع الوشيظ: التابع والحلف.

هذا ينعطف على قوله وَصَعَتْ أَرَاهُط فاستراحوا. يقول: وَتَسَاقَطَ الدُّخْلَاءُ
وَالْهُجَنَاءُ الَّذِينَ نِيَطُوا بِصَمِيمِ الْعَرَبِ فلم يكونوا منهم. والتَّنَوَّاطُ مَصْدَرٌ فِي الْأَصْلِ،
كَالتَّرْدَادِ وَالتُّكْرَارِ؛ وَكَأَنَّ الْمُرَادَ دَوُو التَّنَوَّاطِ؛ فَحُذِفَ الْمُضَافُ وَأُقِيمَ الْمُضَافُ إِلَيْهِ
مَقَامَهُ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ وَصِفَ بِهِ كَمَا يَوْصَفُ بِالْمَصَادِرِ. وَذَكَرَ بَعْضُهُمْ أَنَّ التَّنَوَّاطَ مَا
يُعَلَّقُ عَلَى الْفَرَسِ مِنْ إِذَاوَةٍ وَغَيْرِهَا؛ لِأَنَّ كُلَّ ذَلِكَ قَدْ نِيَطَ بِهِ، ثُمَّ أُطْلِقَ تَشْبِيهًا عَلَى
الدُّخْلَاءِ. وَقَدْ اسْتَعْمِلَ هَذِهِ اللَّفْظَةَ فِي الدَّعْيِ، فَقِيلَ: هُوَ مَنُوطٌ. وَقَالَ الشَّاعِرُ:
[الطويل]

وَأَنْتَ دَعِي نِيَطٌ فِي آلِ هَاشِمٍ كَمَا نِيَطُ خَلْفَ الرَّايِبِ الْقَدَحُ الْفَرْدُ^(١)

فعلى هذا يجوز أن يريد بذوي التَّنَوَّاطِ الْأَدْعِيَاءَ. وَقَوْلُهُ الذَّنْبَاتُ، يَرِيدُ التُّبَاعَ
وَالْعُسْفَاءَ. وَيُقَالُ الذَّنَابُ وَالْأَذْنَابُ أَيْضًا. وَكَمَا قِيلَ هَذَا تَشْبِيهًا بِذُنَابَةِ الْوَادِي، قِيلَ فِي
الرُّؤَسَاءِ الذَّنَابِ، لِأَنَّهُمْ الْأَعْلَوْنَ. وَذَكَرَ بَعْضُهُمْ أَنَّ الذَّنْبَاتِ لَا يُقَالُ فِي النَّاسِ، وَإِنَّمَا
يُقَالُ لَهُمْ أَذْنَابٌ، ثُمَّ أُنْشِدَ: [البسيط]

قَوْمٌ هُمْ الْأَنْفُ وَالْأَذْنَابُ غَيْرُهُمْ وَمَنْ يُسَوِّي بَأَنْفٍ النَّاقَةَ الذَّنْبَا^(٢)

وَمَنْ حَيْثُ جَازَ الْأَذْنَابُ وَاسْتَعَارَتْهَا جَازَ اسْتِعَارَةُ الذَّنْبَةِ وَالذَّنَابَةِ وَالذَّنَابِ
وَالذَّنْبَاتِ، وَلَا فَضْلَ. وَقَوْلُهُ «إِذْ جُهِدَ الْفِضَاحُ» مَعْنَاهُ بُلُغَ بِالْفِضِيحَةِ جَهْدُهَا وَلَمْ يُرْضَ
بِالْعَفْوِ مِنْهَا. وَفِي الْوَقْتِ الَّذِي أَشَارَ إِلَيْهِ، لَا يَثْبُتُ إِلَّا مَنْ يَزْجِعُ إِلَى كَرَمٍ مُتَنَاهٍ،
وَيُزْجِصُ عَلَى الْمَحَافَظَةِ عَلَى الشَّرَفِ بِالْغِ.

٧ - كَشَفْتُ لَهُمْ عَنْ سَاقِهَا وَبَدَا مِنَ الشَّرِّ الصُّرَاحُ

أَخَذَ يَقْتَضِ مَا جَرَى عَلَيْهِمْ. وَقَوْلُهُ «كَشَفْتُ لَهُمْ عَنْ سَاقِهَا» مَثَلٌ يُضْرَبُ لَشِدَّةِ
الْحَرْبِ، وَإِنَّمَا أَهْلُهَا فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ يَكْشِفُونَ عَنِ السَّاقِ، فَجَعَلَ الْفِعْلَ لَهَا، وَالْمُرَادُ
انْكَشَفَتِ الْحَرْبُ لَهُمْ عَنْ تَشْمِيرِ أَهْلِهَا وَاسْتِدَادِهَا. وَقَدْ قَلِيلُ: السَّاقُ اسْمٌ لِلشِّدَّةِ،
وُقُيِّرَ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ [الْقَلَمُ: الْآيَةُ ٤٢] فَقِيلَ: الْمَعْنَى يَوْمَ
يَكْشَفُ عَنْ شِدَّةٍ. وَكَذَلِكَ كَشَفَتِ الْحَرْبُ عَنْ سَاقِهَا، مَعْنَاهُ أَبْرَزَتْ عَنْ شِدَّتِهَا. وَقَوْلُهُ
«وَبَدَا مِنَ الشَّرِّ الصُّرَاحُ» أَيِ الْخَالِصِ الَّذِي لَا يَمْتَزِجُ بِهِ خَيْرٌ وَلَا يُزْجَى بَعْدَهُ صَلاَحٌ.

(١) لِحَسَانِ بْنِ ثَابِتٍ فِي دِيْوَانِهِ ١١٨، وَاللِّسَانُ (قَدَحٌ، نَوَطٌ، زَنْمٌ)، وَتَاجُ الْعُرُوسِ (قَدَحٌ، نَوَطٌ،
زَنْمٌ)، وَالْأَغَانِي ٤: ١٤٨.

(٢) لِلْحَطِيطَةِ فِي دِيْوَانِهِ ص ٦.

ويقال: صَرِحِيَّ وَصَرَاحٍ، كما يقال طَوِيلٌ وَطَوَالٌ، وعَرِيضٌ وَعُرَاضٌ. ويقال: صَرَحَتِ الْخَمْرَةُ، إذا انكشفت عنها زُبدَتُها.

٨ - فَالْهَمْ بِيضَاتُ الْخَدَوِ رِ هُنَّاكَ لَا النَّعَمُ الْمُرَاحُ

أَقْبَلَ يَصِفُ مَا امْتَحَنُوا بِهِ فِي الْحَرَمِ إِذَا تُرِكَ حَدِيثُ الْمَالِ وَالْبَلَاءِ فِي النَّفْسِ. وَقَوْلُهُ «فَالْهَمْ بِيضَاتُ الْخُدُورِ» يَجُوزُ أَنْ يُرَادَ بِهِ مَا يُهْتَمُّ لَهُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ: الْحَرَمُ وَالنِّسَاءُ الْمُخَدَّرَاتُ اللَّاتِي كَانَهُنَّ بَيَّضُ مَكْنُونٍ صَيَانَةً وَجَمَالًا، لَا الْإِبِلُ الْمُرَاحَةُ مِنْ مَرَاعِيهَا، كَأَنَّهُ سَمَّى مَا يُهْتَمُّ لَهُ هَمًّا. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى مَا يُهْتَمُّ بِهِ: النِّسَاءُ لَا الْإِبِلَ. وَالْمُرَادُ أَنَّهُمْ كَانُوا يَغْتَنِمُونَ سَبَاءَ النِّسَاءِ وَالْحَاقَّ الْعَارِ بِسَبِيهِنَّ، لَا اغْتِنَامَ الْأَمْوَالِ. وَتَشَبَّهُ الْمَرْأَةَ بِالْبَيْضِ لِتَلَمُّلِمِهَا وَزَوَالِ الْحُجُومِ عَنْهَا. وَقَالَ الْخَلِيلُ: بَيَّضَةُ الْخِذْرِ هِيَ الْمَجَارِيَةُ الْمُخَدَّرَةُ الْجَمِيلَةُ. وَإِنَّمَا قَالَ الْمُرَاحُ لِأَنَّ النَّعَمَ مُذَكَّرٌ. وَيُقَالُ: سَرَحْتُ الْمَاشِيَةَ بِالْعَدَاةِ، وَأَرَحْتُهَا بِالْعَشِيَّةِ.

٩ - فَبَيْسَ الْخَلَائِفُ بَعْدَنَا أَوْلَادُ يَشْكُرُ وَالْقَاحُ

أَوْلَادُ يَشْكُرُ، هُمْ مِنْ جُمْلَةٍ مِنْ وَضَعَتْهُ الْحَرْبُ. فَيَقُولُ: إِذَا خَلَفْنَا مِنْ لَا دِفَاعَ بِهِ مِنَ الرُّجَالِ وَالْأَمْوَالِ، فَبَيْسَ الْخَلَائِفُ بَعْدَنَا. جَعَلَ أَوْلَادُ يَشْكُرُ كَالْقَاحِ - وَهِيَ الْإِبِلُ بِهَا لَبَنٌ - فِي حَاجَتِهَا إِلَى مَنْ يَذُبُّ عَنْهَا، وَيُحَاطِي عَلَيْهَا. وَرَوَاهُ بَعْضُهُمْ: «وَالْقَاحُ» بَفَتْحِ اللَّامِ، وَهُمْ بَنُو حَنِيفَةَ، وَكَانُوا لَا يَدِينُونَ لِلْمُلُوكِ. وَيَكُونُ الْكَلَامُ عَلَى هَذَا تَهَكُّمًا.

١٠ - مَنْ صَدَّ عَنْ زَيْرَانِهَا فَأَنَا ابْنُ قَيْسٍ لَا بَرَاحٌ^(١)

يَقُولُ: مَنْ أَحْجَمَ عَنِ الْحَزْبِ وَكَرِهَ الْأَصْطِلَاءَ بَنَارَهَا وَالصَّبْرَ عَلَى بُلُوَاهَا، وَعَجَزَ عَنِ الثَّبَاتِ فِي وَجْهِهِ أَبْنَائِهَا، فَأَنَا ابْنُ قَيْسٍ لَا بَرَاحٌ لِي فِيهَا وَلَا انْحِرَافٌ. وَمَعْنَى «فَأَنَا ابْنُ قَيْسٍ» فَأَنَا الْمَشْهُورُ بِأَبِيهِ، الْمُسْتَغْنِي عَنْ تَطْوِيلِ نَسَبِهِ. فَقَوْلُهُ لَا بَرَاحُ، الْوَجْهُ فِيهِ

(١) بعده عند التبريزي:

«صَبْرًا بَنِي قَيْسٍ لَهَا	حتى تريحوا أو تراحوا
إِنَّ الْمُرَائِلَ خَوْفُهَا	يعتاقه الأجل المنأخ
مِيهَاتُ حَالِ الْمَوْتِ دُو	ن الفوت وانثفتي السلاح
كَيْفَ الْحَيَاةِ إِذَا خَلَّتْ	منا الظواهر والبطاح
أَيْنَ الْأَعْرَءِ وَالْأَسْنَدِ	عند ذلك والسماخ

النَّضْبُ، ولكنَّ الضرورة دَعَتْهُ إِلَى رَفْعِهَا. وقال سيبويه: جَعَلَ لَا كَلَيْسَ هَلْهنا قَرَعَ بِهِ النَّيْكَرةَ، وجعل الخبر مُضْمَرًا. ومثله: [الرجز]

بِي الْجَحِيمِ حِينَ لَا مُسْتَصْرَحُ^(١)

كأنهما قالا: حين ليس عندي مُسْتَصْرَحٌ وَلَا بَرَّاحٌ عندي في الحَرْبِ. وهذا يَقِلُّ في الشعر وَلَا يَكْثُرُ. وجعل غيره بَرَّاحٌ مُبْتَدَأً والخبر مُضْمَرًا؛ وإنما يَحْسُنُ ذلك إذا تَكَرَّرَ، كقول القائل: لَا دِزْهَمَ لِي وَلَا دِينَارَ، وَلَا عَبْدَ لِي وَلَا أَمَةً. إِلَّا أَنَّهُ جَوَزَ للشاعر الرُّفْعَ فِي النَّيْكَرةِ بعد لَا وَإِنْ لَمْ يَكُرْزْ، لِأَنَّ أَضْلَعَ مَا يَنْفَى بِلَا الرُّفْعِ، فَكَانَ مِنْ بَابِ رَدِّ الشَّيْءِ إِلَى أَصْلِهِ. وَيُقَالُ: مَا بَرِّخْتُ مِنْ مَكَانٍ كَذَا، أَيِ مَا زِلْتُ بَرَّاحًا وَيَبْرُوحًا. وَمَا بَرِّخْتُ أَفْعَلُ كَذَا بَرَّاحًا، أَيِ أَقَمْتُ عَلَى فِعْلِهِ، مِثْلَ مَا زِلْتُ أَفْعَلَهُ. وَالْبَرَّاحُ الْأَوَّلُ فِي الْمَكَانِ، وَالْبَرَّاحُ الثَّانِي فِي الزَّمَانِ، وَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ خَبَرٍ.

١٦٨ - قَالَ جَحْدَرٌ، وَهُوَ رَبِيعَةُ بْنُ ضُبَيْعَةَ^(٢): [مَشْطُورُ الرَّجْزِ]

١ - قَدْ يَتِمَّتْ بِنْتِي وَأَمْتُ كَثْنِي

٢ - وَشَعِثْتُ بَعْدَ أَذْهَانِ جُمْنِي^(٣)

٣ - رُدُّوا عَلَيَّ الْخَيْلَ إِنْ أَلَمْتُ

٤ - إِنْ لَمْ أُنَاجِزْهَا فَجُزُّوا لِمَتِي^(٤)

٥ - قَدْ عَلِمْتُ وَالِدَةَ مَا ضُمْتُ

٦ - مَا لَقِيتُ فِي خِرْقِي وَشُمْتُ

٧ - إِذَا الْكُمَاءُ بِالْكُمَاءِ أَلْتَفَّتْ^(٥)

هذا تَوَجَّعٌ وَتَحَسُّرٌ. وَالْمَرَادُ إِنِّي قَدْ اسْتَفْتَلْتُ، وَكَانَتْ هَذِهِ الْأُمُورُ مِنَ الْيُثْمِ وَالْأَيْمَةِ وَالتَّشَعُّثِ قَدْ اتَّفَقَتْ وَوَقَعَتْ. وَإِنَّمَا قَالَ هَذَا لِأَنَّهُ كَانَ قَدْ سِيَمَ فِي يَوْمٍ تَخْلَاقٍ

(١) للعجاج في ديوانه ٢: ١٧٣، واللسان (صمخ، فنخ)، ولرؤية في اللسان (صدي)، وتاج العروس (صدي).

(٢) التبريزي: «وقال جحدر بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن ضبيعة، وجحدر: اسمه ربيعة، وجحدر هو الجعد القصير من الناس».

(٤) التبريزي: «يناجزها».

(٣) التبريزي: «بعد الرهان».

(٥) بعده عن التبريزي:

«أَمَخَذْتُ فِي الْحَرْبِ أَمْ أَمَمْتُ»

اللَّمَمُ أَنْ يَخْلِقَ الشَّعْرَ، إِذْ كَانُوا جَعَلُوا ذَلِكَ شِعَارًا لَهُمْ وَهَذَا الْيَوْمَ مِنْ أَيَّامِ بَكْرِ وَتَغْلِبَ. وَكَانَ جَحْدَرٌ هَذَا حَسَنَ اللَّمَّةِ غَزَلًا، مَتَّبِعًا بِجَمَالِهِ وَوَفَّرْتَهُ عِنْدَ النِّسَاءِ، فَسَأَلَ - لِكِرَاهَتِهِ مَا سَأَمُوهُ - الْإِعْفَاءَ مِنْهُ، مُتَظَرِّينَ مَا يَكُونُ مِنْ بَلَائِهِ، وَتَشْهِيرَ نَفْسِهِ بَيْنَ الصُّفَّيْنِ بِعَلَامَةٍ تُمَيِّزُهُ وَأَثَارٍ تُشْرِفُهُ، وَحَمَلَاتٍ عَلَى الْأَعْدَاءِ تَذُلُّ عَلَى غَنَائِهِ، وَمَقَامَاتٍ تَشْهَدُ بِوَفَائِهِ؛ فَإِنْ لَمْ يَفِ بِذَلِكَ حِينَئِذٍ تُجْزَى لِمَتُّهُ عُقُوبَةٌ وَتَنْكِيلًا، فَفِي جَزْءِ اللَّمَّةِ إِذْلالٌ؛ وَلِذَلِكَ كَانَ يَفْعَلُ بِالْأَسِيرِ عِنْدَ الْمَنْ عَلَيْهِ. ثُمَّ ذَكَرَ مَا نَشَأَ عَلَيْهِ وَتُقَرَّرَسَ فِيهِ مِنْ وَقْتِ الْوِلَادَةِ إِلَى الْإِيْقَاعِ، مِنَ الْغَنَاءِ وَالْكَفَايَةِ، وَالذِّكَاةِ وَالشُّهَامَةِ، فَقَالَ: قَدْ عَلِمْتُ وَالِدَتِي أَيُّ وَلَدٍ تَضُمُّهُ إِلَى نَفْسِهَا بِي، وَأَيُّ إِنْسَانٍ تَلْفُفُ فِي الْقُمُطِ حِينَ لَقْنَتِي، وَأَيُّ فَارِسٍ تَشْمُهُ بِشَمِّي، إِذَا تَرَكَمَتِ الْأَهْوَالَ، وَتَدَاعَتِ الْأَبْطَالُ، وَضَاقَ الْمَكْرُ وَالْمَجَالُ، وَتَلَاخَقَتِ الرِّجَالُ بِالرِّجَالِ، فَهَذَا سَبَبُ تَوَطُّيْنِهِ النَّفْسَ عَلَى الْقَتْلِ. وَوَجْهَ الشَّرْطِ فِي مَنَاجِزَةِ الْخَيْلِ. وَقَوْلُهُ «يَتِمَّتْ» مَصْدَرُهُ الْيَتْمُ. قَالَ الدُّرَيْدِيُّ: الْيَتِيمُ الْفَرْدُ، لِذَلِكَ سُمِّيَ الَّذِي يَمُوتُ أَحَدُ وَالِدَيْهِ يَتِيمًا، كَأَنَّهُ أُفْرِدَ، وَقِيلَ الْيَتِيمُ فِي النَّاسِ مِنَ الْآبِ وَالْأُمِّ، وَمِنَ الْبِهَائِمِ مِنَ الْآمِ. وَقَوْلُهُ «آمَتْ» مَصْدَرُهُ الْآيْمَةُ وَالْأَيُّومُ. وَالْآيْمُ: الَّتِي لَا زَوْجَ لَهَا. وَالْكِنَّةُ، قَالَ الْخَلِيلُ: هِيَ امْرَأَةُ الْإِخِ أَوْ الْإِبْنِ. وَيَشْهَدُ لِمَا قَالَهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ: [م. الْخَفِيفُ]

هِيَ مَا كُنْتُ بِي وَتَزُ غُمُ أَنِّي لَهَا حُمُو^(١)

وَيَغْنِي جَحْدَرٌ بِالْكِنَّةِ امْرَأَةً نَفْسَهُ، كَأَنَّهُ مِنْ حَيْثُ كَانَتْ كِنَّةٌ قَوْمِهِ أَضَافَهَا إِلَى نَفْسِهِ.

وَالشُّعْتُ وَالشُّعُوتُ: اغْبِرَارُ الشَّعْرِ وَتَلْبُذُهُ.

وَقَوْلُهُ «رُدُّوا عَلَيَّ الْخَيْلَ» يَرِيدُ أَصْرَفُوا وَجُوهَهَا إِلَيَّ.

وَالْمَنَاجِزَةُ: الْمَعَالِجَةُ بِالْقِتَالِ، وَمِنْهُ إِنْجَارُ الْوَعْدِ، وَنَجَزَ الشَّيْءَ.

وَقَوْلُهُ «مَا لَقَقْتُ فِي خِرْقِي» بَدَلٌ مِنْ قَوْلِهِ مَا ضَمَمْتُ، وَالتَّكْرَارُ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ تَفْخِيمٌ لِلْقِصَّةِ.

(١) الشعر والقصة في التبريزي ١: ٣٦٢، وذم الهوى ٢٢٠، ومصارع العشاق ٢: ٢٠٨، وتزيين الأسواق ص ٢٧٨، واعتلال القلوب خ ١٥٦، وعيون الأخبار ٤: ١٣١.

١٦٩ - وقال شماس بن أسود^(١): [الطويل]

١ - أَغْرَكَ يَوْمًا أَنْ يُقَالَ ابْنُ دَارِمٍ وَتُقَصَّى كَمَا يُقَصَّى مِنَ الْبَرْكِ أَجْرَبُ
 لَفْظُهُ لَفْظُ الاسْتِفْهَامِ، وَالْمَعْنَى مَعْنَى التَّوْبِيخِ وَالتَّقْرِيعِ. وَيُقَالُ: غَرَّهْ، إِذَا غَشَّهْ
 وَخَتَرَهُ بِمَا يَجِبُ السُّكُونُ إِلَيْهِ وَالْإِيمَانُ بِهِ. وَيُقَالُ: مَا غَرَّكَ مِنِّي، أَنِّي لِمَ وَثَقْتُ بِبِي؟
 وَمَا غَرَّكَ بِبِي، أَي لِمَ اجْتَرَأْتُ عَلَيَّ؟ وَمَا غَرَّكَ عَنِّي، أَي لِمَ غَفَلْتُ عَنِّي؟ فَيَقُولُ:
 اغْتَرَزْتُ بِقَوْلِ النَّاسِ فِيكَ هُوَ ابْنُ دَارِمٍ وَإِنْ أُخِّرَ مَتَرِلْتُكَ، وَأَقْصَيْتُ فِي نَفْسِكَ كَمَا
 يُقَصَّى الْبَعِيرُ الْجَرَبُ مِنَ الْبَرْكِ مَخَافَةَ الْإِعْدَاءِ، وَكَانَ حُكْمُ مِثْلِكَ أَلَّا يُقْنِعَهُ فَخَامَةُ الذِّكْرِ
 مَعَ سَقُوطِ الْقَدْرِ، وَلَا يَسْكُنُ مِنَ النَّاسِ إِلَى تَسْمِيَتِهِمْ إِيَّاهُ بِأَحَبِّ أَسْمَائِهِ إِلَيْهِ وَهَذَا
 فِعْلُهُمْ بِهِ. قَوْلُهُ «ابْنُ دَارِمٍ» يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَبْتَدَأً وَخَبَرُهُ مَحذُوفٌ، وَأَنْ يَكُونَ خَبَرًا
 وَالْمَبْتَدَأُ مَحذُوفٌ، وَالْمُضْمَرُ فِي الْوَجْهِينِ أَنْتَ أَوْ هُوَ. وَيُقَالُ: بَعِيرٌ جَرِبٌ وَأَجْرَبٌ،
 وَالْبَرْكُ: جَمْعُ بَارِكٍ، كَتَاَجِرٍ وَتَجِرٍ.

٢ - قَضَى فِيكُمْ نَوْسٌ بِمَا الْحَقُّ غَيْرُهُ كَذَلِكَ يَخْزُوكَ الْعَزِيزُ الْمُدْرَبُ^(٢)

نَوْسٌ هَذَا الْمَذْكُورُ كَانَ لَهُ جَارٌ، وَاهْتَضَمَهُ ابْنُ دَارِمٍ وَاسْتَأَقَ مَالَهُ، فَلَمَّا جَاءَ
 الصَّرِيخُ نَوْسًا ذَهَبَ فِي أَثَرِ ابْنِ دَارِمٍ وَارْتَجَعَ مَالَ جَارِهِ مِنْهُ. وَسَلَبَهُ مَا صَحِبَهُ مِنْ
 مَالٍ نَفْسِهِ، وَأَبَانَ يَدَهُ مِنْهُ بِضَرْبَةٍ تَنَاوَلَهُ بِهَا، فَلِهَذَا قَالَ: حَكَمَ فِيكُمْ نَوْسٌ عِنْدَ
 الْإِنْتِقَامِ لَجَارِهِ مِنْكُمْ بِحُكُومَةٍ جَائِرَةٍ خَارِجَةٍ عَنِ الْاِقْتِصَادِ إِلَى الْاِسْتِطْطَاطِ. ثُمَّ قَالَ
 «كَذَلِكَ يَخْزُوكَ» أَي يَسُوسُكَ الرَّجُلُ الْجَلْدُ الْعَزِيزُ الْمَجْرَبُ. وَهَذَا الْكَلَامُ، أَعْنِي
 كَذَلِكَ يَخْزُوكَ، يَنْجِرِي مَجْرَى الْاِلْتِفَاتِ، كَأَنَّهُ التَّفَتُّ إِلَى غَيْرِهِمْ فَيَخَاطَبُهُمْ مُبَكِّتًا لَهُمْ
 وَمُقَرِّعًا بِذَلِكَ. وَلَا يَمْتَنِعُ أَنْ يَكُونَ صَرَفَهُ الْكَلَامُ عَنْ خِطَابِ الْجَمَاعَةِ وَأَقْبَلَ يَخَاطِبُ
 الْوَاحِدَ. وَيُقَالُ: خَزَاهُ يَخْزُوهُ، إِذَا كَفَّهُ عَنِ الْمَكْرُوهِ وَحَبَسَهُ عَلَى مَرُّ الْمُرَادِ. قَالَ
 لَيْلِي: [الرمل]

وَأَخْزَاهَا بِالْبِرِّ لِلَّهِ الْأَجَلُ^(٣)

(١) التبريزي: «وقال شماس بن أسود الطهوي لحري بن ضمرة بن ضمرة بن جابر بن قطن بن نهشل».

(٢) التبريزي: «قيس بما الحق».

(٣) للبيد في ديوانه ١٨٠، واللسان (كذب، جلال، خزا)، وأساس البلاغة (خزي)، وكتاب العين ٤: ٢٩١. وصدرة:

«غير أن لا تكذبنها في التقى»

٣ - فَأَذَى إِلَى قَيْسِ بْنِ حَسَّانَ قُوْدَهُ وَمَا نَبِيلَ مِنْكَ التَّمْرُ أَوْ هُوَ أَطْيَبُ

يُخَاطَبُ ابْنُ دَارِمٍ مَتَوَعَّدًا وَمُعَيَّرًا، وَيَقُولُ: أَخْرَجَ مَا فِي ذِمَّتِكَ مِنْ ذُوْدِ قَيْسِ بْنِ حَسَّانَ إِلَيْهِ، وَحَالَكَ إِذَا رُمْتَ ظُلْمَ غَيْرِكَ أَنَّ مَا يُنَالُ مِنْكَ كَالْتَّمْرِ فِي الْحَلَاوَةِ أَوْ أَطْيَبُ. وَالْمَعْنَى: إِنَّ تَعَرُّضَكَ لِأَخِذِ مَالٍ قَرِيبٍ مِنْكَ أَوْ بَعِيدٍ عَنْكَ، مَعَ ضَعْفِ الْمُتَّةِ فِي سُقُوطِ الْعِزَّةِ، لَا يُجْدِي عَلَيْكَ نَفْعًا، وَلَا يَسُوقُ إِلَيْكَ غُنْمًا، فَارْهَدْ فِيمَا عِنْدَكَ لَهُ، وَرَدَّهُ قَبْلَ أَنْ تَسْتَوْبِلَ عَاقِبَتَهُ، وَتَسْتَوْخِمَ مَعَبَّتَهُ. وَالْوَاوُ مِنْ قَوْلِهِ «وَمَا نَبِيلَ»، وَאו الْحَالِ، كَأَنَّهُ قَالَ أَذَى وَأَنْتَ إِذَا أُكِلَتْ مَسْتَطَابٌ. وَقَوْلُهُ «أَوْ هُوَ أَطْيَبُ» أَيِ أَطْيَبُ مِنَ التَّمْرِ. وَالْحَذْفُ مِنَ الْخَبَرِ جَائِزٌ، وَقَدْ مَضَى مِثْلُهُ. وَأَوْ هِيَ أَوْ الْإِبَاحَةُ، وَقَدْ نُقِلَ إِلَى الْخَبَرِ.

٤ - فَلَمَّا تَصِلَ رِخَمَ ابْنِ عَمْرٍو بْنِ مَرْزُودٍ يُعَلِّمُكَ وَضَلَ الرُّخْمَ عَضْبَ مُجْرُبٍ

يَقُولُ: إِنَّ لَمْ تَصِلْ رِجْلَكَ مُخْتَارًا لَهُ، وَمُعَقِّيًا أَثَرَ الْعُقُوقِ بِهِ، وَمُزِيلًا عَنْ نَفْسِكَ سِمَةَ الْجَاهِلِ الَّذِي يَدْخُلُ فِيمَا لَا يُمَكِّنُهُ الْخُرُوجُ مِنْهُ، وَالْأَكْلُ مَا لَا يَقْدِرُ عَلَى اسْتِمْرَائِهِ، عَلَّمَكَ صِلَةَ الرُّخْمِ وَالْخُرُوجِ مِنَ الْحُقُوقِ، سَيَفُ قَاطِعٌ لَا يُبْقِي عَلَيْكَ وَلَا يَأْلُو تَأْدِيكَ. وَفِي طَرِيقَتِهِ السَّائِرَةُ قَوْلُهُمْ: «الطُّغْنُ يَظْأَرُ»^(١)، وَمِنَ الشُّعْرِ قَوْلُ زُهَيْرٍ: [الطويل]

وَمَنْ يَغْصِرُ أَطْرَافَ الرِّمَاحِ فَإِنَّهُ مُطِيعُ الْعَوَالِي رُكِبَتْ كُلُّ لَهْذَمٍ^(٢)

١٧٠ - وَقَالَ حُجْرُ بْنُ خَالِدٍ^(٣): [الطويل]

١ - وَجَدْنَا أَبَانَا حَلَّ فِي الْمَجْدِ بَيْنَهُ وَأَعْيَا رِجَالًا آخِرِينَ مَطَالِعُهُ

قَوْلُهُ «حَلَّ فِي الْمَجْدِ بَيْنَهُ» فِي مَوْضِعِ الْمَفْعُولِ الثَّانِي لَوَجَدَ، لِأَنَّهُ بِمَعْنَى عَلِمَ. وَالْبَيْتُ لَا يَحُلُّ وَلَكِنْ يَحْلُ فِيهِ، لَكُنْهُ رَمَى بِالْكَلَامِ عَلَى السَّعَةِ وَالْمَجَازِ، لِأَنَّ الْمَعْنَى لَا يَخْتَلُ. وَيَقُولُونَ: فَلَانٌ عَالِي الْمَكَانِ، لِأَنَّهُ إِذَا عَلَا مَكَانَهُ فَقَدْ عَلَا هُوَ. وَقَالَ الْآخَرُ: [الطويل]

وَحَلَّتْ بُيُوتِي فِي يَفَاعٍ مُمَنِّعٍ

(١) يَظْأَرُ: يَعْطِفُ عَلَى الصَّلَحِ.

(٢) لَزْهَيْرٍ فِي دِيَوَانِهِ ٣١، وَاللِّسَانُ (زَجَجَ)، وَتَاجُ الْعُرُوسِ (زَجَجَ).

(٣) التَّبْرِيزِيُّ: «وَقَالَ حُجْرُ بْنُ خَالِدِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَمْرِو بْنِ مَرْزُودِ بْنِ سَعْدِ بْنِ مَالِكِ بْنِ ضَبِيْعَةَ بْنِ قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ».

فيقول: عَلِمْنَا بالاختبار في طَلَابِ الْعُلُوِّ، والاجتهاد في مَنَالِ أَقْصَى السَّمَوِّ، تَمَكَّنَ بَيْنَتْ أَبِينَا من ذِرْوَةِ المجد والشَّرَفِ، فَمَحَلَّهُ فَائِتٌ لَا يُلْحَقُ، وَمَطْلَعُهُ مُعْجَزٌ لَا يُمَكِّنُ، إِذْ كَانَ مَدَاهُ الْعَايَةِ التي ليس وراءها مُسْتَشْرِفٌ لِنَظَرٍ، وَلَا مَنَالٌ لِلْإِحْقِ.

٢ - فَمَنْ يَسْنَعُ مِثْلًا لَا يَنْتَلِ مِثْلَ سَعْيِهِ ولكن مَتَى ما يَزْتَجِلْ فهو تَابِعُهُ يَقُولُ: من طَلَبَ نَيْلَ مَكَانِهِ، أو الارتقاء إلى درجته، بِسَعْيٍ يَتَكَلَّفُهُ وَيَجْهَدُ فِيهِ نَفْسُهُ وَقَفَ دُونَهُ وَقَعَدَ بِهِ طَوْقُهُ، وكان أَقْصَى غَايَتِهِ بعد استفراغ مجهوده، أن يكون تَابِعًا لَهُ، ووَاطِنًا عَقِبِهِ؛ فَأَمَّا مُسَامَاتُهُ فِي مَدَارِجِهِ، أو مُسَامَتَتُهُ فِي مَطَالِيعِهِ، فلا سَبِيلَ إِلَيْهِ، وَلَا مَطْمَعٍ فِيهِ.

وقد سَلَكَ الْأَعْشَى هذا الْمَسْلَكَ فقال: [البسيط]

كُلُّ سَيْرِزَصَى بَأَنْ يُلْقَى لَهُ تَبَعًا^(١)

وذكر الارتحالِ حَسَنٌ في الاستعلاء مع ذكر السَّعْيِ. وقد قيل: «لولا السَّعْيُ لم تكن المَسَاعِي».

٣ - يَسُودُ ثَنَانًا مِّنْ سِوَانَا وَيَذُوتُنَا يَسُودُ مَعَدًا كُلَّهَا مَا تُدَاوِفُهُ

الثَّنَى: مَنْ دُونَ الرَّئِيسِ، لَكِنَّهُ يَلِيهِ فِي الرُّبُوبَةِ. وَالْبَذْءُ: السَّيِّدُ غَيْرُ مُدَافِعٍ عَنْ أَوْلِيَّةِ سِيَادَتِهِ، فَكَأَنَّ الْمُرَادَ بِهِمَا الْأَوَّلُ فِي الرِّيَاسَةِ وَالثَّانِي. وَأَضْلَهُ مِنْ ثُنَيْتِ الشَّيْءِ، وَفِي حَدِيثِ النَّبِيِّ ﷺ: «لَا ثُنْيَ فِي الصَّدَقَةِ»^(٢). وَالْمَعْنَى أَنَّهَا لَا تُوَخَّذُ فِي السَّنَةِ مَرَّتَيْنِ. وَيُقَالُ: ثُنَيْتُ الشَّيْءِ ثُنْيًا، ثُمَّ يُسَمَّى الْمَثْنِيُّ ثُنْيًا وَمَا ثُنِيَ بِهِ هُوَ أَيْضًا ثُنْيًا. وَعَلَى هَذَا الضَّعْفُ، يُقَالُ: ضَعَفْتُ الشَّيْءَ مُخَفِّفًا فِي مَعْنَى ضَاعَفْتُ ضَعْفًا، ثُمَّ يُسَمَّى الْمَضْعُوفُ ضِعْفًا بِالْكَسْرِ، وَالْمَضْعُوفُ بِهِ ضِعْفًا أَيْضًا. قَالَ^(٣) لَبِيدٌ: [الطويل]

وَعَالَيْنَ مَضْعُوفًا وَفَرْدًا سُمُوطُهُ

(١) ديوانه ص ٨٦، وصدرة:

«تلقى له سادة الأقبام تابعة»

(٢) رواه ابن الأثير ١: ٢٢٤، وفسره: أي لا تؤخذ الزكاة مرتين في السنة.

(٣) للبيد في ديوانه ٢٤٣، واللسان (ضعف، شكك)، وأسرار البلاغة (ضعف). وعجزه:

«جمائنا ومرجاننا يشك المفاصل»

والبَدْءُ: العَظْمُ المنفصل مما عليه من اللحم، كَأَنَّهُ من هذا. قال: [الرملة]
أَغْلَبَتِ الشُّثْوَةُ أَبْدَاءَ الْجُرُزِ^(١)

ومعنى البيت: المغمور فينا إذا حَصَلَ في غيرنا سادَهُم وَعَلَاهُم، والرئيس مِمَّا تُسَلِّمُ له الرِّياسة على قبائلٍ مَعَدَّ كُلِّهَا، غيرَ مُعَارَضٍ فيها، ولا مُدَافِعٍ عنها.

٤ - وَنَحْنُ الَّذِينَ لَا يُرَوِّعُ جَارُنَا وَبَغْضَهُمُ لِلْعَدْرِ صُمٌّ مَسَامِعُهُ

يَصِفُ عَزَّهُمْ وَمُنْعَتَهُمْ، وَعَهْدَهُمْ وَوَفَاءَهُمْ، وَأَنَّ الْمُجَاوِرَ لَهُمْ، وَالْمَعْتَصِمَ بِحَبْلِهِمْ، يَبْقَى آمِنًا مَعَهُمْ غَيْرَ مَذْعُورٍ، وَمَوْفُورًا غَيْرَ مَسْلُوبٍ. ثم قال مُعَرِّضًا بغيره: وَبَعْضُ النَّاسِ لَمَّا يَسْتَعْمِلُهُ مِنَ الْعَدْرِ، وَيَشْتَهَرُ بِهِ مِنْ تَضْيِيعِ الذَّمِّ، وَلَكُونِهِ مُنْطَوِيًا فِيمَا يَأْتِيهِ عَلَى الْإِصْرَارِ، يُصِمْ مَسَامِعَهُ عَنْ ذِكْرِ الْعَارِ، فَلَا يُبَالِي بِذَمِّ النَّاسِ لَهُ، وَلَا يَأْتِفُ مِنْ تَهْجِنِهِمْ أفعَالَهُ. وفي طريقته قول الآخر^(٢): [الكامل]

إِنْ يَجْبُئُوا أَوْ يَغْدِرُوا أَوْ يَبْخَلُوا لَا يَخْفِلُوا
يَغْدُوا عَلَيْكَ مُرَجَّلِينَ كَأَنَّهُمْ لَمْ يَفْعَلُوا^(٣)

وكان وجه الكلام أن يقولَ لَا يُرَوِّعُ جَارُهُمْ، حتى يرجعَ من الصَّلَةِ إلى الموصول الذَّكَرُ؛ لكنَّهُ لما كان المقصودُ بقوله نحنُ والذين شيئًا واحدًا - لم يُبَالِ بِرُجُوعِ الضمير إلى كلِّ واحدٍ منهما، وقد مَضَى مثله.

٥ - نُدْهِدُقُ بَضْعَ اللَّحْمِ لِلْبَاعِ وَالنَّدَى وَبَغْضَهُمْ تَغْلِي بِذَمِّ مَنَاقِعِهِ

الذَّهْدَقَةُ: الصَّوْتُ. وَالْبَضْعُ: الْقَطْعُ. أي نتولَّى ذلك كَرَمًا مِنَّا على اعتِسَافِ وسوءِ نَأْتٍ: ويجوز أن يكونَ البَضْعُ جمعَ بَضْعَةٍ فيكونُ المعنى: إِنَّا نُقَلِّبُهَا فِي الْقُدُورِ، فَلِعِظَمِهَا يُسَمَّعُ لَهَا فِي التَّقَلُّبِ صَوْتُ. وَالْمَنَاقِعُ: جمعُ الْمَنَقَعِ وَالْمُنْفَعَةِ، وَهِيَ الْقُدُورُ الصَّغَارُ، وَقِيلَ: هي الْأَتَوَارُ^(٤) الصَّغِيرَةُ. وَقِيلَ: الْمَنَاقِعُ وَاحِدُهَا، وَأَصْلُهُ مَا يُنْقَعُ فِيهِ

(١) لطفة بن العبد في ديوانه ٥٩، واللسان (بدأ، يسر) وكتاب العين ٨: ٨٤، وتاج العروس (بدأ، يسر).

(٢) البيتان في عيون الأخبار ٢: ٢٩، وديوان المعاني ١: ١٨٢، وأمالى القالي ٣: ٨٣، ومحاضرات الراغب ١: ١٥٠، والبيان والتبيين ٣: ٣٣٣، وقال الجاحظ عن أبي عبيدة إن هذه الأبيات من الشوارد التي لا أرباب لها.

(٣) ويَعْدُهُ عند الجاحظ:

«كأبي براقش كل يو م لونه يتخيل»

(٤) الأتوار: جمع التور: إنار من حفر أو حجارة كالإجانة.

الشيء، فاستعاره للقدور. فأما قولهم مُنْقَعُ الْبَرْمِ فقد قيل فيه ما ذكّرنا وغيره. وقد رُوِيَ مِنْقَعُ الْبَرْمِ، بكسر الميم، وتُسَرَّ على وعاء القِدرِ وذُكِرَ الْبَاعِ مَثَلٌ، والمراد الكرم. فعلى الطريقة الأولى يكون معنى البيت: يُسْمَعُ لِقَطْعِ اللَّحْمِ بِأَيْدِينَا دَهْدَقَةً، لِقَلَّةِ رِفْقِنَا فِيهِ وَسُوءِ حِذْقِنَا بِهِ، كما قال الآخر: [الطويل]

جُفَاءَ الْمَحَزِّ لَا يُصِيبُونَ مَفْصِلًا وَلَا يَأْكُلُونَ اللَّحْمَ إِلَّا تَحَذُّمًا^(١)

على الطريقة الثانية يكون المعنى: تَغْلِي قُدُورُنَا بِقَدْرِ اللَّحْمِ، فإذا قَلْبْنَاهَا فِيهَا إِقَامَةً لخدمَةِ الضَّيْفِ، واكِتِسَابًا لِلْحَمْدِ، وَرَغْبَةً فِي ابْتِنَاءِ الْمَجْدِ، تَقَلَّبَتْ وَلَهَا صَوْتُ، لِعِظَمِهَا وَاتِّسَاعِ قُدُورِهَا. وبعضُ الناس - وهذا تعريضٌ بِالْغَيْرِ - تَغْلِي قُدُورَهُ الَّتِي كَانَتْهَا مَنَاقِعُ فِي الصَّغَرِ بِذَمِّ النَّاسِ لَهُ. فقوله «بذم» في موضع الحال، تقديره: تَغْلِي مَذْمُومَةً.

٦ - وَيَخْلُبُ ضُرْسُ الضَّيْفِ فِينَا إِذَا شَتَا سَدِيفُ السَّنَامِ تَسْتَرِيهِ أَصَابِعُهُ

يُرْوَى «ضُرْسُ الضَّيْفِ» بِالرَّفْعِ عَلَى أَنْ يَكُونَ فَاعِلًا، وَسَدِيفُ بِالنَّضْبِ عَلَى أَنْ يَكُونَ مَفْعُولًا، وَهُوَ الْجَيْدُ. وَبَعْضُهُمْ يَنْصِبُ الضُّرْسَ وَيَرْفَعُ سَدِيفَ السَّنَامِ، وَالْمَعْنَى لَا يَلْتَبِسُ فِي الْوَجْهَيْنِ. يَقُولُ: وَإِذَا اشْتَدَّ الزَّمَانُ، وَأَسْنَتِ النَّاسُ، فَإِنَّ الضَّيْفَ فِينَا يَأْكُلُ سَدِيفَ السَّنَامِ، مِنَ الْإِبِلِ السَّمَانِ، عَلَى مَا تَخْتَارُهُ أَصَابِعُهُ فِي الْجِفَانِ. وَالسَّدِيفُ: قِطْعُ السَّنَامِ. وَقِيلَ: هُوَ شَخْمُ السَّنَامِ. وَمَعْنَى إِذَا شَتَا، إِذَا أَمَحَلَّ. وَذُكِرَ الْخَلْبُ كِنَايَةً عَنِ الْأَكْلِ. وَالْمَعْنَى: إِنَّا لَا نَرْضَى بِتَخْرِ الْكَسِيرَاتِ الْمَهْزُولَاتِ، بَلْ نَغْتَبِطُ خِيَارَ الْإِبِلِ وَكَرَائِمَهَا عِنْدَ حُلُولِ الضَّيْفَانِ. وَتَسْتَرِيهِ: تَخْتَارُهُ، يَقَالُ اسْتَشْرَيْتُ الشَّيْءَ أَيضًا. وَالسَّرِي: الْخِيَارُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ. وَمَوْضِعُ تَسْتَرِيهِ نَضْبٌ عَلَى الْحَالِ لِلْسَّدِيفِ، وَالْعَامِلُ فِيهِ يَخْلُبُ، كَأَنَّهُ قَالَ تَخْلِبُهُ الضُّرْسُ مَخْتَارًا بِالأَصَابِعِ.

٧ - مَتَنَعْنَا حِمَانًا وَاسْتَبَاخَتْ رِمَاحُنَا جَمَى كُلِّ قَوْمٍ مُسْتَجِيرٍ مَرَاتِعُهُ^(٢)

يقول: إِذَا أَحْمَيْنَا مَكَانًا ذَبَبْنَا أَعْدَاءَنَا عَنْهُ، وَلَا يَخْجُسُ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَلَى دُخُولِهِ، وَمَتَى شَتْنَا اسْتَبَحْنَا أَحْبَبِيَّةَ النَّاسِ لِعَزَّنَا وَقُضِّلَ قُوَّتُنَا، وَلَا اسْتِسْلَامَ الْقَبَائِلَ لَنَا، وَإِنْ كَانَتْ الْأَحْمِيَّةُ مُسْتَجِيرَةَ الْمَرَاتِعِ. وَقَوْلُهُ «مُسْتَجِيرٍ مَرَاتِعُهُ» الْهَاءُ يَرْجِعُ إِلَى جَمَى كُلِّ قَوْمٍ،

(١) هذا البيت من الحماسية رقم (٦٩٨) وهو لشقران مولى سلامان من قضاة. والتخذم: قطع اللحم بالسكين.

(٢) التبريزي: «ويروى (مستجير) وكأنه التفاف العشب من الكثرة وفراط الحماية له».

والمعنى: الجَمَى الذي قد استجار مراتعُه بالَمَمْتِنِ القوي، وتَعَزَّزَ بِالظَّهْرِ الظَّهير. وهذا إشارة إلى إيلاف الجوار، كأنها تَجَمُّعُ بين جَوَارَيْنِ في حَيِّها وَحَيِّ غيرها، تَسْتَظْهِرُ بِأَحَدِهما على الآخر. وَجَعَلَ الْفِعْلُ لِلْمَرَاتِعِ مجازًا، أي تَسْتَبِيحُ الْجَمَى الذي هذا صِفَتُهُ. ويجوز أن يكون أراد الْجَمَى الذي قد أَدَخَلَ على قَوْمِهِ الضعفاء من الأجانب في الجَوَار. ويقال: استجار، إذا تَضَمَّنَ الإِجَارَةَ وَطَلَّبَ من غيره المجاورة، واستجار أيضًا إذا طَلَّبَ أن يَدْخُلَ في الجَوَار وَيُحَامِيَ عليه. ويقال: اسْتَجَرْتُ فُلَانًا وبِفُلَانٍ، والمفعول محذوف.

١٧١ - وقال أيضًا: [الوافر]

١ - لَعَمْرُكَ مَا أَلِيَاءُ بَنٍ عَمْرُو بذي لَوْنَيْنِ مُخْتَلِفِ الْفَعَالِ^(١)

وصَفَهُ بأنه ثابت الْقَدَم بحسنِ الوفاء، محافظٌ على الذَّمار، باقٍ على طريقةٍ واحدةٍ في الشَّدَّةِ واللَّيِّنِ. فيقول: وبقاتك ما هُوَ بذي لَوْنَيْنِ يخالفُ باطْنَهُ ظَاهِرَهُ، ولا يوافقُ مَقَالَهُ فَعَالَهُ، يتنقلُ في الأهواءِ وَيَتَلَوَّنُ تَلَوْنُ الأوفاقات، فهو على أن يجيبَ كلَّ ناعِقٍ، ويتَّبِعَ كلَّ قائدٍ وسائقٍ، إِنْ ضَمِنَ لم يَفِ، وَإِنْ وَعَدَ لم يُنْجِز.

٢ - غَدَاةُ أَتَاهُ جَبَّارٌ بِإِدِّ مُعْضَلَةٌ وَحَادٌ عَنِ الْقِتَالِ^(٢)

جَبَّارٌ: رجل. والإِدِّ: الْمُتَكَرَّر من الأمر الشديد. وفي القرآن: ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا﴾ (٨٩) [مریم: الآية ٨٩]. وقد أُفْرِدَ ههنا عن موصوفِهِ فَأُجْرِيَ مَجْرَى أسماء الدَّوَاهِي. والمُعْضَلَةُ: الداهيةُ العسيرةُ الضَّيِّقَةُ. ومنه قولُهُم: هو عُضْلَةٌ من العُضَلِ، وداءٌ عُضَالٌ: الذي غَلَبَ وأَغْيَا. وقوله «غداةُ أتاهُ» ظَرْفٌ لِلْفِعْلِ الذي ذُلَّ عليه قوله «بذي لونين مختلفِ الْفَعَالِ»، كأنه جَلَبَ عليه هذا الرَّجُلُ أَمْرًا مُتَكَرِّرًا، ضَيْقًا عَسِرًا، ثم خَلَّاهُ يَضْلَى بناره ويقاسي مَكْرُوهه، ويماصِغُ خُصَمَاءَهُ فيه ويجاذِبُهُم، وَهَرَبَ هو.

٣ - فَفَضَّ مَجَامِعَ الْكَتِفَيْنِ مِنْهُ بِأَبْيَضٍ مَا يُغَبُّ عَنِ الصُّقَالِ

الْفَضُّ: الكَسْرُ والتَّفْرِيقُ، ويقال: انفضَّ الْقَوْمُ، إذا تَفَرَّقُوا. يقول: فَصَلَ مَجْمَعَ كِتِفَيْهِ بضربةٍ من سَيْفٍ يُحَادِثُ بالصُّقْلِ، ولا يتغافلُ عَنْهُ. والإِغْبَابُ: أن تَرَدَّ الإِبِلُ

(١) التبريزي: «ابن عبد».

(٢) التبريزي: «ويرى: (غداة أتاه جبارٌ يعبدُ مغفلةً) ومعناه أن جبارًا جاءه بعبد مغفله كأنه يستغفله وحاد هو عن القتال فقتله ألياء».

الماء غِبًّا. ويقال: أَعْبَ الْقَوْمَ، إذا صارت إبلهم كذلك. وليس يريدُ بِنَفْيِ الإغْبَابِ أَنْ يَدُلَّ عَلَى صَقْلِ السَّيْفِ كُلِّ يَوْمٍ؛ وَلَكِنَّ الْمُرَادَ أَنَّهُ لَا يُهْمَلُ صَقْلُهُ زَمَانًا مَمْتَدًّا؛ إِذْ كَانَ صَاحِبُهُ يَسْتَعْمِلُهُ كُلَّ يَوْمٍ. وعلى هذا ذَكَرُ الْغَيْبِ فِي الْمَثَلِ السَّائِرِ: «رُزْ غِبًّا تَزْدَدُ حُبًّا»^(١).

٤ - قَلَوْ أَنَا شَهِدْنَاكُمْ نَضْرَنَّا بِذِي لَجَبٍ أَرْبَ مِنَ الْعَوَالِي يقول: لو حَضَرْنَاكُمْ لَنَضْرَنَّاكُمْ وَجَاهَدْنَا مَعَكُمْ بِجَيْشٍ لَهُ جَلَبَةٌ وَصَوْتُ، أَرْبَ لِكثْرَةِ الرِّمَاحِ فِيهِ. أَيِ تُشَبِّهُ كَثْرَةَ الرِّمَاحِ فِيهِ وَالتَّفَافُهَا كَثْرَةَ شَعْرِ الْأَرْبِ. وهذا على طريق الاستعارة، لِأَنَّ أَصْلَ الرُّبِّ فِي الشَّعْرِ. وَفِي الْمَثَلِ: «كُلُّ أَرْبٍ نَقُورٌ»، يَعْنِي الْبَعِيرَ الْكَثِيرَ الشَّعْرِ عَلَى الْوَجْهِ وَالْعُنْتُونِ، لِأَنَّ مَا حَوَالِي عَيْنَيْهِ مِنَ الشَّعْرِ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ الْمَنَاطِرَ عَلَى خِلَافِ مَا تَكُونُ عَلَيْهِ فَيَنْفِرُ. وَالْعَوَالِي: جَمْعُ عَالِيَةٍ، وَيُرَادُ بِهَا جِنْسٌ مِنَ الرِّمَاحِ.

٥ - وَلَكِنَّا نَأَيُّنَا وَانْتَفَيْنَا وَلَا يَنَأَى الْحَفِيُّ عَنِ السُّؤَالِ يُرَوَّى «وَانْتَفَيْنَا». يقول: بَعُدْنَا عَنْكُمْ فَاسْتَقْلَلْتُمْ بِأَنْفُسِكُمْ وَاسْتَغْنَيْتُمْ عَنْنَا يَعَاضِدُكُمْ فِي كُلِّ مَا يَدْهَمُكُمْ، فَلَمْ تَدْعُكُمْ حَاجَةً إِلَى مَجَاوِرَتِنَا، وَلَا أَلْجَأْتَكُمْ الضَّرُورَةَ إِلَى التَّكْثُرِ بِنَا. وَالرَّجُلُ اللَّطِيفُ الْبَارُّ بِصَاحِبِهِ لَا يَبْعُدُ عَنِ تَنْسُمِ الْأَخْبَارِ وَاسْتِنْسَائِهَا لِمَنْ يُهْمُهُ أَمْرُهُ، وَإِنْ بَعُدَ بِنَفْسِهِ وَمَكَانِهِ. وَمَنْ رَوَى «وَانْتَفَيْنَا» كَانَ الْمَعْنَى اكْتَفَيْنَا فِي الْبُعْدِ عَنْكُمْ فَلَمْ نَحْتَاجْ إِلَيْكُمْ. وَالْقَصْدُ فِي الرَّوَايَتَيْنِ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بِإِحْدَى الْجَنْبَتَيْنِ انْتِقَارًا إِلَى الْأُخْرَى، فَصَارَ ذَلِكَ سَبَبًا فِي التَّنَائِي، وَعُذْرًا بَيْنًا فِي التَّأَخُّرِ عَنِ الْمَعَاوَنَةِ وَالْمَكَائِفَةِ. وَدَلَّ بِقَوْلِهِ: «وَلَا يَنَأَى الْحَفِيُّ» عَلَى أَنَّ الْقُلُوبَ فِي التَّعَطُّفِ وَالْخُلُوصِ، عَلَى مَا يُوجِبُهُ الْوِدَادُ وَلَمْ يَغْيَرْهَا الْبَعَادُ. وَيَقَالُ: فَلَانٌ حَفِيٌّ بِفُلَانٍ ظَاهِرُ الْحِفْوَةِ، أَيِ الْبِرِّ.

١٧٢ - وَقَالَ حَسَّانُ بْنُ عُلبَةَ^(٢): [الطويل]

١ - إِذَا كُنْتُ مِنْ سَعْدٍ وَأَمَّكَ مِنْهُمْ غَرِيبًا فَلَا يَغْفِرُكَ خَالِكَ مِنْ سَعْدٍ

(١) ذكره ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث ٣: ٣٣٦ وفسره: «الغيب من أورد الإبل: أن ترد الماء يومًا وتدعه يومًا ثم تعود، فنقله إلى الزيادة وإن جاء بعد أيام».

(٢) التبريزي: «وقال حسان بن علة».

يقول: إذا كنت بعيداً عن وطنك ودّوك من قبل أبيك، وحاصلاً في بني خالك، ضارباً فيهم بسهمه الخؤولة، لكون أمك منهم، فلا تغترّ بهم، ولا تعتمد على قرابتك فيهم، فإن التشابك الموثوق به المستصلح لإغداه، إذا كان الالتحام بالأبوة لا بالأبوة. فأما الخؤولة فمشابهة للغربة، بعيدة من القرى والقريّة، والمكانة والنصرة. وهذا المعنى قد كشفه غيره فقال: [الطويل]

بَسُونَا بَسُو أَبْنَانَنَا وَبَنَاتَنَا بَسُوهُنَّ أَبْنَاءَ الرِّجَالِ الْأَبَاعِدِ^(١)

قوله «في سعد» يجوز أن يكون خبراً، ويُجعل غريباً مُتَّصِباً على الحال، ويكون العامل فيه كُنتُ، أو العامل في الظرف. ويجوز أن يجعل في سعد لغواً، ويُجعل غريباً خبر كان. وقوله «فلا يغزك» جعل التثني في اللفظ للخال، والمعنى: لا تغترّ بخالك من سعد، لأن المنهي هو المخاطب. ومثل هذا قولهم: لا أريتك ههنا. وقول الآخر: [البسيط]

إِنَّ الرِّيَاضَةَ لَا تُنْصِبُكَ لِلشَّيْبِ^(٢)

٢ - فَإِنَّ ابْنَ أُخْتِ الْقَوْمِ مُضْعَى إِنَاؤُهُ إِذَا لَمْ يُزَاجِمْ خَالَهُ بِأَبٍ جَلْدِ

يقول: ابن أخت القوم منحوس الحظ، منقوص الشرب، ممال الإناء والحوض متى لم تنجده أبوة يشتد بها أمومته، وعمومه يتأيد بها خؤولته. وهذه الأمثال مضرورية للهيضة تلحق فلا يتحرك لدفعها الأخوال وإن كان بين ظهرائهم، ولأن الحمية إنما يبعثها ترافد بني الأعمام، أو المنتسبين إلى الآباء، وجواب إذا لم يزاغم مقدّم، وهو ظرف لإصغاء الإناء، واستعارة الإناء ههنا كما قال زهير: [الطويل]

وَمَنْ لَا يَذُّدُ عَنْ حَوْضِهِ بَسِلَاجِهِ يُهْدَمُ وَمَنْ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ يُظْلَمِ

ومن هذه الطريقة قوله: [البسيط]

يَا جَفَنَةً كَنْصِيحِ الْحَوْضِ قَدْ كُفِّتْ بِثَنِي صِفَيْنَ يعلو فوقها القتر^(٣)

(١) للفرزدق في خزنة الأدب ١: ٤٤٤، وبلا نسبة في الحيوان ١: ٣٤٦، والدرر ٢: ٢٤، وشرح الأشموني ١: ٩٩.

(٢) للجميح الأسدي في خزنة الأدب ١٠: ٢٤٦ وشرح اختيارات المفضل ١: ١٥٣، وبلا نسبة في جواهر الأدب ٢٣٩. وصدرة:

«ولو أرادت لقالت وهي صادقة»

(٣) لأبي زيد الطائي في ديوانه ٦٩، والمعاني الكبير ٨٨٦، وبلا نسبة في جمهرة اللغة ٣٩٣.

وإن كان في الكَفءِ ما لَيْسَ في الإِضعَاءِ، فاعلمهُ.

١٧٣ - وقال بَعْضُ بني جُهينة^(١): [الطويل]

١ - أَلَا هَلْ أَتَى الْأَنْصَارُ أَنْ ابْنَ بَخْدَلٍ حُمَيْدًا شَفَى كَلْبًا فَقَرَّتْ عُيُونُهَا^(٢)
هذا الاستفهام طريقه طريق التمني وإظهار الميل إلى أن يكون الأنصار شركوه
في العلم بالحالة التي يقتضها. ويجوز أن يكون أخرج الكلام على هذا ليبلغوا.
فيقول: هل تأدَّى خَبَرُ حُمَيْدِ بْنِ بَخْدَلٍ فيما كان من نُصْرِهِ كَلْبًا عَلَى قَيْسٍ، وإِقْرَارِهِ
عُيُونَهُمْ مِنْهُمْ، وشفائه قلوبهم مما كان تَدْخَلُهَا مِنْ عَدَاوَتِهِمْ، واحتاج فيها من نار
حَقُّودِهِمْ.

٢ - وَأَنْزَلَ قَيْسًا بِالْهَوَانِ وَلَمْ تَكُنْ لِثَقْلِجٍ إِلَّا عِنْدَ أَنْزِرٍ يُهَيِّئُهَا
يقول: وأحلَّ حُمَيْدٌ قَبِيلَةَ قَيْسٍ بِمَحَلِّ الدُّلِّ والامتهان، والهَضْمُ والهَوَانُ، حتَّى
كَفُّوا عَنْ مَجَادِبَةِ كَلْبٍ والتعرض لهم بالسوء. ثم قال: ولم تَكُنْ قَيْسٌ تَنْزَجِرُ وترتدع
إِلَّا عِنْدَمَا يُسْقِطُهَا، وَيُنْزِلُهَا بَدَارُ الرُّغْمِ وَيُسْخِطُهَا، لَقَرَطٍ لَجَاجِهَا، وَتَأْبِيهَا وَجِمَاجِهَا.
واللَّامُ مِنْ «لِثَقْلِجٍ» لَامُ الْجُحُودِ.

٣ - فَقَدْ ثُرِكَتْ قَتْلَى حُمَيْدِ بْنِ بَخْدَلٍ كَثِيرًا ضَوَاجِيهَا قَلِيلًا دَفِينُهَا
هذا بيانٌ لِمَا حَلَّ بِقَيْسٍ. يَقُولُ: ثُرِكَتِ الْقَتْلَى الَّذِينَ أَبَادَهُمْ حُمَيْدُ بْنُ بَخْدَلٍ
بِالْعَرَاءِ، فَقَدْ كَثُرَ بَوَارِزُهُمْ لِلشَّمْسِ، وَقَلَّ دَفَائِنُهُمْ فِي الْأَرْضِ. وَإِنَّمَا يُقْطَعُ بِمَا يَصِفُ
مَا دُفِعَ إِلَيْهِ قَيْسٌ وَابْتُلِيَ بِهِ. وَالضَّوَاجِي: جَمْعُ ضَاجِيَةٍ، وَهِيَ الظَّوَاهِرُ، وَالْفِعْلُ مِنْهُ
ضَجِيٌّ يَضْحَى عِنْدَ الْكُوفِيِّينَ، وَلُغَةٌ أُخْرَى ضَحَى يَضْحَى، وَهَذَا أَفْصَحُ. وَفِي الْقُرْآنِ:
﴿وَأَنَّكَ لَا تَظْمَرُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى﴾ [طه: الآية ١١٩]. وَأَضَافَ قَتْلَى إِلَى حُمَيْدٍ
لأنَّه الْمُوقِعُ بِهِمْ، الْقَاتِلُ لَهُمْ.

٤ - فَلِنَا وَكَلْبًا كَالْيَدَيْنِ مَتَى نَقَعَ شِمَالُكَ فِي الْهَيْجَا تُعْنِكَ بِمِئْتِهَا
هذا الكلامُ تَحْمُدٌ وَتَنْبِيهُ عَلَى أَنَّ مَا يَجْمَعُهُمْ وَكَلْبًا فِي نَهَايَةِ الْقُوَّةِ وَالِاسْتِحْكَامِ،
فَلَا يَغْرِضُ فِيهِ قُتُورٌ، وَلَا يَتَسَلَّطُ عَلَيْهِ كَلَّةٌ وَلَا قُصُورٌ، فَهَمَّ كَالْيَدَيْنِ إِذَا دُفِعَتْ إِحْدَاهُمَا
إِلَى شِدَّةِ أَعَانَتِهَا الْأُخْرَى. وَجَعَلَ الْفُضْلَى مِنَ الْيَدَيْنِ - وَهِيَ الْيَمِينُ - مَثَلًا لِأَنْفُسِهِمْ.

(١) التبريزي: «وقال بعض بني جهينة في وقعة كلب وفزارة».

(٢) التبريزي: «ويروى: الأشراف، والأمصار».

١٧٤ - وقال المنخلُ البشكري^(١): [مرقل الكامل]

١ - إِنْ كُنْتُ عَاذِلْتِي فَسِيرِي نَحْوَ الْعِرَاقِ وَلَا تَحُورِي

يَسْتَغْفِي مِنْ لُؤْمِهَا وَتَفْرِيعِهَا فِي تَبْذِيرِ الْمَالِ وَإِتْلَافِهِ، وَتَرْكِ الْأَذْخَارِ مِنْه
لِيَوْمِهِ وَعَدِهِ؛ فيقول: إِنْ كَانَ ذَابُكَ إِدْمَانٌ عَذْلِي، وَالِاسْتِمْرَارَ فِي تَوْبِيخِي،
فَفَارِقِيْنِي وَخُذِي طَرِيقَ الْعِرَاقِ لَارْذُكَ اللَّهُ. قَوْلُهُ «لَا تَحُورِي» دُعَاءٌ عَلَيْهَا، مِنْ
قَوْلِكَ حَارَ أَي رَجَعَ. وَمِنْهُ قَوْلُ النَّاسِ: «نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْحُورِ بَعْدَ الْكُورِ»، لِأَنَّ
النَّقْصَانَ تَرَاوَجَ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ «سِيرِي» دُعَاءٌ أَيْضًا، كَأَنَّهُ قَالَ فَسَيَّرِكَ اللَّهُ وَلَا
رَذُكَ!

٢ - لَا تَسْأَلِي عَنْ جُلٍّ مَا لِي وَانْظُرِي كَرَمِي وَخَبِيرِي

قَالَ الْخَلِيلُ: الْخَيْرُ: الْهَيْئَةُ. يَقُولُ: اتْرَكِي الْبَحْثَ وَالْفَحْصَ عَنْ ذَخَائِرِي
وَمَعَاطِمِ مَالِي، وَلَكِنْ اعْلَمِي شَرَفِي وَكَرَمِي وَحُسْنَ هَيْئَتِي وَخُلُقِي. وَقَوْلُهُ «وَانْظُرِي»
مَعْنَاهُ وَاعْلَمِي. وَعَلَى هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَسْأَلُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ [الأنفال:
الآية ٦]، أَي يَغْلَمُونَ ذَلِكَ وَيَتَيَقَّنُونَهُ. وَالْعَرَبُ تَضَعُ عِبَارَاتِ طُرُقِ الْعِلْمِ فِي مَوْضِعِ
الْعِلْمِ. يَقُولُونَ: سَمِعْتُ كَذَا، بِمَعْنَى عَلِمْتُهُ. وَعَلَى هَذَا قَوْلُنَا: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ.
وَيَقُولُونَ: دَقْتُ الشَّيْءَ بِمَعْنَى عَلِمْتُهُ وَخَبَرْتُهُ. وَيَقَالُ: شَمِمْتُ رَائِحَةَ الْفَضْلِ مِنْ فُلَانٍ،
أَي عَلِمْتُهُ.

٣ - وَفَوَارِسِ كَأَوَارِ حَرِّ النَّارِ أَخْلَاسِ الذُّكُورِ

يَقُولُ: وَرُبُّ فُزْسَانٍ يَشْتَعِلُونَ لَيْلًا وَنَهَارًا، ذِكَاءً وَحَمِيَّةً، وَبَاسًا وَنَجْدَةً،
اشْتِعَالَ النَّارِ، وَيَلْزَمُونَ ظَهْرَ الذُّكُورِ مِنَ الدَّوَابِّ الْزَلُومِ الشَّدِيدِ، إِذْ كَانَ ذَلِكَ
شَأْنَهُمْ وَدَأْبَهُمْ. وَجَوَابُ رُبِّ مُنْتَظَرٍ. وَقَوْلُهُ «كَأَوَارِ حَرِّ النَّارِ»، الْأَوَارُ: التَّوْهُجُ
وَالِالْتِهَابُ، وَلِهَذَا أَضَافَهُ إِلَى الْحَرِّ. وَيَقَالُ: وَأَزَّتِ النَّارُ، إِذَا تَوَهَّجَتْ، وَمِنْهُ
الْإِرَةُ. وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَالْأَصْلُ فِي أَوَارٍ وَوَارٍ، فِيمَا أَنْ يَكُونَ قَدْ قُلِبَ، فَقَدْ
الْهَمَزَةُ، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ لُيِّنَ الْهَمْزَةُ ثُمَّ أُبْدِلَ مِنَ الْوَاوِ الْمَضْمُومَةُ الَّتِي هِيَ فَاءُ الْفِعْلِ
هَمْزَةً، كَمَا فُعِلَ فِي وَقَّتْ إِذَا قِيلَ أَقَّتْ، فَصَارَ أَوَارًا. وَقَوْلُهُ «أَخْلَاسِ الذُّكُورِ»،

(١) التبريزي: «وقال المنخلُ بن الحارث البشكري: قال أبو هلال: المنخلُ بن مسعود بن عمرو
البشكري جاهلي كان ينادم النعمان بن المنذر، وهو الذي سعى بالنابغة الذبياني إلى النعمان في
أمر المتجرّدة فلحق النابغة بآل جفنة الغسانيين».

الجِلس: كل شيء وَلِي الظَهْرَ تحت الرِّخْل. وَحَكِي ثَغْلَبَ عن ابن الأعرابي أَنَّ الأحلاس البُسْطُ، واجدُها جِلْسٌ، قال: ومنه الخبر: «إِذَا ظَهَرَتِ الْفِتْنُ فَكُنْ جِلْسَ بَيْتِكَ». وَأَنشَدَ: [الرجز]

تَوَمَّنتُ عَنْهُنَّ غُلَامًا جِنْسًا وَقَدْ تَغَطَّى قَرْوَةً وَجِلْسًا

ومنه استَخَلَسَ الأرضَ بالنياتِ، والأرضُ بالظلام. ولما آدَى الْجِلْسُ معنى اللزوم صَحَّ الوَصْفُ به. وعلى هذا أسماء الأجناس إذا ضُمَّنَّ مَعَانِي الأفعال.

٤ - شَدُّوا دَوَابِرَ بَيْضِهِمْ فِي كُلِّ مُحْكَمَةِ الْقَتِيرِ

٥ - وَاسْتَلَامُوا وَتَلَبَّبُوا إِنَّ التَّلَبَّبَ لِلْمُغِيرِ

قوله «شَدُّوا دَوَابِرَ»، هو جَوَابُ رَبِّ. والمعنى: رَبُّ فِرْسَانِ هذا صفتهم اسْتَعْدُّوا. والمعنى: اسْتَعْدُّوا مَعِيَ أَوْلِي مُغِيرِينَ أَوْ مُدَافِعِينَ، بَأَن شَدُّوا مَآخِرَ الْمَغَافِرِ فِي جُيُوبِ دُرُوعٍ مُحْكَمَةٍ رُؤُوسِ الْمَسَامِيرِ، ضَبِيقَةُ السَّرْدِ. والدوابر، واجِدَتُهَا دَابِرَةٌ وهي المَآخِرُ، وَتُسْتَعْمَلُ أَيْضًا فِي الْحَوَافِرِ وَالْمَخَالِبِ. ومنه قَطَعَ اللهُ دَابِرَتَهُمْ، لِأَنَّ سِبَاعَ الطُّيُورِ إِذَا قُطِعَتْ دَوَابِرُهَا تَغَطَّلَتْ عَنِ الْكَسْبِ. «اسْتَلَامُوا»، أَي لَبَسُوا اللَّوْمَ، وهي جَمْعُ لَأْمَةٍ. وَقَعْلَةٌ وَقَعْلٌ قَلِيلٌ، وَمِثْلُهُ نَوْبَةٌ وَنُوبٌ. وهي من الملاءمة المطلوبة فِي نَظْمِ الْحَلْقِ وَسَرْدِهَا. وَلَمَّا كَانَ الْوَاوُ الْعَاطِفَةُ لَا تُوجِبُ شَيْئًا مِنَ التَّرْتِيبِ لَمْ يَبَالِ بِتَأْخِيرِ اسْتَلَامُوا، وَإِنْ كَانَ لَبَسَ الدُّرُوعِ مُقَدِّمًا عَلَى لَبَسِ الْبَيْضِ، وَشَدُّوا دَوَابِرَهَا فِيهَا. وَقوله «إِنَّ التَّلَبَّبَ لِلْمُغِيرِ» يَجْرِي مَجْرَى الْإِلْتِفَاتِ. وَالتَّلَبَّبُ: التَّحَرُّمُ، وَقِيلَ هُوَ الْإِنْتِطَاقُ وَالتَّجَرُّدُ. وَيُمْكِنُ الْاسْتِشْهَادُ بِهَذَا عَلَى أَنَّ الْفَوَارِسَ الْمَوْصُوفِينَ كَانُوا مُغِيرِينَ.

٦ - وَعَلَى الْجِيَادِ الْمُضْمَرَا تِ فَوَارِسَ مِثْلُ الصُّقُورِ^(١)

الواو من قوله «وَعَلَى الْجِيَادِ الْمُضْمَرَاتِ فَوَارِسَ» وَأَوُّ الْحَالِ، كَأَنَّهُ قَالَ شَدُّوا دَوَابِرَ بَيْضِهِمْ وَالْحَالُ ذَا. يُرِيدُ: رَبُّ فِرْسَانِ تَشَمَّرُوا وَاسْتَعْدُّوا مَعِيَ لِلْعَارَةِ أَوْ الدَّفَاعِ لِلْمُغِيرِينَ، وَبِإِزَائِنَا خَيَّلَ هَكَذَا. يَقُولُ: وَعَلَى الْجِيَادِ الْعِتَاقِ الْمُسَوِّمَةِ الْمَصْنُوعَةِ، فِرْسَانُ

(١) بعده عند التبريزي:

يَخْرُجْنَ مِنْ خِلَالِ الْغُبَا رِيحُفْنَ بِاللُّغَمِ الْكَثِيرِ
أَفَرَرْتُ عَيْنِي مِنْ أَوْلَى شَكَّ وَالْفَوَائِحَ بِالْعَبِيرِ

كَأَنَّهُمْ فِي حِدَّةٍ نَظَرَهُمْ وَارْتِفَاعِ نَظَرَهُمْ وَطُمُوحِهِمْ، صُقُورٌ فِي حَالٍ مَا تُخَلَّى لِلصَّبِيدِ. وَسَمِعْتُ مَنْ يَقُولُ: إِنَّ جَوَابَ رَبِّ لَمْ يَجِءْ بَعْدَ، وَإِنَّمَا أَعَادَ ذِكْرَ الْجِيَادِ لَتَبَاعُدَ رُبِّ عَنْهُ بِمَا حَالَ بَيْنَهَا، وَجَوَابُهُ أَقْرَزْتُ عَيْنِي مِنْ أَوْلَئِكَ. وَهَذَا الْبَيْتُ لَمْ يَدْخُلْ فِي الْاِخْتِيَارِ، أَغْنَى أَقْرَزْتُ عَيْنِي.

٧ - وَإِذَا الرِّيحُ تَنَآوَحَتْ بِجَوَانِبِ الْبَيْتِ الْكَسِيرِ
٨ - أَلْفَيْتَنِي هَشَّ الْيَدِ مِنْ بَمَزِي قِدْحِي أَوْ شَجِيرِي

أَخَذَ يَتَجَجُّ بِالسَّخَاءِ وَالتَّكْرُمِ، كَمَا يَتَجَجُّ بِالثَّبَاتِ وَالتَّشْجُعِ. وَهَذِهِ الْفُصُولُ تَفْسِيرُ قَوْلِهِ «وَانْظُرِي كَرَمِي وَخَيْرِي». فَيَقُولُ. وَإِذَا تَقَابَلَتِ الرِّيحُ أَوَّانَ الشَّتَاءِ، وَوَقَّتَ الْجَذْبُ وَالْإِمْحَالُ، حَتَّى زَغَزَعَتْ جَوَانِبَ الْبَيْتِ الْعَظِيمِ الْكُسُورَ وَالْأَرْكَانَ، أَلْفَيْتَنِي هَكَذَا. وَيُقَالُ: بَيِّتٌ كَسِيرٌ إِذَا كَانَ عَظِيمَ الْكُسْرِ، كَمَا يُقَالُ: رَجُلٌ جَسِيمٌ بَدِينٍ، إِذَا كَانَ عَظِيمَ الْجِسْمِ وَالبَدَنِ. وَكُسْرُ الْبَيْتِ وَكُسْرُهُ بِالْفَتْحِ وَالْكَسْرِ: جَانِبُهُ. وَتَفْسِيرُ الْكُسْرِ عَلَى هَذَا أَبْلَغُ وَأَحْسَنُ مِنْ أَنْ يُجْعَلَ فِي مَعْنَى الْمُهْدَمِ وَالْمَكْسُورِ. وَعَلَى مَا بِهِ فَقَدْ يُفَسَّرُ عَلَيْهِ. وَقَوْلُهُ «أَلْفَيْتَنِي» جَوَابٌ إِذَا. يَقُولُ: تَجِدُنِي فِي ذَلِكَ الْوَقْتُ خَفِيفَ الْيَدِ بِمَسْحِ الْقِدَاحِ، وَعِنْدَ حُضُورِ الْإِسَارِ، نَشِيطًا فِي إِجَالَتِهَا، حَرِيصًا عَلَى قُوزِهَا وَتَحْمِلِ الْكُلْفِ فِي إِدَارَتِهَا. وَقَوْلُهُ «أَوْ شَجِيرِي» الشَّجِيرُ: الْغَرِيبُ. وَيُقَالُ: نَزَلَ بَيْنَهُمْ شَجِيرًا، أَيَّ غَرِيبًا. وَإِنَّمَا يَغْنِي قِدْحًا يَتَبَرَّكُ بِهِ، فَيَسْتَعَارُ مِنَ الْغَيْرِ، فَإِذَا أَجَالَهُ الْيَاسِرُ مَعَ قِدَاحِهِ كَانَ كَالشَّجِيرِ فِيمَا بَيْنَهَا وَالدَّخِيلِ. وَالْهَشُّ الْخَفِيفُ. وَيُقَالُ اسْتَهَشَّنِي الشَّيْءُ، أَيَّ اسْتَحْفَنِي. وَمِنْهُ هُوَ يَهْشُ إِلَى إِخْوَانِهِ.

٩ - وَلَقَدْ دَخَلْتُ عَلَى الْفَتَا إِذَا الْخِذَرِ فِي الْيَوْمِ الْمَطِيرِ
١٠ - الْكَاعِبِ الْحَسَنَاءِ تَرُ قُلُ فِي الدَّمْقَسِ وَفِي الْحَرِيرِ

ذَكَرَ أَنَّ أَوْقَاتَهُ مُنْقَسِمَةً بَيْنَ الْجِدِّ وَالْهَزْلِ، وَأُمُورُهُ مُتَوَزَّعَةٌ بَيْنَ لَوَازِمِ الْحَقُوقِ، وَلَوَاجِقِ الْفُضُولِ، فَيَقُولُ: وَلَقَدْ أُعْطِيتُ الصَّبِيَّ حَقَّهُ، وَأَقِمْتُ لِلْهُوَى رَسْمَهُ، وَسَعَيْتُ فِي الْبَطَالَةِ أَوْقَاتَهَا وَأُعْطِيتُ الْخُسَارَةَ مَقَاوِدَهَا، فَدَخَلْتُ عَلَى الْفَتَاةِ الْمَخْذَرَةِ فِي أَطِيبِ أَوْقَاتِهِ اللَّذَّةِ، وَهُوَ مَا أَشَارَ إِلَيْهِ بِقَوْلِهِ «فِي الْيَوْمِ الْمَطِيرِ». ثُمَّ وَصَفَ الْفَتَاةَ فَقَالَ: كَانَتْ نَاهِدَةً الثَّدْيَيْنِ، حَسَنَةً الْخِلْقَةِ، مَوْفَرَةً الْحِظِّ مِنَ النُّعْمَةِ وَالتَّعْمَةِ، فَهِيَ تَتَبَخَّرُ فِي مَلَابِسِ الْحَرِيرِ الْمُتَلَوَّنَةِ عَلَى أَجْنَاسِهَا الْمُخْتَلِفَةِ، وَالدَّمْقَسِ: الْحَرِيرِ الْأَبْيَضِ، وَلِهَذَا

قال امرؤ القيس: [الطويل]

وَشَخِمَ كَهَذَابِ الدَّمَقْسِ الْمُفْتَلِّ^(١)

وإذا كان كذلك فقوله «وفي الحرير» ينصرف إلى سائر الألوان، ويشتمل على جميع الأجناس، فكأنه قال: تَزَلُّلٌ في أجناس الحرير، الأبيض منها وغير الأبيض يُريدُ أن معارضها من تلك الأجناس.

١١ - قَدَفَعْتُهَا قَدَفَعْتُ مَشْيِ الْقَطَاةِ إِلَى الْغَدِيرِ

١٢ - وَلِئِمْتُهَا فَتَنَفَّسْتُ كَتَنَفَّسِ الظَّنْبِيِّ الْعَقِيرِ^(٢)

قوله «فتدافعت» هو مطاوعة دافعت، ومطاوعة دَفَعْتُ اندَفَعْتُ، إلا أنه يوضع كل موضع صاحبه. فيقول: هزرتها لمساعدتي، وبعثتها لتسعى معي فانبعثت وأسمحت وهي تمشي مَشْيِ الْقَطَاةِ إذا وَقَعَتْ على الغدير، ومَشَتْ نحو الماء. وهذه المِشْيَةُ فيما يقال أحسن المَشْيِ، لأنها سرورها بالورود، وعُجْبها بالخلاء، وانتصب «مَشْيِ» على أنه مَصْدَرٌ من غير لَفْظِهِ لأن معنى تَدَاَفَعْتُ مَشَتْ، والقصدُ إلى التشبيه لأن المعنى مَشَتْ مِشْيَةً تُشَبِّهُ تلك المِشْيَةَ. وسيبويه يَضْمِرُ في مثل هذا الموضع فعلاً من لَفْظِ الْمَصْدَرِ إنَّ وَجَدَهُ، وإلا قَدَرَهُ، وَيَجْعَلُ الظاهر دليلاً عليه. وقوله «ولئمتها» يُريدُ. وَقَبْلُهَا فَتَنَفَّسْتُ. ومنه اللثام، لأنه في الفم كاللثام في الأنف. والمعنى أَنِّي لِيئَمْتُهَا فَلَجِحْتُهَا من ذلك تعب، فتَنَفَّسْتُ له تَنَفُّسًا كَتَنَفَّسِ الظَّنْبِيِّ إذا عَقِرَ. ويقال إنه في تلك الحالة يتَنَفَّسُ تَنَفُّسًا ممتداً طويلاً؛ فَشَبَّهَ تَنَهُّدَهَا به. وَيُرْوَى. «كَتَنَفَّسِ الظَّنْبِيِّ الْبَهِيرِ»، والمعنى قريب، لأنَّ الْبُهِرَ: النَّفْسُ العالي. وفي طريقة قوله «ولئمتها فَتَنَفَّسْتُ» قولُ طَرَفَةَ الْعَبْدِيِّ: [الرمل]

تَحْسِبُ الطَّرْفَ عَلَيْهَا نَجْدَةً يَا لَقَوْمٍ لِلشَّبَابِ الْمُسَبَكِرِ^(٣)

(١) لامرؤ القيس في ديوانه ١١، واللسان (دمقس) وكتاب العين ٥: ٢٥١، وصدرة:

«يَظَلُّ الْعَذَارَى يَرْتَمِينَ بِلَحْمِهَا»

(٢) لطرفة في ديوانه ٥١، واللسان (نجد) وكتاب العين ٨: ٤٦٠، وتاج العروس ٩: ٢٠٨.

(٣) بعد هذا البيت عند التريزي:

«ولقد شربت من المدا	مة بالصغير وبالكبير
وشربت بالخيال الإناء	ث والمطهمة الذكور
فلإذا انتشيت فلأنني	رب الخورنق والسدير
ولإذا صحوت فلأنني	رب الشهوية والبعير

لأنَّ المعنى في الموضوعين التنبُّهُ على تناهي الموصوف في النعمة والرِّقَّة.

١٣ - قَدَنْتُ وَقَالَتْ يَا مُنْ - حُلْ مَا بِجَسْمِكَ مِنْ حَرُورٍ

١٤ - مَا شَفَّ جِسْمِي فَعِيرُ خ - بَلِّكَ فَاغْدِثِي عَنِّي وَسِيرِي

١٥ - وَاجِبُهَا وَتُحِبُّنِي - وَيُحِبُّ نَأَقَتْهَا بِعِيرِي

قوله «قَدَنْتُ» أراد به دُنُو الشفقة، والتَّقَرَّب بحسن العطفة، لا قُرْب المَسَافَةِ. والمعنى: تَأَمَّلْتُ تَغْيُرَ لَوْنِي وَتُحُولِي، فاعتقدت أَنَّهُ من مُلَازِمَةِ تَبَدُّلٍ، وَمُقَاسَاةٍ تَعْمَلُ، فَأَعَارِثْنِي شَفَقَتَهَا وَقَالَتْ: مَا الَّذِي بِجَسْمِكَ مِنْ حَرُورٍ، أَي من أَثَرِ الْحَرُورِ. وقد اِخْتَلَفَ فِي السُّمُومِ وَالْحَرُورِ، فَمِنْهُمْ مَنْ جَعَلَ السُّمُومَ بِالنَّهَارِ وَالْحَرُورَ بِاللَّيْلِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ عَلَى الْعَكْسِ مِمَّا ذَكَرْتُ. وقال الخليل: السُّمُومُ الرِّيحُ الْحَارَّةُ، لَيْلًا هَبَّتْ أَوْ نَهَارًا. وَالْحَرُورُ: حَرُّ الشَّمْسِ. وقوله «مَا شَفَّ جِسْمِي» يقول: أَجَبْتُهَا مُبْطَلًا اعتقَادَهَا، وَمُكَذِّبًا ظَنُّهَا، وَرَاجِعًا بِالْعَنْبِ عَلَيْهَا، وَقُلْتُ: مَا أَتَحَلَّ جِسْمِي وَلَا أَثُرُ فِي لَوْنِي إِلَّا حُبُّكَ، فَاسْكُنِي عَنِّي وَسِيرِي. ومعنى سِيرِي هَوْنِي عَلَيْكَ الْأَمْرَ. وعلى نَحْوِ مَنْ هَذَا يُحْمَلُ قول الله تعالى: ﴿وَأَنطَلَقَ اللَّأَلَاءُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهِمْ﴾ [ص: الآية ٦] إِذْ لَمْ يَكُنْ ثَمَّ مَشْيٌ وَلَا انْطِلَاقٌ. ويجوز أن يكون سِيرِي أَمْرًا بِالسَّيْرِ، فَقَدْ قَالَ فِيمَا تَقْدَمُ:

قَدَقَعْتُهَا فَتَدَافَعَتْ مَشْيَ الْقَطَاةِ إِلَى الْغَدِيرِ

وقوله: وَأَحْبَبُهَا وَتُحِبُّنِي، هو بيان تَطَاوُلِ الْأَلْفَةِ بَيْنَهُمَا، وَتَوَاضُعِ الصُّحْبَةِ فِي أَيَامِهِمَا، حَتَّى صَارَتْ لَامْتِدَادِ الْمُلَازِمَةِ كَمَا حَصَلَ التَّحَابُّ بَيْنَهُمَا حَصَلَ التَّأَلُّفُ بَيْنَ بَعِيرِيهِمَا، فَإِذَا اتَّفَقَ التَّبَاعُدُ وَالْإِفْتِرَاقُ، وَتَسَلَّطَ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا الْإِشْتِيَاقُ، أَقْبَلَ الْبَعِيرَانِ يَتَحَابَّانِ، وَيَتَجَاذِبَانِ الْوَجْدَ وَالنَّزَاعَ كَمَا يَفْعَلُ الْمُتَحَابَّانِ.

١٧٥ - وَقَالَ بَاعِثُ بْنُ صُرَيْمٍ^(١): [الكامل]

١ - سَائِلُ أَسِيدٍ هَلْ تَأَزَتْ بِوَائِلٍ أَمْ هَلْ شَقِيَتْ النَّفْسُ مِنْ بَلْبَالِهَا

٢ - إِذْ أَرْسَلُونِي مَائِحًا بِدِلَالَتِهِمْ فَمَلَأْتُهَا عَلَقًا إِلَى إِنْسَابِهَا

= يَا هِنْدُ مِنْ لَمْتَيْمٍ يَا هِنْدُ لِلْعَانِي الْأَسِيرِ

(١) التبريزي: «وقال باعث بن صريم بن أسد بن تيم بن ثعلبة بن غبر بن حبيب بن كعب بن يشكر».

أَسِيدُ أَرَادَ بِهِ قَبِيلَهُ، وَلِذِ مَنَعَهُ الصُّرْفُ. وَهَذَا الْإِسْتِشْهَادُ هُوَ تَصْوِيرٌ لِلْحَالِ وَتَطَرُّقٌ إِلَى الْإِخْبَارِ. وَإِنَّمَا يَفْتَخِرُ بِأَنَّهُ قَتَلَ قَاتِلَ وَائِلٍ، وَأَدْرَكَ ثَأْرَهُ، لَمَّا اعْتَمَدَ فِي طَلَبِ دَمِهِ، وَاعْتَقَدَ أَنَّ إِدْرَاكَ شِفَاءِ النُّفُوسِ مِنْ جِهَتِهِ وَبِهِ. وَالْبَلْبَالُ: الْحُزْنُ. وَقَوْلُهُ «أَمْ هَلْ» الْإِسْتِفْهَامُ بِأَمْ دُونَ هَلْ، لِأَنَّ أَمَ هَذِهِ هِيَ الْمُنْقَطِعَةُ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْعَاطِفَةُ. لِأَنَّ تِلْكَ تَجِيءُ عَدِيدَةَ الْأَلْفِ. وَقَوْلُهُ «شَفَيْتُ النَّفْسَ» يَجُوزُ أَنْ يُرِيدَ بِهِ نَفْسَهُ، وَيَجُوزُ أَنْ يُرِيدَ بِهِ الْكَثْرَةَ وَالْجِنْسَ، كَأَنَّهُ يُرِيدُ أَنَّهُ شَفَى الْمَوْتُورِينَ فِيهِ، وَأَزَالَ مَا خَاَمَرَهُمْ مِنْ لَذَعِ الْمَصِيبَةِ، وَأَلَمِ الْفَجِيعَةِ. وَقَوْلُهُ «إِذْ أَرْسَلُونِي» إِذْ ظَرَفَ لِقَوْلِهِ ثَأْرَتِ، أَوْ لِقَوْلِهِ شَفَيْتُ. وَالْمَانِعُ: الَّذِي يَدْخُلُ الْبَثْرَ فَيَمْلَأُ الدَّلْوَ عِنْدَ قَلَّةِ الْمَاءِ فِيهَا، وَالْحَاجَةُ إِلَى الْغَرْفِ مِنْ قَعْرِهَا. وَإِنَّمَا جَعَلَ نَفْسَهُ مَائِحًا لِيُنَبِّهَ عَلَى أَنَّ طَلَبَ دَمِ الْوَاتِرِينَ كَانَ مَتَعَسِّرًا مَتَعَذِّرًا، كَمَا أَنَّ الْإِسْتِقَاءَ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي ذَكَرَهُ يَكُونُ شَأْقًا مُتَعَبًا. فَهَذَا وَجْهٌ عُذُولُهُ عَنِ الْمَنَحِ إِلَى الْمَنِيحِ. وَقَوْلُهُ «فَمَلَأْتُهَا عَلَقًا إِلَى أَشْبَالِهَا»، انْتَصَبَ عَلَقًا عَلَى التَّمْيِيزِ. وَأَسْبَالُهَا: أَعَالِيهَا، وَمِثْلُهُ الْأَضْبَارُ، وَسَبَلَةُ الرَّجُلِ مِنْهُ. وَاخْتَارَ بَعْضُهُمْ أَنْ يَرُوهُ «إِلَى إِسْبَالِهَا» بِكَسْرِ الْهَمْزَةِ، مُصَدَّرَ أَسْبَلٍ، وَلَيْسَ بِشَيْءٍ. وَالْمَعْنَى: مَلَأْتُ دِلَاءَهُمْ مِنْ دَمِ وَاتِرِيهِمْ. وَجَعَلَ لَهُمْ دِلَاءً لِإِسْتِرَاكِهِمْ فِي الدَّمِ وَطَلَبِهِ، وَلِنِيَابَتِهِ عَنْ كُلِّ أَوْلِيائِهِ. وَلَمَّا اسْتَعَارَ الدِّلَاءَ وَالْمَلِيحَ لِمَا ذَكَرْتَهُ كَتَبَ عَنْ فِعْلِهِ وَتَصَرُّفِهِ بِالْمَلَاءِ.

وَذَكَرَ بَعْضُهُمْ أَنَّ وَائِلًا الْمَقْتُولَ هُوَ وَائِلُ بْنُ صُرَيْمِ الْعُبَيْرِيِّ أَخُو بَاعِثِ الشَّاعِرِ، وَلَهُ قِصَّةٌ. وَهِيَ أَنَّ عَمْرُو بْنَ هِنْدٍ بَعَثَهُ سَاعِيًا عَلَى بَنِي تَمِيمٍ، فَكَانَ جَالِسًا عَلَى شَفِيرِ بَثْرٍ يَجْمَعُ الصَّدَقَاتِ، فَدَفَعُوا فِي صَدْرِهِ وَأَسْقَطُوهُ فِي الْبَثْرِ، ثُمَّ رَجَمُوهُ بِالْحِجَارَةِ حَتَّى قَتَلُوهُ، وَأَخَذُوا يَرْتَجِزُونَ عَلَى طَرِيقِ التَّهْكُمِ وَالِاسْتِهْزَاءِ: [الرَّجَزُ]

يَا أَيُّهَا الْمَائِحُ ذُلُّوِي دُونَكَا^(١)

فَاتَّصَلَ خَبَرُهُ بِأَخِيهِ بَاعِثٍ، فَسَارَ فِي بَنِي عُبَيْرٍ وَآلَى أَنَّهُ لَا يُمْسِكُ عَنْ مَقَاتِلَتِهِمْ حَتَّى يَمْلَأَ دُلْوًا مِنْ دَمَاءِ بَنِي تَمِيمٍ! فَفَعَلَ، حَتَّى كَانَتِ الْمَرْأَةُ تَقُولُ: «تَعَسَّتْ عُبَيْرٌ، وَلَا سَقَيْتِ الْمَطَرَ، وَلَا لَقَيْتِ الظُّفَرَ». قَالَ: فَهَذَا مَعْنَى «إِذْ أَرْسَلُونِي مَائِحًا بِدَلَائِهِمْ»، وَهَذَا حَسَنٌ، وَالْأَوَّلُ مَحْمُولٌ عَلَى طُرُقِهِمْ وَعَادَاتِهِمْ. وَمِثْلُهُ قَوْلُ الْآخَرِ: [الْوَافِرُ]

مَخَضْتُ بِدَلْوِهِ حَتَّى تَحْسَى ذَنْوَبَ الشَّرِّ مَلَأَى أَوْ قُرَابًا

(١) الرَّجَزُ لِحَارِيَّةٍ مِنْ بَنِي مَازَنٍ فِي الدَّرَجَةِ ٥: ٣٠١، وَشَرَحَ التَّصْرِيحَ ٢: ٢٢٠، وَيَلَا نِسْبَةَ فِي اللِّسَانِ (مِج)، وَأَسْرَارُ الْعَرَبِيَّةِ ١٦٥، وَخَزَانَةُ الْأَدَبِ ٦: ٢٠٠.

٣ - إِنِّي وَمَنْ سَمَكَ السَّمَاءَ مَكَانَهَا وَالْبَذَرَ لَيْلَةً نِصْفِهَا وَهَلَالَهَا
٤ - أَلَيْتُ أَثَقَفُ مِنْهُمْ ذَا لِيَخِيَةِ أَبَدًا فَتَنْظُرُ عَيْنُهُ فِي مَالِهَا

أَقَسَمَ بِمَنْ سَمَكَ السَّمَاءَ، وهو الله عز وجل. ومعنى سَمَكَ رَفَعَ، ومنه سُمِّيَ عُمُودُ الْبَيْتِ الْمِسْمَاكَ. وجواب الْقَسَمِ فِي أَلَيْتُ أَثَقَفُ، وهو خَبَرٌ إِنْ أَيْضًا. وقوله «لَيْلَةً نِصْفِهَا» أَضَافَ النِّصْفَ إِلَى السَّمَاءِ لَمَّا كَانَ اسْتِكْمَالُ الْبَذْرِ عِنْدَ انْتِصَافِ الشَّهْرِ فِي السَّمَاءِ، فَلَا جَمَاعَةَ فِي ظَهْرِ الْبَذْرِ كَامِلًا فِي السَّمَاءِ سَاعَتِ الْإِضَافَةِ بَيْنَهُمَا، عَلَى عَادَتِهِمْ فِي إِضَافَةِ الشَّيْءِ إِلَى الشَّيْءِ لِأَذْنَى مَنَاسِبَةٍ تَحْصُلُ بَيْنَهُمَا. وعلى هذا قول الآخر: [م. الخفيف]

ضَوْءٌ بَزَقَ وَابِلُهُ

إِذْ كَانَ أَضَافَ الْوَابِلَ إِلَى الْبَزَقِ لِاصْطِحَابِهِمَا. وَأَبْعَدُ مِنْهُ قَوْلُ الْآخَرِ: [الرجز]

نَخْنُ صَبَخْنَا عَامِرًا فِي دَارِهَا عَشِيَّةَ الْهَلَالِ أَوْ سِرَارِهَا^(١)

وَأَضَافَ السَّرَّارَ إِلَى الْعَشِيَّةِ لِاعْتِقَادِهِ أَنَّ اسْتِسْرَارَ الْقَمَرِ فِي الْعَشِيَّاتِ، كَمَا أَنَّ طُلُوعَهُ فِيهَا. وَعَلَى هَذَا الْكَلَامِ فِي إِضَافَةِ قَوْلِهِ «وَهَلَالِهَا» وَإِنْ كَانَ إِضَافَةُ الْهَلَالِ إِلَى السَّمَاءِ أَبَيَّنَّ أَمْرًا، وَأَقْرَبَ مُتَصَوِّرًا. فَالتَّقْدِيرُ: لَيْلَةً كَمَالِهِ فِي نِصْفِ الشَّهْرِ، وَلَيْلَةً إِهْلَالِهِ. «وَمَكَانَهَا» انْتَصَبَ عَلَى الظَّرْفِ، وَالْمَعْنَى: حَلَقْتُ بِاللَّهِ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاءَ فِي مَكَانِهَا بِلَا عَمَدٍ - وَجَعَلَ الْبَذَرَ فِيهَا كَامِلًا عِنْدَ انْتِصَافِ الشَّهْرِ، وَهَلَالًا عِنْدَ أَوَّلِهِ فِي لَيْلَتَيْنِهَا - إِنِّي لَا أَثَقَفُ مِنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ مُلْتَحِيًا أَبَدًا نَاطِرًا عَيْنَهُ فِي مَالِهِ، وَرَاجِعًا مِنْ مَقْصِدِهِ إِلَى أَهْلِهِ وَدَارِهِ. أَيْ إِذَا ثَقِفْتُهُ قَتَلْتُهُ حَتَّى لَمْ تَنْظُرْ عَيْنُهُ فِي مَالِهِ، وَلَمْ يَسْتَقِرَّ بَعْدَهُ فِي دَارِهِ وَقَرَارِهِ. وَقَوْلُهُ «أَثَقَفُ» هُوَ الْجَوَابُ، وَحُذِفَ مَعَهُ لَا لِأَنَّهُ أَمِنَ التَّبَاسُخَ بِالْوَاجِبِ، إِذْ لَوْ أَرَادَ الْوَاجِبَ لَقَالَ لِأَثَقَفَنَّ، فَلَمَّا كَانَتْ صِغَةً الْوَاجِبِ بِمَا يَلْزُمُهَا مِنَ اللَّامِ وَإِخْدَى النُّونِ الثَّقِيلَةِ أَوْ الْخَفِيفَةِ لَمْ يُبَالِ بِحُذْفِ حَرْفِ الثَّقِي. وَمِثْلُهُ قَوْلُ^(٢) الْآخَرِ: [الطويل]

فَقُلْتُ يَمِينُ اللَّهِ أَبْرَحُ قَاعِدًا وَإِنْ ضَرَبُوا

(١) بلا نسبة في اللسان (صبح، وسرر)، وتاج العروس (صبح)، ومقاييس اللغة ٣: ٦٧.

(٢) لامرئ القيس في ديوانه ٣٢، وخزانة الأدب ٩: ٢٣٨، واللسان (يمن). (وقطعوا بدل ضربوا) وتماه:

«فقلت يمين الله أبرح قاعدًا وإن ضربوا لديك رأسي وأوصالي»

لأن المراد لا أبرح. فإن قيل: إذا كان القسم يتناول ما ذكرت من قوله لا أنقف فما معنى قوله أليث؟ وهل يصح أن يقال إني خلقت والله لا أفعل كذا؟ قلت إن قوله أليث دخل مؤكداً للقسم على أحد وجهين: (أحدهما) أنه لما تناول الكلام باليمين وبعد ما بين إن وخبره ذكر أليث، ثم أتى بما هو الجواب، ليكون كالمعيد لليمين، والمجدد لما خاف من دروس رسمها. و(الثاني) أنه لما كان أليث لو اكتفى به مغنياً عن ذكر القسم به صار كتكرار اليمين، فجري مجرى قوله لو قال والله والله، وما أشبهه. فأما قوله «فتنظر عينه في مالها» فلفظه لفظ الجواب، والمعنى معنى الحال، والصفة للتكرة التي قبله، كأنه قال: لا أظفر أبداً بذي لحية إلا لم تنظر عينه في ماله. ومثله من أبيات الكتاب قول الفرزدق: [الطويل]

وما قام منا قائم في ندينا فينطبق إلا بالذي هو أعرف^(١)

لأن المعنى ناطقاً. فإن قيل: هل يجوز أن يكون جواباً؟ قلت لا، وذلك أن المعنى يفسد ويتعكس، لأن التقدير حينئذ يكون لا أنقفه، فكيف ينظر؟ أي لو ثقفته لنظر، لأن في وجه الجواب يتعلّق وقوع الثاني بوقوع الأول، ويمتنع بامتناعه، وفي هذا خروج عما يقصده المتكلم. ومثله في باب الواو: [البيسط]

لا تنه عن خلتي وتأتي مثله عاز عليك إذا فعلت عظيم^(٢)
لأن المعنى آتياً مثله.

٥ - وخمار غانية عقدت برأسها أصلاً وكان منشراً بشمالها
تبجح في هذا البيت بأنه يغيث المدعورين فيؤمئهم. والغاية: التي تستغني بجمالها عن الحلّي، وقد مضى القول مستقصى فيه. ومعنى البيت: رُب امرأة تبرجت متبرزة من خديرها حاسرة الرأس، مطارة القناع، منشورة الخمار، لما استولى عليها من الخوف، وامتلكها من الرزع والغارة الطالعة، والخيال العادية، حتى كأن خمارها طول نهارها منشور على شمالها، وهي لا تشعر أنني أنا آمنتها وحفظت عليها صيانة نفسها، ردّدت إليها عازب عقليها حتى اختمرت وأمنت ما

(١) للفرزدق في ديوانه ٢: ٢٩، وجمهرة أشعار العرب ٨٨٧، وخزانة الأدب ٨: ٥٤٠، والكتاب ٣: ٣٢.

(٢) البيت لأبي الأسود الدولي في شرح شواهد المغني ١٩٤.

كانت تَفْلُقُ لها، وَسَتَرَتْ وَجْهَهَا. وَإِنَّمَا قَالَ أَصْلًا، لِأَنَّ الْغَارَةَ كَأَنَّهَا وَقَعَتْ أَوَّلَ النَّهَارِ، وَلُحُوقُهُ لِلْإِغَاثَةِ وَالتَّذَارُكِ بِعَقِيْبِهَا، فَحَصَلَ الْأَمْنُ عَشِيَّةً. وَفِي طَرِيقَتِهِ لَعْنَتَرَةُ: [الوافر]

وَمُرْقِصَةٍ دَفَعَتْ الْخَيْلَ عَنْهَا وَقَدْ هَمَّتْ بِالْقَاءِ الزَّمَامِ^(١)

٦ - وَعَقِيْبِلَةٍ يَسْمَى عَلَيْهَا قَيْمٌ مُتَغَطِّرِسٌ أَبْدَيْتُ عَنْ خَلْخَالِهَا

لَمَّا قَدَّمَ فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ قَدَّمَ آتَى فِي الثَّانِي بِمَا يُضَادُّهُ، لِيُرِيَ أَنَّهُ كَمَا يَذْفَعُ الشَّرَّ وَالْبَلَاءَ يُوَقِّعُهُ أَيْضًا، حَتَّى يَكُونَ جَامِعًا لِلضَّرِّ وَالنَّفْعِ، كَافِيًا فِي الدَّفَاعِ وَالْوِقَاعِ، فَيَقُولُ: وَرُبَّ كَرِيْمَةٍ حَيٍّ، بَغْلُهَا أَوْ ذُو مَخْرَمِهَا الْقَائِمُ بِأَمْرِهَا مُتَكَبِّرٌ أَنْفٌ، يَرَى صِيَانَتَهَا عَنْ التَّكْشِفِ دَيْنًا، وَحِفْظَهَا عَنْ التَّبَدُّلِ كَرَمًا، أَنَا أَخْرَجْتُهَا مِنْ خِذْرِهَا، وَأَخَوَجْتُهَا إِلَى الْعَذْرِ وَطَلَبَ التَّمَلُّسِ مُشْمِرَةً عَنْ سَاقِهَا، مُبْدِيَةً خَلْخَالَهَا، مُدْبِلَةً مَصُونَهَا. أَيِ كَمَا أَمَنْتُ خَوْفْتُ، وَكَمَا سَكَنْتُ أَفْلَقْتُ.

٧ - وَكَتِيْبَةٍ سَفَعِ الْوُجُوْهَ بِوَاسِلٍ كَالْأَسَدِ حِينَ تَعْدُبُ عَنْ أَشْبَالِهَا

٨ - قَدْ قُذْتُ أَوَّلَ عُثْفُوَانٍ رَعِيْلِهَا فَلَقَفْتُهَا بِكَتِيْبَةٍ أَنْمَالِهَا

يَذْكُرُ أَنَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَ الْجَيْشِيْنَ الْعَظِيْمِيْنَ مَدْبِرًا لَهُمَا، وَمُرْسَلًا أَحَدَهُمَا عَلَى الْآخَرِ، وَأَنَّهُ عَلَى ذَاكَ يَكُونُ الْمُتَقَدِّمُ وَالْمُشَاهِدُ، وَالْمُرْتَبُّ وَالْمُصَادِمُ. فَيَقُولُ: رُبَّ كَتِيْبَةٍ قَدْ تَعَوَّدَتْ الْغَارَاتِ وَالصَّبْرَ عَلَى الْإِبْعَادِ فِيهَا، فَاسْوَدَّتْ أَلْوَانُهَا بِمَا تَقَاسِيهِ مِنَ التَّعَبِ، وَتُدِيمُ لُبْسَهُ مِنَ الْأَسْلِحَةِ، وَكَانَهَا فِي يَاسِهَا وَنَجْدَتِهَا، وَمَا تَأْوِي إِلَيْهِ مِنْ قُوَّتِهَا وَشِدَّتِهَا، الْأَسَدُ إِذَا دَبَّتْ عَنْ جَرَائِهَا، وَدَفَعَتْ عَنْ خِيْسِهَا^(٢)، أَنَا قُذْتُ أَوَائِلَهَا فَخَلَطْتُهَا بِأَمْثَالِهَا، وَقَابَلْتُهَا بِنِظَائِرِهَا مِنْ أَوَّلَى الْعَدَدِ وَالْعُدَّةِ، وَالْجَلْدِ وَالشَّدَّةِ. فَإِنْ قِيلَ: لِمَ قَالَ «أَوَّلَ عُثْفُوَانٍ رَعِيْلِهَا» وَالْعُثْفُوَانُ هُوَ الْأَوَّلُ، عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُمْ فَعَلْتُ كَذَا فِي عُثْفُوَانٍ الشُّبَابِ؟ قُلْتُ: كَأَنَّهُ أَرَادَ قُذْتُ سَوَابِقَ أَوَائِلِهَا؛ فَاضَافَ الْأَوَّلَ إِلَى الْعُثْفُوَانِ لِذَلِكَ. وَكَمَا قَادَ الْأَوَائِلَ وَالسَّوَابِقَ فَقَدْ قَادَ الْأَوَاخِرَ وَاللَّوَاخِقَ، وَلَكِنْ جَعَلَ الْقَوْدَ لِمَنْ وَلِيَهُ، وَجَعَلَ مَا بَعْدَهُمْ كَالتَّابِعِ. يُرِيدُ أَنَّهُ تَقَدَّمَ وَوَطِئَ عَقْبَهُ الْأَعْيَانُ وَالْأَفْرَادَ، ثُمَّ احْتَفَّ بِهِمْ غَيْرُهُمْ. وَحَقِيقَةُ الْعُثْفُوَانِ اعْتَنَقْتُ الشَّيْءَ، أَيِ اسْتَأْنَفْتُهُ. وَالرَّعِيلُ مِنَ الْخَيْلِ وَالرَّمَاخُ:

(١) لعنتره في ديوانه ٢٤٣، وتاج العروس (رقص)، وبلا نسبة في اللسان (جزز).

(٢) الخيس: أجمة الأسد.

أَوَائِلُهَا. وَقَوْلُهُ «بِكْتِيَّةٍ أَمْثَالِهَا»، لَوْ قَالَ مِثْلِهَا لَجَازَ، وَلَكِنَّهُ جَمَعَ عَلَى مَعْنَى طَوَائِفِ الْكْتِيَّةِ، لِاخْتِلَافِهَا.

١٧٦ - وَقَالَ الْفِنْدُ الرُّمَانِي: [الهزج]

١ - يَا طَغْنَةَ مَا شَيْخٍ كَبِيرٍ يَفْنِ بِأَلِ

٢ - تُقِيمُ الْمَأْتَمَ الْأَعْلَى عَلَى جُفْهِدٍ وَإِغْوَالِ

مَا مِنْ قَوْلِهِ «مَا شَيْخٍ» زَائِدَةٌ، أَرَادَ طَغْنَةَ شَيْخٍ، وَهَذَا اللَّفْظُ لَفْظُ النِّدَاءِ، وَالْمَعْنَى مَعْنَى التَّعَجُّبِ وَالتَّضَخُّيمِ، كَأَنَّهُ أَرَادَ: مَا أَهْوَلُهَا مِنْ طَغْنَةٍ، وَيَا لَهَا مِنْ طَغْنَةٍ بَدَّرَتْ مِنْ شَيْخٍ كَبِيرٍ السَّنَ، فَانِي الْقُوَى، بِأَلِي الْجِسْمِ. وَالْيَفْنُ: الشَّيْخُ الْخَرِمُ. قَالَ الْأَعَشَى: [المقارِب]

وَمَا إِنْ أَرَى الْمَوْتَ فِيمَا خَلَا يُغَادِرُ مِنْ شَارِخٍ أَوْ يَفْنٍ^(١)

وَيَجُوزُ فِي قَوْلِهِ يَا طَغْنَةَ مَا شَيْخٍ، أَنْ يَكُونَ الْمُنَادَى مُحَذِّقًا، فَيَكُونُ التَّنْبِيهُ بِ«يَا» مُتَنَاوِلًا غَيْرَ الطَّعْنَةِ، وَيَنْتَصِبُ عَلَى هَذَا طَغْنَةَ بِفِعْلِ مُضْمَرٍ، كَأَنَّهُ أَرَادَ: يَا قَوْمٍ أَذْكَرُ طَغْنَةَ شَيْخٍ. كَمَا قَالَ: [الطويل]

فِيَا شَاعِرًا لَا شَاعِرَ الْيَوْمِ مِثْلُهُ جَرِيرٌ وَلَكِنْ فِي كُلِّبٍ تَوَاضُعُ^(٢)

وَقَوْلُهُ «تُقِيمُ الْمَأْتَمَ الْأَعْلَى» مِنْ وَصَفِ الطَّعْنَةِ، فَكَأَنَّهُ كَانَ تَنَاوَلَ بِهَا رَئِيسًا، فَلِذَلِكَ وَصَفَ الْمَأْتَمَ بِالْأَعْلَى. وَالْمَأْتَمُ أَصْلُهُ أَنْ يَقَعَ عَلَى النِّسَاءِ يَجْتَمِعْنَ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَاشْتِقَاقُهُ مِنَ الْأَتَمِّ، وَهُوَ الضَّمُّ وَالْجَمْعُ، وَمِنْهُ الْأَتُومُ وَهِيَ الْمَرْأَةُ الَّتِي صَارَ مَسْلَكَهَا مَسْلَكًا وَاحِدًا، وَأَرَادَ بِالْمَأْتَمِ هُنَا الْجَمْعَ لِلزَّيْنَةِ، وَهُوَ بَيْنِيَّتُهُ مَضْدَرٌ وَصِفَ بِهِ. وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ بِهِ أَهْلُ الْمَأْتَمِ، فَحَذَفَ الْمُضَافُ كَمَا يُقَالُ جَاءَ الْمَجْلِسُ، وَالْمُرَادُ أَهْلُ الْمَجْلِسِ. وَقَوْلُهُ «الْأَعْلَى» يُرَادُ بِهِ الْأَفْظَعُ شَأْنًا. وَوَصَفَ الطَّعْنَةَ بِأَنَّهَا تُقِيمُ الْجَمْعَ عَلَى مُجَاهَدَةٍ وَيَلَاءٍ، وَإِسْرَافٍ فِي الصِّيَاحِ وَالْعَوَاءِ، أَيْ تُدِيمُ ذَلِكَ لَهُ. وَالْعَوِيلُ وَالْعَوْلَةُ: صَوْتُ الصَّدْرِ.

(١) لِلْأَعَشَى فِي دِيَوَانِهِ ١٧٨، وَالْمَزْهَرُ ١: ٥٨٤، وَبِلَا نِسْبَةٍ فِي اللِّسَانِ (حَرَم).

(٢) لِلصَّلْتَانِ الْعَبْدِيِّ فِي خَزَانَةِ الْأَدَبِ ٢: ١٧٤، وَشَرَحَ أَبْيَاتَ سَيَبَوِيهِ ١: ٥٦٥، وَالشَّعْرُ وَالشَّعْرَاءُ ١: ٥٠٨، وَاللِّسَانُ (كَرْب).

٣ - وَلَوْ لَا نَبْلُ عَوْضٍ فِي خُضْمَاتِي وَأَوْصَالِي^(١)

٤ - لَطَاعَنْتُ صُدُورَ الْخَيْلِ طَفْنَا لَيْسَ بِالْأَلِي

يعتذر من رضا نفسه بتلك الطعنة الواحدة. وعوض اسم للدهر معرفة مبني، وكما يُبنى على الفتح فقد يُبنى على الضم، والضم فيه حكاة الكوفيين. ويقال لا أفعله عوض العائضين. وإنما بُني لتضمينه معنى الألف واللام والخضمة: ما غلظ من الساعد والذراع، ويبدل من ميمه الباء، فيقال خضبة. وقد روي هذا البيت، وهو: [الرجز]

يُذِرِي بَازِعَاشٍ يَمِينِ الْمُؤْتَلِي خُضْمَةُ الدَّرَاعِ هَذَا الْمُخْتَلِي^(٢)

بالميم من «خُضْمَة» والباء جميعاً. ويعني ببئل الدهر تأثيره في مفاصل الشيوخ. وعلى هذا قول الآخر: [الطويل]

رَمَتْنِي بَنَاتُ الدَّهْرِ مِنْ حَيْثُ لَا أَرَى فَكَيْفَ بَمَنْ يُزَمِّي وَلَيْسَ بِرَّامٍ^(٣)

ومعنى البيت الأول: لولا رَمَيَاتُ الدهر في مفاصلي ومجاميع أعضائي، ومُستَغْلَظُ عَضْدِي وذراعي، لكان تأثيري وبلائي في الحزب أكثر مما كان، ولشَفَعْتُ تلك الطعنة ولم أتركها وتراً. وقوله «لَطَاعَنْتُ صُدُورَ الْخَيْلِ» أراد بالخيل الفُرسان أي لولا ما قَدَّمْتُ من المُذَرِّ لدافَعْتُ بالطَّغْنِ أوائل الخيل، طعناً لا تقصير فيه ولا قُصُورَ. وَخَصَّ الأوائل منهم لتقدّمه. ويجوز أن يُريدَ بالصدور الرؤساء والأكابر، وهم يَتَجَحَّوْنَ بمجاذبة العليّة. ألا تَرَى قول الآخر: [الكامل]

مَنْ عَهْدٍ عَادٍ كَانَ مَعْرُوفًا لَنَا أَسْرُ الْمُلُوكِ وَقَتْلُهَا وَقَتَالُهَا^(٤)

وكما استعملوا الصُّدُورَ في الأمائل والجِلَّةِ استعملوا في الأراذل والسُّفِلَةِ الأعجَازَ. وهذا كما قالوا: الرُّؤُوس والأذنان، وكما قال: [البسيط]

وَمَنْ يُسَوِّي بِأَنْفِ النَّاَقَةِ الذَّنْبَ^(٥)

(١) التبريزي: «خُطْبَائِي: أي جسمي».

(٢) للمعجاج في ديوانه ١: ٣١٠، واللسان رعى ورواه: «بإرعاس»، وتاج العروس (رعى، خضم).

(٣) لعمرو بن قميئة في معجم المرزباني ٢٠٠، والخزاعة ١: ٣٣٨.

(٤) البيت لبشامة بن حزن في الحماسة رقم (١٣٤).

(٥) للحطيثة في ديوانه ١٧، واللسان (ذنب، أنف)، وتاج العروس (ذنب، وأنف، كرب). =

يقال: أَلُوْتُ فِي الْأَمْرِ أَلُو، أَي قَصُرْتُ. وَجَعَلَ التَّقْصِيرَ لِلطَّنْفِ عَلَى الْمَجَازِ.

٥ - تَرَى الْحَيْلَ عَلَى آثَا رِ مُهْرِي فِي السَّنَا الْعَالِي^(١)

٦ - وَلَا تُبْقِي ضُرُوفَ الدَّهْرِ رِ إِنْسَانًا عَلَى حَالِ

قوله «على آثار مهري» موضعه نصب على الحال، والمعنى تابعين لي. و«في السَّنا» في موضع المفعول الثاني لِتَرَى، ومعنى في السَّنا قال بعضهم: الثَّور العالي: يُريد به بريق السَّلاح، كأنهم يقدمونه ويتقنون به. وهذا معنى، وأجود منه وأعلى أن يكون المعنى: تَرَى الْفُرْسَانَ إِذَا تَبِعْتَ أَثَرِي وَوَطِئْتَ عَقْبِي، فِي مَجْدِ عَالٍ قَاهِرٍ، لَهُ نَوْرٌ يَسْتَضَاءُ بِهِ. ويكون هذا في طريقة بيت الأعشى: [البسيط]

كُلُّ سَيْرَضَى بَانَ يُلْقَى لَهُ تَبَعًا^(٢)

وشرحه بأنهم يزصون برياستي عليهم، ويعتدون أتباعهم لمراسمي، واحتذاءهم لأثاري مما يغلو به سنأهم، ويسمو به علاهم. وقوله «ولا تبقي ضُرُوفَ الدَّهْرِ» تسلية لنفسه فيما صار إليه من ضعف بعد قوة، وهزم بعد شبيبة، حتى رضى بأذنى المنزلتين في ممارسة الحزب، ووقف عند أقصر السَّغِينِ فِي مُلَابَسَةِ الضَّرْبِ وَالطَّنْفِ. وقوله «على حال» في موضع الصفة لإنسانًا، وتعلق على بمضمر، كأنه قال: لا تبقي حوادث الدهر إنسانًا قائمًا، أو ثابتًا على حال، بل تبدل وتحول، وكما تُعْطِي تَرْجِعُ.

٧ - تَفَقَّيْتُ بِهَا إِذْ كَرِهَ الشُّكَّةَ أَمْثَالِي

٨ - كَجَبِيبِ الدَّفْنِسِ الْوُزْهَا رِ رِيَعَتْ بَعْدَ إِجْقَالِ

الشُّكَّةُ: مَا يُلبَسُ مِنَ السَّلاح، وقد شكَّ الرَّجُلُ فِي السَّلاح، إِذَا لَبَسَهُ يَشْكُ شُكًا، وَهُوَ شَاكٌ. يَقُولُ: تَكَلَّفْتُ بِهَذِهِ الطُّغْنَةِ وَإِحْدَائِهَا فَعَلَّ الْفَتَيَانِ وَأَبْلَيْتُ بِهَا بَلَاءَ الشُّبَّانِ، فِي وَقْتٍ يَكْرَهُ فِيهِ حَمْلَ السَّلاحِ أَمْثَالِي مِنَ الرِّجَالِ الشُّيُوخِ، فَكَيْفَ

= وصدره:

«قوم هم الأنف والأذنان غيرهم»

(١) التبريزي: «ويروى: (في الثبا العالي)، والأصل العالية، ولكن ذكره على على اللفظ لأن ثبا مثل زلم، وهي جمع ثبة، وهي الجماعة. وقال بعضهم: الثبا هنا مجالس الأشراف».

(٢) للأعشى في ديوانه ٨٦. وصدره:

«تلقى له سادة الأقسام تابعة»

استعمالها. ومِثْلُ تَفَقَّيْتُ: تَشَجَعْتُ وَتَكَيَّسْتُ. وقوله «كَجِيبِ الدَّفْنِسِ» شَبَّهَ اتِّسَاعَ الطُّعْنَةِ وَسُرْعَةَ خُرُوجِ الدَّمِ مِنْهَا بِاتِّسَاعِ جَيْبِ الْمَرْأَةِ الْحَمَقَاءِ، وَنَزْوِهَا فِي رَوْعِهَا، وَاضْطِرَابِهَا فِي مَتَخَرِّقِ قَمِيصِهَا. وَالدَّفْنِسُ: الْحَمَقَاءُ. وَالْوَزْهَاءُ: الْمَتَسَاوِطَةُ الْعَقْلُ، الضَّعِيفَةُ التَّمَّاسُكُ، وَمَعْنَى رِيَعَتْ أَفْرِعَتْ بَعْدَ اسْتِعْجَالٍ فِي الْعَدُوِّ، وَإِسْرَاعٍ فِي السَّغْيِ. وَحَصَّ جَيْبُ الْوَزْهَاءِ لِأَنَّهُ عَادَةً مِثْلُهَا أَنْ تُخْرِجَ الْيَدَ مِنْهُ، فَيَتَّسِعَ خَرْقُهُ وَجَعَلَهَا مُرْوَعَةً لَتَنْدَفِعَ فِي الْإِجْفَالِ وَتَنْزَوَ. وَالْإِجْفَالُ وَالْجَفْلُ وَاجِدٌ، وَكُلُّ هَارِبٍ مِنْ شَيْءٍ مُسْرِعٍ مُجْفِلٌ وَجَافِلٌ. وَمِنْهُ جَاءَ جُفَالَةٌ مِنَ النَّاسِ، أَيِ جَمَاعَةٍ كَثِيرَةٍ مُسْرِعَةٍ. وَيُشَبَّهُ هَذَا قَوْلُ الْآخَرِ: [الكامل]

مُسْتَنْتَه سَنَنْ الْقَلُوَ مُرِشَّةً تَنْفِي الثَّرَابَ بِقَاجِرٍ مُغْرَوِرٍ^(١)

لأنَّ نَزْوَ الدَّمِ مِنَ الطُّعْنَةِ شَبَّهَهُ هَذَا بِنَزْوِ الْمَهْرِ وَاسْتِنَانِهِ، كَمَا شَبَّهَهُ ذَلِكَ بِعَدُوِّ الْمَجْنُونَةِ عَنْ دُغْرِ. وَقَدْ سَلَكَ آخَرُ هَذَا الْمَسْلَكِ فَقَالَ فِي مَعْنَى هَذَا وَلَفْظِهِ: [الهجج]

كَجَيْبِ الدَّفْنِسِ الْوَزْهَاءِ رِيَعَتْ وَهِيَ تَسْتَفْلِي^(٢)

وَمَعْنَى تَسْتَفْلِي تَطْلُبُ قَلْبِي شَعْرَهَا، وَقَدْ أَخْرَجَتْ يَدَهَا مِنْ جَيْبِهَا فَذُعِرَتْ فِي تِلْكَ الْحَالَةِ، فَلَمْ تَضْبِرْ لَتَرْدُ الْيَدَ إِلَى جَوْفِهَا، وَلَمْ تَرْفُقْ بِجَيْبِهَا فَمَزَّقَتْهُ وَوَسَّعَتْهُ. وَهَذَا كَأَنَّهُ لَمَّا قَصَدَ بَيَّانَ سَعَةِ الطُّعْنَةِ جَعَلَ التَّشْبِيهَ بِالْجَيْبِ فِي حَالَةِ إِخْرَاجِ الْحَمَقَاءِ يَدَهَا مِنْهُ مُسْتَفْلِيَةً، فَزَادَ عَلَى الْأَوَّلِ هَذِهِ الزِّيَادَةُ الْغَامِضَةُ الْمَأْخُذِ اللَّطِيفَةِ الْمَوْقِعِ، وَإِنْ كَانَ قَوْلُهُ «بَعْدَ إِجْفَالٍ» قَدْ اخْتَصَّ بِمَا اخْتَصَّ. وَيُشَبَّهُ هَذَا فِي الزِّيَادَةِ عَلَى الْمَعْنَى وَقَدْ اسْتَقَرَّ قَوْلُ أَمْرِئِ الْقَيْسِ: [مخلع البسيط]

أَوْ تَيْسٍ أَظْبِ بِبَطْنٍ وَادٍ يَغْدُو وَقَدْ أَفْرَدَ الْغَزَالُ

لأنَّه زَادَ فِيهِ إِفْرَادَ الْغَزَالِ، فَدَلَّ عَلَى شِدَّةِ الْخَوْفِ وَخِفَّةِ الْعَدُوِّ. فَأَمَّا قَوْلُ أَوْسٍ:

[المقارِب]

وَفِي صَدْرِهِ مِثْلُ جَيْبِ الْفَتَاةِ تَفْهَقُ حِينًا وَحِينًا تَهَرَّ

(١) لأبي كبير الهذلي في شرح أشعار الهذليين ١٠٨٨، واللسان (قعر، رشش، عرف، سنن)، وللهذلي في اللسان (عرف).

(٢) لامرئ القيس بن عابس الكندي في اللسان (عرقب، قفا)، وله أو للفند الزماني في اللسان (فنس).

فَهُوَ وَإِنْ زَادَ التَّقْسِيمُ قَاصِرٌ عَنْهُمَا.

١٧٧ - وقال ربيعة بن مقروم: [الوافر]

١ - أَخُوكَ أَخُوكَ مَنْ يَذْنُو وَتَرْجُو مَوَدَّتَهُ وَإِنْ دُعِيَ اسْتَجَابَا
قوله أَخُوكَ مبتدأ، وكَرَّرَهُ على وجه التأكيد، ومن يَذْنُو في موضع الخبر.
ومعنى البيت: مُحَالِصُكَ في الأخوة والود من يُقَرِّبُ مَكَانَهُ مِنْكَ، وَيَحْسُنُ شَفَقَتَهُ
عَلَيْكَ، وَتَطْمَعُ فِي إِثْمَارِ وَدِّهِ لَكَ، وَإِنْ اسْتَغْنَتْ بِهِ لِمُلَمَّةٍ تَنْزِلُ، أَوْ نَائِيَةٍ تَطْرُقُ،
أَعَائِكَ بِإِذْلٍ مَقْدُورَةٍ فِي نُصْرَتِهِ لَكَ. ويجوز أن يكون قوله، «من يَذْنُو» أراد به قُرْبُ
النَّصِيحِ وَالشَّفَقَةِ، لَا تَقَارِبِ الدَّارِ وَالْمَسَافَةِ، كَمَا يُقَالُ فَلَانٌ أَذْنَى إِلَيْكَ مِنْ فُلَانٍ.

٢ - إِذَا حَارَبْتَ حَارَبَ مِنْ تُعَادِي وَزَادَ سِلَاحُهُ مِنْكَ اقْتِرَابَا
يجوز أن يكون هذا الكلام مُتَّصِلًا بِمَا قَبْلَهُ، وَالضَّمِيرُ فِي حَارَبَ لِأَخُوكَ وَمَنْ
تُعَادِي فِي مَوْضِعِ الْمَفْعُولِ مِنْ حَارَبْتَ، وَيَكُونُ الْمَعْنَى: إِذَا حَارَبْتَ مِنْ تُعَادِي
حَارَبَ هَذَا الْمُوَاجِهُ لَكَ مَعَكَ، وَزَادَ نُصْرَتُهُ وَعُدَّتُهُ مِنْكَ قُرْبًا مَا دُمْتَ مُحَارِبًا.
ويجوز أن يكون مُتَّصِلًا بِمَا قَبْلَهُ، وَيَكُونُ مَثَلًا مَضْرُوبًا، فيقول: إِذَا كَاشَفْتَ عَدُوَّكَ
وَأَبْدَيْتَ صَفْحَةً مَا تُضْمِرُهُ مِنَ السُّوءِ لَهُ بَعَثَهُ ذَلِكَ عَلَى مَكَاشَفَتِكَ، وَازْدَادَ عُدَّتُهُ مِنْ
الْكَيْدِ وَغَيْرِهِ مِنْكَ دُنُوءًا. وَإِذَا جَامَلْتَهُ وَدَاجَيْتَهُ بَقِيَ عَلَى مَا يَنْطَوِي عَلَيْهِ مَسَافَةً لَا
مُجَاهَرًا.

٣ - وَكُنْتُ إِذَا قَرَيْنِي جَادِبْتُهُ حَبَالِي مَاتَ أَوْ تَبَعَ الْجِدَابَا
هذا مِثْلُ قَوْلِ عَمْرِو بْنِ كُلْثُومٍ: [الوافر]

مَتَى نَقْصِدُ قَرِيئَتَنَا بِحَبْلِ نَجْدُ الْحَبْلَ أَوْ نَقْصُ الْقَرِينَا^(١)

وجعل الجذاب للجبال على المجاز. وقوله «أو تبع الجذاب» يريد أو انجذب
وَتَرَكَ الطَّمَاحَ وَالْإِبَاءَ. ومعنى البيت: إِذَا جَادَبْتَنِي قَرِينُ لِي حَبَلًا بَيْنِي وَبَيْنَهُ، فَلَمَّا أَنْ
يَنْقَطِعَ دُونَ شَأَوِي فِي الْجِدَابِ فَيَهْلِكُ، وَإِمَّا أَنْ يَتَّبِعَ صَاحِرًا فَيَنْقَادَ. وَخَبِرُ كَانَ فِي إِذَا
أَوْ جَوَابِهِ.

(١) لعمر بن كلثوم في ديوانه ٨١، واللسان (قرن)، وكتاب العين ٥: ١٤٣، وكتاب الجيم ١: ٢٠٥، وجمهرة أشعار العرب ١: ٤٠٦، وشرح ديوان امرئ القيس ٣٢٩.

٤ - فَإِنْ أَهْلِكَ فَلَيْزِي حَتَّى لَقَاءُ عَلَيَّ يَكَادُ يَلْتَهَبُ النَّهَابَا

هذا الكلام نَسَلٌ عن العَيْشِ بَعْدَ قِضَاءِ حَاجَتِهِ، وإدراك ثأره، وإرغام عَدُوِّهِ، ولولا ما تيسَّرَ له من ذلك وتسهَّلَ لكان لا يسهِّلُ عليه انقطاعُ العُمرِ، ولو مَاتَ مَاتَ بَغْضَةً. فيقول: إِنْ أُمْتُ قَرُبَ رَجُلٍ ذِي غَيْظٍ وَغَضَبٍ تَكَادُ نَارُ عِدَاوَتِهِ تَتَوَقَّدُ تَوَقُّدًا، أَنَا فَعَلْتُ بِهِ كَذَا. وقوله «لَقَاءُ» في موضع المبتدأ، و«يكاد يلتهب» في موضع الخبر، والجملة في موضع الصفة لذي حَتَّى، وانجزَّ ذِي حَتَّى بِإِضْمَارِ رُبِّ، والمجرور بِرُبِّ يَقَعُ موصوفًا في الأكثر وجواب رُبِّ فيما بعده، والفاء من قَوْلِهِ «فَلَيْزِي حَتَّى» مع ما بَعْدَهُ جوابُ الجزاء. فَإِنْ قِيلَ: إِنَّ الْفَاءَ فِي جَوَابِ الْجَزَاءِ إِنَّمَا يَجِيءُ إِذَا خَالَفَ الْجُمْلَةُ الَّتِي تَكُونُ جَزَاءَ الْجُمْلَةِ الَّتِي تَكُونُ شَرْطًا بِأَنْ تَكُونَ مَبْتَدَأً وَخَبَرًا، فَكَيْفَ يَكُونُ تَقْدِيرُهُمَا بَعْدَ الْفَاءِ هَهُنَا؟ قُلْتُ: يَكُونُ التَّقْدِيرُ: إِنْ أَهْلِكَ فَلَا أَمُرُّ وَالشَّأْنُ رُبِّ ذِي حَتَّى بِهَذِهِ الصِّفَةِ فَعَلْتُ بِهِ كَذَا فَقَوْلُهُ «رُبِّ ذِي حَتَّى» خَبَرٌ لِلْمَبْتَدَأِ الَّذِي أَظْهَرْنَاهُ.

٥ - مَخَضْتُ بِدَلْوِي حَتَّى تَحْسَى ذُنُوبَ الشَّرِّ مَلَأَى أَوْ قُرَابَا^(١)

هذا جواب رُبِّ. فيقول: رُبِّ إِنْسَانٍ هَكَذَا، أَنَا حَرَكْتُ بِدَلْوِي الَّتِي أَذْلَاهَا فِي الْأَمْرِ الَّذِي خُضْنَا فِيهِ، حَتَّى مَلَأْتُهَا. وَجَعَلَ الدَّلْوُ كَنَاءَةً عَنِ السَّبَبِ الَّذِي جَادَبَهُ فِيهِ، وَالطَّمْعُ الَّذِي جَرَّاهُ عَلَيْهِ، قَالَ: فَتَحَسَّى دَلْوُ الشَّرِّ مَمْلُوءَةٌ أَوْ قَرِيبَةٌ مِنَ الْإِمْتَلَاءِ. وَقُرَابُ الْمَلَةِ: أَنْ يُقَارِبَ الْإِمْتَلَاءَ، وَيُقَالُ: قِرَابٌ بِكسر القاف وَقُرَابٌ بِضَمِّهَا. وَالْمَعْنَى: جَعَلْتُ شِرْبَتِي مِنَ الشَّرِّ شِرْبًا مُرَوِّيًا.

وقد استعمل أبو تَمَّام الدَّلْوُ على الطَّرِيقَةِ الَّتِي اسْتَعْمَلَهَا رُبَيْعَةُ فَقَالَ: [الكامل]

الْقَوَا دِلَاءً فِي بُحُورِكَ أَسْلَمْتُ تَرِعَاتِهَا الْأَكْرَابُ وَالْأَوْدَامُ^(٢)

وَاسْتَعْمَلَ غَيْرُهُ دَلْوُثٌ فِي مَعْنَى الْإِسْتِخْرَاجِ فَقَالَ: [البسيط]

فَقَدْ جَعَلْتُ إِذَا مَا حَاجَتِي نَزَلْتُ بَبَابٍ دَارِكٍ أَذْلُوها بِأَقْوَامِ^(٣)

(١) روى التبريزي بعده:

بِمِثْلِي فَاشْهَدِ النَجْوَى وَعَالِنِ	بِیِ الْأَعْدَاءِ وَالْقَوْمِ الْغَضَابَا
فَإِنَّ الْمُوعِدِيَّ يَرُونَ دُونِي	أَسْوَدَ خَفِيَّةِ الْغَلْبِ الرِّقَابَا
كَأَنَّ عَلَى سِوَاعِدِهِمْ وَرْسًا	عَلَا لَوْنُ الْأَشْجَاعِ أَوْ خَطَابَا

(٢) ديوانه (٢٨١).

(٣) لهما في الرقاشي في البيان ٢: ٣١٦، وبلا نسبة في أساس البلاغة (دلي).

فَكَانَ الْمُرَادُ أَنَّ هَذَا الْمُعَادِيَّ الْمَمْتَلَى غَيْظًا لَمَّا أَلْقَى دَلْوَهُ يَسْتَقِي بِهَا الْمَاءَ مِنْ بَثْرِي مَلَأَتْهَا شَرًّا وَجَعَلَتْهُ سُقْيَاهُ.

١٧٨ - وَقَالَ سَلْمَى بْنُ رَبِيعَةَ^(١):

١ - حَلَّتْ تَمَاضِيرُ غَزَبَةٍ فَاخْتَلَّتْ فَلَجَا وَأَهْلُكَ بِاللَّوَى فَالْحِلَّتْ

تَمَاضِيرُ: امراته وكانت قد فارقت عاتبة عليه في استهلاكه المال، وتعريضه النفس للمعاطب فلحقت بقومها، وأخذ هو يتلهف عليها ويتحسر في أثرها وأثر أولاده منها، فيقول: نزلت هذه المرأة بعيدة منك، فاختلت فلجا وأهلك نازلون بين هذين الموضعين، وهذا الكلام توجع. وفلج على طريق البصرة، والحلة: موضع من الحزنه ببلاد ضبة، واللوى: رمل متصل به رقيق. وبين المواضع الذي ذكرها تباعد. إن قيل لم قال حلت، ثم قال اختلت، وهلا اكتفى بأحدهما؟ قلت: نبتة بالأول أنها اختارته البعد منه والتغرب عنه، وبالثاني الاستقرار، فكأنه قال: نزلت في هذه الغربة فاستوطنت فلجا. وفلج بفتح اللام: موضع. وفلج بسكون اللام: ماء.

٢ - وَكَأَنَّ فِي الْعَيْنَيْنِ حَبَّ قَرْنُفِلٍ أَوْ سُنْبُلًا كُجِلَتْ بِهِ فَانْهَلَتْ

يقول: ألفت البكاء لتباعدها، فساعدت العينان وجادتا بإسالة دمعهما غزيرًا متحلبًا، وإكفاً مُنْهَمِلًا، فكأن في عيني أحد هذين المهيجين الحاليين للعيون. وقوله «كُجِلَتْ» إخبار عن إحدى العينين، وسأغ ذلك لما في العلم من أن حالتيهما لا تفرقان. وعلى العكس من هذا قول امرئ القيس: [المقارب]

وَعَيْنٌ لَهَا حَذْرَةٌ بِذَرَّةٍ شُقَّتْ مَاقِيَهُمَا مِنْ أَخْر^(٢)

لأن امرأ القيس وخذ في الابتداء ثم ثنى عند رد الضمير، على أنه متى اجتمع شيان في أمر لا يفرقان فيه اجتزي بذكر أحدهما عن الآخر. وفي طريقة هذا البيت قول ابن هرمة: [الكامل]

وَكَاثِمًا اشْتَمَلَتْ مَوَافِي عَيْنِهِ يَوْمَ الْفِرَاقِ عَلَى يَبِيسِ الْخِمْمِ^(٣)

(١) التبريزي: «وقال سلمى بن ربيعة من بني السيد بن ضبة وكأنه منسوب إلى سلمى».

(٢) ديوانه ١٦، والتبريزي ١: ٣٩٣ (فشقت).

(٣) لابن هرمة في ديوانه ١٩٩، واللسان (خمم)، وتاج العروس (خمم).

٣ - زَعَمْتَ ثَمَاضِرُ أَنَّنِي إِذَا أَمْتُ يَسْدُذُ أَبْنَيْتُوهَا الْأَصَاغِرُ خَلَّتِي

زَعَمَ يتردّد بين الشك واليقين، وههنا يريد به الظن. وأنني مع الجزاء والجواب نائب عن مفعوليّه. يقول: ظننت هذه المرأة أنّه إن نزل بي حادث قضاء الله عز وجل، سدّ مكاني وزمّ ما يتشعّب من خالها بزوالي أبناؤها الأصاغر. ويريد بهذا الكلام التوصل إلى الإبانة عن محلّه، وأنه لا يُغني غناءه من الناس إلا القليل. وقوله «أبْنَيْتُوهَا» تصغير أبناء مقصوراً عند أصحابنا البصريين، وهو اسم صيغ للجمع كأزوى، وأنّاب، وأضحى فهو على أفعل بفتح العين. وعند الكوفيين هو تصغير أبْن، مثل أذل على أفعل بضم العين. ويقال: سدّ فلان مسدّ فلان، وسدّ خلّته، وناب متابته، وشغل مكانه بمعنى. فإن قيل: كيف ساع أن يقول يسدّذ خلّتي، وإذا مات لم تكن له خلّة. قلت: أضافها إلى نفسه لما كان يسدّها أيّام حياته، فكأنه قال: الخلّة التي كنت أسدّها. وهذا من إضافة الشيء إلى الشيء على المعتاد فيهما. ومثله قولهم: شهاب القذف، فأضيف الشهاب إلى القذف لما كان من زمني الرامي. ووجوه الإضافات واسعة كثيرة، وكذلك متعلقاتها.

٤ - تَرَبَّتْ يَدَاكَ وَهَلْ رَأَيْتَ لِقَوْمِهِ مِثْلِي عَلَى يُسْرِي وَحِينَ تَعْلَتِي

أقبل عليها يوبّخها ويخطئ رأيها، ويكذب ظنّها، ويقبح اختيارها، في إفاته نفسها الحظّ منه، ويدعو عليها بالفقر والبأساء، والخيبة في الرجاء، فيقول: صار في يدك الثراب، وهل رأيت لقوميه من يمثّلني في حالتي السراء والضراء واليسر والعسر، والغنى والفقر، حتّى تعلّقني منك رجاءك فيّ بغيري إذا أخلّيت مكاني. وتربّ يستعمل في الفقر والخبية لا غير، وأترّب يستعمل في الغنى والفقر جميعاً، فإذا أريد به الغنى فالمعنى صار له من المال بعدد الثراب، وإذا أريد به الفقر فالمعنى صار في الثراب، كما يقال أسهل إذا صار في السهل. وقد يجوز أن يكون مثل أقلّ، والمعنى: صار مالك قليلاً من المال. وأضاق: صار في حال ضيق. وقوله «حِينَ تَعْلَتِي» المعنى وحين اعتمدت على إقامة العلة بحصول الفقر. وعلى هذا قوله: [الطويل]

قَلِيلُ ادْخَارِ الْمَالِ إِلَّا تَعْلَةٌ

أي قدر ما يُقام به العلة. وقوله «لِقَوْمِهِ» أضمر قبل الذّكر، لأنّ الكلام يحتمل نيّة التقديم ونيّة التأخير.

٥ - رَجُلًا إِذَا مَا النَّائِبَاتُ غَشِيَنَّهُ أَكْفَى لِمُغْضِلَةٍ وَإِنْ هِيَ جَلَّتْ

انتصب «رجلاً» على أنه بدلٌ من مثلي، كأنه قال: هل رأيت لقوميه رجلاً أكفى للشدائد وإن عظمت عند طروق الثواب وغشيان الحوادث | مني. فحذف مني لأن المراد مفهوم. ويروى «أكفى لمغضلة» وهي الداهية الشديدة، يقال أغضل الأمر إذا اشتد. يروى «المضلة» وهي التي تضم الأضلاع بالزفرات وتنفس الصعداء حتى تكاد تخطئها.

٦ - وَمَنَاخَ نَازِلَةٍ كَفَيْتُ وَفَارِسٍ نَهَلْتُ قَنَاتِي مِنْ مَطَاهُ وَعَلَّتْ

أخذ يعدد ما كانت كفايته مقسومة فيه، ومصروفة إليه. وقوله «ومناخ» مصدر أنخت. وكفيت بتعدى إلى مفعولين وقد حذفهما. كأنه قال: كفيت العشرة. يقول: ورب نازلة أناخت، أنا دفعت الشر فيها، وكفيت قومي الاهتمام بها؛ ورب فارس سقيت رمحي من دم ظهره العلل بعد الثهل. وخص الظهر ليعلم أنه قد ولّى وأدبر.

٧ - وَإِذَا الْعَذَارَى بِالذُّخَانِ تَقَنَّعَتْ وَاسْتَعْجَلَتْ نَضَبِ الْقُدُورِ فَمَلَّتْ

أقبل يعدد خصال الخير المجموعة فيه، بعد أن ثبته على أنه لا يقوم مقامه أحد، فكيف من طمع في نيابته عنه بعده. والعذاري: جمع عذراء، وأصله العذاري بتشديد الياء، فالياء الأولى مبدلة من المدة قبل الهمزة، كما تبدل في سيزال إذا قلت سراييل، فلما انقلبت المدة ياء لانكسار ما قبلها وكان الأصل في همزة التأنيت ألفاً عاداً إلى أصلها لزوال الألف قبلها، فأبدل منه ياء ثم أذغم الأولى في الثانية فقبل عذاري، وكذلك في صحراء صحاري، ثم حذف إحدى الياءين تخفيفاً فقبل عذاري وصحاري، ثم قرأوا من الكسرة وبعدها ياء إلى الفتحة فانقلبت ألفاً فقبل عذاري وصحاري. ويقال: عذّر المرأة وأعذرها، إذا ذهب بعذرتها، وهو أبو عذرها وأبو عذرتها. فيقول الشاعر: وإذا أباكار النساء صبرت على دخان النار حتى صار كالقناع لوجهها، لتأثير البرد فيها، ولم تصبر على إدراك القدور بعد تهيتها ونضها، فشوت في الملة قدر ما تعلل به نفسه من اللحم، لتمكن الحاجة والضّر منها، ولإجذاب الزمان واشتداد السنة على أهلها أحسنت. وجواب إذا في البيت بعده. وخص العذاري بالذكر لقرط حياتهن وشدة انقباضهن، ولتصوّنهن عن كثير مما يتبدل فيه غيرهن. وجعل نضب القدور مفعول استعجلت على المجاز والسعة. ويجوز أن يكون المراد استعجلت غيرها بنصب القدور وفي نضبها، فحذف.

٨ - دَارَتْ بِأَرْزَاقِ الْعُقَاةِ مَغَالِقُ بِيَدَيَّ مِنْ قَمْعِ الْعِشَارِ الْجِلَّةِ

قوله «أرزاق العقاة» كلام شريف، وتقدير البيت: دَارَتْ بِيَدَيَّ مَغَالِقُ بِأَرْزَاقِ الْعُقَاةِ مِنْ قَمْعِ الْعِشَارِ الْجِلَّةِ، فَقَصَلَ بِالْفَاعِلِ بَيْنَ الْأَرْزَاقِ وَبَيْنَ مِنْ قَمْعِ الْعِشَارِ. والعُقَاةُ: جمع العافي، والجمعُ عَلَى فُعْلَةٍ يَخْتَصُّ بِالْمُعْتَلِّ دُونَ الصَّحِيحِ. يقول: وَإِذَا صَارَ الزَّمَانُ كَذَا دَارَتْ الْقِدَاحُ فِي الْمَيْسِرِ بِيَدَيَّ لِإِقَامَةِ أَرْزَاقِ الطُّلَابِ مِنْ أَسْنِمَةِ النُّوقِ الْمَسَانِ الْكِبَارِ الْحَوَامِلِ، الَّتِي قَرُبَ عَهْدُهَا بِوَضْعِ الْحَمَلِ، وَكُلُّ ذَلِكَ يُضُنُّ بِهَا، وَيُنْتَأَسُّ فِيهَا، وَإِنَّمَا سُمِّيتِ الْقِدَاحُ مَغَالِقُ لِأَنَّ الْجُرَّ تَغْلُقُ عِنْدَهَا وَتَهْلِكُ بِهَا. وَالْقَمْعُ: قِطْعُ السَّيْفِ، الْوَاحِدَةُ قَمْعَةٌ: وَالْقَمِيعُ: مَا فَوْقَ السَّنَائِينَ مِنَ السَّيْفِ. وَبَعِيرُ قَمِيعٍ: عَظِيمُ الْقَمْعِ. وَيُقَالُ: سَنَامٌ قَمِيعٌ، أَيْ عَظِيمٌ قَدْ تَمَكَّنَ فِيهِ الشَّخْمُ. وَالْعِشَارُ: جَمْعُ عُشْرَاءَ، وَهِيَ الَّتِي قَدْ أَتَى عَلَيْهَا مِنْ حَمْلِهَا عَشْرَةُ أَشْهُرٍ، وَتَسْتَصِجِبُ هَذَا الْاسْمَ فَتُسَمَّى بِهِ بَعْدَ وَضْعِهَا الْحَمْلَ بِأَشْهُرٍ. كَأَنَّهُ نَبَأٌ عَلَى أَنَّهُ يَعْطِطُ صَحَّاحُ الْإِبِلِ وَخِيَارُهَا، لَا كَسِيرِهَا وَهَزْلَاهَا.

٩ - وَلَقَدْ رَأَيْتُ ثَأْيَ الْعَشِيرَةِ بَيْنَهَا وَكَفَيْتُ جَانِبَهَا اللَّتْيَا وَالَّتِي

الثَّأْيُ: الْفَاسِدُ. يُقَالُ: ثَأْيَ الْجُرْحُ يَثْأَى ثَأً. وَالرَّأْبُ: الشَّعْبُ وَالْإِصْلَاحُ. يَقُولُ: وَكَمَا ظَهَرَ غَنَائِي فِي تِلْكَ الْأَبْوَابِ فَلَقَدْ سَعَيْتُ فِي إِصْلَاحِ ذَاتِ الْبَيْنِ مِنَ الْعَشِيرَةِ، وَرَدَّ التَّعَطُّفَ الذَّاهِبَ عَنْهَا إِلَيْهَا، وَلَمْ شَعَيْتُهَا، وَضَمُّ نَشْرِهَا، وَكَفَيْتُ مَنْ جَنَى مِنْهَا الْجَنَايَةَ الصَّغِيرَةَ وَالْكَبِيرَةَ، بِالْمَالِ وَالنَّفْسِ، وَالْجَاهِ وَالْعِزِّ. وَقَوْلُهُ «جَانِبَهَا» إِنْ فَتَحْتَ الْيَاءَ كَانَ وَاحِدًا وَإِنْ أَدَّى مَعْنَى الْجَمْعِ، وَإِنْ سَكَنْتِ الْيَاءَ جَازَ أَنْ يَكُونَ جَمْعًا سَالِمًا وَأَنْ يَكُونَ وَاحِدًا قَدْ حُذِفَ فَتَحْتُهَا. وَقَوْلُهُ «اللَّتْيَا» تَصْغِيرُ الَّتِي، فَجَعَلَهُمَا اسْمَيْنِ لِلْكَبِيرَةِ مِنَ الدَّوَاهِي وَالصَّغِيرَةِ، وَلِهَذَا اسْتَعْنَيْتَ عَنِ الصَّلَةِ وَانْتَقَلَا عَنْ كَوْنِهِمَا وَضَلَّتَيْنِ. وَيَذْهَبُ بَعْضُهُمْ إِلَى أَنَّ صِلَتِيهِمَا مُحذوفتان لدلالة الحال عليهما.

١٠ - وَصَفَحْتُ عَنْ ذِي جَهْلِيهَا وَرَفَذْتُهَا نُضْحِي وَلَمْ تُصِبِ الْعَشِيرَةَ رَأْيِي

١١ - وَكَفَيْتُ مَوْلَايَ الْأَحَمَّ جَرِيرَتِي وَحَبَسْتُ سَائِمَتِي عَلَى ذِي الْحَلَّةِ

قوله «وصفحت عن ذي جهليها»، يَصِفُ نَفْسَهُ بِالْجِلْمِ مَعَهُمْ، وَكَظَمَ الْغَيْظَ فِيهِمْ، وَمَنَعَ سَفَهَاتِهِمْ. يَقُولُ: وَعَقَوْتُ عَنْ جَاهِلِيهَا فَلَمْ أَؤَاخِذْهُ بِمَا بَدَّرَ مِنْهُ مِنْ هَفْوَةٍ أَوْ زَلَّةٍ، ثُمَّ بَذَلْتُ نُضْحِي لِعَشِيرَتِي، وَحَسَنْتُ لَهُمْ عِشْرَتِي مِقْدَارَ جُهْدِي، وَلَمْ أُجِرْ

عليهم جريرتي، ولم أوسّعهم زلاتي. وقد أَلَمَّ في هذا بقول الآخر^(١): [الطويل]

إذا أَلَمَزْهُ لم يحْمِلْ على النَّفْسِ ضَمِيمَهَا

وفي طريقته قول الآخر: [الطويل]

ولو شاء قومي كان حِلْمِي فِيهِمْ وكان على جُهَالِ أعدائهم جَهْلِي

وقوله «وَكَفَيْتُ مَوْلَايَ الْأَحْمَ جريرتي»، أي لم يؤاخذوا بجرائري، بل كَثُ المداوي لها والخارج منها. ويروى: «الْأَحْمَ إضافتي» فيكون مِثْلَ قول الآخر: [المقارب]

أَبُو مَالِكٍ قَاصِرَ قَفْرَةٍ على نَفْسِهِ وَمُشِيعَ غَنَاءِ^(٢)

والشاعر يقول: وكما لم يَشْمَلْ أَبَاعِدَ ذَوِي زَهْطِي زَلَاتِي، كذلك لم يَتَلْ الأذاني جَنَائِي؛ ثم إذا نَلْتُ خَيْرًا أَشْرَكْتُ ذَوِي الْحَاجَةِ مِنْهُمْ فِيهِ وَحَبَسْتُ مَالِي الرَّاعِيَةِ عَلَيْهِمْ، حتى لَا يَتَمَيَّزُوا عَنِّي فِي التَّصَرُّفِ وَالتَّنَاوُلِ. وقوله «الْأَحْمَ»، يريد الْأَخْصَ وَالْأَمْسَ، وهو أَفْعَلُ مِنَ الْحَمِيمِ، ولهذا قال الشاعر وإن كان في ضِدِّ هذا الْمَعْنَى: [الوافر]

ومَوْلَاكَ الْأَحْمَ لَهُ سَعَارُ^(٣)

أي لَهَبُ الْجُوعِ، ومنه قولهم: كَيْفَ السَّامَةُ وَالْحَامَةُ.

١٧٩ - وقال أبي بن ربيعة^(٤): [المقارب]

١ - وَخَيْلٍ تَلَا فَيَتْ رِنَعَانَهَا بِعِجْلِزَةٍ جَمَزَى الْمُدْخَرَ

رِنَعَانُ كُلِّ شَيْءٍ: أَوَّلُهُ، وأكثر ما يُسْتَعْمَلُ فِي الشَّبَابِ وَالْخَيْلِ. وَالرِّنْعُ فَضْلُ كُلِّ شَيْءٍ، وَمِنْهُ رِنْعُ الْجَنْطَةِ إِذَا زَكَّتْ، وَرِنْعُ الدَّرْعِ: فَضُولُ أَكْمَامِهَا عَلَى الْأَنْامِلِ. وَالْعِجْلِزَةُ: الْفَرَسُ الشَّدِيدَةُ الْخَلْقِ، وَرُبَّمَا وَصِفَتْ بِهِ الثَّاقَةُ وَبَعْضُهُمْ يَخْكِي فِيهَا:

(١) للسؤال بن عدياء في الحماسة رقم (١٥) وعجزه:

«فليس إلى حسن الشاء سبيل»

(٢) للمتنخل الهذلي في شرح ديوان الهذليين ٢: ٣٠.

(٣) بلا نسبة في اللسان (سعر) وتاج العروس (سعر)، وتهذيب اللغة ٢: ٨٧، وصدرة:

تُسَنَّنُهَا بِأَخْشَرِ حَلْبَتِيهَا

(٤) التبريزي: «وقال أبي بن سلمى بن ربيعة بن زئان الضبي».

عَجَلَزَةً، بفتح العين واللام. يقول: رُبَّ خَيْلٍ مُغِيرَةٍ تَذَارِكُثُ أَوَائِلَهَا طَارِدًا لِلْوَسَائِقِ، وأنا على فَرَسٍ صُلْبَةٍ تَجْمُزُ فيما تَذَخَرُ من جَزِيهَا. ومن عَادَةِ عِتَاقِ الْخَيْلِ أَنْ تُبْقِيَ من عَذُوبِهَا بَقِيَّةً لَوْ قَتَلَتِ الْحَاجَةَ إِلَيْهَا، فَمَتَى اسْتَحِثْتُ بَعْدَ الْكَدِّ وَالْعَمَلِ أَعْطَيْتَهَا. ولذلك قَالَ كَلْحَبَةُ الْعُرَيْنِيُّ: [الطويل]

فَأَذْرَكَ إِنْ بَقَاءَ الْعَرَادَةِ ظَلَعُهَا وَقَدْ جَعَلْتَنِي مِنْ حَزِيمَةٍ إَضْبَعًا^(١)

فَقَوْلُهُ إِبْقَاءَ الْعَرَادَةِ كَقَوْلِهِ هَلْهَذَا «الْمُدْخَرُ». وَجَمَزَى مِثْلُهُ وَكَرَى وَهُوَ صِفَةٌ. وَجَعَلَ الْجَمَزَ لِمَذْخُورِ الْجَزِي عَلَى الْمَجَازِ، لِأَنَّ الْجَمَزَ وَمَذْخُورَ الْجَزِي جَمِيعًا لِلْفَرَسِ. وَالْحَقِيقَةُ أَنَّهَا تَجْمُزُ فِي مُدْخَرِ الْجَزِي. وَلَيْسَ هَذَا كَقَوْلِهِمْ هُوَ حَسَنُ الْوَجْهِ، وَكَرِيمُ الْأَبِ، إِذَا كَانَ الْحُسْنُ وَالْكَرَمُ فِي الْحَقِيقَةِ لِلْأَبِ وَالْوَجْهِ، وَلَكِنْ هُوَ كَمَا يُقَالُ فَلَا نَ تَبْتُ الْعَدْرَ، نَزَقُ الْمَجَالِ، قَمُوصُ الْخَبَارِ، وَمَا أَشَبَّهُهُ.

٢ - جَمُومِ الْجِرَاءِ إِذَا عُوقِبَتْ وَإِنْ تُوزَقَتْ بَرَزَتْ بِالْحُضُرِ

يُقَالُ: يَبْزُ جَمُومٌ، إِذَا كَانَ مَاؤُهَا يَنْقَطِعُ وَيَعُودُ سَرِيعًا. وَمَعْنَى قَوْلِهِ «جَمُومِ الْجِرَاءِ إِذَا عُوقِبَتْ» أَيِ جَزِيَّةُ يَمْتَدُّ وَلَا يَنْقَطِعُ إِنْ طُلِبَ عَقْبُهَا لِمَسَابَقَتِهَا فِيهِ، فَكَأَنَّهُ لَا آخِرَ لَجَزِيَّهَا، كَالْبَثْرِ الْجَمُومِ. وَ«إِنْ تُوزَقَتْ» أَيِ إِنْ عُوقِبَتْ فِيمَا يُسْتَنْزَقُ مِنْ سِيرِهَا سَبَقَتْ بِعَذُوبِهَا. وَكَمَا سُمِّيَ آخِرُ الْجَزِي الْعَقَبُ سُمِّيَ آخِرُ الشَّهْرِ بِهِ، فَقِيلَ جُنْتُ فِي عَقَبِ الشَّهْرِ، إِذَا جُنْتُ بَعْدَ مَا مَضَى، وَجُنْتُ فِي عَقْبِهِ وَعَقِبِهِ، إِذَا جُنْتُ وَقَدْ بَقِيَ مِنْهُ بَقِيَّةٌ. وَيُقَالُ: عَاقَبْتُ الْفَرَسَ وَنَازَقْتُهُ، كَمَا يُقَالُ طَاوَلْتُ زَيْدًا وَفَاضَلْتُهُ، وَذَلِكَ إِذَا غَالَبْتَهُ فِي الطَّوْلِ وَالْفَضْلِ. وَمَعْنَى بَرَزَتْ: تَقَدَّمَتْ. وَالْحُضُرُ: الْعَدُوُّ. وَيُرْوَى «عُوقِبَتْ» أَيِ إِنْ طُلِبَ عَفْوُهَا، وَلَيْسَ بِجَيِّدٍ. أَلَا تَرَى أَنَّهُ قِيلَ: «أَوَّلُ الْجَزِي نَزَقَةٌ، وَآخِرُهُ عَقْبَةٌ».

٣ - سَبُوحٌ إِذَا اعْتَزَمَتْ فِي الْعِنَانِ مَرُوحٌ مُلَمَلَمَةٌ كَالْحَجَرِ^(٢)

أَرَادَ بِهَا أَنَّهَا تَسْبُحُ فِي جَرِيهَا إِذَا اعْتَزَمَتْ فِي الْعِنَانِ، أَيِ انْتَحَتْ فِي الْعَذْوِ وَهِيَ مُلَمَلَمَةٌ كَثِيرَةُ النَّشَاطِ، مَجْتَمِعَةُ الْخَلْقِ صُلْبَةً كَأَنَّهَا حَجَرٌ. وَالْإِعْتِزَامُ: لُزُومُ الْقَضْدِ فِي الْحُضْرِ وَغَيْرِهِ وَتَرْكُ الْإِنْشَاءِ، وَقَدْ اعْتَزَمْتُ الطَّرِيقَ. وَيُقَالُ: اعْتَزَمَ الْفَرَسُ عَلَى الْجَزِي

(١) للكَلْبَةِ الْبِرْبُوعِي فِي خَزَانَةِ الْأَدَبِ ٤: ٤٠١، وَشَرَحَ اخْتِيَارَاتِ الْمَفْضَلِ ١٤٦، وَاللَّسَانُ (حَرَمٌ، بَقِي)، وَلِلْأَسَدِ بْنِ يَعْفَرٍ فِي مَلْحَقِ دِيْوَانِهِ ٦٨.

(٢) التَّبْرِيزِيُّ: «إِذَا اعْتَرَضَتْ».

إذا مرَّ جامعًا. وقوله «في العنان» في موضع الحال، كما يقال: جاء فلان في جبّة، أي وعليه جبّة. والمُلمّمة: جَمْعُكَ الشيء، وهو مثل اللّم في المعنى وإن لم يكن من لفظه عندنا. ورواه بعضهم «إذا اعتزمت» بالراء غير مُعجّمة، وجعله من العَرام؛ وليس بشيء.

٤ - دُفِنَ عَلَى نَعَمٍ بِالْبِرِّ قِي مِنْ حَيْثُ أَفْضَى بِهِ ذُو شَمِيرٍ
هذا جوابُ رَبِّ إذا جعلت قوله «تلافيت رينانها» من صِفَةِ «وَحَيْلٍ» حَمَلًا على ما يجيء عليه المجرور برُبِّ في الأكثر، من لزوم الوَضْفِ له؛ وقد جاء غير موصوف وإن قلَّ. وعلى هذا يكون تلافيتُ الجواب ودُفِنَ من صِفَةِ الْحَيْلِ. والمعنى دُفِنَتْ هذه الخيلُ وأُرسِلَتْ على إِبِلٍ واقفةٍ بالبراق من حيث أذاهُ إلى الفضاءِ ذُو شَمِيرٍ، وهو مكان. قوله «أَفْضَى بِهِ» الضميرُ لِلنَّعَمِ، وهو يُدَكَّرُ، يقال هذا نَعَمٌ واردٌ. والبراق: جمع بُزْقَةٍ، وهو موضع فيه حجارةٌ بيضٌ وسودٌ؛ ومثله جَبَلٌ أَبْرَقَ. أي لَمَّا حَصَلَ بِالْفَضَاءِ تُلْقِيَتْ بِالْحَيْلِ وَشُنَّتِ الْغَارَةُ عَلَيْهِ.

٥ - فَلَوْ طَارَ ذُو حَافِرٍ قَبْلَهَا لَطَارَتْ وَلَكِنَّهُ لَمْ يَطِرْ
رَجَعَ إِلَى صِفَةِ الْفَرَسِ لَمَّا رَكَضَهَا فِي إِثْرِ الْخَيْلِ الْمُغِيرَةِ عَلَى النَّعَمِ الَّذِي وَصَفَهُ، يقول: لو أَنَّ ذوات الحوافر جُعِلَ فِي قَدَرِهَا الطَّيْرَانُ بَالَةً تَخْطُهَا لَطَارَتْ هَذِهِ الْفَرَسُ، وَكَانَتْ الْأَوَّلَى بِذَلِكَ، لَمَّا فِيهَا مِنَ التَّجَابَةِ وَالْعِنَقِ، وَلَكِنَّ الطَّيْرَانِ خُصَّ بِهِ ذُو الْجَنَاحِ.

٦ - فَمَا سَوْدَنِيْقٌ عَلَى مَرْبِلٍ خَفِيفُ الْفَوَادِ حَدِيدُ النَّظَرِ

٧ - رَأَى أَزْنَبًا سَنَحَتْ بِالْفَضَاءِ فَبَادَرَهَا وَلَجَاتِ الْحَمَرِ

يقول: ما شَهِينٌ واقِعٌ عَلَى مَحْرَسَةٍ ذَكِيٍّ شَهْمُ النَّفْسِ، بَعِيدُ النَّظَرِ حَدِيدُ الْعَيْنِ، سَرِيعُ الْإِذْرَاكِ، رَأَى أَزْنَبًا سَنَحَتْ. وَمَعْنَى سَنَحَتْ عَرَضَتْ، يُقَالُ مِنْهُ سَنَحَتْ الْحَاجَةُ. وَالْأَزْنَبُ: الْأَتْنَى مِنَ الْأَرَانِبِ. وَالذَّكْرُ خُزْرٌ. وَالْكَلَامُ بَعْدُ مَشْغُولٌ بِصِفَةِ السَّوْدَنِيْقِ. أَي رَأَى أَزْنَبًا اتَّفَقَتْ بِالْعَرَاءِ وَاعْتَرَضَتْ فَسَابَقَهَا إِلَى مَدَاخِلِ الْحَمَرِ، ثُمَّ رَجَعَ عَلَيْهَا فِي طَرِيقِهَا لثَلَا تَفَوْتَهُ - بِأَسْرَعٍ مِنْ فَرَسِي. وَالْوَلَجَاتُ: جَمْعٌ وَلَجَةٍ، وَهِيَ مَوْضِعُ الْوُلُوجِ، وَمَوْضِعٌ وَلَجَاتٍ نَضَبَ عَلَى أَنْ يَكُونَ مَفْعُولٌ بِأَدْرَها. وَالْحَمَرُ: مَا وَارَاكَ مِنَ الشَّجَرِ. وَيُقَالُ: بِأَدْرَتْ مَكَانًا كَذَا، وَإِلَى مَكَانٍ كَذَا.

٨ - بِأَسْرَعَ مِنْهَا وَلَا مِئْزَعٌ يُقْمَضُهُ رَكْضُهُ بِالْوَتَرِ

قوله «بأسرع» خبر «ما». يقول: ما سؤذنيق هذا وصفه بأسرع من فرسي، ولا سهم يترّيه ركض الوتر به. والمئزع: السهم. ويقال: نزع في القوس نزعاً، وانتزع له بمئزع، ونزع، أي بسهم. وفي المثل: «عاد السهم إلى التزعة»^(١) في معنى رجع الحق إلى أهله. ويقمص، أي يحرك. ويقال قمص البحر بالسفينة، إذا حركها بالموج، حتى كأنها بغير يقمص. قال: [الطويل]

يُقْمَصُ بالبوصي مغرورف وزد^(٢)

ولما جعل الركض للوتر لأنه هو الذي يزج بالسهم ويدفعه فكأنه يركضه، وهذا يشبه القلب لأن الركض للوتر وقد جعله للسهم، فهو كقول الآخر: [الطويل]

مَا أَمْسَكَ الْحَبْلَ حَافِرُهُ

وما أشبهه. ويمكن أن يترك على ظاهره، فيجعل السهم راكضاً من حيث كان راكباً للوتر. والركض: تحريك الفارس رجله على الفرس عند الاستخاث، وإذا كان كذلك فكأن السهم هو الذي يزكض الوتر وإن كان الحفز للوتر.

تم الجزء الأول، ويليه الجزء الثاني

وأوله: وقال زيد الفوارس

(١) ذكره في اللسان (نزع)، والتزعة: الرماة واحدهم نازع.

(٢) للحطيفة في ديوانه ٣٩، وأساس البلاغة (عرف)، وبلا نسبة في جمهرة اللغة ٧٦٦، وصدرة:

«وهذا أتى من دونها ذو غوارب»

شرح
كتاب الجمانية
للأبي تمام

تأليف
أبي علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي
المتوفى سنة ٤٢١ هـ

على عليه وكتب حواشيه
عبد الشَّيخ

وضع فهرسة العامة
إبراهيم شمس الدين

المُخرَّج الثاني

مستورات
مختار علي بن بيضون
لشركتة السنة والجماعة
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٨٠ - وقال زَيْدُ الْفَوَارِسِ^(١): [الطويل]

١ - تَأَلَّى ابْنُ أَوْسٍ حَلْفَةً لِيَرُدُّنِي عَلَى نِسْوَةٍ كَأَنَّهُنَّ مَفَائِدُ
 آلَى الرَّجُلِ وَاتَّلَى وَتَأَلَّى بِمَعْنَى وَاحِدٍ. وهذه الأبنية من الأَلْيَةِ، وهي اليمين.
 و«حَلْفَةً» انتَصَبَ عَلَى أَنَّهُ مَصْدَرٌ مِنْ غَيْرِ لَفْظِهِ. وَقَوْلُهُ «لِيَرُدُّنِي» يُرَوَّى بِفَتْحِ اللّامِ وَضَمِّ
 الدَّالِ، عَلَى أَن يَكُونَ اللّامُ لَامُ الْيَمِينِ. وَذَكَرَ سِيبَوَيْهِ أَنَّ لَامَ الْقَسَمِ يَلْزَمُهَا إِحْدَى
 النونين الثقيلة أو الخفيفة، وقال أيضًا: وقد يُحَذَفُ الثَّوْنُ فِي الشُّعْرِ. وهذا الْمَوْضِعُ
 بِالرَّوَايَةِ الثَّانِيَةِ جَاءَ عَلَى مَا سَوَّغَهُ. وقد جاءَ أَعْجَبُ مِنْ هَذَا وَأَبْعَدُ فِي الْإِسْتِعْمَالِ،
 وَهِيَ حَذْفُ اللّامِ وَإِثْبَاتُ النون. قال: [الكامل]

وَقَتِيلٌ مُرَّةً أَثَارَنَ فَلْنَهُ فِرْعُ وَإِنْ أَخَاهُمْ لَمْ يُقْصَدِ^(٢)

والمفائد: جمع المَفَادِ، وهي المَسَاعِيرُ وَالسُّفَايِدُ. وَالْقَادُ فِي اللُّغَةِ: التَّحْرِيكُ،
 وَقِيلَ إِنَّ الْفَوَادَ مِنْهُ اشْتَقَّ، لِأَنَّهُ يَنْبِضُ. وَمَعْنَى الْبَيْتِ: حَلَفَ الرَّجُلُ حَلْفَةً لِيَأْسِرَنِي
 ثُمَّ يَمُنَّ عَلَيَّ فَيَرُدُّنِي عَلَى نِسْوَةٍ كَأَنَّهُنَّ مَسَاعِيرُ، لِاحْتِرَاقِهِنَّ وَجَدًا بِي وَعَمًّا عَلَيَّ،
 فَقَعَلْتُ أَنَا بِهِ مِثْلَ مَا هُمُ بِهِ فِيَّ. وقد قيل: إِنَّ ابْنَ أَوْسٍ كَانَ مَأْسُورًا فَحَلَفَ أَنَّهُ
 يُنَجِّيهِ زَيْدُ الْفَوَارِسِ وَيَقُكُ أَسْرَهُ، وَيَرُدُّهُ عَلَى نِسَاءِ هُنَّ مِنَ الْوَجْدِ بِهِ بِهَذَا الْمَحَلِّ،
 فَاقْتَصَصَ ابْنُ أَوْسٍ قِصَّتَهُ فِيمَا كَانَ يَرْجُوهُ مِنْ جِهَتِهِ. ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّهُ كَانَ عِنْدَ الظَّنِّ بِهِ،
 وَأَنَّهُ حَقَّقَ أَمَلَهُ. ويمكن الاستشهادُ لِلْخَبَرَيْنِ وَالْمَعْنَيَيْنِ عَلَى اخْتِلَافِهِمَا مِمَّا يَشْتَمِلُ

(١) التبريزي: «وقال زيد الفوارس بن حصين بن ضرار الضبي». وهو شاعر جاهلي فارسي. ترجمته
 في خزانة الأدب ١: ٥١٧، وبلوغ الأرب ٢: ١٣٧.

(٢) لعامر بن الطفيل في ديوانه ١٤٥، وهو من شواهد الخزانة ٤: ٢١٦.

عليه الأبيات التي بعده. وقد قيل في الوجوه الأول أنه أراد بالنسوة حُرَم ابن أوس، وأنه شَبَّهَهُنَّ بالسفايد لسوء أحوالهنَّ، وتأثير الضرِّ والجهد فيهنَّ، وعلى هذا يكون هَجَوْا وتعبيراً لابن أوس، وأنَّ أهله وأولاده من الفقر بهذا المَحَلِّ. فأما من رَوَى «ليرُدني» فالمعنى خَلَفَ لهذا الأمر، وجواب القسم يكون محذوفاً مقدّراً، ويُستدلُّ عليه بما ذَكَرَهُ. وقال بعض المتقدمين: تقولُ خَلَفَ لِيَفْعَلَنَّ، فإذا حَذَفْتَ النون كَسَزْتَ اللَّامَ وأَعَمَلْتَهَا إعمالَ لام كَني، والموضِعُ موضِعُ القسم والمعنى مَغْنَاهُ. وأنشد: [الطويل]

إِذَا قُلْتُ قَدْ نِيَّ قَالَ بِاللَّهِ خَلَفَةً لِيُغْنِي عَنِّي ذَا إِنَائِكَ أَجْمَعاً^(١)

وقيل مثل تألَّى ليرُدني: أراد ليفعلَ كذا وفي القرآن: ﴿يُرِيدُونَ لِيُفِتُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ [الصَّف: الآية ٨]، كأنَّ الفِعْلَ ذَلَّ على المَصْدَر، واللام مع الاسم المجرور به في موضع الخبر لذلك المَصْدَر المبتدئ، كأنه إرادتي كذا.

٢ - قَصَزْتُ لَهُ مِنْ صَدْرِ شَوْلَةَ إِنَّمَا يُنَجِّي مِنَ الْمَوْتِ الْكَرِيمُ الْمُنَاجِدُ
أخذ يذكر أنه كَذَبَ نفسه فيما حَدَّثَهَا به، وأنه استعملَ الْبَغْيَ فَتَصَرَ عليه، فقال: قَصَزْتُ عليه فَرَسِي شَوْلَةَ وَأَسْرَتُهُ، لأنَّ الْكَرِيمَ يُنَجِّي نفسه، وَيُنْهَضُ جِيلَتَهُ إِذَا جَدَّ جِدُّهُ وكادَ عَدُوَّهُ يَغْلِبُهُ وتعلو عليه يَدُهُ. هذا إذا جعلت ابن أوس هو الذي حَدَّثَ نَفْسَهُ وأكدَ طَمَعَهُ ويمينَهُ بأنه سَيَأْسِرُ الشَّاعِرَ. فأما إذا جعلت ابن أوس أسيراً وراجياً أنه سَيَفُكُ زَيْدُ الْفَوَارِسِ إِسَارَهُ، ويحلُّ عِقَالَهُ، فالمعنى في «قَصَزْتُ لَهُ مِنْ صَدْرِ شَوْلَةَ» أنه بَيَّنَّ كيفَ حَقَّقَ رَجَاءَهُ، ومن أن يوصلُ إلى تَخْلِيصِهِ. وفي قوله «إِنَّمَا يُنَجِّي مِنَ الْمَوْتِ الْكَرِيمِ» أنه خَلَصَ نَفْسَهُ لَمَّا عَلِقَ الرَّجَاءُ به، وجعلَ يَحْلِفُ أَنَّ خَلَاصَهُ بِسُغْيِهِ وتَعْطُفِهِ، لأنه بَعَثَهُ ذلك على أن يكون عند ظَنِّهِ به.

٣ - دَعَانِي ابْنُ مَرْهُوبٍ عَلَى شَنْءٍ بَيْنِنَا فَقُلْتُ لَهُ إِنَّ الرِّمَاحَ مَصَايِدُ
حَوَّلَ كَلَامَهُ إِلَى قِصَّةٍ أُخْرَى فقال: استغاثَ بي هذا الرَّجُلُ على ما بيننا من عَدَاوَةٍ وَبَغْضَاءٍ، فَاجْتَبَتْهُ بَعْدَ أَنْ هَوَّنْتُ عَلَيْهِ مَا خَافَهُ أَوَّلًا، وَصَغُرْتُ فِي هَاجِسِهِ مَا أَكْبَرَهُ ثَانِيًا، وَبَيَّنْتُ أَنَّ الرِّمَاحَ حَبَائِلُ الرِّجَالِ الْكِرَامِ فِي الْحَزْبِ وَمَصَايِدُهُمْ، فَلَا تُبَالِ

(١) لحريث بن عناب في خزانة الأدب ١١: ٤٣٤، والدرر ٤: ٢١٧، ومجالس ثعلب ٦٠٦، والمقاصد النحوية ١: ٣٥٤.

بالموت إذا كان على وجهه لا يتعقبه عاز، ولا يصحبه هوان. وكما جعل هذا الشاعر الرُمح آلة في صيد الأبطال، جعل غيره الصيد له لا به، فقال: [الطويل]

وإني لمن قومٍ تصيدُ رماحهم عداة الصّباح ذا الحُدُورة والحَزْدِ^(١)
وقوله «على شَنْءٍ بَيْنَنَا» في موضع الحال، يقال: شَنِئْتُه أَشْنُوهُ شَنْئًا وَمُشْنَأَةً وَمُشْنَأًا.

٤ - وَكُنْتَ لَهُ كُنْ شِمَالِي فَإِنِّي سَأَكْفِيكَ إِنْ ذَاكَ الْمَنِيبَةُ ذَائِدُ
يقول: تَعَطَّفْتُ عليه وَأَخَذْتُ بِالْفَضْلِ مَعَهُ بعد استنصاره، وإظهار حاجته وإذاعته، ورسمت له الكون في الجانب الأيسر مني، وإثقا بحسن محافظتي، وجميل مدافعتي، ومُعْتَمِدًا من جهتي على أنني سأكفيه المحذور إن دَفَعَ الموت دافع. والمراد: إِنْ فَعَلَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ مَا لَا يُطَاقُ مِنْ دَفْعِ الْمُحْتَوَمِ فَعَلْتُهُ أَنَا مَعَكَ، اعتناء بأمرِكَ، وإيثارًا لصيانتك، وتحرُّيًا للمحامية عليك. وإِنَّمَا قَالَ «كُنْ عَنْ شِمَالِي» لَأَنَّهُ مَوْضِعُ الْمُعَانِ الْمَنْصُورِ، وَالْيَمِينُ مَوْضِعُ النَّاصِرِ. يقال: أَنَا عَلَى يَمِينِكَ وَعَنْ يَمِينِكَ، أَنِّي نَاصِرُكَ.

١٨١ - وَقَالَ الْوَقَادُ بْنُ الْمُنْذِرِ^(٢): [الطويل]

١ - لَقَدْ عَلِمْتُ عَوْدَ وَيْهْنَةَ أَتْنِي بِوَادِي حَمَامٍ لَا أَحَاوِلُ مَغْنَمًا
بُيْهْتُهُ مِنْ سُلَيْمٍ، بَطْنٌ مِنْهُمْ، وَالبُيْهْتُهُ فِي اللُّغَةِ: وَلَذَ الْبَغْيِ. وَالبُيْهْتُ الْبِشْرَ وَحُسْنَ الْلِقَاءِ. وَالحَمَامُ، بِضَمِّ الحاء: حُمَى الْإِبِلِ وَالذَّوَابِ. وَفِي طَرِيقَةِ هَذَا الْبَيْتِ قَوْلُ عَنَتَرَةَ: [الكامل]

يُخْبِرُكَ مَنْ شَهِدَ الْوَقِيعَةَ أَتْنِي أَغْشَى الْوَعَى وَأَعْفُ عِنْدَ الْمَغْنَمِ^(٣)

المعنى: والله قد عَلِمَ هَاتَانِ الْقَبِيلَتَانِ أَنِّي فِي هَذِهِ الْوَقِيعَةِ الْوَاقِعَةِ بِهَذَا الْوَادِي لَمْ أَشْتَغِلْ بِاجْتِرَارِ الْمَنَافِعِ، وَاحْتَوَاءِ الْمَغَانِمِ، وَإِنَّمَا قَصَرْتُ سَعْيِي عَلَى طَلَبِ الثَّارِ، وإدراك الأوتار.

(١) بلا نسبة في مقاييس اللغة ٢: ٣٢.

(٢) التبريزي: «وقال الوقاد بن المنذر بن ضرار الضبي».

(٣) لعنرة في ديوانه ٢٠٩، وأساس البلاغة (وقع).

٢ - وَلَكِنْ أَصْحَابِي الَّذِينَ لَقِيتُهُمْ تَعَادَوْا سِرَاعًا وَاتَّقَوْا بَابِن أَرْثَمًا

أَرَادَ بِالأَصْحَابِ مَنْ لاقَاهُ مِنَ الأَعْدَاءِ. وَمَعْنَى تَعَادَوْا سِرَاعًا: تَبَادَرُوا مُسْرِعِينَ وَتَسَابَقُوا، وَهَذَا مِنَ الْعَدُوِّ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنْ عَادَى بَيْنَهُمَا، أَيْ وَالَى، فَيَكُونُ الْمَعْنَى تَوَالَوْا. وَمِنْ هَذَا قَوْلُهُمْ: تَعَادَى الْقَوْمُ، أَيْ مَاتَ بَعْضُهُمْ فِي إِثْرِ الْبَعْضِ. وَقَوْلُهُ «وَاتَّقُوا بَابِن أَرْثَمًا»، يَرِيدُ جَعَلُوهُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ، وَهَذَا الرَّجُلُ الَّذِي اسْتَجَنُّوا بِهِ كَأَنَّهُ كَانَ مِذْرَةً الْكُتَيْبَةِ. وَإِنَّمَا ثَبَّتَ فِي وَجْهِ الْقَوْمِ يَشْغَلُهُمْ لَيْسَلَمَ أَصْحَابِهِ، وَيَأْخُذُوا الْمُهْلَةَ فِي الْفِرَارِ. وَفِي الْحَدِيثِ: «كُنَّا إِذَا أَحْمَرَ الْبَاسُ اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ»^(١).

٣ - فَرَكِبْتُ فِيهِ إِذْ حَرَفْتُ مَكَائَهُ بِمُنْقَطِعِ الطَّرْفَاءِ لَدَنَا مُقَوْمًا

يَقُولُ: طَعَنَتْهُ لَمَّا عَرَفْتُ مَحَلَّهُ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَمَوْضِعَهُ مِنَ الْبَلَاءِ وَالْمُحَامَاةِ فِيهِمْ، بِرِمَحٍ لَيْنٍ مُثْقَفٍ، عِنْدَ مُنْقَطِعِ الطَّرْفَاءِ. وَالطَّرْفَاءُ: شَجَرٌ. وَمُنْقَطَعُهُ: الْمَكَانُ الَّذِي يَخْلُو مِنْهُ عَلَى انْتِصَالِهِ بِمَنَاتِهِ. وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ: وَاحِدُ الطَّرْفَاءِ طَرْفَةٌ كَقَصَبَةٍ وَقَضْبَاءَ. وَالبَاءُ مِنْ قَوْلِهِ «بِمُنْقَطِعٍ» يَتَعَلَّقُ بِقَوْلِهِ «رَكِبْتُ» عَلَى مَا فُسِّرَتْهُ. وَكَانَ لَا يَمْتَنِعُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَى قَوْلِهِ عَرَفْتُ مَكَائَهُ، عَرَفْتُ مَوْضِعَهُ وَمَقَامَهُ، لِأَنَّ الرَّئِيسَ يَخْفِي مَكَائَهُ وَيُخِيلُ نَفْسَهُ كَثِيرًا، وَحِينَئِذٍ يَتَعَلَّقُ الْبَاءُ مِنْ قَوْلِهِ بِمُنْقَطِعِ الطَّرْفَاءِ بِقَوْلِهِ مَكَائَهُ، وَلَكِنْ قَوْلُهُ «وَاتَّقُوا بَابِن أَرْثَمًا» يَأْتِي إِلَّا الْقَوْلَ الْأَوَّلَ.

٤ - وَلَوْ أَنَّ رُمَحِي لَمْ يَخُونِي انْكِسَارُهُ جَعَلْتُ لَهُ صَالِحِي الْقَوْمِ نَوْءَمًا^(٢)

نِسْبَةُ الْخِيَانَةِ إِلَى الرُّمَحِ لَمَّا انْكَسَرَ كَنِسْبَةِ الْعَجْزِ إِلَى الْحَبْلِ إِذَا لَمْ يَصِلْ، مِنْ قَوْلِهِمْ حَبْلٌ عَاجِزٌ. وَالتَّوْءَمُ، زَيْنَتُهُ فَوَعَلَ، وَاشْتِقَاقُهُ مِنَ الْوَأَمِ، وَالتَّاءُ فِيهِ مَبْدَلَةٌ مِنَ الْوَاوِ، وَكَأَنَّ الْوَلَدَ وَاءٌ فِي الْإِثْيَانِ غَيْرُهُ، أَيْ وَافَقَ. وَكَمَا تَوَسَّعُوا فِيهِ هَلُنَا فَأَخْرَجَ إِلَى بَابٍ غَيْرِ بَابِ الْوَلَدِ وَالْوِلَادَةِ، تَوَسَّعَ فِيهِ فِي قَوْلِهِ: [الرَّجْز]

قَالَتْ لَنَا وَدَمَعُهَا تُوَامُ كَالدَّرِّ إِذْ أَسْلَمَهُ النُّظَامُ^(٣)

(١) رواه ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث ١: ٨٩ من حديث علي رضي الله عنه وفسره: «يريد الخوف، ولا يكون إلا مع الشدة».

(٢) التبريزي: «من صالح القوم».

(٣) الرجز لحدير عبد بني قميته في اللسان (تأم)، وتاج العروس (تأم)، ولكدير في تاج العروس (وأم).

وقد أحكمت القول فيه وفي تصريفه وجمعه في شرح كتاب الفصيح . فيقول:
لولا أن رُمجي خائني حين أغمَلته في هذا الرُّجُل فأنكسر، لجعلت له نَظِيرًا من
أشراف القوم ورُعمائهم حتى يصير معه كَتْوَمَيْنِ . وَخَصَّ الصَّالِحِينَ مِنْهُمْ لِأَنَّهُمْ
يَتَبَجَّحُونَ بِقَتْلِ الْمُلُوكِ وَالرُّؤَسَاءِ . فَإِنْ قِيلَ : لِمَ دَمَّ الْإِجْرَارَ فِي الطُّغْنِ وَهُمْ يَحْمَدُونَهُ
حَتَّى عَدَّ انْكَسَارَ الرُّمَحِ خِيَانَةً مِنْهُ؟ قُلْتُ: الْإِجْرَارُ فِعْلُ الطَّاعِنِ، وَهُوَ مُحْمَدٌ، وَإِنَّمَا
دَمَّ مِنَ الرُّمَحِ ضَعْفُهُ وَقَلَّةُ ثَبَاتِهِ فِي الْعَمَلِ؛ وَلَيْسَ ذَلِكَ مِنَ الْإِجْرَارِ فِي شَيْءٍ .

٥ - وَلَوْ أَنَّ فِي يُمْنِي الْكَتِيبَةَ شُدَّتِي إِذَا قَامَتِ الْعَوْجَاءُ تَبَعْتُ مَاتِمًا
كَأَنَّهُ خَفِيَ عَلَيْهِ مَكَانٌ وَابْتَرَهُ فَلَمْ يَعْلَمْ أَهْرُ فِي الْمَيْمَنَةِ أَمْ فِي الْمِيسَرَةِ، فَأَخَذَ
يَتَلَهَّفُ عَلَى مَا فَاتَهُ مِنْهُ . وَالشُّدَّةُ: الْحَمْلَةُ، فيقول: لَوْ أَتَفَقْتُ حَمَلَتِي فِي يُمْنَاهَا بَدَلًا
مِنْ يُسْرَاهَا، لَقَامَتِ أُمُّهُ وَقَدْ تَكَلَّمَتْ تَهَيَّجُ الْمَاتِمَ، وَتَبَعْتُ عَلَى التَّوَجُّعِ عَلَيْهِ التَّوَانِحَ،
وَلَكِنْ ذَهَابَ مَقَامِهِ عَنْ عِلْمِي هُوَ الَّذِي نَجَّاهُ مِنِّي . وَجَعَلَهَا عَوْجَاءَ إِمَّا عَلَى طَرِيقِ
السَّبِّ، كَمَا قَالَ: [الكامل]

كَمْ عَمَّةٍ لَكَ يَا جَرِيرُ وَخَالَةً فَدَعَاءٌ قَدْ حَلَبْتُ عَلَيَّ عِشَارِي^(١)

فيكون العَوَجُ فِي تِلْكَ لَتَفَاوُتِ خِلَقَتِهَا، وَزَوَالِهَا عَنْ سَنَنِ الْإِسْتِقَامَةِ، كَالْفَدَعِ فِي
هَذِهِ . وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ أَرَادَ أَنَّهَا مَضْرُورَةٌ مَجْهُودَةٌ مُعْوجَّةُ الْوَجْهِ، مَهْزُولَةٌ . وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ
الْعَوْجَاءُ لَقَبًا لَهَا، وَالْمَاتِمَ؛ أَضْلُهُ فِي الضَّمِّ وَالْجَمْعِ .

١٨٢ - وَقَالَ أَيْضًا: [الطويل]

١ - إِذَا الْمُهْرَةُ الشَّفَرَاءُ أَرْكَبَ ظَهْرَهَا فَسَبَّ إِلَهُ الْحَرْبِ بَيْنَ الْقَبَائِلِ

رُوي «أَرْكَبَ ظَهْرَهَا» . وَيُقَالُ: أَرْكَبَ الْمُهْرُ، إِذَا حَانَ أَنْ يُرَكَّبَ وَاسْتُصْلِحَ
لِلْإِسْرَاجِ وَالْإِلْجَامِ . وَجَعَلَ الْفِعْلَ لِلظَّهْرِ عَلَى التَّوَسُّعِ إِذْ كَانَ مَوْضِعَ الرُّكُوبِ، وَيَكُونُ
أَرْكَبَ كَمَا يُقَالُ أَجَزَّ الْحَضْرُ، وَأَخْصَدَ الرُّزْغَ . وَيُرْوَى: «أَدْرَكَ ظَهْرَهَا» الْمَعْنَى بَلَغَ حَدَّ
الرُّكُوبِ وَالِانْتِفَاعِ بِهِ، وَهَذَا كَمَا يُقَالُ: أَدْرَكَ الثَّمَرُ، إِذَا امْتَكَنَ الْإِنْتِفَاعَ بِهِ . فيقول: إِذَا
بَلَغَ فَرَسِي هَذَا الْحَدَّ فَهَيَّجَ اللَّهُ نَارَ الْحَرْبِ، وَأَقَامَ سُوقَ التَّغَاوُرِ بَيْنَ الْقَبَائِلِ، حَتَّى
أَتَوَصَّلَ بِهَا إِلَى مَا كُنْتُ أَرِيدُهُ وَأَنْتَظِرُهُ . وَارْتِفَاعُ الْمُهْرَةِ بِفِعْلِ مُضْمَرٍ بَعْدَ إِذَا، يَكُونُ
الظَّاهِرُ تَفْسِيرَهُ .

(١) للفرزدق في ديوانه ١: ٣٦١، وخزانة الأدب ٦: ٤٥٨، والدرر ٤: ٤٥، واللسان (عشر).

٢ - وَأَوْقَدَ نَارًا بَيْنَهُمْ بِضِرَامِهَا لَهَا وَهَجَ لِلْمُضْطَلِّي غَيْرُ طَائِلٍ
هذا من جملة الدعاء. والكلام يدلُّ على استعجاله بحصول الحالة المُتمنَّاة
فيقول: وأَجِّجْ بينهم نارَ الشَّرِّ بما يُلْهِبُهَا حَتَّى يَصِيرَ لَهَا وَهَجٌ لَا خَيْرَ فِيهِ لِمَنْ يَدْنُو مِنْهُ
وَيَضْطَلِّي بِهِ، وَخَصَّ الضَّرَامَ لِأَنَّهُ يُسْرِعُ ذَهَابَ النَّارِ فِيهِ فَيَعْلُو لَهَا. إِنْ قِيلَ: لِمَ كَرَّرَ
طَلَبَ اتِّقَادِ النَّارِ فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ وَالثَّانِي؟ قُلْتُ: الْأَوَّلُ أَرَادَ بِهِ نَارَ الْحَرْبِ، وَالثَّانِي
أَرَادَ بِهِ نَارَ الْخِلَافِ وَالشَّرِّ الْمُنتَتِجِ عَنِ الثَّمَامِ وَالرِّشَايَاتِ، حَتَّى أَنْ مِنْ دَخَلَ فِيهِمْ
طَائِلًا لِإِيقَاعِ صُلْحٍ وَصَلَاحٍ بَيْنَهُمْ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى إِزَالَتِهِ، وَكَانَ خَلِيقًا بَانَ يَشْقَى
شَقَاؤَهُمْ، وَيَدْخُلُ مَدَاخِلَهُمْ. وَقَدْ مَرَّ الْقَوْلُ فِي طَائِلٍ، وَأَنَّهُ مِنَ الطُّوْلِ. وَيُقَالُ: مَا
خَلِيتُ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ بِطَائِلٍ.

٣ - إِذَا حَمَلْتَنِي وَالسَّلَاحَ مُشِيحَةً إِلَى الرُّزُوعِ لَمْ أَضِيحْ عَلَى سِلْمٍ وَإِلٍ
المُشِيحُ وَالشَّائِخُ وَالشَّيْخُ وَاجِدٌ. قَالَ^(١): [م. الوافر]

مُشِيحٌ فَسَوْقٌ شَنِحَانٍ

يعني رَجُلًا عَلَى فَرَسٍ. وَقَالَ: [الطويل]

وَشَايَحَتْ قَبْلَ الْقَوْمِ إِنَّكَ شِيحٌ^(٢)

فَيَقُولُ: إِذَا جَالَ تَحْتِي وَعَلَيَّ سِلَاحِي قَاصِدًا إِلَى الْحَرْبِ فَرَسٌ جَادَّةٌ، لَمْ أَصَالِحْ
وَإِنَّمَا، وَلَمْ أَزُصْ مِنْهَا إِلَّا بِالشِّفَاءِ وَالِاشْتِفَاءِ. وَالْمُشَايَحَةُ: الْمُحَادَرَةُ. وَالْمُشِيحُ:
الْحَازِمُ.

٤ - فِدَى لِفَتَى أَلْقَى إِلَيَّ بِرَأْسِهَا تِلَادِي وَأَهْلِي مِنْ صَدِيقِي وَجَامِلٍ
قَوْلُهُ «أَلْقَى إِلَيَّ بِرَأْسِهَا» أَيَّ وَهَبَهَا لِي وَمَكَّنَنِي مِنْ قِيَادِهَا بِنَفْسِي. وَذِكْرُ الرَّأْسِ
كَمَا يُقَالُ: هُوَ يَرْتَبِطُ كَذَا رَأْسًا وَكَذَا ظَهْرًا. وَذِكْرُ الْإِنْقَاءِ كَمَا يُقَالُ: أَلْقَى إِلَيْهِ مَقَالِيدَ
الْأُمُورِ. وَالْمَعْنَى: أَفْدِي بِمَالِي الْقَدِيمِ وَأَهْلِي الْمُصَادِقِينَ فَتَى مَكَّنَنِي مِنْ هَذِهِ الْمُهْرَةِ

(١) لأبي العيال الهذلي في شرح أشعار الهذليين ص ٤٢٨، وبلا نسبة في اللسان (شيخ)، وتاج
العروس (شيخ)، وعجزه:

«يدور كأنه كلب»

(٢) لأبي ذؤيب الهذلي في شرح ديوان الهذليين ١: ١١٦، واللسان (شيخ). وصدرة:
«بدرت إلى أولاهم فسبقتهم»

وملكيتها. وقوله «من صديق وجامل» دخل من على طريق التبيين، فالصديق تفسير الأهل، والجامل تفسير التلاد. وكان هذا الرجل ينتظر إمكان الفرصة من أعدائه ليتهمها في وقته، ويتمنى احتياج الشر في الناس وتداعي القبائل بالأوتار، وتناقضهم للقتال عند تكامل غدته ليجد طريقاً إلى مكاشفة من يريد مكاشفته، وتسبباً إلى إدراك ما يريد إدراكه، فلهذا علّق الدعاء بإركاب المهر، وأجل الزمان في ابتغاء المطلوب. وخصّ الصديق من أقاربه وذويه لأنّ النفس أضنّ بهم، كما خصّ الجامل وهو ذكور الإبل وإنائها لأنها هي المال المختار من الأزواج الثمانية. ويروى: «من صديق وحامل» بالحاء، فيكون من تفسير الأهل خاصة، كأنه يريد وأهلي من مصاديقي لي وبأر بي. ويقال: حمّله على كذا مزكّبا، إذا أعطاه. كأنه قال: كل من حمّلني على فرس من أهلي فهو فداء لمن حمّلني على هذا المهر؛ لأنه يقع دونه في القدر والمكانة.

١٨٣ - وقال شمعة بن الأخضر^(١): [الوافر]

١ - وَيَوْمَ شَقِيقَةِ الْحَسَنِينَ لَأَتَّ بَنُو شَيْبَانَ آجَالًا قِصَارًا
الشقيقة: رملة تُشقّ من معازم الرمل، وهي في الأصل صفة فجعلت اسماً وألحق به الهاء. وقد قيل فيها إنها رملة بين رملتين، والحسان قيل هما رملتان ببلاد بني تميم، وقيل حسن كتيب ضم إليه قطعة أرض تقرب منه فقل حسان، كقولهم الكوفتان والحيرتان. وهذه الأبيات في مقتل بسطام بن قيس، قيلت على طريق التشفي وإظهار الثماتة. يريد: لأق بني شيبان يوم اجتماعنا بهذا المكان آجالاً غير ممتدة، متقاصرة عن الغاية التي كانت آمالهم تنزع إليها، ويعدّهم اغترابهم بها.

٢ - شَكَّنَا بِالرَّمَاكِ وَهَنْ زُورَ صِمَاخِي كَبِشِهِمْ حَتَّى اسْتَدَارَا
الشك: النظم. يقول: انظّمنا بالرماح والخيّل منحرفة للطعن صماخي رئيسهم - يغني بسطاماً - حتى دبر به فسقط. وكان بسطام أغار في بني شيبان على بني ضبة، واستاق إبلها، وكان رجال الحي غائبين، فلما أحسوا بذلك ركبوا إثره، فلما لحقوه أخذ بسطام يعرّب الإبل، فقالوا: يا بسطام ما هذا السفه، إما أن تكون لنا أو لك! ثم أصيب صماخه - والصماخ هو الخرق الباطن الذي يُفْضِي إلى الرأس - وقاتل

(١) التبريزي: «وقال شمعة بن الأخضر بن هبيرة بن المنذر بن ضرار الضبي».

بِسْطَامُ هُوَ عَاصِمُ بْنُ خَلِيفَةَ الضَّبِّيِّ، وَيُقَالُ إِنَّهُ كَانَ مُضَعُوفًا، وَفِي ذَلِكَ الْيَوْمَ رَأَتْهُ أُمُّهُ يَسُنُّ سِنَانًا رُمِجَهُ فَقَالَتْ: مَا تُرِيدُ بِهَذَا؟ قَالَ: أُرِيدُ أَنْ أَقْتُلَ بِهِ بِسْطَامًا! فَقَالَتْ الْأُمُّ مَتَعَجَّبَةً وَمُسْتَنْكِرَةً: «أَسَأْتُ أَمْلَكَ أَضِيقُ مِنْ ذَلِكَ!». وَحِكْمِي أَنَّهُ أَذْرَكَ الْإِسْلَامَ وَأَسْلَمَ، فَكَانَ إِذَا وَرَدَ بَابَ عَمْرِ بْنِ رَضِيٍّ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: عَاصِمُ بْنُ خَلِيفَةَ، قَاتِلُ بِسْطَامِ بْنِ قَيْسٍ بِالْبَابِ! مُفْتَجِرًا. وَمَعْنَى «اسْتَدَارَ»، أَخَذَهُ دَوَارُ الْمَوْتِ. وَقَوْلُهُ «شَكَّكْنَا بِالرَّمَاكِ» وَالشُّكُّ كَانَ مِنْ وَاحِدٍ مِنْهُمْ وَبُرْنَجٍ، عَلَى عَادَتِهِمْ فِي نِسْبَةِ الْفِعْلِ إِلَى الْقَبِيلِ وَإِنْ كَانَ مِنْ أَحَدِهِمْ، لِاسْتِرَاكِهَمُ فِي الرِّضَا بِهِ، وَتَجْمُعِهِمْ لِإِقْبَاعِهِ. عَلَى ذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَقَرَأُوا النَّافَةَ﴾ [الأعراف: الآية ٧٧] وَمَا أَشْبَهَهُ.

٣ - فَخَرَّ عَلَى الْأَلَاءِ لَمْ يُوسَّدْ وَقَدْ كَانَ الدُّمَاءُ لَهُ خِمَارًا
الألاء: شجرة حسنة المزأى، قبيحة المختبر، ولهذا شبه به كل من قصر مخبره عن منظره. قال: [الوافر]

فَلِئَلَّكُمْ وَمَذَحَكُمْ بُجَيْرًا أَبَا لَجَلٍ كَمَا امْتَدَّحَ الْأَلَاءُ^(١)
يَرَاهُ النَّاسُ أَخْضَرَ مِنْ بَعِيدٍ وَتَمْنَعُهُ الْمَرَارَةُ وَالْإِبَاءُ

ومعنى خَرَّ عَلَى الْأَلَاءِ، أَي مَالَ عَلَيْهَا لَمَّا أُصِيبَ. وَالْمَرَادُ بِالْبَيْتِ: سَقَطَ بِسْطَامٌ لَمَّا طُعِنَ عَلَى الْأَلَاءِ، وَهُوَ غَيْرُ مُوسَّدٍ، قَدْ غَشِيَ رَأْسَهُ وَوَجْهَهُ بِالْدَمِ. قَوْلُهُ «لَمْ يُوسَّدْ» فِي مَوْضِعِ الْحَالِ، وَهُوَ بَيِّنٌ لَكُونَهُ مَقْتُولًا، وَأَنْ خُرُورَهُ كَانَ لَذَلِكَ. وَعَلَى هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَحَرُّوا لَمْ سُبْدًا﴾ [يوسف: الآية ١٠٠] وَمَا أَشْبَهَهُ. وَالْخِمَارُ وَالْخِمَارُ: كُلُّ مَا غَطَّاكَ.

١٨٤ - وَقَالَ حُسَيْلُ بْنُ سَجِيحٍ^(٢): [الطويل]

١ - لَقَدْ عَلِمَ الْحَيَّ الْمُصْبِحُ أَنَّنِي غَدَاةَ لَقِينَا بِالشَّرِيفِ الْأَحَامِسَا
يقول: صَبَحْتُهُ مُشَدَّدًا وَمُخَفَّفًا، إِذَا قَصَدْتَهُ لِلْغَارَةِ صَبَاحًا. وَفِي الْمَثَلِ: «صَبَحْتَاهُمْ فَعَدُوا شَأْمَةً».

وَالْأَحَامِسُ لَقَبٌ لِبَنِي عَامِرٍ، وَجُمِعَ جَمَعَ الْأَسْمَاءِ وَإِنْ كَانَ صِفَةً فِي الْأَصْلِ فَهُوَ كَالْأَبْطَحِ وَالْأَجْدَلِ وَأَشْبَاهَهُمَا؛ وَقَدْ تَقَدَّمَ الْقَوْلُ فِيهِ. وَالشَّاعِرُ يَقُولُ: تَيَقَّنَ الْحَيَّ الْمُعَارُ عَلَيْهِمْ صَبَاحًا أَنَّنِي غَدَاةَ لَقِينَا بَنِي عَامِرٍ بِالشَّرِيفِ - وَهُوَ مَوْضِعٌ بِتَجْدٍ، وَكَذَلِكَ الشَّرَفُ -

(١) لبشر بن أبي خازم في اللسان (الأ). (٢) التبريزي: «حسيل بن سجيح الضبي».

أُنْيْتُ. وهذا الكلام منه استشهاد بمن دافع عنهم. وَخَبِرَ أَنَّ فِيمَا بَعْدَهُ، وهو قوله «جَعَلْتُ لَبَانَ الْجَوْنِ». وغداة لَقِينَا ظَرْفَ لِه. فَإِنْ قِيلَ: هَلَّا جَعَلْتَهُ ظَرْفًا لَعَلِمَ أَوْ لِلْقَيْنَا؛ قُلْتُ: لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ظَرْفًا لَعَلِمَ، لِأَنَّهُ إِذَا جُعِلَ كَذَلِكَ صَارَ أَجْنَبِيًّا مِمَّا دَخَلَ فِي صِلَةِ أَنْ، وَحَائِلًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَبَرِهِ، وَالْفَضْلُ بَيْنَ الْمَوْصُولِ وَمَا فِي صِلَتِهِ بِالْأَجْنَبِيِّ مِنْهُ غَيْرُ جَائِزٍ. وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ظَرْفًا لِلْقَيْنَا، لِأَنَّهُ مُضَافٌ إِلَيْهِ، وَالْمُضَافُ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ عَامِلًا فِي الْمُضَافِ.

٢ - جَعَلْتُ لَبَانَ الْجَوْنِ لِلْقَوْمِ غَايَةً مِنْ الطُّغْنِ حَتَّى آخَرَ أَحْمَرَ وَارِسًا

جَعَلْتُ هُنَا تَعَذَّى إِلَى مَفْعُولِينَ لِأَنَّهُ بِمَعْنَى صَيَّرْتُ. وَاللَّبَانُ: الصَّدْرُ مِنَ الْقَرَسِ. وَالْوَرَسُ: صِبْغٌ أَحْمَرٌ مَعْرُوفٌ. وَتَوْبٌ وَرِسٌ وَوَارِسٌ. وَأَوْرَسَ الزَّمْتُ، إِذَا أَصْفَرَ ثَمَرَهُ، فَهُوَ وَارِسٌ، وَهُوَ أَحَدُ الْحُرُوفِ الَّتِي جَاءَتْ عَلَى أَفْعَلَ فَهُوَ فَاعِلٌ؛ وَلَا يُقَالُ مُورِسٌ. وَرُبَّمَا قُسِّرَ الْوَرَسُ عَلَى الزُّغْفَرَانِ. يَقُولُ: ثَبْتُ فِي وَجْهِ الْقَوْمِ فَصَيَّرْتُ صَدْرَ قَرَسِي لِلطُّغْنِ وَمَوْقِعًا، حَتَّى صَارَ لَسِيلَانَ الدِّمِّ عَلَيْهِ أَحْمَرَ كَالْوَرَسِ.

٣ - وَأَرْهَبْتُ أَوْلَى الْقَوْمِ حَتَّى تَنْتَهِنُوا كَمَا دُدْتُ يَوْمَ الْوَرْدِ هَيْمًا خَوَامِسًا

يَقُولُ: خَوَّفْتُ أَوَائِلَهُمْ حَتَّى كَفُّوا وَتَنَكَّسُوا، كَمَا تَكُفُّ إِبِلًا عِطَاشًا وَرَدَّتْ لَحْمَسٌ، فَازْدَحَمَتْ عَلَى الْمَاءِ يَوْمَ الْوُرُودِ. وَالْهَيْمُ: الَّتِي بِهَا الْهَيْامُ، وَهُوَ دَاءٌ يَصْحَبُهُ الْعَطَشُ الشَّدِيدُ. جَعَلَ أَوَائِلَهُمْ تَتَبَادَرُ وَتَزْدَحِمُ حَرَصًا عَلَى الْقِتَالِ، مُبَادَرَةَ الْهَيْمِ وَازْدَحَامَهَا عَلَى الْمَاءِ وَرَدَّتْ لَحْمَسٌ. وَهَذَا التَّشْبِيهُ مِنْ بَابِ التَّصْوِيرِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ الْقَوْلُ فِي شَرْحِهِ. وَقَوْلُهُ: «تَنْتَهِنُوا كَمَا دُدْتُ» يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ حَتَّى دُدْتُهُمْ كَمَا دُدْتُ، فَوَضَعَ تَنْتَهِنُوا بَدْلَهُ وَدَالًا عَلَيْهِ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ: كَمَا نَهَنْتَ يَوْمَ الْوَرْدِ إِذَا دُدْتُ هَيْمًا، فَوَضَعَ دُدْتُ مَوْضِعَهُ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ: أَرْهَبْتُهُمْ كَمَا أَرْهَبْتُ، فَوَضَعَ دُدْتُ مَوْضِعَ أَرْهَبْتُ، وَهَذَا أَقْرَبُ.

٤ - بِمُطَرِدٍ لَدُنِّي صَحَاحٍ كُفُوءٍ وَذِي رَوْنَقٍ عَضْبٍ يَقْدُ الْقَوَانِسَا

٥ - وَيَبِيضَاءَ مِنْ نَسِجِ ابْنِ دَاوُدَ نَشْرَةٍ تَحْبِيزُهَا يَوْمَ اللَّقَاءِ الْمَلَابِسَا

الْبَاءُ مِنْ قَوْلِهِ «بِمُطَرِدٍ» تَعَلَّقَ بِقَوْلِهِ أَرْهَبْتُ. فَيَقُولُ: خَوَّفْتُهُمْ بِالْبُرُوزِ لَهُمْ، وَمَعَالَتَهُ ذِي الْحِشْمَةِ بِالتَّنَكُّرِ مَعَهُمْ، وَالشَّدَّ عَلَيْهِمْ بِرُمَحٍ مُسَوًى لَتَيْنٍ صَحِيحِ الْكُغُوبِ وَالْأَنَابِيبِ، وَسَيْفٍ ذِي مَاءٍ، قَاطِعٍ نَافِذٍ فِي الْقَوَانِسِ، لَا يَنْبُو وَلَا يَزْتَدِيعُ. وَمَعْنَى الْأَطْرَادِ فِي الرُّمَحِ تَقْوُمُهُ وَتَوَافُقُ أَنْابِيهِ عِنْدَ الْهَزِّ. وَالْقَوَانِسُ: أَعْلَى الْبَيْضِ؛ وَقَوْنُسُ

الْفَرَسِ مِنْهُ، وَهُوَ الْعَظْمُ الَّذِي تَحْتَهُ الْعُصْفُورَانِ. هَكَذَا قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ. وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ: هُوَ وَالْعُصْفُورَانِ سَوَاءٌ، وَالْقُدُّ: الْقَطْعُ طَوْلًا، فَإِنْ كَانَ عَرْضًا فَهُوَ الْقَطُّ. وَقَوْلُهُ «وَبِيضَاءُ مِنْ نَسِجِ ابْنِ دَاوُدَ» فَإِنَّهُ عَنَى بِهِ دِرْعًا، وَالْمُرَادُ تَعْدَادُ عُذَّتِهِ وَاجِدًا وَاجِدًا. أَيْ أَرَهَبْتُهُمْ بِدِرْعِ نَقِيَّةِ اللَّوْنِ مِنَ الصُّدَا دَاوُدِيَّةٍ وَاسِعَةٍ، اخْتَرْتُهَا مِنَ الْمَلَاسِ يَوْمَ اللَّقَاءِ. وَإِنَّمَا قَالَ «مِنْ نَسِجِ ابْنِ دَاوُدَ» كَمَا قَالَ الْآخَرُ: [الطويل]

وَنَسِجُ سُلَيْمٍ كُلُّ قَضَاءٍ ذَائِلٍ^(١)

وَاللَّغَرِبُ عَادَةٌ مَعْرُوفَةٌ فِي إِقَامَةِ الْأَبِ مَقَامَ الْابْنِ، وَالْابْنِ مَقَامَ الْأَبِ، وَتَسْمِيَةُ الشَّيْءِ بِاسْمِ غَيْرِهِ إِذَا كَانَ مِنْ سَبَبِهِ. وَالْأَعْلَامُ لَا يَدْخُلُهَا الْمَجَازُ، وَلَكِنْ تُسْتَعَارُ إِذَا حَصَلَ بِهَا الْقَصْدُ وَأُمِنَ مَعَهَا اللَّبْسُ عِنْدَ الذِّكْرِ. وَانْتَصَبَ الْمَلَاسُ عَلَى الْمَفْعُولِ، لِأَنَّ الْفِعْلَ بَعْدَ انْحِذَابِ حَرْفِ الْجَزِّ مِنْهُ وَصَلَ إِلَيْهِ فَنَصَبَهُ. وَأَضْلَلَهَا تَخَيَّرْتُهَا يَوْمَ اللَّقَاءِ مِنَ الْمَلَاسِ. وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا أَلِيمِينَ﴾ [الأعراف: الآية ١٥٥]. وَالْمُرَادُ: اخْتَارَ مُوسَى مِنْ قَوْمِهِ، وَمِثْلُ هَذَا مِنَ الْحَذْفِ لَا يَنْقَاسُ.

٦ - وَجَزْمِيَّةٌ مَنَسُوبِيَّةٌ وَسَلَاجِمُ خِفَافٍ تَرَى عَنْ حَدِّهَا السَّمَ قَالِيسَا

يُرِيدُ: وَيَقُوسٍ مُتَّخَذَةً مِنْ شَجَرِ الْجَزْمِ، لَهَا نَسَبٌ لَجُودَتِهَا وَعِثَتْ نَجَارِهَا، حَتَّى يُقَالَ فِيهَا: مَلَكُهَا فَلَانٌ، وَوَرِثَهَا فَلَانٌ، وَاتَّخَذَهَا فَلَانٌ، وَهِيَ الْقَوْسُ الَّتِي مِنْ شَأْنِهَا كُنَتْ وَكُنَتْ، وَبِنَصَالِ طَوَالٍ خِفَافٍ تَقْلِسُ حُدُودَهَا السَّمَ وَتَرْشَحُهُ، لِأَنَّهَا أُنْهِيَتْ بِهِ وَشُرْبَتْهُ. وَالْقَلْسُ: الْقَيْءُ، يُقَالُ قَلَسَ قَلْسًا، ثُمَّ يُقَالُ لِلدَّسْعَةِ تَخْرُجُ إِلَى الْفَمِ الْقَلْسُ، بِتَحْرِيكِ اللَّامِ. وَالسَّلَاجِمُ: الطُّوَالُ، وَأَرَادَ بِهَا التُّبْلَ كَمَا هِيَ، وَيُقَالُ: جَزَمَ وَحَزَمَ. وَانْتَصَبَ قَالِيسَا عَلَى الْحَالِ لِلسَّمَ، كَأَنَّهُ قَالَ: تَرَى السَّمَ ذَا قَلْسٍ، أَيْ مَمْجُوجًا بِهِ مُلْقَى مِنْ جَوَانِبِ حُدُودِهَا.

٧ - فَمَا زِلْتُ حَتَّى جَنَنِي اللَّيْلُ عَنْهُمْ أَطْرَفُ عَنِّي فَارِسًا ثُمَّ فَارِسَا

يُرَوَّى «أَطْرَفُ فُزْسَانًا وَأَلْحِقُ فَارِسًا». يَقُولُ: لَمْ أَزَلْ بَيَاضَ ذَلِكَ الْيَوْمِ أَدْفَعُ فِي جَوَانِبِ مَجَالِي وَأَطْرَافِ أَرْضِي، الْفَارِسَ بَعْدَ الْفَارِسِ، إِلَى أَنْ تَغْشَانِي الظُّلَامُ فَحَالَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ، وَسَتَرَ كَلَامًا مِثْلًا عَنْ صَاحِبِهِ. وَمَعْنَى أَطْرَفُ أَجْعَلُهُ مِثْلِي فِي طَرَفٍ، وَمَوْضِعُهُ مِنَ الْإِعْرَابِ نَضَبٌ عَلَى أَنْ يَكُونَ خَبَرٌ مَا زَالَ. وَأَرَادَ بِقَوْلِهِ «فَارِسًا ثُمَّ فَارِسًا»

(١) للناطقة الذيباني في ديوانه ٦٤، واللسان (قضض، وذيل). وصدرة:

«وَكُلُّ صَمُوتٍ نَشْلَةٌ تَبْعِيَّةٌ»

المدائمة والاتصال. أي لم أفتر عن دفاعهم وقتًا واحدًا بعد واحد. وهذا كما يقال: جاءني بنو تميم واحدًا فواحدًا، أي توالوا أفرادًا. ومن روى «أطرف فُرسًا وألحق فارسًا» فالمعنى أسوق فُرسًا وأدودهم عني، وقد ألحق في الطرد الواحد بعد الواحد فأصيه.

٨ - ولا يَحْمَدُ الْقَوْمُ الْكَرَامَ أَخَاهُمْ أَلْ عَتِيدَ السَّلَاحِ عَنْهُمْ أَنْ يَمَارِسَا
هذا الكلام تَبَرُّؤٌ مِنَ التَّحَمُّدِ بِمَا فَعَلَ إِلَى النَّاسِ، وَتَرْكٌ لِلتَّبَجُّحِ بِالذَّفَاعِ حِينَ دَافِعٌ، وَإِظْهَارٌ لَأَنَّ مَذَهَبَ الْكَرَامِ ذَلِكَ وَأَنَّ الْوَاجِبَ فِي اعْتِقَادِهِمْ أَلَّا يُحْمَدَ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ إِذَا قَاتَلَ دُونَهُمْ، أَوْ مَارَسَ الشَّدَّةَ فِيهِمْ وَلَهُمْ، مَتَى كَانَ تَأَمُّ السَّلَاحِ، مُزَاحَ الْعِلَلِ، إِذْ كَانَ ذَلِكَ ذَابَهُمْ وَدَيْتَهُمْ، وَإِذْ كَانَ سَبِيلُهُ فِيمَا يَأْتِيهِ كَمَنْ يُؤَدِّي الْقَرْضَ الَّذِي لَا يَحْتَمِلُ التَّضْجِيعَ، وَالْحَتْمَ الَّذِي لَا يَسُوغُ التَّجَوُّزَ فِيهِ وَالتَّأْوِيلُ. وَقَوْلُهُ «عَنْهُمْ» يَتَعَلَّقُ بِالْعَتِيدِ السَّلَاحِ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَتَعَلَّقَ بِمَارِسَ، لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَكَانَ فِي صِلَةٍ أَنْ، فَلَمْ يَجُزْ تَقْدِمُهُ عَلَيْهِ. وَيَكُونُ الْمَعْنَى: أَخَاهُمْ الْمُعِدُّ السَّلَاحَ عَنْهُمْ، النَّائِبُ مَنَابَهُمْ. وَمَعْنَى أَخَاهُمْ الْوَاحِدَ مِنْهُمْ، كَمَا يَقَالُ: يَا أَخَا بَكْرٍ أَوْ تَمِيمٍ.

١٨٥ - وَقَالَ مُحَرَّرُ بْنُ الْمُكَعْبِ^(١): [البسيط]

١ - نَجَى ابْنُ نُغْمَانَ عَوْفًا مِنْ أَسْتَيْتَنَا إِيغَالَهُ الرُّكُضَ لَمَّا شَالَتْ الْجِدْمُ
قال الخليل: الإيغال: الإمعان في السير مع دخول فيما بين جبال أو في أرض العدو. وقال غيره: هو الإسراع في إبعاد. يقول: أُنْقَذَ هذا الرَّجُلُ مِنْ رَمَاجِنَا اسْتَعْجَالَهُ فَرَسَهُ، وَاسْتَحْثَالَهُ بِالرُّكُضِ إِيَّاهُ، لَمَّا زُفِعَتْ بَقَايَا السُّوطِ تُخَوِّفُ بِهَا الْخَيْلُ، وَبُسْتَدْرُ مِنْهَا الْعَدُوُّ. وَهَذِهِ إِشَارَةٌ إِلَى وَقْتِ الْإِنْهَازِ وَجِدِّ الطَّالِبِينَ فِي اللَّحَاقِ. وَالرُّكُضُ يَنْتَصِبُ عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ مِنَ الْإِيغَالِ، كَمَا يَقَالُ: أَبْعَدَ السَّيْرَ، وَأَسْرَعَ السَّيْرَ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مُصَدَّرًا مَوْضِعَ الْحَالِ، كَأَنَّهُ قَالَ إِيغَالَهُ رَاكِضًا. وَأَدْخَلَ الْأَلْفَ وَاللَّامَ عَلَى حَدِّ دَخُولِهِمَا فِي قَوْلِهِ^(٢): [الوافر]

فَأَرْسَلَهَا الْعِرَاكَ

(١) التبريزي: «محرز بن المكعب الضبي». شاعر جاهلي من بني ربيعة بن كعب من ضبة. (المرزباني ٤٠٥، والأعلام ٦: ١٧١).

(٢) للبيد في ديوانه ٨٦، واللسان (عرك). وأساس البلاغة (نغص)، وخزانة الأدب ٣: ١٩٢، وتماه:

و: [الطويل]

أَزْرَدَهَا التَّقْرِيبَ وَالشَّدَّ مِنْهَا

وما أشبهه. وجذُم كل شيء: أضله؛ يقال: جذمت الشيء، إذا قطعتَه. والجِذْمَةُ: القِطْعَةُ من الحبل وغيره.

٢ - حَتَّى آتَى عَلَمَ الدُّهْنَا يُوَاعِصُهُ وَاللَّهُ يَغْلَمُ بِالصَّمَانِ مَا جَشِمُوا

الدُّهْنَا ببلاد تَجِيم. وقال الخليل: الدُّهْنَا موضع رَمَلَ كُلِّهِ، والنَّسَبُ إليه دَهْنَاوِيٌّ. ومعنى يُوَاعِصُهُ يَسِيرُ في وِغْسَانِهِ، وهي الرَّمْلَةُ اللَّيْنَةُ، والسير فيها يَضْعُب. ويقال: وَعَسَتْ المَكَانَ وَعَسَا، إِذَا وَطِئَتْهُ وَطْأً شَدِيدًا، وَيُسَمَّى الْأَثَرُ الْوَعْسُ. وَسُمِّيَ ضَرْبٌ مِنَ سَيْرِ الْإِبِلِ الْمُوَاعِصَةَ مِنْ هَذَا. وَحَقِيقَةُ قَوْلِهِ «يُوَاعِصُهُ» يُوَاعِصُ إِلَيْهِ أَوْ فِيهِ، أَيْ يَمْدُ سَيْرُهُ إِلَيْهِ فِيهِ. وَالصَّمَانُ: الْأَرْضُ الصُّلْبَةُ، وَاجِدَتْهُ صَمَانَةً، وَمَوْضِعٌ مَا مِنْ قَوْلِهِ مَا جَشِمُوا نَضَبٌ عَلَى الْمَفْعُولِ مِنْ جَشِمُوا، فيقول: أَوْعَلَ الرِّكْضَ حَتَّى بَلَغَ جِبَالَ الدُّهْنَا، مُوَاعِصًا فِي رَمْلِهِ، وَاللَّهُ يَغْلَمُ أَيْ شَيْءٌ تَكَلَّفَهُ هُوَ وَأَصْحَابُهُ مِنَ السَّيْرِ فِي الصَّمَانِ. وَمَوْضِعٌ يُوَاعِصُهُ نَضَبٌ عَلَى الْحَالِ، وَيجوز أن يكون مَوْضِعٌ مَا مِنْ قَوْلِهِ مَا جَشِمُوا نَضَبًا عَلَى الْمَفْعُولِ مِنْ فَعَلَ ذَلِكَ عَلَيْهِ، وَاللهُ أَغْلَمُ. وَمِثْلُهُ فِي الْقُرْآنِ: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: الآية ١٢٤]. وَقَدْ تَقَدَّمَ الْقَوْلُ فِيهِ.

٣ - حَتَّى انْتَهَوْا لِمِيَاهِ الْجَوْفِ ظَاهِرَةً مَا لَمْ تَسِرْ قَبْلَهُمْ عَادَ وَلَا إِدْمَ

الْجَوْفُ وَادٍ. وَظَاهِرَةُ انْتَضَبَ عَلَى أَنَّهُ ظَرْفٌ، وَيَقَالُ: وَرَدَ الْمَاءُ ظَاهِرَةً، إِذْ وَرَدَ نِصْفَ النَّهَارِ؛ وَاشْتِقَاقُهُ مِنَ الظُّهَيْرَةِ. وَأَظْهَرْنَا: صِرْنَا فِي الظُّهَيْرَةِ: وَقَدْ جُعِلَ اسْمًا لِهَذَا الظُّمِّ. وَقَوْلُهُ «مَا لَمْ يَسِرْ» أَرَادَ سِيرًا لَمْ يَسِرْهُ قَبْلَهُمْ أَحَدٌ، أَوْ انْتِهَاءَ لَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ إِنْسَانٌ. وَعَلَى هَذَا يَكُونُ مَا فِي مَوْضِعِ النَّضْبِ عَلَى أَنَّهُ مُصَدَّرٌ مِمَّا دَلَّ عَلَيْهِ حَتَّى انْتَهَوْا، وَتَلْخِصُ الْكَلَامَ: حَتَّى سَارُوا إِلَى مِيَاهِ هَذَا الْوَادِي نِصْفَ النَّهَارِ سِيرًا لَمْ يَسِرْ مِثْلُهُ وَاحِدَةً مِنْ هَاتَيْنِ الْأَمْتَيْنِ، وَالْمَعْنَى أَنَّهُمْ حَمَلَهُمُ الرُّغْبُ الَّذِي تَدَاخَلَهُمْ، وَالْاجْتِهَادُ فِي الْخَلَّاصِ مِنَ الْهَزِيمَةِ الْمَسْتُولِيَةِ عَلَيْهِمْ، عَلَى أَنْ يَقْطَعُوا مَا بَيْنَ الْمَكَائِنِ الْمَذْكُورِينَ فِي يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا فِي الْيَوْمِ الْأَوَّلِ بِالصَّمَانِ، وَفِي الْيَوْمِ الثَّانِي بِالْدُّهْنَا، وَذَلِكَ شَأْنٌ مُسْتَبْعَدٌ وَقُوْعُهُ.

١٨٦ - وقال عامر بن شقيق^(١): [الوافر]

١ - فَإِنَّكَ لَوْ رَأَيْتَ وَلَنْ تَرِيهِ أَكْفَ الْقَوْمِ تَخْرُقَ بِالْقُنِينَا^(٢)

يخاطبُ امرأةً مُقْطَعًا للشَّانِ الذي مُتُوا به، ومُهِوَلًا للأمرِ الذي دُفِعُوا إليه، فيقول: لو رأيتَ ولا أراكِ الله مثله مَشْهَدُ القومِ وأَكْفُهُمْ تَخْرُقَ بِالرِّمَاحِ لَرَأَيْتَ أَمْرًا هَائِلًا. وجوابُ لو محذوفٌ، كما يقال: لو رأيتَ زيدًا وفي يده السَّيفُ. وقد مرَّ القولُ في أن تَبْقِيَةَ الإنْهَامِ في مثل هذا المكان بترك الجواب أبلغ في الإِفْهَامِ. وقوله «وَلَنْ تَرِيهِ» دعاءٌ، وأكثرُ ما يَقْعُ الدُّعَاءُ يَقَعُ بلا، وَلَنْ يَجِيءَ قليلًا، تقول: لَنْ يُبَارِكَ اللهُ في كذا وتريدُ الدعاءَ، كما تقولُ لا بَارَكَ اللهُ. وَفَسَّرَ قُطْرُبُ قولَ الله تعالى: ﴿رَبِّ يَمَّا أَتَمَمْتَ عَلَىٰ فَلَنَ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ﴾ [القَصَص: الآية ١٧] على أَنَّهُ دعاءٌ. ويجوز أن يكون قوله «وَلَنْ تَرِيهِ» إخبارًا بأنها وقد فاتتها رُؤْيَا ذلك فيما مضى لا ترى مثله في المستأنَفِ فظاعةٌ وشناعةٌ، وَأَنَّ الحَظْبَ بَلَغَ حَدًّا خَرَجَ به عن المعتاد المستجاز وقوله «تَخْرُقُ بِالْقُنِينَا» أي تُثَقِّبُ، ومنه خَرَقْتُ الأرضَ واخترقتها، وريحٌ خَرِيقٌ. ويُرْوَى: «تَخْرُقُ» بفتح التاء وضَمِّ الراء، وله وجهان: أحدهما أن يكون من الخُرْقِ: ضدُّ الرَفْقِ، كَأَنَّ الأَكْفَ كانت تَخْرُقُ في الطَّعْنِ ولا تَزْفُقُ، لشِدَّةِ الأمرِ؛ وهذا حَسَنٌ. والثاني: أن يكون من الخَرْقِ، كأنها تُشَقِّقُ بالطَّعْنِ مُلْتَمِ الأحوالِ ومتواصِلها وتُمَزِّقُها، كما قال: ﴿وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ [سَبَأ: الآية ١٩]. وهذا الوجه أَغْرَبُ ويكون المفعول محذوفًا، لأنَّ الكلامَ يدلُّ عليه. ومن روى «تَخْرُقُ» فالمعنى تُنْظِمُ. وإن جَعَلْتَ الفِعْلَ للفاعل فَرَوَيْتَ «تَخْرُقُ» جاز أيضًا على أن يكون المفعول محذوفًا، والمرادُ كأنها تُنْظِمُ مطعونين في شِدَّةٍ وَحَمَلَةٍ. والقنِين: جمعٌ سالمٌ، وهو نَادِرٌ، وأكثرُ ما يَجِيءُ مثله في المنقوص كَطَبِيٍّ وَطَبِينٍ، وَثَبَةٍ وَثَبِينٍ، كَأَنَّهُ يجعل هذا البناء في جَمْعِهِ جَبْرًا له مما نُقِصَ منه. ويَجِيءُ أيضًا كثيرًا في أسماء الدَّواهي، كالدَّرَبِينِ، والأَقْوَرِينِ، والفُتَكَرِينِ؛ كأنه بَلَغَ بها رتبةً الناطقين تهويلًا. وقد حُكِيَ كَسْرُ القاف من القنِينِ وحيثُذ يكون كَعَصَا وَعِصِيٍّ، ويكونُ وَزْنُهُ فُعُولًا والنونُ بدلٌ من لامِ الفِعْلِ. وَيُحْمَلُ على هذا الوجه سِنِينٌ في جَمْعِ سَنَةٍ.

(١) التبريزي: «وقال عامر بن شقيق من بني كوز بن كعب بن بجالة بن زهر بن مالك».

(٢) روى التبريزي قبل هذا البيت:

«أَلَا حَلَّتْ هَنِيْدَةٌ بِطَنْ قَرُوْ» بأقْوَاعِ المصامِةِ فالعيونا قَوْ: موضع، وأقْوَاع: جمع قاع، والمصامِة موضع.

٢ - بَلِيّ فِرْقَيْنِ يَوْمَ بَنُو حُبَيْبٍ تُيَوِّهُمُ عَلَيْنَا يَحْرِقُونَا

قوله «بليّ فرقين» يجوز أن يتعلق بقوله لو رأيت، ويجوز أن يتعلق بقوله تُحْرِقُ بالقَيْنين، كذلك قوله «يومَ بنو حُبَيْبٍ» يجوز أن يكون ظَرْفًا لكل واحد من الفعلين لأنهما ظَرْفان: أحدهما للمكان والآخر للزمان. وأضاف اليومَ إلى الكلمة التي بعده لأن الأزمنة تضاف إلى الجُمْل من الابتداء والخبر، والفعل والفاعل، تبيينًا لها. ويقال: هو يَحْرِقُ أنيابه، إذا حَكَّ بعضها ببعضٍ تهديدًا. ويقالُ أيضًا: هو يَحْرِقُ عليه الأزم، ويَعْلُكُ عليّ الأزم، أي يصْرِفُ بأنياه تغيطًا. وَحَكَّى فيه الأزم بالزاء أيضًا. والأزم: العض. ويقالُ حَرَقَهُ بالمِبرِد، إذا بَرَدَهُ. وَحَكَّى أبو حاتم؛ فَلأن يَحْرِقُ نابه عليّ، برفع الناب. قال: لأنه هو الذي يَحْرِقُ. وبيتُ زهير يَشْهَدُ لذلك. وأنشد: [الطويل]

أَبَى الضَّيْمَ وَالثُّعْمَانَ يَحْرِقُ نَابُهُ عَلَيْهِ فَأَفْضَى وَالسُّيُوفُ مَعَاقِلُهُ^(١)

٣ - كَفَاكَ النَّأْيُ مِمَّنْ لَمْ تَرِهِ وَرَجَّيْتَ الْعَوَاقِبَ لِلْبَنِينَا

كانه وَكَلَّهَا إلى الاعتبار بعد ما فَاتَهَا من مشاهدة الحال، ودَعَاها إلى الاستدلال، والاكْتِفَاء فيه بما آل إليه أمرُها في أعزَّتْه مع غَيْبَتِهِمْ عنها. فيقول: أغْنَاكَ بُعْدُكَ إذا نَظَرْتَ واعتَبَرْتَ عن الاستكشاف والسؤال، وإن تَلَهَّفْتَ لما تُذَكِّرُكيه من مساقِطِهِمْ، ولم تُشَارِفِهِ من مصارِعِهِمْ، وحَالُكَ أُنْكَ عَلَفْتَ رَجَاءُكَ بالأولاد، وبأن يُحْسِنَ الله العُقْبَى لهم إذا بلغوا طَلَبَ الأوتار، ورَأَوْا السَّعْيَ في دَرْكِ الشار، وَقَطَعْتَ طَمَعَكَ في الآباء وَمَلَكَكَ اليَأْسُ منهم. وقوله «وَرَجَّيْتَ» قد مَعَهُ مُضْمَرَةٌ، لأنَّ الماضي بتقدير قد معه يقع موقع الحال. وَضَعَفَ عَيْنَهُ للتكثير، كأنها كانت تَكْرُرُ الرِّجَاءَ وَتُجَدِّدُهُ مع كلِّ حادثة، وعند كلِّ مُهِمَّة.

١٨٧ - وقال أبو ثمامة بن عارم^(٢): [المتقارب]

١ - رَدَدْتُ لِضَبَّةٍ أَمْوَالَهَا وَكَادَتْ بِلَادَهُمْ تُسَلِّبَ

يقول: اعتنيتُ بضَبَّةٍ، فأَعْنَتْهَا على مُجَادِبِهَا وَمُنَازِعِهَا، وَحَفِظْتُ لها وعليها مِيَاهَهَا وِبِلَادَهَا، ومراعِيَهَا وَمَرَادَهَا، بعد أن شَارَفُوا التسليم والاستسلام، والمُلَايَمَةَ

(١) لزهير في ديوانه ١٤٣.

(٢) التبريزي: «أبو ثمامة بن عازب الضبي، وقيل: ابن عارم، وقيل: ابن عازب».

والانقياد، حتى كادوا يُغلبون عليها، ويُمنعون من حقوقهم فيها، لما يظهر على صفحات أحوالهم من التخاذل، ويئون أمورهم عليه في التهاون والثواكل.

٢ - بِكَرِّ الْمَطِيِّ وَإِنْعَائِهِ وبالكُورِ أَزْكَبُهُ وَالْقَتَبُ^(١)

الباء من قوله «بكر» تعلق بردت. ويروى: «بكرى المطي»؛ وساغ الوجهان لأن المصدر يضاف إلى المفعول كما يضاف إلى الفاعل. ومُرَّاه أن يبين كيف كانت نيابته عنهم، ومُدافعتة دونهم، وكيف جاذب أعداءهم وجادل عنهم، حتى توصّل إلى قمعهم، ونزع أيديهم عما أنشبوها فيه من أملاكهم، وردّهم دون ما سوغوه من اهتصامهم. والقَتَبُ أخف من الكور. وإنما ذكر هذه المراكب ليبيّن تطاول الأمد بينه وبينهم، وتحمل أنواع المشاق اللاحقة في نزاعهم، وليدل على كثرة مناقلاتهم، واختلاف التردّد في مجالسهم وأماكنهم.

٣ - أَخْصِمُهُمْ مَرَّةً قَائِمًا وَأَجْثُو إِذَا مَا جَثُوا لِلرُّكْبِ

انتصب قائمًا على الحال؛ وثبة بما أوزده على امتداد المجاذبة، وتكرّر المُحَاجَّة، وعلى اختلاف الهيئات وتغيّر الأوقات، وكل ذلك بحسب اشتداد سورة الخصام ولينها؛ وأنه تكفل بالأمر معهم تكفل من تعيّن عليه الفرض في مرادّتهم، فابتدل نفسه معهم، ووطنها على مصابرتهم، فإن قاموا قام معهم، وإن برکوا باراهم في برؤكهم، لئلا يكون مخلصًا بغير عرض يخرجون فيه، أو تاركًا لشيء من نصيبهم. ويقال: جثا لركبته، إذا سقط.

٤ - وَإِنْ مَنْطِقُ زَلٍّ عَنْ صَاحِبِي نَعَقْتُ أَخْرَ ذَا مُنْقَبِ

فصل بين إن والفعل بقوله «منطق»، ولو ظهر تأثيره بالجزم لم يجر ذلك فيه. وارتفع بفعل هذا الظاهر تفسيره. فإن قيل: فإن في أي الفعلين عمل؟ وهل تقول إنه عمل فيهما جميعًا؟ قلت: أمّا عمله فيهما فغير سائغ، لأن أداة واحدة لا تجزم شرطين في حالة واحدة، لكن الفعل المضمر لما لم يظهر صار في حكم ما لم يعتد به، وإن كان الاسم يرتفع به، حتى صار التقدير: وإن زلّ منطق زلّ عن صاحبي. وقد روي «نعتبت» و«تعرفت»، ومعنى نعتبت تتبعت وطلبت عقبه؛ ومثله اعتقت. وقيل: المعتقب أخذ عقبه الشيء، وهي آخره. ومعنى تعرفت: عدلت عنه وأخذت في

غيره. ويقال: تعرقت الفرس، إذا ركبتها من خلفها. وعراقيب الأمور: التباساتها وطلب الحيل والحجج فيها، وأنشدت: [الوافر]

فلا يَغْدَمَكَ عُرْقُوبٌ لَلْأَيِّ إِذَا لَمْ يُغِطِكَ النَّصْفَ الْخَصِيمُ^(١)

والمعنى: لا يَغْدَمَكَ حيلةٌ للتواءِ خضمٍ عليك. وقال آخر: [الرجز]

إِذَا حَبَأُ قُفْ لَهُ تَعَرَّقَبَا

أي عدل عنه فالتوى. ومثل تعقت في إفادته طلبت عقبه وعقباه: تفقدت الشيء وتعهدته؛ لأن المعنى طلبت فقدته وعهدته، أي نظرت هل فقدته وهل بقي على عهد. ومعنى البيت: إن بدرت من واحدٍ منهم كلمة لم يوفق فيها للصواب، أو خفت عودها بغير صلاح عدلت عنها وطلبت مكانها أخرى ذات متبّع، فأعقبها بها.

٥ - أفر من الشر في رخوة فكيف الفرار إذا ما اقترَب

قوله في «رخوة» أي تراخيه. وهو رخو، أي مسترخ. كأنه أراد: أهرب منه ما لم يتشدّد. وتبّه بهذا الكلام على أنه يتفادى من الشر ما أمكن، وأنه لا يستعمل البغي ولا يبتدىء الخضم، فإن جاء منه ما لا معدل عن اقتحامه وركوب البلوى فيه، ولا معول إلا على الصبر على شدائده وتوسط الأذى العارض له خاضه متلقياً لمكارهه بعذته، مجاذباً للمنازعين بأقصى ما في طوقه وقوته، إلى أن يتحصّل له الفلج والظفر، أو يتحصّن عن لؤم اللائمين بما يقيمه من العذر في المجاهدة والتثبت. ومثله قول هذبة بن خشرم: [الطويل]

وَلَا أَتَمَّئِي الشَّرَّ وَالشَّرُّ تَارِكِي وَلَكِنْ مَتَى أُحْمَلْ عَلَى الشَّرِّ أَزْكَبُ^(٢)

١٨٨ - وَقَالَ أَبُو ثَمَامَةَ أَيْضًا: [الوافر]

١ - قُلْتُ لِمُخْرِزٍ لَمَّا التَّقَيْنَا نَكَبٌ لَا يُقْطِرُكَ الرِّحَامُ

نكَبٌ وتنكَبٌ بمعنى واحد. ويقول هو أنكَبُ عن الحق، ومنه الريح النكباء، لغدولها عن مهاب الرياح الأربع. وهذا الكلام تهكّم واستهزاء، كأنه يرميه بأنّه لم

(١) بلا نسبة في اللسان (عرقب، ودلل)، وتهذيب اللغة ٣: ٢٩١.

(٢) البيت عند التبريزي ١: ٤١٠.

يُبَاشِرُ الشَّدَائِدَ، وَلَمْ يُدْفَعْ إِلَى مَضَائِقِ الْمَجَامِعِ. فيقول: انْحَرِفْ مُتَمَاسِكًا لَا يُسْقِطُكَ تَرَاحُمُ النَّاسِ. وَالتَّقْطِيرُ: الإِلْقَاءُ عَلَى أَحَدِ الْقُطْرَيْنِ، وَهُمَا الْجَانِبَانِ، وَكَأَنَّهُ يَخَافُ عَلَيْهِ أَنْ يُدَاسَ بِالْقَوَائِمِ، كَمَا يُخَافُ عَلَى الصَّبِيَّانِ وَالنِّسَاءِ، لِقَلَّةِ غَنَائِهِ، وَضَعْفِ ثَبَاتِهِ. وَهَذَا فِي بَابِهِ أَبْلَغُ مَا مَرَّ بِي. وَفِي طَرِيقَتِهِ قَوْلُ حَجَلِ بْنِ نَضْلَةَ: [السريع]

جَاءَ شَقِيقٌ عَارِضًا رُمَحَهُ إِنَّ بَنِي عَمِّكَ فِيهِمْ رِمَاحُ

وقول سَبْرَةَ بْنِ عَمْرِو الْفَقْعَسِيِّ: [الكامل]

لَا شَيْءَ يَغْدِلُهَا وَلَكِنْ دُونَهَا خَرْطُ الْقَتَادِ تَهَابَ شَوْكَتُهَا الْيَدُ

وَفِي هَذَا تَعْرِیْضٌ أَيْضًا. وَمِنَ التَّعْرِیْضِ مَا أُنْشِدْتُهُ عَنِ الْيَزِيدِيِّ قَالَ: أُنْشِدْنِي الْأَصْمَعِيُّ: [الوافر]

فَدَعَّ شَوْكَ السَّيَالِ فَلَا تَطَأُهُ وَخُضَّ إِنَّ خُضَّتْ مَاءٌ غَيْرَ غَمْرِ

وقول الآخر: [المقارب]

فَأَرْضَكَ أَرْضَكَ إِنَّ تَأْتِنَا تَنْمُ نَوْمَةً لَيْسَ فِيهَا حُلْمُ

٢ - أَتَسْأَلُنِي السُّوِيَّةَ وَنَسَطَ زَيْدٌ أَلَا إِنَّ السُّوِيَّةَ أَنْ تُضَامُوا

يُخَاطَبُهُ مُقَرَّرًا وَمَتَوَعَّدًا. وَالتَّقْرِيرُ بِالْفِ اسْتِفْهَامٌ وَلَا حَرْفَ نَفْيٍ مَعَهُ يَكُونُ فِيمَا لَا يُثَبَّتُ وَلَا يُسْتَجَازُ كَوْنُهُ. وَالسُّوِيَّةُ: الْإِنْصَافُ؛ وَهِيَ مِنَ الْإِسْتِوَاءِ كَالْجَرِيمَةِ وَالذَّنْبِ وَالْخَطِيئَةِ. وَزَيْدٌ: قَبِيلَةُ الْمُخَاطَبِ. فيقول على وجه الإنكار والهزاء: أَتَسْأَلُ إِنْصَافَكَ وَأَنْتَ وَسَطُ رَهْطِكَ وَفِيمَا بَيْنَ عَشِيرَتِكَ وَمَحَلِّ عِرْكَ. ثُمَّ قَالَ: إِنَّ مِنْ السُّوِيَّةِ اهْتِضَامَكُمْ وَضَيْمَكُمْ، وَهَذَا مِنْ بَابِ إِبْدَالِ الشَّيْءِ مِنَ الشَّيْءِ. كَقَوْلِ الْآخَرِ: [الوافر]

تَحِيَّةٌ بَيْنَهُمْ ضَرْبٌ وَجِيعٌ^(١)

وَالضَّرْبُ لَا يَكُونُ تَحِيَّةً. وَالْمَعْنَى: أَنَّهُمْ يُغَطُّونَ بَدَلَ الْإِنْصَافِ الظُّلْمَ، لِأَنَّهُمْ لَا يَسْتَحِقُّونَ غَيْرَهُ، وَلِأَنَّ النُّصْفَةَ لَا تُضْلِحُهُمْ وَلَا تَوَافِقُهُمْ.

(١) لعمرو بن معدي كرب في الخزائن ٤: ٥٣. وصدرة:

«وخيلٍ دلفت لها بخيل»

٣ - فَجَارَكَ عِنْدَ بَيْتِكَ لَحْمٌ ظَنِّي وَجَارِي عِنْدَ بَيْتِي لَا يُرَامُ
يَصِفُهُمْ بِسُوءِ الْوَفَاءِ، وَقَلَّةِ الْمَحَافِظَةِ عَلَى عَقْدِ الْجَوَارِ، فيقول: جارك كالصَّيْدِ
لَمَنْ يَطْلُبُهُ، وَبِعَرَضِ الْأَكْلِ وَالِاسْتِبَاحَةِ لِمَنْ يَرِيدُهُ، وهذا وهو في فَنَائِكَ، وَغَيْرُ مُفَارِقِ
لِدَارِكَ، لَضَعْفِ حِشْمَتِكَ وَسُقُوطِ هِمَّتِكَ، وَاسْتِسْخَافِ النَّاسِ لِقُدْرِكَ وَوزْنِكَ؛ وَجَارِي
لَا يُطْلَبُ وَلَا يُطْمَعُ فِيهِ لِتَحَصُّنِ مَكَانِهِ فِي فَنَائِي، وَتَعَزُّزِهِ بِي، مَا دَامَ مُتَمَسِّكًا بِحَبْلِي،
أَوْ مُغْتَصِمًا بِجَنْفِي. وَإِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ لِأَنَّ التَّنَازُعَ بَيْنَهُمَا كَانَ بِسَبَبِ جَارٍ. وَإِضَافَةُ اللَّحْمِ
إِلَى الظَّنِّي فِي نَهَايَةِ الْمَوَافَقَةِ لِلْمَعْنَى الَّذِي يَقْصِدُهُ، وَالْعَرَضُ الَّذِي كَانَ يَزِمِيهِ. وَقَدْ
جَاءَ اللَّحْمُ غَيْرَ مُضَافٍ إِلَى اسْمِ الصَّيْدِ فِي الْكِنَايَةِ عَنِ الدَّلِّ وَالِاهْتِضَامِ. عَلَى هَذَا
قَوْلُهُمْ: هُوَ لَحْمٌ مُوَضَّعٌ، وَهُوَ لَحْمٌ عَلَى وَضْعٍ. وَقَدْ اسْتَعْمِلَ الشَّخْمُ فِي مِثْلِ ذَلِكَ،
عَلَى هَذَا قَوْلُهُ: [الطويل]

لِمَنْ كُنْتُ فِيهِ شَخْمُهُ وَأَطَايِبُهُ

وقول الآخر: [الطويل]

فَلَا تَحْسَبْنِي يَا ابْنَ أَزْنَمَ شَخْمَةً تَزَرَّدُهَا طَاهِي شِوَاءٍ مُلْهَوَجٍ

وقد قال آخر سالكا هذه الطريقة في الكناية: [المتقارب]

وَلَسْتُ خَلَاةً لِمَنْ أَوْعَدَنُ^(١)

وقالوا في الدليل: هو فُتْعٌ، وهو فُتْعٌ بِقَرْقَرٍ، وهو بَيِّضَةُ الْبَلَدِ.

١٨٩ - وقال عبد الله بن عتبة^(٢):

١ - أَبْلُغْ بَنِي الْحَارِثِ الْمَرْجُو نَضْرَهُمْ وَالْدَّهْرُ يُخْدِتُ بَعْدَ الْمِرَّةِ الْحَالَا

قَوْلُهُ «وَالْدَّهْرُ يُخْدِتُ» اعْتِرَاضٌ حَصَلَ بَيْنَ أَبْلُغْ بَنِي الْحَارِثِ وَبَيْنَ مَفْعُولِهِ الثَّانِي:
وَهُوَ قَوْلُهُ، «إِنَّا تَرَكْنَا فَلَمْ نَأْخُذْ بِهِ بَدَلًا».

(١) للأعشى في ديوانه ٧٥، واللسان (خلا)، وكتاب العين ٤: ٣٠٧. وصدرة:

«وحولي بكر وأشياءها»

(٢) التبريزي: «عبد الله بن عتبة الضبي، وهو من بني غيظ بن السيد». شاعر إسلامي شهد
القادسية، ترجمته في الإصابة ٦٣٣٨، وخزانة البغدادي ٣: ٥٨٠.

وَمِثْلُهُ مِمَّا قَدْ دَخَلَ الِاعْتِرَاضُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَفْعُولِ قَوْلُ أَبِي النَّجْمِ: [الرجز]

وَبُدِّلَتْ وَالذَّهْرُ ذُو تَبَدُّلٍ هَنِيفًا ذُبُورًا بِالضَّبَا وَالشَّمَالِ^(١)

وفي القرآن قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَلَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [النساء: الآية ٧٣]، لَأَنَّ قَوْلَهُ يَا لَيْتَنِي مَفْعُولٌ لَيَقُولَنَّ، وَكَانَ لَمْ يَكُنْ اعْتِرَاضٌ. وكذلك الذَّهْرُ ذُو تَبَدُّلٍ اعْتِرَاضٌ. وقوله «الْمَرْجُوءُ نُضْرُهُمْ» فِيهِ تَعْيِيرٌ وَتَفْرِيعٌ كَمَا أَنَّهُ فِي قَوْلِهِ «وَالذَّهْرُ يُخْدِثُ بَعْدَ الْمِرَّةِ الْحَالَا» هُزُوٌ وَسُخْرِيٌّ. وهؤلاء القوم كانوا تركوا عَشِيرَتَهُمْ وانتقلوا عنهم لِلْوَقْءِ حَصَلَتْ بَيْنَهُمْ إِلَى بَنِي الْحَارِثِ طَمَعًا فِي تَيْلٍ مَا يَقُولُهُمْ مِنْهُمْ مِنْ جِهَتِهِمْ، فَلَمَّا لَمْ يَجِدُوهُمْ عِنْدَ الظَّنِّ بِهِمْ تَنَدَّمُوا، فَأَخَذَ هَذَا الشَّاعِرُ مِنْهُمْ يَزِمِي بِهَذَا الْكَلَامِ مُعَيَّرًا وَمُتَلَهِّفًا، فَيَقُولُ: أَبْلِغْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ الَّذِينَ رَجِيَّ مَعُونَتَهُمْ وَطُمِعَ فِي نُضْرَتِهِمْ وَذَبَّيْهِمْ - وَالذَّهْرُ ذُو غَيْرٍ وَتَلَوْنِ، فَيَتَعَقَّبُ فِيهِ الشِّدَّةَ لِيْنٍ، وَالْقُوَّةَ ضَعْفٌ، وَالْعِزَّةَ ذُلٌّ - رِسَالَتِي إِلَيْهِمْ. وَإِنَّمَا تُبَيِّنُ مِنْ قَوْلِهِ الْحَالِ، وَإِنْ كَانَ وَاحِدَ الْأَخْوَالِ، الضَّعْفُ، وَالْمَعْنَى الَّذِي ذَكَرْتُهُ لِقَوْلِهِ يُخْدِثُ بَعْدَ الْمِرَّةِ. وَحَكَى بَغُضُّهُمْ أَنَّ هَذَا كَمَا يُقَالُ تَرَكْنَاهُ بِحَالٍ، لِلْمُشْرِفِ عَلَى السَّرِّ أَوْ الْهَلَاكِ، وَالْمَرَادُ بِحَالٍ سَوْءٌ، فَكَذَلِكَ هُنَا يُرِيدُ وَالذَّهْرُ يُخْدِثُ الْحَالَةَ الْمُتَكَرِّرَةَ بَعْدَ الْمِرَّةِ. وَقِيلَ أَيْضًا الْحَالُ: التُّرَابُ اللَّيْنُ وَالْحِمَاءُ، فَاسْتَعَارَهُ لِلضَّعْفِ وَاللَّيْنِ.

٢ - أَنَا تَرَكْنَا فَلَمْ نَأْخُذْ بِهِ بَدَلًا عِزًّا عَزِيزًا وَأَعْمَامًا وَأَخْوَالًا

يَقُولُ: أَذْ إِلَيْهِمْ أَنَا بِمُقَارَقَةِ قَوْمِنَا تَرَكْنَا أَقَارِبَ مِنْ جِهَةِ الْأَبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ، مُتَنَاصِرَةً عَلَى دِفَاعِ حَوَادِثِ الذَّهْرِ مُتَعَاوِنَةً، وَظَهَرًا ظَهِيرًا، وَعِزًّا مُتَنَاهِيًا قُوًّا، وَلَمْ نَغْتَضِ مِنْهُمْ مَا فِيهِ طَائِلٌ. قَوْلُهُ «وَأَعْمَامًا وَأَخْوَالًا» أَي تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ مِنَ الْبِرِّ وَالشَّفَقَةِ عَلَى مَا يَكُونُ عَلَيْهِ الْأَعْمَامُ وَالْأَخْوَالُ، وَفِيمَا يُزَجَّى مِنَ الْوُفُورِ بِهِمْ وَالتَّأْيِيدِ بِمَكَانِهِمْ. وَقَوْلُهُ «عِزًّا عَزِيزًا»، مِنْ شَأْنِهِمْ أَنْ يَشْتَقُّوا مِنْ لَفْظِ الشَّيْءِ الَّذِي يُرِيدُونَ الْمُبَالَغَةَ فِي وَصْفِهِ بِنَاءً يُتَّبِعُونَهُ بِهِ تَأَكِيدًا وَتَنْبِيْهًا عَلَى تَنَاهِيهِ فِي مَعْنَاهُ. عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُمْ: ظِلٌّ ظَلِيلٌ، وَدَاهِيَةٌ دَهْيَاءٌ، وَشِغْرٌ شَاغِرٌ.

(١) لأبي النجم في خزنة الأدب ٢: ٣٩١، والطرائف الأدبية ٥٨، وبلا نسبة في اللسان (بدل).

٣ - قد كُنْتُ أَخْذُ حَقِّي غَيْرَ مُهْتَضِمٍ وَنَسَطَ الرَّبَابِ إِذَا الْوَادِي بِهِمْ سَالَا

هذا الكلام توجع وتلهف في إثر ما فاتته من قومه، بما حصل من فساد ذات بينهم، حتى صاروا إلى التباين، والتمايز بالأبدان والتهاجر. فيقول: كُنْتُ أَتَقَاضَى بِحُقُوقِي بَيْنَ ظَهْرَانِيهِمْ فَأَقْتَضِيهَا وَأَسْتَوْفِيهَا غَيْرَ مَهْضُومٍ وَلَا مَهِينٍ إِذَا جَاؤُوا مُخْتَفِلِينَ تَمْتَلِئُ مِنْهُمْ الطُّرُقُ وَالْفِجَاجُ، وَتَسِيلُ بِهِمِ الْمَدَائِبُ وَالتَّلَاجُ. ومثل قوله «إذا الوادي بهم سالا» قول الآخر: [الطويل]

وَسَالَتْ بِأَغْنَاكِ الْمَطْيِ الْأَبَاطِحُ^(١)

٤ - لَا تَجْعَلُونَا إِلَى مَوْلَى يَحُلُّ بِنَا عَقْدَ الْحِزَامِ إِذَا مَا لِيْنْدُهُ مَالَا

المولى في البيت: الثاير أو الولي لا غير. وكأنه أقبل على قومه يستعطفهم، ويشكو إليهم ما لاقوه من غيرهم. فيقول: تَلَاَفُوا أَمْرَنَا وَلَا تَكْلُوهُ إِلَى نَاصِرٍ يُؤْثِرُ صِلَاحَ حَالِهِ وَإِنْ قَسَدَ حَالَتَا، وَيَرُومُ انْتِعَاشَهُ وَإِنْ سَقَطْنَا، وَيُسَوِّي لِيْنْدُهُ إِذَا اغْوَجَ وَزَالَ عَنْ مَقَرِّهِ بِنَا. وهذا تغريض لمن كانوا انتقلوا إليهم. كأنهم كانوا يُهْمُّهُمْ ما يختص بأنفسهم، ثم لا يحفلون بما يختل من شأن هؤلاء أو ينحل من عقدهم.

وفي هذه الطريقة قول الآخر: [المتقارب]

وَكُنَّا قَوَارِسَ يَوْمَ الْهَرِيرِ إِذَا مَالَ سَرْجُكَ فَاسْتَقْدَمَا^(٢)

وأفصح من هذا قول ابن أحرر: [الوافر]

فَلَمَّا زَالَ سَرْجٌ عَنْ مَعْدٍ وَأَجْدِرَ بِالْحَوَادِثِ أَنْ تَكُونَا^(٣)

١٩٠ - وَقَالَ ابْنُ عَنَمَةَ أَيْضًا: [البسيط]

١ - مَا إِنْ تَرَى السَّيْدَ زَيْدًا فِي نُفُوسِهِمْ كَمَا يَرَاهُ بَنُو كُوزٍ وَمَرْهُوبٍ

السيد: قبيلة، وكذلك كُوزٌ ومَرْهُوبٌ. وقوله «ما إن» إن زيدت لتأكيد التثني. وذكر سيبويه أن ما الحجازية إذا قرئ بأن هذه يبطل عمله، يقول: بنو السيد لا

(١) لكثير عزة في ملحق ديوانه ٥٢٥، وزهر الآداب ٣٤٩، وبلا نسبة في اللسان (طرف). وصدوره:

«أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا»

(٢) للربيع بن زياد العبسي في الحماسة (١٦٣).

(٣) لابن أحرر في ديوانه ١٦١، واللسان (معد)، وجمهرة اللغة ٦٦٥.

يَقْسِمُونَ لِزَيْدٍ مِنَ التَّعْظِيمِ، وَلَا يُوجِبُونَ لَهُ فِي نُفُوسِهِمْ مِنَ الْحُزْمَةِ وَالتَّجْبِيلِ، مَا يُوجِبُهُ وَيَقْسِمُهُ بَنُو كُوزٍ وَمَرْهُوبٌ. وَالضَّمِيرُ عَلَى هَذَا مِنْ قَوْلِهِ «فِي نُفُوسِهِمْ» يَكُونُ لِلسَّيِّدِ. وَلَا يَمْتَنِعُ أَنْ يَكُونَ الضَّمِيرُ لِزَيْدٍ لِأَنَّهُ قَبِيلَةٌ أَيْضًا. وَهَذَا كَمَا يُقَالُ: لَكَ فِي نَفْسِكَ حَقٌّ وَمَنْزَلَةٌ. كَانَ زَيْدًا كَانَ لَهُ إِذَا رَاجَعَ نَفْسَهُ مِنَ التَّوْجِيهِ وَالْإِذْلَالِ، وَالتَّخْصُّصِ وَالْاعْتِزَازِ فِي بَنِي كُوزٍ وَمَرْهُوبٍ، مَا لَا يَكَادُ يَجِدُهُ فِي بَنِي السَّيِّدِ.

٢ - إِنْ تَسْأَلُوا الْحَقَّ نَغْطِ الْحَقَّ سَائِلَةً وَالذُّرْعُ مُحَقَّبَةٌ وَالسَّيْفُ مَقْرُوبٌ
يقول: إِنْ وَقَفْتُمْ عِنْدَمَا يَثْبُتُ مِنْ حَقِّكُمْ، وَرَضِيتُمْ بِمَا لَا نَجَحْدُهُ مِنْ وَاجِبِكُمْ، وَلَمْ يُحَيَّلْ إِلَيْكُمْ أَنْ طَلَبَ مَا قَوْهَ أَغَوْدَ عَلَيْكُمْ، خَرَجْنَا مِنْهُ إِلَيْكُمْ مِنْ غَيْرِ إِبَاءٍ وَلَا امْتِنَاعٍ، وَلَا اهْتِيجَ حَزْبٍ أَوْ إِعْمَالٍ سِلَاحٍ. وَقَوْلُهُ «وَالذُّرْعُ مُحَقَّبَةٌ» أَيُّ مَشْدُودَةٌ فِي الْحَقَائِبِ، لِأَنَّهُ أَرَادَ بِالذُّرْعِ الْجَنْسَ. وَالْإِحْتِقَابُ وَالِاسْتِحْقَابُ: شَدُّ الْحَقِيقَةِ مِنْ خَلْفٍ. وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ «وَالسَّيْفُ مَقْرُوبٌ» أَيُّ مَتْرُوكَةٌ فِي قُرْبِهَا؛ لِأَنَّهُ أَرَادَ السَّيْفُوفَ. وَيُقَالُ: قَرَبْتُ السَّيْفَ وَأَقْرَبْتُهُ، وَغَمَدْتُهُ وَأَغَمَدْتُهُ. وَقَالَ أَبُو زَيْدٍ: الْقِرَابُ: غِشَاءُ يَكُونُ السَّيْفُ مُغَمَدًا فِيهِ. وَاحْتِجَّ بِقَوْلِهِ: [البسيط]

يَا رَبَّةَ الْبَيْتِ قَوْمِي غَيْرَ صَاغِرَةٍ ضَمِّي إِلَيْكَ رِجَالَ الْقَوْمِ وَالْقُرْبَا^(١)

٣ - وَإِنْ أَبَيْتُمْ فَلِنَا مَغْشَرٌ أَنْفٌ لَا نَطْعُمُ الْحَسْفَ إِنْ السَّمُ مَقْرُوبٌ
يقول: إِنْ عَدَوْتُمْ طَوَزْتُكُمْ، وَتَجَاوَزْتُمْ فِي الطَّلَبِ حَقُّكُمْ إِلَى مَا لَيْسَ لَكُمْ، فَإِنْ أَنْفَتْنَا تَمْنَعُ مِنْ احْتِمَالِكُمْ، وَالتَّزَامِ شَهْرَتِكُمْ، وَحَيِّتُنَا تَأْبَى الرِّضَا بِالتَّحْكَمِ، وَالصَّبْرَ عَلَى الْإِقْتِسَارِ وَالتَّهْضُمِ، فَلَا نَطْعُمُ الْحَسْفَ وَإِنْ شَرِبْنَا السَّمَّ. وَالْحَسْفُ: أَنْ يَحْمَلَكَ إِنْسَانٌ مَا تَكْرَهُهُ. وَمِنْ الصَّنْعَةِ الْحَسَنَةِ مَقَابَلَتُهُ الطَّعْمَ بِالشَّرْبِ، وَاسْتِعَارَتُهُ إِيَّاهَا فِي تَجَرُّعِ الْعُصْبَةِ، وَتَوَطُّينِ النَّفْسِ عَلَى الْمَشَقَّةِ، عِنْدَ إِزَالَةِ الْمَذَلَّةِ، وَرَدِّ الْكِرْهَةِ. وَأَنْفُ: جَمْعُ أَنْوَفٍ. وَالْمَغْشَرُ: الْجَمَاعَةُ أَمْرُهُمْ وَاجِدٌ، وَيُقَالُ: جَاءَ الْقَوْمُ مَغْشَرًا مَغْشَرًا، أَيُّ عَشْرَةً عَشْرَةً.

٤ - فَأَرْجُزْ حِمَارَكَ لَا يَزْتَعِ بِرَوْضَتِنَا إِذَا يَرْدُ وَقَيْدُ الْعَيْنِ مَكْرُوبٌ^(٢)

(١) لمرة بن محكان في الحماسة (٦٧٥).

(٢) التبريزي: «وجعل الحمار كناية عن الأذى، والعرب تكني بالحمار والبعير في أنحاء الكلام».

هذا مثل. والمعنى: انقبض عن التعرض لنا، والدخول في حزمنا، وزغى سوامك روضتنا؛ فإنك إن لم تفعل ذلك دمنت عاقبة أمرك، وغدت خاسر الصفقة وخيم الرثعة. جعل إرسال الحمار في حماهم كناية عن التحكك بهم، والتعرض لمساءتهم. ولا حمار ثم ولا روض. وقال ابن الأعرابي: أراد اكفف لسانك. قوله «إذا» قال سيبويه: هو جواب وجزاء، فالابتداء الذي هو جزاؤه محذوف مستدل عليه مما في كلامه، كأنه قال فإنه إن رجع إليك وقد ضيق قيده، أي ملئ قيده فتلا حتى لا يمشي إلا بتعب، كأنه يضرب أو يستعمل حتى يرم جسمه ويؤدي الرجوع منه إلى موضع خافره فيضيق عليه القيء.

٥ - إن تدع زئد بني ذهل لمغضبة نغضب لزرعة إن الفضل محسوب

يقول: إن غضب بنو ذهل لزئد وامتنعوا من ضيم يزكبها، وأغاثوها إذا استجارت بهم، غضبتا لزرعة، وانتقمنا له ممن يهضمه، إن الفضل معدود. فالمعنى: إنه لا فضل لكم علينا فقد عددنا مالكم، فلم نجد زيادة لكم، ولا استظهارا يوجب لكم التعلب. وإذا كان الأمر بيننا على التساوي فلا استبداد ولا احتكام. ويروى: «إن القبص محسوب»، وهو العدد الكثير، ويكون الكلام مثلاً. ويقال إنهم لفي قبص العددي وفي قبص الحصى، أي في أكثر ما يستطيع عدده من كثرتيه، والمراد: إن الأعداد الكثيرة تضبط وتخصر، فكيف ما بيننا من تفاوت وتفاضل، أو تساوي وتعادل.

٦ - ولا يكونن كمجرى داحس لكم في غطفان عداة الشغب عرقوب

كان الثنازع بينهم في رهان وقع على عرقوب، وهو قرس لهم. فيقول: لا يكونن جزئ عرقوب عليكم في الشوم كجزئ داحس في غطفان عداة شغب الحيس. فقله «عرقوب» ارتفع على أنه اسم لا يكونن، وقد حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه، لأن المراد: ولا يكونن مجرى عرقوب كمجرى داحس. وقوله «عداة الشغب» ظرف لقوله كمجرى. وجعل النهي في اللفظ لعرقوب وهو في المعنى لهم. حذرهم استعمال اللجاج لئلا يتأذى الأمر إلى مثل ما تأذى في رهان داحس والغبراء. ومثل هذا من النهي قولهم: لا أريئك ههنا.

١٩١ - وقال الأخضر بن هبيرة^(١): [الطويل]

١ - أَلَا أَيُّهَا النَّابِغُ السَّيِّدُ إِنَّنِي عَلَى نَأْيِهَا مُسْتَبْسِلٌ مِنْ وَرَائِهَا
وَضَفُّ أَيُّ بَذَا غَيْرُ جَارٍ عَلَى سَنَنْ مَا يُجَلِّبُ لَهُ الصِّفَاتُ، لَأَنَّ الصِّفَةَ شَرْحُ
الْكَلَامِ وَتَبْيِيْنُهُ، وَمُزِيلُ اللَّبْسِ عَنْهُ، وَإِذَا كَانَ أَيُّ وَذَا مُبْهَمِينَ فَالْإِنْشِرَاحُ غَيْرُ حَاصِلٍ
بِهِمَا، لَكِنَّهُ لَمَّا كَانَ الْمُعْوَلُ عَلَى مَا يَتَّبَعُهُ مِنَ الْمُعَرَّفِ بِالْأَلْفِ وَاللَّامِ صَارَ ذَا كَأَنَّهُ لَا
اعْتِدَادَ بِهِ فِي الشَّرْحِ. فيقول: أَيُّهَا الْمُتَعَرِّضُ لِبَنِي السَّيِّدِ وَالْمُتَنَقِّصُ لَهُمْ، وَالنَّاجِثُ
أَثْلَتَهُمْ، إِنَّنِي عَلَى بُعْدِهَا مَنِّي مُدَافِعٌ عَنْهَا وَذَابٌ، مَعَ تَغْيِيْبِهِمْ دُونَهَا قِضَاءٌ لِحَقِّ الشَّرَفِ،
وَدَهَابًا مَعَ التَّصْفَةِ. ويقال: بَسَلٌ وَاسْتَبَسَلٌ وَتَبَسَّلَ بِمَعْنَى. وقال الخليل: اسْتَبَسَّلَ
الرَّجُلُ، إِذَا وَطَّنَ نَفْسَهُ عَلَى الْمَوْتِ وَاسْتَيَقَنَ بِهِ. وقد استعار أَبُو ذُوَيْبٍ الثُّبَّاحَ لِلتَّعَرُّضِ
وَالْإِيْذَاءِ، كَمَا فَعَلَ هَذَا، فَقَالَ: [الطويل]

وَلَا هَرَهَا كَلْبِي لِئُبْعِدَ نَفْرَهَا وَلَوْ تَبَحَّثْنِي بِالشُّكَاةِ كِلَابُهَا
وقوله «على نأيتها» موضعه نضب على الحال، لأن المعنى أستبسِل من ورائها
بعيدة.

٢ - دَعِ السَّيِّدَ إِنَّ السَّيِّدَ كَانَتْ قَبِيلَةً تُقَاتِلُ يَوْمَ الرُّوْحِ دُونَ نِسَائِهَا
يقول: ائْتُرِكَ ذَكَرَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ وَلَا تَطْلُبْ عَلَيْهِمْ، فَإِنَّهَا قَبِيلَةٌ ذَاتُ أَنْفٍ وَإِبَاءٍ، فَمَا
لِحَقِّهِمْ مِنْذُ كَانُوا عَارًا فِي حُرْمَةٍ، وَلَا أَصَابَهُمْ سِبَاءٌ عِنْدَ غَارَةٍ، بَلْ كَانَتْ تَحْفَظُ عَلَى
عِلَاتِهَا نِسَاءَهَا، وَتَبْتَذِلُ عِنْدَ الْفَرْعِ مَصُونَاتِ نَفْسِهَا، وَهَذَا تَغْرِيبُ بِالْمُخَاطَبِينَ وَأَنَّهُمْ
بِخِلَافِ ذَلِكَ.

٣ - عَلَى ذَاكَ وَدُّوا أَنَّنِي فِي رَكْبَةٍ تُجَدُّ قُوَى أَسْبَابِهَا دُونَ مَائِهَا
ذَاكَ مِنْ مِثْلِ هَذَا الْمَوْضِعِ لَا يَتَنَّى وَلَا يُجْمَعُ وَلَا يُؤْتَتْ، وَيُشَارُ بِهِ إِلَى الْمُتَنَقِّصِ
مِنَ الْحَالِ. يقول: وَعَلَى مَا ذَكَرْتُهُ فِيهِمْ، وَمَعَ مُحَافَظَتِي عَلَى مَا يَجِبُ عَلَيَّ لَهُمْ،
لَيْسُوا إِلَيَّ بِأَوْدَاءٍ، بَلْ يَتَمَنُّونَ أَنِّي فِي بَثْرٍ تُقَطِّعُ طَاقَاتُ جِبَالِهَا دُونَ الْوُصُولِ إِلَى مَائِهَا
لِئُبْدِ قَعْرِهَا. وَهَذَا الْكَلَامُ إِعْلَامٌ بِأَن تَعْصِيَهُ لَهُمْ، لَيْسَ عَنْ مُصَادَقَةٍ بَيْنَهُمْ تَوْجِبُ إِعَارَةَ
الشَّهَادَةِ فِيهِمْ، أَوْ مَوَاحَاةَ تَوَلُّفِهِمْ وَتَغَطُّفِ أَوَاصِرِهِمْ عَلَيْهِمْ، لَكِنَّهُ رَأَى حَقًّا فَقَالَ،

(١) التبريزي: «وقال الفضل بن الأخضر بن هبيرة الضبي، قال أبو هلال: هو للأخضر بن هبيرة بن
المنذر بن ضرارة».

وَتَحَمَّلَ صِدْقًا فَأَذَاهُ. وقوله «دون مائها في موضع الحال لأنّ دون للقاصر عن الشيء». والتقدير: تُجَدُّ الْقَوَى قاصِرةً عن الماء.

١٩٢ - وقال سنان بن الفحل^(١): [الوافر]

١ - وَقَالُوا قَدْ جُنِنتَ فَقُلْتَ كَلَّا وَرَبِّي مَا جُنِنتُ وَلَا انْتَشَيْتُ

كَانَ الْوَاجِبُ أَنْ يَقُولَ قَالُوا جُنِنتَ أَوْ سَكِرْتَ، فَاكْتَفَى بِذِكْرِ أَحَدِهِمَا لِأَنَّ النَفْيَ الَّذِي يَتَعَقَّبُ فِي الْجَوَابِ يَنْظِمُهُمَا. ومثل هذا قول الآخر: [الوافر]

فَمَا أَذْرِي إِذَا يَمُمْتُ وَجْهَهَا أُرِيدُ الْخَيْرَ أَيُّهُمَا يَلِينِي^(٢)

لأنّ المراد أريد الخير وأنجبت الشرّ أيُّهُمَا يَلِينِي، فَاكْتَفَى بِذِكْرِ أَحَدِهِمَا لِأَنَّ مَا بَعْدَهُ يُبَيِّنُهُمَا: وَلَكَلَّا مَوْضِعَان: أَحَدُهُمَا أَنْ يَكُونَ لِلرَّدْعِ وَالزُّجْرِ، وَحِينَئِذٍ يَصُحُّ الْاِكْتِفَاءُ بِهِ وَالْوَقْفُ عَلَيْهِ. والثاني أَنْ يَكُونَ لِلتَّنْبِيهِ كَأَلَا، وَحِينَئِذٍ يَحْتَاجُ مَا بَعْدَهُ إِلَى مَا يَتِمُّ بِهِ. وسيبويه قَصَرَ تَفْسِيرَهُ عَلَى أَنَّهُ لِلرَّدْعِ وَالزُّجْرِ. وَالشَّاعِرُ أَرَادَ قَالَ النَّاسُ فِي لَمَّا أَظْهَرْتُ إِنْكَارِي، وَتَشَدَّدْتَ فِي إِبَائِي، وَتَحَفَظْتُ عِنْدَمَا عَرِضَ وَجْهِي، وَاسْتَنْكَفْتُ مِمَّا سِيَمَ وَكُتِفَ: إِنَّهُ قَدْ جُنُّ أَوْ سَكِرَ. فَجَزَّيْتُهُمْ وَرَدَعْتُهُمْ، وَخَلَفْتُ بِاللَّهِ نَافِيًا لَمَّا تُسَبِّتُ إِلَيْهِ وَوُسِمْتُ بِهِ مِنَ الْجَنُونِ وَالسُّكْرِ جَمِيعًا. ثُمَّ أَخَذَ يَبَيِّنُ كَيْفَ اسْتَنْكَرَ مَا دُفِعَ إِلَيْهِ، وَاشْمَازُ مِمَّا عَرِضَ عَلَيْهِ حَتَّى قِيلَ فِيهِ مَا قِيلَ. وَالْاِنْتِشَاءُ وَالتَّشْوُّهُ: السُّكْرُ.

٢ - وَلَكِنِّي ظَلِمْتُ فَكَدْتُ أَبْكِي مِنَ الظُّلْمِ الْمُبِينِ أَوْ بَكَيْتُ

لكن استدراكاً بعد نفي. وهذا الكلام بيان ما أنكّر منه حتى قيل إنه جنّ. وذكر البكاء ليُري أنْفَتَهُ وامتعاضَهُ، وَإِنْكَارَهُ لِمَا أُرِيدَ ظَلْمُهُ فِيهِ وَاغْتِيَاظَهُ. فَأَمَّا الْعَرَبُ فَإِنَّهَا تَنْسُبُ أَنْفُسَهَا إِلَى الْقَسَاوَةِ، وَتُعَيِّرُ مَنْ يَبْكِي لذلِكَ. قال مهلهل: [البسيط]

يُبْكِي عَلَيْنَا وَلَا نُبْكِي عَلَى أَحَدٍ لَنَحْنُ أَغْلَظُ أَكْبَادًا مِنَ الْإِبِلِ^(٣)

(١) التبريزي: «وقال سنان بن الفحل أخو بني أم الكهف من طيء». وهو شاعر إسلامي من شعراء الدولة المروانية (خزاعة البغدادي ٢: ٥١٣).

(٢) للمثقب العبيدي في المفضليات ٢: ٩٢، ويلا نسبة عند التبريزي ١: ٤١٥.

(٣) التبريزي ١: ٤١٦.

يقول: لكنَّ عَرْضَ عَلَيَّ ضَيْمٍ لَمْ أَلْفِهِ، واستَنْزَلْتُ عَنْ حَقِّ لِي طَالَ مُلَازِمَتِي لَهُ، فَشَارَفْتُ الْبَكَاءَ أَوْ بَكَيتُ. كل ذلك لاستِنْكَافِي مِمَّا نَدْبُونِي إِلَيْهِ وَتَعْجِبِي مِمَّا رَاوَدُونِي عَلَيْهِ.

٣ - فَإِنَّ الْمَاءَ مَاءَ أَبِي وَجَدِّي وَبِثْرِي ذُو حَفَرْتِ وَذُو طَوْنَتِ صَرَّحَ بِمَا أُرِيدَ غَضْبُهُ عَلَيْهِ فَقَالَ: هُوَ مَاءُ مَوْرُوثٍ عَنِ الْأَسْلَافِ وَجِمَى مَعْرُوفٍ بِي وَبِهِمْ، سَلَّمَهُ النَّاسُ لَنَا عَلَى مَرِّ الْأَيَّامِ، وَبِثْرٌ تَوَلَّيْتُ اسْتِخْدَانَهَا وَحَفَرَهَا وَطَيَّهَا. وَقَوْلُهُ «ذُو حَفَرْتِ» ذُو لُغَةٍ طَائِفَةٍ فِي مَعْنَى الَّذِي. يَقُولُونَ: هَذَا ذُو قَالَ ذَلِكَ، وَرَأَيْتُ ذُو قَالَ ذَلِكَ، وَمَرَزْتُ بِذُو قَالَ ذَلِكَ، فَيَحْتَاجُ مِنَ الصَّلَةِ إِلَى مِثْلِ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الَّذِي، لَكِنِّهَا تَقَعُ فِي لُغَتِهِمُ لِلْمُدَّكَّرِ وَالْمُوْتِّ وَلِهَذَا صَلَّحَ أَنْ يَقُولَ «وَبِثْرِي ذُو حَفَرْتِ»، وَالْبِثْرُ مُؤَنَّثَةٌ.

٤ - وَقَبْلَكَ رَبِّ خَضَمٍ قَدْ تَمَالَوْا عَلَيَّ فَمَا هَلِغْتُ وَلَا دَعَوْتُ نَبَّهَ عَلَى حُسْنِ ثَبَاتِهِ فِي وَجْهِ الْخَصُومِ، وَتَمَرُّنِهِ بِمَجَادِبَتِهِمْ قَدِيمًا وَحَدِيثًا، وَتَحَكُّكِهِ بِهِمْ عَلَى احْتِفَالٍ مِنْهُمْ فِي مَنَاوَاتِهِ سَالِفًا وَأَنْفًا، يَقُولُ: وَقَدْ بُلِيتُ قَبْلَكَ بِقَوْمٍ لُدُّ تَالِبُوا عَلَيَّ وَتَعَاوَنُوا، فَلَمْ أَجْزَعْ لِمَا مُنِيتُ بِهِمْ جَزَعًا فَاحِشًا، وَلَا اسْتَنْصَرْتُ عَلَيْهِمْ غَيْرِي عِنْدَ دِفَاعِهِمْ اسْتِنصَارًا مَكْرُوهًا. وَالْهَلْعُ: أَفْحَشُ الْجَزَعِ. وَتَمَالَوْا، هُوَ تَفَاعَلُوا مِنْ قَوْلِهِمْ هُوَ مَلِيءٌ بِكَذَا. فَإِنْ قِيلَ: كَيْفَ قَالَ هَلِغْتُ، وَقَدْ قَالَ فِيمَا قَبْلَهُ: «فَكَيْدْتُ أَبْكِي مِنَ الظُّلْمِ الْمُبِينِ أَوْ بَكَيتُ» وَهَلِ الْهَلْعُ إِلَّا الْبَكَاءُ وَالْجَزَعُ؟ قُلْتُ: إِنَّ الْهَلْعَ هُوَ الْجَزَعُ الْفَاحِشُ الَّذِي يَظْهَرُ فِيهِ الْخُضُوعُ وَالْانْقِيَادُ، فَهَذَا هُوَ الَّذِي انْتَضَحَ مِنْهُ، وَزَعَمَ أَنَّهُ لَا يَظْهَرُ عَلَيْهِ. وَالْبَكَاءُ الَّذِي ذَكَرَ أَنَّهُ شَارَفَهُ أَوْ كَادَ يَشَارِفُهُ قَدْ بَيَّنَّا أَنَّهُ كَانَ مِنْهُ عَلَى طَرِيقِ الْاسْتِنْكَافِ وَالْامْتِعَاضِ؛ فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ عَنْ تَخَشُّعٍ وَتَذَلُّلٍ، وَلَا انْقِيَادٍ وَاسْتِسْلَامٍ، وَسَلِمَ الْكَلَامُ مِنَ التَّنَاقُضِ وَالْفَسَادِ.

٥ - وَلَكِنِّي نَصَبْتُ لَهُمْ جَبِينِي وَأَلَّةَ فَارِسٍ حَتَّى قَرَيْتُ يَقُولُ: وَلَكِنِّي صَبَرْتُ لَهُمْ، وَانْتَصَبْتُ فِي وَجُوهِهِمْ، وَهَيَأْتُ عُذَّتِي وَسِلَاحِي لِدَفْعِهِمْ، دَارِنًا فِي نُحُورِهِمْ، مُحَلَّتًا لَهُمْ عَنْ وُزُودِهِمْ، فِعْلَ الْفَارِسِ الذَّابِّ الْمَانِعِ يَوْمَ الْحِفَافِ، حَتَّى خَلَصْتُ مِنْ غَضَبِهِمْ حَقِّي، وَقَرَيْتُ الْمَاءَ مِنْ دُونِهِمْ فِي حَوْضِي. وَالْأَلَّةُ: الْحَرَبَةُ. وَجَمَعَهَا إِلَّالٌ، وَأَضْلَهُ الْبَرِيْقُ وَاللِّمْعَانُ. وَالْقَرْيُ: الْجَمْعُ.

١٩٣ - وقال جابر بن حريش: [الكامل]

- ١ - ولقد أَرَانَا يَا سَمِيَّ بِحَائِلٍ نَزَعَى الْقَرِيَّ فكَامِسَا فَاَلْأَضْفَرَا
 ٢ - فَالْحِزْزُ بَيْنَ ضَبَاعَةٍ فَرُصَافَةٍ فَعَوَارِضِ جَوْ الْبَسَاسِ مَقْفَرَا
 ٣ - لَا أَرْضَ أَكْثَرُ مِنْكَ بَيْضَ نَعَامَةٍ وَمَذَابِنَا تَنْدَى وَرَوْضَا أَخْضَرَا
 ٤ - وَمَعَيْنَا يَخْمِي الصُّورَ كَأَنَّهُ مُتَخَمَّطٌ قَطْمٌ إِذَا مَا بَرَزَا
 ٥ - إِذْ لَا يَخَافُ حُدُوجُنَا قَذْفَ الثَّوَى قَبْلَ الْفَسَادِ إِقَامَةً وَتَذِيرًا^(١)

قوله «أَرَانَا» حكاية الحال، وما يستمر ويتصل من الأفعال إذا أريد فيه الإخبار عن الماضي قد يؤتى بلفظ المستقبل فيوضع موضع بناء الماضي. على ذلك قوله: [الكامل]

وَلَقَدْ أَمَرُ عَلَى اللَّيْمِ يَسْبُونِي فَمَضَيْتُ ثُمْتُ قُلْتُ لَا يَغْنِينِي^(٢)

أَلَا تَرَى أَنَّهُ قَالَ أَمَرُ، ثُمَّ قَالَ فَمَضَيْتُ ثُمْتُ قُلْتُ. كذلك هذا قال ولقد أَرَانَا، ثم جاء في آخر الأبيات فقال: إِذْ لَا يَخَافُ حُدُوجُنَا قَذْفَ الثَّوَى. فإن قيل: كيف جاز أن يقول أراني وأرانا، وأنت لا تقول أَضْرِبْنَا وَلَا أَضْرِبُنِي؟ قلت: أفعال الشك واليقين يجوز ذلك فيها وإن امتنع في غيرها، لأن تأثيراتها في المفعول الثاني من المفعولين، إذ كان الشك واليقين يتعلّقان به لا بالأول، فصار لذلك المفعول الأول كأنه غير الثاني، وكاللغو الذي لا تأثير له في حصول الفائدة، فجرى الثاني من الأول لذلك مجرى الأجنبي. وإذا قُلْتُ أَضْرِبُنِي أَوْ أَضْرِبْنَا لَمْ يَصِرْ أَحَدُ الضَّمِيرَيْنِ كَالْأَجْنَبِيِّ مِنَ الْأَوَّلِ لَا لَفْظًا وَلَا مَعْنَى، والمُعْتَادُ فِي الْفَاعِلِ وَالْمَفْعُولِ مَغَايِرَةُ الثَّانِي لِلأَوَّلِ، فلما كَانَ الْأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ لَمْ يَجْزْ فِيهِ مَا جاز في الأول. يُبَيِّنُ هَذَا أَنَّكَ لَوْ قُلْتَ ضَرَبْتُ نَفْسِي أَوْ أَضْرِبْتُ نَفْسِي لَصَلَحَ، لِلتَّغَايُرِ الْحَاصِلِ فِي اللَّفْظِ، فَاعْلَمَهُ.

وقوله حائل: اسم وإد. والقَرِيَّ: مجرى الماء إلى الروضة، وكَامِسٌ والأَضْفَرُ: مكانان. وضَبَاعَةٌ ورُصَافَةٌ: جبالان، وكذلك عَوَارِضُ. وجَوْ الْبَسَاسِ أي داخل البَسَاسِ، وهي المفاوز الواسعة الخالية. والجَوْ: الهواء بين السماء والأرض أيضًا.

(١) التبريزي: «إذ لا تخاف».

(٢) لرجل من سلول في الدرر ١: ٧٨، ولشمر بن عمرو الحنفي في الأصمعيات ١٢٦، ولعميرة بن جابر الحنفي في حماسة البحري ١٧١.

والمُفْقِرُ: الصائرُ في الفقرِ، وهو المكان الخالي. وانتَصَبَ جَوًّا على الظرفِ، ومُفْقِرًا على الحال.

ومعنى الأبيات: كُنَّا نَرَى أَنْفُسَنَا يا سُمَيَّةَ بهذا الوادي، ونحن ننتقل في هذه المراتع التي ذكرتها، وَتَتَحَوَّلُ بين هذه المناجع التي عدتها الحاصلة في جَوِّ الْأَرْضِينَ المستوية، وفي أثناء الأرضين الْمُفْقِرَةِ، ولا أرضَ أَكْثَرَ خِضْبًا من أَرْضِكَ وَخَيْرًا، وأندى مَذَانِبَ وَتِلَاعًا، وأخْوَى لَبِيضِ النِّعَامِ، وأَجْمَعُ لَخْضَرِ الرِّياضِ التي يستوطنها الوحوش من البقر وغيرها؛ وَتَوَزَّاهَا يحفظ قطيعه وكأنه لنشاطه إذا جَارَ فحَلَ متغضبًا أَيَّامًا أَمِنَّا عَادِيَةَ النَّوَى. وبائعة الدَّهْرِ والأدَى، ولم تَخَفْ نِسَاؤُنَا من تَرَامِي الغُرْبَةِ، وتَقَاذِفِ الشَّقَّةِ، ولم يَتَّعْ بين العشائر حَزْبُ الْفَسَادِ، وضرر التَّهَاجُرِ والبُعادِ، ونحن مُتَدَيِّرُونَ ومقيمون، وفي أنواع النُّعْمَةِ والتَّعْمَةِ متردِّدون، ولدار السَّلَامَةِ والخَفْضِ مستوطنون.

وهذا الكلام تَحَسَّرَ في إثرِ أَيَّامِ السَّلَامَةِ، وَتَشَكُّ من أيامِ الْفِتْنَةِ.

وقوله «إِذْ لَا يَخَافُ» ظرفٌ لقوله ولقد أَرَانَا. وقوله «قَبْلَ الْفَسَادِ» بَدَلٌ منه، وَالْمَذَانِبُ: مساليلُ المياه. وَمَعْنَى «أَكْثَرُ مِنْكَ بَيِّضُ نَعَامَةٍ» أَكْثَرُ مِنْ أَرْضِكَ، فَحَذَفَ الْمُضَافَ، وَانْتَصَبَ «بَيِّضُ» على التمييز. وقوله «وَمَذَانِبًا» انتَصَبَ على أَنَّهُ مَعْطُوفٌ على بَيِّضِ نَعَامَةٍ، وَتَنَدَّى في موضع الصفة للمذانب، أَي نَدِيَّةً، وكذلك «وَرَوْضًا» و«مَعِينًا». الْمُعِينُ: الثَّورُ الكبير العين، وَالصُّوَارُ: القطيع، واشتقاقه من صُرْتُهُ أَي قطعته. وَالْحُدُوجُ: المراكب، وَنَسَبَ الْخَوْفَ إِلَيْهَا مجازًا، لِأَنَّ الْمَرَادَ بِهَا النِّسَاءَ، وقوله «مَتَخَمِّطٌ» شَبَّ الثَّورِ بِفَحْلٍ لَهُ سَوْرَةٌ وَجَلْبَةٌ، لاهْتِجَاجِهِ وَغَضَبِهِ، ومنه قيل للبحر إذا التَّطَمَّثَ أمواجه: هُوَ خَمِطُ الثِّيَارِ. وَالْقَطْمُ: الهائج. وَيَرْبَرُ: صَوْتُ. وَقَذَفَ النَّوَى: رَمِيَهُ. وقوله «قَبْلَ الْفَسَادِ» يريدُ قَبْلَ حَرْبِ الْفَسَادِ، وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ بِهَذَا الْاسْمِ لِأَنَّ بَعْضَهُمْ كَانَ يَشْرَبُ فِي قِخْفِ رَأْسِ صَاحِبِهِ إِذَا قَتَلَهُ، وَيَخْصِفُ نَعْلَهُ بِأُذُنِهِ، إِظْهَارًا لِلتَّشْفِي. وَانْتَصَبَ «إِقَامَةٌ» على أَنَّهُ مُصَدَّرٌ لِعَلَّةٍ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ، فَتَقْدِيرُ الْأَوَّلِ: لَا تَخَافُ قَذَفَ النَّوَى لِإِقَامَتِنَا وَتَدْيِيرِنَا، وَتَقْدِيرُ الثَّانِي: لَا تَخَافُهُ مَقِيمِينَ وَمَتَدْيِيرِينَ. وَيَقَالُ مَا بِالْدارِ دَيَّارٌ، وَدَارِيٌّ، ومنه قوله: [الرجز]

لَبَّثْ قَلِيلًا يَلْحَقِي السَّادِرِيُّونَ^(١)

(١) بلا نسبة في اللسان (دور)، ومقاييس اللغة ٢: ٣١١، وأساس البلاغة (دور).

والأصل في تَدَيَّرِ الواو ولكِنَّه بَتَوَهْ على دَيَّارٍ، لِإِلْفِهِمْ له بكثرة تَرُدُّه في كلامهم.

١٩٤ - وقال إياس بن مَالِك^(١): [الطويل]

١ - سَمَوْنَا إِلَى جَيْشِهِ الْحَزُورِيِّ بَعْدَمَا تَنَادَرَهُ أَهْرَابُهُمْ وَالْمُهَاجِرُ يَقُولُ: سَمَتْ أَبْصَارُنَا وَنَفُوسُنَا، وَارْتَفَعَتْ هِمَاتُنَا إِلَى مُحَارَبَةِ الْحَزُورِيَّةِ - وَهُمْ فِرْقَةٌ مِنَ الْخَوَارِجِ - بَعْدَ اشْتِدَادِ شُوكَتِهِمْ وَتَكَاثُفِ عُدَّتِهِمْ، وَحِينَ تَحَامَى جَيْشُهُمْ بِأَدْيِ النَّاسِ وَحَاضِرُهُمْ، حَذَرَ نَاجِيَتِهِمْ وَقَضَدَهُمْ عَرِيَّتَهُمْ وَمُهَاجِرُهُمْ. وَأَرَادَ بِالْمُهَاجِرِ مَنْ تَرَكَ الْبَدْوَ وَانْتَقَلَ إِلَى الْأَمْصَارِ.

٢ - بِجَمْعِ نَظْلِ الْأَنْكُمُ سَاجِدَةً لَهُمْ وَأَعْلَامَ سَلَمَى وَالْهَضَابِ النَّوَادِرِ^(٢) الباء من قوله «بِجَمْعٍ» تَعَلَّقَ بِسَمَوْنَا، يُرِيدُ قَصْدَنَا هُمْ بِجَيْشٍ كَثِيفٍ يَلْحِقُ الْحَزْنَ بِالسَّهْلِ، وَيُسَوِّي الْهَضَابَ بِالْأَرْضِ إِذَا سَارَ عَلَيْهَا لِكَثْرَتِهِ. وَهَذَا كَمَا قَالَ الْآخَرُ: [الطويل]

تَرَى الْأَنْكَمُ مِنْهُ سُجْدًا لِلْحَوَافِرِ^(٣)

وَأَصْلُ السُّجُودِ الْخُضُوعُ، كَأَنهَا تَصِيرُ لَهَا تُرَابًا. وَالْأَنْكَمُ: جَمْعٌ، يَقَالُ أَكَمَةٌ وَأَكَمٌ، وَإِكَامٌ وَأَكَمٌ. وَسَلَمَى: أَحَدُ جِبَلَيْنِ طَيِّئَيْنِ. وَالْهَضَابُ جَمْعُ هَضْبَةٍ، وَهِيَ مَا انْبَسَطَ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْجِبَالِ. وَالنَّوَادِرُ: الْمُرْتَفِعَةُ، وَكُلُّ شَيْءٍ زَالَ عَنْ مَكَانِهِ فَقَدْ نَذَرَ؛ وَمِنْهُ نَوَادِرُ الْكَلَامِ. وَجَعَلَ لَسَلَمَى أَعْلَامًا لِمَتَدَادِهِ وَاتِّصَالِ جِبَالٍ بِهِ.

٣ - فَلَمَّا أَدْرَكْنَاهُمْ وَقَدْ قَلَصَتْ بِهِمْ إِلَى الْحَيِّ خُوصٌ كَالْحَنِيِّ ضَوَائِرُ أَدْرَكَ: افْتَعَلَ مِنَ الْإِدْرَاكِ، وَهُوَ فِي مَعْنَى أَدْرَكَ. وَقَلَصَتْ: ارْتَفَعَتْ. وَقَدْ كُنِيَ عَنْ طَوْلِ الْقَوَائِمِ بِالتَّقْلِيلِ فَقِيلَ فِي وَصْفِ الْفَرَسِ مُقْلَصٌ، وَالْمُرَادُ ذَلِكَ. وَيَقَالُ لِلْمُسْمَرِ: هُوَ مُقْلَصٌ أَسْفَلَ السَّرْبَالِ، كَمَا قِيلَ هُوَ مَشْقُوقٌ ذِيلِ الْقَمِيصِ. وَالْحَنِيُّ: الْقِسِيُّ، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِانْحِنَائِهَا؛ فَهُوَ فَعِيلٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ، فَيَقُولُ: حِينَ لَحِقْنَا هُمْ كَانَتْ خَفَّتْ بِهِمْ وَشَمَّرَتْ إِلَى الْحَيِّ خَيْلٌ غَاثَرَةُ الْعَيُونِ، لِأَجَقَةِ الْبَطُونِ، كَأَنَّهَا فِي

(١) التبريزي: «إياس بن مالك بن عبد الله بن خيرى الطائي».

(٣) اللسان (سجد).

(٢) التبريزي: «ساجدة له».

ارتفاع جنوبها قِسي مَاطُورَةً. ولَمَّا يَقتضي جَوَابًا، وهو فيما يجيء من بَعْدُ. والواو من قَوْلِهِ «وَقَدْ قَلَصَتْ بِهِم» واو الحال.

٤ - أَنْخَنَا إِلَيْهِمْ مِثْلَهُنَّ وَزَادْنَا جِيَادَ السُّيُوفِ وَالرِّمَاحِ الْخَوَاطِرُ

يجوز أن يكون معنى إليهم عندهم، فقد حُكي: لا تَذْكُرْ قُلَاتًا إِلَيَّ بِسَوْءٍ، أي عندي. ويجوز أن يكون معناه الانتهاء، ويكون المراد: أَنْخَنَا إِلَى فِنَانِهِمْ وَبِإِزَائِهِمْ. وَأَنْخَنَا هو جوابٌ لَمَّا. يقول: لَمَّا أَدْرَكْنَاهُمْ ثُمَّ سَامَيْنَا جَيْشَهُمْ بِمِثْلِهِ عَدَدًا وَعُدَّةً، وَجَارَيْنَاهُمْ بِأَشْبَاهِهِمْ فُرْسَانًا وَرِجَالَةً، وَزَادْنَا سُيُوفَ مُتَنَخِّلَةٍ وَرِمَاحَ لَدَنَّةٍ مُتَقَفَّةٍ. وَإِنَّمَا قَالَ «أَنْخَنَا» لِمَا اسْتَمَرَّتْ بِهِ عَادَتُهُمْ مِنْ رُكُوبِ الْإِبِلِ وَقُوْدِ الْخَيْلِ إِلَى الْمُغَارِ، إِبْقَاءً عَلَيْهَا، وَإِعْدَادًا لَوْ قَتَلْنَا الْحَاجَةَ إِلَيْهَا. وَالْخَوَاطِرُ مِنَ الْخَطَرِ، وَأَصْلُهُ التَّحَرُّكُ.

٥ - كَيْلًا ثَقَلَيْنَا طَامِعٌ بِغَنِيمَةٍ وَقَدْ قَدَّرَ الرَّحْمَنُ مَا هُوَ قَادِرٌ

«كَيْلًا ثَقَلَيْنَا» أي كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ جَمَاعَتَيْنَا. وَالثَّقَلُ: الْجَمَاعَةُ. وَالثَّقَلَانِ: الْجَنُّ وَالْإِنْسُ. وَقَالَ الْخَلِيلُ: ثَقُلَ الرَّجُلُ: حَسَمَهُ وَمَتَاعَهُ. وَقَوْلُهُ «بِغَنِيمَةٍ»، أي بِسَبَبِ غَنِيمَةٍ. وَالْمَعْنَى: كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْعَارِزِينَ طَمِعَ فِي اغْتِنَامِ صَاحِبِهِ، أَيْ يَعُدُّهُ غَنِيمَةً، لِثِقَتِهِ بِبَاسِهِ وَتَجَدُّدِهِ. وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ قَدَّرَ مِنَ الْإِظْفَارِ وَإِعْطَاءِ الْفَلَجِ وَالْغَلْبَةِ مَا قَدَّرَهُ، لَا رَادَّ لِحُكْمِهِ، وَلَا مُعَقَّبَ لَأَمْرِهِ. وَيُقَالُ قَدَّرْتُ مِنَ التَّقْدِيرِ، قَدَّرًا وَقَدَّرَا. وَ«مَا هُوَ قَادِرٌ» إِنْ شِئْتَ جَعَلْتَ مَا مَوْصُولًا بِمَعْنَى الَّذِي، وَإِنْ شِئْتَ جَعَلْتَهُ مَوْصُوفًا بِمَعْنَى شَيْئًا. وَعَلَى الرَّجْهِينِ وَجِبَ أَنْ يَقُولَ مَا هُوَ قَادِرُهُ، فَحَذَفَ الضَّمِيرَ تَخْفِيفًا.

٦ - فَلَمْ أَرِ يَوْمًا كَانَ أَكْثَرَ سَالِيًا وَمُسْتَلَبًا سِرْبَالَهُ لَا يُنَاكِزُ

قوله «كَانَ أَكْثَرَ سَالِيًا» مِنْ صِفَةِ الْيَوْمِ، وَالْمُفْضَلُ مَحْذُوفُ الذَّكْرِ، كَأَنَّهُ قَالَ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ. وَانْتَصَبَ «سِرْبَالَهُ» عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولُ ثَانٍ مِنْ مُسْتَلَبًا. وَ«لَا يُنَاكِزُ» فِي مَوْضِعِ الصِّفَةِ لَهُ، كَأَنَّهُ قَالَ: وَأَكْثَرَ مُسْتَلَبًا ذَا صِفَتِهِ. وَمَعْنَى لَا يُنَاكِزُ: لَا يَقْدَرُ عَلَى الْامْتِنَاعِ. يُقَالُ: نَاكَرَنِي، أَيْ دَافَعَنِي وَمَانَعَنِي. يَقُولُ: مَا رَأَيْتُ يَوْمًا حَصَلَ فِيهِ مِنَ السَّالِيَيْنِ وَالْمَسْلُوبِينَ مِثْلُ مَا اجْتَمَعَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَا وَقَعَةَ أَظْهَرَ حَالًا وَأَكْشَفَ أَمْرًا فِي قُوَّةِ غَالِبِهَا وَضَعْفِ مَغْلُوبِهَا، وَاسْتِسْلَامِ الْمُقْهَرِّ الْمَسْلُوبِ وَاسْتِعْلَاءِ الْقَاهِرِ السَّالِبِ، مِنْ تِلْكَ الْوَقْعَةِ.

٧ - وَأَكْثَرَ مِنَّا يَافِعًا يَبْتَغِي الْعُلَى
 فِي هَذَا أَيْضًا حَذَفَ وَإِيجَازٌ كَمَا كَانَ فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ، كَأَنَّهُ قَالَ: وَلَمْ أَرِ قَوْمًا
 كَانَ أَكْثَرَ شَابًا يَطْلُبُ الصَّيْتَ وَالذَّكْرَ، وَيَعْفُ عَنْ الْغَنِيمَةِ فِي الرُّوْعِ، فَيُضَارِبُ نَظِيرًا لَهُ
 فِي الْبَاسِ مُسْتَلِيمًا، وَهُوَ يَنَازِلُهُ حَاسِرًا مُتَجَرِّدًا - مِنْ قَوْمِنَا. وَقَوْلُهُ «وَهُوَ حَاسِرٌ» حَالٌ
 لِلْمُضْمَرِ فِي يُضَارِبُ، وَيُضَارِبُ وَيَبْتَغِي جَمِيعًا صَفَتَانِ لِقَوْلِهِ يَافِعًا، وَعَلَى هَذَا قَدْ
 حَذَفَ حَرْفَ الْعُطْفِ مِنْ قَوْلِهِ يُضَارِبُ، لِأَنَّ الْجُمْلَةَ حَقُّهَا إِذَا وُصِفَ بِهَا التَّكْرَارُ أَنْ
 يُنْسَقَ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ بِحَرْفِ الْعُطْفِ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ يُضَارِبُ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ
 مِمَّا فِي يَبْتَغِي. وَالْيَافِعُ: الشَّابُّ الْمُتَنَاهِي الشَّبَابِ، وَالْفِعْلُ مِنْهُ أَيْفَعُ الْغُلَامُ وَتَيْفَعُ.
 وَيَابُ يَفَعُ مَقْصُورٌ عَلَى الِارْتِفَاعِ وَالْإِشْرَافِ فِي الْجَبَلِ وَالْأَرْضِ وَغَيْرِهِمَا. وَيُقَالُ:
 غُلَامٌ يَفَاعٌ وَيَفَعَةٌ وَيَافِعٌ، وَلَا يُقَالُ مُوَفِعٌ. وَجَعَلَ الْقِرْنَ دَارِعًا وَصَاحِبَهُ حَاسِرًا، تَفْضِيلًا
 لَهُ عَلَيْهِ. وَقَدْ يَوْصَفُ الْمَدْمُوحُ بِلِبْسِ الدُّزْعِ وَيُرَادُ بِهِ خَزَامَتُهُ وَتَحَرُّزُهُ، كَمَا يُوصَفُ
 بِضِدِّهِ وَيُرَادُ وَجْزَاتُهُ.

٨ - فَمَا كَلَّتِ الْأَيْدِي وَلَا انْأَطَرَ الْقَنَا وَلَا عَثَرَتْ مِنَّا الْجُدُودُ الْعَوَائِرُ
 نَبَّهَ بِهَذَا الْكَلَامِ عَلَى تَسَاعُدِ أَحْوَالِهِمْ فِيمَا تَرَدَّدُوا فِيهِ، وَتَنَاضُرِ أَسْبَابِهِمْ عِنْدَمَا
 لَا بَسْوَهُ وَنَهَضُوا لَهُ. وَإِمَّا كَانَ الْفُرْصِ فِيمَا يَقْرُبُ التَّمَكُّنُ مِنَ الْعَدُوِّ، وَارْتِفَاعُ الْعِلَلِ مِنْ
 مُوجِبَاتِ الْقَهْرِ وَالْعُلُوِّ. فيقول: قَوِيَتْ أَيْدِي الْمُقَاتِلِينَ مِنَّا فَلَمْ يَمْسَسْهَا لُغُوبٌ، وَوَقِفَتْ
 الْأَسْلِحَةُ بِمَوَاعِيدِهَا مِنَ الْبَقَاءِ فَلَمْ يَخُنْ رُمُحٌ مِنْهَا بَانِكْسَارٍ وَقُتُورٍ، وَلَا سَيْفٌ بَنُوبُ
 وَكُلُولٍ، وَلَا خَذَلْتُنَا جَدُودُنَا فَمَالَتْ إِلَى تَعَثُّرٍ أَوْ سُقُوطٍ. وَإِذَا تَوَازَرَتْ هَذِهِ الْأَسْبَابُ
 وَتَعَاوَنَتْ، فَحَصَلَ الْجِدُّ وَالْجَدَّةُ، وَانْزَا حَتِ الْعِلْلُ فِي الدَّوَاعِي وَالْآلَاتِ، كَانَ الْكَمَالُ
 فِي ثَبَلِ الْمُرَادِ. وَقَوْلُهُ «انْأَطَرَ» فِي مَعْنَى انْعَطَفَ وَتَثْنَى. يُقَالُ: أَطَرْتُهُ فَاَنْأَطَرَ، وَمِنْهُ
 إِطَارَ الْبَابَ وَالْمُنْخُلَ. وَقَوْلُهُ «وَلَا عَثَرَتْ مِنَّا الْجُدُودُ الْعَوَائِرُ»، مِثْلُ قَوْلِ الْآخَرِ:
 [الرجز]

وَلَا تَرَى الضَّبَّ بِهَا يَنْجَحِرُ^(١)

لأنه لم يثبت لأنفسهم جدودًا من شأنها أن تزل وتعثّر ثم نفى ذلك عنها في
 ذلك اليوم، بل أراد أنهم لا جدود لهم بهذه الصفة، كما أن الشاعر الآخر أراد لا
 ضب فينجحر. ومعنى الكلام: كان العلب لنا وتعثرت جدود غيرنا.

(١) لابن أحرر في الخزائن ٤: ٢٧٣، وبلا نسبة في أساس البلاغة (حجر).

١٩٥ - وقال الأخرم السُّنْبِسي^(١): [المقارب]

١ - أَلَا إِنَّ قُرْطًا عَلَى آلَةٍ أَلَا إِنِّي كَيْدُهُ مَا أَكْبَدُ^(٢)

يقال: فلان لي على حالة وعلى آلة، إذا تَنَكَّرَ وَتَغَيَّرَ عما كان يُعْهَدُ عليه من قَبْلُ. وهذا يَجْرِي مَجْرَى الْكِنَايَات. وَيُقَالُ أَيْضًا: حَصَلَ فُلَانٌ لَنَا عَلَى لَوْنٍ، يُرَادُّ عَلَى لَوْنٍ مَذْمُومٍ. فيقول: إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ تَحَوَّلَ عَمَّا كَانَ يَجْرِي عَلَيْهِ مَعِي، إِلَى أَمْرِ أُتَكَرَّهُ وَلَا أَعْرِفُهُ، أَلَا إِنِّي أَكِيدُ كَيْدَهُ، أَيِ أَقَابِلُ كَيْدَهُ لِي بِكَيْدٍ مِثْلِهِ. وما زائدة، وتلخيصه: أَكِيدُهُ كَيْدًا يُمَاتِلُ كَيْدَهُ لِي. وهذا كما يُقَالُ ضَرْبُهُ ضَرْبُ غَرِيْبَةِ الْإِبِلِ. والمعنى: أَقْتَدِي بِهِ فِيمَا تَنْطَوِي لِي عَلَيْهِ وَيَعَامِلُنِي بِهِ، لَا أَبْتَدُهُ بِمَسَآءَةٍ، وَلَا أَعَاجِلُهُ بِمَكْرٍ وَخِيَانَةٍ، بَلْ أَقْلُدُهُ الْبَغْيَ، وَأَنْتَظِرُ مِنْ جِهَتِهِ الْحَوُولَ وَالنُّكْثَ، ثُمَّ أَجَازِيهِ كَيْلَ الصَّاعِ بِالصَّاعِ.

٢ - بَعِيدُ الْوَلَاءِ بَعِيدُ الْمَحَ - لَنْ مَن يَنْأَى عَنْكَ فَذَلِكَ السَّعِيدُ

يَذُمُّ قُرْطًا فيقول: هُوَ بَعِيدُ النُّصْرَةِ وَالْمُؤَالَاةِ، أَيِ بَطِيْئُهَا، بَعِيدُ الدَّارِ وَالْمَسْكَنِ؛ يَعْنِي تَنَائِيَهَا. ثُمَّ قَالَ: مَنْ بَعُدَ عَنْكَ فَقَدْ سَعِدَ جَدُّهُ. نَقَلَ الْكَلَامَ عَنِ الْإِخْبَارِ إِلَى الْخُطَابِ عَلَى عَادَتِهِمْ فِي افْتِنَانِهِمْ، وَكَأَنَّهُ التَّفَتُّ إِلَيْهِ يُرِيهِ الرُّهَادَةَ فِي مَجَاوَزَتِهِ، وَالِاسْتِغْنَاءَ عَنْ مَعُونَتِهِ، وَاكْتِفَاءَهُمْ بَأَنْفُسِهِمْ دُونَهُ، فَقَالَ ذَلِكَ بَعْدَمَا أَخَذَ فِي وَصْفِهِ.

٣ - وَعِزُّ الْمَحَلِّ لَنَا بِسَائِنٍ بِنَاءُ الْإِلَهِ وَمَجْدُ تَلِيدٍ

الهاء من قَوْلِهِ «بِنَاءُ الْإِلَهِ» يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ لِلْعِزِّ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ لِلْمَحَلِّ. فَإِذَا جَعَلْتَهُ لِلْعِزِّ فَالْأَجُودُ أَنْ يَنْعَطِفَ مَجْدُ عَلَى الْإِلَهِ، كَأَنَّ الْعِزَّ حَصَلَ لِلْمَحَلِّ بِاللَّهِ تَعَالَى وَيَمَجِّدُ الْآبَاءَ. وَإِذَا جَعَلْتَهُ لِلْمَحَلِّ يَجُوزُ أَنْ يَرْتَفِعَ وَمَجْدُ بِالْإِبْتِدَاءِ، وَيَكُونُ الْكَلَامُ مُنْعَطِفًا وَالْخَبَرُ مُحذُوفًا، كَأَنَّهُ قَالَ: وَلَنَا مَجْدُ تَلِيدٍ. وَبِنَاءُ الْإِلَهِ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ لِلْمَحَلِّ، وَالْأَجُودُ أَنْ يُضْمَرَ مَعَهُ قَدْ. وَإِنَّمَا يَفْتَخِرُ بِأَنْ بَلَادَهُمْ حَصِينَةً، وَدِيَارَهُمْ عَزِيزَةً. وَذَلِكَ أَنَّ بِلَادَ طَبِيعٍ يَكْتَفِيهَا جَبَلَاهُمْ أَجَأً وَسَلْمَى، فَلَا تَسْتَطِرُّهُمْ الْعَارَاتُ، وَلَا تَهْجُمُ عَلَيْهِمْ سَوَابِقُ الْفَلَتَاتِ وَالزَّرَوَاتِ. فيقول: عِزُّنَا فِي دَارِنَا ظَاهِرٌ لِلنَّاسِ غَيْرُ خَافٍ، آثَرْنَا اللَّهَ تَعَالَى بِهِ، وَلَنَا مَجْدٌ مُتَوَارَثٌ، وَأَصْلُ الْمَجْدِ الْكَثْرَةُ. وَالتَّلِيدُ وَالتَّلِيدُ: الْقَدِيمُ.

(١) جاء في ديوان الحماسة برواية الجواليقي: «واسمه قيس بن سعد بن جابر، أحد بني ربيع».

(٢) التبريزي: «قرط: رجل من سنابس».

٤ - وَمَأْتِرَةَ الْمَجْدِ كَانَتْ لَنَا وَأَوْرَثَنَاهَا أَبُونَا لَبِيدٌ^(١)

مَأْتِرَةٌ: مَفْعَلَةٌ من أَثَرْتُ الحديث، إِذَا رَفَعْتَهُ وَنَسَبْتَهُ. يريد: أَنَّ الْعِزَّ اجْتَمَعَ لَهُمْ مُكْتَسَبًا وَمُوروثًا، وَتَالِدًا وَطَرِيفًا، وَمُخَوَّلًا من عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى تَخْوِيلًا، فَلَهُمْ بِذَلِكَ صِيَتْ فِي النَّاسِ يُؤَثِّرُ، وَذِكْرٌ عَلَى مَرِّ الْأَيَّامِ يُخْلَدُ، وَثَنَاءٌ يَتَّصِلُ وَلَا يَنْقَطِعُ، وَسَنَاءٌ يَسْتَمِرُّ وَلَا يَقِفُ، كَمَا كَانَ لِأَبِيهِمْ لَبِيدٍ.

٥ - لَنَا بَاحَةٌ ضَبِسَ نَابُهَا يَهُونُ عَلَى حَامِيَيْهَا الْوَعِيدُ

الْبَاحَةُ: السَّاحَةُ. وَالضَّبِسُ: الشَّدِيدُ. وَيُقَالُ: هُوَ ضَبِسَ شَرِسٌ، فِي الْحَرِيصِ الشَّدِيدِ. وَالنَّابُ: سَيْدُ الْقَوْمِ. وَأَرَادَ بِالْحَامِيَيْنِ جَبَلَيْ طَيْئِهِ، وَالضَّمِيرُ مِنْهَا يَعُودُ إِلَى السَّاحَةِ. وَيَجُوزُ أَنْ يَرِيدَ بِالنَّابِ وَاحِدَ الْأَنْيَابِ، وَجَعَلَهُ مَثَلًا لِلشَّدَةِ. وَذَكَرَ الْبَاحَةَ وَالْمَرَادُ أَهْلَهَا، كَمَا قَالَ الْآخَرُ: [الطويل]

وَإِنْ مُقَرَّمٌ مِنَّا ذَرَا حَدُّ نَابِهِ تَحْمَطُ فِينَا نَابٌ آخَرَ مُقَرَّمٌ^(٢)

يقول: لَنَا سَاحَةٌ دَارَ رَئِيسِهَا وَالْمُدَافِعُ عَنْهَا شَكِسُ الْخُلُقِ، شَدِيدُ الْإِبَاءِ عَلَى الْأَعْدَاءِ، يَهُونُ وَعِيدُ الْمُتَوَعِّدِينَ عَلَى النَّازِلِينَ فِي جَوَانِبِ جَبَلَيْهَا، الْمَانِعِينَ مِنْهَا. وَقَوْلُهُ «عَلَى حَامِيَيْهَا» حَذَفَ الْمُضَافَ وَأَقَامَ الْمُضَافَ إِلَيْهِ مَقَامَهُ.

٦ - بِهَا قُضِبَ هُنْدُوَانِيَّةٌ وَعِيصُ نَزَاءُ فِيهِ الْأَسْوَدُ

٧ - ثَمَانُونَ أَلْفًا وَلَمْ أَحْصِهِمْ وَقَدْ بَلَغَتْ رَجْمَهَا أَوْ تَزِيدُ

نَبَّهَ بِهَذَا الْكَلَامِ عَلَى أَنَّ دِيَارَهُمْ تَخْوِي الْعَدَدَ وَالْعُدَّةَ، فَرَجَّاهُمْ أَسْوَدٌ فِي مَأْسَدَتِهَا تَزِيرُ فِيهَا، وَسِلَاحَهُمُ الْهُنْدُوَانِيَّةُ يَسْتَعْمِلُونَهَا. وَالْعِيصُ: الْأَصْلُ الْكَرِيمُ، وَمَنَابِتُ كِرَائِمِ الْأَشْجَارِ الْمَلْتَفَّةِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ «أَغْيَاصُ قُرَيْشٍ» لِكِرَامِهِمْ وَقَوْلُهُ «ثَمَانُونَ أَلْفًا» هُوَ تَبْيِينُ كَمِّيَّةِ مَا أَشَارَ إِلَيْهِ، وَتَفْصِيلُ ثُرُوتِهِمْ بَعْدَ الْإِجْمَالِ، فَقَالَ: هُوَ ثَمَانُونَ أَلْفًا، وَلَسْتُ أَقُولُ هَذَا عَنْ إِحْصَاءٍ وَعَدٍّ، أَوْ ضَبْطٍ بَعْدَ حَضَرٍ، لَكِنَّهُ رَجَمَ مِنِّي وَحَدَسَ، فَهُمْ يَبْلُغُونَهُ أَوْ يَزِيدُونَهُ عَلَيْهِ. وَتَحْقِيقُ قَوْلِهِ «لَمْ أَحْصِهَا»، لَمْ أَضْبِطْ كَثَرَتَهَا. وَالْحَصَاةُ

(١) لَبِيدٌ: هُوَ لَبِيدُ بْنُ سَنْبَسٍ بْنِ مَعَاوِيَةَ بْنِ جُرُولَ بْنِ ثَعْلَ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْغُوْثِ بْنِ طَيْئِهِ. (انظر نهاية الأرب ٢: ٣٠٠، والأغاني ١٤: ٩٠).

(٢) لَأَوْسُ بْنُ حَجَرٍ فِي دِيْوَانِهِ ١٢٢، وَاللِّسَانُ (قَرْمٌ، ذَرَا)، وَأَسَاسُ الْبَلَاغَةِ (قَرْمٌ، خَطْمٌ، ذَرَا).

تُستعمل في الكثرة والعقل. وقوله «وقد بَلَغَتْ رَجْمَهَا» أي رَجَمِي لها، أُضِيفَ
المصدر إلى المفعول.

١٩٦ - وقال عبد الرحمن المعنّي^(١): [م. الرجز]

١ - قَد قَارَعَتْ مَفْنً قِرَاعًا ضَلْبًا

٢ - قِرَاعٌ قَوْمٌ يُحْسِنُونَ الضَّرْبَا

٣ - تَرَى مَعَ الرُّوعِ الْغُلَامَ الشُّطْبَا

٤ - إِذَا أَحَسَّ وَجَعًا أَوْ كَرْبَا

٥ - دَنَا فَمَا يَزْدَادُ إِلَّا قُرْبَا

٦ - تَمَرَّسَ الْجَزْبَاءُ لَأَقْتُ جُزْبَا

أصلُ القَرْع الضَّرْبُ على الشَّيءِ الصُّلب. وَمَفْنٌ: قَبِيلَةٌ. يريدُ أنها ضَارَبَتْ
أعداءها ضِرَابًا شَدِيدًا، ودافَعَتْهُمْ دِفَاعًا مَرْضِيًّا، ضِرَابٌ قَوْمٌ لَهُمْ نِيَقَةٌ حَسَنَةٌ فِي الْقِتَالِ،
وَأَخَذَةٌ عَجِيبةٌ فِي اللَّقَاءِ، يَهْتَدُونَ لِلْغَلَابِ وَالْإِعْتِلَاءِ أَحْسَنُ اهْتِدَاءٍ، وَيَتَأَتُونَ لِلْقِرَاعِ مِنْ
أَقْرَبِ غَايَةٍ وَإِلَى أَبْعَدِ انْتِهَاءٍ؛ تَرَى عِنْدَ اهْتِجَاجِ الْقَرْعِ الْغُلَامَ التَّامَّ الْقَامَةَ مِنْهُمْ، الْقَلِيلَ
اللَّحْمِ، الْمَطَاوِلَ عِنْدَ مِبَارَازَةِ الْخَصْمِ مَتَى أَذْرَكَ وَجَعًا، أَوْ أَحَسَّ شِدَّةً وَضِيقًا، يُقَدِّمُ
وَلَا يُخْجِمُ، بَلْ يَزْدَادُ عَلَى حَدِّ الْجَذَابِ مُصَادَمَةً، وَعَلَى طَوْلِ الْمِرَاسِ مَكَافَحَةً
وَمَكَافَةً، فَيَحْتَكُ بِالْأَبْطَالِ فِي الْمَوَاقِفِ احْتِكَاكَ الْإِبِلِ الْجَزْيِي فِي الْمَعَاظِنِ.

قوله «تَرَى مَعَ الرُّوعِ» أي عِنْدَ حُصُولِ الرُّوعِ لَا يَتَأَخَّرُ عَنْهُ، فَهُوَ مَعَهُ يَقُومُ
بِقِيَامِهِ، وَيَهْتَاجُ بِاهْتِجَاجِهِ.

وقوله «إِذَا أَحَسَّ» ظَرَفَ لِقَوْلِهِ دَنَا. وَانْتَصَبَ «تَحَكُّكَ» عَلَى أَنَّهُ مَصْدَرٌ مِنْ فِعْلِ
دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ «فَمَا يَزْدَادُ إِلَّا قُرْبَا».

وقوله «لَأَقْتُ جُزْيَا» يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ جَمْعُ أَجْرِبٍ وَجَرِبٍ كَأَخْمَقٍ وَحَمِقٍ
وَحَمَقَى. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَقْصُورًا مِنْ جَزْبَاءٍ، وَالشَّاعِرُ أَنْ يَقْصُرَ الْمَمْدُودَ. أَيْ
تَحَكُّكَ الْجَزْبَاءِ لَأَقْتُ جَرْبَاءَ مِثْلَهَا. وَيَجُوزُ أَنْ يُرْوَى «جُزْبَا» بِضَمِّ الْجِيمِ، فَيَكُونُ
كَاسْوَدَ وَسُودَ، وَأَقْلَفَ وَقُلْفَ.

(١) التبريزي: «وقال عبد الرحمن المعنّي ولقبه مَرْقَسٌ فِي لِقَاءِ بَنِي مَعْنِ الْحُرُورِيَّةِ».

١٩٧ - وقال عبيد بن ماوية^(١): [المتقارب]

١ - أَلَا حَيَّ لَيْلَى وَأَطْلَالَهَا وَرَمَلَةَ رَيْثَا وَأَجْبَالَهَا
يَخَاطِبُ نَفْسَهُ مُظْهِرًا لِلتَّجَلُّدِ، وَمتَّبِعْجَا بَأْنَ الشَّدَائِدِ لَا تُنْسِيهِ الْأَجْبَةَ وَلَا
تَغْنَأَهُ عَنِ التَّسْلِيمِ عَلَيْهَا، وَالْوُقُوفِ عَلَى مَنَازِلِهَا وَمَسَاءَلَتِهَا، وَأَنَّهُ مَتَى مُنِيَّ بِهَا أَهْمُهُ
أَمْرُهَا أَشَدُّ مِمَّا كَانَ قَبْلُ، وَلَمْ يَلْهُ عَنْهَا؛ فيقول: سَلِّمْ عَلَى هَذِهِ الْمَرْأَةِ وَعَلَى
دِيَارِهَا، وَعَلَى رِمَالِ رَيْثَا وَالْجِبَالِ الْمُحِيطَةِ بِهَا، وَإِنْ طَرَقَكَ مِنَ الْحَوَادِثِ مَا يَشْغَلُ
عَنْ مِثْلِهِ.

٢ - وَأَنْعِمَ بِمَا أَرْسَلْتَ بِأَلْهَا وَنَالَ التُّحِيَّةَ مَنْ نَالَهَا
قوله «بما أَرْسَلْتَ» أي بَدَلًا مِمَّا أَرْسَلْتَ. وما مع الْفِعْلِ فِي تَقْدِيرِ مُصَدَّرِ، يَعْنِي
بِإِزْسَالِهَا. وَتَقُولُ الْعَرَبُ: هَذَا بِذَاكَ، أَيْ عِوَضَ مِنْهُ، وَهَذَا لَكَ مِنْ ذَاكَ فِي مَعْنَاهُ.
وعلى هذا قول الشاعر: [الطويل]

فَلَيْتَ لَنَا مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ شَرْبَةً مَبْرُودَةً بَاتَتْ عَلَى الطَّهْيَانِ^(٢)

أَي عِوَضًا مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ. وَالْبَّالُ وَالْخَلْدُ يُسْتَعْمَلَانِ عَلَى طَرِيقَةٍ وَاحِدَةٍ، يَقُولُونَ:
وَقَعَ فِي خَلْدِي كَذَا، وَسَقَطَ عَلَى بَالِي وَخَطَرَ بِبَالِي. وَالْمَعْنَى: قُلْ أَنْعَمَ اللَّهُ بِأَلْهَا،
جَوَابًا لِتَحِيَّتِهَا، وَجَزَاءً عَلَى مُرَاسَلَتِهَا. وَقَوْلُهُ «وَنَالَ التُّحِيَّةَ مَنْ نَالَهَا» يَحْتَمِلُ وَجْهَيْنِ.
يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى: وَأَصَابَ الْمُلُوكَ مَنْ أَصَابَ هَذِهِ الْمَرْأَةَ. وَهَذَا الْكَلَامُ تَفْخِيمٌ
لشأن المرأة وتعظيم لخطيئها. وَيُقَالُ: نَلْتُ كَذَا أَنْالَ تَيْلًا. وَالتُّحِيَّةُ: الْمُلُوكُ، وَمِنْهُ
التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ. وَقِيلَ فِي قَوْلِ الشَّاعِرِ: [م. الْكَامِلُ]

وَلَكُلِّ مَا نَالَ الْفَتَى قَدْ نَلْتُهُ إِلَّا التُّحِيَّةَ^(٣)

إِنَّهُ أَرَادَ بِهِ تَحِيَّةَ الْمَلِكِ، وَهُوَ قَوْلُهُمْ فِي مَخَاطَبَتِهِ: أَيْتَ اللَّعْنُ، وَالْمَعْنَى مَعْنَى
وَاحِدًا. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ نَالَ بِمَعْنَى أَنْالَ. قَالَ أَبُو زَيْدٍ: نَلْتُهُ أَنْوَلُهُ نَوَلًا وَنَوَالًا،
أَيِ اعْطَيْتُهُ. وَعَلَى هَذَا يَكُونُ الْكَلَامُ دَعَاءً. وَالْمَعْنَى: أَنْالَ اللَّهُ التُّحِيَّةَ مِنْ أَنْالَ هَذِهِ

(١) التبريزي: «عبيد بن ماوية الطائي».

(٢) للأحول الأزدي أو الكندي في خزانة الأدب ٥: ٢٧٦، واللسان (حمن، طها) ومعجم البلدان (طهيان).

(٣) لزهير بن جناب في الأغاني ١٨: ٣٠٧، والشعر والشعراء ١: ٣٨٦، واللسان (بجل، حيا).

المرأة تحيتي. كأنه يدعو نفسه إلى إهداء التحية إليها على بُعدها. وفي الوجه الأول يجوز أن تكون المرأة قريبة.

٣ - فَإِنِّي لَدُو مِرَّةٍ مُرَّةٍ إِذَا رَكِبْتُ حَالَةً حَالَهَا

المِرَّة: القُوَّة والقتل، ومنه قولهم: استمرت مِرَّيته، واستمرَّ عِذاره، في الإباء والتَّمُع. ولم يَرَضْ بأن جعلَ لِنَفْسِهِ مِرَّةً حَتَّى وصفَهَا بأنها مِرَّةٌ، يعني في فم ذاتِهَا، وعند تجربة مُزاولِهَا، وهذا التَّجَنُّسُ حَسَنُ المَوَرِدِ. والضميرُ من قوله «حَالَهَا» يعودُ إلى الحالة، كأنه أَضافَهُ إليها لما كانت تليها، وجعلَهَا مَرْكوبَهَا. فيقول: أَفَعَلَ ذلك واصْرِفْ هَمَّكَ إليها، وإلى الدُّعاء لها، وَطَلَبَ الشُّفَا لِدِيَارِهَا، ولا تُبَالِ بما يَعرُنُ وَيَغْرِضُ من مزاحمة عَدُوٍّ، أو مراغمة حَسودٍ، فَإِنِّي لَدُو قُوَّة لا تَسْتَخْلِيقُهَا الفِرْقُ المنايذَةُ، إِذا تراكمت الأمورُ، وتراكبت الأحوالُ والوجوهُ، فَخَفِيتُ مَوَارِدَهَا وَمَصَادِرَهَا، وَالتَّبَسَّتُ فَضُولَهَا وَوُصُولَهَا.

٤ - أَقْدَمُ بِالزُّجَرِ قَبْلَ الوَعِيدِ لَتَنْهَى الْقَبَائِلُ جُهَالَهَا

يجوز أن يكون أَقْدَمُ بمعنى أَتَقَدَّمَ، ويكون الباء من «بالزُّجَرِ» في موضِعِهِ. ومثله نَبَّهَ بمعنى تَنَبَّهَ، وَوَجَّهَ بمعنى تَوَجَّهَ، وَنَكَّبَ بمعنى تَنَكَّبَ. ويجوز أن يكون قَدَّمَ ضِدُّ أَخَرُ، وَوَجَبَ أَنْ يَقُولَ: أَقْدَمُ الزُّجَرِ، فَجَعَلَ الباءَ زَائِدَةً للتأكيد، كما جاء في قوله: ﴿تَبَّتْ يُالَآلِهِنِ وَصَبَغَ لِلْآلِكِينَ﴾ [المؤمنون: الآية ٢٠] لذلك. ومثله قول الشاعر:

[البسيط]

سُودَ المحاجرِ لا يَقْرَأَنَّ بالسُّورِ^(١)

ومعنى البيت: أَزْجُرُ الْمُتَعَرِّضُ لِي قَبْلَ أَنْ أَتَوَعَّدَهُ، وَأَعْظُهُ بِالنَّهْيِ والتحذيرِ قبل تخشين الجانب له، لكي يَنْهَى حُكَمَاءُ الْقَبَائِلِ سُفَهَاءَهَا، وليكون مِنِّي تَدَرُّجٌ في مَوَاحِذَتِهِمْ؛ فَأَبْتَدِئُ بِالزُّجَرِ، ثم أَزْثِقِي إِلَى الوَعِيدِ، ثم إلى الإيقاع.

٥ - وَقَافِيَةٌ مِثْلُ حَدِّ السُّنَانِ تَبْقَى وَيَذْهَبُ مِنْ قَالَهَا

٦ - تَجَوَّذْتُ فِي مَجْلِسٍ وَاحِدٍ قَرَاهَا وَتَسْعِيْنَ أَمْثَالَهَا

(١) للراعي النميري في ديوانه ١٢٢، وأدب الكاتب ٥٢١، وللقنابل الكلابي في ديوانه ٥٣، وللراعي أو للقنابل في خزنة الأدب ٩: ١٠٧، وصدرة:

«مَنْ الحرائر لا رَنَات أحمر»

القافية: آخر البيت المشتمل على ما يجب على الشاعر مراعاته وإعادته في كل بيت، سُمِّيَ بذلك لأنه يَفْقُو ما قَبْلَهُ. وهم يُسَمُّون البيت بأسره قافيةً، لاشتماله على القافية، والقصيدة بأبياتها قافية، لاشتمالها على الأبيات المقفاة. وهذا توسُّعٌ منهم، كما يسمُّون القصيدة كلمةً؛ والحقيقة ما قَدَّمْتُهُ. والأوَّلَى بهذا الشاعر عِنْدِي أن يريد بالقافية البيت، لأنَّ نَظْمَ تسعين بيتًا غيرُ مستنكرٍ في العُرفِ والعادة من المقتدرين، المجيدين المُفْلِقِينَ، ذوي البداءة العجيبة، والخواطر السريعة، ولو أرادَ القصيدة لَبَعْدَ عن المعتاد. فيقول: رَبُّ قَافِيَةٍ تَنْفُذُ نَفَاذَ السُّنَانِ، وتزويه لجودتها الزواة فلا تَخْلُقُ على مَرِّ الأَيَّامِ، ولا تُبْلِيه السُّنُونُ والأعوام، بل تَبْقَى مع اللَّيْلِ والنَّهار بقاء الظُّلَمِ والأنوار، وإنْ دَرَجَ قَارِضُهَا، وَمَضَى مُنْشِئُهَا، أَنَا تَجَوَّدْتُهَا فِي مَجْلِسٍ وَاحِدٍ مع تسعين من نظائرها. يريدُ أَنَّهُ لَسَانُ قَوْمِهِ، وَمِذْرَه عَشِيرَتِهِ. ومعنى تجوَّدْتُ: اختَرْتُ عند الجمع جَيِّدَهَا. وهذا كما يقال: تَنَقَّيْتُ الشَّيْءَ وتخيَّرْتُهُ. وقوله «وتسعين» أرادَ مع تسعين، فيكون انتصابه على أَنَّهُ مفعول معه كقوله تَعَالَى: ﴿فَاجْمَعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ﴾ [يونس: الآية ٧١]، لأنَّ المرادَ مع شركائكم. ويجوز أن تكون الواو عاطفةً منه، كأنه قال: قَرَّاهَا وَقَرَى تسعين تَمَائِلُهَا. وَقَرَى يجوز أن يكونَ من قَرَيْتُ الماءَ في الحوضِ، ويجوز أن يكونَ من قَرَوْتُ الْأَرْضَ إِذَا تَتَبَّعْتَهُ. ويجوز أن يَكُونَ الْقِرَى ما يُطْعَمُ الضَّيْفَ، فاستعاره كما قال: [الوافر]

قَرَى الْهَمَّ إِذَا ضَافَ الزَّمَاغَ

كَأَنَّ الْقَوَافِي لَمَّا تَوَارَدَتْ أَحْسَنَ الْقِيَامَ بِهَا، وَجَوَّدَ الْقِرَى لَهَا.

١٩٨ - وقال ابن رالان السنبسي^(١): [البسيط]

١ - لَمَّا رَأَتْ مَغْشَرًا قَلَّتْ حَمُولَتُهُمْ قَالَتْ سَعَادُ أَهَذَا مَالِكُمْ بَجَلًا

الحمولة: الإبل التي يُحْمَلُ عليها. وَالْحَمُولَةُ بِالضَّمِّ: الأحمال. يقول: حين رأت هذه المرأة فَقَرْنَا وَقِلَّةَ إِبِلِنَا قَالَتْ مُنْكَرَةً وَمُعْجِبَةً: أَهَذَا مَالِكُمْ فَحَسْبُ. و «بَجَلًا» في موضع الحال، والمعنى أَهَذَا مَالِكُمْ مَكْتَفَى بِهِ. وَالْأَصْلُ فِي بَجَلِ الْبِنَاءِ عَلَى السَّكُونِ، وَدَعَتْ الْضَرُورَةُ إِلَى تَحْرِيكِه فَحَرَّكَهُ بِالْفَتْحِ، وَكَانَ الْوَاجِبُ إِذَا حَرَّكَ الْكَسَرَ

(١) التبريزي: «قال جابر بن رالان السنبسي».

فيه . ومثله قول الآخر : [البسيط]

وَنَعَمَ إِنْ قُلْتُمْ نَعَمًا^(١)

لأنَّ نَعَمَ أيضًا مبني على السكون فحَرَكَ آخره للضرورة بالفتح كما تَرَى . وقد يُضَافُ بَجَلٌ لكونه اسمًا كما يضافُ قد إذا كان بمعنى حَسَب . قال : [الرملة]

بَجَلِي الْآنَ مِنَ الْعَشْرِ بَجَلٌ^(٢)

وفي قَدْ جَاءَ : [الرجز]

قَدْزِي مِنَ نَضْرِ الْخُبَيْبِينَ قَدْزِي^(٣)

والمال عندهم الإبل ، ولهذا يَطْلُقُونَ فيقولون : المالُ في الرعى ، لاشتجار لفظه المال عندهم بها .

٢ - إِمَّا تَرِنِي مَا لَنَا أَضْحَى بِهِ خَلَلٌ فَقَدْ يَكُونُ قَدِيمًا يَزْنُقُ الْخَلَلَا

الْخَلَلُ الْأَوَّلُ التَّقْصُصُ ، وَالْخَلَلُ الثَّانِي الْفُرْجَةُ بَيْنَ الشَّيْثِينَ حَتَّى يَصْحَ الرُّتُقُ مَعَهُ . وفي الكلام اختصارًا ، لأنَّ المعنى أَجَبْنَاهَا بِأَنْ قُلْنَا : إِنْ كُنْتَ تَرِنِينَ اخْتِلَالَ حَالِنَا وَانْتِقَاصَ مَالِنَا ، وَظَهَرَ الْفَاقَةُ وَالْفَقْرُ عَلَى صَفَحَاتِ ظَوَاهِرِنَا ، فَقَدِيمًا كَانَ يُسَدُّ الْخَلَلُ بِمَالِنَا ، وَتَزْنُقُ الْفُتُوقُ بِهَا ، وَتُرْدُ عَادِيَةُ الشَّرِّ بِتَفْرِيقِهَا . وقوله «فقد يكون» جَعَلَ اللَّفْظُ مُسْتَقْبَلًا وَإِنْ أَرَادَ الْمُضَيِّ ، لاسْتِمْرَارِ الْحَالِ عَلَى طَرِيقَةٍ وَاحِدَةٍ ؛ وَقَدْ مَضَى مِثْلُهُ . ويجوز أن يكون حَكَى الْحَالِ ، كقوله تعالى : ﴿وَكَلَّبَهُمْ بِسِطٍ ذِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ﴾ [الكهف : الآية ١٨] .

٣ - قَدْ يَغْلُمُ الْقَوْمُ أَنَا يَوْمَ نَجْدَتِهِمْ لَا نَنْتَقِي بِالْكَمِيِّ الْحَارِدِ الْأَسْلَا

قوله «قد يغلمُ القومُ» الكلامُ في استعمال لفظ المستقبل هو على ما قدمناه في قوله «فقد يكون قديمًا» من البيت الذي قبله . فيقول : قد اشتهر من شأننا يومَ البأسِ والشدة ، ووقتِ احتماءِ الوطيسِ والتهابِ النَّائِثَةِ ، أَنَا لَا نُحْجَمُ فَنَنْتَقِي رِمَاحَ الْأَعْدَاءِ

(١) للطائي في لسان العرب (نعم) ، وتامه :

«تقول إن قلتُمْ : لا ، لا مُسَلِّمَةً لأمركم ، ونعم إن قلتُمْ نعمًا»

(٢) للبيد في اللسان والمقاييس (بجل) ، وصدده :

«فمتى أهلك فلا أحفله»

(٣) لحميد بن مالك الأرقط في خزانة الأدب ٥ : ٣٨٢ ، والدرر ١ : ٢٠٧ ، واللسان (خبب) .

بالشجعان، ولكن غيرنا يتقي بنا فنتقدم إذا تأخر، ونستبسل إذا تحرز. والحادد:
الجميع الخلق الشديد المهيّب، الذي يحسب من عزه غضبان.

٤.. لكن ترى رجلاً في إثره رجل قد غادر رجلاً بالقاع منجداً

هذا تصوير لما أثبت من أفعالهم في الإقدام، لما نفى عن أنفسهم الإحجام،
فيقول مخاطباً واحداً من الناس: لكننا نتهاوت ونتتابع جزواً على القتال، حتى ترانا
من بين طاردي وقاتل، وكار وفار، وطالب ومطلوب. وقد تركنا صريعاً ساقطاً على
الأرض، كأن أحدهما صرع قتيلاً والآخر يتبعه لينال منه. ويجوز أن يكون معنى «قد
غادر» قد غادر كل واحد منهما رجلاً مصروعاً، كما يقال: كسانا الأمير حلة،
والمعنى كسا كل واحد منا. وكقول الله تعالى: ﴿فَاجْلِدُوهُمْ ثَلَاثِينَ جَلْدَةً﴾ [النور: الآية
٤]. وفي هذه الطريقة قول الآخر: [الطويل]

وهل غمرات الموت إلا نزالك الـ كمي على لحم الكمي المقطر^(١)

والقاع: المستوي من الأرض. والمُنجِدُ: المصروع. والمجدالة: الأرض، كأن
معنى جدلته: أصبت الجدالة به.

١٩٩ - وقال قبيصة بن النصراني الجرمي^(٢): [الطويل]

١ - لم أر خيلاً مثلها يوم أدركت بني شمعى خلف اللهم على ظهر

أراد بالخيّل الفرسان لا الأفراس، كما روي: «يا خيل الله اركبي». وقوله «على
ظهر» في موضع الصفة لقوله «خيلاً»، كأنه قال: لم أر فرساناً ثمائلها على ظهر يوم
أدركت هذه القبيلة خلف هذا الجبل. وقوله «على ظهر» يحتمل وجهين: أحدهما أن
يكون المعنى لم أر خيلاً على ظهر الأرض، كما جاء في التنزيل: ﴿مَا تَرَكَ عَلَى
ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ [فاطر: الآية ٤٥]. والثاني أن يكون المعنى: لم أر خيلاً على
ظهور الدواب، لكنه قصد الجنس فوحد كما يقال هو يرتبط كذا رأساً من الدواب،
وكذا ظهرها منها. وذكر بعضهم أن ظهوراً اسم ماء، كأنه قال خلف هذا الجبل على هذا
الماء. وهذا إذا ثبت يسلم للسمع. وذكر بعض أصحاب المعاني أن قوله «على ظهر»
يجوز أن يكون في موضع الحال للمضمر في أدركت، أي يوم أدركتهم قاهرة لهم،

(١) لشريح بن قرواش العبسي في الحماسة رقم (١٤٠).

(٢) التبريزي: «من طي».

وعلى قَهْرٍ وَعَلَبَةٍ فِيهِمْ؛ من قولك ظَهَرْتُ على فلانٍ ظَهْورًا وظَهْرًا. وفي القرآن: ﴿يُظْهِرُهُ عَلَى الَّذِينَ كُفَرُوا﴾ [التوبة: الآية ٣٣].

٢ - أَبْرَ بِإِيمَانٍ وَأَجْرًا مُقَدِّمًا وَأَنْقَضَ مِنَّا لِلَّذِي كَانَ مِنْ وَثْرِ وَلَمَّا أَرَادَ بِالْخَيْلِ أَصْحَابَهُ وَفُزْسَانَ جَنِيْهِه سَاعًا أَنْ يَقُولَ «وَأَنْقَضَ مِنَّا». ويشبه هذا ما يجيء من صلة الذي في مثل قوله: [الرجز]

أنا الذي سَمَّنِي أُمِّي حَيْدَرَةَ

فقال: سَمَّنِي والوجه سَمَّنُهُ. وباب الصَّلَاتِ والصفات تتداخل وتشابه. فيقول: لم أَرِ أَوْفَى بالنذور والأقسام إذا عَقَدْنَاهَا والتزمناها، وأَجْرًا إِقْدَامًا وَثَبَاتًا في وجوه الأعداء إذا ناصَبْنَاهَا وكاشَفْنَاهَا، وَأَسْعَى في تَقْضِ الأوتار وإِدْرَاكِ الذحول بعد إِبْرَامِهَا وَتَعَقُّدِهَا مِنَّا. وَنَقَضَ الْوِثْرَ هو حَلُّ عَقْدِهِ بِاشْتِفَاءِ النَّفْسِ من الواتر الذي يُبْرِمُهُ. وكان الشَّرِيفُ الْأَيْفُ مِنْهُمْ إِذَا أُصِيبَ وَوِثْرٌ يَنْذُرُ أَنَّهُ لَا يَشْرَبُ خَمْرًا وَلَا يَقْرُبُ امْرَأَةً، أَوْ لَا يَغْسِلُ رَأْسًا، وَمَا يَجْرِي هَذَا الْمَجْرَى مِمَّا يَكْرُثُ النَّفْسَ إِذَا أَخَلَّتْ بِهِ، حَتَّى يَنَالَ الْوِثْرَ. لهذا قال^(١) امرؤ القيس بعد تأثيره في بني أَسَدٍ وَنَيْلِهِ مَنَى النَّفْسِ فِيهِمْ: [السريع]

حَلَّتْ لِي الْخَمْرُ وَكُنْتُ امْرَأً عَنْ شُرْبِهَا فِي شُغْلٍ شَاغِلٍ
فَالْيَوْمَ أَسْقَى غَيْرَ مُسْتَحَقِّبٍ لِمَا مِنْ اللَّهِ وَلَا وَاعِلٍ
فَأَمَّا قَوْلُ الْأَعَشَى: [المقارب]

فَأَظَعَنْتَ وَتَرَكْتَ فِي دَارِهِمْ وَوَتَرَكْتُ مِنْ قَبْلِهِمْ لَمْ يُقِمَ^(٢)
فهو في طريقة قوله نَقَضْتُ الْوِثْرَ مِنْهُ.

٣ - عَشِيَّةً قَطَعْنَا قَرَائِنَ بَيْنِنَا بِأَسْيَافِنَا وَالشَّاهِدُونَ بَنُو بَذْرِ

أضاف القرائن إلى بيننا لأنه جعله اسمًا ونقله من باب الظُروف. وعلى هذا قراءة من قرأ: ﴿لَقَدْ نَقَطَعَ بَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: الآية ٩٤] بالرفع، والمعنى وَضَلَكُمْ. وَلَكْ أَنْ تَرَوِي «قَرَائِنَ بَيْنِنَا» فَلَا تُضَيِّفُ وَتَتْرَكُ بَيْنِنَا فِي بَابِهِ ظَرْفًا، كَمَا قَدْ قُرِئَ: ﴿لَقَدْ نَقَطَعَ بَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: الآية ٩٤] بالنصب، وَيَغْنِي بِالْقَرَائِنِ الْأَرْحَامَ وَالْأَوَاصِرَ.

(١) لامرؤ القيس في ديوانه ١٧٧ (الأعلمي). (٢) ديوانه ص ٢٠.

وَانْتَصَبَ «عَشِيَّةً» عَلَى أَنَّهُ بَدَلٌ مِنْ قَوْلِهِ «يَوْمَ أَدْرَكْتُ بَنِي شَمَجَى» يَقُولُ: لَمْ أَرْ خِيَلًا تَمَاتِلُهَا عَشِيَّةُ أَرْسَلْنَا دَوَائِنَا عَلَى أَعْدَائِنَا، وَأَوْقَعْنَا أَنْفُسَنَا عَلَيْهِمْ، فَقَطَعْنَا بِاسْتِعْمَالِ السِّیُوفِ الْوُصَلَ الْجَامِعَةَ لَنَا، وَالْأَسْبَابَ النَّازِمَةَ لَشَتَاتِنَا، وَبَنُو بَذَرٍ حَاضِرُونَ لَنَا، وَمَتَوَسِّطُونَ لَمَّا نُثِيرُهُ بَيْنَنَا، وَالْمَشَاهِدُونَ لِبَلَاتِنَا، وَالْمَصْدُقُونَ لِمَا نَدَّعِيهِ مِنْ فِعْلِنَا.

٤ - فَأَضْبَحْتُ قَدْ حَلَّتْ يَمِينِي وَأَدْرَكْتُ بَثُو تُعَلِّ تَبْلِي وَرَاجَعَنِي شِغْرِي يَقُولُ: أَتَى عَلَيَّ الصَّبَاحُ ثَانِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، وَقَدْ حَلَّ نَذْرِي، وَأَذْرَكَ قَوْمِي دَخْلِي، وَانْطَلَقَ بِالْفَخْرِ لِسَانِي، فَصِرْتُ خَفِيفَ الظَّهْرِ بَعْدَ أَنْ كُنْتُ مُثْقَلًا بِعَبِّ الْوِثْرِ، وَكَانَ الشُّعْرُ هَاجِرَنِي وَفَارَقَنِي مُدَّةَ السَّغْيِ فِي نَيْلِ الْمَطْلُوبِ مِنْ إِمْكَانِ فُرْصَةٍ أَنْتَهَزَهَا، ثُمَّ رَاجَعَنِي، وَهَذَا ضِدُّ قَوْلِ الْآخِرِ^(١): [الطويل]

فَلَوْ أَنَّ قَوْمِي أَنْطَقْتَنِي رِمَاحُهُمْ نَطَقْتُ وَلَكِنَّ الرِّمَاحَ أَجَرَّتْ

٢٠٠ - وَقَالَ أَدْهَمُ بْنُ أَبِي الزُّعْرَاءِ^(٢): [مشتور الرجز]

- ١ - قَدْ صَبَّحْتُ مَعْنٍ بِجَمْعٍ ذِي لَجَبٍ
- ٢ - قَيْسًا وَعُبْدَانَهُمْ بِالْمُنْتَهَبِ
- ٣ - وَأَسَدًا بِفَارَةٍ ذَاتِ حَدَبٍ
- ٤ - رَجْرَاجَةٍ لَمْ تَكُ مِمَّا يُؤْتَشَبُ
- ٥ - إِلَّا صَمِيمًا عَرَبًا إِلَى عَرَبٍ
- ٦ - تَبْكِي عَوَالِيَهُمْ إِذَا لَمْ تَخْتَضِبِ
- ٧ - مِنْ تُغْرِ اللَّبَاتِ يَوْمًا وَالْحُجُبِ

يُزَوَّى: «الْأَلْبَاب».

قَوْلُهُ «قَدْ صَبَّحْتُ مَعْنٍ بِجَمْعٍ»، الْجَمْعُ: الْمُجْتَمِعُونَ: وَالْجُمَاعُ: الْمُتَفَرِّقُونَ. وَمَعْنَى صَبَّحْتُ، أَيِ أَتَيْتُ قَيْسًا صَبَاحًا بِكَتِيبَةٍ لَهَا جَلْبَةٌ وَصَوْتُ، لَكَثَرَتِهَا. وَالْعُبْدَانُ يُكْسَرُ أَوَّلُهُ وَيُضْمُّ، وَهُوَ جَمْعُ عَبْدٍ يُقَالُ: عَبْدٌ وَأَعْبُدُ وَعَبِيدٌ وَعِبَادٌ وَعِبْدِي وَمَعْبُودَاءُ

(١) لعمرو بن معديكرب في الحماسية رقم (٢٩).

(٢) أدهم بن أبي الزعراء: سويد بن مسعود بن جعفر الطائي، من شعر العصر الأموي وأدرك العصر العباسي، شعره قليل متفرق (ت نحو ١٣٣ هـ / ٧٥٠ م). ترجمته في الأمدي ٣٠، والمحبر ٢٣٦.

وَعَبْدٌ، فَعَبْدَانُ جمع عَبِيدٍ. والمُنْتَهَبُ، قيل هو اسمُ مكانٍ، ويجوز أن يكون المراد به الانتهاب أو مَوْضِعُ الانتهاب. ومعنى البيت أغَارَتْ هذه القبيلة وقصدت بجيش عظيم، بني قَيْسٍ وَعَبِيدُهُمْ بهذا المَوْضِعِ. وَيَغْنِي بِالْعَبِيدِ الرُّعَاةَ والعُسَفَاءَ الذين يكونون مع الإبل. كَانَهُمْ فِي أَخْوِيَّتِهِمْ، وفي مَوْضِعٍ كَانَتْ أَمْوَالُهُمْ حَاضِرَةً، غير عَازِبَةٍ ولا غَائِبَةٍ.

وقوله «وَأَسَدًا بَغَاةً»، يَقُولُ: وَصَبَّحْتُ أَسَدًا بِخَيْلٍ ذَاتِ اعْتِلَاءٍ وَمَوْجَانٍ، تَتَدَفَّعُ فِي سَبِيلِهَا وَلَا تَسْتَقِيمُ، لكَثْرَتِهَا، ولم يكونوا أَشَابَاتٍ وَفِرْقًا جُمِعَتْ مِنْ شَيْءٍ إِلَى شَيْءٍ. وقوله «ذَاتِ حَدَبٍ» يجوز أن يكون مصدر الأخذب، ويكون وَصَفَ الغارة بالحَدَبِ كما قيلَ آلَةُ حَدَبَاءَ، وَعِزَّةٌ قُعْسَاءَ، كَأَنَّهُ يَنْبُو ظَهْرُهَا عَمَّنْ يُرِيدُ رُكُوبَهَا واقتسارها. ويجوز أن يراد به الارتفاع والكثرة. وقال الخليل: الْحَدَبُ حَدُورٌ فِي ضَبَبٍ، يعني الْعَقَبَةَ. قال: ومعه حَدَبُ الرِّيحِ وَحَدَبُ الرَّمْلِ. وفي القرآن: ﴿وَهُمْ مِّنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾ [الأنبياء: الآية ٩٦]. فأما قوله «بَغَاةً» فالعَرَبُ تُسَمِّي الْخَيْلَ غَارَةً لِأَنَّهَا مِنْ قَبْلِهَا تَكُونُ، وهذا من باب تسمية الشيء بما يكون من سببه. والغَارُ بلا هاءٍ يستعملُ في الجمع الكثير، وفي الحديث: «مَا ظَنَنْكَ بِرَجُلٍ جَمَعَ بَيْنَ هَذَيْنِ الْغَارَيْنِ»^(١).

وقوله: «رَجْرَاجَةٍ» يقال كَتَبْتُ رَجْرَاجَةً، أي تَضَطَّرَبْتُ وَتَمَوَّجْتُ مِنْ كَثَرَتِهَا. وامرأة رَجْرَاجَةٌ، أي تَتَرَجَّرُجُ مِنْ بُذْنِهَا وَنَعَمَتِهَا. وقوله «مِمَّا يُوْتَشَّبُ» يقال أَشَبْتُهُ وَاتَّشَبْتُهُ، أي جَمَعْتُهُ مِنْ وَجُوهِ مُخْتَلِفَةٍ لَا خَيْرَ فِيهَا. وأصل الْأَشْبِ الْإِلْتِفَافُ، ويقال: غَيْضَةٌ أَشِبَةٌ. وَتَوَسَّعُوا فِيهِ فَقَالُوا: عِنْدَ فُلَانٍ أَشَابَةٌ مِنَ الْمَالِ، أي مِمَّا كَسَبَهُ مِنَ الْحَرَامِ وَمَا لَا خَيْرَ فِيهِ.

وقوله «إِلَّا صَمِيمًا» يقال: هو من صَمِيمٍ قَوْمِهِ، إذا كان من خالصةهم وَمَخْصِي أصليهم؛ ومنه قَوْلُهُمْ: صَمِيمُ الرَّأْسِ وَالسَّاقِ، للعظم الذي به قَوَامُ الْعُضْوِ، وتوسَّعوا فقالوا: جَاءَ فِي صَمِيمِ الصَّيْفِ أَوْ الشِّتَاءِ. وَاتَّصَبَ صَمِيمًا عَلَى أَنَّهُ اسْتِثْنَاءٌ خَارِجٌ. وَجَعَلَ قَوْلَهُ «عَرَبًا إِلَى عَرَبٍ» بَدَلًا مِنْهُ. ومعنى إِلَى عَرَبٍ: مَعَ عَرَبٍ، كما يقولون: هذا إِلَى ذَاكَ.

(١) ذكره ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث ٣: ٣٩٤ من حديث علي: «قال يوم الجمل: ما ظنك بامرئ جمع بين هذين الغارين؟» أي الجيشين، والغار: الجماعة.

وقوله «تَبْكِي عَوَالِيَهُمْ إِذَا لَمْ تَخْتَضِبِ» فعالية الرُوح وغيره أغلاؤه، وقيل العالِيَةُ القَنَاةُ المستقيمة. وقوله «إِذَا لَمْ تَخْتَضِبِ» يقال خَضَبَ الرَّجُلُ شَعْرَهُ، واختَضَبَ. ولا يُذَكَّرُ الشَّعْرُ معه، وقد يكون اختَضَبَ في مطاوعة خَضَبَ. ومعنى البيت: لكنهم كانوا خُلَصًا عَرَبًا مع عَرَبٍ، عَوْدُوا رِمَاحَهُمْ أَنْ تُسْقَى دِمَاءُ الصُّدُورِ وَالْقُلُوبِ، فإذا انْقَطَعَ شِرْبُهَا عنها تَبْكِي تَحَسُّرًا عليه، وَوَجْدًا به. وهذا مَثَلٌ.

وَيَغْنِي بِشَعْرِ اللَّبَاتِ: هَزَمَاتِ الثَّرَاقِي وَحُجَبِ الْأَفْنَدَةِ. وَيَقَالُ لَبَبٌ وَلَبَّةٌ، ولذلك رُوي: «مِنْ تُغَرِّ الْأَلْبَابِ» و«اللَّبات». والمعنى أنهم بُصَرَاءُ بِالطَّغْنِ فلا يصيبون إِلَّا الْمَقْتَلَ.

٢٠١ - وقال بُرْجُ بْنُ مُسْهِرٍ الطَّائِي:

١ - إِلَى اللَّهِ أَشْكُو مِنْ خَلِيلٍ أَوْدَهُ ثَلَاثَ خِلَالٍ كُلُّهَا لِي غَائِضُ
جَعَلَ شُكْوَاهُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، لِيَأْسَهُ مِنْ مَعُونَةِ الْمَخْلُوقِينَ فِيمَا يَتَأَلَّمُ مِنْهُ
وَيَتَضَجَّرُ بِهِ. يَقُولُ: أَشْكُو ثَلَاثَ خِلَالٍ مِنْ صَدِيقٍ لِي أَمِيلُ إِلَيْهِ، وَأُخْلِصُ الْوَدَّ لَهُ،
وَكُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْ تِلْكَ الْخِلَالِ يَهْزِلُنِي وَيَنْقُصُ مِنْ لَحْمِي، وَيَكْسِرُ مِنْ نَشَاطِي. وَيُقَالُ:
غَاضَ الْمَاءُ وَغَضَّتْهُ أَنَا، وَفِي الْقُرْآنِ: ﴿وَيَغِيضُ الْمَاءَ﴾ [هُود: الآية ٤٤] فَمِنْ بَابِ
فَعَلْتُ الشَّيْءَ فَفَعَلَ. قَالَ الشَّاعِرُ: [الطويل]

فَلَا زَاكِدٌ يَجْرِي وَلَا هُوَ غَائِضُ

٢ - فَمِنْهُمْ أَلَا تَجْمَعُ الدَّهْرَ ثَلْعَةً بُيُوتًا لَنَا يَا تَلْعَ سَيْلِكَ غَامِضُ
يَجُوزُ أَنْ يُرَوَى «تَجْمَعُ» بِالتَّضْبِ وَالرَّفْعِ، فَإِذَا نَصَبْتَ فَلَانَ أَنْ قَبْلَهُ هِيَ النَّاصِبَةُ
لِلْفِعْلِ، وَإِذَا رُفِعَ فَأَنْ تَكُونَ مُخَفَّفَةً مِنَ الثَّقِيلَةِ، أَرَادَ أَنَّهُ لَا تَجْمَعُ، وَالْهَاءُ ضَمِيرُ الْأَمْرِ
وَالشَّانِ. وَمِثْلُهُ فِي الْقُرْآنِ: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعَ إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾ [طه: الآية ٨٩]، قُرِئَ
يَرْجِعُ بِالرَّفْعِ وَالتَّضْبِ، حَفَلًا عَلَى الْوَجْهِينِ الْمَذْكُورَيْنِ. وَالثَّلْعَةُ: أَرْضٌ مَرْتَفَعَةٌ يَتَرَدَّدُ
فِيهَا السَّيْلُ إِلَى بَطْنِ الْوَادِي. وَيُقَالُ: فَلَانٌ لَا يُوَثِّقُ بِسَيْلٍ تَلْعَتِهِ، إِذَا كَانَ غَيْرَ صَدُوقٍ فِي
أَخْبَارِهِ. وَبَابُ التَّلْعِ كُلُّهُ يَدُورُ عَلَى الْإِشْرَافِ وَالْإِرْتِفَاعِ. وَقَوْلُهُ «يَا تَلْعَ سَيْلِكَ غَامِضُ»
يَسْمَى تَقَادُ الْكَلَامِ مِثْلُهُ التَّفَاتَا، فَهُوَ مِثْلُ قَوْلِ جَرِيرٍ فِيمَا حُكِيَ عَنِ الْأَضْمَعِيِّ: [الوافر]

مَتَى كَانَ الْخِيَامُ بِذِي طُلُوحٍ سُقِيَتِ الْعَيْنُ أَيُّهَا الْخِيَامُ^(١)

وَصَلَحَ تَرْخِيمُ ثَلْعَةٍ وَإِنْ كَانَ نَكْرَةً، لَأَنَّهُ قَصَدَ بِهَا فِي الثَّدَاءِ إِلَى وَاحِدَةٍ بَعَيْنِهَا.
ومعنى البيت: من تلك الخلال التي أنألم منها أني وإيائه لا نَجْمُ طول الدهر في مكان، ولا يحوى بيوتنا ثلعة من التلاع. ثم التفت مظهرًا للتضجر، ومُبديًا التوجع إلى الثلعة، فقال: لا جرى فيك سيل، ولا ظهر بك خضب، ولا سقي لك عهد. وهذا كآته للموضع الذي لا يتفق له مع صديقه المذكور فيه التقاء على قُزبه وجواز كون ذلك فيه - دُنبًا، فأقبل يدعو عليه تَصْخَرًا به. ومن عادة الناس النظر في الديار وما يَسْنَحُ فيها من اجتماع الأجيّة أو افتراقهم، وانتظام شملهم فيها أو ابتاتته. وقد ورد الخبر بمثل ذلك أيضًا.

٣ - ومنهنّ ألا أستطيع كلامه ولا وُدّه حَتَّى يَزُولَ عُوارِضُ

يجوز أن يُروى «أستطيع» بالرفع والنصب على ما تقدّم في البيت قبله. وقوله «ولا وُدّه» إن قيل كيف قال لا أستطيع وُدّه، وقد قال في البيت الأول من خليل أوُدّه، فأثبت الودّ؟ قلت: إنما يعني لا أستطيع مُقْتَضَى وُدّه وموجبّه، فَحَدَفَ المضاف. وقوله «حتى يزول عُوارِضُ»، معناه حتى كان ما لا يكون. والمراد بالبيت: ومن تلك الخلال ما عَرَضَ بيني وبينه من إعراض مُتَّصِلٍ وهَجَرٍ دائمٍ، فلا أَقْدِرُ على مفاوِضِهِ فيما يَعرُنُ من خيرٍ وشرٍّ، ولا أَطِيقُ مُبَائِثَهُ ما يَتَنَقَّلُ فيه من محبوبٍ أو مكروهٍ، ولا أستطيع مُواوَدَّتَهُ ومخالَصَتَهُ بحسب الأحوال المتشابكة بيننا، ما ثَبَتَ عُوارِضُ - وهو جَبَلٌ - ودَامَ للدهرِ مُتَّصِلٌ.

٤ - ومنهنّ ألا يَجْمَعُ العَزُو بَيْنَنَا وفي العَزُو ما يُلْقَى العَدُو المَبَاغِضُ

وَجْهٌ جَوَازِ الرُّفْعِ فِي يَجْمَعُ والنَّصْبِ على ما تقدّم. وقد رَتَّبَ الشاعِرُ في هذه الأبيات مسيّبات المَوَدّة ونتائجها، وما يوجبُه غِرَاسُ المِقّةِ وآثارُها، أحسنَ تَرْتِيبٍ، فابتدأ عند ذكر انتفائها وامتناعها بتعذر الاجتماع بالأبدان في المجالس والمَحَال، لأنّه الأوّل والأضلّ في انعقاد الوداد، ثم أَتْبَعَهُ بما يَصْحَبُ الاجتماعَ للتألف، حتّى لا يَنفَكَ منه من التوائس والتساؤل، والمُخَالَقَةِ والإلطاف، لأنّه تِلْوُ الأوّل وثانيه. ثم أردفَ المقدمتين بنتيجتهما من التّعاون والتّساعد، والاهتمام والشفقة عندما يَحْدُثُ ويتجدّد من صغير وكبير، ومزودٍ ومقبولٍ، فيقول: ومن تلك الأحوال أن التّشارك في جِوَالِبِ الدّهر بيننا رُفُضٌ، والتألبّ على الأعداء من مقاصدنا سَقَطٌ، فلا يُؤَلَّفُ بيننا مراعاةٌ عَزٌّ، ولا عمارَةٌ وُدٌّ، ولا يَنْظُمُ نوانا اجتذابٌ مَحْمُودَةٌ، ولا دِفَاعٌ مَظْلِمَةٌ. ثم

قال: «وفي الغزو ما يُلْقَى العَدُوُّ» ما صِلَّةٌ، والمعنى: وفي العِزِّ يُحْتَاج إلى الصَّدِيقِ المُخَالِصِ، إذ كان إنَّمَا يُلْقَى فيه العَدُوُّ المُبَاغِضِ. فهذا وَجْهٌ. ويجوز أن يكون المعنى: وفي الغزو قد يُلْقَى العَدُوُّ المُبَاغِضُ فكيف الصديق المُوَادُّ. والأول أشبه وأجود.

٥ - وَيَنْتَرِكُ ذَا الْبَأْوِ الشَّدِيدِ كَأَنَّهُ من الدَّلِّ والبَغْضَاءِ شَهْبَاءَ مَا خَضُ

أَخَذَ يُبَيِّنُ مَسَاسَ الْحَاجَةِ فِي الْغَزْوِ إِلَى ائْتِلَافِ الْأَوْدَاءِ، وَتَعَاوُنِ الْأَشْيَاءِ، فيقول: وإذا كان الغزو يَنْتَرِكُ الْمُتَكَبِّرُ الْذَاهِبُ بنفسه مَذَاهِبَ ذَوِي الْجَبَرِيَّةِ وَالْعِزِّ، وَكَأَنَّهُ مِمَّا لَزِمَهُ مِنَ الدَّلِّ وَالبَغْضِ لِلْخِلَافِ وَالْحَزَبِ، وَتَنَاسِيِ الْعِتْلَاءِ وَالْقَهْرِ، نَاقَةً شَهْبَاءَ أَثَرِ وَجَعِ الْوِلَادَةِ فِيهَا فَضْعَفَتْ وَسَقَطَتْ. وَإِنَّمَا خَصَّ الشَّهْبَاءَ بِالذِّكْرِ لِأَنَّهَا أَتَعَمُّ الْإِبِلَ وَأَرْقَهَا، وَأَقْلَهَا صَبْرًا وَأَضْعَفَهَا.

وَالْمَخَاضُ: وَجَعُ الْوِلَادَةِ، وَيَسْتَعْمَلُ فِي أَنْوَاعِ الْحَيَوَانِ. وَالطَّلْقُ لَا يَكُونُ إِلَّا فِي النِّسَاءِ.

٦ - فَسَائِلُ هَذَاكَ اللَّهُ أَيُّ بَنِي أَبٍ من النَّاسِ يَسْعَى سَعِينًا وَيُقَارِضُ

أَخَذَ يَسْتَعِطِفُ الصَّدِيقَ الَّذِي شَكَاهُ، وَيَسْتَمِيلُ بِقَلْبِهِ، فَقَالَ: سَلْ أَرْشَدَكَ اللَّهُ لِلْخَيْرِ وَصِلَّةَ الرَّجِمِ، وَعَدَلَ بِكَ عَنْ سَبِيلِ الضَّلَالِ وَالْقَطِيعَةِ: أَيُّ قَوْمٍ مِنَ النَّاسِ يَسْعَى فِي مَنَعَ قُوَى التَّشَابُكِ مِنَ الْاِنْتِبَاتِ، وَضَوْنِ عَرَى التَّوَاضُلِ عَنِ الْاِنْفِصَامِ، سَعِينًا؛ أَوْ يُقَارِضُ ذَوِي الْقَرَابَاتِ، وَإِخْوَانَ الْوُدَادِ وَالْمَصَافَاةِ، فِي حَالَتِي السَّرَاءِ وَالضَّرَاءِ، مُقَارِضَتًا؛ ثُمَّ تَوَفَّرَ عَلَيْنَا بِمِثْلِ مَا يَقْتَضِيهِ الْخِبْرَةُ وَالْمَعْرِفَةُ، وَعَلَى مَا يَتَّبِعُ عَلَيْهِ الْبَحْثُ وَالْمُسَاءَلَةُ.

٧ - نُقَارِضُكَ الْأَمْوَالَ وَالْوُدَّ بَيْنَنَا كَأَنَّ الْقُلُوبَ رَاضَهَا لَكَ رَائِضُ

فِي الْكَلَامِ إِلْمَامٌ بِالْعَنْبِ، وَإِظْهَارٌ لِلِاسْتِجْفَاءِ؛ لِأَنَّهُ أَخَذَ يُبَيِّنُ تَمَامَ مِيلِهِمْ إِلَيْهِ، وَحُسْنَ اِحْتِمَالِهِمْ مِنْهُ، وَأَنَّهُمْ عَلَى جَفَائِهِ لَا يَمْنَعُونَهُ مَالًا، وَلَا يَمْنُذِقُونَ لَهُ وُدًّا، وَكَأَنَّ قُلُوبَهُمْ جُبِلَتْ عَلَى حُبِّهِ، وَأَشْرَبَتْ مَوَدَّتَهُ، فَتَمَتَّى رَامَتْ سَلْوَةً أَوْ نُبُوًّا أُدِيرَتْ إِلَى عَادَتِهِ الْأَوَّلَى، وَعُطِفَتْ عَلَى مَحَبَّتِهِ الْقَدَمَى.

٨ - كَفَى بِالْقُبُورِ صَارِمًا لَوْ رَعَيْتَهُ وَلَكِنْ مَا أَغْلَنْتَ بِإِدِّ وَخَافِضُ

قَوْلُهُ «بِالْقُبُورِ» فِي مَوْضِعِ الرِّفْعِ عَلَى أَنْ يَكُونَ فَاعِلٌ كَفَى، وَانْتَصَبَ «صَارِمًا» عَلَى الْحَالِ أَوْ التَّمْيِيزِ. وَلَمَّا كَانَ الْقَصْدُ بِذِكْرِ الْقُبُورِ إِلَى مَا يُؤَدِّي إِلَيْهَا، وَهُوَ الْأَجَلُ

المضروب، صَلَحَ أَنْ يَقُولَ «صَارِمًا لَوْ رَعَيْتَهُ». وَيُقَالُ رَعَيْتُ الثُّجُومَ وَرَاعَيْتُهَا، إِذَا رَاقَبْتَهَا. وَقَوْلُهُ «وَخَافُضٌ» أَرَادَ بِهِ مُنْخَفِضٌ لَكِنَّهُ أَخْرَجَهُ مَخْرَجَ النِّسْبَةِ كَأَنَّهُ قَالَ: وَذُو خَفُضٍ. يَقُولُ: لَوْ انْتظَرْتُ الْمَوْتَ، وَصَبَرْتُ عَلَى الْمُجَامَلَةِ مُدَّةَ الْعَيْشِ، لَكَانَ يَكْفِيكَ عِنْدَ حُصُولِهِ مَا تَعَجَّلْتَهُ مِنَ الصُّرْمِ، وَلَكِنْ مَا أَظْهَرْتَهُ مِنَ الْبُغْضِ تَمَكَّنَ مِنْ نَفْسِكَ وَقَلْبِكَ، وَاسْتَوَلَى عَلَى فِعْلِكَ وَقَوْلِكَ فَلَمْ تَمْلِكْ مَعَهُ صَبْرًا، وَلَمْ تُطِقْ بِمَا يَجْمَعُنَا رِفْقًا، فَهُوَ بَاطِنٌ ظَاهِرٌ، مُسَرٌّ مُعَلَّنٌ. وَإِنَّمَا قَالَ هَذَا لِأَنَّ الْإِنْسَانَ قَدْ يُظْهِرُ خِلَافَ مَا يَنْطَوِي عَلَيْهِ أَوْ دُونَهُ، مَا دَامَ يَمْلِكُ زَمَانًا تَجَمُّلِهِ وَتَسْتَرِهِ، وَصَارَ الْعَلْبَةُ لِعَقْلِهِ وَإِرَادَتِهِ. فَإِذَا كَانَ مَا يَنْتَبِعُ مِنْهُ عَنْ مَعِينٍ فِي الْقَلْبِ كَنِينٍ، وَعَرِيقٍ مَكِينٍ، قَدْ امْتَلَأَ النَّفْسَ وَعَلَبَ الْمُسَكَّةَ وَالصَّبْرَ، فَذَلِكَ النَّهْيُ لَا يُقَدَّرُ عَلَى سِتْرِهِ، وَلَا يُهْتَدَى إِلَى دَفْعِهِ. وَفِي الْقُرْآنِ مَا فِيهِ هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَدْ بَدَتْ الْبَغْضَةُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ ١١٨].

٢٠٢ - وَقَالَ قَبِيصَةُ بْنُ النَّصْرَانِيِّ^(١): [الطويل]

١ - أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْوَزْدَ عَرَّدَ صَدْرَهُ وَحَادَ عَنِ الدَّغْوَى وَضَوَّءِ الْبَوَارِقِ^(٢) التَّعْرِيدُ: تَرَكَ الْقَصْدَ وَسُرْعَةُ الْإِنْهَزَامِ. وَالْمُرَادُ بِالْدَّغْوَى قَوْلُ الْكِمَاةِ مَنْ يُبَارِزُ! وَخُذْهَا وَأَنَا فَلَانٌ! وَأَنَا الَّذِي مِنْ شَأْنِهِ كَذَا! وَأَشْبَاهُهُ. وَالْبَوَارِقُ، جَمْعُ بَارِقَةٍ: السُّيُوفُ وَسَائِرُ الْأَسْلِحَةِ.

وَقَائِلُ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ يَعْتَذِرُ مِنْ إِخْجَامِ اتَّفَقَ، وَتَأَخَّرَ عَنِ الزَّخْفِ ظَهَرَ لِلنَّاسِ مِنْ فِعْلِهِ، فَآخَذَ يُوَزِّكُ بِالذَّنْبِ عَلَى قَرَسِهِ، وَإِنَّ نَفَرَتَهُ كَانَتْ السَّبَبَ فِي نُكُوصِهِ، فَقَالَ عَلَى طَرِيقِ التَّلَهُّفِ وَالتَّوَجُّعِ: أَمَا تَعْلَمُ أَنَّ قَرَسِي الْوَزْدَ انْحَرَفَ عَنِ الْقَصْدِ صَدْرُهُ، وَتَوَلَّى إِلَى غَيْرِ الْوَجْهَةِ الَّتِي أُرِيدُهَا وَجْهَهُ، لِنُفُورِهِ عَنِ تَدَاعِي الْأَبْطَالِ، وَنُكُولِهِ عَنِ لِمَعَانِ السُّيُوفِ وَالرَّمَاكِ.

٢ - وَأَخْرَجَنِي مِنْ فِئَةٍ لَمْ أَرِدْ لَهُمْ فِرَاقًا وَهُمْ فِي مَازِقٍ مُتَضَايِقٍ قَوْلُهُ «وَأَخْرَجَنِي» مَعْطُوفٌ عَلَى مَا اعْتَلَّ بِهِ مِنْ نُفُورِ الْقَرَسِ، وَمَعْدُودٌ فِيمَا أَمَلَهُ مِنْ جِنَايَتِهِ عَلَيْهِ. وَالْوَاوُ مِنْ قَوْلِهِ «وَهُمْ فِي مَازِقٍ» وَأَوُّ الْحَالِ، وَالْأَزَقُ: الضَّيْقُ فِي

(١) التبريزي: «قبيصة بن النصراني الجرمي».

(٢) التبريزي: وروي: (عز بصدرة): وهو أجود الروايتين.

الحرب، ومَأَزَقْ مَفْعَلٌ منه. وقال «مَتَضَايِقٌ» لَأَنَّ ضَيْقَ الْمَكْرَ فِي الْمَعَارِكِ يَحْصُلُ شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ. فيقول: فَرَّقَ بَيْنِي وَبَيْنَ فِتْيَانٍ أَخْبَبْتُ الْكُونَ مَعَهُمْ، وَأَوْجَبْتُ عَلَى نَفْسِي مُمَالَاتَهُمْ وَمَسَاعِدَتَهُمْ، فِي وَقْتٍ كُنْتُ خَلِيقًا بِالثَّبَاتِ مَعَهُمْ، وَإِظْهَارِ الْبَلَاءِ فِي نُصْرَتِهِمْ، وَكَانُوا مَدْفُوعِينَ مِنْهُ إِلَى ضَنْكِ مَجَالٍ مِثْلِي يُسْتَدْعَى لَهُ، وَيُسْتَنْهَضُ لِلْإِعَانَةِ فِيهِ.

٣ - وَعَضُّ عَلَى فَأْسِ اللَّجَامِ وَعَزَنِي عَلَى أَمْرِهِ إِذْ رَدَّ أَهْلُ الْحَقَائِقِ
هذا بيانٌ جَمَاحٍ فَرَسِهِ وَتَأْيِيهِ عَلَيْهِ، فيقول: رَكِبَ رَأْسَهُ وَغَلِبَنِي عَلَى أَمْرِهِ، فَلَمَّا كَرَّ أَهْلُ الْحَقَائِقِ لَمْ أَقْدِرْ عَلَى الْكُرِّ مَعَهُمْ، وَلَا مَلَكَتُ رَدَّ فَرَسِي مَعَ رَدِّهِمْ. وَأَهْلُ الْحَقَائِقِ هُمُ الَّذِينَ يَبْلُغُونَ فِيمَا يَلُونَهُ مَا يَحِقُّ وَيَجِبُ. وَيُقَالُ: حَقَّقْتُ الْعَقْدَةَ، إِذَا شَدَّدْتُهَا.

٤ - فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا بَلَوثُ بَلَاءُهُ وَأَنْتِي بِمَنْعٍ مِنْ خَلِيلٍ مُفَارِقٍ
يُروى: «وَأُبْنَا تَمَتَّعَ». وَلَهُ، الضمير للفرس. كَأَنَّهُ كَانَ يَخَاطَبُهُ مَتَحَسِّرًا وَبُئَاثُهُ مُتَلَهِّفًا، وَيَقُولُ بَعْدَ أَنْ مُنِيَ مِنْهُ بِمَا مُنِيَ، وَابْتَلَيْ مِنْ نَفَرَتِهِ وَرَكُوبِ رَأْسِهِ بِمَا ابْتَلَيْ: مِنْ أَيْنَ لِي الْإِسْتِمَاعُ مِنْ خَلِيلٍ فَارَّقْتُهُ، وَكَيْفَ أَسَاعَدُهُ وَأَتَحَمَّلُ عَنْهُ ثِقَلًا وَقَدْ بَاعَدْتُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ. فَقَوْلُهُ «وَأَنْتِي بِمَنْعٍ» فِي مَوْضِعِ الْمَفْعُولِ لِقُلْتُ. وَيُقَالُ: مَنَعَ بِكَذَا وَاسْتَمْتَعَ، وَمَتَّعَهُ اللَّهُ بِهِ وَأَمْتَّعَهُ. وَمَنْ رَوَى: «وَأُبْنَا تَمَتَّعَ» يَدْخُلُ وَأُبْنَا فِي جُمْلَةٍ مَا اتَّصَلَ بَلْمًا، وَيَكُونُ الْمَعْنَى: وَلَمَّا بَلَوثُ بَلَاءُهُ وَأَكْثَرَهْنِي عَلَى مَرَادِهِ، فَانْصَرَفْنَا مِنْ مَقْصِدِنَا، قُلْتُ لَهُ مُقَرَّرًا وَمُتَوَجِّعًا: الْآنَ تَمَتَّعَ مِنْ أَجْلِ خَلِيلٍ بَعَدْتُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ. كَأَنَّ تَفَجُّعَهُ امْتَدَّ أَوَّلًا وَآخِرًا، وَقَبْلَ الْأَوْبَةِ وَبَعْدَهَا وَجَوَابُ لَمَّا فِي الْوَجْهَيْنِ قَوْلُهُ فَقُلْتُ بِمَا اتَّصَلَ بِهِ.

٥ - أَحَدْتُ مَنْ لَأَقِيْتُ يَوْمًا بَلَاءُهُ وَهُمْ يَخْسِبُونَ أَنْتَنِي غَيْرُ صَادِقٍ
يَقَالُ: حَدَّثْتُهُ كَذَا وَبَكَذَا، فَيَحْمَلُ عَلَى خَبَرْتُهُ كَذَا وَبَكَذَا، وَبُئَاثُهُ كَذَا وَبَكَذَا. قَالَ الْهَذَلِيُّ: [الوافر]

وَلَكِنْ خَبَرُوا قَوْمِي بَلَاثِي

وقال الآخر: [الطويل]

وَأَنْبَأْتُهُ أَنَّ الْفِرَارَ خَزَايَةُ

يقول: أَبْثُ فِي النَّاسِ قِصَّتِي وَقِصَّةَ فَرَسِي، وَأُخْبِرُ كُلَّ مَنْ لَاقَيْتُهُ بِجَنَائِيهِ عَلَيَّ وَبَلَائِهِ مَعِي، وَهُمْ بِحَسَدِهِمْ وَسُوءِ رَأْيِهِمْ يُوجِّهُونَ الظُّنَّةَ إِلَيَّ، وَيُسَلِّطُونَ التُّهْمَةَ عَلَيَّ، فَأَنَا بَيْنَ تَكْذِيبٍ وَتَعْيِيرٍ مَعَهُمْ وَفِيهِمْ.

٢٠٣ - وَقَالَ أَيْضًا: [السريع]

١ - هَاجِرْتَنِي يَا ابْنَةَ آلِ سَعْدِ

٢ - أَلَّا حَلَبْتُ لِفَحَّةٍ لِلْوَرْدِ

يُرَوَّى «هَاجِرْتَنِي» عَلَى الْخَطَابِ، وَالْكَلَامُ بِهِ ظَاهِرُ الْإِسْتِقَامَةِ، وَيُرَوَّى «هَاجِرْتَنِي»، وَالْمَعْنَى: أَنْتِ هَاجِرْتَنِي. وَقَالَ «يَا ابْنَةَ آلِ سَعْدِ» يَجُوزُ أَنْ يَرِيدَ يَا ابْنَةَ سَعْدٍ فَزَادَ الْآلَ كَمَا يُزَادُ لَفْظَةُ حَيٍّ وَدَوٍّ. وَمِثْلُهُ قَوْلُ الْآخَرِ، أَنْشَدَهُ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ: [البسيط]

إِنَّ ابْنَ آلِ ضِرَارٍ حِينَ أَنْدَبُهُ زَيْدًا سَعَى لِي سَغِيًّا غَيْرَ مَكْفُورٍ

أَرَادَ إِنَّ ابْنَ ضِرَارٍ. وَهَذَا بَابٌ وَاسِعٌ مُخْتَلِفٌ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ جَعَلَهَا ابْنَةُ الْآلِ إِعْظَامًا لَهَا، كَمَا يُقَالُ يَا ابْنَةَ الْقَوْمِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ الْقَوْلُ فِي الْآلِ وَحَقِيقَتِهِ. وَاللَّفْحَةُ: الثَّاقَةُ الْحُلُوبُ؛ وَيُوصَفُ بِهِ، لَا يُقَالُ نَاقَةٌ لِفَحَّةٍ، بَلْ يَجْرِي مَجْرَى الْأَسْمَاءِ. يَقُولُ: صَارَمْتَنِي أَيْتُهَا الْمَرْأَةُ حِينَ أَتَرْتُ فَرَسِي الْوَرْدَ يَلْبِنُ لِقُوجِي، فَأَخْرَجَ قَوْلَهُ «أَلَّا حَلَبْتُ» مَخْرَجَ التَّقْرِيعِ وَالتَّوْبِيخِ، وَإِنْ كَانَ لَفْظُهُ لَفْظُ الْإِسْتِفْهَامِ، لِأَنَّ الْمُرَادَ بِهِ: الْأَنَّ حَلَبْتُ، أَيْ الْهَذَا الشَّانِ كَانَ مِنْكَ الْهَجْرَانُ لِي.

٣ - جَهَلْتُ مِنْ عِنَانِهِ الْمُمْتَدِّ

٤ - وَنَظَرِي فِي عَظْفِهِ الْأَكْدِ

٥ - إِذَا جِيَادُ الْخَيْلِ جَاءَتْ تَزْدِي

٦ - مَمْلُوءَةٌ مِنْ غَضَبٍ وَحَزْدِ

قَوْلُهُ «جَهَلْتُ مِنْ عِنَانِهِ» يَجُوزُ عَلَى مَذْهَبِ أَبِي الْحَسَنِ الْأَخْفَشِ أَنْ يَكُونَ زَادَ «مِنْ» فِي الْوَاجِبِ، أَرَادَ جَهَلْتُ عِنَانَهُ، وَيَكُونُ قَوْلُهُ، «وَنَظَرِي» فِي مَوْضِعِ النَّصْبِ عَظْفًا عَلَيْهِ إِنْ شِئْتَ. وَمِمَّا حَكَاهُ مِنَ الْحُجَّةِ لَهُ الْقَوْلُ بَعْضُهُمْ: «قَدْ كَانَ مِنْ مَطَرٍ»، «قَدْ كَانَ مِنْ شَيْءٍ فَخَلَّ عَنِّي». وَعَلَى مَذْهَبِ سَيِّبُوهِ يَكُونُ فِيهِ وَجْهَانِ: أَحَدُهُمَا أَنْ يَكُونَ الْكَلَامُ مَخْمُولًا عَلَى الْمَعْنَى، لِأَنَّ الْجَهْلَ نَفْيُ الْعِلْمِ، كَأَنَّهُ قَالَ بَدَلُ جَهَلْتُ: مَا

عَلِمَتْ وما عَرَفَتْ. والثاني أن يكون حَذَفَ مفعول جِهَلَتْ كَأَنَّهُ قال جِهَلَتْ من عَنَانِهِ الطَّوِيلِ مَذْلُومُهُ من العُنُقِ والنَّجَابَةِ، لأنَّ الذي جِهَلَتْهُ ذَلِكَ، إِذْ كان امتدادُ عُنُقِهِ يُذَرِّكُ مُشَاهِدَةً. والشَّاعِرُ أَقْبَلَ يُبَيِّنُ عُدْرَهَا فيما أَنْكَرَتْهُ وَعَذَرَ نَفْسِهِ تَفْقِيْدَهُ فِرْسَهُ فقال: جِهَلَتْ ما أَغْرَفُهُ من كَرَمِهِ وَنَجَابَتِهِ، وما أَتَبَيَّنَّهُ وَأَسْتَدِلُّ عَلَيْهِ من امتدادِ عُنُقِهِ وَلَجَاجِ جَانِبِهِ، واعتراضِهِ في مَشْيِهِ، فلذلك اسْتَغْظَمْتُ إِثَارِي إِثَّاه. وَذَكَرَ الْعِنَانَ وَالْقَضْدَ الْعُنُقِ لِأَنَّ طَوْلَهُ بِطُولِهَا، وَاللَّدَدُ أَصْلُهُ فِي الْخُصُومَةِ، يُقالُ خَضَمَ الْكَدَّ. وقوله «إِذَا جِيَاذُ الْخَيْلِ» إِذَا ظَرَفَ لَمَّا دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ «فِي عِطْفِهِ الْأَكْدَ». وقوله «تَزِدِّي» فِي مَوْضِعِ الْحَالِ، وَالْعَامِلُ فِيهِ جَاءَتْ. وَالرَّذِيَانِ: ضَرَبٌ مِنَ الْمَشْيِ. قَوْلُهُ «مَمْلُوءَةٌ» فِي مَوْضِعِ الْحَالِ، وَالْعَامِلُ فِيهِ تَزِدِّي. وَالْحَرْدُ: الْقَضْدُ، وَفِي الْقُرْآنِ: ﴿عَلَى خَرَى قَدِيرِينَ﴾ [الْقَلَمُ: الْآيَةُ ٢٥]، أَيِ عَلَى جِدٍّ مِنْ أَمْرِهُمْ، وَالْمَعْنَى: إِذَا جَاءَتْ الْخَيْلُ الْعِتَاقُ قَدْ حَمِيَتْ وَنَشِطَتْ فَاِمْتَلَأَتْ غَضَبًا، وَصَارَ مَشْيُهَا رَذِيَانًا، كَانَ فِي عِطْفٍ هَذَا لَدَدٌ وَاعْتِرَاضٌ، وَفِي مَشْيِهِ اقْتِسَارٌ وَالتَّوَاهُ. وَالْعِطْفُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ: جَانِبُهُ مِنْ لَدُنْ رَأْسِهِ إِلَى وَرِكَه. وَيُقَالُ: ثَنَى عِطْفَهُ، إِذَا أَغْرَضَ وَجْهًا.

٢٠٤ - وَقَالَ آخِرُ^(١):

١ - لَعَمْرُ أَخِيكَ لَا يَنْفُكَ مِنَّا أَخُو ثِقَةٍ يُعَاشُ بِهِ مَتِينٌ^(٢)
قوله «لَعَمْرُ أَخِيكَ» يَجُوزُ أَنْ يُرِيدَ بِأَخِيكَ نَفْسَهُ، كَأَنَّهُ قَالَ لَعَمْرِي. وَجَعَلَ نَفْسَهُ أَخَاهُ عَلَى طَرِيقِ الْاسْتِعْطَافِ وَتَلَطُّيفِ الْحَالِ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمُخَاطَبُ كَانَ لَهُ أَخٌ يَعِزُّ عَلَيْهِ وَيُقَسِّمُ بِحَيَاتِهِ، فَاقْتَدَى بِهِ فِي ذَلِكَ إِعْظَامًا لَهُ وَلِلْمُقَسِّمِ بِهِ. وَلَعَمْرُ مُبْتَدَأٌ وَخَبَرُهُ مَحْذُوفٌ، كَأَنَّهُ قَالَ لَعَمْرُ أَخِيكَ قَسَمِي أَوْ مَا أَقْسِمُ بِهِ. وَمَعْنَى لَا يَنْفُكَ: لَا يَزَالُ. وَالْمَتِينُ: كُلُّ صُلْبٍ شَدِيدٍ، وَالْمَصْدَرُ الْمَتَانَةُ، وَمَاتَنَتْ الرَّجُلُ مَتَانَةً، إِذَا حَاكَيْتَهُ فَفَعَلْتَ مِثْلَ مَا يَفْعَلُهُ مِنَ الشَّدَّةِ. يَقُولُ: وَبَقَاءُ أَخِيكَ لَا يَزَالُ مِثْلًا أَخٌ يُوَثِّقُ بُوْدُوهُ، وَيُخَسِّنُ الظَّنَّ بِنِيَابَتِهِ، وَيُعَاشُ بِهِ وَفِي ظِلِّهِ، جَلَدٌ قَوِيٌّ عَزِيزٌ.

٢ - مُفِيدٌ مُهْلِكٌ وَلِزَارٌ خَضَمٌ عَلَى الْمِيزَانِ ذُو زِنَةٍ رَزِينٌ

(١) التبريزي: «وقال أيضا أي قبضة بن النصراني».

(٢) التبريزي: «لعمرك أبيك».

قوله «مُفِيدٌ مُهْلِكٌ» مثل قول الآخر: [الطويل]

مُفِيدٌ مُفِيْتُ^(١)

ويكون أفادَ متعديًا إلى مفعولين، وقد حَدَّثَهُمَا، وكذلك مُفِيْتُ. ويجوز أن يكون أفاد بمعنى استفاد، فيكون معنى مُفِيدٌ مُهْلِكٌ: كَسُوبٌ بِالْعَزْوِ مِنْفَاقٌ. والأول أَصْلَحُ في هذا. وقوله «لِزَارٌ خَضَمٌ» لِزَارٌ كَالسَّنَادِ وَالْعِمَادِ وما أشبههما. واللُّزُّ أصله اللُّزوم والثَّبَاتُ. على ذلك قولهم لِزَارٌ الباب. ثم توسَّعوا فقليل هو مِلَزٌ في الخصومة وَلِزَارٌ؛ وهو مُلَزَزُ الخَلْقِ، أي مُجْتَمِعُهُ. يقول: يفيدُ أولياءَهُ الخيرَ والعُثمَ ويُهْلِكُ أعداءَهُ، ثم يَلْزَمُ خَضَمَهُ فلا يفارقه أو يَغْلِيهِ. وإذا وُزِنَ بغيره رَجَحَ عليه في السَّبْرِ والاختبار، فإذا اسْتَخِفَّ ذلك كان هو وقورًا رزينا. ويقال: رزِينٌ بَيْنَ الرِّزَانَةِ، وامرأةٌ رَزَانٌ.

٣ - يَزِيدُ نَبَالَةً عَنْ كُلِّ شَيْءٍ وَنَافِلَةً بِبَعْضِ الْقَوْمِ دُونَ

نَبَالَةً مصدرُ نَبَلٍ. والنَّافِلَةُ: الفضل. ودُونَ، حَقِيقَتُهُ الْقَاصِرُ عَنْ الشَّيْءِ. ويقال هو دُونَكَ فِي الْحَسَبِ عَلَى التَّوَسُّعِ، هذا إِذَا كَانَ ظَرْفًا. ويقال: هو دُونَ فِي الرِّجَالِ، وما هو بدُونٍ، فَيُجْعَلُ اسْمًا، والذي في البيت هو على هذا. يقول: ومع اجتماع هذه الْخِصَالِ فِيهِ سَرَوْ وَتَبَلَّ، وَحِمِيَّةٌ وَعِزٌّ، فَيَفْضَلُ عَلَى كُلِّ نَبِيلٍ، وَيَعْلُو عَلَى كُلِّ ذِي شَأْنٍ نَبِيٍّ، وَيَغْضُ الْقَوْمَ سَاقِطٌ قَاصِرٌ، متَأَخِّرٌ نَاقِصٌ.

٢٠٥ - وقال خُفَافٌ بن نُدْبَة^(٢): [المقارب]

١ - أَعْبَاسُ إِنْ الَّذِي بَيْنَنَا أَبَى أَنْ يَجَاوِزَهُ أَرْبَعُ

المخاطَبُ عَبَّاسُ بن مِرْدَاسٍ، ومراد الشاعر أن يقول: يا عَبَّاسُ، إِنَّ الْحُرُمَاتِ الْأَرْبَعِ الَّتِي تَجْمَعُنِي وَإِيَّاكَ، مَنَعَتْ أَنْ يَتَخَطَّاهَا مَا بَيْنَنَا مِنَ الشَّرِّ، فَهُوَ يَقِفُ دُونَهَا، وَيَقْصُرُ عَنْ تَجَاوُزِهَا. وظاهرُ الكلام فيه قَلْبٌ، لأنه جَعَلَ الْفِعْلَ الَّذِي هُوَ الْمَجَاوِزَةُ لِلأَرْبَعِ، والأربع هي الْآبِيَّةُ من أن يجاوزها ما حَدَثَ بينهما. وَصَلَحَ ذلك لأنَّ المراد

(١) لكعب بن سعد الغنوي في أمالي القالي ٢: ١٤٨، وتماه:

«مفيد مفيت العائدات معود لفعل الندى والمكرمات كسوب»

(٢) خفاف بن ندبة: بن عمير بن الحارث بن الشريد السلمي، من مضر أو خراشة، شاعر فارس من أغربة العرب، أخذ السواد من أمه ندبة (ت ٢٠ هـ / ٦٤٠ م) ترجمته في: الإصابة ١: ٤٥٢، والشعر والشعراء ١٢٢.

لا يَلْتَبِسُ من الكلام. وعلى هذا قول الآخر: [المديد]

كما أَسْلَمْتُ وَخَشِيَّةٌ وَهَقًّا^(١)

لأنَّ الوَهَقَ يُسَلِّمُ الْوَخْشِيَّةَ. ويمكن أن يقال: إذا تَعَدَّى أَحَدُ الشَّيْئَيْنِ صَاحِبَهُ فَقَدْ صَارَ الْآخَرُ كَأَنَّهُ تَعَدَّاهُ، وإذا كان كذلك سَأَغُ أَنْ يُجْعَلَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا الْمَجَاوِزَةُ.

٢ - عَلَاتِقٍ مِنْ حَسَبٍ دَاخِلٍ مَعَ الْإِلِّ وَالنَّسَبِ الْأَرْفَعُ

٣ - وَأَنْ نَبِيَّةَ رَأْسِ الْهَجَا ءِ بَيْنِي وَبَيْنَكَ لَا تُطْلَعُ

هذا تفسير الْخِصَالِ الْأَرْفَعِ الَّتِي أَجْمَلَهَا. والعلائق، جمع عِلَاقَة، وهو ما يُتَعَلَّقُ بِهِ مِنَ الشَّيْءِ أَوْ يُعَلَّقُ بِهِ الشَّيْءُ. وقوله «مَنْ حَسَبٍ دَاخِلٍ مَعَ الْإِلِّ»، فَالْحَسَبُ: الشَّرَفُ. وَالْإِلُّ: الْعَهْدُ. ومعنى دَاخِلٍ مَعَهُ، أَيْ مَخْتَلِطٌ بِهِ. وَالنَّسَبُ الْأَرْفَعُ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ يَعْني بِهِ النَّسَبُ مِنْ قَبْلِ الْأَبِ، لِأَنَّهُ أَرْفَعُ النَّسَبِينَ، وَيَجُوزُ أَنْ يَعْني النَّسَبَ الرَّفْعَ الْعَلِيِّ. وَقَدْ حَصَلَ إِلَى هَذِهِ الْغَايَةِ مِنَ الْعِلَاقِ ثَلَاثٌ: حَسَبٌ، وَنَسَبٌ، وَعَهْدٌ بَيْنَهُمَا، وَالْعِلَاقَةُ الْبَاقِيَةُ هِيَ مَذْكُورَةٌ فِي الْبَيْتِ الَّذِي يَلِيهِ، وَهُوَ قَوْلُهُ:

وَأَنْ نَبِيَّةَ رَأْسِ الْهَجَا ءِ بَيْنِي وَبَيْنَكَ لَا تُطْلَعُ

كَأَنَّهُمَا كَانَا تَعَاقِدًا أَنْ لَا يَهْجُوا أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ، لَا يَذْكُرُهُ فِي الشُّعْرِ نَاحِيًا أَثْلَتُهُ. وَجَعَلَ لِرَأْسِ الْهَجَاءِ عَقَبَةً ثَنِيَّيَ بِشَقَّتِهَا مِنْ يَرِيدُ قَطْعَهَا. وَيُقَالُ: طَلَعَ الثَّنِيَّةَ وَأَطْلَعَهَا، إِذَا أَشْرَفَ عَلَيْهَا. فَإِنْ قِيلَ: وَمَا الْفَصْلُ بَيْنَ الْحَسَبِ وَالنَّسَبِ؟ قُلْتُ: إِنَّ الْحَسَبَ مَا يُعَدُّ مِنَ الْخِصَالِ الْكَرِيمَةِ، وَتَرَى الْحَسِبَ يَوْجِبُ لِلْحَسِبِ وَيَعْرِفُ لَهُ بِحَسَبِهِ مَحَلًّا وَقَدْرًا، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمَا قُرْبَى وَلَا قَرَابَةً. وَالنَّسَبُ يَرِيدُ بِهِ الرَّحْمُ وَالْقَرَابَةُ. فَإِنْ قِيلَ: فَمَا مَعْنَى الْإِلِّ، وَمَا الْفَرْقُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْخِصْلَةِ الرَّابِعَةِ، وَهِيَ التَّعَاقُدُ عَلَى تَرْكِ الْهَجَاءِ وَأَطْرَاحِهِ؟ قُلْتُ: الْإِلُّ: الْعَهْدُ، بِذَلِكَ فَسَّرَهُ أَبُو عُبَيْدَةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا يَرْفُؤُونَ فِي مَوْئِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً﴾ [التَّوْبَةُ: الْآيَةُ ١٠]. كَأَنَّهُمَا كَانَا تَوَاقُّعًا عَلَى أَنْ لَا يُدَبَّرَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى صَاحِبِهِ، وَلَا يَسْعَى فِي نَضْبِ الْمَكَائِدِ لَهُ - فَهَذَا مِيثَاقٌ بَيْنَهُمَا - ثُمَّ اتَّفَقَا أَيْضًا عَلَى أَنْ لَا يَتَهَاجِيَا. وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَالْفَصْلُ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ ظَاهِرٌ، كَمَا ظَهَرَ بَيْنَ الْحَسَبِ وَالنَّسَبِ.

(١) بلا نسبة في المحتسب ٢: ١١٨ وتامه:

«أَسْلَمُوها فِي دِمَشْقَ كَمَا أَسْلَمْتُ وَخَشِيَّةٌ وَهَقًّا»

٤ - وَأَبْغَضُ إِلَيَّ بِإِتْيَانِهَا إِذَا أَنَا لَمْ أَتَسْهَأْ أَذْفَعُ^(١)

قوله «وَأَبْغَضُ إِلَيَّ بِإِتْيَانِهَا» اسْتَعِيرَ فِيهِ بِنَاءُ الْأَمْرِ لِلْخَبَرِ، لِأَنَّ مَعْنَاهُ التَّعَجُّبُ والتعجب خَبَرٌ، وَهُمْ يَسْتَعِيرُونَ الْمَبَانِي لِلْمَعَانِي، كَمَا يَسْتَعِيرُونَ الْجُمْلَ وَالْمَفْرَدَاتِ. وَهَذَا كَمَا يُسْتَعَارُ بِنَاءُ الْخَبَرِ لِلْأَمْرِ كَقَوْلِهِ: ﴿وَالْمَلَأْتُكَ يَرْبَصَةً﴾ [البقرة: الآية ٢٢٨]. وَمَوْضِعُ بِإِتْيَانِهَا رَفَعَ عَلَى أَنَّهُ فَاعِلٌ، كَأَنَّهُ قَالَ بَغَضَ إِتْيَانُهَا إِلَيَّ جِدًّا. يَقُولُ: مَا أَبْغَضَ إِتْيَانُ عَقَبَةِ الْهَجَاءِ وَأَطْلَاعُهَا إِلَيَّ، لِأَنِّي أَرَبًا بِنَفْسِي عَنْهُ وَقَدْرِي، وَأَصُونُ مِنْهُ دِينِي وَعِرْضِي، وَأَتَنَاسَى فَعَلَ ذَلِكَ فَلَا يَكُونُ مِنْ هَمِّي. وَلَوْ لَمْ أَتْرُكْهَا تَأْتِمًا وَتَكْرُمًا ثُمَّ أَرَدْتُ مَنَاقِضَتَكَ وَمَقَادَعَتَكَ، لَكَانَ مَا تَعَاوَدْنَا عَلَيْهِ مِنْ تَرْكِهِ يَدْفَعُنِي عَنْهُ، وَيَمْنَعُنِي مِنْهُ. فَإِذَا ظَرَفَ لِقَوْلِهِ أَذْفَعُ^(٢).

٢٠٦ - وَقَالَ بَغَضُ اللَّصُوصِ مِنْ طَيِّئٍ^(٣): [الوافر]

١ - وَلَمَّا أَنْ رَأَيْتُ أَبْنِي شَمِيطَ بَسِكَتِ طَيِّئٍ وَالْبَابُ دُونِي

٢ - تَجَلَّلْتُ الْعَصَا وَعَلِمْتُ أَنِّي رَهِيْنُ مُخَيِّسٍ إِنْ أَذْرَكُونِي

الشَّعْرُ لِبَعْضِ الْمُتَلَصُّصَةِ، وَكَانَ أَتَاهِي حَالُهُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ بِالْكُوفَةِ، فَوَجَّهَ فِي طَلَبِهِ ابْنِي شَمِيطَ، فَأَحْسَنَ بِذَلِكَ وَرَكِبَ فَرَسَهُ الْعَصَا فَتَجَا بِهِ، وَذَكَرَ قِصَّتَهُ فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ. وَقَوْلُهُ «وَالْبَابُ دُونِي» يَعْنِي بَابَ الْبَلَدِ وَالْمَسَالِحِ. وَقَوْلُهُ «تَجَلَّلْتُ الْعَصَا» جَوَابُ لَمَّا، أَيَ زَكَّيْتُهُ عَلَى جُلِّهِ وَلَمْ أَتْلُومَ لِإِسْرَاجِهِ، خَوْفًا عَلَى نَفْسِي، وَعِلْمًا أَنِّي إِنْ تَوَقَّفْتُ أَوْدِغْتُ السَّجْنَ مُزْنَتَهَا بِمَا كَسَبَتْ يَدِي. وَ«مُخَيِّسٌ»: اسْمُ سَجْنٍ بَنَاهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَالتَّخْيِيسُ: التَّذْلِيلُ، وَأَصْلُهُ فِي الْكَذْبِ.

(١) التبريزي: «لم أنها أدفع».

(٢) روى التبريزي بعد هذه الحماسية مقطوعة أخرى لمعبد بن علقمة:

١ - غَيَّبْتُ عَنْ قَتْلِ الْحَتَاتِ وَلِيْنَتِي شَهِدْتُ حُتَاتًا حِينَ ضُرْجَ بِالدِّمِ

٢ - وَفِي الْكَفِّ مِنْ صَارَمٍ ذُو حَقِيقَةٍ مَتَى مَا يُقَدِّمُ فِي الضَّرِيبَةِ يُقَدِّمُ

٣ - فَيَعْلَمُ حَيًّا مَالِكٍ وَلَفِيْفُهَا بَأَنَّ لَسْتَ عَنْ قَتْلِ الْحَتَاتِ بِمَحْرَمِ

٤ - فَقُلْ لَزْهَيْرٍ إِنْ شَتَمْتَ سَرَاتِنَا فَلَسْنَا بِشَتَامِيْنَ لِلْمَتَشَتِّمِ

٥ - وَلَكِنَّا نَأْبَى الظَّلَامَ وَنَعْتَصِي بِكُلِّ رَقِيْقٍ الشَّفَرَتَيْنِ مَصْنَمِ

٦ - وَتَجْهَلُ أَيْدِينَا وَيَحْلُمُ رَأْيُنَا وَنَشْتُمُ بِالْأَفْعَالِ لَا بِالتَّكْلِمِ

٧ - وَإِنَّ التَّمَادِي فِي الَّذِي كَانَ بَيْنَنَا بِكَفْيِكَ فَاسْتَأْخِرْ لَهْ أَوْ تَقْدِمْ

(٣) التبريزي: «قال أبو هلال: هو شبيب بن عمرو بن كريب، وكان يصيب الطريق في أيام علي».

على هذا قال النابغة: [البسيط]

وَحَيْسَ الْجِنِّ إِنِّي قَدْ أَذْنْتُ لَهُمْ يَبْنُونَ تَذْمُرَ بِالْصُّفَّاحِ وَالْعَمَدِ^(١)
ويقال في الشتم: حَيْسَ أَنْفُهُ فِيمَا يَكْرَهُ، كَمَا يَقَالُ: أَرْغَمَ أَنْفُهُ.

٣ - وَلَوْ أَنِّي لَبِئْتُ لَهُمْ قَلِيلًا لَجَرُونِي إِلَى شَيْخِ بَطِينِ
٤ - شَدِيدِ مَجَامِعِ الْكَتِفَيْنِ بَاقٍ عَلَى الْحَدَثَانِ مُخْتَلِفِ الشُّؤُونِ

قوله «قليلًا» يجوز أن يكون ظَرْفًا، يريد زمانًا قليلًا، ويجوز أن يكون صفةً لَمْضَدٍ محذوف، يريد بُنًا قليلًا. فيقول: لم أتمكث للطالبيين لما عرفتُ الحال، ولم أتباطأ معرجًا على إعداد شيء، ولو ظفروا بي لجروني إلى حضرة رجل عظيم البطن شَيْخٍ، وذلك صفة أمير المؤمنين عليه السلام. ولقد روي عن النبي صلوات الله عليه في عِظَمِ بَطْنِهِ أَنَّهُ قَالَ: «هُوَ لَكثَرَةُ عِلْمِهِ». وقوله «شديد مجامع الكتفين» من صفته إلى آخر البيت. يريد أنه شديد الظهر، قوي المثنى، مجتمع الخلق، وذلك خلقه الأسد. وقوله «باقٍ على الحدثان» يعني صبره في حوادث الدهر، وانتصابه في وجوه بُغَاةِ الْجَوْرِ، لا يأخذه في طلب الحق وإمضائه لومة لائم، واعتراض ممانع، ولا يلفته عن هديه وعلمه وورعه، وبأسه وإقدامه في ذات الله، وجُبْنِهِ عن محارم الله، وتعقُّفه عن احتجاز المطامع، وابتناء المصانع، مع قلة الاحتفال باكتساب رضا خلقه، إذا أداه إلى سَخَطِ رَبِّهِ، إلى ما لا يكاد يجتمع إلا في مثله، ويطول الكلام بعده وضبطه. وفي هذه الطريقة وإن اختلف الوصفان والموصوفان قول الآخر: [الطويل]

قَلِيلُ التَّشْكِي لِلْمَهْمِ يُصِيبُهُ كَثِيرُ الْهَوَى شَتَّى التَّوَى وَالْمَسَالِكِ^(٢)

٢٠٧ - وَقَالَ حُرَيْثُ بْنُ عَنَابٍ^(٣): [الطويل]

١ - لَمَّا رَأَيْتُ الْعَبْدَ نَبْهَانَ تَارِكِي بِلْمَاعَةٍ فِيهَا الْحَوَادِثُ تَخْطُرُ
٢ - نُصِرْتُ بِمَنْصُورٍ وَيَابَتْنِي مُعْرَضٍ وَسَفْدٍ وَجَبَّارٍ بَلِ اللَّهِ يَنْصُرُ

(١) للنابغة الذبياني في ديوانه ٢١، واللسان (عمد، دمر)، وكتاب العين ٤: ٢٨٨.

(٢) لتأبط شراً في الحماسة رقم (١٣).

(٣) التبريزي: «قال حُرَيْثُ بْنُ عَنَابٍ بْنُ مَطَرٍ بِنِ سُلَيْسَةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ عَوْفٍ».

٣ - ولله أعطاني المَوَدَّةَ مِنْهُمْ وَتُبَّتْ سَاقِي بَعْدَ مَا كِدْتُ أَغْشُرُ

لَمَّا عَلِمَ لِلظَّرْفِ، وَهُوَ لَوْ قَوَّعَ الشَّيْءَ لَوْ قَوَّعَ غَيْرَهُ، وَجَوَابُهُ نُصِرْتُ. وَأَرَادَ بَنِي نَبْهَانَ فَذَكَرَ الْجَدَّ وَالْمَرَادَ الْقَوْمَ، وَسَمَّى نَبْهَانَ الْعَبْدَ تَهْجِيًا لَهُ، وَرَمَى إِيَّاهُ بِاللُّؤْمِ. وَاللَّمَاعَةُ: الْمَفَازَةُ يَلْمَعُ فِيهَا السَّرَابُ. وَجَعَلَهَا مَخُوفَةً لَا تَوْمن فِيهَا نَوَائِبُ الدَّهْرِ، وَحَوَادِثُ الْمَوْتِ. وَمَعْنَى تَخْطُرُ تَخْذُتُ وَتَعْتَرِضُ. وَيَقَالُ: رُمِحَ خَطَارًا، أَيَّ شَدِيدِ الْاهْتِرَازِ، وَمِنْهُ خَطَرَانُ الْفَحْلِ بِذَنْبِهِ عِنْدَ الصِّيَالِ. فيقول: لَمَّا وَجَدْتُهُمْ مُتَخَلِّفِينَ عَنِّي وَتَارِكِينَ لِي بِمَفَازَةٍ هَذِهِ صَفَتْهَا، اسْتَنْصَرْتُ غَيْرَهُمْ فَنَصَرَنِي اللَّهُ بِالْأَقْوَامِ الَّذِينَ ذَكَرْتُهُمْ. وَلَا يَمْتَنِعُ أَنْ يَكُونَ اللَّمَاعَةُ كَنَاءَةً عَنِ الْأَمْرِ الشَّدِيدِ وَالِدَاهِيَةِ الْمُتَنَكِّرَةِ. وَيَكُونُ قَوْلُهُ «تَارِكِي بِلَمَاعَةٍ» كَمَا يَقَالُ تَرَكْتُهُ بِحَالَةٍ سَوْءٍ، وَبِأَخْرِ رَمَقٍ، وَمَا يَجْرِي مَجْرَاهُ. وَقَوْلُهُ «فِيهَا الْحَوَادِثُ تَخْطُرُ» جَعَلَهُ مَثَلًا لِمَا لَمْ يَكُنْ يَأْمُنُهُ مِنْ فَنُونِ الْحَوَادِثِ، وَضُرُوفِ الْمَتَالِفِ. ثُمَّ أَخَذَ يَشْكُرُ اللَّهَ عَلَى مَا عَظَفَ عَلَيْهِ مِنْ مِثْلِ الْأَقْوَامِ الَّذِينَ أَغَاثُوهُ، وَثَنَى إِلَيْهِ مِنْ نَصْرِهِمْ، وَعَلَى تَثْبِيتِ قَدَمِهِ بَعْدَ مَا كَادَتْ تَزُولُ بِهِ، وَتَلَافِيهِ بِحُسْنِ الْاسْتِمْسَاكِ، عِنْدَمَا ظَنَّ مِنْ إِشْرَافِ الْهَلَاكِ.

٤ - إِذَا رَكِبَ النَّاسُ الطَّرِيقَ رَأَيْتَهُمْ لَهُمْ قَائِدٌ أَعْمَى آخِرُ مُبْصِرُ

الضَّمِيرُ مِنْ قَوْلِهِ «لَهُمْ قَائِدٌ» يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ لِنَاصِرِيهِ، وَهُمْ الَّذِينَ سَمَّاهُمْ، وَيَكُونُ الْكَلَامُ مَذْحًا وَمَا بَعْدَ هَذَا الْبَيْتِ يَتْلُوهُ فِي ذَلِكَ وَيَتَّبِعُ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ لِحَاذِلِيهِ بَنِي نَبْهَانَ، وَيَكُونُ الْكَلَامُ دَمًا، وَمَا بَعْدَهُ يَطْرُدُ مَعَهُ وَيَذْهَبُ. وَوَجْهُ الْمَدْحِ أَنْ يَكُونَ الْمَرَادُ بِقَوْلِهِ «إِذَا رَكِبَ النَّاسُ الطَّرِيقَ» إِذَا انْتَوَى النَّاسُ نِيَّاتَهُمْ، فَسَلَكُوا فِي مَنَاجِعِهِمْ وَمَزَالِفِهِمْ، وَتَصَرَّفَاتِهِمْ وَمَنَاقِلِهِمْ، طَرِائِقَهُمُ الْآمَنَةَ، رَأَيْتَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ لِعَزْمِهِمْ وَمَنْعَتِهِمْ يَسِيرُهُمُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَيَقُودُهُمُ الظُّلُمُ وَالْأَنْوَارُ، لَا يَخْذَرُونَ مَنِيْعًا، وَلَا يَخَافُونَ مُغِيرًا، وَلَا يَنَآيُ عَنْهُمْ اسْتِبَاحَةُ حِمَى، وَلَا يَعْزِضُ لَهُمْ حَيْثُمَا تَوَجَّهُوا أَدَى. فَالْقَائِدُ الْأَعْمَى هُوَ اللَّيْلُ، وَالْآخِرُ الْمُبْصِرُ هُوَ النَّهَارُ. وَوَجْهُ الذَّمِّ أَنَّهُمْ لَجْهَلِهِمْ وَسَوْءِ تَأْتِيهِمْ، إِذَا أَبْصَرَ النَّاسُ مَرَاشِدَهُمْ وَاسْتَبْصَرُوا فِيمَا يُقْدِمُونَ عَلَيْهِ أَوْ يُخْجِمُونَ عَنْهُ وَجَدَتْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ يَسْتَضِيئُونَ بِرَأْيِ كُلِّ أَحَدٍ، وَيَسْتَشِيرُونَ كُلَّ ذِي نِخْلَةٍ وَمَذْهَبٍ، فَيَزِيدُهُمْ جَمَاعَةً وَيَغْوِيهِمْ آخَرُونَ، عَلَى حَسَبِ اخْتِلَافِ الْآرَاءِ وَالْمَقَاصِدِ، لَا بِبَصِيرَةٍ تُمَسِّكُهُمْ، وَلَا عَزِيمَةً تُغْلِيهِمْ وَتَجْذِبُهُمْ، فَهُمْ تَبَّعٌ لِكُلِّ نَاعِقٍ، وَجَوَابٌ لِكُلِّ نَادِبٍ.

٥ - لَهُمْ مَنْطِقَانِ يَفَرِّقُ النَّاسَ مِنْهُمَا وَلَخْنَانٍ مَعْرُوفٌ وَآخَرُ مُنْكَرٌ

إذا جُعِلَ الكلامُ مَذْحًا على ما قَدَّمْتُهُ وَرَتَّبْتُهُ يكون معنى «لَهُمْ مَنْطِقَانِ» أَنَّهُمْ خطباء شعراء، فَالْأَناسُ يَزْهَبُونَ نَظْمَهُمْ وَتَثَرَهُمْ، وَيَهَابُونَ أَلْسِنَتَهُمْ وَأَقْوَالَهُمْ فِي مَجَالِسِ الْمُلُوكِ، وَأَنْدِيَةِ الْإِحْتِفَالِ. وَمَعْنَى «وَلَخْنَانٍ مَعْرُوفٌ وَآخَرُ مُنْكَرٌ» أَنَّ لَهُمْ اصْطِنَاعًا لِمَوَالِيهِمْ فَلَخْنُهُمْ فِيهِ لَحْنٌ مَعْرُوفٌ حَسَنٌ مَرْجُوءٌ، وَاسْتِصْنَاءًا لِمُعَادِيهِمْ فَلَخْنُهُمْ فِيهِ لَحْنٌ مُنْكَرٌ مَخُوفٌ. وَفِي طَرِيقَةِ هَذَا الْوَجْهِ قَوْلٌ نُصِيبُ: [الطويل]

يُحْيَوْنَ بِسَامِيْنَ طَوْرًا وَتَارَةً يُخَيِّوْنَ عَبَّاسِينَ شَوْسَ الْحَوَاجِبِ
وَاللَّخْنُ: الْمَعَارِضُ، وَفِي الْقُرْآنِ: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ [مَحَمَّدُ: الْآيَةُ ٣٠]. وَأَصْلُهُ الْعُدُولُ وَالْمِيلُ عَنِ الظَّاهِرِ. وَإِذَا جُعِلَ دَمًا لِأَوَّلِكَ الْقَوْمِ يَكُونُ الْمَعْنَى أَنَّهُمْ ذُووُ وَجُوهٍ فِي لِقَاءِ النَّاسِ مُخْتَلِفَةٍ، وَأَقْوَالٍ غَيْرِ صَادِقَةٍ، فَلِكُلِّ مِنْهُمْ مَنْطِقَانِ: أَحَدُهُمَا فِي التَّقْوَلِ وَالتَّنْفِقِ، وَالْآخَرُ فِي الْبُهْتِ وَالتَّخْرِصِ، عَرَفَهُمَا النَّاسُ فَهُمْ يَفَرِّقُونَ مِنْهُمَا. وَلَهُمْ تَعْرِضَانِ بَعْدَهُمَا: أَحَدُهُمَا يَغْتَادُونَهُ عِنْدَ نَكْثِ الْعُهُودِ وَنَقْضِ الْعُقُودِ، وَقَدْ عَرَفَهُ النَّاسُ فَهُوَ مَشْهُورٌ مِنْ أَعْيَالِهِمْ؛ وَالْآخَرُ يَتَعَاظُونَهُ عِنْدَ إِعْمَالِ حِيلَةٍ، وَإِمْضَاءِ غِيَلَةٍ، فَهُوَ خَافٍ بَعْدَ مُنْكَوْرٍ.

٦ - لِكُلِّ بَنِي عَمْرٍو بَنِي عَوْفٍ رِبَاعَةٌ وَخَيْرُهُمْ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ بُخْتَرٌ

قَوْلُهُ «لِكُلِّ بَنِي عَمْرٍو بَنِي عَوْفٍ رِبَاعَةٌ»، أَيُّ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ أَمْرٌ مُسْتَقِيمٌ، وَتَدْبِيرٌ مُرَضِيٌّ، وَأَفْضَلُهُمْ فِي السَّرِّاءِ وَالضَّرِّاءِ بُخْتَرٌ بَنِ عَتُودٍ. وَيُقَالُ: مَا فِي بَنِي فَلَانٍ أَحَدٌ يَضْبِطُ رِبَاعَتَهُمْ غَيْرُ فَلَانٍ، أَيُّ أَمْرُهُمْ وَشَأْنُهُمْ. وَالنَّاسُ عَلَى رِبَاعَاتِهِمْ وَرِبَاعَتِهِمْ، أَيُّ عَلَى اسْتِقَامَتِهِمْ وَحُكْمِيٍّ: تَرْكَنَاهُمْ عَلَى سَكِنَاتِهِمْ وَرِبَاعَاتِهِمْ، أَيُّ عَلَى حَالَتِهِمْ الْحَسَنَةِ. وَلَا يُقَالُ ذَلِكَ فِي غَيْرِ الْحَسَنِ. وَحُكْمِيٌّ أَيْضًا: هُوَ عَلَى رِبَاعَةٍ قَوْمِهِ، وَهُوَ ذُو رِبَاعَةٍ قَوْمِهِ، أَيُّ سَيِّدُهُمْ وَمُدَبِّرُهُمْ. فَعَلَى هَذَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى لِكُلِّهِمْ ذُو رِبَاعَةٍ، فَحَذَفَ الْمُضَافَ. وَيُؤَيِّدُ هَذَا قَوْلُهُ «وَخَيْرُهُمْ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ بُخْتَرٌ». وَقَدْ حُكِيَ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ مَعَانٍ غَرِيبَةٌ فَتَفَهَّمْهَا.

٢٠٨ - وَقَالَ أَبَانُ بْنُ عَبْدِ بْنِ الْعِيَارِ: [الطويل]

١ - إِذَا الدِّينُ أَوْدَى بِالْفَسَادِ فَقُلْ لَهُ يَدْعَانَا وَرَأْسًا مِنْ مَعَدُ نُصَادِمُهُ

الدِّينُ يَجُوزُ أَنْ يَرَادَ بِهِ الطَّاعَةُ وَالْإِتْلَافُ هُنَا. وَمَعْنَى أَوْدَى بِالْفَسَادِ: هَلَكَ بِفَسَادِ ذَاتِ الْبَيِّنِ. وَيَجُوزُ أَنْ يَرَادَ بِهِ دِينُ الْإِسْلَامِ، وَمَعْنَى أَوْدَى بِالْفَسَادِ أَوْقَعَ بِمَا ظَهَرَ

من وُلاة الأمر، جعلوا الخلافة مُلكًا، وفَيء المسلمِينَ مِلْكًا. وقيل أراد بالفَسَادِ الحربَ المعروفةَ بحرب الفَسَادِ، وَسَمِيَتْ بذلك لتناهي الشَّرِّ والِحَقْدِ بين أهلِها، ويقالُ إنَّ الواحدَ منهم كان يَخْصِفُ نَعْلَهُ بأُذُنٍ مَقْتُولِهِ ويشرب الماءَ في قِخْفِ رَأْسِهِ. ويكونُ المرادُ بالذِّين في هذا الوجه ائتلافَ العشيرة، لأنَّ هذه الحزبَ كانت في أحياء طَبِئ. والرَّأْسُ: الجماعة الكثيرة. قال: [الرجز]

وَرَأْسُ أَغْدَاءٍ شَدِيدٍ أَضْمُهُ سِرْنَا إِلَيْهِ إِذْ غَرَانَا أَغْظَمُهُ^(١)

وقوله «نُصَادِمُهُ» أي نُدَافِعُهُ ونُصَاكُهُ. فيقول: إذا ارتفعت دعوةُ الائتفاق والائتلاف من بين العشائر، وَيَطْلَت طَاعَةُ بعضهم لِلْبَغْضِ، وَسَقَطَ التَّعَاوُنُ والتَّجْمُعُ منهم بما يَعْهُمُ من المُبَايَنَةِ، وَيَظْهَرُ فيهم من أثرِ العُقُوقِ والمُشَاقَّةِ، فَقُلْ له لِيَتَرَكُنَا وَجَنِينَا عَظِيمًا من قِبَالِ مَعَدٍّ نُدَافِعُهُ ونَحَارِبُهُ. وإذا كان بيننا التَّوَارُرُ والتَّأَلُّفُ لم نُبَالِ بِقِبَالِ مَعَدٍّ كُلِّهَا. قوله «نُصَادِمُهُ» في موضع الحال، أي مُصَادِمِينَ له. وقوله «يَدْعُنَا» إن شئتَ قُلْتَ انجَزَمَ بلامِ الأمرِ وقد حُذِفَ، كأنه قال: قُلْ له لِيَدْعُنَا. وإن شئتَ قُلْتَ انجَزَمَ على أن يكونَ جوابُ أمرٍ محذوفٍ، كأنه قال: قُلْ له دَعَهُمْ يَدْعُنَا. وعلى هذا قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ [إبراهيم: الآية ٣١]، كأنه قال قل لهم افْعَلُوا يَفْعَلُوا.

٢ - بِبَيْضِ خِفَافٍ مُزْهَفَاتٍ قَوَاطِعٍ لِدَاوُدَ فِيهَا أَثَرُهُ وَخَوَاتِمُهُ

الباءُ من قوله «بِبَيْضِ» تَعَلَّقَ بِنُصَادِمِهِ من البيت الأول. ويعني بها السُّيُوفُ. وجعلها خِفَافًا لِسُرْعَةِ الضَّارِبِينَ بها في إعمالِها. والمُزْهَفَاتُ: المُرَقَّقاتُ الحَدَّ، المَوَاضِي في الضَّرَائِبِ. وقال: لِدَاوُدَ فِيهَا خَوَاتِمُ، يريدُ عِتْقَهَا. وداوُد عليه السلام إِنَّمَا سَرَدَ الدُّرُوعَ لَمَّا لَئِنَ اللهُ الحَديدَ له مُعْجَزَةٌ لا السُّيُوفُ، لكن القَصْدُ إلى العِتْقِ والقَدَمِ، لا إلى الطَّنْبِ والعَمَلِ. وقيل فيه إِنَّهُ قَدَّرَ أَنَّ الأَمْرَ في نسبة السُّيُوفِ والدُّرُوعِ إلى داودَ على سَوَاءٍ، لَجَهْلِهِ. والأثرُ: فِرْنَدُ السَّيْفِ. وَذَكَرُ الخَوَاتِمِ مَثَلٌ، أي هي مما اتَّخَذَ في أَيَّامِهِ، واستعمل تحت خَوَاتِمِهِ.

٣ - وَزَقِ كَسَنَهَا رِيَشَهَا مَضْرَحِيَّةً أَثِيثَ خَوَافِي رِيَشَهَا وَقَوَادِمُهُ

٤ - بِجَنِيشٍ تَضِلُّ البُلُقُ فِي حَجَرَاتِهِ بِشَرِبَ أَخْرَاهُ وَبِالشَّامِ قَادِمُهُ

(١) للعجاج في ديوانه ٢: ٢٣٦، واللسان (أضم).

يَعْنِي بِالرُّزْقِ نَصَالًا مَجْلُوءَةً قُدِّدَتْ بِرِيَشِ صَقِيرٍ. وَالْمَضْرَجِيُّ: الْكَرِيمُ مِنَ الصُّقُورِ، وَقِيلَ هُوَ مَا طَالَ جَنَاحُهُ مِنْهَا؛ وَتَوَسَّعَ فِيهِ فَقِيلَ لِلسَّيِّدِ السَّرِيِّ هُوَ مَضْرَجِيٌّ. وَقَالَ: «كَسَتْهَا رِيَشَهَا مَضْرَجِيَّةٌ» عَلَى الْمَجَازِ، لَمَّا كَانَ الْقُدُّ مِنْ جَنَاحِهَا. وَجَعَلَ فِي الْقَوَادِمِ - وَهِيَ كِبَارُ الرِّيشِ - فِي الْخَوَافِي - وَهِيَ صَغَارُهُ - أَثَانَةً وَجُثُولَةً، نَفْيًا لِلْحَرَقِ وَالْفَسَادِ عَنْهَا. وَذَكَرَ أُثَيْثًا لِأَنَّهُ أَجْرِي مَجْرَى الْفَعْلِ، وَتَأْنِيثُ الْخَوَافِي لَيْسَ بِحَقِيقَتِي. وَقَوْلُهُ «بَجِيشٍ تَضِلُّ الْبُلُقُ فِي حَجَرَاتِهِ» يَصِفُهُ بِالْكَثَرَةِ - أَلَا تَرَى أَنَّهُ جَعَلَ لَهُ حَجَرَاتٍ، وَهِيَ التُّوَاهِي، وَاحْدَتُهَا حَجْرَةٌ. وَفِي الْمَثَلِ «يَزْبِضُ حَجْرَةً وَيَزْتَعِي وَسَطًا»^(١) - وَأَنَّ الْبُلُقُ مِنَ الْخَيْلِ عَلَى شَهْرَتِهَا إِذَا ضَلَّتْ عَنْ أَرْبَابِهَا فَذَهَبَتْ فِي جَوَانِبِهِ لَمْ يُهْتَدَ إِلَيْهَا. وَقَوْلُهُ «بِيَثْرِبَ أَخْرَاءُ» يَعْنِي مَدِينَةَ الرَّسُولِ عَلَيْهِ السَّلَامُ. يَرِيدُ أَنَّ جَيْشَهُ يَأْخُذُ مِنَ الْأَرْضِ، لِكَثْرَتِهِ، مَا بَيْنَ الْمَدِينَةِ إِلَى الشَّامِ.

٥ - إِذَا نَحْنُ سِرْنَا بَيْنَ شَرْقٍ وَمَغْرِبٍ تَحَرَّكَ يَفْظَانُ الشَّرَابِ وَنَائِمُهُ

لَمْ يَرْضَ بِمَا انْتَهَى إِلَيْهِ مِنَ الْوَصْفِ فِي كَثْرَتِهِ، فزاد وقال: إِذَا سِرْنَا بَيْنَ مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا طَبَّقْنَا الْأَرْضَ بِكَثْرَتِنَا، فَتَنَزَّلَ لَنَا الطَّرِيقُ الْمَسْلُوكَةُ وَغَيْرُ الْمَسْلُوكَةِ. وَالْيَفْظَانُ: مَا وُطِئَ بِالْأَرْجْلِ وَسُئِلَ، فَكَأَنَّ تَرْابَهُ مُتَثَبَةً. وَالنَّائِمُ: الَّذِي لَمْ يُوْطَأْ وَلَمْ يُسَلَّكْ، فَكَأَنَّ تَرْابَهُ نَائِمٌ. وَقَدْ أَحْسَنَ مَا شَاءَ فِي الْإِسْتِعَارَةِ، وَالطَّبَاقُ بِالْثَوَمِ وَالْيَقْظَةُ فَأَمَّا قَوْلُ زَهِيرٍ: [الطويل]

يُهْدُ لَهُ مَا دُونَ رَمْلَةٍ عَالِجٍ وَمَنْ أَهْلُهُ بِالْعَوْرِ زَالَتْ زَلَّالُهُ^(٢)
فقد حَسَنَ التَّقْسِيمَ وَإِنْ كَانَ شَأُوهُ مَقْصُورًا عَنْ شَأُو هَذَا.

٢٠٩ - وَقَالَ أَنَيْفُ بْنُ حَكِيمِ النَّبْهَانِيِّ^(٣): [الطويل]

١ - جَمَعْنَا لَهُمْ مِنْ حَيٍّ عَوْفٍ وَمَالِكٍ كَتَاتِبَ يُرْدِي الْمُقْرِفِينَ نَكَالَهَا

٢ - لَهُمْ عَجَزٌ بِالْحَزَنِ فَالزُّنُلُ فَاللَّوَى وَقَدْ جَاوَزَتْ حَيِّي جَدِيسٍ رِعَالَهَا

قَوْلُهُ «مِنْ حَيٍّ عَوْفٍ وَمَالِكٍ» أَرَادَ مِنْ حَيِّي عَوْفٍ وَمَالِكٍ فَانْكَفَى بِالتَّوْحِيدِ عَنِ التَّثْنِيَةِ وَمِثْلُ هَذَا الْإِكْتِفَاءُ قَوْلُهُ فِي الْبَيْتِ الثَّانِي «وَقَدْ جَاوَزَتْ حَيِّي جَدِيسٍ رِعَالَهَا» لِأَنَّ

(١) المثل في اللسان (حجر)، قال ابن بري: «وهو أن يكون الرجل وسط القوم إذا كانوا في خير، وإذا صاروا إلى شر تركهم وريض ناحية».

(٢) ديوانه ١٤٤.

(٣) هذه الحماسة تكرار للحماسية رقم (٣٣) مع اختلاف بسيط في الرواية.

المراد حيي طسم وجديس فاكْتَفَى بذكر أحدهما عن الآخر، لتجاورهما في الذكر، واشتارهما في العُزف. وقوله «يُرْدِي الْمُقْرِفِينَ نَكَالُهَا» فالإقراف: هُجَّةٌ تُلْحَقُ مِنْ قِبَلِ الْفَحْل. وَخَصَّهُمْ بِالذِّكْرِ لِأَنَّهُمْ عِنْدَهُ لَا يَأْتُونَ مِنَ التَّقْصِيرِ فِي الْحَرْبِ وَالنُّكُولِ، وَلَا يَمْتَعِضُونَ مِنَ الْإِنْهَزَامِ وَالنُّكُوصِ، فَالْبَلَاءُ إِلَيْهِمْ أَسْبَقُ، وَالنُّكَالُ فِيهِمْ أُنْسَطُ. وقوله «لَهُمْ عَجَزٌ بِالْحَزَنِ فَالْزَمْلِ فَالْلَوَى» رَتَّبَ التَّسْقُ بِالْفَاءِ لِمَا يُفِيدُهُ مِنَ التَّعْقِيبِ بِلَا مُهْلَةٍ. وَفِي الْأَمْرِ الْعَامِ يُقْطَعُ الْحَزَنُ - وَهُوَ مَا غَلِظَ مِنَ الْأَرْضِ - إِلَى مَا سَهَلَ مِنَ الزَّمَلِ، وَيُقْطَعُ الزَّمَلُ إِلَى اللَّوَى، وَهُوَ مُسْتَرْقُهُ. وقوله «وَقَدْ جَاوَزَتْ حَيِّي جَدِيسَ» فَإِنَّهُ يَعْنِي بِلَادَ حَيِّي طَسْمَ وَجَدِيسَ، فَحَذَفَ الْمُضَافَ. وَالرُّعَالُ: جَمْعُ الرُّعْلَةِ وَالرُّعِيلِ، وَهُمَا الْجَمَاعَةُ الْمُتَقَدِّمَةُ مِنَ الْجَيْشِ. وَالْمُرَادُ أَنَّهُمْ لِكَثْرَتِهِمْ شَعَلُوا مَا بَيْنَ هَذِهِ الْمَوَاضِعِ. وَمِثْلُهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ قَوْلِهِ: [الطويل]

بِيشَرِبْ أَخْرَاهُ وَبِالشَّأْمِ قَادِمُهُ^(١)

٣ - وَتَخَتْ نُحُورِ الْخَيْلِ حَزَشَفُ رَجَلَةٍ نُسَاحُ لُغْرَاتِ الْقُلُوبِ نِبَالُهَا

الْحَزَشَفُ: الْجَمَاعَةُ مِنَ الرَّجَالَةِ. وَيُقَالُ: رَاجِلٌ وَرَجُلٌ وَرَجَلَةٌ وَرَجَالَةٌ لِلْمُشَاةِ عَلَى أَرْجُلِهِمْ. وَصَفَّهُمْ بِأَنَّهُمْ فِيهِمْ رُمَاةٌ وَأَنَّهُمْ عِنْدَ التَّغْيِيَةِ تَتَقَدَّمُ الرَّجَالَةُ الرُّمَاةُ، وَخَلْفَهُمُ الْفُرْسَانُ كَالسَّيْدِ لَهُمْ وَالْإِيَادِ، يَمْنَعُونَهُمْ مِمَّا يُشَرِّدُهُمْ أَوْ يُغَيِّرُ نَظْمَهُمْ؛ ثُمَّ وَصَفَهُمْ بِأَنَّهُمْ نِبَالُهُمْ تُقَدَّرُ لِلْقُلُوبِ الْغَارَةِ، لِأَنَّهُمْ حُذَّاقٌ يَصِيبُونَ الْمَقَاتِلَ. وَمَعْنَى «نُسَاحُ» تَهْيَأُ. وَيُقَالُ: تَاحَ يَتَوَحَّ وَيَتَيْحُ، لَغْتَان. وَأَتَاخَ اللَّهُ لَهُ كَذَا. وَالْغُرَاتُ: جَمْعُ غِرَّةٍ، يُقَالُ جَارِيَةٌ غِرَّةٌ: غَرِيرَةٌ. وَيُزَوَّى «لِحَبَاتِ الْقُلُوبِ»، وَالْمَعْنَى ظَاهِرٌ.

٤ - أَبَى لَهُمْ أَنْ يَغْرِفُوا الضَّيْمَ أَنَّهُمْ بَنُو نَاتِقٍ كَانَتْ كَثِيرًا عِيَالُهَا

يَقُولُ: مَنَعَ لَهُمُ التَّزَامُ الضَّيْمِ وَالرُّضَا بِالذَّنْبِ وَقُورُ عَدَدِهِمْ، وَذَلِكَ أَنَّ الْعِرَّةَ فِي الْكَثَرَةِ. وَيُقَالُ: تَنَقَّبَ الْمَرْأَةُ وَالنَّاقَةُ فِيهِ تَنْتَقُ نَتُوقًا، وَهِيَ كَثْرَةُ الْوَلَدِ سُرْعَةُ الْحَمْلِ. وَذَكَرَ الْعِيَالَ اسْتِعَارَةً فِي الْأَوْلَادِ، وَاجِدَهَا عَيْلًا، يُقَالُ: عِنْدَهُ كَذَا عَيْلًا. وَيُقَالُ: عَيْلٌ وَعِيَالٌ، وَهُوَ مُعِيلٌ مُعِيلٌ، أَيُّ كَثِيرِ الْعِيَالِ. وَفَاعِيلُ أَبِي قَوْلُهُ «أَنَّهُمْ بَنُو نَاتِقٍ»، وَأَنْ يَغْرِفُوا فِي مَوْضِعٍ وَبَاقِي الْأَيَّاتِ قَدْ تَقَدَّمَ بِتَفْسِيرِهِ.

(١) البيت الرابع من الحماسية (٢٠٨).

٢١٠ - وقال الكروّس بن زيد^(١): [الطويل]

١ - رَأَيْتَنِي وَمِنْ لُبْسِي الْمَشِيبُ فَأَمَلْتُ غَنَائِي فَكُونِي أَمَلًا خَيْرَ أَمَلٍ
يقول: رَأَيْتَنِي هذه القبيلة، وقد قَتَعَنِي المشيب بخماره، وَتَجَدَّنِي الدهرُ بأحداثه ومصابئه، فَعَلَقْتُ رَجَاءَهَا بَعْنَائِي وكفائتي، وَشَدْتُ أَرْزَهَا لَمَّا تَفَرَّسْتُ فِي نَظْرِي وشهامتي، فَقَوَّيْتُ أَمَلَهَا، وَأَكْدْتُ طَمَعَهَا، وَقُلْتُ: كُونِي أَمَلًا خَيْرَ أَمَلٍ. وهذا الكلام يجوز أن يكون معناه دُومِي على أَمَلِكِ وكُونِي خَيْرَ أَمَلٍ، فَأَصْدُقُ ظَنَّنِي وَأُحَقِّقُ طَمَعَكِ. ويجوز أن يكون دعاء لها، كَأَنَّهُ قَالَ: جَعَلَكِ اللَّهُ خَيْرَ أَمَلٍ. وخير الأملين مَنْ يُبْلَغُهُ اللَّهُ مَأْمُولُهُ، وَيُبَيِّلُهُ طَلَبَتَهُ وَسُؤْلَهُ. وإِنَّمَا قَالَ «كُونِي أَمَلًا» وَلَمْ يَقُلْ أَمَلَةً، لِأَنَّ الْمُرَادَ كُونِي حَيًّا أَمَلًا، فَلَمْ يَقْصِدْ قَضَاهَا.

٢ - لَيْتَنَ فَرَحْتُ بِي مَغْقِلٌ عِنْدَ شَيْبَتِي لَقَدْ فَرَحْتُ بِي بَيْنَ أَيْدِي الْقَوَائِلِ
٣ - أَهْلٌ بِهِ لَمَّا اسْتَهْلَ بِصَوْتِهِ جِسَانُ الْوُجُوهِ لِيَنَاتُ الْأَنَامِلِ

يقول: إِنْ كَانَتْ هَذِهِ الْقَبِيلَةُ سُرْتُ بِي عِنْدَ كِبَرَتِي، وَاسْتِكْمَالِ رَأْيِي وَتَجَرِبَتِي، فَحَقٌّ لَهَا ذَلِكَ، فَقَدْ اسْتَبَشَرْتُ بِي عِنْدَ وِلَادَتِي، وَجِئْتُ هُنْتُتُ بِقَدَمَتِي. والقَوَائِلُ: جَمْعُ الْقَابِلَةِ، وَهِيَ الَّتِي تَقْبَلُ الْوَلَدَ عِنْدَ الْوِلَادَةِ. وَاللَامُ مِنْ قَوْلِهِ «لَيْتَنَ» دَخَلَتْ مُوطِئَةً لِلْقَسَمِ، وَجَوَابُ الْقَسَمِ الْمَنُوبِي «لَقَدْ فَرَحْتُ». وَهَذَا خِلَافُ قَوْلِ الْآخَرِ: [الطويل]

وَهُنَّى بِي قَوْمِي وَمَا إِنْ هَنَأْتُهُمْ وَأَضْبَحْتُ فِي قَوْمِي وَلَيْسُوا بِمَنْبِي^(٢)

وقوله «أَهْلٌ بِهِ لَمَّا اسْتَهْلَ بِصَوْتِهِ» نَقَلَ اللَّفْظَ إِلَى الْغَيْبَةِ بَعْدَ أَنْ كَانَ فِي حَدِيثِ نَفْسِهِ، عَلَى عَادَتِهِمْ فِي تَصَارُيفِهِمْ. يَقُولُ: تَبَاشَرْتُ نِسَاءَ الْحَيِّ عِنْدَ مِيلَادِي، فَرَفَعْنَ أَصَوَاتَهُنَّ بِالشُّكْرِ لِلَّهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ، كَمَا يُهْلُ الْمُلْكِيُّ فِي الْحَجِّ، وَالنَّاطِرُ إِلَى الْهَلَالِ، حِينَ وَقَعَتْ عَنْ أُمِّي، وَاسْتَهْلَلْتُ بِبُكَائِي. وَإِنَّمَا وَصَفَ النِّسَاءَ بِحُسْنِ الْوُجُوهِ وَلَيْنِ الْأَبْدَانِ، لِيَدُلَّ عَلَى أَنَّهُنَّ رِبَائِبُ نِعْمَةٍ وَذَوَاتُ نِعْمَةٍ، لَمْ يُقَاسِينَ شَقَاءَ عَيْشٍ، وَلَمْ يَكْتَسِبِينَ جَلَابِيبَ فَقْرٍ.

(١) التبريزي: «وقال الكروّس بن زيد بن حصن بن مصاد بن مغل» وهو شاعر إسلامي من أهل الكوفة، حبسه مروان بن الحكم (ت نحو ٧٠ هـ / ٦٩٠ م) ترجمته في المرزباني ٣٥٦، والآمدي ١٧١.

(٢) للشنفرى الأزدي في المفضليات رقم (٢٠).

٢١١ - وَقَالَ قَوْلًا^(١): [الطويل]

١ - قُولًا لِهَذَا الْمَرْءِ ذُو جَاءٍ سَاعِيًا هَلُمَّ فَإِنَّ الْمَشْرِفِي الْفَرَائِضُ
قوله «ذو جاء ساعيًا» ذو بمعنى الذي، وهي لفظة طائفة تَجِيءُ بهذه الصورة في كل حالٍ ولا تُغَيَّرُ. وقوله «هَلُمَّ» لهم فيه طريقان: منهم من يجعله اسمًا للفعل فلا يَغَيِّرُهُ عن حاله في المؤنث والتثنية والجمع، وهم أهل الحجاز. وفي القرآن: ﴿وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾ [الأحزاب: الآية ١٨]. ومنهم من يجعله هاء التنبيه وقد رُكِبَ مع لَمْ وهو فِعْلٌ، فيثنيه ويجمعه ويؤنثه. وعلى الطريقتين جميعًا يكون ميمه مفتوحة ولا يُجْرِيهِ مَجْرَى رُدٍّ وَزُرٍّ، فيكسر آخره وَيُضَمُّ وإن كان فِعْلًا، وذلك لأن التركيب قد غَيَّرَهُ فَسَلِبَ بَعْضُ أَحْكَامِهِ. ومعنى البيت: أبلغا المرء الذي جاء واليًا لِلصَّدَقَاتِ وَمُسْتَوْفِيًا لَهَا: أَقْبِلْ وَتَعَالَ، فَإِنَّ الَّذِي تُغَطِّي بَدَلًا مِنَ الْفَرَائِضِ السِّنْفُ. وهذا في جَعْلِهِ الْمَشْرِفِيَّ هُوَ الْفَرَائِضُ مجازًا، كما قال الآخر^(٢): [الوافر]

نَحْيَةٌ بَيْنَهُمْ ضَرْبٌ وَجِيعٌ

والفرائض: الأسنان التي تَضْلُعُ لأن تَوَخَّذَ فِي الصَّدَقَاتِ. وَالْمَشْرِفِي: السِّنْفُ نُسِبَ إِلَى الْمَشَارِفِ: قُرَى لَهُمْ كَانَتْ تُطْبَعُ السُّيُوفُ فِيهَا. وَقَدْ حُكِيَ فِي الْمَرْءِ «الامْرُؤُ» وَقَدْ بَقِيَ أَلْفُ الْوَضَلِ مَعَ دُخُولِ الْأَلْفِ وَاللَّامِ، إِلَّا أَنَّهُ قَلِيلٌ.

٢ - وَإِنَّ لَنَا حَمَضًا مِنَ الْمَوْتِ مُنْقَعًا وَإِنَّكَ مُخْتَلٌ فَهَلْ أَنْتَ حَامِضٌ
العرب تقول: «الْحُلَّةُ خُبْزُ الْإِبِلِ وَالْحَمَضُ فَاكِهَتُهَا». وَمَعْنَى مُنْقَعًا ثَابِتًا، يُقَالُ «أَنْقَعَ لَهُ الشَّرُّ حَتَّى يَسَامَ» أَيْ أَدِمَهُ. وَالْمُخْتَلُ: رَاعِي الْحُلَّةِ، وَكَانَتْ الْإِبِلُ إِذَا بَشِمَتْ الْحُلَّةَ وَسْتَمْتَهُ حَتَّى اتَّخَمَتْ مِنْهُ، نَقَلُوها إِلَى الْحَمَضِ لِتَشْتَهِيَ الْحُلَّةُ ثَانِيًا. وَهَذَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ لِهَذَا السَّاعِي. يَقُولُ: إِنَّكَ مَلَيْتَ الْعَافِيَةَ وَالسَّلَامَةَ، فَهَلُمَّ إِلَى الْبَلَاءِ وَالشَّرِّ مِنَ الْوَلَايَةِ.

٣ - أَظُنُّكَ دُونَ الْمَالِ ذُو جِثَّتْ تَبْتَنِي سَتَلْقَاكَ بِضٌ لِلنَّفُوسِ قَوَابِضُ

(١) التبريزي: «قَوْل الطائي». وقد قيلت القصيدة في مصدق تقدم ذكره في قصة معدان بن عبيد مع مروان.

(٢) لعمرو بن معدى كرب في ديوانه ١٤٩، وخزانة الأدب ٩: ٢٥٢ وصدره:

«وخيّل دلفت لها بخيّل»

قوله «دُونَ المال» تَعَلَّقَ بِأَظْنُكَ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَتَعَلَّقَ بِقَوْلِهِ جِئْتُ، وَلَا تَبْتَغِي،
لأن «ذُو» يَطْلُبُ مِنَ الصَّلَاةِ مَا يَطْلُبُهُ «الَّذِي» وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَمَا فِي صَلَاتِهِ لَا يَعْمَلُ
فِيمَا قَبْلَهُ. وَقَالَ «ذُو جِئْتُ» وَكَانَ الْأَجُودُ أَنْ يَقُولَ: ذُو جَاءَ يَبْتَغِي، لِأَنَّهُ أُجْرِيَ مَجْرَى
الَّذِي، فَكَمَا جُوزَ أَنْ يُقَالَ أَنْتَ الَّذِي فَعَلْتَ كَذَا، وَ: [الرجز]

أَنَا الَّذِي سَمَّيْتُنَ أُمِّي حَيْدَرَةَ

جُوزَ فِي ذُو أَيْضًا، لِأَنَّ الْمُرَادَ بِهِ الْمُخَاطَبُ. وَالْمَالُ فِي الْأَكْثَرِ يَطْلُقُونَهُ عَلَى
الْإِبِلِ، عَلَى هَذَا قَوْلُهُمْ: الْمَالُ فِي الرُّغْيِ. وَالشَّاعِرُ قَضَاهُ فِي الْكَلَامِ إِلَى التَّهْكِيمِ
وَالسُّخْرِيَّةِ، وَقَدْ خَلَطَ بِهِ التَّوَعُّدَ وَالِاسْتِهَانَةَ، لِذَلِكَ قَالَ أَظْنُكَ. وَقَوْلُهُ «ذُو جِئْتُ» فِي
مَوْضِعِ الْمَفْعُولِ الثَّانِي. وَتَبْتَغِي فِي مَوْضِعِ الْحَالِ، وَمَفْعُولُهُ حُذِفَ. وَالْمَعْنَى أَحْسِبُكَ
الَّذِي جَاءَ دُونَ الْمَالِ تَبْتَغِي صَدَقَاتِهِ، سَتَرَى مَا أَعَدُّ لَكَ مِنْ سُيُوفٍ تَنْتَزِعُ الْأَرْوَاحَ
وَالْمُهَاجِرِينَ. فَإِنْ قِيلَ: كَيْفَ اسْتَجَازَ تَكْرِيرَ مَعْنَى وَاحِدٍ فِي بَيْتَيْنِ عَلَى تَقَارُبِ بَيْنَهُمَا،
وَهَلَّا اكْتَفَى بِقَوْلِهِ «هَلُمَّ فَإِنَّ الْمَشْرِفِيَّ الْفَرَاثُصُ»؟ قُلْتُ: إِنَّ قَوْلَهُ أَظْنُكَ دُونَ الْمَالِ ذُو
جِئْتُ تَبْتَغِي، بِمَا دَخَلَهُ مِنَ التَّهْكِيمِ وَالْوَعِيدِ، وَتَكشَّفَ فِيهِ مِنَ الْغَرَضِ الْمَقْصُودِ، صَارَ
كَأَنَّهُ أَدَّى غَيْرَ مَا أَدَاهُ قَوْلُهُ «هَلُمَّ فَإِنَّ الْمَشْرِفِيَّ الْفَرَاثُصُ». وَمِثْلُهُ قَوْلُ عُلُقَمَةَ بْنِ عَبْدَةَ:
[الطويل]

فَإِنْ تَسْأَلُونِي بِالنِّسَاءِ فَإِنِّي بَصِيرٌ بِأَدْوَاءِ النِّسَاءِ طَبِيبُ
إِذَا شَابَ رَأْسُ الْمَرْءِ أَوْ قَلَّ مَالُهُ فَلَيْسَ لَهُ فِي وَدْهِنٍ نَصِيبُ
يُرِدُّنَ ثَرَاءَ الْمَالِ حَيْثُ عَلِمْنَهُ وَشَرَحُ الشُّبَابِ عِنْدَهُنَّ عَجِيبُ

أَلَا تَرَى أَنَّهُ لَمْ يَزِ الْمَعْنَى مَتَكَرِّرًا فِي الْبَيْتَيْنِ، لَمَّا كَانَ أَحَدُهُمَا يَشْتَمِلُ مِنَ
الِاسْتِيفَاءِ وَالْبَيَانِ عَلَى مَا لَمْ يَشْتَمِلْ عَلَيْهِ الْآخَرُ.

٢١٢ - وَقَالَ وَضَّاحُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ^(١): [الوافر]

١ - صَبَا قَلْبِي وَمَالَ إِلَيْكَ مَبِلًا وَأَرْقَنِي خَيْالُكَ يَا أَثِيلًا
٢ - يَمَانِيَّةٌ تُلِمُّ بِنَا قُنْبُدِي دَقِيقُ مَحَاسِنٍ وَتُكِنُّ غَبِيلًا

(١) التبريزي: «وضاح بن إسماعيل بن عبد كلال بن داود بن أبي حمد، وهو المعروف بوضاح
اليمن». وهو عبد الرحمن بن إسماعيل من شعراء الدولة الأموية. ترجمته في الأغاني ٦: ٣٠.

يَقَالُ: صَبَا قَلْبِي يَصْبُو صَبُوءًا وَصُبُوءًا. وَالصُّبُوءُ: جَهْلُ الْفُتُوَّة. يَقُولُ: أَسْهَرَنِي خَيَالُكَ، وَانْعَدَلَ قَلْبِي عَنْ وَجْهِهِ وَطَيْتِهِ، ذَهَابًا فَيْكَ، وَمَيْلًا إِلَيْكَ. ثُمَّ أَخَذَ يَصِفُ الْخِيَالَ فَقَالَ: هِيَ تَأْتِينِي مِنْ نَاحِيَةِ الْيَمَنِ، فَتَزُورُ زِيَارَةً خَفِيفَةً لَا لَبَثَ مَعَهَا وَلَا تَمَكُّتَ فَاتَمَتَّعَ بِهَا، وَتُبْدِي لِي فِي إِمَامِهَا مَا دَقَّ مِنْ مُحَاسِنِهَا كَالْعَيْنِ وَالْأَنْفِ وَالْأَسْنَانِ وَالْقَمِّ، وَتَسْتَرُّ مَا جَلَّ مِنْهَا كَالْمِعْصَمِ وَالسَّاعِدِ وَالسَّاقِ وَالْفَخِذِ، فَاسْهَرِ. كَأَنَّهُ رَأَاهَا فِي الْمَنَامِ عَلَى مَا كَانَ يَرَاهَا فِي الْيَقِظَةِ خَرَادَةً وَحَيَاءً. وَيَقَالُ: مِعْصَمٌ غَيْلٌ، وَسَاعِدٌ غَيْلٌ، أَيْ مَمْتَلِئٌ مِنَ اللَّحْمِ غَلِيظٌ. وَالْمَحَاسِنُ قِيلَ لَا وَاحِدَ لَهَا، وَمِثْلُهُ فِي ذَلِكَ الْمَسَاوِي وَالْمَذَاكِيرِ. وَقَالَ الْخَلِيلُ: وَاحِدُهَا مَخْسِنٌ، وَهِيَ الْمَوَاضِعُ الْحَسَنَةُ. يَقَالُ: امْرَأَةٌ كَثِيرَةُ الْمَحَاسِنِ.

٣ - ذَرِينِي مَا أَمْنَنْ بَنَاتِ نَعْشٍ مِنْ الطَّيْفِ الَّذِي يَنْتَابُ لَيْلًا

يَسْتَعْفِي مِنْ خِيَالِهَا لِاسْتِغَالِ قَلْبِهِ بِالْغَزْوِ. وَالِاسْتِعْفَاءُ فِي الْحَقِيقَةِ مِنَ الْحُبِّ الَّذِي يَصَوِّرُهَا فِي فِكْرِهِ حَتَّى يَحْلُمَ بِهَا. وَقَوْلُهُ «مَا أَمْنَنْ» الْضَمِيرُ لِلْخَلِيلِ وَلَمْ يَجْرِ لَهَا ذِكْرٌ، وَلَكِنَّ الْمُرَادَ مَفْهُومٌ. وَمَوْضِعُ «مَا أَمْنَنْ» نَضَبٌ عَلَى الظَّرْفِ، أَيْ مُدَّةٌ أُمُّهَا، لِأَنَّ مَا مَعَ الْفِعْلِ فِي تَقْدِيرِ مَصْدَرٍ حَذَفَ اسْمُ الزَّمَانِ مَعَهُ. وَبَنَاتِ نَعْشٍ مِنَ الْكَوَاكِبِ الشَّامِيَّةِ، وَكَانَ غَزْوُهُ نَحْوَ الرُّومِ. وَالْمَعْنَى: أَغْفِينِي مِنَ الصُّبَا وَاللَّهُوِ، وَشُغْلِ الْقَلْبِ بِالْحُبِّ وَالْعِشْقِ، مَا دُمْتُ فِي هَذَا الْوَجْهِ، وَقَاصِدًا نَحْوَ الْغَزْوِ. وَلَيْلًا، انْتَضَبَ عَلَى الظَّرْفِ، كَأَنَّهُ كَانَ يَسِيرُ النَّهَارَ، فَإِذَا نَزَلَ لَيْلًا وَنَامَ أَرْقَهُ الْخِيَالَ. وَرَوَى بَعْضُهُمْ: «يَأْنَابُ لَيْلًا» وَهُوَ يَفْتَعِلُ مِنَ الْأَوْبِ؛ وَيَتَنَابُ أَوْجَهُ فِي الثَّقَدِ وَأَخْسَنَ.

٤ - وَلَكِنْ إِنْ أَرَدْتَ فَهَيِّجِينَا إِذَا رَمَقْتَ بِأَعْيُنِهَا سُهَيْلًا

يَقُولُ: إِنْ أَرَدْتَ تَشْوِيقَنَا إِلَيْكَ، وَتَذَكِيرَنَا بِكَ، فَلْيَكُنْ عِنْدَ مُنْصَرَفِنَا مِنَ الْغَزْوِ، وَقُفُّوْنَا مِنْ هَذَا الصُّفْعِ، وَحِينَ تَنْظُرُ خَيْلُنَا إِلَى سُهَيْلٍ. وَإِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ لِأَنَّ سُهَيْلًا مِنَ الْكَوَاكِبِ الْيَمَانِيَّةِ. لِذَلِكَ قَالَ عَمْرُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ: [الْخَفِيفُ]

إِيَّهَا الْمُتَنَكِّحُ الثُّرَيَّا سُهَيْلًا عَمْرُكَ اللَّهُ كَيْفَ يَلْتَقِيَانِ^(١)
هِيَ شَامِيَّةٌ إِذَا مَا اسْتَقَلَّتْ وَسُهَيْلٌ إِذَا اسْتَقَلَّ يَمَانٍ

(١) لَعَمْرُ فِي مِلْحَقِ دِيْوَانِهِ ٥٠٣، وَالْأَغَانِي ١: ٢١٩، وَأَمَالِي الْمُرْتَضَى ١: ٣٤٨، وَخَزَانَةُ الْأَدَبِ

ومثل قولٍ وَضَّاحٍ ما قاله المثلِّمُ، وهو: [الكامل]

فَلْتَشْرُكْنَهُمْ بِلَيْلٍ نَاقَتِي تَدْعُ السَّمَاءَ وَتَقْتَدِي بِالْفَرْقَدِ^(١)
وَالسَّمَاءُ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ، وَالْفَرْقَدُ مِنْ قِبَلِ الشَّامِ.

٥ - فَإِنَّكَ لَوْ رَأَيْتَ الْخَيْلَ تَغْدُو عَوَائِسَ يَتَّخِذْنَ النُّفْعَ ذَيْلًا

٦ - رَأَيْتَ عَلَى مُثُونِ الْخَيْلِ جُنًّا تُفِيدُ مَغَانِمًا وَتُفِيثُ نَيْلًا

يَصِفُ الْغَزْوَ وملاقاة العدو، وأنه لا يحتمل التَّصَابِي والتَّبَطُّلَ، ولا يَصْلُحُ لِلْمُسْتَعْلِ بِهِ التَّشَوُّقُ والتَّغْزُلُ، فيقول: لو رَأَيْتَ الدَّوَابَّ عَادِيَةً بِفُرْسَانِهَا وقد تَكَلَّحَتْ لاشتداد الحال عليها، وَسَحَبَتْ ذَيْلًا مِنَ الْغُبَارِ لَتَنَاهِي شِدْهَا، لَرَأَيْتَهَا كَأَنَّ عَلَيْهَا جُنًّا لَا رَجَالًا، تَسْتَفِيدُ الْمَغَانِمَ مِنْ أَعْدَائِهَا. وَتُفِيثُهُمْ نَيْلَ شَيْءٍ مِنْهَا. وهذا كما قيل «يَسْبِقُ إِنْ طُلِبَ، وَيَلْحَقُ إِنْ طُلِبَ»، وَيَشْهَدُ لَأَفَادَ وَأَنَّهُ يَكُونُ بِمَعْنَى اسْتِفَادَ قَوْلِ الْآخِرِ^(٢): [الطويل]

فَإِنَّا مِنْهُ مَا أَفَادَ ذُو الْغَنَى أَفَدْتُ وَأَعْدَانِي فَأَتَلَفْتُ مَا عِنْدِي

٢١٣ - وَقَالَ آخِرُ^(٣): [البسيط]

١ - لَا قُوَّتِي قُوَّةَ الرَّاعِي قَلَايَصَهُ يَأْوِي فِيأْوِي الْكَلْبِ وَالرُّبْعُ

٢ - وَلَا الْعَسِيفُ الَّذِي يَشْتَدُّ عُقْبَتَهُ حَتَّى يَبِيتَ وَيَاقِي نَعْلَهُ قِطْعُ

أَخَذَ أَبُو تَمَّامٍ هَذَا الْمَأْخَذَ فِي قَوْلِهِ: [الكامل]

وَالصَّبْرُ بِالْأَرْوَاحِ يُعْرِفُ فَضْلُهُ صَبْرُ الْمُلُوكِ وَلَيْسَ بِالْأَجْسَادِ

يقول: لَيْسَ غَنَائِي فِي الْأُمُورِ وَكِفَايَتِي غِنَاءَ الرُّعَاةِ الَّذِينَ سَغِيَهُمْ وَكَدَّهُمْ مقصوران على ضَمِّ الْقِلَاصِ وَحِفْظِهَا فِي مَرَاعِيهَا عِنْدَ سَرْجِهَا وَإِرَاحَتِهَا، فَإِذَا أَوَى إِلَى مَوْضِعٍ أَوَى إِلَيْهِ كَلْبُهُ الَّذِي يَخْرُسُ بِهِ وَرُبْعُهُ. وَالرُّبْعُ: مَا تُنْجِ فِي الرِّبْعِ. وَقَوْلُهُ «وَلَا الْعَسِيفُ» انعطف على الرَّاعِي. يُرِيدُ: وَلَا قُوَّتِي قُوَّةَ الْعَسِيفِ. فَالْعَسِيفُ: الْأَجِيرُ

(١) فِي دِيوَانِ الْمُتَمَلِّسِ ٦ مَخْطُوطَةُ الشَّنْقِيطِيِّ.

(٢) لِبِشَارٍ أَوْ لِابْنِ الْخِيَاطِ أَوْ لِأَبِي الْعَرِيَانِ فِي سِمَطِ اللَّكَلِيِّ ٣١٠.

(٣) هُوَ وَضَّاحُ الْيَمَنِ صَاحِبُ الْحِمَاسَةِ السَّابِقَةِ، وَقَدْ وَرَدَتْ الْأَبْيَاتُ لَهُ فِي الْحَيَوَانِ ١: ٢٦٥، وَشُرُوحُ سَقَطِ الزَّنَدِ ٢٠٦.

والعبد المستهان به، المُمْتَنُّ في العمل. يقال: كم أعسِفُ عليك، أي كم أعمل لك. وقوله «يَشْتَدُّ عُقْبَتُهُ» انتصب عُقْبَتُهُ على الظرف، أي وقت عُقْبَتِهِ، كأنه يعاقب الرُّكُوبَ غيره. يقال: هما يتعاقبان للرُّكُوبَ بينهما، أو الأمرُ يَرْكَبُ هذا عُقْبَةً وهذا عُقْبَةً. والعُقْبَةُ قيل فَرْسُخَان. وَيَشْتَدُّ: يَفْتَعِلُ من الشَّدِّ: العَدُو. وبعضهم يرويه «تَشْتَدُّ عُقْبَتُهُ» بالرفع، ويجعل تَشْتَدُّ من الشَّدَّةِ، أي تَشْتَدُّ عُقْبَتُهُ عليه، والصواب ما قَدَّمْتُهُ. والمعنى: ولا عَنَائِي أيضًا عَنَاءُ الأجير الذي يَعدُو عُقْبَتَهُ ووقت عُقْبَتِهِ، وليس يريد أن له عُقْبَةً فَيَتْرُكُهَا وَيَعدُو، لكن المعنى إذا كان لغيره نوبة في الرُّكُوبَ لمعاقبته صاحبه، فنوبته الشَّدُّ والخِذْمَةُ حتى يَأْتِيَ عليه المساء وقد تَقَطَّعَ ما بَقِيَ عليه من حذائه. وقوله «وباقِي نَعْلِهِ قَطْعٌ» في مَوْضِعِ خَبَرٍ يَبِيتُ، تقديره: حَتَّى يَبِيتَ مُنْقَطِعَ باقي النعل.

٣ - لا يَحْمِلُ الْعَبْدُ فِينَا فَوْقَ طَاقَتِهِ وَنَحْنُ نَحْمِلُ مَا لَا تَحْمِلُ الْقَلْعُ

يقول: الْعَبْدُ الْمُسْتَحْدَمُ فِينَا لَا نُكَلِّفُهُ إِلَّا دُونَ مَا يُطِيقُهُ، إِبْقَاءً عَلَيْهِ، وَتَرْكَاً لِمُسْتَفَادِ وَسْعِهِ، وَنَحْنُ نَحْتَمِلُ مِنْ مَشَاقِّ الْأُمُورِ، وَمُثْقِلَاتِ الْأَعْيَاءِ مَا لَا تُطِيقُهُ الْجِبَالُ. وَالْقَلْعُ: جَمْعُ قَلْعَةٍ، وَهِيَ الْهَضَابُ الْعِظَامُ، وَبِهَا سُمِّيَ الْحِصْنُ الْمَبْنِي عَلَى الْجَبَلِ قَلْعَةً. وَيَقَالُ: أَقْلَعُ فَلَانٌ قِلَاعًا، إِذَا بَنَاهَا؛ وَبِهَا سُمِّيَتِ السَّحَابُ الْعِظَامُ قَلْعًا أَيْضًا.

٤ - مِثْلُ الْأَنَاءِ وَيَغْضُ الْقَوْمُ يَخْسَبُنَا أَنَا بِطَاءً، وَفِي إِنْطَائِنَا سِرْعُ

الْأَنَاءِ: الرُّفْقُ. يَقُولُ: نَسْتَأْنِي فِي الْأُمُورِ فِعْلَ الْحَازِمِ ذِي الرَّأْيِ السَّدِيدِ، وَالتَّأَمُّلِ اللَّطِيفِ، الَّذِي يَنْظُرُ فِيمَا لَهُ وَعَلَيْهِ، فَيَدْرِي كَيْفَ يُورِدُ وَيُضِدِرُ، وَيُبْرِئُ وَيَنْقُضُ، وَلَا تَنْهَجُ فِيمَا نَزَاوَلُهُ فِعْلَ الْعَجُولِ الْأَخْرَقِ الَّذِي لَا يَتَّبِعُ الْعَوَاقِبَ، وَلَا يَتَجَنَّبُ الْمَقَابِحَ، فَلَا يِيَالِي أَيَّا يَأْخُذُ وَيَدَعُ. وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَظُنُّ بِنَا تَبَاطُؤًا فِي الْمِهْمَاتِ وَتَثَاقُلًا، وَالَّذِي يَعدُونَهُ بَطْئًا فَهُوَ سَرْعَةٌ، لِأَنَّا نَتْرُكُ كُلَّ مَا تَتَوَلَّاهُ مَفْرُوعًا مِنْهُ مُحْكَمًا، لَا تَفَاوَتْ فِيهِ فَيَحْتَاجُ إِلَى اسْتِنَافٍ تَدْبُرُ، وَاسْتِحْدَاثٍ نَظَرٍ وَتَتَبُعٍ.

٢١٤ - وَقَالَ عَمْرُو بْنُ مِخْلَةَ الْكَلْبِيِّ^(١): [الطويل]

١ - وَيَوْمَ تَرَى الرِّايَاتِ فِيهِ كَانُهَا حَوَائِمُ طَيْرٍ مُسْتَنْدِيرٍ وَوَأَقِعُ

(١) التبريزي: «عمرو بن مخرمة الكلابي، وكان يقال لأبيه مخرمة الحمار» وهو شاعر إسلامي من بني تميم اللات بن ربيعة بن كلب، وكان مداحاً لبني مروان ترجمته في الأغاني ١٧: ١١٢.

- ٢ - أَصَابَتْ رِمَاحُ الْقَوْمِ بِشَرًّا وَثَابِتًا
 ٣ - طَعْنَا زِيَادًا فِي أَسْنِهِ وَهُوَ مُذْبِرٌ
 ٤ - وَاذْرَكَ هَمَامًا بِأَبْيَضٍ صَارِمٍ
 ٥ - وَقَدْ شَهِدَ الصَّفِيْنِ عَمْرُو بْنُ مُخْرِزٍ
 وَحَزْنَا وَكُلٌّ لِلْعَشِيرَةِ فَاجِعُ
 وَثُورٌ أَصَابَتْهُ السَّيُوفُ الْقَوَاطِعُ^(١)
 فَتَى مِنْ بَنِي عَمْرِو طَوَالَ مُشَايِعٍ^(٢)
 فَضَاقَ عَلَيْهِ الْمَرْجُ وَالْمَرْجُ وَاسِعُ

الرايات: الأعلام. والحوائم: جمع حائمة، وهي العطاش من الطيور تحوم حول الماء. وحواماتها: دورائها؛ فكثرت استعماله حتى صار كل عطشان حائمًا. ويُرْوَى: «عَوَاطِفُ طَيْرٍ». وقوله «مستدير وواقع» بدل من حوائم، وجعل الرايات بعضها جائل في الجو دائر، وبعضها ساقط، لأن المنهزمين تسقط أعلامهم فتتخفص، والظافرين تثبت أعلامهم فتتحقق. وقوله «وكل للعشيرة فاجع»، أي كل واحد من المذكورين رئيس عشيرة قد فجعوا به. والشاعر يذكر وقعة المَرْجِ مَرْجِ رَاهِطٍ - وراهِطٌ رَجُلٌ من قُضَاعَةٍ في الجاهلية الأولى - واجتمع به المَزَوَانِيَّةُ، وهم الذين دَعَوْا إلى مَرَوَانَ بْنِ الْحَكَمِ، وهم كلبٌ وَعَبَسٌ وغيرهم من قبائل اليمن. والزبيريَّة، وهم الذين دَعَوْا إلى ابن الزُّبَيْرِ، وهم قَيْسٌ ومن تبعهم، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فكانت الدُّبْرَةُ على القَيْسِيَّةِ ورئيسهم زُفَرُ بْنُ الْحَارِثِ، ومعهم الضُّحَاكُ بْنُ قَيْسٍ. ولهذا قال الشاعر:

فَمَنْ يَكُ قَدْ لَاقَى مِنَ الْمَرْجِ غِبْطَةً فكَانَ لَقَيْسٍ فِيهِ خَاصِرٌ وَجَادِعُ^(٣)

وقوله «طعنا زيادا في اسنِهِ»، فهو زياد بن عمرو العقيلي. وقوله «وهو مدبر» أي مؤل منهزم. ويجوز أن يكون من الإدبار، لتزكيه الرأي حتى بلبي بما بلبي. وعمرو بن مخرز من أشجع. وقال: ضاق عليه المَرْجُ على سَعَتِهِ، لأنه كان مغلوبا مغلوبا. ويقال: ضاق بفلان القضاء. والمُشَايِع: المَقْوِي لأصحابه المتابع لهم. وجعله طَوَالاً لأنهم يستحبون تمام الخلق، وامتداد القامة. وقوله «وثور أصابته السيوف القواطع» رفع ثورا لأن الفعل بغده شغل عنه، وإن نصبه طلبا للمطابقة إذ كان في الجملة التي قبله منصوب كان أحسن.

(١) التبريزي: «وثورا» وزياد هو زياد بن عمرو العقيلي، وثور هو ثور بن يزيد السلمي.

(٢) عمرو بن مخرز من أشجع.

(٣) جعل التبريزي هذا البيت من أبيات الحماسة.

٢١٥ - وقال زُفَرُ بْنُ الْحَارِثِ: [الطويل]

١ - أَفِي اللَّهِ أَمَا بِخَدَلٍ وَابْنُ بَخْدَلٍ فَيَحْيَا وَأَمَّا ابْنُ الزُّبَيْرِ فَيُقْتَلُ
 كان معاوية بن أبي سفيان لما جعل ابنه يزيد وليَّ عَهْدِهِ بَايَعَهُ النَّاسُ إِلَّا الْحَيَّ
 مِنْ قَيْسٍ، فَأَتَاهُمْ قَالُوا: وَالله، مَا تُبَايِعُ ابْنَ الْكَلْبِيَّةِ - وَذَلِكَ أَنَّ أُمَّ يَزِيدَ مَيْسُونُ بِنْتُ
 مَالِكِ بْنِ بَخْدَلِ الْكَلْبِيِّ - فَصَارَ فِي نَفْسِ يَزِيدَ لَقَيْسٍ ذَلِكَ ضِغْنًا وَحِقْدًا وَابْتَدَأَ الشُّرُ
 بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ بَنِي أُمَيَّةٍ، فَلَمَّا هَلَكَ يَزِيدُ اسْتُخْلِفَ ابْنُهُ مُعَاوِيَةُ بْنُ يَزِيدَ، وَأُمُّهُ كَلْبِيَّةٌ أَيْضًا،
 وَصَارَ حَسَّانُ بْنُ مَالِكِ بْنِ بَخْدَلٍ أَخُو مَيْسُونَ وَخَالَ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ كَالْمَالِكِ لِلأَمْرِ،
 فَكَانَتْ خِلَافَتُهُ أَيَّامًا قَلِيلَةً، وَتَحَرَّكَتْ فِتْنَةُ ابْنِ الزُّبَيْرِ، فَاضْطَرَبَ حَسَّانُ بْنُ مَالِكٍ فِي
 الأَمْرِ اضْطِرَابًا شَدِيدًا، وَصَارَ يَدْعُو النَّاسَ إِلَى نَفْسِهِ تَارَةً وَإِلَى مَنْ يَخْتَارُونَهُ مِنْ بَنِي
 أُمَيَّةٍ أُخْرَى، حَتَّى قَالَ الشَّاعِرُ: [الطويل]

وَمَا النَّاسُ إِلَّا بِخَدَلِيٍّ عَلَى الْهَوَى وَإِلَّا زُبَيْرِيٍّ عَصَى فَتَزَيَّرَا

إِلَى أَنْ وَقَعَ الْاِخْتِيَارُ عَلَى مِرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ، فَلَمَّا قَامَ بِالذَّعْوَةِ صَارَتِ الْبَخْدَلِيَّةُ
 مَعَهُ، فَسُمُوا مَرْوَانِيَّةً، وَصَارَ السَّبَبُ فِي حَرْبِ قَيْسٍ وَتَغْلِبِ أَنْ صَارَتْ قَيْسُ زُبَيْرِيَّةً
 وَتَغْلِبُ مَرْوَانِيَّةً، فَيَقُولُ زُفَرُ بْنُ الْحَارِثِ وَهُوَ رَئِيسُ قَيْسٍ «أَفِي اللَّهِ» يَرِيدُ: أَفِي ذَاتِ اللَّهِ
 وَمَرْضِيٍّ حَكَمِهِ أَنْ يُطْلَبَ حَيَاةُ ابْنِ بَخْدَلٍ وَالْمَتَعَصِّبَةُ لِبَنِي أُمَيَّةٍ وَمِرْوَانَ وَعَبْدَ الْمَلِكِ
 ابْنِهِ، وَيُطْلَبَ قَتْلُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ مَعَ فَضْلِهِ وَشَرَفِهِ وَسَابِقَتِهِ. وَهَذَا الْكَلَامُ تَقْرِيعٌ
 لِلنَّاسِ وَإِكْبَارٌ لِلأَمْرِ. وَقَوْلُهُ «أَمَا بِخَدَلٍ» حُكْمٌ أَمَّا أَنْ يَنْقَطِعَ عَمَّا قَبْلَهُ، وَلِهَذَا عُدَّ مِنْ
 حُرُوفِ الْإِبْتِدَاءِ، وَلأنَّهُ يَتَضَمَّنُ مَعْنَى الْجَزَاءِ وَالْجَزَاءُ لَهُ صَدْرُ الْكَلَامِ، إِذَا كَانَ كَذَلِكَ
 فَكَأَنَّهُ قَالَ: أَفِي اللَّهِ هَذِهِ الْقِصَّةُ وَهَذَا الأَمْرُ وَالشَّأْنُ. وَقَوْلُهُ «فَيَحْيَا» فَأَخْبَرَ عَنْ أَحَدِ
 الْأَسْمَاءِ لَمَّا عَلِمَ أَنَّ صَاحِبَهُ فِي مِثْلِ حَالِهِ. وَفِي الْقُرْآنِ: ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ
 يُرْضَوْهُ﴾ [التَّوْبَةُ: الْآيَةُ ٦٢].

٢ - كَذَبْتُمْ وَبَيْتِ اللَّهِ لَا تَقْتُلُونَهُ وَلَمَّا يَكُنْ يَوْمُ أَعْرُ مُحَجَّلٍ

إِنَّمَا قَالَ «كَذَبْتُمْ» لِأَنَّ الَّذِي أَنْكَرَهُ مِنْهُمْ وَقَرَّعَهُمْ عَلَيْهِ كَانَ خَبَرًا. وَيَجُوزُ أَنْ
 يَكُونَ الْمَعْنَى: كَذَبْتُمْ أَنْفُسَكُمْ حِينَ حَدَّثْتُمُوهَا بِمَا لَا يَتِمُّ لَكُمْ. وَقَوْلُهُ «لَا تَقْتُلُونَهُ»
 وَلَمَّا يَكُنْ يَوْمٌ، يَقُولُ: لَا تَقْدِرُونَ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ لَنَا عَلَيْكُمْ يَوْمٌ مَشْهُورٌ عَلَى قَتْلِهِ،
 وَإِذَا عَجَزْتُمْ قَبْلَهُ فَيَبِي مُسْتَقْبَلِ الزَّمَانِ بَعْدَهُ أَنْتُمْ أَعْجَزُ، وَعَنْ أُمَيَّةِ كَمِ وَتَرْجِمَ ظَنُّكُمْ
 أَنْتُمْ.

٣ - وَلَمَّا يَكُنْ لِلْمَشْرِفَةِ فَوْقَكُمْ شُعَاعُ كَقَرْنِ الشَّمْسِ حِينَ تَرَجُلُ

قَرْنُ الشَّمْسِ: أَوَّلُ مَا ظَهَرَ مِنْهَا. والترجل، قالوا: إذا ارتفعت الضحى وانبسطت الشمس ولم يشتدَّ حرُّها فذاك الترجل. وقال ابن الأعرابي: التَّرجُل قَبْلَ الْمُتَوَعِّ، والمُتَوَعِّ قبل انتصاف النَّهار، وأنشد لَمُزَّوِدٍ: [الطويل]

فَأُصْبِحَ كَالذَّهْقَانِ لَمَّا بَدَأَ لَهُ مِنْ الشَّمْسِ إِشْرَاقٌ وَلَمَّا تَرَجَّلَ
بَيْنَ الشَّرْطِ الثَّانِي غَرَضُهُ فِي تَعْجِيزِهِمْ، وَأَنْ الَّذِي يَرِيدُونَهُ مِنْ قَتْلِهِ لَا يَتِمُّ أَبَدًا
لَهُمْ، وَلَا يَدْخُلُ تَحْتَ مَقْدُورِهِمْ.

٢١٦ - وَقَالَ حَسَّانُ بْنُ الْجَعْدِ^(١): [البسيط]

١ - أَبْلِغْ بَنِي خَازِمٍ أَنِّي مَفَارِقُهُمْ وَقَائِلٌ لِجِمَالِي غُدْوَةَ بِيْنِي

٢ - إِنِّي أَمْرُؤُ غَرِضٌ مِنْ كُلِّ مَنَزَلَةٍ لَا شِدَّتِي تُبْتَفَى فِيهَا وَلَا لِيْنِي

هذا الشاعر خرج إلى عبد الله بن خازم راغبًا في جواره والكون في جملة فلم يُخِمِّدُهُ وَانْصَرَفَ عَنْهُ، وَقَالَ: لِيُبْلَغَ هَذَا الرَّجُلُ وَدَوُّهُ أَنِّي مَرْتَجِلٌ وَنَافِضٌ يَدِي مِنْهُ، وَحَامِلٌ إِلَيَّ عَلَى مُفَارَقَةِ أَرْضِهِ، وَمُظْهِرٌ الزُّهْدَ فِي صُحْبَتِهِ، لِأَنِّي أَجْتَوِي كُلَّ مَنَزَلَةٍ لَا تَمَسُّ حَاجَتَهَا إِلَى كَوْنِي بِهَا، وَأَتَوِي الْبُعْدَ عَنْ كُلِّ جَنَبَةٍ لَا تَشْتَدُّ رَغْبَتُهَا فِي إِقَامَتِي فِيهَا، كَمَا أَنِّي أَصْجَرُ بِجَوَارِ كُلِّ مَنْ اعْتَقَدَ الْغِنَى عَنْ رَأْيِي وَعَنَائِي، وَخَشَوْنَتِي وَلِيْنِي. وَيُقَالُ: غَرِضْتُ مِنْ كَذَا، إِذَا مَلَيْتُهُ؛ وَغَرِضْتُ إِلَى كَذَا، إِذَا اشْتَقْتُهُ. فَهُوَ كَمَا يُقَالُ: رَغِبْتُ فِيهِ وَرَغِبْتُ عَنْهُ.

٢١٧ - وَقَالَ الْقَتَالُ الْكِلَابِيُّ: [الطويل]

١ - إِذَا هُمْ هَمًّا لَمْ يَرَ اللَّيْلَ غُمَّةً عَلَيْهِ وَلَمْ تَضَعْبْ عَلَيْهِ الْمَرَائِبُ

يصفه بالإقدام والتشمير، وحسن الثفاذ في الأمور، وأنه متى ما وَقَعَ فِي نَفْسِهِ أَمْرٌ فَهَمَّ بِهِ افْتَعَدَ اللَّيْلَ وَلَمْ يَعُدَّهُ حَائِلًا دُونَ مُرَادِهِ وَلَا مَانِعًا عَنْ قَضَائِهِ وَمُرَادِهِ، حَتَّى يَصِيرَ رُكُوبُهُ غُمَّةً، وَمَا يُتَصَوَّرُ مِنْ هَوْلِهِ شِدَّةً تَذْفَعُ فِي الصَّدْرِ، وَتُحْلِيءُ عَنِ الْوَرْدِ، وَلَمْ يَشُقَّ عَلَيْهِ الْمَرَائِبُ، وَلَا يُسْتَكْرَهُ فِيهِ الْمَصَاعِبُ. وَيُقَالُ: هُوَ فِي غُمَّةٍ مِنْ أَمْرِهِ، أَيْ خَيْرَةٍ وَظُلْمَةٍ. وَأَصْلُ الْغَمِّ التَّغْطِيَةُ.

(١) حسان بن الجعد: شاعر إسلامي، كان قد خرج إلى عبد الله بن خازم أمير خراسان أيام بني أمية.

٢ - قَرَى الهمَّ إِذْ ضَافَ الزَّمَاعَ فَاصْبَحَتْ مَنَازِلُهُ تَغْتَسُّ فِيهَا الثُّعَالِبُ

يقول: يَجْعَلُ قَرَى هَمَّهُ إِذَا اعْتَرَاهُ، الثَّفَادُ والعزيمة، والإجماعُ فِيهِ والصَّريمة، فَتَرَى مَنَازِلَهُ تَسْتَبْدِلُ بَسُكَانِهَا وَخَشًا تَغْتَسُّ فِيهَا، وَيَغْتَاضُ هُوَ مِنَ الدَّعَةِ والخفضِ تَعَبًا يَمْتَطِيهِ، وَذُؤُوبًا يَسْتَمِرُّ فِيهِ. والاعتسَاسُ: الاختلافُ بِاللَّيْلِ. وَيَقَالُ: عَسَّ وَعَتَسَّ، وَمِنْهُ أُخِذَ الْعَسَسُ. وَفِي الْمَثَلِ الْجَارِي «كَلَبُ عَسٍّ خَيْرٌ مِنْ أَسَدٍ رَبَضٍ»^(١).

٣ - جَلِيدٌ كَرِيمٌ خَيْمُهُ وَطِبَاعُهُ عَلَى خَيْرٍ مَا تُبْنَى عَلَيْهِ الضَّرَائِبُ

يُقَالُ: هُوَ جَلَدٌ وَجَلِيدٌ بِمَعْنَى. وَالْخَيْمُ: الطَّبِيعَةُ؛ وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: أَصْلُهُ فَارِسِيٌّ مُعَرَّبٌ. وَالطَّبَاعُ: مَا طُبِعَ عَلَيْهِ الْإِنْسَانُ فِي مَأْكَلِهِ وَمَشْرَبِهِ وَسَائِرِ أَحْوَالِهِ. وَالضَّرَائِبُ: جَمْعُ الضَّرْبَةِ، وَهِيَ الْخَلِيقَةُ. وَيُقَالُ: لَيْسَ لِفُلَانٍ ضَرْبٌ، أَيُّ شَبِيهِ، وَهُوَ كَرِيمُ الضَّرْبَةِ. فَيَقُولُ: قَوِيُّ الْجَاشِ، مَرْضِيُّ الطَّبِيعَةِ، وَقَدْ جَبِلَ فِي كُلِّ مَا يُسْتَشْفَى مِنْ أُمُورِهِ عَلَى أَحْسَنِ مَا تُجَبَّلُ عَلَيْهِ الثُّفُوسُ وَالْأَخْلَاقُ.

٤ - إِذَا جَاعَ لَمْ يَفْرَحْ بِأَكْلَةِ سَاعَةٍ وَلَمْ يَبْتَئِثْ مِنْ فَقْدِهَا وَهُوَ سَاغِبٌ

أَحْسَنَ حَاتَمٌ طَيِّئٌ فِي هَذِهِ الطَّرِيقَةِ حِينَ قَالَ: [الطويل]

غَنِينًا زَمَانًا بِالتَّصْعَلِكِ وَالْغِنَى فَكَلْتَاهُمَا يَسْقِي بِكَاسَيْهِمَا الدَّهْرُ^(٢)

فَمَا زَادَنَا بَغْيًا عَلَى ذِي قَرَابَةٍ غِنَانًا وَلَا أَزْرَى بِأَخْسَائِنَا الْفَقْرُ

وَالشَّاعِرُ يَصِفُ كَرَمَ نَفْسِهِ وَحُسْنَ صَبْرِهِ عَلَى تَقَلُّبِ الْأَحْوَالِ، فَالشُّبْعَةُ لَا تُطْفِئُهُ، وَالْجَوْعَةُ لَا تُؤْيسُهُ فَتُرْذِيهِ. وَالسَّعْبُ: الْجُوعُ. وَأَضَافَ الْأَكْلَةَ إِلَى سَاعَةٍ تَقْصِيرًا بِهَا وَإِزْرَاءً، وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ وَقْتًا لَهَا. وَقَوْلُهُ «مِنْ فَقْدِهَا» يَرِيدُ مِنْ فَقْدِ لَهَا، وَالْمَضْدَرُ يَضَافُ إِلَى الْفَاعِلِ وَالْمَفْعُولِ جَمِيعًا. عَلَى هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ﴾ [فُصِّلَتْ: الْآيَةُ ٤٩].

٥ - يَرَى أَنْ بَعْدَ الْعُسْرِ يُسْرًا وَلَا يَرَى إِذَا كَانَ يُنْسَرُ أَنَّهُ الدَّهْرُ لَا زَبَّ

(١) فِي اللِّسَانِ (عَسَسَ) أَنَّ هَذَا الْمَثَلَ يَضْرِبُ فِي الْحَقِّ عَلَى الْكَسْبِ. وَالْمَعَايِشُ: الطَّالِبُ، يَعْنِي أَنَّ مَنْ تَصَرَّفَ خَيْرَ مَنْ عَجَزَ.

(٢) رَوَى الْبَيْتُ فِي بَيْتَيْنِ مِنْ دِيْوَانِ حَاتَمِ ١١٩ وَهُمَا:

«غَنِينًا زَمَانًا بِالتَّصْعَلِكِ وَالْغِنَى كَمَا الدَّهْرُ فِي أَيَّامِهِ الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ
لَبَسْنَا صُرُوفَ الدَّهْرِ لَيْثًا وَغِلْظَةً وَكَلًّا سَقَانَاهُ بِكَاسَيْهِمَا الدَّهْرُ»

يُسْتَحْسَنُ لِبَشَارٍ فِي هَذِهِ الطَّرِيقَةِ قَوْلُهُ، بَلْ قَدْ صَارَ مَثَلًا: [الطويل]

خَلِيلِي إِنْ الْعُسْرَ سَوْفَ يُفِيْقُ وَإِنْ يَسَارًا فِي عَدِّ لَحْقِيْقُ
وما أنا إِلَّا كالزَّمانِ، إِذَا صَحَا صَحَوْتُ، وَإِنْ مَاتَ الزَّمانُ أُمُوْقُ

يقول: يَعْلَمُ أَنَّ أَسْبَابَ الدُّنْيَا، وَتَصَارِيْفُهَا مَبْنِيَّةٌ عَلَى التَّغْيِيرِ وَالتَّبَدُّلِ، فَالْعُسْرُ وَالْيُسْرُ يَتَعَاقَبَانِ وَلَا يَلْزَمَانِ، فَمَتَى اسْتَغْنَى كَرَمٌ وَلَمْ يَنْطَرِ، عَلِمَاً بِأَنَّهُ يَفْقَى فَلَا يَبْقَى، وَإِذَا افْتَقَرَ عَفُوفٌ وَلَمْ يَبْسُ، ثِقَةً بِأَنَّهُ يَزُولُ وَلَا يَدُومُ. وَقَوْلُهُ «يَرَى» مِنَ الْبَيْتِ يَجْرِي مَجْرَاهُ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ۖ﴾ [المعارج: الآية ٦]، لِأَنَّهُ بِمَعْنَى يَظُنُّونَهُ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ ﴿وَنَزَلَتْ قَرِيبًا ۖ﴾ [المعارج: الآية ٧] لِأَنَّهُ بِمَعْنَى نَغْلَمُهُ. وَقَدْ يُسْتَعْمَلُ الْعِلْمُ فِي مَوْضِعِ الظَّنِّ أَيْضًا، لَذَلِكَ قَالَ: [الطويل]

وَأَعْلَمُ عِلْمًا لَيْسَ بِالظَّنِّ أَنَّهُ إِذَا ذَلَّ مَوْلَى الْمَرْءِ فَهَوَ ذَلِيلٌ^(١)

٢١٨ - وَقَالَ أَوْسُ بْنُ حَنْيَنَةَ: [الطويل]

١ - إِذَا الْمَرْءُ أَوْلَاكَ الْهَوَانَ فَأَوْلُهُ هَوَانًا وَإِنْ كَانَتْ قَرِيبًا أَوَاصِرُهُ

حَقِيقَةُ أَوْلَاكَ كَذَا: جَعَلَهُ مِمَّا يَلِيكَ، لَكِنَّهُ اشْتَهَرَ فِي الْإِحْسَانِ، وَقَدْ يُسْتَعْمَلُ فِي الْإِسَاءَةِ، كَمَا فَعَلَهُ هَذَا الشَّاعِرُ. وَمِثْلُهُ بَشَّرْتُهُ فِي مَعْنَى تَنَازُلُهُ الشَّرَّ، وَإِنْ كَانَ اشْتَهَارُهُ فِي الْخَيْرِ. أَلَا تَرَى قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: الآية ٢١]. يَقُولُ: قَابِلٌ مُعَامِلُكَ بِمِثْلِ مَا يَرْصُدُهُ لَكَ، فَإِنَّ الْأَفْعَالَ بَيْنَ النَّاسِ قُرُوضٌ، وَشَرْطُ الْقُرُوضِ الْوَفَاءُ بِهَا، وَالْخُرُوجُ مِنْ ذِمَّتِهَا، فَمَنْ أَهَانَكَ فَأَهِنُهُ وَإِنْ قَرَّبْتَ عَوَاطِفَ أَزْحَامِهِ، وَشَوَابِكَ أَسْبَابِهِ، وَلَا تُوجِبْ لَهُ إِلَّا مِثْلَ مَا يُوْجِبُهُ لَكَ. وَيُقَالُ: بَيْنِي وَبَيْنَهُ أَصِرَةٌ، أَيُّ عَاطِفَةٍ، وَالْأَصْرُ: الْعَطْفُ. وَقَوْلُهُ «قَرِيبًا» خَبَرُ كَانَ، وَقَدَّمَ عَلَى اسْمِهِ وَلَمْ يُوْثِّقْهُ لِأَنَّهُ أَرَادَ النِّسْبَةَ فَلَمْ يَبَيِّنْهُ عَلَى الْفِعْلِ. وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنْ رَحِمْتَ اللَّهُ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: الآية ٥٦].

٢ - فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَقْدِرْ عَلَى أَنْ تُهَيِّئَهُ فَلَذَرُهُ إِلَى الْيَوْمِ الَّذِي أَنْتَ قَادِرُهُ

يقول: إِنْ أَعْجَزَكَ مَكَافَأَتُهُ عَلَى إِسَاءَتِهِ إِلَيْكَ، وَأَعْوَزَكَ إِنَّا لَنُثَبِّتُكَ فِي الْحَالِ، فَأَنْظِرْهُ إِلَى الْوَقْتِ الْمُسَاعِدِ لَكَ مِنْ مُسْتَقْبَلِ أَيَّامِكَ، وَانْتَظِرْ نَوْبَكَ مِنَ الدَّهْرِ،

(١) لَطْرَفَةُ بْنُ الْعَبْدِ فِي دِيْوَانِهِ ٥٢، وَالشَّعْرُ وَالشَّعْرَاءُ ١٤٧، وَلَكَعْبُ بْنُ سَعْدِ الْغَنَوِيِّ فِي اللِّسَانِ (حَصَى).

فإذا أمكنتك الفرصة فانتبهزها. وقوله «إلى اليوم الذي أنت قاذرة» أراد أنت قادر فيه، فقدّر الظرف تقدير المفعول الصحيح لأنّ الظرف إذا أضيف إليه يخرج من أن يكون ظرفًا كما يخرج منه إذا دخل عليه حرف الجر. على هذا قولهم: [الرجز]

يا سارق الليلة أهل الدار^(١)

وقوله: [الرجز]

طبّاخ ساعات الكرى زاد الكسيل^(٢)

٣ - وقارب إذا ما لم تكن لك حيلة وصمّم إذا أيقنت أنك عاقرة

يقول: أجر مع الدهر في تصرفه وتلوّنه، ودار عدوك وجامله إن أعياك مكائله ومحاسبته، فإذا انقضت أيامه وتيسر لك بعد مداجيك له عقره وإهلاكه فاثبت في الأزم عليه، والانتقام منه، ثبات السيف القاطع في ضربيته، وإياك والعقلة عند بعد إيقاظك إياه، واللين معه وقد خشّته.

٢١٩ - وقال آخر^(٣): [مشطور الرجز]

١ - إني إذا ما القوم كانوا أنجيه

٢ - واضطرب القوم اضطراب الأرشية

٣ - وشد فوق بعضهم بالأزوية

٤ - هنالك أوصيني ولا توصي بي

قوله «إني إذا ما القوم» خبر إن في قوله «أوصيني ولا توصي بي». والمعنى: إني أهلك لأن يوصى إليّ حينئذ في غيري، ولا يوصى غيري بي. فتبين هذا من الكلام وإن كان على لفظ الأمر والنهي. وعلى هذا قول القائل زئد قم إليه، أي هو أهل لأن تقوم إليه. فبهذا التقدير وأمثاله جاز أن يقع الأمر موضع الخبر. وأنشد أبو زيد: [الوافر]

وكوني بالمكارم ذكريني ودلي دلّ ماجدة صناع^(٤)

(١) بلا نسبة في الخزانة ١: ٤٨٥، والكتاب: ١: ٨٩.

(٢) للشماخ في ديوانه ٣٨٩، والكتاب ١: ١٧٧، ولجبار بن جزء في خزانة الأدب ٤: ٢٣٣، وبلا نسبة في اللسان (عسل).

(٣) لسحيم بن وثيل اليربوعي في اللسان (نجا)، وأساس البلاغة (نحو)، وخزانة الأدب ١٠: ٢٤٧.

(٤) لبعض بني نهشل في خزانة الأدب ٩: ٢٦٦، ونوادر أبي زيد ٣٠، وبلا نسبة في الدرر ٢: ٥٤.

وقال: أراد كوني تُذَكِّرُنِي، فوضع ذَكْرُنِي موضع تَذَكِّرُنِي. ومرجعُ هذا الذي قاله إلى مثل ما بيَّناه. وكما أنَّ خبر إنَّ فيما بيَّناه فكذلك جواب إذا، فافهمه. وما من قوله «ما القوم» زائدة. وأنجِيَّة: جَمْع نَجِيٍّ والنَّجِيُّ يقع للواحد والجمع. وفي القرآن: ﴿خَلَّصُوا نَجِيًّا﴾ [يوسف: الآية ٨٠]. ومعنى كانوا أنجيه، أي صاروا فِرَقًا لِمَا حَزَبَهُم من الشَّرِّ، وَدَهَمَهُم من الخوف، يَتَنَجَّوْنَ ويتشاورُونَ.

وقوله «واضطرب القوم» أي أَخَذَهُم القيام والقعود، وفارقَهُم القَرَارُ والهُدُوءُ، فَأَقْبَلَ بعضهم يمشي إلى بعض، متعاونين في التهيؤ والارتحال، ومتساعدين على التيسر للانتقال. قَسْبَةٌ مِيلَانُهُمْ وَتَرَجُّحُهُمْ في اختلافهم، بترجح الأرشية عند الاستقاء عليها من الآبار البعيدة القعر، وميلانها.

وقوله «وشد فوق بعضهم بالأروية»، يعني أنهم ركبوا الليل وداوموا السير، فَغَلَبَ الثَّعَاسُ على طائفةٍ منهم حَتَّى خِيفَ عليهم السُّقُوطُ، لضعف استمسакهم، فَشَدَّتْ الجِبَالُ فوقَهُمْ. والأروية: جمع الرِّوَاء وهو الجبل الذي يُزَوَّى به، أي يُسْتَقَى. ومنه قيل الرِّوَاءية، ويجوز أن يكون الاضطراب الذي ذكره لاتِّصَالِ التَّسْيَارِ وغلبة النوم، للإخلال بالنُّزول والقرارِ أيضًا. وَصَرَفَهُ إلى الأول أحسن.

وقوله «هناك أوصيني» هُنَاكَ يُشَارُ به إلى الزَّمان والمكان معًا، وموضِعُهُ نصبٌ على الظَّرْفِ، والكاف منه كاف الخطاب، والعاَمِلُ فيه أوصيني. والمعنى: في ذلك الوقت يوجد العَنَاءُ والكِفَايَةُ عندي، ويحصل الصَّبْرُ والمداومةُ مِنِّي، فاجعلي وصاتك إِلَيَّ لا بِي، واعتمدي عليَّ لا على غيري. وقال بعض القدماء: معنى كانوا أنجيه، يريد قومًا ناموا على رواجِلِهِم فأروا في منامِهِم كأنهم يتَنَجَّوْنَ؛ والصواب عندي ما قدَّمته.

٢٢٠ - وقال المتلمس^(١): [الطويل]

- ١ - أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَرْءَ رَهْنٌ مَنِئِيَّةٍ صَرِيحٌ لِعَافِي الطَّيْرِ أَوْ سَوْفَ يُزَمَسُ
- ٢ - فَلَا تَقْبَلَنَّ ضَيْمًا مَخَافَةَ مَيْتَةٍ وَمُوتَنَ بِهَا حُرًّا وَجِلْدُكَ أَمْلَسُ

(١) التبريزي: «واسمه جرير بن عبد المسيح بن عبد الله بن زيد، وقيل عبد العزى». والمتلمس: من بني ضبيعة، شاعر جاهلي، وهو خال طرفة بن العبد. (ت نحو ٥٠ ق.هـ/ نحو ٥٦٩ م). ترجمته في الشعر والشعراء ٥٢، والأغاني ٢١: ١٢٥.

قال هذا فيما كان بين ضَبَّيْعَةَ وبكر بن وائل، ومعنى أَلَمْ تَرَ اعْلَمْ. يقول: الإنسان مُرْتَهَنٌ بِأَجَلِهِ، فإِذَا أُنْ يَمُوتُ حَتَفَ أَنْفَهُ فَيُدْفَنُ، وإِذَا أُنْ يُقْتَلُ فِي مَعْرَكَةٍ فَيُتْرَكُ لِعَوَافِي السَّبَاعِ وَالطَّيْرِ. وَجَعَلَ «رَهْنٌ مَيْيَّةٌ» وَ«صَرِيْعٌ لِعَافِي الطَّيْرِ» جَمِيعًا خَبَرَيْنِ لِأَنَّ ثَمَّ أُنَى بَأَوِ الْإِبَاحَةِ. وَيَجُوزُ أَنْ يَنْتَصِبَ صَرِيْعٌ عَلَى الْحَالِ، وَفِي رَفْعِهِ وَجْهٌ آخَرُ، وَهُوَ أَنْ يَكُونَ خَبَرٌ مُبْتَدَأٌ مَحْذُوفٌ، كَأَنَّهُ هُوَ صَرِيْعٌ. وَإِنْ جَعَلْتَ أَوْ الَّتِي تَكُونُ لِلشَّكِّ يَكُونُ الْكَلَامُ مَبْنِيًّا عَلَى الْيَقِينِ ثَمَّ يَعْتَرِضُ فِيهِ الشَّكُّ. وَالْأَصْلَحُ فِي مِثْلِ هَذَا أَنْ يُجْعَلَ بِأَمَّا، لِيَكُونَ بَيِّنَةٌ الْكَلَامِ عَلَى الشَّكِّ، إِذْ كَانَ وَاحِدٌ مِنَ الْأَمْرَيْنِ لَا يَتَيَقَّنُ.

وقوله «فَلَا تَقْبَلَنَّ ضَيْمًا» يقول: اذْفَعْ عَنْ نَفْسِكَ خُطَّةَ الضَّيْمِ وَالْهَضِيمَةِ، وَلَا تَلْتَزِمِ الْعَارَ وَالذَّنِيَّةَ، إِشْفَاقًا مِنَ الْمَيْيَّةِ. وَانْتَصَبَ «مَخَافَةً» عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ لَهُ. وَقَوْلُهُ «وَمُوتَنَّ بِهَا»، الضَّمِيرُ مِنْ بِهَا يَرْجِعُ إِلَى الْمَخَافَةِ، أَيِ مَثْ بَتْلِكَ الْمَخَافَةِ حُرًّا لَمْ يَسْتَعْبِذْكَ الْخَضَمُ، وَلَمْ يَسْتَطِيعْكَ الظُّلْمُ، وَجَلْدُكَ نَقِيًّا مِنَ الْعَيْبِ، سَلِيمٌ مِنَ الْعَارِ وَالشُّبْنِ. وَيُزَوَّى «وَإِخْوَيْنَ بِهَا حُرًّا وَجَلْدُكَ أَمْلَسُ» وَالرَّوَايَةُ الْأُولَى أَحْسَنُ، وَيَكُونُ «وَإِخْوَيْنَ» أَمْرًا بِالْحَيَاةِ وَقَدْ أَدْخَلَ عَلَيْهِ الثَّوْنَ الْخَفِيفَةَ. وَمَعْنَى يُزْمَسُ: يُدْفَنُ. وَالرُّمُسُ: الدُّفُنُ. وَالرِّيَّاحُ الرُّوَامِسُ مِنْهُ، وَتَوَسَّعُوا فِي الدُّفْنِ فَقِيلَ ازْمُسْ هَذَا الْحَدِيثَ، كَمَا يُقَالُ اذْفِنِ. وَعَافِي الطَّيْرِ: مَا يَعْتَرِي مِنْهُ. وَيُقَالُ: فَلَانٌ كَثِيرُ الْعَافِيَةِ وَالْعَفَاةِ، وَيُرَادُ الزُّوَارُ وَالْمُجْتَدُونَ.

٣ - فَمَنْ طَلَبِ الْأَوْتَارِ مَا حَزَّ أَنْفَهُ قَصِيرٌ وَخَاضَ الْمَوْتَ بِالسَّيْفِ بَيْهَسُ
٤ - نَعَامَةٌ لَمَّا صَرَّعَ الْقَوْمُ رَهْطَهُ تَبَيَّنَ فِي أَثَوَابِهِ كَيْفَ يَلْبَسُ

قَصِيرٌ: صَاحِبُ جَذِيْمَةِ الْأَبْرَشِ. وَقِصَّةٌ جَذِيْمَةٌ وَزَبَاءُ الرُّومِيَّةِ مَشْهُورَةٌ. وَإِنَّ قَصِيرًا تَوَصَّلَ بِأَنْ جَدَعَ أَنْفَ نَفْسِهِ، إِلَى أَنْ اسْتَخْدَمْتَهُ زَبَاءٌ ثَمَّ اسْتَخْلَصَتْهُ حَتَّى تَمَكَّنَ فَأَدْرَكَ ثَارَهُ مِنْهَا. وَبَيْهَسٌ هُوَ الَّذِي يَلْقَبُ نَعَامَةً، وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي غُرَابِ بْنِ قَزَازَةَ، وَكَانَ يُحَمِّقُ، فَقُتِلَ لَهُ سَبْعَةُ إِخْوَةٍ فَجَعَلَ يَلْبَسُ الْقَمِيصَ مَكَانَ السَّرَاوِيلِ، وَالسَّرَاوِيلَ مَكَانَ الْقَمِيصِ، فَلِذَا سُئِلَ عَنْ ذَلِكَ قَالَ: [الرَّجَزُ]

الْبَسَ لِكُلِّ عَيْشَةٍ لَبَّسَهَا إِمَّا نَعِيْمَهَا وَإِمَّا بُوسَهَا^(١)

(١) لِيَهْسُ الْفَزَارِيُّ فِي تَاجِ الْعُرُوسِ (بَهْسٌ، لَبْسٌ، نَعَمٌ)، وَبِلَا نِسْبَةٍ فِي اللِّسَانِ (لَبْسٌ)، وَهُوَ مِنْ أَمْثَالِ الْعَرَبِ، انْظُرْ أَمْثَالُ الْعَرَبِ ١١١، وَجُمْهُرَةُ الْأَمْثَالِ ١: ١٩٧، وَالْمُسْتَقْصَى ١: ٣٠٤.

فتَوَصَّلَ بما صَوَّرَهُ من حاله عند الناس إلى أن طَلَبَ بدماء إخوته . وحديثه مشهور أيضًا . وكلام المتلمس بَعَثَ وتحضيضٌ على دفع الضَّئيم ، وركوبِ الإباء من التزام العار ، فلذلك أخذ يذكرُ بحال من استضعِف . فلم يَزَلْ يحتالُ حتى أدركَ مَبَاغِيَهُ من أعدائه .

وقوله : «ما حَزُّ أَنْفُهُ» ما زائدة . وارتفع «نَعَامَةً» على أنه بَدَلٌ من قوله بَيْنَهُسُ . وموضع «كيف» نَضَبٌ على أنه مفعول تَبَيَّنَ ، والعاِمِلُ في كيف يَلْبَسُ تَبَيَّنَ . كأنه قال : تَبَيَّنَ في أثوابه يَلْبَسُ أي لِبْسَةٍ .

٥ - وما الناسُ إلا ما رأوا وتحذثوا وما العجزُ إلا أن يُضاموا فيَجْلِسُوا

قوله «ما رأوا» ما مع الفعل في تقدير مصدرٍ ، كأنه قال : وما الناسُ إلا رُؤْيُهُ وتَحَدَّثُ ، أي اعتبار بالمشاهدة أو بما يُروى من أخبار الأمم البائدة ؛ فهو كقولك : ما زيدٌ إلا أَكَلٌ وشَرْبٌ ، فيكون إما على حَذْفِ المضاف ، كأنه قال : ما زيدٌ إلا ذُو أَكَلٍ وشَرْبٍ ؛ وإما أن يكون لكثرتهما منه ، ولَوْلَوْعه بهما ، كأنه نَفَسُ الأكل والشرب . فيقول : ما الناسُ إلا ذَوُو الاعتبار بما يشاهدونه أو يسمعونهُ من أخبار أسلافهم ، فيتَقَيَّنُونَ بأنه لا بُدَّ من الفناء ، فلا ينبغي لأحد أن يحتمل ضَيِّمًا أو يضيرَ على مكروه ، وما العجزُ إلا أن يُظَلَّمُوا ويُسامُوا الخسفَ فيرضوا به ، وينطَوُّوا عليه كاظمين وساكنين . ويجوز أن يريد بقوله «وما الناس» وما حَزُمُ الناس ، فحذف المضاف ، ويكون حينئذٍ ما رأوا في موضع الظرف ، كأنه أراد : ما حَزُمُهم إلا مدَّةَ رؤيتهم وتحذثهم ، أي إذا اعتبروا بالأمرين ، ويكون هذا في باب الإخبار كقولهم : الهلالُ اللَّيْلَةُ ، على تقدير حدوث الهلال أو طُلُوعه اللَّيْلَةُ . ويكون الدَّلالة على هذا الوجه أنه طابَقُهُ بقوله «وما العجز» .

٦ - أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْجَوْنَ أَضْبَحَ رَاسِيًا تُطِيفُ بِهِ الْإِيَّامُ مَا يَتَأَيَّسُ

الْجَوْنُ : حِصْنُ اليمامة ، ويُقال إنه من مصانع طَسَمٍ وَجَدِيَسَ . فيقول : لا توعِدُونَا فَإِنَّ حَصْنَنَا حَصِينَ لا يُوَصَّلُ إليه ، ولا يُسْتَباحُ جِماه . ومعنى «تُطِيفُ بِهِ الْإِيَّامُ» تَلِمُ بِهِ الْأَحْدَاثُ وَتَتَوَبَّه النَّوَائِبُ فلا يُطِيعُ . وقوله «لا يَتَأَيَّسُ» أي لا يَلِينُ . وأنشد الأَصْمَعِيُّ : [البسيط]

إِنْ تَكْ جُلْمُودَ صَخْرٍ لَا أُؤَيِّسُهُ أَوْقَدْ عَلَيْهِ فَأَخِيهِه فَيَنْصَدُعُ^(١)

(١) للعباس بن مرداس في ديوانه ٨٦ ، واللسان (بصر ، أبس ، خرش) وتاج العروس (أبس) ، ويلا =

وَمَوْضِعُ «تُطِيفُ بِهِ الْأَيَّامُ» نَصَبٌ إِنْ شِئْتَ عَلَى الصِّفَةِ، وَإِنْ شِئْتَ عَلَى أَنَّهُ خَبَرٌ
بَعْدَ خَبَرٍ. وَمَوْضِعُ «مَا يَتَأَيَّسُ» نَصَبٌ عَلَى الْحَالِ، وَالْعَامِلُ فِيهِ تَطِيفٌ.

٧ - عَصَى ثُبَعَا أَزْمَانَ أَهْلِكَ الْقُرَى
يَطَّانُ عَلَيْهِ بِالصَّفِيحِ وَيُكَلِّسُ
يُرَوَّى :

... أَيَّامَ أَهْلِكَ الْقُرَى يُطَانُ عَلَى صَمِّ الصَّفِيحِ وَيُكَلَّسُ

يقول: إِنَّ تَبَعًا لِمَا غَزَا الْقَرْيَ وَالْمَدَنَ لَمْ يَصِلْ الْيَمَامَةَ لِلْحَصَنِ. وَذِكْرُهُ الْعَصِيَّانَ
كَمَا قَالَ غَيْرُهُ. «تَمَرْدُ مَارِدٌ وَعَزُّ الْأَبْلَقُ»^(١). وَقَوْلُهُ «يُطَانُ عَلَيْهِ بِالصَّفِيحِ» أَيُّ يُجْعَلُ
بَدَلُ طِينِهِ فِي الْإِصْلَاحِ وَالْعِمَارَةِ الْكِلْسُ بِالْحِجَارَةِ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ «بِالصَّفِيحِ» فِي
مَوْضِعِ الْحَالِ، أَيُّ يُطَانُ وَيُكَلْسُ بِصِفَاتِهِ، أَيُّ وَهُوَ مَبْنِيٌّ الْحِجَارَةَ.

٨ - هَلُمَّ إِلَيْهَا قَدْ أُبِيرَتْ زُرُوعُهَا وَعَادَتْ عَلَيْهَا الْمَنْجُونُ تَكْدُسُ

يُخَاطَبُ النُّعْمَانُ. و«إليها» أي إلى اليمامة، وهذا الكلام تهكُّمٌ وسخرية. يقول: **إِنْ قَدَرْتَ عَلَيْهَا فَاغْصِهَا فَإِنَّهَا أَخْصَبُ مَا يَكُونُ، مُزْدَرَعُهَا مُثَارٌ دَوَالِيهَا تَدُورُ.** ومعنى «تكدُّس» يركَّب بعضها بعضًا في الدُّورَانِ. ويُستعملُ في سَيْرِ الدُّوَابِّ وغيرها. وقال ابن الأعرابي: التكدُّسُ أَنْ يُحْرَكَ مِنْكِبِهِ إِذَا مَشَى. وقال الأصمعيّ: هي من مَشَى القصار الغلاظ. ويقال: كَدَسَ به الأرضُ إِذَا ضَرَبَهَا به. وَأُنْشِدَتْ: [المتقارب]

وَحَيْلُ تَكْدُسُ بِالْدَارِعِي - مَنْ نَازَلَتْ بِالسَّيْفِ أَبْطَالُهَا^(٢)

وروى بعضهم: «قد أُبَيِّثْتُ زُرْعَهَا». والإبائة: الإثارة. وقوله «هَلُمُّ إِلَيْهَا» كما يقال: أَقْبِلْ إِلَيْهَا. وقد مضى القولُ في هَلُمُّ.

٩ - وَذَٰكَ أَوَانُ الْعِرْضِ حَيْثُ ذُبَابُهُ رَئَابِيرُهُ وَالْأَزْرَقُ الْمُتَلَمَّسُ

وَيُرَوَّى «جُنَّ دُبَابُهُ» أَي كَثُرَ وَنَشِطَ. وَالْعِرْضُ: وَادٍ مِنْ أَوْدِيَةِ الْيَمَامَةِ، فَلَكَ أَنْ تَجْزُهُ بِإِضَافَةِ الْأَوَانِ إِلَيْهِ وَهُوَ مَرْفُوعٌ، وَلَكَ أَنْ تَنْصِبَ الْأَوَانَ فَتَرْفَعَ الْعِرْضُ بِالْإِبْتِدَاءِ،

= نسبة في ديوان الأدب ١ : ١٨٠.

(١) المثل في مجمع الأمثال ١: ١١٣، وقالته الزبراء وقصدت بما رد حصن دومة الجندل، والأبلى هو حصن السموأل بن عادياء ولم تقدر عليه.

(٢) للخشاء في ديوانها ٨٦، وأساس البلاغة (كدس)، وبلا نسبة في كتاب العين ٥: ٣٠٤.

واسم الزمان يضاف إلى الجمل من الابتداء والخبر، والفعل والفاعل، وكأنه قال: وهذا الذي ذكرت هو في هذا الأول. وقوله «حَتَّى دُبَابُهُ» أي عاش بالخضب فيه. و«زناييره» يرتفع على أنه بدل من الدباب. ودُبَابُ الرّوضِ قد تُسمّى الزنايير. وقوله «والأزرق المتلمس» إشارة إلى جنس آخر غير الأول، وهو ما كان أخضر صَحْمًا. والمتلمس: الطالب، ويقال إنه سُمّي المتلمس بهذا البيت، واسمه جرير بن عبد الغزّي.

١٠ - يَكُونُ نَذِيرٌ مِن ورائي جُنَّةٌ وَيَتَصَرَّنِي مِنْهُمْ جُلِّي وَأَحْمَسُ

١١ - وَجَمَعَ بَنِي قُرَّانٍ فَاعْرِضْ عَلَيْهِمْ فَإِنْ يَقْبَلُوا هَاتَا الَّتِي نَحْنُ نُؤَيِّسُ^(١)

قوله «يَكُونُ نَذِيرٌ» قيل فيه هو نذير بن بُهْثَة بن وَهْب بن حَزْب. وقيل أراد بالذير المُنذِر. والمعنى: إني أرصد لهم من يُنذِرني بهم فيخبرني بمجيئهم إذا همّوا به، فَأَتَيْتِي وَأَسْتَجِئُ وَأَتَحَرَّزُ. وَجُلِّي وَأَحْمَسُ من ضَبَّيعة بن ربيعة بن نِزَار يقول: وإذا جاء وقت التَّجَادُب والتدافع قام بنصري هذان البَطْنَانِ. وقوله «وَجَمَعَ بَنِي قُرَّانٍ» التَّضَبُّب فيه على إضمار فعل، كأنه قال: سَمَّ جَمَعَ بَنِي قُرَّانٍ، ويكون الفعل الظاهر تفسير المضمَر؛ والرَّفْع على الابتداء. ومعنى البيت: أَجْرُونَا مجرى نُظْرَانَا فَإِنَّا نَرُضَى بِهِمْ قُدُوةً، واعْرِضُوا مَا اتَّسَوْمُونَا عَلَى بَنِي قُرَّانٍ، فَإِنْ وَجَدْتُمُوهُمْ يَتَلَقُّونَهُ بِالْقَبُولِ، وَيُوطِنُونَ أَنْفُسَهُمْ عَلَيْهِ، فَلَنَا بِهِمْ أَسُوءَ، وَإِلَّا فَلَا مَتْنَاعَ مِنْهُ وَاجِبٌ. وقوله «هَاتَا الَّتِي نَحْنُ نُؤَيِّسُ» أي هذه الخُطَّة الَّتِي نُكْرَهُ عَلَيْهَا وَالْأَبْسُ: القَهْر. وقال ابنُ الأعرابي: أَبْسَتْ الرِّجْلُ، إِذْ لَقِيَتْهُ بِمَا يَكْرَهُ؛ وَأَبْسْتُ مِنْهُ، إِذَا وَضَعْتَ مِنْهُ بِاسْتِخْفَافٍ بِهِ وَإِهَانَةٍ لَهُ. وجواب الجزاء لم يَجِءْ بَعْدُ.

١٢ - فَإِنْ يَقْبَلُوا بِالْوَدِّ تُقْبَلُ بِمِثْلِهِ وَإِلَّا فَإِنَّا نَحْنُ أَبِي وَأَشْمَسُ

١٣ - وَإِنْ يَكُ عَنَّا فِي حُبَيْبٍ تَفَاقُلٌ فَقَدْ كَانَ مِنَّا مِقْتَبٌ مَا يُعَرَّسُ

قوله «فَإِنْ يَقْبَلُوا بِالْوَدِّ» أعاد به الشَّرْطَ، وذلك أَنَّهُ قَالَ فِي الْبَيْتِ الَّذِي قَبْلَهُ «فَإِنْ يَقْبَلُوا هَاتَا الَّتِي نَحْنُ نُؤَيِّسُ»، وَلَمْ يَأْتِ لِلشَّرْطِ بِجَوَابٍ، ثُمَّ قَالَ «فَإِنْ يَقْبَلُوا بِالْوَدِّ تُقْبَلُ بِمِثْلِهِ»، فَانْتَفَى بِجَوَابٍ وَاحِدٍ لَاشْتِمَالِهِ عَلَى مَا يَكُونُ جَوَابًا لِهَمَا، فَكَانَهُ قَالَ: إِنْ قَبِلُوا مَا نُؤَيِّسُ تُقْبَلُ مِثْلَهُ، وَإِنْ أَقْبَلُوا بَعْدَ ذَلِكَ وَادَّيْنِ وَوَامِقَيْنِ أَقْبَلْنَا بِمِثْلِهِ، وَإِلَّا فَتَحْنُ أَشَدَّ

إباء، وأبلغ شماساً، وأحمى أنفاً وأعز جانباً، والشماس: الامتناع، ومنه شماس الدابة، وهو أن لا يُمكن من الإسراج والإلجام. وكانت بنو ضبيعة حلفاء لبني ذهل بن ثعلبة بن عكابة، فوقع بينهم نزاع، فعاتبهم المتلمس. وقوله «وإن يك مثاً في حبيب تناقل» فإنه أراد حبيب فحفف، وهو حبيب بن كعب بن يشكر بن بكر بن وائل. يقول: إن تكاسل بنو حبيب عن طلب دماننا، وتناقلوا عن إدراك ثأرنا، فقد كان منا من يداب ويسهر، فلا يرى تعريساً وتلؤماً وتعريجاً في ذلك. والمقنب: زهاء ثلاثمائة من الخيل. والتعريس: نزول في آخر الليل.

٢٢١ - وقال سعد بن ناشب: [الطويل]

- ١ - تُفَنِّدُنِي فِيمَا تَرَى مِنْ شَرَّاسَتِي وَشِدَّةِ نَفْسِي أَمْ سَعْدٍ وَمَا تَذْرِي
٢ - فَقُلْتُ لَهَا إِنَّ الْحَلِيمَ وَإِنْ حَلَا لِيَلْفَى عَلَى حَالٍ أَمْرٌ مِنَ الصَّبْرِ^(١)

تُفَنِّدُنِي أَي تُجْهَلُنِي. والفند: إنكار العقل من هَرَم. يقال: شَيْخٌ مُفَنَّدٌ. وفي القرآن: ﴿لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ﴾ [يوسف: الآية ٩٤]، أَي تُجْهَلُونِي، وفُسِّرَ عَلَى تُكَذِّبُونِي أَيْضاً. والشَّرَّاسَةُ: ضُعُوبَةُ الْخُلُقِ وَخُسُوفَةُ الْجَانِبِ. فيقول: تُعَيِّنِي هَذِهِ الْمَرَأَةُ عَلَى مَا تَرَى مِنْ عُسْرِ الْخُلُقِ وَإِبَاءِ النَّفْسِ وَقَطَاظَةِ الْقَلْبِ، جَاهِلَةً بِأَحْوَالِ الرِّجَالِ، وَالْفَضْلَ بَيْنَ أَوْقَاتِ الْجِدِّ وَالْهَزْلِ، وَالشَّدَّةِ وَاللَّيْنِ، فَأَجَبْتُهَا وَقُلْتُ: إِنَّ الرِّجُلَ الْحَلِيمَ وَإِنْ لَانَ عِطْفُهُ وَسَهَلَ خُلُقُهُ فَقَدْ يُوجَدُ فِي وَقْتِ الْغِلْظَةِ وَعِنْدَ حَالَةِ الْقُسُوفِ أَمْرٌ مَرَّارَةً مِنَ الصَّبْرِ، وَأَشَدَّ صَلَابَةً مِنَ الْحَجَرِ. وقوله «وما تَذْرِي» في موضع الحال. وفي هذه الطريقة قول الآخر: [الطويل]

وَإِنِّي لَحُلُوٌّ إِنْ أَرِيدَتْ حَلَاوَتِي وَمُرٌّ إِذَا نَفَسَ الْعَزُوفُ اقْشَعَرَّتِ

- ٣ - وَفِي اللَّيْنِ ضَعْفٌ وَالشَّرَّاسَةُ هَيْبَةٌ وَمَنْ لَا يَهَبُ يَحْمَلُ عَلَى مَرْكَبٍ وَغَرِ
الواو من قوله «والشَّرَّاسَةُ» عاطفةٌ لجملةٍ على جملةٍ، ولا يجوز أن يُجَرَّ الشَّرَّاسَةُ عَلَى أَنْ يَكُونَ مَعْطُوفًا عَلَى فِي اللَّيْنِ، لِمَا فِيهِ مِنَ الْعَطْفِ عَلَى عَامِلَيْنِ بِحَرْفٍ وَاحِدٍ. ومعنى البيت أَنَّ مَنْ اسْتَلَيْنَ جَانِبَهُ فِي كُلِّ حَالٍ اسْتَضْعِفَ وَاهْتَضِمَ، وَمَنْ اسْتَخْشِنَ خُلُقَهُ هَيْبٌ وَتُحُومِي.

(١) التبريزي: «إن الكريم».

٤ - وَمَا بِي عَلَى مَنْ لَانَ لِي مِنْ فُظَاظَةٍ وَلَكُنِّي فُظٌّ أَبِي عَلَى الْقَسْرِ
في هذه الطريقة قول الآخر^(١): [الطويل]

أَبِي لَمَّا أَبَى سَرِيعَ مَبَاءَتِي إِلَى كُلِّ نَفْسٍ تَنْتَحِي فِي مَسَرَّتِي

يقول: أضع كل واحد من الفظاظه والسهولة، والشراسة والسلاسة، في موضعه، وأستمعه مع من يستحقه، فمن جرى معي وانقاد لي لثت له، وقابلته بمثل فعله، ومن تابى عليّ وطلب منّي متابعتَه والجري مع هواه أبنت عليه، وخالفته فيما يبتغيه. والقسر: القهر على الكره، ويقال: قسرتُه واقتسرتُه، ومنه قيل للأسد قسورة.

٥ - أَقِيمُ صَعَا فِي الْمِيلِ حَتَّى أَرُدَّهُ وَأَخْطِمُهُ حَتَّى يَعُودَ إِلَى الْقَدْرِ

٦ - فَإِنْ تَغْدِلِينِي تَغْدِلِي بِي مُرْزَأً كَرِيمَ نَسَا الإِعْسَارِ مَشْتَرَكِ الْيُسْرِ

قوله «أقيم صعا في الميل حتى أرده» تبجح فيه بأنه عارف بأسرار الرجال، لطيف التوصل إلى إنزالهم منازلهم، بصير بمداواة أدوائهم، لا يتركهم سدى، ولا يخليهم إهمالاً. والصعا: الميل والاعوجاج، يقال صعا فواده يضغى ويضعو، أي مال. وصغوك مع فلان، أي ميلك. يقول: من مال عتاً فإني أقوم اعوجاجه بما يحوج إليه من قول وفعل، حتى أرده إلى ما أريده، فإن تبين في تعدياً لطوره، وذهاباً عن حقه وحده، زمنته بزمام مثله حتى يرجع إلى مرتبته وقدره. وقوله «فإن تغدليني» يصف نفسه بأنه سمنع معطاء، لا يكف عن البذل، ولا يرد عن الإعطاء والجود، على تلون الزمان به، وتغير الأحوال عليه. والمرزأ: المصاب في ماله كثيراً. وقوله «تغدلي بي مرزأ»، أي رجلاً مرزأ، وذلك الرجل هو كما يقال: لقيت بزيد الأسد. والثنا: الخبر، ويستمع في الخير والشر، والثناء لا يستعمل إلا في الخير، يقول: إن لمثني على ما هو دأبي من الإفضال، لمت بي رجلاً لا يفكر في عقب الدهر، وكروبه بالغنى والفقر، فإن نابه العسر حسن بلاؤه وكرمته أخباره فيه، وإن ناله اليسر أشرك الأقراب والأجانب في نفعه، فعمت فواضله لديهم.

وقد أكثر الشعراء في هذا المعنى. فمن ذلك قول السمرذل: [الطويل]

وَصُولٌ إِذَا اسْتَعْنَى وَإِنْ كَانَ مُقْتَرَاً مِنْ الْمَالِ لَمْ تُخَفِ الصَّدِيقُ مَسَائِلُهُ

وقول المَرَّار: [الطويل]

إذا افتَقَرَ المَرَّارُ لم يَرِ فَقْرُهُ وإن أيسَرَ المَرَّارُ أيسرَ صاحِبُهُ
وأحسنُ من الجميع قول الآخر: [الطويل]

إذا افتَقَرُوا عَضُوا عَلَى الْفَقْرِ حِسْبَةً وإن أيسَرُوا عَادُوا سِرَاعًا إِلَى الْفَقْرِ

٧ - إِذَا هُمْ أَلْقَى بَنِينَ عَيْنِيهِ عَزَمَهُ وَصَمَّمَ تَضْمِيمَ السُّرْنَجِيِّ ذِي الْأَثَرِ

يَذْكُرُ مِنْ نَفْسِهِ الصَّرَامَةَ وَالنَّفَادَ، وَقَضَلَ الْأُمُورَ، وَالصَّبْرَ عَلَى مِمَارَسَةِ الْخُطُوبِ.
يقول: إِذَا عَزَمَ عَلَى الْأَمْرِ كَانَ جَمِيعَ الرَّأْيِ، يَجْعَلُ الْمَهْمُومَ بِهِ نَضَبَ عَيْنِيهِ، حَتَّى
يَخْرُجَ مِنْهُ، وَتَقْدُ نَفَادَ السَّيْفِ الْحَذَمَ لَا يَتَوَقَّفُ فِي الضَّرْبَةِ، وَلَا يَكْهَمُ. وَالسُّرْنَجِيُّ:
مَنْسُوبٌ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ وَصِفَ بِذَلِكَ لِكَثْرَةِ مَائِهِ وَرَوْنَقِهِ، حَتَّى كَأَنَّ فِيهِ سِرَاجًا؛
وَمِنْهُ قِيلَ: سَرَجَ اللَّهُ أَمْرَكَ، أَيِ حَسَنَهُ وَنَوَّزَهُ. وَالتَّضْمِيمُ: الْمُضِيءُ فِي الْأَمْرِ، وَيُقَالُ:
صَمَّمَ فِي عَضَّتِهِ، إِذَا تَيَّبَ. قَالَ: [الطويل]

فَاطْرَقَ إِنْطِرَاقَ الشُّجَاعِ وَلَوْ يَرَى مَسَاعًا لِنَابِيهِ الشُّجَاعُ لَصَمَّمَا^(١)
وَالْأَثَرُ: الْفِرْنَدُ وَالْمَاءُ، وَيُقَالُ أَثَرٌ بِالضَّمِّ.

٢٢٢ - وَقَالَ أَيْضًا: [الطويل]

١ - لَا تُوعِدُنَا يَا بِلَالُ، فَإِنَّا وَإِنْ نَخُنْ لَمْ نَشْفُقْ عَصَا الدِّينِ أَخْرَارُ

يُخَاطَبُ بِهَذَا الْكَلَامِ بِلَالًا الْخَارِجِيَّ، وَيُعِيرُهُ خُرُوجَهُ مِنْ طَاعَةِ السُّلْطَانِ وَشَقِّهِ
عَصَا الْإِسْلَامِ، فَيَقُولُ: ائْتُرْكَ تَوْعِدُنَا فَإِنَّا وَإِنْ لَمْ تُفَرِّقِ الْجَمَاعَةَ تَفْرِيقَكَ، وَلَمْ تُخَالِفِ
الْمُسْلِمِينَ مُخَالَفَتَكَ فَإِنَّ فِتْنًا كَرَمًا وَإِبَاءً يَحْمِينَا مِنَ الْإِنْهَاضِ، وَيَحْرُمُ عَلَيْنَا الصَّبْرَ عَلَى
الْمَذَلَّةِ وَالْعَارِ، فَلَا طَرِيقَ لَكَ إِلَى تَمْلِكِنَا وَالتَّحْكُمِ فِينَا. وَقَالَ الْخَلِيلُ: قَوْلُهُمْ شَقُّ
عَصَا الْمُسْلِمِينَ، الْعَصَا: الْاجْتِمَاعُ وَالْإِتْلَافُ. وَالْأَجُودُ عِنْدِي أَنْ يَكُونَ مَثَلًا كَمَا يُقَالُ
لِلرَّفِيقِ الْحَسَنِ السِّيَاسَةِ: هُوَ لَيْنُ الْعَصَا، وَفِي ضِدِّهِ: هُوَ ضَلْبُ الْعَصَا، وَكَقَوْلِهِمْ:
قَشَرْتُ لَهُ الْعَصَا، إِذَا أَبْنَتْ لَهُ مَا فِي نَفْسِكَ، وَكَمَا قِيلَ: «عَصَا الْجَبَانِ أَطُولُ». وَقَالَ
بَعْضُهُمْ يَصِفُ الْخَوَارِجَ: [الطويل]

رَجَوْا بِالشَّقَاقِ الْأَكْلَ خَضَمًا فَقَدْ رَضُوا أَخِيرًا مِنْ أَكْلِ الْخَضَمِ أَنْ يَأْكُلُوا قَضَمًا^(٢)

(١) للمتلهم في ديوانه ٣٤، والحيوان ٤: ٢٦٣، وخزانة الأدب ٧: ٤٨٧.

(٢) لأيمن بن خريم الأسدي في ديوانه ١٤٥، واللسان (خضم، قضم)، وبلا نسبة في كتاب العين =

فأتى بالشقاق وأصله من شقَّ العصا.

٢ - وَإِنْ لَنَا إِمَّا خَشِينَاكَ مَذْهَبًا إِلَى حَيْثُ لَا نَخْشَاكَ وَالذَّهْرُ أَطْوَارُ يَتَوَعَّدُهُ بَأَنَّهُ إِنْ أَعْيَاهُ مُقَارَّتُهُ وَلَمْ يَفْ بِمَدَافِعَتِهِ، فَارَقَ أَرْضَهُ وَتَرَبَّصَ بِهِ مَا لَا يُؤْمَنُ مِنْ تَغْيِيرِ الزَّمَانِ، وَتَحَوُّلِ الْأَحْوَالِ، لِأَنَّ فِي سَعَةِ الْأَرْضِ مَذْهَبًا لَهُ، وَفِي التَّبَاعُدِ عَنْهُ رَاحَةً تُؤْمِنُهُ. وَقَدْ أَوْمَأَ بِقَوْلِهِ «وَالذَّهْرُ أَطْوَارُ» إِلَى تَصَارُيفِ الزَّمَانِ، وَتَلَوُّنِهِ بِالْخَيْرِ تَارَةً وَبِالشَّرِّ أُخْرَى. وَيُقَالُ: النَّاسُ أَطْوَارُ، أَيِ أَخْيَافٍ عَلَى حَالَاتٍ شَتَّى. وَفِي الْقُرْآنِ: ﴿وَقَدْ خَلَقْنَا أَطْوَارًا ۖ﴾ [نوح: الآية ١٤]. وَقَوْلُهُ «إِلَى حَيْثُ لَا نَخْشَاكَ» أَجْرَى حَيْثُ مَجْرَى الْأَسْمَاءِ، وَجَعَلَ لَا نَخْشَاكَ مِنْ تَمَامِهِ، وَحَذَفَ الضَّمِيرَ مِنْهُ تَخْفِيفًا، كَأَنَّهُ قَالَ إِلَى حَيْثُ لَا نَخْشَاكَ فِيهِ، أَيِ إِلَى مَكَانِ الْأَمْنِ مِنْكَ. وَيُرْوَى «فَإِنْ لَنَا عَنْكُمْ مَزَاحًا وَمَذْهَبًا». وَالْمَزَاحُ: الْمَبْعَدُ، يُقَالُ: زَاحَ عَنِّي.

٣ - فَلَا تَخْمِلُنَا بَعْدَ سَمْعٍ وَطَاعَةٍ عَلَى غَايَةِ فِيهَا الشَّقَاقُ أَوْ الْعَارُ يَقُولُ: لَا تُلْجِئْنَا بَعْدَ انْقِيَادِنَا لَكَ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأُمُورِ، وَدَخُولِنَا تَحْتَ هَوَاكَ، وَتَلْقَيْنَا بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ أَمْرَكَ، إِلَى غَايَةِ تَضَيُّقِ نِطَاقِ صَبْرِنَا، وَتُعْجُزِ طَاقَتِنَا وَجُهْدِنَا، فَتُقْضِي بِنَا الْحَالَ إِلَى أَحَدِ شَيْئَيْنِ، إِمَّا مُشَاقَّتِكَ وَمَجَاهَدَتِكَ، وَرُكُوبِ كُلِّ صَعَبٍ وَذُلُولٍ فِي الْخُرُوجِ عَنْكَ وَعَلَيْكَ. وَإِمَّا الرُّضَا بِالذَّنْبِ وَالذُّخُولِ تَحْتَ الْعَارِ وَالْهُزِيمَةِ، فَلَا حَظَّ لَنَا وَلَكَ فِي وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا. وَقَدْ مَضَى الْقَوْلُ فِي الشَّقَاقِ وَأَصْلِهِ، وَيُقَالُ: هُوَ يُشَاقُّهُمْ خِلَافًا وَعِنَادًا.

٤ - فَإِنَّا إِذَا مَا الْحَرْبُ أَلْقَتْ قِنَاعَهَا بِهَا حِينَ يَجْفُوها بَنُوها لِأَبْرَارٍ قَوْلُهُ «إِذَا» ظَرَفٌ لِلْخَبَرِ إِنَّ، وَهُوَ أَبْرَارُ. وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ «حِينَ يَجْفُوها، وَالتَّقْدِيرُ: إِنَّا لِأَبْرَارٍ بِالْحَرْبِ إِذَا أَلْقَتْ قِنَاعَهَا وَجَفَّاهَا أَبْنَاؤُهَا. وَقَوْلُهُ «أَلْقَتْ قِنَاعَهَا» مَثَلٌ. يَرِيدُ: إِذَا اشْتَدَّتْ فَتَكَشَّفَتْ، وَزَالَتِ الْمَسَاطَرَةُ بَيْنَ أَوْلَادِهَا فَتَبَرَّجَتْ، فِي أَفْجَحِ زِينِهَا وَأَفْظَعِ صُورَتِهَا. وَتَشْبِيهِ الْحَرْبِ فِي ابْتِدَائِهَا بِالْفَتْيَةِ الْمُخْذَرَةِ وَتَسْتُرِهَا، وَعِنْدَ تَفَاقُحِهَا بِالْعُجُوزِ وَأَطْرَاحِهَا لِقِنَاعِهَا، مَشْهُورٌ فِي عَادَاتِهِمْ وَطَرَائِقِهِمْ. وَبَرُّ أَبْنَائِهَا بِهَا: صَبْرُهُمْ عَلَى حَرْبِهَا، وَتَهْيِيجُهُمْ لِنَارِهَا. وَجَفَاؤُهُمْ بِهَا أَنْ يَكُونُوا عَلَى الضَّدِّ مِنْ ذَلِكَ.

٥ - وَلَسْنَا بِمُخْتَلِينَ دَارَ هَضِيمَةٍ مَخَافَةَ مَوْتٍ إِنَّ بِنَا نَبَتِ الدَّارُ

هذا خلاف قول الآخر: [الطويل]

إذا ارتحلوا عن دَارِ ضَيْمٍ تَعَاذَلُوا عَلَيَّهَا وَرَدُّوا وَقَدْهُمْ يَسْتَقِيلُهَا^(١)

وانتصب «مَخَافَةَ» على أَنَّهُ مفعولٌ له، والهَضِيمَةُ والمَضِيمَةُ واحد.

٢٢٣ - وَقَالَ قُرَادُ بْنُ عَبَادٍ^(٢): [الطويل]

١ - إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَغْضَبْ لَهُ حِينَ يَغْضَبُ فَوَارِسُ إِنْ قِيلَ أَرْكَبُوا الْمَوْتَ يَرْكَبُوا^(٣)

٢ - وَلَمْ يَخْبُهُ بِالنُّضْرِ قَوْمُ أَعْرَةَ مَقَاجِيمُ فِي الْأَمْرِ الَّذِي يُتَهَيَّبُ

٣ - تَهَضَّمَهُ أَذْنَى الْعَدُوِّ وَلَمْ يَزَلْ إِنْ كَانَ عِضًا بِالظُّلَامَةِ يُضْرَبُ

يُخْبِرُ بَأَنَّ عِزَّ الرَّجُلِ بِعَشِيرَتِهِ، وَاعْتِلَاءَهُ بِذَوِيهِ وَأَقَارِبِهِ، فَإِذَا لَمْ يَتَغَضَّبْ لَهُ فُرْسَانٌ يَسْخَطُونَ لِسَخَطِهِ وَيَمْتَعْضُونَ مِنْ دُخُولِ الضَّيْمِ عَلَيْهِ، فَيَرْكَبُونَ حَدَّ الْمَوْتِ فِي هَوَاهُ، وَيَقْتَحِمُونَ الشَّدَائِدَ فِي نُصْرَتِهِ، تَجَاسَرَ عَلَيْهِ أَوْعَفُ أَعْدَائِهِ، وَأَذْنَى مُخَالِفِيهِ، وَإِنْ كَانَ فِي نَفْسِهِ مَنَكْرًا ذَاهِيَةً لَا يُطَاقُ، وَلَمْ يَزَلْ مَضْرُوبًا بِالظُّلْمِ وَالْهَضِيمَةِ، مَقْهُورًا بِالْإِزْرَاءِ وَالْمَضِيمَةِ، وَإِنْ كَانَ لَا يُؤْتَى مِنْ حَدٍّ وَمَضَاءٍ. وَالْعِضُّ: السَّيِّئُ الْخُلُقِ، وَالْمُنَكَّرُ الشَّدِيدُ اللَّسَانِ. وَيَقَالُ: هُوَ عِضُّ مَالٍ وَعِضُّ سَفَرٍ وَقِتَالٍ، إِذَا كَانَ حَسَنَ الْغَنَاءِ فِي جَمِيعِهَا. وَجَوَابُ «إِذَا الْمَرْءُ» قَوْلُهُ «تَهَضَّمَهُ»، وَهُوَ الْعَامِلُ فِيهِ. وَالْمَقَاجِيمُ: جَمْعُ الْمُقْحَمِ، وَهُوَ الَّذِي يَخُوضُ قُحْمَةَ الشَّيْءِ، أَيْ مَغْطَمَهُ. وَمَعْنَى تَهَضَّمَهُ كَسَرَهُ وَأَذَلَّهُ. وَالْحِبَاءُ: عَطَاءٌ بِلا مَنٍّ وَلَا جَزَاءٍ. وَيَقَالُ: حَبَاهُ اللَّهُ بِكَذَا، وَحَبَاهُ كَذَا أَيْضًا. وَخَيْرُ لَمْ يَزَلْ «يُضْرَبُ»، وَفِي الْجُمْلَةِ جَوَابُ «وَإِنْ كَانَ عِضًا».

٤ - فَآخَ لِحَالِ السَّلَامِ مَنْ شَتَّتْ وَاعْلَمَنْ بِأَنَّ سِوَى مَوْلَاكَ فِي الْحَزْبِ أَجْنَبُ

٥ - وَمَوْلَاكَ مَوْلَاكَ الَّذِي إِنْ دَعَوْتَهُ أَجَابَكَ طَوْعًا وَالْذَّمَّاءَ تَصَبَّبُ

(١) لعميرة بن جعل، المفضلية رقم (٦٣)، والبيان والتبيين ٢: ٣٤٧.

(٢) التبريزي: «قال أبو هلال: هكذا في الأصل، وهو خطأ، وإنما هو قراد بن العيار بن محرز بن خالد... وأبوه العيار أحد شياطين العرب» وقراد بن العيار: شاعر شرير بذيء اللسان عمّر طويلاً. (ت نحو ١٦٠ هـ/ ٧٧٧ م) ترجمته في المؤتلف والمختلف ١٥٩، ومعجم الشعراء للمرزباني ٣٢٨.

(٣) التبريزي: «لم تغضب».

٦ - فَلَا تَخْذُلِ الْمَوْلَىٰ وَإِنْ كَانَ ظَالِمًا فَإِنَّ بِهِ ثَنَاءَ الْأُسُورِ وَتُرَابَ
يَحْتَهُ عَلَى اسْتِصْلَاحِ بَنِي الْأَعْمَامِ، وَبَيْنَهُ عَلَى أَنَّهُمُ الْمُعْتَمِدُونَ فِي الشَّدَائِدِ،
فَيَقُولُ: وَالِ لِأَيَّامِ السَّلَامَةِ وَأَحْوَالِ الْمَوَادَعَةِ وَالْمُسَالَمَةِ مِنْ شَيْتٍ، وَإِنْ لَمْ يَجْمَعْكَ
وَأَيَّاهُ نَسَبٌ وَلَا سَبَبٌ، عَالِمًا بِأَنَّهُ لَا يَصْلُحُ لِلْحَرْبِ وَمَجَادِبَةِ الْأَعْدَاءِ إِلَّا قَرِيبٌ، وَأَنَّ
مِنْ سِوَاهُ فِيهَا غَرِيبٌ. وَقَوْلُهُ «مَوْلَاكَ مَوْلَاكَ» تَلَاثَى بِهِ تَحْقِيقٌ مَا قَدَّمَهُ، وَتَأَكِيدُ مَا
أَطْلَقَهُ، وَنَفَى عَنْهُ تَسَلُّطَ الْمَجَازِ وَالِاتِّسَاعِ. فَيَقُولُ: مَوْلَاكَ فِي الْحَقِيقَةِ هُوَ ابْنُ عَمِّكَ
الَّذِي إِنْ اسْتَعْتَشْتَ بِهِ أَبْعَدَ مَا كَانَ مِنْكَ أَغَاثُكَ عَنْ حُثُوٍّ وَشَفَقَةٍ، وَإِنْ دَعَوْتُهُ وَالْكَلْمُ
يَقْطُرُ وَحِبْلُ الْأَلْفَةِ يَنْقَطِعُ، أَجَابَكَ لَا بِتَصْنُوعٍ وَتَعْمَلُ، فَأَمَّا مِنْ وَلَاؤِهِ بِالِاسْمِ دُونَ
الْمَعْنَى، أَوْ يَكُونُ مَدَاجِيًا لَكَ يُجَامِلُكَ بِالْغِشِّ وَيَنْطَوِي لَكَ عَلَى الضُّغْنِ، يَخْذُلُكَ
أَخْوَجَ مَا كُنْتَ إِلَيْهِ، وَيَبْعُدُ عَنْكَ أَقْرَبَ مَا كُنْتَ فِيهِ، فَلَا مَعْتَمَدَ عَلَيْهِ، وَلَا اسْتِنَامَةَ
إِلَيْهِ. وَانْتَصَبَ «طَوْعًا» لِأَنَّهُ مُصَدِّرٌ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ. وَمِثْلُ هَذَا قَوْلُ الْآخَرِ:
[الطويل]

أَخْوَكَ الَّذِي إِنْ تَدْعُهُ لِمُؤَلِّمَةٍ يُجِنِّكَ وَإِنْ تَغْضَبَ إِلَى السَّيْفِ يَغْضَبِ
وقوله «وَلَا تَخْذُلِ الْمَوْلَىٰ وَإِنْ كَانَ ظَالِمًا» يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى: لَا تَخْذُلْهُ
وَإِنْ كَانَ ظَالِمًا لَكَ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ عَلَى مِنْهَاجٍ مَا جَاءَ فِي الْخَبَرِ: «انْصُرْ أَخَاكَ
ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا». يَقُولُ: طَالِبُ نَفْسِكَ لِمَوْلَاكَ بِمِثْلِ مَا تُطَالِبُ بِهِ مَوْلَاكَ لِنَفْسِكَ،
وَانْصُرْهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ.

وفِي مِثْلِ طَرِيقَةِ الْبَيْتَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ مِنْ هَذِهِ الْمَقْطُوعَةِ قَوْلُ الْآخَرِ^(١): [الطويل]
وَمَنْ لَا يَكُنْ ذَا نَاصِرٍ يَوْمَ حَقِّهِ يُغَلِّبُ عَلَيْهِ ذُو النَّصِيرِ وَيُضْهِدُ
وفِي كَثَرَةِ الْأَيْدِي لِذِي الظُّلْمِ زَاجِرٌ إِذَا خَطَرَتْ أَيْدِي الرِّجَالِ بِمَشْهَدِ
وَمَعْنَى «بِهِ ثَنَاءُ الْأُمُورِ وَتُرَابُ» يَرِيدُ بِالْمَوْلَىٰ تَضَلُّعُ الْأُمُورِ وَتُفْسَدُ. وَيَقَالُ:
رَأَيْتُ الثَّأْيَ، كَمَا يَقَالُ: رَفَعْتُ الْحَرْقَ.

٢٢٤ - وَقَالَ زَاهِرٌ أَبُو كِرَامٍ التَّيْمِيُّ^(٢): [الكامل]

١ - اللَّهُ تَزِيْمٌ أَيْ رُمُوحِ طِرَادٍ لَأَتَى الْحِمَامُ بِهِ وَنَضِلَ جِلَادِ

(١) لَعْدِي بْنُ زَيْدِ الْعَبَادِيِّ فِي حِمَاسَةِ الْبَحْتَرِيِّ ١٥٤.

(٢) التَّبْرِيزِيُّ: «التَّيْمِيُّ، وَيُرْوَى كِدَامٌ».

قوله «الله تَنِيمٌ»، تَنِيمٌ: رجلٌ من بني يَشْكُرَ، بارزٌ أبا كِرَامٍ فَقَتَلَهُ، وكان أحدَ الفُرسانِ، فأخذ أبو كِرَامٍ يقيم أمره ويعظم شأنه، لأنَّ ثناءه عليه وإكباره لمكانه راجعٌ إليه، إذ صار قَتِيلَهُ. واللام من «الله تَنِيمٌ» دخلت للتخصيص، والتعجبُ دخلَ في الكلام أيضًا بقوله «أَيُّ زُمَحٍ طِرَادٍ». وعلى هذا قولهم: لله دَرَه. وهذا التخصيص باللام يجري مجرى الإضافة في قولهم: بَنِيْتُ الله، وكعبَةُ الله، وإن كانت الأشياء كلها لله. وقوله «أَيُّ زُمَحٍ طِرَادٍ لَأَقَى الْجِمَامَ به» الضميرُ في به لتَنِيم، والمعنى: لَأَقَى الموتَ بتَنِيمِ أَيُّ زُمَحٍ مُطَارَدَةٍ، وأَيُّ نَضَلٍ مُجَالِدَةٍ، كأنه كان زُمَحًا ونَضَلًا، ومَحَشٌ حربٍ. ويجوز أن يكون المراد: لَأَقَى الموتَ به أَيُّ سلاحٍ وُعْدَةٍ، وأَيُّ مقاتلٍ وبطلٍ. ولك أن ترفع «الْجِمَامَ»، والمعنى: لَأَقَى الموتَ بتَنِيمِ أَيُّ رمحٍ وأَيُّ رامحٍ، وأَيُّ سيفٍ وأَيُّ سائفٍ. ودلٌّ على صاحب السيف والرُمح قوله «ومَحَشٌ حربٍ» في البيت الثاني.

٢ - ومَحَشٌ حربٍ مُقَدِّمٍ مُتَعَرِّضٍ لَلْمَوْتِ غَيْرِ مُعَرِّدٍ حَيَادٍ

يقال: حَشَشْتُ النَّارَ، إذا جمعتَ الحَطَبَ إليها وهيئتها. كأنه جعله آلةً في حَشٍّ نار الحرب، لأنَّ المِفْعَلَ والمِفْعَالِ للآلات. والتَّعَرِّدُ: تَزَكُّ القَصْدِ وسرعَةُ الانهزام. والحَيَادُ: الذي يَحِيدُ عن موضع القتال كثيرًا. يريدُ أنه يُقَدِّم ولا يُحْجِم. وانعطف «ومَحَشٌ حربٍ» على «ونَضَلٍ جِلَادٍ».

٣ - كَاللَّيْثِ لَا يَنْفِيهِ عَنْ إِقْدَامِهِ خَوْفُ الرَّدَى وَقَمَاقِعُ الْإِعْمَادِ

٤ - مَذِلٌّ بِمُهْجَتِهِ إِذَا مَا كَذَّبَتْ خَوْفُ الْمَنِيَّةِ نَجْدَةَ الْأَنْجَادِ

يقول: هو في بَاسِهِ وإِقْدَامِهِ، مِثْلُ اللَّيْثِ لَا يَصْرِفُهُ عَنِ الْوَجْهِ الَّذِي يُؤْمُهُ، وَالْأَمْرُ الَّذِي يُهْمُّهُ، مَا يَسْتَشْعِرُهُ الْجَبَانُ مِنْ خَوْفِ الْمَوْتِ، وَقَعْقَعَةُ الْوَعِيدِ. وَالْقَعْقَعَةُ: صَوْتُ الْجِلْدِ الْيَابَسِ وَالْبَكْرَةِ؛ وَتَوَسَّعُوا فِيهِ فَقَالُوا: هَالًا فَلَانًا قَعْقَعَةُ الْوَعِيدِ. وَقَالُوا: تَقَعَّقَتْ مَفَاصِلُهُ أَيْضًا.

وقوله: «مَذِلٌّ بِمُهْجَتِهِ» كأنه يَطُولُ تَعَرُّضُهُ لِلشَّدَائِدِ، وَيَدُومُ ابْتِدَالُهُ لِمَا يَجِبُ صَوْنُهُ مِنْ كِرَائِمِ النَّفْسِ، فَعَلَّ مَنْ ضَجَرَ بِمُهْجَتِهِ فَاسْتَقْتَلَ، وَاسْتَطَابَ الْمَوْتَ فَتَعَجَّلَ. ويقال: مَذِلٌّ بِسَرِّهِ، إِذَا بَاحَ بِهِ. وَالْمُهْجَةُ: خَالِصَةُ النَّفْسِ، وَمِنْهُ الْأُمُهْجَانُ فِي اللَّبَنِ^(١).

(١) يقال: لبن أمهجان: إذا سكنت رغوته وخلص ولم يخثر.

وانتصب «خَوْفَ الْمَيِّتَةِ» على أنه مفعول له، وإذا ما كَذَّبَتْ نَجْدَةُ الْإِنْجَادِ، ظَرَفَ لِقَوْلِهِ مَذِلٌ، والمعنى: إذا خانت شِدَّةُ الْأَشِدَّاءِ، ولم تَفِ بما تَعِدُ شَجَاعَةُ الشُّجْعَانِ، لاستفحال الشَّانِ، فَإِنَّ هَذَا الرَّجُلَ كان يَمْدُلُ بِمَهْجَتِهِ، فكأنَّه يَمِيلُ إلى انقطاع العُمَرِ. والآنْجَادُ: جمع النَّجْدِ. والنَّجْدَةُ: الْبَاسُ. ويقال: هو صَادِقُ الْبَاسِ، كما قيل كاذب الْبَاسِ.

٥ - سَأَيْنُهُ كَأْسَ الرَّدَى بِأَسِنَّةٍ ذُلِّي مُؤَلَّلَةَ الشُّفَارِ حِدَادٍ

٦ - قَطَعْنَتْهُ وَالْخَيْلُ فِي رَهْجِ الْوَعَى نَجَلَاءَ تَنْضَحُ مِثْلَ لَوْنِ الْجَادِي

أخذ يقتصر كيف قُتِلَ تَيْمًا. والمُسَاقَاة تكون من اثنين، ولذلك قال: «بِأَسِنَّةٍ ذُلِّي» فجمع، وإنما كان سِنَانِي من رُمَحِينَ. ويجوز أن يَكُونَ جَمَعَ لَأَنَّهُ أَرَادَ الرُّجَّ وَالسَّنَانَ من كُلِّ واحدٍ منهما. والذَّلَقُ: الْمُحَدَّدَةُ. وذُلِّي كل شيء: حَدَّهُ، ومنه قيل ذَلِيقُ اللِّسَانِ. والمُؤَلَّلَةُ أَيضًا: الْمُحَدَّدَةُ: وَالشُّفَارُ، أَصْلُهُ أَنْ يَسْتَعْمَلَ فِي السُّكَّينِ الْعَرِيضِ. وكما جَعَلَ هَذَا الشُّفْرَةَ لِلرُّمَحِ جَعَلَهُ غَيْرُهُ لِلسَّيْفِ فقال: [الطويل]

وَزَكَبَ حَدَّ السَّيْفِ مِنْ أَنْ تَضِيْمَهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ عَنْ شُفْرَةِ السَّيْفِ مَزْحَلٌ^(١)

وقوله «قَطَعْنَتْهُ وَالْخَيْلُ» الواو واو الحال، والرَّهْجُ: الْغَبَارُ. وقوله: «نَجَلَاءَ» أَرَادَ طَعْنَتْهُ طَعْنَةً نَجَلَاءَ أَيِ وَاسِعَةٍ، تَنْضَحُ أَيِ تَرُشُ. وَالتَّنْضَحُ بِالْحَاءِ غَيْرُ مَعْجَمَةٍ يَسْتَعْمَلُ فِيهَا رَقٌّ، وبِالْخَاءِ مَعْجَمَةٌ فِيمَا غَلِظَ. وقوله «مِثْلَ لَوْنِ الْجَادِي» يَعْنِي بِهِ دَمًا، أَيِ لَوْنُهُ مِثْلُ لَوْنِ الزُّعْفَرَانِ.

٧ - فَكَأَنَّمَا كَانَتْ يَدِي مِنْ حَنْفِهِ لَمَّا انْتَفَيْتُ لَهُ عَلَى مِيعَادٍ

٨ - فَهَوَى وَجَائِشَهَا يَفُورُ بِمُزِيدٍ مِنْ جَوْفِهِ مُتَدَارِكِ الْإِزْبَادِ^(٢)

قوله «فَكَأَنَّمَا كَانَتْ يَدِي مِنْ حَنْفِهِ» يَرِيدُ أَنَّهُ سَقَطَ لِأَوَّلِ طَعْنَةٍ، فَكَانَتْ نَفْسُهُ فِيهَا، لِأَنَّهُ كَانَتْ جَائِفَةً نَافِذَةً إِلَى الْمَقْتَلِ، فَكَأَنَّ بَيْنَ حَنْفِهِ وَبَيْنَ يَدِي لَمَّا أَمْلَتْهَا لِلطَّعْنِ مَوْعِدَةٌ أُنْجِزَتْ، وَخَطْفَةٌ اخْتِطَفَتْ. وقوله «فَهَوَى وَجَائِشَهَا يَفُورُ» يَرِيدُ: سَقَطَ وَمَا يَجِيشُ مِنْ نَجِيعِهِ يَسِيلُ وَقَدْ عَلَاهُ الزُّبْدُ لِكَثْرَتِهِ وَقُوَّتِهِ، فَهُوَ يَمُورُ وَلَا يَزَقُّ وَلَا يَهْدَأُ. وَمَعْنَى «مُتَدَارِكِ الْإِزْبَادِ»، أَيِ مُتَابِعِهِ، أَيِ إِزْبَادِهِ لَا يَنْقَطِعُ.

(١) لمعن بن أوس في ديوانه ٣٧، وأمالى القالي ٣: ٢١٩.

(٢) التبريزي: «متابع».

٢٢٥ - وقال عمرو القنا^(١) :

١ - القائلين إذا هم بالقنا خرّجوا من غمرة الموت في حوماتها عودوا
الحومات: جمع حومة، وهي في الأصل أكثر موضع في البحر ماء، وكذلك
في الحوض، فاستعارها لشدة الحرب. وإنما يصف جرحهم على القتال، وأنه لا
يلحقهم السامة فيه والمّلال، فمتى خرّجوا من غمرة مينة، وحومة كريهة، مطاردين
الأعداء، دعتهم أنفسهم إلى أن يتنادوا: عودوا، فلا شفاء لننا، ولا بواء من الأعداء
أصبتنا. وقوله «بالقنا خرّجوا» أي خرّجوا ومعهم القنا. وعودوا في موضع المفعول من
القائلين، وهو حكاية ما قالوا.

٢ - عادوا فعادوا كراماً لا تنابله عند اللقاء ولا رُغش رعايد
قوله «لا تنابله عند اللقاء» مثله قول الهذلي^(٢): [البيسط]

قد ظنك فيها معي شعث كأنهم إذا يشب سعيّر الحرب أرماع

يقول: عادوا لاتفاق آرائهم واجتماع كلماتهم، وهم كرام الموافقة، شداذ
المناسبة، لا يتضاءلون عند اللقاء، ولا يتقاصرون في جهد البلاء، ولا يرتعشون في
الدفاع، ولا يتخاضعون أوان الامتناع. والتنبلة: جمع التنبال، وهو القصير.
والرعايد: جمع رعيد، وهو الذي لا يماسك جبناً وضعف قلب.

٣ - لا قوم أكرم منهم يوم قال لهم مخرض الموت عن أحسابكم دودوا
دخل تحت قوله «أكرم منهم» كل خصلة محمود، لأنه إذا تنأى كرمهم إذا دعا
الداعي وقت التحريض: أن ادفعوا عن أحسابكم، فقد حصلوا كل منقبة شريفة،
وطلّعوا على كل نية من تنأى المجدي منيفة، واكتسبوا من الأحداث الجميلة بما يظهر
من بلائهم ما يقصر عنه كل أكرامة نبيهة.

(١) عمرو القنا: عمرو بن عميرة العبيري: من بني سعد بن زيد مناة، من تميم، شاعر فحل كان
من رؤساء الخوارج وفرسانهم الشجعان الأشداء. (ت نحو ٧٧ هـ / ٦٩٦ م) ترجمته في معجم
الشعراء ٢٢٨، وتاريخ الطبري حوادث سنة ٦٥.
(٢) لأبي ذؤيب في شرح ديوان الهذليين ١: ٥٠.

٢٢٦ - وقال الفرزدق^(١): [الطويل]

١ - إِنْ تُنْصِفُونَا يَالَ مَرْوَانَ نَفْتَرِبَ إِلَيْكُمْ وَإِلَّا فَأَذْنُوا بِبِعَادِ
يقول: إِنْ حَمَلْتُمُونَا فِي مجاورتنا لَكُمْ عَلَى السَّوَاءِ، وَتَرَكْتُمْ الْبَغْيَ عَلَيْنَا
وَالْعَلَاءَ، اخْتَلَطْنَا بِكُمْ، وَطَلَبْنَا مَوَافَقَتَكُمْ، وَإِلَّا فاعْلَمُوا أَنَّ الْبِعَادَ مِنْكُمْ هَمُنًا وَهَمْتُنَا؛
لأنَّهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَنَا صَبْرٌ عَلَى الْإِهْتِزَامِ، وَلَا طَرِيقٌ إِلَى الْإِنْتِقَامِ، فَلَا تَالَتْ لِهَمَّا إِلَّا
الْإِنْتِقَالُ. وَيُقَالُ: أَذْنْتُ بِكَذَا، إِذَا عَلِمْتُ بِهِ فَاسْتَعَدَدْتُ لَهُ؛ وَأَذْنَيْي فُلَانٌ؛ وَمِنَ الْأَذَانِ
بِالصَّلَاةِ، وَالْفِعْلُ مِنْهُ أَذَّنْ.

٢ - فَإِنْ لَنَا هَنْكُكُمْ مَرَّاحًا وَمَذْهَبًا بِعِيسٍ إِلَى رِيحِ الْفَلَاةِ صَوَادٍ
قوله «مَرَّاحًا» هُوَ مَنْ زَاحَ يَزِيحُ، إِذَا ذَهَبَ؛ وَمِنَ أَزَحْتَ الْعِلَّةِ. وَالْكَلَامُ خَارِجٌ
عَلَى أَنَّهُ تَفْسِيرُ الْبِعَادِ الَّذِي ذَكَرَهُ وَيَبَيِّنُهُ. يَقُولُ: إِنْ سُمْتُمُونَا خَسْفًا، وَأَذَقْتُمُونَا فِي
وَلَايَتِكُمْ عَسْفًا، فَإِنْ لَنَا عَنْكُمْ فِي الْأَرْضِ مَبْعَدًا وَمُنْتَأَى، بِإِبِلٍ بِيضٍ كِرَامٍ، أَلَفْتُ
الْمِفَاوِزَ، فَهِيَ لِلتَّلَكُّؤِ عَنْهَا نَوَازِعٌ دُونَهَا، عَوَاطِشٌ إِلَى رِيحِهَا. وَالصَّوَادِي: جَمْعُ
صَادِيَّةٍ؛ وَالصَّدَى: الْعَطَشُ.

٣ - مُخَيِّسَةً بُزْلٍ تَخَايَلُ فِي الْبُرَى سَوَارٍ عَلَى طُولِ الْفَلَاةِ عَوَادٍ
التَّخْيِيسُ: حَبْسُ الْإِبِلِ عَلَى الْكُدِّ وَالْعَمَلِ؛ وَمِنَ قَوْلِ النَّابِغَةِ: [البسيط]

وَحَيْسِ الْجِنَّ إِنِّي قَدْ أَذْنْتُ لَهُمْ^(٢)

أَيِ احْبِسْهُمْ وَاسْتَعْمِلْهُمْ، وَإِنَّمَا وَصَفَ الْعِيسَ لِيُرِيَّ أَنَّهُ مَتَمَكِّنٌ مِنْ مُرَادِهِ فِي
التَّبَاعِدِ، مُسْتَظْهِرٌ فِي الْعُدَّةِ لِلسَّفَرِ إِنْ اضْطُرَّ إِلَيْهِ. وَجَعَلَهَا بُزْلًا لَتَكُونَ مَتْنَاهِيَّةً فِي
الْقُوَّةِ. وَقَوْلُهُ «تَخَايَلُ فِي الْبُرَى» أَيِ تَحْتَالُ فِي سَيْرِهَا وَهِيَ مُبْرَأَةٌ تُطِيقُ وَضَلَ السَّيْرِ
بِالسَّرَى، عَلَى امْتِدَادِ الشُّقَّةِ وَطُولِ الْوِجْهِةِ. وَقَوْلُهُ «فِي الْبُرَى» فِي مَوْضِعِ النُّصْبِ عَلَى
الْحَالِ.

(١) الفرزدق: همام بن غالب بن صعصعة التميمي، شاعر عظيم الأثر في اللغة، وكان يقال: لولا
شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب ولولا شعره لذهب نصف أخبار الناس (ت ١١٠ هـ/
٧٢٨ م). ترجمته في الأغاني ٩: ٣٢٥، وابن سلام ٧٥، والمزباني ٤٨٦.

(٢) للنابغة في معلقته وعجزه:

«ينون تدمر بالصَّفَّاحِ والعُمْدِ»

٤ - وفي الأرض عن ذي الجؤور مثنأى ومذهب

وكل بلاد أوطنئت كبلادي

أظهر في الكلام طيب نفسه على السفر، وسلوه عن بلده وموطئه، فقال: في الأرض الواسعة منتزح ومتوجه عن الجائرين، وكل مكان اتخذته وطنا كان كمسقط رأسي، ومقر نشئي، إذ لا قرابة بين الديار وسكانها ولا مشاكلة، وإنما يختار منها ما كان إلى السلامة أقرب، وللعز أجلب، ومن المهانة والذل أبعد.

٥ - وماذا عسى الحجاج ينبلغ جهده إذا نحن خالفنا خفير زياد^(١)

كان شكوه من الحجاج بن يوسف، وتأذيه بسوء معاملته، فأخذ يستهين به. يقول: إذا خرجت من ملكته، وفارقت أرضي مملكته، وتباعدت عن حومة سلطانه، ودار أمره ونهيه، وخلفت ورائي خفير زياد بن أبيه، الذي هو حد عمله، فماذا تراه يقدّر عليه مئي، أو يستطيع اختياره من إيدائي وقصدي. وعسى من أفعال المقاربة، والفعل بعده يضحبه أن في الكلام. وفي القرآن: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ﴾ [البقرة: الآية ٢١٦]. إلا أنه في الشعر قد يشبه تكاذ، وهو نظيره في أنه من أفعال المقاربة، فينزغ منه أن، لأن الفعل بعد كاد يكون بغير أن. ومثله في ذلك قول الآخر: [الطويل]

عسى الله يغني عن تباد ابن قدير

ويغني بحفير زياد نهرًا كان احتقره زياد.

٦ - فبأسيت أبي الحجاج وأسيت عجوزه عتيد بهم ترزعي بوهاد

قوله «بأسيت أبي الحجاج» قال أبو زيد: القصد بمثل هذا القول أن يبين أنه يتجاسر على ذكر السوء منه. والباء من قوله «بأسيت» متعلقة بمضمر، كأنه لحق بأسيت والديه كل خزية وعار، ومنقصة وشنار. وقوله «عتيد بهم» انتصب على الشتم والاختصاص، والعامل فيه فعل مضمر، كأنه قال: أغني وأذكر. وجعله بهذا الاسم أشهر وأعزف منه بالعلم له، والاسم الذي سمي به. وهذا هو الغرض في كل ما يُنصب على المدح أو الذم، ولذلك كان أبلغ من الصفات التابعة لموصوفها في المعنى، إذ كانت الصفة تجيء لشرح الاسم وإزالة اللبس عنه، وباب المدح والذم

(١) التبريزي: «جهده» بالرفع.

يجيء للتنويه والرفع أو التهجين والخط. والمُعْتَد: تصغير عَتُد، وهو ما رعى وقوي من أولاد العُثم. والبهَم: صغار أولاد الغنم. وقوله «تَرْتَعِي» موضعه جَرُّ على أنه صفة لقوله بهَم. والوهاد: ضد التجاد. والمعنى: أنه في القلة والخسة رئيس أشباه له هذا صفتهم فيما ينالونه من دنياهم، فهو فيهم كعتود من بهَم ذلك صفتها.

٧ - فلولا بنو مزوان كان ابن يوسف كما كان عبدا من عبيد إنياد^(١)

يقول: لولا تقدم الحجاج ببني مروان، واستعمالهم إياه، وجذبهم بضبعه ورفعهم خبيسته، وإبطاؤهم الناس عبيته لكان حديثا كما كان قديما ذليلا مهينا حقيرا، قويا بين أمثال له من إنياد.

٢٢٧ - وقال آخر: [مشطور الرجز]

١ - قد علم المستأخرون في الوهل

٢ - إذا السيف عريت من الخلل

٣ - أن الفراز لا يزيد في الأجل

يقال: استأخر بمعنى تأخر، كما يقال: استقدم بمعنى تقدم. والوهل: الفزع. والخلل: بطائن جفون السيف، والواحدة خلّة، والمراد بها ههنا الجفون. وقوله «أن الفراز» سد مسد مفعولي علم. يقول: بأن وظهر للذين يتأخرون عن الدفاع، ويتحامون المصاع، مستشعرين أن الإحجام يقيهم ويُنقيهم، وظانين أن الفراز من الزخوف إذا انتضبت السيوف يزيد في أعمارهم - أن الحذر لا يغني من القدر، وأن الهرب لا يزيد في الأجل. وهذا كلام من ابتدأ نفسه فسليم وصار يُعير من كان بخلافه.

٢٢٨ - وقال شبل الفزاري^(٢): [الوافر]

وحاربه بنو أخيه فقتلهم

١ - أيا لهفى على من كنت أذعو فكفيني وساعده الشديد

يتندم على ما أجري إليه وجره القدر فيهم وفيه، ويتندم من نكايته في ذويه ويتحزن على ما فاتته من تلافيه، ويتلهف من فقدانه إياهم على فاقته إليهم، فقال: يا

(١) روى التبريزي بعده:

«زمان هو العبد المقيّر بذلة يراوخ صبيان القرى ويغادي»

(٢) التبريزي: «شبل الفزاري».

حَسَرَتَاهُ عَلَى مَنْ كَانَ مَفْزَعِي فِي النَّوَابِ، وَمُعْتَمِدِي فِي الشَّدَائِدِ، أَسْتَنْصِرُهُمْ
فِيَنْصُرُونَنِي، وَأَسْتَكْفِيهِمْ فَتَحْضُلُ مِنْهُمْ كَفَايَتِي، وَالْقُوَّةُ لَهُمْ وَبِهِمْ، وَالنُّصْرَةُ مَجْتَلِبَةٌ مِنْ
جِهَتِهِمْ وَقَوْلُهُ «وَسَاعِدُهُ» الْوَارِ وَارِ الْحَالِ، أَيْ يَكْفِينِي بِقُوَّةٍ وَشِدَّةٍ بِأَسْ.

٢ - وَمَا عَنْ ذِلَّةٍ غُلِيُوا، وَلَكِنْ كَذَاكَ الْأَسَدُ تَفَرَّسُهَا الْأَسْوَدُ^(١)

بَيَّنَّ أَنَّهُمْ لَمْ يُؤْتَوْا مِنْ ضَعْفٍ، وَلَمْ يُنْكَبُوا عَنْ وَهْنٍ، وَلَكِنْ الْأَشْدَاءُ إِذَا تَلَاَقَوْا
مُتَدَاغِعِينَ وَمُتَجَاذِبِينَ، فَلَا بُدَّ مِنْ حُصُولِ الْغَلَبِ فِي أَحَدٍ جَانِبَيْهِمْ، وَاحْتِجَانِ الْقَهْرِ
لِأَقْرَبِ طَائِفَتَيْهِمْ. عَلَى ذَلِكَ الْأَسْوَدُ تَكْسِيرُهَا الْأَسْوَدُ. وَقَوْلُهُ: «كَذَاكَ الْأَسَدُ» الْأَسَدُ
مُرْتَفِعٌ بِالْإِبْتِدَاءِ، وَتَفَرَّسُهَا الْأَسْوَدُ فِي مَوْضِعِ الْخَبَرِ، وَكَذَاكَ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ،
وَالْتَقْدِيرُ: وَلَكِنَّ الْأَسَدَ تَفَرَّسُهَا الْأَسَدُ كَذَلِكَ، أَيْ أَمْثَالًا لِمَنْ قَتَلْتُ، وَيجوزُ أَنْ يَكُونَ
أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى الْغَلَبِ، لِأَنَّ غُلِيُوا يَدُلُّ عَلَيْهِ، وَيجوزُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ خَبَرًا مُقَدِّمًا
لِلْأَسَدِ، وَتَفَرَّسُهَا فِي مَوْضِعِ الْحَالِ وَالتَّقْدِيرِ: وَلَكِنْ كَأَمْثَالِهِمُ الْأَسَدُ إِذَا فَرَسَتْهَا الْأَسَدُ،
وَمِثْلُ هَذَا قَوْلُ الْآخَرِ: [الْخَفِيفُ]

قَوْمُنَا بَغْضَهُمْ يُقْتَلُ بَعْضًا لَا يَقْتُلُ الْحَدِيدَ إِلَّا الْحَدِيدُ

وَمِنَ الْأَمْثَالِ: «التَّبَعُ يَقْرَعُ بَعْضُهُ بَعْضًا».

٣ - فَلَوْلَا أَنَّهُمْ سَبَقَتْ إِلَيْهِمْ سَوَابِقُ نَبِلْنَا وَهُمْ بَعِيدُ

٤ - لَحَاسُونَا حِيَاضَ الْمَوْتِ حَتَّى تَطَايَرَ مِنْ جَوَانِبِنَا شَرِيدُ

هَذَا الْكَلَامُ اعْتِرَافٌ مِنْهُ بِقُوَّتِهِمْ وَعَنَائِهِمْ فِي الْحَرْبِ وَاسْتِقْلَالِهِمْ، يَقُولُ: لَوْلَا
أَنَا رَشَقْنَاهُمْ بِالنَّبْلِ عَلَى بُعْدِهِمْ عَنَا، وَقَبْلَ تَمَكُّنِهِمْ مِنَّا، لَكَانَ الْإِثْنَانُ عَلَيْهِمْ مُتَعَدِّرًا،
وَالْفَرَاغُ مِنْ مُنَاوَشَتِهِمْ مُتَصَعِّبًا، لَمَا فِيهِمْ مِنَ الثُّبَاتِ فِي الدَّفَاعِ وَالصَّبْرِ عَلَى الْوَقَاعِ،
وَلَأَنَّهُمْ كَانُوا يُسَاقُونَا الْمَوْتَ مِنْ حِيَاضِهِ إِلَى أَنْ يَتَفَرَّقَ عَنَا، وَيَذْهَبَ مِنْ جَوَانِبِنَا كُلُّ
مُخْتَلِطٍ بِنَا، يَأْسًا مِنَّا، وَنَفُورًا مِنْ حَالِنَا، لَمَا يَسْتَشْنِعُهُ مِنْ جَهْدِ بِلَاتِنَا، وَيُنْشِئُهُ مِنْ
عَسْرِ لِزَامِنَا، لَكِنَّهُمْ شَغِلُوا بِمَا دَهَمَهُمْ مِنْ ذَلِكَ. وَقَوْلُهُ «وَهُمْ بَعِيدُ» بَعِيدٌ مِثْلُ
الصَّدِيقِ وَالرَّسُولِ، فِي أَنَّهُ يَقَعُ لِلوَاحِدِ وَالْجَمْعِ. وَقَوْلُهُ «شَرِيدُ» يُرَادُ بِهِ الْكَثْرَةُ، وَإِنْ
كَانَ لَفْظُهُ وَاحِدًا. وَقَوْلُهُ: «لَحَاسُونَا حِيَاضَ الْمَوْتِ» فِيهِ تَوْشُّعٌ، لِأَنَّ الْمَعْنَى مَا فِي
الْحِيَاضِ.

(١) التبريزي: «وما من ذلّة».

٢٢٩ - وقال قطري بن الفجاءة: [الطويل]

١ - ألا أيها الباغى البرارَ تَقْرَيْنَ أَسَاقِكَ بِالْمَوْتِ الدُّعَافَ الْمُقَشَّبَا

يخاطبُ من طَلَبَ مبارزته. ومعنى «تَقْرَيْنَ» أَقْبِلْ وَهَلُمَّ. وقوله «أَسَاقِكَ بالموتِ الدُّعَافَ الْمُقَشَّبَا» يجوز أن يكون معناه أَسَاقِكَ بسبب الموتِ، ويجوز أن يكون على القلبِ أراد أَسَاقَكَ الموتِ بالدُّعَافِ، والمعنى بأن أَفْعَلَ بك ما يقوم مقام سَقَى الدُّعَافِ. وَيَدُلُّ على هذا الوجه قوله فيما بَعْدَ: «فَمَا فِي تَسَاقِي الْمَوْتِ فِي الْحَزْبِ سُبَّةٌ». والدُّعَافُ: سَمٌ سَاعِي، ويقال طعامٌ مَذْعُوفٌ. وَمَوْتُ دُعَافٍ أَي وَجِي. والمُقَشَّبُ: الذي قد خُلِطَ به أدويةٌ تُقَوِّيه وتَهَيِّجُه. وأصل القَشْبِ: الخَلْطُ، حتَّى قيل رَجُلٌ مُقَشَّبٌ، أي مخلوط الحسب باللؤم.

٢ - فما في تَسَاقِي الْمَوْتِ فِي الْحَزْبِ سُبَّةٌ على شَارِبِيهِ فاسقيني منه واشربنا

التساقِي: أن يَسْقِيَ بعضهم بعضًا، ولا يصح الأمرُ منه لواحدٍ، ولا يَتَعَدَّى إليه. ومن هذا الوجه خَالَفَ تَفَاعَلَ، وإن لم يَكُنْ فعلهما إلا من اثنين فصاعدًا. ألا تَرَى أَنَّكَ تقولُ يا زَيْدُ ضاربٌ عَمْرًا، ولا تقول تَضَارَبَهُ. والمراد بالكلام إظهار طيب النفس بالموت، والتسلي عن الحياة، وأنه لا يَدْخُلُ العارُ على من شَرِبَ كأسَ الرَّذَى، ولا مُنْقَصَةٌ على مُتَنَازِعِيهَا، فهاتِهَا وَخُذْهَا.

٢٣٠ - وقال دراج حين طعن: [السرير]

١ - شُدِّي عَلَيَّ الْعَضْبَ أَمْ كَهَمَسَ

٢ - ولا تَهْلِكْ أَذْرُعٌ وَأَرْؤُسُ

٣ - مُقَطَّعَاتٌ وَرِقَابٌ خُنُسُ

٤ - فإِنَّمَا نحنُ عُدَاةُ الْأَنْحُسِ

٥ - هَيْمٌ بِهَيْمٍ طُلَيْثٌ تَمَرَسُ

يقوي قلبها على أسْرِ جراحه، وإحكام شدِّ عصائِهِ، ويقول: لا يَهُولُكَ ما تَرَيْنَ من أَذْرُعٍ مُفْصَلَةٍ، وأرؤُسٍ مُقَطَّعَةٍ، ورقابٍ مُقَصَّرَةٍ، فإنَّ الْمَوْتَ يَأْتِي لِجِيبِنِ وَأَوَانِهِ، وقدرِهِ وَمِيقَاتِهِ، ولا يقرُّهُ شِدَّةُ الْجِلَادِ، ولا قَطَاعَةُ الْجِرَاحِ، واعلمي أَنَّ الذي أَذَانَا إلى ما تشاهدينَهُ تَنَاهِي العداواتِ والضَّغائنِ، وانطواء الصدورِ على الحَزَازَاتِ والسُّخَائِمِ، وَأَنَّ كَلَامًا مَثَا كان يَكْظُمُ غِيظَهُ، ويَكْتُمُ حِقْدَهُ، انتظارًا لِعُقْبِ الْأَيَّامِ، وفُرْصِ الْإِمْهَالِ،

فلَمَّا جَمَعْنَا الْقَدْرَ لَغْدَاةِ الْأَنْحُسِ، كُنَّا كِلَابِلِ جَزْبِي طُلَيْتَ بِالْهِنَاءِ لَاقَتْ مِثْلَهَا فَتَحَاكَّتْ
مِثْلَذَّةً، وَتَدَافَعَتْ مِثْلَ شَفِيَّةٍ. الْهِيمُ: الْإِبِلُ الْعِطَاشُ، وَإِذَا كَانَتْ جَزْبِي قَدْ عَطِشَتْ
وَطُلَيْتَ كَانَ حُمَاهَا أَزِيدَ، وَكَرْبُهَا أَفْطَعَ، وَتَحَكُّكُهَا أَشَدَّ. وَالْخُنْسُ: جَمْعُ خَانَسٍ،
كَشَاهِدٍ وَشَهِيدٍ. وَالْخُنُوسُ: الْانْقِبَاضُ وَالْانْخِفَاضُ. وَالْبَاءُ مِنْ قَوْلِهِ «بِهِيم» يَتَعَلَّقُ
بَتَمَرَسٍ، وَتَمَرَسٌ صِفَةُ الْهِيمِ الْأَوَّلِ، وَطُلَيْتَ صِفَةُ لِلثَّانِي.

٢٣١ - وَقَالَ الْأَرْقُطُ بْنُ دَعْلٍ^(١) بْنِ كَلْبٍ

الْعَبْرِيُّ:

[الطويل]

١ - إِنْني وَنَجْمًا يَوْمَ أَبْرَقِ مَازِنٍ عَلَى كَثْرَةِ الْأَيْدِي لِمُوتَسِيَانٍ
لَقِيَ هَذَا الرَّجُلُ وَابْنَهُ قَوْمًا لُصُوصًا فَقَاتَلَاهُمْ وَظَفِرَا بِهِمْ، فَأَخَذَ يَقْتَضِ الْحَالِ.
وَنَجْمٌ: اسْمُ ابْنِهِ. يَقُولُ: إِنْني وَابْنِي نَجْمًا فِي يَوْمِ الْإِلْتِقَاءِ مَعَ الْمُتَلَصِّصَةِ بِأَبْرَقِ مَازِنٍ
- وَالْأَبْرَقُ مَكَانٌ فِيهِ حِجَارَةٌ سُودٌ وَبَيَضٌ، وَمِنْهُ جَبَلٌ أَبْرَقُ، إِذَا كَانَ طَاقَاتُهُ ذَاتَ لَوْنَيْنِ
سَوَادٍ وَبَيَاضٍ - عَلَى كَثَرَتِهِمْ وَقَلَّتِنَا، لِمُوتَسِيَانٍ، أَيِ يُوَاسِي كُلُّ مَنْ صَاحِبُهُ عَلَى أَمْرِهِ،
وَيَسَاعِدُهُ عَلَى مِرَاسِهِ. وَقَوْلُهُ «عَلَى كَثْرَةِ الْأَيْدِي» فِي مَوْضِعِ الْحَالِ.

٢ - يَلُودُ أَمَامِي لَوْدَةً بِلْبَانِهِ وَتُزْهَبُ عَنَّا نَبْعَةً وَيَمَانٍ
الضَّمِيرُ فِي قَوْلِهِ يَلُودُ لَنَجْمِ ابْنِهِ، وَالْبَاءُ فِي بِلْبَانِهِ يَتَعَلَّقُ بِيَلُودُ، وَلَا يَجُوزُ
أَنْ يَتَعَلَّقَ بِقَوْلِهِ لَوْدَةً، لِأَنَّ الْفِعْلَ وَالْمَصْدَرَ إِذَا اجْتَمَعَا فَالْفِعْلُ بِالْعَمَلِ أَوْلَى.
وَالِهَاءُ ضَمِيرُ الْفَرَسِ، وَلَمْ يَخْرُ ذِكْرُهُ، وَلَكِنْ الْمَرَادُ مَفْهُومٌ، وَكَانَ الْأَرْقُطُ فَارَسًا
عَلَى مَا يَدُلُّ الْكَلَامُ عَلَيْهِ، وَالْأَبْنُ رَاجِلًا. وَكَانَ لِيَاذُهُ مِنْ حَرِّ الْوَقَاعِ فِي الْوَقْتِ
بَعْدَ الْوَقْتِ بِأَبِيهِ، عَلَى عَادَةِ مُزَاوِلِي الْحُرُوبِ فِي تَسَانُدِ الرُّجَالَةِ إِلَى الْفُرْسَانِ، ثُمَّ
قَالَ «وَتُزْهَبُ عَنَّا نَبْعَةً وَيَمَانٍ» تَنْبِيْهَا عَلَى عُدَّتِيهِمَا وَاسْتَظْهَارِهِمَا بِسِلَاحِهِمَا، وَيَعْنِي
بِالنَّبْعَةِ قَوْسًا.

٣ - وَنَفْشَى فَنَفْشَى ثُمَّ نَزَمَى فَنَزَمِي وَنَضْرِبُ ضَرْبًا لَيْسَ فِيهِ تَوَانٍ
يَقُولُ: نَحْمِلُ عَلَيْهِمْ فَيَحْمِلُونَ عَلَيْنَا، ثُمَّ يَزْمُونَنَا مِنْ بَعْدِ فَنَرْمِيهِمْ. كَأَنَّهُمْ طَارَدُوا
أَوَّلًا ثُمَّ نَاضَلُوا وَأَخْرَوْا الْجِلَادَ. فَقَالَ: وَنَضْرِبُ ضَرْبًا لَا قُتُورَ فِيهِ وَلَا تَقْصِيرَ، وَهَذَا

(١) التبريزي: «الأرقط بن رعل بن كليب العبيري».

كما قال الآخر: [البسيط]

عَنَّا طِعَانٌ وَضَرْبٌ غَيْرُ تَذْيِيبٍ^(١)

فالتَّذْيِيبُ المنفي كالتَّوَانِي.

٢٣٢ - وقال وَدَاكُ بْنُ نُمَيْلٍ الْمَازِنِيُّ^(٢): [السريع]

١ - نَفْسِي فِدَاءُ لِبَنِي مَازِنٍ مِنْ شُمْسٍ فِي الْحَرْبِ أَبْطَالِي

يقول: أَفْدي من كلِّ سوءٍ بنفسي بني مَازِنٍ، من فُرسانٍ يَنْفِرون من الضَّئيمِ، وَيَشْمُسُونَ إِذَا التَّقَوْا مع الأعداء في الحرب، شِمَاسًا لَا يُخْصِلُهُمْ عَلَى طَمَعٍ مُتِيحٍ، وَلَا يُؤْذِيهِمْ إِلَى يَأْسٍ مُرِيحٍ، بل يترددون في الجذاب، فلا يزالون معهم على مِرَاسٍ إِتْعَابٍ لَا يَنْقُطُ، وَلِزَامٍ شَرٌّ لَا يُقْلِعُ، وهكذا يَكُونُ شُمُوسُ الْخَيْلِ فِي الْإِبَاءِ وَالْإِنْقِيَادِ. وقال لَقِيطٌ فَبَيَّنَ الْمَعْنَى وَأَوْضَحَهُ: [البسيط]

جَرَتْ لِمَا بَيْنَنَا حَبْلُ الشُّمُوسِ فَلَا بَأْسًا مُبِينًا نَرَى مِنْهَا وَلَا طَمَعًا^(٣)

وفي طريقة بيت وَدَاكُ قَوْلُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَسَّانَ: [الطويل]

وَأَنِّي مِنْ قَوْمٍ كِرَامٍ يَزِيدُهُمْ شِمَاسًا وَصَبْرًا شِدَّةُ الْحَدَثَانِ

٢ - هَبِمَ إِلَى الْمَوْتِ إِذَا خُيِّرُوا بَيْنَ بَبَاعَاتٍ وَتَقَنَالِ

الهِيمُ: الْعِطَاشُ، وَالتَّبَاعَةُ وَالتَّبِعَةُ بِمَعْنَى. يقول: إِذَا خُيِّرَ بَنُو مَازِنٍ فِيمَا يَزَاوِلُونَهُ بَيْنَ الصَّبْرِ عَلَى الْقِتَالِ وَبَيْنَ الرِّضَا فِيمَا يَلْحَقُهُمْ مَعَهُ تَبِعَاتُ الْعَارِ، وَجِدُوا يُؤْزِرُونَ فَوْتَ الرُّوحِ عَلَى التَّزَامِ الْهَضْمِ، إِثَارَ الْعِطْشَانِ لِلْمَاءِ.

٣ - حَمَوْا حِمَاهُمْ وَسَمَا بَيْتُهُمْ فِي بَادِخَاتِ الشَّرَفِ الْعَالِي

يقول: مَنَعُوا حِمَاهُمْ مِمَّنْ يُرِيدُ دُخُولَهُ، وَيَرُومُ إِبَاحَتَهُ، فَسَلِمَ عَلَى مَرِّ الْأَيَّامِ، وَصَارَ بَيْنَهُمْ مِنْ يَفَاقِ الشَّرَفِ الْعَالِي فِي أَعْلَى مَنَزَلَةٍ، فَلَا يَزْتَقِي إِلَيْهِ هِمَّةٌ حَاسِدٌ، وَلَا يَنَالُهُ أُمْنِيَّةٌ مُنَازِعٌ. وَالبَادِخُ: الْجَبَلُ الطَوِيلُ؛ وَمِنْهُ الْبَدَخُ الْكَبِيرُ.

(١) لسلامة بن جندل في المفضليات ١: ١٢٠ وصدرة:

«هَمَّتْ مَعْدَ بِنَا هَمًّا فَهَنَهَا»

(٢) التبريزي: «وداك بن نميل».

(٣) للقيط بن يعمر الإيادي في ديوانه ٣٧، ومقاييس اللغة ١: ٤١٠.

٢٣٣ - وقال سَوار^(١): [الكامل]

١ - أَجْنُوبُ إِنَّكَ لَوْ رَأَيْتَ فَوَارِسِي بِالسَّيْفِ حِينَ تَبَادَرُ الْأَشْرَارُ

٢ - سَعَةَ الطَّرِيقِ مَخَافَةً أَنْ يُؤْسَرُوا وَالخَيْلُ يَتَّبِعُهُمْ وَهُمْ فُرَارُ

هذا الكلام تلهف وتحسر، وإخبار بحسن بلائه وبلاء فرسانه فيما مُثُوا به وتحمُّد. فيقول: لو شاهدتُ فرساني يا جَنُوبُ بالسَّيف - وهو شاطئ البحر - حين تسابق شِرَارُ الرِّجال وجبناؤهم إلى مُتَّسِعِ الطريق، خارجين من مَنَافِذِ المَضِيقِ، خوفاً من الإِسَارِ، هائمين على وجوههم، والخَيْلُ في طَلَبِهِمْ وهم يستغيثون بي عند احمرارِ البَاسِ، واشتدادِ المِرَاسِ، على عاداتهم معي في الكرائه، لرأيتُ أمراً مُتَكَرِّراً. حَذَفَ جواب الأمر، وإيهامُ الحال في مثل هذا الكلام أبلغ من بَيَانِها، وقد مضى القول في مثله، فيما تقدَّم. وَسَعَةُ الطريق: مفعولُ تَبَادَرُ، وَمَخَافَةُ انْتَصَبَ على أنه مفعولُ له، وَأَنْ يُؤْسَرُوا مفعولُ من المَخَافَةِ.

٣ - يَدْعُونَ سَوَارًا إِذَا اخْمَرَ الْقَنَا وَلِكُلِّ يَوْمٍ كَرِيهَةً سَوَارُ

احمرارُ القَنَا إنما يكونُ من الدَّمِ السَّائلِ عليه، لِكثَرَةِ الطَّغْنِ. وقد قيل: مَوْتُ أَخْمَرُ، وَمَيِّتَةٌ حمراء، يُرَادُ الشَّدَّةُ، حَتَّى قِيلَ سَنَةٌ حمراء، وقالوا: «الحُسْنُ أَخْمَرُ» أي يُتَجَسَّمُ في طَلَبِ الجمال الشَّدَائِدُ. وقوله «ولِكُلِّ يَوْمٍ كَرِيهَةً سَوَارُ» أراد أن يُبَيِّنَ أَنَّ ذَلِكَ دَأْبُهُمْ عند الكَرِيهَةِ في دُعَائِي ودَائِي في الإِجَابَةِ، وَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَدْعَا مِنْهُمْ وَمَيِّيًا وَلَا تُكْرَا.

٢٣٤ - وقال أَبُو حَزَابَةَ التَّمِيمِي^(٢):

١ - مَنْ كَانَ أَخْجَمَ أَوْ خَامَتْ حَقِيقَتُهُ عِنْدَ الحِفَاطِ فَلَمْ يُقَدِّمْ عَلَى القَحَمِ^(٣)

٢ - فَمُعْجَبَةٌ بَنُ زُهَيْرٍ يَوْمَ نَارَلَهُ جَمَعَ مِنَ التَّرَكِّ لَمْ يُخْجِمِ وَلَمْ يَخِمِ

(١) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (١٨).

(٢) التبريزي: «وقال أبو حَزَابَةَ، أو ابن حَزَابَةَ». وهو الوليد بن حنيفة، أحد بني ربيعة بن حنظلة بن مالك، شاعر من شعراء الدولة الأموية، خرج مع ابن الأشعث لما خرج على عبد الملك. انظر الأغاني ١٩: ١٥٢.

(٣) التبريزي: «من كان أقجم».

هذا الكلام يجري مجرى التعريض لما يشتمل عليه من التعيير. وقوله «فَعُقْبَةُ» مبتدأ وخَبَرُهُ لم يُحْجَم. فيقول: من كان كَفَّ في اللِّقاء عن الإقدام وقت الحاجة، وأَعْقَى نفسه من الاقتحام أَوَّانَ المحافظة، راضياً بالقُصُورِ والتقصير، والانخزال والفتور، أو سقطت همته، وتَخَتَّرَتْ حقيقته، فلم تَبْعَثْهُ أَنْفَةً، ولم يَهَيِّجْهُ امتعاض وأُتْبِيَّة، فَعُقْبَةُ بن زهير يومَ مُنَازَلَتِهِ لِلأَثَرِ لم يَتَوَقَّفْ في المَدْفَعَةِ، ولم يَتَلَبَّثْ فيها دون أَبَدٍ الغاية. والإِحْجَامُ: ضِدُّ الإقدام، وقد مَضَى القَوْلُ في موضوعه. وحقيقة الرَّجُل: ما يَحِقُّ عليه الدَّفْعُ عنه من ذَوِيهِ وَحَسْبِهِ، كما أنَّ حَقِيقَةَ الأمر ما يَتَيَقَّنُ من وُجُوبِهِ. واستعارة الثوم فيها حَسَنٌ، فهو كما يقال نَامَ الثَّوْبُ إذا أَخْلَقَ. وَقَحَمَ الأمور والطُّرُق: ما صَغَبَ منها. وقوله «لَمْ يَخِم» يقال: خَامَ عن قِزْنِهِ، إذا نَكَلَ وَنَكَصَ على عَقِبِهِ. ويقالُ أيضاً: خَامَ في مَكِيدَتِهِ يَخِيمُ، إذا لم يَظْفَرْ فيها بخير. وقوله «فَعُقْبَةُ» جَوَابٌ من كان أَحْجَمَ.

٣ - مُشَمَّرٌ لِلْمَنَآيَا عَنْ شَوَاهِ إِذَا مَا الْوَعْدُ أَسْبَلَ ثَوْبِيهِ عَلَى الْقَدَمِ
يقول: كَشَفَ في المُجَاهَدَةِ عن سَاقِهِ، وَتَشَمَّرَ لِلْبَلَاءِ عند سِيَاقِهِ، إِذَا الدُّنْيَى الرَّجَالِ أَرَخَى ذَيْلَهُ، فَلَا يَتَشَمَّرُ لِتَلْقَى المِهْمَةِ، وَتَغْشَى غِطَاءَ عَجْزِهِ، فَلَا يَنْبَعُثُ لِدَفْعِ المُلِمَّةِ، وَلَا يَتَحَرَّكُ لِمَنْعِ المَظْلَمَةِ. والشَّوَى؛ الأطراف. والوَعْدُ من قولك: وَعَدْتُ القَوْمَ، إِذَا خَدَمْتَهُمْ. وقوله «إِذَا مَا الْوَعْدُ» ما زائدة، وَإِذَا ظَرَفَ لما دَلَّ عليه قوله «مُشَمَّرٌ» وهو جوابه. وفي خِلَافِ قوله قَوْلُ الْآخَرِ: [الطويل]

وَكُنْتُ إِذَا جَارِي دَعَا لِمَضُوفَةٍ أَشَمَّرُ حَتَّى يَنْصَفَ السَّاقَ مِثْرِي^(١)
٤ - خَاضَ الرَّدَى فِي الْعِدَى قَدَمًا بِمَنْصِلِهِ وَالْخَيْلُ تَغْلُكُ ثَنِي المَوْتِ بِاللُّجَمِ^(٢)
يقول: دَخَلَ قَدِيمًا فِي مَكَاشِفَةِ أَعْدَائِهِ الْهَلَاكَ بِسِيفِهِ، لَا يَنْقَبِضُ وَلَا يُحْجَمُ، وَالْخَيْلُ عَوَاضُ عَلَى لُجْمِهَا، تَغْلُكُهَا فِي أَثْنَاءِ المَوْتِ وَالْعَلْكَ: المَضْغُ، وَيُقَالُ: فِي لِسَانِهِ عَوْلُكَ، أَيِ يَمْضَغُهُ. فَعَلَى هَذَا يَكُونُ «ثَنِي المَوْتِ» ظَرْفًا، كَمَا يُقَالُ جَعَلْتُهُ ثَنِي كَذَا. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَفْعُولًا مِنْ تَغْلُكُ. وَيُقَالُ: ثَنَيْتُ الشَّيْءَ ثَنِيًّا، ثُمَّ يُسَمَّى المَثْنِيُّ ثَنِيًّا. وَيَكُونُ «بِاللُّجَمِ» فِي مَوْضِعِ الْحَالِ، كَأَنَّهُ قَالَ: وَالْخَيْلُ تَمْضَغُ مَثْنَى المَوْتِ، أَيِ

(١) لأبي جندب في شرح أشعار الهذليين ص ١: ٣٥٨، واللسان (جور، ضيف، نصف، كون).

(٢) التبريزي: «والعدى».

مضاعفَه، مُلْجَمَة. وهذا حَسَنٌ وبعضُهم رَوَى «وَالْحَيْلَ تَغْلُكُ ثِنَّ الْمَوْتِ»، والثَّنُّ: حُطَامُ الْيَبْسِ، والمختار ما قَدَّمْتُهُ. وفي هذه الطَّرِيقَة قول الآخر: [الكامل]

خُضْنَا إِلَيْهِ الْمَوْتَ فِي أَيْمَانِنَا حُمُرُ الشَّفَارِ جُفُونُهُنَّ الْأُرُوسُ

٥ - وَهُمْ مِثُونُ أُلُوفَا وَهُوَ فِي نَقْرِ شَمَّ الْعَرَانِينَ ضَرَابِينَ لِلْبُهِمِ

يقول: وَاقَعَ الْأَعْدَاءُ وَنَاجَزَهُمْ، على كثرة عددهم، وهو في رِجَالِ كِرَامٍ يَسْتَنْكِفُونَ من تَقَبُّلِ الْعَارِ، فَتَالَيْنَ لِبُهِمِ الرِّجَالِ. وقوله «مِثُونُ» جمع مائة وهي من الْأَسْمَاءِ الْمَنْقُوصَةِ إِذْ كَانَتْ لَا مُهَا مَحْذُوفَةً، بدلالة قولهم: أَمَأَيْتُ، ولذلك جُمِعَ على السَّلَامَةِ. وإنَّمَا أَشَارَ إِلَى جِنْسِ التَّرْكِ كُلِّهِ فَعَدَّهُمْ أَعْدَاءَهُ، لَا أَنَّهُ حَارَبَ مِثِينَ أُلُوفَا مِنْهُمْ. وَالْبُهِمُ: جمع بُهْمَةٍ، وهم الشُّجْعَانُ الَّذِينَ لَا يُدْرَى كَيْفَ يُؤْتَوْنَ، لَا سِتْبَاهٍ أَحْوَالِهِمْ.

٢٣٥ - وَقَالَ أَوْسُ بْنُ ثَعْلَبَةَ^(١):

١ - جَذَامُ حَبْلِ الْهَوَى مَاضٍ إِذَا جَعَلْتَ هَوَاجِسُ الْهَمِّ بَغْدَ النَّوْمِ تَغْتَكِرُ

يَصِفُهُ بِالتَّفَازِ فِي الْأُمُورِ، وَاجْتِمَاعِ الزَّأْيِ فِي الْخُطُوبِ، وَالْمُضْيِ فِيهَا يَعْرِضُ، وَتَرَكِ التَّبَاطُؤَ عَمَّا يَعْنُ وَيَحْدُثُ، وَأَنَّهُ لَا يَمْنَعُهُ مِنْ رُكُوبِ الْأَسْفَارِ وَتَجَشُّمِ الْمَشَاقِّ مَا يَدْفَعُ فِي صَدْرِ الْعَزَمِ، وَيُثْنِي مِنْ حَدِّ الْقَصْدِ، بَلْ يَقْطَعُ عِلَاقَتِ الْهَوَى، وَيُبْعِدُ عَنْ نَفْسِهِ عَوَاقِقَ الْمُتَى، فَيَمْضِي قُدَمَا إِذَا أَقْبَلَتْ عَوَارِضُ الْهَمُومِ بِاللَّيْلِ، تَتَرَدَّدُ بَيْنَ الْقَلْبِ وَالْخَاطِرِ، وَتَجُولُ بَيْنَ الْفِعْلِ وَالْفَاعِلِ. وَالْجَذْمُ: الْقَطْعُ. وَحَبْلُ الْهَوَى: الْوَصْلَةُ الَّتِي بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّفْسِ. وَعَكَّرَ وَاعْتَكَّرَ: عَطَفَ. وَالِهَاجِسُ: مَا وَقَعَ فِي خَلْدِكَ. وَأَنْشَدَ: [الوافر]

فَطَاطَأْتُ التُّعَامَةَ مِنْ قَرِيبٍ وَقَدْ وَثَرْتُ هَاجِسَهَا بِهَجْسِي^(٢)

التُّعَامَةُ: اسْمُ فَرْسِهِ.

٢ - وَمَا تَجْهَمْنِي لَيْلٌ وَلَا بَلَدٌ وَلَا تَكْءَاءَنِي عَنْ حَاجَتِي سَفَرُ

(١) أوس بن ثعلبة: كان سيد قومه وأحد فرسان بكر بن وائل بخراسان، ولي خراسان أيام الدولة الأموية. (الأغاني ٣: ٢١).

(٢) بلا نسبة في اللسان (هجس)، وأساس البلاغة (هجس)، وكتاب العين ٣: ٣٨٤.

قوله «وما تَجْهَمْنِي لَيْلٌ» فيه قَلْبٌ؛ لأنَّ المعنى: ما تَجْهَمْتُ لَيْلاً ولا بلداً. ويقال: تَجْهَمْتُ فُلَاناً وَلِفُلَانٍ، إذا استقبلته بوجهٍ كريه. وأَسَدُ جَهْمِ الْوَجْهِ. فيقول: لا أَتَكَرَّهُ زَمَنًا، ولا أَتَصْعِبُ مَرَكَبًا، ولا أَتَبْعِدُ بَلَدًا إذا سَنَحَ أَمْرٌ أَوْجَبَ نُهوضًا، أو سفرًا اقتضى لُبْعِهِ صَبْرًا جَمِيلًا. ويقالُ تَكَاءَ ذَنِي كَذَا، وَتَصَعَّدَنِي كَذَا، إذا شَقَّ عَلَيْكَ.

٢٣٦ - وقال آخر^(١):

١ - أَقُولُ وَسَيَفِي فِي مَفَارِقِ أَغْلَبٍ وَقَدْ خَرَّ كَالْجَذْعِ السُّحُوقِ الْمُشْدَبِ
مفعول «أقول» أول البيت الذي بعده، وهو قوله «بِكَ الْوَجْبَةُ». وقال «في مَفَارِقِ» لأنه جمعه على ما خَوَّلَهُ، كما يقال: بَعِيرٌ ضَخْمُ الْعَنَانَيْنِ، كَأَنَّهُ جَعَلَ كُلَّ قِطْعَةٍ مِمَّا يَلِي الْمَفْرِقَ مَفْرِقًا فَجَمَعَهُ. ومعنى خَرَّ سَقَطَ، ومصدره الْخُرُورُ. وَالسُّحُوقُ مِنَ التَّخَلُّ وَالْحُمُرِ: الطويل. يقال: أَتَانِ سَحُوقٌ، نَخْلَةٌ سَحُوقٌ. يقول: لَمَّا تَمَكَّنْتُ مِنْ أَغْلَبَ قَتَعْتُهُ بِسَيْفِي فَسَقَطَ، فَقُلْتُ مُتَشَقِّيًا وَمُسْتَهْيِنًا: أَنَاخَتِ الْوَجْبَةُ بِكَ لَا بَمَنْ كُنْتَ تَطْلُبُهُ لَهَا، وهذا كما يقال: لِلْيَدَيْنِ وَلِلْقَمِ. وقوله «كَالْجَذْعِ» في موضع الحال، والعامل فيه خَرَّ، وتشبيهه إِثَاءً بِالْجَذْعِ من قديم التشبيه، وفي القرآن: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ [الْحَاقَّةُ: الآية ٧]. وَجَعَلَهُ مُشْدَبًا لِيَكُونَ طَوْلُهُ أَظْهَرَ.

٢ - بِكَ الْوَجْبَةُ الْعُظْمَى أَنَاخَتْ وَلَمْ تُنِخْ بِشُعْبَةٍ فَابَعَدَ مِنْ صَرِيحٍ مُلْحَبٍ
أراد بِالْوَجْبَةِ الْعُظْمَى الْمِثْلَةَ. وفي القرآن: ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾ [الحج: الآية ٣٦]. أَي نَزَلَ بِكَ الْمَكْرُوهُ الْأَعْظَمُ، وَالبلاءُ الْأَفْظَعُ، لَا بِشُعْبَةٍ. كَأَنَّ هَذَا الْمَصْرُوعَ كَانَ يَتَوَعَّدُ شُعْبَةً بِالْقَتْلِ، أَوْ يَرِيدُهُ لَهُ وَيَتَمَنَّاهُ، فَمَا ائْتَمَرَهُ بِهِ أَصَابَهُ وَحَقَّ عَلَيْهِ وَقَوْلُهُ «فَابَعَدَ» دُعَاءٌ عَلَيْهِ عَلَى طَرِيقِ الْاسْتِهَانَةِ بِمَا حَلَّ بِهِ. وَالْمُلْحَبُ: الْمَذْلُلُ، وَمِنْهُ طَرِيقُ لَاحِبٍ أَي وَاضِحٌ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَى مُلْحَبٍ مَجْرُوحٌ مُقْطَعٌ يَقَالُ: لَحَبْتُ اللَّحْمَ إِذَا قَطَعْتَهُ طَوْلًا.

٣ - سَقَاءَ الرُّدَى سَيْفٌ إِذَا سُلَّ أَوْ مَضَتْ إِلَيْهِ ثَنَائِيَا الْمَوْتِ مِنْ كُلِّ مَرْقَبٍ

(١) التبريزي: «وقال آخر، وقد أوقعت مازن يقوم من عجل فقتلوا منهم، فعدت بنو عجل على جارٍ لبني مازن فقتلوه».

هذا مثل قول تَابُطُ شَرًّا: [الطويل]

إِذَا هَزَّهُ فِي عَظْمٍ قَزَنٍ تَهَلَّلَتْ نَوَاجِذُ أَفْوَاهِ الْمَنَايَا الضَّوَاكِحِ^(١)

وإن كان هذا أبلغ؛ جَعَلَ ضَحِكَ الموتِ تَأَلَّقَ السَّيْفِ إِذَا جُرْدَ من الغِمْدِ سُورًا به، وذلك جَعَلَهُ إلى المضروب به ثِقَّةً بكونه له. ويقال: أَوْمَضَ وَوَمَضَ، إِذَا لَمَعَ. ورواه بعضهم: «أَوْمَضْتُ إِلَيْهِ مَنَايَا الْمَوْتِ»، وهو تصحيف.

٤ - وَيَا عِجْلُ عِجْلِ الْقَاتِلِينَ بِذَخْلِهِمْ غَرِيبًا لَدَيْنَا مِنْ قِبَائِلٍ يَخْصِبُ^(٢)

٥ - جَنَيْتُمْ وَجَزْتُمْ إِذْ أَخَذْتُمْ بِحَقِّكُمْ زَعَمْتُمْ غَرِيبًا مُزِمِلًا غَيْرَ مُذْنِبٍ^(٣)

قوله «عِجْلُ الْقَاتِلِينَ» هو إضافة البعض إلى الكل، وكثره توكيدًا. وَلَكَّ أَنْ تَضُمَّ عِجْلَ الْأَوَّلِ وَتَنْصِبَ الثَّانِي عَلَى الْبَدَلِ، أَوْ عَلَى عَطْفِ الْبَيَانِ. وَيَبْنُو عِجْلُ كَانُوا مَوْثُورِينَ بِمَا ارْتَكَبَ مِنْهُمْ قَبِيلَةُ الشَّاعِرِ، وَهُمْ بَنُو مَازِنٍ، فَلَمَّ يَطْلُبُوا دَحْلَهُمْ مِنْ وَجْهِهِ، وَلَا أَذْرَكُوا الثَّأْرَ مِنْ كَاسِهِ، لَكِنْهُمْ أَخَذُوا غَرِيبًا كَانَ جَاوَزَ بَنِي مَازِنَ فَقَتَلُوهُ، فَقَالَ هَذَا الشَّاعِرُ فِي مَخَاطَبَتِهِمْ مَعِيرًا، وَهَازِنًا مَتَهَكِّمًا: يَا عِجْلُ الْقَاتِلِينَ بَوْتَرَهُمْ غَرِيبًا كَانَ عِنْدَنَا مِنْ بَنِي يَخْصِبُ، لَمْ يَسَعْ فِي اكْتِسَابِ الثَّأْرِ الَّذِي تَدْعُوهُ، وَلَا أَعْمَلَ فِيهِ يَدُهُ وَسِنَانُهُ حَتَّى جَنَيْتُمْ وَعَدَلْتُمْ عَنْ طَرِيقِ الرِّشَادِ، إِذْ أَخَذْتُمْ بِحَقِّكُمْ - عَلَى رُعْمِكُمْ - غَيْرَ وَاتِرِكُمْ. فَقَوْلُهُ «إِذْ أَخَذْتُمْ بِحَقِّكُمْ زَعَمْتُمْ» يَجُوزُ أَنْ يُضَعَّفَ بِالزُّعْمِ دَعَاؤُهُمُ الْحَقُّ الْمَشَارَ إِلَيْهِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَضَعَّفَ مَا تَوَهَّمُوهُ مِنْ دَرَكِ الثَّأْرِ بِمَا فَعَلُوهُ. وَيَجُوزُ أَنْ يَضَعَّفَ الْأَمْرَيْنِ جَمِيعًا، وَهُوَ الْأَشْبَهُ. فَإِنْ قِيلَ: أَيْنَ مَفْعُولَا زَعَمْتُمْ، وَكَيْفَ سَاغَ حَذْفُهُمَا؟ قُلْتُ: الْحَذْفُ هُنَا كَالْحَذْفِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [القصص: الآية ٦٢]. وَكَالْحَذْفِ فِي قَوْلِ الْكُمَيْتِ: [الطويل]

بِأَيِّ كِتَابٍ أَمْ بِأَيِّ سُنَّةٍ تَرَى حُبَّهُمْ عَارًا عَلَيْكَ وَتَخْسِبُ^(٤)

فَكَمَا حُذِفَ مَفْعُولَا تَخْسِبُ فِي بَيْتِ الْكُمَيْتِ، وَمَفْعُولَا تَزْعُمُونَ فِي الْآيَةِ، كَذَلِكَ حُذِفَ مَفْعُولَا زَعَمْتُمْ مِنْ هَذَا الْبَيْتِ، وَيَكُونُ التَّقْدِيرُ: إِذْ أَخَذْتُمْ بِحَقِّكُمْ - زَعَمْتُمُوهُ مَأْخُودًا - رَجُلًا هَذَا صِفَتُهُ، وَبِحَقِّكُمْ زَعَمْتُمُوهُ ثَانِيًا، فَحُذِفَ ذِكْرُ الْحَقِّ لِمَا

(١) البيت الثامن من الحماسة رقم (١٣). (٢) التبريزي: «فيا عجل».

(٣) التبريزي: «غريبًا زعمتم».

(٤) للكميت في خزائن الأدب ٩: ١٣٧، والدرر ١: ٢٧٢، وشرح التصريح ١: ٢٥٩.

تَقَدَّمَ مِنْ ذِكْرِهِ، وَلَمَّا حَذَفَ الْمَفْعُولُ الْأَوَّلُ جَازَ حَذْفُ الثَّانِي، وَهَذَا كَمَا يُحَذَفُ الْمَبْتَدَأُ وَالْخَبَرُ مِنْ مَسْأَلَةِ الْكِتَابِ^(١)، وَهِيَ مَتَى ظَنَنْتَ أَوْ قُلْتَ زَيْدًا مُنْطَلِقًا. إِذَا أَعْمَلْتَ الْفِعْلَ الْأَوَّلَ سَاغَ ذَلِكَ، لِأَنَّ الْفِعْلَ الثَّانِي تَقْيِضُهُمَا، وَقَدْ حَصَلَ فِي الْكَلَامِ ذِكْرُهُمَا. فَاعْلَمْهُ. وَالْمُزِيلُ: الْفَقِيرُ.

٦ - وَمَا قَتَلُ جَارٍ غَائِبٍ عَنْ نَصِيرِهِ لَطَالِبٍ أَوْتَارٍ بِمَسْئَلِكَ مَطْلَبٍ

٧ - فَلَمْ تُذَرِكُوا دَخَلًا وَلَمْ تَذْهَبُوا بِمَا فَعَلْتُمْ بَنِي عَجَلٍ إِلَى وَجْهِ مَذْهَبٍ

يقول: الْوِثْرُ مَقِيمٌ فِي مَوْضِعِهِ ثَابِتٌ عَلَى حَالِهِ، لَمْ تُزِيلُوهُ وَلَمْ تُظْلِعُوهُ عَنْ مَحَلِّهِ، لِأَنَّ قَتْلَ جَارٍ لِلوَارِثِ غَائِبٍ عَنْ نُصَارِهِ، بَعِيدٍ عَنْ أَرْضِهِ وَدِيَارِهِ، لَطَالِبٍ الثَّارِ لَيْسَ بِطَرِيقٍ يُوْذِيهِ إِلَى نَيْلِ مُرَادٍ، وَلَا بِسَبَبٍ يُوْصِلُهُ إِلَى اسْتِفَاءٍ مِنْ دَاءٍ، فَأَنْتُمْ لَمْ تُصِيبُوا نُجْحًا فِي فَعْلِكُمْ، وَلَا سَلِمْتُمْ فِيمَا أَنْيْتُمْ مِنْ عَارٍ يَلْحَقُكُمْ.

٨ - وَلَكِنَّكُمْ خِفْتُمْ أَسِئَةً مَازِنٍ فَتَنَكَّبْتُمْ عَنْهَا إِلَى غَيْرِ مَنْكِبٍ

٩ - وَقَدْ دُقُّمُونَا مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ وَعِلْمُ بَيَانِ الْمَرَّةِ عِنْدَ الْمُجَرَّبِ

يقال: نَكَّبَ بِمَعْنَى تَنَكَّبَ، وَمِثْلُهُ قَدَّمَ بِمَعْنَى تَقَدَّمَ؛ وَمَعْنَاهُ انْحَرَفَ. وَيُقَالُ: هُوَ أَنْكَبُ عَنِ الْحَقِّ وَمِنْكَابٌ عَنْهُ، إِذَا جَانَبَهُ فَيَصِيرُ مِنْهُ فِي شَيْءٍ. يَقُولُ: هَيْبَتُمْ أَعْدَاءَكُمْ عِنْدَمَا هَمَمْتُمْ بِهِ مِنْ طَلَبِ وَثَرِكُمْ، وَاسْتَشْعَرْتُمْ مِنْهُمْ جُبْنًا، فَحَذِرْتُمُوهُمْ، ثُمَّ عَدَلْتُمْ عَنْهُمْ إِلَى غَيْرِ مَعْدِلٍ فَقَبُحَتْ صَوْرَتُكُمْ، وَاخْتَرْتُمْ ذَلِكَ لِأَنَّكُمْ خَبَرْتُمُونَا حَالَةً بَعْدَ أُخْرَى، وَالْمَرَّةُ يَتَبَيَّنُ الشَّيْءُ، وَيَعْرِفُ الْخَصْمُ عِنْدَ تَجَرُّبِهِ.

٢٣٧ - وَقَالَ بَغْثَرُ بْنُ لَقِيطِ الْأَسَدِيِّ^(٢): [الكمال]

١ - أَمَّا حَكِيمٌ فَالْتَمَسَتْ دِمَاعَهُ وَمَقِيلٌ هَامَتِهِ بِحَدِّ الْمُنْضَلِ

٢ - وَإِذَا حُمِلْتُ عَلَى الْكَرْبَةِ لَمْ أَقْلَ بَعْدَ الْعَزِيمَةِ لِيَتَنِي لَمْ أَفْعَلِ

قَوْلُهُ «أَمَّا» يَتَضَمَّنُ مَعْنَى الْجُزْءِ، وَأَكْثَرُ مَا يَجِيءُ مَكْرَرًا، وَقَدْ جَاءَ هُنَا غَيْرُ مَكْرَرٍ. فَيَقُولُ: مَهْمَا كَانَ مِنْ شَيْءٍ فَقَدْ طَلَبْتُ دِمَاعَ هَذَا الرَّجُلِ بِسِيفِي، فَأَصَبْتُهُ غَيْرَ مُتَنَدِّمٍ عَلَى مَا فَعَلْتُ، وَلَا مُتَذَمِّمٍ مِنْهُ، لِأَنِّي إِذَا حُمِلْتُ عَلَى خُطَةِ صَعْبَةٍ فَوَطَّئْتُ نَفْسِي عَلَيْهَا، وَقَرَّرْتُ عَزْمِي فِي تَجَشُّمِهَا لَمْ أَقْلَ بَعْدَ الدَّخُولِ فِيهَا وَالْخُرُوجِ مِنْهَا بِوُدِّي إِلَّا

أَكُونُ لَابِسْتُهَا. وأراد بالمَقِيلِ المَقَرَّ. والهامة: رأس كل حيوان، والجميع الهام.
والمُنْضَلُ، من أسماء السيف. ويقال: ما لَهُ عزيمة أي لا يَثْبُثُ على ما يَعِزِمُ عليه.
ورأيه ذو عَزِيمٍ. والعَزْمُ: توطين النفس على المراد.

٢٣٨ - وقال رجل من بني نمير: [الوافر]

١ - أنا ابنُ الرَّابِعِينَ مِنْ آلِ عَمْرِو وَفُزَّانِ الْمَنَابِرِ مِنْ جَنَابِ

٢ - تُعَرِّضُ لِلسُّيُوفِ إِذَا التَّقَيْنَا وَجُوهَا لَا تُعَرِّضُ لِلسَّبَابِ^(١)

٣ - فَأَبَائِي سَرَاءُ بَنِي ثَمِيرٍ وَأَخْوَالي سَرَاءُ بَنِي كِلَابِ

يفتخر بأن آباءه رؤساء خطباء. والرابع: الرئيس الذي كان يأخذ ربع الغنيمة في الغزو. ويقال رُبِعَ فلانٌ في الجاهلية وخَمَسَ في الإسلام. وذكر عمرو وجناباً ليروي أنه كريم الطرفين، يدل على هذا قوله فيما بعده: [الوافر]

فَأَبَائِي سَرَاءُ بَنِي ثَمِيرٍ وَأَخْوَالي سَرَاءُ بَنِي كِلَابِ

وقوله «تُعَرِّضُ لِلطُّعَانِ إِذَا التَّقَيْنَا» يَصِفُ تَكْرُمَهُمْ وَتَصَوُّنَهُمْ فِي السَّلَمِ، وَتَبَذْلَهُمْ فِي الْحَرْبِ. وَيُشَبِّهُ هَذَا قَوْلَ الرَّاعِي: [الطويل]

وَيَبْتَذِلُ النَّفْسَ الْمُصُونَةَ نَفْسَهُ إِذَا مَا رَأَى حَقًّا عَلَيْهِ ابْتَذَالَهَا

وقول الآخر: [الوافر]

تُعَرِّضُ لِلسُّيُوفِ إِذَا التَّقَيْنَا وَجُوهَا لَا تُعَرِّضُ لِلطَّامِ^(٢)

وسَرَاءُ القوم: خيارهم. وقال الخليل: السُرُؤ: سخاء في مِرْوَةٍ. وَقَعْلَةٌ في جمع المعتل نادر، لأنه يختص بالصحيح، نحو الفَجْرَةِ والكَفَرَةِ، وبإزائه من المعتل قُعْلَةٌ نحو قُضَاةٍ وَعُزَاةٍ.

٢٣٩ - وقال الهذلول بن كعب العبدي:

حين رَأَتْهُ امْرَأَتُهُ يَطْحَنُ لِلْأَصْيَافِ،، فَقَالَتْ: أَهَذَا بَعْلِي^(٣)!

(١) التبريزي: «تعرض للطعان».

(٢) للحريش بن هلال القريني في الحماسة رقم (٢١).

(٣) التبريزي: «ذكر المبرد هذه الأبيات لأعرابي سعدي، وكان مملكا، فنزل به ضيف فقام إلى الرحا يطحن فمرت به زوجته في نسوة فقالت: أهذا بعلي؟ إعظاما لذلك فأخبر بما تقول فقال =

١ - تَقُولُ وَدَقْتُ صَدْرَهَا بِيَمِينِهَا أَبْغَلِي هَذَا بِالرَّحَا الْمُتَقَاعِسُ^(١)

حكى ما قالته امرأته وهي تدق صدرها بيمينها، مستنكرة لما رآته من طحنيه لضيفه، ومستفظة لما شاهدت من تخفيفه وتبذله، وهو قوله: أبغلي هذا المتقاعس بالرحا. فإنها استشنت هيبته وامتهانه نفسه فيما يمتهن فيه الخدم، ويأنف من توليه دؤو الرزانة والعزة. وإنما ابتدأ كلامه بتقول لأن القول يخكى به ما كان كلاماً، ويُعمل فيما كان قولاً. والمتقاعس: بناء لما يفعل تكلفاً. على هذا قولهم تَخَارَزَ وَتَعَامَى. والقعس: دخول الظهر وخروج الصدر. وقوله «أبغلي» موضعه رفع بالابتداء، والألف لفظه لفظ الاستفهام، ومعناه الإنكار والتقريع. وقوله «هذا» يكون في موضع الخبر، والمتقاعس يشبهه على أنه عطف البيان له. وإن شئت جعلت هذا صفة لبغلي والمتقاعس خبراً. وقوله «بالرحا» لا يجوز أن يتعلّق بالمقاعس، لأنه في تعلّقه به يصير من صلة الألف واللام، وما في الصلة لا يتقدّم على الموصول، ولكن تجعله تبييناً وتتصوّر «المتقاعس» اسماً تاماً، ويصير موقع بالرحا بعده موقع بك بغد مزحياً، ولك بغد سقياً وحمداً. وإذا كان كذلك جاز تقديمه عليه، كما جاز أن تقول: بك مزحياً، ولك سقياً. وللمازني في مثل هذا طريقة أخرى: وهو أن يجعل الألف واللام من المتقاعس للتعريف فقط، ولا يؤدي معنى الذي، كما تقول: نعم القائم زيد، وبش الرجل عمرو، وإذا كان كذلك لم يحتج إلى الصلة، فجاز وقوع بالرحا مقدماً عليه ومؤخراً بعده. وموقع الجملة التي حكاها من كلام المرأة نضب على أنه مفعول لتقول. فأمّا ما يعمل في لفظه «قال» ومتصرفاته فهو ما يكون قولاً ووصفاً للجمال، كقولك: قلت حقاً أو باطلاً، أو قلت صدقاً أو كذباً وما أشبهه. والبعل يقال للرجل والمرأة، وقيل بغلة أيضاً، والفعل منه بعل بعالّة وبُعولة. والبعال: ملاعبة الرجل أهله. ويقال: بنو فلان لا يباعلون، أي لا يزوج إليهم ولا يزوجون.

٢ - فَقُلْتُ لَهَا لَا تَعْجَلِي وَتَبَيَّنِي بَلَامِي إِذَا التَّقْتُ عَلَيَّ الْفَوَارِسُ^(٢)

حكى ما جعله جواباً للمرأة: كما حكى كلامها، وهو قوله «لا تعجلي» مع ما يتبعه. ومعنى البيت: لا تسرعيني إنكارك، بل تثبتي في حكمك، وتبيني براعتي في

= الأبيات.

(٢) التبريزي: «فعالي إذا».

(١) التبريزي: «تقول وصكت نحرها».

فَعَالِي، وَعَنَائِي عِنْدَ الشَّدَائِدِ وَبِلَائِي، إِذَا اجْتَمَعَ عَلَيَّ فِي حَوْمَةِ الْحَرْبِ الْفُرْسَانُ،
وَأَحَاطَ فِي مَضَايِقِهَا بِي الْأَقْرَانُ، فَإِنَّ نَجْدَةَ الْأَبْطَالِ تَظْهَرُ فِي مِثْلِ تِلْكَ الْحَالِ. وَاعْلَمِي
أَنْ مَا يُسْتَنَكَفُ مِنْهُ هُوَ التَّخَلُّفُ عَنِ الْكِفَاحِ، وَالرُّضَا عَنِ النَّفْسِ بِمَا لَا يَجْعَلُهُ الْكَرِيمُ
مِنْهُ بِيَالٍ، فَأَمَّا خِدْمَةُ الضَّيْفِ وَامْتِهَانُ النَّفْسِ فِي الْإِحْتِفَالِ لَهُ، فَمَقْبُولٌ مِنْ أَخْلَاقِ
الْكَرَامِ، مَحْمُودٌ عِنْدَ تَجَارِبِ الرُّجَالِ.

وَقَدَّمَ الْقَوْلُ فِي شَذُودِ فَوَارِسَ وَحُكْمِهِ.

٣ - أَلَسْتُ أَرُدُّ الْقِرْنَ يَرْكَبُ رَذَعَهُ وَفِيهِ سِنَانٌ ذُو غِرَارَيْنِ يَابِسٌ^(١)

أَقْبَلَ يُقَرِّرُ الْمَرَاةَ عَلَى زَكِي أَعَالِيهِ، وَرَضِي أَخْلَاقِهِ. وَالْفُ اسْتِفْهَامٌ إِذَا اتَّصَلَ
بِحَرْفِ النَّفْيِ تَقَرَّرَ بِهِ فِيمَا كَانَ وَاجِبًا وَاقِعًا، وَإِذَا انْفَرَدَ عَنْ حَرْفِ النَّفْيِ تَقَرَّرَ بِهِ فِيمَا
كَانَ مِنْفِيًّا مَدْفُوعًا. يَقُولُ الْقَائِلُ مَقَرَّرًا: أَفَعَلْتُ هَذَا؟ إِذَا لَمْ يَكُنْ فَعَلَهُ فَأَنْكَرَهُ. وَالْمُ
أَفْعَلْتُ كَذَا؟ إِذَا كَانَ قَدْ أَتَاهُ وَاسْتَسَبَّهُ. وَالْقِرْنُ: التَّظْيِيرُ فِي الْبَاسِ. وَمَوْضِعُ «يَرْكَبُ رَذَعَهُ»
نَصَبٌ عَلَى الْحَالِ، أَيُّ رَاكِبًا رَذَعَهُ. وَالرَّذَعُ: الدَّفْعُ وَالْكَفُّ. وَتَحْقِيقُ الْكَلَامِ: أَدْفَعُ
الْقِرْنَ وَقَدْ رَكِبَ رَذَعِي إِيَّاهُ فَسَقَطَ. وَقَالَ الْخَلِيلُ: رَكِبَ رَذَعَهُ وَرَذِيعَهُ، أَيُّ خَرَّ صَرِيعًا
لَوَجْهِهِ. وَذَكَرَ الرُّكُوبِ مَثَلٌ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِالرَّذَعِ مَا تَلَطَّخَ بِهِ مِنَ الدَّمِ؛
وَيَقَالُ ثَوْبٌ مَزْدُوعٌ، إِذَا كَانَ قَدْ لُطِّخَ بِالزَّعْفَرَانِ أَوْ غَيْرِهِ. وَذَكَرَ بَعْضُ أَصْحَابِ الْمَعَانِي
أَنْ مَعْنَى «رَكِبَ رَذَعَهُ» أَيُّ إِذَا كَفَّ لَمْ يَزِيدْغِ وَمَضَى لَوَجْهِهِ، كَأَنَّهُ يَتَلَقَّى الرَّذَعُ
بِالرُّكُوبِ. وَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ الْمُبَرِّدُ: «هُوَ مَنْ ارْتَدَعَ السَّهْمُ، إِذَا رَجَعَ النَّصْلُ فِي سِنْخِهِ
مَتَجَاوِزًا». قَالَ: «وَيَقَالُ رَكِبَ الْبَعِيرُ رَذَعَهُ، إِذَا سَقَطَ فَدَخَلَ عُنُقُهُ فِي جَوْفِهِ. وَمِنْهُ
ارْتَدَعَ فَلَانٌ عَنْ دِينِهِ». وَالَّذِي قَالَهُ تَحْصِيلُهُ مَا أوردته وكشفته. وَقَوْلُهُ «وَفِيهِ سِنَانٌ» يَرِيدُ
أَنَّهُ مَطْعُونٌ بِسِنَانٍ ذِي حَدَّيْنِ صُلْبٍ. وَمَوْضِعُ «وَفِيهِ» مَوْضِعُ الْحَالِ، وَالْعَامِلُ فِيهِ
يَرْكَبُ، كَمَا أَنَّ يَرْكَبُ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ وَالْعَامِلُ فِيهِ أَرَدَ.

٤ - وَأَخْتَمِلُ الْأَوْقَ الثَّقِيلَ وَأَمْتَرِي خُلُوفَ الْمَتَائِيَا حِينَ فَرَّ الْمُغَامِسُ

قَوْلُهُ «وَأَخْتَمِلُ» يَنْعُطُ عَلَى خَبَرِ لَيْسَ، وَهُوَ أَرَدُ، وَيَكُونُ مِنْ جُمْلَةٍ مَا قَرَرَهَا
بِهِ. وَالْأَوْقُ: الثَّقُلُ. وَمَعْنَى «أَمْتَرِي» أَيُّ أَمْسَحُ. وَالْخُلُوفُ: جَمْعُ الْخَلْفِ، وَهُوَ مَا
يَقْبِضُ عَلَيْهِ الْحَالِبُ. وَقَوْلُهُ «حِينَ فَرَّ الْمُغَامِسُ» يُرْوَى «الْمُغَامِسُ» بِالْغَيْنِ مَعْجَمَةً.

فمعنى «المُعَامِس» بالعين الذي يدخل في الشدائد ويُذخِلُ غيره فيها. ويقال: يَوْمَ عَمَاسٍ، أي شديد. ويكون المُعَامِسُ كقولهم المُعَامِر، وهو الذي يَدْخُلُ في العَمَرَاتِ ويُذخِلُ غيره فيها. وقال بعضهم: العَمَاسُ: الحربُ الشديدة وكلُّ ما لا يُقَامُ لَهُ. ويجوز أن يكون المُعَامِسُ من قولهم عَمَسْتُ الأَمْرَ، أي أخفَيْتُهُ. ورجلٌ عَمُوسٌ: يتعَسَّفُ الأشياءَ بجهْلِهِ. فيكون المعنى: الذي يَزَكِبُ رَأْسَهُ ولا يُبالي أُصِيبَ أو أَصَابَ. ومعنى «المُعَامِس» بالغين معجمة: الذي ينغمس في الشَّرِّ والبلاء، وَيَغْمِسُ غيرهَ فيهما. ومعنى البَيْتِ: أَلَسْتُ الْمُتَحَمِّلَ للأعباء الثقيلة، والمُسْتَخْرِجَ من ضُرُوعِ المنايا وأَخْلَافِهَا الشَّرِّ، في الوقت الذي يَزِلُّ فيه المُعَامِسُ أو المُعَامِسُ، فلا يَثْبُت. وَجَعَلَ مَرِيَّ الخُلُوفِ مَثَلًا لتهييج الشَّرِّ، واستدرار الموت، كأنه يستزِيدُ من البلاء ولا يَمَلُّهُ، إذا لم يَثْبُتْ له من ذلك صِفَتُهُ.

٥ - وَأَقْرِي الهُمُومَ الطَّارِقَاتِ حَرَامَةً إِذَا كَثُرَتْ لِلطَّارِقَاتِ الْوَسَاوِسِ
يقال: قَرَيْتُ الضَّيْفَ، إذا أَحْسَنْتَ إليه وأعددتَ له قِرَاءَهُ. يقول: أَلَسْتُ أَقْرِي طَوَارِقَ الهَمِّ، وعَوَاتِقَ البَثِّ، حَزْمًا ورَأْيًا، وَجَلْدًا ونَفَادًا، إذا ازدَحَمَتِ الْوَسَاوِسُ على القُلُوبِ، واعتلجت بناتِ الصُّدُورِ، فارتبكت الآرَاءُ، وَذَهَبَ مِنَ الرِّجَالِ الْعَنَاءُ.

٦ - إِذَا خَامَ أَقْوَامٌ تَقَحَّنْتُ غَمْرَةً يَهَابُ حُمَيَّاهَا الْأَلْدُ الْمُدَاعِسُ
خَامَ عن قِزْنِهِ يَخِمُ: هَابَ الإِقْدَامَ عليه. ويقال خَامَ الرَّجُلُ، إذا رَجَعَ عليه كَيْدُهُ، فَضَرَهُ؛ فيجرى مجرى خَابَ وإن كان يختص بالكيد. فيقول: إذا ضَعُفَ الْأَقْوَامُ عن التدبير، وَعَيُوا بِالْأُمُورِ فلم يعرفوا مَصَادِرَها ومَوَارِدَها، تَوَسَّطَتْ قُحْمَةٌ كُلُّ شَرٍّ يَهَابُ سَوْرَتَهَا الرَّجُلُ الْخَصِيمُ اللَّجُوجُ، الْمُدَافِعُ لِلْأَقْرَانِ. قوله «حُمَيَّاهَا» مُصَغَّرٌ لَا مُكَبَّرَ لَهُ. والدُّغْسُ: الطعن والدَّفْعُ وشِدَّةُ الْوَطْءِ. ويقال: طَرِيقٌ مُدْعَاسٌ، أي مُذَلَّلٌ.

٧ - لَعَمْرُ أَبِيكَ الْخَيْرِ إِنِّي لَخَادِمٌ لَضَيْفِي وَإِنِّي إِنْ رَكِبْتُ لَقَارِسُ
قوله «لَعَمْرُ أَبِيكَ» استعطافٌ لها، إِذْ أَقْسَمَ بِحَيَاةِ أَبِيهَا لِمَا جَرَى فِي الْعَادَةِ مِنْ إِعْظَامِ الْمُقْسَمِ بِهِ؛ وَإِكْبَارِ مَوْقِعِهِ. وَالْعَمْرُ وَالْعُمْرُ لِعَتَانٍ، وَلَا يُسْتَعْمَلُ فِي الْقَسَمِ إِلَّا بَفَتْحِ الْعَيْنِ. وَإِضَافَةُ الْأَبِ إِلَى الْخَيْرِ، كَمَا يَقَالُ هُوَ قَتَى صِدْقِي، وَهُوَ رَجُلٌ كَرَمٌ. وَقَوْلُهُ «إِنِّي لَخَادِمٌ لَضَيْفِي» اعْتِرَافٌ بِمَا عَدَّتْهُ ذَنْبًا، وَبَيَانٌ أَنَّ التَّبَجُّحَ فِيمَا أَنْكَرْتَهُ، وَأَنَّ التَّوَفُّرَ عَلَى الضَّيْفِ وَإِكْرَامَهُ فِي قِرَانِ الْفُرُوسِيَّةِ، وَمِنْ الْخِصَالِ الْمَحْمُودَةِ.

٨ - وإني لأشري الحمْدَ أبغِي رِيَاخَهُ وَأَتْرُكُ قِرْزِي وَهُوَ خَزْيَانُ نَاعِسٍ
 هذا من جملة ما أقسم عليه، فيقول: إني لأشري الحمْدَ طالبًا رِيحَهُ، وَمُجْتَنِيًا
 ثَمَرَهُ. وَثَمَرَةُ الإِحْسَانِ الشُّكْرُ، وَيَجْلِبُ الشُّكْرُ الثَّنَاءَ الجميل والأحدوثة الحَسَنَةَ من
 كُلِّ مَنْ يَسْمَعُ بالصَّنِيعِ. وَلَمَّا اسْتَعْمَلَ الشُّرَى فِي اكْتِسَابِ الحمْدِ مَجْلِيًا للمعنى،
 اسْتَعْمَلَ الرُّبْحَ فِيمَا يَتَسَبَّبُ مِنْهُ وَيَنْتَجِجُ. عَلَى مَا يُتَعَوَّدُ فِي المَتَاوَجِرِ، وَيُتَطَلَّبُ مِنَ
 البِيعَاتِ. وَقَوْلُهُ «وَأَتْرُكُ قِرْزِي وَهُوَ خَزْيَانُ» أَيُ أَهْيُنُهُ وَأَكْسِرُهُ، حَتَّى يَبْقَى مُطَرِّقًا
 حَاجِلًا مَغْضُوضَ الطَّرْفِ مُتَنَدِّمًا، كَمَنْ غَلَبَهُ الثُّعَاسُ. وَقِيلَ «نَاعِسٍ» المرادُ بِهِ أَنَّهُ
 مُشْرِفٌ عَلَى المَوْتِ. قَالَ: وَيَقَالُ طَعَنْتُ صَاحِبِي فَأَتَمَّنْتُهُ، أَيُ قَتَلْتُهُ. وَطَعَنْتُ صَاحِبِي
 فَأَنَعَسْتُهُ، أَيُ رَنَحْتُهُ. وَالرُّبَاخُ: مُصَدَّرٌ كَالرُّبْحِ. وَيَقَالُ لِلْفَائِزِ بِالْخَيْرِ: هُوَ رَابِعُ
 الصَّفَقَةِ.

٢٤٠ - وَقَالَتْ كَنْزَةُ أُمُّ شَمْلَةَ بِنُ بُرْدِ المِنْقَرِيِّ^(١): [الطويل]

١ - إِنْ يَكُ ظَنِّي صَادِقًا وَهُوَ صَادِقِي بِشَمْلَةَ يَخْبِسُهُمْ بِهَا مَخْبِسًا أَزْلًا
 قد مضى الكلام في حذف الثُّونِ مِنْ «يَكُ» فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ. وَمَرَادُ كَنْزَةَ مِنْ
 الكلام أَنْ تَجْعَلَ التَّقْصِي فِي مَجَاهِدَةِ الْقَوْمِ، وَيُلَوِّغُ أَبْعَدَ الغَايَاتِ فِي طَلَبِ الثَّارِ مِنْ
 ابْنِهَا بِبَالٍ، فَأَقْبَلْتُ تَقُولُ: ظَنِّي بِابْنِي كَيْتٌ وَكِيتٌ، مَذْكُورَةٌ وَمُوصِيَّةٌ. وَالَّذِي زَعَمْتُ أَنَّهُ
 فِي ظَنِّهَا، وَمِنْ أَحَادِيثِ نَفْسِهَا، هُوَ مَا تَقْتَرِخُهُ عَلَى ابْنِهَا، وَتَتَمَنَّى أَنْ يَحْتَفِظَ بِهِ مِنْ
 وَصَاتِهَا. وَقَوْلُهَا «وَهُوَ» يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ لِلظَّنِّ، وَالمَعْنَى: إِنْ كُنْتُ أَلْمِيعِيًا، فَظَنِّي بِشَمْلَةَ
 يَضْدُقُنِي لَا مُحَالَةً، فَإِنَّهُ يَفْعَلُ كَذَا. وَالبَاءُ مِنْ قَوْلِهَا «بِشَمْلَةَ» يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مُتَعَلِّقًا
 بِصَادِقِي، أَيُ وَهُوَ يَضْدُقُنِي بِسَبَبِ شَمْلَةَ، وَإِنْ شُئْتَ يَتَعَلَّقُ بِظَنِّي. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ
 «هُوَ» ضَمِيرُ ابْنِهِ شَمْلَةَ، وَالمَعْنَى: وَهُوَ فِيمَا أَتَفَرَّسُ فِيهِ وَأَعْتَقِدُهُ مِنْ غَنَائِهِ، يَضْدُقُنِي
 - وَيَكُونَ «بِشَمْلَةَ» تَبْيِيْنًا لَا صِلَةً، كَمَا يَكُونُ بِكَ بَعْدَ مَرَحَبَاتٍ تَبْيِيْنًا - بِحَبْسِ الْقَوْمِ بِتِلْكَ
 المَعْرَكَةِ مَخْبِسًا ضَيْقًا. وَيَقَالُ أَزْلُوا مَالَهُمْ يَأْزِلُونَهَا أَزْلًا، إِذَا حَبَسُوهَا فِي المَرَعَى،
 مَخَافَةَ الأَعْدَاءِ عَلَيْهَا. فَالْأَزْلُ مُصَدَّرٌ وَصِفَ بِهِ.

٢ - فَيَا شَمْلَ شَمَزْ وَاطْلُبِ الْقَوْمَ بِالنِّدْيِ أَصِيبَتْ وَلَا تَقْبَلِ قِصَاصًا وَلَا عَفْلًا

(١) التبريزي: «من ولد قيس، وكانت أمة لبني منقر اشتراها برد». وكنزة المنقرية: شاعرة (ت نحو ١٠٠ هـ / ٧١٨ م). ترجمتها في الجمحي ٤٧٥، والأعلام ٦: ٩٥.

هذا يدل على ما قدمناه في البيت قبله، فإنها رجعت إلى مخاطبة ابنها بعد ما ذكرت هواجس ظنونها، وجردت القول له بمراها منه، وأمرته بالتشمير في طلب القوم كلهم بمن أصيب به، وأطراح التقصير فيما جعل له من سلطانه في حقه، وبأن لا يقبل الدية وإن غالوا بها، ولا يزضى بالقصاص منهم وإن مكثوا من الجاني عليه أيضا، بل يعم القوم كلهم بالقتل، فإنه حينئذ يكون مدركا تبلة، وناقضا وثرة، وقاضيا حق صاحبه. والقصاص: أخذ الشيء بالشيء، وأصله من القص: القطع.

٢٤١ - وقالت أيضا: [الطول]

١ - لهفي على القوم الذين تجمعوا بذى السيد لم يلقوا عليا ولا عمرا
٢ - فإن يك ظني صادقا وهو صادقي بشملة يخبئهم بها مخبسا وغرا
قد تقدم القول في لهفي، وما يجوز فيه من نيّة الأفراد والإضافة. وإنما تحسرت الشاعرة على ما فات عليا وعمرا من ملاقة القوم المجتمعين بذى السيد المتخلفين للقتال. وإنما تلهفت لما كانت تؤمل من تأثيرهما فيهم. وموضع «لم يلقوا» نصب على الحال، والعامل فيه تجمعوا. ثم قالت كالمستدرك برجائه: إن كنت صادقة الظن بابني شملة - وهو يصدقني لا محالة - فإنه يحبس القوم بتلك المعركة مخبسا صغبا. تريد أن ما فات المذكورين سيتلافاه، فيما يعدها به ظنها وأملها فيه. والقول في «إن يك ظني صادقا» على ما تقدم. والصدق والكذب أصلهما في الكلام، وثوسع فيهما فليل بزد صادق، والفجر الصادق والكاذب، وهو فتى صدق، وصدقوهم القتال. ويقال: طريق وغر: بين الوعورة والوعارة، أي غليظ. وقد توغر ووغر.

٢٤٢ - وقال شبرمة بن الطفيل: [الطول]

١ - لعمري لريم عند باب ابن مخرز أغر عليه البارقان مشوف^(١)
٢ - أحب إلينا من بيوت عمادها سيوف وأزماع لهز حفيف^(٢)
الأصل في الرزم: الظني الخالص البياض. وهذا الكلام يخص به الشاعر واحدا معينا كان يقصّر في طلب الوثر، ويشغل عنه بالصبا واللهو، ويؤثر المقام بأطيب

(١) ابن محرز: من أشهر المغنيين في الدولة العباسية وهو مسلم بن محرز (الأغاني ١: ١٤٥).

(٢) التبريزي: «أحب إليكم».

المنزليين من البدو والحضر، لا يُهْمُهُ إِلَّا الرَّقَاعَةُ وَالْخَلَاعَةُ، خَالِيَتَيْنِ مِنَ التَّعَبِ
وَالنَّصَبِ، فَأَخَذَ يُعَرِّضُ بِهِ وَيَقُولُ عَلَى وَجْهِ التَّهْكُمِ وَالسُّخْرِيَةِ مِنْهُ؛ وَبِقَائِي، لِقَاءُ امْرَأَةٍ
كَأَنَّهَا ظَنِّيَّةٌ مَسْكُونُهَا فِي جَوَارِ هَذَا الرَّجُلِ فِي صَوْتِهَا عُنَّةٌ، مُحَلَّلَةٌ بِيَارِقَيْنِ، مَجْلُودَةٌ
الْوَجْهِ، أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنَ الْأَوْيِّ إِلَى بَيُوتِ مُسْتَحْدَثَةٍ بُنِيَتْ عَلَى عَمَدٍ مُتَّخِذَةٍ مِنْ رِمَاحِ
وَسُيُوفٍ. وَهَذِهِ الْبُيُوتُ لِلْغَزَاةِ وَالْمَتَّصِدَةِ أَكْثَرَ مَا تَكُونُ. أَلَا تَرَى قَوْلَ^(١) امْرِئِ الْقَيْسِ
بَعْدَ فِرَاقِهِ مِنَ الصَّيْدِ: [الطويل]

وَرُحْنَا إِلَى بَيْتٍ بَعْلِيَاءَ عَزَدَحَ سَمَاوَتُهُ مِنْ أَتْحَمِيٍّ مُشْرَعِبٍ
وَأَوْتَادُهُ مَادِئِيَّةٌ وَعِمَادُهُ رُدَيْنِيَّةٌ فِيهَا أَسِنَّةٌ قَعْصَبٍ

وَفِي هَذِهِ الطَّرِيقَةِ قَوْلُ الْآخَرِ: [الرجز]

وَاللَّهُ لِلتَّوْمِ عَلَى السِّدْبَاجِ عَلَى الْحَشَايَا وَسِرِيرِ الْعَاجِ
مَعَ الْفَتَاةِ الطُّفْلَةِ الْمِغْنَجِ أَهْوَنُ يَا عَمْرُو مِنَ الْإِدْلَاجِ
وَرَقَرَاتِ الْبَازِلِ الْعَنْجَعِجِ^(٢)

وَقَوْلُهُ «مَشُوفٌ» مِنَ الشُّوفِ، وَهُوَ التَّجْلِيَّةُ، يُقَالُ: تَشَوَّقَتِ الْمَرْأَةُ، إِذَا تَزَيَّنَتْ
وَطَرَّتْ، وَشَفَّتْهَا وَهِيَ مَشُوفَةٌ. وَقَوْلُهُ «لَهْنٌ حَفِيفٌ» فَالْحَفِيفُ: صَوْتُ طَيْرَانِ الطَّائِرِ
وَصَوْتُ الزَّمِيَّةِ.

٣ - أَقُولُ لِغَنِيَّانِ ضِرَارَ أَبْوَهُمُ وَنَحْنُ بِصَحْرَاءِ الطَّعْمَانِ وَتَوَفُ
٤ - أَقِيمُوا صُدُورَ الْخَيْلِ إِنْ نُفُوسَكُمْ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَا لَهْنٌ خُلُوفُ

قَوْلُهُ «أَقِيمُوا صُدُورَ الْخَيْلِ» فِي مَوْضِعِ الْمَفْعُولِ لِأَقُولُ، وَالْوَاوُ مِنْ قَوْلِهِ «وَنَحْنُ
بِصَحْرَاءِ الطَّعْمَانِ» وَارِ الْحَالِ. وَيُقَالُ: أَقَمْتُه فِقَامَ بِمَعْنَى قَوْمْتُهُ فَتَقَوُّمٌ، فَيَتَعَدَّى. وَأَقَمْتُ
بِالْمَكَانِ إِذَا ثَبَّتَ فِيهِ إِقَامَةً، وَأَقَمْتُ مِنَ الْمَكَانِ إِذَا ارْتَحَلْتُ عَنْهُ. قَالَ امْرِؤُ الْقَيْسِ:
[المتقارب]

وَفِي مَنَاقِبِ أَقَامَ مِنَ الْحَيِّ هَرَّ^(٣)

(١) الْبَيْتَانِ فِي دِيْوَانِهِ ٤٦ (الْأَعْلَمِي)، مَعَ اخْتِلَافٍ فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ.

(٢) الرَّجَزُ فِي مَبَادِيءِ اللُّغَةِ لِلْإِسْكَافِيِّ ص ٤٨.

(٣) لَامْرِئِ الْقَيْسِ فِي دِيْوَانِهِ ٧٩ (الْأَعْلَمِي)، وَعَجَزُهُ:

«أَمِ الظَّاعِنُونَ بِهَا فِي الشُّطْرُ»

فأما قول الشاعر: [الوافر]

أقول لأَمْ زَنْبَاعٍ أَقِيمِي صُدُورَ الْخَيْلِ شَطَرَ بَنِي تَمِيمٍ^(١)

فمعناه أقصدي وتوجهي بعيسك نحوهم. والشاعر أخذ يُبين ما يأخذ به نفسه من حثِّ القوم على القتال، وتشجيعهم على اقتحام الأهوال، ويُري أنه مع تقصير مَنْ قَدَّم التعريض به، وعَلَّقَ التقريرَ بإهماله وتعذيره، وعَيَّرَه اشتغاله بما لا يشتغلُ الموتورُ به، لا يدع أن يقول مُحَضَّضًا لهؤلاء الفتيان وقد وَقَعُوا في مِيدَانِ الطُّعَانِ وعَرْصَةِ الطُّرَادِ: اثْبُتُوا في وجوه أعدائكم، وانصبوا صدورَ خيلكم لهم، واستبدلوا بالانحراف تفحُّمًا، وبالأزورار تهجُّمًا، ودَعُوا الذَّهَابَ إلى ما يأمرُكم به الفشل، ويدعوكم إليه التهاون والكسل، مستشعرين الخوفَ من الموتِ، فَإِنَّ لكلَّ نفسٍ أَجَلًا لا يؤخره الإحجامُ والثُكُوصُ، ولا يقدِّمه الإقدامُ والثُّهُوصُ. وقوله «ما لهنَّ خُلُوفٌ»، أي ليس للنفوس تخلفٌ عن الأمد المسمَّى، ولا تراجعٌ عن الحَيْنِ المَوْحَى. والميقاتُ يُستعمل في الزَّمانِ والمكانِ، لأنَّ الوقتَ الحَدُّ. ألا ترى أنهم يقولون ميقاتَ أهلِ المشرقِ، يريدون الموضعَ الذي يُقْبَلُ له الحجُّ إذا ابتدئَ بالمسير إليه منه.

٢٤٣ - وقال قبيصةُ بن جابر^(٢): [الوافر]

١ - بِثَنِيَّتِي هَيَضَمَ جَدُّ ثَمَانِي بِطِيًّا بِالمَحَاوِلَةِ احْتِبَالِي^(٣)

رواه بعضهم «بُتَيْتِي هَيَضَمَ هُوَ جَدُّ ثَمَانِي» و«أوجدت ثماني»، وليس بشيء، لأنَّه يصير المعنى: يا بُتَيْتِي هَيَضَمَ أوجدت ثماني بطيء الحيلة بالمحلولة؟ يريد: إني سريع الحيلة. وهذا كلامٌ مُتَّبِعٌ مُخْتَلٌ^(٤). وعلى روايتنا يقول: سَمَا بِي جَدُّ عَالٍ بِثَنِيَّتِي هذا المكان. والثَّنْيُ: ما انتشَى من الوادي، أي انعطف. ويقالُ: ثَنَيْتُهُ ثَنِيًّا، ثم يُسَمَّى

(١) لأبي زنباع الجذامي في الدرر ٣: ٩٠، واللسان (شطر)، ولأبي ذؤيب في شرح أشعار الهذليين ١: ٣٦٣.

(٢) قبيصة بن جابر بن وهب الأسدي الكوفي، تابعي من رجال الحديث، ويعد في الطبقة الأولى من فقهاء أهل الكوفة (ت ٦٩ هـ/ ٦٨٨ م). ترجمته في تهذيب التهذيب ٨: ٣٤٤، والإصابة (٧٢٧٠).

(٣) التبريزي:

«بُتَيْتِي هَيَضَمَ هُوَ جَدُّ ثَمَانِي»

(٤) الشيع: التخليط.

المثني ثنيا، وما تُنْيِي به أيضًا ثنيا. على هذا قول طرفة: [الطويل]

لكالطَّوْلِ المُرْخَى وثُنياء باليَدِ^(١)

وقوله «بَطِيًّا بالمحاولة احتيالي» انتَصَبَ بَطِيًّا على الحال، فالعامل فيه ثَمَانِي. و«احتيالي» في موضع الرُّفْع على أنه فاعِلٌ بَطِيٍّ، وقد أضاف المصدرَ إلى المفعول، لأنَّ المعنى: يبطئ احتيالُ الناس عليَّ إذا حاولوه والمعنى يتعذَّر وقوع ذلك منهم، لَفَرْطِ حَزَامَتِي، واستحكام تجربتي. ومثل هذه الإضافة قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ أَتَصَبَّرْ بِعَدُوِّكَ﴾ [الشورى: الآية ٤١]، لأنَّ المعنى بعد ظلم الظالم له. هُضِيمٌ: فِعْلٌ من الهُضْمِ، مثل جَذِيمٍ، وهو اسمٌ لمكانٍ ضَيِّقٍ. وقيل فَرَسٌ أهْضَمٌ، إذا كان ضَيِّقَ الجَوْفِ.

٢ - وعَاجَمْتُ الأُمُورَ وعَاجَمَ ثَنِي كَأَنِّي كُنْتُ فِي الأُمَمِ الحَوَالِي

العَجْمُ: العَضُّ في الأصل، ويستعمل في الامتحان، لأن الناظر في الشيء هل هو ضَلْبٌ أو لا يَغْجُمُهُ وَيَعْضُّ عليه. ويقال عَجَمَ ثَنِي الخطوب، أي ابتليت بها. وفيما حَكِي عن الحجاج: «إِنَّ أمير المؤمنين نَثَرَ كِنَانَتَهُ فَعَجَمَ عِيدَانَهَا عُوْدًا عُوْدًا»^(٢). وإنما استعمل في معاناة الشدائد ومزاوَلَتِها كما استعمل المَحَاكَّةُ والاحتكاكُ فيها. فيقول: إِنِّي مُجَرَّبٌ مُدَرَّبٌ، زَاوَلْتُ التَّوَاتِبَ، وَعَارَكْتُ الأَهْوَالِ والعجائب، فَلَزِمْتُهَا وَلَزِمْتُني، وَأَزَمْتُ بِهَا وَأَزَمْتُ بِي، وَصِرْتُ لَطُولَ تَجَارِيبي وامتداد أيام مُحَاكَّتِي نِقَابًا مُحَدَّثًا، أَبْلُغُ بَطْنِي مَا يَبْلُغُ غَيْرِي بمشاهدته. هذا على قُرْبِ ميلادي، وَحَدَاثَةِ سِنِّي، حتى كَأَنِّي كُنْتُ فِي الأُمَمِ الماضين، وَأَحَدَ الرِّجَالِ المَعْمُرِينَ، فَادْرَكَ الشيءَ قَبْلَ حَصُولِهِ، وَأَتَصَوَّرُهُ وَلَمْ يَجِءْ بِصُورَةٍ مَا فُرِغَ مِنْهُ وَقُضِيَ، فَظَنَّنِي عِيَانًا، وَيَوْمِي دَهْرًا.

٣ - فَلَسْنَا مِنْ بَنِي جَدَاءَ بِكُرٍ وَلَكِنَّا بَنُو جَدِّ النُّقَالِ

الْجَدَاءُ: المقطوعة الثدي. وَالْبِكْرُ: الباقية على حالتها الأولى. ويقال: رَجِمَ جَدَاءً، إذا كانت غير موصولة. والشاعر جعلَ الْجَدَاءَ الْبِكْرَ كِنَايَةً عَنِ الضَّعِيفَةِ الشَّرِّ، الْقَلِيلَةِ الْأَهْلِ، عَلَى عَادَتِهِمْ فِي جَعْلِ النَّتَاجِ لَهَا، وَالْوِلَادِ وَالرِّضَاعِ وَالْفِطَامِ إِذَا قُطِّعُوا حَالَهَا. فيقول: لَسْنَا أَبْنَاءَ الْحَرْبِ الْقَلِيلَةِ الدَّرِّ، الْبَسِيرَةِ الْأَذَى وَالشَّرِّ، الَّتِي لَمْ يَتَكَثَّرْ

(١) لطرفة في ديوانه ٣٤، واللسان (طول)، وكتاب العين ٧: ٤٥١. وصدرة:

«لعمرك إن الموت ما أخطأ الفتى»

(٢) انظر الكامل ٢١٥، والعقد الفريد ٤: ١١٩.

موقدوها، ولم يتشمر لها خُطابُها ومولدوها ولكنا بنو المُناقَلاتِ الشديدة الهياج، والوَقعاتِ الصعبة المراس، التي كثر دزؤها، وتكرر القتال حالاً بعد حالٍ من أهلها. وقوله «بنو جدّ الثقال» يريد: بنو الثقال البليغ المتناهي، الذي لا مساهلة فيه ولا مياسرة. ويجوز أن يكون المعنى: لسنا أصحاب حربٍ بِكرٍ، ولكنا بنو حربٍ عَوانٍ. كأنه جعل الثقال في الولاد.

وقد اضطرب بعضُ المفسرين في هذا البيت، فأتى بما يخجبه السمع، ولا يعيه القلب، فقال: المعنى لسنا بعقم لم يكثر أولادنا، بل فينا الكثرة والعز. وقوله «بنو جدّ الثقال» يعنى به المناقلة في الكلام، يريد أنهم خطباء. قال: فالمصراع الثاني ليس من الأول في شيء، وإذا كان كذلك فكأن أبا تمام ذكّر البيت على رداءته ليتجنب قولٌ مثله، ولينبه على المتردّل منه، كما نبّه على المختار المستحسن بغيره.

وهذا القائل لم يرضَ بذهابه عن الصواب، حتّى ظنّ بأبي تمام ما لم يخطر له ببالٍ.

٤ - تَفَرَّى بَيضُهَا عَنَّا فَكُنَّا بَنِي الْأَجْلَادِ مِنْهَا وَالرَّمَالِ

تبجح فيما مضى بما أعطاه الله من الظفر بالأعداء، وتوحدّه به من الفطنة والدكاء، والذكارة والدهاء، وبحسن الصبر على مدارس العوصاء، ومداوسة العماء، وبمجانبة الهين من الحروب، واقتحام أصعب الخطوب. وأقبل الآن يفتخر بالكثرة، إذ كان العز فيها، فقال: «تَفَرَّى بَيضُهَا عَنَّا». والضمير في بيضها للأرض، كما يقال: مِنْ الْأَرْضِ خُلِقْنَا وَإِلَيْهَا عَوْدُنَا. وفي القرآن: ﴿أَرَأَيْتَ يَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا﴾ [المُرسلات: الآية ٢٥] ﴿أَحْيَا وَأَمَوَّا﴾ [المُرسلات: الآية ٢٦]. وساغ ذلك وإن لم يَجِرْ لها ذِكْرٌ لَمَّا لم يَلْتَبَسْ، لدلالة الكلام عليه. والمعنى: تَشَقَّقَ بَيضُ الْأَرْضِ عَنَّا، فنحن بنو حُرُونِها وسهولها. وإنما يعني كثرتهم واتساع ديارهم، إذ كانت الأرض لا تنقسم إلّا إليها. والأجْلَاد: جمع الجَلَد، وهو الصُّلب من الأرض، وذُكِرَ الْبَيضُ مَثَلًا، وقد تقدّم القول في بَيضِ الْبَلَدِ.

٥ - لَنَا الْحِضْنَانِ مِنْ أَجَلٍ وَسَلَمَى وَشَرْقِيَاهُمَا غَيْرَ انْتِحَالِ

٦ - وَتَيْمَاءُ الَّتِي مِنْ عَهْدِ عَادٍ حَمِينَاهَا بِأَطْرَافِ الْعَوَالِي

هذا كالبيان لما تقدّم، والكشف عما أجمل، لأنّه أتبع ما وصف من أخلاقهم وعزمهم، بتحصن بلادهم وتمنع جبالهم، فقال: لنا جبلاً طيِّئاً أجاً وَسَلَمَى، ونواحي

الشَّرْقِ منهما، دَغْوَى صَحِيحَةً لَا يَضَعُفُهَا انتِحَالٌ، وَلَا يُوهِنُهَا كِذَابٌ. ويقال: انتحلت الشيءَ، إذا ادَّعَيْتَهُ ولم يكن من شأنِكَ. على هذا قال الأعشى: [المقارب]

فكيف أنا وانتحالي القَوَا في بَعْدَ المَشِيبِ كَفَى ذَاكَ عَارًا^(١)

وَنُجِّلَ الشَّاعِرُ قَصِيدَةً، إِذَا رُؤِيتَ عَنْهُ وَلَمْ تَكُنْ مِنْ قَبْلِهِ. وانتصب «غير» على أَنَّهُ مصدر أَكْدَبَ بِهِ مَا قَبْلَهُ، وَعَلَى قَوْلِهِمْ: هَذَا زَيْدٌ حَقًّا، وَغَيْرُ شَيْءٍ. وَقَوْلُهُ «وَتِيْمَاءٌ» أَرَادَ وَلَنَا تِيْمَاءٌ الَّتِي هَذَا صَفَتُهَا وَحَظَّهَا مِنْ عِنَايَتِنَا بِهَا. وَهِيَ بِلَدَةٍ بِنَاحِيَةِ يَثْرِبَ. وَقَوْلُهُ «مَنْ عَهْدٍ عَادٍ» جَعَلَ مِنْ بَدَلٍ مُنْذُ، لِأَنَّ مُنْذُ فِي الْأَزْمَنَةِ بِمَنْزِلَةِ مَنْ فِي الْأَمَكْنَةِ، فَهُوَ فِي مَوْضِعِ الظَّرْفِ، وَالْعَامِلُ فِيهِ حَمِينَاهَا. وَقَدْ ذَكَرَ أَمْرُ الْقَيْسِ تِيْمَاءَ فَقَالَ: [الطويل]

وَتِيْمَاءٌ لَمْ يَثْرُكْ بِهَا جِذْعٌ نَخْلَةً وَلَا أَجْمًا إِلَّا مَشِيدًا بِجَنْدَلٍ^(٢)

٢٤٤ - وَقَالَ سَالِمُ بْنُ وَابِصَةَ^(٣): [البسيط]

١ - عَلَيْكَ بِالْقَضْدِ فِيمَا أَنْتَ فَاعِلُهُ إِنَّ التَّخْلُقَ يَأْتِي دُونَهُ الْخُلُقُ

قَوْلُهُ «عَلَيْكَ» مِمَّا أُغْرِيَ بِهِ وَخُضِّضَ، وَصَارَ بِذَلِكَ مِنْ أَسْمَاءِ الْأَفْعَالِ. وَيُقَالُ: عَلَيْكَ كَذَا وَعَلَيْكَ بِكَذَا. وَالْمَعْنَى الزَّمُّ وَخُذْ نَفْسَكَ بِهِ. وَالْقَصْدُ: وَاسِطَةُ الْأُمُورِ، فَمَا تَعَدَّاهُ سَرَفٌ وَمَا انْحَطَّ عَنْهُ قُصُورٌ. وَلِذَلِكَ قِيلَ لِمَنْ لَيْسَ بِجَسِيمٍ وَلَا ضَعِيلٍ، وَلَيْسَ بِقَصِيرٍ وَلَا طَوِيلٍ: هُوَ قَصْدٌ وَمَقْصِدٌ. وَمَعْنَى الْبَيْتِ: عَلَيْكَ بِاسْتِقَامَةِ الطَّرِيقَةِ وَمِلَازِمَةِ الْأَعْدَلِ فِي الْقَضِيَّةِ مِمَّا تَلَابَسَهُ وَتَفَعَّلَهُ، وَاتْرُكْ تَكَلَّفَ مَا لَيْسَ مِنْ شِيَمَتِكَ وَسَجِيَّتِكَ، فَإِنَّكَ إِنْ تَجَشَّمْتَهُ صَابِرًا عَلَى الْبَلَوَى فِيهِ نَزَعْتَ نَفْسُكَ قَرِيبًا عَنْهُ، وَعُدْتَ إِلَى مَذْهَبِكَ الْأَوَّلِ فَلَحَقْتَكَ الدُّمُّ لَهُ.

٢ - وَمَوْقِفٍ مِثْلِ حَدِّ السَّيْفِ قَمْتُ بِهِ أَخِي الدُّمَارَ وَتَرْمِينِي بِهِ الْحَدَقُ

يُقَالُ لِلْمَكَانِ النَّابِي بِصَاحِبِهِ وَلَا يُمْكِنُهُ الْإِسْتِقْرَارُ بِهِ تَشْبِيهًا: هُوَ مِثْلُ حَدِّ السَّيْفِ، وَكَقَرْنِ الْأَعْفَرِ، وَحَدِّ السَّنَانِ. وَإِذَا رُجِلَ الرَّجُلُ: مَا يَجِبُ عَلَيْهِ حِفْظُهُ. وَرَجُلٌ

(١) للأعشى في ديوانه ١٠٣، وتخليص الشواهد ١٠٣، واللسان (نحل).

(٢) لامرئ القيس في ديوانه ٢٥، واللسان (أجم)، ومقاييس اللغة ١: ٦٥.

(٣) سالم بن وابصة بن معبد الأسدي: أمير وشاعر، من أهل الحديث، دمشق سكن الكوفة وتولى إمرة الحرقة لمحمد بن مروان (ت نحو ١٢٥ هـ / ٧٤٣ م) ترجمته في تهذيب ابن عساكر ٦: ٥٦، والإصابة ٣٠٤٤.

ذَمِرٌ وَذَمِيرٌ، إِذَا كَانَ مُنْكَرًا دَاهِيَةً. وَيَقَالُ: ذَمَرْتُ الرَّجُلَ إِذَا خَضَعْتَهُ وَتَدَامَرَ الْقَوْمُ فِي كَذَا إِذَا تَحَاضُّوا. وَالْمَعْنَى: رُبُّ مَكَانٍ ضَيِّقٍ دَقِيقٍ، لَا تَثْبُتُ عَلَيْهِ الْأَقْدَامُ، أَنَا قَمْتُ بِهِ حَامِيًا لِمَا يَحِقُّ عَلَيَّ جِمَائَتِهِ، وَالْعِيُونُ تَرْمُقُنِي وَالثُّفُوسُ تَتَطَلَّعُ إِلَيَّ مَا يَكُونُ مِنِّي، وَتَتَنَسَّمُ أَخْبَارِي فِيهِ وَبِلَائِي. وَقَوْلُهُ «وَتَرْمِينِي بِهِ الْحَدَقُ» جَعَلَ الْفَعْلَ عَلَى التَّوَسُّعِ لِلْحَدَقِ، وَإِنَّمَا هُوَ لِلنَّازِلِينَ بِهَا. أَلَا تَرَى أَنَّهُ يَقَالُ رِمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ. وَمَوْضِعُ «أَخْيِي الذَّمَارَ» مَوْضِعُ الْحَالِ.

٣ - فَمَا زَلَقْتُ وَلَا أَبْلَيْتُ فَاخِشَةً إِذَا الرِّجَالُ عَلَى أَمْثَالِهَا زَلَقُوا
يقول: اسْتَقَمْتُ فِي فَعْلِي، وَتَثَبْتُ فِي مَوْقِفِي، وَلَمْ أُنْعَثِرْ فِيمَا صَرَفْتُ الْقَوْلَ فِيهِ، وَلَمْ أَتَزَلَّعْ عِنْدَمَا حَاضَرْتُ بِهِ وَدَافَعْتُ عَنْهُ، وَلَمْ أَقْدِمْ عَلَى مَا يُعَدُّ سَقَطَةً مِنِّي أَوْ يَشِينُنِي، إِذَا تُحَدِّثُ بِهِ عَنِّي فِي وَفْتٍ تَكْثُرُ زَلَّاتُ الرِّجَالِ فِي مِطَالَعَةِ أَمْثَالِهِ مِنَ الْمَوَاقِفِ، وَتَبْطُلُ دَعَاوِيهِمُ الْمُتَقَدِّمَةُ لِمَا يَظْهَرُ مِنْ عَجْزِهِمْ، وَسُوءِ اسْتِمْسَاكِهِمْ. وَجَوَابُ إِذَا فِيمَا تَقَدَّمَ. وَالْمَعْنَى: إِذَا زَلَقَ الرِّجَالُ فِي أَمْثَالِهِ مِنَ الْمَقَامَاتِ ثَبَّتُ أَنَا.

٢٤٥ - وَقَالَ آخِرُ^(١):

١ - إِنْ أَكَّ قَضْدًا فِي الرِّجَالِ فَلِئَنِّي إِذَا حَلَّ أَمْرٌ سَاحَتِي لَجَسِيمٌ
قَدْ تَقَدَّمَ الْقَوْلُ فِي حَذْفِ النُّونِ مِنْ أَكَّ. وَمَعْنَى الْبَيْتِ إِنْ كَانَ فِي خِلْقَتِي اقْتِصَادٌ فَلَمْ أَبْلُغْ غَايَاتِ الْجِسَامِ، فَإِنْ غَنَائِي فِي النُّوَابِ إِذَا نَابَتْ، وَاهْتِدَائِي لَوُجُوهِ الْخُرُوجِ مِنْهَا إِذَا خَرَبَتْ، يَحْكُمَانِ لِي بِجِزَالَةِ الرَّأْيِ وَجَسَامَةِ النَّفْسِ؛ لِأَنَّ الرَّجُلَ بَقْلُهُ وَلِسَانُهُ، لَا بِجَسَمِهِ وَجِسْمَانِهِ. وَفِي هَذِهِ الطَّرِيقَةِ قَوْلُهُ: [الطويل]

إِذَا كُنْتُ فِي الْقَوْمِ الطَّوَالِ أَصْبَيْتُهُمْ بِعَارِفَةٍ حَتَّى يُقَالَ طَوِيلٌ^(٢)

وَالسَّاحَةُ: فُضَاءٌ بَيْنَ دَوَرِ الْحَيِّ، وَكَمَا قِيلَ عَلَى التَّوَسُّعِ نَزَلَ بِسَاحَتِهِ أَمْرٌ، قِيلَ أَيْضًا نَزَلَتْ بِعَفْوَتِهِ خُطُوبٌ.

٢٤٦ - وَقَالَ عَامِرُ بْنُ الطَّفِيلِ: [الطويل]

١ - قَضَى اللَّهُ فِي بَعْضِ الْمَكَارِهِ لِلْفَتَى بِرُشْدٍ وَفِي بَعْضِ الْهَوَى مَا يُحَاذِرُ

(١) لَمْ يَرَوْا التَّيْرِيذِي هَذِهِ الْحِمَاسِيَّةَ ذَاتَ الْبَيْتِ الْوَاحِدِ.

(٢) سَيَأْتِي الْبَيْتُ فِي حِمَاسِيَّةٍ مَنْسُوبَةٍ إِلَى أَحَدِ الْفَزَارِيِّينَ فِي (بَابِ الْأَدَبِ).

٢ - أَلَمْ تَعْلَمِي أَنِّي إِذَا الْإِلْفُ قَادَنِي إِلَى الْجَوْرِ لَا أَنْقَادُ وَالْإِلْفُ جَائِرٌ
 معنى هذا يماثل قول الله تعالى: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ
 وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ﴾ [البقرة: الآية ٢١٦]. وفي مثله قال غيره:
 [مجزوء الرجز]

كَمْ فَرْحَةٍ مَطْوِيَّةٍ لَكَ تَحْتَ أَثْنَاءِ النُّوَابِ
 وَمَسَاءَةٍ قَدْ أَقْبَلَتْ مِنْ حَيْثُ تُنْتَظَرُ الْمَوَاهِبُ

ويقال: قَضَاهُ وَقَضَى بِهِ. وقوله «وفي بعض الهوى» أراد به: وَقَضَى لَهُ فِي
 بعض المَحَابِّ مَا يُحَادِرُ؛ فوضع الهوى موضع المَحَابِّ لِأَنَّ كُلَّ مُحِبٍّ يَصْحَبُهُ
 الهوى، كما أَنَّ قَوْلَهُ «مَا يُحَادِرُ» مَوْضِعُ الْعَوَايَةِ لِكُونِهِ فِي مُقَابِلَةِ الرُّشْدِ، إِذْ
 كَانَ الْعَيُّ مِنْ حَقِّهِ أَنْ يُحَادِرُ. وقوله «أَلَمْ تَعْلَمِي» تَنْبِيهُ عَلَى مَكَانِهِ مِنَ الرَّأْيِ، وَأَنَّ ظَنَّهُ
 يَقُومُ مَقَامَ عِيَانٍ غَيْرِهِ. وألف الاستفهام إِذَا اقْتَرَنَ بِحَرْفِ التَّنْفِي يَقَرَّرُ بِهِ فِيمَا يَجِبُ
 وَيَحَقُّ، فَيَقُولُ: أَمَّا عَرَفْتَ مِنْ دَائِبِي وَطَبِيعَتِي، أَنِّي لَا أَتَّبِعُ الْغَيْرَ، وَلَا أَنْقَادُ لِمَا يُجَانِبُ
 الْعَدْلَ، فَمَتَى سَأَمَنِي أَلِيفِي مَطَاوَعَتَهُ فِيمَا لَا أَسْتَوْفِقُهُ أَبِيتُ عَلَيْهِ، وَتَرَكْتُهُ وَمَا يَخْتَارُ مِنَ
 الْاِعْتِسَافِ وَرُكُوبِ الْجَوْرِ وَالضَّلَالِ. وَكَانَ يَجِبُ أَنْ يَقُولَ: لَا أَنْقَادُ وَهُوَ جَائِرٌ، فَوَضَعَ
 الظاهر موضع المضمر.

٢٤٧ - غَزَا مُجَمِّعُ بْنُ هِلَالٍ

ابن خالد بن مالك بن هلال بن الحارث بن تميم الله، يريد بني سغيد بن زيد
 مَنَاءَ، فَلَمْ يَغْنَمْ وَرَجَعَ مِنْ غَزَاتِهِ تِلْكَ، فَمَرَّ بِمَاءِ لَبْنِي تَمِيمٍ عَلَيْهِ نَاسٌ مِنْ مُجَاشِيعٍ،
 فَقَتَلَ فِيهِمْ وَأَسَرَ، فَقَالَ فِي ذَلِكَ: [الطويل]

١ - إِنْ أُنْسِ مَا شَيْخًا كَبِيرًا فَطَالَ مَا عَمِزْتُ وَلَكِنْ لَا أَرَى الْعُمَرَ يُنْفَعُ^(١)

قوله «ما شيخًا»، ما زائدة للتأكيد. يقول: إِنْ صِرْتُ شَيْخًا طَاعَنًا فِي السَّنِّ،
 ضَارِعًا لِنَائِبَةِ الدَّهْرِ، مُهْدِقًا لِسَهَامِهِ، مُقَرَّعًا بِلِبَالِيهِ وَأَيَّامِهِ، فَحَقُّ ذَلِكَ وَاجِبٌ، لِأَنَّ
 مَنْ يَعْشَى يَكْبَرُ وَمَنْ يَكْبُرُ يَهْرَمُ، وَطَوَّلُ الْعُمَرِ لَا يُجْدِي إِذَا كَانَ مَوْذَاهُ إِلَى الضَّعْفِ،
 وَقُصَارَاهُ الْمَوْتُ. وقوله «طال ما عَمِزْتُ» يجوز أَنْ يَكُونَ مَا مَعَ الْفِعْلِ فِي تَقْدِيرِ
 الْمَصْدَرِ، وَيَكُونُ حِينَئِذٍ حَرْفًا عِنْدَ سَيِّبُوهِ، وَالتَّقْدِيرُ: فَقَدْ طَالَ عُمُرِي. وَعَلَى هَذَا

(١) التبريزي: «إِنْ أُلْكَ».

يُكْتَبُ طَال مُنْفَصِلًا مِنْ مَا. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَا كَافَّةً لِلْفِعْلِ عَنِ الْعَمَلِ، وَمُخْرِجًا لَهُ مِنْ بَابِهِ، وَلِذَلِكَ جَاز وَقُوعُ الْفِعْلِ بَعْدَهُ، وَإِنْ كَانَ الْفِعْلُ لَا يَدْخُلُ عَلَى الْفِعْلِ، وَعَلَى ذَلِكَ يُكْتَبُ طَالًا مُتَّصِلًا بِمَا لَأَنَّهُ مِنْهُ وَمِنْ تَمَامِهِ. وَمَعْنَى عَمِرْتُ: بَقِيْتُ وَحَيِّيتُ. وَالْعُمُرُ، قَالَ الْخَلِيلُ: هُوَ الْحَيَاةُ وَالْبَقَاءُ، وَمِنْهُ: لَعُمُرُ اللَّهِ. وَقَوْلُ الشَّاعِرِ: [الكامل]

وَعَمِرْتُ حَزْسًا قَبْلَ مَجْرَى دَاجِسٍ لَوْ كَانَ لِلنَّفْسِ اللَّجُوجِ خُلُودٌ^(١)
يشهد لذلك. وقوله «لَا أَرَى الْعُمُرَ» أَرَادَ اتِّصَالَ الْعُمُرِ وَطَوْلَهُ، فَحَذَفَ الْمُضَافَ وَأَقَامَ الْمُضَافَ إِلَيْهِ مَقَامَهُ. وَذَكَرَ بَعْضُهُمْ أَنَّ أَبَا تَمَّامٍ أَخْطَأَ فِي قَوْلِهِ: [البسيط]
مَا لِأَمْرِي خَاضَ فِي بَحْرِ الْهَوَى عُمُرٌ إِلَّا وَلِلْبَيْنِ مِنْهُ السَّهْلُ وَالْجَبَلُ
لَأَنَّ الْعُمُرَ اسْمُ مُدَّةِ الْحَيَاةِ بِأَسْرِهَا لَا يَتْبَعُضُ، فَكَمَا لَا يُقَالُ مَا لَزِيذُ رَأْسٍ إِلَّا وَفِيهِ شَجَّةٌ، كَذَلِكَ لَا يُقَالُ مَا لَهُ عُمُرٌ إِلَّا وَهُوَ قَصِيرٌ. قَالَ: وَلَيْسَ قَوْلُهُمْ: مَا لَهُ عَيْشٌ إِلَّا مُنْعَصٌ، وَلَا حَيَاةٌ إِلَّا مَكْدَرَةٌ، مِثْلَ قَوْلِكَ: مَا لَهُ عُمُرٌ إِلَّا قَصِيرٌ. لَوْ قُلْتَهُ، لَأَنَّ عَيْشَ الْإِنْسَانِ لَيْسَ هُوَ مُدَّةُ حَيَاتِهِ بِأَسْرِهَا. أَلَا تَرَى أَنَّكَ تَقُولُ: كَانَ عَيْشِي بِالْعِرَاقِ طَيِّبًا، وَكَانَتْ حَيَاتِي بِمَصْرَ لَذِيذَةً، وَلَا تَقُولُ كَانَ عُمُرِي. وَالَّذِي قَالَهُ هَذَا الْمَعْتَرِضُ عَلَى أَبِي تَمَّامٍ يَبْطِلُهُ مَا حَكَيْتُهُ عَنِ الْخَلِيلِ فِي تَفْسِيرِ الْعُمُرِ، وَالْبَيْتُ الَّذِي أَنْشَدْتُهُ. أَلَا تَرَى أَنَّ قَوْلَهُ «عَمِرْتُ حَزْسًا قَبْلَ مَجْرَى دَاجِسٍ» يَقْتَضِي تَبْعِيضَ عُمُرِهِ، إِذْ كَانَ مَا بَعْدَهُ مِنْ عُمُرِهِ قَدْ أَفْرَدَهُ عَمَّا قَبْلَهُ، وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ عَلَى هَذَا جَاز أَنْ يُقَالَ: كَانَ عُمُرِي قَبْلَ مَجْرَى دَاجِسٍ أَطْيَبَ مِنْ عُمُرِي بَعْدَهُ. وَفِي الْقُرْآنِ: «فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا» [يونس: الآية ١٦] أَيِ بَعْضِ عُمُرِي، فَحَذَفَ الْمُضَافَ.

٢ - مَضَّتْ مِائَةٌ مِنْ مَوْلَدِي فَنَضَوْتُهَا وَخَمْسٌ تَبَاعَ بَعْدَ ذَاكَ وَأَرْبَعُ

هذا تفصيل لما أجملته من كبرته. يقول: أنت عليّ مائة سنة من ميلادي فالغيثها ورائي، كأنّي لبسْتُها ثم خَلَعْتُها واستتبعْتُ بَعْدَهَا تِسْعًا تَوَالَتْ، فَلِي عُذْرٌ فِي ضَعْفِ يَظْهَرُ، أَوْ كَسَلٍ يَلْحَقُ، إِذْ كُنْتُ غَائِبَ لِدَاتِ قُنُوتِهَا، وَمَتَعَرَّقَ أَعْوَامَ بَادِ أَهْلِهَا فَتُسَوِّا. قَوْلُهُ «فَنَضَوْتُهَا» يُرْوَى «فَنَضَوْتُهَا». وَيُقَالُ: نَضَا نَوْتَهُ يَنْضُو وَيَنْضِي إِذَا نَزَعَهُ، لَغْتَان. عَلَى

(١) للبيد في ديوانه ٣٥، واللسان (سبت، عمر، جرا)، وديوان الأدب ١: ٩٧.

هذا قول امرئ القيس: [الطويل]

فجئتُ وقد نَضْتُ لَنَوْمٍ ثِيَابَهَا^(١)

ويقال: نَضَى سَيْفَهُ وانتَضَى بمعنى. وقوله «بعد ذاك» إن قيل لِمَ لَمْ يَقُلْ بعد تلك، والإشارة إلى قوله مائة؟ قلت: لم يُرَاعِ تَأْنِيثَ المذكورِ وتذكيره، بل أراد ما ذَكَرْتُ. على ذلك قول ذي الرُّمَّة: [الوافر]

وَمِئَةً أَحْسَنُ الثَّقَلَيْنِ خَدًا وَسَلَافَةً وَأَحْسَنُهُ قَدَالًا^(٢)

ألا تَرَى أنه لم يَقُلْ وأحسَنُهُمَا. وقوله «وَحَمْسٌ تِبَاعٌ» يقال: تَبَعَ تِبَاعًا، فهو مصدرٌ وَصِفَ به. ويقال أيضًا: رميته بسهمين تِبَاعًا، أي زِلَاءً، وتَابَعَ بينهما فلانٌ تِبَاعًا.

٣ - وَخَيْلٍ كَأَسْرَابِ الْقَطَا قَدْ وَزَعَتْهَا لَهَا سَبَلٌ فِيهِ الْمَنِيَّةُ تَلْمَعُ

تذكر بما كان منه عند تَعَالَى سِنُّهُ وَتَنَاهِي عُمَرِهِ، ما كان منه في رَيْعَانِ شَبَابِهِ، وعند استكمال قُوَّتِهِ وَتَرَامِي الأَحْدَاثِ به، فيقول: رُبَّ خَيْلٍ تَمْتَدُّ وَتَتَوَالَى مَبَادِرُهُ إِلَى الْمُلتَقَى، وتسترسل استرسالَ فِرْقِ الْقَطَا عند اندفاعِها لِلوَرْدِ، أنا بعثتها وَهَيَّجْتُهَا، ولها عَارِضٌ يَمُطِرُ بِالمَوْتِ وَيَلْمَعُ. وَالسَّبَلُ: المَطَرُ. ورواه بعضهم: «لَهَا أَسَلٌ» وهي الرِّمَاحُ. وقوله «قَدْ وَزَعَتْهَا» يجوز أن يكون معناه كَفَفْتُهَا عَنِ التَّعَجُّلِ، ويجوز أن يكون قَسَمْتُهَا لِلتَّعْبَةِ أو الغارة، لأنه يُقال وَزَعْتُ الشَّيْءَ وَوَزَعْتُهُ جَمِيعًا؛ وعنده أَوْزَاعٌ مِنَ النَّاسِ، أي فِرَقٌ، وعلى الوجهين فتدبيرُها كان إليه. وقوله «قَدْ وَزَعَتْهَا» من صفة الخيل، لأنَّ جوابَ رُبِّ فِيمَا بَعْدَهُ، ولها سَبَلٌ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ. وقوله «فِيهِ الْمَنِيَّةُ» من صفة السَّبَلِ، وَيَلْمَعُ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ لِلْمَنِيَّةِ، والعامل ما يدلُّ عليه الظرف.

٤ - شَهِدْتُ وَغُنِمٌ قَدْ حَوَيْتُ وَلَذَّةٍ أَتَيْتُ وَمَاذَا الْعَيْشُ إِلَّا التَّمَتُّعُ

قوله «شهدتُ» جواب رَبِّ، فيقول: رُبَّ خَيْلٍ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ حَضَرَتْهَا مُدَبِّرًا لَهَا، وَرَبُّ غَنِيمَةٍ تَتَنَمَّئُهَا وَتَوَلَّيْتُ قَسَمْتُهَا، وَرُبُّ لَذَّةٍ أَتَيْتَهَا وَنَلْتُ مَنَالِي مِنْهَا. ثم أَقْبَلَ كَالْمَتَلَقِّ إِلَى غَيْرِهِ، فقال: وَمَا الْعَيْشُ إِلَّا التَّمَتُّعُ بِهِذِهِ الْأَشْيَاءِ. ارتفع «الْعَيْشُ» عَلَى

(١) لامرئ القيس في ديوانه ١٤، والدرر ٣: ٧٨، وشرح شنور الذهب ٢٩٧، وعجزه:

«لدى السَّيْرِ إِلَّا لِبَسَةِ الْمُتَفَضِّلِ»

(٢) لذي الرمة في ديوانه ١٥٢١، وخزانة الأدب ٩: ٣٩٣، والدرر ١: ١٨٣، واللسان (نقل).

أَنَّهُ عَطَفَ الْبَيَانَ لِذَا، لِأَنَّهُ جَعَلَ الْعِيشَ كَالْحَاضِرِ، فَأَشَارَ بِهِ إِلَيْهِ وَإِنْ كَانَ الْقَصْدُ إِلَى الْجِنْسِ. وَالتَّمَتُّعُ: الْإِنْتِفَاعُ بِالشَّيْءِ زَمَانًا طَوِيلًا. وَمِنْهُ مَتَّعَ الثَّهَارُ: ارْتَفَعَ، وَاسْتَمْتَعْتُ وَاسْتَمْتَعْتُ وَتَمَتَّعْتُ بِمَعْنَى.

٥ - وَعَائِرَةٌ يَوْمَ الْهَيْيَمَا رَأَيْتُهَا وَقَدْ ضَمَّهَا مِنْ دَاخِلِ الْخَلْبِ مَجْرَعٌ^(١)

يقول: وَرَبَّ امْرَأَةٍ فِي هَذَا الْيَوْمِ لَتَمَكَّنَ الْخَوْفِ مِنْهَا، وَتَمَلَّكَ الْجَزَعُ قَلْبَهَا، رَأَيْتُهَا تَغْتَرُّ لَوَجْهَهَا وَلَا تَسْتَقِيمُ فِي مَشْيِهَا، مَخَافَةَ السُّبَاءِ لَهَا، وَقَدْ ضَمَّهَا مَجْرَعٌ، أَيِ اسْتَوْلَى عَلَيْهَا الْحَزَنُ وَالْقَلَقُ، حَتَّى صَارَ يَضُمُّهَا إِلَيْهِ وَلَا يَدْعُهَا لغيرِهِ. وَقَوْلُهُ «مِنْ دَاخِلِ الْخَلْبِ» بَيَّنَّ بِهِ مَنَاشَأَ الْجَزَعِ وَمَقَرَّهُ، وَالْخَلْبُ: حِجَابُ الْقَلْبِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: خَلَبَتِ الْمَرْأَةُ فَلَانًا، أَيِ أَصَابَتْ خَلْبَهُ بِلَطْفِهَا وَخَدَعَتْهُ، خَلْبًا. ثُمَّ يَقَالُ: هُوَ خَلْبٌ نِسَاءً، كَمَا يَقَالُ هُوَ زِيرُ نِسَاءٍ. وَهَذَا عَلَى طَرِيقَتِهِمْ فِي التَّقْضِصِ وَالتَّقْضِصِ وَمَا أَشْبَهَهُ.

٦ - لَهَا غَلَلٌ فِي الصَّدْرِ لَيْسَ بِبَارِحٍ شَجَى نَشِبٌ وَالْعَيْنُ بِالماءِ تَدْمَعُ

يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ «لَهَا غَلَلٌ» فِي مَوْضِعِ الْجَزَعِ عَلَى أَنْ يَكُونَ صِفَةً لِعَائِرَةٍ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فِي مَوْضِعِ الْمَفْعُولِ الثَّانِي لِقَوْلِهِ رَأَيْتُهَا: وَأَصْلُ الْغَلَلِ هُوَ الْمَاءُ يَجْرِي بَيْنَ الشَّجَرِ، فَاسْتَعَارَهُ لَمَّا تَدَاخَلَهَا مِنَ الشَّجَى. وَقَالَ الْخَلِيلُ: الْغَلَلُ: تَغْلُغُلُ الْمَاءُ بَيْنَ الشَّجَرِ. وَالْمُغْلَغَلَةُ: سُرْعَةُ السَّيْرِ؛ وَمِنْهُ رِسَالَةٌ مُغْلَغَلَةٌ أَيِ مَحْمُولَةٌ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ. وَرَوَاهُ بَعْضُهُمْ «لَهَا غُلْلٌ» بِضَمِّ الْغَيْنِ، جَمْعُ غُلَّةٍ. وَلَوْ كَانَ كَذَا لَقَالَ لَيْسَتْ بِبَارِحَةٍ. وَمَعْنَى «لَيْسَ بِبَارِحٍ» أَيِ لَيْسَ بِزَائِلٍ، وَمَوْضِعُ قَوْلِهِ «شَجَى نَشِبٌ» رَفَعَ عَلَى الْبَدَلِ مِنَ غَلَلٍ. وَيُرِيدُ فَلَانٌ أَنَّهُ عَلِقَ بِهِ كَمَا يَنْشَبُ الصَّيْدُ فِي الْحِبَالَةِ. وَفِي الْكَلَامِ الْمَرْوِيِّ: نَشِبَ فَلَانٌ مَنَشَبَ سَوْءٍ، أَيِ وَقَعَ فِيهِ لَا يَتَخَلَّصُ مِنْهُ. وَقَوْلُهُ «وَالْعَيْنُ بِالماءِ تَدْمَعُ» فِي مَوْضِعِ الْحَالِ، وَلَا بُدَّ مِنَ الْوَاوِ فِيهِ لِتَعَلُّقِ بِذِي الْحَالِ. وَالْعَامِلُ فِيهِ قَوْلُهُ شَجَى نَشِبَ. وَلَوْ كَانَ فِي الْجُمْلَةِ ضَمِيرٌ لَكُنْتُ فِي دُخُولِ الْوَاوِ وَسُقُوطِهِ بِالْخِيَارِ، إِذْ كَانَ الضَّمِيرُ يُعَلِّقُ مِنَ الْحَالِ مَا يُعَلِّقُهُ الْوَاوُ.

٧ - تَقُولُ وَقَدْ أَفْرَدْتُهَا مِنْ حَلِيلِهَا تَعَسَّتْ كَمَا اتَّعَسْتَنِي يَا مُجَمِّعُ

قَوْلُهُ «تَقُولُ» جَوَابُ رُبِّ. وَالْمُرَادُ: رُبَّ عَائِرَةٍ هَذِهِ صِفَتُهَا فِي يَوْمِ الْهَيْيَمَا قَالَتْ لِي بَعْدَ أَنْ سَبَيْتُهَا وَفَرَّقْتُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ زَوْجِهَا بِالْقَتْلِ سَقَطَتْ لَوَجْهَكَ، وَلَا انْتَعَسَتْ مِنْ

(١) التبريزي: «من داخل القلب».

عَثَرْتُكَ يَا مُجَمِّعٌ، وَلَحَقْتُكَ الْانْكَسَارَ وَالْتَّكْسَرَ كَمَا أَلْحَقْتَهُمَا بِي. وَسُمِّيَ الزَّوْجُ حَلِيلًا وَالْمَرْأَةُ حَلِيلَةً لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَحُلُّ مَعَ صَاحِبِهِ.

٨ - فَقُلْتُ لَهَا بَلْ تَغْسِ أَخْتِ مُجَاشِعٍ وَقَوْمِكَ حَتَّى خَذُكَ الْيَوْمَ أَضْرَعُ^(١)

يقول: أَجَبْتُهَا بِأَنْ قُلْتُ بَلْ التَّغْسُ لَكَ وَلِقَوْمِكَ حِينَ ضَيَّعُوكَ، وَفَعَلُوا مَا أَدَى وَبَالَهُ إِلَى أَنْ صَارَ خَذُكَ الْيَوْمَ ضَارِعًا، وَجَذُكَ سَافِلًا. وَقَوْلُهُ «بَلْ تَغْسِ أَخْتِ مُجَاشِعٍ» تَذَارُكَ بَيْلَ دَعَاءِهَا عَلَيْهِ فَنَقَلَهُ إِلَيْهَا، لِأَنَّ بَلَ لِلْإِضْرَابِ عَنِ الْأَوَّلِ وَالْإِثْبَاتِ لِلثَّانِي. وَأَجْرَى تَغْسًا فِي الْإِضَافَةِ مَجْرَى وَنِكَ، وَذَاكَ أَنَّ الْمَصَادِرَ الَّتِي قَدْ اشْتَقَّ الْأَفْعَالُ مِنْهَا إِذَا دُعِيَ بِهَا تُسْتَعْمَلُ بِاللَّامِ لَا غَيْرَ، تَقُولُ: تَبُّ لَزَيْدٍ وَخُسْرٌ لَعَمْرٍو. وَمَا لَمْ يُسْتَقَّ الْفِعْلُ مِنْهُ وَهُوَ وَنَلٌ وَوَنِجٌ وَوَنَسٌ إِذَا كَانَ مَعَهَا اللَّامُ رُفِعَتْ وَصَارَتْ بِاللَّامِ جُمَلًا، وَإِذَا أَفْرَدَتْ عَنِ اللَّامِ أَضِيفَتْ وَنُصِبَتْ. تَقُولُ: وَنَلٌ لَزَيْدٍ وَوَنِجٌ لَعَمْرٍو فَتَرْفَعُ، وَوَيْلٌ لَزَيْدٍ وَوَنِجٌ لَعَمْرٍو فَتَنْصِبُ. وَهَذَا الشَّاعِرُ قَالَ: «بَلْ تَغْسِ أَخْتِ مُجَاشِعٍ» فَأَجْرَاهُ مَجْرَى وَنَلٍ الْفِعْلِ يُسْتَقُّ مِنْهُ. وَمُجَاشِعٌ: قَبِيلَةٌ. فَقَالَ أَخْتُ مُجَاشِعٍ كَمَا يَقَالُ يَا أَخَا بَكْرٍ وَيَا أَخَا تَمِيمٍ، وَ«أَضْرَعُ» بِمَعْنَى ضَارِعٍ. وَيُقَالُ خَذُهُ ضَارِعٌ، وَجَنَبُهُ ضَارِعٌ. وَالضَّرَاعَةُ: الْاسْتِيفَالُ فِي خَضُوعٍ. قَالَ الْهَذَلِيُّ: [الوافر]

لشائريك الضَّرَاعَةُ وَالْكُلُولُ^(٢)

٩ - عَبَّأْتُ لَهُ رُمَحًا طَوِيلًا وَأَلَّةً كَأَنَّ قَبَسَ يُغْلَى بِهَا حِينَ تُشْرَعُ

أَخَذَ بَيِّنَ كَيْفَ تَمْكُنُ مِنْ قَتْلِ زَوْجِهَا، وَمَاذَا أَعَدُّ مِنَ السِّلَاحِ لَهُ. وَيُقَالُ: عَبَّأْتُ الْخَيْلَ وَعَبَّأْتُهَا، إِذَا هَيَّأْتُهَا لِلْحَرْبِ، وَعَبَّيْتُهَا أَيْضًا. وَعَبَّأْتُ الطَّيْبَ وَالْمَتَاعَ لَا غَيْرَ. وَالْمُرَادُ: هَيَّأْتُ لَهُ رُمَحًا طَوِيلًا، وَسِنَانًا لَمَاعًا بَرَّاقًا، كَأَنَّمَا يُغْلَى بِهِ نَارٌ إِذَا أُشْرِعَ لِلطُّعْنِ. وَالْأَلَّةُ: تُسْتَعْمَلُ فِي الْحَرَبِ وَتَشْتَهَرُ بِهَا. وَأَصْلُ الْأَلِيلِ الْبَرِيقِ، وَالْمُرَادُ بِهَا هُنَا السِّنَانُ كَمَا ذَكَرْتُ. وَقَوْلُهُ «كَأَنَّ قَبَسَ» يَجُوزُ فِيهِ الرُّفْعُ وَالنَّصْبُ وَالْجَرُّ، فَإِذَا رُفِعَتْ فَعَلَى الضَّمِيرِ، يَرِيدُ كَأَنَّمَا قَبَسَ يُغْلَى بِهَا حِينَ أُشْرِعَتْ. وَالْقَبَسُ: النَّارُ. وَمَنْ نَصَبَ فَلَأَنَّهُ أَعْمَلَ كَأَنَّهُ مُخَفِّفَةً عَمَلُهَا مَثْقَلَةً. يَرِيدُ: كَأَنَّ قَبَسًا يُغْلَى بِهَا، وَيَكُونُ الْخَبِيرُ يُغْلَى بِهَا. وَمَنْ

(١) التبريزي: «بل تغس أم مجاشع».

(٢) لساعدة بن جوية في شرح أشعار الهذليين ص ١١٤٢، واللسان (كلل). وصدرة:

«ألا قالت أمانة إذ رأني»

جَرَّ فَقَالَ كَأَنَّ قَبْسَ، جَعَلَ أَنَّ زَائِدَةً وَأَعْمَلَ الْكَافَ كَمَا زَيْدٌ فِي قَوْلِهِ: لَمَّا أَنْ جَاءَ زَيْدٌ أَعْطَيْتُهُ، وَفِي قَوْلِهِ: وَاللَّهِ أَنْ لَوْ جِئْتَنِي لِأَكْرَمْتُكَ، يَرِيدُ وَاللَّهِ لَوْ جِئْتَنِي.

١٠ - وَكَائِنْ تَرَكْتُ مِنْ كَرِيمَةٍ مَغْشَرٍ عَلَيْهَا الْخُمُوشُ ذَاتَ حُزْنٍ تَفْجَعُ

نَبَّهَ بِهَذَا الْكَلَامِ عَلَى أَنَّ مَا حَكَاهُ مِنْ حَدِيثِ الْعَائِزَةِ يَوْمَ الْهَيْيَمَا، وَاقْتَصَّه مِنْ شَأْنِ بَغْلِهَا، لَمْ يَكُنْ بِدَعَا مِنْهُ وَلَا عَجَبًا، بَلْ ذَلِكَ دَأْبُهُ مَعَ أَمْثَالِهَا قَبْلُهَا وَبَعْدَهَا. وَقَوْلُهُ «وَكَائِنْ» لُغَةٌ فِي كَائِنْ، وَهِيَ جَمِيعًا بِمَعْنَى كَمْ، وَهِيَ لِلتَّكْثِيرِ. فَيَقُولُ: وَكَمْ امْرَأَةٌ كَانَتْ كَرِيمَةً عَشِيرَتِهَا تَرَكْتُهَا وَهِيَ تُخْمِشُ وَجْهَهَا، وَتَتَفَجَّعُ جَزَعًا عَلَى قِيَمِهَا مِنْ بَغْلِ أَوْ أَخٍ أَوْ ابْنٍ. وَالْمَعْنَى: كَانَ ذَلِكَ مَنِي كَثِيرًا. وَقَوْلُهُ «عَلَيْهَا الْخُمُوشُ» الْخَمْشُ فِي الْوَجْهِ وَفِي سَائِرِ الْبَدَنِ مِثْلُ الْخَذَشِ. وَمَعْنَى عَلَيْهَا رَكِبَهَا وَعَلَاهَا كَمَا يَقَالُ: عَلَى فُلَانٍ ذَيْنَ أَيْ رَكِبَهُ وَعَلَا.

٢٤٨ - وَقَالَ الْأَخْنَسُ بْنُ شَهَابٍ^(١):

١ - فَمَنْ يَكْ أَمْسَى فِي بِلَادٍ مُقَامُهُ يُسَائِلُ أَطْلَالَ لَهَا لَا تُجَابُ

يُرَوَّى «فِي بِلَادٍ مُقَامُهُ» وَالْمُرَادُ: مَنْ أَمْسَى مُقَامُهُ فِي بِلَادٍ مَسَائِلًا أَطْلَالَ لِتِلْكَ الْبِلَادِ. فَمُقَامُهُ اسْمُ أَمْسَى، وَخَبْرُهُ فِي بِلَادٍ. وَيُرَوَّى «بِلَادٍ مُقَامَةٍ» عَلَى الْإِضَافَةِ، وَيَكُونُ اسْمُ أَمْسَى ضَمِيرَ «مَنْ» الْمُسْتَكِنِّ فِيهِ. وَالْمُقَامَةُ: الْإِقَامَةُ، وَالْمُرَادُ: مَنْ أَمْسَى فِي بِلَادٍ إِقَامَةً، أَيْ بِلَادٍ مُسْتَصْلِحَةٍ لِلْإِقَامَةِ مُسْتَوْتَنَةٍ. وَ«يُسَائِلُ» عَلَى الرَّوَايَتَيْنِ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ. وَكَمَا يُقَالُ: هُوَ بَلَدٌ مُقَامَةٌ، يُقَالُ فِي ضِدِّهِ: هُوَ بَلَدٌ قُلْعَةٌ. وَالْبِلَادُ: جَمْعُ بَلَدٍ، وَهُوَ الْقِطْعَةُ مِنَ الْأَرْضِ اخْتِطَّتْ فِيهَا أَوْ لَمْ يَخْتِطَّ. يَشْهَدُ لِهَذَا قَوْلُ الرَّاجِزِ:

قَدْ تَرَكَ الْبَرْزَنِيُّ فَاهُ بَلَدًا

أَي لَا أَسْنَانَ فِيهِ. وَقَوْلُ الْآخِرِ: [الْكَامِلُ]

عَرَفَ الدِّيَارَ تَوْهُمًا فَاعْتَادَهَا مِنْ بَعْدِ مَا شَجِلَ الْبَلَى أَبْلَادَهَا^(٢)

(١) الْأَخْنَسُ بْنُ شَهَابِ بْنِ شَرِيقِ بْنِ ثَمَامَةَ... بْنِ تَغْلِبَ، شَاعِرُ جَاهِلِيٍّ مِنْ أَشْرَافِ تَغْلِبَ وَشَجْعَانِهَا حَضَرَ وَقَائِعَ حَرْبِ الْبِسُوسِ (ت. نَحْوَ ٧٠ ق. هـ/ ٥٥٥ م). تَرْجَمَتْهُ فِي شُعْرَاءِ النَّصْرَانِيَّةِ ١٨٤، وَخَزَانَةُ الْبَغْدَادِيِّ ٣: ١٦٩.

(٢) لَعْدِي بْنُ الرَّقَاعِ فِي دِيَوَانِهِ ٣٣، وَاللَّسَانُ (بَلَدٌ)، وَمَقَائِيسُ اللُّغَةِ ١: ٢٩٩، وَالطَّرَائِفُ الْأَدَبِيَّةُ ص ٨٧.

ومعنى البيت: مَنْ كَانَ الْوَقُوفُ عَلَى دِيَارِ الْأَحَبَّةِ مِنْ هُمٍّ، فَأَمْسَى مُقَامَهُ فِي بِلَادٍ مُسَائِلًا أَطْلَالَ فِيهَا لَا تَجَاوِبُهُ، فَأَمْرِي كَيْتٌ وَكَيْتٌ. وجواب الجزاء فيما بعده. وقد مرَّ القول في حذف النون من يَكْ.

٢ - فَلَابِنَةُ حِطَّانَ بْنِ قَيْسٍ مَنَازِلَ كَمَا نَمَّقَ الْعُنْوَانُ فِي الرَّقِّ كَاتِبُ

الفاء مع ما بعده إلى صدر البيت الذي يليه جواب الجزاء، كأنه قال: فلهذه المرأة منازل أنا وقفتُ بها، وقضيتُ حقَّ الهوى فيها. والمعنى: مَنْ كَانَ الْوَقُوفُ عَلَى الدِّيَارِ مِنْ دِينِهِ فِي الْهَوَى وَمَذْهَبِهِ، حَتَّى صَارَ يُسَائِلُ مَا لَا يُجِيبُ، فَلِي فِي الْوَقُوفِ عَلَى دِيَارِ ابْنَةِ حِطَّانَ مَا يَزِيدُ عَلَى كُلِّ مَذْهَبٍ، وَيَعْقَى عَلَى كُلِّ عَادَةٍ. وقوله «كَمَا نَمَّقَ الْعُنْوَانُ» مِنْ صِفَةِ الْمَنَازِلِ، وَيُرْوَى «الْعُنْيَانُ» وَ«الْعُلْوَانُ». فَأَمَّا الْعُلْوَانُ فَهُوَ فُعُولٌ مِنْ عَلَنَ الْأَمْرَ، أَيْ ظَهَرَ. وَأَمَّا عُنْوَانٌ فَهُوَ فُعُولٌ أَيْضًا مِنْ عَنُّ لَهُ كَذَا، أَيْ عَرَضَ. وَأَمَّا عُنْيَانٌ فَهُوَ فُعْلَانٌ مِنْ عَنَاءٍ كَذَا يَغْنِيهِ. وَفِي هَذَا الْقَدْرِ مِنَ الْكَلَامِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ كِفَايَةٌ إِذْ كُنَّا قَدْ بَسَطْنَا الْقَوْلَ فِي شَرْحِ كِتَابِ الْفَصِيحِ. وَكَانَ الْوَاجِبُ أَنْ يَقُولَ كَعُنْوَانٍ نَمَّقَهُ كَاتِبٌ، وَتَشْبِيهِ أَثَارِ الدِّيَارِ بِالْكِتَابَةِ مَأْلُوفٌ فِي طَرَائِقِهِمْ، لَكِنَّهُ طَوَّلَ الْكَلَامَ تَحْقِيقًا لِلتَّشْبِيهِ، فَصَارَ ظَاهِرُهُ كَأَنَّهُ شَبَّهَ الْأَثَارَ بِتَنْمِيقِ الْكَاتِبِ خَطَّهُ إِذَا عَنُونَ كِتَابًا. ومثله قول الهذلي: [البسيط]

هَبَطْنَ بَطْنٌ رَهَاطٍ وَاعْتَصَبْنَ كَمَا يَسْقِي الْجُدُوعَ خِلَالَ الدُّورِ نَضَاحٌ^(١)

أَلَا تَرَى أَنَّ الْمَرَادَ تَشْبِيهِ الْإِبِلِ وَقَدْ دَخَلَتْ فِي السَّرَابِ بِجُدُوعٍ نَخُلٍ مَسْقِيَةٍ فِي أَصُولِهَا الْمَاءَ، فَجَاءَ ظَاهِرُهُ كَأَنَّهُ شَبَّهَ الْإِبِلَ بِسَقْيِ النَّضَاحِ لِلْجُدُوعِ؛ لِأَنَّ مَعْنَى كَمَا يَسْقِي كَسْقِي كَمَا أَنَّ مَعْنَى كَمَا نَمَّقَ كَتَنَمِيقَ.

٣ - وَقَفْتُ بِهَا أَبِكِي وَأَشْعَرُ سُخْنَةً كَمَا اعْتَادَ مَخْمُومًا بِخَيْبَرٍ صَالِبٌ^(٢)

يقول: وَقَفْتُ بِهَذِهِ الْأَطْلَالِ مَقِيمًا بِهَا رَسَمٌ مِنْ ثَبَتَ عَهْدُهُ فِي الْهَوَى، وَلَمْ يَغْيِرْهُ تَقَاذُفُ الْأَحَبَّةِ وَالنَّوَى، وَمَظْهَرُ التَّلَهُّفِ وَالتَّحَسُّرِ فِي إِثْرِ مَا تَقَادَمَ مِنْ أَيَّامِ الْوَصَالِ بِالْبُكَاءِ، وَقَدْ أَبْطَنْتُ جَوَى اعْتَادَنِي مِنْهُ حُمَى سَخُنَتْ مِنْهَا بَشْرَتِي، وَحُمَتْ لَهَا رُوحِي

(١) لأبي ذؤيب الهذلي في شرح أشعار الهذليين ١٦٥، واللسان (عصب، نضح، ورهط).

(٢) قبله عند التبريزي:

«تُشْمِسِي بِهَا حَوْلَ النِّعَامِ كَأَنهَا إِمَاءٌ تُزَجِّجِي بِالْعَيْشِيِّ حَوَاطِبُ»

ومُهجتي، كما يعتاد الصالبُ - وهي الحمى التي معها صداع - محمومًا بخير. وإنما قال ذلك لأنَّ خير مُحَمَّة، وخَمَها موصوفة بالشدة. ويقال في المثل: «صاليي أشدُّ من نافيضك». وحكى الأصمعي أنَّ أعرابياً ثَقَلَتْ عليه مؤنُّ عياله لكثرتهم، فحدَّثته نفسه بأنه لو ثَقَلَهُمْ إلى خَيْرٍ لَنَقَصَهُمْ وبأوه، وأثر فيهم بالتقليل صاليه، وأوزدهم خَيْر، وأنشأ يقول^(١): [الرجز]

وَنَحَكَ حُمَى خَيْرٍ اسْتَعِدِّي هَاكَ عِيَالِي فَأَذْهَبِي وَجِدِّي
وَبَاكِرِي بِصَالِبٍ وَوَرِدٍ أَعَانِكَ اللَّهُ عَلَى ذَا الْجُنْدِ
فَحُمُوا بِأَجْمَعِهِمْ وَسَلَمُوا، ثُمَّ تَلَفَ هُوَ مِنْ بَيْنِهِمْ.

وقوله «وَأَشْعَرُ سُخْنَةً» يُرَوَّى بِضَمِّ السَّيْنِ وَكسرها. فَالسُّخْنَةُ كَالْحُمَةِ، وَالسُّخْنَةُ كَالْجَلْسَةِ. وَمَعْنَى أَشْعَرُ جُعِلَ شِعَارِي. وَالشُّعَارُ: مَا يَلْبِي الْجَسَدَ مِنَ الثِّيَابِ، وَتَوَسَّعَ فِيهِ قَلِيلٌ أَشْعَرَ قَلْبِي هَمًّا. وَيَقَالُ: شَعَرْتُ الْمَرْأَةَ، أَيِ نِمْتُ مَعَهَا فِي شِعَارِهَا.

٤ - خَلِيلَايَ هَوَجَاءُ النَّجَاءِ شِمْلَةً وَذُو شُطْبٍ لَا يَخْتَوِيهِ الْمُصَاحِبُ^(٢)
مَوْضِعُ قَوْلِهِ «خَلِيلَايَ» مَعَ خَبَرِهِ نَضَبٌ عَلَى الْحَالِ مِنْ قَوْلِهِ «وَقَفْتُ بِهَا»، وَاسْتَعْنِي بِالضَّمِيرِ فِيهِ عَنْ إِدْخَالِ الْوَاوِ الْعَاطِفَةِ لِأَنَّهُ يُعَلِّقُ مِنَ الْحَالِ بِالْأَوَّلِ مَا يَعْلُقُهُ الْوَاوُ. وَمَعْنَى قَوْلِهِ «هَوَجَاءُ النَّجَاءِ» نَاقَةٌ فِي نَجَائِهَا وَسُرْعَةً مَرَّهَا هَوَجٌ وَاضْطِرَابٌ. وَيَقَالُ: نَجَاءٌ أَهَوَجٌ، كَمَا يَقَالُ: عَذُوٌّ وَالَّةٌ. وَقَدْ تَجَاوَزُوا هَذَا الْحَدَّ حَتَّى قَالُوا غِبَارٌ مَجْنُونٌ، وَزِمَامٌ سَفِيهٌ. وَالشِّمْلَةُ: الْخَفِيفَةُ. وَقَوْلُهُ «وَذُو شُطْبٍ» أَرَادَ بِهِ سَيْفًا ذَا طَرَائِقَ. «لَا يَخْتَوِيهِ» أَيِ لَا يَكْرَهُهُ مُتَحَمِّلُهُ لَجُودَتِهِ. وَهَذَا الْكَلَامُ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ أَصْحَابَهُ خَذَلُوهُ وَلَمْ يَرَوْا مَسَاعِدَتَهُ فِي الْوُقُوفِ عَلَى الدَّارِ.

٥ - وَقَدْ عِشْتُ دَهْرًا وَالْغَوَاةَ صَحَابَتِي أَوْلَيْتُكَ خُلَصَانِي الَّذِينَ أَصَابَتْ
٦ - قَرِينَةً مِّنْ أَسْفَى وَقُلَّدَ حَبْلُهُ وَحَادَرَ جِرَاءُ الصَّدِيقِ الْأَقَارِبِ

يَذَكِّرُ مَا تَعَاطَاهُ مِنَ الْبَطَالَةِ أَيَّامَ صِبَاهُ، فَيَقُولُ: بَقِيتُ زَمَانًا فِيمَا مَضَى مِنْ عُمْرِي طَوِيلًا مُتَبَاعِدَ الْأَطْرَافِ، وَالَّذِينَ أَصَاحِبُهُمْ وَأَوْتَرُ مَعَاشَرَتَهُمْ أَهْلُ الْغَوَايَةِ، وَأَرِبَابُ

(١) بلا نسبة في اللسان (سمه)، والمخصص ١٢ : ١٢٨.

(٢) قبله عند التبريزي:

«خَلِيلِي عَوْجًا مِنْ نَجَاءِ شِمْلَةٍ عَلَيْهَا فَتَى كَالسَيْفِ أَرُوغٌ شَاخِبٌ»

البطالة والخسارة، لا أواخي غيرهم، ولا أصالح سيوهم. والصحابه مصدر في الأصل وصف به الخُلصان أيضًا مصدر كالكَفَران والشُّكران في الأصل، ولذلك صَلَحَ أن يقع للواحد والجميع. يقال: فلان خالِصتي وخُلصاني، إذا خَلَصْتَ مَوَدَّتَهُ. قال^(١): [البسيط]

وعاش صافيةً لله وخُلصانا

ويقال: هؤلاء خُلصاني، أي أخلائي. وقوله «الذين أصاحبُ» أراد أصاحبهم، وحذف الضمير استصاله للاسم بصلته. وقوله «قرينة من أسقى» فالقرينة ألحقت الهاء به لأنه جعل اسمًا، فهو كالبنية والذبيحة. ومعنى أسقى: دخل في السقاء. والسقاء ممدود: السفة، والرُّجل سفي. ومعنى «قُلْدَ حَبْلُهُ» خُلِّي واختياره، وأصله في البعير إذا أُرسل في المرعى وجعل زمامه على عنقه ليتصرف كما يشاء، ثم نُقل إلى من وعظ كثيرًا حتى أهمل أمره تبرؤًا به. ويقال أيضًا: ألقِي حبله على غاريه، في هذا المعنى: ومعنى «وحادَرَ جَرَاهُ الصديق الأقرابُ»، أي تبرؤوا منه خوفًا من جرائره التي يجنيها عليهم. وكانوا يُسمون مثله الخَلِيع. وعلى هذا قول الشنفرى في صفة نفسه: [الطويل]

طَرِيدُ جَنَايَاتٍ تَيَاسَزَنَ لَحْمَهُ عَقِيرَتُهُ لَايَا بِمَا حَنَّ أَوَّلُ

ومعنى تَيَاسَزَنَ لحمه اقْتَسَمَنَ «لحمه» من الميسر. وهذا من فصيح الكلام. والصديق يوصف به الواحد والجمع. والبيت الثاني شَرَحَ لقوله «والغواة صحابتي»، ويُفيد من نهايات الغي ما لا يُستفاد من ظاهره ومُطْلَقُهُ.

٧ - فَأَذِنْتُ عَنِّي مَا اسْتَعَرْتُ مِنَ الصَّبَا فَلِلْمَالِ عِنْدِي الْيَوْمَ رَاعٍ وَكَاسِبٌ

٨ - تَرَى رَائِدَاتِ الْخَيْلِ حَوْلَ بُيُوتِنَا كَمِغْرَى الْحَجَّازِ أَهْوَزَتْهَا الزَّرَائِبُ

يقول: رَفَضْتُ الآنَ ما كنت أَقْصُرُ وقتي عليه، وأصْرِفُ همي إليه، من سلوك طرائق الجهل، والجري في ميادين اللهو، واستبصرتُ حتى عَرَفْتُ من الرِّشَادِ ما حَمَلَنِي على رَدِّ مستعار الغي، وأطراح مستعاد البطل، فصِرْتُ أحفظ من المال ما كنتُ أَضْيَعُهُ، وأصحبُ من الحَزْمِ ما صرْتُ أَخْلُقُهُ، وأجمع من العُدَّة للحوادث ما

(١) بلا نسبة في كتاب العين ٤ : ١٨٦.

«منا النبي الذي قد عاش مؤتمنًا ومات صافيةً لله خُلصانا»

بَقِيَتْ أَهْمِلُهُ وَأَفْرَقَهُ. وقوله «أَذِيْتُ عَنِّي» حَقَّقَ بِدخول عن أن المؤدَّى وجبَ عليه. ألا تَرَى أَنَّهُ لو قال أَذِيْتُ كَذَا من دون عن لجاز أن يكون لنفسه أَدَّى ما أَدَّى، ولجاز أن يكون لغيره. ولأنَّ معنَى أَذِيْتُ عَنِّي نَحْنِيْتُ عن نفسي. وقوله «فَلِلْمَالِ عِنْدِي الْيَوْمَ رَاعٍ وَكَاسِبٌ» نَبَّهَ به على أَنَّهُ جَامِعٌ لَهُ وَحَافِظٌ. ولم يُشِرْ بقوله «الْيَوْمَ» إلى وَقْتٍ مُعَيَّنٍ، لَأَنَّهُ أَرَادَ حَاضِرَ الْأَزْمَانِ وَمُؤْتَنِّفَهَا. فَأَمَّا قَوْلُهُ «تَرَى رَائِدَاتِ الْخَيْلِ» فَالرَّائِدَاتُ الْمُخْتَلِفَاتُ، وَمِنَهُ الْمَثَلُ: «الرَّائِدُ لَا يَكْذِبُ أَهْلَهُ». وَالْمُرَادُ أَنَّ الَّذِي يَرْتَبِطُونَهُ مِنَ الْمَالِ وَيَقْتَنُونَهُ الْخَيْلُ، لَا الْإِبِلَ وَالْغَنَمَ، وَأَنَّهَا تَخْتَلِفُ فِيمَا بَيْنَ بَيْتِهِمْ لِكثَرَتِهَا، لِأَنَّهُمْ غَزَاوُونَ وَأَرْبَابُ غَارَاتٍ، فَخَيُولُهُمْ مَرْبُوطَةٌ بِالْأَفْنِيَةِ لثَلَا تَبْعُدَ عَنْهُمْ أَوْ أَنَّ الْحَاجَةَ لِفَقْصِهِ أَوْ مَنَعٍ؛ وَهِيَ فِي اخْتِلَافِهَا وَكثَرَتِهَا وَتَرُدُّدِهَا بَيْنَ الْبَيْوتِ كِمِغْزَى الْحِجَازِ وَقَدْ ضَاقَ عَنْهَا مُحَابِسُهَا وَمَرَابِضُهَا. وقوله «كِمِغْزَى الْحِجَازِ» فِي مَوْضِعِ الْحَالِ مِنْ تَرَى، وَأَعُوْزَتْهَا فِي مَوْضِعِ الْحَالِ مِمَّا دَلَّ عَلَيْهِ الْكَافُ مِنْ قَوْلِهِ كِمِغْزَى. وَالْأَجُودُ أَنَّ يُضْمَرَ مَعَهَا قَدْ لِيَقْرُبَ بِنَاءُ الْمَاضِي مِنَ الْحَالِ. وَالتَّقْدِيرُ تَرَاهَا مُشَابِهَةً لِمِغْزَى الْحِجَازِ وَقَدْ عَدِمَتْ مُحَابِسَهَا، فَهِيَ تَرُودُ. وَفِي هَذِهِ الطَّرِيقَةِ قَوْلُ سَلَمَةَ بْنِ الْخُرْشُبِ: [الطويل]

يَسُدُّونَ أَبْوَابَ الْقِيَابِ بِضُمِّرٍ إِلَى عُنَى مُسْتَوِثِقَاتِ الْأَوَاصِرِ^(١)
وَالزُّرْبُ وَالزُّرْبَةُ وَاحِدٌ، وَيُقَالُ أَعُوْزَةُ الدَّهْرُ: أَفْقَرُهُ. وَأَعُوْزَ الرَّجُلِ: سَاءَتْ حَالُهُ.

٩ - فَيُغْبِقُنْ أَحْلَابًا وَيُضْبَحُنْ مِثْلَهَا فَهِنَّ مِنَ التَّغْدَاءِ قُبْ شَوَازِبُ^(٢)
يُقَالُ: غَبَقْتُه إِذَا سَقَيْتُهُ غُبُوقًا، وَصَبَحْتُهُ إِذَا سَقَيْتُهُ صَبُوحًا. وَالصُّبُوحُ وَالْغُبُوقُ: يُشْرَبُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ، لِأَنَّهُمَا كَالْفُطُورِ وَالذُّرُورِ وَالسُّحُورِ. فَيَجُوزُ أَنْ يَرِيدَ أَنَّهَا تُعْدَى فِي الْقَرَّتَيْنِ^(٣)، وَيَكُونُ «أَحْلَابًا» بِمَعْنَى أَشْوَاطٍ وَأَطْلَاقٍ. يُقَالُ: احْلُبْ فَرَسَكَ قَرْنًا أَوْ قَرْنَيْنِ، وَاحْلُبْهَا أَحْلَابًا وَحَلْبَاتٍ. وَيَشْهَدُ لِهَذَا قَوْلُهُ «فَهِنَّ مِنَ التَّغْدَاءِ قُبْ شَوَازِبُ». وَتَحْقِيقُ الْكَلَامِ أَنَّهُ جُعِلَ صُبُوحُهُنَّ وَغُبُوقُهُنَّ أَنْ أُعِدَّتْ فِي أَوَّلِ النَّهَارِ وَآخِرِهِ لِتَضُمَّرَ،

(١) لسلمة بن الخرشب في اللسان (أصر)، وتاج العروس (أصر).

(٢) قبله عند التبريزي:

«لِكُلِّ أَنْاسٍ مِنْ مَعَدَّ عِمَارَةٍ عَرُوضٌ إِلَيْهَا يَلْجِئُونَ وَجَانِبُ
وَنَحْنُ أَنْاسٌ لَا حِجَازَ بَارِضِنَا مَعَ الْغَيْثِ مَا تُلْفَى وَمَنْ هُوَ غَالِبُ»

(٣) القرتان: الغداة والعشي، وذلك لما فيهما من البرد.

كما قال أبو تمام: [الكامل]

تعليقها الإسراج والإنجام^(١)

وكما قال غيره: [الطويل]

فلإن المُنْدَى رَحْلَةً فَرُكُوبُ^(٢)

والتندية: أن تُرعى في الوزد بعد السقي شيئاً ليعرض عليها الماء ثانية. ويجوز أن يريد أنها تُسقى اللبن غَدُواً وَعِشِيّاً، كما قال: [الرجز]

نُطْعِمَهَا اللَّخْمَ إِذَا عَزَّ الشَّجَرُ^(٣)

يريد باللّخم اللبن، وكما قال الآخر: [البيسط]

يُغَطَّى دَوَاءَ قَفِي السَّكَنِ مَرُوبُ^(٤)

ويكون الأحلابُ جمعَ حَلَب، مصدر حَلَبْتُ، والمراد به المَحْلُوبُ فجمعه لاختلافها. ويكون قوله «فَهُنَّ مِنَ التَّعْدَاءِ» كلاماً مستأنفاً، والمعنى أنها تُصْنَعُ وتُضَمَّرُ، فتُتَفَدُّ بكلِّ ما يُصْلِحُهَا وَيُقَوِّيْهَا ويعوِّذُهَا الجِرَاءَ. والقَبُّ: جمع أَقْبَ وَقَبَاءَ. والشَّوَابِز: الضَّوَامِر.

١٠ - فَوَارِسُهَا مِنْ تَغْلِبِ ابْنَةٍ وَائِلٍ حُمَاةَ كُمَاةٍ لَيْسَ فِيهِمْ أَشَائِبُ

قوله «مَنْ تَغْلِبِ ابْنَةٍ وَائِلٍ» أَخْبَرَ بِهِ أَنَّهُمْ لَمْ يَتَكَثَّرُوا بغيرهم، فليس فيهم خُلطاء من سواهم ولا غُرَبَاءَ، وإنما هُم من أَصْلٍ واحد. وهذا كما قال سَلَمَةُ بْنُ الْخُرَشَبِ: [الطويل]

وَأَمْسَوْا جَلَالاً مَا يُفَرِّقُ بَيْنَهُمْ عَلَى كُلِّ مَاءٍ بَيْنَ فَيْدٍ وَسَاجِرٍ

(١) هذا عجز بيت من قصيدة يمدح بها المأمون وصدرة:

«بِسَوَاهِمِ لُحُوتِ الْأَيَّاطِ شُرَبِ»

(٢) هذا عجز بيت لعلمقة بن عبيدة في المفضليات، رقم (١١٩)، وصدرة:

«تُرَادُ عَلَى دَمَنِ الْحِيَاضِ فَإِنْ تَقَفَ»

(٣) للنمر بن تولب في ديوانه ٣٥٥، واللسان (هشش)، وللطرماح في أساس البلاغة (لحم) وليس في ديوانه.

(٤) هذا عجز بيت لسلامة بن جندل في المفضليات المفضلية (٢٢)، وصدرة:

«لَيْسَ بِأَسْفَى وَلَا أَقْنَى وَلَا سَغْلٍ»

وهو خلاف قول الآخر وهو يهجو: [الوافر]

ولَمَّا أَنْ رَأَيْتُ بَنِي جُوْنَيْنِ جُلُوسًا لَيْسَ بَيْنَهُمْ جَلِيسٌ
إِذَا مَا قُلْتُ أَيْهَمُ لِأَيِّ تَشَابَهَتِ الْمَنَاكِبُ وَالرُّؤُوسُ^(١)

لأن هذا يصف أهل بيتٍ بأنهم لا يرى فيهم نديم ولا معاشر، ولا يغشى
فناءهم جلس ولا مخالط، ولا يقصدهم عاف ولا مُجْتَدٍ، ولا يؤمهم راح ولا
مُغْتَفٍ، إنما اكتفى كُلُّ منهم بصاحبه، وانفرد كُلُّ ذي بيتٍ بنسبه. وعلى هذا الذي
فسرنا يكون «من تغلب ابنة وإثل» خَبَرًا، وَحَمَاةٌ خَبَرًا ثانيًا. والتقدير: فوارسها تغليثون
حَمَاةً. ويجوز أن يكون من تَغْلِبَ ابنة وإثل في موضع الحال، وَحَمَاةُ الخبر،
والتقدير: فوارسها وهم من بني تَغْلِبَ حَمَاةً. وَحَمَاةٌ: جمع حام. وَكَمَاةٌ: جمع
كَمِيٍّ. وهذا البناء من الجموع لا يكون إلا في المعتل. والأشائب: جَمْعُ أَشَابَةٍ، وهم
الذين جُمِعُوا من شيءٍ إلى شيءٍ، على رداءة فيهم وهجنة تشوبهم.

١١ - فَهَمْ يَضْرِبُونَ الْكَنْبَشَ يَبْرِقُ بَيْضُهُ عَلَى وَجْهِهِ مِنَ الدِّمَاءِ سِبَائِبُ

١٢ - وَإِنْ قَصُرَتْ أَسْيَافُنَا كَانَ وَضْلُهَا خُطَانَا إِلَى أَغْدَائِنَا فَنَضَارِبُ

وصفهم بأنهم يطلبون الرؤساء في الحرب بالقتل والنكاية، دون الأوساط
والعجزة والسقاط، فهو كقول الآخر: [الكامل]

مِنْ عَهْدِ عَادٍ كَانَ مَعْرُوفًا لَنَا أَسْرُ الْمُلُوكِ وَقَتْلُهَا وَقِتَالُهَا^(٢)

وقوله «يَبْرِقُ بَيْضُهُ» في موضع الحال من يضربون، و«على وجهه من الدماء
سبائب» في موضع الحال أيضًا من قوله يَبْرِقُ بَيْضُهُ. والسبائب: الطُّرُق، الواحدة
سَبِيَّةٌ، وقوله «وَإِنْ قَصُرَتْ أَسْيَافُنَا» مثل قول الآخر: [الكامل]

نَصِلُ السُّيُوفَ إِذَا قَصُرْنَ بِخَطُونَا^(٣)

وفي طريقته قول الآخر: [البسيط]

إِذَا الْكُمَاةُ تَنَحَّوْا أَنْ يَنَالَهُمْ حَدُّ الظُّبَاتِ وَصَلْنَاهَا بِأَيْدِينَا^(٤)

(١) وردت الأبيات عند التبريزي ١: ٤٨٧. (٢) لبشامة بن الغدير في الحماسية (١٣٤).

(٣) لكعب بن مالك في ديوانه ٢٤٥، واللسان (بله).

(٤) لبشامة بن حزن النهشلي في الحماسية (١٤).

١٣ - فَلِلَّهِ قَوْمٌ مِثْلُ قَوْمِي عَصَابَةٌ إِذَا حَفَلَتْ عِنْدَ الْمُلُوكِ الْعَصَائِبُ
قوله «فَلِلَّهِ قَوْمٌ» تعجب وتحضيض. والكلام في مثله قد تقدم مشروحاً. وانتصب «عصابة» على أنه تمييز. ويجوز أن يكون حالاً أيضاً. وقوله «إِذَا حَفَلَتْ» أي اجتمعت. وإذا ظُرِفَ لما دَلَّ عليه قوله «لِلَّهِ قَوْمٌ مِثْلُ قَوْمِي»، أي ناهيك بهم من قَوْمٍ في ذلك الوقت. والمعنى أَنَّهُ يَظْهَرُ مِنْ عِزِّهِمْ وَقُحْرِهِمْ فِي مَجَالِسِ الْمُلُوكِ مَا يُسْتَحَقُّ بِهِ التَّعَجُّبُ مِنْهُمْ.

١٤ - أَرَى كُلَّ قَوْمٍ قَارِبُوا قَيْنَدَ فَخْلِهِمْ وَنَحْنُ خَلَفْنَا قَيْنَدَهُ فَهُوَ سَارِبٌ
يصف عِزَّهُمْ وَكَرَمَهُمْ وَعَظَمَ حِشْمَتَهُمْ فِي قُلُوبِ مَنْ سِوَاهُمْ، وَأَنَّ أَحَدًا لَا يَتَجَاسَرُ عَلَى التَّعَرُّضِ لِأَسْبَابِهِمْ، وَالتَّبَسُّطِ فِي أَحْمِيَّتِهِمْ، فَمَا لَهُمْ وَإِنْ عَزَبَتْ فِي مَرَاغِبِهَا مُحِيطَةٌ، وَسُرُوبُهُمْ أَمَنَةٌ، وَإِذَا كَانَتِ الْأَقْوَامُ غَيْرَهُمْ يُقَيِّدُ فُحُولَهَا تَقْيِيدًا مُقَارِبًا، وَتُحَفِّظُ مَرَاغِبَهَا حِفْظًا مُلَاحَظًا، مَخَافَةً أَنْ تَسْرُبَ فِي الْمَرْزَعِ، وَتَبْعَدَ عَنِ الْمَجْمَعِ، وَتَتَّبِعَهَا الْإِنَاثُ فَتَقْرُبَ مِنَ الْمُغِيرِ عَلَيْهَا، وَتَمَكِّنَ الطَّامِعَ فِيهَا، رَأَيْنَا لَا نَبَالِي بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، فَتُخْلِيهَا وَذَهَابَهَا حَيْثُ شَاءَتْ، وَأَنْتَى اخْتَلَفْتَ وَتَصَرَّفْتَ، لِأَمْنِنَا عَلَيْهَا، وَعِلْمِنَا بِأَنَّ عِزَّنَا يَحْمِيهَا وَيَذُبُّ عَنْهَا، وَيَقْصُرُ الْأَيْدِي دُونَهَا. وَالسَّارِبُ: الذَّاهِبُ فِي الْأَرْضِ، حَتَّى قِيلَ سَرَبَ الْمَاءُ وَانْسَرَبَ، وَمِنْهُ اسْتِثْقَاءُ السَّرَابِ.

٢٤٩ - وَقَالَ الْعَدِيلُ بْنُ الْفَرَخِ الْعَجَلِيُّ^(١): [الطويل]

١ - أَلَا يَا اسْلَمِي ذَاتَ الدِّمَالِيَجِ وَالْعِفْدِ وَذَاتَ الثَّنَائِيَا الْغُرَّ وَالْفَاجِمِ الْجَعْدِ^(٢)

قوله «يَا اسْلَمِي» يراد به يَا هَذِهِ اسْلَمِي، فَحَذَفَ الْمِنَادَى. وَمَعْنَى اسْلَمِي: دُومِي سَالِمَةً. وَانْتَصَبَ «ذَاتَ الدِّمَالِيَجِ» عَلَى أَنَّهُ نِدَاءٌ ثَانٍ، وَيجوز أن يكون انتصابه على إضمار فعل، كَأَنَّهُ قَالَ: أَذْكَرُ ذَاتَ الدِّمَالِيَجِ. وَهَذَا يَجْرِي مَجْرَى الْكِنَايَةِ لِمَا كَرِهَ التَّنْبِيهِ

(١) العديل بن الفرخ: من رَهط أَبِي النَجْمِ وَيُلَقَّبُ بِالْعِتَابِ، شَاعِرٌ فَحَلَّ اشْتَهَرَ فِي الْعَصْرِ الْمُرَوَّانِي (ت نحو ١٠٠ هـ/ ٧١٨ م). ترجمته في خزانة البغدادى ٢: ٣٦٧، ورغبة الأمل ٥: ١٤.

(٢) التبريزي: «قال أبو رياش: ليست هذه الأبيات للعديل، وهي قصيدة طويلة لأبي الأخيل العجلي، قالها في آخر أيام بني أمية، ووفد على عمر بن هبيرة الفزاري، ف قيل له: إن أبا الأخيل العجلي بالباب يستأذن، فقال: إذن والله لا يأذن له غيري، فقام من مجلسه حتى أتاه على الباب، فأخذ بيده وأقعده معه على بساطه، ثم قال: أنشدني منصفتك، فأنشده إياها، فكساه وأعطاه ثلاثين ألفاً».

على اسمها. والدماليح: جمع الدملوح، وهي البعضة. وقال الخليل: يقال: دَمَلَجْتُ الشيء، إذا سَوَّيْت صيغته، كما يُصاغُ الدُمْلُج. وقوله «وذاب الثنايا» كان وجه الكلام أن يقول: والثنايا الغر، لكثرة أعاد لفظ ذات ليكون الخطاب به أفخم وأجل قَدْرًا، ولشدة اتصال المضاف بالمضاف إليه، كأنه عَدَّهما اسمًا واحدًا لا مَحْمِلَ بالحذف عليه. ويجري هذا المجرى قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝﴾ [المؤمنون: الآيات ١ - ٣]، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ﴾ [الأعراف: الآية ١٥٦]. وقول الشاعر: [الطويل]

أما والذي أبكى وأضحك والذي أمات وأخيا والذي أمره الأمر^(١)

والعقد: القلادة، يقال عقدت عقدًا، ثم يُسمَّى المعقود عقدًا، فهما كالتقض والتقض. والفاحم؛ الشعر الأسود الحسن وقد فَحَمَ فُحُومًا.

٢ - وذات اللثات الحُمّ والعارض الذي به أبرقت عمدًا بأبيض كالشهد
اللثات: مغارز الأسنان. والحُمّ: جمع أَحْمَ وَحَمَاء، وهو الأسود من كل شيء. ويروى «الحو» وهو جمع أخوى وحواء. والحوء: حُمْرة تضرب إلى سواد. والعارض: ما يظهر من الثغر عند النطق من الجانبين. ومعنى أبرقت به: أطلعت البرق. والبرق: وميض السحاب أصله. ويقال: برق السحاب برقًا وبريقًا، وبرق لغة فيه، كذلك قال الخليل. وقوله «عمدًا» مصدر في موضع الحال، أي أبرقت عمدة. ويريد بالأبيض رضاب الفم. والتشبيه بالشهد قصد به إلى العذوبة.

٣ - كأن ثناياها اعتبقتن مدامة ثوث حجبًا في رأس ذي قنة فرد
الاعتباق: شرب العشي، وخصه بالذكر لأن القصد إلى أنها عند السحر يطيب نكهتها، فإذا تغيرت الأنواء وحلقت كانت هذه كأنها مغتبكة خمرًا بقيت سنين في رأس جبل انفرد عن الجبال ورؤوسها، بحصانته وتمتعه. وهذا منه إشارة إلى قلعة في قلعة جبل شاهق، أو قصر أو حصن شبهه بجبل هذه صفته.

٤ - لعمري لقد مررت لي الطير أنفا بما لم يكن إذ مررت الطير من بد^(٢)

(١) لأبي صخر الهذلي في الأغاني ٢٣: ٢٨١ والدرر ٥: ١١٨، وشرح أشعار الهذليين ٢: ٢٥٧، والشعر والشعراء ٢: ٥٦٧.

(٢) التبريزي: «مررت بي».

كَانَ زَجَّارًا فَلِذَلِكَ قَالَ مَا قَالَ. وَخَبِرُ «لَعَمْرِي» مُحذوفٌ، كَأَنَّهُ قَالَ لَعَمْرِي قَسَمِي. وَلَقَدْ جَوَابُ الْقَسَمِ مَعَ مَا بَعْدَهُ. وَالْقَسَمُ كَمَا يَقَعُ بِالْمُفْرَدِ يَقَعُ بِالْجُمْلَةِ. وَأَنَّ الطَّيْرَ لِأَنَّهُ أَرَادَ الْجَمَاعَةَ، فَلِذَلِكَ قَالَ مَرَّتْ. وَأَنَّى انْتَصَبَ عَلَى الظَّرْفِ، وَالْمَعْنَى فِيمَا اثْنَيْفَ مِنَ الْوَقْتِ، وَإِنَّمَا عَافَ هَذِهِ الْعِيَاةَ الَّتِي أَشَارَ إِلَيْهَا فِيمَا دَارَ بَيْنَ قَوْمِهِ مِنَ الشَّرِّ، وَكَأَنَّهُ آمَنَ بِمَا أَوْجَبَهُ مُرُورُ الطَّيْرِ فِي حُلْمِهِ، فَلِذَلِكَ قَالَ بِمَا لَمْ يَكُنْ مِنْ بُدٍّ. وَمَنْ بُدٌّ مَوْضِعُهُ اسْمٌ لَمْ يَكُنْ، وَخَبِرُهُ مُحذوفٌ، لِأَنَّ التَّقْدِيرَ بِمَا لَمْ يَكُنْ بُدٌّ مِنْ وَقْعِهِ إِذْ مَرَّتِ الطَّيْرُ. وَهَذَا كَمَا يَقَالُ مَا جَاءَنِي مِنْ رَجُلٍ فِي اللَّفْظِ، وَإِنْ كَانَ التَّقْدِيرَانِ مُخْتَلِفَيْنِ. وَمَعْنَى قَوْلِ الْقَائِلِ لَا بُدَّ مِنْ كَذَا: لَا اتِّسَاعَ فِي الِاسْتِغْنَاءِ عَنْهُ. وَيُقَالُ رَجُلٌ أَبْدُ وَامْرَأَةٌ بَدَاءُ، إِذَا تَبَاعَدَ أَحَدُ فُخْذَيْهِ عَنِ الْآخَرَى، وَبَدَدْتُ الشَّيْءَ أَبْدُهُ، إِذَا جَزَّأَتْهُ أَجْزَاءً فِي الْقَسَمِ. وَيُقَالُ: هَاتِ بَدَّتِي، أَيِ نَصِيْبِي، وَمِنْهُ يُقَالُ: اسْتَبَدَّ فُلَانٌ بِكَذَا إِذَا اخْتَصَّ.

٥ - ظَلِلْتُ أَسَاقِي الْهَمِّ إِخْوَتِي الْأَلَى أَبُوهُمْ أَبِي عِنْدَ الْمُزَاحِ وَفِي الْجِدِّ

يُقَالُ: ظَلَّ يَفْعَلُ كَذَا، إِذَا فَعَلَهُ نَهَارًا، ثُمَّ يَتَوَسَّعُونَ فِيهِ، وَيَجْرِي مَجْرَى صَارَ يَفْعَلُ كَذَا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا﴾ [النحل: الآية ٥٨]. أَلَا تَرَى أَنَّ الْبَشَارَةَ بِالْأُنْثَى تَتَفَقَّ كُلُّ وَقْتٍ مِنْ لَيْلٍ وَنَهَارٍ. وَقَوْلُهُ «أَسَاقِي الْهَمِّ» يَجُوزُ أَنْ يَرِيدَ بِهِ الْعَمَ، كَأَنَّهُ كَانَ يُبَاثُ إِخْوَانَهُ وَأَصْفِيَاءَهُ لَمَّا كَانَ يَدُورُ عَلَيْهِ أَمْرٌ عَشِيرَتِهِ مِنَ الْخِلَافِ الْمُؤَدِّي إِلَى الثَّقَالِي وَالتَّحْزُبِ، وَمَا كَانَ يَخَافُهُ مِنَ الثَّقَانِي عَلَيْهِمْ عِنْدَ التَّجَارُبِ. وَالْأُولَى فِي مَعْنَى الَّذِينَ، وَالْجُمْلَةُ الَّتِي بَعْدَهُ مِنْ صِلَتِهِ. وَقَوْلُهُ «أَبُوهُمْ أَبِي عِنْدَ الْمُزَاحِ وَفِي الْجِدِّ» يَجْرِي مَجْرَى التَّأَكِيدِ لِلْأَخُوَّةِ، وَالتَّحْقِيقِ لِلتَّشَابُكِ، وَالْمَمَازِجَةِ بِالنِّسْبَةِ، وَالْمَعْنَى: عَلَى كُلِّ حَالٍ إِذْ لَا ثَالِثَ لَهَا، وَوَضَعَ الْمُزَاحَ مَوْضِعَ الْهَزْلِ. وَمِثْلُ هَذَا فِي مَعْنَى التَّأَكِيدِ، وَإِنْ كَانَ لَفْظُهُ لَفْظَ الْبَدَلِ قَوْلُهُمْ: جَاءَنِي بَنُو تَمِيمٍ صَغِيرُهُمْ وَكَبِيرُهُمْ، صَرِيحُهُمْ وَهَجِيئُهُمْ، وَمَا أَشْبَهُهُ. وَيَجُوزُ أَنْ يَرِيدَ بِالْهَمِّ مُصَدَّرَ هَمَمْتُ بِالشَّيْءِ، كَأَنَّهُ اجْتَمَعَ مَعَ إِخْوَتِهِ لِيُؤَافِقَهُمْ عَلَى رَأْيٍ يَتَيَوَّنُ أَمْرَهُمْ عَلَيْهِ مَعَ الْفَسَادِ الظَّاهِرِ لَهُ بَيْنَ ذَوِيهِ وَفَصِيلَتِهِ. وَيُرْوَى «الْمُزَاحُ» بِضَمِّ الْمِيمِ فَيَكُونُ اسْمًا، وَالْمِزَاحُ بِكسْرِ الْمِيمِ فَيَكُونُ مُصَدَّرَ مَا زَحَتْ.

٦ - كِلَانَا يُنَادِي يَا نِزَارُ وَبَيْنَنَا قَنَا مِنْ قَنَا الْخَطِيَّ أَوْ مِنْ قَنَا الْهِنْدِ

كِلَا اسْمٌ مُفْرَدٌ يُؤَكَّدُ بِهِ الْمُثْنَى، كَمَا أَنَّ كَلًّا اسْمٌ مُفْرَدٌ يُؤَكَّدُ بِهِ الْمَجْمُوعُ. وَالْمُرَادُ بِهِ هُنَا كُلُّ وَاحِدٍ مَنَا، لِذَلِكَ قَالَ يَنَادِي. وَالْمَعْنَى: إِنَّ اعْتِزَاءَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ

طائفتينا إلى أب واحد، والشَّرُّ إذا وقع بين الأقارب كان في عُقول ساداتهم أشدَّ تأثيرًا، وأبلغ عند الاستعمال به تحذيرًا، إذ كان مُفاسدُهُ التَّسبِيبُ لَتَسبِيهِ أَفْطَحَ، وكان التَّقاطع حيث يجب التَّواصل أَشْنَعَ، لأنَّ عِزَّ السَّيِّدِ بتابعيه، وليس الأقارب منهم كالأجانب. وقوله «وَبَيَّنَّا قَنَّا مِنْ قَنَا الْخَطِيءِ» الواو واو الحال، وقد حَذَفَ المضاف وأقام المضاف إليه مَقَامَهُ. والمراد: وبيننا اختلاف قَنَّا خَطِيئَةٍ بِالطَّعْنِ، أي بَلَغَ جَهْدُ البلاءِ بينهم هذا المبلغ وانتهى إلى هذه الحالة. وقال «مِنْ قَنَا الْخَطِيءِ» والمرادُ مِنْ قَنَّا الموضوع الْخَطِيءِ أو المكان، فأقام الصِّفَةَ مقامَ الموصوف. يدلُّ على هذا أَنَّهُ قال بعده «أَوْ مِنْ قَنَا الْهِنْدِ». ويجب أن يكونَ القنا الأول وإن كان جمعَ قَنَاةٍ مُتَنَاولًا لما هو أَقلُّ مما يتناولُهُ القنا الثاني حتى يحصلَ معنى التبعيض بِمِنْ. والخطُ: جزيرة عُمان. ويقال في الرِّمَاح هي الخطِيئة، كأنه اسمٌ لها.

٧ - قُرُومٌ تَسَامَى مِنْ نِزَارٍ عَلَيْهِمُ مُضَاعَفَةٌ مِنْ نَسَجِ دَاوُدَ وَالسُّغْدِ
القُرُومُ في الأصل: الفُحُولُ المَصَاعِبُ التي أُعْفِيَتْ من الحَمَلِ عليها وَتُرِكَتْ لِلْفَحْلَةِ. ويقال: أَقْرَمْتُ البعيرَ فاستقرَّم. وعنى بها ههنا الأبطال الكرام. وتَسَامَى، أي تَتَعَالَى في الثَّباري والتَّمَارِي. والأصلُ في تَسَامَى تَتَسَامَى فَحَذَفَ إِحْدَى التَّاءَيْنِ اسْتِثْقَالًا لِاجْتِمَاعِهِمَا. وقوله «مِنْ نِزَارٍ» في موضع الصِّفَةِ لِقُرُومَ، والتقديرُ قُرُومٌ نِزَارِيَّةٌ تَتَسَامَى، وقوله «عليهم مضاعفة» في موضع الحال والعاملُ فيه تَسَامَى. ومعنى الْمُضَاعَفَةِ: التي تُسَجَّتْ حَلَقَتَيْنِ حَلَقَتَيْنِ. و«مِنْ نَسَجِ دَاوُدَ» في موضع الصِّفَةِ لِلْمُضَاعَفَةِ، أراد مضاعفةَ دَاوُدِيَّةٍ وَسُغْدِيَّةٍ. وارتَفَعَ مُضَاعَفَةٌ بِالظَّرْفِ في المذهبين جميعًا لوقوع الظرف في موضع الصفة. ومثله من مسائل الكتاب: مرزْتُ برَجُلٍ مَعَهُ صَقْرٌ صَائِدًا بِهِ غَدَاً^(١).

٨ - إِذَا مَا حَمَلْنَا حَمَلَةً ثَبَتُوا لَنَا بِمَرْهَقَةٍ تُذِرِي السَّوَاعِدَ مِنْ صُغْدٍ^(٢)

٩ - وَإِنْ نَخْنُ نَارَلْتَاهُمْ بِصَوَارِمٍ رَدَّوْا فِي سَرَابِيلِ الْحَدِيدِ كَمَا نَزِدِي

أَمَّا البيت الأول فقد أَلَمْ فيه بمعنى قول الآخر: [الطويل]

فَلَمَّا قَرَعْنَا الثُّبُعَ بِالثُّبُعِ بَعْضُهُ بَبَعْضٍ أَبَتْ عِيدَانُهُ أَنْ تُكْسَرَا^(٣)

(٢) التبريزي: «مثلوا لنا».

(١) انظر الكتاب ١: ٢٤١.

(٣) لزر بن الحارث في الحماسية رقم (٢٨).

والمزَهْفَةُ: السُّيُوفُ المُرَقَّعةُ الحدَّ، وسيفٌ رَهِيفٌ، وقد رَهَفَ رَهَافَةً. ومعنى تَذَرِي تَسْقِطٌ، وهو في موضع الصِّفَةِ لِمَزَهْفَةٍ. ومعنى «مِنْ صُعْدٍ» من أَعْلَى. وهذا كما قال غيره: [الرجز]

يُذَرِي بِإِرْعَاشِ يَمِينِ الْمُؤْتَلِي خُضْمَةَ الذَّرَاعِ هَذَا الْمُخْتَلِي^(١)

وقوله «وإن نحن نازلناهم» فالنَّزَالُ يَأْتُونَ به ويركَبُونَهُ في المَضَاقِ حيث لا يَتَسَعُ المجالُ لِلخَيْلِ، وإذا كان كذلك فالبيت الأول من صفة الفُرسان، والثاني من نعتِ الرُّجَالَةِ. وقوله «رَدَّوْا في سراييل الحديدَ كَمَا نَزَدِي»، الرَّدْيَانُ في الأَصْلِ عَذُو الحمار بين أَرِيهِ ومُتَمَعِّكِهِ، ولم يَقْصِدْ تَفْضِيلًا لأحد الفريقين على الآخر إِمَّا لِقْصِدِهِ إلى الإنصاف في اقتصاص ما يَجْرِي من الأحوال، وإمَّا لأنَّ الفرقتين كانتا من أصلٍ واحدٍ جَعَلَهُمَا على سَوَاءٍ من البلاء.

١٠ - كَفَى حَزَنًا أَلَا أَزَالَ أَرَى الْقَنَّا يَمُحُّ نَجِيعًا من ذِرَاعِي ومن عَضْدِي

لَكَ أَنْ تَرْفَعَ «أَزَالَ» على أن يكون أَنْ مُخَفَّفَةً من الثَقِيلَةِ، والمُرَادُ أَنِّي لَا أَزَالُ. ولك أن تَنْصِبَهُ على أن يكونَ أَنْ هي النَّاصِبَةُ لِلْفِعْلِ. ومَوْضِعُ أَنْ لَا أَزَالَ على الوجهين جميعًا رَفَعٌ بِكَفَى. وَحَزَنًا انْتَصَبَ على التَّمْيِيزِ. والمعنى: كَفَى من حَزَنِ أَنِّي لَا أَزَالُ أَرَى الرِّمَاحَ تَصُبُّ دَمًا من ذِرَاعِي ومن عَضْدِي، أي مِنْ قَوْمٍ بِهِمْ أَبْطَشُ وَأَعَزُّ، فَهُمْ مَتْنِي بِمَنْزِلَةِ الذَّرَاعِ والعَضْدِ. وهذا في الاستعارة لِمَنْ يَقْوَى به الرُّجُلُ وَيَعْتَصِدُ أَتْلُعُ وَأَشْبَعُ وَإِنْ تَسَاوَتْ الطَّرِيقَتَانِ - من قول الآخر: [الوافر]

فَإِنْ أَكْ قَدْ بَرَدْتُ بِهِمْ عَلِيلِي فَلَمْ أَقْطَعْ بِهِمْ إِلَّا بَسَانِي^(٢)

وقد قيل «أَخَ الرُّجُلِ عَضْدُهُ». والمَخُّ: إِخْرَاجُ المَاءِ من الفم، وتوسَّعُوا فقالوا لِلْمَطَرِ: هُوَ مُجَاجُ السَّحَابِ. والنَّجِيعُ: دَمُ الجوفِ. ويقال: تَنَجَّعَ الرُّجُلُ، إِذَا تَلَطَّخَ بِهِ.

١١ - لَعَمْرِي لَئِنْ رُمْتُ الخُرُوجَ عَلَيْهِمْ بِقَيْسٍ عَلَى قَيْسٍ وَعَوْفٍ عَلَى سَعْدٍ

١٢ - وَضِيفْتُ عَمْرًا وَالرَّيَابَ وَدَارِمًا وَعَذَوَانَ وَدَّ كَيْفَ أَصْبِرُ عَنْ وَدَّ^(٣)

(١) للعجاج في ديوانه ١: ٣١٠، واللسان (رعى، وخضم).

(٢) لقيس بن زهير في الحماسة رقم (٤٤).

(٣) التبريزي: «وعمر بن أَدَّ كَيْفَ أَصْبِرُ عَنْ وَدَّ».

١٣ - لَكُنْتُ كَمُهْرِي الَّذِي فِي سِقَائِهِ لِرَفْرَاقِ آلِ فَوْقَ رَابِئَةٍ صَلَدِ

تَبَّهَ بهذا الكلام على قُرب القَرَابَةِ بينهم، وتأكَّد الالتحام فيهم، وأنَّ تَمَارُجَ الأنساب، وتواشُجَ الأسباب، يُوجِبَانِ أَنْ طَوَائِفَ هَؤُلَاءِ الجُمُوعِ كطوائف تلك، فَإِنْ أَخَذَ يَطْلُبُ الخُروجَ عليهم، والثَّكَايَةَ فيهم، احتاج أن يَخْرُجَ بِقِيَسٍ على قِيَسٍ، وَيَسْعُدُ على سَعْدٍ، لأنَّ عَوْفًا هو ابن سَعْدٍ. واحتاج أن يُرَاغِمَ عَمْرًا والرَّيَّابَ ودارِمًا وَوَدًّا، وأن يَضِيعَ حُظُوظَهُمَ وحقوقَهُمَ، وَيُفَيِّتَ نَفْسَهُ وَذَوِيهِ مَأْمُولَ الخَيْرِ من جَهِتِهِمَ، والتَكْثِيرُ والتَعَزُّزُ بِمَكَانِهِمَ، وذلك أيسرُ نَتَائِجِ التَّقَاطُعِ والتَدَابُرِ، والتَنَازُعِ والتَنَابُذِ، والتَجَاذُبِ والتَحَارُبِ؛ هذا إلى ما فيه من مَجَابِيَةِ الرُّشَادِ، والتَبَاعُدِ في طُرُقِ الضَّلَالِ والفَسَادِ. وقوله «كَيْفَ أَصْبِرُ عَنْ وَدٍّ» هو الَّذِي يُسَمِّيهِ الثَّقَاذُ والبُصْرَاءُ بِصَنَعَةِ الشَّعْرِ وتمييزِ البَدِيعِ فيه «الالْتِفَاتِ». كَأَنَّهُ لَمَّا ذَكَرَ وَدًّا والخِلَافَ عليه، ونَفَضَ اليَدَ مما يَجْمَعُهُ وإِيَّاهُ، وكَشَفَ الرُّأْسَ بِالمُعَادَاةِ مَعَهُ، رَقَّى لِلرَّحِمِ قَلْبُهُ، وضَاقَ بِالحَالِ المَتَصَوِّرَةِ، صَدْرُهُ، وَالتَفَّتْ إلى من بِحَضْرَتِهِ فَقَالَ: كَيْفَ يَكُونُ صَبْرِي عَنِ مِثْلِهِ. ثُمَّ أَخَذَ يَمَثِلُ نَفْسَهُ فِيمَا يَأْتِيهِ، وَيَصَوِّرُ نَفْسَهُ إِنْ أَخَذَ فِيهِ، فَقَالَ: لَعَمْرِي إِنْ صَوَّرْتِي إِذَا رَكَبْتُ هَذِهِ الخُطَّةَ مَعَهُمْ، وَمَثَلِي فِيمَا أَخْتَارُهُ مِنْ مُفَاسِدَةِ الْأَقَارِبِ مَعَ هَذَا التَّحَقُّقِ وَالتَّدَانِي، وَالاسْتِنَامَةِ إِلَى آمَالٍ مَتَخِيلَةٍ فِي الْأَجَانِبِ، مَثَلُ رَجُلٍ قَدْ أَعَدَّ مَاءَ فِيمَا لَوْ قَتَّ حَاجَتَهُ، وَهُوَ فِي مَفَازَةٍ مَتَنَائِيَةِ الْأَرْجَاءِ، فَتَرَقَّرَقَ لَهُ السَّرَابُ مِنْ مَكَانٍ يَتَوَصَّلُ إِلَيْهِ بِمَشَقَّةٍ تُتَكَلَّفُ، وَزِيَادَةٍ تَعَبٍ تُتَجَسَّمُ، فَصَبَّ مَا قَدْ اسْتَضَحَبَهُ مِنَ الْمَاءِ، وَتَيَقَّنَ النُّجَاةَ بِهِ، اغْتَرَا بِمَا تَرَأَى لَهُ وَتَظَنَّاهُ، وَهُوَ لَا يَدْرِي هَلْ يَقْدِرُ عَلَى الْوُصُولِ إِلَيْهِ، وَإِذَا جَاءَهُ هَلْ يَجِدُ لَهُ حَقِيقَةً أَوْ لَا. وَقَدْ ضَرَبَ اللَّهُ الْمَثَلَ بِالسَّرَابِ لِأَعْمَالِ الْكُفَّارِ وَاغْتِرَارِهِمْ بِهَا فَقَالَ: ﴿كَرَّيْمْ يَفِيعَوُ يَحْسَبُهُ الظُّلُمَاتُ مَاءً حَقًّا إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ سَيْتًا﴾ [النور: الآية ٣٩]. وَالرَّابِئَةُ: الْمَكَانُ الْمَرْفُوعُ. وَالصَّلْدُ: الصُّلْبُ الَّذِي لَا يَنْبُتُ شَيْئًا. وَالرَّفْرَاقُ: مَا تَرَقَّرَقَ فِيمَا يَتَخَيَّلُ لِلْعَيْنِ وَلَمَعَ، وَيُوصَفُ بِهِ الدَّمْعُ وَالْمَاءُ وَالجَارِيَةُ الرَّائِقَةُ. يَذَلُّ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ:

رَقَارِقُ لَا رُزْقَ الْعُيُونِ وَلَا رُمْدًا

ولامرئ القيس يصف الدمع: [المتقارب]

أَوِ الدُّرُّ رَفْرَاقُهُ الْمُتَحَدِرُ^(١)

(١) لامرئ القيس في ديوانه ٧٩ (الأعلمي) وصدرة:

وقوله «لكنْتُ كمُهْرِيقَ الذي» جواب القَسَم، وبعضهم رواه: «فكنْتُ كمُهْرِيقٍ» وعلى هذا يكون الجواب محذوفاً. وقد حَمَلَ الكلام على المعنى لظهور المراد منه دون اللفظ، والأول أكشف.

١٤ - كَمْزُضِعَةٍ أَوْلَادَ أُخْرَى وَضُبِّعَتْ بَنِي بَطْنِهَا هَذَا الضَّلَالُ عَنِ الْقَصْدِ
يجوز أن يكونَ المُرْضِعَةُ امرأةً فَعَلَتْ ذَلِكَ فَضَرِبَ المِثْلُ بهذا، وَيَشْهَدُ لذلك قولُ الآخر: [الطويل]

كَمْزُضِعَةٍ أَوْلَادَ أُخْرَى وَضُبِّعَتْ بَنِيهَا فَلَمْ تَرْزُقْ بِذَلِكَ مَرْزَعًا^(١)

ويقال: التَّعَامُ تفعل ذلك لسوء هدايتها، فتترك الواحدة منها بيضَ نفسها وتُسَوِّمُ في المَرْزَعِ، فإذا أرادت العَوْدَ إليها لم تَهْتَدِ، فتَجْثِمُ على بيض غيرها. وَيَشْهَدُ لهذا الوجه قولُ الآخر^(٢): [المتقارب]

فَلَأْنِي وَتَزَكِّي نَدَى الْأَكْرَمِينَ وَقَذَجِي بَكْفِي زَنْدًا شَحَاخَا

كَتَارِكَةٍ بَيَضُهَا بِالْعَرَاءِ وَمُلْبَسَةٍ بَيَضُ أُخْرَى جَنَّاخَا

وقوله «هذا الضَّلَالُ عن القصد» يَجْرِي مجرى قوله «كيف أَضْبِرُ عِن وَد»^(٣)، في أنه من باب الالتفات. ومثلها قول جرير: [الوافر]

مَتَى كَانَ الْخِيَامُ بِذِي طُلُوحٍ سُقِيتِ الْعَيْنُ أَيُّهَا الْخِيَامُ^(٤)

والشاعر لم يُفَنِّعه التشبيه الأول ولم يكتفِ به، لأنَّ الثاني أدلُّ على الحال فيما يرومُ تصويره، وأشبهه بقصَّته، إذا فعل فَعَلْتَهُ. والقَصْد: الطريق المستقيم، وهو المقصود.

١٥ - فَاوْصِيكُمْ يَا ابْنِي نِزَارٍ فَتَابِعَا وَصِيَّةَ مُفْضِي النُّضْحِ وَالصَّدْقِ وَالْوُدِّ

١٦ - فَلَا تَغْلَمَنَّ الْحَرْبَ فِي الْهَامِ هَامَتِي وَلَا تَزِمِيَا بِالنَّبْلِ وَنَحْكَمَا بَغْدِي

= «فأسبل دمعِي كفضِّ الجُمانِ»

(١) لابن جذل الطعان الكتاني في الحيوان ١: ١٩٧، وحماسة البحري ١٧٠.

(٢) لابن هرمة في الحيوان ١: ١٩٩، والتبريزي ١: ٤٩٢، وثمار القلوب ٣٥٣.

(٣) ورد في البيت (١٢) من هذه الحماسية.

(٤) لجرير في ديوانه ٢٧٨، والأغاني ٢: ١٧٩، والجنى الداني ١٧٤، وخزانة الأدب ٩: ١٢١.

جَعَلَ وَصَاتَهُ شَامِلَةً لِقَبَائِلِ رِبِيعَةٍ وَمُضَرٍّ، وَهُمَا ابْنَا نِزَارِ بْنِ مُعَدٍّ، فَيَقُولُ: أَبْذُلُ
نُضْجِي لَكُمْ، وَأَبْسُطُ وَصِيَّتِي إِيَّاكُمْ فَيُكِمُّ، فَتَابِعُوهَا وَاعْمَلُوا بِحَسَبِهَا، فَإِنَّهَا مَحْضُوعَةٌ
لَكُمْ عَنْ قَلْبِ رَجُلٍ سَلِيمٍ الْغَيْبِ، نَقِيَّ الْجَنَبِ، صَائِبِ الرَّأْيِ، صَادِقِ الْوَدِّ. وَقَوْلُهُ
«مُفْضِي النُّضْجِ» أَيِ وَاصِلِ نُضْجِهِ إِلَيْكُمْ، وَصَائِرُ فِي فَضَاءٍ وَسَعَةٍ. وَالْمَعْنَى انْكِشَافُهُ
وَحُلُوصُهُ. وَفِي الْقُرْآنِ: ﴿وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ [النساء: ٢١]. وَقَوْلُهُ
«فَلَا تَعْلَمَنَّ الْحَزْبُ فِي الْهَامِ هَامَتِي» هَذَا صَرِيحُ الْوَصِيَّةِ الَّتِي دَعَا إِلَيْهَا، وَسَامَهُمْ
ارْتِسَامُهَا وَحِفْظُهَا. وَجَعَلَ الثَّهْيَ لَهَا مَتْنًا، وَالْمُخَاطَبُونَ هُمُ الْمُنْهِيُونَ، فَهُوَ كَقَوْلِكَ: لَا
أَرِيكَ هَلْنَا، وَالْمُرَادُ لَا تَكُنْ هَلْنَا فَارَاكَ. وَتَحْقِيقُ قَوْلِهِ «فَلَا تَعْلَمَنَّ الْحَزْبُ فِي
الْهَامِ هَامَتِي» لَا تَتَحَارَبُوا بَعْدِي فَتَعْلَمَ هَامَتِي بَيْنَ الْهَامِ الْحَرْبِ بَيْنَكُمْ، أَيِ عَلَيْكُمْ
بِالتَّوَاضُلِ وَالتَّعَاوُضِ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّقَاطُعِ وَالتَّدَابِيرِ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُؤَدِّي ضَعْفَكُمْ، وَاجْتِرَاءَ
الْخَصْمِ عَلَيْكُمْ، إِنْ لَمْ يُؤَدِّ إِلَى الثَّفَانِي وَالثَّهَالُكِ. وَكَانَتْ الْعَرَبُ تَقُولُ: إِنْ عِظَامَ
الْمَوْتَى تَصِيرُ هَامًا فَتَطِيرُ وَتَتَنَسَّمُ أَخْبَارَ الْأَحْيَاءِ. وَقَوْلُهُ «وَلَا تَرْمِينَا بِالنَّبْلِ وَنُحَكِّمًا
بَغْدِي»، يَقُولُ: دَعُوا التَّفَاخُرَ وَالتَّنَافُرَ، وَالتَّجَادُبَ وَالتَّحَارُبَ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ أَكْثَرِ أَسْبَابِ
الثَّقَالِي وَالتَّهَاجُرِ. وَهُمْ يَجْعَلُونَ الْمُنَاضِلَةَ مَثَلًا لِلْمُفَاخَرَةِ، عَلَى هَذَا قَوْلُ لَبِيدٍ: [الرملة]

فَانْتَضَلْنَا وَابْنُ سَلَمَى قَاعِدٌ كَعَتِيْقِ الطَّيْرِ يُغْضِي وَيُجَلُّ^(١)

ثم قال:

فَرَمَيْتُ الْقَوْمَ رِشْقًا صَائِبًا لَيْسَ بِالْعُضْلِ وَلَا بِالْمُفْتَعَلِ^(٢)

١٧ - أَمَا تَرَهْبَانِ النَّارِ فِي ابْنِي أَبِيكَمَا وَلَا تَرْجُؤَانِ اللَّهَ فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ

١٨ - فَمَا تُزْبُ أَتَرَى لَوْ جَمَعْتَ تُرَابَهَا بِأَكْثَرِ مَنْ إِنْسِي نِزَارٍ عَلَى الْعَدَا

١٩ - هُمَا كَنَفَا الْأَرْضِ اللَّذَا لَوْ تَزَعَرَا تَزَعَرَعَ مَا بَيْنَ الْجَنُوبِ إِلَى السُّدَا

ذَكَرَهُمْ بِمَا فِي صَلَةِ الرَّجَمِ مِنَ الْأَجْرِ، وَبِمَا فِي قَطِيعَتِهِ مِنَ الْإِثْمِ، فَأَخَذَ يُرَغِّبُهُمْ
وَيُحَذِّرُهُمْ، فَيَقُولُ: أَمَا تَخَافُونَ أَنْ يَحِقَّ عَلَيْكُمْ الْعَذَابُ إِذَا اسْتَهْتُمُ بِالْوَعِيدِ الْوَارِدِ فِي
الْقَطِيعَةِ وَاسْتَعْمَالِ الْبَغْيِ، وَتَعَرَّضْتُمْ لَسَخَطِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي تَجَاوُزِ مَأْمُورِهِ، وَأَمَا
تَرْجُونَ أَنْ يَحِلَّ الثَّوَابُ الْكَرِيمُ فِي الصَّلَةِ وَاسْتِعْطَافِ أُولِي الْمَحَارِمِ وَالْقُرْبَى، إِذَا رَعَيْنَتْ

(١) للبيد في ديوانه ١٩٥، واللسان (عتق، نضل، جلا).

(٢) ديوانه ١٩٤، واللسان (روق، عص، فعل، رقم).

أمره، والتزمتم حتمه، واستنجزتم موعوده. وإنما أخرج الخطاب بلفظ التثنية، وإن كان الوعظ متوجهاً إلى جميعهم، لأنه قال «فأوصيكم» يا ابني نزار.

وقوله «فما تَرُبْ أترى» أترى والتَرى يُجعلان اسمين للأرض، إلا أن أترى يجعل كالعلم لها، ولذلك لم يُضرف. والتَرى: التدى. وفي المثل «التقى الثريان»^(١). وفسر قوله «وما تحت الترى» على ما تحت الأرض. ويقال: ترى تَرى، فيراد به التراب التدي. وفي الاستكثار قيل: هم أكثر من الترى. والشاعر وصف ابني نزار بالكثرة، لأن فيها العز والغلبة، ثم لم يرض بذلك حتى قال «هُمَا كَثَفَا الأرض». ومعنى «لو جَمَعْتَ تَرَابَهَا» لو أحطت علماً به وضبطته. ومعنى «بأكثر من ابني نزار على العد» بأكثر منهما معدودين؛ فموضع على العد موضع الحال. وقطع همزة ابني نزار ضرورة، كما قال الآخر: [الطويل]

إذا جاوز الإثنَين سرَّ فإِنَّهُ بَنَتْ وإكثار الوُشاةِ قمينُ^(٢)

ويركبون هذه الضرورة في الأكثر الأعم إذا كانت الألف في اسم، وذلك أن ألفات الوصل بابها الأفعال دون الأسماء حتى يُمكن حَضْرُهَا إذا لم تكن في مصدر، فإذا كان كذلك فالمتعاد في ألفات الأسماء القطع، فعلى ذلك يُستحسن قطعها فيها، وإن كانت في الوصل للضرورة.

وقوله «هُمَا كَثَفَا الأرض» فالكثف: الجانب والتأحية. ومنه تَكثُفُهُ بئو فلان. والمعنى أنهم مُخْدِقُونَ بالأرض. وقوله «اللذا لو تَزَعَزَعَا» حذف النون استطالةً للاسم بصلته. وعلى هذا قوله: [الكامل]

أبِني كَلِيبِ إِنَّ عَمِّي اللَّذَا قَتَلَا المُلُوكَ وَفَكَّكَ الأغْلَا^(٣)

والززعزة: التحريك، ومنها ريح زغزاع، وقوله «ما بين الجنوب إلى السد» يريد ما بين مَهَبِ الجنوب إلى سد يأجوج. ويقال: سد وسد لغتان، وقيل السد ما يفعله الآدميون، والسد بالضم ما لا صنْعٌ للآدمي فيه. ومُراد الشاعر أن مساك الأرض وجوانبها بابني نزار، فإن تززعزا تزلزلت الأرض. وهذا الكلام نهاية في بابه.

(١) ذكره في اللسان (ثرا): «وذلك أن يجيء المطر فيرسخ في الأرض حتى يلتقي هو وندي الأرض».

(٢) لقيس بن الخطيم في ديوانه ٢٨، واللسان (نث).

(٣) للأخطل في ديوانه ٤٤، والخزاعة ٢: ٤٩٩.

٢٠ - وَإِنِّي وَإِنْ عَادَيْتُهُمْ وَجَفَوْتُهُمْ لَتَأْلُمَ مِمَّا عَصَى أَكْبَادَهُمْ كَبْدِي
 ٢١ - لِأَنَّ أَبِي عِنْدَ الْحَفَاطِ أَبَوْهُمْ وَخَالُهُمْ خَالِي وَجَدُّهُمْ جَدِّي^(١)

يقول: أنا وإن كنت متنكرًا لهم مستجفياً، وجافياً معهم معادياً، ومتحايلاً عليهم مناصباً، فللعلائق الجامعة بيني وبينهم، والأواصر العاطفة ضميري عليهم، ولأنني أرى أطرافني من السبب والنسب تظأزني وتأبى إلا التحنن لهم، وتضمني فتمنع من الانحراف عنهم - يسوؤني ما يسوؤهم، وأشتكي لشكواهم، وأتألم مما ينالهم، وبحسب ذلك أختار لهم ما أختاره لنفسي، وأريد بهم ما أريد بمن لا يتميز عني، فذلك هو الذي يدعوني إلى استصلاحهم، والوصاية بما يؤذي إلى مصالحهم، ففعل الأمنس شهمة، والأخص نسبة. وكيف لا أكون كذلك، وإذا حافظنا الحقوق، وراعينا الوسائل والحظوظ تناسقت الأبوة بيننا والأمومة، وتلاخظت البؤة والأخوة.

٢٥٠ - وَقَالَتْ عَاتِكَةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ^(٢): [مرقل الكامل]

١ - سَائِلُ بِنَا فِي قَوْمِنَا وَلِيَكْفَ مِنْ شَرِّ سَمَاعِ
 ٢ - قَيْسًا وَمَا جَمَعُوا لَنَا فِي مَجْمَعٍ بَاقٍ شَنَاةَ

هذه الأبيات تناسب ما قبلها وتؤدي إلى مثل مؤداها، لذلك قالت «سائل بنا في قومنا» لأن ما تألمت منه كان في عشيرتها وذويها، وكان الخطب كان عظيماً، والشر كان مستفجلاً شديداً، فأخذت تبعث على التسالي عنهم في قومهم، إذ كان البلاء لم يغدوهم. ويجوز أن يريد: سائل بنا وعن حالنا فيما بين قومنا، كأنه يدعي أن لهم شأنًا في قومهم ليس لغيرهم. وقولها «وليكف من شر سماعة» توجع مما نالهم، واستفظاع لما أجروا إليه فيما أداروا أنفسهم عليه. وظاهر لفظ الأمر للسمع، وهو في الحقيقة للمخاطب، لأن المراد: واكتف إذا سألت من الشر بالسمع دون العيان، فهو في باب الأمر - أغني ليكف - كقولهم في باب النهي: لا أريتك ههنا، إذ كان المراد: لا تكن ههنا فأراك. فإن قيل: لم نكر قوله من شر، والذي يوميء إليه يجب أن يكون معروفاً مشهوراً؟ قلت: إن فائدة المنكر مثل فائدة المعروف في مثل هذا المكان، ألا

(١) التبريزي: «فإن أبي». وبعده عند التبريزي:

«وماحهم في الطول مثل رماحنا وهم مثلنا قد السيور من الجلد»

(٢) عاتكة بنت عبد المطلب، عمّة النبي ﷺ. ترجمتها في الإصابة تر (٦٩٥) قسم النساء.

تَرَى أَنَّكَ تَقُولُ: فَلَانَ يَلْبَسُ خَزًا وَقَزًا، وَالْخَزُّ وَالْقَزُّ، فَلَا يَخْتَلِفُ الْمَفْهُومُ مِنْهُمَا؟ وَقَوْلُهُ «فَتَيْسًا وَمَا جَمَعُوا لَنَا» انْتَصَبَ قَيْسًا عَلَى إِضْمَارِ فِعْلٍ، كَأَنَّهُ قَالَ: سَائِلُ قَيْسًا وَالْجَيْشُ الَّذِي جَمَعُوهُ لَنَا فِي مَخْضٍ أَخْبَارُهُ تُحْتَمَلُ وَتُنَشَّرُ عَلَى مَرِّ الْأَحْقَابِ وَالْأَيَّامِ، وَشِنَاعَتُهُ تُسْتَظْفَعُ وَتُذَكَّرُ فِي الْمَشَاهِدِ وَالْأَقْوَامِ. وَالشُّنْعُ وَالشَّنَاعَةُ وَالشُّنَاعُ وَالشُّنُوعُ: قُبْحُ الشَّيْءِ الَّذِي يَطِيرُ خَبْرُهُ وَيَغْلُو. وَمِنْهُ شَنَعَ النَّجْمُ، إِذَا ارْتَفَعَ فِي السَّمَاءِ. وَالشُّنَاعُ: النَّاقَةُ الْخَفِيفَةُ. وَتَشُنَّعَتْ: تَشَمَّرَتْ فِي السَّيْرِ وَجَدَّتْ. وَإِنَّمَا قَالَتْ «وَمَا جَمَعُوا لَنَا» لِأَنَّهَا أَشَارَتْ بِمَا إِلَى الْجِنْسِ. وَيَجُوزُ أَنْ تَرِيدَ: وَالَّذِي جَمَعُوا مِنْ أَنْوَاعِ الْمَلَامَاتِ وَالْجَرَائِمِ. وَإِذَا فَسَدَ ذَاتُ الْبَيِّنِ مِنْ قَوْمٍ أَخَذُوا يَتَجَرَّمُونَ وَيَعْدُدُونَ مَا لَا يَكُونُ جِنَايَةً جِنَايَةً.

٣ - فِيهِ السَّنُورُ وَالْقَنَا وَالْكَبْشُ مُلْتِمَعًا قِنَاعَةً^(١)

أشار بقوله «فيه السنور» إلى ما اشتمل عليه ذلك المشهد من العدد والعدة. وموضع «فيه السنور» من الإعراب جرُّ على أنه صفةٌ لمَجْمَعٍ. والمراد بالسنور والقنا والكبش أجناسها. والسنور: الدرع، وقيل هو جماعة الأسلحة والكبش: الرئيس. ومعنى «ملتِمَعًا قِنَاعُهُ» بَارِقًا، أي عليهم البَيَضُ. وانْتَصَبَ مُلْتِمَعًا عَلَى الْحَالِ. وَيَجُوزُ أَنْ يُنَوَّى الْإِسْتِنَافُ بِقَوْلِهِ «وَالْكَبْشُ»، وَحِينَئِذٍ يُرَوَّى «ملتِمَعٌ» بِالرَّفْعِ، فَيَكُونُ خَبْرًا عَنْهُ، وَمَوْضِعُ الْجُمْلَةِ يَكُونُ نَصْبًا عَلَى الْحَالِ، وَقَدْ سُمِّيَتْ الْبَيْضَةُ يَلْمَعًا لِبَرِيقِهِ، كَمَا سُمِّيَ السَّرَابُ يَلْمَعًا. وَفِي الْمَثَلِ السَّائِرِ «أَكْذَبَ مَنْ يَلْمَعُ».

٤ - بَعُكَاطُ يَفْشِي النَّاطِرِي - نَ إِذَا هُمْ لَمَحُوا شُعَاعَهُ

٥ - فِيهِ قَتَلْنَا مَالِكًا قَسَرًا وَأَسْلَمَهُ رَعَاةً

٦ - وَمُجَازًا غَادَزْنَاهُ بِالْقِنَاعِ تَنَهَّسَهُ ضِبَاعُهُ

قوله «بعُكَاطُ» الْبَاءُ مِنْهُ تَعَلَّقَ بِقَوْلِهِ فِي مَجْمَعٍ، وَيَجُوزُ أَنْ يَتَعَلَّقَ بِمُلْتِمَعًا. وَشُعَاعُهُ يَرْتَفِعُ بِيَغْشِي، وَالضَّمِيرُ مِنْهُ يَجُوزُ أَنْ يَعُودَ إِلَى عُكَاطٍ لَكُونِ الشُّعَاعِ بِهِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَعُودَ إِلَى الْقِنَاعِ لِأَنَّ اللَّمْعَانَ لَهُ. وَيَقَالُ: أَشَعَّتِ الشَّمْسُ، أَيْ انْتَشَرَ شُعَاعُهَا. وَيَقَالُ: لَمَحَهُ بَيَصَرُهُ وَلَمَحَ الْبَصَرُ، وَلَمَحَ الْبَزْقُ، وَبَرَقَ لَمَاحٌ. وَقَوْلُهَا «فِيهِ قَتَلْنَا مَالِكًا» الضَّمِيرُ يَعُودُ إِلَى الْمَجْمَعِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَعُودَ إِلَى عُكَاطٍ. وَمَعْنَى قَتَلْنَاهُ

(١) التبريزي: «ملتِمَعٌ».

قَسْرًا، أَي قَصْدًا، لَا اتِّفَاقًا. وَالْقَسْرُ: الْقَهْرُ عَلَى كُزِهِ. وَيَقَالُ: قَسَرْتُهُ وَاقْتَسَرْتُهُ. وَقَوْلُهَا «وَأَسْلَمَهُ رَعَاةً»، إِشَارَةٌ إِلَى لِفَائِفِ انْضَمُّوا إِلَيْهِ فَخَذَلُوهُ وَلَمْ يَقُوا لَهُ. وَالرَّعَاةُ: سَفِلَةُ النَّاسِ وَسُقَاطُهُمْ. وَقَالَ الْخَلِيلُ: الرَّعَاةُ: الرَّجُلُ الَّذِي لَا فَوَادَ لَهُ، وَمِنْهُ رَعَاةُ النَّاسِ. وَ«مُجْدَلًا» انْتَصَبَ بِفِعْلِ مَا بَعْدَهُ تَفْسِيرُهُ، كَأَنَّهُ قَالَ: وَغَادَزَنَ مُجْدَلًا غَادَزْتَهُ. وَالضَّمِيرُ فِي الْفِعْلِ لِلْخَيْلِ. وَالْمُجْدَلُ: الْمَصْرُوعُ عَلَى الْجَدَالَةِ، وَهِيَ الْأَرْضُ. وَالْقَاعُ: الْمُسْتَوِي مِنَ الْأَرْضِ. وَمَوْضِعُ «تَنْهَشُهُ» نَضَبٌ عَلَى الْحَالِ، وَالْعَامِلُ فِيهِ غَادَرٌ. وَالتَّنْهَسُ: أَخَذُ الشَّيْءِ بِمَقْدَمِ فَيْكٍ. وَيُرْوَى: «تَنْهَشُهُ» بِالشِّينِ مَعْجَمَةً. وَكَانَ الْأَصْمَعِيُّ يَقُولُ: التَّنْهَسُ وَالتَّنْهَشُ سَوَاءٌ، وَهُوَ أَخَذُ اللَّحْمِ بِالْفَمِ. وَخَالَفَهُ أَبُو زَيْدٍ فَقَالَ: التَّنْهَسُ بِالشِّينِ أَخَذُكَ الشَّيْءِ بِمَقْدَمِ فَيْكٍ. وَالضَّمِيرُ فِي قَوْلِهِ «ضِبَاعُهُ» يَعُودُ إِلَى الْقَاعِ.

٢٥١ - وقال عبد القيس بن خفاف^(١) أحد بني

حنظلة بن مالك، البرجمي:

١ - صَحَوْتُ وَزَايَلَنِي بِاطِلِي لَعَمْرُ أَبِيكَ زِيَالًا طَوِيلًا
يقول: وَبَقَاءِ أَبِيكَ لَقَدْ أَقَفْتُ مِنْ سُكْرِ الْبَطَالَةِ، وَفَارَقَنِي مَا كُنْتُ أَتَعَاطَاهُ مِنَ الصَّبَا وَالْجَهَالَةِ، فِرَاقًا مِمْتَدًّا لَا يَنْقُطِعُ بِمُعَاوَدَةٍ تَغْرِضُ دُونَهُ، أَوْ بِمَوَاصِلَةٍ تُبْطِلُهُ وَتُزِيلُهُ. فَإِنْ قِيلَ: كَيْفَ وَصَفَ الزِّيَالَ بِالطُّوْلِ؟ قُلْتُ: الطُّوْلُ فِي الْحَقِيقَةِ لَوْقَتِ الزِّيَالِ لَا لَهُ، لَكِنَّهُ وَصَفَهُ بِهِ عَلَى طَرِيقِ التَّوَسُّعِ. وَهُمْ يَسْتَعْمِلُونَ الطُّوْلَ وَالْعَرَضَ عَلَى ضَرَبَيْنِ: أَحَدُهُمَا فِي الْمَجَسَّمَاتِ، وَذَلِكَ وَصَفٌ لَذَهَابِهَا فِي الْجِهَتَيْنِ. وَالثَّانِي أَنْ يَرَادَ بِهِمَا الْإِتْسَاعُ لِلشَّيْءِ، أَوْ امْتِدَادُ الْوَقْتِ بِهِ. وَهَذَا الْوَجْهَ قَدْ يُسْتَعْمَلُ فِي الْمَجَسَّمِ وَغَيْرِ الْمَجَسَّمِ. وَأَكْثَرُ مَا يُسْتَعْمَلُ مِنْهُ الْعَرَضُ مِنْ دُونِ الطُّوْلِ. عَلَى هَذَا قَوْلُهُمْ: نِعْمَةٌ عَرِيضَةٌ وَجَاءَ عَرِيضُ. وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا عَرِشَهَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ ١٣٣] وَقَالَ: ﴿فَدُّوْا دُعَاةَ عَرِيضٍ﴾ [فُصِّلَتْ: الْآيَةُ ٥١]. وَرَبِمَا جَمَعُوا بَيْنَهُمَا فَقَدْ قَالُوا: عِشْنَا زَمَنًا طَوِيلًا عَرِيضًا. وَالذَّهْرُ الْعَرِيضُ الطَّوِيلُ، يَرَادُ بِهِ الْكَمَالُ

(١) عبد القيس بن خفاف: شاعر جاهلي من شعراء المفضليات، وذكر له الأصفهاني في الأغاني ١٤٥: ٧ قصة في أنه حمل دماء عن قومه فأسلموه فيها وأنه أتى حاتمًا الطائي ومدحه. والقصة في أمالي القالي ٣: ٢١، ومعجم المرزباني ٣٢٥.

والإتساع، وقد قال كُثَيِّرٌ: [الوافر]

بِطَاحِيٍّ لَهُ نَسَبٌ مُصَفًّى وَأَخْلَاقٌ لَهَا عَرْضٌ وَطُولٌ^(١)

فهذا على التشبيه بالمُجَسَّمات، والقَصْدُ إلى السعة، لأنَّ الأخلاقَ تُوصَفُ بالسَّعةِ والضَّيقِ. وقد عَيَّبَ على أبي تمامَ قوله: [الطويل]

بَيَظْمٍ كَطُولِ الدَّهْرِ فِي عَرْضٍ مِثْلِهِ^(٢)

وقيل: جَعَلَ لِلزَّمانِ عَرْضًا مَعَ أَنَّهُ لَا حَاجَةَ بِهِ إِلَيْهِ، إِذْ كَانَ بِذِكْرِ الطَّوْلِ قَدْ اسْتَوْفَى الْمَعْنَى الْمَقْصُودَ. وهذا من قائله ظَلَمَ صَرِيحٌ لِأَنَّهُ سَلَكَ مِثْلَ طَرِيقَةِ كُثَيِّرٍ مِنَ التَّشْبِيهِ بِالْمُجَسَّمِ، فَكَمَا قَالَ فِي الْأَخْلَاقِ لَهَا عَرْضٌ وَطُولٌ، كَذَلِكَ قَالَ فِي الزَّمانِ لَهُ طُولٌ كَذَا فِي عَرْضٍ مِثْلِهِ، وَلَا فَضْلَ. وقوله «وَرَايَلَنِي بِاطْلِي» قال سيبويه: يقال زَايَلْتُ بِمَعْنَى بَارَخْتُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ مَا زَالَ يَفْعَلُ كَذَا، لِأَنَّهُ مَعْنَاهُ مَا يَرِخُ، وَيُقَالُ زَالَ الشَّيْءُ مِنَ الشَّيْءِ يَزِيلُهُ زَيْلًا، إِذَا مَارَاهُ مِنْهُ، وَزَالَ الشَّيْءُ يَزُولُ زَوَالًا، إِذَا فَارَقَ. وَجَوَابُ الْقَسَمِ مُقَدَّمٌ عَلَيْهِ.

٢ - وَأَضْبَحْتُ لَا نَزَقًا لِلْحَاءِ وَلَا لِلْحُومِ صَدِيقِي أَكُولًا^(٣)

٣ - وَلَا سَابِقِي كَاشِحٍ نَازِحٍ بِذَخْلِ إِذَا مَا طَلَبْتُ الدُّخُولَا

أَجْرَى أَضْبَحْتُ مَجْرَى صِرْتُ. وَالتَّزَقُّ: الطَّيَاشُ الْخَفِيفُ الْعَقْلُ. وَيُقَالُ: تَزَقَّ يَنْزَقُ نَزَقًا، وَمِنْهُ تَزَقَّتْ الْفَرَسُ، إِذَا ضَرَبَتْهُ حَتَّى يَنْزَقَ وَاللَّحَاءُ: الْمَشَاتِمَةُ. يَقُولُ: اسْتَبَدَلْتُ مِنَ الْخِفَةِ وَقَارًا؛ وَمِنَ الْعَجَلَةِ أَنَاةٌ وَسُكُونًا، فَلَا يَسْتَخْفِنِي التَّزَقُّ لِمَلَا حَاةِ الرِّجَالِ، وَتَلَبَّ أَعْرَاضَ الْأَصْدِقَاءِ بِالْاِغْتِيَابِ. وَيُقَالُ لِلْمُغْتَابِ: هُوَ أَكُولٌ لِلْحُومِ النَّاسِ، كَالسَّبُعِ الضَّارِي. وَلِلنَّامِ: هُوَ أَضْرَبُ مِنْ مَسَى بِشَقَةٍ، مِنْ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مَثَلٌ نَبِيِيرٌ﴾ [القلم: الآية ١١]. وَفِي الْقُرْآنِ: ﴿يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ [الحُجَرَات: الآية ١٢]. وَقَوْلُهُ «صَدِيقِي» أَرَادَ بِهِ الْكَثْرَةَ لَا الْوَاحِدَ.

وقوله «وَلَا سَابِقِي كَاشِحٍ نَازِحٍ» فَالكَاشِحُ: الْعَدُوُّ الْبَاطِنُ الْعَدَاوَةِ. وَالنَّازِحُ: الْبَعِيدُ الدَّارِ أَوْ النَّسَبِ. وَفِي الْبَيْتِ يَحْتَمِلُ الْوَجْهَيْنِ. يَقُولُ: إِذَا سَعَيْتُ فِي طَلَبِ

(١) ديوانه ص ١٦٥.

(٢) لأبي تمام في ديوانه ٢٤٤، وعجزه:

«ووجدني من هذا وهذا أطول»

(٣) التبريزي: «فأصبحت».

إصابة الأوتار، لم يَفْتِنِي العدوُّ البعيد الدار، لأنَّ المسافات لا تمنعني عن الطَّلَبِ وإن شَقَّتْ وَثَقَلَتْ.

٤ - وَأَضْبَحْتُ أَعْدَدْتُ لِلنَّائِبَاتِ عِرْضًا بَرِيئًا وَعَضْبًا صَقِيلًا

٥ - وَوَقَعَ لِسَانِي كَحَدِّ السَّنَانِ وَرُمَحًا طَوِيلَ الْقَنَاءِ عَسُولًا

يقول: وصِرْتُ كما استنكفت من مَسَاوِي الأخلاق، وَأَخَذْتُ أَتَعَطَّفُ على مكارِمِهَا، أَعْدَدْتُ أَيْضًا لِحَوَادِثِ الدَّهْرِ نَفْسًا نَفِيَّةً مِنَ الدَّنِيَّاتِ، رَافِضَةً لِلْمُنْكَرَاتِ، وَسَيْفًا قَاطِعًا مَصْقُولًا. كَأَنَّهُ فِي وَقْتِ مَسَاعَدَةِ الْأَحْوَالِ لَهُ وَإِقْبَالِ الزَّمَانِ عَلَيْهِ، يَعْلَمُ أَنَّ الْمَقْدُورَ كَمَا يُعْطِي يَرْتَجِعُ، فَيَسْعَى فِيمَا تَسَلَّمَ مَعَهُ النَّفْسُ وَيَطِيبُ بِهِ النَّشْرَ. وَإِنَّمَا قَرَنَ بِذِكْرِ الْعِرْضِ الْمُعَدِّ أَسْلَحَتَهُ لِیُرِي اكْتِفَاءَهُ بِهَا إِذَا نَابَتِ النَّائِبَاتِ، كَمَا قَالَ غَيْرُهُ^(١): [الطويل]

فَلَمَّا نَأَتْ عَنَّا الْعَشِيرَةُ كُلُّهَا أَنْخَنَّا فَحَالَفْنَا السُّيُوفَ عَلَى الدَّهْرِ

فَمَا أَسْلَمْتَنَا عِنْدَ يَوْمِ كَرِيهَةٍ وَلَا نَحْنُ أَغْضِيْنَا الْجُفُونَ عَلَى وَثَرٍ

وقوله «وَوَقَعَ لِسَانِي» يجوز أن يكونَ من وَقَعْتُ الْحَدِيدَةَ بِالْمِطْرَقَةِ، إِذَا ضَرَبْتَهَا؛ وَمِنْهُ حَافِرٌ وَقِيعٌ، إِذَا أَثَرَتْ فِيهِ الْحَجَارَةُ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنْ وَقَعْتُ بِهِمْ وَأَوْقَعْتُ؛ وَمِنْهُ وَقَعَاتُ الدَّهْرِ وَوَقَائِعُهُ. يَقُولُ: وَأَعْدَدْتُ لَهَا لِسَانًا مُؤَثِّرًا تَأْثِيرًا شَدِيدًا، إِذَا اغْتَرَزَ فِي رِكَابِ الْقَوْلِ نَافِذًا حَدِيدًا، نَفَاذَ السَّنَانِ. وَهَذَا كَمَا قَالَ: [الرملي]

وَلِسَانًا صَيْرَفِيًّا صَارِمًا كَحُسامِ السَّيْفِ مَا مَسَّ قَطَعَ^(٢)

وقد قيل: «الْمَرْءُ بِأَصْغَرِيهِ قَلْبِهِ وَلِسَانِهِ»^(٣). وَإِذَا تَنَقَّتِ الْأَعْرَاضُ طَالَتْ الْأَلْسَنَةُ. وَكَانَتِ الشُّعْرَاءُ وَالْخُطَبَاءُ غَدَّةً لِلْقَبَائِلِ كَالرُّجَالِ وَالْأَمْوَالِ، بَلْ كَانَ الْإِنْتِفَاعُ بِمَكَانِهِمْ، وَالِدَّفَاعُ بِالسَّنْتِهِمْ أَتَمَّ وَأَكْمَلَ. وَقَوْلُهُ «وَرُمَحًا» أَيْ وَأَعْدَدْتُ رُمَحًا، وَجَعَلَهُ طَوِيلَ الْحَشْبَةِ لِأَنَّ مُسْتَعْمِلَهُ طَوِيلًا أَفْرَسُ. وَالْعَسُولُ: الشَّدِيدُ الْإِهْتَزَازُ؛ وَمِنْهُ عَسَلَانُ الذُّئْبِ، وَقَوْلُهُمْ: عَسَلُ الدَّلِيلُ فِي الطَّرِيقِ.

(١) ليحيى بن منصور الحنفي في الحماسية رقم (١٠٨).

(٢) لسويد بن أبي كاهل اليشكري في ديوانه ٣٤، واللسان (صرف)، وشرح اختيارات المفضل ٩١٧، وتاج العروس (صرف).

(٣) ذكره العجلوني في كشف الخفاء ٢: ٤٠٩.

٦ - وسابغة من جِيَادِ الدُّرُوعِ تَسْمَعُ للسيفِ فيها صليلاً

٧ - كَمَثْنِ القَدِيرِ زَهْنَةُ الدُّبُورِ يَجْرُ المَدَجُّجُ منها فُضُولاً

يقول: وأعددت لها أيضاً درعاً واسعة من خير أجناسها، يَبْنُو عنها السيف فلا يعملُ فيها، لاستحكامها وجودة سَرْدِها، إلا ما تَسْمَعُ من صليلها عند إصابتها به، صافية كأنها صفحة الماء من عَدِيرٍ هَبَّت عليه ريحُ الدُّبُورِ، فحرَّكتُه واستخفَّتُه، فصار على ظواهره حَبَابٌ يتدافع. وإذا لَبِسها المتدججُ في السَّلاح، المستعدُّ للكِفاح، فَضَّلَ عنه منها فواضِلٌ يَجْرُزُها. وهذا كما قال الآخر: [الطويل]

تُعْشِي بَنَانُ المَرْءِ والكَفِّ والقَدَمِ^(١)

والقَصْدُ في هذا إلى صفةِ الدُّرْعِ وجودتها. ولو قَصَدَ مَذْح لابسها لكان يجعلها صِدَاراً أو بَدَنَةً. على أن كَثِيرًا لما أنشد عبد الملك قوله فيه: [الطويل]

على ابنِ أبي العاصي دَلَاصٌ حَصِينَةٌ أَجَادَ المُسَدِّي سَرْدَها وأَذَالَها^(٢)

قال له: قولُ الأعشى لقيس بن معديكرب أحسنُ من قولك: [الكامل]

وإذا تَجِيءُ كَتِيبَةٌ مَلُمُومَةٌ خَرَسَاءُ يَخْشَى الذَّائِدُونَ نِهَاها

كُنْتُ المُقَدَّمُ غَيْرَ لَابِسٍ جُنَّةٍ بالسيفِ تَضْرِبُ مُغْلِمًا أَبْطَالَها

فقال كثير: يا أمير المؤمنين وصفتك بالحزم، ووصف الأعشى صاحبه بالخُزْق.

ولقائل أن يقول: إِنَّ المَبَالِغَةَ في الشعر أحسنُ من الافتقار، والأعشى أعطى المبالغة حقها، فهو أعَدُّر، وطريقته أَسْلَم.

٢٥٢ - وقالت امرأة من بني عامر^(٣): [الطويل]

١ - وَحَزَبٍ يَضِجُ القَوْمُ مِنْ نَفْيَانِها ضَجِيجُ النِّجْمَالِ النِّجْلَةِ الذِّبْرَاتِ

انعطفَ قوله «وَحَزَبٍ» على مجرورٍ تَقَدَّمَه، وليس على إضمار رُب، بدلالة قولها «سَيَتْرُكُها قوم». كأنه غَلَبَ على ظنِّها لما رأت من أماراتِ الشرِّ بين قومها

(١) هذا عجز بيت لراشد بن شهاب الشكري في المفضلية رقم (٨٦)، وصدره:

«مضاعفة جدلاء أو حطمية»

(٢) البيت في ديوانه ١٥٠.

(٣) التبريزي: «وقال أبو رياش: هي من بني قُشير». والأبيات في أشعار النساء ص ٨٣.

باستعمالهم البغي، واستيطانهم الظلم، واستبدالهم بالتحاب تباعضا وبالتعاطف تدابرا، وبالتناصر تخاذلا، وهم من جزئومة واحدة، أنه سيحدث في مؤتلف الأحوال منهم أحداث، وتظهر على مرور الأيام لدواعي الهلك آيات من كذا وكذا، وحزب يتشاكون من اشتغالها لهم، وتناولها بالمشاركة من عداهم معهم، وتجاوز القرباء بعد ذلك إلى البعداء فيهم. وهذا المعنى اقتضاه قوله «من نفيانها» لأن أصله أن يستعمل فيما يتطير من القطر عند سيلان الماء من أعلى إلى أسفل في جوانب المصب، فشبّه ما يتدافع ويتشتر من أذى الحرب في جوانب القوم به. والجلّة: المسان من الإبل. وتعني التي مع السن أضرب بها الكد، وجهدها الاستعمال، وأزمنها الدبر، فقالت: تضح العشيّة لما يقاسونه من هذا الحرب ضجيج تلك الإبل عندما تقاسي من العمل. وهذا التشبيه الصائب المتناهي في الدلالة على حالة المشبه. وقد قال الراجز في هذه الطريقة يصف حزبا:

وَأَغَشَتِ النَّاسَ الضَّجَاجُ الْأَضْجَجَا وصاحَ خاشِي شَرَّها وَهَجْهَجَا^(١)

٢ - سَيَشْرُكُهَا قَوْمٌ وَيَضْلَى بِحَرْهَا بَنُو نِسْوَةٍ لِلثُّكُلِ مُضْطَبِرَاتِ

نَبَّهَتْ بهذا إلى استفحال الحرب التي تَوَعَّدَتْ بها وتفاقم الخطب، فقالت: تَضَجَّر بها فرقة منهم فينْقُضُونَ الأيدي منها تفاديا من مُلاَبِسَتِها، ويعتزلون عنها طلبا للسلامة من عُقْبَها، وحذرا من امتدادها إلى غاية لا تُمَلِّكُ فيها الاستقالة منها؛ وَيَصْبِرُ فيها أخرى، وهم المنهمكون في إيقاد نارها، والاصطلاء بحرها، المعنون في إثارة كامنها، وإذاعة واقفها، الذين لا يبالون بما يفعلونه أو يفعل بهم، وقد تَعَوَّدَ الثُّكُلُ أمهاتهم فلا يَجْزَعْنَ لقتلهم، وأَلِفَ الأَيِّمَةُ نساؤهم فلا يحزنُ لموتهم. ومعنى «لِلثُّكُلِ» أي من أجلي، وهذه اللام في هذا الموضع قد تؤدي معنى على، فاعلمه.

٣ - فَإِنْ يَكُ ظَنِّي صَادِقًا وَهُوَ صَادِقِي بِكُمْ وَبِأَخْلَامٍ لَكُمْ صَفِرَاتِ

٤ - تُعِذُ فِيكُمْ جَزَرَ الْجَزُورِ رِمَاحُنَا وَنُمِسِكُنْ بِالْأَكْبَادِ مُنْكَسِرَاتِ

قولها «فإن يك ظني صادقا وهو صادقي» يجري منها مجرى التحذير والوعيد، وفيه بعض الاستفاءة، لأنها إذا رَهَبَتْ من القطيعة وآفاتِها، فَقَدْ رَغَبَتْ في الصلة وآياتِها. وقد

(١) للعجاج في ديوانه ٢: ٦٧، وكتاب العين ٦: ٥، وبلا نسبة في اللسان (ضجج) وتاج العروس (ضجج).

تَقَدَّمَ الْقَوْلُ فِي صَادِقًا وَصَادِقِي، وَفِي حَذَفِ الثُّونِ مِنْ يَكُ فِي الْجَزْمِ مَشْرُوحًا. وَقَوْلُهَا «وَبِأَخْلَامٍ لَكُمْ صَفِرَتْ»، أَيْ لَا خَيْرَ فِيهَا، وَقَدْ زَالَتِ الْمُسْكَةُ عَنْهَا. وَيُقَالُ: صَفِرَ الْإِنَاءُ وَغَيْرُهُ صُفُورًا، وَإِنَاءٌ صِفْرٌ وَصَفِرٌ. وَقَالَ الْخَلِيلُ: هُوَ صَفِرٌ صَحِرٌ عَلَى الْإِتْبَاعِ، أَيْ خَالٍ. وَقَوْلُهَا «تُعَذُّ فِيكُمْ جَزَرَ الْجَزُورِ» جَوَابُ الْجَزَاءِ مِنْ قَوْلِهَا، فَإِنْ يَكُ ظَنِّي صَادِقًا، كَأَنَّهَا ذَكَرَتْهُمْ حَالَةَ مُنْكَرَةٍ تَقْدُمُتْ لَهُمْ، فَلِذَلِكَ قَالَتْ: تُعَذُّ فِيكُمْ. وَالْجَزْرُ: الْقَطْعُ. وَقِيلَ الْجَزُورُ لِأَنَّهَا تُقَطَّعُ وَتُقَسَّمُ. وَالْجَزْرَةُ: الشَّاةُ تُذْبَحُ. وَيُقَالُ: تُرِكَ بَنُو فُلَانٍ جَزَرَ الرِّمَاحِ، أَيْ قُتِلُوا وَاجْتَزَتْهُمْ السُّبَاعُ. وَجَعَلَ الْإِعَادَةَ لِلرِّمَاحِ عَلَى الْإِتْسَاعِ. وَقَوْلُهُ «وَيُمْسِكُنَ بِالْأَكْبَادِ» يَرُودُ بِفَتْحِ السِّينِ، أَيْ يُضْبَطُنَ؛ وَيَرُودُ بِكسر السِّينِ: وَهُوَ ظَاهِرُ الْمَعْنَى. وَانْتَصَبَ «مَنْكَسِرَاتٍ» عَلَى الْحَالِ وَالْمُرَادُ أَنَّهُمْ يَجْرُونَ الرُّمَحَ عِنْدَ الطَّغْنِ وَيَصِييُونَ الْمَقَاتِلَ.

٢٥٣ - وَقَالَ مَعْبِدُ بْنُ عَلْقَمَةَ^(١): [الطويل]

- ١ - عُيِبْتُ عَنْ قَتْلِ الْحَتَاتِ وَلَيْتَنِي شَهِدْتُ حَتَاتًا يَوْمَ ضُرَجٍ بِالْدِّمِ^(٢)
- ٢ - وَفِي الْكَفِّ مِثِّي صَارِمٌ ذُو حَقِيقَةٍ مَتَى مَا يُقَدَّمُ فِي الضَّرِبَةِ يُقَدِّمُ
- ٣ - فَيَعْلَمَ حَيًّا مَالِكٍ وَلَفِيفُهَا بِأَنْ لَسْتُ عَنْ قَتْلِ الْحَتَاتِ بِمُحْرِمٍ

إِنَّمَا قَالَ هَذَا لِأَنَّهُ كَانَ يُسْتَبَعَدُ وَقَوْعُ قَتْلِهِ مِنْ جِهَتِهِ، إِذْ كَانَ مِنْهُ ذَا رَحِمٍ مُحْرِمٍ. فَجُمِعَ فِي كَلَامِهِ هَذَا بَيْنَ تَلَهُّفٍ عَلَى فَاتِنَةٍ، وَتَمَنٍّ عَلَى شَرِّطِ عَقْدِهِ بِهِ لَهُ، فَيَقُولُ: أُحْزِنْتُ عَنْ قَتْلِ هَذَا الرَّجُلِ يَوْمَ أُصِيبَ وَلُطِّخَ بِالْدِّمِ، فَذَهَبَتْ نَفْسُهُ فِيهِ وَتَغَيَّيْتُ، وَكُنْتُ أَوْدُ وَأَتَمَّنِّي أَنْ أَكُونَ حَاضِرَهُ، وَمَشَاهِدًا وَقْتَهُ وَحَيْنَهُ، وَمَعِيَ سَيْفٌ قَاطِعٌ يَنْفُذُ فِي الضَّرِبَةِ إِذَا أَعْمَلَ بِحَقِّهِ مِنَ الْمَضَاءِ وَحَقِيقَتِهِ، وَيَأْتِي عَلَى الْمَضْرُوبِ بِحَدِّهِ وَصِرَامَتِهِ، فَيَتَيَقَّنُ الْجَيْشَانِ وَمَنْ لَفَ لَفَهُمْ وَانْضَافَ إِلَيْهِمْ مِنْ أَوْبَاشٍ تَجَمَّعُوا لَهُمْ، وَقُمَاشٍ تَكَثَّرُوا بِهِمْ، بِأَنِّي لَسْتُ عَنْ قَتْلِ هَذَا الرَّجُلِ بِذَاهِبٍ وَلَا مُمْتَنِعٍ حَتَّى كَأَنِّي فِي حَرَمٍ. وَقَوْلُهُ «يَوْمَ ضُرَجٍ» فَهُوَ مِنَ الضَّرَجِ، وَهُوَ الْحِمْرَةُ. وَالْإِضْرِيحُ: ضَرْبٌ مِنَ الْخَزْرِ أَحْمَرٍ. وَيُقَالُ: ضَرَجْتُ الثُّوبَ، إِذَا صَبَغْتَهُ بِالْحِمْرَةِ خَاصَّةً، وَتَضَرَّجَ الْخَدُّ عِنْدَ الْحَجَلِ. وَقَوْلُهُ

(١) هذه الحماسة وردت عند التبريزي برقم (٢٠٧). ومعبد بن علقمة المازني: شاعر من الشجعان، يقال له ابن أخضر، وأخضر هو زوج أمه، له مواقف وأشعار في حرب الخوارج (ت نحو ٧٠ هـ / ٦٩٠ م). ترجمته في الكامل ٥٩١، والأعلام ٨: ١٧٧.

(٢) التبريزي: «حين ضُرَجَ».

«ذو حقيقة» فالحقيقة ما يصير إليه حَقُّ الأمر ووجوبه، وتوسَّعوا فقليل: حَاقَتْ الرجل، إذا جاذبته حقاً بينكما. ويقال «هو نَزَقُ الحَقَّاقِ»، إذا جاذَبَ في صغار الأمور. وقوله «بمُحْرِمٍ» يقال: أَحْرَمَ الرجلُ، إذا دَخَلَ في الحَرَمِ، أو في الشهر الحَرَامِ. وفَسَّرَ قول الرَّاعِي: [الكامل]

قَتَلُوا ابْنَ عَفَّانَ الْخَلِيفَةَ مُحْرِمًا^(١)

على أَنَّهُ كَانَ لَهُ حَرَمَةُ الْإِمَامَةِ وَالْبَلَدِ وَالشَّهْرِ، لِأَنَّهُ قُتِلَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي ذِي الْحِجَّةِ. وَانْتَصَبَ «فَعِلَمٌ» عَلَى أَنَّهُ جَوَابُ التَّمْنَى.

- ٤ - فَقُلْ لِزُهَيْرٍ إِنْ شِئْتَ سَرَاتِنَا فَلَسْنَا بِشَتَائِمِينَ لِلْمُتَشَتِّمِ
٥ - وَلِكِنَّا نَأْبَى الظُّلَامَ وَنَعْتَصِي بِكُلِّ رَقِيقِ الشُّفَرَتَيْنِ مُصَمِّمِ

يقول: أبلغ هذا الرجل أنك إن اعتمدت على ركوب السفه معنا، وتعمدت في مجاذبتنا سب خيارنا، وتلب أعراضنا، فإننا نربأ بأنفسنا عن مجاراتك في هذا الميدان، ومكايلتك بمكيال السباب. والمتشتم: المتحكك بالشتم والمتعرض له. ويصلح أن يكون للجنس فيدخل فيه زهير وغيره، ويصلح أن يراد به زهير خاصة. وقوله «ولكننا نأبى الظلام» يريد: لا نرضى بالذنائب، ونمتنع من التزام الظلمات، ونُدافع عن أحسابنا بكل سيف رقيق الحديد، نأفد في الضريبة. والظلام والظلمة والمظلمة واحد، وهو ما تظلم الناس بسببها بينهم. ويروى: «الظلام» بكسر الظاء، مصدر ظالمته مظالمة وظلاماً. وقوله «ونعتصي» يقال عصيت بالسيف، واعتصيت وعصوت بالعصا. ومر يعتصي على العصا، أي يتوكأ عليها. والتصميم: المضي في الأمر. ويقال: صمم في عضته، إذا تيب.

- ٦ - وَتَجْهَلُ أُنْدِينَا وَيَحْلُمُ رَأِينَا وَنَشْتِمُ بِالْأَفْعَالِ لَا بِالتَّكَلُّمِ
٧ - وَإِنَّ التَّمَادِي فِي الَّذِي كَانَ بَيْنَنَا بِكَفِّكَ فَاَسْتَاخِرْ لَهْ أَوْ تَقَدِّمِ

أفعال جملة الإنسان تُنسب إلى جوارحهم على المجاز والسعة، فلذلك نسب الجهل إلى الأيدي. والمعنى أن ما يذم من أفعال القلوب لا تكتسبه بوجه، بل فينا الرأي الثاقب، والوقار الغالب، والأنأة والجلم، والسكينة والعلم؛ فأما اليد فإذا بطشنا

(١) البيت في جمهرة أشعار العرب ١٧٦، والخزانة ١: ٥٠٣، واللسان والمقاييس (حرم) وعجزة:

«ودعا فلم أر مثله مقتولاً»

بها بطشنا جبارين. أي نَحْلُم بجَهْدنا ومقدار طاقتنا فإذا أَخْرَجنا فخرَجنا عن العادة كانت أفعال أيدينا أفعالَ الْجُهَال الذين لا رِعةَ تَرَدُّعُهُمْ، ولا رِقةَ تَضْبِطُهُمْ. وقوله «وَنَشْتِمُ بِالْأَفْعَالِ»، يقول: نجعل جزاء الشتم والمنقصة والثلب الفعل لا القول، إذ كان القول يذهب أدراج الرياح، والفعل يبقى أثره على مر الأيام. وقوله «إن الثمادي في الذي كان بيننا بكفئك» توعد. يقول: أمر اللجاج والاستمرار فيما يزيد ما بيننا فساداً أنت قادرٌ عليه، ومتمكّن من اختياره، فإن شئت فتقدّم فيه، وإن شئت فتأخّر عنه. ويقال: استأخّر واستقدم، وتقدّم وتأخّر، بمعنى واحد.

٢٥٤ - وقال أمية بن أبي الصلت^(١): [الطويل]

- ١ - غَدَوْتُكَ مَوْلُودًا وَعُلْتُكَ يَافِعًا تُعَلُّ بِمَا أَذْنِي إِلَيْكَ وَتُنْهَلُ^(٢)
- ٢ - إِذَا لَيْلَةٌ نَابَتْكَ بِالشُّكُوِّ لَمْ أَبْتَ لِشُكُوكٍ إِلَّا سَاهِرًا أَتَمَلَّمَلُ
- ٣ - كَأَنِّي أَنَا الْمَطْرُوقُ دُونَكَ بِالذِّي طَرِقتُ بِهِ دُونِي وَعَيْنِي تَهْمَلُ

اعتدّ عليه بما تجشّمه فيه بعد أن كان السبب في إبدائه وإنشائه؛ وبما أعدّ له وتكفّل به، من ابتداء الطفولة إلى انتهاء الشباب واستكمال القوة، إذ كان جارحاً ومربيّه، والقائم بمؤنه على اختلاف سنيه. ويقال: غَدَوْتُكَ غَدَوًا. والغذاء: الطعام والشراب. ويقال: غلام يافع ويقاع ويفع، وقد أيفع وأصله الارتفاع، ومنه اليفاع من الأرض والجبل. وقوله «علتُك» أي أنفقت عليك. يقول: ربّيتك لما وُلدت، ومتشكّ حين أيفعت، وفي تلك المدة تُسقى العَلَلُ والنَّهْلُ، وتُطعم الحارّ والبارد، وتُكسّى اللين والخشن، كل ذلك مما أجمعه لك، وأذنيه منك، وبعد أن أقيت من المحاذير، وأحفظك دون المتالف، شفقةً عليك، واهتماماً بشأنك، فإن طرقتك ليلةً بشكاة تؤذيك، أو عارض يضنيك، سهرت طول تلك الليلة لا أهدأ قلقلًا، ولا استنهيض لدفع ما أجده سكتًا، ولا أستلين مهادًا، ولا أثنني لمقرّر رأسي وسادًا، بل أتلوى وأضطرب، وأتململ على فراشي وأتقلب، حتّى كأتى المختصّ بما أشكاك، والمذهي بما دهاك، لا يجفّ مذمعي، ولا يوطأ مضجعي. وقوله «تعلّ بما أذني» يجوز أن

(١) أمية بن أبي الصلت: شاعر جاهلي حكيم من أهل الطائف، وهو ممن حرّموا على أنفسهم الخمر ونبذوا عبادة الأصنام أدرك الإسلام ولم يسلم. (ت ٥ هـ / ٦٢٦ م). ترجمته في: تهذيب ابن عساکر ٣: ١١٥، والأغاني ٤: ١٢٠، والشعر والشعراء ١٧٦.
(٢) التبريزي: «وثرى لابن عبد الأعلى، وقيل: هي لأبي العباس الأعمى».

يكون موضع ثعلُ صفة لقوله يافعاً، أي مغلولاً؛ ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف كأنه قال: وأنت ثعلُ وتهلُ بما أذنيه. وقوله «لم أبت لشكوك» فالشكوك والشكوى والشكاة واحد. والتملُ: القلق وترك الهدوء. ويروى «ثعلُ بما أجني عليك» والمعنى أجني لك. وهذا كما يقال: سعى فلان على ذويه، إذا سعى لهم في مصالحهم: ويقال: جنى الثمر يجني جنيًا وجنيًا. قال الأخطل: [الكامل]

ذاني الجناية مונع الأثمار^(١)

٤ - فلما بلغت السن والغاية التي إليها مدى ما كنت فيك أومل

٥ - جعلت جزائي منك جنبها وغلظة كائك أنت المنعم المتفضل

يقول: فلما تكامل منك الشباب، وتعلقت بك الآمال، وبلغت المدى المنتظر للانتفاع بك، والاستظهار بمكانك، والاضطلاع بكفايتك، وصلحت لأن تكون عدة وعدداً، وبأساً مخوفاً، وطمعاً مرجواً، أقبلت تُجازيني بإحساني إساءة، وبما استلثت من جانبي غلظة، وبما تفرّف عليك من رحمتي ورفقي ثبواً وقسوة، حتى كأن ما سأل عليك من نعمتي كان لك، وما أسبل عليك من فضلي وإفضالي كان منك؛ لا مراجعة في الأول تردك، ولا ملاحظة لعقبك تفيء بك.

والجنيّة: مقابلة الإنسان بما يكرهه.

٦ - فليت لك إذ لم تزرع حق أبوتي فقلت كما الجار المجاور يفعل^(٢)

٧ - تراه مبعداً للخلاف كأنه برّد على أهل الصوب موكل

يقول: وددت أنك إذ لم تُنلني إكبار الآباء، ولم تزرع مني حقوق الولاد والإنشاء سيزت معي بسيرة المجاور لجاره، والمرافق لرفيقه؛ فإن ذلك إذا عدّ درجات المبار، ومدّت علائق الثحاب، وتؤمل ذمم القرابة، وحرّم الصداقة، أضعف الأواخي، وأذون المراقي. ثم أخذ يُنبّه على سوء اختياره، وتماذي لجأجه، وتناهي جهله والتوائه، فقال: «تراه مبعداً للخلاف» أي جعل الخلاف على ذوي الرأي وأرباب العقل، وأولي

(١) للأخطل في ديوانه ٤٠، واللسان (حوش) وديوان الأدب ٣: ٣٦٢. وصدرة:

«وكان ظعن الحي حائش قرية»

(٢) بعد هذا البيت عند التبريزي:

«وسميتني باسم المفضّل رأيه وفي رأيك التفضيل لو كنت تعقل»

الْحَزَامَةِ والحلم، غَدَّةٌ فَكَائَتْهُ وَكُلَّ بِرَدِّ صَوَابِهِمْ. واستقْبَاحِ الْمُحَسِّنِ عندهم. فَإِنْ قِيلَ: بماذا دَخَلَ هذه الأبيات وما يتلوها - وهو في معناها - في باب الحماسة؟ قلت: دخلت فيه بالمشاكلة التي بينها وبين ما تقدمها من الأبيات، الْمُثْبِتَةُ عن المُفَاسِدَةِ بين العشائر، وما يتولَّد فيها من الإخَنِ والضغائن، الْمُنْسِيَةِ لِلتَّوَأَشِجِ والتَّنَاسُبِ، الْمُثْبِتَةُ لِهَتِكَ المَحَارِمِ، المَبِيحَةِ لِسَفْكِ الدَّمَاءِ وَقَطْعِ العِصَمِ؛ إذ كان عُقُوقُ البَنِينَ لِلآبَاءِ، وَتَنَاسِيِ الحُرَمِ، فيه مثلُ ذلك. وهو ظاهرٌ بَيِّنٌ.

٢٥٥ - وقالت امرأة من بني هِزَّان يقال لها «أم

ثَوَاب» في ابنِ لها عَقَّها:

[البسيط]

- ١ - رَبَّيْتُهُ وَهُوَ مِثْلُ الفَرْخِ أَغْظَمُهُ أُمُّ الطَّعَامِ تَرَى فِي جِلْدِهِ رَغَبًا
- ٢ - حَتَّى إِذَا آصَ كَالْفُحَّالِ شَذَبُهُ أَبَاؤُهُ وَنَفَى عَنْ مَثْنِهِ الكَرَبَا
- ٣ - أَنَشَا يُمَزَّقُ أُنُوبِي يُوَدِّبُنِي أَبَعَدَ شَبِيبِي عِنْدِي تَبْتَغِي الأَدَبَا^(١)

يقال: رَبَّيْتُهُ وَرَبَّيْتُهُ بمعْنَى. ومعنى البيت: كَانَ ابْنِي حِينَ وَلَدْتُهُ فِي ضَغْفِهِ وَصِغْرِهِ، وَتَسَاقَطَ قُوَّتُهُ، وَتَخَلَّخَ بَنِيَّتُهُ، وَرَخَاوَةُ مَفَاصِلِهِ، كَفَرْخِ القَطَاةِ وَلَمْ يَسْتَبْدِلْ بَعْدَ بَرَّغْبِهِ شَكِيرًا، وَلَا بَانْحِلَالِ عَقْدِهِ تَمَاسُكًا، فَأَقْبَلْتُ أَرْبِيَهُ وَأَعْظَمُ شَيْءٍ فِيهِ بَطْنُهُ، وَأَرْقِيهِ فِي مَدَارِجِ النُّشْرِ والترشيح وهو لَا يَمِيزُ مَا يَنْفَعُهُ مِمَّا يَضُرُّهُ، مُتَرَدِّدًا فِي الْأَحْوَالِ الَّتِي تَجْرِي إِلَيْهِ، وَتَتَغَيَّرُ عَلَيْهِ، بَيْنَ صَيَانَةٍ كَامِلَةٍ، وَشَفَقَةٍ بَارِعَةٍ، وَحِفْظِ مُتَّصِلٍ، وَإِشْفَاقِ مُطَرِّدٍ. وَتَسْمِيَتُهُ البَطْنُ بِأُمِّ الطَّعَامِ، كَمَا قِيلَ لِلجِلْدَةِ الرَّقِيقَةِ الْمُثْبَسَةِ الدَّمَاعُ أُمُّ الدَّمَاعِ، وَكَمَا سُمِّيَ المَجْرَّةُ أُمُّ النُّجُومِ، وَكُلُّ ذَلِكَ لِمَا فِي المِضَافِ وَالمِضَافِ إِلَيْهِ مِنَ الانْضِمَامِ وَالاِحتِواءِ. وَقَدْ سَمَى الشَّنْفَرَى تَابِطَ شَرًّا بِأُمِّ عِيَالٍ، فَقَالَ: [الطويل]

وَأُمُّ عِيَالٍ قَدْ شَهِدَتْ تَقَوُّتَهُمْ إِذَا أَطْعَمْتَهُمْ أَوْتَحَتْ وَأَقْلَبَتْ^(٢)

لَمَّا كَانَ يَجْمَعُ مِنْ أَمْرِ أَصْحَابِهِ وَيَتَكَفَّلُ بِهِ لَهُمْ وَيُدَبِّرُهُ. وَقَوْلُهَا «حَتَّى إِذَا آصَ كَالْفُحَّالِ» حَتَّى وَضِعَ لِلْغَايَةِ، وَأُضِيفَ إِلَى إِذَا وَمَا بَعْدَهُ مِنَ الْجُمْلَةِ الَّتِي انْشَرَحَ إِذَا

(١) التبريزي: «يتغي».

(٢) للشنفرى في ديوانه ٣٥، واللسان (حتر، أمم)، وأساس البلاغة (حتر) والأغاني ٢١: ٢١١، وديوان المفضليات ص ٢٠٣.

بها. والمعنى إلى هذا الوقت. وموضع «كالفُحَالِ» نُصِبَ على الحال. يقول: لم أزل أجري معه في تربيته وتفقيده، إلى أن استكمل شبابه، وبرز نبأه، وامتد قوامه، فصار كفحل النخل وقد قطع متعهده منه شذبه، وألقى عن ظهره كربه، ليكمل طوله، ويتم غراسه. والكرب: أصول الأعداق تُترك كالأوتاد ليُرْتَقَى بها في النخل. والفُحَال: فحل النخل خاصة، ولا يقال لغير فحلها فُحَال. والأبَار والمؤبر: المُلقح للنخل. والفُحَال لا يُؤبر، ولكن لما كان يُؤبر به النخل أضاف الأبَار إلى ضميره، على عادتهم في إضافة الشيء إلى غيره لأدنى تفلُق بينهما. ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ﴾ [الأعراف: الآية ٣٤] وفي موضع آخر: ﴿فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ﴾ [العنكبوت: الآية ٥]. ومعنى آص، قال الخليل: الأيض صيرورة الشيء شيئاً غيره وتحوله عن حاله. وقوله «أنشأ يُمزق أثوابي» هو جواب قوله حتى إذا آص كالفُحَال، وهو العامل في إذا، أغني أنشأ. ويقال: أنشأ الله الخلق، ونشأ فلان حديثاً، ثم يقال: أنشأ يفعل كذا ويقول كذا. يقول: لما بلغ هذا المبلغ ابتداء يضرني ويخرق ثيابي، مُرْشِداً ومؤدباً ثم قالت وكأنها أقبلت على إنسان غيره بحضرته تُخاطبه مُنْكَرَةً ومتعجبة: أبعد المشيب يطلب تأديبي. وهذا الكلام منها كالإشارة إلى المثل المضروب السائر في الأمم:

«من العناء رياضة الهرم»^(١)، وهو مع ذلك يجري مجرى الالتفات.

- ٤ - إني لأبصر في تزجيل لمتي وخط لخيته في خدو عجباً
٥ - قالت له عزسه يوماً لتسميني مهلاً فإن لنا في أمنا أرباً
٦ - ولو رأيتني في نار مسفرة ثم استطاعت لزادت فوقها خطباً

قولها «إني لأبصر»، يقال: أبصر الشيء وبصرته به. والبصر: العين ونفاذ القلب. وحكي أن معاوية قال لابن عباس وقد كف بصره: ما لكم يا بني هاشم تُصابون بأبصاركم إذا أسنتم؟ فقال: كما تصابون ببصائرهم عنده!! والترجيل: غسل

(١) المثل في مجمع الأمثال للميداني ٢: ٣٣٤، وذكر في قصته: أن بعض الشراة دخل على المنصور فقال له شيئاً في توبيخه فقال الشاري:

أتروض عرسك بعد ما كبرت ومن العناء رياضة الهرم
فلم يسمعه المنصور لضعف صوته فقال للربيع: ما يقول الشيخ؟ قال: يقول:
العبد عبدكم والمال مالكم فهل عذابك عني اليوم مصروف
فأمر بإطلاقه واستحسن من الربيع هذا الفعل.

الشعر ومشطه. وعَجَبًا مفعول أَبْصِرُ. ويقال: أَمَرَ عَجَبٌ وعَجِبٌ وعُجَابٌ، إذا تجاوزَ حَدَّ العَجَب. والاستعجاب: شدة التعجب. تقول: أَرَى بَعْدَ ما شَاهَدْتُهُ من طُفُولَتِهِ وضعف حَرَائِكِهِ وتنقُّل الأحوال بِهِ وقتًا بعد وقت، ونَشْئًا بعد نَشْءٍ، عَجَبًا في لِمَتِهِ وليخِيَّتِهِ المختَطَّة. أي أتعجب كيف تحوَّلَ عن تلك الحالة إلى ما أجده عليه الساعة. ثم قالت حاكِية عن زوجها ما كانت تتفوّهُ به سُمْعَةً ورياءً، وتقيمُ به سَوْقَهَا حيلةً ونفاقًا، إظهارًا لخلافٍ ما يَنْطَوِي عليه قلبُها، ويَشتمَل عليه ضميرُها: كُفَّ عن إيذاء أَمْنًا فَإِنَّا لا نستغني عنها، ولا تَتَمَسَّى أُمُورُنَا إِلَّا بِهَا وبِحَيَاتِهَا. ومعنى مَهَلًا رَفَقًا لا تَعَجِّل. وأضلَّ المَهْل والمَهْل السَّكينة والوقار، ومنه الإمهال في الدِّين. والأَرْب: الحاجة. ثم صرَّحت بما عَرَفْتُهُ من سوء نِيَّتِهَا فيها، وجرَّصها على الزيادة في مساءتها، فقالت: تَكَلَّفْتُ ذلك المقالَ منها مَلَقًا منها ومجاملة، ولو وجدْتَنِي في نارٍ مُخْرِقةٍ ثم قَدَرْتُ لَزَادَتْ في وَقُودِهَا وإضرارها. ويقال: سَعَرْتُ النَّارَ وَالشَّرَّ وأسَعَرْتُهما، وإنَّه لِمُسَعَّرُ حَرْبٍ.

٢٥٦ - وقال ابنُ السَّلماني^(١): [الطويل]

١ - لَعَمْرُكَ إِنِّي بِيَوْمِ سَلْعٍ لِّلْأَتَمِّ لِنَفْسِي وَلَكِنْ مَا يَرُدُّ التَّلَوِّمُ^(٢)

سَلْعٌ: موضعٌ أضاف اليَوْمَ إليه تعريقًا. وَحِكْيِي السَّلْعُ: شَقٌّ في الْجَبَل، ومنه قيل: تَسَلَّعَتْ رِجْلُهُ، إِذَا تَشَقَّقَتْ. وكانَ قولهم: «هَادِ مِسْلَعٌ»^(٣) من هذا، أَي يَشُقُّ أَجْوَازَ الْفَلَاةِ شَقًّا. وَاللَّامُ من «لَعَمْرُكَ» لَامُ الْإِبْتِدَاءِ، وخبر المبتدأ محذوف. ولا يَجِيء «عَمْرُو» في الْقَسَمِ إِلَّا مَفْتُوحَ الْعَيْنِ، وَإِنْ كَانَ الضَّمُّ لُغَةً فِيهِ، وَمَعْنَاهُ الْبَقَاءُ. وَالتَّلَوُّمُ: تَكْلَفُ اللَّوْمِ، فَهُوَ كَالْتَذَمِّ. يَقُولُ: وَبِقَائِكَ إِنِّي فِي هَذَا الْيَوْمِ لَعَاتِبٌ عَلَى نَفْسِي وَمُقَرَّعٌ لَهَا، وَلَكِنْ مَاذَا يُغْنِي التَّعْتَبُ وَالْأَمْرُ فَائِتٌ. وَقَوْلُهُ «مَا يَرُدُّ» يَجُوزُ أَنْ يَرَادَ

(١) التبريزي: «ابن السليمان».

(٢) سلع: اسم يطلق على عدة مواضع، فهو جبل بسوق المدينة، أو هو موضع بقرب المدينة وأيضًا حصن بوادي موسى عليه السلام بقرب بيت المقدس. وقد وردت الأبيات في معجم البلدان (سلع)، وقال ابن السلمي، وكان إبراهيم بن عربي والي اليمامة قبض عليه وحمل إلى المدينة مأسورًا فلما مرَّ بسلع قال هذه الأبيات.

(٣) هذا مقطع من بيت لسعدى الجهنية ترثي أخاها أسعد:

سباق عادية ورأس سرية ومقاتل بطل وهاد مسلح

به ما يَرْجِعُ، ويجوز أن يكون بمعنى ما ينفع. ويقال: هذا أَرُدُّ عليك، أي أَنْفَعُ. وموضع «ما» يجوز أن يكون مفعولاً، ويجوز أن يكون مبتدأ.

٢ - أَلْمَكْنْتُ مِنْ نَفْسِي عَدُوِّي ضَلَّةً أَلْهَقَى عَلَى مَا فَاتَ لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ

قوله «أَلْمَكْنْتُ» لفظه الاستفهام، ومعناه التقرير والتوبيخ. وهذا الكلام هو صريح لَوَمِهِ لِنَفْسِهِ، فيجوز أن يكون حَذَفَ قَبْلَهُ لَفْظَةً قَائِلٍ، كَأَنَّهُ قَالَ: إِنِّي لَأَتَمُّ لِنَفْسِي وَقَائِلُ أَلْمَكْنْتُ. ويجوز أن يكون استأنف عَذَلَ نَفْسَهُ مِنْ بَعْدِ أَيْضًا. وقوله «ضَلَّةً» مصدر في موضع الحال، ويجوز أن يكون مفعولاً له، أي فَعَلْتُ ذَلِكَ ضَالًّا أَوْ لِإِضْلالِي. وأصل الضلال الذهاب عن القصد. ويقال ضَلَلْتُ مَكَانِي، بكسر اللام وفتحها، إذا لم تهتد إليه وأضللْتُ بعيري، إذا شَرَدَ فَذَهَبَ عَنْكَ. وقوله «أَلْهَقَى عَلَى مَا فَاتَ» تحسّر وتأسف، وهو كلامٌ مستقلٌ بنفسه. وقوله «لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ» تنذم على ما قَصُرَ فِيهِ مِنَ النَّظَرِ وَالْفَحْصِ، والكشف عن عُقْبَى الْأَمْرِ. وأَعْلَمُ مفعوله محذوف، وهو بمعنى أَعْرِفُ، فيكتفي بمفعول واحد، كَأَنَّهُ أَرَادَ: لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ مَعْيَبَةً. وجواب لو محذوف، أي لو علمتُ ما تنذمتُ ولا شقيتُ، وهذه اللفظة هَجَرِي كُلِّ مَتَوَانٍ فِي الشَّيْءِ حَتَّى يَفُوتَهُ أَوْ يُكَابِدَ الْمَكْرُوهَ فِيهِ. والبيت على ثلاثة فصول، كُلُّ فَصْلٍ مِنْهَا يَنْفَرِدُ بِمَبْنَاهِ وَلَا يَفْتَقِرُ إِلَى سِوَاهُ. فالأول قوله «أَلْمَكْنْتُ مِنْ نَفْسِي عَدُوِّي ضَلَّةً» كأنه يستنكر ما اتفق منه ضلالاً، فأخذ يستفهم تقريراً وعتاباً. والثاني «أَلْهَقَى عَلَى مَا فَاتَ»، وقد تقدّم القول في إعراب «أَلْهَقَى». والثالث قوله «لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ» أي لو علمتُ لتحزمت.

٣ - لَوَأَنَّ صُدُورَ الْأَمْرِ يَنْبُدُونَ لِلْفَتَى كَأَعْقَابِهِ لَمْ تُلْفِهِ يَتَنَذَّمُ

هذا معذرة فيما سَهَا عَنْهُ وَمَسْلَاةٌ عَمَّا بُلِيَ بِهِ فَتَحَزَّنَ لَهُ. وقوله «لَوَأَنَّ صُدُورَ الْأَمْرِ»، هو حذف المضاف، والمراد: لو أَنَّ مَوْدِيَّاتِ صُدُورِ الْأَمْرِ وَمُسَبِّبَاتِهِ تَظْهَرُ لِلْفَتَى كَمَا تَظْهَرُ لَهُ عِنْدَ أَعْمَاجِهِ، لَمْ تَرَهُ نَادِمًا عَلَى فَائِتٍ، وَلَا جَارِعًا لِثَرِّ هَالِكٍ. وفي طريقته قولُ ابْنِ الرُّقَيَّاتِ: [البسيط]

فِي مُقْبِلِ الْأَمْرِ تَشْبِيهُ وَمُذْبِرُهُ كَأَنَّمَا فِيهِ بِاللَّيْلِ الْمَصَابِيحُ

٤ - لَعَمْرِي لَقَدْ كَانَتْ فِجَاجَ عَرِيضَةٍ وَلَيْلَ سُحَامِي الْجَنَاحِينَ أَذْهَمُ

٥ - إِذِ الْأَرْضُ لَمْ تَجْهَلْ عَلَيَّ فُرُوجُهَا وَإِذْ لِي عَنْ دَارِ الْهَوَانِ مُرَاعِمُ

هذا تَذَكُّرٌ لموارد مَخْلَصِهِ من الأمر الذي لُزَّ به، والبلاء الذي استَأَسَرَ له، وَتَحَسُّرٌ في عُدُولِهِ عن مَدَارِجِ الْحَزْمِ فيه، وانتهاز الفُرْصَةِ في الممكن منه، اغترارًا بما لم يَجُزْ السُّكُونُ إليه، وانتظارًا لما لم يَصْلَحِ الاعتماد عليه، حَتَّى يَتِمَّكَنَ طَالِبُهُ من مُرَادِهِ فيه، وانشِدَتِ الطَّرَقَاتُ بينه وبين ما يَرومه من بُغْدٍ عنه، واحترارًا منه؛ فقال متهافِتًا: لَعَمْرِي لقد كانت لي سُبُلٌ واسعةٌ يمكنني سلوكُها، لا مُدَافِعٌ دونها ولا ممانع، وَلَيْلٌ أَسْوَدُ الطَّرْفَيْنِ مظلم، يَسْتُرُنِي إذا رَكِبْتُهُ، وَيُسَاعِدُنِي على مجانبته ما أَخَذَرُهُ، لا مُجاذِبٌ عنه ولا مُنَازِعٌ. وكانَ من قوله «لقد كانتُ فِجَاجٌ» هو كانَ التَّامَّةُ المستغنيَّةُ عن الخبر. وقوله «وليلٌ سُخاميٌّ» فالسُّخَامُ: الأسود، كأنه يريدُ سِرَارَ الشَّهْرِ؛ ومنه سَخَمَ اللهُ وجهه، أي سَوَّدَهُ. والسُّخاميُّ المنسوبُ، في معناه، ومثله الدَّوَّارِي والدَّوَّارُ من قوله: [الرجز]

والدَّهْرُ بِالْإِنْسَانِ دَوَّارِيٌّ^(١)

ويجوز أن يريدَ بالسُّخاميِّ الجَنَاحِينَ، اللَّيْنِ وَقِلَّةُ الآفَاتِ في جوانبه؛ فإنَّ السُّخامَ الرِّيشَ اللَّيْنِ تحت الجَنَاحِ؛ لأنَّ قوله أذهمَّ قد دَلَّ على الظُّلْمَةِ.

وقوله «إِذْ الأَرْضُ» إِذْ لما مَضَى، وقد شُرحَ بالجملة التي أَضَيَّفَ إليها ومعنى «لَمْ تَجْهَلْ عَلَيَّ فِرَاجُهَا»، أي تُعَوِّرُها ومواضعُ المخافة منها كانت عَلَيَّ مَعَالِمٌ لا مَجَاهِلٌ، فادري كيف آتَيْها، وَأَنْفَذَ في قَطْعِها والخروج منها، لا أَتَهَيَّبُ ولا أَتَحَيَّرُ. ويقال: جَهَلُ فُلَانٍ عَلَيَّ، إِذَا شَقَّ عَلَيْكَ، قال الشاعر: [البسيط]

جَهْلًا عَلَيَّ وَجُبْنَا عَنْ عَدُوِّهِمْ لَبِثْتِ الْخَلَّتَانِ الْجَهْلُ وَالْجُبْنُ^(٢)

وقوله «وَإِذْ لِي عَنْ دَارِ الْهُوَانِ مُرَاعِمٌ» الأصل في المِراغمة الهِجْرَانُ، يقال: فُلَانٌ يُرَاعِمُ أَهْلَهُ أَيَّامًا ثُمَّ يَرْجِعُ. وفي القرآن: ﴿يَجِدُ فِي الْأَرْضِ مُرَعْمًا كَثِيرًا﴾ [النساء: الآية ١٠٠]، أي مُتَسَعًّا لهِجْرَتِهِ.

- ٦ - فَلَوْ شِيتُ إِذْ بِالْأَمْرِ يُسْرَ لَقَلَّصْتُ بِرَخْلِي فَنَلَاءَ الذَّرَاعَيْنِ عَيْنَهُمْ
٧ - عَلَيْهَا دَلِيلٌ بِالْبِلَادِ نَهَارَهُ وَبِالْأَلِيلِ لَا يُخْطِي لَهَا الْقَصْدَ مَنَسِمٌ^(٣)

(١) للعجاج في ديوانه ٦٦، واللسان والمقاييس (دور).

(٢) لقعناب ابن أم صاحب في اللسان (وزن). (٣) التبريزي: «دليلٌ بالفلاة».

يُخْبِر عن نفسه بأنه إنما أتى من تقصيره وتهاونه فيما وجب من جده وتشميره، فيقول: لو أردت حين كان الخطب أيسر، وأسباب المنع أقصر، لَخَفْتُ بي وشمرت في الانتقال عن دار المذلة والهوان، ناقة في ذراعيها قتل. والقتل هو تباعد المرفقين عن الزور، لثلا يصير حارًا ولا ناكثًا ولا ضاعطًا. والعينهم والعينهم: الناقة الماضية، وكذلك العيهامة؛ وقيل هي الطويلة العنق، الضخمة الرأس، وذلك محمود في صفاتها. وقوله «عليها دليل بالبلاد» فإنه يعني به نفسه. وبالبلاد أراد به في البلاد، كما يقال: فلان بالبصرة وفي البصرة. ويجوز أن يكون أجرى قوله «دليل» مجرى عارف وعالم، فلذلك أتى بالباء. وقوله «وبالليل لا يُخطي لها القصد منسيم»، أي ليصره لا يخطيء منسيم بغيره فيزيغ عن القصد. وهذا وإن جعله من صفة البعير فالمراد به أنه هاد خريث. والدليل أصله فاعل الدلالة، فهو كالدل، وقد توسع فيه. والبلد: الأرض وإن لم تخطط.

٢٥٧ - وقال آخر:

[المنسرح]

- ١ - أخذت بيضاء للخروب ومض
- ٢ - وفارجا نبعة وملء جف
- ٣ - وأزحيا غضبا وذا خصل
- ٤ - يملأ عينيك بالفناء ويز

تجح في هذه الأبيات بهمة في جمع آله ليوم حاجته، فأخذ يذكر الشيء بعد الشيء من عذته وعتاده، على ما يسره له مر الأيام في جده وجهاده، فقال: هيأت لملاقاة الأبطال ومناوشة الرجال دزعا لم يشنها صدا، ولم يعجبها في السرد خلل، وسيفا مسنون الحدين، مصقول الصفحتين، يقطع البيض ويفصل الحلق. والقضم: الكسر بلا بينونة، والقضم: الكسر مع بينونة.

وقوله «وفارجا» أي وأعدت فارجا، وهو القوس المتباعدة الوتر عن الكبد، وكذلك الفرج. وقوله «نبعة» أي هي قضيب وليست بشقة. والنبع أجود شجر يتخذ

(١) التبريزي: «ورقا: والورق يريد ورق الحواء، وهو يشبه النصال المشاقص، وهي العراض التي في وسط كل نصل منها عيز» وغير النصل: الناء في وسطه.

(٢) التبريزي: «سابعًا ثيقًا».

منه القسيّ العربيّة، وجعلَه صفةً لأنه ضمَّته معنى الصفات. وعلى هذا أسماء الأجناس، كقولك هذا خاتمٌ حديد، متى وصفتَ بها تَصَمَّنَ معنى فِعل. وقوله «ومِلءٌ جَفِيرٍ» المِلءُ: القَدْرُ الذي يُمَلَأُ به الظُّرف، والمِلءُ بالفتح المصدر. والجفير: كِنَانَةُ الثَّبَلِ إذا كانت واسعة من خَشَبٍ، والجَفَرُ في البئر منه. وقوله «من نِصَالٍ» أراد بها نِيَالًا رُكِبَتْ فيها نِصَالٌ بيضٌ تَلَالُأُ فَتُخَسَّبُ فِضَّةً.

وقوله «وأريحياً عَضْبًا» يعني رجلًا يَرتاحُ للنفاد في الأمور الصَّعَابِ والمَضَاءِ وَيَهْتَرُ، والمراد به نفسه^(١). والعَضْبُ: القاطع. وقد مرَّ القولُ في تصرُّفه. وقوله «وذا خُصَلٍ» يعني به فَرَسًا له خُصَلٌ من الشَّعر مُخْلَوِّقُ المَثْنِ، أي مصنوعًا أَمْلَسَ المَثْنِ شديد المَلَاسَةِ، لأنَّ مُفْعَوِعَلًا من أبنية المبالغة. على هذا قولهم اعشَوْشَبَتِ الأرضُ فهي معشوشِبةٌ. والتَّيَقُّ: الممتلئ نشاطًا. وقوله «يَمَلَأُ عَيْنِكَ بالفِئَاءِ»، في طريقته قول الآخر^(٢): [الهج]

يَزِينُ البَيْنَ مَرْبُوطًا وَيَشْفِي قَرَمَ الرُّكْبِ

والعِقَابُ: جمع العَقَبِ، وهو الجَزِي بعد الجَري. وقال الخليل: إذا كان للفرَسِ جَمَامٌ بعد انقطاع الجَزِي قيل: عِقَابٌ. والتَّرْقُ: الخِفَّةُ والعَجَلَةُ. ويقال تَرَقَّتْ الفَرَسُ، إذا ضربته حتى يَتَرَقُّ. ومعنى «يَمَلَأُ عَيْنِكَ»، أي يشغلُهما محاسنُها حتى لا تَتَّسِعَ لغيرها.

٢٥٨ - وقال قتادة بن مسلمة الحنفي^(٣): [الكامل]

١ - بَكَرَتْ عَلَيَّ مِنَ السَّفَاهِ تَلُومُنِي سَفَهَا تُعْجِزُ بَغْلَهَا وَتَلُومُ

البيت على كلامين، وذلك أنَّ المِصْرَاعَ الأولَ إخبارٌ عن زوجته بسوء عشرتها، وتوجيهها العَثَبَ عليه في غير كُنْهه؛ والمِصْرَاعُ الثاني رُجُوعٌ منه عليها فيما أنكَرَتْ، ورَدٌّ للعَثَبِ إليها لما تَجَرَّمَتْ. وقال «تَلُومُنِي» في الصَّدْرِ وفي العَجْزِ «تُعْجِزُ بَغْلَهَا»

(١) التبريزي: «قال أبو العلاء: يجوز أن يكون وصف السيف بأريحتي لأنه يَهْزُ فكَانَهُ يَرتاح للضرب».

(٢) لأبي دؤاد في ديوانه ٢٩٠، وأساس البلاغة (قزم)، ويلا نسبة في كتاب العين ٥: ١٥٩، ولعقبة بن سابق الجرمي في الخيل لأبي عبيدة ١٦٠.

(٣) قتادة بن مسلمة الحنفي: شاعر جاهلي أجاز الحارث بن ظالم المري حين قتل خالد بن جعفر بن كلاب، والقصة في الأغاني ١١: ١٢٠ (دار الكتب العلمية).

وهما واحدٌ، على عادتهم في تصريفهم الكلام عند الأمن من الالتباس، فيقول: ابتكرت عليّ تلومني، وتُسبّي إلى العجز، من السّفاء، أي ممّا تصوّرتَه من أحوالي. ثم أخذ يَجَبِّهها ويُسَفِّه قولها وفعلها فقال: سَفَّها تُعَجِّزُ بَعْلَهَا، أي تعجيزها لي وتقريعها إياي لسفّهما، وجَهَلها بموارد الأمور ومصادرها. والسّفهُ والسّفاء والسّفاهة: الخِفة والاضطراب. ويقال: تَسَفَّهَت الرِّيحُ الغُصُونُ، إذا حَرَكَتها. والبُكُورُ، أصله الابتداء، ولذلك قيل لأوّل الثّمار بُكْرَة. وتَلُومُني في موضع الحال، والعاملُ فيه بَكَرَتْ. وانتَصَبَ سَفَّها على أنه مفعولٌ له وقد قُدِّمَ. والبَغْلُ، أصله التّكاح، ولذلك قيل للمرأة بَعْلَةٌ أيضًا، وقد ابْتَعَلَتْ وَتَبَعَلَتْ، أي أطاعت زوجها.

٢ - لَمَّا رَأَيْتَنِي قَدْ رُزِيْتُ فَوَارِسِي وَيَدَّتْ بِجَنَسِي نَهْكَةً وَكُلُومٌ
جوابٌ لَمَّا تَقَدَّمَ، وهو بكرت عليّ. كأنّ هذا الشاعر لاقى هو أعداءه ومنايذيه، بأصحابه ومعاونيه، فكانت الدُّبْرَةُ عليه وعليهم، فَجُرَحَ هو وقُتِلَ أولئك، فعَدَّتْ أمراته تلك الفعلة منه وما اتَّفَقَ عليه سَفَّها ودَنَبًا يستحقُّ لهما اللّوم، فَطَفِقت باكرةً عليه تُعَجِّزه وتؤنِّبه. والنّهْكةُ: التأثير، يقال بانَّتْ عليه نَهْكةُ العِلَّةِ والمصيبة. ومعنى رُزِيْتُ: أَصِبتُ بهم. وتقدّم القول في مجيء الفوارس جنمًا لصفات المُدَكَّر يُغْنِي عن إعادته.

٣ - مَا كُنْتُ أَوَّلَ مَنْ أَصَابَ بِنَكْبَةٍ دَهْرٌ وَحَيٍّ بِاسِلُونِ صَمِيمٍ
قوله «من أصاب» نِكْرَة تُفِيدُ الكثرة، والمراد أَوَّلَ إنسانٍ أَصَابَهُ بِنَكْبَةٍ دَهْرٌ. وهذا على عادتهم في نسبة الحوادث إلى الدهر، كما قال بعضهم^(١): [الكامل]

يَا دَهْرُ قَدْ أَكْثَرْتَ فَجَعَلْتَنَا بِسَرَاتِنَا وَوَقَزْتَ فِي الْعَظْمِ

فأما تنكيره للدهر فقد حُكي عن أبي زيد وأبي عبيدة ويونس أنّ الدهر والزمان والزمن والحين، يقع على محدودٍ وغير محدود، وعلى عُمُر الدنيا من أوله إلى آخره. وقال الخليل: الأبدُ الدهر الممدود، ويُجَعَلُ اسمًا للنّازلة. ويقال: دَهْرٌ من الدهر، لِبَعْضِهِ، كما يقال حِينٌ من الدهر. وقد اشتق منه فقيل: إنها لَدَاهِرَةُ الطُّولِ، أي طويلة جدًا. والشاعر أراد بما قاله التجلُّد للشامت والتسلي من المصاب، وأن يظهر لمن

(١) للأعشى في ملحقات ديوانه ٢٥٨، واللسان (وقر)، وللحارث بن وعلة الذهلي في تاج العروس (وقر).

أَلْقَى السَّمْعَ جَهْلَ امْرَأَتِهِ وَعُدُولَهَا عَنِ الصَّوَابِ. وقوله «وَحَيٌّ بِاسِلُونِ صَمِيمٌ»، فالبُسُولُ: غُبُوسَةُ الشَّجَاعَةِ والغَضَبُ. ويقال: بَسُلْ واستَبَسَّلْ. والصَّمِيمُ: خَالِصَةُ الشَّيْءِ وما به قَوَامُهُ؛ ومنه قيل صَمِيمُ الصَّيْفِ والشتاء. ويقال للرَّجُلِ: هو من صَمِيمِ قَوْمِهِ، أي من مَخْضِ أَصْلِهِمْ. ويوصَفُ بالصَّمِيمِ الواحدُ والجميعُ.

٤ - قَاتَلْتُهُمْ حَتَّى تَكَافَأَ جَمْعُهُمْ وَالْحَيْلُ فِي سَبَلِ الدِّمَاءِ تَعُومُ

معنى تكافأ جمعهم: انكفؤوا فهزموا. وهذا من الكَفءِ: قَلْبِكَ الشَّيْءَ لَوَجْهِهِ. ومنه كَفَأْتُ الإِنَاءَ، إِذَا قَلْبْتَهُ. ويجوز أن يكون من الكُفءِ: التَّظْيِيرِ والمِثْلِ، ويكون المعنى تكافؤوا في مُدَافَعَتِي ومُقَاوَمَتِي، أي تَسَاوَوْا حَتَّى لَمْ يَفْضَلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَلَى الْآخَرِ فِي ذَلِكَ. وعلى هذا ما رُوِيَ فِي الْخَبَرِ: «الْمُسْلِمُونَ تَكَافَأُوا دِمَاؤَهُمْ». وَالسَّبَلُ: مَا سَالَ مِنَ الْمَطَرِ وَالدَّمِ، وَمِنْهُ أَسْبَلُ السَّيْرِ وَالْإِزَارِ، إِذَا أَرَخَاهُمَا. وَمَعْنَى تَعُومُ: تَسْبَحُ؛ وَيُسَمَّى الْفَرَسُ عَوَامًا، لَسَبْحِهَا فِي الْجَزْيِ. وعلى التشبيه قالوا: التَّجُومُ تَعُومُ فِي الْفَلَكَ. ومراد الشاعرِ اقتصاصُ الحال، وَأَنَّهُ قَدْ أَذَى مَا كَانَ إِلَيْهِ مِنَ الْمَجَاهِدَةِ، فَلَا تَبَعَةَ عَلَيْهِ.

٥ - إِذْ تَنَقَّيْ بِسَرَاةٍ آلٍ مُقَاعِسٍ حَذَرَ الْأَسِنَّةِ وَالسُّيُوفِ تَمِيمٌ^(١)

قوله «إِذْ تَنَقَّيْ» ظَرَفَ لِقَوْلِهِ تَعُومُ. وَاتَّقَاءُ: أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ مُحْذُورِكَ شَيْئًا يَقِيلُكَ. وَالسَّرَاةُ: جَمْعُ سَرِيٍّ، وَالْفِعْلُ مِنْهُ سَرَا يَسْرُو، وَلَمْ يَجِءْ فِي الْمَعْتَلِّ فَعْلَةً فِي الْجَمْعِ إِلَّا هَذَا؛ لِأَنَّ هَذَا الْبِنَاءَ يَخْتَصُّ بِالصَّحِيحِ، نَحْوُ فَسَقَةٍ وَكُتْبَةٍ، فَهُوَ بِلِزَاءِ فَعْلَةٍ مِنَ الْمَعْتَلِّ نَحْوُ قُضَاةٍ وَرُمَاةٍ. وَانْتَصَبَ «حَذَرَ الْأَسِنَّةِ» عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ لَهُ، وَتَمِيمٌ يَرْتَفِعُ بِفِعْلِهِمْ، وَهُوَ تَنَقَّيْ، وَالتَّقْدِيرُ: إِذْ تَنَقَّيْ وَحِينَ تَنَقَّيْ بِسَرَاةٍ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ تَمِيمٌ حَذَرًا مِنَ الْأَسِنَّةِ وَالسُّيُوفِ.

٦ - لَمْ أَلَقْ قَبْلَهُمْ قَوَارِسَ مِثْلَهُمْ أَخْمَى وَهُنَّ هَوَازِمٌ وَهَزِيمٌ

يجوز أن يكون عَنَى بِالْقَوَارِسِ أَصْحَابَهُ الَّذِينَ فُجِعَ بِهِمْ، فَبَيَّنَ أَنَّهُمْ لَمْ يُؤْتُوا فِيمَا مَثُوا بِهِ مِنْ ضَفْفٍ وَقَشَلٍ، وَلَا مِنْ تَقْصِيرٍ وَكَسَلٍ، بَلْ حَامَوْا عَنْ أَحْسَابِهِمْ جَهْدَهُمْ، وَدَافَعُوا عَنْ أَعْرَاضِهِمْ طَاقَتَهُمْ، حَتَّى لَمْ يُبْقُوا غَايَةً يَتَعَلَّقُ بِهَا حُسْنُ الْمَحَافَظَةِ إِلَّا أَشْرَفُوا عَلَيْهَا، وَرَامُوا بِجَهْدِ الْمِمَارَسَةِ تَجَاوُزَهَا. وَيَكُونُ فِي وَصْفِ أَصْحَابِهِ بِهِذِهِ

(١) التبريزي: «حَذَّ الْأَسِنَّةِ».

الصِّفَةِ عَلَى الْحَدِّ الَّذِي عَلَيْهِ فِي وَصْفِ نَفْسِهِ بِقَوْلِهِ «قَاتَلْتُهُمْ حَتَّى تَكَافَأَ جَمْعُهُمْ» وَبِقَوْلِهِ «يَمْنُتُ كَبَشَهُمْ بِطَغْنَةٍ فَيَصِلَ». وَإِنَّمَا تَكَلَّفَ كُلُّ ذَلِكَ لِيَقِيمَ عُذْرَ نَفْسِهِ وَعُذْرَهُمْ فِي مَا اتَّفَقَ عَلَيْهِمْ، وَلِيُرِيَ أَنَّ مَا لَزِمَهُ وَإِيَّاهُمْ قَدْ أُدِّيَ بِتَمَامِهِ، وَإِنْ حَالَ مَحْتَوُّ الْقَدَرِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ النُّجَاحِ. وَيجوز أن يكون المراد بهم فُرْسَانُ الْأَعْدَاءِ، وَيكُونُ ثَنَاءً عَلَيْهِمْ عَلَى عَادَتِهِمْ فِي الرُّفْعِ مِنَ الْخَصْمِ عِنْدَ اقْتِصَاصِ الْأَحْوَالِ، وَتُسَبِّحَتُهُ فِيهَا تَجَاذُبُهُ إِلَى الْغَنَاءِ وَالِاسْتِقْلَالِ، وَكَمَالِ الشَّدَّةِ وَالِاضْطِلَاعِ، لِيَكُونَ صُورَتُهُ غَالِيًا وَمَغْلُوبًا أَحْسَنَ، وَالِاعْتِدَادُ بِمَجَارَاتِهِ وَمَجَاذِبَتِهِ أَزْفَرَ وَأَبْلَغَ فَأَمَّا قَوْلُهُ «أَخْمَى» فَالْمُرَادُ بِهِ أَخْمَى مِنْهُمْ، فَحَذَفَ. وَهَذَا الْحَذْفُ مِنْ أَفْعَلَ الَّذِي يَتِمُّ بِمَنْ يَجُوزُ إِذَا وَقَعَ خَبَرًا لَا صِفَةً، وَقَدْ تَقَدَّمَ الْقَوْلُ فِيهِ. أَي لَمْ أَلْقُ فُرْسَانًا مِثْلَهُمْ قَبْلَهُمْ هُمْ أَخْمَى مِنْهُمْ هَازِمِينَ وَمَهْزُومِينَ. وَقَوْلُهُ «وَهُنَّ هَوَازِمٌ» الْوَائِي وَوَالْحَالِ، وَالضَّمِيرُ مِنْهُ لِفِرْقِ الْخَيْلِ وَطَوَائِفِهَا، وَلِهَذَا قَالَ هَوَازِمٌ، لَمَّا كَانَ فَوَاعِلَ يَخْتَصُّ بِجَمْعِ الْمُؤَنَّثِ إِلَّا فِي الْأَحْرَفِ الْمَعْدُودَةِ عِنْدَ الْكَلَامِ فِي فَوَارِسَ. وَمِثْلُ هَوَازِمَ قَوْلُهُمُ الْخَوَارِجُ - لِأَنَّ الْمُرَادَ بِهِ الْفِرْقُ - وَمَا أُنْشَدَنَاهُ أَبُو عَلِيٍّ النَّحْوِيُّ الْفَارِسِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ، لِلْقَطَامِيِّ: [الوافر]

قَوَارِشُ بِالرَّمَاكِ كَأَنَّ فِيهَا شَوَاطِينَ يَنْتَزِعْنَ بِهَا انْتِزَاعًا^(١)

قال: وجاء في شعره أيضًا: [الطويل]

مَا يَنَامُ سَوَافِرُهُ^(٢)

ثم قال: لا يمتنع أن يكون سَوَافِرُ جَمْعُ سَافِرٍ الَّذِي هُوَ الْمَصْدَرُ، كَمَا قَالَ الْآخَرُ: [السريع]

فَقَدْ رَأَى الرَّأُوْنَ غَيْرَ الْبُطْلِ

فَجَمَعَ بَاطِلًا عَلَى الْبُطْلِ، وَالْبَاطِلُ مَصْدَرٌ، تَقُولُ قَدْ قَلْتُ بَاطِلًا كَمَا تَقُولُ قَدْ قَلْتُ حَقًّا. فَأَمَّا قَوْلُهُ «وَهُوَ هَزِيمٌ» فَهُوَ فَعِيلٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ، وَالْمُرَادُ بِهِ الْكَثْرَةُ لَا الْوَاحِدَ، كَأَنَّهُ قَالَ وَهُنَّ مِنْ بَيْنِ هَازِمَةٍ وَمَهْزُومَةٍ.

(١) للقطامي في ديوانه ٣٣، واللسان (قرش)، وكتاب العين ٦: ٢٥٦، وتاج العروس (قرش، نزع).

(٢) البيت بتمامه في ديوان القطامي:

تعارض براق المتون موقعا رضى الحصى ليست تنام سوافره

- ٧ - لَمَّا التَّقَى الصَّفَّانِ وَاخْتَلَفَ الْقَنَا وَالْخَيْلُ فِي رَهَجِ الْغُبَارِ أَزُومُ^(١)
 ٨ - فِي النَّفْعِ سَاهِمَةُ الْوُجُوهِ عَوَابِسُ وَبِهِنَّ مِنْ دَغْسِ الرَّمَاكِ كُلُّوْمُ
 ٩ - يَمْنُتُ كَبَشَهُمْ بَطْعَنَةً فَيَصِلُ فَهَوَى لِحَرْ الْوَجْهِ وَهُوَ ذِمِيمُ^(٢)

لَمَّا هَذِهِ عَلَّمَ لِلظَّرَفِ، وَهُوَ لَوْ قَوَّعَ الشَّيْءَ لَوْ قَوَّعَ غَيْرَهُ، وَجَوَابُهُ يَجِيءُ مِنْ بَعْدُ، وَهُوَ قَوْلُهُ «يَمْنُتُ كَبَشَهُمْ». فيقول: لَمَّا تَوَاقَفَ الْفَتَاتَانِ فِي مَصَافَّهِنَّ، وَاشْتَجَرَتِ الرَّمَاكِ بِالطَّعْنِ بَيْنَهُنَّ، وَالدَّوَابُّ عَوَاضُ عَلَى لُجْمِهَا فِي الْقَتَامِ السَّاطِعِ، مَتَغَيَّرَةُ الْأَلْوَانِ لِاسْتِدَادِ الشَّرِّ اللَّازِمِ، كَوَالِحِ الْوَجْهِ لَمَّا يَقَعُ بِهَا مِنَ الطَّعْنِ الدَّرَاكِ، وَالدَّفْعِ بِالرَّمَاكِ، قَصْدُ رَأْسِهِمْ بَطْعَنَةَ رَجُلٍ يَقْضِي الْأَمْرَ، وَيَفْصِلُ الْعُمَرَ، فَسَقَطَ لَوَجْهُهُ وَهُوَ مَذْمُومٌ لَعَتْوُهُ وَبَغْيُهُ. وَقَوْلُهُ «أَزُومُ» جَمْعُ آزِمٍ، وَالْأَزْمُ: الْإِمْسَاكُ وَالْعَضُّ، وَكُنِيَ بِهِ عَنِ الْحَنِمَةِ فَقِيلَ: «نِعَمَ الدَّوَاءُ الْأَزْمُ».

وقوله «فِي النَّفْعِ» الْأَجُودُ أَنْ يَكُونَ مَصْدَرٌ نَفَعَ الشَّرُّ وَالصَّوْتُ وَالْمَوْتُ، إِذَا كَثُرَ وَارْتَفَعَ، وَأَنْ يُعَدَّلَ بِهِ عَنِ الْغُبَارِ، لِأَنَّهُ قَالَ: فِي رَهَجِ الْغُبَارِ. وَمَعْنَى رَهَجِ الْغُبَارِ: مَا أَثِيرَ مِنَ الْغُبَارِ. وَقَوْلُهُ «سَاهِمَةُ الْوُجُوهِ» السُّهُومُ: تَغْيِيرُ اللَّوْنِ مَعَ هَزَلٍ وَيُبُوسٍ. وَالدَّغْسُ: الطَّعْنُ وَشِدَّةُ الْوُطْءِ. وَيُقَالُ: طَرِيقٌ مِدْعَاسٌ، أَيْ مُدَلَّلٌ؛ وَرَجُلٌ مِدْعَسٌ شَدِيدُ الطَّعْنِ.

وقوله «فَهَوَى لِحَرْ الْوَجْهِ» فَالْحَرْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَعْتَقَهُ، وَقَالَ الْخَلِيلُ: حُرُّ الْوَجْهِ: مَا بَدَأَ مِنَ الْوَجْنَةِ. حُرَّةُ الدَّفَرَى: مَوْضِعُ مَجَالِ الْقَرْطِ.

- ١٠ - وَمَعِي أَسُودَ مِنْ حَنِيفَةٍ فِي الْوَعَى لِلْبَيْضِ فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ تَسْوِيمُ
 ١١ - قَوْمٌ إِذَا لَبَسُوا الْحَدِيدَ كَانَتْهُمْ فِي الْبَيْضِ وَالْحَلَقِ الدَّلَاصِ نُجُومُ
 ١٢ - فَلَيْتَنَ بَقِيْتُ لِأَرْحَلَنَ بِفَرْزَةٍ نَحْوِ الْعَنَائِمِ أَوْ يَمُوتَ كَرِيمُ^(٣)

قَوْلُهُ «مِنْ حَنِيفَةٍ» فِي مَوْضِعِ الصَّلَةِ لِأَسُودَ، وَفِي الْوَعَى ظَرْفٌ لَمَّا دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ أَسُودَ، وَتَقْدِيرُهُ: مَعِيَ رِجَالٌ يَشَابَهُونَ الْأَسُودَ شَجَاعَةً وَإِقْدَامًا فِي الْحَرْبِ حَنْفِيُونَ. وَالْوَعَى أَصْلُهُ الْجَلْبَةُ وَالصَّوْتُ، ثُمَّ صَارَ كَالِاسْمِ لِلْحَرْبِ. وَقَوْلُهُ: «لِلْبَيْضِ فَوْقَ

(٢) التبريزي: «دميم».

(١) التبريزي: «في نفع العجاج».

(٣) التبريزي: «تحوي الغنائم».

رؤوسهم تسويم»، فالتسويم: العلامة والتأثير، ومنه قولهم: الخيل المُسوِّمة؛ وكل ذلك من السِّيماء: العَلَامَة، ويقال السَّيِّمِيا. ومعناه أنَّهم ليطول لُبْسُهُم للبيض، ودوام مُمارستهم للحرب، قد انحسر الشَّعْرُ عن جوانب رؤوسهم. ويشبه هذا المصراع قول الآخر: [السريع]

قَدْ حَصَّتِ الْبَيْضَةُ رَأْسِي فَمَا أَطَعَمَ نَوْمًا غَيْرَ تَهْجَاعٍ^(١)

وقول أبي تمام الطائي: [الطويل]

عَبُوسٌ كَسَا أَبْطَالَهُ كُلُّ قَوْنَسٍ يُرَى الْمَرْءُ مِنْهُ وَهُوَ أَفْرَعُ أَنْزَعٍ^(٢)

وقوله «قَوْمٌ إِذَا لَبَسُوا الْحَدِيدَ» ارتفع قَوْمٌ عَلَى أَنَّهُ بَدَلٌ مِنْ قَوْلِهِ أَسْوَدُ. ويجوز أَنْ يَكُونَ خَبَرٌ مُبْتَدِئٌ مَحْذُوفٌ كَأَنَّهُ قَالَ: هُمْ قَوْمٌ. وَإِنَّمَا يَصِفُهُمْ بِأَنَّهُمْ مُشَاهِيرٌ بِحَسَنِ الْبَلَاءِ، مُمْتِيزُونَ عَنِ الْفُرْسَانِ إِذَا حَضَرُوا الْوَقَعَاتِ، بِعَلَامَاتِهِمْ وَمَعَارِضِهِمْ الَّتِي عُرِفُوا بِهَا وَفِيهَا، فَلَا يَخْفَى آيَاتُهُمْ إِذَا تَدَجَّجُوا، وَلَا يَلْتَبِسُ أَحْوَالُهُمْ مَتَى تَطَلَّعُوا، بَلْ كَانَتْهُمْ التَّجُومُ فِي الْمَنَاطِرِ وَالْقُلُوبِ. وَجَعَلَ الْحَدِيدَ كَنَاءً عَنْ أَنْوَاعِ الْأَسْلِحَةِ. وَالذَّلَاصُ: اللَّيْنَةُ الْمَلْسَاءُ، يُقَالُ دِرْعٌ دِلَاصٌ وَدَلِيسٌ، وَدُرُوعٌ دُلُصٌ. وَقَالَ الْخَلِيلُ: رَبَّمَا جَاءَ دِلَاصٌ فِي صِفَةِ الْجَمْعِ.

وقوله «فَلَيْنِ بَقِيَتْ لِأَرْحَلَنْ بَغَزَوَةً» اللام من لثن موطنَةٌ لِلْقِسْمِ، وَلِأَرْحَلَنْ جَوَابُهُ. وَقَوْلُهُ «نَحْوِ الْغَنَائِمِ» ظَرْفٌ لِأَرْحَلَنْ. وَرَوَاهُ بَعْضُهُمْ: «تَحْوِي الْغَنَائِمِ»، وَيَكُونُ صِفَةً لِعَزْوَةٍ، أَيْ جَاوِيَةً لِلْغَنَائِمِ. وَقَوْلُهُ «أَوْ يَمُوتُ كَرِيمٌ» أَوْ بَدَلٌ مِنْ إِلَّا، وَيَمُوتُ يَنْتَصِبُ بِأَنْ مُضْمَرَةٌ، كَأَنَّهُ قَالَ إِلَّا أَنْ يَمُوتَ كَرِيمٌ، وَيَغْنِي بِالْكَرِيمِ نَفْسَهُ. وَفِي طَرِيقَتِهِ قَوْلُ لَبِيدٍ: [الكامل]

أَوْ يَرْتَبِطُ بَغَضَ الثُّفُوسِ جِمَامُهَا^(٣)

(١) لأبي قيس بن الأسلت في ديوانه ٧٨، واللسان (حصى، جمع)، وديوان الأدب ٣: ١٢٦، وشرح اختيارات المفضل ١٢٣٦.

(٢) ديوانه ١٩١.

(٣) لبديد في ديوانه ٣١٣، ومجالس ثعلب ٦٣، وبلا نسبة في خزانة الأدب ٧: ٣٤٩. وصدرة:

«تَرَاكَ أَمَكْنَةً إِذَا لَمْ أَرْضَهَا»

٢٥٩ - وقال رجلٌ من بني يَشْكُر^(١): [الوافر]

- ١ - أَلَا أَبْلِغُ بَنِي ذُفَلٍ رَسُولًا وَخُصَّ إِلَى سَرَاةِ بَنِي النُّطَاحِ^(٢)
- ٢ - بَأَنَّا قَدْ قَتَلْنَا بِالْمُثَنَّى عُبَيْدَةَ مِنْكُمْ وَأَبَا الْجَلَّاحِ^(٣)
- ٣ - فَإِنْ تَرَضُّوْا فإِنَّا قَدْ رَضِينَا وَإِنْ تَأْبُؤَا فَأَطْرَافُ الرُّمَاحِ
- ٤ - مُقْوَمَةٌ وَبِيضُ مُرْهَفَاتٍ تُنِيرُ جَمَاجِمًا وَيَنَانٌ رَاحِ

قوله «رَسُولًا» أراد رسالة. وقوله «وُخِصَّ إِلَى سَرَاةِ بَنِي النُّطَاحِ» أي تَوَصَّلَ إِلَى أَنْ تَخُصَّهُمْ بِأَدَائِهَا. وَالسَّرَاةُ تَقْدَمُ الْقَوْلُ فِيهِ^(٤).

وقوله «بَأَنَّا قَدْ قَتَلْنَا» الباء زائدة للتأكيد، وموضع بَأَنَّا نَضَبٌ عَلَى أَنَّهُ بَدَلٌ مِنْ رَسُولًا. ومثله أَغْلِمَ بِكَذَا، يَرِيدُ أَبْلِغَ خِيَارَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ وَأَمَّا لَهُمْ أَنَا قَتَلْنَا بَدَلُ الْوَاحِدِ الَّذِي قَتَلْتُمُوهُ مَثًا اثْنَيْنِ مِنْكُمْ، فَإِنْ رَضِيتُمْ فَرِضَانَا مَعَ رِضَاكُمْ، وَإِنْ أَبِيتُمْ وَتَسَخَّطْتُمْ حَاكِمِنَاكُمْ إِلَى ظَبْيِ السُّيُوفِ وَقَدْ أُرْهِفْتُ، وَإِلَى أَسِنَّةِ الرُّمَاحِ وَقَدْ قُومْتُ. وَهَذَا الْكَلَامُ اعْتِلَاءٌ وَاقْتِدَارٌ، وَتَوَعُّدٌ وَاسْتِكْبَارٌ. وَالْفَاءُ مِنْ قَوْلِهِ «فَأَطْرَافُ» بِمَا بَعْدَهَا جَوَابُ الْجَزَاءِ، وَارْتَفَعَ أَطْرَافُ بِالْإِبْتِدَاءِ، وَخَبَرَهُ مَحْذُوفٌ، كَأَنَّهُ قَالَ: فَأَطْرَافُ الرُّمَاحِ وَبِيضُ السُّيُوفِ بَيْنَنَا. وَتَثَرُّ فِي مَوْضِعِ الصَّفَةِ لِلْبِيضِ، وَمَعْنَاهُ تُسْقِطُ. وَالْمُرْهَفَاتُ: الْمُرْقَقَاتُ الْحَدَّ. وَالرَّاحُ: جَمْعُ رَاحَةٍ.

٢٦٠ - وقال جُريَّةُ بن الأشيمِ الفَقْعَسِيِّ^(٥): [المتقارب]

- ١ - فَسَدَى لِفَوَارِسِي الْمُغْلِمِ — مِنْ تَحْتَ الْعَبَاجَةِ خَالِي وَعَمَ

(١) التبريزي: «فَمَا كَانَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ذَهْلٍ». (٢) التبريزي: «بَنِي الْبَطَاحِ».

(٣) ضبط عند التبريزي: «عُبَيْدَةَ». (٤) فِي الْبَيْتِ الْخَامِسِ مِنَ الْحِمَاسَةِ (٢٥٨).

(٥) جُريَّةُ بن أَشِيمِ الْفَقْعَسِيِّ: شَاعِرٌ جَاهِلِيٌّ كَانَ مِنَ الْقَاتِلِينَ بِالْبَيْتِ وَمِمَّنْ يَزْعُمُونَ أَنَّ «مَنْ عَفَرْتَ مَطِيَّتَهُ عَلَى قَبْرِهِ يُحْشَرُ عَلَيْهَا» وَلَهُ فِي ذَلِكَ آيَاتٌ. تَرْجَمَتْهُ فِي اللَّبَابِ ٢: ٢١٩، وَالْأَعْلَامِ ٢: ١١٩. وَرَوَى التَّبْرِيزِيُّ فِي سَبَبِ الشُّعْرِ: «غَزَا النُّعْمَانُ بْنُ بَجِيرٍ بْنُ عَابِدِ الْعَجَلِيِّ وَيُكْنَى أَبُو سَلْهَبٍ فَلَقِيَ فُقْعَسَ بْنَ طَرِيفٍ، وَرَئِيسَهُمْ أَهْبَانَ بْنَ عَرْفَطَةَ، فَلَمَّا بَصَرَ بَنُو فُقْعَسَ بِالْخَيْلِ قَالُوا: هَذِهِ عَيْرٌ عَلَيْهَا تَمَرٌ، فَابْتَدَرْتَهَا خَيْلُهُمْ، فَلَحَقَ بِهِمْ جُريَّةُ بْنُ الْأَشِيمِ وَيُكْنَى أَبُو سَعْدٍ فَلَمَّا رَأَاهُمْ رَجَعَ، وَاقْتَتَلَ الْقَوْمَ، فَقُتِلَ أَهْبَانُ قَتْلَهُ الْحَصَفُ بْنُ مَعْبَدٍ بْنُ عَبْدِ الْحَارِثِ بْنُ هِلَالٍ بْنُ رِبِيعَةَ بْنِ عَجَلٍ. وَرَوَاهَا غَيْرُ أَبِي تَمَامٍ لِسَبْرَةَ بْنِ عَمْرٍو: قَالَ وَمِنْ حَدِيثِهِ أَنَّ بَنِي فُقْعَسَ غَزَوْا بَنِي عَجَلٍ فَقَتَلُوا رَئِيسَهُمْ أَبَا سَلْهَبٍ فَقَالَ سَبْرَةُ بْنُ عَمْرٍو الْآيَاتُ».

٢ - هُمْ كَشَفُوا عَيْبَةَ الْعَائِبِينَ مِنْ الْعَارِ أَوْجُهُهُمْ كَالْحُمَمِ^(١)

حَمَدَهُمْ لما ظَهَرَ من وفائهم وبلائهم، ففَدَّاهم وأثنى عليهم. والمُعْلَم: الذي شَهَرَ نفسه في الحرب بعلامةٍ لَكِنِّي إذا أَبْلَى عُرِفَ بها. والعَجَاجُ: الغُبَارُ، وكذلك العَجَاجَةُ. ويقال: لَفَّ عجاجته على بني فلان، إذا أَعَارَ عليهم. وقوله «خالي» في موضع الرفع، لأنه خبر المبتدأ. وقوله «هُمْ كَشَفُوا عَيْبَةَ الْعَائِبِينَ» العَيْبَةُ: شبه الخريطة من الأدم. وهذا مَثَلٌ، أي أظهروا من عَيْبِ مَنْ كان يَطْلُبُ عِيْبَهُمْ ما كان خافِيًا، وكَذَّبُوهم فيما كانوا يَخْتَلِقُونَهُ وَيَتَنَقَّقُونَهُ به، فكأنَّهم كَشَفُوا عِيَابَهُم المنطويةَ على عيوبهم، فاسوَدَّتْ وجوههم بما عَشِيَهَا من العار حتى صارت كالحُمَم. ويقال: «فلانٌ عَيْبَةُ عُيُوبٍ، ومِذْنَبُ دُنُوبٍ». ويقال: عَابَ المتاعُ وغيره، إذا صار ذا عَيْبٍ؛ وعَيْبَتُهُ أنا، أي جَعَلْتُ فيه عَيْبًا. وعلى هذا قول الله تعالى: ﴿فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ [الكهف: الآية ٧٩]. والحُمَم: القَحْم. ويقال جاريةٌ حُمَمَةٌ، أي سوداء.

٣ - إذا الْخَيْلُ صَاخَتْ صِيَاخَ النُّسُورِ حَزَزْنَا شَرَّاسِيفَهَا بِالْجِذَمِ

يقول: إذا ضَجَّتِ الْخَيْلُ من الطَّعَنِ الواقع على نُحُورِها، وهَمَّتْ بالازْوَار أكرهناها على الصبر والتَّقَدُّم. ومثله قول خِداش بن زُهَيْر: [المقارب]

يَصِيحُونَ مِثْلَ صِيَاخِ النُّسُورِ مِنْ أَسَلٍ وَارِدٍ صَادِرٍ

ومعنى حَزَزْنَا قَطَعْنَا. والشَّرَّاسِيف: مَقَاطُ الْأَضْلَاعِ: وَالْجِذَم: السَّيَاط. وقوله «صَاخَتْ صِيَاخَ النُّسُورِ»، يريدُ صَاخَتْ صِيَاخًا يُشَبِّه صِيَاخَ النُّسُور. وإذا ظَرَفَ لقوله حَزَزْنَا.

٤ - إذا الدَّهْرُ عَضَّ نَكَاتِي لَدَى الشُّرِّ فَأَزِمُّ بِهِ مَا أَزِمُّ

هذا مَثَلٌ، والذي أشار إليه بالأنياب نُوبُ الدَّهْرِ وحوادثه. وقوله «فَأَزِمُّ بِهِ» أي اغْضَضُ بِهِ، والمعنى صابِره. والتوسُّع في الْأَزْم والعَضُّ على طريقة، يقال: هذا عَضِيضِي وأنا عَضِيضُهُ، أي نتشاكس في الأمر. وإني لِعِضَاضُ عَيْشٍ، أي صَبُورٌ على شدِّته. و«ما أَزِمُّ» ما مع الفعل في تقدير المصدر، واسمُ الزَّمان محذوفٌ معه، فهو

(١) التبريزي: «غيبه الغائبين». وفسرها: «أراد أن من قُتِلَ منهم في عارٍ تسوِّدُ منه وجوههم أدرك هؤلاء القوم نأروهم فغسلوا ذلك العار عنهم فكانهم بذلك الفعل حفظوا عهد من غاب عنهم».

في موضع الظرف. والمعنى: اعَضَضْ به مُدَّةَ عَضِّه بك. ورواه بعضهم: «فَارَزَمْ له ما رَزَمْ»، والمعنى: اثبت له ما ثبت لك. وإنما قال «فَارَزَمْ به» طلباً للمطابقة والموافقة. على هذا قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ﴾ [البقرة: الآية ١٩٤]، والثاني ليس باعتداء، بل هو جزاءه. وجواب إذا قوله «فَارَزَمْ به» وهو العامل فيه.

٥ - وَلَا تُلَفْ فِي شَرِّهِ هَائِبًا كَأَنَّكَ فِيهِ مُسِرُّ السَّقَمِ

في شره، أي في سر الدهر. يقول: لا تُوجَدَنَّ فيما تُدْفَعُ إليه وتُمتَحَن به من نوائب الدهر خائفاً متهيئاً مستشعراً لليأس من التَّجَاح، وانقلاب الأمر إلى الخير والصَّلاح، فتكون بمنزلة مَنْ به داءٌ عضالٌ لَرَمَهُ، فأعياء مُداوئِهِ حتى يشن من إقلاعه وذهابه، فجعل يَكْتُمُهُ ويُخْفِي أثره، وهو خائفٌ مما يتعقبه. ورواه بعضهم: «مُشِيرُ السَّقَمِ». أي مُظْهِرُهُ. وهذا كما رُوِيَ يث امرئ القيس: [الطويل]

لَوْ يُشِيرُونَ مَقْتَلِي^(١)

وَأُشِيدَ فِيهِ: [الطويل]

وَحَتَّى أُشِيرْتُ بِالْأَكُفِّ الْمَصَاحِفُ^(٢)

ومعناه تَغْتَمُّ لما تُقَاسِيهِ، وتُخَافُ نُزُولَ أمثاله، فتَنخِزِلُ وتنقطع، فَعَلَ الْوَصْبِ المريض إذا اشْتَكَى مما به.

٦ - عَرَضْنَا نَزَالٍ فَلَمْ يَنْزِلُوا وَكَانَتْ نَزَالٍ عَلَيْهِمْ أَطَمَ

يقول: عَرَضْنَا عَلَيْهِمُ الْمُنَازِلَةَ فَقُلْنَا نَزَالٍ، لَمَّا ضَاقَ مَجَالُ الْخَيْلِ عَنِ الطَّرَادِ، فَتَكَرَّهُوا وَلَمْ يَنْشَطُوا لَهُ. وكانت هذه العَرَضَةُ بهذه اللَّفْظَةِ أَشَدَّ عَلَيْهِمْ وَأَغْلَبَ لَهُمْ مِنْ كُلِّ مَا تَقَدَّمَ مِنْ أَلْفَافِ التَّدَاعِي والتَّجَادِبِ. وقد تَقَدَّمَ فِي لَفْظَةِ نَزَالٍ وَبَنَائِهِ وَتَأْنِيثِهِ وَحَقِيقَتُهُ مَا فِيهِ كِفَايَةٌ. ومعنى «أَطَمَ» يُقَالُ طَمَ الْبَحْرُ، إِذَا غَلَبَ سَائِرُ الْبُحُورِ. وَالطَّامَةُ: الْخَصْلَةُ الَّتِي تَطُمُّ عَلَى مَا سِوَاهَا. وَفِي الْقُرْآنِ: ﴿وَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى﴾ [التَّازِعَات: الآية ٣٤]، يَرَادُ بِهِ الْقِيَامَةُ.

(١) لامرئ القيس في ديوانه ١٣، وخزانة الأدب ١١: ٢٣٨، واللسان (شرر). وتماهه:

تجاوزت حُرَّاسًا عليها ومنعشراً عليَّ حِرَاصٍ لَوْ يُسِيرُونَ مَقْتَلِي

(٢) لكعب بن جعيل في اللسان (شرر)، وديوان الأدب ٣: ١٥٧، ولكعب بن جعيل أو للحصين بن الحمام المري في تاج العروس (شرر). وصدره:

«فَمَا بَرَحُوا حَتَّى رَأَى اللَّهُ صَبْرَهُمْ»

٧ - وقد شَبَّهوا العِيرَ أفراسَنَا فقد وجدُوا مَيرَهَا ذَا بَشَمٍ^(١)

العِير: الإبل عليها المِيرَة وغيرُها. وقال بعضهم: هو من قولهم: عاز الشيء: ذَهَبَ، يَعِيرُ، وهي جماعات السُّفَر، ووزنه فُعْل، جمع عائرٍ، كعائِدٍ وعُوذٍ، إلَّا أنَّ العين كُسرَت لتدُلَّ على الياء. والمَير: مصدر مَارَهُم يَمِيرُهُم، إذا نَقَلَ إليهم المِيرَة. والمعنى: لجهلهم بخصمهم، وثقتهم بأنفسهم وتمكُّن البغي من اختيارهم ونظرهم، عدونا غَنِيمةً تُغْتَنَّم، وإيلاً بأحمالها تُساقُ وتُفْتَسَم، فقد استَوْبَلُوا عاقبة غنيمتهم وذاقوا وخامة ميرتهم. والبَشَم: الثَّقْل، يقالُ بَشِمْتُ من الطَّعام، وبَغِرْتُ من الماء.

٢٦١ - وقال آخر^(٢): [الوافر]

١ - أناني من أبي أنسٍ وعِيدُ فسلُ لِقَيْظَةِ الضحَاكِ جِسمي^(٣)

٢ - ولم أعصِ الأميرَ ولم أَرِنُه ولم أسبقِ أبا أنسٍ بَوغِمٍ

هذه الأبيات إنما ختم بها الباب وإن لم تكن منه على عادته، في إتباع المعنى بضده كثيرًا. والأغلب في الظنِّ بقائلها أن يكون قصَّد بها الهُزءَ والتملُّحَ. وفي طريقتهما قول^(٤) الآخر: [البسيط]

إني أعودُ بروحٍ أن يُقرَّبني إلى القتال فيخزى بي بنو أسدٍ
إنَّ المُهلَّبَ حُبُّ الموتِ أورثُكم ولم أرثْ نَجْدَةً في الحَرْبِ عن أحدٍ
إنَّ الدُّنُو من الأعداء تَعْلُمُه مما يُفرِّقُ بين الرُّوحِ والجَسَدِ
ولبعضهم^(٥): [البسيط]

باتت تُسَخِّفُني هِنْدٌ وقد عَلِمَتْ أن الشَّجَاعَةَ مَفْرُوءٌ بها العَطْبُ

(١) التبريزي: «ذا شَبَمٍ»، وقال أبو رياش: الشبم: البرد، ومعناه صادفوا الموت، والموت بارد والسَّم بارد.

(٢) التبريزي: «وقال شقيق بن سليك الأسدي» وهو شاعر إسلامي، وهذا الشعر يقوله معتذرًا إلى الضحاك بن قيس بن خالد الشيباني الفهري، وهو أبو أنس. والضحاك شهد صفين مع معاوية ودعا إلى بيعة ابن الزبير ثم إلى نفسه وقتل بمرج راهط سنة ٦٥.

(٣) التبريزي: «فسلُ تغَيِّظُ».

(٤) الأبيات لأبي دلالة في عيون الأخبار ١: ١٦٤، والأغاني ٩: ١١٩.

(٥) الأبيات في عيون الأخبار ١: ١٦٤، والعقد الفريد ١: ١٦٦.

يا هِنْدُ لا والذي حَجَّ الْحَجِيجُ لَهُ
ما يشتَهِي الموتَ عندي من له أدَبُ
للحَرْبِ قومٌ أَضَلَّ اللهُ سَعيَهُمْ
إذا دَعَتْهُمْ إلى أهْوالِها وتَبَّوا
ولستُ منهم ولا أَرْضَى فَعَالَهُمْ
ما القَتْلُ يُعْجِبُنِي منهم ولا السَّلْبُ
وأبلغُ منه قول الآخر: [الرجز]

اثنانِ مَنَّا يَغْلِيانِ واحدًا إذا تعاوَنَّا وكان راقِدًا

فأما قوله «فَسُلَّ لَغِيظَةُ الضُّحَاكِ» فالضُّحَاك اسم أبي أَنَسٍ. ومعنى سُلَّ: ذاب، كجِسْمٍ من به السَّلَالُ، وهو داء معروف. وقال «غَيْظَةُ» لأنه أراد المرأة الواحدة، وهذه الهاء تدخل في المصادر على اختلافها لهذا المعنى كالضَّرْبَةِ والخَرْجَةِ والإِلْمامَةِ والاستِخْراجَةِ. وقوله «ولم أَرَبُهُ» يروى بفتح الهمزة وضمها؛ والفرق بينهما أنه يقال: رابَهُ الدَّهْرُ إذا قَصَدَهُ بَرِيْبُهُ وخَوادِثُهُ وأَرابَهُ: أتاه بَرِيْبَةٌ. والوُغْمُ: التَّرَةُ والدُّخْلُ.

٣ - وَلَكِنَّ البُعُوثَ جَرَتْ عَلَيْنَا فَصِرْنَا بَيْنَ تَطْوِيحٍ وَغُرْمٍ^(١)

٤ - وَخَافَتْ مِنْ جِبَالِ السُّفْدِ نَفْسِي وَخَافَتْ مِنْ جِبَالِ خُوارِزْمٍ^(٢)

قوله «ولكن البُعُوثَ جَرَتْ عَلَيْنَا» يقال: ضَرَبَ البَغْتُ على الجُنْدِ، وأَجْرِيَ البَغْتُ عليهم، أي بُعِثُوا إلى العَدُوِّ. وَجَمَعَهُ فقال البُعُوثُ، لاختلافِهِ وتكرُّرِهِ، وهذا كما يُجْمَعُ الضَّرْبُ على الضُّروبِ والفَرُّ على الفُنونِ. والتَّطْوِيحُ: والتَّبْعِيْدُ في الأرضِ، والحَمْلُ على رُكوبِ المِهاَلِكِ. ويقال: طُوِّحُوا وطُبِّحُوا جميعًا.

٥ - وَقَارَعْتُ البُعُوثَ وَقَارَعُونِي فَقَارَ بِضُجْعَةٍ فِي الْحَيِّ سَهْمِي^(٣)

٦ - فَأَعْطَيْتُ الْجَمَالَ مُسْتَمِيًّا خَفِيفَ الْحَاذِ مِنْ فِثْيَانِ جَرِمٍ

قوله «قَارَعْتُ البُعُوثَ» يريدُ به ساهمُهم، والقُرْعَةُ الاسم. ويقال: هو قَرِيعِي أي مُقَارِعِي، كما يُقالُ هو خَصِيمِي. وقوله «البُعُوثُ» أراد أصحاب البُعُوثِ، فحذَفَ المضاف. ويجوز أن يكون سَمَّى المبعوثَ بَعُوثًا ثُمَّ جَمَعَهُ، وهذا على عادَتِهِم في الوصف باسم الحدث. وقوله «فَارَ بِضُجْعَةٍ فِي الْحَيِّ سَهْمِي» أي خَرَجَ

(٢) التبريزي: «خوارزم، ويروى: خَوَاءَ رَزْمٍ».

(١) التبريزي: «جنت علينا».

(٣) التبريزي: «وقارعتني».

قَدَجِي باضطجاعي وراحتي. ويقال: رَجُلٌ ضُجِعِيٌّ بضم الضاد وكسرهما، وضُجَعَةٌ،
 للعاجز اللازم مَنْزِلُهُ، ومنه قيل للثُجُومِ الثَّوَابِتِ الضَّوَّاجِعُ. وقوله «أَعْطَيْتُ
 الْجَعَالَ»، يريدُ أَعْطَيْتُ الرِّشْوَةَ لِنَائِبٍ عَنِّي من بني جَزَمٍ، خفيف الحال فقير،
 رَضِيَ بالموت وعَرَضَ بِنَفْسِهِ له، لا سَعَدَ بِالرَّاحَةِ وَالسَّلَامَةِ، وَيَشْقَى هو بالتَّعَبِ
 وَالْهَلَكَةِ. ويقال: فلانٌ خفيفُ الحاذِ، أي الحالِ والمؤنة؛ وهما بحاذٍ واحد، أي
 بِحَالٍ واحد.

نَمَّ بَابُ الْحِمَاسَةِ، بِحَمْدِ اللَّهِ الَّذِي هُوَ وَلِيُّ الْحَمْدِ

بَابُ الْمَرَاثِي

٢٦٢ - قَالَ أَبُو خِرَاشٍ الْهَذَلِيُّ^(١): [الطويل]

١ - حَمِدْتُ إِلَهِي بَعْدَ عُرْوَةٍ إِذْ نَجَا خِرَاشٌ وَبَغَضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَغْضِ خِرَاشٍ: مصدر خارشته، أو جمع خَرَشٍ، وهو الأثر كالخَدَشِ؛ ومنه تَخَارَشَ الكلابُ: مَرَّقَ بعضها بعضاً. والخِرَاشُ: سِمَةٌ مستطيلة كاللُّدْعَةِ الخَفِيَّةِ، ويقال: بَعِيرٌ مخروشٌ. والمِخْرَشُ: اسمٌ لما يُؤْتَرُ به، خشبةٌ كان أو غيرها. فأما أبو خِرَاشَةَ من بيت الِكْتَابِ: [البسيط]

أَبَا خُرَاشَةَ أَمَا أَنْتَ ذَا نَفَرٍ فَإِنَّ قَوْمِي لَمْ تَأْكُلْهُمْ الضُّبُعُ^(٢)

فقد رُوي بضم الخاء وكسرها، فخرَاشَةُ يجوز أن يكونَ من خَرَشَ لِعِيَالِهِ، أي كَسَبَ، ويكونُ من باب عُمَالَةٍ وَعُجَالَةٍ وَصُبَابَةٍ وما أشبهها. وخِرَاشَةُ منه من باب ولَايَةٍ وَنَكَابَةٍ^(٣) وما أشبههما.

وأبو خِرَاشٍ هذا كان خِرَاشُ ابنُه وعُرْوَةُ أخُوهُ، اصْطَحَبَا في مُتَصَرِّفٍ لهما فَأَسَرَّهُمَا بَطْنَانِ من ثُمَالَةٍ: بنو رِزَامٍ وبنو بَلَالٍ، وكانوا مَوْتُورِينَ، فَاخْتَلَفُوا في الإِبْقَاءِ عليهما وَقَتْلِهِمَا، فَمَالَ بنو بَلَالٍ إِلَى قَتْلِهِمَا، وَتَفَاقَمَ الأمرُ بينهما في ذلك إلى أن صار

(١) أبو خراش الهذلي: خويلد بن مرة، من بني هذيل من مضر، شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام، واشتهر بالعدو فكان يسبق الخيل (ت نحو ١٥ هـ/ ٦٣٦ م). ترجمته في الأغاني ٢١: ٣٨، والإصابة ١: ٤٦٤، والشعر والشعراء ٢٥٥.

(٢) للعباس بن مرداس في ديوانه ١٢٨، وخزانة الأدب ٤: ١٣، والدرر ٢: ٩١.

(٣) نكابة: مصدر نكب على قومه ينكب نكابة، أي صار منكبا لهم وعريفا، والنكابة كالنقابة وزنا ومعنى.

يُؤدِّي إلى المَقَاتِلَةِ، فتفرَّد أولئك بعُرْوَةٍ فقتلوه، وتفرَّد هؤلاء بخراشٍ فخلَّاهُ بهِ واحدٌ منهم منتَهزًا للفرصةِ في الإسداءِ إليه، فقال له: كَيْفَ دِيْلَاك؟ قال: قَطَاةٌ^(١)! فالتقى عليه رداءهُ وقال: انْجَهْ. فَمَرَّ لِطِيَّتِهِ، فلما انحرفوا للنَّظَرِ في أمرِهِ قال لَهُم مُمَسِّكُهُ: إِنَّهُ أَفْلَتَ! فَطَرَدُوهُ فَأَعْيَاهُم، فلما رَجَعَ خِرَاشٌ إلى أبيه وَخَبَّرَهُ بما جَرَى على عُرْوَةٍ، وبما اتَّفَقَ من صَاحِبِهِ في بابِهِ، اقْتَصَصَ قِصَّتَهُ في هذه الأبيات.

وقد حُكِيَ فيما رُوِيَ عن الأصمعي وأبي عُبَيْدَةَ أَنَّهُمَا قَالَا: لَا نَعْرِفُ مَنْ مَدَحَ من لَا يَعْرِفُهُ غَيْرُ أَبِي خِرَاشٍ. وقد سَلَكَ من شُعراء الإسلام مَسْلَكَهُ أَبُو نُؤَاسٍ في أبيات أُولَئِهَا: [الطويل]

وَدَارِ نَدَامَى عَطَلُوهَا وَأَذَلُّجُوا بِهَا أَثَرٌ مِنْهُمْ جَدِيدٌ وَدَارِسُ
مَسَاجِبُ مِنْ جَرِّ الزَّفَاقِ عَلَى الثَّرَى وَأَضْعَافُ رِيحَانٍ جَنِيٍّ وَيَابِسُ
وَلَمْ أَذِرْ مَنْ هُمْ غَيْرَ مَا شَهِدْتَ لَهُمْ بِشَرْقِيٍّ سَابَاطُ الدِّيَارِ الْبَسَاسِ
وَمَرَّ بِي أَبِيَاتٌ لِبَغْضِ الْأَغْفَالِ فِيهَا: [البسيط]

سَفِيًّا لَهُمْ فَتِيَّةٌ تَذْمِي سَيُوفُهُمْ لَا عِلْمَ لِي غَيْرَ أَنَّ الْقَوْمَ أَخْرَأُ
فهذا ما رواه الناسُ.

وقد حَكَى أَبُو الْعَبَّاسِ فِي الْكَامِلِ^(٢): أَنَّ خِرَاشًا كَانَ فِي الْقِدِّ مَأْسُورًا، وَأَنَّ أَسِيرَهُ نَزَلَ بِهِ ضَيْفٌ فَقَامَ يَحْتَشِدُ لَهُ، فَنَظَرَ ذَلِكَ الضَّيْفُ إِلَى خِرَاشٍ وَكَانَ مُلْقَى وَرَاءَ الْبَيْتِ، فَسَأَلَهُ عَنْ حَالِهِ وَنَسَبِهِ فَشَرَحَ لَهُ قِصَّتَهُ وَانْتَسَبَ، فَقَطَّعَ إِسَارَهُ وَخَلَّاهُ، فَلَمَّا رَجَعَ رَبُّ الْبَيْتِ قَالَ: أَسِيرِي أَسِيرِي!! وَأَرَادَ السُّغْيَ فِي أَثَرِهِ، فَوَثَّرَ قَوْسَهُ وَخَلَفَ أَنَّهُ إِنْ تَبِعَهُ رَمَاهُ.

وقد ذُكِرَ أَنَّ مُلْقِي الرِّدَاءِ كَانَ مُجْتَازًا بِعُرْوَةٍ، فَرَأَاهُ بِأَدْيِ الْعُرْوَةِ مَصْرُوعًا، فَفَعَلَ ذَلِكَ بِهِ. فهذا قِصَّتُهُ عَلَى الْاِخْتِلَافِ فِيهِ.

وقوله «حَمِدْتُ إِلَهِي» رُوي: «حَمِدْتُ الْإِلَهَ»، وَقُلَّ مَا يَقَعُ فِي الِاسْتِعْمَالِ الْإِلَهَ مَعْرُفًا بِاللَّامِ، وَقَدْ أَتَى بِهِ عَلَى أَصْلِهِ، إِذْ كَانَتْ الْعَادَةُ جَرَتْ بِاسْتِعْمَالِ لَفْظَةِ اللَّهِ بَدَلَهُ، حَقَّ جَرَى الْمَجْرَى الْأَلْقَابِ فِي أَنْ يَكُونَ مَقْدَمًا وَسَائِرِ الصِّفَاتِ تَتَّبِعُهُ. ومعنى اللفظة:

(١) عني أنه في دلالاته وهدايته كالقطة، ويضرب بها المثل في هدايتها إلى الماء.

(٢) الكامل ٣٣٧ (لييسك).

الذي تَجَحُّ له العبادة. والحمد يَجْرِي مَجْرَى الشكر، إِلَّا أنه يستعمل في مُسْنَدِي الإحسان، وفي مَنْ رُضِيَتْ أفعاله وإن لم يكن منه إحسان، فيقال: حَمِدْتُ فلانًا على اصطناعه لي، وَحَمَدْتُهُ على بَرَاعَتِهِ وَقُضْلِهِ؛ والشكر لا يُسْتَعْمَل إِلَّا فيمن يكون منه إسداء معروف وأخذ بإحسان. والمعنى أشكُر الله بعد ما اتَّفَقَ مِنْ قتل غزوة، على تَخْلُصِ خِراش، وبعض الشرِّ أَخَفُّ من الآخر. كأنه تصوّر قتلَهما جميعًا لو اتَّفَقَ، فرأى قتلَ أحدهما أهون. وهذا الكلام، أعني «وبعض الشرِّ أهونُ من بعض» رَمَى به مَرَمَى الأمثال. فإن قال قائل: ليس في الشرِّ هَيْنٌ، وأفْعَلُ هذا يُسْتَعْمَلُ في مُشْتَرِكَيْنِ في صفةٍ زاد أحدهما على الآخر؛ لا تقول: زَيْدٌ أَفْضَلُ من عمرو، إِلَّا وقد اشتركا في الفُضْل، فكيف جاز أن يقول: وبعض الشرِّ أهونُ من بعض، ولا هَيْنٌ في الشرِّ؟ قلت: إِنَّ للشرِّ مراتبَ ودرجاتٍ، فإذا جئتُ إلى أحاديها، وقد تصوّرتُ جُمْلَها، ورُتَبَ الآحادِ فيها، وجدتُ كلَّ نوعٍ منها بِمُضَامَّتِهِ للغير له حالٌ في الخِفَّةِ أو الثَّقَلِ، وإذا كان كذلك فلا يمتنع أن يُوصَفَ شيءٌ منه بأنَّه أهونُ من غيره. ولا يُشَبِّه هذا قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ [الفرقان: الآية ٢٤]؛ لأنَّك إذا تصوّرتَ حالَ أهلِ الجنةِ مع أهلِ النَّارِ لم تَجِدْ ثُمَّ مراتبَ متقاربةً يترقَّى الواصفُ في درَجِها، ويتصوّر اشتراكهم فيها، إذ لم يكن ثُمَّ مشاركةُ البتَّةِ بوجهٍ من الوجوه. فالجامع بين الآية وبين هذا وأشباهه خارجٌ عن الطَّرِيقَةِ. والصَّوابُ أن يقال في الآية: إِنَّ المعنى: أصحابُ الجنةِ يومئذٍ أَحْسَنُ حالًا وأعظمُ شأنًا، وأعلى درجةً ومكانًا، وخَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وأفضلُ مَقِيلًا، من أن يُشَبَّهَ بشيءٍ، أو يُحَدَّ بوصفٍ، فحُذِفَ منه ما حُذِفَ. وعلى هذا يُحْمَلُ قول المسلمين: الله أكبرُ، وما رُوِيَ عن النبي ﷺ أنه لَمَّا سَمِعَ الكُفَّار يقولون: أَغْلُ هُبْل! قال: «اللهُ أَغْلَى وأَجَل!».

٢ - فوالله ما أنسى قَتِيلًا رُزِيْتُهُ بجانب قُوسَى ما مَشَيْتُ عَلَى الْأَرْضِ

تَعَلَّقَ الباءُ من قوله «بجانب» بـ قَتِيلًا، كأنَّه قال: ما أنسى قَتِيلًا بجانب قُوسَى رُزِيْتُهُ. وموضع رُزِيْتُهُ وبجانب قُوسَى جميعًا صِفَةً للقتيل؛ وقد دَخَلَهُ بعضُ الاختصاص بذكرهما. وقوله «ما مَشَيْتُ» ما مع الفعل في تقدير مصدر حُذِفَ اسْمُ الزَّمان معه، كأنَّه قال: مُدَّةً مَشِييَ على الأرض. وفي الكلام نِيَّةُ الشَّرْطِ والجزاء، كأنَّه قال: لا أنسى قَتِيلًا رُزِيْتُهُ إِنْ مَشَيْتُ على الأرض، ومعناه إِنْ بَقِيَتْ حَيًّا، فلذلك وقع الماضي فيه في موضع المستقبل، لأنَّ «ما مَشَيْتُ على الأرض» في

موضع ما أمشي على الأرض، وإنْ أَمْشِ على الأرض. فَأَمَّا تَذَكُّرُهُ له أَبَدًا فالوجه أن يكون عامًّا فيما يتعلق بالمتوفى وبمن يَرِثُهُ، كأنه لا يَنْسَى أخلاقَهُ وطيبَ العيشِ معه، ولا الامتناعَ بمكانه وشدةَ الفاقةِ إلى حياته، فلا يَنْسَى ما يلزمه في قضاءِ ذِمَّامه وطلبِ دمه، ومكافأةِ أعدائِهِ وقَاتِلِيهِ، إلى غير ذلك. يَشْهَد لهذا الذي قُلْنَاهُ ما يجيء كثيرًا في هذا الباب من قولهم «هَوْنٌ وَجِدِّي أَنِّي لَمْ أَفْعَلْ كَذَا» و«يَذْكُرُنِي مِنْ فُلَانٍ كَذَا»، وما يجري هذا المجرى، ويجوز أن يكون قال: لا أُنْسَا، تعظيمًا للمصيبة به، وتفطيلًا للحال المعترضة فيه، وعلى عادة قولِ النَّاسِ عند النازلة الهائلة، والناثبة الكارية: لا يُنْسِينِي هذا شيء، وهو نَصَبٌ عَيْنِي إلى أن أموت، والمعنى: لا يَزِي أعظم منه.

٣ - على أَنَّهَا تَغْفُو الْكُلُومَ وَإِنَّمَا نُوَكِّلُ بِالْأَذْنَى وَإِنْ جَلَّ مَا يَمْضِي

مثله قول الأحوص: [البسيط]

إِنَّ الْقَدِيمَ وَإِنْ جَلَّتْ رَزِيئَتُهُ يَنْضَوُ فَيُنْسَى وَيَبْقَى الْحَادِثُ الْأَثْفُ

وقوله «على أَنَّهَا تَغْفُو الْكُلُومَ» يجري مجرى الاعتذار منه والاستدراك على نفسه فيما أطلقه من قوله: لا أنسى قتيلاً رَزِيئَتُهُ مُدَّةَ حَيَاتِي. يكشف هذا أن موضع «على أَنَّهَا تَغْفُو الْكُلُومَ» من الإعراب نصبٌ على الحال، والعاقل فيه ما أنسى قتيلاً. وهذا كما تقول: ما أَثْرُكَ حَقَّ فُلَانٍ عَلَى ظُلْمِ بِي، كأنَّ التقدير أُوذِيهِ ظَالِمًا، فعلى المثال الذي ذكرنا يجيء ما أنسى قتيلاً رَزِيئَتُهُ على عفاء الكلوم، أي أذكره عافياً كَلَّمِي كَسَائِرِ الْكُلُومِ. ويعني بالكلم: الْحَزَّةُ عند ابتداء الفَجْعة. وإِنَّمَا قال هذا لأنَّ الإنسانَ يكونه مُهْدِئًا لِلْأَحْدَاثِ، غَرَضًا لِلْمَصَائِبِ وَالْأَرْزَاءِ، موزع الحال بين ما يتجدد له أو يَبْلَى، مُقَسِّمِ الصَّبْرِ فِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ على ما يَحْدُثُ أو يَتَوَلَّى، فلذلك قال «نُوَكِّلُ بِالْأَذْنَى وَإِنْ جَلَّ مَا يَمْضِي» فهذا بيانُ كَوْنِ الْكَلَامِ اعتذارًا. وقوله «على أَنَّهَا» الضمير للقصة، وخبر أَنَّ الْجُمْلَةَ بعدها، ولو قال: على أَنَّهُ لَجَازَ وَكَانَ الضَّمِيرُ لِلشَّانِ وَالْأَمْرِ. والمراد: على أَنَّ الْقِصَّةَ إِذَا اقْتَضَتْ، وَالصُّورَةُ إِذَا تَحَقَّقَتْ، أَنَّ الْجُرُوحَ تَغْفُو، وَإِنَّمَا الْجَزَعُ لِلْأَقْرَبِ مِنْهَا فَالْأَقْرَبُ يَتَسَلَّطُ فَيَعْلُو. وهذا كما سئل بعضهم: ما أَشَدُّ الْأَدْوَاءِ؟ فقال: ما يَخْضُرُكَ، وَإِنْ بَرَّحَ بِكَ مَا غَابَ! ويقال: عَفَا الشَّيْءُ، إِذَا دَرَسَ عَفَاءً وَعَفُوا، وَتَعَفَّى أَيْضًا، وَعَفَّتْ الرِّيحُ، وَعَفَا الشَّيْءُ: كَثُرَ عَفُؤًا وَعَفُوتُهُ. قال أبو زيد: يقال عَفُوتُ صُوفِ الشَّاةِ، إِذَا أَخَذَتْهُ، وَعَفُوتُهُ إِذَا وَقَزَتْهُ، فَهُوَ مِنَ الْأَضْدَادِ. وَأَبْلَغُ مِمَّا

قاله قول الآخر: [الطويل]

فلم تُثْسِنِي أَوْفَى المصِيبَاتِ بَعْدَهُ وَلَكِنَّ نَكَءَ الْقَرْحِ بِالْقَرْحِ أَوْجَعُ^(١)

٤ - وَلَمْ أَدْرِ مَنْ أَلْقَى عَلَيْهِ رِداءً وَلَكِنَّهُ قَدْ سُلَّ عَنْ مَاجِدٍ مَحْضٍ^(٢)

ويجوز أن يكون «من» بمعنى الذي فيكون في موضع المفعول، «وَأَلْقَى عَلَيْهِ رِداءً» صِلَتْهُ، ويجوز أن يكون مَنْ استفهاماً مبتدأً وألقى عليه رداءه في موضع الخبر، وتكون الجملة في موضع المفعول لـ«لَمْ أَدْرِ». وتحقيق الكلام: لم أدري ما يقتضي هذا السؤال، لأن الذي خَفِيَ عليه ذات المُلْقِي واسمُه لا فعله. وموضع «على أنه» نَصَبٌ في موضع الحال، كأنه قال: أدريه مسلولاً من ماجدٍ مَحْضٍ. ويروى: «سوى أنه قد سُلَّ» ويكون موضع سَوَى من الإعراب نَصَباً على أنه استثناء خارج، ألا تَرَى أنه يتأتى أن يَجْعَلَ مكانه لَكِنَّ، والتقدير: لا أعرف اسمه ونَسَبَهُ، إلا أنه وَلَدُ كريم بما ظهر من فعله. والمستثنى قد انقَطَعَ عن الأول، ألا تَرَى أنه قد عَرَفَهُ بدلالته وإن لم يعرف نفسه وذاته. ومعنى البيت: ولا أعلم الذي اهتدى لهذه المَكْرَمَةِ في بابِ ابني خراش، ولكنه كريم الأصل شريف القرع، مؤثرٌ لفعل الصَّنِيعَةِ كيف انْفَقَتْ، لا يُراعي وجوبها ولا زكائها. وأصل المَجْدِ الكثرة، يُقال: أمجدت الدابة العَلَفَ، إذا أكثرت له، وأراد بالمحض صفاء النسب.

٥ - وَلَمْ يَكْ مَثْلُوجَ الْفُوَادِ مُهَبَّجًا أَضَاعَ الشُّبَابَ فِي الرِّبِيلَةِ وَالْحَفْضِ

قوله «ولم يك» حذف النون من يَكُنْ لكثرة الاستعمال لهذه اللفظة، ومضارعة النون لحروف المد واللين، وقد مضى مثله. وقوله «مَثْلُوجَ الْفُوَادِ» أي باردَ الفؤاد غير ذكي ولا حديد. والمُهَبَّج: المتورم، يقال هَبَّجَهُ بِالْعَصَا فَهَبَّجَ وَتَهَبَّجَ، إذا ضربَهُ بها فانتفخ وتورم. والرِّبِيلَةُ، أصلها الرُّطوبَةُ والسَّمْنُ. يقال: رجلٌ رَبْلٌ، ويشتر ذات رِبَالَةٍ، إذا كانت ناجعة الماء في الماشية تَسْمَنُ عليه. والرَّبْلُ: ما تَقَطَّرَ من الورق في آخر الصيف بِزْدِ اللَّيْلِ. يقال: هُمْ يَتَرَبَّلُونَ. والرِّبَالُ من أسماء الأسد إذا لم يَهْمَزَ، يجوز أن يكون فيعَلاً من هذا، لَتَرَبُّلِهِ وَعِظَمِهِ. وَالْحَفْضُ: الدَّعَةُ وتركُ السَّفَرِ. ومعنى البيت: أنه رَجَعَ. إلى صفة عُرُوَّة فقال: كان ذَكِّي الْفُوَادِ شَهْمًا، نافذاً في الأمور حيي

(١) بلا نسبة في جمهرة اللغة ١١٠٥، وأساس البلاغة (نكا)، ولمسعود أخو ذي الرمة في حواشي البيان ٢: ١٩٢.

(٢) التبريزي: «على أنه قد سُلَّ».

الْقَلْب، لَا آفَةٌ بِهِ فَيَتَوَرَّمُ جِلْدُهُ أَوْ يَتَغَيَّرَ لَوْنُهُ، وَلَمْ يَكُنْ مِمَّنْ ضَيَّعَ شَبَابَهُ فِي التَّوَدُّعِ وَصَلَاحِ الْبَدَنِ، حَتَّى كَانَ يَثْرُكُ السَّفَرُ وَاکْتِسَابَ الْأَحْدُوثةِ بِمَا يَمْتَنُّ فِيهِ النَّفْسُ، وَيَتَعَرَّضُ مِنْ أَجْلِهِ لِلتَّلَفِ.

٦ - وَلِكِنَّهُ قَدْ نَارَعَنَهُ مَجَاوِعٌ عَلَى أَنَّهُ ذُو مِرَّةٍ صَادِقُ النَّهْضِ

لَكِنَّ الْمَخْفِقَةَ اسْتَدْرَكَ بَعْدَ نَفْيِ، وَالْمَشْدُدَّةُ وَإِنْ كَانَ لِلتَّحْقِيقِ فِيهِ مَعْنَاهُ. فَلَمَّا نَفَى عَنْهُ مَا قَدَّمَهُ فِي الْبَيْتِ الَّذِي قَبْلَهُ، اسْتَدْرَكَ عَلَى نَفْسِهِ إِبْثَاتٌ مَا يَتَضَمَّنُ هَذَا الْبَيْتُ لَهُ. وَيُرْوَى «وَلَكِنَّهُ قَدْ لَوَّحَتْهُ مَخَامِصٌ»، وَمَعْنَى لَوَّحَتْهُ غَيَّرَتْهُ، وَالْمَخَامِصُ: جَمْعُ مَخْمَصَةٍ، وَهِيَ خَلَاءُ الْبَطْنِ مِنَ الطَّعَامِ جُوعًا. وَفِي الْحَدِيثِ: «تَغْدُو الطَّيْرُ خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا»^(١). وَالْمَجَاوِعُ مِثْلُ الْمَخَامِصِ. وَالْخِصَالُ الَّتِي تَحْمِلُ النَّفْسَ عَلَى الصَّبْرِ عَلَى الْجُوعِ وَالْخِمَاصَةِ مَخَامِصُ وَمَجَاوِعُ. فَيَقُولُ: كَمَا انْتَفَى عَنْهُ تِلْكَ الْأَوْصَافُ الذَّمِيمَةُ جَاذِبَتُهُ فِي مَسَاعِيهِ وَمَتَصَرِّفَاتِهِ لِمَبَاغِيهِ الشَّرِيفَةِ وَمَطَالِبِهِ مَجَاوِعُ أَوْ مَخَامِصُ، يَرِيدُ خِصَالًا تُجَوِّعُ فِيهَا النَّفْسَ وَتُقْطَعُ فِيهَا عَنِ لَذِيذِ الطَّعْمِ؛ وَهُوَ ذُو قُوَّةٍ، إِذَا نَهَضَ فِي الْأُمُورِ صَدَقَ فِيهَا، وَلَمْ يَكْذِبْ فِعْلٌ مَن يَأْتِي الشَّيْءَ تَعْذِيرًا أَوْ رِيَاءً. وَقَوْلُهُ «صَادِقُ النَّهْضِ» جَعَلَ الصَّدْقَ لِلنَّهْضِ وَإِنْ كَانَ الْفِعْلَانِ لَهُ وَلِلَّذَلِكَ كَانَ نَكْرَةً تَقْدِيرُهُ: ذُو مِرَّةٍ صَادِقٌ نَهَضْتُهُ، وَأَصْلُ التَّهَوُّضِ الْبَرَّاحُ مِنَ الْأَرْضِ، وَمِنْهُ النَّاهِضُ: الْفَرَحُ الَّذِي وَقَرَّ جَنَاحَاهُ فَتَهَضَّضَ لِلطَّيْرَانِ.

٢٦٣ - وَقَالَ عَبْدَةُ بْنُ الطَّبِيبِ^(٢): [الطويل]

١ - عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ قَيْسَ بْنَ عَاصِمٍ وَرَخِمَتْهُ مَا شَاءَ أَنْ يَتَرَحَّمَا

حَيَّاهُ بِقَوْلِهِ: «عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ وَرَحْمَتُهُ» وَهَكَذَا تَحِيَّةُ الْمَوْتَى، بِتَقْدِيمِ عَلَيْكَ، وَالْمَعْنَى: عَلَيْكَ مِنْ اللَّهِ السَّلَامَةُ! وَسَلَامَتُهُ وَقَدْ مَاتَ، فِي تَوْفُّرِ الرَّحْمَةِ عَلَيْهِ لِذَلِكَ قَالَ «مَا شَاءَ أَنْ يَتَرَحَّمَا»، فَاسْتَدَامَ لَهُ التَّحِيَّةُ بِقَوْلِهِ: مَا شَاءَ أَنْ يَتَرَحَّمْ؛ لِأَنَّ التَّرْحِمَ مِنْ اللَّهِ دَائِمٌ، لِاتِّصَالِ رَحْمَتِهِ فِي خَلْقِهِ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: تَوْفَّرَتْ عَلَيْكَ الرَّحْمَةُ مَا شَاءَ

(١) فِي النِّهَايَةِ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ ٢: ٨٠، وَمِنْهُ الْحَدِيثُ: «كَالطَّيْرِ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا» أَيْ تَغْدُو بِمِرَّةٍ وَهِيَ جِيَاحٌ، وَتَرُوحُ عِشَاءً وَهِيَ مِمْتَلِئَةٌ الْأَجْوَفِ.

(٢) عَبْدَةُ بْنُ الطَّبِيبِ: شَاعِرٌ مَخْضَرُمٌ مُجِيدٌ لَيْسَ بِالْمَكْثَرِ، أَدْرَكَ الْإِسْلَامَ فَأَسْلَمَ وَكَانَ فِي جَيْشِ النِّعْمَانِ بْنِ الْمُقَرَّرِ الَّذِينَ حَارَبُوا مَعَهُ الْفَرَسَ بِالْمَدَائِنِ. تَرَجَّمَتْهُ فِي الشُّعْرِ وَالشُّعْرَاءِ ٧٠٥، وَالْأَغَانِي ٢١: ٣٠ (دَارُ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ).

أن يترحم. وقوله «ما شاء» ما مع الفعل في تقدير مصدر، وهو في موضع الظرف، والمصادر يُحذف معها أسماء الزمان كثيراً، فالتقدير: مُدَّة مشيئته للرحمة. والسلام من أسماء الله تعالى، مصدر في الأصل، والمُرَاد به ذو السَّلامة. وليس في أسمائه تعالى ما هو مصدر إلا هذا، وقولهم إله، والباقي كُلُّه صفات. وقوله «قيس بن عاصم» هو على لغة من لا يُنَوِّن في غير النداء، ومن ينوِّن يقول قَيْسُ فيبينه على الضَّم.

٢ - تَحِيَّةٌ مِنْ غَادَرْتَهُ غَرَضَ الرَّدَى إِذَا زَارَ عَنْ شَخِطِ بِلَادِكَ سَلَمًا

انْتَصَبَ «تَحِيَّةٌ» عَلَى الْمَصْدَرِ مِمَّا دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ، كَأَنَّهُ قَالَ: أَحْيِيكَ تَحِيَّةً مِنْ غَادَرْتَهُ. و«من غادرته» يجوز أن يكون مَنْ مَعْرِفَةً فِي مَوْضِعِ الَّذِي وَغَادَرْتَهُ مِنْ صِلَتِهِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ نَكِيرَةً فِي مَوْضِعِ إِنْسَانٍ كَأَنَّهُ قَالَ: تَحِيَّةُ إِنْسَانٍ هَكَذَا، فَيَكُونُ غَادَرْتَهُ صِفَةً لَهُ. وَانْتَصَبَ «غَرَضَ الرَّدَى» عَلَى الْحَالِ، وَهُوَ فِي مَوْضِعِ النُّكْرَةِ وَإِنْ كَانَ مُضَافًا إِلَى مَا فِيهِ الْأَلْفُ وَاللَّامُ، لِأَنَّ غَرَضَ يَتَضَمَّنُ مَعْنَى الصُّفَةِ، كَأَنَّهُ قَالَ غَادَرْتَهُ مَنْصُوبًا لِلرَّدَى وَهَذَا لَهُ. وَقَوْلُهُ «إِذَا زَارَ عَنْ شَخِطِ بِلَادِكَ سَلَمًا» يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فِي مَوْضِعِ الصُّفَةِ لَغَرَضِ الرَّدَى أَوْ حَالًا لَهُ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ إِذَا جَعَلْتَ مَنْ مَعْرِفَةً، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فِي مَوْضِعِ الْبَدَلِ مِنْ غَادَرْتَهُ إِذَا جَعَلْتَهُ صِلَةً. وَقَوْلُهُ «عَنْ شَخِطِ» أَرَادَ بَعْدَ شَحَطِ أَيْ بُعِدَ. يَقَالُ: شَحَطَ يَشْحَطُ شَخِطًا وَشُحُوطًا. وَكَأَنَّهُ أَشَارَ بِهِ إِلَى بُعْدِ الْمَزَارِ وَالْعَهْدِ جَمِيعًا. وَقَوْلُهُ «سَلَمًا» جَوَابُ إِذَا. وَمَعْنَى الْبَيْتِ: أَحْيِيكَ تَحِيَّةَ الرَّجُلِ الَّذِي غَادَرْتَهُ غَرَضَ الرَّدَى، أَوْ تَحِيَّةَ إِنْسَانٍ هَكَذَا، عَلَى التَّقْدِيرَيْنِ. أَيْ تَرَكْتَهُ مُهْدِفًا لِلْمَهَالِكِ وَالْمَعَاطِبِ، وَبِمَذْرَجَةِ الْآفَاتِ وَالتَّوَائِبِ، أَشَدُّ مَا كَانَ حَاجَةً إِلَيْكَ، لَا نَاصِرَ لَهُ وَلَا مُلْتَجَأَ، وَلَا مُسْتَغَاثَ وَلَا مُعْتَمَدَ، وَإِذَا أَرَادَ قَضَاءَ حَقِّكَ، أَوْ زِيَارَتَكَ لِلتَّسْلِيِّ بِكَ، فَقَطَعَ الْمَسَافَةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَكَ لَمْ يَزْرَأَكَ شَيْئًا إِلَّا تَسْلِيمًا عَلَيْكَ، وَهَذَا الْكَلَامُ تَصْرِيحٌ بِالْيَأْسِ مِنْهُ، وَإِظْهَارٌ لِلْحَاجَةِ إِلَيْهِ.

٣ - فَمَا كَانَ قَيْسٌ هُلُكُهُ هُلُكَ وَاحِدٍ وَلَكِنَّهُ بُنْيَانُ قَوْمٍ تَهْلُمًا

يَجُوزُ أَنْ يَرَوَى «هُلُكَ» بِالضُّبِّ وَالرَّفْعِ، فَإِذَا نَصَبْتَ كَانَ هُلُكُهُ فِي مَوْضِعِ الْبَدَلِ مِنْ قَيْسٍ وَهُلُكَ يَنْتَصِبُ عَلَى أَنَّهُ خَبَرُ كَانَ كَأَنَّهُ قَالَ: فَمَا كَانَ هُلُكَ قَيْسٍ هُلُكَ وَاحِدٍ مِنَ النَّاسِ، بَلْ مَاتَ بِمَوْتِهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ، وَتَقَوَّضَ بَيْنِيَّتِهِ وَعِزُّهُ بِنْيَانٌ رَفِيعٌ. وَإِذَا رَفَعْتَهُ كَانَ هُلُكُهُ فِي مَوْضِعِ الْمَبْتَدَأِ، وَهُلُكَ وَاحِدٍ فِي مَوْضِعِ الْخَبَرِ، وَالْجُمْلَةُ فِي مَوْضِعِ النَّصْبِ

على أنه خَبِرُ كان، ويُشبه هذا البيت قولُ امرئ القيس: [الطويل]

فَلَوْ أَنَّهَا نَفْسٌ تَمُوتُ سَوِيَّةً وَلَكِنِهَا نَفْسٌ تُسَاقِطُ أَنْفَسًا^(١)

إِذَا رَوَيْتَ «تَسَاقِطُ» بَضْمُ التَاءِ. ومثلُهُمَا وَإِنْ أَغْمَضَ قَوْلُ الْهَذَلِيِّ: [الطويل]

مُطَاطَاةٌ لَمْ يُنَبِّطُوهَا وَإِنَّهَا لَيَرِضَى بِهَا فُرَاطُهَا أَمْ وَاحِدٍ^(٢)

لأنَّ المعنى أَنَّ الْفُرَاطَ لَمَّا حَفَرُوا الْقَبْرَ رَضُوا بِأَنْ يَضَعُوا فِيهِ وَاحِدًا، فَإِذَا هُمْ يَدْفِنُونَ بِدَفْنِهِ خَلْقًا كَثِيرًا.

وَصَلَحَ قَوْلُهُ «وَلَكِنَّهُ بُنْيَانٌ قَوْمٍ تَهْدُمَا» فِي مَقَابِلَةِ «فَمَا كَانَ قَيْنُسُ هُلُكُهُ» لِمَعْنَاهُ الْمَوَافِقُ لَهُ، وَذَلِكَ أَنَّ الْبُنْيَانَ وَتَهْدُمُهُ لَمْ يَكُنْ إِلَّا لِمَوْتِ أَرْبَابِهِ.

٢٦٤ - وَقَالَ هِشَامٌ أَخُو ذِي الرُّمَّةِ^(٣): [الطويل]

١ - تَعَزَّيْتُ عَنْ أَوْفَى بِغَيْلَانَ بَعْدَهُ عَزَاءٌ وَجَفْنُ الْعَيْنِ مَلَأَنَ مُنْزَعُ

هشامٌ هذا فُجِعَ بِأَخِيهِ أَوْفَى، وَاتَى عَلَيْهِ زَمَانٌ مَقَاسِيًا لِأَلَامِ الْفَجِيعَةِ بِهِ، ثُمَّ أَصِيبَ بَعْدَهُ بِغَيْلَانَ - وَهُوَ ذُو الرُّمَّةِ - فَيَقُولُ: تَسَلَيْتُ عَنْ الرِّزِينَةِ بِأَوْفَى أَخِي، بَعْدَ أَنْ أَصِيبْتُ بِغَيْلَانَ عَقِيْبَهُ، وَجَفْنُ عَيْنِي مَمْلُوءٌ دَمْعًا، عَزَاءٌ. وَانْتَصَبَ «عَزَاءٌ» عَلَى الْمَصْدَرِ، وَهُوَ مَوْضُوعُ الْمُضَعِّعِ، وَالْفِعْلُ مِنَ الْعَزَاءِ عَزَى وَعَزَى جَمِيعًا، أَيْ صَبَرَ. وَيُقَالُ: هُوَ حَسَنُ الْعِزْوَةِ، أَيْ الْعَزَاءِ، وَبِنَاءِ تَعَزَّى بِنَاءِ تَكَلَّفٍ. وَالرَّوَاوُ مِنْ قَوْلِهِ «وَجَفْنُ الْعَيْنِ» وَאו الْحَالِ، وَالْعَامِلُ فِي مَوْضِعِ الْجُمْلَةِ تَعَزَّيْتُ. وَفَائِدَةُ اقْتِرَانِ هَذِهِ الْحَالِ بِمَا قَبْلَهُ هُوَ أَنَّ يَتَبَيَّنُ بِهِ ضَعْفُ الْعَزَاءِ الْمَشَارِ إِلَيْهِ؛ لِأَنَّ الْعَزَاءَ الْمُتَكَلَّفَ إِذَا صَحِبَهُ الْبُكَاءُ لَمْ يَكُنْ عَزَاءً فِي الْحَقِيقَةِ، وَلَا يَمْتَنِعُ أَنْ تَكُونَ الْجُمْلَةُ الَّتِي هِيَ «وَجَفْنُ الْعَيْنِ مَلَأَنَ» فِي مَوْضِعِ الصِّفَةِ لِعَزَاءٍ، لِأَنَّكَ إِذَا قُلْتَ رَأَيْتُ رَجُلًا وَمَعَهُ غُلَامُهُ، مَعْنَاهُ رَجُلًا بِهَذِهِ الصِّفَةِ، فَكَذَلِكَ يَكُونُ الْمَرَادُ عَزَاءً بِهَذِهِ الصِّفَةِ وَهِيَ أَنْ يَصْحِبَهُ الْبُكَاءُ. وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْعَامِلُ فِي مَوْضِعِ قَوْلِهِ «وَجَفْنُ الْعَيْنِ» عَزَاءً إِذَا جَعَلْتَهُ حَالًا؛ لِأَنَّ

(١) الْبَيْتُ فِي دِيْوَانِهِ ١٠٧، وَسَرِّ صِنَاعَةِ الْإِعْرَابِ ٢: ٦٤٨، وَشَرْحُ الْمِفْصَلِ ٩: ٨، وَاللِّسَانُ (جَمْع).

(٢) لِأَبِي ذُوَيْبِ الْهَذَلِيِّ فِي شَرْحِ أَشْعَارِ الْهَذَلِيِّينَ ص ١٩٣، وَاللِّسَانُ (وَحْد)، وَالشَّعْرُ وَالشَّعْرَاءُ ٦٦١، وَأَسَاسُ الْبَلَاغَةِ (طَاطَا).

(٣) التَّبْرِيزِيُّ: «وَقَالَ هِشَامُ بْنُ عُقْبَةَ الْعُدُويِّ، أَخُو ذِي الرُّمَّةِ يَرِثِي أَوْفَى بْنَ دَلْهِمٍ وَذَا الرُّمَّةَ غَيْلَانَ».

الاعتماد على الفعل، وعزاء معموله، والمصدرُ وقد تبع الفعل معمولاً له يؤكدُه لا يعملُ في غيره عمله، ولا فعلٌ معه. وقوله «مُتَرَعٌ» أراد الامتلاء وزيادة، وهو الانصباب. يقال: أترعتُ الإناء، إذا ملأته مَلَأَ يَفْصِقُ عَمَّا يحويه حتى يَنْصَبَ منه. ويقال تَرَعَ الإناء وأترَعَ بما فيه. والمُتَرَعُ: المتسرع إلى الشرِّ المقتحم فيه، منه. وجعل الامتلاء للجفن لأنه مُنْسِكُ الدَّمع، وأصل الجفن الحبس، لذلك قيل لقِراب السيف: جَفَن.

٢ - نَعَى الرُّكْبُ أَوْفَى حِينَ أَبَتْ رَكَابُهُمْ لَعَمْرِي لَقَدْ جَاؤُوا بِشَرٍّ فَأَوْجَعُوا

٣ - نَعَوْا بِأَسَقِ الْأَفْعَالِ لَا يَخْلُقُونَهُ تَكَادُ الْجِبَالُ الصُّمُّ مِنْهُ تَصْدَعُ

أَتَبَعَ ما تقدّم باقتصاص نعي الرُّكْبَانِ لأَوْفَى، كأنه أراد أن يذكر ابتداء المُصَاب به ليتبين كيف توفّر الجزعُ عليه، وكيف انصرف ما انصرف منه إلى ما تعقّبهُ من المُصَاب الثاني، فيقول: ذَكَرَ الرُّكْبَانُ مَوْتَ أَوْفَى عِنْدَ إِيَابِهِمْ، وَلَعَمْرِي لَقَدْ ذَكَرُوا شَرًّا عَظِيمًا، وَأَوْجَعُوا قَلْبًا سَلِيمًا. وقوله «نَعَوْا بِأَسَقِ الْأَفْعَالِ» أعاد ذِكْرَ النَّعْيِ تَفْظِيحًا لِلشَّانِ. ويقال: نَعَى نَعْيًا وَنَعِيًّا وَنَعِيَانًا، أَي خَبَرَ بِالمَوْتِ. وقولهم: نَعَاءُ فَلَانًا، لَفْظَةٌ يَشْهَرُونَ بِهَا مَوْتَ الرَّئِيسِ. ومعنى «بِأَسَقِ الْأَفْعَالِ لَا يَخْلُقُونَهُ» أَنَّهُمْ ذَكَرُوا مَوْتَ رَجُلٍ عَلِيٍّ الشَّانِ، شَرِيفِ الْأَفْعَالِ، رَفِيعِ الْحِكْمَةِ، هُمْ بِأَجْمَعِهِمْ لَا يَقُومُونَ مَقَامَهُ فِيمَا كَانَ يَتَوَلَّاهُ فِي الْحَيِّ مِنَ الْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ، وَالتَّحَمُّلِ عَنْهُمْ، وَبَسْطِ الْخَيْرِ فِيهِمْ، وَالْبُسُوقِ فِي الْأَفْعَالِ، وَهُوَ فِي الْأَصْلِ الطُّوْلُ وَالِاسْتِكْمَالُ، وَيجوز أن يكونَ إشارةً إِلَى أَنَّهُ لَا يُدْرِكُ غَايَتَهَا، فَكُلُّ فِعْلٍ يَقَعُ مِنْ غَيْرِهِ إِذَا قِيسَ إِلَى مَا يَأْتِيهِ يَتَضَعُ دُونَهُ، وَيَنْحَطُّ عَنْ رَتَبَتِهِ، فَلَا يَعْلُو عُلوَّهُ، وَلَا يَكْمُلُ كَمَالَهُ. وعلى هذا قولهم: فَلَانٌ رَفِيعُ الْفَعَالِ عَلِيٌّ الْمَقَالِ. وَيجوز أن يُرِيدَ بِالْبُسُوقِ امْتِدَادَ الصَّبِّ بِهَا، وَصُعُودَهَا فِي دَرَجٍ تَقْبَلُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهَا إِلَى السَّمَاءِ. وهذا كما يقال: قَوْلُكَ هَذَا يَرْتَقِي إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى. وهذا الشَّعْرُ إِسْلَامِيٌّ، فَلَا يَمْتَنِعُ أَنْ يَشِيرَ فِيهِ إِلَى قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فَاطِر: الآية ١٠]. وقوله «تَكَادُ الْجِبَالُ الصُّمُّ مِنْهُ تَصْدَعُ» مُنْقَطِعٌ مِمَّا قَبْلَهُ وَيجري مجرى الالتفات، لِأَنَّهُ لَمَّا قَالَ «نَعَوْا بِأَسَقِ الْأَفْعَالِ لَا يَخْلُقُونَهُ» كَأَنَّهُ أَقْبَلَ عَلَى مَنْ حَوْلَهُ فَقَالَ: تَكَادُ الْجِبَالُ الصُّمُّ مِنْهُ تَصْدَعُ، وَيكُونُ الصُّمِيرُ مِنْ قَوْلِهِ مِنْهُ يَرْجِعُ إِلَى النَّعْيِ، وَدَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ نَعَوْا. وهذا كما يقال: مَنْ حَمِدَ اللَّهَ تَعَالَى كَانَ خَيْرًا لَهُ، أَي كَانَ الْحَمْدُ خَيْرًا لَهُ. وَالْمُرَادُ بِالصُّمِّ الصِّلَابِ كَأَنَّهُ لَا خُرُوقَ فِي أَثْنَائِهَا وَلَا تَخْلُخُلَ.

٤ - حَوَى الْمَسْجِدُ الْمَعْمُورُ بَعْدَ ابْنِ دَلْهِمٍ وَأَنْسَى بِأَوْفَى قَوْمِهِ قَدْ تَضَفَّضُوا

ابن دلهم كان السبب في عمارة المسجد الذي أشار إليه، فلما مضى لسيبله صار المسجد خالياً إذ كان هو المُرَاعِي والمُتَقَدِّدُ لِصَلَاحِ أمره. وأوفى - يعني الذي يَرْتِيهِ - كان قِوَامُ أمرٍ عَشِيرَتِهِ به، وانتظامُ شُؤُونِهِمْ بِمَكَانِهِ، فلما ثُلَّ عَزْشُهُ وَأَصِيبُوا بِهِ اضْطَرَبَتْ أحوالُهُمْ، واتَّضَعَتْ رُتَبَاتُهُمْ، فصاروا بَعْدَهُ كَالْمَسْجِدِ الْمَعْمُورِ بَعْدَ ابْنِ دَلْهِمٍ. أراد أن يشبه تَضَعُضُ القومِ بِمُوتِ أَوْفَى، بِخَرَابِ الْمَسْجِدِ بِمُوتِ ابْنِ دَلْهِمٍ فَلَمْ يَأْتِ بِلَفْظِ التَّشْبِيهِ إِذْ كَانَ مَعْنَاهُ مِنَ الْكَلَامِ مَفْهُومًا. وَالضُّعْضُعةُ: الْخُضُوعُ وَالتَّذَلُّلُ.

٥ - فَلَمْ تُنْسِنِي أَوْفَى الْمُصِيبَاتِ بَعْدَهُ وَلَكِنْ نَكَّةَ الْقَرْحِ بِالْقَرْحِ أَوْجَعُ

الْقَرْحُ وَالْقَرْحُ لَفْتانٌ فِي عَضِّ السِّلَاحِ وَمَا يَجْرَحُ فِي الْجَسَدِ. وَيَقَالُ: إِنَّهُ لَقَرْحٌ قَرِيحٌ، وَقَرِحَ قَلْبُهُ مِنَ الْحُزَنِ. وَنَبَّهَ بِهَذَا الْكَلَامِ عَلَى أَنَّ الْجَرْعَ بِأَوْفَى لَمْ يُزَلْهُ مَا تَعَقَّبَهُ مِنَ الْمَصَائِبِ، وَلَكِنَّهُ زَادَهُ اشْتِدَادًا، ثُمَّ شَبَّهَهُ بِالْقَرْحِ وَهُوَ الْجَرْحُ، وَقَدْ جَلَبَ وَيَسَّ، إِذَا نُكِيَءَ وَقَرِحَ ثَانِيًا، أَيِ أَذْمِي وَقُشِرَتْ جُلْبَتُهُ كَمَا أَنَّ الْقَرْحَ إِذَا فُعِلَ بِهِ ذَلِكَ كَانَ إِيجَاعُهُ أَشَدَّ وَأَبْلَغَ، فَالْهَلَعُ بِمُوتِ أَوْفَى وَقَدْ أُمِدَّ بِمُصَابٍ آخَرَ يَكُونُ أَنْتُمْ وَأَكْمَلُ. وَقَوْلُهُ «أَوْجَعُ» مَوْضُوعٌ مَوْضِعَ أَشَدَّ إِيجَاعًا.

فإن قيل: كيف صَلَحَ ذَلِكَ، وَأَفْعَلُ الَّذِي لِلْمَبَالِغَةِ وَالتَّفْضِيلِ يَتَّبِعُ مَا أَفْعَلَهُ وَكَذَلِكَ أَفْعَلُ بِهِ، وَفِعْلُ التَّعْجُبِ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الثَّلَاثِي لَا غَيْرُ: فَعَلْ وَفَعِلْ وَفَعِلْ، وَأَوْجَعَنِي لَيْسَ مِنْهَا؟ قُلْتُ: ذَلِكَ سَائِعٌ عَلَى مَذْهَبِ سَيَبَوِيهِ، إِذْ كَانَ عِنْدَهُ أَنَّ فِعْلَ التَّعْجُبِ يَكُونُ مِنَ الثَّلَاثِي وَمِمَّا كَانَ عَلَى أَفْعَلٍ خَاصَّةً، عَلَى ذَلِكَ حُكْمِي قَوْلُهُمْ: مَا أَعْطَاهُ لِلْمَالِ، وَمَا آتَاهُ لِلخَيْرِ، وَإِنَّمَا هُمَا مِنَ الْإِيتَاءِ وَالْإِعْطَاءِ، لَا مِنَ الْأَنْتِي وَالْعَطَاءِ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُمْ: مَا أَسَدَاهُ لِلْمَعْرُوفِ، وَذَلِكَ لَكثْرَةِ وَجْهِ الشَّبْهِ بَيْنَ فَعَلْ وَأَفْعَلْ، أَلَا تَرَى أَنَّهُمَا يَتَّفِقَانِ فِي مَعْنَى، وَأَنَّهُ يُقَالُ فِي مَفْعُولِهَا مَفْعُولٌ، وَفِي فاعِلِهَا فاعِلٌ، وَأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَقَعُ فِي مَطَاوِعَةِ الْآخَرِ، إِلَى غَيْرِ هَذَا مِنَ الشَّبْهِ. وَكَانَ أَبُو الْعَبَّاسِ الْمُبَرِّدُ يَقُولُ: ذَلِكَ جَائِزٌ عَلَى حَذْفِ الزَّوَائِدِ، يَعْنِي بِنَاءَ التَّعْجُبِ مِنْ أَفْعَلٍ وَيَشَبُّهُ بِقَوْلِ الشَّاعِرِ: [الرجز]

يَكْشِفُ عَنْ جَمَامِهِ دَلُّو الدَّالِّ^(١)

(١) للمعاج في ديوانه ٨٦، واللسان (دلا).

وقوله: [الرجز]

وَمَهْمِهِ هَالِكٍ مَنْ تَعَرَّجَا^(١)

ويقول الله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوْفِحَ﴾ [الحجر: الآية ٢٢]. ويُجَوِّزُ مثلَ هذا في كل ما كان أصله ثلاثياً على أي بناء حصل. وكان يتبع مذهب الأخفش في ذلك، فاعلمه.

٢٦٥ - وقال مُتَمِّمُ بْنُ نُورَةَ يرثي مالكا أخاه^(٢): [الطويل]

- ١ - لَقَدْ لَأَمَنِي عِنْدَ الْقُبُورِ عَلَى الْبُكَاءِ رَفِيقِي لِتَذْرَافِ الدَّمُوعِ السَّوَافِكِ
- ٢ - فَقَالَ أَتَبْكِي كُلَّ قَبْرِ رَأَيْتَهُ لِقَبْرِ ثَوَى بَيْنَ اللَّوَى فَالدَّوَانِكِ^(٣)
- ٣ - فَقُلْتُ لَهُ إِنَّ الشُّجَا يَنْبَعُثُ الشُّجَا فَدَعْنِي فَهَذَا كُلُّهُ قَبْرُ مَالِكِ

يقول: اسْتَسْرَفَ رَفِيقِي بِكَائِي عِنْدَ الْقُبُورِ، وَاسْتَفْظَعَ سَيْلَانِ الدَّمُوعِ مِنْ عَيْنِي فَقَالَ مُوَبِّحًا: أَمِنْ أَجْلِ قَبْرِ لَكَ بَيْنَ اللَّوَى فَالدَّوَانِكِ تَبْكِي عِنْدَ كُلِّ قَبْرِ تَرَاهُ؟ فَاجَبْتُهُ بِأَنَّ الْحُزْنَ يُهَيِّجُ الْحُزْنَ فَاتْرَكْنِي، فَكُلُّ قَبْرٍ أَنْتَهِيَ إِلَيْهِ يَذْكُرُنِي قَبْرَ مَالِكِ، إِذْ لَيْسَ لِي فِي قَبْرِ مَالِكِ إِلَّا مِثْلُ مَا لِي فِي الْقُبُورِ كُلِّهَا. يُرِيدُ أَنَّ أَسْبَابَ الْحُزْنِ وَمَهِيجَاتِهِ تَتَشَابَهُ، فَكُلُّهَا مِنْهَا يَقُومُ مَقَامَ الْآخَرِ وَلَا سِيَّما وَقَدْ تَوَافَقَتْ فِي الْجَنَسِيَّةِ. وَقَوْلُهُ «لِتَذْرَافِ الدَّمُوعِ السَّوَافِكِ» أَيِ مِنْ أَجْلِهِ، بَعْدَ قَوْلِهِ «عَلَى الْبُكَاءِ»، فِيهِ مِنَ الْفَائِدَةِ الْمُتَجَدِّدَةِ التَّنْبِيهُ عَلَى إِجَابَةِ الدَّمُوعِ لَهُ، وَانْصِبَابِهَا بِحَسَبِ مَرَادِهِ، حَتَّى لَا جُمُودَ مِنَ الْجِجَاجِ فِي شَيْءٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ، وَلَا تَوَقَّفَ مِنَ السَّيْلَانِ فِي حَالٍ مِنَ الْحَالَاتِ، وَلَيْسَ كُلُّ بَاكِ بِهَذِهِ الصَّفَةِ. فَكَأَنَّهُ لَأَمَنَهُ عَلَى الْبُكَاءِ مِنْ أَجْلِ مَا اسْتَنَكَّرَهُ مِنْ إِجَابَةِ الدَّمُوعِ السَّائِلَةِ لَهُ، إِذْ كَانَ ذَلِكَ بِالضَّرَرِ عَلَيْهِ أَعْوَدَ، وَإِلَى بَطْلَانِ الْعَيْنِ بِمَكَانِهِ أَذْعَى. وَقَالَ «السَّوَافِكِ» وَالسَّفْكُ صَبُّ الدَّمِ وَالِدَّمْعِ، فَوَصَفَ الدَّمُوعَ بِهَا لِأَنَّهَا جَمَعَ سَافِكَةٍ، وَالْمَرَادُ ذَوَاتُ السَّفْكِ. وَالسَّفْكُ أَيْضًا: نَثْرُ الْكَلَامِ. وَيُقَالُ: رَجُلٌ سَفَّكَ لِلدَّمَاءِ، وَسَفَّكَ بِالْكَلامِ، أَيِ يُثِيرُ الْكَلَامَ وَيَصُبُّ الدَّمَاءَ.

(١) للعجاج في ديوانه ٢: ٤٣، واللسان (هلك)، وديوان الأدب ٢: ١٧٨، وكتاب العين ٣: ٣٧٨.

(٢) متمم بن نورة بن جمره بن شداد اليربوعي التميمي: شاعر فحل (ت نحو ٣٠ هـ/ ٦٥٠ م) ترجمته في الإصابة (٧٧١٧)، والأغاني ١٥: ٢٨٩ (دار الكتب العلمية)، والجمحي ص ١٦٩.

(٣) التبريزي: «فالدكادك».

وقوله «بين اللوى والدوانك» اكتفى بين اللوى، وهو مُسْتَرْق الرمل لوقوعه على أماكن مختلفة، ولما اكتفى به جاز أن يترتب عليه فالدوانك. ولو روي «الدوانك» كان جائزاً، إلا أن اللوى حيث لا يتصور شموله لبقاع كما يتصور في أسماء المجموع شمولها للكثير، نحو القوم والرهط والعشيرة.

والشجاء: الحزن. يقال: شجاء يشجوه شجواً، فشجي يشجي شجاً. ومعنى يبعث يهيج ويثير. على هذا قولك بعتته من منامه، والبعث في الجند. وقوله «فهذا كله قبر مالك» أشار بهذا إلى الجنس كما هو، كأنه أراد جنس القبور؛ يدل عليه إتباعه إيائه بما يفيد العموم، وهو قوله كله. ويقال: ذرقت عينه ذرقاً وذرفاً وذريقاً. فأما قوله «تذراف» فهو من باب ما تكثر فيه المصدر من فعلت وتلحقه الزوائد وتبنيه بناء آخر على غير ما يجب للفعل، قَصْداً إلى المبالغة والتكثير. وقوله «الدوانك» علم لموضع. وذلك فيما أظنه مُهْمَلٌ.

ومالك بن نويرة قُتل في الردة أيام أبي بكر رضي الله عنه.

٢٦٦ - وقال أبو عطاء السندي^(١): [الطويل]

١ - ألا إن عينا لم تجذ يوم واسط عليك بجاري ذمها لجمود

٢ - عشيّة قام النائحات وشققت جيبوب بأيدي ماتم وخدود

افتتح كلامه بالآ، ثم أخذ يعظم أمر الفجيعة، ويبين موقعها من النفوس، وشدة تأثيرها في القلوب، واشتراك الناس كافة في الجزع لها، والهلع عليها، فقال: إن عينا لم تنسخ بدمعها الجاري على هذا المراثي يوم واسط لجمود الحجاج على المصائب، شديدة البخل بما في شؤونها من الذخائر. والجمود: ضد الذوب، واستعماله في الدمع مجاز.

وقوله «عشيّة قام النائحات» بدل من قوله «يوم واسط» وأسماء الزمان تُضاف إلى الأفعال، وهو توقيت وتحديد، إلا أن فيه بياناً لتفطيع الشان. وعلى هذا ضبطهم لمدى الأوقات في ترتيب النوائب، والتنبيه على ما يتقدم من الأحداث أو يتأخر. ومعنى قيام النائحات، تهيؤها للنوح. وعلى هذا قولهم: قامت السيوف، وقوله تعالى: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ [المائدة: الآية ٦]. وأصل التناوح: التقابل، يقال

(١) التبريزي: «في ابن هبيرة، وقتله المنصور بواسط بعد أمه».

في الجبلين المتقابلين: هما يتناوحيان. وقوله «شَقَّقَتْ جُيُوبٌ بِأَيْدِي مَاتِمٍ وَخُدُودُ» فالْمَاتِم: النساء يجتمعن في الخير والشر، وأصله من الأثم، وهو التقاء المسلكين، ومنه أيضًا الأثوم في صفة النساء. وهذا الكلام وإن كان اقتصاص حال فيه دلالة على تَمَكُّنِ الجَزَعِ بالمُصَابِ من كافة الناس، وتناهيهم فيما يُستدلُّ به على شدة تأثيره فيهم.

٣ - فَإِنْ تُمَسِّ مَهْجُورَ الْفِنَاءِ فَرُبَّمَا أَقَامَ بِهِ بَعْدَ الْوُفُودِ وَفُودُ
٤ - فَإِنَّكَ لَمْ تَبْعُدْ عَلَى مَتَعَهْدٍ بَلَى كُلُّ مَنْ تَحْتَ الثَّرَابِ بَعِيدُ

الرواية المختارة: «وربما أقام به بعد الوفود وفود»، بالواو، وذلك أن الشرط في قوله «فإن تمس مهجور الفناء» جوابه فإنك لم تبعد، ويصير: «وربما أقام» بيان الحال فيما تقدم من رياسته وقت توفّر الناس على قصده وزيارته. والمعنى: إن مت وصرت مهجور الساحة مرفوض الخدمة - وربما كانت الوفود فيما مضى من حياتك تزدحم على بابك، وتتلاقى في فنائك - فإنك الساعة لم تبعد على من يتعهّدك، ويرى قضاء حقك، وإقامة الرسم في واجبك، ثم قال مستدركًا على نفسه: بلى كل من تحت التراب فقد بعد عن ذلك كله. ويعني بالوفود طلاب الحاجات والمؤذنين لواجبات الشكر، إذ كان في حياته المقصود والمشار إليه، والمضطجع لطوائف الناس بما يفرق من إحسانه فيهم.

وقوله «على متعهدي» يريد متبّع العهود بالحفظ لها، ومنعها من الضياع والدروس. وكما يُقال: تعهّدت الشيء إذا تأملتُه هل بقي على ما عهدتُه، يقال: تفقدت الشيء إذا تأملتُه هل لحقه فقود أم لا. وإذا رَوَيْتَ «ربما أقام به بعد الوفود وفود» وجعلته جزاء للشرط، يصير «فإنك لم تبعد» استئناف كلام، ويكون الفاء رابطة لجملة على جملة، والمعنى: إن هجر فناءك الساعة لموتك فربما كان مألّفًا للوفود أيام حياتك. وفي طريقته قول الآخر: [الطويل]

فقد كان يَخْشَاكَ الْكَيْمِيُّ وَيَتَّقِي أَدَاكَ وَيَرْجُو نَفْعَكَ الْمَتَضَعِضُ^(١)

فإن قيل: الشرط والجزاء لا يصحان إلا فيما كان مستقبلًا؛ ألا ترى أنه لا يجوز أن يقول القائل: إن خرجت أمس أعطيتك فيه دهما؛ لأن الوقت وقد انقضى

(١) للمأثور المحاربي في اللسان (ثرا)، وتاج العروس (ثرا)، وبلا نسبة في أساس البلاغة ضعيف.

لا يصح تعليق الشرط والجزاء به، وإنما يُعلّقان أبدًا بما يُستأنف من الزّمان، حتّى يصحّ من الفاعل إيقاعُ فعله به واستحقاقه الجزاء عليه. قلت: إنّ الأمر في الشرط على ما ذكرت إلّا في لفظ كان، لأنهم جَوّزوا أن يقولَ القائل: إن كنتَ خرجتَ أمسٍ إلى موضع كذا أعطيتُكَ اليومَ كذا، والمعنى إن ثبتَ في علمي وقوعُ الخروج منك أمسٍ. وجَوّزوا هذا في لفظة كان لقوّته في العبارة عن الإحداث، فأما الجزاء فلا يجوز فيه مثلُ هذا لا بلفظة كان ولا بغيره، ويمتنع أن يُقال: إن تجئني اليوم أعطيتُكَ أمسٍ، على أن تكون العطية سَلَفًا في جزائه على فعله. فإن قيل: كيف جاز أن تقولَ على هذا «فربّما أقام» وأقام بناءً ماضٍ؟ قلتُ: إنّ الجواب في قوله «فربّما» ليس بالفعل، وإنّما هو بجملة من مبتدئ وخبر، كأنه قال: ففناؤك ربّما أقام به بعد الوُفودِ وفُودٍ فيما مَضَى. والفاء في جواب الجزاء إنّما تُجلبُ إذا كان الجزاء غير موافقٍ للشرط، وهو أن يكون مبتدأً وخبرًا، لا فِعلاً وفاعلاً، وإذا كان كذلك فقد سَلِمَ اللَّفْظُ وصار المعنى: إن أمسى فِناؤك مهجُورًا السّاعةَ فربّما كان مألوفًا من قبل: والعربُ تقول: هذا بذاك. أي عَوْضٌ من ذاك. فأما وقوع الماضي بعد إن فلاّ إن يَنْفَعُهُ بكونه شرطًا إلى المستقبل، وهذا كما يَنْفَعُهُ «لَمْ» بناءً المستقبل إلى الماضي، وهذا ظاهرٌ.

٢٦٧ - وقال آخر^(١): [البيسط]

١ - لو كان حَوْضٌ حِمَارٍ ما شَرِبْتَ به إلّا بإذنِ حِمَارٍ آخِرِ الأَبَدِ
حِمَارٌ اسمُ أخيه، وكان في حياته يتعزّزُ به فلا يعترض عليه أحدٌ فيما يفعله، ولا يَظْمَعُ إنسانٌ في اهتضامِ جانبِهِ وقَضْدِهِ فيما يختصُّه، فلما أُصِيبَ به استلّين جانبِهِ، واستبّيح حريمُهُ، حتّى أنه جَبَى ماءً في حَوْضٍ ليسَقِيَ إِيْلَهُ منه، فجاء من زاحَمَهُ فيه واستبّد به دونه، فقال متلهفًا: لو كان هذا الحَوْضُ حَوْضَ حِمَارٍ أخِي ما جَسَرْتَ على شُرْبِ مائه، ولا على امتهانه فيه، بل كنتَ تستأذنه ثم تُقَدِّم عليه. وقوله «آخِرِ الأَبَدِ» يتعلّقُ بقوله «ما شَرِبْتَ به». فأما تكريره لفظة حِمَارٍ فهم يفعلون ذلك في الأعلام وما يَجْرِي مجراها، وفي أسماء الأجناس، ويكونُ القصدُ إلى التعظيم في التكرير. على

(١) التبريزي: «هذه الأبيات قالها صئان بن عبّاد اليشكري في أن شمط بن عبد الله اليشكري أتاه وقد أورد إليه وأترع حوضه فأخذ فوق يده وقدم إليه فأوردها في مائه الذي استقى فكان له الحفرة والعدد، فقال صئان الأبيات. وقال أبو رياش: حمار هو علقمة بن النعمان بن قيس بن عمرو بن ثعلبة، أما شمط فهو حطّان بن قيس بن عمرو بن ثعلبة، وحمار أخوه».

ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَسْأَلُ مَا أُوتِيَ رَسُولُ اللَّهِ اللَّهُ أَلَمْ يَعْلَمْ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤] وَقَوْلُ الشَّاعِرِ^(١): [الخفيف]

لَا أَرَى الْمَوْتَ يَسْبِقُ الْمَوْتَ شَيْئًا نَعَصَ الْمَوْتُ ذَا الْغِنَى وَالْفَقِيرَا

وقد قيل إِنَّ جِمَارًا المذكور اسم رَجُلٍ كَانَ يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ فِي الذُّلِّ، فَلِذَلِكَ ذَكَرَهُ. وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُرَادَ بِهِ وَاحِدٌ مِنَ الْحُمَرِ، لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَوَجِبَ أَنْ يَقُولَ فِي الثَّانِي إِلَّا بِإِذْنِ الْحَمَارِ؛ لِأَنَّ النَّكِيرَةَ إِذَا أُعِيدَ ذِكْرُهَا يَجِبُ تَعْرِيفُهَا بِالْأَلْفِ وَاللَّامِ إِشَارَةً إِلَيْهِ. عَلَى هَذَا كُتِبَ فِي أَوَاخِرِ الْكُتُبِ وَقَدْ قُدِّمَ فِي أَوَائِلِهَا: سَلَامٌ عَلَيْكَ: وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ.

٢ - لَكِنَّهُ حَوْضٌ مِنْ أَوْدَى بِإِخْوَتِهِ رَيْبُ الزَّمَانِ فَانْسَى بَيْضَةَ الْبَلَدِ

هذا الكلام فيه تنبيهٌ إِلَى شِدَّةِ فَاقَتِهِ إِلَى مَنْ يَذُبُّ عَنْهُ، وَتَأَكُّدِ جَزَعِهِ لَمَّا فَاتَهُ مِنَ الصِّيَانَةِ بِإِخْوَتِهِ، فَيَقُولُ: لَكِنَّهُ حَوْضٌ رَجُلٌ فَرَّقَ الدَّهْرُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَنْ كَانَ يَعْتَرُّ بِهِ، وَيَدْفَعُ الظَّلَمَ وَالْهَضِيمَةَ عَنْ نَفْسِهِ بِمَكَانِهِ، فَأَمْسَى لَا نَاصِرَ لَهُ، وَلَا دَافِعَ دُونَهُ، كَبَيْضَةِ الْبَلَدِ. وَقَدْ قِيلَ فِي بَيْضَةِ الْبَلَدِ: إِنَّهُ أَرَادَ بَيَضَ الثُّعَامِ، لِأَنَّهَا سَيِّئَةُ الْهِدَايَةِ، فَتَضَعُ بَيْضَهَا فِي مَوْضِعٍ، ثُمَّ تَتْرَكَ ضَالًّا عَنْهُ فَتَضِيعُ، وَرَبَّمَا تَذْهَبُ وَتَحْضُنُ بَيْضَ غَيْرِهَا تَظُنُّ أَنَّهَا بَيْضُهَا. وَقَدْ ضُرِبَ الْمَثَلُ بِهَا فَقِيلَ: [المتقارب]

كَتَارِكَةٍ بَيْضَهَا بِالْعَرَاءِ وَمُلْبَسَةٍ بَيْضَ أُخْرَى جَنَاحَا^(٢)

وقد قيل: إِنَّ بَيْضَةَ الْبَلَدِ هِيَ الْكَمَاءَةُ الْبَيْضَاءُ تَنْشَقُّ عَنْهَا الْأَرْضُ - وَهِيَ الْفَقْعُ - فَتَطْوُهُ الْمَاشِيَّةُ، وَتَنْقُرُهُ الْعَافِيَةُ، وَلِذَلِكَ قِيلَ: «أَذُلُّ مِنْ فَقْعِ بَقَاعٍ»^(٣). وَكَمَا ضُرِبَ الْمَثَلُ بِبَيْضَةِ الْبَلَدِ فِي الذُّلِّ ضُرِبَ الْمَثَلُ بِهَا فِي الْعِزِّ أَيْضًا. وَقَدْ مَضَى ذِكْرُهَا. وَأَنْشَدْنِي بَعْضُهُمْ لِأَخْتِ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ وَدِّ تَرْتِيلَ أَخَاهَا، وَكَانَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَاتِلَهُ: [البسيط]

لَوْ كَانَ قَاتِلُ عَمْرِو غَيْرَ قَاتِلِهِ بَكَيْتُهُ مَا أَقَامَ الرُّوحُ فِي جَسَدِي

(١) لَعْدِي بْنُ زَيْدٍ فِي دِيْوَانِهِ ٦٥، وَخَزَانَةُ الْأَدَبِ ١: ٣٧٨، وَلِسَوَادَةُ بْنُ عَدِيٍّ فِي شَرْحِ أَبْيَاتِ سَيَّوِيهِ ١: ١٢٥.

(٢) لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ هَرَمَةَ فِي دِيْوَانِهِ ٨٧، وَالْحَمَاسَةُ الشَّجَرِيَّةُ ٢: ٩٠٢، وَالْحَمَاسَةُ الْبَصْرِيَّةُ ٢: ٢٧٧.

(٣) اللَّسَانُ (فَقْع): «أَذُلُّ مِنْ فَقْعِ بَقَرَقَرٍ، لِأَنَّ الدَّوَابَّ تَنْزِلُهُ بِأَرْجُلِهَا، وَالْفَقْعُ: الْأَبْيَضُ الرَّخْوُ مِنَ الْكَمَاءَةِ، وَهُوَ أَرْدُوها».

لَكِنَّ قَاتِلَهُ مَنْ لَا يُعَابُ بِهِ وَكَانَ يُدْعَى قَدِيمًا بِيَضَّةَ الْبَلَدِ^(١)
والمراد إذا مُدِح أنه لا نظيرَ لها، ولا أُخِيتَ معها، فالتَّعَامَةُ تُطِيفُ بِهَا إِشْفَاقًا
عليها. ومما يُحْتَجُّ بِهِ فِي الذَّمِّ قَوْلُ الْآخَرِ: [الرجز]

إِنَّ أَبَا نَضْلَةَ لَيْسَ مِنْ أَحَدٍ ضَلَّ أَبَاهُ فَهُوَ بِيَضَّةُ الْبَلَدِ
وبِيَضَّةُ الْإِسْلَامِ: جَمَاعَتُهُمْ. وَيُقَالُ: تَفَرَّى بِيَضَّةُ الْأَرْضِ عَنْ بَنِي فُلَانٍ، إِذَا
تَنَاسَلُوا وَكَثُرُوا. وَبِيَضَةُ الْخَدْرِ قَدْ تَقَدَّمَ الْقَوْلُ فِيهِ^(٢).

٣ - لَوْ كَانَ يُشْكِي إِلَى الْأَمْوَاتِ مَا لَقِيَ الْـ أَحْيَاءَ بَعْدَهُمْ مِنْ شِدَّةِ الْكَمَدِ
٤ - ثُمَّ اسْتَكْبَتْ لِأَشْكَانِي وَسَاكِنِهِ قَبْرُ بَسِنْجَارٍ أَوْ قَبْرٌ عَلَى قَهْدٍ

قَصْدُهُ إِلَى بَيَانِهِ بِرَأْسِهِ بِهَ أَيَّامَ حَيَاتِهِ، فَقَالَ: لَوْ جَرَّتِ الْعَادَةُ بِتَكْلُفِ الْأَحْيَاءِ
الشُّكْوَى إِلَى الْأَمْوَاتِ، وَإِنْهَايَ مَا يَقَاسُونَهُ مِنَ الْجَزَعِ فِيهِمْ، وَمِنَ الثَّوَابِ بِفَقْدِهِمْ
وَبَعْدَهُمْ، ثُمَّ كَانَ يَنْفَعُ ذَلِكَ أَوْ يُثْمِرُ إِصْغَاءً وَإِجَابَةً، وَجَرِثُ أَنَا عَلَى عَادَتِهِمْ فِي مُبَائَةِ
أَخِي، وَالْإِفَاضَةِ فِي الشُّكْرِ إِلَيْهِ، لِأَرْضَانِي وَأَزَالِ شُكْوَايَ.

وقوله «أشكاني» يقال: شَكُوْتُهُ فَأَشْكَانِي، كَمَا يُقَالُ: طَلَبْتُ مِنْهُ كَذَا فَأَطْلَبْنِي،
وَعَتَبْتُ عَلَيْهِ فَأَعْتَبَنِي. وقوله «وساكنته قبر بسنجار أو قبر على قهد»، قَدَّمَ الْمَعْطُوفَ
وَهُوَ سَاكِنُهُ عَلَى الْمَعْطُوفِ عَلَيْهِ، وَهُوَ قَبْرُ بَسِنْجَارٍ. وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ: [الوافر]

عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ السَّلَامُ^(٣)

وَأَمَّا يَحْسُنُ هَذَا إِذَا كَانَ الْعَامِلُ مُقَدِّمًا، وَهُوَ فِي الْفِعْلِ وَالْفَاعِلِ أَكْثَرُ مِنْهُ فِي
الْمَفْعُولِ، فَأَمَّا الْمَجْرُورُ فَلَا يَجُوزُ ذَلِكَ فِيهِ، لَا يَجُوزُ أَنْ تَقُولَ مَرَرْتُ وَعَمِرُوا بِزَيْدٍ إِذْ
كَانَ فِيهِ تَقَدُّمُ الْمَعْطُوفِ عَلَى الْمَعْطُوفِ عَلَيْهِ وَعَلَى الْعَامِلِ فِيهِ. وَالْكَمَدُ: حُزْنٌ وَهَمٌّ لَا
يُسْتَطَاعُ إِمْضَاؤُهُ، وَقَالَ الدُّرَيْدِيُّ: هُوَ مَرَضُ الْقَلْبِ مِنَ الْحُزَنِ. يُقَالُ: كَمَدَ يَكْمَدُ
كَمَدًا، وَرَأَيْتُهُ كَامِدَ الْوَجْهِ وَكَمَدَ الْوَجْهِ، إِذَا بَانَ بِهِ أَثَرُ الْكَمَدِ؛ وَأَكْمَدَهُ الْحُزْنُ إِكْمَادًا.

(١) البَيَانُ فِي اللَّسَانِ (بِيضٌ)، وَتَاجُ الْعُرُوسِ (بِيضٌ).

(٢) انْظُرِ الْحَمَاسِيَةَ (١٦٧).

(٣) لِلْأَحْوَصِ فِي دِيَوَانِهِ ص ١٩٠ (الهامش)، وَخَزَانَةُ الْأَدَبِ ٢: ١٩٢، وَالدرر ٣: ١٩، وَاللِّسَانُ (شَيْع) وَصَدْرُهُ:

٢٦٨ - وقال رجلٌ من خَثَعَمَ: [الكامل]

١ - نَهَلَ الزَّمَانُ وَعَلَ غَيْرَ مُصَرَّدٍ مِنْ آلِ عَنَابٍ وَآلِ الْأَسْوَدِ

٢ - مِنْ كُلِّ فَيَاضٍ الْيَدِينَ إِذَا عَدَتْ نَكْبَاءَ ثُلُوي بِالْكَنِيفِ الْمُوصِدِ

النَّهْلُ: الشَّرْبُ الْأَوَّلُ. وَالْعَلَلُ: الشَّرْبُ الثَّانِي. وَالتَّصْرِيدُ: تَقْلِيلُ الشَّرْبِ؛ يُقَالُ: إِنَاءٌ مُصَرَّدٌ، إِذَا كَانَ مَا يَحْوِيهِ دُونَ الرَّيِّ، وَيُقَالُ: صَرَّدَ عَطَاءَهُ إِذَا نَزَرَهُ. وَقَصْدُ الشَّاعِرِ إِلَى بَيَانِ تَأْثِيرِ الزَّمَانِ فِي الَّذِينَ ذَكَرَهُمْ حَالًا بَعْدَ حَالٍ، وَوَقْتًُا بَعْدَ وَقْتٍ، وَأَنَّهُ اسْتَوْفَى مِنْهُمْ مَا أَرَادَ دَفْعَةً بَعْدَ أُخْرَى، وَثَانِيَةً بَعْدَ أُولَى، غَيْرَ مُقَلِّلٍ وَلَا مُطَقِّفٍ.

وقوله «من كل فياض اليمين» بدل من قوله «من آل عناب». وقد أعاد العامل فيه، وهذا يكثر في المجرور. على هذا قول الله تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ﴾ [الأعراف: الآية ٧٥] ألا ترى أنه أعاد اللام كما أعاد هذا الشاعر من. وهذا التكرير تأكيد للإبدال، وتنبيه على أن الثاني من الأول. والفياض: الكثير السيلان، وهو بناء المبالغة. والنكباء: ريح تنكبت عن مهابت الرياح الأربع. وإذا كثرت النكباوات واشتد هبوبها شمل القحط: ويقال: إنه لمنكابت عن الحق، أي كثير العُدول عنه، والأنكب البعير كأنه يمشي في شق، ومعنى ثُلُوي: تذهب به. والكنيف: الحظيرة من الشجر؛ والموصد: الذي يجعل له إصادة إحكاما له، والإصادة: عتبة الباب، والجمع الأصد. وفسر قوله عز وجل: ﴿إِنهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ﴾ [الهمزة: الآية ٨] أي مُطَبَّقَةٌ. ويُهمز ولا يهمز. وقيل: الوصيد الفناء. والمعنى أن الزمان ألح عليهم، وتناول منهم الأفضل فالأفضل تناولا لا تقييل فيه ولا تعذير، فذهب منهم بكل رجلٍ سخيٍّ واسع المعروف إذا اشتد الزمان وأسست الناس. وقول الجعدي: [الرملة]

سَأَلْتَنِي عَنْ أَنْاسٍ هَلَكُوا شَرِبَ الدَّهْرُ عَلَيْهِمْ وَأَكَلْ^(١)

ليس مما قاله في شيء، وإنما يريد مر عليهم دهرٌ مديد وزمانٌ طويل، فشرب الناس بعدهم وأكلوا ونسوا أولئك. وهذا مثل:

٣ - فَالْيَوْمَ أَضَحَوْا لِلْمَمُونِ وَسِيقَةً مِنْ رَائِحِ عَجَلٍ وَآخَرَ مُغْتَدٍ

(١) للنابغة الجعدي في ديوانه ٩٢، والأزهية ٢٨٥، واللسان (طرب، أكل)، والمعاني الكبير

٤ - خَلَّتِ الدِّيَارُ فَسُدَّتْ غَيْرَ مُدَافِعٍ وَمِنْ الشَّقَاءِ تَقَرُّدِي بِالسُّودِّ^(١)

قوله «فَالْيَوْمَ» أشار به إلى الزَّمان الحاضر المُتَّصل بما بعده، غيرَ محصورٍ بنهاية، ولا مضبوطٍ بذكر غاية، وهذا كما يُقال: فَلَانْ بِالْأَمْسِ كان يفعلُ كذا وهو اليومَ رئيسُ بَلَدٍ. فذكرُ الأَمْسِ واليومَ لاتصال الوقتين، وتقريب المَدَى بين الماضي منهما والحاضر. والوسيقَةُ: الطَّرِيدَةُ. وَتَبَّ بهذا الكلام على أَنَّ الذَّهْرَ بَعْدُ جارٍ على عادته المستأنفة معهم في الأخذ منهم، والذهابِ بهم. وقوله «من رائج عَجَلٍ وآخَرٍ مُعْتَدٍ» بيانٌ لذهاب الواحد منهم في إثر الآخر. والعَجَلُ: المستعجل. ويقال: عَجَلَ بكسر الجيم وعَجَلُ، ومثله العَجَلان.

وقوله «خَلَّتِ الدِّيَارُ فَسُدَّتْ غَيْرَ مُدَافِعٍ» يُروى «غيرَ مُسَوِّدٍ».

ومعنى «خَلَّتِ الدِّيَارُ» ماتَ الرؤساء الذين لكل واحد منهم بَيْتٌ ودارٌ يُنسَبُ إليه، وَيَتَّبَعُ به. وإذا رَوِيَ «غيرَ مُدَافِعٍ» يكون حالاً، كأنه سادهم ولا مُنَازِعَ له ولا مُتَأَيِّي عليه. وإذا رويت «غَيْرَ مُسَوِّدٍ» جاز أن يكون غير مفعولاً من سُدَّتْ، فيكون مثل قول الآخر: [الرملة]

وَضَعَ الذَّهْرُ عَلَيْهِمَ بَرْكَهُ فَأَرَاهُ لَمْ يُغَادِرْ غَيْرَ قَلٍّ^(٢)

فيكون المعنى: سُدَّتْ مَنْ لا يَصْلُحُ أَنْ يُنسَبَ إلى السَّيَادَةِ في حال؛ لأنَّ مَنْ اسْتُصْلِحَ لها، أو دُكِرَ في عِدَادِ الرُّؤَسَاءِ إذا عُدُوا، ماتوا وبَادُوا. وجاز أن يكون حالاً، ويكون المعنى سُدَّتْ قَبْلَ أَوَانِ سِيَادَتِي، أي سُدَّتْ ولم أَسُودْ بعدُ. وقوله «ومن الشَّقَاءِ تَقَرُّدِي بِالسُّودِّ» يؤكد المعنى الذي ذكرناه أَوَّلًا في غَيْرِ مُسَوِّدٍ، وإنما شَقِيَّ بِزَعْمِهِ لَأَنَّهُ قُجِعَ برؤساء عشيرته، وفي ذاك ضَعْفُهُ وتراجع رِياسته.

٢٦٩ - وقال مُحَمَّدٌ بن بَشِيرٍ الخارجي^(٣): [الكامل]

١ - نِغَمَ الْفَتَى فَجَعَتْ بِهِ إِخْوَانَهُ يَوْمَ الْبَقِيعِ حَوَادِثُ الْأَيَّامِ

(١) التبريزي: «غيرَ مُسَوِّدٍ».

(٢) للناطقة الجعدي في ديوانه ٩٢، وأساس البلاغة (برك)، ولسان العرب (فلل).

(٣) محمد بن بشير الخارجي: شاعر فصيح حجازي مطبوع، من شعراء الدولة الأموية، له مدائح ومراثٍ مختارة وهي من عيون الشعر. ترجمته في الأغاني ١٦: ١١٢ دار الكتب العلمية، والخزانة ٤: ٣٧.

٢ - سَهْلُ الْفَنَاءِ إِذَا حَلَلْتَ بِبَابِهِ طَلَّقُ الْيَدَيْنِ مُؤَدَّبُ الْخُدَامِ
٣ - وَإِذَا رَأَيْتَ شَقِيقَهُ وَصَدِيقَهُ لَمْ تَذِرْ أَيُّهُمَا ذُو الْأَرْحَامِ^(١)

المحمود: الذي يطلبه نِعَمَ بالاختصاص من بين جنسه محذوف، كأنه قال نِعَمَ الْفَتَى فَتَى فَجَعَتْ بِهِ إِخْوَانَهُ. والضمير من قوله «به» عائِدٌ إلى المحذوف، والجملة من الفعل والفاعل قد خَصَّصْتَهُ حَتَّى صَارَ كَالْمَعْرِفَةِ. ومثله قوله تعالى: ﴿نِعَمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: الآية ٣٠] كأنه قال: نعم العبدُ أيوب. والحذف في مثل هذا المكان يصلح إذا كان المحمود مشهورَ الشَّانِ، معلوماً أمرُهُ من القرائن في الكلام. وارتفع «حوادث» بفعلها وفعلها فَجَعَتْ، وذكر الإخوان تنبيهاً على من آخاه من الأجانب والقرائب جميعاً.

وقوله «سَهْلُ الْفَنَاءِ» ارتفع على أنه خير مبتدأ مضمَر، وجعل فَنَاءَهُ لِلزُّوَارِ والمجندين والعُفَاءِ سَهْلاً، وذلك مَثَلٌ لكثرة إحصائه إليهم، وحسن توفُّرِهِ عليهم. ومعنى «مُؤَدَّبُ الْخُدَامِ» تنبيهاً على اقتدائهم بمولاهم في تَفَقُّدِ الزُّوَادِ وإكرامهم، والمبالغة في التَّخَفُّفِ لهم والسَّعْيِ في مصالحهم.

وقوله «وَإِذَا رَأَيْتَ شَقِيقَهُ وَصَدِيقَهُ» فالشقيق إشارة إلى إخوان الولادِ ومن جَرَى مَجْرَاهُمْ، ممن شاركه في نَسَبِهِ حتى كأنه شَقٌّ منه. والصديق إشارة إلى إخوان المودةِ وَمَنْ ضَرَبَ بِهِمْ فِي الْأَنْصَابِ إِلَيْهِ، والاعتزاء إلى جَنَبَتِهِ والاعتماد عليه. ثم قال «لَمْ تَذِرْ أَيُّهُمَا ذُو الْأَرْحَامِ» تنبيهاً على تساويهما في المحلِّ عنده، وشمول حُسن التَّفَقُّدِ لهم، حتى تَرَى كلاً مِنْهُم يَدُلُّ بِمِثْلِ إِدْلَالِ صَاحِبِهِ، لا تمايُز ولا تباين. وفي طريقته قوله: [الطويل]

فَمَا زَالَ بِي إِكْرَامُهُمْ وَاقْتِفَاؤُهُمْ وَالطَّافُهُمْ حَتَّى حَسِبْتُهُمْ أَهْلِي^(٢)

وأشار بقوله: «شَقِيقَهُ وَصَدِيقَهُ» إلى الجنسين، وفائدتهما الكثرة لا الْوَحْدَةِ. أَلَا تَرَى أَنَّهُ قَالَ: لَمْ تَذِرْ أَيُّهُمَا ذُو الْأَرْحَامِ، أي أيُّ الجنسين.

٢٧٠ - وَقَالَ أَيُّضًا:

١ - طَلَبْتُ فَلَمْ أَذْرِكْ بُوْجُوهِي وَلَيْسَنِي قَعَدْتُ فَلَمْ أَبْغِ الثَّدْيَ بَعْدَ سَائِبِ

(١) التبريزي: «صديقه وشقيقه».

(٢) لبكير بن الأخس في البيان والتبيين ٣: ٢٣٣، وهو من أبيات الحماسة.

قوله «بوجهي» تَعَلَّقَ الباءُ منه بَطَلَبْتُ، والمعنى ببَذَلٍ وجهي، كأنه تَوَلَّى الطَّلَبَ بنفسه، وابتَدَلَ وجهه وجاهه فيه، فلم يُدرك المطلوب. ومفعول «طَلَبْتُ» محذوف ذَلَّ عليه قوله «فلم أُنِغِ الثَّدَى» والتقدير: طَلَبْتُ بعد سائبِ الثَّدَى ببَذَلٍ وجهي فلم أُنَلَّه، وليتني قَعَدْتُ فلم أُنِغِ، ولا يمتنع أن يتعلَّقَ الباءُ من قوله بوجهي بأذرك، وهو المختار عند أصحابنا البصريين، ويكون التقدير: طَلَبْتُ الثَّدَى فلم أذركه ببَذَلٍ وجهي. وقوله «بعد سائب» يجوز أن يكونَ العامل فيه طَلَبْتُ وكلُّ واحدٍ من الأفعال المجتمعة، وهي: طَلَبْتُ وأدركُ وقَعَدْتُ ولم أُنِغِ. والمعنى: بعد موت سائب.

٢ - ولو لَجَأَ العَافِي إلى رَحْلِ سَائِبٍ ثَوِي غَيْرَ قَالٍ أَوْ عَدَا غَيْرَ خَائِبٍ
أَلَمْ فِي هَذَا الْبَيْتِ بِقَوْلِ الْآخِرِ: [البسيط]

حتى يكونَ عزيزًا من نُفوسِهِمْ أو أن يبينَ جميعًا وهو مُختارٌ^(١)
لأن معنى «من نفوسهم» مقيمًا فيهم، وكالواحد منهم. يقول: ولو التجأ العَفَاءُ هارين من الزَّمان، ونَكَدَ الحَدَثَان، إلى فناء هذا المرثي، أقاموا مُكْرَمِينَ معظمين، لا يَجْتَوُونَهُ ولا يُبْغِضُونَهُ ما داموا مقيمين، وإذا أرادوا الانصرافَ عنه اغتَدَوْا غيرَ محرومين ولا يائسين. وانتَصَبَ «غَيْرَ» على الحال وأشار بالعافي إلى الجنس؛ ويقال عَفَاءً واعتَفَاهُ، إذا طَلَبَ مَعْرُوفَهُ، فأعفاهُ أي أعطاهُ. ومنه عافية السَّباع والطَّير.

٣ - أَقُولُ وما يَذْري أُنَاسٌ غَدَوْا به إلى اللَّحْدِ ماذا أَدْرَجُوا في السَّبَائِبِ
موضع «ماذا أَدْرَجُوا» نَصَبٌ على أنه مفعولٌ لأقول، ويجوز أن يكونَ ما مَعَ ذا بمنزلة اسم واحدٍ وأدرجوا في موضع الخبر، ويجوز أن يكونَ ما وحده اسمًا وذًا خبره بمنزلة الذي وأدرجوا من تماميه. والمعنى: أقول متلَهِّفًا فِعْلَ من أعياء الأمر فالتَّحَفَ باليأس، وتعلَّلَ بكلمة الحسرة بعد الفوات: أَي رَجُلٍ أَدْرَجَ في الكَفَنِ والغادونَ به إلى اللَّحْدِ لا يعلمون. وهذا تَفْظِيحٌ للشَّان، وتعظيم لحادثِ الرُّزءِ، وقوله «أُنَاسٌ» أشار به إلى الجماعة والطَّائفة، والألف فيه زائدة بدلالة قولهم أُنَسٌ وَأَنَاسِيٌّ وإنْسٌ. وإذا كان كذلك فقوله نَاسٌ منه أيضًا، والألف زائدة، وفاء الفِعْلِ محذوفة. ومن ذَهَبَ إلى أنَّ لفظة الناس ليست من أناسٍ في شيء، وأنَّ الألفَ فيه منقلبة عن حرفٍ أصلي فقد أخطأ. والسبائب: جمع سبِيبَةٍ، وهي الثوبُ الأبيضُ، العمائمُ

(١) ليزيد بن حمان في الحماسية رقم (٩٣)، ومعجم الشعراء ٤٩٣، والدرر ٤: ٧٤.

وغيرها. وكذلك السُّبُّ. قال الشاعر: [الطويل]

يَحُجِّجُونَ سِبَّ الزُّبْرِقَانِ الْمَزْعُفَرَا^(١)

٤ - وَكُلُّ أَمْرٍ يَوْمًا سَيَزَكُّ كَارَهَا عَلَى الثَّغْشِ أَغْنَاكَ الْعِدَى وَالْأَقَارِبِ

العِدَى: الغُرباء، وانتصبَ كَارَهَا على الحال من سَيَزَكُّ، وموضع على الثَّغْشِ منصوبٌ على الحال ممَّا في قوله كَارَهَا، ويجوز أن يكون صفة لكارِه، كأنه قال: يَرْكَبُ كَارَهَا حاصلاً على الثَّغْشِ أَغْنَاكَ الْعِدَى يَوْمًا مَا. وقال الخليل: قَوْمٌ عِدَى: بُعْدُ عَنْكَ وَغُرباء ويقال قَوْمٌ أَعْدَاءُ أَيضاً بهذا المعنى. والعِدَى: البُعْدُ نَفْسُهُ.

٢٧١ - وَقَالَ دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ^(٢): [الطويل]

١ - نَصَخْتُ لِعَارِضٍ وَأَصْحَابٍ عَارِضٍ وَرَهْطِ بَنِي السُّودَاءِ وَالْقَوْمِ شُهْدِي

٢ - فَقُلْتُ لَهُمْ ظَنُّوا بِالْفَنِيِّ مُدْجِجٍ سَرَاتُهُمْ فِي الْفَارَسِيِّ الْمُسَرَّدِ

يقال: نَصَخْتُهُ وَنَصَخْتُ لَهُ، نَضَخًا وَنَصِيحَةً وَنَصَاحَةً وَنَصَاحِيَّةً، وهو نَاصِخُ الْجَنَيبِ، أي نَاصِخُ الصُّدْرِ. وقوله «وَالْقَوْمِ شُهْدِي» فائدته أَنَّهُمْ كَانُوا لَهُ حَاضِرِينَ وَمُضْطَرِّينَ مِنْ كَلَامِهِ وَإِشَارَتِهِ وَبَذَلِهِ النَّصْحَ لَهُمْ، إِلَى مَا كَانَ آدَى إِلَيْهِ مَرَّاسَلَتُهُمْ فِي ذَلِكَ وَهُمْ غَائِبُونَ، إِذْ كَانَ يَبِينُ لَهُمْ مِنْهُ مَا كَانَ يَبِينُ وَقْتَ الْحُضُورِ.

وقوله «ظَنُّوا بِالْفَنِيِّ مُدْجِجٍ» يجوز أن يكون معناه: ظَنُّوا كُلَّ ظَنٍّ قَبِيحٍ بِهِمْ إِذَا غَزَوْكُمْ فِي أَرْضِكُمْ وَعَقَر دِيَارَكُمْ. ويجوز أن يكون معنى ظَنُّوا أَيْقَنُوا، لِأَنَّ الظَّنَّ يَسْتَعْمَلُ فِي مَعْنَى الْيَقِينِ. عَلَى ذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: الآية ٤٦].

وقوله «سَرَاتُهُمْ»، يعني به رؤسائهم وخيَّازهم، وقد مضى القول في بنائه^(٣). والفارسيّ المُسَرَّد، يعني به الدُّرُوع. والسُّرْد: تتابع الشيء، كأنه أراد في الدُّرُوع

(١) للمختل السعدي في ديوانه ٢٩٤، واللسان (سبب، حجج، زبرق)، وبلا نسبة في ديوان الأدب ٣: ٢٩، وأساس البلاغة (حجج). وصدرة:

«وأشهد من عرف حلولاً كثيرة»

(٢) دريد بن الصمة: شاعر من المعمرين في الجاهلية، غزا نحو مائة غزوة فلم يُهزم في واحدة منها. أدرك الإسلام ولم يسلم، فقتل على دين الجاهلية يوم حنين (ت ٨ هـ / ٦٣٠ م). ترجمته في الأغاني ١٠: ٥، وخزانة البغدادي ٤: ٤٤٦.

(٣) انظر شرح البيت الخامس من الحماسية رقم (٢٥٨).

تَتَابَعِ الْحَلَقِ فِي النَّسَجِ. لَذَلِكَ قِيلَ فِي الْأَشْهُرِ الْخُرُمُ: ثَلَاثَةُ سَرْدُ، وَوَاحِدٌ قَرْدُ. وَقَالَ الْخَلِيلُ: السَّرْدُ: اسْمٌ جَامِعٌ لِلدُّرُوعِ وَمَا أَشَبَّهَا مِنْ عَمَلِ الْحَلَقِ، لِأَنَّهُ يُسَرَّدُ فَيُنْقَبُ طَرَفًا كُلُّ حَلَقَةٍ بِالْمِسمَارِ، وَفِي الْقُرْآنِ: ﴿وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾ [سَبَأُ: الْآيَةُ ١١]، أَيِ اجْعَلِ الْمَسَامِيرَ عَلَى قَدَرِ خُرُوقِ الْحَلَقِ، لَا يَغْلُظُ الْمِسمَارُ فَيَتَخَرَّقُ، أَوْ يَدِقُّ فَيَقْلَقُ. وَمَعْنَى الْبَيْتَيْنِ: بَذَلْتُ نُضْجِي لَهُؤُلَاءِ الْقَوْمِ بِلِسَانِي وَقَوْلِي فِيمَا صَلَحَ فِيهِ التَّخَاطُبُ، وَبِإِشَارَتِي وَتَعْرِيزِي، وَهُمْ لِي حَاضِرُونَ يَسْمَعُونَ وَيَعُونَ، وَقُلْتُ لَهُمْ: إِنَّ الْأَعْدَاءَ لَكُمْ مَرْتَضِدُونَ، وَإِلَيْكُمْ قَاصِدُونَ، وَعَدَدَهُمْ وَعُدَدُهُمْ تَامَةٌ، فَوَسَّعُوا مَجَالَ الظَّنِّ السَّيِّئِ بِهِمْ إِذَا تَمَكَّنُوا مِنْكُمْ، أَوْ أَيْقَنُوا بِقَضَائِهِمْ، عَلَى الطَّرِيقَتَيْنِ اللَّتَيْنِ بَيَّنَّا.

٣ - فَلَمَّا حَصَوْنِي كُنْتُ مِنْهُمْ وَقَدْ أَرَى غَوَايَتَهُمْ وَأَتَسْنِي غَيْرَ مُهْتَدٍ

لَمَّا عَلِمَ لِلظَّرْفِ، وَهُوَ لَوْقُوعُ الشَّيْءِ لَوْقُوعَ غَيْرِهِ، فَيَقُولُ: لَمَّا أَصْرُوا عَلَى مَا كَانُوا عَلَيْهِ، وَأَطْرَحُوا نُضْجِي وَمَشُورَتِي عَلَيْهِمْ، تَبِعْتُ رَأْيَهُمْ وَلَمْ أَتَفَرِّدْ عَنْهُمْ وَأَنَا أَرَى جَهْلَهُمْ، وَأَتَصَوَّرُ عَاقِبَةَ لَجَاجِهِمْ، وَأَنِّي ضَالٌّ عَنِ الطَّرِيقِ عَادِلٌ عَنِ الصَّوَابِ فِي اتِّبَاعِي لَهُمْ، لَكِنِّي لَمْ أَسْتَصْلِحْ لِنَفْسِي الْخُرُوجَ مِنْهُمْ، وَالتَّبَاعَدَ عَنْهُمْ. وَقَوْلُهُ «كُنْتُ مِنْهُمْ» مِنْ هَذِهِ تَفِيدُ تَبْيِينَ الْوِفَاقِ وَتَرْكِ الْخِلَافِ، وَأَنَّ الشَّائِنَ وَاحِدٌ لَا تَمَازِيضَ بَيْنَهُمْ وَلَا تَبَايُنَ. وَهُمْ يَقُولُونَ فِي النَّفْيِ أَيْضًا. لَسْتُ مِنْكَ، أَيِ انْقَطَعَ مَا بَيْنَنَا، فَلَا خِلَاطَ وَلَا اشْتِرَاكَ. عَلَى هَذَا قَوْلُ الشَّاعِرِ: [الوافر]

فإِنِّي لَسْتُ مِنْكَ وَلَسْتُ مِنْي^(١)

فَأَمَّا قَوْلُهُمْ: أَنْتَ مِنْي فَرسَخَان، قَالَ شَيْخُنَا أَبُو عَلِيٍّ الْفَارَسِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ هَذَا كَلَامُ الدَّلِيلِ مَعَ الْمُسْتَدِلِّ، وَالْمَعْنَى: أَنْتَ فِي هِدَايَتِي مَدَى الْفَرَسَخَيْنِ. وَإِلَى غَايَتِهِمَا، وَقَدْ خَالَفَ هَذِهِ الطَّرِيقَةَ حُصَيْنُ بْنُ الْمُنْذِرِ فَقَالَ: [الطويل]

أَمَرْتُكَ أَمْرًا حَازِمًا فَعَصَيْتَنِي فَاصْبَحْتَ مَسْلُوبَ الْإِمَارَةِ نَادِمًا
فَمَا أَنَا بِالْبَاكِ عَلَيْكَ صَبَابَةً وَمَا أَنَا بِالْدَّاعِي لِتَرْجَعَ سَالِمًا^(٢)

(١) اللَّابِغَةُ الذِّبْيَانِي فِي دِيْوَانِهِ ٧٩، وَصَدْرُهُ:

«إِذَا حَاوَلْتَ فِي أَسَدٍ فَجُورًا»

(٢) الْآيَاتُ فِي الْمُؤْتَلَفِ ٨٨، وَالْخَزَانَةُ ٢: ٨٩.

٤ - أَمَرْتُهُمْ أَمْرِي بِمُنْعَرَجِ اللَّوَى فَلَمْ يَسْتَبِيحُوا الرُّشْدَ إِلَّا ضَحَى الْغَدِ
 قوله «أمرى» يجوز أن يُريدَ المأمورَ به، ويكون الأصل: أَمَرْتُهُمْ بِأَمْرِي،
 فحذَفَ الجارَّ ووصل الفعلُ بنفسه. ويجوز أن يكون مصدرَ أَمَرْتُ، وجاء به لتأكيد
 الفعل. وقوله «بمنعرج اللوى» تحديدٌ وتوقيتٌ، وبيانٌ أنَّ ذلك كان من هَمِّه حتى
 اختارَ له الموضع الذي كان أوفقَ عنده، والوقت الذي كان أغوَدَ عليهم فيما أمرهم
 به. واللوى: مُسْتَرْقُ الزمل. ومُنْعَرَجٌ: منعطف. وقوله «فلم يستبينوا الرشد» أي لم
 يتبينوه في الحال حتى جاء الوقتُ المقدَّرُ له. وذكر الغدَ يَكْثُرُ فيما يترأخى من
 عواقب الأمور إذا أُحِيلَ عليه البيانُ والظهور فيه. والمعنى: في المستأنفِ من
 الوقت. وهذا زاد عليه «ضحى» لأنه من النهار أضوا، فكأنَّ المعنى: لم يَبْنِ لهم ما
 دعوتهم إليه إلا في الوقت الذي لا لَبَسَ فيه ولا اعتراضَ شك. ومثله قولُ
 المتلمس: [الطويل]

عَصَانِي فَلَمْ يَلْقَ الرِّشَادَ وَإِنَّمَا يُبَيِّنُ عَنْ أَمْرِ الْغَوِيِّ عَوَاقِبُهُ

٥ - وَهَلْ أَنَا إِلَّا مِنْ عَزِيَّةٍ إِنْ عَوْتُ عَوْنْتُ وَإِنْ تَرَشَّدَ عَزِيَّةٌ أَرَشَّدَ

يُقَالُ: رَشِدَ يَرَشُدُ رَشْدًا وَرَشَادًا، وَرَشَدَ يَرَشُدُ؛ فَلَكَ أَنْ تَضُمَّ الشَّيْنَ مِنْ تَرَشَّدَ
 وَأَنْ تَفْتَحَهَا. وقوله «هل أنا» هو في مذهب النُّفْيِ وإن كان استفهامًا ولذلك تَبِعَهُ إِلَّا،
 كَأَنَّهُ قَالَ: ما أنا إِلَّا مِنْ عَزِيَّةٍ فِي حَالَتِي الْغَيِّ وَالرَّشَادِ، فَإِنْ عَدَلُوا عَنِ الصَّوَابِ عَدَلْتُ
 مَعَهُمْ، وَإِنْ اقْتَحَمُوهُ اقْتَحَمْتُ بِهِمْ. وَعَزِيَّةٌ هُوَ رَهْطُهُ. فَإِنْ قِيلَ: إِنَّهُ كَرَّرَ مَعْنَى وَاحِدًا
 فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ مَرَّتَيْنِ، لِأَنَّ قَوْلَهُ «إِنْ عَوْتُ عَوْنْتُ» قَدْ اشْتَمَلَ عَلَيْهِ «كُنْتُ مِنْهُمْ» وَقَدْ
 أَرَى غَوَايَتَهُمْ وَأَنْتِي غَيْرُ مُهْتَدٍ. قُلْتُ: فِي الْأَوَّلِ اقْتَصَصُ الْحَالَ الَّتِي دَارَ عَلَيْهَا مَعَهُمْ،
 وَفِي الْأَمْرِ بَقِيَّةً، وَلِلنُّصْحِ تَوَجُّهً، وَأَنَّهُ اجْتَهَدَ فِي رَدِّهِمْ إِلَى مَا هُوَ أَرْدُ عَلَيْهِمْ وَأَنْفَعُ
 لَهُمْ، فَلَمَّا عَصَوْهُ فِي ذَلِكَ أَمْسَكَ عَنْهُمْ جَارِيًا فِي الطَّرِيقِ الَّذِي يَسْلُكُونَهُ وَإِنْ عَلِمَ
 الْخَطَأَ فِيهِ. وقوله «وهل أنا إِلَّا مِنْ عَزِيَّةٍ» بَيَانٌ لِمَا دُعُوا إِلَيْهِ بَعْدَ تَبَيُّنِ الرِّشَادِ لَهُمْ،
 وَابْتُلُوا بِهِ مِنْ مَقَاسَاةِ سُوءِ الْعَاقِبَةِ لِسُوءِ اخْتِيَارِهِمْ، فَقَالَ: وَمَا أَنَا إِلَّا شَرِيكَ لَهُمْ فِيمَا
 أَثْمَرُ لَهُمْ جَهْلُهُمْ وَغَوَايَتُهُمْ كَمَا كُنْتُ شَرِيكًا لَهُمْ لَوْ رَشِدُوا فِيمَا كَانَ يُثْمِرُ لَهُمْ
 رَشَادُهُمْ. فَهُوَ فِي الْأَوَّلِ ذَكَرَ اتِّبَاعَهُ لَهُمْ بَعْدَ النُّصْحِ نَازِلًا مِنْ وَرَاءِ مَا يُدْفَعُونَ إِلَيْهِ
 وَيُتَمَتِّحُونَ بِهِ، وَفِي الثَّانِي ذَكَرَ انْغِمَاسَهُمْ مَعَهُمْ فِيمَا أَغْقَبَ لَهُمْ اخْتِيَارَهُمْ، وَأَنَّهُ شَقِيَ
 بِمِثْلِ مَا شَقُّوا بِهِ فِي عُقْبَى جَهْلِهِمْ أَوْ بِأَشَدِّ مِنْهُ، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ اخْتَلَفَ الْحَالَتَانِ

والأتباعان. ثم أخذ يبين محتته، فقال:

٦ - تَنَادَوْا فَقَالُوا أَرَدْتَ الْخَيْلُ فَارِسًا فَقُلْتُ أَعْبُدُ اللَّهَ ذَلِكَمُ الرُّدِي

٧ - فَجِئْتُ إِلَيْهِ وَالرَّمَاخُ تَنْوُشُهُ كَوَقَعَ الصَّيَاصِي فِي النَّسِيجِ الْمَمْدُدِ

يعني بالخيال الفُزْسان. يقول: نادى بعضهم بعضًا: اسْقَطِ الْخَيْلُ فَارِسًا! فقلت: أعبُد الله ذلكم السَّاقط الهالك، وإنما دعاهُ إلى هذا القولِ أمران: أحدهما سوء ظنُّ الشقيق؛ والثاني أَنَّهُ عَلِمَ إِقْدَامَهُ فِي الْحَرْبِ، وَابْتَذَالَهُ الثَّقَسَ وَتَعَرُّضَهُ لِلْحَتَفِ، فَدَعَاهُ الشَّفَقَةُ وَالْإِسْفَاقُ إِلَى قَضْدِهِ لَوْقَاتِهِ بِنَفْسِهِ، فَلَحِقَهُ وَالرَّمَاخُ تَتَنَوَّلُهُ وَتَقَعُ فِيهِ وَقَعَ الصَّيَاصِي، وَهِيَ خَشْبَةُ الْحَاثِكِ فِي نَسْجِهِ الْمَمْدُودِ إِذَا أَرَادَ تَمْيِيزَ طَاقَاتِ السَّدَى بِعُضْهَا مِنْ بَعْضٍ، وَكَأَنَّهُ سَمَّيْتُ بِذَلِكَ تَشْبِيهًا بِصَيْصِيَةِ الدَّيْكَ وَهُمَا مِخْلَبَانِ فِي سَاقِهِ، وَبِصَيْصِيَةِ الثُّورِ، وَهُوَ قَرْنُهُ. وَقَوْلُهُ «أَعْبُدُ اللَّهَ»، وَقَدْ سَمَاهُ مَعْبَدًا أَيْضًا، وَهُمْ يَفْعَلُونَ كَثِيرًا فِي الْأَعْلَامِ مِثْلَ ذَلِكَ. أَلَا تَرَى حَالَهُمْ فِي سَلِيمَانٍ، وَأَنَّهُمْ يُسْمُونَهُ مَرَّةً سَلِيمًا وَمَرَّةً سَلَامًا وَقَوْلِ الْآخِرِ: [الطويل]

صَبَوْتُ أَبَا ذَيْبٍ وَأَنْتَ كَبِيرٌ^(١)

يعني أبا ذؤيب. وقوله: «تَنَوُشُهُ» مِنَ التَّوْشِ. وَالطَّبِيئَةُ تَتَوُشُ الْأَرَكَ وَتَتَنَاشُهُ، أَيْ تَتَنَوَّلُهُ، وَفِي الْقُرْآنِ: ﴿وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاقُشُ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ [سَبَأُ: الْآيَةُ ٥٢].

٨ - وَكُنْتُ كَذَاتِ الْبَوِّ رِيْعَتْ فَأَقْبَلْتُ إِلَى جَلْدٍ مِنْ مَسَكٍ سَقَبٍ مُقَدِّدٍ

يَبَيِّنُ مَاذَا أَدْرَكَ مِنْ أَخِيهِ لَمَّا أَرَادَ وَقَاتِيَتَهُ وَالذَّبُّ عَنْهُ فَقَالَ: كُنْتُ كَنَاقَةٍ لَهَا وَلَدٌ فَأَفْزَعَتْ فِيهِ لَمَّا تَبَاعَدَتْ عَنْهُ فِي مَرَعَاهَا، فَأَقْبَلْتُ نَحْوَهُ، فَإِذَا هُوَ بِجَلْدٍ مُقَطَّعٍ، وَشِلْبٍ مُبَدَّدٍ. كَأَنَّهُ انْتَهَى إِلَى أَخِيهِ، وَقَدْ فَرَّغَ مِنْ قَتْلِهِ وَمُرَّقَ كُلِّ مُمَزَّقٍ. وَالْبَوُّ، أَصْلُهُ جَلْدٌ فَصِيلٌ يُحَسَّى تَبْنًا لَتَدْرُ عَلَيْهِ، فَاسْتَعَارَهُ لِلْوَلَدِ. وَكَذَلِكَ الْجَلْدُ هُوَ مَا جُلِدَ مِنَ الْمَسْلُوحِ وَأُلْبَسَ غَيْرُهُ لَتَشْمَهُ أُمُّ الْمَسْلُوحِ فَتَدِرَ عَلَيْهِ. وَالْمَسَكُ: الْجَلْدُ، لِأَنَّهُ يُمَسِكُ مَا وَرَاءَهُ مِنَ اللَّحْمِ وَالْعَظْمِ. وَالسَّقَبُ: الذَّكَرُ مِنْ أَوْلَادِ الْإِبِلِ؛ وَنَاقَةٌ مُسْقَابٌ، إِذَا وَلَدَتْ الذُّكَرَانَ كَثِيرًا.

(١) لأبي ذؤيب الهذلي في شرح أشعار الهذليين ١: ١٣٧، وصدرة: «ديار التي قالت غداة لقيتها»

- ٩ - فطاعنت عنه الخيل حتى تبددت وحتى علاني حالك اللون أسود^(١)
 ١٠ - قتال امرئ آسى أخاه بنفسه ويغلم أن المزة غير مخلد

يقول: دافعت الخيل - يعني الفرسان - عنه حتى انكشفوا، وإلى أن جرحت فسأل الدّم عليّ، وكان ذلك مني دافع رجل جعل نفسه أسوة أخيه، واختار لها مثل ما سبق إليه، عالمًا بأن المرأة لا يبقى، بل ماله إلى الفناء، وأن استقتاله ليلحق بأخيه خير له من أن يبقى بعده فيشقى بالجزع له وفيه. ويقال: هو يأتسي بفلان، أي رضي لنفسه ما رضي ذاك لنفسه. والمؤاساة والتأسي والاتساء واحد. وقوله: «حتى علاني حالك اللون أسود»، فيه إقواء، وكثير من العلماء يهونون الأمر في الإقواء ولا يعدونه عيبًا قبيحًا. وحكي عن الأخفش أنه قال: ما أنشدتني العرب قصيدة سلمت من الإقواء طالت أو قصرت. ويروى: «وحتى علاني حالك لون أسود»، والضعف فيه ظاهر. ألا ترى أنه قال حالك وهو الشديد السواد، ثم قال لون أسود. وفي إضافة لون إلى أسود ما لا يرتضى. وأجود من هذا أن يروى: حالك اللون أسودي وهو يريد أسودي، كما قيل في الأحمر الأحمر، وفي الدّوار دوّاري، ثم خفت ياء النسبة بحذف أحدهما، وهو الأول، وجعل الثاني صلة.

- ١١ - فإن بك عبد الله خلى مكانه فما كان وقافًا ولا طائش اليد

قوله «خلى مكانه» أي مضى لسبيله. والوقاف: الجبان المتوقف فيما يعن له عجزًا وضعف قلب. ويقال: وقافة أيضًا، والهاء للمبالغة، والطائش: الخفيف، ومنه الطائش. ويقال: هو طائش السهم، إذا عدل سهمه عن الهدف ولم يقصد قصده؛ ثم يقال: هو طائش اليد، إذا كان فيما يتولاه من الأعمال كذلك. يقول: إن كان عبد الله توفّي وخلى ما كان يسده بنفسه وغنائه من أمر العشيرة وسياستهم، فلقد كان مقدامًا صائب الرأي، حليمًا فيما يأتيه، لا يطيش زهواً، ولا يؤثر على الصواب شيئاً.

- ١٢ - كميّش الإزار خارج نصف ساقه بعيد من الأفت طلاع أنجد

الكمش والكميش: الخفيف السريع الحركة. يقال: انكمش في حاجتك، أي تخفف وأسرع. وأضاف الكميّش إلى الإزار على المجاز كما يقال: عفيف الحجرة،

(١) التبريزي: «حتى تنفست» وروى التبريزي: «حالك اللون أسودي» وأسودي: يريد أسودي، ثم خفت ياء النسب بحذف إحداهما.

وَنَقِيّ الْجَيْبِ. وقوله «خَارِجٌ يَنْصُفُ سَاقِيهِ» يصفه بالتشمر. وقد قيل: هو عَارِي الطُّنُوبِ، في هذا المعنى. قال: [البسيط]

عَارِي الطَّنَائِبِيبِ مُمْتَدَّ نَوَاشِرُهُ^(١)

وقد يُرَادُ بهذا قِلَّةُ اللَّحْمِ والهزال. وقوله «بَعِيدٌ مِنَ الْآفَاتِ» يريدُ أَنَّهُ لَا دَاءَ بِهِ وَلَا غَائِلَةً، فَهُوَ سَلِيمُ الْأَعْضَاءِ مَتِينُ الْقَوَى. ومعنى «طَّلَاعُ أَنْجُدٍ» أَنَّهُ يَتَصَعَّدُ فِي دَرَجِ السُّمُورِ. ويقال: طَّلَاعُ أَنْجِدَةٍ أَيضًا، قال: [البسيط]

طَّلَاعُ أَنْجِدَةٍ فِي كَشْحِهِ هَضْمٌ^(٢)

فَانْجِدَةٌ جَمْعُ نَجَادٍ، وَنَجَادٌ جَمْعُ نَجِدٍ. فَأَمَّا أَنْجُدٌ، فَالْأَصْلُ أَنْ يَكُونَ لِأَدْنَى الْعَدَدِ وَقَدْ اسْتَعِيرَ لِلكَثِيرِ، لِأَنَّهُ كَفَلَسَ وَأَفْلَسَ. وَهُمْ كَمَا يَضْعُونَ بِنَاءَ الْقَلِيلِ لِلكَثِيرِ وَالكَثِيرِ لِلْقَلِيلِ فِي أَصْلِ الْوَضْعِ، يَسْتَعِيرُونَ بِنَاءَ الْقَلِيلِ لِلكَثِيرِ وَإِنْ كَانَ بِنَاءُ الْكَثِيرِ قَدْ اسْتُعْمِلَ أَيْضًا. يَكْشِفُ هَذَا أَيْضًا أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: رَسَنٌ وَأَرْسَانٌ، فَوْضَعُوهُ لِلكَثِيرِ وَإِنْ كَانَ فِي الْأَصْلِ لِلْقَلِيلِ؛ وَقَالُوا دِرْهَمٌ وَدَرَاهِمٌ فَوْضَعُوهُ لِلْقَلِيلِ. وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَهُمْ فِي الْغُرَفَاتِ آمِنُونَ﴾ [سَبَأُ: الْآيَةُ ٣٧] يَرِيدُ أَهْلَ الْجَنَّةِ. فَوَضَعَ الْغُرَفَاتِ مَوْضِعَ الْغُرَفِ عَلَى الْاسْتِعَارَةِ.

١٣ - قَلِيلُ التَّشْكِيِّ لِلْمُصِيبَاتِ حَافِظٌ مِنْ الْيَوْمِ أَفْعَابِ الْأَحَادِيثِ فِي غَدٍ يَرِيدُ بِقَوْلِهِ «قَلِيلٌ» نَفَى أَنْوَاعِ التَّشْكِيِّ كُلِّهَا عَنْهُ. عَلَى هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: الْآيَةُ ٨٨]، وَقَوْلُهُمْ: قَلٌّ رَجُلٌ يَقُولُ ذَاكَ، وَأَقْلٌ رَجُلٌ يَقُولُ ذَاكَ. وَالْمَعْنَى: أَنَّهُ لَا يَتَأَلَّمُ لِلنَّوَائِبِ تَنْزُلُ بِسَاحَتِهِ، وَالْمَصَائِبِ تَتَجَدَّدُ عَلَيْهِ فِي ذَوِيهِ وَعَشِيرَتِهِ، وَأَنَّهُ يَحْفَظُ مِنْ يَوْمِهِ مَا يَتَعَقَّبُ أَعْمَالَهُ مِنْ أَحَادِيثِ النَّاسِ فِي غَدِهِ، فَهُوَ نَقِيٌّ الْأَفْعَالِ مِنَ الْغُيُوبِ، طَيِّبُ الْأَخْبَارِ فِي أَفْوَاهِ النَّاسِ، صَبُورٌ عَلَى الْعَزَاءِ.

١٤ - تَرَاهُ خَمِيصَ الْبَطْنِ وَالزَّادَ حَاضِرَ عَتِيدٍ وَيَغْدُو فِي الْقَمِيصِ الْمُقَدَّدِ

(١) لتأبط شراً في المفضليات، المفضلية رقم (١)، وعجزه:

«مدلاج أدهم واهي الماء غشاق»

(٢) لزياد بن منقذ (المراد العدوي) في اللسان (نجد)، وبلا نسبة في شرح المفضل ٦: ٤١، وصدرة:

«يعدو أمامهم في كل مرباة»

مِثْلُ الْمَصْرَاعِ الْأَوَّلِ قَوْلُ الْآخَرِ: [المديد]

يَابِسُ الْجَنْبَيْنِ مِنْ غَيْرِ بُوسٍ^(١)

يَصِفُهُ بِقِلَّةِ الطَّغْمِ مَعَ اتِّسَاعِ الْحَالِ، وَطَاعَةِ الزَّادِ، فَيَقُولُ: تَرَى بَطْنَهُ مَنْطَوِيًا وَالزَّادَ مُعَدًّا، لِأَنَّهُ يُؤَثِّرُ بِهِ غَيْرُهُ عَلَى نَفْسِهِ، وَلَأَنَّهُ لَا نَهْمَةَ تَمُّ وَلَا حِرْصَ عَلَى عِمَارَةِ الْبَدَنِ، وَلَا عَلَى اسْتِسْرَاءِ الثِّيَابِ، فَهُوَ يَغْدُو فِي الْقَمِيصِ الْمُمَزَّقِ، إِذْ كَانَ يَبْتَذِلُ نَفْسَهُ فِيمَا كَانَ يَكْسِبُهُ فَخْرًا وَعُلُوًّا. وَيَقَالُ: عَثَدَ فَهُوَ عَتِيدٌ عَتَادًا، وَأَعْتَدْتُهُ أَنَا. وَمِنْهُ سُمِّيَ الْعَتِيدَةُ الَّتِي يَكُونُ فِيهَا الطَّيْبُ، وَالْعَتَدُ بَفَتْحِ التَّاءِ وَكسرها: الْفَرَسُ الْمُعَدُّ لِلْمِهْمَاتِ مِنَ الطَّلَبِ وَالْهَرَبِ وَغَيْرِهِمَا، الذِّكْرُ وَالْأُنْثَى فِيهِ سَوَاءٌ.

١٥ - وَإِنْ مَسَّهُ الْإِقْوَاءُ وَالْجَهْدُ زَادَهُ سَمَاحًا وَإِتْلَافًا لِمَا كَانَ فِي الْيَدِ

يَقُولُ: وَإِنْ اتَّفَقَ عَلَيْهِ إِعْسَارٌ وَنَفَادُ زَادَ، وَجَهْدٌ مِنْ نَكْدِ الزَّمَانِ وَإِعْوَاژُ زَادَهُ سَخَاءً وَإِتْلَافًا لِلْمَالِ، جَزِيًّا عَلَى عَادَاتِهِ الَّتِي أَلْفَهَا، لَا يَهْضِمُهُ ضُرٌّ، وَلَا يَلْفِتُهُ فَقْرٌ. وَيَقَالُ: أَقْوَى الرَّجُلُ، إِذَا نَفَذَ زَادَهُ. وَيَقَالُ: زَادَ الشَّيْءُ ضِدَّ نَقْصٍ، وَزَدْتُهُ أَنَا فَازْدَادَ. وَفِي طَرِيقَتِهِ قَوْلُ الْآخَرِ: [مخلع البسيط]

قَدْ جَعَلَ اللَّهُ فِيكَ قَلْبًا يَأْبَى عَلَى الشُّغْلِ أَنْ يَضِيقًا

١٦ - صَبَا مَا صَبَا حَتَّى عَلَا الشَّيْبُ رَأْسَهُ فَلَمَّا عَلَاةٌ قَالَ لِلْبَاطِلِ ابْعَدِ

يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ صَبَا الْأَوَّلُ مِنَ الصَّبَا وَاللَّهْوِ، وَصَبَا الثَّانِي مِنَ الصَّبَبَاءِ بِمَعْنَى الْفَتَاءِ، فَيَكُونُ الْمَعْنَى: تَعَاطَى اللَّهْوُ وَالصَّبَا مَا دَامَ صَبِيًّا، فَلَمَّا اكْتَهَلَ وَظَهَرَ فِي رَأْسِهِ الشَّيْبُ فَاشْتَعَلَ نَحَى الْبَاطِلَ عَنْ نَفْسِهِ زُهْدًا فِيهِ، وَرَجُوعًا إِلَى الْحَقِّ، وَرَغْبَةً فِيمَا يَكْسِبُهُ الْأَحْدَوْتَةُ الْجَمِيلَةَ مِنْ أَبْوَابِ الصَّلَاحِ وَالْجِدِّ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى: تَعَاطَى الصَّبَا مَا تَعَاطَاهُ إِلَى أَنْ عَلَاةُ الْمَشْيَبِ، فَيَسْقُطُ التَّجَنُّسُ مِنَ الْبَيْتِ، وَهُوَ يَخْسُنُ بِهِ. وَمَا صَبَا فِي مَوْضِعِ الظَّرْفِ عَلَى الْوَجْهِينِ جَمِيعًا، أَيْ مُدَّةَ الْأَمْرَيْنِ. وَحَتَّى لِلْغَايَةِ. وَقَوْلُهُ «ابْعَدِ» مِنْ بَعْدِ يَبْعَدُ، إِذَا هَلَكَ. وَلَوْ أَرَادَ الْبُعْدَ لَقَالَ ابْعُدْ، بَضَمَ الْعَيْنِ. وَجَرَى أَبُو نُوَّاسٍ فِي هَذِهِ الطَّرِيقَةِ لَمَّا قَالَ: [البسيط]

قَدْ عَذَّبَ الْحُبُّ هَذَا الْقَلْبَ مَا صَلَحَا فَلَا تَعُدُّ دُنْبًا أَنْ يُقَالَ صَحَا

(١) هذا صدر بيت لتأبط شراً في الحماسية رقم (٢٧٣)، وعجزه:
«وندي الكفّين شهيم مُدِلٌّ»

١٧ - وَطَيْبَ نَفْسِي أَنِّي لَمْ أَقُلْ لَهُ كَذَبْتَ وَلَمْ أَبْخُلْ بِمَا مَلَكَتْ يَدِي أَنِّي فِي مَوْضِعِ الْفَاعِلِ لَطِيبٌ، وَلَيْسَ الْقَصْدُ إِلَى أَنَّهُ لَمْ يَقُلْ لَهُ كَذَبْتَ قَطُّ، وَإِنَّمَا الْمُرَادُ أَنِّي لَمْ أَجْفُهُ بِأَدَوْنِ الْفَاعِلِ الْجَفَاءِ. عَلَى ذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْوَصَاةِ بِالْوَالِدَيْنِ وَتَنْزِيهِهِمَا عَنْ قَبَائِحِ الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ: ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَقِي وَلَا نَهَرُهُمَا﴾ [الإسراء: الآية ٢٣] فَأَفَّ الْأَصْلُ فِي صَيَانَتِهِمَا عَنِ الْخَتَا وَفُخْشِ الْقَوْلِ، وَالتَّهَرُّ الْأَصْلُ فِي تَرْكِ إِيْذَانِهِمَا بِالْفِعْلِ وَالزَّجْرِ. فَيَقُولُ: سَلَّانِي طَاعَتِي لَهُ وَاحْتِشَامِي مِنْهُ مُدَّةَ حَيَاتِهِ، وَإِعْظَامِي إِيَّاهُ فِي الْقَوْلِ عِنْدَ مَخَاطَبَتِهِ، وَالْفِعْلِ وَقْتُ مَجَالَسَتِهِ وَلَدَى مُعَامَلَتِهِ. وَأَشَارَ إِلَى الْقَوْلِ بِقَوْلِهِ «لَمْ أَقُلْ لَهُ كَذَبْتَ» وَإِلَى الْفِعْلِ بِقَوْلِهِ «لَمْ أَبْخُلْ بِمَا مَلَكَتْ يَدِي». وَالْمَعْنَى: لَمْ أَبْخُلْ بِمَلِكِ يَدِي عَلَيْهِ؛ فَحَذَفَ عَلَيْهِ كَمَا يَحْذَفُ الْمَفْعُولُ إِذَا دَلَّ عَلَيْهِ الْكَلَامُ.

٢٧٢ - وَقَالَ أَيْضًا: [الطويل]

١ - تَقُولُ أَلَا تَبْكِي أَخَاكَ وَقَدْ أَرَى مَكَانَ الْبُكَاءِ لَكِنْ بُنِيتُ عَلَى الصَّبْرِ
٢ - فَقُلْتُ أَعْبَدَ اللَّهُ أَبْكَيَ أَمْ الَّذِي لَهُ الْجَدُّثُ الْأَعْلَى قَتِيلَ أَبِي بَكْرٍ^(١)

يقول: اجْتَمَعَتْ عَلَيَّ الْمَصَائِبُ وَالرَّزَايَا فَاقْتَسَمْتَنِي، فَإِذَا دُعِيتُ إِلَى الْبُكَاءِ عَلَى أَخِي، أَرَى الْبُكَاءَ يَحِقُّ لَهُ لِإِفَاقَتِي إِلَى حَيَاتِهِ، وَتَكَامُلِ فَضْلِهِ فِي نَفْسِهِ، لَكِنِّي وَجِدْتُ صَبْرًا إِذْ كَانَتْ عَلَيْهِ بِنْيَتِي، وَإِذَا صَارَ دَيْنِي وَدَائِي وَقَوْلُهُ «مَكَانَ الْبُكَاءِ» بَيَانُ اسْتِحْقَاقِ أَخِي الْبُكَاءَ عَلَيْهِ. وَقَدْ قَصَرَ الْبُكَاءَ، وَلِلشَّاعِرِ أَنْ يَقْصُرَ الْمَدْدُودَ بِاتِّفَاقٍ مِنَ الْمَذْهَبِينَ. وَفِي طَرِيقَتِهِ قَوْلُ الْآخِرِ: [الطويل]

وَلَوْ شِئْتُ أَنْ أَبْكِي بُكَاءَ لَبَكَيْتُهُ عَلَيْكَ وَلَكِنْ سَاحَةُ الصَّبْرِ أَوْسَعُ^(٢)

وقوله «فَقُلْتُ أَعْبَدَ اللَّهُ أَبْكَيَ»، كَشَفَ بِهِ عَنْ تَوَالِي الرَّزَايَا، وَأَنَّ جَلْدَهُ مَتَوَزِّعٌ فِيهَا، فَكَانَتْهُ قَالَ: إِلَى مَنْ أَصْرِفَ الْبُكَاءَ، وَمَنْ أَخْصُ بِهِ أَعْبَدَ اللَّهُ أَمْ الْمَدْفُونُ فِي الْقَبْرِ الْأَعْلَى قَتِيلَ أَبِي بَكْرِ بْنِ كِلَابٍ. وَقَوْلُهُ «الْأَعْلَى» يَرِيدُ الْأَشْرَفَ، وَيَجُوزُ أَنْ يُرِيدَ الْأَعْلَى فِي مَكَانِهِ وَمَوْضِعِهِ. وَالْجَدُّثُ: الْقَبْرُ، وَكَذَلِكَ الْجَدْفُ، وَجَمَعَهُ الْأَجْدَاثُ.

(١) فِي الْأَغَانِي ٩: ٢ «وَكَانَ لِدْرِيدِ إِخْوَةٌ، وَهُمْ عَبْدُ اللَّهِ الَّذِي قَتَلْتَهُ غُظْفَانٌ وَعَبْدُ يَغُوثَ قَتَلَهُ بَنُو مَرْةَ، وَقَيْسَ قَتَلَهُ بَنُو أَبِي بَكْرٍ بْنِ كِلَابٍ، وَخَالِدَ قَتَلَهُ بَنُو الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ».

(٢) لِإِسْحَاقَ بْنِ حَسَّانَ الْخَرِيمِيِّ فِي مُعَاهَدِ التَّنْصِيفِ ١: ٨٤.

وفي القرآن: ﴿فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾ [يس: الآية ٥١]. وانتسب عبد الله بأبيكي، وقيل على البدل من الذي.

٣ - وَعَبْدُ يَغُوثَ تَخْجُلُ الطَّيْرُ حَوْلَهُ وَعَزَّ الْمُصَابَ جَثُو قَبْرِ عَلَى قَبْرِ
نَبَّهَ بقوله «تَخْجُلُ الطَّيْرُ حَوْلَهُ» على أَنَّهُ تُرِكَ بالعراء، وعوافي الطير تأكله، فلم يُدْفَن، وإنما قال تَخْجُلُ إشارةً إلى امتلاء حواصلها وثقلها، فهي تَحْجُلُ حَوْلَهُ ولا تَطِيرُ. والْحَجْلُ: مَشْيُ الْمُقَيَّدِ، وتَوَثَّبَ الإنسان على إحدى رجليه وقد رَفَعَ الأخرى. وَتَزَوَّانُ الغُرَابِ حَجْلَهُ. وهذا الكلام تلهفٌ وتحزنٌ. وقوله «وعبدُ يغوث» وإن استأنفَ الكلامَ به فهو في المعنى معطوف على ما قبله، كأنه قال: أَيُّهُمْ أَبْيَكِي وقد كَثُرُوا. وقوله «وعزَّ المُصَابُ» يُرَوَى المُصَابُ بالرفع ويراد بالمُصَابِ المصيبة، ويرتفع «جَثُو» على أَنَّهُ بدلٌ منه، ويكون مفعولُ عَزَّ محذوفًا، كأنه قال: وعزَّ الشاعرُ المصيبةَ جَثُو قَبْرِ عَلَى قَبْرِ. وإذا رَوِيَ «وعزَّ المصَابُ» بالتَّصْبِ، يكون المُصَابُ الشَّاعِرُ، وجَثُو قَبْرِ هو الفاعل، والمعنى غَلَبَهُ تَوَلَّى المصائبَ عليه. وقوله «جَثُو قَبْرِ عَلَى قَبْرِ» أي حصول الواحد في إثر الواحد. ويقال: جَثَا لِرُكْبَتِهِ، وفي القرآن: ﴿حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثَا﴾ [مریم: الآية ٦٨]، أي لازمين لِرُكْبَتِهِمْ لا يستطيعون القيام. واستعمالُ الجَثُو مجاز هنا؛ لأنَّ القَبْرَ لا يَجْثُو. والجَثْوَةُ من الثَّرَابِ وغيره: ما جُمِعَ، وبه سُمِّيَ القبرُ جُثْوَةً. وروى بعضهم: «حَثُو قَبْرِ عَلَى قَبْرِ»^(١) فَجَعَلَ الحَثُوَ للقبر، وإنما يُحْثَى عليه، كما قال:

وما مِن قَلْبٍ يُحْثَى عليه من الثَّرْبِ

وروى بعضهم «وعزَّى» والمعنى سَلَّى المُصَابَ، أي نفسَه، من البكاء والتحزن، توالي الأرزاء عليه؛ فإنه تَمَرَّنَ بها، فصار يصبرُ عليها. ويكونُ في هذا مُلِمًا بمعنى قول الآخر: [الطويل]

فَقَدْ جَعَلْتَ نَفْسِي عَلَى النَّأْيِ تَنْطَوِي وَعَيْنِي عَلَى فَقْدِ الصَّدِيقِ تَنَامُ^(٢)

٤ - أَبَى الْقَتْلُ إِلَّا أَلَّ صِمَّةً إِنَّهُمْ أَبَوْا غَيْرَهُ وَالْقَدْرُ يَجْرِي إِلَى الْقَدْرِ

(١) هذه رواية التبريزي.

(٢) لعبد الصمد بن المعدل أو للحسين بن مطير كما ورد في حواشي الحماسية (٧٧)، ولمؤرج في اللسان (نوى).

يقول: لم يَرْضَ القتلُ إِلَّا آلَ صِمْمةَ لأنهم الكرامُ، والدَّهْرُ يأبى في الاختيار أن يكونَ حظه من غيرهم، كما أن آلَ صِمْمةَ لم يَرْضُوا من أحداثِ الزَّمانِ فيهم إِلَّا بالقتل، إذ كان ذلك عندهم أَحْسَنَ المِيتَاتِ وأكرمها وقوله «أبى القتلُ إِلَّا آلَ صِمْمةَ» يُشبهه قولُ الآخر: [الطويل]

أَرَى المَوْتَ يَغْتَامُ الْكِرَامَ وَيَضْطَفِي عَقِيلَةَ مَالِ الْفَاجِسِ الْمُتَشَدِّدِ^(١)

وقوله «إنهم أبوا غيره» يشبهه قولُ الآخر: [الطويل]

وما ماتَ مِنَّا مَيِّتٌ حَتَفَ أَنفِهِ^(٢)

وقوله «والقدر يجري إلى القدر» يريد كما قُدِّرُوا للقتل قُدِّرَ القتلُ لهم، لأنهم بما اجتمعَ فيهم من الخصال الشريفة التي يختارها الدهرُ لنوابه، كأنهم خُلِقُوا للدهرِ ولتأثيره الذي هو القتل، لأنَّ القتلَ لما كان أشرف أسبابِ الحَتَفِ عندهم فأحبُّوه ومالوا إليه، صاروا لذلك كأنَّ القتلَ خُلِقَ لهم.

٥ - فإِذَا تَرَيْنَا لَا تَزَالُ دَمَاؤُنَا لَدَى وَاتِرٍ يَسْعَى بِهَا آخِرَ الدَّهْرِ

٦ - فَإِنَّا لِلْحُمِّ السَّيْفِ غَيْرِ نَكِيرَةٍ وَنُلْجِمُهُ حِينًا وَلَيْسَ بِذِي نُكْرٍ

جواب إمَّا أَوَّلُ البيت الذي يليه، وهو فإِذَا. والفاء من فإِذَا رابطة ما بعدها بما قبلها، ولا تَزَالُ دَمَاؤُنَا إلى آخر البيت في موضع المفعول لَتَرَيْنَا، وَلَدَى وَاتِرٍ لفظه واحدٌ والمُرَادُ به الكثرة. وآخِرَ الدَّهْرِ: ظرفٌ، والعامِلُ فيه «لا تَزَالُ دَمَاؤُنَا» لأنَّ المعنى إمَّا تَرَيْنَا لا تَزَالُ دَمَاؤُنَا أَبَدَ الدَّهْرِ لَدَى وَاتِرِينَ يَسْعَوْنَ بِهَا. ولا يجوز أن يكون العاملُ فيه يَسْعَى بها، لأنَّ فيه إبهامًا أنَّهم لا يَنَالُونَ الوِثْرَ من الواترين سريعًا، ولكنَّهم يَسْعَوْنَ بدمائهم أَبَدَ الدَّهْرِ. وهذا الكلامُ كالاعتذار من كثرة القتلِ فيهم، فيقول: إن اتَّصَلَ القتلُ فإِنَّا حَتَّى نَرَى دَمَاءَنَا أَبَدَ الدَّهْرِ لَدَى وَاتِرِينَ، فإِنَّا لَحَبْنَا للقتلِ طُعْمَ السُّيُوفِ حَقًّا غَيْرَ ذِي إنكَارٍ ولا امتراءٍ، وكما تَتَطَعَّمُ مِنَّا فإِنَّا نَطْعُمُهَا أَيضًا مِن غَيْرِنَا، فَتَجْعَلُ أعداءنا لُحْمَةً لَهَا غَيْرَ ذِي شَكٍّ ولا مِرْيَةٍ. وقوله «غير نكير» انتصب على المصدر

(١) لطرفة بن العبد في معلقته في الديوان ص ٣٤، واللسان (شدد، فحش، عيم) وكتاب العين ٢:

(٢) للسموأل في الحماسية (١٥)، وعجزه:

«ولا طلَّ مِنَّا حيث كان قتيلٌ»

وأكثر ما يُستعمل نكيرٌ بغير الهاء فالنكر والتكير، كالعُذْر والعذير والعُذْرَى. ومثل هذا المصدر يؤكّد به الكلام الذي قبله، ويجري مجرى حَقًّا وما أشبهه. ويجوز أن تكون الهاء من التكير للمبالغة. وقوله «وَنُلْحِمُهُ حَيْثَا» فالحينُّ اسمٌ للزمان المتصل، فكأنّه قال: «وَنُلْحِمُهُ فيما يتصل من الأوقات. وليس يُريدُ حَيْثَا من الأحيان. وإن رُوِيَ «غير نكيره» على أن يكون الضمير منه يعودُ إلى السيفِ كأنه قال: غَيْرَ منكورٍ له، فيجعلُه حالًا لِلْحِم، فليس بجيد؛ لأنَّ القصدَ إلى تأكيد الكلام بهذا المصدر؛ فكما أنَّ في آخر البيت قوله «وليس بذِي نُكْرٍ» تأكيدٌ لما قبله، كذلك يجب أن يكون غير نكيرٍ هكذا، ليتقابل الصّدْر والعَجْز على حَدٍّ واحدٍ من التأكيد وحصول هاء التانيث في نكيرٍ لا يجب أن يُنكر، كما لا يُنكرُ في قولهم نكرةٌ ومعرفةٌ، وكما لا يُنكرُ الألف في آخر ذِكْرَى وعُذْرَى.

٧ - يُغَارُ عَلَيْنَا وَاتْرِين فَيُشْتَفَى بِنَا إِنْ أَصَبْنَا أَوْ نُغَيِّرُ عَلَى وَتِرِ
نَبَّ بقوله «فَيُشْتَفَى بنا» أنَّهم الثَّارُ المُنِيمُ، فإذا أصيبت دماؤهم كان فيها للأعداء الشفاء. وانتصبَ على الحال من الضمير في علينا. وقوله «أَوْ نُغَيِّرُ عَلَى وَتِرِ»، يريدُ على وَتِرِ لنا عندهم، فكأنّه قال: أَوْ نُغَيِّرُ عَلَى وَاتْرِين لنا. وقد سَلَكَ الأَعشى هذه الطَّرِيقَةَ، فلم يُوفِّ القِسْمَةَ حَقُّها كما فعل هذا؛ لأنّه قال: [المتقارب]

فَأُظْعِنْتَ وَتَرَكَ مِنْ دَارِهِمْ وَوَتَرَكَ مِنْ قَبْلِهِمْ لَمْ يُقَمِّ
والمعنى أَوْعَجْتَ الوِثَرَ الذي كان لك عندهم من دارهم، على عادتك مع سائر الناس من قَبْلُ في إدراكِ الثَّارِ سريعًا؛ لأنَّ قوله «وَوَتَرَكَ مِنْ قَبْلِهِمْ لَمْ يُقَمِّ» إشارةٌ إلى أنّه لا يُمهِّل ولا يُهْمِلُ قَوْتَرَهُ لا يَتَلَوَّمُ عند الأعداء.

٨ - قَسَمْنَا بِذَاكَ الدَّهْرِ شَطْرَيْنِ بَيْنَنَا فَمَا يَنْقُضِي إِلَّا وَنَحْنُ عَلَى شَطْرِ
أشار بقوله «ذاك» إلى ما تقدّم ذكره من تردّده في مجادبة الأعداء طالبيين مرّةً، ومطلوبين أخرى. وانتصب «شَطْرَيْنِ» على المصدر، كأنه قال: قَسَمْنَا الدَّهْرَ قَسَمَيْنِ. ويجوز أن يكون حالًا على مَعْنَى قَسَمْنَاهُ مُخْتَلَفًا؛ فوقع الاسم موقع الصِّفَةِ لِمَا تَضَمَّن معناه، كما تقول: طَرَحْتُ متاعِي بَعْضَهُ فَوْقَ بَعْضٍ، كأنّك قلتَ متفرّقًا. والمراد: جَعَلْنَا أَوْقَاتَ الدَّهْرِ بَيْنَنَا وَبَيْنَ أَعْدَائِنَا مَقْسُومَةً قَسَمَيْنِ، فتراها لا ينقضى شيءٌ منها إِلَّا وَنَحْنُ فِيهِ عَلَى أَحَدِ الْحَدَيْنِ. إمّا أن تكونَ لنا الكَرَّةُ عليهم فندال منهم، وإما أن تكونَ لهم الجَوْلَةُ علينا فَيُنَالَ مِنَّا.

٢٧٣ - وقال تأبط شراً:

[المديد] وَذَكَرَ أَنَّهُ لَخَلْفِ الْأَخْمَرِ^(١)، وَهُوَ الصَّحِيحُ.

١ - إِنَّ بِالشُّغْبِ الَّذِي دُونَ سَلْعٍ لَقَتِيلًا دَمُهُ مَا يُطَلُّ
يجوز أن يكون ذكر الشعب الموصوف لأن قبر ذلك القتل كان فيه، ويجوز
أن يكون ذكره لأنه قتل عنده، وهو في اللغة ما انفرج بين جبلين ونحوهما. والسَّلْعُ
بفتح السين وكسرهما: شق في الجبل، ومنه سَلَعَتَ رأسه، أي شققته. وقولهم: هادِ
مِسْلَع^(٢)، أي يسق أجواز الفلاة. وقوله «دَمُهُ مَا يُطَلُّ» من صفة القتل، والمعنى أنني
في طلب ثاره، فدَمُهُ لا يذهب هَذَرًا. والَطْلُ: مَطْلُ الدَّمِ والدِّية وإبطالهما. وقال:
[الكامل]

أُزْهِرُ لَيْسَ أَبُوكَ بِالْمَطْلُولِ^(٣)

٢ - خَلَفَ الْعِيبَ عَلَيَّ وَوَلَّى أَنَا بِالْعِيبِ لَهُ مُسْتَقِيلٌ
أراد بالعيب طلب دمه والنيل من عدوه. وقوله «أنا بالعيب له مستقيل» تحقيق
للموعِد بإدراك الثَّار، وإظهار اقتدار على النكاية في الأعداء. وقوله «لَهُ» أي من أجل
المرثي، وإنما سُمِّي الثُّقْلُ عَيْنًا لأنه من عَبَاتِ المتاعِ أعبؤه عَيْنًا، ثم يُسَمَّى المتاعُ
عَيْنًا، فهو كالتَّقْضِ والتَّقْضِ. وكثر استعماله حَتَّى تَسْمُحُوا به فيما يدخل من الثُّقْلِ
على القلب ولا يُحْمَلُ على الظهر.

٣ - وَوَرَاءَ الثَّارِ مِنِّي ابْنُ أُخْتٍ مَصِيعٌ عُقْدَتُهُ مَا تُحَلُّ
أعطى فيما اجتمع من الوصف الترتيب حقّه، وذلك لأنه اجتمع مفردٌ وجملةٌ في
صفة «ابن أُخْتٍ» فَقَدَّمُ المفرد على الجملة، وهذا وجهُ الكلامِ وحقّه؛ لأنَّ الجملة إنما

(١) التبريزي: «وقيل: قال ابن أخت تأبط شراً، قال النمرى: ومما يدل على أنها لخلف الأحمر قوله فيها: جلّ حتى دقّ فيها الأجل، فإن الأعرابي لا يكاد يتغلغل إلى مثل هذا، وقال أبو الندى: مما يدل على أن هذا الشعر مولد أنه ذكر فيه سلماً، وهو بالمدينة وأين تأبط شراً من سلع، وإنما قُتل في بلاد هذيل ورُمِيَ به في غار يقال له رخمان».

(٢) هذا قول لسعدى الجهنية ترثي أخاها أسعد وتماه:

«سباق عادية ورأس سرية ومقاتل بطل وهاد مسلح»

(٣) بلا نسبة في أساس البلاغة (طلل) وتماه:

تلكم هريرة ما تجف دموعها أُزْهِرُ لَيْسَ أَبُوكَ بِالْمَطْلُولِ

وَصِفَ بِهَا لَوْقُوعَهَا مَوْقِعَ الْمُفْرَدِ، فَإِذَا صَاحِبُهَا مُفْرَدٌ كَانَ الْأَوَّلَى تَقْدِيمَهُ، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَعَقْدُهُ ارْتَفَعَ بِالْإِبْتِدَاءِ، وَمَا تُحَلُّ خَبْرُهُ. وَالْمَصِيعُ: الشَّدِيدُ الْمُقَاتِلَةُ الثَّابِتُ فِيهَا. وَيَعْنِي بَوْرَاءَ هَلْهَذَا الْخَلْفَ، وَإِنْ كَانَ يَصْلُحُ لِلْقُدَامِ. وَفِي هَذَا الْكَلَامِ ضَرْبٌ مِنَ الْوَعِيدِ، كَأَنَّهُ يَجْرِي مَجْرَى قَوْلِ الْقَاتِلِ: اللَّهُ مِنْ وَرَائِكَ. وَيُرِيدُ: وَفِي طَلَبِ الثَّارِ مِنْ جِهَتِي ابْنِ أَخْتٍ هَذِهِ صِفَتُهُ، وَيَعْنِي بِهِ نَفْسَهُ. وَيَجْرِي هَذَا الْمَجْرَى قَوْلُ الشَّنْفَرَى: [الطويل]

هَمَمْتُ وَهَمْتُ وَابْتَدَرْنَا وَأَسْدَلْتُ وَشَمَّرَ مَنِّي فَارِطٌ مُتَمَهِّلٌ

وَالْفَارِطُ الْمُتَمَهِّلُ هُوَ الشَّنْفَرَى. وَقَوْلُهُ «عَقْدَتُهُ مَا تُحَلُّ» يَجُوزُ أَنْ يَرِيدَ مَا يَعْقِدُهُ بِرَأْيِهِ أَوْ يُحْكِمُهُ لَا يُنْقَضُ. وَيَجُوزُ أَنْ يَرِيدَ بِهِ قُوَّتَهُ وَجَلَادَتَهُ، وَتَكُونُ الْعُقْدَةُ رَاجِعَةً إِلَى اسْتِحْكَامِ خَلْقِهِ وَصَبْرِهِ فِي الشَّدَائِدِ.

٤ - مُطَرِّقٌ يَرْشُحُ مَوْتًا كَمَا أَطَفَ رَقٌّ أَفْعَى يَنْفِثُ السَّمَّ صِلٌ^(١)

شَبَّهَ نَفْسَهُ فِي إِطْرَاقِهِ وَسُكُونِهِ، مُنْتَظِرًا لِفُرْصَةٍ يَنْتَهِزُهَا فِي إِدْرَاكِ ثَارِهِ بِالْحَيَّةِ، وَأَنَّهُ فِي إِسْمَاكِهِ يَرْشُحُ بِالْمَوْتِ لَعْدُوَّهُ كَمَا أَنَّ الْحَيَّةَ إِذَا أَطَرَقَ نَفَثَ بِالسَّمِّ. وَالرَّشْحُ كَالْعَرَقِ، وَالثَّفَثُ، كَالْقَذْفِ. وَالصَّلُّ مِنْ صِفَةِ الْأَفْعَى، وَيُوصَفُ بِهِ الدَّاهِيَةُ وَكُلُّ خَبِيثٍ، يُقَالُ: هُوَ صِلٌ إِصْلَالٍ، كَمَا يُقَالُ دَاهِيَةٌ دَوَاهٍ. وَأَسْمَاءُ الْحَيَّاتِ وَصِفَاتُهَا تُسْتَعَارُ فِي الدَّوَاهِيِ كَثِيرًا. وَالْأَفْعَى مُؤَنَّثَةٌ، وَذَكَرُهَا الْأَفْعُوَانُ. وَقَالَ الْخَلِيلُ: الْأَفْعَى حَيَّةٌ قَصِيرَةٌ عَرِيضَةُ الرَّأْسِ. وَيُنَوَّنُ فَيُقَالُ أَفْعَى، وَبَعْضُ طَبِئٍ يَقْلِبُ أَلْفَهُ وَآوًا فَيَقُولُ أَفْعَوٌ، وَبَعْضُ قَيْسٍ يَقْلِبُهَا يَاءً فَيَقُولُ أَفْعَى. وَمِنْهُ تَفْعَى فَلَانٌ، إِذَا سَاءَ خُلُقُهُ. وَقَالَ سَبْيُوهِ: صَرَفُهُ أَكْثَرُ وَأَجُودُ. وَيَصْلَحُ لِلذَّكَرِ وَالْأُنْثَى. وَالْأَفْعُوَانُ الذَّكَرُ لَا غَيْرَ.

٥ - خَبَرَ مَا نَابَنَا مُضْمِلٌ جَلَّ حَتَّى دَقَّ فِيهِ الْأَجَلُ

٦ - بَرَزَنِي الدَّهْرُ وَكَانَ غَشُومًا بِأَبِي جَارُهُ مَا يُدَلُّ

يَعْنِي بِالْخَبَرِ نَعْيَ الْمَتَوَفَّى؛ وَقَدْ اسْتَعْظَمَهُ وَجَعَلَهُ دَاهِيَةً مُنْكَرَةً حَتَّى عَلَا شَأْنُهُ وَجَلَّ عَنْ أَنْ يُضَبَّطَ بِوَصْفٍ، أَوْ يُحَدَّ بِنَعْتٍ، فَلِذَلِكَ قَالَ «جَلَّ حَتَّى دَقَّ فِيهِ الْأَجَلُ». وَيُقَالُ: دَاهِيَةٌ مُضْمِلَةٌ، إِذَا اشْتَدَّتْ. وَالْأَجَلُ تَأْنِيَةُ الْجُلَى، وَالْأَلْفُ وَاللَّامُ فِيهِ بَدَلٌ مِنْ

(١) التبريزي: «يرشح سمًا».

الإضافة الثابتة عن مَن في قولهم: هو أَجَلٌ من كذا، ومعناه الجليل. وقوله «بَزَنِي الدَّهْرُ» أي غَلَبَنِي واستَلَبَنِي. وقوله «بَابِي» الباء دخلت للتأكيد زائدة، كأنه قال: بَزَنِي الدَّهْرُ أَيًّا. ومثله قول الآخر: [البسيط]

سُوْدُ المَحَاجِرِ لَا يَفْرَأَنَّ بِالسُّوْرِ^(١)

ويجوز أن يكون عَدَى بَزَنِي بالباء لما كان معناه فَجَعَنِي، ويكون من باب ما عُدِّي بالمعنى دون اللفظ، كقوله: [البسيط]

إِذَا تَغْنَى الحَمَامُ الوُزُقُ هَيَّجَنِي ولو تعزَّيْتُ عَنْهَا أَمَّ عَمَارٍ^(٢)

وقوله «جَارَهُ مَا يُذَلُّ» من صفة الأبي. والأبي المتصعَّبُ المتمنَّع. والغشْمُ: الظلم والقهر. وقوله «وكان غَشُومًا» يعني به الدهر، وهو اعتراض بين الفاعل والمفعول، ومثله يتأكد به الكلام. وقوله «يُذَلُّ» يُروى بفتح الياء، ويُذَلُّ على ما لم يُسَمَّ فاعله، والمعنى ظاهر، وصَفَهُ بأنه كان عزيز الجار محميَّ الفناء، وأنه كان له عُدَّةٌ على الدهر، وسلاحاً معه فاستلَبَه منه.

٧ - شَامِسٌ فِي الشَّرِّ حَتَّى إِذَا مَا ذَكَتِ الشَّعْرَى فَبَرْدٌ وَظِلُّ
٨ - يَابِسُ الْجَنْبَيْنِ مِنْ غَيْرِ بُوسٍ وَنَدِيَّ الْكَفَّيْنِ شَهْمٌ مُدِلُّ

وصَفَهُ بأنه كان يُنْتَفَعُ به في كُلِّ حَالٍ وزمان، وأنه كان غِيَاثًا للناس في حَالَتِي السَّرِّاءِ والضَّرِّاءِ، فَكَانَ الشَّمْسُ عند البرد، والظِّلُّ عند الحرِّ. يقال: ذَكَتِ النَّارُ تَذْكُو، وأذكيتهَا، وكذلك أذكيْتُ الحزبَ، ونَوَى الشَّعْرَى بشدة الحرِّ يجيء. ويقال، للشَّمْسِ ذُكَاءٌ من ذلك. وقد جاء مثل هذا في التَّسْيِبِ، يقول ابنُ الرُّقَيَّاتِ: [الخفيف]

سُخْنَةٌ فِي الشِّتَاءِ بَارِدَةٌ الصَّيْفِ فِي هِلَالٍ فِي اللَّيْلِ الظُّلْمَاءِ^(٣)

والمعنى أَنَّهَا لِلصُّجُوعِ فِي الصَّيْفِ هَكَذَا، وَفِي الشِّتَاءِ هَكَذَا. وقد أتى الأعشى بهذين المعنيين في بيتين، وابنُ الرُّقَيَّاتِ أتى بهما مع ثالثٍ لهما في بيت واحد. وبيتُ

(١) للراعي النميري في ديوانه ١٢٢، وصدده:

«هَنَ الحَرَارِ لَا رَبَاتُ أَحْمَرَةٍ»

(٢) للناطقة الذبياني في معلقته، وفي جمهرة أشعار العرب ٥٣.

(٣) للأحوص في ديوانه ٧١، وله أو للسري بن عبد الرحمن في معجم البلدان (برقة خاخ)، ولعبيد الله بن قيس الرقيات في ملحقات ديوانه ١٧٥.

الأعشى : [المتقارب]

وَتَبْرُذُ بَرْدَ رِدَاءِ الْعَرُو سِ بِالصِّيفِ رَقَرْتُ فِيهِ الْعَبِيرَا^(١)
وَتَسْخُنُ لَيْلَةً لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْبِجَ الْكَلْبُ إِلَّا هَرِيرَا^(٢)

وأما قوله «يابسُ الجنين من غير بُوسٍ» يريدُ أنه يُؤثِرُ بالزَّادِ غيرَه على نفسه.
وعادتهم التمدُّحُ بالهُزال، فهو كقول الآخر: [الطويل]

تراه خميصَ البطنِ والزَّادُ حاضِرٌ عَتِيدٌ وَيَغْدُو فِي الْقَمِيصِ الْمُقَدِّدِ^(٣)

وقوله «نَدِيَّ الكَفَيْنِ»، أراد أنه سَخِيٌّ. ويقال: هو يَتَنَدَّى على أصحابه، أي يتسَخَّى. والشَّهْم: الذَّكِيُّ الحديد، ومنه قيل لِلْقَنْذِ الشَّيْهِم. والمُدِلُّ هو الواثِقُ بنفسه وبآلاته وعُدَّتِه.

٩ - ظَاعِنٌ بِالْحَزْمِ حَتَّى إِذَا مَا حَلَّ حَلَّ الْحَزْمُ حَيْثُ يَحُلُّ

١٠ - غَيْثُ مُزْنٍ غَامِرٌ حِينَ يُجْدِي وَإِذَا يَسْطُو فَلَيْتُ أَبْلُ

وصَفَه بأنه مستعِمِّلٌ للحزم وأَخَذَ به، ظاعنًا كان أو مقيمًا. وأشاد بقوله «ظاعِنٌ» إلى غزواته، وأسفاره وغاراته؛ ويقولُه «حَلَّ الْحَزْمُ حَيْثُ يَحُلُّ» إلى شِدَّةِ حذرِه في إقامته، ودوام اتِّقائه من الأعداء حتَّى لا ينسأهم ولا يَغْفُل عنهم. وقوله «غَيْثُ مُزْنٍ غَامِرٌ حِينَ يُجْدِي» وصفَه بأنَّ منافعه عامَّةٌ لِلخَلْق. والمُزْنَةُ: السَّحَابَةُ البيضاء. والغامر: الشَّامِلُ جدواه وعطيئته. وقوله «وَإِذَا يَسْطُو فَلَيْتُ أَبْلُ»، الأَبْلُ: الفاجر المصمَّمُ الماضي على وجهه، لا يُبَالِي ما لَقِيَ. والمراد أنه في الإحسانِ بالغٌ أَقصى الغايات، وعند السُّطوة على الأعداء كاللَّيْث الكثير الإفساد، الشَّدِيد النكاية. والسُّطُو: البَسْطُ على الإنسان تقهَّره من فوق. ويقال: سطا عليه وسطا به. وقال الخليل: سُمِّيَ الْفَرَسُ ساطيًا لآئه يسطو على سائر الخيل، فيقوم على رجله ويرفع يَدَيْه.

١١ - مُنْسَبِلٌ فِي الْحَيِّ أَخَوَى رِقْلٌ وَإِذَا يَنْفَرُو فَمِنْغُ أَزْلُ

١٢ - وَلَهُ طَفَمَانٍ: أَزْيٍ وَشَرِيٍّ وَكِلَا الطَّمَعَيْنِ قَدْ ذَاقَ كُلُّ

(١) للأعشى في ديوانه ١٤٥، واللسان (عبر، رقق، ردى).

(٢) ديوانه ١٤٥، وخزانة الأدب ١: ٦٦، والدرر ٣: ١٥٢.

(٣) البيت (١٤) في الحماسية رقم (٢٧١) لدريد بن الصمة.

مفعول «مُسْبِلٌ» محذوف. وصفه بأنه في الحي - والحال سلامة - يُسْبِلُ إزاره خِيَلًا وكِبْرًا، ويتبختر ذاهبًا في الشُرْفَةِ إلى أرفع الدَّرَجَةِ، وأنه ذا عَزَا فهو كالسَّمْع، وهو الولد بين الذئب والضبع، وهو أخبث السباع وأعداها. والزَّلَلُ: خِفَةُ الْعَجْز، وذلك خِلقته.

وقوله «وله طَعْمَانُ أَزْيٍ وَشَرِيٌّ» يريد به أنه للموَالِين كالأزوي - ويراد به العسل وإن كان في الأصل عَمَلُ النحل - وللمُعَادِين كالشري، وهو الحنظل. ثم قال: وكِلَا الطَّعْمِين قد ذاق كُلَّ، أي كُلَّ واحدٍ من الطَّعْمِين قد ذاقه كُلُّ واحدٍ من قَبِيلِي الأعداء والأولياء. ومفعول ذاق محذوف إذا جعلت كِلَا مبتدأ، كأنه قال: قد ذاقه كُلُّ. والأجود أن تجعل كِلَا مفعول ذاق ولا تجعله مبتدأ. ومثله: زيدا ضَرَبْتُ أَلَا تَرَى أَنَّهُ يُخْتَارُ عَلَيَّ: زَيْدٌ ضَرَبْتُ. وكِلَا اسمٌ مَوْحَدٌ يؤكد به المثنى، كما أَنَّ كِلَا اسمٌ مَوْحَدٌ يؤكد به الجمع. وهو مقصورٌ كَمَعَى، وألفه منقلبة عن واو، وهذا مذهب أصحابنا البصريين، والكوفيون عندهم أنه اسمٌ مثنى.

١٣ - يَرْكَبُ الْهَوَلَ وَحِيدًا وَلَا يَضُ - حَبُّهُ إِلَّا الْيَمَانِي الْأَقْلُ
هذا كقول الآخر: [الطويل]

يَظْلُ بِمَوْمَاءَ وَيُمْسِي بِغَيْرِهَا جَجِيشًا وَيَغْرُورِي ظُهُورَ الْمَهَالِكِ^(١)

والمعنى: أنه لا يتكثر بالأصحاب إذا هم باقتحام أمرٍ عظيم، وهولٍ شديد، بل يتفرّد فيه مستصحبًا سيفه الأقل، وهو الذي قد كثر فلوله بكثرة الاستعمال. وانتصب «وحيدًا» على الحال. وقوله «ولا يَضُحِبُهُ» انعطف عليه، وهو صفةٌ للوحيد وتأكيدٌ للوَحْدَةِ.

١٤ - وَفُتُّوْهُ جَجِرُوا ثُمَّ أَسْرَوْا لَيْلَهُمْ حَتَّى إِذَا انْجَبَابَ حَلُوَا

١٥ - كُلُّ مَاضٍ قَدْ تَرَدَّى بِمَاضٍ كَسَسْنَا الْبَرْقَ إِذَا مَا يُسَلُّ^(٢)

فُتُّوْ: جمع فتى، ولام فتى ياء بدلالة قولهم فُتِيَانٌ، لكنه بناءٌ على مصدره وهو الْفُتُوَّةُ، وهذا المصدرُ إنما جاء على هذا عَوْضًا مِنْ حَمَلِ بَنَاتِ الْوَاوِ على الياء كثير،

(١) لتأبط شراً في الحماسية رقم (١٣).

(٢) روى بعده التبريزي:

«فَأَدْرَكْنَا الشَّارَ مِنْهُمْ وَلَمَّا يَنْجُ مِنْ حَيَيْنٍ إِلَّا الْأَقْلُ»

فَكَأَنَّهُمْ أَرَادُوا أَنْ يَحْمِلُوا مَا هُوَ مِنَ الْبَاءِ عَلَى الْوَاوِ أَيْضًا، وَهُوَ شَاذٌ. وَمَعْنَى هَجَرُوا: سَارُوا فِي الْهَاجِرَةِ. وَيُقَالُ: جُبْتُ الظَّلَامَ وَاجْتَبَيْتُهُ فَانْجَابَ. وَجُبْتُ الْمَفَازَةَ: قَطَعْتُهَا. يَرِيدُ أَنَّهُمْ وَصَلُوا السَّيْرَ بِالسَّرَى، فَلَمَّا انْكَشَفَ الظَّلَامُ نَزَلُوا. وَقَدْ اشْتَمَلَ هَذَا الْكَلَامُ عَلَى جَوَابِ رَبٍّ؛ لِأَنَّ قَوْلَهُ حَلُّوا - وَهُوَ جَوَابُ إِذَا انْجَابَ - صَارَ جَوَابًا لِرَبِّ أَيْضًا. وَيُقَالُ: سَرَى وَأَسَرَى بِمَعْنَى وَاحِدٍ. وَقَوْلُهُ «كُلُّ مَاضٍ قَدْ تَرَدَّى بِمَاضٍ» يَرِيدُ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ الْفِتْيَانِ نَافِذٌ فِي الْأَعْمَالِ وَالْعَزَوَاتِ، وَقَدْ تَقَلَّدَ سَيْفًا نَافِذًا فِي الضَّرَبَاتِ، وَإِذَا انْتَزَعَ مِنْ غِمْدِهِ لَمَعَ التِّمَاعُ الْبَرَقَ. وَيُقَالُ: ارْتَدَّى بِسَيْفِهِ وَتَرَدَّى وَاعْتَظَفَ بِهِ، وَيُسَمَّى السَّيْفُ الرَّدَاءَ وَالْعِطَافَ.

١٦ - فَاخْتَسَزُوا أَنْفَاسَ نَوْمٍ فَلَمَّا نِمُّوا رُغِثَتْهُمْ فَاشْمَعَلُوا^(١)

قَوْلُهُ «رُغِثَتْهُمْ» جَوَابٌ لَمَّا، وَمَعْنَى اشْمَعَلُوا جَدُّوا فِي الْمَضِيِّ. وَيُقَالُ: رَجُلٌ مُشْمَعِلٌ، أَيْ جَادٌ خَفِيفٌ. وَالْمَعْنَى أَنَّهُمْ سَارُوا يَوْمَهُمْ وَلَيْلَتَهُمْ، وَكُلٌّ يَرْجِعُ مِنْ نَفْسِهِ وَسَلَاحِهِ إِلَى مَا يُرْتَضَى وَيُعْتَدُّ بِهِ، ثُمَّ نَزَلُوا وَهَوَّمُوا، وَنَامُوا نَوْمَةً خَفِيفَةً مِثْلَ حَسْوِ الطَّيْرِ مَاءِ الثَّمَدِ، تَمَشَّتْ فِي يَفَقَظَتِهِمْ بِقَدْرِ دَيْبِهَا فِي عُروَقِهِمْ، وَمَزَاوِلَتِهَا لَخَفَوْتِهِمْ وَسُكُونِهِمْ، فَلَمَّا صَارُوا مِنْهَا كَالسُّكَارَى أُنْبَهَتْهُمْ وَبَعَثَتْهُمْ لِلْإِرْتِحَالِ، فَخَفُوا وَأَطَاعُوا. وَذَلِكَ بِهَذَا الْكَلَامِ عَلَى أَنَّ الْمَرِثِيَّ كَانَ رَئِيسَهُمْ وَمُدَبِّرَهُمْ، عَلَى زِيَادَةِ غَنَائِهِ وَذِكَايَتِهِ، وَشَهَامَتِهِ وَمُضَائِهِ، وَأَنَّهُ لَمَّا بَعَثَهُمْ جَدُّوا وَخَفُوا غَيْرَ مُتَوَقِّفِينَ فِي أَمْرِهِ، وَلَا مُعْتَلِّينَ عَلَى رَأْيِهِ.

١٧ - فَلَيْنَ فَلْتٌ هُذَيْلٌ شَبَاهُ لِمَا كَانَ هُذَيْلًا يَفْلُ

١٨ - وَبِمَا أْبْرَكَهُمْ فِي مُنَاجٍ جَفَجَ يَنْقَبُ فِيهِ الْأَظْلُ^(٢)

يَقُولُ: إِنْ كَانَ هُذَيْلٌ قَدْ تَمَكَّنَتْ مِنْهُ فَكَسَرَتْ حَدَّهُ وَأَتَعَسَتْ جَدَّهُ، فَهُوَ بِمَا كَانَ يُوَثِّرُ مِنْ قَبْلُ فِي هُذَيْلٍ فَيْطًا حَرِيمَهَا، وَيُكَيِّرُ قَتِيلَهَا. وَالْعَرَبُ تَقُولُ: هَذَا بَذَاكَ، أَيْ هُوَ عَوَظٌ مِنْهُ. وَاللَّامُ مِنْ قَوْلِهِ «لَيْنَ» مُوَطَّئَةٌ لِقَسَمِ مُضَمَّرٍ، وَالتِّي فِي قَوْلِهِ «لِيمَا» جَوَابُ ذَلِكَ الْقَسَمِ. وَالشَّبَاهُ حَدُّ الشَّيْءِ. وَيُقَالُ: أَشْبَى الرَّجُلُ، إِذَا أَتَى بِأَوْلَادِهِ نَجَبًا يَصِيرُ لَهُ بِهِمْ حَدُّ حَدِيدٍ كَشَبَا الْأَيْسَةِ. وَيُقَالُ أَيْضًا: أَشْبَيْتُ الرَّجُلَ، أَيْ

(١) التبريزي: «فلما هوموا».

(٢) التبريزي: «وبما أبركها»، الضمير يرجع إلى القبيلة. وروى بعده التبريزي: «وبما صبحها في ذراها» منه بعد القتل نهبٌ وشلٌ

وجدت له شباة حكاها أبو عمرو. ويجوز أن يكون «شبوّة» وهو اسم العقرب، من الشُّبَا، لإبرتها.

وقوله «وبما أبركهم» معطوف على لَيْمًا كَانَ. والجَجَجُ: مُنَاخٌ سَوٍ، وهو الأرض الغليظة. والأَظْلُ: بَاطِنُ خُفِّ البعير. ومعنى يَنْقُبُ أَي يَحْفَى. والمُرَاد: وبما كَانَ يَنَالُ منهم ويحملهم فيه على المراكب الصَّعبة، ويُنزِلهم له بالمنازل الحَزْنة، التي تؤثر في أنفسهم وأموالهم. وهم يجعلون مثلَ هذا الكلام كنايةً عن التأثير القبيح. ويشبهه قول الآخر: [السريع]

مَنْ يَذُقِ الْحَرْبَ يَجِدُ طَعْمَهَا مُرًا وَتُبْرِكُهُ بَجْعَجَاعٍ^(١)

وقول الآخر: [الطويل]

لَقَدْ حَمَلْتُ قَيْسَ بْنَ عِيْلَانَ حَزُنًا عَلَى يَابِسِ السَّيْسَاءِ مُخْدَوِدِ الظَّهْرِ^(٢)

وقول الآخر: [الخفيف]

وَحَمَلْنَاهُمْ عَلَى حَزَنِ ثَهْلًا نَ شِلَالًا وَدُمَيِ الْأَنْسَاءِ^(٣)

١٩ - صَلِيَتْ مِنِّي هُذَيْلٌ بِخَرْقٍ لَا يَمَلُّ الشَّرُّ حَتَّى يَمَلُّوا

٢٠ - يُنْهَلُ الصَّغْدَةُ حَتَّى إِذَا مَا نَهَلْتُ كَانَ لَهَا مِنْهُ عَلٌّ

يقول: ابْتَلَيْتْ هُذَيْلٌ مِنْ جِهَتِي بَرَجْلٍ كَرِيمٍ يَتَخَرَّقُ فِي الْعُرْفِ مَعَ الْأَوْلِيَاءِ، وَبِالنُّكْرِ مَعَ الْأَعْدَاءِ، لَا يَفْتَرُّ عَنِ النُّكَايَةِ فِيهِمْ، وَعَنِ الْإِغَارَةِ عَلَيْهِمْ مَا دَامَ لَهُمْ ثَبَاتٌ وَكَانَ لِلْجَزَاءِ عَلَيْهِمْ مَحْمِلٌ. وَقَوْلُهُ «حَتَّى يَمَلُّوا» يَرِيدُ حَتَّى يَمَلُّوهُ، وَلَيْسَ الْمُرَادُ قَعُودَهُمْ عَنْ مَكَافَاتِهِ، وَمَتَارَكَتِهِمْ لَهْنِجِهِ، وَإِنَّمَا يَرِيدُ أَنَّهُ لَا يَكْفُ عَنْ الْإِيقَاعِ بِهِمْ، وَلَا يُنْسِكُ عَنِ التَّأثيرِ فِيهِمْ، حَتَّى يَنْشَمُوا الشَّرَّ وَحَتَّى لَا تَبْقَى فِيهِمْ قُوَّةٌ وَلَا نُهْوضٌ فَيُرَاصِدُوا أَوْ يَنَاصِدُوا.

وقوله «يُنْهَلُ الصَّغْدَةُ» يَرِيدُ الْإِبَانَةَ عَنِ الْحَالِ الَّتِي أَشَارَ إِلَيْهَا مِنْ دَوَامِ الْحَرْبِ، وَيَسْطِ الْقَتْلِ، فيقول: يُرَوِّي الرُّمَحَ مِنْ دِمَائِهِم بِالسَّقْيَةِ الْأُولَى، فَإِذَا مَا رَوَيْتَ لَمْ يُرِضْهُ

(١) لأبي قيس بن الأسلت في ديوانه ٧٨، واللسان (جمع)، وديوان الأدب ٣: ١١٠، وشرح اختيارات المفضل ٢٣٦.

(٢) للأخطل في ديوانه ٧١، واللسان (سيس)، وتاج العروس (سيس).

(٣) للحارث بن حلزة الشكري في معلقته.

ذلك حتَّى يُعَقِّبَهُ بِمِثْلِهِ مِنَ السَّقِيَّةِ الثَّانِيَةِ. والمعنى اتَّصَالَ الْوَقَّعَاتِ، وامتدادُ البلاءِ منه في صَبِّ الْغَارَاتِ. وَالصُّعْدَةُ: الْقَنَاةُ تَنْبُتُ مُسْتَوِيَّةً، وَجَمْعُهَا صَعْدَاتٌ بَفَتْحِ الْعَيْنِ، لِأَنَّهَا اسْمٌ. ثُمَّ قِيلَ فِي الْمَرَأَةِ الْمُسْتَوِيَةِ الْقَامَةِ، وَالْأَتَانِ الطَّوِيلَةِ: صَعْدَةٌ، وَهِيَ وَصْفٌ لَهَا، وَيُجْمَعُ حَيْثُذُ عَلَى صَعْدَاتٍ بِسُكُونِ الْعَيْنِ، لَكُونِهَا صَفَّةً.

وَقَوْلُهُ «صَلَيْتُ مَنِّي هُذَيْلٌ بِخَرْقٍ»، مِثْلُ قَوْلِهِ مِنْ قَبْلُ: «وَوَرَاءَ الثَّارِ مَنِي ابْنِ أُخْتٍ» فِي أَنَّ الْخَرْقَ هُوَ لَا غَيْرُهُ. وَيُقَالُ: صَلَيْتُ بِكَذَا أَيْ ابْتَلَيْتُ بِهِ وَمُنِيْتُ، وَأَصْلُهُ مِنْ صِلَاءِ الثَّارِ، يُقَالُ: صَلَيْتُ أَصْلَى صِلَاءً، وَاصْطَلَيْتُ أَصْطَلِيَّ اصْطِلَاءً.

٢١ - تَضَحَّكَ الضُّبْعُ لِقَتْلَى هُذَيْلٍ وَتَرَى الذَّنْبَ لَهَا يَسْتَهْلُ^(١)

٢٢ - وَعِثَاقُ الطَّيْرِ تَهْفُو بِطَانًا تَخْطَأُهُمْ فَمَا تَسْتَقِيلُ^(٢)

اسْتَعَارَ الضُّحْكُ لِلضُّبْعِ، وَالِاسْتَهْلَالُ لِلذَّنْبِ. وَأَصْلُ التَّهْلُلِ وَالِاسْتَهْلَالِ فِي الْفَرْحِ وَالصُّبْحِ، وَالْمُرَادُ رَغْدُ الْعَيْشِ لَهَا، وَاتَّصَالَ طُعْمُهُمَا بِاتِّصَالِ قَتْلِهِ فِي هُذَيْلٍ. وَلَيْسَ قَوْلُ مَنْ قَالَ مَعْنَى تَضَحَّكَ: تَحِيضٌ، بِشَيْءٍ. وَقَوْلُهُ «وَعِثَاقُ الطَّيْرِ تَهْفُو بِطَانًا» مِثْلُ قَوْلِ الْآخَرِ فِيمَا تَقْدَمُ:

وَعَبْدٌ يَغُوثٌ تَحْجُلُ الطَّيْرُ حَوْلَهُ^(٣)

وَيَعْنِي بِالْعِثَاقِ أَكْلَةَ اللَّحْمَانِ وَعَافِيَةَ الْجَيْفِ مِنْهَا. وَقَوْلُهُ «تَهْفُو بِطَانًا» أَيْ إِنَّهَا قَدْ زَوَّرَتْ، وَامْتَلَأَتْ حَوَاصِلُهَا فَتَقَلَّتْ، فَإِذَا طَارَتْ تَخْطَأُهُمْ فِي الطَّيْرَانِ فَلَا تَرْتَفِعُ فِي الْجَوِّ، بَلْ تُسِفُّ لِقَلْبِهَا. وَبِطَانٌ: جَمْعُ بَطِينٍ. وَتَهْفُو: تَطِيرُ؛ يُقَالُ: هَفَّتِ الصُّوفَةُ فِي الْهَوَاءِ، أَيْ ارْتَفَعَتْ. قَالَ الْخَلِيلُ: وَيُقَالُ لِرَفَارِفِ الْفُسْطَاطِ إِذَا تَحَرَّكَتْ: تَهْفُو بِهَا الرِّيحُ. ثُمَّ تُوسَّعُ فِيهِ، فَيُقَالُ: هَفَا الظَّلِيمُ، وَهَفَا قَلْبُ فُلَانٍ فِي إِثْرِ كَذَا.

٢٣ - حَلَّتِ الْخَمْرُ وَكَانَتْ حَرَامًا وَبِلَافِي مَا أَلَمْتُ تَحُلُ

٢٤ - فَاسْقِنِيهَا يَا سَوَادَ بَنِّ عَمْرٍو إِنَّ جِسْمِي بَعْدَ خَالِي لَحُلُ

(١) رَوَى التَّبْرِيزِيُّ الْبَيْتَيْنِ ٢٣ وَ٢٤ قَبْلَ ٢١، ٢٢.

(٢) التَّبْرِيزِيُّ: «تَغْدُو بِطَانًا».

(٣) لِدْرِيدِ بْنِ الصَّمَةِ فِي الْحِمَاسِيَةِ رَقْمَ (٢٧٢)، وَعَجَزَهُ:

«وَعَزَّ الْمَصَابِ حَثُو قَبْرِ عَلَى قَبْرِ»

هذا على عاداتهم في تحريم الخمر وما يجري مجراها في ولوع النفس به والميل إليه إذا قُتلَ لهم قَتِيلٌ، حَتَّى يَذْرِكُوا ثَأْرَهُ، أو حَزَبَهُمْ أَمْرٌ عَظِيمٌ يَحْتَاجُونَ فِيهِ إِلَى مُنَاهِضَةٍ وَمَزَاوَلَةٍ. وَرَبَّمَا كَانُوا يَحْرُمُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ تَنْظِيفَ الْبَدَنِ وَالْأَخْذَ مِنَ الشَّعْرِ وَمَا شَاكَهُ، وَذَلِكَ عَلَى حَسَبِ مِيلِ الطَّبَاعِ وَإِثَارِ قَطْمِ النَّفْسِ عَنِ الشَّيْءِ الَّذِي لَا مَتْرَكَ لَهُ عِنْدَهَا. وَالْقَصْدُ فِي جَمِيعِهِ حَبْسُ النَّفْسِ عَنِ الْمَطْلُوبِ وَتَذْكِيرُهَا بِالْمَفْقُودِ، لِئَلَّا تَنْتَاسَاهُ أَوْ تَشَاغَلَ عَنْهُ. فيقول: أَدْرَكْتُ الثَّأَرَ فَحَلَّتِ الْخَمْرُ بَعْدَ أَنْ كَانَتْ مُحَرَّمَةً بِالْثَّدْرِ عَلَيَّ، وَبِجَهْدِ الْمُتِّ حَلَالًا، إِشَارَةً مِنْهُ إِلَى مَا قَاسَاهُ فِي طَلَبِ دَمِهِ. وَمَعْنَى بِلَأْيٍ: بَعْدَ جَهْدٍ وَبِجَهْدٍ. عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ: [الطويل]

فَلَأْيَا بِلَأْيٍ مَا حَمَلْنَا غُلَامَنَا^(١)

وفي هذه الطريقة لامرئ القيس: [السريع]

حَلَّتْ لِي الْخَمْرُ وَكُنْتُ امْرَأً عَنْ شُرْبِهَا فِي شُغْلٍ شَاغِلٍ^(٢)
وقول الآخر: [الطويل]

فِيَا لَيْلَ إِنَّ الْغِسْلَ مَا دُمْتُ أَيَّمَا عَلَيَّ حَرَامٌ لَا يَمْسِينِي الْغِسْلُ^(٣)

وقوله «مَا أَلَمْتُ» يجوز أن تكون ما صلةً، ويجوز أن يكون مع الفعل بعده في تقدير المصدر. يريد: وبِلَأْيٍ الْمُتِّ حَلَالًا. وَالْإِلْمَامُ أَصْلُهُ فِي الزِّيَارَةِ الْخَفِيفَةِ، وَتَوَسَّعَ فِيهِ فَأَجْرِي مَجْرَى حَصَلْتُ عِنْدِي. وقوله:

فَاسْقِنِيهَا يَا سَوَادَ بْنَ عَمْرٍو إِنَّ جِسْمِي بَعْدَ خَالِي لَخَلٌ

أظهر التشقي بما ناله من الأعداء حَتَّى دَعَا مَنْ خَاطَبَهُ إِلَى مَا كَانَ يَتَشَوَّفُهُ مِنْ سَقْيِهِ لَهُ، كَمَا أَظْهَرَ التَّوَجُّعَ لِفَقْدِهِ مَنْ أَصِيبَ بِهِ بِقَوْلِهِ «إِنَّ جِسْمِي بَعْدَ خَالِي لَخَلٌ». وَالْخَلُّ: الْمَهْزُولُ. وقوله «يَا سَوَادَ بْنَ عَمْرٍو» جَعَلَ سَوَادَ - وَقَدْ رَحَّمَهُ عَنْ سَوَادَةَ - بِمَنْزِلَةِ مَا جَاءَ تَامًا وَلَمْ يُحَذَفْ مِنْهُ شَيْءٌ فَجَعَلَ سَوَادَ وَابْنَ بِمَنْزِلَةِ شَيْءٍ وَاحِدٍ، وَبَنَاءٌ عَلَى الْفَتْحِ. فَالْفَتْحَةُ فِي ابْنِ لِلْإِعْرَابِ، وَالْفَتْحَةُ فِي سَوَادَ لِلْبَنَاءِ. وَلَكَ أَنْ تَرَوِيهِ: «يَا

(١) لامرئ القيس في ديوانه ٤٥ (الأعلمي) وعجزه:

«على ظهر محبوبك السراة مُحْتَبٍ»

(٢) لامرئ القيس في ديوانه ١٧٧ (الأعلمي).

(٣) لعبد الرحمن بن دارة في اللسان (غسل)، ومقاييس اللغة ٤: ٤٢٤، وتاج العروس (أزل، جمل، غسل).

سَوَادُ بْنُ عَمْرٍو، وَالضَّمَّةُ فِيهِ ضَمَّةُ الْمَنَادَى الْمَفْرَدِ، فَيَكُونُ كَقَوْلِكَ: يَا زَيْدُ بْنُ عَمْرٍو
وَيَا زَيْدُ بْنُ عَمْرٍو، فَاعْلَمْهُ.

٢٧٤ - وَقَالَ سُؤَيْدُ الْمَرَّاثِ الْحَارِثِيُّ^(١): [الطويل]

١ - لَمَنْعِرِي لَقَدْ نَادَى بِأَرْفَعِ صَوْتِهِ نَعِي سُؤَيْدُ أَنْ فَارِسَكُمْ هَوَى

٢ - أَجَلَ صَادِقًا وَالْقَائِلُ الْفَاعِلُ الَّذِي إِذَا قَالَ قَوْلًا أَتَبَطَّ الْمَاءُ فِي الثَّرَى

يُرَوَّى: «أَنْ صَاحِبَكُمْ هَوَى»، ومعنى صاحبكم رئيسكم، كما أن معنى
فَارِسَكُمْ أَفْرَسَكُمْ، ولهذا أقسم وعظم الحال في نعي النَّاعِي حَتَّى جَعَلَهُ يُنَادِي
بأرفع صوته فَعَلَ الثَّادِبَ الْمُتَحَسِّرَ، ثُمَّ صَدَّقَهُ فِي ثَنَائِهِ وَخَبَّرَهُ فَقَالَ: أَجَلَ صَادِقًا
أَي قُلْتَ صَادِقًا. وَأَجَلَ هُوَ لِتَحْقِيقِ الْإِخْبَارِ، كَأَنَّهُ لَمَّا قَالَ: إِنَّ صَاحِبَكُمْ أَوْ
فَارِسَكُمْ سَوَى، قَالَ: أَجَلَ أَنْتَ مُصَدِّقٌ، ثُمَّ زَادَهُ ثَنَاءً فَقَالَ: وَإِنَّ الْقَائِلَ الْفَاعِلَ
الَّذِي إِذَا قَالَ قَوْلًا أَتَبَطَّ الْمَاءُ فِي الثَّرَى. وَقَوْلُهُ «أَنْ» صَاحِبَكُمْ، أَرَادَ بِأَنْ
صَاحِبَكُمْ، فَحَذَفَ الْبَاءَ وَوَصَلَ الْفِعْلَ. وَانْتَصَبَ «صَادِقًا» عَلَى الْحَالِ، وَالْعَامِلُ فِيهِ
مَا دَلَّ عَلَيْهِ الْكَلَامُ مِنْ مَعْنَى قُلْتَ. وَ«الْقَائِلُ الْفَاعِلُ» عَطَفَهُ عَلَى صَاحِبَكُمْ، وَيَجُوزُ
أَنْ تَرْفَعَهُ، كَأَنَّهُ قَالَ: وَهُوَ الْقَائِلُ الْفَاعِلُ؛ وَالتَّصْبُّ أَحْسَنُ وَأَجُودُ، وَمَعْنَى أَتَبَطَّ
الْمَاءُ فِي الثَّرَى: وَصَلَ الْقَوْلَ بِالْفِعْلِ الْجَالِبِ لِلْخَيْرِ، وَقَرَّبَ الْعَنَاءَ مِنَ الْعَنَاءِ
الْلَّاحِقِ فِي الْأَمْرِ، وَهُوَ بَعْدَ ذَلِكَ مَثَلٌ لِتَحْقِيقِ قَوْلِهِ، وَصِلَةَ التَّجَازِ بَوَغِيهِ. وَمَعْنَى
أَتَبَطَّ الْمَاءُ: أَخْرَجَهُ. وَيُقَالُ تَبَطَّ أَيْضًا، فَإِنْ قِيلَ: هَلْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ التَّصْدِيقُ مِنْهُ
لِلنَّاعِي فِي قَوْلِهِ «هَوَى» لَا غَيْرَ لِأَنَّهُ هُوَ الْخَبَرُ، وَيَكُونُ هَذَا كَمَا قَالَ دَرِيدٌ: «أَعْبُدُ
اللَّهِ ذَلِكُمُ الرَّدْيُ»^(٢) جَوَابًا لِقَوْلِهِ «أَرَدْتُ الْخَيْلَ فَارِسًا؟» قُلْتَ: لَا يَجُوزُ ذَلِكَ،
بِدَلَالَةِ قَوْلِهِ «وَالْقَائِلُ الْفَاعِلُ الَّذِي»، لِأَنَّ هَذَا الْعَطْفَ لَا يَكُونُ إِلَّا عَلَى «صَاحِبَكُمْ». فَكَأَنَّهُ
صَدَّقَهُ فِي الْأَمْرِ جَمِيعًا، وَزَادَهُ مِنْ بَعْدُ مَا زَادَهُ. وَكَذَلِكَ قَوْلُ دَرِيدٍ، لَا
يَمْتَنِعُ أَنْ يَثْبِتَ الْفُرُوسِيَّةَ لَهُ مَعَ الْإِرْدَاءِ أَيْضًا فِي اسْتِثْنَائِهِ إِيَّاهُمْ لَمَّا قَالُوا: أَرَدْتُ
الْخَيْلَ فَارِسًا.

(١) الأبيات رواها المبرد في الكامل ص ٧٢٧ (لييسك) منسوبة إلى أعرابي.

(٢) قطعة من البيت السادس في الحماسية (٢٧١) لدريد بن الصمة، وتماه:

«تنادوا فقالوا أَرَدْتُ الْخَيْلَ فَارِسًا فَقُلْتُ أَعْبُدُ اللَّهَ ذَلِكُمُ الرَّدْيُ»

٣ - فَتَى قَبْلَ لَمْ تُغَيِّسِ السَّنُّ وَجْهَهُ

سَوَى خُلْسَةٍ فِي الرَّأْسِ كَالْبَرْقِ فِي الدُّجَى^(١)

وصفه بأنه مُقْتَبَلُ الشَّبَابِ لَمْ يَمْسُهُ أَوَائِلُ الْكِبَرِ، وَأَنَّ السَّنَّ لَمْ تَنْقُصْ رَوْنَقَ شَبَابِهِ، وَلَمْ تُرْتَقِ مَاءَ بَشْرَتِهِ، فَهُوَ طَلَقَ الْوَجْهَ غَيْرَ عَابِسٍ. وَالْعُبُوسُ: ظُهُورُ الْغَضَبِ فِي الْوَجْهِ. وَيُقَالُ مِنْهُ: يَوْمٌ عَبُوسٌ، أَيْ شَدِيدٌ. وَقَوْلُهُ «سَوَى خُلْسَةٍ فِي الرَّأْسِ»، اسْتِثْنَاءٌ مُنْقَطِعٌ، وَيَعْنِي أَنَّهُ ظَهَرَ مِنَ الشَّيْبِ فِي رَأْسِهِ شَعْلَةٌ، فَهُوَ كَالْبَرْقِ يَلْمَعُ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ. وَالْخُلْسَةُ: بَيَاضٌ فِي سَوَادٍ، وَقَدْ أَخْلَسَ رَأْسُهُ، وَشَعَرَ خَلِيسَ، وَمِنْهُ قِيلَ لِلْمَوْلُودِ بَيْنَ الْأَسْوَدِ وَالْبَيَاضِ، وَالْأَبْيَضِ وَالسُّودَاءِ: خِلَاسِيٌّ.

٤ - أَشَارَتْ لَهُ الْحَرْبُ الْعَوَانُ فَجَاءَهَا يُقَفِّعُ بِالْأَقْرَابِ أَوَّلَ مَنْ أَتَى

٥ - وَلَمْ يَجْنِهَا لَكِنْ جَنَّاها وَلِيَهُ فَآسَى وَأَدَاهُ فَكَانَ كَمَنْ جَنَى

قَوْلُهُ «أَشَارَتْ لَهُ الْحَرْبُ الْعَوَانُ» كَأَنَّهُ لَمْ يَصْبِرْ إِلَى أَنْ دُعِيَ، وَلَكِنْ حِينَ اهْتَاجَتْ الْحَرْبُ جَاءَهَا، فَكَأَنَّ الْحَرْبَ أَشَارَتْ إِلَيْهِ. وَالْعَوَانُ: الْحَرْبُ الَّتِي قُوتِلَ فِيهَا مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى، تَشْبِيهَا بِالْعَوَانِ مِنَ النِّسَاءِ، وَهِيَ النَّصْفُ. وَالْفِعْلُ مِنْهُ عَوْنَتْ وَعَانَتْ. وَقَوْلُهُ «يُقَفِّعُ بِالْأَقْرَابِ» يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى جَاءَهَا وَلِخَوَاصِرِهِ قَعْقَعَةً، أَيْ صَوْتٌ، لَشِدَّةِ عَذْوِهِ وَجَرِّصِهِ. وَقَدْ يُسْمَعُ مِنْ جَوْفِ الْعَادِي الْعَجَلِ وَصَدْرِهِ التَّهْيِمِ وَالصَّوْتِ الشَّدِيدِ، إِذَا اسْتَعْجَلَ فِي الْإِدْرَاكِ وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْقَعْقَعَةُ الَّتِي ذَكَرَهَا مِنَ السَّلَاحِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ. وَقَوْلُهُ «أَوَّلَ مَنْ أَتَى» يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَنْ نَكَرَةً، كَأَنَّهُ قَالَ: أَوَّلَ فَارِسٍ طَلَعَ، فَيَكُونُ أَتَى صِفَةً لَهُ؛ وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَعْرِفَةً وَأَتَى صِلَةً لَهُ، كَأَنَّهُ قَالَ: أَوَّلَ الْآتِينَ، وَيَكُونُ «مَنْ» مُوَحَّدَ اللَّفْظِ مَجْمُوعٌ الْمَعْنَى. وَانْتَصَبَ أَوَّلَ عَلَى الْحَالِ فِي الْوَجْهِينِ جَمِيعًا، وَالْعَامِلُ فِيهِ جَاءَهَا أَوْ يُقَفِّعُ. وَقَوْلُهُ «وَلَمْ يَجْنِهَا لَكِنْ جَنَّاها وَلِيَهُ» يُحَقِّقُ مَا قُلْنَا مِنْ أَنَّهُ لَمْ يَنْتَظِرِ الْاسْتِغَاثَةَ، وَلَكِنْ لَمَّا طَلَعَتْ لَهُ أَمَارَاتُ امْتِحَانِ وَلِيهِ آسَاهُ بِنَفْسِهِ، وَأَعْدَاهُ عَلَى مِحْنَتِهِ، فَكَانَ كَالْجَانِي وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْهُ جَنَائَةً، بِذَلِكَ اجْتِهَادٍ وَسُرْعَةٍ إِنْجَادٍ. فَالْيَتِ الْأَوَّلُ كَمَا قَالَ الْآخَرُ: [البسيط]

قَوْمٌ إِذَا الشَّرُّ أَبْدَى نَاجِدِيهِ لَهُمْ طَارُوا إِلَيْهِ زَرَافَاتٍ وَوُخْدَانَا^(٢)

(١) التبريزي: «لم تغيس: أي لم تنقص رونق شبابه».

(٢) لقريط بن أنيف في الحماسية الأولى.

والبيت الثاني كقول الآخر: [الوافر]

وإني لا أزال أخا حروبٍ إذا لم أجنِ كنتُ مِجَنِّ جَانٍ^(١)

وقوله «آداه» أصله أعداه، والألف الثانية همزة أبديت من العين في الأصل، والمعنى أعانته. ويجوز أن يكون من الأداة، أي جعل له أداة الحرب وعُدَّتْهَا. وأنشد الأصمعي قول الأسود بن يَغْفَر: [الكامل]

ما بَعْدَ زَيْدٍ فِي قَتَاةٍ قُرْتُوَا قَتَلًا وَسَبِيًّا بَعْدَ حُسْنٍ تَادٍ^(٢)

وقال: معناه بعد أخذ الدهر أداته.

٢٧٥ - وقال^(٣) رجل من بني نصر بن قَعِين: [الكامل]

١ - أَبْلِغْ قِبَائِلَ جَعْفَرٍ إِنْ جِئْتَهَا مَا إِنْ أَحَاوِلُ جَعْفَرَ بَنٍ كَلَابٍ^(٤)

٢ - أَنَّ الْهُوَادَةَ وَالْمَوْدَةَ بَيْنَنَا خَلَقَ كَسَخَقِ الْيُمْنَةِ الْمُتَجَابِ

قوله «ما إن أحاول جعفر بن كلاب» يجري مجرى الصفة في شرح الاسم الذي أراده وإزالة اللبس عنه. والهوادة: الحرمة والذمام والصلح. والمهادة: المودعة. وتهودت إلى فلان تهوداً، أي توسلت إليه بوسيلة؛ من قولهم: بيننا هوداء؛ ومنه هود الرجل إذا مشى مشياً ساكناً. فيقول: أبلغ هؤلاء القوم إن زرتهم أن أسباب الصلح والمودة، والذمام والحرمة، قد خلقت بيني وبينهم، وتغيرت عما عهدت، فهي تزداد على مر الأيام دروساً وهموداً كخلق البرود المنشق، تزيد الأيام بلى وانسحاقاً، فلا تماسك فيها، ولا رجاء لصلاحها وعودها إلى ما كانت. والثوب السخق وُصِفَ

(١) لسوار بن المضرب السعدي في الحماسية (١٨)

(٢) للأسود بن يعفر في ديوانه ٢٨، واللسان (أدأ، فتأ)، وديوان الأدب ٤: ٢٤٤.

(٣) التبريزي: «هذا الشعر لربيعة بن عبيد بن سعد بن جذيمة بن مالك... قال أبو محمد الأعرابي: ليس في العرب ربيعة غيره، وهو أبو ذؤاب الأسدي، وكان ذؤاب قتل عتيبة بن الحارث بن شهاب اليربوعي يوم خَوّ، وأسرت بنو يربوع في ذلك اليوم ذؤاباً، أسره الربيع بن عتيبة بن الحارث وهو لا يعلم أنه قاتل أبيه، وردّه إلى الحي، فأثاه ربيعة أبو ذؤاب فافتداه بشيء معلوم ووعده أن يأتي به سوق عكاظ، فلما دخلت الأشهر الحرم وافى ربيعة أبو ذؤاب بالإبل الموسم، وتخلّف الربيع بن عتيبة لشغل شاغل عرض له، فلم يواف بالأسير، فلما لم ير ربيعة ربيعاً قدر أنه علم تقبل أبيه فقتله فرثاه بهذه الأبيات، وسارت عنه وبلغت يربوعاً فعلما أن ذؤاباً قاتل عتيبة فأقاده به».

(٤) التبريزي: «قبائل جعفر: يعني جعفر بن ثعلبة بن يربوع رهط عتيبة».

بالمصدر، كَأَنَّ الْبَلَى سَحَقَهُ. وَالْيُمْنَةُ: ضَرْبٌ مِنْ بُرُودِ الْيَمَنِ. وَالْمُنْجَابُ: الْمُنَشَقُّ. وَهَذَا الْكَلَامُ وَعِيدٌ، وَيَشْتَمِلُ عَلَى أَنَّ الطَّمْعَ مِنْ رَجُوعِ الْأَمْرِ إِلَى مَا كَانَ زَنْلًا، وَأَنَّ الْفَسَادَ فِي ذَاتِ بَيْنِهِمْ مُتَظَاهِرٌ، لَا يَقْبَلُ إِصْلَاحًا، وَلَا يَلْقَى مُزَاوِلُوهُ فَلَاحًا. وَقَوْلُهُ «أَنَّ الْهَوَادَّةَ» فِي مَوْضِعٍ نَصَبٍ عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ ثَانٍ لِأَبْلَغٍ.

٣ - أَذْؤَابُ إِنِّي لَمْ أَهْنِكَ وَلَمْ أَقْمِ لِلْبَيْعِ عِنْدَ تَحْضُرِ الْأَجْلَابِ
يُرَوَّى «لَمْ أَهْنِكَ» مِنَ الْهَبَةِ، أَيِ لَمْ أَسْمَحْ بِدَمِكَ كَمَا يَتَوَاهَبُ النَّاسُ الشَّيْءَ بَيْنَهُمْ، وَحَكَى ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ: وَهَبَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: هَبْهُ كَذَا، أَيِ اخْصِبْهُ. وَيُرَوَّى: «لَمْ أَهْنِكَ»، أَيِ لَمْ أَنْغَاقُلْ عَنْ طَلَبِ دَمِكَ اسْتِهَانَةً بِكَ. وَقَوْلُهُ «وَلَمْ أَقْمِ لِلْبَيْعِ عِنْدَ تَحْضُرِ الْأَجْلَابِ»، يَرِيدُ: إِنِّي لَمْ أَجِدِ الدِّيَةَ، فَكُنْتُ بَائِعًا لَدَمِكَ كَمَا يُبَاعُ الْجَلْبُ مِنَ الْأَمْوَالِ، إِذَا سَبِقَتْ إِلَى الْحَضَرِ. وَلَمْ يُرْذَ بِقَوْلِهِ «لَمْ أَقْمِ» الْقِيَامَ الَّذِي هُوَ ضِدُّ الْجُلُوسِ، إِنَّمَا الْمُرَادُ لَمْ أَتَرَشَّحْ وَلَمْ أَتَهَيَّأ. عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ [المائدة: الآية ٦].

٤ - إِنْ يَقْتُلُوكَ فَقَدْ ثَلَّثْتَ عُرُوشَهُمْ بِعُتَيْبَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ شِهَابٍ
٥ - بِأَشَدِّهِمْ كَلْبًا عَلَى أَعْدَائِهِمْ وَأَعَزَّهُمْ فَقْدًا عَلَى الْأَصْحَابِ
الثَّلْثُ: الْهَذْمُ؛ وَيُقَالُ: ثُلَّ عَرْشُ فُلَانٍ، إِذَا تَضَعُضَعْتَ حَالَهُ وَاتَّضَعَ عَرْهُ قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: وَرَبَّمَا قِيلَ ثُلَّ عَرْشُهُ، وَإِذَا أُرِيدَ بِهِ الْقَتْلُ فَلَيْسَ إِلَّا بِضَمِّ الْعَيْنِ. قَالَ ذُو الرِّمَّةِ: [الطويل]

وَقَدْ ثُلَّ عَرْشِيهِ الْحُسَامُ الْمَذْكُورُ^(١)

وَالْعُرْشَانِ: لِحِمَتَانِ مُسْتَطِيلَتَانِ مِنْ جَانِبِي الْعُنُقِ، وَفِيهِمَا الْأَخْدَعَانِ. وَقَوْلُهُ «إِنْ يَقْتُلُوكَ» وَقَدْ كَانُوا قَتَلُوهُ يَرِيدُ إِنْ تَبَجَّحُوا بِقَتْلِكَ وَصَارُوا يَفْرَحُونَ بِهِ، فَقَدْ أَثَّرَتْ فِي عَزِّهِمْ، وَهَدَمَتْ أَسَاسَ مَجْدِهِمْ بِمَا نِلْتَ مِنْ رِئِيسِهِمْ عُتَيْبَةَ بْنِ الْحَارِثِ. وَقَوْلُهُ «بِأَشَدِّهِمْ كَلْبًا» جَعَلَهُ بَدَلًا مِنْ قَوْلِهِ بِعُتَيْبَةَ، وَقَدْ أَعَادَ حَرْفَ الْجَزْرِ فِيهِ، وَقَدْ مَضَى مِثْلُهُ^(٢)، وَذَكَرْنَا الشَّاهِدَ فِيهِ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ

(١) عجز بيت لذي الرمة في ديوانه ٦٤٨، واللسان (هذ، عرش)، وكتاب العين ١: ٢٥٠، وديوان الأدب ١: ١٥٥، وصدرة:

«وعبد يغوث يحجل الطير حوله»

(٢) انظر البيت الثاني من الحماسية رقم (٢٦٨).

أَسْتَضِعُّوْا لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ ﴿[الأعراف: الآية ٧٥] ومعنى أشدهم كَلَبًا أشدهم تأثيرًا ونكايَةً في الأعداء. ومن كلام الحسن: «إِنَّ الدُّنْيَا لَمَّا فُتِحَتْ عَلَى أَهْلِهَا كَلَبُوا عَلَيْهَا أَشَدَّ الْكَلَبِ»، أي حَرَصُوا أَشَدَّ الْحَرَصِ. ويقال: دَهَرَ كَلَبٌ، أي مُلِغٌ عَلَى أَهْلِهِ بِمَا يَسُوؤُهُمْ. وقولهم: كَلَبٌ كَلَبٌ يَأْكُلُ لَحْمَ النَّاسِ فَيَأْخُذُهُ مِنْهُ شِبْهُ جَنُونٍ. وقوله «وَأَعَزَّهُمْ فَقَدًا عَلَى الْأَصْحَابِ» يريدُ وَأَشَدَّهُمْ، ومنه اسْتَعَزَّ اللَّحْمُ، إِذَا صَلَبٌ؛ وَيَعِزُّ عَلَيَّ أَنْ أَرَى كَذَا، أَي حَقٌّ وَاسْتَعِزَّ. ويقولون: أَتَحِبُّنِي؟ فيقال: لَعَزَّ مَا، أَي لَحَقَّ مَا.

٢٧٦ - وقال الحرث بن زيد الخيل^(١): [الطويل]

- ١ - أَلَا بَكَرَ النَّاعِي بِأَوْسِ بْنِ خَالِدٍ أَخِي السُّتُوَّةَ الْغَبْرَاءِ وَالزَّمَنَ الْمَخِلَ^(٢)
٢ - فَإِنْ تَقْتُلُوا بِالْقَدْرِ أَوْسًا فَإِنِّي تَرَكْتُ أَبَا سُفْيَانَ مُلْتَزِمَ الرَّحْلِ^(٣)

أبو سفيان مُصَدِّقٌ وَرَدَ حَيِّهِمْ لاسْتِيفَاءِ الصَّدَقَةِ عَلَيْهِمْ، فَاتَّهَمَ أَوْسَ بْنَ خَالِدٍ بِأَنَّهُ سَتَرَ بَعْضَ مَالِهِ طِمَعًا فِيمَا يَلْزِمُهُ مِنَ الصَّدَقَةِ فِيهِ، وَاقْتِطَاعًا مِنَ الْوَاجِبِ عَلَيْهِ، فَأَخَذَهُ أَبُو سُفْيَانَ يَضْرِبُهُ، وَارْتَفَى مَا بَيْنَهُمَا إِلَى أَنْ أَذَى إِلَى قَتْلِهِ، فَصَاحَتْ أُمُّ أَوْسٍ فَأَغَانَهَا قَائِلَ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ، وَرَمَى أَبَا سُفْيَانَ بِسَهْمٍ نَقَذَ فِيهِ فَقَتَلَهُ.

وقوله «بَكَرَ النَّاعِي»، يجوز أن يكون معناه ابتداءً ينعاه لأنَّ الْبُكُورَ أَصْلُهُ ذَلِكَ، وَلِذَلِكَ قِيلَ فِي أَوَّلِ الثَّهَارِ: بُكَرَةٌ. ويجوز أن يكون بمعنى جاء بُكَرَةً. فيقول: ابتكر الْمُخْبِرَ بِقَتْلِ أَوْسِ بْنِ خَالِدٍ مَلْجَأَ الضُّعْفَاءِ، وَثِمَالِ الْيَتَامِ، فِي السُّتُوَّةِ الْغَبْرَاءِ، الْقَلِيلَةِ الْأُمُطَارِ، الشَّدِيدَةِ الْإِمْحَالِ. وَالْمَخِلُ: يَبْسُ الْأَرْضَ. وَيَقَالُ: زَمَنْ مَاجِلٌ وَمَخِلٌ، وَقَدْ

(١) الحرث بن زيد الخيل: شاعر نشأ في الجاهلية ووفد على النبي ﷺ هو وأخ له اسمه مكنف، فأسلما. وبعث النبي ﷺ حريثًا في رسالة إلى أهل أيلة وشهد قتال أهل الردة مع خالد بن الوليد، وهو يعد من الصحابة، (ت نحو ٦٠ هـ / ٦٨٠ م)، ترجمته في الإصابة (١٦٧٨)، والشعر والشعراء ٢٤٤.

(٢) التبريزي: «قال أبو رياش: وكان سبب هذه الأبيات أن عمر بن الخطاب بعث رجلاً يكنى أبا سفيان ليس بالهاشمي ولا الأموي إلى البادية يستقرئهم، فمن لم يقرأ شيئاً ضربه، فأتته إلى بني نيهان فاستقرأ أوس بن خالد بن عمرو ابن عمّ لزيد الخيل فلم يقرأ شيئاً فضره فمات من ضربه، فقامت ابنته وأم أوس تندبانه، فأقبل حريث بن زيد الخيل حتى دخل على أبي سفيان فقتله وأصحابه وقال هذه الأبيات».

(٣) التبريزي: «فإن يقتلوا».

أَمَحَلَ النَّاسُ إِذَا أَسْتَوُوا. وَقَوْلُهُ «فَإِنْ يَقْتُلُوا بِالْعَذْرِ أَوْسًا» يَرِيدُ أَنَّ أَبَا سَفْيَانَ هَذَا كَانَ انْطَوَى عَلَى غِلٍّ لِأَوْسٍ، وَعَدَاوَةٌ كَامِنَةٌ لَهُ، فَتَوَصَّلَ بِمَا ادَّعَى مِنْ خِيَانَتِهِ فِي مَالِ الصَّدَقَةِ إِلَى ضَرْبِهِ وَقَتْلِهِ، لِذَلِكَ قَالَ: «إِنْ تَقْتُلُوا بِالْعَذْرِ». وَقَوْلُهُ «فَإِنِّي تَرَكْتُ أَبَا سَفْيَانَ مُلْتَزِمَ الرَّخْلِ»، يَرِيدُ: إِنِّي أَثَارْتُ مِنْ أَبِي سَفْيَانَ وَجَعَلْتُهُ مُلْتَزِمًا لِرَحْلِهِ لَا حَرَكَ بِهِ، أَيِ قَتَلْتُهُ بَدَلًا مِنْ صَاحِبِهِ.

٣ - فَلَا تَجْزَعْهِيَ يَا أُمُّ أَوْسٍ فَلِئِنَّهُ تَصِيبُ الْمَنَآيَا كُلِّ حَافٍ وَذِي نَعْلٍ
أَخَذَ بَعْدَ اقْتِصَاصِ الْحَالِ يُسَلِّي أُمَّ أَوْسٍ عَنْ ابْنِهَا، وَيَطِيبُ قَلْبَهَا، وَيَعْرِفُهَا أَنَّ الْمَوْتَ طَرِيقٌ يَسْلُكُهُ النَّاسُ عَلَى اخْتِلَافِ طَبَقَاتِهِمْ، وَأَنَّهُ لَا مَحِيدَ عَنْهُ وَلَا مَعْدِلَ. وَحَسُنَ ذَلِكَ مِنْهُ لِأَنَّهُ كَانَ قَدْ أَذْرَكَ الثَّأَرَ لَهَا، وَشَفَى نَفْسَهَا مِنْ دَاءِ مَصِيبَتِهَا، فَاقْبَلِ يَبْرُدُ غَلِيلُهَا بِوَعْظِهِ، زِيَادَةً فِي الْإِهْتِمَامِ لَهَا وَالتَّوَقُّفِ عَلَيْهَا. وَكَانَ يَجِبُ أَنْ يَقُولَ: كُلُّ ذِي حَقٍّ وَذِي نَعْلٍ، أَوْ كُلِّ حَافٍ وَنَاعِلٍ، لَكِنَّهُ لَمَّا وَجَدَ اسْمَ الْفَاعِلِ يَنْوُبُ مَنَابَ ذِي كَذَا، لَمْ يُبَالِ أَنْ يَكُونَ أَحَدُهُمَا بِذِي. وَهَذَا يُبَيِّنُ مَا يَسْلُكُهُ أَصْحَابُنَا الْبَصَرِيُّونَ فِي مِثْلِ قَوْلِهِمْ: طَالِقٌ وَحَائِضٌ، أَنَّهُ عَلَى طَرِيقِ التَّنْسِيبَةِ وَفِي مَعْنَى ذَاتِ طَلَاقٍ وَذَاتِ حَيْضٍ، وَيُؤَكِّدُ صَحَّتَهُ.

٤ - قَتَلْنَا بِقَتْلَانَا مِنَ الْقَوْمِ عُصْبَةً كِرَامًا وَلَمْ نَأْكُلْ بِهِمْ حَشَفَ الثُّخْلِ
٥ - وَلَوْلَا الْأَسَى مَا عِشْتُ فِي النَّاسِ بَعْدَهُ وَلَكِنْ إِذَا مَا شِئْتُ جَاوَبَنِي مِثْلِي
فِي هَذَا الْكَلَامِ دِلَالَةٌ عَلَى اسْتِفْحَالِ الشَّرِّ بَيْنَهُمْ حَتَّى قُتِلَ مِنَ الْجَانِبِينَ عِدَّةٌ، لِذَلِكَ قَالَ: قَتَلْنَا بَدَلَ قَتْلَانَا مِنَ الْقَوْمِ عُصْبَةً يَرْجِعُونَ إِلَى كَرَمٍ. وَالْعُصْبَةُ: الْعَشْرَةُ مِنَ الرِّجَالِ، وَقِيلَ مَا بَيْنَ الْعَشْرَةِ إِلَى الْأَرْبَعِينَ، وَكَذَلِكَ الْعِصَابَةُ مِنَ النَّاسِ وَالطَّيْرِ وَالْخَيْلِ. وَهَذَا تَنْبِيْهُ عَلَى أَنَّ الثَّأَرَ الَّذِي أَدْرَكَهُ مِنْهُمْ كَانَ مُنِيْمًا، وَالِاسْتِفْهَاءُ مِنْ دَائِهِ بِهِ كَانَ مُجِيبًا. وَقَوْلُهُ «وَلَمْ نَأْكُلْ بِهِمْ حَشَفَ الثُّخْلِ» يَرِيدُ: لَمْ نَشْتَغِلْ عَنْ طَلَبِ دِمِهِمْ بِالْأَكْلِ. وَذَكَرَ الْحَشَفَ إِزْرَاءَ بِذَلِكَ الطَّعَامِ لَوْ صُرِفَتِ النَّفْسُ إِلَيْهِ مَعَ تَضَائِقِ الْوَقْتِ فِي طَلَبِ الدَّمِ. وَيَجُوزُ أَنْ يَرِيدَ: لَمْ نَأْخُذْ دِيَتَهُمْ. وَجَعَلَ التَّمَرَّ حَشَفًا كَمَا قَالَ غَيْرُهُ: [الطويل]

وَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُمْ إِفَالًا وَأَبْكَرًا وَأُتْرَكَ فِي بَيْتٍ بِصَعْدَةِ مُظْلِمٍ^(١)

(١) لكبة أخت عمرو بن معديكرب في الحماسية رقم (٥٢).

والإفانُ والأبكرُ لا تُؤخذان في الدية، ولكن حَقَّرَ أمرها. وقوله: «ولولا الأسى ما عشتُ في الناس بعده» يريدُ لولا التصبُّر والتأسي والافتدَاء بهم في المصائب، لقتلتُ نفسي ولم أعشْ بَعْدَهُ - يعني بعد أوسٍ - في الناس، ولكن متى شئتُ وجدتُ لنفسي نظائرَ مَنْ فقدوا أعزَّتْهم. ويُشبهه هذا قولُ الخنساء: [الوافر]

ولولا كَثْرَةُ الباكِينَ حَوْلِي على إِخوانِهِمْ لقتلتُ نَفْسي

وقوله «ما عشتُ في الناس بعده» جواب لولا، ونابت عن خبر المبتدأ وهو الأسى، كأنه قال: لولا الأسى مانعٌ لي ما عشتُ في الناس بعده. وقد تقدَّم القولُ في لولا، وفيما يقع فيه.

٢٧٧ - وقال البراء بن ربيعة الفقعسي^(١): [الطويل]

١ - أَبْعَدَ بَنِي أُمِّي الَّذِينَ تَتَابَعُوا أَرْجِي الحَيَاةَ أَمْ مِنَ المَوْتِ أَجْزَعُ
قوله «أبعدَ» لفظٌ. لفظُ الاستفهام، والمعنى معنى التوجُّع. والاستفهامُ يطلُبُ الفِعلَ. فيقول: أَرْجِي الحَيَاةَ أَمْ أَجْزَعُ مِنَ المَوْتِ بعد إِخواني الذين انقضوا وذَهَبَ الواحدُ في إثر الواحدِ فدرجوا. والمعنى: ماذا يجوز أن يكونَ مَتي: أَيَحْسُنُ الطَّمَعُ في الحَيَاةِ بَعْدَهُمْ، أَمْ الجَزَعُ مِنَ المَوْتِ عَقِبَ الفَجْعِ بِهِمْ. وأم هذه يجوز أن تكون أَوْ بدلها، لأنها المنقطعة. ألا تَرَى أَنَّ التي تكون عِدْلَةً الألفِ في العطفِ مِنْ شرطِها أن يكون أحدُ الأمرين اللَّذَيْنِ يَسْأَلُ عَنْهُمَا المِستَفْهَمُ قد وَقَعَ عنده إِلَّا أَنَّهُ لا يَذْري أَيُّهُمَا هو. يقول القائل: أَرَأَيْتَ زَيْدًا أَمْ عَمْرًا، وهو لا يشكُّ أَنَّ أحدهما رَأاه، إِلَّا أَنَّهُ لا يَذْري أَيُّهُمَا هو. والذي في البيت ليس كذلك فتأمل.

٢ - ثَمَانِيَّةٌ كَانُوا ذُوَابَةً قَوْمِهِمْ بِهِمْ كُنْتُ أُعْطِي مَا أَشَاءُ وَأَمْنَعُ
٣ - أُولَئِكَ إِخْوَانُ الصَّفَاءِ رُزِيَتْهُمْ وَمَا الكَفُّ إِلَّا إِصْبَعٌ ثُمَّ إِصْبَعٌ

ذكر أن إِخوانَهُ كانوا ثمانية، وأنَّهُم كانوا رؤساء قومهم، وأنَّهُ بعزَّهم ومكانهم من قبيلَتِهِمْ كان يدْفَعُ عن نفسه ما يشاء، وَيَقْبَلُ لها ما يشاء. وفي قوله «كنتُ أُعْطِي ما أَشَاءُ» حَذَفُ، ولو أتى على حَدِّه لكان: كنتُ أُعْطِي ما أَشَاءُ إعطاءً وأَمْنَعُ ما أَشَاءُ

(١) التبريزي: «وقال أبو حبال البراء بن ربيعة الفقعسي. قال أبو هلال: أبو حبال هكذا رويناه في الأصل وهو تصحيف، وإنما هو أبو الجناك بالنون والكاف».

مَنَعَهُ. والمفاعيل تُحَدَفُ كثيرًا لأنَّ القرائن تدلُّ عليها. وإنما قال «ذؤابة قومهم» ولم يقل ذؤائب قومهم، لأنَّه عَدَّهم شيئًا واحدًا، لتناصُرهم واتِّفاق أهوائهم. والذُّؤَابَةُ: اسمٌ في الأصل، وقد وُصِفَ به، وكما قيل هو ذؤَابَةُ قَوْمِهِ، وهم ذؤائب قَوْمِهِ، قالوا في الضَّدِّ منه: هو ذُؤَابَةُ قَوْمِهِ، وهم ذُنَائِبُ قَوْمِهِ. وقوله «أولئك إخوان الصِّفاء» نَبَّهَ به على زوال الخلاف وسقوط الجِراء من بينهم، وعلى خُلُوص نيَّة كلِّ واحدٍ منهم مع صاحبه، حتَّى كان ما يجمعهم تَصَافِيًا بلا كَدَرٍ، وتوافقًا بلا حَسَدٍ، وأنَّهم كانوا في التَّعاون والتَّظاهر كالكَفِّ الواحدة، فكلُّ واحدٍ منهم كالإصبع من تلك الكفِّ، فلما تُخَرِّمُوا ومات الواحدُ بعد الواحد، صارت الكفُّ تتراجَعُ بِنَقْصان أصابعها حتَّى صارت لا تُغني في البَطْشِ بها، ولا تَعْمَلُ عند القبض والبسط عَمَلَهَا.

- ٤ - لَمَنْزُوكَ إِنِّي بِالْخَلِيلِ الَّذِي لَهُ عَلَيَّ دَلَالٌ وَاجِبٌ لِمُفَجِّعٍ
٥ - وَإِنِّي بِالْمَوَلَى الَّذِي لَيْسَ نَافِعِي وَلَا ضَائِرِي فَقْدَانُهُ لِمَمْتَّعٍ

أقسم بأنَّه مُفَجِّعٌ بمن تَعَزُّ حَيَاتُهُ ويكرُم مقامه، حتَّى يرى لنفسه تدلُّلاً واجِباً عليه، وتمكُّناً مكيناً منه؛ ومُمْتَّعٌ بمن لا رَغْبَةَ له في العيش معه، فليس في بقائه نَفْعٌ له ولا في ذهابه ضررٌ عليه، وكان الواجب أن يقول: ليس نافعِي حَيَاتُهُ أو وجدانه، حتَّى يكونَ في مُقَابَلَةِ قوله «ولا ضائِرِي فَقْدَانُهُ» إلَّا أَنَّهُ لَمَّا ضَاقَ نَطاقُ البيت عنه لم يُبَالِ بالاعتصار على نافعِي، إذ كان المرادُ بها مفهوماً، وإذ كان ضميرُهُ في ليس يقوم مقامَ حَيَاتِهِ لو أتى به. وسَمَّى مَنْ اشتدَّت فاقَتُهُ إلى حَيَاتِهِ خَلِيلاً لاختصاص مكانه من قلبه، وعلى عادَتِهِمْ في تسمية المعتمد عليه خَلِيلاً، حتَّى سَمَوْا الفَرَسَ والسَّيفَ خَلِيلاً. قال يعني الفَرَسَ: [الطويل]

..... وَأَتَّقِي بِهَادِيهِ إِنِّي لِلْخَلِيلِ وَضُولٌ^(١)

وقال الآخر في السيف: [الطويل]

مَا سَدَّ كَفِّي خَلِيلُهَا^(٢)

(١) البيت لأبي الأبيض العباسي في الحماسية رقم ١٥٧، وصدره:

«أَتَّقِيهِ بِنَفْسِي فِي الْحُرُوبِ وَأَتَّقِي»

(٢) وتماهه:

«وَإِنِّي كَمَا قَالَتْ نَوَارُ إِنْ اجْتَلَتْ عَلَى رَجُلٍ مَا شَدَّ كَفِّي خَلِيلُهَا»

وسمى القبيل الثاني مولى إشارة إلى أبناء عمه الذين لا غناء عندهم، ولا انتفاع له بمكانهم.

٢٧٨ - وقال مطيع بن إلياس، في يحيى

ابن زياد^(١): [المنسرح]

١ - يا أهل بكوا لقلبي القرح وللدُموع السواكب السُفح

٢ - راحوا بيحيى ولو تطاوعني أقدار لم تبتكر ولم ترح

لم يرض بتجرده لتلقي الأمر الذي دهمه، وبتفرده في الجزع للخطب الملم به حتى طلب من ذويه وعشيرته إسعاده في البكاء لما ناباه فأفرح قلبه، وأسأل دمه. وإنما فعل ذلك لأنه يعد التعاون فيه والتشارك، أدل على تجليل الفجعة له؛ والانتساء والتساوي، أجلب للتخفيف مما به. ألا ترى أن الله تعالى يقول في أصحاب النار: ﴿وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَتَكُرُّ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ [الزخرف: الآية ٣٩]، فأياسهم من أن يكون اشتراكهم في العذاب يسليهم أو يرجع بضرب من النفع عليهم، على العادة في دار الدنيا. وقوله «قلبي القرح» يقال: أفرحه الهم ففرح وهو قرح قريح. وقيل في القرح هو البشر إذا ترامى إلى فساد. وقوله «السواكب» جمع ساكبة، ووُصف الدُموع به على معنى ذات سكوب، كما قيل عيش ناصب، أي ذو نصب على النسبة. والسُفح: جمع سفوح، والسكب والسفح يراد بهما الصب إلا أن السفح أبلغ من السكب، لذلك ارتقى من السواكب إليه. وحكى الخليل أن أهل المدينة يقولون: اسكب على يدي. ويقال: رجل سفاخ الدماء، ولم يقل سكا، لأن السكب لا يبلغ حد السفح.

وقوله «راحوا بيحيى ولو تطاوعني الأقدار»، يقول مُنبها على مساس الفاقة إلى بقاءه، وغلبة اليأس من الاعتياض منه: راحوا ولو أطاعني القدر ما فُجعنا بفراقه، فكان لا يبتكر لا غاديا ولا راثيا. ومن روى بالتاء «لم تبتكر» جعل الفعل منسوبا إلى الأقدار يريد: لم تبتكر الأقدار ولم ترح به وأنا راض. وإنما قال «بكوا» لأن فعل يفيد التكثير من الفاعلين. وتكرير الفعل من واحد حالا بعد حال.

(١) مطيع بن إلياس الكنتاني: أبو سلمى، شاعر من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، كان ظريفاً مليح النادرة، ماجئا، وكان يرمى بالزندقة. (ت ١٦٦ هـ / ٧٨٣ م). ترجمته في الأغاني ١٣: ٢٩٩، وتاريخ بغداد ١٣: ٢٢٥.

- ٣ - يا خَيْرَ مَنْ يَخْسُنُ الْبُكَاءَ لَهُ الْيَوْمَ وَمَنْ كَانَ أَمْسٍ لِلْمَدْحِ
٤ - قَدْ ظَفِرَ الْحُزْنُ بِالسُّرُورِ وَقَدْ أُدِيلَ مَكْرُوهُنَا مِنَ الْفَرَحِ

إنما ناداه لقوله «قد ظفر الحزن بالسُّرور»، كأنه يريد إعلامه تأثير المصائب فيهم، وأنهم قد استبدلوا بعده بالسُّرور حُزنًا دائمًا، وبالفرح مكروهاً راتياً. و«مَنْ» نكرة. وقوله «يخسُن البكاء له اليوم» صفة له، فيقول: يا خير إنسان كان المدح فيما مضى من الزمان أولى به، والبكاء عليه في الحال والاستقبال أحقُّ له، قد تأذى حالنا بعدك إلى أن أبدلنا القدر بالفرح ترحاً مُتصلاً، وبالمحبوب مكروهاً لازماً.

ومعنى ظفر الحزن بالسُّرور وأدِيلَ مكروهُنَا، أَنَّ الغَلَبَ لهما حتى لا ثبات للسُّرور والفرح معهما، ولا انتياش منهما^(١). يبين ذلك أنه قال «وقد أدِيلَ مكروهُنَا» أي جعل له على الفرح دولةً. وقوله «من الفرح» يريد من المفروح به، وهو المحبوب؛ لأنه كما طابَقَ الحُزْنُ بالسُّرور في الصدر، طابَقَ المكروة بالمحبوب في العجز. وهذا كما يقال: لا يسرني بهذا الأمر فرحٌ ومفروحٌ به ومُفْرِحٌ. والوصف بالمصدر ووضعه موضع الفاعل والمفعول مشهور. وقد خرج في هذا الكلام جوابٌ سائلٍ يقول: ما الفرق بين السُّرور والفرح؟ وكيف أتى بهما وهما بمعنى واحد؟

٢٧٩ - وقال مُطِيعٌ أَيْضاً^(٢): [البسيط]

- ١ - قُلْتُ لِحَنَائَةِ دُلُوحٍ نَسُخُ مِنْ وَابِلٍ سَحُوحٍ
٢ - أُمِّي الضَّرِيحُ الَّذِي أَسْمِي ثُمَّ اسْتَهْلِي عَلَى الضَّرِيحِ
٣ - لَيْسَ مِنَ الْعَذْلِ أَنْ تَشْحِي عَلَى فَتَى لَيْسَ بِالشَّحِيحِ

أراد أن يدعو للقبر بالسُّقيا فجعل بدل الدعاء سؤالاً وتمتياً، لأنَّ طريقة الجميع واحدة فقال: قلتُ لسحابةٍ فيها رعدٌ، فكأنَّها كانت تَجُنُّ برعدها إلى شيءٍ كحنين الناقة إلى وطنها أو ولدها. دُلُوح، أي ثقيلة. يقال: مرَّ البعيرُ يَذْلُحُ بجملته، أي

(١) الانتياش: الاستفزاز.

(٢) كذا عند أبي تمام أما في الأغاني ١٣: ٧٩، فقد نسبته إلى حماد عجرد يرثي الأسود بن خلف.

يمشي متناقلًا، والسَّحَابَةُ تَذَلُّجُ من كثرة مائها. تَسُحُّ أي تَصُبُّ. وإبلٌ: مطرٌ ضخْمُ القطرِ. سَحُوحٌ: كثير الانصبابِ شديدهُ: إن قيل: كيف جعلَ السَّحُّ مَرَّةً للحثَّانة ومَرَّةً للوابِل، والوابِل يكون مصبوبيًا لا صابيًا، وما فائدة مِن في قوله «من وإبلٍ سَحُوحٌ» فإنَّ المرادَ به الكثرة، وهم يجعلون، إذا قصدوا إلى المبالغة، الفعلَ الواقعَ بالشيء له. ألا تَرَى أنهم يقولون: مَوْتُ مائتٌ، وشِعْرٌ شاعر. وهذا كما قالوا: سَيْلٌ مُفْعَمٌ، والسَّيْلُ لا يُمَلَأُ إنما يُملَأُ به الشيء. وإذا كان كذلك فالسَّحُّ من الحَثَّانَةِ حقيقة، والسَّحُّ من الوابِل مجاز، والمرادُ به ما ذكرنا. على أنه لا يمتنع أن يكون سَحٌّ من باب فَعَلْتَهُ ففَعَلَ؛ فقد حَكَّى الخليلُ: سَحَّ المطرُ والدَّمْعُ، وقال: هو شِدَّة انصبابيهما. ويقال من السَّحِّ: فَرَسَ مِسْحٌ، أي يَصُبُّ العَدْوُ. وأَرْضٌ سَحَاحٌ، أي تسيل من مَطَرٍ يسير.

وقوله «أُمِّي الضَّرِيحُ الذي أَسْمِي» يريدُ الذي أُنْصُ عليه وأبَيَّنَه بذكر اسم صاحبه، إذ لم يكن للضريحِ إسمٌ يَتَمَيَّزُ به عن القبور، فكأنَّ بيانَ الكلام: أَسْمِي صاحبه، فحذفَ المضاف وهو صاحبٌ، ثم أقامَ المُضَافَ إليه مقامه، فجاءَ أَسْمِيه، ثم حذفَ المفعول من الصلة لطولها فبقِيَ أَسْمِي. ومعنى اسْتَهْلَى: صُبِّي. ويقال: هَلَّ السحابُ بالمطرِ واستَهَلَّ وانهلَّ المطرُ انهلالًا. والأهاليلُ: الأمطارُ الشديدة الانصباب. ويجوز أن يكونَ لَمَّا وصفَ السحابةَ بالحَثَّانة لَرَعْدِها كَتَى عن المطر بالاستهلال، لأنَّه كَالْحَنِين، وهو رفعُ الصوت بالتلبية وغيرها، فيكون الحنين والاستهلال للَرَّعد والمطر كالسؤال والجواب. فأما قوله «على الضريح» فتكراره تنبيهٌ على عِظَم شأنه وقِطَاعَةِ الفَجْعِ به. والتفخيمُ بالتكرير يحصل كثيرًا. والضَّرِيحُ: القبر بلا لَحْد، وهو قَمِيل بمعنى مفعول، لأنه يقال ضَرَحُوا له ضَرِيحًا. وقال الدُّرَيْدِيُّ: سَمِي ضَرِيحًا لأنه انضَرَحَ عن جَالِي القبر، أي اندفعَ فصار في وَسَطِهِ. وقوله:

ليس من العدل أن تَشِجْني على فَتَى ليس بالشَّحيحِ

يريد: ليس من الإنصاف البُخْلُ بمائك وصَوْبِكَ على فَتَى كان لا يَبْخُلُ بماله، وما يُجْتَدَى منه في جَاهِهِ وحَالِهِ. وهذا ظاهر. وفي طريقته قول أبي تَمَّامٍ [الطويل]

وكيف احتمالي للغيوثِ صَنِيعَةٌ بإسقاطها قَبْرًا وفي لَحْدِهِ البَحْرُ

٢٨٠ - وقال الأشجع السلمي^(١): [الطويل]

١ - مَضَى ابنُ سَعِيدٍ حِينَ لَمْ يَبْقَ مَشْرِقٌ وَلَا مَغْرِبٌ إِلَّا لَهُ فِيهِ مَادِحٌ
يقول: فُجِعَ النَّاسُ بِابْنِ سَعِيدٍ حِينَ كَمَلَ وَبَرَعَ وَشَمِلَ نَفْعُهُ فَعَمَّ حَتَّى لَمْ يَبْقَ
بُقْعَةٌ مِنْ جَوَانِبِ الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ إِلَّا وَتَرَى فِيهَا شَاكِرًا لِنِعْمِهِ، حَامِدًا لِفَعَالِهِ، مَادِحًا
لِفِرْطِ إِحْسَانِهِ. وَإِنَّمَا يَعْظُمُ الرُّزْءُ بِاسْتِكْمَالِ فِضَائِلِ الْمَرْتِي، وَشُمُولِ فَوَاضِلِهِ.

٢ - وَمَا كُنْتُ أَدْرِى مَا فَوَاضِلُ كَفِّهِ عَلَى النَّاسِ حَتَّى غَيَّبَتْهُ الصِّفَائِحُ
قوله «ما فواضل كفه» استفهام، وموضع الجملة من الإعراب أنه مفعول أدري وقد علّق عنه، والمعنى: ما أدري ما يقتضي هذا السؤال. والفواضل: جمع فاضلة، وهو اسم لما يفضل من ندى كفه فيتجاوزها إلى الناس. ويجوز أن يكون فاضلة مصدرًا بمعنى فضل أو إفضال، فيكون كالعافية والقائم من قولهم قُمْ قائمًا، والبالغة من قولهم ما أباليه بالية، ثُمَّ لاختلافه جَمَعَهُ. والمصادرُ تُجمع إذا اختلفت؛ على ذلك قولهم العلوم والعقول وما أشبههما. وإذا جُعِلَ كذلك يكون قد عدّى فواضل وهو جمعٌ مكسّرٌ إلى قوله على الناس. وحصل من هذا الكلام أن قوله «على الناس» يتعلّق بفواضل على وجهين: أحدهما أن يكون فواضل جمع فاضلة، وهو اسم للفاعل، والثاني أن يكون فواضل جمع فاضلة، وهو مصدر، وتعدي مثله ليس بكثير.

وقوله «حتى غيّبته الصّفائِح» معناه إلى أن غيّبته الصّفائِح. والصفائِح: أحجار عِراضٌ سَقَفُهَا قَبْرُهُ. يقول: لم أتبيّن مقادير إحسانه عند الناس، ومبالغ أياديه لديهم، وفنون برّه بهم، وانصباب منّهِ إليهم، لاختلاف مواقعها، ولخفاء كثير منها على حَسَبِ قُصُودِهِ فِي الْإِفْضَالِ، وَلِتَبَايُنِ مَوَاضِعِ الصَّنِيعَةِ فِي التَّفْصِيلِ وَالْإِجْمَالِ، إِلَى أَنْ خَلَى مَكَانَهُ فَظَهَرَتِ الْفَاقَةُ عَلَى مَتَحْمَلِي نِعْمِهِ، وَتَظَاهَرَ الْحَمْدُ وَالثَّنَاءُ مِنَ الْكَافَةِ عَلَى اخْتِلَافِ مَنَازِلِهِمْ وَتَبَاعُدِ مَظَانِهِمْ، فَحَيْثُذِ بَانَ لِي كَثْرَتُهَا وَتَوَفُّرُهَا.

٣ - فَاضْبَحْ فِي لَحْدٍ مِنَ الْأَرْضِ مَيِّتًا وَكَانَتْ بِهِ حَيًّا تَضِيقُ الصُّحَاصِحُ

(١) التبريزي: «وقال أشجع بن عمرو السلمي» وهو شاعر فحل، كان معاصرًا لبشار، ولد بالإمامة ونشأ في البصرة ثم استقر في بغداد (ت نحو ١٩٥ هـ/ ٨١١ م). ترجمته في الأغاني ١٨: ٢١٨، وتاريخ بغداد ٧: ٤٥.

قوله «في لَحْدٍ» موضعه نصبٌ على أن يكون خبر أصبح، وانتصب «مَيِّتًا» على الحال، وكذلك قوله «حيًا» انتصب على الحال. ولا يجوز أن يكون «لَحْدٍ» في موضع الحال ومَيِّتًا خبر أصبح، لأنَّ مَيِّتًا من الصُّدْر في مقابلة حَيًّا من العَجْز، ولا يكون ذلك إلا حالًا، فكذا يجب أن يكون مَيِّتًا، ولأَ اختلافاً وقَسْد المعنى. يقول: أصبح وهو مَيِّتٌ يتسع له لَحْدٌ من الأرض، وكانت الصُّحَاصِحُ تَضِيئُ عنه وهو حَيٌّ. فيجوز أن تكون تَضِيئُ عن جُيُوشِهِ وأصحابه الذين كانوا يَحْيَوْنَ بحياته، وَيَسْطُون على الدَّهْر بعِزَّتِهِ، ويجوز أن يريد بالضيق ما كان يَبْتُ من إحسانه، وَيَتَشِير من جدواه في أهل الأرض ويشملهم من المنافع بمكانه وجاهه، فيكون التقدير أنها لو جُسِّمَتْ لكانت الصُّحَاصِحُ تضيق عنه. والصُّحَصَح والصُّحَصَحان: الأرضون المستوية الواسعة. وفي طريقته للبحثري: [الكامل]

كانوا ثَلَاثَةَ أَبْحَرٍ أَفْضَى بِهَا وَلَعِ الْمَنُونِ إِلَى ثَلَاثَةِ أَثْبَرٍ

٤ - سَابِكِيكَ مَا فَاضَتْ دُمُوعِي فَإِنْ تَفَضَّ فَحَسْبُكَ مِنِّي مَا تُجِنُّ الْجَوَانِحُ

ضَمِنَ لَهُ دَوَامَ الْبُكَاءِ مَا دَامَتِ الدُّمُوعُ تُجِيئُهُ وتُسَاعِدُهُ، فَإِنْ عَجَزَتْ وَنَقَصَتْ عَنِ الْمُرَادِ، وَانْقَطَعَتْ أَوْانِ الْحَاجَةِ، فَكَافِيهِ مِنْهُ مَا تَشْتَمِلُ عَلَيْهِ جَوَانِحُهُ، وَتَتَضَمَّنُهُ صَدْرُهُ وَفَوَادُهُ. وقوله «ما فاضت» في موضع الظُّرْفِ، أَي مُدَّةٌ فَيُضَاهَا. وقوله «حَسْبُكَ» مبتدأ وخَبَرُهُ «ما تُجِنُّ». وقد يَتِمُّ حَسْبُكَ بِنَفْسِهِ فَلَا يَحْتَاجُ إِلَى خَبَرٍ، فَيُقَالُ حَسْبُكَ، وَحِينَئِذٍ يَتَضَمَّنُ مَعْنَى الْأَمْرِ، كَأَنَّهُ يَرَادُ بِهِ اكْتَفَى، وَلِذَلِكَ يَسْتَقِلُّ الْكَلَامُ بِهِ. وَيُقَالُ: غَاضَ الْمَاءُ وَغَضَّتْهُ. والجوانح: الصُّلُوع، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِانْحِنَائِهَا. والجُنُوح: الْمَيْلُ.

٥ - وَمَا أَنَا مِنْ رُزْءٍ وَإِنْ جَلَّ جَزَاعُ وَلَا بِسُرُورٍ بَعْدَ مَوْتِكَ فَارِحٌ^(١)

قوله «ما أنا من رُزْءٍ» تَبَرُّؤٌ مِنَ الْجَزَعِ عَلَى الرُّزْءِ، أَي لَسْتُ لَهُ بِصَاحِبٍ وَإِنْ جَلَّ الْفَارِحُ، كَمَا أَنِّي لَسْتُ بِسُرُورٍ بِهِ وَإِنْ عَظُمَ بَفَارِحٍ. والمعنى: أَنَّ الْمَنَايَا وَالْعَطَايَا تَسَاوَتْ أَقْدَارُهُمَا عِنْدِي بَعْدَكَ، لِأَنَّكَ كُنْتَ الْمَرْجُوءَ عِنْدِي. وَالْمَخَوْفُ عَلَيْهِ لَدَيَّ، فَلَمَّا فَاتَنِي الْقَدْرُ بِكَ أَمِنْتُ مِنَ الْجَزَعِ لِحَادِثِ شَرٍّ، وَيَشْتِ مِنْ الْفَرَحِ لِنَائِبِ خَيْرٍ. وَلَوْ قَالَ بَدَلُ جَزَاعٍ وَفَارِحٍ: جَزِعَ وَفَرِحَ، كَانَ أَفْصَحَ وَأَكْثَرُ، لِأَنَّ فَعَلَ إِذَا كَانَ غَيْرَ مُتَعَدٍّ فَالْأَجُودُ وَالْأَقْيَسُ فِي مَصْدَرِهِ فَعَلَ، وَفِي اسْمِ الْفَاعِلِ فَعِلَ، وَإِذَا كَانَ مُتَعَدِّيًا فَبَابُهُ

(١) التبريزي: «فما أنا».

فاعِلٌ. وقد قيل في المريض مَارِضٌ، وفي السليم سَالِمٌ، لأنَّ البابين يتداخلان. وقوله «ولا بسرور» أي ولا بذِي سُورٍ فحذف المُضَاف وأقام المُضَاف إليه مقامه.

٦ - كَانَ لَمْ يَمُتْ حَيٍّ سِوَاكَ وَلَمْ تَقُمْ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا عَلَيْكَ النِّوَاتُحُ

٧ - لَئِنْ حَسُنْتَ فِيكَ الْمَرَاثِي وَذَكَرَهَا لَقَدْ حَسُنْتَ مِنْ قَبْلُ فِيكَ الْمَدَائِحُ

قوله «كَانَ» مخفَّف كَأَنَّ، واسمه مُضْمَرٌ، أراد كَأَنَّ الأمر أو الشَّانَ لَمْ يَمُتْ حَيٍّ سِوَاكَ. وَالْخَطْبُ إِذَا وَقَعَ مُسْتَعْرَبًا كَانَ تَأْثِيرُهُ أَشَدَّ، وَنَكْوُهُ أَوْجَعُ مِنْهُ، إِذَا أُلْفَ وَقُوعُهُ، وَتَمَرُّنٌ بِتَكَرُّرِهِ. فيقول: إِنَّ الْمُصِيبَةَ عَظُمَ تَأْثِيرُهَا فِي الثُّفُوسِ، فَكَأَنَّ مَوْتَكَ يَذْغُ فَعَلَاتِ الدَّهْرِ، وَكَأَنَّ النِّيَاحَةَ لَمْ تَقُمْ عَلَى مَنْ سِوَاكَ، إِذْ كَانَتْ طَوَائِفُ النَّاسِ عَلَى تَبَايُنِهِمْ وَتَبَاعُدِ أَقْطَارِهِمْ، وَاخْتِلَافِ هِمَمِهِمْ وَأَوْطَارِهِمْ، تَشَارَكُوا فِي الْجَزَعِ لَكَ، وَتَشَابَهُوا فِي اسْتِعْظَامِ الْأَمْرِ وَالْخَطْبِ بِكَ، فَكَأَنَّهُمْ لَمْ يَرَوْا مَفْقُودًا، وَلَا قَامَتِ النَّوَاتُحُ فِيهِمْ عِنْدَ بَكَائِهِمْ هَالِكًا.

وقوله «لَئِنْ حَسُنْتَ فِيكَ الْمَرَاثِي وَذَكَرَهَا» مثله قولُ الْآخَرِ: [المنسرح]

يَا خَيْرَ مَنْ يَحْسُنُ الْبُكَاءَ لَهُ الْيَوْمَ وَمَنْ كَانَ أَمْسٍ لِلْمِدْحِ^(١)

وقد تقدَّم القولُ في لامِ لَئِنْ واليمينِ المضمرة في الكلام. والجواب لقد حَسُنْتَ، وقوله حَسُنْتَ في موضع تَخُسُّنٍ، لأنَّ حرفَ الشَّرْطِ نَقَلَ الْمُضِيَّ إِلَى الاسْتِقْبَالِ، وَجَوَابُ الشَّرْطِ بِالْفَاءِ هُنَا وَقَدْ حُذِفَ كَأَنَّهُ قَالَ: إِنْ يَحْسُنَ الرَّثَاءُ لَكَ وَفِيكَ، الْآنَ وَفِي مُسْتَقْبَلِ الزَّمَانِ، فَلَلْمَدَائِحِ فِيمَا مَضَى كَانَتْ حَسَنَةً فِيكَ.

٢٨١ - وَقَالَ يَحْيَى بْنُ زِيَادٍ^(٢): [الطويل]

١ - نَعَى ثَاعِيًا عَمِرُو بَلِيلٍ فَأَسْمَعَا فَرَاغًا فُوَادًا لَا يَزَالُ مُرُوعَا

يقول: خَبَرَ الثَّاعِيَانِ بِمَوْتِ عَمِرُو بَلِيلًا، فَأَبْلَغَا الْخَيْرَ وَهُوَ فَظِيعٌ مُنْكَرٌ، وَفَرَعَا قَلْبًا لَا يَزَالُ مُفْرَعًا. وَإِنَّمَا قَالَ بَلِيلٍ لِأَنَّهُمَا لَمْ يَصْبِرَا إِلَى مَجِيءِ النَّهَارِ اسْتِعْظَامًا لِلْخَطْبِ؛ لِأَنَّ اللَّيْلَ لَمَّا كَانَ أَخْفَى لِلْوَيْلِ صَارَ سَغْيُ النَّاعِيَيْنِ فِيهِ أَدْلً عَلَى اسْتِفْحَالِ

(١) البيت الثالث من الحماسية ٢٧٨، وهو لمطيع بن إياس.

(٢) التبريزي: «الحارثي» وهو شاعر ماجن، أقام ببغداد مدة ثم خرج عنها، ووالده زياد بن عبيد الله هو خال أبي العباس السفاح (ت نحو ١٦٠هـ/ ٧٧٦ م). ترجمته في تاريخ بغداد ١٤: ١٠٦، ولسان الميزان ٦: ٢٥٦.

الرُزء. وقوله «أَسْمَعًا» حَذَفَ مفعوليهِ لأنَّ المراد أَسْمَعَا النَّاسَ نَعِيَّهُ، وهو بتجرُّد من المفعول يُستعمل في المكروه كثيرًا، ولأنَّه إذا أُطلق مُبْهَمًا فالإطلاق في مثل هذا المكان أبلغ، وإنما قال «مُرُوعًا» إيدانًا بأن ذلك الرُّوع ثبت في القلب حتى لا إفاقة منه. ويجوز أن يريد أنَّه مرزُؤٌ في الكرام، فهو الدَّهرُ قَلِيْقٌ لا يسكن، وحَزِرٌ لا يأمن.

٢ - وما دَنَسَ الثُّوبَ الذي رَوَّدوكهُ وإن خَانَهُ رَبُّ البِلَى فَتَقَطَّعَا

الدَّنَسُ: لَطَخَ الوَسَخَ ونحوهِ حتى في الأخلاق. يقال: هو دَنَسُ المُرُوءة، وقد دَنَسَ عِرْضُهُ. وَبَّهَ بهذا الكلام على أن زاد المُتَوَقَّى من الدنيا كَفَنَهُ، وأنَّ ما كُفِّنَ فيه المتوقَّى بَقِيَ طاهرًا لطهارة نفسه وعُنْصُرِهِ، وأنَّه كان يَجِبُ بقاؤه جديدًا لا يؤثر فيه البِلَى، ولا تَسْبِقُ إليه الخُلُوقَةُ، وأنَّ تأثيرَ رَبِّ الدَّهرِ فيه بالتقطيع خِائِنَةٌ منه. وكل هذا تعظيمٌ للمرثي، وأنَّ حالَهُ بخلاف أحوال غيره حَيًّا ومَيِّتًا. ومعنى «خَانَهُ رَبُّ البِلَى» أي نزول البلى، قال أبو عبيدة: يقال: رَابَ عليه الدَّهرُ، أي نَزَلَ.

٣ - دَفَعْنَا بِكَ الأَيَّامَ حَتَّى إِذَا أَتَتْ تُرِيدُكَ لَمْ تَسْطِيعْ لَهَا عَنَّاكَ مَدْفَعَا

يجوز أن يريد بالأيَّام نوائِبَ الأيام وأحداثها فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه، ويجوز أن يريد الأَيَّامَ أنْفُسَ الأحداث، فسماها أيامًا كما تُسَمَّى الوقَعَاتُ بها، وكما قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَتِلْكَ الأَيَّامُ تُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: الآية ١٤٠]. ومعنى «حتى إذا أَتَتْ تُرِيدُكَ» موضع تُرِيدُكَ نصبٌ على الحال، أي مُريدةٌ لك. وفائدة حتى الغاية: كأنَّه قال: دافعنا الأيامَ بك وبمكانك إلى وقت مجيئها مُريدةٌ لك، فحيثُذ لم تقدر على دفاعها. وقوله «لم تَسْطِيعْ» أراد نستطيع فحذف منه تخفيفًا لكثرتِه في الكلام. يقال: اسطاع يَسْطِيعُ، بمعنى استطاع يستطيع؛ وقد حكى أسطاع بفتح الهمزة يُسْطِيعُ بضم الياء، وليس هذا من الأول لأنَّ هذا في معنى أَطَاعَ.

٤ - مَضَى فَمَضَتْ عَنِّي بِهِ كُلُّ لَذَّةٍ تَقَرُّ بِهَا عَيْنَايَ فَانْقَطَعَا مَعَا

يقول: مَضَى عَمَرُو لسبيله فانقطعت عَنِّي لذات الدنيا، وفارقتني بفراقه، فانقطعا مجتمعين ومصطحبين. وموضع «تَقَرُّ بها عيناَيَ» جَرَّ على أن يكون صفةً للذَّة، أي كلُّ لَذَّةٍ تَبْرُدُ لها عيناَيَ لها وتُسَرُّ نفسي بحصولها. وقوله «مَعَا» في موضع الحال. وقوله: تَقَرُّ بها عيناَيَ، قيل: هو من القَرَارِ، وقيل هو من القَرَّ: البَرْد. وهذا أقرب لأنَّه يقال في ضده: سَخُنْتُ عينه، وهو سَخْنَةُ العَيْنِ.

٥ - مَضَى صَاحِبِي وَاسْتَقْبَلَ الدَّهْرُ صَرَعتِي وَلَا بُدَّ أَنْ أَلْقَى جِمَامِي فَأَضْرَعَا^(١)

هذا في طريقة قوله: [الكامل]

فَعَبَّرْتُ بَعْدَهُمْ بِعَيْشٍ نَاصِبٍ وَإِخَالُ أَنِّي لَأِحِقُّ مُسْتَتَبِعُ^(٢)

ومعنى «استقبل الدهر صرعتي» توطيئاً للنفس على أنها بمدرجة الدهر، فهو ينتظر إيقاعه بها وكأن قَدْ. ومعنى استقبل الدهر صرعتي، أي إماتتي، كما يقال «لكل جنب مضرع»^(٣). ومعنى «لا بد»: لا محالة، وهو من البَدَد: الاتساع والتفريج. كأنه تضائق الأمر فيه فلا اتساع معه، ويقال: لا بد من أن يكون كذا، ولا بد أن يكون كذا، و«أن» يُحذف حرف الجرّ معه كثيراً.

٢٨٢ - وقال ابن المقفع يَرْثِي يَحْيَى بْنَ زِيَادٍ^(٤): [الطويل]

١ - رُزْنَا أبا عمرو ولا حَيٍّ مِثْلَهُ قَلِيلُ رَيْبِ الْحَادِثَاتِ بَمَنْ وَقَعَ

يقول: أصبنا بأبي عمرو، وهو مفقود النظر، معدوم الشيء. فموضع «ولا حيٍّ مثله» نضب على الحال، والعامل فيه رُزينا. ثم قال على وجه التعجب: لله ريب الدهر بأي رجل وقع. فقلوه «بمن وقع» منقطع مما قبله وإن كان فاعل وقع الضمير العائد إلى الريب المستكن، لأن قوله «لله ريب الأحداث» كلام مستقل بنفسه فيما يفيد من إكبار الشأن وتفضيع الحال. وإضافة الشيء إلى الله عز وجل تفيخيم وتعظيم، على ذلك قولهم: بيب الله - وإن كان المساجد لله - والله ذره. وقوله «بمن وقع» مستقل بنفسه أيضاً وفيه استعجاب من أن يكون الدهر يعرض لمثله أو يهيم به مع فخامة أمره، وجلالة نفسه. ولو قال: وبمن وقع، فزاد واوًا، لكان أكشف في المعنى المراد به. ولا يمتنع أن يكون بمن وقع في موضع الحال، كأنه قال: لله ريب الأحداث وإقعا

(١) التبريزي: «واستقبل الدهر مصرعي».

(٢) لأبي ذؤيب الهذلي في الدرر ٢: ٢٥٩، وشرح أشعار الهذليين ١: ٨، واللسان (نصب).

(٣) لأبي ذؤيب مثل البيت السابق وتماه:

سبقوا هوي وأعنعوا لهوائهم فَتُخَرَّمُوا وَلِكُلِّ جَنبٍ مَصْرُغٌ

وهي في شرح أشعار الهذليين ١: ٧، والدرر ٥: ٥١، واللسان (هوا).

(٤) التبريزي: «وقال ابن المقفع يرثي يحيى بن زياد وقيل: يرثي ابن أبي العوجاء عبد الكريم»، وعبد الله ابن المقفع: من أئمة الكتاب، وأول من عني بترجمة كتب المنطق، أسلم على يد عيسى بن علي عم السفاح، ولي كتابة الديوان للمنصور العباسي. (ت ١٤٢ هـ / ٧٥٩ م). ترجمته في: أمراء البيان ص ٩٩، وأخبار الحكماء ١٤٨، ولسان الميزان ٣: ٣٦٦.

بمن وَقَعَ، ومؤثراً مُوجِعاً، ويكون حالاً للربِّ، والعامل فيه ما دلَّ عليه الله ربُّ الحادثات.

٢ - فإنَّكَ قد فارقْتَنَا وتركتَنَا ذَوِي خَلَّةٍ ما في انسدادٍ لها طَمَعٌ

٣ - فقد جَرَّ نَفْعاً فَقَدْنَا لَكَ أَتْنَا أَمِئاً على كلِّ الرِّزايا مِنَ الْجَزَعِ

حذف النون من تَكْ قد تقدَّم القولُ فيه. والمعنى: إن فارقْتَنَا والوَهْيُ بك لا يُرْقِع، والخَلَّةُ بك لا تُسَدُّ، وحديثُ النَّفس بالطَّمَعِ فيكَ لا يَخْطُرُ بالقلب ولا يَجُولُ في الفِكر، فقد جَلَبَ إلينا فَقْدُكَ نَفْعاً، وهو أَمِئْنَا من تسلُّطِ الجَزَعِ علينا لرزيئِهِ مستأنفةً، أو نَكْبَةٍ معترِضة، إذ كان خَوْفُنَا عليك، وحَذَرُنَا فيكَ. وقوله «ما في انسدادٍ لها طمع» في موضع الجَزَ، لأنَّه صِفَةٌ لخلَّةٍ. يريدُ ما لنا طَمَعٌ في انسدادٍ من أجلها وبَعْدَها يحصلُ. وجوابُ إنَّكَ، الفاء مع ما بَعْدَها من قوله «فقد جَرَّ نَفْعاً»، وإنما جُلِبَ الفاء لمخالفةِ الجزء للشرط بكونه مبتدأ وخبراً، والمبتدأ محذوف كأنَّه قال: والأمر والشأن قد جَرَّ فَقْدُنَا لك نَفْعاً. وقوله «إِئْنَا أَمِئاً» إذا كسرت الهمزة من إنَّ يكون على الاستئناف، وتكون جملة الكلام تفسيراً للنفع المستَجَدُّ له، وإذا رويت «أَتْنَا» بفتح الهمزة يكون بمعنى لَأَتْنَا أَمِئاً، فيكون الكلام بياناً لعلَّةِ حصول النفع. ويجوز أن يكون موضع أَتْنَا نصباً على البدل من نَفْعاً.

وقوله «على كلِّ الرزايا»، على تعلُّق بقوله أَمِئاً، يقال: هو آمِنٌ على كذا، وقد أَمِئْتُ على مالي عند فلانٍ من امتداد الأيدي إليه، أي لا تمتدُّ، كذلك أَمِئاً على كلِّ الرزايا من الجزع، أي لا نَجْزِع. وأتى بلفظة العموم فيه، وهو كُلُّ، إيذاناً بتساوي الخطوب عنده، وانحطاطها عن درجة المُصاب به وفيه، حتى لا جَزَعٌ يتجدَّدُ بَعْدَهُ لحادثٍ يحدثُ ولا يجوز أن يتعلَّق قوله «على كلِّ الرزايا» بقوله: من الجزع، لأنَّه لو كان كذلك لكان في صلته، والصلَّة لا تتقدَّم على الموصول.

٢٨٣ - وقال^(١) بعضُ بني أسدٍ: [الكامل]

١ - بَكِّي على قَتْلِ المَدَانِ فِائِئُهُم طالت إقامتُهُم بِبَطْنِ بَرَامٍ

٢ - كانوا على الأعداء نارَ مُحَرِّقٍ ولقوهم حَرَمًا من الأخرامِ

(١) الأبيات الثلاثة الأولى في معجم البلدان (عدان) بلا عزو، والبيت الرابع في لسان العرب (طوا) لابن أصرم.

يخاطب امرأة والنساء كُلُهُنَّ عندهُ تلك المرأة، فيقول: أَكْثَرِي الْبُكَاءَ عَلَى الْمُقْتُولِينَ بِهَذَا الْمَكَانِ - وَقِيلَ الْعِدَانُ ساحل من سواحل البحر - والمدفونين ببطن بَرَامٍ، فَقَدْ طَالَتْ إِقَامَتُهُمْ. والمراد أَنَّ اليأس منهم قد حَصَلَ وَقَوِيَ، وَأَنَّ غِيَبَتَهُمْ اتَّصَلَتْ فَرُفِعَتْ الْأَطْمَاعُ مِنْ عَوْدِهِمْ والاجتماع معهم. ثم أخذ يصفهم فقال: كانوا على المنايذين والمخالفين کنار هذا الملك، لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ - ومَحْرَقٌ هو عمرو بن هِنْدٍ، وَكَانَ تَذَرُ أَنْ يُحْرِقَ مَائَةٌ نَفْسٍ، ففعل، فَضْرَبَ المِثْلَ بِنَارِهِ - وكانوا لقومهم حَرَمًا مِنَ الْأَحْرَامِ، لَا مَخَافَةَ فِيهِمْ وَلَا هَضِيمَةَ. يريدُ أَنَّ قَوْمَهُمْ يَأْمَنُونَ نَزُولَ النَوَائِبِ بِهِمْ فِي فَنَائِهِمْ، فَكَانُوا كَمَنْ حَصَلَ فِي الْحَرَمِ، وَأَنْ أَعْدَاءَهُمْ كَانُوا يَحْتَرِقُونَ بِنَكَائِهِمْ فِيهِمْ، فَكَانُوا عَلَيْهِمْ كَنَارَ هَذَا الْمَلِكِ.

وقوله «مُحْرَقٌ» وإن كان صفةً في الأصل، فصار بالاشتهار في رَجُلٍ وَاحِدٍ كَالْعَلَمِ لَهُ. وعلى هذا جاء في قوله: [الطويل]

عليهن فتیان كسأهم مُحْرَقٌ^(١)

وقوله:

إليك ابن ماء المُنَزِّين وابن مُحْرَقٍ

وقوله «حَرَمًا مِنَ الْأَحْرَامِ» نَكْرُهُ لاختلاف الأحرام. وهي حَرَمُ اللَّهِ تَعَالَى بِمَكَّةَ وَالشَّامِ، وَحَرَمُ الرَّسُولِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْمَدِينَةِ.

٣ - لَا تَهْلِكِي جَزَعًا فَلِإِنِّي وَائِثُ بِرِمَاحِنَا وَعَوَاقِبِ الْأَيَّامِ^(٢)

هذا الكلام تسلية لها وإن كان أمرها بالبكاء، وإيدانٌ أنه سيُدرَكُ الثَّارُ، فهو ينتظر عُقْبَ الْأَيَّامِ وانتهازَ الْفُرْصِ. وَتَبَّهَ بِقَوْلِهِ «وَإِثُّ بِرِمَاحِنَا» عَلَى الْغَنَاءِ عِنْدَهُمْ، وَأَنَّ الْعَنَاءَ مَتَوَفِّرَةٌ مِنْ جِهَتِهِمْ. وَانْتَصَبَ «جَزَعًا» عَلَى أَنَّهُ مُصْدَرٌ لَعَلَّةٍ، وَلَا يَمْتَنِعُ أَنْ يَكُونَ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ يُرِيدُ جَازِعَةً، وَهَذَا الْجَزَعُ الَّذِي نَهَاها عَنْهُ لَيْسَ يُرِيدُ بِهِ الْحُزْنَ لَفَقْدِهِ، وَإِنَّمَا يُرِيدُ الْحُزْنَ لِسَلَامَةِ الْوَاتِرِ عَلَى مَرِّ الْأَيَّامِ لَا غَيْرُ. أَلَا تَرَى أَنَّهُ قَالَ: فَإِنِّي وَائِثُ بِرِمَاحِنَا. وَقَوْلُهُ «عَوَاقِبِ الْأَيَّامِ» يُشِيرُ فِيهِ إِلَى تَغْيِيرِ الزَّمَانِ وَاخْتِلَافِ الْحَدَثَانِ، وَأَنْ

(١) للحصين بن الحمام في الحماسية رقم (١٣٣) وعجزة:

«وكان إذا يكسو أجاد وأكرما»

(٢) روى التبريزي بعد هذا البيت بيت آخر:

«عاداتٌ طَيِّ في بني أسدٍ لهم
رِيَّ الْقَنَا وَخَضَابُ كُلِّ حَسَامٍ»

الدَّهْرَ كَمَا يُعْطِي يَرْتَجِعُ، وَكَمَا يُولِّي يَنْتَرِعُ، فَعَبْرُهُ لَا تَوْمَنُ، وَأَحْدَاثُهُ عَلَى حَالَةٍ وَاحِدَةٍ لَا تَقْفُ.

٢٨٤ - وقال آخر: [الطويل]

- ١ - نَعْمِي لِي أَبَا الْمِقْدَامِ فَاسَوْدَ مَنْظَرِي مِنْ الْأَرْضِ وَاسْتَكْتُتْ عَلَيَّ الْمَسَامِعُ
٢ - وَأَقْبَلَ مَاءَ الْعَيْنِ مِنْ كُلِّ زَفْرَةٍ إِذَا وَرَدَتْ لَمْ تَسْتَطِعْهَا الْأَضَالِغُ

يقول: خَبَّرَ النَّاعِي بِمَوْتِ أَبِي الْمِقْدَامِ فِدِيرَ بِي، وَأَصْبَحَتْ الدُّنْيَا مُظْلَمَةً فِي عَيْنِي، وَأَوْرَثَتْ خَبْرَهُ صَمَمًا فِي أُذُنِي، فَلَا الْأُذُنُ تَأْذُنُ لِلْكَلامِ عَلَى مَا كَانَتْ تَعْمَلُ، وَلَا الْعَيْنُ تُدْرِكُ الْمَرِثَاتِ إِدْرَاكَهَا مِنْ قَبْلِ، كُلِّ ذَلِكَ لِتَأْثِيرِ نَعْيِهِ فِي الْحَوَاسِ الَّتِي هِيَ طُرُقُ الْعُلُومِ وَتَبَيُّنِ الْمَشَاهِدَاتِ. وَبَعْدَ ذَلِكَ أَقْبَلَ الدَّمْعُ يَسِيلُ فِي إِثْرِ زَفَرَاتٍ اتَّصَلَتْ وَتَعَاقَبَتْ، وَكُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا لَا مِتْلَاءَ الصَّدْرِ بِهَا كَاذَتِ الضُّلُوعُ تَسْتَقِيمُ لَوْرُودِهَا. وَالزَّفْرَةُ: أَنْ يَتَرَدَّدَ النَّفْسُ فِي الصَّدْرِ ثُمَّ يَمْتَلِئَ مِنْهُ وَيَزْفِرَ بِهِ، أَيْ يَزِيْمِي. وَقَدْ أَوْمَأَ أَبُو تَمَامٍ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى وَإِنْ يَصْرَحُ بِتَصْرِيحِهِ فِي قَوْلِهِ: [الوافر]

وَمَا لِلذَّارِ إِلَّا كُلُّ سَنْجٍ بِأَدْمُعِهِ وَأَضْلَعِهِ سَخِيٍّ^(١)
فَأَمَّا أَبُو عَبَادَةَ فِي قَوْلِهِ: [الكامل]

ووراءهم ضَعْدَاءُ أَنْفَاسٍ إِذَا ذُكِرَ الْفِرَاقُ أَقْمَنَ غُوجَ الْأَضْلَعِ^(٢)

قَدْ بَالَغَ فِي الْإِبَانَةِ كُلِّ الْمُبَالِغَةِ. وَقَوْلُهُ «اسْتَكْتُتْ عَلَيَّ الْمَسَامِعُ» فَالْمَسَامِعُ: جَمْعُ الْمِسْمَعِ بِكسر الميم، وَهُوَ الْأُذُنُ. وَالْمَسْمَعُ، بِفَتْحِ الميم: مَوْضِعُ السَّمْعِ وَقَوْلُهُ «اسْتَكْتُتْ» مِنْ قَوْلِهِمْ بَثْرَ سَكُوكُ، إِذَا كَانَتْ ضَيْقَةُ الْخَزَقِ. فَإِذَا أُرِيدَ الصَّمَمُ وَقِيلَ اسْتَكْتُتْ أَدْنَاهُ فَحَقِيقَتُهُ ضَاقَ صِمَاحُهَا، وَهُوَ الْخَزَقُ الْبَاطِنُ الْمُفْضِي إِلَى الرَّأْسِ.

٢٨٥ - وقال آخر: [البيط]

- ١ - قَدْ كَانَ قَبْلَكَ أَقْوَامٌ فُجِغْتُ بِهِمْ خَلَى لَنَا هُلُكُهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا^(٣)
٢ - أَنْتَ الَّذِي لَمْ يَدْغْ سَمْعًا وَلَا بَصَرًا إِلَّا شَفَا فَأَمَرَ الْعَيْشَ إِمْرَارًا

(٢) ديوانه ص ١٠٠.

(١) البيت في ديوانه ٢٤٣.

(٣) التبريزي: «خَلَى لَنَا قَدُّهُمْ».

قوله «فُجِغْتُ بِهِم» الجملة في موضع الصفة لقوله أقوام. وَخَلَى لَنَا هُلُكُهُمْ، في موضع خبر كان. والمعنى: قد فُجِغْتُ فيما مضى من الزمان بأقوام جَزِغْتُ لَهُمْ بِلْ هَلِغْتُ، وَأَقَمْتُ الرُّسْمَ فِي الْبِكَاءِ عَلَيْهِمْ بِلْ أَسْرَفْتُ، فَبَقِيَ الْفَجْعُ بِهِلَاكِهِمْ لِي وَلِمَنْ تَبِعَنِي وَاقْتَدَى بِي، السَّمْعَ وَالْبَصَرَ بَعْدَهُمْ، فَزَجَّيْنَا الْوَقْتَ مُسْتَمْتِعِينَ بِمَا سَلِمَ مِنْ حَوَاسِنَا، وَعَائِشِينَ مَعَ النَّاسِ فِي بَاقِي عُمُرِنَا؛ فَلَمَّا أَصْبَنَا بِكَ اسْتَنْقَذْتَ قَوَانَا، وَاسْتَنْزَلْتَنَا عَنْ ذَخَائِرِ صَبْرِنَا، فَبَطَلَتْ طَرَائِقُ الْعُلُومِ مِنَّا، وَتَنَاهَتْ فِي الْعَجْزِ عَنَّا حَوَامِلُنَا إِلَّا شَفَا، فَطَالَتْ شِفَاؤُنَا، وَأَمْرٌ غَيْشُنَا. وَالشُّفَا: الْبَاقِي مِنَ الشَّيْءِ الْقَلِيلِ. وَيُقَالُ: مَا بَقِيَ مِنَ النَّهَارِ إِلَّا شَفَا، أَي مَقْدَارٌ مَا بَيْنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ حِينَ غَرَبَتِ الشَّمْسُ.

وقوله «لَمْ يَدْعُ» بِالْيَاءِ، هُوَ أَقْبَسُ الزَّوَاتَيْنِ؛ لِأَنَّ الصَّلَاةَ جَاءَتْ عَلَى حَدِّهَا مَعَ الْمَوْصُولِ. وَإِذَا رَوَيْتُهُ بِالتَّاءِ فَعَلَى الْخَطَابِ، وَسَاءَ لِأَنَّ الْمُخَاطَبَ وَالَّذِي مَرَجَعُهُمَا إِلَى شَيْءٍ أَوْ أَحَدٍ، وَقَدْ مَضَى مِثْلُهُ، فَاعْلَمَهُ. وَقَالَ الْمَازِنِيُّ: لَوْلَا كَثْرَةُ مَجِيئِهِ لَرَدَّدْتُهُ. وَمِثْلُهُ: [الرجز]

أَنَا الَّذِي سَمَّيْتَنِي أُمِّي حَيْدَرَةَ

وقال: سَمَعًا وَأَبْصَارًا لِأَنَّ السَّمْعَ اسْمُ الْجِنْسِ، فَهُوَ كَالْجَمْعِ.

٢٨٦ - وَقَالَ نَهْشَلُ بْنُ حَرْيٍّ^(١): [الطويل]

١ - بِنَفْسِي خَلِيلَايَ اللَّذَانِ تَبَرُّضَا دُمُوعِي حَتَّى أَسْرَعَ الْحُزْنَ فِي عَقْلِي
تَعَلَّقَ الْبَاءُ مِنْ «بِنَفْسِي» بِفَعْلٍ مُضْمَرٍ دَلَّ عَلَيْهِ جَلِيَّةُ الْحَالِ، وَقَرِينَةُ الْكَلَامِ، كَأَنَّهُ قَالَ: أَفْدِي بِنَفْسِي مَنْ أَحَالَهُ. وَمَعْنَى «تَبَرُّضَا» أَفْتِيَا دُمُوعِي شَيْئًا فَشَيْئًا، وَقَلِيلًا وَقَلِيلًا؛ لِأَنَّ التَّبَرُّضَ التَّبَلُّغُ وَالتَّطَلُّبُ مِنْ هَلْهَنَا وَهَلْهَنَا. وَمَاءَ بَرَّضَ، أَي قَلِيلٌ. وَبَرَّضَ لِي مِنْ مَالِهِ بَرَّضًا، إِذَا أَعْطَاكَ الْقَلِيلَ. قَالَ: [الوافر]

لَعَمْرُكَ إِنَّنِي وَطِلَابَ سَلَمَى لِكَالْمَتَبَرِّضِ الثُّمْدِ الطُّنُونَا^(٢)

(١) التبريزي: «وقال الشمردل بن شريك، أو نهشل بن حري» الشمردل بن شريك: من بني ثعلبة بن يربوع من تميم، شاعر هجاء، يجيد القصيد والرجز، وله في الصيد والطراد أراجيز حسان. (ت نحو ٨٠ هـ / ٧٠٠ م). ترجمته في: معجم الشعراء للمرزباني ١٣٩، والأغاني ١٣: ٣٧٦، دار الكتب العلمية. ونسبة القصيدة إلى السموال هي الأصح فقد روى الأصفهاني في الأغاني أنه كان له أخ اسمه قدامة جاءه نعيه في يوم ثم تلاه نعي أخيه وائل بعد ثلاثة أيام فرثاهما بقصيدة هذا مطلعها.

(٢) بلا نسبة في اللسان (ثمد)، وتهذيب اللغة ١٤: ٩١، وأساس البلاغة (برض).

والمعنى فذَيْتُ بنفسي صديقي اللذين نَضَبَ في البكاء لهما دموعي، وتأدَّى إليَّ الحزنُ إلى أن عَمِلَ في عقلي فأزاله، فَدَمَعِي وَصَبْرِي مستنفدان لتأثير الفجيعة بهما. وجعلَ الفعل في تَبَرُّضًا للخليلين، وَحَقُّ الكلام تَبَرُّضَ الحزنُ لهما والبكاء عليهما دموعي، إلى أن أسرعا في عَقْلِي فصار وإلها.

٢ - ولولا الأَسَى ما عِشْتُ في الناسِ بعدهُ ولكن إذا ما شِئتُ أَسَعِدَنِي مثلي^(١)

قوله «ما عِشْتُ في الناس» أي مع الناس ومختلطاً بهم، فموضعُ في الناس نَضَبَ على الحال، والكلام جواب لولا، وخبر المبتدأ الذي هو الأَسَى محذوفٌ استغني عنه بجواب لولا، والمعنى: لولا أنَّ لي بالناس أسوةً في مصائبهم، فأورثني ذاك تماسكاً وَصَبْرًا، لقتلت نفسي فلم أعِش ساعةً من عمري، ولكن متى شئتُ وجدتُ لنفسي أقراناً إن دَعَوْهُمْ أجابوني، وإن استسعدتهم أَسَعِدُونِي. والإسعادُ، قال الخليل: يُستعمل في المساعدة على البكاء خاصَّةً، ومثله: [الوافر]

ولولا كثرة الباكِين حَوَّلِي على إخوانهم لقتلتُ نَفْسِي^(٢)

٢٨٧ - وقال أيضًا^(٣): [الطويل]

١ - أَعْرُ كِمِصْبَاحِ الدُّجْنَةِ يَنْتَقِي قَدَى الزَّادِ حَتَّى يُسْتَفَادَ أَطَايِبُهُ^(٤)

الدُّجْنَةُ: الظُّلْمَةُ؛ وَلَيْلَةٌ مِذْجَانٌ. والدُّجْنُ: إلباس الغيم؛ ويقال: هو يَوْمٌ دَجِنَ. وأراد بقوله «أَعْرُ» إنه كَرِيمٌ نَقِيُّ العَرَضِ أبيضُ الطَّلْعَةِ، فكأنَّه في تَلَأُؤِهِ ونُورِ وجهه وتهلُّله مصباحُ الظَّلامِ. ومعنى «يَنْتَقِي الزَّادُ» أنه يزهد في خبائث الزَّادِ وما يشين أخْذَهُ وَتَطْعُمَهُ، إلى أن يستفيد الطَّيِّباتِ منه. وَيُشِيرُ بِقَدَى الزَّادِ إلى ما يُفِيءُ عليه عَدْرٌ أو غُلُولٌ، أو مَخَانَةٌ^(٥) أو ابتذالٌ. وَيُشِيرُ بِالطَّيِّبِ إلى ما كان من جِلِّهِ ووجهه، لا عَارَ في اكتسابه، ولا بِذَلَّةٍ في احتجانه^(٦). وبعض الناس رَوَى: «قَدَى الزَّادِ»، والقَدَى:

(١) التبريزي: «في الناس ساعةً» و«جوابني مثلي».

(٢) للخنساء في ديوانها ٥٠.

(٣) التبريزي: «والمراثي» مالك بن حَرْي أخو نهشل، ويكنى أبا ماجد، قُتِلَ بَصْفَيْنِ مع عليٍّ عليه السلام وكان شجاعاً. فلا بدَّ أن يعود إلى نهشل بن حَرْي. ونهشل شاعر مخضرم بقي إلى أيام معاوية. ترجمته في الأغاني ٤: ٣٥ و ٩: ٣٠٩، دار الكتب العلمية.

(٤) التبريزي: «حتى تستفاد». (٥) المخانة: الخيانة.

(٦) الاحتجان: الجمع والاكتساب.

الرائحة الطيبة، يقال: قَذَرَ قَدِيَّةً، إذا كانت طيبة الرائحة. كأن المراد عنده: لا يتشمَّم الزاد ورائحته حتى يتيقَّنه طيبًا. والأوَّل الأصحُّ والأجود، وذاك أنه أراد بالقَدَى الخبيث، وقد طابَقَ الطَّيِّبُ به، كما قال الآخر: [الطويل]

وما كان زادي بالخبيث كما زَعَمُ^(١)

وذكر القَدَى مستبعدًا ههنا، ولا فائدة في إبقائه له، ويغلبُ في ظنِّي أنه تصحيف.

٢ - وَمَوْنٌ وَجِدِي مِنْ خَلِيلِي أَنِّي إِذَا شِيتُ لَأَقِيْتُ أَمْرًا مَاتَ صَاحِبُهُ

٣ - أَخْ مَا جِدْتُ لَمْ يُخْزِنِي يَوْمَ مَشْهَدٍ كَمَا سَيْفُ عَمْرٍو لَمْ تُخْنَهُ مُضَارِبُهُ

يقول: خَفَّفَ وجدي بخليلي لما أصِبتُ به اتِّسائي بغيري من النَّاسِ، لأنِّي متى شئت لَأَقِيْتُ مَنْ امْتَحَنَ بِمِثْلِ مِحتَتِي. ثم قال «أَخْ مَا جِدْتُ» أي خليلي وصاحبي أَخْ ماجد، لم يُهَيِّ يومَ حَفَلٍ ولم يَخْذُلْنِي عند احتشادٍ وَجَمْعٍ، ولا جَلَبَ عَلَيَّ في مَشْهَدٍ من المشاهد ما أَسْتَحْيِي منه أو أَخْزَى له، بل كان لي عندما أَدْعُوهُ له مُجِيبًا، وفي الشَّدَائِدِ عَوْنًا وظَهِيرًا، لا يَتَغَيَّبُ عَنِّي ولا يَفْتَرُ معي، كَصُنْمَصَامَةِ عَمْرٍو^(٢)، له نَفَاذٌ حيث أَعْمَلُهُ، ومضَاءٌ عندما يَهْزُهُ، لا يَخُونُ ولا يَرْتَدُّ، فكَذَلِكَ كان صاحبي. وارتَفَعَ قوله أَخْ مَا جِدْتُ على أَنَّهُ خَبَّرَ مبتدأ مضمَرٍ. وقوله «كَمَا سَيْفُ عَمْرٍو» لو رُوِيَ «كَمَا سَيْفُ عَمْرٍو» لجاز، تَجَعَّلُ ما صَلَّةٌ وينجزُ السَّيْفُ بالكاف. ومثله قوله: [الطويل]

كَمَا الْعَظْمُ الْكَسْبِرُ يُهَاضُ حَتَّى يَبِثَّ وَإِنَّمَا بَدَأَ انْصِدَاعًا^(٣)

تَجَرُّ الْعَظْمُ بالكاف، وإن رَفَعْتَهُ كان مبتدأ، وكذلك إذا رَفَعْتَ سَيْفُ، ويكون ما من قَوْلِهِ ما الكافَّة، ويكون مثل ما من قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿رُبَيْكَ يَوْمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ [الحجر: ٢]. والضمير من قوله «لَمْ يَخْنَهُ» يرجع إلى عَمْرٍو، ويجوز أن يرجع إلى السيف أيضًا.

(١) لراشد بن شهاب الشكري في المفضلية (٨٦)، وصدرة:

«ولكن أنباء أتتني عن امرئ»

(٢) التبريزي: «وكان سيف عمرو لا ينبو، فاستوَّبه عمر بن الخطاب فوهبه له، فقبل لعمر: إنه غيره وإنه صَنَّ بالصمصامة، فذكر عمر ذلك، فغضب عمرو بن معديكرب وقال: هاته، فأخذه ودخل دار إيل الصدقة فضرب عنق بعير بضربة واحدة فأبانها، وقال: إنما أعطيتك السيف لا الساعد».

(٣) للقطامي في ديوانه ص ٣٧.

٢٨٨ - وقال أسود بن زَمَعَةَ^(١): [الوافر]

- ١ - أَتَبْكِي أَنْ يَضِلَّ لَهَا بَعِيرٌ ويمنمها من النوم السهود
 ٢ - فَلَا تَبْكِي عَلَى بَكْرِ وَلَكِنْ على بذر تقاصرت الجدود
 ٣ - أَلَا قَدْ سَادَ بَغْدَهُمْ رِجَالٌ ولولا يؤم بذر لم يسودوا

كان السبب في قول الأسود هذا الشعر أن قريشاً كانت حرمت البكاء على أنفسهم لقتلى بدر، لئلا يشمت النبي ﷺ وأصحابه بهم، وكان الأسود قد فجع بابنه زَمَعَةَ، إذ كان من قتلى ذلك اليوم، فافتدى بالناس في ترك البكاء عليه، فاتفق أن كانت له مشربة^(٢) فنتزه ومضى إليها فسمع بكاء امرأة فقال لأصحابه: انظروا فإن كان البكاء قد حُلِّلَ، حتى نبكي نحن أيضاً زَمَعَةَ، فَرَجَعَ إليه وقيل: إنه بكاء امرأة ضلَّ لها بعير. فقال هذا الشعر مُتَكِرّاً لبكائها ومستعظماً.

وقوله «أَتَبْكِي أَنْ يَضِلَّ» لفظه لفظ الاستفهام، والمعنى معنى الإنكار. وقوله أَنْ يَضِلَّ: أراد مِنْ أَنْ يَضِلَّ، وهم يحذفون حرف الجرِّ مِنْ أن كثيراً. والسهود: امتناع النوم؛ وَرَجُلٌ مُسَهَّدٌ، إذا كان قليل النوم. ولم يرض بأن أنكر البكاء عليها، وترك النوم لفقدان بعيرها، حتى نهاها فقال:

فَلَا تَبْكِي عَلَى بَكْرِ وَلَكِنْ على بذر تقاصرت الجدود

يريد أن الذي يجب البكاء له ما جرى على رؤساء قريش وأرباب الجدود فيهم ببذر، وأن الحيف العظيم والخسران المبين والغبن الشديد في ذلك، لا في ضلال بكر. وبذر: اسم يثر اتفقت الوقعة عندها. وقوله «تقاصرت الجدود» من فصيح الكلام، وهو تفاعل من القصور والعجز، لا القصر الذي هو ضد الطول، كأنها تبارت في القصور، يدلُّ على ذلك أنه يُقَالُ قَصُرْتُ كذا على كذا، إذا حَبَسْتَهُ عليه ومنعته من الذهاب عنه حتى صار كالعاجز عن غيره. ويقال أيضاً قَصَرْتُهُ على كذا، إذا رَدَدْتُهُ دون ما أراد. ومنه القصر في الصلاة. ويقال تقاصرت إلى فلان نفسه ذلاً. وقصر السهم عن الهدف فهو قاصِرٌ. ولا يمتنع - وإن كان الأول هو الوجه - أن يجعل من

(١) التبريزي: «وقال الأسود بن زمعة بن المطلب بن نوفل، يرثي ابنه زمعة بن الأسود وقتل يوم بدر مع قريش مشركاً». وهو الذي قال فيه الرسول ﷺ: «اللهم أعمِّ بصره وأكمله ولده» السيرة ٢٧٢. والصواب في ابن زمعة أبو زمعة فزعة ولده.

(٢) المشربة: أرض لينة لا يزال فيها نبت أخضر ريان.

الْقَصْر، وَيَكُونُ ضِدًّا تَطَاوَلَتْ، وَيَكُونُ عَلَى مَوْضِعًا مَوْضِعَ الْبَاءِ، كَمَا يَقَالُ: هُمْ عَلَى مَاءٍ كَذَا وَهُمْ بِمَاءٍ كَذَا.

وقوله «أَلَا قَدْ سَادَ بَغْدَهُمْ رِجَالٌ» يريدُ أَنَّ أَهْلَ السِّيَادَةِ انْقَرَضُوا وَبَادُوا فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، فَعَادَتْ إِلَى مَنْ لَا يَسْتَحِقُّهَا وَلَمْ يَكُنْ لَهَا بِأَهْلٍ^(١). ومثل هذا وإن كَانَ أَغْمَضَ مِنْهُ قَوْلُ الْآخَرِ: [الوافر]

وَأَلَحَقْنَا الْمَوَالِي بِالصَّمِيمِ

٢٨٩ - وقال الأسدي وخبره في مُتَادَمَتِهِ

معروف^(٢):

[الطويل]

١ - خَلِيلِي هُبَا طَالَ مَا قَدْ رَقَدْتُمَا أَجِدُكُمَا لَا تَقْضِيَانِ كَرَاكُمَا^(٣)

قوله «طال ما» يجوز أن يكون ما الكافة وقد رُكِبَ مع طال تركيبيًا واحدًا حتى صارًا معًا كالشيء الواحد. ويجوز أن يكون ما منفصلًا من طال، ويكون مع الفعل الذي بعده في تقدير المصدر، كأنه قال: طال رَقُودُكُمَا. فإذا كُتِبَ الْمُرْكَبُ مع ما يجب أن يُوصَلَ أحدهما بالآخر، وإذا كُتِبَ الثاني يُفْصَلُ بين طال وبين ما. و«أجدُكُمَا» انتصب على المصدر، ذكره سيبويه في باب ما ينتصب من المصادر توكيدًا لما قبله^(٤). قال: ومثله في الاستفهام: أَجِدُكَ لَا تَفْعَلْ كَذَا، كأنه قال أَجِدًا. غيرَ أَنَّهُ لَا يُسْتَعْمَلُ إِلَّا مُضَافًا، فهو يجري في التأكيد مَجْرَى حَقًّا. وفي الإضافة: جَهْدُكَ، وَمَعَادُ اللَّهِ، والمعنى: أتجعلانِ فِعْلُكُمَا جِدًّا. وقوله «لا تقضيانِ كَرَاكُمَا» كأنه لما اتَّصَلَ رِقَادُهُمَا ودلَّ على حالِيهما في امتداده قَوْلُهُ هُبَا، وقوله طَالَمَا قد رَقَدْتُمَا، جَعَلَ التَّفْيُّ بَلَا، ليدلَّ على اتِّصَالِهِ فِي الاستقبال، وَأَنَّ سَوَالَهُ عَمَّا يَجِيءُ لَا عَمَّا هُوَ فِيهِ. وَلَوْ جُعِلَ بَدَلُ «لا» مَا، كَانَ لِلْحَالِ. ومعنى البيت: يا خليلي انتبها فقد امتدَّ رِقَادُكُمَا.

(١) التبريزي: «يُعرض بأبي سفيان بن حرب، لأنه رأس قريشًا لما قُتِلَ أشرافهم».

(٢) التبريزي: «وذكروا أن رجلين من بني أسد خرجا إلى أصبهان فأخيا دهقانًا بها في موضع يقال له راوند، فمات أحدهما، وغير الآخر والدهقان ينادمان قبره: يشربان كأسين ويصبان على قبره كأسًا، فمات الدهقان، فكان الأسدي ينادم قبريهما ويترنم بهذا الشعر، وكان يشرب قدحًا ويصب على قبريهما قدحين».

(٣) روى ياقوت في معجم البلدان ٣: ٢٠ القصة والشعر، وقال: «قال بعضهم: إن هذا الشعر لقس بن ساعدة الإيادي، وقال آخرون: هذا الشعر لنصر بن غالب يرثي أوس بن خالد وأنيسا».

(٤) انظر الكتاب ١: ١٨٩.

وَأَتَجِدَانِ جِدْكَمَا فِي أَنْ كَرَاكُمَا بَعْدَ لَا مُنْتَهَى لَهُ وَلَا انْقِضَاءَ، بَلْ يَتَّصِلُ وَيَدُومُ. وقوله «طالما قد رقدتما» يُكْتَفَى به إذا كان المتقدم من الكلام يشتمل على ما قد استُطِيلَ. وعلى ذلك عَزَّ مَا، وَشَدَّ مَا.

٢ - أَلَمْ تَعْلَمَا مَا لِي بِرَاوَنْدٍ كُلَّهَا وَلَا بِخُرَاقٍ مِنْ صَدِيقٍ سِوَاكُمَا^(١)

قوله «ألم» هو لم أدخل عليه ألف الاستفهام، والاستفهام كالتنفي في أنه غير موجب، ونفي التنفي إيجاب، لذلك قُرِّرَ بِالْأَمِّ فيما كان واجبا وإقعا، لأنه يتضمَّن من التحقيق والتثبیت في التقرير، وتأكيد المُقَرَّر على المُخَاطَب، مثل ما يتضمَّنهُ الْقَسَمُ لو آتِي به بدله؛ لذلك عَقِبَهُ بما يُعَقَّبُ به القسم، وهو ما الثَّابِتة. وقد تَقَدَّمَ القولُ في قول القائل: الله يَعْلمُ وَيَعْلَمُ الله، والله يَشْهَدُ؛ أَنَّ جَمِيعَ ذلك يُسْتَعْمَلُ استعمالَ الأيمان. وكذلك قول القائل: [الكامل]

ولقد علمتُ لتأتينَ مَنيَّةً ما بَعْدَهَا خَوْفٌ عَلَيَّ وَلَا عَدَمٌ^(٢)

فقوله «ولقد علمتُ» جارٍ مجرى اليمين فيما ذكرْتُ من التأكيد، لولا ذلك لما عُقِبَ بما يكونُ جوابَ اليمين. وقوله «ألم تعلمَا» أصله تَعْلَمَانِ، ودخلت أَلَمُ للتقرير. وقوله «ما لي براوند» في موضع المفعول لتَعْلَمَانِ، لأن تَعْلَمَ ههنا في موضع آتِعرِف، كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ﴾ [البقرة: الآية ٦٥]، وكذلك: لقد عَلِمْتُ لتأتينَ، أصله لتأتينَ ودخلت عَلِمْتُ لِيُوكِّدَ بها، لأنك أخرجت الكلامَ بها من أن يكونَ على سبيلِ التظنِّي أو من خَبَرٍ مُخْبِرٍ فيكونُ إحالةً عليه. واللام من «لتأتينَ» له الصدر، فيمَنعَ علمت من العمل، وإذا كان كذلك كان موضع لتأتينَ نَضْبًا على أَنَّهُ مفعول عَلِمْتُ، وَعَلِمْتُ بمعنى عَرَفْتُ. وقوله «من صديق» في موضع الرِّفْع على أن يكون اسم ما. وفائدة من الاستغراق، و«سواكما» في موضع غير، وهو صفة لصديق. والكلام هو استبطاء في استمرار رُقَادِهِمَا عنه، وغفلتُهما مما هو بسبيله، وباطنه تَلَهُّفٌ وتَوَجُّعٌ.

٣ - أَقِيمْ عَلَى قَبْرِيكُمَا لِسْتُ بَارِحًا طَوَالَ اللَّيَالِي أَوْ يُجِيبُ صَدَاكُمَا

٤ - أَصُبْ عَلَى قَبْرِيكُمَا مِنْ مُدَامَةٍ فَإِنْ لَمْ تَذُوقَاهَا أَبْلُ ثَرَاكُمَا^(٣)

(١) التبريزي: «من حبيب سواكما».

(٢) لعامر بن حوط في تاج العروس (عدم).

(٣) التبريزي: «فإلا تنالها تَرَوُ جُثَاكُمَا» وقال: «الجثا: جمع جثوة: وهو التراب المجتمع، ويقال

للغبر جثوة». وترتيب هذا البيت الثالث عنده.

يقول: أَصِلْ مُقَامِي عَلَى قَبْرَيْكُمَا بِاتِّصَالِ اللَّيَالِي وَدَوَامِهَا، وَلَا أَبْرَحْ إِلَّا أَنْ يَجِيبَنِي صَدَاكُمَا. وقوله «لست بَارِحًا» في موضع الحال، كأنه أراد: أَقِيمْ مُلَازِمًا أَبَدًا. وَطَوَالَ انْتِصَبِ عَلَى الظَّرْفِ، والعامل فيه يجوز أن يكون بَارِحًا، ويجوز أن يكون أَقِيمْ. فَأَمَّا قَوْلُهُ «أَوْ يُجِيبُ» فَأَوْ بَدَلٌ مِنْ إِلَى، والفعل بعده انتصب بأنْ مُضَمَّرَةٌ. والعربُ تقول: عَظَامُ الْمَوْتَى تَصِيرُ أَصْدَاءَ وَهَامًا، لذلك قال: أَوْ يَجِيبُ صَدَاكُمَا.

وقوله «أَصُبْ عَلَى قَبْرَيْكُمَا مِنْ مُدَامَةٍ» مِنْ أَفَادِ التَّبْعِيضِ، وموضع من مُدَامَةٍ نَصَبٌ عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولُ أَصَبْ، والمعنى أَجْرِيكُمَا فِي الْمُنَادِمَةِ وَالشَّرْبِ مَجْرَأُكُمَا وَأَنْتُمَا حَيَّانَ، فإذا عَادَتِ الثَّوْبَةُ إِلَيْكُمَا أَصَبْ مَا نَابَكُمَا مِنَ الْمُدَامَةِ عَلَى قَبْرَيْكُمَا، لِأَنَّهُ إِنْ لَمْ يَلَّ رَيْقُكُمَا رَطْبُ قَبْرَيْكُمَا. وقوله «أَبُلْ» يجوز أن تَبْنِيَهُ عَلَى الْفَتْحِ وَالضَّمِّ وَالْكَسْرِ، لِأَنَّكَ تُدْغِمُ وَإِنْ كَانَ مُغْرَبًا، فَيَلْتَقِي بِنَقْلِ الْحَرَكَةِ عَنِ الْعَيْنِ إِلَى الْفَاءِ سَاكِنَانِ، ثُمَّ يُبْنَى عَلَى الْكَسْرِ لِأَنَّهُ أَصْلٌ فِي التَّقَاءِ السَّاكِنَيْنِ، أَوْ عَلَى الْفَتْحِ لَخَفَّتِهِ، أَوْ عَلَى الضَّمِّ لِلِإِتْبَاعِ. وَلَا خِلَافَ فِي إِدْغَامِ الْمَغْرَبِ مِنْ كُلِّ الْعَرَبِ، فَأَمَّا الْمَبْنِيُّ فَبَعْضُ يُظْهِرُ التَّضْعِيفَ فِيهِ فَيَقُولُ: أَزْدَدُ، وَبَعْضُ يَقُولُ رُدُّ فَيُدْغِمُ وَإِنْ كَانَ مَبْنِيًّا، إِلَّا أَنَّ الْأَصْلَ فِي الْإِدْغَامِ لِلْمَعْرَبِ، ثُمَّ حِيلَ الْمَبْنِيُّ عَلَيْهِ فَاعْلَمَهُ.

هـ - وَأَبْكِيكُمَا حَتَّى الْمَمَاتِ وَمَا الَّذِي يَرُدُّ عَلَى ذِي عَوَلَةٍ أَنْ بَكَاكُمَا

قَوْلُهُ «وَمَا الَّذِي يَرُدُّ عَلَى ذِي عَوَلَةٍ» يَجْرِي مَجْرَى الِاتِّفَاتِ. وقوله «إِنْ بَكَاكُمَا» إِذَا فَتَحَتْ الْهَمْزَةُ يَكُونُ مَوْضِعُهُ مِنَ الْإِعْرَابِ الرِّفْعِ عَلَى أَنْ يَكُونَ فَاعِلٌ يَرُدُّ، لِأَنَّ أَنْ مَعَ الْفِعْلِ فِي تَقْدِيرِ الْمَضْدَرِ، وَإِنْ رَوَيْتَ إِنْ بِكَسْرِ الْهَمْزَةِ كَانَ شَرْطًا وَجَوَابَهُ يَدُلُّ عَلَيْهِ مَا تَقَدَّمَ، وَفَاعِلٌ يَرُدُّ مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ أَبْكِيكُمَا مِنْ مَصْدَرِهِ، كَأَنَّهُ قَالَ: وَمَا الَّذِي يَرُدُّ الْبَكَاءَ عَلَى ذِي عَوَلَةٍ إِنْ بَكَاكُمَا. عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُمْ: «مَنْ كَذَبَ كَانَ شَرًّا لَهُ، وَمَنْ صَدَقَ كَانَ خَيْرًا لَهُ» يَرِيدُونَ كَانَ الْكَذْبُ شَرًّا لَهُ وَالصَّدَقُ خَيْرًا لَهُ. وَالْمَعْنَى: أَبْكِيكُمَا مَا اتَّصَلَ عَمْرِي. ثُمَّ قَالَ كَالْمَلْتَفَتِ إِلَيْهِمَا عَلَى طَرِيقِ الْيَأْسِ: وَمَا يُغْنِي الْبَكَاءَ عَنِ الْمُغْوِلِ إِنْ بَكَاكُمَا. فَقَوْلُهُ «مَا» اسْتِفْهَامٌ وَمَعْنَاهُ لِلْإِنْكَارِ. وَالْعَوِيلُ: صَوْتُ الصَّدْرِ، وَمِنَ الْعَوَلَةِ، وَقَدْ أَغْوَلَتْ الْمَرْأَةُ.

٢٩٠ - وقال عبد الملك بن عبد الرحيم

الحارثي^(١): [الطويل]

١ - إني لأرباب القبور لقابط
لُسْكُنَى سَعِيدِ بَيْنِ أَهْلِ الْمَقَابِرِ
٢ - وإني لمفجوع به إذ تكاثرت
عُدَاتِي وَلَمْ أَهْتَفِ سِوَاهُ بَنَاصِرِ
قوله «سُكُنَى» أن تُسْكِنَ إنسانًا منزلًا بلا كِراء، والمنزل سَكَنَ وَمَسْكَنٌ؛ وهو مصدر كَعُذِرَى وَبُشْرَى. ومعنى البيت: إني أغبط الموتى لحصول سَعِيدٍ فيما بينهم، فإنَّ الجمال الذي كَانَ لِلأَحْيَاءِ بِمُقَامِهِ فِيهِمْ كَأَنَّهُ انْتَقَلَ إِلَى الْأَمْوَاتِ عَنْهُمْ؛ وَإِنِّي لَمَتَّبِيْنُ تَأْثِيرَ الْفَجْعِ بِهِ. وَشِدَّةَ فَاقَتِي إِلَيْهِ، إِذَا تَزَاخَمَ الْأَعْدَاءُ وَتِبَالَعُوا فِي قَضْدِي، وَلَا يَكُونُ لِي مِنْ أَسْتَنْصِرِهِ عَلَيْهِمْ غَيْرُهُ. وقوله «سِوَاهُ» في موضع التَّصْبِ عَلَى أَنَّهُ اسْتِثْنَاءٌ مُقَدَّمٌ. وَيُقَالُ: هَتَفَ هَتَفًا وَهَتَافًا. وَالْهَتَفُ: الصَّوْتُ الشَّدِيدُ، وَقَوْسٌ هَتَفَى، وَالْحِمَامُ تَهْتَفُ. وَهَتَفَ بِهِ وَصَاحَ بِهِ، إِذَا دَعَاهُ.

٣ - فَكُنْتُ كَمَغْلُوبٍ عَلَى نَضْلِ سَيْفِهِ
وَقَدْ خَزَّ فِيهِ نَضْلُ حِرَّانٍ ثَائِرِ
التَّضَلُّ: اسْمُ حَدِيدَةِ السَّيْفِ، لِذَلِكَ صَلَحَ إِضَافَتُهُ إِلَى سَيْفِهِ وَإِنْ كَانَ قَدْ يُسْتَعْمَلُ اسْتِعْمَالُ السَّيْفِ. أَلَا تَرَى أَنَّهُ قَالَ: وَقَدْ خَزَّ فِيهِ نَضْلُ حِرَّانٍ. يَقُولُ: كَانَ عُدْنِي عَلَى الدَّهْرِ وَسِلَاحِي عَلَى أَعْدَائِي، فَلَمَّا فَقَدْتُهُ وَالْأَعْدَاءُ بِالْمُرْصَادِ لِي، صِرْتُ كَأَنَّ غُلِبَ عَلَى سَيْفِهِ وَسَيْفُ عَدُوِّهِ قَدْ خَرَجَ عَلَيْهِ كَطَالِبٍ ثَائِرٍ وَكَبَدَهُ حَرَّى، لَشِدَّةِ عِدَاوَتِهِ وَاسْتِحْكَامِ غِيْظِهِ يَعْمَلُ فِيهِ، وَيَنْفُذُ فِي الضَّرْبِ مِنْهُ، وَالْمُرَادُ: كُنْتُ كَمَنْ غُلِبَ عَلَى عُدَّتِهِ أَشَدَّ مَا كَانَ حَاجَةً إِلَيْهَا، وَحِينَ تَمَكَّنَ الْعَدُوُّ وَهُوَ تَامٌ الْآلَةُ، مَكِينُ الْقُوَى فِي الْمَنَازِلَةِ.

٤ - أَتَيْنَاهُ زُورًا فَاْمَجَدْنَا قِرَى
مِنَ الْبَثِّ وَالِدَاءِ الدَّخِيلِ الْمُخَايِرِ
٥ - وَأُبْنَأُ بِزَرْعٍ قَدْ نَمَا فِي صَدُورِنَا
مِنَ الْوَجْدِ يُسْقَى بِالْدُمُوعِ الْبَوَادِرِ

يقول: جِئْنَاهُ زَائِرِينَ فَوَسَّعَ قِرَانًا مِنَ الْحُزْنِ وَالِدَاءِ الْمُتَمَكِّنِ مِنَ الْقَلْبِ، الْمُخَايِرِ لَهُ. وَالْمُخَايَرُ مَاخُوذٌ مِنَ الْحَمَرِ، وَهُوَ مَا وَارَاكَ مِنَ الشَّجَرِ وَغَيْرِهِ. وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَهُوَ أَبْلَغُ مِنْ قَوْلِهِ الدَّخِيلِ، لِأَنَّهُ يُفِيدُ فِي الْمَوْصُوفِ فَائِدَةً أَكْثَرَ مِنَ الدُّخُولِ، إِذْ كَانَ

(١) التبريزي: «يكنى أبا الوليد، وهو شامي، كلاعبي، شاعر». قال السمعاني في الأنساب: «هذه النسبة إلى قبيلة يقال لها كلاع نزلت الشام، وأكثرهم من حمص».

المراد به ديبية في أثناء القلب وأطباقي، ودَهاَبه في أجزائه وأضعافه، وليس في الدَّخيل هذا المعنى. ويقال أَمْجَدْتُ الدَّابَّةَ الْعَلَفَ، إذا أَكثَرَتْ له.

وقوله «وأبنا بزرج قد نما في صدورنا» تَبَّ بهذا الكلام على أَنَّ حُرْزَه يزيد على مَرِّ الأيام، فهو كالزُّرْعِ النامي، وأنَّ سُقْيَاهُ الدُّمُوع. ومعنى البوادر المُسْتَبَقَةُ لكثرتها وَعَلَبَتَهَا. وأصل الزُّرْعِ الإنبات. والزُّرْعَةُ: البَذْر. لذلك قال الله عز وجل: ﴿هَـأَنَتَّ تَرْزَعُونَهُ أََمْ نَحْنُ الزَّرْعُونَ﴾ [الواقعة: الآية ٦٤]. وازدرع، إذا زَرَعَ أو أَمَرَ به لنفسه خاصة. ويقال: زُرْع لفلانٍ بعدَ شَقَاءٍ، إذا أَصَابَ مَالًا بعد الحاجة. فإن قيل: كيف قال «أَمْجَدْنَا قَرَى» والمَيْثُ لا يعمل شيئًا؟ قلت: لَمَّا جعله مَزُورًا أَقام له قَرَى لَزائِرِه على عادته وهو حي. وهذا المعنى من كلامه أَبَيْنُ وأظهر من كلام عَبْدَةَ بنِ الطَّبِيبِ لَمَّا قال: [الطويل]

إذا زارَ عن شَخْطٍ بِلَادَكَ سَلَمًا^(١)

٦ - وَلَمَّا حَضَرْنَا لاقْتِسَامِ ثَرَائِهِ أَصَبْنَا عَظِيمَاتِ اللّٰهِي وَالْمَآئِرِ

٧ - وَأَسْمَعْنَا بِالضُّمِّ رَجَعَ جَوَابِهِ فَأَبْلَغَ بِهِ مِنْ نَاطِقٍ لَمْ يُحَاوِرِ

اللّٰهِي: أَفْضَلُ العطايا وأجزُلُها، والواحدة لُهيَّةٌ وَلُهوَةٌ؛ ومنه اللّٰهوَةُ التي تُلْقَى في الرّحَى. يقول: لَمَّا اجْتَمَعْنَا لِنَقْتَسِمَ تَرِكَتَهُ فيما بيننا لم نَجِدْ له إِلَّا ما كَسَبَهُ عطاياه من المآثر الكريمة. فأضاف عظيمات إلى اللّٰهِي والمآثر جميعًا، وهي جمع مأثرة، وهي ما يُؤثر من المحامد والمعالي ويُذَكَّر. ويجوز أن يُريد بالعظيمات المفاخر التي ادَّخَرَهَا له اللّٰهِي، ويكون اللّٰهِي حينئذٍ الأموال الكثيرة. ويجوز أن يكون المراد بالمآثر الأَعْلَاقُ الثمينة، والنَّفائِسُ الكريمة، التي فَرَّقَهَا في حَيَاتِهِ، وأثر غَيْرَه بها. وقوله «وَأَسْمَعْنَا بِالضُّمِّ رَجَعَ جَوَابِهِ» أي مَزْجُوع جَوَابِهِ، كما قال غَيْرُهُ: «اسألِ الأَرْضَ، أَيْنَ مِنْ شَقِّ أَنْهَارِكَ، وَغَرَسَ أَشْجَارِكَ، وَجَنَى ثِمَارِكَ؛ فَإِنْ لَمْ تُجِبْكَ جَوَارًا أَجَابَتَكَ عَتَبَارًا»^(٢)؛ وكما قال الآخر: [مجزوء الكامل]

وَعَظَّمَكَ أَجْدَاتُ ضُمْتُ^(٣)

(١) البيت من الحماسية (٢٦٣) وصدده:

«تحية من غادرت غرض الردي»

(٢) للفضل بن عيسى بن أبان في البيان ١: ٨١، وعيون الأخبار ٢: ١٨٢.

(٣) لأبي العتاهية في ديوانه ٨٨ (دار الكتاب العربي). وصدده:

ومثله: [الوافر]

وكانت في حياتِكَ لي عِظَاتٌ فَأَنْتَ اليَوْمَ أَوْعِظُ مِنْكَ حَيًّا^(١)٢٩١ - وقالت امرأة من بني شيبان^(٢): [الوافر]

١ - وقالوا ماجِدًا مِنْكُمْ قَتَلْنَا كَذَاكَ الرُّمْحُ يَكْلَفُ بِالكَرِيمِ

٢ - بِعَيْنِ أَبَاغٍ قَاسَمْنَا الْمَنَايَا فَكَانَ قَسِيمُهَا خَيْرَ الْقَسِيمِ

انتَصَبَ «ماجِدًا» على معنى أنه مفعول مُقَدَّم، ومنكم في موضع الصِّفَةِ له.
وموضع ماجِدًا منكم قَتَلْنَا الجملة موضع المفعول لقوله قالوا. وقوله «كَذَاكَ الرُّمْحُ»
جوابٌ لهذا الابتداء، كأنه قال: فأجيبوا: الرُّمْحُ يَكْلَفُ بِالكَرِيمِ كذلك، فأشير بذلك
إلى الخبر الذي اقتضوه. والكاف من كَذَاكَ كاف الخطاب لا موضع له من الإعراب.
وتلخيص الكلام: الرُّمْحُ يَكْلَفُ بِالكَرَامِ كَلَفًا مِثْلَ ذَلِكَ الكلف. والعامل في كَذَاكَ
يَكْلَفُ. والمعنى: تَنَادَوْا: قَتَلْنَا مَا جِدًا مِنْكُمْ؛ فأجيبوا: الرُّمْحُ يَعْشُقُ الْكَرَامَ وَيُولَعُ بِهِمْ
مِثْلَ ذَلِكَ. وأكثر ما يجيء الجواب في إثر السؤال من واحد في القرآن، كقوله تعالى:
﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر: الآية ١٦]. وقد أَلَمَّ في هذا البيت بقول
طرفة: [الطويل]

أَرَى الْمَوْتَ يَغْتَامُ الْكَرَامَ وَيَصْطَفِي عَقِيلَةَ مَالِ الْفَاحِشِ الْمُتَشَدِّدِ^(٣)

وقوله «بِعَيْنِ أَبَاغٍ قَاسَمْنَا الْمَنَايَا» مثله قول الآخر: [الطويل]

وَقَاسَمَنِي ذَهْرِي بَنِيَّ بِشَطْرِهِ

كأنه كَانَ لِلْمَنَايَا نصيبٌ فيهم فقاَسَمَتهم على نصيبها فَوَقَعَ إليها خَيْرُ النَّصِيبِينَ.
والمعنى: اختارَتْ منهم الْأَمَثَلَ فالأَمَثِلَ، وَعَادَرَتِ الْقَلَّ منهم والمُسْتَرْدَل. وقوله قَسِيمٌ

= «وَنِعْمَتِكَ أَزْمَنَةُ خُفَّتْ»

(١) لأبي العتاهية في ديوانه ٤٤٢ (دار الكتاب العربي).

(٢) التبريزي: «هذا الشعر لبنت فروة بن مسعود ترثي فروة وقيسا ابني مسعود بن عامر بن عمر بن
أبي ربيعة وقتلا مع المنذر ذي القرنين يوم عين أباغ يوم قتل المنذر، وكان الذي قتل المنذر
شمر بن عمرو الحنفي، وكان مع الحارث بن أبي شمر الغساني وهو المنذر بن امرئ القيس
وأمه ماء السماء النمرية. وهو يوم يقول المنذر: كريماً وافى مصرعه».

(٣) لطرفة في ديوانه ٣٤، واللسان (شدد، فحش، عيم).

يكون في معنى مقسوم، وقد يكون القسيمُ المُقاسِم، وليس هذا موضعه. ولك أن تزوي «قاسمنا المنايا» بسكون الميم، ويكون المنايا في موضع المفعول، ولك أن تفتح الميم وتجعل المنايا فاعلة؛ والمعنى فيهما مُتقارب. وكانت الوقعة بعين أباغ، فلذلك خَصَّه بالذكر، وقاسم يقتضي مفعولاً آخر، كأنه قال: قاسمنا المنايا الناس أو الأصحاب. وقوله «قسيمها». كقولك نصيبها. وخير القسيم كقولك خير الأنصبا. وأنشد ابن الأعرابي في هذه الطريقة: [الطويل]

إذا ما المنايا قاسمت بابينٍ مسحلٍ أخا واحدٍ لم يرضَ نصفًا قسيمها
فآب بلا قسم وآبت بقسيمها إلى قسمٍ لاقت قسيمًا يصميمها

كأنه كان للمنايا نصيب في أخيه، فقاسمته وأخذت نصيبه إلى نصيبها، وآب هو بلا نصيب. ثم دعا على المنيّة فقال: قَيَّضَ الله لها قسيمًا يظلمها كما ظلمتني.

٢٩٢ - وقال عُتَيِّ بْنُ مَالِك^(١): [الطويل]

١ - أعداء من ليغملات على الوجى وأضياف ليل بيثوا لثزول
٢ - أعداء ما للقيش بندق لذة ولا لخليل بهجة بخليل
٣ - أعداء ما وجدي عليك بهين ولا الصبر إن أعطيته بجميل
ناداه مسألاً له على طريق التوجع: من خلقت بعدك للوراد، وعلى من اعتمدت في تفقد الأضياف. واليغملات: الثوق السراع. والوجى هو الحقى. وقال الخليل: اليغملة لا يوصف بها لا الثوق. وقال أبو سعيد: يقال للجمل يعمل، اسم له من العمل، كما يقال يغملة، وأنشد: [البسيط]

إذ لا أزال على اقتاد ناجية صهباء يغمله أو يعمل جمل^(٢)

أراد أو جمل يعمل. وموضع «على الوجى» نضب على الحال، كأن فتاه وداره كان مألفاً للغفاة ومجمعا للأضياف، فإذا أرادوا من يؤويهم لم يؤثروا تطلبا على قصده، ولم يجدوا تطلقا وتوفرا إلا من عنده، فقال على طريق التحسر: من يؤوي الأضياف وقد بهرهم السعي وأتبعهم الطلب غيرك، ومن ينزل السفر وقد أكلهم التعب

(١) التبريزي: «العقلي».

(٢) بلا نسبة في تاج العروس (عمل)، والتبريزي ١: ٥٦٤.

وَأَمْلَهُمُ الذَّأْبُ حَتَّى حَفِيَتْ رَوَاحِلُهُمْ، وَحَتَّى بَيَّثُوا لِنَزُولٍ، مَيْلًا إِلَى نَيْلِ رَاحَتِهِمْ. وَيُقَالُ بَيَّثَ الْأَمْرَ، إِذَا دَبَّرَهُ بِاللَّيْلِ. وَكُلُّ رَأْيٍ أَجَلْتُهُ بَلِيلٌ فَهُوَ مُبَيَّثٌ. وَمَاءٌ بَيُّوثٌ، إِذَا بَاتَ لَيْلَةً فِي الْإِنَاءِ. وَبَيَّثَ الْقَوْمَ، إِذَا أَوْقَعَتْ بِهِمْ لَيْلًا. وَيُقَالُ لِلْهَمِّ: هُوَ بَيُّوثٌ، وَلِلصَّقِيْعِ بَيُّوثٌ.

وقوله «أَعْدَاءُ مَا لِلْعَيْشِ بَعْدَكَ لَذَّةٌ» يَصِفُهُ فِيهِ بِأَنَّهُ كَانَ بِبَلِيغٍ لُطْفِهِ وَجَمِيلِ خُلُقِهِ، وَسَهُولَةِ جَانِبِهِ وَرَحَابَةِ جَنَابِهِ، يَطِيبُ الْعَيْشَ مَعَهُ عَلَى مَا يَعْتَرِضُ فِيهِ مِنْ مَسَاءَةٍ أَوْ مَسْرَةٍ، إِذْ كَانَ يَتَحَمَّلُ الْأَعْيَاءَ عَمَّنْ يَجَاوِزُهُ، وَيُخَفِّفُ ظَهَرَ مَنْ يَنْصَبُ إِلَيْهِ، أَوْ يَتَسَبَّبُ بِقَرَابَةٍ لَدَيْهِ، أَوْ يَتَوَكَّلُ لِمُخَالَئِهِ عَلَيْهِ، فَكَأَنَّ لَذِيذَ الْحَيَاةِ يَوْجَدُ عِنْدَهُ، وَصَفِيُّ الْبَقَاءِ يَحْصُلُ مَعَهُ. وَقَوْلُهُ «وَلَا لَخَلِيلٍ بِهَجَّةٍ بِخَلِيلٍ» يَعْنِي أَنَّ النَّاسَ وَقَدْ رَأَوْا مَالَ أَمْرِكَ إِلَى الْفَنَاءِ، وَانْقِطَاعَ السُّرُورِ عَنْهُمْ بَعْدَ الثَّمَاءِ، صَارَ لَا يَبْتَهِجُ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ، فَلَا يَسْكُنُ الصَّدِيقُ إِلَى صَدِيقِهِ، وَلَا الْقَرِيبُ مَعَ قَرِيبِهِ، لَغَلَبَةِ الْيَأْسِ مِنَ الْخَيْرِ، وَارْتِفَاعِ الطَّمَعِ مِنَ الْفَرَجِ.

وقوله «أَعْدَاءُ مَا وَجَدِي عَلَيْكَ بِهِيْنِ» كَرَّرَ مُنَادَاتَهُ دِلَالَةً مِنْهُ عَلَى لُزُومِ التَّوَجُّعِ، وَتَنْبِيْهِهَا عَلَى حُصُولِ الْعَنَاءِ وَالِاشْتِكَاءِ بَعْدَ التَّوَدُّعِ. ثُمَّ قَالَ: لَيْسَ جَزْعِي عَلَيْكَ بِخَفِيفٍ، وَلَا وَجْدِي عَلَيْكَ بِطَفِيفٍ، وَلَا صَبْرِي لَوْ حَصَلَ بِجَمِيلٍ، لِأَنَّ الصَّبْرَ عَلَى فَقْدِكَ مِنْكَرٌ، وَهُوَ الْوَجْدُ وَخَفَّتُهُ مُسْتَفْظَعٌ، فَلَيْسَ لَنَا إِلَّا الْإِسْتِمْرَارُ فِيمَا نَحْنُ بِسَبِيلِهِ مِنَ اللَّهْفِ وَالْحَسْرَةِ وَالِاسْتِسْلَامِ لِلشَّقَاءِ وَالْهَلَكَةِ.

٢٩٣ - وَقَالَ أَيْضًا: [الطويل]

- ١ - كَأَنِّي وَالْعَدَاءُ لَمْ نَسِرْ لَيْلَةً وَلَمْ نُزِجْ أَنْضَاءَ لَهْنٍ ذِمِيلُ
- ٢ - وَلَمْ نُلْقِ رَخْلَيْنَا بِبِيدَاءٍ بَلْقَعٍ وَلَمْ نَزِمْ جَوَزَ اللَّيْلِ حَيْثُ يَمِيلُ

أَدْخَلَ الْأَلْفَ وَاللَّامَ فِي هَذِهِ الْمَقْطُوعَةِ عَلَى الْعَدَاءِ لِأَنَّهُ صِفَةٌ فِي الْأَصْلِ، فَهُوَ كَالْحَسَنِ وَالْعَبَّاسِ وَمَا أَشْبَهَهُمَا، فَإِذَا أَتَيْتَ بِهِ وَلَا أَلْفَ وَلَا لَامَ فِيهِ فَلَأَنَّكَ جَعَلْتَهُ عِلْمًا، فَصَارَ مَعْرِفَةً بِالْعِلْمِيَّةِ، وَإِذَا أَدَخَلْتَ الْأَلْفَ وَاللَّامَ عَلَيْهِ فَلَأَنَّكَ رَاعَيْتَ حَالَهُ وَهُوَ صِفَةٌ ثُمَّ جَعَلْتَهَا نَفْسَ الْمُسَمَّى وَأَدَخَلْتَ الْأَلْفَ وَاللَّامَ عَلَيْهِ. فَعَلَى الْأَوَّلِ لَا يَفِيدُ الْأَسْمَ فِي الْمُسَمَّى شَيْئًا أَكْثَرَ مِنْ تَمْيِيزِهِ عَنْ غَيْرِهِ، وَعَلَى الثَّانِي أَفَادَ مَعْنَى الْوَصْفِيَّةِ فِيهِ مَعَ التَّمْيِيزِ، فَصَارَ كَالصِّفَاتِ الْغَالِبَةِ الْجَارِيَةِ مَجْرَى الْأَلْقَابِ فِي التَّخْصِيصِ.

وقوله «كَأَنِّي وَالْعَدَاءُ لَمْ نَسِرْ لَيْلَةً» يريد أن الشيء إذا انقطع فكأنه لم يكن. والمعنى أنني وقد فقدته فكأنني وإياه لم نصطحب في قطع مسافة، ولم نشترك في سوق أنصاء من الإبل لتحمل كلفة، أو صبر على مشقة. ونبه بهذا الكلام على تبدله - كان - فيما يكسبه الأحداث الجميلة، وإن تكلف فيه الأثقال العظيمة. والذميل: إسرار السير. والأنصاء: جمع النضو. وقال الدُرَيْدِي: يقال: دَمَلَتِ الناقةُ دَمِيلًا ودَمَلَانًا، وهو ضربٌ من السير أعلى من العنقي، وناقةٌ دَمُولٌ. والإزجاء: السوق.

وقوله «ولم نلني رَحْلَيْنَا» لو قال رحالنا لكونهما اثنين من اثنين، فجري مثل قوله تعالى: ﴿فَقَدْ صَفَتْ قُلُوبُهُمَا﴾ [التحريم: الآية ٤] كان أَدْخَلَ في الاستعمال، لكثرت أتى به على الأصل. والبيداء: المفازة. والبَلَقْع: الفقر الخالي. والمعنى على ما تقدم في البيت الذي قبله، من الصبر على الشدائد.

وقوله «ولم نَزِمْ جَوْزَ اللَّيْلِ حَيْثُ يَمِيلُ» أراد حيث يميل الليل. وحيث هذا ظرف زمان. يريد فكأننا لم نَزِمْ بأنفسنا جَوْزَ اللَّيْلِ وقت ميله. يشير إلى جُنُوحِهِ وإشرافه على تَهَوُّرِهِ، لأن ميله على ذلك يكون. ومما جاء فيه وهو للزمان دون المكان عند أبي الحسن الأخفش قوله: [المديد]

لَلْفَتَى عَقْلٌ يَعِيشُ بِهِ حَيْثُ تَهْدِي سَاقَهُ قَدَمُهُ^(١)

لأن المعنى: للفتى عقلٌ يعيش به مُدَّةَ سَعِيهِ وحياته؛ وتَهْوِضُهُ بساقه في أمره. ويجوز أن يكون حيث ظرفاً لمكان، ويكون المعنى: إننا نعتسف الطريق فحيث مال الليل ملنا معه. ويجوز أن يكون فاعل يميل ما دلَّ عليه «ولم نَزِمْ» من المصدر، ويكون المعنى حيث يميل الرُّمِّي ويذهب فيه.

٢٩٤ - وقال أبو الحجناء^(٢): [البسيط]

١ - أَضَحَّتْ جِيَادُ ابْنِ قَنْقَاعٍ مُقْسَمَةً فِي الْأَقْرَبِينَ بَلَا مَنْ وَلَا تَمَنِي
٢ - وَرَزَتْهُمْ فَتَسَلُّوا عَنْكَ إِذْ وَرِثُوا وَمَا وَرِثُوكَ غَيْرَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ

(١) لطرفة بن العبد في ديوانه ١٩، وخزانة الأدب ٧: ١٩، واللسان (سوق، هدى).
(٢) أبو الحجناء: هو نُصَيْبُ الْأَصْغَر، مولى المهدي: شاعر مجيد، من الموالي السود من بادية اليمامة، اشتراه المهدي العباسي قبل أن يلي الخلافة وأعتقه (ت نحو ١٧٥ هـ / ٧٩١ م). ترجمته في فوات الوفيات ٢: ٣٠٧، والأغاني ٢٣: ٥، دار الكتب العلمية.

الْقَعْقَاعَ وَالْقَعْقَعَانِيَّ: الذي إذا مَشَى سُمِعَ لمفاصله تَقَعْقَعُ. وأراد بالأقربين وُزَّائِهِ، وبالعِيَادِ خِيَلَهُ. فيقول: أَصَحَّتْ خِيَلُهُ مُفَرَّقَةً فِي وُزَّائِهِ، وَهُمْ لَا يَتَعَدُّونَ لَهُ بِهَا وَلَا يَبْتَاعُونَهَا، فَتَكُونُ لَهُ الِئْمَةُ أَوْ الثَّمَنُ. ثُمَّ قَالَ: وَرَثَتَهُمْ فَتَسُوكَ اشْتَغَالًا بِالْإِرْثِ، وَتَسْلِيًا عَنْكَ بِالْمَالِ، وَأَنَا بَاقٍ عَلَى مَا كُنْتُ عَلَيْهِ مِنَ التَّحْزِينِ وَالْإِهْتِمَامِ لَا إِرْثَ لِي غَيْرُهُمَا. وَهَذَا كَلَامٌ مُتَأَسِّفٌ وَمُسْتَنْكَرٌ مِنْ أَقَارِبِهِ مَا يَرَاهُمْ عَلَيْهِ مِنْ نِسْيَانِهِ وَالشُّرُورِ بِمَا فَازُوا بِهِ مِنْ مَالِهِ. وَالسُّلُوءُ: طَيْبُ النَّفْسِ عَنِ الشَّيْءِ. وَفِي تَسْلَى مِنَ التَّكْلُفِ مَا لَيْسَ فِي سَلَاةٍ.

٢٩٥ - وقال آخر: [الطويل]

- ١ - لِنِعْمَ الْفَتَى أَضْحَى بِأَكْنَافٍ حَائِلٍ غَدَاةَ الْوَعَى أَكُلَ الرُّدَيْنِيَّةِ السُّمْرِ
- ٢ - لَعَمْرِي لَقَدْ أَزْدَيْتَ غَيْرَ مُزْلَجٍ وَلَا مُغْلِقٍ بَابَ السَّمَاحَةِ بِالْمُعْذِرِ
- ٣ - سَابِكِيكَ لَا مُسْتَبْقِيَا فَيَضُ عَبْرَةً وَلَا طَالِيَا بِالضُّبْرِ عَاقِبَةَ الضُّبْرِ

المحمود محذوف، كَأَنَّهُ قَالَ: نِعْمَ الْفَتَى فَتَى أَضْحَى. وَانْتَصَبَ «أَكُلَ» عَلَى أَنَّهُ خَبَرُ أَضْحَى، وَبِأَكْنَافٍ حَائِلٍ ظَرْفُ مَكَانٍ. وَغَدَاةَ الْوَعَى ظَرْفُ زَمَانٍ، وَتَعَلَّقَا جَمِيعًا بِأَضْحَى. وَيجوزُ أَنْ يُجْعَلَ بِأَكْنَافٍ حَائِلٍ الْخَبَرُ، وَيَتَنَصَّبُ أَكُلَ عَلَى الْحَالِ. وَلَا يَمْتَنِعُ أَنْ يَنْتَصِبَ غَدَاةٌ بِمَا دَلَّ عَلَيْهِ بِأَكْنَافٍ حَائِلٍ مِنَ الْفِعْلِ الْمَضْمَرِ. وَيجوزُ أَنْ يَكُونَ الْعَامِلُ فِيهِ أَكُلَ، لِأَنَّهُ لَيْسَ بِمَصْدَرٍ فَلَا يَعْمَلُ مَا فِي صِلَتِهِ فِيمَا قَبْلَهُ. وَالْأَكْلُ: الطُّغْمُ، وَإِضَافَتُهُ إِلَى الرُّدَيْنِيَّةِ لَمْ تُفِذْ فِيهِ اخْتِصَاصًا. أَلَا تَرَى أَنَّ فَائِدَتَهُ وَهُوَ مُضَافٌ مِثْلُ فَائِدَتِهِ لَوْ نُؤَنَ فَقِيلَ أَكُلًا لِلرُّدَيْنِيَّةِ. وَمِثْلُهُ قَيْدُ الْأَوَابِدِ وَمَا أَشْبَهَهُ. وَمَعْنَى الْبَيْتِ: مُحَمَّدٌ فِي الْفَتَيَانِ فَتَى حَصَلَ بِجَانِبِ هَذَا الْوَادِي غَدَاةَ الْحَرْبِ طُغْمًا لِلرُّدَيْنِيَّةِ السُّمْرِ. وَأَصْلُ الْوَعَى الْجَلْبَةُ وَالصَّوْتُ. وَاللَّامُ مِنْ «لِنِعْمَ» جَوَابُ قَسَمٍ مُضْمَرٍ.

وقوله «لَعَمْرِي لَقَدْ أَزْدَيْتَ غَيْرَ مُزْلَجٍ» أَقْبَلَ عَلَيْهِ يَخَاطِبُهُ بَعْدَ أَنْ كَانَ يَخْبِرُ عَنْهُ، عَلَى عَادَتِهِمْ فِي افْتِنَانِهِمْ فِي الْكَلَامِ، وَكَأَنَّ الْخَطَابَ أَذْلُ عَلَى التَّحَسُّرِ وَالتَّوَجُّعِ مِنَ الْإِخْبَارِ، وَلِذَلِكَ عَدَلَ إِلَيْهِ. وَاللَّامُ فِي لَعَمْرِي لَامُ الْابْتِدَاءِ. وَخَبَرُ الْمَبْتَدَأِ مُحذوف، كَأَنَّهُ قَالَ: لَعَمْرِي قَسَمِي. وَاللَّامُ مِنْ لَقَدْ جَوَابُ الْيَمِينِ، وَالْمَعْنَى: وَبِقَائِي لَقَدْ أَهْلَكْتَ غَيْرَ ضَعِيفٍ وَلَا جَبَانَ وَقْتَ الْمُدَافَعَةِ وَالْمَمَانَعَةِ فَتَضَيِّعَ مُحْفُوظًا، وَلَا مَتَشَدِّدًا عَلَى تَزَاحُمِ الْمُجْتَدِينَ وَالسُّؤَالِ، بِإِقَامَةِ الْمَعَاضِيرِ وَالْعِلَالِ، فَتَغْلِقَ لِلْسَّمَاحَةِ بَابًا مَفْتُوحًا.

وقوله «سأبكيك لا مستقبيا فيض عبرة» يريد أن بكاءه يتصل إلى أن يستنفد مواد دمه، وأنه لا يطلب بتكلف الصبر ما يتعبه من التسلي. فقله «بالصبر» أراد بتكلف الصبر، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه، وذلك أن الإنسان إذا تصبر فيما يدهمه مدة، وتماسك به برهة، أذاه مرور الأوقات إلى أن يتسلى؛ فعاقبه الصبر هو التسلي، فإذا تسلى عاد طمعه فيما يرجى، وحذره مما يخشى، إلى ما كان أو أشد، وذلك حال من لا هم له.

٢٩٦ - وقال خلف بن خليفة: [الطويل]

١ - أعاتب نفسي إن تبسمت خاليًا وقد يضحك الموتور وهو حزين
انتصب «خاليًا» على الحال من أعاتب. وأن تبسمت بفتح الهمزة معناه لأن تبسمت، ومن أجل تبسمي. ولك أن تكسر الهمزة من إن فيكون شرطًا ويكون جوابه ما دل عليه أعاتب نفسي. والمعنى: إذا خلوت بنفسي أبسط العتب عليها لما يتفق منها في الملام من متابعة الناس على تصرفهم في المؤانسة والمضاحكة، وطلب موافقتهم عند المفاهة والمحاذة. هذا وليس ذاك لداعية سرور، ولا لباعثة ابتهاج وحبور. ثم قال «وقد يضحك الموتور وهو حزين» يريد أن الموتور وإن تناهى حزنه، واشتد قلقه وبه، فقد يضحك قطة لشماتة شامت، وتجلدًا مع عدو مكافح، أو جريًا على عادة، أو استمرارًا في إقامة موافقة، ولا يعد ذلك منه إخلالًا بواجب الهلع، ولا إغفالًا للوازم الجزع، والضحك أبلغ من التسم، فكذلك أنا وإن تبسمت لضرب من تلك الضروب، فطلب الوتر والقيام بسنة الحزن نضب عيني، وأهم الأمور إلي.

٢ - وبالذير أشجاني وكن من شج له
٣ - ربي حولها أمثالها إن أتيتها
٤ - كذا الهجر أنا لم يضح لك أمرنا ولم يأتنا عما لديك يقين^(١)

الأشجان: جمع الشجن، وهو الحزن، وفي أدنى العدد، والشجون جمعه الكثير. وقوله «ربي حولها أمثالها» موضعه رفع على أنه بدل من قوله شجون. ويعني بها القبور المسنمة. وحولها أمثالها صفة للرؤى. وما أشار إليه من المماثلة يعني في

(١) التبريزي: «كفى الهجر».

الصُّورَة والغَناء جميعًا. وقد أَلَمَ في هذا بقول الآخر: [الطويل]

فقلت له إِنَّ الشَّجَا يبعث الشَّجَا فَدَغِنِي فهذا كُلُّهُ قَبْرُ مالِك^(١)

وإنما يريد أن قبور أحبته بالدير وقبور أحبة مَنْ يأتسي بهم من المفجوعين ببقع العَرَقْد، لأن أولئك ماتوا حَتَفَ أنفهم وفي أماكنهم، فدفنوا في مقابرهم، وأصحاب الشاعر قُتِلُوا وتَغَرَّبُوا فدفنوا ثُمَّ. والكلام توجَّع وتلهَّف. وقوله «دَوَيْنَ المصلَّى» تحديدًا للمقبرة، وتقريب لها من المصلَّى، لذلك قال دَوَيْنَ فصعَّر دُون. وعلى ذلك تصغيرهم لِقَبِيلٍ وبُعِيدٍ وفَوِّق. وقوله «إِن أَتَيْتَهَا قَرِينَكَ أَشْجَانَا» مثل قول الآخر: [الطويل]

أَتِينَاهُ زُورًا فأمَجَدْنَا قِرَى من البثِّ والدَّاءِ الدَّخِيلِ المخايرِ^(٢)

وأضاف إليه معنى البيت الآخر بقوله «وهنَّ سكون» وهو «وأسمعنا بالصَّمْتِ رجع جوابه^(٣)». وقوله «كذا الهجر» يجوز أن يُشير بذا إلى ما قَدَّمه، ويجوز أن يكون وضع حرف الإشارة والمشار إلى يجيء من بعد على طريق التفسير له، والترجمة منه. والمراد ما بيننا من استعجام الأخبار، وذهاب لالتقاء والاجتماع، على اتِّصال التزاور إذا فُعِلَ، أشبه شيءٍ بالهجران؛ وذلك ما لم يدخل بيننا في شيءٍ من الأوقات والأحوال. وهذا تحسُّرٌ آخر جديد، وتلهَّف شديد.

٢٩٧ - وقال عبد الله بن ثعلبة الحنفي^(٤): [الطويل]

١ - لكلِّ أناسٍ مَقْبَرٌ بِفَنَائِهِمْ فَهُمْ يَنْقُضُونَ والقُبُورُ تَزِيدُ

٢ - وما إن يزَالُ رَسْمُ دارٍ قَدْ أَخْلَقَتْ وَيَبِيتُ لِمَيْتٍ بِالفِنَاءِ جَدِيدُ

٣ - هُمْ جِيرةُ الأحياءِ أَمَّا جِوارُهُمْ فَدَانٍ وَأَمَّا الْمُلتَقَى فَبَعِيدُ

يقول على وجه التحزُّن والتفجُّع والتوجُّع: تساوت أحوالُ النَّاسِ في مقاساة البلاء، ومعاناة الشَّقَاءِ، لا تفاضل فيما بينهم ولا تمايز، يَرَوْنَ مصارعهم بأفئيتهم،

(١) لعميم بن نيرة في الحماسية رقم (٢٦٥).

(٢) لعبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي في الحماسية رقم (٢٩٠).

(٣) صدر البيت السابع من الحماسية رقم (٢٩٠)، وعجزة:

«فأبلغ به من ناطق لم يحاور»

(٤) ذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة ٣: ٢٩٠ في الطبقة السادسة من أهل البصرة، والأبيات موجودة في صفة الصفوة.

وجنود الموت والفناء متسلطة على طوائفهم، تخترم الواحد بعد الواحد منهم بلا حياة ولا رقية، ولا استبقاء ولا رعة، وقد رَضُوا بحكمه وأخذه، واختياره وقسمه، فعسفه عندهم رفق، وبطشه رحمة وعدل، يزون فِرَقَ أحيائهم على مرور الأيام إلى تراجع وتناقص، ومصير مصائبهم ومساكينهم قريباً إلى البلى والتعطّل، ويجدون عدد الأموات إلى تزايد وتكاثر، ومقابرهم إلى عِمارة وتوافر. هذا وقد التزموا ما يجري عليهم التزاماً، لا سُخْطَ فيهم ولا إنكار، ولا كراهة ولا ملال؛ فلا المجاورة بين الفريقين تنقطع، ولا المهاجرة ترتفع، ولا الأحوال تتبدّل، ولا العادة في جميعها تتغيّر؛ ففي كل قبيلة حدوث مصيبة، ونزول بلية؛ وفي كل مَجْمَعَة تأثير فجيعة، ونكاية منية. فبماذا نستمسك ونعتصم من الفناء، وعلى ماذا نعول ونعتمد في الرّخاء، وكيف رَضِينَا بتدانٍ يُبْطِله فناء، وتجاوِرِ بُنْيَ على تدابر، وأنى يستقيم البناء والتشييد، لمن ملكه التقاد والتشتيت، ومتى يحصل السُّلُو لمن هو مُرتَهَنٌ بتجديد الفُقود.

٢٩٨ - وقال آخر:

- ١ - لا يُبْعِدِ اللهُ إِخْوَانَنَا لَنَا ذَهَبُوا أَفْنَاهُمْ حَدَثَانُ الدَّهْرِ وَالْأَبْدُ
٢ - نُمِدُّهُمْ كُلَّ يَوْمٍ مِنْ بَقِيَّتِنَا وَلَا يَؤُوبُ إِلَيْنَا مِنْهُمْ أَحَدُ
- معنى لا يُبْعِدِ اللهُ لا يهلك الله. يقال: بَعَدَ الرَّجُلُ إِذَا هَلَكَ. فإن قيل: كيف قال: لا يُبْعِدِ اللهُ وقد عَقِبَهُ بقوله أَفْنَاهُمْ حَدَثَانُ الدَّهْرِ وَالْأَبْدُ، وهل الهلاك إلّا الفناء؟ قلت: هذه اللَّفْظَةُ جرت العادة في استعمالها عند المصائب، وليس فيه طلب ولا سؤال، وإنّما هو تنبيه على شِدَّةِ الحاجة إلى المفقود، وتناهي الجزع في الفجع به. أَلَا تَرَى أَنَّ الْآخَرَ قَالَ: [الطويل]

يَقُولُونَ لَا تَبْعُدْ وَهُمْ يَذْفِئُونَنِي وَأَيْنَ مَكَانُ الْبُعْدِ إِلَّا مَكَانِيَا^(١)

وأشار بقوله «حَدَثَانِ الدَّهْرِ» إلى الثَّوَابِ والتُّكْبَاتِ، ويقولُ الأَبْدُ إلى نَفْسِ الدَّهْرِ؛ لِأَنَّ مَنْ سَلِمَ مِنَ الْآفَاتِ أَذَاهُ مَرُورُ الْأَيَّامِ وَاللَّيَالِي إِلَى الْفَنَاءِ وَالْهَرَمِ. أَمَّا سَمِعْتَ قَوْلَ الْقَائِلِ: [الكامل]

وَدَعَوْتُ رَبِّي بِالسَّلَامَةِ جَاهِدًا لِيُصَحِّحَنِي فَإِذَا السَّلَامَةُ دَاءُ^(٢)

(١) لِمَالِكِ بْنِ الرِّبِّ فِي دِيَوَانِهِ ٤٦، وَخَزَانَةِ الْأَدَبِ ٢: ٣٣٨، وَاللِّسَانِ (بعد).

(٢) لِلنَّمْرِ بْنِ تَوْلَبٍ فِي مَلْحَقِ دِيَوَانِهِ ٤٠٠، وَلِلْبَيْدِ بْنِ رَبِيعَةَ فِي نَهَايَةِ الْأَرْبِ ٣: ٧٠، وَلِعَمْرُو بْنِ

والأموات على اختلافهم لا يخرجون من هذين الحكمين. وقوله «نُمِدُّهُمْ كُلَّ يَوْمٍ مِنْ بَقِيَّتِنَا» مثل قوله: [الطويل]

فَهُمْ يَنْقُصُونَ وَالْقُبُورُ تَزِيدُ^(١)

إلا أنه زاد على ما قاله، حين قال: «ولا يؤوب إلينا منهم أحد». ويجوز أن يُريد بقوله «مِنْ بَقِيَّتِنَا» من خيارنا. يقال: فلانٌ من بقية قومه، أي من خيارهم. ويكون مثل قوله:

أَرَى الدَّهْرَ يَعْتَامُ الْكِرَامَ وَيَصْطَفِي^(٢)

٢٩٩ - وَقَالَ الْغَطْمَشُ الضَّبِّي: [الطويل]

١ - إِلَى اللَّهِ أَشْكُو لَا إِلَى النَّاسِ أَنَّنِي أَرَى الْأَرْضَ تَبْقَى وَالْأَخْلَاءَ تَذْهَبُ

٢ - أَخْلَاءٌ لَوْ غَيْرُ الْحِمَامِ أَصَابَكُمْ عَتَبْتُ وَلَكِنْ مَا عَلَى الْمَوْتِ مَغْتَبُ^(٣)

صَرَفَ شِكْوَاهُ عَنِ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، بَأْسًا مِنْ مَعُونَتِهِمْ، وَإِسْكَاءٍ يَنْخُصِلُ مِنْ جِهَتِهِمْ، وَلأنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ الَّذِي أَجْرَى الْمَقَادِيرَ بِمَا يَتَأَلَّمُ مِنْهُ، مِنْ بَقَاءِ الْأَرْضِ وَقَنَاءِ الْأَصْدِقَاءِ. ثُمَّ قَالَ «أَخْلَاءٌ لَوْ غَيْرُ الْحِمَامِ أَصَابَكُمْ»، كَأَنَّهُ أَقْبَلَ عَلَى الذَّاهِبِينَ مَعْتَذِرًا إِلَيْهِمْ مِنْ اسْتِسْلَامِهِ لِلْحُكْمِ الْجَارِي عَلَيْهِمْ، وَمِنْ عَجْزِ قُوَاهُ عَنْ نُصْرَتِهِمْ فِيمَا أَصَابَهُمْ فَقَالَ: لَوْ كَانَ الْقَاصِدُ لَكُمْ غَيْرَ الْمَوْتِ لَتَسَخَّطْتُ الْحَالَ وَلَمْ يَكُنْ مَنِّي بِهَا رِضًا، وَلَكِنْ مَا عَلَى الْمَوْتِ طَرِيقٌ لِلْعُتْبِ، وَلَا فِيهِ لِي رَجَاءٌ لِإِعْتَابٍ، وَرُجُوعٌ بِاعْتِدَارٍ. وَقَوْلُهُ «أَخْلَاءٌ» يُرْوَى «أَخْلَائِي» عَلَى قَصْرِ الْمَمْدُودِ. وَالْأَجُودُ أَنْ يُتْرَكَ مَدَّتُهُ عَلَى حَالِهَا، وَتُحْذَفَ الْيَاءُ مِنْ آخِرِهِ فِي النَّدَاءِ، لِأَنَّ الْكِسْرَةَ تَدُلُّ عَلَيْهِ. وَقَدْ أَلَمْ يَقُولَهُ: [الكامل]

أَمِنْ الْمَمُوتِ وَرَيْبِهَا تَتَوَجَّعُ وَالْدَّهْرُ لَيْسَ بِمُغْتَبٍ مِنْ يَخْجَزُ^(٤)

= قيمته في ملحق ديوانه ٢٠٤، وزهر الآداب ١: ٢٢٣، ولبعض شعراء الجاهلية في الكامل ١: ٢٨٤.

(١) عجز البيت الأول من الحماسية رقم (٢٩٧) وصدرة:

«لِكُلِّ أَنَاثٍ مَقْبِرٌ بِفَنَائِهِمْ»

(٢) لطرفة في معلقته وعجزه:

«عقيلة مال الفاحش المتشدد»

(٣) التبريزي: «أَخْلَائِي».

(٤) لأبي ذؤيب في شرح أشعار الهذليين ١: ٤، وخزانة الأدب ١: ٤٢٠، واللسان (من).

٣٠٠ - وقال أرطاة بن سُهَيْتَة:

- ١ - هَلْ أَنْتَ ابْنُ لَيْلَى إِنْ نَظَرْتُكَ رَائِحَ مَعَ الرُّكْبِ أَوْ غَادِ غَدَاةَ غَدٍ مَعِي
 ٢ - وَقَفْتُ عَلَى قَبْرِ ابْنِ لَيْلَى فَلَمْ يَكُنْ وَقُوفِي عَلَيْهِ غَيْرَ مَبْكِي وَمَجْزَعِ
 ٣ - عَنِ الدَّهْرِ فَاضْفَحْ إِنَّهُ غَيْرُ مُغْتَبٍ وَفِي غَيْرِ مَنْ قَدْ وَارَتْ الْأَرْضُ فَاطْمَعَ

خاطَبَ المَرِيئِيَّ متلهفًا على مفارقتة، ومتحسرًا في إثرِ الفاتِتِ منه، فقال: هل تَرُوحُ مع رُكبانِ الإبلِ إِنْ انتظرناكَ، وهل تغدو غداةَ غَدٍ مَعِي إِنْ أَقْمَتُ لَكَ. وهذا تحزُّنٌ وإظهارُ يأسٍ، وبيانُ انقطاعِ ما بينهم من التَّأَلُّفِ والاجتماعِ، والتَّعاونِ والاصطحابِ. ومن روى «غداً تَيْدٍ» فالمرادُ غداةً إِذِ الأمرُ كذا، فحذفَ الجملةَ التي أضيفَ إِذُ إليها لينسَرحَ بها، لكونِ المرادِ مفهوماً، ثم أتى بالتَّنينِ عَوْضاً من الجملةِ المحذوفةِ ليستقلَّ إِذُ به.

وقوله:

وقفت على قبر ابن ليلى فلم يكن
 مثل ما تقدّم من قول الآخر: [الطويل]

رُبَى حَوْلَهَا أَمْثَالُهَا إِنْ أَتَيْتَهَا قَرْنِكَ أَشْجَانًا.....^(١)
 وقول الآخر: [الطويل]

أَتَيْنَاهُ زُورًا فَأَمَجَدْنَا قَرَى مِنْ الْبَثِّ وَالْدَّاءِ الدَّخِيلِ الْمُخَايِرِ^(٢)

وقوله «عَنِ الدَّهْرِ فَاضْفَحْ» رَجَعَ إِلَى نَفْسِهِ وَأَقْبَلَ يُشِيرُ عَلَيْهَا بِالرُّضَا بِالْمَقْدُورِ، وَتَرَكَ التَّكْلُفَ لِلْعَنْبِ عَلَى الدَّهْرِ فِي ارْتِجَاعِ الْمَوْهُوبِ، إِذْ كَانَ ذَاكَ لَا يُوْدِّي إِلَى زَجْرِ وَارْعَاءٍ، وَلَا إِلَى تَلَايٍ مِنْ جِهَتِهِ أَوْ إِعْتَابٍ. وَقَوْلُهُ «وَفِي غَيْرِ مَنْ قَدْ وَارَتْ الْأَرْضُ فَاطْمَعَ» تَصْوِيرٌ لِلْيَأْسِ مِنَ الْمَدْفُونِ، وَأَنَّهُ لَا طَمَعَ فِي إِيَابِهِ إِذْ لَمْ يَكُنْ حَالُهُ كَغَيْبَةِ الْغَائِبِينَ.

وكلُّ ما فيه من غريبٍ وتصريفٍ قد مرَّ القولُ فيه.

(١) البيت الثالث من الحماسية رقم (٢٩٦) لخلف بن خليفة وتماه:
 «رُبَى حَوْلَهَا أَمْثَالُهَا إِنْ أَتَيْتَهَا قَرْنِكَ أَشْجَانًا وَهَنْ سَكُونُ»
 (٢) البيت الرابع من الحماسية رقم (٢٩٠) لعبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي.

٣٠١ - وقال آخر في أخ له مات بعد أخ: [الطويل]

- ١ - كَأَنِّي وَصِيفِيَا خَلِيلِي لَمْ نَقُلْ لِمَوْقِدِ نَارِ آخِرِ اللَّيْلِ أَوْقِدِ
- ٢ - فلو أَنهَا إِحْدَى يَدَيَّ رُزِيَتْهَا وَلَكِنْ يَدِي بَأَثَتْ عَلَى إِثْرِهَا يَدِي
- ٣ - فَأَقْسَمْتُ لَا أَسَى عَلَى إِثْرِ هَالِكِ قَدِي الْآنَ مِنْ وَجَدِ عَلَى هَالِكِ قَدِي

يقول: لَمَّا انقطع ما بيني وبين أخي صَيْفِيَّ بالموت صِرْتُ كَأَن لَمْ يَجْمَعْنِي وَإِيَّاهُ أُخُوَّةٌ وَوِصَالٌ، وَلَا وَلَادَةٌ وَلِيَّانٌ، فلم نترافذ على ابتناء مَكْرَمَةٍ، وإيقاد نارٍ لطارقٍ لَيْلٍ، وطالبٍ قَرَى وَضِيافَةٍ، ولم نتعاون على إقامَةِ مَرُوءَةٍ وَإِسْدَاءِ عَارِفَةٍ. ثم قال «فلو أَنهَا إِحْدَى يَدَيَّ رُزِيَتْهَا». وموضع إِحْدَى مبتدأ ورُزِيَتْهَا في موضع الخبر. والشاعر إِنَّمَا يريد بَيَانُ تَوَالِي المصائب عِنْدَهُ وَعَلَيْهِ، وَتَفَاقُمِ الخُطْبِ لديه فقال: لو أَصْبَحْتُ بِإِحْدَى يَدَيَّ لَكَانَ فِي الباقية بعضُ الاجتزاء والاستغناء، وَلَكِنْ تَبِعَتِ الأولى الثانية، فَأَذَى فَقْدُهُمَا إِلَى انقطاع الحياة، وافتقَادِ العُدَّةِ فِي الْآلَاتِ. وحذف جَوَابِ لَوْ لِأَنَّ المراد مفهوم، فهو كما تقول: لو رَأَيْتَنِي وَأَنْتَ شَابٌ، وَلَوْ رَأَيْتَ زَيْدًا وَفِي يَدِهِ السَّيْفُ؛ لِأَنَّ المعنى لِرَأَيْتَ الأمر بخلافه. والضمير في قوله «فلو أَنهَا» يجوز أَنْ يَكُونَ لِلْقِصَّةِ، ويجوز أَنْ يَكُونَ لِلْمِصْبِيَّةِ، كَأَنَّهُ قَالَ: فلو أَنَّ الْقِصَّةَ وَالشَّانَ إِحْدَى يَدَيَّ رُزِيَتْهَا.

وقوله «فَأَقْسَمْتُ لَا أَسَى عَلَى إِثْرِ هَالِكِ» معناه خَلَفْتُ لَا أَتَحَزَّنُ لَعُمَةٍ فِي هَالِكِ بعد هذا تَتَجَدَّدُ، لِأَنَّ حَذَرِي كَانَ عَلَيْهِمَا، وَخَوْفِي كَانَ مِنْ فَقْدِهِمَا، كَمَا كَانَ رَجَائِي فِيهِمَا، وَطَمَعِي مُعَلِّقًا بِحَيَاتِهِمَا.

وقوله «قَدِي الْآنَ» معناه حَسْبِي. وقد تَرَادُّ النون عَلَيْهِ لِيَسْلَمَ السكون فِي دَالِهِ، إِذْ كَانَ مَبْنِيًّا عَلَيْهِ، فيقال: قَدْزِي، وَإِنْ جَعَلْتَ قَدْ غَيْرَ مُضَافٍ فِي الْمَوْضِعَيْنِ جَازٍ. ويجوز تحريك الدال فِي الْأَوَّلِ لِالْتِقَاءِ السَّاكِنَيْنِ، وَفِي الثَّانِي لِأَنَّ كُلَّ سَاكِنٍ وَقَعَ زَوِيًّا يَجُوزُ إِطْلَاقُهُ بِالْكَسْرِ. قال حُجَّةٌ فِي زِيَادَةِ النون وحذفه: [الرجز]

قَدْزِي مَنْ نَصَرَ الْخَبِيبِينَ قَدِي^(١)

فَأَتَى بِالْوَجْهِينِ جَمِيعًا. وقوله «الآن» موضعه نصب على الظرف، وَلَا يَجِيءُ إِلَّا بِالْأَلْفِ وَاللَّامِ وَمَبْنِيًّا مَعَهُ. «وَمِنْ وَجَدِ» موضعه رفع على أَنَّهُ خَبَرُ الْمَبْتَدَأِ الَّذِي هُوَ

(١) لحميد بن مالك الأرقط في خزانة الأدب ٥: ٣٨٢، والدرر ١: ٢٠٧، واللسان (خبب)، ولحميد بن ثور في اللسان (لحد) وليس في ديوانه، ولأبي بجدة في شرح المفصل ٣: ١٢٤.

قَدِي. وَكَرَّرَ قَدِي عَلَى طَرِيقِ التَّأَكُّدِ، وَالثَّانِي مَبْتَدَأٌ مِثْلُ الْأَوَّلِ وَخَبْرُهُ مُضْمَرٌ وَهُوَ مِثْلُ مَا ظَهَرَ وَصَارَ خَبَرُ الْأَوَّلِ. وَمَعْنَى الْآنَ أَنَّهُ اسْمٌ لِلزَّمَانِ الْحَاضِرِ: وَقَالَ بَعْضُهُمْ: هُوَ الزَّمَانُ الَّذِي هُوَ آخِرُ مَا مَضَى وَأَوَّلُ مَا يَأْتِي مِنَ الْأَزْمَنَةِ، وَإِنَّمَا بُنِيَ لِأَنَّهَا وَقَعَتْ فِي أَوَّلِ أَحْوَالِهَا بِالْأَلْفِ وَاللَّامِ. وَحُكِمَ الْأَسْمَاءُ أَنْ تَكُونَ شَائِعَةً مَنْكُورَةً فِي الْجِنْسِ ثُمَّ يَدْخُلُ عَلَيْهَا مَا يَعْرِفُهَا مِنْ إِضَافَةِ أَلْفٍ وَلاَمٍ، فَخَالَفَ الْآنَ سَائِرَ أَخَوَاتِهَا بِوُقُوعِهِ مَعْرِفَةً فِي أَوَّلِ الْأَحْوَالِ، ثُمَّ لَزِمَ مَعَ ذَلِكَ مَوْضِعًا وَاحِدًا، لِأَنَّ لَزُومَهَا فِي هَذِهِ الْحَالَةِ لِمَوْضِعِهِ قَدْ أَلْحَقَهُ بِشِبْهِ الْحُرُوفِ، إِذْ كَانَ حُكْمُ الْحُرُوفِ لَزُومَهَا لِمَوَاضِعِهَا فِي أَوَّلِيَّتِهَا لَا يَزُولُ عَنْهَا، فَبَيَّنِيَ لِذَلِكَ، وَاخْتَبَرْتَ الْفَتْحَةَ لَخْفَتِهَا.

٣٠٢ - وَقَالَ آخِرُ^(١): [الوافر]

١ - هَوَى أَبْنِي مِنْ عَلَى شَرَفٍ يَهُولُ عُقَابَهُ صَعْدَهُ

٢ - هَوَى مِنْ رَأْسٍ مَرْقَبَةٍ فَرَزْتُ رَجُلَهُ وَيَدَهُ

يقول: سقط أبني من أعلى جبل يَهُولُ الارتقاء إليه والصُّعُودُ فِيهِ عِقَابُهُ، لِسُمُوقِهِ وَارْتِفَاعِهِ. أَيْ إِذَا هَمَّتِ الْعُقَابُ بِالطَّيْرَانِ إِلَى قُلَّتِهِ تَدَاخَلَهَا مِنْهُ هَوْلٌ وَهَيْبَةٌ. وَهَذَا تَهْوِيلٌ وَتَفْطِيعٌ لِلشَّانِ. وَأَعَادَ قَوْلَهُ «هَوَى» تَحْسُرًا وَتَوَجُّعًا. وَالْمَرْقَبَةُ هِيَ الْمَحْرَسَةُ. وَالْعُلَى هِيَ الْأَعْلَى. وَيُقَالُ: صَعِدَ يَصْعَدُ صُعُودًا وَصَعْدًا وَصُعْدًا. وَهَوَى مَصْدَرُهُ الْهَوِيُّ وَالْهَوِيُّ بِالْفَتْحِ وَالضَّمِّ، وَقَدْ تَقَدَّمَ الْقَوْلُ فِيهِ^(٢). وَالْأَهْوِيَّةُ: الْبَثْرُ، وَمَا بَيْنَ أَعْلَى الْجَبَلِ إِلَى مُسْتَقَرِّ بَطْنِ الْوَادِي. وَقِيلَ: الْهَآوِيَّةُ: كُلُّ مَهَوَاةٍ لَا يُدْرِكُ قَعْرَهَا. وَقَوْلُهُ «يَهُولُ عُقَابَهُ صَعْدَهُ» فِي مَوْضِعِ الصُّفَةِ لِلشَّرَفِ. وَمَعْنَى زَلْتُ رَجُلَهُ، أَيْ انْخَلَعَتْ وَبَانَ مِنْهُ.

٣ - فَلَا أُمَّ فَتَبْكِيهِ وَلَا أَثُتْ فَتَفْتَقِدَهُ

لَمْ يَجْعَلْ فِتْبَكِيهِ وَلَا فَتَفْتَقِدَهُ جَوَابًا لِلتَّفْئِي، لِأَنَّ الْجَوَابَ يَكُونُ مَنْصُوبًا، لَكِنَّهُ عَطَفَ عَلَى مَا قَبْلَهُ، وَهُوَ عَطَفُ جُمْلَةٍ عَلَى جُمْلَةٍ. وَمِثْلُهُ فِي الْقُرْآنِ: ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ [الْمُرْسَلَات: الْآيَةُ ٣٦]، لِأَنَّ الْمَعْنَى لَا يُؤْذَنُ لَهُمْ وَلَا يَعْتَذِرُونَ. وَكَذَلِكَ هَذَا، مَعْنَاهُ لَا أُمَّ لَهُ فَلَا تَبْكِيهِ، إِلَّا أَنَّ الْجُمْلَةَ الْمَعْطُوفَةَ مِمَّا فِي الْقُرْآنِ مُوَافِقَةٌ لِلْجُمْلَةِ الْمَعْطُوفِ عَلَيْهَا؛ لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مَرْكَبَةٌ مِنْ فِعْلٍ وَفَاعِلٍ، وَالتِّي عَطَفَ

(١) التبريزي: «في ابن له».

(٢) انظر الحماسية رقم (١٢).

عليها هي من ابتداء وخبر. والجمل الخبرية إذا اختلفت مثل هذا الاختلاف يسوغ عطف بعضها على بعض، ألا تَرَى أن الله تعالى يقول: ﴿سَوَّاهُ عَلَيْهِمْ آدَعَوْتَهُمْ أَتَانَتْهُ صَبِيحَتٌ﴾ [الأعراف: الآية ١٩٣]، فعطف أنتم صامتون وهو ابتداء وخبر، على ما قبله وهو فعل وفاعل، لأنَّ المعنى لا يَخْتَلِفُ، بل يصير كأنه قال: أَدَعَوْتَهُمْ أم صَمْتُمْ. وقد جاء على العكس من هذا، لأن الشاعر يقول: [الطويل]

أُفوفٍ بأذراعِ ابنِ طَيْبَةٍ أم تُذَمُّ^(١)

فعطف تُذَمُّ، وهو من فعل وفاعل بأم على مُوف وهو ابتداء وخبر، لأنَّ المعنى أنت مُوف محمود أم غادر مذموم. والكلام في لا أُخْتُ تفتقده على ذلك، كأنه قال لا أُخْتُ له فلا تفتقده. وقال الخليل: تَفَقَّدْتُ أمر كذا: تعهَّدته، وافتقدته: لم أره هلاكًا وغيبَةً.

٤ - هَوَى عَنْ صَخْرَةٍ صَلْدٍ ففُتَّتْ تَحْتَهَا كِبْدُهُ^(٢)

٥ - أَلَامَ عَلَى تَبَكِّيهِ وَأَلْمُسُهُ فَلَا أَجْدُهُ

٦ - وَكَيْفَ يُلَامَ مَخْزُونٌ كَبِيرٌ فَاتَهُ وَلَدُهُ

أعاد قوله «هَوَى» استفظاعًا وتحسُّرًا. وَعَدَى هَوَى ههنا بَعْنُ لَّأنَّه أجراه مجرى زَلَّ وما أشبهه. والصَّلْدُ: ما لا يُنْبِتُ شيئًا من الحجارة. ومن الأرضين. ومنه أَصْلَدَ الزُّنْدُ، إذا لم يَخْرُجْ منه النارُ ولم يكن وريًا. ومعنى قوله «فُتَّتْ تَحْتَهَا كِبْدُهُ» تقطعت كبده لَمَّا حَصَلَ على الأرض، ويُشير بالصخرة إلى المَرْقَبَةِ.

وقوله:

أَلَامَ عَلَى تَبَكِّيهِ وَأَلْمُسُهُ فَلَا أَجْدُهُ

معناه أَنَّ الناس يستسرفون اتصال بكائي عليه، ودوام التحسُّر في إثره، والحاجة إليه تدعوني إلى طَلَبِهِ فلا أَظْفَرُ به، فعند كل طَلَبٍ يَحْصُلُ يَأْسٌ، ويتعقَّب ذلك اليَأْسُ مِنِّي بكاءً وتحزُّنًا. وقوله «أَلْمُسُهُ» بمعنى ألتمسه. واللَّمْسُ والمَسُّ يتقاربان في معنى الطَلَبِ والالتماس. ألا تَرَى قوله تعالى: ﴿وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِثَتْ حَرَسًا شَدِيدًا

(١) عجز بيت لراشد بن شهاب الإشكري في المفضليات ٢: ١٠٩، وصدرة:

«أَقِيسَ بن مسعود بن قيس بن خالد»

(٢) التبريزي: «فَقُرَّتْ يريد «فُرِّتْ» من تَفَرَّى الأديم».

وَشَهَبًا ﴿٨﴾ [الجن: الآية ٨]، وَأَنْ مُسْتَرْقَةً السَّمْعَ لَمْ يَلْمُسُوا السَّمَاءَ وَلَا طَلَبُوا ذَلِكَ مِنْهَا، وَإِنَّمَا تَرَاقَوْا لِلسَّمْعِ لِيَسْتَرْقُوا السَّمْعَ لَا غَيْرَ. وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَمَعْنَى لَمَسَ التَّمَسَّ وَطَلَبَ. وَكَذَلِكَ قَوْلُ الشَّاعِرِ: [الطويل]

مَسِسْنَا مِنَ الْأَبَاءِ شَيْئًا وَكُنَّا إِلَى حَسَبٍ فِي قَوْمِهِ غَيْرِ وَاضِعٍ^(١)

معنى مَسِسْنَا مِنْهُ طَلَبْنَا وَفَتَشْنَا وَنَظَرْنَا، وَلَيْسَ هُوَ مِنَ الْمَسِّ بِالْيَدِ فِي شَيْءٍ. وَيَذُلُّ عَلَى أَنْ مَعْنَى قَوْلِهِ أَلْمَسُهُ أَطْلَبَهُ أَنَّهُ عَقَّبَهُ بِقَوْلِهِ فَلَا أَجْدَهُ؛ وَهَذَا ظَاهِرٌ. وَقَوْلُهُ:

وَكَيْفَ يُلَامُ مُحْزُونٌ كَبِيرٌ قَائِمٌ وَلَدُهُ

يريد: كَيْفَ يُلَامُ عَلَى الْبُكَاءِ وَالتَّوَجُّعِ مُحْزُونٌ قَدْ مَسَّهُ الْكِبَرُ، وَمَنْ كَانَ أَعْدَهُ لِحَيَاتِهِ وَمَمَاتِهِ، وَاعْتَدَهُ لِلنِّيَابَةِ عَنْهُ فِي عِيَالِهِ وَمَعَاشِهِ، قَدْ فَاتَهُ حَتَّى لَا طَمَعَ فِي إِيَابٍ لَهُ، وَلَا فِي مَعُونَةٍ مِنْ جِهَتِهِ وَإِنْ اسْتَغَاثَ بِهِ.

٣٠٣ - وَقَالَ آخِرُ^(٢):

١ - إِذَا مَا دَعَوْتُ الصَّبْرَ بَعْدَكَ وَالْبُكَاءَ أَجَابَ الْبُكَاءُ طَوْعًا وَلَمْ يُجِبِ الصَّبْرُ

٢ - فَإِنْ يَنْقَطِعْ مِنْكَ الرَّجَاءُ فَإِنَّهُ سَيَبْقَى عَلَيْكَ الْحُزْنُ مَا بَقِيَ الدَّهْرُ

يقول: إِذَا مِثَّلْتُ الرَّأْيَ بَيْنَ حَمْلِ النَّفْسِ عَلَى الْإِسْتِمْرَارِ فِي الْجَزَعِ، وَالذُّهَابِ فِي الْهَلَعِ، وَبَيْنَ ضَبْطِهِ وَإِمْسَاكِهِ وَالْأَخْذِ بِالصَّبْرِ فِيهِ، ثُمَّ اسْتَدْعَيْتُ الصَّبْرَ مِنْ جَانِبِ وَالْبُكَاءِ مِنْ جَانِبٍ، وَجَدْتُ الْبُكَاءَ يَسْتَجِيبُ سَرِيعًا مِنْ غَيْرِ تَبَاطُؤٍ وَاسْتِكْرَاهٍ، وَوَجَدْتُ الصَّبْرَ يَخْذُلُ وَيَتَأَخَّرُ، فَلَا يَكُونُ مِنْهُ دَنُوءٌ وَلَا مَسَاعَدَةٌ. وَهَذَا الْكَلَامُ تَلْهُفٌ وَتَوَجُّعٌ. ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى الْمَرِئِيِّ فَقَالَ: إِنْ كَانَ الْأَمَلُ فِيكَ مَنْقُطَعًا، وَالرَّجَاءُ مِنْ إِيَابِكَ مَتَأَخَّرًا مُسْتَبْعَدًا، فَإِنَّ الْحُزْنَ يَبْقَى عَلَيْكَ وَيَتَّصِلُ بِاتِّصَالِ الْأَبَدِ، لَا يَفْثُرُ وَلَا يَتَغَيَّرُ. وَقَوْلُهُ «طَوْعًا» مُصَدَّرٌ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ، أَرَادَ: أَجَابَ طَائِعًا غَيْرَ مُجْبَرٍ.

٣٠٤ - وَقَالَ النَّابِغَةُ يَرِثُنِي أَخَا لَهُ مِنْ أُمِّهِ^(٣):

١ - لَا يَهْنِئُ النَّاسَ مَا يَزَعُونَ مِنْ كَلَامٍ وَمَا يَسُوقُونَ مِنْ أَهْلٍ وَمِنْ مَالٍ

(١) البيت ليزيد بن الحكم التميمي في الحماسية رقم (٥٨).

(٢) التبريزي: «وقيل: هو للعباس بن الأحنف، وكان يكنى أبا الفضل».

(٣) التبريزي: «وأُمُّهُ عاتكة بنت أنيس الأشجعي».

٢ - بعد ابنِ عاتِكَةَ الثَّاوِي عَلَى أَبِي أَيَّامٍ أَنْسَى بِبِلْدَةٍ لَا عَمَّ وَلَا خَالٍ^(١)

دَعَا الضَّجْرُ بِمَوْتٍ مِنْ أَصِيبَ بِهِ إِلَى أَنْ دَعَا عَلَى النَّاسِ كَافَّةً بِأَنْ لَا يَهْتَمُّهُمُ اللَّهُ مَا يَرْعُونَهُ مِنْ حِمَى، وَمَا يَحُوزُونَهُ مِنْ مَالٍ وَلَهَى، وَيَسُوقُونَ مِنْ أَهْلِ وَوَلَدٍ، وَيَجْمَعُونَهُ مِنْ عَتَادٍ وَذَخِيرَةٍ. وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى شِمَاتِهِ مِنْ قَوْمٍ حَصَلَتْ عَلَيْهِ حِينَ فُجِعَ بِأَخِيهِ، فَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ النَّاسُ وَإِنْ كَانَ لَفْظُهُ عَامًّا يَخْتَصُّ بِمَنْ مِثْلِي بَعْدَاوَتِهِ، وَابْتُلِيَ بِشِمَاتِيهِ. فَقَدْ قِيلَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: الآية ١٧٣] إِنَّهُ كَانَ رَجُلًا وَاحِدًا. وَلَا يَمْتَنِعُ أَنْ يَكُونَ اعْتَقَدَ فِي النَّاسِ كَافَةً أَنَّهُمْ نَظَرُوا بِعَيْنِ الْحَاسِدِينَ إِلَيْهِ أَيَّامَ حَيَاتِهِ، لِحُسْنِ تَوْفَرِهِ، وَكَمَالِ بَرَاعَتِهِ. وَهَذَا شَأْنٌ مَنْ أَعْجَبَ بِشَيْءٍ أَوْتِيَهُ، فَلَمَّا فَقَدَهُ ظَنُّهُمْ شَمِتُوا بِهِ، وَأَدْرَكُوا مُرَادًا لَهُمْ فِي فَقْدِهِ، لَا اخْتِصَاصَ فِيهِ وَلَا تَبَاطُنَ، فَعَمَّهُمُ بِالْدُّعَاءِ عَلَيْهِمْ.

وقوله «بعد ابن عاتكة» نسبه إلى أمه تنبيهًا على أنَّ الجامعَ بينهما كانت الأمومة. وقوله «الثاوي على أبي»^(٢) يَدُلُّ عَلَى أَنَّ قَبْرَهُ كَانَ بِهِ. وَقَوْلُهُ «ببلدة لا عم ولا خال» نَبَّهَ بِهِ عَلَى تَبَاطُنِهِ عَنْ بِلَادِهِ وَأَقَارِبِهِ، وَأَنَّهُ مَاتَ فِي غُرْبَةٍ.

٣ - سَهْلُ الْخَلِيقَةِ مَشَاءً بِأَقْدَحِهِ إِلَى ذَوَاتِ الذُّرَى جَمَالُ أَثْقَالِ

٤ - حَسْبُ الْخَلِيلَيْنِ نَائِي الْأَرْضِ بَيْنَهُمَا هَذَا عَلَيْهَا وَهَذَا تَحْتَهَا بِأَلِ

وَصَفَّهُ بِأَنَّهُ كَانَ سَهْلَ الْجَانِبِ حَسَنَ الْخُلُقِ، جَمِيلَ التَّعَطُّفِ أَوْ أَنَّ الْقَحْطَ وَالْجَذْبَ عَلَى الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ، ضَرْوبًا بِقِدَاحِهِ عَلَى الْإِبْلِ السُّمَانِ ذَوَاتِ الْأَسْنِمَةِ الْكَبِيرَةِ، إِذَا خَضِرَ الْأَيْسَارُ، لَشِدَّةِ الزَّمَانِ؛ وَأَنَّهُ كَانَ يَدْخُلُ تَحْتَ الْأَعْبَاءِ الثَّقِيلَةِ فَيَحْمِلُهَا عَلَى جَاهِهِ وَمَالِهِ لَذَوِيهِ، وَالْعَفَاةَ الرَّاجِينَ لَهُ.

وقوله «حسب الخليلين نائي الأرض بينهما»، يعني بالخليلين نفسه والمفقود، فيقول: حَسْبُنَا مِنَ الْبُعْدِ وَإِنْ كَانَ التَّدَانِي بِالْجَوَارِ حَاصِلًا أَنْ صَاحِبِي تَحْتَ الثَّرَابِ يَبْلَى، وَأَنْتِي عَلَى ظَهْرِهَا أَمْشِي وَأَحْيَا. وَقَوْلُهُ «هَذَا عَلَيْهَا وَهَذَا تَحْتَهَا» أَشَارَ إِلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِمَا يُشَارُ بِهِ إِلَى الْحَاضِرِ، تَنْبِيْهًُا عَلَى التَّجَاوُرِ وَالتَّدَانِي فِي الدِّيَارِ، وَأَنَّ الْبُعْدَ إِنَّمَا كَانَ فِي تَعَدُّرِ الْوِصَالِ، وَسَقُوطِ التَّرَاوُرِ وَالِالْتِقَاءِ.

(١) التبريزي: «الثاوي على أمرٍ، وذو أمر: موضع بعينه».

(٢) أبوي: اسم موضع فيه قبره.

٣٠٥ - وقال مَوَيْلِكَ المزموم يرثي امرأته^(١): [الكامل]

- ١ - أَمُرُّزُ عَلَى الْجَدَثِ الَّذِي حَلَّتْ بِهِ أُمُّ الْعَلَاءِ فَحَيِّهَا لَوْ تَسْمَعُ
 - ٢ - أَتَى حَلَلْتِ وَكُنْتِ جِدًّا فَرُوقَةً بَلَدًا يَمُرُّ بِهِ الشُّجَاعُ فَيَفْرَعُ
 - ٣ - صَلَّى عَلَيْكَ اللَّهُ مِنْ مَفْقُودَةٍ إِذْ لَا يَلَاتُمُكَ الْمَكَانُ الْبَلَقُ
- يخاطِبُ نَفْسَهُ وَيُبْعَثُهَا عَلَى زِيَارَةِ الْمَفْقُودَةِ وَالتَّسْلِيمِ عَلَيْهَا، قَضَاءً لِحَقِّهَا، وَتَجْدِيدًا لِلْعَهْدِ بِهَا، فَقَالَ: أَمُرُّزُ عَلَى الْقَبْرِ الَّذِي دُفِنَتْ فِيهِ، وَسَلَّمْتُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَتْ تَسْمَعُ، وَهَذَا تَوَجُّعٌ وَتَلَهُّفٌ. وَيُرْوَى «فَحَيِّهَا هَلْ تَسْمَعُ»، وَالْفَرْقُ بَيْنَ لَوْ هُنَا وَبَيْنَ هَلْ، أَنَّ «لَوْ» فَائِدَتُهُ الشَّرْطُ هُنَا، وَالْكَلَامُ بِهِ كَلَامُ مَنْ غَلَبَ الْقَنُوطُ عَلَيْهِ مِنْ إِذْرَاكِهَا تَحِيَّةً مَنْ زَارَهَا؛ وَ«هَلْ» مِنْ حَيْثُ كَانَ لِلْإِسْتِفْهَامِ يَصِيرُ الْكَلَامُ بِهِ كَأَنَّهُ كَلَامُ رَاجٍ أَوْ طَامِعٍ فِي سَمَاعِهَا. وَيَكُونُ الْمَعْنَى: حَيِّهَا وَانْظُرْ هَلْ تَسْمَعُ.

وَقَوْلُهُ «أَتَى حَلَلْتِ» مَعْنَى أَتَى كَيْفَ وَمِنْ أَيْنَ. وَفَرُوقٌ بِنَاءُ الْمِبَالِغَةِ، وَازْدَادَ تَنَاهِيًا بِدُخُولِ هَاءِ الْمِبَالِغَةِ عَلَيْهِ. فَيَقُولُ مُخَاطِبًا لَهَا: كَيْفَ تَأْتِي مِنْكَ الْإِسْتِيطَانُ وَالتَّزُولُ فِي قَفَرٍ إِذَا مَرَّ بِهِ الرَّجُلُ الْقَوِيُّ الْقَلْبَ تَدَاخَلَهُ رُغْبٌ، وَاسْتَوْلَى عَلَيْهِ قَلَقٌ وَدُعْرٌ، وَعَهْدِي بِكَ وَكُنْتِ أَوْعَفَ النَّاسِ قَلْبًا وَأَشَدَّهُمْ مِنْ ذِكْرِ الْمَحَازِرِ اسْتِيحَاشًا. وَقَوْلُهُ «كُنْتِ جِدًّا فَرُوقَةً»، كَقَوْلِكَ كُنْتِ فَرُوقَةً جِدًّا لَا هَزْلًا، وَحَقًّا لَا بَاطِلًا. وَالْبَلَدُ: الْقِطْعَةُ مِنَ الْأَرْضِ اخْتِطَّتْ أَوْ لَمْ يُخْتِطَّ.

وَقَوْلُهُ «صَلَّى عَلَيْكَ اللَّهُ» فَالصَّلَاةُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى الرَّحْمَةِ، كَأَنَّهُ يَتَسَّاهَى مِنْهَا فَأَقْبَلَ يَتَرَحَّمُ عَلَيْهَا، فَيَقُولُ: إِنَّكَ فِي شَبَابِكَ وَقَرَبِ مِيلَادِكَ، وَكَمَالِكَ فِي خِصَالِ أَمْثَالِكَ، لَمْ يَلِقْ بِكَ فَقْدَانٌ، وَلَا كَانَ لَوَقْتِ مَجِيئِ الْمَوْتِ بِطَلَبِكَ مَنِيَّ انْتِظَارٍ، ثُمَّ كُنْتِ مِنَ الثَّرَفَةِ وَالنُّعْمَةِ، وَمُسَاعِدَةِ الْقَدَرِ لَكَ، بِحَيْثُ لَا يُوَافِقُكَ الْإِنْتِقَالُ إِلَى الْقَفْرِ، وَالتَّوَحُّشِ عَنِ الْأَهْلِ.

وَهَذِهِ الْأَبْيَاتُ غَايَةٌ فِيمَا يُحَدِّثُ بِهِ الْمَفْجُوعُ نَفْسَهُ.

- ٤ - فَلَقَدْ تَرَكْتِ صَغِيرَةً مَرْحُومَةً لَمْ تَذِرْ مَا جَزَعَ عَلَيْكَ فَتَجَزَّعُ
- ٥ - فَقَدْتِ شَمَائِلَ مِنْ لِزَامِكَ حُلُوةً فَتَبَيْتِ تُسْنِهُرُ أَهْلَهَا وَتُفْجَعُ

(١) التبريزي: «أم العلاء».

٦ - فَإِذَا سَمِعْتُ أُنَيْسَهَا فِي لَيْلِهَا طَفِقْتُ عَلَيْكَ شُؤُونَ عَيْنِي تَذْمَعُ

قوله «لم تَذِرْ ما جَزَعُ عليك فتجزع» لم يجعل «فتجزع» جواباً ولا عطفاً على ما قبله، وليس اللفظ على واحدٍ منهما ولا المعنى، وإنما قوله «فتجزع» منويٌّ به الاستئناف، كأنه أراد أنها من صَغَرها لا تعرف المصيبة ولا الجزع لها، وهي على حالها لا تجزع، لأن ما تأتية من الضجر والبكاء، وتتركه من النوم والقرار، فعلُ الجازعين، وغاية الفاقدين. وفي كتاب الله عز وجل قوله: ﴿وَلَا تَبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٨٤]، لك أن ترفع فيغفرُ على نيّة الابتداء، كأنه قال: فهو يغفرُ لمن يشاء. ومثل هذا كثير في القرآن والشعر. على ذلك قوله: [الطويل]

فما هو إلا أن أراها فجاءةً فأُبْهَتْ حتى ما أكاذ أجيبُ^(١)

يُرفع «أُبْهَتْ» على الابتداء والاستئناف.

وقوله «فقدت شمائل»، يريد الأخلاق والشكل وجميل المخالطة. وقال الخليل: الشَّمالُ: خليفة الرجل وطبيعته، وجمعه شمائل. وأنشد: [الوافر]

هم قومي وقد أنكرت منهم شمائلٌ بَدَلوها من شِمالي^(٢)

فيقول: كانت اعتادت منك توقراً ومدارةً وحسن خلق، ولين عطفٍ وكرم مخالطة، وإيناساً في مجاملة، فلما انقطع عنها جميع ذلك بالفراق باتت لا تنام ولا تنيم، بل تَفْجَعُ وتَوَجُّعُ، ومهما أدركتُ شكواها وبكاءها أقبلتُ مفاصلُ رأسي تَمسح بالدمع فأبكي عليك ولها. ومعنى «طَفِقْتُ عليك شُؤُونَ عيني» كقولك: أقبلتُ تفعل كذا، وجعلتُ تقولُ كذا.

٣٠٦ - وقال حفص بن الأحنف الكناني^(٣): [الكامل]

١ - لَا يَبْعَدُنْ رُبْعَةً بَن مَكْدَمٍ وَسَقَى الْغَوَادِي قَبْرَهُ بَذْنُوبٍ^(٤)

(١) لكثير غزوة في ديوانه ٥٢٢، والحماسة الشجرية ١: ٥٢٨، وللمجنون في ديوانه ٤٩، وللأحوص في ملحقات ديوانه ٢١٣، وخزانة الأدب ٢: ١٧، ولعروة بن حزام في خزانة الأدب ٨: ٥٦٠، والشعر والشعراء ٦٢٦.

(٢) للبيد في ديوانه ٩٤، واللسان (شمل)، وأساس البلاغة (شمل).

(٣) التبريزي: «ويروى لحسان، ويروى الأخيف وهو الصحيح».

(٤) ذكر التبريزي قصة الشعر في ١: ٥٧٦.

٢ - نَفَرَتْ قَلُوصِي مِنْ حَجَارَةِ حَرَّةٍ بُنِيتَ عَلَى طَلْقِ الْيَدَيْنِ وَهُوبٍ
 قوله «لا يبعدن» لفظه لفظُ الدعاء، والكلام فيه على ما تقدّم. وكما قيل: بُغْدًا
 له وسُحْقًا لم يُقَلَّ من بَعْدَ بَعْدًا إذا هَلَكَ بَعْدًا له، وكان استعمالُ هذا في الدعاء أقربَ
 فلم يجيء. ومعنى «وسَقَى الغواذي قبره بذَنوبٍ» أنه دَعَا له بالسُّقْيَا. والغواذي هي
 السَّحَابَاتُ التي تنشأ عُدْوَةً. والدُّنُوبُ: الدَّلُوبُ بما فيه من الماء، قال: [الرجز]

لَهُ ذَنُوبٌ وَلَنَا ذَنُوبٌ^(١)

وربّما جُعِلَ الذُّنُوبُ الحِظُّ والنصيب، كما قال: [الطويل]

وَحَقٌّ لَشَأْسٍ مِنْ نَدَاكَ ذَنُوبٌ^(٢)

وفي القرآن: ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا تَبْلُغُ ذُنُوبَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ﴾ [الذَّارِيَات: الآية ٥٩].
 وفي البيت الذي نحن فيه يحتمل الوجهين.

وقوله «نَفَرَتْ قَلُوصِي مِنْ حَجَارَةِ حَرَّةٍ» فإنّه كان اجتازَ بقبرِ ربيعةٍ وقد نُضِدَ عليه
 حجارةٌ سود، فنَفَرَتْ قَلُوصُهُ، فأخَذَ يَقتَضُ ما كان اتَّفَقَ وَيُنْكِرُهُ. وقوله «بُنِيتَ عَلَى
 طَلْقِ الْيَدَيْنِ» من صفةِ الحجارة. ومعنى طلق اليدين أنّه سَخِيٌّ بَذَالٌ يُطْلَقُ يَدَيْهِ
 بالمعروف. والوهُوبُ: الكثيرُ الهبات.

٣ - لَا تَنْفِرِي يَا نَاقَ مِنْهُ فَإِنَّهُ شَرَّابُ خَمْرٍ مِسْعَرٌ لِحُرُوبٍ^(٣)

٤ - لَوْلَا السَّفَارُ وَيُغْدُ خَزَقٍ مَهْمِهِ لَتَرَكْتُهَا تَحْبُو عَلَى الْعُرْقُوبِ

جعل نِفَارَ ناقته كأنّه كان من المدفون، فنهاها عن ذلك، ثم أَخَذَ يَصِفُهُ بالكرم
 والشَّجَاعَةِ، والتَّعَدُّمُ في الشُّرْبِ والبَطَالَةِ. والمِسْعَرُ: الذي كأنّه آلَةٌ في إيقاد نار
 الحرب.

وقوله «لَوْلَا السَّفَارُ» كانت العادة في العرب أن الواحد منهم إذا اجتازَ بقبرِ كريم
 كان ماوًى للأضياف، ومقيمًا لقراهم، ينحر راحلته ويُطْعِمُهَا النَّاسَ إذا أَعَوَزَ الزَّادُ ولم
 يتَّسِعَ، يفعل ذلك نيابةً عنه، إلّا أن يَمْنَعَ مانِعٌ من بُغْدِ السَّفَرِ وتناهي المشقّة وما
 يجري مَجْرَاهُ، فقال هذا الشَّاعِرُ معتذراً من إبقائه على راحلته، لَمَّا خَفَ الزَّادُ الذي

(١) بلا نسبة في اللسان (ذنب)، وتهذيب اللغة ١٤: ٤٣٩، وكتاب العين ٨: ١٩٠.

(٢) لعلّمة الفحل في ديوانه ٤٨، واللسان (جنب، شأس، خبط)، ومجالس ثعلب ٩٧.

(٣) التبريزي: «شَرِّيب».

كان معه، وعَجَزَ عن الصُّخْبِ على بُعد المسافة وطُولِ المشقَّةِ ومِساسِ الحاجة. ومعنى «لتركَّها تحبو على العُرقوب» أي لَعَزَبْتُهَا. والحَبْوُ: ما يفعله الصبي من الرُّحْفِ قبل القيام، ويفعله البعيرُ وهو يريد المشي. ومنه الحابي من السَّهام، وهو الذي يسْقُطُ ثم يَرْحَفُ إلى الهدف. ويقال: حَبَا لِلْخَمْسِينَ، أي لم يبلغها وقد دنا منها؛ وهو من فصيح الكلام. والخَزَقُ: المكان الواسع تتخَرَّقُ فيه الرِّيح. والمَهْمَةُ: الأملَسُ الواسعُ.

٣٠٧ - وقال آخر:

[الطويل]

- ١ - أَجَارِي مَا أَزْدَادُ إِلَّا صَبَابَةٌ عَلَيْكَ وَلَا تَزْدَادُ إِلَّا تَنَائِبًا^(١)
 - ٢ - أَجَارِي لَوْ نَفْسٌ فَدَثْ نَفْسٌ مَيِّتٌ فَدَيْتُكَ مَسْرُورًا بِنَفْسِي وَمَالِيَا
- الصبابة: الوجد والمحبة، والفعل منه صَبَّيْتُ بكسر الباء أَصَبْتُ. وَرَجُلٌ صَبٌّ، وامرأةٌ صَبَّةٌ. وقوله «أجاري»، ليس بنديّة، لأنَّ المندوبَ لا يكون إلا بيا ووا، لكنّه على العادة والرَّسْمِ ناداه ورَحْمَةً. يقول: لا أَزْدَادُ على مُرُورِ الأَيَّامِ وتصَرُّفِ الأَوَاقِثِ إلا شَوْقًا إِلَيْكَ، وولوعًا بك، وقوّة أسفٍ عليك، إذ لم يكن حالي حال المتحسّر في إثرِ فائِثٍ، والرَّافِعِ طمعه من لقاءِ مائت، فيُعْقبه الفوات بأسًا، ويورثه ما يشاهده من حال الفناء تناسيًا أو تسلّيًا؛ وأنت لا تزداد إلا تناهيًا في الانقطاع، وتناييًا في الهجرة والإعراض. فقوله «تنائيبًا» لم يَرِدْ تباعدُ الأجرام وتراخي المَزار؛ لأنَّ تجاوزَ الدِّيارِ وتصاقبها كان باقيا على ما كان في الأصل.

وقوله «أجاري لو نفسٌ فدَثْ نفسٌ مَيِّتٌ»، يريد: لو كان السَّبيل إلى التَّفادي بين الأحياء والأموات مسلوكةً، وقَبُولُ الأبدال عند الاستعراض والدُّعاء مُجابًا إليه مألوفًا، لكنَّ السابقَ إليه، والجاهلَ في فدائِكَ النَّفْسَ والمالَ، وأنا مغتبطٌ بذلك ومغتَنِّمٌ له، لكن لا مانع لما طَلِبَ، ولا مَغْدِلٌ عما حُتِمَ.

- ٣ - وَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ أَمْلَأَكَ حِفْبَةً فَحَالَ قَضَاءُ اللَّهِ دُونَ رَجَائِيَا
 - ٤ - أَلَا لَيْمُتْ مَنْ شَاءَ بَعْدَكَ إِنَّمَا عَلَيْكَ مِنَ الْأَقْدَارِ كَانَ حِذَارِيَا
- قوله «أَنْ أَمْلَأَكَ» يقال: مُلِيتُ فلانًا فَمَلَّيْتُهُ، أي جُعِلَ لي أن أعيش معه مُلاوةً فيبقى لي ممتعا به. والمَمْلَوَانِ: اللَّيْلُ والنَّهَارُ، من هذا. يقول: كنت أرجو أن أُمَتِّعَ

(١) التبريزي: «عليك وما تزداد».

بِحَيَاتِكَ حِقْبَةً - وقال الخليل: الحِقْبَةُ زَمَانٌ مِنَ الدَّهْرِ لَا وَقْتَ لَهُ، وَالْجَمِيعُ الْأَحْقَابُ وَالْحَقْبُ وَالْحَقْبُ مِثْلُهُ - فحجز بيني وبين مرادي القدرُ الذي لَا يُمَلِّكَ مَعَهُ إِلَّا الْإِسْتِسْلَامَ لَهُ.

وقوله: «أَلَا لَيْمُتْ مَنْ شَاءَ بَعْدَكَ» مثل قول الآخر: [الطويل]

فَأَلَيْتَ لَا أَسَى عَلَى إِثْرِ هَالِكٍ^(١)

وقول الآخر: [الطويل]

أَمِنَّا عَلَى كُلِّ الرِّزَايَا مِنَ الْجَزَعِ^(٢)

٣٠٨ - وَقَالَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ الْأَخْجَمِ الْخَزَاعِيَّةِ^(٣): [الكامل]

١ - يَا عَيْنِ بَكِّي عِنْدَ كُلِّ صَبَاحٍ جُودِي بِأَرْبَعَةٍ عَلَى الْجَرَّاحِ
قوله «بَكِّي» يجوز أن يريدَ به أَكْثَرِي الْبَكَاءِ، ويجوز أن يريدَ كَرْرِي الْبَكَاءِ، لأنَّ تَضْعِيفَ الْعَيْنِ إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلتَّعْدِيدِ مِثْلُ كَرَّمَ - لَأَنَّهُ كَأَكْرَمَ لَا فَرْقَ بَيْنَهُمَا، يَكُونُ لِلتَّكْثِيرِ أَوْ التَّكْرِيرِ، وَذَلِكَ كَقَوْلِكَ ضَرَبَ وَقَتْلَ. وَإِنَّمَا قَالَ «عِنْدَ كُلِّ صَبَاحٍ» لَأَنَّهُ يَرِيدُ اجْعَلِي مَبْدَأَ نَهَارِكَ لِذَلِكَ، أَوْ لَأَنَّهُ يَرِيدُ كَانَ وَقْتُ نَكَايَتِهِ فِي الْأَعْدَاءِ، وَشُنُّ الْغَارَاتِ عَلَى الْمَنَابِذِينَ، فَاجْعَلِي بِإِزَاءِ فَعْلِهِ حِينَئِذٍ الْبَكَاءَ عَلَيْهِ السَّاعَةَ. وَقَوْلُهُ «جُودِي بِأَرْبَعَةٍ» أَرَادَ بِالْأَرْبَعَةِ قِبَائِلَ الرَّأْسِ، وَالْدَّمْعُ يَخْرُجُ مِنَ الشُّؤُونِ. فَأَرَادَ: جُودِي بِدَمْعِكَ كُلِّهِ. وَلَا تَدْخِرِي مِنْهُ شَيْئًا. وَقَوْلُهُ «يَا عَيْنِ» حَذَفَ الْيَاءَ لَوُقُوعِهَا مَوْقِعَ مَا يُحْذَفُ فِي النَّدَاءِ وَهُوَ التَّنْوِينُ، وَلِأَنَّ الْكُسْرَةَ تَدَلُّ عَلَيْهِ. وَبَابُ النَّدَاءِ بَابُ حَذْفٍ وَإِيجَازٍ.

٢ - قَدْ كُنْتُ لِي جَبَلًا أَلُوذُ بِظِلِّهِ فَتَرَكْتَنِي أَضْحَى بِأَجْرَدِ ضَاخٍ

أَقْبَلَ يَخَاطِبُ الْمَرْتِيَّ عَلَى عَادَتِهِمْ فِي الْإِنْتِقَالِ عَنِ الْإِخْبَارِ إِلَى الْخُطَابِ، وَعَنِ الْخُطَابِ إِلَى الْإِخْبَارِ، تَفَنَّنَا وَاقْتَدَارَا. فَيَقُولُ: كُنْتُ لِي جَبَلٌ عِزٌّ، أَوْيَ إِلَيْكَ فِي

(١) عجزه:

«قَدِي الْآنَ مِنْ وَجْدِي عَلَى هَالِكِ قَدِي»

(٢) البيت الثالث من الحماسية رقم (٢٨٢) لعبد الله بن المقفع وصدره:

«فَقَدْ جَرَّ نَفْعًا فَقَدْنَا لَكَ إِنْسَانًا»

(٣) التبريزي: «الأحمج» وقال السكري: الأبيات لليلي بنت يزيد بن الصعق، ترثي ابنها قيس بن زياد بن أبي سفيان بن عوف بن كعب.

الشَّدائد، وأعوّل على حسن دِفَاعِكَ في التَّوائب، وأستَكِنُ بظِلِّكَ، وأنحَصِّن بتمنُّعِكَ، فغادرتني بارِزًا للآفات، ومعرَّضًا للحوادث والنكبات. لا مَعْقِلَ لي مما يَدْهَمُ، ولا مَلَادَ عندما يَهْجُمُ. والضَّاحي: البارز للشمس، والفعل منه ضَحِيَ يَضْحِي؛ وقد أتى بهما في البيت. والأجرد: الأملس. يَضْرِبُ ذلك مثلاً لكونه مُغَوَّرًا لا وَاقِيَّ له ولا ساتر، ولا مُحَامي ولا مدافع.

٣ - قد كنت ذات حَمِيَّةٍ ما عِشتَ لي أمشي البرَّازَ وكنتَ أنتَ جَنَاحِي
٤ - فالبَؤمَ أخضَعُ للذَّلِيلِ وأتقي منه وأدفع ظالمي بالراح

قوله «قد كنت ذات حَمِيَّةٍ» يقال: حَمِيْتُ من الشيء أَخَمَيْ حَمِيَّةً، أي أَنْفَتُ وغضبت. ورجل حَمِيٍّ الأنف: لا يحتمل الضيم، وَحَمَى أَنْفَهُ من كذا. والمعنى: كنتُ في حياتك أَنْفٌ مِمَّا أَسَامُ من الضَّيْمِ فَاتَسَخَّطُهُ، وتَسَعَّعَ المقدرَةُ لدَفْعِهِ والإبَاءِ منه، والآن صار بدلَ ذلك السُّخْطُ الرِّضَا، وإبزاء ذلك الانتقام الاستسلام. و«ما عشت» في موضع الظُّرف، أراد مُدَّةَ عِيشِكَ لي. وقوله «أمشي البرَّازَ» البرَّازُ: المكان الفَضَاء من الأرض. وإذا خرج إنسانٌ إلى ذلك الموضع قيل بَرَّزَ. ومن هذا قولهم: بَرَّزَ على أقرانه، أي صار في البرَّازَ ظُهورًا عليهم واقتدارًا. وكما تصرَّفوا في هذا على ما تَرَى تصرَّفوا في الظَّاهرة، وهي الضَّاحِيَةُ العالِيَةُ، فقيل: ظَهَرَ فلانٌ على فلان، أي عَلَا، وأظهره الله عليه، وفي القرآن: ﴿يُظْهِرُ عَلَى الَّذِينَ كُفِرُوا﴾ [التوبة: الآية ٣٣]. وأصله أمشي في البرَّازَ، فَحَذَفَ الجارَّ وَوَصَلَ الفعلُ فَعَمِلَ. والمعنى: كنتُ لا أَسْتَرُ ولا أَكْتُمُ تَهِيئًا وتخوفًا من شيء. وقوله «وكنتَ أنتَ جَنَاحِي» فالجناح من الطَّائر والإنسان: يداؤه. والمعنى: كنتُ أَطِيرُ بِقُوَّتِكَ، وأنهض في الأمور بِصَوْلَتِكَ، وَأَبْطِشُ بالأعداء بيدك وأيدِكَ.

وقوله «فالبَؤمَ أخضَعُ للذَّلِيلِ» أراد باليوم مُتَّصِلَ وَقْتِهِ من الحال والاستقبال، والمعنى: صرْتُ من طَلَبِ السَّلَامَةِ على الدَّهْرِ وأهله بحيث يَطْمَعُ فِي الذَّلِيلِ، وَيَسْتَلِينُ جانبي المَهِينِ، فَأَتَقِي ذَا الشُّوْكَةِ وَمَنْ لا شُوْكَةَ له، وأَحْذَرُ مَنْ يُخْشَى كَيْدُهُ وَمَنْ لا كَيْدَ له. وقوله «وأدفعُ ظالمي بالراح» يريد أدفعُهُ بِالْيَدَيْنِ ما أَجْدُ السَّبِيلَ إِلَيْهِ، لا خَشَوْنَةَ لي في قولِي ولا مزاحمةً في رُكْنِي، ولا اعتراضَ شديداً مِنِّي في اهْتِضَامِهِ لي، ولا مُحَاجَّةَ قُوَّةً على جِدَالِهِ إِيَّاي، فَعَمِلَ مَنْ لا حَدَّ له ولا حديدَةً، ولا عُذَّةَ ولا عَيْدَةً، ولا حِمَى ولا حَمِيَّةً.

٥ - وإذا دَعَتْ قُمْرِيَّةٌ شَجَنَّا لَهَا يَوْمًا عَلَى فَنَنْ دَعَوْتُ صَبَاحِي

٦ - وَأَغْضُ مِنْ بَصْرِي وَأَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ بَانَ حَدَ فَوَارِسِي وَرِمَاحِي

قوله «وإذا دَعَتْ قُمْرِيَّةٌ شَجَنَّا» كلامٌ أخرج على ما في اعتقادهم من بُكاء الحمام، فيقول: إذا ناحت حمامةٌ على غُضْنٍ وهي تدعو حُزْنَهَا ليهتاج بكأوها ويمتد صوتها، فإنني أَشْجَى لصوتها وأجأوبُها داعيًا صَبَاحِي، أي قائلًا: واصباحاه!

وقوله «وَأَغْضُ مِنْ بَصْرِي» غَضُّ الطَّرْفِ مِنْ فعلٍ الدليل المنخزل، كما أن طُمُوْحَهُ فعلٌ العزيز الناظر من فوق. فيقول: إني عارفٌ بمقداري بَعْدَكَ، ومتيقنٌ نكوصي وسقوط حشمتي بَذْهَابِكَ، وَكِلَّةٌ حَدِّي وَحَدُّ أَصْحَابِي لِفَقْدَانِكَ، فَأَغْضُ عَيْنِي فِي كَثِيرٍ مِمَّا يَجْرِي عَلَيَّ وَالْأَبْسَهُ، مخافة أن أرى ما هو أكبرُ منه. وقوله «وَأَعْلَمُ أَنَّهُ» الضمير ضمير الأمر والشأن. يريد: وأعلم أن الأمر انفلالٌ فُرْسانِي، وتَفْلُلُ أَسِنَّةُ رِمَاحِي. وهذا مثَلٌ لسقوط القُوَى واستعلاء العِدَى، وذهاب العُدَّة وتراجع العِدَّة. ولا يمتنع أن يريد بحدِّ فوارسي نفسَ المفقود، جعله لفرسانه حدًّا إذا كان مقدامهم ويدرهم، ولرماحه سنانًا إذ كانت تعمل بقوته، وتنفذ بصرامته.

٣٠٩ - وقال آخر^(١): [المديد]

١ - إِيخْوَتِي لَا تَبْعَدُوا أَبَدًا وَيَلَى وَاللَّهِ قَدْ بَمَدُوا

٢ - لَوْ تَمَلَّنْهُمْ عَشِيرَتُهُمْ لَا قَيْنَاءَ الْمِرْأَ أَوْ وَلَدًا^(٢)

٣ - هَانٌ مِنْ بَغْضِ الرَّزِيَّةِ أَوْ هَانٌ مِنْ بَغْضِ الَّذِي أَجَدُ^(٣)

٤ - كُلُّ مَا حَيٍّ وَإِنْ أَمَرُوا وَارِدُوا الْحَوْضِ الَّذِي وَرَدُوا

لك أن تروى «إِيخْوَتِي» و«إِيخْوَتَا». فمن روى «إِيخْوَتِي» فإنه يسكن الياء وأصله الحركة، لكونه علامة الضمير متطرِّفًا على حَرْفٍ واحدٍ فوجب تقويته بالتحريك كما كان سبيل أخيه الكاف والهاء لو وقعا موقعه، لكنهم آثروا الفتحة لخفتها، وبدل على أن الأصل الفتحة أنه لو كان ما قبله ساكنًا كان لا يجيء إلا مفتوحًا. وذلك قولك رَحَايَ وَعَصَايَ، إِلَّا أَنَّهُ لَمَّا كَانَ بَابُ النَّدَاءِ بَابُ حَذْفٍ وَإِيجَازٍ، لكَثْرَةِ اسْتِعْمَالِهِمْ لَهُ،

(١) التبريزي: وقالت أيضًا، أي فاطمة بنت الأحجم.

(٢) التبريزي: «الرزية».

(٣) التبريزي: «أو ولدوا».

سَكَنُوا الْيَاءَ. وَمَنْ قَالَ «إِخْوَتَا» فَرَّ مِنَ الْكُسْرَةِ وَبَعْدَهَا يَاءٌ إِلَى الْفَتْحَةِ، فَاَنْقَلَبَتِ الْيَاءُ أَلْفًا. عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بَادِيَّةً وَبَادَاةً، وَنَاصِيَّةً وَنَاصَاةً، وَقَوْلُكَ يَا بَاهُمَا وَأَنْتَ تَرِيدُ يَا بَى هُمَا. وَقَوْلُهُ «لَا تَبْعَدُوا» قَدْ تَقَدَّمَ الْقَوْلُ فِيهِ. فَأَمَّا اسْتِدْرَاكُهُ لِقَوْلِهِ «وَبَلَى وَاللَّهِ قَدْ بَعَدُوا» فَإِنَّهُ تَنْبِيْهُ مِنْهُ عَلَى أَنْ لَا تَبْعَدُوا وَإِنْ كَانَ لَفْظُهُ لَفْظَ الدُّعَاءِ فَهُوَ جَارٍ عَلَى غَيْرِ أَصْلِهِ، وَأَنَّهُ إِنَّمَا هُوَ تَحَسُّرٌ وَتَوَجُّعٌ.

وقوله «لَوْ تَمَلَّثْتُهُمْ عَشِيرَتَهُمْ»، يريد: لَوْ بَقُوا مَعَهُمْ مُلَاوَةً مِنَ الدَّهْرِ مَمْتَعِينَ بِهِمْ، وَمَقْتَنِينَ الْعَزَّ بِمَكَانِهِمْ أَوْ أَوْلَادَهُمْ بَقُوا مَعَهُمْ فَتَرَبُّوا فِي جُحُورِهِمْ، وَتَأْدَّبُوا بِسِيَاسَتِهِمْ، وَاحْتَبَّوْا بِأَرْدِيَةِ السِّيَادَةِ فِي أَقْنِيَتِهِمْ وَمَحَافِلِهِمْ - لِهَآنَ بَعْضُ الرِّزِيَّةِ. وَلَكِنْ أَنْ تَرَوِي «أَوْ وَلِدُوا» عَلَى أَنْ يَكُونَ فَعْلًا وَاوًا الضَّمِيرُ بَعْدَ حَرْفِ الرَّوْيِ تُجْعَلُ وَصَلًا، وَيَكُونُ الْمَعْنَى: لَوْ أَعْقَبُوا وَخَلَّفُوا أَوْلَادًا يَرِثُونَ مَجْدَهُمْ وَيُحْيُونَ أَسْمَاءَهُمْ، وَيَعْمُرُونَ مَعَالِيَ آبَائِهِمْ بَعْدَهُمْ. وَجَوَابُ لَوْ أَوَّلُ الْبَيْتِ الَّذِي يَلِيهِ، وَهُوَ «هَانَ مِنْ بَعْضِ الرِّزِيَّةِ» وَمَعْنَاهُ: لَوْ قُضِيَ الْأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ لَخَفَّ بَعْضُ مَا عَلَى النَّاسِ لَهُمْ وَمِنْ أَجْلِهِمْ، أَوْ خَفَّ بَعْضُ الَّذِي أَجْلُهُ أَنَا مِنَ الْإِكْتِتَابِ وَالْإِهْتِمَامِ بِقَوْتِهِمْ. وَقَوْلُهُ «مِنْ بَعْضِ الرِّزِيَّةِ» الْأَخْفَشُ يَجِيزُ زِيَادَةَ «مِنْ» فِي الْوَاجِبِ، فَعَلَى طَرِيقَتِهِ يَكُونُ الْمَعْنَى هَانَ بَعْضُ الرِّزِيَّةِ. وَسَبَبُوه يَمْتَنِعُ مِنْ زِيَادَةِ مِنْ إِلَّا فِيمَا لَيْسَ بِوَاجِبٍ، كَالِاسْتِفْهَامِ وَالْثَّقْنِي. فَعَلَى طَرِيقَتِهِ يَكُونُ الْمَعْنَى: كَانَ ابْتِدَاءُ الْمَهْوُونِ بَعْضَ الرِّزِيَّةِ أَوْ مِنْ بَعْضِ الرِّزِيَّةِ.

وقوله «كُلُّ مَا حَيٍّ» مَا زَائِدَةٌ، وَيَجُوزُ أَنْ يَرِيدَ بِالْحَيِّ الْقَبِيلَةَ. وَمَعْنَى أَمَرُوا كَثُرُوا. يَقَالُ: أَمَرَ الشَّيْءُ وَأَمَرَهُ اللَّهُ لَهُ. وَيَجُوزُ أَنْ يَرِيدَ بِالْحَيِّ ضِدَّ الْمَيِّتِ، وَيَكُونُ الضَّمِيرُ مِنْ أَمَرُوا عَائِدًا إِلَى لَفْظِ كُلِّ. فَيَقُولُ: كُلُّ قَبِيلَةٍ وَإِنْ تَنَاسَلُوا وَتَكَاثَرُوا فَمَالُ أَمْرِهِمْ إِلَى مِثْلِ مَا آلَ أَمْرُ إِخْوَتِي، وَمَوْرِدُهُمْ مِنَ الدَّهَابِ وَالْفَنَاءِ مِثْلُ مَوْرِدِهِمْ، إِذْ كَانَ الْمَوْتُ لَا مَعْدَلَ عَنْهُ، وَلَا مَنَجَى لِأَحَدٍ مِنْهُ. وَجَوَابُ الشَّرْطِ فِي قَوْلِهِ وَإِنْ أَمَرُوا دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ «وَارِدُوا الْحَوْضَ الَّذِي وَرَدُوا»، وَالضَّمِيرُ الْعَائِدُ مِنَ الصَّلَةِ إِلَى الْمَوْصُولِ مُحذُوفٌ، كَأَنَّهُ قَالَ: الَّذِي وَرَدُوهُ، لِأَنَّهُمْ اسْتَطَالُوا الْأَسْمَ بِصِلَتِهِ.

٣١٠ - وَقَالَتْ امْرَأَةٌ أُخْرَى^(١): [مَشْطُورُ الْمَدِيدِ]

١ - طَافَ يَبْنِي نَجْوَةً مِنْ هَلَاكِ هَلَاكَ^(٢)

(١) التبريزي: «ويقال إنها لام تابط شرًا، ويقال لام السليك بن السلكة».

(٢) التبريزي: «قال أبو العلاء: هذا الوزن لم يذكره الخليل ولا سعيد بن مسعدة وذكره الزجاج =

٢ - لَيْتَ شِعْرِي ضَلَّةً أَيُّ شَيْءٍ قَتَلْتُكَ

النَّجَاةُ وَالنَّجْوَةُ: ما ارتفع من الأرض حَتَّى لَا يَصِلَ إِلَيْهِ السَّيْلُ وَلَا يَبْلُغَهُ. قال:

[البسيط]

فَمَنْ بَنَجَوْتِهِ كَمَنْ بَعَفَوْتِهِ والمستكينُ كَمَنْ يَمْشِي بِقِرْوَاخٍ^(١)

فجعله ههنا مثلاً لما كان يطلبه مِنْ وجه الخلاصِ مِنَ الآفات. وكأنَّ هذا المراثيَّ كان استشعر خوفاً من الموت فأخذ يتنقَّل في البلاد والبِقَاعِ ويتطلَّب موضعاً يبعُده من الآفات، فبقي يتردَّد في ذلك ويتحير، فإذا الهلاك قد فاجأه من حيث لا يحتسب ولا يرتقب. وإنما نكَّر من هلاكٍ لأنَّه جعلَ كلَّ نوعٍ منه هلاكاً، ولم يذَرِ ماذا يصيِّبه.

وقوله «ليت شعري» موضع شعري نصبٌ في معنى علمي. ويقال: شَعَرْتُ شِغْرَةً كما يقال فَطَنْتَ فِطْنَةً، إلَّا أنَّه لَا يستعمل مع ليت إلَّا وقد حُذِفَ الهاءُ منه. وقوله «أَيُّ شَيْءٍ قَتَلْتُكَ» الجملة كما هي في موضع نصب، لأنَّها نَابَتْ عن مفعوليه. وخبر ليت مضمَّر لا نجده إلَّا كذلك، فهو يُشَبِّه خبرَ المبتدأ بعد لولا إذا قلت لولا زيد لخرجت، لأنَّ لَخَرَجْتُ جوابُ لولا. وخبر المبتدأ محذوف لا يجيء إلَّا على ذلك. واستغناء ليت بمفعوليَّي شعري عن خبره، كاستغناء المبتدأ بعد لولا بجوابه عن خبره. و«ضَلَّةٌ»، انتصبَ على المصدر، والعامل فيه فعل مضمَّر. وهذا الضَّلَالُ يجوز أن يكون لنفسه فيما استَبَهَمَ عليها من حال المتوفى، كأنَّه ضلَّ عن العلم ضَلَّةً، ويجوز أن يكون للمتوفى نفسه، كأنَّه عَدَّ غيبته وخفاء أمره ضلالاً له، والمعنى: تمنيت أني أعلم أَيُّ شَيْءٍ أهلكك، وهذا لضلالي عن معرفة حالك، ودَّهَابِي عن العلم به. هذا على الأول، وعلى الثاني يكون المعنى: ما الذي قتلَكَ حَتَّى ضَلَلْتُ هذا الضَّلَالُ.

فإن قيل: خبر ليت كيف يجيء في التَّقدير وإنَّ لم يظهر في الاستعمال ؟ قلت: تقديره ليت شعري واقعُ أَيُّ شَيْءٍ قَتَلْتُكَ، أي ليتني علمت أو وَقَعَ علمي بما يقتضي هذا السُّؤال، لأنَّ الذي تمَّناه هو ما كان جوابه لا نفسُ السُّؤال.

= وجعله سابقاً للرمل.

(١) لعبيد بن الأبرص في ديوانه ١٥، واللسان (قرح، نجا)، وديوان الأدب ٢: ٧٣، ولأوس بن حجر في ديوانه ١٦، والشعر والشعراء ٢١٤.

- ٣ - أَمْرِيضُ لَمْ تُعَذِّدْ أَمْ عَدُوٌّ خَتَلَكَ^(١)
 ٤ - كُلُّ شَيْءٍ قَاتِلٌ حِينَ تَلْقَى أَجَلَكَ
 ٥ - وَالْمَنَايَا رَصَدٌ لَلْفَتَى حَيْثُ سَلَكَ
 ٦ - أَيُّ شَيْءٍ حَسَنٍ لِفَتَى لَمْ يَكْ لَكَ

قوله «أمرىض لم تُعَذِّدْ» هو إعلام منها بأنه تغيب فخفي أمره فيما أصابه حتى لم يبين له أثر، ولا لمرضه نبأ. وهو يجري مجرى البيان لقولها «أَيُّ شَيْءٍ قَتَلَكَ» فتقول: أمرىض كنت في غربة ووطن وحشة، فمَتَّ حَتَفَ أَنْفِكَ لَا يَعُودُكَ مُشْفِقٌ، وَلَا يَتَفَقَّدُكَ مَمْرُضٌ، أَوْ اغْتَالَكَ عَدُوٌّ فَتَوَصَّلَ إِلَى الْغِيْلَةِ فِي بَابِكَ بِأَعْمَالِ الْخَتْلِ وَالْجِيلَةِ. ويروى: «أَوْ رَصِيدُ خَتَلِكَ»، والمعنى: أَوْ خَدَعَكَ عَنْ حَيَاتِكَ مَنْ كَانَ بِالْمَرْصَادِ لَكَ مِنْ أَعْدَائِكَ. وقال الخليل: الْخَتْلُ: تَخَاذُعٌ عَنْ غَفْلَةٍ.

وقوله:

كُلُّ شَيْءٍ قَاتِلٌ حِينَ تَلْقَى أَجَلَكَ

تريد الإخبار عن استواء أسباب الموت في الأخذ والظفر، إِذَا دَنَا الْأَجَلَ. وَأَنَّ كُلَّ سَبَبٍ يَثُوبُ مَنَابَ الْآخِرِ إِذَا انْتَهَتْ الْمُدَّةُ.

وقوله:

وَالْمَنَايَا رَصَدٌ لَلْفَتَى حَيْثُ سَلَكَ

تريد به أَنَّ الْبِقَاعَ وَالتَّحَوُّلَ فِيهَا لَا يَغْنِي؛ لِأَنَّ حُكْمَ اللَّهِ تَعَالَى يَبْحَثُ وَيَنْقُبُ عَنِ الْمَطْلُوبِ حَيْثُ كَانَ، فَالْمَوْتُ رَصَدٌ لَلْفَتَى حَيْثُ اسْتَطَرَّقَ وَأَتَى تَوَجُّهَ. وَبَعْضُهُمْ يَرَوِيهِ: «وَالْمَنَايَا رُصْدٌ» كَأَنَّهُ جَمْعُ الرَّاوِدِ لَكُونَ الْمَنَايَا جَمْعًا. وَالْأَوَّلُ أَفْصَحُ وَأَجُودُ.

وقوله:

أَيُّ شَيْءٍ حَسَنٍ لِفَتَى لَمْ يَكْ لَكَ

(١) بعده عند التبريزي:

«أَمْ تَوَلَّى بِكَ مَا غَال فِي الدَّهْرِ السُّلُوكُ»

يصفه ببراعته وتكامل محاسنه، واستتمام آلات الرياسة فيه، فكأنه لا يستحسن من الفتيان شيء خَلَقًا ولا خُلُقًا إِلَّا وقد كان حصل له، واجتمع فيه. وقد تقدم القول في حذف الثون من لم يك.

٧ - سَاعَزِي النَّفْسَ إِذْ لَمْ تُجِبْ مَنْ سَأَلَكَ

٨ - إِنَّ أَمْرًا فَادِحًا عَنْ جَوَابِي شَغَلَكَ

٩ - طَالَمَا قَدْ نِلْتَ فِي غَيْرِ كَدِّ أَمْلَكَ^(١)

قوله «سَاعَزِي النَّفْسَ» أي ساصبرها، إِذْ كُنْتَ مع السائلين - وإن اختلفوا - على حَدٍّ واحدٍ في ترك مجاباتهم، فَعَمَمْتَ ولم تُخَصَّ. وهذا التعزي الذي أشار إليه ليس لَتَسَلُّ عن المفقود، ولا لِيَتَّاسٍ منه، ولكِنَّه طِيبُ النَّفْسِ بِشَارِكِ النَّاسِ فِي إِمْسَاكِهِ عَنْ إِجَابَتِهِمْ.

وقوله: «إِنَّ أَمْرًا فَادِحًا» اكتسب أمرٌ وهو نكرةٌ من الثَّعْتِ الذي تَبِعَهُ بعضُ الاختصاص، فلذلك صلَحَ الابتداءُ به حَتَّى دخلَ إِنَّ عليه. ألا ترى أَنَّ فائدته مع إبهامه كاملةٌ في المراد، والمعنى: إِنَّ عَظِيمًا من الأمور صَرَفَكَ عَنْ رَسْمِكَ ودَأْبِكَ فِي مِبَاسَطَتِي ومُبَائِثِي. ولأنَّ الكلامَ قد يُحْمَلُ على المعنى فيما يُستفاد منه، فكأنه قال: ما صَرَفَكَ وشَغَلَكَ عن جوابي إِلَّا أمرٌ عظيم فادح؛ إذ كانت العادةُ قَدَمَتْ منك في حُسْنِ التوفُّرِ عَلَيَّ والإقبالِ، لَتَوَجَّهْ خطابي نحوكَ.

وقوله:

طَالَمَا قَدْ نِلْتَ فِي غَيْرِ كَدِّ أَمْلَكَ

إِذَا نَ نَالَ من الدُّنْيَا كثيرًا من إرادته وأمانيه، حِينَ هَبَّتْ أرواحه، وساعدته أَيَّامُه وحالاتُه، وأَنَّه طَالَمَا كان يتحصَّلُ له المَبَاغِي بلا كَدِّ لإقبال الدُّنْيَا عليه، ويتسهَّلُ له المَطَالِبُ لاقتِرَانِ المناجِحِ بما لديه أو إليه، وفي ذلك بعضُ السَّلَى للجازعين له، والمتوجِّعين لِفَنَائِهِ.

(١) بعده عند التبريزي:

صبره عنك ملك
للمنايا بذلك

ليت قلبي ساعة
ليت نفسي قدُمْتُ

وقد تقدم القول في لفظة طالما وبينت معناه وهجاءه في الكتاب^(١).

٣١١ - وقال العُجَيْرُ السَّلُولِي^(٢): [الطويل]

١ - تَرَكْنَا أَبَا الْأَضْيَافِ فِي لَيْلَةِ الصَّبَا بِمَرٍّ وَمِرْدَى كُلِّ خَضَمٍ يُجَادِلُهُ^(٣)

يُروى «تركنا أبا الحُجْنَاء» وهو فيما أظنه كُنْيَةُ المَرثِي. وجعله أبا الأضياف لتوفره عليهم، ولأن داره كانت مِثْواهم. وهم يقولون: فلان أبو مِثْواي، وفي المرأة: أم مِثْواي، لَمَنْ قَرَاهِم. وأشار بلبلة الصَّبَا إلى لَيْلَةٍ بعينها اتَّفَقَ فيها على هذا الرَّجُل بِمَرٍّ، وهو موضع، اجتماعُ الخُصُومِ حوله. والمِرْدَى: صخرة يُكْسَرُ بها النُّوى؛ هذا أصله، ثم يقال: فلان مِرْدَى الخُصُومِ، أي يُرْمَوْنَ به فيكسِرُهم. وقوله «كُلِّ خَضَمٍ» أراد بالخصم الكثرة، كأنه حضره من كلِّ قبيلٍ من مُخَالِفِيهِ مِرْدَى لَهُمْ يُجَادِلُهُ عَنْهُمْ ويجاذبه. وقوله «بِمَرٍّ» منَعَهُ من الصَّرْفِ لَأَنَّهُ جعله مؤنَّثًا معرفة، ولو ذكَّره لصرفه. والواو من قوله «ومردى كلِّ خضَمٍ» واو الحال. والصَّبَا: ريحٌ تستقبل القبلة؛ والفعل منه صَبَا يصبو. وأضاف الليلة إلى الصَّبَا تعريفاً وتخصيصاً، كأنه كان للصَّبَا شأنٌ في تلك اللَّيْلَةِ.

٢ - تَرَكْنَا فَتًى قَدْ أَيقَنَ الْجُوعُ أَنَّهُ إِذَا مَا نَوَى فِي أَرْحَلِ الْقَوْمِ قَاتِلُهُ

يقول: تركنا في ذلك المكان فتى كان ربيعاً للفقراء، ومألِّفاً للأضياف. وإذا اشتدَّ الزمان وأسنت النَّاسُ تيقنَ الجَدْبُ والقحطُ أَنَّهُ لا يُقَارُهُ، بل يَقْتُلُهُ بما يُفِيضُهُ على النَّاسِ من إحسانه، ويشملهم من تَفَقُّدِهِ وبِرِّه. وقوله «قد أيقنَ الجوع» إلى آخر البيت، من صفة الفتى، وفي طريقته قول الآخر: [الوافر]

يُقَاتِلُ جُوعَهُمْ بِمَكَلَّلَاتٍ مِنْ الْقُرْنِيِّ يَرَعْبُهَا الْجَمِيلُ^(٤)

وقوله: «إذا ما نوى» ظرفٌ لقاتله.

(١) انظر الحماسية (٢٨٩).

(٢) العجير السلولي؛ واسمه عمير، وعجير لقبه، ابن عبد الله بن عبيدة بن كعب، من شعراء الدولة الأموية. كان جواداً كريماً، عده ابن سلام في شعراء الطبقة الخامسة من الإسلاميين (ت نحو ٩٠ هـ/٧٠٨ م). ترجمته في الأغاني ١٣: ٦٣، دار الكتب العلمية، ومعجم المرزباني ص ٢٣٢.

(٣) التبريزي: «بمرو ومردى».

(٤) لأبي خراش الهذلي في شرح أشعار الهذليين ص ١٢١٤، واللسان (جمل، وفرن)، وللهمذلي في أساس البلاغة (فرن). وفي رواية «تقابل جوعهم».

٣ - فَتَى قَدْ قَدْ السَّيْفِ لَا مَتَضَائِلَ وَلَا زَهْلَ لَبَّائِهِ وَأَبَاجِلُهُ

معنى «قَدْ قَدْ السَّيْفِ» أنه في مضائه ونفاذه كالسيف. والقَدْ: القطع طَوْلًا. ويقال: هو حَسَنُ الْقَدْ، أي التقطيع؛ وهو على قَدِّهِ، أي على قَدْرِهِ. وهو يَقْتَدُ الأمور بالسيف، إذا دَبَّرَهَا بالسيف. ومعنى لَا مَتَضَائِلَ: لَا مُتَخَاشِع. والضُّوْلَةُ: الدَّقَّة، يقال: هو ضئيل الجسم. والزَّهْلُ: المُسْتَرَخِي اللَّحْمِ مِنَ السَّمَنِ. يقال: فَرَسَ زَهْلُ الصدر. واللَّبَّاتُ: جمع اللَّبَّة، وهو الصدر؛ وَجَمَعَهُ عَلَى مَا حَوَّلَهُ، أو جعل كلَّ قطعة لَبَّة. والأبَاجِلُ: جمع أَبَجَل، وهو عرق في الساق، والمعنى أنه ليس بكثير اللحم على الصدر غليظ الساق. وهم يَتَمَذَّحُونَ بِالْهُزَالِ وَيَذْمُونَ السَّمَنَ. وَيُرَوَّى «وَبَادِلُهُ»، وهو ما بين العنق. والثَّرْقُورَةُ. ومعنى البيت: أنه في قَدْ السَّيْفِ وَمَضَائِهِ، لَا يَشِيئُهُ تَخَاضُّعٌ، وَلَا هُوَ سَمِينٌ مُسْتَرَخِي اللَّحْمِ عَلَى الصدر وَلَا عَلَى مَا حَوَّلَهُ. وَلَا مَتَضَائِلَ، ارتفع متضائل على أنه خبر مبتدأ محذوف، كأنه قال: لَا هُوَ مَتَضَائِلَ. وَلَبَّائِهِ ارتفع بفعله، وفعله زَهْلٌ.

٤ - إِذَا جَدَّ عِنْدَ الْجِدِّ أَرْضَاكَ جِدَّهُ وَذُو بَاطِلٍ إِنْ شِئْتَ أَلْهَاكَ بِاطِلَةِ

٥ - يَسْرُكُ مَظْلُومًا وَيَرْضِيكَ ظَالِمًا وَكُلُّ الَّذِي حَمَلَتْهُ فَهُوَ حَامِلُهُ^(١)

يصفه بأنه كان مُسْتَضْلَحًا لِلْهَزْلِ وَالْجِدِّ، فَإِنْ جَدَّ حَسَنُ جِدِّهِ وَتَنَاهَى الرُّضَا بِهِ وَالِاسْتِحْسَانُ لَهُ، وَإِنْ هَزَلَ أَلْهَى هَزْلُهُ عَلَى اقْتِصَادٍ فِيهِ وَاسْتِطَابَةِ لَهُ، لِأَنَّهُ أَخَذَ مِنْ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ بِأَوْفَرِ النَّصِيبِ، فَهُوَ يَنْخَرِطُ فِي كُلِّ سِيلِكٍ، وَيَدْخُلُ فِي كُلِّ شَأْنٍ وَأَمْرٍ.

وقوله «يَسْرُكُ مَظْلُومًا» انتصب مَظْلُومًا عَلَى الْحَالِ. يَقُولُ: إِنْ اهْتَضِمْتَ انْتَقَمَ لَكَ مِنْ ظَالِمِكَ، وَإِنْ اهْتَضِمْتَ أَنْتِ غَيْرِكَ لَمْ يَبْعِدَ عَنْ نُصْرَتِكَ. وَهَذَا عَلَى طَرِيقَتِهِمْ فِي قَوْلِهِمْ: «انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا». وَقَوْلُهُ «وَكُلُّ الَّذِي حَمَلَتْهُ فَهُوَ حَامِلُهُ» يصفه بِرَحَابَةِ الصدرِ وَالْأَخْذِ فِي كُلِّ مَا يُدْعَى إِلَيْهِ بِالصَّبْرِ، وَأَنَّهُ يَتَحَمَّلُ الْأَعْيَاءَ الثَّقِيلَةَ

(١) روى التبريزي بعده:

إِذَا نَزَلَ الْأَصْيَافُ كَانَ عَذُورًا عَلَى الْحَيِّ حَتَّى تَسْتَقِلَّ مَرَاجِلُهُ
العذور: السَّيِّءُ الْخَلْقُ.

عن ذويه والمتتبعين إليه، لا يَضْجَرُ بما يحُلُّ بفنائه، ولا يتسخطُ أمرًا يُقترَحُ عليه، أو يُستَهْضَ إليه.

٣١٢ - وقال أبو الحَجَنَاء^(١): [الطويل]

١ - أَحَادِلَ مَنْ يُرْزَأُ كَحَجَنَاءَ لَا يَزَلُ كَثِيبًا وَيَزْهَدُ بَعْدَهُ فِي الْعَوَاقِبِ

يقول: يا عاذِلُهُ، مَنْ يُصَبِّ بِمِثْلٍ مِنْ أَصِيبَتْ بِهِ يَتَّصِلُ اكْتِثَابُهُ، وَيَذْمُ زُهْدُهُ فِي عَوَاقِبِ أَطْهَارِ النِّسَاءِ وَمُبَاشَرَتِهِنَّ عِلْمًا بَأَنَّ مِثْلَ ذَلِكَ الْوَلَدِ لَا يُعْتَاضُ مِنْهُ. وَحَجَنَاءُ: ابْنُهُ. كَأَنَّ عَادِلَهُ أَذَنَهُ بِتَكَرُّرِ الْوَصَاةِ عَلَيْهِ وَإِدَامَةِ الْوَعْظِ لَهُ، وَأَنَّ مَا يَأْتِيهِ مِنَ التَّفْجُعِ مُسْتَسْرَفٌ وَمُسْتَقْبَحٌ، لخروجه عن العادات، فأقبل يجيبها ويذكر عُذْرَهُ لَهَا. وقد صرح غيره بهذا المعنى فقال: [الكامل]

أَقْبَعَدَ مَقْتَلِ مَالِكِ بْنِ زُهَيْرٍ تَرَجُّو النِّسَاءَ عَوَاقِبِ الْأَطْهَارِ^(٢)

٢ - حَبِيبًا إِلَى الْفَتَيَانِ صُحْبَةً مِثْلِهِ إِذَا شَانَ أَصْحَابَ الرُّحَالِ الْحَقَائِبِ^(٣)

انتصب حَبِيبًا عَلَى الْحَالِ لِلضَّمِيرِ فِي قَوْلِهِ «بعده». وَصُحْبَةً ارْتَفَعَ عَلَى أَنَّهُ قَامَ مَقَامَ فَاعِلٍ حَبِيبًا. وَيُرْوَى «حَبِيبٌ إِلَى الْفَتَيَانِ» فَيَكُونُ خَبْرًا مُقَدِّمًا، وَالْمَبْتَدَأُ صُحْبَةً مِثْلَهُ. وَجَوَابُ إِذَا مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ صَدْرُ الْبَيْتِ، كَأَنَّهُ قَالَ: إِذَا بَخِلَ أَصْحَابُ الرُّحَالِ بِالزَّادِ فَشَانَهُمْ امْتِلَاءُ حَقَائِبِهِمْ وَقَلَّةُ إِنْفَاقِهِمْ مِنْهَا، فِي ذَلِكَ الْوَقْتُ يَسْتَجِبُ الْفَتَيَانُ صُحْبَةً مِثْلَ ابْنِي حَجَنَاءِ، لِحُسْنِ تَوْفُّرِهِ، وَرَحَابَةِ صَدْرِهِ، وَكِرَمِ صَحَابَتِهِ، وَجَمِيلِ تَفَقُّدِهِ لِأَصْحَابِهِ. وَإِنَّمَا قَالَ «صُحْبَةً مِثْلِهِ» وَلَمْ يَقُلْ صُحْبَتَهُ، إِجْلَالًا لَهُ، وَصِيَانَةً لَاسْمِهِ، لَا إِثْبَاتًا لِنَظِيرِهِ لَهُ. وَعَلَى هَذَا قَوْلُهُمْ: مِثْلُ فُلَانٍ لَا يُوَازِي، وَمِثْلُكَ لَا يَفْعَلُ كَذَا. وَفِي الْقُرْآنِ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: الآية ١١].

٣ - نِظَامُ أَنْاسٍ كَانَ يَجْمَعُ شَمْلَهُمْ وَيَضْعُ عَنْهُمْ عَادِيَاتِ الثَّوَابِ^(٤)

(١) التبريزي: «وقال أبو الحجناء مولى بني أسد» وهو غير أبي الحجناء نصيب الأصغر الذي تقدّمت له الحماسية رقم ٢٩٤.

(٢) للربيع بن زياد العبسي في اللسان (مهر، قوا)، وبلا نسبة في اللسان (قعد)، وتهذيب اللغة ١: ٢٠٣.

(٣) التبريزي: «حبيب» على أنه خبر مقدّم، والمبتدأ «صُحْبَةً مِثْلَهُ».

(٤) التبريزي: «يجمع بينهم».

يريد أن داره كان مجمعاً لأناسٍ هو ينظم شملهم، ويؤلف جمعهم، فإن حزبهم من الثواب عادياتها فرّقها عنهم، وإن حلّ بفنائهم من أثقال الزمان ما يبهظهم آسأهم وتحمل عنهم. وقوله «عاديّات» يجوز أن يكون من العداء الظلم؛ يقال: عدا يعدو عُدوا وعداء وعدواناً. ويجوز أن يكون من العدو، يريد مسرعات الثواب وصادماتها. ومعنى يصدع يفرّق، ومنه تصدعت الأرض بفلان، إذا تغيّب فاراً.

٤ - وجَرَنْتُ ما جَرَنْتُ منه فَسَرْنِي ولا يَكْشِفُ الْفِتْيَانُ غَيْرُ التَّجَارِبِ
يريد أن ينبّه على أن ما وصفه به لا عن تقليد أو شك والتباس، ولا عن تخمين أو حدس وقياس، بل عن تجريب واستكشاف على مرّ الأيام. فيقول: لم أرض منه بعفو أفعاله وما يختاره في مقاصده، بل أخذت أستدرجه وأتعرّف عَوْرَ مقالِه وفعاله بالسُّبر والنَّظَر، فلم أَرِ إلّا ما سرّ وأنس، وزاد في العلم به فأبْهَج. وقوله «ولا يَكْشِفُ الْفِتْيَانُ غَيْرُ التَّجَارِبِ»، يشبه الالتفات، كأنه أقبلَ بعد ما خبّر، على إنسانٍ فقال: إنَّ الْفِتْيَانِ تتشابهُ ظواهرُ أمورهم، ولم يخبرك عنهم مثلُ مجرّب. ولهذا قيل في المثل السائر: [الهج]

تَرَى الْفِتْيَانَ كَالنُّخْلِ وما يُذِيرُكَ ما الدَّخْلُ^(١)

٥ - بَعِيدُ الرُّضَا لا يَبْتَغِي وَدَّ مُذْبِرٍ ولا يَتَصَدَّى لِلضُّغَيْنِ الْمُغَاضِبِ
قوله «بعيد الرضا» يريد أنه ليس بسريع القَيْة إذا سَخِطَ، لكنه يَغْرُك أَدَى مُجَاذِبِهِ ومجاوره بجنبه، ويصبر ما أمكن، فإذا أظهرَ النكيرَ، وتلقّى ما يُزاولُه بالضَّجَر الشديد، لم يُزْضِه أدنى المعاذير فَعَلَ مَنْ لا حَمِيَّةَ له ولا عزيمة. وقوله «لا يَبْتَغِي وَدَّ مُذْبِرٍ» وَصَفَه بأنّه آخِذٌ بِالضُّرْم إذا أَحْوَجَ إليه، غيرُ راعٍ في الزَّاهِد فيه. وهذا كما يقال: فلانٌ وَصالٌ صَرُوم.

وقوله «ولا يتصدى للضغين المغاضب» معنى يتصدى أن ينظر إليه نظراً غير محتفل به، وكالمغرض عنه، حتى يخرجّه ذلك إلى ما يطلبه. يريد أنه لا يتعرّض لعدوّه والمضطغن عليه، بل يتركه ينطوي على ما في صدره من غِلٍّ وعداوة، ولا يُخْرِجُه إلى مبادرةٍ ومكاشفة، بل يجري على المداجاة معه، منتظراً ما يكون منه،

(١) لابنة الخس في لسان العرب (حجا)، ولعثة بنت مطرود البجليّة في الفاخر ص ١٥٦، ومجمع الأمثال ١: ١٣٧.

ومحاذراً ما يَتَّقِي من جهته. وهذا كما قال الآخر: [المتقارب]

أَفِرُّ مِنَ الشَّرِّ فِي رِخْوِهِ^(١)

وقد أَلَمَ بقول الآخر: [الوافر]

إِذَا حَارَبْتَ حَارَبَ مِنْ تُعَادِي زَادَ سِلَاحُهُ مِنْكَ اقْتِرَاباً^(٢)

٦ - وَكَنتُ إِذَا مَا خِفْتُ أَمْرًا جَنَيْتُهُ يُخَفِّضُ جَاشِي ضَبْنُكَ الْمَتْرَاعِبُ^(٣)

يصفه بحسن المدافعة عن متسبب إليه، ومبالغة النصرة لمن أوى إلى جنبته، فيقول: إذا خفتُ جريرةً ارتكبتها ثم لُذتُ بفنائك، واعتمدتُ تعصبك، سكُن من جاشي وأزال قلقي قَبْضُكَ الواسع، ودَفَعَكَ المحامي، وذُبُّكَ المبالغ. وقوله «المتراغب» يُروى بالغين معجمة وبالعَيْن، فإذا روي بالغين معجمة فهو من الرُّغابة. ويقال: وادِ رَغِيبٌ، وحوّض رَغِيبٌ، أي واسع؛ ورجلٌ رَغِيبُ البطن، أي أَكُول. ومن رَوَى بالعَيْن غير معجمة فهو من قولهم سيل راعِبٌ: يملأ الوادي. ومنه حِسِّي متراعب. أي واسع لا يملؤه شيء. ومعنى يخفّض جاشي يسكُن نفسي. ويقال: هو رابط الجأش، أي قويُّ النفس؛ وخافض الجأش، أي ساكنه. والخفض: ضدُّ الرفع. والتخفيض: مدُّك رأسَ البعير إلى الأرض. والضَبْتُ: القبض الشديد، ومنه يقال: ناقةٌ ضَبُوتٌ، أي سميئة لا يَشْك في سِمَنِها، كأنه فعول في معنى مفعولة، أي حيث ضَبَّت منها باليد ملأت الكفَّ لحمًا.

٣١٣ - وقال آخر: [الطويل]

١ - إِذَا مَا أَمَرُوْهُ أَتَيْتُ بِأَلَامٍ مَيِّتٍ فَلَا يُبْعِدُ اللهُ الْوَلِيدَ بَنَ أَذْهَمَا

٢ - فَمَا كَانَ مِفْرَاحًا إِذَا الْخَيْرُ مَسَّهُ وَلَا كَانَ مَنَانًا إِذَا هُوَ أَنْعَمَا^(٤)

٣ - لَعَنَرُكَ مَا وَارَى الثُّرَابَ فَعَالَهُ وَلَكُنَّمَا وَارَى ثِيَابًا وَأَعْظَمَا

(١) لأبي ثمامة بن عارم في الحماسية (١٨٧)، وعجزه:

«فكيف الفرار إذا ما اقترب»

(٢) لربيعة بن مقروم في الحماسية رقم (١٧٧).

(٣) التبريزي: «المتراغب» ويروى «ضبنك المتراغب».

(٤) روى التبريزي بعده:

«ونادي المنادي أول الليل باسمه إذا أحجر الليل البخيل المذمما»

الآلاء: النِّعم، واحدها إلی. ويعني بها صنائعُه ومِنَّتهُ عند الناس. فيقول: إذا ذُكر مُنْعَمٌ عليه إحسانُ المنعمِ عليه، وأياديهُ لديه، فشَكَرَ ثمَّ تجاوزَ الشكر إلى الثَّناء فأفرط، فلا أَبْعَدَ اللهَ هذا الرجل. وهذا الكلامُ وإن كان دعاءً في موضعه الذي استعمل فيه أبلغ من كلِّ ثناء، وأزِيدُ من كلِّ تَقْرِيط وإطراء. ولذلك اقتَصَرَ عليه ولم يخلِط به غيره.

وقوله «فما كان مفراحاً إذا الخير مَسَّه» يصفُه بأنه لا يُطغيه الغنى فيكسِبُه كِبَرًا وبَأَوًا، بل يزدادُ تواضعًا فيما يناله، وتودُّدًا إلى الناس على اتِّساع حاله، حتى يُشركَهم في خيره. وقوله «ولا كان مثانًا إذا هو أنعمًا» يصفُه بأنه لا يُكدرُ نعمه عند غيره بالمنِّ والأذى، بل يتناساها حتى يكون في صورة من لم يُسَدِّ ولم يصطنع.

وقوله «لعمرك ما وارى الثرابُ فعاله» يريد أن مكارمه لم تَمُتْ بموته، ولم تُدْفَنْ في قبره، بل هي منشورة في النَّاس لا تُنسى، وماثورة لا تُلغى، فهي على مرِّ الأيام تزدادُ جِدَّةً، وعند النَّاس طَرَاءَةً، لأنها تُذكر وتُتلى، ولأنَّ ما سُيِّر فيه من الشُّعر والمدائح تُقرأ وتُروى. وقوله «ولكنما وارى ثيابًا وأعظمًا» الفعل للثراب، وهذه إشارة إلى الكَفَن ونفس المتوفَّى، وفيه من إظهار التوجُّع ما كفى وأغنى.

٣١٤ - وقال أبو الشُّغب العبسي^(١):

[الطويل]

في خالد بن عبد الله، وهو أسيرٌ في يَدَي يوسُفَ بنِ عُمرَ:

١ - ألا إنَّ خيرَ النَّاسِ حَيًّا وهالِكًا أسيرٌ ثَقِيفٌ عندهم في السَّلاسلِ
قوله «حَيًّا وهالِكًا» يجوز أن ينتصب على الحال والعامل فيه ما دلَّ عليه خير الناس، ويكون الكلام ثناءً على المخبر عنه بخير النَّاس، ويجوز أن ينتصب على التمييز، وحينئذٍ يكون تفصيلًا للنَّاس، كأنه قال: إنَّ خير الناس من الأحياء والأموات أسيرٌ ثَقِيفٌ. وقوله «عندهم» يجوز أن يكون في موضع الحال، ومعناه حاضرًا لهم وقريبًا منهم، ويكون العامل فيه ما دلَّ عليه أسيرٌ ثَقِيفٌ، ويكون فائدة الكلام أنَّه كان

(١) أبو الشغب العبسي: اسمه عكرشة، وهو من شعراء الدولة الأموية. وخالد بن عبد الله القسري: كان واليًا على العراق وما يليه من الأهواز وفارس، ويوسف بن عمر: عامل الوليد بن يزيد بن عبد الملك على العراق، وقد دفع الوليد بخالد لعامله يوسف بن عمر فحملة إلى الكوفة وعذبه حتى قتله وذلك في سنة ١٢٦.

يجوز أن يكون أسيرًا لهم ولم يكن عندهم، فأفاد أنه أسيرهم وحاصِلَ بحضرتهم. وكذلك قوله «في السَّلاسل» يجوز أن يكون في موضع الحال ويكون العامل فيه ما عمل في الظرف، فيكون تقديره بحضرتهم مقيدًا، ويجوز أن يكون العامل في عندهم ما دلَّ عليه قوله في السَّلاسل من الفعل.

٢ - لَعَمْرِي لَقَدْ عَمَّرْتُمُ السَّجْنَ خَالِدًا وَأَوْطَأْتُمُوهُ وَطَاةَ الْمُتَثَاقِلِ^(١)

هذا الكلام تفضيخٌ للأمر الذي ركبوه، وإعلامٌ منه بأنهم أتوا قبيحًا من الأمر منكراً، عمَّ وبأله الناس وظهر تأثيره فيهم. فهذا فائدة اليمين وجوابها. وقوله «عَمَّرْتُم» أي أدمتم سجنه وأطلتم حبسه، كأنهم جعلوا خالداً للسجن عُمره. والعمر: السُّنُونُ والحين، ومنه قوله تعالى: ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا﴾ [يونس: الآية ١٦]. وقوله «وأوطأتموه وطاة المتثاقِلِ» يجوز أن يكون وطاة مصدرًا من أوطأتموه وإن لم يكن من لفظه، وهذا كما يُجْعَلُ العطاء موضعَ الإعطاء، والجابة موضع الإجابة. والمفعول الثاني محذوف، كأنه قال: أوطأتموه السَّجْنَ أو الأرضَ إبطاء المتثاقِلِ، أي أثقلتهم. ويجوز أن يريد: أوطأتموه فوطىء وطاة المتثاقِلِ أي يَقْعَلُ فعل المتثاقِلِ وإن لم يكن معه تثاقُل، هو يطاء عقبه.

٣١٥ - وقال مهلهل^(٢):

- ١ - نُبَيْتُ أَنَّ النَّارَ بَعْدَكَ أَوْقَدْتُ وَاسْتَبَّ بَعْدَكَ يَا كَلِيبُ الْمَجْلِسُ
٢ - وَتَكَلَّمُوا فِي أَمْرِ كُلِّ عَظِيمَةٍ لَوْ كُنْتُ شَاهِدَهُمْ بِهَا لَمْ يَنْسُوا

كان كليبٌ واثلٌ لا تُوقد مع ناره للضيْفانِ نارٌ في أحماته، وفيما يَقْرُبُ مِنْ منازلِهِ وأوطانه، بل يتفرّد بذلك لا مِبارِي له ولا مِشَارِك؛ وكان إذا حَضَرَ مجلسُهُ النَّاسُ لا يجسُرُ أَحَدٌ أَنْ يُجَاذِبَ غَيْرَهُ أو يَفَاخِرَهُ أو يَسَابَّهُ، إعظامًا لِقَدْرِهِ وإجلالًا لشَأْنِهِ وأمره، فيقول على وجه التحسُّر: حُبِرْتُ أَنَّ نِيرَانَ الضِّيَافَةِ بَعْدَكَ أَوْقَدْتُ لِسُقُوطِ

(١) بعده عند التبريزي:

«لقد كان يبني المَكْرُمَاتِ لقومه
فإن تسجنوا القسري لا تسجنوا اسمه
ويعطي الله في كلِّ حقٍّ وباطلٍ
ولا تسجنوا معروفه في القبائل»

(٢) المهلهل: عددي بن ربيعة بن مرة بن هبيرة، من بني جشم من أبطال العرب في الجاهلية، وهو خال امرئ القيس الشاعر (ت ١٠٠ ق.هـ/ ٥٢٥ م). ترجمته في الشعر والشعراء ٩٠٩، والأغاني ٦: ١١١.

احتشامك، وأنَّ أهلَ المجلس تنازَعُوا الكلامَ بَعْدَكَ وتجاوزوه، حتَّى صار بعضهم يسبُّ البعض ويصكُّ في وجهه الكلامَ القبيح، لا رِقَّةَ تَرَدُّعُهُمْ، ولا حِشْمَةً تَدْفَعُهُمْ.

وقوله «وتكلّموا في أمرٍ كلِّ عَظيمةٍ»، يريد أنَّ الكلامَ منهم فيما يَدْهَمُهُم من الثُّوب نُهْبِي، لأنَّهم صاروا سُدَى لا يَبِينُ التَّابِعُ من المتبوع فيها، ولا الرئيس من المرؤوس، حتَّى صار تدبيرُ العظيمة بينهم فَوْضَى قَضًا، يتناهبون إدارةَ الكلام في دفعها، ويتجاوزون إجمالةَ الرّأي في رفعها، ولو كنتَ حاضِرَهُم ما جَسَرُوا أن يتقدّموا بين يديك بارتجالٍ خطاب، أو رَجَعَ جواب. ويقال: كَلَّمْتُهُ فما نَبَسَ، أي لم يتكلّم بحرف، وما سمعتُ للقول نَبَسَةً ولا زَجْمَةً. وقوله «استبَّ» يقتضي اثنين فصاعدًا، وإنّما نَمَّ بالمجلس، لأنَّ المراد به أهلُ المجلس، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه، كقوله تعالى: ﴿وَسَلِّ الْفَرِيَّةَ﴾ [يوسف: الآية ٨٢]، وقول العرب: بنو فلان يَطُؤُهُم الطَّرِيق.

٣١٦ - وقال آخر: [الطويل]

- ١ - لَقَدْ مَاتَ بِالْبَيْضَاءِ مِنْ جَانِبِ الْجَمَى فَتَى كَانَ زَيْنًا لِلْمَوَاكِبِ وَالشَّرْبِ
- ٢ - تَظَلُّ بَنَاتُ الْعَمِّ وَالْخَالِ حَوْلَهُ صَوَادِي لَا يَرَوْنَنَ بِالْبَارِدِ الْعَذْبِ
- ٣ - يَهْلَنَ عَلَيْهِ بِالْأَكْفِ مِنَ الشَّرَى وَمَا مِنْ قَلَى يُخْنَى عَلَيْهِ مِنَ الثُّزْبِ

الجمى: اسمٌ للموضع الذي فيه الماء والكَلأ وقد دُفِعَ عنه النَّاسُ. ويقال: أحميت المكانَ، إذا جعلته جَمَى. وقوله «بالبيضاء من جانب الجمى» توقيتٌ للمكان الذي وقع فيه الحادثة، وذلك إعظامٌ لخطيئها، وتفضيخٌ لشأنها. وقوله «كانَ زَيْنًا للمواكب والشرب» يصفه بالرئاسة، وأنَّه كان يَزِينُ المواكب خَلْفَهُ من حيث يستحقُّ التعظيم والتقدّم والاتباع؛ لم يَرِثْ ذلك فيهم عن كَلَالَةٍ، فهو كما قال الأعشى: [البسيط]

كُلُّ سَيْرَضَى بَأَن يُلْقَى لَهُ تَبَعًا^(١)

وقوله «والشرب» يريد أنَّ مَنْ نادَمَهُ واختلط بأهل مجلسه زانه ذلك ولم يَشْنَه، لِمَا سَلَّمَ له من الاعتلاء والفضل، والسابقة في الرئاسة والطول.

(١) ديوانه ٨٦: وصدره:

«تلقى له سادة الأقوام تابعة»

وقوله «تظلُّ بنات العمّ والخال حوله صوادي» أراد أن غليلهنّ وحمى أكبادهنّ لا يزول بالبارد العذب من الماء، إذ لم يكن ذلك عن عطش، ولكن كان لما احتاج في صدورهنّ من بوارح التوجّع، ولواذع الغموم والتفجّع، حتّى كُويت أكبادهنّ بمواسمها، واحترقت أحشاؤهنّ من لفح نَوَثرها.

وقوله «يهلنّ عليه بالأكفّ من الثرى» يريد أن النوائح لما هلنّ الثراب عليه لم يفعلن ذلك عن بُغض وإهانة، ولكن إظهارًا لما أفضى إليه أحوالهنّ من السقوط في التراب والاتزاق به، ولما شملهنّ من الصغار والابتدال بموته. ويقال: هلّت التراب وغيره أهيله هَيْلًا. وفي الحديث: «أتكيلون أم تهيلون؟ قالوا: نهيل. قال: فكيلوا ولا تهيلوا»^(١) وحتّوّه أحتّوه حَتّوًا. والصّوادي: العطاش، والفعل منه صَدِيَ يَصْدِي صَدًى.

٣١٧ - وقالت جارية: ماتت أمّها فأضرت بها

رَأَيْتُهَا^(٢): [الوافر]

- ١ - وَلَوْ يَأْتِي رَسُولِي أَمْ سَفِدِ أُنَى أُمِّي وَمَنْ يَغْنِيهِ حَاجِي
- ٢ - وَلَكِنْ قَدْ أَتَى مَنْ بَيْنَ وَدِّي وَبَيْنَ فُؤَادِهِ غَلَقُ الرِّتَاجِ
- ٣ - وَمَنْ لَمْ يُؤْذِهِ أَلَمٌ بِرَأْسِي وَمَا الرُّثْمَانُ إِلَّا بِالنُّتَاجِ

كأنّها لما ناكذتها رأيتها، ولجّت في إهانتها والإضرار بها، راسلت أباهما تُظْلِعُه على ما تُقاسي منها، وتستمدّ التعصّب لها رجاء أن يزرّجها، فلم تر من عطفه عليها ما يُرضيها، ولا من إنكاره فيها ما يردّعها، فلمّا استمرت الحال بها على طريقة واحدة اقتنصتها شاكية فقالت: لو وَرَدَتْ رسالتي على والدتي ومن يُهمّه أمري لاقتنصتها الشفقة الاعتناء بشأني، وعطفقتها الأمومة على ما أقرّحه من حاجي، ولكن قد وَرَدَتْ على من صُرف وُدّه عني، وحيل بينه وبين الحنو عليّ، فانسدت طرق الأمل فيه، وأغلقت أبواب الخير من جهته، فلا اهتزازَ لماريّة، ولا انبعاثَ لدفع مَضَرّة، ولا توجّع لشكوى تظهر، ولا تَرْحَمَ لِبَلَوَى تُذكر. وما ذلك إِلَّا لأنّ علائق الوداد تستحکم

(١) ذكره ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث ٥: ٢٨٨ «أن قومًا شكوا إليه سرعة فناء طعامهم، فقال أتكيلون أم تهيلون؟ قالوا: نهيل. قال: فكيلوا ولا تهيلوا» كل شيء أرسلته إرسالًا من طعام أو تراب أو رمل فقد هلته هَيْلًا. يقال: هلّت الماء وأهلته إذا صببته وأرسلته.

(٢) الرابّة: امرأة الأب، التبريزي: «فأضرت بها امرأة أبيها».

بالتَّناج، ومعاقَدَ الإشفاق تَنَوَّقَتْ بالولادِ، فبهذا انفصلت الأبوة عن الأمومة، وضعفت الأسبابُ إلّا عن الرُّضاع والحَضانة.

وقوله «وما الرثمان إلا بالتناج» فيه بعض ما في المثل السائر، وهو «ابنك من دمي عقيقك»^(١). يريد من قمت عنه وقد ولدته. وفي المثل الآخر: «ابنك ابن بوحك»^(٢)، أي الناشء في باحة دارك. والباحة: عَرَصَة الدار، وجمعها بُوَح. والرثمان: العطف، يقال رثمته أزمه رأماً ورثماناً، ثم يسمّى الولد رأماً، وهو المرووم. قال أبو ذؤيب: [المتقارب]

كفؤدِ المُعْطَفِ أُخْرَى لَهَا بِمَضَرَّةِ الْمَاءِ رَأْمٌ رَذِي^(٣)

٣١٨ - وقالت أم الصريح الكندية: [الطويل]

- ١ - هَوَتْ أُمُّهُمْ مَاذَا بِهِمْ يَوْمَ صُرْعُوا بِجَيْشَانٍ مِنْ أَسْبَابِ مَجْدٍ تَصَرُّمًا^(٤)
- ٢ - أَبَوْا أَنْ يَفِرُّوا وَالْقَتَا فِي نُحُورِهِمْ وَلَمْ يَرْتَقُوا مِنْ خَشْيَةِ الْمَوْتِ سُلْمًا^(٥)
- ٣ - وَلَوْ أَنَّهُمْ فَرُّوا لَكَانُوا أَعْرَةً وَلَكِنْ رَأَوْا صَبْرًا عَلَى الْمَوْتِ أَكْرَمًا^(٦)

قوله «هَوَتْ أُمُّهُمْ» أي هلكت. والمَهْوَاةُ والهَوَّةُ والهاوية والأهوية والهَوَّاةُ على فَعَالَةٍ بمعنى، وهو ما بين أعلى الجبل أو البئر إلى المستقر. وفي القرآن: ﴿فَأَمَّهُ هَكَاوِيَةً﴾ [القَارَعَة: الآية ٩]، قيل هي اسمٌ لجَهَنَّمَ، أي هي مأواهم كما تُؤوي الأمُّ الولدَ، وقيل هي من هَوَتْ أُمُّهُمْ، وهذه اللفظة تُستعمل عند الداهية يُشرف عليها الإنسان أو يقع فيها، وفيها معنى للتعجب والاستفهام. على ذلك قوله: [الطويل]

هَوَتْ أُمُّهُ مَا يَبْعَثُ الصُّبْحُ غَادِيَا وَمَاذَا يُوَدِّي اللَّيْلُ حِينَ يُوَوِّبُ^(٧)

-
- (١) في اللسان «دمي»: «ولدك من دمي عقيق».
 - (٢) في اللسان (بوح): «البوح: الفرج، والمثل: ابنك ابن بوحك يشرب من صبرحك، قيل: فغناه الفرج، وقيل النفس، ويقال للوطء، وفي التهذيب: ابن بوحك أي ابن نفسك لا من يئتي».
 - (٣) لأبي ذؤيب الهذلي في شرح أشعار الهذليين ١٠١، واللسان (رأم، حزا)، وتهذيب اللغة ٥: ١٧٦.
 - (٤) جيشان: مخلاف باليمن، وقد وردت الآيات في معجم البلدان ٢: ٢٠٠.
 - (٥) التبريزي: «وأن يرتقوا».
 - (٦) التبريزي: «فلو أنهم».
 - (٧) لكعب بن سعد الغنوي في الأصمعيات ٩٥، واللسان (أمم، هوا)، وسمط اللالكاء ٧٧٣، وجمهرة أشعار العرب ٧٠٣.

وعلى الأول قول الآخر: [السريع]

كنت كمن تهوي به الهاوية^(١)

وقيل: هوت أمهم، معناه أم رؤوسهم هاوية في الهوة أو في النار. وتلخيص البيت هوت أمهم أي شيء تصرم بهم من أسباب المجد يوم صرعوا بجيشان، وهو علم البقعة اتفقت الوقعة بهم فيها. وماذا إن شئت جعلت ما اسما مبتدأ وذا خبره، وإن شئت جعلت ما مع ذا اسما واحدا ويكون مبتدأ وتصرم في موضع خبره. وهذا الكلام مخرجه على الاستفظاع والتعجب.

وقوله: «أبوا أن يفروا» يصف ثباتهم في وجه البلاء، وصبرهم على الطعان والوقاع. والواو من قوله «والقنا في نحورهم» واو الحال؛ أي امتنعوا من الإحجام والتكوص فلم يطلبوا وجه المهزب، ولا سلكوا طرق المخلص، مع الإمكان والتمكن، وتمهد المعذرة عند الناس فيما يأتونه والتنصل، ومع العلم باستظهار الأعداء عليهم، وقعود العجز عن الوفاء بهم.

ثم قال: «ولو أنهم فروا لكانوا أعزة» أي لو تأخروا وكفوا لما لحقهم ذل فيه ولا غضاضة؛ ولا تسلط على عزهم نقيصة وحقارة، ولكن وجدوا الصبر على الموت، والاستقتال بعد اللقاء أكرم في الأحداث، وأنفى للعار والمذمة.

٣١٩ - وقال الحسين بن مطير^(٢):

١ - إلمأ على مغمي وقولا لقبره سقتك الغواذي مزيما ثم مزيما

٢ - فبا قبر مغمي أنت أول حفرة من الأرض حطت للسماحة مضجعا

يخاطب صاحبين له، يسألهما زيارة قبر مغمي وإبلاغه عنه أنه مقيم على ما هو دأبه ووكدته من طلب السقيا له، فواصل الله ذلك لك من السخب التي تنشأ غدوة، ربيعا بعد ربيع. والمعنى: دامت الثضارة والطراوة. وإنما خص الغواذي لأن المراد

(١) لعمرو بن ملقط الطائي في اللسان (ثعلب، خبيج، هوا)، ونوادر أبي زيد ٦٢، وصدره:

«يا عمرو لو نالتك أرماحنا»

(٢) التبريزي: «بن الأشيم الأسدي»، وهو من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، وله أماديع في رجالهما. (ت ١٦٩ هـ / ٧٨٥ م) ترجمته في فوات الوفيات ١: ١٤٤، والأغانى ١٦: ٢٠ (دار الكتب العلمية).

حصوله له غداة كل يوم. وقوله «مَزْبَعًا» يجوز أن يكون ظرفًا، ويجوز أن يكون مفعولًا، ويكون المربع والريبع المطر نفسه. قال الخليل: وقد يسمّى الوسمي ربيعًا. ويكون المعنى: سَقَتَكَ مطرًا الغوادي بعد مطر. ويجوز أن يكون مصدرًا من قولهم رُبِعَت الأرض، إذا أصابها الربيع، فكأنه قال: رَبَعَتَكَ الغوادي مَزْبَعًا بعد مَزْبَعٍ، أي سقتك الغوادي سقيًا بعد سقي.

وقوله:

فيا قبر معين أنت أول حفرة

يحتمل وجهين: أحدهما أن يكون مثل قول الآخر^(١): [الطويل]

كَانَ لَمْ يَمُتْ حَيٌّ سِوَاكَ وَلَمْ تَقُمْ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا عَلَيْكَ النَوَاحِ

ويكون الكلام تفضيلاً للحال، وتنبيهاً على أن ما وقع لم تجر العادة بمثله، فهو مُسْتَبْدَعٌ لِعِظَمِ موقعه في النفوس، حتى كأنه لم يُرَ قبرٌ قبله دُفِنَ فيه كريم. والآخر أن يكون المعنى: أنت أول حفرة استُحْدِثَتْ لثَوَارِي فِيهَا السَّمَاحَةُ وَالسَّخَاءُ وَالْمَرْوَةُ، فتصير مضجعاً لها، ويكون المعنى أن السَّمَاحَةَ مَاتَتْ بِمَوْتِ مَعْنٍ وَدَفِنَتْ بِدَفْنِهِ، وَأَنْتَ أَوَّلُ خُطَّةٍ اخْتُطَّتْ لِلْسَّمَاحَةِ نَفْسِهَا. وقوله «مضجعاً» انتصب على الحال.

٣ - ويا قَبْرَ مَعْنٍ كَيْفَ وَارَيْتَ جُودَهُ وَقَدْ كَانَ مِنْهُ الْبَرُّ وَالْبَحْرُ مُتْرَعًا

٤ - بَلَى قَدْ وَسِغَتْ الْجُودُ وَالْجُودُ مَيَّتٌ وَلَوْ كَانَ حَيًّا ضِفَّتْ حَتَّى تَصْدَعَا

كَرَّرَ مناداة القبر توجعًا وتحسرًا، ثم أخذ يتعجب ويقول منكراً: كَيْفَ سَتَرْتَ جُودَهُ، وَقَدْ كَانَ مِثْلًا لِلْبَرِّ وَالْبَحْرِ مَعًا. وفي طريقته قول الآخر: [الكامل]

عَجَبًا لِأَرْبَعٍ أَذْرُعٍ فِي خَمْسَةِ فِي جَوْفِهَا جَبَلٌ أَشْمُ كَبِيرٍ^(٢)

فإن قيل: لم قال مُتْرَعًا فَوَحَّدَ والإخبار عن البر والبحر جميعًا؟ قلت: يجوز أن يكون إنما وَحَّدَ لِأَنَّهُ نَوَى التَّقْدِيمَ وَالتَّأْخِيرَ، كأنه قال: وَقَدْ كَانَ مِنْهُ الْبَرُّ مُتْرَعًا وَالْبَحْرُ، أي والبحر أيضًا مُتْرَعٌ، فيرتفع البحر بالابتداء، واكتفى بالإخبار عن الأول إذ

(١) لأشجع السلمي في الحماسية رقم (٢٨٠).

(٢) البيت السابع من الحماسية (٣٢٧) لعبد الله بن أيوب التيمي.

كان المعطوف كالمعطوف عليه. ومثله: [الطويل]

فإِنِّي وَقِيَّارًا لِّغَرِيبٍ^(١)

يريد: إِنِّي لَغَرِيبٌ بِهَا وَقِيَّارٌ أَيْضًا غَرِيبٌ، وهو اسم فريسه. ويجوز أن يكون لَمَّا عَلِمَ أَنَّ الْمَعْطُوفَ حَكْمُهُ حَكْمُ الْمَعْطُوفِ عَلَيْهِ اكْتَفَى بِالْإِخْبَارِ عَنْ أَحَدِهِمَا، ثِقَّةً بِأَنَّ الثَّانِي عِلْمُ أَنَّهُ فِي حَكْمِهِ. ومثله: [الطويل]

رَمَانِي بِأَمْرِ كُنْتُ مِنْهُ وَوَالِدِي بَرِيئًا وَمِنْ أَجْلِ الطَّوِيِّ رَمَانِي^(٢)
بَلَى قَدْ وَسَعَتْ الْجُودَ وَالْجُودَ مِيتَ

بلى جواب استفهام مقرون بَنَقَى نحو قولك أَلَمْ، أليس، وما أشبههما. وهذا الشاعر لما قال متعجبًا من مخاطبة القبر ومُنْكَرًا: كَيْفَ وَارَيْتَ جُودَهُ عَلَى كَثْرَتِهِ وَوَفُورِهِ، وشموله لأقطار البرِّ والبحر، صار بما اعتَبِرَ وشاهد من الحال كأنَّ الْقَبْرَ قَالَ لَهُ: أَلَمْ أَسْغُهُ، أَلَمْ أُوَارِهِ، أَلَمْ أَنْضَمَّهُ عَلَى مَا بِهِ؟ فَقَالَ مُصَدِّقًا لَهُ، وَمَتْلَهْفًا: بَلَى قَدْ وَسَعَتْهُ وَاشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ وَهُوَ مِيتٌ، وَلَوْ كَانَ حَيًّا لَضِيقَتْ عَنْهُ حَتَّى تَنْقَطِعَ وَتَنْشَقَّ، وَالصَّدْعُ: الشَّقُّ فِي الشَّيْءِ الصُّلْبِ. وَصَدَعْتُ الْفَلَاةَ وَالتَّهَرَ قَطَعْتُهَا.

٥ - فَتَى عَيْشٍ فِي مَعْرُوفِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ كَمَا كَانَ بَعْدَ السَّيْلِ مَجْرَاهُ مَرْتَعًا
٦ - وَلَمَّا مَضَى مَعْنَى مَضَى الْجُودُ فَانْقَضَى وَأَضْبَحَ عِزْنِي الْمَكَارِمِ أَجْدَعًا

قوله «فَتَى عَيْشٍ فِي مَعْرُوفِهِ» موضعه نصبٌ على المدح والاختصاص، والعامل فيه فعلٌ مضمَرٌ، كَأَنَّهُ قَالَ: أَذْكَرُ فَتَى هَذَا صِفَتِهِ. ويجوز أن يكون موضعه رفعًا على الاستثناء، ويكون خبر مبتدأ محذوف، كَأَنَّهُ قَالَ: هُوَ فَتَى، أَوْ مَنْ أُوَيْتَهُ فَتَى، وقوله «عَيْشٍ فِي مَعْرُوفِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ» يجوز أن يكون أراد مَنْ اسْتَغْنَى بِهِ وَبِمَعْرُوفِهِ مِنَ الْمُتَّصِلِينَ بِهِ، وَالْمُنْقَطِعِينَ إِلَيْهِ، وَالرَّاجِينَ لَهُ. ويجوز أن يكون أراد مَنْ عَاشَ مِنْ وَقُوفِهِ وَحَبَائِيسِهِ بَعْدَهُ، وَيَجُوزُ أَنْ يَرِيدَ أَنَّهُ عَلَّمَ النَّاسَ الْجُودَ وَالْكَرَمَ، فَمِنْ مُقْتَدٍ بِهِ آخِذٌ أَخَذَهُ، وَمُسْتَنْ بَسُتُهُ سَلَكَ مَسْلَكَهُ، فَمَا يَفْعَلُهُ هَؤُلَاءِ صَارَ كَأَنَّهُ هُوَ الْفَاعِلُ لَهُ. ثُمَّ شَبَّهَهُ

(١) هذا عجز بيت لضابيء البرجمي في الأصمعيات ١٨٤، وخزانة الأدب ٩: ٣٢٦، والدرر ٦: ١٨٢، والشعر والشعراء ٣٥٨، وصدره:

«فَمَنْ يَكُ أَمْسَى بِالْمَدِينَةِ رَحْلُهُ»

(٢) لعمرو بن أحمر في ديوانه ١٨٧، والدرر ٢: ٦٢، وله أو للأزرق بن طرفة بن العتد الفراسي في اللسان (جول).

بالغيث يصبوبُ فيُحيي العبادَ ثم يعيشُ النَّاسُ في آثاره بعد انقطاعِهِ ومُضيهِ. وقوله «كما كان بعد السَّيل مجراه» ارتفع مجراه بكان، وكان الحكمُ أن يَلِيَهُ فلم يَسُغْ لأنَّ الضمير فيه يرجع إلى السَّيل وقد تَقَدَّمَ عليه، والإضمار قبل الذَّكر أو ما يجري مجراه لا يجوز، فامتنع رُدُّه إلى رتبته من وَلِيِّ العاملِ له، لشيء يرجع إلى الضمير المتَّصل به لا لشيء يرجع إليه. وتلخيص الكلام: كما كان مَجْرَى السيل مرتعًا بعده.

وقوله «ولَمَّا مَضَى مَعْنٌ» لَمَّا يجيء لوقوع الشيء لوقوع غيره، وهو عَلَمٌ للظرف. فيقول: حين مضى مَعْنٌ لسبيله وانقطعت حياته، فُقِدَ الجود وانمحت آثاره، فأصبحت المكارم ذليلةً إذ مات من يَرْبُها وَيَعْمُرُها، كمن جُدِعَ أنفه مُثْلَةً وعقوبة، وإرغامًا وإهانة. ويقال في المثل: «مُنِيَ أنفي وإن كان أجَدَع». والعزَّين: ما ارتفع من الأنف والأرض، وأوائلُ الشيء، وأشرف القوم وسادتهم، وكما ضُرب المثل بجَذع الأنف في الإذلال، ضُربَ بصلم الأذن فيه لذلك. قال: [الطويل]

فَمَشُوا بِأَذَانِ النُّعَامِ الْمُصَلِّمِ^(١)

٣٢٠ - وقال آخر:

- ١ - ما ذا أَجَالَ وتيرةُ بن سِمَاكِ من دَمَعِ باكيةٍ عليه وبَاكِ^(٢)
٢ - ذَهَبَ الذي كانت مُعَلَّقَةً به حَدَقُ العُنَاةِ وأنفُسُ الهُلَاكِ

يقول على وجه التعجُّب وإكبار الأمر: أي دمع أراقه وتيرةُ بن سِمَاكِ من عَيْنِ باكيةٍ عليه وبَاكِ. يريد أن المصيبةَ به أثرت في جماهير النَّاسِ وطوائفِ الخَلْقِ، وأنهم لم يملكوا فيما ذَهِمهم إلا البكاءَ إطفاءً لنار الوجد، وإراحةً من تعب القلب، وماذا يُغني العويل، وهو الرَّاحَةُ المطلوبةُ من البكاء إذا حَقَّتْ الحقيقةُ، إلا زيادةً في اللوعة وإنجادًا للمصيبة. وقد تقدم القول في ماذا، وشرَّحنا أمره^(٣).

وقوله: «ذهب الذي كانت معلقةً به» يريد أنه كان يَفُكُ الأسراء، ويُنعش الفقراء، حتَّى أن مَنْ ابتلي بأسرٍ، أو رُمِيَ بفقر، فإنَّه لم يُعَدِّ لفكِّهِ ولم يُزَجَّ لجبرِهِ

(١) لكيشة أخت عمرو بن معديكرب في الحماسية رقم ٥٢، وصدرة:

«فإن أنتم لم تشاروا واتديتم»

(٢) التبريزي: «قال أبو العلاء: يروى (وثيرة) بالشاء، وهو من قولهم فراشٌ وثيرٌ».

(٣) انظر الحماسية رقم (٢٧٠).

غيره، فأغيثهم كانت ممتدة إليه، وآمالهم كانت معلقة به، وإذ قد مضى لسبيله، وانتقل إلى جوار من هو أحق به، فقد استبدلوا بالطمع خيبة، ومن التعزُّز ذلة، وبَقُوا في ملكة مَحِينهم لا انفكاك لهم منها، ولا ارتياش من سقطاتها.

٣٢١ - وقال أشجع بن عمرو السلمي^(١): [السريع]

١ - أَنْعَى فَتَى الْجُودِ إِلَى الْجُودِ مَا مِثْلُ مَنْ أَنْعَى بِمَوْجُودِ

٢ - أَنْعَى فَتَى مَصِّ الثَّرَى بَعْدَهُ بِقِيَّةِ الْمَاءِ مِنَ الْعُودِ^(٢)

قوله «أنعى فتى الجود» إنما أضافه إلى الجود إيداناً بأن الجود كان يمتلكه فهو فتاه. أو يريد أن الجود كان يتبجح بكون هذا الرجل من أسرته وأصحابه، لأنه كان يتفتى في الجود؛ وهذا كما يقال: فلان فتى الحرب، وكما قيل: «لا فتى إلا علي في الوعى». فيقول: إنه الآن وقد مضى لسبيله فأني أنعاه إليه، لتشارك في فقدته والجزع عليه. ثم قال: «ما مثل من أنعى بموجود»، وهذا يشبه الالتفات، كأنه أقبل على إنسان فقال: أذكر موت من كان معدوم النظر، قليل الشبيه، فلا الجود يجد من يخلفه ويعلو ذكره، ويقوم بأوده فيقيم فيقال هو فتى الجود، ولا نحن نعتاض منه من يجمع شملنا، ويجبر كسرننا، ويسد مفاقرنا إذا أضر الزمان بنا.

وقوله «أنعى فتى مَصِّ الثرى بعده»، يريد: تغيرت الأرض عما كانت عليه، فبيست أشجارها واغبرت ساحاتها بموت هذا المرثي، فالدنيا مذبذبة، والأقطار مُقشعرة، والبؤس للبئيس مُعانيق، والخير بتوابعه من التدى والتطول والخضب والترطب مفارق.

٣٢٢ - وقال عبد الله بن الزبير الأسدي^(٣): [الوافر]

١ - رَمَى الْحَدَثَانُ نِسْوَةَ آلِ حَرْبٍ بِمِقْدَارِ سَمَنْذَنْ لَهُ سُمُودَا

(١) التبريزي: «ابن محمد بن منصور بن زياد». وقد نسب الجاحظ في البيان والتبيين الشعر إلى أبي الشيص.

(٢) روى التبريزي بعده:

«وانشلم المجد به ثلثة جانبها ليس بمسدود
فالآن تُخشى عثراث الندى وصوله البخل على الجود»

(٣) عبد الله بن الزبير: من شعراء الدولة الأموية والمتعصبين لها، كوفي المنشأ والمنزل، وكان هجاء يخاف الناس شره. (ت نحو ٧٥ هـ / ٦٩٥ م). ترجمته في الأغاني ١٤ : ٢١٥ (دار =

٢ - فَرَدَّ شُعُورَهُنَّ السُّودَ بِيَضًا وَرَدَّ وُجُوهَهُنَّ الْبَيْضَ سُودًا^(١)

الشُّمُودُ: الغَفْلَةُ عن الشيء وذَهَابُ القلب عنه. ويقال للمأخوذ عن الشيء: اترك شُموذك. وفي القرآن: ﴿وَأَنْتُمْ سَوْدُونَ﴾ [النجم: الآية ٦١]، أي ساهون لاهون. وقوله «رَمَى الْحَدَثَانِ نِسْوَ آلِ حَرْبٍ بِمَقْدَارٍ» فيه ما يجري مجرى القلب، لأنه لو قال رمى المقدار نِسْوَ آلِ حَرْبٍ بِحَدَثَانٍ، لكان أقرب في المعتاد، وأَجْرَى على طريق الدين. فيقول: جَرَّ المقدِيرُ على نِسْوَ آلِ حَرْبٍ نَوْبَةً من نَوَائِبِ الدهرِ أَثَرَتْ في عقولهن، حتى غَفَلْنَ عن أسباب الدين والدُّنْيَا كُلِّهَا، وحتى شَيَّبَتْهُنَّ وَلَفَّحَتْ وُجُوهَهُنَّ، فَرَدَّتِ السُّودَ من شعورهن بِيَضًا، والبيض من وجوههن سُودًا.

وهذا كما حُكي عن العُريان بن الهيثم^(٢)، لما سألَه عبدُ الملك عن حاله، فقال: «ابيضُ مني ما كنتُ أحبُّ أن يسودَّ، واسودَّ مني ما كنتُ أحبُّ أن يبيضَ» في كلامٍ طويل. ثم قال: [الطويل]

وكنْتُ شَبَابِي أَبْيَضَ اللَّوْنِ زَاهِرًا فَصُرْتُ بُعَيْدَ الشَّيْبِ أَسْوَدَ حَالِكًا

٣٢٣ - وَقَالَ مُسْلِمٌ بْنُ الْوَلِيدِ^(٣) وَمَاتَتْ امْرَأَتُهُ: [الطويل]

١ - حَنِينٌ وَيَأْسٌ كَيْفَ يَجْتَمِعَانِ مَقِيلَاهُمَا فِي الْقَلْبِ مُخْتَلِفَانِ^(٤)

٢ - عَدَتْ وَالْتَرَى أَوَّلَى بِهَا مِنْ وَلِيِّهَا إِلَى مَنْزِلِ نَاءٍ لِعَيْنِكَ دَانٍ

٣ - فَلَا وَجَدَ حَتَّى تَنْزِفَ الْعَيْنُ مَاءَهَا وَتَعْتَرِفَ الْأَحْشَاءُ لِلْخَفَقَانِ

هذا الكلام شَكْوٌ من حاله فيمن أُصيب به، فيقول: اليأس حاصلٌ منها إذ كان غائبُ الموتِ لا إِيَابَ له، والشُّوقُ إليها غَالِبٌ حتى كَانِي ما فَقَدْتُهَا؛ فَيَا عَجَبًا كَيْفَ اجْتَمَعَ مع اليأس رجاءٌ مع اختلاف مَقَرِّهِمَا في القلب، ومع تَنَافِيهِمَا عند

= الكتب العلمية) ومعاهد التنصيص ٢: ١٠٨، والخزانة ١: ٢٤٥.
(١) روى بعده التبريزي:

«فإنك لو رأيت بكاء هندي ورملة إذ تصكبان الخدودا
سمعت بكاء باكية وبالك أبان الدهر واحدها الفقيدا»

(٢) في البيان ١: ٣٣٩: أنه الهيثم بن الأسود بن العريان.

(٣) مسلم بن الوليد الأنصاري: شاعر غزل، وهو أول من أكثر البديع وتبعه الشعراء فيه وهو من أهل الكوفة. (ت ٢٠٨ هـ/ ٨٢٣ م). ترجمته في النجوم الزاهرة ٢: ١٨٦، وتاريخ بغداد ١٣: ٩٦، والشعر والشعراء ٣٣٩.

(٤) التبريزي: «كيف يتفقان».

التحصيل والكشف، وهل يكون الإنسان فيما اعتيد وعُرف من أحوال الأزمان مُبتلى بأسباب الخيبة من الشيء، ومتردداً معها بين علائق الطمع فيه، والمَقِيلُ الموضع من قِلْتُ. وفي القرآن: ﴿أَصْحَبُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ۝٢٤﴾ [الفُرقان: الآية ٢٤].

وقوله «عَدَتْ والثرى أولى بها من وليها» تحسّر، فيقول: ابتكرت وهي في ملكة الثراب دون ملكة وليها، فالثرى صار أولى بها. والانتقال من بين الأحياء إلى الأموات أحق وأوجب في أمرها. وقوله «إلى منزل ناءٍ لعينك داءٍ» مثل قول الآخر: [الطويل]

..... أَمَا جَوَارُهُمْ فِدَانٍ وَأَمَّا الْمَلْتَقَى فَبَعِيدُ^(١)

وقد أَلَمَ في قوله «عَدَتْ والثرى أولى بها» بقول الآخر: [الكامل]

صَلَّى إِلَهُهُ عَلَيْكَ مِنْ مَفْقُودَةٍ إِذْ لَا يَلِثُكَ الْمَكَانُ الْبَلَقُ^(٢)

وقوله «فلا وجدَ حتى تنزف العين ماءها» يريد به: لا وجد يُعْتَدُّ به إذا ذُكِرَ الهَلَعُ على مثله حتى تستنفذ العين دمعها، لاتصال البكاء بها، وحتى تستمرّ الأحشاء في خفقان القلب فتذلّ له وتصبر عليه، حتى يصير عادةً وسجيةً ويقال: عَرَفَ فلانٌ لكذا واعترف له، إذا صَبَرَ فيه واعتاده. على ذلك قوله: [الطويل]

على عَارِفَاتٍ لَلْقَاءِ عَوَائِسِ^(٣)

ويقال: نَزَفْتُ البَرَّ وأنزفُها جميعاً، قال العجاج: [الرجز]

وَأَنْزَفَ الْعَبْرَةَ مِنْ لَأَقَى الْعَبْرِ^(٤)

وفي المثل «أَجَبُنْ مِنَ الْمَنْزُوفِ صَرْطًا»^(٥).

(١) البيت الثالث من الحماسية رقم (٢٩٧) لعبد الله بن ثعلبة الحنفي، وأوله:

«هَمَّ جِيْرَةُ الْأَحْيَاءِ»

(٢) البيت الثالث من الحماسية رقم (٣٠٥) لمولك المزموم.

(٣) للناطقة الذبياني في ديوانه ٤٣، ومقاييس اللغة ٤: ٢٨٢، وعجزة:

«بَهْنُ كُلُوْمٍ بَيْنَ دَامٍ وَجَالِسٍ»

(٤) للعجاج في ديوانه ١: ١٠، واللسان (وقر، نزف، أون)، وتهذيب اللغة ١٥: ٥٤٦.

(٥) في اللسان (نزف): «في المثل: فلان أجبن من المنزوف صَرْطًا وأجبن من المنزوف خَضْفًا؛ وذلك أن رجلاً فزع فصرط حتى مات. وقال اللمياني: هو رجل كان يدعي الشجاعة فلما رأى =

وقوله «لَا وَجَدَ» خبره محذوف، كأنه قال: لا وجد حاصل أو موجود. والخفقان في القلب والجناح: الاضطراب، ومنه خَفَقَ البُثُود والأعلام، حَتَّى سُمِّي الأعلامُ خوافِقَ. قال: [الطويل]

لقد تركت عَفراءَ قلبي كأنه جَنَاحُ عَقَابٍ دائِمِ الخَفَقَانِ^(١)

٣٢٤ - وقال مُسْلِمٌ أيضًا: [الكامل]

١ - قَبِرَ بِحُلُوانٍ اسْتَسَرَ ضَرِيحُهُ خَطَرًا تَقَاصَرُ دُونَهُ الْأَخْطَارُ
٢ - نَفِضْتُ بِكَ الْأَخْلَاسُ نَفْضَ إِقَامَةٍ واسْتَرْجَعْتَ نُرَاعَهَا الْأَمْصَارُ

قوله «استسر» بمعنى أسر، ومثله استعجب بمعنى عجب. وأكثر ما تَرَى استسر يكون في معنى استخفى وتوازى. على ذلك قولهم في آخر الشهر استسر القمر ليلة أو ليلتين، فهو من السَّرار، وهو آخر يوم في الشهر، والخطر: ارتفاع المكانة والحال في الشرف، ثم يقال في الشريف: هو عظيم الخطر. والضريح، أصله القبر يُشَقَّ وسطه ولا يُلْحَد. وارتفع «قبر» بالابتداء لأنه بصفته وهو بحلوان قُرب من المعارف؛ واستسر في موضع الخبر. والمعنى: قبر بهذا المكان اشتمل جوفه على عظيم من العظماء، رفيع المكانة جليل الخطر، يتقاصر عنه كل عظيم جليل. وقوله «خطر!» أراد ذا خطر، فحذف المضاف، وكذلك الأخطار، أراد دَوُو الأخطار. وقوله «تقاصر» يجوز أن يكون من القصور: العجز، أي تعجز أن تبلغ مَحَلَّه الأخطار. ويجوز أن يكون ضدَّ تطاول فيكون من القِصر.

وقوله «نَفِضْتُ بِكَ الْأَخْلَاسُ نَفْضَ إِقَامَةٍ» يريد أن العفاة قَعَدُوا عن الاجتداء بعد موتك يأسًا ممن يُطْمَع فيه، أو يُزَجَى خيرُه، فَنَفَضُوا أَحْلَاسَ رَوَاجِلِهِمْ نَفْضَ مَنْ يقيم في بلاده ويَطْرَحُ التَّرحال. وقوله «استرجعت نُرَاعَهَا الْأَمْصَارُ» معناه أن مَنْ كان على بابهِ انصرفوا إلى أوطانهم نافضين أيديهم مَمَّنْ يتعطف عليهم، أو يصطنعهم وينظر لهم، فكأنهم كانوا ودائع الأمصار عنده مدةً مُقَامِهِمْ ببابه فارتجعتهم. والنزاع: جمع نازع، وهو البعيد والغريب جميعًا، وكذلك التزيع والجميع النزاع. ويجوز أن يكون

= الخيل جعل يفعل حتى مات هكذا، قال: يفعل يعني يضطر، والمنزوف: السكران المنزوف العقل.

(١) لعروة بن حزام في ديوانه ٨٩، وتاج العروس (خفق)، وبلا نسبة في مجمل اللغة ٢: ٢٠٤.

مِنْ تَزَعْتُ إِلَيْهِ زَرَاْعًا، أَيِ حَنْتُ. فيقول: المقيمُ في موضِعِهِ رَفَضَ التَّرْحَالَ، والمسافر عاد إلى مَقَرِّهِ يَأْسًا مِنْ كَسْبِ الْمَالِ.

٣ - فَاهْبِ كَمَا ذَهَبَتْ عَوَادِي مُرْنَةً أَتَى عَلَيْهَا السَّهْلُ وَالْأَوْعَارُ

٤ - سَلَكَتْ بِكَ الْعَرَبُ السَّبِيلَ إِلَى الْعُلَى حَتَّى إِذَا سَبَقَ الرَّدَى بِكَ حَارُوا

يقول: اذهب لَوَجْهِكَ وَالْأَوَكُ منشورة، وصنائعُك محمودَةٌ مشكورة، وآثارُكَ كآثارِ السُّحْبِ وقد أغاثَ النَّاسَ بِأَمْطَارِهَا، فإذا أَقْلَعَتْ تَرَى أَهْلَ السَّهْلِ وَالْوَعْرَ يُثْنُونَ عَلَيْهَا. والغواضي: السُّحَابَاتُ الَّتِي تَنْشَأُ غُدُوَّةً، وكأنَّه أرادَ أَقْطَاعًا مِنْهَا، وَأَضَافَهَا إِلَى الْمُرْنَةِ لِأَنَّهَا مِنْهَا تَجْمَعَتْ فَكَمَلَتْ مُرْنَةً. ويجوز أن يكون المراد بالغواضي أمطارًا تُصُوبُ غُدُوَّةً، وَأَضَافَهَا إِلَى الْمُرْنَةِ.

وقوله «سَلَكَتْ بِكَ الْعَرَبُ السَّبِيلَ إِلَى الْعُلَى» يريد أُنْكَ هَادِي الْعَرَبِ وَدَلِيلَهُمْ فِي اكْتِسَابِ الْمَعَالِي وَابْتِنَاءِ الْمَكَارِمِ، فَانْتَ قَائِدُهُمْ وَهُمْ يَطُؤُونَ عَقِيكَ، وَيَقْتَدُونَ بِكَ، حَتَّى إِذَا فَقَدُوا إِرْشَادَكَ تَحَيَّرُوا فَلَمْ يَهْتَدُوا، وَضَلُّوا فَلَمْ يَرْشُدُوا. ومعنى «سَبَقَ الرَّدَى بِكَ» كَأَنَّهُمْ كَانُوا يَتَشَبَّهُونَ بِهِ وَيَلْزَمُونَهُ حَافِظِينَ بَقَاءَهُ فَجَاءَ الرَّدَى يَطْلُبُهُ وَيَخْتَارُهُ، فَانْتَهَزَ الْفُرْصَةَ فِي السَّبْقِ بِهِ وَاجْتِنَادِهِ مِنْ أَيْدِيهِمْ، وَالْفُوزَ بِهِ مِنْ دُونِهِمْ. ومفعول سَبَقَ محذوف، كأنَّه قَالَ سَبَقَهُمُ الرَّدَى بِكَ.

٣٢٥ - وَقَالَ حَنْشُ^(١) فِي يَعْقُوبَ بْنِ دَاوُدَ: [الكامل]

١ - يَعْقُوبُ لَا تَبْعَدْ وَجُنُبْتَ الرَّدَى فَلَنَبْكِيَنَّ زَمَانُكَ الرُّطْبَ الثَّرَى

٢ - وَلَسْتُ تَعَهَّدَكَ الْبَلَاءَ بِنَفْسِهِ فَلَقِيَتْهُ إِنَّ الْكَرِيمَ لَيُبْتَلَى

لَمْ يَرْضَ بِالْجَرِيِّ عَلَى عَادَةِ النَّاسِ فِي قَوْلِهِمْ عِنْدَ الْمَصَابِ: لَا تَبْعَدْ، حَتَّى زَادَ عَلَيْهِ «وَجُنُبْتَ الرَّدَى» لِيَكُونَ الْكَلَامُ أَدْلً عَلَى التَّوَجُّعِ، وَأَوْفَى بِالْتَّيْبَةِ عَلَى حَاجَةِ النَّاسِ إِلَى بَقَاءِ الْمَتَوَقَّى. وقوله «فَلَنَبْكِيَنَّ زَمَانُكَ الرُّطْبَ الثَّرَى» يَشِيرُ فِيهِ إِلَى إِحْسَانِهِ الصَّافِي، وَمَعْرُوفِهِ الْوَاسِعِ الْوَافِي، وَأَنَّهُ كَانَ لِلنَّاسِ كَالْحَيَا يُحْيِي الْأَرْضَ وَسُكَّانَهَا، فَكَانَ ثَرَى

(١) التبريزي: «الهلالي»، قال دعبل: اسمه خُضَيْرُ بْنُ قَيْسِ النَّمِيرِيِّ بَصْرِيٍّ، كَانَ يَحْفَظُ الْقُرْآنَ وَعَاشَ مِائَةَ سَنَةٍ، وَصَحَبَ يَعْقُوبَ وَزَيْرَ الْمَهْدِيِّ، فَلَمَّا حَبَسَهُ الْمَهْدِيُّ وَنَالَ مِنْهُ مَا نَالَ قَالَ هَذَا الشَّعْرَ.

الأرض به رطبًا، وزمائه خصبًا. وفيه إمام بقوله: [الكامل]

اذْهَبْ كَمَا ذَهَبَتْ غَوَادِي مُزْنَةٍ^(١)

وقوله «ولئن تعهّدك البلاء بنفسه» أفاد قوله «بنفسه» إكبار الأمر وتفضييع الشأن في موته وفقدانه، كأنّ البلاء لم يرض في الذهاب به بأن يعتمد على نائييه ورسله، بل جاءه بنفسه. وقوله «إنّ الكريم ليبتلى» تسلية. ومعنى «تعهّدك» أي نظّر هل أنت على ما عهدك ليرى فيك رأيه. وفي الكلام إمام بقول الآخر: [الطويل]

أرى الموت يعتام الكرام ويصطفي عقيلة مال الفاحش المتشدّد^(٢)

ويعني بالبلاء الموت، وقد يكون في غير هذا الموضع النعمة والاختبار. ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَيَبْتَلِيَّ اللَّهُ﴾ [آل عمران: الآية ١٥٤]، أي يمتحن. وقوله «لئن» اللام موطنه للقسم، وهو مضمّر وجوابه «إنّ الكريم ليبتلى».

٣ - وأرى رجالاً ينهسونك بغدما أغنيتهن من فاقة كل الغنى

٤ - لو أنّ خيرك كان شرّاً كلّهُ عند الذين عدّوا عليك لَمّا عدّا

معنى ينهسونك يغتابونك، وأصل التّهمس في العظم إذا عرق ما عليه من اللحم. وانتصب «كلّ الغنى» على المصدر، ووضع الغنى موضع الإغناء على عادتهم في وضع الاسم موضع المصدر. والمعنى: أرى من أحسنت إليه وأنعشته وبعد الفاقة أغنيته، يتنقّص ويغتائبك، سوء محافظة منهم، ولدناءة أصلهم ولؤم عرقهم.

ثم قال: لو أنّ خيرك عندهم كان كلّهُ شرّاً لما جاوز فعلهم بك، ومكافأتهم لك، ما نراه. ومعنى «عدّوا عليك» ظلموك. ومعنى «لَمّا عدّا» لَمّا جاوز ويقال: عدا عليه عدّوا وعدّوا وعدّاء وعدّوانا. وارتفع «كلّهُ» على التوكيد للمضمّر في كان، ويجوز أن يكون اسم كان. وفي قوله «لَمّا عدّا» ضمير للشرّ، ومفعوله محذوف، كأنه قال: لَمّا جاوز الشرّ، أي جزاء الشرّ، ما يأتونه في نقيصتك والوضع منك. والكلام تحسّر وتشتك من متحملي صنائع المفقود، وذم للذهر وأهله.

(١) البيت الثالث من الحماسية رقم (٣٢٤)، لمسلم بن الوليد، وعجزه:

«أثنى عليها السهل والأوعار»

(٢) لطرفة بن العبد في معلقته.

٣٢٦ - وقالت صَفِيَّةُ الْبَاهِلِيَّةُ^(١) :

١ - كُنَّا كَغُضْنَيْنِ فِي جُرْثُومَةٍ سَمَقًا حِينَا بِأَحْسَنِ مَا تَسْمُو لَهُ الشَّجَرُ

٢ - حَتَّى إِذَا قِيلَ قَدْ طَالَتْ فُرُوعُهُمَا فطَابَ قَيْنَاُهُمَا وَاسْتُنْظِرَ الثَّمَرُ

قوله «سمقا» أي طالا في كمال. والجُرْثُومَةُ: الأصل فيقول: كنا كَفَتْنَيْنِ خَرَجَا مِنْ أَصْلٍ وَاحِدٍ فَنَمِيَا وَطَالَا، وَاسْتَكْمَلَا زَمَانًا، وَبَقِيََا يَزْدَادَانِ عَلَى أَحْسَنِ مَا تَزْدَادُ لَهُ الْأَشْجَارُ، حَتَّى إِذَا قَرَعَا، وَآتَتْ أَغْصَانُهُمَا وَبَرَعَا، وَكَثُرَ وَرَقُهُمَا، وَاسْتَطِيبَ ظِلُّهُمَا، وَصَارَا يُنْتَظَرُ ثَمَرُهُمَا، وَقَفَّ الْأَمْرُ بِهِمَا دُونَ الْغَايَةِ الْمَرْجُوءَةِ فِيهِمَا، وَدُعِيَ أَحَدُهُمَا مَقْدَمًا عَلَى الْآخَرِ لِلْمَحْتَمِ لِهَـمَا. وَالْقَرْعُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ: مَا تَفْرَعُ مِنْهُ فِي أَعْلَاهُ. الْفِيءُ مِنَ الظِّلِّ: مَا فَاءَ مِنْ جَانِبٍ إِلَى جَانِبٍ. وَمَعْنَى اسْتُنْظِرَ اسْتَظْهَرَ. وَرَوَاهُ بَعْضُهُمْ: «وَاسْتُنْظِرَ الثَّمَرُ»، أَيْ وَجَدَ نَاصِرًا غَضًّا. وَالْأَوَّلُ أَحْسَنُ.

٣ - أَخْنَى عَلَى وَاحِدٍ رَيْبُ الزَّمَانِ وَمَا يُبْقِي الزَّمَانُ عَلَى شَيْءٍ وَمَا يَذُرُّ

٤ - كُنَّا كَأَنْجُمٍ لَيْلٍ بَيْنَهَا قَمَرٌ يَخْلُو الدُّجَى فَهَوَى مِنْ بَيْنِهَا الْقَمَرُ

قوله «أخنى» جواب إذا من قوله «حتى إذا قيل قد طالت فروعهما»، وقوله «وما» يُبْقِي الزَّمَانُ» اعْتِرَاضٌ حَصَلَ بَيْنَ مَا قَبْلَهُ وَمَا بَعْدَهُ مِنَ الْقِصَّةِ، مُؤَكِّدٌ لَهُ. فَيَقُولُ: لَمَّا بَلَغَ الْأَمْرُ بِنَا ذَلِكَ الْمَبْلَغَ أَنَاخَ حَدَثَانُ الدَّهْرِ عَلَى أَحَدِهِمَا فَاتْلَفَهُ وَأَفْسَدَهُ، وَالزَّمَانُ هَذَا دَائِبُهُ، لَا يَسْلَمُ عَلَيْهِ شَيْءٌ، بَلْ يَرْتَجِعُ كَمَا يُعْطَى، وَيَسْلُبُ كَمَا يَهَبُ.

ثم قال: «كُنَّا كَأَنْجُمٍ لَيْلٍ بَيْنَهَا قَمَرٌ»، وَهَذَا تَشْبِيهُ ثَانٍ، كَأَنَّهُا فِي الْأَوَّلِ - وَهُوَ كُنَّا كَغُضْنَيْنِ - شَبَّهَتْ نَفْسَهَا وَصَاحِبَهَا بِغُضْنَيْنِ، وَفِي الثَّانِي شَبَّهَتْ الْعَشِيرَةَ كُلَّهَا وَالْمَتَوَفَّى فِيهَا، بِنَجُومٍ لَيْلٍ أَحْدَقَتْ بِقَمَرٍ اسْتِضَاءَ ظِلَامِ اللَّيْلِ بِثَوْرِهِ فَسَقَطَ ذَلِكَ الْقَمَرُ مِنْ وَسْطِهَا فَعَادَ اللَّيْلُ كَمَا كَانَ.

وهذا الكلام فيه تفضيل للمتوفى على ذويه كلهم، فإنهم كانوا يَسْتَكْشِفُونَ ظُلْمَةَ حَوَادِثِ الدَّهْرِ مِنْ جِهَتِهِ وَمَكَانِهِ، فَلَمَّا فَارَقَهُمْ عَادَ الشَّرُّ جَذْعًا^(٢)، وَالضِّيَاءُ حِنْدِسًا.

(١) الأبيات ذكرها ابن عبد ربه في العقد الفريد ٣: ٢٧٧ وقال إنها رثاء لزوجها، وابن قتيبة في عيون الأخبار ٣: ٦٧ أنها رثاء لأختها.

(٢) عاد جَذْعًا: أي جديدًا كما بدأ.

٣٢٧ - وقال التيمي^(١) في منصور بن زياد^(٢): [الكامل]

١ - لَهْفَى عَلَيْكَ لِلْهَفَةِ مِنْ خَائِفٍ يَبْغِي جَوَارِكَ حِينَ لَيْسَ مُجِيرُ

«لَهْفَى» مبتدأ، وهو لَهْفٌ مضاف إلى ضمير النَّفْسِ، ففرَّ من الكسرة وبعدها ياء إلى الفتحة فانقلبت أَلْفًا. ولو رُوي لَهْفِي عَلَيْكَ، لجاز، ويكون جاريًا على أصله. و«عليك» في موضع الخبر. واللام من لِلْهَفَةِ متعلِّق بما دلَّ عليه لَهْفَى. فيقول: لي عليك حسرة شديدة من أجلِ حسرة رجلٍ نابه من حوادث الدهرِ ما اختشَى له فطلب جَوَارَكَ، والاستعاذة بفنائك، وقت لا مجيرَ له ثم لا يَجِدُكَ. وقوله «حينَ ليس مجير» ظرفٌ لَيَبْغِي، ويبغي في موضع الصِّفة لخائف. وخبر ليس محذوف، كأنه قال: حينَ ليس مجيرٌ في الدنيا، أو ينعشه، أو ما أشبه ذلك. وأضاف حينَ إلى ليس فبناه لأنَّ المضاف إليه غيرُ متمكِّن، فاكتسب البناء من جهته، فالفتحة في حينَ فتحة بناء. ولا يمتنع أن يكون فتحة إعراب، كأنه أجرى حينَ على سلامته ولم يعتدَّ بالإضافة فيه.

٢ - أَمَّا الْقُبُورُ فَلِأَنَّهُنَّ أَوَانِسُ بِجَوَارِ قَبْرِكَ وَالذِّيارِ قُبُورُ

٣ - عَمَّتْ فَوَاضِلُهُ فَعَمَّ هَلَاكُهُ فَالنَّاسُ فِيهِ كُلُّهُمْ مَأْجُورُ^(٣)

يقول: فارقت الأحياء وفي كلِّ فرقةٍ من فرقتهم عَمٌّ شامل، وزفرةٌ متصلة، فاختلفت بالأموات، فالأنس الذي كان في الأحياء انتقل بانتقالك إلى الأموات، فديارُ الأحياء ذاتٌ وَحْشَةٌ وتُفُور، فهي كالقُبُورِ لِمَا حصلَ فيها من الفجع بك، وفارقها من نسيم الرُّوح والراحَةِ بفرارك. وقبورُ الأموات ذواتُ أنسٍ وقرارٍ بمجاورتها لقبرك، ولما يَغْدُو ويروح إليها من زُوارِك.

وقوله «عَمَّتْ فَوَاضِلُهُ فَعَمَّ هَلَاكُهُ» يريد أن إحسانه عَمَّ الخلق، وصنائه شملتهم، فبحسب ذلك عَمَّتْهم الفجيعةُ به، فالناسُ كُلُّهم مُصابون مأجورون، قد استوت أقدامُهم وتناسبت أحوالُهم فيما نالهم من الحسرة فيك، وأضرَّ بهم من الخللِ الواقع في عيشهم بك.

(١) التبريزي: «قال أبو هلال: هو عبد الله بن أيوب، ويكنى أبا محمد، عربي من أهل اليمامة فصيح كلامي».

(٢) منصور بن زياد: من وجوه الدولة العباسية، وكان ابنه محمد بن منصور كاتبًا للبرامكة. انظر الشعر والشعراء ٨٣٠.

(٣) التبريزي: «فعَمَّ مُصَابُهُ».

- ٤ - يُفْنِي عَلَيْكَ لِسَانُ مَنْ لَمْ تُولِهِ خَيْرًا لَأَنَّكَ بِالثَّنَاءِ جَدِيرٌ
٥ - رَدَّتْ صَنَائِعُهُ إِلَيْهِ حَيَاتُهُ فكَأَنَّهُ مِنْ نَشْرِهَا مَنْشُورٌ

يقول: عَرَفَ النَّاسُ عَلَى اخْتِلَافِهِمْ وَتَبَايُنِ أَوْطَانِهِمْ، فَضْلَكَ وَفَوَاضْلِكَ، فَاتَّفَقَتْ أَلْسِنَتُهُمْ فِي الثَّنَاءِ عَلَيْكَ وَالْحَمْدِ لَكَ، فَمَنْ لَمْ تُسَدِّ إِلَيْهِ خَيْرًا مِنْكَ، وَلَمْ تُشْرِكْهُ فِي النِّعَةِ عِنْدَكَ، صَارَ مُقْتَدِيًا بِغَيْرِهِ فِي إِطْرَائِكَ وَمَدْحِكَ، وَتَقْرِيطِكَ وَتَزْكِيَّتِكَ، لَأَنَّكَ عِنْدَهُمْ كُلَّهُمْ جَدِيرٌ بِذَلِكَ، لَا لِمُكَافَاةٍ عَلَى إِحْسَانِكَ، وَلَا لِشُكْرِ وَجَبَ عَلَيْهِمْ فِي تَحْمُلِ أَفْضَالِكَ.

وقوله «رَدَّتْ صَنَائِعُهُ إِلَيْهِ حَيَاتُهُ»، يقول: تَذَاكَرَ النَّاسُ بِعَوَارِفِكَ لَدَيْهِمْ، وَنَشَرُوا مُحَامَدَكَ فِيهِمْ، فَكَأَنَّكَ حَيٌّ لَمْ يُوَارِكَ قَبْرٌ، وَلَمْ يَقْرَبْكَ مَوْتٌ. وَيُقَالُ: أَنْشَرَ اللَّهُ الْمَوْتَى وَنَشَرَهُمْ جَمِيعًا. وَأَنْشَرَ أَفْصَحَ. وَقَوْلُهُ «مِنْ نَشْرِهَا» أَيُّ مَنْ نَشَرَ النَّاسُ لَهَا، فَأُضِيفَ الْمَصْدَرُ إِلَى الْمَفْعُولِ.

- ٦ - فَالْنَّاسُ مَاتُمُهُمْ عَلَيْهِ وَاحِدٌ فِي كُلِّ دَارٍ رَأْيٌ وَرَفِيزٌ
٧ - عَجَبًا لَأَرْبَعِ أَذْرُعٍ فِي خَمْسَةِ فِي جَوْفِهَا جَبَلٌ أَشْمٌ كَبِيرٌ

أَصْلُ الْمَاتَمِ النِّسَاءُ يَجْتَمِعْنَ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَجَعَلَهُ هُنَا الْمَصِيبَةُ نَفْسَهَا. وَالرَّزْنَيْنِ: الصُّوْتِ. وَالرَّئَةُ الْفَعْلَةُ مِنْهُ. وَانْتَصَبَ «عَجَبًا» عَلَى الْمَصْدَرِ، وَالْعَامِلُ فِيهِ فَعْلٌ مُضَمَّرٌ، كَأَنَّهُ قَالَ: عَجِبْتُ عَجَبًا. وَإِنَّمَا قَالَ أَرْبَعِ أَذْرُعٍ، لِأَنَّ الذَّرَاعَ مُؤَنَّثَةً، وَفِي خَمْسَةِ لِأَنَّهُ أَرَادَ الْأَشْبَارَ، وَالشُّبْرَ مَذْكُورًا. وَيَشْبَهُ هَذَا قَوْلُهُ: [الطويل]

بَلَى قَدْ وَسِغَتْ الْجُودَ وَالْجُودَ مِيتٌ وَلَوْ كَانَ حَيًّا ضِفَّتْ حَتَّى تَصَدَّعَا^(١)

والجبل الأشم: الطويل الرأس. ويقال: عِزُّ أَشْمٍ، يراد به الارتفاع.

٣٢٨ - وَقَالَ نَهَارُ بْنُ تَوْسِعَةَ^(٢) يَرْثِي أَخَاهُ: [الكامل]

- ١ - عِثْبَانٌ قَدْ كُنْتُ امْرَأً لِي جَانِبٌ حَتَّى زُرَيْتُكَ وَالْجُدُودُ تَضْغَضُغُ
٢ - قَدْ كُنْتُ أَشْوَسَ فِي الْمَقَامَةِ سَادِرًا فَتَنَظَّرْتُ قَضِيدي وَاسْتَقَامَ الْأَخْذُ

(١) البيت الرابع من الحماسية (٣١٩) للحسين بن مطير.

(٢) التبريزي: «بن تميم بن عرفة بن عمرو بن حنتم بن عدي بن الحارث بن تميم الله بن ثعلبة، أحد شعراء بكر بن وائل، وكان أشعر بكري بخراسان، يرثي أخاه عتبان».

يقول: يا عِثْبَان، كُنْتُ رَجُلًا كَانَ لِي مَلَأْدُ الْوَدِّ بِهِ، وَجَانِبُ اسْتِنِيمٍ إِلَيْهِ، وَأَتَعَزَّزُ بَعَزَّهُ، إِلَى أَنْ فَقَدْتُكَ، وَالْجُدُودُ تَنْحَطُّ بَعْدَ الْارْتِفَاعِ، وَتَعَوُّجُ عَقِيبِ الْاسْتَوَاءِ. فَقَوْلُهُ «وَالْجُدُودُ تَضَعُضِعُ» اعْتِرَاضٌ، لِأَنَّ قَوْلَهُ «كُنْتُ أَشْوَسَ» مُتَّصِلٌ بِمَا قَبْلَهُ. وَالشَّوَسُ هُوَ النَّظَرُ فِي اعْتِرَاضٍ كَنَظَرِ الْعَضْبَانِ وَالْكَارِهِ لِلشَّيْءِ الْمَعْرُضِ عَنْهُ وَالْمُقَامَةِ: الْمَجْلِسِ. وَالسَّادِرُ: الْذَاهِبُ عَنِ الشَّيْءِ تَرْفَعًا عَنْهُ. وَيُقَالُ أَتَى فُلَانٌ أَمْرَهُ سَادِرًا، إِذَا جَاءَهُ مِنْ غَيْرِ جِهَتِهِ. وَالسَّدَرُ: ظُلْمَةُ تَغْشَى الْعَيْنَ، وَكَأَنَّ السَّادِرَ مِنْهُ. وَقَوْلُهُ «فَنَظَرْتُ قَصْدِي» أَرَادَ نَظَرْتُ حَيْثُ أَقْصَدْتُ، وَمَكَانَ قَصْدِي. وَإِعْرَابُهُ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ نَصَبًا عَلَى الظَّرْفِ، وَقَدْ حُذِفَ اسْمُ الْمَكَانِ مَعَهُ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مُصَدَّرًا، كَأَنَّهُ قَالَ: فَنَظَرْتُ أَقْصِدَ قَصْدِي، أَيْ قَاصِدًا قَصْدِي فَدَلَّ الْمَصْدَرُ عَلَى اللَّفْظِ بِالْفِعْلِ، وَالْوَاقِعُ مَوْقِعُ الْحَالِ هُوَ الْفِعْلُ. وَمَعْنَى الْبَيْتِ: قَدْ كُنْتُ بِمَا فِي نَفْسِي مِنَ الْكِبَرِ وَالتَّعَلُّي عَلَى النَّاسِ أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ الْمَجْلِسِ نَظَرَ الْمَعْتَرِضِ عَلَيْهِمْ، الْمَعْرِضِ عَنْهُمْ الْمُسْتَهْينَ بِهِمْ، الْمَأْخُوذَ عَنْ قَصْدِي فِيهِمْ عَجَبًا وَاسْتِغْنَاءً، فَلَمَّا فَقَدْتُكَ زَالَتْ تِلْكَ الْخُزْنَوَانَةُ عَنِّي، وَاسْتِقَامَ عُنُقِي مِنَ الصُّورِ الْعَارِضِ لَهُ، كَمَا اعْتَدَلَ نَظْرِي فزَالَ عَنْهُ الشَّوَسُ الَّذِي كَانَ فِيهِ.

وَيُسْتَحْسَنُ لِأَوْسَ بْنِ حَجَرٍ قَوْلُهُ: [الطويل]

تَشَاوَسَ يَزِيدُ إِنِّي مَن تَأْمَلُ^(١)

٣ - وَفَقَدْتُ إِخْوَانِي الَّذِينَ بَعَيْشِهِمْ قَدْ كُنْتُ أُعْطِي مَا أَشَاءُ وَأَمْنَعُ

خَاطِبُ عِثْبَانَ فِيمَا تَقْدَمُ، وَشَكَا بَثُّهُ إِلَيْهِ، عَلَى عَادَةِ النَّاسِ فِي إِظْهَارِ التَّلَهُّفِ عِنْدَ مُخَاطَبَةِ الْمَفْقُودِ، وَالْجَرِي فِي مِبَائِثِهِ عَلَى عَادَتِهِمْ مَعَهُ فِي حَيَاتِهِ. وَفِي الثَّانِي أَخْبَرَ عَنْ نَفْسِهِ بِأَنَّهُ مُرَزَّأٌ فِي إِخْوَانِهِ. كَأَنَّ الْمَصَائِبَ كَانَتْ مُتَوَافِيَةً إِلَيْهِ، مُلْحَةً فِي تَكَرُّرِ الْفَجَائِعِ عَلَيْهِ، فَاِخْوَانُهُ تَفَانَوْا وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ، وَتَدَانَوْا فِي التَّتَابُعِ سَنَدًا بَعْدَ سَنَدٍ، فَقَالَ: وَرُزِّتُ إِخْوَانِي الَّذِينَ كُنْتُ أُعْطِي مَا أَشَاءُ إِعْطَاءَهُ، وَأَمْنَعُ مَا أَشَاءُ مِنْعَهُ، مَدَّةَ عَيْشِهِمْ، وَزَمَنَ بَقَائِهِمْ. وَيُقَالُ: عَشْتُ عَيْشًا وَمَعَاشًا. وَالْمَعِيشُ وَالْمَعِيشَةُ وَالْمَعَاشُ. اسْمٌ مَا يُعَاشُ بِهِ. وَيُقَالُ: هُوَ عَاشٌ أَيُّ حَالُهُ حَسَنَةٌ.

(١) لأوس بن حجر في ديوانه ٩٨، وبلا نسبة في خزانة الأدب ١٠: ٢٢٤، ومجالس ثعلب ١٥٥، وصدره:

«يَقْلَبُ عَيْنِيهِ كَمَا لِأَخَافِهِ»

- ٤ - فَلَمَنْ أَقُولُ إِذَا تَلُمْتُ مُلِمَّةً أَرْنِي بِرَأْيِكَ أَمْ إِلَى مَنْ أَفْرَعُ
٥ - فَلْيَأْتِيَنَّ عَلَيْكَ يَوْمَ مَرَّةٍ يُبْكِي عَلَيْكَ مُقْتَنَعًا لَا تَسْمَعُ

قوله «فَلَمَنْ أَقُولُ إِذَا تَلُمْتُ مُلِمَّةً» كلامٌ من سلبه القَدَرُ إخوانه، وقصَّ جناحه فأعياه طيرائه، فمتى طرقه حادثٌ أو ألمٌ بساحته من الدهر نائِبٌ لم يكن له مَنْ يرجع إليه مستشيراً، أو يقتبس من نور رأيه مستضيئاً، ولا وَجَدَ مَنْ يستدفع به البلاء أو يستغديه على مهتضمه، فيصرفُ بقوته عن نفسه العداء فيبقى أسير الغير، وقيَّدَ الفكر. ومعنى «أَرْنِي بِرَأْيِكَ» أرشدني برأيك، واهدني بنظرك. وقد حذف المفعول الثاني لقوله أَرْنِي، والمراد أَرْنِي الصَّوَابَ أو وجه الأمر برأيك. ويقال: رَأَيْتُ الشَّيْءَ بعيني رُؤْيَةً ورأياً، ورأيتَه بقلبي رأياً لا غير. فأما قولُ زهير: [الطويل]

فقال أميري ما تَرَى ما تَرَى أَنْخِتلَه عن نفسه أم نُصَاوِلُه^(١)

فالمراد به ما تَرَى رأيي أيَّ الأمرين ترى. فما ترى سؤالٌ عن جُملة الرأي ورأيي ما تَرَى سؤالٌ على طريق التفصيل، وقد بيَّنه بقوله أَنْخِتلَه أم نصابوله. وقوله «إلى من أفرع» يقال فَرِزْتَ إلى فلان أفرع، إذا التجأت إليه؛ وهو لنا مَفْرَعٌ، أي نَفْرَعُ إليه. وفي ضده يقال: هو لنا مَفْرَعَةٌ، أي نَفْرَعُ منه. وَيَسْتَوِي فيه الواحد والثنية والجمع، والمذكر والمؤنث.

وقوله «فَلْيَأْتِيَنَّ عَلَيْكَ يَوْمَ مَرَّةٍ» خِطَابٌ لنفسه. وقد ألمَّ بقول الآخر: [الكامل]

وَإِخَالٌ أَنِّي لَأِحِقُّ مُسْتَشْبَعُ^(٢)

يريد أن أجله قد قَرُبَ ولا بقاءَ للروح على ما يمارسه ويزاوله. وأشاد بقوله «يَوْمَ» إلى وقت النَّازلة. ويقال: فعل كذا مَرًّا ومَرَّتَيْنِ كما تقول مرَّةً ومرتين، و«مقنعاً» انتصب على الحال من قوله «يُبْكِي عَلَيْكَ» ومعناه مُسَجِّى مستور الوجه. ولا تَسْمَعُ في موضع الصِّفَةِ لقوله مقنعاً، أي مقنعاً غير سامع عَوْلَةَ الباكي. و«لْيَأْتِيَنَّ» جواب يَمِينٍ مضمرة، وَيُبْكِي عَلَيْكَ في موضع الصِّفَةِ ليومٍ، أي يومٌ يُبْكِي عَلَيْكَ فيه، أو يُبْكَاةُ

(١) ديوانه ١٣٢.

(٢) لأبي ذؤيب الهذلي في تخلص الشواهد ٤٤٨، وشرح أشعار الهذليين ١ : ٨، واللسان (نصب)، وصدرة:

عليك إن قدرته تقدير المفعول به. ومثله: «وَأَنْقَرُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا» [البقرة: الآية ٤٨]، وقد مرّ القول فيه.

٣٢٩ - وقال يزيد بن عمرو الطائي: [الطويل]

- ١ - أَصَابَ الْغَلِيلُ عَبْرَتِي فَأَسْأَلُهَا وَعَادَ احْتِمَامٌ لَيْلَتِي فَأَطَالُهَا
٢ - أَلَا مَنْ رَأَى قَوْمِي كَأَنَّ رِجَالَهُمْ نَخِيلٌ أَنَاهَا عَاضِدٌ فَأَمَالُهَا^(١)

الغليل: حرارة الجوف، يقال: به غلّة. والاحتمام: القلق والانزعاج، يقال: أحمني الأمر إحمامًا. والعاضد: قاطع النخل، والذي يُقَطَّع به يقال له المِغْضَد. فيقول: تناهى حُمِيّ جوفي وغلّة كبدي، فأسلّت دمعِي إطفاءً لثأرتها، وعاد قلقٌ ليلتي، وطار الثوم عني فطال له ليلتي. وقوله «احتمام ليلتي» أضاف الاحتمام إلى ليلته لكونه فيها، ولاجتماع الوسوس عليه، لتفرّده عما يشتغل به. ويروى: «احتمامي ليلتي»، ويكون ليلتي في موضع الظرف، يريد احتمامي في ليلتي. وإنما قال احتمام ليلتي لما كان تقدّم من مصائبه في عشيرته.

وقوله «أَلَا مَنْ رَأَى قَوْمِي» لفظه استفهام، والمعنى معنى التوجّع. وقد يأتون به على الخطاب هل رأيت قومي؟ كأنّ هذه الرؤية مستنكرة فهو يستثبت. وقوله «كَانَ رِجَالَهُمْ نَخِيلٌ» شبههم وقد صرّعوا بنخيل معسودة. وهذا التشبيه وردّ مثله في القرآن، في قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٌ﴾ [الحاقة: الآية ٧]. وجملته المعنى كأنه يُنْكَرُ أن يكون قومه بهذه الصفة، فقال مستثبِتًا على طريق التحسّر: مَنْ رَأَى قَوْمِي مَقْتُلِينَ مُصْرَعِينَ كَأَنَّ فُرْسَانَهُمْ نَخِيلٌ قَصَدَهَا عَاضِدٌ فَأَمَالُهَا. وفائدة أمالها، على فصاحته في هذا الموضع، تصوير حالة الرجال حين تُركوا بالعزاء كيف تُركوا.

- ٣ - أَذْفَنُ قَتَلَاهَا وَأَسْوَجُ رَاحَهَا وَأَعْلَمُ أَنْ لَا زَيْغَ عَمَّا مَنَى لَهَا
٤ - وَقَائِلَةٌ مَنَ أُمُّهَا طَالَ لَيْلُهُ يَزِيدُ بْنُ عَمْرٍو أُمُّهَا وَاهْتَدَى لَهَا

وصف حالته وما مُني به في ذويه وعشيرته، وكيف تولى من المقتولين دفنهم، ومن المجروحين أسوهم، لأنّه إذا احتاج إلى تولي ذلك منهم كان أشقى له وأعوذ

(١) التبريزي: «من رأى قومًا». وقال أبو العلاء: إذا رويت (أناها عاصف فأمالها) فهي من عصف الريح.

بالكمد عليه. وقوله «وَأَعْلَمُ أَنْ لَا زَنْغَ عَمَّا مُتَى لَهَا» رِضًا مِنْهُ بِمَحْتَوَمِ الْقَضَاءِ، وَإِظْهَارًا لِلتَّصَبُّرِ فِي الْبَلَاءِ، وَتَحَسُّرٍ عَلَى مَا فَاتَهُ مِنَ الْقَوْمِ فِي حَالَتِي الشَّدَّةِ وَالرَّخَاءِ. وَمُتَى لَهَا، يَعْنِي قَدَّرَ لَهَا، وَأَصْلُهُ مُنِي، فَأَخْرَجَ عَلَى لُغَتِهِ، لِأَنَّهُمْ يَقْرَءُونَ مِنَ الْكُسْرَةِ وَبَعْدَهَا يَاءٌ إِلَى الْفَتْحَةِ، فَتَنْقَلِبُ الْيَاءُ أَلْفًا. وَالزَّيْغُ: الْمِيلُ وَالْإِنْحِرَافُ. وَقَوْلُهُ «أَنْ لَا زَنْغَ» أَنْ فِيهِ مَخْفُفَةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ، أَرَادَ أَنَّهُ لَا زَيْغَ. وَالضَّمِيرُ فِي أَنَّهُ لِلْأَمْرِ وَالشَّانِ، وَلَا زَيْغَ فِي مَوْضِعِ خَيْرٍ أَنْ.

وقوله «وَقَائِلَةٌ مَنَ أُمُّهَا» مَنْ فِي مَوْضِعِ الْمَبْتَدَأِ، وَطَالَ لَيْلُهُ فِي مَوْضِعِ الْخَبَرِ، كَأَنَّهُ قَالَ: الَّذِي أُمُّهَا طَالَ لَيْلُهُ. وَيَزِيدُ بْنُ عَمْرٍو مَبْتَدَأُ آخِرٍ وَأُمُّهَا فِي مَوْضِعِ الْخَبَرِ، وَهُوَ اسْتِثْنَاءٌ كَلَامٍ مُنْقَطِعٍ عَمَّا قَبْلَهُ، وَيَعْنِي يَزِيدُ بْنُ عَمْرٍو نَفْسَهُ.

وَرَوَى الْأَثَرُ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ عَنْ أَبِي عُيَيْدَةَ لِلنَّابِغَةِ الذُّبْيَانِيَّةِ، وَأَثْبَتَهَا فِي دِيْوَانِهِ وَقَدْ غَيَّرَ أَبْيَاتَهُ تَرْتِيبًا وَلَفْظًا، وَقَالَ: إِنَّمَا هُوَ زِيَادُ بْنُ عَمْرٍو؛ لِأَنَّ اسْمَ النَّابِغَةِ زِيَادٌ، وَزَعَمَ أَنَّهُ قَالَهَا فِي وَقْعَةٍ طَبِئَ يَوْمَ «شَرَافٍ»، غَزَاهُمْ حِصْنُ بْنُ حُذَيْفَةَ وَمَعَهُ النَّابِغَةُ، فَالْتَفَوْا بِشَرَافٍ. وَالنَّاسِبُونَ كَالْكَلْبِيِّ وَالشُّبَيْبَانِيَّ وَالْيَرْبُوعِيَّ وَالْأَصْمَعِيَّ، ذَكَرُوا أَنَّ النَّابِغَةَ هُوَ زِيَادُ بْنُ مَعَاوِيَةَ بْنِ جَابِرِ بْنِ ضُبَابِ بْنِ يَرْبُوعِ بْنِ غَنْيَظَ بْنِ مُرَّةَ. وَأَبُو تَمَّامٍ نَسَبَهَا إِلَى يَزِيدَ بْنِ عَمْرٍو الطَّائِيَّ، وَفِي أَلْفَاظِ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ عَلَى مَا رَوَاهُ أَبُو تَمَّامٍ شَاهِدٌ صَدَقَ عَلَى أَنَّهُ لِيَزِيدَ لَا لِلنَّابِغَةِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَمَعْنَى الْبَيْتِ: رُبَّ امْرَأَةٍ قَالَتْ مُتَوَجِّعَةً مُتَحَسِّرَةً: مَنْ قَصَدَ هَؤُلَاءِ الْمَقْتُولِينَ، وَوَفَّقَ فِي الْإِهْتِدَاءِ فَقَدْ أُطِيلَ لَيْلُهُ، لِأَنَّهُ يَرُدُّ مِنْهُمْ عَلَى مَا يَخْرُجُ الْقَلْبُ وَيُطِيلُ السَّهَرُ. ثُمَّ قَالَ يَزِيدُ بْنُ عَمْرٍو: أَنَا الشَّقِيُّ الَّذِي أُمُّهَا وَاهْتَدَى لَهَا، مُجِيبًا لِلْقَائِلَةِ. وَفَائِدَةُ اهْتَدَى أَنَّ الْمَوْضِعَ الَّذِي قُتِلُوا فِيهِ كَانَ كَالْمَلْتَبِسِ عَلَيْهِمْ، فَصَارَ هُوَ الطَّالِبُ لَهُ، وَالْمَهْتَدِيَّ إِلَيْهِ، وَالْمَنْبَهَ عَلَيْهِ. وَانْجَزَ «وَقَائِلَةٌ» بِإِضْمَارِ رَبِّ، وَجَوَابُهُ مَنْ أُمُّهَا، وَالْجُمْلَةُ فِي مَوْضِعِ الْمَفْعُولِ لِقَائِلَةِ. وَقَدْ تَعَرَّى قَائِلَةٌ مِنْ صِفَةِ لَهَا، وَأَكْثَرُ مَا يَجِيءُ الْمَجْرُورُ بِرُبِّ يَجِيءُ مَوْصُوفًا.

٣٣٠ - وَقَالَ قَسَامُ بْنُ رَوَاحَةَ السَّنْبَسِي^(١): [الطويل]

١ - لَيْسَ نَصِيبُ الْقَوْمِ مِنْ أَخَوْنِهِمْ طِرَاؤُ الْحَوَاشِي وَاسْتِرَاقُ النَّوَاضِحِ

٢ - وما زال من قتلى رزاح بعالج دَم ناقعٍ أو جاسدٌ غيرُ ماصحٍ

أخويهم يريد صاحبهم. والعرب تقول: يأخا بكرٍ، يريد واحداً من بني بكر. والحواشي: صغار الإبل ورذالها. والنواضح: التي يُستقى عليها الماء، واحداً ناضحة. وسميت بذلك لأنه جُعِلَ الفعلُ لها كأنها هي التي تنضح الزراعاتِ والتَّخيل، وهم يسمون الآثار النَّضاح. على ذلك قول الهذلي: [البسيط]

هَبْطَنَ بَطْنٌ رُهَاطٍ وَاعْتَصَبَنَ كَمَا يَسْقِي الْجَدْوَعُ خِلَالَ الدُّورِ نَضَاحٌ^(١)

فيقول: مذمومٌ في أنصباء القوم من صاحبين لهم يُقتلان طردُ الإبل وسوقها، وسرقة البُعران التي يُستقى عليها. وإنما جعل الطرائد حواشي الإبل ونواضحها إزراء بها، كما قالت كُبشة أخت عمرو بن معديكرب: [الطويل]

وَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُمْ إِفَالاً وَأَبْكَاراً^(٢)

يعني في الدية. وهذا تعريضٌ بمن وجب عليه أن يُهمته طلبُ دم صاحبهم فاقتصر من الأعداء على الغارة عليهم، وسرقة الإبل منهم. وفيه هُزؤٌ أيضاً، وبَغَتْ على طلب الدَّم.

وقوله «وما زال من قتلى رزاح بعالج دَم ناقعٍ» فالناقع: الثابت، مصدره النُّقوع. والماصح، قال الخليل: هو الراسخ في الثرى، وهو هلهنا الدليل، والدارس. يقال: مَصَحَتِ الدَّارُ إِذَا دَرَسَتْ، وَمَصَحَ الظِّلُّ، إِذَا قَصُرَ. قال الأعشى: [الرمل]

إِذَا الْآنَ مَصَّخْخُ^(٣)

وهذا الكلام تذكيرٌ بدماء قتلاهم. ورمْلُ عالج: موضعٌ معروف. ورزاح: قبيلة. فيقول: ولا يزال من مقتولي هذه القبيلة بهذا المكان دمٌ ثابت، أو يابسٌ غير زائل. والمعنى أَنَّ دماءهم بحالها ما لم يثأروا بهم؛ لأنَّ غَسَلَ تلك الدِّماء إنما يكون بما يُصَبُّ من دماء أعدائهم.

(١) البيت لأبي ذؤيب في ديوان الهذليين ١: ٤٦، والتبريزي ١: ٦٠٦.

(٢) البيت الثاني من الحماسية (٥٢) لكُبشة أخت عمرو بن معديكرب وعجزه:

«وَأُتْرِكَ فِي بَيْتٍ بِصَعْدَةٍ مَظْلَمٍ»

(٣) البيت في ديوانه ١٦١ وتمامه:

«وَلَقَدْ أَجْذَمَ حَبْلِي عَامِداً بِعَفْرِنَاةٍ إِذَا الْآلُ مَصْخٌ»

٣ - دَعَا الطَّيْرَ حَتَّى أَقْبَلَتْ مِنْ ضَرِيَّةٍ دَوَاعِي دَمٍ مُهْرَاقُهُ غَيْرُ بَارِحٍ

لم يَرِضَ بما ذكره في البيت المتقدم من التذكير بدماء المقتولين حتى يَسْطَ القول فيه وَجَّحَهُ بأن قال: دعا دواعي دماهم طيورَ الأماكنِ الثَّائِيَةِ والجبالِ الْمُطَلَّةِ، حتى أَقْبَلَتْ مِنْ ضَرِيَّةٍ - وهو اسم بلادٍ تشتمل على جبالٍ - عَوَافِي سباعِها وطيورِها تَسْتَدِلُّ بها، فوقعت عليها تَأْكُل من جِيفِها. ويجوز أن يريد بالدَّوَاعِي الرِّياحَ الذَّاهِبَةَ في الأقطار. وقوله «مُهْرَاقُهُ غَيْرُ بَارِحٍ» أي هو مصبوبٌ موضَعه لم يَحُل ولم يَزَلْ. وأعاد المعنى تَفْظِيْعاً، ويجوز أن يريد بقوله «مُهْرَاقُهُ» الموضعَ المصبوبَ فيه الدَّم، كأنه يستشهد به فقال: هو غير بَارِح. وقال مُهْرَاقُهُ والأصل مُهْرَاقٌ فيه. وإنما قلنا هذا ليكون بين هذا وبين قوله «دم نافع أو جاسد غير ماصِح» فضل. والكلامُ يشتمل على ما يُطْرِي المصيبة ويَهَيِّج الفجيعة، ويصوِّر مَصْرَعِ القومِ بما يَأْتِيهِ من عَوَافِي الطَّيْرِ. وفيه بعثٌ شديد وحضٌّ بليغٌ على طلب الدَّم.

٤ - عَسَى طَيْئٌ مِنْ طَيْئٍ بَعْدَ هَذِهِ سَتُطْفِي غُلَاتِ الْكُلَى وَالْجَوَانِحِ

عسى لفظه وَضِعَتْ لِلتَّرَجِي والتأميل، إِلَّا أَنَّهَا تَوْذِنُ أَنَّ الفعلَ مُسْتَقْبَلٌ مَطْمُوعٌ فيه، فيجب أن يُسْتَأْنَى له، وإن كانت من أفعال المقاربة. وبهذا يَبِينُ عن لفظة «كاد» لأنَّ كادَ لمشاركة الفعل فهو يلي الفعل بنفسه تقول كادَ زَيْدٌ يفعل كذا، وعسى يَحُولُ بينه وبين الفعل أنْ، يَدُلُّك على هذا أنه قال «سَتُطْفِي غُلَاتِ الْكُلَى وَالْجَوَانِحِ». لَمَّا كان من شرط عسى أن يَجِيء بعده أنْ إِذْنًا بِالْاِسْتِقْبَالِ جَعَلَ هذا بدل أن السَّيْنِ، لأنَّه أشهر في الدَّلالة على الاستقبال، وإِنَّمَا قال «عسى طَيْئٌ مِنْ طَيْئٍ» لأنَّ الْجِذَابَ الذي أشار إليه والقتالَ، كان بَيْنَ بَطْنَيْنِ منهما. وقوله «بعد هذه» أشار إلى الحالة الحاضرة، الجامعة لكلِّ ما ذَكَرَهُ. والجوانح: جمع جانحة، وهي الضُّلُوعُ الْقِصَارُ. والمعنى: المَطْمُوعُ فيه من أولياء الدَّم أن يَطْلُبُوا الثَّارَ في المستقبل، وإن كانوا آخَرُوهُ إلى هذه الغاية، فتسكُنَ نفوسٌ وتَبْرُدَ قلوب. وقد آلَمَ بهذا الكلام كل الإيلام، لِمَا خَتَمَ بِهِ كَلَامَهُ الْمُتَقَدِّمَ.

وأبلغ من هذا قول الآخر، وهو في طريقته: [الطويل]

وَإِنِّي لَرَاغِبِيكُمْ عَلَى بُطْنٍ سَعِيكُمْ كَمَا فِي بَطُونِ الْحَامِلَاتِ رَجَاءً^(١)

٣٣١ - وقال سليمان بن قَتَّةِ الْعَدَوِيِّ^(١) :

١ - مَرَزْتُ عَلَى أَبِياتِ آلِ مُحَمَّدٍ فلم أرَها أمثالَها يومَ حُلَّتِ

٢ - فَلَا يُبْعِدُ اللَّهُ الدَّيَارَ وَأَهْلَهَا وإنْ أَصْبَحَتْ مِنْهُمْ بِرَغْمِي تَخَلَّتِ

الآلَ عند أصحابنا البصريين والأهل واحد، ويدلُّ على ذلك أن تصغير الآل أَهْيَلُ، كما أن تصغير الأهل أَهْيَلُ. وأخبرنا القراء عن الكسائي أنه قال: سمعت أعرابياً فصيحاً يقول: أَهْلٌ وَأَهْيَلٌ، وآلٌ وَأَوْهَلٌ، قال أبو العباس ثعلب: فقد صار أصلين لمعنيين، لا كما قال أهل البصرة؛ وحكى أبو عَمْرٍو الرَّاهِدُ عن ثعلب أن الأهل القَرابة، كان لها تابع أو لم يكن، والآل: القَرابة بتابعها. قال: ولهذا أجودُ الصلوات على النبي ﷺ وأفضلُها: اللهم صلِّ على محمدٍ وعلى آل محمد: وقد ورد فيه التوقيف. روي أن أمير المؤمنين عليه السلام سأل النبي صلوات الله عليه: كيف الصلاة عليك؟ قال: «قولوا اللهم صلِّ على محمدٍ وعلى آل محمد»^(٢).

وقوله «فلم أرَها أمثالَها يومَ حُلَّتِ»، يريد أنها قد ظهر عليها من آثار الفَجَعِ والمصيبة ما صارت له وخشاً، فحالُها في ظهور الجزع عليها ليست كحالها في السُرور أيَّام حُلُوها. فهو مثل قول الآخر: [الطويل]

بَكَتْ دَارُهُمْ مِنْ فَقْدِهِمْ فَهَلَّتْ دُمُوعِي فَأَيَّ الْجَاذَعِينَ أَلُومُ
أُسْتَعِيرَ يَبْكِي مِنَ الْهُونِ وَالْبَلَى أَمْ أَخْرُ يَبْكِي شَجْوَهُ وَيَهِيمُ

وقد سلك محمد بن وهيب مثل هذا في مديحة في المأمون أولها: [الكامل]

طَلَّلَانِ طَالَ عَلَيْهِمَا الْأَمَدُ دَرَسَا فَلَا عِلْمَ وَلَا نَضْدُ^(٣)
لَيْسَا الْبَلَى فَكَأْتَمَا وَجَدَا بَعْدَ الْأَحْبَةِ مِثْلَ مَا أَجَدُ

وسلك أبو تمام هذا المسلك فزاد عليهم كلهم، لأنه قال: [البسيط]

قَدْ أَقْسَمَ الرَّئِغُ أَنَّ الْبَيْنَ فَاضِحُهُ أَنْ لَمْ تَحُلْ بِهِ عَفْرَاءُ عَنْ عُفْرِ

(١) التبريزي: «ورواها البرقي لأبي رمح الخزاعي»، وذكره ابن قتيبة في مقدمة الشعراء ٦ باسم «سليمان بن قتة التيمي المحدث».

(٢) رواه ابن الجارود في المتقى ٢٠٦، ومالك في الموطأ ص ١٦٦.

(٣) الأغاني ١٧: ١٤٧.

وقوله «فَلَا يُبْعِدُ اللَّهُ الدِّيَارَ وَأَهْلَهَا» فيه دلالة على أنه جعل الدار وحالتها كالمفقودين وأحوالهم، إذ كانت لفظة لَا تَبْعُدْ وَلَا يُبْعِدُ اللَّهُ يستعمل في الفات. وقوله «وإن أصبحت منهم برغمي تخلت» تحسّر على أهل الدار والدار جميعاً.

٣ - أَلَا إِنْ قَتَلَى الطُّفَّ مِنْ آلِ هَاشِمٍ أَذَلَّتْ رِقَابَ الْمُسْلِمِينَ فَذَلَّتْ
٤ - وَكَانُوا غِيَاثًا ثُمَّ أَضْحَوْا رِزْيَةً أَلَا عَظُمَتْ تِلْكَ الرِّزَايَا وَجَلَّتْ

قَتَلَى الطُّفَّ: الحسين ومن معه من ذويه عليه السلام. وقوله «أذلت رقاب المسلمين فذلت» كأنها لما أذلت، بأن بُغِيَ لِعِتْرَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وولده عليه السلام الغوائل، واستحلّ منهم المحارم، ونيل منهم ما كان محظوراً من غيرهم من المسلمين، فكيف منهم، وقهروا على حقوقهم واستبيحت دماؤهم وحرمهم - التزمت رقابهم ذلك الدلّ فأقرت به وخضعت، وليسته ليسة من كان ذلك نصيبه من مواليه، فصاروا كالراضين به وإن لم يكن ذلك رضا. وقوله «وكانوا غياثاً» يريد أنهم كانوا للمسلمين غوثاً عندما ينزل بهم فلا يرجون لملمتهم ديناً ودنيا غيرهم، فلما نيل منهم ما نيل صاروا رزية لهم كلهم، لأنه بحسب رجائهم كان فيهم، وعلى مقدار مكانتهم من قلوبهم صار نوازل الغم تنكي فيهم، وفواقر الرزء تكسر ظهورهم.

وقوله «ألا عظمّت تلك الرزايا وجلّت» التفات، كأنه أقبل مكبراً ومستفظعاً على من حوله فقال: ما أعظم هذه الرزايا وما أجلاًها، لقد بلغت مبلغاً شنيعاً، واقتربت عن البلايا افتزاراً قبيحاً، فيا لها ما أنكاها وأقرحها.

٣٣٢ - وَقَالَتْ قَتِيلَةُ بِنْتِ النَّضْرِ بْنِ الْحَارِثِ^(١)

وكان رسول الله ﷺ قتل أباهَا صَبْرًا^(٢): [الكامل]

١ - يَا رَاكِبَا إِنَّ الْأَثِيلَ مَظْنَةٌ مِنْ صُبْحِ خَامِسَةٍ وَأَنْتَ مُوَفَّقُ الْأَثِيلِ: موضع كان فيه قبر النضر، وكان النبي ﷺ تأذى به فقتله صبراً، وكان من جملة أذاه أنه كان يقرأ الكتب في أخبار العجم على العرب، ويقول: محمد

(١) التبريزي: «بن كلدة بن علقمة بن هاشم بن عبد مناف» وقَتِيلَةُ بِنْتُ النَّضْرِ؛ شاعرة من الطبقة الأولى في النساء، أدركت الجاهلية والإسلام، أسلمت بعد مقتل أخيها وروت الحديث، وتوفيت في خلافة عمر (ت نحو ٢٠ هـ / ٦٤٠ م). ترجمتها في طبقات ابن سعد ٨: ١٠٥، والإصابة تر ٨٨٩.

(٢) التبريزي: «وقيل: أخت النضر وقتل أخاها».

يَأْتِيَكُمْ بِأَخْبَارِ عَادٍ وَثُمُودَ، وَأَنَا مُبَشِّرُكُمْ بِأَخْبَارِ الْأَكَاسِرَةِ وَالْقِيَاصِرَةِ. يريد بذلك الْقَذْحَ فِي نُبُوتِهِ، وَأَنَّهُ إِنْ جَازَ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ نَبِيًّا لِإِتْيَانِهِ بِقِصَصِ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ فَإِنِّي وَقَدْ أَتَيْتُ بِمِثْلِهَا رَسُولٌ أَيْضًا. وذكر ابنُ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ﴾ [لَقَمَان: الْآيَةُ ٦]، أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي النَّضْرِ بْنِ الْحَارِثِ الدَّارِيِّ، وَكَانَ يَشْتَرِي كُتُبَ الْأَعَاجِمِ فَارَسَ وَالرُّومَ، وَكُتِبَ أَهْلُ الْحِيرَةِ، فَيَحْدُثُ بِهَا أَهْلَ مَكَّةَ، وَإِذَا سَمِعَ الْقُرْآنَ أَغْرَضَ وَاسْتَهْزَأَ بِهِ. وَقَتِيلَةُ ابْنَتُهُ لَمَّا جَاءَتْ إِلَى حَضْرَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَنْشَدَتْهُ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ رَقَّ لَهَا النَّبِيُّ ﷺ وَبَكَى. وَقَالَ: «لَوْ جِئْتَنِي مِنْ قَبْلِ لَعَفَوْتُ عَنْهُ»، ثُمَّ قَالَ: «لَا يُقْتَلُ قَرَشِيٌّ بَعْدَ هَذَا صَبْرًا». فَأَمَّا قَوْلُهَا «يَا رَاكِبًا» فَإِنَّهَا دَعَتْ وَاحِدًا مِنَ الرُّكْبَانِ غَيْرَ مُعَيَّنٍ، فَكُلُّ مَنْ كَانَ يَجِيئُهَا مِنْهُمْ كَانَ هُوَ الْمَدْعُو. وَالْمَظْنَةُ: الْمَنْزِلُ الْمَعْلَمُ. وَقَوْلُهَا «مَنْ صَبَحَ خَامِسَةً» تَرِيدُ مِنْ صَبْحِ لَيْلَةٍ خَامِسَةٍ لِلَّيْلَةِ الَّتِي تَبْتَدِئُ فِي السَّيْرِ مِنْهَا إِلَى الْأَثِيلِ وَأَنْتَ عَلَى الطَّرِيقِ غَيْرُ عَادِلٍ مِنْهَا. وَإِنَّمَا تُرِيدُ أَنْ تَقُولَ: إِذَا كَانَ ابْتِدَاءُ السَّيْرِ مِنْ مَوْضِعِهَا يَكُونُ انْتِهَاؤُهُ فِي أَثِيلٍ مِنْ سَيْرٍ يَحْصُلُ فِي صَبَاحِ لَيْلَةٍ خَامِسَةٍ لِلَّيْلَةِ. وَمِنْ قَوْلِهِمْ: إِذَا خَرَجْتَ عَنْ مَكَانٍ كَذَا فَمَوْضِعُ كَذَا مَنْزِلٌ قَمِيْنٌ مِنْكَ ضَخْوَةٌ غَدٍ، وَمَوْضِعُ كَذَا مَظْنَةٌ مِنْ عَشِيَّةٍ يَوْمٍ كَذَا. وَعَلَى هَذَا الْوَجْهِ قَوْلُ الْآخَرِ: [الْكَامِلُ]

يَسِطُ الْبُيُوتَ لَكِي يَكُونَ مَظْنَةً . مِنْ حَيْثُ تَوْضَعُ جَفْنَةُ الْمُسْتَرْفِدِ^(١)

وإن كان الأول في الزمان وهذا في المكان.

٢ - بَلَغَ بِهِ مَيِّتًا فَإِنْ تَحْيَا مَا إِنْ تَزَالَ بِهَا الرُّكَائِبُ تَخْفِقُ

٣ - مَيِّتِي إِلَيْهِ وَعَبْرَةٌ مَسْفُوحَةٌ جَادَتْ لِمَا جِئَها وَأُخْرَى تَخْفِقُ

هذا هو الرِّسَالَةُ الَّتِي تُرِيدُ أَنْ تُحْمِلَهَا الرَّاكِبُ، تَرِيدُ: يَا رَاكِبًا بَلَغَ بِهَذَا الْمَكَانَ، إِذَا أَتَيْتَهُ، مَقْبُورًا فِيهِ تَحْيَا، فَإِنَّ التَّحْيَا أَبَدًا تَخْفِقُ بِهَا الرُّكَائِبُ وَتُبْلَغُ أَرْبَابُهَا. وَالْحَقْفُ. الْاضْطِرَابُ. وَمَفْعُولُ بَلَغَ الثَّانِي مَحْذُوفٌ، لِأَنَّ قَوْلَهَا «إِنْ تَحْيَا» يَدُلُّ عَلَيْهِ.

وقولها «مَيِّتِي إِلَيْهِ» يَتَعَلَّقُ بِفَعْلِ مَضَمَرٍ قَدْ دَلَّ عَلَيْهِ بَلَغَ، كَأَنَّهُ قَالَ: أَوْصِلْ إِلَيْهِ مِنِّي تَحْيَا، وَأَدِّ مَيِّتِي تَحْيَا، لِأَنَّ جَمِيعَ ذَلِكَ مَعْنَاهُ بَلَغَهُ عَنِّي. وَقَوْلُهَا «وَعَبْرَةٌ مَسْفُوحَةٌ»

(١) البيت بلا نسبة في تهذيب اللغة ١٤ : ٣٦٤.

معطوف على المفعول المضمر الذي أظهرته. والمسفوحة: المصبوبة. وقولها: «جادت لمائحها» أي أجابت داعيها وساعدت مستقيها. وقولها «وأخرى تَخْنُقُ» معطوف على غَبْرَة، كأنها قالت: وأد إليه أيضًا عبرة قد خنقني وهي في الطريق لم تُوجَد. وهذا الكلام يشتمل على اقتصاص حالها، وعلى ما في نفسها من الحسرات وآلام الفجيعة. والركائب: جمع ركوبة، وهي مفردة عن الموصوف، لا يقال ناقة ركوبة، وكذلك حلوبة وقثوبة. وقولها «جادت لمائحها» في موضع الصفة لعبرة، كما أن تَخْنُقُ في موضع الصفة الأخرى. والمعنى: بلغه عني تحية وأعلمه من حالي بكاء يتصل ولا ينقطع، ودمعًا يساعِد ولا يَخْذُل، فمن سائل مسفوح، ومن خائق مدفوع. وجادت من الجَوْد. ولك أن تروي «لمائحها» و«لمائحها». والمائح أبلغ، لأن المئح الاستقاء، والمئح أن تُدخَلَ البئر ليملا الدلو إذا قلَّ الماء. والذي يدلُّ على قلة الدمع والجهد في إسالته يكون أجود في الرواية.

٤ - فَلَيْسَ سَمِعَ النَّضْرُ إِنْ نَادَيْتَهُ إِنْ كَانَ يَسْمَعُ مَيْتٌ أَوْ يَنْطِقُ
قولها «إِنْ نَادَيْتَهُ» شَرَطَ وجوابه ما دَلَّ عليه لَيْسَ سَمِعَ، وكذلك قولها «إِنْ كَانَ يَسْمَعُ مَيْتٌ» شرط ثان وجوابه يدلُّ عليه لَيْسَ سَمِعَ. وترتيب الكلام إذا جاء على وجهه. إِنْ نَادَيْتَ النَّضْرَ وَقَدْ أَتَيْتَهُ عَنِّي فَلَيْسَ سَمِعَ نَدَاءَكَ وَلَيْجِبِيكَ إِنْ كَانَ الْمَيْتُ يَسْمَعُ أَوْ يَنْطِقُ. وقولها «لَيْسَ سَمِعَ» جواب يمين مضمرة ودَلَّ على لَيْجِبِيكَ أيضًا، لأنَّ مَنْ صَحَّ فِيهِ السَّمْعُ إِذَا دُعِيَ صَحَّ مِنْهُ الْجَوَابُ. وقد يقول الإنسان وقد سُئِلَ شَيْئًا: السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ، والمفهوم فيه: إِنِّي أَجِيبُكَ إِلَى مَلْتَمَسِكَ. ويريد به الفعل لا سماع سؤاله من دون الفعل.

٥ - ظَلَّتْ سِيُوفُ بَنِي أَبِيهِ تَنْوُشُهُ لِلَّهِ أَرْحَامَ هُنَاكَ تَشَقُّقُ
٦ - أُمَحَمَّدٌ وَلَأَنْتَ نَجْلُ نَجِيبَةٍ مِنْ قَوْمِهَا وَالْفَخْلُ فَخْلُ مُغْرِقٍ^(١)
٧ - مَا كَانَ ضَرْكَ لَوْ مَنَنْتَ وَرُبَّمَا مَنَّ الْفَتَى وَهُوَ الْمَغِیْظُ الْمُخَنَّقُ
٨ - وَالنَّضْرُ أَقْرَبُ مَنْ أَصَبَتْ وَسِيلَةُ وَأَحَقُّهُمْ إِنْ كَانَ عِثْقُ يُغْتَقُ

قولها «ظَلَّتْ سِيُوفُ بَنِي أَبِيهِ تَنْوُشُهُ» تحسُر منها لما جَرَى على أبيها، تريد: صارت سيوف إخوانه تتناولُه بعد أن كانت تَذُبُّ عنه، وتَضَعُ منه بعد أن كانت ترفعه،

(١) التبريزي: «ولأنت ضيء» وضمن نجية: ولدها.

وتبتذل حُرْمَاتِهِ بعد أن كانت تصوئُها. ثم قالت كالمستعطفة والمتعجبة. لله أرحامٌ وقَراباتٌ في ذلك المكان قُطِعَتْ أسبابُها، وهُتِكَتْ أَسْأَرُها.

وقولها «هناك» ظرف، والكاف كاف الخطاب، ويُشار به إلى مكانٍ مُتَرَاخٍ. وإذا قيل هنالك فزيد فيه اللامُ كان آكَدَ، والمشار إليه أبعد. والعامل في «هناك» تَشَقُّقٌ، وهو في موضع الصِّفة للأرحام. واللام من قولِهِ «لله» لام التعجب. وهم إذا عَظَّمُوا شيئًا نسبوه إليه تفخيماً لأمره جلَّ شأنه.

وقولها «أحمد» نوَّنت المنادى المفردَ المعرفةَ ضرورةً، ولو رُدَّ إلى أصله ف قيل مُحمَّدٌ لجاز. وسيبويه يختار تركه على البناء في هذا المكان وإن نوَّنه للضرورة، لمشابهة البناء في هذا المكان الإعراب. ولذلك جاز حمل الصفة عليه. ومثل هذا قول الآخر: [السريع]

لَا نَسَبَ الْيَوْمَ وَلَا خُلَّةً اتَّسَعَ الْخَرْقُ عَلَى الرَّاقِعِ^(١)

فتون خَلَّةً، والفتح فيه للبناء، لأنه مبني كمنسوب. وبعضهم روى: «أحمد» ها أنت نُجِّلُ نَجِيَّةً، فأدخل ها التنبيه على الجملة وقد تعرَّت من حرف الإشارة. وقد جاء مثله. قال النابغة: [البسيط]

ها إِنَّهَا عِذْرَةٌ إِلَّا تَكُنْ تَفَعَّتْ فَإِنْ صَاحَبَهَا قَدْ تَاةَ فِي الْبَلَدِ^(٢)

والواو من «ولأنت» عاطفة للجملة ومفيدة معنى الحال، وكذلك الواو من قوله «والفحل فحلٌ مُعْرِقٌ». والمعنى: أنت كريمُ الطرفين مُعَمَّ مُخَوِّلٌ. ويقال: هو عريقٌ في الكرم، إذا كان متناهيًا فيه. وإنما نادته في هذا البيت واستعطفته مَقْرُظَةً ومُثْنِيَةً والمدعو له قولها: ما ضَرَّكَ لو مَنَنْت. وهذا الكلام فيه اعترافٌ بالذنب، والتزامٌ للنعمة والمنة في العفو لو حصل فتقول: أي شيء كان يصُرك لو عفوت والفتى وإن كان مُغْضَبًا مُضْجَرًّا، منطويًا على حَنَقٍ وعداوةٍ، قد يَمُنُّ ويعفو. هذا إذا جعلت ما استفهامًا. ويجوز أن تجعل ما نافية والاستفهام في مثل هذا الكلام يفيد معنى النفي.

(١) لأنس بن العباس بن مرداس في الدور ٦: ١٧٥، واللسان (قمر، عتق)، وله أو لسلامان بن قضاة في شرح أبيات سيبويه ١: ٥٨٣، ولأبي عامر جد العباس بن مرداس في ذيل سمط اللآلئ ٣٧.

(٢) للنابغة الذبياني في ديوانه ٢٨، والجنى الداني ٣٤٩، وخزانة الأدب ٥: ٤٥٩، واللسان (عذر، تا، ها).

وإنما قالت «رَيْمًا» لأنَّ الحالة التي أشارت إليها بقولها «المَغِيْظُ المحنَّق» يقل فيها المَنَ، ورُبُّ للقليل.

وقولها «والنَّضْرُ أقربُ مَنْ أصبَتْ وسيلةً تذكيرٌ منها بما يجمع النبي ﷺ وإيَّاه من القُرْبَى والقِرابَةِ. وإنما يَدُلُّ بذلك على وجه الاستحقاق للضَّفْح عن الخيانة، لما يُدِلُّ به من الأسباب المتواشجة، والأرحام المتشابكة. وقولها «وأحْقُهُمْ إن كان عِتْقٌ يُعْتَق» أرادت: وأحْقُهُمْ بأن يُعْتَق إن كان عِتْقٌ، أي إن وَقَعَ عِتْقٌ، فَحَذَفَ الباءَ، وحروف الجرِّ مع أن تُلغى كثيرًا، ثم حَذَفَ أنْ ورفع الفعل، فهو كقوله: [الطويل]

ألا أيُّهَذَا الزاجري أَحْضَرُ الوَعَى وأنَّ أَشْهَدَ اللَّذَاتِ هل أنت مُخْلِدِي^(١)

يدلُّ على أنَّ أن من أَحْضَرُ محذوفٌ أنه عطف عليه بأن فقال: «وأنَّ أَشْهَدَ اللَّذَاتِ». وجواب الشرط، وهو «إن كان عِتْقٌ»، ما يدلُّ عليه «وأحْقُهُمْ» و«أقرب مَنْ أَصَبَتْ». وكان هذه كانت التامة فلماذا استغنت عن الخبر. والمعنى: والنَّضْرُ أقربُ الأسراء الذين أسرتهم إليك، وأحْقُهُمْ بالعِتْق إن وقع فِكَاكٌ وعِتْقٌ.

٣٣٣ - وقال النَّابِغَةُ الْجَعْدِي^(٢): [الطويل]

١ - فَتَى كَانَ يُذْنِبِيهِ الْغِنَى مِنْ صَدِيقِهِ إذا ما هو اسْتَغْنَى وَيُبْعِدُهُ الْفَقْرُ^(٣)

هذا مثلُ قول الهذلي^(٤): [المتقارب]

أبو مالِك قاصِرٌ فَقْرُهُ على نَفْسِهِ وَمُشِيعٌ غِنَا

وأحسن منهما قول الآخر: [الطويل]

إذا افْتَقَرُوا عَضُّوا على الْفَقْرِ حِسْبَةً وإنَّ أَيْسَرُوا عَادُوا سَرَاعًا إلى الْفَقْرِ

(١) لطرفة بن العبد في ديوانه ٣٢، وخزانة الأدب ١: ١١٩، والدرر ١: ٧٤، واللسان (أنن، دنا).

(٢) النابغة الجعدي: قيس بن عبد الله بن عُدَس الجعدي العامري، شاعر مغلق صحابي، من المعمرين، كُفَّ بصره في آخر حياته (ت نحو ٥٠ هـ / ٦٧٠ م) ترجمته في الإصابة ٣: ٥٣٧، وطبقات فحول الشعراء ١٠٣.

(٣) لم يرو التبريزي هذه الحماسية، وقد روي البيت في الكامل ١٢٣ (ليسبك) ونسبه للابيرد الرياحي.

(٤) للمتنخل الهذلي في ديوان الهذليين ٢: ٣٠.

٣٣٤ - وقال أيضًا: [الطويل]

- ١ - فَتَى كَانَ فِيهِ مَا يَسُرُّ صَدِيقَهُ عَلَى أَنْ فِيهِ مَا يَسُوءُ الْأَعَادِيَا
٢ - فَتَى كَمَلَتْ خَيْرَاتُهُ غَيْرَ أَنَّهُ جَوَادٌ فَلَا يُبْقِي مِنَ الْمَالِ بَاقِيًا^(١)

لَمَّا قَالَ: «كَانَ فِيهِ مَا يَسُرُّ صَدِيقَهُ» وَعُلِمَ أَنَّ فِي النَّاسِ مَنْ يَجْمَعُ الْخَيْرَ خَالِصًا مِنْ دُونَ الشَّرِّ خَشِيَّ أَنَّهُ إِنْ سَكَتَ عَلَى هَذِهِ الْجُمْلَةِ ظُنُّ بِهِ الْقُصُورُ عَنْ التَّمَامِ، وَالْوُقُوفُ دُونَ الْكَمَالِ، فَلَا يَكُونُ فِيهِ التُّكَايَةُ فِي الْأَعْدَاءِ وَالْإِسَاءَةُ إِلَيْهِمْ، وَإِذْلَالُهُمْ وَإِرْغَامُهُمْ. ثُمَّ وَصَفَهُ بِأَن قَالَ «عَلَى أَنْ فِيهِ مَا يَسُوءُ الْأَعَادِيَا» وَهَذَا هُوَ النِّهَايَةُ فِي الْكَمَالِ؛ لِأَنَّهُ إِذَا عَرَفَ لِأَوَّلِيَّاتِهِ مَا يُوجِبُ عَلَيْهِ التَّوَقُّرَ عَلَيْهِمْ، وَجَمِيلَ التَّفَقُّدِ لَهُمْ، وَعَرَفَ لِأَعْدَائِهِ مَا يُوجِبُ التَّنْقِصَ مِنْهُمْ وَإِذْلَالَهُمْ، كَانَ فِي ذَلِكَ أَكْمَلَ الْكَمَالِ.

وقوله «فَتَى كَمَلَتْ خَيْرَاتُهُ غَيْرَ أَنَّهُ جَوَادٌ» هَذَا اسْتِثْنَاءٌ فِي نِهَايَةِ الْحُسْنِ، فَهُوَ كَالْتَّأَكِيدِ لِأَوَّلِ الْكَلَامِ؛ لِأَنَّ كَوْنَهُ جَوَادًا لَا يَكُونُ عَيْبًا فَيُخْرِجُهُ مِنْ قَوْلِهِ «كَمَلَتْ خَيْرَاتُهُ»، لَكِنَّهُ إِذَا كَانَ عَيْبُهُ الْمُسْتَثْنَى مِنَ الْخَيْرَاتِ الْجُودِ الَّذِي هُوَ مُؤَثَّرٌ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى وَعِنْدَ النَّاسِ، فَخِصَالُهُ الْمَحْمُودَةُ الْبَاقِيَةُ مَاذَا تَرَى تَكُونُ. فَهُوَ اسْتِثْنَاءٌ مُنْقَطِعٌ مِنَ الْأَوَّلِ، كَأَنَّهُ قَالَ: كَمَلَتْ خَيْرَاتِهِ لَكِنَّهُ جَوَادٌ. وَإِذَا تَأَمَّلْتَ وَجَدْتَ الْبَيْتَ الثَّانِيَّ مِثْلَ الْبَيْتِ الْأَوَّلِ، فِي أَنَّهُ أَتْبَعَ ثَنَاءً بِثَنَاءٍ، وَأَرَدَفَ مَدِيحًا بِمَدِيحٍ، فَعَجَزَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يُوَكِّدُ صَدْرَهُ، وَيَزِيدُهُ مُبَالَغَةً مَعْنَى وَتَظَاهَرُ مَبْدَأُ وَمُنْتَهَى. وَمِثْلُهُمَا بَيْتُ النَّابِغَةِ: [الطويل]

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ بِهِنَّ فَلُولٌ مِنْ قِرَاعِ الْكِتَابِ^(٢)

وَمَوْضِعُ قَوْلِهِ «فَتَى» فِي الْبَيْتَيْنِ جَمِيعًا نَصَبٌ عَلَى الْإِخْتِصَاصِ، كَأَنَّهُ قَالَ أَذْكُرُ فَتَى هَذِهِ صِفَتُهُ. وَلَا يَمْتَنِعُ أَنْ يَكُونَ مَوْضِعُهُ رَفْعًا عَلَى أَنْ يَكُونَ خَبَرٌ مُبْتَدَأٌ مَحْذُوفٌ. فَإِنْ قِيلَ: مَا مَوْضِعُ «عَلَى أَنْ فِيهِ مَا يَسُوءُ الْأَعَادِيَا» مِنَ الْإِعْرَابِ؟ قُلْتُ: هُوَ يَجْرِي وَإِنْ كَانَ جَمْعًا بَيْنَ صِفَتَيْنِ مُضَادَّتَيْنِ عَلَى أَنَّ الثَّانِيَةَ كَالْحَالِ لِلأَوَّلَى، كَأَنَّهُ قَالَ: فِيهِ مَا يَسُرُّ صَدِيقَهُ مَرْغَبًا عَلَى مَا يَسُوءُ الْأَعَادِيَا. وَقَوْلُهُ «فَمَا يُبْقِي مِنَ الْمَالِ بَاقِيًا» تَأَكِيدُ لِلْجُودِ. وَانْتِصَابُ «بَاقِيًا» يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ عَلَى الْمَفْعُولِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ عَلَى

(١) التبريزي: «فَمَا يُبْقِي».

(٢) ديوانه ص ١٧ (مؤسسة النور للطبوعات).

المصدر، وقد وضعه موضع الإبقاء. ومثله: [الوافر]

كَفَى بِالنَّائِي مِنْ أَسْمَاءِ كَافٍ^(١)

وضع كافٍ موضع كفاية، وهو مصدرٌ منصوب، لكثته حذف فتحة الإعراب من آخره وإن كانت الفتحة مستحقة، على طريقة مَنْ قال: [م. الرجز]

كَأَنَّ أَيْدِيَهُنَّ بِالْقَاعِ الْقَرِيقِ^(٢)

٣٣٥ - وقال^(٣): [الطويل]

١ - وَأَيُّ فَتًى وَدَّعْتُ يَوْمَ طَوِيلِ عَشِيَّةٍ سَلَمْنَا عَلَيْهِ وَسَلَمًا

٢ - رَمَى بِصُدُورِ الْعَيْسِ مُنْخَرَقِ الصَّبَا فَلَمْ يَذِرْ خَلْقٍ بَعْدَهَا أَيْنَ يَمَّمَا

٣ - فَيَا جَاذِي الْفَتِيَانِ بِالنَّعَمِ اجْزِهِ بِنِعْمَاهُ نُعْمَى وَاعْفُ إِن كَانَ أَظْلَمًا^(٤)

انتصب «أي» بودعت، والكلام فيه تعجبٌ على طريق التفضيم للشأن، والتعظيم للأمر. وانتصب «عشيّة» على البدل من يوم، والمعنى: ما أجلّ شأن فتى ودّعناه عشيّة شيعناه من يوم طويل، وقضينا فيما بيننا وبينه بغدٌ حقّ التوديع، بأن سلمنا عليه وسلم هو علينا، أي قلنا: أضحك الله السلامة، وحفظك حيث كنت! وقال لنا مثل ذلك. وهذا كأنه كان تشيةً للوداع حينئذٍ، وتذكرةً من بغدٍ من الشاعر. وإرسال القول فيه تحسّرٌ وتوجّع. وقوله «وسلمًا» يريد وسلم علينا، فحذف علينا ويجوز أن يكون أراد بودعت الوداع الذي لا تلاقي بعده. ألا ترى أنه يقال للمفارق: غَيْرِ مُودَعٍ! أي جعل الله بعده التقاء. وقد كشف عن هذا المعنى طرفةً حيث يقول: [الطويل]

قَفِي وَدَعِينَا الْيَوْمَ يَا ابْنَةَ مَالِكٍ وَعُوجِي عَلَيْنَا مِنْ صُدُورِ جَمَالِكِ

قَفِي لَا يَكُنْ هَذَا تَعِلَّةَ سَاعَةٍ لَيْسِنِ وَلَا ذَا حَظَّنَا مِنْ نَوَالِكِ

فلذا جعلت ودعت على هذا، انفصل معناه عن معنى سلمنا عليه وسلمًا. وهذا ظاهر.

(١) لبشر بن أبي خازم في ديوانه ١٤٢، وخزانة الأدب ٤: ٤٣٩، ولأبي حية النميري في لسان العرب (قفا)، وعجزه:

«وليس لحبها ما عشت شافي»

(٢) لرؤبة في ملحوظ ديوانه ١٧٩، وخزانة الأدب ٨: ٣٤٧، والدرر ١: ١٦٦، واللسان (زهق).

(٣) التبريزي: «وقال آخر». (٤) التبريزي: «إن كان مجرمًا».

وقوله «رَمَى بِصُدُورِ الْعَيْسِ مَنْخَرَقِ الصَّبَا» يريد أنه توجه في المفازة حيث تنخرق الرِّيحُ، ورَمَى بِصُدُورِ رَوَاجِلِهِ نحوها، فلم يُعرف له بعد ذلك خَبَرٌ ولا أثر. وقوله «أَيْنَ يَمَّمَا» موضع الجملة من الإعراب نصب على أنه مفعول لم يذَر، كأنه قال: لم يَذَرِ خَلْقٌ ما يقتضي هذا السؤال. وهذا الكلام نهاية فيما يثيره الجَزَعُ من المشفقِ القَلِقِ، ويَدُورُ في شكوى المتولِّهِ الحَدِيبِ، لأنه إذا لم يمكنه الرجوعُ إلى شيء بعد جولة الوداع والافتراق، إلّا إلى صدمة اليأس والاكتئاب، فذاك أجلب للوَادِعِ الرزينة، وأجمع لبوارح الشكِّية.

وقوله «فيا جازيَ الفَتَيَانِ بالنِّعَمِ اجزِهِ» دعاء له، والمعنى أحسن إليه بدّل إحسانه إلى خَلْقِكَ، وجَزَاءً على إنعامه في عبادِكَ، وتجاوزَ عن سيئاته فيما كان فيه ظالمًا، وعن الحقِّ والنصفِ عادِلًا. وقوله «كان أظلمًا» أي كان ظالمًا. وأفعلُ بمعنى فاعلٍ جاء كثيرًا. ومثله: [الطويل]

فتلك سبيلُ لستَ فيها بأوحدٍ^(١)

وجعل في الثاني شرطًا لأنه قال «واعفُ إن كان» وفي الأوّل لم يأت بمثله ليدلّ على سلامة طريقته من الجور والاهتضام، وبراءة ساحته في غالب ظنه ممّا يستحق به العقاب والانتقام. والكلام وإن كان فيه دعاء فهو تحسُّرٌ وتوجُّع. وإنما قلتُ هذا لأنّ استعمالَ الدُّعَاءِ بعقبٍ ما ذكّر طريق في إظهار الخيبة لا يكاد يعقبها تعاوُرُ الأحوالِ بالسُّلُوةِ، ولا يحوّلُ عن سلوكها تعاقُبُ الأُرمانِ بالمساءةِ والمَسَرَّةِ.

٣٣٦ - وقال شبيب بن عوانة: [الطويل]

- ١ - لَتَبْكِ النِّسَاءُ الْمُغُولَاتُ بِعَوْلَةٍ أبا حُجْرٍ قَامَتْ عَلَيْهِ التَّوَانِحُ
- ٢ - عَقِيلَةٌ دَلَاهُ لِلْخَدِ ضَرِيحِهِ وَأَثْوَابُهُ يَبْرِقْنَ وَالْخَمْسُ مَاتِحُ
- ٣ - خَدَبُ يَضِيْقُ السَّرْجُ عَنْهُ كَأَنَّمَا يَمُدُّ رِكَابِيهِ مِنَ الطُّوْلِ مَاتِحُ

لَتَبْكِ النِّسَاءُ أمرٌ من فعلٍ يدلُّ على الحال. ألا ترى أنه وصف النساء المأمورات بأنهن مغولات. والأمر وإن كان في الأكثر يُبنى على المستقبل يصح أن يبنى على ما

(١) للإمام الشافعي في ملحق ديوانه ١٥٩، وللإمام علي في ديوانه ٦٧، ولطرفة بن العبد في بهجة المجالس ٢: ٧٤٦، وصدره:

«تمتني رجال أن أموت فإن أمت»

للحال، ويراد به الاستدامة والاستمرار في الفعل. على ذلك قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [النساء: الآية ١٣٦]. وقوله «بَعُولَةٌ» تَعَلَّقَ الباء منه بِلَتَبْكُ، والمراد أن يكون بكاء المَغُولَات أبا حُجْر بزيادة عَوَلَةٍ. المَغُولَات: الصائحات، والاسم العويل. وقامت عليه النوائح في موضع الحال وقد مضرة، كأنه قال: لَتَبِكِ النساء فقد مات والنوائح يُنَحِّنُ عليه. وهذا كله تفضيع للزينة، وتنبية على وجوب البكاء له، وأن الزيادة في العولات عليه مُسَوِّغَةٌ، لأنَّ فَقْدَ اسمه غير مُشَاهِدٍ من قبل ولا مُعتادٍ.

وقوله «عَقِيلَةٌ دَلَاةٌ» اقتصاصُ حال التجهيز والدفن، وأنها وقعت بمرأى منه ومسمع، فشقي بمزاوتها، وكَمِدَ لمشاهدتها. وأراد بالاثواب أكفائه، فجعلها تبرق لبياضها. والمائح أصله الذي يدخل البئر فيغرف الماء في الدلاء إذا قلَّ الماء. وههنا أراد الذي يدخل القبر فينظفه ويصلح ما يجب إصلاحه منه. ودَلَّى، أصله الإرسال، وتوسَّعوا فيه فقليل: دَلَاةٌ بغرور، إذا خدعه. وتدَلَّى على كذا بالحيل. فيقول: عَقِيلَةٌ هو الذي أرسله للخذ القبر، وأكفائه لبياضها ونظافتها تَلَمَعُ، والخِفْسُ هو الذي تَوَلَّى من القبر ما تَوَلَّى. وسَوَّقَ كلَّ هذا تفجُّع وتألُّم، وتذكُّر لما سَخِنَتْ له العين، وأحرقت له الكبد.

وقوله «خَدَبٌ» هو الكامل الخَلَقُ التام الأعضاء، القوي السوي. لذلك قال «يضيق السَّرجُ عنه» وقوله «كأنما يَمُدُّ ركبانيه» وصفه بامتداد القامة وطول الباذنين^(١). ويُحمد من الفارس ذلك. وقوله «كان مَاتِحًا» أي مُسْتَقِيمًا، يَمُدُّ ركبانيه من بئر لطولهما. والخَدَبُ: الطويل. يقال: إنَّ في ذلك لَخَدَبًا أي طولًا. وبعيرُ خَدَبٌ: ضَخْمٌ شديد.

٣٣٧ - وقال^(٢): [الطويل]

- ١ - أبا خالدٍ ما كان أذَقِي مُصِيبَةً أصابت مَعْدًا يومَ أَصْبَحْتَ ثَاوِيَا
- ٢ - لَعَمْرِي لَئِنْ سُرَّ الْأَعَادِي وَأَظْهَرُوا شَمَاتًا لَقَدْ مَرَّوَا بِرَبِّكَ خَالِيَا
- ٣ - فَإِنْ تَكُ أَفْنَتْهُ اللَّيَالِي فَأَوْشَكْتَ فَإِنْ لَهُ ذِكْرًا سَيُفْنِي اللَّيَالِيَا

(١) الباذان: مثنى باد، وهو باطن الفخذ.

(٢) التبريزي: «وقال آخر»، وفي ديوان الحماسة برواية الجواليقي قال: «وقال منصور التبريزي في يزيد بن يزيد» والنمري من شعراء العصر العباسي توفي سنة ١٩٠ هـ، ويزيد بن يزيد الشيباني والي أرمينية وأذربيجان مات سنة ١٨٥ هـ. والأبيات في الزهرة ٢: ٥٢٧.

خاطب المراثي فقال متلهفًا: ما أعظم مصيبة أصيبت بها قبائل معد يوم فُجعت بك فأصبحت مقيمًا في مكان لا تبرح منه. يُشير إلى القبر. ويقال: ثوى بالمكان وأثوى جميعًا. وقوله «أذهى» يقال: ذهاه كذا يذهاه ذهياً وذهواً، إذا أثر فيه تأثيراً شديداً وداهية ذهياً ودهواء. والذهاية: المنكر من الأمر. فيقول: إن المصيبة بك ما أعظمها وأنكرها، فيا لمعد فقد بليت بها.

وقوله «العمرى» مبتدأ وخبره محذوف، و«لئن سُر» شَرَطُ، واللام موطنه للقسم، وجواب لعمرى لقد مرؤا، وجواب الشرط ما دلّ عليه هذا الجواب. والمعنى: ويقاني لئن كان الأعادي مسرورين بموتك، شامتين بذويك وعشيرتك لفقدهم لك، فقد وقعت الشماتة في وقتها وجينها، ووافاهم الشرور لحادث أمر عظم موقعه، لأنهم مرؤا بربعك خالياً. والمعنى: أن ما كان ممدوداً على ذويك وأولياك من نطاق الاعتزاز بمكانك، والاعتلاء بجذك وجدوه قاصراً زائلاً منقطعاً. وانتصب «خالياً» على الحال. وقوله «فإن يك أفتته الليالي فأوشكت» معنى أوشكت: أسرعت، كأنه استقصر مدة بقائه. ويجوز أن يكون استقصر مدة علته. والكلام في حذف الثون من إن تك فقد تقدّم في مواضع. وقوله «فإن له ذكراً سيفني الليالي» يريد: إن كان عمره قد انقطع فإن ذكره متصل بالأبد، لا تنفيه الأيام ولا تقطعه الآماد، بل هو يُفني الأيام والآماد. ووشك البين: سرعة القطيعة. وتقول: لو شكنا ذا، كما تقول: لعجلان ما كان كذا. ومثله قوله: [الطويل]

فإن تسجنوا القسري لا تسجنوا أسمه ولا تسجنوا معروفه في القبائل^(١)

٣٣٨ - وقالت امرأة من كندة:

[البسيط]

- ١ - لا تُخبروا الناس إلا أن سيدكم أسلمتموه ولو قاتلتم امتنا
- ٢ - أنعى فتى لم تذر الشمس طالعة يوماً من الدهر إلا ضرراً أو نفعاً

قوله «لا تُخبروا الناس إلا» تهكم وسخرية، يشوبه تعبير شديد. أي قد ارتكبتم أمراً عظيماً بتسليمكم سيدكم، فاستروا أمركم ولا تُنبئوا الناس به. وهذا مخاطبة لقوم خذلوا رئيسهم ولم يثبتوا معه، حتى قُتل. فيقول: لو ثبتوا وتابعوا لدافع عن نفسه

(١) البيت الرابع من الحماسية رقم (٣١٤) لأبي الشغب العسبي.

وعنهم. وقوله «إِلَّا أَنْ سَيِّدَكُمْ» إِلَّا بمعنى غير، فهو منقطع مما قبله. وهذا الاستثناء من المعنى، كأنه قال: سَلِمْتُمْ إِلَّا أَنْ سَيِّدَكُمْ أَسَلَمْتُمْ.

وقولها «أَنْعَى فَتَى لَمْ تَذُرْ الشَّمْسُ طَالِعَةً» انتصب طالعةً على الحال المؤكدة لما قَبْلَهُ. والكوفيون يقولون في مثله: انتصب على القطع. وكما أَنَّ الحال يجيء مؤكِّداً لما قبله تجيء الصِّفَةُ أَيْضاً مؤكِّدة لما قبلها. ومثال الحال: رأيتُه في الحِجَامِ عرياناً، فعيان حالٌ مؤكِّدة. ومثال الصفة أن تقول: فعلتُ كذا أَمْسِ الدَّابِرَ. وذُرُورُ الشمس: انتشارها في الجوّ. والمعنى: أذكرُ موتَ فتى لم تطلُعِ الشمسُ يوماً من أَيَّامِ الدَّهرِ عليه إِلَّا وهو ضارٌّ لأعدائه ناكٍ فيهم، أو نافعٌ لأوليائه مُسَدِّ إليهم. وفي هذا ذهب إلى مثل ما قاله عدني: [الطويل]

إذا أنت لم تنفخ بؤدك أهله ولم تنك بالبوسى عدوك فابعد

٣٣٩ - وقالت امرأة من بني أسد^(١): [الطويل]

١ - خَلِيلِي حُوجَا إِنَّهَا حَاجَةٌ لَنَا عَلَى قَبْرِ أَهْبَانٍ سَقَنَهُ الرِّوَاعِدُ

تخاطب صاحبين لها تسألهما التعرّيج على قبرِ أَهْبَانٍ زائرين له، ومجدّدين العهد به. وقوله «سَقَنَهُ الرِّوَاعِدُ» دعاءٌ للقبر بالسّقيا. والرِّوَاعِد: السّحاب التي فيها الرّعد. وقولها «إِنَّهَا حَاجَةٌ لَنَا» حَشَوُوعًا واعتراض، وقد وقع موقعًا حسنًا، وفيه استعطافٌ للمخاطَبَيْنِ واستلطافٌ فيما تُكَلِّفُهُمَا. ويقال: ما عند فلانٍ تعويجٌ عليهم، أي تعريج. وعُجْنَا بِالْمَكَانِ أَشَدَّ الْعِجَاجِ وَالْعَوَجِ، أي عَطَفْنَا.

٢ - فَتَمَّ الْفَتَى كُلُّ الْفَتَى كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَرْجَى نَفْتَفٌ مُتَبَاعِدُ

قولها «كُلُّ الْفَتَى» مفيدٌ للتأكيد، وجامعٌ أسباب الفتوة كلّها للموصوف، فكأنها قالت: ثُمَّ الْفَتَى التَّامُ الْفَتَوَةُ حَتَّى لَمْ يَغَادِرْ شَيْئًا مِنْ عِلَاقَتِهَا وَأَسْبَابِهَا. وقولها «كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَرْجَى»، وَالْمَرْجَى: الضَّعِيفُ، كَأَنَّهُ يُزَجَّى الْوَقْتُ فِي الْإِعْتِدَادِ بِهِ بَيْنَ الْفَتَيَانِ. ويجوز أن يكون سَمِي الضَّعِيفُ مُرَجَّى لِتَأَخُّرِهِ وَحَاجَتِهِمْ إِلَى تَرْجِيئِهِ وَاسْتِحْثَائِهِ فِيمَا يَعْزَنُ. وهذا كما قيل «المرْغَب» فِي الضَّعِيفِ الْفُرُوسِيَّةِ. وَالنَّفْتَفُ: الْمَهْوَاةُ بَيْنَ الْجَبَلَيْنِ، وَالْأَرْضُ بَيْنَ الْأَرْضَيْنِ. وهذا كما يقال: بَيْنَ هَذَا وَبَيْنَ كَذَا بَوْنٌ بَعِيدٌ.

(١) الأبيات في الحماسة البصرية ٢٥٢/١ ونسبتها إلى أَهْبَانِ بْنِ هَمَامِ بْنِ نَضْلَةَ الْأَسَدِيِّ، شاعر جاهلي.

فَتَقُول: بين هذا الفتى وبين من يُزَجِّي في الفتيان مَهْوَةً بعيدة، حتى لا التقاء ولا تداني.

٣ - إِذَا انْتَضَلَ الْقَوْمُ الْأَحَادِيثَ لَمْ يَكُنْ عَيْبًا وَلَا عِيبًا عَلَى مَنْ يُقَاعِدُ^(١)

أصل الانتضال والنضال في الرِّمَاء، ثم يستعمل توسعًا في المفاخرة وقت المنافرة، ومُجَانَاةِ الْخُصُوم لدى المناقرة. أَلَا تَرَى لِيَدًا يَقُول: [الرملة]

فَانْتَضَلْنَا وَابْنُ سَلَمَى قَاعِدٌ كَعَتِيقِ الطَّيْرِ يُغْضِي وَيُجَلِّ^(٢)

ثم قال:

فَرَمَيْتُ الْقَوْمَ رِشْقًا صَائِبًا لَيْسَ بِالْعُضَلِ وَلَا بِالْمُفْتَعَلِ^(٣)

فيقول: إِذَا تَجَادَبَ الْقَوْمُ أَطْرَافَ السَّمَرِ والأخبار، وتنازَعُوا قَصَصَ الْفُرْسَانِ والأَيَّامِ، وَدَسُّوا فِي أَثْنَاءِ الْمَسَارَةِ رَوَائِعَ التَّبْجُحِ والمكائفة، لم يكن حاجزًا فيما بينهم قَدَمًا، وَلَا ضَعِيفَ التَّصَرُّفِ بِكِيًا، وَلَا كَانَ ثَقِيلًا عَلَى جُلُوسَاتِهِ، سَيِّءِ الْعِشْرَةِ لَخْلَطَاتِهِ، بَلْ كَانَ حَسَنَ الْمَجْلِسِ مَعَهُمْ، مُسْتَحْلَى الْمَنَادِمَةِ بَيْنَهُمْ، خَفِيفَ الْوُطْأَةِ عَلَيْهِمْ.

وَمَنْ رَوَى: «وَلَا رَبًّا عَلَى مَنْ يَقَاعِدُ» فَإِنَّهُ يُرِيدُ: لَا مَتَكَبِّرًا عَلَى جَلِيسِهِ فِعْلٌ ذِي الْمَلَكَةِ وَالسُّلْطَانِ؛ وَالْآخِذِ عَلَى مُصْطَنِعِهِ بِالْإِعْتِلَاءِ وَالْإِمْتِنَانِ.

٣٤٠ - وَقَالَ كَعْبُ بْنُ زُهَيْرٍ^(٤):

١ - لَقَدْ وَلَّى أَلَيْتُهُ جُؤَيِّ مَعَاشِرَ غَيْرِ مَطْلُُولِ أَخُوهَا

كَانَ جُؤَيِّ عَلَى مَا دَلَّ عَلَيْهِ الْكَلَامُ حَلَفَ فِي وَجْهِهِ نَاكِيبِهِ وَالْعَازِمِينَ عَلَى قَتْلِهِ، أَنَّهُمْ لَا يَسْتَمِرُّونَ فِعْلَهُمْ ذَلِكَ، وَأَنْ عَشِيرَتَهُ وَأَصْحَابَهُ سَيَطْلُبُونَ دَمَهُ وَيُدْرِكُونَ ثَأْرَهُ، فَكَانُوا عِنْدَ ظَنِّهِ بِهِمْ مِنْ غَيْرِ إِهْمَالٍ وَلَا تَضْجِيعٍ. فَيَقُولُ: جَعَلَ جُؤَيِّ وَلايَةً يَمِينِهِ الَّتِي أَقْسَمَ بِهَا إِلَى مَعَاشِرَ لَا يُبْطَلُ دَمُ صَاحِبِهِمْ وَلَا يُهْدَرُ، بَلْ لَا يَنَامُونَ وَلَا يُنِيمُونَ حَتَّى

(١) التبريزي: «عَيْبًا وَلَا رَبًّا».

(٢) للبيد في ديوانه ١٩٥، واللسان (عتق، نضل، جلا)، وأساس البلاغة (عتق)، وكتاب العين ٧: ٤٣.

(٣) للبيد في ديوانه ١٩٤.

(٤) كعب بن زهير بن أبي سلمى المازني: شاعر عالي الطبقة، من أهل نجد، له معلقة ترجمت إلى الإيطالية والفرنسية. (ت ٦ هـ / ٦٤٥ م) ترجمته في الشعر والشعراء ٦١، وابن سلام ٢٠.

ينالوا الوثر. وقوله «غير مطلول أخوها» أي دم أخيها، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه. قال: [السريع]

دماؤهم ليس لها طالب مطلولة مثل دم العذرة^(١)

وقال: [الكامل]

تلكم هريرة لا تجف دموعها أهزير ليس أبوك بالمطلول^(٢)

أي لا ينسى دمه ولا يبطل ديتة. والآية: اليمين، وجمعها آلياً. والفعل منه أليت أولى إيلاء، واتتلى، وفي بعض اللغات يقال الألوّة.

٢ - فإن تهلك جوي فإن حزبا كظنك كان بعدك موقدوها

خاطب بعد أن أخبر على طريق التسلية، فيقول: إن ذهبت لما دُعيت له فإن الذين شَبُّوا نارَ الحرب بعدك في التقاضي بك كانوا كما ظننتهم، وعند أمليك فيهم. فقوله «موقدوها» ارتفع بكان، وكظنك في موضع خبر كان وقد تقدّم، والجملة أعني كان موقدوها بعدك كظنك خبر إن، واسم إن وهو حزبا نكرة غير موصوفة أيضاً، وساغ ذلك لما كان المراد بها مفهوماً معلوماً. ويجوز أن يجعل قوله «كظنك كان بعدك موقدوها» من صفة حزبا، ويُجعل خبر إن محذوفاً، كأنه قال: إن حزبا هذه صفتها وقَعَتْ. وبيت الأعرشي حجة في الوجهين جميعاً. وهو: [المنسرح]

إن محلاً وإن مُرتَحَلاً وإن في السفر إذ مضى مهلاً^(٣)

ألا ترى أن معناه إن لنا محلاً وإن لنا مرتحلاً، فحذف الخبر، ومحل ومرتحل نكرتان.

٣ - وما ساءت ظنوثك يوم تُولي بأرماح وقى لك مُشرعوها

٤ - ولو بلغ القَتِيلَ فَمَالُ قَوْمٍ لسرك من سيوفك مُنتَضُوها^(٤)

(١) بلا نسبة في اللسان (طلل)، وتاج العروس (طلل).

(٢) بلا نسبة في أساس البلاغة (طلل).

(٣) البيت في ديوانه ٢٨٣، وخزانة الأدب ١٠: ٢٥٢، واللسان (رحل)، وتاج العروس (حلل).

(٤) بعده عند التبريزي:

«لِنَذْرِكَ وَالنَّذُورُ لَهَا وَفَاءُ إِذَا بَلَغَ الْخَزَايَةَ بِالْغُوهَا»

٥ - كَأَنَّكَ كُنْتَ تَعْلَمُ يَوْمَ بُرْتُ ثِيَابُكَ مَا سَيَلَقَى سَالِيُوهَا^(١)

قوله «وما شئت ظنونك» تشكّر للعشيرة وإن كان لفظة إعلام جويّ ما كان منهم وثناء عليهم، فيقول: لقد حسن ظنك بأرماع وفي لك مهيتوها ومعلموها يوم خليفك، فلا جرّم أنّهم صدّقوا ظنك بهم، وحققوا اعتقادك فيهم، وجدّوا في طلب الأمر وانكمشوا، حتّى برّث يمينك، وطابت نفوس أودائك، والمفجوعين بك. وجعل الباء من قوله «بأرماع» متعلّقاً بقوله ظنونك، وإنّما الظنّ كان بأربابها، مجازاً واتّساعاً.

وقوله «ولو بلغ القتل فعّال قوم» يريد لو أمكن إبلاغ المقتولين ما يفعله الأحياء بعدهم لغمت في ذلك وقعدت، علماً بأنّ ما أتاه قومك إذا تأدّى إليك سرّك وقوعه وحمدتهم له ويقال: نضاً سيفه وانتضاه، إذا جرّده من غمده. وقال «من سيوفك» وأضافها إليه لما كان أربابها من أسبابه، وما للسبب مثل ما للمسبّب.

وقوله «كأنك كنت تعلم يوم برّث ثيابك» أراد بالثياب السّلاح، وهذا كما يقال له البرّ. قال الهذلي: [الطويل]

فَوُقِرَ بَرٌّ مَا هُنَاكَ ضَائِعُ^(٢)

يعني به السيف، ومعنى وقّر وقّع وقرّات وهزّمات، فيه. ويقال: برّّه كذا وابتزّه. وفي المثل: «مَنْ عَزَّ بَرٌّ»^(٣)، أي من غلب سلب. وقال الدّريدي: البرّ السّلاح، يدخل فيه الدّرع والمِغْفَرُ والسيف. وجعل تعلم بمعنى تعرف، لذلك اكتفى بمفعول واحد، كقول الله تعالى: ﴿لَا تَقْلُوبُهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال: الآية ٦٠]. و«ما سيلقى» ما بمعنى الذي، وما بعده من صلته، وحذف المفعول من سيلقى استطالةً للاسم بصلته، أراد ما سيلقاه، ويعني بذلك ما يصيبهم في مكافأة فعلهم، وعند الانتقام منهم.

(١) بعده عند التبريزي:

«فَمَا غَيَّرَ الظَّبَاءُ بَحْيً كَعْبٍ وَلَا الْخَمْسُونَ قَصَرَ طَالِبُوهَا
صَبَخْنَ الْخَزْرَجِيَّةَ مَرْهَفَاتٍ أَبَانُ ذَوِي أَرْوَمَتِهَا ذَوْوهَا»

(٢) لقيس بن عيزارة الهذلي في شرح أشعار الهذليين ص ٥٩١، وللهذلي في اللسان (بزز، ويل)، وصدّره:

«فَوَيْلُ أُمِّ بَرٍّ جَرَّ شَغْلٌ عَلَى الْحَصَى»

(٣) المثل في اللسان (بزز).

٣٤١ - وقال آخر: [الوافر]

١ - نَعَى النَّاعِي الرُّبَيْرَ فَقُلْتُ تَنَعَى قَتَى أَهْلَ الْحِجَازِ وَأَهْلَ نَجْدِ

٢ - خَفِيفَ الْحَاذِ نَسَّالَ الْفَيَافِي وَعَبْدًا لِلصُّحَابَةِ غَيْرَ عَبِيدِ

يقول: خَبَّرَ الناعي بموت الرُّبَيْرِ، فقلت معظماً لشأنه، ومفخماً للتأثير بمكانه: إِنَّكَ تَذَكَّرَ مَوْتَ قَرِيبِ أَهْلِ الْحِجَازِ وَأَهْلِ نَجْدٍ وَمَخْتَارِهِمْ، وَمَنْ لَا تَحَقُّ الْفَتْوَةُ بِالِاتِّفَاقِ إِلَّا لَهُ. وقوله «خفيف الحاذ» وصفه بخفة العجز وقلة اللحم على الفخذ، وذلك مستحب من الفُرسان. قال الخليل: الحاذان: أدبار الفخذين، والآحاذ الجميع. وقيل: هو الظَّهْر. والحاذ في غير هذا المكان: الحال والمؤونة. وقوله «نَسَّالَ الفيافي» أراد نَسَّالَ في الفيافي، فأجراه مجرى قَطَّاعِ الفيافي. والنَّسَّان: مِشِيَةُ الذُّبِّ إِذَا أَعْتَقَ وَأَسْرَعَ. ويقال: نَسَّلَ الماشي، إِذَا أَسْرَعَ. وفي القرآن: ﴿فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾ [يس: الآية ٥١] أي يُسْرِعُونَ.

وقوله «عَبْدًا لِلصُّحَابَةِ غَيْرَ عَبِيدِ» يصفه بكرم الصُّحَابِ، وحُسن التوفُّر على الرِّفَاق. والصُّحَابَةُ مصدر في الأصل، يقال أَحَسَّنَ اللَّهُ صِحَابَتَكَ، ثُمَّ اسْتَعْمِلَ صِفَةً، وَقَوِيَ فِي الْوَصْفِيَّةِ حَتَّى جَرَى مَجْرَى الْأَسْمَاءِ، وَتَفَرَّدَ عَنِ الْمَوْصُوفِ بِهِ. وكذلك قولهم صَاحِبُ اسْمِ الْفَاعِلِ مِنْ صَحَبَ، تَفَرَّدَ بِنَفْسِهِ، قَوِيَ حَتَّى كَانَهُ لَيْسَ بِمَشْتَقٍّ مِنْ صَحَبَ، لَا يَكَادُ يُقَالُ هُوَ صَاحِبٌ زَيْدًا كَمَا يُقَالُ: هُوَ ضَارِبٌ زَيْدًا. ومعنى «غَيْرَ عَبِيدِ» نَفَى لَذُلَّ الْعِبَادِيَّةِ، لِأَنَّ قَوْلَهُ «عَبْدًا لِلصُّحَابَةِ» أَرَادَ كَرَمَ الْخُلُقِ وَسَهُولَةَ الْجَانِبِ، وَتَحَمُّلَ الْأَعْيَاءِ عَنْ رَفَقَائِهِ. وَقَدْ أَلَمَّ فِي هَذَا بِقَوْلِ الْآخَرِ: [الرجز]

طَبَاخُ سَاعَاتِ الْكَرَى زَادَ الْكَسِيلَ^(١)

٣٤٢ - وقال رُقيّة الجرمي، من طييء: [الطويل]

١ - أَتَوَلُّ وَفِي الْأَكْفَانِ أَبْيَضُ مَا جَدَّ كَفُضَنِ الْأَرَاكِ وَجْهَهُ حِينَ وَسَمَا

٢ - أَحَقُّا عِبَادَ اللَّهِ أَنْ لَسْتُ رَائِيَا رِفَاعَةَ طُولِ الدَّهْرِ إِلَّا تَوَلُّمًا

(١) للشماخ في ديوانه ٣٨٩، ولجبار بن جزء في خزانة الأدب ٤: ٢٣٣، ويلا نسبة في اللسان (عسل)، ومجالس ثعلب ١: ١٥٢.

مفعول «أقول» هي جملة البيت الذي يليه، والواو من قوله: «وفي الأكفان أبيضُ ماجد» واو الحال، و«كغصن الأراك» في موضع الصفة لأبيض، شبه امتداد قامته به. و«وجهه» على هذا يكون مبتدأ وخبره حين وسمًا، والجملة في موضع الصفة لما قبله. وظروف الأزمنة لا تتضمن الأشخاص والجُثث، لا تقول زيدَ اليوم، ولكن هذا مثل قولهم: الهلالُ اللَّيلةَ فكما جازَ هذا لأنَّ المراد طلوع الهلال اللَّيلةَ، كذلك قوله «وجهه حين وسمًا» لأنَّ المعنى: يَقُولُ وجهه حين وسم. ومعنى وسم: خَرَجَ قليلًا، وحقيقته أنه بمعنى توسم، كما أنَّ وجهه بمعنى توجه، وتبَّه بمعنى تنبَّه، وقدم بمعنى تقدَّم. ويقال: لَوْنُ الغلام، وطَرٌّ، ووَسَمٌ، وبَقْلٌ بالتخفيف، في معنى واحد. وأجاز أبو حاتم بَقْلٌ بالتشديد ورواه الأصمعي ولم يُجزَّه غيره. والمعنى: أقول متلهفًا وقد كُنَّ بمرأى منِّي ثمَّ شابَّ مجتمعَ كريمٍ شريفٍ حسن الطَّاءة^(١)، كأنه غصن من الأراك وجهه قد وسم حديثًا. والمعنى: اغتبط ولم يمتنع بشبابه، ولا أمهل لاستكمالهِ واكتماله. فأقول: حقًا عباد الله ما أرى.

وقد ألم في هذا المعنى بقول الثابتة: [الطويل]

يقولون حِضْنٌ ثم تابى نفوسهم^(٢)

كانه يكذبُ المشاهدة كما كذبُ النابتة الإخبار. وكلُّ ذلك لاستفظاع الحال، واستعظام الأمرِ والخُطب. فأما قوله «أحقًا» انتصبَ عند سبويه على الظرف، كأنه أفي الحق ذلك. فإن قيل: كيف جاز أن يكون ظرفًا؟ قلتَ لِمَا رآهم يقولون: أفي حق كذا، أو أفي الحق كذا، جعله إذا نصبوه على تلك الطريقة، قال: [الوافر]

أفي حقَّ مُواساتي أخاكم بمالي ثمَّ يظلمني السريس^(٣)

وقال: [الطويل]

أفي الحقَّ أني مُغرَم بك هائم وأئك لا خلَّ هواك ولا خمر^(٤)

(١) الطَّاءة: الحال اللينة.

(٢) للناطقة في ديوانه ١٩٠، وأساس البلاغة (جنح).

(٣) لأبي زيد الطائي في ديوانه ١٠١، والأغاني ١٢: ١٢٩، وخزانة الأدب ١٠/٢٨٠، واللسان (سرس).

(٤) لفائد بن المنذر في شرح التصريح ١: ٣٣٩، ولعباد بن المنذر في شرح شواهد المغني ١: ١٧٢، وبلا نسبة في خزانة الأدب ١: ٤٠١.

وقوله «أَنْ لَسْتُ رَائِيًا» أَنْ مخففة من الثقيلة. والمعنى: أفي الحق لست رائيًا هذا الفتى إلا متوهمًا أبدَ الدهر. وقوله «توهُمَا» مصدر في موضع الحال. وفائدة قوله «عباد الله» أنه رجع فيما كان لا يؤمن به ولا يسكن إليه شناعة وقباحة، إلى الناس كافة يستبثهم ويستفتيهم.

٣ - فَأَقْسِمُ مَا جَشْنْتُهُ مِنْ مُهِمَّةٍ تَوَوُدُ كِرَامَ الْقَوْمِ إِلَّا تَجَشَّمَا^(١)

٤ - وَلَا قُلْتُ مَهَلًا وَهُوَ غَضِبَانٌ قَدْ غَلَا مِنْ الْغَيْظِ وَسَطَ الْقَوْمِ إِلَّا تَبَسَّمَا

يصفُ رضاه وحسن طاعته له، وقوة نهضته بكل ما يحمله من الأثقال المتعبة، والآراب المثقلة، ودوام صبره على جميع ما يكلفه من المهمات الشاقة على كرام الناس الباهظة، إلى ما كان يوجب له ويعظم قدر كلامه، فقال: ولم أقل له رفقا إذا احتَمَى غِيظًا إِلَّا سَكَنَ وَحَسُنَتْ قَيْثُهُ، وَكَرُمَتْ عَطْفَتُهُ، حَتَّى بَدَأَ لِي مَضْحَكُهُ، وَتَهَلَّلْتُ فِي لُقْيَائِي غُرَّتَهُ. هذا ومجلسه مشهود، والأقوام حوله قعود، فلا يتداخله نخوة، ولا تأخذه بالإباء والتشدد عزة. وهذا كله تنبيه على تعالي لوعته، وتغالي حُرقتة وفجعتة.

٣٤٣ - وقال آخر: [الطويل]

١ - أَلَا لَا فَتَى بَعْدَ ابْنِ نَاشِرَةِ الْفَتَى وَلَا عُزْفَ إِلَّا قَدْ تَوَلَّى فَأَذْبَرَا

٢ - فَتَى حَنْظَلِيٍّ مَا تَزَالُ رِكَابُهُ تَجُودُ بِمَعْرُوفٍ وَتُنْكِرُ مُنْكَرَا

٣ - لَعَى اللَّهُ قَوْمًا أَسْلَمُوا وَجَرُّدُوا عَنَاجِيحَ أَعْطَتْهَا يَمِينُكَ ضُمْرَا

حذف الخبر من قوله «لَا فَتَى» و«لَا عُزْفَ» جميعًا، كأنه قال: لا فتى في الدنيا بعد ذهابه، ولا عُزْفَ موجود بعد تَوَلَّى عُزْفَهُ. وفي وصفه المرثي بالفتى كأنه جمع له الفضائل كلها، كما أن نفيه العُرف كأنه نفى به المحامد كلها؛ لأن من شرط الفتوة أن يدخل تحتها خصال الخير، كما أن العُرف والمعروف يدخل تحته كل ما عُرف في الإحسان والصِّلاح. ولك أن تتوَّن «لَا فَتَى» وإن كان الأول أشرف في المعنى وأبلغ، فيكون في موضع الرُّفْع بالابتداء، وكذلك لا عُزْفَ ترفعه وتتوَّن، لأنك تلقى حركة الهمزة من إلّا وهي كسرة على التثنية. والفصل بين الرُّفْع والنَّصْب أن النَّصْب يفيد الاستغراق، كأنه نفى قليل الجنس وكثيره، إذا كان جواب هل من فتى، ومن عُزْفٍ؟

(١) التبريزي: «من مُلِيعَةٍ».

والرَّفَع لا يكون فيه الاستغراق، لكونه جواب هل فتى وهل عَزَفَ، فلا يمتنع أن يكون السؤال عن واحد من الجنس ويكون الجواب على حذّه. وقوله «ما تزال ركابه» من صفة فتى، و«تجود بمعروف» خبر ما تزال.

وارتفع «فتى حَنْظَلِيٌّ» على أنه خبر مبتدأ محذوف، ولو نصبه على المدح والاختصاص لجاز، وقَصْدُهُ إلى أنه أَمَّارٌ بالمعروف، ونَهَاءٌ عن المنكر، ولا يَرْضَى بذلك فيما يليه من البلاد، بل ترى الركبان تطوف به، فيأتيهما في الأبعد مثل ما يأتيهما في الأقارب. وقوله «ركابه» أراد أصحاب ركابه يعني رسله.

وقوله «لَحَى الله قومًا أسلموك» تصريح بأن أصحابه خذلوه وتقاعدوا عن نُصْرَتِهِ حَتَّى تَمَكَّنَ منه الأعداء فقتلوه. وقوله «جزدوا عناجيج أعطتها يمينك ضُمْرًا» بيان لأن الخيل التي جزدوها للركض في الهرب مما سمحت به يده، فلم يُراعُوا ذِمَّةً، ولم يحافظوا حُرْمَةً، ولا راجعوا أنفُسَهُمْ فيما تُنتِجُه الأحداث، وتسير به الركب من سيء القالة. والعناجيج: الخيل الطوال، واحدها عُنْجُوج. ومعنى «لَحَى الله» يجوز أن يكون من اللحاء: السَّبِّ والذم. ويجوز أن يكون من اللَّحَى: القَشْر. وكيف جعلته فهو دعاء عليهم، تسويدًا لوجوههم، وإلحاقًا للعار بهم، وتقبيحًا لفعالهم، وجزاء على صنْعِهِمْ. وفائدة قوله «ضُمْرًا» أنهم لم يُؤْتَوْا من عُدَّةٍ ولا عَدَدٍ، وإنما أُتُوا من عَجْزِهِمْ وَجُبْنِهِمْ، وسوء نِيَّاتِهِمْ، وسقوط هِمَّتِهِمْ.

٣٤٤ - وقال آخر^(١): [البسيط]

١ - أَضْحَى أَبُو الْقَاسِمِ الثَّوَالِي بِبَلْقَعَةٍ تَسْفِي الرِّيحَ عَلَيْهِ مِنْ سَوَافِيهَا^(٢)

قوله «أضحى» وهنا لاتصال الوقت، والباء من قوله ببلقعة تعلق بالثاوي، وخبر أضحى تسفي الرياح عليه، والكلام توجع وتحسر بأنه استبدل بمجالسه الفضاء، ومن ندمائه وخطائنه الخلاء، ومن رفيع دسسته ونبيه قزبه الثراب، والرياح السوافي تأتي بها إليه، وتجمعه عليه. والسفا والسافياء: الثراب. ويقال سفت الريح الثراب وغيره تسفيه

(١) في ديوان الحماسة برواية الجواليقي قال: «قال دعبل الخزاعي» والأبيات في ديوانه. ودعبل الخزاعي: شاعر هجاء، أصله من الكوفة، هجا الخلفاء: الرشيد والمأمون والمعتصم والواثق. (ت ٢٤٦ هـ / ٨٦٠ م)، ترجمته في وفيات الأعيان ١: ١٧٨، والشعر والشعراء ص ٣٥٠.

(٢) أولها عند التبريزي:

«كانت خزاعة ملء الأرض ما اتسعت فقص مرّ الليالي من حواشيها»

سَفْيًا، والرياح سافية، والجميع السَّوافي، للترابِ والوَرَقِ واليَبِيسِ. وقيل السافياء: الريح تحمل ترابًا كثيرًا تهجُم به على الناس. والسَّفا: اسم ما تسفيه. والبَلَقع: المكان الخالي.

٢ - هَبَّتْ وقد عَلِمَتْ أَنَّ لا هُبُوبَ به وقد تكون حَسِيرًا إِذْ يُبَارِيها يقول: هَبَّتْ الرياحُ عليه رافعةً الحشمةَ في ابتذالها إِيَّاه، عالمةٌ أَنه لا هبوبَ لرياحِ دولته، ولا نَفَادَ لأمره، ولا استقامةَ لصولته، وقد كانت إِذا هَمَّتْ بمباراته تَقِفُ حَسِيرًا بهيَرًا لا انخراقَ لها، ولا مَجَرٍّ لذيْلِها. وقوله «أَنَّ لا هُبُوبَ» أَنَّ مخففةً من الثَّقيلة، كَأَنَّهُ قال: أَنَّهُ لا هبوبَ به. والضَّمير للأمر والشَّان، وإن شئتَ كان للمرثي. ولا هبوب في موضع خبر أَنَّ، والجملة سَدَّتْ مَسَدَ مفعولي عَلِمَتْ.

٣ - أَضْحَى قِرَى لِلْمَنَّايا رَهْنَ بَلْقَعَةٍ وقد يكونُ غَدَاةَ الرُّوعِ يَفْرِيهَا يقول: صار طُعمَةٌ للمنايا هذا المفقودُ ومرثَهاً في قبره، لا انفكاكُ له ولا دِفَاعَ به، وقد كان وهو حَيٌّ غَدَاةَ الرُّوعِ يَفْرِى المنايا من لحوم الأعداي، ويجعلهم قراها وطُعمها. ويقارب هذا قول الآخر: [الطويل]

وإِنَّا لِلخُمِّ السَّيفِ غَيْرَ نَكِيرَةٍ ونُلْجِئُهُ حَيًّا وليس بذِي نُكْرٍ^(١)

٣٤٥ - وقال عَقِيلُ بن عُلْفَةَ^(٢): [الطويل]

١ - لَتَغْدُ الْمَنَّايا حَيْثُ شَاءَتْ فإِنَّها مُحَلَّلَةٌ بَعْدَ الْفَتَى ابْنِ عَقِيلٍ
٢ - فَتَى كانَ مَوْلَاهُ يَحُلُّ بِنَجْوَةٍ فَحَلَّ الْمَوَالِي بَغْدَهَ بِمَسِيلٍ
٣ - طَوِيلُ نِجَادِ السَّيفِ وَهَمٌّ كَأَنَّمَا تَصُولُ إِذَا اسْتَنَجَدْتَهُ بِقَبِيلٍ

كَأَنَّهُ أَذِنَ لأنواع الموت أَن تَبْتَكِرَ حَيْثُ شَاءَتْ، وَتَنَالَ مِنَ النَّاسِ مَنْ أَرَادَتْ، فَقَدْ حَلَّ لها ذَلِكَ بَعْدَ أَخْذِها الْفَتَى ابْنَ عَقِيلٍ، لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي كانَ يُخْشَى عَلَيْهِ مِنْها، وَيُرْتَجَى يَوْمُهُ وَغَدُهُ، وَإِذْ قد أَصِيبَ النَّاسُ بِهِ فلا خَطَرَ على الْمَنَّايا، ولا خَوْفَ مِنَ الرِّزايا. وَيقال: حَلَلْتُهُ مِنْ كَذَا تَحْلِيلًا، إِذَا أَطْلَقْتَهُ لَهُ.

(١) البيت السادس من الحماسية رقم (٢٧٢).

(٢) التبريزي: «... ابن الحارث بن معاوية بن ضباب بن جابر بن يربوع بن غيظ بن مرة».

وقوله «كان مولاه يَحُلُّ بَنَجُوةً» فالنَجوة: اسم المكان المرتفع، والجميع النَجاء. وقيل هو اسم لما إذا أَوْنِتَ إليه نَجَوْتَ من محذورك. وقد دَخَلَ تحت قوله «مولاه» ابنُ العمِّ وكلُّ مَنْ ينتسب إليه بَوْلَاءٍ. أَلَا تَرَى أَنَّهُ لما أعاد ذكره قال: «فَحَلَّ الموالِي بعده بِمَسِيلٍ». وإنما قال ذلك لأنَّهم كانوا بأجمعهم يتعزَّزون به ويستظهِرون على الدَّهر بحياته، فلما أُصِيبوا به تمكَّنت الأقدارُ من التأثير فيهم، وتسَلَّقت الآفاتُ من كلِّ جانبٍ عليهم، وصاروا بمنزلة من نَزَلَ في مسيلٍ من الأرض فلعبت السُّيول به، وتهجَّمت نُؤْبُ الزَّمان عليه، وقد كان من قبلُ في يَفَاق لا يرتفع إليه الأيُّ وإن طَمَأ، ولا يرتقي إليه الأيُّ وإن استَعَلَّى.

وقوله «طويل نجاد السيف» وَصَفَه بامتداد القامة، وهذا كما أنَّ الفرس إذا وُصِفَ بطول الخَدِّ قيل: هو طويل العِذار. ومثله قول أبي نُواس: [الكامل]

سَبَطَ البَنَانُ إِذَا احْتَبَى بِنَجَادِهِ عَمَرَ الجِماجمَ والسَّمَاطُ قِيَامُ

وهذا المعنى مضادٌّ لما وَصَفَ به بعضهم تَأَبَّطُ شَرًّا، وكان يَلْقَبُ بالشَّغل، فَسَلَبَ بَرٌّ قَتِيلٌ له وتقلَّدَ سَيْفَهُ، وكان القَتِيلُ حَسَنَ الشُّطَاطِ، وتَأَبَّطُ شَرًّا قَصِيرُ القامة، فطال عليه حمائلُ السيفِ المسلوبِ وانجَرَّ على الأرض، فقال فيه: [الطويل]

فَوَيْلُكُمْ بَرٌّ جَرَّ شَغْلٌ عَلَى الحَصَى فَوُقِّرَ بَرٌّ مَا هُنَالِكَ ضَائِعٌ^(١)

أراد بالبَرِّ السيف، ومعنى وَقُرَ وَقُرَ فيه وَقَرَاتٌ وَهَزَمَاتٌ، لتأثير الحصى فيها. وجعل البَرُّ ضائعًا لِمَا لِبَسَهُ غيرُ صاحبه. فأما قوله «يصول إذا استنجدته بقبيل» فَإِنَّهُ يصفه بَعَثَانَهُ إِذَا اسْتَغِيثَ به وكَمَالِ آلَاتِهِ، حتى صار المستنصِرُ له والمستغيثُ به، إِذَا أَجَابَهُ واحتضره، كَأَنَّهُ أَجَابَهُ قَبِيلٌ لَا رَجُلَ. وَالْوَهْمُ: العَظِيمُ التَّامُّ الخَلْقُ. ويقال: جَمَلٌ وَهْمٌ، وهو القويُّ العَظِيمُ المنقاد، المطيعُ لصاحبه.

٣٤٦ - وقال مُسَافِعُ العَبْسِيِّ^(٢): [الطويل]

١ - أَبْعَدُ بَنِي عَمِرٍ وَأَسْرُ بِمُقْبِلٍ مِنْ العَيْشِ أَوْ آسَى عَلَى إِثْرِ مُذِيرٍ
٢ - وَلَيْسَ وَرَاءَ الشَّيْءِ شَيْءٌ يَرُدُّهُ عَلَيْكَ إِذَا وَلَّى سِوَى الصَّبْرِ فَاضْبِرْ

(١) مرّ في حواشي الحماسية (٣٤٠).

(٢) التبريزي: «مسافع بن حذيفة العبسي» وهو شاعر فارس من شعراء الجاهلية.

قوله «أبعد بني عمرو أَسْرُ بمَقْبِلٍ» كأنه قال منكراً مستقبِحاً. يريدُ أَسْرُ بعد أن فُجِعت بهؤلاء القوم بقَدَرٍ يساعِدُ، أو عيشٍ يُقْبِلُ، أو زمانٍ يُطَاوِعُ، أو أَجْزُنُ في إثرِ فائِتٍ، أو أَجْزَع لتَوَلَّى مُذْبِرٍ. والمعنى: أَنَّ السُّرور كان يتصل بحياتهم، والعَمُّ كان يُحَذِّرُ مخافةً أن يكون فيهم، وإذا قد مضوا لسبيلهم فلا شيء من أعراض الدنيا يُلْحَقُ له حبورٌ إذا نِيلَ، ولا شيء من أَعْلَاقِ المُنَى يُحْزَنُ له إذا أُفِيتَ.

وقوله «وليس وراء الشيء شيء يردُّه عليك» أي يَرْجِعُه إليك. فالاعتصام بحبل الصَّبْرِ هو الأوَّلَى؛ والأحَبُّ دِينًا ودُنْيَا، فاصْبِرْ وقوله «سَوَى الصَّبْرِ» موضَعُهُ من الإغراب استثناءً خارج، لأنَّ الصبر ليس من الشيء الرَّاذِ الفائِت في شيء، فقد انقطع مما قبله.

٣ - سلام بني عمرو على حيث هَامَكُم جَمَالَ النَّدِيِّ والقَنَا والسَّنَوْرِ

٤ - أولَاك بنو خيرٍ وشرٍّ كليهما جَمِيعًا ومَعْرُوفٍ أَلَمٌ ومُنْكَرٍ

لما استسلم للجزع وما اعتاده من الهَلَعِ، وصَبَرَ نفسه مسلِّيًا، وتبع أثر المصيبة معفِيًا، حيَّاهم فقال: عليكم التَّجِيَّةُ من الله يا بني عمرو حيث قَرَّتْ هَامَكُم. و«هامكم» ترتفع بالابتداء وخبره معذوف، كأنه قال: حيث هَامَكُم خاسلة موجودة. والجملة أضيف إليها حيث لينشرح بها، لأن حيث يقتضي جملتين، فهي في الأمكنة مثل حينٍ في الأزمنة. ثم قال «جمال الندي» أي أذكرُ جمالَ المجلس يومَ الحفل، وَزَيْنَ السَّلَاحِ غداةَ الروع، فانتصبَ جمالٌ على الاختصاص والمدح. ودَكَرَ الهَامَ على عَادَةِ العرب، في زعمهم أَنَّ عظامَ الموتى تصير هامةً تطير. والنَّدِيُّ والنَّادِي: المجلسُ. ويقال: نَدَاهُمُ المجلسُ، أي جَمَعَهُم، فانتَدَوْه.

وقوله «أولَاك بنو خيرٍ وشرٍّ كليهما» إيذان منه بأنَّهم كانوا مستصلِحِينَ لكلِّ ما يعُنُّ ويحدثُ من السُّرَّاء والضُّرَّاء، فكانوا بني الخير لاستدراار المنافع من مالهم وجاههم، وبني الشرِّ لاستدفاع البَلَايا ببأسهم. وكانوا يُسْعِدُونَ مَوَالِيَهُم بِبِرِّهِمْ وتفقدَهم، وَيُشْقُونَ مُعَادِيَهُمْ بِخَدِّهِمْ وسطوتهم. وقوله «كليهما جميعًا» انجرَّ كليهما على البدل من خيرٍ وشرٍّ، ولا يجوز أن يكون توكيدًا لهما، لأنَّ توكيد ما لا يُعرَفُ لا فائدة فيه. والكوفيُّون يجوزون توكيد ما يدخله التَّجْزِئَةُ مِنَ التَّكْرَارِ، يقولون: قرأت كتابًا كلَّه، وأكلت رَغِيقًا كلَّه، على التوكيد. وأصحابنا البصريُّون يجيزون الكلامَ بمثل هذا، ولكنهم يمتنعون من إجراء الآخر على الأول على طريق التَّأَكِيدِ ويجعلونه بدلًا،

كأنه قال: بنو كَلَا الخير والشر. وانتصب «جميعاً» على الحال. وكَلَا يضاف إلى المثنى، إلا أن المعطوف والمعطوف عليه والحرف العاطف الواو بمنزلة المثنى وفائدة قوله «معروف أَلَمْ ومنكر» أن يُضَرَفَا إلى التوازل الملمة والحوادث الطارئة، فيكون الخير والشر مقصورين على أفعالهما، فلذلك قال «ومعروف أَلَمْ ومنكر» لِيَتَمَيَّزَ ما يكون من فعلهما عما يحدث من غير فعلهما.

٣٤٧ - وقال الربيع بن زياد العبسي في مالك بن

زُهَيْرِ العبسي:

[الكامل]

١ - إِنِّي أَرَفْتُ فَلَمْ أَغْمُضْ حَارٍ مِنْ سَيِّءِ النَّبَأِ الْجَلِيلِ السَّارِي

٢ - مِنْ مِثْلِهِ تُمَسِّي النِّسَاءَ حَوَاسِرًا وَتَقُومُ مُغْوَلَةً مَعَ الْأَسْحَارِ

يقول: لما تساقط الخبر الموجع الساري بليل، العظيم في شأنه، الفظيع عند وقوعه إليّ، سهرت فلم أغمض يا حار. كأنه ذكر ابتداء حاله لابتداء نعيه. والأزق: السهر. ويقال: غمضت عيني بالتشديد، وغمضتها، واغتمضت. وأضاف السّيء إلى النّبأ لأنه جعل النّبأ للجنس، فهو كإضافة البعض إلى الكل. ويقال: أساء ما صنع، فهو سيء، وساءني الشيء مَسَاءَةً، وسؤتني بما فعلت مَسَاءَةً وَمَسَائِيَةً. ويقال: السّيء والسّيئة والسوءى. والسّيئة كالخطيئة، وهو بإزاء الحسنه، والسوءى بإزاء الحسنى. والسوء: الاسم الجامع للآفات والأدواء.

وقوله «من مثله تمسي النساء حواسرًا» أي يأتي عليهنّ المساء وقد طرخن خمرهنّ فهنّ كاشفات الرؤوس، مسيلات الشعور، لا يكتسبن ولا يستترن، ويقمن مع السحر صائحات عائدات إلى عاداتهنّ من النّياحة والبكاء. وقيل الإساء من الظّهر إلى المغرب، وقيل بل إلى نصف الليل من الإساء. وروى بعضهم: «تمشي النساء» أي يمشين متبرّزات لا يدفعهنّ عن ذلك حشمة ولا يحجزهنّ رِقَبَةٌ. والأول أجود، حتّى يكون المساء في مقابلة الصّباح، ويكون الشاعر قد ذكر طرفي الثّهار من أوقاتهنّ.

٣ - أَفْبَغَدَ مَقْتَلِ مَالِكِ بْنِ زُهَيْرٍ تَرْجُو النِّسَاءَ عَوَاقِبَ الْأَطْهَارِ

٤ - مَا إِنْ أَرَى فِي قَتْلِهِ لِلذَّوِي الْقَوَى إِلَّا الْمَطِيَّ تُشَدُّ بِالْأَكْوَارِ^(١)

(١) التبريزي: «لذوي الثّهي».

هذا فيه ما في قول الأخطل: [البسيط]

قوم إذا حاربُوا شَدُّوا مَآزِرَهُمْ دُونَ النِّسَاءِ وَلَوْ بَاتَتْ بِأَطْهَارٍ^(١)

وإلى هذا أشار أبو تمام في قوله: [البسيط]

لَبَيِّنَتْ صَوْتًا زَيْطَرِيًّا هَرَقَتْ لَهُ كَأْسَ الْكَرَى وَرَضَّابَ الْخَرَدِ الْعُرْبِ

وقوله «أبعد» لفظه لفظ الاستفهام، والاستفهام يطلب الفعل، فكأنه قال: أترجو النساء عواقب الأطهار بعد مقتل مالك؟ وهو ينكر أن يكون ذلك أو يُستجاز وقوعه. والمراد بعواقب الأطهار مراجعة البعولة إلى مضاجعة النساء بعقب أطهارهن والتمتع بهن. والمعنى أن الأمور أفضح من أن يتوهَّم ذلك، والخطب في المصاب به أنكى في القلوب والثغوس من أن يتذكر لذات، أو يتحدث بتناسل وولادات. وقوله «ابن زهير» جعل عروض الضرب الثاني من الكامل مقطوعة، ولو قال «زهير» لاستفهام له وكان يكون متفاعلاً. وهم يَدْخِلُونَ على الأعلام التَّغْيِيرَ كثيراً، لكثرت مال إلى هذا وجعله فَعِلَاتُنْ. وقد فَعَلَ في أَوَّلِ الْمُقْطُوعَةِ مثلاً ذلك، لكثرت في ذلك أعذر لأنه جعلها مصرعة، ولم يرض بأن جعله فَعِلَاتُنْ حَتَّى سَكَنَ العين منه وجعله مَفْعُولُنْ، ويسمى مقطوعاً مُضْمَرًا. وفَعَلَ أيضاً مثله في قوله:

وَمُجَنَّبَاتٍ مَا يَذْفَنُ عَذُوقًا

والعذر فيه كالعذر في قوله «أبعد مقتل مالك بن زهير» ولو قال «عذوفة» لاستقام له. وربما مالوا إلى الْمُزَاحِفِ من غير ضرورة. على ذلك قول المتنخل في الطائفة: [الوافر]

أَبَيْتُ عَلَى مَعَارٍ فَاخِرَاتٍ بِهِنَّ مُلَوَّبٌ كَدَمَ الْعِبَاطِ^(٢)

رووا أن كل العرب ترويه «معاري فاخرات» بالتثنية، وإنما هو من الضرب الأول من العروض الأولى من الوافر: مُفَاعَلَتُنْ مُفَاعَلَتُنْ فَعُولُنْ، فجعل مُفَاعَلَتُنْ الثاني مُفَاعِلِينَ بِالْعَضْبِ، وهو في زحاف هذا البحر جائز، لكثرت لَوُي «مَعَارِي» بفتح الياء لَسَلِمَ، ولم يفعل. وقوله «ما إن أرى في قتله لذوي القوى» أضاف المصدر إلى

(١) للأخطل في ديوانه ٨٤، وحماسة البحرني ص ٣٤، ونوادر أبي زيد ص ١٥٠.

(٢) للمتنخل الهذلي في شرح أشعار الهذليين ٣: ١٢٦٨، واللسان (لوب، عرا)، وللهمذلي في الكتاب ٣: ٣١٣.

المفعول والمراد في قتلهم لمالك، ويعني بذوي القَوَى ذوي الرأْي والفِعل، والعدد والعُدَّة، فيقول: لا أرى لمن كان هكذا من أولياء دمه وطلّاب ثاره، إلّا امتطاء الإبل وتجنّيب الخيول، وركوب كلّ صعبٍ وذلول، إلى أن يُنالَ من العدو مثل ما ناله منهم، فإنّ في ركوب الجِدِّ مساعدةً من الجِدِّ، ولن ترى العزمَ أصرّحَ بالفعل إلا وثمّ مطاوعةً من القَدَر. وقوله «تشدُّ بالأكوار» يريد تشدُّ الأكوار عليها، قرّمى بالكلام.

- ٥ - وَمُجَنَّبَاتٍ مَا يَذُقْنَ عَذُوقًا يَقْذِفْنَ بِالْمُهُرَاتِ وَالْأَمْهَارِ
٦ - وَمَسَايِرًا صَدَأَ الْحَدِيدِ عَلَيْهِمْ فَكَأَنَّمَا تُطْلَى الْوُجُوهُ بِقَارِ
- عطف قوله «ومجنّباتٍ» على «إلّا المطي» والمراد أرى لهم أعداءهم ومطايًا مرحولة، وخيلًا مجنوبة. وكذا كانت عادتهم في مَقْصِدِهِم الغارات، وركوبهم إلى الوَقَعَات، أن يركبوا الإبلَ ويجنّبوا الخيلَ إلى أن ينتهوا إلى موضع الغارة، أو ملتقى القوم للمحاربة، فحينئذ يُنيخون الإبلَ ويركبون الخيلَ وهي وادعةٌ لم يلحقها كبير تعب، ولم يمتلكها سامّةٌ ضَجَر، فيعملونها كما يحبّون.

وهذا كما قال^(١) النابغة يصف خيلَ عمرو بن هند: [الطويل]

مُقَرَّنَةٌ بِالْأَذْمِ وَالْعِيسِ كَالْقَطَا عَلَيْهَا الْخُبُورُ مُخَقَّبَاتُ الْمَرَاجِلِ
وَيَقْذِفْنَ بِالْأَوْلَادِ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ تَشْحَطُ فِي أَسْلَاطِهَا كَالْوَصَائِلِ

ومعنى «ما يذقن عذوقًا» أي أدنى ما يؤكل. وقال الخليل: يستعمل في الطعام والشراب. ويقال: ما دُقْتُ عَذَقًا ولا عَذُوقًا ولا عَذُوفَةً ولا عَذَقًا أي دَوَاقًا. والفعل منه قد يُبْنَى فيقال: تعذّقتُ عَذُوفَةً. وقوله «بالمُهرات والأمهار» أي لما يلحقهنّ من الكلال، والتحامل عليه في طي المنازل بها والترحال والمَسَايِر: جمع المِسْعَر، وهو كأنه آلة في إسعار نار الحرب وإيقادها. وإنما قال «صدأ الحديد عليهم» لاتصال لبسهم الدروع، و«كأنما تطلّى الوجوه بقارٍ» لأنّ المراد أنّ السّموم والحرور قد لَفَحَت وجوههم، وغيّرت ألوانهم، لأنّهم تعودوا قَصَدَ الغارات، وقَطَعَ المشاق. وجعلَ الخيلَ كالفرسان والفرسان كالخيل في الصّبر والثبات.

- ٧ - مَنْ كَانَ مَسْرُورًا بِمَقْتَلِ مَالِكٍ فَلْيَأْتِ سَاحَتَنَا بِوُجْهِ نَهَارٍ^(٢)

(١) الأبيات في ديوانه ص ٩٩ - ١٠٠ (مؤسسة النور للطبوعات).

(٢) التبريزي: «فليأت نسوتنا».

٨ - يَجِدُ النِّسَاءَ حَوَاسِرًا يَنْدُبْنَهُ يَلْطَمْنَ أَوْجُهُنَّ بِالْأَسْحَارِ

كانت العادة مستمرة مستحكمة فيهم، أنهم لا يندبون القتيل أو يذكرك ثاره. فيقول: مَنْ كان فرحاً بمقتل مالك، شامتاً بأوليائه، فلينزغ ملابس المسرة وليطرخ أردية الشّماتة، فقد أدركت الآثار وأريقَت الدّماء، وشفيت الأدوية، وليحضّر ساحتنا في أوّل النهار، ليرى أنّ ما كان مُحَرَّمًا من الرّثاء قد حَلَّ، وأن الحَظَرَ الواقع ببكائه قد رُفِعَ، ويجد النساء مكشوفات الرؤوس يذكُرنه بما كان من فضائله، ويندبنه بأشهر أوصافه، وأعلى مراتبه ومَحَالّه، فإنّ ذلك متصّل من فعلهنّ غير منقطع في أطراف الليل والنهار، والآصال والأسحار، وبعضهم يرويه:

مَنْ كان محزونًا بمقتل مالك

والمراد الموالون، كما كان المراد بالأوّل المنايذين. وأكثر من رأيناه كان يروى «فليأتِ نسوتنا» ورأيت الأستاذ الرئيس أبا الفضل ابن العميد يقول: «إني لأتعبج من أبي تمام مع تكلفه رَمَ جوانب ما يختاره من الأبيات، وغسله من دَرَن بَشيع الألفاظ، كيف ترك تأملَ قوله فليأتِ نسوتنا. وهذه لفظة شنيعة. وكيف ذهب عليه تأملُ قوله: [الطويل]

قلْتُ لِقَوْمٍ فِي الْكَنِيفِ تَرَوْحُوا عَشِيَّةً بَتْنَا عِنْدَمَا وَأَنَّ رُزْجٍ^(١)

تَنَالُوا الْغِنَى أَوْ تَبْلُغُوا بِنَفُوسِكُمْ إِلَى مُسْتَرَاكِجٍ مِنْ حِمَامٍ مُبْرَجٍ

حتى جمع بين كنيف ومستراج في بيتين. وتأمل أمثال ما ذكره ويئنه من شرائط

الاختيار».

٩ - قَدْ كُنَّ يَخْبَأْنَ الْوُجُوهَ تَسْتُرًا فَالْيَوْمَ قَدْ أَبْرَزْنَ لِلنُّظَارِ^(٢)

١٠ - يَضْرِبْنَ حُرَّ وُجُوهِهِنَّ عَلَى قَتَى عَفَّ الشَّمَائِلِ طَيِّبِ الْأَخْبَارِ

يصفهنّ بأنهن ابتذلن أنفسهنّ للمصيبة وقد كان من قبلُ سِتْرُ الصيانة مُسْبَلًا عليهن، لا يُظْهَرْنَ المَعَارِي من الوجوه وسائر الأعضاء لأحد من الناس، لتسترهنّ وارتفاع محالهنّ ومناصبهنّ عن التبرُّز والتبرُّج، إذ كُنَّ بِيضَاتٍ خُذُورٍ وَرَبَّاتٍ حِجَالٍ وستور. وقوله «فالיום قد أبرزن للنُّظَار» يريد الوجوه. وهُنَّ وَإِنْ رَمَيْنَ قِنَاعَهُنَّ،

(٢) التبريزي: «حين برزن».

(١) البيتان في الحماسية (١٥٦).

وأظهَرَن مُحْيَاهُنْ فَإِنْ أَحَدًا لَا يَطْمَعُ فِي الدُّنُوْ مِنْهَنْ، والنظر إليهنّ، فيخرج إلى حدّ المنكر. وقوله «بَضْرَيْنَ خُرْ وَجُوْهِيْنَ عَلَى فَتَى» يريد ما يَنْلُنْ من أنفسهنّ بالضرب والإهانة، إجلالاً للرّزِيْثَة، وافتدَاءً للمرثي. والعَفْ: العفيف، ومصدره العِفَّة والعفاف. والشمائل: خَلِيْقَة الرُّجْل وطبيعته، واجدها شمال. وقوله «طَيْبَ الْأَخْبَارِ» أي حديثه حسنٌ في الناس لَا يُؤْبِنُ بِدَنِيَّةٍ، وَلَا يُوسَمُ بِنَقِيصَةٍ.

٣٤٨ - وقال كعب بن زهير:

- ١ - لَمَمْرُكَ مَا خَشِيتُ عَلَى أَبِي مَصَارِعَ بَيْنَ قَوْ فَالسُّلَيِّ
٢ - وَلَكِنِّي خَشِيتُ عَلَى أَبِي جَرِيرَةَ رُمَحِهِ فِي كُلِّ حَيِّ
٣ - مِنَ الْفَتِيَانِ مُخْلَوْلٍ مُمِرٍّ وَأَمَارَ بِإِزْشَادٍ وَعَْيِي
٤ - أَلَا لَهْفَ الْأَرَامِلِ وَالْيَتَامَى وَلَهْفَ الْبَاكِيَاتِ عَلَى أَبِي

قوله «العمرك» مبتدأ وخبره مضمّر، وفيه معنى اليمين، وجوابها ما خشيت. فكأنّ هذا المتوقّى مضى لسبيله لعارِضٍ عَرَضَ لَهُ بَيْنَ قَوْ وَالسُّلَيِّ. وإنما قال «مَصَارِعَ» لأنّه جعل كلّ قطعة مما بين هذين الموضعين كالمَصْرَعِ لواحدٍ من الناس. فيقول تَوَجُّعًا: وبقائِكَ مَا خَشِيتُ عَلَى هَذَا الرَّجُلِ أَنْ يُصْرَعَ بَيْنَ هَذَيْنِ الْمَوْضِعَيْنِ، وَلَكِنِّي كُنْتُ أَخْشَى عَلَيْهِ جَرَائِرَهُ فِي الْأَحْيَاءِ، وَثِرَاتِهِ فِي الْقَبَائِلِ. وعلى ما يدلُّ عليه كلامه كان مات هذا المرثي حَتَفَ أَنْفَهُ، فلهذا قال: لَمْ أَخْتَشِ عَلَيْهِ الْقَدْرَ بَيْنَ هَذَيْنِ الْمَكَانَيْنِ مَا خَشِيتُ عَلَيْهِ مِنْ جَرَائِرِ رُمَحِهِ فِي الْأَحْيَاءِ.

وقوله «مِنَ الْفَتِيَانِ مُخْلَوْلٍ مُمِرٍّ» تعلق من بمحذوف، كأنه قال: كان من بين الْفَتِيَانِ سَهْلَ الْخُلُقِ، وَطَيِّءَ الْجَانِبِ. وَالْمُخْلَوْلَى هو الذي تَنَاهَى حِلَاوَتُهُ. قال الخليل: افْعَوْعَلْ: بناءٌ للمبالغة. على ذلك قولهم اعشَوْشَبَ الْمَكَانُ، إِذَا تَنَاهَى عُشْبُهُ؛ وَاخْلَوْلَى، إِذَا تَنَاهَى حِلَاوَتَهُ. وَالْمُمِرُّ: الذي صار مُرًّا. وليس هذا من قولهم: مَا أَمَرَ وَمَا أَخْلَى، لَأَنَّ ذَلِكَ مَعْنَاهُ مَا أَتَى بِحُلُولِهِ وَلَا مُرًّا، وَلَكِنْ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ مِنْ أَمْرِ الشَّيْءِ فَهُوَ مُمِرٌّ، وَفِي بَعْضِ اللُّغَاتِ مُرٌّ. قال: [الطويل]

لَشَنَ مَرٍّ فِي كَرْمَانٍ لَيْلِي لَطَالَمًا^(١)

(١) للطرماع في ديوانه ١٠٠، واللسان (مرر)، وعجزه:

«حلا بين شطني بابل فالمضيح»

حتى يكونَ مثلَ محلولٍ. وقوله «أمازَ بإرشادٍ وغَيَّ» وَضَعَ إرشادًا موضعَ رشادٍ،
ألا ترى أَنَّهُ قال: وغَيَّ. وهم كما يستعيرون الاسمَ للمصدر يستعيرون المصدر
للاسم، وكما يوضع العطاء موضعَ الإعطاء في قول القطامي: [الوافر]

وبعد عطائك المائة الرُتاعا^(١)

يضعون الإعطاء موضعَ العطاء. فعلى هذا وضع الإرشاد موضعَ الرُشاد. وإذا
كان كذلك فيجب أن يكون إرشاد هذا لا يتعدَّى، لوقوعه موقعَ الرُشاد. وقوله «ألا
لَهْفَ الأرامِلِ واليتامى» الصدر من البيت تحسَّرَ لما أصاب الفقراء واليتامى بعد موته،
إذ لم يكن في الدهر مَنْ يُؤويهم أو يموّنهم. والأرامِل: جمع أَرْمَل، وهذه الصفة
يشارك فيها المؤنث والمذكر، واشتقاقه من أَرْمَلَ القوم، إذا نفِذَتْ نفقاتهم، وحقيقته
صاروا من الفقر في الرُّمْل، كما يقال: أثْرَبَ الرجلُ. والشهادة في اشتراك الرجلِ
والمرأة في هذه الصفة قولُ جرير: [البسيط]

هَلِذي الأرامِلُ قد قَضَيْتُ حاجَتَها فَمَنْ لِحاجةِ هذا الأَرْمَلِ الذَّكْرِ^(٢)

وقوله «ولَهْفَ الباقيات على أبي» هذا العُجْز تحسَّرَ للمتعلِّقين بحَبْلِهِ، والرَّاجين
ليومه وغده، والواصلين سببهم بسببه دون أولئك، فتكريره اللَّفْظ يشتمل على هذا
المعنى.

٣٤٩ - وقال^(٣): [مرقل الكامل]

- ١ - فِي بَغْضِ تَطَوَّافِ ابْنِ طُنْج - حَمَّةٌ آمِنًا لَأَقْبَى حِمَامَةٍ^(٤)
- ٢ - وَصَدَا لَهُ مِنْ خَلْفِهِ - يَفْتَرُهُ لَا بَلْ أَمَامَةٍ^(٥)
- ٣ - غُرَّ امْرُؤٌ مِثْلَهُ نَفْسٌ - سَنَ أَنْ تَدُومَ لَهُ السَّلَامَةُ
- ٤ - هِبْهَاتِ أَغْيَا الْأَوَّلِ - مَنَ دَوَاءَ دَائِكَ يَا دِصَامَةَ

(١) للقطامي في ديوانه ٣٧، وخزانة الأدب ٨: ١٣٦، واللسان (رهف، عطا). وصدره:

«أَكْفَرًا بَعْدَ رَدِّ الْمَوْتِ عَنِّي»

(٢) لجرير في اللسان (رمل)، ومقاييس اللغة ٢: ٤٤٢، وكتاب الغين ٨: ٢٦٦ وأساس البلاغة (رمل).

(٤) التبريزي: «المراثي هو دعامة بن طُعْمَة».

(٣) التبريزي: «وقال آخر».

(٥) التبريزي: «وَصَدَا لَهُ: أَي مَتَرَقِبًا».

قوله «في بعض تطواف ابن طعمة» قد أبرز اسمه، يقول: يا دِعامَة. فهو دِعامَة بن طُعمَة. وتطواف: بناء لما يشوبه في الوقوع أدنى تكلف. فكان هذا الرجل كان جَوَالَةً، فاتفق عليه أن مات آمَنَ ما كان، فأخذ يقتصُّ حاله ويتحزَّن له، وجعل التَّطَوُّاف للجنس، وأضاف البعض إليه. وانتصب «آمناً» على الحال من لاقى جِمامه، وإذا كان العامل في ذي الحال فعلاً جاز تقديم الحال عليه.

وقوله «وصداً له» خَفِيَ عليه كيف اتَّفَق مصرعه. ومعنى صَدَا له دعاه. ويجوز أن يكون فَعَلَ بمعنى تفعل، كأن صدا بمعنى تصدَّى له قائداً. والتصدَّى تعرضُ يختلط بازوارٍ وإعراض. على ذلك قوله تعالى: ﴿فَأَنْتَ لَمْ تَصَدَّى﴾ [عبس: الآية ٦]. يقول: تصدَّى له الحين سائقاً له يأتيه على غرة، بل تصدَّى قائداً لا سائقاً. كأنه لما خَفِيَ عليه من أين أتى لم يقطع الكلام على وجه واحد، بل تدارك وانتقل وهو بعد شاك، ولكن كأنه أوماً إلى جِماع الطُّرُق. وقوله:

غُرَّ امرؤٌ مئثته نَفْسٌ من أن تدوم له السلامة

معنى غُرَّ خُذِعَ على وجه له في الاستئمان إليه غَرَّرَ. ويقال: ما غَرَّكَ بفلان؟ أي لِمَ اجترأت عليه وكان الوجه أن لا تجترىء. على ذلك قوله تعالى: ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ [الانفطار: الآية ٦]. ويقال: مَنْ غَرَّكَ من فلان؟ أي مَنْ الذي جَذَبَكَ عنه وحال بينك وبينه، وكان الوجه أن تكون مُقبلاً عليه. ويقال: ما غَرَّكَ من فلان؟ أي لم وثقت به وكان الحكم أن لا تثق به. فأما قوله «مئثته نفس» فإنما نكَّره لغرض ما، وهو أن لكل رجلٍ فيما يهُمُّ به أو يرجوه أو يخافه نَفْسَيْنِ: نفسٌ تبعته عليه، ونفسٌ تصرفه عنه، فلهذا قال: مئثته نفسٌ أن تدوم له السلامة، أي غَرَّتْ تلك النفسُ امرأً جعلت من أمانيه دوامَ السلامة. يشهد لهذا الذي قلناه قولُ الآخر: [الرملة]

شاوَرَ نَفْسِي طَمَعٍ وَخَيْبَةٍ تقول هاتي: لا، وهاتيك: بَلَى
ثم قال:

فَشَجَعَتْهُ نَفْسٌ حِرْصٍ طَمِعَتْ وحذَّرتَه نَفْسُهُ الأخرى الرَّدَى
وقوله: [مجزوء الكامل]

هِيَهَاتَ أَغْيَا الْأَوَّلِي من دواءِ دائِكَ يا دِعامَة

أراد بالأوّلين الأمم السالفة، وقد أعجزهم دواء الموت. وقوله «هيهات» استبعادٌ لوقوع ما تقدّم ذكره، وهو أن تدوم له السَّلامة. وهيهات: اسمٌ للفعل وهو

بَعْدُ، وفاعله ما دلَّ عليه ما قبله، وكأَنَّهُ قال: بَعْدُ ذاك أن يكون. على هذا قوله: [الطويل]

فهيَهاتَ هيَهاتَ العَقِيقُ وَمَنْ به وهيَهاتَ خِلُّ بالعَقِيقِ تُواصِلُهُ^(١)

٣٥٠ - وقال غُوتَةُ بنِ سُلَيمٍ بنِ رَبِيعَةَ: [الوافر]

١ - أَلَا نَادَتْ أُمَامَةً باخِمْمالٍ لِتَحْرُزْنِي فَلَا بِكَ مَا أَبَالِي

٢ - فَسِيرِي مَا بَدَا لَكَ أَوْ أَقِيمِي فَأَيُّمَا أَتَيْتِ فَعَنْ تَقَالَ

يقول: أظهرت هذه المرأة من نفسها ارتحالاً عني لتجلب علي حُزنًا وغمًا، ونادت بالفراق وكثرته على ألسنة الناس. ثم انصرفَ عن الإخبار عنها وأقبلَ عليها يخاطبُها فقال: لا بِكَ ما أبالي. وهذه اليمين فيها تهكُّم وسُخرية، لأنَّ مَنْ يُجِلُّ من قلبه امرأةً محلَّها لا يجعلها أهلاً للإقسام بها. فقولك لا بِكَ، كقولك لا بالله. وما أبالي جوابُ القسم. وقيل: أراد لا بِكَ أبالي، أي لا أبالي بِكَ، ويكون ما صلَّة، ولا قَسَمَ في هذا الكلام على هذا. ورُوي «فأَبْكَ ما أبالي» فيكون دعاءً عليها. ومعنى أَبْكَ: أَبْعَدَكَ الله، والشاهد في ذلك قوله: [الطويل]

وَحَبَزْتَنِي يَا قَلْبُ أَنْكَ ذُو نُهَى بَلَيْلَى قَدْ قُ ما كنت قبلَ تَقُولُ^(٢)

فَأَبْكَ هَلَا والليالي بَغْرَةً تُلِمُّ وفي الأيام عَنكَ غُفُولُ^(٣)

فإذا رويت لا بِكَ فالبيت على كلامين، لأنَّ لا بِكَ ينفصل عما قبله، ويصير ما أبالي متصلاً به لأنَّه جوابه. وإذا رويت «أَبْكَ» فالكلام على فصولٍ ثلاثة. فالفصل الأول أنها أرادت أن تُدْخَلَ عليه جَزَعًا بالفراق، فكانه أقبل قُبْلَها ودعا عليها، ويكون الدعاء حشواً حَسَنًا، وما أبالي كلاماً آخر، وينفصل ما أبالي عن الدعاء وعن الأول.

وقوله «فسِيرِي ما بدا لك أو أقيمي» استهانَ بها وبفراقها، فحَيَّرَها بين السَّير ما بدا لها وأرادته، وبين الإقامة، ثم قال: فَأَيُّ الأمرينِ اخترتِ فَعَنْ تَقَالَ لي إِيَّاه. وإنَّما قال تَقَالَ ولم يقل قَلِي، لأنَّ في التَّقالي زيادةً معنى، وهو أن يحدث الفعل شيئاً بعد

(١) لجرير في ديوانه ٤٧٩، واللسان (هيه).

(٢) لرجل من بني عقيل في أساس البلاغة (أ و ب) وفيه: «أَنْكَ ذُو غَرَى».

(٣) لرجل من بني عقيل في أساس البلاغة (أ و ب)، وبلا نسبة في اللسان (أوب، غفل).

شيء. على ذلك قوله تداعى البناء وما أشبهه. وقوله «فأيًا ما أتيت» أيًا انتصب بأتيت، وما صلة، ومن شرط أي أن يجيء مضافًا، فأفرده هنا لما كان المضاف إليه معلومًا. على ذلك قوله تعالى: ﴿إَيَّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الإسراء: الآية ١١٠]. ألا ترى أن المعنى أي الأسماء تدعوا. ولما كان السير منها أحب إليه علقه بما وسع أمده فقال: ما بدا لك، ولم يشترط في الإقامة شيئًا. وقوله «فعن تقال»، عن تقتضي فعلًا مضمرا، كأنه قال: أي الأمرين أتيت أتيت عن تقال مني، فحذف الثاني، لأن الأول يدل عليه. وحذف مني أيضًا لأن في الكلام عليه دليلًا. وما بدا لك في موضع الظرف. وبدا هذا من البدو: الظهور، وليس من البداء: التحول، لأن المعنى سيرى مدة ظهور السير في رأيك. ففاعل بدا السير، ودل عليه سيرى لأن الفعل يدل على مصدره كما أن المصدر يدل على فعله.

- ٣ - فكيف ترؤعني امرأة ببين حياتي بغد فارس ذي طلال
 ٤ - وبغد أبي ربيعة عبد عمرو ومسعود وبعد أبي هلال
 ٥ - أصابتهم حميد بن المنيا فدى عمي لمصباحهم وخالي
 ٦ - أولئك لو جزعث لهم لكأثوا أمر علي من أهلي ومالي

أخذ يتعجب من نفسه وممن يظن به أنه يقف موقف من يفزعه امرأة بفراق، فقال: كيف يكون ذلك مدة حياتي بعد أن فجعني هذا القرس. وذو طلال كان اسم فرسه، و«حياتي» انتصب على الظرف، أي مدة حياتي؛ لأنه حذف اسم الزمان معه. ثم عدد بعد ذكر هذا الفارس من فجع به من عشيرته حالًا بعد حال، ووقتًا بعد وقت، ذكر أبا ربيعة ومسعودًا وأبا هلال، وهؤلاء كانوا حماة العشيرة وقرسان الكتيبة، فلهذا خصهم بالذكر وشهر نفسه بالتوُّجع لهم. ولو كانوا على غير هذه الصفة لما استحسنت لنفسه الاعتداد بهم في الحالة التي ذكرها.

وقوله «أصابتهم حميد بن المنيا» حميد بن المنيا انتصب على الحال، يريد أن أيامهم سلمت من شوب العار، وقباحة الذكر، وأنهم أصيبوا وهم مشكورون محمودون بلسان القريب والبعيد، والأجنبي والنسيب. وقوله «فدى عمي لمصباحهم وخالي» كلام منقطع مما قبله، وهو كالاتفات. كأنه أقبل على مخاطب فقال: أفدى مُمسأهم ومصباحهم بأطرافي العمومة والخولة. وذكر المصباح وكأن المُمسأ معه منوي، لأن طرقي النهار مذكوران في الغارة والضيافة وما يشبههما من الإساءة والإحسان. وقيل:

الممسي يتصل بأول حد الليل، وكذلك المصباح يتبدى من أول حد النهار. وقيل: إن الممسي يستحقه الوقت إلى أن ينقضي شطر من الليل، وكذلك المصباح يستحق إلى أن ينقضي شطر من النهار. والغرض في التفتيد التي تبرع بها هو إظهار اليأس والتفجع في إثر أوقاتهم وأفعالهم فيها.

وقوله «أولئك لو جزعتم لهم لكانوا» إقراراً بأنه لم يوف الجزع فيهم حقّه، ولو وفى لكان ذلك يوجب عليه الزهد في العشيّة والأهل والمال، وسائر ما يطيب العيش به وله. فالشرط الذي ذكره ليس هو شرطاً فيما يوجبه التوجع في كونهم عزيزاً، لأنهم أعزاء عليه في كل حال، وإنما هو شرط فيما يوجبه التوجع للمتوفى لو تكلف على وجهه وكُنْهه، لكانه قال: لو أعطيت الجزع حكمه لكان حالي حينئذ بخلاف حالي الساعة، ولكان لي عذر في ذلك، لأنهم أعز علي من أهلي ومالي، لكني تركت ذلك اقتداءً بالناس في جزعهم لمصابهم. فذكر السبب في أن ما يظهر منه ليس يعدّه شيئاً مغنياً مع ما يستحقونه. وهم يكتفون بذكر السبب عن المسبب وبذكر المسبب عن السبب كثيراً.

٣٥١ - وقال قراد بن غُوَيَّة^(١): [الطويل]

- ١ - أَلَا لَيْتَ شِعْرِي مَا يَقُولُنْ مُخَارِقُ إِذَا جَاوَبَ الْهَامَ الْمُصْبِحَ هَامَتِي^(٢)
- ٢ - وَذَلَيْتُ فِي زَوْزَاءٍ يُنْسَفَى ثَرَابُهَا عَلَيَّ طَوِيلًا فِي ثَرَاهَا إِقَامَتِي

تقدّم القول في ليت شعري وأن خبر ليت يحذف أبداً كما يحذف خبر المبتدأ بعد لولا، وأن شعري بمعنى علمي، وبصير ما بعده ساداً مسدّ مفعوليّه كما يسدّ جواب لولا مسدّ خبر المبتدأ بعده. وإنما تمّنّى أن يغلم موقع مُصابه من مخارق على حسن تربيته له، وحميد تعطفه عليه، وميله مدّة عيشه إليه. وكيف يجزع له ويقلق لفراقه إذا حدّث به قضاء الله ودخل في جُملة الأموات، وجاوب صداه أصداءهم. وهذا على عادتهم فيما كانوا يقولونه من أن عظام الموتى تصير أصداء وهاماً؛ حتّى قال النبي ﷺ: «لَا عَذْوَى وَلَا هَامَةٌ وَلَا صَفَرٌ»^(٣). ويقال: صاح يصيح، فإذا أريد

(١) التبريزي: «بن سلمى بن ربيعة بن زتان». (٢) التبريزي: «ويروى (المصباح) بالباء».

(٣) أخرجه أحمد في مسنده ١: ٣٢٨، ٤٤٠، والبيهقي في السنن الكبرى ٧: ١٣٥، والهيتمي في مجمع الزوائد ٥: ١٠٢.

المبالغة قالوا صَيِّحَ. ويقال: سمعت الصَّيِّحة في الغارة وما أشبهها، وسمعت الصائحة، في صَيِّحة المناحة. وقوله «ما يقولنَّ مخارق» أدخل النون الخفيفة لتؤذن بالاستقبال، وموضع النونين الخفيفة والثقيلة الاستفهام وكل ما ليس بواجب، وإذا ظرف ليقولنَّ، وجواب جملة مضاف إليها وشرح إذا بها.

وقوله «وذُلِّيتُ في زَوْرَاءٍ يُسْفَى ترابُها» أي أدخلت فأرسلت في حُفرةٍ معوجةٍ، يعني اللحد، وقوله «يسفَى ترابُها عليّ» أي يُهال ترابُها عليه إذا دفن فيها. وقد مضى القول في السافياء والسوافي، إلا أنه يقال: سَفَتَ الرِّيحُ التُّرابَ سَفْيًا، ثم قالوا: سفى الترابُ يسفِي، والتراب سافٍ، وهو من باب فَعَلَ وفَعَلْتُهُ. وقال بعضهم: كان يجب أن يقال في التراب مسفِي فليل سافٍ، كقولهم عيشة راضية وإنما هي مرضية. وقال الخليل: السَّفَا: اسْمٌ ما تَسْفِيهِ الرِّيحُ من التُّرابِ وغيره. وطويلاً: انتصب على الحال، والعامل فيه ذُلِّيتُ، وإقامتي في موضع الرِّفْعِ على أنه فاعل طويلاً. والمقبور هكذا مقامه في الثرى. وهذا اقتصاصٌ حاله عندما تمنى معرفته من جهة مخارقٍ إذا حصلت له من التلهف والتوجع. ثم استمر في ذكر الحال فقال:

٣ - وقالوا ألا لا يَبْعَدَنَّ اختياله وصَوْلَتُهُ إذا القُرُومُ تَسَامَتِ

٤ - وما البُعدُ إلا أن يكونَ مُغَيَّبًا عَنِ النَّاسِ مِنِّي نَجَدْتِي وَقَسَامَتِي

يريد: وقال الناس مكبرًا ما يقع بي، ومظهرًا الفجيعة لي: لا يبعدن اختياله وصَوْلَتُهُ، يعني كِبَرُهُ وحميَّته، وبأسه وبطشه، إذا حَصَلَ بين الصَّفَيْنِ، فتدافعت فُحُولُهُ الرِّجَالِ، وتراحمت أركانهم في القتال أو الجِدال. وقد تقدم القول في لا يَبْعَدَنَّ وما أشبهه. والقُرم: جمع القُرُومِ، وهو الفَحْلُ أَقْرَمَ، أي تُرِكَ حَتَّى اسْتَقْرَمَ، وهو المَكْرَم لا يُحْمَلُ عليه شيء، وإنما يُتْرَكَ لِلْفَحْلَةِ. ويقال قَرَمَ ومُقْرَمَ. على ذلك قوله: [الطويل]

إذا مُقْرَمٌ مِنَّا ذَرَا حَدَّ نَابِهِ تَحْمَطُ فِينَا نَابُ آخَرِ مُقْرَمٍ^(١)

ومعنى تسامت تبارزت في السُمُومِ ذكرا وحالا.

وقوله «وما البُعدُ إلا أن يكونَ مغَيَّبًا» يقول: إنَّ الانتفاعَ بهذا القول إعظامًا للرَّؤْيَ ليس يقع، لأنَّ البُعدَ كل البُعد في الموت، الذي يتغيَّبُ به عن النَّاسِ ما سَمِلَهم من

(١) لأوس بن حجر في ديوانه ١٢٢، واللسان (قرم، ذرا)، وأساس البلاغة (خمت، قرم، ذرا).

معونتي ومُعَوِّثِي، وإحساني وإفضالي، ويقال: رجل نَجَدٌ، وهو ظاهر النَجْدَةِ. ورجل قَسِيمٌ وسيم: ظاهر القَسَامَةِ والوَسَامَةِ. كأنه أراد بالقَسَامَةِ ما قُسِمَ في الحَلْق من طَوْلِهِ. وكذلك قولهم: رجل مقسّم الوجه، يرجع إلى هذا، لأن المعنى ما قُسِمَ في أعضائه من الحُسْن، فكلُّ عضوٍ يَمُت بِمِثْلِ مائَةٍ صاحبه. والقَسَامَةُ: الجماعة يَشْهَدُونَ على الشيء ويُقْسِمُونَ مع الشَّهَادَةِ.

٥ - اَيْبِكِي كما لو مات قَبْلِي بَكَيْتُهُ وَيَشْكُرُ لي بَذْلِي له وَكَرَامَتِي
٦ - وَكُنْتُ له عَمًّا لَطِيفًا ووالِدًا رَوْوَفًا وَأَمَّا مَهْدَتْ فَأَنَامَتْ

قوله «أيبيكي» هو بيان ما تَمَنَّى معرفته من أحوال مُخَارِقٍ عند مفارقتِهِ له، فقال: ليتني علمتُ هل يوفِّي الجَزَعَ حَقُّه، كما لو أصِبتُ به كنت أوفِّيه، ويَزِيِّي لي بمثل ما كنت أرثيه؛ وهل يشكر آلاني لَدَيْهِ، وإقبالي عليه، وإحساني إليه مدة حياتي أم لا. فحذف لا لأن المراد مفهومٌ، أنه يريد أَيْكون ذلك أم لا. وعلى ذلك قول القائل: ليتني علمتُ أَزِيدُ في الدار - إذا سَكَتُ عليه، فلا بد من أن تريد أم لا.

وقوله «وكنْتُ له عَمًّا لَطِيفًا»، أي كنْتُ جَمَعْتُ له مدَّةَ عمري وما اطَّرد في نفسي، بين حَذَب الآباء وشَفَقَتِهِمْ، ولُطْف العمومة وتوفُّرهم، وتَفَقُّد الأمَّهات وإشبالهن^(١). والمعنى: كنْتُ أَنتَقِلُ له في الأحوال بين ما يَأْتِيهِ العُمُّ في وقتٍ لُطْفِهِ أو يَأْتِيهِ الوالد وقتَ رَافَتِهِ، أو الأُمُّ وقتَ تَرْبِيَّتِهَا وَلُطْفِهَا. وقد سارت هذه اللفظة، وهي «أُمُّ مَهْدَتْ فَأَنَامَتْ» مثلاً فيما يُنَشَّر من إحسان الغير إلى الغير. ويقال: ما امْتَهَدَ فلانٌ عِنْدِي مَهْدَ ذلك، أي ما وَطَّدَ لنفسه. وقد أخرج في مِعْرَضٍ آخَرَ فُقِيل: [الطويل]

كما مَهْدَتْ لِلْبَغْلِ حَسَناءَ عَاقِرٍ^(٢)

وروى بعضهم: «وَيَشْكُرُنِي بِذْلِي له وَكَرَامَتِي» على أن يكون بَذْلِي بدلاً من المضمَر في يَشْكُرُنِي.

(١) الإشبال: التعطف والمعونة.

(٢) لدريد بن الصمة في الحيوان ٧: ٣٧، ولمعقر بن حمار البارقى كما في الأغاني ١٠: ٤٥،

والمزهر ٢: ٣٤٨. وصدرة:

«لها ناهض في الوكر مهْدَتْ له»

٣٥٢ - وقال مسجاح بن سباع^(١):

[الوافر]

- ١ - لَقَدْ طَوَّفْتُ فِي الْأَنَاقِ حَتَّى بَلَيْتُ وَقَدْ أَتَى لِي لَوْ أَبِيدُ
٢ - وَأَفْنَانِي وَلَا يَفْنَى نَهَارُ وَلَيْلٌ كُلَّمَا يَمْضِي يَمُودُ
٣ - وَشَهْرٌ مُسْتَهْلٌ بَعْدَ شَهْرٍ وَحَوْلٌ بَعْدَهُ حَوْلٌ جَدِيدُ
٤ - وَمَمْقُودٌ عَزِيزُ الْفَقْدِ نَائِي مَنِئْتُهُ وَمَأْمُولٌ وَلِيدُ

يقول: جُلْتُ في نواحي الأرض شرقها وغربها، عافياً وطالِباً بما يَطْلُبُ به مثلي المالَ والجاه، والعزَّ والفخر، إلى أن مَسَّنِيَ الْكِبَرُ، وتسلَّطَ عَلَيَّ الْبَلَى وَالْهَرَمُ، وَضَعَفَ الْأَمَلُ في البقاء بحسب قُوَّةِ الْخَوْفِ مِنَ الْفَتَاءِ، فقد آن لي أن أَلْحَقَ السَّابِقِينَ إن قُدِّرَ لي ذلك. وقوله «أَتَى لي» يقال: أَتَى وَأَن بَمَعْنَى، وفاعله ما دَلَّ عليه لو أَبِيدُ، والمعنى: أَتَى لي الْبُيُودُ إن كُتِبَ وَقُضِيَ عَلَيَّ.

وقوله «وأفْنَانِي وَلَا يَفْنَى نَهَارٌ» جَمَعَ بين فِعْلَيْنِ، على قوله نهار، لكثته أَعْمَلَ الثَّانِي، وهو المختار. والمراد: أَثَّرَ في قَوَائِي مُضِي نَهَارٍ لَا يَتَقَضَّى، وتجددُ لَيْلٍ لَا يَتَصَرَّمُ، بل كلما يَمْضِي واحدٌ عَادَ بَدَلُهُ آخَرُ، وكذلك أَفْنَانِي، أي أَفْنَى جِدَّتِي وَغَنَائِي، شهر ينسَلِخُ بعد استهلاكه، إلى وقت استكمالهِ، وَسَنَةٌ يَتْبَعُهَا مِثْلُهَا، فلا يُعْرَفُ قِضَاؤُهَا، ثم ما يَلْحَقُنِي في أَثْنَاءِ تِلْكَ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ، وَالسَّنِينَ وَالْأَعْوَامِ، مِنْ فَقْدٍ مِنْ أَعْتَمَدِهِ لِيَوْمِي وَغَدِي، وَخِلَافَتِي بعد موتي وَأَسْتَكْفَلَهُ وَلَدِي، وَأَسْتَرْعِيهِ هَمَلِي. هذا مع كماله في فضله، وَبَرَاعَتِهِ وَطَوْلِهِ، وَالْإِشَادَةِ بِالتَّنْوِيهِ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، وَالشَّهَادَةِ لَهُ بِالتَّبَرُّيزِ مِنْ كُلِّ فَاضِلٍ. وَمِنْ وَلَادَةِ طِفْلِ يَلْعَقُ الرِّجَاءَ بَنَشْتِهِ، وَتُجْمَعُ أَسْبَابُ الطَّمَعِ فِي حَيَاتِهِ، وَيُشْغَلُ الْوَقْتُ بِتَرْبِيَّتِهِ وَالتَّرْفُوفِ عَلَيْهِ عِوَضًا مِمَّا كَانَ لَهُ مِنْ كَاسِبِهِ وَكَافِلِهِ، وَرَحْمَةً لِبَقَائِهِ بَعْدَ مَنْ كَانَ يَعِزُّ عَلَيْهِ، وَعَقِبَ مَنْ هَتَّى فِيهِ فَلَمْ يَهْتَأُ.

وَإِذَا تَأَمَّلَ النَّازِرُ مَا اقْتَضَتْهُ هَذَا الشَّاعِرُ فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ عَلَى قِلَّتِهَا، مِنْ امْتِحَانِهِ بِالْكِبَرَةِ وَالسَّنِّ، وَتَرَاوَجِ الْقُوَّةِ بِمَآخِذِ الدَّهْرِ، وَمَعَ التَّجَوُّالِ فِي الْبُلْدَانِ، وَمُقَاسَاةِ الشُّقَاءِ فِي الْحَلِّ وَالتَّرْحَالِ، وَالتَّنَقُّلِ فِي الْأَحْوَالِ، ثُمَّ مَرُورِ الْأَيَّامِ وَكُرُورِهَا بِمَا لَا يَسْرُ عَلَيْهِ، إِلَى أَنْ رَفَعَ الطَّمَعُ عَمَّا كَانَ تَجْمَعُهُ يَدُهُ وَنَقَضَ الْيَدَ مِمَّا كَانَ يَشُدُّ قَبْضَهُ، ثُمَّ الْمُصَابِ

(١) التبريزي: «المسجاح بن سباع الضبي» شاعر جاهلي عذَّ السجستاني في المعمرين. ترجمته في معجم الشعراء للمرزباني ٤٦٩، والأغاني ١١: ١٢٤، وكتاب المعمرين ص ٧٦.

في الكامل البارع، وتعليق الرّجاء بالطفّل الدارج - وَجَدَ عَيْشَهُ عَلَى الْعَكْسِ مِمَّا وَصَفَهُ
امروؤ القيس في قوله: [الطويل]

أَلَا انْعَمَ صَبَاحًا أَيُّهَا الطَّلَلُ الْبَالِي
وَهَلْ يَنْعَمَنَّ مَنْ كَانَ أَقْرَبَ عَهْدِهِ
وَهَلْ يَنْعَمَنَّ إِلَّا خَلِيٌّ مُخْلَدٌ
وَهَلْ يَنْعَمَنَّ مَنْ كَانَ فِي الْعُصْرِ الْخَالِي
ثَلَاثِينَ شَهْرًا أَوْ ثَلَاثَةَ أَحْوَالٍ
قَلِيلُ الْهُمُومِ مَا يَبِيتُ بِأَوْجَالٍ
فَتَأْمَلُهَا فَإِنَّهَا عَجِيبَةٌ^(١).

٣٥٣ - وَقَالَ حَرَّانُ بْنُ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ مَنَاءَ^(٢)،

يرثي زيد الفوارس^(٣) وغيره من أبناء عُمومته: [الكامل]

١ - تَبْكِي عَلَى بَكْرِ شَرِبْتُ بِهِ سَفَهَا تَبْكِيهَا عَلَى بَكْرِ
٢ - هَلَّا عَلَى زَيْدِ الْفَوَارِسِ زَيْدٌ هَلَّا عَلَى عَمْرِو
٣ - تَبْكِينَ لَا رَقَاتٍ دُمُوعُكَ أَوْ هَلَّا عَلَى سَلَفِي بَنِي نَضْرِ

هذه امرأة ضايقت الشاعر - وهي من بطائنه - في بكرٍ باعه واشترى بثمنه خمرًا،
فبكّت، فأخذ يذكر حالها ويُنكر بكاءها، فقال: تبكي هذه المرأة على بكرٍ شربت به،
أي شربت خمرًا سبأت بثمنه. ويروى: «شَرِيتُ بِهِ»، ويكون أظهر.

ثم قال، بعد أن أخبر عنها بما أخبر، كالمثلقت إلى إنسانٍ بحضرته: سَفَهَا
تبكيها على بكرٍ، فانتصب سَفَهَا على المصدر، وهو المفعول له. وتبكيها في موضع
رفع بالابتداء، وعلى بكرٍ في موضع الخبر، أي لسفها فَعَلْتَ ذلك؛ لأنّه لم يبلغ من
قدر بكرٍ ما تكلفته. ولو روي: سَفَةً تبكيها على بكرٍ، فجعل التبكي هو السَفَ لم
يمنع، وكان خبرًا مقدّمًا، وعلى بكرٍ يكون لغوًا.

(١) في هامش الأصل المطبوع:

[خاتمة الجزء في نسخة الأصل]

تمّ الجزء الأول من شرح الاختيار المنسوب إلى أبي تمام الطائي، المعروف بكتاب الحماسة.
يتلوه في الجزء الثاني إن شاء الله تعالى: «وقال حرّان بن عمرو بن عبد مناة يرثي زيد الفوارس
وغيره من أبناء عمه:

تَبْكِي عَلَى بَكْرِ شَرِبْتُ بِهِ سَفَهَا تَبْكِيهَا عَلَى بَكْرِ
هَلَّا عَلَى زَيْدِ الْفَوَارِسِ زَيْدٌ هَلَّا عَلَى عَمْرِو
تَبْكِينَ لَا رَقَاتٍ دُمُوعُكَ أَوْ هَلَّا عَلَى سَلَفِي بَنِي نَضْرِ

(٢) التبريزي: «حرّاز بن عمرو».

(٣) زيد الفوارس: سبقت ترجمته في الحماسية رقم (١٨٠).

وقوله: «هَلَّا عَلَى زَيْدِ الْفَوَارِسِ» إِلَى آخِرِ الْبَيْتِ، هَلَّا حَرْفٌ تَحْضِيضٌ وَهُوَ يَطْلُبُ الْفِعْلَ، وَذَلِكَ الْفِعْلُ هُوَ تَبْكِيْنٌ. يَخَاطِبُهَا، أَي: هَلَّا تَبْكِيْنِ عَلَى هَؤُلَاءِ الْجِبَالِ الَّتِي انْهَدَّتْ، وَالْبُحُورِ الَّتِي غَاضَتْ بِزَيْدِ الْفَوَارِسِ أَوْ عَمْرٍو. ثُمَّ دَعَا عَلَيْهَا، فَقَالَ: لَا أَرْقَا اللَّهُ دَمْعَكَ، أَمْ هَلَّا تَبْكِيْنِ عَلَى سَلَفِيْ بَنِي نَصْرٍ. وَإِنَّمَا ثَنَى السَّلَفَ لِأَنَّهُ أَرَادَ الْعُمُومَةَ وَالْخُؤُولَةَ.

- ٤ - خَلُّوا عَلَيَّ الدَّهْرَ بَعْدَهُمْ فَبَقِيَْتُ كَالْمَنْصُوبِ لِلدَّهْرِ
٥ - إِنَّ الرِّزِيَّةَ مَا أَوْلَاكَ إِذَا هَزُّ الْمُخَالِغِ أَقْدَحَ الْيَسْرِ^(١)
٦ - أَهْلُ الْحُلُومِ إِذَا الْحُلُومُ هَفَّتْ وَالْعُرْفُ فِي الْأَقْوَامِ وَالنُّكْرُ

يقول: مَضَوْا لِسَبِيلِهِمْ، وَانْتَقَلُوا إِلَى جَوَارٍ مَنْ هُوَ أَمْلَكُ بِهِمْ، وَتَرَكُوا أَعْبَاءَ الدَّهْرِ عَلَى ظَهْرِي، فَهِيَ تَثْقُلُ عَلَيَّ وَتَعْرِضُنِي لِنَوَائِبِهِ وَأَحْدَاثِهِ، فَأَنَا كَالْغُرْضِ الْمَنْصُوبِ لَهُ، لَيْسَ لِي مَنْ يَتَحَمَّلُ عَنِّي، وَلَا مَنْ يُوَاظِرُنِي أَوْ يَشُدُّ أَرْزِي. وَمَعْنَى: «خَلُّوا عَلَيَّ الدَّهْرَ» أَي: صَرْتُ فَرِيْسَةً لِلدَّهْرِ، فَكَأَنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ أَغْرَوْهُ بِي لَمَّا ذَهَبُوا عَنِّي وَأَفْرَدُونِي. وَهَذِهِ اللَّفْظَةُ تُسْتَعْمَلُ فِي إِغْرَاءِ الْجَوَارِحِ عَلَى الصَّيْدِ.

وقوله: «إِنَّ الرِّزِيَّةَ مَا أَوْلَاكَ» إِلَى آخِرِ الْبَيْتِ، يَرِيدُ: الْمَصِيبَةَ كُلَّ الْمَصِيبَةِ هُمُ أَوْلَاكَ إِذَا اشْتَدَّ الزَّمَانُ وَأَسْنَتَ النَّاسُ، وَاحْتِيَجَّ إِلَى مَجَامِعِ الْأَيْسَارِ، لِإِصْلَاحِ أَمْرِ الْفُقَرَاءِ وَالْأَيْتَامِ، فَلَمْ يُوجَدْ مَنْ يُرْجَعُ إِلَيْهِ أَوْ يُعْتَمَدَ عَلَى إِفْضَالِهِ وَتَفْقِيدِهِ. وَقَوْلُهُ: «مَا أَوْلَاكَ» مَا صِلَةٌ. وَمَعْنَى: هَزُّ أَجَالٍ. وَالْمُخَالِغُ: الْمَقَامَرُ. وَالْمُخَالَعَةُ: الْقِمَارُ. وَقِيلَ: إِنَّمَا سُمِّيَ مُخَالِغًا لِأَنَّهُ هُوَ الْمَوْلَعُ بِالْيَسْرِ، فَهُوَ الَّذِي يَخْلَعُ مَالَ غَيْرِهِ وَيَنْخَلَعُ هُوَ أَيْضًا مِنْ مَالِهِ، مُنَافِسَةً وَجَرَصًا عَلَى الْمَيْسِرِ وَاكْتِسَابِ الْحَمْدِ فِيهِ وَلَهُ. وَقَوْلُهُ: «إِذَا هَزُّ» هُوَ ظَرْفٌ لِمَا دَلَّ عَلَيْهِ «مَا أَوْلَاكَ». يَرِيدُ: أَنَّ الرِّزِيَّةَ افْتَقَارُ النَّاسِ إِلَى أَوْلَئِكَ فِي مِثْلِ هَذَا الْوَقْتِ فَلَا يُنَالُونَ. وَقَوْلُهُ: «أَهْلُ الْحُلُومِ إِذَا الْحُلُومُ هَفَّتْ» يَصِفُهُمْ بِالرِّزَاةِ فَيَقُولُ: إِذَا دَهَمَ مِنَ الْأَمْرِ مَا تَهْفُو فِيهِ الْعُقُولُ وَتَزِلُّ فِيهِ الْأَقْدَامُ، فَهَؤُلَاءِ لِأَصَالَةِ آرَائِهِمْ يَثْبُتُونَ عِنْدَ الْمَزَاوِلَةِ، وَيُدَاوُونَ الْأُمُورَ بِدَوَائِبِهَا مِنْ غَيْرِ طَيْشٍ وَلَا سَفَهٍ، وَلَا تَجَاوُزَ حَدٍّ وَعَنَتَ. وَقَوْلُهُ: «وَالْعُرْفُ فِي الْأَقْوَامِ» أَرَادَ: وَهُمْ أَهْلُ الْعُرْفِ وَالنُّكْرِ فِي الْأَقْوَامِ. يَعْنِي: أَنَّهُمْ يُنْزِلُونَ الْأَقْوَامَ مَنَازِلَهُمْ مِنَ الْمَوَالَاةِ وَالْمُدَاجَاةِ، فَمَنْ دَاجَى كَانَ لَهُ النُّكْرُ مِنْهُمْ، وَمَنْ وَاَلَى كَانَ لَهُ الْعُرْفُ.

(١) التبريزي: «إِنَّ الرِّزِيَّةَ» وَ«هَزُّ» بِالرَّاءِ الْمَهْمَلَةِ. وَهَزُّ: كَرِهَ.

٣٥٤ - وقال زُونَيْر^(١) بن الحارث بن ضَرَار: [الطويل]

١ - أَلَمْ تَرَ أَنِّي يَوْمَ فَارَقْتُ مُؤَثِّرًا أُنَانِي صَرِيحُ الْمَوْتِ لَوْ أَنَّهُ قَتَلَ^(٢)

يُرَوَّى «صريحُ الموت» بالخاء المعجمة «لو أنه قَبِلَ» بالباء. ومعنى: أَلَمْ تَرَ: اَعْلَمَ ذَلِكَ، أَلَا تَرَى قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ [الفيل: الآية ١]. والنبى عليه السلام لم يَرَ ذَلِكَ، فيقول: اَعْلَمَ أَنِّي يَوْمَ فَارَقْتُ هَذَا الرَّجُلَ وَرَدَّ عَلَيَّ مَا يَجْرِي مَجْرَى الْمَوْتِ الصَّرِيحِ الْخَالِصِ لَوْ أَنَّهُ قَتَلَنِي وَأَتَى عَلَيَّ، وَلَكِنْ الْقَدَرُ ثَبَتَ قَدَمِي فِي الْأَحْيَاءِ، فَلَمْ يُخَلَّنِي لِلْمَوْتِ. وَمَنْ رَوَى «صريح» بالخاء و«قَبِلَ» بالباء، فالمراد: أُنَانِي دَاعِي الْمَوْتِ. وَالصَّرِيحُ يَكُونُ الْمُسْتَغِيثُ وَالْمُغِيثُ جَمِيعًا، وَالْمَرَادُ: أُنَانِي دَاعِي الْمَوْتِ لَوْ أَنَّهُ قَبِلَنِي لَكُنْتُ لَا أَمْتَنَعُ مِنْ إِجَابَتِهِ لَمَّا اسْتَدْعَى، وَإِغَاثِيهِ لَمَّا اسْتَغَاثَ، لَكِنَّهُ لَمَّا بَقَانِي وَلَمْ يَأْخُذْنِي فَكَأَنَّهُ لَمْ يَقْبَلْنِي.

٢ - وَكَانَتْ عَلَيْنَا عِزُّهُ مِثْلَ يَوْمِهِ غَدَاةَ غَدَتِ مِنَّا يُقَادُّ بِهَا الْجَمَلُ

تَقْدِيرُ الْبَيْتِ إِذَا أُزِيلَ مَا فِيهِ مِنْ هُجْنَةٍ التَّقْدِيمِ وَالتَّأخِيرِ: وَكَانَتْ عَلَيْنَا عِزُّهُ غَدَاةَ غَدَتِ مِنَّا يُقَادُّ بِهَا الْجَمَلُ مِثْلَ يَوْمِهِ. وَالْمَعْنَى: كَانَتْ مَفَارِقَةُ عِزُّهُ لَنَا غَدَاةَ انْتِقَالِهَا عَنَّا، وَقَدْ حُمِلَتِ الْجَمَالُ وَقِيدَ بِهَا ظَعِينَتُهَا مِثْلَ يَوْمِ فَقْدِهِ، أَيِ كَانَ ذَلِكَ الْيَوْمُ مِثْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ. كَأَنَّهُمْ كَانُوا أَلْفَوْا مِنْ مَقَامِهَا أَيَّامَ عِدَّتِهَا أَنَسًا بِهَا، وَبِقَبَا دَارِهَا عَلَى مَا كَانَتْ تُعْهَدُ مِنْ قَبْلِ، فَلَمَّا رَأَتْ مِنَ التَّثَقُّلِ مَا رَأَتْ، وَخَلَّتِ الدِّيَارُ مِنْهَا وَمِنْ أَسْبَابِهَا وَتَغَيَّرَتْ، عَادَتْ الْمَصِيبَةُ عَلَى أَحْيَائِهَا جَذْعًا، وَالشَّرُّ مُسْتَفْجَلًا.

٣ - وَكَانَ عَمِيدَنَا وَبَيْضَةً بَيْتِنَا فَكَلُّ الَّذِي لَا قِيَتْ مِنْ بَغْدِهِ جَلَلُ

أَي: كَانَ رَئِيسَنَا وَالْمَصْمُودَ بِالْحَاجَاتِ فِينَا، وَأَضَلَّ بَيْتِنَا وَأَسَاسَ فُخْرِنَا. وَقَدْ تَقَدَّمَ الْقَوْلُ فِي بَيْضَةِ الْبَلَدِ، وَأَنَّهُ يُسْتَعْمَلُ فِي الْمَدْحِ وَالذَّمِّ. فَأَمَّا بَيْضَةُ الْخَدْرِ وَبَيْضَةُ الْبَيْتِ فَلَا يَسْتَعْمَلَانِ إِلَّا فِي الْمَدْحِ. وَقَدْ صِيغَ مِنَ الْبَيْضَةِ هَذَا فَعْلٌ، حَكَى ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ قَالَ: يَقَالُ: اجْتَا حَوْهَمَ وَابْتَا ضَوْهَمَ، إِذَا اسْتَأْصَلَوْهُمْ. وَقَوْلُهُ: «فَكَلُّ الَّذِي لَا قِيَتْ مِنْ بَغْدِهِ جَلَلُ» أَي: صَغِيرٌ هَيْئًا فِي جَنْبِ مَا لَا قِيَانَهُ فِيهِ. وَالْجَلَلُ يُسْتَعْمَلُ فِي الصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: الْمَرَادُ بِبَيْضَةِ الْبَلَدِ أَنَّهُ الْمَعْرُوفُ الْمَوْضِعُ، الْمَرْجُوعُ

(١) التبريزي: «زويهر».

(٢) التبريزي: «مؤثر: اسم ابن أخيه، وصريح الموت: خالصة».

إليه في كلِّ مَهْمٍ، كما يرجع صاحبُ الأدحيِّ إلى أدحيِّه^(١) كيف توجَّه في المرعى، وأتى انتَجَعَ ورَعَى. والأجود أن يكون المراد به وقد أضيف إلى البيت، وهو بيت الفخر والعِزِّ، أنه الأصلُ والعُزْثومة، كما حكى عن أبي بكرٍ رضي الله عنه أنه قال: «نحنُ عِثْرَةُ رسول الله التي خَرَجَ منها، ويبيضُها التي تَفَقَّأت عنه».

٣٥٥ - وقال ابن عَنَمَةُ الضُّبِّيُّ^(٢) في مَقْتَلِ بِسْطَامَ بْنِ قَيْسٍ^(٣):

[الوافر]

١ - لَأُمُّ الْأَرْضِ وَنَزَلَ مَا أَجْنَتْ بَحَيْثُ أَضَرَ بِالْحَسَنِ السَّبِيلُ
يعظم شأنُ الأرض كيف ترشَّحت لسترِ بِسْطَامَ فيها، ومن أين صارت يتَّسع بطئها له مَيْثًا وهي تضيق عن أفعاله وذِكْرِهِ حيًّا. وقال الأصمعي في تفسير وَنَزَلَ إنه قُبُوحٌ. ولك أن تقول: «لَأُمُّ» فتتبع حركة الهمزة حركة اللام. وارتفع وَنَزَلَ بالابتداء وإن كان نكرة، لأنه عُلِمَ أنه دعاء، فحصل به مثلُ فائدة المعارف. ومعنى: «لَأُمُّ الْأَرْضِ وَنَزَلَ» ثَبَّتْ لَأُمُّ الْأَرْضِ ويل، فهو في لفظ ما وقع. وقوله: «ما أَجْنَتْ» ما استفهام، وموضعه مفعول أَجْنَتْ. يقول: سَتَرْتُ رجلاً وأَيُّ رجل، أي: سَتَرْتُ جليلاً من الأملاك رفيع بناءِ العِزِّ، واسعَ باعِ الفخر. وقوله: «بَحَيْثُ أَضَرَ» جعل حيثُ اسماً. ومعنى أَضَرَ: دنا. والحَسَنُ: جَبَلٌ. والمعنى: بمكانٍ أَضَرَ بِالْحَسَنِ فيه، أو أَضَرَ السَّبِيلُ بِالْحَسَنِ، حتى نكونَ مثلناه على المذهبين جميعاً.

٢ - نَقَسَمَ مَالَهُ فِينَا وَنَذَعُو أبا الصُّهْبَاءِ إِذْ جَنَحَ الْأَصِيلُ
يقول: نقَسَمَ فواضِلَ ما عندنا من غنائمِ غَزَوَاتِهِ وما بَقَّاه ولم يَقْسِمَ فينا لوقتِ يختاره له، فبقيَ بعده. وفي اقتسام تلك الأموال ما يهَيِّج الحَسَرَاتِ، لأوقات الغارة في البُكَرات. ثم قال: «وندعو أبا الصُّهْبَاءِ إِذْ جَنَحَ الْأَصِيلُ» يُشير إلى وقت الأضياف، وأن الحيَّ في ذلك الوقت يصير ضِجَّةً واحدة، تلهُفُ في إثرِ الفات، وتذكِّرُ له، وتوجَّعاً لما فُقِدَ من المستأنف من تلك الرسوم واستمرارها. ومعنى ندعوه نندبه

(١) الأدحيِّ والأدحية: مبيض النعام في الرمل. (٢) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (١٨٩).
(٣) التبريزي: «قتله عاصم بن خليفة، وكان ابن عنة مجاوراً في بني شيبان فخاف على نفسه لما قتل بسطام، فرتاه يستميل بذلك بني شيبان، وهو من بني السيد بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة».

ونقول: وإسظاماه! وإثما قال «ماله» لأن ما اجتمع بسعيه وحده، وبأسه وسطوته، كان له. ومعنى: جَنَحَ مال، والأصيل: العشيّة. وأبو الصُّهباء: كنية بسطام.

٣ - اِجِدْكَ لَنْ تَرَاهُ وَلَنْ تَرَاهُ تَخْبُ بِهْ عُدَايَرَةً دُمُولُ^(١)

ألم في هذا بقول النابغة: [الطويل]

يقولون حِضْنٌ ثُمَّ تَأْبَى نَفْسُهُمْ^(٢)

كأنه لشدة الأمر عليه يكذب المشاهدة ويدع التصديق بها في الوقت بعد الوقت، إما استعظاماً للحال، وإما لآفة تلحق العقل، وضعف يتخلل التحصيل، فكأنه بعد ما اقتصر من الحال ما اقتصر، وشرح من الفجع ما شرح عاودته تلك الحالة وعادته، فأقبل على نفسه يستثبتها وقال: أعلى جد منك، وأتجد جدك، أنك في مستقبل الأوقات لا تراه متمكناً منه قريباً، على عادتك في حال الأمن معه، ولا تراه أيضاً من بعيد في الغزو وتسير به الحَبَب راحلة قوية خفيفة.

وقد ظهر بما ذكرته فائدة تكرار حرف النفي في كلامه، لأن لن نفي قول القائل أسيفعل كذا زيد؟ فيقول: لن يفعل. فقوله: لن تراه، نفي الرؤية في حال السلم، ولن تراه نفي لها في حال الغزو. وتخْبُ به في موضع الحال.

٤ - حَقِيبَةُ رَحْلِهَا بَدَنٌ وَسَرْجٌ تَعَارِضُهَا مُرَبِّبَةٌ دَوُولُ

٥ - إِلَى مِيعَادٍ أَرَعَنْ مُكْفَهَرٌ تَضْمَنُ فِي جَوَانِبِهَا الْخُيُولُ^(٣)

يقول: تَخْبُ به ناقة بهذه الصفة وقد شد في الحقيبة التي ارتدّفتها درعٌ قدّر ما يستر البدن، وسَرْجٌ لِمَا جُنِبَ معه من فرس تعارض هذه الناقة في السير؛ وهي لعزها وكبرها على ربها، رُبَّتْ في البيوت ولم تُتْرَكْ هَمَلًا، وسيرها الذميل. ويقال: رَبَّيْتُ وَرَبَّيْتُهُ بالتشديد بمعنى. والدَّالَان: ضربٌ من السير. والاحتقَاب: شد الحقيبة من خَلْف، وكذلك الاستحقَاب.

(١) التبريزي: «لا تراه ولن تراه».

(٢) للنابغة في ديوانه ١٩٠، وأساس البلاغة (جنح)، وعجزه:

وكيف بحصن والجبال جنوحٌ

(٣) التبريزي: «تَضْمَنُ فِي جَوَانِبِهِ». وتَضَمَّر: أي تَصَنَع وتَغَذَّى في القَرَتَيْنِ، والقَرَتَان: الغداة والعشي.

وقوله: «إلى ميعادِ أرعن» يعني به جيشاً كأنه رَعْنٌ جَبَلٍ. وقيل: جيشُ أرعن: له فُضُول. والرَّعْن: أنف يتقدّم من الجبل، والجميع الرُّعان والرُّعون. مكْفَهْرٌ، أي مرتفع عالٍ. وقوله: «تُضَمَّنُ في جوانبها الخيول» أي: تُفَرَن الخيلُ بالإِبل في جوانبها، إذ كان لكلِّ رجلٍ راحلةٌ وفَرَسٌ يقوده معه. ومثل هذا قوله: [الطويل]

خَصَفْنَ بِأَثَارِ الْمَطِيِّ الحوافِر^(١)

يقول: تسير به راحلةٌ معها جَنِيْبَةً، إلى ميعادِ أرعن، أي جيش كثيرٍ ضَمَّنَ جوانبُ راحلها الخيول. ويروى: «تُضَمَّرُ في جوانبها» بالراء، والمعنى: تُضَمَّنُ الخيولُ وتُغْدَى في الفَرَتَيْنِ في جوانبها. والمراد: أنَّ فُرْسَانَ هذه الكتيبة دأبهم ذلك.

٦ - لَكَ الْمِرْبَاعُ مِنْهَا وَالصَّفَايَا وَحُكْمُكَ وَالنَّشِيطَةُ وَالْفُضُولُ
أَقْبَلَ يَخَاطِبُ الْمَرْثَى بعد الإخبار، على عادتهم في الكلام.

وقال أبو عبيدة: كان رئيسُ القَوْمِ في الجاهليَّةِ إذا غزا بهم فَعَنِمَ أَخَذَ من جماعة الغنيمة ومن الأسرى والسَّبيِّ على أصحابه المِرْبَاعَ، وهو الرُّبع، فلذلك قال: «لَكَ المِرْبَاعُ مِنْهَا» فصار هذا الرُّبع الذي كان في الجاهليَّةِ للرئيس في الإسلام حُمْسًا. وكان له الصَّفِيُّ: واحد الصَّفَايَا من جماعة الغنائم والأسلاب والكُرَاعِ قبل القِسْمة، وهو أن يصطفي لنفسه شيئًا: جاريةً أو سيفًا أو فَرَسًا أو ما شاء، وبقي الصَّفِيُّ على حاله في الإسلام: اصطفى النبي ﷺ سيفَ مُنَبِّه بن الحجاج ذا الفقار يوم بدر، واصطفى جُوَيْرِيَّة بنت الحارث من بني المِضْطَلِق يوم المُرَيْسِيع، فجعل صدقتها عتقها ونزَّوج بها، واصطفى صَفِيَّة بنت حُيَيٍّ، ففعل ذلك بها.

وقال أبو عبيدة: وكان له النُّقِيعَةُ أيضًا، وهو بعير يُنَحْرَهُ قبل القِسْمة فيُطْعِمُهُ الناسَ كذلك. قال: [الكامل]

إِنَّا لَنَضْرِبُ بالسَّيْفِ رُؤُوسَهُمْ ضَرَبَ الْقُدَّارِ نَقِيعَةَ الْقُدَّامِ^(٢)
قال: وَسَقَطَ في الإسلام النُّقِيعَةُ.

(١) لمقاس العائذي في شرح اختيارات المفضل ٨٥:٣، واللسان (خصف، ولي)، وبلا نسبة في خزانة الأدب ٣٤٦:٩. صدره:

«أولى فأولى يا امرأ القيس بعدما»

(٢) للمهل في ديوانه ١٨٠، واللسان (قدر، نفع، قدم)، وديوان الأدب ٣٣٦:١.

قال: وله حُكْمُهُ، وهو أن يبارِرَ الفارسُ فارسًا قبلَ التّقاءِ الجيْشَيْنِ فيقتله ويأخذُ سَلْبَهُ. والحُكْمُ فيه إلى الرئيس، إن شاء نَقَلَهُ وإن شاء رَدَّهُ إلى جُمْلَةِ المَغْنَمِ، وهذا باقٍ في الإسلام.

وله أيضًا «النَّشِيطَةُ» وهو ما انْتَشِطَ من الغنائم ولم يُوجِفُوا عليه بخيلٍ ولا رِكابٍ، فبقيت في الإسلام. وَقَدْ كُ مِنْ ذَلِكَ، لم يُوجِفُوا عليه، فكان للنبي ﷺ خاصَّةٌ.

قال: وكان للرئيس البَسِيطَةُ، وبعضهم يُسَمِّيها البَسِطُ، وهي الناقةُ أو الحِجْرُ معها ولِذَها، فتُجْعَلُ هي وولدها في رُبعِ الرئيس ولا يُعْتَدُّ عليه بالوَلَدِ. وقال: وسَقَطَ البَسِيطَةُ في الإسلام.

وكان له «الْفُضُولُ» وهو ما فَضَلَ بعد القِسْمَةِ وَيَعْجِزُ عن عَدَدِ الغُزَاةِ، أو لا يتناولُه القَسْمُ، وهذا سَقَطَ أيضًا في الإسلام. قال أبو عبيدة: غَيْرَ أَنِّي حَدَّثْتُ عن مجاهد أَنَّهُ قال في قوله تعالى: ﴿يَسْتُلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [الأنفال: الآية ١]، قال: هو ما شَذَّ من الغنائم، كالفضول. وقبها: إنها منسوخة.

٧ - أَفَاتَتْهُ بَنُو زَيْدِ بْنِ عَمْرِو وَلَا يُوفِي بِبِسْطَامِ قَبِيلِ
٨ - فَخَرَّ عَلَى الْأَلَاءِ لَمْ يُوسَّدْ كَأَنَّ جَبِيئَهُ سَيْفٌ صَقِيلٌ^(١)

قوله: «أفَاتَتْهُ» فاتَ يتعدَّى إلى مفعول. تقول: فاتني الشيء، فإذا أَدْخَلْتَ عليه حرفَ التعدية تعدَّى إلى مفعولين، فإذا كان كذلك فأحُدُ المفعولين محذوف، كأنه قال: أفاتت الناسَ بنو زيد بن عمرو بِسْطَامًا، أي الانتفاعَ بِبِسْطَامِ. وقوله: «ولا يُوفِي بِبِسْطَامِ قَبِيلِ» بالباء يروى، والمعنى: لا يُوفِي بدمه قَبِيلٌ، كأنَّ القَبِيلَةَ بأسْرِها مطالبون بدمه ووافون به إذا أُتِيَ بهم كلُّهم. وهذه الرواية أقرب إلى ما يدلُّ عليه صدرُ البيت وأشبه. ويروى: «قتيلٌ» بالتاء، ويكون الكلامُ تحسُّراً، والمعنى: لا يُوفِي بدمِ بِسْطَامِ دَمٌ قتيل. ويقال: وَفَى وَأَوْفَى بمعنى واحد.

وقوله: «فخَرَّ عَلَى الْأَلَاءِ»، معناه: سقط. والأَلَاءُ: شجرة ولم يُوسَّدْ، يستعملونه كثيراً في القتيل، وليس ذلك لأنَّ القتلى بعضهم يوسَّدون. وقد يقال: «وسَّدَ فلانٌ يمينه في ضريحه»، وهذا أيضًا مَثَلٌ؛ لأنَّ المَيِّتَ لا يوسَّدُ يمينه، وإنما

يُراؤ: تجافى المكان به في حالتي الدفن والقتل. وقوله: «كَأَنَّ جَبِينَهُ سَيْفٌ صَقِيلٌ» يريد وجهه وإشراق لونه.

٣٥٦ - وقال الهذلول بن هُبَيْرَة^(١): [الطويل]

- ١ - أَلِكْنِي وَفَزْ لَابِنِ الْغُرَيْرَةِ عِرْضَهُ إِلَى خَالِدٍ مِنْ آلِ سَلَمَى بْنِ جَنْدَلٍ
 - ٢ - فَمَا أَبْتَغِي فِي مَالِكَ بَعْدَ دَارِمٍ وَلَا أَبْتَغِي فِي دَارِمٍ بَعْدَ نَهْشَلٍ
 - ٣ - وَمَا أَبْتَغِي فِي نَهْشَلٍ بَعْدَ جَنْدَلٍ إِذَا مَا دَعَا الدَّاعِيَ لِأَمْرِ مُجَلَّلٍ
 - ٤ - وَمَا أَبْتَغِي فِي جَنْدَلٍ بَعْدَ خَالِدٍ لِطَارِقٍ لَيْلٍ أَوْ لِعَانٍ مُكَبَّلٍ
- قوله: «أَلِكْنِي» أي: أعطني على أداء ألوكتي، وهي الرسالة. وقد تقدّم القول في هذه اللفظة؛ وأن أصلها أَلِكْنِي، فَقُلِبَ وَقُدِّمَ اللام على الهمزة فصار أَلِكْنِي، ثم حُدِفَت الهمزة استخفافاً وألْقِيَت حركتها على اللام فصار أَلِكْنِي.

وقوله: «وفز لابن الغُريرة عرضة» معناه: اترك عرضة وافرا. يقال: وَفَزْتُهُ أَفْرُهُ وَفَرًا، وهو موفور. والمراد: خُصَّ برسالتي خالداً واطرُك ابن الغريرة جانباً، لا تذكر له قبيحاً ولا ثوليه مكروهاً. والرسالة ابتداءها: «فما أبتغي في مالك». والشاعر رتب أفضأاً وبطوناً، وذكر أن كل واحد منها كان له رئيس يدور أمره عليه، ويعتصم بأمره في الملمات، وأنه بعد افتقار ذلك فيهم فلا طائل ولا خير عند واحد منهم. ألا تراه قال: فما أبتغي في بني مالك بعد خروج بني دارم منهم، وما أبتغي في بني دارم بعد خروج بني نهشل منهم، وما أبتغي في بني نهشل إذا صرَّخ الصارخُ لأمرٍ عظيم بعد خروج جندل منهم، وما أبتغي في بني جندل لِسارٍ يسري بليلٍ يطلب الضيافة، أو أسيرٍ مكبلٍ يطلب من يفك أسره بعد افتقار خالد؛ كأنه كان يأخذ بعضهم بما يماسك به البعض الآخر، وذلك البعض يماسك بآخر إلى آخر القصة. وهذا على ما رتبته في نهاية الحسن. وقوله: «أمرٌ مُجَلَّلٌ» أي معظَّم. والكَيْلُ: القَيْدُ، وَرَجُلٌ مُكَبَّلٌ.

٣٥٧ - وقال إلياس بن الأرت^(٢): [الطويل]

- ١ - وَلَمَّا رَأَيْتُ الصُّبْحَ أَقْبَلَ وَجْهَهُ دَعَوْتُ أَبَا أَوْسٍ فَمَا إِنْ تَكَلَّمَا

(١) التبريزي: «الهذيل بن هبيرة، أحد بني حرفة بن ثعلبة بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب».

(٢) ذكره ابن دريد في الاشتقاق (٢٣٥) في رجال طيء من بني شمعجى، وأنشد له الجاحظ في =

٢ - وَحَانَ فِرَاقٌ مِنْ أَخٍ لَكَ نَاصِحٌ وَكَانَ كَثِيرَ الشَّرِّ لِلْخَيْرِ تَوْءَمًا

لَمَّا عَلِمَ لِلظَّرَفِ، وَهُوَ لَتَوُقُّعِ الشَّيْءِ لَوُقُوعِ غَيْرِهِ، وَلِذَلِكَ احْتِاجٌ إِلَى الْجَوَابِ، وَجَوَابُهُ هُنَا دَعَوْتُ. فَيَقُولُ: لَمَّا دَنَا الصُّبْحُ وَأَقْبَلَ وَجْهُهُ يَنْقَلِقُ وَيُقْبَلُ، دَعَوْتُ هَذَا الرَّجُلَ - يَعْنِي الْمَرْتِيَّ - فَمَا أَجَابَ. وَإِنَّمَا خَصَّ وَقْتَ تَنَسُّمِ الصُّبْحِ، لِأَنَّ الْمَرِيضَ يَخْفَ فِيهِ، فَكَأَنَّهُ عَلَى عَادَتِهِ فِي تَمْرِضِهِ، وَتَعْرِفُ خَبْرَهُ، وَتَحُلُّبُهُ عَلَيْهِ فِي الْعَارِضِ لَهُ، دَعَاهُ فَوَجَدَهُ ثَقِيلًا، لَا يُجِيبُ وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانُهُ، فَتَيَقَّنُ مِنْهُ قُرْبَ الْمَفَارِقَةِ، وَالْبِعَادَ بَعْدَ الْمَقَارِبَةِ، فَلِذَلِكَ قَالَ: «وَحَانَ فِرَاقٌ مِنْ أَخٍ لَكَ نَاصِحٌ». وَمَعْنَى حَانَ: قَرُبَ. وَالتَّصَاحَةُ: صَفَاءُ الْوُدِّ، وَخُلُوصُ الْعَقِيدَةِ مِنَ الْغِلِّ. وَقَوْلُهُ: «وَكَانَ كَثِيرَ الشَّرِّ» يَعْنِي مَعَ مَنَابِذِهِ وَمُشَاقِّهِ. وَلَنْ يَكْمَلَ الْفَتَى حَتَّى يَكُونَ مُسْتَصْلَحًا لِلْخَيْرِ وَالشَّرِّ، فَيُجِلَّ النَّاسَ مَحَالَّهُمْ، وَيُوقِّعُهُمْ مُسْتَحَقَّاتِهِمْ، إِنَّ خَيْرًا فَخِيرًا، وَإِنْ شَرًّا فَشَرًّا.

وَقَدْ عَمِلَ لَطِيفَةً فِي الصِّفَةِ الثَّانِيَةِ فَقَالَ: «لِلْخَيْرِ تَوْءَمًا»، فَجَعَلَ الْخَيْرَ وُلْدًا مَعَهُ فَنَشَأَ بِنَشْنِهِ. يُقَالُ: غَلَامٌ تَوْءَمٌ، لِلَّذِي وُلِدَ مَعَهُ غَيْرُهُ. وَأَتَامَتِ الْمَرْأَةُ فَهِيَ مُتَنِّمٌ. وَاشْتِقَاقُهُ مِنَ الْوَأَمِ، وَالتَّاءُ فِيهِ بَدَلٌ مِنَ الْوَاوِ، كَالْتَّاءِ فِي تُكَاءٍ وَمَا أَشْبَهَهَا، وَالْجَمْعُ تَوَآمٍ، وَقُعَالَ فِي الْجَمْعِ قَلِيلٌ. كَانَ الْوَلَدُ وَاوَمٌ غَيْرُهُ فِي الْإِتْيَانِ، أَيْ وَافَقَ. وَفِي الْمَثَلِ: «لَوْلَا الْوِثَامُ هَلَكَ اللَّثَامُ». وَقَدْ اسْتَقْصَيْتُ الْقَوْلَ فِيهِ فِي شَرْحِ كِتَابِ الْفَصِيحِ.

٣ - تَنَابَعَ قِرْوَاشُ بْنُ لَيْلَى وَعَامِرٌ وَكَانَ السُّرُورُ يَوْمَ ذَلِكَ مُدْمَمًا^(١)

يُرِيدُ: أَنَّهُمْ قَدْ تَدَاعَوْا فِي الدَّهَابِ، وَتَقَاطَرُوا فِي الْمَوْتِ، فَمَاتَ الْوَاحِدُ بَعْقِبِ الْوَاحِدِ، كَأَنَّهُمْ دُعُوا بِلِسَانٍ وَاحِدٍ فَأَجَابُوا، وَكَانَ السُّرُورُ يَوْمَ مَاتَ مُلْقَى. مُهْلَكًا غَيْرَ بَاقٍ؛ لِأَنَّ كُلَّ مَنْ سَمِعَ بِمَوْتِهِ أَخَذَ قِسْطًا مِنَ الْجَزَعِ لَهُ فَخَفِيَ سُرُورُ النَّاسِ وَظَهَرَ جَزَعُهُمْ. وَقَوْلُهُ: «يَوْمَ مَاتَ» يَعْنِي أَبَا أَوْسٍ. هَذَا مِنْ بَابِ مَا خَصَّ الْبَعْضُ بِشَيْءٍ مِنْ دُونَ الْجُمْلَةِ، فَأَعِيدَ ذِكْرُهُ. وَالْدَّمْدَمَةُ: الْإِهْلَاكُ وَالِاسْتِصْصَالُ. وَفِي الْقُرْآنِ: ﴿فَدَمْدَمَ

= الحيوان ٤: ٣٥٩.

(١) التبريزي: «مدممًا، ودممت الشيء: إذا طليته وغطيته».

عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ» [الشمس: الآية ١٤]. ويروى: «وكان السُرُورُ يومَ ذاك مُذَمِّمًا^(١)».

٤ - هَمَمْتُ بَأَنْ لَا أَطْعَمَ الدَّهْرَ بَعْدَهُمْ حَيَاةً فَكَانَ الصَّبْرُ أَبْقَى وَأَكْرَمًا
قوله: «بأن لا أطعم الدهر بعدهم» انتصب أطعم بأن، ولو رفع لجاز على أن يكون أن مخففة من الثقيلة، ويكون اسمه مضمراً، والفعل مع ما بعده خبرٌ كأنه قال: همت بأنني لا أطعم حياة بعدهم، أي كنت وطئت نفسي على الزهد في الحياة، وجعلت قتل نفسي من همّي، ثم نظرت فكان الالتساء بالناس في مصائبهم، والصبر على مقاساة البلاء معهم، أبقى في الذكر، وأحسن في الأحداث، وأكرم عند عدّ الأفعال وعرضها على القول. وروي: «أنقى» بالتاء المعجمة، والمعنى: أوفى؛ لأن التاء مُبدلة من الواو، أي أضون للدين والعرض.

٣٥٨ - وقال قبيصة بن النصراني الجرمي^(٢): [الوافر]

- ١ - أَلَا يَا عَيْنُ فَاحْتَفِلِي وَبَكِّي عَلَى قَسْرَمٍ لِرَيْبِ الدَّهْرِ كَافٍ
- ٢ - وَمَا لِلْعَيْنِ لَا تَبْكِي لِحَوْطٍ وَزَيْدٍ وَابْنِ عَمَّهِمَا دُفَافٍ
- ٣ - وَعَبْدِ اللَّهِ يَا لَهْفِي عَلَيْهِ وَمَا يَخْفَى بِزَيْدٍ مَنَاءَ خَافٍ
- ٤ - وَجَدْنَا أَهْوَنَ الْأَمْوَالِ هُلُكًا وَجَدَكَ مَا نَصَبْتَ لَهُ الْأَنَافِي

يقول: يا عين جاء وقت البكاء فتهيئي له، واجمعي دموعك ثم فرقيها، ولا مسأغ لتقصير، ولا مجال لتعذير. والحافل من الغنم: التي جمعت اللبن في ضرعها. ومعنى بكي: أكثرى البكاء أو كثره. والقَرْم: الكريم من الرجال، وأصله في الفحول، وكذلك المُقَرَم، وقد تقدّم ذكره.

وقوله: «لرَيْبِ الدَّهْرِ كَافٍ» قد حذف أحد مفعولي كَفَى، كأنه كافٍ الناس ريب الدهر، أي ما راب من أحداثه.

ثم عدّد من فُجِعَ به من أعزته فوجب البكاء له، ليُعْلَمَ عظيم شقائه وما أصيب به في أودائه.

(٢) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (١٩٩).

(١) من الذم.

وقوله: «يا لَهْفَى عليه» يجوز أن يكون المُنَادَى محذوفًا كأنه قال: وعبد الله لَهْفَى عليه يا قوم. ويجوز أن يكون نَادَى اللَّهْفُ لِيُرِي عَظِيمَ حَسْرَتِهِ، وكَمَالَ شِقْوَتِهِ فِي فَجَعَتِهِ.

وقوله: «وما يَخْفَى بَزِيدٍ مَنَاءَ خَافٍ»، يجوز أن يكون موضعه رفعًا على أنه يرتفع بيخفى، فكأنه قال: ما يخفى خَافٍ بَزِيدٍ، أي زيدُ مَنَاءَ لا يخفى، لأن الخافي هو زيد؛ وهذا كما تقول: لَقِيتُ بَزِيدَ أَسَدًا. ويجوز أن يكون قوله: «بَزِيدٍ» هو الفاعل والباء فيه مثل الباء في قول الله تعالى: ﴿وَكُنْ لِلَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: الآية ٧٩]. والمعنى: ما يخفى زَيْدُ مَنَاءَ خَفَاءَ، وخَافٍ في موضع خَفَاءَ، لكنّه لم ينصبه كما لم يُنْصَبْ قوله: [الرجز]

كَأَنَّ أَيْدِيَهُنَّ بِالْقَاعِ الْقَرِقِ^(١)

ومثله: [الوافر]

كَفَى بِالنَّأْيِ مِنْ أَسْمَاءَ كَافٍ^(٢)

وقمّت قائمًا، وعُدّت بالله عائذًا، وقد مضى مثله.

قوله: «وَجَدْنَا أَهْوَنَ الْأَمْوَالِ هُلْكًَا» كأنه نبّه به على ما كانوا يُقِيمُونَهُ مِنَ الضَّيَافَةِ، وَيُنْفِقُونَهُ مِنَ الْأَمْوَالِ فِي الْعُقَاةِ وَأَبْوَابِ الْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ، وَأَنَّ أَهْوَنَ الْأَمْوَالِ هَلَاكًا عَلَى نُفُوسِ الْكِرَامِ وَأَخْفَهَا فِي الصُّدُورِ وَالْقُلُوبِ مَا وَقَفَ عَلَى الْأَضْيَافِ، وَصُرِفَ إِلَى مَأْكَلِهِمْ، وَكَذَلِكَ مَنْ أَشْبَهَ الْأَضْيَافَ. وَانْتَصَبَ «هُلْكًَا» عَلَى التَّمْيِيزِ. وَمَعْنَى: «وَجَدْنَا» وَحَقُّ جَدِّكَ.

وقوله: «مَا نَصَبَتْ لَهُ الْأَثَافِي» فِي مَوْضِعِ الْمَفْعُولِ الثَّانِي لَوْجَدْنَا. وَالْأَثَافِي، وَاحِدَتُهَا أَثْفِيَّةٌ. وَيُقَالُ: ثَفَّيْتُ الْقِدْرَ وَأَثْفَيْتُهَا، فَأَثْفِيَّةٌ أَفْعُولَةٌ. وَمَنْ قَالَ: أَثْفَيْتُهَا فَأَثْفِيَّةٌ عِنْدِي قُعْلِيَّةٌ؛ لِأَنَّ الْهَمْزَةَ أَصْلِيَّةً. مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ النَّابِغَةِ: [البسيط]

وَإِنْ تَأَثَّفَكَ الْأَعْدَاءُ بِالرُّقْدِ^(٣)

(١) انظر المقاييس واللسان (قرق)، وإصلاح المنطق ص ٤٦٤.

(٢) لبشر بن أبي خازم، وعجزه:

«وليس لنأيها إذ طال شافٍ»

(٣) للنابغة في ديوانه ٢٦، واللسان (أثف، ركن، ثفا)، ومقاييس اللغة ١: ٥٧، وصدرة:

«لا تقذفتي بركن لا كفاء له»

٣٥٩ - وقال أبو صغترَة البولاني^(١) :

- ١ - زُكَيْرَة وابنا أُمّه الهَمُّ والمُنَى وفي الصَّدْرِ منهم كُلّما غِبْتُ هاجِسُ
 ٢ - أَوْدُهُمْ وَدًا إِذَا خَاسَرَ الحَشَا أضاء على الأضلاع والليل دَامِسُ
 ٣ - بني رَجُلٍ لو كان حَيًّا أعانني على ضَرِّ أعدائي الذين أَمَارِسُ^(٢)

يعني بَزُكَيْرَة وأخويه أولاد أخيه، وكان تُؤَفِّي والدُهم فصَارَ هو كافِلَهُم. فيقول:
 هم الذين أمتُّ لهم، وأتمتُّ خيرَهم وبقاءَهم، وأقصرُ همِّي على ما تستقيم به
 أحوالُهم، وتستتبُّ له أمورُهم، ومتى غبتُ عنهم كان في صدري هاجِسٌ من الفكرِ
 فيهم، وسابغ من التوفّر عليهم، يحولان بيني وبين الذّهاب عنهم؛ فجسمي غائبٌ
 عنهم، وهواي حاضرُهم. فهذه التي أشار إليها نتائجُ العناية بهم، ومسبباتُ الرّعاية في
 الثّيابة عن أخيه فيهم. ثم أخذَ يذكر ما غرّسه الحبُّ في قلبه لهم، ورعاه صدره من
 التحنن والشفقة في بابهم، فقال: أَوْدُهُمْ وَدًا إِذَا خَالَطَ الحشا في ظُلْمَةِ الليل أضاء
 على الأضلاع. وإنما قال هذا لأنّ الشيء إذا أشرق بالليل وعند التّباس الظّلام، فهو
 بالنهار أَوْلَى بالإشراق؛ فكأنّ المعنى أنّ طلائع حبّهم في مكامن صدره مضيئة
 الأرجاء، نيرة الأكناف، في كلّ حالٍ ووقت.

وقوله: «بني رجلٍ» يعني أخاه، كأنّه ذكرَ ما يقتضيه في أمرهم بما يأتيه، فأشارَ
 إلى الدّواعي القائمة بينه وبين أولادِ الأخ، فقال: أذكرُ بني رجلٍ لو كان في جُملة
 الأحياء لأعانني على الأعداء، وأنصفتني من الزّمان، ودفع عني من مضراتهم
 ومناكداتهم ما يخفُّ معه ظهري، ويقوى فيه نُهوضي وجذابي.

٣٦٠ - وقال الغَطْمَشُ من بني شَقِرَة بن كعب

ابن نَعْلَبَة^(٣) :

- ١ - أَلَا رَبُّ من يَغْتَابُنِي وَدَّ أَنَّنِي أبوه الذي يُذْعَى إليه ويُنسَبُ
 ٢ - على رِشْدَةٍ من أُمّه أو لِعَيَّةٍ فيفْلِيها فَعَلَّ على التَّنْسِلِ مُنْجِبُ
 قوله: «مَنْ يَغْتَابُنِي» مَنْ نكرة ويغتابني في موضع الصّفة له، و«وَدَّ أَنَّنِي»
 جواب رَبُّ، فيقول: رَبُّ إنسانٍ يأكُلُ لحمي بظهر الغيب ويتنقّصني، ومع ذلك

(١) التبريزي: «في بني أخيه».

(٢) التبريزي: «بنو رجلٍ».

(٣) التبريزي: «بن سعد بن ضبة» وقد وردت له الحماسية رقم (٢٩٩).

يُتمنى أن أكون أباه الذي يُسمى به ويُنسب إليه، وإنما يبعثه على ذلك الحسد والبغضاء.

وقوله: «على رِشدةٍ من أمِّه أو لَعِيَّةٍ»، فإنَّ على يتعلَّق بقوله: إني أبوه، كأنه يريد: وَدَّ أبوتِي سواء كان ولدَ حلالٍ أو حرام. والرَّشدة: اسم الهيئة في الرِّشاد. والْعِيَّة: الفعلة الواحدة من الغي. وهكذا يُختار أن يقال هو لِرِشدة بكسر الراء، ولَعِيَّة بفتح الغين. وقوله: «فيغلبها» نصب جواب التمني بالفاء، والعامل فيه أن مضمرة. وهذا شرح العِيَّة، كأنه قال: تمنى أن يكون ولدي على رِشدة، أو يغلبها فعلٌ مُنْجَب على التَّسَل فتأتي به لَعِيَّة. وأراد بالفعل المنجَب نفسه، ويعني يغلبها على التَّسَل غلبة الشَّبه لِيبرِّته من هُجَّتْها. وإذا قال القائل: ودَّدْتُ أنني أجيتك فتكرمني، فقوله: فتكرمني انتصب ولم يعطف على أجيتك، لمخالفة آخر الكلام أوَّله، وذلك أن قوله: إني أجيتك متمنى غير واجب، وتكرمني ليس من التمني بل هو واجب، فلما خالفه نوى بالأول الاسم، وأضر بعد الفاء أن، لتكون الفاء عاطفة لاسم على اسم، فكأنه قال: ودَّدْتُ مَجِئِي إليك فإكرامك لي. وكذلك إذا قال: ألا ماء فأشربَه، يراد: لو كان لي ماء لشربته، تقديره: ألا ماء فشرَبَه.

٣ - فبالخير لا بالشرِّ فازجُ مودَّتِي وأيُّ امرئٍ يُقتالُ منه التَّرهُّبُ

كأنه أقبل على هذا المغتاب له، الناحية أثلته، المداجي له بعداوة كامنة مستحكمة في الصدر، فقال له: هذه المودة التي تُظهِرها من نفسك لي، أزج انتفاعك بالخير لا بالشرِّ، لأنك إن فعلت غير ذلك فإنما تحتاج إلى إصلاحٍ من نفسك، فأما إذا كانت المودة صافية، والعقيدة خالصة، فإنَّ صاحبها لا يرجو بها إلا خيرا، وكيف يرجو غيره من ثماره، وهو يغرس الخير لا الشرِّ. وقوله: «أزج مودَّتِي» أي: أزج مودَّتكَ لي، والمصدر يُضاف إلى المفعول كما يضاف إلى الفاعل. وقوله: «أيُّ امرئٍ يُقتالُ منه التَّرهُّبُ»، فمعنى يُقتال يُحتكم، وهو يُفْتَعَل من القول، يريد: أيُّ رجلٍ يُحتكم عليه ومنه التَّرهُّب، التخوف، وتترك السكون والأمانة إليه، أي: كيف يُطلب وُدُّه على الرُّهبة منه.

٤ - أقولُ وقد فاضتْ بعينيَّ عبرةٌ أرى الأرضَ تَبْقَى والأجلاءَ تذهبُ

٥ - أجلاءٌ لو غيرَ الحمامِ أصابكم عَتَبْتُ ولكن ما على الدهرِ مَغْتَبٌ

قوله: «وقد فاضت بعيني عبرة» اعتراض بين الفعل ومعموله. وقوله: «أرى الأرض تَبْقَى» متصل بقوله: «وقد فاضت بعيني عبرة»، وهو من جملة الاعتراض. ومفعول أقول البيت الثاني، فريد: أقول وقد اتصل البكاء مني، وسالت العبرات من عيني، إذ كنت أرى الأرض باقية، والإخوان الخُلص ذاهبة، وأنا لا أملك شيئاً: إِخْلَايَ إِنِّي مَغِيظٌ مغلوب، مأخوذٌ عن عَزائي لِمَا أتاه الدهر، ولكنني إذا أَفَكِرْتُ وكان سبب اخترايمكم الموت الذي تتساوى فيه الأقدام فلا يُبْقِي على شريف ولا وضع، ولا صغير ولا كبير، صَدَنِي ذلك عن العتب؛ لأنَّ الموت لا مَعْتَبَ عليه، ولو كان الجاني فيكم، والسالب لكم غير الموت لعتبت على الدهر، وقلتُ وأكثرْتُ في موضع القول، وانتصفت وأسرفت في موضع الفعل. ويقال: عَتَبْتُهُ فَأَعْتَبْتُ، أي لُمْتُهُ فَأَرَضَى. ويروى: «إِخْلَايَ» بالقصر وإثبات ياء الإضافة، و«إِخْلَاءَ» بالمد وحذف ياء الإضافة، وهذا أجود.

٣٦١ - وقالت امرأة^(١): [الطويل]

- ١ - أَلَا فاقْصِرِي مِنْ دَمْعِ عَيْنَيْكَ لَنْ تَرَيِ أَبَا مِثْلِهِ تَنْمِي إِلَيْهِ الْمَفَاخِرُ
٢ - وَقَدْ عَلِمَ الْأَقْوَامُ أَنَّ بَنَاتِهِ صَوَادِقُ إِذْ يَسْتُدْبِنُهُ وَقَوَاصِرُ
- تقول متسليّة ورافعة الطَّمَع من أن يكون الجزعُ يَرْدَ فائتًا، فقالت: كُفِّي من دمع عينيك، وَنَهْنِهِي عِبْرَاتِكَ، فَإِنَّكَ لَنْ تَرَيِ مَنْ تَعْتَاضِيهِ من أهلك الذي كان إليه ينتمي المفاخر. ومعنى: «تَنَمِي إِلَيْهِ الْمَفَاخِرُ» أنه غاية المفاخر، فهي إليه تنتمي. وَيُرَوَّى: «يَنُمُو إِلَيْهِ الْمَفَاخِرُ» بضم الميم، والمعنى: يَرْتَقِي إِلَيْهِ الْمَفَاخِرُ إِذَا نَافَرَ خَصْمَهُ وجاذبه.

وقولها: «وقد عَلِمَ الْأَقْوَامُ أَنَّ بَنَاتِهِ صَوَادِقُ» استشهدت بطوائف الأقوام على اختلافها، وذكرت أنهم قد عَلِمُوا أَنَّ بَنَاتِ هَذَا الْمَتَوَفَّى فيما يندُبْنَ به أباهن ويذكرنه من فضائله وإفضاله، آتِيَاتٌ بِالصِّدْقِ غيرِ الكذب، وعاجزاتٌ عن بلوغ الغاية التي يستحقها أبوهن المرثي، فَإِنَّ الْقَوْلَ لَا يُحِيطُ بِحَدِّهِ، والوصف لا يَنْظُمُ كُنْهَ حَقِّهِ.

(١) التبريزي: «قال أبو ريش: والذي عندي أن هذه الأبيات لمحمد بن بشير أحد بني الخارجية، يرثي بها أبا عبيدة عبد الله بن زمعة بن الأسود...».

٣٦٢ - وقال آخر^(١): [الطويل]

١ - سَقَى جَدْنَا وَارَى أَرِيْبَ بِنِ عَسْعَسٍ مِّنَ الْعَيْنِ غَيْثٌ يَنْسَبِقُ الرُّعْدَ وَابِلُهُ

٢ - مُلِثٌ إِذَا أَلْقَى بِأَرْضٍ بَعَاغَهُ تَغَمَّدَ سَهْلَ الْأَرْضِ مِنْهُ مَسَايِلُهُ

دَعَا لِقَبْرِ الْمَرْتِيِّ بِالسُّقْيَا، وَهُوَ أَرِيْبُ بِنِ عَسْعَسٍ. وَمَعْنَى «مِنَ الْعَيْنِ» مِنْ السَّحَابَاتِ الَّتِي تَنْشَأُ مِنْ عَيْنِ الْقَبْلَةِ وَهِيَ أَغْزَرُ، فَلِذَلِكَ خَصَّهَا. وَقَوْلُهُ: «يَنْسَبِقُ الرُّعْدَ وَابِلُهُ» يَطْلُبُ بِهِ الْكَثْرَةَ. وَالْوَابِلُ: الْمَطَرُ الضَّخْمُ الْقَطَرُ، وَإِذَا سَبَقَ الْمَطَرُ الرُّعْدَ كَانَ الثَّوَاءُ أَغْزَرَ.

وَقَوْلُهُ: «مُلِثٌ» لَمْ يَرْضَ بِأَنْ يَكُونَ سُقْيَاهُ عَارِضًا، وَلَكِنْ جَعَلَ الْغَيْثَ مُلِثًا، وَهُوَ بِمَعْنَى مُقِيمٍ. وَقَوْلُهُ: «إِذَا أَلْقَى بِأَرْضٍ بَعَاغَهُ» يَرِيدُ: إِذَا جَاءَ مَطَرُهُ عَلَى أَرْضٍ فَوَضَعَ أَثْقَالَهُ بِهَا امْتَلَأَتِ الرِّهَادُ، وَتَغَمَّدَتِ الْمَسَايِلُ بِطَوْنِ الْأَبَاطِحِ السَّهْلَةِ. وَالْبَعَاغُ: الثَّقُلُ، وَالْجَهَازُ. يُقَالُ: بَغَّ السَّحَابُ بَعًا وَيَعَاغَا، إِذَا أَلْحَ بِمَكَانٍ فَأَلْقَى بَعَاغَهُ فِيهِ.

٣ - فَمَا مِنْ فَتَى كُنَّا مِنَ النَّاسِ وَاحِدًا بِهِ نَبْتَغِي مِنْهُمْ عَمِيدًا نُبَادِلُهُ

٤ - لَيَزُومُ حِفَاطٌ أَوْ لَدَفْعٌ كَرِيهَةٌ إِذَا عَيَّ بِالْحِنْلِ الْمِعْضَلِ حَامِلُهُ

قَوْلُهُ: «فَمَا مِنْ فَتَى» بَيَّنَّ فِيهِ تَقْدِيمَ وَتَأْخِيرَ، وَتَلْخِيصُهُ مُبَيَّنًا مُعَادَا كُلِّ شَيْءٍ إِلَى مَوْضِعِهِ: مَا مِنْ فَتَى مِنَ النَّاسِ كُنَّا نَبْتَغِي بِهِ وَاحِدًا مِنْهُمْ عَمِيدًا نُبَادِلُهُ. فَعَلَى هَذَا قَوْلُهُ: «مِنَ النَّاسِ» مِنْ صِفَةِ الْفَتَى، وَبِهِ يَعُودُ الضَّمِيرُ إِلَى الْفَتَى. وَالْمَعْنَى: كُنَّا بِسَبَبِهِ نَبْتَغِي وَاحِدًا مِنْهُمْ - أَيِ مِنَ النَّاسِ - عَمِيدًا، مِنْ صِفَةِ الْوَاحِدِ، لِأَنَّا جَعَلْنَا وَاحِدًا مَفْعُولًا لِنَبْتَغِي. نُبَادِلُهُ، أَيِ: نُبَادِلُ بِهِ النَّاسَ، فَحَذَفَ الْجَارُ وَقَالَ نُبَادِلُهُ. عَلَى هَذَا قَوْلُ عَارِقِ الطَّائِي: [الطويل]

وَلَيْسَ مِنَ الْقَوْتِ الَّذِي هُوَ سَابِقُهُ^(٢)

أَيِ سَابِقُ بِهِ. وَخَبِرَ مَا مَحْذُوفٌ؛ كَأَنَّهُ قَالَ: مَا فَتَى ذَا صِفَتُهُ بِمَوْجُودٍ فِي الدُّنْيَا وَمَا أَشْبَهَهُ.

(١) التبريزي: «قال القلاخ: قال أبو هلال: في الشعراء ثلاثة يقال لهم القلاخ أحدهم: القلاخ الراجز ابن حزن بن جناب بن منقر، والآخر القلاخ بن زيد أحد بني عمرو بن مالك، والقلاخ العنبري، وهذا هو قلاخ بن حزن».

(٢) هذا عجز بيت لعارف الطائي سيرد في الحماسية رقم (٧٧٩)، وصدده:

«إلى المنذر الخير بن هنيذ نزوره»

وقوله: «ليوم حِفَاطِ» اللام تعلق بقوله نبأه، أي: يُبَادِل به لهذا الشأن، وهو أن يحافظ على حسبه محافظة الكرام، أو يدافع الكرائة والشدائد لدى الجَدَل والخِصام، في وقت من الزمان يعزُّ من العَشِير مَنْ يَكْفِيهِ الهزيمة، وترى الناهض بالأنقال لتضاعف المُوْن والبلايا يعيا بما يحمله فيعده داءُ عُضَالاً. وأصل العضل: المنع والتضييق. ويقال: عَضَلَت المرأة وَعَضَلْتُهَا، إذا مَنَعَتْهَا من التزويج. وَعَضَلْتُ، إذا عَسَرَ ولأدّها.

- ٥ - وَذِي تُذْرٍ مَا لَلَيْثُ فِي أَصْلِ غَابِيَةٍ بِأَشْجَعٍ مِنْهُ عِنْدَ قِرْنٍ يُنَازِلُهُ^(١)
٦ - قَبِضْتُ عَلَيْهِ الْكَفَّ حَتَّى تُقْبِدَهُ وَحَتَّى يَفِي لِلْحَقِّ أَخْضَعَ كَاهِلُهُ

قوله: «وذي تُذْرٍ» الواو عاطفة، وانجزّ ذي بإضمار رُبِّ. وتُذْرٍ: تُفَعِّل من الدُّزء، وهو الدَّفْعُ بشِدَّة، فيقول: رُبِّ رجلٍ هكذا ما الأسدُ في خِدره بأقوى قلباً منه نظير له في بأسه وشِدته ينازله. فقوله: «ما الليث» إلى آخر البيت، من صفة ذي تُذْرٍ. والغابة: الأجمة. وإنما قال: «في أصل غابية» إشارة إلى دخوله وتمكّنه من غايته. والمنازلة إنما تكون عند تضايق المجال وتَداني أطراف موضع الالتقاء، عن الإقدام والإحجام.

وقوله: «قَبِضْتُ عَلَيْهِ الْكَفَّ» يقول: جَمَعْتُ عليه قَبْضَتَكَ فَمَنَعَتْهُ عن الانفصال عند الخروج من إيسارك، حتى أمكنك من الاقْتِياد منه، وحتى عاد كاهله خاضعاً للحق راضياً به. والخطاب بجميع هذا للمرثي. وإنما يصفه بِحُسْنِ الثُّبَاتِ في معاركة الخصوم ومزاولتهم، وأنه باقي الصُّبْرِ في استيفاء الحقوق عليهم. وقوله: «كاهله» يجوز أن يرتفع بقوله يَفِي. ويجوز أن يرتفع على البَدَل من المضمّر في يَفِي، وحينئذٍ يحتمل ضميراً لذي تُذْرٍ. وأخضع ينتصب على الحال في الوجهين جميعاً، ويجوز أن يرتفع أخضع فيكون خبراً مُقَدِّماً، وكاهله يكون مبتدأ. والأخضع: الذي في عنقه انخفاض وتطأطؤ.

- ٧ - فَتَى كَانَ يَسْتَخِي وَيَعْلَمُ أَنَّهُ سَيَلْحَقُ بِالْمَوْتَى وَيُذَكِّرُ نَائِلُهُ

راجع الإخبار عنه ثانياً، فيقول: هو فَتَى كان الحياء يملكه فلا يتعاطى ما يقبح في الأحداث، ولا يسمع منكراً إلا ألغاه، ولا رأى مستشنعاً إلا رفضه وأقصاه، ليطيب

(١) التبريزي: «في أصل غابية».

مَسْمَعٌ مَا يُرَوَى عَنْهُ، وَمَنْظَرُهُ فِيمَا يُشَاهَدُ مِنْهُ. وَقَوْلُهُ: «وَيَعْلَمُ أَنَّهُ سَيَلْحَقُ بِالْمَوْتِ» يَقُولُ: تَيَقَّنُ أَنَّ الْخُلُودَ لَا مَطْمَعَ فِيهِ، فَإِنَّ الَّذِي لَهُ مِنَ الْمَالِ مَا يَقْدُمُهُ لِمَثْوَبَةٍ، وَأَذْخَارًا لِأَكْرَمَةٍ، إِذَا تُحْدِثَ عَنْهُ بِهَا كَانَ ذِكْرُهُ حَيًّا وَإِنْ كَانَ الشَّخْصُ فِينَا مَغَيَّبًا.

٣٦٣ - وَقَالَ الضَّبِيُّ: [الكامل]

- ١ - أَأَبِي لَا تَبْعُدْ وَلَيْسَ بِخَالِدٍ حَيٍّ وَمَنْ تُصِيبِ الْمَوْتُونَ بَعِيدُ
- ٢ - أَأَبِي إِنْ تُضْبِخَ رَهِيْنَ قَرَارَةٍ زَلْجَ الْجَوَانِبِ قَفَرُهَا مَلْحُودُ^(١)
- ٣ - فَلَرَبِّ مَكْرُوبٍ كَرَزَتْ وَرَاءَهُ فَمَنْفَتُهُ وَبَنُو أَبِيهِ شُهُودُ
- ٤ - أَنْفًا وَمَخْمِيَّةً وَأَنْتَكَ دَائِدُ إِذْ لَا يَكَاذُ أَخُو الْحِفَاظِ يَذُودُ
- ٥ - وَلَرُبَّ عَانٍ قَدْ فَكَّكَتْ وَسَائِلِ أَعْطَيْتُهُ فَعَدَا وَأَنْتَ حَمِيدُ
- ٦ - يُثْنِي عَلَيْكَ وَأَنْتَ أَهْلُ ثَنَائِهِ وَلَذَنِكَ إِمَّا يَنْسَزِدُكَ مَزِيدُ

البيت الأول يشتمل على أنواع ثلاثة من الكلام: فقوله: «لَا تَبْعُدْ» ما يُنْدَبُ بِهِ الْمَوْتَى عَلَى إظهارِ الفارقة إِلَى حَيَاتِهِ، وَقَدْ مَرَّ الْقَوْلُ فِيهِ. وَقَوْلُهُ: «لَيْسَ بِخَالِدٍ حَيٍّ» تَسْلٌ وَإِيمَانٌ بِمَحْتَوَمِ الْقَدَرِ، وَأَنَّ ذَلِكَ يُوجِبُ عَلَى الْمُصَابِ الصَّبْرَ وَالِاتِّسَاءَ بِفِرْقِ الْخَلْقِ. وَقَوْلُهُ: «وَمَنْ تُصِيبِ الْمَوْتُونَ بَعِيدُ» تَبَرُّؤٌ مِنَ الْجَرِيِّ عَلَى عَادَةِ النَّاسِ فِي الْمَصَائِبِ وَاعْتِرَافٌ بِأَنَّ الْمَوْتَ يَبْعَدُ الْإِلْتِقَاءَ بَيْنَ الْأَحْيَاءِ وَالْأَمْوَاتِ، فَلَا تَزَاوَرُ وَلَا تِرَاسُلُ، وَلَا تَخَاطُبُ وَلَا تَكَاتُبُ؛ فَكُلُّ هَذَا تَحَسُّرٌ وَتَوَجُّعٌ.

وقوله: «أَأَبِي إِنْ تُضْبِخَ رَهِيْنَ قَرَارَةٍ» جَوَابُ الشَّرْطِ أَوَّلِ الْبَيْتِ الَّذِي يَلِيهِ، وَهُوَ قَوْلُهُ: «فَلَرَبِّ مَكْرُوبٍ»، وَالْمَعْنَى: إِنْ خَلَّيْتَ مَكَانَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَصِرْتَ مَرْهُونًا فِي قَرَارَةِ قَبْرِ زَلْجِ الْجَوَانِبِ، صَرِيحُهُ لَا يُثْمَشُ، وَرَهِيْنُهُ لَا يُفَكُّ، وَأَسِيرُهُ لَا يُتَخَلَّصُ بِمَنْ وَلَا فِدَاءَ، وَلَزِيْمُهُ لَا يَتَمَلَّسُ لَوْ قَتِ وَعِدَادٍ، فَلَرُبَّمَا فَعَلْتَ كَذَا وَكَذَا. وَقَوْلُهُ: «قَفَرُهَا مَلْحُودُ»، تَصْوِيرٌ لِلْقَبْرِ بِلَحْدِهِ.

وقوله: «فَلَرَبِّ مَكْرُوبٍ كَرَزَتْ وَرَاءَهُ» يَرِيدُ: رَبُّ مُضَيِّقٍ عَلَيْهِ أَسْلَمَهُ بَنُو أَبِيهِ لَمَّا امْتَحَنَ بِهِ حَتَّى تَمَكَّنَ الْعَدُوُّ مِنْهُ، أَنْتَ تَعَطَّفْتَ عَلَيْهِ، وَصَرَفْتَ عَنَّا يَتَكَ إِلَيْهِ، فَخَفَّفْتَ

(١) التبريزي: «زُلْج» أي جوانبها مزلة، يقال: مكان زُلْج: إذا لم تستقرَّ عليه الأقدام.

ثَقْلَهُ، وأَلْقَيْتَ عَنْهُ وِزْرَهُ، وَدَفَعْتَ مِنْ قُوْرَتِهِ دَوْنَهُ، وَمَوَالِيهِ مِنْ بَنِي الْأَعْمَامِ وَغَيْرِهِمْ حُضُورًا لَا يَزْعَوْنَ لَهُ إِلَّا، وَلَا يَحْفَظُونَ لَهُ عَهْدًا.

وقوله: «أَنْفًا وَمَخِيْمَةً» انتصب على أنه مفعول له، وما بعده معطوف عليه وفي معناه، كأنه ذكر العلة الموجبة لما أتاه، فقال: فعلت ذلك جَمِيَةً وَأَنْفَةً، وَأَنْ عَادَتَكَ الْمَدْفَاعَةُ عَنْ كُلِّ مَنْ يَتَعَلَّقُ بِحَبْلِكَ، أَوْ يَتَمَسَّكُ بِعُرْوَةٍ مِنْ عُرَى عَنَانِكَ، غَرِيْبًا كَانَ أَوْ نَسِيْبًا؛ وَهَذَا تَفْعَلُهُ فِي وَقْتٍ يَزْهَدُ النَّاسُ فِي الْإِحْسَانِ، لَشِدَّةِ الزَّمَانِ، وَيُزَيُّ الْمُحَافِظُ مَمْسَكًا وَالْمُرَاعِي مُهْمَلًا.

وقوله: «وَلَرُبُّ عَانٍ قَدْ فَكَّكَتْ»، فإلحاحي: الأسير، وأصله مِنْ عَنَا يَعْنُو، إِذَا خَضَعَ. عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَعَنْتِ الْأَوْجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّوْمِ﴾ [طه: الآية ١١١]. فيقول: رَبُّ مَأْسُورٍ أَخْرَجْتَهُ مِنْ ضَيْقِ الْإِسَارِ إِلَى سَعَةِ الْأَمَانِ، فَأَطْلَقْتَ كَبْلَهُ، وَنَزَعْتَ غُلَّهُ، وَرُبُّ سَائِلٍ اجْتَدَاكَ فَاعْنَيْتَهُ، وَعَنِ السَّجْوَالِ أَقْعَدْتَهُ، فَانصَرَفَ عَنْكَ وَهُوَ يُشْنِي عَلَيْكَ وَيَتَشَكَّرُ نِعْمَتَكَ؛ وَقَدْ اسْتَحَقَّقْتَ عَلَيْهِ ذَلِكَ بِمَا أَسَدَيْتَهُ إِلَيْهِ، وَلَوْ عَادَ إِلَيْكَ لَوَجَدَ مَعَادًا لَا ضَجَرَ مِنْكَ يَلْحَقُهُ، وَلَا سَامَةً فِيكَ تَمَحُّقُهُ، وَإِنْ اسْتَزَادَ زِدْتَهُ، لَا يُنْتَمَعُ مِنْ مَوْجُودٍ، وَلَا يُحَالُ عَلَى مَفْقُودٍ.

٣٦٤ - وَقَالَ عِكْرِشَةُ أَبُو الشَّغْبِ^(١) يَرْثِي

ابْنَهُ شَغْبًا:

[البسيط]

١ - قَدْ كَانَ شَغْبٌ لَوْ أَنَّ اللَّهَ عَمَرَهُ عِزًّا تَزَادُ بِهِ فِي عِزِّهَا مُضَرُّ

٢ - فَارَقْتُ شَغْبًا وَقَدْ قُوْنْتُ مِنْ كِبَرٍ لِبِشْتِ الْخَلَّتَانِ: الثُّكْلُ وَالْكِبَرُ

يَعْظُمُ شَأْنَ ابْنِهِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ قَدْ بَرَعَ فِي فَضْلِهِ، وَوَرَدَ أَبْوَابَ الْمُلُوكِ فَقَبِلْتَهُ الْعِيُونَ وَالْقُلُوبُ نَبَاهَةً وَحَلَاوَةً، وَتَوَجَّهًا وَتَقَدُّمًا. فَقَالَ: لَوْ أَنَّ الْقَضَاءَ أَهْمَلَ ابْنِي شَغْبًا وَلَمْ يُعَاجِلْهُ عَنْ اسْتِكْمَالِهِ، وَعَنِ الْاسْتِمْتَاعِ بِمَا تَوَحَّدَ بِهِ مِنْ فَضَائِلِهِ، لَكَانَ بَقَاؤُهُ عِزًّا مُسْتَعْجَلًا لِقِبَائِلِ مُضَرٍّ كُلِّهَا، تُضَيِّفُهُ إِلَى عِزِّهَا، وَتَتَبَجَّحُ بِاسْتِقْرَارِهَا.

وقوله: «فَارَقْتُ شَغْبًا» عاد إلى ما يخصُّ نفسه من الفَجْعِ بِمَوْتِهِ، وَالْجَزَعِ لِفِرَاقِهِ، فَقَالَ: فَارَقْتَهُ وَالْكِبَرُ قَدْ صَافَحَنِي، وَحَتَّى ظَهَرِي، وَانْتَقَصَ جَلْدِي، وَأَوْهَنَ

(١) سبقت ترجمته في الحماسية (٣١٤).

قَوَايَ، وَلَا أَمَلَ فِي إِدْرَاكِ مِثْلِهِ، وَلَا اسْتِقْلَالَ بِالثُّهُوسِ بِأَعْبَاءِ أَهْلِهِ. ثُمَّ قَالَ مَتَحَسَّرًا:
بِئْسَتِ الْخُلْتَانِ الْمُجْتَمِعَتَانِ لِي: تُكَلُّ مَنْ لَا يُعْتَاضُ مِنْهُ أَبَدَ الدَّهْرِ، وَالْكَبِيرُ الْمُقْصَرُ
لِلْأَمَلِ، الْمُقَرَّبُ لِيَوْمِ الْأَجَلِ.

٣٦٥ - وَقَالَ آخِرُ يَرِثِي ابْنَهُ: [الطويل]

- ١ - اللَّهُ دَرُّ الدَّافِنِيكَ عَشِيَّةً أَمَّا رَاعَهُمْ فِي الْقَبْرِ مَثَوَاكَ أَمْرَدًا
٢ - مُجَاوِرَ قَوْمٍ لَا تَزَاوَرُ بَيْنَهُمْ وَمَنْ زَارَهُمْ فِي دَارِهِمْ زَارَ هُمْدًا

قوله: «لِلَّهِ دَرُّ الدَّافِنِيكَ» فَدَرُّ، وَإِنْ كَانَ فِي الْأَصْلِ مُصَدَّرًا فَقَدْ لَزِمَ هَذَا الْمَوْضِعَ
وَجَرَى الْكَلِمَةُ بِهِ لِكثَرَةِ الِاسْتِعْمَالِ مَجْرَى: لِلَّهِ خَيْرُكَ، فَلَا يَعْمَلُ فِي ظَرْفٍ وَلَا فِي
حَالٍ؛ وَلَا فِي شَيْءٍ مِمَّا يَعْمَلُ فِيهِ أَمْثَالُهُ مِنَ الْمَصَادِرِ. فَيَقُولُ عَلَى وَجْهِ التَّعَجُّبِ مِنَ
الَّذِينَ تَوَلَّوْا دَفْنَهُ فِي عَشِيَّةِ يَوْمِهِ: اللَّهُ دَرُّهُمْ، أَمَّا أَفْرَعُهُمْ مُقَامُكَ فِي الْقَبْرِ عَلَى اسْتِقْبَالِ
شِبَابِكَ، وَنَضَارَةِ غُضُنِكَ وَقُرْبِ مِيلَادِكَ، حِينَ لَمْ تَجْتَمِعْ نَفْسُكَ، وَلَا تَوَجَّهَ وَجْهُكَ.
وَفِي طَرِيقَتِهِ قَوْلُ الْآخِرِ: [الطويل]

أَيَا شَجَرَ الْخَابُورِ مَا لَكَ مُورِقًا كَأَنَّكَ لَمْ تَحْزَنْ عَلَى ابْنِ طَرِيفٍ^(١)

وَأَبْلَغُ مِنْهُمَا قَوْلُ الْآخِرِ: [الطويل]

أَبْعَدُ قَتِيلٍ بِالْمَدِينَةِ أَظْلَمَتْ بِهِ الْأَرْضُ تَهْتَرُ الْعِضَاءُ بِأَسْوَقٍ^(٢)

وَانْتَصَبَ «أَمْرَدٌ» عَلَى الْحَالِ، وَأَصْلُ التَّمْرُدِ التَّمَلُّسُ وَالْانْجِرَادُ. يُقَالُ: صَخْرَةٌ
مَرْدَاءٌ، إِذَا لَمْ يَنْبُتْ عَلَيْهَا شَيْءٌ.

وَقَوْلُهُ: «مُجَاوِرَ قَوْمٍ لَا تَزَاوَرُ بَيْنَهُمْ»، هَذَا حَالُ الْأَمْوَاتِ فِيمَا بَيْنَهُمْ، يَتَجَاوَرُونَ
وَلَا يَتَزَاوَرُونَ، وَمَنْ زَارَهُمْ مِنَ الْأَحْيَاءِ مَتَا انْصَرَفَ عَنْهُمْ بِالْحَيَبَةِ، وَالزِّيَادَةِ فِي الْعُتْمَةِ
وَالْحَسْرَةِ. وَالْهُمْدُ: جَمْعُ هَامِدٍ، وَهُوَ الْمَيِّتُ؛ وَأَصْلُهُ مِنْ هَمُودِ النَّارِ. وَيُقَالُ لِلثُّوبِ
إِذَا بَلِيَ: قَدْ هَمَدَ.

(١) لِلْيَلَى بِنْتُ طَرِيفٍ فِي الْأَغَانِي ١٢: ٨٥، وَالْحِمَاسَةُ الشَّجَرِيَّةُ ١: ٣٢٨، وَالدَّرُّ ٢: ١٦٣، وَلِلْيَلَى
أَوْ لِمُحَمَّدِ بْنِ بَجْرَةَ فِي سَمَطِ اللَّكَلِيِّ ٩١٣، وَلِلخَارِجِيَّةِ فِي الْأَشْبَاهِ وَالنِّظَائِرِ ٥: ٣١٠.
(٢) لِلشَّمَاخِ فِي مِلْحَقِ دِيْوَانِهِ ٤٤٩، وَاللِّسَانِ (سُوقٍ)، وَفِي الْحِمَاسِيَّةِ (٣٨٨)، وَلِجِزَةِ أَخِي الشَّمَاخِ
فِي تَاجِ الْعُرُوسِ (سُوقٍ).

٣٦٦ - وقال لبيد^(١) :

- ١ - لَعَمْرِي لئن كان الْمُخْبِرُ صادقًا لقد رُزْتُ في حادِثِ الدهرِ جَعْفَرُ
٢ - أَخَا لِي أَمَا كُلَّ شَيْءٍ سَأَلْتُهُ فَيُعْطِي وَأَمَا كُلَّ ذَنْبٍ فَيَغْفِرُ

يرثي بهذا أريد أخاه. وقوله: «إن كان المخبر صادقًا»، فهو قد عَلِمَ صِدْقَ الحديث، لكنّه لاستعظامه للثبأ، وفخامة أمر المتوفى في النفوس وعنده، يرجع على المخبر بالتكذيب، ويُدخل الشك على المشهود والمسموع؛ كما قال الآخر: [الطويل]

يقولون حِضْنٌ ثم تأبى نُفُوسُهُمْ^(٢)

واللام من «لَعَمْرِي» لام الابتداء، ومن قوله: «لئن» هي الموطئة للقسم، ومن قوله: «لقد» هي جواب القسم.

والمعنى: وبقائي لئن وَرَدَ هذا الخبرُ من صادقٍ بريءٍ من الحسد والتزيّد مؤدّ لما تحقّقه سماعًا أو عيانًا. لقد أصيبت قبيلة جعفر بن كلاب فيما حدث من ريب الدهر بمزينة عظيمة فظيمة.

وقوله: «أَخَا لِي» انتصب عن «رُزْتُ جَعْفَرُ»، أي رُزْتُ شقيقًا لي هذا صفته، وهو أنّ سماخته وتكرّمه كانا يبعثانه على بذل كلّ حسنة تُقْتَرَح عليه، وأنّ سلاسته وسهولته تدعوّاه إلى التّجافي عن كلّ سيئة تُبَدَّرُ إليه.

٣٦٧ - وقالت زينب بنت الطثرية ترثي أخاها: [الطويل]

- ١ - أَرَى الْأَثْلَ مِنْ بطنِ الْعَقِيقِ مجاورِي مُقِيمًا وقد غَالَتْ يَزِيدَ غَوَائِلُهُ^(٣)

الأثْل: شجر. وإنما قالت ما قالت منكراً ومستوحشة؛ إذ كان الحكم عندها أن تتغيّر الأمور عن مقارّها لموت أخيها، فتتحوّل الأحوال وتبذلّ الأبدال، وتتشخّع

(١) لبيد بن ربيعة العامري: أحد الشعراء الفرسان الأشراف في الجاهلية، من أهل عالية نجد، أدرك الإسلام ووفد على النبي ﷺ، ويُعدّ من الصحابة المؤلفة قلوبهم (ت ٤١١هـ / ٦٦١م). ترجمته في الشعر والشعراء ٢٣١، والأمدى ١٧٤، وطبقات ابن سعد ٦: ٢٠.

(٢) صدر بيت للنايفة يرثي حصن بن بدر في شروح سقط الزند ٨١٣، وعجزه:

«وكيف بحصن والجبال جنوح»

(٣) الأبيات في حماسة البحرى ٤٣٣.

الجبال، وتتقلع الأشجار؛ فلما جرى الأمر بخلافه أخبرت متوجعة ومتحسرة، فقالت: إن بطن العقيق ومنابت أثله بما تحويه أرى مقيمًا في جوارى على ما كان عليه، وأخى يزيد قد دعاه محتوم القضاء فذهب به غوائله. ويقال: غالته الغوائل، أي أهلكته المهلكات، وهذا كما يقال: عَلِقَتْ به العُلُوقُ. وانتصب «مقيمًا» على أنه مفعول ثانٍ لأرى، ومُجاوري في موضع الجر على أنه صفة لبطن العقيق.

٢ - فَتَى قَدْ قَدَّ السَيْفُ لَا مَتَضَائِلَ وَلَا رَهْلَ لِبَائِهِ وَأَبَاجِلَهُ^(١)

وصفه بأنه في خِلقة السيف تجردًا واقتضابًا، وعلى خُلقة مضاء ونفاذًا. وقوله: «لا متضائل» يريد أنه شهيم حي النفس والقلب، جريء المُقَدِّم، لا يتخاشع لشيء ولا يماوت على حدّث. والضؤولة، أصله الدقة. والرهل: المسترخي. يصفه بقلة اللحم على الصدر والساق. والأباجل: جمع أبجل، وهو عزق. وذكر الأباجل وهو يريد مواضعها. وجمعه كما يقال: هو ضخم العنانين، كأنه أراد ما حوّله.

٣ - إِذَا نَزَلَ الْأَضْيَافُ كَانَ عَدَوْرًا عَلَى الْحَيِّ حَتَّى تَسْتَقِلَّ مَرَايِلُهُ

العَدَوْرُ: السيئ الخلق، القليل الصبر فيما يطلبه ويهيم به. وإذا ظرف لقوله: «كان عدورًا». وصفه بأنه يجمع الحي لأمره فيطأ، لسيادته وجلالة محله، وأنه إذا نزل به الأضياف قام بنفسه في إقامة القرى لهم، غير معتمد على أحد فيه، وأنه يعرض له وفي خُلقة عَجَلَةٌ يركبها، وتشدد في الأمر والتّهي على جماعة الحي به يصرّفها، حتى تُنصَب المراحل، وتُهيأ المطاعم؛ فإذا ارتفع ذاك على مُرَادِهِ عاد إلى خُلُقِهِ الأوّل. والمراحل: جمع مِرْجَل، وهي القدر العظيمة الثّحاسية، واستقلالها: انتصابها على الأثافي. وحَتَّى تَسْتَقِلَّ، أراد لتستقلّ وكي تستقلّ أي: كان عدورًا لذلك الشأن.

٤ - مَضَى وَوَرِثْنَاهُ دَرِيسَ مُفَاضَةٍ وَأَبْيَضَ هِنْدِيًّا طَوِيلًا حَمَائِلُهُ

يقول: أجاب ذاعية فمضى لوجهه، وورثناه دريس مُفَاضَةٍ. فانتصب دريس على أنه مفعول ثانٍ. ويقال: ورثته كذا وورثت منه كذا. فعلى هذه اللغة كان أصله ورثنا منه، فحذف الجار، ووصل الفعلَ فَعَمِلَ. والدريس: الخلق من الدرّ وغيره؛ لأنّه كأنه فعيل بمعنى مفعول. والجمع الدُرّسان. والمُفَاضة: الدُّرّع الواسعة. وأبيض، أي

(١) هذا البيت والذي بعده في الحماسية (٣١١) للعجير السلولي.

وسيفاً أبيض. وجعله طويلَ الحمائل لطول قَوَائِمِهِ. والمعنى: أنه أنفقَ ماله في ما ادَّخَرَ له أجزاءً، ونَشَرَ لَهُ حَمْدًا وشُكْرًا، فلم يكن إزْنُهُ إِلَّا ما ذَكَرَ من السَّلاح.

٥ - وقد كان يُزوي المشرفي بكفه ويبلغ أقصى حَجَرَةِ الحَيِّ نائلته وصفه بأنه كان غزاً شديداً النكاية في الأعداء، فكان يُعْطِي السيفَ حقه إذا عملته، ويرويه من دماء مُشَاقِيهِ ومُنَابِذِيهِ إذا جرَّده، ويبلغ أبعد ناحية الحَيِّ عطاياه. وإنما قالت: «يُروي المشرفي بكفه»، لأنها تريد أن نهضته في ذلك بنفسه خاصةً من غير اعتمادٍ على حميم أو غريب؛ لأنه كان لا يجرُّ الجزائر على ذويه ثم يتركهم لها، ولكن كلُّ ما أناه أو تجشمه فبنفسه لا بغيره.

٦ - كريم إذا لاقبته متبسماً وإما تولى أشعث الرأس جافله قولها: «كريم» ارتفع على أنه خبر مبتدأ محذوف. أرادت: هو كريم إذا لاقبته متبسماً. فانتصب «متبسماً» على الحال. وجواب إذا يدلّ عليه كريم، فنقول: إذا لقيته راضياً ساكناً متبسماً لاقيت منه طَلْعَةَ الكرام وأفعالهم، وإن أعرض عنك وولى وجدته أغبر الرأس كثير الشعر، لا يهتمُّ أمر نفسه في اللباس والطعام، وإنما به الغزو والسَّعي في إصلاح أمر العشيرة، وما يَكْسِبُهُ الجمال والشرف.

وقولها: «أشعث الرأس» أي اغبرَّ شعره وتلبَّد. والفعل منه شَعِثَ شَعْنًا وشعوثةً، وهو أشعث وشَعِثَ. وقولها: «جافله» من قولهم: أخذت جُفْلَةً من الصوف، أي جُزَّةً منه. وفي كلامٍ لهم عن الضائنة: «أَجَزُ جُفْلاً»^(١). ويقال: جافل، ومُجْفِل.

٧ - إذا القوم أموا بيته فهو عامد لأحسن ما ظنُّوا به فهو فاعله يجوز أن يريد بالقوم رجالَ الحَيِّ خاصةً، ويجوز أن يريد به طوائف الرجال، ويكون المراد به الكثرة. وإنما وصفته بأنه مدبِّر العشيرة عندما يَدْهَمُهُم، والمشير عليهم فيما يَحْزُبُهُم، فإذا قَصَّدُوا حضرته قائلين ما نأتمر وكيف نَصْنَع؟ أرشدهم وهداهم، وتحمل عنهم ما يثقل عليهم. ثم بعد ذلك تعمَّد إلى أحسن ظنونهم به

(١) في اللسان (رخل): «أولد رخالاً، وأحلب كَثَبًا ثقالاً، وأجز جفالاً، ولم تر مثلي مالا». قوله جفالاً: أي بمرة واحدة، وذلك أن الضائنة إذا جُرَّت فليس يسقط من صوفها إلى الأرض شيء حتى يجز كله ويسقط أجمع.

فِيَأْتِيهِ مَعَهُمْ لَا مَتَبِيرًا وَلَا مُتَكَرِّهًا، بَلْ بَاسِطًا مِنْ أَمَالِهِمْ، وَجَامِعًا الْحَسَنَ فِي كُلِّ بَابٍ لَهُمْ.

٨ - تَرَى جَازِرِينَ يُزَعِدَانِ وَنَاوَهُ عَالِيَهَا عَدَامِيلُ الْهَشِيمِ وَصَامِلُهُ

٩ - يَجُرَّانِ ثُنْيَا خَيْرُهَا عَظُمُ جَارَةٍ بِصِيرًا بِهَا لَمْ تَعُدْ عَنْهَا مَشَاغِلُهُ^(١)

جعلت له جازرين على عادتهم في جعلهم أصحاب المهن فيهم اثنين اثنين، كالباين والمستغلي في الحلب، والماتح والقابل في الاستقاء. وجعلهما يُزَعِدَانِ لشدة البرد، وإنما تغني وقت الجذب وعند إحمال الناس. والعداميل: العتيق من الخشب الغليظ، واحدها عُدْمُولٌ على القياس وعُدْمُلِيٌّ. والصامل: اليابس. والمعنى: إذا اشتد الزمان وسمل القحط واشتد البرد، كان له جازران ينحران، وناؤه عزيمة وقودها من الحطب الغلاظ العتق؛ وترى العفاة والمضرورين بالفناء نازلين، وذوي الحاجة من جوانب الحي يعترون، وهو يقتسم فيها ما يرضيهم.

وقولها: «يَجُرَّانِ ثُنْيَا» يعني الجازرين. والثني: التي ولدت بطنتين، وهي مما يُضَنُّ بها. وقولها: «خَيْرُهَا» تريد: خير إبدائها ومفاصلها البدء الذي يجعل لجارة له قد عرفها، فهو بصيرٌ بها وبحالها. وليست تعني جارة بعينها، إنما المراد الكثرة، فالجارات على ذلك لا تتخطاها أشغاله المزدحمة، ولا يغض العناية بها الأسباب المتراكمة، بل قد وصى بها وبأمثالها فيتفقذن بأوفر الأنصاء عند قسمة الجزور. وقالت: «بصيرًا بها» والفعل للمرثي، فجرى على غير من هو له، لأنه تبع لجاره، وإذا كان كذلك فالواجب كان عليها أن تظهر ضميره فتقول: بصيرًا بها هو؛ لأن اسم الفاعل والصفة المشبهة إذا جرى واحدٌ منهما على ما قبله صفة أو صلة أو حالًا أو خبرًا لم يحتمل الضمير كما يحتمله الفعل، لضعفه وانحطاط منزلته. وأكثر أصحابنا على أنه لا بُدَّ من ذلك، حتى أن أبا الحسن كان يلحن الكلام إذا لم يجر على هذه السنن. والكوفيون وبعض أصحابنا يجوزون ترك إظهاره. وهذه الشاعرة دعتها الضرورة إلى وضع المتصل موضع المنفصل، فتركت التغيير. وقولها: «لَمْ تَعُدْ عَنْهَا» أي لم تُضَرِف. يقال عدت بيننا عواد، أي صرقت صوارف.

(١) التبريزي: «عظم جاره».

٣٦٨ - وقال أبو حكيم المُرِّي^(١): [الطويل]

١ - وَكُنْتُ أَرْجِي مِنْ حَكِيمٍ قِيَامَهُ عَلَيَّ إِذَا مَا التَّعَشُّ زَالَ ارْتِدَانِيَا

٢ - فَقُدِّمَ قَبْلِي نَعْشُهُ فَارْتَدَيْتُهُ فَيَا وَيْحَ نَفْسِي مِنْ رِءَاءِ عَلَانِيَا

التعش: شبيهة بالمحففة، كان يُحْمَل عليه الملك إذا مَرَض؛ ثُمَّ كَثُرَ حَتَّى سُمِّيَ التَّعَشُّ الذي فيه المَيِّتُ نَعْشًا. يقول: كُنْتُ أَوْمَلُ فِي حَكِيمِ ابْنِي أَنْ يُمَهِّلَ وَيَنْفَسَ مِنْ عَمْرِهِ، فَيَقُومَ عَلَيَّ إِذَا مِتُّ، وَيَرْتَدِي نَعْشِي إِذَا حُمِلْتُ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يَقْضِي فِيمَا أَخْلَفَهُ عَلَيْهِ، وَأَعْتَمِدَ عَلَى كَفَايَتِهِ وَخِلَافَتِهِ، فَخَابَ أَمَلِي وَكَذَبَنِي ظَنِّي، وَقُدِّمَ قَبْلِي، فَارْتَدَيْتُ أَنَا نَعْشَهُ، فَوَابِلَاءُ نَفْسِي مِنْ رِءَاءِ عَلَانِي بِنَعْشِهِ. وقوله: «ارتدانيا» تفسير لقيامه عليه. وقد وَضَعَ الْمَاضِي مَوْقِعَ الْمُسْتَقْبَلِ؛ أَي: يَرْتَدِينِي فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ. وَلَوْ سَاقَ الْكَلَامَ عَلَى تِلَاوَمٍ لَقَالَ: قِيَامَهُ عَلَيَّ وَارْتِدَاءَهُ إِلَيَّ إِذَا مَا التَّعَشُّ زَالَ ارْتِدَانِيَا، أَي يَرْتَدِينِي، فَيَكُونُ إِذَا مَا التَّعَشُّ زَالَ ظَرْقًا، وَارْتِدَانِي مَفْعُولُ أَرْجِي، أَي: أَرْجُوهُ يَرْتَدِينِي إِذَا مَا التَّعَشُّ زَالَ.

٣٦٩ - وقال مُنْقِذُ الْهَلَالِيِّ^(٢): [الكامل]

١ - الدَّهْرُ لَاءِمٌ بَيْنَ أَلْفَتِنَا وَكَذَاكَ فَرَقٌ بَيْنَنَا الدَّهْرُ

٢ - وَكَذَاكَ يَفْعَلُ فِي تَصْرُفِهِ وَالدَّهْرُ لَيْسَ يَنَالُهُ وَثَرُ

نَسَبَ مَا اتَّفَقَ عَلَيْهِ وَعَلَى مُجِيبِهِ إِلَى الدَّهْرِ، فَقَالَ: الدَّهْرُ جَمَعَ بَيْنَنَا وَسَوَى أَلْفَتِنَا، فَلَمَّا أَرَادَ كُلُّ مَنَا أَنْ يَفْرَحَ بِصَاحِبِهِ كَمَا يَهْوَاهُ، وَيَتَمَتَّعَ بِهِ وَيَتَمَلَّاهُ، فَرَّقَ بَيْنَنَا وَشَتَّتْ شَمْلَنَا، فَعَادَ مَا كُنَّا نَأْمُلُهُ مِنَ التَّمَلُّي وَالِاسْتِمْتَاعِ تَبَايُنًا وَتَوَجُّعًا.

ومعنى وكذاكَ فَرَّقَ بَيْنَنَا: ومثلُ ذاك. وأشار إلى ما دلَّ عليه لاءِم من التَّأْلِيفِ. يريد: وَكَتَّأْلَفَهُ فَرَّقَ أَيْضًا. وَكَرَّرَ لَفْظَ الدَّهْرِ تَفْخِيمًا. وَمَوْضِعُ كَذَاكَ نَصَبٌ عَلَى الْحَالِ مِنْ فَرَّقَ بَيْنَنَا. وقوله: «وكذاكَ يَفْعَلُ فِي تَصْرُفِهِ» يريد أن الدهر في مصارفه فَعَالٌ لِمَثَلِ مَا فَعَلَ بِنَا، يَهَبُ وَيَرْتَجِعُ، وَيُؤَلِّفُ وَيَفْرُقُ، وَلَا يَتْرَكُ شَيْئًا عَلَى حَالِهِ إِلَّا زَيَّنَتْ مَا

(١) التبريزي: «يرثي ابنه حكيماً».

(٢) منقذ بن عبد الرحمن الهلالي: شاعر، خلیج، ماجن، يُرمَى بالزندقة، من أهل البصرة، اشتهر في صدر الدولة العباسية وغيره، وله أخبار مع بشار وغيره. (ت نحو ١٤٠هـ/٧٥٧م). ترجمته في المزماني ٤٠٤، والأغاني ١٦: ١٤٣.

يُسَلِّطُ عَلَيْهِ التَّغْيِيرَ. وقوله: «والدهر ليس يناله وثر» يريد أنه يَبْرُغُ غَيْرَهُ فلا يُوتِرُ، وَيُنْكِي فلا يُجَارَى، فليس معه إلّا الاستسلام لحكمه، والرّضا بمحتومه. وهذا الذي جعله للدهر، الفاعل له القادر على كلّ شيء، تَعَالَى عن الأشباه.

٣ - كُنْتُ الضُّنَيْنِ بَمَنْ أَصِبتُ بِهِ فَسَلَوْتُ حِينَ تَقَادَمَ الْأَمْرُ

٤ - وَلَخَيْرُ حَظِّكَ فِي الْمُصِيبَةِ أَنْ يَلْفَاكَ عِنْدَ نُزُولِهَا الصَّبْرُ

قوله: «كنت الضنّين» تشكّ من الفراق الواقع بينه وبين مَنْ يرثيه، وإظهاراً لضنّه كأنّ به، وتنافسه فيه، فيقول: كنت لا أَصْبِرُ عنه، وأعدُّ الأوقات التي لا أراه فيها كَثْلَمَةً في العَيْشِ، ونَقِصَةً من زَاكِي الحَظِّ؛ إذ كنت لا أرى طَيْبَ العِيشِ إلّا معه، ولا أَعرِفَ طَعْمَ الحَيَاةِ إلّا في صُحْبَتِهِ، فلما افترقنا وتقادَمَ العهد بيننا سَلَوْتُ عنه، حتّى كأنني لم يَجْمَعْنِي وإيَّاه حَالٌ. وهذا الكلام منه استقصارٌ لجزعه، واعترافٌ بأنّه لم يَفْعَلْ كُنْهَ الواجبِ عليه عند الرّزِيئة.

وقوله: «ولخيرُ حَظِّكَ» يريد: خير أنصبائك فيما تُصاب به وتَعْنُو له، أن يَلْفَاكَ الصَّبْرُ عند الصّدمة الأولى لتصوّرَ به دينك ونفسك وعقلك؛ لأنّ المرجع إليه، فألا يتسلى الإنسان تَسْلَى البهائم أحسن، وفي هذه الطريقة قول الخَرَمِيِّ: [الطويل]

وإني وإن أظهرت صَبْرًا وَحِشَّةً وصانعتُ أعدائي عليك لَمْوجِعْ
ولو شئتُ أن أبكي دَمًا لَبَكَيْتُهُ عليك ولكن ساحة الصَّبْرِ أَوْسَعُ^(١)

٣٧٠ - وقالت ابنة ضَرَارِ الضَّبِيَّةِ^(٢) تَرْثِي أَخَاهَا

قَبِيصَةَ بْنِ ضَرَارٍ:

[الكامل]

١ - لَا تَبْعَدَنَّ وَكُلُّ شَيْءٍ ذَاهِبٌ زَيْنَ الْمَجَالِسِ وَالنَّدَى قَبِيصًا

«لا تبعدن» لفظة قد مرّ القول فيها فيما تقدّم. وقوله: «وكلُّ شيء ذاهب» تَسَلَّى؛ كأنّها قالت متوجّعة: لا تَبْعُدْ، ثم عَقَّبَتْهُ بالتَّسْلَى، فقالت: وكل حيّ منّا مَيِّتٌ، وكلّ أمرٍ فينا متغيّرٌ يا زَيْنَ المجالس والنَّدَى يا قبيصة. وقولها: «وكلُّ شيء ذاهب» اعتراض

(١) بلا نسبة عند التبريزي ١: ٦٥٤.

(٢) التبريزي: «وقالت مَيّة ابنة ضرار الضبيّة». وقبيصة بن ضرار أحد فرسان ضبة، شهد الكلاب الثاني قبل الإسلام بقليل. (الأغاني ١٥/٧٠).

بين المنادى وبين الدعاء له. والجمل المعترضة بين أنواع الكلم تفيد فيها التأكيد وتحقيق معانيها. وقولها: «زَيْنَ المجالسِ والتَّيْدِي»، إنما ذكرتهما وهما واحد لأنها أرادت بالمجالس مجالسه خاصة إذا قُصِدَ لإنزال الحاجات به، واستخراج المطالب منه، وأرادت بالتَّيْدِي نادي الحي. وانتَصَبَ قبيصةً على أنه عطف البيان ليا زَيْن. ويجوز أن يكون على تكرير النداء وقد رَحِمَهُ، فكأنه قال: يا زَيْنَ المجالسِ يا قبيصة.

٢ - يَطْوِي إِذَا مَا الشُّخْ أَبْهَمَ قُفْلَهُ بَطْنًا مِنَ الرِّادِ الْحَبِيثِ خَمِيصًا يَصْفُهُ بِقِلَّةِ الشَّرِّ، وَأَنَّهُ لَا يَزْغَبُ مِنْ أَعْرَاضِ الدُّنْيَا إِلَّا فِيمَا يَزِينُ وَلَا يَشِينُ، وَيُسْتَطَابُ وَلَا يُسْتَخْبَثُ. وقوله: «إِذَا مَا الشُّخْ أَبْهَمَ قُفْلَهُ»، يريد إذا اشتد الزمان فصار كلُّ مالكٍ لشيءٍ يَخْلُ به حتى لا يمكن انتزاعه منه. وَإِذَا رَوَّيْتَ «أَبْهَمَ قُفْلَهُ» على ما لم يسمَّ فاعله، فالمعنى أحكم أمره وجعل كالقِرْص الذي لا يَحْتَمِلُ التَّجَوُّزَ. وإذا رويت: «أَبْهَمَ قُفْلَهُ» جَعَلَ الفِعْلَ لِلشُّخْ، كَأَنَّ لَهُ قُفْلًا يُبْهَمُهُ. وإبهامه: أن يجعله على وجه لا يُدْرَى كيف يُفْتَحُ، فيقول: هذا الرَّجُلُ يَطْوِي بَطْنًا لَهُ صَغِيرًا مُضْطَمِّرًا مِنَ الرِّادِ السَّيِّئِ، إِذَا تَمَلَّكَ الْبَخْلُ النَّاسَ لِشِدَّةِ الزَّمَانِ، فجعَلَهُمْ كَذَلِكَ.

٣٧١ - وَقَالَ عِكْرِشَةُ الضَّبِّيُّ^(١) يَزْثِي بَنِيهِ: [الطويل]

١ - سَقَى اللَّهُ أَجْدَانًا وَرَائِي تَرْكُشَهَا بِحَاضِرٍ قَتْسَرِينَ مِنْ سَبَلِ الْقَطْرِ
٢ - مَضُّوا لَا يَرِيدُونَ الرِّوَاخَ وَغَالَهُمْ مِنْ الدَّفْرِ أَسْبَابَ جَرَيْنٍ عَلَى قَدْرِ
الأحداث: القبور، وكذلك الأجداف بالفاء. ويعني بالأحداث قبور بني. ودعا لها بالسقيا وجعل موضعها بحاضر قَتْسَرِينَ، إجلالاً لها وتنبهاً عليها. وقوله: «من سَبَلِ الْقَطْرِ» مفعول ثانٍ لَسَقَى الله. والمعنى: سقى الله هذه القبور التي وصفتها من ماء السحاب ما سأل على عَجَلَةٍ وبِشِدَّةٍ. وَخَصَّ ذَلِكَ لِأَنَّهَا أَعَذَبُ الْمَيَاهِ عِنْدَهُمْ. وَالْقَصْدُ فِي طَلَبِ السَّقْيَا لَهَا أَنْ تَبْقَى عَهْدُهَا غَضَّةً مُحِمَّةً مِنَ الدُّرُوسِ، طَرِيقَةً لَا يَتَسَلَّطُ عَلَيْهَا مَا يُزِيلُ جِدَّتَهَا وَنَفَارَتَهَا. أَلَا تَرَى أَنَّهُ لَمَّا أَرَادَ ضِدُّ ذَلِكَ قَالَ: [البسيط]

فَلَا سَقَاهُنَّ إِلَّا الثَّارُ تَضْطَرُّمُ^(٢)

(١) التبريزي: «عكرشة العبسي» وهو نفسه أبو الشغب العبسي.

(٢) لزياد بن منقذ في تاج العروس (نقم)، ومعجم البلدان (نقم). وصدوره:

«إِذَا سَقَى اللَّهُ أَرْضًا صَوَّبَ غَادِيَةً»

وقوله: «مضوا لا يُريدون الرّواح» يريدُ: ساروا لا يعرّجون على شيءٍ، فلا يريدون بُنًا ولا مُقامًا، بل استعجلوا فتعجلوا، وأهلكهم من أحداث الدهر أسباب جاءت على قَدَرٍ، فكأنهم كما دُعوا أجابوا، وكما تهيّؤوا أخذوا، لا تَلَوَمَ ولا اختلاف، ولا قُصور ولا امتناع.

٣ - ولو يَسْتَطِيعُونَ الرّواحَ تَرَوّحوا مَعِيَ وَغَدَوْا فِي الْمُضْبِجِينَ عَلَى ظَهْرِ
يقول: ولو قَدَرُوا فيما هُمُوا به من سَيْرِهِمْ عَلَى التَّزُولِ رَوَّاحًا لَتَرَوّحوا مَعِيَ، وَلَعَدَوْا فِي صَبَاحِ الْيَوْمِ الثَّانِي عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ وَلَمْ يَصِيرُوا مَعَ الْأَمْوَاتِ فِي بَطْنِهَا مَأْخُودِينَ عَنْ حَظْوِظِهِمْ، لَكُنْهُمْ اسْتَمَرُّوا فِي الْمَفَارِقَةِ فِغْلٌ مَنْ لَا يَمْلِكُ إِلَّا ذَاكَ، وَلَا اخْتِيَارَ لَهُ فِيما يَرْكَبُهُ.

وهذا الكلامُ منه تَوَجُّعٌ وَتَحَسُّرٌ، حِينَ أَتَوْا مِنْ حَيْثُ لَمْ يَشْعُرُوا، وَطَوَّلُوا بِمَا لَا رَجْعَةَ فِيهِ وَلَا اسْتِيقَاءَ، وَإِنْ اسْتَنْظَرُوا.

٤ - لَعَمْرِي لَقَدْ وَارَتْ وَضُمْتُ قُبُورَهُمْ أَكْفًا شِدَادَ الْقَبْضِ بِالْأَسْلِ السُّمْرِ
٥ - يَذْكُرُنِيهِمْ كُلُّ خَيْرٍ رَأَيْتُهُ وَشَرٌّ فَمَا أَنْفَكُ مِنْهُمْ عَلَى ذِكْرِ

يقول: وَبِقَائِي، لَقَدْ اشْتَمَلْتُ قُبُورَهُمْ عَلَى فُرْسَانِ شُجْعَانٍ يَمْلِكُونَ بِالطَّعْنِ أَكْفًا شِدَادَ الْقَبْضِ عَلَى الرِّمَاحِ؛ وَإِنَّمَا قَالَ: «وَارَتْ وَضُمْتُ» لِأَنَّ الْمَوَارِي هُوَ السَّائِرُ، وَسَائِرُ الشَّيْءِ يَكُونُ ضَامِتًا وَغَيْرَ ضَامِنٍ. وَإِنَّمَا أَرَادَ أَنْ يَجْعَلَ الْقُبُورَ مُوَارِيَةً وَضَامِنَةً، فَلِذَلِكَ جَمَعَ بَيْنَ اللَّفْظَيْنِ. ثُمَّ عَقَّبَ هَذَا بِأَنْ قَالَ: يَذْكُرُنِيهِمُ الْأُمُورُ الَّتِي أَنْتَهِيَ إِلَيْهَا عَلَى اخْتِلَافِهَا، فَإِنَّهَا لَا تَخْلُو مَنْ أَنْ تَكُونَ نَافِعَةً أَوْ ضَارَّةً؛ فَإِنْ كَانَتْ نَافِعَةً كَانَتْ خَيْرًا، وَكَانَتْ عَمَلُهُ دِيمَةً^(١) مَعَ مَنْ يَتَسَبَّبُ إِلَيْهِ بِحُرْمَةٍ، أَوْ يُدِيلُ بِأَصْرَةٍ. وَإِنْ كَانَتْ ضَارَّةً كَانَتْ شَرًّا، وَهُوَ الَّذِي يَشْقَى بِهِ مَنْ يُشَاقُّهُ وَيَعَانِدُهُ، حَتَّى لَا يُخْلِيَهُ مِنْهُ أَوْ مِنْ تَرْقِيهِ سَاعَةً، فَلَا أَزَالَ ذَاكِرًا لَهُ بِمَا أَعْتَبَرَهُ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا وَأَحْوَالِهَا، وَأَنْتَهِيَ إِلَيْهِ فَأَتَأَمَّلُهُ مِنْ مَسَبِّاتِهِ فِي طَوَائِفِ النَّاسِ بَعْدَهُ. وَيَقَالُ: مَا أَنْفَكُ يَفْعَلُ كَذَا، بِمَعْنَى مَا زَالَ. وَالذُّكْرُ، بِضَمِّ الذَّالِ، يَكُونُ بِالْقَلْبِ؛ وَالذُّكْرُ بِكسْرِ الذَّالِ، يَكُونُ بِاللِّسَانِ.

(١) «ديمة»: أي دائماً.

٣٧٢ - وقال رجلٌ من بني أسد^(١)، يرثي أخاه
وكان مريض في غربة، فسأل الخروجَ به هربًا من
موضعه، فمات في الطريق:

[المنسرح]

١ - أَبْعَدْتُ مِنْ يَوْمِكَ الْفِرَارَ فَمَا جَاوَزْتَ حَيْثُ انْتَهَى بِكَ الْقَدَرُ
٢ - لَوْ كَانَ يُنْجِي مِنَ الرَّدَى حَذَرٌ نَجَّاكَ مِمَّا أَصَابَكَ الْحَذَرُ
يُروى: «أبعطت»، والإبعاط والإبعاد متقاربان. فالإبعاط: الإسراع في السير.
ويقال: أبعطت من الأمر، إذا أبيتته وهربت من. ويُرْوَى: «أسرعت من يومك الفِرَار»
والأول أشهر وأجود؛ لأن من يتعلّق فيها بأبعدت. والمعنى: فَرَزْتَ مِنْ أَجْلِكَ فِرَارًا
بعيدًا. ومعنى: «من يومك» من آخر أمّك. وإذا رويت «أسرعت» احتجت إلى إضمار
فعلٍ يتعلّق به من، ولا يجوز تعلّقه بأسرعت، ولا بالفرار لأنه يكون من صلته وقد
قُدِّمَ عليه. وقوله: «فما جاوزت حيث انتهى بك القَدَرُ» يريد أن الحذر لا يُغني من
القَدَر، وأنك وإن تحزمت في تغيير الأماكن تَبَاعُدًا من المحذور، وتنقّلت في المنازل
هَرَبًا من القدر المحتوم، فما وجدت فيه واقيةً لنفسك، ولا جاوزت الوقت المُرَصَّدَ
لحينك. وجعل قوله: «حيث انتهى» اسمًا، فهو في موضع المفعول لجاوزت. ومثله
في القرآن: «اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ» [الأنعام: الآية ١٢٤]. ومن مَحْكِيٍّ
كلامهم وفصيحه: «هي أحسن الناس حيث نظر ناظر»، يعني وجهها.

وقوله: «لو كان يُنْجِي» جواب لو قوله «نَجَّاكَ»، والمعنى: إنك لم تُؤْتِ من
تضجيعٍ وَقَعَ منك، أو إغفالٍ اعترض دون طالبك؛ فلو كان يخلص من الموت تَوَقُّ
لوقاك ما أخذت به نفسك من الحذر الشديد، والهرب البعيد؛ ولكن هو الموت الذي
لا منجى منه ولا مَهْرَبَ عنه. وكلُّ هذا النوع توجّع وتحسّر، واعتراف بالقصور
والعجز لدى مُبَرِّمِ القضية.

٣ - يَرْحَمُكَ اللَّهُ مِنْ أَخِي ثَقِيٍّ لَمْ يَكْ فِي صَفْوٍ وَدَّهِ كَسَدُ
٤ - فَهَكَذَا يَذْهَبُ الزَّمَانُ وَيَفُ نَحْيَ الْعِلْمِ فِيهِ وَيَذْهَبُ الْأَثَرُ

(١) التبريزي: «ويقال إنها لابن كناسة». وكذلك نسبة ابن خلكان في ترجمة حماد الراوية وذكر أن
محمد بن كناسة يرثي حمادًا بهذا الشعر، وكذلك في الحماسة البصرية ١: ٢٤٣، والفهرست
لابن النديم ١٣٥.

قوله: «يرحمك الله» استسلام. والرحمة من الله: الإحسان والعفو. ومعنى «من أخي ثقة» دخل من للتبيين، أي من أخ يؤثق بوّده، ويؤمن غلّه ووبال حسده، وإذا صافي الوداد وافق باطنه ظاهره، ولم يك ذا وجهين يعطيك حضرتّه خلاف ما يعطيك غيبته.

وقوله: «فهكذا يذهب الزمان» يريد أن ما رآه وأصابه ليس بمستبدع من حدّثان الدهر ونوابه، بل استمراره قديمًا وحديثًا على وجه واحد ينقرض أهله كما أتاه، ويفنى فيه كلّ معلوم حواه، ويدرس كلّ أثر اقتناه ووعاه. وهذا الكلام إظهار اليأس من المفقود، وتضعيف الطمع في بقاء الموجود.

٣٧٣ - وقالت أم قيس الضبية: [البسيط]

١ - مَنْ لِلْخُصُومِ إِذَا جَدَّ الضُّجَّاجُ بِهِمْ بعد ابن سغدٍ ومن للضمير القود

قوله: «إذا جدّ الضجّاج بهم» أي صار ضجّاجهم جدًّا. ويقال: ضجّ يضجّ ضجيجًا، والاسم الضجّاج، قال العجاج يصف حربًا: [الرجز]

وَأَغَشَتِ النَّاسَ الضُّجَّاجُ الْأَضْجَجَا وصاحَ خَاشِي شَرِّهَا وَهَجَّجَا^(١)

وقوله: «مَنْ لِلْخُصُومِ» لفظة استفهام، والمعنى: التوجّع والاستفطاع؛ فيقول: مَنْ يَفْصِلُ بَيْنَ الْخُصُومِ إِذَا اشْتَدَّ بِهِمُ التَّزَاعُ، وطال الجِدَالُ والدِّفَاعُ، فَاحْتِيجُ إِلَى مَنْ يَرُدُّ الْجَامِحَ، وَيُلِينُ الْكَابِحَ، حَتَّى إِذَا رَجَعَ كُلُّ مِنْهُمَ إِلَى مَا يَقْرُبُ مَسْمَعَهُ، وَلَا يَبْعَدُ عَنِ الْفَحْصِ مُسْتَنْزَعَهُ، أَنْفَذَ قَضِيَّتَهُ فَقَطَعَهَا، لَا يَلْفِتُهُمَ عَنِ الْقَبُولِ مَرَاجِعَةً، وَلَا تَخْلِجُهُمَ عَنِ الْإِلْتِزَامِ مِمَاتِنَةً وَمِدَافَعَةً بعد ابن سعد. وَمَنْ لِلضُّمَرِ الْقُودُ بَعْدَهُ، أَي مَنْ أَصْحَابُ الْخَيْلِ الْمَضْمُرَةِ. وَتَرِيدُ: مَنْ يَدْفَعُهُمْ عَنِ اسْتِطَاعَتِهِمْ إِذَا جَاؤُوا وَاتَرَيْنَ أَوْ مَوْتُورِينَ. وَيَجُوزُ أَنْ تَرِيدَ أَنَّهُ كَانَ غَزَا بِهَا فَمَنْ لَهَا بَعْدَهُ. وَالضُّمَرُ: جَمْعُ ضَامِرٍ. وَالْقُودُ: الطُّوَالُ الْأَعْنَاقُ.

٢ - وَمَشْهَدٍ قَدْ كَفَيْتَ الْغَائِبِينَ بِهِ فِي مَجْمَعٍ مِنْ نَوَاصِي النَّاسِ مَشْهُودٍ

٣ - فَرَجَّتْهُ بِلِسَانٍ غَيْرِ مُلْتَبِسٍ عِنْدَ الْحِفَافِ وَقَلْبٍ غَيْرِ مَرْؤُودٍ

(١) للحجاج في ديوانه ٢: ٦٧، وكتاب العين ٦: ٥، وبلا نسبة في اللسان (ضجج)، وتاج العروس (ضجج).

يقول: ورُبَّ مشهَدٍ عَظِيمٍ الشَّانُ يُسألُ عن حالِ حاضِرِهِ، ويُسْتَمعُ إلى ما يُنْشَرُ عنه من حِجاجٍ منافِريه، تَكَلَّمْتُ فيه عن نَفْسِكَ وَبُتَّ عن الغائِبِينَ من مُعْتَلِقِي حَبْلِكَ، واليَوْمُ يَوْمٌ مشهود، ورؤساءُ الناسِ وأماثلُهم فيه شهود؛ ثم كَشَفْتَ العُتْمَةَ، وأثَبْتَ الحُجَّةَ بكلامٍ فصيحٍ لا يلبس، وجدالٍ راجحٍ لا يُخِيلُ ولا يَغْتَمِضُ، وقلبٍ ثابتٍ لا يَرْتَدِّعُ إذا اسْتَنْهَضُ، ولا يَنْتَكِسُ إذا اسْتَقْدِمَ. وقوله: «نواصي الناس» أي أشرافهم والمقدِّمين منهم. وهذا كما وَصَفُوا بالذَّوائب، يقال: فلانٌ ذُؤَابَةُ قَوْمِهِ، وناصِيَةُ عَشِيرَتِهِ. وقوله: «بلسانٍ غيرِ ملتبسٍ» يريد بكلام. وفي القرآن: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ﴾ [إبراهيم: الآية ٤]، وتُسَمَّى الرِّسَالَةُ لسانًا. وقال: [البسيط]

إِنِّي أَتَنِي لِسَانٌ لَا أَسْرُ بِهَا^(١)

وقوله: «غيرَ مَزُودٍ» فالزُّود: الذُّغَرُ، والفِعْلُ منه زُئِدَ فهو مَزُود.

وقوله: «عند الحِفاظِ» أي: فعلت ذلك كُلَّهُ عند المحافظة على الشَّرَفِ، والاحتماء من عار الهُزِيمَةِ والعَنَتِ.

٤ - إذا قَنَاءَ امْرِئٍ أَرَى بِهَا خَوْرَ هَرَّ ابْنِ سَعْدٍ قَنَاءَ صُلْبَةِ الْعُودِ
ذَكَرَ القَنَاءَ مَثَلًا لِلإِبَاءِ والامْتِناعِ، وَأَنَّ المُكْرَهَ لَا يُخْرِجُ مِنْهُمُ الخَضُوعَ والانقياد.
أَلَا تَرَى قولَ سُحَيْمِ بْنِ وَثِيلٍ: [الوافر]

وإِنْ قَنَاءَتْنَا مَشِطَّ شَطَاها شَدِيدَ مَدْها عُنُقَ الْقَرِينِ^(٢)

ويقال: مَشِطَّتْ يَدُهُ تَمَشِطُ مَشْطًا. وَالشَّطِيَّةُ والشَّطَا مِنَ العَصَا كَاللَّيْطَةِ مِنْهَا، تَدْخُلُ فِي الْيَدِ تَمَشِطُ مِنْهَا. ومثل هذا قولُ عمرو بن كُلْثُومٍ: [الوافر]

عَشَوْرَتُهُ إِذَا عُمِرَتْ أَرُتَتْ تَشْجُ قَفَا الْمُثَقَّفِ وَالْجَبِيئِ^(٣)
وقال أيضًا:

وإِنْ قَنَاءَتْنَا يَا عَمْرُو أَعْيَتْ عَلَى الْأَعْدَاءِ قَبْلَكَ أَنْ تَلِينَا

(١) لأعشى باهلة في إصلاح المنطق ٢٦، والأصمعيات ٨٨، وأمالى المرتضى ٢: ٢٠، وخزانة الأدب ٥١١: ٦، واللسان (سخر، لسن). وعجزة:

«مَنْ عَلَوِ لَا عَجَبَ مِنْهَا وَلَا سَخَرُ»

(٢) لسحيم بن وثيل في اللسان (مشط)، وتاج العروس (مشط)، وديوان الأدب ٢: ٢٤٠.

(٣) ديوانه ٧٩، واللسان (ثقف).

وزاد الآخر عليهم، فقال: [الكامل]

وَلَنَا قَنَاءَةٌ مِنْ رُذَيْنَةَ صَدَقَةٌ زَوْرَاءُ حَامِلُهَا كَذَلِكَ أَزَوْرُ

٣٧٤ - وقال الجعدي^(١): [الطويل]

١ - أَلَمْ تَعْلَمِي أَنِّي رُزْتُ مُحَارِبًا فَمَا لَكَ مِنْهُ الْيَوْمَ شَيْءٌ وَلَا لِيَا

٢ - وَمَنْ قَبْلِهِ مَا قَدْ رُزْتُ بِوُخُوحٍ وَكَانَ ابْنُ أُمِّي وَالْخَلِيلُ الْمُصَافِيَا

يخاطب صاحبه أم محارب، ومحارب ابنه. وقوله: «ألم تعلمي» ظاهره تقرير، وإنما هو تحسر وتوجع؛ لذلك قال: «فما لك منه اليوم شيء ولا ليا»، أي: قد فجعنا به فأصبحنا خلوا من الاستمتاع بحياته، والانتفاع بمكانه. ثم ذكر أنه قد فجع قبله بأخيه أيضًا، وكان نسيًا قريبًا، وصديقًا مصافيًا حبييًا.

٣ - فَتَى كَمَلْتُ خَيْرَاتِهِ غَيْرَ أَنَّهُ جَوَادٌ فَمَا يُبْقِي مِنَ الْمَالِ بَاقِيَا

٤ - فَتَى تَمَّ فِيهِ مَا يَسُرُّ صَدِيقُهُ عَلَى أَنَّ فِيهِ مَا يَسُوءُ الْأَعَادِيَا

قوله: «فتى كملت خيراته» يجوز أن يكون فتى في موضع الثصب على المدح والاختصاص، أي أذكر فتى هذه صفته. ويجوز أن يكون في موضع رفع على أنه خبر مبتدأ محذوف، كأنه قال: هو فتى. وقوله: «غير أنه جواد» استثناء منقطع، وقد تقدم الكلام في مثله، وأن من كان عيبه والمستثنى من خصاله المحمودة ما يذكر بعد غير فناهيك به رجلاً كاملاً. وقوله: «فتى تم فيه ما يسر صديقه» مثله، وقد تقدم في مواضع وشرخاه.

٣٧٥ - وقال رجل من بني هلال يزني

ابن عم له: [الطويل]

١ - أَبْعَدَ الَّذِي بِالتُّغْفِ مِنْ آلِ مَا عَزِرَ يُرْجِي بِمَرَّانِ الْقَرَى ابْنُ سَبِيلِ

٢ - لَقَدْ كَانَ لِلْسَّارِبِينَ أَيْ مُعْرِسٍ وَقَدْ كَانَ لِلْعَادِينَ أَيْ مَقِيلِ

٣ - بَنِي الْمُخَصَّنَاتِ الْغُرِّ مِنْ آلِ مَالِكٍ يُرَبِّينَ أَوْلَادًا لِيَحْنِرَ خَلِيلِ

يقول على وجه الإنكار: أيرجى ابن السبيل القرى بمران بعد المدفون بالتغف من آل ما عزر، أي لا يكون ذلك؛ لأن من كان يشمل خيره ويترجى الثرول به مكرماً

(١) التبريزي: «وقال النابغة الجعدي». سبقت ترجمته في الحماسية رقم (٣٣٣).

ضيقه قد مات. والتَّغْفُ: ما ناعَفَكَ من الجَبَل، أي استقبلك، وقيل: هو ما انحَدَرَ عن السَّفْح وغَلَطَ، فكان فيه صَعُودٌ وهَبُوطٌ، ذكره الدريدِّي، قال: وجمعه نِغَافٌ.

وقوله: «لقد كانَ للسَّارِينَ» جوابُ قَسَمٍ محذوف. والتَّغْرِيسُ: التَّزُولُ عند الصُّبح. والمَقِيلُ: موضع القِيلولة، فيقول: مَنْ أَسْرَى لَيْلَةً ثُمَّ طَلَبَ مِنْ يَنْزُلُ بِهِ، كَانَ هَذَا الرَّجُلُ مُعَرَّسًا لَهُ كَرِيمًا، وَأَيُّ مُعَرَّسٍ. وهذا الكلام فيه تَعَجُّبٌ وتَفْخِيمٌ. وكذلك مَنْ ارْتَحَلَ غَدَا ثُمَّ أَرَادَ الرُّوَاحَ كَانَ فَنَاؤُهُ لَهُ مَقِيلًا طَيِّبًا وَأَيُّ مَقِيلٍ.

وقوله: «بَنِي الْمُحْصَنَاتِ» جَمَعَ إِلَى ذِكْرِهِ ذِكْرَ إِخْوَتِهِ، فَقَالَ: أَذْكَرُ قَوْمًا كَرَامَ الْأَطْرَافِ، أُمَهَاتَهُنَّ مِنَ الْحَصَانَةِ وَالطَّهَارَةِ فِي أَعْلَى مَحَلٍّ، وَأَبْعَدَ رُتْبَةٍ، وَيَزَيِّنُ أَوْلَادًا لِبَعُولٍ لَا يُوَازِي بِهِمْ، عَلُوًّ مَنْصِبٍ، وَزَكَاءَ مَنْسِبٍ، وَتَقَدُّمًا فِي الشَّرَفِ وَالْإِفْضَالِ، وَبِرَاعَةً فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ.

٣٧٦ - وَقَالَ كَبِدُ الْحَصَةِ الْعَجَلِيِّ^(١): [الوافر]

١ - أَلَا هَلْكَ الْمُكْسَرُ يَالَ بَكْرٍ فَأَوْدَى الْبَاغُ وَالْحَسْبُ الثَّلِيدُ^(٢)

٢ - أَلَا هَلْكَ الْمُكْسَرُ فَاسْتَرَاخَتْ حَوَافِي الْخَيْلِ وَالْحَيُّ الْحَرِيدُ

افتتح كلامه بآلا، ثُمَّ أَخَذَ يُعْظِمُ الْخَطْبَ وَيَفْطَعُ الشَّانَ، فَقَالَ: مَاتَ هَذَا الرَّجُلُ فَمَاتَ بِمَوْتِهِ الْكَرْمُ الْعَمِيمُ، وَالشَّرَفُ الصَّمِيمُ.

وقول «يَالَ بَكْرٍ» استغاثة مِمَّا دَهَاهُ. وَقَدْ مَرَّ الْقَوْلُ فِي هَذِهِ اللَّامِ وَالْفَصْلِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ لَامِ التَّعَجُّبِ مِنْ قَوْلِهِ يَالَ بَكْرٍ. وَمَعْنَى أَوْدَى: هَلَكَ. وَالْبَاغُ هَاهُنَا الْكَرْمُ. وَيُقَالُ: بَاغَ الرَّجُلُ يَبُوعُ بَوْعًا، إِذَا مَدَّ بَاعَهُ، وَتَبَوَّعَ. وَكَذَلِكَ تَبَوَّعَ الْبَعِيرُ، إِذَا مَدَّ ضَبْعَهُ. وَالْحَسْبُ: الشَّرَفُ، وَأَصْلُهُ مِنَ الْحِسَابِ؛ لِأَنَّ الْحَسِيبَ يَعُدُّ لِنَفْسِهِ مَآثِرَ فِتْلِكَ الْمَآثِرِ حَسْبٌ؛ كَمَا يُقَالُ نَفَضْتُ نَفْضًا، ثُمَّ يَسْمَى الْمَنْفَوْضُ نَفْضًا. وَالثَّلِيدُ وَالثَّالِدُ: ضِدُّ الطَّرِيفِ وَالطَّارِفِ. وَالثَّلَادُ: مَا وُلِدَ عِنْدَكَ مِنْ مَالِكَ، قَالُوا: وَأَصْلُ هَذِهِ الثَّاءُ الْوَاوُ.

(١) التبريزي: «يرثي المكسر بن حنظلة، واسمه يزيد بن حنظلة بن ثعلبة بن سيار، وكانت طائفة من طيئ أغارت على بكر بن وائل، فأخذوا منهم أخائذ، فأغار المكسر على طيئ، فاكسح أموالهم وأصاب منهم سبائا، فأغار زيد الخيل على بني تيم الله بن ثعلبة».

(٢) المكسر: ضبطه التبريزي بكسر السين.

وقوله: «أَلَا هَلْكَ الْمَكْسُرُ» كَرَّرَهُ لَتَفْظِيْعِ الْأَمْرِ. ومعنى: «استراحت حَوَافِي الْخَيْلِ» وصفه بأنه يُبْعَدُ الْغَزْوُ فَلَا يَبْقَى عَلَى الْخَيْلِ وَإِنْ حَفِيَتْ، فَلَمَّا مَضَى نَالَتِ الرَّاحَةُ وَتَوَدَّعَتْ. وقال: «حَوَافِي الْخَيْلِ» على أَنْ يَصِفَهَا بِمَا كَانَ آلَ أَمْرَهَا إِلَيْهِ بَعْدَ الْغَزْوِ. وكذلك قوله: «الْحَيِّ الْحَرِيدُ»، هُوَ الْمُنْفَرِدُ وَالْمُتَبَاعِدُ عَنْ غَيْرِهِ؛ كَأَنَّهُ لَا يَسْلَمُ عَلَيْهِ وَإِنْ حَذِرَ وَتَبَاعَدَ. ويقال: كَوَكَبَ حَرِيدٌ، إِذَا طَلَعَ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ مُتَنَحِّيًا عَنْ الْكَوَاكِبِ، وَرَجُلٌ حَرِيدٌ الْمَحَلُّ، إِذَا لَمْ يُخَالِطِ النَّاسَ وَلَمْ يَنْزِلْ مَعَهُمْ. وقال: [الرجز]

أَمَا بِكُلِّ كَوَكَبٍ حَرِيدٍ^(١)

وقال آخر: [المتقارب]

حَرِيدَ الْمَحَلِّ غَوِيًّا غَيُورًا^(٢)

٣٧٧ - وقال ابن أهبان الفقسي يرثي أخاه: [الطويل]

١ - عَلَى مِثْلِ هَمَامٍ تَشْقُ جُبُوبَهَا وَتُغْلِي بِالنُّجُجِ النِّسَاءَ الْفَوَاقِدُ

٢ - فَتَى الْحَيِّ أَنْ تَلْقَاهُ فِي الْحَيِّ أَوْ يَرَى سِوَى الْحَيِّ أَوْ ضَمَّ الرِّجَالَ الْمَشَاهِدُ

يقول: عَظُمَ الرُّزْءُ بِمَوْتِ هَمَامٍ فَلَا مَخْبَأَ لِلجَزَعِ وَلَا مُصْطَبِرَ، وَلَا إِسْرَارَ لِلالتِياعِ وَلَا مُدْخَرَ. وَأَتَى يَكُونُ لِلْسَّامِعِ بِهِ مَعْدِلٌ إِلَى التَّجَمُّلِ وَالتَّجَلُّدِ، وَقَدْ قُدِّدَ بِهِ مَنْ يُسْتَبَاحُ فِي نُذْبَتِهِ كُلُّ مُحْظُورٍ، وَيُسْتَجَازُ فِي الرِّثَاءِ لَهُ كُلُّ مَذْكُورٍ، فَلَا مَنَعَ مِنْ شَقِّ الْجُبُوبِ، وَصَدْعِ الْأَكْبَادِ وَالْقُلُوبِ، وَإِعْلَانِ النِّيَاحَةِ، وَامْتِدَادِ الْمَآتَمِ فِي الْإِعْوَالِ إِلَى كُلِّ غَايَةٍ. وقوله: «عَلَى مِثْلِ هَمَامٍ» يَذْكُرُ الْمِثْلَ وَالْمَقْصُودُ نَفْسَهُ لَا غَيْرُ صِيَانَةٍ لَهُ وَنَزَاهَةٍ. عَلَى ذَلِكَ قَوْلُ الْقَائِلِ: مِثْلُكَ لَا يَخْسُنُ بِهِ كَذَا مَعْنَاهُ: أَنْتَ لَا يَخْسُنُ بِهِ ذَلِكَ؛ وَلَكِنْ الْغَرَضُ مَا ذَكَرْتُهُ، وَقَوْلُهُ: «بِالنُّجُجِ» يَرَادُ بِهِ مُصْدَرُ نَاحٍ، وَقَدْ يُرَادُ بِهِ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَكَانِ النِّسَاءُ النَّاتِحَاتُ.

وقوله: «فَتَى الْحَيِّ أَنْ تَلْقَاهُ» جَعَلَ لَهُ الْفِتْوَةَ وَالرِّيَاسَةَ مُسَلِّمَةً لَهُ فِي كُلِّ حَالٍ، وَعَلَى كُلِّ وَجْهٍ؛ أَلَا تَرَى أَنَّهُ قَالَ: هُوَ الْفَتَى بَيْنَ رِجَالِ الْحَيِّ وَعِنْدَ لِقَائِكَ إِيَّاهُ فِيهِمْ،

(١) لَدَى الرِّمَةِ فِي دِيْوَانِهِ ٣٣٦، وَاللِّسَانِ (حَرْد، عَسْف)، وَالْمَخْصَصُ ٣٤: ٩.

(٢) لِلْأَعْشَى فِي دِيْوَانِهِ ١٤٣، وَاللِّسَانِ (حَرْد، حَجَش)، وَصَدْرُهُ:

«إِذَا نَزَلَ الْحَيِّ حَلَّ الْجَحِيشِ»

فمعنى أن تلقاه، هو الفتى لأن تلقاه في الحي، ووقت تلقاه في الحي. وقوله: «أو يرى سيوى الحي» أي في مكان آخر وفي قوم آخرين بدلاً من الحي؛ لأنك إذا قلت: عندي رجل سيوى زيد، معناه: عندي رجل مكان زيد، وبدلاً من زيد.

وقوله: «أو ضمّ الرجال المشاهد»، معناه: وهو الفتى إذا حصلت وفود القبائل والستهم ورؤساؤهم في مجامع الملوك الأعظم، ومشاهد السادة الأكابر. وقوله: «أو ضمّ» محمول على المعنى، يريد: وهو الفتى لأن ضمّ الرجال. والقسمه بما رتبته قد استوفت الأحوال كلها.

٣ - إذا نازع القوم الأحاديث لم يكن عيباً ولا عيباً على من يُقاعِدُ

٤ - طويلُ نجادِ السيفِ يَضْبِجُ بطنه خميصاً وجاديه على الرّادِ حامدُ

وصفه بالبراعة وتمام الآلة، وأنه سهل الخلق، سهل الجانب، يباسط منازعه في الأحاديث ويطاوئه، لا عي يقصّر حديثه، ولا كبر يُنفّر قعيده، فهو طيب المجلس، خفيف الملتزم، وإذا تأملت خلقته كان حسن القوام، تام الجسم، طويل حمائل السيف؛ هذا في الحي ما أقام، وفي السفر تراه يؤثر غيره بالزاد، فبطنه خميص، ومُجْتَدِيهِ والمعوّل عليه حامد له شكور. وأبلغ من قوله: «طويل نجاد السيف» قول مُسْلِمٍ: [الطويل]

يَطُولُ مع الرُمحِ الرُدَيْنِي قامَةً وَيَقْصُرُ عنه طولُ كلِّ نَجَادٍ

٣٧٨ - وقال ابن عمار الأسدي يرثي ابنه^(١):

١ - ظَلَيْتُ بِجَنْسِرِ سَابُورٍ مُقِيمًا يُؤَزِّقُنِي أَنْيُتُكَ يَا مَعِينُ^(٢)

٢ - وناموا عَنْكَ واستيقظتَ حَتَّى دَهَاكَ الموتُ وانقطعَ الأَبْسَرُ

أصل الظلول للمكث في النهار، ولكنه يتوسّع فيه فيجعل للأوقات كلها؛ على ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا﴾ [التحل: الآية ٥٨]، وذلك لا يختص بالنهار دون الليل. وهذا الكلام اقتصاص حاله معه في تميزه، وتوليّه منه ما تفرد به، وفيه التشكي مما قاساه وتجزع الغصص عنه، فيقول: بَقِيْتُ

(١) التبريزي: «يرثي ابنه معينا».

(٢) التبريزي: «بخسر سابور» وهو من بلاد العجم نسب إلى خسرو سابور، وهما ملكان من الفرس، ويصحف هذا فيقال: جسر سابور.

مقيماً بذلك المكانِ يُسهرني تألمُك وأينُك، ونامَ كلُّ مَنْ صحبتُهُ، فاستيقظتُ أنا
متجرّداً فيك، ومتحمّلاً ما أمكن تحمُّلُهُ عنك، إلى أن أجبتَ داعيكَ، وأطلقتَ من
أسر الانتظار ناعيكَ، فانقطعَ الأنين، وجَدَّ مَنّي لفقدك العويل.

٣٧٩ - وقال أبو وهب العبيسي^(١) يرثي ابنه: [الطويل]

١ - أرباعَ مهلاً بغضَ هذا وأجيلي ففني اليأس ناهٍ والعزاءَ جميلُ

٢ - فإنَّ الذي تبكيه قد حال دونه ثرابٌ وزوراءُ المَقامِ دُحُولُ

سلك فيما قاله مسلكُ أوس بن حجرٍ، حين قال: [المنسرح]

أيُّها النُّفسُ أجيلي جزعاً إنَّ الذي تحذرين قد وقعا

والمرأةُ المخاطبةُ فيما نظنَّ أمَّ المَزيثي. وقوله: «مهلاً بعض هذا» انتصبَ بعضُ
بإضمار فعل؛ كأنه قال: رِفْقاً كُفّي بعض ما تأتينه، وأحسني العزاء، ففي اليأس مَمَّنْ
قد مضى ناهٍ لك عن الإسراف في الجَزَع، والإفراط في الالتئاع والهَلَع، والصَّبْرُ
جميلٌ كيف كان، فإنَّ مَنْ تبكيه حَجَزَ بينه وبيننا ثرابٌ مهيلٌ، ولَحَدٌ قَعِيرٌ، وحفرةٌ
معوجةٌ، وهوةٌ مهولةٌ، فلا طَمَعٌ في الالتقاء، ولا في الرُّجوع والانكفاء.

وقوله: «وزوراء المَقام» أي معوجة الموضع الذي يُقام فيه منها. وقوله:
دُحُولُ، يقال: بثر دُحُولٌ، أي ذات ثَلْجُفٍ.

٣ - نَحَاهُ لِلْخَدِ زِيرْقَانِ وَحَارَتْ وفي الأرضِ لَلأَقْوَامِ قَبْلِكَ غُولُ

٤ - فأَيُّ فِتْنَى وَاوَزُهُ ثُمَّتْ أَقْبَلَتْ أَكْفُهُمْ تَحْثِي مَعَا وَتَهِيلُ

اللَّحْدُ: ما حُفِرَ في عَرْضِ القَبْرِ. ويقال: لَحَدْتُ القَبْرَ وأَلَحَدْتُهُ، وقَبْرٌ ملحود
ومُلَحَدٌ ولاحِدٌ، أي ذو لَحْدٍ. يقول: وَلَاهُ لِلْخَدِ قَبْرُهُ هَذَانِ الرَّجُلَانِ، والعادةُ مستمرةٌ
في فَنَاءِ الأُمَمِ السالفة قبلنا؛ لأنَّ الأرض لا تخلو مما يَغْتَالُ الأحياءُ ويُهْلِكُهُمْ.
والغُولُ: الهَلَكَةُ، ويقال: غَالَهُ الموت. وقال الشاعر: [الطويل]

وما مِيتَةٌ إن مِتُّها غير عاجِزٍ بَعَارٍ إذا ما غَالَتِ النُّفُسُ غُولُهَا^(٢)

(١) التبريزي: «وقال طريف بن أبي وهب العبيسي».

(٢) للأعشى في ديوانه ٢٢٧، وبلا نسبة في كتاب العين ٤: ٤٤٧، وتهذيب اللغة ٨: ١٩٣.

والكلام فيه تأسٌّ وتَعَزُّزٌ، بعد أن اقتَصَصَ دَفْنَهُ وَمَنْ تَوَلَّى ذلك منه .

ثُمَّ قَالَ عَلَى وَجْهِ التَّعَجُّبِ: أَيُّ فَتَى غَيَّبُوهُ وَدَفَنُوهُ؟! يَعْظُمُ أَمْرُهُ وَيُفْخَمُ شَأْنُهُ .
وقوله: «ثُمَّتْ أَقْبَلْتُ» الثَّاءُ مِنْ ثُمَّتْ علامة التَّأْنِيثِ، وهو تَأْنِيثُ الْخَصْلَةِ . وكما تَتَّصِلُ
هذه العلامةُ بِالاسْمِ نَحْوَ امْرَأَةٍ وَامْرَأَةٍ، وبالصفةِ نَحْوَ قَائِمٍ وَقَائِمَةٍ، تَتَّصِلُ بِالْفِعْلِ،
وَالِاسْمُ وَالْفِعْلُ هُمَا مَوْضِعُهُمَا، إِلَّا أَنَّهَا فِي الْاسْمِ يُبَدِّلُ مِنْهَا الْهَاءَ فِي الْوَقْفِ، وَيَنْتَقِلُ
الْإِعْرَابُ عَنْ آخِرِ الْاسْمِ إِلَيْهَا . وفي الفعلِ يُسَكِّنُ، إِلَّا أَنْ يَلْقَاهُ سَاكِنٌ آخَرُ، وَيَكُونُ
تَاءً فِي الْوَصْلِ وَالْوَقْفِ جَمِيعًا . وفي الحَرْفِ يَقْلُ دُخُولُهُ، وَإِذَا دَخَلَ حُرْكَ بِالْفَتْحِ،
نَحْوَ رُبْتُ وَثُمْتُ، وَتَبْقَى تَاءٌ فِي كُلِّ حَالٍ .

وقوله: «تَخْشِي مَعًا» انْتَصَبَ مَعًا عَلَى الْحَالِ . وَالْحَفْظُ: أَنْ تَرْفَعَ يَدَكَ بِالثَّرَابِ أَوْ
غَيْرِهِ فَتَفَرِّقَهُ فِي الْجَوِّ . قَالَ: [السريع]

الْحُضْنُ أَذْنَى لَوْ تَأَيَّيْنِيهِ مِنْ حَفِيكَ التُّرْبِ عَلَى الرَّاكِبِ^(١)

وَالْحَائِيَاءُ: ثُرَابٌ يَجْمَعُهُ الْيَرْبُوعُ، مِنْ هَذَا . وَالْهَيْلُ: أَنْ تَجْرُقَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَرْفَعَ
الْيَدَ بِهِ . وَيُقَالُ: هَلَتْ الثَّرَابَ وَأَهْلَتْهُ . وفي المَثَلِ: «مُخْسِنَةٌ فَهَيْلَى»، وَيُقَالُ: «جَاءَ
بِالْهَيْلِ وَالْهَيْلُمَانِ»، أَيِ بِالشَّيْءِ الْكَثِيرِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنْ هَذَا؛ لِأَنَّ الْمَعْنَى جَاءَ بِمَا
اجْتَمَعَ هَيْلًا لَا كَيْلًا .

وفي الطَّرِيقَةِ الَّتِي سَلَكَهَا مِنْ اقْتِصَاصِ الْحَالِ فِي الدَّفْنِ وَالْحَفْنِ، قَدْ أَحْسَنَ مَنْ
قَالَ: [الطويل]

أَلَمْ تَرْنِي أَبْنِي عَلَى اللَّيْثِ بَيْتَهُ وَأَخْشِي عَلَيْهِ التُّرْبَ لَا أَتَخَشَّعُ
كَأَنِّي أَدْلِي فِي الْحَفِيرَةِ بَاسِلًا عَقِيرًا يَسْئُو لِلْقِيَامِ وَيُضْرَعُ
تَحَالُ بَقَايَا الرُّوحِ فِيهِ، لِقُرْبِهِ بَعْدَ الْحَيَاةِ، وَهُوَ مَيِّتٌ مُقَنَّعُ

أَلَا تَرَاهُ كَيْفَ صَوَّرَ التَّهَيُّبَ مِنْهُ وَالْإِعْظَامَ لَهُ فِي تِلْكَ الْحَالَةِ .

(١) لامرأة قالت لابنتها في ديوان الأدب ١: ١٦٠ واللسان (أيا)، وبلا نسبة في المستقصى ١:
٣١٢، ومجمع الأمثال ١: ٢١١.

- ٥ - وَظَلْتُ بِبِي الْأَرْضُ الْفَضَاءُ كَأَنَّمَا تَصْعَدُ بِي أَرْكَائِهَا وَتَجُولُ
٦ - وَشَدُّ إِلَيَّ الطَّرْفَ مَنْ كَانَ طَرْفُهُ بِعَهْدِ عُبَيْدِ اللَّهِ وَهُوَ كَلِيلُ

يقول: دِيرَ بِي لَمَّا شَاهَدْتُ مِنْ أَمْرِهِ مَا أَنْكَرْتُ، وَاسْوَدَّتْ الْأَرْضُ فِي عَيْنِي فَصَارَتْ عَلَى سِعَتِهَا كَأَنَّمَا جُمِعَتْ جَوَانِبُهَا، فَأَصْعَدُ فِيهَا وَهِيَ تَجُولُ فَلَا تَهْدَأُ، وَتَدُورُ فَلَا تَقْرُ.

وقوله: «وَشَدُّ إِلَيَّ الطَّرْفَ» أَي: نَظَرَ إِلَيَّ بِشِدَّةٍ وَتَحْدِيقٍ. وَفِي الْحَدِيثِ: قِيلَ لِأَبِي مَحْذُورَةٍ وَشَدَّ أَذَانَهُ: «أَمَّا خَشِيتُ أَنْ تَنْشَقَّ مُرْنَطَاؤُكَ». وَيُقَالُ: شَدَّدْنَا عَلَى يَدِ فُلَانٍ وَشَدَّدْنَا يَدَهُ، أَي قَوَيْنَاهُ. وَالطَّرْفُ: تَحْرِيكُ الْجَفْنِ فِي النَّظَرِ. يَقُولُ: شَخَّصَ بَصَرَهُ فَمَا يَطْرِفُ. وَقَوْلُهُ: «مَنْ كَانَ طَرْفُهُ» كَأَنَّ هَذِهِ هِيَ الثَّامَّةُ. وَالْمَعْنَى: مَنْ وَقَعَ طَرْفُهُ وَحَدَّثَ طَرْفُهُ فِي زَمَنِ عُبَيْدِ اللَّهِ وَبِعَهْدِهِ وَهُوَ كَلِيلُ، يَرِيدُ: مَنْ كَانَ لَا يَمْلَأُ عَيْنَهُ مَنِي فِي حَيَاتِهِ تَهَيُّبًا صَارَ يَنْظُرُ إِلَيَّ شَزْرًا وَنَظَرًا شَدِيدًا، وَإِنَّمَا قَوَاهُ تَجَاسُّرُهُ وَمَا حَدَّثَ لَهُ وَفِي تَقْدِيرِهِ، مِنْ مُتَّةٍ اسْتَجَدَّهَا، وَقُوَّةٍ عَاوَدَتْهُ وَاسْتَظْهَرَ بِهَا. وَقَوْلُهُ: «وَهُوَ كَلِيلُ»، الْوَائِ وَوَاوِ الْحَالِ.

- ٧ - لَئِنْ كَانَ عَبْدُ اللَّهِ خَلَى مَكَائِهِ عَلَى حِينِ شَيْبِي بِالشَّبَابِ بَدِيلٌ^(١)
٨ - لَقَدْ بَقِيتُ مَنِي قَنَاءَ صَلِيبَةٍ وَإِنْ مَسَّ جِلْدِي نَهْكَةٌ وَذُبُولُ
٩ - وَمَا حَالَةٌ إِلَّا سَتُضَرَفُ حَالُهَا إِلَى حَالَةٍ أُخْرَى وَسَوْفَ تَزُولُ

الْلَامُ مِنْ «لَئِنْ» مُوْطِئَةٌ لِلْقَسَمِ الْمَضْمَرِ، وَجَوَابُهُ: «لَقَدْ بَقِيتُ». وَخَلَى مَكَائِهِ، أَي: تَرَكَ مَكَائِهِ مِنَ الْعُيُونِ وَالْقُلُوبِ خَالِيًا. وَيَجُوزُ أَنْ يَرِيدَ تَرَكَ مَكَائِهِ مِنْ دُنْيَاهُ لَمَنْ شَاءَ. عَلَى حِينِ شَيْبِي، أَي: فِي وَقْتِ اسْتَبْدَلْتُ بِالشَّبَابِ شَيْبًا، وَبِالْقُوَّةِ ضَعْفًا، لَقَدْ بَقِيَ مَنِي إِبَاءً شَدِيدًا، وَلَجَاجٌ عَلَى مَنْ يَقْصِدُ اهْتِضَامِي بَلِيغٌ؛ فَقَنَاتِي صُلْبَةٌ عَلَى غَايِزِهَا، مَمْتَنِعَةٌ عَلَى مُتَقَفِّهَا، وَإِنْ كَانَتْ الْمَصِيبَةُ نَالَتْ مَنِي فَتَحُلْ جِسْمِي، وَذَبَلْ جِلْدِي، وَحَالَ لَوْنِي، وَتَحَوَّلَ عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ أَمْرِي وَشَأْنِي. وَقَدْ تَقَدَّمَ الْقَوْلُ فِي الْقَنَاءِ

(١) «عَلَى حِينِ شَيْبِي»: قَالَ التَّبْرِيزِيُّ: «قَالَ أَبُو هِلَالٍ: لَا يَجُوزُ إِلَّا الْخَفْضُ فِي (حِينٍ)، لِأَنَّ الَّذِي أَضَفْتُ إِلَيْهِ (حِينٍ) مُعَرَّبٌ فَإِنَّ أَضْفَتُهُ إِلَى الْفِعْلِ جَازَ الْفَتْحَ وَالْكَسْرَ، أَمَّا الْكَسْرُ فَلِأَنَّهُ مُجَرَّرٌ وَهُوَ اسْمٌ مُنْصَرَفٌ، وَأَمَّا الْفَتْحُ فَلِإِضَافَتِكَ إِيَّاهُ إِلَى شَيْءٍ غَيْرِ مُعَرَّبٍ فَبَنِيْتُهُ عَلَى الْفَتْحِ، لِأَنَّ الْمُضَافَ وَالْمُضَافَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَاحِدٌ فَبَنِيْتُهُ لِلذَّكَاءِ».

وطريقتهم في استعارتها وجعلها مثلاً. وقوله: «وما حالةٌ إلا ستُضَرَفُ حالها» يُريد: وما خطّةٌ إلا ستُحوّلُ صورتها إلى صورةٍ أخرى ما بقيت وأمهلت، ثم من بعد سوف تزول فلا تبقى، وتحوّل عن المعهود فتفتى. والمعنى: إنّ شيئاً من أسباب الدنيا وأعراضها لا يدوم على حدّ، ولا يستمرّ على طريق ووجه، لكن يتسلط عليه التغيّر والتبدّل، فيزداد عمّا يكون عليه، أو يتراجع هذا إذا سلّم، ومن بعد سوف يكون معيّره مهلكه، ومذبرّه مدمره.

٣٨٠ - وأنشد أيضاً^(١): [الطويل]

- ١ - وقاسمني دهرِي بنِي بِشْطَرِهِ فلما تقضى شطره عاد في شطري^(٢)
٢ - ألا ليت أمي لم تلدني ولينني سبقتك إذ كُنّا إلى غاية نَجْري

كانت رواية الناس برهه: «وقاسمني دهرِي بنِي بِشْطَرِهِ» مضافاً، «فلما تقضى شطره» بالضاد، وارتفاع الشطر به، فجاء شيخ لنا فرواه:

«بِشْطَرَةٍ * فلما تقضى شطره»

وكان يقول: هذه ضالّة أنا وجدتها، وهو ممّا حكاه أبو زيد من قولهم: بنو فلان شِطْرَةٌ، إذا كان ذكورهم بعدد إناثهم، يريد: ناصفني. ومعنى: «تقضى شطره» بلغ أقصاه واستوفاه. والذي اختاره أن يُزوَى «بِشْطَرِهِ» على الإضافة. ومن الظاهر أن تقضى أحسن من تقضى في اللفظ، وأبلغ في المعنى. ومعنى: بِشْطَرِهِ كأنّ الدهر ادّعى أنّه قسيمه في بينه وأنّ له منهم الشطر، وهو النصف، فقاسمه على ذلك، فلما استوفى حظه أقبل يأخذ من نصيبه الذي كان أقرّ له به، وسأهمه عليه. وإنما اخترت بِشْطَرِهِ على «شِطْرَةٍ»؛ لأنّ شِطْرَةً لم يستعمل في الأنصباء والسّهم، والشطر في النصف معروف ومستعمل، ومنه شاة شطور، إذا ييس أحد ضرعَيْها. وكذلك قولهم: حلّب الدهر أشطره، إذا جرب الأمور، وأصله من الحلّب، أي حلّب شطراً من الخير وشطراً من الشر، حتّى تبصر وعرف مواضع النّجاة من مواضع العطب والهلكة.

(١) التبريزي: «وقال العتبي». والعتبي: هو محمد بن عبيد الله من آل عتبة بن أبي سفيان، أديب أخباري من أهل البصرة (ت ٢٢٨هـ / ٨٤٢م). ترجمته في الفهرس لابن النديم ١: ١٢١، ووفيات الأعيان ١: ٥٢٢.

(٢) التبريزي: «بنِي مشاطرة».

وقوله: «أَلَا لَيْتَ أُمِّي لَمْ تَلِدْنِي» تمنى السلامة بأن كان لا يُخْلَقُ ولا يُخْتَرَعُ فينجو من الابتلاء، وملابسة أنواع البلاء، والتردد بين السعادة والشقاء؛ وتمنى بعد أن أوجد وخلق ألا يكون فاقده والمُعزَّى فيه، بل كان السابق له والمقدم عليه، سيما وهما جاريان إلى غاية من العطب لا مَحِيصَ عنها، ولا مَفَرَّ منها.

٣ - وَكُنْتُ بِهِ أَكُنِّي فَأَصْبَحْتُ كُلَّمَا كُنَيْتُ بِهِ فَاضَتْ دُمُوعِي عَلَى نَحْرِي

٤ - وَقَدْ كُنْتُ ذَا نَابٍ وَظَفَرٍ عَلَى الْعَدَى فَأَصْبَحْتُ لَا يَخْشَوْنَ نَابِي وَلَا ظَفَرِي

جَرَى عَلَى افْتِنَانِهِمْ فِي تَحْوِيلِ الْكَلَامِ عَنِ الْإِخْبَارِ إِلَى الْخُطَابِ، وَصَرَفِهِ عَنِ الْعُمُومِ إِلَى تَخْصِيصِ بَعْضِهِمْ بِالذِّكْرِ، أَلَا تَرَى أَنَّهُ أَخْبَرَ فِي قَوْلِهِ: «وَقَاسَمَنِي ذَهْرِي بَيْنِي» ثُمَّ قَالَ: «لَيْتَنِي سَبَقْتُكَ» فَرَجَعَ إِلَى خُطَابٍ وَاحِدٍ مِنْهُمْ، ثُمَّ قَالَ: «وَكُنْتُ بِهِ أَكُنِّي» فَأَخْبَرَ بِهِ عَنْ أَحَدِ بَنِيهِ. وَالْمَعْنَى: كُنْتُ أَكْنَيْتُ بِهِ حُبًّا لِذِكْرِهِ وَاسْمِهِ، وَتَفَاوُلًا بِبَقَائِهِ وَدَوَامِهِ، فَبَقِيَ الْأِسْمُ وَالشَّخْصُ مَفْقُودًا، فَلَا جَرَمَ أَنِّي مَتَى كُنَيْتُ بِهِ تَجَدَّدَ لِي حُزْنٌ أَفَاضَ عَبْرَتِي، وَأَغَاضَ مَاءَ عَيْشَتِي.

وقوله: «وَقَدْ كُنْتُ ذَا نَابٍ وَظَفَرٍ عَلَى الْعَدَى»، يُرِيدُ: إِنِّي كُنْتُ تَامًّا السَّلَاحِ بِهِمْ، مَوْفُورَ الْعَدَدِ وَالْعُدَدِ بِمَكَانِهِمْ، مَخْشَى الْجَانِبِ، لَا يُطْمَعُ فِي اسْتِزَالِي عَنْ حُجَّةٍ أَرْكُبُهَا، أَوْ شُبْهَةٍ أُنْعَلَقُ بِهَا. وَذَكَرَ النَّابَ وَالظَّفَرَ مَثَلًا لِمَنْزِلِهِ لِسَلَاحِهِ وَأَلَاتِهِ الَّتِي كَانَ يَدْفَعُ الْخُصُومَ بِهَا، وَيَقْهَرُ الْأَعْدَاءَ بِاسْتِعْمَالِهَا.

وقوله: «لَا يَخْشَوْنَ نَابِي وَلَا ظَفَرِي»، يَرِيدُ: لَا نَابَ لِي بَعْدَهُمْ وَلَا ظَفَرَ فَيُخْشَى، فَهُوَ مِثْلُ: [الرجز]

وَلَا تَرَى الضَّبَّ بِهَا يَنْجَحِزُ^(١)

٣٨١ - وَأَنْشُدَ لَامْرَأَةً تَرْتِي أَبَاهَا: [الطويل]

١ - إِذَا مَا دَعَا الدَّاعِي عَلِيًّا وَجَدْتُني أَزَاعُ كَمَا رَاعَ الْعَجُولُ مُهَيَّبُ

٢ - وَكَمْ مِنْ سَمِيٍّ لَيْسَ مِثْلَ سَمِيهِ وَإِنْ كَانَ يُدْعَى بِاسْمِهِ فَيُجِيبُ

يقول: مَتَى قَرَعَ أُذُنِي دَعَاءُ دَاعٍ بِاسْمِ وَالِدِي أَذْعَرُ وَأَقْلِقُ، كَمَا يَذْعَرُ الثُّكْلَى مُهَيَّبٌ، وَهُوَ الدَّاعِي. وَالثُّكْلَى تَفْزَعُ لِأَدْنَى صِيحَةٍ تَرْهَقُهَا، أَوْ قَرْعَةٍ تَضِدُّ قَلْبَهَا.

(١) لابن أحرر في الخزائن ٤: ٢٧٣، وصدره:

«لَا تَفْزَعُ الْأَرْنبُ أَمْوَالَهَا»

ويجوز أن يريد بالعَجُول ناقةً فَقَدَتْ ولدها بنحرٍ أو موتٍ، فهي في حنينها تَنفِرُ مِنْ أَحْفَضِ إهابه، وأدنى بَغْيٍ وإزعاجَةٍ. ويقال لأمثالها من الثوق: المعاجيلُ أيضًا. ووجدَهُنَّ يزيد على كلِّ وَجِدٍ. لذلك قال: [الطويل]

فَمَا وَجَدُ أَظَارِ ثَلَاثِ رَوَائِمِ رَأَيْنَ مَجْرًا مِنْ حُورٍ وَمَضْرَعًا^(١)
يُذَكِّرُنْ ذَا الْبَثِّ الْحَزِينِ بِبَثِّهِ إِذَا حَتَّتِ الْأُولَى سَجْعَنَ لَهَا مَعَا
بِأَوْجَدِ مَنِي
.....

وقوله: «وكم من سمي» يقول: ليس التوافق في الأسماء مما يوجب التعادل والتشابه في المسميات؛ لأن الأعلام لا تُفِيدُ في المسمين شيئًا، لكن التشابه إنما يكون بالأوصاف الحاصلة، والمعاني المتماثلة. وإذا كان كذلك، فالشارك في الأسماء وإن حصلت به الإجابة عند الدعاء لا يوجب تقارب المسمين ولا تباعدهم.

٣٨٢ - وقال رجلٌ من كَلْبٍ: [الطويل]

١ - لَحَى اللَّهُ دَهْرًا شَرُّهُ قَبْلَ خَيْرِهِ وَوَجَدَا بِصِيفِي أَتَى بَعْدَ مَغْبِدِ
٢ - بَقِيَّةُ إِخْوَانِي أَتَى الدَّهْرُ دُونَهُمْ فَمَا جَزَعِي أَمْ كَيْفَ عَنْهُمْ تَجَلْدِي
٣ - فُلُو أَنَّهُمَا إِحْدَى يَدَيَّ رُزِيئُهَا وَلَكِنْ يَدَيَّ بَآثَتْ عَلَى إِثْرِهَا يَدَيَّ^(٢)
٤ - فَالَيْتُ أَسَى بَعْدَهُمْ إِثْرَ هَالِكٍ قَدِي الْآنَ مِنْ وَجِدٍ عَلَى هَالِكٍ قَدِي

لَحَى الله: دعاء على الدهر الذي وصفه، وقد تقدّم القول في حقيقته. ومعنى: «شَرُّهُ قَبْلَ خَيْرِهِ» أي: ما كان يُخَشَى من شره في الأجرة سبق ما كان يُرْتَجَى من خيره بهم. ثم دعا على وَجِدٍ تَعَجَّلَ له بصيفي بعد وجدٍ تقدّم في مَعْبِدٍ؛ كأنه كان لا يأمن من أحداث الدهر فيما حُبِّي وأُنِعِمَ عليه في إخوة كرام تناسقوا في الولاد والوداد، وتقابلوا في جَوَازِ تعليق الرّجاء بهم عند الحفاظ، فيخاف. وعلى ذلك كان يَغْلِبُ في

(١) الأبيات لمتنم بن نورة في ديوانه ١١٦، وشرح اختيارات المفضل ١١٨٧، واللسان (ظار).
وتعام البيت الثالث:

«بأوجد مني يوم قام بمالك مناد بصير بالفراق فأسمعا»

(٢) مرّ هذا البيت والذي بعده في الحماسية (٣٠١).

نفسه وعلى قلبه سلامتهم وبقاؤهم، حُسِنَ ظَنُّ بالواهب، وشِدَّةَ طَمَعٍ في الموهوب، فيسكن ولا يهاب. فلَمَّا جرى الأمرُ على خلافِ ما ظَنُّ زَعَمَ أَنَّ شَرَّ الدَّهْرِ سَبَقَ خَيْرَهُ، فدعا عليه. وقوله: «وَوَجَدَا بِصِيفِي»، يقول: وَلَحَى أيضًا جَزَعًا تَجَدَّدَ بِصِيفِي بعد مَغْبَدٍ. وهذا تَبَرُّمٌ منه بما قَاسَى من الدَّهْرِ، وكابَدَ من جَزَعٍ بعد جَزَعٍ. وفيه إشارة إلى معنى قول الآخر: [الطويل]

نُوَكِّلُ بِالْأَذْنَى وَإِنْ جَلَّ مَا يَمْضِي^(١)

وقوله: «بَقِيَّةُ إِخْوَانِي» يجوز أن يكون المرادُ به خِيَارَ إِخْوَانِي، كما يقال: فلانٌ من بَقِيَّةِ الناس. ويجوز أن يريدَ به أَنَّهُ كان في إِخْوَانِهِ وَفُورٌ فَقَدَ مِنْهُمْ عِدَّةً، وجعل يَأْتِسُ بِبَقِيَّتِهِمْ، فَاتَى الدَّهْرُ عَلَيْهِمْ أيضًا. وقوله: «فَمَا جَزَعِي أَمْ كَيْفَ عَنْهُمْ تَجَلَّدِي» كَأَنَّهُ كان لا يَعتَدُ بالجَزَعِ الواقعِ لَهُمْ وَمِنْ أَجْلِهِمْ، لِقُصُورِهِ عَنِ الْوَاجِبِ، ووقوعه دُونَ الْإِلاَزمِ، ولا يَطْمَعُ مِنْ نَفْسِهِ فِي مُسْكَاةٍ يَتَعَلَّقُهَا، أو سَلْوَةٍ يَتَكَلَّفُهَا، إِذْ كانَ الْخَطْبُ أعْظَمَ، والرُّزْءُ أَمْلَكُ.

وقوله: «فلو أَنَّها إِحْدَى يَدَيَّ رُزِيَّتْهَا» جواب لو محذوف، يريد: لو أَصِيبَتْ بَعْضُهُمْ لَسَهَّلَ ما تَعَذَّرَ أو خَفَّ ما ثَقُلَ، ولكنهم تجاوبوا للدَّعوة، وتتابَعُوا فِي الثَّقَلَةِ، فَدَحَتِ الْمُصِيبَةُ، وَجَلَّتِ الرُّزِيَّةُ.

وقوله: «فَأَكَيْتُ آسَى بَعْدَهُمْ» يريدُ: حَلَفْتُ لا آسَى بَعْدَهُمْ فِي إِثْرِ هَالِكِ، فَحَذَفَ لا وَلَمْ يَخَفِ التَّبَاسَهَ بِالْوَاجِبِ، إِذْ كانَ لِلْوَاجِبِ صِيعَةً مَفْرَدَةً بِاللَّامِ وَإِحْدَى الثَّوْنَيْنِ الثَّقِيلَةِ أو الخفيفة، وقد مرَّ مثله. والمعنى: أَنَّ خَوْفِي كانَ فِيهِمْ، وَإِذْ قد أَصِيبَتْ بِهِمْ فَإِنِّي لا أَجْزَعُ لِفَائِتٍ، فَحَسْبِي عَلَى الْهَلَاكِ ما بِي حَسْبِي. وقال: «قَدِي»، ولو قال: قَدْنِي، فَاتَى بنونُ الْعِمَادِ لِيَسْلَمَ سَكُونُ قَدٍّ، لجاز. قال الشاعر: [الرجز]

قَدْنِي مِنْ نَضْرِ الْخُبْنَيْنِ قَدِي^(٢)

فَاتَى بِهِمَا جَمِيعًا.

وقوله: «إِثْرُ هَالِكِ» انْتَصَبَ عَلَى الظَّرْفِ.

(١) لأبي خراش في الحماسية رقم (٢٦٢)، وصدره:

«على أنها تعفو الكلوم وإنما»

(٢) لحميد الأرقط في الخزانة ١: ٤٥٣.

٣٨٣ - وَأَنْشَدَنِي لِأَعْرَابِي^(١): [الطويل]

١ - لَحَى اللَّهُ ذَهْرًا شَرُّهُ قَبْلَ خَيْرِهِ تَقَاضَى فَلَمْ يُحْسِنْ إِلَيْنَا التَّقَاضِيَا

٢ - فَتَى كَانَ لَا يَطْوِي عَلَى الْبُخْلِ نَفْسَهُ إِذَا اتَّمَرَتْ نَفْسَاهُ فِي السَّرِّ خَالِيَا

قد مرَّ القولُ في بيان الدُّعاء على الذَّهر وشرِّه، وفي معنى: «شَرُّهُ قَبْلَ خَيْرِهِ»^(٢)، فأما قوله: «تَقَاضَى فَلَمْ يُحْسِنْ إِلَيْنَا التَّقَاضِيَا»، فالمعنى: طَالَبْنَا بَرْدًا مَا مَنَحَنَا فَلَمْ يُحْسِنْ فِي التَّقَاضِي، لإسرافه في الفِعل، واستعجاله في الرَّد، واعتسافه في الأخذ، ولأنَّ العَوَارِيَّ قد تُزْتَجَعُ، والمَنَائِحَ قد تُسْتَرَدُّ، على وَجْهٍ لَا يُحْلُ فِيهِ بِالْإِجْمَالِ، وَلَا يُفْسَدُ بِهِ مَا تَقَدَّمَ مِنَ الْإِفْضَالِ.

وقوله: «فَتَى كَانَ لَا يَطْوِي عَلَى الْبُخْلِ نَفْسَهُ»، يريد: أَنَّهُ إِذَا اجْتَدَاهُ الْمُجْتَدِي لَا يَرَى لِنَفْسِهِ أَنْ تَطْوِيَ عَلَى الْبُخْلِ وَالْإِمْسَاكِ، وَالضُّنَّ بِمَا فِي يَدِهِ عَلَيْهِ، إِذَا اتَّمَرَتْ نَفْسَاهُ، أَي تَشَاوَزَتْ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمَا، فَأَقْبَلَتْ وَاحِدَةً تَأْمُرُ بِالْبَذْلِ، وَالْأُخْرَى تُشِيرُ بِالْإِمْسَاكِ. ففِي ذَلِكَ الْوَقْتِ يَصْنَمُ عَلَى تَرْكِ الْإِثْمَارِ لِلْأَمْرِ بِالْبُخْلِ وَيَخْرُجُ مِنْ طَاعَتِهِ إِلَى الْعِطَاءِ وَالْبَذْلِ. وَالْإِثْمَارُ: التَّشَاوُرُ هَا هُنَا. فَأَمَّا قَوْلُهُ: [المتقارب]

وَيَغْدُو عَلَى الْمَرْءِ مَا يَأْتِمِرُ^(٣)

فالمُرَادُ بِهِ مَا يَجْعَلُهُ مِنْ أَمْرِهِ وَهَمِّهِ، فَيَقُولُ: إِذَا اتَّمَرَ الْمَرْءُ لغيره مَا لَيْسَ بِرِشَادٍ فَإِنَّهُ يَغْدُو عَلَيْهِ فِيهِلْكُهُ. وَهَذَا كَمَا قِيلَ: مِنْ حَفَرٍ مَهْوَاةٌ وَقَعَ فِيهَا.

٣٨٤ - وَقَالَ الْأَبِيرْدُ الْيَرْبُوعِيُّ^(٤): [الطويل]

١ - وَلَمَّا نَعَى النَّاعِي يَزِيدَ تَغَوَّلْتُ بِي الْأَرْضُ فَرَطَ الْحَزْنَ وَانْقَطَعَ الظُّهْرُ^(٥)

(١) التبريزي: «وقال أعرابي». (٢) انظر الحماسية السابقة (٣٨٢).

(٣) هذا عجز بيت لامرئ القيس في ديوانه ١٥٤، وخزانة الأدب ١: ٣٧٤، واللسان (أمر، خمر، نفس)، وللنمر بن تولب في ملحق ديوانه ٤٠٤، واللسان (أمر)، وصدرة:

«أحار بن عمرو كأنني خَيْرُهُ»

(٤) الأبيرد بن المعذر بن عبد قيس الرياحي اليربوعي: شاعر فصيح بدوي، لم يكن مَذَاحًا، وكان هَجَاءً، جيد الرثاء. (ت ٦٨ هـ / ٦٨٨ م) ترجمته في الأغاني ١٢: ٩ (الساسني)، وسمط اللالي ٤٩٤.

(٥) التبريزي: «لما نعى الناعي بُرَيْدًا».

يقول: لَمَّا خَبِرَ الْمُخْبِرُ بِمَوْتِ يَزِيدَ تَلَوَّنَتْ الْأَرْضُ فِي عَيْنِي فَابْيَضَّتْ تَارَةً وَاسْوَدَّتْ أُخْرَى، لِشِدَّةِ حُزْنِي، وَانْقَطَعَ ظَهْرِي، وَتَسَاقَطَتْ قُوَايَ، وَقَوْلُهُ: «تَغَوَّلَتْ» اسْتِقَافُهُ مِنَ الْغَوْلِ. وَهُمْ يَعْتَقِدُونَ فِي هَذَا الْقَبِيلِ مِنَ الْجَنِّ أَنَّهُمْ يَتَصَوَّرُونَ بِمَا شَاؤُوا مِنَ الصُّوَرِ. وَيَقَالُ: غَوَّلَتْهُمْ الْغَوْلُ وَتَغَوَّلَتْهُمْ، إِذَا تَوَهَّتَهُمْ. وَانْتَصَبَ «فِرطَ الْحَزْنِ» عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ لَهُ. وَالْكَلَامُ تَسْلٌ مِنْ غَيْرِ الدَّهْرِ وَتَأْثِيرِ الْمَصِيبَةِ فِيهِ، حَتَّى انْكَسَرَ قَنَاءُ ظَهْرِهِ، وَاخْتَلَّ مَا كَانَ قَوِيماً مِنْ أَمْرِهِ.

٢ - عَسَاكِرُ تَغَشَّى التَّفْسَ حَتَّى كَانَتْنِي أَخُو سَكْرَةٍ دَارَتْ بِهَامَتِهِ الْخَمْرُ

العساكر: جمع عَسَكْرَةٍ، وهي الشُّدَّةُ. قال: [الرملة]

ظَلُّ فِي عَسَكْرَةٍ مِنْ حُبِّهَا^(١)

فيقول: غَشِيَتْ نَفْسِي أَنْوَاغُ الْبَلَاءِ، فَزَالَ عَقْلِي لَهَا، حَتَّى صِرْتُ كَأَنِّي سَكَرَانُ دَبَّتِ الْخَمْرُ فِي عَقْلِي وَدِمَاغِهِ، حَتَّى دَارَتْ هَامَتُهُ، وَزَالَ تَمَاسُكُهُ وَقُوَّتُهُ. وَلَكَ أَنْ تَرَوْي: «دَارَتْ بِهَامَتِي الْخَمْرُ» لِأَنَّهُ لَمَّا كَانَ أَخُو السَّكْرَةِ نَفْسَهُ جَازَ أَنْ يُجْعَلَ الضَّمِيرُ الرَّاجِعُ إِلَيْهِ ضَمِيرَ نَفْسِهِ. وَهُمْ يَفْعَلُونَ فِي الصِّفَاتِ وَالصَّلَاتِ هَذَا. عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ: [الرجز]

أَنَا الَّذِي سَمَّنِي أُمِّي حَيْدَرَةً^(٢)

وَلَمْ يَقُلْ أُمَّهُ، وَإِنْ كَانَ وَجْهَ الْكَلَامِ. وَإِنْ رُوِيَ: «دَارَتْ بِهَامَتِهِ الْخَمْرُ» فَهُوَ الصُّوَابُ الْمَخْتَارُ.

٣ - فَتَى إِنَّهُ هُوَ اسْتَفْتَى تَحَرَّقَ فِي الْغَنَى وَإِنْ قَلَّ مَالٌ لَمْ يَضْغْ مَثْنَهُ الْفَقْرُ^(٣)

٤ - فَتَى لَا يَمُدُّ الرِّسْلَ يَفْضِي ذِمَامَهُ إِذَا نَزَلَ الْأَضْيَافُ أَوْ تَنَحَّرَ الْجُرُزُ^(٤)

(١) هذا عجز بيت لطرفة في ديوانه ٥٢، واللسان (عسكر)، وديوان الأدب: ٣١، وعجزه:

«وَنَاسَتْ شَحْطَ مَزَارِ الْمَدْكِرِ»

(٢) لعلني بن أبي طالب في ديوانه ٧٧، واللسان (حدر).

(٣) روى التبريزي بعده:

«وَسَامَى جَسِيمَاتِ الْأُمُورِ فَنَالَهَا» عَلَى الْعَسْرِ حَتَّى أَدْرَكَ الْعَسْرَ الْيَسْرَ

(٤) روى التبريزي بعده:

«أَحَقُّا عِبَادَ اللَّهِ أَنْ لَسْتَ لَاقِيَا بُرَيْدًا طَوَالَ الدَّهْرِ مَا لِأَلَا الْخُمْرُ»

«العفر: الظباء التي تملو بياضها حمرة. ولألا الظبي: حرَّك ذنبه».

البيت الأول يشبهه قولُ الهذليّ: [المتقارب]

أبو مالكٍ قاصِرَ فقره على نفسه ومُشيعَ غناه^(١)

وقوله: «تَحَرَّقَ في الغنى» أي: تَكَرَّمَ في غناه وتوسَّع، وهو تَفَعَّلَ من الخَزَقِ: الكَريم من الرِّجال، الذي يتَخَرَّقُ بالمعروف.

وقوله: «وإنَّ قَلَّ مالٌ» أراد ماله. ومعنى: «لَمْ يَضَعْ مَتْنَهُ الْفَقْرَ»، أي: لَمْ يورثهُ إقْلَالُهُ تَخَضُّعًا وَتَخَشُّعًا حَتَّى تَطَاطَأَ ظَهْرُهُ وَانْخَفَضَ شَخْصُهُ. وإن رويت: «وإنَّ قَلَّ مالًا» بالنصب جاز، ويكون فاعِلُ قَلَّ ما اسْتَكْنَّ فِيهِ من ضمير الفَتَى، وانتصب مالًا على التمييز؛ كقوله عز وجل: ﴿وَأَسْتَعْلَى الرَّأْسِ شَيْبًا﴾ [مريم: الآية ٤].

وقوله: «فَتَى لَا يَعُدُّ الرِّسْلَ يَفْضِي ذِمَامَهُ»، يريدُ إذا نزل الأضيافُ به لَا يَعُدُّ اللَّبْنَ قاضيًا ذِمَامَ قِرَاهِمَ، وَلَا كافيًا فيما يَجِبُ عَلَيْهِ لَهُمْ، حَتَّى يَنْحَرَ جُزْرَهُ، وَيوسَّعَ مطاعِمَهُ. وقوله: «أو تُتَحَرَّ» أو بَدَّلَ من إلّا، وانتصب الفعل بإضمار أن.

٣٨٥ - وأنشد لِسَلَمَةَ الْجُعْفِيِّ يرثي أخاه لأمه^(٢): [الطويل]

١ - أقولُ لنفسي في الخلاءِ ألومُها لَكَ الوَيْلُ ما هذا التَّجَلُّدُ والصَّبْرُ

٢ - أَلَمْ تَعْلَمِي أن لَسْتُ ما عِشْتُ لَأَقِيَا أَخِي إذْ أَتَى من دُونِ أوصالِهِ الْقَبْرِ

يقول: إِنِّي أَسْتَخْطُ ما أَقِيمُهُ من الْهَلَعِ فِيمَنْ أُصِيبْتُ بِهِ، حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى نَفْسِي إِذَا خَلَوْتُ بِهَا بِاللُّومِ وَالتَّعْنِيفِ، وَأَقُولُ حَلَّ بِكَ الْوَيْلُ، ما الَّذِي يَظْهَرُ مِنْكَ مِنْ تَكْلُفِ الْجَلْدِ وَالصَّبْرِ فِيمَا بُلِيتُ بِهِ. أَمَّا عَلِمْتُ أَنِّي مَدَّةَ عِشْيِ لَا أَلَقِي أَخِي وَقَدْ حَجَزَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ الثَّرَى؟!

وقوله: «ألومُها» في موضع الحال، «ولكَ الوَيْلُ» في موضع المفعول لأقول، و«ما هذا التَّجَلُّدُ» استفهامٌ على طريق التقرير والتوبيخ. وارتفعَ التَّجَلُّدُ على أَنَّهُ عَطَفَ الْبَيَانِ. وقوله: «أَلَمْ تَعْلَمِي» تقرير فيما هو واجب؛ لِأَنَّ حَرْفَ الاستفهام قد ضامَهُ حَرْفُ التَّنْفِي، والاستفهام غير واجب فهو كالتنفي، ونفي التَّنْفِي إيجاب.

(١) للمتنخل الهذلي في ديوان الهذليين ٣٠: ٢.

(٢) التبريزي: «وقال سلمة الجعفي»، وهو سلمة بن يزيد بن مشجعة بن المجمع... الجعفي، كان ممن وفد على رسول الله، وحُدِّثَ عنه. ترجمته في الإصابة (٣٣٩٨).

وقوله: «أَنْ لَسْتُ» أَنْ مخففة من الثقلية، واسمه يجوز أن يكون ضمير الرجل، أراد أنني لست، ويجوز أن يكون ضمير الأمر والشأن. و«ما عشت» في موضع الظرف. و«لا قيا» خبر ليس. و«إذ أتى» ظرف له. والأوصال: جمع وصل، وهو اسم للأعضاء المتصلة بعضها ببعض. ويقال: وصل وصل، بالفتح والكسر.

٣ - وَكُنْتُ أَرَى كَالْمَوْتِ مِنْ بَيْنِ لَيْلَةٍ فَكَيْفَ بَيْنِي كَانَ مِيعَادَهُ الْحَشْرِ
٤ - وَهَوْنٌ وَجِدِي أَنَّنِي سَوْفَ أَغْتَدِي عَلَى إِثْرِهِ يَوْمًا وَإِنْ نَفْسَ الْعُمْرِ

قوله: «كالموت» جعل الكاف وحده اسمًا. وكان أبو العباس يتبع أبا الحسن الأخفش في جواز وقوعه اسمًا في غير الضرورة، وأنشد: [البسيط]

أَتَنْتَهُونَ وَلَنْ يَنْهَى ذَوِي شَطَطٍ كَالطَّغْنِ يَهْلِكُ فِيهِ الزَّيْتُ وَالْفُتْلُ^(١)

ويجعل الكاف في موضع فاعل ينهى. وسيبويه لا يرى ذلك إلا في الضرورة؛ كأنه قال: أرى مثل الموت. ولا يمتنع أن يكون «كالموت» صفةً لموصوف محذوف، كأنه قال: وكنت أرى شيئًا أو أمرًا مثل الموت.

وقوله: «مِنْ بَيْنِ لَيْلَةٍ» مِنْ دَخَلَ للتبيين، والمعنى: كنت أعد مفارقتي له في ليلة كالموت، أو أقاسي مثل الموت من أجل مفارقة ليلة منه، فكيف يكون حالي وقد فَرَّقَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ بَيْنَ مَوْعِدِ الْإِلْتِقَاءِ بَعْدَهُ يَوْمُ الْقِيَامَةِ. ومثل قوله: «مِنْ بَيْنِ لَيْلَةٍ» قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾ [الحج: الآية ٣٠]. ولك أن تجعل من بين، في موضع المفعول لأرى، وتجعل من زائدة على طريقة الأخفش في جواز دخوله زيادة في الواجب، فيكون التقدير: كنت أرى بين ليلة، أي فراق ليلة كالموت، فيكون كالموت في موضع المفعول الثاني. وقوله: «كَانَ مِيعَادَهُ» وَضَعَ الماضي موضع المستقبل أي يكون ميعاده، والهاء يرجع إلى البين، كأنه وعدة الزوال والالتقاء معه من بعده في يوم الحشر.

وقوله: «وَهَوْنٌ وَجِدِي أَنَّنِي» موضع أنني رفعت، لأنه فاعل هَوْنٌ، والمعنى: خَفَّفَ وَجِدِي وَقَلَّيْ أَنَّنِي ذَاهِبٌ فِي إِثْرِهِ، وَمُخْلِ مَكَانِي فِي الدُّنْيَا بَعْدَهُ يَوْمًا، وَإِنْ أُطِيلَ عُمْرِي، وَنَفْسَ فِي أَجْلِي.

(١) للأعشى في ديوانه ١١٣، والحيوان ٤٦٦: ٣، وخزانة الأدب ٤٥٣: ٩، والدرر ١٥٩: ٤.

٥ - فتى كان يُغطي السيف في الرُّوعِ حَقَّهُ إذا ثُوبَ الداعي وتَشَقَّى به الجُزُرُ

٦ - فتى كان يُذنيه الغنى من صديقه إذا ما هو استَغْنَى ويُبْعِدُهُ الْفَقْرُ

يريد: أنَّ المراثيَّ كان إذا حضر الوَعَى تصوُّرًا للسيف عليه حقًّا، فجاهد نفسه في توفير ذلك الحقِّ عليه إذا أعاد الداعي وكرَّر: يال فلان!! مرارًا. والتثويب في الأذان معروف. وقوله: «وتَشَقَّى به الجُزُرُ» يريد وقت نُزول الأضياف، وأنه كان لا يُرضيه أقرب المنازل في نُزُل الضيف، بل كان يرتقي إلى أعلاها.

وهذا المعنى قد مضى قريبًا، وكذلك البيت الثاني قد مضى مثله^(١). ومعنى يُذنيه الغنى من صديقه أنه كان يَعُدُّ التفرد بالغنى لُؤْمًا، وكان يُشرك أصدقاءه فيه، كما يَعُدُّ في حال الإضافة والفقر ملابسة الأصدقاء؛ كالتعرُّض لخيرهم، فيَعُدُّ عنهم.

٣٨٦ - وقالت عَمْرَةُ الْخَنْعَمِيَّةُ، تَرثِي ابْنَيْهَا^(٢): [الطويل]

١ - لَقَدْ رَءَمُوا أَنِّي جَزَعْتُ عَلَيْهِمَا وَهَلْ جَزَعُ أَنْ قُلْتُ: وَابَاہِمَا

الرَّعْمُ يُسْتَعْمَلُ كَثِيرًا فِيَمَا لَا حَقِيقَةَ لَهُ، لذلِكَ قَالَتْ فِيمَا حَكَّتْ عَنِ الْقَوْمِ: زَعَمُوا، كَأَنَّهُمَا لَمَّا اسْتَشَرَفَ النَّاسُ جَزَعَهَا وَهَلَعَهَا، فَتَذَاكُرُوا أَمْرَهَا فِيَمَا بَيْنَهُمْ أَظْهَرَتْ الْإِنْكَارَ وَالتَّكْذِيبَ فِيَمَا تَوَهَّمُوهُ، فَقَالَتْ: وَهَلْ جَزَعُ أَنْ قُلْتُ وَابَاہِمَا، تُرِي أَنَّ مَا تَكَلَّفْتَهُ مِنَ التَّوَجُّعِ لَهَا عَلَى قَدَرِ قَوْلِ الْقَائِلِ: وَابَاہِمَا. وَلَفْظَةُ «وَ» تَأْلُمُ وَتَشْكُ، وَهِيَ حَرْفٌ لِلذُّبَةِ. وَ«بَاہِمَا» أَرَادَتْ: بِأَبِي هُمَا، فَفَرَّ مِنَ الْكُسْرَةِ وَبَعْدَهَا يَاءٌ إِلَى الْفَتْحَةِ فَانْقَلَبَتْ أَلْفًا، عَلَى ذَلِكِ قَوْلُهُمْ: بِأَذَاةً وَنَاصَاةً، فِي بَادِيَةٍ وَنَاصِيَةٍ. وَقَوْلُهَا: «وَهَلْ جَزَعُ» ارْتَفَعَ جَزَعُ عَلَى أَنَّهُ خَبَرٌ مُقَدَّمٌ، وَ«أَنْ قُلْتُ» فِي مَوْضِعِ الْمُبْتَدَأِ، تَقْدِيرُهُ: هَلْ جَزَعُ قَوْلِي وَابَاہِمَا، وَارْتَفَعَ هُمَا مِنْ وَابَاہِمَا عَلَى الْمُبْتَدَأِ، وَبِأَبَا خَبَرَهُ، هَذَا عَلَى طَرِيقَةِ سَيُوبِيهِ، وَعَلَى مَذْهَبِ الْأَخْفَشِ يَرْتَفِعُ بِالظَّرْفِ. وَرَوَاهُ بَعْضُهُمْ: «بَاَنَاهِمَا»، أَي: أَفْدِيَهُمَا بِنَفْسِي وَأَنَا هُوَ ضَمِيرُ الْمَرْفُوعِ، وَقَدْ وَقَعَ مَوْقِعُ الْمَجْرُورِ، وَكَقَوْلِهِمْ: هُوَ كَأَنَّا، وَأَنَا كَهُوَ.

(١) انظر البيت الرابع من الحماسية رقم (٣٨٤).

(٢) التبريزي ١: ٦٧٤: «قال أبو رياش: الذي عندي أن هذه الأبيات لدرماء بنت سيار بن عبيدة الجحدري تراثي أخوين، وأولهن:

أبى الناس إلا أن يقولوا هما هما ولو أننا استطعنا لكان سواهما
بئسًا عجوز حرم الدهر أهلها فليس لها إلا الإله سواهما

٢ - هُمَا أَخَوَا فِي الْحَرْبِ مَنْ لَا أَخَا لَهُ إِذَا خَافَ يَوْمًا نَبُوءَةَ قَدَعَاهُمَا
أَلَمْتُ فِي هَذَا بِقَوْلِهِ: [الوافر]

إِذَا لَمْ أَجِنِ كُنْتُ مِجَنِّ جَانٍ^(١)

تقول: كَانَا يَنْصُرَانِ مَنْ لَا نَاصِرَ لَهُ مِنَ الْقَوْمِ إِذَا خَشِيَ مِنْ نَبَوَاتِ الدَّهْرِ يَوْمًا فَاسْتَغَاثَ بِهِمَا. وَقَوْلُهَا: «أَخَوَا فِي الْحَرْبِ مَنْ لَا أَخَا لَهُ» فَصَلْتُ فِيهِ بَيْنَ الْمُضَافِ إِلَيْهِ وَالْمُضَافِ بِالظَرْفِ، فَلِذَلِكَ حَذَفْتُ النُّونَ مِنْ أَخَوَانِ، فَهُوَ كَقَوْلِهِ: [البسيط]

كَأَنَّ أَصْوَاتَ مِنْ إِيغَالِهِنَّ بَنَا أَوَاخِرَ الْمَيْسِ أَصْوَاتُ الْفَرَارِيحِ^(٢)

فَفَصَّلَ بِقَوْلِهِ: «مِنْ إِيغَالِهِنَّ بَنَا». وَقَوْلُهَا: «مَنْ لَا أَخَا لَهُ» نَوَتْ الْإِضَافَةَ ثُمَّ أَدَخَلَتْ اللَّامَ تَأْكِيدًا لِلْإِضَافَةِ الَّتِي قَصَدَتْهَا، لِذَلِكَ أَثَبْتُ الْأَلْفَ مِنْ لَا أَخَا، لِأَنَّ هَذِهِ الْأَلْفَ لَا تُثَبَّتُ إِلَّا فِي الْإِضَافَةِ؛ إِذْ كَانَ فِي الْإِفْرَادِ يُقَالُ أَخٌ، وَخَبَرٌ لَا مَحْذُوفٌ، كَأَنَّهَا قَالَتْ: لَا أَخَا مَوْجُودٌ أَوْ فِي الدُّنْيَا، وَلَوْ قَالَتْ: لَا أَخٌ لَهُ، لَكَانَ لَهُ خَبَرًا لِلَا، عَلَى قَوْلِهِمْ: لَا أَبَ لَكَ، وَلَا أَبَا لَكَ. وَإِنَّمَا قُلْتُ: أَدَخَلْتُ اللَّامَ لِتَوْكِيدِ الْإِضَافَةِ الَّتِي قَصَدَتْهَا، لِأَنَّ الْإِضَافَةَ غَيْرُ مَعْتَدٍ بِهَا هُنَا، فَلَا تُعْرَفُ الْأَخُ، وَاللَّامُ تُبْطِلُ الْإِضَافَةَ فِي الْأَصْلِ. وَهَذِهِ اللَّامُ لَا تَدْخُلُ إِلَّا فِي بَابَيْنِ: أَحَدُهُمَا بَابُ النِّفْيِ، وَهُوَ مَا نَحْنُ فِيهِ، وَالثَّانِي بَابُ الثَّدَاءِ فِي مِثْلِ قَوْلِهِمْ: [مجزوء الكامل]

يَا بُوسَ لِلْحَرْبِ^(٣)

لأن المراد: يَا بُوسَ الْحَرْبِ.

٣ - هُمَا يَلْبَسَانِ الْمَجْدَ أَحْسَنَ لِبْسَةٍ شَحِيحَانِ مَا اسْطَاعَا عَلَيْهِ كِلَاهُمَا

وصفتهما بأنهما يكتسبان المجد ويستمتعان به أحسن استمتاع وأجمل اكتساب، وأنهما يَصْبِغَانِ بِهِ حَيْثُ ظَهَرَ وَطُلِعَ فَلَا يَتْرُكَانِهِ لِأَحَدٍ مَا دَامَا يَسْتَطِيعَانِ كَسْبَهُ وَالْفُورَ بِهِ. وَانْتَصَبَ «أَحْسَنَ لِبْسَةٍ» عَلَى أَنَّهُ مُصَدَّرٌ. وَارْتَفَعَ «شَحِيحَانِ» عَلَى أَنَّهُ خَبَرٌ مُقَدَّمٌ،

(١) هذا عجز بيت لسوار بن المضرب السعدي في الحماسية (١٨)، وصدرة:

«وَأَنِّي لَا أَزَالُ أَخَا حُرُوبٍ»

(٢) البيت لذي الرمة في ديوانه ٩٩٦، والإنصاف ٤٣٣، واللسان (نقص).

(٣) قطعة من بيت في الحماسية رقم (١٦٧)، وتمامه:

«يَا بُوسَ لِلْحَرْبِ الَّتِي وَضَعْتَ أَرَاهُطَ فَاسْتَرَا حِرَا»

والمبتدأ «كلاهما»، و«ما اسطاعا» في موضع الظرف واسم الزمان محذوف معه. واسطاعَ منقوص عن استطاع. وتقدير الكلام: كلاهما شحيحان به ما اسطاعا عليه، أي ما قدرا عليه. ومعنى «يلبسان المجد»، أي: يتمليانه ويمتعان به. قال: [الطويل]

لِبِسْتُ أَبِي حَتَّى تَمَلَّيْتُ عَيْشَهُ وَبَلَّيْتُ أَعْمَامِي وَبَلَّيْتُ خَالِيَا^(١)

٤ - شِهَابَانِ مِنَّا أَوْقَدَا ثُمَّ أَخْمَدَا وَكَانَ سَنَا لِلْمُذَلِّجِينَ سَنَاهُمَا

ارتفع «شهابان» على أنه مبتدأ، وجاز الابتداء به لكونه موصوفاً بمنّا، وأوقدا في موضع الخبر. والمعنى: أنهما لم يُمهَلا للثمام والكمال، بل كانا كنارين أوقدتا ثم أتبعنا بالإخماد. والكلام توجّع وتلهّف. وقولها: «وكان سنا للمذلجين سناهما»، تريد نارهما الموقدة للضيغان وللطراق بالليل، وأنهم كانوا يستضيئون بها فيردون فناءه مستمسكين أرماقهم به، ومتخلصين من سلطان البرد والجوع وشقة السفر إليه. ولا يمتنع أن يرتفع شهابان على أنه خبر مبتدأ محذوف، أي: هما شهابان.

٥ - إِذَا نَزَلَا الْأَرْضَ الْمَخُوفَ بِهَا الرِّدَى يُخَفِّضُ مِنْ جَأَشِيهِمَا مُنْضَلَاهُمَا

تصفهما بالصبر في دار الحفاظ، وأنهما إذا نزلا مكاناً مخوفاً لا يؤمن الردى فيه يُسكن من قلقهما سيفاهما، وهذا فيه إعلام بأنهما كانا لا يعتمدان في الشدة تنزل بساحتهم على غيرهما، وأنهما كانا يتحملان الأثقال بأنفسهما، فلا صاحب لهما يتكل عليه، ولا معين يُسكن إليه، إلا السيف؛ فهو كقول الآخر: [الطويل]

وَلَمْ يَرْضَ إِلَّا قَائِمَ السَّيْفِ صَاحِبًا^(٢)

٦ - إِذَا اسْتَفْنَيَْا حَبَّ الْجَمِيعِ إِلَيْهِمَا وَلَمْ يَنَّا عَنْ نَفْعِ الصَّدِيقِ غِنَاهُمَا^(٣)

تقول: وإذا نالا الغنى وساعدهما الحال حبّ جماعة الحي والمتعلقين بحبلهما، فازداد توفراً عليهم، وتفقداً لهم، ولم يبعد غناهما من انتفاع الغرباء والأجانب، ومن يتسبب بودّ وصدقة إليهما. فقولها: «حَبَّ الجميع إليهما» مقصور

(١) لابن أحمر في ديوانه ١٦٨، واللسان (بلا)، وتاج العروس (بلا، لبس).

(٢) لسعد بن ناشب في الحماسية رقم (١٠)، وصدرة:

«ولم يستشر في أمره غير نفسه»

(٣) التبريزي: «حُبَّ»، ويفسره: «إذا نالا الغنى حبّ جماعة الحي إليهما».

على النَّسب، وآخر البيت مصروف إلى الصَّدِيق الغريب. وسَأَغُ أَنْ يُزَادَ بِالْجَمِيعِ الْحَيُّ كُلُّهُمْ لاجتماعهم حوله. والجميع والجمع: المجتمعون. والجُمَاع: المتفرقون. قال: [السريع]

مَنْ بَيْنَ جَمْعٍ غَيْرِ جُمَاعٍ^(١)

٨ - إِذَا افْتَقَرَ لَمْ يَجْتُمَا خَشْيَةَ الرَّدَى وَلَمْ يَخْشَ زُرْءًا مِنْهُمَا مَوَالِيَهُمَا

تريد أنَّهما إذا مسَّهما الفقر، وضاقَ بهما الأمر، لم يلزما بيوتَهما تاركين للغزو والتَّجَوال في طلب المال، خَوْفًا مِنَ الْهَلَاكِ، وَمَيَلًا إِلَى الرَّاحَةِ عَنِ التَّسْيَارِ لِكُنْهُمَا يَسْعِيَانِ لِلَاكْتِسَابِ، وَيَتَحَمَّلَانِ مِنَ الْمَشَاقِّ مَا يَنَالَانِ بِهِ مُتَاهِمًا، أَوْ يَقِيمَانِ بِهِ الْعُذْرَ عِنْدَ مَنْ زَاغَى أَحْوَالُهُمَا. وقولها: «وَلَمْ يَخْشَ زُرْءًا مِنْهُمَا مَوَالِيَهُمَا»، تريد: أنَّهما لا يستحلمان مَوَالِيَهُمَا عَيْنًا مِنْ فَقْرِهِمَا، وَلَمْ يَضَعَا أَنْفُسَهُمَا فِي مَوْضِعِ الْارْتِزَاءِ مِنْهُمَا، وَجَبَرَ الْحَالِ بِمَا لُهُمَا وَيَسَارِهِمَا. وهذا كقول الآخر: [المقارب]

أَبُو مَالِكٍ قَاصِرٌ فَقْرَهُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَشِيعٌ غِنَاهُ^(٢)

وقولها: «لَمْ يَجْتُمَا مِنْ جَثْمِ الطَّائِرِ، وَهُمْ يُسَبُّونَ مَنْ رَضِيَ بِفَقْرِهِ وَصَارَ لَبِيَّتَهُ كِبَعُضُ أَحْلَاسِهِ: الضَّاجِعِ وَالضُّجْعِيِّ؛ لِأَنَّ الضُّجْعَةَ خَفَضُ الْعَيْشِ. وَإِلَى هَذَا الْمَعْنَى يَشِيرُ الْقَائِلُ فِي ذِمَّةِ قَوْمًا: [الوافر]

أُولَئِكَ مَغْشَرُ كِبَنَاتِ نَعْشٍ ضَوَاجِعُ لَا تَسِيرُ مَعَ النُّجُومِ^(٣)

يُزَوَّى: «رَوَاكِدَ». وَانْتَضَبَ خَشْيَةُ الرَّدَى عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ لَهُ. وقولها: «مَوَالِيَهُمَا» ليس يراد به الثَّنية، بل المراد به الكثرة. وعلى ذلك قولهم: لَبِيَّتُكَ وَسَعْدَيْكَ.

٨ - لَقَدْ سَاءَ نَبِي أَنْ عَشَسَتْ زَوْجَتَاهُمَا وَأَنْ عُرِّيَتْ بَعْدَ الْوَجَى قَرَسَاهُمَا

٩ - وَلَنْ يَلْبَثَ الْعَرْشَانِ يُسْتَلُّ مِنْهُمَا خِيَارُ الْأَوَاسِي أَنْ يَمِيلَ عَمَاهُمَا

(١) هذا عجز بيت لأبي قيس بن الأسلت السلمي في ديوانه ٨٠، واللسان (جمع، وعمم)، ومجمل اللغة ١: ٤٥٩، وأساس البلاغة (جمع).

(٢) للمتنخل الهذلي في ديوان الهذليين ٢: ٣٠.

(٣) بلا نسبة في اللسان (ضجع)، وتاج العروس (ضجع)، وأساس البلاغة (ضجع)، والأزمنة والأمكنة للمرزوقي ٣٧٢:

أولئك قبائل كبنات نعش ضواجع لا يغرن مع النجوم

يقال: عَنَسَتِ المرأةُ وعُتِسَتْ بالتشديد، إذا قعدت بعد بلوغ النكاح أعوامًا لا تُنكح، ويستعمل في الرَّجُل أيضًا. قال: [الطويل]

حَتَّى أَنتَ أَشْمَطُ عَانِسُ^(١)

كأنهما كانا تزوجًا بامرأتين ولم يحولاهما، ولَمَّا اتَّفَقَ عليهما ما اتَّفَقَ بَقِيَّتَا على حالهما زُهِدًا في النكاح بَعْدَهُمَا، وَعِلْمًا بِالْأَعْتِيَاضِ مِنْهُمَا، فتقول: زاد ذلك في مَسَاءَتِي، وزاد فيها أيضًا تَغْرِيبَةً من الأسراج والإلجام، بعد أن كانا يُسْتَعْمَلَانِ على ما يَغْتَرِضُ لهما من الحَقَى في غَزْوِ الأعداء وغيره، وإِنَّمَا سَاءَهَا ما حَصَلَ مِنَ الأَمْتَةِ في الجوانب التي كانا يقصدان ويوقعان بها بعد الرِّقْبَةِ الشَّدِيدَةِ، وما عَلِمَ أَنَّهُمْ وَجَدُوهُ وَلَزِمُوهُ مِنَ الشُّمَاتَةِ وإظهار الفَرْحِ والمِسْرَةِ.

وقولها: «لَنْ يَلْبَثَ الْعَرْشَانِ» جعلت لكل واحدٍ عَرْشًا به كان يثبت ويقوم، فيقول: العَرْشُ إنما بقاءه بَعْمُدِهِ، فإذا انْتَزَعَ خيارُها منه فَلَنْ يَلْبَثَ أَنْ يَمِيلَ سَقْفُهُ فَيَسْقُطَ. وهذا مَثَلٌ ضَرْبَتُهُ لِعَزْ ذَوِيهِمَا، وإِذْ قَدْ مَضَى فَيُوشِكُ أَنْ يَتَثَلَّمَ وَيَنْخَفِضَ. والأواسي: جمع آسِيَّةَ، وهي الأساطين. والغِماءُ، بكسر الغين والمَدُّ: سَقْفُ البيت. والعَمَّا بالفتح والقصر لغة.

٣٨٧ - وقال آخر:

- ١ - صَلَّى إِلَهُهُ عَلَى صَفِيِّي مُدْرِكِ يَوْمِ الْحِسَابِ وَمَجْمَعِ الْأَشْهَادِ
٢ - نِعْمَ الْفَتَى زَعَمَ الرَّفِيقُ وَجَارُهُ إِذَا تَصَبَّبَ أَخِرُ الْأَزْوَادِ

يُزَوَّى: «وَمَجْمَعِ الْأَشْهَادِ» تجرُّه وتعطفه على الحساب، ويكون مَجْمَعٌ في معنى جَمْعٍ. وَيُزَوَّى: «وَمَجْمَعٌ» بالنصب، ويكون ظَرْفَ مَكَانٍ ومعطوفًا على يَوْمِ الْحِسَابِ. وَالصَّلَاةُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى: الرَّحْمَةُ. والمراد: رَحِمَ اللَّهُ مُدْرِكًا صَفِيِّي فِي الْوَدِّ، رَحْمَةً تَأْتِي مِنْ وَرَاءِ ذُنُوبِهِ، وَتُعْفِي عَلَى سَوَابِقِ قَرَّاطِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِذَا حَضَرَ الشُّهُودُ وَوُضِعَ الْحِسَابُ عَلَى تَحَاكُمِ الْخُصُومِ، وَقَامَ الْجَزَاءُ مِنَ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ عَلَى الْمُطِيعِينَ وَالْعَصَاةِ.

(١) لأبي ذؤيب الهذلي في شرح أشعار الهذليين ص ٢١٧، والمخصص ١٦: ١٢٢، وتماه: «فلاني على ما كنتُ تعهد بيننا وليدين حتى أنت أشمطُ عانسٍ»

وقوله: «نعم الفتى» الممدوح محذوف؛ كأنه قال: نعم الفتى مدرك. قال: وليست هذه الشهادة مِنِّي ومن جهتي، ولا من جملة مدحي، على عادة الناس في تأبين الهلاك، ولكنها مما أداه وكثره رفقاؤه في السفر، وجيرانه في الحضر؛ فهي حكاية ألسنتهم، ومؤداة قضيتهم. وقوله: «وإذا تَصَنَّبَ آخِرُ الأزواد» معنى تصبب: قَرُبَ من التفاد. يريد: ونعم الفتى هو في ذلك الوقت، لأنه يؤثر غيره بالطعم على نفسه. وتلخيص الكلام: نعم الفتى مدرك في المرافقة والمجاورة، وعند نفاذ الزاد. والأشهاد: جمع الشهود. واكتفى زعم بالفاعل في اللفظ؛ لأن مفعوله دل الكلام عليهما:

٣ - وإذا الرُّكَّابُ تَرَوَّحَتْ ثُمَّ اغْتَدَتْ حَتَّى الْمَقِيلِ فَلَمْ تَعُجْ لِجِيَادِ
يريد: ونعم الفتى هو إذا وصلت الركاب السير بالسرى، فلم تعطف لانحراف وازورار، ولم تعرج لإصلاح شأن، لكنها استمرت وجدت لما أزعجهم وبعثهم على استدامة التشمير، وتعجيل الحركة وترك التقصير، وطى المنازل، واستقصار المراحل. ومعنى تَرَوَّحَتْ: راحت. والرَّوَّاحُ: العشي. وراحت الإبل رَوَّاحًا. والإراحة: رَدُّ الإبل عشيًّا من المَرَعَى. يقال: سَرَّخْتُهَا بِالْغَدَاةِ وَأَرَّخْتُهَا بِالْعَشِيِّ. ومعنى اغتدت حَتَّى الْمَقِيلِ: سارت غُدُوًّا إلى وقت القيلولة، أي: كان في هذه الحالة يأتي بما يستحق به المذح من أصحابه ورفقائه، لكرم صحابته، وحسن رفاقته. ومعنى «لم تعج»: لم تعطف. يقال: عاج عَوَجًا وَعِيَجًا. والجِيَادُ: الإعراض عن السير للثزول. والفعل منه حَادَ. ويقال: ما لك عن هذا مَجِيدٌ وَحِيدَانٌ وَجِيَادٌ.

٤ - حَتُّوا الرُّكَّابَ تَوَّوُّبُهَا أَنْضَاوُهَا فَرَّهَا الرُّكَّابُ مُغْنِيَانِ وَحَادٍ^(١)
٥ - لَمَّا رَأَوْهُمْ لَمْ يُحِسُّوا مُذْرِكَا وَضَعُوا أُنَامِلَهُمْ عَلَى الْأَكْبَادِ^(٢)

وصف وزاد فَنائه بعد فَنائه، وزوار قبره طلبًا لجبائه، فيقول: استعجلوا رواحلهم وحضروها على قضيه والوصول إلى بابيه، ومهازيلها التي قد أثر بُعْدُ الشُّقَّةِ فيها فأنضأها، تَوَّوبٌ إليها إذا نزلت، أي تسير النهار كله حتى يتصل سيرها بالليل،

(١) التبريزي: «تَوَّوُّبُهَا أَنْضَاوُهَا».

(٢) بعده عند التبريزي:

«فَكَأَنَّمَا طَارَتْ يَلْبَتِي بَعْدَهُ صَفْرَاءُ عَارِضُهَا رَعِيلُ جَرَادٍ»

طلبًا للتلاحقِ معها، فاستخفَّها ونَشَطَّها مغْنِيانِ بالحداءِ، وسائقٌ يحدوها، حتى وصلوا، فلَمَّا رَأَوْا أَنفُسَهُمْ قَدْ فَقَدَتْ مُدْرِكًا، يعني المراثي، أَمْسَكُوا على أكبادهم خوفًا من تصدُّعها، إذ لو أدركوه حيًّا لم يكن بينهم وبين الغنى إلَّا ما لا يُعَدُّ حاجزًا ولا مانعًا.

إن قيل: لِمَ جاز لَمَّا رأوهم، والفاعلون هم المفعولون، وأنت لا تقول: ضَرَبْتُني ولا ضَرَبْتُكَ، بل تأتي بدل ضمير المنصوب بالنفس، تقول: ضربت نفسي وضربت نفسك؟ قلت: إنَّ أفعال الشكِّ واليقين جُوزَ فيها ذلك. تقول: حَسِبْتُني ورأيتَكَ وعلمْتُني، لمخالفتها سائر الأفعال في دخولها على المبتدأ والخبر.

وقوله: «تَوُوبُهَا أَنْفُسَاؤُهَا» في موضع الحال من الرُّكَّاب.

٣٨٨ - وقال الشَّماخ^(١) في عمر بن الخطَّابِ

رضي الله عنه^(٢): [الطويل]

- ١ - جَزَى اللهُ خَيْرًا مِنْ أَمِيرٍ وَبَارَكْتَ بِدُ اللهِ فِي ذَاكَ الْأَدِيمِ الْمَمْرُوقِ
٢ - فَمَنْ يَسْعَ أَوْ يَرْكَبَ جَنَاحِي نَعَامَةٍ لِيُذْرِكَ مَا قَدَّمْتَ بِالْأَمْسِ يُسْبِقُ

يقول: جَزَاهُ اللهُ عن الرُّعيَّةِ خيرًا من بين الأمراء، وباركت نعمتهُ اللهُ - تعالى جدُّه وإحسانه - في أديمِ الممرُوق، يعني: جلدَ عُمَرَ رضي الله عنه، حينَ طعنه أبو لؤلؤة فَنَيَّ المُغِيرَةُ بَنُ شُعْبَةَ. وأصل البركة الثَّماء والثَّبات. ومنه: بَرَكَ البعيرُ بُرُوكًا، وبَرَكَاءُ القتال: حيثَ يَنْتَرِكُونَ، أي يَجْتُنُونَ على رُكَبِهِمْ.

وقوله: «فَمَنْ يَسْعَ» يريد أنْ شَاوَهُ في الإيالة واستِصلاح الرُّعيَّةِ وتفقد مصالِحِهِمْ لا يُذْرِكَ، فمن أرادَ بلوغه والارتقاء إلى غايتهِ بَقِيَّ حَسِيرًا مسبوقًا ولو ركبَ جَنَاحَ النعامة، يريد: لو أسرع إسرائعها. وقوله: «بِالْأَمْسِ» ذَكَرَهُ على طريق تقريبِ الأمد. وقوله: «يُسْبِقُ» هو جوابُ الجزاء.

(١) الشَّماخ: معقل بن ضرار بن سنان المازني الذبياني الغطفاني، شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام، وهو من طبقة لبيد والنابعة، وكان أرجز الناس على البديهة (ت ٢٢٢هـ / ٦٤٣م)، ترجمته في الإصابة ٣٩١٣، والأغاني ٩٧: ٨.

(٢) التبريزي: «يرثي عمر بن الخطَّاب»: وقال أبو رياش: الذي عندي أنه لمزرد أخيه، وقال أبو محمد الأعرابي: هو لجزء بن ضرار أخيه.

٣ - قَضَيْتَ أُمُورًا ثُمَّ غَادَرْتَ بَعْدَهَا بِوَأَنَجٍ فِي أَكْمَامِهَا لَمْ تُفَتِّقِ^(١)

يقول: أَحَكَمْتَ أُمُورًا بِصَائِبِ نَظَرِكَ، وَجَمِيلِ رَأْيِكَ، وَحَسَنِ تَأْلُهِكَ ثُمَّ أَعْجَلْتَ فَتَرَكْتَ بَعْدَهَا دَوَاهِيَّ وَخُطُوبًا عَظِيمَةً، هِيَ فِي أَغْطِيَتِهَا لَمْ تَظْهَرْ وَلَمْ يُكْشَفْ عَنْهَا. وَالْفَتَّقُ: ضِدُّ الرَّتْقِ، وَكُلُّ مُتَّصِلٍ مُسْتَوٍ رَتَّقٌ، فَإِذَا انْفَصَلَ وَانْكَشَفَ فَهُوَ فَتَّقٌ. وَالبَوَائِجُ: الدَّوَاهِي الْعَامَّةُ. وَيُقَالُ: بَاجَهُمُ الشَّرُّ، أَي: عَمَّهُمْ. قَالَ الشَّاعِرُ:

فَبُجِنَتْهُ وَأَهْلُهُ بِشَرِّ

وَالْأَكْمَامُ: الْأَغْطِيَةُ، مِنْهُ كُمُ الثَّمَرَةِ. وَيُقَالُ: لِكُلِّ شَجَرَةٍ مُثْمِرَةٍ كُمٌ وَهُوَ بُزْعُومَتُهَا.

٤ - أَبْعَدَ قَتِيلٍ بِالْمَدِينَةِ أَظْلَمَتْ لَهُ الْأَرْضُ تَهْتَزُّ الْعِضَاءُ بِأَسْوَاقِ

قوله: «أَبْعَدَ قَتِيلٍ» لَفْظَةٌ اسْتِفْهَامٌ، وَمَعْنَاهُ التَّفْطِيعُ وَالْإِنْكَارُ. وَحَرْفُ الِاسْتِفْهَامِ يَطْلُبُ الْفِعْلَ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: أَتَهْتَزُّ الْعِضَاءُ عَلَى أَسْوَاقِهَا بَعْدَ قَتِيلٍ بِالْمَدِينَةِ أَظْلَمَتْ لَهُ الْأَرْضُ، هَذَا عَجَبٌ.

وقوله: «أَظْلَمَتْ لَهُ الْأَرْضُ» مِنْ صِفَةِ قَتِيلٍ. وَالْمَعْنَى: أَنَّ حَصُولَ هَذَا الْأَمْرِ وَجَرِيَانَهُ عَلَى مَا كَانَ مُنْكَرٌ فَظِيعٌ، بَعْدَ مَا اتَّفَقَ عَلَى قَتِيلٍ هَذَا صِفَتُهُ. وَالْعِضَاءُ: شَجَرٌ، وَاحِدَتُهَا عِصَّةٌ. قَالَ: [الطويل]

وَمِنْ عِصَّةٍ مَا يَنْبُتُنْ شَكِيرُهَا^(٢)

وَقَدْ مَضَى الْقَوْلُ فِي مِثْلِ هَذَا الْبَيْتِ، وَيَشْبِهُهُ قَوْلُ الْآخَرِ: [الطويل]

أَيَا شَجَرِ الْخَابُورِ مَا لَكَ مُورِقًا كَأَنَّكَ لَمْ تَخْزَنْ عَلَى ابْنِ طَرِيفٍ^(٣)

٥ - تَظَلُّ الْحَصَانُ الْبِكْرُ يُلْقِي جَنِينَهَا نَسًا خَبَرَ فَوْقَ الْمَطِيِّ مُعَلَّقِ

٦ - وَمَا كُنْتُ أَخْشَى أَنْ تَكُونَ وَفَاتُهُ بِكُفِّي سَبَنْتِي أَزْرَقِ الْعَيْنِ مُطْرِقِ

(١) التبريزي: «بوائج: دواهي، واحدها بائجة، في أكمامها: أي غلفها.

(٢) بلا نسبة في خزانة الأدب ٢٢: ٤، واللسان (شكر، عضة)، وشرح الأشموني ٤٩٧: ٢،

وصدره:

«إذا مات منهم ميت سرق ابنته»

(٣) لليلي بنت طريف في الأغاني ١٢: ٨٥، والحامسة الشجرية ١: ٣٢٨، والدرر ٢: ١٦٣، ولليلي

أو لمحمد بن بجرة في سمط اللاكي ٩١٣.

الْحَصَان: العفيفة وقد أَحْصَنَتْ وَحْصُنَتْ. والبكر: التي حَمَلَتْ أَوَّلَ حَمْلِهَا، فهي بِكَرٍّ والولد بِكَرٍّ والأب بِكَرٍّ. والثَّاءُ، يستعمل في الخير والشر. يقال: نَثَوْتُ الكلامَ أَثْوَهُ نَثْوًا، إذا أَظْهَرْتَهُ، فيقول: ترى الحامِلَ يُسْقِطُ حَمْلَهَا ما يُنْثَى من خَبَرٍ سار به الرُّكبان، وتقاذفته الأقطار، استفظاعًا لوقوعه، واستشعارًا لكلِّ بَلَاءٍ وخوفٍ منه.

وقوله: «وما كنتُ أخشى»، يقول: لائي وإن لم آمنَ الحَدَثَانِ عليه، وصرْتُ أَرْقُبُ جميعَ أسبابِ الرَّذَى فيه حتَّى ظننْتُ ظُنُونُ الْمُشْفِقَاتِ، مستدْفِعًا لِلآفَاتِ عنه، فَإِنَّهُ لم يَخْطُرْ بِيَالِي أَنْ يكونَ في جلالته وارتفاعِ مَحَلِّهِ يُزْديه عَبْدٌ جَسُورٌ لثِيمٌ جَرِيءٌ، أَزْرَقَ العينَ، مسترخي الأُجْفَانِ، وإنما حَلَّى قَاتِلَهُ بهذه الحِلْيَةِ تنبيهًا على حِقَارَتِهِ في نَفْسِهِ وجنسهِ؛ وَدَمًا لِأَصْلِهِ وفرعِهِ، وإعلامًا بأنَّ الصَّغِيرَ من الرِّجَالِ يَخْجِي الكبيرَ من الأمورِ، وَأَنْ ما لا يَقَعُ في الوهمِ استبعادًا لكونه، يشاهده الإنسانُ أَقْرَبَ من كُلِّ قَرِيبٍ، ثم لا يملكُ إِلَّا استغرابَهُ وقضاءَ العَجَبِ منه والتَّزَامَ الجَزَعِ فيه. والسَّبْنَتَى والسَّبْنَدَى، أصله في الثَّمَرِ، ويُستعملُ في الجَرِيِّ المُقَدِّمِ. وقال الدُّرَيْدِيُّ: المُطَرِّقُ: الغليظُ الجَفْنُ الثَّقِيلَةُ.

٣٨٩ - وقال صَخْرُ بْنُ عَمْرِو^(١) أَخُو الْخَنَسَاءِ: [الطويل]

- ١ - وقالوا أَلَا تَهْجُو فَوَارِسَ هاشِمٍ وَمَا لِي وإهداءُ الْخَنَاءِ ثُمَّ مَا لِيَا
٢ - أَبِي الْهَجَرَ أَنِّي قَدْ أَصَابُوا كَرِيمَتِي وَأَنْ لَيْسَ إهداءُ الْخَنَاءِ مِنْ شَمَائِلِيَا^(٢)

يريد: قال النَّاسُ باعِثِينَ لي على هِجَاءِ مَنْ أَصَابَنِي في أَخِي معاويةَ وَنَحَبِ أَثْلَتِهِمْ، وذكرَ أَعْرَاضِهِمْ: أَلَا تَنْتَقِمُ مِنْهُمْ بِالْقَوْلِ إلى أَنْ يَتَسَهَّلَ الْفِعْلُ فَتَذَكَّرَ مَعَايِبَهُمْ، وتَكْشِفَ عن مُسْتَوْرٍ مَخَازِيهِمْ، ومَجْهُولٍ مَقَابِحِهِمْ ومساوِيهِمْ؟ فَأَجَبْتَهُمْ وقلت: ما لي وَذَكَرَ الْقَبِيحَ وإهداءُ الْفَوَاحِشِ ثُمَّ ما لِي؟ أَمَا تَعْلَمُونَ أَنَّ ما بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ أَفْذَعُ من

(١) صخر بن عمرو بن الحارث بن الشريد السلمي: من بني سليم بن منصور، من قيس عيلان جرح في غزوة له على بني أسد بن خزيمة ومرض قريبًا من الحول، وله في ذلك أبيات أولها: أرى أم صخر لا تملّ عيادتي وملتُ سليمي مضجعي ومكاني

وسليمي زوجته (ت نحو ١٠٠ق.هـ/ ٦١٣ م). ترجمته في جمهرة الأنساب ٢٤٩، والأغاني ١٣: ١٢٩.

(٢) التبريزي: «أبي الهجو».

الهِجَاءُ، وَأَنَّ جَزَاءَ مَنْ أَصَابَ كَرِيمَتِي أَقْطَعُ مِنَ الْإِهْجَارِ، وَأَنَّهُ لَيْسَ قَوْلُ الْقَبِيحِ وَتَنْقُصُ النَّاسِ مِنْ عَادَتِي وَطَبِيعَتِي، إِذْ كُنْتُ أَرْبَأُ بِقَدْرِي عَنِ الْوُقُوفِ مَوْقِفَ الْمُغْتَابِينَ وَالطَّاعِنِينَ فِي الْأَنْسَابِ وَالْأَعْرَاضِ. وَقَوْلُهُ: «وَمَا لِي وَإِهْدَاءُ الْخَنَاءِ» انْتَصَبَ إِهْدَاءٌ بِفَعْلٍ مُضْمَرٍ، وَتَكَرُّرُهُ لِمَا لِي دَلَالَةٌ عَلَى اسْتِقْبَاحِهِ لِمَا بُعِثَ عَلَيْهِ، وَدُعَايَ إِلَيْهِ. وَالْخَنَاءُ هُوَ الْفُخْشُ، كَأَنَّهُ قَالَ: مَا لِي أَلَا يَسُ الْخَنَاءُ وَأَتَكَلَّفُهُ. وَقَوْلُهُ: «أَصَابُوا كَرِيمَتِي»، فَالْكَرِيمَةُ أُخْرِجَ إِخْرَاجَ الْمَصَادِرِ. وَعَلَى ذَلِكَ مَا رُوِيَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ: «إِذَا أَتَاكُمْ كَرِيمَةٌ قَوْمٍ فَأَكْرَمُوهُ».

ويجوز أن تكون الهاء للمبالغة. وقوله: «وَأَنَّ لَيْسَ إِهْدَاءُ الْخَنَاءِ» أن مخففة من الثقيلة، واسمها مضمر، والجملة التي بعده في موضع الخبر، وموضع أن رَفَعَ بكونه معطوفاً على أَنِّي قَدْ أَصَابُوا، وَأَنِّي فاعِلُ أَبِي الْهَجَرَ.

- ٣ - إِذَا مَا امْرُؤٌ أَهْدَى لَمَيِّتٍ تَحِيَّةً فَحَيَّاكَ رَبُّ النَّاسِ عَنِّي مُعَاوِيَا
٤ - لَنِعْمَ الْفَتَى أَدَّى ابْنُ صِرْمَةَ بَرُّهُ إِذَا رَاحَ فَخَلَّ الشُّؤْلُ أَخَذَبَ عَارِيَا^(١)

يقول: إِذَا رَجُلٌ حَيًّا مَيِّتًا فَتَوَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَنِّي تَحِيَّتَكَ يَا مُعَاوِيَةَ. وَالتَّحِيَّةُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى: الْإِكْرَامُ وَالْإِحْسَانُ، وَالتَّفَضُّلُ عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ.

وقوله: «لَنِعْمَ الْفَتَى» المحمود بهذا الكلام محذوف؛ كأنه قال: لنعم الفتى الذي ذا صفته. وقوله: «أَدَّى ابْنُ صِرْمَةَ بَرُّهُ» أَرَادَ سَلَاخَهُ وَسَلْبَهُ. وقوله: «إِذَا رَاحَ» ظَرَفٌ لِمَا دَلَّ عَلَيْهِ نِعَمُ الْفَتَى، أَي: يُخَمِّدُ فِي هَذَا الْوَقْتُ إِذَا اشْتَدَّ الزَّمَانُ وَأَجْدَبَتْ الْأَرْضُ، وَانصَرَفَ فَخَلَّ الشُّؤْلُ مِنْ مَرْعَاهُ عَارِيَا مِنَ اللَّحْمِ مَهْزُولًا، لَكثْرَةِ أَفْضَالِهِ، وَحُسْنِ تَفْقِيدِهِ وَاتِّصَالِ بَرِّهِ بِمَنْ يَجْمَعُهُ إِلَيْهِ نَسَبٌ أَوْ سَبَبٌ. وَالشُّؤْلُ: الثُّوقُ الْقَلِيلَةُ الْأَلْبَانِ، وَاحِدَتُهَا شَائِلَةٌ. وَابْنُ صِرْمَةَ الْمَذْكُورُ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْقَاتِلَ لِمُعَاوِيَةَ أَوْ الْمَعِينَ عَلَيْهِ.

- ٥ - وَطَيْبَ نَفْسِي أَنِّي لَمْ أَقُلْ لَهُ كَذَبْتُ وَلَمْ أَبْخَلْ عَلَيْهِ بِمَا لِيَا
٦ - وَذِي إِخْوَةٍ قَطَعْتُ أَقْرَانَ بَيْنِهِمْ كَمَا تَرَكُونِي وَاجِدًا لَا أَخَا لِيَا

(١) بعده عند التبريزي:

«إِذَا ذُكِرَ الْإِخْوَانُ رَفَرْتُ عِبْرَةً وَحَيَّيْتُ زَنْسًا عِنْدَ لِيَّةِ نَاوِيَا»

تَسْلَى فيما أوجَعَهُ مِنَ الرُّزْءِ بَأَن لَّمْ يَكُنْ جَفَاءً وَهُوَ حَيٌّ قَوْلًا وَلَا فِعْلًا، ثُمَّ تَسْلَى أَيْضًا بِأَنَّهُ كَمَا فُرِّقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ إِخْوَتِهِ وَتُرِكَ فَرِيدًا وَحِيدًا، قَدْ تَوَلَّى مِثْلَ ذَلِكَ مِنْ مُعَادِيهِ، فَرُبَّ إِخْوَةٍ مُتَنَاصِرِينَ صَارَتْ كَلِمَتُهُمْ وَاحِدَةً، وَأَهْوَاؤُهُمْ مُتَّفِقَةٌ، وَهُمْ فِي تَأْلُفِهِمْ وَتَشَابُهُمْ، وَتِلَاوَمِهِمْ وَتَرَافُدِهِمْ، كَالْحَلْقَةِ الْمُفْرَغَةِ لَا يُدْرَى أَيْنَ رَأْسُهَا، أَنَا قَطَعْتُ عِلَاقَ بَيْنِهِمْ، وَوَصَلَ نِظَامَهُمْ، فَتَفَرَّقُوا وَتَفَاقَدُوا حَتَّى صَارُوا فِي التَّشْتُّ مِثْلًا، كَمَا كَانُوا فِي التَّجْمُعِ مِثْلًا. وَهَذَا بِلِزَاءِ مَا فَعَلَ بِي، وَفِي مُقَابَلَةِ مَا نِيلَ مِنِّي. وَالذَّهْرُ تَارَتْ، وَ«مَنْ يَرِ يَوْمًا يَرِ بِهِ»، وَقَدْ مَرَّ الْقَوْلُ فِي قَوْلِهِ: «لَا أَخَا لِيَا». وَانْتَصَبَ «وَاحِدًا» عَلَى الْحَالِ مِنْ تَرْكُونِي، وَلَا أَخَا لِيَا صِفَةً لَهُ؛ كَأَنَّهُ قَالَ: تَرْكُونِي وَحِيدًا فَرِيدًا. وَقَوْلُهُ: «أَقْرَانُ بَيْنَهُمْ» أَيُّ: وَصَلَ بَيْنَهُمْ. وَأَصْلُ الْأَقْرَانِ الْحَبَالُ، وَالوَاحِدُ قَرْنٌ. يَرِيدُ: إِنِّي قَطَعْتُ الْأَسْبَابَ الْجَامِعَةَ بَيْنَهُمْ بِقَتْلِهِمْ وَتَفْرِيقِهِمْ. وَ«بَيْنَ» جَعَلَهُ اسْمًا. وَفِي الْقُرْآنِ: ﴿لَقَدْ قَطَعَ بَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: الآية ٩٤].

٣٩٠ - وَقَالَتْ أَخْتُ الْمُقَصِّصِ^(١): [الكامل]

- ١ - يَا طُولَ يَوْمِي بِالْقَلِيبِ فَلَمْ تَكْذُ شَمْسُ الظَّهِيرَةِ تُثَقِّي بِحِجَابِ
- ٢ - وَمُرْجِمِ عَنكَ الظُّنُونِ رَأَيْتَهُ وَرَأَاكَ قَبْلَ تَأْمُلِ الْمُرْتَابِ

قَوْلُهُ: «يَا طُولَ يَوْمِي» لَفْظَةٌ نِدَاءٍ، وَمَعْنَاهُ تَعَجُّبٌ وَاشْتِكَاءٌ، وَإِنَّمَا اسْتَطَالَهُ لِأَنَّهُ كَانَ يَوْمٌ نَحْسٍ وَمَكْرُوهٍ، فَيَقُولُ: يَوْمِي بِالْقَلِيبِ امْتَدَّ وَطَالَ حَتَّى كَادَتْ الشَّمْسُ لَا

(١) التبريزي: «الباهلية». قال أبو رياش: كان من خبر هذه الآيات أن المقصص أخا بني الصموت من عبد الله بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة خرج في أيام فتنة ابن الزبير يصدق من مرَّ به من الناس، حتى أتى بنو قنفذ من بني سليم بناحية هضبة القلب، فصذقهم، ثم بعث إلى هلال أخي بني سيمال بن عوف أن ابعث إليَّ بابتكتك، فقال هلال: إن كان تزويجًا فليأتنا فإنه كفؤ، قال: إنما أردت أن تمسَّط رؤوسنا وتحدث معنا. فضرب هلال الرسول، فركب المقصص في فرسان ثلاثة حتى هجم على الحي، فثاروا إليه، وكان في الذين ثاروا إليه مع هلال قتيان من بني قنفذ يقال لأحدهما المستوضح وللآخر الحسن بن الأسود، فناوشوه قليلاً، ثم إن المقصص حمل على هلال، فخاف هلال أن يطعنه وليس معه سلاح فوجد أنفيةً مُرْتَزَةً فِي الرَّمَادِ فَاقْتَلَعَهَا وَرَمَاهَا بِهَا فَرَكِبَ رَدْعَهُ وَمَاتَ، وَانْهَزَمَ أَصْحَابُهُ، وَمَرُوا عَلَى جَعْدَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَخِي بَنِي غِيظِ بْنِ مَالِكٍ فَاقْتَلَوْهُ، فَرَكِبَ أَوْلِيَاءُ الْمُقَصِّصِ حِينَ هَدَّاتِ الْفِتْنَةِ إِلَى الْحِجَاجِ، فَذَكَّرُوا أَمْرَ صَاحِبِهِمْ وَأَمْرَ الْغِيظِيِّ، فَأَمْدَرَهُمُ الْمُقَصِّصُ وَأَقَادَهُمُ بِالْغِيظِيِّ، فَقَالَتْ أَخْتُ الْمُقَصِّصِ هَذِهِ الْآيَاتُ، وَاسْمُهَا مِيسُونُ.

تحتجب عن الأبصار بحجابها المعلوم؛ فإيا له من يوم ما أطولَه. والقلب: موضع. وأضاف الشمس إلى الظهيرة كأنه لما قام قائم الظهيرة وقفت حيرى فلم تكن تَجْنَحُ إلى المغيب، ولا كانت تسير فتَهْوِي للغروب.

وقوله: «ومرجم عنك الظنون» وصفه بأن الآفاق على بعدها كانت قريبة عليه لِمَا أُيِّدَ به من العزم وتسهل له وفي نفسه من وعورة السير، فيقول: رب مكاشح لك كان على تنائيه عنك، وتحزومه معك، واستظهاره بإبعاد الدار منك، يرجم الظن فيك، ويؤسوس إليه ما يغرفه من إبعادك في العز، وقلة احتفالك فيما تركبه بلواحق التعب، وعوارض الخطر - أنك تقصده وتوقع به آمن ما كان منك، وهو في وسواسه لم يحدث نفسه بتأمل ما وقع في خلدِه، ولا بالكشف عما ارتاب له، إذ أنت أتيت من حيث لا يحتسبه، واستبخت حريمه، واستغنمت ماله. وقوله: «قبل تأمل المرتاب» يجوز أن يريد به قبل تأمله، فيكون المرتاب هو المرجم المكاشح. ويجوز أن يكون جعله مثلاً.

وقد ألم بهذا المعنى أبو تمام في قوله: [الكامل]

أَسْرَتْ لَكَ الْآفَاقُ عَزْمَةً هِمَّةً جُبِلَتْ عَلَى أَنَّ الْمَسِيرَ مُقَامٌ

٣ - فَأَنْتَ أَذْمًا كَالْهَضَابِ وَجَامِلًا قَدْ عُدْنَ بِمِثْلِ عَلَائِفِ الْمِقْصَابِ^(١)

٤ - لَكُمْ الْمَقْصَصُ لَا لَنَا إِنْ أَنْتُمْ لَمْ تَأْتِكُمْ خَيْلٌ ذُوو أَحْسَابِ^(٢)

يقول: عَزَوْتُهُ فجعلت ماله فَيْئًا وغنيمة: نَوْقًا كَالْجِبَالِ سَمَانًا، وَذَكَورَةً عِظَامًا ضِخَامًا، عُدْنَ كَأَلَّتِي يَسْمُنُهَا الْجَزَارُ لِلنَّحْرِ.

وقوله: «لَكُمْ المقصص لا لنا»، يقول: إِنْ لَمْ تَأْتِكُمْ خَيْلٌ إِذَا طَلَبُوا الثَّارَ طَلَبُوهُ عَنْ امْتِعَاضٍ وَشِدَّةِ أَنْفَةٍ، وَجِدَّ فِي الْأَمْرِ وَاجْتِهَادٍ، فَعَلَّ الْحَسِبُ الْكَرِيمُ الَّذِي لَا يَغْمُضُ عَلَى قَدَى، وَلَا يَصْبِرُ فِيمَا يَحِقُّ لَهُ عَلَى أَدَى، فَأَنْتُمْ أَوْلِيَاءُ دِمِوٍ مِنْ دُونِنَا، وَالْمَالُ كَوْنُ لَهُ سَوَانًا. وَقَدْ تَرَكْنَاهُ لَكُمْ، وَفَزَرْتُمْ بِمَا أَصَبْتُمُوهُ، وَاسْتَمَرَّاتُمْ مَا طَعِمْتُمُوهُ.

(١) التبريزي: «المقصاب». وقال: «المقصاب: المزرعة التي تُنْبِتُ الْقَضْبَ، وَهُوَ الْقَتْ، فَأَرَادَتْ أَنْهُمْ مِنَ الْخَصْبِ فِي رَوْضَةٍ مُسْتَكَّةٍ كَأَسْتَكَاكَ نَبَاتِ الْقَضْبِ، وَقِيلَ: الْمَقْصَابُ: شِبْهُ مِنْجَلٍ، تَرِيدُ كَانَهَا عِلَافٌ سَمُنَتْ لِلنَّحْرِ، وَالْمَقْصَابُ أَيْضًا: الرَّجُلُ الْكَثِيرُ الْقَطْعِ».

(٢) التبريزي: «لَمْ يَأْتِكُمْ قَوْمٌ».

وقوله: «أَقَات» من الْفَيء: الغنيمَة، لا من الْفَيء الرُّجُوع. والجمال مَوْحَدُ اللَّفْظِ مَصْوَغٌ لِلْجَمْع، ويراد به الإبل، لكُتْهُ مشتَقٌّ من لفظ الجمل، كالباقِر من البَقَر. والعلائف: جمع العُلُوفَة، وهو ما يَسْمَنُ في البيوت. ويقال: شاةٌ مُعْلَفَةٌ، أي مَسْمَنَةٌ. والمِقْصَابُ، بناءٌ بناءً ما يكون آلة، فهو كالمفتاح، لا بناءً ما يكون للجزقة والمزاولة. والواجب أن يكون «القَصَاب»، وهو من الْقَضْب: القَطْع والْفَضْل، لأنَّه يَقْضَبُ الشاةَ أي يَقْطَعُهَا.

٥ - وَأَبُو الْيَتَامَى يَنْبُتُونَ بِبَابِهِ نَبَتَ الْفِرَاحِ بِمُكِلِّي مِغْشَابٍ^(١)

٦ - فَكَيْهَ إِلَى جَنْبِ الْخَوَانِ إِذَا عَدَتْ نَكْبَاءُ تَفْلَعُ ثَابِتَ الْأَطْنَابِ

قوله: «أَبُو الْيَتَامَى»، أي: كان يكفلهم ويَعُولهم، وَيُشْفِقُ عليهم ويتحدَّب، حتَّى كأنَّه أبوهم. وارتفع «أبو» كأنَّه خبر ابتداءٍ محذوف، كأنَّها قالت: وهو لليتامى أب. ومعنى: «ينبتون ببابه» يَروى «فناء»، وانتصابه على أَنَّهُ أخرجَه إلى باب الظُّروف، كما فُعِلَ ذلك بِمَقْعَدِ الْقَابِلَة، وَمَنَاطِ الثَّرِيَا وما أشبههما. والمعنى: أَنَّهُم يَتَرَبَّونَ في فَنائه وَيَتَنَعَّمُونَ، تَرَبَّى فِرَاحُ الطَّيْرِ بِمَكَانٍ كَثِيرِ الْعُشْبِ وَالْكَلا. ويقال: أَكَلَا المَوْضِعُ، إِذَا صار ذا كَلٍّ وَعُشْبٍ. والمِغْشَاب: الكثير العُشْبِ.

وقوله: «فَكَيْهَ إِلَى جَنْبِ الْخَوَانِ»، فَالْفَكَيْه: الكثير المِزَاح واللُّغَب، تَأْنِيَسًا لِلضَّيْفِ وَبَسْطًا مِنْهُ؛ كما قال الآخر: [الطويل]

أَحَدْتُه إِنَّ الْحَدِيثَ مِنَ الْقِرَى^(٢)

وقوله: «إِذَا عَدَتْ» ظَرَفٌ لِلْفَكَيْه، يريد: يفاكه الضَّيْفُ عند الأكل بِمُلَحِّ الكلام، كي يَسْتَأْنَسَ وَيُتَّسِعَ الوَقْتُ له فيستوفي. وإلى من قوله: «إلى جنب الْخَوَانِ» تَعْلُقُ بِفَعْلٍ مُضْمَرٍ ذَلَّ عَلَيْهِ فَكَيْهَ، كأنَّه مع قُرْبِ الْخَوَانِ يَفْكُهُ. و«إِذَا عَدَتْ» نَكْبَاءٌ يريد وقت البَرْدِ وهبوبِ الرِّيحِ الباردة المزعزعة للبيوت، القالعة لأوتادها وحبالها. وأطناب البيوت: حبالها. ومنه إطنابةُ الْحَزَمِ وَالْقِسِيِّ. والجميعُ الأطناب.

(١) التبريزي: «بكالي»، وقد روى التبريزي هذا البيت بعد تاليه.

(٢) لعروة بن الورد في ديوانه ص ١٠١، واللسان (بصص)، وبلا نسبة في المخصص ٣٧: ٢، وعجزه:

قال: [البسيط]

يَرْكُضَنَّ قَدْ قَلِقْتُ عَقْدُ الْأَطَانِيبِ^(١)

٣٩١ - وَقَالَتْ عَمْرَةُ بِنْتُ مِرْدَاسٍ تَرْثِي

[الطويل]

أَخَاهَا عَبَّاسًا:

- ١ - أَعَيْنَنِي لَمْ أَخْتِلُكُمْ بِخِيَانَةٍ أَبَى الدَّهْرُ وَالْأَيَّامُ أَنْ تَتَصَبَّرَا
 ٢ - وَمَا كُنْتُ أَخْشَى أَنْ أَكُونَ كَأَنِّي بَعِيرٌ إِذَا يُنْعَى أَخِي تَحَسَّرَا
 ٣ - تَرَى الْخَضَمَ زُورًا عَنْ أَخِي مَهَابَةً وَلَيْسَ الْجَلِيسُ عَنْ أَخِي بِأَزُورًا

تقول: يا عيني لا أقول إنكما لم تَجَزَعَا ولم تَذْرِفَا، ولم تَخْلِطَا بدمع دَمَا، فأكون قد خدعتكما بخيانة استعملتها معكما. وكيف لا تكونان كذلك والأيام والأَيَّامُ والليالي امتنعت عليكما أن تتصبرا فيها، إذ كانت حَمَلتكما من أعباء الرزية ما استنفذ وسَعَكُما، واستغرق طوقكُما، حتى نُزِفَتْ دموعُكما، وتوقفت عن الإجابة شؤونُكما، فما بقي منكما إلا شَقَا.

وقولها: «وما كنتُ أخشى» يقول: كنتُ قبل هذه الرزية واثقا بقوةي وصبري، ومُسَكَّتِي وعقلي، حتى لا أخشى - إذا أخطرتُ بيالي أحداث الدهر وتأثيرها في الأحبة والأهل - سوء احتمالٍ فيها، وضعف مُتَّةٍ عنها، إلى أن نعي أَخِي فورَدَ له على نفسي ما أبدلني بالثَمَاسِكِ تَهَالُكًا، وبالثَبُتِ تساقطًا، حتى صرتُ كَأَنِّي بعير أُلِيعَ عليه فتحسَّرَ وَرَّحَ، وَعُقِلَ في مَبْرَكِهِ بالعَجْزِ فما بَرَحَ.

وقولها: «تَرَى الْخَضَمَ زُورًا» جعلت الْخَضَمَ للجمع فلذلك قالت زُورًا. والمصدرُ إذا وُصِفَ به بُقِيَ على حاله فلم يُشَنَّ ولم يُجَمَعَ. وقد قيل: خَصْمَانِ وَخُصُوم، لَمَّا غلبت عليه الوصفية وكثر في الاستعمال أُجْرِي عليه حكمُ الصفة. والمعنى: تَرَى مُتَابِذِي أَخِي منحرفين عنه وعن كُلِّ مُتَصِلٍ به، مسالِمين له ولمن أغلَقَ حبله بحبله، إعطامًا له وَتَهْيِيًا، وإكبارًا وَتَحَوُّقًا. وترى جُلَسَاءَهُ وَنُدَمَاءَهُ مبَاسِطِينَ له ومستأنسين به، لا يتداخلهم منه رُغَبٌ، ولا يقبضهم عنه تَجَبُّرٌ وكِبَرٌ. وَالْخَثْلُ:

(١) سلامة بن جندل في ملحق ديوانه ٢٣٣، واللسان (طنب)، وتاج العروس (طنب)، وللنابغة الذبياني في ديوانه ٥٠، وأساس البلاغة (طنب)، وصدرة:
 «حتى استغثنَ بأهل الملح ضاحية»

الْمَكْر. وقال الخليل: هو تَخَادُعٌ عَنْ غَفْلَةٍ. وإنما قال الدهر والأيام، لأنه أرادَ بالأيام الأحداث. وهذا كما قيل للوقعات: الأيام. وإنما صَغُرَتِ الْأَخُّ لتلطيف المحل، هذا على قولهم صُدِيقِي. والتحسُّر: الضعف عن الإعياء، ويقال: الحسْر والحُسُور أيضًا. وحَسَرَتِ النَّاقَةُ فهي حَسِيرٌ والجمع الحَسَرَى، ولك أن تروي: «أَخْيِي» وهو الأصل، و«أَخِي» فتحدَفَ ياءً استتقالًا لاجتماع الياءات، وتبنيه على الفتح لأنه أخفُّ الحركات. وانتَصَبَ «مهابة» لأنه مفعول له.

٣٩٢ - وَقَالَتْ رِيطَةُ بِنْتُ عاصِم: [الطويل]

- ١ - وَقَفْتُ لِبِكْشِنِي بِدَارِ عَشِيرَتِي عَلَى رُزْنِهِنَّ الْبَاكِياتِ الْحَوَاسِرُ
- ٢ - عَدَدُوا كَسُهْوَ الْهِنْدِ وَرَادَ حَوْمَةَ مِنْ الْمَوْتِ أَغْنَا وَرَدَهُنَّ الْمَصَادِرُ
- ٣ - قَوَارِسُ حَامُوا عَنْ حَرِيمٍ وَحَافَظُوا بِدَارِ الْمَنَائِبِ وَالْقَنَا مُتَشَاجِرُ^(١)
- ٤ - وَلَوْ أَنَّ سَلَمَى نَالَهَا مِثْلُ رُزْنِنَا لَهُدَّتْ وَلَكِنْ تَحْمِلُ الرُّزَّةَ عَامِرُ

تقول: دعاني ما أَصِبتُ به في عشيرتي إلى الوقوف بدارهم، فشجيتُ بِشَجَى النساءِ التَّوَادِبِ الحواسر، حتَّى بكيَتْ لبكائهنَّ على حادثِ الرُّزَّة، واقتفرت آثارهن في الهَلَعِ والحُزْنِ.

وقولها: «عَدَدُوا كَسُيُوفَ الْهِنْدِ» أَخَذَتْ تَصِفُ حَالَ عَشِيرَتِهَا، فقالت: ابتكروا وهم في خَلْقِهِمْ وتَجَرُّدِهِمْ، وَصَفَائِهِمْ ونَفَادِهِمْ، كَسُيُوفِ الْهِنْدِ، فَوَرَدُوا حَوْمَةَ مِنَ الْمَوْتِ أَغْنَزَهُمُ الصُّدْرُ عَنْهَا. والحومة: مُعْظَمُ الْحَرْبِ وَغَيْرِهَا. وحومة البحر: أَكْثَرُ مَوْضِعٍ مِنْهُ مَاءٌ، وكذلك حَوْمَةُ الْحَوْضِ. ويقال: حَامَ الطَّائِرُ عَلَى الْمَاءِ يَحُومُ حَوْماً، إِذَا دَارَ عَلَيْهِ فِي الطَّيْرَانِ.

وقولها: «قَوَارِسُ حَامُوا عَنْ حَرِيمٍ» وَصَفَتْهُنَّ بِأَنَّهُنَّ حَفِظُوا مَا وَجَبَ عَلَيْهِمْ حِفْظُهُ مِنْ حُرْمِهِمْ. وفي المثل: «لَا بُقْيَاً لِلْحِمِيَّةِ بَعْدَ الْحَرَامِ»، أي: عِنْدَ الْحُرْمَةِ، وَالْحُرْمَةِ: مَا لَا يَجِلُّ لَكَ انْتِهَاكُهُ، وكذلك الْمَحَارِمُ، واحْدَثَهَا مَحْرَمَةً. قال: [الرجز]

وَمَحْرَمَاتٌ هَنَكُهَا بُجْرِي^(٢)

(١) التبريزي: «عن حريمي».

(٢) للعجاج في ديوانه ١: ٤٩٤، وكتاب العين ٣: ٧٥.

ومن ذلك قيل: حَرِيم الدَّارِ. لِمَا كَانَ مِنْ حَقِّهَا.

وقولها: «وَحَافِظُوا بِدَارِ الْمَنَائَا»، أَي: ثَبَّتُوا فِي دَارِ الْحِفَافِ، وَدَافَعُوا وَصَبَرُوا، وَلَمْ يَنْتَقِلُوا عَنْهَا طَلَبًا لِلسَّلَامَةِ، وَجِزْصًا عَلَى تَيْلِ الْخِصْبِ وَالْأَمْتَةِ.

وفي هذه الطريقة قول الآخر: [الكامل]

وَتَحُلْ فِي دَارِ الْحِفَافِ بُيُوتُنَا زَمَنَا وَيُظَعْنَ غَيْرُنَا لِلْأَمْرَعِ^(١)

وقولها: «وَالْقَنَا مُتَشَاجِر» الواو منه واو الحال، وأشار بذلك إلى قيام الحرب بينهم، وانتصاب الشَّرِّ فيهم، وَأَنَّ لِلطَّعْنِ تَلَاخُفًا كَمَا أَنَّ لِلْقَنَا فِي الْاِخْتِلَافِ تَدَاخُلًا.

وقولها: «وَلَوْ أَنَّ سَلَمَى»، فَسَلَمَى: أَحَدُ جَبَلَيْنِ طَيِّينِ، وَالْمَعْنَى: لَوْ أَنَّ مَا نَزَلَ بِنَا مِنَ الرُّزْمِ مِثْلُهُ نَزَلَ بِهَذَا الْجَبَلِ لَانْهَدَّ، وَلَكِنَّ الْإِنْسَانَ صَبُورٌ شَدِيدٌ، يَتَحَمَّلُ كُلَّ مَا حُمِلَ، وَإِنْ ضَوْعِفَ عَلَى وَسْعِهِ وَثُقِّلَ. وعامر: قبيلتهم.

٣٩٣ - وَقَالَتْ عَائِكَةُ بِنْتُ زَيْدِ بْنِ نَفِيلٍ^(٢): [الطويل]

١ - أَلَيْتُ لَا تَنْفُكُ عَيْنِي خَزِينَةَ عَلِيكَ وَلَا يَنْفُكُ جَلْدِي أَغْبَرًا^(٣)

٢ - فَلِلَّهِ عَيْنَا مَنْ رَأَى مِثْلَهُ قَتَى أَكْرَ وَأَحْمَى فِي الْهَبَاجِ وَأَضْبَرَا

٣ - إِذَا أَشْرَعَتْ فِيهِ الْأَسِنَّةُ خَاصَّهَا إِلَى الْمَوْتِ حَتَّى يَثْرَكَ الْمَوْتُ أَحْمَرَا

روى بعضهم أَنَّ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ اسْتَأْذَنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي مُكَالَمَةِ عَائِكَةَ

بِنْتُ زَيْدٍ، وَهِيَ يَوْمُئِذٍ زَوْجَتُهُ، فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَا غَيْرَةَ مِنْكَ يَا أَبَا الْحَسَنِ!

فَقَالَ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَازَحًا: أَنْتِ الْفَائِلَةُ:

أَلَيْتُ لَا تَنْفُكُ عَيْنِي قَرِيرَةً عَلِيكَ وَلَا يَنْفُكُ جَلْدِي أَصْفَرَا

فَقَالَتْ: لَمْ أَقُلْ كَذَا، وَعَاوَدَتْ حُزْنَهَا وَجَزَعَهَا. وَمَعْنَى: «لَا تَنْفُكُ»: لَا تَزَالُ.

(١) للحادثة الديباني في المفضلية رقم (٨).

(٢) عائكة بنت زيد القرشية العدوية، شاعرة صحابية حسناء، من المهاجرات إلى المدينة (ت ٤٠هـ/ ٦٦٠ م)، ترجمتها في الاستيعاب والإصابة كتاب النساء تر (٦٩٥)، وخزانة البغدادي ٤: ٣٥١.

(٣) التبريزي: «خبر هذه الأبيات: قال أبو رياش: قالت عائكة هذه الأبيات ترثي بها زوجها عبد الله بن أبي بكر، وكان أصابه سهم يوم الطائف مع رسول الله، رماه أبو محجن فمات حتى مات في خلافة أبيه».

وقولها: «قَلِّلْهُ عَيْنًا» تعجُّبٌ، وهي في تعظيم الشيء ينسبونه إلى الله عز وجل، وإن كانت الأشياء كلها له تعالى وفي ملكته.

وقولها: «أَكْزَرَ» أي أَكْثَرَ كَرًّا. و«أَخْمَى» يجوز أن يكون من الحماية، ويجوز أن يكون من الْحَمِيَّة. والمعنى: لله عينا رجل رأى فتى مثله أَكْزَرَ منه وأَخْمَى. وقولها: «من» نكرة تريد رجلاً أو إنساناً. و«رأى مثله» صفة لِمَنْ. وقولها: «إِذَا أَشْرَعَتْ فِيهِ الْأَسِنَّةُ»، تريد: في الهياج. ويجوز أن تريد في المراثي، أي قَبْلَهُ. والهياج يجوز أن يكون مصدر هائج، ويجوز أن يكون جمع هَيْجٍ، والمراد به الحرب وقد هاجت، فتريد: إِذَا هُيِّجَتِ الرِّمَاحُ لَطَعْنَةً اقْتَحَمَهَا وَتَلَقَّاهَا، لا يَجِدُ عنها حَتَّى يَخُوضَ الموتَ بها، فيتركه أحمر، أي شديداً.

ويقال: مَيْتَةٌ حَمْرَاءَ، وَسِنَّةٌ حَمْرَاءَ، وَسَيُونٌ حَمْرَاوَات. ويقولون: «الْحُسْنُ أَحْمَرُ»، أي: طَلَبُ الْجَمَالِ تُتَجَسَّمُ فِيهِ الْمَشَاق.

٣٩٤ - وقالت امرأة من طيء:

- ١ - تَأَوَّبَ عَيْنِي نُضْبُهَا وَاكْتِنَابُهَا وَرَجَّيْتُ نَفْسًا رَأَتْ عَيْنَهَا إِيَابَهَا
٢ - أَصْلَلُ نَفْسِي بِالْمُرْجَمِ غَيْبُهُ وَكَادَتْبُهَا حَتَّى أَبَانَ كِدَابُهَا

أصل التأوب والتأويب: سِيرَ النَّهَارَ كُلَّهُ حَتَّى يَتَّصَلَ بِاللَّيْلِ. وقد قَسَرَ ابن الأعرابي قولَ النابغة؛ [الطويل]

وليس الذي يَتَلَوُّ الشُّجُومَ بِأَيِّ^(١)

على أنه من هذا لا من الأوبة الرجوع. والنُّضْبُ، من قولهم أَنْضَبَهُ الْمَرَضُ وَالْحُزْنَ، إِذَا أَثَّرَ فِيهِ. قال: [الطويل]

تَعَنَّكَ نُضْبٌ مِنْ أَمْنِمَةٍ مُنْصِبُ

وقال الدريدي: يقال: نَضَبَهُ أَيَضًا. والاكْتِنَابُ: الْحُزْنُ. والمعنى: أَنَّهُ نَابَ عَيْنِي، وَوَاظَبَ عَلَيْهَا مِنَ السَّهْرِ وَالْكَأَبِ وَالْهَمِّ النَّاصِبِ، مَا أَثَّرَ فِيهَا، وَعَلَّقْتُ رَجَائِي بِنَفْسٍ غَائِبَةٍ عَنِّي قَدْ اسْتَعْجَمْتُ أَخْبَارَهَا عَلَيَّ، فَأَبْطَأَ رَجُوعَهَا إِلَيَّ.

(١) هذا عجز بيت للنابغة، وصدده:

«تطاول حتى قلت ليس بمنقصر»

وقولها: «أَعْلَلْ نَفْسِي بِالْمَرْجَمِ غَيْبُهُ»، تريد: أَرْجِيْ وقتي وأرضي نفسي بظنِّ مَرْجُومٍ وأملِ مَرْجُوءٍ، وحديث مؤلَّف، وتمنُّ مَرْخَرَفٍ فيما لا حقيقةً يعتمد عليها، ولا أَمارةً يَتَأَكَّدُ الطَّمَعُ فيها. ويقال: رَجَمَ الرَّجُلُ بِالْغَيْبِ، إذا تكلَّم بما لا يعلم.

وقولها: «وَكَاذِبْتُهَا حَتَّى أَبَانَ كِذَابُهَا»، أي: استعملتُ ملفَقَ الأحاديث ومُموَّةَ الأباطيلِ معها، إلى أنْ بَرِحَ الْخَفَاءُ، وانكشَفَ عن جليَّةِ الأمرِ الْغِطَاءُ، وتعلَّى رُغْوَةً الكذب عن مصدوقَةِ الْخَبَرِ. والمكاذبة تكون من اثنين، كأنه كان يكذب نفسه فتقتريه وتزيد عليه.

٣ - فَلَهْفَى عَلَيْكَ ابْنَ الْأَشَدِّ لِبُهْمَةٍ أَفَرُّ الْكِمَاءَ طَغَتْهَا وَضْرَابُهَا^(١)

٤ - مَتَى يَذْعُهُ الدَّاعِي إِلَيْهِ فَلِنَّهٗ سَمِيعٌ إِذَا الْأَذَانُ صَمَّ جَوَابُهَا

٥ - هُوَ الْأَبْيَضُ الْوَضَّاحُ لَوْ رُمِيتَ بِهِ ضَوَّاحٌ مِنَ الرِّثَانِ رَأَتْ هِضَابُهَا

تلهَّفُ على ما فاتتْ عشيرته منه من حسن الدِّفاع، والثِّبَاتِ في وجه الشُّجاع الذي لا يُذَرَّى كيف يُذْفَعُ، وأتَى يُؤْتَى ويُقَدَّعُ، وقد طَرَدَ الشُّجْعَانُ وطَرَقَهُمْ دُغْرًا، شِدَّةُ مُطَاعَتَيْهِ، وقُوَّةُ مُضَارَبَتَيْهِ. وقال الخليل: أَفَرُّهُ: أَفْزَعُهُ. واستفْزَعُوهُ: أَخْرَجُوهُ مِنْ دَارِهِ وَخَدَعُوهُ حَتَّى أَلْقَوْهُ فِي الْجَهْلِ. وفي القرآن: ﴿وَلَنْ كَادُوا لَيَسْفِرُوكَ مِنَ الْأَرْضِ لِخُرُوجِكَ مِنْهَا﴾ [الإسراء: الآية ٧٦]. والبُهْمَةُ تقع على الواحد والجماعة، وهاهنا هي للواحد، بدلالة قولها: «مَتَى يَذْعُهُ الدَّاعِي إِلَيْهِ» فلم تقل إليهم، فأما قولها: «طَغَتْهَا وَضْرَابُهَا»، فالضَّمير جاء فيه على لفظ البُهْمَةِ.

ومعنى: «مَتَى يَذْعُهُ الدَّاعِي إِلَيْهِ»، أنه إذا دَعَا الدَّاعِي لِمُبَارَاةِ هَذِهِ الْبُهْمَةِ وَمَنَازِلَتِهِ، فَإِنَّهُ كَانَ يَسْمَعُ وَيُجِيبُ، فِي وَقْتِ تَسْتَكُّ فِيهِ الْمَسَامَعُ لَشِدَّةِ الْأَمْرِ، وَالْبَاسِ الْخَوْفِ. وَجَعَلَ الضَّمَمُ لِلْجَوَابِ مَجَازًا، وَإِنَّمَا تَصَمُّ الْأَذَانُ عَنِ السَّمْعِ فَيَنْقَطِعُ الْجَوَابُ.

وقولها: «هُوَ الْأَبْيَضُ الْوَضَّاحُ» تريد خُلُوصَ التَّسَبُّبِ وَزَكَاءَ الْمُنْصِيبِ، وَاشْتِهَارَ الذِّكْرِ فِي الْأَفَقِ.

وقولها: «لَوْ رُمِيتَ بِهِ ضَوَّاحٌ»، تريد: نَفَّاذُهُ وَحُسْنَ خُرُوجِهِ مِمَّا يَدْخُلُ فِيهِ وَشِدَّةُ صَدَمَتِهِ لِلْأُمُورِ، وَلَجَاجَةِ فِي إِبْرَامِهَا، فيقول: لَوْ رُمِيتَ بِوَارِثِ هَذَا الْجَبَلِ بِهِ لَزَغَرَعَهَا، وَهَذَا جَوَابُهَا.

(١) التبريزي: «ألهنني عليك» و«أفر الكمأة»، وفسره: «وأفر الكمأة: طردهم».

٣٩٥ - وقالت العوراء ابنة سُبَيْع: [مرقل الكامل]

- ١ - أَبْكِي لَمَبْدِ اللَّهِ إِذْ حُشْتُ قُبَيْلَ الصَّبْحِ نَارَهُ
 - ٢ - طَيَّانَ طَاوِي الكَشْحِ لَا يُزْخَى لِمُظْلِمَةٍ إِزَارَهُ
 - ٣ - يَغْصِي البَخِيلَ إِذَا أَرَا ذَ الْمَجْدِ مَخْلُوعًا عِذَارَهُ
- تريد: أنها إذا تذكّرت حال المراثي فيما كان تجري أمره عليه، ويأخذ نفسه به، عاودها البكاء والنحيب. ومعنى: «حُشْتُ نَارَهُ» ضُمُّ ما تفرّق من الخطب إليها وأوقدت، وإنما تريد ناز الضيافة.

ومعنى: «طَيَّانَ» صغير البطن، مهضوم الجنين، قليل الطعم. وقولها: «طَاوِي الكَشْحِ» أي: ينمضي في الأمور لوجهه لا يعرج على شيء ولا يتنهي. ويقال: انطوى كَشْحًا، فيصير من باب تصبّب عرقًا. قال: [الطويل]

أَخْ قَدْ طَوَى كَشْحًا وَأَبْ لِيَذْهَبَا^(١)

وقولها: «لَا يُزْخَى لِمُظْلِمَةٍ إِزَارَهُ»، تريد: أنه إذا نابته التوائب تجرّد لها وفيها وهو مشمّر الإزار، مقلّص الذّيل، فداواها بدوائها، ونهض فيها نهض المقتدر عليها، الفاصل لها.

وقولها: «يَغْصِي البَخِيلَ»، تقول: وإذا أراد اكتساب المجد أهان ماله للفقراء والغفّة، وفي إصلاح أمر العشيرة، وعصى المشير عليه بالإمساك والبخل، فخلع ربة طاعته، وعذار احتشامه.

٣٩٦ - وقالت عاتكة بنت زيد^(٢): [الرمّل]

- ١ - مَنْ لِنَفْسٍ عَادَهَا أَحْزَانُهَا وَلَمَيْنِ شَفْهًا طُولُ السَّهْدِ
- ٢ - جَسَدٌ لُقِفَ فِي أَكْفَانِهِ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَى ذَاكَ الْجَسَدِ
- ٣ - فِيهِ تَفْجِيعٌ لِمَوْلَى غَارِمٍ لَمْ يَدْعُهُ اللَّهُ يَنْمُثِي بِسَبْدِ

(١) للأعشى في ديوانه ١٦٥، واللسان (أب، كشح)، وجمهرة اللغة ٥٣، وصدرة:

«صرمت ولم أصرفكم وكصارم»

(٢) التبريزي: «ترثي عمر».

قولها: «مَنْ لِنَفْسٍ تَوْجُعٌ وَتَشْكٌ وَاسْتِغَاثَةٌ. وَعَادَهَا، أَي: اعتادها. قال:

عَادَ قَلْبِي مِنَ اللَّطِيفَةِ عِيدُ

والمعنى: مَنْ يُؤْمِنُ نَفْسًا مِمَّا اعتادها من الأحزان، واجتمعَ عليها في زُرْئِهَا من الأوصاب والآلام، وَمَنْ لَعَيْنِ آذَاهَا طُولُ الْأَرْقِ، ودَوَامُ السَّهْرِ.

وقولها: «جَسَدٌ لُقِفَ فِي أَكْفَانِهِ» لُقِفَ بما بعده صفة للجسد، ورحمة الله بما بعده، اعتراض بين الأوصاف، لأن قولها: «فيه تفجيع» صفة أيضًا. والكلام تحسر وتلهف، فتقول: رَحِمَ اللهُ جَسَدًا جُهِّزَ بما يجهِّز به الموتى، وقُجِعَ به مواليه الذين كانوا يعيشون في فَنَائِهِ، فإذا لَحِقَ أَحَدُهُمْ غُرْمٌ وقد ضاقت حاله عن احتماله وَسَّعَ له في جَنَابِهِ، وأعانته على دهره بماله. وقولها: «لم يدعه الله يَمْشِي بِسَبْدٍ»، تريد: أَفْقَرَهُ فلم يُبْقِ له شيئًا. ويقال: «مَا لَهُ سَبْدٌ وَلَا لَبْدٌ»، فالسَّبْدُ: الشَّعْرُ، واللَّبْدُ: الصوف.

٣٩٧ - وقالت امرأة من بني الحارث^(١): [الرمل]

- ١ - فَارِسٌ مَا غَادَرُوهُ مُلْحَمًا غَيْرَ زُمَيْلٍ وَلَا نِكْسٍ وَكَلْ
- ٢ - لَوْ يَشَا طَارَ بِهِ ذُو مَيْعَةٍ لَأَحِقُّ الْأَطَالِ نَهْدٌ ذُو خُصَلْ
- ٣ - غَيْرَ أَنَّ الْبَاسَ مِنْهُ شَيْمَةٌ وَضُرُوفُ الدَّهْرِ تَجْرِي بِالْأَجَلْ

قولها: «فَارِسٌ مَا غَادَرُوهُ» ما صلة، والكلام فيه تفخيمٌ لأمر المراثي وتعظيمٌ لشأنه. تريد: تركوا فارسًا رفيعَ المحلِّ مُلْحَمًا، أَي: طُعْمَةً لِعَوَافِي السَّبَاعِ وَالطَّيْرِ.
قال: [البسيط]

قَدْ أَلْحَمْتَنِي الْمَتَايَا السَّبْعَ وَالرَّخَمَا

وقولها: «غَيْرَ زُمَيْلٍ»، فالزُّمَيْلُ والزَّمَالُ والزَّمْلُ: الضعيف، كأنه زُمْلٌ في العجز كما يُزْمَلُ الرَّجُلُ فِي الثُّوبِ. وقولها: «وَلَا نِكْسٍ وَكَلْ»، فالنَّكْسُ: المقصّر عن غاية التَّجْدَةِ وَالْكَرَامَةِ، وأصله في السَّهَامِ، وهو الذي انكسرَ فُجِعِلَ أَسْفَلُهُ أَعْلَاهُ، فلا يزال ضعيفًا. وَالْوَكْلُ: الْجَبَانُ الذي يتكل على غيره فيضيع أمره.

(١) الأبيات في الحماسة البصرية ١: ٢٤٣، والخزانة ٥: ٥٢٢، وأمالى ابن الشجري ١: ١٨٧.

وقولها: «طَارَ بِهِ ذُو مَيْعَةٍ»، حَكَى الْحَال، والمراد: لو شاء أَنْجَاهُ فَرَسٌ لَهُ ذُو نَشَاطٍ. وقال الخليل: مَيْعَةُ الْخُضِرِ وَالنَّشَاطُ: أَوَّلُهُمَا وَجَدْتُهُمَا. وقولها: «لَا حَقُّ الْآطَالِ»، تريد: ضَامِرَ الْجَبِينِ. نَهَذَ، أَي: غَلِظَ. ذُو خُصَلٍ، أَي: مِنَ الشَّعْرِ.

وقولها: «غَيْرَ أَنَّ الْبَاسَ مِنْهُ شَيْمَةٌ»: تقول ثَبَتَ وَلَمْ يَرِ لِنَفْسِهِ الْانْقِبَاضَ وَالْإِحْجَامَ، لِأَنَّ الصَّبَرَ فِي الشَّدَّةِ وَالْبَاسِ عَادَةٌ مِنْهُ وَطَبِيعَةٌ، وَلِأَنَّ صُرُوفَ الدَّهْرِ تَجْرِي إِلَى النُّفُوسِ بِأَجَالِهَا، وَلِكُلِّ حَيٍّ وَقْتُ مِنْ يَوْمٍ مَعْلُومٍ، فَإِذَا انْتَهَى الْعُمُرُ بِهِ إِلَى ذَلِكَ الْوَقْتِ انْقَطَعَ.

٣٩٨ - وقال جرير، يرثي قيس بن ضرار^(١): [الطويل]

- ١ - وَيَا كَيْفَ مِنْ نَأْيِ قَيْسٍ وَقَدْ نَأَتْ بَقَيْسٍ نَوَى بَيْنَ طَوِيلٍ بِعَادَهَا
- ٢ - أَظُنُّ انْهَمَالَ الدَّمْعِ لَيْسَ بِمُنْتَهَى عَنْ الْعَيْنِ حَتَّى يَضْمَحِلَّ سَوَادُهَا
- ٣ - وَحَقٌّ لَقَيْسٍ أَنْ يُبَاحَ لَهُ الْحِمَى وَأَنْ تُغْفَرَ الْوَجَنَاءُ إِنْ خَفَ رَادُّهَا

قوله: «وَبَاكِيَةٌ مِنْ نَأْيِ قَيْسٍ» أَلَمْ فِيهِ بِقَوْلِ الْآخِرِ: [الطويل]

وَكُنْتُ أَرَى كَالْمَوْتِ مِنْ بَيْنِ لَيْلَةٍ فَكَيْفَ يَبَيِّنُ كَانَ مِيعَادَهُ الْحَشْرُ^(٢)

فيقول: رُبَّ امْرَأَةٍ بَاكِيَةٍ لُبْعِدِ قَيْسٍ عَنْ مَقَرِّ عَزِّهِ، وَمَسْكَنِ فَخْرِهِ، وَنَأْيِ قَيْسٍ السَّاعَةِ لِمُنْتَوَى بُعْدِهِ طَوِيلٍ. وَالنَّوَى: وَجْهَةُ الْقَوْمِ الَّتِي يَنْوُونَهَا، وَهِيَ مُؤَنَّثَةٌ. وَأَضَافَ النَّوَى إِلَى الْبَيْنِ - وَهُوَ الْفِرَاقُ - لِأَنَّ الْغُرُضَ فِي تِلْكَ النَّوَى كَانَ مَفَارِقَةَ الْأَحْيَاءِ، وَالتَّنْقُلَ إِلَى دَارِ الْقَرَارِ، فَالْبَيْنُ سَبَبُهَا وَمَقْتَضِيهَا. وَارْتَفَعَ «بِعَادَهَا» بِطَوِيلٍ، وَالضَّمِيرُ مِنْهَا يَعُودُ إِلَى النَّوَى. وَالْوَاوُ مِنْ قَوْلِهِ: «وَقَدْ نَأَتْ» وَאו الْحَالِ.

وقوله: «أَظُنُّ انْهَمَالَ الدَّمْعِ»، يريد: أَنَّ أَوْقَاتَ الْبُكَاءِ مُتَّصِلَةٌ، وَأَمَّا سِيلَانِ الدَّمْعِ غَيْرُ مُنْقَطِعَةٍ، وَالْعَيْنُ وَشُؤُونُهَا لَا تَثْبِتُ لِذَلِكَ وَلَا تَقْوَى بِهِ، فَلَا شَكَّ أَنَّ سَوَادَهَا يَبْطُلُ. وَذَلِكَ أَنَّ مَسَبِّبَاتِ الْأَشْيَاءِ إِنَّمَا تَقْوَى وَتَدُومُ بِقُوَّةِ أَسْبَابِهَا وَمَقْتَضِيَّاتِهَا، فَمَا دَامَ سَبَبُ الْبُكَاءِ - وَهُوَ الْحَزَنُ وَالْهَلَعُ - يَمْلِكُ الْبَاكِيَّ وَيَقْوِدُ زِمَامَهُ، فَالدَّمْعُ سَائِلٌ ذَارِفٌ، وَسَوَادُ الْعَيْنِ مُشْفٍ عَلَى الْبُطُولِ هَالِكٌ.

(١) التبريزي: «قيس بن ضرار بن القعقاع بن معبد بن زرارة».

(٢) البيت الثالث من الحماسية رقم (٣٨٥) لسلمة الجعفي.

وقوله: «وَحَقُّ لَقَيْسٍ أَنْ يُبَاخَ لَهُ الْجَمَى» الأصل في الحمى الماء والكلأ، ولَمَّا كان العزيزُ منهم يَسْتَبِيحُ الأحميةَ ويحفظُ جَمَى نفسه ويمنعُ منه كلَّ أحد، وإذا قال: أَحْمَيْتُ هذا المكانَ، أي: جعلته جَمَى، كان يُتَجَنَّبُ ويُتَحَامَى إجلالًا وخوفًا منه - اسْتُعِيرَ من بَعْدُ للقلب وما يملك منه الحبُّ أو الحزنُ أو غيرهما وما لا يَمْتَلِكُ منه، فيصير كأنه جَمَى العقل، فيقول: حَقُّ لَقَيْسٍ وللمصابِ به أن يُبَاخَ له من القلوب ما كان جَمَى، فلا ينزَلُ به غَمٌ، ولا يملكه سرور، أي حَقُّ للجزعِ به أن يبلغ من القلب حَدًّا لم يبلغ منه شيء. وقد أخرجوا هذا المعنى في معارضٍ لأنه معنَى صحيح حكيم شريف، فقال كثيرٌ في الحبِّ يصف امرأة: [الطويل]

أَبَاخْتُ جَمَى لَمْ يَزْعِ النَّاسُ قَبْلَهَا وَخَلْتُ تِلَاعًا لَمْ تَكُنْ قَبْلُ خُلْتُ
يريد: بَلَغْتُ من القلب هذا المبلغ.

وأخذه منه عبدُ الله بن الصَّمَّةِ القُشَيْرِيُّ، فقال: [الطويل]

فَخَلْتُ مَحَلًّا لَمْ يَكُنْ حُلُّ قَبْلَهَا وَهَانَتْ مَرَاقِيهَا لِرَبِّهَا وَذَلَّتْ
وأخذه أبو نُوَّاسٍ فقال: [المنسرح]

مُبَاحَةٌ سَاحَةُ الْقُلُوبِ لَهُ يَزْتَعُ فِيهَا أَطَايِبُ الثَّمَرِ
وأخرجه على وجهٍ آخر، فقال يَنْفِي: [السريع]

بَصَحْنِ حَدًّا لَمْ يَغِيضْ مَاؤُهُ وَلَمْ يَخْضُهُ أَعْيُنُ النَّاسِ
فَنَقَلَ إِلَى الْخَدِّ وَعَمَضَ كَمَا تَرَى.

وقال آخر يصف ناقة: [الرجز]

حَمْرَاءُ مِنْهَا ضَخْمَةُ الْمَكَانِ^(١)

يريد: عظيمة المكانِ من القلب، ذكره الأصمعي. يريد أنها محببة، وقد قيل فيه غير هذا.

وقوله: «وَأَنْ تُغْفَرَ الْوَجَنَاءُ إِنْ خَفَّ زَاوُهَا»، كان الواحد منهم إذا مرَّ بقبر رئيسٍ وهو في صُحْبَةٍ أَحَبَّ أَنْ يَنُوبَ عَنِ الْمَقْبُورِ فِي الضِّيَافَةِ، فإذا لم يساعده من الطعام ما

(١) الرجز لابن ميادة في أمالي القالي ٣: ٢٠٢، ومجالس ثعلب ٥٠٦.

يَدْعُو النَّاسَ إِلَيْهِ عَقَر نَاقَتَهُ، إِكْرَامًا لَهُ؛ لَذَلِكَ قَالَ: «وَأَنْ تُغْفَرَ الْوَجْنَاءُ إِنْ خَفَّ زَاذُهَا». وَالْوَجْنَاءُ: النَاقَةُ الصُّلْبَةُ، أَخَذَ مِنَ الْوَجْهِينِ، وَهُوَ الْأَرْضُ الصُّلْبَةُ. فَمَنْ رَوَى: «أَنْ خَفَّ زَاذُهَا» بَفَتْحِ الْهَمْزَةِ، فَالْمُرَادُ لِأَنَّ خَفَّ زَاذُهَا. وَمَنْ رَوَى: «إِنْ خَفَّ» بِكسْرِ الْهَمْزَةِ فَهِيَ لِلشَّرْطِ. وَقَدْ اعْتَذَرَ بَعْضُهُمْ مِنْ تَرْكِ ذَلِكَ، فَقَالَ: [الكامل]

لَوْلَا السَّفَارُ وَبُعْدُ خَزَقِ مَهْمِهِ لَتَرَكْتُهَا تَحْبُو عَلَى الْعَرْقُوبِ^(١)
يعني: ناقته.

وقد حكى ابن الأعرابي حكايةً مليحة، قال: كَانَ رَجُلٌ يُوَاصِلُ امْرَأَةً فَخَرَجَ فِي سَفَرٍ لَهُ وَعَادَ وَقَدْ اسْتَبَدَّلَتْ بِهِ، فَأَتَاهَا لِإِعَادَتِهِ، فَقَالَتْ: [الطويل]

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَاءَ بُدِّلَ حَاضِرًا وَأَنْ شِعَابَ الْقَلْبِ بَعْدَكَ حُلَّتْ
فَأَجَابَهَا: [الطويل]

فإِنَّ تَكُ حُلَّتْ فَالشَّعَابُ كَثِيرَةٌ وَقَدْ نَهَلْتُ مِنْهَا قُلُوصِي وَعَلَّتِ

تَمَّ بِابِ الْمَرَاثِي بِحَسَنِ تَوْفِيقِ اللَّهِ وَجَمِيلِ صُنْعِهِ،
وَلَهُ عَلَى تَوَاتُرِ نَعْمِهِ، وَتَتَابِعِ أَيْدِيهِ، أَجْزَلُ الْحَمْدِ^(٢)

وبهذا يتم الجزء الثاني، ويليه الجزء الثالث
وأوله: باب الأدب

(١) البيت الرابع من الحماسة (٣٠٦) لحفص بن الأحنف الكناني.

(٢) روى التبريزي بعد هذه الحماسة ثلاث حماسيات، وهي:

« - وقال آخر: [الكامل]

إِنَّ الْمَسَاءَ لِلْمَسَرَّةِ مَوْعِدٌ
فَإِذَا سَمِعْتَ بِهَالِكٍ فَتَيَقَّنْ
- وقال آخر يرثي أخاه: [الطويل]
أَنْحُ وَأَبُ بَرٌّ وَأُمُّ شَفِيقَةٌ
سَلُوثٌ بِهِ عَنْ كُلِّ مَنْ كَانَ قَبْلَهُ
- وقال آخر يرثي ابنه:

ذَهَبَتْ عَلَى حِينٍ أَعْجَبْتَنِي
فَلِإِنْ أَبُكَ أَبُكَ عَلَى فَاجِعٍ
وَوَلَّى الشَّبَابُ وَجَاءَ الْكِبَرُ
وَلِإِنْ يَكُ صَبْرٌ فَمِثْلِي صَبْرٌ

شرح
كتاب الجمانية
لأبي تمام

تأليف
أبي علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي
المتوفى سنة ٤٢١ هـ

علّمه عليه وكتب حواشيه
غفر له الشيخ

وضع فهرسته العامة
إبراهيم شمس الدين

٣-٤

مكتشورات
مجمع رجال في بيروت
لشركت السنة والجماعة
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

منشورات دار الكتب العلمية بيروت



دار الكتب العلمية

جميع الحقوق محفوظة

Copyright

All rights reserved

Tous droits réservés

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة
لدار الكتب العلمية بيروت - لبنان.
ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب كاملاً أو
مجزأً أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر
أو برمجته على أسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً

Exclusive rights by

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Beirut - Lebanon

No part of this publication may be translated,
reproduced, distributed in any form or by any means,
or stored in a data base or retrieval system, without the
prior written permission of the publisher.

Droits exclusifs à

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Beyrouth - Liban

Il est interdit à toute personne individuelle ou morale
d'éditer, de traduire, de photocopier, d'enregistrer sur
cassette, disquette, C.D, ordinateur toute production
écrite, entière ou partielle, sans l'autorisation signée
de l'éditeur.

الطبعة الأولى

٢٠٠٢ م - ١٤٢٤ هـ

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

رمل الظريف - شارع البحري - بناية ملكات
الإدارة العامة: عرمون القبة مبنى دار الكتب العلمية
هاتف وفاكس: ٨٠٤٨١٠ / ١١ / ١٢ / ١٣ (٩٦١ ٥)
صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah

Beirut - Lebanon

Raml Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg. 1st Floor

Head office

Aramoun - Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.

Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13

P.O.Box: 11-9424 Beirut - Lebanon

Dar Al-Kutub Al-ilmiyah

Beyrouth - Liban

Raml Al-Zarif, Rue Bohtory, Imm. Melkart, 1er Étage

Administration général

Aramoun - Imm. Dar Al-Kotob Al-ilmiyah

Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13

P.P: 11-9424 Beyrouth - Liban

ISBN 2-7451-3589-9



9 0000 >

9 782745 113589 6

<http://www.al-ilmiyah.com/>

e-mail: sales@al-ilmiyah.com

info@al-ilmiyah.com

baydoun@al-ilmiyah.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بَابُ الْأَدَبِ

٣٩٩ - قال مسكين الدارمي^(١): [الطويل]

١ - وفتيان صدقٍ لستُ مُطْلِعَ بَعْضِهِمْ عَلَى سِرِّ بَعْضٍ غَيْرِ أَنِّي جَمَاعُهَا
قوله: «وفتيان صدقٍ» أضاف الفتيان إلى الصدق، كما يقال: فتيانٌ خير.
والمعنى: أنهم يصدقون في الوَدِّ ولا يخونون. وقال الخليل: يُقَالُ: رَجُلٌ سَوٌّ وَإِذَا
عَرَفْتَ قُلْتَ: الرَّجُلُ السَّوُّ، وَلَمْ تُضَيَّفْ، بَلْ تَجْعَلُهُ نَعْتًا. وتقول: عَمَلٌ سَوٌّ وَعَمَلُ
السَّوِّ، وَقَوْلُ صِدْقٍ وَقَوْلُ الصَّدْقِ، وَرَجُلٌ صِدْقٍ، وَلَا تُقَالُ الرَّجُلُ الصَّدْقُ، لِأَنَّ
الرَّجُلَ لَيْسَ مِنَ الصَّدْقِ.

فيقول: رُبُّ فِتْيَانٍ هَكَذَا اسْتَنَامُوا إِلَيَّ وَاسْتَوْدَعُونِي أَسْرَارَهُمْ، فَكُنْتُ أَنَا نِظَامُهَا
لَا يَفْتُونَنِي مِنْ خَبِيثَاتِ صُدُورِهِمْ شَيْءٌ، ثُمَّ أَفَرَدْتُ كَلًّا مِنْهُمْ بِالْوَفَاءِ لَهُ، وَكُتْمَانٍ مَا
أُودَعَنِي مِنْ سِرِّهِ، وَلَا أَطْلُعُ بَعْضَهُمْ عَلَى مَا يَسْتَكْتِمُنِي الْبَعْضُ الْآخَرُ، بَلْ أَصُونُهُ مِنَ
الْإِذَاعَةِ، وَأَخْفِظُهُ مِنَ النَّشْرِ بِالطَّيِّ وَالصِّيَانَةِ؛ وَذَاكَ لِأَنَّ حِفْظَ السِّرِّ يَجْرِي مَجْرَى أَدَاءِ
الْأَمَانَاتِ، فَهُوَ فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا مَأْخُودٌ بِهِ وَمَبْعُوثٌ عَلَيْهِ. وقوله «جَمَاعُهَا» هُوَ كَمَا
يُقَالُ نِظَامٌ، لِأَنَّ النِّظَامَ اسْمٌ لِمَا يُنْظَمُ بِهِ الشَّيْءُ، فَهُوَ كَالْوِثَاقِ وَالرِّبَاطِ. وكذلك
الْجَمَاعُ: اسْمٌ لِمَا يُجْمَعُ بِهِ الشَّيْءُ. والضمير من جَمَاعُهَا يَرْجِعُ إِلَى الْفِتْيَانِ، وَيَجُوزُ
أَنْ يَرْجَعَ إِلَى مَا ذَلَّ عَلَيْهِ الْكَلَامُ مِنْ ذِكْرِ الْأَسْرَارِ. وانتصب «غَيْرِ» عَلَى أَنَّهُ اسْتِثْنَاءٌ
مَنْقُطٌ.

٢ - لِكُلِّ امْرِئٍ شَيْغَبٌ مِنَ الْقَلْبِ فَارْغُ وَمَوْضِعُ نَجْوَى لَا يُرَامُ أَطْلَاعُهَا

(١) مسكين الدارمي: هو ربيعة بن عامر بن أنيف الدارمي التميمي: شاعر شجاع من أشراف تميم،
لُقِّبَ مَسْكِينًا لِأَبْيَاتِ قَالَهَا (ت ٨٩ هـ / ٧٠٨ م)، ترجمته في تهذيب ابن عساكر ٥: ٣٠٠،
والشعر والشعراء ٢١٥.

٣ - يَظْلُونَ شَتَى فِي الْبِلَادِ وَسِرُّهُمْ إِلَى صَخْرَةٍ أَغْيَا الرِّجَالِ انْصِدَاعُهَا

قوله: «لكل امرئ»، يريد: لكل رجل منهم جانب من القلب، وشيئ قد فُزِعَ له وُحْصَ بموضع سرّه ونجواه، لا يُطْلَبُ الاطلاع عليه والكشف عنه، لما عُرِفَ من محافظتي ووفائي. والنَّجْوَى يجري على أحكام المصادر: الدَّعْوَى، والعَدْوَى، وإلفه للتأنيث، ويوصفُ به الأمر المكتوم. ويقال: نَجَوْتُهُ فهو نجى. وقد وُصِفَ بالنَّجْوَى والنَّجْيِ الواحد والجمع. وفي القرآن: ﴿خَلَّصُوا نَيْفًا﴾ [يوسف: الآية ٨٠]، و﴿وَلَا تُمْ تَجْرَى﴾ [الإسراء: الآية ٤٧]، و﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ﴾ [المجادلة: الآية ٧]. ويقال: تَنَاجَوْا وَانْتَجَوْا.

وقوله: «يَظْلُونَ شَتَى فِي الْبِلَادِ»، يريد: أنهم يُفَارِقُونَهُ فتغيبون في أقطار الأرض، وسِرُّهُمْ مكتوم مُحْصَن، كأنه أودع صَخْرَةً أَغْجَزَ الرِّجَالِ صَدْعُهَا. ويقال: شَتَّ الأمرُ شَتًّا وَشَتَاتًا، وهو شَتِيَّتٌ وَشَتٌّ، وهم أَشْتَاتٌ وَشَتَّى، فأشتات جمع شَتَّ، وشَتَّى: جمع شَتِيَّتٍ. ويروى: «أعيا الجبال اتضاعها»، والمعنى: أن هذه الصخرة لإشرافها وثبوتها في موضعها لو رام الجبال حطها لأعجزها ذلك. وقوله: «إلى صخرة» أي مضمومٌ إلى صخرة، فتعلّق إلى بفعل مضمر دلّ عليه الكلام.

٤٠٠ - وقال يحيى بن زياد^(١): [الطويل]

- ١ - وَلَمَّا رَأَيْتُ الشَّيْبَ لَاحَ بِيَاضُهُ بِمَفْرِقِ رَأْسِي قَلْتُ لِلشَّيْبِ مَرْحَبًا
- ٢ - وَلَوْ خِفْتُ أَنِّي إِنْ كَفَفْتُ نَحْيِيَّتِي تَنَكَّبَ عَنِّي رُمْتُ أَنْ يَتَنَكَّبَا
- ٣ - وَلَكِنْ إِذَا مَا حَلَّ كُرْزُهُ فَسَامَحْتُ بِهِ النَّفْسُ يَوْمًا كَانَ لِلْكُرْزِ أَذْهَبًا

قوله: «لَمَّا رَأَيْتُ الشَّيْبَ لَمَّا عَلِمَ لِلظَّرْفِ، وهو لوقوع الشيء لوقوع غيره. وجوابه: «قَلْتُ لِلشَّيْبِ مَرْحَبًا»، وكان الواجب أن يقول: قَلْتُ لَهُ مَرْحَبًا ولكئهم يكرّرون الأعلام وأسماء الأجناس كثيرًا، والقصد بالتكرير التّفخيم، والمعنى: لَمَّا وَجَدْتُ الشَّيْبَ اشْتَغَل رَأْسِي بِيَاضِهِ، طَيَّبْتُ نَفْسِي بِطُلُوعِهِ وَقَلْتُ لَهُ: أَتَيْتَ رُحْبًا وَسَعَةً. وقوله: «مَرْحَبًا» انْتَصَبَ عَلَى الْمَصْدَر. ويقال: رَحَبْتُ بِلَادَكَ رُحْبًا وَرَحَابَةً.

(١) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (٢٨١).

وحكي: رَجِبْتُ بلادك بكسر الحاء تَرْحَبُ رُحْبًا. والرَّحْبَةُ والرَّحْبَةُ، واحدٌ وهما ساحة المسجد.

وقوله: «ولو خِفْتُ»، يريد: بخِفْتُ رَجَوْتُ، وهم يَضْعُون كُلَّ واحدٍ من الرِّجاء والخَوْفِ موضع الآخر، ألا ترى قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَاثِرُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾ [التَّبَا: الآية ٢٧]، أي: لا يخافون. وقول الآخر، وهو الهذلي: «يَرْجُونَ لَسَعَةً»^(١)، يعني: التُّخَل، فيقول: لو رجوتُ أَنِّي إذا تَكَرَّهْتُ الشَّيْبَ وتسَخَّطْتُه، وكَفَفْتُ عن إظهار الرِّضا به والشُّرورِ لَطَلَعَتِهِ فارَقَتِي وانْحَرَفَ عَنِّي، لَرُمْتُ ذلك، ولكن إذا حَلَّ ما يكرهه فطاوَعْتُ نفسه به، وتلقَّاه بالصَّبْرِ عليه، كان ذلك أَعْوَنَ على زوال الكراهة فيه، وألا اجتمع وجهانٍ مما يَشْتَقُّ نَزْوُلُهُ به، واغتمامُهُ له. وقوله: «فسامَحْتُ به النَّفْسَ»، أي: ساهَلْتُ. ومنه قيل: عَوَّدَ سَمَحَ، أي لا أَبْنِ فيه. ومما يَجْرِي مَجْرَى المَثَلِ: «إذا لم تجد عِزًّا فسمَحْ»، أي: لِنِ وَهْنِ. وقوله: «كان للكَرهِ أَذْهَبًا» كان المُحْكَمُ أن يقول أشدَّ إذهابًا، لأنَّ الفعل منه ليس بثلاثي. ولكن على طريقة سيبويه يجيء أن يُبْنَى فِعْلُ التعجُّبِ مما كان على أَفْعَلَ أيضًا، وإن كان البابُ على الثلاثي. وقد يمكن أن يقال: إنَّما قال «أَذْهَبًا» على حذف الزوائد؛ ألا ترى قوله: [الطويل]

فإنَّا وَجَدْنَا العِرْضَ أَفْقَرَ سَاعَةً إلى الصُّونِ من بُزْدِ يَمَانٍ مُسَهَّمٍ^(٢)

والفعل لم يجيء إِلَّا افْتَقَرَ، فكأنَّه نَوَى حذفَ الزوائد ورَدَهُ إلى فَقْرٍ، وعليه جاء «فقيرٌ» وإن لم يُسْتَعْمَلِ الفعل.

وقوله: «ولكن إذا» لكنْ جاء في هذا المكان لتركِ قِصَّةٍ إلى قِصَّةٍ، وهي إذا جاءَتْ عاطفةٌ كانت لاستدراكٍ بعد التَّقي. وجواب «لو» في قوله: لو خِفْتُ «رُمْتُ أن يتَنَكَّبًا»، وجواب إذا من قوله: «إذا ما حَلَّ كَرَهُ»: «كان للكَرهِ أَذْهَبًا». ويومًا انتَصَبَ على الظُّرف، والعامل فيه حَلَّ، واسم كانْ ما دلَّ عليه قوله سامحت، كأنَّه قال: كانَ المسامحةُ أَذْهَبَ للكره.

(١) هذا قطعة من بيت لأبي ذؤيب الهذلي، وهو: [الطويل]

إذا لسعته النحلُ لم يَرُجْ لسعها وخالفها في بيتِ نوبٍ عواسلُ

(٢) البيت لأوس بن حجر في ديوانه ١٢١، واللسان (كثر، سهم، صون)، والمخصص (سهم وصون).

٤٠١ - وقال المزار بن سعيد^(١): [الطويل]

١ - إِذَا شِئْتَ يَوْمًا أَنْ تَسُودَ عَشِيرَةً فَبِالْحِلْمِ سُدْ لَا بِالتَّسْرُعِ وَالشَّنَمِ

٢ - وَلِلْحِلْمِ خَيْرٌ فاعْلَمْ مَغَبَّةً مِنَ الْجَهْلِ إِلَّا أَنْ تَشْمَسَ مِنْ ظُلْمِ

جواب، وقوله: «إذا شئت» قوله: فبالحلم. والمعنى: أن السيادة لها آلات، وإليها مراقي ودرجات، فمن أتاها من وجهها ومآتها تَمَّتْ له؛ وذلك أن منها استعمال الحلم، وترك التعجل، وكظم الغيظ، وتسهيل الجانب، والاحتمال في النفس والمال والجاه، إلى غير ذلك مما يطول ذكره. فمن صبر في طلب الرياسة وحصول سيادة العشيرة، على هذه الخصال، فهو حقيق بإدراكها، فإن أخذ يحسن جانبه ويقطب وجهه، ويغلظ كلامه، ويوسع غيظه ويقلظ قلبه، ويعجل الطاعة له، نفرت العشيرة منه، وبانوا عنه؛ لذلك قال من قال: [المقارب]

فَإِنْ كُنْتَ سَيِّدَنَا سُدْنَا وَإِنْ كُنْتَ لِلْخَالِ فَادْهَبْ فَخَلْ^(٢)

وقوله: «وللحلم خير فاعلم مغبة» انتصب مغبة على التمييز. وقوله: «فاعلم» حشو، فإن قيل: كيف اختير هذا البيت بهذا الحشو، والمتكلم إذا استعمل في كلامه مع المخاطب اعلم واسمع وما يجري مجراها، عد ذلك منه عيباً؟ قلت: إن هذه اللفظة في هذا المكان محتاج إليها في عمدة المعنى المقصود، وإن ما أشرت إليه إنما يكون زوائد وفصولاً لا يحتاج إليه، فإذا وصل المتكلم بها كلامه مستعيناً بها عد منه خطئاً وعيباً، وهو في هذا المكان وصاه بالفكر فيما أورده والتبيين له، وبمعرفة الحلم ووقته حتى يدري كيف يأخذ به، فقوله: فاعلم، فاعرف، ومفعوله محذوف، والمراد: فاعلم الحلم ومغبته، فأطلق. رجع فيما أشار به مطلقاً، واستثنى في كلامه فقال: إلا أن تنفر من ظلم يركبك، وهضيمة تنالك؛ فإن الجهل في ذلك الوقت أرجح في الاختيار من الحلم، إذ كان صدم الشر بالشر أقرب، ودفع الجهل بالجهل أخلم. ويقال: غبت الأمور، إذا صارت إلى أواخرها. وإن لهذا الأمر لمغبة محمودة، أي: عاقبة. وقوله: «تشمس» يقال: إنه ل ذو شمس شديد، إذا كان عيبراً، وشمس لي فلان إذا تنكر وهم بالشر.

(١) المزار الفقعسي: شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية وكان يهاجي المسور بن هند. ترجمته في المرزباني ص ٤٠٨، والشعر والشعراء ٦٨٠.
(٢) البيت الرابع من الحماسية رقم (٦٧).

٤٠٢ - وقال عِصَامُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ^(١): [البسيط]

- ١ - أَبْلِغْ أبا مِسْمَعٍ عَنِّي مُغْلَغَلَةً وَفِي الْعِتَابِ حَيَاةَ بَيْنِ أَقْوَامِ
٢ - أَذْخَلْتُ قَبْلِي قَوْمًا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ فِي الْحَقِّ أَنْ يَدْخُلُوا الْأَبْوَابَ قُدَّامِي

قوله: «مغلغلة»، أي: رسالة يُغْلِغِلُها إلى صاحبها، وهو من قولهم: تغلغل الماء، إذا دَخَلَ بين الأشجار، وغلغلته أنا. وقال الدُرَيْدِيُّ: الغلغلة: دخول الشيء في الشيء. وقال الخليل: الغلغلة: سرعة السير. يقال: تَغْلَغَلُوا وَمَضُوا، ورسالة مُغْلَغَلَةٌ: محمولة من بلد إلى بلد. وقوله: «وفي العتاب حياة بين أقوام» اعتراض، وقد مرَّ القول في فائدة الاعتراضات. والمعنى: أنهم ما داموا يتعاتبون فإن نياتهم تُعاود الصِّلَاحَ وتُراجِعُه، وإذا ارتفع العتاب من بينهم انطوت صدورهم عن الإِخْن والضغائن، وظَهَرَ الشَّرُّ على صَفَحَاتِ أَقْوَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ، فاهتاجت الحِمِيَّاتُ، وأنتجت من سُوءِ عقائدهم البَلِيَّاتُ. وفي طريقته قال أبو تَمَّامٍ: [الكامل]

إِنَّ الدَّمَ الْمُغْتَرَّ يَحْرُسُهُ الدَّمُ^(٢)

وقال غيره: «الْقَتْلُ أَقْلُ لِلْقَتْلِ». فأما قول الله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ﴾ [البقرة: الآية ١٧٩]، فإنَّ بِلَاغَةَ الْقُرْآنِ لَا تُدَانِيهَا بِلَاغَةُ، وَكُلُّ كَلَامٍ وَإِنْ عَلَا يَنْحَطُّ دُونَهُ. والرَّسَالَةُ قَوْلُهُ: أَذْخَلْتُ قَبْلِي قَوْمًا. والمعنى: أَنَّكَ قَدَّمْتَ عَلَيَّ فِي الْإِذْنِ وَالْدُخُولِ قَوْمًا لَمْ يَكُنْ مِنْ حَقِّهِمْ أَنْ يَتَقَدَّمُوا عَلَيَّ إِذَا وَرَدْنَا الْأَبْوَابَ، وَلَا بَلَغَتْ مِنْ مُحَالِّهِمْ وَرَتَّبَهُمْ أَنْ تُرْفَعَ عَلَيَّ مَا يُقْسَمُ لِي فِي مَجَالِسِ الْكِبَارِ. وقوله: «أَنْ يَدْخُلُوا الْأَبْوَابَ» حَقُّهُ عِنْدَ سَيِّبُوهِ أَنْ يُقَالَ: أَنْ يَدْخُلُوا فِي الْأَبْوَابِ، يَجْعَلُهُ مِمَّا يَتَعَدَّى فِي الْأَصْلِ بِحَرْفِ الْجَزْرِ ثُمَّ يُحذفُ الْجَارُ مِنْ اللَّفْظِ تَخْفِيفًا. ومَسْأَلَةُ الْكِتَابِ: دَخَلْتُ الْبَيْتَ. وَغَيْرُهُ يَذْهَبُ إِلَى أَنَّهُ مِمَّا يَتَعَدَّى تَارَةً بِنَفْسِهِ وَتَارَةً بِحَرْفِ الْجَزْرِ، وَفِي أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: دَخَلْتُ فِي الْأَمْرِ فَيُعَدَّى بِفِي لَا غَيْرَ، وَأَنْ ضَدَّهُ وَهُوَ خَرَجْتُ يَتَعَدَّى بِحَرْفِ الْجَزْرِ، يَبَيِّنُ لَصِيحَةَ قَوْلِ سَيِّبُوهِ.

- ٣ - لَوْ عُدَّ قَبْرٌ وَقَبْرٌ كُنْتُ أَكْرَمَهُمْ مَيِّتًا وَابْتَعَدَهُمْ مِنْ مَنْزِلِ الدَّامِ

(١) التبريزي: «عصام بن عبيد الزماني»، وروى الجاحظ الأبيات في البيان ٢: ٣١٦، و٣: ٣٠٢، ونسبها إلى ممام الرقاشي.

(٢) لأبي تمام في ديوانه ٢٧٤ وصدرة:

«وأخافكم كي تغمدوا أسيافكم»

٤ - فَقَدْ جَعَلْتُ إِذَا مَا حَاجَتِي نَزَلْتُ بِبَابِ دَارِكَ أَذْلَوْهَا بِأَقْوَامِ

قوله: «لو عُدَّ قَبْرٌ وَقَبْرٌ»، المراد به والأصل فيه: لو عُدَّتِ الْقُبُورُ قَبْرًا قَبْرًا، إِلَّا أَنَّهُ اخْتَصَرَ الْكَلَامَ وَحَذَفَ الْقُبُورَ وَرَفَعَ قَبْرًا عَلَى أَنْ يَاقُومَ مَقَامَ الْفَاعِلِ، فَلَمَّا رَفَعَهُ وَأَزَالَهُ عَنِ سَنَنِ الْحَالِ فِي نَحْوِ قَوْلِهِمْ: يَغْتُ الشَّاءُ شَاءَ شَاءَ، وَقَبَضْتُ الْمَالَ دِزْهَمًا دِرْهَمًا، وَصُمْتُ رَمَضَانَ يَوْمًا يَوْمًا، رَدُّ حَرْفِ الْعَطْفِ، وَإِنَّمَا قُلْتُ هَذَا لِأَنَّهُ مِنْ مَوَاضِعِ الْعَطْفِ، لَكِنَّهُمْ اتَّسَعُوا فِي الْحَالِ لَعَلَّ الْمَخَاطِبَ. وَقَالَ سِيبَوَيْهِ: إِنَّ الْغَالِبَ عَلَى هَذَا الْبَابِ كُلُّهُ أَنْ يَكُونَ انْتِصَابُهُ مِنْ إِحْدَى الْجِهَتَيْنِ: الْحَالِ أَوِ الظَّرْفِ؛ لِأَنَّ الْإِتْسَاعَ مِنْهُمْ عَلَى هَذَا الْحَدِّ وَالْجَوَازِ لَمْ يَكُنْ إِلَّا فِيهِمَا. وَالظَّرْفُ كَقَوْلِهِ: لَقِيْتُهُ يَوْمَ يَوْمٍ، وَصَبَاحَ مَسَاءٍ، وَمَا جَانِسُهُمَا. قَالَ: وَالْإِفْرَادُ فِي هَذَا الْبَابِ لَا يَجُوزُ حِمَايَةُ عَلَى الْمَعْنَى الَّتِي يَتَضَمَّنُهُ التَّكْرَارُ.

وإن قيل: هل يجوز على ما بَيَّنَّتْ: لو عُدَّتِ الْقُبُورُ قَبْرًا وَقَبْرًا، عَلَى الْبَدَلِ، وَكَذَلِكَ بَيَّنَّ حِسَابُهُ بَابَ وَبَابٍ؟ قُلْتُ: لَا يَجُوزُ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ الْقَصْدَ وَالْغَرَضَ مِنَ الْكَلَامِ، وَقَدْ أُجْرِي عَلَى مَا تَقَدَّمَ، التَّفْصِيلُ وَالتَّتَابُعُ، وَمِنْ الْإِبْدَالِ عَلَى مَا ذَكَرْتُ لَا يَتَبَيَّنُ ذَلِكَ. وَمَعَ ذِكْرِ الْقُبُورِ يُحَذَفُ الْوَاوُ مِنَ الْأَسْمِينِ الْمُرْتَجِمِينَ عَنِ الْحَالِ بَعْدَهُ، لَا يَجُوزُ بَعَثُ الشَّاءِ شَاءَ وَشَاءَ؛ فَكَذَلِكَ هَذَا، عَلَى أَنْ بَاتِيَ الْحَالِ وَالظَّرْفُ يَحْتَمِلَانِ مِنَ التَّوَسُّعِ مَا يَضِيقُ عَنْهُ أَكْثَرُ أَبْوَابِ الْإِعْرَابِ وَيَعْجِزُ، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ لَمْ يَجْزُ تَجَاوُزُهُمَا بِالْإِتْسَاعِ فِيهِمَا إِلَى غَيْرِهِمَا؛ أَلَا تَرَى أَنَّهُ لَوْ قَالَ: لَوْ عُدَّ قَبْرَانِ كُنْتُ أَكْرَمَهُمَا مَيِّتًا، لَمْ يَجْزُ، وَلَمْ يَتَبَيَّنْ مِنْهُ ذَلِكَ الْمَعْنَى، وَإِنْ كَانَ الْمَعْطُوفُ وَالْمَعْطُوفُ عَلَيْهِ إِذَا قُلْتُ: جَاءَنِي رَجُلٌ وَرَجُلٌ بِمِثَابَةٍ جَاءَنِي رَجُلَانِ.

ومعنى البيت: لو عُدَّتِ الْقُبُورُ مُتَوَعَّةً مَفْصَلَةً - وَإِنَّمَا يَعْنِي أَسْلَافَ مَنْ قُدَّمَ عَلَيْهِ فِي الْإِذْنِ وَالْدُخُولِ خُزُولَةً وَعُمُومَةً - لَكُنْتُ أَكْرَمَهُمْ أَبَا، وَأَشْرَفَهُمْ بَيُوتًا، فَكُنْتُ عَنِ الْبَيْتِ وَالْمَنْصِبِ بِقَوْلِهِ: «وَأَبْعَدَهُمْ مِنْ مَنْزِلِ الدَّامِ»، أَي: مِنْ مَنْزِلِ الْعَيْبِ؛ لِأَنَّ الدَّامَ وَالذَّمَّ بِمَعْنَى. يُقَالُ: ذَامَهُ يَذِمُّهُ، كَمَا يُقَالُ: ذَمُّهُ يَذِمُّهُ، وَحَيْثُ يَحْصُلُ الْعَيْبُ يَحْصُلُ الذَّمُّ، أَظْهَرَ أَوْ لَمْ يَظْهَرَ.

وقوله: «فَقَدْ جَعَلْتُ إِذَا مَا حَاجَتِي نَزَلْتُ»، يُرِيدُ بِجَعَلْتُ: طَفِيفْتُ وَأَقْبَلْتُ. يُقَالُ: جَعَلَ يَفْعَلُ كَذَا. وَالْمَعْنَى: أَنِّي قَعَدْتُ عَنْكَ وَتَرَكْتُ زِيَارَتَكَ، وَإِذَا اتَّفَقَ مَا لَا بَدَّ لِي مِنْكَ وَمِنْ مَعُونَتِكَ مِنْ حَاجَةٍ أَوْ عَارِضٍ سَبَبٍ فَأُنِّي مُعْتَمِدًا عَلَى غَيْرِي فِي التَّنَجُّزِ

والاستسعاف. ومعنى: «أدلوها» من قولك: دلّوت الدّلّو، إذا أخرجتها من البئر، أي) أتسبّب بغيري، وأصون من التبذل عِرضي.

٤٠٣ - وقال شبيب بن البرصاء^(١): [الطويل]

١ - وإني لَتَرَاكَ الضَّغِينَةَ قَدْ بَدَا ثَرَاهَا مِنَ الْمَوْلَى فَمَا أَسْتَشِيرُهَا^(٢)

٢ - مَخَافَةً أَنْ تَجْنِي عَلَيَّ وَإِنَّمَا يَهْبِجُ كَبِيرَاتِ الْأُمُورِ صَغِيرُهَا

يقول: إني أصابِرُ مَوَالِي وأحتمِلُ أَدَاهُمْ، وأعْقِي على فَرَطَاتِهِمْ ما وجدتُ سبيلاً إلى الصُّبر، فَاتَرَكْتُ ضَغَائِنَهُمْ تَبْدُو أَوَائِلُهَا، وتَظْهَرُ مَخَايِلُهَا، ولا أَكْشِفُ عنها ولا أَطْلُبُ ثَوَرَانَهَا، مَخَافَةً أَنْ يَسْتَفْجَلَ الشَّرُّ وَيَرْجِعَ الصَّغِيرُ مِنْ كَبِيرًا، وسَهْلُهُ عَسِيرًا؛ فَإِنْ أَوَائِلُ الْأُمُورِ كُلُّهَا ضَعِيفَةٌ ضَيِّقَةٌ، فإذا اتَّفَقَ لَهَا مَنْ يَهْبِجُهَا وَيَزِيدُ فِي مَوَادِّهَا قُوِيَتْ وَاتَّسَعَتْ. وَالتَّرَاكَ: بناء المبالغة، وهو الكثير التَّرك للشيء، وليس هو باسم الفاعل من تَرَكَ. وَالضَّغِينَةُ وَالضُّغْنُ وَالضُّغْنُ واحد، وهي الحقد والعداوة. ويقال: ضَغِنَ عَلَيَّ وَاضْطَغَنَ. وقال الخليل: الضُّغْنُ فِي الدَّابَّةِ: عَسْرُهُ وَالتَّوَاؤُهُ، وَدَابَّةٌ ضَغِنَتْ، إِذَا نَزَعَتْ إِلَى وَطَنِهَا. وَالتَّرَى: التَّدَى، والفعل منه تَرَى. والمراد به هاهنا مَا يُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَى كَامِنِ الْحَقْدِ. ويقال: ثَارَ الْأَرْنَبُ مِنْ مَوْضِعِهَا، وَاسْتَرْتَهَا أَنَا.

وقوله: «مخافة» انتَصَبَ على أَنَّهُ مفعول له، و«أَنْ تَجْنِي» في موضع المفعول منها، وقد أَضَافَهَا إِلَيْهِ. وقوله: «صغيرها» يراد به الكثرة، أي صغائرها.

٣ - لَعَمْرِي لَقَدْ أَشْرَفْتُ يَوْمَ عُنَيْزَةٍ عَلَى رَغْبَةٍ لَوْ شَدَّ نَفْسِي مَرِيرُهَا

٤ - تَبَيَّنَ أَحْقَابُ الْأُمُورِ إِذَا مَضَتْ وَتُقْبِلُ أَشْبَاهَا عَلَيْكَ صُدُورُهَا

قوله: «على رغبة»، أي: على مرغوب فيه، كَأَنَّهُ كَانَ ظَهَرَ لَهُ مِنَ الْفُرْصِ فِي صَاحِبِهِ مَا لَوْ انْتَهَزَهَا وَلَمْ يَفْعَلْ عَنْهَا لَكَانَ فِيهَا الْاِشْتِقَاءُ مِنْهُ، وَدَرَكَ الْمَطْلُوبَ فِي بَابِهِ، فَلَمَّا لَمْ يَفْعَلْ وَأَصْرَّ صَاحِبُهُ عَلَى مَسَاءَتِهِ أَخَذَ يَتَحَسَّرُ. وقوله: «لو شَدَّ نَفْسِي مَرِيرُهَا»، يريد: لو قَوَّى نَفْسِي عَزِيمُهَا، وَحَصِيفُ رَأْيِهَا. وَالْمَرِيرُ: الْمُتَمَرِّ الْمُحْكَمُ، وَوُصِفَ

(١) شبيب بن يزيد بن جمرة المري، والبرصاء أمه، شاعر إسلامي بدوي من شعراء الدولة الأموية كان يهاجي عقيل بن علفة. ترجمته في الأغاني ١٢: ٣١٦ (دار الكتب العلمية).

(٢) التبريزي: «فلا أستشيرها».

الحبل به لذلك، ويقال: استمرّ مريضُ فلانٍ، إذا استحكَمَ رأيه واستحصَفَ. وغنيزة: موضع^(١).

وقوله: «تَبَيَّنُ أعقابُ الأمور إذا مضت» مثله قول القطامي: [الطويل]

ولا يَعلَمُ الغيب امرؤٌ قبل ما يَرى ولا الأمرُ حَتَّى تَسْتَبِينَ دوابُّه

وأكشَفَ منه قولُ حُميد بن ثور: [الطويل]

أشبهُ غِبَّ الأمرِ ما دَامَ مُقْبِلًا ولكُما تَبَيَّنَتْ في التَّدْبِيرِ^(٢)

وأعقابُ الأمور: أواخرها. ويروى: «تَبَيَّنُ أدبارُ الأمور إذا انقَضَتْ»، يُراد به تَبَيَّنَ. وانتَصَبَ «أشباها» على الحال.

٥ - إذا افْتَحَرَتْ سَعْدُ بْنُ ذُبْيَانَ لم تَجِدْ سِوَى ما ابْتَنَيْنَا ما يَعدُّ فُخُورُها

٦ - أَلَمْ تَرَ أَنَا نُورٌ قَوٌّ وَإِنَّمَا يُبَيِّنُ في الظُّلَمَاءِ للنَّاسِ نُورُها^(٣)

يقول: مَفَاخِرُ سَعْدٍ وَمَبَانِي مكارمها على ما أسَّسه قديمنا، وعَمَرَه حديثنا، فمتى اسْتَعْرِضْتَ المساعي في منافرة الخُصوم لم تجدْ بنو سَعْدٍ ما يعتمدُه فُخُورُها، ويُكَاثِرُ به خَصِيمُها، إلَّا ما شِدَّنَاهُ على مَرِّ الأيام، وتعاقب الأحوال. فقوله: «سوى ما ابتيننا» استثناء مقدَّم. و«ما» يعدُّ في موضع مفعول لم تجد.

وقوله: «أَلَمْ تَرَ» تقرير لمن تصوَّره مخاطبًا، فيقول: أَمَا عَلِمْتَ أَنَا لأهلِ قَوْ^(٤) بمنزلة الثَّور للأبصار، فهم بنا يهتدون، وبمعالنا يقتدون، ولمراسمنا يقتفرون، وبسائر رأينا يستضيئون، ولولا ذلك لكانوا يتوقَّفون في مَرَاشِدِهِمْ فلا يَقْضُونَ، ويتحَيَّرُونَ في آرائِهِمْ فلا يَمْضُونَ، كما أن النَّاسَ لولا ما يَعدُّ به النُّورُ أبصارَهُمْ في رَوَاكِدِ الظُّلَمِ حتَّى يتَبَيَّنُوا المَرِئِيَّاتِ، ويتميَّزُوا أشباحَ المدركات على حقائقها، لوَقَّفُوا حَيَارَى لا يتقدَّمون ولا يتأخَّرون.

ومفعول «يُبَيِّنُ» محذوف، والضمير من نُورُها يعود إلى الظُّلَماء لما كان يتعقَّبها، وهم يُضَيِّفُونَ الشَّيْءَ إلى الشَّيْءِ لأدنى تناسب بينهما.

(١) غنيزة: موضع بين البصرة ومكة (معجم البلدان ٤: ١٦٣).

(٢) البيت ليس في ديوانه. (٣) التبريزي: «نور قوم».

(٤) قَوْ: موضع، وهو منزل للقاصد إلى المدينة من البصرة.

٤٠٤ - وقال معن بن أوس^(١): [الطويل]

١ - لَعَمْرُكَ مَا أَذْرِي وَإِنِّي لَأَوْجَلُ عَلَى إِئِنَّا تَغْدُو المنيئةُ أَوَّلُ
«لعمرك» مبتدأ، وخبره مضمر، وفيه معنى القسم، وقد تقصّي القول فيه. وقوله
«إني لأوجل» مما جاء فيه أفعل ولا فغلاء له، كأنهم استغنوا عن وجلاء بوجلة،
ويقال: وجلت أوجل وأجل وجلاً، وهو وجل وأوجل، وقلبي من كذا أوجل
وأوجر، بمعنى. ويروى: «تغدو المنيئة» و«تغدو» ومعناها ظاهر. وأوّل، بُني على
الضّم، كما فُعِلَ ذلك بقبّل ويغدو، وذاك أنه لما كان أصله أفعل الذي يتم بمن،
وأضيف من بعد، وجعل الإضافة فيه بدلاً من من، والمضاف إليه من تمامه ثم حذف
المضاف إليه ليعلم المخاطب به، وجعل في نفسه غاية، وكان معرفة كما كان قبل
وبعد كذلك وجب أن يُبنى كما بُنِيَ، وموضعه نصب على الظرف. ومعنى البيت:
وبقائك ما أعلم أيّنا يكون المقدّم في عدو الموت عليه، وانتهاء الأجل إليه، وإني
لخائف مترقب، فموضع «على أيّنا» نصب لأنه مفعول ما أذري، والذي لا يدريه هو
مقتضى هذا السؤال، وقوله: «إني لأوجل» اعتراض.

٢ - وإني أخوك الدائم العهد لم أخل
٣ - أحارب من حاربت من ذي عداوة وأخيس مالي إن غرمت فأغفل

يقول: إني وديك الذي يدوم عهده، ويتصل على تقلب الأحوال وتبدل
الأبدال، ولا يحول إن تطاول عليك خصم، أو بطش بك عدو، أو ضاق عنك
منزل، فاحتجت إلى التحول عنه والاستبدال به. وقال الخليل: يقال: أبزيت بفلان،
إذا بطشت به وقهرته. وحكى الدريدي: بزاه ييزوه بزوا، إذا قهره. وأنشد: [البسيط]

جاري ومولاي لا يُبْزَى حريمُهُما وصاحبي من دواء السرّ مُضْطَحَبُ^(٣)

ويُبْزَى يكون مستقبل بُزَى وأبْزَى جميعاً، والله أعلم. ويجوز أن يكون أبْزَى
منقولاً بالألف عن بَزَى يَبْزَى فهو أبْزَى، وامرأة بزواء؛ وهو دخول الظهر

(١) معن بن أوس بن زياد المزني: شاعر فحل من مخزومي الجاهلية والإسلام، له مدائح في
جماعة من الصحابة. (ت ٦٤ هـ / ٦٨٣ م). ترجمته في جمهرة الأنساب ١٩١، والأغاني ١٠:
١٥٦.

(٢) التبريزي: «لم أخز».

(٣) بلا نسبة في اللسان (صحب، بزأ)، وجمهرة اللغة ٢٨٠، وتاج العروس (بزأ، صحب)، وفي
اللسان: «السوء مضطخب».

وُخْرُوجَ الْبَطْنِ. ويكون المعنى: إِنْ خَفَضَ مِنْكَ خَضَمٌ، أَوْ طَاطَأَ مِنْ إِشْرَافِكَ عَدُوٌّ، وَحَمَلَكَ مِنَ الثَّقَلِ مَا يَنْزِي لَهُ ظَهْرُكَ، فَلَا تُطِيقُ الثَّبَاتَ تَحْتَهُ، وَالنَّهْوُضَ بِهِ.

وقوله: «أَحَارِبُ مَنْ حَارِبْتَ» هو تَفْسِيرُ دَوَامِ عَهْدِهِ وَثَبَاتِ وِدِّهِ. والمعنى: تَحَدُّنِي ذَاتًا عَنْكَ وَاقْعًا مَعَكَ، أَرُصِدُ الشَّرَّ لِأَعْدَائِكَ، وَأُدَافِعُهُمْ دُونَكَ، وَإِنْ أَصَابَكَ غُرْمٌ حَبَسْتُ مَالِي عَلَيْكَ، وَاحْتَمَلْتُ فِيهِ الثَّقَلَ عَنْكَ. وكان الواجب أَنْ يَقُولَ: فَأَغْفِلُ عَنْكَ، لِأَنَّهُ يُقَالُ عَقَلْتُهُ إِذَا أُعْطِيتَ دِيَّتَهُ، وَعَقَلْتُ عَنْهُ إِذَا غَرِمْتَ مَا لَزِمَهُ فِي دَيْتِهِ. وقال الخليل: الْغُرْمُ لَزُومٌ نَائِبَةٌ فِي مَالٍ مِنْ غَيْرِ جُنَايَةٍ. وَالْمَالُ إِذَا أُطْلِقَ يُرَادُ بِهِ الْإِبِلُ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَى فَأَغْفِلُ: أَشَدُّهَا بَعْقَلُهَا بِفَنَائِكَ، لَتُدْفَعَهَا فِي غَرَامَتِكَ.

٤ - كَأَنَّكَ تَفْهَمُنِي مِنْكَ دَاءَ مَسَاءَتِي وَسُخْطِي وَمَا فِي رِيئَتِي مَا تَعَجَّلُ^(١)

قوله: «مَسَاءَتِي» يريد مَسَاءَتَكَ إِلَيَّ، وَكَذَلِكَ «سُخْطِي» يريد سُخْطَكَ عَلَيَّ، فَأَفَاضَهُمَا إِلَى الْمَفْعُولِ. وَيُقَالُ: مَسَاءَةٌ وَمَسَائِيَّةٌ. وَالسُّخْطُ وَالسُّخْطُ لَغَتَانِ، وَمِثْلُهُ السُّقْمُ وَالسُّقْمُ، وَالْعُدْمُ وَالْعَدَمُ، وَهُوَ نَقِيضُ الرِّضَا. وَيُقَالُ: سَخِطْتُهُ وَتَسَخَّطْتُهُ، إِذَا لَمْ تَرْضَ بِهِ، وَإِنْ كَانَ فِي التَّفَعُّلِ فَضْلٌ تَكَلَّفَ. وَمَعْنَى الْبَيْتِ: أَنَّكَ تَسْتَمِرُّ فِي إِسَاءَتِكَ إِلَيَّ وَسُخْطِكَ عَلَيَّ، حَتَّى كَأَنَّكَ بِكَ دَاءَ ذَلِكَ شَفَاؤُهُ، وَمَا تَطْلُبُهُ مِنْ عَجَلَتِي لَا تَجِدُهُ فِي بَطْنِي، أَيْ مَا تَقْدَرُهُ يَتَعَجَّلُ لَكَ مِنَ الْمَكَاشِفَةِ بَيْنِي وَبَيْنَكَ، وَاسْتِثَارَةِ الْحِقْدِ الْكَامِنِ فِيكَ، لَا يَحْصُلُ لَكَ مَنِّي مَتَبَاطُنًا أَيْضًا. وَالْمَعْنَى: أَنِّي أَصَابِرُكَ وَأَتْرَكُكَ عَلَى مَدَاجَاتِكَ.

٥ - وَإِنْ سُوِّتَنِي يَوْمًا صَفَحْتُ إِلَى عَدِ لِيُغْفِبَ يَوْمًا مِنْكَ آخِرُ مُقْبِلُ

٦ - سَتَقْطَعُ فِي الدُّنْيَا إِذَا مَا قَطَعْتَنِي يَمِينُكَ فَاَنْظُرْ أَيَّ كَفٍّ تَبْدَلُ^(٢)

قوله: «وَإِنْ سُوِّتَنِي يَوْمًا» يُقَالُ: سُوِّتَ فَلَانًا، وَسُوِّتَ لَهُ وَجْهَهُ مَسَاءَةً وَمَسَائِيَّةً. وَالْمَعْنَى: أَنِّي لَا أُوَاجِدُكَ بِمَا يَظْهَرُ مِنْ مَسَاءَتِكَ، بَلْ أَقَابَلُهُ بِصَفْحٍ جَمِيلٍ عَنْكَ، اِنْتِظَارًا لِفَيْتَةٍ تَظْهَرُ مِنْكَ فِي مُقْتَبِلِ أَمْرِكَ، وَمَرَاجِعَةٍ تَعْفِي عَلَى قَبِيحِكَ، فَإِنْ لَمْ يَتَّفِقْ مِنْكَ عُقْبَى حَسَنَةٍ تُنْسِي زَلَّاتِكَ، بَلْ تُتَابِعَ بَيْنَ مَسِيَّاتِ الْقَطِيعَةِ وَمَوْجِبَاتِهَا بِمَا تُظْهَرُ مِنَ الْجَفَاءِ وَالْعُقُوقِ فِيمَا يَجْمَعُنِي وَإِيَّاكَ، فَإِنَّكَ تَقْطَعُ أَخَاهُ فِي مَظَاهِرَتِكَ، وَالْإِنْطَوَاءِ

(١) التبريزي: «وما في رِيئتي».

(٢) قبل هذا البيت عند التبريزي:

«وَإِنِّي عَلَى أَشْيَاءَ مِنْكَ تَرِيْبُنِي قَدِيمًا لَذُو صَفْحٍ عَلَى ذَاكَ مَجْمَلُ»

على مساعدتك، والدخول تحت طاعتك في كل ما يعين ويعرض لك، بمنزلة يدك اليمنى، فانظر من بعد من تعاض منه، وعلى من تعول إذا صارته. وانتصب «أي كف» بـ «تبدل». وقوله: «ليعقب يوماً منك آخر»، يجوز أن يكون من قولهم أعقب هذا ذاك، أي صار مكانه، ويكون المعنى: ليصير مكاناً يوم من أيامك مذموم يوم آخر منها مقبل محمود، وهذا حسن. ويجوز أن يكون أعقب غير متعد، ويكون من أعقب الأمر عقيباً وعقبى، أي صار له عاقبة. ويرتفع «آخر» بـ «يُعقب»، ويكون قوله يوماً منك ظرفاً. والمعنى: ليصير ما يقبل من أمرك يوماً ذا عاقبة محمودة. ويجوز أن يكون من أعقب فلان عراً، أي أبدل، ويكون المعنى: ليُعقبنا يوماً منك محموداً أمر آخر مؤتلف. ورأيت من يرويه: «ليُعقب يوماً منك آخر» بفتح الياء، ويكون من قولهم عَقَبَ فلان فلاناً إذا خلفه، وهما عقيبان، وقد اعتقبا وتعاقبا. ويكون المعنى: ليخلف يوماً منك يوم آخر مقبل.

٧ - وفي الناس إن رثت حبالك واصل وفي الأرض عن دار القلى متحول

٨ - إذا أنت لم تُنصف أخاك وجدته على شرف الهجران إن كان يغفل

٩ - ويركب حد السيف من أن تضيمه إذا لم يكن عن شفرة السيف مزحل

قوله: «وفي الناس إن رثت حبالك واصل» إظهار للزهد في وداده إذا لم يستقم معه. ويقال: رث الثوب يَرِثُ رُثُوّاً ورثاءة. وقال أبو زيد وأبو عبيدة: رث المتاع وأرث جميعاً. وأنشد لعدي: [الطويل]

أرث جديد الوصل من أم مغبد^(١)

وفي طريقة ما قاله قول لبيد: [الكامل]

واخب المجامل بالجزيل وضرمه باق إذا ضلعت وزاع قوامها

وقول أوس: [الطويل]

وإن قال لي ماذا ترى يستشيرني يجذني ابن عم مخلط الأمر مزيلاً^(٢)

(١) بلا نسبة في المخصص ٩: ١٧٣، وأساس البلاغة (عقب)، ولديد بن الصمة في ديوانه ٥٧، واللسان (رث)، والأصمعيات ص ١٠٦، وجمهرة أشعار العرب ٥٨٧. وعجزه:

«بعاقبة وأخلقت كل موعداً»

(٢) لأوس بن حجر في ديوانه ص ٨٢، وتاج العروس (خلط)، ومقاييس اللغة ٢: ٢٠٩.

فيقول: إذا رغبت عن مواصلي، وتَقَطَّعت حبالُ الودِّ بيني وبينك ففي الناس واصلٌ غيرك، وإذا نَبَا بي جوارك، وضائق عني أرضك وديارك ففي جوانب الأرض سعة ومزحل عنك، سيما والتحول عن دار البُغض والثبُّو لي عادةً اعتادها، وسئمةً أسيرها ولا أُغِدِّلُ عنها. واعلم أنك إذا لم تُغَطِّ أخاك النُصفه ولم توفِّر حقوقه متوخيًا المعدلة، ولم يوجب له عليك مثل ما تُوجب لنفسك عليه، ألفيته هاجرًا لك، مشارفًا قطيعتك، مُسْتَبْدِلًا بك وبمواخاتك إن كانت به مُسَكَّة، أو يمتلكه عقلٌ ومعرفة، ثم لا يُبالي أن يركب من الأمور ما يقطعه تقطيع حدِّ السيف ويؤثر تأثيره فيه، مخافة أن يدخل عليه ضيَمٌ، أو يلحقه عارٌ واهتضام، متى لم يجد عن رُكوبه مَبْعَدًا وَمَعْدِلًا. وكما قال هذا «دار القلي» قال غيره: [الكامل]

دارُ الهوانِ لمن رآها داره^(١)

وقوله: «مِنْ أن تضيمه» معناه بدلًا من أن تضيمه. ويجوز أن يريد بركوب السيف الضَبْر على الحرب والموت. وشفرة السيف: حده. والشفير: حرف كل شيء منه.

١٠ - وكنت إذا ما صاحبَ رَامَ ظئتي وبذل سوءًا بالذي كنتُ أفعلُ

١١ - قَلْبَتَ لَه ظَهَرَ المِجَنِّ فلم أذم على ذاك إلا ريتُ ما أتحوَّلُ

١٢ - إذا انصرفَت نفسي عن الشيء لم تكذ إليه بوجهٍ آخرِ الدهرِ تُقبِلُ

يقول: وإذا رأيتُ صاحبي يتجنى عليّ ويتجرم، ويتطلب عليّ ما يُنتج ظئًا ويولدُ تُهْمَةً، وطيفٌ يقبح آثارِي، ويبدلُ حسناتي، اتَّخذته عدوًّا، وقلبتُ له ظَهَرَ الثُّرس متقيا منه، ومُدْفَعًا له، ولم أذم على تلك الحال المتقدمة معه إلا قدر ما أتحوَّل، وبُطء ما أتثقل. فقوله: «رَامَ ظئتي»، أي: رامَ ارتفاع التُّهْمَةِ عليّ. وقوله: «بالذي كنتُ أفعل»، أي: أفعله، فحذف الضَّمير استطالةً لصِلَة الذي.

وقوله: «إذا انصرفَت نفسي»، يريد: أني نفَسَ التصبر ما أمكن، فإذا أعجزتني الحالُ العارضة عن الاحتمال انصرفتُ مالكا عِنانِي، ثم لا يَتَّينِي على ما أعرضت عنه شيء أبَد الدهر. وقوله: «بوجه» الباءُ تعلق بقوله: تُقبِل، أي لم تكذ تُقبِل إليه بوجه من الوجوه، وعلى لونٍ من الألوان.

(١) لعبد قيس بن خفاف البرجمي في المفضلية (١١٦)، وحماسة البحرى ١٧٩، وعجزه:

«أفراحل عنها كمن لم يرحل»

٤٠٥ - وقال عمرو بن قميئة^(١): [المنسرح]

- ١ - يا لَهْفَ نَفْسِي عَلَى الشَّبَابِ وَلَمْ أَقْضِ بِهِ إِذْ فَقَدْتُهُ أَمَمًا
- ٢ - إِذْ أَسْحَبُ الرِّئْطَ وَالْمُرُوطَ إِلَى أَذْنَى تِجَارِي وَأَنْفُضُ اللَّمَمَا
- ٣ - لَا تَغْبِطِ الْمَرْءَ أَنْ يُقَالَ لَهُ أَضْحَى فَلَانَ لِعُمْرِهِ حَكَمًا^(٢)
- ٤ - إِنْ سَرَّهُ طَوْلُ عَيْشِهِ فَلَقَدْ أَضْحَى عَلَى الْوَجْهِ طَوْلُ مَا سَلِمَا

يتحسر على ما فاته من الشباب وحسن أيامه، ونضارة العيش به، فقال: يا حسرة نفسي على متقضي الشباب ومتوليّه، فإن ما فاتني منه لم أفارق به أمرًا قريبًا، وشيئًا هيئًا، لكنني فقدت به صحة بدني، ورؤعة وجهي، وطيب عيشي، وقوة روعي، حين كنت أجزر ربيطتي (وهو الإزار الذي ليس بملق) ومروطي (وهو جمع مِرْط، وهو ملحفة يؤتزّر بها) إلى أقرب الخمارين إليّ، وأنقض شغل رأسي إعجابًا به، واستحسانًا له، وطربًا يداخُلني في جميع أسبابي معه. ثم قال مُزِرِيًا بالشَّيْب وبما يكتسبه المرء إذا علاه من أ كبار النَّاس له، وتقديهم في المجالس إيَّاه، ومن الرجوع إلى قوله، واستشارتهم فيما يعن من الخطوب رأيّه، فقال: لا تغبطن الرجل ولا ترمقن ولا تجعلن محسدًا إذا قيل فيه: صار فلان حَكَمًا في عشيرته لكثرة تجاربه، وامتداد عمره، ودوام مُزاوَلته للأمور، واتصال لقائه للنَّاس وممارسته لهم وفيهم؛ لأنّه إن سرّه امتداد عمره، وتنفس عيشه فلقد ظهّر في نفسه من ضعف وانحناء، وعلى وجهه من ذبول وسهوم إلى غيرها مما يدل على طول سلامته التي هي الداء الذي لا دواء له. ومثل هذا قول الشاعر: [الطويل]

وَحَسْبُكَ دَاءٌ أَنْ تَصِحَّ وَتَسْلَمَا^(٣)

وقول الآخر: [الكامل]

فَدَعَوْتُ رَبِّي بِالسَّلَامَةِ جَاهِدًا لِيُصِحَّنِي فَلِذَا السَّلَامَةُ دَاءٌ^(٤)

(١) عمرو بن قميئة: شاعر جاهلي مقدّم، أقام في الحيرة مدة وخرج مع امرئ القيس في توجهه نحو قيصر. (ت نحو ٨٥ ق.هـ / ٥٤٠ م). ترجمته في الأغاني ١٦: ١٥٨، والشعر والشعراء ١٤١، وابن سلام ٣٧.

(٢) التبريزي: «أمسى فلان لسته».

(٣) لحميد بن ثور الهلالي في ديوانه ٧، والبيان ١: ١٥٣، والحيوان ٦: ٥٠٣، وصدرة:

«أرى بصري قد رابني بعد صحة»

(٤) البيت لأحد شعراء الجاهلية في الكامل ١٢٥ (ليسك)، وبلا نسبة عند التبريزي ٢: ٦٩٩.

وقوله: «أن يقال له»، أراد: لا يُغَبَط لأن يقال له، ومن أجل أن يقال له.
 وقوله: «أدنى تجاري»^(١) إظهار لغلوه في سبب الخمر وسرفه، ثم تبجح بإضافتهم إلى نفسه.

٤٠٦ - وقال إياس بن القائف:

١ - يُقِيمُ الرِّجَالُ الْأَغْنِيَاءَ بِأَرْضِهِمْ وَتَزِمِي النَّوَى بِالْمُقْتِرِينَ الْمَرَامِيَا^(٢)

يفضل الغنى على الفقر ويبعته على طلبه وارتباده، فقال: ترى الموسرين يتودعون، وتطول إقامتهم في دورهم وأرضيهم يمتعون، والفقراء تراهم ترتجي بهم البلدان الثانية، وتغذف النوى بهم المقاذف البعيدة، والمهالك المستصعبة، فلا يهدون ولا يقرؤون. والنوى: وجهة القوم التي ينوونها. والمرامي: جمع مرمى، وهو المكان لا غير هنا، لأنه قابل الأغنياء بالمقتيرين، وأرض الأغنياء بمرامى الفقراء، لأنهم لا تدويهم دار أبدا، فمجال تسيارهم لكسبهم وتصرفهم كدور أولئك لهم. ومفعل يكون اسما للحدث، وزمانه، ومكانه.

٢ - فَأَكْرِمَ أَخَاكَ الدَّهْرَ مَا دُمْتَ مَعََا كَفَى بِالْمَمَاتِ فُرْقَةً وَتَنَائِيَا

٣ - إِذَا زُرْتُ أَرْضًا بَعْدَ طُولِ اجْتِنَابِهَا فَقَدْتُ صَدِيقِي وَالْبَلَادُ كَمَا هِيََا

يقول: أحسن ضجة أخيك وصاحبك، وتناوله بالإكرام طول الدهر ومدة العمر، فإن المنايا كفئت مفرقة ومبعدة. وقوله: «الدهر» انتصب على الظرف، وما دمتما انتصب على أنه بدل من الدهر. وانتصب «معا» على أنه خبر ما دمتما. ومعنى ما دمتما معا: مدة بقائكما ودوامكما مجتمعين. وقوله: «كفى بالمنايا» موضع بالمنايا رفع على أنه فاعل كفى. وانتصب «فرقة» على التمييز، أو يكون في موضع الحال؛ كأنه قال: كفى بفرقة المنايا فرقة. والتقدير: كفى فرقة بالمنايا من فرقة، أو كفى المنايا مفرقة ومتناية.

وقوله: «إذا زرت أرضا بعد طول اجتنابها»، هذا الكلام توجع وتشك من نوائب الدهر. يقول: أرى الإخوان تخترمهم المنايا فهم يفتقدون، وبلاذهم وأروضهم على ما كانت عليه، فمتى زرت مكانا بعد طول العهد به وجدت أصدقائي مفقودين،

(١) هذه الكلمة وردت في البيت الثاني، وهو يفسرها هنا.

(٢) التبريزي: «تقيم الرجال».

وأماكنهم كما كانت. وقد تقدّم القول في إعراب «كما هيّا»^(١). وقوله: صديقي، يُراد به الكثرة لا الواحد.

٤٠٧ - وقال ربعة بن مقوم^(٢): [الوافر]

١ - وَكَمْ مِنْ حَامِلٍ لِي ضَبُّ ضَغْنٍ بِمِيدٍ قَلْبُهُ حَلَوِ اللِّسَانِ

٢ - وَلَوْ أَنِّي أَشَاءُ نَقَمْتُ مِنْهُ بِشَفْبٍ أَوْ لِسَانٍ تَيَحَّانٍ

كم لفظه وَضِعْتُ للكثير، كما أن رُبَّ وَضِعَ للتقليل، إلّا أنّه اسم ورُبَّ حرف وله موضعان: الاستفهام، والخبر، وهو من باب الخبر هنا. والضَّبُّ: الجفد. قال: [الوافر]

فَمَا زَالَتْ رُقَاكَ تَسْلُ ضِغْنِي وَتُخْرِجُ مِنْ مَكَامِنِهَا ضِبابِي^(٣)

وأضافه إلى الضغن لأنّ الضغن العسر، فكأنّه جفد عسرٍ ولجاج، فيقول: كثير من الرجال يحملون لي الضغائن، ويسرون لي البغضاء، وقد حلا منطقتهم لي جزياً على سنتهم في المداواة، وبعُدَ قلبهم منّي استمراراً في طريق الشنآن لي والمعاداة، ولو شئت لانتقمْتُ منه بالفعل أو بالقول، فإن لساني عريضٌ ويدي عالية، يتأتى له مكافأة كلّ الناس على مقدار فعله، وبمثل ما ينطوي لي من خيرٍ أو شرٍّ. ويقال: نَقَمْتُ عليه أي أنكرت عليه فعله، ونَقَمْتُ منه بمعنى انتقمْتُ، ونَقَمَ ونَقِمَ لغتان. والتَّيْحَانُ لا يُكسر ياؤه، وقد مضى القول فيه^(٤).

٣ - وَلِكِنِّي وَصَلْتُ الْحَبْلَ مَنِّي مُوَاصَلَةً بِحَبْلِ أَبِي بَيَّانٍ

٤ - وَضَمْرَةٌ إِنْ ضَمْرَةٌ خَيْرُ جَارٍ عَافَتْ لَهُ بِأَسْبَابِ مَيَّانٍ

٥ - هِجَانُ الْحَيِّ كَالذَّهَبِ الْمُصَفَّى صَبِيحَةٌ دِيمَةٌ يَجْنِيهِ جَانٍ

قوله: «ولكنّي وصلْتُ الحبل منّي»، يقول: أبقيت على من يعاديني ولم أعجل مؤاخذته بإساءته وإصراره وتماديه فيما أكرهه ولجاجة، لأنّي قد واصلت أبا بيان

(١) انظر الحماسية رقم (٦٢).

(٢) التبريزي: «ابن خالد بن عمرو بن غيث بن السيد بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة، أبو هلال: مقوم هو ابن جابر بن خالد». وقد سبقت ترجمته في الحماسية (٩).

(٣) لكثير في ديوانه ٢٨٠، وأساس البلاغة (رقبي)، والحيوان ٤: ٢٥٠، وسمط اللاكبي ٦٢.

(٤) انظر الحماسية (١٨).

وَعَلَّقْتُ حَبْلِي بِحَبْلِهِ؛ وكذلك احْتَشَمْتُ ضَمْرَةً لَّأَنَّهُ خَيْرُ جَارٍ، وقد اسْتَحْكَمْتُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ أَوَاصِرُ حَفْظُهَا عَنِ الْقَطِيعَةِ وَاجِبٌ، وَلَأَنَ الْعِصَمَ الْمَتِينَةَ الَّتِي تَجْمَعُنَا تُلْزِمُنِي الْقَوْفَ فِيمَا يَكْرَاهِيهِ، وَتَرَكْ مَا لَا يُؤْمِنُنِي اسْتِحَاشَهُمَا، وَهَمَا مَعَ ذَلِكَ كِرَامُ الْحَيِّ لَا غَائِلَةَ لَهُمَا، وَلَا شُبْهَةَ فِي مَصَافَاتِهِمَا وَحُسْنَ عَقِيدَتِهِمَا، فَمَا وَدَّهَا إِلَّا كَلْبَرِيزُ الذَّهَبِ الْمَصْقَى، وَمَا يَظْهَرُ مِنْ مَعَادِنِ الذَّهَبِ صَبِيحَةً مَطَرَةً تَكْشِفُ عَنْ غُرُوقِ الذَّهَبِ، فَيَجْتَنِيهِ الْمُجْتَنُونَ، أَيْ يَلْتَقِطُهُ الْمَلْتَقِطُونَ. وَهَذَا الَّذِي وَصَفَهُ يَقَالُ إِنَّهَا تَكْثُرُ فِي نَوَاحِي الْيَمَنِ وَالْيَمَامَةِ، وَتَسْمَى تِلْكَ الْمَعَادِنُ مَعَادِنَ اللَّقْطِ، فَإِذَا مُطِرَتْ وَانْكَشَفَتِ الْهَبَوَاتُ وَالْغُبَارُ عَنْ وُجُوهِ حَجَارَتِهَا يَظْهَرُ مِنْ عُرُوقِ الذَّهَبِ فِي صَفَائِحِهَا مِثْلُ مَا وَصَفَهُ أَوْ أَحْسَنَ.

وقوله: «هَجَانُ الْحَيِّ» ارْتَفَعَ عَلَى أَنَّهُ خَبَرُ مَبْدَأٍ مَحْذُوفٍ؛ كَأَنَّهُ قَالَ: هُمُ هَجَانُ الْحَيِّ. وَهَجَانٌ جَمْعٌ، وَوَاحِدُهُ هَجَانٌ أَيْضًا، لِأَنَّ فَعِيلًا وَفِعَالًا يَشْتَرِكَانِ فِي الْجَمْعِ كَثِيرًا؛ فَهَجَانٌ جَاءَ مِنْ هَجَانٍ وَاحِدًا كَطُرَافٍ مِنْ ظَرِيفٍ. وَقَوْلُهُ: «كَالذَّهَبِ» فِي مَوْضِعِ الْحَالِ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: «يَجْنِيهِ جَانٌ» حَالٌ مِنَ الذَّهَبِ الْمَصْقَى. وَقَوْلُهُ: «مَوَاصِلَةٌ» يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مُصَدَّرًا فِي مَوْضِعِ الْحَالِ، أَيْ مُوَاصِلًا، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَوْضُوعًا مَوْضِعَ صِلَةٍ فَيَكُونَ مُصَدَّرًا مِنْ غَيْرِ لَفْظِهِ، مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ الْأَرْضِ نَبَاتًا ۝﴾ [نُوح: الْآيَةُ ١٧]، وَقَوْلُهُ: «يَجْنِيهِ جَانٌ» وَضَعَهُ مَوْضِعَ يَلْقُطُهُ.

٤٠٨ - وَقَالَ سَلَمُ بْنُ رَبِيعَةَ^(١):

- | | |
|--|---|
| ١ - إِنَّ شِيْوَءَ وَنَشِيْوَءَ | وَحَبَبَ الْبَازِلِ الْأَمُونِ |
| ٢ - يُجْحِشُهَا الْمَرْءُ فِي الْهَوَى | مَسَافَةَ الْفَنَاطِطِ الْبَطِينِ |
| ٣ - وَالْبَيْضُ يَرْقُلُنْ كَالذَّمَى | فِي الرِّيطِ وَالْمُذْهَبِ الْمَصُونِ |
| ٤ - وَالْكُفْرَ وَالْخَفْضَ آمِنًا | وَشِرْعَ الْمِزْقَرِ الْحَثُونِ |
| ٥ - مِنْ لَذَّةِ الْعَيْشِ وَالْفَتَى | لِلذَّمْرِ وَالذُّهْرِ ذُو فَنُونِ |
| ٦ - وَالْيُسْرَ كَالْعُسْرِ وَالْفَتَى | كَالْمُذْمِ وَالْحَيِّ لِلْمَثُونِ ^(٢) |

(١) التبريزي: «سَلَمِي بن ربيعة»، وقد وردت ترجمته في الحماسية رقم (١٧٩)...

(٢) بعد هذا البيت عند التبريزي بيتان آخران:

«أَمَلِكُنْ طَمَسًا وَبَعْدَهُ
وَأَمَلْ جَاشٍ وَمَارِبٍ
غَذِي بِهِمْ وَذَا جُدُونِ
وَحَيٍّ لِقَمَانٍ وَالثَّقُونِ»

هذه المقطوعة خارجة عن البحور التي وضعها الخليل بن أحمد، وأقرب ما يقال فيها أنها تجيء على السادس من البسيط، وليس هذا موضعاً لبسط الكلام فيه.

والثَّشْوَة: الخمر والسُّكْر. والخَبَبُ والخَبِيب: ضَرْبٌ من السَّيْرِ. والبازِلُ: التي قد استَكَمَل لها تِسْعُ سنين فتناهى قُوَّتُها. والأَمُون: الموثَّقة الخَلْقِي. وخبر إن في قوله: «من لذة العيش».

وقوله: «يُجَشِّمُهَا الْمَرْءُ» من صفة البازل، والمعنى: يكلفها صاحبها قَطْعَ المسافة البعيدة فيما يهواه. والمسافة مأخوذة من السَّوْف، وهو الشَّم. وكان الدليل إذا اشتبه عليه الطريق يفعل ذلك. والغائط: المطمئن من الأرض. والبَطِين: الواسع الغامض.

وقوله: «والبييض يَرْفُلَن كالدَّمَى»، يعني به النساء. وَيَرْفُلَن: يَتَبَخَّرَن في الرِّيط، وهي الملاءة الواسعة. والمُذَهَّبُ المَصُون: يُراد به الثَّياب الفاخرة المطرزة بالذهب. وتعلَّق في من قوله: «في الرِّيط» بِيَرْفُلَن، وكالدَّمَى في موضع الحال. والمعنى: والنساء البيض يتبخَّرن في المصونات من الثَّياب الكريمات وهنَّ مُشَبَّهَات للصور.

والكُثْر انعطَفَ على البييض، كما أنَّ البييض انعطَفَ على «وَحَبَبِ الْبَازِلِ الْأَمُون». والمراد بالكُثْر كثرة المال ومساعدة الحال، وضده القُلْ. وقال الخليل: كُثْر الشَّيْء: أَكْثَرُهُ، وكذلك قُلْ أَقْلُهُ. والخَفْض: التَّوَدُّع. وانتصب «أَمِنًا» على الحال، وانعطَفَ «وَشِرْعَ» على الخفض، فيقول: إنَّ لذات الدنيا من مأكول ومشروب وملبوس ومركوب، وقد استعمله صاحبه فيما يهواه، وكلفه قَطْعَ المسافات فيما تدعوه إليه نفسه، والنساء البيض بالصفة التي ذكَّرها، والغنى والراحة في الأمن والملاهي، جميع ذلك من لذة العيش. وقوله: «وَشِرْعَ الْمِزْهَرِ» أي الأوتار، واجدُها شِرْعَةٌ. والمِزْهَر: العود. والْحَنُون: يُريد به الصَّبِيَّة مِنَ الحنين، فكأنَّه أشار إلى المِزْهَر منقورًا ينقُرُه المُلْهِي. فانظُرْ فَإِنَّهُ جَمَعَ كُلَّ ما يَتَلَذَّ به النَّفْس، وجعلها تامَّة بما قَرَن به من حال الأمن، لأنَّ جميع ذلك إذا عَرِيَ من الأمن لم يُسْتَطَب ولم يُسْتَمَرَّ.

ثم قال: «والفَتَى للذَّهْرِ والذَّهْرُ ذو فنونٍ»، الواو واو الحال، وذو فنونٍ أي ضروب. يريد: أنَّ كلَّ ذلك مما يلتذُّ العائش به، لكنَّ الفَتَى مُهَدَّفٌ للذَّهْرِ، والذَّهْرُ ذو تاراتٍ: كما يَهَبُ يرتجع، وكما يُسَلِّمُ يُعِلُّ، وكما يُودَّعُ يُتَعَب، وكما يُصَفَّى

يَكْدُرُ. وبعد ذلك قال:

وَالْيُسْرُ كَالْعُسْرِ وَالْغِنَى كَالْعُذْمِ وَالْحَيُّ لِلْمُتَوْنِ

يريد: أَنَّ شَيْئًا مِنْ هَذِهِ الْأَحْوَالِ لَا يَدُومُ إِلَّا رَيْتَ مَا يُسَلِّطُ عَلَيْهِ الْقَوَاطِعُ وَالْمَغْيِرَاتُ، فَالْيُسْرُ إِذَا حَصَلَ كَالْإِعْسَارِ، فِي أَنَّ وَاحِدًا مِنْهُمَا لَا يَبْقَى، وَغِنَى النَّفْسِ كَفَقْرِهَا، ثُمَّ انْتِهَاءُ كُلِّ ذَلِكَ لِلْحَيِّ مِمَّا إِلَى الْمَوْتِ الَّذِي لَا غَايَةَ وَرَاءَهُ، وَلَيْسَ يَتَخَلَّصُ مِنْهُ بِحِيلَةٍ تَنْفُذُ، أَوْ رُوِيَّةٌ تُعْمَلُ.

٤٠٩ - وقال آخر^(١): [الطويل]

١ - وَأَنْتَ امْرُؤٌ إِمَّا اتَّمَمْتُكَ خَالِيَا فُخِخْتُ وَإِمَّا قُلْتُ قَوْلًا بَلَا عِلْمِ

٢ - فَأَنْتَ مِنَ الْأَمْرِ الَّذِي كَانَ بَيْنَنَا بِمَنْزِلَةِ بَيْنِ الْخِيَانَةِ وَالْإِثْمِ

يقول: أَنْتَ رَجُلٌ إِمَّا وَثِقْتُ بِكَ فِي شَيْءٍ يُحْتَاجُ إِلَى آدَاءِ الْأَمَانَةِ فِيهِ، وَقَدْ خَلَوْتَ مَعَكَ وَأَظْهَرْتَ السُّكُونَ إِلَيْكَ فَخَنَنْتَنِي، وَإِمَّا اسْتَنْيَيْمُ إِلَى نَاحِيَتِكَ فِي الْخَيْرِ فَكَذَّبْتَ عَلَيَّ، وَخَبَّرْتَ بِمَا لَا عِلْمَ لَكَ بِهِ، فَأَنْتَ مِمَّا بَيْنِي وَبَيْنَكَ وَاقِفٌ فِي مَحَلٍّ بَيْنَ الْخِيَانَةِ فِيمَا اتُّمِمْتُ فِيهِ. وَالْإِثْمِ فِيمَا رَجَعَ إِلَيْكَ فِي الْكُشْفِ عَنْهُ. وَقَوْلُهُ: «اتَّمَمْتُكَ» هُوَ افْتَعَلَ مِنَ الْأَمَانَةِ، وَلَكَ أَنْ تَخَقِّقَ الْهَمْزَةَ وَتُبَدِّلَ مِنْهَا يَاءً، وَلَكَ أَنْ تَعَوِّضَ مِنَ الْهَمْزَةِ تَاءً فَتُدْغِمَهُ فِي التَّاءِ الَّتِي بَعْدَهَا، فَتَقُولُ: اتَّمَمْتُكَ. وَخَالِيَا انْتَصَبَ عَلَى الْحَالِ، وَذُو الْحَالِ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الشَّاعِرَ. وَالْمَعْنَى: جَعَلْتُكَ مَوْضِعًا لِلْأَمَانَةِ وَقَدْ خَلَوْتُ بِكَ لَثَلًا يَتَجَاوَزُنَا السَّرُّ الَّذِي أَوْدَعْتُكَ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ حَالًا لِلْمَخَاطَبِ، وَالْمَعْنَى مَنْفَرَدًا.

وروي أَنَّ رَجُلًا أَتَى عُبَيْدَ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ^(٢) فَأَخْبَرَهُ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ هَمَّامِ السَّلُولِيَّ سَبَّهُ وَأَسْرَفَ جِهَارًا، لَا حِشْمَةَ تَزِدُّعَهُ، وَلَا رِقَبَةً تَمْنَعُهُ، فَأَرْسَلَ عُبَيْدُ اللَّهِ إِلَى ابْنِ هَمَّامٍ وَاسْتَحْضَرَهُ لِيُقَابِلَهُ بِالرَّجُلِ، وَيَتَبَيَّنَ مِنْ حُضُورِهِمَا صِحَّةُ الْخَبَرِ، فَأَتَاهُ ابْنُ هَمَّامٍ، فَلَمَّا اسْتَقَرَّ بِهِ الْمَجْلِسُ، قَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ: يَا ابْنَ هَمَّامٍ، إِنَّ هَذَا يَزْعُمُ أَنَّكَ قُلْتَ كَذَا وَكَذَا، فَأَقْبَلَ ابْنُ هَمَّامٍ عَلَى الرَّجُلِ وَخَاطَبَهُ بِقَوْلِهِ: «أَنْتَ امْرُؤٌ إِمَّا اتَّمَمْتُكَ خَالِيَا»... البيتين.

(١) التبريزي: «هو عبد الله بن همام السَّلُولِي، من بني مرة بن صعصعة من قيس عيلان، وبني مرة يُعرفون ببني سلول، وسلول أمهم، وهي بنت ذهل بن شيان بن ثعلبة».

(٢) عند التبريزي: «إلى زياد بن أبي سفيان».

فإن قيل: ما موضع «إما ائتمنتك» من الإعراب؟ قلت: هو في موضع الرفع على أن يكون صفةً لامرئ. وإما هذه هي التي تُعَدُّ في حروف العطف، والكلام خبر. يريد: أنت رجل لا تخلو مما تَصُكُّ به وجهي من أحد الأمرين الذين أذكرهما، فهو كما تقول: أنت رجلٌ إما صالحٌ وإما طالح. وقوله: «فَحُتَّتْ» انعطف على ائتمنتك؛ كأنه قال: أنت رجلٌ إما مؤتمنٌ فحائنٌ، وإما قائلٌ قولاً لا عِلْمَ لك به. وقوله: «وإما» الواو هي العاطفة. وإما كأو في أنه لأحد الأمرين، إلا أن «أو» يُبْنَى الكلامُ فيه على اليقين، ثم يَغْتَرِضُ ما يخرُجُ به عنه؛ و«إما» يُبْنَى الكلامُ فيه على عَيْن اليقين. ولهذا الذي قلناه قال حُذَّاقُ أصحابنا: إنه ليس من حروف العطف، وكيف يكونُ منها وهو يجيء قبل ما يُعْطَفُ عليهن أو مع حرف العطف، تقول: رأيتُ إما زَيْدًا وإما عَمْرًا، فإما الأولى سابقُ المعطوف عليه وهو زيد، وإما الثانية معها الواو العاطفة.

وقوله: «فأنت من الأمر الذي كان بيننا» مبتدأ وخبره «بمنزلة»، وبينَ الخيانة صفةً للمنزلة. والمعنى: أنت ممَّا بيننا في موقف يُشفي بك إما على الخيانة فيما ائتمنت فيه، وإما على الإثم فيما تُسْتَشْهَدُ فيه، فتقولُ بما لا عِلْمَ لك به.

٤١٠ - وقال شبيب بن البرصاء^(١): [الطويل]

١ - قُلْتُ لِفَلَاتِي بِمِرْزَانٍ مَا تَرَى فما كَادَ لِي عَنْ ظَهْرٍ وَاضِحَةٍ يُبْنِي
عِرْزَانُ: اسمٌ وإد^(٢). وقوله: «عَنْ ظَهْرٍ وَاضِحَةٍ»، يجوز أن يريد عن ظهر خَصْلَةٍ يَبْنِي، والمراد: لما استشرته وقد حصلنا بعِرْزَانٍ ارْتَبَكَ فلم يَكْذِبْ يَكْشِفُ لِي عَمَّا يَصِحُّ المرادُ به، ويمكن الاعتمادُ عليه. ويجوز أن يريد بالواضحة: السَّن. والمعنى: لم يَكْذِبْ يَتَهَلَّلُ أو يَكْشِفُ عن أسنانه به ضاحكًا أو كاشرًا، ويكون استعمال الواضحة كما قال طرفة: [السريع]

كُلُّ خَلِيلٍ كُنْتُ هَادِتُهُ لَا تَرَكُ اللَّهُ لَهُ وَاضِحَةً^(٣)

وقوله: «تَبَسَّمَ كَرَهَا» يدلُّ على الوجه الثاني.

(١) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (٤٠٣).

(٢) عِرْزَان: اسم لعدة مواضع ذكرها ياقوت في معجم البلدان ٤: ١١١.

(٣) لطرفة بن العبد في ديوانه ١٥، ومجمع الأمثال ١: ٣١٧، وديوان الأدب ٣: ٢٣١.

- ٢ - تَبَسَّمَ كَرَاهًا وَاسْتَبْنَتْ الَّذِي بِهِ مِنْ الْحَزَنِ الْبَادِي وَمِنْ شِدَّةِ الْوَجْدِ
 ٣ - إِذَا الْمَرْءُ أَغْرَاهُ الصَّدِيقُ بَدَأَ لَهُ بِأَرْضِ الْأَعَادِي بَعْضُ أَلْوَانِهَا الرُّبْدِ
 انتصب كَرَاهًا عَلَى أَنَّهُ مُصَدِّرٌ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ، يَقُولُ: بَسَّمَ لِي كَارَهَا فَتَبَيَّنَتْ
 الَّذِي بِهِ مِنْ حُزْنٍ ظَهَرَ عَلَيْهِ، وَمِنْ وَجْدٍ اسْتَكْنَى فِي قَلْبِهِ. وَيُقَالُ: اسْتَبْنَتْ وَتَبَيَّنَتْ
 بِمَعْنَى وَاحِدٍ. وَبَسَّمَ وَابْتَسَمَ وَتَبَسَّمَ بِمَعْنَى وَاحِدٍ، إِلَّا أَنَّ فِي تَبَسَّمَ زِيَادَةً مَعْنَى
 التَّكَلُّفِ، كَأَنَّهُ تَكَلَّفَ مِنْهُ مَا تَكَلَّفَ عَلَى كَرَاهِيَةٍ.

وقوله: «إِذَا الْمَرْءُ أَغْرَاهُ الصَّدِيقُ»، يريد به: إِذَا الرَّجُلُ خَذَلَهُ صَدِيقُهُ وَقَعَدَ عَنْ
 نُصْرَتِهِ، وَتَرَكَه بِالْغَرَاءِ، فِي أَرْضِ الْأَعْدَاءِ، بَدَأَ لَهُ مِنَ أَلْوَانِ الْأَرْضِ إِذَا اسْوَدَّتْ
 بَعْضُهَا. وَهَذَا التَّفْصِيلُ وَالتَّبْعِيضُ دَلٌّ عَلَى أَنَّ اسْوَدَادَ الْأَرْضِ يَكُونُ مِنْ وَجْوهٍ عِدَّةٍ،
 وَلِلْحَالَةِ الَّتِي أَشَارَ إِلَيْهَا مَا يَخْتَصُّ بِهَا، وَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ أَشَدَّهَا، وَهَذَا لِأَنَّ مَا يَرِدُ
 عَلَى النَّفْسِ مِنَ الْمَكَارِهِ مَرَاتِبٌ، فَاسْوَدَادُ الْأَرْضِ عَلَيْهِ لَهَا عَلَى حَسَبِ مَقَادِيرِهَا فِي
 أَنْفُسِهَا.

٤١١ - وَقَالَ سَالِمُ بْنُ وَابِصَةَ^(١): [الطويل]

- ١ - أَحِبُّ الْفَتَى يَنْفِي الْفَوَاحِشَ سَمْعُهُ كَأَنَّهُ عَنْ كُلِّ فَاخِشَةٍ وَقَرَا
 ٢ - سَلِيمٌ دَوَاعِي الصُّدْرِ لَا بَاسِطٌ أَدَى وَلَا مَانِعٌ خَيْرًا وَلَا قَائِلٌ هُجْرًا^(٢)

يقول: أَحِبُّ مِنْ أَخْلَاقِ الْفَتَى أَنْ يَكُونَ مُتَكَرِّمًا إِذَا طَرَقَ أَذْنَهُ ذِكْرُ الْفَوَاحِشِ،
 فَلَا يَعْيبُهَا وَلَا يَجْعَلُهَا مِنْ نَفْسِهِ بِيَالٍ، حَتَّى كَأَنَّهُ بِهِ صَمَمًا عَنْ أَنْوَاعِ الْفَوَاحِشِ كُلِّهَا.

وقوله: «سَلِيمٌ دَوَاعِي الصُّدْرِ»، ارْتَفَعَ سَلِيمٌ لِأَنَّهُ خَبِرَ مُبْتَدِئًا مُحذُوفٌ، كَأَنَّهُ قَالَ:
 هُوَ سَلِيمٌ، وَيَكُونُ مَا بَعْدَهُ صِفَاتٍ لَهُ. وَيُرِيدُ بِالدَّوَاعِي مَا يَتَعَلَّقُ بِالْأَغْيَارِ مِنْهُ لَا
 مَا يَخْصُهُ فِي نَفْسِهِ؛ إِلَّا تَرَى أَنَّهُ فَسَّرَهُ بِقَوْلِهِ: «لَا بَاسِطٌ أَدَى وَلَا مَانِعٌ خَيْرًا وَلَا قَائِلٌ
 هُجْرًا»، وَكُلُّ ذَلِكَ لِلتَّغْيِيرِ لَا لِلنَّفْسِ. وَيَكْشِفُ هَذَا أَنَّهُ إِذَا بَسَطَ أَسْبَابَ الْأَذَى عَادَ
 الضَّرَرُ مِنْهَا عَلَى الْمُتَأَذِّي لَا عَلَيْهِ. وَإِذَا مَنَعَ خَيْرَهُ كَذَلِكَ عَادَ الضَّرَرُ عَلَى الْمُتَمَتِّعِ بِهِ،
 وَعَلَى هَذَا إِذَا قَالَ هُجْرًا. وَالْهُجْرُ: الْفُحْشُ. وَيُقَالُ: أَهْجَرَ الرَّجُلُ، إِذَا أَتَى بِهِ، وَقَدْ

(١) التبريزي: «سالم بن وابصة الأسدي»، وقد سبقت ترجمته في الحماسية (٢٤٤).

(٢) التبريزي: «سليم، لا بأسطًا، ولا مانعًا، ولا قائلًا»، وقال: «لك أن تنصب (سليم دواعي الصدر) مع ما بعده فيكون في موضع الحال، وما يتبعه صفات له».

كان من فلان هاجرة؛ على ذلك قوله: [الوافر]

إذا ما شيت نالك هاجرأتي^(١)

ولك أن تنصّب «سليم» بما بعده، فيكون في موضع الحال، وما يتبعه صفات له، وهو لا باسطاً أدى ولا مانعاً خيراً ولا قاتلاً هنجراً.

٣ - إذا ما آتت من صاحب لك زلة فكن أنت محتالاً لزلته عذراً^(٢)

٤ - غنى النفس ما يكفيك من سد حاجة فإن زاد شيئاً عاد ذلك الغنى فقراً^(٣)

يقول واعظاً ومهدئاً: إذا اتفقت من صديق لك زلة، أو وقوف موقف تهمة، فحسن أمره في ذلك واحمله على ضروب مما يتسبب عذره فيه، بل كن أنت المحتال لعذره، فلا تخرجه إلى تكلف الاعتذار.

وقوله: «غنى النفس ما يكفيك من سد حاجة»، يقول: خذ من دنياك ما تسد به فقرك، فإن غنى النفس ما يضمن الكفاية، فإن زاد قليلاً عاد ذلك بزيادتك فيه الفقر، وذلك أن الدواعي إنما تكثر وتتوسع بتوسع الأسباب وكثرتها، وما يفضل عن الكفاية يمت كل جزء منه بمائة صاحبه فلا يكاد يكفي ببعضه إلا وما عداه يمت بمثل مائته. وإذا صار الأمر على ذلك، فكل منزلة ينتهي إليها طلب الفضل تدعوه إلى ما فوقها، فيبقى أبداً متغلباً فقيراً. وقوله: «فإن زاد شيئاً انتصب شيئاً على المصدر؛ لأنه واقع موقع زيادة. وزاد هاهنا بمعنى ازداد، فلا يتعدى، وانتصب فقراً على الحال.

٤١٢ - وقال آخر^(٤): [الطويل]

١ - وكن من لئيم ود آتي شتمه وإن كان شمي فيه صاب وعلقم

(١) البشر بن أبي خازم في ديوانه ١٦٤، وأساس البلاغة (هجر، قذع)، وبلا نسبة في اللسان (هجر). وعجزة:

«ولم أعمل بهن إليك ساقى»

(٢) قبله عند التبريزي:

«إذا شئت أن تدعى كريماً مكزماً أديباً ظريفاً عاقلاً ماجداً حراً»

(٣) التبريزي: «من سد خلّة».

(٤) التبريزي: «وقال المؤمل بن أميل المحاربي». والمؤمل: شاعر جاهلي من أهل الكوفة، أدرك العصر الأموي واشتهر في العصر العباسي وكان فيه من رجال الجيش، عيى في أواخر عمره (ت نحو ١٩٠ هـ / ٨٠٥ م). ترجمته في نكت الهميان ص ٢٩٩، وتاريخ بغداد ١٣: ١٧٧، والأغاني ١٩: ١٤٧.

٢ - وَلَلْكَفُّ عَنْ شَتَمِ اللَّئِيمِ تَكْرُمًا أَضْرُّ لَهُ مِنْ شَتَمِهِ حِينَ يُشْتَمُ

اللئيم: الذي اجتمع فيه خصال مذمومة في نفسه وأبويه، فيقول: كم من رجل دنيتي النفس والأصل، يتمنى أن أتخذة نظيرًا لي أكايله وزنًا بوزن، وأكافيه لفظًا بلفظ، وإن كان في هنجوي له وشتمي إياه ما يجري مجرى الصاب والعلقم في المرارة. والصاب: شجرة لها لبن فإذا إصاب العين حلبها. والعلقم: الحنظل. وقال الخليل: يقال: علقم الحنظل، إذا اشتدت مرارته.

ثم قال: لإمساكي عن مشاتمة اللئام آخذًا بالكرم، أضون لعرضي، وأعوذ عليهم بالضرر من كل ذم وهجو. وانتصب «تكرمًا» على أنه مصدر في موضع الحال، أي متكرمًا، ويجوز أن يكون مفعولاً له، أي للتكرم.

٤١٣ - وقال عقيل بن حُلَفة^(١):

١ - وَلِلدُّهْرِ أَثْوَابٌ فَكُنْ فِي ثِيَابِهِ كَلَيْسَتِهِ يَوْمًا أَجَدَّ وَأَخْلَقَا

٢ - وَكُنْ أَكْيَسَ الْكَيْسَى إِذَا كُنْتَ فِيهِمْ وَإِنْ كُنْتَ فِي الْحَمَقَى فَكُنْ أَنْتَ أَحْمَقَا

ذكر الأثواب مثل، وإنما يريد تلون الدهر بأهله، وتصرفه بأحداثه وتاراته وغيره. واللبسة: اسم حالة اللبس، أي: البس ثيابه لبسته مجداً أو مُخلِقا، وإن أجَدَّ أو أَخْلَقَ؛ لأنَّ الحالَ يتضمن معنى الجزاء. والقصد إلى توصية المخاطب بأن يطلب موافقة الناس في دهرهم، ويتخلق بأخلاقهم. ومعنى أجَدَّ: جعل ثوبه جديداً. وكذلك أخلق الثوب نفسه فهو مُخلِق؛ وهذا أشهر من الأول. وقد قيل في الدعاء للإس الجديد: «أَبْلٍ وَأَجْدَدُ»، يراد به فعلٌ مثله في المستأنف، واتصال عمره. وقد صرح عن المعنى فيما بعده؛ لأنه قال: وَكُنْ أَكْيَسَ الْكَيْسَى إِذَا كُنْتَ فِيهِمْ، والمعنى: تميز مع الأكياس، بل اجتهد أن تفوقهم في كَيْسهم وإن ابتليت بحمقى فتحامق معهم. وقوله: «كُنْ أَنْتَ» أَنْتَ توكيد للمضمر في كُنْ. و«أحمقا» يجوز ألا يريد به أفعل الذي يتم بمن ويكون المعنى تحامق. ويجوز أن يكون أفعل الذي يتم بمن، وقد حذف منه من لأنه خبر فجاز ذلك فيه. ويدل على هذا أنه قال: كُنْ أَكْيَسَ الْكَيْسَى، وقد قيل: ما أحمقه، لأنه ليس من الخلق في شيء، ألا ترى أن صاحبه يؤنخ على ما يأتيه منه. فأما قوله: «الحمقى» ففعل جَمَعَ فيما يكون بلاءً وزمانةً. على ذلك

(١) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (١٣٦).

الجرحى والمَرْضَى، فشُبِّهَت الحمافة به، ثُمَّ حُمِلَ الكَيْسَى عليه، لَأَنَّهُمْ يَحْمِلُونَ
التَّقْيِضَ عَلَى التَّقْيِضِ كَثِيرًا.

٤١٤ - وقال بعض الفزاريين: [البسيط]

١ - أَكْنِيهِ حِينَ أَنَادِيهِ لِأَكْرِمَهُ وَلَا أَلْقُبُهُ وَالسُّوءَةَ اللَّقْبَا

٢ - كَذَاكَ أَذْبْتُ حَتَّى صَارَ مِنْ خُلُقِي إِنِّي وَجَدْتُ مِلَّاكَ الشُّبْمَةَ الْأَدْبَا

يصف حُسْنَ عِشْرَتِهِ لِصَاحِبِهِ وَجَلِيسِهِ، وَمُؤَاخَذَةَ نَفْسِهِ بِصِيَانَتِهِ وَإِكْرَامِهِ، فيقول:
إِذَا خَاطَبْتُهُ خَاطَبْتُهُ بِأَحَبِّ أَسْمَائِهِ إِلَيْهِ، وَهُوَ الْكُنْيَةُ، وَأَعْدِلُ عَنْ تَبْزِيهِ وَلَقَبِهِ؛ لِأَنِّي عَلَى
هَذَا أَذْبْتُ، حَتَّى بِهِ تَطَبَّعْتُ، فَصَارَ خُلُقًا ثَانِيًا لِي وَإِنْ كَانَ أَصْلُهُ تَخَلُّقًا، إِنِّي وَجَدْتُ
الْأَدَبَ مِلَّاكَ الْأَخْلَاقَ. وَالْمِلَّاكُ: اسْمٌ لِمَا يُمْلَكُ بِهِ الشَّيْءُ، فَهُوَ كَالرِّبَاطِ وَالنُّظَامِ وَمَا
أَشْبَهَهُمَا. وَقَوْلُهُ: «وَلَا أَلْقُبُهُ وَالسُّوءَةَ اللَّقْبَا» بِنَصَبِ السُّوءَةِ، فَتَنْصِبُ اللَّقْبَ مِنَ أَلْقَبَ،
وَيَنْتَصِبُ السُّوءَةُ عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ مَعَهُ، فَيَكُونُ مِنْ بَابِ: جَاءَ الْبَرْدُ وَالطَّيَالِسَةُ.
وَالْتَّقْدِيرُ: لَا أَلْقُبُهُ اللَّقْبَ مَعَ السُّوءَةِ. وَيَجْرِي هَذَا الْمَجْرَى قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَجْمَعُوا
أَمْزَكمْ وَفُرْكَاءَكمْ﴾ [يُونُسُ: الْآيَةُ ٧١]؛ لِأَنَّ الْمَعْنَى مَعَ شُرَكَائِكُمْ. وَيَكُونُ الْمُرَادُ:
لَا أَجْمَعُ بَيْنَ اللَّقْبِ وَمَا يَسُوءُهُ مِنْ فُحْشِ الْكَلَامِ، فَهَذَا وَجْهٌ لِلنَّصَبِ. وَيَجُوزُ أَنْ
يَكُونَ انْتِصَابُ السُّوءَةِ عَلَى الْمَعْنَى؛ كَأَنَّهُ قَالَ: وَلَا آتِي السُّوءَةَ، فَعَمَلٌ فِيهِ مَعْنَى
لَا أَلْقُبُهُ، فَيَكُونُ عَلَى هَذَا مِنْ بَابِ: [م. الكامل]

يَا لَيْتَ بَعْلَكَ قَدْ غَدَا مَتَقَلِّدًا سَيْفًا وَزُمَحًا^(١)

عَلَفْتُهَا تَبْنًا وَمَاءً بَارِدًا^(٢)

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ السُّوءَةُ مَفْعُولًا بِهِ، وَقَدْ عَمِلَ مَا قَبْلَ الْوَائِ فِيهِ؛ كَمَا تَقُولُ: مَا
زِلْتُ وَزِيدًا حَتَّى فَعَلَ كَذَا، أَيْ مَا زِلْتُ بَزِيدٍ حَتَّى فَعَلَ. وَتَقْدِيرُ الْبَابِ فِي هَذِهِ أَكْشَفُ

(١) بلا نسبة في أمالي المرتضى ٥٤: ١، وخزانة الأدب ٢٣١: ٢، واللسان (رغب، زجاج، مسح،
قلد، جدع، جمع، هدى).

(٢) بلا نسبة في أمالي المرتضى ١٧٠: ٤، وابن الشجري ٣٢١: ٢، وشرح شواهد المغني ٣١٤،
وقد دُكِرَ صدرًا وعجزه:

«حتى شئت همالة عيناه»

وَدُكِرَ عَجْزًا وَصَدْرَهُ:

«لما حططت الرحل عنها واردا»

من تقدير مَع وإن تقارَب معنيَاهُما؛ كأنه قال: لا ألَقبه اللَقَبَ بالسُّوءة، ويقال: سُمِّيته كذا ويكذا، ولَقَّبته كذا ويكذا. قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ [الحجرات: الآية ١١]. وإن رُفِع فارتفاعة يجوز أن يكون بالابتداء ويكون الخبر مضمراً، كأنه قال: والسُّوءةُ ذاك، يعني: إن لَقَّبته فالفحش فيه. ويجوز أن يكون مبتدأ وخبره اللَقَّبَا، ويكون مَصَدراً كالجَمَزَى والوَكْرَى وما أشبههما. والمراد: والفُحْش استعمال اللَّقَب معه، ويكون تفضيلاً للأمر لو فَعَلَ. ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف؛ كأنه قال: لا ألَقبه اللَقَبَ، وهو السُّوءة، وهذا أقرب. والسُّوءة: الفَعْلَةُ القبيحة. قال الشاعر:

يَا لَقَوْمٍ لِّلْسُوءَةِ السُّوَاءِ^(١)

ويسمى الفَرْج السُّوءة، لقبه. وفي القرآن: ﴿فَدَتْ لَهَا سَوَاءُ تَهُمَا﴾ [طه: الآية ١٢١]. ويقال: سَوَاءٌ لِفُلَانٍ! دعاء عليه.

٤١٥ - وقال رجلٌ من بني قُرَيْع^(٢): [الطويل]

١ - مَتَى مَا يَرِ النَّاسُ الْغَنِيَّ وَجَارَهُ فَقِيرٌ يَقُولُوا عَاجِزٌ وَجَلِيدُ
٢ - وَلَيْسَ الْغِنَى وَالْفَقْرُ مِنْ حِيلَةِ الْفَتَى وَلَكِنْ أَحَاطَ قُسَمَتْ وَجُدُودُ

أخرج هذا الكلام مخرج الإنكار لما تعودَه النَّاسُ في الحكم على الأغنياء والفقراء، فيقول: مَتَى يَقْضِي به النَّاسُ على الغنيِّ وإلى جنبه فقيرٌ، أن يقولوا: هذا من عَجْزِهِ أَيْ، وهذا لجلاذِيهِ أَعْنِي. وهذا خطأ، لأنَّ الْغِنَى وَالْفَقْرَ مَا قَدَّرَ اللهُ تعالى وأَجْرَى به قَسَمَهُ في خَلْقِهِ، وليس المعتمد فيه على احتيالهم، وسَغِيهِم واجتهادهم، لكنها جدود وحظوظ دُرْجوا عليها، وَخُلِقُوا لها، على ما عَرَفَ اللهُ تعالى من صالح خَلْقِهِ.

وجواب: «متى ما يَرِ النَّاسُ قوله: «يقولوا»، وارتفع عاجزٌ على أنه خبر مبتدأ محذوف؛ كأنه: هذانِ عاجزٌ وجلِيدُ.

(١) تمامه:

لم يَهَبْ حرمة النديم وحقت بالقَوْمِ للسُّوءَةِ السُّوَاءِ
(٢) هو المملوط السعدي القريني كما في عيون الأخبار ٣: ١٨٩، والاشتقاق ١٥٥، والبيت الثالث في ملحق ديوان المخيل السعدي، وفي الخزانة ٣: ٢١٩.

- ٣ - إِذَا الْمَرْءُ أَغْيَثَهُ الْمَرْوَةُ نَاشِئًا فَمَطْلَبُهَا كَهَلًا عَلَيْهِ شَدِيدُ
٤ - وَكَائِنْ رَأَيْنَا مِنْ غَنِيِّ مُذْمَمٍ وَصُغْلُوكَ قَوْمٍ مَاتَ وَهُوَ حَمِيدٌ

قوله: «إِذَا الْمَرْءُ أَغْيَثَهُ» بعثَ وتحضيض على التهوؤ في طلب المعالي في ابتداء النشء، وحين كان في القوة فَضْلَةً، وفي العمر مُهْلَةً، حتى تتلاقى أوائل عُمره وأواخره في طلب الرياسة، وإقامة المروءة، وأنه إن دافَعَ بما عليه في ذلك وما طَلَّ انتظارًا لأحوالٍ تجتمع له، فاكتَهَلَ ولَمَّا تساعده تلك الأحوال فإنه يتعذَّر عليه طلبها، ويشتدُّ عليه إدراكها. وانتصب «ناشئًا» على الحال، والعامل فيه أَغْيَثَهُ، ويقال: فتى ناشئ، أي شاب. قال الخليل: ولا يوصف به الجارية. والناشئة: أَوَّلُ الوقت، من هذا. وينتصب «كَهَلًا» على الحال أيضًا، والعامل فيه مطلبها؛ لأنَّ المعنى مطلبه لها وهو كهلٌ، فالمصدر مضافٌ إلى المفعول، أو مطلبه لها إذا كان كَهَلًا، ومثله: هذا تَمَرًا أطيبُ منه بُسْرًا.

وقوله: «وَكَائِنْ رَأَيْنَا» كائِنْ بمعنى كَمْ، وكأَنَّهُ أخذ يفضل الفقرَ إذا جرى صاحبه في محمود الطرائق من التَّجَمُّل، والاكتفاء والتَّعَفُّف، على الغنى وصاحبه يَبْطُر، ويطغى ويأشُر، ثم لا يؤدي حقَّ النعمة عليه، فقال: كم من غَنِيٍّ ساعدته الدنيا والأقدار، ثم أصبح مذمومًا حين لم يلتزم شروطَ محمود الغنى، وكم من فقيرٍ قوم لما جرى في مَيِّدان العَفَاف والتَّجَمُّل والرضا بماله والتشكُّر، مات وهو حميدٌ الطَّريقة، رضي السَّريرة. والصُّغْلُوك: الفقير، ويقال: صعلكته، أي ذهبَ بماله كله.

٤١٦ - وقال بعضهم^(١): [الطويل]

- ١ - وَأَضَحَّتْ أُمُورُ النَّاسِ يَغْشَيْنَ عَالِمًا بِمَا يُثْقَى مِنْهَا وَمَا يُتَمَمُّدُ
٢ - جَدِيرٌ بِالْأَلَا أَسْتَكْبِينَ وَلَا أَرَى إِذَا الْأَمْرُ وَلَّى مُذْبِرًا أَتْبَلَدُ

قوله: «يَغْشَيْنَ عَالِمًا»، أي يغشين مَنِي عَالِمًا؛ لأنَّ العَالِمَ هو هو، فحذف مَنِي. والمعنى: إِنِّي باشرتْ الْأُمُورَ الْعَظِيمَةَ، ولا بَسْتُ الْخُطُوبَ الْجَلِيلَةَ، فصرتُ بِطُولِ تجربتي، وأتصال ممارستي، عَالِمًا من أُمُورِ النَّاسِ إذا وردتْ أخبارها علي بما يُتَحَامَى منها ويُحَذَّر، وما يُتَمَتَّى منها فيُطَلَب. فلا جَرَمَ أَتَى خَلِيقَ آلَا أَضْرَعَ عند نوائب الدَّهْرِ

(١) التبريزي: «وقال آخر».

ولا أخضع، ولا أرى إذا فأتني أمرٌ أتحسّرُ في إثره وقد ولى، وأضربُ بِلْدَةٍ^(١) إحدى كَفَيَّ بالأخرى، توجّعًا وتلهّفًا، إذا كنتُ واثقًا بأنَّ الأمورَ يملكها التغيّرُ، وأنَّ الفاتئ يُتلافى، فلا يدومُ شيءٌ على حالٍ إلا ريثَ ما يتسلّطَ عليه انتقال.

وقال الدُرَيْدي: تَبَلَّدَ الرَّجُلُ إذا تحيّرَ في أمره فأقبل يضرب بِلْدَةً نحره بيده. وبِلْدَةُ النَّحْرِ: الثُّغرة وما حَوَالَيْهَا. وقال الخليل: التَبَلَّدُ: نقيض التجلّد وهو استكانةٌ وخُضوع. وبَلَدَ الرجل، إذا انكسَرَ في العمل وَضَعَفَ.

٤١٧ - وقال آخر^(٢): [الطويل]

- ١ - وإنَّكَ لا تَنزِي إذا جاءَ سائلٌ آأنتَ بما تُعْطِيهِ أمْ هُوَ أَسْعَدُ
- ٢ - عَسَى سائلٌ ذو حاجةٍ إنْ منَعَتْهُ من اليومِ سُوْلاً أنْ يَكُونَ له غَدُ
- ٣ - وفي كَفَرَةٍ الأَيْدِي لِذِي الجَهْلِ زاجِرُ وَلَلْجَلْمُ أَبْقَى لِلرَّجَالِ وَأَعْوَدُ

هذه الأبيات تشبه قول الآخر: [الطويل]

وأكرمَ كريمًا إنْ أتاكَ لحاجةٍ لعاقبةٍ إنْ العَضَاةُ تَرَوَّحُ^(٣)

وقول الآخر: [المنسرح]

لا تُهَيِّنَ الفَقِيرَ علَّكَ أنْ تَرَكَعَ يومًا والدَّهْرُ قد رَفَعَهُ^(٤)

وقوله: «أأنتَ بما تُعْطِيهِ أمْ هُوَ أَسْعَدُ»، تقدير: أأنتَ أسعدَ بما تُعْطِيهِ أمْ هُوَ؟ وأمّ هذه هي المتصلة المعادلة لألف الاستفهام، فانعطف هو به على أنت. وقد يجيء الخبرُ في مثله مكرّرًا؛ كقول الشاعر: [الرجز]

باتَ يَقياسي أمرُهُ أُمْبِرْمُهُ أَعَصَمُهُ السَّحِيلُ أَعَصَمُهُ^(٥)

فيكون التكرار فيه على طريق التأكيد. ويجري «بين» هذا المجرى في نحو قولهم: بينَ زيدَ وبينَ عمروٍ خلاف، ولو لم يكرّرَ بينَ لكانَ الوجه. والشاعر يقول:

(١) البلدة: راحة الكف.

(٢) في ديوان الحماسة برواية الجواليقي: «عدي بن زيد العبادي».

(٣) بلا نسبة في أساس البلاغة (روح)، واللسان (روح).

(٤) للأضبط بن قريع في الأغاني ١٨: ٦٨، والحماسة الشجرية ١: ٤٧٤، وخزانة الأدب ١١: ٤٥٠، والدرر ٢: ١٦٤، والشعر والشعراء ١: ٣٩٠.

(٥) للمعاج في ديوانه ٢: ١٤١، ولروية في أساس البلاغة (برم)، وليس في ديوانه.

إذا زاركَ سائلٌ فتوقّرْ عليه، وليّنْ قولك وجانبك له، فإنك لا تعلم أنت أسعدُ بما يناله منك أم هو، واعلم أنّ المحتاجَ إليك إن منعته سؤله وطليته فهو حقيقٌ بأن ينال ما منعته في غده. وقوله: «أن يكون له غدٌ» في موضع خبر عسى، والضمير من له يعود إلى السائل، والمعنى: عساه إن منعته سؤله من يوم كان عليه، أن يكون غدٌ ذل اليوم له، ولهذا قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ ثَدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: الآية ١٤٠]، فغدٌ يرتفع بكون، وله في موضع الخبر.

وقوله: «وفي كثرة الأيدي لذي الجهل زاجرٌ»، يريد: استبقِ إخوانك وذويك، واعلم أنّ في التكاثر بهم مَزَجَرَةٌ للجاهل، ولتعاونِ أيديهم مدفَعَةٌ لأذى المغلب الخامل. ومع ذلك فالجلم أبقى شأنًا وأمرًا للرجال، وأردُّ عليهم وأنفعُ لهم. وهذه الرِصاة اشتملت على أمرين، أحدهما: اكتسابُ مودّات الإخوان لكي يكونوا إذا احتيج إليهم عونًا. والثاني: استعمالُ الجلم مع الأعداء، والجري معهم على حدٍّ لا يُخرجهم إلى المكاشفة، ولا يُخوِّجهم إلى خرق الهنيئة. وقوله: «من اليوم سولًا»، يقال: أعطيتي فلانٌ سولهُ، فيهمز ولا يهمز.

٤١٨ - وقال آخر: [الطويل]

١ - إِيَّاكَ وَالْأَمْرَ الَّذِي إِنْ تَوَسَّعْتَ مَدَاخِلُهُ ضَاقَتْ عَلَيْكَ الْمَصَادِرُ^(١)

٢ - فَمَا حَسَنَ أَنْ يَغْذِرَ الْمَرْءُ نَفْسَهُ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ عَازِرٌ

انتصب «والأمر» بفعلٍ مضمّر. وإيّاك ناب عن أحذرك، فكأنه قال: أحذرك أن تُلَاسِسَ الأمر الذي إن توسّعت موالجُه ضاقت عليك مخارجُه. والمعنى: تأملْ كلَّ ما تُلَاسِسُه، واعرفْ أواخرَه وإن اشتبَهَتْ، كما تُعرفُ أوائلَه وإن تبيّنت، لأنه يُقْبَحُ بالمرء أن يكون فيما يقتحمُه عند نفسه معذورًا، وعند الناسٍ ملومًا.

وقوله: «فما حسنٌ أن يغذِرَ المرءُ نفسه»، في إعراب «أن يغذِرَ» وجوه: أحدها أن يرتفع بالابتداء وخبره متقدّم عليه، وهو حسنٌ؛ لأنّ ما النافية إذا قُدِّم خبرُه على اسمه يبطل عمله. ويجوز أن يكون موضعه رَفْعًا بفعله وفعله حسنٌ، ويرتفع حسنٌ بالابتداء، ويستغني بفاعله عن خبره، وجاز الابتداء بحسنٍ وإن كان نكرةً لاعتماده على حرف النفي. والمعنى: ما يحسنُ عذرُ المرءِ نفسه فيما يتولاه

(١) التبريزي: «إن توسعت موارد».

وليس له من الناس عاذر. ويجوز أن يرتفع «أن يَغْدِرَ» بأنه خبر المبتدأ الذي هو حسن، وهذا أضعف الوجوه. ويُرْوَى: «إِنَّ تَوْسَعَتْ مَوَارِدُهُ ضَاقَتْ عَلَيْكَ الْمَصَادِرُ»، وقوله: «من سائر الناس» أي من باقي الناس، وهو من السُّؤر، وَمَنْ وَضَعَهُ مَوْضِعَ الْجَمِيعِ فَقَدْ أَخْطَأَ.

٤١٩ - وقال العباس بن مرداس^(١): [الوافر]

١ - تَرَى الرَّجُلَ النَّحِيفَ فَتَزْدَرِيهِ وَفِي أَثْوَابِهِ أَسَدٌ مَزِيرٌ^(٢)

٢ - وَيُعْجِبُكَ الطَّرِيرُ فَتَبْتَلِيهِ فَيُخْلِفُ ظَنُّكَ الرَّجُلُ الطَّرِيرُ

ينبّه بهذا الكلام على أنَّ الرجال ليسوا بِجُرِّ يُطْلَبُ عِظْمُهَا وَيَسْمَنُهَا، لَأَنَّ المَرءَ بِأَصْغَرِهِ: قَلْبُهُ وَلِسَانُهُ، فيقول: تَرَى الرَّجُلَ النَّحِيفَ المَهْزُولَ الدَّقِيقَ، فَتَسْتَحْقِرُهُ لَضُوْلَتِهِ، وَإِذَا فَتَّشْتَ عَنْهُ وَاسْتَشْفَقْتَ مَا وَرَاءَ ظَاهِرِهِ وَجَدْتَهُ أَسَدًا مَزِيرًا. وَالْمَزِيرُ هُوَ الْجَلْدُ الْخَفِيفُ النَّافِذُ فِي الْأُمُورِ. وَيُرْوَى: «يَزِيرُ» وَلَيْسَ بِجَيِّدٍ مِنْ طَرِيقِ الْمَعْنَى، فَكَأَنَّ أَصْلَهُ يَزُرُّ فَتَقَلَّتِ الْحَرَكَةُ إِلَى الزَّاءِ وَأُبْدِلَ مِنَ الْهَمْزَةِ يَاءٌ؛ كَمَا يَقَالُ: الْمَرَأَةُ وَالْكَمَاءُ، فِي الْمَرَأَةِ وَالْكَمَاءَةِ، وَإِنَّمَا ضَعُفَ مِنْ طَرِيقِ الْمَعْنَى لَأَنَّ تَشْبِيهَهُ إِيَّاهُ بِالْأَسَدِ لَا فَائِدَةً لَذِكْرِ الزَّئِيرِ مَعَهُ، إِذْ لَا تَدُومُ حَالُهُ عَلَى ذَلِكَ. وَوَجْهُهُ عَلَى ضَعْفِهِ أَنْ يَكُونَ مَوْرِدُ «يَزِيرُ» تَأْكِيدًا لِلتَّشْبِيهِ؛ كَمَا يُسْتَعَارُ صِفَةُ الْمَشْبُوبِ بِهِ لِلْمَشْبُوبِ وَإِنْ كَانَ حَصُولُهُ لَوْ حَصَلَ دَمًا فِيهِ، تَأْكِيدًا لِلتَّشْبِيهِ. عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ: [الرجز]

أَزَلُّ إِنْ قِيدَ وَإِنْ قَادَ نَصَبٌ^(٣)

وَالزَّلُّ مِنْ صِفَةِ الذَّنْبِ. وَمِثْلُهُ قَوْلُ الْآخَرِ: [الكامل]

صَكَّاءُ ذُعْلِيَّةٍ إِذَا اسْتَدْبَرَتْهَا^(٤)

وَالصَّكُّ مِنْ صِفَةِ التَّعَامِ.

(١) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (١٤٩). قال التبريزي: «قال أبو رياش: هذا الشعر لمعاوية بن مالك معود الحكماء الكلابي».

(٢) التبريزي: «ويرى (مريز) أي قوي القلب شديده، ويروى (يزير) إذا أرادوا يزيرو».

(٣) بلا نسبة في اللسان (نصب، جذب، زلل)، وتاج العروس (نصب، زلل).

(٤) للمسيب بن علس في المفضليات رقم (١١)، وعجزة:

«حرج إذا استقبلتها هلوع»

وقوله: «فَيُعْجِبُكَ الطَّرِيرُ»، فالطَّرِير: الشابُّ الناعم ذو الكِدْثَةِ، فيقول: وَيَتَّفَقُ فِي الرِّجَالِ مَنْ يُعْجِبُكَ خِلْقَتُهُ، فإذا بَلَوْتُهُ وامْتَحَنْتَ أَخْلَاقَهُ وجدته لا يَصْدُقُ ظَنُّكَ فيه، بل يُخْلِفُ وَيُخَالِفُ فِي كُلِّ تَعْتِمِدٍ عَلَيْهِ، أو تَكَلُّهُ إِلَيْهِ.

- ٣ - فَمَا عِظَمُ الرِّجَالِ لَهُمْ بِفَخْرِ وَلَكِنْ فَخْرُهُمْ كَرَمٌ وَخَيْرٌ
 ٤ - ضِعَافُ الطَّيْرِ أَطْوَلُهَا جُسُومًا وَلَمْ تَطُلِ البُرْزَاةُ وَلَا الصُّقُورُ
 ٥ - بَغَاثُ الطَّيْرِ أَكْثَرُهَا فِرَاحًا وَأُمُّ الصُّقْرِ مِثْلَاتُ نَزُورٍ^(١)

صَرَّحَ عَنِ الْغَرَضِ الْمَقْصُودِ فِيمَا تَقَدَّمَ، فَقَالَ: إِنَّمَا يُخَمَدُ مِنَ الْمَرْءِ كَرَمُهُ وَفَضْلُهُ وَكَثْرَةُ مُحَاسِنِهِ وَخَيْرُهُ، وَكُلُّ ذَلِكَ يَرْجِعُ إِلَى الْأَخْلَاقِ لَا إِلَى الْخِلْقِ، فَلَا اعْتِبَارَ بِالْعِظَمِ، وَلَا فَخْرَ فِي الْبَسْطَةِ إِذَا حَصَلَتْ فِي الْجِسْمِ خَاصَّةً مِنْ دُونِ الْعِلْمِ. ثُمَّ أَخَذَ يُمَثِّلُ فَقَالَ: تَرَى الطَّيْرَ ضِعَافُهَا كَالْكِرَاكِيِّ وَطَيُورِ الْمَاءِ أَطْوَلُهَا جُسُومًا، وَأَمْدُهَا أَعْنَاقًا وَسُوقًا، ثُمَّ كِرَائِمُهَا كَالْبُرْزَاةِ وَالصُّقُورِ، وَهِيَ تَصِيدُ مَا وَزَنَهُ يَتَضَاعَفُ عَلَى وَزْنِهَا، وَمَا طَوَّلَهُ وَعَرَضَهُ يَتَزَايَدُ عَلَى طَوْلِهَا وَعَرَضِهَا، ثُمَّ بَغَائِثُهَا وَهِيَ صَغَارُهَا وَمِصْطَادُهَا أَكْثَرُ فِرَاحًا وَأَوْسَعُ نَسْلًا، وَأُمُّ الصُّقْرِ قَلِيلَةُ الْفِرَاحِ مِثْلَاتُ لَا يَبْقَى لَهَا أَيْضًا مَا تُفَرِّخُهُ. وَانْتَصَبَ «جُسُومًا» وَ«فِرَاحًا» عَلَى التَّمْيِيزِ. وَالْمِثْلَاتُ: مِفْعَالٌ مِنَ الْقَلَّتْ، وَهُوَ الْهَلَاكُ. وَالنُّزُورُ: الْقَلِيلَةُ الْأَوْلَادِ، مِنَ النَّزْرِ، وَهُوَ الْقَلِيلُ.

- ٦ - لَقَدْ عَظُمَ الْبَعِيرُ بِغَيْرِ لُبٍّ فَلَمْ يَسْتَفْنِ بِالْعِظَمِ الْبَعِيرُ
 ٧ - يُصَرِّفُهُ الصَّبِيُّ لِكُلِّ وَجْهِ وَيَخْبِسُهُ عَلَى الْخُسْفِ الْجَرِيرِ^(٢)
 ٨ - وَتَضْرِبُهُ الْوَلِيدَةُ بِالْهَرَاوِي فَلَا غَيْرَ لَدَيْهِ وَلَا تَكْبِيرُ

لَمَّا ضَرَبَ الْمَثَلَ بِذَوَاتِ الْأَجْنَحَةِ وَالْمَاشِيَةِ عَلَى رَجُلَيْنِ، عَادَ يَذْكُرُ مِنْ ذَوَاتِ الْأَرْبَعِ مِثْلَ ذَلِكَ، فَقَالَ: تَرَى الْبَعِيرَ مَعَ عِظَمِهِ وَقُوَّتِهِ وَصَبْرِهِ عَلَى التَّهَوُّضِ بِالْأَعْبَاءِ الثَّقِيلَةِ، وَالْأَحْمَالِ الْعَظِيمَةِ، لَمَّا لَمْ يَضْحَبْ عِظَمُهُ اللَّبُّ، وَقُوَّتُهُ التَّمْيِيزُ، لَمْ يَسْتَفْنِ بِمَا أُعْطِيَ مِنْ ذَلِكَ، بَلْ تَرَاهُ مَسْخَرًا لِأَنَّهُ يُدِيرُهُ الصَّبِيُّ عَلَى وَجْهِهِ مِنْ وَجْهِهِ التَّذْلِيلِ، وَيَخْبِسُهُ زِمَامُهُ عَلَى كُلِّ خُسْفٍ وَهَضْمٍ، حَتَّى أَنَّ الْوَلِيدَةَ تَضْرِبُهُ أَوْجَعَ الضَّرْبِ، فَلَا انْكَارَ مِنْهُ وَلَا ذَهَابَ عَنْهُ، وَلَا تَغْيِيرَ إِلَيْهِ وَلَا تَكْبِيرَ لَدَيْهِ.

(١) نسب هذا البيت في اللسان (قلت) إلى كثير عزة.

(٢) التبريزي: «بكل وجه».

وقوله: «الهِرَاوَى» جمع هِرَاوَةٍ، ووزنه فَعَائِل هَرَايَ، لَأَنَّ فَعِيلَةً وَفَعَالَةً يَشْتَرِكَانِ فِي هَذَا الْبِنَاءِ مِنَ التَّكْسِيرِ، تَقُولُ: صَحِيفَةٌ وَصَحَائِفٌ، وَرِسَالَةٌ وَرِسَائِلٌ، إِلَّا أَنَّهُمْ فَرَّوْا مِنَ الْكُسْرَةِ وَبَعْدَهَا يَاءٌ إِلَى الْفَتْحَةِ، صَارَ هَرَاءً، فَاجْتَمَعَ هَمْزَةٌ وَالْفَا ن فَكَاثَةٌ قَدْ اجْتَمَعَ ثَلَاثُ أَلْفَاتٍ أَوْ ثَلَاثُ هَمْزَاتٍ، فَابْدَلُوا مِنَ الْهَمْزَةِ وَآوًا فَصَارَ هَرَاوَى، فَإِنْ قِيلَ: هَلَّا ابْدَلْتُ مِنْهُ الْيَاءَ، كَمَا فَعَلْتَهُ فِي مَطَايَا وَمَا أَشْبَهَهَا؟ قُلْتُ: أَرَادُوا أَنْ يَظْهَرَ فِي الْجَمْعِ الْوَاوُ كَمَا ظَهَرَ فِي الْوَاحِدِ لِيَتَمَيَّزَ بَنَاتُ الْيَاءِ عَنْ بَنَاتِ الْوَاوِ.

٩ - فَإِنْ أَكْ فِي شِرَارِكُمْ قَلِيلًا فَإِنِّي فِي خِيَارِكُمْ كَثِيرُ
يقول: إِنْ كَثُرَنِي شِرَارُكُمْ وَأَرَادَلَكُمْ، لَوْفُورِ عِدَدِهِمْ وَكَوْنِي وَاحِدًا فِيهِمْ، فَإِنِّي أَكْثَرُ خِيَارِكُمْ وَأَغْلَبُهُمْ لِقَلَّتْهُمْ وَكَثُرَتِي، وَذَلِكَ أَنِّي أَتُوبُ عَنْ جَمَاعَةٍ إِذَا عُدَّ الْأَخِيرُ. وَيَجُوزُ أَنْ يَرِيدَ أَنَّهُ لَا خِيَارَ لَكُمْ، فَأَنَا وَإِنْ كُنْتُ وَاحِدًا مِنْ حَيْثُ الْعِدَدُ، كَثِيرٌ إِذَا طُلِبَ الْخِيَارُ مِنْكُمْ، إِذْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ خِيَارٌ.

وقد مَضَى الْقَوْلُ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ فِي حَذْفِ التَّوْنِ مِنْ لَمْ أَكْ وَإِنْ أَكْ.

٤٢٠ - وَقَالَ بَعْضُهُمْ: [الطويل]

١ - أَحَاذِلُ مَا عُمَرِي وَهَلْ لِي وَقَدْ أَتَتْ لِدَاتِي عَلَى خَمْسٍ وَسِتِّينَ مِنْ عُمَرِي
٢ - رَأَيْتُ أَخَا الدُّنْيَا وَإِنْ كَانَ خَافِضًا أَخَا سَفَرٍ يُسَرِّى بِهِ وَهُوَ لَا يَدْرِي
٣ - مُقِيمِينَ فِي دَارِ نُرُوحٍ وَنَغْتَدِي بِلَا أَهْبَةِ الثَّأْوِي الْمَقِيمِ وَلَا السَّفَرِ

وقوله: «ما عمري» استفهامٌ عَلَى طَرِيقِ التَّحْقِيرِ وَالِاسْتِقْلَالِ، فَكَأَنَّ الْعَاذِلَةَ كَانَتْ عَتَبَتْ عَلَيْهِ فِي تَبْذِيرِ وَإِنْفَاقٍ، وَخَوْفَتُهُ الْعَوَاقِبَ وَمَا تَوُدِّي إِلَيْهِ بِاتِّفَاقٍ، فَأَخَذَ يُجَبِّئُهَا وَيَقُولُ: يَا عَاذِلَةُ، أَيُّ شَيْءٍ عُمَرِي، وَكَيْفَ يَدُومُ بَقَائِي حَتَّى أَخَوْفَ بِالْفَقْرِ، وَهَلْ لِي عُمَرٌ وَأَقْرَانِي يَعْلُدُونَ خَمْسًا وَسِتِّينَ سَنَةً. ثُمَّ أَخَذَ يَذُمُّ الْحَرِيصَ عَلَى الدُّنْيَا وَأَعْرَاضَهَا، وَيَقْصُصُ مَا تَسْتَوِي فِيهِ أَقْدَامُ الْخَلَائِقِ مِنْ إِرْصَادِ الْفَنَاءِ لَهَا، فَقَالَ: رَأَيْتُ صَاحِبَ الدُّنْيَا وَإِنْ كَانَ مَتَوَدِّعًا مَقِيمًا، كَالْمَسَافِرِ يُسَارُ بِهِ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ أَجَلَ يَسَاقُ إِلَيْهِ، وَمُنْتَهَى مِنَ الْعُمَرِ يَحَالُ عَلَيْهِ، فَالْأَيَّامُ تَأْخُذُ مِنْهُ، وَتَنْقُصُ مِنْ عُمَرِهِ، فَهُوَ كَالْمَسَافِرِ وَقَدْ انْتَوَى نِيَّةً فَمَا يَقْطَعُهُ مِنَ الْمَسَافَةِ يَقْرُبُهُ مِنْ مَقْصَدِهِ، وَيُعَجِّلُ وَصُولَهُ إِلَى أَمَدِهِ.

وقوله: «مقيمين في دارٍ» انتصب عَلَى الْحَالِ مِنْ قَوْلِهِ: «أَخَا الدُّنْيَا» لِأَنَّهُ أَرَادَ بِهِ الْكَثْرَةَ، فَهُوَ كَأَسْمَاءِ الْأَجْنَاسِ. وَقَالَ: «نُرُوحٍ وَنَغْتَدِي» لِأَنَّهُ مِنْ إِخْوَانِ الدُّنْيَا، فَأَدْخَلَ

نفسه فيهم. وقوله: «بلا أهبة الثاوي المقيم ولا السفر»، يريد: لا نأمل البقاء في هذه الدنيا، ولا نأمن الفناء، فلسنا كالثاوي فتأهب أهبتة، ولا كالمسافر فعُدَّ عُدَّتَه، وأراد بالثاوي المقيم الكثرة لا الواحد، وقد تقدّم القول في حقيقة العمر.

٤٢١ - وقال بعضهم^(١): [الطويل]

- ١ - لا تَغْتَرِضْ فِي الْأَمْرِ تُكْفَى شُؤْنَهُ وَلَا تَنْصَحَنْ إِلَّا لِمَنْ هُوَ قَابِلُهُ
 - ٢ - وَلَا تَخْذُلِ الْمَوْلَى إِذَا مَا مُلِمَّةٌ أَلَمْتُ وَنَازِلٌ فِي الْوَعَى مَنْ يُنَازِلُهُ^(٢)
- يوصي مخاطبه بأن يغرض عن الأمر الذي لا يغنيه، ويترك الاعتراض فيه، وألا ينصح إلا لمن يرجو قبول النصيح منه، وبألا يخذل ابن عمه إذا نزلت به نازلة، بل يُنَازِل مَنْ يَنَازِلُهُ، وينأى مَنْ ينأوه. وهذا على طريقتهم في قولهم: «انصُر أخاك ظالمًا أو مظلومًا». وأصل الوعى هو الجلبة والصوت. وقوله: «في الأمر تُكْفَى شُؤْنُهُ»، يريد: تُكْفَى أسبابه وجوانبه. والضمير من «قابله» لما دلَّ عليه قوله: لا تَنْصَحَنْ، وهو النصيح.

٤٢٢ - وقال منظور بن سحيم^(٣): [الطويل]

- ١ - وَلَسْتُ بِهَاجٍ فِي الْقَرْىِ أَهْلَ مَنْزِلٍ عَلَى زَادِهِمْ أَبْكِي وَأَبْكِي الْبَوَاكِيَا
- ٢ - فَإِنَّمَا كِرَامٌ مُوسِرُونَ أَنْبَتْهُمْ فَحَسْبِي مِنْ ذِي عِنْدَهُمْ مَا كَفَانِيَا^(٤)
- ٣ - وَإِنَّمَا كِرَامٌ مُفْسِرُونَ عَذَرْتُهُمْ وَإِنَّمَا لِقَامٌ فَادَكَّرْتُ حَيَاتِيَا

يصف نفسه بالتعفف عن المطامع الدنيئة، والمطاعم الدميمة، فيقول: لا أهجو بسبب القرى، وهو ما يُقدِّم إلى الضيف، ولا أشكو أهل دار فأبكي على ما يفوتني من زادهم وأبكي غيري معه. وقوله: «أبكي وأبكي البواكيا» لا بكاء ثم، وإنما أراد

(١) هو عبيد بن أيوب العنبري كما في مجموعة المعاني ١٤، وعبيد بن أيوب: أحد بني العنبر بن عمرو بن تميم، وكان جنى جنابة فطلبه السلطان وأباح دمه، فهرب في مجاهل الأرض وأبعد لشدة الخوف. انظر الشعر والشعراء ٧٥٨، واللاكل ٣٨٣.

(٢) بعده عند التبريزي:

«ولا تحرم المولى فإنه أخوك ولا تدري لعلك سائله»

(٣) منظور بن سحيم بن نوفل بن نضلة الأسدي الفقعسي: أدرك الجاهلية والإسلام وسكن الكوفة. ترجمته في الإصابة (٨٤٧١)، والمرزباني ٣٧٤.

(٤) التبريزي: «من ذو عندهم».

تفطيع التأسف، فيريد: لا آسفُ لما أرى من الجرمان آسفٌ مَنْ يَبْكِي وَيُبْكِي غَيْرَهُ تَهَالِكًا عَلَى مَالٍ غَيْرِهِ، وَتَوَجُّعًا لشدَّةِ نَهْمَتِهِ.

وقوله: «فَلَمَّا كِرَامٌ» فَصَلَ بَيْنَ حَرْفِ الْجَزَاءِ وَالْفِعْلِ بِقَوْلِهِ كِرَامٌ، فَارْتَفَعَ بِفِعْلِ مُضْمَرٍ ذَلَّ عَلَيْهِ الْفِعْلُ الَّذِي بَعْدَهُ؛ كَأَنَّهُ قَالَ: فَلَمَّا يُقْصَدُ كِرَامٌ مُوسِرُونَ أَتَيْتُهُمْ. وقوله: «فَحَسْبِي» فِي مَوْضِعِ الْإِبْتِدَاءِ، وَ«مَا كَفَانِي» فِي مَوْضِعِ الْخَبَرِ، وَالْفَاءُ مَعَ مَا بَعْدَهُ جَوَابُ الشَّرْطِ. وقوله: «مِنْ ذِي عِنْدَهُمْ»، أَرَادَ: مِنْ عِنْدَهُمْ، وَالْعَرَبُ تَقُولُ: هَذَا ذُو زَيْدٍ، يَرِيدُونَ: هَذَا زَيْدٌ؛ وَهَذَا مِنْ إِضَافَةِ الْمُسَمَّى إِلَى الْاسْمِ. قَالَ الْكُمَيْتُ: [الطويل]

إِلَيْكُمْ ذَوِي آلِ النَّبِيِّ تَطَلَّعْتُ^(١)

يريد: يَا أَصْحَابَ ذَا الْاسْمِ. وَقَالَ الْأَعَشَى: [البسيط]

فَكَذَّبُوهَا بِمَا قَالَتْ فَصَبَّحَهُمْ ذُو آلِ حَسَّانٍ يُزْجِي الْمَوْتَ وَالشَّرْعَا^(٢)

أي: الْعَسْكَرُ الَّذِي يُقَالُ لَهُ آلُ حَسَّانٍ.

وَيُرْوَى: «مِنْ ذُو عِنْدَهُمْ»، وَيَكُونُ ذُو بِمَعْنَى الَّذِي، وَعِنْدَهُمْ فِي صَلْتِهِ، وَذُو هَذِهِ طَائِفَةٌ. وَالْمَعْنَى: لَا يَخْلُو مَنْ أَقْصَدُهُ بِهِ مِنْ وَجْهِهِ: إِمَّا أَنْ يَكُونُوا قَوْمًا يَرْجِعُونَ إِلَى كَرَمٍ وَيَسَارٍ، فَيَتَوَقَّرُونَ عَلَيَّ حَسَبَ مَا يَقْتَضِيهِ كَرَمُهُمْ وَأَكْتَفِي مِنَ الَّذِي عِنْدَهُمْ لِي بِمَا يَكْفِينِي، وَإِمَّا أَنْ يَكُونُوا كِرَامًا مُضْطِيقِينَ أَثَرُ الدَّهْرِ فِيهِمْ، فَأَعْذِرُهُمْ لِإِضَاقَتِهِمْ، وَعِلْمِي بِحَالِهِمْ. فَقَوْلُهُ: «وَإِمَّا كِرَامٌ مُعْسَرُونَ»، بَيَّأَنَهُ: وَإِمَّا قُصِدَ كِرَامٌ مُضْطِيقُونَ عَذْرَتُهُمْ فِي تَقْصِيرِهِمْ، وَإِمَّا أَنْ يَكُونُوا قَوْمًا لَثَامًا فِي أَخْلَاقِهِمْ دَنَاءَةً، وَفِي أَعْرَاقِهِمْ نَذَالَةً، فَتَذَكَّرْتُ حَيَاتِي وَصِيَانَتِي لِنَفْسِي، فَلَمْ أَبْذُلْ لَهُمْ وَجْهِي، وَلَمْ أَبْتَدِلْ بِتَقَاضِيهِمْ وَمُطَالَبَتِهِمْ جَاهِي.

٤ - وَعِزُّنِي أَبْقَى مَا أَدْخَرْتُ ذَخِيرَةً وَبَطْنِي أَطْوَيْهِ كَطَيِّ رِدَائِنَا

قوله: «أَبْقَى مَا أَدْخَرْتُ» مَا فِي مَوْضِعِ الْجَزْءِ، كَأَنَّهُ قَالَ: عِزُّنِي أَبْقَى شَيْءٍ أَدْخَرَهُ ذَخِيرَةً، أَيْ اكَتَسَبَهُ ذَخِيرَةً، فَعَلَى هَذَا يَنْتَصِبُ «ذَخِيرَةً» عَلَى الْحَالِ الْمُؤَكَّدَةِ لِمَا

(١) لِلْكُمَيْتِ بْنِ زَيْدٍ فِي خَزَانَةِ الْأَدَبِ ٣٠٧: ٤، وَاللَّسَانُ (ظَمًا، لَبِّبَ، نَسَا، ذُو، ذَا)، وَلَيْسَ فِي دِيَوَانِهِ. وَعَجَزَهُ:

«نَوَازِعُ مِنْ قَلْبِي ظَمَاءٌ وَالْبَبُّ»

(٢) لِلْأَعَشَى فِي دِيَوَانِهِ ١٥٣، وَخَزَانَةُ الْأَدَبِ ٣٠٨: ٤، وَتَاجُ الْعُرُوسِ (أَوَّلُ).

قبله. وأدْخَرَ: افتعلَ من الدُّخْر لكنه أبدل من التاء دالاً فأدغم الدال فيه، فلك أن تقول: ادْخُر، ولك أن تقول: ادْخَر.

وهذا الكلام بيانٌ ما يأخذ به نفسه من الصيانة والقناعة، وسلوك طرائق الانقباض عما يَشِين ولا يَزِين من الانبساط إلى اللثام؛ فكأنه قال: أَبْقِي على عِرْضِي، لأنه أعزُّ الذخائر لي، وأطوي بطني عن المآكل المُرْدِيَةِ كما أطوي ردائي، إذ كان التَّرهُّد فيما يُخْزِي أولى عِنْدِي.

٤٢٣ - وقال سالم بن وابصة^(١):

١ - وَنِيرِبٍ مِنْ مَوَالِي السَّوءِ ذِي حَسَدٍ يَقْتَاتُ لَحْمِي وَمَا يَشْفِيهِ مِنْ قَرَمٍ
٢ - دَاوَيْتُ صَدْرًا طَوِيلًا غِمْرُهُ حَقْدًا مِنْهُ وَقَلَّمْتُ أَظْفَارًا بِلَا جَلَمٍ

النَّيرِب: النَمِيمة والعداوة. وقوله: «وَنِيرِبٍ»، أراد: وذو نيرب، والمصدر وما يجري مجراه إذا وُصِفَ به إمَّا أن يكونَ على حذف المضاف، وإمَّا أن يُجْعَلَ الموصوفُ نفسَ الحَدِثِ لكثرة وقوعه منه، فيقول: رُبُّ ذِي نِيرِبٍ حَسُودٍ مِنْ مَوَالِي السَّوءِ، يَغْتَابُنِي بظَهِرِ الْغَيْبِ، ويأكل لحمي ولا يَشْفِيهِ ذَلِكَ مِنْ قَرَمٍ. والقَرَم: شَهْوَةُ اللحم. والمعنى: أَنَّهُ لَا يَكْفِيهِ مَا يَتَنَاوَلُ مَنِّي وَإِنْ كَانَ لَا يَأْلُوا جُهِدًا فِي ثَلْبِي. وجواب رُبُّ قوله: «داويت» من البيت الثاني. ويقْتَاتُ: يفتعل من القُوت، وهو فِعْلُ المطَاوَعَةِ. ويقال: قَاتَهُ كَذَا فَاقْتَاتَهُ.

ومعنى «داويت صدرًا طويلًا غِمْرُهُ»، أي: صابرتُهُ على مُدَاجَاتِهِ وانطوائِهِ على حَقْدِي، فَدَفَعْتُ شَرَّهُ عَنْ نَفْسِي بطول مداواتي، وَقَلَّمْتُ حَدَّهُ بترك مكاشفَتِهِ حتَّى لم يجد إلى إثارة كَامِنِ غِمْرِهِ طريقًا، فاحتاج إلى الإمساك عن أذاتي، لدوام تمسْكِ بمجاملته شَاءَ أَوْ أَبَى. وقوله: حَقْدًا هو اسم الفاعل من حَقَدَ، وهو لَغَةٌ فِي حَقَدَ. يقال: حَقَدَ يَحْقِدُ فهو حَقُودٌ، وَحَقَدَ يَحْقَدُ فهو حَقْدٌ.

٣ - بِالْحَزْمِ وَالْخَيْرِ أَسْدِيهِ وَأَلْحِمُهُ تَقْوَى الْإِلَهِ وَمَا لَمْ يَزَعْ مِنْ رَجَمِي^(٢)
٤ - فَأَصْبَحْتُ قَوْسُهُ دُونِي مُؤْتَرَةً يَزِمِي عَدُوِّي جِهَارًا غَيْرَ مُكْتَرِمٍ

الباء من قوله: «بالحزم» تعلق بقَلَّمْتُ أو داويت من البيت المتقدم. والخَيْرُ: الكَرَمُ، وقيل: هو الهيئة والطبيعة، يقال: هو كريم الخيم والخير جميعًا. وقوله:

(١) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (٢٤٤). (٢) التبريزي: «من رحم».

«أُسْدِيهِ وَأُلْحَمَهُ» خَبْرَانِ لُفَّ أَحَدُهُمَا بِالْآخَرِ، فَقَوْلُهُ: «تَقْوَى الْإِلَهِ» يَرْجِعُ إِلَى أُسْدِيهِ، وَ«مَا لَمْ يَزَعْ مِنْ رَجَمِي» رَجَعَ إِلَى أُلْحَمَهُ. وَالْمَعْنَى: دَاوَيْتُ صَدْرَهُ أَيْ مَكْنُونُ صَدْرِهِ، وَقُلَّمْتُ ظَفْرَهُ بِاسْتِعْمَالِ الْحَزْمِ وَالْخَيْرِ مَعَهُ، ثُمَّ جَعَلْتُ تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى سَدَى مَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ، وَالْحَمْتُهُ رَعَايَةٌ مَا ضَيَّعَهُ مِنَ الرُّجْمِ، فَلَا جَرَمَ أَنَّهُ كَفَّ مِنْ شَأْوِ شَرِّهِ وَغَزَبِ عِدَاوَتِهِ، وَأَقْبَلَ فِي الظَّاهِرِ يُعَادِي مِنْ يُعَادِينِي، فَقَوْسُهُ الْآنَ مُوْتَرَةٌ دُونِي يَرْمِي مِنْهَا أَعْدَائِي بِأَسْهُمِ الثُّنْزَةِ، مُجَاهَرَةً لَا مَكَاثِمَةً.

٥ - إِنْ مِنَ الْحِلْمِ دُلًّا أَنْتَ عَارِفُهُ وَالْحِلْمُ عَنْ قُدْرَةِ فَضْلٍ مِنَ الْكَرَمِ
نَبَّهَ بِهَذَا الْكَلَامِ عَلَى أَنْ تَحَلَّمَهُ عَنْ أَدَانِيهِ كَانَ عَنْ قُدْرَةٍ لَا عَنْ عَجْزٍ وَتَقِيصَةٍ، وَلَوْ شَاءَ لَانْتَقَمَ مِنْهُمْ. وَأَنَّهُ لَمْ يُكْسِبْهُ إِمْسَاكُهُ عَنْ مُجَادِبَتِهِمْ دُلًّا، وَلَوْ كَانَ يُفْضِي بِهِ الْحَالُ إِلَى ذَلِكَ لَمَا فَعَلَ، فَتَحَلَّمَهُ كَرَمًا، وَإِبْقَاؤُهُ عَلَى مَا يَجْمَعُهُ وَإِيَّاهُمْ مِنْ قُرْبَى وَقَرَابَةٍ تُقَى وَتَفْضُلٍ. وَقَوْلُهُ: «فَضْلٌ مِنَ الْكَرَمِ»، يَرِيدُ: أَنَّهُ نَوْعٌ مِنَ الْفَضْلِ يُعَدُّ فِي خِصَالِ الْكَرَمِ. وَمِثْلُ هَذَا قَوْلُ الْآخَرِ: [الطويل]

جَهُولٌ إِذَا أَرَزَى التَّحَلُّمَ بِالْفَتَى حَلِيمٌ إِذَا أَرَزَى بِذِي الْحَسَبِ الْجَهْلُ

٤٢٤ - وَقَالَ بَعْضُهُمْ^(١): [الوافر]

١ - وَأَعْرِضْ عَنْ مَطَاعِمٍ قَدْ أَرَاهَا فَاتْرُكْهَا وَفِي بَطْنِي انْطِوَاءٌ

٢ - فَلَا وَأَبِيكَ مَا فِي الْعَيْشِ خَيْرٌ وَلَا الدُّنْيَا إِذَا ذَهَبَ الْحَيَاءُ^(٢)

يُمَاتِلُ هَذَا قَوْلَ الْآخَرِ: [الكامل]

وَلَقَدْ أَبَيْتُ عَلَى الطَّوَى وَأَظْلُهُ حَتَّى أَنَالَ بِهِ كَرِيمَ الْمَطْعَمِ^(٣)

قَوْلُهُ: «وَأَظْلُهُ» يَرِيدُ أَظْلُ عَلَيْهِ، فَحَذَفَ حَرْفَ الْجَرِّ؛ كَمَا قَالَ:

لَوْلَا الْأَسَى لَقَضَانِي^(٤)

(١) التبريزي: «وقال آخر». وفي الحماسة البصرية ٢: ١٠ لجميل بن المعلّى الفزاري.

(٢) بعده عند التبريزي:

«يعيش المرء ما استحيا بخير ويبقى العود ما بقي اللحاء»

(٣) لعنترة في ديوانه ٢٤٩، واللسان (ظلل)، وكتاب العين ٧: ٤٦٦ (والرواية المعروفة: كريم المأكلي).

(٤) قطعة من بيت لأعرابي من بني كلاب في الكامل (لييك)، واللسان (غرض، قضى)، وتماه مع

بيت سابق له:

أي: لقضى عليّ.

٤٢٥ - وقال نافع بن سعد الطائي: [الطويل]

- ١ - أَلَمْ تَغْلِمِي أَنِّي إِذَا النَّفْسُ أَشْرَفَتْ عَلَى طَمَعٍ لَمْ أَتَسَّ أَنْ أَتَكْرَمَا
 - ٢ - وَلَسْتُ بِلَوَامٍ عَلَى الْأَمْرِ بَعْدَمَا يَفُوتُ وَلَكِنْ عَلَّ أَنْ أَتَقَدَّمَا
- يقول: أَمَا عَلِمْتَ مِنْ أَخْلَاقِي الْكَفَّ عَنْ كَثِيرٍ مِنَ الْمَبَاغِي الْجَالِبَةِ لِقَالَةِ النَّاسِ وَتَصَرُّفِهِمْ فِي الْحُكْمِ عَلَيْهِ وَلَهُ، وَأُنِّي إِذَا أُمَكَّنِي الْفُورُ بِالْمَطَامِعِ الْقَرِيبَةِ وَالْمَأْكَلِ الْهَنِئَةِ، فَأَشْرَفْتُ مِنْهَا عَلَى تَحْصِيلِهَا لَمْ أَتَسَّ أَخَذَ النَّفْسَ بِالنَّظَرِ فِيهَا، وَاسْتَعْمَلَ الْكَرَمَ فِي تَرْكِ مَا يَجْمَعُ عَلَيَّ عَارًا مِنْهَا. وَقَوْلُهُ: «عَلَى طَمَعٍ» أَي: عَلَى مَطْمُوعٍ فِيهِ، وَمِنْهُ قِيلَ لَأَرْزَاقِ الْجُنْدِ: أَطْمَاعُهُمْ.

وقوله: «وَلَسْتُ بِلَوَامٍ» يَقُولُ: إِذَا فَاتَنِي أَمْرٌ لَا أَرْجِعُ عَلَى نَفْسِي بِاللُّؤْمِ الْكَثِيرِ تَحَسُّرًا فِي إِثْرِهِمْ، لَكِنِّي حَقِيقٌ أَنْ أَتَقَدَّمَ فِي تَحْصِيلِهِ قَبْلَ فَوَاتِهِ إِنْ كَانَ مِمَّا يُهَيِّمُ، وَقَوْلُهُ: «وَلَكِنْ عَلَّ» هُوَ أَصْلُ لَعَلَّ، وَهُوَ حَرْفٌ مَوْضُوعٌ لِلطَّمَعِ وَالْإِشْفَاقِ، وَاسْمُهُ مُضْمَرٌ كَأَنَّهُ قَالَ: وَلَكِنْ لَعَلَّنِي أَنْ أَتَقَدَّمَ، وَهُوَ يَجِيءُ بِأَنْ وَبِغَيْرِ أَنْ، فَإِذَا كَانَ مَعَهُ أَنْ أَفَادَ فَائِدَةَ عَسَى، وَإِذَا جَاءَ بِغَيْرِ أَنْ كَانَ الْفِعْلُ أَقْرَبَ وَقَوْعًا؛ لِأَنَّ أَنْ لِلْإِسْتِقْبَالِ، وَلَعَلَّ وَإِنْ كَانَ حَرْفًا يَبْعَثُ مَعَ أَفْعَالِ الْمُقَارَبَةِ وَهِيَ عَسَى وَكَادَ، وَلَوَّامٌ بِنَاءُ الْمُبَالَغَةِ، وَلَيْسَ بِمَبْنِيٍّ عَلَى لَوْمٍ لِأَنَّ الْمَبْنِيَّ عَلَيْهِ هُوَ مُلَوَّمٌ.

٤٢٦ - وقال بعض بني أسد^(١): [الطويل]

- ١ - إِنِّي لَأَسْتَغْنِي فَمَا أَبْطَرُ الْغِنَى وَأَعْرِضُ مَيْسُورِي عَلَى مُبْتَغِي قَرْضِي
- ٢ - وَأَعْسِرُ أَحْيَانًا فَتَشْتَدُّ عُسْرَتِي فَأُذِرُكَ مَيْسُورَ الْغِنَى وَمَعِيَ عِزُّوَتِي
- ٣ - وَمَا نَالَهَا حَتَّى تَجَلَّتْ وَأَسْفَرَتْ أَخُو ثِقَةٍ مَنِّي بِقَرْضٍ وَلَا قَرْضٍ^(٢)

= «فَمَنْ يَكُ لَمْ يَغْرِضْ فَإِنِّي وَنَاقَتِي بِحِجْرِ إِلَى أَهْلِ الْحِمَى غَرَضَانِ
تَحَنُّنُ فِتْبَدِي مَا بِهَا مِنْ صَبَابَةٍ وَأَخْفِي الَّذِي لَوْلَا الْأَسَى لِقَضَائِي»
(١) هُوَ الْحُكْمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَسَدِيُّ كَمَا فِي أَمَالِي الْقَالِي ٢: ٢٦٠، وَهُوَ شَاعِرٌ مُقَدَّمٌ، هَجَاءٌ، مِنْ شُعْرَاءِ بَنِي أُمَيَّةَ، كَانَ أَعْرَجَ أَحَدَبَ، مَنَزَلُهُ وَمَنْشُؤُهُ الْكُوفَةُ. (تَ نَحْوُ ١٠٠هـ / ٧١٨م). تَرْجَمْتُهُ فِي الْأَغَانِي ٢: ٤٠٥، وَتَهْذِيبُ ابْنِ عَسَاكِرَ ٤: ٣٩٦.
(٢) بَعْدَهُ عِنْدَ التَّبْرِيزِيِّ:

«وَأَبْذَلَ مَعْرُوفِي وَتَصَفَّوْا خَلِيقَتِي إِذَا كَدَرَتْ أَخْلَاقُ كُلِّ فِتْنَى مَخْضَرٍ»

يَعْدُدُ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ عَادَاتِهِ فِي حَالَتِي الْغِنَى وَالْفَقْرَ، فَقَالَ: إِنِّي أَنَا الْغِنَى فَلَا يَكْسِبُنِي أَشْرًا وَلَا بَطَرًا، لَكِنِّي أَشْكُرُ الْوَاهِبَ وَأَبْقَى عَلَى حَالَتِي الْأُولَى، بَلْ يَقْرَبُنِي مَا أَنَا لَهُ مِنَ الْمُتَصِلِينَ بِي، وَالْمَنْضَمِّينَ إِلَيَّ بِسَبَبِ مِنَ الْأَسْبَابِ، فَأَعْرِضُ مَا يَتَيَسَّرُ لِي عَلَى طُلَّابِ قَرْضِي، وَأُشْرِكُ مَنْ يَمِثُّ إِلَيَّ فِي الْخَيْرِ الْمُتَنَاجِ. وَقَدْ يَتَعَقَّبُ الْإِسَارَ إِعْسَارًا فِي الْوَقْتِ بَعْدَ الْوَقْتِ، فَأَصْبِرُ وَإِنْ اشْتَدَّ عُشْرِي، وَأَسْبِلُ عَلَى نَفْسِي جَنَاحَ تَحْمُلِي وَتَعَفُّفِي حَتَّى أَدْرِكَ مِيسُورَ الْغِنَى وَنَفْسِي مَعِي، لَمْ أَبْتَذُلْهَا وَلَمْ أَدُنْسْهَا بِتَعْرِيزٍ أَوْ تَصْرِيحٍ لِمُفْضِلٍ أَطْلُبُ بِهِمَا عِنْدَهُ مَطْمَعًا، وَاجْتَلَبَ مَرْغَبًا.

وقوله: «وما نالها»، يريد: وما نال تلك العُسرة أخ لي يُوثِقُ بؤده لا بعاريّة ولا بعطيّة، إلى أن انكشفت وفارقت.

وقوله: «أَبْطَرُ الْغِنَى»، معناه: أَبْطَرُ فِي الْغِنَى حَتَّى أَذْهَبَ عَنْ سَنَنِ الشُّكْرِ فَأَتَجَاوَزُهُ وَأَخْلَفَهُ وَرَائِي، غَمَطًا لِلنِّعْمَةِ، أَوْ جَهْلًا بِحَقِّ الصَّنِيعَةِ. وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرَبِكُمْ بَطَرَتْ مَيْسَتُهُا﴾ [الْقَصَص: ٥٨]. وقوله: «أَعْرِضُ مِيسُورِي» وَضَعَهُ بِلَفْظِ الْمَفْعُولِ لِلْمَصْدَرِ، يَرِيدُ الْيُسْرَ. وَمِثْلُهُ مَالُهُ مَعْقُولٌ، وَضَدُّهُ حُجِلَ عَلَيْهِ وَهُوَ الْعُسْرُ، فَقِيلَ: مَعْسُورٌ؛ وَإِنَّمَا قَالَ: «وَمَعِي عِزْضِي» لِأَنَّهُ إِذَا صَانَهُ عَنِ الْقَبَائِحِ وَلَمْ يُسَلِّطْ عَلَيْهِ مِنْ يَتَمَلَّكُهُ بِهَيْبَةٍ أَوْ صَلَّةٍ، فَكَأَنَّهُ مَعَهُ لَمْ يَفَارِقْهُ. وَلَوْ أَجْرَاهُ عَلَى غَيْرِ هَذَا لَكَانَ مَفَارِقًا لَهُ، وَدَاخِلًا فِي مَلَكَةِ غَيْرِهِ.

٤ - وَلِكِنَّهُ سَنِبُ الْإِلَهِ وَرِخْلَتِي وَشُدِّي حَيَازِيمَ الْمَطِيَّةِ بِالْعَرَضِ

الهاء من قوله: «ولكنه» يعود إلى ميسور الغنى. واستدرك النفي من قوله: «ما نالها حتى تجلّت» بقوله لكن، يريد: لكن الغنى المتجدّد، وهو عطية الله تبارك وتعالى، وتقلبي وارتحالي، وشُدِّي حَيَازِيمَ الْمَطَايَا بِالْعُرُوضِ؛ كَأَنَّهُ ذَكَرَ الْأَسْبَابَ الَّتِي يَسِّرُ لَهَا الْغِنَى، وَأَنَّهَا لَمْ تَخْرُجْ مِنْ تَفَضُّلِ اللَّهِ تَعَالَى وَاجْتِهَادِهِ. وَقَوْلُهُ: «الْمَطِيَّةُ» أَرَادَ بِهَا الْجِنْسَ، لِذَلِكَ قَالَ: «حَيَازِيمَ» وَجَمَعَهَا. وَالسَّيْبُ: الْعَطَاءُ وَالْمَعْرُوفُ، وَكَثُرَ فِي الْأَسْتِعْمَالِ حَتَّى سُمِّيَ الْكَنْزُ سَيْبًا، وَقِيلَ: لَمَّا تَخَرَّجَهُ الْمَعَادِنُ سَيْبًا. وَالْعَرَضُ وَالْعُرْضَةُ: الْبَطَانُ، وَهُوَ لِلْبَعِيرِ بِمَنْزِلَةِ الْحِزَامِ لِلدَّابَّةِ، وَالْمَعْرِضُ مِنْهُ كَالْمَخْرَمِ.

٥ - وَأَسْتَنْقِذُ الْمَوْلى مِنَ الْأَمْرِ بَعْدَمَا يَزِلُّ كَمَا زَلَّ الْبَجِيرُ عَنِ الدَّخْضِ

٦ - وَأَمْنَحُهُ مَالِي وَوُدِّي وَنُضْرَتِي وَإِنْ كَانَ مُحَنًى الضَّلُوعِ عَلَى بُغْضِي^(١)

يقول: إِنِّي أَنْعَطَفُ عَلَى أَبْنَاءِ عَمِّي، فَأَخْلَصُهُم مِنَ الشَّدَائِدِ، وَأَخْذُ بِأَصْبَاعِهِمْ إِذَا زَلَّتْ أَقْدَامُهُمْ، فَأَقِيمُهُمْ بَعْدَ أَنْ كَانَتْ زَلَّتْهُمْ كَزَلَّةِ الْبَعِيرِ عَنِ الْمَزْلَقَةِ. وَإِنَّمَا خَصَّ الْبَعِيرَ لِأَن سَقَطَتْ أَفْلَظَعُ وَأَسْرَعُ فِي الْمَزَلِ، يُقَالُ: مَكَانٌ دَخْضٌ وَمَذْخَصَةٌ، وَدَحَضْتُ رَجُلُ الْبَعِيرِ، إِذَا زَلَّتْ. قَالَ: [الطويل]

وَجِذْتُ كَمَا خَادَ الْبَعِيرُ عَنِ الدَّخْضِ^(١)

ومنه: ﴿جَنَّهُمْ دَاخِصَةً﴾ [الشورى: الآية ١٦]، أي: لا تثبت. ودَحَضْتُ الشَّمْسُ عَنْ كَيْدِ السَّمَاءِ: زَالَتْ.

وقوله: «وَأَمْنَحْهُ مَالِي»، يريد: أَنِّي بَعْدَ اسْتِنْقَازِي إِثَاءَهُ أَتَوَقَّرُ عَلَيْهِ بِبَذْلِ الْمَالِ، وَإِخْلَاصِ الْوَدِّ، وَتَقَرُّبِ الثَّوْبَةِ، وَإِنْ كَانَ مَنْطَوِيًا عَلَى الْعِدَاوَةِ وَالْبَغْضَاءِ.

وقوله: «مَحْنِي الضُّلُوعَ»، أي: مَعْطُوفُهَا. وَيُقَالُ: حَنَيْتُ الشَّيْءَ وَحَنَوْتُهُ حَنِيًا وَحَنَوًا، فَهُوَ مَخْنِيٌّ.

٤٢٧ - وَقَالَ حَاتِمُ الطَّائِي^(٢): [الطويل]

- ١ - وَمَا أَنَا بِالسَّاعِي بِفَضْلِ زَمَامِهَا لِتَشْرَبَ مَاءَ الْحَوْضِ قَبْلَ الرِّكَائِبِ
- ٢ - وَمَا أَنَا بِالطَّائِي حَقِيبَةَ رَحْلِهَا لِأَبْعَثَهَا خِفًا وَأَتْرُكُ صَاحِبِي^(٣)

يقول: لَا أَجْتَذِبُ إِلَى نَفْسِي الْفَضْلَ مَعَ خُلَطَائِي وَشُرَكَائِي فِي الشُّرْبِ وَغَيْرِهِ فَلَا أَتَسَرَّعُ فِي الْوُرُودِ مُسْتَعَجِلًا بِرَاحِلَتِي لِتَشْرَبَ مَاءَ الْحَوْضِ قَبْلَ وُرُودِ رِكَائِبِهِمْ. وَمَعْنَى

= «وَيَغْمُرُهُ جِلْمِي وَلَوْ شِئْتُ نَالَهُ وَأَقْضِي عَلَى نَفْسِي الْأَمْرَ نَابِنِي وَلَسْتُ بِذِي وَجْهَيْنِ فَيَمُنُّ عَرَفَتَهُ وَإِنِّي لَسَهْلٌ مَا تُغَيِّرُ شَيْمَتِي (١) لَطَرَفَةً فِي دِيَوَانِهِ ١٣٨، وَاللِّسَانَ (دَحَضَ)، وَتَاجَ الْعُرُوسِ (دَحَضَ)، وَبِلَا نِسْبَةٍ فِي أَسَاسِ الْبَلَاغَةِ (دَحَضَ). وَصَدْرُهُ:

«رَدِيتُ وَنَجَى الْيَشْكِرِي حَذَارَهُ»

(٢) حَاتِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعْدِ الطَّائِي الْقَحْطَانِي: فَارِسٌ شَاعِرٌ جَوَادٌ، جَاهِلِيٌّ، يُضْرَبُ الْمَثَلُ بِجُودِهِ «ت ٤٦ ق. ٥٧٦ م». تَرْجَمَتْهُ فِي: تَهْذِيبِ ابْنِ عَسَاكِرَ ٣: ٤٢٠، وَالشَّعْرِ وَالشَّعْرَاءِ ٧٠.

(٣) بَعْدَهُ عِنْدَ التَّبْرِيزِيِّ:

«إِذَا كُنْتُ رُبًّا لِلْقُلُوصِ فَلَا تَدَعُ أَنْخَهَا فَأَرْدَفَهُ فَإِنَّ حَمَلَتُكُمَا رَفِيقُكَ يَمْشِي خَلْفَهَا غَيْرَ رَاكِبٍ فَذَلِكَ وَإِنْ كَانَ الْعَقَابُ نَعَاقِبٍ»

قوله: «بالسَّاعِي بفضل زمامها»: السَّابِقُ بما أُعْطِيَ راحلتي مِنْ زمامِها، وهذا مثل.
والرَّكائب: جَمْعُ رَكوبٍ، وهو اسمٌ يَجْمَعُ ما يُرَكَّب، ويقال: رَكُوبَةٌ، فهي كالحلوبة
والحمولة، وتقع للواحد والجمع.

وقوله: «وما أنا بالطَّاوِي حَقِيبَةٌ رَحِلِها»، يقول: وإذا كان لي رفيقٌ في السَّفَرِ
وسَّعتْ جَنابِي له، ولا أتركُه يمشي وقد خَفُفَتْ حَقِيبَةُ رَحْلِ نَاقَتِي طلبًا للإبقاء عليها،
ولكنِّي أزدِفُه أو أركِبُه. والحَقِيبَةُ: ما يُشَدُّ خَلْفَ الرَّحْلِ. قال: [الكامل]

والبِرُّ خَيْرُ حَقِيبَةِ الرَّحْلِ^(١)

والفعل منه: احْتَقَبَ واستَحَقَبَ. واستَعِيرَ فَعِيل: احْتَقَبَ إثمًا. قال: [السريع]

فاليومَ فاشْرَبَ غَيْرَ مُسْتَحَقِّبٍ إثمًا من الله ولا واغِل^(٢)

٤٢٨ - وقال آخر: [الطويل]

١ - وإني لأنسى عِندَ كُلِّ حَفِيزَةٍ إِذَا قِيلَ مَوْلَاكَ، احتمالَ الضَّغائنِ

٢ - وإن كان مَوْلَى لَيْسَ فِيمَا يَنْوِينِي مِنَ الْأَمْرِ بِالْكَافِي وَلَا بِالْمُعَاوِنِ

يصف نفسه بأنَّ الحقد ليس من طَبْعِهِ ولا عادته، فيقول: إني أَشْفِقُ على مَوْلِي حَتَّى إِذَا اتَّفَقَ لَوَاحِدٍ ما يَحْتَاجُ مِنِّي إلى مَعُونَةٍ نَسِيتُ سَيِّئَتِهِ، ولم أَحتَمِلْ في صَدْرِي له ضِغْنَةً، فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ وَأَعْنَتُهُ على دهره، وإنَّ كَانَ فِيمَا يَنْوِينِي لَيْسَ بِكَافٍ لِي وَلَا مُعِينٍ، إِذْ كُنْتُ أَوْجِبُ له بكونه مَوْلَى ما يُنْسِي تَبَاغُضَهُ وجفاءه. والحَفِيزَةُ: الحَصْلَةُ يُحْفَظُ لها الْإِنْسَانُ، أي: يُغَضَّب. ويقال: «أهلُ الحَفَائِظِ أَهلُ الحِفَاظِ»، لأنَّهم يُحَامُونَ من وراء إِخوانِهِمْ. وانتصب «احتمالَ» بِأَنْسَى. والضَّغائن: جمع الضَّغِينَةِ، وقد مرَّ ذِكْرُها.

٤٢٩ - وقال آخر^(٣): [الطويل]

١ - وإني لَعَفٌ عَن مَطَاعِمِ جَمَّةٍ إِذَا زَيْنَ الْفَخْشَاءَ لِلنَّاسِ جَوْعُها

قد مضى له نظائر.

(١) لامرئ القيس في ديوانه ٢٣٨، وأساس البلاغة (حقب)، وتاج العروس (حقب).

(٢) لامرئ القيس في ديوانه ١٢٢، والأصمعيات ١٣٠، وحماسة البحري ٣٦، وخزانة الأدب ٤: ١٠٦، والدرر ١: ١٧٥.

(٣) هذه الحماسية غير موجودة عند التبريزي.

٤٣٠ - وقال آخر: [الطويل]

- ١ - وَمَوْلَى جَفَتْ عَنْهُ الْمَوَالِي كَأَنَّهُ
مِنَ الْبُوسِ مَطْلِيٍّ بِهِ الْقَارُ أَجْرَبُ
- ٢ - رَفِئْتُ إِذَا لَمْ تَزَامِ الْبَايِلُ ابْنَهَا
وَلَمْ يَكُ فِيهَا لِلْمُبْسِينَ مَخْلَبُ
- يقول: رُبَّ ابْنِ عَمٍّ زَهْدَ أَقَارِبِهِ فِي الْإِحْسَانِ إِلَيْهِ فَاطْرَحُوهُ وَانْتَنُوا عَنِ الْفِكْرِ فِيهِ وَالتَّوَفُّرِ عَلَيْهِ، تُبَوُّا عَنْهُ وَعَنِ اصْطِنَاعِهِ، فَأَثَّرَ فِيهِ الْبُوسُ، وَأَحَاطَ بِجَوَانِبِهِ الشَّقَاءُ وَالضَّرُّ، حَتَّى صَارَ كَالْبَعِيرِ الْجَرَبِ وَقَدْ طُلِيَ بِالْقَارِ، هَيْئَةً وَلَوْنًا، وَضُؤُولَةً وَانْخِرَالًا، وَتَبَاعُدًا عَنِ النَّاسِ وَتَجَافِيًا، أَنَا عَطَفْتُ عَلَيْهِ، وَأَشْرَكْتُهُ فِيمَا وَهَبَ اللَّهُ لِي فِي وَقْتٍ مِنَ الزَّمَانِ لَا يُؤْوِي أَحَدٌ مِنْ أَهْلِهِ غَيْرَهُ، لِيُشْمَلَ الْقَحْطُ، وَغَلَبَةَ الضَّرُّ وَالْفَقْرُ، حَتَّى أَنَّ الثُّوْقَ تُؤْثِرُ التَّبَاعُدَ عَنْ أَهْلِهَا فَلَا تَرَأُهَا، وَتَرَى الَّذِينَ يُبْسُونَ بِذَوَاتِ الْأَلْبَانِ عِنْدَ الْحَلَبِ، لَا يَجِدُونَ فِي ضَرْعِهَا خَيْرًا، وَيَقَالُ: بَسٌّ بِالنَّاقَةِ وَأَبْسٌ، إِذَا دَعَاها لِلْحَلَبِ. وَمِنْ أَمْثَالِهِمْ: «لَا أَفْعَلُ كَذَا مَا أَبْسُ عَبْدٌ بِنَاقَةٍ»^(١)، أَي دَعَاها لِلْحَلَبِ. وَيَقَالُ: رَفِئْتُ النَّاقَةُ رِثْمَانًا، إِذَا عَطَفْتُ.

٤٣١ - وقال عروة بن الورد^(٢): [الطويل]

- ١ - دَعَيْتَنِي أَطُوفُ فِي الْبِلَادِ لَمَلْنِي
أَفِيدُ غِنًى فِيهِ لِذِي الْحَقِّ مَخِيلُ
- ٢ - أَلَيْسَ عَظِيمًا أَنْ تُلِمَ مُلِمَةٌ
وَلَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْحَقُوقِ مُعْوَلُ
- يُخَاطَبُ عَادِلَةً لَهُ فِيمَا هُمْ بِهِ مِنَ التَّرْحَالِ فِي طَلَبِ الْمَالِ، فَقَالَ: أَتُرْكِينِي وَمَا أَخْتَارُهُ مِنَ التَّجَوُّالِ، وَالتَّنَقُّلِ فِي الْبُلْدَانِ، طَمَعًا فِي خَيْرٍ أَسْتَفِيدُهُ، وَغِنًى أَسْتَجِدُّهُ، لَكِنِّي إِذَا نَابَنَّا ذُو حَقٍّ وَجَدَ عَلَى مَالِنَا مَخْمَلًا، وَعَلَيْنَا فِي التَّزَامِ وَاجِبُهُ مُتَّكِلًا؛ لِأَنَّ مَنْ جَالَ نَالَ، وَمَنْ قَرَعَ بَابًا وَجَدَ وَلُوجًا، وَأَوَّلُ دَرَجِ الْجِرْمَانِ الرُّقُوفُ عِنْدَ أَدْنَى الْهِمَّتَيْنِ، وَآخِرُهَا الرُّضَا بِأَوْدَعِ الْعَيْشَيْنِ.

وقوله: «أليس عظيمًا»، يريد: تقريرها على فظاعة الفقر والفاقة، وقباحة إمساك الناس عن تعليق الرِّجاء بهم والطُّماعة، فقال: أَلَا تَسْتَعْظِمُ أَنْ تُثَوِّبَ الْحَيَّ نَائِبَةً فَلَا يُعْوَلُونَ عَلَيْنَا فِي الْإِحْتِمَالِ عَنْهُمْ، وَلَا يَرْتَجُونَ مِنَّا تَعَطُّفًا عَلَيْهِمْ، لِاتِّضَاعِ حَالِنَا، وَتَأَكُّدِ

(١) المثل في اللسان (بسس)، قال اللحيان: «وهو طوافه حولها ليحلبها».

(٢) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (١٤٥).

الْيَأْسِ مِنْ نَيْلِنَا. وقوله: «أُنَيْدُهُ» بمعنى: أستفيد. وأليس يقرّر به في الواجب الواقع، وأن تُلَمَّ في موضع الرفع بليّس.

٤٣٢ - وقال آخر: [الطويل]

١ - تَنَاقَلْتُ إِلَّا عَنْ يَدِ اسْتَفِيدُهَا وَخُلَّةِ ذِي وَدٍّ أَشَدُّ بِهِ أَزْرِي

هذا في طريقة ما تقدّم. والمعنى: أني أبتاطأ عن المطالب والمباغي كلّها إلا إذا اتفق مصنّع عند حرّ، فإني أتسرّع إليه، وأتخفّف في تحصيله، مخافة أن يفوز به غيري، لأن اعتقاد الجنّ في أعناق الرجال أعدّه غنيمة تُغتَنَم، وفائدة تُدخّر، ولأ صدّاقه أخ وديد اعتمدها في مدافعة شرّ، ولاشتداد أزر، فإني أجمع يدي عليها، ولا أصبر على المزاحمة فيها. ويقال: شدّ فلان أزره، إذا شدّ معقّد إزاره، ويقال: آزره على أمره، إذا ظاهره وعاونته عليه.

٤٣٣ - وقال عبد الله بن الزبير^(١): [البسيط]

١ - لَا أَحْسِبُ الشَّرَّ جَارًا لَا يُفَارِقُنِي وَلَا أَحُرُّ عَلَى مَا فَاتَنِي الْوَدَجَا

٢ - وَمَا نَزَلْتُ مِنَ الْمَكْرُوهِ مَنْزِلَةً إِلَّا وَثِقْتُ بِأَنْ أَلْقَى لَهَا فَرَجَا

يصف حسنَ ثقته بربه، وجميلَ ظنه بتفضله، وأنه قد جرّب وتبصّر، وعرف من أعقاب الأمور ما جعله لا يذلّ لئابة، ولا يتخشّع لنازلة، فلا يظنّ الشرّ إذا بليّ به ضربة لازم لا يخالف، وجار سوء لا يفارق. قال: وإذا فاتني أمر وإن جلّ لا أهلك أسى في أثره، ولا أقتل نفسي جزعاً لفوته، ولا أنزل من مظانّ المكاريه منزلة إلا وثقتي بتلقّي الفرج وتعجّله على أقرب مسافة مني. والودجان: عرقان يقطعهما الذابح، ويقال: ودجت الذّابة، إذا أصبت ودجها.

٤٣٤ - وقال مالك بن حزم^(٢): [الطويل]

١ - أَتَيْتُ وَالْأَيَّامُ ذَاتُ تَجَارِبٍ وَتُبْنِي لَكَ الْأَيَّامُ مَا لَسْتَ تَعْلَمُ

٢ - بِأَنْ قَرَأَ الْمَالِ يَنْفَعُ رِيَهُ وَيُثْنِي عَلَيْهِ الْحَمْدَ وَهُوَ مُدْمَمٌ

(١) التبريزي: «عبد الله بن الزبير الأسدي»، وقد سبقت ترجمته في الحماسية (٣٢٢).

(٢) التبريزي: «مالك بن حريم الهمداني» هو مالك بن حريم بن مالك من بني دالان: شاعر همدان في عصره، وفارسها وصاحب مغازيها، جاهلي يمانى، كان يقال له مفرغ الخيل، ويعدّ من فحول الشعراء. ترجمته في المرزبانى ٣٥٧، والحيوان ٢: ٢١٠.

٣ - وَأَنْ قَلِيلَ الْمَالِ لِلْمَرْءِ مُفْسِدٌ يَحْزُرُ كَمَا حَزَّ الْقَطِيعُ الْمُحَرَّمُ

٤ - يَرَى دَرَجَاتِ الْمَجْدِ لَا يَسْتَطِيعُهَا وَيَقْعُدُ وَسَطَ الْقَوْمِ لَا يَتَكَلَّمُ

قوله: «والأيام ذات تجارب» اعتراض وقع بين أنبئت ومفعوليته، وهما في قوله: «أن ثراء المال ينفع ربه»؛ لأن أنبئت ونُبئت وأخواتها كل واحدة منها تتعدى إلى ثلاثة مفاعيل. وقوله: «وتبدي لك الأيام» اعتراض ثان وإن عطف على ما قبله. والمعنى: أن الأيام والليالي تفيد أربابها تجارب بما يحدث فيها من الحوادث، ويتحول من الأحوال، وتعلمهم بما ينكشف عنها ويشتمل عليها من غوامض الأمور وخفيتها، ما لا يخطر لهم ببال، ولا يؤديه إليهم رسم ولا مثال، فيقول: أخبرت والأيام هذه حالها أن كثرة المال، والتوسع في الحال، يزعجان بالنفع على صاحبيهما فيصورانه بصورة المكشور والمحمود، وإن كان عند التحقيق والتحصيل مشكوكا مذموما؛ وأن في قلة المال مفسدة لحال المقل وجاهه ونفسه، حتى يبريه ويقطعه بزى السوط الجديد الذي لم يلين بعد، المضروب به، فتراه ينبع نفسه، ويتخضع للاقية والتأثير إليه، ويلزم السكوت في نادي الحي فلا ينس تماوتا وتضاغرا، إذ كان قد علم من نفسه أنه لا يستطيع الترقى في مدارج الفضل والإفضال، وأنه تقعد الحال به عن النهوض بما ينهض به أمثال الرجال، فهو يسلم الأمر لهم، ويبرا من التدبير إليهم.

وقوله: «بأن ثراء المال» تعلق بأنبئت بأن الأمر كذا وأن الأمر كذا. والقطيع: السوط. والمحرم: الذي لم يمرن بعد.

٤٣٥ - وقال محمد بن بشير^(١):

١ - لَأَنْ أَرْجِي عِنْدَ الْمُزِي بِالْخَلْقِ وَأَجْزِي مِنْ كَثِيرِ الزَّادِ بِالْعُلُقِ

٢ - خَيْرٌ وَأَكْرَمُ لِي مَنْ أَنْ أَرَى مِنَّا خَوَالِدًا لِلشَّامِ النَّاسِ فِي عُنُقِي^(٢)

يصف رضاء بيسير الحظ من الدنيا، وعفاه عن كثير ما يستغني عنه فيتوقى، فيقول: لأن أتبلغ عند التعري باكتساء الخلق، وأكتفي من الزاد الكثير بما يمكن به سد

(١) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (٢٦٩). (٢) التبريزي: «منا معقودة».

الفاقة - أَضَوُّنَ لِي وَأَرَدُ عَلَيَّ مِنْ أَنْ أَرَى مِنَّا معقودة في عُقَيَّ، مُثْقَلَةٌ لظَهْرِي، باقية على أعقاب الزمانِ لِلثَّامِ النَّاسِ عِنْدِي. والعَلَقُ: جمع العُلُقَةِ، وهي اليسير من الشيء يُتَبَلَّغُ به وَيُعْتَلِّقُهِ المحتاجُ إليه. ويجوز أن يكون من عَلِقَ يَغْلِقُ إذا رَعَى. ومنه الحديث: «إِنَّ أَرْوَاحَ الشُّهَدَاءِ لَتَعْلُقُ فِي الْجَنَّةِ»، وتكون العُلُقَةُ كالْعُرْفَةِ والطُّعْمَةِ وما أشبههما. وقوله: «لَأَنْ أَرْجِي» اللام لام الابتداء، وأن أَرْجِي مبتدأ وخبره قوله: «خَيْرٌ وَأَكْرَمُ بِي».

٣ - إِنِّي وَإِنْ قَصُرَتْ عَنْ هِمَّتِي جِدَّتِي وَكَانَ مَالِي لَا يَفْقُوَ عَلَيَّ خُلُقِي

٤ - لَتَارِكَ كُلِّ أَمْرٍ كَانَ يُلْزِمُنِي عَارًا وَيُشْرِعُنِي فِي الْمَنْهَلِ الرَّنِقِ

نَبَّهَ عَلَى تَمَامِ الظُّلْفِ وَالْعِفَافِ إِذَا أَخَذَ بِهِ الْإِنْسَانُ، فيقول: أنا وَإِنْ عَجَزْتُ عُثِّيتِي عَمَّا تَوَجَّهَ هِمَّتِي، وكان في حالي قُصُورٌ عما يدعو إليه خُلُقِي، مُعْرِضٌ عَنْ كُلِّ أَمْرٍ إِذَا نَلَّثَهُ رَجَعَ مِنْهُ عَارٌ عَلَيَّ أَذْكَرُ بِهِ، ويوردني مشارع الكدر، فإذا صَدَزْتُ عنها لم أَتَهُنَّأُ بِشَرْبِي مِنْهَا. ولك أن تروي: «فِي مَنَهْلِ الرَّنِقِ»، فيكون المنهل مُضَافًا إِلَى الْمَصْدَرِ، وَلِكَ أَنْ تَرْوِي: «فِي الْمَنَهْلِ الرَّنِقِ» بكسر النون فيكون صفةً له. والمَنَهْلُ: موضع الثَّهْلِ. والثَّاهِلُ: العطشان، والرَّيَّانُ جميعًا. والوَجْدُ والجِدَّةُ: مصدر وَجَدْتُ فِي الْمَالِ، ويقال: شَرَعْتُ فِي الْمَاءِ، إِذَا خُضَّتْ، وَأَشْرَعَنِي فِيهِ فَلَانَ وَشَرَعَنِي أَيْضًا. وفي المثل: «أَهْوَنُ الْوَرْدِ التَّشْرِيعُ».

٤٣٦ - وقال أيضًا: [البسيط]

١ - مَاذَا يَكْلُفُكَ الرُّوحَاتِ وَالِدُلْبَا الْبَرَّ طَوْرًا وَطَوْرًا تَرْكِبُ اللَّجْبَا

٢ - كَمْ مِنْ قَتَى قَصُرَتْ فِي الرُّزْقِ خَطْوَتُهُ أَلْفَيْتَهُ بِسَهَامِ الرُّزْقِ قَدْ فَلَجَا

قوله: «مَاذَا» لفظة استفهام، والمعنى الإنكار، ويجوز أن يكون «ما» مع ذا بمنزلة اسم واحد مبتدأ، ويكلفك خبره. ويجوز أن يكون وَخَذَهُ اسْمًا، وَذَا فِي مَوْضِعِ الْخَبَرِ، وَيَكْلُفُكَ مِنْ صِلَتِهِ؛ كَأَنَّهُ قَالَ فِي الْأَوَّلِ: أَيُّ شَيْءٍ يَكْلُفُكَ، وفي الثاني: مَا الَّذِي يَكْلُفُكَ السَّيْرَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مُتَّصِلًا، لَا تَفْتَرُ تَرْكِبَ الْبَرِّ تَارَةً، وَالْبَحْرَ أُخْرَى. وَالرُّوحَاتِ: جمع الرُّوحَةِ، وهو يريد به السَّيْرَ رَوَاحًا. وَالدَّلْجُ والدَّلْجَةُ: السَّيْرُ بِاللَّيْلِ. وقوله: «طَوْرًا» انتَصَبَ عَلَى الظَّرْفِ، وَالْبَرَّ انتَصَبَ بِفَعْلٍ مُضَمَّرٍ دَلٌّ عَلَيْهِ الْفَعْلُ الَّذِي

بعده. واشتقاق الطُّور من قولهم: لا أطور به، ومن طَوَّر الدَّار، وهو ما كان مُمتدًّا معها.

وقوله: «كم من فتى» أفادكم التَّكثِير، والكلام خبر، والمراد: كثير من الفتيان تَوَدَّعوا في منازلهم، وَقَصُرَتْ خُطُواتهم للسَّعي في طلب أرزاقهم، أَلْفُوا قد نالُوا ما غَلَبُوا به المَجْد في الطَّلَب، المتعب نفسه في التَّنْقُل. ومعنى: فَلَجَ: غَلَبَ. وسهام الرُّزْق، يراد بها قِداح الرُّزْق، كآته فاز لَمَّا خرَجَ له عند الإِجالة بما غَلَبَ به مُقَابِرُهُ ومُزَاجِمُهُ. ويجوز أن يريدَ بسهام الرُّزْق ما حُطَّ له من الحِظِّ، وأُسهِمَ له وقِسِمَ في الرُّزْق.

٣ - إِنَّ الْأُمُورَ إِذَا انْسَدَّتْ مَسَالِكُهَا فَالصَّبْرُ يَفْتُقُ مِنْهَا كُلَّ مَا ارْتَجَا

٤ - لَا تَيَأْسَنَّ وَإِنْ طَالَتْ مُطَالِبَةٌ إِذَا اسْتَعْنَتْ بِصَبْرٍ أَنْ تَرَى فَرْجًا

يقول: اسْتَعِنَ بالصَّبْرِ في كُلِّ مَا تُزَاوِلُهُ وتراوده، فَإِنَّ الْأُمُورَ إِذَا انْسَدَّتْ طَرَفُهَا، وَأَغْيَتْ الْحِيلَ في تحصيلها، فَإِنَّ الصَّبْرَ يَسْهَلُ مَدَارِجُهَا، وَيَوْسِعُ مَوَالِجُهَا، وَيَفْتَحُ مَا انْغَلَقَ مِنْهَا، وَيَفْتُقُ مَا ارْتَقَى مِنْ أَسْبَابِهَا، وَلَا يَتَسَلَّطَنَّ عَلَيْكَ مِنَ الْيَأْسِ مَا يَفْتَرُ عِزْمَكَ، أَوْ يَقْصُرُ سَعْيَكَ، وَإِنْ دَامَتْ مُطَالِبَتُكَ، وَاتَّصَلَتْ مُوَاطَبَتُكَ. واعتقد أَنَّ الفَرْجَ يَتَلَقَّاكَ، وَالتُّجَّحُ بِأَقْرَبِ الْمَنَازِلِ مِنْكَ؛ فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ فُزْتَ بِكُلِّ مَا تَرُومُهُ، وَتَعَجَّلَ لَكَ كُلُّ مَا تَهْوَاهُ. وقوله: «أَنْ تَرَى» في موضع المفعول من تَيَأَسَّنَّ. وقوله: «فَالصَّبْرُ يَفْتُقُ» جواب إذا، وخبر إِنَّ الْأُمُورَ في الشرط والجواب. ويقال: رَتَجْتُ الْبَابَ وَأَزْتَجْتُهُ، إِذَا أَغْلَقْتَهُ، وَبَابُ مُرْتَجٍّ وَمُرْتُوجٍ. وَالرَّتَاجُ: الْبَابُ نَفْسُهُ.

٥ - أَخْلُقْ بِذِي الصَّبْرِ أَنْ يَخْطِيَ بِحَاجَتِهِ وَمُذْمِنِ الْقَرْعِ لِلْأَبْوَابِ أَنْ يَلْبِجَا

٦ - أَبْصِرْ لِرَجْلِكَ قَبْلَ الْخَطْوِ مَوْضِعَهَا فَمَنْ عَلَا زَلَقًا عَنْ غِرَّةٍ زَلَجًا^(١)

يقول: إِنَّ مُذْمِنَ الصَّبْرِ في الْأُمُورِ، وَمُلازِمَ الثَّبَتِ والتلُّومِ عند الخطوب حَقِيقُ بَأْنٍ يَظْفَرُ بِطَلِيَّتِهِ، وَبِنَجَاحِ السَّعْيِ في مَرَامِهِ وَيَغْيِيهِ؛ كَمَا أَنَّ مِنْ أَدَامَ قَرْعَ أَبْوَابٍ

(١) التبريزي: «قَدَّرَ لِرَجْلِكَ». وبعده عند التبريزي:

«وَلَا يَغْرُوكَ صَفْوُ أَنْتَ شَارِبُهُ» فربما كان بالتكدير ممتزجا

مَدَاخِلَهُ، وَغَمَزَ مَفَاصِلَ آرَائِهِ، حَقِيقٌ بُولُوجُهُ وَوَصُولُهُ، وَمَعْرِفَةٌ مُتَبَيِّنَةٌ مَا يَرْجُوهُ وَمُرِيحُهُ.

ثم قال: وإذا سَعَيْتَ فِي أَمْرِ فَاعْرِفْ مَوَاطِئَ قَدَمِكَ قَبْلَ أَنْ تَغْلُوهَا، وَمَوَاقِعَ خَطْوِكَ قَبْلَ أَنْ تَغْدُوَهَا، وَأَقْسِمَا بَيْنَ نَظَرِكَ وَاجْتِبَارِكَ، وَتَحْقِيقِكَ وَحَدْسِكَ؛ فَإِنَّ مَنْ رَكِبَ مَزَلَقَةً عَنْ غِرَّةٍ وَغَفْلَةٍ، يُوشِكُ أَنْ يَسْقُطَ لِيَدَيْهِ وَفَمِهِ، وَتَنْزِلَ بِهِ قَدَمُهُ إِلَى قَرَارِ هَلَكْتِهِ وَحَيْنِهِ. وَالزَّلْجُ: السَّرْعَةُ فِي الْمَشْيِ وَالسَّقُوطُ وَغَيْرُهُ. وَفَرَسٌ زَلُوجٌ: سَرِيعُ السَّيْرِ. وَكَذَلِكَ يُقَالُ: قَذَحَ زَلُوجٌ، وَمَزَلَجَ الْبَابُ: الْخَشْبَةُ الَّتِي يُغْلَقُ بِهَا.

٤٣٧ - وَقَالَ آخِرُ^(١): [الطويل]

١ - لَجَبْنَا وَلَجْتُ هَلِيهِ فِي التَّغَضُّبِ وَشَدَّ الْحِجَابِ بَيْنَنَا وَالتَّنْقِيبِ^(٢)

٢ - تَلُومٌ عَلَى مَالٍ شَفَانِي مَكَائُهُ إِلَيْكَ فُلُومِي مَا بَدَا لَكَ وَاغْضَبِي

كَانَ هَذَا الشَّاعِرُ أَطْلَعَ مِنْ أَحْوَالِ أَيْتَامِ أَخِيهِ عَلَى مَا سَاءَ وَأَيْفَ مِنْهُ، ثُمَّ دَعَا التَّحَنُّنَ وَالْإِشْفَاقَ مِمَّا يَتَدَاوَلُهُ النَّاسُ فِي مَجَالِسِهِمْ مِنْ أَحَادِيثِ الْبِرِّ وَالْعُقُوقِ، وَتَصَرُّفِهِمْ فِي صَرْفِ الْمَقْتِ إِلَى مُسْتَحَقِّهِ، وَالْحَمْدَ إِلَى مُكَتْسِبِهِ، إِلَى أَنْ أَمَرَ عَبْدِيهِ الرُّزَاعِيَّ بِإِرَاحَةِ مَا رَدَّا إِلَى فَنَائِهِ مِنْ مَسَارِحِ إِبْلِهِ عَلَيْهِمْ، فَاجْتَازَتْ أَمْرَاتُهُ مِنْ ذَلِكَ وَأَنْكَرَتْ فِعْلَهُ، وَخَوْفَتُهُ فِي أَثْنَاءِ مَلَامَتِهَا بِالْفَقْرِ وَهَجَرَتِهِ، فَأَخَذَ يَقْتَصُّ مَا كَانَ مِنْهَا وَمِنْهُ، فَقَالَ: تَمَادَّتْ أَمْرَاتِي فِي الْغَضَبِ وَالْهَجَرَانِ، وَاللُّومِ وَالْإِحْتِجَابِ، وَكُلُّ ذَلِكَ مِنْهَا فِي مَالٍ شَفَانِي مَوْضِعُهُ الَّذِي وَضَعْتُهُ فِيهِ، وَمَضَرُّهُ الَّذِي صَرَفْتُهُ إِلَيْهِ. ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهَا مُسْتَهِينًا بِهَا وَبِفِعْلِهَا فَقَالَ: إِلَيْكَ فُلُومِي مَا بَدَا لَكَ، وَالْمَعْنَى: أَجْمَعِي أَمْرَكَ، وَاسْتَمْرِي فِي عَثْبِكَ وَغَضَبِكَ مَا بَدَا لَكَ، فَإِنَّ الرُّشَادَ فِيمَا آثَرْتُهُ، وَالصَّلَاحَ فِي قِرَانِ مَا اخْتَرْتُهُ. وَ«إِلَيْكَ»: اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ الْأَفْعَالِ هُنَا، كَمَا يَكُونُ عَلَيْكَ، وَعِنْدَكَ. وَلِذَلِكَ عَطَفَ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: «فُلُومِي». وَ«مَا بَدَا لَكَ» فِي مَوْضِعِ الظَّرْفِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ الْقَوْلُ فِي أَمْثَالِهِ.

(١) التبريزي: «وقال حجة بن المضرب: حَدَّثَ ابْنُ كِنَاسَةَ أَنَّ حُجَّةَ بْنَ الْمُضَرَّبِ كَانَ جَالِسًا بِفَنَاءِ بَيْتِهِ فَخَرَجَتْ جَارِيَةٌ بِقَعَبٍ فِيهِ لَبَنٌ، فَقَالَ لَهَا: أَيْنَ تَرِيدِينَ بِالْقَعَبِ؟ فَقَالَتْ: بَنِي أَخِيكَ الْيَتَامَى، فَوَجِمَ، وَأَرَاحَ رَاعِيَاهُ إِبْلَهُ، فَقَالَ: أَصْفَقَاهَا نَحْوَ بَنِي أَخِي، ثُمَّ دَخَلَ مَنْزِلَهُ فَعَاتَبَتْهُ أَمْرَاتُهُ فَقَالَ هَذِهِ الْآيَاتُ».

(٢) التبريزي: «وَلَطَّ الْحِجَابَ»، وَاللَّطُّ: السَّرُّ.

- ٣ - رَأَيْتُ الْيَتَامَى لَا تَسُدُّ فُقُورَهُمْ هَدَايَا لَهُمْ فِي كُلِّ قَعْبٍ مُشْعَبٍ
 ٤ - فَقُلْتُ لِعَبْدَيْنَا أَرِيحَا عَلَيْهِمْ سَأَجْعَلُ بَيْنِي مِثْلَ آخَرَ مُعْزَبٍ
 ٥ - عِيَالِي أَحَقُّ أَنْ يَنَالُوا خَصَاصَةً وَأَنْ يَشْرَبُوا رَنْقًا إِلَى حِينٍ مَكْسَبِي^(١)

يعني باليتامى أولاد أخيه المتوفى، يريد: رأيتهم لا تسد مفقرهم ولا تقيم مختل أحوالهم، تحف توجه إليهم، وهدايا تحمل نحوهم في قعاب مشعوبة. يشير بذلك إلى ما كانت امرأته تتولاه وتأتيه من برهم وتفقدهم قبل ذلك. وفي قوله: «هدايا لهم في كل قعب مشعب» إزاء بصنيعها، وبالألبان المنقولة إليهم وظروفها. وجمع الفقور لاختلاف وجوها.

وقوله: «فقلت لعبدينا»، يعني: راعييه اللذين أمرًا بسوق الإبل المردودة من المراعي إلى فناء أولاد أخيه. وإنما ثنى على عادتهم في تثنية مزاولي أعمالهم، كالباثن والمستعلي في الحلب وما أشبههما. وقوله: «سأجعل بيني مثل آخر»، يريد: مثل بيت آخر وقد عزبت إبله وتباعذت، فإن عيالي ولهم كاسب مثلي أحق بمزاولة الفقر، ورثاة العيش، والضبر على المشرب الرنق، إلى أن أكسب ما تعود به حالهم إلى ما ألفوه من الخضب والسعة، والخفض والدعة. ويقال: أغزب الرجل، إذا عزبت عنه إبله في المرعى.

٦ - ذَكَرْتُ بِهِمْ عِظَامَ مَنْ لَوْ أَتَيْتُهُ

حَرِيبًا لَأَسَانِي لَدَى كُلِّ مَرْكَبٍ^(٢)

٧ - أَخُوكَ الَّذِي إِنْ تَذَعُهُ لَمَلِئْهُ

يُجِنِّكَ وَإِنْ تَغْضَبَ إِلَى السَّيْفِ يَغْضَبُ^(٣)

(١) التبريزي:

«بني أحق أن ينالوا سفابة وأن يشربوا رنقا لدى كل مشرب»

(٢) التبريزي: «ويروى:

حبوت بها قبر امري لو أتيت»

(٣) التبريزي:

«أخي والذي إن أذعه لملء قال أبو رياش: وفيها:

فلا تحسبيني بلدا إن نكحتي بلدم: الثقل الوخم. ولكنني حبيبة بن المضرب

يقول: تَذَكَّرْتُ بهؤلاء الأولاد أباهم الذي لو أتيتُه محزونًا مسلوبًا، ومُتَعَبًا بأعباء الفقر مَبْهُورًا، لَضَمَّنِي إلى صدره، وشَمِّلَنِي تَضَاعِيفَ بَرِّه، وجعلني إسوةً لنفسه في كلِّ ما أركبُه، والمُسْتَعَفَّ بِطَلَبَتِيَّه عند جميع ما أخطبُه؛ لأنَّ الآخَ الكامل الأخوة هو الذي يشدُّ أزرَكَ، ويَحْمِي ظَهْرَكَ، وإن دَعَوْتَه لثائبة تنوبُ أجابَكَ سريعًا، وإن أَعْمَلْتَ سِيْفَكَ أَعْمَلَ سِيْفَه معه حثيثًا.

٤٣٨ - وقال المُقَنِّعُ الكِنْدِيُّ^(١): [الطويل]

- ١ - يَعْأَتِبُنِي فِي الدِّينِ قَوْمِي وَإِنَّمَا دُيُونِي فِي أَشْيَاءَ تَكْسِبُهُمْ حَمْدًا
- ٢ - أَسْدُ بِهِ مَا قَدْ أَغْلَوْا وَضَيُّعُوا تُغَوِّرُ حُقُوقٍ مَا أَطَاقُوا لَهَا سَدًا
- ٣ - وَفِي جَفَنَةٍ مَا يُغْلِقُ الْبَابَ دُونَهَا مُكَلَّلَةٌ لَحْمًا مَدْفُوعَةٌ تُزْدَا
- ٤ - وَفِي فَرَسٍ نَهْدٍ عَتِيقٌ جَعَلْتُهُ حِجَابًا لِيَبْتِئِي ثُمَّ أَخْدَمْتُهُ عَبْدًا

كَأَنَّ قَوْمَهُ يَنْعَوْنَ عَلَيْهِ سَرَفَهُ فِي الْإِنْفَاقِ، وَتَخَرُّقَهُ فِي الْإِفْضَالِ، وَتَجَاوُزَهُ مَا تُسَاعِدُهُ بِهِ حَالُهُ وَتَتَسَعَّ لَهُ ذَاتُ يَدِهِ إِلَى الْاسْتِقْرَاضِ، وَبَذْلِ الْوَجْهِ فِي الْأَدْبَانِ، فَقَالَ: كَثُرَتْ لَائِمَتُهُمْ فِيمَا يَرْكَبُنِي مِنَ الدُّيُونِ، وَإِنَّمَا هِيَ مَصْرُوفَةٌ فِي وَجْهِهِ مُؤَنِّهَا عَلَيَّ، وَجَمَالُهَا لَهُمْ، وَقَضَاؤُهَا فِي أَنْفُسِهَا يَلْزَمُنِي، وَمَحَامِدُهَا مَوْفُورَةٌ عَلَيْهِمْ. ثُمَّ أَخَذَ يَعُدُّ فَقَالَ: مِنْ تِلْكَ الْوُجُوهِ أَنَّ مَا يَتَوَبُّ مِنَ الْحُقُوقِ فَيُخْلَوْنَ بِهَا وَيُضَيِّعُونَهَا عَجْزًا عَنِ الْوَفَاءِ بِوَاجِبِهَا، أَنَا أَسْدُ تُغَوِّرُهَا، وَأَقِيمُ فِرْوَصَهَا.

ومنها: أَنَّ لِي دَارَ ضِيَاةٍ قُدُورُهَا مُشْبَعَةٌ مَوْفُورَةٌ، وَجَفَائِهَا مَعْدَةٌ مَنْصُوبَةٌ، لَا يُمْنَعُ مِنْهَا طَالِبُهَا وَلَا يُخْجَبُ عَنْهَا رَائِدُهَا، فَلَحْمَانُهَا كَالْأَكَالِيلِ عَلَى رُؤُوسِهَا، وَثَرَائِدُهَا قَدْ نُمِّتَتْ تَدْقِيقُهَا.

ومنها: أَنَّ بَفَنَائِي فَرَسًا مَرْبُوطًا قَدْ أُعِدَّ لِلْمِهْمَاتِ، عَلَى عَادَةِ أَمْثَالِي مِنَ الْأَكَابِرِ وَالرُّؤَسَاءِ، وَلِكَرَمِهِ وَمَا يَتَوَقَّرُ عَلَيْهِ مِنْ إِكْرَامِي إِيَّاهُ قَدْ صَارَ كَالْحِجَابِ لِبَابِ بَيْتِي، وَقَدْ شَغَلْتُ بِخِدْمَتِهِ عَبْدًا يَتَفَقَّدُهُ بِمَرَأَى مَنِّي، لَا أَهْمِلُهُ وَلَا أَغْفُلُ عَنْهُ.

(١) المقنع الكندي: محمد بن عميرة بن أبي شمر شاعر من أهل حضرموت، اشتهر في العصر الأموي (ت نحو ٧٠ هـ / ٦٩٠ م) ترجمته في: الشعر والشعراء ٢٨٤، والوافي بالوفيات ٣: ١٧٩، والأغاني ١٥: ١٥٧.

قوله: «مدققة» أي: مملوءة، والأحسن أن يُروى معه: «ثُرْدًا» بضمّ الثاء. ويروى: «مدققة ثُرْدًا» بفتح الثاء. والمراد: مثردة ثُرْدًا دقيقًا. والثُّهد: الجسيم المُشْرِف من الخيل.

- ٥ - وَإِنَّ الَّذِي بَنِي بَيْنِي وَيَنْ بَنِي أَبِي
٦ - فَإِنْ يَأْكُلُوا لَحْمِي وَفَزْتُ لُحُومَهُمْ
٧ - وَإِنْ ضَبَعُوا غَيْبِي حَفِظْتُ غُيُوبَهُمْ
٨ - وَإِنْ زَجَرُوا طَيْرِي بَنَخَسِ تَمُرٌ بِي
وَيَنْ بَنِي عَمِّي لَمَخْتَلِفٌ جِدًّا
وَإِنْ هَدَمُوا مَجْدِي بَنِيْتُ لَهُمْ مَجْدًا^(١)
وَإِنْ هُمْ هَوُوا غَيْبِي هَوَيْتُ لَهُمْ رَشْدًا
وَزَجَرْتُ لَهُمْ طَيْرًا تَمُرٌ بِهِمْ سَعْدًا^(٢)

ذكر بعد ما عدّد معاذيره فيما أنكروه عليه، أن إخوته وأبناء عمّه يحسدونه ويأتُمرون العداوة والغواية له، وهو يُصابِرُهُمْ وَيُجَامِلُهُمْ، ويتغابى معهم، فقال: إِنَّ ما بيني وبينهم في طَرْفِي نَقِيز، وعلى لَوْنٍ من الخِلاف عَجِيب؛ فَإِنَّهُمْ أَنْ اغْتَابُونِي وَتَطَعُمُوا لَحْمِي أَمْسَكْتُ عَنْهُمْ، وتركْتُ أَعْرَاضَهُمْ مَوْفُورَةً، لَمْ يَتَخَوَّنْهُ مَنِي إِذَالَةً وَلَا ثَلَبَ، وَأَعْرَاقَهُمْ مَحْفُوظَةً لَمْ يَتَحَيَّفْهَا تَحَامُلٌ وَلَا غَضٌّ، وَإِنْ سَعَوْا فِي نَقْضِ ما أBRَمْتُهُ مِنْ مَسْعَاةٍ كَرِيمَةٍ، وَهَذَمَ ما أَسَّسْتُهُ مِنْ خُطَّةٍ مَجْدٍ عَلِيَّةٍ، جَازَيْتُهُمْ بِابْتِنَاءِ شَرَفٍ لَهُمْ مَسْتَحْدَثٍ، وَإِعْلَاءِ شَأْنٍ لَهُمْ مَسْتَأَنَفٍ. وَإِنْ أَهْمَلُوا غَيْبِي فَلَمْ يُرَاعَوْهُ بِحُسْنِ الدِّفَاعِ عَنْهُ، وَإِسْبَاغِ ثَوْبِ المَحَامَاةِ عَلَيْهِ حَفِظْتُ أَنَا غَيْبَهُمْ، وَأَرْضَدْتُ الْغَوَائِلَ لِمَنْ اغْتَالَهُمْ. وَإِنْ أَحْبَبُوا لِي الْغَوَايَةَ، وَالتَّسَكُّعَ فِي الضَّلَالَةِ وَالْبَطَالَةِ، اخْتَرْتُ لَهُمُ الْمَرَاثِدَ، وَهَوَيْتُ فِي مَبَاغِيهِمُ الْمَنَاجِحَ. وَإِنْ تَمَثَّلُوا لِي الْمُنْحَسَةَ، وَزَجَرُوا مِنْ بَوَارِحِ الطَّيْرِ وَسَوَانِحِهَا فِي الْمَشَامَةِ، جَعَلْتُ عِيَاظِي لَهُمْ فِيمَا يَمُرُّ بِي مِنْهَا الْمَسْعُودَةُ وَالطَّيْرَةُ الْحَمِيدَةُ. وقوله: «سَعْدًا» صفة لطيرًا.

- ٩ - وَلَا أَخِمِلُ الْحِقْدَ الْقَدِيمَ عَلَيْهِمْ
١٠ - لَهُمْ جُلٌّ مَالِي إِنْ تَتَابَعَ لِي غِنَى
١١ - وَإِنِّي لَعَبْدُ الضَّيْفِ مَا دَامَ نَازِلًا
وَلَيْسَ رَأْسُ الْقَوْمِ مَنْ يَحْمِلُ الْحِقْدَا
وَإِنْ قَلَّ مَالِي لَمْ أَكْلَفْهُمْ رِفْدًا
وَمَا شِيْمَةً لِي غَيْرَهَا تُشْبِهُ الْعَبْدَا

أثبت لنفسه الرياسة عليهم في هذا البيت. والمعنى: أَنَّهُ مَتَى اسْتَعْطَفُوهُ عَطَفَ عَلَيْهِمْ، وَإِنْ اسْتَقَالُوهُ أَقَالَهُمْ وَأَسْرَعَ الْفَيْئَةَ لَهُمْ، غَيْرَ حَامِلٍ الضُّغْنَ وَاللَّجَاجَ مَعَهُمْ، وَلَا مَعْتَقِدًا انْتِهَازَ الْفَرْصِ فِيهِمْ، لِمَا اكْتَمَنَ مِنْ عَوَادِي الْحَقْدِ عَلَيْهِمْ.

(١) التبريزي: «فإن أكلوا».

(٢) التبريزي: «وإن زجروا طيرًا».

وقوله: «وليس رئيس القوم من يحمل الحقد» يجري مجرى الالتفات، كأنه أقبل على مخاطب فقال: إني لا أتجمل بترك مؤاخذتهم، وأطراح الحقد في مساوئهم، فإن الرئيس يحب لتبعية ذلك عليه في شروط الرئاسة. وقوله: «لهم جلّ مالي»، يريد: إن تواصل الغنى لي أشركتهم في مُعْظَمه، من غير امتنانٍ ولا تكدير، وإن تحيّف مالي حادثٌ يُلِمُّ، أو عارضٌ يحدث، لم أنتظر من جهتهم معونة، ولا كلفتهم فيما يخفّ أو يثقل مؤونة.

وقوله: «وإني لعبد الضيف»، أراد أن يبين ما عنده للغريب الطارق، والضيف النازل، بعد أن شرح حاله مع موالیه، وخِصَاله في مُرافقة ذويه، فقال: وأبلغ في خدمة الضيوف مبالغ العبيد فيها. ثم أكد ما حكاه بقوله: «وما شيمة لي غيرَها تُشبه العبد»، فانتصب «غير» على أنه مستثنى مقدّم؛ وذلك لأنه لما حال بين الموصوف والصفة، وهما شيمة وتُشبه، وتقدّم على الوصف صار كأنه تقدّم على الموصوف، لأنّ الصفة والموصوف بمنزلة شيء واحد. وقوله: «تشبه العبد»، يريد: تُشبه شيمَ العبد، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه.

فليتأمل الناظر في هذا الباب وفي مثل هذه الأبيات، وتصرف قائلها فيها بلا اعتساف ولا تكلف، وسلاسة ألفاظها، وصحة معانيها، فهو عفو الطبع، وصفو القرض.

٤٣٩ - وقال رجل من الفزاريين: [الطويل]

- ١ - إلا يكن عظمي طويلاً فإني له بالخصال الصالحات وصول
- ٢ - ولا خير في حسن الجسوم وتبليها إذا لم تزن حسن الجسوم عقول
- ٣ - إذا كنت في القوم الطوال أصبتهم بعافية حتى يقال طویل^(١)

يقول: إن لم يكن في طولي امتداد، ولا في خلقي بسطة وكمال، فإني لا أزال أصلُ نقص جسمي، وأمدُّ قصر قامتي بما أتولاه من الأفعال الكريمة، وأختاره من الخصال الحميدة، حتى أمحو سمة الإزراء عن نفسي، ومن أوتي الفضل في خلقه ونفسه، وعاداته وشيمه، خيرٌ ممن أوتي العظم في خلقه، والبراعة في جسمه، فلا فضيلة لمن حسن وجهه وتبل منظره، إذا لم يزيّنه عقلٌ وافر، ومخبّر رائق.

(١) التبريزي: «الطوال علوتهم».

ومتى حَصَلْتُ بين أقوام طِوال القامات، قَابَلْتُ طُولَهُمْ بِطَوْلِ يَدِي فِيهِمْ، وَأَنْتَلْتُهُمْ معروفِي حَتَّى عَظُمْتُ فِي أَعْيُنِهِمْ، وَامْتَلَأْتُ مِنْ حُبِّهِمْ لِي وَمَيْلِهِمْ إِلَيَّ قُلُوبُهُمْ، فَأَنْسَاهُمْ طَوْلُ بَاعِي بِالْعَطِيَّةِ قِصْرَ قَامَتِي بَيْنَ قَامَاتِهِمْ. وقوله: «حَتَّى يُقَالَ طَوِيلٌ» ارتفع طويل على أنه خبر مبتدأ محذوف، كأنه قال: هو طويل، أي: يُسَلَّمُونَ له فضيلة الطول عندهم.

٤ - وَكَمْ قَدْ رَأَيْنَا مِنْ فُرُوجٍ كَثِيرَةٍ تَمُوتُ إِذَا لَمْ تُخَيِّهِنَّ أَصُولُ

٥ - وَلَمْ أَرْ كَالْمَعْرُوفِ أَمَّا مَذَاقُهُ فَخُلِقَ وَأَمَّا وَجْهُهُ فَجَمِيلٌ

هذا مثل ضربه للخصال المجتمعة في الإنسان، لا تُعَدُّ فضائل إلا إذا اقترنت بخصالٍ أخرى، وهي كالأصول لها. ومثال ذلك ما قدّمه من ذِكر عِبَالَةِ الْخَلْقِ إِذَا عَرِيتَ مِنْ نَبَاهَةِ الْخَلْقِ، وما شاكلها من صباحة الوجه إذا خَلَّتْ مِنْ صحابة العقل. ثم قال: وَلَمْ أَرْ شَيْئًا كِلِسَاءِ الْمَعْرُوفِ وَبِثُّ الْعَطَاءِ وَالْإِحْسَانِ، فَإِنَّ مَنْ ذَاقَهُ اسْتَجْلَاهُ، وَمَنْ رَأَاهُ اسْتَحْسَنَهُ وَارْتَضَاهُ. وهذا تأكيد ما ذكر من قوله: «أصبتهُم بعارفة حَتَّى يُقَالَ طَوِيلٌ».

٤٤٠ - وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاوِيَةَ^(١): [الوافر]

١ - أَرَى نَفْسِي تَشُوقُ إِلَى أُمُورٍ وَيَقْصُرُ دُونَ مَبْلَغِهِنَّ مَالِي

٢ - فَنَفْسِي لَا تُطَاوِعُنِي بِبُخْلِ وَمَالِي لَا يُبَلِّغُنِي فَعَالِي

قد مضى له أمثال، ومعناه ظاهر، ويروى: «لَا يَقُومُ لَهُ فَعَالِي».

٤٤١ - وَقَالَ مُضَرَّرْسُ بْنُ رَبِيعٍ^(٢): [الكامل]

١ - إِنَّا لَنُضْفِخُ عَنْ مَجَاهِلٍ قَوْمِنَا وَنُقِيمُ سَالِفَةَ الْعَدُوِّ الْأَضْيَدِ

٢ - وَمَتَى نَخَفُ يَوْمًا فَسَادَ عَشِيرَةٍ نُضْلِحُ وَإِنْ نَرَّ صَالِحًا لَا نُفْسِدِ

(١) التبريزي: «عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر»، هو عبد الله بن جعفر بن أبي طالب: من شجعان الطالبين وأجوادهم وشعرائهم، اتهم بالزندقة وكان فتاكًا، طلب الخلافة في أواخر دولة بني أمية سنة ١٢٧هـ بالكوفة ثم قُتِلَ خنقًا بأمر من أبي مسلم الخراساني (ت ١٢٩ هـ / ٧٤٦ م). ترجمته في ابن الأثير حوادث سني ١٢٧ و ١٢٩، ومقاتل الطالبين ١٦١.

(٢) مضرّس بن ربيعي بن لقيط الأسدي: شاعر حسن التشبيه والرصف، كان معاصرًا للفرزدق. ترجمته في: معجم المرزباني ٣٩٠، والمؤتلف ١٩١، وخزانة الأدب ٢: ٢٩٢.

يصفُ صفاءَ نيتهم لقومهم، وأنهم يسلكون معهم طرائقَ ما يعود على المَسُودِ بالصلاح، وعلى السائد باستكمال الرِّياسَةِ والارتفاع، فقال: إذا جَهِلُوا علينا صَفَحْنَا عنهم، وأبقينا على الحال بيننا وبينهم، واستفأنا إقامتهم وَرَجَعْتَهُمْ. كلُّ ذلك لثلاثا ينفروا فيزداد ما بيننا وبينهم تَفَاقُماً. فأما الأعداءُ فَإِنَّا نَكْسِرُهُمْ ونستلُّ عنهم كِبَرَهُمْ وَخُنْزَوَانَتَهُمْ، وتلين أَعْنَاقَهُمْ حتَّى ينقادوا على ضِغْنٍ منهم. والسَّالفة: صفحة العُنُق. والصَّيْد: مَيْلٌ في العُنُق من الكِبَر كما ما يكون الصَّعَرُ في الحَدِّ، وكما أنَّ الصَّاد يستعمل في الناظر.

وقوله: «ومتى نَخَفَ يوماً فسادَ عشيرة»، يريد: إِنَّا نَسْعَى في إصلاح ذاتِ بينهم، ولا ندْعُهُمْ يتدابرون ويتضاعفون؛ لأنَّ عِزَّ الرُّجُل بعشيرته. ثم إنَّ رأيناهم على حَدٍّ من الصَّلاح زِدْنَا في قُوَّة نِيَّاتِهِمْ، وحملناهم على ما يزدادون به استقامةً واستمراراً.

٣ - وإذا نَمَوْا صُعَدَا فَلَيْسَ عَلَيْهِمْ مِنَّا الْخَبَالُ وَلَا نُفُوسُ الْحُسُودِ

٤ - وَنُعِينُ فَأَعْلَنَّا عَلَى مَا نَابَهُ حَتَّى نُيَسِّرَهُ لِغُفْلِ السَّيِّدِ

يقول: وإذا ارتَقَوْا في درجات العِزِّ وتَبَوَّءُوا منازلَ الفُضْل، لم نحسُدْهم، ولم نَضِيقْ عليهم طرائقَ مقاصدهم، فيورثهم ذلك خَبَالاً وفتوراً. والسَّاعِي منهم إذا جَدَّ في إقامة ما يَتَوَبَّه من الحقوق أعثاهُ على إتمام ما يَشِيدُهُ، والزَّيَادَةُ فيما يؤَيِّدُهُ، حتَّى تَبْلُغَ به فِعْلُ السَّيِّدِ، علماً بأنَّ رفعتهم لنا، وجمالهم جَمَالُنَا.

٥ - وَنُجِيبُ دَاعِيَةَ الصُّبَّاحِ بِشَائِبِ عَجَلِ الرُّكُوبِ لِذَعْوَةِ الْمُسْتَنْجِدِ

٦ - فَتُفْلُ شَكْوَتُهَا وَنُفْثُا حَمِيهَا حَتَّى تَبُوءَ وَحْمِيْنَا لَمْ يَبْرُدْ

٧ - وَنُحَلُّ فِي دَارِ الْحِفَاطِ بُيُوتُنَا رَنَعَ الْجَمَائِلِ فِي الدَّرِينِ الْأَسْوَدِ^(١)

قوله: «وَنُجِيبُ دَاعِيَةَ الصُّبَّاحِ»، يريد: وإن استعانَ بنا من أَغْيَرَ عليه صَبَاحًا من ذي مَحْرَمٍ أو جَارٍ، أو متسبِّبٍ بِلَالٍ وقرابة، أَجَبْنَاهُ سريعاً بجيشٍ سريع الرُّكُوبِ لدعوة المُسْتَضْرَحِ، فنكسرُ شَوْكَةَ المُغِيرِينَ، وَنُخَمِدُ نَائِرَتَهُمْ ونسكنُ حُمَاهُمْ حتَّى تَبْرُدَ، وَحُمَانَا لَمْ تَسْكُنْ ولم تَبْرُدْ. وَجَعَلَ الشَّوْكَةَ كنايةً عَنِ السَّلاح والقُوَّةِ جميعاً. وقوله: «نُفْثَا» هو من فَثَاثَ القِدَرُ، إذا سَكَنْتْ غليانها. وقوله: «حتَّى تَبُوءَ»، يقال: بَاخَتْ النَّارُ إذا طَفِئَتْ.

(١) التبريزي: «وتحل».

ومعنى: «ونُحِلُّ في دار الحفاظ بيوثنا»، نَصِيرُ في دار المحافظة على الشرف إذا اشتدَّ الزَّمان، وإذا قَصَدَ غيرها للخضب أو طَلَبَ الانتجاع أقمنا مُزْتَعِينَ في الدَّرين مألنا، ولا نمكُنْ أعداءنا من أرضنا وجمانا. والدَّرين: اليابس من الكلا القديم العهد، وجعله أسودَ لفساده وطولِ قِدَمِهِ. ويروى: «وتُحِلُّ في دار الحفاظ بيوثنا». وانتصَبَ «رَتَعَ الجمائل» على أنه مصدر في موضع الحال. ومثله قول الآخر: [الكامل]

ونُحِلُّ في دارِ الحِفاظِ بِيُوثنا زَمَنا وَيَطْعُنُ غَيْرُنا لِلأَمْرِعِ^(١)

٤٤٢ - وقال المتوكلُ اللَّيْثِيُّ^(٢): [المنسرح]

- ١ - إِنِّي إِذَا مَا الْخَلِيلُ أَخَذْتُ لِي صَزَمًا وَمَلَّ الصَّفَاءُ أَوْ قَطَعَا
 - ٢ - لَا أُحْتَسِي مَاءَهُ عَلَى رَنَقٍ وَلَا يَرَانِي لَبِينِهِ جَزَعَا
- يقول: إذا اعوجَّ صديق لي والتوى، وطلب الخلاف علي فأحدث لي بُبُوًا وجفاء، وتبرَّم من مصافاتي فأقبلَ يتجني علي، فإني لا أروم منه العود، ولا أغرض عليه الرجوع، بل أصارحه ولا أنجرع ماء الودِّ بيني وبينه على كدرٍ فأحتملُ مكروهه، ولا أظهرُ جَزَعًا لاستحداثٍ فراقٍ منه، أو تنكّر ينطوي عليه فأخبتُ له، لأنني وصَّالٌ صروم، أصافي من يُصافيني، وأجامل من يُجاملني، وأداجي من يداجيني.
- ٣ - أَهْجَرُهُ ثُمَّ تَنَقَّضِي عُبْرُ الْـ هَجْرَانٍ عَنِّي وَلَمْ أَقُلْ قَدَعَا^(٣)
 - ٤ - اخْلَذَ وَصَالَ اللَّيْثُ إِنْ لَهُ عَضُّهَا إِذَا حَبَلُ وَضَلِهِ انْقَطَعَا
- العُبر: البقايا، واحدتها عُبرة. ويقال: تَغَبَّرَتِ النَّاقَةُ، إذا احتلبت عُبرتها. وعُبرُ الليل: مآخيره. قال: [الطويل]

فَيَا صُبْحُ كَمْشَ عُبْرَ اللَّيْلِ مُضْعِدَا يَسِمُ وَنَبَّةُ ذَا الْعِفَاءِ الْمُوشِحِ^(٤)

وَالْقَدَعُ وَالْقَدِيعَةُ: الْفُحْشُ. يقال: قَدَعْتُهُ، إذا رميته بالقَدَعِ، وأَقْدَعَ الرَّجُلُ: أُنِيَ بِالْفُحْشِ، وكَلَامٌ قَدَعٌ. وَيُتَوَسَّعُ فِيهِ فَيَقَالُ لِلْقَدَرِ: الْقَدَعُ، حَتَّى يَقَالَ: قَدَعُ ثَوْبِهِ بِالْبُولِ

(١) للحادرة الذبياني في المفضلية (٨)، وبلا نسبة في التبريزي ٢: ٧٢٦.

(٢) المتوكل الليثي: المتوكل بن عبد الله بن نهشل الليثي، كان على عهد معاوية ونزل الكوفة، وكناه المرزباني بأبي جهمة. ترجمته في الأغاني ١١: ٣٧، والمرزباني ٤١٠.

(٣) التبريزي: «ثم ينقضي عُبرُ الهجران».

(٤) للطرماح في ديوانه ٩٨، واللسان (وشح)، وكتاب العين ٣: ٢٦٣، والحيوان ٢: ٢٥٤.

وغیره. يقول: أقطعُ العلائقَ بيني وبينه فأنصرف عنه هاجراً، وتنقضي مُدةُ الهجران عتاً ولم أغيته ولا قلتُ فيه فُحشاً، ولا ذكْرُته بزلّةٍ كانت منه.

ثم قال: اخذَرُ مُواصلةَ اللّئيم ومُواخاتَه، لأنّه إذا انقطع حَبْلُ وَضله، وأنصَرَم ما يَجْمَعك وإيَّاه من وَدّه يتكذَّبُ عليك، ويَخْلُقُ من الإفك فيك ما لم تكتسبه لا بيدك ولا لسانك، وهذا كأنّه لَمَّا نَفَى عن نفسه في البيت الأوّل ما نفى بَيْنَ في البيت الثاني أنّه لا يفعل ذلك، لكونه من فِعْل اللّثام. والعَضّه: ذِكْر القبيح كَذِباً وزوراً. ويقال: عَضَتهُ، إذا رميته بالزُّور. وأغَضَه الرُّجُل: أتى بالعَضِيهه، وهي الإفك. ومن كلامهم: يا لِلْعَضِيهه! ويا لِلأَفِيكَة!

٤٤٣ - وقال بعضهم^(١): [الطويل]

١ - خَلِيلِي بَيْنَ السُّلَسَلِينَ لو أَنِّي بِنَغْفِ اللَّوَى أَنْكَرْتُ ما قُلْتُما لِيَا

٢ - وَلِكِنِّي لَمْ أَنَسْ ما قالَ صاحِبِي نَصِيْبَكَ مِنْ ذُلٍّ إِذا كُنْتَ خالِيا

التُّغف: ما ناعَفَكَ، أي عارضك من الجبل أو المكان المرتفع. واللّوى: مُسْتَرْقُ الرَّمْل. وجواب لو «أنكرت»، وكأنَّ نَعْفَ اللَّوَى كانَ أرضه ودياره، فيقول: لو كنتُ في أرضي ومعِي عَشيرتي وأهلي، ثم سُمْتُما نِي ما سُمْتُما نِي لأنكرته ولم أَقْبَلْهُ، ولكنني لم أَذهَبْ عما وَصَّاني به صاحبي من قوله: الزم نَصيبَكَ من الذُّلِّ إِذا كنتُ في دار غُربة، ومتباعداً عن نُصَّارِكَ والمُشْفِقِينَ عَلَيْكَ. وانتَصَب «نصيبَكَ» بإضمار فعل.

٤٤٤ - وقال قيس بن الخطيم^(٢): [الوافر]

١ - وما بَغَضُ الإِقامَةِ في دِيارٍ يُهانُ بها الفَتى إِلَّا بَلَاءٌ

٢ - وَيَبْغَضُ خلائِقَ الأَقالِمِ داءٌ كداءِ البَطْنِ لَيْسَ لَهُ دَواءٌ

٣ - يُريدُ المَرءُ أَنْ يَغْطى مُناهُ وَيَأْبى الله إِلَّا ما يَشاءُ

٤ - وكلُّ شَديدَةٍ نَزَلَتْ بِحَيٍّ سَيَأْتِي بَغْدَ شِدَّتِها رَخاءٌ

(١) لقتادة بن خرفة الشعلبي في البيان والتبيين ٣: ٢٤٩، ويدون نسبة في معجم البلدان (السلسلين).

(٢) سبقت ترجمته في الحماسية (٣٦). وقال التبريزي: «قال أبو رياش: هي لربيع بن أبي الحقيق اليهودي».

قوله: «وما بعضُ الإقامة» إنما بعضُها لأنه أشار إلى الإقامة التي أوائلها تنزّاحُ معها العِلَلُ، ويسهلُ في اختيارها الانفصال والترحل، وأواخرُها تتغيّرُ بما يغرّضُ فيها حتّى يشقّ لها التلوّم والتلثُث. وارتفع «بلاء» لأنّه خبر المبتدأ، وهو بعضُ الإقامة، و«يُهانُ بها الفتى» في موضع الصّفة لقوله في ديار، فيقول: إذا أمكّن الارتحالُ عن دار الهوان، ولا دافع ولا مانع يُوجبان الصّبر فالإقامة بها بلاء، ويجبُ على الحرّ طلبُ الانفكاك منه، ورؤمُ الخَلاص من أذاه.

وقوله: «وبعضُ خلائق الأقسام»، يريد: أنّ بعضَ ما يتخلّق به النّاسُ يتعذّرُ مفارقتُه ومداواةُ إزالته، فهو كالذّاء الذي يكون بالإنسان وقد استصحبه من بطن أمّه. يريد: أنّ ما اعتاده الإنسان من الأخلاق يصيرُ إذا أتت الأيامُ عليه، وقويّ الإلفُ له، كالخلقة أو ما يجري مجراها.

وقوله: «يريد المرءُ أن يُغطّى مناه»، معناه: أنّ الإنسانَ يتمنى أن يحصلَ له ما يتعلّقُ به شهوته، ويرتأذه هواه وإرادته، ويمنعُ الله تبارك وتعالى إلّا ما يكون بمشيئته، ويعرفه من مصالح خليقته.

وقوله: «وكلُّ شديدة»، يريد: أنّ الشّيء لا يدوم على حالٍ، فالشدائد إذا نزلت يتعقّبها الخيرُ ورخاء العيش وسعته، لأنّ لكلِّ أمرٍ أمداً يمدُّ له الوقت، فإذا تناهى انقطع.

- | | |
|--|--|
| ٥ - ولا يُغطّى الحريصُ غنىً لحِرْصٍ | وقد يَنبِى إلى الجودِ الثّراء ^(١) |
| ٦ - غَنِيّ النّفسِ ما عَمِرَتْ غَنِيّ | وَفَقِرُ النّفسِ ما عَمِرَتْ شَقَاءُ |
| ٧ - وَلَيْسَ بِنَافِعِ ذَا البُخْلِ مالٌ | وَلَا مُزِرُ بِصَاحِبِهِ السَّخَاءُ |
| ٨ - وَبَغَضُ الدّاءِ مُلْتَمَسٌ شِفَاءُ | وداءُ الثّوكِ لَيْسَ له شِفَاءُ |

قوله: «ولا يُغطّى الحريصُ»، يريد: أنّ حِرْصَ الإنسان في طلب الغنى لا يُجدي عليه نفعا، ولا يقربُ منه بعيدا؛ لأنّ ميسرَ اليُسْر والغنى هو مَنْ له الخلقُ والأمر، وإليه الإبرامُ والنّقص.

وقوله: «وقد يَنبِى إلى الجود»، يريد: أنّ الثّروة والكثرة هما يَنبِيان مع الجود. وإنّما يقدح بهذا الكلام في البخل والإمساك، وأنّ زيادةَ المال وبقائه لا يحصلان لهما وبهما. وقوله: «إلى الجود» إلى بمعنى مع، تقول: هذا إلى ذاك.

(١) التبريزي: «على الجود».

وقوله: «غنيُّ النَّفْسِ ما عمرت غنيَّ»، يريد: أنَّ غنى النفس خيرٌ من كثرة المال؛ لأنَّ مَنْ كان راضيًا بماله، غنيًّا عن غيره بما يحصل في يده، تراه باكتفائه أغنى المُوسرين، وفقيرُ النَّفس وإن ساعده المال، وأطاعه القدرُ يزدادُ على مرِّ الأيام وزيادة الحال، حِرْصًا ونَهَمًا وشقاء.

وقوله: «وليس بنافع ذا البخل مال»، يريد: أنَّ البخل لا يَنْتفع بماله، لأنَّه يَجْمَعُه ويتركُه لغيره، والسَّخاء لا يُقْصِرُ بصاحبه، بل يَرْفَعُ منه، ويَكْسِبُه الحمد والأحْدوثُ الجميلة.

وقوله: «ويَغْضُ الدَّاءَ ملتَمَسٌ شِفاه»، جعلَ الدَّاءَ للجنس فناب عن الجمع، فقال: بعضها يُعرف شفاؤه فيُطْلَبُ إزالته، وداءُ الحُمق لا شفاءَ له، ولا مَجِيدُ لصاحبه عنه. وقوله: «شِفاه» قَصْرُ الممدود، وهذا لا خِلافَ في جوازِهِ على المذهبين.

٤٤٥ - وقال يزيد بن الحَكَم^(١): [مرفل الكامل]

١ - يا بَذْرُ والأمثالِ يَضُ - رُبُّها لِذي اللَّبِّ الحَكِيمِ

٢ - دُمٌ لِلخَلِيلِ بِوُدِّهِ - ما خَيْرُ وُدٍّ لا يَدُومُ

قوله: «والأمثالُ يَضُرُّها» اعتراض دَخَلَ بين قوله «يا بدر»، وبين دُمٍ للخليل من البيت الثاني، ونَبَّهَ بهذا الاعتراض على أنَّ وصيَّتَه وصيَّةُ حَكِيم، وأنَّ اللَّيِّبَ العاقلُ يأخُذُ بها ويتأدَّب.

ومعنى قوله: «دُمٌ لِلخَلِيلِ بِوُدِّهِ»، أي: بِوُدِّكَ له، فأضافه إلى المفعول، والمصدر كما يضاف إلى الفاعل يُضاف إلى المفعول. وقوله: «ما خير وُدٍّ» استفهامٌ على طريق الاستثباتِ والقَصْدِ إلى الثَّقْي. والمعنى: أنَّ الوداد إذا لم يَصْفُ ولم يَدُم فلا خيرَ فيه. وقوله: «لا يدوم» صفة لودٍّ. تلخيصه: أي شيءٌ خيرٌ وُدٌّ غير دائم.

٣ - واعْرِفْ لِجَارِكَ حَقُّهُ - والحقُّ يَغْرِفُه الكَرِيمُ

٤ - واعْلَمْ بأنَّ الضَّيْفَ يَؤُ - ما سَوَّفَ يَحْمَدُ أو يَلُومُ

٥ - والنَّاسُ مُبْتَنِيانِ مَخ - مُودُ البُئَيَّةِ أو ذَمِيمُ

(١) التبريزي: «يزيد بن الحكم الثقيي يَعِظُ ابنه بدرًا».

يقول: اعْرِفْ حَقَّ الجوارِ لمجاورك، فَإِنَّ الكريم هو الذي يَعْرِفُ حَقَّ مثله.
وقوله: «والحق يَعْرِفُهُ» الواو واو الحال، وهو واو الابتداء، ولو رويته بالفاء كان أجود، والمعنى: اعْرِفْ حَقَّ الجارِ لأنَّ حَقَّهُ تَعْرِفُهُ الكَرَام، فإذا رويته بالواو يكون حالاً لقوله حَقَّهُ، كأنه قال: اعْرِفْ حَقَّهُ معروفاً للكرام، وهو معروف للكرام.

وقوله: «واعلَمْ بأنَّ الضَّيف» يقال: عَلِمْتَ كذا، وبكذا. وهذه الوَصَاءَةُ بالضَّيف قد عَلَّمَهَا بقوله: «سوف يَحْمَدُ أو يُلومُ»، والمعنى: أَحْسِنَ إليه وتَفَقَّذْهُ، عالِماً بأنَّ نزولَه بك يَجْلِبُ حمداً إنَّ أَحْسَنْتَ إليه، أو لوَمَا إنَّ أَسَأْتَ إليه أو قَصَّرْتَ في حَقِّهِ.

وقوله: «محمود البناية» أتى بالبناية غير مبنيٍّ على مذكَّرٍ حَصَلَ من قبل، ثم أَدخَلَ تاء التانيث عليه، فهو كالثَّانية اسم الحَبْلِ، والشَّقاوة والرُّعاية والغَباوة، ولو كان مبنيّاً على مذكَّرٍ لكان «البناية»؛ لأنَّ الواو والياء إذا كانا حرفيَّي إعرابٍ بعد ألفٍ زائدة تُبَدَلُ منهما الهمزة، على ذلك: الرُّعاء والكِساء والرُّداء والبابُ كُلُّهُ.

ومعنى البيت: أَنَّ أفعالَ عقلاءِ النَّاسِ لا تَخْلُو من أن تكونَ مِمَّا يُسْتَحَقُّ به حمدٌ أو ذمٌّ، فهم يَبْنُون مَبَانِيَهُمْ، ويؤسسون مكاسبهم على أحد هذين الرُّكنين، وذلك لأنَّ الأفعالَ تابعةً للأغراض، وعَرَضُ العاقلِ إليهما ينقسم، فانظُرْ ماذا تَجْلِبُ على نفسك بما تَبْتَنِيهِ من فِعْلِكَ، وتَدْخِرُهُ من كَسْبِكَ.

وارتفع «محمود» على أنه بدل من «مبتنيان»، أو خبر مبتدأ محذوف، كأنه قال: هما محمود البنية أو ذميم.

- | | |
|---|--|
| ٦ - واعلَمْ بُنْيَ فَإِنَّهُ | بالْعِلْمِ يَنْتَفِعُ الْعَلِيمُ |
| ٧ - إِنَّ الْأُمُورَ دَقِيقُهَا | مِمَّا يَهِيْجُ لَهُ الْعَظِيمُ |
| ٨ - وَالتَّجَلُّلُ مِثْلُ الدِّينِ تُفْ | ضَاءُ وَقَدْ يَلْوِي الْعَرِيمُ ^(١) |
| ٩ - وَالْبَغْيُ يَضْرَعُ أَهْلَهُ | وَالظُّلْمُ مَرْتَعُهُ وَخِيمُ |

قوله: «بني» إن ضممتَه فهو منادى مفرد، وإن كسرتَه فهو منادى مضاف وقد حذف ياء الإضافة، وإذا كان ياء الإضافة في المنادى يُحذف في نحو: يا غلام، لأنَّ الكسرة تدلُّ عليه، وهو واقعٌ موقعٌ ما يُحذف في هذا الباب وهو التَّنوين وبابُ النداء بابُ حذفٍ، لكثرة الاستعمال، فهو في بنيّ أولى بالحذف، لاجتماع الياءات

(١) التبريزي: «يلوي».

والكَسَرَاتِ فِي آخِرِهَا، وَقَوْلُهُ: «فَإِنَّهُ بِالْعِلْمِ يَنْتَفِعُ الْعَلِيمُ» الْهَاءُ ضَمِيرُ الْأَمْرِ وَالشَّانُ، وَالْجُمْلَةُ اعْتِرَاضٌ بَيْنَ اعْلَمَ وَمَفْعُولِيهِ. وَالْمُرَادُ بِاسْتِعْمَالِ الْعِلْمِ، وَذَلِكَ أَنَّ مَنْ عَلِمَ طَرُقَ الرَّشَادِ ثُمَّ لَمْ يَسْكُنْهَا كَانَ مَعْرِفَتُهُ بِهَا وَبِالْأَعْلَى عَلَيْهِ.

وقوله: «إِنَّ الْأُمُورَ» مَفْعُولٌ وَعِلْمٌ، وَدَقِيقُهَا مُبْتَدَأٌ وَمَا بَعْدَهُ خَبَرُهُ، وَالْجُمْلَةُ خَبَرُ إِنْ. وَلَكِ أَنْ تَكْسِرَهُ، فَتَقُولُ: «إِنْ» عَلَى الِاسْتِثْنَاءِ، وَيَكُونُ وَعِلْمٌ مَعْلُقًا، وَالْمَعْنَى: أَنَّ الشَّرَّ يَبْدُوهُ أَصْغَرُهُ، كَمَا أَنَّ السَّيْلَ أَوَّلُهُ مَطَرٌ ضَعِيفٌ. وَهَذَا الْكَلَامُ بَعَثَ عَلَى النَّظَرِ فِي ابْتِدَاءِ الْأُمُورِ وَتَصَوُّرِ عَوَاقِبِهَا.

وقوله: «وَالْتَبَلُ مِثْلُ الدِّينِ»، التَّبَلُ: الدُّخْلُ، وَمَعْنَى يَلْوِي يَمْطُلُ، وَمَصْدَرُهُ الْيُؤِي وَالْيُؤَانُ. وَفِي الْحَدِيثِ: «لَيْ الْوَاجِدُ يُحِلُّ عَقُوبَتَهُ». وَقَدْ رَوِيَ «يُلْوِي» وَ«يُلْوِي» فَلِذَا رُوِيَ يُلْوِي بِالْكَسْرِ، فَمَعْنَاهُ: يَذْهَبُ بِالْحَقِّ، يَقَالُ: أَلْوَى بِالشَّيْءِ إِذَا ذَهَبَ بِهِ، وَ«يُلْوِي» هُوَ بِنَاءٌ مَا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ، لَوَى إِذَا مَطَّلَ. وَالْعَرِيمُ: اسْمٌ لِمَنْ لَهُ الدِّينُ، وَلِلَّذِي عَلَيْهِ الدِّينُ. وَأَصْلُ الْغَرَامَةِ اللَّزُومُ، وَلِكُونَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مَلَاذِمًا لِصَاحِبِهِ إِلَى أَنْ يَنْقُضِي مَا بَيْنَهُمَا أَجْرِي الْأَسْمِ عَلَيْهِمَا. وَالْمَعْنَى: أَنَّ الْوَثْرَ وَالدُّخْلَ كَالَّذِينَ عَلَى الْوَاثِرِ، فَهُوَ بَعَرَضِ الْمَطَالِبَةِ بِهِ كَالْعَرِيمِ ثُمَّ، قَدْ يَقْضِي وَقَدْ يَمْطُلُ، فَلَا تَكْتَسِبُهُ، لِأَنَّ الْعِدَاوَاتِ وَخِيَمَةَ الْأَوَاخِرِ، سَيِّئَةُ الْمَبَادِي.

وقوله: «وَالْبُغْيُ يَصْرَعُ أَهْلَهُ»، يَقُولُ: وَإِذَا كَانَ لَكَ خَصْمٌ فِي شَيْءٍ فَلَا تَسْتَهِنْ بِهِ، وَلَا تَسْتَعْمَلِ الْبُغْيَ مَعَهُ، فَإِنَّ مِنْ بُغْيٍ عَلَيْهِ بَعَرَضُ الثُّصَرَةِ، وَالْبَاغِي بَعَرَضُ التَّلَفِّ وَالْهَلَكَةِ، وَلَا تَظْلِمُ فَإِنَّ الظُّلْمَ ذَمِيمٌ الْمَرْتَعِ وَبَيْلُهُ، وَفَطْيِ الْمَسْمَعِ قَبِيحُهُ. وَيَقَالُ: ظَلَمْتُهُ ظَلَمًا بَفَتْحِ الظَّاءِ وَهُوَ الْمَصْدَرُ، وَظَلَمًا بِضَمِّ الظَّاءِ وَهُوَ الْأَسْمُ.

- | | |
|---------------------------------------|---|
| ١٠ - وَلَقَدْ يَكُونُ لَكَ الْغَرِيبُ | بُ أَخَا وَيَقْطَعُكَ الْحَمِيمُ ^(١) |
| ١١ - وَالْمَرْءُ يُكْرَمُ لِلْفَيْ | وَيُهَانُ لِلْقَدَمِ الْمَدِيمِ |
| ١٢ - قَدْ يُفْتَرِ الْحَوْلُ الثَّقِ | ي وَيُكْثِرُ الْحَمِيقُ الْأَيْمِ |
| ١٣ - يُنْمَلَى لِذَاكَ وَيُنْمَلَى | هَذَا فَأَيُّهُمَا الْمَضِيمُ |

قوله: «وَلَقَدْ يَكُونُ»، مَعْنَاهُ: أَنَّ الْوَفَاءَ قَدْ يَكُونُ فِي الْغَرِيبِ إِذَا آخِيَتْهُ، وَالْخِيَانَةُ تَتَّفَقُ مِنَ الْقَرِيبِ إِذَا صَافَيْتَهُ، فَانْظُرْ لِنَفْسِكَ إِذَا اخْتَرْتَ، وَلَا تَعْتَمِدِ الْقُرْبَى

(١) التبريزي: «لَكَ الْبَعِيدُ أَخَا».

والقَرابة، فإنَّ المواخاةَ مبنيةٌ على الأصول الزكَّية، والثُّفوس الوفيَّة، لا على الأنساب والأسباب.

وقوله: «والمَرءُ يُكْرَمُ»، يقول: ادَّخِرِ المالَ واسعَ في جمعه، وإيَّاكَ واستعمالَ التَّبذير فيه، فإنَّ اليسيرَ منه مع حُسن التدبير يتَّصل بقاؤه، وكرامةُ المرءِ متسبِّبة عن غِنائه، كما أنَّ هوانه في قرانِ فقره. وقوله: «والمَرءُ» ارتفع بالابتداء، وخبره يُكْرَم، وقد عُطِفَ على هذه الجملة جُملةٌ مخالفةٌ لها من التَّقارُب لما صَلَحَ ذلك. ومثله قول الآخر: [الطويل]

أُصُوفِ بِأَدْرَاعِ ابْنِ ظَنِيَّةٍ أَمْ تُذَمَّ^(١)

على العكس من هذا قولُ الله تعالى: ﴿سُورَةٌ عَلَيْكُمْ أَدْعَوْتُهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَمِيمُونَ﴾ [الأعراف: الآية ١٩٣]، لأنَّ هذا عُطِفَ فيه المبتدأ والخبر على الفِعل والفاعل.

وقوله: «قد يُفْتَرُ الحَوْلُ»، فالْحَوْلُ: الكثير الحيلة. وَصَحَّ بناؤه ولم يُعَلَّ إخراجاً له على أصله، وتنبَّيها أنَّ ما عُلِّلَ من نظائره كان حكمه أن يجيء على هذا. ومما جاء على القياس من نظائره: رَجُلٌ مَالٌ وصاتٌ وما أشبههما. وكذلك هذا كان يجب أن يقال حالاً. والمعنى: أنَّ الكثير الحِيل، الحَرَّاجُ الوَلَّاجُ، وهو سَدِيدٌ في طرائقه، قد يَفْتَقِرُ فيكون مُقْلًا، وأن المائق النَّاقِصُ في عقله، المكتسِبُ بجعله، المرتكِبُ للأوزارِ بحرصِهِ، قد يستغني هو فيكون مُكثِرًا، إذا كانت القِسْمُ والحُظُوظُ لا تَقِفُ على كَيْسِ المرءِ وخُزْرَقِهِ، ولا على ثِقَاةٍ وَفْسِقِهِ.

وقوله: «يُمَلَّى لَذاكَ» أشار بذاك إلى الحَمِقِ الأثيم، وبهذا إلى الحَوْلِ الثَّقِي. وقد طابق بذاك وهذا، فيقول: أُمَلِّي لَذاكَ الجاهِلِ وأزْجِي له الحَبْلُ فنال ما نال، وابْتُلِّي هذا الحَوْلِ الثَّقِي حَتَّى شَقِيَّ وَحَرِمَ، فأَيُّهُما المَظْلُوم. والمعنى: أنَّ ذلك مِن قِسْمَةٍ مَن عَرَفَ مَصالِحَ خَلْقِهِ، وَعَلِمَ ما يَتَأدَّى إليه حالُ كُلِّ واحدٍ منهم، فاخْتارَ الأحكامَ في التدبير، والأصْلَحَ للصَّغِيرِ والكَبِيرِ.

١٤ - وَالْمَرْءُ يَنْخَلُ فِي الْحَقُّو قِ وَلِلْكَالَةِ مَا يُسِيم
١٥ - مَا بُخِلَ مَنْ هُوَ لِلْمَنُو نِ وَرَئِيهَا غَرَضُ رَجِيمِ

(١) هذا عجز بيت لراشد بن شهاب كما في المفضلية رقم (٨٦)، وصدرة: «أفيس بن مسعود بن قيس بن خالد»

١٦ - وَيَرَى الْقُرُونُ أَمَامَهُ هَمَدُوا كَمَا هَمَدَ الْهَشِيمُ

يقول: ترى الرجل يُسَوِّفُ بما يلزمه من أداء الحقوق، فيبخل بإخراجه وأدائه، فيموت عمّا يجمعه ويبخل به، ويتركه للكلالة. والكلالة هم الوراث وقد خلّوا من الوالد والولد. وأصله من تَكَلَّلَ النَّسَبُ، إذا أحاط به. وقيل: هو من الكلّال: الإعياء؛ كأنَّ بَعْدَ النَّسَبِ أَكَلَهُ. وقوله: «ما يُسِيمُ» يجوز أن يكون مصدراً؛ كأنه قال: فإسامة له لئلا لا يغير لا لنفسه. ويجوز أن يكون ما بمعنى الذي، وقد حذف الضمير العائد إليه من يُسِيمُ، كأنه قال: وللورثة ماله الذي يُسِيمُه. والإسامة: إخراج المال إلى المزعى، ويقال: أَسَمْتُ البعيرَ قَسَامَ، ومنه السَّائِمَةُ للمال: الرّاعية.

وقوله: «ما بُخِلَ من هو» استفهام على طريق الإنكار، فيقول: ما يُغْنِي بُخْلُ مَنْ هو للحوادث كالغرض المنصوب للزّمي، فإذا عَلِمَ من نفسه أنه غير مُخْلَد، بل هو منقول من دار الفناء إلى دار البقاء، فلماذا يُمَسِكُ ولا يُنْفِقُ، ويجمع ولا يفرق. هذا وقد رأى الأمم الخالية قبله ماتوا وفنوا فعادوا رميمًا، كما يَهْمُدُ النبات فيصير بعد نضارته دَرِينًا هَشِيمًا، وهو اليابس المتهشم الأسود لطول القِدَم. والمثون يكون اسمًا للدهر فيذكر، ويُزَادُ به المَيِّتَةُ فيؤنث، وهو من المَنِّ: القطع. فلك أن تروى: «ورنيبه» و«رنيها» جميعًا. ومعنى: «ورنيها» نزولها، قال أبو عبيدة: راب عليه الدهر، أي نَزَلَ. وقد يُرَادُ بِرَنِبِ الزَّمانِ أحداثه وصروفه الرّائبة.

١٧ - وَتُخَرَّبُ الدُّنْيَا فَلَا بُوسَ يَدُومُ وَلَا نَعِيمٌ^(١)

١٨ - كُلُّ امْرِئٍ سَتَيْيُمٌ مِنْهُ عِزُّ الْعِرْسِ أَوْ مِنْهَا يَتِيمٌ

١٩ - مَا عَلِمْتُ ذِي وَلَدٍ أَيْتُ كَلَّهُ أَمْ الْوَلَدُ الْيَتِيمُ

يقول: وإذا كانت الدنيا مبنيةً للفناء لا للبقاء، والخراب لا للعمارة، وكذلك أعراضها مخلوقة للزوال لا للدوام، وقرب الأمد في الاستمتاع بالمعار لا الإملاء، فلماذا يَفْرَحُ الإنسان بما ينال، ويَجْزَعُ لما يفوت، وكلُّ بائد غير ثابت، ومُستَلَب غير موثّر.

وقوله: «كلُّ امرئ»، يقول: إنّ الأليقين فيها لا بدّ من فقدان أحدهما للآخر، والبعْلُ يموت فتبقى العِرسُ منه أَيْمًا، لتقدّم موته، والعِرسُ تموت فيبقى هو منها أَيْمًا

(١) التبريزي: «وتُخَرَّبُ» مخفف تتخرّب.

لتقدّمها، ويقال: رجلٌ أَيْمٌ وامرأةٌ أَيْمٌ. وقد آمت تَيْمٌ أَيْمَةٌ. وكذلك ذو الولدِ لا يدري أيموثٌ فيَيْتَمُ الولد، أم يَهْلِكُ الولدُ فيشكلُ الوالد، فإنَّ سُكَّانَ الدُّنْيَا موعودون لأَجَالٍ مُتَنَظَّرَةٍ، مدعوون لأحوالٍ مؤخَّرة.

وقوله: «ما عَلِمَ ذِي وَلَدٍ» استفهامٌ معناه التَّفْهِي، والمراد: لا يَعْلَمُ الوالدُ ما يكون منه ومن ولده في الإمهال والاستعجال، أي لا يَذْري أيُّ الأمرَيْنِ يَقَعُ. وقد عطف قوله: «أَمَ الولدُ اليَتِيمُ»، وهو جملةٌ من ابتداء وخبر على «أَيْتُكُلُهُ» وهو فعل وفاعل، وجازَ ذلك لِمَا قَدَّمْتَهُ.

- ٢٠ - وَالْحَرْبُ صَاحِبُهَا الصَّلِيبُ بُ عَلَى ثَلَاثِلِهَا الْعَزُومُ
٢١ - مَنْ لَا يَمَلُّ ضِرَاسَهَا وَلَدَى الْحَقِيقَةِ لَا يَخِيمُ
٢٢ - وَأَعْلَمَ بَأَنَّ الْحَرْبَ لَا يَسْطِيعُهَا الْمَرْخُ السَّوُومُ
٢٣ - وَالْخَيْلُ أَجْوَدُهَا الْمُنَا هَبْ عِنْدَ كَبَّتِهَا الْأَزُومُ

الصَّلِيبُ: الصُّلْبُ ذو الصَّلَابَةِ. والثلاثِلُ: الشَّدَائِدُ، ويقال: ثَلَثَلُهُ، إذا حَرَّكَه، يقول: وصاحبُ الحَرْبِ هو الصُّبُورُ على شِدَائِدِهَا، القويُّ العزمُ في مَصَارِفِهَا، الحامي الشُّكَّةَ على نوائِبِهَا، فلا يَمَلُّ عِضَاضِهَا، ولا يَخِيمُ عند حَقَائِقِهَا. ومعنى يَخِيمُ: يَجْبُنُ.

وقوله: «مَنْ لَا يَمَلُّ ضِرَاسَهَا» في موضع الرِّفْعِ على أن يكون بدلاً من قوله الصَّلِيبُ. والضَّرْسُ: العَضُّ، وأصله إصَابَةُ الشَّيْءِ بِضِرْسِهِ.

ثم قال: واعلم أنَّ الحربَ لَا يُطَبِّقُهَا الْمَلُولُ التَّزِقُ، الْعُجُولُ الظَّرْفُ، لِأَنَّ مَبَانِيَهَا عَلَى الصَّبْرِ والثَّبَاتِ، والتَّدْبِيرِ السَّدِيدِ، والحَذَرِ الشَّدِيدِ، واستعمالِ الإِقْدَامِ فِي وَقْتِهِ، والإِحْجَامِ لَدَى مُوجِبِهِ. وقوله: «لَا يَسْطِيعُهَا»، يريد: لَا يَسْتَطِيعُهَا. والماضي منه اسْتَطَاعَ يَسْطِيعُ بكسر الهمزة، وأصله اسْتَطَاعَ، فحذف التاء.

وقوله: «وَالْخَيْلُ أَجْوَدُهَا»، يريد: خَيْرُ الْخَيْلِ مَا يَنْتَهِبُ الْأَرْضَ انْتِهَابًا فِي سَعِيهِ. وقال الخليل: الْمُنَاهَبَةُ: الْمُبَارَاةُ فِي الْجَزْيِ وَالْحَضَرِ. ومعنى: «عِنْدَ كَبَّتِهَا»، أي: حَمَلَتْهَا. وَسَبِيلُ رَجُلٍ: كَيْفَ طَعَنْتَ قَتِيلَكَ؟ قال: «طَعَنْتُهُ فِي الْكَبَّةِ طَعْنَةً فِي السَّبَّةِ فَأَنْفَذْتُهَا مِنَ اللَّبَّةِ»^(١)، وكل ما جمَعْتَهُ فَقَدْ كَبَيْتَهُ وَمِنْهُ كُبَّةُ الْغَزْلِ. وَالْأَزُومُ: الْعَضُوضُ.

(١) الْكَبَّةُ: الْحَمْلَةُ فِي الْحَرْبِ، وَالذَّفْعَةُ فِي الْقِتَالِ وَالْجَرِي. وَالسَّبَّةُ: الْإِسْتِ.

والأزم: العَضُّ، وكُنِيَ به عن الاحتماء، فقيل: «نِعَمَ الدَّوَاءُ الأَزم»، فكأنَّه أراد بالأَزم هنا الصَّبْرَ والثَّبات.

٤٤٦ - وقال مُنْقِذُ الْهَلَالِيِّ^(١):

- ١ - أَيُّ عَيْشٍ عَيْشِي إِذَا كُنْتُ مِنْهُ بَيْنَ حَلٍّ وَبَيْنَ وَشِكِّ رَحِيلٍ
٢ - كُلُّ فَجٍّ مِنَ الْبِلَادِ كَأَنِّي طَالِبٌ بَعْضَ أَهْلِهِ بِذُحُولٍ
٣ - مَا أَرَى الْفَضْلَ وَالْتَّكْرُمَ إِلَّا كَفَّكَ النَّفْسَ عَنِ طِلَابِ الْفُضُولِ
٤ - وَبَلَاءَ حَمَلِ الْإِيَادِي وَأَنْ تَسْ مَعَ مَنَا تُؤْتِي بِهِ مِنْ مُنِيلِ

قوله: «أَيُّ عَيْشٍ» استفهام مبتدأ. والمعنى: الإِزْرَاءُ به والذُّمُّ له. و«إِذَا» تعلق بما دلَّ عليه عَيْشِي. والمراد: إِذَا كُنْتُ مِنْ عَيْشِي بَيْنَ سَفَرٍ مُتَوَاصِلٍ، وَنَزُولٍ وَارْتِحَالٍ مُتَابِعٍ، وَلَا أُنَالُ دَعَةً، لَا أَحْصِلُ خَفْضًا وَرَاحَةً، فَكَأَنَّهُ لَا عَيْشَ لِي. وقوله:

كُلُّ فَجٍّ مِنَ الْبِلَادِ كَأَنِّي طَالِبٌ بَعْضَ أَهْلِهِ بِذُحُولِ

قَدْ سَلَكَ مِثْلَ هَذَا الْمَسْلُوكِ أَبُو تَمَامٍ فِي قَوْلِهِ: [الطويل]

كَأَنَّ بِهِ ضِغْنًا عَلَى كُلِّ جَانِبٍ مِنَ الْأَرْضِ أَوْ شَوْقًا إِلَى كُلِّ جَانِبٍ

والمعنى: أَنِّي لَا أَقْتَصِرُ عَلَى قَصْدٍ مُتَتَوًى، وَرَمِي نَفْسِي فِي جَانِبٍ مِنَ الْأَرْضِ مُرْتَمًى، وَلَكِنِّي أَتَنَقَّلُ فِي أَطْرَافِ الْأَرْضِ وَأَفَاقِهَا، وَأُضْرِبُ فِي أَعْرَاضِ الْبَسِيطَةِ وَأَعْمَاقِهَا، كَأَنِّي أَطْلُبُ بَعْضَ أَهْلِهَا بِتَرَّةٍ، فَهُوَ فِي الْهَرَبِ وَأَنَا فِي الطَّلَبِ.

وقوله: «مَا أَرَى الْفَضْلَ»، يَنْبَهُ بِهِ عَلَى أَنَّ سَعْيَهُ فِي إِصْلَاحِ عَيْشِهِ، وَتَرْكِ مَا لَا يَغْنِيهِ مِنْ شَأْنِهِ، فَقَالَ: لَيْسَ الْفَضْلُ وَالْعَفَافُ، وَحَبْسُ النَّفْسِ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ النَّاسِ عَلَى التَّكْرُمِ وَالْكَفَافِ، إِلَّا إِذَا زَمَمْتَ نَفْسَكَ عَمَّا يَتَجَاوَزُ رَمَّ الْحَالِ، وَوَقَفْتَ عِنْدَ مَا يُمَكِّنُ الْاِكْتِفَاءَ بِهِ مِنَ الْمَعَاشِ، فَمِنْ الْبَلَاءِ الْعَظِيمِ تَحْمِلُ النَّعَمِ عَنِ الْمُفْضِلِينَ، وَسَمْعُكَ امْتِنَانِ الْمُنِيلِينَ. وَهَذَا دَأْبِي فِيمَا أَلْتَرَمُهُ مِنَ التَّعَبِ، وَأَحْمِلُ عَلَيْهِ نَفْسِي مِنَ التَّجَوُّالِ فِي الْبِلَادِ وَالتَّقَلُّبِ. وَارْتَفَعَ «بَلَاءٌ» عَلَى أَنَّهُ خَبِرَ مُقَدِّمَ، وَالْمُبْتَدَأَ حَمْلَ الْإِيَادِي. وَقَوْلُهُ: «تُؤْتِي بِهِ» مِنْ صِفَةِ الْمَنْ.

(١) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (٣٦٩).

٤٤٧ - وقال محمد بن أبي شحاذ^(١): [الطويل]

- ١ - إِذَا أَنْتَ أَهْطَيْتَ الْغِنَى ثُمَّ لَمْ تَجِدْ بِفَضْلِ الْغِنَى أَلْفَيْتَ مَا لَكَ حَامِدُ
٢ - إِذَا أَنْتَ لَمْ تَعْرُكَ بِجَنِّبِكَ بَعْضَ مَا يَرِيبُ مِنَ الْأَدْنَى رَمَاكَ الْأَبَاعِدُ

قوله: «إذا أنت» جوابه أَلْفَيْتَ، وهو الفعل الواقع فيه، لأنَّ إذا بتضمُّنِهِ للجزاء يطلبُ جوابًا ويكون ظرفًا له، فيقول: إذا نِلْتَ اليسار والغنى، ومُكِنْتَ من أطماع الدنيا فملكتهَا، ثم لم تتسَخَّ بما يفضل من وَجْدِكَ، وَجَدْتَ لا يُثْنِي عليك حامد، ولا يَحْفَظُ غِيكَ ذائد، وفي الثناء الباقي على الدهر خَلَفَ من نَقَادِ العُمُر، فَإِنْ لم تَكْتَسِبْهُ بما تناله لِحَقِّكَ الدَّمُ مِمَّنْ الحَاظِمِ سِهَام، وألفاظهم سِهَام.

وقوله: «إذا أنت لم تعرك»، جوابه: رماك الأبعاد، وكما بعث في البيت الأول على الإفضالِ وذمِّ الإمساك مع القدرة، بَعَثَ في هذا البيتِ على مُصَابِرَةِ العشيرة واستبقائهم، وترك مؤاخَذَتهم بما يتفق من هَفَوَاتِهِمْ، وَتَدْقِيقِ محاسِنَتِهِمْ على بَدَوَاتِهِمْ وَزَلَّاتِهِمْ، فقال: لا يُؤْمِنُكَ إقبالُ الدنيا عليك إزبارها عنك، ولا دَوْلَةٌ لك من إدالة منك. واعلم أنَّك إذا لم تَعِفَّ عما يَرِيبُك من أدانيك، ولم تَحْتَمِلْهُ في عفوك وحلمك، اجترأ عليك الأبعادُ فرموك بما لا صَبْرَ لك عليه مِنْ أذاهِمْ ومكروههم. ويقال: عركتُ كذا بجَنِّبِي، أي: احتملته وجعلته مِنِّي بَظْهَر. والعَرَكُ والدَّلْكُ بمعنى واحد. وقال: «بعض ما يريب من الأدنى»، إشارةً إلى ما يكون فيه على الحلم مَحْمِلٌ؛ لآثِهِ ليس كلُّ ما يَرِيبُ يُعَدُّ التجافي عنه حَسَنًا.

- ٣ - إِذَا الْحِلْمُ لَمْ يَغْلِبْ لَكَ الْجَهْلُ لَمْ تَزَلْ عَلَيْكَ بُرُوقُ جَمَّةٍ وَرَوَاعِدُ
٤ - إِذَا الْعَزْمُ لَمْ يَفْرُجْ لَكَ الشُّكَّ لَمْ تَزَلْ جَنِّيبًا كَمَا اسْتَنْلَى الْجَنِّيبَةُ قَائِدُ

قوله: «إذا الحلم» جوابه: لم تزل، فيقول: تَحَلَّمْ في كثيرٍ ممَّا يعرُوك ويطرُقك، وانظر أن تكونَ لك الغلبَةُ على جهلك، والتَّمَلُّكُ لاحتدادك وصَوْلِكَ، فَإِنَّكَ إن لم تستعمل الأناةَ في مقارضاتك، وَتَسَرَّعْتَ إلى المكافأة على ما يظهر لك، ولم تضنَّ بمن بلوته فعرفت مذهبَه، وَخَبِرْتَ خلائِقَه، وصار مستمَدُّ رَأْيِكَ ومُشْتَكِي حُزْنِكَ لم تنتفع بغيره، واجتمعتْ عليك البرُوقُ والرواعدُ مِمَّنْ تعده لك عليك. وهذا مثلٌ لأنواع الأذى والمكروه، والتوعُّدُ بضروب القول، وفنون الفعل.

(١) التبريزي: «محمد بن أبي شحاذ الضبي».

وقوله: «إذا العزم لم يفرج» جوابه لم تزل جنياً. والمعنى: انظر لنفسك فيما تُشرف عليه طالباً للعزم ثم اعزم، ودع التشكك والتلوم فيما يُريك رأيك وإلا بقيت تابعاً لغيرك، متوقفاً فيما يمسك، كما يستتبع قائد الخيل مجنوباً له. وهذا بغت على اقتحام الأمور، واستعمال الاستبداد فيها بعد النظر والتحزم في الظاهر، وترك التعرج على قول مانع، أو دفع مزاجهم، أو مذكر بعاقبة؛ كما وصى في البيت الذي قبله بالرفق في الأمور التي تكسب العداوات، واستعمال الصبر فيما يجلب الضغائن ويهيج الثرات.

٥ - وَقَلَّ غَنَاءَ عَنْكَ مَالٌ جَمَعْتَهُ إِذَا كَانَ مِيراثًا وَاوَاكَ لِاحِدًا^(١)
٦ - تَجَلَلْتَ هَارًا لَا يَزَالُ يَشُبُّهُ سَبَابُ الرِّجَالِ نَشْرُهُمُ وَالْقَصَائِدُ

المراد بذكر القلة هاهنا الثفي، لا إثبات شيء قليل. وانتصب «غناء» على الحال، أي: مُغنياً عنك، فيقول: لا يُغني عنك مالٌ تجمعته إذا ذهب عنه وتركته لورثتك، فإن ما تملكه هو ما تُنفقه أيام حياتك، وتضرفه فيما يدخر لك أجراً، أو يَكسِبَ لك حمداً، فأما إذا سترك من يلحد قبرك، فما تتركه لغيرك لا حظ لك فيه ولا نصيب، بل تكتسى عاراً منه لا يزال يُوقد ناره، ويرفع في المحافل ذكره سبَابُ الرجال، من الثر تارة، ومن النظم أخرى، لأن الباخل مذموم بكل لسان حياً وميتاً، وفي كل زمان موجوداً ومفقوداً، ثم تراه كالجاني على كل من يعرفه، فهم يذمونه بظهور الغيب، ويقذعونه في الحضور، فلا يزال مسبواً، مأكول اللحم مدحوراً.

٤٤٨ - وقال^(٢): [الطويل]

١ - وَبِلَمْ لَذَاتِ السَّبَابِ مَعِيشَةً مَعَ الْكُثْرِ يَغْطَاهُ الْفَتَى الْمُتْلِفُ النَّدِي
٢ - وَقَدْ يَغْفِلُ الْقُلُ الْفَتَى دُونَ هَمِّهِ وَقَدْ كَانَ لَوْلَا الْقُلُ طَلَاعُ أَنْجِدِ

لفظة «وَلَمْ» إذا أضيفت بغير اللام فالوجه فيها التُصب، تقول: ويل زيد، والمعنى: ألزم الله زيداً ونلاً، فإذا أضيفت باللام فقليل: ويل لزيد، فحكمه أن يُرْفَع

(١) التبريزي: «إذا صار ميراثاً».

(٢) التبريزي: «وقال آخر». ونسبهما في جمهرة الأمثال ١: ٣٧٩ لخالد بن علقمة الدارمي، وفي الخزانة ١: ٥٦٣ لحميد بن سجار الضبي، وهما في ديوان علقمة الفحل ص ١٣٥، ونسبا في اللسان (قلل) إلى خالد بن علقمة الدارمي.

فيصير معه ما بعده جملة، ابتدئ بها وهي نكرة لأن معنى الدعاء منه مفهوم، والمعنى: الويل ثابت لزيد؛ كأنه عدّه مُحَصَّلًا له، كما يقال: رَجِمَ الله زيدًا! فيجعل اللفظ خبرًا. وإذا كان حُكْمٌ وَيْلٌ هذا وقد ارتفع في قوله: «وَيَلِّمْ لَذَاتِ الشَّبَابِ»، فمن الظاهر أن أصله وَيْلٌ لَأَمِّ لَذَاتِ الشَّبَابِ، فحذف من أُمِّ الهمزة، واللام من ويل، وقد ألقى حركة الهمزة على اللام الجارة، فصار وَيَلِّمْ. وقيل: وَيَلِّمْ، كما قيل: (الحمد لله) و(الحمد لله) إتيانًا لإحدى الحركتين الأخرى، وقصده إلى مَدْحِ الشَّبَابِ وَحَمْدِ لَذَاتِهِ بين لَذَاتِ المَعَاشِ وقد طاع لصاحبه الكُثْرُ، وهو كثرة المال، فاجتمع الغنى والشباب له وهو سَخِيٌّ مَبْدُرٌ فيما يكسبه ذِكْرًا جميلًا، وصيًّا عاليًا؛ ثم قال: وقد يَخْسِرُ قِلَّةُ المال صَاحِبَهُ دُونَ ما يهْتَمُّ له أو يهْتَمُّ به. وقد كان لولا إضافته وقِلَّةُ ذاتِ يده طَلَابًا لِلتَّرَقِّي في درجات الفضل والإفضال، طَلَاعًا على عَوَالِي الرُّتَبِ في النِّهَايَاتِ. وانتصب «معيشة» على التمييز.

٤٤٩ - وقالت حُرقة بنت النعمان^(١): [الطويل]

- ١ - بَيْنَا نُسُوسُ النَّاسِ وَالْأَمْرُ أَمْرُنَا إِذَا نَحْنُ مِنْهُمْ سُوقَةٌ نَتَنَصَّفُ
٢ - فَأَفُّ لِدُنْيَا لَا يَدُومُ نَعِيمُهَا تَقَلَّبُ تَارَاتٍ بَيْنَا وَتَصَرَّفُ

بيننا: كلمة تُسْتَعْمَلُ في المفاجآت، وهي من ظروف الزَّمان. وقد يقال بينما؛ كأنهم أرادوا أن يصلوه بدلًا مما كان يُضاف إليه من قبل بما أو بالألف، والمراد: بينَ الأزمنة التي تجري علينا ونحن نُسُوسُ النَّاسِ ونُدْبِرُ أَمْرَهُمْ بما نُريدُ، وطاعتنا واجبة، وأحكامنا نافذة، إذا الأَمْرُ انْقَلَبَ فَاتَّضَعَتِ الأموال، وتسَلَّطَتِ الأبدال، وصرنا سُوقَةً نَحْدُمُ النَّاسَ. والتَّاصِفُ في اللغة: الخادِم. والسُّوقَةُ: مَنْ دُونَ الْمَلِكِ. ومعنى: «والأمر أمرنا»، أي: لا يدُ فوق أيدينا. والعامل في بينا ما دلَّ عليه قولها: «إِذَا نَحْنُ مِنْهُمْ سُوقَةٌ»، وإذا هذه ظرفُ مكان، وهي للمفاجأة، وقد تقدَّم القولُ فيه.

وقوله: «فَأَفُّ» فيه لغات عدَّة، يفتح ويكسر ويضم، وينون في كل ذلك وَيَنْزُكُ التنوين فيه، وهو اسمٌ من أسماء الفعل، وأسماء الفعل أكثر ما تقع في الأمر والتَّهْيِ، وفي باب الخبر تقع قليلًا، فمنها أَفُّ هذه، وَوَاهَا، وَهَيْهَاتِ وَأَحْرَفُ آخِر. ومعنى أَفُّ

(١) حُرقة بنت النعمان بن المنذر بن امرئ القيس، من بني لخم، من بيت الملك في قومها بالحيرة. ترجمتها في المؤلف والمختلف ص ١٠٣، وخزانة الأدب ٣: ١٨١.

التَّحْقِيرُ؛ كَأَنَّهُ قَالَ: حَقَارَةٌ لِدُنْيَا نَعِيمُهَا يَزُولُ، وَحَالُهَا لَا يَدُومُ، بَلْ تَقْلُبُ بِأَهْلِهَا وَتَتَحَوَّلُ، وَتَتَصَرَّفُ بِطُلَّابِهَا وَتَتَبَدَّلُ، فَمَنْ فَتَحَ أَفَّ فَلْخَفَةُ الْفَتْحَةِ، وَمَنْ كَسَرَ فَلَا تَلْقَاءُ السَّاكِنَيْنِ؛ لِأَنَّ الْكَسْرَ فِيهِ أَوْلَى، وَمَنْ ضَمَّ فَلَا تَبَاعُ الضَّمَّةُ الضَّمَّةُ، وَالتَّنْوِينُ فِيهِ أَمَارَةٌ لِلتَّشْكِيرِ، وَتَرَكُ التَّنْوِينَ أَمَارَةً لِلتَّعْرِيفِ.

٤٥٠ - وَقَالَ الْحَكَمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ^(١): [السريع]

- ١ - أَطْلُبُ مَا يَطْلُبُ الْكَرِيمُ مِنَ الْـ رَزَقِ بِنَفْسِي وَأَجْمِلُ الطَّلَبَا
٢ - وَأَحْلِبُ الثَّرَّةَ الصُّفْيَا وَلَا أَجْهَدُ أَخْلَافَ غَيْرِهَا حَلَبًا^(٢)

يَقُولُ: مُطَالِبِي مِنَ الدُّنْيَا وَمَرَاغِبِي عَلَى حَدٍّ مِنْ اسْتِعْمَالِ الْكَرَمِ وَالتَّعَقُّفِ، لَا يَزُرِي بِي نَظَرُ النَّاطِرِ إِلَيَّ، لِأَنِّي إِذَا طَلَبْتُ أَجْمَلْتُ، وَإِذَا سُدْتُ مَفَاقِرِي اكْتَفَيْتُ، ثُمَّ لَا أَعُولُ فِيمَا أَزَاوَلُهُ إِلَّا عَلَى نَفْسِي، مُتَّهِمَا سَغْيَ غَيْرِي، وَكُلُّ ذَلِكَ أَبْقَى عَلَى مِرَاعَاةِ الْعَقَافِ وَالْكَفَافِ.

وَقَوْلُهُ: «وَأَحْلِبُ الثَّرَّةَ الصُّفْيَا»، يَقُولُ: أَعْلَقْتُ طَمَعِي بِمَنْ إِذَا اسْتَدْرَجَ حَلَبُهُ كَانَ غَزِيرًا، لِأَنِّي لَا أَسِفُّ لِلْمَطَامِعِ الدُّنْيَا، وَلَا أَضْعُ نَفْسِي فِي الْمَوَاضِعِ الْخَسِيسَةِ. وَالثَّرَّةُ: الْغَزِيرَةُ. وَيُقَالُ: عَيْنٌ ثَرَاتَرَةٌ، إِذَا كَانَتْ كَثِيرَةً الْمَاءِ. وَالصُّفْيَا: الْجَامِعُ بَيْنَ مِخْلَبَيْنِ فِي حَلْبَةٍ. وَقَوْلُهُ: «وَلَا أَجْهَدُ أَخْلَافَ غَيْرِهَا حَلَبًا»، انْتَصَبَ الْحَلَبُ عَلَى أَنَّهُ مُصَدَّرٌ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ. وَالْمَعْنَى: أَنِّي لَا أَطْلُبُ الزُّهْدَ الْحَقِيرَ الْقَدْرَ، وَلَا أَسْتَدْرُجُ الْبَكْيَ الْقَلِيلَ الدَّرَّ. وَالْحَلَبُ قَدْ يَرَادُ بِهِ الْمَصْدَرُ، وَقَدْ يَرَادُ بِهِ الْمَحْلُوبُ.

- ٣ - إِنِّي رَأَيْتُ الْفَتَى الْكَرِيمَ إِذَا رَغَبْتَهُ فِي صَنِيعَةٍ رَغَبَا
٤ - وَالْعَبْدُ لَا يَطْلُبُ الْعَلَاءَ وَلَا يُغْطِيكَ شَيْئًا إِلَّا إِذَا رَهَبَا
٥ - مِثْلُ الْجِمَارِ الْمُوقِعِ السُّوءِ لَا يُخْسِنُ مَشْيَا إِلَّا إِذَا ضَرَبَا

قَوْلُهُ: «إِنِّي رَأَيْتُ الْفَتَى الْكَرِيمَ»، يَقُولُ: إِنَّ مِنْ تَكَرُّمِ عَرُوفِهِ وَتَزَكُّو أَسْوَائِهِ، إِذَا دَعَوْتَهُ إِلَى اصْطِنَاعِ صَنِيعَةٍ، وَهَزَزْتَهُ لِابْتِنَاءِ مَكْرُمَةٍ، أَجَابَكَ حَرِيصًا عَلَى اسْتِغْنَامِهِ. وَتَرَى الدُّنْيَا الْخَسِيسَ الْهَمَّةَ وَالنَفْسَ لَا يَطْلُبُ ارْتِفَاعًا وَلَا يَكْسِبُ ادِّخَارًا، وَلَا يُسَمِّحُ بِشَيْءٍ إِلَّا عَنْ رَهْبَةٍ، فَعَلَّ مَنْ لَا يَبْتَغِي فِي مَصَارِفِهِ حَمْدًا، وَلَا يَقْتَنِي لِيَوْمِهِ وَغَدِهِ

(١) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (٤٢٦). (٢) التبريزي: «أخلاف غيرها».

خَلَاً، فهو كالحمار السوء، الذي بظهره آثارُ دَبَرٍ وقد ذُلِّل في العَمَل، لا يُجِيب إلَّا إذا استُجِثَّ حتى يُضْرَبَ، بلادةً منه وكَسَلًا. وقوله: «لا يُخَسِّنُ» موضعه من الإعراب نصب على الحال. وارتفع «مثل» على أنه خبر مبتدأ مضمَر.

وقوله: «مثل الحمار الموقَّع»، يجوز أن يُراد منه الذي في ظهره أثر الإكاف أو الدَبَر، ويجوز أن يُرادَ به المذلل، كما يقال: طريقٌ موقَّع، ويجوز أن يكون من وَفَعَتِ الحديدُ، إذا ضَرَبَتْهَا بالمِيقَةِ، كأنَّه لبلادته يُضْرَب كثيرًا.

- ٦ - وَلَمْ أَجِدْ عُرْوَةَ الْخَلَائِقِ إِلَّا الدِّينَ لَمَّا اخْتَبَرْتُ وَالْحَسَبَا
٧ - قَدْ يُرْزَقُ الْخَافِضُ الْمَقِيمُ وَمَا شَدَّ بِمَنْسٍ رَحْلًا وَلَا قَتَبَا
٨ - وَيُخْرَمُ الْمَالُ ذُو الْمَطِيَّةِ وَالرَّحْـ لِي وَمَنْ لَا يَرَا لِمُفْتَرِيَا

قوله: «لم أجد»، يريد: أن مِسَاكَ الْخَلَائِقِ الشريفة، ووثائقُ عُرَاهَا، إنَّما هي إذا اعتبرَها المعتبر في الدِّينِ وعِمَارَتِهِ، وفي الشَّرَفِ وتحصيله؛ كأنَّه جعلَ طلبَ الحَسَبِ لِلدُّنْيَا وأسبابِها والاعتناءَ فيها، وجعلَ الدِّينَ لِلآخِرَةِ وتقديمَ ما يفوز به من رضا الله عزَّ وجلَّ، والثوابِ الجسيم.

وقوله: «قد يُرْزَقُ الْخَافِضُ الْمَقِيمُ» سلك فيه مسلك الآخر^(١) في قوله:

[البسيط]

ماذا يُكَلِّفُكَ الرُّوحَاتِ والدُّلْجَا الْبَرَّ طَوْرًا وَطَوْرًا تَرَكَبُ الدُّلْجَا
البيتين، وقد تقدَّما.

والخافض: الوداع الذي لم يُحدِّثْ نَفْسَهُ بِتَجَوَّالٍ وارتحال، فيقول: قد ينالُ الرُّزْقَ الواسِعَ مَنْ لا يُؤْثِرُ على الإقامة في وطنه شيئًا، وقد تَرَى قاطعَ الشُّقَّةِ البعيدة، وصاحبَ الرُّحْلِ والمَطِيَّةِ، الصَّابِرَ على العُزْبَةِ، محرومًا مَضِيَّكَ الْعَيْشِ، مكدودَ العُمْرِ. والرُّحْلُ: مَرْكَبُ البعير؛ والرَّحَالَةُ نحوه، وهو السُّرْجُ أيضًا. والقَتَبُ: إِكَاْفُ الْجَمَلِ، كذا ذكره الخليل. وقوله: «ذُو الْمَطِيَّةِ والرُّحْلِ»، الرُّحْلُ: مصدر رَحَلْتُ البعيرَ، إذا شَدَدْتَ عليه الرُّحْلَ.

(١) لمحمد بن بشير في الحماسية رقم (٤٣٦).

٤٥١ - وقال آخر:

١ - يا أيُّها العام الذي قد رابني أنتَ الفداء لذكرِ عامٍ أوْلا

٢ - أنتَ الفداء لذكرِ عامٍ لم يكنْ نخسا ولا بينَ الأحبَّة زُيلا

يفضِّل أياَّمه الماضيَّة على أياَّمه الحاضرة، فقال كالمخاطب لها: أيُّها العام الذي قد أتى بما يريني، جعلك الله فداء لعامٍ أوَّل من عامي، تقضى بما سرني.

وقوله: «عام أوْلا» مما أُلِف فيه كثرة الاستعمال، فوصِف بصفةٍ لم توصف به نظائره، اعتمادًا على التعارف. والمارد بهذا أنه لم يقل شهرٌ أوَّل ولا حوْل أوَّل، ولا سنة أوَّل، وإنما خُصَّ هو بذلك لكثرة الاستعمال، ولأنَّ دلالة الحال وتعارف المتكلِّمين به سوَّغ الحذف والإجراء على ما أُلِف فيه.

وقوله: «أنتَ الفداء»، يريد: تكرير الدِّعاء على التضجُّر بحاضرٍ وقته وعامه، والتنبيه على ما رآه منه، فيقول: جعلك الله فداءً لذكرِ عامٍ لم يُعَدِّ بمنحسة، ولا حَكَم بين الأحبَّة بفُرقة، وإنما قال: «الذكرِ عامٍ»؛ لأنَّ العامَّ وقد تقضى لا يصحُّ فيه التَّفدية. والنَّحس: ضدُّ السُّعد، وقد وُصِفَ به الغُبرة والأمرُ المظلم. وفي القرآن: ﴿وَفِي آيَاتِهِ نِعَمَاتٌ﴾ [فُصِّلَتْ: الآية ١٦]. ويقال: رجلٌ مُنَحَّسٌ، أي: مخزُون.

٤٥٢ - وقال الفرزدق:

١ - إذا ما الدَّهرُ جرَّ على أناسٍ حوادثُهُ أنَاخَ بأخريِّنا^(١)

٢ - فقلْ للشَّامِثِينَ بنا أفيقوا سيَلقى الشَّامِثُونَ كما لقينا

يقول: إذا صُرُوف الدَّهرِ أناختْ على قومٍ بإزالة نِعَمهم، وتكدير عيشهم، فجزت عليهم أذيالُ الشَّرِّ والتَّغيير، ودَرسَتْ آثارهم ومَحَتْ دِولهم، تراها تنتقل إلى آخِرِينَ، لأنَّها كما تَهَبُ ترتجع، وكما تُولي تَسْلُب.

ثم قال: قل لمن شِمت بنا فيما رأى من أثر الزَّمان فينا: انتبهوا من رَقَدتكم واضحوا من شِمتكم، فسْتَلْقُون كما لقينا، وتُمَتِّحُونَ كما امْتَحِنَّا؛ لأنَّ حَيَاتَنَا وجميع ما في أيدينا عوَارٍ، والعواري تُسْتَرَدُّ وإن طالَّت المُهلة.

(١) التبريزي: «كلَّله أناخ».

٤٥٣ - وقال الصَّلْتَانُ العَبْدِيُّ^(١): [المقارب]

- ١ - أَشَابَ الصُّغِيرَةَ وَأَفْنَى الْكَبِيرَ كَرَّ اللَّيَالِي وَمَرَّ الْعَشِيِّ^(٢)
 ٢ - إِذَا لَيْلَةٌ هَرَمَتْ يَوْمَهَا أَتَى بَعْدَ ذَلِكَ يَوْمٌ فَنِي
 ٣ - نَرُوحُ وَنَغْدُو لِحَاجَاتِنَا وَحَاجَةٌ مِنْ عَاشٍ لَا تَنْقُضِي

ذكر في هذه الأبيات ما تدور عليه دوائر الأيام، وصروف الأزمان، وأنها لا تقف عند غاية، ولا تعرف فيما تجري فيه مَقَرٌّ نهاية، وأن من عاداتها تغيير الأمور، وفي تقضيها وقضاياها تحويل الأحوال، فقال: إنَّ كُرُورَ الأيام، ومُرُورَ الليالي والأوقات، تراها تجعل الصغير كبيراً، والكبير حقيراً، وتجعل الطفل شاباً، والشَّيخَ فانيّاً، فكلّما خَلُقت جِدَّةٌ يوم جاء بعدها يومٌ آخر فَنِيّ جديد، ونحن فيها ندأب في حاجتنا، فلا نحن نَمَلُّ، ولا حاجتنا تَفْنَى أو تَقِلُّ، ولا الوقت بنا يقف، ولا واحد منا يَنْتَظِرُ أو يَتَوَقَّفُ، إذ كان ذو العيش مآربه متصلة، كما أنَّ أوقاته دائرة متتابعة.

معنى هَرَمَتْ يومها: ضَعُفَتْ مُسَلِّماً للزوال، ويقال: هو ابن هَرَمَةِ أبيه، كما يقال: هو ابن عَجْزَةِ أبيه، لِأَخْرِ الأولاد، كأنه من الهَرَم. والهَزَمَى من الخَشَب: ما لا دُخَانَ له، لِعِتْقِهِ وذهاب قُوَّتِهِ. والفَتِيُّ مصدره الفَتَاء، وضده الذَكِيُّ. ويقال: فِتَاءُ فُلَانٍ كَذَكَاءِ فُلَانٍ وَكَتَذَكِيَّةِ فُلَانٍ.

- ٤ - تَمُوتُ مَعَ الْمَرَّةِ حَاجَاتُهُ وَبَقِيَ لَهُ حَاجَةٌ مَا بَقِيَ^(٣)
 ٥ - إِذَا قُلْتَ يَوْمًا لِمَنْ قَدْ تَرَى أَرُونِي السَّرِيَّ أَرُوكَ الْقَنِي

يقول: تموت مع المرء حاجاته، يريد: أنَّ المرء ما دام حيّاً فمآربه وشهواته تتجدّد تجدد الأوقات، وأمانيه تتصل ما اتّصل عمره، فإذا جاء أجله وتناهى أمده، انتهت مآربه، ووقفت مطالبه.

وقوله: «إذا قلت يوماً لمن قد ترى»، يريد: وإن سألت كلَّ مَنْ تَقَعُ عينُك عليه من المُمَيِّزِينَ، عن سَراة الرِّجَالِ وكِرَامِهِمْ، أحالوا على المُثَرِّين وإن ضَعُفَتْ رغبتهم

(١) الصَّلْتَانُ العَبْدِيُّ: هو قثم بن خبيّة العبدِيّ، من بني محارب بن عمرو، من عبد القيس: شاعر حكيم وهو الذي قضى بين جرير والفرزدق ففُضِّل شعر جرير (ت نحو ٨٠ هـ / ٧٠٠ م). ترجمته في المؤلف والمختلف ١٤٥، والشعر والشعراء ١٩٦.

(٢) التبريزي: «وتبقى له».

(٣) التبريزي: «كز الغداة».

في اكتساب الخير، واستجلاب الحمد. والسُّرُوءُ: سخاءٌ في مُرُوءَةٍ. يقال: سُرُوَ الرجل يَسْرُو، وهو سَرِيٌّ من قوم سَرَاءَةٍ. وكأنَّ هذا سَلَكٌ مسلك الآخر حين قال: [الطويل]

وَأَنْ ثَرَاءَ الْمَالِ يَنْفَعُ رَبَّهُ وَيُثْنِي عَلَيْهِ الْحَمْدُ وَهُوَ مُذَمَّمٌ^(١)

٦ - أَلَمْ تَرَ لُقْمَانَ أَوْصَى بَنِيهِ وَأَوْصِيَتْ عَمْرًا وَنِعَمَ الْوَصِيِّ^(٢)

٧ - بُنِيَ بَدَا خُبٌ نَجْوَى الرُّجَالِ فَكُنْ عِنْدَ سِرِّكَ خَبٌ النَّجِيِّ

٨ - وَسِرُّكَ مَا كَانَ عِنْدَ أَمْرِي وَسِرُّ الثَّلَاثَةِ غَيْرُ الْخَفِيِّ^(٣)

معنى «ألم تر»: اعلم. ويريد التنبيه على أنَّ له في وصايته ابنه اقتداءً بالحكماء قبله، فكما ساء لُقْمَانُ أَنْ يُوصِي ابنه ساء للصَّلَاتَانِ أَوْ يُوصِي عَمْرًا ولده. والمحمود في قوله: «نعم الوصي» محذوف؛ كأنه قال: ونعم الوصي هو. وهذا ترغيبٌ منه لعمرٍو في الاحتذاء بما يَرْسُمُ له. وقوله: «بني بدا خُبٌ نَجْوَى الرُّجَالِ»، فالخُبُّ: المكر بكسر الخاء، والخَبُّ بفتحها: المكَّار. ومثله رجلٌ صَبٌّ. والنجوى: مصدر، وهو يستعمل فيما يتحدَّث فيه اثنان على طريق السُّتْرِ والِكْتِمَانِ، فيقول: إذا ناجيت صاحبًا لك فكن خَبًا فيما تُودعه من سِرِّكَ، فَإِنَّ نَجْوَى الرُّجَالِ إذا بدا خُبُّها، ومكَّرَ أربابها فيها، عادت وبالألف وفضيحة. والنَّجِيُّ يقع على الواحد والجمع، وكذلك النَّجْوَى. وفي القرآن: ﴿وَلَا تُمْ نَجْوَى﴾ [الإسراء: الآية ٤٧].

وقوله: «وسِرُّكَ ما كان عند امرئ»، ذهب فيه مذهب مَنْ قال: [الطويل]

إذا جاوز الاثْنَيْنِ سِرٌّ فَإِنَّهُ يَبْتَثُّ وَتَكْثِيرُ الْوُشَاةِ قَمِيمٌ^(٤)

وقد قيل في «الاثْنَيْنِ» من هذا البيت أراد به الشُّفَتَيْنِ، وكأنَّ من قَسَّرَ هذا التفسير يريد: لا تُفْشِ سِرَّكَ إلى أَحَدٍ.

آخر باب الأدب، والحمدُ لله وحده، والصلاة على نبيه محمَّد وآله بَعْدَهُ.

(١) لِمَالِكِ بْنِ حَزِيمٍ الْهَمْدَانِي فِي الْحَمَاسِيَةِ رَقْم (٤٣٤).

(٢) التبريزي: «نعم الوصي».

(٣) بعده عند التبريزي:

«كما الصمْتُ أَدْنَى لِبَعْضِ الرِّشَادِ فَبَعْضُ التَّكَلِّمِ أَدْنَى لِغَيِّ»

(٤) لُقَيْسُ بْنُ الْخَطِيمِ فِي دِيَوَانِهِ ١٦٢، وَحَمَاسَةُ الْبَحْتَرِيِّ ١٤٧، وَالدَّرَرُ ٦: ٣١٢، وَسَمَطُ اللَّكَلِيِّ ٧٩٦، وَاللِّسَانُ (نث، قمن، ثني).

باب النَّسِيب

٤٥٤ - وقال الصَّمَّةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقَشِيرِيُّ^(١): [الطويل]

- ١ - حَنَنْتُ إِلَى رَيَّا وَنَفْسُكَ بَاعَدَتْ مَرَّارَكَ مِنْ رَيَّا وَشَغْبَاكُمَا مَعَا^(٢)
 - ٢ - فَمَا حَسَنَ أَنْ تَأْتِي الْأَمْرَ طَائِعًا وَتَجْزَعَ أَنْ دَاعِي الصَّبَابَةِ أَسْمَعًا
- الحنين: تألم من الشوق وتشك. ورَيَّا: اسمُ امرأةٍ، فإن قيل: هَلَا قِيلَ رَوَى، لَأَنَّ فَعْلَى إِذَا جَاءَ اسْمًا مِنْ بَنَاتِ الْيَاءِ يَقْلِبُ يَاءُهَا وَآوًا، عَلَى هَذَا الْفَتْوَى وَالشَّرْوَى وَالتَّفْوَى وَالْبَقْوَى؟ قلت: إِنَّهُ سُمِّيَ بِهِ مَنْقُولًا عَنِ الصُّفَّةِ، وَفَعْلَى صِفَةٌ يَصْحُ فِيهِ الْيَاءُ، عَلَى هَذَا قَوْلِهِمْ: خَزْيًا وَصَدْيًا وَرَيًّا؛ كَأَنَّهُ تَأْنِيثُ رَيَّانٍ فِي الْأَصْلِ، كَمَا يُقَالُ: عَطْشَانٌ وَعَطَشَى، ثُمَّ نُقِلَ مِنْ بَابِ الصُّفَاتِ إِلَى بَابِ التَّسْمِيَةِ بِهَا فَتَرَكَ عَلَى بَنَائِهِ. وقوله: «ونفسك باعدت» الواو واو الحال، وهي للابتداء، ومعنى باعدت: بَعَدَتْ، وهو كما يُقَالُ ضَاعَفْتُ وَضَعَفْتُ. وفي القرآن: ﴿بَعُدَ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ [سَبَأ: الْآيَةُ ١٩].

والمَرَّار: اسمُ مكان الزَّيَارَةِ. والشعب: شَغَبَ الْحَيَّ، يُقَالُ: التَّامَ شَغْبُهُمْ، أَي: اجتمعوا بعد تفرُّقٍ، وَشَتَّ شَغْبُهُمْ، إِذَا افترقوا بعد تَجْمُعٍ. وقوله: «وشعباكما معا»، الواو واو الحال أيضًا، والعامل في «ونفسك باعدت» حَنَنْتُ، وفي قوله: «وشعباكما باعدت». ومعنى قوله: «معا» مجتمعان ومصطحبان، وموضعه خبر المبتدأ.

(١) الصمة بن عبد الله بن الطفيل القشيري: من بني عامر بن صعصعة من مضر، شاعر غزل بدوي من شعراء العصر الأموي، ومن العشاق المتيمنين (ت نحو ٩٥هـ / ٧١٤م). ترجمته في الأغاني ١٢٦: ٥، وخزانة البغدادي ١: ٤٦٤.

(٢) الأبيات (١، ٢، ٣، ٤، ٦، ٨) له في المصون في سر الهوى المكنون ١٦٢، وأسواق الأشواق خ ١٠٤ ظ، والأبيات (٤، ٦، ٨) مع أبيات أخرى في اعتلال القلوب ٢٩٠.

وقوله: «فما حَسَنَ أن تأتيَ الأمرَ طائِعًا» في حَسَنَ وجوه: يجوز أن يكون مبتدأ، وجاز الابتداء به وهو نكرة لاعتماده على حرف النفي، و«أن تأتي» في موضع الفاعل لحَسَنَ، واستغنى بفاعله عن خَبَره، والتقدير: ما يَحْسُنُ إتيانك الأمرَ طائِعًا. وانتصب طائِعًا على الحال من أن تأتي. ويجوز أن يرتفع حَسَنَ على أنه خبر مقدم، وأن تأتي في موضع المبتدأ. ويجوز أن يرتفع حَسَنَ بالابتداء وأن تأتي في موضع الخبر، وهذا أضعف الوجوه لكون المبتدأ نكرة والخبر معرفة. وقوله: «وتجزع أن داعي الصُّبابة» أن مخففة من أن الثَّقيلة، والمراد: وتجزع من أن داعي الصُّبابة أَسْمَعَكَ صوته ودعاك.

ومعنى البيتين: شكوتَ شَوْكَكَ إلى هذه المرأة، وأنت آثرتَ البُغْدَ عنها بعد أن كان حَيَاكُمَا مجتمعين، وليس بجميل اختيارك الأمرَ طائِعًا غيرَ مُكره، وجزعك بعده، لأنَّ داعي الشَّوق والعائد منه إليك أَسْمَعَكَ وَحَرَكَ منك.

٣ - قَفَا وَدَعَا نَجْدًا وَمَنْ حَلَّ بِالْحِمَى

٤ - وَلَيْسَتْ عَشِيَّاتُ الْحِمَى بِرَوَاجِعٍ

يخاطب صاحبين لهُ يستوقِفُهُما ويكلفُهُما توديعَ نَجْدٍ معه والتَّأزُّلِ بالحِمَى منه، ثم استأنَفَ فقال ملتفتًا: وَيَقُلُّ لِنَجْدٍ وساكنته التَّوديعُ مئًا، لأنَّ حَقَّهُمَا أعظمُ من ذلك، ولكنَّا لا نُقَدِّرُ على غيره. والحِمَى: موضعٌ فيه ماءٌ وكلاً يُمنعُ منه الناس. ويقال: أَخْمَيْتُ المكانَ، إذا جعلته حِمَى. وحكى ابنُ الأعرابي أنهم يقولون للمكان وقد أُبْطِلَ وأُبِيحَ ولم يُحَمَ: بَهْرَجَ. وأنشد: [الرجز]

فَخَيْرَتْ بَيْنَ حِمَى وَبَهْرَجٍ ما بَيْنَ أَجْرَاذٍ إِلَى وَادِي الشَّجِي

وقوله: «أن يُودَّعَا» في موضع الفاعل لقل.

ومعنى قوله: «وليسَتْ عَشِيَّاتُ الْحِمَى بِرَوَاجِعٍ» أنك وإن أفرطتَ في الجَزَعِ، فإنَّ أوقاتَ المواصلةِ بِالْحِمَى مع أحبِّابِكَ لا تكادُ تَعُودُ، ولكنَّ أديمَ البكاءِ لها، مع التوجُّعِ في إثرِها، تَجِدُ فيه راحةً. وفي هذا إلمامٌ بقول الآخر: [الطويل]

فَقُلْتُ لَهُ إِنَّ الْبُكَاءَ لِرَاحَةٍ به يَشْتَفِي مَنْ ظَنُّ أَلَّا تَلَاوِيَا

وقوله: «تدمعا» جواب الأمر، ولو قال: تدمعان، لكان حالاً للعينين.

٥ - وَلَمَّا رَأَيْتُ الْبِشْرَ أَصْرَضَ دُونًَا وَحَالَتْ بَنَاتُ الشُّوقِ يَخْنِنُ نُرْعَا

٦ - بَكَتْ عَيْنِي الْيُمْنَى فَلَمَّا رَجَرْتُهَا عن الجَهْلِ بَعْدَ الْجَلْمِ أَسْبَلْنَا مَعَا^(١)

البشر: جبل. وأعرض دُونَنَا: أبدى عُرْضَهُ. وحالت: تحرَّكَتْ. يقال: استَحَلَّتْ الشخصَ، إذا نظرت هل يتحرَّك، ومنه: لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إِلَّا بالله! والمعنى: لَمَّا تَبَاعَدْنَا عن نَجْدٍ، وَحَجَرَ بَيْنَنَا وبينه البشر، تحرَّكَتْ بناتُ الشُّوقِ نَوَازِعَ كثيرةَ الحنين، مظهرَةً ضَعْفَ الصَّبْرِ. وجواب لما قوله: «بَكَتْ عَيْنِي الْيُمْنَى»، وأراد ببناتِ الشُّوقِ مَسِيَّاتَهُ. وهذا كما قال الآخر^(٢): [الطويل]

يَضُمُّ إِلَى اللَّيْلِ أَطْفَالَ حُبِّهَا كما ضَمَّ أَزْرَارَ الْقَمِيصِ الْبَنَائِقُ

فأطفالُ الحُبِّ كبناتُ الشُّوقِ. والتُّزْع، الأشهر فيه أن يكون جمعُ نازع بمعنى كافٍ، فوضَّعها موضعَ نوازع، واللفظتان المتواخيتان لكونهما من أصلٍ واحدٍ يُستعار ما لإحادهما للآخرى؛ وإنما قال: «بَكَتْ عَيْنِي الْيُمْنَى»، لأنَّه كان أعور ممثِّلاً بعينه اليسرى. والعَيْنُ العُوراء لا تَدْمَعُ، فيقول: بَكَتْ عَيْنِي الصحيحة؛ فاجتهدتُ في رَجْرِها عن تَعَاطِي الجَهْلِ بعد أن كُنْتُ تحلُمْتُ وترَكْتُ الصَّبِيَّ، فلما تكلفتُ ذاك لها أَقْبَلَتِ العوراء تَدْمَعُ معها وتبكي. ونَبَّهَ بهذا على عِضْيَانِ النفس والقلب، وقِلَّةِ ائتمارهما له، وأنهما إذا رَجَرَا ورُودًا عن مَواردهما زادا على المُتَكَرِّعِ منهما.

٧ - تَلَفْتُ نَحْوَ الْحَيِّ حَتَّى وَجَدْتُنِي وَجِئْتُ مِنَ الْإِصْفَاءِ لَيْتًا وَأَخْدَعَا

٨ - وَأَذْكُرُ إِثَامَ الْحِمَى ثُمَّ أَتْنِي على كَيْدِي مِنْ خَشْيَةِ أَنْ تَصْدَعَا

يقول: أَخَذْتُ في مَسِيرِي لَمَّا أَبْصَرْتُ حَالَ نَفْسِي في تأثيرِ الصَّبابةِ فيها، ملْتَفِتًا إلى ما خَلَفْتَهُ مِنَ الْحَيِّ وأَرْضِ نَجْدٍ، حَتَّى وَجَدْتُنِي وَجِعَ اللَّيْلِ - وهو عِرْقٌ فيها - لَطُولِ إِصْغَائِي، ودوامِ التَّفَاتِي؛ كُلُّ ذَلِكَ تَحَسُّرًا في إِثْرِ الْفَاتَةِ مِنْ أَحْبَابِي وديارِها، وتَذَكُّرًا لَطِيبِ أَوْقَاتِي مَعَهُمْ فيها. وقد قيل فيه: إِنَّ مِنْ رُمُوزِهِمْ أَنَّ مَنْ خَرَجَ مِنْ بَلَدٍ فَالْتَفَتَ وراءَهُ رَجَعَ إلى ذَلِكَ الْبَلَدِ. وأنشد فيه أبياتٌ منها قوله: [الخفيف]

عَيْلَ صَبْرِي بِالثَّغْلِبِيَّةِ لَمَّا طَالَ لَيْلِي وَمَلْنِي قُرْنَائِي

كَلَّمَا سَارَتِ الْمَطَايَا بِنَا مِــ لَا تَنْفُسْتُ وَالتَّفْتُ وَرَائِي

قالوا: التَّفْتُ لَكَي يُقْضَى لَهُ الرُّجُوعُ، لكونه عاشقًا.

(١) التبريزي: «بكت عيني اليسرى».

(٢) لقيس بن معاذ في ديوانه ١٦٠، واللسان (نق)، وبلا نسبة في اللسان (طفل).

وَانْتَصَبَ «لَيْتًا» لِأَنَّهُ تَمِيزٌ، وَهَذَا مِنْ بَابِ مَا نُقِلَ الْفَعْلُ عَنْهُ، كَأَنَّ الْأَصْلَ: وَجَعَ لَيْتِي وَأَخَذَعِي، فَلَمَّا شُغِلَ الْفَعْلُ عَنْهُمَا بِضَمِيرِهِ أَشْبَهَا الْمَفْعُولَ فَنَصَبَهُمَا. وَمِثْلُهُ: تَصَبَّيْتُ عَرَقًا، وَقَرِزْتُ بِهِ عَيْنًا.

وقوله: «وَأَذْكُرُ أَيَّامَ الْحِمَى ثُمَّ أَتْنِي»، يَقُولُ: وَأَتَذَكَّرُ أَوْقَاتِي بِالْحِمَى لَمَّا كَانَ مِنْ أَسْبَابِ الْوَصَالِ تَسَاعُدًا، وَبَيْنَ دُورِنَا وَدُورِ الْأَحِبَّةِ تَقَارُبٌ، وَلِلتَّرَاسُلِ إِمْكَانٌ، وَمَعَ الْحَبِيبِ فِي الْوَقْتِ بَعْدَ الْوَقْتِ تَلَاقٍ وَاجْتِمَاعٌ، ثُمَّ أَنْعَطَفُ عَلَى كَبَدِي وَأَقْبِضُ عَلَيْهَا مَخَافَةَ تَشَقُّقِهَا، وَخُرُوجِهَا مِنْ مَوَاضِعِهَا، شَوْقًا إِلَى أَمْثَالِهَا، وَحَسْرَةً فِي إِثْرِ مَنْقَطِهَا.

وَقَدْ ذَكَرَ هَذِهِ الْأَبْيَاتُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْمَفْجُعُ رَحِمَهُ اللَّهُ، فِي حَدِّ الْعَزَلِ مِنْ كِتَابِهِ الْمَعْرُوفِ بِالْتَّرْجُمَانِ، فَذَكَرَ بَيْتَيْنِ مِنْهَا فِي (بَابِ الصَّبَابَةِ)، وَهُمَا:

حَنَنْتُ إِلَى رَيَّا وَنَفْسُكَ بَاعَدَتْ

و:

فَمَا حَسَنُ أَنْ تَأْتِيَ الْأَمَرَ طَائِعًا

وَقَالَ فِي تَفْسِيرِهِمَا: «يَقُولُ: الْحَرْبُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ قَوْمِكَ تَمْنَعُكَ مِنْ قُرْبِهَا وَلِقَائِهَا». وَذَكَرَ مَعَ الْبَيْتَيْنِ قَوْلَ عَتْرَةَ: [الكامل]

عَلَّقْتُهَا عَرَضًا وَأَقْتُلُ قَوْمَهَا زَعَمًا لَعَمْرُ أَبِيكَ لَيْسَ بِمَزْعَمٍ^(١)

ثُمَّ جَاءَ إِلَى (بَابِ الْحَنِينِ)، فَذَكَرَ مَا فِي الْأَبْيَاتِ:

وَأَذْكُرُ أَيَّامَ الْحِمَى

و:

وَلَيْسَتْ عَشِيَّاتُ الْحِمَى بِرَوَاجِعٍ

و:

بَكَتْ عَيْنِي الْيُمْنَى

الْأَبْيَاتُ، وَقَالَ فِي تَفْسِيرِهَا: هَذَا كَانَ نَجَاوَرًا لِأَحْبَابِهِ وَهُمْ مُتَجِجُونَ بِجُنُوبِ الْحِمَى فَنَشَأَتْ عَيْنٌ - وَالْعَيْنُ: سَحَابَةٌ تَجِيءُ مِنْ نَاحِيَةِ الْقَبْلَةِ - فَنَشَأَتْ مِنْ عَنْ يَسَارِ الْقَبْلَةِ، فَارْتَاعَ لِذَلِكَ، وَخَشِيَ الْفَرْقَةَ إِذَا اتَّصَلَ الْغَيْثُ، فَذَلِكَ مَعْنَى قَوْلِهِ: بَكَتْ عَيْنِي

(١) لعتره في ديوانه ١٩١، وخزانة الأدب ٦: ١٣١، واللسان (زعم).

الْيُسْرَى، كنايةً عن السحاب. وَجَهْلُهَا: كثرة مَطَرِهَا. وجعلَ ارتياحه منها زجرًا لها. ثم نشأت أخرى مِنْ عَن يَمِينِ الْقِبْلَةِ، فَأَيَّقَنَ حِينَئِذٍ بِالْفِرَاقِ. فذلك معنى قوله: أَسْبَلْنَا مَعًا. ثم قال معترِفًا بِالْبَيِّنِ: خَلَّ عَيْنَيْكَ تَدْمَعًا، يعني السَّحَابَتَيْنِ. وقال جرير: [الكامل]

إِنَّ السَّوَارِيَّ وَالْعَوَادِيَّ عَادَرَتْ لِلرَّيْحِ مُنْخَرَفًا بِهَا وَمَجَالًا

هذا كلامه في كتابه، وقد حَكَيْتَاهُ عَلَى مَا أوردته لا زيادةً فيه ولا نُقْصَان. وأظُنُّ أَنَّهُ تَذَكَّرَ آيَاتًا غَيْرَ هَذِهِ، ثُمَّ تَصَرَّفَ فِي تَفْسِيرِهَا وَذَكَرَ هَذِهِ الْآيَاتِ فِي أَثْنَاءِ تَفْسِيرِ مَا ذَكَرَهُ، وَلَمْ يَأْتِ بِهَا، وَقَدْ أَحْسَنَتْ الظَّنُّ مُسْتَظَرَفًا فِعْلَهُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

٤٥٥ - وقال آخر^(١): [الطويل]

١ - وَتُبِّثْتُ لَيْلَى أَرْسَلْتَ بِشَفَاعَةِ إِلَيَّ فَهَلَّا نَفْسُ لَيْلَى شَفِيعُهَا

٢ - أَأَكْرَمُ مِنْ لَيْلَى عَلَيَّ فَتَبَنَيْتُ بِهَ الْجَاهِ أَمْ كُنْتُ أَمْرًا لَا أَطِيعُهَا

تُبَّى يحتاج إلى ثلاثة مفاعيل، وقد حَصَلَتْ إِلَى قَوْلِهِ: «أَرْسَلْتَ بِشَفَاعَةِ إِلَيَّ».

وقوله: «هَلَّا نَفْسُ لَيْلَى»، هَلَّا: حرفُ تَخْصِيصٍ، وَهُوَ يَطْلُبُ الْفِعْلَ، وَقَدْ وَقَعَ فِي الْبَيْتِ بَعْدَهُ جُمْلَةٌ مِنْ مَبْتَدَأٍ وَخَبَرٍ. وفارق «هَلَّا» هَذِهِ أَخْتَهَا «لَوْلَا» فِي قَوْلِهِ: [الطويل]

تَعُدُّونَ عَقَرَ النَّيِّبِ أَفْضَلَ مَجْدِكُمْ بَنِي ضَوْطَرَى لَوْلَا الْكَمِيُّ الْمَقْنَعَا^(٢)

وذاك لِأَن تَأْثِيرَ الْفِعْلِ بِالنَّصِبِ بَعْدَ لَوْلَا مِنَ الْبَيْتِ دَلٌّ عَلَيْهِ، فَأَمْرُهُ فِي إِضْمَارِ الْفِعْلِ بَعْدَهُ قَوِيٌّ. وَهَذَا لَمْ يَضْلُخْ لَهُ أَنْ يَنْصِبَ النَّفْسَ بَعْدَ هَلَّا، فَكَانَ يَجِيءُ التَّقْدِيرُ: فَهَلَّا أَرْسَلْتَ نَفْسَهَا شَفِيعُهَا؛ لِأَنَّ الْقَوَافِي مَرْفُوعَةٌ، فَجَعَلَ مَا بَعْدَهُ مَبْتَدَأً لَمَّا لَمْ يَتَأْتِ لَهُ مَا تَأْتِي لِذَاكَ. وَقَدْ يَفْعَلُونَ هَذَا فِي الْحُرُوفِ الْمُخْتَصَّةِ بِالْأَفْعَالِ إِذَا كَانَ فِي الْكَلَامِ دَلَالَةٌ عَلَى الْمَضْمَرِ مِنَ الْفِعْلِ. أَلَا تَرَى أَنَّ لَوْ يَطْلُبُ الْفِعْلَ. ثُمَّ جَاءَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ لَوْ أَنَّهُمْ تَمَلَّكَوْنَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذَا أَنَا مُسْكِنٌ خَشِيَ الظَّنَّ﴾ [الإِسْرَاءُ: الْآيَةُ]

(١) نسبهما في الحماسة البصرية ١٩١:٢ لقيس بن الملوح وليسا في ديوانه، وقيل: هما للصُّمَّة القشيري أو لابن الدميثة (انظر شرح شواهد المعني للسيوطي ٧٩).

(٢) لجرير في ديوانه ٩٠٧، وتخليص الشواهد ٤٣١، وللفرزدي في الأزهية ١٦٨، واللسان (ضطر)، ولجرير أو للأشهب بن رميلة في شرح المفصل ٨: ١٤٥.

[١٠٠]. وعلى ذلك جاء إن الجازمة الدالة على الشرط في وقوع الاسم بعده، وإن كان يطلب الفعل عاملاً فيه بالجزم، وذلك نحو: إن زيد أتاني أكرمته. وقول الشاعر: [البسيط]

إن ذو لوثية لانساً^(١)

وما أشبهه. فإن قيل: هلاً جعلت المضمرة بعد هلاً فعلاً رافعاً فيرتفع النفس به لا بالابتداء، كما يفعل ذلك في: إن زيد أتاني أكرمته، فيصير هلاً في ذلك أجزى في بابيه من أن يكون ارتفاعه بالابتداء؟ قلت: إن قولك إن زيد أتاني أكرمته، ارتفع زيد بفعل هذا الظاهر تفسيره، وأكرمته جواب إن، فسأغ فيه ما لم يسغ هاهنا؛ لأنه ليس هاهنا شيء يكون تفسيراً لذلك الفعل. وإنما جاء بدل الفعل المفسر شفيعها، ويكون خبراً لا غير، وإذا كان كذلك لم يمكن حمل هذا عليه.

ومعنى البيت: خبرت أن لئلي أرسلت إلي ذاً الشفاعة في بابها، تطلب به جاهاً عندي، مستكفية عن ذكرها في الشعر وعن إتيانها وما يجري مجراه. ثم قال: هلاً جعلت نفسها شفيعاً. فقوله: «بشفاعة» حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه، الفعل الذي يقتضيه هلاً دل عليه شفيعها، لو قال: هلاً نفسها شفيعها - لكان أقرب في الاستعمال، إلا أنه قصد إلى التخصيم بتكرير اسمها.

ثم قال: «أكرم من لئلي علي»، فأتى بلفظ الاستفهام، والمراد التثريح والإنكار، كأنه أنكّر منها استعانتها بالغير عليه، وطلب الشفيع فيما أرادت لديه. وقوله: «فتبغي» في موضع النصب على أن يكون جواب الاستفهام بالفاء. وقوله: «أم كنت» هي أم المتصلة، كأنه قال: أي هذين توهمت: طلب إنسان أكرم علي منها، أم اتهاّمها لطاعتي لها. وخبر أكرم علي محذوف؛ كأنه قال: أكرم منها موجود، أو في الدنيا.

٤٥٦ - وقال آخر^(٢): [الطويل]

١ - أما يستفيع القلب إلا انبرى له توهم صيف من سعاد ومزيع

(١) لقرط بن أنيف وقد ورد في الحماسة الأولى، وتماه:

«إذا لقم بنصري معشر خشن عند الحفيظة إن ذو لوثية لانساً»

(٢) التبريزي: «وقال ابن الدمينية». هو عبد الله بن عبيد الله بن الدمينية: من بني عامر بن تيم الله من خثعم، شاعر بدوي، من أرق الناس شعراً، أكثر شعره في الغزل والنسيب والفخر، وهو من =

- ٢ - أَخَادِعُ عَنْ أَطْلَالِهَا الْعَيْنِ إِنَّهُ مَتَى تَغْرِفِ الْأَطْلَالَ عَيْنُكَ تَذْمَعِ
٣ - عَهْدْتُ بِهَا وَخَشَا عَلَيْهَا بَرِاقِعَ وَهَذِي وَحُوشٌ أَصْبَحَتْ لَمْ تَبْرُقِعِ

استفاق وأفاق بمعنى صحا. وانبرى: تعرض. وأراد بالصَّيْفِ المَصِيفِ. وقوله: «من سعاد» أراد من دار سعاد وأرضيها. و«أما» هي ما النافية أَدْخَلَ عَلَيْهَا أَلْفُ الاستفهام تقريراً أو إنكاراً. والمراد: لا يحدث القلبُ بالسُّلُوْ والإفاقة ممَّا تداخله من علائق حبِّ هذه المرأة، وتشبَّثَ به فآلهاؤه عن كلِّ شيءٍ، إلَّا اعترضَ له تذكُّرُ مَصِيفِ ومزيج من أرضيها بعد التوهم؛ كأنه كان يقف على منازلها فيتوهمها بآياتها وعلاماتها، ثم يعرفها. وأكثر ما يذكرون التَّوْهَمَ في الدِّيار يعقبونه بالعرفان دون العلم. وهذا أحد ما نُفَصِّلُ به بين العِلْم والمعرفة، ولهذا وأشباهه نمتنع من أن نصِفَ الله تعالى بأئه عارف؛ لذلك قال زهير: [الطويل]

فَلَأَيَّا عَرَفْتُ الدَّارَ بَعْدَ تَوْهَمٍ^(١)

وأشباهه كثير.

وقوله: «توهم صيف»، حقيقة أنه حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه، كأنه قال: توهم موضع صيفنا، فيكون الصَّيْف مصدر صِفْنَا بالمكان نَصِيفُ به صَيْفًا. وقوله: «مربع»، يجوز أن يكون اسم المكان.

وقوله: «أخادع عن أطلالها العين»، يريد: أني إذا وقفتُ على آثارِ دارها وجوانِبِ محلِّها رُمْتُ خَدْعَ النَّفْسِ وَالْعَيْنِ عن تأملها، تفاديًا مما يتسلط من الوجد بها، ويتجدد لي من الصَّبابَةِ نحوها. ولثلاً أتذكَّر بما أنفَرُسُ فيها أحوالي قِبَلِها، لأنَّ العينَ إذا عرفتْها وكَفَّتْ بالدَّمْعِ، والنَّفْسُ إذا تَبَيَّنَتْها أَشَقِيَّتْ بالوجد.

وقوله: «عهدتُ بها وخشاً»، هذا تحسّر فيما رأى الدَّارَ عليه من الاستبدال وحوشاً، فقال: عهدتُ بها نساءً مبرّقة - يشير بذلك إلى عَفَافِها وقَلَّةِ تبرُّجها - كالوحشٍ كمالاً وحسنًا، ونفورًا عن الرَّيْبِ، وأرى الآنَ وحوشًا تختلِفُ فيها غير

= شعراء العصر الأموي. (ت ١٣٠ هـ / ٧٤٧ م). ترجمته في: الشعر والشعراء ٤٥٨، والمرزباني ٤٠٢، والأغاني ١٥: ١٤٤.

(١) لزهير في ديوانه ص ٧، واللسان (وهم، لأي)، وصدرة:

«وقفت بها من بعد عشرين حجة»

مبرقة. وفي هذه الطريقة قول الآخر: [الطويل]

يَعِزُّ عَلَيَّ أَنْ يَرَى عَوْضَ الدُّمَى بِحَافَاتِهِ هَامَ وَبُومَ وَهَجْرَسُ^(١)
وقوله: «عليها براقع» صفة للوحش، وكذلك «أصبحت لم تبرقع».

٤٥٧ - وقال آخر: [الطويل]

١ - فَيَا رَبِّ إِنْ أَهْلَكَ وَلَمْ تُزِرْ هَامَتِي بَلَيْلَى أُمْتُ لَا قَبْرَ أَغَطُّشُ مِنْ قَبْرِي
٢ - وَإِنْ أَكَّ عَنْ لَيْلَى سَلَوْتُ فَإِنَّمَا تَسَلَيْتُ عَنْ يَأْسٍ وَلَمْ أَسْلُ مِنْ صَبْرٍ^(٢)
٣ - وَإِنْ يَكُ عَنْ لَيْلَى غِنَى وَتَجَلَّدُ فَرُبَّ غِنَى نَفْسٍ قَرِيبٍ مِنَ الْفَقْرِ

حذف الباء من «يا رب» لوقوعها موقع ما يحدث في باب النداء، البتة، وهو التنوين؛ ولأن الكسرة تدل عليه، ولأن باب النداء باب حذف وإيجاز، لكثرة تردده في الكلام، وقوله: «أُمْتُ» جواب الشرط. وقوله: «لَا قَبْرَ أَغَطُّشُ مِنْ قَبْرِي» الجملة في موضع الحال. وقد روي: «تَزَوُّ» بفتح التاء ويكون الفعل للهامة، و«تَزَوُّ» بضم التاء والفعل لله عز وجل، فيقول متألماً من بَرَحِ الصُّبَابَةِ، وَعَطَّشِ الْاشْتِيَاقِ، وَتَشَكُّيَا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى: يَا رَبِّ إِنْ مُتُّ وَلَمْ أَتْلُ شِفَاءً مِنْ دَائِي، وَرَبِّاً مِنْ عَطَّشِي إِلَى هَذِهِ الْمَرْأَةِ مُتُّ وَلَا قَبْرَ لِعَاشِقٍ أَشَدُّ عَطْشاً مِنْ قَبْرِي؛ وَإِنَّمَا قَالَ: لَمْ تَرَوْ هَامَتِي، لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَزْعُمُونَ أَنَّ عِظَامَ الْمَوْتَى تُصِيرُ هَامًا فَتَطِيرُ. والأصلح في هذا المكان أن يكون جَعَلَ نَفْسَهُ مُقَتَّلاً لِحُبِّهَا. ومعنى: «تَرَوْ هَامَتِي» لَمْ تَطْلُبْ دَمِي مِنْ قَاتِلِي، تَبَقَّ هَامَتِي أَعْطَشَ مِنْ كُلِّ هَامٍ. وكانوا يقولون: إِنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ رَأْسِ الْمَقْتُولِ هَامَةٌ فَتَصِيحُ وَتَقُولُ: اسْقُونِي اسْقُونِي! إِلَى أَنْ يُدْرَكَ ثَارُهُ.

وإنما آثَرْتُ هذا لتوحيده هامة. والزَّوَاتَانِ فِي تَزَوٍّ وَتَرَوْ مَعْنِيَاهُمَا ظَاهِر.

وقوله: «وَإِنْ أَكَّ عَنْ لَيْلَى سَلَوْتُ»، قَدْ تَقَدَّمَ الْقَوْلُ فِي حَذْفِ النُّونِ مِنْ أَكَّنْ. وَجَوَابُ الشَّرْطِ قَوْلُهُ: «فَإِنَّمَا» بِمَا بَعْدَهُ، وَالْمَعْنَى: إِنْ أَكَّ فِي الظَّاهِرِ حَصَلَ لِي سَلَوٌ عَنْهَا لِمَنْ يَتَأَمَّلُ حَالِي، فَإِنَّمَا تَكَلَّفْتُ مَا ظَنُّ مَنِّي سَلَوًا لَعَلَّابَةَ الْيَأْسِ مِنْهَا عَلَيَّ، فَأَمَّا نَفْسِي فَهِيَ كَمَا كَانَتْ، ذَهَابًا فِيهَا وَوُلُوعًا بِهَا. وَقَوْلُهُ: «سَلَوْتُ» مَعْنَاهُ: طَبِنْتُ نَفْسًا. وَتَسَلَّيْتُ مَعْنَاهُ تَكَلَّفْتُ ذَلِكَ، وَالتَّفْعُلُ لَا يَكُونُ إِلَّا عَنْ تَكَلُّفٍ فِي أَكْثَرِ

(١) الهجرس: ولد الثعلب.

(٢) التبريزي: «ولم أسل عن صبر».

الأحوال، وكذلك التفاعل، فأتى بسلوت بناء على ظنهم واعتقادهم، وتسليت بناء على حاله.

وقوله: «وإن يك عن ليلى غنى»، يريد: وإن كان ظاهر أمري أنني استغنيت عنها بخلو قلبي من حبها، أو أنني أنجلد للوهن العارض في الاشتياق إليها، فرب غنى نفس يقرب من الفقر. والمعنى: أن باطن أمري بخلاف ظاهره، وإنما يتصور مني غنى يقرب من الفقر إذا حصل وتؤمل. ومن روى «أمر من الفقر»، فالمعنى ظاهر والفاء من قرب بما بعده جواب للشرط. وفائدة رب التقليل، كأنه استقل الحالات التي تشبه حاله، فلذلك أتى برُب.

٤٥٨ - وقال آخر: [البيط]

١ - يوم ازنحلت برخلي قبل بزدعي والمقل مُثْلَة والقلب مشغول

٢ - ثم انصرفت إلى نضوي لأبعثه إثر الحدوج الغوايدي وهو معقول

انتصب «يوم» بإضمار فعل، كأنه أراد: أذكر يوم هذا الأمر والشأن. وأضاف اليوم إلى الفعل تشهيراً له وتعظيماً لما اتفق فيه، وذلك أنه باعته حديث الفراق وما هم به المجتَمعون فيه في التُّجعة من الارتحال، فلما ورد عليه ما لم يخسبه ولم يحدث نفسه به تَوَلَّه وخولط، حتى صار لا يدري ماذا يأتي عندما هم به من تشيعهم، والتهيؤ للكون معهم، فقال: أذكر يوم أقبلت أضغ الرّحل على الناقة قبل البرذعة، وعقلي فاسد وقلبي مشغول بما دهمه من الحال. وقوله: «مثله» هو مُفْتَعِل من الوله، وأصله مُوتِلَة، فأبدل من الواو تاء كما تقول في اتقى وأتجه وما أشبههما، ثم أدغم إحدى التائين في الأخرى. ويروى: «مخبّل»، والخبل: الفساد.

وقوله: «ثم انصرفت إلى نضوي»، تتميم لبيان حاله فيما انعكس عليه من قضيه، وفسد من همه، فقال: ثم رجعت إلى بعيري لأقيمه في إثر الظعان البكرة، وهو مشدود بعقاله لم أحله. وهذا غايه ما يقال في انحلال العقدة، واسترخاء المسكة، وسوء الضبط وانقلاب القلب. ومعنى أبعثه: أهيج به. والنضو: البعير المهزول. والحدوج: مراكب النساء الطاعنة. وانتصب إثر على الظرف.

وقد سلك أبو تمام هذا المسلك، فقال^(١): [البيط]

أصمّني سرهم أيام فرقتهم هل كنت تعرف سرّاً يورث الصمما

تَأَوَّا فَظَلَّتْ لَوْشَكِ الْبَيْنِ مُقْلَتُهُ تَنْدَى نَجِيعًا وَيَنْدَى جِسْمُهُ سَقَمًا
أَظْلَهُ الْبَيْنِ حَتَّى إِنَّهُ رَجُلٌ لَوْ مَاتَ مِنْ شُغْلِهِ بِالْبَيْنِ مَا عَلِمَا

٤٥٩ - وقال جِرَانُ الْعُودِ^(١): [الطويل]

١ - أَيَا كِبْدًا كَادَتْ عَشِيَّةٌ غُرْبٍ مِنْ الشُّوقِ إِثْرَ الظَّاعِنِينَ تَصَدُّعُ
٢ - عَشِيَّةٌ مَا فِيْمْ مَنْ أَقَامَ بِغُرْبٍ مُقَامٌ وَلَا فِيْمْ مَنْ مَضَى مُتَسَرِّعُ

يروى «يا كِبْدًا» والمراد: يا كِبْدِي على الإضافة، ففرّ من الكسرة وبعدها ياءٌ إلى الفتحة، فانقلبت أَلِفًا. ويروى «يا كِبْدًا» والمراد به كبده وإن نكّرها، بدلالة أنه وصفها بقوله: «كادت عَشِيَّةٌ غُرْبٍ من الشوق»... البيت. وهذه الصفة لم تحصل إلا لها. والمراد: أنه تألّم مما ذَهَبَ من أمر الفراق بعد الاجتماع الحاصل في مواضع الانتجاع، وكان المجتمعين تحزّبوا حزبين، ارتحل أحدهما وصاحبته معهم، وأقام أحدهما بالتهيؤ والاستعداد وهو فيهم، فالمتقدمون ليس فيهم متسرّع، لانتظارهم المتخلفين، والمتخلفون لا مقام لهم لاستعجالهم اللّحاق بهم، فشكا الحالة الواقعة في أثناء ذلك، وهو مع ذلك يحزن ويشتاق. وغُرْبٌ: موضع، وأضاف العشيّة إليه تخصيصًا. وفصل بين كاد وبين الفعل الذي تناوله بالظرف على ما اتصل به. و«إثْر» انتصب على الظرف من الشوق، و«عشيّة» من البيت الثاني بدل من العشيّة الأولى. وكما أضاف الأولى إلى غُرْبٍ تبيينًا أضاف الثانية إلى قوله: «ما فيمن أقام بِغُرْبٍ» تبيينًا، وهما عشيّة واحدة وإن اختلف مبيئتهما.

٤٦٠ - وقال الحُسَيْن بن مُطَيْر^(٢): [الطويل]

١ - لَقَدْ كُنْتُ جَلْدًا قَبْلَ أَنْ تُوقِدَ النَّوَى عَلَى كِبْدِي نَارًا بَطِيئًا خُمُودَهَا^(٣)
٢ - وَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ تَمُوتَ صَبَابَتِي إِذَا قَدَمْتُ أَيْمَامَهَا وَعُهُودَهَا

(١) التبريزي: «واسمه عامر بن الحارث، وسَمِيَ جِرَانُ الْعُودِ لقوله:

خُذَا حِذْرًا يَا جَارَتِي فِإِنِّي رَأَيْتُ جِرَانَ الْعُودِ قَدْ كَادَ يَصْلُحُ

والْعُودُ: المسنن، والجِرَان: باطن عنق البعير والدابة. وقال أبو رياش: هي لذي الرمة.

(٢) التبريزي: «الأسدي». وقد سبقت ترجمته في الحماسية (٣١٩)، والآيات في الأمالي ١: ١٦٥.

(٣) بعد في الأمالي:

«ولو تركت نار الهوى لتضرمت ولكن شوقًا كل يوم يزيدها»

يقول: كنت قويّ النفس، ثابت القلب، راجح العقل، صبوراً في الشدائد، قبل أن بليت بفراق الأحبة، فلما أوقدت نيّتهم التي انتووها ناز الصّباية على كيدي فأبطأ سكونها ضعفت عن الثبات لها، وظهر عجزني عن تحمل أعبائها، وقد كنت أومل إذا أتت الأيام على ما أقاسيه، واستمرت النفس في التألم تارة وفي التصبر أخرى، أن ينتقص ذلك صبابتي، وأن قدّم الأيام وانمحاء العهود يؤثر في تسكين نائرتها، ويُنْطِل ما تسلط عليّ من أذاها ومكروها. وقوله: «إذا قدّمت» ظرفُ تموت صبابتي.

٣ - فَقَدْ جَعَلْتُ فِي حَبَّةِ الْقَلْبِ وَالْحِشَا عِهَادَ الْهَوَى تُوَلَّى بِشَوْقٍ يُعِيدُهَا^(١)

يريد: أن ما كان يرجوه من سُكونِ صبابته قد ازداد، لأنّها صيّرت في حبة القلب وأحشائه أطار الهوى، تُجَدِّدُ وتُتَبِّعُ بولّي من الشّوق يُرُدُّها كما كانت، وانتصب «عِهَادَ» على أنّه مفعول أوّل لجَعَلْتُ. وتولّى بشوق في موضع المفعول الثاني، ويُعِيدُها في موضع الصفة للشّوق. ومعنى «تولّى»: تُمَطِّرُ الوليّ. والولّي المَطْرَةُ الثانية، لأن الأولى منها تسمّى: الوسميّ. والعهاد: جمع العهد، وهو المطر الذي يجيء ولما تقدّمه عهدٌ باق لم يذهب. وحبة القلب هي العلفّة السوداء في جوفه. ويروى «عهاد الهوى - بالرفع - يولّى - بالياء - بشوق بَعِيدُها، بالباء»، فيكون معنى جَعَلْتُ: طَفِقْتُ وأقبلت، ويكون غير متعدّد، ويرتفع عهاد بجعلت، وبعيدها يقوم مقام فاعل يولّى. فيكون المعنى: فقد طفقت أوائل هواها يُمَطِّرُ أَبْعَدُها بشوقٍ يجدّدها.

٤ - بِسُودِ نَوَاصِيهَا وَحُمْرِ أَكْفُهَا وَضَفْرِ تَرَاقِيهَا وَبَيْضِ خُدُودِهَا

٥ - مُحْصَرَةِ الْأَوْسَاطِ زَانَتْ عَقُودَهَا بِأَخْسَنَ مِمَّا زَيْنَتْهَا عَقُودَهَا

٦ - يُمْنَيْنَنَا حَتَّى تَرِفَ قُلُوبُنَا رَفِيفَ الْخُرَامَى بَاتَ طَلٌّ يَجُودُهَا^(٢)

الباء من قوله: «بسود نواصيها»، يجوز أن يتعلّق بقوله: تموت صبابتي، ويجوز أن يتعلّق بجعلت إذا ارتفع عهاد الهوى به، يريد: جعلت العهد تفعل هذا بسبب نساء هكذا. وإنما جاز أن يجمع سودٌ وحمزٌ وغيرهما، وإن ارتفع ما بعدها بها؛ لأنّ هذه

(١) بعده في الأمالي:

«لمرتجة الأطراف هيف خصورها عذاب ثناياها عجاف قيودها»

(٢) بعده في الأمالي:

«وفيهنّ مقلّاق الوشاح كأنّها مهاة بشربان طويل عقودها»

الجموع لها نظائر في هذه الأسماء المفردة، ولو كانت جموع سلامة أو ما لا نظير له في الواحد لما جاز جمعها. تقول: مررت برجالٍ ظرافٍ أبأؤهم، ولو قلت: ظَريفين أبأؤهم، لم يجز.

وقوله: «مُخَصَّرَةُ الأوساط»، يريد: أنها دقيقة الخصور، غيرُ واسعة الجنوب، وأن قلائدها وحليها تكتسب من التزيّن بها إذا عُلِّقت عليها، أَكْثَرَ مما تكتسبه منها إذا تحلّت بها.

وقوله: «يُمْتَنِنَانَا» يصف لطافتهنّ في مواعيدهن، وتقريبهنّ أمرَ الوصال بينه وبينهن، وأنها لا تزال تُمنّي وتضمن من حُسن الإجابة ما يصير للقلوب به بريقٌ ونضارة، كبريق الخزامى إذا بقي ليلته يُطلُّ بالجود، والرّفيف كثرة الماء في الثّبات ونضارتها. ومعنى «حَتَّى تَرِفَ»: إلى أن ترف.

٤٦١ - وقال أبو صخرِ الهذلي^(١): [الطويل]

١ - أَمَا وَالَّذِي أَبْكَى وَأَضْحَكَ وَالَّذِي أَمَاتَ وَأَحْيَا وَالَّذِي أَمَرَهُ الْأَمْرُ
٢ - لَقَدْ تَرَكْنِي أَحْسَدُ الْوَحْشِ أَنْ أَرَى أَلْيَفَيْنِ مِنْهَا لَا يَرُوعُهُمَا الدُّغْرُ

تكريره للذي ليس بتكثير للأقسام، لأن اليمينَ يمينٌ واحدةٌ بدلالة أن لها جواباً واحداً، ولو كانت أيماناً مختلفة لوجب أن يكون لها أجوبةٌ مختلفة، وفائدة التكرير التّفخيمُ والتّهويل، وعلى هذا إذا قال القائل: والله والله لقد كان كذا، فاليمين واحدة. وما في القرآن من قوله: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ [١] و﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾ [٢] وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى [٣] إِذْ سَبَّحْتَ لِشَفَى [٤] [الليل: الآيات ١ - ٤] مثله. على أن ما في البيت من اختلاف الأفعال الداخلة في الصّلات جعلَ الكلام أحسن، والتّفخيم أبلغ. وجواب القسم: «لَقَدْ تَرَكْنِي»، وفاعل تركنتي ضميرُ المرأة المستكنة فيه. والمعنى: أني إذا تأملتُ الوحوشَ وهي تأتلف في مراعيها ومُتصرفاتها اثنين اثنين، لا يُفرّعها رقيبٌ، ولا يَدْخُلُ فيما بينها تنفيرٌ، حَسَدْتُهَا وتمنّيتُ أن تكون حالي مع صاحبتَي كحالها في ألأفها.

(١) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (١٠٩). والآيات (١، ٢) مع بيتين آخرين له في اعتلال القلوب ٣٣٠، و(١، ٢، ٣) مع بيت آخر في مصارع العشاق ١٣: ٢، وأسواق الأشواق ١٤٥ ظ، و(١، ٢) في مصارع العشاق ١: ١٤٤، والآيات (٣، ٤) لمجنون ليلي في ديوانه ٨٢.

وقوله: «أَحْسَدُ الْوَحْشِ» في موضع الحال، وأنْ أرى، في موضع البدل من الوحش. وقوله: «لَا يَرَوْعُهُمَا» في موضع الصفة لأليفين، لأنْ أَرَى من رؤية العين، ويكتفي بمفعول واحد، وهو أَلْيَفَيْنِ.

٣ - فَيَا حُبَّهَا زِدْنِي جَوَى كُلِّ لَيْلَةٍ وَيَا سَلْوَةَ الْعُشَاقِ مَوْعِدَكَ الْحَشْرِ
٤ - عَجِبْتُ لِسَغْيِ الدَّهْرِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا فَلَمَّا انْقَضَى مَا بَيْنَنَا سَكَنَ الدَّهْرُ
تَجَلَّدَ فِي الْهَوَى وَادَّعَى اللَّذَاذَ بِهِ، حَتَّى اسْتَزَادَ مِنْ أَجْزَاءِ الْجَوَى الْحَاصِلِ لَهُ، وَهُوَ دَاءُ الْجَوْفِ، مَا يَتَضَاعَفُ بِتَجَدُّدِ الْأَوْقَاتِ، وَاسْتَبْعَدَ التَّسْلِيَّ مِنْهَا حَتَّى جَعَلَ الْمَوْعِدَ بَيْنَهُمَا يَوْمَ النَّشْرِ، وَهَذَا غَايَةُ التَّقْيِي فِي الْهَوَى، وَالتَّصَبُّرُ عَلَى الرَّدَى.

وقوله: «عَجِبْتُ لِسَغْيِ الدَّهْرِ»، يجوز أن يريد به سُرْعَةَ تَقْضِي الْأَوْقَاتِ مُدَّةَ الْوَصَالِ بَيْنَهُمَا، وَأَنَّهُ لَمَّا انْقَضَى الْوَصْلُ عَادَ الدَّهْرُ إِلَى حَالَتِهِ فِي السُّكُونِ. وَهَذَا عَلَى عَادَتِهِمْ فِي اسْتِقْصَارِ أَيَّامِ السَّرُورِ وَاللَّهْوِ، وَاسْتِطَالَةِ أَيَّامِ الْفِرَاقِ وَالْهَجْرِ. وَيَجُوزُ أَنْ يَرِيدَ بِسَغْيِ الدَّهْرِ سِعَايَةَ أَهْلِ الدَّهْرِ وَإِقَادَهُمْ نَارَ الشَّرِّ بَيْنَهُمَا بِالنَّمَائِمِ وَالْوِشَايَاتِ، وَأَنَّهُ لَمَّا فَتَرَتْ أَسْوَاقُهُمْ بِالتَّهَاجُرِ الْوَاقِعِ مِنْهُمَا، وَارْتَفَعَ مُرَادُهُمْ فِيمَا طَلَبُوهُ مِنَ الْفَسَادِ بَيْنَهُمَا، سَكَنُوا. وَكَمَا أَرَادَ بِسَغْيِ الدَّهْرِ سَغْيَ أَهْلِ الدَّهْرِ، كَذَلِكَ أَرَادَ بِسُكُونِ الدَّهْرِ سُكُونَ أَهْلِ الدَّهْرِ.

٤٦٢ - وَقَالَ^(١): [الكامل]

١ - بَيْدِ الَّذِي شَعَفَ الْفُؤَادَ بِكُمْ تَفْرِيجُ مَا أَلْقَى مِنَ الْهَمِّ
٢ - وَيُقِرُّ عَيْنِي وَهِيَ نَازِحَةٌ مَا لَا يُقِرُّ بَعَيْنِي ذِي الْجَلَمِ

الَّذِي شَعَفَ الْقَلْبَ بِهِ مِنْ زَعَمِهِ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى. وَمَعْنَى شَعَفَ الْفُؤَادَ: أَصَابَ شَعْفَتَهُ. وَشَعْفَةُ كُلِّ شَيْءٍ أَعْلَاهُ. وَقَوْلُهُ: «بِكُمْ» أَرَادَ بِحُبِّكُمْ، وَيُقَالُ: فَلَانٌ مَشْعُوفٌ بِكَذَا، إِذَا شُغِلَ قَلْبُهُ بِهِ وَأُصِيبَ. وَارْتَفَعَ «تَفْرِيجُ» بِالْإِبْتِدَاءِ، وَخَبَرَهُ بَيْدِ الَّذِي عَلَى طَرِيقَةِ سَيِّبُونِهِ، وَعَلَى مَذْهَبِ أَبِي الْحَسَنِ الْأَخْفَشِ ارْتَفَعَ تَفْرِيجُ بِالظَّرْفِ، وَالْمَعْنَى: بَيْدِ اللَّهِ الَّذِي ابْتَلَانِي بِكُمْ، وَشَغَلَ قَلْبِي بِحُبِّكُمْ، كَشَفَ مَا أَقَاسِيهِ مِنَ الْهَمِّ. وَهَذَا لِلشَّاعِرِ فِي الْهَوَى عَلَى الضَّدِّ مِمَّنْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ، لِأَنَّهُ شَكَّاهُ فِي نَهَايَةِ الْقُوَّةِ وَالْعُلُوِّ، كَمَا أَنَّ التِّدَادَ ذَاكَ فِي نَهَايَةِ الْجِدَّةِ وَالْعُلُوِّ.

(١) التبريزي: «وقال أيضًا» أي أبو صخر الهذلي، والآيات (١، ٣، ٤) له في الزهرة ٩٦.

وقوله: «ويُقَرُّ عيني وهي نازحة»، يريد: أنه يسره فيها على بعدها منه ما لا يُسر به عاقل. وإنما نبّه بهذا على شِدَّةِ تمنُّعها، وعلى قُوَّةِ يأسه منها، حتَّى أنه مع البُعاد إذا أخطر بباله شيئاً من أحوالها التي يُشاركه فيها، عدّه مَرَزَّةً منها، واستمتاعاً بها. وقد شَرَحَ ذلك فيما بعده، وقد روى بعضهم: «بَعَيْنِ ذِي الحُلُمِ»، بضمّ الحاء، وليس بشيء.

٣ - إِنِّي أَرَى وَأَظُنُّ أَنَّ سَتَرِي وَضَحَ النَّهَارِ وَعَالِي النُّجْمِ
لك أن تروى «أني» وتجعله في موضع الرفع بدلاً من «ما لا يُقَرُّ»؛ ولك أن تكسر إن، كأنك تستأنف شَرَحَ ما قُدِّمَ، وتفصّل ما أُجْمِلَ. ويكون المعنى: يُقَرُّ عيني أني أرى بياضَ النهار وعالي الكواكب بالليل، وهو أضوؤها وأغلثها، وأظنُّ أنها تُشارِكُنِي في رؤيتها، فأفرح بذلك، وهذا ممّا لا يَفْرَحُ به عاقل، ولا يَغْتَدُّ لَذَّةً. ويروى والمعنى ما بيّنته، على غير هذا، وهو:

إِنَّ الَّذِي سَأَظُنُّ أَنَّ سَتَرِي وَضَحَ النَّهَارِ وَعَالِي النُّجْمِ
فيرتفع وضُح على أن يكون خبر إن، وأتى بِعَالِي النُّجْمِ على أصله فضم الياء منها. والمعنى ذلك المعنى، إلا أنه زاد الظنُّ تراخيّاً بإدخال السّين عليه. ويُرْوَى:

إِنِّي أَرَى وَأَظُنُّ أَنَّ سَتَرِي وَضَحَ النَّهَارِ عَوَالِي النُّجْمِ
فينتصب وضح على الظرف، وعوَالِي على أنّه مفعول أرى. والمعنى: أرى الكواكبَ ظُهْرًا، فيما أفاقيه من بَرْحِ الهوى، وأظنُّ أنها سُمّتحن في حُبّها لي بمثل ما امْتَحَنَتْ في حُبِّي لها، وأنَّ أسبابَ الهوى تُفارقني وتعود إليها، فَتَرَى مثل ما أرى، فأفرح بذلك وتطيبُ له نفسي، وهذا ممّا لا يَفْرَحُ به عاقل.

٥ - وَلَيْلَةٌ مِنْهَا تَعُودُ لَنَا فِي غَيْرِ مَا رَقَبْتُ وَلَا إِثْمٌ^(١)

٦ - أَشْهَى إِلَى نَفْسِي وَلَوْ نَزَحْتُ مِمَّا مَلَكَتُ وَمِنْ بَنِي سَهْمٍ

نبّه بهذا الكلام على تهالكه في هواها، وتناهي صبايته بها، وأنَّ اليَسِيرَ إذا عاد عليه منها عدّه كثيرًا. وقد أظهر العَفَافُ في بلواه، وأنه يتمنى ما يتمنى فيها حلالاً لا

(١) التبريزي: «من غير ما رقبت».

حرماً، فيقول: وليلة من أوقاتنا تحصل لنا في غير فحشٍ تُذكرُ به، أو إثمٍ تكتسبه،
الذُّ إلى نفسي وأطيب في قلبي من ملكي كله، ومن عشيرتي بأسرهم.

وقوله: «أشهى إلى نفسي» في موضع المبتدأ، وهو وليلة منها. وقوله: ولو
نَزَحْتُ شرطٌ فيما تمنى حصوله، وقد فصل بها بين أشهى إلى نفسي وبين ما ملكْتُ،
أي: وإن بَعُدَتْ تلك الليلة فعادت إلى أولى أحوالها في التمتع عليّ والتفصي مني.

- ٧ - قد كان صُرْمٌ في الممات لنا فَعَجَلَتْ قَبْلَ الْمَوْتِ بِالصُّرْمِ
٨ - وَلَمَّا بَقِيَتْ لَيَبْقَيْنَ جَوَى بَيْنَ الْجَوَانِحِ مُضِرِّعٍ جِسْمِي
٩ - فَتَعَلَّمِي أَنْ قَدْ كَلِفْتُ بِكُمْ ثُمَّ أَفْعَلِي مَا شِيتَ عَنْ عِلْمِ
- عاد إلى مخاطبتها، بعد أن تألم مما تألم، فقال يعتب عليها:

قد كان لنا في الموت قطيعةً وانفراق، لكنك لم تصبري إلى حين وقوعه، ولم
تنتظري نُزُولَهُ، فتعجلتِ الصُّرْمَ قبل الموت، فلا جَرَمَ أَنَّ بَيْنَ جَوَانِحِي دَاءٌ يَبْقَى مُدَّةً
بقائي فيها، وَيُذِيبُ جِسْمِي، وَيَكْشِفُ بَالِي.

وقوله: «وَلَمَّا بَقِيَتْ» أَدْخَلَ اللام الموطئة للقسم على ما بقيت، وهو مصدرٌ في
موضع الظرف، لِمَا يَتَضَمَّنُ من معنى الشرط. وقوله: «لَيَبْقَيْنَ جَوَى» جوابُ القسم
المضمر، والكلام كأنه: لئن بقيت ليبقين جَوَى؛ لأنَّ المعنى: وَلَمُدَّةً بقائي ليبقين
جَوَى، فمحصول الكلام يعود إلى ذلك.

وقوله: «فَتَعَلَّمِي أَنْ قَدْ كَلِفْتُ بِكُمْ» يضعون تَعَلَّمَ موضعَ اعلم، إلا أنَّ
المخاطبَ ليس له في الجواب أن يقول تعلَّمتُ، لكن يقول: علمتُ. والمعنى:
اعلمي كلَّفي بكم، وانحطاطي في هواكم، وكُنْه ما أفاسيه في حُبِّكم، ثمَّ آثري في
بابي ما أردتِ بعد عِلْمِكَ بالحال، لأنَّ الذي أطلبه رضاك، ثمَّ لا أبالي بما يلحقني
من بقاءٍ أو فناءٍ، أو سَرَاءٍ أو ضَرَاءٍ.

٤٦٣ - وقال آخر^(١): [الكامل]

١ - إِنَّ الَّتِي زَعَمْتَ فَوَازَكَ مَلَهَا خُلِقْتَ هَوَاكَ كَمَا خُلِقْتَ هَوَى لَهَا

(١) التبريزي: «وقال أبو رياش: هي لابن أذينة»، وعروة بن أذينة: هو عروة بن يحيى (ولقبه أذينة)
ابن مالك بن الحارث الليثي: شاعر غزل متقدم من أهل المدينة (ت نحو ١٣٠ هـ / ٧٤٧ م).
ترجمته في الإغاني ١٠٥: ٢١، والشعر والشعراء ص ٢٢٥.

٢ - بَيْضَاءُ بَاكَرَهَا التَّعِيمُ فَصَاعَهَا بِلَبَاقَةٍ فَاذَّهَا وَأَجَلَّهَا

يقول: إِنَّ المرأةَ التي أَدْعَتْ عَلَيْكَ مَلَالَ قَلْبِكَ مِنْهَا، وإِعْرَاضَكَ عَنْهَا، وَنِيَّتَكَ فِي اسْتِبْدَالِكَ بِهَا، خُلِقَتْ هَوَى لَكَ كَمَا خُلِقَتْ أَنْتَ هَوَى لَهَا. والمعنى: أَنَّ دَعْوَاهَا تَجَنُّ مِنْهَا، وَتَسْخُطُ لَهَا يَظْهَرُ مِنْ شَعْفِكَ بِهَا، وَهِيَ لَكَ لَا انْفِكَكَ لِقَلْبِكَ مِنْ عَشَقِهَا، كَمَا تَدْعِي أَنَّهَا لَكَ بِهَذِهِ الْمَنْزِلَةِ، فَأَنْتَ تَهْوَاهَا كَمَا أَنَّ تِلْكَ تَهْوَاكَ، لَا مِزِيَّةَ فِي ذَلِكَ وَلَا شَكَّ.

وقوله: «بَيْضَاءُ بَاكَرَهَا التَّعِيمُ»، يَرِيدُ: أَنَّهَا نَشَأَتْ فِي النُّعْمَةِ وَالتَّعَمُّعِ، وَأَنَّ خَفَضَ الْعَيْشِ رِيَاها وَحَسُنَ خَلْقُهَا بِحَذَقٍ وَلِبَاقَةٍ، فَجَعَلَ مُحَاسِنَهَا مَرْتَبَةً بَيْنَ مَا يُسْتَحَبُّ دَفْعُهَا، وَبَيْنَ مَا يُسْتَحَبُّ فَخَامَتُهَا. ومعنى «بَاكَرَهَا» سَبَقَ إِلَيْهَا فِي أَوَّلِ أَحْوَالِهَا؛ لِأَنَّ الْبُكُورَ: اسْمٌ لِبَتْدَاءِ الشَّيْءِ، عَلَى ذَلِكَ بَاكُورَةُ الرَّبِيعِ. وَاللَّبَاقَةُ: الْحَذَقُ، يُقَالُ: هُوَ لَبِيقٌ وَلَبِيقٌ، أَيُ حَازِقٌ. وَمَعْنَى أَذَّهَا وَأَجَلَّهَا: أَتَى بِهَا دَقِيقَةً جَلِيلَةً، فَمَا يُسْتَحَبُّ دَفْعُهَا مِنْهَا مِثْلُ الْأَنْفِ وَالْعَيْنِ وَالثَّغْرِ وَالْخَصْرِ جَعَلَهَا دَقِيقَةً، وَمَا يُسْتَحَبُّ جَلَالَتُهَا مِنْهَا مِثْلُ السَّاقِ وَالْفَخِذِ وَالْعَجْزِ وَالصُّدْرِ جَعَلَهَا جَلِيلَةً. وَهَذَا كَمَا قَالَ الْآخَرُ: [الطَّوِيلُ]

فَدَقَّتْ وَجَلَّتْ وَاسْبَكَّرَتْ وَأَكْمَلَتْ فَلَوْ جُنَّ إِنْسَانٌ مِنَ الْحَسَنِ جُنَّتِ^(١)

وَكَمَا قَالَ: [الْوَافِرُ]

يَمَانِيَّةٌ تُلِمُّ بِنَا فَتُبْدِي دَقِيقَ مُحَاسِنٍ وَتُكْرِئُ غَيْلًا^(٢)

٣ - حَجَبَتْ تَحِيَّتَهَا فَقَلْتُ لِصَاحِبِي مَا كَانَ أَكْثَرَهَا لَنَا وَأَقْلَاهَا

٤ - وَإِذَا وَجَدْتُ لَهَا وَسَاوِسَ سَلْوَةٍ شَفَعَ الضَّمِيرُ لَهَا إِلَيَّ فَسَلَّهَا^(٣)

كَأَنَّهَا لَمَّا لَامَتْهُ فِي مَلَالِهِ وَظُهُورِ التَّسْلِي مِنْهُ، هَجَرَتْهُ وَأَقْبَلَتْ لَا تَقْبَلُ تَحِيَّةً وَلَا تَرَدُّ جَوَابَهَا، فَيَقُولُ: لَمَّا أَعْرَضْتُ وَتَحَجَّيْتُ عَنْ رُسُلِي، وَأَظْهَرْتُ أَطْرَاحَ وَدِّي، قُلْتُ مَتَأَسُّفًا وَمَتَعَجَّبًا: مَا كَانَ أَكْثَرَهَا لَنَا حِينَ كَانَتْ مَتَوَفِّرَةً عَلَيْنَا وَمَا أَقْلَاهَا لَنَا السَّاعَةَ وَقَدْ زَهَدْتُ فِينَا هَذَا الزُّهْدَ الْمُسْرِفَ، وَضَجِرْتُ بِنَا الضَّجَرَ الْمُفْرِطَ. وَالَّذِي اسْتَكْثَرَهُ وَاسْتَقْلَهُ هُوَ نَيْلُهَا وَمَيْلُهَا، هَذَا إِذَا جَعَلْتَ الضَّمِيرَ مِنْ «أَكْثَرَهَا» وَ«أَقْلَاهَا» رَاجِعًا إِلَى

(١) لِلشَّفَرِيِّ مِنَ الْمُفْضَلِيَّةِ رَقْمُ (٢٠).

(٢) لَوُضَاحِ الْبَيْهِنِ فِي الْحَمَاسِيَّةِ رَقْمُ (٢١٢).

(٣) التَّبْرِيزِيُّ: «شَفَعَ الضَّمِيرَ إِلَى الْفَوَادِ فَسَلَّهَا».

المرأة، ويجوز أن يرجع الضمير إلى التحية، والمراد: ما كان أكثرها لنا لو حَصَلَتْ، إذ كان فيه مِسَاكُ أَرْمَاقِنَا، وحياءُ قلوبنا، وما كان أَقْلَهَا في نفسها. وهذا كما قال الآخر: [الخفيف]

إِنْ مَا قَلَّ مِنْكَ يَكْثُرُ عِنْدِي وَكَثِيرٌ مِمَّنْ يُحِبُّ الْقَلِيلُ

وقوله: «وإذا وجدت لها وساوس سلوة»، يبين به استحكامَ حُبِّها في قلبه، وأنه كلما تَدَاخَلَهُ ضَجَرٌ بِدَلَالِهَا وتَأْيِيهَا، فحدَثَ نَفْسَهُ بالتَّسْلِي عنها والتَّصَبُّرِ دونها، أَقْبَلَتْ دَوَاعِي المَيْلِ إليها، والأسبابُ المتسلطة على قلبه والمشتتة على لُبِّه، ولها تَشْفَعُ وتَعْصِبُ، فنزعَتْ ما خَطَرَ بالبال من ذلك، وصارت شوافعُ الضميرِ أغلب على تدبيره، وأَمْلَكَ لمتصرفاته، حتَّى يصير الحُكْمُ لها، والعَلَبُ لقضاياها. وفي طريقته قول كثير: [الطويل]

أُرِيدُ لِأَنْسَى ذِكْرَهَا فَكَأَنَّمَا تَمَثَّلُ لِي لَيْلَى بِكُلِّ سَبِيلٍ^(١)

٤٦٤ - وقال آخر: [الطويل]

١ - أَمَا وَالَّذِي حَبَّتْ لَهُ الْعَيْسُ وَأَزْتَمَى لِمَرْضَاتِهِ شُغْتُ طَوِيلَ ذَمِيلِهَا

٢ - لَيْنٌ نَائِبَاتُ الدَّهْرِ يَوْمًا أَذْلَنَ لِي عَلَى أُمِّ عَمْرٍو دَوْلَةً لَا أَقِيلُهَا

افتتح كلامه بأما، ثم أقسم بالله، لأن الذي قصدت العيسُ بيته، وطلبت الحُجَّاجَ الغُبُرَ الوجوه الطَّوَالُ الذمِيلَ مَرْضَاتِهِ، هو الله تبارك وتعالى.

واللام من «لَيْن» هي الموطنة للقسم، وجواب القسم «لا أقيلها». والمعنى: والله لَيْنٌ جَعَلْتُ نَوَائِبَ الدَّهْرِ لِي دَوْلَةً عَلَى أُمِّ عَمْرٍو لَعَذَذْتُ ذَلِكَ ذَنْبًا لَا أَقِيلُهَا مِنْهُ، فالضمير من لا أقيلها يرجع إلى النائبات، كأنَّ لَذَّتْهَ كَأَن فِي الهوى، وأن يكون لتلك عليه البَسْطَةُ في الأمر، والتمكُّن من التصريف فيما يَسُوؤُهُ أو يَسْرُهُ، فإذا تَغَيَّرَ الأمرُ عن ذلك عَدَّهُ شَقَاءً وَضَرًّا فَادْحًا، وهذا الوجه حسن. ويجوز أن يكون الضمير يعود إلى المرأة، فيكون المعنى: إني إن صارت لي اليَدُ عليها، وجعلتُ أَمْلَكَ مِنْ أَمْرِهَا مِثْلَ مَا تَمْلِكُ مِنْ أَمْرِي جَازِيَتُهَا حِينَئِذٍ بِمَا تَعَامَلُنِي بِهِ كَيْلَ الصَّاعِ بِالصَّاعِ، وتركْتُهَا لَا أَنْعَشُهَا مِنْ صَرَعَتِهَا، وَلَا أَقِيلُهَا عَثْرَتِهَا، وهذا المعنى إذا قايستَه إلى ما تقدَّم ذكرُه كان

(١) لَكثير عَزَّة في ديوانه ١٠٨، والأغاني ٢٦٧: ٤، وأمالِي القالي ٦٣: ٢، وخزانة الأدب ٣٢٩: ١٠.

منحطاً عنه، وواقعاً دونه، وفيه إظهارُ العجزِ عن مكابدة الصُّبابَةِ، والتَّصريحُ بسوء المَلَكَةِ. ومثل هذه الطريقة لا يرتضيها أربابُ الهوى، والحُكَّام على مُدَّعي العشق ولهم. ومعنى: «أدلنني» جعلن لي دولةً. ويُرْوَى: «أدزَن لي» فينتصب دولة على أنه مفعول به. والدَّائِرَات كالدائِلَات لا فَضْل. وَمَنْ روى: «أدَلَّن لي» انتصب دولةً على أنه مصدر، فيكون موضوعاً موضع الإدالة، ويقال: أدالك الله من عَدُوِّكَ، أي جَعَلَ لك عليه دَوْلَةً.

٤٦٥ - وقال آخر^(١): [الطويل]

١ - وَكُنْتُ إِذَا أُرْسِلْتُ طَرَفَكَ رَائِدًا لِقَلْبِكَ يَوْمًا أَتَعَبْتُكَ الْمَنَاظِرُ

٢ - رَأَيْتُ الَّذِي لَا كُلُّهُ أَنْتَ قَادِرٌ عَلَيْهِ وَلَا عَنْ بَعْضِهِ أَنْتَ صَابِرٌ

الرَّائِدُ: الذي يتقدَّم القومَ فيطلبُ لهم الماء والكَلَأَ، ولذلك قيل في المثل: «لا يكذبُ الرَّائِدُ أَهْلَهُ»، لأنَّه إن كَذَبَهُمْ هَلَكَ معهم، فيقول: إنك إذا جعلتَ عَيْنَكَ رَائِدًا لِقَلْبِكَ تَطْلُبُ لَهُ مَصَبَّ هَوَاهُ، ومَقَرَّ لِهَوَاهُ وَصِبَاهُ، أَتَعَبْتُكَ مَنَاظِرُهَا فِي مَطَالِبِكَ، وَأَوْقَعْتُكَ مَوَارِدُهَا فِي أَشَقِّ مَكَارِهِكَ؛ وذلك أَنَّهَا تَهْجُمُ بِالْقَلْبِ فِي ارْتِيَادِهِ لَهَا عَلَى مَا لَا يَصْبِرُ فِي بَعْضِهِ عَلَى فِرَاقِهِ مَعَ مَهِيْجَاتِ اشْتِيَاقِهِ، وَلَا يَقْدِرُ عَلَى السُّلُوِّ عَنْ جَمِيعِهِ مَعَ تَذَكُّرِ غَرَائِبِ الْحَسَنِ مِنْهُ، فَهُوَ الذَّهْرُ مُمْتَحَنٌ بِبَلَوَى مَا لَا يَقْدِرُ عَلَى كُلِّهِ، وَلَا يَصْبِرُ عَنْ بَعْضِهِ. وَالْجَنَائِيَّةُ فِيهِمَا لِلْعَيْنِ، لَكُونَهَا قَائِدًا لِلْفَوَادِ إِلَى الرَّدَى وَسَائِقًا، وَهَادِيًا لدَوَاعِي الْحَبِّ إِلَيْهِ وَحَادِيًا.

وقد أَلَمَ بهذا المعنى أَبُو تَمَّامٍ حَيْثُ يَقُولُ: [الكامل]

لَمْ تَطْلُعِ الشَّمْسُ الْمَضِيئَةُ مِذَّ رَأَتْ عَيْنِي خِلَالَ الْخِذْرِ شَمْسًا تَغْرُبُ

لَأَعَذَّبَنَّ جُفُونَ عَيْنِي إِنْ مَأَا بِجُفُونِ عَيْنِي حَلًّا مَا أَتَعَذَّبُ

وَأَبِينِ مِنْ هَذَا قَوْلِ الْآخَرِ: [الطويل]

أَلَا إِنْ مَأَا الْعَيْنَانِ لِلْقَلْبِ رَائِدٌ فَمَا تَأَلَّفِ الْعَيْنَانِ فَالْقَلْبُ يَأْلَفُ^(٢)

(١) البيتان بلا نسبة في الزهرة ٤٥، واعتلال القلوب ١٤٣، ومصارع العشاق ٢: ١٩٤، وروضة المحبين ٩٧، ٢٢٧، وأسواق الأشواق خ ٢٦٠ ظ.

(٢) بلا نسبة في المصون ٩٢.

وقوله: «رائدًا» انتصب على الحال، وجواب إذا أرسلت «أَتَبَتَكَ المناظر». وقد حَصَلَ خبر كنت فيه ومعه. وقوله: «رأيت الذي» تفصيل لما أَجَمَلَهُ قوله: «أَتَبَتَكَ المناظر».

٤٦٦ - وقال الصُّمَّة بن عبد الله القشيري^(١): [الوافر]

١ - أَقُولُ لَصَاحِبِي وَالْعَيْسُ تَهْوِي بِنَا بَيْنَ الْمُنِيفَةِ فَالضُّمَارِ^(٢)

٢ - تَمَتَّعَ مِنْ شَمِيمِ عَرَارٍ نَجْدٍ فَمَا بَعْدَ الْعَشِيَّةِ مِنْ عَرَارٍ

الْعَيْسُ: بياض في ظلمة خفية. والعرب تجعله في الإبل العراب خاصة. والمُنِيفَةُ: موضع، أو هضبة مرتفعة. ومنه: أناف على كذا، أي أشرف، وقولهم: مائة وتَيْف. والضُّمَارُ: مكان أو وادٍ منخفض يُضْمِرُ السَّائِرَ فيه، لذلك قال الأعشى: [المقارب]

نُرَانَا إِذَا أَضْمَرْتِكَ الْبِلَا دُنُجْفَى وَتُقَطِّعُ مِنَّا الرَّجْمَ^(٣)

ومنه قيل للعدة المُسَوِّفَةِ: الضُّمَار، وقيل لما لا يُرْجَى رُجُوعُهُ من المال: الضُّمَار، قال: [الرجز]

وَعَيْنُهُ كَالْكَالِ الضُّمَارِ^(٤)

يذمه بأن حاضره كغائبه، يقول: إني أجارِي رفيقي وأبائه قِصَّتَنَا، وَالرَّوَاحِلَ تُسْرِعُ بَيْنَ هَذَيْنِ الْمَوْضِعَيْنِ، وَأَقُولُ فِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ مَتْلَهْفًا: اسْتَمْتِعْ بِشَمِّ عَرَارٍ نَجْدٍ، فَإِنَّا نَعْدَمُهُ إِذَا أَمْسَيْنَا بِخُرُوجِنَا مِنْ أَرْضِ نَجْدٍ وَمَنَابِتِهِ. وَالشَّمِيمُ: مصدر، وأكثر ما يجيء فعيلٌ مصدرًا في الأصوات، كالصَّهِيلِ وَالشَّحِيحِ؛ ومثله الْعَذِيرُ وَالتَّكْيِيرُ. ويقال: تَمَتَّعْتُ بِكَذَا وَمِنْ كَذَا. وَالْعَرَارِ: بقلة صفراء ناعمة طيبة الريح، والواحدة عَرَارَةٌ. قال الخليل: الْعَرَارَةُ الْبَهَارَةُ الْبَرِّيَّةُ، وقيل: هو شجر. وقد شُبِّهَ لَوْنُ الْمَرَأَةِ بِهَا. قال

(١) سبقت ترجمته في الحماسية (٤٥٤)، وعند التبريزي: «وقال آخر».

(٢) الأبيات في زهر الآداب ١٠٣:٣، ومعجم البلدان (الضمار، المنيفة).

(٣) للأعشى في ديوانه ٩١ (أرانا)، وتاج العروس (ضمر)، وأساس البلاغة واللسان (ضمر).

(٤) بلا نسبة في اللسان (كلا، ضمر، عين)، ومقاييس اللغة ١٣٢:٥، وديوان الأدب ٤: ١٧٩،

وكتاب العين ٤٠٨:٥.

الأعشى: [مجزوء الكامل]

بَيْضَاءُ صَخَوَتْهَا وَصَفَ رَاءَ الْعَشِيَّةِ كَالْعَرَاةِ^(١)

وقوله: «من عرار» من لاستغراق الجنس، وموضع «من عرار» رفع على أن يكون اسم ما. والواو من قوله: «والعيس تهوي بنا» واو الحال، وموضع «تمتّع من شميم» نصب لأنه مفعول أقول. وقوله: «بين المنيفة فالضمار» أجود الروایتين «بين المنيفة والضمار»؛ لأن بين يدخل لشيئين يتباين أحدهما عن الآخر فصاعدًا، وإذا كان كذلك لا يكتفي بقوله المنيفة فيرتب عليه الضمار بالفاء العاطفة، اللهم إلا أن تجعل بين الأجزاء «المنيفة» فتصير المنيفة كاسم الجمع، نحو القوم والعشيرة وما أشبههما؛ وعلى هذا حمل قول امرئ القيس: [الطويل]

بَيْنَ الدُّخُولِ فَحَوْمَلٍ^(٢)

وكان الأصمعي يردّه ويرويه بالواو.

٣ - أَلَا يَا حَبْدًا نَفَحَاتُ نَجْدٍ وَرَيًّا رَوْضِهِ غِبِّ الْقِطَارِ^(٣)

٤ - وَأَهْلُكَ إِذْ يَحُلُّ الْحَيَّ نَجْدًا وَأَنْتَ عَلَى زَمَانِكَ غَيْرُ زَارٍ

٥ - شُهُورٌ يَنْقُضِينَ وَمَا شَعَرْنَا بِأَنْصَافٍ لَهْنٍ وَلَا سِرَارٍ

ألا: حرف لافتتاح الكلام، والمنادى في يا حبدًا محذوف، كأنه قال: يا قوم أو يا ناس، حبدًا نفحات نجد. وارتفع نفحات بالابتداء، وخبره حبدًا؛ كأنه قال: محبوب في الأشياء نفحات نجد، وهو تَضَوُّعُ الرِّيحِ بالسَّيْمِ الطَّيِّبِ. ويقال: له نفحة طيبة وخبيثة. وقوله: «رَيًّا رَوْضِهِ» يراد بها الرائحة هنا. وارتفع قوله: «وأهلك» عطفًا على وَرَيَّا، وهما جميعًا معطوفان على «نفحات»، وكأنه قال: وحبدًا أزمانًا أهلك حين كانوا نازلين بنجد وأنت راضٍ من الزمان، لمساعدته إيّاك بما تهواه وتريد، فلا تعيبه ولا تشكوه. ويقال: زريت عليه، إذا عبت عليه، وأزريت به، إذا قصرت به. وقوله: «وأنت» الواو واو الحال، وارتفع «شهور» على أنه مبتدأ، وهو تفسير الزمان الذي حمده وتلهف على انقضائه. وقوله: «ينقضين» خبره. ويجوز أن يرتفع شهور

(١) بلا نسبة في المخصص ١٢: ١٦٠، والتبريزي ٧٥٢: ٢.

(٢) قطعة من مطلع معلقة امرئ القيس، وتامه:

«قفا نبيك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل»

(٣) التبريزي: «بعد القطار».

على أنه خبر مبتدأ محذوف، وما ينقضين حيثنذ يكون صفة له. وقوله: «وما شَعَرْنَا» أي ما عَلِمْنَا، يقال: شَغَرَة وشَغَرًا، ومنه الشَّعْر، يقال: شَعَرَ الرَّجُلُ، إذا قال الشَّعْر، فَشَعِرَ بكسر العين أي صار شاعِرًا. وَسَرَّازُ الشَّهْرِ: آخِرُهُ؛ لأنَّ القَمَرَ يَسْتَسِيرُ فيه. وقد حُكِيَ كسر السين فيه، وليس بكثير. والمعنى: يا قوم، محبوبٌ فيما تَقْضَى نَسِيمُ أرواحِ نجدٍ وروائحِ رياضِهِ عَقِبَ إتيانِ المطَرِ عليه، وهزُّ الرِّيحِ لنباتها، ومحبوبٌ أيضًا زمانُ أَهْلِكَ وإقامَتُهُم بنجدٍ، حينَ كُنْتَ تشكُرُ وقتَكَ وترتضيه، إذ كانت شهورُهُ وأيامُهُ تنقضي وأنت لا تشعُرُ بأنصافها، ولا بأوائِلها وأواخرها، لا شَتِغَالِكَ بلهوك، ودَهَابِكَ في غَفْلَتِكَ، وهم يَسْتَقْصِرُونَ أَيَّامَ السَّلامَةِ والسَّعادةِ ومواصلةِ الأحبَّةِ، وعندَ طاعةِ الدَّهْرِ والأقدارِ لهم، كما يستطيلون ما كان على خلافه من الشُّهور والأعوام.

٤٦٧ - وقال آخر^(١): [الطويل]

- ١ - ومما شَجَّاني أنَّها يومَ أَغْرَضْتُ تولَّتْ وماءَ العينِ في الجفنِ حائِرُ
٢ - فلمَّا أعادَتْ مِن بعيدي بنظرةٍ إلَيَّ التفاتًا أَسْلَمَتْهُ المحاجِرُ

يقول مُلِمًا بالمعنى الذي شرحه أبو تمام حين قال: [الكامل]

لأودَّعَكَ ثُمَّ تَذَمَّعَ مُقْلَتِي إِنَّ الدُّمُوعَ هي الوداعُ الثَّاني

يقول: ومما حزنني وصار نَضَبَ عَيْنِي وجَلَفَ قلبي تَذَكُّرُنِيهِ الأحوالِ فلا أنساه، وتمثُّله لناظري الأوقاتِ فلا أتغاباه، أَن صاحبتني يومَ الفِراقِ عندَ الوداعِ أَغْرَضْتُ لي ودَمَعُها يترقرق في جَفَنِ عَيْنِها ويتَحَيَّرُ، لامتلانها به، إلَّا أنَّها كانت تَحْبِسُه فلا تُسِيلُه، فَلَمَّا أعادت التفاتَها إلَيَّ بعد إعراضها عَنِّي، بنظرةٍ جَدَّدَتْها، أَسْلَمْتُ محاجِرُ عَيْنِها ما اجتمع فيها من الدَّمْعِ، فتَحَدَّرَ في مدامعها؛ لأنَّ ذلك كوداعٍ ثانٍ منها، وَكَمُتَّةٌ مَتَّعَتْنِي بها وزيادَةُ زادٍ في الحب زودتنيها. وقوله: «أنَّها» مبتدأ و«مما شجاني» خبره، ويقال: شجاه يشجو شَجْوًا فَشَجِي يَشْجِي؛ فهو شَجٌّ. وحرار الماءِ والدَّمْعِ، إذا تحَيَّرَ في موضعه وقد مَلَأَه فلا موضعَ له. وقوله: «أَغْرَضْتُ»: أَبَدَتْ عُرْضُها، وخبر أَنَّ تولَّتْ.

(١) البيتان بلا نسبة في اعتلال القلوب ٢٩٢، والمصون في سر الهوى المكنون ١٥٩، ولمجنون ليلي في ديوانه ص ٧، ولجمليل في ديوانه ص ٨١.

وقوله: «فلما أعادت» يجوز أن يكون التفاتاً مفعول أعادت، وموضع بنظرة حالاً؛ كأنه قال: لما أعادت التفاتها ناظرة من بعيدٍ إليَّ أسلمته. وجواب لما «أسلمته»، وإليَّ تعلق بنظرة. ولا يجوز أن يتعلق بالتفاتاً، لأنه إذا جُعِلَ كذلك يكون صلة المصدر وقد قُدمت على الموصول. ويجوز أن يكون بنظرة في موضع المفعول لأعادت، والباء إن شئت جعلتها زائدة، وإن شئت جعلتها مؤكدة؛ كما جاء في قول الآخر: [البسيط]

سُودَ المحاجرِ لا يَفْرَأَنَّ بالسُّورِ^(١)

ويصير «التفاتاً» مصدرًا في موضع الحال، والتقدير: لما أعادت نظرتها من بعيدٍ إليَّ ملتفتةً أسلمته. والهاء من أسلمته للدُّمَع كما قدمته. والمحاجر: جَمْع المَحْجَر، وهو ما يبدو من نقاب المرأة إذا تنقبت. والكَيْئَةُ حَوْلَ الْعَيْنَيْنِ يقال لها: التَّحْجِير. ويقال: حَجَّرَ القمُرُ، إذا استدار حوله خطُّ رقيق.

٤٦٨ - وقال آخر: [الطويل]

- ١ - وَلَمَّا رَأَيْتُ الْكَاشِحِينَ تَتَّبَعُوا هَوَانًا وَأَبْدَوْا دُونَنَا نَظَرًا شَزْرًا
٢ - جَعَلْتُ وَمَا بِي مِنْ جَفَاءٍ وَلَا قَلَى أَزُورُكُمْ يَوْمًا وَأَهْجُرُكُمْ شَهْرًا

الكَشْحُ: ما بين الخاصرة إلى الضِّلَع، والكاشح: العدو الباطن العداوة. ويقال: هو بَيْنَ الكَشَاحَةِ والمكاشحة. ويقال: طَوَى فلانٌ كَشْحَهُ على كذا، إذا استمرَّ عليه. وهذا كلامٌ مُبْنِي على المحبوب، كارهٍ لانتشار القَالَةِ فيهما، مختارٍ لاستتار الهوى بينهما، فيقول: لما رأيتُ الوشاةَ يتتبعون أحوالنا بالنَّمِيمَةِ وإفشاء أسرارنا، وأخذوا ينظرونَ إلينا نظَرَ الأعداء بتحديقٍ شديد، واستكشافٍ لما خَفِيَ من أمرنا بليغ، أقبلتُ أحترزُ وأقصر أشواطهم فيما يَنْتَحُونه من مَسَاءَتنا، والقعود والقيام بذكرنا، فأتأخَّر عن زيارتك شهرًا وأوافيكم يومًا؛ هذا ولا أَقْصِدُ ولا أَضمر بغضًا، وإنما بي مُضِيَّ أَيْامنا بالسَّلامَةِ منهم، وردَّ كيدهم في نحورهم، ولثلاً يجدوا مَقَالًا فيركبون عليه قصصًا وأنباء. وقوله: «نظرًا شَزْرًا»، يقال: هو يَشْزِرُ الطَّرْفَ إليَّ، إذا نظَرَ نظرًا منكراً يَتَبَيَّن

(١) للراعي النميري في ديوانه ١٢٢، وللقتال الكلابي في ديوانه ٥٣، وللراي أو للقتال في خزنة الأدب ٩: ١٠٧، ومصدره:

«هنَّ الحرائر لا ربات أحمر»

فيه العداوة، قال أوس: [البسيط]

إِذْ يَشْزِرُونَ إِلَيَّ الطَّرْفَ عَنْ عُرْضٍ كَأَنَّ أَغْيَتَهُمْ مِنْ بَغْضَتِي عُورٌ^(١)

وقوله: «جعلت» لا يحتاج إلى مفعول لأنه في معنى طَفِقْتُ وأقبلت. وانتصب يوماً وشهراً على الظرف، و«تبعوا هوائاً» في موضع المفعول الثاني لرأيت.

٤٦٩ - وقال بعض القرشيين^(٢): [الخفيف]

- ١ - بَيْنَمَا نَحْنُ بِالْبَلَاكِثِ فَالِقَا عِ سِرَاعًا وَالْعَيْسُ تَهْوِي هَوِيًا
- ٢ - خَطَرَتْ خَطَرَةً عَلَى الْقَلْبِ مِنْ ذِكِّ رَاكِ وَهْنًا فَمَا اسْتَطَعْتُ مُضِيًا
- ٣ - قُلْتُ لَبَيْكَ إِذْ دَعَانِي لِكَ الشُّوقِ قُ لِلْحَادِيَيْنِ كُرًّا الْمَطِيًّا^(٣)

قد تقدم القول في «بينما» و«بينما» جميعاً، وأنهما يستعملان في المفاجأة. وانتصب «سراعاً» على الحال؛ لأنه جعل بالبالاكت مستقراً، والواو من قوله: «والعيس» واو الابتداء وهو للحال أيضاً.

وقوله: «خطرَتْ خطرَةً»، هي الحالة التي فاجأهم. وانتصب «وهناً» على الظرف، ومعناه: بعد ساعة من الليل. وقوله: «خطرَتْ خطرَةً»، يقال: خَطَرَ بِبَالِي خُطُورًا، وَخَطَرَ الْبَعِيرُ بِذَنْبِهِ خَطَرَانًا، وَيَقَالُ: سَنَحَ لِي سَانِحٌ، وَهَجَسَ هَاجِسٌ، وَخَطَرَ خَاطِرٌ، وَكَأَنَّهُ أَجْرَى خَطَرَتْ خَطَرَةً مَجْرَى قَوْلِهِ: دَعَتْ دَعْوَةً مِنْ ذِكْرَاكِ، لِقَوْلِهِ: «قُلْتُ لَبَيْكَ إِذْ دَعَانِي لِكَ الشُّوقِ». والشاعر وَصَفَ مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ طَاعَةِ الْهَوَى، وَأَنَّهُ فِي مَلَكَتِهِ إِذَا دَعَاهُ أَجَابَ حَتَّى لَا يَقْدِرُ إِلَّا عَلَى ذَلِكَ، فِيرِيدُ: بَيْنَمَا نَحْنُ بِهِذَيْنِ الْمَوْضِعَيْنِ نَسِيرُ مُسْرِعِينَ، وَالزَّوَاحِلُ تَهْوِي بِنَا فِي أَثْنَائِهِمَا وَمَعَاطِفَهُمَا، وَتَقْطَعُ الْمَسَافَةَ

(١) لأوس بن حجر في ديوانه ص ٩.

(٢) التبريزي: «هو أبو بكر بن عبد الرحمن بن المسور بن مخزومة، خرج إلى الشام، فلما كان ببعض الطريق ذكر امرأته صالحة بنت أبي عبيدة بن المنذر بن الزبير، وكان شديد الحب لها فضرب وجوه وراحله إلى المدينة، وقال: «بينما نحن بالبالاكت»، فلما رأت رجوعه من أجلها وسمعت الشعر، قالت: لا جَرَمَ والله لا أستأثر عليك بشيء، فشاطرته مالها وكانت تَضَنُّ عَلَيْهِ بِمَالِهَا. والأبيات لأبي بكر بن عبد الرحمن في مصارع العشاق ١: ٣٢٣، وذم الهوى ٥١٢، والواضح المبين ٢٣٩، وأخبار النساء ٢٥، وتزيين الأسواق ٢١٤، وأسواق الأشواق خ ١٣٤ ظ.

(٣) التبريزي: «حُثًّا الْمَطِيًّا».

بينهما، خطرَتْ ذِكْرَةٌ ببالي، وقد مضى من الليل ساعة، فتَحَيَّرْتُ حَتَّى لَمْ أَقْدِرْ عَلَى التَّوَجُّهِ فِي الْمَقْصِدِ الَّذِي كُنْتُ أَوْمُهُ، وَحَتَّى لَمْ أَمْلِكْ إِلَّا إِجَابَةً دَاعِي الشُّوقِ إِلَيْكَ بِالتَّلْبِيَةِ وَالْوَقُوفِ لَهُ، وَبَعْدَ ذَلِكَ قُلْتُ لِلْحَادِيَيْنِ: انْصَرَفَا وَاعْطِفَا بِرُؤُوسِ مَطْيَكُمَا، فَقَدْ مَنَعَ مَا طَاعَتُهُ أَوْجَبُ، وَدَفَعَ فِي صَدُورِنَا مَنَ أَمْرُهُ أَنْفَذُ.

وقد تقدّم الفرق بين الهويّ والهويّ.

وقوله: «بالبلاكت فالقاع»، رَتَّبَ القاعَ عَلَى البلاكتِ بِالفاءِ العاطفةِ، كَأَنَّهُ ارْتَقَى مِنْهَا إِلَيْهَا، وَيَجُوزُ أَنْ الْبلاكتِ اسْمٌ لِبَقَاعٍ مُخْتَلَفَةٍ؛ لِأَن بِنَاءَهُ بِنَاءُ الْجَمْعِ.

وقوله: «لَبْنِكَ» هُوَ مِنَ اللَّبِّ بِالْمَكَانِ، إِذَا أَقَامَ؛ إِلَّا أَنَّهُ لَا يَنْصَرَفُ كَمَا أَنَّ سُبْحَانَ اللَّهِ لَا يَنْصَرَفُ. وَالْكَلِمَةُ مُثَنَّاةٌ عِنْدَ سَبِيوهِ، وَالْمُرَادُ عِنْدَ إِقَامَةٍ لِلدَّاعِي تَتَبَعَهَا إِقَامَةٌ وَدَوَامٌ عَلَى طَاعَتِهِ وَمَتَابَعَتِهِ، وَيُفْرَنُ بِهَا سَعْدِيكَ، الْمَعْنَى: مُسَاعَدَةٌ بَعْدَ مُسَاعَدَةٍ وَاسْتِمْرَارٌ عَلَى مُشَابَعَتِهِ. وَحَصَلَ التَّكْثِيرُ وَالِاتِّصَالُ فِيهِ بِالتَّنْثِيَةِ، كَمَا حَصَلَ بِالتَّكْرِيرِ فِي قَوْلِكَ: ادْخُلُوا الْأَوَّلَ فَلَا أَوَّلَ. قَالَ سَبِيوهِ: أَخْبَرَنَا أَبُو الْخَطَّابِ أَنَّهُ يُقَالُ لِلْمُدَاوِمِ عَلَى الشَّيْءِ لَا يُفْلِحُ عَنْهُ وَلَا يَفَارِقُهُ: قَدْ أَلَبَّ عَلَيْهِ. أُنْشِدَ لِلتَّنْثِيَةِ فِيهِ قَوْلَ الشَّاعِرِ: [الطويل]

دَعَوْتُ لِمَا تَابَنِي مِسْوَرًا فَلَبَّى فَلَبَّنِي يَدَنِي مِسْوَرٌ^(١)

هَكَذَا رَوَيْتُهُ وَإِنْشَادُهُ عَنِ الْعَرَبِ بِهَذَا اللَّفْظِ. وَخُكِّي أَيْضًا عَنْ بَعْضِهِمْ: لَبَّ بِالْكَسْرِ، يَجْعَلُهُ صَوْتًا مِثْلَ غَاقٍ. وَعِنْدَ يُوسُفَ أَنَّهُ مَوْحَدٌ لَبَّى، وَانْقَلَبَ أَلْفُهُ يَاءً كَمَا انْقَلَبَ فِي عَلَى وَلَدِي عِنْدَ الْإِضَافَةِ إِلَى مُضْمَرٍ. وَعَلَى مَذْهَبِهِ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ «فَلَبَّى يَدِي»، كَمَا أَنَّ عَلَى وَإِلَى وَلَدَيَّ إِذَا أَضِيفَتْ إِلَى الظَّاهِرِ لَا يَتَغَيَّرُ أَلْفُهَا، تَقُولُ: عَلَى زَيْدٍ وَإِلَى عَمْرٍو.

٤٧٠ - وَقَالَ آخِرُ^(٢): [البسيط]

١ - اسْتَنْبَقَ دَمْعَكَ لَا يُودِ الْبَكَاءُ بِهِ وَانْكَفَفَ مَدَامَعٌ مِنْ عَيْنِكَ تَسْتَنْبِقُ

(١) لِرَجُلٍ مِنْ بَنِي أَسَدٍ فِي الدَّرَجِ ٣: ٦٨، وَاللِّسَانِ (لَبَّى)، وَبِلَا نِسْبَةٍ فِي خَزَانَةِ الْأَدَبِ ٢: ٩٢، وَشَرَحَ أَبْيَاتَ سَبِيوهِ ١: ٣٧٩.

(٢) التَّبْرِيزِيُّ: «وَقَالَ ابْنُ هَرْمَةَ». وَابْنُ هَرْمَةَ: هُوَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ سَلَمَةَ بْنِ عَامِرِ الْقُرَشِيِّ الْكِنَانِيِّ، أَبُو إِسْحَاقَ، شَاعِرُ غَزَلٍ مِنْ سُكَّانِ الْمَدِينَةِ، مِنْ مَخْضَرَمِي الدَّوْلَتَيْنِ الْأُمَوِيَّةِ وَالْعَبَّاسِيَّةِ (ت ١٧٦ هـ/ ٧٩٢ م). تَرَجَمَتْهُ فِي الْأَغَانِي ٤: ١٠١، وَتَهْذِيبِ ابْنِ عَسَاكِرِ ٢: ٢٣٤، =

٢ - لَيْسَ الشُّؤْنُونُ وَإِنْ جَادَتْ بِبَاقِيَةٍ وَلَا الْجُفُونُ عَلَى هَذَا وَلَا الْحَدَقُ

قوله: «لا يُود البكاء به» يجوز أن يكون جواب الأمر، ويجوز أن يكون نهيًا وهو أحسن، وإن لم يكن معه حرفُ العطف، وذلك لأنه قد ذكر بعده: «واكفُفْ مدامع من عينيك» ولم يأت له بجواب، كأنه أمره باستبقاء الدمع، ونهاه عن التهاك في البكاء فيفسد عليه آتاه. ثم أمره بكف المدامع وهي تستبق. وإذا كان الكلام نهيًا بعد أمرٍ وأمرًا بعد نهي، كان أبلغ. ومعنى أودى بكذا: أهلكه. والاستباق في المدامع مجاز؛ لأن الذي استبق في التحدر هو الدمع. والمدمع: مَجْرَى الدَّمْع، ولا يمتنع أن يكون المدمع اسمًا للحدث الذي هو السَّيلَان، كأنه موضوع موضع الدمع، وهو مصدر دمع، ويكون المراد به أيضًا العين الذي هو الجاري؛ لأن الاستباق لا يصح إلا فيه.

وقوله: «ليس الشُّؤْنُونُ وَإِنْ جَادَتْ بِبَاقِيَةٍ»، يريد: أنك إن أدمنت البكاء استهلكت منابع الدمع ومجاريها، وأطباق العين وحمايلقها؛ لأن شيئًا من هذه الآلات وإن سمحت بالإجابة مدة لا يدوم على فعلك، ولا يقوم لتكليفك. وقوله: «على هذا» أشار بهذا إلى فعله، وعلى تعلق بباقية، وهو مضمر دل عليه الباقية المذكورة، كأنه قال: ولا الجُفُونُ باقيةً على هذا، وجعل «لا» من قوله: والجفون بدلًا من ليس، والجفن في اللغة: المنع والحبس؛ لذلك سمي غلاف السيف الجفن.

٤٧١ - وقال آخر:

[الطويل]

١ - قَدْ كُنْتُ أَهْلُو الْحُبِّ فَلَمْ يَزَلْ بِي النَّقْضُ وَالْإِمْرَامُ حَتَّى عَلَانِيَا

يقول: بقيت أزاو الحب وأجاذبه، وهو معي متردد بين أن أعلوه تارة فأدفعه عن نفسي بجهدني، وبين أن يغلوني فيغلبنني على مرادي، ويأخذ مقره من فوادي، فلم نزل بين النقض والإمرار، أنقض عليه وهو يُمر، وينقض علي وأنا أُمِر، إلى أن صار الغلب له.

= النجوم الزاهرة ٢: ٨٤. والبيتان بلا نسبة في اعتلال القلوب ٢٨٨، والزهرة ١: ٣٩٣، وقد نسيهما لابن هرمة وليسا في شعره.

وهذا الذي أشار إليه حالة الحب إذا لم يكن عن اعتراض، لذلك قال أبو تمام:

[الطويل]

هَوَى كَانَ خَلَسًا إِنَّ مِنْ أَجْرِحِ الْهَوَى هَوَى جُلَّتْ فِي أَفْيَاثِهِ وَهُوَ جَائِلٌ^(١)

كأنه يُريد المحبوب فيفكر في محاسنه حالاً بعد حال، ووقتاً بعد وقت، ويستحيلها شيئاً بعد شيء، إلى أن يصير لها في قلبه قايح ونازع، فيدفعه عن نفسه بأن يزيّف تلك المحاسن، ويتناسى ويذّر في صدر ذلك القايح من الهوى ويتأني، فكلما قدّر أنه قد تخلّى عاوده الوسواس جذعاً، فلا يزال بين القبول والامتناع، والتماسك والانهيار، ومدافعة الداء بالدواء، إلى أن يصير الغلب للهوى.

والمعترض من الهوى هو الذي يقع عن أول وهلة، فيسبي القلب في دفعة واحدة، إلا أن تركه أسرع، كما أن أخذه أسرع. على ذلك قول الأعشى:

[البسيط]

عُلِقْتُهَا عَرْضًا^(٢)

وما يجري مجراه، وهم يشبهون مثل هذا الهوى بنار توقد بضرام أو بعزج وما يجري مجراه، فترتفع سريعاً وترجع سريعاً. وأنشد ابن الأعرابي بيتاً في قسمة الهوى زعم أنه لا ثاني له، وأن قائله لا يعرف وهو: [الطويل]

ثَلَاثَةُ أَحْبَابٍ فُحِبُّ عِلَاقَةً وَحُبُّ تِمْلَاقٍ وَحُبُّ هُوَ الْقَتْلُ^(٣)

يعني ما يكون من تعمل وطول تأمل.

٢ - وَلَمْ أَرِ مِثْلَيْنَا خَلِيلَيْنِ جَنَابَةٍ أَشَدَّ عَلَى رَغَمِ الْعَدُوِّ تَصَافِيَا

نَبّه بهذا الكلام على أنها مع المجانبة واستعمال الحذر، واستدفاع شرّ الرقباء والحافظين بترك الورود والصدّر، وإكساد سوق الوشاة والنّمامين بإخماد نائرة الخبر، يُصافي كل واحد منهما صاحبه، حتّى لا خلل في الهوى ولا فساد، ولا استزادة في الحب ولا عتاب، ولا تسلطُ تُهمّة لعارض تسّل، وحؤول عن عهد.

(١) ديوانه ٢٥٦.

(٢) تمامه:

«عُلِقْتُهَا عَرْضًا وَعُلِقْتُ رَجُلًا غَيْرِي وَعُلِقَ أُخْرَى غَيْرَهَا الرَّجُلُ»

(٣) بلا نسبة في شرح المفصل ٦ : ٤٧، واللسان (ملق)، ومجالس ثعلب ١ : ٢٩.

وإنما قال: «على رَغَمِ العدو»، استهانةً بهم. وهو من الرَغَام: الثَّرَاب. وإذا قيل: أرغم الله أنفه، فالمعنى: أذلَّه الله وأسَخَطَه. وانتصب «تصافيا» على التمييز. وقوله: «خليئي جنابة» انتصب على أنه بدل من مثلينا، وأشدُّ مفعول ثانٍ لأرى.

٣ - خَلِيلَيْنِ لَا نَرْجُو لِقَاءَ وَلَا نَرَى خَلِيلَيْنِ إِلَّا يَرْجُوَانِ التَّلَاقِيَا

ذَكَرَ أَنَّ الْيَاسَ قَدْ اسْتَقَرَّ فِي قَلْبِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِنْ مُلَاقَاةِ صَاحِبِهِ وَالتَّصَافِي بَيْنَهُمَا هُوَ أَنَّ ذَلِكَ مِنْ كَمَالِ الْبَلَاءِ، إِذْ لَا يُوجَدُ خَلِيلَانِ غَيْرُهُمَا إِلَّا وَهُمَا عَلَى شَفَا الرَّجَاءِ فِي الْاجْتِمَاعِ، وَقُوَّةِ مِنَ الطَّمَعِ فِي الْإِلْتِقَاءِ وَالِاسْتِمَاعِ، وَالْيَاسُ الَّذِي أَشَارَ إِلَيْهِ كَأَنَّهُ لَارْتِفَاعِ مَنْزِلَةِ الْمَحْبُوبِ عَنْ مَنْزِلَتِهِ: أَوْ لَكثَرَةِ أَوْلِيَائِهِ وَقُوَّةِ عَشِيرَتِهِ أَوْ لِعَفَافِهِ وَتَأَلُّهِهِ، وَمَا يَجْرِي مَجْرَاهَا.

٤٧٢ - وقال آخر^(١): [الطويل]

١ - وَكُلُّ مُصِيبَاتِ الزَّمَانِ رَأَيْتُهَا سِوَى فُرْقَةِ الْأَحْبَابِ هَيْئَةُ الْخَطْبِ^(٢)

موضع «سوى فُرْقَةِ الْأَحْبَابِ» نصب على أنه مستثنى مقدَّم، لأنَّ تقدُّمه على صفة المستثنى منه كتقدُّمه عليه نفسه. ومعنى البيت ظاهر.

٤٧٣ - وقال الحُسَيْنُ بْنُ مُطَيْرٍ^(٣): [الطويل]

١ - فَيَا عَجَبًا لِلنَّاسِ يَسْتَشْفِرُونَنِي كَأَنَّهُمْ لَمْ يَرَوْا بَغْدِي مُحِبًّا وَلَا قَبْلِي

قوله: «يستشفرونني»، أي: ينظرون إليّ، وتطمحُ أبصارهم نحوي، ويودُّون أنِّي على شَرَفٍ مِنَ الْأَرْضِ، لِأَكُونَ مَعْرُضًا لَهُمْ.

وَالنَّاعِرُ أَخَذَ يَتَعَجَّبُ مِنْ أَحْوَالِ النَّاسِ فِيمَا يَأْوُهُ عَلَيْهِ، وَاسْتَطْرَافَهُمْ لِحَالَتِهِ فِي حُبِّهِ، وَاسْتَشْفَرَهُمْ لِمَا يَشَاهِدُونَهُ عَلَيْهِ، حَتَّى كَأَنَّهُ بَذَعَ مِنَ الْحَوَادِثِ لَمْ يُشَاعِدْ مِثْلَهُ، وَلَمْ يَقَعْ فِي تَقْدِيرِ أَحَدٍ جَوَازُ صُورَتِهِ، فَقَالَ: يَا عَجَبًا لِلنَّاسِ فِي حَالِ اسْتَشْفَارِهِمْ لِي،

(١) هو قيس بن ذريح، والأبيات في ديوانه ٣٣، ومجالس ثعلب ٢٨٥، والبيت بلا نسبة في اعتلال القلوب ٤٨١.

(٢) بعده عند التبريزي:

«وقلت لقلبي حين لجَّ به الهوى وكلفني ما لا أطيعُ من الحبِّ
ألا أيُّها القلبُ الذي قاده الهوى أفقُ لا أقرُّ الله عينك من قلبٍ»

(٣) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (٣١٩)، والأبيات له في أسواق الأشواق خ ٥١، وبلا نسبة في مصارع العشاق ١: ٢٣٥.

واستطلاعهم من جهتي ما أنا عليه، وإفراطهم في التعجب مما يجدونني مبتلى به، ومرهوناً له كأنهم لم يشاهدوا قبل مشاهدتهم لي، ولا بعد مشاهدتهم لي محباً، وكأن الحب شيء أنا ابتدئته، وكأن مسبباته لم توجد قط إلا في. وليس الأمر كذلك، لأن الدنيا وأهلها إذا تاملت أحوالهم فيها لم يغور تقديرًا أو تحصيلًا من حاله حال مثلي فيه زائدًا على ما أنا عليه، أو قاصرًا عنه. هذا إذا جعلت «لم يروا» بمعنى لم يشاهدوا، فإن جعلته بمعنى لم يعلموا كان المعنى أكشف وأبين، إلا أنه يكون بمعنى يعرف، ويكتفي بمفعول واحد. وقوله: «بعدي» أي بعد رؤيتهم لي، فحذف المضاف، وكذلك قوله: «ولا قبلي»، يريد: ولا قبل رؤيتهم لي. وقوله: «يا عجباً»، يجوز أن يكون منادى مضافاً، ويجوز أن يكون مفرداً، وقد تقدم القول فيه وفي أشباهه.

٢ - يقولون لي اضرم يزعج العقل كله وضرم حبيب النفس أذهب للعقل

يقول: يُشيرُ الناس عليّ بالتسلي عنها، والأخذ في مصارمتها، وأخذ النفس على الانفكاك منها، فإن في ذلك بزعمهم إذا تدرجت فيه مراجعة العقل كاملاً، وانتزاع ريقه الذل عاجلاً. وإذا تأملت حالي في قبول ما يشيرون به، وزكوب الجذ في قطيعتها، والحيلولة بين النفس ومُرادها فيها، وجدت ذلك أدعى إلى زوال العقل كله، وإن كان الباقي منه شفاقةً، وأجلب لهلاك النفس، وخرج الصدر، وإن كنت عائشاً بضبابته. وقوله: «أذهب للعقل»، قد تقدم القول في أن سببويه يجوز بناء فعل التعجب بعد الثلاثي مما كان على أفعال خاصة، فإذا جاز ذلك فبناء التفضيل يتبعه.

٣ - ويا عجباً من حب من هو قاتلي كأتني أجزيه المودة من قتلي

تعجب من حال نفسه في مقاساة ما يقاسي منها، وبقائه على حُبها، فيقول: إني أداوم اعتقاد الجميل لها، وقيام القلب بعمارة الهوى فيها، حتى كأتني أجازيها على قتلها إيتاي بأن أزيد في وُدّها وإخلاص العقيدة لها. وقوله: «من قتلي» أراد من قتلها لي. والمصدر يُضاف إلى المفعول كما يُضاف إلى الفاعل، وكذلك قوله: «من حب من هو قاتلي»، أي: من حبي من هو قاتلي؛ لأن من في موضع المفعول. وقوله: «يا عجباً»، يجوز أن يكون الألف بدلاً من ياء الإضافة، ويجوز أن يكون ألف التذبة وزيدت ليمتد الصوت به، ويكون يا عجب منادى مفرداً، وامتداد الصوت يدل على عظم البلية، وتفخيم أمر العجيبة.

٤ - وَمِنْ بَيِّنَاتِ الْحُبِّ أَنْ كَانَ أَهْلُهَا أَحَبَّ إِلَى قَلْبِي وَعَيْنِي مِنْ أَهْلِي

يقول: ومن آيات حبي البيئنة، وشواهد الصادقة، على تكامله لها، وتناهيه في استحكامها، أنني أوثر أهلها على أهلي، وأن رتبهم في العين والقلب أعلى من رتبة عشيرتي عندي. وقد خلص هذا المعنى عترة، حيث قال: [الكامل]

عُلِّقْتُهَا عَرَضًا وَأَفْتُلُ قَوْمَهَا رَعَمًا لِعَمْرُ أَبِيكَ لَيْسَ بِمَزْعَمٍ^(١)

لأن في قضية الهوى والعقل أن حبها مع عداوة أهلها ليس بمتسبب ولا متسبب، بل يُنافي كل واحد صاحبه، وأن الواجب أنها إذا كُرِّمت عليه فكل متسبب إليها بسبب، ومتسبب بنسب، يجب أن يكون مؤثرًا عنده، مبجلًا في حكمه.

وأيض من ذلك كله قول الآخر: [الطويل]

وَأَقْسَمُ لَوْ أَنِّي أَرَى نَسَبًا لَهَا ذِنَابَ الْفَلَا حُبْتُ إِلَيَّ ذَنَابُهَا^(٢)

وقوله: «أن كان أهلها» أن مخففة من الثقيلة، أراد أنه كان أهلها، والهاء من أنه ضمير الأمر والشأن، وقد تقدّم مثله. وموضع أن بما بعده رفع بالابتداء وخبره قوله: ومن بينات الحب.

٤٧٤ - وقال عمر بن أبي ربيعة^(٣): [الطويل]

١ - وَلَمَّا تَفَاوَضْنَا الْحَدِيثَ وَأَسْفَرَتْ وَجُوهَ زَهَاهَا الْحُسْنُ أَنْ تَتَقَنَّعَا^(٤)

٢ - فَقُلْتُ لِمُطَرِّبِهِنَّ وَنَحَكَ إِنَّمَا ضَرَزَتْ فَهَلْ تَسْطِيعُ نَفْعًا فَتَنْفَعَا^(٥)

قوله: «لما» يحتاج إلى جواب؛ لأنه لوقوع الشيء لوقوع غيره، إذا كان علمًا للظرف، فيقول: لما تنازعنا الحديث، واندفعنا فيه، وأشرقت وجوه تلاًلاً نوراً، استخف أربابها الحسن الجائل في جوانبها، ومنعها من أن يسترها بقماع عجباً بها،

(١) لعترة في ديوانه ١٩١، وخزانة الأدب ٦: ١٣١، واللسان (زعم).

(٢) البيت الثالث في الحماسية رقم (٥٣١).

(٣) عمر بن أبي ربيعة المخزومي، من أشهر شعراء الغزل في صدر الإسلام والدولة الأموية (ت ٩٣ هـ / ٧١٢ م). ترجمته في: الأغاني ١: ٢٨، والخزانة ١: ٢٣٨.

(٤) بعده عند التبريزي:

وَقَلْنَ امْرُؤُ بَاغٍ أَكَلٌ وَأَوْضَعَا
يَقِيسُ ذِرَاعًا كَلَمًا قِسْنٌ إصْبَعَا

تباهن بالعرفان لما عرفني
وقرين أسباب الهوى لمتيّم

(٥) التبريزي: «وقلت».

والتذاذًا بِخَوْضِ عَيُونِ النَّاسِ فِي مُحَاسِنِهَا، قُلْتُ لِلْمُثَنِّي عَلَيْهِ: إِنَّ ثَنَاءَكَ يَضُرُّنَا، لَتَنبِيهِكَ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّا لَعَلَّهُ يَخْفَى عَلَيْهِنَّ مِنْ دَقَائِقِ الْجَمَالِ، وَلَطَائِفِ الْكَمَالِ، إِذْ كَانَ ذَلِكَ يَزِيدُ فِي الْإِعْجَابِ بِأَنْفُسِهِنَّ، وَيُكْسِبُ الْكِبَرِ فِي أَخْلَاقِهِنَّ، فَهَلْ تَقْدُرُ بَدَلَ ذَلِكَ عَلَى مَا يَنْفَعُنَا مَعَهُنَّ. وَجَوَابَ لَمَّا إِنَّ شِئْتَ جَعَلْتَهُ «فَقُلْتُ» عَلَى أَنْ يَكُونَ الْفَاءُ زَائِدَةً، وَإِنْ شِئْتَ جَعَلْتَهُ مَحْذُوفًا، كَأَنَّهُ قَالَ: لَمَّا فَعَلْنَا ذَلِكَ كُلَّهُ تَوَاسَّتْنَا، أَوْ مَا يَجْرِي مَجْرَاهُ. وَقَدْ تَقَدَّمَ الْقَوْلُ فِي أَنَّ لَوْ وَلَمَّا وَحَتَّى يُخَذَفَ جَوَابُهَا، وَيَكُونُ إِنِّهَا مُمَا لِحَذَفِهَا أَبْلَغَ فِي الْمَعْنَى. وَيَقَالُ: أَطْرَى فَلَانٌ فَلَانًا، إِذَا مَدَحَهُ بِأَحْسَنِ مَا قَدَّرَ عَلَيْهِ. وَقَوْلُهُ: «تَسْطِيعُ» مَنْقُوصٌ عَنْ تَسْتَطِيعُ. وَوَيْحٌ، قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: هُوَ تَرْخُومٌ، فَإِذَا أَضِيفَ بِغَيْرِ اللَّامِ يُنْصَبُ، وَيَكُونُ الْعَامِلُ فِيهِ فِعْلًا مَضْمَرًا، كَأَنَّهُ قَالَ: أَلَزَمَهُ اللَّهُ وَيَحَا، وَانْتَصَبَ فَتَنْفَعَا بِأَنْ مَضْمُورَةٌ، وَهُوَ جَوَابُ الْاسْتِفْهَامِ، وَمَعْنَى: «زَهَاهَا الْحَسَنُ» اسْتَخَفَّهَا وَيَقَالُ: زَهَتْ الْأُمُوجُ السَّفِينَةَ وَالرِّيَّاحُ الثُّبَاتَ. وَقَوْلُهُ: «أَنْ تَتَقَنَعَا»، أَرَادَ: مِنْ أَنْ تَتَقَنَعَا، وَهُمْ يَحْذِفُونَ الْجَارَ مَعَ أَنْ كَثِيرًا.

٤٧٥ - وَقَالَ أَبُو الرُّبَيْسِ التَّغْلِبِيُّ^(١): [الطويل]

- ١ - هَلْ تُبْلِغُنِي أَمْ حَزَبٍ وَتَقْذِفُنْ عَلَى طَرَبٍ بَيُوتَ هَمْ أَقَاتِلُهُ
٢ - مُبَيِّنَةٌ عِنْتِي حُسْنٌ خَدٌ وَمِرْقًا بِهِ جَنَفٌ أَنْ يَغْرُكَ الدَّفُّ شَاغِلَةٌ^(٢)

قَوْلُهُ: «عَلَى طَرَبٍ» يَجُوزُ أَنْ يَتَعَلَّقَ بِتَبْلِغُنِي، وَيَجُوزُ أَنْ يَتَعَلَّقَ بِوَتَقْذِفُنْ، وَالْفِعْلَانِ جُمْعًا عَلَى قَوْلِهِ: «مُبَيِّنَةٌ عِنْتِي» وَهِيَ نَاقَةٌ. وَالِاخْتِيَارُ عِنْدَ أَصْحَابِنَا الْبَصْرِيِّينَ أَنْ يَرْتَفِعَ بِالْأَقْرَبِ، وَهُوَ تَقْذِفُنْ، وَيَجُوزُ أَنْ يَرْتَفِعَ بِتَبْلِغُنِي، وَعَلَى هَذَا: جَاءَنِي وَأَكْرَمَنِي زَيْدٌ. وَالطَّرَبُ: خِفَّةٌ تَلْحَقُ لِنَشَاطٍ وَجَدَلٍ، وَاهْتِمَامٌ وَجَزَعٌ. وَبَيُوتَ هَمْ، فَعُولٌ مِنْ قَوْلِكَ: بَاتَ بَيْتٌ، كَأَنَّهُ هَمْ جَاءَهُ لَيْلًا فَلَا زَمَهُ. وَعَلَى هَذَا قِيلَ فِي الصَّقِيعِ: الْبَيُوتُ. وَانْتَصَبَ «حُسْنٌ خَدٌ» عَلَى التَّمْيِيزِ. وَالْجَنَفُ: الْمَيْلُ، وَرَجُلٌ أَجْنَفٌ: فِي خَلْقِهِ مَيْلٌ، وَقِيلَ: هُوَ الطَّوِيلُ الْمُنْحِنِي. وَالْعَرَكُ: الدَّلْكُ وَالْعَمَرُ. وَقَوْلُهُ: «بِهِ جَنَفٌ» فِي مَوْضِعِ النَّصْبِ، لِأَنَّهُ صِفَةٌ لِمَرْقَى. وَ«شَاغِلَةٌ» صِفَةٌ لَجَنَفٍ. وَإِضَافَتُهُ عَلَى طَرِيقِ التَّخْفِيفِ، فَهُوَ نَكْرَةٌ وَالتَّنْوِينُ مَنَوِيٌّ، كَأَنَّهُ شَاغِلٌ لَهُ. وَيُرِيدُ بِقَوْلِهِ: «بِهِ جَنَفٌ» أَنَّ الْمِرْقَ مَتَبَاعِدٌ عَنِ الزُّورِ، لِأَنَّ النَّاقَةَ فَتَلَاءُ، وَلَوْلَا بُعْدُهُ عَنْهُ لَكَانَ يَكُونُ نَاكِتًا أَوْ حَازًا

(١) التبريزي: «التغلبي»، من ثعلبة بن سعد بن ذبيان.

(٢) التبريزي: «مبينة عتي».

أو ضاغطاً أو ناقراً؛ وذلك عيبٌ يمنع من إدامة السير. فيقول على وجه التمني: هل أراني راكباً ناقّةً توصلني إلى هذه المرأة، نشيطة طريّة، وتطرّح عني ثقل همّ أزاوله وأدافعه، وهي تُلَازِمُني بالليل ولا تُفارقني. وهذه الناقّة لها شواهدٌ تُوجبُ عتقها وكرمها، من حُسن الخدِّ والمِرْقِ المتجانفِ عن الزور.

٣ - مُطَارَة قَلْبٍ إِنْ ثَنَى الرَّجُلَ رُبُّهَا بِسَلَمٍ غَزَزَ فِي مُنَاحٍ تُعَاجِلُهُ
هذا يرجعُ إلى صفة الناقّة، والمراد أنّها ذكيّة الفؤاد، شهمة النفس، فكان بها لنشاطها وذكاؤها جنوناً أطار قلبها، وأزال مُسكّتها. وقوله: «إِنْ ثَنَى الرَّجُلَ رُبُّهَا» جوابُ الشَّرْطِ فيه قوله: «تُعَاجِلُهُ» وأصله تُعَاجِلُهُ، اللام ساكنة للجزم، ولكنه نُقِلَ إليها حركة الهاء، وهو ضمير يرجع إلى «رُبُّهَا». ومثله قولُ طرفة: [المديد]
لو أَطِيعُ النَّفْسَ لَمْ أَرِمُهُ^(١)

يريد: لم أَرِمُهُ، فنَقَلَ. والمعنى: أنّها لخفتها وحَدَّتْها، متى همّ صاحبها بركوبها فثَنَى رجلها، أي غطف بعَازِزِها الذي هو كالسَلَمِ، وهو الرُّكَّاب، عاجلته فنَهَضَتْ به قبل تمكُّنه مِنْ رُكوبها، واستقراره على ظَهرها.

وقد سلك هذا المسلك ذو الرُّمّة في البائية التي أوَّلُها: [البسيط]

ما بال عينك منها الماء يُنْسَكِبُ^(٢)

حُدِّثُ عن الكِسْرَوِيِّ عَلِيِّ بْنِ مَهْدِيٍّ الإصْهَنْيِّ عن شيوخه، أنّ ذا الرُّمّة أنشد هذه القصيدة كَثِيرَ عَزّة، فلما انتهى إلى قوله: [البسيط]

حَتَّى إِذَا مَا اسْتَوَى فِي عَزَزِهَا تَثِيبُ^(٣)

قال له: أهلك والله راكبها، هَلَّا قَلْتَ كما قال الرّاعي: [المتقارب]

تَرَاهَا إِذَا قُمْتَ فِي عَزَزِهَا كَمِثْلِ السَّفِينَةِ أَوْ أَوْقَرُ^(٤)

(١) عجز بيت لطرفة في ديوانه ص ١٦، صدره:

«حَابِسِي رَسْمٌ وَقَفْتُ بِهِ»

(٢) هذا صدر بيت لذي الرمة في ديوانه ٩، واللسان (سرب، غرف، عجل)، وجمهرة أشعار العرب ٩٤٢، وعجزه:

«كَأَنَّهُ مِنْ كَلَى مَغْرِبَةِ سَرِبٍ»

(٣) هذا عجز بيت لذي الرمة في ديوانه ٤٨، والكتاب ٣: ٦٠، واللسان (عجل، صفا)، صدره:

«تَصْنِي إِذَا شَدَّهَا بِالْكُورِ جَانِحَةً»

(٤) للرّاعي النعميري في ديوانه ١٠٣، واللسان (طبق، عجل).

فهذا ما رُوِيَ لنا. وقد ذكر الرّاعي في موضع آخر، فقال: [الكامل]

وَكَاَنَ رِيْضُهَا إِذَا يَاسَرَتْهَا كَانَتْ مُعَاوِدَةَ الرَّحِيلِ دَلُولًا^(١)

وَحِكْيِي لِي أَنَّ سَعِيدَ بْنَ سَلَمَ الْبَاهِلِيَّ، قَالَ: قرأنا هذه القصيدة على الأصمعي من شعر الرّاعي، فلما انتهينا إلى البيت رواه:

وَكَاَنَ رِيْضُهَا إِذَا يَاسَرَتْهَا

فقلت: ما معنى «ياسرتها»؟ قال: ركبته، من المباشرة. فسألنا ذلك أبا عبيدة عنه، فقال: صحف والله، إنما هو «إذا ياسرتها» أي: لم أعارها ولم أقتسرها، ومثله قوله: [الطويل]

إِذَا يُوسِرَتْ كَانَتْ وَقُورًا أَدِيبَةً وَتَخْسِبُهَا إِنْ غُوسِرَتْ لَمْ تُوَدِّبْ

٤ - يُبَارِي بِهَا الْقَوَدَ التَّوَافِخَ فِي الْبُرَى قَلِيلُ التُّزُولِ أَغْيَدُ الْخَلْقِ عَاطِلُهُ

٥ - مُرَاجِعُ نَجْدٍ بَعْدَ فِرْكَ وَبِغْضَةٍ مُطْلَقُ بُضْرَى أَضْمَعُ الْقَلْبِ جَافِلُهُ

يقول: يعارض بهذه الرّاحلة التي وصفتها رواحل طوال الأعناق، تنفخ في برّها لنشاطها، رجل قليل التزول عنها، ناعم الخلق عاطله، يعني نفسه، أي أنه يجد في السير ويديمه. وقوله: «مرجع نجد»، أي: أنه بعد أن فارق نجدًا وأبغضه لخلوه من حبيبه يريد أن يراجع ويتقل عن بضرى - وهي قرية بالشّام تطبع فيها السيوف البصرية - ويخليها. ومعنى أطمع القلب: حديده. جافله، أي مسرعه. ويقال: أجفل الظليم وجفل، إذا نشر جناحيه ومرّ يعدو، وكلّ هارب من شيء فقد أجفل عنه. والظليم مُجْفَلٌ وجافل جميعًا. وذكر المراجعة والتطليق، واستعارة للانتقال والتخيلة.

وقد فَعَلَ أبو تمام مثل هذا فقال: [الكامل]

فِيهَا وَطَلَقْتُ السُّرُورَ ثَلَاثًا^(٢)

إلا أن ما قاله هذا الشاعر أحسن، حين رَاجَ التّطليق بالمراجعة. وقوله: «نوافخ في البرى»، النوافخ: المتنفسات نفخًا لنشاطها. والبرى: الخلق التي في

(١) للرّاعي النميري في ديوانه ٢١٨، وأساس البلاغة (روض)، واللسان (روض).

(٢) عجز بيت لأبي تمام في ديوانه ٦٦، صدره:

«أرض خلعت اللهو خلعي خاتمي»

أنوفها. وقوله: «أَغَيْدُ الْخَلْتِي»، أي: منثيه، وعاطله أي يعطّله من الترفه، وَيَقْطِمْه عن النعمة، وكل مُهْمَل متروك فهو معطل وعاطل.

٤٧٦ - وقال عبد الله بن عجلان النهدي^(١): [الطويل]

١ - وَحَقَّةٌ مِنْكِ مِنْ نِسَاءٍ لِبَسْتُهَا شَبَابِي وَكَأْسٍ بَاكَرْتَنِي شَمُولُهَا

٢ - جَدِيدَةٌ سِرْبَالِ الشَّبَابِ كَأَنَّهَا سَقِيَّةٌ بَرَدِي نَمَشَا غُيُولُهَا

قوله: «وَحَقَّةٌ مِنْكِ» كناية عن امرأة جعلها لطيب زياها كظرف منك. ومعنى «لبستها»: تمتعت بها. وقال ابن أحرمر: [الطويل]

لِبَسْتُ أَبِي حَتَّى تَمَلَّيْتُ عَيْشُهُ وَبَلَّيْتُ أَعْمَامِي وَبَلَّيْتُ خَالِيَا^(٢)

وموضع قوله «شبابي» نصب على الظرف، والمعنى: زَمَنَ شبابي، ومُدَّة شبابي. والمصادر تُخَذَفُ منها أسماء الزمان كثيرا. وقوله: «وكأس» انعطف على قوله: «وَحَقَّةٌ مِنْكِ» والعامل فيها رُبٌّ، والواو واو العطف، وليست بنائبة عن رُبٍّ، بدلالة أنه لو كان كذلك لوجب أن يُدْخَلَ الحرف العاطف عليه، فيقال: وَوَحَقَّةٌ مِنْكِ. والشُمُولُ: الخمرة التي لها عَصْفَةٌ كَعَصْفَةِ الشُّمَالِ، وقد قيل: هي التي تشتمل على العقل فتَمْلِكُهُ وتَذْهَبُ به.

وقوله: «جديدة سربال الشباب» أدخل الهاء على جديدة، والأكثر أن يقال: مِلْحَفَةٌ جديدةٌ. وطريقة سيبويه فيه أنه صفة مذكرة تَبِعَتْ مؤنثا، وَيُنَوَّى في ذلك المؤنث ما يكون لفظه مذكرا، كأنه يَنَوِي بالملحفة إِزَارًا، وما يجري هذا المجرى. وبعضهم يذهب إلى أنه فعيلٌ في معنى فاعل، فَلَحِقَهُ الهاءُ قياسًا، فهو كظريف وظريفة؛ لأن الفعلَ منه جَدَّ الثوبُ يَجِدُّ جِدَّةً. وبعضهم ذهب إلى أنه فعيل في معنى مفعول، كأن ناسجها جَدَّها قريبا، أي قَطَعَهَا، فلهذا يُسْتَنَكَّرُ إلحاقُ الهاء به. ومعنى: «جديدة سربال الشباب» أنها في عُثْقَانِ شبابها، وأنَّ عليها غَضَارَةَ الحدوث، ونَضَارَةُ النِّشَاءِ، فكأنها سَقِيَّةٌ بَرَدِيٌّ. والسَّقِيَّةُ في معنى مَسْقِيَّةٍ، جعلها اسمًا، فهي كالبِنِيَّةِ

(١) عبد الله بن العجلان: شاعر جاهلي من العشاق المتيّمين، وسيد من سادات قومه، أحب زوجته هنذا وأقامت عنده سبع سنوات ثم أجبره والده على طلاقها لأنها لم تلد فطلقها وتزوجت غيره فمرض ومات أسفاً، (ت نحو ٥٠ ق.هـ/ ٥٧٤م). ترجمته في المبهج ٥٥، ومصارع العشاق ٢٣٣، وتزيين الأسواق ١: ٨٥، والأغاني ١٩: ١٠٢.

(٢) لابن أحرمر في ديوانه ١٦٨، واللسان (بلا).

واللقطة. وشبَّهها بها لزيادة خِلْقَتها وحُسن بِنيتها، أَلَا تَرَى أَنَّهُ قَالَ: «نَمَتْهَا عُيُولُهَا»،
والْعُيُولُ: جمع الْعَيْلِ، وهو الماء الذي يجري بين الأشجار. وقال الدُّرَيْدِيُّ: الْعَيْلُ:
الماء الذي بين الحجارة في بطن وادٍ. وَالْغَيْلُ، بكسر الغين: الماء يجري بين
الأشجار، وربما سَمَوْا الشَّجَرَ الْمَلْتَفَّ غَيْلاً. وَشَبَّهَ هَذَا قَوْلَ الْآخَرِ: [الكامل]

بَزْدِيَّةٌ سَبَقَ النِّعِيمُ بِهَا أَقْرَانَهَا وَعَلَا بِهَا عَظْمٌ^(١)

وفي طريقته قَوْلُ الْآخَرِ: [مجزوء الكامل]

لَمْ تَلْتَفِتْ لِلدَّائِيهَا وَمَضَتْ عَلَى غُلَوَائِهَا^(٢)

وإنما يكون ذلك من نتائج الترفه، ولوائح النعمة. وقد ظهر معنى البيتين بما
ذكرته؛ لآته تَبَجَّحَ بتعاطيه الصُّبا واللَّهْو، وشَرِبَ الخمر مدَّة الصُّبا وأَيَّامَ الشباب.

٣ - وَمُخْمَلَةٌ بِاللَّحْمِ مِنْ دُونَ ثَوْبِهَا تَطُولُ الْقِصَارَ وَالطُّوَالَ تَطُولُهَا

٤ - كَانَ دِمَقْسًا أَوْ فُرُوعَ غَمَامَةٍ عَلَى مَثْنِهَا حَيْثُ اسْتَقَرَّ جَدِيلُهَا^(٣)

قوله: «وَمُخْمَلَةٌ» من جملة صفاتها وإن عطفَتْها بالواو، فعلى هذا لك أن تقول:
مررتُ برجلٍ فاضلٍ عاقلٍ أديب، وأن تقول: برجلٍ فاضلٍ وعاقلٍ وأديب.

ومعنى: «وَمُخْمَلَةٌ» أَنَّ أَعْضَاءَهَا تَسَاوَتْ فِي رُكُوبِ اللَّحْمِ إِيَّاهَا، وَظَهَرَ السَّمَنُ
وَالْبَذَنُ عَلَيْهَا، فَكَأَنَّ اللَّحْمَ جُعِلَ خَمَلًا لَهَا. وفائدة «مِنْ دُونَ ثَوْبِهَا» أَنَّهَا مِلْءٌ دِرْعِهَا،
فَهِىَ سَمِينَةُ الْمُعَرَّى. وإلى هذا أشار الأعشى في قوله: [البسيط]

صِفْرُ الْوَشَاحِ وَمِلْءُ الدَّرْعِ بَهْكَنَةً^(٤)

وقوله: «تَطُولُ الْقِصَارَ»، يريد: أَنَّهَا رُبْعَةٌ، فَإِذَا حَصَلَتْ فِي الْقِصَارِ طَالَتْهُنَّ،
وَإِذَا حَصَلَتْ فِي الطُّوَالَ طُلَّتْهَا يُشِيرُ إِلَى التَّوَسُّطِ الَّذِي هُوَ الْمُخْتَارُ فِي كُلِّ عَقْلِ،

(١) للمخيل السعدي في المفضلية رقم (٢١).

(٢) لعبيد الله بن قيس الرقيات في ديوانه ١٧٦، واللسان (غلو).

(٣) بعده عند التبريزي:

«وَأَبْيَضُ مَنْقُوفٍ وَزِقٌ وَقِينَةٌ وَصِهْبَاءُ فِي بَيْضَاءٍ بِإِذِ حَجُولِهَا
إِذَا صُبَّ فِي الزَّارُوقِ مِنْهَا تَصَوَّعَتْ كُمَيْتٌ يُلِذُّ الشَّارِبِينَ قَلِيلُهَا»

(٤) للأعشى في ديوانه ص ١٠٥، واللسان (خزل)، وأساس البلاغة (خزل). وعجزه:

«إِذَا تَقَوْمُ يَكَادُ الْخَصْرُ يَنْخَزِلُ»

ولذلك قيل: «خَيْرَ الْأُمُورِ أَوْسَاطُهَا»، وَلَآئِذَا غُلُوَ وَالْإِفْرَاطُ مَذْمُومَانِ، كَمَا أَنَّ الْقُصُورَ وَالتَّفْرِيطَ مَذْمُومَانِ. وَ«تَطُولُ» فِي الْبَيْتِ مُعَدَّى، لِأَنَّهُ بِمَعْنَى تَغْلِبُ فِي الطَّوْلِ، فَهُوَ مِنْ طَاوُلَتْهُ فَطُلَّتْهُ.

وقوله: «كَأَنَّ دِمَقْسًا أَوْ فُرُوعَ غَمَامَةٍ»، الدِّمَقْسُ: الْحَرِيرُ الْأَبْيَضُ. وَفُرُوعُ الْغَمَامَةِ، أَشَارَ إِلَى أَطْرَافِهَا وَجَوَانِبِهَا وَالشَّمْسُ تَحْتَهَا؛ لِأَنَّ تِلْكَ الْأَطْرَافَ بِشُعَاعِ الشَّمْسِ تُشْرِقُ أَبَدًا. وَالْمَعْنَى: أَنَّهَا لَيْتَنَ الْمَجَسُّ بَرَاقَةُ اللَّوْنِ، كَأَنَّ الْحَرِيرَ وَأَطْرَافَ غَمَامَةٍ اسْتَكْنَتْ الشَّمْسُ تَحْتَهَا عَلَى مَثْنِهَا. وَقوله: «حَيْثُ اسْتَقَرَّ جَدِيلُهَا» تَخْصِيصٌ لِمَا عَمَّهُ قَوْلُهُ: «عَلَى مَثْنِهَا». وَالْجَدِيلُ: هُوَ الْوِشَاحُ، وَمَا تَشَدُّهُ الْمَرْأَةُ فِي حَقْوِهَا مِنَ الْأَدَمِ الْمَضْفُورِ، وَلَيْسَ هَذَا مِنْ عَادَاتِ الْعَرَبِ. وَإِذَا كَانَ مِنْ لَوْنَيْنِ فَهُوَ الْبَرِيمُ، وَهَذَا يُشَدُّ فِي أَحْقَى الصَّبِيَانِ يُدْفَعُ بِهِ الْعَيْنُ.

٤٧٧ - وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الدُّمَيْنَةِ الْخَثْعَمِيُّ^(١): [الطويل]

١ - وَلَمَّا لَحِقْنَا بِالْحُمُولِ وَدُونَهَا خَمِيصُ الْحَشَا تُوهِي الْقَمِيصَ عَوَاتِقَهُ

٢ - قَلِيلُ قَذَى الْعَيْنَيْنِ نَعْلَمُ أَنَّهُ هُوَ الْمَوْتُ إِنْ لَمْ تُلَوْ عَنَّا بِوَاتِقِهِ^(٢)

قوله: «وَلَمَّا لَحِقْنَا» جَوَابُهُ مَا دَلَّ عَلَيْهِ الْبَيْتُ الثَّلَاثُ، وَهُوَ «عَرَضْنَا»، وَأَرَادَ بِالْحُمُولِ الطَّعْنَ وَأَتَقَالَهَا. وَقوله: «وَدُونَهَا خَمِيصُ الْحَشَا»، يَرِيدُ: قِيَمَهُنَّ، فَيَقُولُ: لَمَّا دَعَانَا الشَّرْقُ إِلَى الْلُحُوقِ بِالطَّعْنَ بَعْدَ تَشْيِيعِنَا لَهَا، وَإِلَى تَجْدِيدِ الْعَهْدِ بِهَا، فَأَدْرَكْنَاهَا وَدُونَهَا رَجُلٌ قَلِيلُ اللَّحْمِ عَلَى بَدَنِهِ، لَطِيفُ طَيِّ الْبُطْنِ، مَدِيدُ الْقَامَةِ، حَتَّى إِنَّ عَوَاتِقَهُ، وَهِيَ التَّوَّاحِي مِنْ عَاتِقَي الْإِنْسَانِ، تَكَادُ أَنْ تُوهِيَ قَمِيصَهُ، وَهَذَا مِمَّا تَمْتَدِّحُ بِهِ الْعَرَبُ؛ لِأَنَّ السُّمْنَةَ عِنْدَهُمْ مَذْمُومَةٌ.

وَقَدْ كَشَفَ عَنْ هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُ الْآخَرِ: [الطويل]

دَتَى لَا يُرَى قَدْ الْقَمِيصِ بِخَصَرِهِ وَلَكِنَّمَا تُفَرِّي الْقَرِيَّ مَنَاكِبُهُ

وقوله: «قَلِيلُ قَذَى الْعَيْنَيْنِ» يَصِفُ امْتِعَاضَهُ وَقَلَّةَ صَبْرِهِ عَلَى دَرَنِ الْعَارِ. وَيَقَالُ: فَلَانٌ لَا يُغْضِي عَلَى قَذَى، إِذَا لَمْ يَحْتَمِلْ ضَيْمًا. وَقوله: «نَعْلَمُ أَنَّهُ هُوَ الْمَوْتُ» يَصِفُهُ بِشِدَّةِ الْحَمِيَّةِ عِنْدَ غَضَبِهِ، وَأَنَّ نَارَهُ لَا يُضْطَلَّى بِهَا إِذَا غَارَ عَلَى حُرْمِهِ. وَالْمَعْنَى: أَنَّا

(١) سَبَقَتْ تَرْجُمَتُهُ فِي الْحِمَاسِيَةِ رَقْمَ (٤٥٦).

(٢) التَّبْرِيزِيُّ: «يَعْلَمُ أَنَّهُ هُوَ الْمَوْتُ إِنْ لَمْ تُضَرَّ...».

مع تعرضنا له نخذره مخافة أن يخمى، لتحققنا أن شره لا يُقام له إذا سطا. والبواقي: جمع بائقة، وهي الخصلة المنكرة في شمولها، فيقال: باقتهم بائقة. والبوقة: الدفعة الشديدة من المطر منه. قال رؤبة: [الرجز]

من بأكبر الوسمي نضاح البوق^(١)

وقوله: «تَلَوْ عَنَّا» أي: تُضَرَف. ويروى «تَلَوْ عَنَّا» من الإلقاء.

٣ - عَرَضْنَا فسلَمْنَا فسلَمَ كَارِهًا علينا وتَبَرَّجَ من الغيظ خَانِقُهُ

٤ - فسَايَرْتُهُ مِقْدَارَ مِيلٍ وَلِيَتَنِي بكُزْهِي له ما دام حَيًّا أَرَاقُهُ

يقول: لَمَّا لَجِئْنَا بِالطَّعَائِنِ عَرَضْنَا لَهُنَّ، وَسَلَمْنَا عَلَى قِيَمِهِنَّ وَالْمَحَامِي دُونَهُنَّ، فَأَجَابَنَا جَوَابَ الْكَارِهِ لَنَا، وَالْمُنْكَرِ لِتَسْلِيمِنَا، قَدْ خَنَقَهُ غَيْظٌ مُبَرَّجٌ. ويقال: لَجِئْتُهُ وَلَجِئْتُ بِهِ. وَانْتَصَبَ «كَارِهًا» عَلَى الْحَالِ. وَالتَّبَرُّجُ: التَّشْدِيدُ. وَيُقَالُ: بَرَّحَ بِي كَذَا وَكَذَا، وَمِنْهُ قَوْلُ الْأَعَشَى: [المقارب]

أَبْرَخْتُ رَبًّا وَأَبْرَخْتُ جَارًا^(٢)

ويقال: هو في بَرَّحَ مِنَ الشُّوقِ بَارِحٌ. وقوله: «خَانِقُهُ» يريد أنه امتلأ صدره من الغيظ فارتقى إلى ما هو فوقه حتى خنقه.

وقوله: «فسَايَرْتُهُ مِقْدَارَ مِيلٍ» انتصب مِقْدَارَ عَلَى الظَّرْفِ. ومعنى: سَايَرْتُهُ صَاحَبْتُهُ فِي السَّيْرِ، ثُمَّ قَالَ: وَلِيَتَنِي أَرَاقُهُ مَا دَامَ حَيًّا، عَلَى كُزْهِ مَنِي؛ لِأَنَّهُ اسْتَطَابَ صَحْبَتَهُ لَمَّا لَهُ مِنَ اللَّذَازَةِ فِي النَّظَرِ إِلَيْهِنَّ، وَاسْتَكْرَهُ الْكَوْنَ مَعَهُ لَمَّا يَخَافُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْهُ، إِلَّا أَنَّهُ غَلَبَ الْاِلْتِذَاذُ. وَ«وَمَا دَامَ حَيًّا» انتصب عَلَى الظَّرْفِ، وَ«أَرَاقُهُ» فِي مَوْضِعِ خَبَرٍ لَيْتَ. وَقَوْلُهُ: «بِكُزْهِي لَهُ» نَصَبَ عَلَى الْحَالِ، وَالْعَامِلُ فِيهِ أَرَاقُهُ.

٥ - فَلَمَّا رَأَتْ أَنْ لَا وَصَالَ وَأَنَّهُ مَدَى الصُّرْمِ مَضْرُوبٌ عَلَيْنَا سَرَادِقُهُ

٦ - رَمَتْنِي بِطَرْفٍ لَوْ كَمِيتَا رَمَتْ بِهِ لَبَلٌ نَحِيجًا نَخْرُهُ وَبَنَائِقُهُ

٧ - وَلَنَحِ بِعَيْنَيْهَا كَأَنَّ وَمِیْضُهُ وَمِیْضُ الْحَيَا تُهْدَى لِتَجْدِ شَائِقُهُ

(١) لرؤية في ديوانه ١٠٥، واللسان (بوق)، وكتاب العين ٢٢٨:٥.

(٢) للأعشى في ديوانه ٩٩، وخزانة الأدب ٢٠٢:٣، وسمط اللآلي ٣٨٨، واللسان (برح)، وصدرة:

قوله: «أَنْ لَا وَصَالَ» أَنْ فِيهِ مَخْفَقَةٌ مِنْ أَنَّ الثَّقِيلَةَ، يَرِيدُ أَنَّهُ لَا وَصَالَ. أَلَا تَرَى أَنَّهُ عَطَفَ عَلَيْهِ، وَ«أَنَّهُ مَدَى الصُّرْمِ»، وَوَصَالَ انْتَصَبَ بِلَا، وَخَبِرَهُ مَحذُوفٌ؛ كَأَنَّهُ قَالَ: لَا وَصَالَ بَيْنَنَا. وَالْجُمْلَةُ فِي مَوْضِعِ خَبَرِ أَنْ، وَالضَّمِيرُ فِي أَنَّهُ الْأُولَى وَالثَّانِيَةُ ضَمِيرُ الْأَمْرِ وَالشَّأْنِ. وَقَوْلُهُ: «مَدَى الصُّرْمِ» فِي مَوْضِعِ الْإِبْتِدَاءِ، وَ«مَضْرُوبٌ عَلَيْنَا» خَبَرُهُ. وَسَرَادِقُهُ ارْتَفَعَ بِمَضْرُوبٍ، لِأَنَّهُ قَامَ مَقَامَ الْفَاعِلِ.

وقوله: «زَمَنْتَنِي بِطَرْفٍ» جَوَابُ لَمَّا، كَأَنَّهُ لَمَّا تَأَمَّلْتَ حَالَهُ فِي مُسَايَرَتِهِ، وَضِيقَ الْوَقْتِ عَنْ مَجَادَبَتِهِ، لَمَّا كَانَ يَحُولُ بَيْنَهُمَا مِنْ مَرَاقَبَتِهِ، ثُمَّ رَأَتْ تَغِيظُ الرَّقِيبَ وَكَرَاهِيَتَهُ، مَعَ مَعْرِفَتِهَا بِنَتَائِجِ ضَجَرِهِ، نَظَرَتْ إِلَى الشَّاعِرِ نَظَرَ إِنْكَارٍ اسْتَدَلَّ مِنْهُ عَلَى ضَلَالِهِ فِيمَا يَأْتِيهِ، وَسُوءِ تَوْفِيقِهِ فِيمَا يُلْحَقُ فِيهِ، فَكَأَنَّهُ رَمَتْهُ بِسَهْمٍ لَوْ لَمْ يَكُنْ نَظَرًا، بَلْ كَانَ سَهْمًا رُمِيَ بِهِ شُجَاعٌ فِي مَعْرَكَةٍ، لِأَصِيبَ مَقْلُهُ، فَكَانَ يَبْتَلُ نَحْرَهُ، وَبَنَائِقُ قَمِيصِهِ نَجِيعًا. وَالنَّجِيعُ: دُمُ الْجَوْفِ. وَيُقَالُ: تَنْجَعُ بِهِ، أَيِ تَلَطَّخَ.

وقوله: «وَلَمَحَ بَعِينِيهَا»، انْعَطَفَ عَلَى قَوْلِهِ بِطَرْفٍ. وَاللَّمَحُ: النَّظَرُ، وَيَسْتَعْمَلُ فِي الْبَرَقِ وَالْبَصَرِ. وَكَذَلِكَ الطَّرْفُ هُوَ النَّظَرُ هُنَا، كَأَنَّ الرُّمْيَ بِالطَّرْفِ كَانَ إِنْكَارًا مِنْهَا. وَاللَّمَحُ بِالْعَيْنَيْنِ مُوَاعِدَةٌ وَتَوْجِيهَةٌ بِجَمِيلٍ بَعْدَ تَعَذُّرِ الْمَطْلُوبِ: وَالْوَمُضُ وَالْوَمِضُ: اللَّمَعُ. وَأَوَمَضَتْ لَهُ فَلَانَةٌ بَعِينِيهَا، إِذَا بَرَقَتْ. لِذَلِكَ شَبَّهَ وَمِضَ لَمَحَهَا بِوَمِضِ الْحَيَا، وَهُوَ الْغَيْثُ الْمُخَيِّي لِلْأَرْضِ وَأَهْلِهَا وَقَدْ هُدِيَتْ أَيِ أَزِيدَتْ شَقَائِقَهُ، وَهِيَ قِطْعٌ سَحَابِهِ لَنَجْدٍ؛ كَأَنَّهُ جَعَلَهَا قَاتِلَةً فِي رَمِيهَا، مُحْيِيَةً بِلَمَحِهَا. وَالشَّقِيقَةُ: الْبَرَقَةُ إِذَا اسْتَطَارَتْ فِي غُرُضِ السَّحَابِ وَتَكَشَّفَتْ أَيْضًا.

٤٧٨ - وَقَالَ أَبُو الطَّمْحَانِ الْقَيْنِيُّ^(١): [الطويل]

- ١ - أَلَا عَلَّلَانِي قَبْلَ صَدْحِ النَّوَاحِ وَقَبْلَ ارْتِقَاءِ النَّفْسِ فَوْقَ الْجَوَانِحِ^(٢)
 - ٢ - وَقَبْلَ غَدٍ يَا لَهْفَ نَفْسِي عَلَى غَدٍ إِذَا رَاحَ أَصْحَابِي وَلَسْتُ بِرَائِحِ
- يُزَوَّى «يَا لَهْفَ نَفْسِي مِنْ غَدٍ». وَالصَّدْحُ: شِدَّةُ صَوْتِ الدَّيْكِ وَالْغَرَابِ وَغَيْرِهِمَا. وَالصَّيْدِجِيُّ: الشَّدِيدُ الصَّوْتِ. وَالْجَوَانِحُ: ضُلُوعُ الصَّدْرِ. وَارْتِقَاءُ النَّفْسِ

(١) أَبُو الطَّمْحَانِ الْقَيْنِيُّ: أَحَدُ بَنِي الْقَيْنِ مِنْ قَضَاعَةِ شَاعِرِ فَارَسٍ مَعْمَرٍ، عَاشَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَأَدْرَكَ الْإِسْلَامَ وَأَسْلَمَ وَلَمْ يَزِ النَّبِيَّ. (ت نحو ٣٠ هـ / ٦٥٠ م). تَرْجَمْتُهُ فِي الْأَغَانِي ١١: ١٢٥، وَالْإِصَابَةُ ١: ٣٨١، وَالشَّعْرُ وَالشَّعْرَاءُ ١٤٥.

(٢) التَّبْرِيزِيُّ: «قَبْلَ نَوْحِ النَّوَاحِ».

فَوَقَّهَا، كما يقال: بلغت نفسه التراقي، فيقول: عَلَّلَانِي بِالْمَقْتَرَحِ عَلَيْكُمَا قَبْلَ أَنْ أَمُوتَ
فَتَقَوْمَ النَّوَائِحِ عَلَيَّ يَنْدُبُنِي، وقبل مِيقَاتِ أَجْلِي، وَأَوَانِ تَخْلُفِي عَنْ أَصْحَابِي وَقَدْ رَاحُوا
عَنِّي، لِنُزُولِ الْقَدَرِ الْمَقْدُورِ بِي.

فإن قيل: كيف قدم ذكر صَدَحِ النَّوَائِحِ على ذكر الموت، وإنما يكون بعده؟
قلت: إن العطفَ بالواو لا يوجب ترتيبًا، أَلَا تَرَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: ﴿وَأَسْجُدِي
وَآزْكِي﴾ [آلِ عِمْرَانَ: الآية ٤٣]، وَالرُّكُوعَ قَبْلَ السُّجُودِ فِي تَرْتِيبِ أَفْعَالِ الصَّلَاةِ.

وقوله: «إِذَا رَاحَ أَصْحَابِي»، يجوز أن يكون إِذَا فِي مَوْضِعِ الْخَبَرِ بَدَلًا مِنْ غَدٍ،
وَالْبَدَلُ إِذَا جَاءَ مُؤَكَّدًا لِلْمُبْدَلِ مِنْهُ وَمِفْضَلًا جُمْلَةً قَدْ لَا يَسْتَغْنِي عَنْ الْمُبْدَلِ مِنْهُ، وَإِذَا
كَانَ كَذَلِكَ فَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَقُولَ: مِنْ شَرَطِ الْبَدَلِ أَنْ يُلْقَى الْمُبْدَلُ مِنْهُ وَيُجْعَلَ هُوَ
مَكَانَهُ، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ لَمْ يَجْزُ أَنْ يَلِيَّ إِذَا الْعَامِلِ فِي غَدٍ، وَهُوَ «عَلَى» أَوْ «مِنْ» فِي
الرَّوَابِيتَيْنِ جَمِيعًا. عَلَى أَنَّ أَبَا الْعَبَّاسِ قَدْ جَوَّزَ وَقَوَّعَ إِذَا فِي مَوْضِعِ الْمَجْرُورِ وَالْمَرْفُوعِ.
وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ نَصَبًا بَدَلًا مِنْ مَوْضِعِ «مِنْ غَدٍ» أَوْ «عَلَى غَدٍ» الْعَامِلِ وَالْمَعْمُولِ فِيهِ
جَمِيعًا، لِأَنَّ مَوْضِعَهُمَا نَصَبٌ عَلَى الْمَفْعُولِ مِمَّا دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: «يَا لَهْفٍ نَفْسِي»،
وَهُوَ: أَتْلَهْفُ مِنْ غَدٍ.

وإنما جاز أن يُودَعَ البيتين باب النسيب لِرَقَّتِهِمَا وَلِأَنَّ الْمُتَعَلِّلَ بِهِ كَانَ لَذَّةً مِنَ
اللَّذَاتِ، وَهَذِهِ عَادَتُهُ فِي أَبْوَابِ اخْتِيَارِهِ.

٤٧٩ - آخر^(١): [الطويل]

- ١ - هَلِ الْوَجْدُ إِلَّا أَنَّ قَلْبِي لَوْ دَنَا مِنْ الْجَمْرِ قَبْدَ الرُّمَحِ لَاخْتَرَقَ الْجَمْرُ
- ٢ - أَفَبِي الْحَقُّ أَنِّي مُغْرَمٌ بِكَ هَائِمٌ وَأَنْتَ لَا خَلَّ هَوَاكِ وَلَا خَمْرُ^(٢)
- ٣ - فَإِنْ كُنْتُ مَطْبُوبًا فَلَا زِلْتُ هَكَذَا وَإِنْ كُنْتُ مَسْخُورًا فَلَا بَرَأَ السُّخْرُ

قوله: «هل الوجد» استفهامٌ لفظه ومعناه التَّفْهِي، بِدَلَالَةِ وَقَوَّعَ إِلَّا بَعْدَهُ، كَأَنَّهُ
قَالَ: مَا الْوَجْدُ، أَوْ لَيْسَ الْوَجْدُ إِلَّا هَذَا الَّذِي بِي، وَهُوَ أَنَّ قَلْبِي لَوْ قَرَّبَ مِنَ الْجَمْرِ
حَتَّى لَا يَكُونَ بَيْنَهُمَا إِلَّا قَدْرُ رَمَحٍ لَغَلَبَ نَارُهُ نَارَ الْجَمْرِ، وَكَانَ الْجَمْرُ يَحْتَرِقُ. وَقَوْلُهُ:

(١) البيت الأول في الحماسة البصرية ٢: ٢٠٨ لقائد بن المنذر القشيري، والبيت الثاني في شرح
التصريح ١: ٣٣٩، وخزانة الأدب ١: ٢٧٤، والثالث في مقاييس اللغة (طب) بلا عزو.
(٢) التبريزي: «لا خلّ لدي».

«الوجد» مبتدأ وخبره إلا مع ما بعده. وانتصب «قيد الرُوح» على الظرف. ويقال: بيني وبينه قاب قوس، وقيد رُوح، وغلوة سهم. وحكى بعض أهل التفسير في قوله تعالى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ [النجم: الآية ٩]، أن لكل قوس قابين، وهو ما بين المقبض والسبيّة، وأهل اللغة على ما قدمته.

وقوله: «أفي الحق أني مُغرّم بك هائم»، فالمغرّم: الذي قد لزمه الحب، يقال: حبه غرام، أي لا تقصّي منه. ومنه عذاب غرام. والهائم: المتحير. والهيام كالجنون من العشق، ومنه المهيم: الذي يهذي بالشيء ويكثر ذكره. والمعنى: أنه لا يدخل في الحق ووجوهه، وأنواع قسمه أن يكون حبي لك غراماً، وحُبك لا يرجع إلى معلوم، ولا يخلص على حدّ محصور. ويقال: ما هو بخُل ولا خمر، والمعنى: أنه ليس بشيء يخلص ويتين.

وقوله: «فإن كنت مطبوباً»، فالطبّ: السحر والعلم جميعاً، وهو طبّ، أي عليم. وفي الحديث: «حين طبّ» أي: سحر، وهو مطبوب، أي مسحور. ومعنى البيت: إن كان الذي بي وأقاسيه داءً معلوماً يُعرف دواؤه، فلا فارقتي فإني ألتدّ به - وهذا هو الفتيانيّة في الهوى، والتجلّد على البلاء - وإن كنت مسحوراً، يريد: وإن كان الذي بي لا يُعلم ما هو، وأغيا الوقوف عليه الأطباء، والعلماء بالأدواء، حتى يسلم للسحر فلا فارقتي أيضاً. وإنما قال هذا من عادة العامة، لأنهم كذا يعتقدون في الأوصاب والجلل، ولا يجوز أن يكون معنى (مطبوباً) مسحوراً، لأنه يصير الصدر والعجز لمعنى واحد.

٤٨٠ - آخر^(١): [الطويل]

١ - تشكّي المُحبّون الصُّبابَة لِيَتَنِي تحمّلتُ ما يَلْقَوْنَ من بينهم وَخِدي
٢ - وكانت لِنَفْسِي لَذَّةُ الحُبِّ كُلِّها فلم يَلْقَها قَبْلِي مُحِبٌّ ولا بَغْدي^(٢)

هذا كلام من تجلّد في الهوى وادّعى التلذّد به وإن برّح به وأثر فيه، فيقول: شكا المُحبّون جنائيّة الصُّبابَة عليهم، وجريرة العشق لديهم، وبودّي أني تحمّلت أعباءها كُلّها وحدي، وخلص للصبّر فيها ولها عفوي وجهدي، وكانت نفسي تنال لذة

(١) في معجم الأدباء ٣: ١٩٣ لابن قم الزبيدي وهو الحسين بن علي بن محمد، ولأبي تمام في روضة المحبين ٢٤، ١٦٦، ١٧٣، وبلا نسبة في الظرف والظرفاء ٣٣٢.

(٢) التبريزي: «فكانت».

مجموعها ومفرّقها، وتنفرّد بمكابدة مجهولها ومعرفّها، فأفورّ بادّعائها، وتسقط المشاركة بيني وبين أربابها ممّن سبقني لتقدّم زمانه، أو تأخّر عني لتأخّر ميلاده.

٤٨١ - وقال شبرمة بن الطفيل^(١): [الطويل]

١ - ويؤمّ شديد الحرّ قصّر طوله دَمَ الرُّقِّ عَنَّا واصطكاكَ المَزَاهِرِ^(٢)

٢ - لَدُنْ غُدُوَّةٍ حَتَّى أَرْوَحَ، وَصُخْبَتِي عَصَاةٌ عَلَى النَّاهِيْنَ شُمُ الْمَنَاجِرِ

٣ - كَانَ أَبَارِيقُ الشُّمُولِ عَشِيَّةً إِرْزٌ بِأَعْلَى الطُّفِّ عَوُجُ الْحَنَاجِرِ

قوله: «ويؤمّ» انجزّ بإضمار رُبّ، وجوابه قصّر طوله. يقول: رُبّ يؤمّ من أيام الصيف شديد الحرّ، جعل طوله قصيرا، ما اشتغلنا به فيه من الشرب والقصف. وأراد بدم الرُّقِّ: الخمر. واصطكاك المزاهر: مدافعة أوتار البزيط بعضها لبغض بالضرب. ويقال: ازدهر الرُّجُل، إذا فَرِحَ، فيجوز أن يكون العود سُمِّيَ مزهرا منه.

وقوله: «لَدُنْ غُدُوَّةٍ»، انتصب غُدُوَّةٌ عن النون من لَدُنْ، ولا ينتصب به غيره، فهو شاذٌّ. والمعنى: باكّرنا الشُّرب، فلمّا رُحْنَا كان أصحابي قد سَكِرُوا واكتَسَبُوا كِبْرًا وَتَبَلًّا، وَدَهَابًا عَمَّا يُشِيرُ بِهِ النَّاهِي وَالْمُسَدَّد.

وقوله: «كَانَ أَبَارِيقُ الشُّمُولِ عَشِيَّةً» شَبَّهَ أَوَانِي الخَمْرِ وقد فُرِّغَتْ وأُمِيلَتْ بطيور ماء اجتمعت عشيّة بأعلى السَّاحِلِ، معوّجة الحناجر والحلوق.

وأدخل هذه القطعة في باب التسيب لرفقتها ودلالاتها على اللّهُو والخسارة.

٤٨٢ - وقال جابر بن ثعلب الجرمي^(٣): [الطويل]

١ - وَمُسْتَخْبِرٍ عَنْ سِرِّ رِيَا رَدَدْتُهُ بِعَمَيَاءٍ مِنْ رِيَا بِغَيْرِ يَقِينِ

٢ - فَقَالَ انتصِخِنِي إِنِّي لَكَ نَاصِحٌ وَمَا أَنَا إِلَّا خَبْرَتُهُ بِأَمِينِ

يروى: «انتصخني إنني ذو أمانة»، وهذا في كتمان سرّ المحبوب، والمحافظة على الدّمام والحرم. يقول: رُبّ مُسْتَدْرِجٍ لي فيما بين رِيَا وبينِي، طالبٌ للوقوف على المكتوم من أمرها وأمري، رددته عن نفسي بقصّة عمياء لا يُهْتَدَى فيها لمطلوب، ولا

(١) الأبيات لابن الطثرية في الحيوان ٦: ١٧٩، وثمار القلوب ٥٠٢.

(٢) التبريزي: «واصطفاق المزاهر». (٣) التبريزي: «من طئى».

يُرْجَع فِيهَا إِلَى يَقِينٍ، فَلَمَّا لَمْ يُفَكِّهْهُ إِزْرَالِي عَمَّا حَاوَلَهُ قَالَ: انْتَصِخْنِي، أَي: أَذْخِلْنِي فِي أَمْرِكَ، وَأَجْرِنِي مَجْرَى نَصْحَائِكَ، إِنِّي أَمِينٌ لَا دَغْلَ فِي هِمَّتِي، وَلَا خِيَانَةَ فِي شَأْنِي، وَلَوْ خَبَّرْتُهُ بِمَا التَّمَسَّ، وَأَطْلَعْتُهُ عَلَى مَا اسْتَشْرَحَ، كُنْتُ أَنَا غَيْرَ أَمِينٍ، فَكَيْفَ أَصِيرُ مَعَهُ مُؤْتَمَنًا، وَذَاكَ أَنِّي إِنْ بُحْتُ بِسَرِّهَا فَقَدْ ضَيَّعْتُ أَمَانَتَهَا، وَالسَّرُّ إِذَا جَاوَزَ اثْنَيْنِ خَرَجَ مِنْ أَنْ يَكُونَ سِرًّا. ومثل هذا قول جرير: [الكامل]

وَلَقَدْ تَسَقَّطَنِي الْوُشَاءُ فَصَادَفُوا حَصِيرًا بِسَرِّكَ يَا أَمِينٌ ضَنِينًا^(١)

٤٨٣ - وَقَالَ نَفَرُ بْنُ قَيْسٍ^(٢)، وَبَنُو نَفَرٍ رَهْطُ

الطَّرِمَاحُ: [الوافر]

١ - أَلَا قَالَتْ بُهَيْشَةُ مَا لِنَفَرٍ أَرَاهُ غَيَّرَتْ مِنْهُ الدُّهُورُ
٢ - وَأَنْتِ كَذَاكِ قَدْ غَيَّرْتَ بَغْدِي وَكُنْتُ كَأَنَّكَ الشُّغْرَى الْعَبُورُ
كَأَنَّ الْمَرْأَةَ أَزْدَرَتْهُ وَأَنْكَرَتْ شُحُوبَهُ وَهَزَلَتْهُ، وَتَغْيِيرُهُ عَمَّا عَهْدَتْهُ، فَصَرَفَتْ ذَلِكَ إِلَى أَنَّهُ مِنْ مَقْتَضِيَّاتِ الْكِبَرِ، وَمُسَبِّبَاتِ الْقَشْفِ، وَقَالَتْ مُسْتَفْهِمَةً: مَا لِنَفَرٍ أَرَى الْأَيَّامَ أَثَرَتْ فِيهِ، وَالْأَحْدَاثَ أَضَتْهُ وَهَزَلَتْهُ، فَأَجَابَهَا مِنْ طَرِيقِ انْكَارِهَا وَقَالَ: إِنْ كَانَ ذَلِكَ مِنْ عَقَبِ الْأَيَّامِ فَإِنَّهَا لَمْ تَغْفُلْ عَنْكَ وَلَمْ تُهْمَلْ تَغْيِيرَكَ أَيْضًا، فَمَا أَنْكَرْتَهُ مِنِّي مَوْجُودٌ فِيكَ وَظَاهِرٌ عَلَى سَخْنَتِكَ وَلَوْنِكَ، فَقَدْ كُنْتُ كَالشُّغْرَى الْعَبُورِ إِشْرَاقًا وَتَلَالُؤًا، وَقَدْ حَلَّتْ وَتَغْيِيرَتْ. و«الْعَبُورُ» قِيلَ فِيهِ: هُوَ مَنْ عَبَّرَتْ النَّهْرُ، إِذَا جُرَّزَتْهُ. وَقِيلَ: بَلْ هُوَ مَنْ عَبَّرَتْ بِهِ، إِذَا شَقَّقَتْ عَلَيْهِ، كَأَنَّهَا إِذَا طَلَعَتْ تُعَبِّرُ الْمَالَ الرَّاعِيَةَ بِحَرِّهَا، وَإِذَا سَقَطَتْ فَيَبْرِدْهَا. وَقَوْلُهُ: «وَأَنْتِ كَذَاكِ»، الْكَافُ الْأَوَّلَى لِلتَّشْبِيهِ، وَ«ذَا» أَشَارَ بِهِ إِلَى مَا أَنْكَرَتْ مِنْهُ، وَالْكَافُ الْأَخِيرَةُ لِلخُطَابِ وَلَا مَوْضِعَ لَهُ مِنَ الْإِعْرَابِ، فَهُوَ حَرْفٌ.

٤٨٤ - وَقَالَ بُرْجُ بْنُ مُنْهَرٍ^(٣): [الوافر]

١ - وَتَذَمَّانِ يَزِيدُ الْكَاسَ طَيْبًا سَقَيْتُ إِذَا تَعَرَّضْتَ النُّجُومَ^(٤)
٢ - رَفَعْتُ بِرَأْسِهِ وَكَشَفْتُ عَنْهُ بِمُغْرَقَةٍ مَلَامَةً مَنْ يَلُومُ

(١) لجرير في ديوانه ٣٨٧، واللسان (حصر، سقط)، وأساس البلاغة (حصر).

(٢) التبريزي: «نفر: هو جد الطرماح». (٣) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (١٢٢).

(٤) التبريزي: «إِذَا تَغَوَّرَتِ النُّجُومُ».

النَّدْمَانِ والنَّدِيمِ: مَنْ يُنَادِمُكَ عَلَى الشَّرَابِ، ومثله في البناء سَلَمَانٌ وَسَلِيمٌ، وَحَمْدَانٌ وَحَمِيدٌ، وَرَحِمَنٌ وَرَحِيمٌ. ومعنى: «يزيد الكأس طيباً»، أي: بِحُسْنِ عِشْرَتِهِ، وأدبٍ مَجَالَسَتِهِ يزداد شُرْبُ المدام وإدارة الكأس معه لَذَّةً. والمعنى: رُبَّ نَدِيمٍ عَلَى مَا وَصَفْتُهُ سَقِيَّتُهُ إِذَا تَعَرَّضْتَ النُّجُومَ، أي أبدت عُزُضَهَا لِلْغُيُوبِ. ويقال: تَعَرَّضْتُ الْجَبَلَ، أي: أَخَذْتُ يَمِينًا وَشِمَالًا فِيهِ، وَلَمْ أَسْتَقِمْ فِي الصُّعُودِ. قال: [الرجز]

تَعَرَّضِي مَدَارِجًا وَسُومِي تَعَرَّضَ الْجَوَازِءُ لِلنُّجُومِ^(١)

ومعنى قوله: «رفعتُ برأسه» أنبهته من منامه، وأزلتُ عنه ما كان يُدَاخِلُهُ مِنَ الْعَمِّ بِلُومِ اللَّائِمِينَ إِثَاءً عَلَى مَعَاظَةِ الشُّرْبِ وَإِدَامَانِهِ اللَّهْوِ، بَأَن سَقِيَّتُهُ مُغْرَقَةٌ - وَهِيَ الصَّرْفُ مِنَ الْخَمْرِ، وَقِيلَ: هِيَ الْقَلِيلَةُ الْمِزَاجِ. ويقال: تَعَرَّضْتُ الْخَمْرَةَ، إِذَا مَزَجْتَهَا، وَأَعْرَقَهُ السَّاقِي، إِذَا سَقَاهُ مُغْرَقًا. وقوله: «إِذَا تَعَرَّضْتَ النُّجُومَ» يَشِيرُ بِهِ إِلَى الْإِصْطِبَاحِ.

٣ - فَلَمَّا أَنْ تَنَشَّيَ قَامَ خِرْقٌ مِنَ الْفِثْيَانِ مُخْتَلَقٌ هَضُومٌ^(٢)
٤ - إِلَى وَجَنَاءِ نَاوِيَةِ فِكَاسَتْ وَهِيَ الْعُرْقُوبُ مِنْهَا وَالصِّمِيمُ

انْتَشَى وَنَشَى وَتَنَشَّى بِمَعْنَى سَكِرَ. وَالنَّشْوَةُ: السُّكْرُ. وَأَرَادَ بِالْخِرْقِ نَفْسَهُ، وَهُوَ الْكَرِيمُ الْمُتَخَرِّقُ بِالْمَعْرُوفِ. وَالْمُخْتَلَقُ: التَّامُّ الْخَلْقِ. وَالْهَضُومُ، قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: هُوَ الْيَمْنَقُ فِي الشِّتَاءِ، وَقَالَ غَيْرُهُ: هُوَ الْكَرِيمُ الْيَمْنَقُ، كَأَنَّهُ يَهْضِمُ مَا لَهُ بِأَن يُخْرِجَ مِنْهُ أَكْثَرَ مِنَ الْوَاجِبِ فِيهِ. وَالْوَجَنَاءُ، هِيَ النَّاقَةُ الْغَلِيظَةُ الْوَجْنَتَيْنِ، وَقِيلَ: بَلْ هِيَ الصُّلْبَةُ، مَأْخُودٌ مِنَ الْوَجِينِ، وَهِيَ الْأَرْضُ الْغَلِيظَةُ. قَالَ الْخَلِيلُ: وَقَلَّ مَا يَقَالُ لِلْجَمَلِ أَوْجَنٌ. وَالنَّاوِيَةُ: السَّمِينَةُ.

وقوله: «فِكَاسَتْ» اخْتَصَرَ الْكَلَامَ، وَالْمُرَادُ فَعْرَقَبَهَا فِكَاسَتْ. وَالْكَؤُوسُ: الْمَشْيُ عَلَى ثَلَاثِ قَوَائِمٍ. وَأَرَادَ بِالصِّمِيمِ الْعَضْوَ الَّذِي بِهِ الْقَوَامُ؛ يَقَالُ: هَذَا صِمِيمُ الْوُظَيْفِ، وَصِمِيمُ الرَّأْسِ. وَالْعُرْقُوبُ: عَقَبٌ مُوْتَرٌ خَلْفَ الْكَعْبَيْنِ قُوْنُقُ الْعَقَبِ مِنَ الْإِنْسَانِ وَبَيْنَ مَفْصِلِ الْوُظَيْفِ وَالسَّاقِ مِنْ ذَوَاتِ الْأَرْبَعِ. وَعَزَقَبْتُهُ: قَطَعْتَ عَزَقُوبَهُ. وَقَوْلُهُ: «وَهِيَ

(١) لعبد الله ذي البجادين المزني دليل رسول الله ﷺ في اللسان (درج)، والمقاييس (درج).

(٢) التبريزي: «مختلق» بكسر اللام وفسره بأنه الكريم الأخلاق.

العُروْب» إظهارًا للعلة في كَوْسِهَا. والوَهَى: الشَّقُّ والخَرْقُ. وفي المثل: «غَادَرَ وَهْيَةً لَا تُرْفَعُ»، أي: فَتَقَعُ لَا يُطَاقُ إِصْلَاحُهَا وَرَتْقُهَا. والمعنى: لَمَّا أُقِيمَ رَسْمُ الاصْطِبَاحِ، وَانْتَشَى الثَّدْمَانُ، قَامَ هُوَ إِلَى نَاقَةٍ بِهَذِهِ الصِّفَةِ فَعَرَّقَهَا.

- ٥ - كَهَاءٌ شَارِبٌ كَانَتْ لِشَيْخٍ لَهُ خُلُقٌ يَحَاذِرُهُ الْغَرِيمُ
٦ - فَأَشْبَعَ شَرْبُهُ وَجَرَى عَلَيْهِمْ بِإِيرِيقَيْنِ كَأُسُهُمَا رَدُومٌ^(١)
٧ - تَرَاهَا فِي الْإِنَاءِ لَهَا حُمِيًّا كُمَيْتًا مِثْلَ مَا فَقَعَ الْأَيْمُ
٨ - تُرْنَحُ شَرْبَهَا حَتَّى تَرَاهُمْ كَأَنَّ الْقَوْمَ تَنْزِفُهُمْ كُلوْمُ

الكَهَاءُ: النَاقَةُ الضَخْمَةُ كَادَتْ تَدْخُلُ فِي السِّنِّ، وَكَذَلِكَ الْكَيْهَاءُ. وَالشَّارِبُ: الْمُسْتَنَّى. وَقَوْلُهُ: «كَانَتْ لِشَيْخٍ» كَانَ الْكَرِيمُ مِنْهُمْ الْمُحْسَنُ إِلَى عَشِيرَتِهِ، الْإِفْضَالُ عَلَى رَفْقَائِهِ وَتُدْمَائِهِ، يَتَعَمَّدُ إِذَا نَحَرَ لَهُمْ فِي الشَّرْبِ وَعِنْدَ السَّكْرِ، أَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ فِي غَيْرِ مِلْكِهِ، يَسْتَأْمُ مَالِكَ الْجَزُورِ بِهَا أَعْلَى الْأَثْمَانِ فَيَغْرُمُهُ، وَيَعُدُّ ذَلِكَ الْغَرْمَ غُنْمًا، وَالصَّبْرَ عَلَى سُوءِ خُلُقِهِ وَإِنْكَارِهِ التَّبَسُّطُ فِي مِلْكِهِ بِغَيْرِ إِذْنِهِ كَرَمًا؛ لِذَلِكَ قَالَ: «لَهُ خُلُقٌ يَحَاذِرُهُ الْغَرِيمُ»، يَرِيدُ: الْبُخْلُ مِنْهُ وَالْإِسْتِقْصَاءُ.

وقد سلك هذا المسلك طَرَفَةٌ فَقَالَ وَوَفَّى الْمَعْنَى حَقَّهُ، وَكَأَنَّهُ صَبَّ فِي قَالِبِ هَذَا الشَّاعِرِ: [الطويل]

- وَبَرَكَ هُجُودٌ قَدْ أَثَارَتْ مَخَافَتِي نَوَادِيهَا أَمْشِي بِعَضْبٍ مُجَرَّدٍ^(٢)
فَمَرَّتْ كَهَاءٌ ذَاتُ خَيْفٍ جَلَالَةٍ عَقِيلَةُ شَيْخٍ كَالْوَيْبِلِ الْأَلْدَدِ^(٣)
يَقُولُ وَقَدْ تَرَّ الْوُظَيْفُ وَسَاقُهَا أَلَسْتُ تَرَى أَنَّ قَدْ أَتَيْتَ بِمُؤْيِدٍ^(٤)
وَقَالَ أَلَا مَاذَا تَرَوْنَ بِشَارِبٍ شَدِيدٍ عَلَيْنَا بَغْيُهُ مُتَعَمَّدٍ
فَقَالَ دَرُوهُ إِنَّمَا نَفْعُهَا لَهُ وَإِلَّا تَكْفُرُوا قَاصِي الْبَرَكَ يَزْدَدُ

(١) التبريزي: «وسعى عليهم».

(٢) لطرفة بن العبد في ديوانه ١٨١، واللسان (غصص)، وأساس البلاغة (غصص). والبرك: الإبل الكثيرة الباركة، والنوادي: القواصي منها، والعضب: السيف القاطع.

(٣) الحنيف: جلد ضرع الناقة، والعقيلة: كريمة المال، والويبيل: العصا الضخمة، والألدند واللدند: الشديد الخصومة.

(٤) تر: سقط، المؤيد: الداهية العظيمة الشديدة.

فَظَلُّ الْإِمَاءِ يَمْتَلِلْنَ حَوَارَهَا وَيُسَعَى عَلَيْنَا بِالسَّدِيفِ الْمُسْرَهْدِ^(١)

قوله: «فأشبع شربه» يعني من الناقة المعقورة. وجعل الجاري عليهم بأبريقين والكأس ملأى تَقَطَّرَ؛ لَأَنَّ شَرْبَهُمْ كَانَ بِدَارًا. ثُمَّ وَصَفَ الْخَمْرَةَ فَقَالَ: لَهَا سَوْرَةٌ شَدِيدَةٌ، وَلِلْوَنِهَا خُمْرَةٌ مَتْنَاهِيَةٌ. وَمَعْنَى فَقَعَ: حَسَنَ وَصَفًا، وَيُقَالُ: أَحْمَرُ فَاقَعٌ. وَيُرْوَى: «مِثْلُ مَا نَصَعَ»، وَالْمُرَادُ: خَلَصَ. وَالْحُمِيَّا مَصْغَرٌ لَا مَكْبَرٌ لَهُ، وَقَدْ تَقَدَّمَ الْقَوْلُ فِي بَنَائِهِ. وَكُمَيْتٌ: مَصْغَرٌ مَرْحَمٌ، وَالْمُرَادُ بِهِ تَكْبِيرُهُ، وَهُوَ أَكْثَمُ، لِذَلِكَ جُمِعَ عَلَى كُمَيْتٍ. وَمِثْلُهُ فَرَسٌ وَرَذٌ، ثُمَّ قِيلَ خَيْلٌ وَرَذٌ، لِأَنَّهُ أُرِيدَ بِهِ أَفْعَلٌ. وَمِمَّا جَاءَ مَصْغَرًا قَوْلُهُمْ: كَعَيْتٌ، وَهُوَ طَائِرٌ، وَجُمَيْلٌ، وَالثُّرَيَّا، وَالتُّغَيَّرَاءُ، وَالْمُرَيْطَاءُ، وَاللُّجَيْنِ، وَهَيْئَةٌ.

وقوله: «تُرْتُخُ شَرْبَهُم»، أَي لَشِدَّتِهَا تُزِيلُ قُوَاهُمْ، فَكَانَهُمْ أَسَارَى نُزِفَتْ دِمَاؤُهُمْ. وَيُقَالُ: ضَرَبْتَهُ حَتَّى رُنَحْتَهُ، أَي غَشِيَتْ عَلَيْهِ.

٩ - فَقُمْنَا وَالرُّكَّابُ مُخَيَّسَاتٌ إِلَى قُتُلِ الْمَرَاثِقِ وَهِيَ كُومٌ

١٠ - كَأَنَّا وَالرَّحَالُ عَلَى صَوَارٍ بِزَمَلٍ خُرَاقٍ أَسْلَمَهُ الصَّرِيمُ^(٢)

يُزَوَّى «مَحْبِسَاتٌ» أَي مَعْقُولَاتٌ مُنَاحَةٌ بِالْفَنَاءِ، وَهُوَ الْوَجْهَ. وَرَوَى بَعْضُهُمْ: «مُخَيَّسَاتٌ» أَي مَذَلَّلَاتٌ، لَكِي إِذَا رُكِبَتْ لِلْهُو، وَفِي حَالَةِ السُّكْرِ كَمَا فَعَلَهُ هَؤُلَاءِ، لَمْ تَغْسِفْ بِرُكْبَانِهَا، وَلَمْ تَأْتِ الْعِرْضَنَةَ فِي سِيرِهَا. وَالْقُتُلُ: جَمْعُ أَفْتَلٍ وَفَتْلَاءَ، وَهِيَ الْبَعِيدَةُ الْمِزْفَقُ عَنْ الزُّورِ. وَالْكُومُ: الْعِظَامُ الْأَسْنِمَةُ. وَقَالَ الْخَلِيلُ: الْكُومُ: الْعِظَمُ فِي كُلِّ شَيْءٍ. وَقَوْلُهُ: «كَأَنَّا وَالرَّحَالُ» شَبَّهَ رُكَّابَهُمْ بِقَطِيعٍ مِنَ الْبَقَرِ بِالزَّمَلِ الْمَذْكُورِ، أَسْلَمَهُ الصَّرِيمُ إِلَى الصَّيَّادِينَ وَالْكَلابِ، فَخَفَّتْ وَعَدَتْ. وَالصَّرِيمُ اسْتَعْمِلَ فِي الصُّبْحِ وَاللَّيْلِ جَمِيعًا؛ لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَنْصَرِمُ عَنْ صَاحِبِهِ وَقَتِ السَّحَرِ. وَإِنَّمَا رَكَبُوا بَعْدَ الْإِصْطِبَاحِ لِلتَّنَزُّهِ أَوْ فِي بَطَالَةٍ حَضَرَتْهُمْ.

١١ - فَبِثْنَا بَيْنَ ذَاكَ وَبَيْنَ مِسْكِ نَيْبًا عَجَبًا لِمَيْشٍ لَوْ يَدُومُ

١٢ - وَفِينَا مُسَمِّمَاتٌ عِنْدَ شَرْبٍ وَغِرْلَانٌ يُعَدُّ لَهَا الْحَمِيمُ

(١) يمتلن: الامتلال: جعل الشيء في الملة وهي الجمر والرماد الحار. والسديف: قطع السنام، المسرهد: السمين.

(٢) خراق: اسم موضع بعينه في بلاد العرب (معجم البلدان ٢: ٣٦٧).

تَبَجَّحَ بِأَنَّهُمْ نَالُوا أَكْثَرَ أَنْوَاعِ اللَّذَاتِ، مِنْ شُرْبِ وَقْضَفٍ وَتَنْزُهِ وَلَهْوٍ، وَمَعَاشِرَةٍ وَطَرَبٍ، وَتَسَخُّعٍ وَإِفْضَالٍ، وَتَنَدُّ عَلَى النَّدْمَاءِ وَإِكْرَامٍ، وَتَتَرُفٍ وَتَعَطُّرٍ، وَتَمَتُّعٍ بِالنِّسَاءِ وَتَغْزُلٍ. وَقَوْلُهُ: «فِيَا عَجَبًا» إِنَّمَا تَعَجَّبَ مِنْ اسْتِمْرَارِ الْوَقْتِ بِمِثْلِ الْعَيْشِ الَّذِي وَصَفَ، وَكَيْفَ سَمَحَ الزَّمَانُ بِهِ ثُمَّ غَفَلَ عَنْهُ حَتَّى اتَّصَلَ. وَالْمُسْمِيعَاتُ: الْمَغْنِيَّاتُ. وَالسَّمَاعُ: الْغِنَاءُ. وَذَكَرَ الْحَمِيمَ لِتَنْعَمَهُنَّ، وَلَأَنَّ بِلَادَهُنَّ كَانَتْ صُرُودًا. وَعَلَى هَذَا قَالَ عَمْرُو بْنُ كَلْثُومٍ: [الوافر]

مُسْغَسَعَةً كَأَنَّ الْحُصَّ فِيهَا إِذَا مَا الْمَاءُ خَالَطَهَا سَخِينًا^(١)

قال ابن الأعرابي: سَخِينًا حال بمعنى مُسَخَّنٍ، لَأَنَّ الْبَرْدَ اقْتَضَاهُمْ بِذَلِكَ الْمَاءِ.

وقوله: «فَبِتْنَا بَيْنَ ذَاكَ»، يريد: أَنَّ حَاضِرَ وَقْتِهِمْ كَانَ عَلَى ذَلِكَ ثُمَّ تَغَيَّرَ.

١٣ - نُطُوفٌ مَا نُطُوفٌ ثُمَّ يَأْوِي ذَوُو الْأَمْوَالِ مِنَّا وَالْمَعْدِيمُ

١٤ - إِلَى حُقْرِ أَسَافِلُهُنَّ جُوفٌ وَأَعْلَامُنَّ صُقَاحٌ مُقِيمٌ

يقول: يُكَثِّرُ الْوَاحِدُ مِنَ النُّطُوفِ عَلَى اللَّذَاتِ، وَالتَّجْوَالُ فِي الْأَطْرَافِ لَطْلَبُ الْبَطَالَةِ، وَلَيْسَ مَالُ الْجَمِيعِ مُفْتَرِنًا وَعَيْنِنَا إِلَّا إِلَى حُقْرِ، يَعْنِي بِهَا الْقُبُورَ. ثُمَّ وَصَفَهَا بِأَنَّهَا جُوفُ الْأَسَافِلِ لِلْحُودِهَا، وَأَنَّ أَعَالِيَهَا نُصِبَتْ عَلَيْهَا حِجَارَةٌ عِرَاضٌ كَالسُّقُوفِ لَهَا، وَهِيَ دَائِمَةٌ عَلَى هَذِهِ أَبَدًا.

وقوله: «نُطُوفٌ مَا نُطُوفٌ»، أَي: مَدَّةُ تَطَوُّفَانَا. وَيُقَالُ: أَوَى إِلَى كَذَا أَوِيًا.

٤٨٥ - وَقَالَ إِيَّاسُ بْنُ الْأَرْتِ^(٢): [الطويل]

١ - هَلُمَّ خَلِيلِي وَالْغَوَايَةَ قَدْ تُضَيِّبِي هَلُمَّ نُحَيِّ الْمُنْتَشِيشِينَ مِنَ الشُّرْبِ

٢ - نُسَلِّ مَلَامَاتِ الرِّجَالِ بِرِيَّةٍ وَنَفِرِ شُرُورَ الْيَوْمِ بِاللَّهْوِ وَاللَّغَبِ

قوله: «وَالْغَوَايَةَ قَدْ تُضَيِّبِي» اعْتِرَاضٌ، وَكَرَّرَ هَلُمَّ عَلَى طَرِيقِ التَّأَكِيدِ. وَالْفَائِدَةُ فِي هَذَا الْاعْتِرَاضِ تَحْقِيقُ الْقِصَّةِ الْمَدْعُودِ إِلَيْهَا.

وَلِلْعَرَبِ فِي «هَلُمَّ» طَرِيقَتَانِ: مِنْهُنَّ مَنْ يُجَرِّبُهُ مَجْرَى أَسْمَاءِ الْأَفْعَالِ، وَحِينَئِذٍ يَقَعُ لِلوَاحِدِ وَالْجَمْعِ وَالْمَوْثُوثِ وَالْمَذْكُورِ عَلَى حَالَةٍ وَاحِدَةٍ، وَالْقُرْآنُ نَزَلَ بِهِ، لِأَنَّهُ قَالَ

(١) لِعَمْرُو بْنِ كَلْثُومٍ فِي دِيْوَانِهِ ٦٤، وَاللِّسَانُ (طَلْح، حَصَص، سَخَن، سَخَا)، وَكُتَابُ الْعَيْنِ ١: ٧١.

(٢) سَبَقَتْ تَرْجُمَتُهُ فِي الْحِمَاسِيَةِ رَقْم (٣٥٧).

تَعَالَى ذَكَرُهُ: ﴿وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾ [الأحزاب: الآية ١٨]. ومنهم مَنْ يجعل أصلها هَا التَّنْبِيهُ ضَمُّ إِلَيْهِ لَمْ، وَهُوَ فِعْلٌ، جُعِلَ مَعًا كَالشَّيْءِ الْوَاحِدِ، فَيُتْنِيهِ وَيَجْمَعُهُ وَيُوْتِنُهُ. وَكَانَ الْقَرَاءُ يَقُولُ: هُوَ هَلْ أَمْ تَرْكَبَا مَعًا. وَلَيْسَ لِهَلْ فِي الْكَلَامِ إِلَّا مَوْضِعَانِ: أَحَدُهُمَا - وَهُوَ الْأَكْثَرُ - أَنْ يَكُونَ لِلِاسْتِفْهَامِ، وَلَا مَعْنَى لِلِاسْتِفْهَامِ هَاهُنَا. وَالثَّانِي: أَنْ يَكُونَ بِمَعْنَى قَدْ، عَلَى ذَلِكَ فَسَّرَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿هَلْ أَقَى عَلَى الْإِنْسَانِ﴾ [الإنسان: الآية ١]، وَلَيْسَ لِمَعْنَى قَدْ فِي هَذَا مَدْخَلٌ، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَمَا قَالَهُ فَاسِدٌ.

وقوله: «والغواية قد تُضَيِّي»، يريد: أَنَّ الْعَيَّ يَدْعُو صَاحِبَهُ إِلَى أُمُورٍ كَثِيرَةٍ مُخْتَلِفَةٍ، وَقَدْ يَحْمِلُهُ عَلَى الصَّبَا وَاللَّهُو فِي الْوَقْتِ بَعْدَ الْوَقْتِ. وَطَلَبَ مِنْ صَاحِبِهِ مُسَاعَدَتَهُ عَلَى تَحْيِيَّتِهِ لِلشَّرِّبِ، وَالدُّخُولِ فِي جُمْلَتِهِمْ، وَتَسْلِيَةِ النُّفُوسِ عَنْ مَلَامَاتٍ مَنْ يَدْعُو إِلَى الرُّشَادِ، وَيَخْمِلُ عَلَى سُلُوكِ طَرِيقِ الصَّلَاحِ وَالسَّدَادِ، بِشَرْبِ رِيَّةٍ، وَهِيَ الْكَاسُ الْمَمْتَلِئَةُ خَمْرًا، وَقَطَعَ وَقْتِ الشَّرِّ وَالْغَمِّ بِاللَّهُوِ وَاللَّعِبِ.

وقوله: «نُسِّلَ» فِي مَوْضِعِ الْجَزْمِ، لِأَنَّهُ جَوَابُ الْأَمْرِ. وَ«تَفَرَّ»، مَعْطُوفٌ عَلَيْهِ. وَيُقَالُ: فَرَيْتُ الْأَيْدِيَّ، إِذَا قَطَعْتَهُ عَلَى جِهَةِ الصَّلَاحِ، وَأَفَرَيْتُهُ إِذَا قَطَعْتَهُ لِلْفَسَادِ.

٣ - إِذَا مَا تَرَاخَتْ سَاعَةٌ فَاجْعَلْنَهَا لِيَخِيرَ فَإِنَّ الدَّهْرَ أَغْصَلَ دُو شَغْبِ

٤ - فَإِنَّ يَكُ خَيْرٌ أَوْ يَكُنْ بَعْضُ رَاحَةٍ فَإِنَّكَ لَاقٍ مِنْ غُمُومٍ وَمِنْ كَرْبِ

قوله: «إِذَا مَا تَرَاخَتْ سَاعَةٌ فَاجْعَلْنَهَا» فِي طَرِيقَتِهِ مَا أَنْشَدَهُ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ:

[الطويل]

إِذَا كَانَ يَوْمٌ صَالِحٌ فَاقْبَلْنَهُ فَأَنْتَ عَلَى يَوْمِ الشَّقَاوَةِ قَادِرٌ

وقوله: «فَإِنَّ الدَّهْرَ أَغْصَلَ»، الْعَصْلُ: اعْوِجَاجُ الْأَنْتَابِ. قَالَ الْخَلِيلُ: وَلَا يُقَالُ أَغْصَلَ إِلَّا لِكُلِّ مَعْوِجٍ فِيهِ صَلَابَةٌ وَكَزَازَةٌ. وَالْمَعْنَى: أَنَّ مَا يَعِضُّ عَلَيْهِ الدَّهْرُ لَا يُمْكِنُ انْتِزَاعُهُ مِنْهُ، كَمَا لَا يُمْكِنُ انْتِزَاعُ الشَّيْءِ مِنَ النَّابِ الَّتِي فِيهَا عَصْلٌ. وَالشَّغْبُ: تَهْيِيجُ الشَّرِّ، وَيُقَالُ: رَجُلٌ مُشَغَبٌ.

وقوله: «فَإِنَّ يَكُ خَيْرٌ أَوْ يَكُنْ بَعْضُ رَاحَةٍ»، يريد: أَنَّ الدَّهْرَ لَا تَصْفُو أَحْوَالَهُ مِنَ الْكَدَرِ، وَلَا عَطَايَاهُ مِنَ التَّعَبِ وَالْأَذَى، فَلَا تُعْنِيهِ عَلَى نَفْسِكَ، وَاجْتِهَدُ فِي إِصْلَاحِ مَا يُفْسِدُهُ، وَإِلْقَاءِ مَا يَشُقُّ مِنْهُ. وَقَوْلُهُ: «فَإِنَّكَ لَاقٍ مِنْ غُمُومٍ»، مِنْ زَائِدَةٍ عَلَى مَذْهَبِ الْأَخْفَشِ، كَأَنَّهُ قَالَ: إِنَّكَ لَاقٍ غُمُومًا. وَسَيَبُوه لَا يَرَى زِيَادَةً «مِنْ» فِي

الواجب، فطريقته في مثله أنه صفةٌ لمحذوف، كأنه قال: إنَّك لاقٍ ما شئت من غُموٍم.

٤٨٦ - وقال آخر^(١): [الوافر]

١ - أَحِبُّ الْأَرْضَ تَسْكُنُهَا سُلَيْمَى وَإِنْ كَانَتْ تَوَارَتْهَا الْجُدُوبُ

٢ - وَمَا دَهْرِي بِحُبِّ تُرَابِ أَرْضٍ وَلَكِنْ مَنْ يَحُلُّ بِهَا حَبِيبُ

يذكر حنينه إلى محلِّ سُلَيْمَى ومكانها، ومثله وإن كَانَ قَفَرًا مَرْدَدًا فِي الْجَدُوبَةِ مَتَاهِيًا أَقْطَارَهُ فِي الْيُبُوسَةِ، وَأَنَّ ذَلِكَ عَزَّ عَلَيْهِ لَكُونِهَا بِهِ، فَأَمَّا حُبُّ الْأَرْضِ مَجْرَدَةٌ فَلَيْسَ مِنْ دَابِهِ وَعَادَتِهِ.

وقوله: «وما دَهْرِي بِحُبِّ تُرَابِ أَرْضٍ» جعلَ الحُبَّ للدَّهْرِ عَلَى طَرِيقَتِهِمْ فِي قَوْلِهِمْ: نَهَارُهُ صَائِمٌ، وَلَيْلُهُ قَائِمٌ. وَالْمَعْنَى: لَيْسَ حُبُّ الْأَرْضِ مِنِّي بِعَادَةٍ فِي دَهْرِي، وَقَوْلُهُ: «وَلَكِنْ مَنْ يَحُلُّ بِهَا حَبِيبٌ»، يَشْبَهُ قَوْلَ الْآخَرِ: [الوافر]

أَلَا يَا بَيْتُ بِالْعِلْيَاءِ بَيْتُ وَلَوْلَا حُبُّ أَهْلِكَ مَا أَتَيْتُ^(٢)

يريد: أَنَّ الْبَيْوتَ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي جِئْتُ مِنْهُ قَدْ كَثُرَتْ، وَلَكِنِّي قَصَدْتُكَ لِحُبِّ أَهْلِكَ. وَقَوْلُهُ: «تَوَارَتْهَا» أَيِ تَوَارَتْهَا. فَحَذَفَ إِحْدَى التَّاءَيْنِ اسْتِثْقَالًا، وَقَدْ مَضَى مَثَلُهُ.

٣ - أَهَازِلُ لَوْ شَرِبْتُ الْخَمْرَ حَتَّى يَكُونُ لِكُلِّ أَتْمَلَةٍ دَبِيبُ

٤ - إِفْنٌ لَعَذَرْتَنِي وَعَلِمْتَ أَنِّي بِمَا أَتْلَفْتُ مِنْ مَالِي مُصِيبُ

كَانَ عَازِلَةً أَفْرَطْتُ فِي لَوْمِهِ عَلَى مَا يُذِمُّهُ مِنَ الشُّرْبِ، وَيَذْهَبُ فِيهِ مِنْ طُرُقِ اللَّهْوِ، فَقَالَ لَهَا: لَوْ شَرِبْتُ الْخَمْرَ فَأَخَذْتُ مِنْكَ، وَدَبْتُ فِي غُرُوقِكَ وَمِفَاصِلِكَ، وَجَمَعْتُ السَّارَّ لَكَ، وَكَشَفْتُ أَنْوَاعَ الْعَمِّ عَنْكَ، لَعَرَفْتَ مِنْ لَذَائِهَا وَمَنَافِعِهَا، وَخُدُوثِ الطَّرَبِ وَالْجَذَلِ فِي الثُّفُوسِ لَهَا، وَاسْتِمْتَاعِ الرُّوحِ بِشَوْتِهَا وَقَوَاهَا، مَا يَنْعُكَ عَلَى بَسْطِ عَذْرِي فِي الْوَلُوعِ بِهَا، وَالثَّبَاتِ عَلَى هَوَاهَا، وَلَعَلِمْتَ أَنِّي رَاكِبٌ تَبَحُّ الصُّوَابِ، وَغَيْرُ

(١) البيتان الثالث والرابع في الحماسة البصرية ٢: ٣٨٤، وقد نسبهما إلى إياس بن الأرت.

(٢) لعمر بن قعاس (أو قنعاس) المرادي في شرح أبيات سيبويه ١: ٥٢٦، واللسان (تمر)، وشرح شواهد المغني ٢١٥.

عادلٍ عن الواجب في إنفاق المال. معنى: «لِمَا أَتْلَفْتُ»، أي: من أجل إثلافي. وَيُزَوَّى: «بِمَا أَتْلَفْتُ»، والمعنى: أنني مصيبٌ بِسَبِيهِ وَمِنْ أَجْلِهِ.

٤٨٧ - وقال أبو صغرة البولاني^(١): [الطويل]

١ - فَمَا نُطْفَةُ مِنْ حَبِّ مُزْنٍ تَقَادَفْتُ به حَسَنُ الْجُودِيِّ وَاللَّيْلُ دَامِسُ^(٢)

٢ - فَلَمَّا أَقْرَنَهُ اللَّصَابُ تَنَفَّسْتُ شَمَالٌ لِأَعْلَى مَائِهِ فَهُوَ قَارِسُ

٣ - بِأَطْيَبِ مِنْ فِيهَا وَمَا دُقْتُ طَعْمُهُ وَلِكِنِّي فِيهَا تَرَى الْعَيْنُ فَارِسُ

قوله: «حَسَنُ الْجُودِيِّ» رواه البرقي: «به حَزَنُ الْجُودِيِّ»، وكثيرٌ من الناس يرويه: «به جَنَّبَتَا الْجُودِيِّ». وقيل في «حَسَنُ الْجُودِيِّ»: إنه قطعةٌ متصلة بالْجُودِي، وَالْجُودِي: جبل. وقال صاحب العين: حَسَنُ: اسم رملٍ لبني سعد. وذكر البرقي أن الحَزَنَةَ والحَزْنَ من الأرض والدَّوَاب: ما فيه حُشونة، والفعل منه حَزَنٌ حُزُونَةً، ورجل حَزَنٌ: شَرِسٌ، وقومٌ حُزَنٌ. ومن روى: «به جَنَّبَتَا الوادي»، فالمراد به الكَنَفُ والنَّاحِيَة. وبعضهم استدلَّ على أن قولَ النَّاسِ: فَلَانَ فِي جَنَبِهِ فَلَانَ ليس بشيء، وإنما الصَّواب في جَنَبَةِ فَلَانَ، بسكون النون، استدلالاً بهذا البيت.

وقد روى الأصمعي: [الرجز]

وَالنَّاسُ فِي جَنْبٍ وَكُنَّا جَنْبًا^(٣)

فيقول: ما ماءٌ اجتمع من حَبِّ مُزْنٍ - وهو الْبَرْدُ، لأنَّ الْمُزْنَ اسمٌ يجمع أنوعَ السحاب، فهو كالغَيمِ - تَرَامَتْ به جوانِبُ هذا الجبلِ واللَّيْلُ مظلمٌ إلى أن زالَ رَنَقُهُ، وانْقَطَعَ كَدْرُهُ. وخبر «ما» قوله «بِأَطْيَبِ». ثُمَّ وَصَفَ الْمَاءَ بِأَنَّهُ لَمَّا حَصَلَ فِي الْقَرَارَاتِ بَعْدَ تَقَطُّعِهِ بِنَضْدِ الْحَجَارَةِ، وَجَوَانِبِ الْمَذَانِبِ وَالْأَدْوِيَةِ، فزالَ عنه أَكْثَرُ شَوْبِهِ، هَبَّتْ عَلَيْهِ شَمَالٌ لِيَنَظَّ فَصَفَّتْهُ وَبَرَّدَتْهُ. يريد: ما ماء سارية بهذه الصِّفَةِ بِأَعْدَبِ مِنْ رُضَابِ قِمِّ هَذِهِ الْمَرَأَةِ، وَلَا أَقُولُ هَذَا عَنْ دَوَاقٍ وَاجْتِبَارٍ، وَلَكِنْ عَنْ صِدْقِ فِرَاسَةٍ، وَاعْتِبَارِ مُشَاهَدَةٍ.

(١) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (٣٥٩). (٢) التبريزي: «به جنبتا الجودي».

(٣) لرؤية في ديوانه ١٢، واللسان (ألب)، وتاج العروس (ألب).

وفي طريقته قول الآخر: [البسيط]

يا أَطْيَبَ النَّاسِ رِيقًا غَيْرَ مُخْتَبَرٍ إِلَّا شَهَادَةُ أَطْرَافِ الْمَسَاوِيكِ^(١)

واللّصاب: جمع لضب، وهو شقوق في الجبل. والقارس: البارد. وقوله: «فارس» أراد به المتفرّس، ويقال: هو فارس على الخيل بين الفروسة، وإذا كان يتفرّس في الأشياء ويُخسِن النظر فيها قلت: هو فارس بين الفراسة. والدّامس: المظلم، ويقال: دمس، أي أظلم، وأتيته دمس الظلام.

٤٨٨ - وقال الحارث بن خالد المخزومي^(٢): [الكامل]

١ - إِنِّي وَمَا نَحَرُوا غَدَاةَ مِنِّي عِنْدَ الْجِمَارِ تَوَوُّدُهَا الْمُقْلُ
٢ - لَوْ بُدِّلْتُ أَعْلَى مَسَاكِنِهَا سِفْلًا وَأَضْبَحَ سِفْلُهَا يَنْغَلُو
٢ - لَعَرَفْتُ مَغْنَاهَا لِمَا ضَمِنْتُ مِنِّي الضَّلُوعُ لِأَهْلِهَا قَبْلُ

أقسم بالقرايين التي ينحرها الحجيج عند المحصب غداة منى وهي معقولة أنه لو غيّرت ديار هذه المرأة عن خطتها المعهودة، ورسومها المشهورة، حتى جعلت أعاليتها أسافلها، وأسافلها أعاليتها لعرف مغناها المختص بها، ومثواها الجامع لأسبابها لما انطوت عليه محاني ضلوعه من ود أهلها أيام مواسلتها، حتى كان لا يلتبس عليه شيء منها. ومعنى «تَوَوُّدُهَا»: تثقلها. وجواب اليمين: «لعرفت». والمغنى: المنزل. ويقال: غينا بمكان كذا نغنى به غنى. وجواب «لو بُدِّلْتُ» ما هو جواب القسم، وهو لعرفت.

٤٨٩ - آخر^(٣): [الطويل]

١ - مَرِيضَاتُ أَوْبَاتِ الشَّهَادِي كَانَهَا تَخَافُ عَلَى أَحْسَائِهَا أَنْ تَقْطَعَا
٢ - تَسِيبُ أَنْسِيَابِ الْأَيْمِ أَخْصَرَهُ النَّدَى فَرَقَعَ مِنْ أَعْطَافِهِ مَا تَرَفَعَا

(١) لبشار بن برد في أمالي القالي ١: ٢٢٨، والأغاني ١٨: ١٩٢.

(٢) الحارث بن خالد المخزومي: أحد شعراء قريش المعدودين الغزليين، وكان يذهب مذهب عمر بن أبي ربيعة فلا يتجاوز الغزل، وكان يهوى عائشة بنت طلحة ويشبب بها (ت نحو ٨٠ هـ / ٧٠٠ م). ترجمته في الأغاني ٣: ٩٧، وتهذيب ابن عساكر ٣: ٤٣٧.

(٣) البيتان في الحماسة البصرية ٢: ٢٢٠ لمسلم بن الوليد، وفي محاضرات الراغب ٢: ١٣٩ لرجل من بني سعد.

التَّهادي: المَشْي بينَ اثنين، يقال: رأيتُه يُهادي بين اثنين ويَتَهَادَى. يصفها بالنعمة والرِّقَّة وضعف الحركة، لِثِقَلِ رِذْفِها، ودَقَّةِ خَصْرِها، وتُرْقِيَّتِها المَتملِّكة لأعضائها وحواملها، فيقول: إذا تهادت بين اثنين فَعَطَفَات حركاتها مريضة، ونَهَضَات اندفاعها بطيئة، فكأنَّها تَجْذِبُ أعاليها أسافلها، تخاف على خصرها التَّقَطُّع إن تَبَسَّطَتْ في المَشْي، أو تَسَرَّعَتْ في القصد.

وقوله: «تسبب انسياب الأين»، فالأين: الجأ من الحيات. ويروى «الأيمن» أيضاً، وهي الحيَّة. والحيَّة لا تصبر على البرد؛ لأنه إذا أثر فيها يبس جرمها فتكسرت، فيقول: هي تنساب أي تتدافع في مشيها تدافع الحيَّة وقد أثر فيها الثَّدْي فَخَصِرَتْ وأخذت من جرمها وأعطاها ما أطاعها وأمكنها؛ كأن الحيَّة وقد خَصِرَتْ شقَّ عليها ما ينالها من خَصَرِ الثَّدْي وبرده، فهي في انسيابها تَجَافَى عن الأرض جُهداً. ويقال: ساب وانساب بمعنى واحد. وفي القرآن: ﴿وَلَا سَابِقَةَ﴾ [المائدة: الآية ١٠٣]. قال الدُرَيْدِي: ساب الماء، إذا جرى.

٤٩٠ - وقال آخر^(١): [الكامل]

١ - أَبَتِ الرُّوَادِفُ والثَّدْيِي لِقَمَصِهَا مَسَّ البُطُونِ وَأَنْ تَمَسَّ ظُهُورًا

٢ - وَإِذَا الرِّيحُ مَعَ العَشِيِّ تَنَاوَحَتْ نَبْهَنَ حَاسِدَةً وَهَجَنَ غَيُورًا

لَفَّ في البيت الأول الخبرين لفاً، ثم رَمَى بتفسيرهما جملةً، ثقةً بأن السامع لكلامه يَرُدُّ إلى كلِّ ماله، وذلك لأنه قال: «أَبَتِ الرُّوَادِفُ والثَّدْيِي لِقَمَصِها»، فجمع بين ما يكون خَلْفًا وَقَدَامًا من الرَّذْف والثَّدْي، وهو يريد أن يصفها بأنها ناهدة الثَّدْيَيْن، دَقِيقَةُ الخصر، لطيفة البَطْن، وأنها عظيمة الكَفَل والرَّذْف، فالثَّدْيِي تمنع القَمَصَ أن تلتصق بطنها، والرَّذْف يمنعها أن تلتصق بظهرها، فبين في التفسير في عجز البيت ما لَفَّه في صدره كما ترى.

وقوله: «وإذا الرِّيحُ مَعَ العَشِيِّ تَنَاوَحَتْ»، يريد: وإذا دَنَتْ الأَصْلُ وَهَبَتْ رِيحُ الصَّيْف، فتقابلت رِيحَانِ كالشَّمال والجَنُوب، أو الصَّبَا والدُّبُور، وابتعدت هذه، التَّصَقَّ مِنْ درعها بطنها وظهرها ما كان يمنعه ثديها وِرْدْفُها قبل هُبُوبِها، وظَهَرَ من

(١) البيتان بلا نسبة في الحماسة البصرية ٢: ٩١، وأمالِي القالي ١: ٢٣، وفي اعتلال القلوب ١٦١، وأخبار النساء ٢٠٦.

مَحَاسِنُهَا مَا يَنْبَغُ الْحَاسِدَ وَيَهَيِّجُ الْغَيُورَ، لِأَنَّ مَا خَفِيَ مِنْهَا ظَهَرَ لِلْعَيُونِ وَالْمَنَاطِرِ، فَالْغَيُورُ يَكْرَهُ، وَالْحَاسِدُ يَتَنَبَّهُ. وَقَوْلُهُ: «وَأَنْ تَمَسَّ» جَازٍ أَنْعَاطُهُ عَلَى «مَسَّ الْبَطُونِ» لَكُونَ الْعَامِلُ وَالْمَعْمُولُ فِيهِ فِي مَوْضِعِهِ وَمَعْنَاهُ. وَالْبَطُونُ فِي مَوْضِعِ الْمَفْعُولِ؛ لِأَنَّ الْمَصْدَرَ يُضَافُ إِلَى الْمَفْعُولِ كَمَا يُضَافُ إِلَى الْفَاعِلِ، وَالْبَطُونُ مَعَ لَفْظِ مَسَّ، كَظُهُورًا مَعَ أَنَّ تَمَسَّ.

٤٩١ - وَقَالَ بَكْرُ بْنُ النَّطَّاحِ^(١): [الكامل]

- ١ - بَيْضَاءُ تَسْحَبُ مِنْ قِيَامٍ فَرَزَعَهَا وَتَغِيبُ فِيهِ وَهُوَ وَخَفَ أَسْحَمُ
 - ٢ - فَكَأَنَّهَا فِيهِ نَهَارٌ سَاطِعٌ وَكَأَنَّهُ لَيْلٌ عَلَيْهَا مُظْلِمٌ
- وصف شعرها بالطول، وكثرة الأصول، فإذا قامت سحبت، وإذا أرسلته سترها فتغيب فيه، وهو مع ذلك شديد السواد، مسترسل في جعودة واردة في جئولة، فكأنها لشدّة بياضها إذا تعشّأها نهارٌ يسطع من خلل الظلام، وكأنّ شعرها لشدّة سواده عليها، ليلٌ مظلم تعشّى بياض نهاره.

٤٩٢ - وَقَالَ آخَرُ: [الطويل]

- ١ - تَأْمَلْتُهَا مُنْتَرَةً فَكَأَنَّمَا رَأَيْتُ بِهَا مِنْ سُئَةِ الْبَدْرِ مَطْلَعًا
 - ٢ - إِذَا مَا مَلَأْتُ الْعَيْنَ مِنْهَا مَلَأْتُهَا مِنْ الدَّمْعِ حَتَّى أَتْرَفَ الدَّمْعَ أَجْمَعًا
- يقول: نظرت إليها على غرة منها اختلستها، وغفلة ترصدتها، فكأنني رأيت بها بدرًا طالعًا، وسئة البدر، أراد وجهه. ويقال: اغترّ فلان، إذا فوجئ من غرة. وقوله: «إذا ما ملأت العين منها ملأتها من الدمع»، يقول: إذا تزوّدت عيني من حسنها فنظرت في أعطافها، امتلأت متحيرة من جمالها، كما يتحير ظرف الماء، إذا امتلأ منه؛ وإنما قال: «ملأتها من الدمع» لأنه كان ينقطع واصل تحمله، وتنحل عُقد تجلده، وجدا بها، وتحسّرًا فيها. والذي يدلّ على أنّ نظره لم يكن عن اتفاق أنّه قال: تَأْمَلْتُهَا مُنْتَرَةً، ومعنى «أتْرَفَ الدمع»: أَفْنِيهِ كُلَّهُ. يقال: نَزَفْتُ الْمَاءَ وَأَنْزَفْتُهُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ.

(١) بكر بن النطاح: من شعراء بني حنيفة بن لجيم، وكان صعلوكًا يصيب الطريق ثم أنصر عن ذلك، وكان شجاعًا بطلاً فارسًا كثير الوصف لشجاعته وإقدامه (ت ١٩٢هـ / ٨٠٨م). ترجمته في فوات الوفيات ١: ٧٩، والبدایة والنهاية ١٠: ٢٠٨.

٤٩٣ - وقال كثير^(١): [الطويل]

١ - وِدِدْتُ وما تُغْنِي الودَّادَةَ أَتْنِي بما في ضميرِ الحاجبيَّةِ عالمٍ

٢ - فَإِنْ كَانَ خَيْرًا سَرَّنِي وَعَلِمْتُهُ وَإِنْ كَانَ شَرًّا لَمْ تَلْمَنِي السَّوَائِمُ

يقول: تَمَثَّيْتُ أَتْنِي عالمٍ بما ينطوي عليه قلبُ هذه المرأة لي، وما ينفع التمني إذا لم يُساعد القَدْر. وقوله: «وما يغني الودَّادَةَ» اعتراضٌ بين وِدِدْتُ ومفعوله، وهو أَتْنِي. ويقال: وددت ودادةً وودادة، بفتح الواو وكسرهما. وقوله: «فإن كان خيرًا»، يريد: فإن كان ما تضمه لي ودًا صافيًا، وميلًا ناصعًا سرَّني ذلك وسكنتُ إليه، فلا يذهبُ ما أتكلِّفه في هواها باطلاً، وإن كان ما تضمه وتنطوي عليه اعتراضًا خالصًا، وجفاء مُرًا، قَتَلْتُ نفسي وأرحتها من لُوم اللاتِمات. وقوله: «وعلمته»، اكتفى بمفعول واحدٍ لأنَّه بمعنى عرفته.

٣ - وما ذَكَرْتُكَ النَّفْسُ إِلَّا تَفَرَّقْتُ فَرِيقَيْنِ مِنْهَا عَاذَرُ لِي وَلائِمُ^(٢)

يقول: ما أَخْطَرْتُها بيالي على ما أَقاسي فيها، ويوافيني من أطراحها وزُهدِها إِلَّا تَفَرَّقْتُ نفسي فَرِيقَيْنِ: فَرِيقٌ يَغْذِرُنِي ويقول: إِنَّ مثليها في كمالها وظرفها وحسبها ومنصبها، وشرفها وسرورها، يَضْبِرُ على كل أذى يَغْرِضُ في اكتسابها ويُعْتَلِقُ على جميع عِلَّاتها، احتفالًا باسمها في العُشَّاق، وتكثرًا بمكانها بين ذوي الأهواء. وفريقٌ يلومني، ويقول: إِنَّكَ جاهلٌ بمالكٍ وعليك، مبتذلُ الرُّوح في هوى من لا يُشْفِقُ عليك ولا يرفق بك، ولا يرجع إلى شيءٍ مما تُؤثره، وإن امتدَّ مَدَى ذهابها عنك. وهذا قاله على عادةِ النَّاسِ فيما يَهْمُون، وتردُّهم بين ما يقوِّي العزمَ عليه وبين ما يضعفه، فجعلَ كلَّ واحدٍ منهما كأنَّه نَفْسٌ على جِبالها.

٤٩٤ - وقال أيضًا: [الطويل]

١ - وَأَنْتِ الَّتِي حَبَّبْتَ شَغْبًا إِلَى بَدَا إِلَيَّ وَأَوْطَانِي بِلَادَ سِوَاهِمَا^(٣)

(١) كثير بن عبد الرحمن بن جمعة الخزاعي، صاحب عزة، وأحد فحول شعراء الإسلام، وكان غالبًا في التشيع معروفاً بالحمق (ت ١٠٥هـ / ٦٢٣م). ترجمته في الأغاني ٨: ٢٥، والشعر والشعراء ٤٨٠.

(٢) بعده عند التبريزي:

«فريقٌ أبى أن يقبل الضيمَ عنوةً وآخرُ منها قابلُ الضيمِ راغمٌ»

(٣) بعده عند التبريزي:

«إذا ذرفت عيناى أعتلُّ بالقذى وعزةٌ لو يدري الطبيبُ قذاهما»

٢ - وَحَلْتُ بِهَذَا حَلَّةً ثُمَّ أَصْبَحْتُ بهذا قطاب الواديان كلاهما^(١)

خاطبها في البيت الأول مُعْتَذِرًا عليها بأنه كما آثرها على أهله وعشيرته، آثر بلادها على بلاده، فذكر طرفي محالها فقال: أحب لك وفيك شغبًا إلى بدءا، وبلادي بلاد غيرها. ثم أخبر عنها في البيت الثاني فقال: ونزلت بهذا - يشير إلى شغب - نزلة، ثم أصبحت ببدا، ففاح الواديان وتضوعًا بريًاها. ومثله قول الآخر: [المنسرح]

اسْتَوْدَعْتُ نَشْرَهَا الرِّيَاضَ فَمَا تَزْدَادُ إِلَّا طَيْبًا عَلَى الْقِدَمِ

ومثله أيضًا: [الطويل]

تَضَوَّعَ مِسْكَ بَطْنِ نَعْمَانَ أَنْ مَشَتْ بِهِ زَيْنَبُ فِي نِسْوَةِ خَفِرَاتِ^(٢)

٤٩٥ - وَقَالَ نُصَيْبُ^(٣): [الطويل]

١ - لَقَدْ هَتَفْتُ فِي جَنَحِ لَيْلِ حَمَامَةٍ عَلَى فَنَنِ وَهْنًا وَإِنِّي لِنَائِمٌ

٢ - كَذَبْتُ وَبَيْتَ اللَّهِ لَوْ كُنْتُ عَاشِقًا لَمَّا سَبَقْتَنِي بِالْبُكَاءِ الْحَمَائِمُ

هتفت: صاحت. في جنح الليل، أي: فيما مال من الليل. والفنن: الغصن. وهنا: بعد ساعة من الليل. يقول: جددت لي حمامة بتغريدها وجدًا وصباة، وهي على غصن فيما مال من الليل، وإنني لساكن نائم، ولو كنت عاشقًا وحق بيت الله لما سبقتني الحمام بالبكاء، لكنني كاذب في دعوائ متزيّد. وهذا كلام مستقصر فيما هو عليه، مستزيّد لنفسه فيما يُجري إليه، يصورها بصورة المتشبع بما ليس فيه. وهذه الطريقة زائدة على طريقة الملتذّ بالهوى. وقوله: «لما سبقتني» على عادتهم فيما يعتقدون من شجوى الحمام. لذلك قال أبو تمام: [الكامل]

لَا تَشْجِيَنَّ لَهَا فَإِنَّ بُكَاءَهَا ضَحِكَ وَإِنْ بُكَاءُكَ اسْتَغْرَامُ

(١) التبريزي: «بأخرى قطاب الواديان».

(٢) البيت لعبد الله بن نمير الثقفي في اللسان (ضوع)، وإصلاح المنطق ٢٨٧.

(٣) نُصَيْب بن رباح مولى عبد العزيز بن مروان، كان شاعرًا فحلًا مقدّمًا في النسيب والمديح وهو نصيب الأكبر (ت ١٠٨ هـ / ٧٢٦ م). ترجمته في الأغاني ١: ٣٢٤، والنجوم الزاهرة ١: ٢٦٢.

وَسَلَّكَ مَسْلَكَ نُصَيْبٍ عَدِيٍّ بَنُ الرِّقَاعِ فِيمَا أَظُنُّ، فَقَالَ^(١): [الطويل]

فَلَوْ قَبْلَ مَبْكَاها بِكَيْتُ صَبَابَةً يَلْبُنِّي شَفِيئُ النَّفْسِ قَبْلَ التَّنْدُمِ
وَلَكِنْ بَكَتْ قَبْلِي فَهَاجَ لِي الْبَكَا بُكَاهَا فَقَلْتُ الْفَضْلُ لِلْمَتَقَدِّمِ

وقوله: «لَمَّا سَبَقْتَنِي بِالْبُكَاءِ الْحَمَائِمِ»، اشتمل على جواب اليمين، وعلى جواب

لو.

٤٩٦ - وقال الشمايط الغطفاني^(٢): [الوافر]

١ - أَرَارَ اللَّهُ مُخْكَ فِي السَّلَامَى إِلَى مَنْ بِالْحَنِينِ تَشَوَّقِينَا^(٣)

٢ - فَإِنِّي مِثْلُ مَا تَجِدِينَ وَجِدِي وَلَكِنِّي أَسِرُّ وَتُغْلِبِينَا

٣ - وَبِي مِثْلُ الَّذِي بَكَ غَيْرَ أَنِّي أَجَلُّ عَنِ الْعِقَالِ وَتُغْفَلِينَا

قوله: «أَرَارَ اللَّهُ» يخاطب ناقته ووجدتها تحنُّ، فقال داعياً عليها: جَعَلَ اللَّهُ مُخْكَ رِيًّا. وَالرَّيْرُ: الرَّفِيقُ مِنَ الْمَخ. وَالْقَصْدُ فِي الدُّعَاءِ إِلَى أَنْ يَجْعَلَهَا نِضْوًا مَهْزُولًا، وَخَصَّ السَّلَامَى لِأَنَّهَا وَالْعَيْنُ أَخْرُ مَا يَبْقَى فِيهِ الْمَخُ عِنْدَ الْهُزَالِ. لَذَلِكَ قَالَ الشَّاعِرُ: [الرجز]

لَا يَشْتَكِيَنَّ أَلَمًا مَا أَنْقَيْنَ مَا دَامَ مُخٌ فِي السَّلَامَى أَوْ عَيْنٌ^(٤)

وقوله: «إِلَى مَنْ بِالْحَنِينِ تَشَوَّقِينَا»، يجوز أن يكون إنكاراً منه على الناقة في حنينها، ويجوز أن يريد تفخيم شأن المشتاق إليه، كأنه قال: تشوَّقيني بحنينك إلى إنسانٍ وأَيُّ إنسانٍ، ويكون «مَنْ» اسماً نكرةً، ويكون الكلام خَبَرًا، وفي الأوَّل يكون استفهامًا. وإِنَّمَا أَنْكَرَ ضَجْرًا بِهَا، لِأَنَّهُ لَمْ يَذَرِ أَحْنِيهَا إِلَى وَلَدٍ أَوْ وَطَنٍ أَوْ صَاحِبٍ.

وقوله: «فإِنِّي مِثْلُ مَا تَجِدِينَ» يجوز أن يكون «وجدتي» في موضع النصب، على أن يكون بدلًا من المضمَر في إِنِّي، ويكون مثلٌ في موضع خبر إنَّ، فكأنه قال: إنَّ وَجِدِي مِثْلُ مَا تَجِدِينَ، ويجوز أن يكون وجدي في موضع الرَّفْع على الابتداء،

(١) الأبيات في الكامل ٥٠٤ (ليسك)، والتبريزي ٧٧٨: ٢.

(٢) التبريزي: «وقال آخر». (٣) التبريزي: «على من بالحنين تعولينا».

(٤) الرجز لأبي ميمون النضر بن سلمة العجلي في اللسان (سلم، نقا)، وبلا نسبة في اللسان (ملح، مخنخ، ليل، قفا، نقا)، وديوان الأدب ١٠٥: ٤.

وَمِثْلُ خَبَرٍ لَهُ مَقْدَمٌ، والجملة في موضع خبر إنَّ، كأنَّه قال: إنَّني وجدي مثلُ ما تجدِين.

وقوله: «ولكنِّي أَسِيرُ وتُغْلِنِينَا»، يريد إنَّ عقلي يُمَسِكُنِي، وإنَّ كان وَجْدِي مثل وَجْدِكَ وَبَرَجِي مثل بَرَجِكَ، عن إظهار التألم، وفي القلب ما فيه، وأنت تُغْلِنِينَ وتَصِيحِينَ.

وقوله: «وبي مثلُ الذي بك» يقول: إنَّ نزاعي مثلُ نزاعك، ولكنِّي يُؤْمَنُ مِنِّي أَن أَهِيَمَ على وجهي، إِذْ كُنْتُ أَضْبِطُ نفسي بما أُعْطِيتُ من تمييزي وإبقائي، وأنت تُعْقِلِينَ مخافةً أَن تَنْدِي على وجهك؛ إِذْ لَا مُسَكَّةَ بك، وَلَا رِقَبَةً لك، وَلَا حِيَاءَ يَرُدُّعُكَ، وَلَا رِعَةً تُمَسِّكُكَ.

٤٩٧ - وقال^(١):

[الطويل]

١ - وَلَمَّا أَبَى إِلَّا جَمَاحًا فَوَادَهُ وَلَمْ يَسْلُ عَنْ لَيْلَى بِمَالٍ وَلَا أَهْلٍ
٢ - تَسَلَّى بِأُخْرَى غَيْرَهَا فَإِذَا الَّتِي تَسَلَّى بِهَا تُغْفِرِي بَلَيْلَى وَلَا تُسَلِّي

يقول: لَمَّا عَصَى قلبه وتَأَبَّى إِلَّا جَمَاحًا في لَجاجته، وَخُرُوجًا عن طاعته، ولم تنصرف نَفْسُهُ عن لَيْلَى شُغْلًا بشمير مال، وترقيح عيش، ولا بإرضاء أَهْلِ واستصلاح عشيرة، أَخَذَ السُّلُوَّ عنها في مُواصلةٍ غيرها من النِّسَاءِ وَشُغْلِ القَلْبِ بِحُبِّهَا دونها، فَإِذَا الَّتِي طَلَبَ التَّسَلَّى بِهَا تَبَعْتُ على الرُّجُوعِ إِلَى لَيْلَى، وَتَحَضُّضُ على تَرْكِ الإِثَارِ عَلَيْهَا، لِأَنَّهُ يَظْهَرُ من زيادات محاسنها، وَأَنواع ما تَوَحَّدَتْ به من فضائلها، ما يَدْعُو إلى التَّشَبُّثِ بِهَا، وِعِمارة هواها. وجواب لَمَّا أَبَى «تَسَلَّى». والجِمَاح من قولهم: جَمَحَ الفَرَسُ، إِذَا جَرَى جَرِيًّا غَالِيًّا لِرَاكِبِهِ. وقوله: «فَإِذَا الَّتِي تَسَلَّى بِهَا» إِذَا هِيَ هَذِهِ الَّتِي لِلْمَفْاجَأَةِ، وَمِنَ الظُّرُوفِ المَكَانِيَّةِ لَا الزَّمَانِيَّةِ، وما بعده مبتدأ وخبر، فَإِنَّهُ لَمْ يُجْعَلْ مستقرًّا.

٤٩٨ - آخر^(٢):

[الطويل]

١ - عَجِبْتُ لِبُزْنِي مِنْكَ يَا عَزَّ بَعْدَمَا عَمِرْتُ زَمَانًا مِنْكَ غَيْرَ صَحِيحٍ

(١) التبريزي: «وقال آخر»، والبيتان بلا نسبة في الزهرة ١: ٧٨، وذم الهوى ٣٥٣، ولمجنون ليلي في مصارع العشاق ١: ٢٢٥، وديوانه ٢٣١، ولابن الدمينية في ديوانه ٢٤.

(٢) التبريزي: «وقال آخر، وهو كثير».

٢ - فَإِنْ كَانَ بُرْءُ النَّفْسِ لِي مِنْكَ رَاحَةً فَقَدْ بَرِئْتُ إِنْ كَانَ ذَاكَ مُرِيحِي
٣ - تَجَلَّى غِطَاءُ الرَّأْسِ عَنِّي وَلَمْ يَكُذْ غِطَاءُ فُؤَادِي يَنْجَلِي لِسَرِيحِ

يقول: قضيتُ العجبَ من انصراف قلبي عنك، وبُرئني من الداءِ فيك، بعد ما بقيت زمانًا مبتلى النفس في هواك، عليل القلبِ بوجدك، مُبرِّحًا بي حُبِّك؛ فإن كان برء النفس يُغيبُ لي راحةً منك وفي هواك فقد برئتُ والراحة منتظرةٌ، إن كانت من نتائجهِ ومسيباتهِ. ثم قال: «تجلى غطاء الرأس»، يريد: شئتُ واستبدلتُ بلونِ رأسي وسوادِ شعري لونًا آخرَ حديثًا، فكأنَّ المتقدم كان كالغطاء على رأسي، تكشف بالثاني، ولم يكُ ما نغشى قلبي من حُبِّك ينكشف بالهويّتي.

فإن قيل: في ظاهر هذا الكلام تناقضٌ، لأنَّ القائل إذا كذتُ أفعُلُ كذا معناه شافهُتُ فِعْلَهُ وشارفُتُهُ، ولا يكون قد فَعَلَهُ؛ وإذا قال: لم يكُ فُلَانٌ يَفْعَلُ كذا، معناه يَقْرُبُ وقوْعُ ذلك منه. فإذا كان كذلك فقد نفَى عن نفسه ما أثبتَه بقوله: «تَجَلَّى غِطَاءُ الرَّأْسِ»، لقوله: ولم يكُ غِطَاءُ فُؤَادِي يَنْجَلِي لسريح. قلت: لو أمسك عندَ قوله: «ولم يكُ غِطَاءُ فُؤَادِي يَنْجَلِي» لكان الأمرُ على ما قلتُ، لكنَّهُ لما قال: «للسريح» بيّن أنَّه لم يَكُنْ عن سهولةٍ وبعجلةٍ، وقلةِ تَعَبٍ ومشقةٍ، فَنَفِيهِ في الحقيقة لِقلةِ التَّعبِ والسهولة لا للانجلاء، وإذا كان كذلك يَكُونُ الغطاء قد انجلى عن القلب، لكنَّهُ انجلى بعد طُولِ مزاولةِ نَصَبٍ، ومقاساةِ كَمَدٍ، وعن شِدَّةِ تَقَاوُمٍ، وبِلَاءٍ مُلَازِمٍ. ويقال في الدُّعاء للمرأة إذا طُلِقَتْ عند الولادة: اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ سَهْلًا سَرَّحًا. فالسَّراح والتَّسريح كلُّها في طريقِ واحدٍ، وهو السُّهولة والعجلة. ويقال: سَرَّحَهُ اللهُ تعالى للخير، أي وفَّقَهُ له وعَجَّلَهُ. وفي المثل: «السَّراحُ من النَّجاح».

٤٩٩ - وقال عُرْوَةُ بْنُ أَذِينَةَ^(١): [البسيط]

١ - إِلْفَانٍ يَغْنِيهِمَا لِلْبَيْنِ فُرْقَتُهُ وَلَا يَمْلَأَنِ طُولَ الدَّهْرِ مَا اجْتَمَعَا^(٢)
٢ - مُسْتَقْبِلَانِ نَشَاصًا مِنْ شَبَابِهِمَا إِذَا دَعَا دَعْوَةَ دَاعِي الْهَوَى سَمِعَا
٣ - لَا يُغْجِبَانِ بِقَوْلِ النَّاسِ عَنْ عُرْضٍ وَيُغْجِبَانِ بِمَا قَالَا وَمَا صَنَعَا

(١) سبقت ترجمته في الحماسية (٤٦٣). (٢) التبريزي: «تغنيهما».

البين يقع على وجوه: أحدهما أن يكون مصدرَ بان يبين يَبِّنا وبينونة. والثاني أن يكون ظرفًا، تقول: بين القوم كذا، وهو لشيئين يتباين أحدهما عن الآخر فصاعدًا. والثالث: أن يفيد معنى الوصل، على ذلك قوله تعالى: ﴿لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: الآية ٩٤]. ألا تَرَى أن معناه تَقَطَّعَ وصلكم، ولا يصح أن يكون المراد تقطع افتراقكم، لفساد المعنى. وعلى هذا قولهم: سعى فلان لإصلاح ذات البين من عشيرته؛ لأن المراد إصلاح الوصل لا الافتراق. والذي في البيت هو الثالث، لأن المعنى: هما متحابان قد أَلِفَ كلُّ منهما صاحبه، والذي يهْمُهما ويَغْنِيهما للوصل ما يُخْشَى تعقبه له من الفُرقة، فخوفُهما منها وفكرُهما فيها، ولا يكتسبان ملاً من اتصال الاجتماع طول الدهر. فقولُه: «طول الدهر» يجوز أن يكون مفعول يملآن، أي: لا يملآن تطاول الوقت إذا اجتماعا، ومدَّة اجتماعهما. ويجوز أن يكون طول الدهر ظرفًا، وما اجتماع مفعول يملآن، أي لا يملآن الاجتماع طول الدهر. وقوله: «مستقبلان نَسَاصًا»، فالنَسَاص أصلُه السحاب إذا ارتفع من قِبَل العَيْن حينَ يَنْشَأ وَيَغْلُو، فاستعير هنا لما يُقْتَبَل من الشَّبَاب وأَيَّام الصَّبَا واللَّهْو؛ كأنه يَمْطُرُهُمَا النَّشَاطُ والسُّرُور كما يَمْطُرُ السَّحَابُ الغَيْثَ. وجعل ذلك فيهما بحيثُ يسمعان قريبًا دُعاء مُنَادِي اللَّهْو ويحييانه؛ لأنَّ الوقت وقتُ التَّصَابِي والبَطَالَة. وإلى هذا أشار أبو نُوَاس في قوله: [البسيط]

قَدْ عَذَّبَ الْحُبُّ هَذَا الْقَلْبَ مَا صَلَحَا فَلَا تُعَدُّنْ ذَنْبًا أَنْ يُقَالَ صَحَا

وقوله: «لا يُعْجَبَان بِقَوْلِ النَّاسِ عَنْ عُرْضٍ»، هو من قولهم: نَظَرْتُ إِلَيْهِ عَنْ عُرْضٍ، أي عن ناحية. والمعنى: أنه لا يُعْجِبُهُمَا مِنْ مَقَالِ النَّاسِ وَقَعَالِهِمْ شَيْءٌ، ولا يأخذ قَلْبُهُمَا وَعَيْنُهُمَا حَدِيثَ وَلَا إِبْلَاحَ مِمَّنْ كَانَ عَنْ نَاحِيَةٍ وَشِقٍّ، لكنَّ الْحَسَنَ عِنْدَهُمَا فِيمَا يَتَفَاوَضَانِهِ أَوْ يَتَقَارِضَانِهِ، وَالْإِعْجَابُ يَتَعَلَّقُ بِمَا يَصْنَعَانِهِ وَيُؤْثِرَانِهِ؛ إِذْ كَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا قَدْ صَارَ فِي مَلَكَةِ هَوَى صَاحِبِهِ، وَفِي رِفَاقِ قَبِيلِهِ، فَلَا يُبْصِرُ إِلَّا بَعِيْنَهُ، وَلَا يَسْمَعُ إِلَّا بِأُذُنِهِ.

٥٠٠ - وقال^(١):

[الطويل]

١ - وَلَمَّا بَدَأَ لِي مِنْكَ مَيْلَ مَعَ الْعِدَى سِوَايَ وَلَمْ يَخْذُتْ سِوَاكَ بَدِيلَ

(١) التبريزي: «وقال آخر»، وفي أمالي القالي ٦٦: ٤ لجميع، وهما في ديوانه ١٦٣.

٢ - صَدَدْتُ كَمَا صَدَّ الرَّمِي تَطَاوَلْتُ بِهِ مُدَّةَ الْأَيَّامِ وَهُوَ قَتِيلٌ

قال سيبويه: معنى سَوَى بَدَل ومكانَ تقول. عندي رَجُلٌ سَوَى زَيْدٍ، معناه: ومكان زيد وبَدَل زيد، وعلى ما فَسَّرَهُ يكون معنى البيت: ولَمَّا بدا لي مَيْلُكَ مع الأعداء بَدَل مَيْلِكَ إِلَيَّ ومكانَ مَيْلِكَ، ولم يَخْدُثْ لي بَدِيلُ مَكَانِكَ وَعِوَضًا مِنْكَ أَعْرَضْتُ عَنْكَ إِعْرَاضَ الرَّمِي مِنَ الصَّيْدِ الْمَصَابِ بِسَهْمِ الصَّيَّادِ، وهو قَتِيلُهُ، لَأَنَّ الإِصَابَةَ عَمِلَتْ عَمَلَهَا، لَكِنَّ الْمُدَّةَ تَطَاوَلَتْ بِهِ، فَهُوَ رَهِيْنٌ بِإِصَابَتِهِ. يريد: صَدَدْتُ عَنْكَ) صَدُوْدٌ يَأْسُ لَا صَدُوْدَ مُقْلِيَةٍ، وَأَنَا أَعْلَمُ أَنَّ هَوَاكَ قَاتِلِي كَهَذَا الرَّمِي الَّذِي لَا يُشْكُ فِي كَوْنِهِ قَتِيلًا وَإِنْ طَالَ نَفْسُ مُهْلَتِهِ، وَمُدٌّ مِنْ أَمَدٍ مَنِيَّتِهِ.

٥٠١ - وقال آخر: [الطويل]

١ - أَحْبَبًا عَلَى حُبِّ وَأَنْتِ بِخَيْلَةٍ وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّ لَا يُحِبُّ بِخَيْلٍ
٢ - بَلَى وَالَّذِي حَجَّ الْمُتَلَبُّونَ بَيْتَهُ وَيَشْفِي الْهَوَى بِالثَّيْلِ وَهُوَ قَلِيلٌ
٣ - وَإِنْ بَنَّا لَوْ تَعْلَمِينَ لَغُلَّةً إِلَيْكَ كَمَا بِالْحَائِمَاتِ عَلِيلٌ

الألف من قوله: «أَحْبَبًا» لفظه الاستفهام ومعناه التوبيخ. وَاِنتَصَبَ حُبًّا بِإِضْمَارِ فِعْلٍ؛ كَأَنَّهُ قَالَ: أَتَجْمَعِينَ عَلَيَّ حُبًّا عَلَى حُبِّ، أَوْ أَتَزِيدُنِي حُبًّا بَعْدَ حُبِّ، مَعَ بُخْلِكَ وَإِثَارِ زَهْدِكَ، وَعِنْدَ النَّاسِ فِي أَحْكَامِهِمْ وَاعْتِقَادِهِمْ أَنَّ الْبَخِيلَ لَا يَكُونُ مُحِبًّا، كَأَنَّهُ عَاتَبَهَا وَقَرَّعَهَا مِنْ أَمْرِ الَّذِي بَيْنَهُمَا، وَأَنَّهُمَا مِنْ أَجْلِهِ فِي طَرْفِي نَقِيضٍ، وَفِي لَوْنٍ مِنَ الْعِشْقِ طَرِيفٍ، وَذَلِكَ أَنَّ مَعَامَلَتَهَا لَهُ مَعَامَلَةٌ مِنْ لَا يَتَنَذَّى عَلَيْهِ وَلَا يَرْحُمُهُ، وَلَا يَتَسَخَّى بِشَيْءٍ لَهُ، وَأَنَّ جَذْبَهَا إِلَيْهِ فِي الْهَوَى جَذْبٌ مَنْ لَا يَكْتَفِي مَعَهُ بِعَفْوِهِ حَتَّى يَجْهَدَهُ وَيَزِيدَهُ وَجْدًا عَلَى وَجْدٍ، وَالْمَا بَعْدَ أَلَمٍ. قَالَ: هَذَا خَالِي مَعَكَ، وَفِي زَعَمَاتِ النَّاسِ أَنَّ الْقُلُوبَ جُبِلَتْ عَلَى حُبِّ الْمُحْسِنِينَ الْبَاذِلِينَ، لَا الْمُسِيئِينَ الْبَاخِلِينَ، ثُمَّ اسْتَدْرَكَ فَقَالَ: بَلَى وَاللَّهِ الْمُحْجُوجُ بَيْتَهُ، الْمَعْظَمُ حَرْمُهُ، الْمُدَاوِي مِنْ دَاءِ الْهَوَى بِالْيَسِيرِ الْخَفِيفِ مِنَ الثَّيْلِ، إِنَّ الْبَخِيلَ لِيُحِبِّ. وَذَلَّ عَلَى الْمُقْسَمِ لَهُ بِقَوْلِهِ: «وَإِنْ بَنَّا لَوْ تَعْلَمِينَ لَغُلَّةً»، وَهِيَ حَرَارَةُ الْعَطَشِ، كَمَا يَكُونُ غُلَّةُ الْحَائِمَاتِ، وَهِيَ الطُّيُورُ الَّتِي تَحُومُ عَلَى الْمَاءِ وَتَدُورُ مِنْ شِدَّةِ الْعَطَشِ ثُمَّ تَقَعُ عَلَيْهِ، وَقَدْ تَكُونُ الْعِطَاشُ أَنْفَسَهَا. وَقَوْلُهُ: «وَأَنْتِ بِخَيْلَةٍ» الْوَائِي وَوَ الْحَالِ. وَقَوْلُهُ: «أَلَا يُحِبُّ» إِنْ شِئْتَ جَعَلْتَ أَنَّ النَّاصِبَةَ لِلْفِعْلِ فَتَصَبَّتْ يُحِبُّ بِهِ، وَإِنْ شِئْتَ جَعَلْتَهُ الْمُخَفَّفَةَ مِنَ الثَّقِيلَةِ فَيَرْتَفِعُ يُحِبُّ، يَرِيدُ: أَنَّهُ لَا يُحِبُّ. ثُمَّ قَالَ: بَلَى، وَهُوَ جَوَابُ اسْتِفْهَامٍ مَقْرُونٍ بِتَفْئِي. عَلَى ذَلِكَ قَوْلُ

الله عز وجل: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الأعراف: الآية ١٧٢]؛ كأنه قيل له مُسْتَفْهِمًا منه: أَيْحَبُّ الْبَحِيلِ الْمُمْسِكُ؟ فقال: بَلَىٰ وَأَقْسِمُ أَيْضًا، تَأْكِيدًا. وَالْحَجُّ: الْقَصْدُ. وَالثَّيْلُ: مَصْدَرٌ ثَلَاثَةٌ أَنْالَهُ. وقوله: «لو تعلمين» كَالْعُذْرُ لَهَا، وقد أقامه مستعطفًا، يُصَوِّرُهَا بِأَنَّهَا لَوْ عَلِمَتْ مَا بِهِ كَانَتْ لَا تَسْتَجِيزُ مَا يَجْرِي عَلَيْهِ.

٥٠٢ - وقال آخر^(١): [الطويل]

١ - إِذَا كُنْتَ لَا يُسْلِيكَ عَنْ مَنْ تَوَدُّهُ تَنَاءٍ وَلَا يَشْفِيكَ طُولُ تَلَاقٍ^(٢)
٢ - فَهَلْ أَنْتَ إِلَّا مُسْتَعِيرٌ حُشَّاشَةٌ لِمُهْجَةٍ نَفْسٍ أَذْنَتْ بِفِرَاقٍ

يخاطبُ نفسه متوجِّعًا لها، ومستوحِشًا من الحالة التي مُنِيَ بها، فيقول: إذا لم تستوفِ مع من تحبه التباعُدَ عنه، وأخذَ النفسَ بالتقصِّي منه، ليُورِثَكَ سُلُوكًا دونه، ولم يقربَ شفاءكَ من الداءِ فيه طولُ الاجتماعِ معه، واتَّصالُ التردُّدِ منه، والمريضُ في العُرفِ والعادة إذا اشتكى من دواءٍ عُولِجَ به نُقِلَ إلى ما يُضَادُّهُ، فإن لم يُغْنِ سُلْمَ لعلته، فكذلك أنت إذا لم يُنْقِغِكَ فيما تقاسيه لا الثنائي ولا التَّدَانِي، فما ذاك إِلَّا غَرَامٌ، وما أنت فيه إِلَّا مُسْتَعِيرٌ حُشَّاشَةٌ، وهي رُوحُ الْقَلْبِ، ورمقٌ من حياة النفس وقد أَذْنَتْ بالمفارقة. والمُهْجَةُ: خَالِصَةُ النَّفْسِ؛ ومنه لَبَنٌ أُمُهْجَانٌ.

٥٠٣ - وقال عبد الله بن الدُمينة^(٣): [الطويل]

١ - أَلَا يَا صَبَا نَجِدِ مَتَى هَجَبٍ مِنْ نَجْدٍ فَقَدْ زَادَنِي مَسْرَاكِ وَجَدًا عَلَى وَجْدٍ^(٤)
٢ - أَلَّا هَتَفْتُ وَزَقَاءَ فِي رَوْنَقِ الضُّحَى عَلَى فَتَنِ غَضِّ النَّبَاتِ مِنَ الرُّنْدِ
٣ - بَكَيْتُ كَمَا يَبْكِي الْوَلِيدُ وَلَمْ تَزَلْ جَلِيدًا وَأَبْدَيْتَ الَّذِي لَمْ تَكُنْ تُبْدِي

الصَّبَا: الْقَبُولُ. يَقَالُ: صَبَبَ الرِّيحُ تَضْبُو صُبُوءًا. ومتى هَجَبٌ، أي: متى تُزَلِّقُ وَاهْتَجَبَ. يَقَالُ: هَاجَ الْفُحْلُ وَالرِّيحُ هَيَاجًا. وهم يخاطبون الرِّيحَ والْبَرْقَ إذا كانا من نحوِ أرضِ المحبوب. فيقول: متى اهْتَجَبَ من أَرْضِي نَجْدٍ فَقَدْ زَادَنِي سَيْرُكَ شَوْقًا، وَجَدَّدَ لِي هُبُوبَكَ عَلَى مَا كُنْتُ أَكَابِدُهُ مِنَ الْوَجْدِ وَجَدًا.

(١) البيتان في الحماسة البصرية ١٣٦:٢، والوافي ٣٧٤:٢٢ لعلية بنت المهدي، وهما للعباس بن الأحنف في ديوانه ٢٠٣، وبلا نسبة في المصون في سر الهوى المكنون ١٥٦.

(٢) التبريزي: «عَمَّا تَوَدُّه».

(٣) التبريزي: «الخشاعي»، وقد سبقت ترجمته في الحماسية رقم (٤٥٦).

(٤) التبريزي: «لقد زادني».

وقوله: «أَأَنْ هَتَفْتُ» يخاطبُ نفسه مَبْكُتًا، فيقول: أَلَا أَنْ صَاحَتِ حَمَامَةٌ وَرَقَاءُ فِي أَوَّلِ الضُّحَى وَإِقَعَةٌ عَلَى غُضُنِ غَضْرٍ مِنْ شَجَرِ الرَّئْدِ بَكَيْتَ بَكَاءَ الصَّبِيِّ إِذَا أَعْيَاهُ مَطْلُوبُهُ، وَأَظْهَرْتَ الْعَجَزَ عَمَّا حُمِلَتْهُ، وَعَهْدُ النَّاسِ بِكَ فِيمَا مَضَى مِنْ أَيَّامِكَ وَلَمْ تَزَلْ ثَابِتَ الْقَدَمِ فِيمَا يَنْوِيكَ، دَائِمَ الصَّبْرِ عَلَى بِلْوَاكَ، إِنَّ هَذَا مِنْكَرٌ.

٤ - وَقَدْ رَعَمُوا أَنَّ الْمُحِبَّ إِذَا ذَنَّا يَمَلُّ وَأَنَّ الثَّانِي يَشْفِي مِنَ الْوَجْدِ

٥ - بِكُلِّ نَدَاوِنَا فَلَمْ يَشْفِ مَا بِنَا عَلَى ذَاكَ قُرْبُ الدَّارِ خَيْرٌ مِنَ الْبُعْدِ

٦ - عَلَى أَنَّ قُرْبَ الدَّارِ لَيْسَ بِنَافِعٍ إِذَا كَانَ مَنْ تَهَوَّاهُ لَيْسَ بِذِي وَدٍّ^(١)

يقول: زعم الناس أن الاستكثار من المحبوب والتداني منه يُكسِبُ الْمُحِبَّ مَلَالًا، وَأَنَّ الْإِسْتِقْلَالَ مِنْ زيارته والثَّنَائِي عَنْ محلِّه ودَّارِهِ يُنتِجُ لَهُ سُلُوءًا، فَدَاوَيْتُ بِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْ ذَلِكَ فَلَمْ يَنْجَعْ؛ إِلَّا أَنَّهُ عَلَى الْأَحْوَالِ كُلِّهَا وَجَدْتُ قُرْبَ الدَّارِ مِنْهُ خَيْرًا مِنْ بَعْدِهَا عَنْهُ، لِمَا تُوسَّوِسُ بِهِ النَّفْسُ فِي الْوَقْتِ بَعْدَ الْوَقْتِ مِنْ طَمَعٍ فِيهِ، وَلِتَطَّلَعَ الْمَجَاوِرِينَ لَهُ، وَتَجَدِّدَ الْحَدِيثَ عَنْهُ، إِلَى كَثِيرٍ مِمَّا يُغْدَمُ فِي الْبِعَادِ. ثُمَّ رَجَعْتُ فِيمَا أُعْطِيَ فَقَالَ: عَلَى أَنَّ تَقَارُبَ الدَّيَّارِ لَا يَكَادُ يَنْفَعُ إِذَا كَانَ الْمَحْبُوبُ لَا وَدَّ لَهُ، وَلَا مَيَلَ لَهُ. وَيُزَوَّى: «لَيْسَ بِذِي عَهْدٍ»، أَيُّ لَا يَبْقَى عَلَى مَا عُهِدَ عَلَيْهِ.

٥٠٤ - آخر^(٢): [الوافر]

١ - إِذَا مَا شِئْتُ أَنْ تَسْلَى خَلِيلًا فَأَكْثِرُ دَوْنَهُ عَدَدَ الْيَالِي

٢ - فَمَا سَلَى خَلِيلَكَ مِثْلُ نَائِي وَلَا بَلَى جَدِيدَكَ كَابْتِدَالِ

معناها ظاهر بما تقدّم، ويقال: سَلَيْتُ، بِمَعْنَى سَلَوْتُ. قَالَ: [الرجز]

لَوْ أَشْرَبُ السُّلُوَانَ مَا سَلَيْتُ^(٣)

٥٠٥ - وقال آخر^(٤): [الطويل]

١ - أَلَا طَرَقْنَا آخِرَ اللَّيْلِ زَيْنَبُ عَلَيْكَ سَلَامٌ هَلْ لِمَا فَاتَ مَطْلَبُ

(١) التبريزي: «بذي عهد».

(٢) التبريزي: «وقال آخر»، وفي الحماسة البصرية ٢: ٢١٩ لزهير بن جناب، ولزهير بن الحباب الكلبي في ذم الهوى ٦٣٤، والبيت الأول في ديوان الصباة ٢١٠.

(٣) لرؤبة في ديوانه ٢٥ - ٢٦، واللسان (سلا)، وللعجاج في ديوانه ١٨٥: ٢، وبلا نسبة في ديوان الأدب ٤: ٦٧.

(٤) البيتان الأول والثاني ليزيد بن مفرغ الحميري في الأغاني ١٨: ٢٧٠، والثالث والرابع رويًا =

٢ - وَقَالَتْ تَجَنَّبْنَا وَلَا تَفْرَبْنَا فكيف وأنتم حاجتي اتجَنَّبْ

يقول: أَتُنْتَا هذه المرأة سَحَرًا فَقُلْتُ مُسَلِّمًا عليها: عليك سلامُ الله هل لما فات من أيام الوصال والإقبال على الإحسان مَطْلَبٌ لي فأسأله. فقالت لي مجيبةً: جَانِبْنَا وَلَا تَذْنُونُ مَثًا. فَقُلْتُ: أَلَيْ يَكُونُ مِنِّي مَجَانِبَةً وَأَنْتُمْ فِي الدُّنْيَا حَاجَتِي وَمُنَايَ، وَلَا اخْتِيَارَ مَعَ الضَّرورة، كما أَنَّهُ لَا غِنَى عَنِ الْفَاقَةِ، هَذَا هُوَ ظَاهِرُ الْكَلَامِ. وَقَدْ رَأَيْتُ مِنْ يَفْسَرِهِ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِأَخْرِ اللَّيْلِ آخِرُ أَيَّامِ الشَّبَابِ. وَكَانَ يَزُوي: «عَلَيْكَ سَلَامٌ» بَفَتْحِ الْكَافِ، وَيَجْعَلُ الْخَطَابَ وَالتَّسْلِيمَ مِنَ الْمَرْأَةِ لِلرَّجُلِ، وَيَقُولُ: إِنَّمَا حَيْثُ بَتَحْيَةِ الْمَوْتَى لَتَوَلَّى أَيَّامَهُ، وَتَنَاهَى عُمُرَهُ، وَقَوْلُهَا: «هَلْ لِمَا فَاتَ مَطْلَبٌ» مِنْ كَلَامِهَا مَعَاتِبَةٌ، كَأَنَّهَا أَنْكَرَتْ التَّعَرُّضَ لَهَا وَقَدْ فَاتَهُ دَالَّةُ الشَّبَابِ، وَشَفَاعَةُ النُّضَارَةِ وَالْإِقْبَالِ، وَالْأَوَّلَى مَا قَدَّمْتُهُ.

٣ - يَقُولُونَ هَلْ بَعْدَ الثَّلَاثِينَ مَلْعَبٌ فَقُلْتُ: وَهَلْ قَبْلَ الثَّلَاثِينَ مَلْعَبٌ

٤ - لَقَدْ جَلَّ خَطْبُ الشَّيْبِ أَنْ كُنْتُ كُلَّمَا بَدَتْ شَيْبَةٌ يَغْرَى مِنَ اللَّهْوِ مَرْكَبٌ

المُضْمَرُ فِي «يَقُولُونَ» الْمُتَعَصِّبُونَ لِلْمَرْأَةِ وَالنَّاسِ، يَرِيدُ: عَيَّرُونِي بِتَعَاطِي الصُّبَا وَاللَّهْوِ وَاللَّعِبِ، بَعْدَ تَقْضِيِ الثَّلَاثِينَ مِنْ أَيَّامِ عُمُرِي، فَقَالُوا: هَلْ بَعْدَ الثَّلَاثِينَ مَلْعَبٌ، أَيْ لَا يَنْبَغِي اللَّهْوُ لِمِثْلِكَ. فَقُلْتُ لَهُمْ: وَهَلْ قَبْلَ الثَّلَاثِينَ ذَلِكَ. وَالْمَعْنَى: أَنَّ مَنْ عَدَّ مَا دُونَ الثَّلَاثِينَ فَهُوَ فِي عِدَادِ الصُّبْيَانِ، لَا يَعْرِفُ اللَّذَاتِ، وَلَا يَصْلُحُ لِلْبَطَالَاتِ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ: وَهَلْ تَسَهَّلَ لِي قَبْلَ الثَّلَاثِينَ شَيْءٌ مِنْ مَبَاغِي اللَّهْوِ وَاللَّعِبِ فَيُنْكَرَ مِنِّي طَلْبِي إِيَّاهُ بَعْدَهُ.

وقوله: «لَقَدْ جَلَّ خَطْبُ الشَّيْبِ» لَقَدْ جَوَابُ يَمِينِ مُضْمَرَةٍ، وَلَكَ أَنْ تَرَوِيَ «أَنْ كُنْتُ كُلَّمَا»، وَالْمَعْنَى: لِأَنَّ كُنْتُ كُلَّمَا، وَلَكَ أَنْ تَكْسِرَ الْهَمْزَةَ فَتَكُونَ إِنَّ الْمَفِيدَةَ لِلشَّرْطِ، وَالْمُرَادُ: إِنْ كُنْتُ كُلَّمَا بَدَتْ فِي رَأْسِي لُمْعَةٌ مِنَ الشَّيْبِ يُلْزَمُ مِنْهَا أَنْ أَعْرِي مَرْكَبًا مِنْ مَرَاكِبِ اللَّهْوِ، فَلَقَدْ عَظُمَ خَطْبُ الشَّيْبِ، وَيَكُونُ جَوَابُ إِنْ فِي قَوْلِهِ: «لَقَدْ جَلَّ خَطْبُ الشَّيْبِ»، وَكُلَّمَا فِي مَوْضِعِ الظَّرْفِ.

٥٠٦ - وَقَالَ كَثِيرٌ^(١): [الطويل]

١ - وَأَذْنَيْتَنِي حَتَّى إِذَا مَا قَتَنْتَنِي يَقُولُ يَحِلُّ الْعُضْمَ سَهْلَ الْأَبَاطِحِ^(٢)

= متفصلين في ديوان الحماسة برواية الجواليقي وقد نسبهما إلى أشجع السلميّ.
(١) لقيس بن الملوّح في الأغاني ٢: ١٤، والزهرة ٩٤، وأسواق الأشواق خ ٦٤ ظ، والواضح المبين ٣٠٨، وتزيين الأسواق ١١٩، وديوانه ٥٥.
(٢) التبريزي: «إِذَا مَا مَلَكْتَنِي».

٢ - تَنَاهَيْتِ عَنِّي حِينَ لَا لِي حِيلَةٌ وَغَادَزْتَ مَا غَادَزْتَ بَيْنَ الْجَوَانِحِ
يقول: تَوَقَّرْتُ عَلَيَّ وَلَطَفْتُ لِي الْمَقَالَ وَالْفَعَالَ، عَلَى تَطَلُّقٍ مِنْ وَجْهِكَ،
وَهَشَاشَةٍ ظَاهِرَةٍ مِنْكَ، حَتَّى أَوْقَعْتَنِي فِي حِبَالَتِكَ، وَخَبَّبْتَ قَلْبِي بِكَلَامٍ يَقْرُبُ الْبَعِيدَ،
وَيَسْهَلُ الْعَسِيرَ، وَيُؤْنَسُ النَّافِرَ، وَيُطْمِعُ الْيَائِسَ، فَلَمَّا اسْتَكْمَلَ مَرَاذُكَ فِيَّ ضَمَمْتَ
أَطْرَافَكَ إِلَيْكَ، وَقَبَضْتَ مَا انْبَسَطَ مِنْ أَمْلِي فِيكَ. وَالْعُضْمُ: جَمْعُ أَغْصَمَ وَعَصَمَاءُ،
وَهِيَ الرُّعُولُ الْجَبَلِيَّةُ الَّتِي فِي قَوَائِمِهَا بِيَاضٌ. وَجَوَابُ «إِذَا» تَنَاهَيْتِ عَنِّي. وَالْمَعْنَى:
بَعْدَ مَا كَسَبْتَنِي خَبَالًا، وَجَلَبْتِ عَلَى عَقْلِي وَقَلْبِي فَسَادًا، كَفَفْتِ عَنِّي، وَتَبَاعَدْتَ مِنِّي
وَقَدْ أَغْيَيْتَنِي الْجِيلُ فِي الْإِنْفِكَافِ، وَتَأَيَّى تَمَازُجُ الْهَوَى وَتَلَاصُّقُهُ مِنَ الْإِنْسِلَاحِ، وَتَرَكْتِ
بَيْنَ جَوَانِحِي مَا تَرَكْتِ مِنْ وَجْدٍ مُتَّصِلٍ، وَحُزْنٍ دَائِمٍ.

فَإِنْ قِيلَ: إِنَّ كَثِيرًا عَلِمَ فِي النَّسِيبِ، فَلِمَ لَمْ يَرْضَ بِإِظْهَارِ التَّوَجُّعِ مِنَ الْمَعَامَلَةِ،
وَالْتَّأَلُّمِ مِنَ التَّهَاجُرِ وَالْقَطِيعَةِ، حَتَّى اعْتَدَّ عَلَى صَاحِبَتِهِ ذَنْبًا. وَنَسَبَ إِلَيْهَا خِيَانَةً وَوِزْرًا؟
لَأَنَّ الَّذِي وَصَفَ مِنْ افْتِنَانِهَا فِي افْتِنَانِ الرُّجَالِ لَيْسَ مِنْ شَأْنِ الْعَفَافِ؟ قُلْتُ: إِنَّ كَثِيرًا
لَمْ يَصِفْ صَاحِبَتَهُ إِلَّا بِصِفَةِ الْعَفَافِ. أَلَمْ تَسْمَعْ قَوْلَ الْآخِرِ: [الطويل]

بَرَزْنَ عَفَافًا وَاخْتَجَبْنَ تَسْتُرًا وَشَيْبَ بِقَوْلِ الْحَقِّ مِنْهُنَّ بَاطِلُ
فَذُو الْجِلْمِ مُرْتَابٌ وَذُو الْجَهْلِ طَامِعٌ وَهُنَّ عَنِ الْفَحْشَاءِ حَيْدٌ نَوَاطِلُ
كَوَاسٍ عَوَارٍ، صَامِتَاتٌ نَوَاطِقُ يَعْفُ الْكَلَامُ، بِأَذْلَالٍ بِوَاحِلُ

فَتَأَمَّلْ مَا قَالَهُ فَإِنَّهُ غَايَةٌ فِي اسْتِقَامَةِ الطَّرِيقَةِ، وَإِنْ هَلَكْتَ نَفُوسٌ، وَخُبِّلَتْ
عُقُولٌ.

وَحُدِّثَ عَنْ أَبِي حَاتِمٍ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ عَنْ أَبِي عَمْرٍو بْنِ الْعَلَاءِ، عَنْ رَاوِيَةٍ كَثِيرٍ
قَالَ: كُنْتُ مَعَ جَرِيرٍ وَهُوَ يَرِيدُ الشَّامَ، فَطَرِبَ فَقَالَ: أَتُنِيدُنِي لِأَخِي بَنِي مُلَيْحٍ، يَعْنِي
كَثِيرًا، فَأَنْشُدْتَهُ حَتَّى انْتَهَيْتَ إِلَى قَوْلِهِ: وَأَدْنَيْتَنِي حَتَّى إِذَا مَا فَتَنْتَنِي، الْأَبْيَاتُ، قَالَ
جَرِيرٌ: لَوْلَا أَنَّهُ لَا يَحْسُنُ بِشَيْخٍ مِثْلِي النُّخَيْرُ لَنَخَرْتُ حَتَّى يَسْمَعَ هِشَامٌ عَلَى سَرِيرِهِ.

٥٠٧ - وَقَالَ آخِرُ^(١): [الطويل]

١ - تَعَرَّضْنَ مَزْمَى الصَّيْدِ ثُمَّ رَمَيْنَنَا مِنْ الثُّبُلِ لَا بِالطَّائِشَاتِ الْخَوَاطِفِ

(١) ورد في ديوان الحماسة برواية الجواليقي: «قال عمارة بن عقيل بن بلال بن حرير»، وبلا نسبة
في الزهرة ١: ٤٦٦، ومصارع العشاق ١: ٢٠٤، والمصون في سر الهوى المكنون ٥٣، وتزيين =

٢ - ضَعَائِفُ يَفْتُلْنَ الرُّجَالَ بِلَا دَمٍ فَيَا عَجَبًا لِلْقَاتِلَاتِ الضُّعَائِفِ
٣ - وَلِلْعَيْنِ مَلَهَى فِي الثَّلَادِ وَلَمْ يَقْدُ هَوَى النَّفْسِ شَيْءٌ كَاقْتِيَادِ الطَّرَائِفِ

قوله: «مَزَمَى الصيد»، موضعه نصبٌ على الظرف، أي تعرّض لنا وبيننا وبينهن غَلَوَةُ سَهْمٍ، فِعْلٌ المتعرّض للصيد إذا أراد رَمِيَهُ. ويُراد بالصَّيد المَصِيد، كما يُراد بِالْخُلُقِ الْمَخْلُوقُ. وقوله: «ثُمَّ رَمِينَا مِنَ النِّبْلِ»، يريد: ثُمَّ نَظَرْنَا إِلَيْنَا وَعَرَضْنَا مُحَاسِنَهُنَّ عَلَيْنَا، وتلك نبأهنّ التي لا تَخِيفُ فَتَعْدِلُ، وَلَا نَخْطِفُ فَتَقْصُرُ. والخَاطِفُ من السَّهام: الذي يَقْعُ على الأرض ثم يحبو إلى الهَدَفِ كأنه يَخْطِفُ من الأرض شيئًا. والطَّائِشُ: الخفيف الذي لا يستقيم؛ ومنه الطَّيْشُ والطَّيَاش، كأنه يُرَى لَخْفَتِهِ عَادِلًا عن سواء السبيل. ومفعول رميننا الثاني محذوف؛ كأنه قال: رميننا لا بالطائشات، ولكن بالصَّائِبَاتِ النَّاقِرَاتِ. والنَّاقِرُ: الذي يَنْقُرُ الهَدَفَ.

وقوله: «ضَعَائِفُ يَفْتُلْنَ الرُّجَالَ بِلَا دَمٍ»، يريد: بِلَا تِرَةٍ وَدَخْلٍ. والضَّعْفُ الذي أَسَارَ إِلَيْهِ يَرِيدُ فِي الْخِلْقَةِ وَالْخُلُقِ، أي: يَفْتُلْنَ الرُّجَالَ وَإِنْ ضَعُفْنَ عَنْ جِذَابِهِمْ كَيْدًا وَفِعْلًا. ثم قال: يَا عَجَبًا لِمَنْ يَقْتُلُ الْقَوِيَّ عَلَى ضَعْفِهِ، وَيَا عَجَبًا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ عَلَى طَرِيقِ الثُّدْبَةِ، وَيَكُونَ مُنَادِي مَفْرَدًا أَلْحَقَ بِهِ الْأَلْفَ لِيَمْتَدَّ بِهِ الصَّوْتُ، وَيَدُلَّ عَلَى فِرَاطِ الشُّكُو. ويجوز أن يكون مُنَادِي مُضَافًا قَفَرٌ مِنَ الْكُسْرَةِ وَبَعْدَهَا يَاءٌ فَانْقَلَبَتْ أَلْفًا. واللام من قوله «لِلْقَاتِلَاتِ» هي التي تَفْسِّرُ بِأَنَّهَا لَامُ الْعِلَّةِ، كأنه عَلَّلَ تَعَجُّبَهُ بِقَوْلِهِ لِلْقَاتِلَاتِ، فَارْتَفَعَ ضَعَائِفُ عَلَى أَنَّهُ خَبِرَ مُبْتَدِئًا مُحذُوفًا.

وقوله: «وَلِلْعَيْنِ مَلَهَى فِي الثَّلَادِ»، يُرِيدُ: أَنْ لِلْعَيْنِ لَهَوًا وَرَاحَةً إِذَا نَظَرَتْ فِي الثَّلَادِ الرَّائِقِ الْمَعْجَبِ - وَالثَّلَادُ: مَا قَدَّمَ مِلْكُهُ - وَلَمْ يَجْذِبْ هَوَى النَّفْسِ شَيْءٌ كَمَا يَجْذِبُهُ الطَّرَائِفُ، وَهِيَ الْمُسْتَحْدَثَاتُ، وَهَذَا كَمَا يَقَالُ: «لِكُلِّ جَدِيدٍ لَذَّةٌ» وَمَا أَشْبَهَهُ. وَقَادَ اقْتَادَ بِمَعْنَى وَاحِدٍ، وَالْمَلَهَى كَمَا يَجُوزُ أَنْ يَرَادَ بِهِ الْحَدَثُ، وَهُوَ اللَّهْوُ، يَجُوزُ أَنْ يَرَادَ بِهِ مَوْضِعُ الْحَدَثِ وَوَقْتُهُ.

٥٠٨ - وَقَالَ آخِرُ^(١): [الطويل]

١ - لَيْثٌ كَانَ يُهْدَى بَرْدُ أَنْبَابِهَا الْعُلَى لِأَفْقَرِ مِنِّي إِنْ نِي لِفَقِيرُ

= الأسواق ١٩، و(١، ٢) في اعتلال القلوب ١٣٣، وديوان الصبابة ٢٩٦.

(١) لعبد الله بن الدمينه في ديوانه ٢٥.

قوله: «يُهْدَى» يجوز أن يكون من الإهداء الإتحاف، ويجوز أن يكون من الهداء الرُفَاف. وقوله: «أُنيابها العُلَى»، يراؤ به الشَّرِيفَةُ العالية الشَّان. ويجوز أن يَراد بالْعُلَى الأَعالي من الأسنان، لأنها موضع القُبل. ويعني بيزد الأسنان: عُدْوَةٌ الرُّضاب عند المذاق. وقوله: «إنني لفقيرٌ» فعيل بناء المبالغة، ولا سيَّما إذا أُطْلِقَ إطلاقاً، فلا يقال فقيرٌ إلى كذا وكذا فيُخَصَّص. والمعنى: إن كان يترَبَّص بمُتَسِقٍ مَضْحَكِها، وواضح مُقْبِلِها، وطيب رُضابها، ويزد أسنانها، لمن هو أفقر مِنِّي إليها، فإنني الفقيرُ مطلقاً. والمعنى: لا غاية وراء فقري. ومما يَجري مجرى فقيرٍ إذا أُطْلِقَ، قولهم سقم. ألا ترى قول الآخر: [الطويل]

لَيْزَ لَبَنُ الْمَغْزَى بِمَاءِ مُوَيْسَلٍ بَعَانِي دَاءَ إِنْسِي لَسَقِيمٍ^(١)

يريد: المتناهي في السَّقَمِ حتى لا غاية وراءه. وأفقر، كأنه بُني على فقر المرفوض في الاستعمال. وإنما قلت هذا لأن فقيراً كان حُكْمُهُ أن يكون فعله على فَقْرٍ، ولم يجئ منه إلا افتقر. وشَرَطُ فعل التعجب وما يتبعه من بناء التفضيل أن لا يجيء إلا من الثلاثي في الأكثر، وما كان على أفعال خاصة، وإذا كان كذلك فأفقر لا يصح أن يكون مبنياً على افتقر ولكن على فَقْرٍ؛ فهذا طريق. ولك أن تقول: بُني منه على حذف الزوائد، كما جاء: ريحٌ لاقِحٌ والمراد مُلْقِحٌ، وما أشبهه.

٢ - فما أَكْثَرَ الْأَخْبَارَ أَنْ قَدْ تَزَوَّجَتْ فَهَلْ يَأْتِيَنِي بِالطَّلَاقِ بِشِيرُ

قوله: «أن قد تزوجت»، أراد: بأن قد تزوجت. وحذف الجار مع أن كثيراً، وموضعه من الإعراب مفعول من قوله الأخبار. والأخبار: جمع خَبَرٍ، ووضع خَبَرًا موضع الإخبار، كما يوضع الطاعة موضع الإطاعة، ثم عدَّاه وهو مجموع، ومثله: [الطويل]

مَوَاعِيدَ عُرْقُوبٍ أَخَاهُ بَيْثِرٍ^(٢)

ألا تراه أنه انتصب أخاه عن جمع وهو مواعيد. ومعنى البيت: كثر في أفواه الناس الإخبار بتزويجها، واشتغالها ببيعها عن غيره، فهل يأتيني مبشراً بتطبيقها. وهذا ليس باستفهام وإنما هو تمنٍّ.

(١) لواقد بن الغطريف الطائي في اللسان (وسل، بغا، وسل)، ومعجم البلدان ٨: ٢٠٣.
(٢) لابن عبيد الأشجعي في خزانة الأدب ١: ٥٨، وللأشجعي في اللسان (ترب، عرقب)، وأمثال الميداني (مواعيد عرقوب)، وللشماخ في ملحق ديوانه ٤٣٠، وصدره:
«وعدت وكان الخلف منك سجية»

٥٠٩ - وقال آخر^(١): [الطويل]

- ١ - يُقَرِّرُ بَعِينِي أَنْ أَرَى رَمْلَةَ الْغَضَى إِذَا مَا بَدَتْ يَوْمًا لَعِينِي قِلَالُهَا
٢ - وَلَسْتُ وَإِنْ أَحْبَبْتُ مَنْ يَسْكُنُ الْغَضَى بِأَوَّلِ رَاجٍ حَاجَةً لَا يَنَالُهَا

أضاف الرملة إلى الغضى تشهيراً لها. وقوله: «يُقَرِّرُ بعيني»، هذه الباء تزداد كثيراً مع أَقَرَّ، والأصل يُقَرِّرُ عَيْنِي، وزيدت الباء تأكيداً. تقول: قَرَرْتُ عَيْنِي وأَقَرُّهَا اللهُ. وقوله: «أَنْ أَرَى» في موضع الفاعل لِيُقَرِّرَ، والمراد: إِذَا بَدَتْ يَوْمًا لَعِينِي قِلَالُ الْغَضَى - وهو جمع القلَّة وهي أعلى الجبل - فَقَرَّرْتُ عَيْنِي فِي أَنْ أَرَى رَمَالَهَا أَيْضًا وَبَطْحَاوَاتِهَا. ثم قال على طريق اليأس من ذلك: وَلَسْتُ بِأَوَّلِ مَنْ رَجَا مُؤَمَّلًا، واثتمر مُقَدَّرًا، ثم لم يحصل منهما على طائل. يريد: وَلَا غَزُوَ إِنْ كُنْتُ أَحْبَبْتُ سُكَّانَ الْغَضَى أَنْ يَكُونَ هَذَا حَالِي مَعَهُمْ؛ كَأَنَّهُ كَانَ بَيْنَ أَهْلِ الْغَضَى وَبَيْنَ قَوْمِهِ عَدَاوَةٌ، أَوْ حَالَةٌ مَانِعَةٌ مِنَ الْمَزَاوَرَةِ وَالْمَوَاصِلَةِ؛ فَلِذَلِكَ قَالَ مَا قَالَ.

٥١٠ - وقال آخر^(٢): [الطويل]

- ١ - سَلِي الْبَانَةَ الْغَنَاءَ بِالْأَجْرِ الَّذِي بِهِ الْبَانُ هَلْ حَيَّيْتُ أَطْلَالَ دَارِكِ^(٣)
٢ - وَهَلْ قَمْتُ فِي أَظْلَالِهَا عَشِيَّةَ مَقَامِ أَخِي الْبَاسَاءِ وَاخْتَرْتُ ذَلِكَ^(٤)
٣ - لِيَهْنِكَ إِمْسَاكِ بِكَفِّي عَلَى الْحِشَا وَرَفَرَأَقَ عَيْنِي رَهْبَةً مِنْ زِيَالِكِ

سَلِي، أَصْلُهُ اسْأَلِي، فَحَذِفَ الْهَمْزَةُ تَخْفِيفًا وَأَبْقِيَتْ حُرُوكُهَا عَلَى السَّيْنِ، فَصَارَ إِسْلِي، ثُمَّ اسْتَغْنِيَ عَنْ هَمْزَةِ الْوَصْلِ لِتَحْرُوكِ مَا بَعْدَهَا فَحُذِفَتْ فَصَارَتْ سَلِي. وَهَذَا كَمَا تَقُولُ فِي الْأَحْمَرِ إِذَا خَفَّفْتَهُ: لَحْمَر. وَمَنْ قَالَ الْأَحْمَرُ يَقُولُ: إِسْلِي، فَيَبْقِي أَلْفَ الْوَصْلِ. وَيُرْوَى: «الْبَانَةُ الْغِنَاءُ»، وَالْغَنَاءُ: الْمَلْتَقَةُ الْكَثِيرَةُ الْوَرَقِ وَالْأَغْصَانِ، فَإِذَا

(١) فِي الزَّهْرَةِ ١: ٣٨٠ لَأَبِي الْقَمْقَامِ، وَفِي مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ ٦: ٢٩٥ لِأَحَدِ الْأَعْرَابِ.

(٢) الْأَبْيَاتُ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الدُّمَيْنَةِ فِي دِيَوَانِهِ ص ١٥ وَمَطْلَعُهَا:

(٣) التَّبْرِيزِي: «الْبَانَةُ الْغِنَاءُ».

(٤) بَعْدَهُ عِنْدَ التَّبْرِيزِيِّ:

بَدَمْعٍ كَنَظَمِ اللَّوْلُوِّ الْمُتَهَالِكِ
رَبِيعِي الَّذِي أَرْجُو نَوَالِ وَصَالِكِ
مِيزَنِي الَّتِي أَخْشَى صُرُوفِ احْتِمَالِكِ
لَقَدْ سَرَّنِي أَنْيَ خَطَرْتُ بِبَالِكِ

«وَهَلْ حَمَلْتُ عَيْنَايَ فِي الدَّارِ غَدَوَةً
أَرَى النَّاسَ يَرْجُونَ الرَّبِيعَ وَإِنَّمَا
أَرَى النَّاسَ يَخْشَوْنَ السَّنِينَ وَإِنَّمَا
لَشَنِّ سَاءَنِي أَنْ نِلْتَنِي بِمَسَاءَةٍ

ضربتها الريح غُتَّتْ. وهذا كما قال الآخر: [الخفيف]

لِلثَرَى تَحْتَهَا سُبَاتٌ وَلِلْمَا خَرِيرٌ وَلِلْعَصَوْنَ غِنَاءٌ

والأجرج من الأماكن: السَّهْلُ المختلط بالرمل. والعَيْنَاءُ، هي العظيمة الواسعة، من قولهم غان عليه كذا إذا سَتَرَ، وبه سُمِّيَ السَّحَابُ الْعَيْنُ. وإنما قال: «الذي به البان» لأنه كان منبته. واستشهد بالبان على أنه هل قَضَى حَقَّ مَنْزِلِ الْأَحْبَةِ لَمَّا وَقَفَ عليه، وهل حَيًّا أَطْلَلَهُ تَحِيَّةَ الْمُتَقَرَّبِ إِلَيْهَا، والقاضي لوازمها، وهل قَامَ فِي أَطْلَالِ الْبَانِ بِهَا مَقَامَ الضَّرِيرِ الْبَائِسِ، والكسير الرَّازِحِ، تَذَلُّلاً لَهَا، وتَلَوُّماً بِهَا؛ وهل ذلك كُلُّهُ عن اختيارٍ وقصدٍ أو كما اتفق.

ثم قال: «لِيَهْنِكَ إِسْكَاسِي»، كَأَنَّهُ لَمَّا وَقَفَ عَلَى الدَّارِ وَتَذَكَّرَ الْعُهودَ فَتصوَّرَ لَهُ مَا كَانَ دَرَسَ مِنْ آيَاتِ هَوَاهُ، وَتَجَدَّدَ مَا أَخْلَقَ مِنْهَا، خَشِيَ عَلَى كَيْدِهِ التَّصَدُّعَ فَأَمْسَكَ بِكَفِّهِ عَلَى حَشَاةٍ، تَثْبِيثًا لَهَا وَتَقْوِيَةً، وَيَكِي فَتَرَفَّرَقَ الدَّمْعُ فِي عَيْنِهِ ثُمَّ سَالَ. فقال: هَنَّاكَ اللَّهُ ذَلِكَ كُلُّهُ مِنِّي. وَانْتَصَبَ رَهْبَةً لِأَنَّهُ مَفْعُولٌ لَهُ، وَهَذَا مِنْ بَابِ التَّجَلُّدِ فِي الْهَوَى. وَالزَّيَالُ: مُصَدَّرٌ زَائِلٌ. وَفِي هَذِهِ الطَّرِيقَةِ قَوْلُ الْآخَرِ: [السريع]

يَرْفَعُ يُفْنِئُهُ إِلَى رَبِّهِ يَدْعُو وَفَوْقَ الْكَيْدِ الْيُسْرَى

٥١١ - وقال آخر^(١): [الطويل]

- ١ - تَمَنَّعَ بِهَا مَا سَاعَفْتُكَ وَلَا تَكُنْ عَلَيْكَ شَجَى فِي الصَّدْرِ جِئَ تَبِينُ^(٢)
- ٢ - وَإِنْ هِيَ أَغْطَتْكَ الْبَيَانُ فَإِنَّهَا لَغَيْرِكَ مِنْ خُلَانِهَا سَتْلِيْنُ
- ٣ - وَإِنْ حَلَفْتَ لَا يَنْقُضُ النَّأْيُ عَهْدَهَا فَلَيْسَ لِمُخْضُوبِ الْبَنَانِ يَمِينُ

يصف النساء وأخلاقهن في الانقياد والتأني إذا رُوِدْنَ، واستعمالهنَّ الوفاء من بَعْدِ غَدْرِهِنَّ، وَيُوصِي بِاسْتِيقَاءِ الْمَقَارِبَةِ مَعَهُنَّ، وَتَرْكِ تَدْقِيقِ مُحَاسَبَتِهِنَّ، وَالرَّضَا بِالْمِيسُورِ مِنْ مَصَافَاتِهِنَّ، فيقول: عليك في الاستمتاع بهنَّ مدَّةَ انقيادهنَّ لك، وإسعافهنَّ بالمراد من جهتهنَّ، لَا يَشْجُوْنُكَ تَنْكُرُهُنَّ لَكَ، وَبَيْنُونَتِهِنَّ إِذَا عَدَلْتَنَ عَنْكَ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْوَاحِدَةَ مِنْهُنَّ إِذَا لَأَنْتَ لَكَ فِيهِ بَعْضُ أَنْ تَلِيَنَّ لَغَيْرِكَ، فَلَا تَعْتَمِدْ عَلَيْهِنَّ

(١) الأبيات لقيس بن ذريح في ديوانه ص ١٢٠، والأبيات (١، ٢، ٣) بلا نسبة في الظرف والظرفاء ٢٣٦، و(٢، ٣) في اعتلال القلوب ٢١١، والثاني في الزهرة ١: ١٤٢.

(٢) التبريزي: «شجى في الحلقي».

وإن حَلَقْتَ لك أَنَّهَا نَفِي وَتَبَقَى على عهدِها معك، واعْلَمْ أَنَّهُ لا يَمِينُ لِمِثْلِهَا يُسْتَوْتَقُّ بها، أو يُسْتَنَامُ إليها، وفي طريقته قولُ بَشَّار: [الكامل]

لا يُؤْتِسُّكَ مِنْ مُحَبِّاءٍ قَوْلُ تَعْلُظُهُ وَإِنْ جَرَحَا^(١)
عُسْرُ النِّسَاءِ إِلَى مُيَاسِرَةِ وَالصَّغْبُ يُمَكِّنُ بَعْدَ مَا جَمَحَا

٥١٢ - وقال العباس بن مرداس^(٢): [الطويل]

١ - قَلِيلَةُ لَحْمِ النَّاطِرِينَ يَزِينُهَا شَبَابٌ وَمَخْفُوضٌ مِنَ الْعَيْشِ بَارِدٌ
٢ - أَرَادَتْ لَتَنْتَاشَ الرُّوَّاقَ فَلَمْ تَقُمْ إِلَيْهِ وَلَكِنْ طَأْطَأَتْهُ الْوَلَانْدُ
٣ - تَنَاهَى إِلَى لَهْوِ الْحَدِيثِ كَانَهَا أَخُو سَفْطَةِ قَدْ أَسْلَمَتْهُ الْعَوَائِدُ

الناظران: عِزْقَان فِي مَذْمَعِ الْعَيْنِينَ: يَصِفُهَا بِأَنَّهَا لَيْسَتْ بِجَهْمَةِ الْوَجْهِ، لَكِنَّهَا أَسِيلَةُ الْخَدَّيْنِ، وَيَزِينُهَا شَبَابٌ مُقْتَبَلٌ، وَرِفَاهَةٌ مِنَ الْعَيْشِ وَدَعَةٌ، وَيُقَالُ: عَيْشٌ خَفُضٌ، وَخَفُضْتُ عَيْشَهُ فَهُوَ مَخْفُوضٌ. وَالْبَارِدُ: الثَّابِتُ. وَيُقَالُ: بَرَدَ لِي عَلَى فُلَانٍ حَقٌّ، أَيِ ثَبَّتَ.

وقوله: «أَرَادَتْ لَتَنْتَاشَ الرُّوَّاقَ»، فالانتياش: التَّنَاوُلُ. يَصِفُهَا بِأَنَّهَا مَخْدُمةٌ لا تَبْتَذِلُ نَفْسَهَا فِي مِهْنَةٍ، وَلا فِي عَارِضِ خِدْمَةٍ، حَتَّى أَنَّهَا إِذَا أَرَادَتْ تَنَاوُلَ رِوَّاقِ الْبَيْتِ - وَالرُّوَّاقُ: مَا مَدُّ مَعَ الْبَيْتِ مِنْ سِتَارَةٍ - لَمْ تُتْرَكْ وَالْقِيَامَ إِلَيْهِ، وَلَكِنْ قَدَّمَتْهُ الْوَلَانْدُ، وَأَمَلَتْهُ لَهَا حَتَّى نَظَرَتْ إِلَى مَا وَرَاءَهُ، فَإِذَا كَانَتْ فِي مِثْلِ هَذَا تُودَّعُ وَتُكْفَى، فَمَا هُوَ أَثْقَلُ مِنْهُ أَبْعَدُ مِنْ اسْتِعْمَالِهَا فِيهِ. وَالطَّأْطَأَةُ: خَفُضُ الرَّأْسِ وَغَيْرِهِ عَنِ الْاِشْتِرَافِ. وَيُقَالُ لِلْفَارِسِ إِذَا ضَبَطَ فَرَسَهُ بِفَخْذَيْهِ ثُمَّ حَرَّكَهُ لِلْحُضُرِ: طَأْطَأَ فَرَسَهُ.

وقوله: «تَنَاهَى إِلَى لَهْوِ الْحَدِيثِ»، أَرَادَ أَنَّهَا تَنْصَبُ مِنْ كُلِّ أَحْوَالِهَا إِلَى اللَّهْوِ، وَتَنْتَهِي إِلَيْهِ، إِذْ كَانَ مَا عَدَا اللَّهْوَ قَدْ كُفِّيتْ، فَهِيَ مُتَعَمِّةٌ لا تَتَعَلَّلُ إِلَّا بِاللَّعِبِ وَالْهَزْلِ، فَكَأَنَّهَا عَلِيلٌ يَتَرَفَّرِقُ عَلَيْهِ وَيُشْفَقُ، حَتَّى يُتْرَكَ لا يَهْمُهُ شَيْءٌ، وَلا يَشْغَلُهُ شَأْنٌ، يَعْنِي أَنَّهَا فِي تَوْفَرِهَا عَلَى الْحَدِيثِ وَالْمَلَاهِي عَلَى نَعْمَتِهَا وَكَسَلِهَا، كَذَلِكَ الْعَلِيلُ فِي تَوْفَرِهِ عَلَى مَقَاسَاتِهِ مَا بِهِ.

(١) التبريزي: «من مخدرة».

(٢) سبقت ترجمته في الحماسية ١٤٩، وفي التبريزي: «وقال آخر، وهو عتبية بن مرداس».

٥١٣ - آخر^(١): [الطويل]

- ١ - ولو أن لَيْلَى الْأَخْيَلِيَّةَ سَلَمْتُ عَلَيَّ ودُونِي نُزَيَّةً وَصَفَائِحُ
 ٢ - لَسَلَمْتُ تَسْلِيمَ الْبَشَاشَةِ أَوْزَقًا إِلَيْهَا صَدَى مِنْ دَاخِلِ الْقَبْرِ صَائِحُ
 ٣ - وَأَغْبَطُ مِنْ لَيْلَى بِمَا لَا أَنَالُهُ إِلَّا كُلُّ مَا قَرَّتْ بِهِ الْعَيْنُ صَالِحُ
- يقول: لو أن هذه المرأة سَلَمْتُ عَلَيَّ وقد مُتُ فحال بيني وبينها صفائح القبر، وثَرَى اللَّحْدُ، لتَسَرَّعْتُ إلى جوابها، وقابلْتُ سَلَامَهَا بِبَشَاشَةٍ مِنِّي لها وطلاقة وجه، لتلقِّيها وإجابتها: فإنَّ حَصَلَ مَنَعٌ دون المراد صاح إِلَيْهَا صَدَى لي من داخل قبري بَدَل جوابٍ مِنِّي. وهذا على اعتقادهم كان، أنَّ عِظَامَ المَوْتَى تصير هَامًا وأَصْدَاءَ.

وقوله: «وَأَغْبَطُ مِنْ لَيْلَى»، يقول: إِنِّي مَزْمُوقٌ ومحسود منذُ عُرِفْتُ بَلَيْلَى، وإن لم أَتَلَّ منها مطلوبًا، ولا حَصَلْتُ مِنَ الشَّقَاءِ بها طَائِلًا؛ ثم قال: «إِلَّا كُلُّ مَا قَرَّتْ بِهِ الْعَيْنُ صَالِحُ»، يريد: أَنِي قَرِيرُ الْعَيْنِ بَأَنَّ أَذْكَرَ بها وتَعَرَّفَ بي دون طَلَابِهَا، وهذا الْقَدْرُ نَاقِضٌ وإن تَجَرَّدَ مِمَّا سِوَاهُ.

٥١٤ - وقال آخر^(٢): [الطويل]

- ١ - فَإِنْ تَمَنَعُوا لَيْلَى وَحَسَنَ حَدِيثُهَا فَلَنْ تَمَنَعُوا مِنِّي الْبُكَاءَ وَالْقَوَافِيَا
 ٢ - فَهَلَّا مَنَعْتُمْ إِذْ مَنَعْتُمْ حَدِيثُهَا خَيَالًا يُوَافِينِي عَلَى النَّأْيِ هَادِيَا
- يقول: إن حُلَّتُمْ بيني وبين لَيْلَى ومنازعتيها الكلام، والتأَنَسَّ بِحَدِيثِهَا، وَحَسَنَ النَّفْسِ عَلَى التَّزَوُّدِ مِنْهَا وَمِنْ مَغَازِلَتِهَا، فَإِنَّكُمْ لَا تَقْدِرُونَ عَلَى مَا أَنَا بِصَدْدِهِ مِنَ الْبُكَاءِ لَهَا وَجَدًّا فِيهَا، وَمِنْ قَرَضِ الشَّعْرِ فِي التَّسْيِبِ بِهَا؛ وَإِذْ قَدْ مَنَعْتُمْ حَدِيثُهَا وَالذُّنُوبَ مِنْهَا، فَهَلَّا حَبَسْتُمْ عَنِّي خَيَالًا عَارِفًا بِالطَّرِيقِ عَلَى الْبُعْدِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا، حَسَنَ الْإِهْتِدَاءِ إِلَى حَيْثُ ذَهَبَتْ عَنْهَا، يَزُورُنِي فِي الْمَنَامِ فَيُطْرِي مِنَ الشُّوقِ مَا أُخْلِقُ، وَيُعِيدُ مِنَ الْهَوَى مَا دَرَسَ. وهذا الكلامُ تحسِيرٌ لَهُمْ، وتشهيرٌ بِمَكَايِدَتِهِمْ، وتذكيرٌ بِمَا يَسُوؤُهُمْ، وإِعْلَامٌ أَنَّ الْعَهْدَ بَيْنَهُمَا مَزْعِيٌّ، وَالْهَوَى مِمَّا يَفْدَحُ فِيهِ مِنَ الْجَانِبَيْنِ

(١) التبريزي: «وقال توبة بن الحمير»، وهو شاعر من عشاق العرب المشهورين كان يهوى لَيْلَى الْأَخْيَلِيَّةَ (ت ٧٥ هـ / ٧٠٤ م)، ترجمته في فوات الوفيات ١: ٩٥، والشعر والشعراء ١٦٩.

(٢) التوبة في ذم الهوى ٤٣٥، وبلا نسبة في ديوان الصبابة ١٥١.

محفوظ، بدلالة أنه لو استجفاها لامتنع خيالها، لزوال نومه، وذهاب هُدُوهِ؛ ألا ترى الآخر يقول: [الوافر]

وكان يزورني منه خيالٌ فلما أن جفا مَنَعَ الحَيَالَا

٥١٥ - وقال نُصِيبُ^(١): [الوافر]

١ - كَأَنَّ الْقَلْبَ لَيْلَةً قَبِيلٌ يَغْدَى بَلَيْلَى الْعَامِرِيَّةِ أَوْ يُرَاحُ

٢ - قَطَاةٌ عَزَّهَا شَرَكُ فَبَاتَتْ تُجَاذِبُهُ وَقَدْ عَلِقَ الْجَنَاحُ^(٢)

يقول: لما أحسستُ بالليلة التي رُسِمَتْ بوقوع الفراق في صبيحتها، أو في وقت الزواح من غديها، وتصوّرتُ أنَّ المتواعدَ به حقٌّ، والمتحدّثَ به واقع، صار قلبي في الخفقان والاضطراب كقطاةٍ وقعت في شركٍ يحبسُها، فبقيت ليلتها تجاذبه والجنّاح علّق لا مُتَخَلِّصَ له، نَشِبَ لا مُتَنَزِعَ منه، وكمثل ذلك قلبي قلّق في حشأه، علّق عند بلّواه.

وارتفع قطاةٌ على أنه خبر كأن، وعزّها في موضع الصّفة لقطاة، يريد: غلبها. وانتَصَبَ «ليلة» على الظرف ممّا دلّ عليه «كأن القلب» من التشبيه، ولا يجوز أن يكونَ ظرفًا بقليل، لأنّه بما بعده مضافٌ إليه، والمضاف إليه لا يعمل في المضاف. وقوله: «تُجَاذِبُهُ» المفاعلة تكون في الأكثر من اثنين، فلأنّه جَعَلَ مَنَعَ الشَّرَكَ للقطاة من التخلّص جذبًا منه.

٥١٦ - وقال أَبُو حَيَّةَ النَّمِيرِي^(٣): [الطويل]

١ - رَمَثْنِي وَسِئْرُ اللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا وَنَحْنُ بِأَكْنَافِ الْحِجَازِ رَمِيمٌ^(٤)

(١) الأبيات للمجنون في الأغاني ٣: ٢، والأمال ٦١: ٢، وديوانه ٥٢، وتزيين الأسواق ١٠٤.

(٢) بعده عند التبريزي:

«لها فرخان قد تُركا بِوَكْرِ
إذا سمعا هبوبَ الريحِ نَصَا
فلا في الليلِ نالت ما ترجي
ولا في الصبحِ كان لها براخُ»

(٣) أبو الحية النميري: الهيثم بن الربيع بن زرارّة، شاعر مجيد، فصيح راجز، من أهل البصرة من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية (ت نحو ١٨٣هـ / ٨٠٠م). ترجمته في: الشعر والشعراء ٢٩٩، والأغاني ٦١: ١٥.

(٤) الأبيات له في المصنوع ٥٣، وبلا نسبة في ٥١، والأول بلا نسبة في أسواق الأشواق خ ٢٤٩ ظ.

٢ - فلو أنها لما رَمَني رَمِيْتها ولكنَّ عَهْدِيْ بِالنِّصَالِ قَدِيمٍ

رَمِيمٌ: اسم المرأة، وارتفع لانتها فاعلةً، وقد بُني على رَمَنِي. وأراد بِشَرَّ الله الإسلام، فيقول: نظرتُ إليَّ رَمِيمٌ، فكانها رَمَنِي بِسَهْمٍ، ونحن مقيمون بأكناف الحجاز، والإسلام حاجرٌ بيني وبينها، يمنع من مُغازلتها ومراودتها. ومثل هذا قول الهذلي: [الطويل]

فليسَ كَعَهْدِ الدَّارِ يا أُمَّ مَالِكٍ ولكنَّ أحاطتْ بِالرَّقَابِ السَّلَاسِلُ

وعادَ الفتى كالكهل ليسَ بِقائلٍ سِوَى الحقِّ شَيْئًا واستراحَ العواذِلُ^(١)

كُنِيَ عن الإسلام في مَنَعِهِ عن القبائح وأنواع الفُحْش والظلم بالسلاسل في الأغلال المحيطة بالأيدي والأعناق.

وقوله: «فلو أنها لما رَمَنِي رَمِيْتها» جواب لو محذوف، والمراد: لو تعرَّضتْ لها وقابلتها في عَرَض محاسبتها بمثل ما يكون للشُّبَّان بمنزلة الشُّفَّعاء عند النساء، لحَقَّ الأمر وكانَ القَدْرُ يجري إلى القَدْر، ولكني قد شِخْتُ وكبرت، فعهدي بمناضلة النساء قديم.

٥١٧ - وقال آخر^(٢): [الطويل]

١ - أَسَجِنَا وَقَبِيذًا واشتياقًا وَعَبْرَةً ونَأْيَ حَبِيبٍ إِنَّ ذَا لِعَظِيمٍ

٢ - وَإِنْ أَمْرًا دَامَتْ مَوَائِيقُ عَهْدِهِ على كُلِّ مَا قَاسَيْتَهُ لَكَرِيمٍ^(٣)

انْتَصَبَ «سَجِنَا» بإضمار فعل، كأنه قال: أَتَجَمَّعُ عَلَيَّ حَبَسًا وتقييدًا، واشتياقًا إلى حبيب وبكاء، مع بُغْدٍ بيني وبينه، إِنَّ ذلك أَمْرٌ منكِرٌ فظيع، يتضايق نِطَاقُ الصَّبْرِ عن احتمالهِ والبقاء معه، وأشارَ بِذا إلى اجتماع هذه الأشياء عليه، ونَبَّهَ على عجزه في احتمالها لولا كرمُ عِرْقِهِ، واستحكام عِفْدِهِ. أَلَا تَرَى أَنَّهُ تَحَمَّدَ بحاله، واعتدَّ على حبيبه بقاءه على العهد له، وداوَمَ وُدَّهِ على اجتماع هذه الأحوال عليه، فقال: إِنَّ أَمْرًا دَامَتْ مَوَائِيقُ عَهْدِهِ، يريد: إِنَّ رَجُلًا ثَبَّتَ على أَوَّلِيَّةِ شَأْنِهِ، ومبادئ مَوَائِقِهِ،

(١) لأبي خراش الهذلي في ديوان الهذليين ٢: ١٥٠، والأغاني ٢١: ٤١.

(٢) البيتان في البيان والتبيين ٤: ٦٢ لأحد الأعراب، في الحيوان ٦: ١٥٩ نسبا إلى بعض اللصوص، وفي الزهرة ١: ٤٦٩ بلا عزو.

(٣) التبريزي: «على مثل ما قاسيته».

مع ما يقاسيه من تزاحم هذه البلايا على قلبه، لكريم العهد، نبيه الشأن، وثيق العقيدة.

ويُروى: «أسجنَ وقيدَ» بالرفع، والمراد: أتجتمع هذه الأشياء على طريق التفتيح والتهويل.

٥١٨ - وقال آخر^(١): [الطويل]

١ - رَعَاكَ ضَمَانُ اللَّهِ يَا أُمَّ مَالِكٍ وَلِلَّهِ أَنْ يَشْفِيكَ أَغْنَى وَأَوْسَعُ^(٢)

٢ - يُذَكِّرُنِيكَ الْخَيْرُ وَالشَّرُّ وَالَّذِي أَخَافُ وَأَرْجُو وَالَّذِي أَتَوَقَّعُ

أشار بقوله: «ضمان الله» إلى ما في القرآن من قوله تعالى: ﴿أَدْعُوْنِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: الآية ٦٠]، فقال: أنا أدعو بأن يشفيك الله عز وجل، يا أم مالك، وقد ضمن الإجابة للداعي فزعاك ضمانه. ثم قال: ولله بأن يشفيك، فحذف حرف الجر، والجار ي حذف مع أن كثيرا، لأن حذفه أظهر غناء وأوسع قدرة. ونبة بهذا الكلام أنه في كَلِمَتِهِ الأمر إلى الله تعالى الغني القادر اعتمد على ما لا بُد من وقوعه.

وقوله: «يذكركم الخير والشر»، يريد: أنه لا ينساها في شيء من الأحوال والأوقات، فما يتقلب فيه من خيرٍ باكرٍ، أو شرٍ طارقٍ، فهو يذكركم، وكذلك ما يخاف وقوعه أو يرجوه، ولم يصغر منهما على يقين يذكركم أيضا، وكذلك ما صار منه على يقين، فهو يتوقعه، يذكركم أيضا. وإذا تأملت حوادث الدهر وجدتها لا تنقسم إلا إلى قسمين، لأنها لا تخلو من أن تكون محبوبة أو مكروهة، أو واقعة أو مُنْتَظَرَة، أو مَحْوَفَة أو مَرْجُوءَة.

٥١٩ - وقال الحكم الخضري^(٣): [الطويل]

١ - تَسَامَمَ ثَوْبَاهَا فَنَفِي الدَّرْعِ رَادَّةٌ وَفِي الْمِرْطِ لَقَاوَانٍ رِذْفُهُمَا عَبِلُ

(١) البيتان في الحيوان ١٤٨:٧ لأعرابي من هذيل، وفي البيان والتبيين ٣: ٣٣٠ لأعرابي، وفي الحماسة البصرية ٢: ٢٢٢ بلا عزو.

(٢) التبريزي: «ولله عن يشفيك»، وفسره: «يحتمل وجهين: أحدهما عن أن يشفيك، والثاني أن تكون العين مبدلة من همزة أن».

(٣) الحكم الخضري: هو الحكم بن معمر بن قنبر الخضري شاعر من خضر محارب، كان معاصرا لابن ميادة، وعده الأصمعي من طبقته (ت نحو ١٥٠هـ / ٧٦٧م). ترجمته في: معجم الأدباء ١٠: ٢٤٠، والأغاني ٢: ٩٤.

٢ - فوالله ما أدري أزيدت ملاحه وحسنا على النسوان أم ليس لي عقل

معنى تساهم: تقاسم، ولذلك قيل: سُهْمَةٌ فَلَانٍ من هذا كذا، أي قسمته ونصيبه. ويجوز أن يكون أصله من السهام: القِداح التي تُجَال بين الخصوم إذا تقارعوا ليستبد كل بما يخرج له لقسمته ويدّيه. وفي القرآن: ﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾ [الصفّات: الآية ١٤١]، فكأنه استعار - وإن كان أصله ما ذكرت - للتقاسم، إذ كان يفعل للقسم وما يشبهه لا غير، فيقول: انقسم جسم هذه المرأة بين دزّعها وإزارها، ففي دزّعها بدنّ ناعم وخصر دقيق، وفي مِرْطِها فخذان غليظتان عليهما ردف ضخم.

وقوله: «فوالله ما أدري»، يريد: أن الحيرة قد ملكته في أمرها، لما يرى من ميل قلبه إليها، وشدة افتتانه بها، فهو لا يدري أزيدت حسنا وملاحه على نساء الدنيا كلها، أم هو فائل الرأي في الاختيار، مخبول العقل في الاعتبار، ضعيف التبصر في الارتياح والتخير. والرادة والرؤدة: الناعمة. واللقاء: الكثيرة اللحم. والعبل: الضخم، ومصدره العباله.

٥٢٠ - آخر: [الطويل]

١ - أروح ولم أجد لي ليلي زيارة لبس إذا راعي المودة والوصل
٢ - ثراب لأهلي لا ولا نعمة لهم لشد إذا ما قد تعبدي أهلي

كأن من صحبه من أهله استعجلوه عن زيارة ليلي، فيقول منكراً ومفطعاً: أأروح من غير أن أقضي حقها، أو أجدد الإلمام بها، لبس راعي المودة والمواصلة أنا. حذف المذموم بنس لأن المراد مفهوم، ومثله في القرآن: ﴿نَعَمْ أَلْعَبَدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: الآية ٣٠]، والمعنى: نعم العبد أيوب، فحذف الممدوح بنعم، لكون المراد مفهوماً. وإذا جواب جزاء، وكأنه حساً به الكلام ليُعْلَم أن ما يقوله جواب لما سيم. واللام من «لبس» لام الابتداء، وارتفع راعي المودة به.

وقوله: «ثراب لأهلي» دعاء عليهم، وتحقيق لهم، واستخفاف بهم. وجاز الابتداء بقوله: «ثراب» وهو نكرة؛ لأن معنى الدعاء منه مفهوم. ومثله قوله: [الطويل]

فثرب لأفواه الوشاة وجندل^(١)

(١) هذا عجز بيت بلا نسبة في الدرر ٣: ٧٧، وشرح أبيات سيويه ١: ٣٨٣، وصدره: =

والمراد في الدُّعَاءِ طَلَبُ الدَّلِّ لَهُمْ.

وقوله: «لا ولا نعمة لهم»، يجوز أن يكون المنفَى بلا الأولى حُذِفَ لما دُلَّ عليه الكلام، فكأنه قال: لأهله التُّراب لا عِزٌّ لهم ولا نعمة. ويجوز أن يكون «لا» رَدًّا لِمَا عَرَضُوا عليه، وهذا كما يقال للإنسان: افْعَلْ لِفُلَانٍ كَذَا وكَذَا، فيقول: لا ولا كرامةً، أي: لا أفْعَلْ ذلك ولا أُكْرِمُ من يَسُوْمُنِيهِ. وقوله: «لَشَدَّ إِذَا مَا قَدْ تَعَبَّدَنِي أَهْلِي» تَعَبَّدَهُ واستعبده بمعنى واحد، أي استذلَّهُ، و«لَشَدَّ مَا» هو كما يقال: لَعَزَّ مَا. والمعنى: الإنكارُ فيما عَرَضَ عليه ودُعِيَ إليه، وأنهم تجاوزوا كلَّ حدٍّ في امتهانه حين عَرَضُوا عليه مثل ذلك. وهذا الكلام مُشْتَمِلٌ على الخِلافِ وقِلَّةِ الاحتفال. ويجوز أن يُجْرَى شَدَّ مَا، مَجْرَى نَعَمْ وَشَسْ.

٥٢١ - وقال أبو دَهْل الجُمَحِي^(١): [الطويل]

١ - أَتَرُكُ لَيْلَى لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا سِوَى لَيْلَةٍ إِنِّي إِذَا لَصَبُورٌ^(٢)

قولنه: «أَتَرُكُ» لفظه لفظُ الاستفهام والمعنى معنى الإنكار، كأنه أنكرَ من نفسه أن يَتَرَكَ التَّعْرِيجَ على لَيْلَى وبينهما مسيرةُ لَيْلَةٍ، فقال: أَأَخِلُّ بزيارتها وأداءِ واجبها مع قُرْبِ المسافة بيني وبينها؟ إِنِّي إِذَا لَمُتَّاهُ فِي الصَّبْرِ عن الأحبابِ، كَسُوْلُ عن البرِّ بذوي الأذمة والأسباب. وإنما قال باعثًا لِصَحْبِهِ على مُسَاعَدَتِهِ، وطالبًا منهم تمكينه من مراده؛ لذلك قال:

٢ - هَبُونِي امْرَأَ مِنْكُمْ أَضَلَّ بَعِيرَهُ لَهُ ذِمَّةٌ إِنَّ الذَّمَّامَ كَبِيرُ

٣ - وَلِلصَّاحِبِ الْمَتْرُوكِ أَغْظَمُ حَزْمَةً عَلَى صَاحِبٍ مِنْ أَنْ يَضِلَّ بَعِيرُ

٤ - عَفَا اللَّهُ عَنْ لَيْلَى الْعَدَاةَ فَإِنَّهَا إِذَا وَلِيَتْ حُكْمًا عَلَيَّ تَجَوَّرُ

قوله: «هَبُونِي» معناه: احسبوني واجعلوني، وهو يتعدى إلى مفعولين. وحكى ابنُ الأعرابي: وهَبَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ بمعنى جعلني فداءك. وقوله: «أَضَلَّ بَعِيرَهُ»، يقال

«لَقَدْ أَلَبَّ الْوَاشُونَ الْبَا لِبَيْنِهِمْ»

(١) أبو دَهْل الجُمَحِي: هو وهب بن زُعمَة بن أسد، من أشرف بني جمح بن لؤي بن غالب من قريش، وأحد الشعراء المشاق من أهل مكة. له أخبار كثيرة مع عمرة الجمحية وعاتكة بنت معاوية (ت ٦٣٣ هـ / ٦٨٢ م). ترجمته في: الأغاني ٧: ١١٤، والشعر والشعراء ٢٣٥.

(٢) الأبيات لمجنون ليلي في ديوانه ٧٩، ومصارع ٢: ١٠٠، والواضح ٣١١، وذم الهوى ٣٩٥، وأسواق الأشواق خ ١٤٣، وتزئين الأسواق ١٠١.

في الشيء الزائل عن مكانه إذا فُقد: أَضَلَّتهُ، فإن ثَبَّتَ في مكانه ولم يُهْتَدَ إليه قيل: ضَلَّتهُ. وقوله: «إِنَّ الدَّمَامَ كبير» كالاتفات، وقوله: «أَضَلَّ بَعِيرَهُ» في موضع الصفة لأمراً، وكذلك «له ذِمَّة» صفة أخرى. ومعنى منكم: مِنْ خَاصَّتْكُمْ وَبِطَانَتِكُمْ، وهو يُفِيدُ معنى الوصف أيضاً. والمعنى: أَجْرُونِي مَجْرَى رَجُلٍ مِنْكُمْ نَدَّ لَهُ بَعِيرٌ، وله ذِمَامُ الصُّحْبَةِ والنَّسَبِ والقَرَابَةِ، فَإِنَّ لِلدَّمَامِ حَقَّهُ، وَحُرْمَةُ المُرَافَقَةِ كَبِيرَةً، وَدَعَوْنِي أَقْصَى مِنْ حَقِّ لَيْلَى وَاجِبِهِ، وَلَا تَسْتَعْجِلُونِي فِي ذَلِكَ وَلَا تَمْنَعُونِي عَنْهُ، ثُمَّ قَالَ: فَإِنَّكُمْ إِذَا تَرَكْتُمُونِي وَلَمْ تَوْفُرُونِي عَلَى مَا أَهَمُّ بِهِ فِيمَا يَخْتَصُّ بِي لَهَا، كُنْتُمْ تَرَكْتُمْ رَفِيقًا لَكُمْ وَضِيعْتُمُوهُ أَشَدَّ مَا كَانَ حَاجَةً إِلَيْكُمْ، وَالرَّفِيقُ أَعْظَمُ حُرْمَةٍ فِي صَاحِبِهِ الْمَتْرُوكِ مِنْ ضَلَالٍ بَعِيرٍ. يُرِيدُ: وَإِذَا عُدَّ تَرْكَ الْإِسْتِئْنَاءِ بِمَنْ أَرَادَ نِشْدَانًا ضَالَّتهُ، تَجَوُّزًا فِي الْمَحَافَظَةِ، وَتَعَدُّيًا فِي حُكْمِ المُرَافَقَةِ كَانَ مِثْلُ ذَلِكَ إِذَا فُعِلَ مَعَ مَنْ يَزُومُ تَجْدِيدَ الْعَهْدِ بِرُوحِهِ، وَالِاسْتِئْنَاءِ عَلَى لَبِّهِ، أَعْظَمَ فِي الْجِنَايَةِ، وَأَقْبَحَ فِي الْأَحْدُوثَةِ.

وقوله: «عَفَا اللَّهُ عَنْ لَيْلَى الْغَدَاةَ»، تَشَكُّكٌ وَتَأَلُّمٌ مِنْ سُوءِ مَعَامَلَتِهَا وَأَنَّهُا مَتَى حُكِّمَتْ فِيهِ وَفِيمَا يَتَعَلَّقُ بِهِ جَارَتْ وَلَمْ تُنْصِفْ. وَهَذَا الْكَلَامُ مِنْهُ إِيْذَانٌ بِأَنَّهُا تَسْتَعْظَمُ الصَّغِيرَ إِذَا وَقَعَ مِنْهُ، بَلْ تُعَدُّهُ كَبِيرَةً وَتُعْلَظُ الْعُقُوبَةُ عَلَيْهَا، وَالْمُؤَاخَذَةُ بِهَا.

٥٢٢ - وقال آخر: [الطويل]

- ١ - آخِرُ شَيْءٍ أَنْتَ فِي كُلِّ هَجْعَةٍ وَأَوَّلُ شَيْءٍ أَنْتَ عِنْدَ هُبُوبِي
٢ - مَزِيدُكَ عِنْدِي أَنْ أَقِيكَ مِنَ الرَّدَى وَوُدُّ كَمَاءِ الْمُرْنِ غَيْرُ مَشُوبِ

قوله: «فِي كُلِّ هَجْعَةٍ» الْعَامِلُ فِيهِ آخِرُ، وَكَذَلِكَ «عِنْدَهُبُوبِي» الْعَامِلُ فِيهِ أَوَّلُ شَيْءٍ. يَقُولُ: لَا أَخْلُو مِنْ ذِكْرِكَ سَاعَةً؛ لِأَنِّي إِنْ نِمْتُ كَانَ خِيَالُكَ سَمِيرِي مَدَّةً هَجُوعِي، إِنْ أَوْقَظْتُ كُنْتُ لَزِيمَ ذِكْرِكَ مَدَّةً يَقْظَتِي، فَأَنْتَ فِي النَّوْمِ آخِرُ شَيْءٍ لِي، وَلَا فَاصِلَ بَيْنَ الْحَالَيْنِ. ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي يَزِيدُكَ مِنْ عِنْدِي أَلَّا أَشْهَرُ بِكَ، وَلَا أَبُوحَ بِسَرِّكَ، وَلَا أَعْلَنَ النَّسِيبَ بِاسْمِكَ، إِذْ كَانَ فِي جَمِيعِهِ تَنْفِيرُكَ، وَتَعْرِيطُكَ لِلرَّدَى: فَضِيحَتِكَ، فَأَنَا أَقِيكَ مِنْ ذَلِكَ، وَأَنَا أَضْفِي لَكَ الْوُدَّ حَتَّى لَا يَشْرَكَكَ فِي قَلْبِي أَحَدٌ، فَيَصِيرُ ثَاوِي الْوُدِّ مَشُوبًا، وَصَافِي الْهَوَى مَكْدَرًا، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَرَادُ: مَزِيدُكَ عِنْدِي أَنْ أَعُودَ اللَّهُ تَعَالَى بِالصِّيَانَةِ لَكَ، وَتَوْفِيرِ الْحَيَاطَةِ عَلَيْكَ مِنْ كُلِّ مَا تَكْرِهِيهِ، أَوْ يُوْدِّي إِلَى شَيْنِكَ فِيمَا تَرُومِيهِ.

والذي يشهد لقوله «من الرَّذَى» وأن المراد به الفضيحة قول امرئ القيس:
[الطويل]

صرفتُ الهوى عنهنَّ من خَشِيَةِ الرَّذَى ولستُ بمَقِيلِي الخِلَالِ ولا قال^(١)

ألا ترى أنه كان ملكاً لا يخاف معارِضاً له فيما يتعاطى من اللُّهُو، ويختارُه من الصُّبَا والبَطَالَة مع مَنْ كان وفيمن اتَّفَق، فكيف ما يتعدَّاه من طلب الغوائل له، لكُتْه عَدَّ انتشار الحديث فيه، وقيام النَّاس وقعودهم بذكره هلاكاً وعُظْباً.

وقوله: «أن أقيك» في موضع خبر المبتدأ وهو مزيدك، وانعطف عليه قوله: «وودَّ كماء المُنَزَّ».

٥٢٣ - وقال آخر: [الطويل]

١ - ما أنصفتُ ذُلْفَاءَ أُمَّا دُنُوها فهَجَرَ وأُمَّا نَأْيُها فَيَشُوقُ

٢ - تَبَاعَدُ مِمَّنْ واصلتُ فكأنَّها لآخرٍ مِمَّنْ لا تَوَدُّ صَدِيقُ^(٢)

يقول: جازت هذه المرأة علي في حكم الهوى ولم تُنصِفْ، لأنِّي إن طلبتُ التَّدانِي منها هَجَرْتَنِي وأطَرَحْتَنِي، وإن رُمْتُ التَّنائِي منها شَوَّقْتَنِي وهاجَتَنِي، وإذا كانت من مُواصِلِها مُتباعِدة، ولموادَّها مُهاجِرة، فكأنَّها تصادقُ مُعاديها، وتُخالصُ مُنابِذَها من دون مُواصِلِها ومقارِبِها، وهذا عَجَبٌ من مثِلهَا.

وقوله: «أما دنوها فهجر»، المعنى: أما في دنوها فتهجر. ألا ترى أنه قال: «وأما نأيتها فيشوق»، كأنه: وأما في نأيتها فتشوق، ألا أنه جِعلَ فعلُها منسوباً إلى دنوها ونأيتها.

٥٢٤ - وقال عبد الرحمن الزهري^(٣): [الطويل]

١ - ولَمَّا نَزَلْنَا مَنْزِلًا طَلُّهُ النَّدَى أَنِيقًا وَيُسْتَنَانًا مِنَ الشُّؤْرِ حَالِيَا

٢ - أَجَدُّ لَنَا طِيبُ الْمَكَانِ وَحُسْنُهُ مَنَى فَتَمَنَّيْنَا فَكُنْتَ الْأَمَانِيَا

جواب «لَمَّا» قوله: أَجَدُّ لَنَا، فيقول: لَمَّا خرجنا إلى ظاهر محالنا متنزهين، ونزلنا موضعاً رياضُه رَكِبُها الطَّلُّ بالليل، فتناثرَ عنها القطرُ بالغُدُوات، ونَبَاتُه شَرِقَتْ

(١) لامرئ القيس في ديوانه ٣٥، واللسان (خلل).

(٢) التبريزي: «وكأنَّها».

(٣) التبريزي: «قال أبو بكر عبد الرحمن الزهري»، وقد سبقت له الحماسية رقم (٤٦٩).

بالرَّيِّ بعد الشمس، وضاحكت الشَّمْسُ بعد الشُّرُوق؛ وبساتينَ تحلَّت بالأزاهير،
وتحفَّت من بركة الله بآثار الصُّنع، دَعَتْنَا نفوسنا إلى أن نتذكَّر لطيب المكان، ومُساعدَة
الوقت والزَّمان، ما يَكْمُل به السُّرور، ونتمنَّى ما إليه تتناهى في الاقتراح العيُونُ
والقلوب، فوجَدنا الأمانِي كُلَّها لا تتعلق إلَّا بك، ولا تحومُ فيما تُجال فيه وتُراود عنه
إلَّا عليك، ذهابًا فيك وشَعَفًا بك.

ويقال: طُلَّت الأرضُ فهي مطلولةٌ. والأنيق: المُعْجِب. ويقال: حَلِيَّ بكذا،
وتحلَّى بكذا.

٥٢٥ - وقال مَعْدَانُ بن مُضَرَّب^(١): [الطويل]

- ١ - إِنْ كَانَ مَا بُلِّغْتَ عَنِّي فَلَا مَنِي صَدِيقِي وَشَلَّتْ مِنْ يَدَيَّ الْأَنَامِلُ
 - ٢ - وَكَمُنْتُ وَخَدِي مُنْذِرًا فِي رِدَائِهِ وَصَادَفَ حَوْطًا مِنْ أَعَادِي قَاتِلُ
- قد مضى تفسيره في باب الحماسة.

٥٢٦ - وقال آخر^(٢): [الطويل]

- ١ - صَفَا وَدُ لَيْلَى مَا صَفَا لَمْ نُطِغْ بِهِ عَدُوًّا وَلَمْ نَسْمَعْ بِهِ قِيلَ صَاحِبٍ
- ٢ - فَلَمَّا تَوَلَّى وَدُ لَيْلَى لَجَانِبٍ وَقَوْمٌ تَوَلَّيْنَا لَقَوْمٍ وَجَانِبٍ
- ٣ - وَكُلُّ خَلِيلٍ بَعْدَ لَيْلَى يَخَافُنِي عَلَى الْغَدْرِ أَوْ يَرْضَى بَوْدَ مُقَارِبٍ

سلك في هذا مسلك ذي الرُّمَّة حين قال: [الطويل]

فَيَا مَيَّ هَلْ يُجْزَى بُكَائِي بِمِثْلِهِ مِرَارًا وَأَنْفَاسِي إِلَيْكَ الزَّوْفَرُ

وقد زَيَّفَ الثُّقَادَ هذا، وقالوا: دُو الهوى لا يستدعي مَن يهواه المكافأة على ما
يتحمَّله فيه، وقد عاب ابنُ أَبِي عَتِيْقٍ على كثيرِ قوله: [الطويل]

ولستُ براضٍ من خليلي بنائلٍ قليلٍ ولا راضٍ له بقليلٍ

وقال: هذا كلامٌ مكافٍ لا كرمٌ مُحِبٌّ. فقلوه: «وُدُّ لَيْلَى» يجوز أن يكون الودُّ
مضافًا إلى المفعول، والمراد: ودُّنا لليلي، فينتصب موضع قوله: «ما صفا» لكونه

(١) مرَّت هذه الحماسية برقم (٢٧) في باب الحماسة: «معدان بن جَوَّاس الكندي».

(٢) التبريزي: «وقال معدان بن المضرب الكندي».

ظرفًا، والمعنى: صفا ودُّنا لليلي مدَّة بقائه خالصًا مما يَشُوْبُهُ ويُفْسِدُهُ من طاعة عدوِّ لها، وإصغاءً إلى قِيلٍ ناصحٍ يَنْتَضَحُ فيها. ويجوز أن يكون المراد: صفا ودُّنا لليلي مدَّة صفاء ودُّها لنا، فحميناه من قَذْح الأعداء فيها، والإصغاء إلى قِيل اللاتمين وَعَثِبَهم له. ويدل على هذا التفسير قوله مِنْ بَعْدُ:

فَلَمَّا تَوَلَّى وَدُّ لَيْلَى لِحِجَابِ وَقَوْمٍ تَوَلَّيْنَا لِقَوْمٍ وَجَانِبِ

فإن قيل: كيف زعمتَ أنَّ المعنى ما صفا ودُّها لنا، وقد ذكرتَ أنَّ الودَّ مضاف إلى المفعول؟ قلت: إنَّ المضمَر في الثاني هو ودَّ ليلي، والمصدر كما يضاف إلى المفعول يضاف إلى الفاعل أيضًا، واللفظ لفظ واحد. وإذا كان كذلك صلَح أن يُتَوَى في قوله: «ما صفا» عَوْدُ الضمير إلى ودَّ ليلي، ويكون ليلي فاعلة لأنَّ اللفظ ذلك اللفظ، فيكون التقدير: صفا ودَّ ليلي ما صفا ودُّ ليلي. والمعنى: صفا ودُّنا لليلي ما صفا ودُّها لنا، أي: صافيناها ما دامت تُصافينا. ويجوز أن يكون ودَّ ليلي أضاف الودَّ إلى ليلي، وهي الفاعلة، لكنَّه حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه، والمراد: صفا جَزَاء ودَّ ليلي مَثًا ما صفا هو في نفسه لنا. وقد روي: «لَمْ نُطِغْ بِهَا عَدْوًا»، فيعود الضمير إليها، وكذلك «وَلَمْ نَسْمَعْ بِهَا». وإذا رويت «به» يعود الضمير إلى الودِّ.

وقوله: «فَلَمَّا تَوَلَّى وَدَّ لَيْلَى»، يريد: ودَّ ليلي لنا. والمعنى: لَمَّا مالت إلى جَنَبَةِ غير جَنَبَتِي، وقوم غير قومي، نَفَضْتُ يدي من الاعتماد عليها، وأخليت قلبي من هواها، وصرَفْتُ نفسي إلى جَنَبَةِ أخرى غير جَنَبَتِها، وطائفةٍ أخرى غير طائفتها، لأنِّي كما أصل أقطع، وكما أخالط أزايل، ولستُ مِمَّنْ يقتل نفسه في إثر مَنْ لا يُريدني إذا تَوَلَّى عني. وقوله: «تَوَلَّى» يجوز أن يكون من التَوَلَّى الإعراض والذهاب، ويجوز أن يكون من الولاء والطاعة.

وقوله: «وَكُلُّ خَلِيلٍ بَعْدَ لَيْلَى يَخَافُنِي»، يريد: أَنَّ النَّاسَ لَمَّا رَأَوْا وَلُوعِي بليلي، وصفاء عقيدتي في المَيْل إليها والبَقَاء على العهد معها، ثم رَأَوْا بَغْدَه انصرافي عنها في أقرب المُدَد، ولأذنى السبب، صار كُلُّ خَلِيلٍ فيما بيني وبينه يَخَافُنِي على العَدَر، ويَتَّهِمُنِي في الودِّ، فلا يَطْلُبُ مِنِّي التَّنَاهِي فيما يجمعني وإيَّاه، خوفًا من الإعراض عنه، أو يَرْضَى معي وَمِنْ جِهَتِي بَوْدٌ قَرِيبٌ لَا سَرَفَ فِيهِ وَلَا اشْتِطَاط.

٥٢٧ - وقال آخر: [الطويل]

- ١ - أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَيْبَتُنْ لَيْلَةً وَذِكْرُكَ لَا يَسْرِي إِلَيَّ كَمَا يَسْرِي
٢ - وَهَلْ يَدْعُ الْوَاشُونَ إِفْسَادَ بَيْنِنَا وَحَفَرًا لَنَا الْعَاثُونَ مِنْ حَيْثُ لَا نَذْرِي

هذا كلامٌ مُتَبَرِّمٌ بِالْهَوَى، مُسْتَقِيلٌ مِنَ الْوَشَاةِ وَإِفْسَادِهِمْ، مُتَفَادٍ مِنْ تَحْرِيشِهِمْ وَأَلْبِهِمْ، مَتَمِّنٌ أَنْ تَنْقَطَعَ أَسْبَابُ الْهَوَى، وَتَنْقَلَعَ أَغْرَاسُ الْوَدِّ.

وقوله: «ليت شعري»، موضع شعري نَضَبٌ لَأَنَّهُ اسْمُ لَيْت. وقوله: «هل أيبتنُ ليلةً» سَدُّ مَسَدٍ مَفْعُولٌ شِعْرِي. لَأَنَّ مَعْنَاهُ عِلْمِي، وَتَعَدَّى تَعَدَّيَهُ، وَخَبَرَ لَيْتَ مَضْمَرٌ لَا يَظْهَرُ. وَالتَّقْدِيرُ: لَيْتَ عِلْمِي وَاقِعٌ، وَمَا يَجْرِي مَجْرَاهُ، وَالْمَعْنَى: أَتَمَنَّى أَنْ أَعْلَمَ هَلْ أَبْقَى أَنَا لَيْلَةً مِنْ لِيَالِي الدَّهْرِ وَخَيَالِكَ لَا يَسْرِي إِلَيَّ كَمَا يَسْرِي السَّاعَةَ، وَهَلْ أَرَى نَفْسِي سَلِيمَةً مِنْ رَمَى الْوَشَاةِ وَطَلَبِهِمْ إِفْسَادَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ، وَحَفَرِ الْمُعَوَّاةِ لَنَا إِذَا غَبْنَا عَنْهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا نَشْعُرُ وَلَا نَذْرِي فَتَنْقُتِيهِ وَنَحْذَرَهُ.

فإن قيل: كيف جاز أن يُكْنَى عَنِ الْخِيَالِ بِالذِّكْرِ حَتَّى قَالَ: «وَذِكْرُكَ لَا يَسْرِي إِلَيَّ»؟ قُلْتُ: إِنَّ الْخِيَالِ فِي الْمَنَامِ لَا يَكُونُ إِلَّا عَنِ التَّذَكُّرِ فِي الْيَقَظَةِ، يَشْهَدُ لذلِكَ قَوْلُ أَبِي تَمَّامٍ الطَّائِي: [الخفيف]

نَمْ فَمَا زَاكَ الْخِيَالُ وَلَكُنْ لَكَ بِالْفِكْرِ رُزْتُ طَيْفَ الْخَيَالِ
وهذا ظاهرٌ وعليه مَبَانِي وصف الخيال.

والعَاثُونَ: مَصِيدَةُ لِلْبَهَائِمِ، وَيُجْعَلُ اسْمًا لِلْمَتَالِفِ، وَهُوَ فَاعُولٌ مِنَ الْعِثَارِ وَالْعُثُورِ، وَكَذلِكَ اسْتَعِيرَ لِلتَّقْصِ فِي الْحَسَبِ، لَأَنَّ صَاحِبَهُ يَعْثُرُ بِهِ عَنْ غَايَةِ السَّابِقِ. وَانْتَضَبَ قَوْلُهُ «العَاثُونَ» مِنَ الْمَصْدَرِ الْمَنُونِ وَهُوَ حَفَرًا، وَأَقْوَى مَا يَكُونُ الْمَصْدَرُ فِي الْعَمَلِ إِذَا كَانَ مَنُونًا، إِذْ كَانَ شَبَهُ الْفَعْلِ فِيهِ أَقْوَى.

وقال بعضُ أَصْحَابِ الْمَعَانِي: إِنَّمَا يَتَمَنَّى أَنْ يَمْلِكَهَا عَلَى حَدٍّ يُسْقِطُ تَسْوِقَ الْمَفْسِدِينَ فِيهِ، وَيَأْمَنُ التَّبِعَةَ مَعَهُ، وَيَرْتَفِعُ الْعِشْقُ وَالْهَوَى مِنْ بَيْنِهِمَا.

٥٢٨ - آخر: [الطويل]

- ١ - إِنْ كَانَ هَذَا مِنْكَ حَقًّا فَلِأَنِّي مُدَاوِي الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ بِالْهَجْرِ
٢ - وَمُنْصَرَفٌ عَنْكَ انْصِرَافَ ابْنِ حُرَّةٍ طَوَى وَدَّهَ وَالطَّيِّ أَبْقَى مِنَ النَّشْرِ

يقول: إن كان هذا الذي يظهرُ منك موافقًا لما يَنْطُن، وهذا الإعراضُ عن جَفَاءٍ وَقَلَى لا دلالٍ وهوى، فإنني سأداوي ما بيني وبينك بالتهاجر، وقاعدُ عنك قعودُ حُرٍّ لا يَضْبِرُ على الجَفَاءِ والتدابير، ولا يَرْضَى مِنْ وَدِيدِهِ بالمُمَادَقَةِ دون الصَّفَاءِ، فأطوي وُدِّي معه وأصونه عن التُّشْرِ، لأنَّ الطِّيَّ أوقى فيه، وصِيانته عن الابتذال أوعى له.

وإنما قال: «ابن حُرَّة» والقصد إلى الكريم من الرجال، الذي يَصُون نفسه ونفسَ صاحبه فلا يُوحِش مع التهاجر، ولا يُفْجِش على التَّنْكَرِ والتباغض، لكنه يلزم المجاملة والمُساترة في كلِّ حال، لأنَّ الأمَّ إذا كانت متملِّكة تَبِعها الولد في الرِّقِّ، فيحصل الرِّقُّ والهَجْنَةُ معًا، ومتى كانت الأمُّ حُرَّةً لم يَتَّبِع الولدُ أباه في الرِّقِّ وإن كان عبدًا مملوكًا، ولكنه يكون هجينًا غيرَ عربيٍّ خالص.

٥٢٩ - آخر ^(١): [الطويل]

١ - وفي الجِيرةِ الغادِيْنَ مِنْ بَطْنٍ وَجَرَةٍ غَزَالٌ كَجِيلِ الْمُقْلَتَيْنِ رَبِيبُ

٢ - فلا تَحْسَبِي أَنَّ الْغَرِيبَ الَّذِي نَأَى وَلَكِنْ مَنْ تَشَأْنَيْنِ عَنْهُ غَرِيبُ

كان شُعْبَا الشاعر وصديقه مجتمعين ببطن وَجَرَةٍ زمانًا، ف وقعت الألفة بينهما ثم افترقوا، فقال متأسفًا في إثرها، ومتلهفًا لما فاتته من الاجتماع بينهما: وفي الخلطاءِ الباكرين من هذا المكان امرأةٌ كأنها غزالٌ مكحل العينين مُرَبَّبٌ في البيوت، منعمٌ بالافتناء، ملكٌ قلبي؛ ثم قال مخاطبًا لها: لا تظنِّي أَنَّ الْغَرِيبَ مَنْ بَعْدَ عَنْ سَكَنِهِ، ونَأَى عن إلفه ووطنه، ولكنَّ الْغَرِيبَ هو من تَبْعْدِين عنه وفي يَدِكِ قِيادَهُ، فعلى الْبُعْدِ تَجْذِيبَتُهُ، ومن مراده تمنعينه، وقد ضاق عنه مكانه حتى صار فيه كمن نَأَى عن أهله، وحصل في غير أرضه ومنزله.

٥٣٠ - وقال آخر ^(٢): [الطويل]

١ - بِنَفْسِي وَأَهْلِي مَنْ إِذَا عَرَّضُوا لَهُ بِنَفْسِ الْأَدَى لَمْ يَذَرِ كَيْفَ يُجِيبُ

٢ - وَلَمْ يَغْتَلِزْ عُذْرَ الْبَرِيِّ وَلَمْ تَزَلْ بِهِ سَكَنَةٌ حَتَّى يُقَالَ مُرِيبُ

(١) لقيس بن الملوِّح في مصارع العشاق ١٠٢:٢، و ٢١٦:٢، والواضح المبين ١٩٠، وذم الهوى ٣٥٦، وديوانه ٢٩، وأسواق الأشواق خ ١٠٧ و.

(٢) لصخر بن الجعد المحاريبي في الزهرة ١٣٠.

تعلق الباء من قوله «بنفسي» بفعلٍ مضمر؛ كأنه قال: أفدي بنفسي وعشيرتي إنسانًا - ويعني به محبوبه - إذا اجتمع عليه اللؤام، وتصرفوا في فنون الغض منه والغضب عليه، فأدوا قلبه وضيقوا صدره، ارتبك في الجواب وحار، ولم يدر لغيرته بماذا يجيب، ولسوء اهتدائه بوجوه الحيل كيف يتخلص، فلا عذره عذر من لا جناية له، ولا سكوته سكوت من لا احتفال بهم معه، فهو في إطراقه وخفوتيه إذا قضيتهم نفذت فيه بآئه مريب، مرتكب، ولما رُمي به مكتسب، استدلالًا بسكوته على الذنب، وبإمساكه عن إقامة المعاذير على صحة القرف.

٥٣١ - وقال آخر: [الطويل]

١ - أرى كل أرض دمنتها، وإن مضت لها حجاج، يزاد طيبًا ثرابها

٢ - ألم تعلمن يا رب أن رب دعوة دعوتك فيها مخلصًا لو أجابها

يقول: أرى كل مكان أقامت فيه هذه المرأة زمانًا فأثرت فيه أثرًا يزداد على استمرار السنين والأحقاب ثرابه طيبًا، وإن لم يكن لإقامتها أوان ممتد وزمان متصل، فقله: «يزداد» في موضع المفعول الثاني لأرى. ودمنتها: فعل مبنئ من الدمنة: أثر الدار وما سود بالرماد وغيره، فكان معنى دمنتها أثرت فيها بالإقامة. وانتصب «طيبًا» على التمييز، وقد نُقل الفعل عنه لأن الأصل يزداد طيبُ ترابها، فجعل الفعل للتراب فأشبه «طيبًا» المفعول. وعلى هذا: قررت به عيتا.

فإن قيل: هل في هذا دلالة على صحة قول المخالف لسيبويه في جواز تقديم التمييز إذا كان العامل فيه فعلًا، وهل يفصل بين هذا البيت وبين ما استدلوا به من قول الآخر: [الطويل]

وما كان نفسًا بالفراق تطيب^(١)

قلت: لا دلالة في هذا الذي نحن فيه وإن كان البيت الذي أوردته أمكن التعلق به، حتى ذكر أصحاب سيبويه أن الرواية على غيره، وهو:

وما كان نفسي بالفراق تطيب

(١) للمخبل السعدي في ديوانه ٢٩، واللسان (حب)، وللمخبل السعدي أو لأعشى همدان أو لقيس بن الملوّح في الدرر ٣٦: ٤، وصدرة:

«أنهجر ليلى للفراق حبيبها»

وذلك أن «طَيْبًا» لم يُقَدِّم على العامل وهو الفعل، وإنما قُدِّم على ما صار فاعلاً، وإذا كان كذلك لم يصحَّ الاحتجاج به له، لأنَّ الموضعَ المختلف فيه هو جوازُ تقدُّمِهِ على العامل فيه وامتناعه منه لا غير، فأما ما دام واقعًا بعد الفعل فلا مُستدلَّ به على موضع الخلاف.

وقوله: «أَلَمْ تَعْلَمُنْ يَا رَبُّ أَنْ رَبُّ دَعْوَةٍ»، أن مخففة من أنَّ الثَّقيلة، والتقدير: أَنَّهُ رَبُّ دَعْوَةٍ. وفي رَبُّ لغات: إحداها التَّخْفِيف، وكأنه يتضرَّع في هذا الكلام إلى خالِقِهِ وَمَنْ يَسْتغِيث به فيما يُقاسِيهِ، ويقرَّر في الدُّعاء عليه أَنَّهُ قد ضَمِنَ الاستجابة في قوله تعالى: ﴿أَدْعُوكَ أَسْتَجِبْ لَكَ﴾ [غافر: الآية ٦٠]، فقال: إِنَّكَ تعلم يا رَبُّ أَنِّي قد أخلصْتُ دُعَاءَكَ في أوقاتٍ كثيرةٍ لِطَلْبَتِي لو اقترنَ بالدُّعاء إجابةً وإسعاف، وضمانك الأصحَّ الأوْفَى، فاستجِبْ. وفيه أيضًا ما يَجْري مَجْرى الاستزادة إذا توجَّه إلى غيره تعالى. وانتصب «مخلصًا» على الحال. وقوله: «لو أجبها» يريد به لو أجب فيها.

٣ - وَأَقْسِمُ لَوْ أَنِّي أَرَى نَسَبًا لَهَا ذُنَابَ الْقَلَا حُبَّتْ إِلَيَّ ذُنَابُهَا

٤ - لَعَمْرُ أَبِي لَيْلَى لَئِنْ هِيَ أَضْبَحَتْ بَوَادِي الْقَرَى مَا ضَرَّ غَيْرِي اغْتِرَابُهَا

قوله: «أقسم» جملة تنوب عن اليمين، والجواب: «حُبَّتْ إِلَيَّ ذُنَابُهَا»، متعلقًا بالشَّرط المذكور، وهو أن تكون مناسبة. وجواب لو هو ما صار جوابًا لليمين، وكذا يقع الشَّرط والجزاء بعدها، تقول: والله لَئِنْ جِئْتَنِي لأكرمَنَّكَ، ويُروى: «حُبَّتْ» بفتح الحاء، والأصل حَبِيتْ، وفَعْلٌ في المضعف قليل. ويروى «حُبَّتْ» بضم الحاء، وهو بناء لما لم يُسمَّ فاعله. ويقال: حَبِيتُهُ فهو محبوب، لغة في أَحَبَّيْتُهُ.

وقوله: «لَعَمْرُ أَبِي لَيْلَى» إقسامه بأبيها تعظيم لها، وتنبية على محلِّه من قلبه، وأَنَّهُ منصبٌ إلى مَنْ يجمعه وإياها عُلُقَةٌ وإن ضَعُفَتْ، فكيف أبوها والمختصُّ بها. وفي هذا زيادة على ما قاله الآخر، وهو: [الطويل]

وَمِنْ بَيِّنَاتِ الْحَبِّ أَنْ كَانَ أَهْلُهَا أَحَبَّ إِلَى قَلْبِي وَعَيْنِي مِنْ أَهْلِي^(١)

واللام من «لَئِنْ» موطئة للقسم، وجواب القسم ما ضَرَّ، والمعنى: إنَّ عادت هذه المرأة إلى موضعها من وادي القَرَى لم يضرَّ غيري البُعْدُ منها، والاعتِرابُ عنها. وقوله: «اغترابها»، يريد: اغترابي عنها، ويجوز أن يُريدَ تباعدها.

(١) للحسين بن مطير في الحماسية رقم (٤٧٣).

٥٣٢ - وقال آخر^(١): [الطويل]

١ - لَمَمَرُكَ مَا مِيعَادُ عَيْنَيْكَ وَالْبُكَاءِ بِدَارَاءٍ إِلَّا أَنْ تَهْبَّ جَنُوبُ
 ٢ - أَعَاشِرُ فِي دَارَاءٍ مَنْ لَا أَجْبُهُ وَبِالرَّمْلِ مَهْجُورٍ إِلَيَّ حَبِيبُ
 ٣ - إِذَا هَبَّ غُلُوبُ الرِّيحِ وَجَدْتَنِي كَأَنِّي لَغُلُوبِ الرِّيحِ نَسِيبُ

يقول: وبقائك ما الموعد بين البكاء وأنت بداراء إلا عند هبوب الجنوب، وإنما قال هذا لأن الجنوب كان مهبطاً من أرض صاحبه، فعلى هذا التأويل يكون «والبكاء» في موضع الجر عطفاً على عينك. ولا يمتنع أن يكون المراد: ما ميعاد عينك مع البكا بهذا المكان إلا إذا هبت الجنوب؛ فيكون مفعولاً معه. وإنما قال ذلك لأنها تُهْدِي إليه أريحتها، أو يعتقد أنها رسولها، فتجدد ذكرها، وتطري الوجد بها، فيبكي شوقاً إليها. وقال الخليل: الميعاد لا يكون إلا وقتاً أو موضعاً، وإذا كان كذلك فالميعاد مبتدأ وخبره أن تهب، والمراد وقت هبوبها، حتى يكون الآخر هو الأول، إلا أنه حذف المضاف.

وقوله: «أعاشِرُ في داراء من لا أوده» شكّو من الدهر حين جمع بينه في داراء وبين من لا هوى له معه، وفرق بينه وبين محبوبه فجعله بالرمل.

وقوله: «إذا هب غُلُوبُ الرِّيحِ»، يريد: إذا هبت الرِّيح من نحو عالية نجد، فكأنني يجمعني وإياها نسب، لاهتزازي لها، وارتياحي لهبوبها، فأنا أنتظرها ترقب المسافر وقد دنا موافاته.

٥٣٣ - آخر^(٢): [الطويل]

١ - هَلِ الْحُبُّ إِلَّا زَفَرَةٌ بَعْدَ زَفَرَةٍ وَحَرٌّ عَلَى الْأَحْشَاءِ لَيْسَ لَهُ بَرْدُ
 ٢ - وَفَيْضُ دُمُوعِ الْعَيْنِ بِمَا مَيَّ كَلَّمَا بَدَا عَلَمٌ مِنْ أَرْضِكُمْ لَمْ يَكُنْ يَبْدُو

الاستفهام هنا في معنى الثقي، كأنه حاجته صاحبه أو إنسان لائم أو غيرهما، فيما يدعيه من الحب، فقال راداً عليه حين كذبه في دعواه: ما الحب إلا تتابع الزفرات تحسراً، والتهاب توجّد في الحشا لا يتعبه ابتعاد، وسيلان دمع من العين لا

(١) الأبيات في معجم البلدان ٢: ٤١٨ بلا عزو، والبيت الأول في اللسان (دور).

(٢) البيتان لقيس بن ذريح في ديوانه ٩١، ولعبد الله بن الدمينه في ديوانه ٢٦، وبلا نسبة في ذم الهوى ٣١٧، وأسواق الأشواق خ ١٦ ظ.

يُرْقِئُهُ انْقِطَاعُ، فِي كُلِّ وَقْتٍ ظَهَرَ فِي مَرَأَى الْعَيْنِ لَهُ جَبَلٌ مِنْ أَعْلَامِ أَرْضِكُمْ لَمْ يَكُنْ يَبْدُو مِنْ قَبْلُ، وَجَمِيعُ ذَلِكَ أَعْتَادُهُ مِنْ نَفْسِي، وَيُذَرِّكُهُ مِنْ يَتَأَمَّلُ حَالِي، وَتَصَدِّقُهُ الْمَشَاهِدَةُ مِنِّي.

٥٣٤ - وَقَالَ ابْنُ مِيَادَةَ^(١): [الطويل]

١ - كَأَنَّ فُؤَادِي فِي يَدٍ ضَبَبْتُ بِهِ مُحَاذَرَةً أَنْ يَقْضِبَ الْحَبْلَ قَاضِبُهُ

٢ - وَأَشْفِقُ مِنْ وَشْكِ الْفِرَاقِ وَإِنِّي أَظُنُّ لَمَحْمُولٌ عَلَيْهِ فَرَكَابِ

الضَّبَبْتُ: الْقَبْضُ عَلَى الشَّيْءِ، وَمِنْهُ نَاقَةُ ضَبُوثٍ، أَيْ لَا يُشَكُّ فِي سِمَنِهَا إِذَا ضَبَّتْ عَلَى سِنَامِهَا. وَانْتَصَبَ «مُحَاذَرَةً» لِأَنَّهُ مَفْعُولٌ لَهُ، وَمَوْضِعُ «أَنْ يَقْضِبَ» نَصَبٌ مِنْ مُحَاذَرَةٍ، فَيَقُولُ: كَأَنَّ قَلْبِي يُعْصِرُ يَقْبِضُ قَابِضٍ عَلَيْهِ، لَخَوْفِي مِنْ أَنْ يَقْطَعَ الْوَصْلَ قَاطِعُهُ مِنَ الْبَيْنِ، وَمَعَ ذَلِكَ أَخَافُ مِنْ وَقُوعِهِ سَرِيعًا لِقُوَّةِ الْأَمَارَاتِ، وَتَتَأَيُّعِ الْمَحْذَرَاتِ الْمُنْذِرَاتِ، وَإِنَّمَا قَالَ: «أَظُنُّ لَمَحْمُولٌ عَلَيْهِ»، وَالظَّنُّ بِمَعْنَى الْيَقِينِ، فَهُوَ مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يَطْلُتُونَ أَنَّهُمْ مُلْكُوا رِيعَهُمْ﴾ [البقرة: الآية ٤٦]. وَقَوْلُهُ: «لَمَحْمُولٌ عَلَيْهِ» إِيْذَانٌ بِأَنَّهُ لَيْسَ يَقَعُ عَنْ اتِّفَاقٍ مَعَهُ أَوْ مِشَارَكَةٍ فِي تَدْبِيرِهِ. وَأَظُنُّ مَفْعُولُهُ الْأَوَّلُ، وَالثَّانِي مُسْتَدَلٌّ عَلَيْهِ، لِأَنَّ الْمُرَادَ ذَلِكَ فِي ظَنِّي أَوْ عِلْمِي، فَهُوَ مُلْغَى. وَالْقَضْبُ: الْقَطْعُ، وَمِنْهُ سَيْفٌ مِقْضَبٌ وَقَضَابٌ. وَوَشْكُ الْفِرَاقِ: سُرْعَةُ الْقَطِيعَةِ. وَيُقَالُ: أَوْشَكَ هَذَا أَنْ يَكُونَ، أَيْ أَسْرَعَ.

٣ - فَوَاللَّهِ مَا أَذْرِي إِنْغِلِيْسِي الْهَوَى إِذَا جَدَّ جِدُّ الْبَيْنِ أَمْ أَنَا غَالِيَةٌ^(٢)

٤ - فَإِنْ أَسْتَطِيعَ أَغْلِبَ وَإِنْ يَغْلِبِ الْهَوَى فَمِثْلُ الَّذِي لَاقَيْتُ يُغْلِبُ صَاحِبُهُ

يقول: شَارَفْتُ فِرَاقَ الْأَحْبَةِ بِالْدَّلَائِلِ اللَّائِحَةِ، وَأَحْلَفَ بِاللَّهِ مَا أَعْلَمُ مِنْ حَالِي إِذَا وَقَعَ، أَأَجْزَعُ أَمْ أَصْبِرُ.

وقوله: «إِذَا جَدَّ جِدُّ الْبَيْنِ»، يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ: إِذَا ازْدَادَ جِدُّهُ جِدًّا، كَأَنَّهُ يَظْهَرُ مِنْ جَلِيلَةِ أَمْرِهَا مَا يَزُولُ اللَّبْسُ وَالشُّبْهَةُ مَعَهُ. وَيَجُوزُ أَنْ يَرِيدَ: إِذَا صَارَ هَزْلُهُ جِدًّا، فَسَمَّاهُ بِمَا يُؤْوَلُ إِلَيْهِ، كَمَا يُقَالُ: خَرَجَتْ خَوَارِجُهُ، وَرِيعَ رَوْعُهُ. وَالْمُرَادُ: أَنَّهُ

(١) ابن ميادة: هُوَ الرَّمَاحُ بْنُ أَبِرْدَ، وَمِيَادَةُ أُمُّهُ وَكَانَتْ أُمُّ وَلَدٍ، شَاعِرٌ هَجَاءٌ مِنْ مَخْضَرْمِي الدُّوَلَتَيْنِ الْأُمَوِيَّةِ وَالْعَبَّاسِيَّةِ (ت ١٤٩ هـ / ٧٦٦ م). تَرْجَمَتْهُ فِي الْأَغَانِي ٨٥: ٢، وَالشَّعْرُ وَالشَّعْرَاءُ ٢٩٨.

(٢) التَّبْرِيزِي: «فَوَاللَّهِ لَا أَذْرِي».

التبس عليه إذا باعته الفراق حاله معه، فلا يذري أي الأمرين يقع: أيغلبه الهوى فيسلبه التجلل، ويُلْبِسُه التهتك، أم يغلب بدوام مُسْكِنِه وكمال تشبیه الهوى فيستمر حال السلامة به. ثم قال كالمتسلي والمنقاد لخاتمة الكائنة: فإن أطقت وكان في مقدوري - إذا اجتهدت - غلب الهوى فهو المراد، وإن جرى القدر بخلافه فمثل ما أقاسيه يغلب معانيه، ويجتذبه إلى ما يكرهه، وعذره لائح.

٥٣٥ - وقال آخر: [الطويل]

- ١ - فبا اهل ليلى اكثَرَ الله فيكم من امثالها حتى تجودوا بها لينا
٢ - فما مس جنبي الأرض إلا ذكرتها وإلا وجدت ريحها في ثيابي

بنى الكلام على أن عشيرتها والمالكين أمرها إنما ضئوا بها لأنها معدومة النظر فيهم، وأقبل يستغفطهم ويدعو لهم بأن يكثر الله أمثالها وأشباهها فيهم، حتى يتركوا المنافسة، وتحتمل قلوبهم الجود له بها.

وقوله: «فما مس جنبي الأرض إلا ذكرتها»، يريد: ما اضطجعت للمنام خاليا بنفسي إلا امتنع النوم فقام ذكرها مقام خيالها، ثم صرّت من الشوق والتحنّي تصوّرها معي، وأجد رائحتها في ثيابي. وهذا المعنى هو مخالف لمعنى الأئس بالخيال.

٥٣٦ - وقال آخر: [الطويل]

- ١ - تقول العدى لا بارك الله في العدى قد أقصر عن ليلى ورثت وسائله^(١)
٢ - ولو اضبحت ليلى تدب على العصا لكان هوى ليلى حديثا أوائله

يُروى: «وراثت وسائله»، المراد بالعدى الوشاة المفسدون. وأصل البركة الثبات مقترنا بالثماء ومنه مَبْرَك الإبل، وبَرَكاء القتال، ويقال: أقصر عن الشيء، إذا كف عنه وهو يقدر عليه، وقصر عنه، إذا عجز؛ وقصر، إذا فرط. يقول: ادعى الوشاة أنني قد كففت عن ليلى وزال ولوعي بها، وأن وسائلها قد أخلقت وتقطعت، فلا بارك الله فيهم فإنهم ادعوا باطلا، واختلقوا إفكا، ومراذهم إفساد قلبها علي، وصرفها عن الانطواء على الجميل لي وفي. ثم ذكر ما دلّ به على بقائه على العهد، واستمراره في

(١) التبريزي: «يقول العدى».

عِمَارَةُ الْوَدِّ، وَعَلَى بَطْلَانٍ قَوْلِهِمْ فِيمَا صَنَّفُوهُ، وَنَهْتِهِمْ وَتَمْوِيهِمْ فِيمَا نَسَبُوهُ إِلَيْهِ وَوَضَعُوهُ، فَقَالَ: لَوْ شَاحَتْ لَيْلَى حَتَّى يَصِيرَ مَشْيُهَا دَبِيبًا وَهِيَ مَتَوَكِّئَةٌ عَلَى عُكَازٍ، لَكَانَ هَوَاهَا فِي قَلْبِي جَدِيدًا أَوَائِلُهُ، شَدِيدًا أَرْكَانُهُ وَقَوَاعِدُهُ.

٥٣٧ - وَقَالَ حَفْصُ بْنُ عَلِيمٍ^(١): [الطويل]

١ - أَقُولُ لِجَلْمِي لَا تَزْعُمِي عَنِ الصُّبَا وَلِلشَّيْبِ لَا تَذْعُرْ عَلَيَّ الْغَوَايَا

٢ - طَلَبْتُ الْهَوَى الْغَوْرِيَّ حَتَّى بَلَغْتُهُ وَسَيَّرْتُ فِي نَجْدِيهِ مَا كَفَانِيَا

يَصِفُ انْهَمَاكَهُ فِي الْبَطَالَةِ، وَتَمَادِيهِ فِي الْغَوَايَا، وَالتَّذَادَةَ لِلصُّبَا وَاللَّهُوِ وَالْخَسَارَةِ، فَقَالَ: أَقُولُ لِجَلْمِي: تَبَاطَأَ عَنِّي، وَلَا تَعَاجَلْنِي فَتَكْفُنِي عَمَّا أَهْوَاهُ وَقَصَّرْتُ شَغْلِي عَلَيْهِ؛ وَلِلشَّيْبِ: تَرَاخَ وَلَا تُبَادِرْ فَتَرْوِعَ النِّسَاءَ وَتَنْفَرُ. وَهَذَا الْكَلَامُ وَإِنْ كَانَ ظَاهِرُهُ تَلَطُّفًا وَسُؤَالًا فَإِنَّهُ يَجْرِي مَجْرَى التَّمْنَى فِي اسْتِدَامَةِ مَا كَانَ يَشْتَهِيهِ، وَيُورَعُ بِهِ.

وقوله: «طَلَبْتُ الْهَوَى الْغَوْرِيَّ»، يريد: تَفَنَّنْتُ فِي الْهَوَى فَأَنْجَدَ بِي طَوْرًا، وَغَارَ بِي طَوْرًا، إِلَى أَنْ تَنَاهَيْتُ، وَبَلَغْتُ أَقْصَى الْغَايَاتِ فَوَقَّفْتُ. وَمَوْضِعُ «مَا» مِنْ قَوْلِهِ: «مَا كَفَانِيَا» نَصَبٌ عَلَى الْمَصْدَرِ مِنْ سَيَّرْتُ، يريد: سَيَّرْتُ فِي نَجْدِيهِ سِيرًا كَفَانِيَا. وَمَعْنَى سَيَّرْتُ: أَكْثَرْتُ السَّيْرَ وَكَثَّرْتُهُ. وَالْغَوَايَا مِنَ النِّسَاءِ: اللَّاتِي تَسْتَعْنِي بِجَمَالِهَا عَنِ التَّحْلِي. وَقِيلَ: الْغَايَةِ: الَّتِي تَسْتَعْنِي بِزُوجِهَا عَنِ الرُّجَالِ.

٣ - فَيَا رَبِّ إِنْ لَمْ تَقْضِهَا لِي فَلَا تَدَعْ قُدُورَ لَهُمْ وَأَقْبِضْ قُدُورَ كَمَا هِيََا

٤ - وَيَا لَيْتَ أَنَّ اللَّهَ إِنْ لَمْ أَلْقِهَا قَضَى بَيْنَ كُلِّ اثْنَيْنِ إِلَّا تَلَاقِيَا

الْبَيْتُ الْأَوَّلُ دَلٌّ بِهِ عَلَى ضَيْقِ صَدْرِهِ بِحَالِهِ، وَشِدَّةِ ضَنْتِهِ بِصَاحِبَتِهِ، فَدَعَا رَبَّهُ أَنْ يَقْبِضَ قُدُورَ إِلَيْهِ إِنْ لَمْ يَقْدِرْ بَيْنَهُمَا مُرَافَاةً وَالتَّحَامًا، وَيَتَوَفَّاهَا بِالْمَوْتِ لِيَأْمَنَ أَنْ يَمْلِكَ أَمْرَهَا غَيْرَهُ. وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى شِدَّةِ غَيْرَةِ فِيهِ، وَمُضَابَقَةِ لِلنَّاسِ كَافَّةً فِي شَيْءٍ يَتَمَنَّاهُ ثُمَّ يَقْضُرُ عَنْهُ. فَأَمَّا قَوْلُهُ: «كَمَا هِيََا» فَمَوْضِعُهُ مِنَ الْإِعْرَابِ نَصَبٌ عَلَى الْحَالِ، وَمَا مِنْ قَوْلِهِ «كَمَا» يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ بِمَعْنَى الَّذِي، وَيَكُونُ هِيَ خَبَرًا لِمَبْتَدَأٍ مَحْذُوفٍ؛ كَأَنَّهُ قَالَ: كَالَّذِي هُوَ هِيَ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَا كَافَّةً لِلْكَافِ عَنْ عَمَلِ الْجَزْ وَيَكُونُ هِيَ فِي مَوْضِعِ الْمَبْتَدَأِ وَالْخَبَرِ مَحْذُوفٍ، وَالْمَعْنَى: أَقْبِضْهَا كَمَا هِيَ عَلَيْهِ.

(١) التبريزي: «حفص العليمي، من جناب كلب، ويقال: هم قريش كلاب».

والبيت الثاني وهو: «يا ليت أن الله إن لم ألاقها» دلّ به على حسدٍ شديد منه، وقلة رضا بمساعدة القدر في شيءٍ يحرم المشاركة فيه. وقوله: «يا ليت» يريد: يا قوم ليت، والمنادى محذوف، والكلام بعده تمنّ في ألا يَحْصُل الاجتماع بين متحابين إن لم يُزَرَقْ مثله في صديقه. وقوله: «ألا تلاقيا» أن فيه مخففة من الثقلية، والمعنى: أنه لا تلاقِي لنا، فخير لا محذوف، والجملة في موضع خبر أن، والضمير المقدر ضمير الأمر والشأن، وخبر أن الله «قضى» وقد حصل في الجملة جواب الشرط، وهو إن لم ألاقها، وخبر ليت.

٥٣٨ - وقال آخر:

- ١ - وَقَفْتُ لِلْيَلَى بِالْمَلَا بَعْدَ حِقْبَةٍ بِمَنْزِلَةٍ فَأَنْهَلَتِ الْعَيْنُ تَذْمَعُ
٢ - وَاتَّبَعُ لَيْلَى حَيْثُ سَارَتْ وَوَدَّعْتُ وَمَا النَّاسُ إِلَّا أَلْفٌ وَمُودَعُ
٣ - كَانَ زِمَامًا فِي الْفُؤَادِ مُعَلَّقًا تَقُودُ بِهِ حَيْثُ اسْتَمَرَّتْ فَاتَّبَعُ

يقول: وَقَفْتُ مِنْ أَجْلِ لَيْلَى وَمِنْ أَجْلِ مَنَازِلِهَا بِالْمَلَا، بعد زمانٍ مُمْتَدٍّ، ودهرٍ مُتَّصِلٍ، فَتَجَدَّدَ لِي مِنَ الْوَجْدِ مَا هَيَّجَ لِي بَكَاءً، وَطَرَى لِي عُهْودًا فَإِنِّي أُسِيرُ هَوَاهَا، وَتَبِيعَ الْبَلْوَى فِيهَا، فَقَلْبِي مَعَهَا حَيْثُ طَعَنْتُ وَأَقَامْتُ. وقوله: «وَدَّعْتُ» معناه تَوَدَّعْتُ. ثم قال: «وما الناس إلا ألفٌ ومودع»، يريد: أن الناس من بين ألفٍ لها لكونه مسافرًا معها ومُرافقًا لها في طريقها، أو منصرفٍ عنها بعد توديعها وتشجيعها، وأنا على خلافهم كلهم، لأنِّي ملازمها في كلِّ حالٍ.

وقد كَشَفَ عن هذا الغرض بما بيَّنه في قوله:

كَانَ زِمَامًا فِي الْفُؤَادِ مُعَلَّقًا تَقُودُ بِهِ حَيْثُ اسْتَمَرَّتْ فَاتَّبَعُ

يريد: طاعة قلبه وانقياده لها. ومِثْلُ «وَدَّعْتُ» و«مُودَعُ» يُسَمَّى التَّجْنِيسِ الناقص.

٥٣٩ - وقال وَرَدُ الْجَعْدِيُّ^(١):

- ١ - خَلِيلِي حُوجَا بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمْ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ هِنْدًا لَأَرْضِكُمْ قَضَا

(١) ورد الجعدي: هو ورد بن عمرو بن ربيعة بن جعدة، شاعر جاهلي، وهو الذي قتل شراحيل بن الأصهب الجعدي. انظر الأغاني ٢٣: ٥، دار الكتب العلمية، والبيتان في الأغاني ١١: ٣٥٢ للمرقش الأكبر.

٢ - وَقُولَا لَهَا لَيْسَ الضَّلَالُ أَجَارَنَا وَلَكُنَّا جُرْنَا لِنَلْقَاكُمْ عَمْدًا^(١)

يخاطب خليلين له متلطفاً لهما، وسائلاً تعريجهما على ديار هند وإن لم تكن مُسامطةً لقصدتهما، وأن يبلغاها إذا التقيا معها أننا تعمدنا زيارتك طلباً لقضاء ذمامك، وتجديداً للعهد بك، ولم يكن العدول إليك عن ضلال ملك قيادتنا، وصرفنا عن وجهه رشادنا، ليقع الاعتداد منها بتحريرنا وفعلنا.

٥٤٠ - وقال^(٢): [الوافر]

١ - وما في الخلقِ أشقى من مُحِبِّ وإنَّ وَجَدَ الهوى حُلُوَ الْمَذَاقِ
٢ - تَرَاهُ بَاكِيًا فِي كُلِّ حِينٍ مَخَافَةَ فُرْقَةٍ أَوْ لاشْتِيَاقِ
٣ - فَيَبْكِي إِنْ نَأَا شَوْقًا إِلَيْهِمْ وَيَبْكِي إِنْ دَنَّا خَوْفَ الْفِرَاقِ
٤ - فَتَسْخَرُ عَيْنُهُ عِنْدَ الثَّنَائِي وَتَسْخَرُ عَيْنُهُ عِنْدَ الثَّلَاقِي

وفى هذه الأبيات حقَّ القسمة، وأقام شرط المقسوم على حده المألوف من التجربة، فيقول: ليس فيمن خلقه الله من البشر أوفى شقاءً، وأعظمُ بلاءً من المُحِبِّ، وإن استخلى ذواق الحب واستلان جسده، إذ كنت تجده كلَّ وقتٍ متألمًا من حاله، ضَجَرًا بعيشه؛ وذلك أنه لا يخلو من إحدى حالتين: إما أن يكون مجتمعا مع محبوبه فيخاف الافتراق، أو يكون بعيدا منه فيكده الاشتياق، ولا حالة ثالثة للاجتماع والافتراق، وهو سَخِينُ العينِ في كلِّ منهما، قليلُ التودُّعِ في عَقبِهما.

وقوله: «وإنَّ وَجَدَ الهوى» جواب الشرط منه في قوله: «ما في الخلقِ أشقى من مُحِبِّ». وقوله: «شَوْقًا إِلَيْهِمْ» انتصب على أنه مفعول له، وكذلك قوله: «خَوْفَ الْفِرَاقِ» و«مَخَافَةَ فُرْقَةٍ». ألا تَرَى أنه عَطَفَ عليه «أو لاشْتِيَاقِ» فجعل حرف الجرّ فيه اللام.

٥٤١ - وقال ابنُ الطُّرَيْةِ^(٣): [الطويل]

١ - عُقْبِيَّةٌ أَمَّا مَلَاثُ إِزَارِهَا فِدِغْصٌ وَأَمَّا خَضْرُهَا فَبَتِّيْلٌ

(١) الأغاني: «أجازنا... جُزنا».

(٢) التبريزي: «وقال آخر، قال أبو رياش: هي مولدة». والأبيات لماني في الزهرة ١: ١٤١، ويلا نسبة في ذم الهوى ٥٩٢، ولنصيب في تزيين الأسواق ١٥٩، والمصون ١٥٥، وديوانه ١١١.

(٣) هو يزيد بن سلمة بن سمرة بن الطثرية، والطثرية أمه، وكان حسن الشعر، حلو الحديث، صاحب غزل وظرف وشجاعة وفصاحة. (ت ١٢٦ هـ / ٧٤٤ م). ترجمته في: الشعر والشعراء =

٢ - تَقَيِّظُ أَكْنَافَ الْجِمَى وَيُظِلُّهَا بِنَعْمَانٍ مِنْ وَادِي الْأَرَاكِ مَقِيلٌ

المَلَات: الموضع الذي يُدَارُ به الشيء. ويقال: نُثْتُ على رأسي العمامة لوثًا. ومنه قوله: [البسيط]

كانوا مَلَاوِيثَ فاحتاجَ الصَّدِيقُ لَهُمْ^(١)

أي: كانوا الذين يُدَارُ بهم، ويُطاف عليهم، ويُزجى خيرُهم. والمراد بالمَلَات هاهنا العَجَز، وشبَّهها بالدُّعص، وهو الرُّمْلُ المَجْتَمِع، لكثرة اللحم عليها واكتنازه. والبتيل: الهُضِيمُ الدَّقِيق، وأصل البَتْلُ القَطْع، ومنه قول الله تعالى: ﴿وَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبَيُّلاً﴾ [المزمل: الآية ٨]. وَصَفَ المرأةَ بِالنُّعْمَةِ والنُّعْمَةِ، ومطَاوَعَةِ الخيرِ لها والسَّعَةِ، فيقول: هي دَقِيقَةُ الحُضُر، قليلةُ العَجَز، وهي في فصول سَنَتِهَا تَنْتَقِلُ في المواضع الطَّيِّبَةِ الْمُخَصَّبَةِ، لا تُكَايِدُ ضَيْقًا ولا تُعَانِي جَهْدًا. وَتَقَيِّظُ بالمكان: أَقَامَ قِيظَةً فيه. وَنَعْمَان: وَادِي الْأَرَاكِ. وَأَصْلُ تَقَيِّظُ تَنْقِيظُ، فحذف إحدى التاءين.

٣ - أَلَيْسَ قَلِيلًا نَظْرَةً، إِنْ نَظَرْتُهَا إِلَيْكَ، وَكَلَّا، لَيْسَ مِنْكَ قَلِيلٌ
٤ - فَيَا خُلَّةَ النَّفْسِ الَّتِي لَيْسَ دُونُهَا لَنَا مِنْ أَخْلَاءِ الصَّفَاءِ خَلِيلٌ
٥ - وَيَا مَنْ كَتَمْنَا حُبَّهُ لَمْ يُطْعَمْ بِهِ عَدُوٌّ وَلَمْ يُؤْمَنْ عَلَيْهِ دَخِيلٌ
٦ - أَمَّا مِنْ مَكَانٍ أَشْتَكِي غَرْبَةَ النُّوَى وَخَوْفَ الْعِدَى فِيهِ إِلَيْكَ سَبِيلٌ^(٢)

قوله: «أليس» يقرَّرُ به في الواجب الثابت، وكذلك أَلَمْ وَأَلَا؛ وذلك: أَنَّ حرف الاستفهام يُضَارِعُ حرف التَّثْنِي، ونفي التَّثْنِي إيجاب، فإذا قال القائل: أَلَمْ أَحْسَنَ إِلَيْكَ؟ يجب أن يكون قد أَحْسَنَ، فتقريره به فيما قد وقع وتَبَّت. وفي القرآن: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: الآية ١٧٢]، فكأنه قال مُدِلًّا بما يُقَاسِيهِ فيها، ويتحمَّله مِنْ أَجْلِهَا: أليس قَلِيلًا نَظْرَةً مِنْكَ إِذَا حَصَلَتْ لِي. ثم استدرَكَ على نفسه راجعًا فيما أطلقه، وناقضًا لما اعتقده، فقال: «كَلَّا» - وهو حرفُ رَدْعٍ وَثْقَى - لا قَلِيلَ مِنْكَ.

= ٣٩٢، والأغاني ٥: ٢٤٧.

(١) لأبي ذؤيب الهذلي في شرح أشعار الهذليين ص ١٧٠، واللسان (لوث)، وتاج العروس (لوث)، وعجزة:

«قَفَدَ الْبَلَادُ إِذَا مَا تُنْجِلُ الْمَطَرَا»

(٢) التبريزي: «أما من مقام».

ومثل هذا قول الآخر: [الخفيف]

هَلْ إِلَى نَظَرَةٍ إِلَيْكَ سَبِيلُ فَيُرَوَّى الظُّلْمَا وَيُشْفَى الْغَلِيلُ
إِنَّ مَا قَلَّ مِنْكَ يَكْثُرُ عِنْدِي وَكَثِيرٌ مِمَّنْ يُحِبُّ الْقَلِيلُ

فقوله: «القليل» مبتدأ، و«كثير ممن يحب» خبره.

وقوله: «فيا حُلَّةَ النفس» في هذا الكلام اعتدادٌ في المناداة بما يتوخَّاه معها، فيقول: يا صديقةَ النفس التي تفرَّدت بملْكها واجتذبتْها من أيدي خُطابها ففازت بها، فليس لنا خليلٌ ممن يُصافِي المودة من دُونها، ويا مَنْ سَتَرْنَا حُبَّهُ عن الناس كافةً، صيانةً له عن الانتشار والابتدال، فلم نُطِغ فيه واشياً فيفْسُد ذاتُ بيننا ولا مُضَرِّباً، ولم نَأْمَن عليه دخيله يُزَاجِمُه في جِماه فيصير موضعه مشترَكاً، أَمَا عِنْدَكَ مَقَامٌ لِي فِيهِ إِلَيْكَ سَبِيلُ أَشْتَكِي غَزَبَةَ الثَّوَى، وَخَوْفَ الْعِدَى، فالمنادى له قوله: «أَمَا مِنْ مَقَامٍ أَشْتَكِي».

- ٧ - قَدَيْتُكَ أَعْدَائِي كَثِيرٌ وَشَقَّيْنِي بَعِيدٌ وَأَشْيَايَ لَدَيْكَ قَلِيلٌ
٨ - وَكُنْتُ إِذَا مَا جِئْتُ جِئْتُ بِعِلَّةٍ فَأَنْتَيْتُ عِلَّائِي فَكَيْفَ أَقُولُ
٩ - فَمَا كُلَّ يَوْمٍ لِي بِأَرْضِكَ حَاجَةٌ وَلَا كُلَّ يَوْمٍ لِي إِلَيْكَ رَسُولٌ^(١)

الشُّقَّةُ: بُغْدٌ مسيرٍ أرضٍ إلى أرضٍ بعيدة، وإنَّما لم يقل بعيدة، لأنَّ فعلاً كثيراً ما يقع للمؤنث والمذكر على حالةٍ واحدة، حَمَلًا على السُّبب أو على فَعُولٍ. يقول: تفديك نفسي، في أعدائي بحضرتك وفي الطريق إليك كثرةٌ، وفي المسير بيني وبينك بُغْدٌ ومشقةٌ، وفي الثُّصَارِ لِي بِحَضْرَتِكَ قِلَّةٌ، وَكُنْتُ مَتَى جِئْتُكَ مِنْ قَبْلِ، وَلَمْ تَبْلُغِ الْحَالُ مَنَّا هَذَا الْمَبْلَغُ، أَقِيمِ مَعْذِرَةً، وَأَنْصِبِ لِفِعْلِي عِلَّةً. وَقَدْ كَثُرَ ذَلِكَ مِنِّي حَتَّى فَنَيْتُ الْمَعَاذِيرَ وَالْعِلَلُ، فَلَا أَذْرِي مَاذَا أَقُولُ، وَمَنْ أَيْنَ أَتَوَصَّلُ، بِأَيِّ شَيْءٍ أَتَبْلُغُ، وَعَلَى مَاذَا أَعُولُ، وَمَعَ ذَلِكَ فَالْحَاجَاتُ بِأَرْضِكَ لَا تَكَادُ تَغْرِضُ كُلَّ يَوْمٍ فَتُذَكَّرُ، وَالرُّسُلُ لَا تَوْجِدُ فَتَقَاطِرُ، فَإِذَا تَوَمَّلَ حَالِي فَإِنِّي حَبِيسٌ عَلَى الْمَكَارِهِ، أَسِيرٌ فِي أَيْدِي الثَّوَابِ، ضَيِّقُ الْمَجَالِ وَالشَّأْوِ فِي الزِّيَادَةِ، مَوْفُورُ الْحِظِّ مِنَ الْأَسْبَابِ الصَّادَةِ، عَظِيمُ

(١) بعده عند التبريزي:

«صَحَائِفُ عِنْدِي لِلْعَتَابِ طَوِيلَتَا سَتُنَشَرُ يَوْمًا وَالْعَتَابُ طَوِيلُ
فَلَا تَحْمِلِي ذَنْبِي وَأَنْتِ ضَعِيفَةٌ فَحَنَلُ دَمِي يَوْمَ الْحِسَابِ ثَقِيلُ»

المحنة فيما اجتمع علي من أنواع البلاء، وموانع القضاء. وقوله: «فكيف أقول»، يريد: كيف أقول ما أقوله، فحذف المفعول، ويجوز أن يكون المراد بأقول أنكلم، فيستغني عن المفعول، كقول الآخر: [الطويل]

بحاجة نفس لم تقل في جوابها فتبلغ عذرا والمقالة تغذ^(١)
أي: لم تتكلم في جوابها.

٥٤٢ - وقال آخر: [الطويل]

١ - أبعد الذي قد لج اتخذيني عدوا وقد جرعتني السم منقعا
٢ - وشفت من يبغي علي ولم أكن لأرجع من يبغي عليك مشفعا

ألف الاستفهام تطلب الفعل، وإن كان المراد به هنا التقرير، والمعنى: اتخذتني عدوا بعد ما لج من الحب فيك والهوى، وغلب من عضيان القلب والأسى، وبعد أن سقيتني جرع السم المنقع، وأذقتني مرارة المنع الجامد، فوجدتني صابرا على الأذى، منصبا إليك بنوازع الصبا، لا يخلي وزده وإن حلىء، ولا يكدر صفاء وده وإن دوفع. والمنقع: المثبت، يقال: «أنفع له الشر حتى يسأم».

وقوله: «وشفت من يبغي علي»، أي: ردبت الباغي علي مشفعا بما جاء له في معنای وطلبه، وبقيت أنا لا أقبل نضح الضاح، ولا أصدق قول الوشاة، ولا أؤخي الشفيع عني منجحا، ولا أضرف عليك مظفرا.

٣ - فقالت وما هممت برجع جوابنا بل أنت أبنت الدهر إلا تضرعا
٤ - فقلت لها ما كنت أول ذي هوى تحمل جملا فادحا فتوجعا

يقول: أجابتنى بعد أن كانت في صورة من لا يغبا بما يبدأ به فلا يجيب، ولا يرق لمن يشكو إليه فيستجيب، بل أنت تأبى إلا ضراعة وتوجعا، وانخرالا وتألما. هذا عادتك والمألوف من طرائقك، فإلى متى هذه الشكوى، وأنى يكون مني في مقابلة عثبك العتبي؟ فقلت في جوابها: ما أنا بيدع في الهوى، ولست بأول من حمل ما لا يطيقه، أو ثقل عليه ما كلفه فتشكى. والفادح: المثل، يقال: دين فادح، وقد

(١) لعمر بن أبي ربيعة في ديوانه ٢.

فَدَحَهُ الدَّيْنُ. وَالتَّضَرُّعُ: التَّصَاغُرُ وَالتَّذَلُّلُ. يُقَالُ: رَجُلٌ ضَرَعَ وَضَارَعَ وَقَوْمٌ ضَرَعُوا. وَيُقَالُ: خَذَهُ ضَارِعٌ، وَجَبَّهَ ضَارِعٌ.

٥٤٣ - وقال آخر^(١): [الطويل]

- ١ - أَبَى الْقَلْبُ إِلَّا أُمَّ عَمْرٍو وَحُبَّهَا عَجُوزًا وَمَنْ يُحِبُّ عَجُوزًا يُفْنَدِ^(٢)
٢ - كَسَخَقِ الْيَمَانِي قَدْ تَقَادَمَ عَهْدُهُ وَرُقِعَتْهُ مَا شِئْتُ فِي الْعَيْنِ وَالْيَدِ^(٣)

انتَصَبَ «عَجُوزًا» عَلَى الْحَالِ. وَالتَّفْنِيدُ: التَّوْبِيخُ. وَالسَّخَقُ: الْخَلْقُ مِنَ الثِّيَابِ الَّذِي قَدْ انْسَحَقَ وَانْجَرَدَ، وَأَضَافَهُ إِلَى الْيَمَانِي إِضَافَةَ الْبَعْضِ إِلَى الْكُلِّ، هَذَا إِذَا جَعَلْتَ الْيَمَانِي الْبُرْدَ، وَلَكَ أَنْ تَجْعَلَهُ التَّاجِرَ صَاحِبَ الْبُرْدِ، فَيَكُونُ الْإِضَافَةُ إِلَيْهِ. وَالْمَعْنَى: أَبَى قَلْبِي إِلَّا هَذِهِ الْمَرْأَةَ وَحُبَّهَا لَهَا فِي حَالِ تَعَجُّيزِهَا، وَمَنْ صَرَفَ وَدَّهَ إِلَى الْعَجَائِزِ وَبِخَ، لَكُنْهَا فِي النِّسَاءِ كَخَلَقِ الْبُرْدِ الْيَمَانِي فِي الثِّيَابِ، وَقَدْ قَدَّمَ عَهْدَهُ، أَيَّ مَعْهُدِهِ، وَإِذَا مَسِسْتَهُ أَوْ نَظَرْتَ إِلَيْهِ وَجَدْتَ رَقْعَةً زَائِدَةً عَلَى كُلِّ رَقْعَةٍ دَقَّةً وَمَتَانَةً، وَمَنْظَرُهُ رَاجِحًا عَلَى كُلِّ مَنْظَرٍ حُسْنًا وَجُودَةً، وَكَذَلِكَ مَنْظَرُ أُمِّ عَمْرٍو وَمُخْتَبَرُهَا. وَقَوْلُهُ: «وَحُبَّهَا» أَضَافَ الْمَصْدَرَ إِلَى الْمَفْعُولِ. وَقَوْلُهُ: «مَا شِئْتُ» يَرِيدُ مَا شِئْتُ، فَحَذَفَ الْمَفْعُولَ مِنَ الصَّلَةِ تَخْفِيفًا. وَقَوْلُهُ: «فِي الْعَيْنِ» يَرِيدُ فِي النَّظَرِ. وَ«فِي الْيَدِ» يَرِيدُ عِنْدَ اللَّفْسِ.

٥٤٤ - وقال آخر^(٤): [الطويل]

- ١ - هَجَرْتُكَ أَيَّامًا بِذِي الْعَمْرِ إِنِّي عَلَى هَجَرِ أَيَّامٍ بِذِي الْعَمْرِ نَادِمٌ^(٥)
٢ - وَإِنِّي وَذَلِكَ الْهَجَرَ لَوْ تَعَلَّمِيْنَهُ كَعَارِبَةٍ عَنْ طِفْلِهَا وَهِيَ رَائِمٌ

الكلام اعتذار من إخلاله بزيارتها، وهجرانه لها لعارض عَرَضَ بِذِي الْعَمْرِ، ثُمَّ أَظْهَرَ تَنَدُّمَهُ عَلَى ذَلِكَ، وَأَنَّهُ مُدَّةَ هَجَرِهِ فِي وَجْدِهِ بِهَا وَشَفَقَتِهِ عَلَيْهَا وَتَشَوُّقَهُ لَهَا، كَأَمَّ

(١) التبريزي: «وهو أبو الأسود الدؤلي». وأبو الأسود الدؤلي: هو ظالم بن عمرو بن سفيان الدؤلي واضح علم النحو، وكان معدودًا في الفقهاء والأعيان والأمراء والشعراء والفرسان والحاضري الجواب، وهو أول من نَقَطَ المصحف (ت ٦٦٩ هـ / ٦٨٨ م). ترجمته في: فيات الأعيان ١: ٢٤٠، والإصابة ٤٣٢٢.

(٢) هذا البيت بلا نسبة في أسواق الأشواق خ ١٢١ ظ.

(٣) التبريزي: «كُتِبَ الْيَمَانِي». (٤) البيتان لابن الدمينه في ديوانه ١٩.

(٥) التبريزي: «على هجر أيامي».

جِيلَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ طِفْلِ لَهَا، وَهِيَ بَعِيدَةٌ عَنْهُ بِنَفْسِهَا، وَرِثْمَانَهَا - أَيِ عَظْفُهَا - مَتَوَقَّرٌ عَلَيْهِ.
قال: وكذلك كُنْتُ فِي انْقِطَاعِي بِالنَّفْسِ، وَتَوَقَّرِي بِالْقَلْبِ. شَبَّهَ نَفْسَهُ بِالْعَازِبَةِ،
وَالْمَهْجُورَةِ بِالطِّفْلِ.

فَإِنْ قِيلَ: إِنَّمَا قَالَ: وَإِنِّي وَذَاكَ الْمَهْجَرُ، فَيَقْتَضِي كَلَامُهُ أَنْ يَكُونَ التَّشْبِيهُ مَتَنَاوِلًا
لَهُ وَلِهَجْرِهِ؟ قُلْتُ: يَجُوزُ أَنْ يَرِيدَ إِنِّي مَعَ ذَاكَ الْمَهْجَرِ، وَهَذَا كَمَا يَقَالُ: إِنَّ الرِّجَالَ
وَأَعْضَادَهَا، أَيِ مَقْرُونَانِ؛ وَإِنَّ النِّسَاءَ وَأَعْجَازَهَا، أَيِ مَقْرُونَانِ، لِأَنَّ الْمُرَادَ مَعَ
أَعْضَادِهَا مَعَ أَعْجَازِهَا.

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ بِالْمَهْجَرِ الْمَهْجُورَ، لِأَنَّ الْمَصْدَرِ يَوْصَفُ بِهِ، وَيَجُوزُ أَنْ
يَكُونَ ذَكَرَ الْمَهْجَرَ لَمَّا كَانَ مِنْ سَبَبِهَا، وَالْمُرَادُ تِلْكَ. وَقَوْلُهُ: «لَوْ تَعْلِمْنَهُ» الضَّمِيرُ مِنْهُ
يَعُودُ إِلَى الْمَهْجَرِ، وَالْمُرَادُ مَا ذَكَرْتُهُ. وَالْعَازِبَةُ: الْبَعِيدَةُ. وَيَقَالُ: عَزَبَ عَنْهُ عَقْلُهُ.
وَالْعَازِبُ أَيْضًا، الْكَلَامُ الْبَعِيدُ الْمَطْلَبُ.

٥٤٥ - وَقَالَ آخِرُ^(١): [الطويل]

- ١ - مَا أَخَذْتَ الثَّأِيَّ الْمُفَرَّقُ بَيْنَنَا سَلُّوا وَلَا طَوْلُ اجْتِمَاعٍ نَقَالِيَا
- ٢ - خَلِيلِي إِلَّا تَبْكِيَا لِي أَسْتَعِينْ خَلِيلًا إِذَا أَفْنَيْتُ دَمْعِي بَكِي لِيَا^(٢)
- ٣ - كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ إِذَا كَانَ بَعْدَهُ تَلَاقٍ وَلَكِنْ لَا إِخَالَ تَلَاقِيَا

قَوْلُهُ: «مَا أَخَذْتَ الثَّأِيَّ» يَصِفُ أَنَّ الْوَجْدَ الَّذِي بِهِ قَدْ صَارَ غَرَامًا، فَلَا الْبُعْدَ
مِنْهَا يُخَدِّثُ سَلُّوا عَنْهَا، وَلَا الْاجْتِمَاعُ مَعَهَا يُوجِبُ مَلَالًا مِنْهَا، لَكِنَّهُ فِي الْحَالَتَيْنِ
جَمِيعًا عَلَى حَدِّ وَاحِدٍ مِنْ تَبَارِيحِ الْهَوَى. ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى صَاحِبَيْنِ لَهُ يُخَالُهُمَا فَطَلَبَ
مِنْهُمَا إِسْعَادَهُ فِي الْبُكَاءِ، وَأَتَاهُمَا مَتَى لَمْ يُسْعِفَا لَهُ بِمَطْلُوبِهِ اسْتِعَانَ بِغَيْرِهِمَا، حَتَّى إِذَا
تَرَفَّ دَمْعُهُ بَكَى لَهُ نَائِبًا عَنْهُ.

وَقَوْلُهُ: «كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ»، شَبَّهَ الْبَيْنَ إِذَا تَعَقَّبَهُ الْمَوَاصِلَةُ أَوْ الْاجْتِمَاعُ بِمَا لَمْ
يَكُنْ، لَكِنَّهُ زَعَمَ أَنَّهُ يَأْتِسُّ لَا يَظُنُّ تَسَهُّلَ التَّلَاقِي بَيْنَهُ وَبَيْنَ مُحِبِّهِ وَاقْعًا. وَقَوْلُهُ: «وَلَا
طَوْلُ اجْتِمَاعٍ» ارْتَفَعَ بِفَعْلٍ مُضْمَرٍ، كَأَنَّهُ قَالَ: أَحْدَثَ طَوْلُ اجْتِمَاعٍ.

وَقَوْلُهُ: «خَلِيلِي إِلَّا تَبْكِيَا لِي» تَأَلَّمَ وَتَشَكَّ مِنْ زَمَانِهِ، حِينَ لَمْ يَكُنْ لَهُ مَنْ
يُسَاعِدُهُ فِي شِدَّةٍ أَوْ رَخَاءٍ، وَبِتَحَمُّلٍ عَنْهُ ثِقَلًا فِي مَسَرَّةٍ أَوْ مَضَرَّةٍ.

(٢) التبريزي: «أفنيْتُ دمعًا».

(١) لجميل بثينة في ديوانه ص ٢٢٢.

وقوله: «كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ» كان هذه هي الثَّامَّةُ، والمراد: كَانَ لَمْ يَقَعْ بَيْنَ. وَكَأَنَّ مَحْقُوقَةً مِنَ الثَّقِيلَةِ، وَقَعَ عَلَى مَحْذُوفٍ، كَأَنَّهُ قَالَ: كَأَنَّ الْأَمْرَ وَالشَّأْنَ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ إِذَا حَصَلَ بَعْدَهُ التَّقَاءُ. وقوله: «لَا إِخَالَ تَلَاقِيَا» المفعول الثاني محذوف؛ كَأَنَّهُ قَالَ: لَا أَحْسَبُ تَلَاقِيَا بَعْدَهُ. وَسَاءَ ذَلِكَ لَتَقْدُمُ ذَكَرَهُ، فَهُوَ فِي حُكْمِ الْمَلْفُوظِ بِهِ.

٥٤٦ - وَقَالَ جَمِيلٌ، وَقَدْ حَارَبَ الْفَخِذَ الَّذِي

منهم بُئِيئَةٌ: [الطويل]

- ١ - تَفَرَّقَ أَهْلَانَا بُئِيئِينَ فَمِنْهُمْ فَرِيقٌ أَقَامَ وَاسْتَقَلَّ فَرِيقٌ
- ٢ - فَلَوْ كُنْتُ خَوَّارًا لَقَدْ بَاخَ مَيْسَمِي وَلَكُنِّي صُلْبُ الْقَنَاءِ عَتِيقٌ
- ٣ - كَانَ لَمْ نَحَارِبَ يَا بُئِيئِينَ لَوْ أَنَّهَا تَكْشَفَ غَمَّاهَا وَأَنْتَ صَدِيقٌ

قوله: «أَهْلَانَا» أَرَادَ شَعْبِيهِمَا. وَقَالَ الْخَلِيلُ: أَهْلُ الرَّجُلِ: أَخَصُّ النَّاسِ بِهِ، وَأَهْلُ الْبَيْتِ: سُكَّانُهُ، وَأَهْلُ الْإِسْلَامِ: مَنْ يَدِينُ بِهِ. وَبُئِيئِينَ: نِدَاءٌ مَفْرُودٌ مَرَحَمٌ. وقوله: «فَمِنْهُمْ فَرِيقٌ أَقَامَ» تفصيل لما أجمله في تَفَرَّقَ، وَإِنَّمَا افْتَرَقُوا حَتَّى اِزْتَحَلَ قَوْمٌ وَأَقَامَ قَوْمٌ لِلْخِلَافِ الْوَاقِعِ كَانَ بَيْنَهُمَا.

وقوله: «فَلَوْ كُنْتُ خَوَّارًا» تنبيه على كراهته لما حَدَّثَ، وَإِظْهَارُ أَنَّ مِيلَهُ مَعَ أَهْلِ بُئِيئَةٍ، فَقَالَ: لَوْ كُنْتُ ضَعِيفَ الْمُشْكَةِ مُتَحَلِّ الْعُقْدَةِ، لَكَانَ مَيْسَمِي وَقَدْ بَاخَ، أَيِ زَالَتْ حَرَارَتُهُ، وَسَكُنَتْ حَمِيَّتُهُ، بِمَا أَقَاسِيهِ وَأَشَاهَدُهُ حَالًا بَعْدَ حَالٍ، مِنْ عَوَارِضِ الدَّفْعِ وَنَوَائِبِ الزَّمَانِ، وَلَكُنِّي عَتِيقُ النَّيْعِ، صُلْبُ الْقَنَاءِ، وَهَذَا مِثْلُ ضَرْبِهِ لِإِبَائِهِ، وَبِقَائِهِ عَلَى طَرِيقَةٍ وَاحِدَةٍ فِي الْعَهْدِ وَالْوَفَاءِ. ثُمَّ اعْتَذَرَ بَعْدَ ذَلِكَ، فَقَالَ: «كَانَ لَمْ نَحَارِبَ يَا بُئِيئِينَ»، يَرِيدُ: أَنَّ جَمِيعَ مَا يَجْرِي عَلَيْهِ يَخْفَ وَيُهُونُ إِذَا بَقِيَثَ لَهُ عَلَى مَا فَارَقَهَا عَلَيْهِ، وَتَعَاقَدًا لَهُ، حَتَّى كَأَنَّهُ لَمْ يَقَعِ تَجَادُوبٌ بَيْنَ الْحَيَيْنِ، وَلَا تَحَارُبٌ بَيْنَ الْأَهْلَيْنِ، إِذَا انْكَشَفَتِ الْغَيَاةُ الْحَاصِلَةُ، وَارْتَفَعَتِ الْعَمَايَةُ الرَّائِدَةُ، وَتَلَكُ بَاقِيَةٌ عَلَى الْمَصَافَاةِ. وَيُقَالُ: بَاخَتِ النَّارُ بَوَخًا وَبُؤُوحًا، إِذَا حَمَدَتْ. وَالْعُمَى، هِيَ الْخَصْلَةُ الْمُظْلِمَةُ. وَلَكِ أَنْ تَرَوِي «تَكْشَفُ» بِالرَّفْعِ، يَرِيدُ تَتَكَشَّفُ، فَحُذِفَتْ إِحْدَى التَّائِينَ اسْتِثْقَالًا لِاجْتِمَاعِهِمَا. وَإِنَّمَا عَدَلَ عَنِ الْإِدْغَامِ إِلَى الْحَذْفِ؛ لِأَنَّهُ كَانَ يَحْتَاجُ عِنْدَ الْإِدْغَامِ لِسُكُونِ أَوَّلِ الْحَرْفَيْنِ، إِلَى جَلْبِ أَلِفِ الْوَصْلِ، وَأَلْفُ الْوَصْلِ لَا تَدْخُلُ عَلَى الْفِعْلِ الْمَضَارِعِ. وَلَكِ أَنْ تَرَوِي «تَكْشَفُ» عَلَى أَنَّ يَكُونُ التَّاءُ لِلْمَاضِي. وَجَوَابُ لَوْ فِي قَوْلِهِ كَانَ لَمْ نَحَارِبَ، وَالْوَاوُ مِنْ «وَأَنْتَ» وَآوُ الْحَالِ. وَذَكَرَ «صَدِيقٌ» لِأَنَّ الْمُرَادَ ذَاتَ

صداقة، ولو قال صديقة لجاز. قال: [الطويل]

إِذِ النَّاسُ نَاسٌ وَالزَّمَانُ بَغْرَةٌ وَإِذْ أُمُّ عَمَّارٍ صَدِيقُ مُسَاعِفٍ^(١)

٥٤٧ - وقال آخر: [الطويل]

١ - شَيْبَ أَيَّامِ الْفِرَاقِ مَفَارِقِي وَأَنْشُرْزَنْ نَفْسِي فَوْقَ حَيْثُ تَكُونُ

يقول: أثرت أَيَّامُ الْفِرَاقِ فِيَّ فَأَبْدَلْتَنِي بِالشَّابِّ مَشِيئًا، وبالجِدَّةِ والقُوَّةِ خُلُوقَةً وَوَهْنًا شَدِيدًا، وَأَزَعَجَتْ نَفْسِي مِنْ مَقَرِّهَا فَارْتَفَعَتْ مِنْ مَرْكَزِهَا إِلَى مَا فَوْقَهَا، فَالشَّيْبُ وَإِنْ جَاءَ قَبْلَ جِيئِهِ يُؤْذِنُنِي بِاقْتِرَابِ الْمَهْلِ، وَنُشُورُ النَّفْسِ يَبْشُرُنِي بِدُنُوءِ الْأَجَلِ، هَذَا إِلَى مَا أَعَانِيهِ مِنْ حَوَادِثِ الْفِرَاقِ، وَلِوَادِعِ الْاِشْتِيَاقِ. وَقَوْلُهُ: «فَوْقَ حَيْثُ تَكُونُ» جَعَلَ حَيْثُ اسْمًا وَأَصَافَ فَوْقَ إِلَيْهِ، وَحَيْثُ فِي الْأَمَكَةِ بِمَنْزِلَةِ حَيْنٍ فِي الْأَزْمَنَةِ، وَلِذَلِكَ احْتِجَاجٌ إِلَى جَمْلَتَيْنِ. «وَتَكُونُ»: مُسْتَقْبَلُ كَانَ التَّامَّةُ، وَمَعْنَاهُ يَقَعُ وَيَخْصُلُ. وَيَقَالُ لِلرَّجُلِ إِذَا تَرَحَّفَ عَنْ مَجْلِسِهِ فَارْتَفَعَ فَوْقَ ذَلِكَ: نَشَرَ نُشُورًا، وَأَنْشَرْتَهُ إِنْشَارًا. وَقَوْلُهُ: «أَيَّامُ الْفِرَاقِ مَفَارِقِي» يَسْمَى التَّجْنِيسَ النَاقِصَ، وَفَرَّقَ الرَّأْسَ وَمَفْرِقَهُ وَاحِدًا.

٢ - وَقَدْ لَانَ أَيَّامُ اللَّوَى ثُمَّ لَمْ يَكُنْ مِنْ الْعَيْشِ شَيْءٌ بَعْدَهُنَّ يَلِينُ

٣ - يَقُولُونَ مَا أَبْلَاكَ وَالْمَالُ غَايِرُ عَلَيْكَ وَضَاحِي الْجِلْدِ مِنْكَ كَيْنِ^(٢)

٤ - فَقُلْتُ لَهُمْ لَا تَعْذُلُونِي وَانْظُرُوا إِلَى النَّازِعِ الْمَقْصُورِ كَيْفَ يَكُونُ

حَمِدَ أَيَّامَهُ بِاللَّوَى إِذْ كَانَ فِيهِ اجْتِمَاعٌ مَعَ الْأَحْبَةِ، وَمُسَاعَفَةٌ مِنَ الْمَقْدَارِ وَالْأَقْصِيَةِ. ثُمَّ تَعَقَّبَ بِزُعْمِهِ مَا صَغُبَ مِنْهَا وَخَشَنَ، لَمَّا حَدَثَ مِنَ الْبِعَادِ فِيهِ فَاسْتَنْكَرَ، فَلَمْ يَسْتَوْفِقْ بَعْدَهَا شَيْئًا مِنَ الْأَوَاقَاتِ، وَلَا اِزْتَضَى حَالًا مِنَ الْأَحْوَالِ، لَتَعَسَّرَ الْعَيْشُ، وَتَكَدَّ الْفِرَاقُ.

وقوله: «يقولون ما أبلأك والمال غايِرُ»، يريد: أَنَّ النَّاسَ مُتَعَجِّبُونَ مِنْ شَأْنِي وَأَمْرِي، مُسْتَنْكِرُونَ مَا يَشَاهِدُونَ مِنْ حُؤُولِي وَضَمِيرِي، فَيَرْجِعُونَ بِالسُّؤَالِ عَلَيَّ، وَيَقُولُونَ: مَا الَّذِي بَلَّأَكَ، وَهَزَلَكَ وَأَنْضَاكَ، وَفِي مَالِكَ وَفُورٍ، وَالضَّاحِي مِنْ جِلْدِكَ بِالْكُسُوءِ مَسْتُورٌ، فَلَا تَبْذُلَ لِلْحَرُورِ اعْتِرَاكَ، وَلَا إِضَافَةَ فِي الْمَعَاشِ تَعَشَّكَ، قَالَ:

(١) لأوس بن حجر في ديوانه ٧٤، واللسان (سعف)، وبلا نسبة في أساس البلاغة (سعف).

(٢) التبريزي: «غامرٌ لديك».

فأجبتهم بأنِ اضْرُقُوا عَنِّي الْعَثَبَ وَالْمَلَامَ، وَاعْتَبِرُوا حَالِي بِالنَّظَرِ إِلَى الْبَعِيرِ الْحَانِّ إِلَى وَطَنِ، مَعَ أَنَّهُ أَغْلَظُ مَا خَلَقَهُ اللَّهُ كِبَدًا، وَأَثْبُتُ عَلَى الشَّدَائِدِ نَفْسًا وَجَلَدًا، كَيْفَ يَضْجُ، وَلَوْ خُلِّيَ كَيْفَ يَهِيمُ عَلَى وَجْهِهِ وَيَنْدُ. وَاعْلَمُوا أَنَّ مَا يَبْلُغُ بِهِ تِلْكَ الْحَالَةَ مِنَ النِّزَاعِ عَلَى مَا بِهِ مِنَ الْعُجْمَةِ وَالْعَبَاوَةِ، حَقِيقٌ بِأَنْ يُكْمَدَ مِثْلِي مَا تُؤْخَذُ بِهِ مِنَ التَّمْيِيزِ وَالتَّحْصِيلِ، وَالْفَرْقِ بَيْنَ أَخْتَاءِ الْأُمُورِ وَأَنْحَائِهَا.

وقد أخذ أبو تَمَامٍ هذا المعنى فنقله إلى الدَّارِ وقد حَلَّتْ مِنَ السُّكَّانِ، فقال:
[البسيط]

إِنْ شِئْتَ أَلَّا تَرَى صَبْرًا لِمُضْطَبِّرٍ فَانْظُرْ عَلَى أَيِّ حَالٍ أَضْبَحَ الطَّلُّ^(١)

٥٤٨ - وَقَالَ أَبُو دَهْلٍ الْجُمَحِيُّ^(٢): [البسيط]

١ - أَقُولُ وَالرَّكْبُ قَدْ مَالَتْ عَمَائِمُهُمْ وَقَدْ سَقَى الْقَوْمَ كَأْسَ النُّغْسَةِ السَّهْرِ

٢ - يَا لَيْتَ أَنِّي بَأَثَوَابِي وَرَاحِلَتِي عَبْدٌ لِأَهْلِكَ هَذَا الشَّهْرُ مُؤْتَجَرُ

أول البيت الثاني، وهو «يا ليت أني بأثوابي» في موضع المفعول لأقول. والواو من قوله: «وَالرَّكْبُ» واو الابتداء، وهو للحال. وقوله: «وَقَدْ مَالَتْ عَمَائِمُهُمْ» يريدُ لِعَلَبَةِ النُّومِ عَلَيْهِمْ، وَمَجَاهِدَةِ السَّيْرِ وَالسَّرَى فِيهِمْ، وَمَزَاوَلَتِهِمِ السَّهْرَ، حَتَّى كَانَتْهُمْ سَقَاهُمْ كُؤُوسُ النُّعَاسِ فَسَكِرُوا، وَالْمَعْنَى أَنِّي أَقُولُ، عَلَى مَعَانَاةِ هَذِهِ الْأَحْوَالِ يُوَدِّي أَنِّي مُسْتَعِدٌّ لِأَهْلِكَ طُولَ الشَّهْرِ الَّذِي نَحْنُ فِيهِ، مُؤْتَجَرٌ بِكُسُوتِي وَزَادِي وَرَاحِلَتِي، لَا أَكْلِفُهُمْ مَوْنَةً، وَلَا أَحْمِلُهُمْ مَزْنَةً، كُلُّ ذَلِكَ رَغْبَةً فِي التَّقَرُّبِ إِلَيْكَ، وَالِاسْتِعَادَ بِخِدْمَةِ أَهْلِكَ، وَالْقُوزَ بِالتَّعْرِيجِ عَلَى مَحَلِّكَ وَمَرْتَحَلِكَ. وقوله: «يَا لَيْتَ» المُنَادَى مُحَذُوفٌ، كَأَنَّهُ قَالَ: يَا قَوْمَ يَا لَيْتَ أَنِّي.

٣ - إِنْ كَانَ ذَا قَدَرًا يُعْطِيكَ نَافِلَةً مِنَّا وَيَخْرِمُنَا، مَا أَنْصَفَ الْقَدَرُ

٤ - جَنِيَّةٌ أَوْ لَهَا جِنٌّ يُعَلِّمُهَا رَمَى الْقُلُوبِ بِسَهْمٍ مَا لَهُ وَتَرٌ^(٣)

جواب الشَّرْطِ فِي قَوْلِهِ: «مَا أَنْصَفَ الْقَدَرُ» عَلَى إِرَادَةِ الْفَاءِ. وَقَوْلُهُ: «يُعْطِيكَ نَافِلَةً» فِي مَوْضِعِ الصِّفَةِ لِقَدَرًا، وَأَشَارَ بِ «ذَا» إِلَى مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ مُحَبُّوبِهِ. وَالْمَعْنَى: إِنْ

(٢) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (٥٢١).

(١) ديوانه ٢٢٦.

(٣) التبريزي: «بقوسٍ ما لها وتَرٌ».

كان ما يُرى بيننا ويُشاهد قَدَرًا قَدَرَهُ اللهُ تعالى، يُغْطِيكَ منا ما تَسْتَغْنِيهِ وتَسْتَفْضِلِيهِ، ثُمَّ يَمْنَعُنَا مِثْلَ ذَلِكَ مِنْكَ فلا يُوجِبُهُ لَنَا، فما أَعْطَانَا التَّصَفَّةَ فِي الْقَضِيَّةِ، ولا سارَ بالسَّيرة المحمودَةِ فِي الْحُكُومَةِ.

وقوله: «جَنِيَّةٌ»، يريدُ أَنَّ فِعْلَهَا مُبَايِنٌ لِفِعْلِ الْإِنْسِ، وكذلك شَكْلُهَا وحُسْنُهَا، فَإِذَا أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَنِّ، أو لَهَا مِنَ الْجَنِّ مَنْ يُعَلِّمُهَا افْتِتَانِ الْعُقُولِ، واختِبَالَ الْأَفْنَدَةِ فِي الصُّدُورِ. وقوله: «بِسَهْمٍ مَا لَهُ وَتَرٌّ»، يريدُ: سَهْمًا لَا يُتْرَى الْوَتَرُ عَلَى الْقِيسِيِّ، بل تَهْيِئَتُهُ مَقْلُ الْعُمُيُونِ، وَتَوَاطُرُ الْفُتُونِ، لِإِصَابَةِ حَبَّاتِ الْقُلُوبِ، وانتِظَامِ غِرَّاتِ النَّفُوسِ.

٥٤٩ - وقال تَوْبَةُ بْنُ الْمُضَرِّسِ^(١): [الطويل]

١ - يَقُولُ أَنَسٌ لَا يَضِيرُكَ نَأْيُهَا بَلَى كُلُّ مَا شَفَّ النَّفْسُ يَضِيرُهَا^(٢)

٢ - أَلَيْسَ يَضِيرُ الْعَيْنَ أَنْ تَرَدَّ الْبُكَاءُ وَيُمْنَعَ مِنْهَا نَوْمُهَا وَسُرُورُهَا

يقال: ضَارَهُ يَضِيرُهُ، فِي مَعْنَى ضَرَّهُ يَضُرُّهُ. وَشَفَّ النَّفْسُ، أَي: آذَاهَا وَأَذَابَهَا. وَالْمَعْنَى: أَنَّ النَّاسَ يَطِيبُونَ قَلْبِي وَيَزُومُونَ بِمَحَاجَّتِهِمْ لِي تَسْلِيَتِي، وَيَقُولُونَ: إِنَّ بُعْدَهَا لَا يُورِثُكَ حَبَالًا، وَلَا يَكْسِبُكَ ضَرًّا وَوَبَالًا، بَلْ يُغْفِقُكَ سَلَوَةً، وَيُبْدِلُكَ مِنَ التَّائِسِ بِالْاجْتِمَاعِ مَعَهَا نَفْرَةً، فَأَتَيْتُ مَا نَفَوُهُ، وَأَبْطَلْتُ مَا أَلْفَوُهُ، وَقُلْتُ: بَلَى كُلُّ مَا يُذِيبُ النَّفْسَ وَيَهْزِلُهَا، وَيَسْلُبُهَا الْقَرَارَ وَيُقْلِقُهَا، فَهُوَ عَائِدٌ بِأَكْمَلِ الضَّرْرِ عَلَيْهَا، ثُمَّ رَدَدْتُهُمْ إِلَى الشَّاهِدِ مُسْتَدَلًّا بِهَا، فَقُلْتُ: أَلَيْسَ الْعَيْنُ إِذَا أُدِيمَ الْبُكَاءُ بِهَا، وَمُنِعَ النَّوْمُ وَمَا يُلْتَذُّ بِهِ مِنْ مَسَارِحِ اللَّهْوِ وَالسُّرُورِ مِنْهَا، يَضُرُّهَا ذَلِكَ؟ كَذَلِكَ النَّفْسُ إِذَا جُمِعَ عَلَيْهَا مَا لَا تَهْوَاهُ، وَفُرِّقَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ مَا تَلْتَذُّهُ وَتَرْضَاهُ.

٥٥٠ - وقال ابن أبي دُباكِلِ الْخَزَاعِيُّ^(٣): [الوافر]

١ - يَطْوِلُ الْيَوْمُ لَا أَلْفَاكِ فِيهِ وَحَوْلَ نَلْتَقِي فِيهِ قَصِيرٌ^(٤)

(١) التبريزي: «توبة بن الحمير». وأما توبة بن المضرس: شاعر محسن، انظر: المؤلف والمختلف ٦٨.

(٢) البيتان لتوبة بن الحمير في تزيين ١٨٦، وأسواق الأشواق ق خ ٨٨ ظ، وديوانه ٧، والواضح ١٣٩، وذم الهوى ٤٣٤.

(٣) هو سليمان بن أبي دباكِل: شاعر أموي كان معاصرًا للأحوص.

(٤) التبريزي: «ويوم نلتقي».

٢ - وقالوا لا يَضِيرُكَ نَأْيُ شَهْرٍ فَقُلْتُ لَصَاحِبِي فَمَتَى يَضِيرُ^(١)

يقول: إِنَّ السَّنَةَ الْكَامِلَةَ إِذَا اتَّصَلَ الْإِلْتِقَاءُ بَيْنَنَا فِيهَا، أَسْتَقْصِرُهَا وَأُخْرِصُ عَلَى الْإِسْتِزَادَةِ مِنْهَا، التَّذَاذًا بِهَا وَيُعْذَا مِنَ الْمَلَالِ لَهَا، وَإِنَّ الْيَوْمَ الْوَاحِدَ إِذَا حِيلَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ فِيهِ أَسْتَطِيلُهُ تَقَالِيًا لَهُ، وَتَفَادِيًا مِنْهُ، وَكَرَاهِيَةً لِمَتَدَادِهِ، وَالنَّاسُ يَقُولُونَ لِي: إِنَّ الشَّهْرَ لَا يَجْلُبُ عَلَيْكَ ضَرَرًا، فَقُلْتُ لَصَاحِبِي: فَمَتَى يَضِيرُ إِذَا؟ اسْتَبْعَاذًا لِلْأَجْلِ الْمَضْرُوبِ. وَيُرْوَى: «لَصَاحِبِي فَمَنْ يَضِيرُ». وَالْمَعْنَى: إِذَا لَمْ يَضُرَّنِي الْفُطْمُ عَمَّا لَمْ أُرْتَوْ مِنْهُ فَمَنْ الْمَضْرُورُ إِذَا.

٥٥١ - وَقَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُثْبَةَ^(٢): [الوافر]

١ - شَقَقْتُ الْقَلْبَ ثُمَّ ذَرَرْتُ فِيهِ هَوَاكِ فَلَيْمَ فَاثْتَامَ الْفُطُورُ^(٣)
٢ - تَغْلَغَلَ حَيْثُ لَمْ يَنْبَلُغْ شَرَابٌ وَلَا حُزْنٌ وَلَمْ يَنْبَلُغْ سُرُورُ^(٤)

يصف استحكامَ أَمْرِ الْهَوَى وَشِدَّةَ تَسْلُطِهِ عَلَى قَلْبِهِ وَتَمَكُّنِهِ مِنْ عَقْلِهِ، فَيَقُولُ: شَقَقْتُ قَلْبِي، وَجَعَلْتُ هَوَاكِ ذُرُورًا فِيهِ، فَرَسَخَ فِي جَوَانِبِهِ بَعْدَ أَنْ دَبَّ فِي مَسَامِهِ وَمَوَالِجِهِ، ثُمَّ جَمَعْتُ قُوَّتَهُ حَتَّى اتَّأَمَّتْ شَقْوُهُ، فَتَوَصَّلَ الْهَوَى مِنْهُ إِلَى حَيْثُ أَعْجَزَ كُلُّ سُرُورٍ وَحُزْنٍ. وَالْمَعْنَى: أَنَّ الْهَوَى مَلَكَ مَجَامِعَ قَلْبِي فَأَخَمَى مِنْهُ مَا كَانَ مُحَرِّمًا عَلَى غَيْرِهِ. وَقَوْلُهُ: «لَيْمَ» أَصْلُهُ الْهَمْزُ فَأُبْدِلَ مِنْ هَمْزِهِ يَاءٌ وَانْكَسَرَ اللَّامُ لَهَا. وَالتَّغْلَغُلُ: التَّوَصُّلُ عَلَى مِقَاسَةِ تَعَبٍ وَشِدَّةٍ. وَلَا يُقَالُ لِمَنْ تَوَصَّلَ وَالْمَذْهَبُ سَهْلٌ: تَغْلَغَلَ. وَيُقَالُ: ذَرَّ الشَّيْءُ، إِذَا فَرَّقَهُ؛ وَذَرَّ الْحَبُّ فِي الْأَرْضِ. وَقَوْلُهُ: «الْثَامُ الْفُطُورُ»، أَرَادَ الْفُطُورَ مِنْهُ، فَحَذَفَ تَخْفِيفًا، لِأَنَّ الْمُرَادَ مَعْلُومٌ. وَالْفُطْرُ: الشَّقُّ، وَمِنْهُ تَفْطَرُ الْوَرَقَ.

(١) التبريزي: «لصاحبي فمتى يضير».

(٢) عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي التابعي: مفتي المدينة وأحد الفقهاء السبعة فيها، من أعلام التابعين (ت ٩٨ هـ / ٧١٦ م). ترجمته في: تذكرة الحفاظ ١: ٧٤، وتهذيب التهذيب ٢٣: ٧، وحلية الأولياء ٢: ١٨٨.

(٣) الأبيات في المصون ٣٧.

(٤) قبله عند التبريزي:

«تغلغل حب عتمة في فؤادي فباديه مع الخافي يسير»

٥٥٢ - وقال ابن ميادة^(١): [الطويل]

- ١ - وما أنسَ منَ أشياءَ لا أنسَ قولها وَأَذْمُعُهَا يُذْرِينِ حَشَوَ الْمَكَاحِلِ
 ٢ - تَمَتَّعَ بِذَا الْيَوْمِ الْقَصِيرِ فَلِئْهُ رَهِيْنُ بِأَيَّامِ الشُّهُورِ الْأَطْوَالِ
 انجزم «أنس» بما، وما موضعه نصب على المفعول من أنس. والمعنى: إن أنس شيئاً من الأشياء لا أنس قولها، فلا أنس انجزم على أنه جواب الشرط، وقوله: «مِلْ أشياء» أصله من الأشياء، وجعل الحذف بدلاً من الإدغام لَمَّا تعذر إتيانه في المتقاربين، وقد مر مثله مستقصى. وقوله: «يُذْرِين» يريد: يُسْقِطُن حَشَوَ المكاحل. أراد أنها كخلاء، فكان الذم حين ذرف صجبه الكحل.

وقوله: «تمتع بذا اليوم القصير» موضعه من الإعراب نصب على أنه مفعول من قولها، أي: لا أنس قولها، وقد شافهنا الفراق من يوم التوديع والتشيع وهي تبكي: تمتع بيومك القصير لكونه يوم اجتماع، فإتبع مرتتهن من الشهور الطويلة، لكونها أيام التباين؛ أي: مثل هذا اليوم لا يُفك من الارتهان، ولا يخلص إلا بعد تقضي تلك الأيام المستطالة.

٥٥٣ - وقال محمد بن بشير^(٢): [الكامل]

- ١ - بِنِضَاءِ آنَسَةِ الْحَدِيثِ كَأَنِّهَا قَمَرٌ تَوَسَّطَ جَنَحَ لَيْلٍ مُبَرِّدٍ
 ٢ - مَوْسُومَةٌ بِالْحُسْنِ ذَاتُ حَوَاسِدٍ إِنَّ الْحِسَانَ مَظِنَّةٌ لِلْحُسْدِ^(٣)
 ٣ - وَتَرَى مَدَامِعَهَا تُرْفِرُقُ مَقْلَةً سَوْدَاءَ تَزْعَبُ عَنْ سَوَادِ الْإِنْمِيدِ

وصف المرأة بإشراق اللون. ومعنى «آنسة» ذات أنس، لأن الحديث يؤنس ولا يأنس، كقولهم: هم ناصب، والمراد مُنْصِب. ثم شبهها بقمرٍ توسَّطَ السَّماءَ فيما جَنَحَ من ليلٍ كان فيه غيمٌ ويرد. والقَمَرُ إذا خَرَجَ من حَلَكِ الغمام في ليلةٍ مطيرة كان أضواً وأحسن. ويجوز أن يكون قوله: «لَيْلٍ مُبَرِّدٍ»، يُرَادُ به لَيْلٌ ذو بَرْدٍ أو بَرْدٍ، ويكون من باب أَشْمَلْنَا، أي دَخَلْنَا في الشَّمال، وَأَشْتَيْنَا، أي دَخَلْنَا في الشَّتَاء. ويُقال: بُرِدَتْ

(١) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (٥٣٤).

(٢) سبقت ترجمته في الحماسية (٢٦٩). التبريزي: «وقال آخر».

(٣) بعده عند التبريزي:

«حَوَذٌ إِذَا كَثُرَ الْحَدِيثُ تَعَوَّذْتُ بِحِمَى الْحَيَاءِ وَإِنْ أَتَكَلَّمْتُ تَقَصَّدِ»

الأَرْضُ، إِذَا مُطِرَتِ الْبَرْدُ، فَهِيَ مَبْرُودَةٌ، وَأَبْرَدْنَا، أَي: دَخَلْنَا فِي الْبَرْدِ أَوْ الْبَرْدُ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ شَمِلْنَا: أَصَابَتْنَا رِيحُ الشَّمَالِ، وَأَشْمَلْنَا: دَخَلْنَا فِي الشَّمَالِ. وَقَالَ الْخَلِيلُ: يُقَالُ أَبْرَدَ الْقَوْمُ، إِذَا صَارُوا فِي وَقْتِ الْقُرِّ فِي آخِرِ النَّهَارِ. وَالْأَبْرَدَانِ: طَرَفَا النَّهَارِ. وَقَالَ الشَّاعِرُ: [الوافر]

إِذَا الْأَرْضُ تَوَسَّدَ أَبْرَدَيْهِ خُدُودُ جَوَازِي بِالرَّمْلِ عَيْنِ^(١)

يُصِفُ بَقْرَةً وَحَشِيَّةً بِأَنَّهَا تَتَوَسَّدُ غُصُونُ الْأَرْضِ الَّتِي تَلِي الْعَرَبَ بِالْعَدَاةِ، فَإِذَا دَارَتِ الشَّمْسُ دَارَتَ مَعَهَا إِلَى نَاحِيَةِ الشَّرْقِ، فَتَوَسَّدَتِ الْغُصُونُ الَّتِي مَالَتِ الشَّمْسُ عَنْهَا.

وقوله: «موسومة بالحسن»، يريد: أَنَّهُ جُعِلَ سِيمَاهَا الْحَسَنَ، فَهِيَ مَمْسُوحَةٌ بِهِ مَوْسُومَةٌ. وَأَصْلُ السَّمَةِ الْعَلَامَةُ، وَمِنْهُ السَّيْمَا. وَمَعْنَى «ذَاتِ حَوَاسِدٍ»، أَي: مَنْ يَرَاهَا مِنَ النَّاسِ يَحْسُدُهَا، لِأَنَّ الْجِسَانَ مَغْلَمٌ لِلْحُسْدِ، وَهَكَذَا كَمَا يُقَالُ: إِنَّ الْحَسَدَ يَتَبَعُ النَّعَمَ.

وقوله: «وترى مدامعها تترقئ مقلّة»، فالمدامع مَسَائِلُ الدَّمْعِ مِنَ الْقَبَائِلِ فِي الرَّأْسِ. وَمَعْنَى «تَرْقِئُ مَقْلَةً»، أَي تَرْقِئُ الدَّمْعَ فِي مَقْلَةٍ. وَالرَّقْرَاقُ: الدَّمْعُ الَّذِي يَتَرَقَّقُ فِي الْعَيْنِ وَلَا يَسِيلُ. قَالَ: [الرملي]

أَوْ الدُّرُّ رَقْرَاقُهُ الْمُنْحَدِرُ^(٢)

وَالْمَعْنَى: أَنَّهَا كَخَلَاءٍ، وَأَنَّ الدَّمْعَ يَتَجَمَّعُ فِي مَقْلَةٍ لَهَا مُسْتَغْنِيَةٌ عَنْ سَوَادِ الْكَحْلِ، لِكَحْلِهَا.

٥٥٤ - وقال آخر^(٣): [الكامل]

- ١ - صَفَرَاءُ مِنْ بَقَرِ الْجَوَاءِ كَأَنَّمَا تَرَكَ الْحَيَاءُ بِهَا رُدَاعَ سَقِيمٍ
- ٢ - مِنْ مُخْذِيَّاتِ أَخِي الْهَوَى جُرَعَ الْأَسَى بِدَلَالِ غَانِيَةٍ وَمُقْلَةٍ رِيمٍ
- ٣ - وَقَصِيرَةِ الْأَيَّامِ وَدَّ جَلِيسُهَا لَوْ دَامَ مَجْلِيسُهَا بِفَقْدِ حَمِيمٍ

(١) للشماخ بن ضرار في ديوانه ٣٣١، واللسان (جزأ، برد)، وأساس البلاغة (جزأ).

(٢) لامرئ القيس في ديوانه ٧، وصدره:

«فأسبل دمعي كفض الجمان

(٣) البيتان (٢، ٣) بلا نسبة في الزهرة ١١٣، والأبيات الثلاثة في اعتلال القلوب ١٠٢، ومصارع

العشاق ٢٥٢: ١، ولبشر بن عبد الرحمن الأنصاري في أسواق الأشواق خ ٢٦٠ ظ.

وصفها بأنها دُرِّيَّة اللون، وأنَّ فيها مَشَابِه من بَقَر الجِوَاءِ، وأَنَّها حَيَّةٌ قَلِيلَةُ الحركات لَتَعَمَّتْهَا، قَلِيلَةُ الكلام لَقَرَطَ حَيَاثُهَا، فَكَأَنَّ بِهَا تُكْسَسُ سَقَمٌ لَمَّا أَلْفَتْهُ مِنَ الكَسَلِ. وقال الخليل: الرُّدْعُ والرُّدَاعُ: التُّكْسُ؛ وَرَجُلٌ مَرْدُوعٌ. وقيل: الرُّدَاعُ: الِوَجَعُ فِي الجَسَدِ. فَأَمَّا قول الأعشى: [الكامل]

بِيضَاءُ ضَخَوَتْهَا وَصَفَرَا ءُ الْعَشِيَّةِ كَالْعَرَاةِ

فجعل لها لونَيْن: بِيَضًا فِي أَوَّلِ النَّهَارِ، وَصُفْرَةً فِي آخِرِهِ حَتَّى لَوْنُهَا لَوْنُ العَرَارِ. وَإِنَّمَا يُرِيدُ أَنَّهَا تَقِيلُ فَيَمْتَدُّ النَّوْمُ بِهَا إِلَى آخِرِ النَّهَارِ، وَالْقَائِمُ مِنْ نَوْمِهِ أَبَدًا يَكُونُ مُتَغَيِّرَ اللَّوْنِ. ومثل قوله: «تَرَكَ الحَيَاءُ بِهَا رُدَاعَ سَقِيمٍ» قول الآخر: [الطويل]

كَأَنَّ لَهَا فِي الْأَرْضِ نِسِيًّا تَقْصُهُ عَلَى أُمِّهَا وَإِنْ تُكَلِّمُكَ تَبَلَّتْ^(١)

وقوله: «مِنْ مُخْذِيَّاتِ أُخِي الهَوَى»، يَرِيدُ: أَنَّهَا مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي تَسْقِي الشُّبَّانَ وَأَرْبَابَ الهَوَى جَرَعَ الْأَسَى، يَرِيدُ: أَنَّهَا تَفْتِنُهُمْ بِمَحَاسِنِهَا، ثُمَّ لَا تُنِيلُهُمْ شَيْئًا، وَهِيَ الْحُذْيَا وَالْحِذْوَةُ. وَالْأَسَى: الْحُزْنُ.

وقوله: «بَدَلَالٍ غَانِيَةٍ» تَعْلُقُ الْبَاءَ مِنْهُ بِمُخْذِيَّاتٍ. وَالْغَانِيَةُ: الَّتِي تَسْتَغْنِي بِجَمَلِهَا عَنِ الْحُلِيِّ. وَالزَّيْمُ: الظُّبْيُ الْخَالِصُ الْبَيَاضُ. وَالْمَعْنَى: أَنَّهَا تَفْتِنُهُ بِعَيْنِهَا وَكَلَامِهَا وَغُنْجِهَا.

وقوله: «وَقَصِيرَةُ الْأَيَّامِ»، يَرِيدُ: أَنَّهَا لَا تُثَمِّلُ، فَالْأَيَّامُ فِي مُلَازِمَتِهَا قَصِيرَةٌ، حَتَّى أَنْ مُجَالِسَهَا يُوَدُّ أَنْ يَدُومَ مُجَالِسُهَا لَهُ وَإِنْ فَقَدَ أَقَارِبَهُ. وَالْقَصْدُ إِلَى أَنَّهَا طَيِّبَةُ الْحَدِيثِ، مُؤَنِّسَةُ الْمَجْلِسِ، مُصَرِّفَةُ الْمُتَلَاظِمِ فِي أَصْنَافِ الْمَلَاذِ حَتَّى يَنْسَى كُلَّ شَيْءٍ غَيْرِهَا، وَيَنْشَمُ جَمِيعَ الْمَنَاطِرِ سِوَاهَا.

وقوله: «بِقَفْدِ حَمِيمٍ» الْبَاءُ فِيهِ يُفِيدُ مَعْنَى الْعَوَاضِ، فَهُوَ كَمَا يُقَالُ: هَذَا لَكَ بِكَذَا، أَيْ عَوَاضًا مِنْهُ.

٥٥٥ - وقال آخر:

١ - وَنَارِ كَسَخَرِ الْعَوْدَ يَرْفَعُ ضَوْءَهَا مَعَ اللَّيْلِ هَبَّاثُ الرِّيَّاحِ الصُّوَارِدُ^(٢)

(١) للشنفرى في ديوانه ٣٣، واللسان (بلت، نسا)، وجمهرة اللغة ٢٥٦، وأدب الكاتب ٤٩٣، وشرح اختيارات المفضل ٥١٧:١.

(٢) التبريزي: «ترفع ضوءها».

٢ - أَصْدُ بِأَيْدِي الْعَيْسِ عَنْ قَصْدِ أَهْلِهَا وَقَلْبِي إِلَيْهَا بِالْمَوَدَّةِ قَاصِدُ

شَبَّه النَّارَ فِي حُمْرَتِهَا وَتَصَاعَدَهَا بِسُخْرِ الْعَوْدِ. وَالسُّخْرُ: الرُّثَّةُ وَمَا تَعْلَقُ بِالْحُلُقُومِ. وَيُقَالُ لِمَنْ نَزَّتْ بِهِ الْبِطْنَةُ: انْتَفَخَ سَخْرُهُ؛ كَمَا يُقَالُ: عَدَا طَوْرُهُ، وَأَكْثَرُ مَا يُقَالُ ذَلِكَ لِمَنْ جَبُنَ عَنْ شَيْءٍ. وَالْعَوْدُ: الْجَمَلُ الْمُسَيَّنُّ، وَقَدْ عَوَّدَ، أَيِ نَيَّبَ، وَالْجَمِيعُ الْعَوْدَةُ، وَفِي لُغَةٍ: الْعِيدَةُ. وَيَسْتَعْمَلُ الْعَوْدُ فِي السُّؤْدَدِ الْقَدِيمِ، وَالطَّرِيقِ الْعَادِي.

وقوله: «يرفع ضوءها»، يريد: أَنَّ هَبَّاتِ الرِّيحِ الْبَارِدَةِ تُهَيِّجُهَا، فَكَأَنَّهُا تَرْفَعُ مِنْ ضَوْئِهَا فِي ظِلَامِ اللَّيْلِ وَمَعَهُ. وَالضُّوَارِدُ: الْبَوَارِدُ، وَهِيَ مِنْ صِفَةِ الْهَبَّاتِ.

وقوله: «أَصْدُ بِأَيْدِي الْعَيْسِ» جوابُ رُبِّ.

ويشبه البيتَ الثاني قولَ الْآخَرِ: [الكامل]

يَا بَيْتَ عَاتِكَةَ الَّذِي أَتَعَزَّلُ حَذَرَ الْعِدَى وَبِهِ الْفَوَازُ مُوَكَّلٌ^(١)

ومثل البيت الأول قوله: [الطويل]

تَنَوَّزْتُهَا مِنْ أَذْرِعَاتِ وَأَهْلِهَا بِيَثْرِبَ أَذْنَى دَارِهَا نَظَرَ عَالٍ^(٢)

وهذا منهم على التشوُّقِ والتَّحْفِي. أَلَا إِنَّهُمْ كَانُوا يَتَعَلَّلُونَ بِمَا كَانَ مِنْ نَحْوِ أَرْضِ الْحَبِيبِ.

٥٥٦ - وَقَالَ الْحُسَيْنُ بْنُ مُطَيْرٍ^(٣): [الطويل]

١ - وَكُنْتُ أَذْوُدُ الْعَيْنَ أَنْ تَرِدَ الْبُكَاءَ فَقَدْ وَرَدَتْ مَا كُنْتُ عَنْهُ أَذْوُدُهَا

٢ - خَلِيلِي مَا بِالْعَيْشِ عَشْبٌ لَوْ أَنَا وَجَدْنَا لِأَيَّامِ الْجَمَى مَنْ يُعِيدُهَا

يقول: كُنْتُ أَصْبِرُ النَّفْسَ فِيمَا رَكِبَهَا وَثَقُلَ عَلَيْهَا مِنَ الْوَجْدِ، وَأَخْبَسُ الْعَيْنَ مِمَّا تَرَوُّهُ مِنَ الْبُكَاءِ، فَقَدْ عِيلَ الصَّبْرُ، وَتَسَلَّطَ الْحُزْنُ، وَغَلَبَ الْبُكَاءُ، فَقَدْ وَرَدَتْ عَيْنِي الْمَوْرَدُ الَّذِي كُنْتُ أَحْلُثُهَا مِنْهُ، وَأَدْفَعُهَا عَنْهُ.

(١) للأحوص في ديوانه ١٦٦، واللسان (عزل)، وديوان الأدب ٤٥٩:٢.

(٢) لامرئ القيس في ديوانه ٣١، وخزانة الأدب ٥٦:١، والدرر ٨٢:١.

(٣) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (٣١٩).

وقوله: «خَلِيلِي مَا بِالْعَيْشِ عَنَّبٌ»، رواه بعضهم: «مَا بِالْعَيْشِ عَنَّبٌ»، وذكر العَنَّبَ أَحْسَنَ هَاهُنَا. والمراد: أَنَّهُ لَا مَعْتَبَةَ عَلَى الْعَيْشِ؛ لِأَنَّ صِفَاءَهُ بِأَن تَتَّصَلَ لَهُ أَيَّامُ كَأَيَّامِ الْحَمَى، فَلَوْ وَجَدْنَا مَنْ يَعِيدُ أَمْثَالَهَا فَسَاعِدَ فِيهَا قُرْبَ الْمَزَارِ، وَإِمَّاكَانَ الْوِصَالِ، لَطَابَ وَصْفًا كَمَا كَانَ مِنْ قَبْلِ فَلَا ذَنْبَ لِلْعَيْشِ، إِنَّمَا الذَّنْبُ لَمَّا يَكْذُرُهُ وَيَشْحَنُهُ بِالْمَكَارِهِ.

٥٥٧ - وقال آخر ^(١): [الطويل]

- ١ - وَلِي نَظْرَةٌ بَعْدَ الصُّدُودِ مِنَ الْجَوَى كَنَظْرَةِ ثُكْلَى قَدْ أُصِيبَ وَلِيدُهَا
- ٢ - هَلِ اللَّهُ صَافٍ مِنْ ذُنُوبٍ تَسَلَّقَتْ أَوْ اللَّهُ لَمْ يَغْفُ عَنْهَا مُعِيدُهَا ^(٢)

يقول: قَدِيتَ عَيْنِي بِمَا حَصَلَ مِنْ صُدُودِ الْحَبِيبِ، فَلِي نَظْرَةٌ بَعْدَهُ لِحَوَى الْقَلْبِ وَالْجَوْفِ، كَنَظْرَةِ أُمِّ أُصَيْبَتْ بَوْلِيدِهَا فَثُكِّلَتْهُ. ثُمَّ قَالَ مَتَمِّتِيَا: هَلْ يَغْفِرُ اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ لَنَا مِنْ ذُنُوبٍ، أَوْ يَعِيدُ لَنَا تَسْهِيلَ أَمْثَالِهَا وَالتَّمَكِينَ مِنْ اقْتِرَافِ مُشَابِهِهَا إِنْ ضَاقَ عَفْوُهُ عَنْهَا. وَهَذَا كَلَامٌ مِنْ خَرَجَ صَدْرُهُ بِمُسْتَقْبَلِ أَمْرِهِ، وَامْتِلَأَ قَلْبُهُ مِنَ التَّأْسُفِ فِي إِثْرِ مُسْتَدْبِرِهِ.

٥٥٨ - وقال سَوَّار بن الْمُضَرَّب ^(٣): [البسيط]

- ١ - يَأْتِيهَا الْقَلْبُ هَلْ تَنْهَاكَ مَوْعِظَةٌ أَوْ يُخَدِّثُنْ لَكَ طُولُ الدَّهْرِ نِسْيَانًا
- ٢ - إِنِّي سَأَسْتُرُ مَا ذُو الْعَقْلِ سَاتَرَهُ مِنْ حَاجَةٍ وَأَمِيتُ السَّرَّ كِثْمَانًا

عَنَّبَ عَلَى قَلْبِهِ فِي عَصِيَانِهِ لَهُ، وَأَطْرَاحَهُ مَوَاعِظَهُ، وَوُلُوعِهِ الْمُسْتَمِرَّ عَلَى تَطَاوُلِ الدَّهْرِ، وَتَقَاذُمِ الْأَمْرِ، وَقَالَ: هَلْ لِيِنَّ الْوَعْظَ مِنْكَ أَوْ أَحَدَتْ مُوَاصِلَةُ الْأَيَّامِ وَاسْتِمْرَارُهَا نِسْيَانًا لَكَ، فَتَكْفُفُ عَمَّا يُكَرِّهُ مِنْكَ، أَوْ تَقْبَلُ بَعْضَ مَا تُدْعَى إِلَيْهِ مِنْ رُشْدِكَ.

وقوله: «أَوْ يُخَدِّثُنْ» زَادَ النُّوْنَ الْخَفِيفَةَ فِي الْمَعْطُوفِ مِنْ غَيْرِ أَنْ حَصَلَ فِي الْمَعْطُوفِ عَلَيْهِ، وَهُوَ «يَنْهَاكَ» مِثْلُهُ؛ وَسَاغَ ذَلِكَ لِأَنَّهُمْ أَلْفَوْا زِيَادَةَ إِحْدَى الثَّوْنَيْنِ فِيمَا لَيْسَ بِوَاجِبٍ مِنَ الْأَفْعَالِ، فَكَأَنَّهُ قَدَّرَ أَنَّ الْأَوَّلَ حَصَلَ فِيهِ النُّوْنُ فَزَادَ فِي الثَّانِيَةِ، لِتَوْهُمِ مِثْلِهِ فِي الْأَوَّلَى، وَاسْتِمْرَارِ الْعَادَةِ بِزِيَادَتِهِ. وَهَذَا كَمَا عُطِفَ فِي بَيْتِ امْرِئِ

(١) جعل التبريزي هذه المقطوعة والتي قبلها واحدة من أربعة أبيات.

(٢) التبريزي: «عنها يعيدها». (٣) سبقت ترجمته في الحماسية (١٨).

القيس: [الطويل]

فَطَلَّ طُهَاةُ اللَّحْمِ مِنْ بَيْنِ مُنْضِجٍ صَفِيفَ شِوَاءٍ أَوْ قَدِيرٍ مُعْجَلٍ^(١)
 قوله: «أو قدِيرٍ مُعْجَلٍ»، وهو مجرور، على صفييف شِوَاءٍ وهو منصوب، لِيُنَيِّتَهُ
 حَذَفَ التَّنوينَ، وجَعَلَ الإِضافةَ بَدَلًا مِنْهُ فِي مُنْضِجٍ.

وقوله: «إني سأستُر ما ذو العقل ساتره»، وَصَفَ نَفْسَهُ بِحُسْنِ التَّماسُكِ فِيمَا
 يَأْتِيهِ، وَاسْتَعْمَالَ الْعَقْلِ فِي سَتْرِ مَا يَجِبُ إِخْفَاؤُهُ مِنْ حَاجَاتِهِ، وَضَبْطُهُ لِلسَّرِّ، وَقُوَّةُ
 كِتْمَانِهِ، حَتَّى يَصِيرَ السَّرُّ كَالْمَيِّتِ الَّذِي لَا أَثَرَ لَهُ. وَيُشِيرُ بِذَلِكَ كُلَّهُ إِلَى دَوَامِ وَفَاةِ،
 وَاتِّصَالِ عَهْدِهِ، وَكُنْهٍ مَا يَجْرِي بَيْنَهُ وَبَيْنَ مُحِبِّهِ. وَانْتَصَبَ «كِتْمَانًا» لِأَنَّهُ مَفْعُولٌ لَهُ،
 وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ؛ كَأَنَّهُ قَالَ: كَاتِمًا لَهُ.

٣ - وَحَاجَةٍ دُونَ أُخْرَى قَدْ سَنَحْتُ لَهَا جَعَلْتُهَا لِتَأْتِي أَخْفَيْتُ عَنْوَانًا^(٢)
 ٤ - إِنِّي كَأَنِّي أَرَى مَنْ لَا حَيَاءَ لَهُ وَلَا أَمَانَةَ بَيْنَ النَّاسِ عُرْيَانًا^(٣)

يريد: رُبَّ حَاجَةٍ عَرَضَتْ لَهَا وَأَظْهَرْتُهَا وَفِي النَّفْسِ خِلَافُهَا، لِأَنِّي جَعَلْتُ
 الْمُظْهَرَ فِي التَّوَضُّعِ بِهِ إِلَى الْمَضْمَرِ كَعُنْوَانِ الْكِتَابِ الَّذِي يَظْهَرُ وَمَا يَنْطَوِي عَلَيْهِ الْكِتَابُ
 مُسْتَوْرٍ. يَصِفُ نَفْسَهُ بِالذُّكَاةِ وَجُودَةِ الْفِطْنَةِ، وَحُسْنِ التَّائِي، وَالْإِهْتِدَاءِ فِيمَا يَرُومُهُ
 لِلْحِيلِ اللَّطِيفَةِ. وَكُلُّ ذَلِكَ لئَلَّا يَقِفَ مَوْقِفًا يُوْجِّهُ إِلَيْهِ الظَّنُّونَ السَّيِّئَةَ، وَيَجْلِبَ عَلَيْهِ
 الْقَالَةُ الْمُنْكَرَةُ.

وَالْعُنْوَانُ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فِعْوَالًا مِنْ عَنِّ لِي الشَّيْءِ، إِذَا اغْتَرَضَ؛ وَيَجُوزُ أَنْ
 يَكُونَ فُعْلَانًا مِنْ عَنَاهُ كَذَا. وَفِيهِ لُغَاتٌ وَكَلَامٌ طَوِيلٌ أَتَيْتُ عَلَيْهِ فِي (شَرْحِ الْفَصِيحِ).

وقوله: «إني كأني أرى مَنْ لَا حَيَاءَ لَهُ»، يَرِيدُ: مَنْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْحَيَاءِ، وَاطَّرَحَ
 حِشْمَةَ النَّاسِ، وَعَرَّضَ الْأَمَانَةَ لِلضَّيَاعِ، وَالْمُرُوءَةَ لِلزُّوَالِ، فَحُكْمُهُ حُكْمُ مَنْ أَظْهَرَ
 عَوْرَتَهُ، وَهَتَكَ لِعَانِيهِ سِتْرَهُ، وَرَضِيَ بِمَا نِيلَ مِنْهُ، وَتُخَيِّفَ مِنْ عِزِّهِ وَدِينِهِ.

٥٥٩ - وَقَالَ آخِرُ^(٤): [الطويل]

١ - أَهَابِكَ إِجْلَالًا وَمَا بِكَ قُنْزَةً عَلَيَّ وَلَكِنْ مِلْءُ عَيْنٍ حَبِيبُهَا

(١) لا مراء القيس في ديوانه ٢٢، وجواهر الأدب ص ٢١١، وخزانة الأدب ١١: ٤٧.

(٢) التبريزي: «سنحت بها».

(٣) التبريزي: «وسط القوم عريانا».

(٤) لنصيب في ديوانه ٦٨، وسمط اللاكي ٤٠١.

٢ - وما هَجَرْتِكَ النَّفْسُ أَنَّكَ عِنْدَهَا قَلِيلٌ وَلَكِنْ قَلَّ مِنْكَ نَصِيبُهَا

انْتَصَبَ «إِجْلَالًا» لِأَنَّهُ مَفْعُولٌ لَهُ، جَعَلَهُ عَلَةً فِي تَهْيِئِهِ لَهَا. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ، فَيَقُولُ: أَحْتَشِمُكَ بِظَهْرِ الْعَيْبِ، وَأَخَافُكَ لَيْسَ لِاقْتِدَارِ سُلْطَانِي مِنْكَ عَلَيَّ، وَامْتِلَاكِ لَضَرْيٍ وَنَفْعِي فِي يَدَيْكَ، وَلَكِنْ رَفَعًا مِنْكَ، وَإِكْبَارًا لِقُدْرِكَ، وَلَأَنَّ الْعَيْنَ تَمْتَلِئُ مِمَّنْ تَحِبُّهُ اسْتِكْبَارًا وَاسْتِعْظَامًا؛ لِأَنَّهُ يَخْمَدُهَا. وَالضَّمِيرُ مِنْ «حَبِيبُهَا» لِلْعَيْنِ، وَإِنْ جَعَلْتَهَا لِلْمَرَأَةِ، أَي: مَا تَحِبُّهُ وَتَرْضَاهُ يَمْلَأُ الْعَيْنَ، جَاز. وَالْمِلءُ: الْقَدْرُ الَّذِي يَمْتَلِئُ مِنْهُ الشَّيْءُ؛ وَالْمَلَأَ، بَفَتْحِ الْمِيمِ: مَصْدَرٌ مَلَأْتُ.

وقوله: «وما هَجَرْتِكَ النَّفْسُ»، يريد: أَنَّ الْإِخْلَالَ بِالزِّيَارَةِ، وَالتَّأَخُّرَ عَنْ إِقَامَةِ الْعَادَةِ لَيْسَ لَزْهْدٍ وَلَا لاسْتِقْلَالٍ لِلْحَالِ، وَإِزْرَاءٌ بِالْحَقِّ، وَلَكِنْ قَلَّ حَظِّي مِنْكَ، وَدَامَ إِعْرَاضُكَ عَنِّي، فَرُمْتُ رِضَاكَ فِي الْبُعْدِ عَنْكَ، وَتَرَكْتُ التَّشَاوُلَ عَلَيْكَ. وَقَوْلُهُ: «مِلءٌ عَيْنٍ» جَازُ الْإِبْتِدَاءِ بِهِ وَإِنْ كَانَ نِكْرَةً لِحَصُولِ الْفَائِدَةِ فِي تَعْلِيقِ الْخَبَرِ.

٥٦٠ - وَقَالَ ابْنُ الدَّمِينَةِ^(١):

١ - أَلَا لَا أَرَى وَادِي الْمِيَاهِ يُثِيبُ وَلَا النَّفْسَ عَنْ وَادِي الْمِيَاهِ تَطِيبُ

٢ - أَحِبُّ هُبُوطَ الْوَادِيَيْنِ وَإِنِّي لَمُسْتَهْزِئٌ بِالْوَادِيَيْنِ غَرِيبُ

قَوْلُهُ: «يُثِيبُ»، أَي: يَجْعَلُ لِي ثَوَابًا، وَيَقْسِمُ لِي لِتَوْفُرِي عَلَيْهِ رِذَاءًا وَنَفْعًا. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنْ قَوْلِهِمْ: يَثْرُ لَهَا ثَائِبٌ، إِذَا كَانَ مَاؤُهَا يَنْقَطِعُ أحيانًا ثُمَّ يَعُودُ؛ فَيَكُونُ أَثَابٌ بِمَعْنَى صَارَ لَهَا ثَائِبٌ، كَأَنَّ الْوَادِيَّ كَانَ اتَّفَقَ فِيهِ مَوَاصِلَةٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَحْبُوبِهِ ثُمَّ انْقَطَعَ، فَكَانَ لَا يَثُوبُ خَيْرُهُ. وَهَذَا الَّذِي قُلْنَا فِي أَثَابٍ ذَكَرَهُ أَبُو زَيْدٍ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ذِكْرُ الْوَادِي كَالْكُنَايَةِ عَنْهَا، فَيَقُولُ: لَيْسَتْ تَسْلُو نَفْسِي عَنْ وَادِي الْمِيَاهِ وَمَا يَنْصَلُّ بِهِ وَعَنْ أَحَبَّتِي فِيهِمَا، وَأَرَاهُ لَا يُوجِبُ لِي مِثْلَ مَا أَوْجِبُهُ، وَلَا يَرْضَخُ لِي جَزَاءً عَلَى مَا أَتَحَمَّلُهُ، وَأَنَا أَحِبُّ التُّزُولَ بِالْوَادِيَيْنِ وَالِاتِّعَاشَ بِزِيَارَتِهِمَا، لَكِنِّي مُسْتَهْزِئٌ بِهِمَا غَرِيبٌ لَا نَاصِرَ لِي فِيهِمَا، فَاحْتَاجُ أَنْ أَحَاطَرَ الرُّقْبَاءَ خَوْفًا عَلَى نَفْسِي، وَتَفَادِيًا مِمَّا يَحِلُّقُ صَاحِبِي مِنَ الْمَكْرُوهِ وَالْإِعْنَاتِ بِسَبَبِي.

٣ - أَحَقُّا عِبَادَ اللَّهِ أَنْ لَسْتُ وَارِدًا وَلَا صَادِرًا إِلَّا عَلَيَّ رَقِيبُ

(١) سَبَقَتْ تَرْجُمَتُهُ فِي الْحَمَاسِيَةِ (٤٥٦).

٤ - ولا زائراً فَرَدًا ولا في جماعةٍ من الناس إلا قِيلَ أَنْتَ مُرِيبٌ

هذا شَرْحٌ للاشتهار الذي أَجْمَلَهُ، والاغتراب الذي اشتكى منه. وقوله: «أَحَقًّا» في موضع الظرف، كأنه قال: أفي حق. «وَأَنْ لَسْتُ» أَنْ مَخْفَفَةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ، وموضعه بما بعده موضع الابتداء، وأَحَقًّا في موضع الخبر. وقوله «فَرَدًا» انتَصَبَ على الحال، والعامل ما دُلَّ عليه «ولا زائراً» من الفعل، فيقول: أفي حق يا عبادَ الله أَنِّي لا أَرُدُّ الوادِئِينَ، يعني وادي المياه، وما ذَكَرَهُ فيما بعد من ذكر الكتيب الفرد، ولا أَصْدُرُ عنهما إلا وعليَّ رقيبٌ محافظٌ، يَعُدُّ لحظاتي وأنفاسي، ويتأمل قُصُودي وإراداتي، ولا أزورهما منفردًا ولا في صحابة إلا وسُلِّطْتُ عليَّ الثَّهم، ونُسِبْتُ فيما أتعاطاه إليَّ الرِّيبَ، حتى ضاق عليَّ المجال، وأظلم لي المَسْرَحُ والمَطَافُ.

وقوله: «إِلَّا قِيلَ» في موضع الحال، أي لا أزورهما إِلَّا مَقُولًا فيه ذلك. وموضع «أنت مريبٌ» الجملة رفعٌ على أَنه قام مقام فاعل قيل.

٥ - وهل ريبَةٌ في أن تَحِجْنَ نَجِيبَةً إِلَى إِنْفِهَا أو أن يَحِجَّنْ نَجِيبٌ

٦ - وَإِنَّ الْكَثِيبَ الْفَرْدَ مِنْ جَانِبِ الْجَمَى إِلَيَّ وَإِنْ لَمْ آتِهِ لِحَبِيبٌ

قوله: «هل ريبَةٌ» لفظه استفهام ومعناه التفي، فيقول: لا ريبَةٌ في حين أحد المتألفين الكريمي العهد إلى الآخر، ولا استنكارَ فيما تنطوي عليه النفس من الهوى والوُدِّ، ولا محاسبةٍ فيما يوجب المتحابان ويؤثرانه من المَصَافَةِ على البُعْدِ، وإن موضع الحبيب من جانب الجمى قلبي مُوَكَّلٌ به وإن لم أُرْزُهُ، إذ كان مجانبتي إِيَّاهُ، وتأخري عنه لإبقائي على الحال بيني وبينَ مَنْ أَحْتَشُمُهُ، ولإيثاري صيأته من تحدث الوُشاة فيه، لا لغيره.

٧ - لَكَ اللَّهُ إِنِّي وَاصِلٌ مَا وَصَلْتَنِي وَمُثْنٍ بِمَا أَوْلَيْتَنِي وَمُثِيبٌ^(١)

٨ - فَلَا تَشْرُكِي نَفْسِي شَاعَا فَإِنَّهَا

٩ - وَإِنِّي لَأَسْتَحِيبُكَ حَتَّى كَأَنَّمَا عَلَيَّ بِظَهْرِ الْغَيْبِ مِنْكَ رَقِيبٌ

قوله: «لَكَ اللَّهُ» يجوز أن يكون دعاء لها، والمعنى: إحسان الله لك، وحفظه مشتملٌ عليك. ويجوز أن يكون قَسَمًا، كما يقال: أُعْطِيكَ الله، وجوابه إني واصلٌ،

(١) بعد هذا البيت عند التبريزي:

«وَأَخِذْ مَا أُعْطِيتَ عَفْوَاً وَإِنِّي لَأَزُورُ عَنْما تَكْرهين هَيُوبُ»

وكانه أقسم لها أو دعا لها بأنه يَبْقَى على العهد لها مُدَّة دوام مواصلتها وبقائها على المصافاة والإيثار له، وأنه يوجب من إعظامها والثناء عليها، ومكافأتها بالحسنى فيما تُسدي إليه وتؤليه ما ينتفي عنه سِمَةُ التقصير والإقصار. وَوَجْهُ الدُّعاء لها استعطافها وترقيق قلبها، ويكون كالنسيب من السائل.

وقوله: «فلا تتركي نفسي شعاعاً»، فالشُّعاع: المنتشر، وكذلك الشُّع والفعل منه شَعَّ. ويقال: تطايرَ القومُ شاعاً، أي متفرقين، فيقول: احفظي نفسي عن الانتشار والزوال، فإنها شارفت الذُّوبَ والسَّيلانَ وَجَدًا بك، وشافهت الثَّأفَ والبوار شَوْقًا إليك. ثم قال: وإني مستحي منك على البُعد إعظامًا لك، وتهيئًا منك، حتى كأنَّ لك رقيبًا معي في كلِّ حالٍ، فاتعفف عن المنكرات، وأتزنه عن ذمي المقالات، فكوني لي على ما توجبه صورتى، وتقتضيه قصتي. ومثل هذا قول الآخر^(١): [الطويل]

وإني لأستحيي فُطَيْمَةً طاوريًا خَمِيصًا وأستحيي فُطَيْمَةً طاعما
وإني لأستحييك والخرقُ بيننا مخافة أن تلقى أخا لي لأئما

٥٦١ - وقال آخر: [الطويل]

١ - تَحَمَّلَ أصحابي ولم يَجْهَدُوا وَجْدي وللناسِ أشجانٌ ولي شَجَنٌ وَخِدي^(٢)
٢ - أَحْبَبُّكُمْ ما دُمْتُ حَيًّا فَإِنْ أُمْتُ فواكِدًا ممن يحبُّكُمْ بَغْدي

الشَّجَنُ: الحاجة، والجميع الأشجان والشجون. قال: [الطويل]

والنَّفْسُ شَتَّى شُجُونُهَا^(٣)

وموضع «وَخِدي» نصبٌ على المصدر، وهو موضوعٌ موضع الإيحاد. يقول: ارتحل أصحابي ولم يَتَلَهَّم من الوَجْد ما نالني، وفي نفوس الناس حاجاتٌ وقد أَوَحَذْتُ نفسي بحاجةٍ إيحادًا. ثم أَقْبَلَ على المحبوب مفسرًا لشَجْنِهِ الذي تفرَّد به، فقال: أَحْبَبُّكُمْ مُدَّةَ حياتي، وإذا مُتُّ فواكِدًا ممن يلي حبِّكم بَغْدي. وهذا تحسرٌ في إثر ما يفوته من الهوى إذا فارق الدنيا. وَيُزَوَّى: «مَنْ ذا يحبُّكم بَغْدي».

(١) للمرقش الأصغر في المفضليات (٢٤٦) طبعة المعارف الثانية.

(٢) هذا البيت بلا نسبة في روضة المحبين ٣٦، وديوان الصباية ٣٧.

(٣) قطعة من بيت بلا نسبة في اللسان (شجن)، وأساس البلاغة (شجن)، وتامه:

«ذَكَرْتُكَ حَيْثُ اسْتَأْمَنَ الْوَحْشُ وَالتَّقَتْ رَفَاقٌ بِهِ وَالنَّفْسُ شَتَّى شُجُونُهَا»

وقد عيب الشاعر بهذا، فقيل: لم يَرَضْ بأن جعلَ لها مُجِبًّا حتى صار يتحزَّن له. وقال بعضُ أصحاب المعاني: في هذا ظُلْمٌ للشاعر، وذلك أنَّ غرضه في التماسه مُجِبًّا لها إشادةً ذكرها، وإعلاءً قدرها، وتشهيرها عند الناس حتى يصيرَ لها الجاهُ عند السلاطين. قال: وكثيرٌ من نساء العرب طَلَبْنَ التشبيب من الشعراء مع العِفَّة، كعَزَّة، وليلى، ومَيَّة. ولخلفاء بني أُمَيَّة وأقرانها من الأمراء معهم محاورات.

وَيُزَوَّى عن بعض السُّلَف الصالحين أنه حَجَّ، فلما قَضَى نُسكَه قال لصاحبٍ له: هَلُمَّ نَتَمَّ حَجَّنَا! أَلَمْ تَسْمَعْ قول ذي الرُّمَّة: [الوافر]

تَمَامُ الْحَجِّ أَنْ تَقِفَ الْمَطَايَا عَلَى خَرْقَاءٍ وَاضِعَةً الثَّمَامِ
وَالطَّرِيقَةَ فِي نُصْرَتِهِ وَتَحْسِينَ قَوْلِهِ مَا قَدَّمْتُهُ.

وأشنع من هذا قول الآخر: [الطويل]

أَهِيْمُ بِدَعْدٍ مَا حَبِيْتُ فَإِنْ أُمْتُ أَوْكُلُ بِدَعْدٍ مَنْ يَهِيْمُ بِهَا بَعْدِي^(١)
وقد قيل في هذا أيضًا: إِنَّهُ لَوْ قَالَ:

فَلَا صَلَحْتُ دَعْدٌ لِذِي خُلَّةٍ بَعْدِي

لَكَانَ صَوَابًا، سَالِمًا مِمَّا يَهْجَنهُ.

٥٦٢ - أَبُو حِيَّةَ النُّمَيْرِيُّ^(٢): [الطويل]

١ - رَمَنْهُ أُنَاةٌ مِنْ رِبِيعَةِ عَامِرٍ رَقُودُ الضُّحَى فِي مَاتِمٍ أَيْ مَاتِمٍ^(٣)

٢ - فَجَاءَ كَخُوطِ الْبَانِ لَا مَتْنَايَعٍ وَلَكِنْ بِسِيمَا ذِي وَقَارٍ وَمِيَسَمٍ

أُنَاةٌ أَصْلُهُ وَنَاةٌ، لَأَنَّهُ مِنَ الْوَنِيِّ: الْفَتُورِ وَالْكَسَلِ.

والواو المفتوحة لم تُبَدَلْ منها الهمزة إلَّا في أحرف قليلة، وهي «أُنَاة» في صفة المرأة الثَّقِيلَةِ النَاعِمَةِ؛ و«أَحَدٌ» صِفَةً واسِمًا للعدد؛ وما جاء في الحديث من قولهم: «أَيُّ مَالٍ أَدَيْتَ زَكَاتَهُ فَقَدْ ذَهَبَتْ أَبْلَتُهُ»^(٤)، يُرَادُ وَبَالُهُ. وقال أبو زيد: الْأَبْلَةُ فِي الطَّعَامِ

(١) للنمر بن تولب في الأغاني ٩: ١٥٩، وذم الهوى ٦٣٨، ولنصيب في أخبار النساء ٧٢.

(٢) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (٥١٦). (٣) التبريزي: «نوم الضحى».

(٤) الحديث في النهاية في غريب الحديث ١: ١٥، وهو من حديث يحيى بن يعمر بلفظ: «كُلُّ مَالٍ

أَدَيْتَ زَكَاتَهُ فَقَدْ أَذْهَبَتْ أَبْلَتُهُ»، وَالْأَبْلَةُ: الثَّقَلُ وَالطَّلْبَةُ، وَقِيلَ: هُوَ مِنَ الْوَبَالِ.

أصله الويلة. ويقال: «أَجِمْتُ أَجُومًا»، في وَجِمْتُ، فهذه الأحرف جاءت على ما ترى.

وقوله: «رقود الضحى» وصفها بالثزفة، وأنها مكفئة الخدمة، فهي تنام القليلة. وهذا كما قال امرؤ القيس: [الطويل]

نَوُومُ الضُّحَى لَمْ تَنْتَطِقْ عَنْ تَفْضُلٍ^(١)

والماتم: النساء يجتمعن في الخير والشر. يقول: نظرت إلى هذا الرجل امرأة طلعت عليه في جملة نساء، مترفة منعمة سمينة، تنام عن شؤونها أوقات الضحى، لأن لها من يكفيها كل ما تهتم له ففتنته، ثم اقتصر كيف نصبت الجباله له، ومن أين وقع فيها حتى اصطادته، فقال: جاء الرجل وكأنه غصن بان لحسن شطاظه وطراة شابه، لا متهافت في مشيه وتصرفه، ولا خفيف طائش في زووده وصدره، ولكن بعلامة ذي سكون، وميسم ذي صلاح وهذو. والتنايع يوصف به الحيران والسكران إذا رمى بنفسه. وتنايع البعير في مشيته، إذا حرك ألواحته حتى كأنه يتفكك. والماتم أصله من الأتم، وهو أن تلتقي الخرزتان فتصيرا واحدة. وموضع «كخوط» نصب على الحال من جاء. والخوط: الغصن الناعم لسنة. وقوله: «لا متنايع» ارتفع لأنه خبر مبتدأ محذوف؛ كأنه قال: لا هو متنايع. وقوله: «ولكن» استدراك بعد نفي، أي جاء غير متنايع ولكن بهذه السيمة.

٣ - فقلنا لها سيرا فديناك لا يرخ

٤ - فألقت قناعا دونه الشمس وأثقت

٥ - وقالت فلما أفرغت في فؤاده

قوله: «سيرا» يجوز أن يكون مصدرا في موضع الأمر، كأنه قال ساريه، مسارة، فوضع السر موضع المسارة، ويكون على هذا قوله: «لا يرخ» جواب الأمر الذي دل عليه سيرا. ويجوز أن يكون سيرا مصدرا في موضع الحال، ويكون لا يرخ مجزوما بلا النهي. وجعل النهي في اللفظ للرجل والمرأة هي المنهية؛ كما يقال: لا أريئك هنا. والمعنى: لا تكن هناك فأراك، والمراد: لا تدعيه يروح صحيحا. يقول: قالت النساء

(١) لامرؤ القيس في ديوانه ١٧، واللسان (عنن)، وبلا نسبة في أدب الكاتب ٥١٣، وصدره:

«وتضحى فتيت المسك فوق فراشها»

المَحْتَفَةُ بِالْأَنَاءِ المذكورة لها: أشيري إليه في السَّرَّ إشارة تَفْتِنُهُ، واعْرِضِي عليه محاسنك ما يُخَبِّلُ قَلْبَهُ بعد تعرُّضه لنا في سَمْتِهِ وَوَقَارِهِ حَتَّى لَا يَرُوحَ عَنَّا صَحِيحًا، وإن لم تُبَالِغِي في استغوائه وقَتْلِهِ عن رشايده وإِهْلَاكِه، فكوني منه على أَوْفَى محلٍّ، فائتمرت لهنَّ وأَلَقْتُ قِنَاعًا وراءه الشَّمْسُ، أي وَجْهَهُ إِشْرَاقَهُ كإشراق الشمس، فعرضت وجهها ثم سترته فأبدت كَفَّها ومِغْصَمَها - وهو موضع السوار من يدها - أيضًا، وتكلَّمت بكلام كالْمُنْكَرَةِ من نَفْسِها ما اتَّفَقَ عليها، والمستحبية المتذممة من حالها، فلما عَلِمَ النِّسَاءُ أَنَّهَا أفرغت في فؤاده بالكلام، وفي عَيْنَيْهِ بِالْكَفِّ والوجه السُّحْر، أي صَبَّتْ - قلنَ للشَّابِّ المتعرِّض: قُمْ عَنَّا فَإِنَّكَ لِمَا نَابَكَ وَأَنْتَ لَا تَعْلَمُ. والسُّحْر: إخراج الشيء في أحسن معارضه حَتَّى يَفْتِنَ، لذلك قيل للزَّائِقِ الْمُعْجِبِ: هو السُّحْر الحلال. يقال: سَحَرْتُ الْفِضَّةَ، إِذَا طَلَيْتَهَا بِالذَّهَبِ.

إن قيل: أين مفعولُ قالت؟ قلت: إنه هنا في معنى تكلَّمت، فاستغنى عن المفعول، ومثلخ قولُ عمر بن أبي ربيعة: [الطويل]

لِحَاجَةِ نَفْسٍ لَمْ تَقُلْ فِي جَوَابِهَا^(١)

أي لم تتكلم.

٦ - فَوَدَّ بِجَذَعِ الْأَنْفِ لَوْ أَنَّ صَحْبَهُ تَنَادَوْا وَقَالُوا فِي الْمُنَاحِ لَهُ نَم

يقول: انصرف عنهم وهو يتمنى أن جُدِعَ أنفه في وقت ما هم بالخروج إليهن، ويمنعه أصحابه من التعرُّض لهنَّ، وقالوا له: نَم في المُنَاحِ ولا تبرخ، ويجوز أن يكون معناه: ودَّ أن يتركه صحبه ويقولوا له: نَم في المُنَاحِ ولا تَتَبَعْنَا، وَأَنَّ أَنْفَهُ قُطِعَ. والباء من قوله: «بجذع» هو الذي يُفِيد معنى العَوْض. تقول: هذا بذاك، أي عَوْضٌ من ذاك.

وقوله: «تنادوا» يجوز أن يكون معناه تجمَّعوا، من التَّيْدِ وهو المجلس؛ ويجوز أن يكون من التَّدَاء، أي تَدَاعَوْا وقالوا له ذلك.

٥٦٣ - وقال آخر^(٢): [الطويل]

١ - نَظَرْتُ كَأَنِّي مِنْ وَرَاءِ رُجَاةٍ إِلَى الدَّارِ مِنْ فَرْطِ الصَّبَابَةِ أَنْظُرُ

(١) عجزه: «فتبلغ عذرا والمقالة تعذر».

(٢) في اللالكى ٢٦٥، وأمالى المرتضى ١٠٣: ٢ لأبي حنيفة، ونسبنا في زهر الآداب إلى المجنون ٨٢: ٤، ولليث الأول في الأغاني ١٠٣: ٢١ قصة.

٢ - فَعَيْنَايَ طَوْرًا تَفَرَّقَانِ مِنَ الْبُكَاءِ فَأَغَشَى وَحِينًا تَخْسِرَانِ فَأَبْصُرُ
يقول: وقفْتُ بدارِ الأَحْبَةِ فتوهمتُ آياتها، ثم عرفلتُها فتمثَّل لي مَنْ كان بها،
وَتَطَرَّيْ ما كان دارِ بِنِي وَبَيْنَهَا، فَأَغْرُورَقْتُ عَيْنَايَ مِنَ الدَّمْعِ تَحْسِرًا وَتَوَجُّعًا، وَبَقِيْتُ
إِذَا نَظَرْتُ إِلَى الدَّارِ كَأَنِّي أَنْظُرُ مِنْ وَرَاءِ رُجَاةٍ فَلَا أَتَبَيَّنُ الْآثَارَ، وَإِذَا انْهَمَلَتَا بِمَا فِيهِمَا
عُدْتُ فِي صِحَّةِ الْإِدْرَاكِ بِهِمَا إِلَى مَا كُنْتُ عَلَيْهِ مِنْ قَبْلِ. وَقَدْ مَرَّ الْقَوْلُ فِي حَقِيقَةِ
النُّظَرِ.

فَأَمَّا «تَحْسِرَانِ» فَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنْ قَوْلِهِمْ: حَسَرَ الْبَحْرُ، إِذَا نَضَبَ الْمَاءُ عَنْ
سَاحِلِهِ؛ وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنْ حَسَرْتُ الْقِنَاعَ، وَيَكُونُ عَلَى هَذَا مَفْعُولُهُ مُحَذَوْفًا،
وَالْأَوَّلُ أَحْسَنُ. وَمَنْ الثَّانِي قَوْلُهُمْ: امْرَأَةٌ حَسَنَةُ الْمَحَاسِرِ، كَمَا يُقَالُ: حَسَنَةُ الْمَعَارِي.
وَتَلْخِصُ الْبَيْتَ الْأَوَّلُ: كَأَنِّي مِنْ قَرْطِ الصُّبَابَةِ أَنْظُرُ إِلَى الدَّارِ مِنْ وَرَاءِ رُجَاةٍ.
وَالطَّوْرُ: الثَّارَةُ. وَيُقَالُ: النَّاسُ أَطْوَارٌ، أَي: عَلَى أَحْوَالٍ شَتَّى.

٥٦٤ - وَقَالَ آخِرُ^(١): [الطويل]

١ - فَمَا شَتْنَا خَرْقَاءَ وَاهِيَةَ الْكُلَى سَقَى بِهِمَا سَاقٍ فَلَمْ يَتَبَلَّلَا^(٢)
٢ - بِأَضْبَعٍ مِنْ عَيْنَيْكَ لِلدَّمْعِ كُلَّمَا تَوَهَّمْتَ رَبْعًا أَوْ تَذَكَّرْتَ مَنَزِلًا

الخرقاء: التي لَا رِفْقَ لَهَا فِي الْأَعْمَالِ وَلَا بَصِيرَةَ. وَالشُّتَّةُ، أَرَادَ بِهَا هُنَا الدَّلْوُ
الْخَلْقَ، وَهِيَ السَّقَاءُ الْبَالِي فِي الْأَصْلِ. وَيُقَالُ: لِقَطْرَانِ الْمَاءِ مِنَ الشُّتَّةِ شَيْئًا بَعْدَ
شَيْءٍ: الشُّنَيْنُ، ثُمَّ يُسْتَعْمَلُ فِي الدَّمْعِ. قَالَ:

يَا مَنْ لَدَمْعٍ دَائِمِ الشُّنَيْنِ^(٣)

وَلَمْ يَرْضَ بِأَنْ جَعَلَ الدَّلْوُ خَلْقًا حَتَّى جَعَلَهَا لَامْرَأَةً لَا تُحْسِنُ عَمَلًا مِنْ خَزَزٍ
وغيره، فَكَانَتْ تُضْلِحُهَا، ثُمَّ جَعَلَ سَقَى الْإِبِلَ بِهَا قَبْلَ تَهْلُلِهَا وَانْسِدَادِ خُرْزِهَا وَثُقْبِهَا،
فَيَقُولُ: مَا دَلَّوَانِ هَذِهِ صِفَتُهُمَا بِأَشَدِّ إِضَاعَةٍ لِلْمَاءِ مِنْ عَيْنَيْكَ لِلدَّمْعِ كُلَّمَا تَوَهَّمْتَ دَارَ
الْحَبِيبِ وَهِيَ مَاهُولَةٌ، أَوْ تَذَكَّرْتَ مَنَزِلًا مِنْ مَنَازِلِ سَفَرِهَا وَهِيَ مُتَنَجِّعَةٌ.

(١) البيتان في أمالي القالي ١: ٢٠٨، وزهر الآداب ٤: ٨٢ لذي الرمة، وهما في ملحق ديوانه ٦٧١.

(٢) التبريزي: «وما شتتا».

(٣) اللسان (شنن)، ومقاييس اللغة ٣: ١٧٦.

وقوله: «بَاضِيعٌ مِنْ عَيْنَيْكَ» كان الواجب أن يقول: بأشدَّ إضاعةً للدَّمْع، فجاء به على حَذَفِ الزَّوَائِد، أو على طريقة سيبويه في جواز بناء التعجب مما كان على أَفْعَل مما زاد على الثلاثي خاصَّةً.

٥٦٥ - وقال أبو الشَّيْص^(١): [الكامل]

- ١ - وَقَفَّ الْهَوَى بِى حَيْثُ أَنْتِ فَلَيْسَ لِي مُتَأَخَّرَ عَنْهُ وَلَا مُتَقَدِّمٌ^(٢)
- ٢ - أَجْدُ الْمَلَامَةِ فِي هَوَاكِ لَذِيذَةٌ حُبًّا لَذِكْرِكَ فَلَيْلَمْنِي اللُّؤْمُ

يقول: حَبَسَنِي الهوى في الموضع الذي تستقرين فيه فالزَّمُهُ ولا أفارقُهُ، فأنَا مَعَكَ مقيمةً وضاغنةً، لا أَغْدِلُ عَنْكَ ولا أَمِيلُ إِلَى سِوَاكَ، وَمَنْ لَامَنِي فَيَكِ اسْتَلِذْ لَوْمَهُ محبةً لذكرك، وَوَجَدَا بِاسْمِكَ، فليستمرَّ اللَّائِمُونَ في أقوالهم، وَلَتَدُمُ عِظَاتُهُمْ عَلَيَّ وإنكارُهُم، فَإِنَّهُمْ لا يجدون مِنِّي اتِّبَاعًا ولا رُجُوعًا، ولا مَلَالًا فِي ولا قُصُورًا. وقوله: «حُبًّا لَذِكْرِكَ» انتصب لأَنَّهُ مفعول له، وبيانٌ لعلَّة لَذَّتِهِ، بما يجلب على غيره ضَجَرًا، وهو اللُّؤْم.

ومثل هذا قول الآخر: [الطويل]

وَأَسْأَلُ عَنْهَا الرُّكْبَ عَهْدُهُمْ عَهْدِي^(٣)

يريد: أَنَّهُ يَسْتَلِذْ ذِكْرَهَا.

وقوله: «حيث أنت» خبر المبتدأ وهو أنتِ محذوف، كأنه قال: حيث أنتِ واقفةً، لأنَّ «حيث» في الأمكنة بمنزلة حينٍ في الأزمنة، في حاجتِهِ إِلَى جملتين، والمتأخَّر والمتقدِّم بمنزلة التأخَّر والتقدُّم، فهما مصدران.

- ٣ - أَشْبَهَتْ أَغْدَائِي فَصِرْتُ أَحِبُّهُمْ إِذْ صَارَ حَظِّي مِنْكَ حَظِّي مِنْهُمْ^(٤)

(١) التبريزي: «أبو الشَّيْص الخزاعي»: محمد بن عبد الله بن رزين، شاعر مطبوع، سريع الخاطر رقيق الالفاظ من أهل الكوفة، عَمِيَ في آخر أيامه. (ت ١٩٦هـ / ٨١١م). ترجمته في فوات الوفيات ٢: ٢٢٥، والشعر والشعراء ٣٤٦، وتاريخ بغداد ٥: ٢٠١.

(٢) الأبيات في الزهرة ١: ٦٠، والظرف والظرفاء ٣٣٢، واعتلال القلوب ٢٤٣، وفي مجموع شعره ٩٢، والمصون ٨٢، وروضة المحبين ٢٢، ٧٠، وتزيين الأسواق ٣٥.

(٣) هذا عجز بيت لابن هرم الكلابي سيأتي في الحماسية رقم (٥٨٨)، وصدرة:

«وأستخبر الأخبار من نحو أرضها»

(٤) التبريزي: «إذا صار حظي».

٤ - وَأَهْنَيْتَنِي فَأَهَنْتُ نَفْسِي صَاغِرًا مَا مَنْ يَهُونُ عَلَيْكَ مِمَّنْ أَكْرِمُ

يقول: وافقت في مواصلي أعدائي أخذًا فيما أكرهه وأتسخطه، وذهابًا عما أحبه وأرضاه، ولأن حظي منك فيما أرومهُ يماثل حظي من أعدائي فيما أسومهم فأشرب قلبي حُبهم، وانصب إلى جانبهم الميل لمشابهتك لهم، ومماثلة فعالك لفعالهم، وأطللتني فأذلت نفسي على صغرٍ مِنِّي، اقتداء بك، ومجانبة للخلاف عليك، ولأنني لا أرى كرامة من تزين هوانه، ولا إرضاء من ترين إسخطه. وانتصب «صاغرًا» على الحال من أهنت. وقوله: «ممن أكرم» العائد إلى الموصول محذوف؛ كأنه قال: ممن أكرمهم. وقوله: «حظي منهم» يريد به التشبيه، كأنه قال: كحظي منهم، ومنك في موضع الحال، وكذلك منهم.

٥٦٦ - وقال آخر: [الطويل]

١ - وَلَا غَزَوَ إِلَّا مَا يُخْبِرُ سَالِمٌ بَأَنْ بَنِي أَسْتَاهِيهَا نَذَرُوا دَمِي

٢ - وَمَا لِي مِنْ ذَنْبٍ إِلَيْهِمْ عَلِمْتُهُ سِوَى أَنَّنِي قَدْ قُلْتُ يَا سَرْحَةَ أَسْلَمِي

٣ - نَعَمْ فَأَسْلَمِي ثُمَّ أَسْلَمِي ثَمَّتْ أَسْلَمِي ثَلَاثَ تَحِيَّاتٍ وَإِنْ لَمْ تَكَلِّمِي

معنى «لَا غَزَوَ»: لا عَجَب، وخبر لا محذوف، كأنه قال: لا غَزَوَ في الدنيا، أو موجود. وموضع «ما يخبر» رفع على أنه بدل من موضع لا غَزَوَ. وإنما قال: «بني أستهايها» لأنه يريد أنهم مخروون لا مولودون. فيقول متهانفًا: لا عَجَبَ إِلَّا مَا يُخْبِرُ به سالم، بأن سقاطها والذين لا عَقُولَ لهم فيها، قالوا: الله علينا سَفْكَ دَمِهِ. ثم قال: هذا اعتقادهم وأقوالهم، ولا جناية لي عليهم، ولا ذَنْبٌ مِنِّي أهتدي إليه فيهم سِوَى قولي: يَا سَرْحَةَ أَدَامَ اللهُ لِكَ السَّلامَةِ - وكان جَعَلَ «سرحة»، وهي شجرة، كناية عن امرأة فيهم - نَعَمْ قَدْ قُلْتُ وَأَقُولُهُ مَكْرَرًا: أَسْلَمِي أَسْلَمِي، يُغَايِظُهُمْ وَيُنَاكِدُهُمْ بهذا المقال.

وقوله: «سوى أنني» موضعه من الإعراب استثناء خارج. و«يا سرحة» إذا ضممته فالضمة الأصل في استعمال المنادى المفرد المعرفة، وإذا فتحته فلاعتيادهم الترخيم في مناداة ما في آخره هاء التانيث، أتَمُوهُ ونَوَّوْا الترخيم فجعلوا حركته حركة المَرْخَم منه، وهي الفتحة.

وقوله: «نعم» وإن كان في الأصل حرفًا يُوجِبُ به ويُجَابُ في الاستفهام المحض فقد يُتَوَصَّلُ به إلى بَسْطِ الكلام وَصِلَتِهِ. وقوله: «ثلاث تحيات» انتصب على

المصدر من فعلٍ دلَّ عليه قوله اسلَمِي، كأنَّه قال: أَحْيِي ثَلَاثَ تَحِيَّاتٍ، وإن لم تَرْجِعِي الجوابَ إِلَيَّ. والسَّرْحُ من العِضَاءِ، ويكون دَوْحُهُ مِخْلَالًا يَحُلُّ النَّاسَ تَحْتَهَا فِي الصَّيْفِ. وقال الفراء: كُلُّ شَجَرَةٍ لَا شَوْكَ فِيهَا فَهِيَ سَرْحَةٌ، ذَهَبَ إِلَى السَّرْحِ، وَهُوَ السَّهْلُ.

وقال ابن هَزْمَةَ وَكُنِيَ بِهَا عَنْ امْرَأَةٍ: [الطويل]

سَقَى السَّرْحَةَ الْمِخْلَالَ دُونَ سُوَيْفَةٍ نَجَاءَ الشَّرِيبِ مَرْتَعَيْنَا هُطُولُهَا

وقد تسمى المرأة «سَرْحَةً».

٥٦٧ - وقال خُلَيْدٌ مَوْلَى الْعَبَّاسِ بْنِ مُحَمَّدٍ^(١): [الوافر]

- ١ - أَمَا وَالرَّاقِصَاتِ بِذَاتِ عِرْقٍ وَمَنْ صَلَّى بِنَعْمَانِ الْأَرَاكِ^(٢)
- ٢ - لَقَدْ أَضْمَرْتُ حُبَّكَ فِي فُؤَادِي وَمَا أَضْمَرْتُ حُبًّا مِنْ سِوَاكَ
- ٣ - أَرْنَيْتِ الْأَمِيرِكِ بِضُرْمِ حَبْلِي مُرِيهِمْ فِي أَحْبَبِّهِمْ بِذَاكَ^(٣)
- ٤ - فَإِنْ هُمْ طَاوَعُوكَ فَطَاوَعِيهِمْ وَإِنْ عَاصُوكَ فَاغْصِي مَنْ عَصَاكَ

أَقْسَمَ بِالْحَجِيجِ وَبِرَوَاحِلِهِمُ الَّتِي تَرْقُصُ بِهِمْ فِي السَّيْرِ مُتَوَجِّهِينَ بِوَادِي عِرْفَةَ وَذَاتِ عِرْقٍ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. وَأَضَافَ نَعْمَانَ إِلَى الْأَرَاكِ لِكَثْرَتِهَا بِهَا. وَجَوَابُ الْيَمِينِ قَوْلُهُ: «لَقَدْ أَضْمَرْتُ حُبَّكَ». وَالْمَعْنَى: أَنَّهُ أَقْسَمَ أَنَّ وَدَّهَ لَهَا مَكْتُومٌ انطَوَى عَلَيْهِ قَلْبُهُ، وَخَالَصَ فِيهَا قَدْ أَكْنَهُ ضَمِيرُهُ لَا يَشَارِكُهَا فِيهِ عَدِيلٌ، وَلَا يُجَادِبُهَا بِسَبَبِهِ قَسِيمٌ وَإِنَّمَا يَتَحَمَّدُ عَلَيْهَا بِحِفْظِ السَّرَارِ، وَتَخْلِيسِ الْعَقِيدَةِ، وَشُغْلِ الْقَلْبِ وَالْعَقْلِ بِعِمَارَةِ الْهَوَى لَهَا. ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهَا فَقَالَ يَخَاطِبُهَا: أَعَلِمْتَ الَّذِينَ يُشِيرُونَ عَلَيْكَ بِقَطِيعَتِي وَالتَّنْكَرُّ لِي، وَجَدَّ الْأَسْبَابَ وَالْمَوَاتِيقَ بَيْنِي وَبَيْنِكَ؟ كُرِّي عَلَيْهِمْ مُسْتَدْرَجَةٌ لَهُمْ، وَعَاجِمَةٌ تَنْصَحُهُمْ، وَأَمْرِيهِمْ فِي أَحَبِّتِهِمْ بِمَثَلِ مَا أَمْرُوكَ فِي، فَإِنْ وَجَدْتَهُمْ سَامِعِينَ لَكَ، وَصَائِرِينَ إِلَى الْقَبُولِ مِنْكَ، فَخُذِي أَنْتِ أَيْضًا مَا أَخَذَهُمْ، وَالتَّزِمِي طَاعَتَهُمْ، وَإِنْ وَجَدْتَهُمْ مُتَأَبِّينَ عَلَيْكَ مُخَالِفِينَ لَكَ، فَأَغْصِي مَنْ عَصَاكَ، وَدَعِي الْأَسْتِنَامَةَ إِلَى رَأْيِي مَنْ

(١) التبريزي: «مولى العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس».

(٢) ذات عرق: مُهَلَّلُ أَهْلِ الْعِرَاقِ، وَهُوَ الْحَدَّ بَيْنَ نَجْدٍ وَتِهَامَةٍ، وَقِيلَ: عِرْقٌ: جَبَلٌ بِطَرِيقِ مَكَّةَ وَمِنْهُ ذَاتُ عِرْقٍ، (معجم البلدان ٤: ١٠٨)، وَنَعْمَانُ الْأَرَاكِ: اسْمٌ لَعِدَّةِ مَوَاضِعَ ذَكَرَهَا يَاقُوتٌ فِي مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ ٥: ٢٩٣.

(٣) التبريزي: «أطعت الأَمِيرِكِ». وَهَذَا الْبَيْتُ وَالَّذِي بَعْدَهُ بَلَا نِسْبَةَ فِي الظَّرْفِ وَالظَّرَفَاءِ ٣٢٠.

لا يَرَى لك مثلَ ما يراه لنفسه. وكان الواجبُ في قضيّة سِياق الكلام أن يقول: وإن عاصوك فاعصِيهم؛ فعَدَلَ عن الإتيان بالضمير إلى ذكر الظاهر، ليبيّن فيه ما يُشْنَع به عليهم، وليُظْهِر السَّبَبَ المُوجِبَ للإغراء بهم، والانصرافِ عن رأيهم، ولو قال: فاعصِيهم لم يبيّن ذلك فيه.

وقوله: «أَرَيْتَ» أصله أَرَأَيْتَ، حذفَ الهمزة منه حذفًا كما حُذِفَ في يَرَى، وتَرَى، وتَرَى.

٥٦٨ - وقال أبو القمقام الأسدي: [الكامل]

- ١ - إِفْرَأْ عَلَى الْوَشَلِ السَّلَامَ وَقُلْ لَهُ كُلُّ الْمَشَارِبِ مُذْ هُجِرَتْ ذَيْمٌ
- ٢ - سَقِيَا لِظِلِّكَ بِالْعَشِيِّ وَبِالضُّحَى وَلِيَزِدْ مَائِكَ وَالْمِيَاهُ حَمِيمٌ
- ٣ - لو كُنْتُ أَمْلِكُ مَنَعَ مَائِكَ لَمْ يَذُقْ مَا فِي قِلَابِكَ مَا حَبِيبْتُ لَيْمٌ

الْوَشَلُ هنا: ماء معروف في أرضٍ محبوبه. وقال الدُّرَيْدِيُّ: الْوَشَلُ: موضعٌ معروف بعينه. وَالْوَشَلُ: الماء القليل يترقرق على وجه الأرض. وقال صاحبُ العين: الْوَشَلُ مُحَرَّكٌ: الماء القليل يتحلّب من صخرة أو جبل، يقطر منه قليلاً قليلاً. والواشل: القاطر، يقال: جَبَلٌ وَاشِلٌ عنده منذُ تحوّل عنه وتَرَكَ وُروده. ثم دَعَا لظَلِّهِ بالسُّقْيَا فقال: سَقِيَا لِظِلِّكَ بِالْعَشِيِّ وَبِالضُّحَى. والظلُّ يكون للشجرة وغيرها بالغداة، والفَيْءُ بِالْعَشِيِّ، فكان في الواجب أن يقول: سَقِيَا لِظِلِّكَ بِالْغَدَاةِ، وَلَفَيْتِكَ بِالْعَشِيِّ. ألا تَرَى قَوْلَ الْآخَرِ: [الطويل]

فَلَا الظِّلُّ مِنْ بَرْدِ الضُّحَى نَسْتِطِيعُهُ وَلَا الْفَيْءُ مِنْ بَرْدِ الْعَشِيِّ نَذُوقٌ^(١)

إِلَّا أَنَّهُ سَمَّى الْفَيْءَ ظِلًّا لِتَشَابُهِهِمَا فِي مَنْظَرِ الْعَيْنِ وَالْعَنَاءِ. فلما تساوَيَا وأجرى عليهما معاً لفظة الظلِّ، وكان الواو يفيد الجمعَ من دون الترتيب - لم يُبَالِ أن يقولَ بِالْعَشِيِّ وَبِالضُّحَى، فيقدّم بالعشي، وإن كان الظلُّ أَلْيَقُ بأن يليق بالضُّحَى لو جُرِّدَ. ولم يُشْبِهْ هذا قولَ القائل: فَلَاَنْ أَشْعُرَ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ، لِتَرَكِيهِ فيما تقدّمه من المعطوف والمعطوف عليه طلب المطابقة والموافقة. ألا تَرَى أَنَّ الْوَجْهَ فِي هَذَا أن يقال: فَلَاَنْ أَشْعُرَ الْإِنْسَ وَالْجِنَّ ليصحّ لفظ الأول، ويُضاف أشعر إلى ما هو بعضُهُ ثم يجيء الثاني، وَأَنَّ قَوْلَكَ: سَقِيَا لِظِلِّكَ وقد نوّيت إجراء الظلِّ للفَيْءِ أيضًا صار حكمه حكمَ

(١) البيت لحميد بن ثور في ديوانه ص ٤٠، واللسان (فياً).

اللفظة الموضوعية لشيئين، فإذا كَانَ كَذَلِكَ فَأَيُّهُمَا أَوْلَيْتُهُ مِنَ الْعَشِيِّ وَالضُّحَى فَقَدْ وَقَعَ إِلَى جَنْبِ مَا يَطَابِقُهُ وَيُوَافِقُهُ.

فإن قيل: لو سُلِّمَ لك ما تقوله وتدعيه من الاستعارة لَمَا سَلِمَ الْكَلَامُ الْمَتَنَازِعُ مِنْ أَنَّهُ جَاءَ عَلَى غَيْرِ حَدِّهِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الظِّلَّ يَكُونُ فِي الضُّحَى حَقِيقَةً وَفِي الْعَشِيِّ مَجَازًا، وَإِجْرَاءُ الْكَلَامِ عَلَى حَدِّهِ أَنْ يُقَدَّمَ مَا يَكُونُ حَقِيقَةً عَلَى الْمَجَازِ. قُلْتُ: إِنَّ الظِّلَّ فِيمَا حَكَاهُ الْخَلِيلُ ضِدُّ الضُّحَى، وَيُقَالُ: أَفَاءَ الظِّلُّ وَتَفَيَّأَ. وَفِي الْقُرْآنِ: ﴿يَنْفَتِيضُ الظِّلُّ عَنْ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلُ﴾ [النحل: الآية ٤٨]، فَهُوَ ظِلٌّ قَبْلَ التَّفَيُّؤِ وَبَعْدَهُ، وَإِنَّمَا نَسَخَهُ لِلشَّمْسِ هُوَ الَّذِي صَارَ بِهِ فَيْئًا، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ لَمْ يَكُنْ مِنْ بَابِ مَا يَكُونُ حَقِيقَةً فِي شَيْءٍ، وَمَجَازًا فِي آخَرٍ، وَهَذَا بَيِّنٌ.

وقوله: «والمياه حميم» فالواو فيه للابتداء، وهو واو الحال.

وقوله: «لو كنت أملك منْعَ مائك» جوابُ «لو» هو قوله: «لم يَدُقْ»، وهذا الْكَلَامُ فِيهِ إِظْهَارُ الضَّنَانَةِ بِالماءِ الْمَذْكُورِ، وَاسْتِمْرَارُهُ فِي الْحَسَدِ إِلَى كُلِّ حَدٍّ مَعْلُومٍ بِسَبِّهِ، حَتَّى كَانَ بِزُغْمِهِ يَمْنَعُ عَنْهُ اللَّثَامُ مَدَّةَ حَيَاتِهِ، وَيَعْنِي بِهِ أَرْبَابَهُ فِيمَا أَظَنَّهُ، لِأَنَّهُمْ أَعْدَاؤُهُ. وَالْقِلَافُ: جَمْعُ الْقَلْتِ، وَهِيَ حُفْرَةٌ فِي الْجَبَلِ يَسْتَقِعُ فِيهَا مَاءُ الْمَطَرِ.

٥٦٩ - وقال ابن الدُّمَيْنَةُ^(١)، وقد كتب بها

إلى أُمَامَةٍ^(٢): [الطويل]

- ١ - وَأَنْتِ الَّتِي كَلَّفْتِنِي دَلَجَ السُّرَى وَجُودَ الْقَطَا بِالْجَلَهَتَيْنِ جُثُومٌ
- ٢ - وَأَنْتِ الَّتِي قَطَنْتِ قَلْبِي حَرَاةً وَقَرَفْتِ قَرْحَ الْقَلْبِ وَهُوَ كَلِيمٌ^(٣)
- ٣ - وَأَنْتِ الَّتِي أَخْفَظْتَ قَوْمِي فَكُلُّهُمْ بَعِيدُ الرُّضَا دَانِي الصُّدُودِ كَظِيمٌ

قوله: «دَلَجَ السُّرَى»، فالسُّرَى: سِيرُ اللَّيْلِ، وَالدَّلَجُ: السَّيْرُ فِي بَعْضِ اللَّيْلِ. وَيُقَالُ: سَارَ دُلَجَةً، أَي سَاعَةً مِنْ أَوَّلِ اللَّيْلِ، فَلِذَلِكَ أَضَافَ الدَّلَجَ إِلَى السُّرَى، فَجَرَى مَجْرَى إِضَافَةِ الْبَعْضِ إِلَى الْكُلِّ. وَالشَّاعِرُ يَعِدُّ عَلَيْهَا مَا نَالَهُ حَالًا بَعْدَ حَالٍ مِنْ ضُرُوبِ الْمَشَقَّاتِ وَالْمَتَالِفِ فِيهَا، فَيَقُولُ: تَحَمَّلْتُ فِيكَ كُلَّ عَظِيمَةٍ وَبَلِيَّةٍ، فَأَنْتِ الَّتِي

(١) سبقت ترجمته في الحماسية (٤٥٦).

(٢) الأبيات في الزهرة ٨٨، وديوانه ٤٢، والأبيات لقيس بن الملوّح في ديوانه ١٦٩.

(٣) التبريزي: «فهُوَ كَلِيمٌ».

كَلَّفَتْنِي السَّرَى وَالسَّيْرَ، وَرَكِبَ الْخَطَرَ بِاللَّيْلِ وَالطُّيُورُ سَاكِنَةٌ فِي عِشَّتَيْهَا لَمْ تَبْرَحْ،
وَأَنْتِ الَّتِي قَطَعْتَ جَوَانِحِي، وَصَدَّغْتَ جَوَانِبَ كِبْدِي خَزَاةً بِدَوَامِ تَمْتَعِكَ وَتَشْدُوكِ،
وَاتَّصَالَ جَفَائِكَ وَاطْرَاحِكَ - وَالْحَزَاةُ: وَجَعٌ فِي الْقَلْبِ - فَنَكَاتِ الْكَلَمِ مِنْ قَلْبِي قَبْلَ
انْدِمَالِهِ، وَقَشَرْتَ جُلْبَتَهُ عِنْدَ صَلَاحِهِ وَالتَّثَامِهِ، فَأَرَاهُ أَبَدًا دَامِي الظَّاهِرِ فَاسِدَ الْبَاطِنِ؛
وَأَنْتِ الَّتِي أَغْضَبْتِ عَلَيَّ مَعْشَرِي، وَأَفْسَدْتَ عَلَيَّ رَهْطِي وَأَعَزَّتِي، فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ إِذَا
خُبِرَ وَاسْتُكْشِفَ بَعِيدُ الرِّضَا عَنِّي، قَرِيبُ الْهَجْرَانِ لِي، مَمْتَلِئُ الصُّدْرِ مِنْ بُغْضِي،
يَكْظِمُ غَيْظَهُ تَجْمُلًا، وَيُسِرُّ نَكْرَهُ تَصَبُّرًا.

وقوله: «جُونِ الْقَطَا»، جمع جُونِيَّة. قال:

جُونِيَّةٌ كَحِصَاةِ الْقَسَمِ

وهذا كما يقال: عَرَبِيٌّ وَعَرَبٌ، وهذا الجمع كالجمع الذي ليس بينه وبين
واحدة في اللفظ إلا طرح الماء نحو تَمْرَةٍ وَتَمَرٌ وما أشبهه. وَجُثُومٌ: جمع جاثم.
وَجَثَمُ الطَائِرِ، إِذَا أَلْصَقَ صَدْرَهُ بِالْأَرْضِ، وَيَسْتَعْمَلُ فِي السَّبْعِ وَغَيْرِهِ، وَمِنْهُ الْجُثْمَانُ
لِجَسَمِ الْإِنْسَانِ. وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ: الْجُثْمَانُ الشَّخْصُ، وَالْجُثْمَانُ الْجِسْمُ. وَالْجَلْهَةُ: مَا
اسْتَقْبَلَكَ مِنَ الْوَادِي. وَمَعْنَى قَرَّغْتَ: قَشَرْتَ وَلَمْ يَكُنْ بَرًّا. وَيَقَالُ: كَظَمَ غَيْظَهُ، إِذَا
جَرَّعَهُ. وَكَظَمَ الْبَعِيرُ جِرَّتَهُ، إِذَا ابْتَلَعَهَا. وَالْكَظَمُ: مَخْرَجُ النَّفْسِ. وَيَقَالُ لِلْمَحْزُونِ: إِنَّهُ
لِمَكْظُومٌ وَكَظِيمٌ.

٥٧٠ - فَأَجَابَتْهُ أَمَامَةٌ^(١):

- ١ - وَأَنْتِ الَّتِي أَخْلَفْتَنِي مَا وَعَدْتَنِي وَأَشْمَتُ بِي مَنْ كَانَ فِيكَ يَلُومُ
- ٢ - وَأَبْرَزْتَنِي لِلنَّاسِ ثُمَّ تَرَكْتَنِي لَهُمْ غَرَضًا أَرْمَى وَأَنْتِ سَلِيمٌ
- ٣ - فَلَوْ أَنَّ قَوْلًا يَكْلِمُ الْجِسْمَ قَدْ بَدَأَ بِجِسْمِي مِنْ قَوْلِ الْوَشَاةِ كَلُومُ

أَخَذَتْ تَقَابُلَهُ بِمِثْلِ الَّذِي ابْتَدَأَهَا، وَتَعَدَّدَ مِنْ جَنَائِيَاتِهِ عَلَيْهَا كِفَاءً مَا عَدَّهُ
وَعَصَبَ بِهِ رَأْسَهَا، فَقَالَتْ: إِنَّ مَا ارْتَكَبْتَهُ مِنِّي أَشْنَعُ، وَمَا حَمَلْتُهُ وَقْتًا بَعْدَ وَقْتٍ
أَفْظَعُ، لِأَنَّكَ الَّذِي نَكَّثْتَ عَهْدِي، وَتَقَفَضْتَ مَوَاعِيدِي، وَأَشْمَتُ بِي كُلِّ نَاصِحٍ فِيكَ،
وَصَدَّقْتَ مَقَالَ كُلِّ لَائِمٍ بِسَبِيكِ، فَظَنُّونِي بِكَ مَكْذُوبَةً، وَظَنُّونَ النَّصَّاحَ وَاللُّوَامَ

(١) الأبيات لماني في الزهرة ٨٨، وأسواق الأشواق خ ٢٣٨و، والبيتان (١، ٢) بلا نسبة في الواضح ٢٤٩، والأول بلا نسبة في ديوان الصبابة ٢٤٩.

مصدقّة؛ ثم جعلتني مُضغّة في أفواه الناس، وأكّلة لمجاميعهم، يتعلّلون بحديثي، ويتبلّغون عند أعدائي بقصّتي، فقد صرّحت كالغرض المنصوب لكلّ قدح مبرّي، والعلم المقصود لكلّ مشاء بنميم، يغري بي من كان لي سلماً، ويرقّ لي من آل لي حزناً، وأنت سليم من المكاره، بعيد عن المتاعب، تغرّك بجنبك ما يمسنّي، وتثقي بعقلة الاكتراث ما يُنضّجني؛ لأنّ ناز الوشاية اعتمادها بالإحراق في النساء أبلغ منه في الرجال، وعازر الشناعة ألصق بجوانبهنّ منه بجوانب أمثالك، فلو أن كلاماً كلّم جسماً لبدّت بجسمي ثدوب ومنافذ وجروح بأنياب المُغتابين، ونبال الرّماة المرّاصدين.

وقد عدل في هذه الأبيات وفيما تقدّمها غفي صلات الذي والتي عن الإخبار إلى الخطاب، وقد مضى القول في جوازه مشروحا، وبينا كيف ساغ تعرّي الصلة من الضمير العائد إلى الموصول.

٥٧١ - وقال المعلوط الأسدي^(١): [الكامل]

- ١ - إنّ الظّعائن يوم حزم سوقيّة أبكين عند فراقهنّ عيوننا^(٢)
- ٢ - عيظن من عبراتهنّ وقلن لي ماذا لقيت من النوى ولقينا
- ٣ - بل لو يساعدنّا العيور بداره يوما لقد مات الهوى وحيّنا^(٣)

الظّعية: المرأة، لأنها تظعن إذا ظعن زوجها، أي تشخص. وقيل: الظّعية: الجمل الذي تركبه، سميّت به كما قيل للمزادة راوية. والحزم: ما غلظ من الأرض. وإنما وصف حالهنّ عند التوديع ووقت الفراق، فيقول: إنهنّ بكين وأبكين، ويجهّد منهنّ كفّ الدموع، وخفضن ما علا من الشّيج، ثم قلن متحسرات: أي شيء لقيت أنت وقاسيت من أحداث الهوى وأسبابه، وقاسينا نحن، ولو ساعدنا العيور ودانانا بداره يوما لقضينا من أوطارنا ما تحيا به نفوسنا وقلوبنا، ويموت له كلّنا وهوانا.

وذكر موت الهوى، كما قال الآخر: [الطويل]

فلما اتّقى الحيان ألقى العصا ومات الهوى لما أصيبت مقاتله

(١) التبريزي: «المعلوط بن بدّل السعدي»، وهو شاعر إسلامي (اللاّلي ٤٣٤).

(٢) التبريزي: «يوم جز سوقة». (٣) التبريزي: «بل لو يساعفنا».

وقوله: «غَيْضَنَ» أي قللن. ويقال: هذا من ذاك غَيْضٌ من فَيْضٍ، أي قليلٌ من كثير. والمعنى: مَسَخْنُهُ بِأَصَابِعِهِنَّ تَسْتَرًا.

وأخذ ذو الرُّمَّةُ هذا فقال^(١): [الطويل]

ولَمَّا تَلَقَّيْنَا جَرَثَ مِنْ عُيُونِنَا دُمُوعٌ وَزَعْنًا غَزَبَهَا بِالْأَصَابِعِ
وَنَلْنَا سِقَاطًا مِنْ حَدِيثِ كَأَنَّهُ جَنَى الثُّخْلِ مَمْزُوجًا بِمَاءِ الْوَقَائِعِ

ومعنى «مَسَاغِفْنَا الْعَيُورُ بِدَارِهِ»: يقاربنا بمحلِّهِ. والإسعافُ: قضاء الحاجة وإدناؤها. ولك أن تجعل «ماذا» بمنزلة اسم واحد، فينتصب بـلَقِيَّتٍ: ولك أن تجعل ذا بمعنى الذي، ويكون ضميره العائد من الصلة محذوفًا؛ كأنه قال: لقيته ولقيناه.

٥٧٢ - وقال جميل^(٢): [الطويل]

١ - وَمَاذَا عَسَى الْوَاشُونَ أَنْ يَتَحَدَّثُوا سِوَى أَنْ يَقُولُوا إِنَّنِي لَكَ وَامِقٌ^(٣)
٢ - نَعَمْ صَدَقَ الْوَاشُونَ أَنْتِ كَرِيمَةٌ عَلَيْنَا وَإِنْ لَمْ تَصْفِ مِنْكَ الْخَلَائِقُ^(٤)

ماذا في موضع المبتدأ؛ كأنه قال: أي حديث عسى الواشون يتحدثونه سوى قولهم: إنني لك مُحِبٌّ، فهو كقولك: أي ضَرَبَ عسى زيدٌ أن يضربه، وسبيله سبيل المصدر والمضاف إلى المضمر إذا ابتدئ بهما. ولا يجوز أن ينتصب بـيَتَحَدَّثُوا، لأنه في صلة أن، فلا يعمل فيما قبل الموصوف، ولا يجوز أن يكون ذا منه بمنزلة الذي؛ لأن عسى لا يصلح لكونه غير واجب أن يقع صلة له، وكذلك أخوات عسى. ألا تَرَى أَنَّ الاسْتِفْهَامَ وَالثَّنْيَ وَأَخَوَاتَهُمَا لَا يَقَعْنَ صَلَاتٍ، إذ كانت الصَّلَاتُ إنما تكون من الجُمْلِ الخبرية الواجبة، والمعنى: أنهم لا يَقْدِرُونَ فِي وِشَايَتِهِمْ عَلَى أَكْثَرِ مِنْ قَطْعِ القول بـأَنَّنِي لَكَ مُحِبٌّ وعاشق. ثم أوجب بنعم فقال: قد صَدَّقُوا فيما ادَّعَوْا وَلَفَّقُوا، أَنْتِ تَكْرُمِينَ عَلَيْنَا وَإِنْ لَمْ يَعُدْ عَلَيْنَا مِنْكَ خَيْرٌ، ولا صَادَقْنَا مِنْ إِحْسَانِكَ صَفَاءً وَلِينٌ. كأنه يُبْرِئُ سَاحَتَهَا، وَيُرِي أَنَّ مِيلَهُ وَهَوَاهُ لَا يَشِينُهَا مَعَ سَلَامَةِ طَرِيقَتِهَا، وَاسْتِحْكَامِ عَقَائِهَا.

(١) لذي الرمة في اعتلال القلوب ٢٩٢، ومصارع العشاق ١٩:٢، وأسواق الأشواق خ ٥٩و، وديوانه ٧٨٥:٢.

(٢) سبقت ترجمته في الحماسية (١٠١). (٣) التبريزي: «عاشق».

(٤) التبريزي: «أَنْتِ حَبِيبَةٌ».

٥٧٣ - وقال آخر^(١): [الكامل]

- ١ - وَإِذَا عَتَبْتَ عَلَيَّ بِثُ كَأَنِّي بِاللَّيْلِ مُخْتَلَسُ الرُّقَادِ سَلِيمُ
 ٢ - وَلَقَدْ أَرَدْتُ الصَّبْرَ عَنْكَ فَمَاقِنِي عَلَّقَ بِقَلْبِي مِنْ هَوَاكِ قَدِيمُ
 ٣ - يَبْقَى عَلَى حَدَثِ الزَّمَانِ وَرَنِيهِ وَعَلَى جَفَائِكَ إِنَّهُ لَكَرِيمُ
- يقول: اليسيرُ من إنكارِكِ وَلَوْمِكِ يَعْظُمُ عندي وَيَضْعُبُ عَلَيَّ، حتى أَبْقَى له ليلتي سَاهِرًا مَوْزَقًا، وسَادِمًا قَلِقًا، كَأَنِّي لَدَيْغُ حَيَّةٍ، أَوْ مُسَلَّمٌ لِعَارِضٍ عُلَّةٍ. وَلَقَدْ رُمْتُ التَّسْلِيَّ عَنْكَ، والتَّصَبُّرَ مِنْكَ، فَدَفَعَنِي عن المَرَادِ مَا عَلَّقَ بِقَلْبِي مِنْ هَوَاكِ قَدِيمًا وَمَلَكَ قِيَادِي لَكَ، حتى لَا أَجِدُ دُونَكَ مَنْصَرَفًا وَمَحِيَّتًا. ثُمَّ وَصَفَ الْعَلَقَ اللَّازِمَ لَهُ، وَالْحُبَّ الْغَالِبَ عَلَيْهِ فَقَالَ: إِنَّهُ يَبْقَى عَلَى تَغْيِيرِ الزَّمَانِ، وَتَلَوْنَ الْحَدَّثَانَ، فَلَا يَغْرِضُ لَهُ فُتُورٌ وَلَا نَكُوصٌ؛ وَعَلَى مَا يَتَجَدَّدُ عَلَيْهِ فِي كُلِّ حَالٍ مِنْ جَفَاءِ فَيْكِ شَدِيدٍ، وَإِعْرَاضِ أَلِيمٍ، فَلَا يُبْدِلُهُ قُصُورٌ وَلَا نُبُوٌّ؛ إِنَّ هَذَا الْعَلَقَ لَكَرِيمَ الْمَخْتِدِ، مُحَكَّمُ الْعَقْدِ، ثَابِتُ الْأَسَاسِ وَالْبِنَاءِ، مَقْدَّمُ الذِّكْرِ فِي صُحُفِ الْوِدَادِ وَالصُّفَا.

وهذا الكلام، أعني قوله: «إنه لكريم» يسمّى الالتفات.

٥٧٤ - وقال آخر^(٢): [الكامل]

- ١ - أَلِمْنَا عَلَى دَمَنِ تَقَادَمَ عَهْدُهَا بِالْجِرْزِ وَاسْتَلَبَ الزَّمَانُ جَمَالَهَا
 ٢ - رَسَمَ لِقَائِلَةَ الْفَرَانِقِ مَا بِهِ إِلَّا الْوُحُوشُ خَلَّتْ لَهُ وَخَلَا لَهَا
 ٣ - ظَلَّتْ تُسَائِلُ بِالْمُتَّيْمِ أَمَلَهُ وَهَمِي الَّتِي فَعَلَتْ بِهِ أَفْعَالَهَا

الإمام: الزَّيَارَةُ الْخَفِيفَةُ. يُخَاطَبُ صَاحِبًا لَهُ وَيَسْأَلُهُ مَسَاعِدَتَهُ فِي زِيَارَةِ دَارِ أَحِبَّتِهِ، فَقَالَ: زَرَّ أَثَارَ دَارٍ مُتَقَادِمَةِ الْعَهْدِ بِسُكَّانِهَا، مَسْلُوبَةِ الْجَمَالِ لِتَأْثِيرِ نَوَائِبِ الزَّمَانِ فِيهَا، بِالْجِرْزِ - وَهُوَ مَنْعُطُ الْوَادِي. وَرَوَى بَعْضُهُمْ: «جَلَا لَهَا»، وَيُكَرِّهُ هَذَا لِمَا حَكَاهُ الْأَصْمَعِيُّ مِنْ أَنَّهُ لَا يُقَالُ الْجَلَالُ إِلَّا فِي اللَّهِ تَعَالَى، وَلَأنَّهُ وَإِنْ جَاءَ فِي غَيْرِهِ عَزَّ وَجَلَّ فَهُوَ قَلِيلٌ فِي الْعَرَفِ وَالِاسْتِعْمَالِ.

(١) التبريزي: «قال أبو رياش: هي لابن الدمينه».

(٢) التبريزي: «قال أبو رياش: هي لعمرو بن الأيهم»، وفي ديوان الحماسة برواية الجواليقي: «وقال أعشى بني تغلب، وتروى لعمرو بن الأصم».

وقوله: «رَسَمُ لِقَاتِلَةِ الْغَرَائِقِ» ابتداءً كلام، أي هو رَسْمُ دَارٍ لَامْرَأَةٍ كَانَتْ تَصِيدُ الْغَرَائِقَ وَتَقْتَتِلُهُمْ بِالْحُبِّ. وَالْغَرَائِقُ: الشَّابُّ النَّاعِمُ الْحَسَنُ، بَضَمَ الْغَيْنَ، وَجَمَعَهُ الْغَرَائِقُ بِفَتْحِهَا وَمِثْلُهَا الْغَرَاعِرُ وَالْغَرَاعِرُ، وَالْجَوَالِقُ وَالْجَوَالِقُ. وَقَدْ اسْتَبَدَّلَتْ بِأَهْلِهَا وَحُوشًا فِيهِ خَالِيَةٌ لَهَا، وَهِيَ رَاتِعَةٌ فِيهَا، لَا تَعْدِلُ عَنْهَا.

وقوله: «ظَلَكْتُ تُسَائِلَ»، أَي: تَبْقَى نَهَارَهَا تَسْأَلُ عَشِيرَةَ الْعَاشِقِ عَنْهُ وَعَنْ اسْتَهْتَارِهِ وَعِلَّتِيهِ، وَهِيَ أَعْرَفُ النَّاسَ بِأَخْبَارِهِ، إِذْ كَانَتْ الْمُتَوَلِّيةَ لِفُتْنَتِهِ وَخَبَالِهِ. وَالْمَتِيمُ: الْمَعْبُدُ، يُقَالُ: تَيْمَهُ الْحُبُّ، أَي: عَبَّدَهُ وَاسْتَعْبَدَهُ. وَقَوْلُهُ: «حَلَّتْ لَهُ» فِي مَوْضِعِ الصِّفَةِ لِلرَّسْمِ.

٥٧٥ - وَقَالَ آخِرُ^(١):

- ١ - وَمَا بَرِحَ الْوَاشُونَ حَتَّى أَزْتَمَوْا بِنَا وَحَتَّى قُلُوبٌ عَنْ قُلُوبٍ صَوَادِفُ
٢ - وَحَتَّى رَأَيْنَا أَحْسَنَ الْوُضَلِ بَيْنَنَا مُسَاكِنَةً لَا يَفْرِفُ الشَّرُّ قَارِفُ

قَدْ تَقَدَّمَ الْقَوْلُ فِي «مَا بَرِحَ» وَأَنَّهُ فِي مَعْنَى مَا زَالَ، فَيَقُولُ: لَمْ يَنْفَكْ الشُّعَاةُ عَنِ الْوِشَايَةِ وَالتَّقَاطُطِ الْأَحَادِيثِ لِلنَّمِيمَةِ، وَاسْتِدْرَاجِ الْمُخْتَلِطِينَ بِنَا، وَاسْتَشْفَافِ الْمُتَبَلِّغِينَ بِأَخْبَارِنَا وَأَخْبَارِ غَيْرِنَا، حَتَّى فَرَّقُوا بَيْنَنَا، فَأَقْبَلُوا يَزِيْمِي بَعْضُهَا بَعْضًا بِمَصَايِرِ أُمُورِنَا، وَحَتَّى صَدَقَتْ الْقُلُوبُ، فَمَالَ كُلٌّ مِنْ عَشِيرَتِنَا إِلَى الْإِسْتِبْدَالِ بِمَوْضِعِهِ، وَالْإِنْتِقَالِ عَنْ جَوَارِ صَاحِبِهِ، وَإِلَى أَنْ رَأَيْنَا أَحْسَنَ الْمَوَاصِلَةِ بَيْنَنَا مِلَازِمَةً السَّكُوتِ، وَأَطْرَاحَ الْإِيْحَاءِ وَالرُّمُوزِ، تَوْقِيًّا مِنْ فُرْقَةٍ تَتَوَجَّهُ، وَتَفَادِيًّا مِنْ تُهْمَةٍ تَتَسَلَّطُ. هَذَا إِذَا رَوَيْتَ «لَا يَقْرِفُ» بِضَمِّ الْفَاءِ. وَيُرْوَى «لَا يَقْرِفُ» بِكسْرِ الْفَاءِ، وَيَكُونُ فِي مَوْضِعِ الْجَزْمِ جَوَابًا لِلأَمْرِ الَّذِي يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: مُسَاكِنَةً، لِأَنَّهُ فِي هَذَا الْوَجْهِ مُصَدِّرٌ فِي مَعْنَى الْأَمْرِ. وَالْجُمْلَةُ فِي مَوْضِعِ التَّنْصِبِ عَلَى أَنْ يَكُونَ مَفْعُولًا ثَانِيًا لِقَوْلِهِ رَأَيْنَا. وَالْمَسَاكِنَةُ لَا تَكُونُ مَوَاصِلَةً فَتُجْعَلُ بَدَلًا مِنْهَا. وَيَكُونُ هَذَا مِثْلُ قَوْلِ الْآخِرِ: [الوافر]

تَحِيَّةٌ بَيْنَهُمْ ضَرْبٌ وَجِيعٌ^(٢)

(١) فِي دِيْوَانِ الْحِمَاسَةِ بِرَوَايَةِ الْجَوَالِقِيِّ: «قَالَ مَزَاحِمُ الْفُقَيْلِيِّ».

(٢) لَعَمْرُو بْنُ مَعْدِيكَرَبٍ فِي دِيْوَانِهِ ١٤٩، وَخَزَانَةُ الْأَدَبِ ٢٥٢: ٩، وَنَوَادِرُ أَبِي زَيْدٍ ١٥٠، وَصَدْرُهُ:

«وَحِيلَ قَدْ دَلَفَتْ لَهَا بِخَيْلٍ»

ويكون المعنى: رأينا أحسن المواصلة بيننا توأصينا بأن ساكنوا الأحبة ومن يختلف بيننا وبينهم، لا يقرب الشر قارقه. وفي الوجه الأول يكون مساكنة مفعولاً ثانياً. والمعنى: سكوناً من الجانبين، أي كفاً لا يتولد منه قزف ولا تهمة، ويكون قوله: «لا يقرب الشر» تفسيراً للمساكنة، وبياناً لاختيارهم لها. ويروى «صوارف» بالراء، والمعنى: قلوب تصرف الود بما تأتيه وتستعمله عن القلوب الأخر.

٥٧٦ - وقال آخر: [الطويل]

١ - فإن تزجج الأيام بيني وبينها بذي الأثل صيفاً مثل صيفي ومزبعي
٢ - أشد بأعناق الثوى بغد هذه مرائر إن جاذبتها لم تقطع
«زجج» هذا معدى، لأنه بمعنى رد. يقال: رجعت رجعا فرجع رجوعاً. و«صيفاً» انتصب على المفعول من قوله: «تزجج». وكان الواجب أن يقول: صيفاً ومزبعاً مثل صيفي ومزبعي، أو يقول: بذي الأثل صيفي ومزبعي، أي أياماً كأيامها، فلما لم يلبس المراد قال: صيفاً مثل صيفي ومزبعي.

وقوله: «أشد بأعناق الثوى» أشد في موضع الجزم، لأنه جواب الشرط. ولك أن تضم الدال منه إتباعاً للضممة الضمة، وأن تكسرهما لالتقاء الساكنين وأن تفتحها؛ لأن الفتحة أخف الحركات. والمعنى: إن ردت الأيام الدائرة بيني وبينها ربيعاً مثل مربي، وصيفاً مثل مصيفي معها، استظهرت على الثوى بأن أوثق أواخيها، وأمر حبالها التي أربطها بها، حتى إن جاذبتها قاومتك فلم تقطع، وهذا مثل. والمراد: أتى أحكم أسباب التألف والتجمع بما يؤمن معه تعقب الآراء بالمزايلة والافتراق.

٥٧٧ - وقال كلثوم بن صعب: [الطويل]

١ - دعا داعياً بين فمن كان باكياً معي من فراق الحي فليأيني عدا
٢ - فليئت عدا يوم سواه وما بقى من الدهر ليل يحبس الناس سزماً
٣ - لتبك غرائيق الشباب فإني إخال عدا من فزقة الحي موعدا

كان شغبهما متجاوزين في الشجعة، فلما تقضى أيامها وهما بالانصراف إلى المزالف وجوانب القرى، دعا داعي الفراق في كل شعب منهما، وبغثوا على التهيؤ، لذلك ثنى فقال: «داعياً بين». وقوله: «فمن كان باكياً»، يريد: فمن ألمه ما أحس به

من التوى، وأزعجه ما عزم عليه من شق عصا الهوى، وأراد إسعادي على البكاء فليحضرني غداً، فإنه اليوم الموعود، والمشهد المشهود.

وقوله: «فليت غداً يوم سواه وما بقى»، يقول: بوذي أن يكون بدل يوم غد يوم آخر غيره، تفادياً مما يجري ويحدث، وليت بدل الليلة الحائلة بيننا وبين غد ما بقي من الدهر كله، فحبس الناس عن التزائل والافتراق دائماً. «وما بقى» لغة طيخ، كأنهم فروا من الكسرة بعدها ياء إلى الفتحة فانقلبت الياء ألفاً.

وقوله: «لِتَبْكِ غَرَائِقُ الشَّبابِ»، فالغرائق جمع، واحدها غرائق. وقال الخليل: يقال: شباب غرائق. وأنشد: [الطويل]

أَلَا إِنَّ تَطْلَبَ الصَّبَا مِنْكَ زَلَّةٌ وَقَدْ فَاتَ رِيعَانُ الشَّبَابِ الْغَرَائِقُ^(١)

وقال أيضاً: الغزئوق: الشاب الأبيض الجميل، والجمع غرائق. ومراد الشاعر: لَتَبْكِ من استُصْلِحَ للصبأ من الشبان وأرباب الهوى، فإن غداً فيما أظن أو أتقن يوم مواعدة الحي بالزَّيَال. وانتصب سرمداً على الظروف، ويجوز أن يكون صفة لمصدر محذوف، كأنه قال: حبساً سرمداً.

٥٧٨ - وقال زياد بن حمَل^(٢)، وقيل زياد

ابن متقد: [البسيط]

- ١ - لَا حَبْدًا أَنْتِ يَا صَنْعَاءُ مِنْ بَلَدٍ وَلَا شَعُوبَ هَوَى مِثِّي وَلَا نُقْمَ
- ٢ - وَلَنْ أَحِبَّ بِلَادًا قَدْ رَأَيْتُ بِهَا عَنَسًا وَلَا بِلَادًا حَلَّتْ بِهِ قُدُمُ

صنعاء: مدينة اليمن. وشعوب ونقم: موضعان باليمن. وعنس وقدم: حيان من اليمن. وقوله: «لا حبدًا أنتِ» ذا أُشير به إلى لفظة الشيء. والتقدير: لا محبوب في الأشياء أنتِ يا صنعاء من بين البلاد، وكما أنتِ لستِ بمحبوبٍ إليّ، فكذلك شعوب ونقم ليسا بهوى مِثِّي، أي لا أهواهما ولا أحجُّ إليهما.

وقوله: «ولن أحب بلادًا»، يريد: ولن أحب أيضاً منازل هذين الحينين. كأنه كره المواضع بأهلها فاجتواها وذمها. وقوله: «بلادًا قد رأيتُ بها عنساً» ضم إلى لفظة بلادٍ من الصفة ما يخصصها.

(١) اللسان (غرنق).

(٢) التبريزي: «زياد بن حمل بن سعد بن عميرة بن حريث».

وقوله: «حَبْدًا» حَبَّ فَعْلٌ، والأصل فيه حَبَبَ، وذا أُشِيرَ به إلى الشَّيْءِ، ولذلك وقع للمذكَّر والمؤنَّث على حالةٍ واحدة، فقلت: حَبْدًا زَيْدٌ، وحَبْدًا هُنْدٌ؛ لأنَّ لفظة الشَّيْءِ يشمَلُ المذكَّرَ والمؤنَّثَ والواحدَ والجمعَ، فهو كـ «ما»، وُضِعَ للجنس.

٣ - إِذَا سَقَى اللَّهُ أَرْضًا صَوَّبَ عَادِيَةً فَلَا سَقَاهُنَّ إِلَّا النَّارُ تَضْطَرُّ

لَمَّا كَانَ الْقَصْدُ فِي الدُّعَاءِ بِالسُّقْيَا بَقَاءَ الْمَدْعُوِّ لَهُ عَلَى نَضَارَتِهِ، وَالزِّيَادَةِ فِي طَرَاوَتِهِ، وَاسْتِمْرَارِ الْأَيَّامِ بِهِ سَالِمًا، مِمَّا يُوْثِرُ فِي عُنْفَوَانِ حُسْنِهِ، أَوْ يَغَيِّرُ رَوْنَقَ مَائِهِ، جَعَلَ عِنْدَ الدُّعَاءِ عَلَى الْمَذْمُومِ عِنْدَ السُّقْيَا بِالنَّارِ، لَكُونَ النَّارُ ضِدًّا لِلْمَاءِ وَمَمِيَّةً لَمَّا يُحْيِيهِ، فيقول: إِذَا أَطَالَ اللَّهُ تَعَالَى جَدُّهُ تَنْعِيمَ أَرْضٍ بِمَا يُقِيمُ مِنْ خِضْبِهَا، وَيُدِيمُ مِنْ رَفَاعَتِهَا وَرِفَاهَتِهَا، بَتَأْتِي الْأَمْطَارُ عَلَيْهَا، وَتَبْكِرُ الْعَوَادِي نَحْوَهَا، فَلَا سَقَى هَذِهِ الدِّيَارَ إِلَّا نَارًا يَهَيِّجُ ضِرَائِمَهَا، وَيُوجِّعُ لَهْبَهَا وَسُعَارَهَا، لِتُبِيدَ خَيْرَهَا، وَتُقَيِّتَ حُسْنَهَا وَزَهْرَتَهَا. وقوله: «تضطرم» في موضع الحال للنَّارِ.

٤ - وَحَبْدًا حِينَ تُنْسِي الرِّيحُ بَارِدَةً وَادِي أَشْيٍ وَفُثْيَانٍ بِهِ هُضُمُ

٥ - الْوَاسِعُونَ إِذَا مَا جَرَّ غَبِرُهُمْ عَلَى الْعَشِيرَةِ وَالْكَافُونَ مَا جَرَمُوا

٦ - وَالْمُطْعِمُونَ إِذَا هَبَّتْ شَامِيَةٌ وَيَاكِرَ الْحَيِّ مِنْ صُرَادِهَا صِرْمُ

قوله: «وحبدا حين تُنسي الرِّيحُ باردة»، جعلَ ما نَفَاهُ مِنَ الْحَبِّ وَالْحَمْدِ عَمَّا قَدَّمَ ذَكَرَهُ مِنَ الْبُلْدَانِ ثَابِتًا لَوَادِي أَشْيٍ وَأَهْلِهِ، وَتَبَّهَ عَلَى أَنَّهُمْ فِي أَوَانِ الْجَذْبِ وَالْقَحْطِ يُشْرِكُونَ غَيْرَهُمْ مِنَ الْعَشِيرَةِ فِي خَيْرِهِمْ، وَيَسْتَنْفِدُونَ الْأَمْوَالَ الَّتِي يُتَنَاقَسُ فِيهَا فِيمَا يَجْلِبُ الْحَمْدَ، وَيُطِيبُ النَّشْرَ، إِذَا هَبَّتِ الرِّيحُ بَارِدَةً، وَاقْشَعَرَّتِ الْبِلَادُ هَامِدَةً، حَتَّى يَصِيرَ وَسْعُهُمْ مَبْذُولًا لَهُمْ يَتَوَسَّعُونَ فِيهِ إِذَا جَرَّ غَيْرُهُمُ الْجَرَائِرَ عَلَى عَشِيرَتِهِ، وَدَوِي لُخْمَتِهِ، ثُمَّ مَنْ اِكْتَسَبَ جَرِيْمَةً مِنْهُمْ تَكْفَلُوا بِاسْتِنْقَاذِهِ مِنْهَا، وَأَفَاءُوا ظِلَّ الْحِمَايَةِ وَالصِّيَانَةِ عَلَيْهِ فِيهَا.

وقوله: «والمطعمون» حذف مفعوله، وإنَّما يصفُهُم بأنَّهُمْ يُقِيمُونَ الْقِرَى لِلْأَضْيَافِ إِذَا هَبَّتِ الرِّيحُ شَمَالًا، وَغَادَى الْحَيَّ السَّحَابُ الْبَارِدَةُ طَوَائِفَ وَفَرَقًا. وقوله: «هُضُم» جمع هَضُمَ، وَهُوَ الْمِنْفَاقُ فِي الشِّتَاءِ. وقوله: «هَبَّتْ شَامِيَةٌ» انتصب على الحال. وقوله: «الواسعون» مأخوذ من الوُسْع وهو الطَّاقَةُ، وَيُقَالُ: لَا يَسْعُكَ كَذَا، أَيْ لَسَتْ مِنْهُ فِي سَعَةٍ. وَالصَّرْمُ، أَصْلُهُ فِي أَقْطَاعِ الْإِبِلِ، فَاسْتَعَارَهُ.

٧ - وَشَنَوَةٌ فَلَلُّوا أَنْيَابَ لَزَيْتِهَا عَنْهُمْ إِذَا كَلَحَتْ أَنْيَابُهَا الْأَزْمُ

٨ - حَتَّى أَنْجَلَى حَدَّهَا عَنْهُمْ وَجَارَهُمْ بَنَجْوَةً مِنْ حِذَارِ الشَّرِّ مُغْتَصِمٌ

فَلَلُّوا: كسروا. واللَّزِيَّة: السَّنة المُجْدِبَة، وجعل الأنبياب مثلاً لشدائدها. والكُلُوح: بُدُو الأسنان عند العُبُوس. والأزْم: جمع أزوم، وهي العَوَاضُ. وقوله: «وجارهم بنجوة»، أي: عِزٌّ وَمَنْعَةٌ. والنَّجْوَةُ: المرتفعة من الأرض لا يبلغها السَّيْلُ، فضربه مثلاً للمَلَاذِ الذي أَوْزَا إليه في فَنَائِهِمْ حِذَارًا مِنَ الشَّرِّ، فيقول: رُبَّ شَتْوَةٍ دفعوا أذاها ومعرتها عن العشيعة أشد ما كانت، بما قاموا به من إصلاح أمورهم، وإزالة ضررها عنهم، إلى أن انكشف حدُّها عنهم، وجارهم معتصم فيهم بأحصى مكان، وأمنع عِزٍّ ومَلَاذٍ.

٩ - هُمُ الْبُحُورُ عَطَاءٌ حِينَ تَسْأَلُهُمْ وَفِي اللَّقَاءِ إِذَا تَلَقَّى بِهِمْ بِهِمْ

١٠ - وَهُمْ إِذَا الْخَيْلُ حَالُوا فِي كَوَائِبِهَا فَوَارِسُ الْخَيْلِ لَا مِيلَ وَلَا قَرْمٌ

انتصب «عطاء» على التمييز، ويجوز أن يكون مفعولاً له. وارتفع «بهم» بالابتداء، وخبره في اللقاء، ومفعول تلقى محذوف؛ كأنه قال: إذا تلقى بهم الأعداء. والبهم: جمع بهمّة، وهو الشُّجاع الذي لا يُدْرَى كيف يُؤْتَى له، لاستبهام شأنه وتناهي شجاعته. والمعنى: هم البحور إذا اجتدهم المُجْتَدِي، لكثرة عطائهم، أي لا يَنقُذ عطائهم على كثرة الاجتداء، كما لا يَنقُذ ماء البحر على كثرة الورد، وهم بهم في اللقاء إذا لقيت بهم الأعداء، وإذا ركب الفُرسان الخيل وتبَّئوا في كوائبها - والكائبة: قُدَامُ البَمْسِجِ منها - فُرسانها لا لثام ضعاف صغار الأجسام، ولا ماثلون عن وجوه الأعداء. والميل: جمع أميل وهو الذي يُغْرِضُ عن وجه الكتيبة عند الطعان، وقيل: هو الذي لا يثبت على ظهر الدابة، ويقال: حال في ظهر دابته، إذا ركبها. وارتفع ميل على أن يكون معطوفاً على فوارس الخيل. ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف، كأنه قال: لا هم ميل ولا قزم. وقد مضى القول في فوارس وشدوذه.

١١ - لَمْ أَلْقَ بَعْدَهُمْ حَيًّا فَأَخْبَرَهُمْ إِلَّا يَزِيدُهُمْ حُبًّا إِلَيَّ هُمْ

١٢ - كَمْ فِيهِمْ مِنْ فَتَى حُلُوِّ شَمَائِلُهُ جَمُّ الرَّمَادِ إِذَا مَا أَخَمَدَ الْبَرَمُ

يقول: لم أخالط بعد فراقي لهم حياً من الأحياء فخبرتهم إلا وازدادوا في قلبي حُبًّا إِذَا قَسَتْهُمْ بَمَنْ سَوَاهُمْ فِي قِيَاسِي وَنَظَرِي، كمال آلة وتناهي رياسة

وتوفراً على من يتتابهم من مُتَحَرِّمٍ بِذِمَّةٍ، أو مُدِلٍّ بِقَرَابَةٍ. وارتفع «هم» الأخير بيزيد، وقد وضع الضَّمِيرَ المنفصلَ موضعَ المتصلِ لآئه كان الوجهُ أن يقول: إلّا يزيدونَهُمْ حُبّاً إليّ. وهذا كما يُوَضِّعُ الظَّاهِرَ موضعَ المضمر والمضمر موضع الظاهر إذا أُمرَ الالتباس. وانتَصَبَ «فأخبرهم» لآئه جواب التَّغْيِ بالفاء، والعامل أن مضمره بين الفاء والفعل.

وقوله: «كم فيهم من فتى حلّ شمائله» فكم للتكثير، وموضعه رفع بالابتداء وخبره من فتى. ومعنى «جَمَ الرَّمَادِ»، أي: كثير الأضياف، لأنّ الرماد إنّما يكثر بحسب اتساع ضيافته، وكثرة غاشيته. والبرَم: الذي لا يدخل مع القوم في الميسر، ومفعول أحمَد محذوف، والمراد ما أحمَد البرَم النَّارَ لُبْخَلَه ولشدّة الزمان ونكدّه، فجعل الفتى حلّو الشّمائل، وهي الطبايع؛ لأنّ الضّيفَة إنّما تَكْرُمُ وتَشْرُفُ بحُسن خُلُقِ المُضَيِّفِ وخِفَّتِهِ في الخدمة، وملاطفته لضيوفه، وتحفّيه وبرّه بهم.

١٣ - تُحِبُّ زَوَجَاتُ أَقْوَامٍ حَلَالَةٍ إِذَا الْأَنْوُفُ امْتَرَى مَكْنُونَهَا الشَّبِمَ وَصَفَ النِّسَاءَ مِنْهُمْ بِحُسْنِ التَّوَقُّرِ عَلَى أَشْبَاهِهِنَّ، وَكَمَالِ التَّفَقُّدِ بِمَا يُهْدِيَنَ إِلَيْهِنَّ إِذَا قَلَّتِ الْهَدَايَا وَاشْتَدَّ الزَّمَانُ، وَبَلَغَ الْبَرْدُ حَدًّا يَسْتَخْرِجُ مَكْنُونَ الْأَنْوُفِ مِنَ الرُّعَامِ، فَيَقُولُ: زَوَجَاتُ الْأَبْرَامِ وَمَنْ يَشَبْهُهُمْ مِنْ ذَوِي الْحَاجَةِ، أَوْ الْمَمْتَنِعِينَ مِنَ الْمَيْسَرِ، يُخْبِنُ أَزْوَاجَ هَؤُلَاءِ الْفَتَيَانِ إِذَا أَمَحَلَ الزَّمَانُ وَاشْتَدَّ الْقَحْطُ وَالْجَذْبُ، لِحَسَنِ تَعَطُّفِهِنَّ عَلَيْهِنَّ، وَصَرْفِ الْعَنَاءِ وَجَمِيلِ التَّفَقُّدِ إِلَيْهِنَّ. وَامْتَرَى: اسْتَخْرَجَ. وَالشَّبِمَ: الْبَرْدَ. وَأَرَادَ بِالْمَكْنُونِ الْمُخَاطَ. وَالْحَلَالَتِ: النِّسَاءُ الْمُتَزَوِّجَاتِ سُمِّيْنَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُنَّ تُحَالُّ أَزْوَاجَهُنَّ، أَيْ: تَنْزِلُ مَعَهُنَّ؛ وَالْوَحَادَةُ حَلِيلَةٌ وَفَعِيلَةٌ بِمَعْنَى مُفَاعَلَةٍ، كَقَعِيدَةٍ، وَجَلِيسَةٍ.

١٤ - تَرَى الْأَرَامِلَ وَالْهَلَكَ تَتَّبَعُهُ يَسْتَنُّ مِنْهُ عَلَيْهِمْ وَابِلٌ رَذْمٌ

١٥ - كَأَنَّ أَصْحَابَهُ بِالْقَفْرِ يَنْظُرُهُمْ مِنْ مُسْتَجِيرٍ غَزِيرٍ صَوْبُهُ دِيمٌ

الأرامل: جمع الأرملة والأزمنة، لأنه يقع الذكر والأنثى، وهم الذين قد انقطع زأدهم وضاعت الأحوال بهم. والهلاك، هم الفقراء الذين أشرفوا على الهلاك، وإنما قال «تتبعه» لأنهم كانوا يتفيتون بظله، ويعيشون في أفنيته من خيره. وقوله: «يستنُّ منه عليهم وابلٌ» مثَلٌ لما كان يَنْصَبُ عليهم ويجري ويدوم من إحسانه لهم؛ لأنّ الحيا يُخَيِّي الأرض، كما أنّ معروف هؤلاء كان يحييهم.

وَالرَّذَمُ: السَّاتِلُ. وَمَعْنَى يَسْتَنُّ: يَنْصَبُ. سَنَنْتُ الْمَاءَ وَأَسَنَنْتُهُ بِمَعْنَى. وَالْوَابِلُ: الْمَطَرُ الصَّخْمُ الْقَطَرُ.

وقوله: «كَانَ أَصْحَابَهُ بِالْقَطْرِ يَمْطُرُهُمْ»، يريد: أَنَّهُمْ فِي دُورِهِمْ وَمَحَلِّهِمْ ذَاكَ فَعَلُّهُمْ مَعَ عَشِيرَتِهِمْ، وَمَعَ زُؤَادِهِمْ وَمُؤْمِلِيهِمْ، فَإِذَا سَافَرُوا تَرَى الصَّحَابَةَ فِي الْمَكَانِ الْخَالِيِ يَمْطُرُهُمْ مِنْ نَوَالِهِ مَا يَجْرِي مَجْرَى الصُّوبِ مِنْ سَحَابٍ مَتَحِيرٍ مَمْتَلِئٍ مَاءً، غَزِيرٍ النَّوَى، دَائِمٍ السَّيْلِ. وَالذَّيْمُ: جَمْعُ دَيْمَةٍ، وَهِيَ الْمَطَرُ يَدُومُ بِسَكُونٍ، وَالْمُسْتَحِيرُ وَالْمَتَحِيرُ، بِمَعْنَى وَاحِدٍ. وَهَذَا التَّحِيرُ إِنَّمَا هُوَ كُنَايَةٌ عَنِ الْاِمْتِلَاءِ. وَيُقَالُ: اسْتَحَارَ شَبَابُهُ.

١٦ - غَمَرُ النَّدَى لَا يَبِيْتُ الْحَقُّ يَثْمُدُهُ إِلَّا عَدَا وَهُوَ سَامِي الطَّرْفِ يَنْبَسِمُ

١٧ - إِلَى الْمَكَارِمِ يَنْبِيهَا وَيَغْمُرُهَا حَتَّى يَنَالَ أُمُورًا دُونَهَا قَحْمُ

الْقَمَرُ: الْوَاسِعُ الْعَطَاءُ. وَمَعْنَى يَثْمُدُهُ: يَكْثُرُ عَلَيْهِ حَتَّى يُفْنِيَ مَا عِنْدَهُ. وَالْمَاءُ الْمَثْمُودُ: الْمَزْدَحَمُ عَلَيْهِ حَتَّى يَنْزَرُ نَزْفًا. وَقَوْلُهُ: «وَهُوَ سَامِي الطَّرْفِ»، أَي: لَا يَكْسِبُهُ امْتِدَادُ الْعَطَاءِ مِنْهُ، وَدَوَامُ الْإِحْسَانِ، غَضَاضَةُ طَرْفٍ وَانْكَسَارُ نَشَاطٍ، بَلْ يُرَى بِعَقِبِهِ ضَحُوكًا عَالِي النَّظَرِ. وَقَوْلُهُ: «لَا يَبِيْتُ الْحَقُّ يَثْمُدُهُ إِلَّا عَدَا»، يَشْتَمِلُ عَلَى مَعْنَى الشَّرْطِ وَالْجَزَاءِ، أَي: كُلَّمَا بَاتَ الْحَقُّ يَثْمُدُ مَا عِنْدَهُ غَدَا سَامِي الطَّرْفِ مَبْتَسِمًا.

وقوله: «يَنْبِيهَا وَيَغْمُرُهَا» فِي مَوْضِعِ الْحَالِ، أَي بَانِيًا عَامِرًا. وَقَوْلُهُ: «إِلَى الْمَكَارِمِ» اتَّصَلَ «إِلَى» بِقَوْلِهِ: «إِلَّا عَدَا». وَالْقَحْمُ: الشَّدَائِدُ، وَاحِدَتُهَا قُحْمَةٌ، وَالْمَعْنَى: أَنَّهُ بِذَلِكَ سَخِيٍّ جُمُ الْمَعْرُوفِ، لَا يَبِيْتُ تَوَرُّدَ الْحَقُوقِ نَحْوَهُ يَسْتَغْرِقُ مَا لَهُ إِلَّا ابْتِكَارَ وَهُوَ ضَحَّاكٌ عَالِي النَّظَرِ إِلَى ابْتِنَاءِ الْمَكَارِمِ، جَرِيًا عَلَى الْعَادَةِ وَالْقَا لَهَا، وَهُوَ يَعْمُرُهَا وَيَصِلُ جَوَانِبَهَا بِأَمْثَالِهَا حَتَّى يُصِيبَ أُمُورًا تَحُولُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ مَنْ يَرِيدُ نَيْلَهَا وَالْوَصُولَ إِلَيْهَا شَدَائِدُ وَتَكَالِيفُ. وَقَحْمُ الطَّرِيقِ: مَا صَعَبَ مِنْهَا، وَفِي الْحَدِيثِ: «إِنْ لِلْخَصُومَةِ قُحْمًا»^(١)، أَي: يَتَقَحَّمُ عَلَى الْمَهَالِكِ.

١٨ - تَشَقَّى بِهِ كُلُّ مِزْبَاعٍ مُوَدَّعَةٍ عَزَفَاءَ يَشْتَوِ عَلَيْهَا تَامِكٌ سَنِمٌ

١٩ - تَرَى الْجِفَانَ مِنَ الشَّيْزَى مُكَلَّلَةً قُدَّامَهُ زَانَهَا التَّشْرِيفُ وَالْكَرَمُ

(١) الْحَدِيثُ فِي النِّهَايَةِ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ ١٩:٤ وَهُوَ مِنْ حَدِيثِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، «وَالْقَحْمُ هِيَ الْأُمُورُ الْعَظِيمَةُ الشَّاقَّةُ وَاحِدَتُهَا قُحْمَةٌ».

٢٠ - يَثُوبُهَا النَّاسُ أَفْوَاجًا إِذَا نَهَلُوا عَلُّوا كَمَا عَلَّ بَعْدَ النَّهْلَةِ النَّعَمُ

المِزْبَاع: الثَّاقِفَةُ الَّتِي مِنْ شَأْنِهَا أَنْ تَضَعَ وَلَدَهَا فِي الرُّبَيْعِ، وَهِيَ الْمَحْمُودُ مِنَ الثَّنَاجِ، وَلِذَلِكَ قَالَ:

أَفْلَحَ مَنْ كَانَ لَهُ رُبْعِيُونَ^(١)

وَمِزْبَاع: بِنَاءُ الْمَبَالِغَةِ. وَالْمُودَعَةُ: الْمَكْرَمَةُ الْمَوْفَرَةُ عَلَى التَّنَاسُلِ لَا تُعْمَلُ وَلَا تُحْمَلُ. وَالْعَرَفَاءُ: الَّتِي لَيْسَ مِنْهَا صَارَ لَهَا كَالْعُرْفِ. وَالثَّامِكُ: السَّنَامُ الْمُشْرِفُ. وَالسَّيْمُ: الْعَالِي، وَيُقَالُ: بَعِيرٌ سَيْمٌ، أَيْ مُشْرِفُ السَّنَامِ، وَالْمَعْنَى: تَبَقَّى شَتَوْتَهَا سَمِينَةً لَا يَغْيُرُهَا الْجَذْبُ وَالْقَحْطُ، وَإِنَّمَا قَالَ «تَشَقَّى بِهِ»، وَهُوَ يَرِيدُ الْفَتَى لِأَنَّ الْمَرَادَ لَا يَنْحَرُ مِنَ الْجُزْرِ إِلَّا مَا يُتَنَافَسُ فِيهِ مِثْلُ نَاقَةٍ هَذِهِ صَفْتُهَا.

وَقَوْلُهُ: «تَرَى الْجِفَانَ مِنَ الشَّيْزَى مَكَلَّلَةً»، يَرِيدُ: أَنَّ الْجِفَانَ الْمَعْدَّةَ لِلْأَضْيَافِ عَلَيْهَا كَالْأَكَالِيلِ مِنْ فِدَرِ اللَّحْمِ، وَقَدْ زَيَّنَهَا كَرَمٌ بَارِعٌ، وَتَشْرِيفٌ فَاحِرٌ، وَهَذَا بِمَا يَسْتَعْمِلُهُ مِنَ اللَّطْفِ وَالتَّائِيَسِ مَعَ الْأَضْيَافِ، وَمَنْ تَوَفَّرَ خِدْمَةُ الْخَدَمِ عَلَيْهَا، وَلِكَمَالِ بَهَاءِ الْمَجْلِسِ وَكَوْنِهِ مَشْحُونًا بِمَا يَزُوقُ وَيُعْجِبُ.

وَقَوْلُهُ: «يُثُوبُهَا»، أَيْ: يَتَنَابُؤُهَا طَائِفَةٌ بَعْدَ طَائِفَةٍ، وَقَوَّجًا بَعْدَ قَوَّجٍ، فَإِذَا تَنَابَلُوا الثَّهْلَ رَجَعُوا فَأَعْقَبُوهُ الْعَلَلُ، كَمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ النَّعَمُ عِنْدَ وَرُودِهِ الْمَاءِ. وَانْتَضَبَ «أَفْوَاجًا» عَلَى الْحَالِ. وَالتَّعَمُّ يَقَعُ عَلَى الْأَزْوَاجِ الثَّمَانِيَةِ، وَالْغَالِبُ عَلَيْهَا الْإِبِلُ.

٢١ - زَارَتْ رُوَيْقَةَ شَغَفًا بَعْدَمَا هَجَعُوا لَدَى نَوَاحِلَ فِي أَرْسَاعِهَا الْخَدَمُ

٢٢ - وَقَمْتُ لِلزُّورِ مُرْتَاعًا وَأَرْقَنِي فَقُلْتُ أَهْيَ سَرَتْ أَمْ عَادَتِي حُلْمُ

٢٣ - وَكَانَ عَهْدِي بِهَا وَالْمَشْيُ يَنْهَظُهَا مِنَ الْقَرِيبِ وَمِنْهَا النَّوْمُ وَالسَّامُ

يَصِفُ الْخَيَالَ، فيقول: زارت خيالَ هذه المرأةِ قوماً غُيْبَرًا، أنضاء مُرْزَهَا، بعدما ناموا عند إبلِ ضوايرِ مهازيلِ، شُدَّتْ فِي أَرْسَاعِهَا سُيُورُ الْقِدِّ، لَشِدَّةِ سِيرِهَا وَتَأْثِيرِ الْكِلَالِ فِيهَا، فَقَمْتُ مِنْ مَضْجَعِي لِلطَّيْفِ الزَّائِرِ خَائِفًا، وَطَارَ النَّوْمُ عَنِّي، وَأَخَذَنِي الْقَلْتُ، وَوَسَّوَسَ النَّفْسُ وَالزَّمْعُ، فَمِثَّلْتُ الْفَكْرَ بَيْنَ شَيْئَيْنِ أَحَدُهُمَا زِيَارَتُهَا بِنَفْسِهَا، وَالثَّانِي حُلْمُ نَائِمٍ اعْتَادَنِي فَارَانِيهَا، وَصِرْتُ أَرَا جُوعَ نَفْسِي وَأَقُولُ: كَيْفَ يَجُوزُ مَجِيئُهَا،

(١) لَأَكْثَمُ بْنُ صَيْفِيٍّ، أَوْ سَعْدُ بْنُ مَالِكِ بْنِ ضَبِيعَةَ فِي اللِّسَانِ (صَيْفٍ).

وكنْتُ أعهدُها وقطعُ المسافةِ القريبةِ كانت تتكلفُه بشِقِّ النَّفسِ، وتحملُ الثُّقلَ والكَدَ. هذا والغالبُ عليها المَلالُ مما يُتعبُ وإن خَفَّ، وطلُبُ الراحةِ بالنومِ ليسيرِ الخطبِ منها ببالٍ ولو قَلَّ. وانتَصَبَ «مرتاعاً» على الحال.

وقوله: «أُم عَادَنِي حُلُمٌ» أم هذه هي المعادلة، والمعنى: أي هُذَيْنِ الأُمَيرِ كان. وقوله: «أَهْمِي سَرَتْ» أسكن الهاء من هي مع ألف الاستفهام، لأنَّه أجراها مَجْرَى واوِ العطفِ وفائه، فكما يسكُنُ معها لأنها لا تقوم بنفسها ولا تستقلُّ كذلك أَسْكِنَ مع الألف. ومعنى يَنْهَظُها: يَنْقُلُ عليها ويشقُّ.

وقوله: «وَالْمَشْيُ يَنْهَظُهَا» خبر كان فيه. وقوله: «وكان عهدي بها» الواو واو الحال من قوله «أَهْمِي سَرَتْ».

٢٤ - وَيَالْتَكَالِيفِ تَأْتِي بَيْتَ جَارَتِهَا تَمَشِّي الْهُوَيْنَا وَمَا تَبْدُو لَهَا قَدَمُ

٢٥ - سُودَ ذَوَائِبِهَا بَيْضَ تَرَائِبِهَا دُزْمَ مَرَايِقُهَا فِي خَلْقِهَا عَمَمُ

يقول: ومما عهدتها عليه أنَّها كانت تأتي بيتَ جارتها قضاءً لذيَمام، أو أداءً لواجبِ حقٍّ، بعدَ الجَهدِ والشَّدةِ، ومدَاوِرةِ الثُّقي على أذنَى الكُلْفَةِ والمشقةِ، ومِشْيَتِهَا الْهُوَيْنَا، أي على رِفقٍ لا استعجالٍ فيها ولا تهافتٍ، ولا تَقاذفٍ في أعضائها ولا تتابعٍ، ولذَّيلِها على الأرضِ سحبٌ وجَرٌّ، فَقَدَمُها لا تبدو، ووقاؤها المتسبَّب من كِبَرِها وعُجْبِها لا يَهْفُو. والهُوَيْنَا: تصغيرُ الْهُوَيْنَى وَالْهُوَيْنَى: تأنيثُ الْأَهْوَنَ، وموضعُها من الإعرابِ نصبٌ على المصدر. وقوله: «تمشي الْهُوَيْنَا» في ضمنه ما يُوصَفُ به مثلُها من التَّرَفُّهِ وَقَرُطِ الْحَيَاءِ، كما قال: [الطويل]

كَأَنَّ لَهَا فِي الْأَرْضِ نِسِيًا تَقْضُهُ عَلَى أُمِّهَا وَإِنْ تُكَلِّمَكَ تَبَلَّتْ^(١)

وقوله: «سُودَ ذَوَائِبِهَا» يصفُها بأنَّها في عنفوانِ شبابِها، ففزعُها أسود، وصدْرُها بما حوَالَيْهِ أبيض، ومرافقُها لا حجَمَ لها لكثرةِ لَحْيِها، وخَلَقُها تامٌ لاستكمالِها.

٢٦ - رُوَيْقُ إِنِّي وَمَا حَجَّ الْحَجِيجُ لَهُ وَمَا أَهْلُ بَجَنْبِنِي نَخْلَةَ الْحُرْمِ

قوله: «وما حَجَّ الْحَجِيجُ لَهُ» يجوز أن يكون ما بمعنى الذي، كأنه أقسمَ بالبيت الذي حَجَّ إليه الْحَجَّاج، وبإِهلالِ الْحُرْمِ، وهو رَفْعُ الصوتِ بالتلبية، بَجَنْبِنِي نخلة،

(١) للشنفرى في ديوانه ٣٣، واللسان (بليت، نسا).

وهو مكانٌ بَقْرَب مَدِينَةِ الرَّسُولِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُقَالُ لَهُ بَطْنُ نَخْلَةٍ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَا مَوْضُوعًا مَوْضِعَ مِثْنٍ، عَلَى مَا حَكَى أَبُو زَيْدٍ مِنْ قَوْلِهِمْ: «سَبَّحَانَ مَا سَبَّحَ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ»، وَيَكُونُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُقْسَمَ بِهِ.

وقوله: «مَا أَهْلٌ» يراد به: وما أَهْلٌ له، فحذف له لتقدّم ذكره وطول الكلام به. ويجوز أن يكون «مَا حَجَّ» في موضع المصدر، كأنه أقسم بحجّهم وإهلالهم، ويكون الضمير من له يعود إلى الله تعالى وإن لم يَجْرِ ذكره، لأن المراد مفهوم، أي: حَجُّوا له إقامةً لطاعته، وابتغاءً لمرضاته. وجواب القسم في قوله: «لَمْ يُنْسِنِي»، ويقال: أَخْرَمَ الرَّجُلُ بِالْحَجِّ فَهُوَ مُخْرِمٌ، وَقَوْمٌ حَرَامٌ وَخُرْمٌ وَمُخْرِمُونَ.

٢٧ - لَمْ يُنْسِنِي ذِكْرَكُمْ مَذْ لَمْ أَلَاقَكُمْ عَيْشٌ سَلَوْتُ بِهِ عَنْكُمْ وَلَا قِدَمٌ

٢٨ - وَلَمْ تُشَارِكْ عِنْدِي بَعْدُ غَانِيَةً لَا وَالَّذِي أَصْبَحْتُ عِنْدِي لَهُ نِعَمٌ

حَلَفَ بِمَا حَلَفَ أَنَّهُ لَمْ يَشْغَلْهُ عَنْ ذِكْرِهِمْ مِنْذُ حَصَلَ الْفِرْقَ بَيْنَهُمْ، لَا عَيْشٌ اسْتِطَابَهُ لِمُسَاعَدَةِ الزَّمَانِ لَهُ بِمَا سَرَّهُ فَتَسَلَّى عَنْهُمْ، وَلَا بَلَى مَا كَانَ يَسْتَجِدُّهُ كُلَّ وَقْتٍ مِنَ الْوَجْدِ بِهِمْ وَتَذَكَارَ عُهُودُهُمْ تَقَادُمُ أَيَّامٍ فَتَنَاسَاهُمْ، وَلَا شَارَكَهَا فِي مُسْتَوْطَنِ هَوَاهَا وَمَقَرَّ حُبِّهَا امْرَأَةً غَانِيَةً، فَتَضَاقِقَ عَنْهَا جِمَاهَا. ثُمَّ ثَنَّى الْيَمِينَ تَوْكِيدًا، فَقَالَ: لَا وَاللَّهِ الَّذِي أَصْبَحْتُ لَهُ عِنْدِي نِعَمٌ مُقَابَلَتُهَا بِالشُّكْرِ وَاجِبَةٌ لِلأَمْرِ كَمَا قُلْتُ، فَحَذَفَ لِأَنَّ الْمُرَادَ مَفْهُومٌ.

وقوله: «لَمْ يُنْسِنِي ذِكْرَكُمْ» يُجَابُ الْيَمِينَ مِنْ حُرُوفِ الثَّنْيِ بِمَا، وَلَكِنَّهُ اضْطُرَّ فَوَضَعَ لَمْ يُنْسِنِي مَوْضِعَ مَا أَنْسَانِي. وَلَا يَمْتَنِعُ أَنْ يَنْفَرِدَ الْقَسَمُ الْأَوَّلُ بِهِ جَوَابًا، وَيَكُونُ جَوَابُ الْقَسَمِ الثَّانِي: وَلَمْ تُشَارِكْ عِنْدِي، لِأَنَّهُ خَبَرٌ ثَانٍ، فَقَدَّمَ الْمُقْسَمَ لَهُ عَلَى الْمُقْسَمِ بِهِ، كَمَا تَقُولُ: مَا فَعَلْتَهُ وَاللَّهِ.

٢٩ - مَتَى أَمْرٌ عَلَى الشُّفَرَاءِ مُغْتَسِفًا خَلَّ النَّقَا بِمَرْوَجٍ لَحْمَهَا زَيْمٌ

٣٠ - وَالْوَشْمَ قَدْ خَرَجَتْ مِنْهَا وَقَابَلَهَا مِنْ الثَّنَايَا الَّتِي لَمْ أَقْلَهَا بَرَمٌ^(١)

قوله: «مَتَى أَمْرٌ» ابْتِسَاعًا وَاسْتِعْجَالًا بِمَا يَتِمُّهُ مِنَ الْعَوْدِ إِلَى هَذِهِ الْأَمَاكِنِ الَّتِي ذَكَرَهَا. وَرَوَاهُ بَعْضُهُمْ «حَتَّى أَمْرٌ»، وَيَتَعَلَّقُ حَتَّى بِقَوْلِهِ: «لَا وَالَّذِي أَصْبَحْتُ عِنْدِي لَهُ

(١) التبريزي: «لَمْ أَقْلَهَا ثَرَمٌ».

نَعَمْ، أي: حصلت له نَعَمْ عندي كي أُمَرَّ، لأنَّ لِحَتَّى موضعين، والفعل بعدهما منصوب: أحدهما أن يكون بمعنى لأنَّ وكَي، والثاني أن يكون بمعنى إلى أن، تقول: جئتُكَ حتى تُكْرِمَنِي، والمعنى: لأنَّ تُكْرِمَنِي، وكَي تَكْرِمَنِي. وتقول: انتظر حتى تخرج، والمعنى: إلى أن تخرج. والشُّقراء، قال الأصمعي: يعني فرسه، وعلى هذا يكون الشُّقراء والمَرْوَح قَرَسًا واحدًا. والباء من «بَمَرْوَح» يتعلق بقوله معتسفًا، وعلى الشُّقراء بأُمَرَّ، ويكون في موضع الحال، أي ركبًا الشُّقراء. وانتصب معتسفًا على الحال. والاعتساف: الأخذ على غير هداية ولا دراية. ويقال: فلان يتعسف الناس، أي يأخذهم بغير الحق. والخَل: الطريق في الرَّمْل. والثَّقَا: الرمل. والمَرْوَح: النسيط. ومعنى زِيَمَ: متفرق. ووَشَمَ وبَزَمَ: موضعان. والثَّنَايا: العقاب. ويروى: «من العقاب التي لم أقلها تُزَم»، وهي جمع تُزَمَة، وهي صدع يكون في الثَّيَّة. ومنه قولهم: فلان أثَرَم، إذا سقط بعض ثنياه فصارت بينهما فُرَجَة. ولم أقلها: لم أبغضها. وقد قيل في الشُّقراء: إنه موضع أو هضبة. وانعطف «الوشم» عليه، وبمَرْوَح حيثنذ يتعلق الباء منه بحثى أُمَرَّ. وعلى الوجه الأول تنصب الوشم وتُعطف على خَلِّ الثَّقَا.

- ٣١ - يا لَيْتَ شِعْرِي عَنْ جَنْبِي مَكْشَحَةٌ وَحَيْثُ يُبْنَى مِنَ الْحِثَاءِ الْأُطْمُ^(١)
 ٣٢ - عَنْ الْأَشَاءِ هَلْ زَالَتْ مَخَارِمُهَا وَهَلْ تَغَيَّرَ مِنْ آرَامِهَا إِرَامُ
 ٣٣ - وَجَنَّةٍ مَا يَذُمُّ الدَّهْرَ حَاضِرُهَا جَبَّارُهَا بِالنَّدَى وَالْحَنْلِ مُخْتَزِمُ

قوله: «يا ليت شعري» يا حرف النداء، والمنادى محذوف. وهذا الكلام تحسُر في إثر ما فاتته من أمر الأَرْضَيْنِ المذكورة. وشِعْرِي اسم ليت، وخبره محذوف لا يظهر البتة، ومعفولا شعري قوله: «هل زالت مخارمها».

وقوله: «عن جَنْبِي مَكْشَحَةٌ» بيان ما تَمَّى عِلْمَهُ، وفي أي جانب هو. ويروى: «عن جَزْعِي مَكْشَحَةٌ وَحَوْثُ». والجَزْع: جانب الوادي. ومَكْشَحَةٌ: أرض. وَحَوْثُ لغة في حيث، لأن فيه أربع لغات: حَيْثُ، وَحَيْثُ، وَحَوْثُ، فَالضَّمُّ تشبيها له بالغايات قبلُ وَبَعْدُ، والفتحة لِحَقَّتْهُ. والجَنَاءُ: أرض. والأُطْمُ: الحِصْنُ وكلُّ بناءٍ مرتفع، والجمع آطام.

(١) التبريزي؛ «عن جنبي مكشحة»، و«حيث تبنى».

وقوله: «عن الأشاءة»، فإن كان الأشاءة موضعا وبعض ما يقع عليه مكشحة فإنه بدل من عن جئني مكشحة، وقد أعيد حرف الجر معه. وإن كان الثخلة فإنه يجوز أن يريد بفتحها، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه. ولا يمتنع أن يكون أراد: وعن الأشاءة، فحذف العاطف كما تقول: رأيت زيذا، عمرا، خالدًا. وأنشدنا أبو علي الفارسي: [الخفيف]

كيف أصبحت كيف أمسيت ممّا يزرع الحبّ في فؤاد الكريم^(١)

فيقول: ليت علمي كان واقعا بأحوال هذه المواضع، وهل هي باقية على ما عهدتها من قبل، أو هل تغيرت أعلامها وزالت مخارمها. وإنما يدل على حنينه إليها، وتأسفه على البعد عنها.

وقوله: «وجئة»، يريد: وعن جئة حاضرها يرضى عن الدهر ويحمده، فلا يتسخط أيامه، ولا يذم عوارضه. والجبار من الثخل: ما فات اليد طولا.

وقوله: «بالندی والحمل محتزم» تنبيه على الخضب فيها، وعلى غصارة عيش سكانها. والاحتزام كالالتفاف، ويروى: «جأزها بالندی والخير».

٣٤ - فيها عقائل أمثال الدمي خرد لم يغذهن شقا عيش ولا يثم^(٢)

٣٥ - ينتابهن كرام ما يذمهم جار غريب ولا يؤذى لهم حشم

٣٦ - مخدمون يقال في مجالسهم وفي الرجال إذا صاحبهم خدم

قوله: «فيها» أي في الجئة. عقائل، أي: نساء كريمات، كأنهن الصور المنقوشة حسنا، منعمات لم تسهن فاقة وفقر، ولا جهدن بأيام أدبرت عنهن، ولا شقين بمناكة عيشهن، ولا أصبن بموت كافلهن أو قيمهن، عفيفات، حيات، لا يعرفن منكر الأخلاق، ولا ما يثين من الأفعال، فهن ربائب النعم، وغرائر الزمن، ومذلات العشائر والسكن.

وقوله: «ينتابهن كرام» مدح الرجال عطفًا على مدحهن، فقال: يدبر هؤلاء النسوة رجال كرام أعزاء، يحمدهم الجار الغريب، لوفائهم له بالعقد، وحسن تعطفهم عليه عند البلاء والجهد، ويرضى عنهم الخليط التسيب لجمال عشرتهم،

(١) بلا نسبة في الدرر ١٥٥: ٦، وديوان المعاني ٢: ٢٢٥، وشرح الأشموني ٢: ٤٣١.

(٢) التبريزي: «يثم».

وَكَرَّمَ أَخْلَاقَهُمْ، لَا كِبَرَ فِيهِمْ، وَلَا تَرْفَعَ مَعَهُمْ، ثُمَّ تَرَى حَشَمَهُمْ يَسْأَلُهُمُ الدَّانِي وَالْقَاصِي، لِعِزِّهِمْ وَحَمِيَّتِهِمْ وَنُصْرَتِهِمْ، وَذَهَابِ صِيَّتِهِمْ، وَهُمْ فِي مَجَالِسِهِمْ فِي الْحَضَرِ رِزَانٌ سَادَةٌ يَخْدُمُهُمْ مَنْ يَغْشَاهُمْ، وَفِي السُّفْرِ خِفَافٌ لَطَافٌ يُكْرَمُونَ الصُّحَابَةُ وَالْمُرَافِقَةُ، وَيَخْدُمُونَ الْغَاشِيَةَ وَالْمَجَاوِرَةَ، وَيَتَحَمَّلُونَ فِي أَحْوَالِهِمُ الْمُؤَنَ الْمَجِيفَةَ، وَفِي أَمْوَالِهِمُ الثَّوْبُ الْمُثْقَلَةُ. وَالْحَشَمُ: خَدَمَ الرَّجُلَ وَمَنْ يَحْشُمُ لَهُ، أَي: يَغْضِبُ عِنْدَ النَّازِلَةِ، وَيُدَافِعُ دُونَهُ لَطُرُوقِ الْكَائِنَةِ. وَقَوْلُهُ: «يَتَنَابَهُنَّ» يُرَوَى: «يَأْتَابَهُنَّ» يَفْتَعِلُ مِنَ الْإِيَابِ.

٣٧ - بَلْ لَيْتَ شِعْرِي مَتَى أَهْلُو تَعَارِضَنِي جَزَاءً سَابِحَةً أَوْ سَابِغَ قُدُمٍ

٣٨ - نَحْوِ الْأَمِيلِجِ مِنْ سَمْنَانَ مُبْتَكِرًا بِفَتْنَةٍ فِيهِمُ الْمَرَّارُ وَالْحَكَمُ^(١)

٣٩ - لَيْسَتْ عَلَيْهِمْ إِذَا يَغْدُونَ أَرْوِيَّةً إِلَّا جِيَادُ قَيْسِ النَّبْعِ وَاللُّجُمِ

بَل: حَرْفٌ يَدْخُلُ لِلإِضْرَابِ عَنِ الْأَوَّلِ وَالْإِثْبَاتِ لِلثَّانِي، كَأَنَّهُ لَمَّا صَرَفَ الْكَلَامَ عَمَّا كَانَ فِيهِ وَشَغَلَهُ بغيره أَتَى بِبَلٍّ، إِذَا نَا بِذَلِكَ؛ فَيَقُولُ: لَيْتَ عَلَيَّ وَاقِعٌ بِمَا يَقْتَضِي هَذَا السُّؤَالُ، وَهُوَ مَتَى ابْتَكَرَ مِنْ سَمْنَانَ نَحْوِ الْأَمِيلِجِ - وَهُمَا مَوْضِعَانِ - وَتَعَارَضَنِي فِي السَّيْرِ حِجْرٌ قَصِيرَةُ الشَّعْرِ، تَسْبِغُ فِي عَذْوِهَا، أَوْ ذَكَرَ سَابِغٌ يَسْبِغُ أَصْحَابَهُ وَيَتَقَدَّمُهَا مِنْ حَيْثُ جَرَى، وَمَعِيَ فِتْيَانٌ فِيهِمْ هَذَانِ الْمَذْكُورَانِ، ثُمَّ وَصَفَ الْفَتَيَانَ بِأَنَّهُمْ لَا يُهْمُهُمْ إِلَّا الْفُرُوسِيَّةُ وَرُكُوبُ الْخَيْلِ، وَإِعْدَادُ آلَاتِ الْحَرْبِ، وَالصَّيْدِ وَالطَّرْدِ. وَقَوْلُهُ: «إِلَّا جِيَادُ» رَفَعَهُ وَالْوَجْهَ الْجَيِّدَ النَّصَبِ، لِأَنَّهُ مُنْقَطِعٌ مِمَّا قَبْلَهُ، لَكِنَّ بَنِي تَمِيمٍ يَرْفَعُونَ مِثْلَ هَذَا عَلَى الْبَدَلِ. وَهَذَا يُشَبِّهُ بَدَلَ الْغَلَطِ، لِهَذَا ضَعُفَ فِي الْإِعْرَابِ.

وَالْبَيْتُ يَشَبُّهُ قَوْلُ لَبِيدٍ: [الْكَامِلُ]

فُرُطٌ وَشَاجِي إِذْ غَدَوْتُ لِجَامِهَا^(٢)

وَانْتَصَبَ «مُبْتَكِرًا» عَلَى الْحَالِ، وَقَيْسِيٌّ مَقْلُوبٌ، وَأَصْلُهُ قُوسٌ، وَيُرَوَّى: «قِيَّاسِ النَّبْعِ». وَالْمَرَّارُ قِيلَ: هُوَ أَخُوهُ. وَالْحَكَمُ: ابْنُ عَمِّهِ، كَذَا ذَكَرَهُ الْأَصْمَعِيُّ.

٤٠ - مِنْ غَيْرِ عُدَمٍ وَلَكِنْ مِنْ تَبَدُّلِهِمْ لِلصَّيْدِ حِينَ يُصْبِحُ الْقَائِصُ اللَّحْمَ

(١) التبريزي: «أَوْ سَمْنَانَ».

(٢) للبيد في ديوانه ٣١٥، واللسان (وشح، فرط)، وكتاب الجيم ٥١:٣، وصدرة:

«وَلَقَدْ حَمَيْتُ الْحَيَّ تَحْمِلُ شِكْتِي»

٤١ - فَيَفْزَعُونَ إِلَى جُرْذٍ مُسَحَّجَةٍ أَفْنَى دَوَابِرَهُنَّ الرِّكْضُ وَالْأَكْمُ^(١)

قوله: «من غير عَذْمٍ ولكن»، تعلق من يقوله: «ليست عليهم إذا يغدون أُرْدِيَةً». والمعنى: أن إخلالهم بلبس الأردية واستسراها والتأثق فيها، لا لِفَقْرِ وفاقَةٍ، لكن لَوَلوعهم بالصَّيْد، وتبذُلهم له في الوقت الذي يستمع الصَّائِد القَرْم إلى اللَّحْم إلى أصحابه، في اختيار مواضع الصَّيْد، وافتقاره لقلته. ويروى: «حين يُنادي السَّائِفُ اللَّحْمَ». قال الأصمعي: يريد يرتدُّون بِقَسِيهِمْ وَلُجْم خيلهم إذا ابتكروا، لا هم لهم غيره. والسَّائِف: الذي يَحْوشُ الصَّيْدَ على أصحابه، أي ينادي أصحابه باعًا على الأخذ، ومَحْذَرًا من القَوْتِ.

وقوله: «يفزعون إلى جُرْذٍ مُسَحَّجَةٍ»، أي: يلتجئون إلى خيل قصيرة الشعر، نشيطة، قد سَحَجَ بعضها بعضًا بالعض والاستنان. ويجوز أن يريد أن العمل والكُدَّ سَحَجَها، ألا ترى أنه قال: أفنى مآخِرَ حوافرِهِنَّ ركضُ الفُرسان لها، واستحثاثُهم إيَّاهَا، وتأثيرُ الإكَام في حوافرها، لأنَّ جَزِيَّهَا كان عليها. ويقال: أَكَمْتُ وَأَكَمْتُ، وإكَامَ وَأَكَمْتُ.

٤٢ - يَضْرَحْنَ صُمَّ الصُّفَا فِي كُلِّ هَاجِرَةٍ كَمَا تَطَايَحُ عَنْ مِرْضَاجِهِ الْعَجَمُ^(٢)

٤٣ - يَغْدُو أَمَامَهُمْ فِي كُلِّ مَرْبَاةٍ طَلَّاعُ أَنْجِدَةٍ فِي كَشْحِهِ هَضْمُ

أصل الضَّرْح الرَّمِي. وإِنَّمَا وَصَفَ الْخَيْلَ بِصَلَابَةِ الْحَوَافِرِ، وَأَنَّهَا تَكْثِيرُ مَا تَطَّوَّهُ مِنْ صِلَابِ الصُّفَا إِذَا سَارَتْ فِي الْهَاجِرَةِ. ثُمَّ شَبَّهَ مَا يَتَطَايَرُ مِنْ حَوَافِرِهَا مِنَ الْحَصَى بِمَا يَتَطَايَرُ مِنَ النَّوَى عَنْ مِرْضَاجِهِ. وَالْمِرْضَاجُ: الْحَجَرُ الَّذِي يُكْسَرُ عَلَيْهِ النَّوَى أَوْ بِهِ. وَمَعْنَى تَطَايَحَ: تَطَايَرَ.

وقوله: «يَغْدُو أَمَامَهُمْ» يعني في التَّصِيد. وَالْمَرْبَاةُ: الْمَخْرَسَةُ. وقوله: «طَلَّاعُ أَنْجِدَةٍ» جمع نَجْدٍ كَفَرَجٍ وَأَفْرَجَةٍ، وَلَا يَمْتَنِعُ أَنْ يَكُونَ أَنْجِدَةً جَمْعُ نَجَادٍ، وَنَجَادٌ جَمْعُ نَجْدٍ، فَيَكُونُ أَنْجِدَةً جَمْعُ الْجَمْعِ. وَيُقَالُ: طَلَّعَ الْجَبَلَ، إِذَا عَلَّاهُ. وَالْهَضْمُ: انْضِمَامُ الضُّلُوعِ. يَصِفُ خَفَّتَهُ وَشَهَامَتَهُ، وَابْتَذَالَهُ نَفْسَهُ فِي الصَّيْدِ وَالْفُرُوسِيَّةِ.

(١) التبريزي: «إلى جرد مسومة».

(٢) التبريزي: «يرضخن، مرضاخة»، وقال في تفسيره: «أصل الرضخ الرمي، والمرضاخ: الحجر الذي يكسر عليه النوى أو به».

٥٧٩ - وقال عمرو بن ضبيعة الرقاشي^(١) :

[الطويل]

١ - تَضِيْقُ جُفُونُ الْعَيْنِ عَنْ عَبْرَاتِهَا فَتَسْفَحُهَا بَعْدَ التَّجَلُّدِ وَالصَّبْرِ

٢ - وَغُصَّةٌ صَدْرٍ أَظْهَرَتْهَا فَرَفَهَتْ حَرَاةَ حَرٍّ فِي الْجَوَانِحِ وَالصُّدْرِ

العبرة: الدُّمعة، وقد استعبر، أي: جرتْ عَبْرَتُهُ، ويقال: لأَمُه العُبر، وأراه عُبر عَيْنِهِ، أي: سُخْنَةُ عَيْنِهِ وما أبكاه، فيقول: تمتلئ العين دُمْعًا حَتَّى تَتَضَايَقَ جَفُونُهَا عَنْ احْتِبَاسِهِ، فَتَصْبُهَا بَعْدَ تَجَلُّدٍ مِنْهَا فِي الْإِخْفَاءِ، وَتَصْبِرُ عَلَى مَدَافَعَةِ الْبُكَاءِ.

وقوله: «وُغُصَّةٌ صَدْرٍ»، يريد: غُمَّةٌ اغْتَصَصَ بِهَا الصُّدْرُ فَأَظْهَرَتْهَا، بَعْدَ أَنْ كَانَتْ لَا تَسُوغُ بِتَنْفُسِ الصُّعْدَاءِ، فَسَكُنَتْ تَفْطِيعَ لَوْعَةٍ تَمَكَّنَتْ بَيْنَ الْجَوَانِحِ وَالصُّدْرِ. وَالْحَرَاةُ: وَجَعٌ فِي الْقَلْبِ مِنْ أَذَى يُصِيبُهُ. وَالْجَوَانِحُ: الْأَضْلَاعُ الْقَصِيرَةُ، الْوَاحِدَةُ جَانِحَةٌ. وقوله: «رَفَهَتْ»: وَسَعَتْ، وَعَيشَ رَافَةً.

٣ - أَلَا لِيَقُلَنَّ مَنْ شَاءَ مَا شَاءَ إِنَّمَا يَلَامُ الْفَتَى فِيمَا اسْتَطَاعَ مِنَ الْأَمْرِ

٤ - قَضَى اللَّهُ حُبَّ الْمَالِكِيَّةِ فَاضْطَبِرَ عَلَيْهِ فَقَدْ تَجَرَّى الْأُمُورُ عَلَى قَدْرِ

ألا: افتتاحُ كلام. واللام من «ليقل» لام الغائب، وقد يدخل في فعل الحاضر، على ذلك ما رَوَى عن النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَرَأَ: ﴿فَذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾ [يونس: الآية ٥٨]. وقوله: «ما شاء» أراد ما شاء أن يقوله، فحذَفَ المفعول، وكذلك قوله: «من شاء» محذوفُ المفعول، أي: من شاء القول؛ فَإِنَّ الْمَلَامَ يَسْتَحِقُّهُ الْفَتَى فِيمَا يُطِيقُهُ وَيَدْخُلُ تَحْتَ مَقْدُورِهِ ثُمَّ لَا يَفْعَلُهُ، فَأَمَّا مَا لَا يَطِيقُهُ فَقَدْ سَقَطَ اللَّوْمُ فِيهِ عَنْهُ.

وقوله: «قَضَى اللَّهُ حُبَّ الْمَالِكِيَّةِ»، يريد: حَتَمَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ وَأَوْجَبَهُ، فَتَكَلَّفَ الصَّبْرَ فِيهِ، فَقَدْ تَجَرَّى الْأُمُورُ عَلَى قَدْرِ، أي على تقدير، تَضِيْقُ السُّبُلُ عَنْ الْإِنْفِكَاءِ مِنْهُ، فَلَا حِيلَةَ فِيهِ إِلَّا التَّزَامُهَا. وَهَذَا تَسْلِيَةٌ مِنْ لِنَفْسِهِ وَبَعَثَ لَهَا عَلَى الرِّضَا بِمَا قُسِمَ لَهُ، وَقَضِيَ عَلَيْهِ.

٥٨٠ - وقالت وجيهة بنت أوس الضبيّة^(٢) :

[الطويل]

١ - وَعَاذِلِي تَغْدُو عَلَيَّ تَلُومُنِي عَلَى الشُّوقِ لَمْ تَمْنَحِ الصَّبَابَةَ مِنْ قَلْبِي

(١) عمرو بن ضبيعة الرقاشي: شجاع، من الرؤساء، خرج مع ابن الأشعث على الحجاج وعبد الملك بن مروان في العراق، وشهد وقعة دير الجماجم وقتل يوم مسكن. (ت ٨٣ هـ / ٧٠٢ م). ترجمته في: الكامل لابن الأثير ٤: ١٨٦.

(٢) الأبيات في الحماسة البصرية ٢: ١٤٨، وفي معجم البلدان (القصية).

٢ - فما لي إِنْ أَحْبَبْتُ أَرْضَ عَشِيرَتِي وَأَبْغَضْتُ طَرْفَاءَ الْقُصَيَّةِ مِنْ ذَنْبٍ

تقول: رُبُّ لائِمَةٍ هُمَّا مقصودٌ على لومي وعَنِّي، فيما أهواه وأميلُ إليه، وأعد نفسي به فتتشوِّفه، فلا يُوَدِّي عَتْبُهَا إلى طائل لها، لأنَّ تَنْصَحَهَا مردود، ووعظها مدفوع، ولا إلى طائل لي؛ إذ كان لا تَزْدَاد الصَّبَابَةُ في قلبي إلَّا تَمَكَّنًا وَثَبَاتًا، ولا الاشتياق اللازم لي إلَّا ازديادًا ودوامًا، وأنا إذا أَحْبَبْتُ أَرْضَ عَشِيرَتِي ورهطي، ووطنَ أَجَبَتِي وأهلي، وَمَسَقَطَ رَأْسِي، وحيث حلَّ الشَّبَابُ تَمِيمَتِي، وَأَبْغَضْتُ الْقُصَيَّةَ مَنِيَّتِ الطَّرْفَاءَ، أَرْضًا لم أَقْضِ مَأْرَبَةً فيها، ولا أَوْجَبْتُ مَذْمَةً لها، فلا ذَنْبَ لي أَلَامُ فيه، ولا جريرةٌ مُكْتَسَبَةٌ فَأَعْتَبَ عليها. وقوله: «من ذَنْبٍ» في موضع الرفع، لأنَّه اسمٌ مالي، وجواب الجزاء من قوله: «إِنْ أَحْبَبْتُ أَرْضَ عَشِيرَتِي» في قوله: «ما لي من ذنب»، وجواب رُبُّ في قوله: «لم تَمُحُ الصَّبَابَةُ».

٣ - فَلَوْ أَنَّ رِيحًا أَبْلَغَتْ وَخِي مُرْسِلٍ خَفِيٍّ، لَنَاجَيْتُ الْجَنُوبَ عَلَى الثُّقْبِ^(١)

٤ - فَقُلْتُ لَهَا أَدِي إِلَيْهِمْ تَحِيَّيَ وَلَا تَخْلِطِيهَا، طَالَ سَعْدُكَ، بِالْثَرْبِ^(٢)

٥ - فَلِإِنِّي إِذَا هَبَّتْ شَمَالًا سَأَلْتُهَا هَلِ ارْزَادَ صَدَاحُ الثُّمَيْرَةِ مِنْ قُرْبٍ

الْوَحْي: مصدر وَحَيْتُ لك بخير، أي أجبرت؛ ويستعمل أَوْحَى وَوَحَى في معنى البَعث والإلهام. والإيحاء: الإيماء والإشارة، فيقول: لو أَنَّ رِيحًا أَدَتْ خَبِرَ مُرْسِلٍ، أو بَعَثَ مُلِحٌّ مُتَفِدٍّ لَسَارَزَتْ رِيحَ الْجَنُوبِ عَلَى الطَّرِيقِ - وَالْخَفِيُّ يكون المُلِحُّ، ويكون اللُّطِيفَ، ومصدره الحَفَايَة. والثُّقْبُ: الطَّرِيقُ فِي الْجَبَلِ - وَلَقُلْتُ: يا رِيحُ بَلِّغِيهِمْ تَحِيَّيَ، وَضُونِيهَا عَنِ الْإِذَالَةِ، وَخَلِطِيهَا بِالتَّرَابِ، أَطَالَ اللهُ سَعَادَتَكَ. وقوله: «طَالَ سَعْدُكَ» دعاءٌ لها، وهو من الاعتراضات المستحسنَة. ومثله قولُ الآخر: [الطويل]

فَمَا مَكَّنَّا دَامَ الْجَمِيلُ عَلَيْكَا بِئِهْلَانِ إِلَّا أَنْ تُزَمَّ الْأَبَاعِرُ

وقول الآخر: [السريع]

إِنَّ الثُّمَانِينَ وَيُلْفَتُهَا قَدْ أَخَوَجَتْ سَمْعِي إِلَى تَرْجُمَانٍ^(٣)

(١) التبريزي: «فلو أن ريحاً بلغت».

(٢)

التبريزي: «أدّي إليهم رسالتي».

(٣) لعوف بن محلم الخزاعي في الدرر ٣١: ٤، واصفات الشعراء ص ١٨٧، ومعاهد التنصيص ٣٦٩: ١.

وقوله: فَإِنِّي إِذَا هَبَّتِ الرِّيحُ شَمَالًا، انتصابه على الحال. وسَاغَ ذلك فيه لكونه صفةً لا اسمًا. وعلى هذا الجَنُوب والقُبُول والدَّبُور، يجوز في جميعها أَنْ تقع أحوالاً لكونها صفاتٍ. وكَانَ الجَنُوب كانت تَهُبُّ من نحو أرضه مستقبلَةً لديار أحبته، فلذلك جعلها رسوله. وكانت الشَّمالُ تَهُبُّ من ناحية أرض حبيبه مستقبلَةً ببلاده، فلذلك زعم أنه يسألها عما استعْجَمَ عليه من أخبارهم.

وقال ابن الأعرابي: مَهَبُ الجَنُوبِ يَمَانٍ من قِبَلِ اليَمَنِ، وقَلَمَا تَسْرِي بالليل، وهي مباركة. والشَّمالُ شَامِيَةٌ، فهي أكثر الرِّياحِ هبوبًا، وهي صاحبة الشتاء.

و«صَدَاخُ الثَّمِيرَةِ»، الصَّدْح: الصَّوْت، يقال: صَدَحَ الدَّيْكَ والغُرَابُ، إِذَا صَوَّتَا. ويعني جَلَبَةً الصَّوْتِ ونداء داعيهم. والمُنَادِي بالرحيل فيهم كأنه ينتظرهم لحضور وقت انتجاعهم ونَهَضَاتِهِمْ، وكان يتعرَّف ذلك ليستبشِّر به.

٥٨١ - وقال مُرْدَاسُ بْنُ هَمَّاسِ الطَّائِي^(١): [الطويل]

- | | |
|---|---|
| ١ - هَوَيْتُكَ حَتَّى كَادَ يَفْتُلُنِي الْهَوَى | وَرَزْتُكَ حَتَّى لَامَنِي كُلُّ صَاحِبٍ |
| ٢ - وَحَتَّى رَأَى مِنِّي أَدَانِيكَ رِقَّةً | عَلَيْكَ وَلَوْلَا أَنْتَ مَا لَانَ جَانِبِي ^(٢) |
| ٣ - أَلَا حَبُودًا لَوْ مَا الْحَيَاءُ وَرُبَّمَا | مَنْخَتْ الْهَوَى مَا لَيْسَ بِالْمُتَقَارِبِ |
| ٤ - بِأَهْلِي ظَبَاءَ مِنْ رِبِيعَةِ عَامِرٍ | عَذَابُ الثَّنَائِيَا مُشْرِفَاتُ الْحَقَائِبِ |

يقول: بلغت الغاية القصوى في كلِّ ما كان فيكَ ولك، فحملت نفسي من أعبار الهوى وطلب الثناهي فيه ما كاد يأتي عليّ، أعد ذلك واجِبًا لكَ أودبه، وفَرَضًا من حقوقك أقيمه وآتيه، ثم أَدَمَنْتُ الزَّيَارَةَ خَادِمًا، وتردَّدت في التعرف والاستعطاف متقرِّبًا، حَتَّى تَوَجَّهَ إِلَيَّ اللُّؤْمُ من أصحابي، واستسرفني في البرِّ جِيرَتِي وأودائي، وإلى أَنْ ظَهَرَ لِأَقَارِبِكَ شَفَقَتِي عَلَيْكَ وَرِقَّتِي، ووضَّح ما اشتهر به أمري عندهم وعُرف. ولولا أَنْتَ لَبَقِيتُ على ما وَجَدت عليه قديمًا من صيانة النَّفْسِ وإكرامها وتبعيدها عن المراكب الشَّائنة المؤذية إلى ابتذالها، فلم يَلِنْ جانبي، ولم يَزُلْ جِمَاحِي وصعوبي.

(١) التبريزي: «مرداس بن همام الطائي»، وفي معجم المرزباني ص ٤٧٤: «مزار بن مياس الطائي».

(٢) التبريزي: «رأوا مني. عليهم، ...».

وقوله: «أَلَا حَبِذًا» المحبوبُ محذوفٌ، كما حُذِفَ المَحْمودُ في قوله تعالى: ﴿يَعْمَلُونَ لَكَ الْغُبُورَ إِنَّهُ أَوَّلُ الْبَرِّ﴾ [ص: الآية ٣٠]، والمراد حَبِيبٌ إِلَيَّ التَّهْتِكُ في الهوى، وتجاوز المألوف فيه إلى المستشنع القبيح، لولا الحياء، على أنني ربما مَنَحْتُ هَوَايَ ما لا مَطْمَعٍ في بلوغه ودنؤه. وهذا كما قال أبو تمام: [الكامل]

غَالِيِ الْهَوَى، مِمَّا يَرْقُصُ هَامَتِي أَزْوِيَةَ الشَّعْفِ التي لم تُسْهَلِ^(١)

وقوله: «بَاهِلِي ظِبَاءَ» رجوعٌ منه إلى استلذاذ الهوى وإظهار التجلُّد فيه، فيقول: أَقْدِي بِأَهْلِي نِسَاءً من ربيعةٍ عامِرٍ، عَذَابِ الْمَبَاسِمِ، حِسَانِ الشُّغُورِ وَالْمَضَاحِكِ، عَظِيمَاتِ الْأَكْفَالِ، مُشْرِقَاتِ الْأُرْدَافِ.

والحقائب: جمع الحقيبة، وهي عَجْرُ الرَّجُلِ والمرأة جميعًا. ويقال: امرأةٌ نُفُجٌ الحَقِيبة. والقَصْدُ بالتَّقْدِية في قوله: «بَاهِلِي ظِبَاءَ» إلى صاحبتِه، وإن كان لفظه عامًا لها ولغيرها.

٥٨٢ - وقال بعض بني أسد^(٢): [الطويل]

١ - تَبِغْتُ الْهَوَى يَا طَيْبُ حَتَّى كَأَنِّي مِنْ أَجْلِكَ مَضْرُوسُ الْجَرِيرِ قَوْودُ

٢ - تَعَجَّرَفَ دَهْرًا ثُمَّ طَاوَعَ أَهْلَهُ فَصَرَّفَهُ الرُّوَاضَ حَيْثُ تُرِيدُ^(٣)

٣ - وَإِنْ ذِيَادَ الْحُبِّ عَنْكَ وَقَدْ بَدَتْ لِعَيْنِي آيَاتُ الْهَوَى لَشَدِيدُ

يقول: أعطيتُ الهوى مَقَادَتِي فيكَ، فتبغته حيث جَرَّنِي، لا أتمنُّ عليه، ولا أطلبُ معدولاً إليه، حتَّى صرْتُ كَأَنِّي بغيرِ قَدِ عَضِّهِ الْجَرِيرُ فَلَانَ وانقاد. والجَرِيرُ: حَبْلٌ مَضْفُورٌ من أَدَم. والضَّرْسُ: العَضُّ. والقَوُود: فعول في معنى مفعول، فهو كَالْقَتُوبِ والرُّكُوبِ، والهمزة فيه بَدَلٌ من العين.

وقوله: «تَعَجَّرَفَ»، أي: أَخَذَ غَيْرَ الْقَصْدِ زَمَانًا، لَأَنَّهُ كَانَ صَغْبًا ثُمَّ تَذَلَّلَ ودخل في طاعة مداورِهِ، وهذا مثلُ ضَرْبِهِ لِلنَّفْسِ في ابتداء هواه، وأَنَّهُ تَأَبَّى عَلَيْهِ مُدَّةٌ، فتردَّد بين جِدِّهِ وَهَزْلِهِ، واقتساره ولبانِهِ، حتَّى رَكِبَ مِنْهُ كُلُّ مَرْكَبٍ، واستوطأ ظَهْرُهُ كُلَّ اسْتِطَاءٍ. فهذا معنى: «وَصَرَّفَهُ الرُّوَاضَ حَيْثُ تُرِيدُ».

(١) ديوانه ٢٣٣.

(٢) الأبيات في معجم البلدان (غضور)، وأمالِي القالي ١٠١: ٣.

(٣) التبريزي: «فَصَرَّفَهُ الرُّوَادُ».

وقوله: «وَأَنْ زِيَادَ الْحُبِّ عَنْكَ»، يريد: أَنْ دَفَاعَ حُبِّهِ عَنْهَا وَصَرْفَهُ عَنِ صَغْبٍ وقد بَدَتْ آيَاتُ الْهَوَى. والمعنى: أَنَّ لِلْهَوَى عِلَامَاتٍ حَيْثُ مَالَتْ بِالْإِنْسَانِ ذَهَبَ معها، فَيَعُدُّ الْعَيَّ رُشْدًا، وَيَرَى التَّهَالُكَ فِيهِ حَيَاةً، وَلَوْ رَامَ دَفْعَ حُبِّهِ عَنْهُ، وَلَيَّ نَفْسِهِ دُونَهُ، لَتَعَدَّرَ وَامْتَنَعَ.

٤ - وَمَا كُلُّ مَا فِي النَّفْسِ لِلنَّاسِ مُظْهَرٌ وَلَا كُلُّ مَا لَا تَسْتَطِيعُ تَذَوُّدُ^(١)

٥ - وَإِنِّي لِأَرْجُو الْوَضْلَ مِنْكَ كَمَا رَجَا صَبْدِي الْجَوْفِ مُرْتَادًا كُدَاهُ صَلَوْدُ

يقول: ليس جميع ما يشتمل عليه صدري، ويشقى في الهوى بتحمله جوانحي، ممكنًا إظهاره، ولا كل ما تطيقه النفس، أو لا تنهض به، يسهل دفعه، فأنا أسير الهوى وتبيعه، متردد في بلواه، لا أجد منه مخلصًا، ولا أستطيع عنه ملجئًا ومناصًا.

وقوله: «وَأِنِّي لِأَرْجُو الْوَضْلَ مِنْكَ»، يقول: وَعَلَى مَا أَصَفُهُ مِنْ حَالِي فِيكَ أَرْجُو وَصَالِكَ رَجَاءَ إِنْسَانٍ شَدِيدِ الْعَطَشِ، يَطْلُبُ الْمَاءَ مِنْ مَوْضِعٍ حَفَرَهُ فَاكْدَى، أَيْ بَلَغَ كُدَيْتَهُ، وَهِيَ حَجَرٌ يَغْرُضُ فِي الْبَثْرِ عِنْدَ الْإِحْتِفَارِ فَيَمْتَنِعُ قِطْعُهُ بِالْمَعَاوِلِ، وَجَمْعُهَا كُدَى، وَهَذَا مَثَلٌ. والمعنى: أَنَّ رَجَائِي فِي خَيْرِكَ مَعَ حَاجَتِي رَجَاءَ رَجُلٍ عَطْشَانٍ يَطْلُبُ الْمَاءَ وَيَرْجُوهُ مِنْ بَثْرٍ هَكَذَا. وَالصَّلَوْدُ: الْيَابَسُ، وَيُقَالُ لِلْبَخِيلِ: أَضْلَدُ وَصَلْدُ وَصَلَوْدُ، تَشْبِيهًا بِهِ، وَكَذَلِكَ زَنْدُ صَلَوْدُ إِذَا لَمْ يُورَ. وَالْمُرْتَادُ: الطَّالِبُ، وَمَفْعُولُهُ مُحذوفٌ، وَيَجُوزُ أَنْ يُعْنَى بِالْمُرْتَادِ الْمَطْلُوبِ، وَيُرَادُ بِهِ الْمَاءُ، وَقَدْ أَقَامَ الصِّفَةَ مَقَامَ الْمَوْصُوفِ، وَعَلَى الْوَجْهِ الْأَوَّلِ يَنْتَصِبُ عَلَى الْحَالِ.

٦ - وَكَيْفَ طَلَابِي وَضِلَ مَنْ لَوْ سَأَلْتَهُ قَذَى الْعَيْنِ لَمْ يُطْلَبْ وَذَلِكَ زَهِيدُ

٧ - وَمَنْ لَوْ رَأَى نَفْسِي تَسِيلُ لَقَالَ لِي أَرَاكَ صَحِيحًا وَالْفُؤَادَ جَلِيدُ

يصف بخُلها وتمتعها، فيقول: كيف أستجيز طلبَ وصالٍ إنسانٍ لو سألتَه إزالة قَذَى الْعَيْنِ لَمْ يُجِبْنِي إِلَيْهِ، وَذَلِكَ قَلِيلٌ فِيمَا يُسْأَلُ وَيُلْتَمَسُ، فَحَذَفَ الْمُضَافَ، وَأَقَامَ الْمُضَافَ إِلَيْهِ مَقَامَهُ؛ كَمَا قَالَ الْآخَرُ^(٢): [البسيط]

يَا صَخْرُ وَرَادَ مَاءٍ قَدْ تَنَادَرَهُ أَهْلُ الْمَوَارِدِ مَا فِي وَرْدِهِ عَارُ

(١) التبريزي: «وما كل ما في النفس لي منك مظهر»، وما لا نستطيع نذود.

(٢) للخنساء في ديوانها، والكامل ٧٣٧ (ليسك).

يريدُ: ما في ترك وُرويه عازٍ، فحذَف المضاف. ويجوز أن يريد: لو سألتَهُ أَلَا يُقْذِي عيني، كما تقول: سألت فلاناً ضربَ فلان، أي استوهبته ضربه لم يُطْلِنني. ويجوز أن يريد: من لو سألتَهُ تافهاً لا خَطَرَ له ولا اعتدادَ به، فَضْرَبَ المثلَ بالقُدَى، والمعنى: لو سألتَهُ ما يُقْذِي العين.

وقوله: «مَنْ لو رأى نفسي» عَطَفَهُ على مَنْ لو سألتَهُ، يريد: ولو رأى دَمِي يَسِيلُ لقال لِقِسوة قلبه عليّ: أراك صحيحاً لا داءَ بِكَ ولا آفة، وقلبه جليدٌ، أي: يرقُ لي ولا يرحمني. والمراد على هذا بالقلب: قلبُ المرأة، ويكون الواو في «والفؤاد» واو الحال، ويجوز أن يكون من تمام الحكاية ومن كلام المرأة، والمعنى: أنها تقول مع ما تَرَى من سَيِّلان دمي: أرى نفسَكَ صحيحة، وقلبك ثابتاً ماضياً، لا آفة بك ولا غائلة.

٨ - فَبِأَيْهَا الرِّيمُ الْمُحَلَّى لَبَانُهُ بَكَزَمَيْنِ كَزَمَنِي فَضَّةً وَفَرِيدُ
٩ - أَجْدِي لَا أُمْسِي بِرَمَّانٍ خَالِيَا وَغَضُورَ إِلَّا قِيلَ أَيْنَ تُرِيدُ^(١)

كأنه استعطفها وذكرها اشتهازه بها، وتوجَّه التَّهَم إليه بسببها، حتَّى ضاقَ بهذين الموضوعين مَجَالَهُ، وتعسَّر عليه وإن تفرَّدَ فيها إمساؤه.

والرَّيْمُ: الطَّيْبِي الخالِصُ البياض. والمُحَلَّى لَبَانُهُ، أي ترائيه. بَكَزَمَيْنِ، أي: بقلادتين. والفَرِيد: الدَّر. واللَّبَانُ: الصَّدْر. وقوله: «وفريد» إن جعلته معطوفاً على فَضَّة يكون إقواء، ولك أن ترفعه بالابتداء والخبرُ محذوف، كأنه قال: وفريدُ فيهما. وَبُرُوى: «كَزَمًا فَضَّةً وفريد»، فينعطف الفريد على «كَزَمًا»، ويكون الكلام على الاستئناف لا الإبدال، كأنه قال: هما كَزَمًا فَضَّةً وفريد، وهذا أصحُّ وأجود.

وقوله: «أَجْدِي»، يريد: أعلى جِدُّ مَنِي هذا الأمر، وهو أَنِّي لا أُمْسِي منفرداً بنفسِي بِرَمَّانٍ وَغَضُورَ إِلَّا قِيلَ: أَيْنَ مُرَاذُكَ. و«أَجْدِي» في موضع المصدر، والفعل العامل فيه محذوف، وذكر الإماء والمراد الإماء والإصباحُ جميعاً، لكنَّهُ اكتفى بذكر أحدهما لعلم الناسِ بأنَّ حالَهُ فيما ذكره يستوي فيه اللَّيْل والنَّهار.

٥٨٣ - وقال رجلٌ من بني الحارث: [الطويل]

١ - مَنِي إِنْ تَكُنْ حَقًّا تَكُنْ أَحْسَنَ الْمُنَى وَإِلَّا فَقَدْ عَشِنَا بِهَا زَمَنًا رَغَدًا

(١) التبريزي: «لا أمشي».

٢ - أَمَانِيٍّ مِنْ سُعْدَى حِسَانًا كَأَنَّمَا سَقَنَكَ بِهَا سُعْدَى عَلَى ظَمِيمٍ بَرْدًا^(١)

المُنَى: جمع مُنْيَةٍ، وموضعها من الإعراب رَفَعَ على أَنَّهُ خبر مبتدأ محذوف، كَأَنَّهُ قال: هِيَ مُنَى، فيقول: هذه الخصال التي نَعُدُّ بِهَا أَنْفُسَنَا فِي هذه المرأة وَتَعِدُّنَا بِهَا، لَا تَخْلُو مِنْ أَنْ تَكُونَ صَادِقَةً أَوْ كَاذِبَةً؛ فَإِنْ جَاءَتْ صَادِقَةً مُحَقِّقَةً فَهِيَ أَحْسَنُ الْأَمَانِي وَأَوْفَقُهَا لِلنَّاسِ، وَإِنْ كَانَتْ كَاذِبَةً فَإِنَّا نَعِيشُ بِذِكْرِهَا مُنْتَظِرِينَ لَهَا زَمَنًا مَمْتَدًا، وَعِيشًا وَاسِعًا رَافِعًا.

وقوله: «أَمَانِيٍّ مِنْ سُعْدَى»، نَضَبٌ بِإِضْمَارِ فِعْلٍ، كَأَنَّهُ قال: أَذْكُرُ أَمَانِيٍّ مِنْ سُعْدَى. وَكَثُرَ لَفْظُ سُعْدَى تَلَذُّدًا لاسِيَمِهَا، وَقَدْ تَقَدَّمَ الْقَوْلُ فِي أَنَّ الْأَعْلَامَ وَأَسْمَاءَ الْأَجْنَاسِ يُفَعَّلُ بِهَا ذَلِكَ. وَالْمَعْنَى: أَذْكُرُ أَمَانِيٍّ مِنْ هذه المرأة جَمِيلَةً تُزَجِّي أَوَقَاتَنَا، وَكَأَنَّ مَوْقِعَهَا مِنْ قُلُوبِنَا مَوْقِعَ الْمَاءِ الْبَارِدِ مِنْ ذِي الْعُلَّةِ الصَّادِي. وَقوله: «زَمَنًا رَغَدًا»، الرَّغْدُ: السَّعَةُ فِي الْعِيشِ، وَيُقَالُ: عِيشَ رَاغِدًا وَرَغِيدًا. وَانْتِصَابَ رَغَدًا عَلَى أَنَّهُ صِفَةٌ لِمَصْدَرٍ مَحْذُوفٍ، كَأَنَّهُ قال: عِشْنَا عَيْشًا رَغَدًا بِهَا زَمَنًا، وَلَا يَمْتَنِعُ أَنْ يَكُونَ صِفَةً لِقَوْلِهِ زَمَنًا، كَأَنَّهُ قال: عِيشًا وَاسِعًا. وَقوله: «عَلَى ظَمِيمٍ بَرْدًا»، يَرِيدُ: مَاءٌ ذَا بَرْدٍ.

٥٨٤ - آخِرُ^(٢): [الطويل]

١ - وَخَبِرْتُ سَوْدَاءَ الْقُلُوبِ مَرِيضَةً فَأَقْبَلْتُ مِنْ أَهْلِي بِمِضْرَ أَعُودِهَا

٢ - فَوَاللَّهِ مَا أَذْرِي إِذَا أَنَا جِشْتُهَا أَأَبْرِئُهَا مِنْ دَائِهَا أَمْ أَزِيدُهَا

قوله: «خَبِرْتُ» تَتَعَدَّى إِلَى ثَلَاثَةِ مَفَاعِيلٍ، وَمَرِيضَةُ الْمَفْعُولِ الثَّالِثِ. وَقوله: «أَعُودِهَا» فِي مَوْضِعِ الْحَالِ مِنْ أَقْبَلْتُ. وَيَجُوزُ أَنْ يَرِيدَ بِقَوْلِهِ: «سَوْدَاءَ الْقُلُوبِ» أَنَّهَا تَحُلُّ مِنَ الْقُلُوبِ مَحَلَّ السُّوْدَاءِ مِنْهُ، كَأَنَّ الْقُلُوبَ عَلَى اخْتِلَافِهَا تَمِيلُ إِلَيْهَا وَتَنْطَوِي عَلَى حَبِّهَا. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ كَانَ اسْمُهَا سَوْدَاءَ وَأَضَافَهَا إِلَى الْقُلُوبِ؛ كَمَا قَالَ ابْنُ الدُّمَيْنِيِّ: [الطويل]

قَفِي يَا أَمِيمَ الْقَلْبِ نَقْضِ تَحِيَّةٍ وَنَشْكُو الْهَوَى ثَمَّ أَفْعَلِي مَا بَدَا لَكَ^(٣)

(١) التبريزي: «أَمَانِيٍّ مِنْ سُعْدَى رَوَاءَ كَأَنَّمَا».

(٢) هو العوام بن عتبة بن كعب بن زهير حسب رواية التبريزي، وهو شاعر مجيد من أهل الحجاز، نبغ في العصر الأموي وزار مصر. ترجمته في: العيني ٢: ٤٤٢، والمرزباني ص ٣٠١.

(٣) البيت في ديوانه ١٣، ومصارع العشاق ١: ٢٥٢.

ويجوز أن يكون أراد أنها قاسية القلب سوداؤه، فجمع القلب بما حوله فقال القلوب، أو لأنها كأن لها مع كل متيم بها قلبًا، فقال القلوب على ذلك؛ فيقول: نُبِيت أنها تألمت لعارض علة، فأقبلت من أهلي بمصر عائداً لها، ووالله أخلف ما أدري إذا حصلت عندها أصبر شفاء مما بها، أو أزيد في شكاوها لتبرئها بي؛ كأنه ظن بها تنكراً وخوفاً عن العهد. وقوله: أم أزيدها، يريد: أم أزيدها داءً، فحذف لأن المراد مفهوم.

٥٨٥ - وقال آخر: [البسيط]

١ - إني وإياك كالصادي رأى نهلاً ودونه هوة يخشى بها التلأفاً

٢ - رأى بعينيه ماء عز مورده وليس يملك دون الماء منصرفاً

يقول: مثلي ومثلك في مساس حاجتي إليك، وتناهي رغبتني في وصلك والتلئ منك، وفي احتجازك عني وامتناعك مني، مثل رجل عطشان شاهد ماء، وقد حال بينه وبين وروده وهدة عميقة يخشى من اقتحامها الهلاك، فالماء بمرأى منه، وقد غلبه المانع عنه، ليس يقدر على انصرافه من دونه، لغلبة العطش عليه، وشدة الفاقة إليه، فكذا أنا وأنت. وقوله: «رأى نهلاً» في موضع الحال، وقد مقدرة في الكلام، لأن رأى بناءً للماضي. والتهلل والمتهل: الماء، وموضع الماء. وقوله: «ودونه هوة» في موضع الصفة للتهل، كما أن عز مورده في موضع الصفة للماء. وإنما قال: «رأى بعينه» فذكر العين تأكيداً للرؤية. ومثله قوله تعالى: ﴿وَلَا ظَلِمَ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ [الأنعام: الآية ٣٨] وما أشبهه.

٥٨٦ - وقال آخر^(١): [الطويل]

١ - ألا بأبينا جعفر وبأمننا نقول إذا الهيجاء سار لواءها

٢ - ولا عيب فيه غير ما خوف قومه على نفسه ألا يطول بقاؤها

قوله: «ألا بأبينا»، الجملة في موضع المفعول لقوله نقول. والباء من «بأبينا» تعلّق بفعل مضمر، والمراد: نُقْدي بأبينا وأمهاتنا جعفرًا إذا سار الخميس وحمل لواء الجيش قاصداً إلى الهيجاء. وأضاف اللواء إلى ضمير الهيجاء لحاجتها إليه.

(١) في ديوان الحماسة برواية الجواليقي: «وقال ابن المولى، وتروى لرجل من بني الحارث».

وقوله: «ولا عَيْبَ فيه»، يريد: أن جعفرًا بريء من العيوب إلا من مخافة قومه على نفسه ألا تطول مدتها، ولا يتنفس مهلها. وليس ذلك بعيب، وإنما يُشفقون ممّا ذكر تنافسًا في حياته، ورغبة في الانتفاع به وبمكانه، لكنه أراد أن من ذلك معيبه، فكيف يكون مرضيه.

فإن قيل: لم أَدْخَلَ هذا في جملة النسيب وليس هو منه؟ قلت: لطافة لفظه وحلاوة معناه، ومناسبته بذلك للنسيب، أَدْخَلْتُهُ في هذا الباب. وقد فَعَلَ لمثل هذه العلة مثل هذا فيما تقدّم، ونَبَّهْنَا عليه.

٥٨٧ - وقال آخر: [الطويل]

- ١ - وَإِنِّي عَلَى هِجْرَانٍ بَيْنِكَ كَالَّذِي رَأَى نَهْلًا رِيًا وَلَيْسَ بِنَاهِلٍ
- ٢ - يَرَى بَرْدَ مَاءٍ ذِيْدَ عَنْهُ وَرَوْضَةً بَرُودَ الضُّحَى فَيَنَائَةً بِالْأَصَائِلِ

يقول: إنني على ما أجري عليه من تعزلي لبيتك، ومهاجرتي لفنائك، ولما أتقي به من مكاشفة الرُقاء على ترصدهم بالمكروه لي ولك، واختلافهم في التقاط حديثي وحديثك، لكالعطشان وقد رأى ماءً مُزَوِيًا كثيرًا، باردًا شهيًا، مُنِعَ منه، وشافه روضةً باردةً الظل عند الضحاء، كثيرة الأفنان والغُصون، إذا هبَّت رياح العشاء فحيل بينه وبينها. والنَّهْلُ: الماء. والنَّاهِلُ: الرِّيان هاهنا، ويكون العطشان أيضًا في غير هذا. وذِيْدَ عنه، أي: مُنِعَ منه. والفينانة: الكثيرة الأفنان، وهو فَيْعَالٌ. والفَنَنُ: الغُصن. والأصائل: العشيّات.

وقوله: «يرى برد ماء»، يقول: يرى ماء باردًا، لأن البرد لا يُدْرِك بالعين. وإن شئت قلت: جعله للمبالغة في الوصف كالمحسوس.

٥٨٨ - وقال آخر: [الطويل]

- ١ - فَمُرَّا عَلَى أَهْلِ الْعَضَى إِنَّ بِالْعَضَى رَقَارِقَ لَا زُرَقَ الْعُيُونِ وَلَا زُمْدًا^(١)
- ٢ - أَكَاذَ عِدَاةِ الْجِرْعِ أُنْبِي صَبَابَةً وَقَدْ كُنْتُ غَلَابَ الْهَوَى مَاضِيًا جَلْدًا

يخاطب صاحبتين له يسألهما أن يجوزا بأهل العَضَى، لأن فيها نساء يترقرق ماء الشَّبَاب فيهنّ، لا زُرَقَ في عيونهنّ ولا رَمْدَ. ويقال: فَتَى رَقَارِقَ، وفتاة رقرقة،

(١) التبريزي: «مرا» بالجزم.

والمراد به ابتداء الشُّباب. وذكر بعضهم أنَّ المراد بالزُّقارق مياة رقيقة، وأنَّ الزُّرق الصَّافية، والرُّمَد المتغيِّرة الألوان، والأوَّل أقرب، لأنَّ الرُّمَد لا يُستعمل إلَّا في الحاسَّة، ولأنَّ الفائدة في كون مياهِ الغَضَى على هذه الصِّفة قليلة. وقضدُ الشَّاعر فيما كَلَّف صاحِبِيهِ أن يجددًا عهدًا بأهل الغَضَى، ويتعرَّفًا من أخبار محبوبته، ما تسكُن نفسه إليه. وفي قوله: «إِنَّ بِالْغَضَى رِقَارِقَ»، إذا جعلت الرُّقَارِق نساءً، نَسِيبَ بها وبصواحِبها. وقوله: «لا زُرُقُ العُيُونُ»، ثَبَّتَ لَهُنَّ كَحَلَ العُيُون وسلامَتَها من الآفات، بنفي الأضداد عنها، وهذا كتحديد الشيء بالسُّلب.

وقوله: «أَكَادُ غَدَاةَ الْجِزْعِ» يَصِفُ ما نالَه غَدَاةٌ يومَ البَيْنِ، وأَنَّهُ مع ثباته في الشَّدائد، وصَبْرِهِ على التَّوائب، وحُسْنِ تَماسُكِهِ عن جَوَالِبِ الهَوَى، يفتضح ويظهر عليه من الاكتئاب والوَجْد ما يُسَدِّلُ به على مستكِنات صَبَابَتِهِ، وخَفِيَّاتِ أَحْوالِهِ.

٣ - فَلِلَّهِ ذَرِّي أَيِّ نَظَرَةٍ ذِي هَوَى نَظَرْتُ وَأَيْدِي الْعَيْسِ قَدْ نَكَبْتُ رَقْدًا^(١)
٤ - يُقَرَّنَنَّ مَا قَدَّامَنَا مِنْ تَثَوُفَةٍ وَيَزْدَدَنَّ مِمَّنْ خَلَقَهُنَّ بِنَا بُغْدًا

قوله: «لله ذرِّي» يجري مجرى: لله خيرى. ومن عادتهم أن ينسبوا ما يُعجبهم إلى الله تعالى ذكره، وإن كانت الأشياء كلها في الحقيقة له. وقد فارَّق ذرِّي بالاستعمال على هذا الوجه المصادر، فلا يتعلَّق به شيء من متعلقاتها. وقوله: «أَيِّ نَظَرَةٍ ذِي هَوَى» تعجُّب، وانتَصَب أَيِّ بنظرْتُ. وكأنَّه لَمَّا صَبَرَ عندما رأى من آيات الفراق ولواذع البَيْن، وصار بمرأى منه وبمسمع، من التَّهَيُّؤِ للارتحال، ومن تدبير عوارض السَّفَر، عدَّ ذلك من نَظَرِهِ وجَلَدِهِ شيئًا عجيبًا. ومعنى: «نَكَبْتُ رَقْدًا» وهو موضع كان يجمعهم. ويجوز أن يريدَ بذلك نظرَهُ في إثرِ الطَّعائن تحسُّرًا وصاحبته معهن، كما قال الآخر: [الطويل]

بِعَيْنِي ظُنُّنُ الْحَيِّ لَمَّا تَحَمَّلُوا لَدَى جَانِبِ الْأَفْلاجِ مِنْ جَنْبِ تَيْمَرَا^(٢)

وقوله: [الطويل]

ولما بَدَا حَوَزَانُ فِي الْآلِ دُونَهَا نَظَرْتُ فَلَمْ تَنْظُرْ بَعِينِكَ مَنظَرًا^(٣)

(١) التبريزي: «أَيِّ نظرة ناظر».

(٢) لامرئ القيس في ديوانه ٥٦، واللسان (فلج، تمر)، وتاج العروس (فلج).

(٣) لامرئ القيس في ديوانه ٦١، والمخصص ١: ١١٤.

ويكون على هذا قوله: «تَكَبَّتْ رَقْدًا» معناه: انحرفن عنه وتركته، لكونه مَفْرِقَ الطرق.

وقوله: «يَقْرَيْنَ مَا قُدَّامَنَا مِنْ تَنَوُّفٍ» وصفَ العيسَ بالسرعة. والتَّنَوُّفُ: المفازة. والمراد: أن ما يقطعه غيرها في يومين تقطعها هذه في يوم. والكلام تحسّر وتوجّع، لتباعده عمن هوأه معهم. ومثله قول الآخر: [الطويل]

إِذَا نَحْنُ قَلْنَا وَرَدْمُنْ ضَحَى غَدٍ تَمَطَّيْنِ حَتَّى وَرَدْمُنْ طُرُوقِ

وتعلق الباء من قوله: «بنا» بقوله: يَزْدَدُنْ. وبعداً، انتصب على التمييز.

٥٨٩ - وقال ابن هرم الطائي^(١): [الطويل]

١ - إِنِّي عَلَى طُولِ التَّجَنُّبِ وَالنَّوَى وَوَاشٍ أَنَا بِبِي وَوَاشٍ بِهَا عِنْدِي^(٢)

٢ - لِأَخْسِنُ رَمَ الْوَضَلِ مِنْ أُمِّ جَفْفَرٍ بِحُذِّ الْقَوَافِي وَالْمُنَوَّقَةِ الْجُرْدِ

يصفُ حُسْنَ تَأْتِيهِ فِي عِمَارَةِ الْهَوَى وَالْحَبِّ، وَيَلِيغُ لُطْفِهِ فِي تَلَاوِيهِ مَا يَخَافُ انْقِطَاعَهُ مِنْ عِلَاقِ الْوَضَلِ، وَانْتِكَائِهِ مِنْ وَثَاقِ الْعَهْدِ، لَوِشَايَةِ وَاشٍ، أَوْ تَضْرِيْبِ مُفْسِدٍ، أَوْ قَذْحِ سَاحِ بِالنَّمَامِ مَتَزَيِّدٍ، فيقول: إِنِّي عَلَى مُطَاوَلَةِ الْبِعَادِ، وَمَعَاوَنَةِ الْوُشَاةِ بِالتَّحْرِيشِ وَالْإِفْسَادِ، لِأَخْسِنُ عِمَارَةَ الْحَالِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا، وَرَمَ مَا يَسْتَرِمُ مِنْ جَوَانِبِ وَصَالِهَا، بِمَا أَنْظَمُهُ مِنَ الشُّعْرِ، وَأُخْكِمُهُ مِنْ عُقْدِ السُّحْرِ فِي رَسَائِلِي، وَأَرْدُدُهُ مِنَ الرُّسُلِ الْمُتَوَجِّهِينَ إِلَيْهَا عَلَى رَوَاجِلِي. وقيل في الحُذِّ: إِنَّهَا الْأَبْيَاتُ النَّافِذَةُ، وَقِيلَ: هِيَ الْخَفِيفَةُ الْوِزْنِ، اللَّطِيفَةُ السَّنَكِ، وَقِيلَ: إِنَّهَا الْمُسْتَقْلَّةُ بِأَنْفُسِهَا، وَيُقَالُ: بَيْتٌ أَخَذَ، إِذَا لَمْ يَكُنْ مُضْمَّنًا. وَالْمُنَوَّقَةُ: الْمَرْوُضَةُ الْمُدَلَّلَةُ مِنَ الثُّوقِ، كَذَا قَالَ الْخَلِيلُ. وَالْجُرْدُ: السَّرَاعُ. وَيُقَالُ: نَجَاءٌ أَجْرَدٌ. قَالَ الشَّاعِرُ: [الكامل]

جَذَبَ الْقَرِينَةَ لِلنَّجَاءِ الْأَجْرَدِ

وخبر إن في قوله: «لِأَخْسِنُ رَمَ الْوَضَلِ».

٣ - وَأَسْتَخْبِرُ الْأَخْبَارَ مِنْ نَحْوِ أَرْضِهَا وَأَسْأَلُ عَنْهَا الرُّكْبَ عَهْدَهُمْ عَهْدِي

٤ - فَإِنْ ذُكِرَتْ قَاصَتْ مِنَ الْعَيْنِ عِبْرَةً عَلَيَّ لِخَيْبَتِي نَثَرَ الْجَمَانِ مِنَ الْعِقْدِ

(١) التبريزي: «ابن هرم الكلابي».

(٢) التبريزي: «التجنب والهوى» و«واش لها عندي».

قوله: «وَأَسْتَخْبِرُ الْأَخْبَارَ»، يجوز أن يكون على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه. والمراد: وأستخير ذوي الأخبار من نحو أرضها. ويجوز أن يريد أَرْجِعُ فيما أعرف من أخبارها فيما بيني وبين نفسها حالاً بعد حال، طالباً لاستخراج زيادة فيها، ومستمتعاً بما يكون حاصلها فيها، فكأنني أستخير نفس الخبر. وقوله: «وَأَسْأَلُ عَنْهَا الرُّكْبَ عَنْهُمْ عَهْدِي» مثله قول الآخر: [الطويل]

وَذِكْرُكَ مِنْ بَيْنِ الْحَدِيثِ أُرِيدُ

استحلاء لاسمها، وتلذذاً بذكرها.

وقوله: «فَإِنْ ذُكِرَتْ» يقول: وإذا قرعَ سمعي ذكروها بكيتُ شوقاً إليها، ووجدتُ بها، فسأل الدُّمْعَ من عينين، وانتثر ما عَشِيَّ ليحييتي منه نثرَ الجُمان من قلاذةٍ لم يُتَفَقَّدَ نظامها، وخانَ سِلْكُهَا، وتناثرَ حَبَاتُهَا. وانتصب «نثر» على المصدر من غير لفظه، فهو كقولك: تبسَّمتُ وميضَ البَرْقِ. وقوله: «عَهْدُهُمْ عَهْدِي»، الجملة في موضع الحال من أسأل.

٥٩٠ - وقال عمرو بن حكيم^(١): [الطويل]

١ - خَلِيلِي أَمْسَى حُبَّ خَرْقَاءَ عَامِدِي فَنَبِي الْقَلْبِ مِنْهُ وَفَرَّةٌ وَصُدُوعٌ

٢ - وَلَوْ جَاوَرْتُنَا الْعَامَ خَرْقَاءَ لَمْ نُبَلْ عَلَى جَذْبِنَا أَلَّا يَصُوبَ رَبِيعٌ

جعل «أمسى» لاتصال الوقت. وخَرْقَاءُ: اسم امرأة. وقوله: عَامِدِي: مُمْرِضِي، يقال: أَيُّ شَيْءٍ يَغْمِدُكَ، أَي يُوجِعُكَ. والوَقْرَةُ: الهَزْمَةُ والأَثَرُ. يقال: وَقَرَ الشَّيْءُ، إِذَا جُعِلَ فِيهِ وَقَرَاتٌ. قال الهذلي: [الطويل]

فَوَقَّرَ بَرُّ مَا هُنَاكَ ضَائِعٌ^(٢)

يعني: بالبَرِّ سَيِّئًا.

يقول: يَا خَلِيلِي، إِنَّ حُبَّ خَرْقَاءَ أَمْسَى يَقْدَحُ فِي قَلْبِي، فَقَدْ صَارَ فِيهِ مِنْ أَجَلِهِ صُدُوعٌ، وَأَثَارٌ وَشَقُوقٌ، وَلَوْ أَتَّفَقَ فِي هَذَا الْعَامِ مَعَهَا اجْتِمَاعٌ لَمْ نُبَالٍ وَإِنْ أَجَذَبْنَا أَلَّا

(١) عمرو بن حكيم، من ربيعة الجوع، شاعر إسلامي. (معجم المرزبانى ٢٤١).

(٢) لقيس بن عيزارة الهذلي في شرح أشعار الهذليين ص ٥٩١، وللهمذلي في اللسان (بز، ويل)، وصدرة:

«فَوَيْلُ أُمِّ بَرْ جَرُّ شَعْلٍ عَلَى الْحَصَى»

يَعِ مطر؛ إذ كان التبرُّك بها، والاستسعاد الشَّامِلُ بمكانها، يقوم مقام كلِّ خُضْبٍ.
 وقوله: «لم تُبَلِّ» جزمه مرَّتَيْنِ لأنَّه كان تُبالي، فدخل الجازمُ عليه فحذَفَ له الياء فصار
 لم نبالي، ثم أسكن اللام بعد أن طلبَ تخفيفَه لكثرة في الكلام، فالتقى ساكنان:
 الألف واللام، فحذفت الألف لالتقاء الساكنين، فصار لم تُبَلِّ، ومثل هذا لا ينقاس.
 وقوله: «على جَذِبْنَا» في موضع الحال، تقديرُه مُجْدِبِينَ، ويقال: صاب المَطَرُ
 يَصُوب، إذا وقع. والرَّيْبُ: المطر، ويقال: ما باليتُ بكذا وكذا بالَّةً وباليَّة، أي: لم
 نُبالِ بأن تنقطع الأمطارُ على ما بنا من جذب.

٥٩١ - وقال آخر: [الطويل]

- ١ - أَلِمَّا عَلَى الدَّارِ الَّتِي لَوْ وَجَدْتُهَا بِهَا أَهْلُهَا مَا كَانَ وَخْشًا مَقِيلُهَا
 ٢ - وَإِنْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا مُعَرَّجٌ سَاعَةٍ قَلِيلًا فَلِئَنِّي نَافِعٌ لِي قَلِيلُهَا^(١)

بأمرُ صاحِبِه بزيارة دار حبيبِه، ولو كان ساعة. وخُصَّصَ الدار بقوله: «التي لو
 وجدْتُها بها أهلها»، والمعنى: التي لو وجدْتُها مأهولةً ما كان موضعُها وَخْشًا، أي
 خاليًا مُوحِشًا، لكثرة أهلها وكثرة غواشي النَّعَمِ فيها. وفي الحديث: «أَنْ قُرِيشًا قَالُوا
 لِلنَّبِيِّ ﷺ: إِنَّا لَأَكْرَمُ مَقَامًا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا»، أي موضعًا، فأنزل الله عزَّ وجلَّ:
 ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾ [الفرقان: الآية ٢٤] - يعني النَّبِيُّ عليه السلام وأصحابه - ﴿يَوْمَئِذٍ
 خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ [الفرقان: الآية ٢٤]. ويقال: باتَ فلان وَخْشًا، أي خالي
 البطن، وتوخَّشَ للدَّواء.

وقوله: «وإن لم يكن إلا مُعَرَّجٌ ساعة»، يريدُ: إلا تعريج ساعة، وعُظِفَ ساعة.
 ولم يرض بأن أضافَ المُعَرَّجَ إلى السَّاعة حتَّى وصفَه بقوله قليلًا، وهذا على هذا
 التقدير يكون من الصِّفَات المؤكِّدة، لا المُفيدة، كما يجيء الحال كذلك. ولا يمتنع
 أن يريد تعريجًا قليلًا في ساعة، فيكون الصِّفَةُ مفيدة. وقوله: «فإنِّي نافعٌ لي قليلُها»،
 يجوز أن يرتفع قليلُها بنافع، ونافعٌ خبر إن، كأنه قال: فإنِّي ينفعني قليلُها. ويجوز أن
 يكون قليلُها مبتدأ ونافعٌ خبرٌ له مقدَّم عليه، والجملة في موضع خبر إن، والتقدير:
 إنِّي قليلُها نافعٌ لي، وانتصب مُعَرَّجٌ على أنه خبرٌ لم يكن، أراد: وإن لم يكن الإلمامُ
 إلا مُعَرَّجٌ ساعة.

(١) التبريزي: «قال أبو رياش: البيت الثاني لذي الرمة في قصيدته التي أولها:
 أخرقاء للبيت استقلت حمولها»

٥٩٢ - وقال آخر: [البسيط]

١ - مَاذَا عَلَيْكَ إِذَا خُبِّرْتَنِي دَنَفًا رَهْنَ الْمَنِيَّةِ يَوْمًا أَنْ تُعَوِّدِينَا

٢ - أَوْ تَجْعَلِي نُطْفَةً فِي الْقَنْبِ بَارِدَةً وَتَغْمِسِي قَاكَ فِيهَا ثُمَّ تَسْقِينَا

قوله: «دَنَفًا» أي مُشْرِقًا على الهلاك، وانتصابه على أَنَّهُ مفعول ثالث لَخُبِّرَ. وقوله: «ماذا عليك» لفظه استفهام ومعناه تقريع وَبَعَث. وانتَصَبَ «رهنَ المنية» لأنه صفة لدَنَفًا، ومعناه: في ضمن المنية ومَلَكَتْهَا، وكالرَّهْنِ عندها، إِنْ شَاءَتْ أَغْلَقَتْهَا، وَإِنْ شَاءَتْ فَكَّتْهَا. والمراد: أي شيء عليك من أن تعودينا، إِذَا أُخْبِرْتَنِي عَلِيلًا. فقوله: «عليك» يقتضي فعلًا، وذلك الفعل يَعْمَلُ في أن تُعَوِّدِينَا، وقد حُذِفَ حرفُ الجرِّ منه، أي: لا عَارَ عليك ولا ضَرَرَ من عيادتنا، ولا من مُدَاوَاتِنَا بماءِ هذه صفته، فهِلًا فَعَلْتِ. وقوله: «يَوْمًا» ظَرَفَ لَخُبِّرْتَنِي، وقد تقدم القول في «ماذا» في مواضع.

٥٩٣ - وقال جميل^(١): [الطويل]

١ - بُئِيتُ مَا فِيهَا إِذَا مَا تُبْصِرَتْ مَعَابٌ وَلَا فِيهَا إِذَا نُسِبَتْ أَشْبُ

٢ - لَهَا النَّظَرَةُ الْأُولَى عَلَيْهِمْ وَيَسْطَةُ وَإِنْ كُرَّتِ الْأَبْصَارُ كَانَ لَهَا الْعَقْبُ

٣ - إِذَا ابْتَدَلَتْ لَمْ يُزْرِهَا تَرْكُ زِيئَةٍ وَفِيهَا إِذَا اِزْدَانَتْ لِذِي نَيْقَةٍ حَسْبُ

تُبْصِرَتْ، أي: اسْتَفْصِي النَّظْرُ إِلَيْهَا، وَالْكَشْفُ عَنْ حَالِهَا. وَالْمَعَابُ: الْعَيْبُ. وَالْأَشْبُ: الْخَلْطُ، يَقُولُ: إِنَّهَا عِنْدَ السَّيْرِ وَالنَّظَرِ، وَالْكَشْفُ وَالتَّأْمُلِ، نَقِيَّةٌ مِنَ الْعَيْبِ، بَرِيئَةٌ مِنَ الشُّوبِ، فَلَهَا عِنْدَ الْمَبَالِغَةِ فِي الْبَحْثِ النَّظَرَةُ الْأُولَى، وَلَهَا الْبَسْطَةُ وَهِيَ النَّظَرَةُ الثَّانِيَّةُ، وَيَعْنِي بِهَا أَنْ يُبْسَطَ التَّمْيِيزُ عَلَى مَا يَتَجَلَّى مِنْ أَمْرِهَا، وَيُسَلَّطَ التَّنْقِيرُ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّا يَخْفَى مِنْ أَحْوَالِهَا. قَالَ: وَلَهَا الْعَقْبُ أَيْضًا، وَهُوَ النَّظَرُ بَعْدَ النَّظَرِ، وَفِي مَوْضِعٍ آخَرَ: الْجَزْيُ بَعْدَ الْجَزْيِ. وَالْعَرْبُ تَقُولُ: «النَّظَرَةُ الْأُولَى حَمَقَاءُ»، فَلِهَذَا قَالَ: لِهَذِهِ الْمَرْأَةِ النَّظَرَةُ الْأُولَى، وَلَهَا الْكَشْفَةُ الثَّانِيَّةُ وَهِيَ الْبَسْطَةُ، وَلَهَا الْبَحْثَةُ الثَّالِثَةُ، وَهِيَ تَعَقُّبُ التَّجَرِبَتَيْنِ بِتَجَرِبَةٍ ثَالِثَةٍ.

وقوله: «إِذَا ابْتَدَلَتْ»، يَقُولُ: إِذَا تَرَكْتَ التَّزْيِينَ وَاکْتَسَتِ الْمَبَادِلَ لَمْ يُقْصُرْ بِهَا ذَلِكَ، وَإِنْ تَزَيَّنْتَ كَانَ فِيهَا لِلْمَتَانِقِ الْكَفَايَةُ مِنْ جَمِيعِ مَا يَطْلُبُ فِيهَا نَفْسًا وَخَلْقًا،

وَمُتَّسَبًا وَخُلُقًا. وقوله: «لَمْ يُزِرْهَا» أي: لَمْ يُزِرْ بِهَا، يقال: زَرَيْتُ عَلَيْهِ وَأَزَيْتُ بِهِ، لَكُنْهُ حَذَفَ الْجَارَ. وقوله: «حَسْبُ» أي كَافٍ، فهو مبتدأ، على هذا تقول: حَسْبِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ، ومثل هذا قول جرير: [الطويل]

إِذَا حُلَيْتُ فَالْحَلْيُ مِنْهَا بِمَعْقِدٍ مَلِيحٍ وَإِلَّا لَمْ يَشْنُهَا عَوَاطِلُهُ

٥٩٤ - وقال الحارثي^(١): [الطويل]

١ - سَلَبْتُ عِظَامِي لِحِمِّهَا فَتَرَكْتُهَا مُجْرَدَةً تَضْحَى إِلَيْكَ وَتُخْصِرُ

٢ - وَأَخْلَيْتُهَا مِنْ مَخْهَا فَكَانَهَا قَوَارِيرُ فِي أَجَوَافِهَا الرِّيحُ تَضْفِرُ^(٢)

يقول: أَذَيْتَنِي بِهَوَاكِ، وَاِنْحَسَرَ اللَّحْمُ مِنْ عِظَامِي وَتَعَرَّتْ، فِيهَا بَارِزَةٌ فِي النَّهَارِ لِلشَّمْسِ، وَعِنْدَ اللَّيْلِ لِلْبَرْدِ، إِذَا أُوتِيَ إِلَيْكَ وَأَسَاذْتُ. و«إِلَيْكَ» مَوْضِعُهُ بِالْفِعْلِ الَّذِي يَقْتَضِيهِ نَصَبٌ عَلَى الْحَالِ، وَإِنَّمَا قَالَ هَذَا لِأَنَّ الْمَهْزُولَ الْحَرَّ وَالْبَرْدُ إِلَيْهِ أَسْرَعُ وَأَشَدُّ تَأْثِيرًا فِيهِ. وَيَقَالُ: ضَحِي يَضْحَى ضَحَى، أَصَابَهُ حَرُّ الشَّمْسِ، وَلُغَةً: ضَحَا يَضْحُو ضُخْوًا وَضُخْرًا.

وقوله: «وَأَخْلَيْتُهَا مِنْ مَخْهَا»، يريد: أَنَّهَا أَذْهَبَتِ الثَّقِيَّ مِنَ الْعِظَامِ أَيْضًا وَرَفَقَتْهَا، فَخَلَّتْ مِنْ مَخْهَا وَاسْتَشْفَّتْ، فِيهَا كَالْقَوَارِيرِ الْخَالِيَةِ لَوْ هَبَّتِ الرِّيحُ لَصَفَرَتْ بِمَا يَتَخَلَّلُهَا مِنَ الرِّيحِ صَفِيرًا.

وقوله: «فِي أَجَوَافِهَا الرِّيحُ تَضْفِرُ»، الْجُمْلَةُ فِي مَوْضِعِ الصِّفَةِ لِلْقَوَارِيرِ، وَمَوْضِعُ تَضْفِرُ نَصَبٌ عَلَى الْحَالِ إِنْ جَعَلْتَ الرِّيحَ تَرْتَفِعُ بِالظَّرْفِ، وَكَذَلِكَ مُجْرَدَةٌ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ. وَيُرْوَى: «فَكَانَهَا أَنْيَابُ فِي أَجَوَافِهَا الرِّيحِ»، وَالْأَوَّلُ أَحْسَنُ.

٣ - إِذَا سَمِعْتَ بِأَسْمِ الْفِرَاقِ تَقَفَّقَعَتْ مَفَاصِلُهَا مِنْ هَوْلٍ مَا تَتَنَظَّرُ

٤ - خُلْدِي بِبَيْدِي ثُمَّ أَنَّهُضِي بِي تَبَيَّنِي بِي الضُّرِّ إِلَّا أَنِّي أَتَسْتَرُ^(٣)

(١) فِي أَمَالِي الْقَالِي ١: ١٦٢ لِلْمَجْنُونِ وَلَيْسَتْ فِي دِيْوَانِهِ، وَفِي دِيْوَانِ الْحِمَاسَةِ بِرَوَايَةِ الْجَوَالِيْقِيِّ: «وَقَالَ خَلْفُ بْنُ خَلِيفَةَ»، وَفِي تَزِينِ الْأَسْوَاقِ ١١٨ بِلَا نِسْبَةٍ.

(٢) التَّبْرِيزِيُّ: «مِنْ مَخْهَا فَتَرَكْتُهَا أَنْيَابٌ».

(٣) التَّبْرِيزِيُّ: «... ثُمَّ ارْفَعِي الثَّوبَ فَانْظُرِي». وَيَعْدُهُ عِنْدَ التَّبْرِيزِيِّ:

«فَمَا حِيلَتِي إِنْ لَمْ تَكُنْ لِي رَحْمَةً عَلَيَّ وَلَا لِي عَنكَ صَبْرٌ فَاصْبِرْ
فَوَاللَّهِ مَا قَصَّرْتُ فِيمَا أَظُنُّهُ رِضَاكَ وَلَكِنِّي مُحِبٌّ مُكْفَرٌ»

جعل الإخبار عن العظام، وإن كان ما وصفه حالاً للجملة لا لها وحدها، لقوله: سَلَيْتَ عظامي لحمها. والمعنى: إِنَّ ذِكْرَ الْفِرَاقِ يَبْلُغُ مِنْهَا هَذَا الْمَبْلَغَ الْعَظِيمَ. وهي أنها لا ترتعدها تَتَدَاخِلُ مَفَاصِلُهَا وَيَحْتَكُّ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ حَتَّى تَسْمَعَ لَهَا قَعْقَعَةً، وذلك لِهَوَلٍ مَا يَنْتَظَرُهُ مِنْ وَقُوعِهِ فِي نَفْسِهِ، وَاسْتِعْظَامِهِ لِلخَطْبِ فِيهِ وَلَهُ.

وقوله: «خُذِي بِيدي»، أَرَادَ أَنْ يُرِيَهَا مَا تَسْتَبْعِدُهُ مِنْ وَصْفِ حَالِهِ بِالْخَبَرِ مَشَاهِدَةً، فَقَالَ: خُذِي بِيدي مُسْتَنْهَظَةً لِي يَبِينَ لَكَ أَمْرِي، وَيُظْهِرَ الْمَكْنُونُ فِيكَ مِنْ ضَرْيٍ، وَالْمَجْلُوبُ عَلَيَّ مِنْ هُزَالِي، وَالْمُسْتَوْرُ عَنْكَ مِنْ سُوءِ حَالِي. وقوله: «إِلَّا أَنِّي أَتَسَتَّرُ» استثناء منقطع من الأول، كأنه أراد: لَكِنِّي أَتَسَتَّرُ بِتَجَلُّدِ أَظْهُرِهِ، وَبَصِيرِ أَتَقِي النَّاسَ بِهِ. وَفِي الْبَيْتِ طِبَاقُ بَقُولِهِ: تَبَيَّنِي وَأَتَسَتَّرُ. وَأَصْلُ تَبَيَّنِي تَبَنِّي، فَحُذِفَ إِحْدَى التَّاءَيْنِ.

تم باب التسيب، والحمد لله على تظاهر آلائه، وتوالي نعمائه
والصلاة على سيدنا محمد وآله

بابُ الهِجَاءِ^(١)

٥٩٥ - قال موسى بن جابر^(٢): [الكامل]

١ - كَانَتْ حَنِيفَةً لَا أَبَا لَكَ مَرَّةً عِنْدَ اللَّقَاءِ أَسِئَّةٌ لَا تَنْكَلُ
٢ - فَرَأَتْ حَنِيفَةً مَا رَأَتْ أَشْيَاعُهَا وَالرَّيْحُ أَحْيَانًا كَذَاكَ تَحْوُلُ

هذا الكلام تهكم وسخرية. ولا أبا لك: بعث وتحضيض، وليس بنفي للأبوة، وخبر لا محذوف، لأن النية في لا أَبَاكَ الإضافة، ولذلك أثبت الألف في أبا؛ فكأنه قال: لا أَبَاكَ موجود أو في الدنيا. وقد مضى القول فيه مشروحاً. فيقول: كانت هذه القبيلة فيما مضى من الأيام، وتَقَصَّى من المِرَار، عند لقاء الأعداء وفيما تباشره من الأمور والأحوال، أَسِئَةً لا تكبو ولا تضعف، نَقَادًا في العَرَائِمِ وَمَضَاءً، ولا تَنْبُو ولا تقف، كُلُّوَلًا في الصَّرَائِمِ ونُكُولًا، فقد عادت الآن مقتديةً بأشياعها، وآخِذَةً إِيَّاهُمْ في الارتداد والبُكُوصِ، والإحجام والنبو؛ والرَّيْحُ تتحوَّل أحيانًا كذلك، مرَّةً تكون شمالاً ومرَّةً جنوباً. وقوله: «كذا» موضعه من الإعراب نصبٌ على المصدر من تحوَّل. أراد: والرَّيْحُ تتحوَّل أحيانًا تحوُّلاً كذلك. أي كما عرفت.

٥٩٦ - وقال قراد بن حَنْشٍ الصَّارِدِيِّ: [الطويل]

١ - لَقُومِي أَرْعَى لِلْمُلَى مِنْ عِصَابَةٍ مِنَ النَّاسِ يَا حَارِ بْنَ عَمْرِو تَسُوْدُهَا
٢ - وَأَنْتُمْ سَمَاءٌ يُعْجِبُ النَّاسَ رِزَّهَا بِأَيْدِيَةٍ تُنْجِي شَدِيدَ وَئِيدُهَا

(١) التبريزي: «الهجاء: هو الوقعة في الأنساب وغيرها، وزمى الإنسان بالمعائب، وأصله التسمين، من قولهم: هجأ غرته وجوعه وأهجى إذا سكن، فكانه إذا رمى الإنسان بالعيوب سكن من أشرافه».

(٢) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (١٢٣).

- ٣ - تُقَطَّعُ أَطْنَابُ الْبُيُوتِ بِحَاصِبٍ وَأكْذَبُ شَيْءٍ بَرَزُوهَا وَرَعُودُهَا
٤ - فَوَيْلُهَا خَيْلًا بَهَاءً وَشَارَةً إِذَا لَاقَتِ الْأَعْدَاءَ لَوْلَا صُدُودُهَا

يقول: لقومي أحسن رعاية وتفقدًا، وأوفر عناية وتكسبًا لأسباب العلى وحفظ أواخيتها وموادها، من طائفة من الناس أنت تسوسها وتُدبِرُها، وما أشبهكم في كثرة دعاويكم وقلة فعاليكم إلا بسحابة تكثر بُرُوقها ورعودها، ويُعجب متأملها ومستمعها ربائبها وهديرها، بريح تُعدُّ أبدًا - أي أعجوبة أو داهية تبقى على الأبد - شديدة الخفيف، قُطَاعَةٌ لِحبال البيوت بما يجيء منها بالحضباء، ثم تراها مُخْلِفةً فيما وعدت من المطر، فأكذب شيء بَرَزُها اللَّمَاعُ، ورغدها الثَّبَاحُ. والباء من قوله: «بأبد» تعلق بقوله: «يُعجب الناس» أي يعجب رزها بأبد، أي ومعها أبد.

وقوله: «فَوَيْلُهَا خَيْلًا» انتصب خيلًا على التمييز، وحذفت الهمزة من أم في قوله: «وَيْلُهَا» لكثرة الاستعمال، وليس الحذف هذا بقياس. واللفظة تفيد التعجب. و«بهاء» انتصب على أنه مفعول له، فيقو ساخرًا: ويلمها من خيل، لكمال بهائها، وحسن شارتها، عند لقاء الأعادي، لولا انهزامها وإعراضها.

وَرُوي: «لَقَوْمِي أَدْعَى لِلْعُلَى» بالدال، والأول أحسن وأصوب.

والعصاة: الجماعة. وقوله: «يَا حَارِ بْنَ عمرو» الترخيم في قول من يقول في النداء يا حارث بن عمرو، فيضم وينون في غير النداء، فيقول: هذا زيد بن عمرو. وأحسن منه في قول من يقول: يا حارث بن عمرو، فيفتح ويجعل الأول والثاني بمنزلة شيء واحد، وذلك أنه يُخرج آخر الاسم إذا جُعِلَ مع الصفة شيئًا من أن يكون آخرًا، والترخيم يدخل الأواخر لا الأوساط.

وقوله: «وأنتم سماء» يُسمون السحاب سماء، وكذلك المطر. ألا ترى قوله:

[الوافر]

إِذَا سَقَطَ السَّمَاءُ بِأَرْضِ قَوْمٍ رَعَيْنَاهُ وَإِنْ كَانُوا غَضَابًا^(١)

والرُز والوثيد جميعًا: الصُوت. ومعنى تُنْجِي تُقْبِلُ. وقوله: «لولا صدودها» جواب لولا في صدر البيت، وقد تقدّم القول في المبتدأ بعده ومجيئه بلا خبر.

(١) البيت لمعز الحكماء، معاوية بن مالك في اللسان (سما)، وللفرزدق في تاج العروس (سما)، وبلا نسبة في مقاييس اللغة ٩٨: ٣، وديوان الأدب ٤٧: ٤.

٥٩٧ - وقال عمارة بن عقيل^(١): [الطويل]

- ١ - مَنْ مُبْلَغٌ عَنِّي عَقِيلًا رِسَالَةً فَإِنَّكَ مِنْ حَزْبٍ عَلَيَّ كَرِيمٌ
 ٢ - أَلَمْ تَعْلَمْ الْإِيَّامَ إِذْ أَنْتَ وَاحِدٌ وَإِذْ كُلُّ ذِي قُرْبَى إِلَيْكَ مُلِيمٌ^(٢)
 ٣ - وَإِذْ لَا يَقْبِكَ النَّاسُ شَيْئًا تَخَافُهُ بِأَنْفُسِهِمْ إِلَّا الَّذِينَ تَضِيمُ
- تمنى أن يتفق من يبلغ عقيلاً عنه رسالته، فأتى بلفظ الاستفهام، والرسالة «إنك من حزب علي كريم» وما بعده. وبنى كلامه على الاستعطاف، ثم أخذ في التقرير. ومعنى قوله: «إنك من حزب علي كريم» إنك تكرم علي من جملة من ينتسب إلى بني حرب.

وقوله: «ألم تعلم الأيام» تذكير له بخذلان عشيرته إياه، وتفردّه بما كان يقاسيه، فيقول: أتذكر حين كنت فرداً وحيداً لا ناصر لك، وإذ كان كل قريب ونسيب لك مليماً عندك - والمليّم: الذي يأتي بما يلام عليه - وحين لا وافي لك من شيء تخافه إلا الذين أنت تظلمهم الساعة. فقوله: «إلا الذين» استثناء بدل، ويجوز أن يكون في موضع النصب على الاستثناء المطلق، والضمير العائد إلى الذين من الصلة محذوف، استطالة للاسم، والتقدير: تضيّمهم، أي تظلمهم.

وقوله: «ألم تعلم الأيام»، ألم: يقرّر به فيما ثبت ووقع. ويروي «الأيام» بالرفع، و«الأيام» بالنصب. فإذا رويت الأيام بالنصب يكون الخطاب لعقيل، ويكون تعلم بمعنى تعرف. والمعنى: أما عرفت الأيام التي كان حالك فيها ما ذكرت، وأتتسى تلك الأيام. والمراد بالأيام حوادث الدهر. وقوله: «إذ أنت» ظرف لها، وإذا رفعت الأيام يكون المعنى: ألم تعرف الأيام حالك وقصّتك - والمعنى أهل الأيام وأصحاب الأيام - حين كنت كذا وكذا. فيكون الكلام على حذف المضاف.

- ٤ - أَتَرْقُوعٌ وَهِيَ الْأَبْعَدَيْنِ وَلَمْ يَقُمْ لَوْفِكَ بَيْنَ الْأَثَرَيْنِ أَدِيمٌ
 ٥ - فَأَمَّا إِذَا عَضَّتْ بِكَ الْحَزْبُ عَضَّةً فَإِنَّكَ مَغْطُوفٌ عَلَيْكَ رَحِيمٌ
 ٦ - وَأَمَّا إِذَا آتَسَتْ أَمْنًا وَرِخْوَةً فَإِنَّكَ لِلْقُرْبَى أَلَدُّ خَصُومٌ

(١) التبريزي: «وقال عمّلس بن عقيل بن علفة»، وفي الأغاني ١٢: ٣٠٣ (دار الكتب العلمية) نسب الشعر إلى علفة بن عقيل بن علفة.

(٢) التبريزي: «ألا تعلم الأيام».

وقوله: أترقع لفظه استفهام، ومعناه التقريع، فيقول: إنك تَسْعَى في استعطاف الأبعاد وإدنائهم، وإصلاح الفاسد من أحوالهم، رجاء التثام أمرك بهم، وقد أَقْتُ نَفْسَكَ حَظُّكَ من أقاربك، وَمِنْ تَحْدُ بِهِمْ عَلَيْكَ، لَسَعِيكَ في إفساد أحوالهم، وَنَحْتُ أَثْلِيهِمْ، وتضييع غيبتهم. وهذا رأي فائل، وتوفيق سيء.

وقوله: «لم يقم لوْهِيكَ»، يريد بالوْهِي الذي يحصل بك وبثلبك واغتيابك. وذكر الأديم مَثَلٌ، أي لا يَبْقَى أصله لتمزيقك، ولا يثبت صِحَّتُهُ لتخريقك. ويقال: فلانٌ صحيحُ الأديم، وفلانٌ نَغْلُ الأديم. وفي المثل: «أَوْسَعْتُ وَهْيًا فَازَقَعُهُ».

وقوله: «فأما إذا عَضْتَ بِكَ الحربُ عَضَّةً» يريد: أنك إذا نابثك نائبة، وأصابتك من أزمات الزمان وعضاته أزمة، وألجأتك من مَصَارِفِ الحرب ضَغْطَةً فإنك تستعطف عليك دَوِيكَ وعشيرتك، وتعتمد رحمتهم لك، وتطلب شفقتهم والأخذ بالفضل فيك. وقوله: «رَجِيمٌ» هو فَعِيلٌ في معنى مفعول، أي إنك معطوف عليك مرحوم.

وقوله: «وأما إذا آنَسْتُ»، يقول: أما إذا أَمِنْتُ ووجدت من مَصَايِقِكَ رخاء، ومن شِدَائِدِكَ لِينًا، على حَسَبِ عادةِ الدَّهرِ في تلونه، فإنك تَخْرُجُ خَصَمًا أَلَدَ لَهُمْ، تَطْلُبُ إِغْلَاقَ الْحَجَجِ عَلَيْهِمْ، وتسُدُّ أَبْوَابَ الْخَيْرِ دُونَهُمْ، وَتَصْرِفُ مَفَاتِحَ الرُّشْدِ عَنْ وَجْهِهِمْ وَطَرَفِهِمْ، وهذا غَايَةُ اللَّؤْمِ وَسُوءِ الْاِخْتِيَارِ. والألدُّ: الشَّدِيدُ الْخُصُومَةِ، الْعَسِيرُ الْاِنْقِيَادِ. وهو الْيَلْتَنِدُ وَالْأَلْتَنِدُ. وَالْخُصُومُ: بِنَاءُ الْمِبَالِغَةِ، وهو أَبْلَغُ مِنْ خَصِيمٍ، لِأَنَّهُ أَشَدُّ تَبَاعَدًا مِنْ أُنْبِيَةِ أَسْمَاءِ الْفَاعِلِينَ.

٥٩٨ - وقال أرطاة بن سَهْيَةَ المُرِّي^(١): [الطويل]

١ - تَمَنُّتُ وَذَاكُم مِّنْ سَفَاهَةٍ رَّأَيْهَا لِأَهْجُوهَا لَمَّا هَجَجْتَنِي مُحَارِبُ

٢ - مَعَاذَ الْإِلَهِ، إِنَّنِي بِقَبِيلَتِي وَنَفْسِي عَنْ ذَاكَ الْمَقَامِ لِرَاغِبُ

ارتفع قوله: «محارب» بفعلها وهو تَمَنُّتُ. فيقول: تَمَنُّتُ هذه القبيلة لما تحكَّكَتْ بي وهَجَجْتَنِي، وتشهَّتْ مقابِلتي إيَّاهَا بِمَثَلِ مَا فَعَلْتُ، وذلك لِخِفَّةِ رَأْيِهَا، وتناهي جهلها. فقوله: «وذاكم» الواو واو الابتداء، وهي لِلْحَالِ، وذاكم ابتداء، ومن سَفَاهَةِ خَبَرِهِ. وتلخيص البيت: تَمَنُّتُ مُحَارِبٌ لَمَّا هَجَجْتَنِي لِأَنَّهُ أَهْجُوهَا، وذاكم مِن

(١) سبقت ترجمته في الحماسية (١٣٥).

سفاهة رأيها. والمراد: حَدَّثَتْ مُنِيئُهَا لهجوي لها. ومثله: [الطويل]

أَرِيدُ لَأَنْسَى ذِكْرَهَا^(١)

وفي القرآن: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ لَكُمْ﴾ [النساء: الآية ٢٦].

وقوله: معاذ الإله انتصب على المصدر، أي أعوذ بالله معاذًا من أن آتِيَ ذلك، لأنني أرغبُ بنفسِي وأربأُ بأضلي عن الوقوف في ذلك المقام، وأصون شرفي وأرفع عقلي عن مساوئهم لفظًا بلفظ؛ وفعلاً بفعل.

٥٩٩ - وقال زُمَيْل^(٢): [الطويل]

- ١ - إني امرؤ أطوي لمولاي شِرتي إذا أثرت في أَخْدَعَيْكَ الأنايلُ
- ٢ - خُلِفْتُ عَلَى خَلْقِ الرِّجَالِ بِأَعْظَمِ خِفَافٍ تَطَوَّى بَيْنَهُنَّ الأنايلُ
- ٣ - وَقَلْبٍ جَلَّتْ عَنْهُ الشُّؤُونُ وَإِنْ تَشَأْ يُخْبِرْكَ ظَهَرَ الْغَيْبِ مَا أَنْتَ فَاعِلُ

يصف نفسه في البيت الأول بأنه يكفّ أذاه عن مولاه، وأنه إذا أجمع أهلُ الرأي على نسبة مخاطبه إلى الغدر، والخيانة والشَّرِّ، فأشاروا بأصابعهم إذا وَلَّى إلى قفاه، فقالوا: هذا قفًا غادر، فإنه ينطوي شِرتَهُ في ذلك الوقت عن مولاه ومكروهه، فلا يُعْنِتُ نسيًا، ولا يؤذي جازًا قريبًا ولا غريبًا.

وقوله: «خُلِفْتُ عَلَى خَلْقِ الرِّجَالِ» تبجح في هذا البيت بأنه شَخَتْ من الرِّجَالِ قليل اللحم، مديد القامة، فَخَلَقَهُ خَلْقُ الرِّجَالِ لا خلق النساء، فلا يشيئه سُمْنَةٌ ولا فُسْلٌ، ولا يقعد به آفة ولا كسل، فأعظمه خِفَافٌ، ومفاصله بينها مطوية ممحصة لطاف.

وقوله: «وَقَلْبٍ» عَظَّمَهُ عَلَى بِأَعْظَمِ، يريد: وَيَقْلِبُ هَذَبَهُ الأمور، وكشف عنه الطَّبَعِ وَالرَّيْنِ مزاولة الشُّؤُونِ، فهو بتجاربه يتصور ما لم يكن بصورة ما قد كان، ومتى شئت أَخْبِرْكَ بِخُبْرِهِ ومعرفته، وفَرَطْ شهامته وتمييزه، وَجِدَّةَ نَظَرِهِ وبصيرته بما أنت فاعله بعد الغيب. وانتصب «ظَهَرَ الْغَيْبِ» على الظُّرْفِ، و«ما أنت» ما فيه بمعنى

(١) لَكثير عزة في ديوانه ١٠٨، والأغاني ٤: ٢٦٧، وأمالى القالي ٢: ٦٣، وخزانة الأدب ١٠: ٣٢٩.

(٢) التبريزي «زَمِيلُ بْنُ أَبِي رَاسٍ». وزمیل: هو من مخضرمي الجاهلية والإسلام، وهو ابن أم دينار، قتل ابن داره في خلافة عثمان. ترجمته في: الإصابة ٢٩٧٩، والمؤتلف والمختلف ١٢٩.

الذي، وأنت فاعل من صلته، وقد حذف حرف الجرّ معه، كأنه قال: يُخَبِّرُكَ بما أنت فاعله. ويقال: خَبَّرْتُهُ كذا وخَبَّرْتَهُ بكذا، وحَدَّثْتُهُ كذا وحَدَّثْتَهُ بكذا.

٤ - وَلَسْتُ بِرَبْلٍ مِثْلِكَ احْتَلَمْتُ بِهِ عَوَانٌ نَأَتْ عَنْ فَعْلِهَا وَهِيَ حَافِلٌ^(١)

٥ - فَجِئْتُ ابْنَ أَحْلَامِ النَّيَامِ وَلَمْ تَجِدْ لِصَهْرِكَ إِلَّا نَفْسَهَا مَنْ تُبَاعِلُ

كان رواية الناس قبلنا «احتملت به» والصواب «احتملت به»، بدلالة قوله: «فجئت ابنَ أحلام النّيام». والرّبْل: السّمين الرّطب، وقد تقدم ذكره ونصاريفه. والعَوَان: النّصف من النّساء، والفعل منه عَوْنْتُ، ويقال: عَانَتْ البقرة عَمَنًا، صارت عَوَانًا. وحَزَبٌ عَوَانٌ: قُوَيْلٌ فيها مرّةً بعد أخرى فيقول: لَسْتُ بِرَطْبٍ مُسْتَرْخٍ مِثْلِكَ، احتملت به امرأةٌ عوان بعدَ عهدِها بفعلها، وهي ممتلئةٌ شَبَقًا، فحملت فجاءت من احتلامها بك. والمعنى: أنّه لا والدَ لك إلّا ما رَأَتْ أُمُّكَ عندَ شِدَّةِ غلمتها من احتلامها، فأنْتَ شَرُّ مِمَّنْ يَجِيءُ لَزْنِيَّةً. ومعنى «ولم تجد لصهرِكَ» أي لم تصاهره فيك، أي تخالطه. وقال الخليل: الصّهر حُرْمَةُ الحَتْنِ. وَحَتْنُ القومِ: صهرهم. وَحُكِّيَ عن أبي الدّقِيشِ^(٢): أَضْهَرَ بِهِمُ الحَتْنِ، أي صار فيهم صِهْرًا. فيقول: لم تجد حَتْنًا إِلَّا نَفْسَهَا، إذا كان ذلك الاحتلام لم يتجاوزها، وإذ كان مباعلةً النّفس على ما وصفه إنّما حصلت عن شَبَقٍ ولزوم ذكر الجِماع في اليقظة، وإلّا نَفْسَهَا: مستثنى مقدم. وقوله: «ابنَ أحلام النّيام» نَصَبٌ على الحال، لأنّ أحلام النّيام لا يتخصّص، فلا يصير المضاف إليه معرفة.

٦٠٠ - وقال خارجةُ بنُ ضرارٍ المُرِّي^(٣): [الطويل]

١ - أَخَارَجَ هَلًا إِذْ سَفِهَتْ عَشِيرَةً كَفَفَتْ لِسَانَ السَّوْءِ أَنْ يَتَدَعَّرَا^(٤)

٢ - وَهَلْ كُنْتُ إِلَّا حَوْتَكِيَا أَلَا قَهْ بَنُو عَمِّهِ حَتَّى بَقَى وَتَجَبَّرَا

(١) التبريزي: «هذا البيت ليس لزميل بل لأرطاة بن سهية يهجو زميلًا، ونظام البيت أيضًا مختل والصواب:

ولسْتُ بِرَبْلٍ مِثْلِكَ احْتَلَمْتُ بِهِ عَوَانٌ نَأَتْ عَنْ بَعْلِهَا وَهِيَ حَائِلٌ

فَجِئْتُ ابْنَ أَحْلَامِ النَّيَامِ وَلَمْ يَكُنْ لِبُضْعِكَ إِلَّا طَهْرُهَا مَنْ تُبَاعِلُ

(٢) أبو الدّقِيشِ القناني الغنوي: أحد الأعراب الفصحاء الذين أخذت عنهم اللغة. انظر الفهرست لابن النديم ٧٠.

(٣) التبريزي: «وفي بعض النسخ: وقال زميل لخارجة بن ضرار».

(٤) التبريزي: «أخالد».

٣ - فَإِنَّكَ وَاسْتَبْضَاعَكَ الشَّعْرَ نَحُونَا كَمَسْتَبْضِعَ تَمْرًا إِلَى أَهْلِ خَيْبِرَا^(١)

قوله: «سَفِهَتْ عشيرة»، قال يونس: سَفِهَ لَغَةً فِي سَفَّةٍ، وَعَلَى هَذَا تَنْصِبُ عَشِيرَةً عَلَى الْمَفْعُولِ بِهِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِمَّا نُقِلَ عَنْهُ الْفِعْلُ، كَأَنَّهُ قَالَ: سَفِهَتْ عَشِيرَتُكَ فَتَقِلَّ السَّفَّةُ إِلَى نَفْسِهِ فَقَالَ: سَفِهَتْ، فَأَشْبَهَ عَشِيرَةَ الْمَفْعُولِ، فَتَنْصِبُ تَنْصِبَ التَّمْيِيزِ. وَقَوْلُهُ: «يَتَدَعَّرُ» أَيِ يَخْبُثُ وَيَفْجُرُ. يَقَالُ: رَجُلٌ دَاعِرٌ بَيْنَ الدَّعَارَةِ. وَحُكِّي: فِي خَلْقِهِ دَعَارَةٌ، فِي مَعْنَى زَعَارَةٍ، وَعَلَى زَنْتِهِ. وَمِنْهُ عُودُ دَعِرٍّ، أَيِ كَثِيرِ الدُّخَانِ. وَالْحَوْتَكِي: الضَّائِي الضَّعِيفُ. وَقَالَ الْخَلِيلُ: الْحَوْتُكَ وَالْحَوْتَكِي: الْقَصِيرُ الضَّغِيرُ. وَمَعْنَى أَلَاقَةٍ: أَلَصَقُهُ وَضَمَّهُ أَبْنَاءَ عَمِّهِ إِلَى أَنْفُسِهِمْ، فَبَغَى لِمَا رَأَى ذَلِكَ. وَاسْتَبْضَاعُ السَّلْعَةِ: أَنْ تَحْمِلَهَا بِنَفْسِكَ؛ وَإِبْضَاعُهَا: بَغْثُهَا، وَكَمَا قِيلَ فِي الْمَثَلِ: «كَمَسْتَبْضِعَ تَمْرًا إِلَى أَهْلِ خَيْبِرٍ» لِكَثْرَةِ نَخْلِهَا، قِيلَ أَيْضًا: «كَمَسْتَبْضِعَ التَّمْرَ إِلَى أَهْلِ هَجَرَ»، وَهَذَا كَمَا قِيلَ: «كَمَسْتَبْضِعَ الْمِلْحَ إِلَى بَارِقٍ».

ومعنى الأبيات: هَلَا إِذْ كُنْتُ سَفِيَةً الْعَشِيرَةِ لثِيْمَ الْفَصِيلَةِ، أَمْسَكَتْ عَنِ الْخَنَا وَالْفُخْشِ، وَصُنْتُ نَفْسَكَ وَلَمْ تَعْرِضْهَا لِلْهَجَاءِ الْمُضِيِّ: هَذَا وَمَا كُنْتُ إِلَّا حَقِيرًا قَلِيلًا؛ قَمِيئًا صَغِيرًا، رَقُّ لِهَ أَقَارِبِهِ بَعْدَ مَا كَانُوا يَنْفُونَهُ وَيَتَبَرَّوْنَ مِنْهُ، فَالْصَّقْوَةُ بِأَنْفُسِهِمْ، فَطَغَى مِنْ ذَلِكَ وَاسْتَعْلَى. وَأَمَّا عَلِمْتُ أَنَّكَ وَحَمَلْتُكَ الْهَجَاءَ إِلَيْنَا فِي النَّدَمِ وَالْخُسْرَانِ، وَسُوءِ الْعَاقِبَةِ، كَمَنْ حَمَلَ التَّمْرَ إِلَى خَيْبَرَ يَتَجَرَّ فِيهِ، فَرَجَعَ نَادِمًا، وَحَصَلَ خَاسِرًا.

٦٠١ - عُمَارَةُ بْنُ عَقِيلٍ^(٢): [الطويل]

١ - بَنِي مُثَقِّلٍ لَا آمَنَ اللَّهُ خَوْفَكُمْ وَزَادَكُمْ ذُلًّا وَرُقَّةً جَانِبِ

٢ - فَمَنْ يَزْتَجِبْكُمْ بَغْدَ نَائِلَةِ الْتِي دَعَتْ وَيَنَالُهَا لَمَّا رَأَتْ ثَارَ غَالِبِ

٣ - دَعْنُهُ وَفِي أَثْوَابِهِ مِنْ دِمَائِهَا خَلِيطًا دَمٍ مِنْ ثَوْبِهِ غَيْرِ ذَاهِبِ

نَائِلَةُ: امْرَأَةٌ زُوِّجَتْ قَاتِلَ أَبِيهَا أَوْ أَخِيهَا، فَجَعَلَ عُمَارَةُ يَعْيرُهُمْ ذَلِكَ. وَالْعَرَبُ يَقُولُ: دَمُ فُلَانٍ فِي ثَوْبِ فُلَانٍ، إِذَا كَانَ قَاتِلَهُ.

(١) التبريزي: «إلى أرض خيبر».

(٢) سبقت ترجمته في الحماسية ٥٩٦.

قال أوس بن حجر: [الكامل]

نُبِيتُ أَنَّ دَمًا حَرَامًا نِلْتُهُ فَهَرِيقٌ فِي ثَوْبٍ عَلَيْكَ مُحَبَّرٌ^(١)

وقال الفرزدق: [الطويل]

تَمَشَّى حَرَامٌ بِالْبَقِيعِ كَأَنَّهُا نَشَاوَى وَفِي أَثْوَابِهَا دَمٌ سَالِمٌ^(٢)

فيقول: أبدلكم الله يا بني مُنْقِذَ الْأَمْنِ خَوْفًا لَا يَفَارِقُكُمْ، وزادكم على مرِّ الْأَيَّامِ ذُلًّا وَخُضُوعًا، وَلَيْسَ مَجَسُّ وَسُقُوطًا، فَإِنَّهُ لَا يُعَلِّقُ الرَّجَاءَ بِكُمْ، وَلَا يَسْتَنِيْمُ أَحَدٌ إِلَيْكُمْ؛ بَعْدَ نَائِلَةِ الَّتِي دَعَتْ بِالْوَيْلَاتِ لَمَّا رَأَتْ ثَارَ غَالِبِ أَخِيهَا أَوْ أُبَيِّهَا، وَقَدْ مَلَكَتُمُوهُ أَمْرَهَا، وَجَعَلْتُمُوهُ بِالْتَزْوِيجِ قَيْمَهَا، ثُمَّ قَالَ: دَعَتْ نَائِلَةُ الْوَيْلِ وَفِي أَثْوَابِ زَوْجِهَا لَهَا خَلِيطًا دَمٌ هُمَا دَمُ أُبَيِّهَا أَوْ أَخِيهَا، بِقَتْلِهِ لَهُ؛ وَالثَّانِي دَمُ عُذْرَتِهَا، لِتَزْوِجِهِ بِهَا، فَهَمَا لِأَزْمَانٍ لَثْوِيهِ لَا يَفَارِقَانِهِ. وَيُرْوَى «شَرِيبًا دَمٌ». وَكُلُّ لَوْنَيْنِ اجْتَمَعَا فَهُمَا شَرِيبَانِ. وَقَوْلُهُ: «غَيْرُ ذَاهِبٍ»، غَيْرُ صِفَةٍ لِذِمٍّ، وَيُرْوَى: «مُهِرَّاقُهُ غَيْرُ ذَاهِبٍ»، وَيَكُونُ الْجَمْلَةُ صِفَةً لِذِمٍّ أَيْضًا. وَقَوْلُهُ: «مَنْ يَرْتَجِيكُمْ» اسْتَفْهَامٌ عَلَى طَرِيقِ التَّقْرِيعِ، وَفِيهِ مَعْنَى التَّقْيِ، أَيْ لَا يَرْجُوكُمْ أَحَدٌ. وَمَعْنَى «دَعَتْ وَبَلَّهَا» صَاحَتْ بِالْوَيْلِ لِي. وَفِي الْقُرْآنِ: ﴿وَأَجْرُ دَعْوَتِهِمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْفَاسِقِينَ﴾ [يُونُسُ: الْآيَةُ ١٠].

٦٠٢ - وَقَالَ طَرْفَةُ بْنُ الْعَبْدِ^(٣): [الطويل]

- ١ - وَفَرَّقَ عَنْ بَيْتَيْنِكَ سَفَدَ بَنٍ مَالِكٍ وَعَمَرًا وَعَوْفًا مَا تَشِي وَيَتَقُولُ
- ٢ - وَأَنْتَ عَلَى الْأَذْنَى شِمَالُ عَرِيَّةٍ شَامِيَّةٍ تَزْوِي الْوُجُوهَ بَلِيلُ
- ٣ - وَأَنْتَ عَلَى الْأَقْصَى صَبَا غَيْرُ قَرَّةٍ تَذَاءَبَ مِنْهَا مُزْرَعٌ وَمُسَبِيلُ
- ٤ - وَأَعْلَمُ عَلَمًا لَيْسَ بِالظَّنِّ أَنَّهُ إِذَا ذَلَّ مَوْلَى الْمَرْءِ فَهُوَ ذَلِيلُ

قوله: «ما تشي» في موضع الفاعل لفرَّق. و«ما» إن شئت جعلته بمعنى الذي، وصِلْتُهُ تَشِي، والضمير العائد من الصلة إليه محذوف كأنه قال: ما تَشِيهِ وتقولهُ. وإن شئت جعلت ما حرفًا ويكون مع الفعل في تقدير مصدر، ولا يحتاج إلى ضمير من

(١) لأوس بن حجر في ديوانه ٤٧، واللسان (هـ) وتاج العروق (هـ).

(٢) ديوانه ٧٧٦.

(٣) طرفة بن العبد البكري الوائلي: شاعر جاهلي من الطبقة الأولى، ولد في بادية البحرين، وتنقل في بقاع نجد (ت ٦٠ ق.هـ / ٥٦٤ م) ترجمته في: الشعر والشعراء ٤٩، والأغاني ٢١: ١٢١.

الصَّلَة يعود إليه، لكونه حرقاً، ويكون التقدير وشائتُك وقولُك. ويعني ببيتِكَ: أخواله وأعمامه. فيقول: فَرَّقَ عن بيتي أهليكَ وذويكَ من قَبَل أبيك وأمك ما تأتيه من إبلاغٍ تتقوُّلُها، ونمائم تخلقها وتصنُّفُها: سعد بن مالك وعمراً وعَوْفاً؛ وإنما يعني بهم أفخاذاً وبطوناً كان ضلُّعُهم معهم، فلم يَزَلْ يَسْعَى بالتحريض، ويمشي بالنَّميم، حتى فَرَّقَ جمعُهم، بما أَوْقَعَ من الشرِّ فيهم.

وقوله: «وأنت على الأدنى شَمالٌ عَرِيَّةٌ» فالعريَّة: الباردة، ومنه قولهم: عُرِواء الحُمى. فيقول: أنت على أقاربك في سوء اعتقادك لهم، وسَوِّك الشرِّ إليهم، وجَرَّك الجرائر عليهم، بمنزلة الريح الشَّمال الباردة، المحرقة للوجوه، إذا هَبَّت في الشَّتاء، ويضحبُها بَلَلٌ من المطر، ونَدَى يُقْبَضُ الجلدُ، ويَجْفُفُ المَفْصِلُ والوجه. وإنما قال شامية، وإن كان الشَّمال لا تهبُّ إلا من ناحية الشَّام تأكيداً. وللصفات كما تجيء مفيدةٌ مميزةٌ تجيء أيضاً مؤكدة لا تُفِيد في الموصوف أكثر مما عُرِفَ فيه. وعلى هذا قد تجيء الأحوالُ أيضاً، لكونها صفاتٍ في الأصل.

وقوله: «وأنت على الأقصى صَباً غيرُ قَرَّةٍ» يريد أنه على الأجانب في تعطفه عليهم، والانطواء على الجميل لهم، بمنزلة ريح الصَّبَا تَهْبُ ولا بَرْدَ معها. وقد تَذَاءَبَ منها، أي تَسَهَّلَ واضطربَ من أجلها. والدُّثْبُ فيمن هَمَزَه منه اشتقَّ، لأنه كلما طُرِدَ من جانبٍ يتسهَّلُ ويحصل من جانبٍ آخر، لوقاحته. والمُرْزُغُ: الذي يأتي بالرزغة، وهي الوَحْل. والمَسِيلُ: المُذِيبُ للجامد. والمعنى: أنت للأجانب بمنزلة القَبُول التي تُرْزَغُ الأرض في مهابِّها، وتُسِيلُ التَّلَاعَ، وتَبُثُّ الخيرَ، وتوسِّعُ الخِصْبَ.

وقوله: «وأعلم علماً ليس بالظنِّ» لما كان لفظَةُ العِلْمِ قد يُطْلَقُ على الظنِّ الغالب، لقيامه مقام ما هو عِلْمٌ في الحقيقة، أكَّدَ قوله وأعلَمَ بقوله ليس بالظنِّ، وبَيَّنَ بهذا الكلام الخطأ فيما يأتيه المخاطب، وأنه إذا أفات نفسه حظُّه من أقاربه وعشائره بسوء معاملته، فإنه لا يستفيد من الأجانب ما عند الحاجة يُغني، وإذا دَلَّ أتباعه ولم يستبقِهم لنفسه فالذلُّ لا حقَّ له، ومُحْتَفٌّ به. وبهذا الخطاب نَعَى عليه فعلة، وبَيَّنَ له سوء التقدير فيما اختارَه، وفعلَ العَوَايَةِ فيما اعتقَدَه واعتادَه. والضمير من قوله: «إنه» للأمر والشأن، كأنه قال: وإن الأمر الحقُّ إذا ابنُ عمِّ المرء فهو دَلِيل.

٦٠٣ - بُشَيْر بن أَبِي جَذِيمَةَ^(١): [الطويل]

- ١ - أَتَخْطِرُ لِلْأَشْرَافِ يَا قِرْدَ جَذِيمٍ وهل يَسْتَعِدُّ الْقِرْدُ لِلْخَطَرَانِ
- ٢ - أَبَى قِصْرُ الْأَذْنَابِ أَنْ يَخْطِرُوا بِهَا وَلَوْمْ بَنِي قِرْدٍ بِكُلِّ مَكَانٍ^(٢)
- ٣ - لَقَدْ سَمِنْتَ قِعْدَانُكُمْ أَلَّ جَذِيمٍ وَأَحْسَابُكُمْ فِي الْحَيِّ غَيْرُ سِمَانٍ

قوله: «أَتَخْطِرُ» لفظه لفظ الاستفهام، والمعنى التبكيت. ولما كان المخاطب من بني قِرْدٍ جعله قِرْدًا في الحقيقة. والخطَر: أصله إشالة الذنب من الفعل عند هياجه ومضاوَلته لفعلٍ آخر، فاستعاره لفعلٍ هؤلاء المخاطبين لما حَدَّثُوا أَنْفُسَهُمْ بمباراةِ الأشرافِ ومساجلَتِهِمْ. فيقول: أَتَحَدِّثُ نَفْسَكَ عَلَى بَاعِكَ الضَّيِّقِ، وَذَنْبِكَ الْقَصِيرِ، بِمَجَادِبَةِ الْأَشْرَافِ وَمَخَاطَرَتِهِمْ، حَتَّى تَفْعَلَ مَا يَفْعَلُهُ الْفَحْلُ فِي صِيَالِهِ؟ أَتَى لَكَ ذَلِكَ، وَالْقِرْدُ لَا ذَنْبَ لَهُ يُشَاوِلُ بِهِ وَيَخْطِرُ؟ وَهَذَا مَثَلٌ، وَفِيهِ مَعَ الْإِزْرَاءِ تَهْكُمُ.

وقوله: «أَبَى قِصْرُ الْأَذْنَابِ أَنْ يَخْطِرُوا بِهَا» رَجَعَ الضمير إلى القبيلة بأسرها. وقوله: «لَوْمْ بَنِي قِرْدٍ» الواو للابتداء ومفيدة للحال: والمعنى اشتهارهم باللؤم حتى لا يخفى أمرهم في جوانب أرضهم، وعند أعلام معارفهم.

وقوله: «أَبَى قِصْرُ الْأَذْنَابِ» تفسيرٌ لما أنكره بقوله: «وَهَلْ يَسْتَعِدُّ الْقِرْدُ لِلْخَطَرَانِ»، وتفصيلٌ لما أبهمه.

وقوله: «لَقَدْ سَمِنْتَ قِعْدَانُكُمْ» فالقِعْدَانُ^(٣): جمع القَعُودِ، وهي الناقة تُقْتَعَدُ، أَي تُرْكَبُ.

وقوله: «أَلَّ جَذِيمٍ» إضافته لآلٍ إلى جَذِيمٍ إضافةً البعض إلى الكلِّ وكذلك في قوله: «يَا قِرْدَ جَذِيمٍ»، يكشف لك أنه قال: وَلَوْمْ بَنِي قِرْدٍ بِكُلِّ مَكَانٍ. وإنما ينسُبُهُم إلى حُسْنِ تَفَقُّدِهِمْ لِأَمْوَالِهِمْ، وَسُوءِ إِهْمَالِهِمْ لِحَسْبِهِمْ، فَقَدْ سَمِنَتْ إِبِلُهُمْ بِحُسْنِ رَغِيَتِهِمْ لَهُ، وَتَوَفَّرَهُمْ عَلَى إِصْلَاحِهَا، وَتَرْقِيحِ عَيْشِهِمْ بِتَثْمِيرِهَا وَتَكْثِيرِ نَسْلِهَا، وَأَنَّ

(١) التبريزي: «بُشَيْر بن أَبِي بن جَذِيمَةَ بن الحكم بن مروان بن زُبَاعِ بن جَذِيمَةَ».

(٢) التبريزي: «أَنْ تَخْطِرُوا بِهَا».

(٣) التبريزي: يقال: الْقَعُودُ الذَّكَرُ وَالْقُلُوصُ الْأُنْثَى مِنْ شَوَابِ الْإِبِلِ، وَإِنَّمَا جَعَلَ قِعْدَانَهُمْ سَمِينَةً لِأَنَّهُمْ يُوَثِّرُونَهَا بِاللَّبَنِ عَلَى الضَّيْفِ وَالْجَارِ فَأَحْسَابُهُمْ غَيْرُ سِمَانٍ لِأَنَّهُمْ يَضْمَعُونَ الْحَقُوقَ فَلَا حِسَبَ لَهُمْ يَمْدَحُونَ بِهِ».

أَخْسَابَهُمْ مَضِيعَةً مَهْمَلَةً، مَتْرُوكَةٌ مِنَ التَّفَقُّدِ بَاطِرَةٌ، لَا تُرْمُ فِرْعُوعُهَا، وَلَا تُضْبَطُ أَصُولُهَا، وَلَا يُحْفَظُ بِحُسْنِ الْمِرَاعَاةِ مِنَ السَّقُوطِ وَالرُّزُوحِ هَزِيلُهَا.

٦٠٤ - وَقَالَ أَبُو مَنَازِلٍ ^(١) فِي ابْنِهِ: [الطويل]

- ١ - جَزَتْ رَجَمٌ بَيْنِي وَبَيْنَ مَنَازِلٍ جَزَاءً كَمَا يَسْتَنْزِلُ الدِّينُ طَالِيَهُ
- ٢ - تَرَبَّيْتُهِ حَتَّى إِذَا آخَرَ شَيْطَنًا يَكَادُ يُسَاوِي غَارِبَ الْفَخْلِ غَارِبُهُ ^(٢)
- ٣ - تَغَمَّدَ حَقِّي ظَالِمًا وَلَوَى يَدِي لَوَى يَدَهُ اللَّهُ الَّذِي هُوَ غَالِيهِ ^(٣)

قوله: «جَزَتْ رَجَمٌ» دعاء على ابنه منازل، وجعل فعل الجزاء للرحم. والجازي هو الله تعالى، لأنه السبب في الجزاء، ولتكون الشكوى أبلغ، فيقول: جَزَى الله مَنَازِلًا على الرحم التي بيني وبينه وقد قَطَعَهَا ولم يَقم بحَقِّهَا، جزاءً يَسْتَوْفِي له وعليه مَا يَحِقُّ، كَمَا يَسْتَنْزِلُ طَالِبُ الدِّينِ مِمَّنْ عَلَيْهِ الدِّينُ حَقُّهُ. ثم أخذ يقتص ما دار بينهما، وما أوجب عليه الفرض الذي ضيَّعه فقال: تَرَبَّيْتُهِ طِفْلًا وَنَاشِئًا، حَتَّى إِذَا صَارَ شَابًا طَوِيلَ الْقَامَةِ يَكَادُ غَارِبُهُ يُسَاوِي غَارِبَ الْفَخْلِ، أي بلغ قَامَتُهُ قَامَةَ الْفَخْلِ. والغارب: مُقَدِّمُ السَّنَامِ. وَالشَّيْطَنُ: الطَّوِيلُ الْغَلِيظُ. وَيُرْوَى: «لَرَبِّيَّتُهُ»، ويكون اللام جواب قَسَمِ انطوى عليه الكلام. ويقال: رَبِّيَّتُهُ وَتَرَبَّيْتُهِ بِمَعْنَى وَاحِدٍ. حَتَّى إِذَا آخَرَ، أي إِلَى أَنْ صَارَ. وَإِذَا جَوَابُهُ قَوْلُهُ: «تَغَمَّدَ حَقِّي» يريد: لَمَّا بَلَغَ هَذَا الْمَبْلَغَ سَرَّ حَقِّي وَلَمْ يَفِ بِهِ، مُتَعَدِّيًا طَوْرَهُ، وَبَاحِثًا مَا اسْتَوْجَبَتْهُ عَلَيْهِ بِالْوِلَادَةِ وَالتَّرْبِيَةِ، فَلَمَّا جَادَبَتْهُ بِلِسَانِي مَدَّ يَدَهُ فَلَوَى يَدِي، أي فَتَلَّهَا وَأَزَلَّهَا عَنْ حَالِهَا وَهَيْئَتِهَا ثُمَّ قَالَ دَاعِيًا

(١) التبريزي: «وقال فرعان بن الأعراف في ابنه منازل»، وفرعان بن الأعراف من رَهط الأحنف، ذكره المرزباني فقال: مخضرم، له مع عمر بن الخطاب حديث في عقوق ولده منازل (الإصابة ٧٠١٥، والمرزباني ٣١٦).

(٢) التبريزي: «لَرَبِّيَّتُهُ»، وهو جواب قسم انطوى عليه الكلام، وَرَبِّيَّتُهُ، وَتَرَبَّيْتُهِ وَرَبِّيَّتُهُ تَرَبَّيَّا بِمَعْنَى وَاحِدٍ. وبعده عند التبريزي:

«فَلَمَّا رَأَيْتِي أَبْصَرُ الشَّخْصَ أَشْخَصًا قَرِيبًا وَذَا الشَّخْصَ الْبَعِيدَ أَقَارِبُهُ» (٣) وبعده عند التبريزي:

«وَكُنْ لِي عِنْدِي إِذَا جَاعَ أَوْ بَكَى وَرَبِّيَّتُهُ حَتَّى إِذَا مَا تَرَكَتُهُ وَجَمَعْتُهَا دُهِمًا جِلَادًا كَأَنَّهَا فَأَخْرَجَنِي مِنْهَا سَلِيْبًا كَأَنَّنِي إِنْ أَرَعَشْتَ كَفًّا أَبْيَكُ وَأَصْبَحْتَ مِنْ الزَادِ أَحْلَى زَادِنَا وَأَطَايِبُهُ أَخَا الْقَوْمِ وَاسْتَغْنَى عَنِ الْمَسْحِ شَارِبُهُ أَشَاءَ نَخِيلٍ لَمْ تُقَطَّعْ جَوَانِبُهُ حَسَامٌ يَمَانٍ فَارْقَتَهُ مَضَارِبُهُ يَدَاكَ يَدْنِي لَيْسَ فَلَئِكَ ضَارِبُهُ»

عليه: لَوَى يَدَهُ اللهُ، أَي أَشْلَهَا وَأَبْطَلَهَا، وَهُوَ الْقَادِرُ عَلَى ذَلِكَ مِنْهُ، وَالْغَالِبُ لَهُ وَعَلَيْهِ.

٦٠٥ - وَقَالَ عَارِقُ الطَّائِي^(١): [الطويل]

- ١ - وَاللَّهُ لَوْ كَانَ ابْنُ جَفْنَةَ جَارَكُمْ لَكَسَا الْوُجُوهُ غَضَاضَةً وَهَوَانَا
٢ - وَسَلَسِلًا يُشْنِنِينَ فِي أَعْنَاقِكُمْ وَإِذَا لَقِطُوعَ مِنْكُمْ الْأَقْرَانَا
٣ - وَلَكَانَ عَادَتُهُ عَلَى جَارَاتِهِ مِسْكًا وَرَيْطًا رَادِعًا وَجِفَانَا
- لهذه الأبيات قصّة طريفة، وأنا أذكرها بما عَرَضَ من السُّهُو فيها.

ذكر هشامُ الكلبي أَنَّ عمرو بنَ المنذر بن ماء السماء - وأمه هند بنت الحارث المَلِك - كَانَ عَاقِدَ طَيْئًا أَلَا يُغَزُّوْا وَلَا يُفَاخِرُوْا، فَاتَّفَقَ أَنْ غَزَا عَمْرُو الْيَمَامَةَ فَرَجَعَ مُنْفِضًا، فَمَرَّ بِطَيْيٍّ، فَقَالَ زُرَّارَةُ بْنُ عُذْسٍ: أَيْبَتَ اللَّعْنَ، أَصِيبَ مِنْ هَذَا الْحَيِّ شَيْئًا. فَقَالَ: وَيْلَكَ، إِنَّ لَهُمْ عَقْدًا! قَالَ: وَإِنْ كَانَ، فَإِنَّكَ لَمْ تَكْتُبِ الْعَقْدَ لَهُمْ كُلَّهُمْ. فَلَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى أَصَابَ نِسْوَةً وَأَذَوَادًا، فَقَالَ فِي ذَلِكَ قَيْسُ بْنُ جِرْوَةَ الْأَجَنِّي: [الطويل]

أَلَا حَيٌّ قَبْلَ الْبَيْنِ مَنْ أَنْتَ عَاشِقُهُ وَمَنْ أَنْتَ مُشْتَقٌّ إِلَيْهِ وَشَائِقُهُ

- وَسَتَجِيءُ الْأَبْيَاتُ فِي هَذَا الْبَابِ مِنَ الْاخْتِيَارِ مِنْ بَعْدُ، لَكِنْ فِي آخِرِهَا قَوْلُهُ:

لِئِنْ لَمْ تُغَيِّرْ بَعْضَ مَا قَدْ صَنَعْتُمْ لَأَنْتَحِينَ لِلْعَظَمِ دُوَ أَنَا عَارِقُهُ

فَلَقَّبَ يَوْمَئِذٍ بِعَارِقٍ - فَلَمَّا بَلَغَ عَمْرُو بْنُ هِنْدٍ هَذَا الشَّعْرَ قَالَ لَهُ زُرَّارَةُ: أَيْبَتَ اللَّعْنَ، إِنَّهُ لَيَتَوَعَّدُكَ عَلَى انتِقَامِهِ بَرْغَمِهِ. فَقَالَ عَمْرُو لثُرْمَلَةَ بْنِ شُعَاثِ الْأَجَنِّي: أَيَهْجُونِي ابْنُ عَمِّكَ وَيَتَوَعَّدُنِي؟ فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا هَجَاكَ، وَلَكِنَّهُ قَالَ:

وَاللَّهُ لَوْ كَانَ ابْنُ جَفْنَةَ جَارَكُمْ مَا إِنْ كَسَاكُمْ غَضَّةً وَهَوَانَا

وَسَلَسِلًا يَبْرُقْنَ فِي أَعْنَاقِكُمْ وَإِذَا لَقِطُوعَ مِنْكُمْ الْأَقْرَانَا

وَلَكَانَ عَادَتُهُ عَلَى جِيرَانِهِ ذَهَبًا وَرَيْطًا رَادِعًا وَجِفَانَا

(١) التبريزي: «يهجو المناذرة». وعارق الطائي: قيس بن جريرة بن سيف الأجنبي الطائي: شاعر جاهلي كان من سكان أجا وإليها نسبته (ت نحو ٥٠ ق.هـ، نحوه ٥٧٥ م)، ترجمته في المرزباني ٣٢٦، وخزانة البغداد ٣: ٣٣٠، والأغاني ١٩: ١٢٧. وفي التبريزي: قال أبو رياش: ليس هذا الشعر لعارق، وإنما هو لثرملة بن شعاث الأجنبي، قاله على لسان عارق.

يعني بابين جَفَنَة عمرو بن الحارث، وإنَّما أراد تُزْمَلُهُ أَنْ يُقْبَحَ عليه فَعَلَنَّهُ، ومع ذلك يُذْهِبُ سَخِيمَتَهُ على ابن عَمِّه، فقال عمرو: والله لأَقْتُلَنَّه! فَبَلَغَ ذلك عَارِقًا فقال: [الطويل]

من مُبْلِغِ عمرو بنِ هِنْدٍ رِسَالَةً إذا اسْتَحَقَّ بَها الْعِيسُ تُنْضَى مِنَ الْبُعْدِ
وستجيء من بعدُ أيضًا إن شاء الله.
قال الشيخ الإمام أبو علي رحمه الله:

وإذا تأملت ما اقتصصتُ، بأنَّ لك أنَّ هذه الأبيات التي أولها: «والله لو كان ابنُ جَفَنَةَ»، ليس بهجو لابن جفنة وإنَّما هو مَذْحُ له، وقد عُيِّرَ بذكره عمرو بن هند، وأنَّه لو تولَّى من طييء ما تولاه عمرو بن هند كان معاملته إياهم بخلاف ما عاملهم به هو، فَتَصَوَّرَ أنَّها هَجْوُ لابن جَفَنَةَ، وجعل بدل «ما إن كساكم»: «لَكَسَا الوجوه»، وبَدَل قوله: «إذا لَقِطْعَ تَلَكُمُ الْأَقْرَانَا»: «منكم الأقرانا»، وبَدَل قوله: «ولكان عادته على جيرانه: على جاراته، ومع هذه التغيرات ليس يَخْلُصَ هَجْوًا.

قال أبو علي: وأنا أعودُ إلى عادتي من تفسيرها وشرح معانيها:

قوله: «عَضَّة» فَعْلَةٌ من عَضَّ، والغضاضة والعَضُّ: الفُتور في الطَّرْفِ. ونَصَبَ قوله: «وسلاسلًا» على المعنى، فهو من باب قول الآخر: [مجزوء الكامل]

يَا لَيْتَ بَعْلُكَ قَدْ عَدَا مَتَقَلِّدًا سَيْفًا وَرُمَحًا^(١)

لأنَّ السَّلاسلَ ليس من كُسوة الوجوه، فكأنَّه قال: ما إن كساكم عَضَّة ولا قَلْدَكُمْ إذا غَلَّكُمْ سلاسلَ تبرُّق في أعناقكم. وقوله: «يُثْنَيْنِ» معناه يُغَطِّفَنَّ وَيُلَوِّنَنَّ. وإذا لَقِطْعَ تَلَكُمُ الْأَقْرَانَا فالأقْرانُ الحِبال، والواحدُ قَرْنٌ. وإذا رَوَيْتَ «يَبْرُقَنَّ» فالمعنى ظاهر. ويشيرُ إلى ما لحقهم من جهة عمرو بن هند. وقوله: «إذا» أجابَ لَوْ بِإِذَا كما أجابه باللام من قوله: «لكسا» وبما على الأصل الأوَّل. ومعنى «لَقِطْعَ تَلَكُمُ الْأَقْرَانَا» أي لو كنتم مأسورين لكان يَفَكُّكُمْ، ويقطع تلك الحبال التي صارت إسارًا لكم. وإذا رَوِي «وإذا لَقِطْعَ منكم الأقرانا» كان معنى البي: يشدُّكم في السَّلاسل ويبدِّدُ جمعكم. وقوله: «ولكان عادته على جيرانه»، يريد أنَّه يفعل خلافَ ما فعله عمرو بن هند، لأنَّ

(١) بلا نسبة في أمالي المرتضى ١: ٥٤، وخزانة الأدب ٢: ٢٣١، واللسان (رغب، زجج، مسح، قلد، جدع، جمع، هدى).

عَادَتَهُ فِي الْجِيرَانِ أَنْ يَمُولَهُمْ وَيَصْلَهُمْ، وَيَبْرِهْمُ وَيَخْلَعُ عَلَيْهِمْ، وَيَقْرِيهُمْ وَيَمُونُهُمْ. وعلى الرواية الثانية يرميه ويقذفه بالجارات، ومعنى ذلك ظاهر. والرّادع: المتغيّر اللون بالطيب والخلوق. ويقال: تَرَدَّعَ بِالْخُلُوقِ، إِذَا تَلَطَّخَ.

٦٠٦ - وقال آخر^(١): [الوافر]

١ - زَعَمْتُمْ أَنَّ إِخْوَتَكُمْ قُرَيْشٌ لَهُمْ إِلْفٌ وَلَيْسَ لَكُمْ إِلَّافٌ
٢ - أُولَئِكَ أَوْمِنُوا جُوعًا وَخَوْفًا وَقَدْ جَاعَتْ بَنُو أَسَدٍ وَخَافُوا

يخاطب بني أسد ويكذب دعواهم في انتمائهم إلى قريش، وتنسبهم بالقربى والقربة منهم، فقال: ادّعيتم أن قريشًا إخوتكم، وسيماء الكذب ظاهرة على هذه الدّعى، لأنّ لقريش إيلافًا في الرّحلتين المعروفتين للتجارة، وليس لكم ذا؛ وقد آمنهم الله تعالى من الجوع والخوف، وأنتم خائفون جائعون. وإنما يُشير إلى السّورة المُنزلة: ﴿لَا يَلْفُ قُرَيْشٌ ۖ لِّإِلْفِهِمْ رِحْلَةُ الشَّيْءِ ۖ وَالصَّيْفُ ۖ﴾ [قريش: الآيتان ١، ٢]... إلى آخرها. ويقال أَلْفٌ يَأْلَفُ إِلْفًا وَإِلَافًا، وَأَلْفٌ يُؤْلَفُ إِيْلَافًا.

٦٠٧ - وقال آخر^(٢): [البسيط]

١ - إِنْ يَسْمَعُوا رِبَّةً طَارُوا بِهَا فَرَحًا مِئِي وَمَا سَمِعُوا مِنْ صَالِحٍ دَفَنُوا
٢ - ضُمُّ إِذَا سَمِعُوا خَيْرًا ذُكِرْتُ بِهِ وَإِنْ ذُكِرْتُ بِشَرٍّ عِنْدَهُمْ أَذِنُوا
٣ - جَهْلًا عَلَيَّ وَجَبْنَا عَنْ عَدُوهِمْ لِبَيْسَتِ الْخُلَتَانِ الْجَهْلُ وَالْجُبُنُ^(٣)

انتصب «فرحًا» على أنّه مفعول له، وكان الواجب أن يقول: يطيروا بها فرحًا، لأنّه لا يجوز أن يُعملَ حرفُ الشّرط في الشّرط بالجزم ويُجعل الجوابُ فعلًا ماضيًا في الكلام، وإن كَانَ يجوز في الشّعَر. ومعنى البيت الأول أنّهم إذا رأوا حسنّة كَتَموها، وإذا رأوا سيّئة أظهروها. وقوله: «مِئِي» أراد من جهتي. ومعنى «طاروا بها» أي كَثَرُوا فِي النَّاسِ وَأَدَاعَوْهَا، وَوَصَلُوا الْقِيَامَ بِالْقَعْدِ فِي نَشْرِهَا. وهذا ضدُّ ما ذكره من الدّفن في قوله: «وما سمعوا من صالحٍ دَفَنُوا» في المعنى.

(١) التبريزي: «وقال مساور بن هند بن قيس بن زهير، يهجو بني أسد».

(٢) التبريزي: «وقال: قنعب بن ضمرة» وهو من شعراء العصر الأموي، له هجاء في الوليد بن عبد الملك (ت نحو ٩٥ هـ / ٧١٤ م). ترجمته في سمط اللاّلي ٣٦٢.

(٣) التبريزي: «جهلاً علينا».

وقوله: «صُمُّ إِذَا سَمِعُوا خَيْرًا» ارتفع صُمُّ على أَنَّهُ خبر مبتدأ محذوف، كأنه قال: هم صُمُّ، أي يتصاممون عَمَّانُ أَنَسَبُ إِلَيْهِ مِنَ الْخِصَالِ الصَّالِحَةِ. ويقال لِلْمُعْرِضِ عَنِ الشَّيْءِ: هُوَ أَصَمُّ عَنْهُ. على ذلك قوله: [الرجز]
أَصَمُّ عَمَّا سَاءَهُ سَمِيعٌ^(١)

قال: ومتى ذُكِرْتُ بِشَرٍّ أَدْرَكُوهُ وَعَلِمُوهُ. ويقال: أَذِنَ يَأْذَنُ أَذْنًا. قال: [الرملة]

بِسَمَاعٍ يَأْذَنُ الشَّيْخُ لَهُ^(٢)

ويجوز أن يكون اشتقاقه من الأذن الحاسة. وانتَصَبَ «جهلاً» لأنه مصدر لِعَلَّة. يَنْسُبُهُمْ إِلَى أَنَّهُمْ مَعَ الْأَقَارِبِ يَسْتَعْمِلُونَ الْجَهْلَ وَالْحَسَدَ عَلَيْهِمْ وَمَعَهُمْ، وَأَنَّهُمْ جَبْنَاءُ عَنِ الْأَعْدَاءِ ضَعْفَاءُ عَجْزَةٌ إِذَا طُلِبَ كِفَايَتُهُمْ، لَا يَصْلَحُونَ لِدَفْعِ مَكْرُوهِهِ، وَلَا لَجَلْبِ محبوب. ثم سَوَّاهُمْ عَلَيْهِمْ فَعَلَّهُمْ فَقَالَ: بِشَيْءٍ الْخَصْلَتَانِ جَهْلُهُمْ عَلَى أَقَارِبِهِمْ، وَجُبْنُهُمْ عَنِ أَعَادِيهِمْ. وهذا تأكيد في التعبير، ومبالغة في التقرُّيع.

٦٠٨ - وقال منصور بن مسجاح^(٣): [الطويل]

١ - ثَاثُ رِكَابِ الْغَيْرِ مِنْهُمْ بِهَجْمَةٍ صَفَايَا وَلَا بُنْيَا لِمَنْ هُوَ ثَائِرٌ^(٤)

٢ - مِنَ الصُّهْبِ أَثْنَاءُ وَجُدْعَا كَأَنَّهَا عَذَارَى عَلَيْهَا شَارَةٌ وَمَعَاصِرُ

قوله: «رِكَابُ الْغَيْرِ» يُرَوَّى «رِكَابُ الْقَوْمِ». وأراد بِالْغَيْرِ السَّيِّدِ، وَكَانَ اسْتِيقَ لِرَأْسِهِمْ إِبِلٌ فَارْتَجَعَ بَدَلًا مِنْهَا عَلَى مَا وَصَفَهُ. ومعنى «ثَاثُ رِكَابِ الْغَيْرِ» أي أدركت الثَّارَ فِيهَا مِنْهُمْ بِأَنِّ أَخَذْتُ هَجْمَةً مِنَ الْإِبِلِ - وهي المائة وما دَانَاهَا - غَزَارًا سَمِينَاتٍ، وَالثَّائِرُ لَيْسَ مِنْ حَقِّهِ أَنْ يُبْقَى، وَالْأَصْلُ فِي الثَّائِرِ الْقَاتِلِ، فَوَضَعَهُ مَوْضِعَ الْوَاتِرِ الْمُنْتَقِمِ. يقال: ثَاثُ فُلَانًا وَثَارَتْ بَقْلَانِ، إِذَا قَتَلْتَ قَاتِلَهُ.

وقوله: «مِنَ الصُّهْبِ أَثْنَاءُ وَجُدْعَا»، هذا تفسير لِلْهَجْمَةِ، وَتَفْصِيلٌ لِلْجُمْلَةِ، يَرِيدُ: مِنَ الْإِبِلِ الصُّهْبِ. وَالصُّهْبَةُ: حَمْرَةٌ يَعْطُوهَا بَيَاضٌ. وَتَعْلَقُ مِنْ بَقُولِهِ هَجْمَةٌ.

(١) بلا نسبة في اللسان (سمع، صمم)، وتهذيب اللغة ١٢٥:٢، وتاج العروس (صمم).
(٢) لعدي بن زيد في ديوانه ٩٥، واللسان (مود، شور، أذن)، وبلا نسبة في ديوان الأدب ٣٤٢:٣، وعجزة:
(٣) التبريزي: «منصور بن مسجاح الضبي» وهو شاعر جاهلي، ترجمته في معجم المرزباني ٣٧٣.
(٤) التبريزي: «ولا بقاء لمن هو ثائر».

«وحديث مثل ما ذِي مُشَارٍ»

وأثناء: جمع ثَبِيٍّ. والجُدْع: جمع جَدْعٍ، وهو كَخَشْبٍ وَخَشَبٍ. والحجة في أَنَّ العَيْرَ السَّيْدُ قَوْلُهُ: [الخفيف]

رَعَمُوا أَنَّ كُلَّ مَنْ ضَرَبَ الْعَيْنَ رَمَ مَوَالٍ لَنَا وَأَنَا الْوَلَاءُ^(١)

وهذا أحد الوجوه التي قيل فيه. وقوله: «كَأَنَّهَا عَذَارَى» يعني حُسْنَهَا، والمَعَاصِر: جمع الْمُعَصِرِ، وهي من النساء التي شارَفَت الإدراك والبُلُوغ. قال: [الرجز]

قَدْ أَغْصَرْتُ أَوْ قَدْ دَنَا إِغْصَارُهَا^(٢)

والشَّارَةُ: الهيئة. ويقال: رَجُلٌ شَيَّرَ صَيَّرَ، من الصُّورَةِ والشَّارَةِ.

٣ - فَإِنْ تَلَقَّ مِنْ سَعْدٍ هَنَاتٍ فَإِنَّا نَكَايِرُ أَقْوَامًا بِهِمْ وَتُفَاخِرُ

٤ - لَقَدْ كَانَ فِيكُمْ لَوْ وَفَيْتُمْ لَجَارِكُمْ لِحَى وَرِقَابَ عَزْدَةَ وَمَنَاخِرُ^(٣)

يَبَيِّنُ أَنَّ الَّذِينَ أَدْرَكَ مِنْهُمْ مَا أَدْرَكَ هُمُ بَنُو سَعْدٍ. وهذا الكلام تهكُّمٌ وَسُخْرِيَّةٌ. كَأَنَّهُ يَرِيدُ: إِنْ اتَّفَقَ مِنْ سَعْدٍ الزُّلَّةُ بَعْدَ الزُّلَّةِ، وَالسَّقْطَةُ الْمُنْكَرَةُ بَعْدَ السَّقْطَةِ، فَإِنَّا عَلَى ذَلِكَ نَكَايِرُ بِهِمُ الْأَعْدَاءَ. وَتُفَاخِرُ بِمَكَائِبِهِمْ. ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِمْ وَقَدْ نَقَلَ الْكَلَامَ عَنِ الْإِخْبَارِ إِلَى الْخَطَابِ، فَقَالَ: لَوْ رُمِئْتُمْ الْوَفَاءَ لَجَارِكُمْ، وَلَمْ تَطْمَعُوا فِي مَالِهِ لَقُرُبَ ذَاكَ عَلَيْكُمْ، فَإِنَّ آيَاتِ الْوَفَاءِ مُعَدَّةٌ فِيكُمْ: لِحَى مَوْفُورَةٌ، وَرِقَابٌ غَلِيظَةٌ، وَمَنَاخِرُ وَاسِعَةٌ مَتَفَخَّةٌ.

٦٠٩ - وَقَالَ حَوَاسُ الضَّبِيِّ لَامْرَأَةٍ^(٤): [الطويل]

١ - وَاللَّهِ مَا أَخْشَى حَكِيمًا وَرَهْطَةً وَلَكِنَّمَا يَخْشَى أَبَاكَ حَكِيمٌ^(٥)

(١) للحارث بن حلزة في معلقته.

(٢) لمنظور بن مرثد الأسدي في اللسان (عصر، سفا)، ولمنظور بن حبة في تاج العروس (عصر)، وبلا نسبة في ديوان الأدب ٢: ٢٩٨، وقيله:

«جارية بسفوان دارها تمشي الهوينى ساقطًا خمارها»

(٣) بعده عند التبريزي:

«فبهراً لمن غرث كفالاً منقر وإن كان عقدً بينهم متظاهراً»

(٤) هذه الأبيات يقولها رداً على أبيات قالتها امرأة من عائدة بن مالك له، وأنشدها التبريزي: [الطويل]

«متى تَلَقَّ جَوَاسًا وَإِنْ كَانَ مُحَرَّمًا يَقُلْ لَكَ هَلْ تَخْشَى عَلَيَّ حَكِيمًا
وَمَا لِي لَا أَخْشَى عَلَيْكَ مُحَرَّبًا أَخَا ثِقَةٍ يَنْعَى قَتِيلًا كَرِيمًا
مَتَى تَلْقَهُ يَعْدُو بِهِ الْوَرْدَ جَائِلًا يَشْكُتُهُ تَلَقَّى الْأَلَدُ الْغَشُومًا»

(٥) التبريزي: «قيل: إن الصحيح من الروايات: (ولكنما يهواك أنتِ حَكِيمٌ)، وعلى هذا يجعل =

٢ - وَجَدْتَ أَبَاكَ تَابِعًا فَتَبِعْتَهُ وَأَنْتَ لِعُهَّارِ الرُّجَالِ لَزُومٌ

رَمَى الْمَرْأَةُ الْمُخَاطَبَةَ وَقَذَفَهَا بِحَكِيمٍ، فَقَالَ لَهَا مُعَيَّرًا وَمُشَهِّرًا بِهَا: إِنِّي لَا أَخَافُ صَاحِبَكَ حَكِيمًا وَلَا عَشِيرَتَهُ، وَلَا أَحْتَشِمُهُمْ فِيكَ، وَلَكِنْ حَكِيمٌ يَخْشَى أَبَاكَ لِاجْتِمَاعِهِ مَعَكَ عَلَى الْفَاحِشَةِ. ثُمَّ قَالَ: تَعَاطِيكَ الْفُجُورَ وَرِاثَتَهُ، لِأَنَّكَ وَجَدْتَ أَبَاكَ فِي الْأُبْنَةِ تَابِعًا لِسَلَفِهِ فِيهَا، فَاقْتَدَيْتَ بِهِ، فَهُوَ يَطْلُبُ مَنْ يَشْفِيهِ مِنْ دَائِهِ، وَأَنْتَ أَيْضًا شَدِيدَةُ اللَّزَامِ لِلزُّنَاةِ وَالْفُسَاقِ، وَالْوَلَدُ يَتَّقِلُ أَبَاهُ.

٣ - عَلَى كُلِّ وَجْهِ هَائِذِي دَمَامَةٌ يُوَافِي بِهَا الْأَحْيَاءُ حِينَ تَقُومُ^(١)

٤ - وَأَوْرَثَهَا شَرَّ الثُّرَاثِ أَبَوَهُمْ قَمَاءَةٌ جِشَمٍ وَالرِّدَاءُ دَمِيمٌ

تَعَدَّاهُمَا إِلَى فَصِيلَتَيْهِمَا فَقَالَ: عَلَى وَجْهِ كُلِّ رَجُلٍ مِنْ بَنِي عَائِذَةَ قُبْحٌ وَخِزْيٌ، إِذَا قَامَتِ أَحْيَاءُ الْعَرَبِ فِي أَسْوَاقِهِمْ وَمَجَامِعِهِمْ يُوَافِيهِمْ بِهِ. وَالْمَعْنَى أَنَّهُمْ مَشْهُورُونَ بِاللُّؤْمِ وَدَنَاءَةِ الثُّفُوسِ، فُجُوهُهُمْ مَسْوَدَّةٌ بِالْعَارِ، مَشْوَهَةٌ بِسُوءِ الْفَعَالِ عِنْدَ الْقِبَائِلِ، فَمَتَى وَافَقُوا يَوْمًا مَجْمُوعًا فِيهِ النَّاسُ وَجَدَ آثَارُ الْخِزْيِ، وَعُضَاصَةُ الطَّرْفِ لِلْخِزْيَةِ، تَلَوُّحٌ عَلَى صَفَحَاتِ وُجُوهِهِمْ. وَدَمَامَةُ الْوَجْهِ ضَرْبُهَا مِثْلًا لَذَلِكَ.

وقوله: «وأورثها»، يريد أن اللؤم فيهم وراثته، وقد عَرَفُوا ذَلِكَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَاعْتَرَفُوا بِهِ، فَتَرَى أَجْسَانَهُمْ فِي الْمَحَافِلِ وَالْمَشَاهِدِ قَمِيئَةً تَصَاغَرًا وَتَذَلُّلًا، وَتَقَاصُورًا وَتَخَشُّعًا. وَقَدْ رَدَّاهُمْ اللَّهُ بِرَادِّ أَعْمَالِهِمْ مِنَ الْعَذْرِ وَالْخِيَانَةِ، وَالْغُلُولِ وَالسَّفَاهَةِ؛ فَرَدَّاهُمْ مَذْمُومٌ فِي الْأَلْسِنَةِ عِنْدَ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ أَنَّ سِيَمَاهُمْ كَالرِّدَاءِ عَلَيْهِمْ، فَهُمْ مَذْمُومُونَ لَهَا وَعَلَيْهَا، وَيُرْوَى: «وَالرُّوَاءُ دَمِيمٌ»، يَعْنِي قُبْحُ الطَّلْعَةِ. وَدَمِيمٌ: اسْمُ الْفَاعِلِ مَنْ دَمُمَتْ دَمَامَةٌ. وَفَعُلْتُ فِي الْمَضَاعِفِ قَلِيلًا. وَالرُّوَاءُ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فَعَالًا مِنَ الرُّؤْيَةِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الرِّيِّ.

٥ - كَأَنَّ خُرُوءَ الطَّيْرِ فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ إِذَا اجْتَمَعَتْ قَيْسٌ مَعًا وَتَمِيمٌ

٦ - مَتَى تَسْأَلِ الضَّيِّ عَنِ شَرِّ قَوْمِهِ يَقُلْ لَكَ إِنَّ الْعَائِذِيَّ لَيْئِمٌ

لَمَّا كَانَ يُوصَفُ الْوَقُورُ الْمُتَثَبُّتُ فِي الْأُمُورِ إِذَا حَصَلَ مَعَ أَشْبَاهِهِ مِنْ أَهْلِ الْأُنَاةِ وَالرَّفْقِ وَالرِّزَانَةِ وَسُكُونِ الْجَاشِ فِي مُنْتَدَى لَهُمْ، وَتَنَاجَوْا وَتَشَاوَرُوا، أَوْ حَضَرُوا فِي

= حَكِيمًا عَاهِرًا، وَرَمَاهَا بِهِ، وَإِذَا قُلْتَ (يَخْشَى أَبَاكَ حَكِيمٌ) فَمَعْنَاهُ لِأَنَّهُ مِنْكَ بِسَبِيلٍ.

(١) التبريزي: «حين يقوم».

مجلس مُخْتَسَم فتجاذبوا وتناظروا، بقولهم: كَانَ عَلَى رُؤُوسِهِم الطَّيْر، وهذا التشبيه إِنَّمَا حَصَلَ عَلَى أَنَّهُمْ مِنَ السُّكُونِ وَمَفَارَقَةِ التَّعَجُّلِ بِمَنْزِلَةٍ مِّنْ عَلَى رَأْسِهِ طَيْرٌ فَيَخَافُ فِي تَحْرُكِهِ ذَهَابَهَا وَطَيْرَانَهَا؛ وَلَمَّا كَانَ هَذَا الشَّاعِرُ يَهْجُو بَنِي عَائِذَةَ وَيَهْزَأُ بِهِمْ، جَعَلَ بَدَلَ ذَلِكَ الْقَوْلِ «كَانَ خُرُوءُ الطَّيْرِ فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ». وقوله: «إِذَا اجْتَمَعَتْ قَيْسٌ مَّعَا وَتَمِيمٌ» بَيَانٌ لِّاخْتِلَاطِهِمْ بِأَهْلِ الْحَلِّ وَالْعَقْدِ مِنْ وُجُوهِ الْقِبَالِ، وَرُؤُوسِ الْمَحَافِلِ. وَكَانَ الْحُكْمُ أَنَّ يَقُولُ: إِذَا اجْتَمَعَتْ قَيْسٌ وَتَمِيمٌ مَّعَا، فَقَدَّمَ «مَّعَا» لِأَنَّ الْعَاطِفَ يُنَبِّئُهُ عَلَى مَوْضِعِ الْمَعْطُوفِ.

وقوله: «مَتَى تَسْأَلُ الضَّبِّيَّ عَنْ شَرِّ قَوْمِهِ»، يَرُوى: «عَنْ سِرِّ قَوْمِهِ»، وَهُوَ حَسَنٌ، وَالْمَعْنَى أَنَّهُمْ لَنَامَ بِاعْتِرَافٍ مِنْ قَوْمِهِمْ بِهِ، وَاتَّفَاقٍ مِنْهُمْ عَلَيْهِ، لَكُنْهُمْ يُسِرُّونَ أَمْرَهُمْ وَيُخْفَوْنَهُ.

٦١٠ - وَقَالَ مُحَرِّزُ بْنُ الْمَكْعَبِ الضَّبِّيُّ^(١): [الطويل]

- ١ - أَبْلَغَ عَدِيًّا حَيْثُ صَارَ بِهَا النَّوَى وَلَيْسَ لِدَهْرِ الطَّالِبِينَ فَنَاءٌ
- ٢ - كَسَالَى إِذَا لَاقَيْتَهُمْ غَيْرَ مَنْطِقِي يُلْهَى بِهِ الْمَتَبُولُ وَهُوَ عَنَاءٌ
- ٣ - أَخْبَرُ مَنْ لَأَقَيْتُ أَنَّ قَدْ وَقَيْتُمْ وَلَوْ شِئْتُ قَالَ الْمُتَبَيُّونَ أَسَاؤًا^(٢)

يَقُولُ: أَذْ إِلَى بَنِي عَدِيٍّ رَسَالَتِي حَيْثُ اسْتَقَرَّتْ بِهَا النَّوَى بِأَنَّ زَمَنَ طُلَابِ الْأَوْتَارِ فِيمَا عَلَيْهِمْ مِنْ إِدْرَاكِ الثَّأْرِ قَدْ اتَّصَلَ وَامْتَدَّ، فَلَيْسَ يَنْقَطِعُ لِكَسَلِهِمْ عَنِ السَّعْيِ فِي رِذْءِ الْمُغَارِ عَلَيْهِ، وَاسْتِيطَائِهِمْ مَرَكَبَ الْعَجْزِ عَنْ نُضْرَتِهِ، غَيْرَ مَوَاعِيدَ خَالِيَةٍ مِنَ الْفِعْلِ يَقْرُبُونَهَا، وَأَقْوَالٍ مُزَخَّرَةٍ عِنْدَ الْإِلْتِقَاءِ يَبْذُلُونَهَا، إِذَا اعْتَمَدَهَا الْمَوْتُورُ انْصَرَفَ بِهَا مَغْرُورًا، فَكَانَتْ عِنْدَ السَّامِعِينَ لَهَا ضَلَالًا وَبُورًا، وَعَنَاءٌ لِلْقُلُوبِ وَالْجَوَارِحِ، لَا يُخْلَى مِنْهُ بَطَائِلُ، وَلَا يَرْجِعُ عَلَى أَحَدٍ بِعَائِدٍ. هَذَا وَأَنَا أَحْسَنُ أَمْرَكُمْ، وَأَقُولُ لِمَنْ يَسْأَلُ عَنْ أَخْبَارِنَا وَأَخْبَارِكُمْ: إِنَّهُمْ قَدْ وَقَوْا بِالْعَهْدِ، وَأَدَّوْا مَا لَزِمَهُمْ مِنَ النُّضْرَةِ بِحَقِّ الْجَوَارِ وَالْعَقْدِ، لَكِنْ لِلْأُمُورِ أَوْقَاتٌ، وَلِلْأَقْصِيَةِ أَجَالٌ وَأَمَادٌ، فَيَنْثَنِي الذُّمُّ عَنْكُمْ، وَيَنْحَطُّ الْعَارُ دُونَ فِتْنَاكُمْ، وَلَوْ شِئْتُ لَقَالَ السَّائِلُ وَالسَّامِعُ: أَسَاءُوا حِينَ بَدَّلُوا الْخُفَّارَةَ بِالْإِخْفَارِ، وَضَيَّعُوا الْحَقُوقَ بِالتَّقْصِيرِ وَالْإِقْصَارِ: وَقَوْلُهُ: «أَنَّ قَدْ وَقَيْتُمْ» أَنَّ فِيهِ مَخْفَفَةً مِنَ الثَّقِيلَةِ،

(١) «التبريزي: وقال محرز بن المكعب لبني عدي بن جندب بن العنبر». وقد مرّت ترجمته في الحماسية (١٨٥).

(٢) «التبريزي: قال المتبؤون».

واسمه مضمرّ، وهو ضمير الأمر، والجملة في موضع الخبر. وقوله: «غَيْرَ مَنْطِقٍ» انتصب على أنّه استثناء خارج. و«يُلْهَى بِهِ» من لَهَوْتُ عن كذا وَلَهَيْتُ، أَلْهُو لَهُوًا، وَأَلْهَى لَهُيًّا، إِذَا انصَرَفَتْ عَنْهُ. وَالْمَتَّبُولُ: الْمُصَاب بِدَخْلِ وَتَبَلٍ.

- ٤ - لَهُمْ رَثِيَّةٌ تَغْلُو صَرِيْمَةً أَمْرِهِمْ وللأمرِ يَوْمًا رَاحَةً فَقَضَاءُ^(١)
٥ - وَإِنِّي لَرَاجِبُكُمْ عَلَى بُطْءٍ سَفِيْكُمْ كما فِي بُطُونِ الْحَامِلَاتِ رَجَاءُ

الرَّثِيَّةُ: الضَّعْفُ. وَالصَّرِيْمَةُ: مَا يُقَطَّعُ مِنَ الْعَزِيْمَةِ وَيُجَزَّمُ إِمْضَاؤُهُ بَعْدَ الْعَقِيْدَةِ، فَيَقُولُ مَصُوْرًا حَالَهُمْ فِي التَّفْرِيطِ وَالْإِهْمَالِ: مَتَى هُمُوًّا بِإِنْفَادِ عَزَائِمِهِمْ، وَتَشْدِيدِ شَكَايَتِهِمْ، وَإِنْجَازِ مَا يُتَنَجَّزُ عَلَيْهِمْ مِنْ مَوَاعِدِهِمْ، أَوْ يَهْتَمُّونَ لِرَخْصِ دَرَنِ الْعَارِ عَنْ شِيْمِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ، وَلِسَدُ طَرِيقِ الْعَارِ وَالتَّعْيِيرِ عَنْ مَذَاهِبِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ، عَلَا هَمُّهُمْ وَهَمَّتْهُمْ وَهْنٌ وَفَسَلٌ، وَمَلَكَ قِيَادَهُمْ وَمِفْوَدَهُمْ ضَعْفٌ وَكَسَلٌ. ثُمَّ أَخَذَ يَتَهَكَّمُ بِهِزًا فَقَالَ: وَالْمَرْءُ فِي أَمْرِهِ يَمْضِي يَوْمًا وَيَكْفُ يَوْمًا، فَمَا يَجْبُرُ كَسَرَ التَّعَبِ إِلَّا مَا يَتَعَقَّبُهُ مِنَ الرَّاحَةِ.

وقوله: «فإني لراجيكم على بطء سعيكم»، يريد أنهم على تباطئهم وتأخر فعّالهم عن مقالهم مرجوون، كما أن الحاملات على تأخر وضعهنّ مرجّوات، فأنا ناظرٌ في أعقاب الأمل متى يتحقّق.

وقوله: «فقضاء» أي فقضاء يومًا آخر. وقوله: «كما في بطون الحاملات رجاء» أي أرجوكم مثل ذلك الرجاء.

- ٦ - فَهَلَّا سَعَيْتُمْ سَفْيَ عُضْبَةٍ مَازِنٍ وهل كُفَلَاتِي فِي الْوَفَاءِ سَوَاءُ
٧ - لَهُمْ أَذْرَعُ بَادٍ نَوَاشِرُ لَحْمِهَا وَبَعْضُ الرِّجَالِ فِي الْحُرُوبِ غُثَاءُ
٨ - كَأَنَّ دَنَانِيرًا عَلَى قِسْمَاتِهِمْ وَإِنْ كَانَ قَدْ شَفَّ الْوُجُوهَ لِقَاءُ

هذا الكلام بعثٌ وتحضيض. وهَلَّا: حرف إغراء وتحضيض. وذكر بني مازن تحريكًا منهم، وليوجّعهم بتفضيل غيرهم عليهم. وقوله: «وهل كُفَلَاتِي»، فالكفيل: الضَّامِنُ لِلشَّيْءِ: وَهَذَا الْمَصْرَاعُ التَّفَاتُ، كَأَنَّهُ لَمَّا هَجَّنَ فِعْلَهُمْ وَقَرَّعَهُمْ، وَأَطْرَى غَيْرَهُمْ مَوْثِرًا عَلَيْهِمْ. التَّفَتُّ إِلَى مَنْ حَوْلَهُ فَقَالَ: وَهَلْ ضَمَنَائِي مُسْتَوُونَ فِي الْوَفَاءِ

(١) التبريزي: «لهم رثية» والرثية: الإبطاء.

فَأَجَرِيَهُمْ مُجَرَى وَاحِدًا. وهذا أَبْلَغُ مِنْ كُلِّ نَكِيرٍ، وَمِنْ كُلِّ هَجَرٍ فَظِيحٍ. و«سَوَاءٌ» وَإِنْ كَانَ فِي الْأَصْلِ مُصَدَّرًا؛ فَقَدْ صَارَ هُنَا كَأَسْمَاءِ الْفَاعِلِينَ لِنِيَابَتِهِ عَنْهَا، لِذَلِكَ صَحَّ أَنْ يَعْمَلَ فِي الظَّرْفِ قَبْلَهُ وَهُوَ قَوْلُهُ: «فِي الْوَفَاءِ»، لِأَنَّ الْمَصَادِرَ لَا تَعْمَلُ فِيهَا قَبْلَهَا إِلَّا إِذَا أَمَرَ بِهَا، كَقَوْلِكَ: صَرَبْنَا زَيْدًا، أَوْ إِذَا أُجْرِيَ هَذَا الْمُجَرَى.

وقوله: «لَهُمْ أَذْرُعٌ» صِفَةٌ لِلْعَصْبَةِ الْمَازِنِيَّةِ. وَهُمْ يَتِمَدُّحُونَ بِالْهُزَالِ. وَالتَّوَاشُرُ: عُروُقٌ ظَاهِرُ الذَّرَاعِ. وَقَوْلُهُ: «وَيَعُضُّ الرُّجَالُ فِي الْحُرُوبِ غَنَاءً»، تَعْوِضُ بِالْآخَرِينَ، وَهُمْ بَنُو عَدِيٍّ. وَالْغَنَاءُ: مَا يَلْعُو السَّيْلُ مِنَ الْعَثَرِ وَالزَّبَدِ. وَالْمَعْنَى: بَعْضُهُمْ لَا غَنَاءَ عِنْدَهُ وَلَا كِفَايَةً، فَتَرَاهُ كَيْبَسَ الثِّبَاتِ وَقَدْ احْتَمَلَهُ الْمَاءُ.

وقوله: «كَأَنَّ دَنَانِيرًا عَلَى قِيَمَاتِهِمْ»، الْقِسِمَاتُ: الْوُجُوهُ، وَقِيلَ: هِيَ مَجَارِي الدُّمُوعِ. وَيُقَالُ: وَجْهٌ مُقَسَّمٌ، أَيُّ حَسَنٍ، وَالْقَسَامَةُ: الْحُسْنُ. وَمَرْجِعُهُ إِلَى الْقِسْمَةِ، كَأَنَّهُ مُسَيِّحٌ كُلُّ جُزْءٍ مِنَ الْوَجْهِ بِقِسْمٍ مِنَ الْجَمَالِ، فَتَعَادَلَتْ الْأَجْزَاءُ وَحَسُنَتْ. وَقَوْلُهُ: «وَإِنْ كَانَ قَدْ شَفَّ الْوُجُوهَ لِقَاءً» تَعْرِيطٌ أَيْضًا، وَالْمَعْنَى أَنَّ وَجُوهَهُمْ تُشْرِقُ فِي الْحَرْبِ وَتُضْيِئُ، إِذَا صَارَتْ وَجُوهُ غَيْرِهِمْ مَشْفُوفَةً مُتَغَيِّرَةً. وَيُقَالُ: شَفَّ الْمَرَضُ، إِذَا أَذَابَهُ وَهَزَلَهُ. وَذَكَرُ الدَّنَانِيرِ فِي إثْبَاتِ مَاءِ الْوَجْهِ وَنُضَارَةِ الْحُسْنِ قَدْ جَاءَ فِي التَّسْيِبِ، أَلَا تَرَى قَوْلَهُ: [السريع]

النُّشْرُ مِنْكَ وَالْوَجُوهُ دَنَا نَيْرَ وَأَطْرَافِ الْأَكْفِ عَنَّمْ^(١)

٦١١ - وَقَالَ شَمْلَةُ بْنُ الْأَخْضَرِ^(٢): [الطويل]

- ١ - وَضَعْنَا عَلَى الْمِيزَانِ كُوزًا وَهَاجِرًا فَمَالَتْ بَنُو كُوزٍ بِأَبْنَاءِ هَاجِرٍ
- ٢ - وَلَوْ مَلَأَتْ أَصْفَاحُهَا مِنْ رَثِيئَةٍ بَنُو هَاجِرٍ مَالَتْ بِهَظْبِ الْأَكَادِرِ
- ٣ - وَلَكِنَّمَا اغْتَرُّوا وَقَدْ كَانَ عِنْدَهُمْ قَطِيبَانِ شَتَى مِنْ حَلِيبٍ وَحَازِرِ

هَذَا الْكَلَامُ هُزْءٌ وَسُخْرِيَّةٌ. فَيَقُولُ: نَظَرْنَا مَا بَيْنَ كُوزٍ وَهَاجِرٍ بِالْمَقْيَاسِ الْقَائِمِ، وَالْمِيزَانَ الْحَاكِمَ، فَوَجَدْنَا كِفَّةَ بَنِي كُوزٍ أَرْجَحَ وَأَوْزَنَ، وَلَوْ عَلِمْتُمْ بِنَا وَبِفَعْلِنَا لَمَلَأْتُمْ

(١) للمرقش الأكبر في ديوانه ٥٨٦، وتاج العروس (نشر)، وأساس البلاغة (نشر)، ولسان العرب (نشر).

(٢) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (١٨٣). وقال التبريزي: «وقيل: منذر بن الرقاد بن ضرار بن عمرو الضبي».

بُطُونَهَا مِنَ الرَّثِيَّةِ، فزادت زِنْتَهَا عَلَى هِضَابِ الْأَكَادِرِ، لَكَيْتُهَا أَصِيبَتْ غَفْلَتَهَا، وَفُوجِتُوا بِالْوَزْنِ قَبْلَ الشُّرْبِ وَالِامْتِلَاءِ، وَالتَّجَرُّدِ لِلْأَمْرِ وَالِاسْتِعْدَادِ، وَكَانَتْ الْحَالُ مُسَاعِدَةً، وَأَنْوَاعِ الْحَلِيبِ مَمَكِنَةً، وَذَاكَ أَجْلَبُ لِحَسْرَتِهِمْ، وَأَدْعَى إِلَى نَدَامَتِهِمْ.

وَالْأَعْفَاجُ: الْأَمْعَاءُ، وَالْوَاحِدُ عَفِجٌ. وَيُقَالُ: اغْتُرَّ فُلَانٌ، أَيِ أَخَذَ عَلَى غِرَّةٍ. وَالْقَطِيبُ: الْمَمْزُوجُ. وَالْحَازِرُ: الْجَامِضُ. وَالرَّثِيَّةُ: الْمَجْمُوعُ مِنَ الْحَازِرِ وَالْحَلِيبِ. وَقَدْ رَمَاهُمْ بِأَنْ طَعَامَهُمْ ذَلِكَ لَا غَيْرَ.

٦١٢ - وَقَالَ قِرَوَاشُ بْنُ حَوَاطِ الضَّبِّيِّ:

١ - نُبِئْتُ أَنَّ هِمَالًا ابْنَ خُوَيْلِدٍ بِنِعَافٍ ذِي عُذْمٍ وَأَنَّ الْأَعْلَمَا^(١)

٢ - يَنِمِّي وَصِيلُهُمَا إِلَيَّ وَيَسِينُنَا شُمُّ فَوَارِعٍ مِنْ هِضَابٍ يَرْمَرُمَا

الْأَجُودُ فِي الْعَلَمِ وَقَدْ وُصِفَ بِالْأَبْنِ أَوْ الْإِبْنَةِ، إِذَا كَانَا مُضَافَيْنِ إِلَى عِلْمٍ، أَوْ مَا يَجْرِي مَجْرَاهُ، تَرَكُّ التَّنْوِينِ فِيهِ. وَقَدْ تَوَّنَ هَذَا الشَّاعِرُ عَقَالًا، وَإِذْ قَدْ فَعَلَ ذَلِكَ فَالْأَجُودُ فِي ابْنِ خُوَيْلِدٍ أَنْ يَجْعَلَ بَدَلًا، وَيَجُوزُ أَنْ يُجْعَلَ صِفَةً عَلَى اللُّغَةِ الثَّانِيَةِ.

وَالنُّعَافُ: جَمْعُ نَعْفٍ، وَهُوَ الْمَكَانُ الْمَرْتَفِعُ فِي اعْتِرَاضٍ، وَأَعْلَى كُلِّ شَيْءٍ؛ وَمِنْهُ مَنَاعِفُ الْجِبَلِ. وَالْأَعْلَمُ: اسْمُ رَجُلٍ، وَأَعَادَ «أَنَّ» مَعَهُ تَوْكِيدًا، وَالْخَبَرُ قَوْلُهُ: «يَنِمِّي»، وَالْعَامِلُ فِيهِ أَنَّ الْأَوَّلَى، لِأَنَّ الثَّانِيَةَ لَا يُعْتَدُ بِهَا عَامِلًا وَإِنْ كَانَ مُؤَكَّدًا. وَمِثْلُ هَذَا قَوْلُ الْحُطَيْئَةِ: [البسيط]

إِنَّ الْعَرَاءَ وَإِنَّ الصَّبِرَ قَدْ غُلِيَا^(٢)

وَيَكُونُ عَلَى هَذَا الْأَلْفِ فِي «غُلِيَا» ضَمِيرُ الْمُثْنَى. وَالشُّمُّ: الْجِبَالُ الْمَرْتَفِعَةُ. وَالْفَوَارِعُ: الْعَوَالِي. وَيَلْمَلَمُ: عَلَّمَ لَجِبَلٍ، وَيُرْوَى: «يَرْمَرُمُ».

٣ - غُضًّا الْوَعِيدَ فَمَا أَكُونُ لِمَوْعِدِي قَنَصًا وَلَا أَكَلًا لَهُ مُتَخَضِّمًا

٤ - ضُبُعًا مُجَاهِرَةً وَلَيْتَا هَذَنِي وَتُعِيلِيَا خَمَرٍ إِذَا مَا أَظْلَمَا

(١) ذُو غُذْمٍ: مَوْضِعٌ مِنْ نَوَاحِي الْمَدِينَةِ، (مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ ٤: ١٨٩). وَالْأَبْيَاتُ (١، ٢، ٥) فِي مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ.

(٢) هَذَا عَجَزٌ بَيْتٌ لِلْحُطَيْئَةِ فِي دِيْوَانِهِ ص ٥، وَصَدَرَهُ:

«قَالَتْ أَمَامَةَ لَا تَجْزِعُ فَقُلْتُ لَهَا»

٥ - لا تَسْأَمَا لِي مِنْ دَسِيسِ عَدَاوَةٍ أَبَدًا فَلَيْسَ بِمُسْنِئِي أَنْ تَسْأَمَا

يقول: أَقْصِرَا إِلَيْكُمَا مِنْ تَهْدِيدِكُمَا، فَإِنِّي لَا أَحْتَفِلُ بِكُمَا وَلَا بِوَعِيدِكُمَا، وَلَا أَصْطَادُ بِإِرْعَادِكُمَا وَإِبْرَاقِكُمَا، وَلَا أَصِيرُ مَأْكَلَةً لِأَحَدٍ فَيَأْكُلَنِي بِفَمِهِ كُلِّهِ خَضْمًا كَمَا يُؤْكَلُ الرُّطْبُ اللَّيْنُ، لَا قَضْمًا. ثُمَّ أَخَذَ يُعَدِّدُ مَخَازِيَهُمَا فَقَالَ: عِنْدَ الْمَكَاشِفَةِ وَالْمَلَقَةِ تَخْبِئَانِ وَتَحْمُقَانِ، خُبْتُ الضَّبْعَ وَحَمَاقَتُهُ، وَعِنْدَ الْإِصْطِلَاحِ وَالْهُدُوءِ تَشْجَعَانِ وَتُقَدِّمَانِ إِقْدَامَ الْأَسَدِ وَشَجَاعَتُهُ، وَفِي ظِلَامِ اللَّيْلِ تَسْرِقَانِ وَتَحْتَالَانِ عَلَى النَّاسِ، وَتُرَاوِغَانِ مُرَاوَعَةَ الثَّعْلَبِ وَسَرِقَتِهِ. وَالْخَمَرُ: مَا وَارَاكَ مِنْ شَجَرٍ وَغَيْرِهِ. «وَإِذَا مَا أَظْلَمَا» أَيِ دَخَلَا فِي الظَّلَامِ. وَالْعَامِلُ فِي إِذَا مَا ذَلَّ عَلَى جَوَابِهِ وَقَدْ تَقَدَّمَ.

وقوله: «لا تسأما» يقول: لا تَمَلًا مُدَاجَاتِي وَطَلَبِ الْغَوَائِلِ لِي فِي السَّرِّ وَبُظْهِرِ الْغَيْبِ، فَإِنِّي لَكُمْ عَلَى مِثْلِ حَالَتِكُمَا لِي، وَلَا تَفْتَرَا عَنْهُ فَإِنِّي لَا أَفْتَرُ وَلَا أَمَلُ وَإِنْ مَلِئْتُمَا أَيْضًا، فَإِنَّ مَلَأَكُمَا لَا يُكْسِبُنِي فَتُورًا وَلَا إِمْسَاكًا. وَالْدُّسُّ: إِدْخَالُكَ شَيْئًا تَحْتَ شَيْءٍ، وَهُوَ الْإِخْفَاءُ. وَفِي الْقُرْآنِ: ﴿أَنْزِلْ يَدُسُّ فِي الْأَرْبَابِ﴾ [النحل: الآية ٥٩] وَالْدَّاسُوسُ وَالْجَاسُوسُ يَتَقَارِبَانِ. وَيُرْوَى: «مِنْ رَسِيسِ عَدَاوَةٍ»، وَيَكُونُ مِثْلَ رَسِيسِ الْحُمَى وَالْهَوَى وَرَسَمِهِمَا، لَمَّا يَبْدَأُ مِنْهُمَا. وَمَوْضِعُ «أَنْ تَسْأَمَا» مِنَ الْإِعْرَابِ رَفْعٌ عَلَى أَنْ يَكُونَ اسْمٌ لَيْسَ، كَأَنَّهُ قَالَ: لَيْسَ بِمُسْنِئِي سَأَمَتِكُمَا فَهُوَ كَقَوْلِكَ: لَيْسَ بِمَنْطَلِقِي عَمْرُو.

٦١٣ - وَقَالَ سُؤَيْدُ بْنُ مَشْنُوءٍ:

١ - ذَرِي عَنْكَ مَسْنُودًا فَلَا تَذْكُرْنِي إِلَيَّ بِسُوءٍ وَاعْرِضِي لِسَبِيلٍ^(١)

٢ - نَهَيْتُكَ عَنْهُ فِي الزَّمَانِ الَّذِي مَضَى وَلَا يَنْتَهِي الْغَاوِي لِأَوَّلِ قَبِيلٍ

قوله: «ذري»؛ أَيِ دَعِي. وَالْأَمْرُ يُبْنَى عَلَى الْمُسْتَقْبَلِ، وَهُوَ يَذَرُ، وَقَدْ اسْتَعْمَلَ. فَأَمَّا وَذَرَفِي الْمَرْفُوضِ اسْتِعْمَالُهُ اسْتَغْنَاءٌ عَنْهُ بِتَرْكِ. وَقوله: «لا تذكرني إلي» كَسَرَ الرَّاءَ مِنْهُ لِأَنَّهُ مَخَاطَبَةٌ مُؤَنَّثٌ، وَالْأَصْلُ تَذْكُرِينَنِّي، فَحُذِفَ النُّونُ الْأُولَى لِلجُزْمِ، ثُمَّ حُذِفَ الْيَاءُ لِاتِّقَاءِ السَّاكِنِينَ، فَصَارَ تَذْكُرُنْ. وَالْمَعْنَى: لَا يَنْتَهِيَنَّ ذِكْرُهُ إِلَيَّ، وَلَا يَتَجَاوَزَنَّ ذِكْرُهُ إِلَيَّ بِسُوءٍ. فَعُدِّي تَذْكُرُنْ تَعْدِيَةً تَتَجَاوَزُنْ إِلَيَّ، حَمَلًا عَلَى الْمَعْنَى. وَمِمَّا

(١) التبريزي: «دعي عنك».

جاء على هذا قوله: [البسيط]

إِذَا تَعَنَّى الْحَمَامُ الْوُزُقَ هَيَّجَنِي وَلَوْ تَعَزَّيْتُ عَنْهَا، أُمَّ عَمَارٍ^(١)
عَدَى هَيَّجَنِي تَعْدِيَةً ذَكَرَنِي، لِأَنَّهُ فِي مَعْنَاهُ. وَهَذَا كَمَا يَحْمِلُونَ فِي التَّعْدِيَةِ
النَّقِیْضَ عَلَى النَّقِیْضِ، كَقَوْلِهِ: [الوافر]

إِذَا رَضِیْتُ عَلَيَّ بَنُو قُشَيْرٍ لَعَمْرُ اللَّهِ أَعْجَبَنِي رِضَاهَا^(٢)
عَدَى رَضِیْتُ تَعْدِيَةً غَضِبْتُ لِأَنَّهُ نَقِیْضُهُ، كَمَا عَدَى هَيَّجَنِي تَعْدِيَةً ذَكَرَنِي لِأَنَّهُ
نَظِيرُهُ. وَكَمَا حُكِيَ: [الرجز]

قَدْ قَتَلَ اللَّهُ زِيَادًا عُنِّي^(٣)

عَدَى قَتَلَ تَعْدِيَةً صَرَفَ.

وقوله: «نَهَيْتُكَ عَنْهُ»، يقول: كُنْتُ أَحْذَرُكَ عَنْهُ فِيمَا سَلَفَ مِنَ الزَّمَانِ وَتَقَضَّى،
لَكِنَّ الْجَاهِلَ لَا يَرْتَدِعُ لِلزُّجْرَةِ الْأُولَى حَتَّى يُرَدِّعَ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى. وَهَذَا مَثَلٌ، أَعْنِي
قَوْلُهُ:

وَلَا يَنْتَهِي الْعَاوِي لِأَوَّلِ قِيلٍ

وقوله: «وَاعْرِضِي لِسَبِيلٍ» أَيِ اعْرِضِي إِلَى طَرِيقٍ غَيْرِهِ، وَادْكُرِيهِ بِسُوءٍ. وَيُقَالُ:
لَا تَعْرِضْ عِرْضَهُ، أَيِ لَا تَذْكُرْهُ بِسُوءٍ.

٦١٤ - وَقَالَ مَعْدَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ^(٤): [الطويل]

١ - عَجِبْتُ لِعَبْدَانٍ هَجَوْنِي سَفَاهَةً إِنْ اصْطَبَحُوا مِنْ شَائِهِمْ وَتَقَيَّلُوا

٢ - بِجَادٍ وَرِنَسَانٍ وَفَهْرٍ وَغَالِبٍ وَعَوْنٌ وَهَذَمٌ وَابْنُ صِفْوَةٍ أَخِيلٌ

٣ - فَأَمَّا الَّذِي يُخَصِّبُهُمْ فَمُكَثَّرٌ وَأَمَّا الَّذِي يُطْرِبُهُمْ فَمُقَلَّلٌ

يُقَالُ: عَبْدٌ وَأَعْبُدْ وَعِبَادٌ وَعِبِيدٌ وَعِبْدَى وَعِبْدَانٌ وَمَعْبُودَاءُ وَمَعْبُدَةٌ وَعَبْدٌ. فَبَعْضُ
هَذِهِ الْأَسْمَاءِ مِمَّا صِيغَ لِلْجَمْعِ، وَبَعْضُهَا جَمَعَ فِي الْحَقِيقَةِ. وَانْتَصَبَ «سَفَاهَةً» لِأَنَّهُ

(١) لِلنَّبَاغَةِ الذَّبْيَانِي فِي دِيَوَانِهِ ٢٠٣، وَجُمُورَةُ أَشْعَارِ الْعَرَبِ ٥٣، وَبِلَا نِسْبَةٍ فِي الْكِتَابِ ١: ٢٨٦،
وَاللِّسَانُ (هَيْج).

(٢) لِلْقَحِيفِ الْعَقِيلِي فِي أَدَبِ الْكَاتِبِ ٥٠٧، وَخَزَانَةُ الْأَدَبِ ١٠: ١٣٢، وَاللِّسَانُ (رَضِي).

(٣) رَاجِعِ الْهَامِشَ رَقْمَ (١) صَفْحَةُ ٢٢٩.

(٤) التَّبْرِيزِي: «... بَنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَيْرِي بْنِ أَفْلَتِ الطَّائِي ثُمَّ الْمَعْنِي».

مفعول له . وهم يَكُونُونَ عن اللثام بالعِيد والعِيدَان، وبالقَزَم والقَزَمَان . و«أَن اصْطَبَحُوا» يريد لأن اصْطَبَحُوا، أي شَرِبُوا الصُّبُوحَ، وهو ما يُشْرَبُ صباحًا . والقَيْل، وهو شرب نصف النُّهار . وكما قال تَقِيْلُوا، يقال: تَصَبَّحُوا أيضًا . والمعن: عَدُوا طَوْرَهُمْ فَهَجَوْنِي، لأنهم رأوا بأنفسهم ما لم يعهدوه . فَطَعُوا عِنْدَ الْغَنَى، وأصابوا مِنْ شَائِهِم الصُّبُوحَ والقَيْل، بعد أن كانوا كَلَّا على غيرهم . ثم ذكروهم بِأَسْمَائِهِمْ تَخْضِيعًا وَتَشْنِيعًا . ويرتفع بجاذ إن شئت على الاستئناف، يريد: هم بِجَاذَ وَرِيسَانُ؛ وإن شئت على البَدَل من المضميرين في قوله اصْطَبَحُوا .

وقال مِن بَعْدُ: مَنْ يَعُدُّهُمْ يُكْثِرُ لَوْفُورِ عَدَدِهِمْ، ومن يُشْنِي عَلَيْهِمْ يَقْلُلُ لِقْلَةً مِنْ يَسْتَحِقُّ الشَّنَاءَ فِيهِمْ وَمِنْهُمْ . ويجوز أن يكون أن من قوله أن اصْطَبَحُوا أن المفسرة، كانه قَسَّرَ لِمَ طَعُوا فَهَجَوَا .

٦١٥ - وقال يزيد بن قنافة^(١): [الطويل]

- ١ - لَعَمْرِي وَمَا عَمْرِي عَلَيَّ بِهَيِّينِ لَبِئْسَ الْفَتَى الْمَدْعُو بِاللَّيْلِ حَاتِمٌ^(٢)
- ٢ - عَدَاةً أَتَى كَالثَّوْرِ أَخْرَجَ نَاتِقَى بِجَبْهَتِهِ أَتْنَالَهُ وَهُوَ قَائِمٌ
- ٣ - كَانَ بِصَخْرَاءِ الْمُزْنِطِ نَعَامَةً تُبَادِرُهَا جَنَحَ الظَّلَامِ نَعَائِمٌ
- ٤ - أَهَارَنَكَ رِجْلَيْهَا وَهَافِي لُبَّهَا وَقَدْ جُرَدَتْ بِبِضِّ الْمُثُونِ صَوَارِمٌ

قَدْ مَضَى الْكَلَامُ فِي قَوْلِهِ لَعَمْرِي . وقوله: «وما عَمْرِي عَلَيَّ بِهَيِّينِ» تحقيق لليمين، وأنَّ عُمَرَه لَيْسَ يَهْوَنُ عَلَيْهِ فَيَحْلِفُ بِهِ كَاذِبًا . وفي الكلام إزراءً بِالْمُخْبِرِ عَنْهُ .

(١) التبريزي: «... بن عبد شمس العدوي، من بني عدي بن أخزم بن أبي أخزم، من ثعل بن عمرو بن الفوث رهط حاتم بن عبد الله» .

(٢) التبريزي: «قال أبو ريش: كان من خبر هذه الأبيات أنه عمد رجل من بني السيد بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة يقال له زيد بن ثابت، فجاور في طيء، وكانت له نعمة فيهم، وكان جيرانه منهم بنو معن فقتلوه وأخذوا ماله، فبلغ ذلك بني السيد، فركبوا فيمن تبعهم من بني ضبة حتى لقوا رجلاً من طيء فقالوا له: من أنت؟ فكتهم فقالوا له: أنت آمن إن دلتنا على أقرب أبيات معن منك، فدلهم على بني ثور بن وذ من بني معن، فقتلوه إلا قليلاً، وانفلت منهم رجل حتى أتى حاتم طيء، وهو في قبة له من آدم وليس معه أحد غير أهل بيت أو بيتين من بني عدي فيهم يزيد بن قنافة، فأخبره الخبر، فأمر أمته أن توقد في قبته، واحتمل تحت الليل فنجا، وبقي يزيد بن قنافة لم يعلم الخبر حتى صحبتته الخيل غدوة، وكانت امرأته لا تكلمه فدعته باسمه فأخبرته الخبر فنار إلى قوسه فمنع بناته وابنيه وامرأته، وذهب بماله، وإنما كان القوم أرادوا حاتمًا فأفلت، وقال يزيد هذه الأبيات هاجيًا» .

وقوله: «الْمَدْعُوُّ بِاللَّيْلِ» كثير من النحويين يذهبون في مثله إلى أنه بدل لا صفة، لأنَّ نِعَمَ وبئس يرفعان من المَعَارِفِ ما فيه الألف واللام ودَلَّ على الجنس؛ وما يدلُّ على الجنس لا يتأتَّى فيه الوصفية. والصواب عندي تجويز كونه وصفًا، بدلالة أنه يثنى ويُجمع، فيقال: نعم الرجلان الزَّيْدَانِ، ونعم الرَّجَالُ الزَّيْدُونِ، والتثنية والجمع أبعد الأشياء من أسماء الأجناس، إلا إذا اختلفت، فكما يجوز تثنية هذا وجمعه لدخول الاختلاف فيه، كذلك يجب أن يجوز وَصْفُهُ لمثل هذه العِلَّةِ، ولا فَضْل. وإذا كان كذلك كان قوله المدعوُّ بالليل صفةً للفتى، كأنه قال: مذمومٌ في الفتيان المدعوين بالليل حاتم. وهذا ظاهرٌ.

وذكر الليل لشدة الهول فيه.

وقوله: «غداة أتى كالثور» يعني حاتمًا، وإنما يهزا به. ومعنى أخرج: ضيق عليه وأخرج من عادته فأحوج إلى أن يعيكَ. والأقتال: الأقران والأعداء، والواحد قتل. فيقول متهمكًا: جاء كالثور الهائج عَضْبًا وَحِمِيَّةً، وقد بَانَ له من طَلَابِهِ تركُّ الإبقاء عليه، فجعل بينه وبين أقرانه قَرْنِيه يَتَّقِيهِمَ بهما، وَيَعْدُهُم الشَّرَّ بإعمالهما، فهو ثابتُ القدم متهيئٌ للقتال. هذا كان حاله في المجيء، فلمَّا جاء وقتُ الدِّفاع والمصادمة، والقرع والمكافحة، انهزَمَ فكأنَّ نعمةً سَابَقَهَا حينَ جَنَحَ الظُّلَامُ نَعَائِمُ إلى أَدَاحِيهَا، أعَارَتْ حَاتِمًا رَجْلِيهَا وطائرَ قَلْبِهَا، وهو يَعْدُو مَدْعُورًا، ويطلب النُّجَاءَ مفلولًا، وقد جُرِّدَت السُّيُوفُ من أغمادِهَا، وصار الأمر في الطُّلب والهَرَبِ جِدًّا. وإنما قال: «أعَارَتْكَ رَجْلُهَا» لأنه نَقَلَ الكلام عن الإخبار إلى الخطاب.

٦١٦ - وقال عارق، وهو قيس بن جرزة

الطائي^(١): [الطويل]

- ١ - من مُبْلَغِ عَمْرُو بنِ هِنْدٍ رِسَالَةً إذا استَحَقَّتْهَا العِيسُ تُنْضَى من البُعْدِ
- ٢ - أَيُوْعِدُنِي والرَّمْلُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ تَبَيَّنَ رُؤْيَا مَا أَمَامَهُ مِنْ هِنْدٍ
- ٣ - ومن أَجْبَأَ حَوْلِي رِعَانٌ كَانَهَا قَنَابِلُ خَيْلٍ من كُمَيْتٍ ومن وَرْدٍ

كان عمرو بنُ هند غَزَا اليمامة على ما حَكِيَتْ من قصته فيما تقدَّم، فأخْفَقَ ورجع مُنْفِضًا. فمرَّ بطييء، وكانوا في ذمته بكتابٍ عَقِدَ اكتبته لهم، وعَهْدَ أحكمه

(١) سبقت ترجمته في الحماسية (٦٠٥).

معهم، فقال زُرارة بن عُدْسٍ له: أُبَيِّتَ اللَّعْنَ، أَصِبتَ من هذا الحيِّ شيئاً. قال: وملك إنَّ لهم عَقْدًا لا يجوزُ لنا تخطيُّه. فأخذ زُرارةُ يهْوَنُ أمرَ العهدِ عليه، ويحسِّنُ الإيقاعَ بهم؛ فلم يزلْ يَفْتِيلُ في الذُّرْوَةِ والغارِبِ معه لشيءٍ كان في نفسه على طيِّءٍ حتَّى أصابَ أذوادًا ونساءً، فهجا عارقَ عَمْرٍو بنَ هندٍ بأبياتٍ يَعَصِبُ رأسَه فيها بالغدر الذي كان منه، فوقعت الأبياتُ إلى عَمْرٍو بنِ هندٍ، فتوعَّدَ عارقًا وحلفَ أنَّه يقتله، فاتَّصلتْ مقالتهُ بعارقٍ فقال هذه الأبيات. ومعنى «استَحَقَّتْها» حملتُها في الحقائق. وجعلَ الفِعْلُ للعيسِ اتِّساعًا. ومعنى تُنْضَى: تُهْزَل، لُبْغِدِ المسافة.

وقوله: «أَيُّوعُدُنِي» استفهامٌ على طريق التَّقرِيعِ لعَمْرٍو، واستعظامٌ منه للأمر. والمعنى أنَّه لا يَتَأَنَّى مع حَصانةِ حَبْلِي وداري، ولا يَتِمَكَّنُ مِنِّي على بُعدِ طُرُقِي وأرضي، فلينظُرْ برفقٍ، وليُمِيلْ بينَ أمِّه وأُمِّي، وليكن التعلِّي والتوعُّدُ بمقدارِ فَضْلِهِ وقُدْرَتِهِ. وذكر الأُمَّ إظهارًا لقلَّةِ المبالاة، وأنَّه يَجسُرُ على تَنَاوُلِ الحُرْمِ منه باللسان.

وقوله: «ومن أجا حَوَلي رِعان» أَجأ: أحدَ جبليَّهم. والرِّعانُ: جَمع رَغِنٍ، وهو أنْفٌ يَتَقَدَّمُ من الجبل. والمرادُ بيانُ حالِ جبليَّ طيِّءٍ في وِثاقَتِهما وحَصانَتِهما، وأمنٌ مَن يَنزِلُ بهما، وأنَّ رِعانَهُ كَأَنَّها جماعاتُ حَيْلٍ أحاطتْ بالجبلِ وأحَدَقَتْ، فهي تَذُبُّ عنها كُفْمًا ووُرْدًا. وذكرَ القنابلَ في التَّشْبِيهِ، والعِزُّ بأربابِها يَحْصُلُ.

٤ - عَدَزْتُ بِأَمْرِ كُنْتُ أَنْتَ اجْتَذَبْتَنَا إليه ويثَسَّ الشَّيْمَةَ العَدْرُ بالعَهْدِ

٥ - وقد يتركُ العَدْرَ الفَتَى وطعامه إذا هو أَمْسَى جُلُّهُ من دَمِ الفَضْدِ

يُروى: «أنتَ احْتَذَيْتَنَا»، وهو افتعل من الحَدْوِ: السَّوْقِ. واجتذبتنا، من الجَذْبِ. ويُروى: «أنتَ دَعَوْتَنَا»^(١).

والشَّاعرُ يشيرُ إلى ما كان في طيِّءٍ من عقدِ الجِوارِ وكتابِ العَهْدِ، فيقول: كُنْتُ أَنْتَ البانيُّ لذلك، والمؤسِّسُ لِمَنارِهِ، فأبَيْتُ إلَّا أنْ تَنقُضَهُ، ويثَسَّ العادةُ العَدْرُ مع العقودِ، ونَحْتُ عَرَى العهودِ. والفَتَى قد يؤثرُ الإقامةُ على الوفاءِ مع الإضافة، وشَدَّةُ الفاقة، ويَطْلُبُ اكتسابُ المحمِدةِ، وإن كان مسكينًا ذا مَتَرَبَّةٍ، حتَّى إذا أَمْسَى يكونُ جُلُّ طعامه فَصِيدَ الدَّمِ. ويُروى: «إذا هو أَمْسَى حَلْبَةً من دَمِ الفَضْدِ»؛ والأولُ أحسن.

(١) هذه رواية التبريزي.

ويرتفع «جُلّه» على أنه مبتدأ ثانٍ، والجملة خبر المبتدأ الأول، وهو طعامه. ويتنصب إذا من قوله: «جُلّه من دَمِ الْقُصْدِ»، لأنه الدالُّ على جوابه.

٦١٧ - وقال آخر^(١): [الطويل]

١ - لَعَمْرِي وما عَمَرِي عَلَيَّ بِهِيْن لقد ساءَ نِي طَوْرَيْنِ فِي الشَّعْرِ حَاتِمُ
٢ - أَيْقِظَانُ فِي بَغْضَائِنَا وَهَجَائِنَا وَأَنْتَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَالْبِرِّ نَائِمُ
٣ - بِحَسْبِكَ أَنْ قَدْ سُدَّتْ أَخْزَمُ كُلُّهَا لِكُلِّ أَنْاسٍ سَادَةٌ وَدَعَائِمُ
٤ - فَهَذَا أَوَانُ الشَّعْرِ سُلْتُ سِهَامُهُ مَعَابِلُهَا وَالْمُزْهَفَاتُ السَّلَاجِمُ

أقسم بحياة نفسه، وخبر المبتدأ محذوف، والمراد: لَعَمْرِي ما أَقْسِمُ به؛ لأنَّ اللامَ منه لامُ الابتداء، وجواب القَسَمِ لقد ساءَ نِي. وقوله: «ما عَمَرِي» اعتراض، وقد مرَّ القول في فائدته^(٢). والطَّوْرُ: الثَّارَةُ. أي تَعَرَّضَ لِي مَرَّتَيْنِ بما ساءَ نِي. ثم أقبل عليه فقال: أَيْقِظَانُ؟ والمعنى: أَنْتَ يَقْظَانُ، أي مُنْتَبِهٌ فِي هَجُونَا وَبُغْضَانَا وَعِدَاوَتِنَا، ونائمٌ عَنِ الْخَيْرِ وَالْإِحْسَانِ، وإِسْدَاءُ الْمَعْرُوفِ وَالْبِرِّ وَالْإِفْضَالِ؟! ثم أخذ يهزأ به فقال: بِحَسْبِكَ. والمراد حَسْبُكَ، لَكُثْمُ يَزِيدُونَ الْبَاءَ فِي الْمَبْتَدَأِ، نحو قولك: بِحَسْبِكَ أَنْ تَفْعَلَ كَذَا، وَفِي الْخَبَرِ أَيْضًا يَزِيدُونَ، نحو قوله: [الوافر]

وَمَنْعُكَهَا بِشَيْءٍ يُسْتَطَاعُ^(٣)

أي شيء يُسْتَطَاعُ. وهذا أحدُ ما قِيلَ فِيهِ، وقال آخر: [المقارِب]

بِحَسْبِكَ فِي الْقَوْمِ أَنْ يَعْلَمُوا بِأَنَّكَ فِيهِمْ غَنِيٌّ مُضِرٌّ^(٤)

والمعنى: كَأَنَّكَ أَنْ تَرَأَسْتَ عَلَى أَخْزَمٍ، وَأَخْزَمُ: رَهْطُ حَاتِمٍ. ثم أَزْرَى بَرِياسَتِهِ وَبِهِمْ، فقال: وَلِكُلِّ طَائِفَةٍ مِنْ طَوَائِفِ النَّاسِ رُؤَسَاءُ وَعَمَدٌ، وَهَذَا يَجْرِي مَجْرَى الْإِلْتِفَاتِ. كَأَنَّهُ بَعْدَ مَا قَالَ ذَلِكَ التَّقَتَّ إِلَى مَنْ حَوْلَهُ يُؤَنِّسُهُمْ وَيَقُولُ: لَيْسَ ذَا بُمُتْكَرٍ، فَلِكُلِّ قَوْمٍ مَنْ يَسُوسُهُمْ وَيَدْعُمُهُمْ.

(١) فِي دِيْوَانِ الْحَمَاسَةِ بِرَوَايَةِ الْجَوَالِيْقِيِّ: «قَالَ رَجُلٌ مِنْ طَيْئِ وَاسْمِهِ جَابِرٌ» وَالْبَيْتُ الثَّالِثُ لِلرَّقَاصِ الْكَلْبِيِّ فِي اللِّسَانِ (طَوْع).

(٢) انْظُرِ الْبَيْتَ الْأَوَّلَ مِنَ الْحَمَاسِيَةِ (٦١٤).

(٣) هَذَا عَجَزَ بَيْتٍ لِعَبِيدَةَ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ قُحْفَانَ كَمَا فِي الْخَزَانَةِ ٢: ٤١٣، وَصَدْرُهُ:

«فَلَا تَطْمَعُ أَبَيْتَ اللَّعْنِ فِيهَا»

(٤) لِلْأَشْعَرِ الرُّقْبَانِ فِي تَذَكُّرَةِ النُّحَاةِ ٤٤٣، وَاللِّسَانِ (مَسْخُ، ضَرَرٌ، بَا) وَنَوَادِرُ أَبِي زَيْدٍ ٧٣.

وقوله: «فهذا أوانُ الشعر سُلَّتْ سِهَامُهُ»، يعني شعره. فيقول: لكلِّ زمانٍ شيءٌ يظهر فيه ويَغْلِبُ، وزماننا هذا مع قَرْضِكَ للشعر زمانُ الشعر، وقد انْتَزَعْتَ سِهَامُهُ من كنانتها بعد أن نُثِرَتْ، فَجُرِّدَتْ للزُّمْنِي بها معابِلُها، وهي العِراضُ، وسَلَّاجِمُها وهي الطُّوال. والمُرَهَقَاتُ: المَرْقَقَاتُ الحَذَّ. والمراد بهذا التَّنْوِيعُ فنونُ الشعر وأساليبه. أي أنت فيه ذو فنون، والمُعْبَلُ: الذي مَعَهُ مَعَابِلُ. وَعَبَلْتُهُ: أَصَبْتُهُ بِمِغْبَلَةٍ.

٦١٨ - وقال رَجُلٌ من طَيْيء: [الطويل]

١ - إِنْ ائْمَرَأَ يُغْطِي الأَيْسَةَ نَحْرَهُ وَرَاءَ قُرَيْشٍ لَا أَعْدُ لَهُ عَقْلًا

٢ - يَلْذُمُونَ لِي الدُّنْيَا وَقَدْ ذَهَبُوا بِهَا فَمَا تَرَكُوا فِيهَا لِمُلْتَمِسٍ ثَغْلًا

وَصَفَّ الأَمْرَاءَ الَّذِينَ أَشَارَ إِلَيْهِمْ بِسُوءِ المَحَافِظَةِ، وَذَهَابِهِمْ عَنِ مَعْرِفَةِ الحَقِيقِ ومراعاتها، وَإِنْزَالَ المَوَالِيْنَ مَنَازِلَهُمْ فِيهَا فَقَالَ: إِنْ مَنْ يَغْتَرُّ بِكُمْ بَعْدَ هَذَا الوَقْتِ وَاعْتَمَدَكُمْ، فَبَذَلَ نَفْسَهُ وَرَاءَكُمْ لِلْمَتَالَفِ، وَرَكِبَ فِي هَوَاكِمِ المِعَاظِبِ، لَا عَقْلَ لَهُ وَلَا رَأْيَ.

ثُمَّ بَيَّنَّ مَا أَشْكَاهُ مِنْهُمْ، وَسَوَّاءَ مَعَامِلَتِهِمْ فَقَالَ: يَذُمُونَ الدُّنْيَا لِي، وَيَزْهَدُونِي فِيهَا وَفِي الأَخْذِ مِنْهَا، وَقَدْ فَازُوا بِهَا حَتَّى لَمْ يُبْقُوا فِيهَا فُضَالَةً لِأَحَدٍ، أَيْ تَغَيَّرُوا كُلُّ مَحْلُوبٍ فِيهَا، وَلَمْ يُبْقُوا فِي ضُرُوعِهَا شَيْئًا حَتَّى لَمْ يَتْرَكُوا ثَغْلًا فِيهَا. وَهَذَا مَثَلٌ، وَالثَّغْلُ هُوَ الطُّنْبِيُّ الزَّائِدُ، وَالسُّنُّ الزَّائِدَةُ. وَيَقَالُ: ثَعَلْتُ سَيْتَهُ. وَشَاءَ ثُعُولٌ: لَهَا ثُعْلٌ. وَذَكَرَ بَعْضُ أَهْلِ اللُّغَةِ أَنَّ الثُّعْلُولَ مِنَ الشَّاءِ: الَّتِي يُمَكِّنُ أَنْ يُحَلَبَ مِنْ ثُغْلِهَا أَيْضًا.

وقوله: «وراء قُرَيْشٍ» يَكُونُ وَرَاءَ بِمَعْنَى خَلْفَ وَقُدَّامَ، والأولى بِهِ هُنَا أَنْ يَكُونَ بِمَعْنَى قُدَّامَ. وَمِثْلُهُ فِي الْقُرْآنِ: ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ﴾ [الكهف: الآية ٧٩].

٦١٩ - وقال رُوَيْشِدُ^(١): [المقارب]

١ - وَمَوْقِعُ تَنْطِيقِ غَيْرِ السَّدَادِ فَلَا جِيْدَ جِرْزُكَ يَا مَوْقِعُ

٢ - فَمَا فَوْقَ ذَلَّتِكُمْ ذِلَّةٌ وَلَا تَحْتَ مَوْضِعِكُمْ مَوْضِعُ

(١) التبريزي: «وقال رويشد الطائي لبني مُوقِع».

موقع: قبيلة. يريد أنهم يتكلمون بالفحش وغير الصواب، لسفها وسوء تمييزها، ثم دعا عليها، فقال: لا مطر جانبك وفناء وإدبك بالجود، ولا أصابكم خضب.

وقوله: «فما فوق ذلتكم» طابق بتحت وفوق فيه، وهو غريب حسن. يريد: لا مرتبة في الدل أعلى من مرتبتكم، فإنها الغاية القصوى؛ ولا موضع أشد تأخرًا وانحطاطًا في العز من موضعكم، فإنه المنزل الأخس الأدنى. وقوله: «غير السداد»، يريد به تنطق النطق غير السداد. ويقال: جيد جودًا، في المطر، وتوسع فيه فقيل: [الرمل]

ومجود من صبابات الكرى^(١)

ويقال جيد جودًا، إذا عطش.

٦٢٠ - وقال جابر: [المقارب]

- ١ - أجدوا النعمال بأقدامكم أجدوا فونها لكم جزول
- ٢ - وأبلغ سلامان إن جثها فلا يك شنبها لها المفل
- ٣ - يكسي الأنام ويغري استة وينسل من خلعه الأنفل

يقول: استجدوا النعمال لأقدامكم، أو في أقدامكم استجدوها يا جزول، ونها لكم. وإنما كرر الأمر تأكيدًا للقول عليهم. ويقال في الدعاء: أبل وأجد. ونها: اسم من أسماء الأفعال يعرى به، ولا يجيء إلا مؤنًا، وذاك علامة لتكثيره. وإنما قلنا هذا لأن في أسماء الأفعال ما ينكر ويعرف. ومنه ما لا يجيء إلا منكورًا. ومثل ونها إيها، ويستعمل في الكف، وأما وهو للتعجب، وكل ذلك يجيء منونة منكورة. وجزول: اسم رجل. وجعل أول الكلام خطابًا لجماعتهم، ثم خص بالنداء واحدًا منهم وجعله المأمور بما أراد. ألا ترى أنه قال: «وأبلغ سلامان إن جثها». وسلامان: قبيلة. ومثل هذا التخصيص قول الهذلي: [البسيط]

أخيا أبأكن يا لئلي الأماديح^(٢)

(١) للبيد في ديوانه ص ١٨١، واللسان (جود، هجد، عطف)، وعجزه:

«عاطف النمرق صدق المبتذل»

(٢) هذا عجز بيت لأبي في ديوان الهذليين ١٢٧، واللسان (نشر، مدح، أبي)، وبلا نسبة في الدرر =

فقال: أباكن، ثم قال: يا ليلي، وهذا التخصيص مثل التخصيص الذي في قوله تعالى: ﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾ [البقرة: الآية ٢٣٨]، وما أشبهه. وقوله: «فلا يك شَبْهًا لَهَا المِغْزَلُ»، لو قال لكم لساغ، لأنهم يفتنون في مثل هذا الموضع بين الخطاب والإخبار؛ على هذا قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ [البقرة: الآية ٨٣]، قُرىء: (لا يعبدون) بالياء والتاء فالتاء للخطاب، والياء للإخبار. والرَّسالة التي يريد إبلاغها قوله:

فلا يك شَبْهًا لَهَا المِغْزَلُ

والمعنى لا يكوننَّ سبيلكم سبيل مَنْ يَشْبَحُ الْغَيْرَ وَيَضُرُّ نَفْسَهُ، كالمِغْزَلِ الذي يُكْسِي الْخَلْقَ وَيَجْعَلُ اسْتَهُ غُرِيَان. وهذا مثل. وكما ضُرِبَ الْمَثَلُ بِالمِغْزَلِ ضَرْبٌ أَيْضًا لِهَ بِالسَّراجِ فَقِيلَ: [المنسرح]

وَلَا تَكُونَنَّ ذُبَالَةً تُصِيبَتْ تَضْيِئُ لِلنَّاسِ وَهِيَ تَحْتَرِقُ^(١)

فأما قوله: «وينسل من خَلْعِهِ الْأَسْفَلُ»، فإنه كان يُرَوَى: «مِنْ خَلْفِهِ»^(٢) وليس يصح له معنى. والمستقيم كما روينا: «مِنْ خَلْعِهِ الْأَسْفَلِ». وذاك أَنَّ المِغْزَلَ ينسلُ أَسْفَلُهُ بَأَن يُخْتَلَعُ كُبْتُهُ، وهذا ظاهر. وكان سَلَامَان كانت تقترح أهوَالًا غَنْمُهَا يَصِيرُ لغيرها، وغَرْمُهَا يَكُونُ لَهَا، فلذلك جَعَلَ المِغْزَلَ مَثَلًا لَه.

٤ - فَإِنَّ بُجَجِيرًا وَأَشْيَاعَهُ كَمَا تَبَحَثُ الشَّاةُ إِذْ تَذَالُ^(٣)

٥ - أَثَارَتِ عَنِ الْحَنْفِ فَاغْتَالَهَا قَمَرٌ عَلَى خَلْقِهَا المِغْوَلُ

٦ - وَأَخِرُ عَهْدٍ لَهَا مُونِقٌ غَدِيرٌ وَجِرْعٌ لَهَا مُبْقِلُ

قوله: «كما تَبَحَثُ الشَّاةُ» محمولٌ على المعنى، لأنَّ المعنى أَنَّ بَحَثَ بُجَجِيرٍ وَأَشْيَاعِهِ كَبَحَثِ الشَّاةِ فِي ذَالَاتِهَا، وهو جِنْسٌ مِنْ عَذْوِهَا، وذاك لِأَنَّهُ يُشَبِّهُ الْحَدَثَ بِالْحَدَثِ، وَالذَّاتُ بِالذَّاتِ، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَقَوْلُهُ: إِنَّ بُجَجِيرًا حَذَفَ الْمُضَافَ مِنْهُ، لِأَنَّ الْقَصْدَ تَشْبِيهُ الْبَحَثِ بِالْبَحَثِ. وَفِي الْمَثَلِ: «حَتَفَهَا تَحْمِلُ ضَانَّ بِأُظْلَافِهَا»، وَكَمَا

= ٢٤٥:٦، ومع الهوامع ١٥٧:٢، وصدرة:

«لو كان مِدْحَةً حَيٍّ مُنْشَرًّا أَحَدًا»

(١) الذبالة: الفتيلة التي تُسْرَج.

(٢) هذه رواية التبريزي.

(٣) التبريزي: «إِذْ تَذَالُ» وقال: «الذَّالَانِ وَالذَّالَانِ: مَشْيُ الشَّيْطَانِ».

تَبَحْثُ الشَّاةُ عَنْ مُذْيَتَيْهَا» وَ«لَا تَكُنْ كَالْبَاحِثِ عَنِ الشُّفْرَةِ»، وَإِنَّمَا يَنْهَى بِهَذَا مَنْ يَجْنِي عَلَى نَفْسِهِ فِيمَا يَأْتِيهِ، وَيَسْعَى فِي إِهْلَاكِهِ بِرِجْلِهِ، فَيَقُولُ: لَا يَكُونَنَّ سَبِيلُهُ سَبِيلَ الشَّاةِ الَّتِي كَشَفَتْ عَنِ الْمُذْيَةِ، وَقَدْ اسْتَتَرَتْ عَنِ الذَّابِحِ، بِظُلْفِهَا، حَتَّى ذُبِحَتْ بِهَا. وَمَعْنَى أَثَارَتِ عَنِ الْحَنْفِ، أَثَارَتْ عَنِ الْمُذْيَةِ، ثُمَّ كَانَ الْحَنْفُ فِيهَا. فَفِيهِ تَوْشُعٌ. وَهُمْ يُقِيمُونَ السَّبَبَ مَقَامَ الْمَسَبِّ كَثِيرًا. وَاجْتَالُ: افْتَعَلَ مِنَ الْعَوْلِ، وَهُوَ الْهَلَاكُ. وَالْمِغُولُ: السَّكِينُ، وَقَدْ اشْتَهَرَتْ بِهَا إِذَا جُعِلَتْ فِي وَسْطِ السُّوْطِ فَصَارَ كَالْغِلَافِ لَهَا.

وقوله: «وَأَخْرُ عَهْدَ لَهَا مُوْنَقُ غَدِيرٍ»، يَعْنِي الشَّاةُ بَعْدَ إِثَارَتِهَا السَّكِينِ. وَهُوَ إِظْهَارُهَا لِأَيَّاهَا. فَيَقُولُ: كَانَ آخِرُ عَهْدِهَا الْمُعْجَبُ لَهَا رَوْضَةً قَدْ أَبْقَلْتُ، وَغَدِيرًا امْتَلَأَ مَاءً وَكَانَ شِبَعُهُ وَرِيهِ مِنْهُمَا، فَبَطِرَتْ وَأَثَارَتْ عَنْ حَنْفِهَا حَتَّى هَلَكَتْ. وَلَكِ أَنْ تَرَوِي «مُونَقُ» بِالرَّفْعِ، فَيَكُونُ صِفَةً لِآخِرِ عَهْدٍ، وَ«مُونَقُ» بِالْجَرِّ فَيَكُونُ لِلْعَهْدِ. وَجَعَلَ الْإِيْنِاقَ لِلْعَهْدِ لِأَنَّ الْمَرَادَ بِالْعَهْدِ الْمَعْهُودِ، وَهُوَ الْمَرْغَى الْمُعْجَبُ. وَيَجُوزُ أَنْ يَجْعَلَ الْمُوْنَقُ مِنْ صِفَةِ الْغَدِيرِ وَقَدْ قُدِّمَ عَلَيْهِ، وَجُعِلَ هُوَ بَدَلًا مِنْهُ، وَيَكُونُ التَّقْدِيرُ: وَآخِرُ عَهْدٍ لَهَا غَدِيرٌ مُوْنَقٌ وَجَزَعٌ مُبْقِلٌ. وَيَقَالُ: أَبْقَلَ الْمَكَانُ فَهُوَ بِاقِلٍ وَمُبْقِلٌ. وَأَفْعَلَ فَهُوَ فَاعِلٌ شَاذٌ لَيْسَ بِكَثِيرٍ.

٦٢١ - وَقَالَ إِيَّاسُ بْنُ الْأَرْتِ^(١): [السريع]

- ١ - كَانَ مَرْغَى أُمِّكُمْ إِذْ بَدَتْ عَقْرِبَةً يَكُومُهَا عُقْرُبَانُ
 - ٢ - إِكْلِيلُهَا زَوَلٌ وَفِي شَوْلِهَا وَخَزٌ أَلِيمٌ مِثْلُ وَخَزِ السَّنَانِ
 - ٣ - كُلُّ عَدُوٍّ يُتَّقَى مُقْبِلًا وَأُمُّكُمْ سَوَرَتْهَا بِالْمِجَانِ
- قوله: «كَانَ مَرْغَى أُمِّكُمْ»، يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ «مَرْغَى» اسْمًا لَهَا، وَأُمُّكُمْ بَدَلًا مِنْهُ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ لَقَبًا لِلشَّاعِرِ بِهِ. وَسُئِلَ الْأَحْنَفُ عَنْ شَيْءٍ مِنْ أُمُورِ النِّسَاءِ، فَقَالَ: «الرِّجَالُ جِمَى وَالنِّسَاءُ مَرْغَى»، فَعُدَّتْ مِنْ سَقَطَاتِهِ. وَمِثْلُ قَوْلِهِ: «عَقْرِبَةٌ يَكُومُهَا عُقْرُبَانُ» قَوْلُ الْآخَرِ: [الرجز]

كَالْجُعَلَيْنِ زَكَبَا دُخْرُوجَا دِمَامَةً وَمَنْظَرًا سَمِيحًا

وَالْعُقْرُبَانُ: ذَكَرُ الْعُقَارِبِ. وَالْكُومُ: السَّفَادُ. وَقَوْلُهُ: «إِكْلِيلُهَا زَوَلٌ» كُنِيَ عَنْ قَرْنِي الْعَقْرِبَةِ بِالْإِكْلِيلِ. وَالزَّوَلُ: الْخَفِيفُ الظَّرِيفُ. وَقَوْلُهُ: «وَفِي شَوْلِهَا وَخَزٌ» أَيِ

(١) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (٣٥٧).

فيما تَشُولُ العَقْرَبَةُ من ذَنْبِهَا. وزاد الهاء في عَقْرَبَةٍ توكيدًا للتأنيث. وهذا كما قالوا: جَمَلَ وناقَة، وكَبَشَ ونعْجَة، ووَعَلَ وأزَوِيَّةَ الحقوا الهاء توكيدًا وتحقيقًا للتأنيث؛ ولو لم تُلْحَقْ لم تَحْتَجْ إليها. وحِكَيَّ: عَجُوزَةٌ. والوَخْزُ: الطَّعْنُ الشَّدِيدُ الْمُوجِعُ. وإنما يعني شوكَتَهَا إذا ضَرَبَ بها، فشَبَّةٌ تأثيرها بتأثير السَّنان.

وقوله: «كُلُّ عَدُوٍّ يُتَقَى مُقْبِلًا»، أراد أن يذكر السُّوءَةَ فيها استهزاء واستهانةً بذكرها، فقال: كُلُّ عَدُوٍّ يُتَقَى شَرُّهُ إذا أَقْبَلَ، وأَمُكُم يُتَقَى شَرُّهَا إذا أَذْبَرَتْ. والعِجَانُ يريدُ الدُّبْرَ به. وهو في الأصل ما بين الحُضْيَةِ إلى سَمِّ الدُّبْرِ. والسُّورَةُ: الوُتْبَةُ.

٦٢٢ - وقال أدهم بن أبي الزَّعراء^(١): [الطويل]

١ - بَنِي خَيْبَرِي تَهْنِئُهَا مِنْ قَنَازِعٍ آتَتْ مِنْ لَدُنْكُمْ وَاَنْظُرُوا مَا شُؤْنُهَا^(٢)

٢ - فَكَائِنْ بِهَا مِنْ نَاشِصٍ قَدْ عَلِمْتُمْ إِذَا نَفَرَتْ كَانَتْ بَطِيئًا سَكُونُهَا^(٣)

هذا الكلام منه تَوْعَدٌ واستهزاء. فيقول: يَا بَنِي خَيْبَرِي، كُفُّوا عَنْ آيَاتِ هِجَاءٍ وَفَخْرٍ جَاءَ تَنَا مِنْ عِنْدِكُمْ، وَاَنْظُرُوا كَيْفَ تُرْسِلُونَهَا وَمَاذَا شُؤْنُهَا حَتَّى اهْتَاجَتْ وَجِئَتْ. وَالْقَنَازِغُ، أَصْلُهُ الْفُخْشُ. وَيُقَالُ لِلدُّبُوتِ: الْقَنْذُوعُ.

وقوله: «فَكَائِنْ» بِنَاءُ كَائِنْ لُغَةٌ فِي كَمْ. و«بِنَا» أَيِ عِنْدَنَا. «نَاشِصٌ» أَصْلُهُ فِي الْمَرْأَةِ، يُقَالُ: نَشِصَتِ الْمَرْأَةُ عَلَى زَوْجِهَا وَنَشَرَتْ، إِذَا تَمَتَّعَتْ. فَاسْتَعَارَهُ لِلشَّعْرِ وَالْهَجْوِ. يَرِيدُ: كَمْ مِنْ قَافِيَةٍ إِذَا نَفَرَتْ كَانَتْ بَطِيئًا سَكُونُهَا. وَهَذَا تَوْعَدٌ، وَالْمُرَادُ: إِنَّمَا تُنْسِيكَ عَنْ الْقَوْلِ مَا أَمَكْنَ، فَإِذَا تَكَلَّمْنَا اسْتَمَرَّ الْقَوْلُ بِنَا فَيَبْطِئُ سَكُونُنَا؛ لِأَنَّ للاحتمالَ غَايَةً وَلِلسُّكُونِ نَهَايَةً، إِذَا بَلَغْنَاهُمَا فَقَدْ أَقْمَنَّا الْعُدْرَ، وَمَا وَرَاءَ ذَلِكَ نَبْلَغُ فِيهِ الْأَقْصَى، وَلَا نَرْضَى بِالْمَنْزِلِ الْأَدْنَى. وَالْكِتَابَةُ عَنْ الْقَصَائِدِ وَالْقَوَافِي بِالْهَيْدِي وَالْعَرُوسِ مَشْهُورَةٌ. وَقَدْ قِيلَ: الْمُرَادُ بِالنَّاشِصِ الْحَرْبُ، وَقِيلَ: أَرَادَ بِهِ امْرَأَةً سَيِّئَةَ الْخُلُقِ وَالْعِشْرَةَ، لِعُجْبِهَا بِنَفْسِهَا. كَأَنَّهُ لَمَّا جَاءَهُمْ خَاطِبًا زَهْدَهُمْ فِي نِسَائِهِمْ تَرْفَعًا عَنْهُمْ وَالصَّوَابُ فِيمَا بَدَأَتْ بِهِ.

٣ - وَبِالْحَجَلِ الْمَقْصُورِ حَوْلَ بُيُوتِنَا نَوَاشِيءُ كَالْغِرْلَانِ نَجَلُ عِيُونُهَا^(٤)

(١) سبقت ترجمته في الحماسية (٢٠٠). (٢) التبريزي: «عن قناذع». (٣) التبريزي: «وكائِنْ بِنَا». (٤) التبريزي: «خلف ظهورنا».

٤ - وَإِنَّا لَمَحْقُوقُونَ حِينَ غَضِبْتُمْ بِأَيِّمَةِ عَبْدِ اللَّهِ أَنْ سَنُهِئُهَا^(١)

٥ - فَلَسْتُ لِمَنْ أَدْعَى لَهُ إِنْ تَفَقَّاتْ عَلَيْهَا دَمَامِيلُ اسْتِهِ وَحُبُونُهَا

الْحَجَلُ: جمع حَجَلَةٍ. والمقصود: المرسل عليه الستور. والثواشيء: النساء الشواب. وقصد الشاعر إلى أن يحسّرهم ويقصّر بشأنهم ويهيئهم حين عدوا طورهم، فخطبوا غير كفؤهم، فقال: إن عندنا نساء كالغزلان في جديدها، وبقر الوحش في عيبتها، مخدرات في الحجال، مُنْتَعَات حوالِي بيوتنا، نربأ بأقدارها عن مواصليكم بهنّ، فتحسروا وارجعوا عنا مقدوعين مذللين؛ فإننا أحقاء حين غضبتكم بسبب أئمة عبد الله، وترفعنا عن مناكحتهم، بأننا لا نستعظمها بل نهونها، ونُقِلْ فِكْرُنَا فيها. وقوله: «أَنْ سَنُهِئُهَا» أن مخففة من الثقيلة. والمعنى: إنا لمحقوقون بأننا سنهيئها لا محالة. ومثل هذا قول الآخر: [الطويل]

فَمَا أَكْبَرَ الْأَشْيَاءِ عِنْدِي حَزَاةٌ بِأَنْ أَبْتَ مَزْرِيًّا عَلَيْكَ وَزَارِيًّا^(٢)

وقوله: «فلست لمن أَدْعَى لَهُ» يجري مجرى اليمين، أي للوالد الذي أنسب إليه، أن أُنكِحَ عبدُ الله فينا، وتشققت خراجا استه عليها. وهذا الكلام إزراء به، واحتقار له، بذكر السؤا منه. وذكر الدماميل تشنيع للحال، وأن العزبة بلغت به هذا المبلغ لزهد الناس في مناكحتهم. وقال: «دماميل» لأنه أشبع كسرة الميم فأحدث عنها ياء. ومثله: [البسيط]

نَفَى الدَّرَاهِمَ تَنْقَاوِ الصَّيَارِفِ^(٣)

والأصل الدراهم والصيارف.

٦٢٣ - وَقَالَ خُرَيْثُ بْنُ عَنَابٍ^(٤):

١ - بَنِي ثَعْلٍ أَهْلَ الْعَنَّا مَا حَدِيثُكُمْ لَكُمْ مَنَظِقٌ غَاوٍ وَلِلنَّاسِ مَنَظِقٌ

(١) التبريزي: «ويروى: حين غضبتكم بلحية عبد الله».

(٢) لجزء بن كليب الفقعسي في الحماسية رقم (٦٢).

(٣) للفرزدق في خزنة الأدب ٤: ٤٢٤، والكتاب ١: ٢٨، وتاج العروس (درهم) ولسان العرب (صرف)، وليس في ديوانه، وصدره:

«تنفي يداها الحصى في كل هاجرة»

(٤) التبريزي: «النبهاني»، وقد سبقت ترجمته في الحماسية رقم (٦٩).

٢ - كَانَهُمْ مِغْرَى قَوَاصِعُ جِرَّةٍ مِنْ الْعِمَى أَوْ طَيْرٌ بِخَفَّانٍ تَنْفِقُ^(١)

٣ - دِيَافِيَّةٌ غُلْفٌ كَانَ خَطِيبُهُمْ سَرَاةُ الضُّحَى فِي سَلْحِهِ يَتَمَطَّقُ^(٢)

قوله: «بني تُعَلَّ أَهْلَ الْخَنَا» يجوز أن يكون أهل الخنا انتصابه على الذم والاختصاص، كأنه قال: يا بني تُعَلِّ، أَذْكَرُ أَهْلَ الْخَنَا. وقوله: «ما حديثكم» يريد: ما لغتكم. ويفسره قوله بعده: «لكم منطقٌ غَارٍ وَلِلنَّاسِ مَنْطِقٌ»، ينسبهم إلى أنهم نَبَطٌ، وَأَنَّ لَعَنَتِهِمْ ذَاتُ غَوَايَةِ وَزَنِيغٍ. ويعني بقوله: «وللناس منطقٌ العرب». ويجوز أن يكون معنى ما حديثكم: ما شأنتكم المستحدث وما أمركم؟ ينسبهم إلى أنهم لا قديم لهم ولا حديث.

وقوله: «كانَهم مِغْرَى قَوَاصِعُ جِرَّةٍ»، يقول: إِنَّهُمْ لِعِيْهِمْ إِذَا تَكَلَّمُوا كَانَهُمْ مِغْرَى تَجْتَرُ، أَوْ طَيْرٌ بِخَفَّانٍ تَنْفِقُ. يعني بالطَّيْرُ الْغُرَابُ، لِيَكُونَ أَشَامٌ، وَالْقُلُوبُ مِنْ ذِكْرِهَا أَثْقَرُ. ويقال: قَصَعَ الْبَعِيرُ بِجِرَّتِهِ، إِذَا دَقَّعَهَا مِنْ جَوْفِهِ.

وقوله: «دِيَافِيَّةٌ»، دِيَافٌ: أَرْضٌ بِالشَّامِ. وقصده إلى أن يُخْرِجَهُمْ مِنْ أَنْ يَكُونُوا عَرَبًا، وَجَعَلَهُمْ غُلْفًا لِلْحَاقَا لَهُمْ بِالْعَجَمِ وَالْغُلْفَةُ وَالْغُرَّةُ وَالْقُلْفَةُ تَتَقَارَبُ. وَرَجُلٌ أَغْرَلُ وَأَغْلَفُ وَأَقْلَفُ. وقوله: «كَانَ خَطِيبُهُمْ» أَيِ الْفَصِيحِ مِنْهُمْ، وَالْمُعَدُّ يَوْمَ فَخَارِهِمْ، وَالنِّيَابَةِ عَنْهُمْ فِي نِفَارِهِمْ، كَأَنَّهُ يَتَمَطَّقُ فِي سَلْحِهِ. وَالتَّمَطَّقُ: تَذَوُّقُ الشَّيْءِ بِضَمٍّ لِاحْدَى الشَّفَتَيْنِ عَلَى الْأُخْرَى مَعَ صَوْتٍ بَيْنَهُمَا. وَجَعَلَهُمْ كَذَلِكَ فِي سَرَاةِ الضُّحَى، أَيِ إِنَّهُمْ يَتَبَاطِوْنَ فِي كُلِّ حَالٍ، حَتَّى لَا يَقُومُوا مِنْ قُرْشِهِمْ إِلَّا فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ.

٦٢٤ - وَقَالَ شُعَيْثٌ، مِنْ كِنَانَةَ^(٣): [الطويل]

١ - أَتَزْجُو حُيَيَّ أَنْ تَجِيءَ صِغَارُهَا بِخَيْرٍ وَقَدْ أَغْيَا عَلَيْكَ كِبَارُهَا

٢ - إِذَا النَّجْمُ وَافَى مَغْرِبَ الشَّمْسِ أَجْجَرَتْ مَقَارِي حُيَيَّ وَاشْتَكَى الْغَدْرَ جَارُهَا

أجود الروایتین «أترجو حُيَيَّ»، كَأَنَّهُ يَخَاطِبُ إِنْسَانًا وَيُلُومُهُ فِي تَعْلِيْقِهِ الرَّجَاءَ بِرِشَادِ صِغَارِ حُيَيَّ، وَقَدْ أَغْيَا كِبَارُهَا. وَالْمَعْنَى أَنَّهُمْ لَا يُفْلِحُونَ أَبَدًا، وَإِذَا كَانَ رُؤْسَاؤُهُمْ وَأَهْلُ الْحُلِّ وَالْعَقْدِ مِنْهُمْ مُعْجِزِينَ فِي دُعَائِكَ إِلَيْهِمْ إِلَى الْخَيْرِ وَالصَّلَاحِ

(١) التبريزي: «كانكم» و«بخفافٍ يَنْفِقُ». (٢) التبريزي: «ديافيةٌ قلفٌ».

(٣) التبريزي: «وقال شعيث بن عبد الله وهو من كنانة بلقين، يهجو رجلاً يقال له عقال بن هاشم».

فَرَدُّالْهُم أَوْلَى بِذَلِكَ. وَإِذَا رُوِيَ «أَتَرَجَوْ حُيَّي» كَأَنَّهُ جَعَلَ الْفِعْلَ لِلْقَبِيلَةِ بِأَسْرَها، أَيْ
إِنَّهُمْ وَحَالَهُمْ ذَلِكَ فِي ضَلَالٍ إِذَا رَجَوْا مِنْ صَغَارِهِمْ فَلَا حَا وَحَالَهُمْ مَعَ كِبَارِهِمْ
ذَلِكَ.

وقوله: «إِذَا التَّجْمُ وَاقَى» أَشَارَ بِالتَّجْمِ إِلَى الثُّرَيَّا. وَهُمْ يَقُولُونَ: [مَجْزُوء الرَّمْل]
طَلَعَ النُّجْمُ غَدِيَّةً وَابْتَغَى الرَّاعِي شَكِيَّةً^(١)
فَهَذَا يَكُونُ فِي الصَّيْفِ وَعِنْدَ اشْتِدَادِ الْحَرِّ.

و: [الرَّمْل]

طَلَعَ النُّجْمُ عِشَاءً وَابْتَغَى الرَّاعِي كِسَاءً
وهذا يقالُ فِي شِدَّةِ الْبَرْدِ. فيقول: إِذَا طَلَعَ النُّجْمُ عِنْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ، - يَشِيرُ
إِلَى تَجَرُّدِ الْمَخْلُ، وَتَكْشُفِ الْجَذْبِ - أَخْرَجْتُ مَقَارِي هَذِهِ الْقَبِيلَةِ وَسُتِرَتْ، تَفَادِيًا مِنْ
الضِّيَافَةِ، وَهَرَبًا مِنَ الضِّيْفَانِ. وَالْمَقَارِي: جَمْعُ مِقْرَاةٍ، وَهِيَ مَا يُطْعَمُ فِيهِ الضَّيْفُ مِنَ
الْجِفَانِ. وَالْمَرَادُ أَنَّهُ لَا مِقْرَاةَ نَمَ؛ لِأَنَّهُمْ فِي الشِّتَاءِ يُضَيِّفُونَ وَيَسْتَضَيِّفُونَ، فَإِذَا عَطَّلَتْ
جِفَانُهُمْ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ فَلَأَنَّهُ لَا قِرَى عِنْدَهُمْ وَلَا مَقَارِي. وَقوله: «وَاشْتَكَى الْعَذَرَ
جَارُها» يَنْسَبُهُمْ إِلَى أَنْ إِسَاءَتَهُمْ مَقْصُورَةٌ عَلَى الْجَارِ، وَطَمَعَهُمْ فِيهِ وَفِيْمَنْ جَرَى
مَجْرَاهُ؛ فَعِنْدَ الْحَاجَةِ لَا يَشْقَى بِهِمْ إِلَّا جَارُهُمْ. وَجَوَابُ إِذَا النُّجْمُ «أُجْجِرَتْ». وَ
«مَغْرِبَ الشَّمْسِ» يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَفْعُولًا، وَأَنْ يَكُونَ اسْمًا لِمَوْضِعِ الْغُرُوبِ، وَيَكُونُ
وَاقَى مِنَ الْمَوَافَاةِ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ظَرْفًا، وَيَكُونُ مَعْنَى وَاقَى طَلَعَ.

٦٢٥ - وَقَالَ آخِرُ^(٢): [البسيط]

١ - فَمَا كِنَانَةٌ فِي خَيْرٍ بِخَائِرَةٍ وَمَا كِنَانَةٌ فِي شَرٍّ بِأَشْرَارٍ

يقال: خَايَرْتُهُ فَاخِرَتُهُ خَيْرًا. وَأَنَا خَائِرُهُ، إِذَا كُنْتُ خَيْرًا مِنْهُ. وَاسْتَخَرْتُ اللَّهَ فَخَارَ
لِي. وَهَذِهِ خَيْرِيَّتِي، أَيْ الَّتِي اخْتَارَهُ. وَالْمَعْنَى لَا يَرْجِعُونَ إِلَى حَالٍ يُعْتَدُّ بِهِمْ لَهَا،
وَيُعْتَمَدُ بِمَكَانِهِمْ عَلَيْهَا، فَلَا عِنْدَ الْخَيْرِ وَتَعْدَادِ أَهْلِهِ يَفُوزُونَ بِسَهْمَةٍ، وَلَا فِي الشَّرِّ
وَتَعْدَادِ أَهْلِهِ يَحْصُلُونَ عَلَى خُطَّةٍ.

(١) بلا نسبة في اللسان (شكا)، وتهذيب اللغة ١٠: ٢٩٩.

(٢) هذا البيت لعقاب بن هاشم ذكره التبريزي في الحماسية السابقة، ولم يعدّه في عداد الحماسيات.

٦٢٦ - وَقَالَ حُرَيْثُ بْنُ عَنَابٍ^(١): [البسيط]

- ١ - قُولًا لَصَخْرَةٍ إِذْ جَدَّ الْهَجَاءُ بِهَا عُوْجِي عَلَيْنَا يُحْيِيكَ ابْنُ عَنَابٍ
 ٢ - هَلَّا نَهَيْتُمْ عُوَيْجًا مِنْ مَقَادَعَتِي عَبْدَ الْمَقْدُودِ غَيْرَ ضِيَابٍ
 ٣ - مُسْتَخْفِيَيْنَ سُلَيْمَى أَمْ مُنْتَشِرٍ وَابْنَ الْمُكْفَفِ رَذْفًا وَابْنَ خَبَابٍ
- قوله: «يُحْيِيكَ»، يجوز أن يكون في موضع الحال، أي عُوْجِي مُحْيِيًا لَكَ هَذَا، ومثله: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾ يَرْثُنِي وَيَرِثُنِي [مریم: الآيتان ٥، ٦] أي وارثًا. ويجوز أن يكون في موضع الجزم جوابًا لقوله عُوْجِي، وأجرى المَعْتَلَّ مَجْرَى الصحيح.

ومثله: [الوافر]

أَلَمْ يَأْتِيكَ وَالْأَنْبَاءُ تَنَمِي بِمَا لَأَقْتُ لَبُونُ بَنِي زِيَادٍ^(٢)

وهذا الكلام تهكُّمٌ وسخرية. وإنما يخاطب صاحِبَيْنِ له يبعثهما على أن يبلغا بني صَخْرَةَ ويبعثاها وقتَ تهيجها بالهجاء وكونَ تصرفهم فيه جدًّا منهم وهما لهم على أن يعطفوا عليهم، لِيُسَلِّمَ عليهم ابْنُ عَنَابٍ، يعني نفسه. وذكرَ التحيةَ ههنا هُزْءَ منه. وهذا كما قال الآخر: [الوافر]

تَحِيَّةٌ بَيْنَهُمْ ضَرَبَ وَجِيعُ^(٣)

إِلَّا أَنَّ هَذَا فِي الْأَفْعَالِ، وَابْنُ عَنَابٍ جَعَلَهَا فِي الْأَقْوَالِ.

وقوله: «هَلَّا نَهَيْتُمْ» تَقْرِيعٌ وَلَوْمْ وَتَذَكِيرٌ بِسُوءِ تَأْتِيهِمْ، وَفُتِحَ فِعْلُهُمْ. فيقول: هَلَّا كَفَفْتُمْ عَنْ مَفَاحِشَتِي عُوَيْجًا - وهو رجل منهم - وجعله عَبْدُ الْمَقْدُودِ، أي لِيَمَّا وَدَعِيَّا فِيهِمْ غَيْرَ خَالِصِ النَّسَبِ. المَقَادَعَةُ: المَفَاحِشَةُ. ويقال: أَقْدَعَ الرَّجُلُ، إِذَا أَتَى بِفَحْشٍ. وانتصاب «عَبْدَ الْمَقْدُودِ» يجوز أن يكون على الْبَدَلِ، ويجوز أن يكون على الدَّمِ، ويجوز أن يكون على الْحَالِ. والمَقْدُودُ: مَنْبِتُ الشَّعْرِ مِنْ مَقْدَمِ الرَّأْسِ وَمَوْخَرِهِ. ويقال: فَلَانٌ عَبْدُ الْقَفَا، وَعَبْدُ الْمَقْدُودِ، ويراد بِالْمَقْدُودِ الْقَفَا. وهذا كما يقال في ضِدِّهِ:

(١) سبقت ترجمته في الحماسية (٦٩).

(٢) لقيس بن زهير في الأغاني ١٧: ١٣١، وخزانة الأدب ٨: ٣٥٩، والدرر ١: ١٦٢، واللسان أتمى.

(٣) لعمرو بن معد يكرب في ديوانه ١٤٩، وخزانة الأدب ٩: ٢٥٢، وصدرة:

«وخيل قد دلفت لها بخيل»

هو حرُّ الوجه، وكريم المُحَيَّا. والصُّيَّاب: الخالص، كأنَّه يَهْجُنُه. وقال الخليل: الصُّيَّاب والصُّيَّابَة: أصلُ كلِّ قوم. وقال أيضًا: الصُّيَّاب: الخِيار من كلِّ شيء. وأنشد:

يَخْتَلُّ مِنْ كِنْدَةَ فِي الصُّيَّابِ

وقوله: «مستحقِّبين سُلَيْمَى»، أَفَحَشَ فيه؛ أي جثمت لمهاجراتي وقد استحققتن هذه المرأة وابنَ المكفَّفِ معها رِدْفًا وابنَ خَبَّابٍ. كأنه يرمي سُلَيْمَى بهما أو يَعُدُّهُم جميعًا من مخازيه. فهذا هُزْءٌ أيضًا. أي جازيتموني بمن هو شَيْئُكُمْ، وجعلتم عيوبكم بمرأى ومَسْمُوع إذا كان غيركم يُخْفِي أمره ويستُرُّه. يريد: استهدفتم لي بهؤلاء. وسُلَيْمَى كانت لها قصة. والاستحقاب: شدُّ الحقيبة من خَلْف، وكذلك الاحتقَاب: وكُنِيَ عن العَجْز بالحقيبة لذلك.

٤ - يا شَرُّ قَوْمِ بَنِي حِصْنٍ مُهَاجِرَةٌ وَمَنْ تَعَرَّبَ مِنْهُمْ شَرُّ أَصْرَابِ

٥ - لا يَرْتَجِي الْجَارُ خَيْرًا فِي بَيْوتِهِمْ وَلَا مَحَالَةً مِنْ شَنْمٍ وَالْقَابِ

ينسبُهُم إلى أنهم شرُّ قوم هَاجَرُوا إلى الأمصار أو بقوا في البُدُو. و«بني حصن» يجوز أن يكون انتَصَبَ على النَّدَاء، كأنه قال: يا شَرُّ قَوْمِ يَا بَنِي حِصْنٍ. وانتَصَبَ «مُهَاجِرَةٌ» على الحال، ناداهم في هذه الحالة. أي أنتم شرُّ قوم في مهاجرتكم. ومثله: [البسيط]

يَا بُوسَ لِلْجَهْلِ ضَرَّارًا لِأَقْوَامٍ^(١)

وَيُؤَنِّسُ بوقوع الحال بعد النَّدَاء قولهم: يَا زَيْدُ دَعَاءٌ حَقًّا. فإذا سَأَغ أن يقع المصدرُ بعده تأكيدًا، فكَذَلِكَ الحال. قوله: «وَمَنْ تَعَرَّبَ» فيه معنى التكلف، لأنَّ تَفَعَّلَ يَجِيء لذلك كثيرًا. وصَرَفَ الكلامَ عن السَّنِّ الأول وجعله استئناف خبرٍ. ويجوز أن يكون انتَصَبَ بني حصنٍ على الذَّم والاختصاص.

وقوله: «لا يَرْتَجِي الْجَارُ» يريد أنَّ جَارَهُم مَبْتَدَلٌ فِيهِمْ، يَأْتِسُّ مِنْ خَيْرِهِمْ مَا دَامَ مَعَهُمْ، وملقَى مِنْ جَهْتِهِمْ بِالاستخفاف والتلقيب، والشَّنْمُ القبيح. وأجرى قوله: «لا

(١) للنابغة الذبياني في ديوانه ٨٢، وخزانة الأدب ١٣٠: ٢، والدرر ١٩: ٣، والشعر والشعراء ١٠١: ١، واللسان (خلا) وصدرة:

«قالت بنو عامرٍ خالوا بني أسدٍ»

مَحَالَّةٌ مَجْرَى قولهم لا بُدَّ، كأنه أراد: الجارُّ لا يرجو خيراً فيهم، ولا بُدَّ له من شتم يُقصدُ به، ولَقَبَ يُعَرَّفُ بذكره. وقال الخليل: «يقولون في موضع لا بُدَّ: لا محالة». ويقال: حَالٌ حَوْلًا وَحِيلَةً، أي احتال.

٦٢٧ - وقال آخر^(١): [الطويل]

- ١ - بَنِي أَسَدٍ إِلَّا تَنَحَّوْا تَطَأَكُمْ مَنَاسِمُ حَتَّى تُخْطَمُوا وَخَوَافِرُ
 - ٢ - وَمِمَّادُ قَوْمٍ إِنْ أَرَادُوا لِقَاءَنَا مِیَاةَ تَحَامَتِهَا تَمِيمٌ وَعَامِرُ
 - ٣ - وَمَا نَامَ مِیَاحُ الْبِطَاحِ وَمَنْعِجٌ وَلَا الرَّسُّ إِلَّا وَهُوَ عَجَلَانُ سَاهِرُ
- يقول: يا بني أسد، خَلُّوا الطَّرِيقَ وتباعَدوا عنها، فإنَّكم إن لم تفعلوا ذلك وطِئْتكم الإبلُ والخیلُ فحطَمْتكم. ينسبهم إلى القِلَّةِ والضعف، ويتهمهم مع ذلك بهم.

وقوله: «وميماد قَوْمٍ» يعني بني أسد وأنصارهم، والميعاد والوعد واحد، وإذا كان كذلك كَانَ المعنى: وَمَوْضِعُ الوعدِ لمن أراد الالتقاء معنا مِیَاةً تتحاماها بنو تميم وبنو عامر - يعني أَحْمِيتَهُمْ - فلا تَجَسَّرُ على وُودِهَا وإن كثروا. فحذَفَ المضاف، وهو الموضع.

وقوله: «وما نام مِیَاحُ الْبِطَاحِ وَمَنْعِجٌ»، فالمنعج: الذي يَمِیح ماء الرَكِیَّة. وأراد بالبطاح وَمَنْعِجِ والرَّسِّ موارد الماء. والرَّسُّ: البئر القديمة. جعلَ المستقي من هذه الآبار يَمِیحُ. وأراد بمنَیَاحِ الكثرة؛ لأنَّ لكلِّ موضعٍ من المواضع المذكورة مَاحَةً. والمَنِیح: الدُّخُولُ إلى أَسْفَلِ البئر ليُغْرِفَ الماءَ في الدَّلَاءِ، إذا قَلَّ الماء. والمَنِیح: الاستِقاء، يريد: مَتَّحُوا أَوَّلًا ثُمَّ مَاحُوا، لكثرة الوارِدَةِ. وإنَّما وَصَفَ سُكَّانَ هذه المواضع - وهم جيشُهُمْ - بِوُفُورِ العدد، وأنَّ سُقَاتَهُمْ بهذه الصِّفَةِ من العَجَلَةِ والسَّهْرِ. وقوله: وما نام إِلَّا وهو عجلان ساهر، يريد: نَوْمُهُمْ تَزْكُ الثَّوْمِ، والاستعجالُ في السُّقْيِ. وهذا كما قال الآخر: [الطويل]

فإِنَّ الْمُنْدَى رِحْلَةً فَرُكُوبُ^(٢)

(١) في ديوان الحماسة برواية الجواليقي: «وقال أيضًا» أي حريث بن عتاب، وقد ورد البيت الخامس في اللسان (شمرخ) لحريث بن عتاب.
(٢) لعلمة الفحل في ديوانه ٤٢، وسمط اللاكي ٢٥٤، وشرح اختيارات المفضل ١٥٨٩، واللسان =

وكقول أبي تمام: [الرجز]

تعليقها الإسراج والإلجام^(١)

٤ - نضاء لثُم مِنَّا كما ضَمَّ شَخْصَهُ أَمَامَ الْبُيُوتِ الْخَارِيءِ الْمُتَقَاصِرُ

٥ - تَرَى الْجَوْنَ ذَا الشُّمْرَاخِ وَالْوَرْدَ يُبْتَنَى لِيَالِي عَشْرًا وَسَطْنَا وَهُوَ عَائِزٌ^(٢)

قوله: «نضاء لثُم» أي تصاغرت منّا وانزويتم، لَفَّشَلَكُمْ وَذَهَابَ مُتَّكِمًا، كما يعفله المتغوط أَمَامَ الْبُيُوتِ إِذَا اسْتَرَلَى عَلَيْهِ الْخَجَلُ لما يريده من قضاء الحاجة، فهو يتقاصر ويخفي شخصه لئلا يُرَى. وهذا التشبيه في الْمُتَخَزِلِ وقد مَسَّه الْحَيَاءُ وَالْخَجَلُ غَايَةً.

وقوله: «تَرَى الْجَوْنَ ذَا الشُّمْرَاخِ» يريد به ذَا الْغُرَّةِ السَّائِلَةِ عَلَى الْأَنْفِ، وَالشُّمْرَاخِ مِنَ الْجَبَلِ: الْمُسْتَدِقُّ الطَّوِيلُ، عَلَى التَّشْبِيهِ. وَالْعَائِزُّ: الْمُخْتَلَفُ، وَالسَّهْمُ الْعَائِزُّ مِنْ هَذَا. يَقُولُ: إِمَّا لَكُنْزُنَا وَأَتْسَاعُ مَنَاحِنَا وَأَفْطَارُنَا، لَوْ أَفْلَكْتَ فِينَا قَرَسٌ أَذْهَمُ ذُو غُرَّةٍ سَائِلَةٌ - وَجَعَلَهُ كَذَلِكَ لِيَكُونَ أَشْهَرَ أَمْرًا وَأَقْلَّ خَفَاءً - وَقَرَسٌ وَرْدٌ أَغْرٌ أَيْضًا، ثُمَّ طَلَبَ عَشْرَ لَيَالٍ فِيمَا بَيْنَنَا لَمَّا ظَفِرَ بِهِ.

٦ - وَلَمَّا رَأَيْنَاكُمْ لِقَامًا أَدِقَّةً وَلَيْسَ لَكُمْ مَوْلَى مِنَ النَّاسِ نَاصِرٌ

٧ - ضَمَمْنَاكُمْ مِنْ غَيْرِ فَقَرٍ إِلَيْكُمْ كَمَا ضَمَّتِ السَّاقُ الْكَسِيرَ الْجَبَائِرَ

وصف حالهم القديمة معهم، وَكَيْفِيَّةَ اتِّصَالِهِمْ بِهِمْ وَانْعِطَافِهِمْ عَلَيْهِمْ حَتَّى أَبْطَرَهُمْ ذَلِكَ، فَاسْتَعْصَمُوا عَلَيْهِمْ، وَوَسَّوَسَتْ نَفْسُهُمْ إِلَيْهِمْ بِالْإِسْتِغْنَاءِ عَنْهُمْ، وَالْإِكْتِفَاءِ مِنْ دُونِهِمْ. فَيَقُولُ: لَمَّا رَأَيْنَاكُمْ أَذْنِيَاءَ فِي أَنْفُسِكُمْ، أَدِقَّةً فِي أَحْوَالِكُمْ لَا نَاصِرَ لَكُمْ، وَلَا مُدَافِعَ دُونَكُمْ، تَعَطَّفْنَا عَلَيْكُمْ لِنَرْفَعَ خَسِيصَتَكُمْ، رَحْمَةً لَكُمْ، وَضَمَمْنَاكُمْ إِلَى أَنْفُسِنَا مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ إِلَيْكُمْ وَلَا تَكْثُرِ بِكُمْ، لَنَجْبِرَ كَسْرَكُمْ، وَنَوْفِرَ نَقْصَكُمْ كَمَا تَنْصُمُ الْعَصَائِبُ الَّتِي يُغْصَبُ بِهَا الْكَسَرُ، وَالْجَبَائِرُ الَّتِي يُسَوَّى بِهَا الْعِظْمُ الْكَسِيرَ الْمَجْبُورَ. وَهَذَا مِنَ التَّشْبِيهِ الصَّائِبِ، وَالْكَلَامِ الْمُتَخَيَّرِ. وَالْأَدِقَّةُ: جَمْعُ الدَّقِيقِ، وَهُوَ الرَّجُلُ

= (ركب، دمن، ندى). وصدرة:

«تُرَادُّ عَلَى دَمَنِ الْحِيَاضِ فَإِنْ تَعَفَّ»

(١) ديوانه ص ٢٨١، وصدرة:

«بِسَوَاهِمٍ لِحَقِّ الْأَيَاطِلِ شَزْبٍ»

(٢) التبريزي: «لِيَا عَشْرًا بَيْنَنَا».

القليل الخير. والفعل دَقَّ دِقَّةً. وقال: الكسير، والسَّاقُ مؤنثة لأنَّه فَعِيلٌ في معنى مفعولة. وعند أصحابنا البصريين هذا لا ينقاس، بل يُتَّبَع فيه المحكي عنهم.

٦٢٨ - وقال أبو صغرة^(١): [الوافر]

١ - أَتَهْجُونَا وَكُنَّا أَهْلَ صِدْقٍ وَتَنَسَّى مَا حَبَاكَ بَنُو بَرَاءٍ

٢ - هُمْ نَتَجُوكَ تَحْتَ اللَّيْلِ سَقْبًا خَبِثَ الرِّيحِ مِنْ خَمْرِ وَمَاءٍ

٣ - وَهُمْ جَهِلُوا عَلَيْكَ بِغَيْرِ جُزْمٍ وَبَلُّوا مَنَكَبَيْكَ مِنَ الدَّمَاءِ

يخاطب رجلاً من عشيرته، ويقرّعه على ما كان منه من ثُلَّةٍ وَهَجْوَةٍ، فيقول: أَتَدُمُّنَا مع إحساننا إليك، وَكُونْنَا أَهْلَ صِدْقٍ لك، ورهطٌ صفاءٍ وودادٍ معك، وَتَنَسَّى ما كان منك حتى تعرّضتَ لبني بَرَاءٍ بمثلٍ تعرّضك لنا، وما قابَلُوكَ به من عَطِيَّةٍ وَجِبَاءٍ، وَحُسْنِ مَكَافَاةٍ وَجَزَاءٍ على فعلك، وقد كان في الحكم أن يؤدّبك ذلك وَيَزِدَّكَ، وَيَنْبَهَكَ على رَشَادِكَ وَصَلَاحِكَ، ويمنعك من مُعَاوَدَةِ شِبْهِهِ ويقمّعك. ثم أخذ يَصِفُ الْحِبَاءَ الْوَاصِلَ إليه من جَهْتِهِمْ، والجزاء المُعَدَّ له، فقال: هُمْ نَتَجُوكَ تَحْتَ اللَّيْلِ سَقْبًا، أي وَلَدُوكَ لَيْلًا سَقْبًا خَبِثًا. وهو في الأصل المذكّر من أولاد الإبل. ويقال: أَسْقَبَتِ النّاقَةُ وهي مُسْقَابٌ. والمعنى: ضربوك حتى سلختَ شيئاً منكراً. والذّكر أزدَلُّ التّاجِينِ، فلذلك خَصَّهُ. وقال: «تَحْتَ اللَّيْلِ» لأنَّ اللَّيْلَ أَخْفَى لِلْوَيْلِ.

وقوله: «وَهُمْ جَهِلُوا عَلَيْكَ بِغَيْرِ جُزْمٍ»، يعني أنهم فعلوا ذلك بك، ومن قبل ذلك كانوا أَسْلَفُوكَ، بلا جِنَايَةٍ كانت منك عندهم، ولا جَرِيرَةٍ سَبَقَتْ عنك إليهم، أَنْ جَرَحُوكَ حتى بَلُّوا مَنَكَبَيْكَ مِنَ الدَّمَاءِ السائلة عليك.

٦٢٩ - وقال الطرمّاح^(٢): [الطويل]

١ - إِنَّ بَمَعْنٍ إِنْ فَخَزْتَ لَمَفْخَرًا وَفِي غَيْرِهَا ثَبْنَى بُيُوثَ الْمَكَارِمِ

٢ - مَتَى قُدَّتْ يَابْنَ الْحَنْظَلِيَّةِ عُضْبَةً مِنَ النَّاسِ تَهْدِيهَا فِجَاجَ الْمَخَارِمِ

(١) التبريزي: «البلاني» وقد سبقت ترجمته في الحماسية رقم (٣٥٩).

(٢) التبريزي: «وقال الطرمّاح بن جهم السبسي، لناقد بن سعد المعني». والطرمّاح هذا غير الشاعر المشهور، فذاك الطرمّاح بن حكيم بن نقر والأبيات في معجم البلدان (عاسم).

هذا الكلام هُزْءٌ وسخرية، يقول: لكان تفتخرَ ببني مَعْنٍ، فإنهم في موضع ذلك، لكونهم مَجْمَعُ الفضائل، لكن مباني الكَرَمِ تَوْسَسُ في غيرهم. ثم أَقْبَلَ عليه فقال: أَخْبِرْنِي متى حَدَّثْتَ نَفْسَكَ بأن تكون قَائِدُ طَائِفَةٍ من الناس فَتَقْدُمَهُمْ وَتَهْدِيَهُم الطُّرُقَ، وهم يَطْوُونَ عَقَبَكَ، ويدورون على مُرَادِكَ؛ لقد رَأَيْتَ ما لم تَوْمَلْهُ، وَنَلْتَ ما لم تَرْتَقِ إِلَيْهِ هُمْتُكَ.

والفِجَاجُ: الطُّرُق. والمخارِم: جمع مَخْرِم، وهو مُنْقَطِعُ أَنْفِ الجَبَل. وهذا مثل، أي نَصَرَهُمْ حيثُ أَرَدت، وتَوَجَّهَهُمْ كَيْفَ شِئت.

- ٣ - إِذَا مَا ابْنُ جَدِّكَ كَانَ نَاهِزَ طَيِّئٍ فَإِنَّ الذَّرَى قَدْ صِرْنَ تَحْتَ الْمَنَاسِمِ
٤ - فَقَدْ بَزِمَامٍ بَطَّرَ أُمُّكَ وَاخْتَفِرَ بِأَيْرِ أَبِيكَ الْفَسْلِ كُرَاتٍ عَاسِمِ

«ابن جد» يريدُ به صاحبُ جدِّ وحظُّ في الدنيا. فيقول: إِذَا اتَّفَقَ لِمَتَقَدَّمْ بِنَفْسِهِ مَجْدُودٍ، لَا أَوْلِيَّةَ لَهُ، خَارِجِي، أَنْ يَكُونَ نَاهِزَ طَيِّئٍ، أَي مِذْرَهَهُمْ وَكَبِيرَهُمْ وَالَّذِي يَنْهَزُ الدَّلُو من البئر، أَي يَنْزَعُهَا، كَأَنَّهُ أَرَادَ: الَّذِي يَقُومُ بِأَمْرِهِمْ عِنْدَ السُّلْطَانِ، وَيَتَنَجَّزُ عَلَيْهِ حَاجَاتِهِمْ وَمُهْمَاتِهِمْ، فَقَدْ انْقَلَبَ الدَّهْرُ، وَانْحَطَّ الْأَعَالِي، وَصَارَتِ الْأَشْرَافُ أَدْلَاءً، لِأَنَّهُ لَا يَتَقَدَّمُ الْوَضِيعُ إِلَّا بِتَأْخِرِ الرَّفِيعِ. وَحَكَى غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ اللُّغَةِ أَنَّهُ يَقَالُ: هُوَ نَاهِزُ الْقَوْمِ، أَي كَاسِبُهُم وَالسَّاعِي لَهُمْ.

وقوله: «فَقَدْ بَزِمَامٍ» استهزاء وإِزراءٌ بِهِمْ، وَقَلَّةٌ احتفال، بِتَنَاوُلِ الْقَبِيحِ مِنْ ذِكْرِهِمْ. لِذَلِكَ سَمَّى السُّوءَةَ مِنْ طَرَفِيهِ. وَالْفَسْلُ: الرَّذْلُ. وَالْفَسْلُ: الضَّعِيفُ، وَهُمَا رَوَايَتَانِ. وَعَاسِمٌ: مُوضِعٌ.

٦٣٠ - وَقَالَ الْكَرَوَسُ بْنُ زَيْدٍ^(١): [الطويل]

- ١ - أَلَا لَيْتَ حَظِّي مِنْ عَطَائِكَ أَتْنِي عَلِمْتُ وَرَاءَ الرَّمْلِ مَا أَنْتَ صَانِعُ
٢ - فَقَدْ كَانَ لِي عَمَّا أَرَى مُتَرَحِّخَ وَمُتَّسِعَ مِنْ جَانِبِ الْأَرْضِ وَاسِعُ
٣ - وَهُمْ إِذَا مَا الْجَبَسُ قَصَرَ هَمُّهُ طُلُوعُ إِذَا أَعْيَا الرُّجَالُ الْمَطَالِغُ^(٢)

(١) التبريزي: «الكرؤس بن زيد بن حصن بن مصاد بن مالك بن معقل بن مالك» وقد سبقت ترجمته في الحماسية رقم (٢١٠).

(٢) التبريزي: «قصر نفسه».

يقول: تَمَثَّيْتُ أَنْ يَكُونَ الَّذِي حَظَّيْتُ بِهِ مِنْ عَطَائِكَ لِي أَنِّي عَلِمْتُ وَأَنَا وَرَاءَ الرَّمْلِ مَا أَنْتَ صَانِعُهُ وَقَدْ قَدِمْتُ عَلَيْكَ. فقولُه: «وَرَاءَ الرَّمْلِ» ظَرْفٌ لَعَلِمْتُ، وَأَنْتِي عَلِمْتُ خَبَرَ لَيْتَ، كَأَنَّهُ وَدَّ أَنْ يَكُونَ بِذَلِكَ حَظُّهُ مِنَ الْعَطَاءِ عِلْمُهُ بِمَا يَفْعَلُهُ، فَكَانَ اخْتِيَاؤُهُ بِحَسْبِهِ. وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ وَرَاءَ الرَّمْلِ يَتَعَلَّقُ بِصَانِعٍ، لِأَنَّكَ إِنْ أَجَعَلْتَ مَا مُوصُولًا فَالضَّلَّةُ لَا تَتَقَدَّمُ هِيَ عَلَى الْمَوْصُولِ، وَلَا شَيْءٌ مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِهَا. وَإِنْ جَعَلْتَ مَا مُوصُوفًا فَالضَّفَّةُ لَا تَتَقَدَّمُ عَلَى الْمَوْصُوفِ وَلَا مَا يَتَعَلَّقُ بِهَا، وَإِنْ جَعَلْتَ مَا اسْتَفْهَامًا فَمَا بَعْدَ الاسْتَفْهَامِ لَا يَعْمَلُ فِيمَا قَبْلَهُ. وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ ظَهَرَ فَسَادُ تَعَلُّقِهِ بِهِ عَلَى الْوُجُوهِ كُلِّهَا، مِنْ طَرِيقِ الْإِعْرَابِ وَمِنْ طَرِيقِ الْمَعْنَى، فَالصَّحِيحُ مَا قَدَّمْتَهُ. أَلَا تَرَى أَنَّهُ قَالَ: فَقَدْ كَانَ لِي عَمَّا أَرَى مُنْزَحْزَحٌ وَمَتَّسَعٌ. وَالْمُنْزَحْزَحُ: الْمُبْعَدُ. أَيِ كَانَ لِي جَانِبٌ مِنَ الْأَرْضِ وَاسِعٌ أَتْرَحْزَحُ فِيهِ عَمَّا أَرَاهُ وَأَرُدُّ عَلَيْهِ، وَكَانَ لِي هَمٌّ طَوِيلٌ مِمَّنْدُ الشَّأْوِ يَذْهَبُ ضَعْدًا، إِذَا كَانَ هَمُّ الْجِنْسِ قَصِيرًا. طُلُوعٌ إِلَى أَعَالِي الْعِزِّ وَذُرَاهُ إِذَا أَعْجَزَ الرُّجَالُ مَطَالِغَ الْعِزِّ. وَالْجِنْسُ هُوَ الثَّقِيلُ الْجَافِي. أَيِ يَقْصُرُ هَمُّ نَفْسِهِ فَيَرْضَى بِالْحَاصِلِ لَهُ. وَقَوْلُهُ: «إِذَا مَا الْجِنْسِ» ظَرْفٌ لِمَا دُلَّ عَلَيْهِ هَمٌّ، وَ«إِذَا أَعْيَا» ظَرْفٌ لَطُلُوعٍ. وَلَا يَمْتَنِعُ أَنْ يَكُونَ إِذَا مَا الْجِنْسِ ظَرْفًا لَطُلُوعٍ، وَيَجْعَلُ إِذَا أَعْيَا بَدَلًا مِنْهُ؛ لِأَنَّ الْمَعْنَيْنِ يَتَقَارِبَانِ. وَالْأَوَّلُ أَقْرَبُ وَأَجُودُ.

٦٣١ - وَقَالَ وَضَاحُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ ^(١):

- ١ - مَنْ مُبْلِغُ الْحَجَّاجِ عَنِّي رِسَالَةً فَإِنْ شِئْتَ فَاقْطَعْنِي كَمَا قُطِعَ السَّلَا
٢ - وَإِنْ شِئْتَ أَقْبَلْنَا بِمُوسَى رَمِيضَةً جَمِيعًا فَقَطَّعْنَا بِهَا عَقْدَ الْعُرَى ^(٢)
٣ - وَإِنْ قُلْتَ لَا إِلَّا التَّفْرِقَ وَالنُّوَى فَبُعْدًا أَدَامَ اللَّهُ تَفْرِقَةَ النُّوَى
٤ - فَإِنِّي أَرَى فِي عَيْنِكَ الْجَذْعَ مُعْرِضًا وَتَعَجَّبُ أَنْ أَبْصَرْتَ فِي عَيْنِي الْقَذَى

هَذِهِ آيَاتُ ذَهَبِ النَّاسِ مِنْ طَرِيقِ الرِّوَايَةِ وَالْمَعْنَى فِيهَا مَذَاهِبُ طَرِيفَةٍ، وَالصَّحِيحُ مَا أَوْرَدَهُ. وَذَلِكَ أَنَّهُ رَتَّبَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْحَجَّاجِ مَرَاتِبَ ثَلَاثًا، خَبَّرَهُ فِيهَا بِالشُّرُوطِ الْمَبِينَةِ.

(١) التبريزي: «وضاح بن إسماعيل بن عبد كلال بن داود بن أبي أحمد» وقد سبقت ترجمته في الحماسية (٢١٢).

(٢) التبريزي: «فاقتلنا بموسى».

فالشَّرْطُ الأولُ قوله: «إِنْ شئتَ فاقطِئْني كما قُطِعَ السَّلا» وهذا يحتمل معنيين: أحدهما أن يريد أن شئتَ خُصَّني بقطيعةٍ لا وصالٍ يتعقبُها، كما أنَّ السَّلا، وهو الجِلْدَةُ التي يلتفُّ فيها الولدُ عندَ خروجه من بطنِ أمه، إذا قُطِعَ عنه لم يُعَدَّ إليه. ويجوز أن يكون المعنى: اقطِئْني قطيعةً لا يُزجى معها وُضْلٌ؛ لأنَّ السَّلا إذا انقطعَ في بطنِ الحامل لم يمكن استخراجه، ولا يُرجى الخلاصُ معه. ولهذا ضُرِبَ المَثَلُ به في الشَّدائدِ فقليل: «انقطعَ السَّلا في البطن». والمراد في هذه القطيعة المذكورة أنَّ تبقى العلائقُ التي بينهما على ما حصَلَتْ وثبتت لا يُغيَّرُ منها شيء.

والشَّرْطُ الثاني: «وإنْ شئتَ أَقْبَلْنَا بِمُوسَى رَمِيضَةً»، يقول: وإن شئتَ أخذَ كلُّ مَثًا مُوسَى محدَّدة، فقطَّعنا بها الأواصرَ التي بيننا. وهذا مَثَلٌ، والمعنى أنَّ لنا الأسبابَ التي تَوَاصَلْنَا بها فصارت مِثْلَ الأنساب، وحلَّلْنَا عَقْدَ العُرَى الوثيقة فيما تَوَاشَجْنَا فيه حتى نَصِيرَ كالأجانبِ لا وُضَلَ تجمُعنا، ولا أواخِيَّ تَنظِمنَا، إلَّا ما طَوَى البعادُ بيننا من قُرْبِ الجوار والدار.

والشرط الثالث: «وإنْ قلتَ لا إلَّا التفرُّقُ بالأبدانِ معها، فيكونُ الثَّوى مُبَدَّدةً شملنا، فلا نلتقي في شَعْبٍ وَمَسَلِّكٍ، ولا نتحدَّى في منزلٍ ومَجْمَعٍ، ولا نتجاوَرُ في مَحَلٍّ ومَقَرٍّ، فإنَّا نَبْعُدُ بُعْدًا كما نختار؛ وأدامَ الله تفرقةَ الثَّوى بيننا ولا جَمْعَ ما تشئتَ منها».

ويقال: سَكِينٌ رَمِيضٌ: حادٌّ. وكلُّ حادٍّ رَمِيضٌ، ومنه ارتَمَضَ من كذا، إذا اشتدَّ عليه وأغضبه.

وقوله: «فإنِّي أرى في عينك الجِذْعَ»، يقول: إن العداوة بيننا رسختْ وثبتت واستحكمت من جهتك، فلا استبقاء معك، ولا صبرَ على أذى مضضٍ منك، حتَّى تعجبَ لأدنى شيءٍ يَحُولُ، وتستعظمَ أصغرَ ما يحدث ويدور، وأنا أرى الجِذْعَ يعترض في عينك فلا أنكر، ولا أحاسبُ عليه ولا أضايق. وهذا كما يُقال في المثل: «تُبْصِرُ القَدَاةَ في عين أخيك، وتَدْعُ الجِذْعَ المعترضَ في حلقك».

٦٣٢ - وقال جَوَّاسُ الْكَلْبِيِّ من بني عَدِيٍّ

ابن جَنَابٍ^(١):

[الطويل]

- ١ - ضَرَبْنَا لَكُمْ مِنْ مِثْبَرِ الْمُلْكِ أَهْلَهُ بِجَيِّرُونَ إِذْ لَا تَسْتَطِيعُونَ مِثْبَرًا
٢ - وَأَيَّامَ صَدَقِ كُلُّهَا قَدْ عَلِمْتُمْ نَصَرْنَا وَيَوْمَ الْمَرْجِ نَضْرًا مُؤَزَّرًا^(٢)
٣ - فَلَا تَكْفُرُوا وَاحْسِنِي مَضَّتْ مِنْ بِلَاتِنَا وَلَا تَمْنَحُونَا بَعْدَ لَيْلٍ تَجْبُرًا

يخاطب بهذا الشعر بني مروان ممتثا عليهم، وذلك أن معاوية بن أبي سفيان لما هلك استعمل ابنه يزيد، فتابعه الناس ما خلا بني قيس فإنهم قالوا: لا نبايع ابن الكلبيّة، ف وقعت الحرب بين أميّة وقيس. وجيرون: باب من أبواب دمشق، وأولئك كان مستقرهم بالشّام. ويعني بقوله: «أهله» بني هاشم، وبالمُلْك الخلافة.

وقوله: «إِذْ لَا تَسْتَطِيعُونَ مِثْبَرًا»، أي ارتقاء منبر وصعوده، فحذف المضاف. والمراد: إنّنا نصرناكم في طلب أمرٍ كان لغيركم لا لكم بجيرون، حين لا تقدرون على صعود منبر، ولا تستقيم لكم قنأة مُلْكٍ ونصرنا أيضًا يوم مَرْجٍ راهط، وأيامًا آخر قبله وبعده، صادقتناكم فيها ونصرناكم نصرًا قويًا، فلا تجحدوا نعمنا فيها، فكفران النعم ذميم، ولا تتكبروا علينا بعد ملايتكم لنا، فإن التكبر منكم عظيم. وقوله: «حَسْنِي مَضَّتْ» مصدر في معنى الإحسان، وليست بتأنيث الأحسن، لأنّ تلك تلزمه الألف واللام.

- ٤ - فَكَمْ مِنْ أَمِيرٍ قَبْلَ مَرْوَانَ وَابْنِهِ كَشَفْنَا غِطَاءَ النِّمِّ عَنْهُ فَأَبْصَرَ
٥ - وَمُسْتَسْلِمٍ نَفْسَنْ عَنْهُ وَقَدْ بَدَتْ نَوَاجِذُهُ حَتَّى أَهْلٍ وَكَبَرًا
٦ - إِذَا افْتَخَرَ الْقَيْسِيُّ فَاذْكُرْ بَلَاءَهُ بِزَرَاعَةِ الضُّحَاكِ شَرْقِيَّ جَوَيْرَا
٧ - فَمَا كَانَ فِي قَيْسٍ مِنْ ابْنِ حَفِيطَةٍ يُعَدُّ وَلَكِنْ كُلُّهُمْ نَهْبٌ أَشْقَرَا

قوله: «كَمْ مِنْ أَمِيرٍ» أراد به معاوية وأشيعاه. أي ذببنا دونه وأزلنا ما كان تراكم عليه من رواكد الظلم حتى أبصر رُشدَهُ، وعادت إليه بصيرته، بعد أن كان تحير في أمره، والتبس عليه ما يتنقل فيه، فلا يعرف ما عليه ممّا له.

(١) التبريزي: «وقال عمرو بن مخلاة الحمار الكلبي» وقد سبقت ترجمته في الحماسية رقم (٢١٤)، أما جواس: فهو جواس بن القعطل بن سود بن الحارث... بن جناب الكلبي: شاعر إسلامي كان معاصرًا لزفر بن الحارث الكلابي (المؤتلف والمختلف ٧٤).

(٢) التبريزي: «قد عرفتم».

وقوله: «ومستسلم» عطفه على «مِنْ أَمِيرٍ»، والضمير في «نَفْسَنْ» للخيل ولم يَجْر لها ذِكْر، ولكن عُرِفَ منه المراد. يريد: وكم من مُنْقَادٍ لما دَهَمَهُ، مُسْتَسْلِمٌ لِلشَّرِّ المفاجيء له والمحيط به، نَفَسَتْ خَيْلُنَا عنه بعد أن يَسِرَ ريقه، وتَقَلَّصَتْ شَفَتَاهُ فَظَهَرَتْ نَوَاجِذُهُ، لما مُنِيَ به من شِدَّةِ البلاء، وَجَهْدِ البأساء، حتى أَهْلٌ، أي رَفَعَ بالحمدُ لله صَوْتَهُ، وأظهر شكره، وَعَظَّمَهُ وَكَبَّرَهُ لما أُعْقِبَ من الأَمْنِ عَقِيبَ الخوف، والسلامة بعد الهُلُك. ويروى: «كَشَفْنَا غِطَاءَ الموت». ويروى: «وَمُسْتَلَحِمٌ نَفْسَتْ عَنْهُ» وقد بَدَتْ مَقَاتِلُهُ والمعنى فيهما ظاهر.

وقوله: «إذا افتخر القيسي فاذكر بلاءه»، يعيّرهم ما كان منهم من التقصير والقصور في ذلك الموضع. وأخرج الكلام مَخْرَجَ الهُزء، لأنهم قَصُرُوا ولم يُبْلُوا؛ لذلك قال: اذْكَرْ بِلَاءَهُ. والزَّرَاعَات: مواضع الزرع، كالملاحات. والزَّرِيع: العَثْرِيُّ الذي يُسْقَى من السماء، فكلُّ ناعم زَرِيعٌ تشبيهاً به. وَجَوْبُرُ: نهر. وانتَصَب «شرقي» على الظرف، يعني ما وَلِيَ المشرق منه. والضَّحَاك كان على شُرطة معاوية، ثم صار مع ابن الزبير بعد موت يزيد.

وفي جملة هذه الأبيات:

فلو كنْتُ من قَيْسِ بن عَيْلَانَ لم أَجِدْ فَخَارًا ولم أَعِدِلْ بأنْ أَتَنَصَّرَا
يَقْبَحُ صورَتهم كما ترى.

وقوله: «فما كان في قَيْسٍ من ابنِ كَرِيهَةٍ يُعَدُّ» ويروى: «فما كان في قَيْسِ بن عَيْلَانَ سَيِّدٌ يُعَدُّ»، وَيَعْنِي بِنْتُهُبٍ أَشَقَرِ فَرَسٍ طُفَيْلِ بن مالك، وكان فَرَّارًا. يقول: كأنَّما انتهبهم طُفَيْلٌ في ذلك اليوم. وكان اسْمُ فَرَسِ طُفَيْلٍ قُرْزُلًا، لذلك قال الآخر يصف قومًا منهزمين: [المنسرح]

يَعْدُو بهم قُرْزُلٌ وَيَسْتَمِعُ النَّاسُ إِلَيْهِمْ وَتَخْفِقُ اللَّمَمُ^(١)
جعل فرس كلِّ منهم كقُرْزُلٍ لَمَّا هربوا.

٦٣٣ - وقال جَوَّاسُ الْكَلْبِيِّ أيضًا: [الطويل]

١ - أَعْبَدَ الْمَلِيكَ مَا شَكَرْتَ بِلَاءَنَا فَكُلْ فِي رَحَاءِ الْأَمْنِ مَا أَنْتَ أَكِلُ

(١) للجميع الأسدي في المفضليات ٤١.

٢ - بجابية الجولان لولا ابنُ بخدلٍ هَلَكْتَ ولم يَنْطِقْ لِقَوْمِكَ قَائِلُ

يعاتبُ عبدُ الملكِ بنَ مروان، وذلك أَنَّهُ لما قُتِلَ ابنُ الزُّبيرِ وسكنت الحربُ وصفا له الأمر: أَقْبَلَ يتألف قيسًا وهم أعداؤه، ويوحشُ بني كَلْبٍ وهم أنصاره، حتى انتهى الحالُ به إلى أن عَزَلَ كثيرًا مَن استعمله من كَلْبٍ على أعماله، وجعل أبدالهم من قيس، فقال جَوَّاسٌ: يا عبدُ الملك، ما حَمِدْتَ بلاءنا في نُصرتك، ولا قَابَلْتَ انقطاعنا إليك وسعينا لك ببعض ما وجب لنا عليك، فكلُّ من دُنِيَاكَ في سَعَةِ الأَمْنِ وظلِّ الهدوءِ ما أَنْتَ أَكَلُهُ، لا مُدَافِعَ لك ولا معترِضَ عليك، فلولا ابنُ بخدلٍ وقيامه بأمرِكَ بجابية الجولان لهَلَكْتَ ولم يَنْطِقْ لقومك قائل، أي لم يكن فيهم خليفةٌ يخطبُ على منبرٍ فيدعو ويُدْعَى له. وتعلّق قوله: «بجابية الجولان» بقوله: ما شَكَرْتَ بلاءنا. وهَلَكْتَ جواب لولا، وخبر المبتدأ محذوف، وقد مرَّ أمثاله.

٣ - فلَمَّا عَلَوَتِ الشَّامُ في رَأْسِ باذِخٍ مِنِ العِزِّ لَا يَسْطِيعُهُ المَتَنَاوِلُ

٤ - نَفَخَتْ لَنَا سَجَلُ العَدَاوَةِ مُعْرِضًا كَأَنَّكَ مِمَّا يُخْدِثُ الدَّهْرُ جَاهِلُ

يقول: فلَمَّا مَلَكَتِ المَطْلُوبَ وأدركتِ المأمول، واستوتت على الشَّامِ في عِزٍّ باذِخٍ وَجَدُ صاعِدٍ، لا يَقْدِرُ على تناوُلِ مثله أحدٌ بِأَمَلٍ أو هَمَّةٍ، أَطْرَحْتَنَا وأعرضت عَنَّا، مُعْطِيًا سَجَلُ العداوة لَنَا، كَأَنَّكَ جَاهِلٌ بالدَّهْرِ وَقَعَلَاتِهِ، وحوادثِهِ ومُؤَلِّمَاتِهِ. ومن رَوَى: «كَأَنَّكَ مِمَّا يُخْدِثُ الدَّهْرُ»، يريد كَأَنَّكَ مِمَّا أَحْدَثَهُ الدَّهْرُ لك من الرِّيَاسَةِ جَاهِل. أي اغتررتِ فكأنك استحدثت جهالة. ويروى: «كَأَنَّكَ عَمَّا يُخْدِثُ الدَّهْرُ غافل» فجَاهِلٌ يجري مجرى غافل. وهذا يجري مجرى الوَعِيد. أي لا تَأْمَنُ غير الأيام ومعاودتك ما يَحْتِمُ عليك بالفقر إلينا ثانيًا.

وفي هذه الطريقة ما أُتِشِدُّهُ لمُحَمَّد بن غالب: [المقارب]

فَتَى مِسْمَعٍ أَنْتَ مِن مِسْمَعٍ بَحِيثُ السُّوَيْدَاءِ وَالنَّاضِرَانِ
مَلَكَتْ فَاسْجَحْ وَزُغْ بِالزُّمَامِ وَخَفَ مَا يَدُورُ بِهِ الدَّائِرَانِ

٥ - وَكُنْتَ إِذَا اشْرَفْتَ فِي رَأْسِ رَامَةٍ تَضَاءَلَتْ إِنَّ الخَائِفَ المَتَضَائِلَ^(١)

٦ - فلو طَاوَعُونِي يَوْمَ بُطْنَانَ أُسْلِمْتُ لِقَيْسٍ فَرُوجٍ مِنْكُمْ وَمَقَاتِلَ^(٢)

(٢) التبريزي: «ويروى: أُسْلِمْتُ فَرُوجِ نساء».

(١) التبريزي: «من رأس هضبة».

رامة: هضبة. يذكُرُه ضَيْقُ أَقْطَارِ الْأَرْضِ عَلَيْهِ، فيقول: إِنَّكَ حِينَئِذٍ مَتَى أَشْرَفْتَ فِي رَأْسِ هَذِهِ الْهَضْبَةِ تَخَاشَعْتَ وَتَذَلَّلْتَ، لاسْتِشْعَارِكَ الْخَوْفَ الشَّدِيدَ، وَاسْتَظْهَارِكَ بِالِاتِّقَاءِ مِنْ أَعْدَائِكَ الْبَلِيغِ. وَالْخَائِفُ هَذَا دَابُّهُ وَعَادَتُهُ. عَلَى أَنَّهُمْ - يَعْنِي أَصْحَابَهُ - لَوْ طَاوَعُونِي فِي هَذَا الْيَوْمِ وَقَبِلُوا نُصْحِي، وَعَمِلُوا بِرَأْيِي، لَأَسْلِمْتُ لِقَيْسٍ فُرُوجُكُمْ، وَهِيَ مَوَاضِعُ الْمَخَافَةِ، وَمَقَاتِلُكُمْ. وَالْمَعْنَى: كُنَّا نَخْذُلُكُمْ وَنُسَلِّمُكُمْ حَتَّى يَتِمَّ الْقَتْلُ مِنْكُمْ، وَتَعْلَوْ سِمَةً الدَّلِّ عَلَى أَحْوَالِكُمْ. وَإِنَّمَا قَالَ هَذَا لِأَنَّ الْقَيْسِيَّةَ كَانَتْ تَدْعُو إِلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ، وَكَلَبَتْ تَدْعُو إِلَى الْمَرْوَانِيَّةِ، وَكَانَ النَّاسُ يَوْمئِذٍ إِثْمًا يَعْرِفُونَ بِالْبَخْدَلِيَّةِ أَصْحَابَ مَرْوَانَ، وَالزُّبَيْرِيَّةِ، وَهُمْ أَنْصَارُ ابْنِ الزُّبَيْرِ. لِذَلِكَ قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْحَكَمِ آخِرُ مَرْوَانَ: [الطَّوِيلُ]

وَمَا النَّاسُ إِلَّا بَخْدَلِيٌّ عَلَى الْهُدَى وَإِلَّا زُبَيْرِيٌّ عَصَى فَتَزْبِرَا

٦٣٤ - وَقَالَ جَوَّاسٌ أَيْضًا: [الكامل]

- ١ - صَبَغْتُ أُمِّيَّةً بِالدَّمَاءِ رِمَاحَنَا وَطَوْتُ أُمِّيَّةً دُونَنَا دُنْيَاهَا
- ٢ - أَلْمَيْ رَبِّ كَتِيبَةٍ مَجْهُولَةٍ صَيْدِ الْكُفَّةِ عَلَيْكُمْ دَعَاها
- ٣ - كُنَّا وَلَاءَ طَعَانِهَا وَضُرَابِهَا حَتَّى تَجَلَّتْ عَنْكُمْ غُمَاهَا

يقول: اسْتَنْصَرْنَا أُمِّيَّةً وَدَافَعَ الْأَعْدَاءُ بِنَا، وَعَرَضْنَا لِلْقَتْلِ وَالْقِتَالِ، وَالضَّرَابِ وَالطَّعَانِ، حَتَّى رُوِيَ قِتَانُنَا مِنْ دِمَاءِ مُجَازِييهِمْ، وَالْمُتَكَبِّرِينَ لِأَيَّامِهِمْ وَدَوْلِهِمْ، فَلَمَّا وَضَعْتَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا، وَارْتَفَعَ الْهَيْخُ وَالْفِتْنُ مِنْ أُنْحَائِهَا وَمَقَاصِدِهَا، اسْتَبَدُّوا بِطِيِّ الدُّنْيَا وَزِيَّهَا، وَالْفُوزَ بِهَا وَبِأَعْرَاضِهَا مِنْ دُونِنَا. ثُمَّ أَخَذَ يَخَاطِبُهَا فَقَالَ: يَا أُمِّيَّةُ، رَبُّ كَتِيبَةٍ مَجْهُولَةِ الشَّانِ، لَمْ تَدْرِ كَيْفَ يُدْفَعُ فِي وَجْهِهَا. وَلَا مِنْ أَيْنَ يُصْرَفُ شَرُّهَا، مُتَكَبِّرِي الْأَبْطَالِ، بُهِمَ الشُّجْعَانِ، دَعَاها عَلَيْكُمْ لَا لَكُمْ، وَدَفَاعُهَا فَيْكُمْ لَا عَنْكُمْ، تَوَلَّيْنَا مَطَاعَتَهَا وَمُكَافَحَتَهَا، وَافْتَرَضْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا دَفْعَهَا. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ: «مَجْهُولَةٍ» أَنَّا لَا نَعْرِفُهَا، وَلَا مُجَادِبَةَ بَيْنِنَا وَبَيْنَهُمْ وَلَا مُعَامَلَةَ، فَهِيَ مَجْهُولَةٌ لَنَا، اتَّخَذْنَا كَالْأَعْدَاءِ لَنَا فِي هَوَاكُم وَنُصْرَتِكُمْ.

فَأَمَّا قَوْلُهُ: «صَيْدِ الْكُفَّةِ» فَإِنَّمَا جَمَعَ فَقَالَ صَيْدًا، حَمَلًا عَلَى مَعْنَى الْكَتِيبَةِ، وَلَوْ حَمَلَ عَلَى الْفِظِ لَقَالَ: رَبُّ كَتِيبَةٍ صَيْدِ الْكُفَّةِ.

وَالصَّيْدُ يُسْتَعْمَلُ عَلَى وَجْهَيْنِ: يُقَالُ: مَلِكٌ أَصِيدٌ، أَيْ مُتَكَبِّرٌ لَا يَلْتَفِتُ إِلَى النَّاسِ يَمِينًا وَلَا شِمَالًا. وَحَكَّى الْخَلِيلُ أَنَّ الصَّيْدَ ذُبَابٌ يَدْخُلُ فِي أُذُنِ الْبَعِيرِ فَيَقْلُقُ لَهُ،

فِيظَلُّ رَافِعًا رَأْسَهُ. فَشَبَّهَ الْمَلِكُ ذُو الزُّهُو بِهِ. فَهَذَا وَجْهٌ. وَالْوَجْهُ الْآخِرُ: أَنْ يُرَادَ بِالْأَصِيدِ الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ الْإِلْتِفَاتَ مِنْ دَائِهِ.

وقوله: «حَتَّى تَجَلَّتْ عَنْكُمْ عُثْمَاهَا»، يُقَالُ: هُمْ مِنْ أَمْرِهِمْ فِي عُثْمَاهُ، أَيْ فِي شِدَّةِ وَالتَّبَاسِ شَدِيدٍ عَلَيْهِمْ. وَمَعْنَى حَتَّى: إِلَى أَنْ. وَالْوَلَاةُ: جَمْعُ الْوَالِي، وَهُوَ الْمُتَوَلَّى لِلشَّيْءِ وَالْفَاعِلُ لَهُ. وَلَا يَمْتَنِعُ أَنْ يَرِيدَ بِهِ الْمُلْكُ، كَأَنَّهُمْ مَلَكَوْا تَدْبِيرَ الْحَيِّ فَصَارُوا كَالْوَلَاةِ لَهَا وَفِيهَا.

٤ - وَاللَّهُ يَجْزِي لَا أُمِيَّةٌ سَفِينَا وَعَلَى شَدْنَدْنَا بِالرَّمَا حُرَاهَا^(١)

٥ - جِئْتُمْ مِنَ الْحَجَرِ الْبَعِيدِ نِيَاطُهُ وَالشَّامُ تُنْكِرُ كَهْلَهَا وَقَتَاهَا

٦ - إِذْ أَقْبَلْتُ قَيْسَ كَأَنْ غَيَوْنَهَا حَدَقَ الْكِلَابُ وَأَظْهَرَتْ سِيَمَاهَا

يَقُولُ: الْآنَ وَقَدْ جَحَدَتْ أُمِيَّةٌ نِعْمَتَنَا عِنْدَهَا، وَبَعْدَتْ عَنِ الصَّلَاحِ بِكُفْرَانِهَا، فَإِنْ الْإِعْتِمَادُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى جَدُّهُ فِي أَنْ يَتَوَلَّى جِزَاءَ سَفِينَا، وَيَعْرِفَ لَنَا مَا أَنْكَرْتَهُ أُمِيَّةٌ مِنْ بَلَاتِنَا، وَعَلَى مَقَالٍ أَحْكَمْنَا وَثَاقَهَا، وَشَدَدْنَا عَقْدَهَا وَعِلَاقَتَهَا، فَتُوجِبُ لَنَا مِنْ إِثَابَةِ اللَّهِ عِزًّا وَجَلًّا مَا يَكُونُ فِيهِ عِوَضٌ مِنْ كُلِّ فَائِتٍ.

وقوله: «جِئْتُمْ مِنَ الْحَجَرِ» أَرَادَ بِالْحَجَرِ الْجِنْسَ. وَالْمَرَادُ: جِئْتُمْ مِنَ الْمَكَانِ الْكَثِيرِ الْحَجَرِ، وَمِنْ بِلَادِ الْحَجَرِ، يَعْنِي الْحِجَازَ. وَمَعْنَى «الْبَعِيدِ نِيَاطُهُ» الْبَعِيدَ مُعْلَقُهُ. وَيُقَالُ: نُطِطُ الشَّيْءَ أَثَوَطُهُ نِيَاطًا وَنَوْطًا، إِذَا عَلَقْتَهُ. وَرَوَى بَعْضُهُمْ: «مِنَ الْحَجَزِ»، بِالزَّاءِ، وَقَالَ: يَرِيدُ الْحِجَازَ. فَهَذَا كَمَا قِيلَ فِي تِهَامَةِ: التَّهَمِ. قَالَ: [الرجز]

نَظَرْتُ وَالْعَيْنُ مُبَيَّنَةُ التَّهَمِ^(٢)

وَالْحَاجِزُ وَالْحِجَازُ وَالْحَجَزُ، وَاحِدٌ. قَالَ: وَسَمِّيَ الْحِجَازُ حِجَازًا، لِأَنَّهُ يَفْصِلُ بَيْنَ الْغُورِ وَالشَّامِ وَبَيْنَ الْبَادِيَةِ. وَقَوْلُهُ: «وَالشَّامُ تُنْكِرُ كَهْلَهَا وَقَتَاهَا»، أَيْ لَمْ يَكُونُوا مِنْ أَهْلِهَا فَاسْتَغْرَبَتْهُمْ. وَهَذَا كَمَا قَالَ فِي الْمَقْطُوعَةِ الْأُولَى: «رُبَّ كَتِيبَةٍ مَجْهُولَةٍ».

(١) التبريزي: «فَاللَّهُ يَجْزِي».

(٢) الرجز لشيطان بن مدليج في تاج العروس (تهم، رتم) ويلا نسبة في اللسان (عند، أضم، تهم، رتم)، وديوان الأدب (١: ٢٣٠).

وقوله: «إِذْ أَقْبَلْتَ قَيْسَ، إِذْ ظَرَفَ لِقَوْلِهِ جِئْتُمْ مِنَ الْحَجَرِ، أَيِ جِئْتُمْ وَقْتَ إِقْبَالِ قَيْسٍ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ظَرْفًا لِقَوْلِهِ: «تَنْكِرُ كَهْلَهَا» أَيِ تَنْكِرُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ. وَيُرْوَى: «وَتَزَبَّرَتْ قَيْسٌ كَأَنَّ عُيُونَهَا»، أَيِ صَارَ هَوَاهَا زُبَيْرِيًّا.

وقوله: «كَأَنَّ عُيُونَهَا حَدَقَ الْكَلَابِ وَأَظْهَرَتْ سِيَمَاهَا» قَضَدَهُ إِلَى الذَّمِّ وَإِلَى أَنْ نَظَرَهُمْ نَظَرُ الْكَلَابِ، لَكِنَّهُ جَرَّدَ التَّشْبِيهَ أَوَّلًا، ثُمَّ قَالَ: «وَأَظْهَرَتْ سِيَمَاهَا» أَيِ أَظْهَرَتْ سِيَمَا الْكَلَابِ فِي إِقْبَالِهَا، فَتَرَكَ لَفْظَ التَّشْبِيهِ، وَصَارَ كَأَنَّهُ يُخْبِرُ عَنْ حَقِيقَةٍ.

٦٣٥ - وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْحَكَمِ^(١): [الطويل]

١ - لَحَا اللَّهُ قَيْسًا قَيْسَ عَيْلَانَ إِنَّهَا أَضَاعَتْ تُغُورَ الْمُسْلِمِينَ وَوَلَّتْ

٢ - فَشَاوِلَ بِقَيْسٍ فِي الرِّخَاءِ وَلَا تَكُنْ أَخَاهَا إِذَا مَا الْمَشْرِفِيَّةُ سُلَّتِ^(٢)

قوله: «لَحَا اللَّهُ» يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ بِمَعْنَى قَشَرَ اللَّهُ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ بِمَعْنَى سَبَّ اللَّهُ. وَقوله: «أَنَّهَا أَضَاعَتْ تُغُورَ»، يَرَوَى بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ، وَالْمَعْنَى لِأَنَّهَا، وَيَرَوَى بِالْكَسْرِ عَلَى الْإِسْتِنَافِ. وَمَعْنَى وَلَّتْ انْهَزَمَتْ وَأَعْرَضَتْ.

وقوله: «فَشَاوِلَ بِقَيْسٍ»، أَيِ خَاطَرَ غَيْرَكَ وَرَافَعَهُمْ بِهِمْ فِي الرِّخَاءِ وَالسَّعَةِ وَالْأَمْنِ وَاللَّدَعَةِ، وَإِيَّاكَ وَالْإِعْتِمَادَ عَلَيْهِمْ وَمُؤَاخَاتَهُمْ فِي الْحَرْبِ وَعِنْدَ اسْتِلَالِ الشُّيُوفِ؛ فَإِنَّهُمْ يُسْلِمُونَكَ وَيَنْهَزُمُونَ، وَيَخْذُلُونَكَ وَلَا يَنْصُرُونَ. وَيَقَالُ: شَاوَلَ الْقَحْلَ وَخَاطَرَهُ، إِذَا هَاجَبَهُ.

٦٣٦ - وَقَالَ أَبُو الْأَسَدِ^(٣) فِي الْحَسَنِ

ابن رجاء^(٤):

[الكامل]

١ - فَلَا تُنْظَرُنَّ إِلَى الْجِبَالِ وَأَهْلِهَا وَإِلَى مَنَايِرِهَا بِطَرْفِ أَخْزَرِ

(١) عبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس.

(٢) التبريزي: «فِي الطَّعَانِ».

(٣) أبو الأسد: ثُبَاتَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْحِمَانِيُّ التَّمِيمِيُّ: شَاعِرٌ مِنْ بَنِي جَحْثَانَ مِنْ أَهْلِ الدِّينُورِ، كَانَ مُتَصِلًا بِالْفَيْضِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ وَزَيْرِ الْمُهَدِيِّ الْعَبَّاسِيِّ، وَكَانَ صَدِيقًا لَعُلُوِيَّةٍ. (ت نحو ٢٢٠ هـ / ٨٣٥ م). تَرَجَمَتْهُ فِي: الْوُزَرَاءُ وَالْكِتَابُ ص ١٦٤، وَالْأَغَانِي ١٢: ١٦٨.

(٤) التبريزي: «الْحَسَنُ بْنُ رَجَاءَ بْنِ أَبِي الضَّحَّاكِ» وَهُوَ أَحَدُ وَلَاةِ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ (الْأَغَانِي ١٤٢: ١٧).

٢ - مَا زِلْتَ تَرْكَبُ كُلَّ شَيْءٍ قَائِمٍ حَتَّى اجْتَرَأْتَ عَلَى زُكُوبِ الْمُنْبَرِ

قوله: «بطرفٍ أخزر» تعلق الباء منه بقوله: فلا تظنن، والمراد بنظرٍ يميلُ إلى ناحية، أي نظراً بُغِضَ وشنآن، لكونه متولياً لها، والمعنى: هانت في عيني وصغر قدرها عندي، فصرتُ أتكبرُها، وأبغضُ أهلها وكُوزها، ومَوَاضِعَ الدَّعوة منها، مُدِّ صِرتُ أميرها ومُدبِّرها.

وقوله: «ما زلتَ تركب» معناه ظاهر.

٦٣٧ - وقال آخر^(١): [الطويل]

١ - عَجِبْتُ مِنَ السَّارِيْنَ وَالرَّيْحِ قَرَّةً إِلَى ضَوْءِ نَارٍ بَيْنَ قَرْدَةٍ وَالرَّحَى^(٢)

٢ - إِلَى ضَوْءِ نَارٍ يَشْتَوِي الْقِدَّ أَهْلُهَا وَقَدْ يُكْرَمُ الْأَضْيَافُ وَالْقِدُّ يُشْتَوَى

٣ - فَلَمَّا أَتَوْنَا فَاشْتَكَيْنَا إِلَيْهِمْ بَكَوْا وَكَلَّا الْحَيَيْنِ مِمَّا بِهِ بَكَى

٤ - بَكَى مُغَوِّزٌ مِنْ أَنْ يَلَامَ وَطَارِقٌ يَشُدُّ مِنَ الْجُوعِ الْإِزَارَ عَلَى الْحَشَا

يقول: تعجبتُ من العُصبة التي سرَتْ ليلاً إلى ضوءِ نارٍ أوقدَتْ في مكانٍ يتوسَّطُ قَرْدَةٍ وَالرَّحَى؛ وهما موضعان. والرَّوَايةُ المستقيمة على كلِّ وجهٍ: «بين قَرْدَةٍ فالرَّحَى» وهذا هو ما كان الأصمعيُّ يُنكره في بيت امرئ القيس، وهو: [الطويل]

بِسِقْطِ اللَّوَى بَيْنَ الدُّخُولِ فَحَوْمَلٍ^(٣)

وقد مرَّ القولُ فيه وفي أشباهه، وفي حكم بَيِّنٍ ومقتضاه أنَّ الاسمَ الذي يليه يجب أن يكون كاسم الجمع في تناوُلِهِ أَكْثَرُ من واحد، حتَّى يصحَّ ترتيبُ الفاء عليه في العطف.

وقوله: «والريح قَرَّةٌ» أي تهبُّ شمالاً ببرْدٍ شديد. والواو منه واو الحال.

(١) التبريزي: «وقال الراعي النميري: نزل بالراعي النميري رجل من بني كلاب في ركبٍ معه ليلاً في سنة مجدبة وقد عَزَبَتْ عن الراعي إبله، فنحر لهم ناقة من رواحلهم، وصبحت الراعي إبله فأعطى ربَّ الناب ناباً مثلها، وزادها ناقة ثنية فقال الأبيات». وقد سبقت ترجمته في الحماسية (٨٠).

(٢) التبريزي: «فالرحا».

(٣) صدره:

وقوله: «إلى ضوء نار يشتوي القِدُّ أهلها»، أبدلَ إلى ضوء نار ممَّا في البيت الأوَّل بإعادة حرف الجرِّ معه. ويعني نارا لقوم مضرورين مجهودين لا خيرَ عندهم، ولا طعامَ بفنائهم، مضطَّرين إلى شَيِّ القِدِّ، لأنَّهم أعوزهم ما هو خيرٌ منه. فتعجَّب وقد استضافهم هؤلاء السَّارون، ثمَّ قال: وقد يُكرَّم الأضيافُ مع مجاهدة الفقر، ومزاولة الضَّرِّ، إذا كان المضيف لطيفَ الحيلة، رفيعَ الهمة.

ويقال: شويتُ اللحمَ واشتويته، فانشوى هو. وحكى سيبويه في بناء المطاوعة اشتوى أيضا. ومثله نَطَمْتُ الشيء وانتظمتُه فانتظمتُ هو.

وقوله: «فلما أتونا» يقول: فلما حصلوا عندنا تباثنا وتباكينا، وكلُّ واحدٍ من الحَيِّين شكا إلى الآخر دهره وأنهى إليه في إضاقة أمره.

وقوله: «بكى مُعَوِّزٌ»، هذا بيان وجهِ العِلَّةِ في البكاء. يقول: بكى فقيرٌ مخافة أن يُتهم ولا يُصدَّق ظاهرُ حاله فيما ينطق به من ضُرِّه، وأن تُلحقَ به اللَّائِمَةُ إذا دُكر واجباتُ ضيفه؛ والضَّيفُ الطَّارِقُ بكى لما مسَّه من نائباتِ دهره، ولما يظهر من مَسَّاس حاجته، ويُقيم به العُدْرَ في إلمامه، حتَّى شدَّ حَشَاءَهُ لخلَاءِ جوفه

- ٥ - فَأَلْطَفْتُ عَيْنِي هَلْ أَرَى مِنْ سَمِينَةٍ وَوُطِنْتُ نَفْسِي لِلْمَغْرَامَةِ وَالْقِرَى
٦ - فَأَبْصَرْتُهَا كَوْمَاءَ ذَاتِ عَرِيكَةٍ هِجَانًا مِنَ اللَّائِي تَمْتَنَّ بِالصُّوَى
٧ - فَأَوْمَأْتُ إِيمَاءَ خَفِيًّا لِحَبْنَرٍ وَلِلَّهِ عَيْنًا حَبْنَرٍ أَيْمًا فَتَى
٨ - وَقُلْتُ لَهُ أَلْصِقْ بِأَيْبَسِ سَاقِهَا فَإِنْ يُجْبِرِ الْعُرْقُوبُ لَا يَزِقًا النَّسَا

وقوله: «الطَّفْتُ عَيْنِي» أي نظرتُ بعيني نظرا لطيفا، هل أرى في إبلِ المُستضيفين ورواحلهم ناقةً سَمِينَةً أنحرها لهم، وإذا رُدَّتْ إليَّ إلى مباءتها أعوض صاحبها خيرا منها، وأغرَمُ من بعد ذلك له ما أرضيه به. ويقال: أَلْطَفْتُ أَخِي بكذا، إذا أتحفته بما يُعرف به بِرُّكَ ولُطْفُكَ. وألطفَت الأمُّ بالولد، وأمُّ لطيفة، أي أكرمتُه وبرَّته.

وقوله: «أَبْصَرْتُهَا كَوْمَاءَ»، الكوماء؛ الطَّوِيلَةُ السَّنَامُ الغليظة، وقيل: الكَوْمُ: العِظَمُ من كلِّ شيء. والعَرِيكة: السَّنَامُ إذا عركه الجمل. وناقَةٌ عَرُوكٌ: لم يكن في سَنَامِهَا إِلَّا الِيسِيرُ من الشَّحم. والهجان: الكريمة. ويقال: ناقَةٌ هِجَانٌ وَتُوقُ هِجَان. وقد مرَّ القولُ في وقوعه للواجد والجمع على صُورَةٍ. وقوله: «تَمْتَنَّ بِالصُّوَى» فالصُّوَى: الأعلام والحجارة. أي رعت الحزن والسَّهْلَ. ومعنى تَمْتَنَّ، أي أقمَّنَ بها

وَبَقِينَ حَتَّى اسْتَمْتَعْنَ. ويقال: مَتَعَ الماءُ الشَّجَرَةَ، إذا أنشأها. ونخلةٌ مائعة، أي طويلة.

ويروى:

..... مِنْ سَمِينَةٍ تَدَارِكُ فِيهَا نَيَّ عَامَيْنِ وَالصَّرَى

والنَّيَّ: الشَّحْم. وَالصَّرَى: حَبْسُ الإِبِلِ فِي الرُّغْي، ومنه سَمِيَ الماءُ الَّذِي قَدْ طَالَ إِنْقَاعُهُ فِي مَوْضِعٍ: الصَّرَى. وَيُروى: «وَالصَّوَى»، وهو الإحسان إليها والإبقاء عليها.

وقوله: «فأومأتُ إيماءً خَفِيًّا لِحَبْتِ» فحَبْتُ: اسم ابنه، وإنَّما رَسَمَ لَهُ عَزَقَتَهَا فِي السَّرِّ بَعْدَ أَنْ اخْتَارَهَا مَخَافَةً أَنْ يَمْتَنِعَ صَاحِبُهَا مِمَّا هَمَّ بِهِ فِيهَا. وقوله: «عينا حَبْتِ» اعتراض. وانتَصَبَ «أَيُّمَا قَتَى» عَلَى الْحَالِ، كَأَنَّهُ أَحْمَدُهُ حِينَ حَسُنَتْ فَطْنَتُهُ وَتَسَرَّعَ إِلَى مُرَادِهِ. ويقال: مَرَرْتُ بِرَجُلٍ أَيْ رَجُلٍ، فَتَجَعَلَهُ صَفَةً لِلتَّكْرَةِ؛ وَيزِيدُ أَيْ رَجُلٍ، فَيَصِيرُ حَالًا لِلْمَعْرِفَةِ. وَعَلَّقَ الْمَدْحَ بَعِينِهِ، لِأَنَّهُ بِهِمَا أَدْرَكَ إِيمَاءَهُ. وَإِذَا عَظَّمُوا الشَّيْءَ نَسَبُوا مِلْكَهُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

وقوله: «الَصِقْ بِأَيْبَسِ سَاقِهَا» الْأَيْبَسُ: مَا قَلَّ عَلَيْهِ اللَّحْمُ مِنَ السَّاقِ وَغَيْرِهَا. وَالسَّيْفُ أَعْمَلُ فِيهِ. وقوله: «فَإِنَّ يُجَبِّرَ الْعُرْقُوبَ» الْعُرْقُوبُ: عَقَبٌ مُؤَثَّرٌ خَلْفَ الْكَعْبَيْنِ قُويَقَ الْعَقَبِ مِنَ الْإِنْسَانِ، وَهُوَ مُوَصَّلُ الْوُضُفِ وَالسَّاقِ مِنْ ذَوَاتِ الْأَرْبَعِ. وَالْمَعْنَى: أَصِيبْ سَاقَهَا فَإِنَّ الْعُرْقُوبَ إِنْ أَمَكْنَ الثَّلَافِي مِنْهُ بِالْجَبْرِ وَالْعِلَاجِ وَالشَّدِّ، فَإِنْ نَسَاهُ لَا يَنْقُطِعُ الدَّمُ مِنْهُ، فَصَاحِبُهَا يَنْتَشُ مِنْهَا عِنْدَ ذَلِكَ. وَالْمَعْنَى: اضْرِبْهَا ضَرْبَةً لَيْسَ فِي الْبُرءِ مِنْهَا مَطْمَعٌ، لِيَرْضَى صَاحِبُهَا بِالتَّعْوِيزِ مِنْهَا، وَيَسْتَقِيمَ أَمْرُ الضَّيْفِ وَالضَّيَافَةِ، وَإِنْ لَحِقْنَا غُرْمَ فِيهَا.

٩ - فَأَعْجَبَنِي مِنْ حَبْتِ أَنْ حَبْتَرَا مَضَى غَيْرَ مَنْكُوبٍ وَمُنْصَلَهُ انْتَضَى

١٠ - كَأَنِّي وَقَدْ أَشْبَغْتُهُمْ مِنْ سَنَامِهَا جَلَوْتُ غِطَاءَ عَنْ قُوَادِي فَانْجَلَى

١١ - فَبِئْسَنَا وَبِأَنَّ قِدْرُنَا ذَاتَ هِرَّةَ لَعْنَا قَبْلَ مَا فِيهَا شِوَاءَ وَمُضْطَلَى

قوله: «غَيْرَ مَنْكُوبٍ» أَي غَيْرَ مَدْفُوعٍ فِي صَدْرِهِ. وَيُقَالُ: حَافِرٌ مَنْكُوبٌ وَنَكِيبٌ، إِذَا أَثَّرَ فِيهِ مَا يَطْوُهُ مِنْ حَصَى أَوْ حَجَرٍ. وقوله: «وَمُنْصَلَهُ انْتَضَى» أَي جَرَّدَ سَيْفَهُ. وَانْتَصَبَ مُنْصَلُهُ لِأَنَّهُ مَفْعُولٌ مُقَدَّمٌ. وقوله: «جَلَوْتُ غِطَاءَ»، يَقُولُ: كُنْتُ مَهْتَمًّا قَلْقًا،

فلما شبعوا مما أعددت لهم وتمحلت من أجلهم سكنت فكانه كان على قلبي غطاء من الغم رآن عليه، فانجلى وذهب.

وقوله: «فبتنا وبات قدَرنا» خبر بئنا قوله: «لنا قبل ما فيها شِوَاء»، وشِوَاء ارتفع بالابتداء. يريد: بئنا لنا قبل ما أودع القدر شِوَاء واصطلاء بالنار، كأنه طال عليهم انتظار القدر، فعمد إلى أطيب الجزور وشوي. وقوله: «ذات هرة» خبر بانت قدرنا، أي لها هزير بالعليان. ويجوز أن يريد: لقدر اللحم فيها اهتزاز واضطراب، كما قال:

قُرْشِيَّة يَهْتَزُّ موكبها

وهذا الذي اقتضه من حاله وحالهم، بيان اهتمامه بأمر الضيف وحسن التأني في تفقده.

١٢ - وَأَصْبَحَ رَاعِينَا بُرَيْمَةً عِنْدَنَا بِسْتَيْنَ أَنْقَشَهَا الْأَخِلَّةُ وَالْخَلَا

١٣ - فَقُلْتُ لَرَبِّ النَّابِ خُذْهَا نَيْيَةً وَنَابَ عَلَيْنَا مِثْلُ نَابِكَ فِي الْحَيَا

يقول: أصبَحنا وراعيننا بُرَيْمَةً رَدَّ إِلَيْنَا مِنْ مَرَعَاهَا، وهي سْتُونَ قد أَنْقَشَهَا - أي جعل لها نَقِيًّا - الْأَخِلَّةُ، وهي جمع خِلَال، وهو ما اختلَّ واجتَزَّ من العُشْب وهو أخضر. وَالْخَلَا: الرُّطْب. وقال بعض أصحاب المعاني: لا يقال أَنْقَشَ النَّاقَةَ، إِذ سَمِنَتْ؛ وَلَكِنْ لَمَّا سَمِنَ مِنَ الْحَشِيشِ، وَكَانَ الْحَشِيشُ وَالْخَلَا سَبَبَ سِمَنِهَا جَعَلَ الْفَعْلَ لَهَا عَلَى سَعَةِ الْكَلَامِ، وَالْأَصْلُ أَنْقَشَ هِيَ. قال: [الرجز]

لَا يَشْتَكِبِينَ الْمَا مَا أَنْقَيْنَ مَا دَامَ مُخٌ فِي سَلَامَى أَوْ عَيْنٍ^(١)

وقال غيره: يجوز أن يكون أنقى ههنا مُعَدَّى، ويكون على غير ما فسّرتموه، وهو أنه يقال: أنقىته فأنقى، كما يقال: أمأيت الدراهم فأمأت هي. والمعنى سَمِنَتْهُ وجعلت له نَقِيًّا فَسَمِنَ واحتمل.

قال البرقي: الرواية الصحيحة عندي: «أَبَقَتْهَا الْأَخِلَّةُ»^(٢)، أي أَبَقَتْهَا عَلَى الْبَرْدِ وَالْجَذْبِ، لِأَنَّ كُنْهَهَا وَخَلِيْنَا لَهَا. ورواه بعضهم: «الْأَجَلَّةُ» بِالْجِيمِ. قال: ويقال: جُلَّ وَجَلَّالَ وَأَجَلَّةُ، أي لم ندعها ولم نُهْمِلْهَا، بَلْ أَلْبَسْنَاهَا وَتَفَقَّدْنَاهَا.

(١) لأبي ميمون النضر بن سلمة العجلي في اللسان (سلم، نقا)، وتاج العروس (سلم)، وبلا نسبة في اللسان (ملح، نقا، قفا).

(٢) هذه رواية التبريزي.

وقوله: «وَقُلْتُ لِرَبِّ النَّابِ خُذْهَا ثَنِيَّةً»، أَي حَكَمْتُ صَاحِبَ النَّابِ الَّتِي عَقَرْتُهَا فِي أَنْ يَخْتَارَ مِنْ إِبْلِي ثَنِيَّةً عَلَى مَا يَشْتَهِيهِ، وَتَصْطَفِيهِ عَيْنُهُ وَتَنْتَقِيهِ، وَقُلْتُ مُضِيْقًا إِلَى الْعَوَضِ الْوَاجِبِ لَهُ: لَكَ عَلَيْنَا نَابٌ مِثْلُ نَابِكَ فِي السَّمَنِ. وَالْحَيَا مِنْ بَابٍ مَا سُمِّيَ بِاسْمٍ غَيْرِهِ إِذْ كَانَ مِنْهُ بِسَبَبٍ. فَالْحَيَا: الْمَطَرُ، لِأَنَّهُ يُخَيِّى الْعِبَادَ وَالْبِلَادَ، ثُمَّ يَسْمَى التَّنَبُّتُ حَيًّا لِأَنَّهُ بِالْمَطَرِ يَكُونُ، وَيُسَمَّى الشَّحْمُ حَيًّا لِأَنَّهُ عَنِ الثَّبَتِ يَكُونُ. وَهَذَا الْبَابُ كَثِيرٌ وَاسِعٌ.

٦٣٨ - فَقَالَ فِي ذَلِكَ خَنْزَرُ بْنُ أَقْرَمَ^(١): [الطويل]

- ١ - بَنِي قَطَنٍ، مَا بَالُ نَاقَةٍ ضَبِفِكُمْ تَعَشُّونَ مِنْهَا وَهِيَ مُلْقَى قُتُوْدُهَا
- ٢ - غَدَا ضَبِفِكُمْ يَمْشِي وَنَاقَةٌ رَحْلِهِ عَلَى طُنْبِ الْفَقْمَاءِ مُلْقَى قَدِيدُهَا
- ٣ - وَبَاتَ الْكِلَابِيُّ الَّذِي يَنْتَفِي الْقَرَى بَلِيلَةً تَخْسِرُ عَنْهَا سُعُودُهَا

أَخَذَ يُسَائِلُهُمْ عَمَّا غَيْرَهُمْ بِهِ تَهَكُّمًا وَشُخْرِيَّةً. وَمَعْنَى الْكَلَامِ الْإِنْكَارُ. يَقُولُ: لِمَ تَعَشُّونَ مِنْ نَاقَةٍ ضَبِفِكُمْ؟ وَكَيْفَ اسْتَجَزْتُمْ ذَلِكَ حَتَّى صَارَتْ قَدْ أُلْقِيَ قُتُوْدُهَا وَهِيَ مَطْبُوخَةٌ مَأْكُولَةٌ؟ وَالْقُتُودُ لَا وَاحِدَ لَهَا عِنْدَ أَصْحَابِنَا الْبَصْرِيِّينَ. ثُمَّ قَالَ مَقْبَحًا الصُّورَةَ: ابْتَكَّرَ ضَبِفَكُمْ يَمْشِي وَرَاحِلَتُهُ قَدْ نُجِرَتْ وَقُدِّدَتْ لِحُومُهَا، وَشُمْسَتْ عَلَى طُنْبِ الْفَقْمَاءِ. وَهَذَا تَفْظِيْعٌ لِلشَّانِ. وَالطُّنْبُ: حَبْلٌ مِنْ حَبَالِ الْخِيْمَةِ. وَالْفَقْمَاءُ يَعْنِي بِهَا امْرَأَةُ الرَّاعِي، لِقَبْلِهَا بِذَلِكَ.

وقوله: «وَنَاقَةٌ رَحْلِهِ»، رَوَاهَا الْمَفْضَلُ: «وَنَاقَةٌ رَجْلِهِ» كَأَنَّمَا قَالَ غَدَا ضَبِفَكُمْ يَمْشِي، قَالَ: وَنَاقَةٌ رَجْلِهِ، يَرِيدُ النَاقَةَ الَّتِي كَانَتْ حَمَلَتْ رَجْلَهُ. وَمَنْ رَوَى: «وَنَاقَةٌ رَحْلِهِ» لَهُ أَنْ يَقُولَ: كَمَا قَالَ: وَهِيَ مُلْقَى قُتُوْدُهَا، قَالَ: وَنَاقَةٌ رَحْلِهِ، أَي الرَّحْلُ الْمُلْقَى.

وقوله: «وَبَاتَ الْكِلَابِيُّ» يَعْنِي بِهِ بَاتَ الْمُسْتَضِيفُ الطَّالِبُ لِلْقَرَى عِنْدَكُمْ بَلِيلَةً شَوْمٌ قَدْ فَارَقَهَا السُّعُودُ، لِأَنَّهُمْ غَضِبْتُمْ نَاقَتَهُ، وَلَمْ يَتَلَّ الْقَرَى عِنْدَكُمْ.

- ٤ - أَمِنْ يَنْقُصُ الْأَضْيَافَ أَكْرَمُ عَادَةً إِذَا نَزَلَ الْأَضْيَافُ أَمْ مَنْ يَزِيدُهَا

(١) التبريزي: «خنزر بن أرقم: واسمه الحلال وهو أحد بني بدر بن ربيعة بن عبد الله بن الحارث بن ثُمير».

٥ - كَأَنَّكُمْ إِذْ قُمْتُمْ تَنْحَرُونَهَا بَرَازِينَ مُشْدُودَ عَلَيْهَا لُبُودَهَا

٦ - فَمَا فَتَحَ الْأَقْوَامُ مِنْ بَابِ سَوْءٍ بَنِي قَطْنٍ إِلَّا وَأَنْتُمْ شُهُودَهَا

يقرّرهـم على تقبيح ما كان منهم، فيقول: خَبَرُونِي أَيُّ الْعَادَتَيْنِ أَقْرَبُ إِلَى الْكُرمِ، وَأُخْرَى فِي وَفَاءِ الشَّيْمِ: أَعَادَةُ مَنْ يَسْتَنْزِلُ الْأَضْيَافَ عَنْ أَمْوَالِهِمْ وَيَنْقُصُ مَا تَوَقَّرَ لَهُمْ، أَمْ عَادَةُ مَنْ يَزِيدُهُمْ وَيُثْمِرُ حَظوظَهُمْ.

وقوله: «عَادَةُ» انتَصَبَ على التَّمْيِيزِ. وَإِذَا نَزَلَ ظَرْفُ لِقَوْلِهِ: «أَمَنْ يَنْقُصُ الْأَضْيَافَ». وَكَرَّرَ لَفْظَ الْأَضْيَافِ وَلَمْ يَأْتِ بِالضَّمِيرِ عَلَى عَادَتِهِمْ فِي تَكْرِيرِ الْأَعْلَامِ وَالْأَجْنَاسِ، وَقَدْ مَضَى مِثْلُهُ.

وقوله: «كَأَنَّكُمْ إِذْ قُمْتُمْ تَنْحَرُونَهَا بَرَازِينَ» شَبَّهَهُمْ فِي الْعَجْزِ وَالثَّقَلِ وَقِلَّةِ الْغَنَاءِ وَالتَّبَاطُؤِ وَالبَلَادَةِ، بِالْبَرَازِينَ، وَهُمْ يَضْرِبُونَهَا مِثْلًا لِلْمَذْمُومِ. وَجَعَلَهَا شُدَّتِ اللَّبُودُ عَلَيْهَا تَقْبِيحًا لَصُورِهَا.

وقوله: «فَمَا فَتَحَ الْأَقْوَامُ مِنْ بَابِ سَوْءٍ»، يَرِيدُ: لَا يَسْبِقُ طَوَائِفُ النَّاسِ وَفِرْقُهُمْ إِلَى خَضَلَةٍ مَذْمُومَةٍ أَوْ سَوْءٍ مَشْهُومَةٍ مَنَكْرَةٍ إِلَّا وَبَنُو قَطْنٍ حَضُورُهَا؛ أَيِ لَا يُمْكِنُ الْإِغْرَابُ فِي الْمَخَازِي عَلَيْهِمْ، لِأَنَّهُمُ السَّابِقُونَ فِي الْبِدَارِ إِلَى كُلِّ عَارٍ، وَالْأَوَّلُونَ عِنْدَ الْوُلُوجِ فِي كُلِّ بَابٍ، وَالْحَاضِرُونَ لِكُلِّ تَكْرٍ وَغَابٍ.

٦٣٩ - فَأَجَابَهُ الرَّاعِي: [الطويل]

١ - مَاذَا ذَكَرْتُمْ مِنْ قُلُوصٍ عَقَرْتُهَا بِسَيْفِي وَضِيْفَانِ الشِّتَاءِ شُهُودَهَا^(١)

٢ - فَقَدْ عَلِمُوا أَنِّي وَفَيْتُ لِرَبِّهَا فَرَّاحَ عَلَى عَنَسٍ بِأُخْرَى يَقُودُهَا

٣ - قَرَيْتُ الْكِلَابِي الَّذِي يَبْتَغِي الْقِرَى وَأَمَّاكَ إِذْ تَخْذِي إِلَيْنَا قَعُودَهَا^(٢)

الرواية الجيدة: «مَاذَا نَكْرْتُمْ». وَيَقَالُ: نَكْرْتُ الشَّيْءَ وَأَنْكَرْتُهُ وَاسْتَنْكَرْتُهُ بِمَعْنَى. فَأَمَّا «ذَكَرْتُمْ» فَمَرَادُهُ مَاذَا عَيَّرْتُمْ فَذَكَرْتُمْ مِنْ نَاقَةٍ لَغِيرِي عَقَرْتُهَا حِينَ عَزَبْتُ إِبْلِي لِضِيْفَانِ الشِّتَاءِ بِحَضْرَتِهِمْ، وَبِمَرَأَى مِنْهُمْ. وَقَدْ جَرَى رَسْمُ الْكِرَامِ بِمِثْلِ ذَلِكَ إِذَا دَعَتْ الْحَالُ إِلَيْهِ، مُوْطِنِينَ أَنْفُسَهُمْ لِلْغَرَامَةِ، وَرَدَّ الْاِثْنَيْنِ بَدَلَ الْوَاحِدِ عَلَى الْحَصْمِ فِيهِ.

(١) التبريزي: «مَنْ قُلُوصٍ نَحَرْتُهَا»، وَيُرْوَى: «مَنْ كَزُومٍ عَقَرْتُهَا».

(٢) التبريزي: «إِذْ يُحْدِي».

وقوله: «فقد علموا» يستشهد بالضيّفان فيقول: حَضَرُوا وَتَبَقُّرُوا أَنِي وَقَيْتُ لَرَبِّهَا بِمِثْلِهَا وَزِدْتُهُ أُخْرَى، فراح رَاكِبًا إِحْدَاهُمَا وَقَانَدًا الْأُخْرَى معها. ثم اقتص ما ادعاه إليه فقال: قَرَيْتُ الْكِلَابِيَّ الْمَبْتَغِيَّ لِلْقِرَى وَقَرَيْتُ أُمْلَكَ، يعني أُمَّ خَنْزَرٍ بَنِ أَقْرَمِ الْمَعِيرِ الْمُنْكَرِ. وَالْخَذْيُ: ضَرْبٌ مِنَ السَّيْرِ. وَالْقُعُودُ: الْبَكْرُ إِذَا بَلَغَ الْإِنْتَاءَ؛ وَالَّذِي يَقْتَعِدُهُ الرَّاعِي فِيرْكَبُهُ وَيَحْمِلُ زَادَهُ عَلَيْهِ قَعُودٌ أَيْضًا. وَفِي ذِكْرِ الْأُمِّ وَأَنَّهُ أَضَافَهَا مَعَ الْكِلَابِيَّ بَعْضُ الْعَصْرِ وَالْإِيهَامِ.

٤ - رَفَعْنَا لَهَا نَارًا تُثَقِّبُ لِلْقِرَى وَلِقْحَةً أَضْيَافٍ طَوِيلًا رُكُودَهَا

٥ - إِذَا أُخْلِيَتْ حُودَ الْهَشِيمَةِ أَرْزَمَتْ جَوَانِبُهَا حَتَّى نَبَيْتَ نَذُودَهَا

٦ - إِذَا نُصِبَتْ لِلطَّارِقِينَ حَسْبَتُهَا نِعَامَةٌ حِزْبَاءٍ تَقَاصِرُ جِيدَهَا

ويروى: «رفعنا لها مشبوبة يهتدى بها». ومعنى «تثقب» تُذَكِّي وتضاء. وقيل: الكوكب الثاقب والحسب الثاقب، للضوء والتلألؤ. ومعنى «للقرى» لإقامة القرى، و«اللقحة» يراد به القدر ههنا، وأصله في الثاقفة الحلوب. وجعل ركودها طويلًا لثقلها وكبرها، ولأنها لا تنزل إلا للغسل ثم تُعاد والجفنة الركود: الثقيلة الممتلئة.

وقوله: «إذا أُخْلِيَتْ» أي جُعِلَ الحطَبُ لها بمنزلة الولد، فهو لها كالولد، وهي له كالثاقفة الخليّة، وهي التي تعطف على ولدها وترأّمه. والهِشِيمَةُ: اليابس من الشجر وغيره. وَأَرْزَمَتْ: صاحت بغيّانها، لكبرها، حَتَّى نَبَيْتَ تُسَكِّنُ منها. وَإِذَا نُصِبَتْ عَلَى الْأَنَافِي لَزُورِ اللَّيْلِ - يعني الأضياف - حَسْبَتُهَا لِإِشْرَافِهَا نِعَامَةً حِزْبَاءَ. وَالْحِزْبَاءُ: الْأَرْضُ الصُّلْبَةُ الْمُرْتَفَعَةُ، شَبَّهَ الْقِدْرَ بِالنِّعَامَةِ، لِأَنَّهَا تُكْثِرُ رَفْعَ رَأْسِهَا وَوَضْعَهُ، لِجُبْنِهَا وَتُفَوِّرُهَا، فَكَذَلِكَ الْقِدْرُ تَرْفَعُ الْمَحَالَ وَتُخَفِّضُهَا، لِشِدَّةِ غَلْيَانِهَا. وَقَالَ: «تَقَاصَرَ جِيدُهَا» لِيَتَبَيَّنَ وَجْهُ التَّشْبِيهِ مِنْهُ وَيَصَحَّ. وَمِثْلُهُ قَوْلُ الْآخَرِ: [الطويل]

غُضُوبٌ كَحِيزُومِ النِّعَامَةِ أُخْمِشَتْ^(١)

٧ - نَبَيْتُ الْمَحَالَ الْغُرُّ فِي حَجَرَاتِهَا شَكَارَى مَرَاهَا مَاؤُهَا وَحَدِيدُهَا

٨ - بَعَثْنَا إِلَيْهَا الْمُنْزِلِينَ فَحَاوَلَا لَكِنِّي يُنْزِلَاهَا وَهِيَ حَامٍ حَيُودُهَا

(١) للفردق في أساس البلاغة (حمش)، والحيوان ٣٣٢: ٤، وليس في ديوانه. وعجزة:

«باجدالٍ مَرِخٍ زَالٍ عَنْهَا هَشِيمُهَا»

٩ - فَبَاتَتْ تَعْدُ النُّجْمَ فِي مُسْتَحِيرَةٍ سَرِيعَ بَأْيَدِي الْإِكْلِينَ جُمُودَهَا^(١)

الْمَحَال: فِقَرُ الظَّهَر، والواحدة مَحَالَّة. وجعلها غُرًّا لِسَمَنِهَا. وَالْحَجَبَرَات: التَّوَاحِي، وجعلها شَكَازَى لامتلائها وَدَكَا. ويقال: شَاءَ شَكْرَةً، إِذَا كَانَتْ غَزِيرَةً اللَّحْم، وَضَرَّةً شَكَزَى، أَي مَمْتَلئة. وَشَكَرُ النَّعَم من ذَلِكَ، لِأَنَّهُ بِهِ تُسْتَدَام وَتُمْتَرَى الزَّيَادَةُ. وَيُرَوَّى: «سَكَازَى» بِالسَّيْنِ غَيْرِ مَعْجَمَةٍ، وَالْمَرَادُ مِثْلُ ذَلِكَ لِأَنَّ السُّكْرَ مِنَ الْإِمْتِلَاءِ يَكُونُ. وَمَعْنَى مَرَّاهَا: اسْتَخْرَجَ دَسَمَهَا. مَاؤَهَا، أَي مَرَقَّتْهَا. وَحَدِيدُهَا أَي مِغْرَقَتُهَا.

وقوله: «بَعَثْنَا إِلَيْهَا الْمُنْزَلَيْنِ» إِنَّمَا تُثْنِي لِإِرْيَ أَنَّ الْوَاحِدَ لَا يُطِيقُهَا وَلَا يَنْهَضُ بِتَحْرِيكِهَا لِثِقَلِهَا. وَاللَّامُ مِنْ قَوْلِهِ: «لَكِي يَنْزِلَاهَا» يَجُوزُ أَنْ يَتَعَلَّقَ بِقَوْلِهِ بَعَثْنَا، كَأَنَّهُ قَالَ: بَعَثْنَا الْمُنْزَلَيْنِ إِلَيْهَا لَكِي يَنْزِلَاهَا فَحَاوَلَاهُ، وَحَذَفَ مَفْعُولَ حَاوَلَ. وَكَيْ هَذِهِ هِيَ الثَّاصِبَةُ لِلْفِعْلِ، لِذَلِكَ دَخَلَهَا اللَّامُ الْجَاذَةُ. وَالْمَحَاوَلَةُ: مَطَالِبَةُ الْأَمْرِ بِالْحَيْلِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَتَعَلَّقَ بِحَاوَلَا. وَالْحَيُودُ: الْجَوَانِبُ، أَي إِذَا أَرَادَ انْزَالَهَا وَفِي جَوَانِبِهَا بَعْدُ حَمِي، اسْتَعْجَالَ.

وقوله: «فَبَاتَتْ تَعْدُ النُّجْمَ» إِبْخَارٌ عَنْ أَمِ خَنْزَرِ بْنِ أَقْرَمَ. وَالْمُسْتَحِيرَةُ: الْمَتَحِيرَةُ لَامْتِلَائِهَا. أَي فِي مَرَقَّةٍ أَوْ قِدْرِ قَدْ تَحِيرَتْ، فَهِيَ مِنْ صِفَاتِهَا وَكَثْرَةِ دَسَمِهَا تَرَى فِيهَا نُجُومَ السَّمَاءِ. وَقِيلَ: شَبَّ الرَّاعِي الثَّقَاخَاتِ الَّتِي كَانَتْ عَلَى رَأْسِهَا مِنْ كَثْرَةِ الدَّسَمِ بِالنُّجُومِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ أَنَّ هَذِهِ الْقِدْرَ مَرْتَفَعَةُ الشَّانِ، عَالِيَةُ الْأَمْرِ، فَأَمَّهُ كَانَتْ تَعْدُ النُّجُومَ فِيهَا لَمَّا أَطْعِمَتْ مِنْهَا كَأَنَّهَا بَلَغَتْ النُّجُومَ فِي عُلُوِّهَا، لِأَنَّهَا لَمْ تَرَ مِثْلَهَا قَطُّ. وَهَذَا هُوَ الْوَجْهُ عِنْدِي، لِيَكُونَ قَدْ غَضَّ مِنْ أُمِّهِ جَزَاءً عَلَى مَا قَالَهُ وَأَنْكَرَهُ. وَقَوْلُهُ: «حَيُودُهَا» ارْتَفَعَ بِحَامٍ، وَكَذَلِكَ «جُمُودُهَا» ارْتَفَعَ بِسَرِيعٍ. وَيَجُوزُ أَنْ يَرَوَى: «سَرِيعٌ» بِالرَّفْعِ عَلَى أَنْ يَكُونَ خَبَرًا لِلْمَبْتَدَأِ وَقَدْ قُدِّمَ عَلَيْهِ، وَالْمَبْتَدَأُ جُمُودُهَا.

٦٤٠ - وَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي أَسَدٍ: [البسيط]

١ - دَبَبَتْ لِلْمَجْدِ وَالسَّاعُونَ قَدْ بَلَّغُوا جَهْدَ النُّفُوسِ وَأَلْقَوْا دُونَهُ الْأَزْرَا
٢ - فَكَابَرُوا الْمَجْدَ حَتَّى مَلَّ أَكْثَرُهُمْ وَعَانَقَ الْمَجْدَ مَنْ أَوْفَى وَمَنْ صَبَرَا

(١) بعده عند التبريزي:

«فَلَمَّا سَقَيْنَاهَا الْعَكِيسَ تَمَلَّاثَ مَذَاخِرَهَا وَارْفَضَ رَشْحًا وَرِيدَهَا
وَلَمَّا قَضَتْ فِي ذِي الْإِنَاءِ لُبَانَهُ أَرَادَتْ إِلَيْنَا حَاجَةً لَا نَرِيدُهَا»

٣ - لَا تَحْسَبِ الْمَجْدَ تَمَرًا أَنْتَ أَكَلُهُ لَنْ تَبْلُغَ الْمَجْدَ حَتَّى تَلْعَقَ الصَّبْرَ

يقول: تباطأ سَعْيُكَ لِلْمَجْدِ، وَلَمَّا سَعَيْتَ كَانَ سَعْيُكَ دَبِييًّا وَطُلَّابَ الْمَجْدِ قَدْ جَهَدُوا أَنْفُسَهُمْ، وَأَلْقُوا الْأُزْرَ دُونَهُ، تَخْفِيفًا عَنْ أَنْفُسِهِمْ، وَتَشْهِيرًا فِي طَلِبِهِمْ وَهَذَا مِثْلُ. وَالْمُرَادُ أَنَّ مَا يَفْعَلُهُ السَّاعِي فِي سَعْيِهِ إِذَا طَلَبَ شَيْئًا مِنَ التَّجَرُّدِ وَالتَّخَفُّفِ لِيُذْرِكَ مَطْلُوبُهُ قَدْ فَعَلُوهُ. ثُمَّ أَخَذَ يَفْضُلُ مَجْهُودَهُمْ مِنْ بَعْدُ، فَقَالَ: كَابَرُوا الْمَجْدَ، أَيَّ جَاهِدُوهُ لِيَبْلُغُوهُ قَسْرًا لَا خَتَلًا، فَمَنْ صَبَرَ وَأَوْفَى نَالَهُ وَاحْتَوَاهُ ظَافِرًا بِهِ، مُعَانِقًا لَهُ، وَمَنْ مَلَّ وَقَصَرَ - وَهَمُّ الْأَكْثَرِ - خَابَ وَأَخْفَقَ وَرَجَعَ نَادِمًا لَاهِيًا عَنْهُ.

وقوله: «لَا تَحْسَبِ الْمَجْدَ» تَقْرِيعٌ، وَالْمُرَادُ: لَا تَظُنَّنَّ الْمَجْدَ يُدْرِكُكَ بِالسَّعْيِ الْقَصِيرِ، وَاسْتِعْمَالُ التَّعْذِيرِ، وَعَلَى مَلَازِمِ الرَّاحَةِ دُونَ تَوْطِينِ النَّفْسِ عَلَى الْكَذِّ الشَّدِيدِ وَالْمُجَاهَدَةِ؛ فَإِنَّهُ لَنْ يُنَالَ إِلَّا بِتَجَرُّعِ الْمَرَارَاتِ دُونَهُ، وَاقْتِحَامِ الْمَعَاطِبِ بِسَبَبِهِ. وَيُقَالُ: لِعِثْتُ الصَّبْرَ لَعْفًا. وَاسْمُ مَا يَلْعَقُ هُوَ اللَّعُوقُ.

٦٤١ - وقال آخر: [الطويل]

- ١ - وَمُسْتَعَجِلٍ بِالْحَرْبِ وَالسَّلْمِ حَظُّهُ فَلَمَّا اسْتُشِيرَتْ كُلٌّ عَنْهَا مُحَافِرُهُ
- ٢ - وَحَارِبٍ فِيهَا بِأَمْرٍ حِينَ شُمِرَتْ مِنَ الْقَوْمِ مِفْجَازٍ لَثِيمٍ مَكَاسِرُهُ
- ٣ - فَأَعْطَى الَّذِي يُعْطِي الذَّلِيلُ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ سَعْيٌ صِدْقٍ قَدَّمْتُهُ أَكَابِرُهُ

يُقَالُ: اسْتَعَجَلَ بِالشَّيْءِ، إِذَا طَلَبَ عَجَلَتَهُ وَلَمْ يَصْبِرْ إِلَى وَقْتِهِ وَإِنَاءِهِ. فَيَقُولُ: رَبِّ أَمْرٍ يُعْجِلُكَ فِي هَيْجِ الْحَرْبِ لَهُ، وَنَضْبِ الشَّرِّ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ، فَتَرَاهُ يَرْتَقِي فِي الْإِيذَاءِ وَالْمُكَاشَفَةِ إِلَى أَعْلَى دَرَجَاتِ الْقُصْدِ، وَحَظُّهُ فِي أَنْ يُسَالِمَ، لَكِنَّهُ بِسُوءِ تَأْتِيهِ وَنَقْصِ اخْتِيَارِهِ، أَبَى لِنَفْسِهِ إِلَّا تَعْرِضَهَا لِمَا يَسْتَوْحِمُ عَاقِبَتَهُ، وَيَتَعَجَّلُ شَرَّهُ، فَلَمَّا هُبِجَتِ الْحَرْبُ لَهُ وَأُجِيبَ فِي إِثَارَتِهَا، وَإِقَادِ نَائِرَتِهَا، إِلَى مُرَادِهِ مِنْهَا، عَجَزَ فِيهَا عَنِ الْإِيْفَاءِ وَالِاسْتِيفَاءِ، وَكُلٌّ عَنْ مُبَاشَرَةِ الْوِزْدِ وَالصُّدْرِ، وَاسْتِعَانِ فِيهَا بِرَجُلٍ رَكَّابٍ لِرَوَاحِلِ الْعَجَزِ، لَثِيمِ الْمَكْسِرِ وَالْمَخْتَبِرِ، ضَيِّقِ الْعَطَنِ وَالْمَبْرَكِ، وَيَعْنِي بِهِ نَفْسَهُ، وَهَذَا كَمَا يُقَالُ: لَقَيْتَنِي لَقِيَتْ بِي قِرْنًا بِاسِلًا. وَيَعْنِي بِالْقِرْنِ نَفْسَهُ. وَقَوْلُهُ: «حِينَ شُمِرَتْ» يُرِيدُ حِينَ كَشَفَتْ الْحَرْبُ عَنْ سَاقِهَا، وَأَبْدَتْ أَعْجَازَهَا وَهَوَادِبَهَا، فَفَعَلَ فِعْلَ الذَّلِيلِ، وَأَعْطَى مِنَ الْإِنْقِيَادِ مَا يُعْطِيهِ الضَّعِيفُ الْفَرِيدُ، وَلَمْ يَكُنْ سَعْيُهُ سَعْيًا مُصَدِّقًا فِيهِ، وَلَا وَقُوفُهُ وَإِمْسَاكُهُ إِمْسَاكًا يُعَذِّرُ لَهُ، فَتَرَاهُ عِنْدَ الْأُمَائِلِ مِنْ جُمْلَةِ الْأَرَادِلِ، وَعِنْدَ طُلَّابِ الْخَيْرِ مُقْتَحِمًا فِي الشَّرِّ. وَمَعْنَى «قَدَّمْتُهُ أَكَابِرَهُ» أَسْلَفَهُ وَأَمَاتْلُ قَوْمِهِ.

٦٤٢ - وقال إسماعيل بن عمار^(١): [الطويل]

١ - بَكَثَ دَارُ بَشْرِ شَجْوَهَا إِذْ تَبَدَّلَتْ هَلَالُ بَنٍ مَرْزُوقٍ بِبَشْرِ بَنٍ غَالِبٍ

٢ - وَهَلْ هِيَ إِلَّا مِثْلُ عِزْسٍ تَحَوَّلَتْ عَلَى رَغْمِهَا، مِنْ هَاشِمٍ فِي مُحَارِبٍ^(٢)

«شَجْوَهَا» انتصب على أنه مفعول له، والشاعر يفضل بشراً على هلال، ويقول: إن الدار التي كان يستوطنها بشرٌ لما ارتحل عنها وصار فيها بدلاً منه هلالٌ بكث وتحسرت، وحق لها ذلك، فما هي في استبدالها إلا كمروسٍ رُوجت في هاشم، ثم انتقلت إلى محارب. ومحارب قبيلة فيها ضعة وخمول، حتى قال بعض الشعراء وهو يخلف: [الطويل]

فَصَيَّرَنِي رَبِّي إِذَا مِنْ مُحَارِبٍ

٦٤٣ - وقالت امرأة قُتِلَ زوجها^(٣): [الوافر]

١ - مَتَى تَرِدُوا عُكَازَ تُوَافِقُوهَا بِأَسْمَاعٍ مَجَادُعَهَا قِصَارُ

٢ - أَجِيرَانِ ابْنِ مَيْصَةَ خَبَرُونِي أَعَيْنَ لَابِنِ مَيْةٍ أَمْ ضِمَارُ

٣ - تَجَلَّلَ خِزْيُهَا عَوْفُ بَنٍ كَفِبٍ فَلَيْسَ لَخَلْفِهَا مِنْهُ اعْتِذَارُ

٤ - فَلِإِنَّكُمْ مَا تُخْفُونَ مِنْهَا كَذَاتِ الشَّيْبِ لَيْسَ لَهَا خِمَارُ

عُكَاز: وإد للعرب فيه سوقٌ لهم يجتمع فيها طوائفُ الناس من جميع الأحياء، فيتعارفون فيها ويتعلقون بالأخبار بعد التذاكر بها والتنشم لها، وبينهم المواعِدات والمقايضات، والإحْنُ والتراث، والمنافراتُ والمناقضات، فكلُّ فِرْقَةٍ تتجملُ لِلْأُخْرَى وتودُ أن تسمع فيها ما ليس عندها من حَسَنِ وقبيح، ومحمود ومذموم، إلى غير ذلك من الأنباء السائرة، والأوابد العائرة، التي يُتَهَادَى بها، ويُستَطْرَفُ وَقُوعُهَا، وَيُتَبَلَّغُ باستماعها وأدائها. فيقول: متى وردتم عُكَازَ وأقيمتوها أذلاءً قد اكتسبتم عاراً يُخْزِيكُمْ

(١) التبريزي: «إسماعيل بن عمار الأسدي» وهو شاعر من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، كان ينزل بالكوفة فيسمع غناء قيان لرجل يدعى ابن رامين ويقول فيهن الشعر (ت نحو ١٥٧ هـ/ ٧٧٤ م). ترجمته في الأغاني ١١: ٣٦٧ (دار الكتب العلمية). قال التبريزي: «قال دعبل بن علي: هي للوليد بن كعب، قالها لما مات بشر بن غالب واشترى داره هلال بن مرزوق، والشاعر يفضل بشراً على هلال».

(٢) التبريزي: «مثل عرس تبدلت».

(٣) التبريزي: «قتل زوجها في جوار الزريقان فلم يطلب بثاره».

وَيُلَازِمُكُمْ، فَتَصِيرُ كَالْمُثَلَّةِ عَلَيْكُمْ، فَكَأَنَّ أَذَانَكُمْ قَدْ اسْتَوْعَبَ صَلَْمُهَا، عَقُوبَةُ لَكُمْ بِمَا عَامَلْتُمْ بِهِ جَارَكُمْ مِنْ إِحْفَارٍ وَإِسْلَامٍ، حِينَ قُتِلَ فِي جَوَارِكُمْ، وَاسْتَبِيحَ مَحْرُمَاتُهُ فِي ذِمَّتِكُمْ. ثُمَّ قَالَ مُسْتَهْزِئًا وَمَعِيْرًا: يَا جِيرَانُ ابْنِ مَيَّةَ، أَنْبِئُونِي أَتَضَرَّرْتُمْ لَهُ عَيْنٌ أَمْ ضِمَارٌ، وَوَفَاؤُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمْ لَهُ حَقٌّ أَمْ كِذَابٌ. وَالْعَيْنُ: مَا يُحْضَرُ وَيُشَاهَدُ، لِذَلِكَ قِيلَ فِي الْمَثَلِ: «يَدْعُ الْعَيْنَ وَيَتَّبِعُ الْأَثَرَ». وَالضَّمَارُ: الْغَائِبُ الَّذِي لَسْتَ مِنْهُ عَلَى ثِقَةٍ. قَالَ الْأَعَشَى: [المتقارب]

نُرَانَا إِذَا أَضْمَرْتِكَ الْبِلَادُ نُجْفَى وَتُقَطَّعَ مِنَ الرَّجِمِ^(١)

وقوله: «تَجَلَّلَ خَزِيْهَا عَوْفُ بْنُ كَعْبٍ»، يريد: لَبَسَ خَزِيْ هَذِهِ الْعَذْرَةَ وَتَغَطَّى بِذِمَّتِهَا قِبَائِلُ عَوْفِ بْنِ كَعْبٍ كُلُّهَا لَا أَنْتُمْ فَحَسَبَ، فَلَيْسَ لِأَعْقَابِهَا بَعْدَهَا عُذْرٌ يُقْبَلُ، وَلَا تَنْصَلُّ يُسْمَعُ.

وقوله: «وَإِنَّكُمْ وَمَا تُخْفُونَ مِنْهَا»، يريد مَثَلَكُمْ فِي سَتْرِكُمْ أَمْرَهَا، وَتَقْدِيرُكُمْ إِخْفَاءَهَا، عَلَى انْتِشَارِهَا وَذَهَابِهَا فِي النَّاسِ، وَعَلَى تَغْشِيَتِكُمْ بِدَرْنِهَا، وَاسْتِغْثَارِ النَّاسِ لَكُمْ لَوْسَخَهَا، مَثَلُ امْرَأَةٍ شَابَ رَأْسُهَا وَلَا خِمَارَ لَهَا فَتَخْتَمِرُ، مَعَ مِيلِهَا إِلَى أَنْ لَا يُرَى شَيْئُهَا. وَالْمَعْنَى: الْأَمْرُ أَظْهَرَ مِنْ أَنْ يُكْتَمَ أَوْ يُدْفَنَ.

٦٤٤ - وَقَالَ آخِرُ: [الطويل]

٥ - تَوَلَّتْ قُرَيْشٌ لَذَّةَ الْعَيْشِ وَاتَّقَتْ بَنَا كُلِّ قَجٍّ مِنْ خُرَاسَانَ أَغْبَرَا

٦ - فَلَيْتَ قُرَيْشًا أَصْبَحَتْ ذَاتَ لَيْلَةٍ تَوُؤُّ بِهَا مَوْجًا مِنَ الْبَحْرِ أَكْدَرَا

هَذَا كَلَامُ رَجُلٍ قَدْ جَمَرَهُ الْوَالِي^(٢)، وَتَبَرَّمَ بِغُرْبَتِهِ، وَشَقِيَ بِالتَّبَاعُدِ عَنْ أَهْلِهِ وَوُطْنِهِ، فَيَقُولُ: تَفَرَّدَ قُرَيْشٌ بِالتَّعْمِ والتَّلَذُّذِ، وَاسْتَأَثَّرَ بِالْعَيْشِ الطَّيِّبِ وَالرَّتَعَةِ الْهَنِئَةِ، وَرَمَتْ بَنَا مَرَامِيٍّ مُنْكَرَةً لَا رَاحَةَ مَعَهَا، وَلَا طَائِلَ فِيهَا، وَسَدَّتْ طُرُقَ الْمَقَاوِزِ الْغُبْرِ الَّتِي لَا تُسَلِّكُ وَلَا تُعْبَرُ، بَيْنَهَا وَبَيْنَ أَهْلِ الْمَشْرِقِ، وَبَوْدِي أَنْ تُبَتَّ قُرَيْشٌ عَلَى لَيْلَةٍ تُفْضِي بِهَا صَبِيحَتَهَا إِلَى أَنْ تُسَلِّمَهَا إِلَى مَوْجِ أَكْدَرَ، يَجْرِفُهَا إِلَى الْبَحْرِ وَيَغْرِقُهَا. وَهَذَا مَثَلٌ، وَالْمَعْنَى: أَتَمْنَى أَنْ تَشْمَلَهَا بَلِيَّةٌ تُفْنِيهَا وَتُرِيحُ الْعِبَادَ وَالْبِلَادَ مِنْهَا. وَالْكَدَرُ: نَقِيضُ الصَّفَاءِ. وَيُقَالُ: عَيْشٌ أَكْدَرُ، وَقَدْ كَدِرَ. وَجَعَلَ الْمَوْجَ كَذَلِكَ تَهْوِيلًا، وَتَكْثِيرًا لِمَاءِ

(١) لِلْأَعَشَى فِي دِيْوَانِهِ ٩١، وَأَسَاسُ الْبَلَاغَةِ (ضَمْرُ)، وَاللِّسَانُ (ضَمْرُ)، وَتَاجُ الْعُرُوسِ (ضَمْرُ).

(٢) تَجْمِيرُ الْجَنْدِ: أَنْ يَحْبِسَهُمْ فِي أَرْضِ الْعَدُوِّ.

بحره. وقوله: «ذات ليلة» يريد الساعة التي يكون فيها الليلة المطلوبة. وعلى هذا قولك: فعلت كذا ذات العشاء، يريد الساعة التي فيها العشاء. والمعنى: أصبحت مثا على هذه الحالة قُرُنُس، أي حصلت من ليلتها على صَبَاح هكذا.

٦٤٥ - وقالت امرأة^(١): [الطويل]

- ١ - حَلَفْتُ وَلَمْ أَكْذِبْ وَإِلَّا فَكُلُّ مَا مَلَكَتْ لَيْبَتِ اللَّهِ أَهْدِيهِ حَافِيَةَ
- ٢ - لَوْ أَنَّ الْمَنَايَا أَعْرَضَتْ لَا تَحْتَمُنْهَا مَخَافَةٌ فِيهِ إِنَّ قَاءَ لِدَاهِيَةِ^(٢)
- ٣ - فَمَا جِيْفَةُ الْخَنْزِيرِ هَذَا ابْنُ مُغْرِبٍ قَتَادَةَ إِلَّا رِيحُ مِنْكَ وَعَالِيَةَ
- ٤ - فَكَيْفَ اصْطَبَارِي يَا قَتَادَةَ بَعْدَمَا شِمِنْتُ الَّذِي مِنْ فَيْكَ أَثَأَى صِمَاحِيَةَ

قولها: «ولم أكذب» في موضع الحال أي حلفت صادقة في خبري، وإلا فما أملكه لبيت الله - تعني لمن حول بيت الله، فحذف المضاف - أهديه إليه بنفسي حافية لا جداء لي. فقولها: «أهديه»، يجوز أن يكون في موضع خبر المبتدأ، كأنها قالت: وإلا فما أملكه أهديه لبيت الله حافية، أي في هذه الحال. ويقال: أهديت إلى البيت وللبيت هديا، إذا تقربت فيه بقربان. واللام من «لبيت الله» على هذا يتعلّق بأهديه. ويجوز أن يكون لبيت الله خبر المبتدأ. وأهديه إن شئت كان مستأنفا، وإن شئت كان خبرا ثانيا، وإن شئت كان بدلا.

وقولها: «لو أن المنايا أعرضت» أي مكنت من النظر إلى عرضها، أي إلى الجانب الذي تجيء منه «لا تحمئها»، أي لو قعنت فيها وصرت في قحمئها. وانتصب «مخافة فيه» على أنه مفعول له.

وقولها: «فما جيفة الخنزير» تريد: ما رائحة جيفة الخنزير إلا ريح منك لأن الحدث يشبه بالحدث، والعين بالعين.

وقولها: «فكيف اصطباري يا قتادة»، يريد: كيف أتكلّف صبرا على مجاورتك والكون معك. بعدما بليت به من بخرك ونثن قمك، الذي أفسد عليّ آلة الشّم

(١) التبريزي: «تهجو قتادة بن مغرب الشكري وهو زوجها». وفتادة هذا من شعراء الدولة الأموية كان معاصرا لزيد الأعجم (الأغاني ١٠: ١١٢).

(٢) التبريزي: «إن فيه لداهية» والتقدير: إن فيه لداهية.

والسمع. ومعنى أُنْأَى صِمَاجِيَه، أي أَفْسَدَه. وَالصَّمَاخُ: ثَقْبُ الْأُذُنِ الَّذِي يُفْضِي إِلَى الرَّأْسِ. وآلة الشُّمِّ الْأَنْفُ دُونَ الْأُذُنِ، وَلَكِنْ تَرِيدُ أَنَّهُ فَسَدَ بِمَحَاوَرَتِهِ.

٦٤٦ - وقال عبد الله بن أوفى الخزاعي^(١): [المقارب]

- ١ - نَكَحْتُ ابْنَةَ الْمُنتَضَى نَكْحَةً عَلَى الْكُرْهِ ضَرَرْتُ وَلَمْ تَنْفَعِ^(٢)
- ٢ - وَلَمْ تُغْنِ مِنْ فَاغَةٍ مُغْدِمًا وَلَمْ تُجِدْ خَيْرًا وَلَمْ تَجْمَعْ
- ٣ - مُنْجَذَةً بِمِثْلِ كَلْبِ الْهَرَّاشِ إِذَا هَجَعَ النَّاسُ لَمْ تَهْجَعْ
- ٤ - مُفَرَّقَةً بَيْنَ جِيرَانِهَا وَمَا تَسْتَطِيعُ بَيْنَهُمْ تَقْطَعُ
- ٥ - بِقَوْلٍ «رَأَيْتُ» لِمَا لَا تَرَى وَقِيلَ «سَمِعْتُ» وَلَمْ تَسْمَعْ

قوله: «على الكره» في موضع الحال من نكحت. وقوله: «ضررت» من صفة نكحت، وكذلك ما في البيت الثاني من الجمل كل في موضع الصفة لها. فيقول: نكحت هذه المرأة مكرها نكحة ضارة غير نافعة في شيء من الوجوه، فما أغنت من عذم عديما، ولا أنالت خيرا، ولا جمعت شملا. وحذف مفعول «ولم تجمع»، لأن المراد مفهوم.

وقوله: «منجذة» من الناجذ، وهو ضرس الجلم. والنواجذ: أربعة أضراس، وقال بعضهم: هي الضواحك، محتجا بحديث النبي ﷺ: «أنه ضحك حتى بدت نواجذه». ويقال: نَجَذَ فَلَانًا الْخَطُوبَ، إِذَا أَحْكَمْتَهُ. وقال: [الوافر]

وَنَجَذَنِي مَدَاوِرَةَ الشُّؤُونِ^(٣)

فيقول: إنها قد جُرِئَتْ وَمُلَّ مِنْهَا وَمَلَّتْ. وقوله: «مثل كلب الهرّاش» يعني في خلقتها وخلقتها. ومعنى «إذا هجع الناس لم تهجع»، يصفها بأنها تمشي بالنمائم. ولذلك قال الآخر: [الكامل]

قَوْمٌ إِذَا دَمَسَ الظَّلَامُ عَلَيْهِمْ حَدَجُوا قَنَافِدَ بِالنَّمِيمَةِ تَمَرُّعُ^(٤)

(١) التبريزي: «في امراته». (٢) التبريزي: «ابنة المنتصى» بالصاد المهملة. (٣) لسحيم بن وثيل الرياحي في اللسان (نجد، دور، دري)، وأساس البلاغة (دور)، وبلا نسبة في اللسان (ربع). وصدرة: (٤) لعبدة بن الطيب في المفضلية رقم (١٤٧).

«أخو خمسين مجتمعا أشدي»

لأنَّ الْقُنْفُذَ لَا يَنَامُ بِاللَّيْلِ. فيقول: هي بوشايتها تفرَّق بين الخُلُطَاءِ، وتَقْطَعُ الوُصْلَ والأواصرَ بينهم.

ولك أن تنصِبَ «منجدة» و«مفرقة» على الحال، ولك أن ترفعهما على الاستثناف. وقوله: «وما تستطع» شرطٌ وجزاء، والمفعول محذوف، فهو كقولك: ما تُطِيقُ تَفْعَلُ.

فأما قوله: بقول رأيتُ وقيل سمعتُ، فالباء تتعلق بقوله: تَقْطَعُ. والمعنى أنها تُبَاهِتُ وتُكَابِرُ، وتتزيّد في القول وتُجَاهِرُ، فتدّعي مشاهدة ما لا تشاهده، وسَمَاعَ ما لا تدرّكه. وهذا زائدٌ على ما قاله الآخر حين نفى هذه الطريقة، وهو: [الطويل]

وليست من اللائي يكون حديثها أمام بُيوتِ الحيِّ إنَّ وإنما^(١)
ورواه بعضهم:

تقول رأيتُ لما لا ترى وقالت سمعتُ ولم تسمع
والذي رويناه أحسنُ تلاؤماً وأقربُ.

- ٦ - فَإِنْ تَشَرَبَ الزُّقُّ لَا يُزَوِّهَا وَإِنْ تَأْكُلِ الشَّاةَ لَا تَشْبَعِ
٧ - وَلَيْسَتْ بِتَارِكَةٍ مَخْرَمًا وَلَوْ خُفَّ بِالْأَسْلِ الشُّرْعُ
٨ - وَلَوْ صَعِدَتْ فِي ذَرَى شَاهِقٍ نَزَلَتْ بِهَا الْغُضْمُ لَمْ تُضَرِعِ
٩ - فَبِئْسَتْ قِعَادَ الْفَتَى وَحَدَّهَا وَبِئْسَتْ مُوقِيَةَ الْأَزْبَعِ

مَخْرَمًا، أَي حَرَامًا. والحُزْمَةُ: ما لَا يَجِلُّ انتهاكه، وكذلك المحارم. وفي المثل: «لَا بُقْيَا لِلْحَمِيَّةِ بَعْدَ الْحَرَامِ» أي عند الحرمة. وهو ذو مَخْرَمٍ وحُزْمَةٍ في القرابة. والشُّرْعُ: جمع شارع، ويقال: أشرعت الرُّمَحَ قَبْلَهُ فَشَرَعَ. وصفها بالنميمة وشِدَّةِ الجرص على تناول المحرّم ولو انتزعتَه من بين الأسيّة. ثم وصفها بالتجليح، وحُسن التنقيح، والحِذْق في التوصل إلى الممنوع، ولو احتاجت إلى أن تترقى في مَصَاعِدِ الجبال، ومدارج الهضاب المُعْجِزَةِ للعُضْم.

وقوله: «فَبِئْسَتْ قِعَادَ الْفَتَى وَحَدَّهَا» انتصب قِعَادَ وموقية على التمييز، لأنه وإن كان معرفة في اللفظ، فلا اختصاص فيه. ويُروى بِالرَّفْعِ في الموضعين. فإذا نصبت

(١) لحميد بن ثور في ديوانه ١٨.

فهو كقولك: بثست ربة البيت هذ. وإذا رفعت فهو كقولك: بثست دار الكافر النار. وفي القرآن: ﴿وَلَنَعَمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ [التحل: الآية ٣٠]. والمذمومة بثست في الوجهين محذوفة. وانتصب «وحدها» على المصدر. فيقول: هي مذمومة في النساء تفردت أو اجتمعت مع ثلاث آخر. والقعاد والقعيدة واحدة، ويقال: ليست له قعيدة تُقَعِدُهُ، أي امرأة تعزبه، أي تزيل عزبته.

وحكي أن الأصمعي ألقى على أصحابه يوماً هذا البيت، وهو: [السريع]
واحدة أعضلكم شائها فكيف لو قُمت على أربع^(١)
أربع يعني النساء.

٦٤٧ - وقال بعض آل المهلب^(٢): [البسيط]

١ - قوم إذا أكلوا أخفوا كلامهم واستوثقوا من رتاج الباب والدار
٢ - لا يقبس الجار منهم فضل نارهم ولا تكف يد عن حزمة الجار
معناها ظاهر ولا إعراب فيهما. والقبس: الشعلة من النار. والقابس طالب النار وأخذها، ويقال: قبست النار واقتبستها وأقبستها وأقبسنيها فلان. والمقياس نحو من القبس. والرتاج: الغلق. ويقال: رتجت الباب وأرتجته.

٦٤٨ - وقال آخر: [الطويل]

١ - كائز بسعد إن سغدا كثيرة ولا تبغ من سغد وفاء ولا نضرا
٢ - ولا تدع سغدا للقرع وخلها إذا أمنت ونعنها البلد القفرا
٣ - يزوعك من سغد بن عمر وجسومها وترهد فيها حين ثقّلها خبرا
كائز: أمر من كائزته، إذا غلبته بالكثرة، ويقال: كائزته فكثرت أكثره بضم العين. وعلى هذا يجيء هذا البناء، سواء كان مفتوحاً في الأصل أو مضموماً أو مكسوراً، إلا أن يكون البناء معتلاً، فإنه يُترك على حاله. يقال باكيته فبكيته أبكيه لا غير. وذلك لثلاً يلتبس بنات الياء بينات الواو. وقوله: «ونعنها البلد القفرا»، يصفهم

(١) الذي الإصبع العدوانى في ديوانه ٦٥، وكتاب العين ٢٧٨: ١، وبلا نسبة في اللسان (عضل).

(٢) التبريزي: «قال دعلج: هو عبد الله بن عبد الرحمن، ولقبه أبو الأنوار».

بالسَّلامة في حال الأمن، وبُحْسِنِ تَصَرُّفَهُمْ في فُنُونِ القَوْلِ، وأنَّ لَهُمُ الْمَنْظَرَ الْحَسَنَ دُونَ الْمَخْبَرِ، ثُمَّ لَا وِفَاءَ لَهُمْ فِي الدُّمَمِ وَالْعُقُودِ وَلَا نَصْرَةَ فِي الدِّفَاعِ عِنْدَ الْحُرُوبِ. وَمَعْنَى يَرَوُعُكَ يُعْجِبُكَ. يَرِيدُ: اعْطُوا الْبَسْطَةَ فِي الْأَجْسَامِ، فَإِذَا خَبِرْتَهُمْ صَغَّرَهُمُ الْخُبْرَ، فَأَوْرَثَكَ الزُّهْدَ فِيهِمْ.

ويقال: لي بهم خُبْرٌ وَخَيْرَةٌ.

٦٤٩ - وقال آخر: [الوافر]

١ - أَصَارِيْبُ ذُوْ فَخْرٍ بِإِفْكِ وَأَلْسِنَةٌ لِّطَافٍ فِي الْمَقَالِ

٢ - رَضُوا بِصِفَاتٍ مَا عَدِمُوهُ جَهْلًا وَحُسْنُ الْقَوْلِ مِنْ حُسْنِ الْفَعَالِ

يقول: إِنَّهُمْ يَفْتَخِرُونَ بِمَفَاخِرٍ مَأْفُوكَةٍ مَكْذُوبَةٍ، وَلَهُمْ أَلْسِنَةٌ يَلْطَفُونَ بِهَا، وَيَصُوِّرُونَ الْبَاطِلَ مِنْ مَفَاخِرِهِمْ بِصُورَةِ الْحَقِّ، فَهُمْ أَصْحَابُ مَقَالٍ لَا فَعَالٍ، وَأَرْبَابُ كَذِبٍ وَزُورٍ، لَا حَقٌّ وَصِدْقٌ، وَلِجَهْلِهِمْ يَرْضَوْنَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَلَهَا بِأَنْ يَصِفُوهَا بِمَا هُوَ مَعْدُومٌ فِيهِمْ، وَقَيْنُوا بِحُسْنِ الصِّفَاتِ مِنْ أَنْفُسِهِمْ بِقَوْلِهِمْ، وَإِنْ عَدِمُوا شَهَادَةَ الْأَشْهَادِ عَلَى دَعْوَاهُمْ، اعْتَقَادًا مِنْهُمْ أَنَّ الْقَوْلَ يَغْنِي عَنِ الْفِعْلِ، وَأَنَّ الْخَبَرَ يُكْتَفَى بِهِ عَنِ الْخَبْرَةِ، وَأَنَّ الْكَرَمَ فِي الدَّعَاوِي لَا فِي الْحَقَائِقِ.

٦٥٠ - وقال مالك بن أسماء^(١): [البسيط]

١ - لَوْ كُنْتُ أَخْمِلُ خَمْرًا حِينَ زُرْتُكُمْ لَمْ يُنْكِرِ الْكَلْبُ أَتِي صَاحِبِ الدَّارِ^(٢)

٢ - لَكِنْ أَتَيْتُ وَرِيحُ الْمِسْكِ تَفْغَمُنِي وَعَثْبَرُ الْهِنْدِ مَشْبُوبًا عَلَى النَّارِ^(٣)

٣ - فَاتَّكَرَ الْكَلْبُ رِيحِي حِينَ أَبْصَرَنِي وَكَانَ يَعْرِفُ رِيحَ الزَّقِّ وَالْقَارِ

قوله: «تفغمني»، أي تسدُّ خياشيمي وتملؤها. ويقال: الرِّيحُ الطَّيِّبَةُ تَفْغَمُ الْمَزْكُومَ. وقوله: «مشبوبة على النار»، يقال: رَأَيْتُ شَبَّةَ النَّارِ، أي اشتعالها، وقد

(١) مالك بن أسماء بن خارجة بن حصن... الفزاري شاعر غزل لطيف، من الولاة، من أشرف الكوفة وتزوج الحجاج أخته هند بنت أسماء (ت نحو ١٠٠ هـ / ٧١٨ م) ترجمته في المرزباني ٣٦٤، والشعر والشعراء ص ٣٠٤، ولسان الميزان ٢: ٥. وفي التبريزي: «وقال دعبل: بل قالها عيينة بن أسماء بن خارجة، وكان زار صديقاً له، فلما بلغ باب دار بيته شدَّ عليه كلب صديقه فعضه فقال الأبيات».

(٣) التبريزي: «يفغمني».

(٢) التبريزي: «يوم زرتكم».

شَبِّتْهَا. وتوسَّعوا فيه فقالوا: فلانة يَشُبُّها فَرْعُها، إذا أَظْهَرَ بياضَ وجهها سوادَ شعرها. وانتصب «مشبوبة» على الحال. ومعنى الأبيات ظاهر.

٦٥١ - وقال آخر^(١): [الوافر]

- ١ - هجوت الأذعياء فناصرتني معاشر خلثها عربا صحاحا
- ٢ - فقلت لهم وقد نبحوا طويلا علي فلم أجب لهم نباحا
- ٣ - أمئهم أنتم فاكف عنكم وأدفع عنكم الشتم الصراحا
- ٤ - وإلا فاحمدوا رأسي فإني سأفني عنكم التهم القباحا
- ٥ - وحسبك تهمه ببري قوم يضم على أخي سقم جناحا

هذه الطريقة في دَمّ الأذعياء غريبة حسنة جدًا. وفيما قال أبو العتاهية في والية بن الحباب ما هو مُستبدع أيضًا، وهو: [الكامل]

- ما بال من آبؤه عرب الـ ألوان أضبح من بني قنصر^(٢)
- أكذا خلقت أبا أسامة أم لونت سالفتيك بالعصف^(٣)

وأخذ أبو نواس فقال أيضًا: [الكامل]

- وابن الحباب صليبة زعموا ومن المحال صليبة أشقر^(٤)

ومصدر الدعي الدعوة والدعاة. وناصرتني، أي عادتني؛ ويقال: ناصبت فلانًا الحرب والعداوة، ونصبنا لهم حربًا. ويقال: العرب العاربة والعرباء، أي الخُلص. والعرب المستعربة: الذين دخلوا فيهم بعد.

وقوله: «عرب الألوان» مثل قولهم: سروج خز الصفات^(٥).

و«عربًا صحاحًا» أي صحاح الأنساب. والتباح يستعمل في صوت الثيس عند السفاد، وفي الهذهد والطبي. ويستعمل في الشاعر على طريق الذم. ويقال: نبّحه

(١) في ديوان الحماسة برواية الجواليقي: «وقال إبراهيم بن هرمة».

(٢) البيتان في الأغاني ١٦: ١٤٤.

(٣) أبو أسامة: كنية والبة بن الحباب.

(٤) البيت في الأغاني منسوب إلى أبي العتاهية مع البيتين السابقين.

(٥) الصفة للسرّج مثل المثيرة من الرحل.

وَنَبِّحَ عَلَيْهِ. قَالَ الْهَذَلِيُّ: [الطويل]

ولو نَبِّحْني بِالشُّكَاةِ كِلَابُهَا^(١)

والمراد بقوله: «لَهُمْ نُبَاخَا»: لم أَجِبْ نُبَاخَهُمْ. «ولهم» تبيين.

وقوله: «أَمِنْهُمْ أَنْتُمْ» في موضع المفعول من قلتُ، وانتَصَبَ «فَأَكْفُفْ» بإضمار أن، وهو جواب الاستفهام بالفاء. والصُّرَاخ: الخالصُ من كلِّ شيء، وكذلك الصُّرِيخُ والصُّرَاخُ. ورجُلٌ صرِيخٌ: ضِدُّ هَجِينٍ، من قومٍ صُرَحَاء. وَخَمَرٌ صُرَاخٌ: لم تُشَبَّ بيزاج.

وقوله: «حَسْبُكَ تُهْمَةٌ» ارتفع على الابتداء، ويُكْتَفَى به لأنَّ فيه معنى الأمر، أي اكْتَفِ. وانتَصَبَ تُهْمَةٌ على التَّمْيِيزِ، ومعنى الأبيات ظاهر.

٦٥٢ - وقال مُدْرِكُ^(٢): [الطويل]

١ - لَقَدْ كُنْتُ أَزْمِي الْوَحْشَ وَهِيَ بِغَيْرَةِ وَتَسْكُنُ أَحْيَانًا إِلَيَّ شَرُودَهَا

٢ - فَقَدْ امْكَنَّنِي الْوَحْشُ مَذْرَكَ أَشْهُمِي وَمَا ضُرَّ وَحْشًا قَانِصٌ لَا يَصِيدُهَا

٣ - فَأَعْرَضْتُ عَنْ سَلَمَى وَقُلْتُ لِمَا حَبِي سَوَاءَ عَلَيْنَا بُخْلُ سَلَمَى وَجُودُهَا

جعلَ الْوَحْشَ كنايةً عن النساء. وإنما يذكر أيامَ شبابه، ووقتَ صباهَ ولهوه، فيقول: كنتُ أتعَرَّضُ للنساء وهي مغترَّة وفي غَفْلَةٍ عَنِّي، فأصيَّبُها بمحاسني وأصطادُها. والشاردةُ منها النافرةُ من الرَّيْبِ تَسْكُنُ إِلَيَّ وتميل نحوي وقتًا بعد وقت، وحالًا بعد حال. هذا فيما مضى من عمري، والآنَ قد شِخْتُ فسهامي قد رُتَّتْ، وآلاتي كَلَّتْ. وإنما يريد محاسنه عندهنَّ من قبل، وأنها قد بَارَتْ، وما كان يُنْفَقُه عندهنَّ من نفوذٍ نصَّاله عند الرِّمَاءِ فيهنَّ كَلَّتْ. قال: فالوَحْشُ تُمَكِّنُنِي وأنا لا أرميها وتُكْثِبُ لي وأنا غافلٌ دونها. ومعنى تمكَّنني أنَّ النساء تنبسط إليَّ فلا تُنْقِضُ، وتستقيم فلا تَنْفِرُ لَأَمْنِهَا من توجُّه الرِّيبَةِ. قال: والصائد لا يَضُرُّ الْوَحْشَ إذا لم يَصِيدْهَا، يعني نفسه. وهذا الكلامُ يَجْرِي مَجْرَى الأمثال. والمعنى أَتَهَنُّ لَا يَنْفِرُنْ مِنِّي، وقد سَكَنَ إِلَيَّ وَأَمِنَ رَمِيِي.

(١) لأبي ذؤيب الهذلي في شرح ديوان الهذليين ١: ٨٠ وصدرة:

«ولا هزها كلبي ليبعد نغرها»

(٢) التبريزي: «أو مغلس بن حصن الفقعسي».

وقوله: «فَاعْرَضْتُ عَنْ سَلَمَى»، يقول: تركتُ صاحبتني التي كنتُ أولعُ بها؛ وأستلذذُ ذِكْرَها، زاهدًا فيها، وقلتُ لِقَرِيتي وأليفِي: بُخْلُها وجودُها يَسْتَوِيانِ عليّ مع إِعْراضِي وضعف حاجتي، وكَلَالِ حَدِّي، وعَجْزُ قُدْرَتِي، وتسَلَطُ رِثَيَاتِ الشَّيْبِ عليّ، وتمكّنُ أبدالُ اللّهُو مِنِّي. وقوله: «سَواءٌ عَلَيْنَا» سواءٌ مصدرٌ في الأصل، وقد وُصِفَ به.

٤ - فَلَا تَحْسُدُنْ عَنَسًا عَلَى مَا أَصَابَهَا وَدُمَّ حَيَاةٌ قَدْ تَوَلَّى زَهِيدُهَا

٥ - تَشَبَّهَ عَبْسٌ هَاشِمًا أَنْ تَسْرِبَلَتْ سَرَابِيلُ خَزْ أَنْكَرَتْهَا جُلُودُهَا

كان الوليد وسليمان ابنا عبد الملك أمهما عبيّة، فارتفع شأنُ بني عَنَسٍ بها، واختلطوا بمُدَبَّرِي الخِلافةِ وسُؤاسِ الرعيّة، والدّائِبِينَ عن المملِكة. فيقول مخاطبًا لصاحبٍ له: لا تَحْسُدُنْ بني عَنَسٍ على ما نالته من المُلْكِ والرِّياسة، ودُمَّ رَمَانًا ساعدها على ذلك وأهلها له، وحياةٌ قد تَوَلَّى زهيدُها في الشَّقَاءِ بها، ومكابدة الأوابد منهم فيها. والزَّهيدُ: القليلُ الخَيْرِ، ويقال: رَجُلٌ زهيدٌ وامرأةٌ زهيدةٌ، وهما القليل الطَّعْمِ، يريد أن أمرهم خُلْسَةٌ من خُلْسِ الدهر، وسينقطع منكروه ويعود إلى دونِ ما يجبُ له.

وقوله: «تَشَبَّهَ عَبْسٌ هَاشِمًا»، يُقال: شَبَّهْتُ كذا وبكذا، وتشَبَّهَ زيدٌ بكذا وكذا.

يقول: تنعموا بِلَذَاتِ الدُّنْيَا وزخارفها، وشاركوا أربابَ الخِلافةِ وولايَها في ملابسهم التي تُنَكِّرُها جُلُودُهم، ومطاعِمهم التي لم تَذُقْها لَهَوَاتهم، فحدّثوا أنفسهم بأنهم أمثالهم، ووسوسَ الشَّيْطَانُ إليهم مماثلّةً حالِهم لأحوالهم عند الحَفَلِ، وفي الخَلُوات. وقوله: «أَنْ تَسْرِبَلَتْ» يريد: لأنَّ تَسْرِبَلَتْ. كأنهم لمُساعدَةِ الأحوال لهم فَعَلُوا ما فَعَلُوا. وإنما قال: «أَنْكَرَتْهَا جُلُودُهَا» لأنّها لم تَعْتَدْها مِنْ قَبْل. ومثله قولُ الآخر: [الطويل]

بَكَى الْخَزْ مِنْ عَوْفٍ وَأَنْكَرَ جِلْدَهُ وَضَجَّتْ ضَجِيحًا مِنْ جُدَامِ الْمَطَارِفِ^(١)

٦ - فَلَا تَحْسَبَنَّ الْخَيْرَ ضَرْبَةً لَازِبٍ لِعَبْسٍ إِذَا مَا مَاتَ عَنْهَا وَلِيدُهَا

٧ - فَسَادَةُ عَبْسٍ فِي الْحَدِيثِ نِسَاؤُهَا وَقَادَةُ عَبْسٍ فِي الْقَدِيمِ عَبِيدُهَا

(١) لحميدة بنت النعمان في سبط اللاكبي ص ١٨٠ ومعجم الأدباء ١١: ٢٠، وبلا نسبة في الكتاب ٢٤٨: ٣.

هُوَ ذَا يُسْلِي صَاحِبَهُ عَمَّا تَدَاخَلَهُ مِنَ الْغَيْظِ عَلَى زَمَانٍ بَلَغَ بَيْنِي عَبْسٍ مَا بَلَغَ،
 فيقول: لَا تَطْنُنْ أَنَّ هَذِهِ الْأُمُورَ تَجْرِي عَلَى مَا تَشَاهِدُهَا سَلِيمَةً مِنَ الْحَوَادِثِ، وَأَنَّ
 الدَّوْلَةَ تَمْتَدُّ لِبَنِي عَبْسٍ وَتَصِيرُ كَالْوَاجِبِ لَهَا، بَرِيَّةٌ مِنَ الصُّوَارِفِ، نَقِيَّةٌ مِنَ الشَّوَائِبِ؛
 فَإِنَّ كُلَّ ذَلِكَ بَعَرَضُ الزَّوَالِ وَالتَّغْيِيرِ، مَتَى مَاتَ مَنْ تَقْدُمُوا بِهِ، وَهُوَ الْوَلِيدُ بْنُ
 عَبْدِ الْمَلِكِ.

وَحُكِّيَ عَنِ الْحُضَيْنِ بْنِ الْمُنْذِرِ أَنَّهُ قَالَ لِبَعْضِ بَنِي عَبْسٍ وَقَدْ تَنَازَعَا فِي شَيْءٍ:
 «إِنَّمَا أَنْتُمْ يَا بَنِي عَبْسٍ بِحَرٍّ، فَإِنْ ابْتَلَأْتُمْ، وَإِنْ يَسَّيْتُمْ».

وقوله: فَسَادَةُ عَبْسٍ نَسَاؤُهَا، يَعْنِي أُمُّ الْوَلِيدِ وَالْمُتَّصَلَاتِ بِهَا. هَذَا فِي الْحَدِيثِ
 زَعَمَ. قَالَ: وَفِي الْقَدِيمِ كَانُوا بِالْعَبِيدِ، يَعْنِي بِهِ عُنْتَرَةُ بْنُ شَدَادٍ، لِأَنَّهُ عَبْسِيٌّ، وَكَانَ
 هَجِيئًا، وَلِذَلِكَ قَالَ: [الْكَامِلُ]

إِنِّي امْرُؤٌ مِنْ خَيْرِ عَبْسٍ مَنْصِبًا شَطْرِي وَأَخِي سَائِرِي بِالْمُنْصِلِ^(١)
 وَقَالَ أَيُّضًا: [الرَّجَزُ]

أَنَا الْهَاجِيْنُ عُنْتَرَةَ كُلُّ امْرِئٍ يَخْمِي جِرَّهُ
 أَسْوَدُهُ وَأَحْمَرُهُ^(٢)

وَهُوَ أَحَدُ الْفُرْسَانِ الَّذِينَ جَلَّ أَمْرُهُمْ، وَعَظُمَ شَأْنُهُمْ.

٦٥٣ - وَقَالَ آخِرُ: [الْبَسِيطُ]

١ - أَقُولُ جِبْنَ أَرَى كَفْبًا وَلِخَيْتِهِ لَا بَارَكَ اللَّهُ فِي بَضْعٍ وَسَيْبِنِ

٢ - مِنَ السَّيْبِنِ تَمَلَّاهَا بِلَا حَسَبٍ وَلَا حَيَاءٍ وَلَا قَنْدَرٍ وَلَا دِينَ

أَجْرَى جَمَعَ السَّلَامَةَ فِي أَنْ أَعْرَبَ آخِرُهُ مَجْرَى جَمُوعِ التَّكْسِيرِ، وَقَدْ جَاءَ ذَلِكَ
 كَثِيرًا. عَلَى هَذَا قَوْلُ الْآخِرِ: [الْوَافِرُ]

وَقَدْ جَاوَزْتُ حَدَّ الْأَرِيْعَيْنِ^(٣)

(١) لَفْتَةٌ فِي دِيْوَانِهِ ٢٤٨، وَاللِّسَانُ (ضَمْرٌ)، وَتَاجُ الْعُرُوسِ (ضَمْرٌ، نَصْلٌ).

(٢) الرَّجَزُ لَعْتَرَةٌ فِي دِيْوَانِهِ ٣٢٩، وَبِلَا نِسْبَةٍ فِي اللِّسَانِ (حَرَجٌ).

(٣) هَذَا عَجَزُ بَيْتٍ لِسُحَيْمِ بْنِ وَثِيلِ الرِّيَّاحِيِّ فِي إِصْلَاحِ الْمُنْطَقِ ١٥٦، وَاللِّسَانُ «نَجْدٌ، وَرَبِيعٌ، دَرِيٌّ» وَصَدْرُهُ:

«وَمَاذَا تَبْتَغِي الشُّعْرَاءُ مِنِّي»

وقوله: [البسيط]

وَابْنُ أَبِي أَبِي مِّنْ أَبِييْنَ^(١)

وقوله: «من السنين» تعلق بقوله في بضع. والبِضْعُ مُخْتَلَفٌ فِيهِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: يَتَنَاوَلُ مَا بَيْنَ الثَّلَاثَةِ إِلَى الْعَشْرَةِ كُلِّهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَجْعَلُهُ مَتَنَاوِلًا لِلنُّصْفِ مِنْ ذَلِكَ. وَالْأَوَّلُ هُوَ الصَّحِيحُ. وَقِيلَ فِي قَوْلِهِ: ﴿يُضْعِجُ سِينِي﴾ [الرُّومُ: آيَةُ ٤] إِنَّهَا سَبْعَةٌ، وَقَدْ حُكِّيَ الْفَتْحُ فِي الْبَاءِ مِنْهُ أَيْضًا، وَأَصْلُهُ مِنَ الْقَطْعِ.

وقوله: «تَمَلَّاهَا» عَاشَ مُلَاوَتَهَا. وَالْمَلَاوَةُ تُكْسَرُ مِيمُهُ وَتُضَمُّ. وَمِنْهُ الْمَلِيٌّ مِنَ الدَّهْرِ، وَقَوْلُهُمْ: تَمَلَّيْتُ حَبِيبًا.

٦٥٤ - وَقَالَ عُؤَيْفُ الْقَوَافِي^(٢):

[الطويل]

- ١ - وَمَا أُمُّكُمْ تَحْتَ الْخَوَافِي وَالْقَنَا بِشَكْلِي وَلَا زَهْرَاءَ مِنْ نِسْوَةِ زُهْرٍ
- ٢ - أَلَسْتُمْ أَقْلُ النَّاسِ عِنْدَ لَوَائِهِمْ وَأَكْثَرُهُمْ عِنْدَ الذَّبِيحَةِ وَالْقَذِرِ

وصفهم بأنهم يتصوّنون، فلا يبتذلون أنفسهم في الحروب، فأمهاتهم تتكلمهم تحت الأعلام إذا خفقت، والرّماح إذا أشرعت. وقوله: «ولا زهراء»، أي ليست هي بكريمة في نفسها. وهذا ضد قول الآخر: [المنسرح]

أُمُّكَ بِيضَاءَ مِنْ قُضَاعَةٍ^(٣)

يريد بياض الكَرَم لا بياض اللون.

وقوله: «أَلَسْتُمْ أَقْلُ النَّاسِ»، وَيَقَرُّهُمْ عَلَى لَوْمِهِمْ وَتَأْخِرُهُمْ فِي الْحُرُوبِ، وَقُلْتُمْ عِنْدَ خَفَقِ الْبُثُودِ، وَعِنْدَ عَقْدِهَا لِلرِّيَاسَاتِ؛ وَعَلَى أَنَّهُمْ يَكْثُرُونَ فِي الْمَادَبِ، وَيَتَزَاحِمُونَ عَلَى الذُّبَابِ. وَإِنَّمَا يَقَرَّرُ بِالْأَيْسِ وَبِالْأَمِّ وَمَا أَشْبَهَهُ فِي الْوَاجِبِ، لِأَنَّ

(١) لَدِي الْإِصْبَعِ الْعِدَوَانِي فِي خَزَانَةِ الْأَدَبِ ٦٦: ٨، وَاللِّسَانُ (أَبِي)، وَشَرَحَ الْمَفْصَلُ ١٣: ٥، وَصَدْرُهُ:

«إِنِّي أَبِي أَبِي ذُو مُحَافِظَةٍ»

(٢) سَبَقَتْ تَرْجُمَتُهُ فِي الْحِمَاسِيَةِ رَقْمَ (٧٢).

(٣) لَعَبِيدُ اللَّهِ بْنِ قَيْسِ الرِّقِيَّاتِ فِي دِيَوَانِهِ ١٤، وَتَاجُ الْعُرُوسِ (بِيضُ)، وَبَلَا نِسْبَةٍ فِي اللِّسَانِ (بِيضُ)، وَتَمَامُهُ:

«أُمُّكَ بِيضَاءَ مِنْ قُضَاعَةِ الْ- جَبِيَّتِ الَّذِي تَسْتَظِلُّ فِي طُئْيَةٍ»

الاستفهام كالتثني، والتثني إذا دخل على التثني صار واجباً، وقد مرّ الكلام فيه فيما تقدّم.

٦٥٥ - وقال آخر: [الطويل]

١ - وَنُبِيتُ رُكْبَانَ الطَّرِيقِ تَنَادَرُوا عَقِيلًا إِذَا حَلُّوا الذَّنَابَ فَضَرَخْدَا

٢ - فَتَى يَجْعَلُ الْمَخْضَ الصَّرِيحَ لَبَطِنِهِ شِعَارًا وَيَقْرِي الضَّيْفَ عَضْبًا مُهْتَدًا^(١)

قوله: «تنادروا»، أي أنذر بعضهم بعضاً، وموضعه من الإعراب نصب على أن يكون مفعولاً ثالثاً لنبت. والذئاب وصرخد: موضعان. والمعنى أن السفر والسابلة والمارة قد عرّفوا عقيلًا بالغدر والخيانة، والطمع في مال الضيف والجار والحليف، فإذا نزلوا هذين الموضعين وهما مما يقارب محلّ عقيل ومأواه، حذر بعضهم بعضاً، وتواصوا بالاحتراز منه، ثم قال: هو فتى يملأ بطنه من خالص المحض، فالمحض شِعَارُ بطنه، يليه ويشحنه ويلتبس به، ويُعَدُّ لِقَرَى ضَيْفِهِ سَيْفًا قَاطِعًا. والأصل في الشعار ما يلي الجسد من الثياب، ثم توسّع فيه ف قيل: أشعر قلبي همًا أي أبطنه. وحكى بعضهم: هتدث السيف: شحذته وأخددته. والمشهور نسبته إلى هند.

وقد استعمل القرى على هذا غيره فقال، وهو أبو وجزة: [البسيط]

ذَاكَ الْقِرَى وَلَا قِرَى قَوْمٍ رَأَيْتُهُمْ يَقْرُونَ ضَيْفَهُمُ الْمَلُوءَةَ الْجُدْدَا^(٢)

يعني السباط.

٦٥٦ - وقال آخر: [الوافر]

١ - أُنَاخَ اللُّؤْمِ وَسَطَ بَنِي رِيحٍ مَطِيئَةً فَأَقْسَمَ لَا يَرِيمُ

٢ - كَذَلِكَ كُلُّ ذِي سَفَرٍ إِذَا مَا تَنَاهَى عِنْدَ غَايَتِهِ مُقِيمٌ

يقال: أُنَخْتُ البعير فبرك، ولا يقال فناخ. وهذا من باب ما استغني به عن غيره، ومعنى لا يريم لا يبرح.

وقوله: «كذلك» في موضع الحال، لأن «كلّ ذي سفرٍ» مبتدأ، ومقيم خبره، كأنه قال، وكلّ مسافر إذا ما انتهى إلى غايته يُلقِي عَصَاهُ، وَيَحْطُ رَحْلَهُ. كذلك، أي مثل إقامة اللؤم فيهم.

(٢) في الكامل ١٠٧ (ليسك).

(١) التبريزي: «عضباً مجزداً».

وهذا المعنى قد نقله البحرِيُّ إلى المدح فيهم: [الكامل]

أَوْ مَا رَأَيْتَ الْمَجْدَ أَلْقَى رَحْلَهُ فِي آلٍ طُلْحَةٍ ثُمَّ لَمْ يَتَحَوَّلْ

٦٥٧ - وقال آخر: [الوافر]

١ - إِذَا بَكْرِيَّةٌ وَلَدَتْ غُلَامًا فَيَا لَوْ مَا لِدَلكَ مِنْ غُلَامٍ

٢ - يُزَاحِمُ فِي الْمَادِبِ كُلِّ عَبْدٍ وَلَيْسَ لَدَى الْجِفَاطِ بِذِي زِحَامٍ

قوله: «يا لَوْ مَا» لفظه لفظ النداء والمعنى معنى التعجب، أي ما أشده من لؤم.

ومثله: ﴿يَحْضَرُهُ عَلَى الْعِبَادِ﴾ [يس: الآية ٣٠]، وقول الشاعر: [الطويل]

فيا شاعِرًا لا شاعِرَ اليومَ مثله جريِرٌ ولكن في كُلِّبٍ تَوَاضَعُ^(١)

وقوله: «يُزاحِم في المَادِب» يشبه قول عُوفٍ: [الطويل]

أَلَسْتُمْ أَقْلَ النَّاسِ عِنْدَ لَوَائِهِمْ وَأَكْثَرَهُمْ عِنْدَ الذَّبِيحَةِ وَالْقِدْرِ^(٢)

وإن كَانَ زاد عليه لَمَّا جَعَلَ مزاحمته على الطَّعام مع العبيد. وقوله: «من غُلَامٍ»

أي لذلك الغُلام من بين الغُلَّمانِ. وواحد المَادِب مَأْدُبَة، والفِعْلُ منه أَدْبَتْ.

٦٥٨ - وقال آخر: [الوافر]

١ - رِدِّي ثُمَّ اشْرِبِي نَهْلًا وَعَلَا وَلَا يَغْرِزُكَ أَقْوَالُ ابْنِ ذِيَبِ^(٣)

٢ - فلو كَانَ الْقَلِيبُ على لِحَاهُم لَأَسْهَلَ وَطُوها شَفَةَ الْقَلِيبِ

يشجعها على الورد والصَّدْر، وشرب العلل بعد التَّهْل. وعلى أَلَّا تحتفل بتهدُّد

ابنِ ذئبٍ وإرعادِهِ وإبراقِهِ، فإنَّه قولٌ لا فِعْلَ معه، وقعقعةٌ لا وَقَعَ بَعْدَهَا. وكانَ

التَّخَاصُّمُ في بثر، فلذلك قال ما قال.

وقوله: «فلو كَانَ الْقَلِيبُ على لِحَاهُم» استخفافٌ بهم وإهانة. ومعنى أسهل:

وجدها سهلاً، ويعني بوطئها وطء الإبل، ولم يَجِرْ لها ذكر، ولكن المراد مفهوم:

والمعنى: كانت تَجِدُ حَرْفَ البِثْرِ سهلاً لا حَزَنًا. يقول: لو كَانَ موضع البثر

(١) للصلتان العبيدي في خزانة الأدب ١٧٤: ٢، والشعر والشعراء ٥٠٨: ١، والكتاب ٢٣٧: ٢، واللسان (كرب).

(٢) البيت الثاني من الحماسية رقم (٦٥٤). (٣) التبريزي: «ولا تغررك».

لِحَاهُمْ مَا جَسَرُوا عَلَى الْمَنْعِ، وَلَا عَلَى التَّمَانَعِ، وَلَا كَانَ يَتَعَقَّبُ وَرُودَهَا إِنْكَازٌ وَلَا وَبَالٌ.

٦٥٩ - وقال آخر: [البسيط]

١ - إِنْ تُبْغِضُونِي فَقَدْ أَشْخَنْتُ أَعْيُنَكُمْ وَقَدْ أَتَيْتُ حَرَامًا مَا تَنْظُنُونَا

٢ - وَقَدْ ضَمَنْتُ إِلَى الْأَخْشَاءِ جَارِيَةً عَذْبًا مُقْبَلُهَا مِمَّا تَصُونُونَا

يقول: لَا مَلَامَ عَلَيْكُمْ فِي بَغْضَائِكُمْ لِي، فَقَدْ نِلْتُ مِنْكُمْ مَا اسْتَحَقَّقْتُ بِهِ ذَاكَ. وَاِنتَصَبَ «حَرَامًا» عَلَى الْحَالِ مِنْ أَتَيْتُ، وَمَا تَنْظُنُونَا فِي مَوْضِعِ الْمَفْعُولِ، وَالضَّمِيرُ الْعَائِدُ مِنَ الصَّلَةِ مَحذُوفٌ. وَقَوْلُهُ: «مِمَّا تَصُونُونَا» وَلَمْ يَقُلْ مِمَّنْ، لِأَنَّ الْقَصْدَ إِلَى الْجِنْسِ وَ«مَا» لِلصِّفَاتِ وَالْأَجْنَاسِ وَلَمَّا دُونَ النَّاطِقِينَ. فَأَمَّا قَوْلُهُ «تَنْظُنُون» فَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنْ غَالِبِ الظَّنِّ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْيَقِينِ.

٦٦٠ - وقال آخر: [البسيط]

١ - يَا قَبِّحَ اللَّهِ أَقْوَامًا إِذَا ذُكِرُوا بَنِي عُمَيْرَةَ رَهْطَ اللَّؤْمِ وَالْعَارِ

٢ - قَوْمٌ إِذَا خَرَجُوا مِنْ سَوْءَةٍ وَلَجُوا فِي سَوْءَةٍ لَمْ يُحِثُّوْهَا بِأَسْتَارِ

الْمُنَادَى فِي قَوْلِهِ: «يَا قَبِّحَ اللَّهُ» مَحذُوفٌ، كَأَنَّهُ قَالَ: يَا قَوْمَ، أَوْ يَا نَاسُ قَبِّحَ اللَّهُ أَقْوَامًا، أَيِ أَبْعَدَهُمُ اللَّهُ. وَ«بَنِي عُمَيْرَةَ» اِنتَصَبَ عَلَى الْبَدَلِ مِنْ أَقْوَامًا، وَالْمَعْنَى فِي قَوْلِهِ: «إِذَا ذُكِرُوا» أَيَّ وَقْتٍ ذُكِرُوا فَأَبْعَدَهُمُ اللَّهُ. وَ«رَهْطَ اللَّؤْمِ» اِنتَصَبَ عَلَى الذَّمِّ وَالِاخْتِصَاصِ، وَالْعَامِلُ فِيهِ فِعْلٌ مُضَمَّرٌ، كَأَنَّهُ قَالَ: أَذْكَرَ رَهْطَ اللَّؤْمِ.

وقوله: «قَوْمٌ» اِرْتَفَعَ عَلَى أَنَّهُ خَبَرُ الْمُبْتَدَأِ، أَيِ هُمْ قَوْمٌ إِذَا خَرَجُوا مِنْ سَوْءَةٍ وَمَخْزِيَةٍ، أَيِ مِنْ اِكْتِسَابِهَا وَفِعْلُهُمَا، دَخَلُوا فِي مِثْلِهَا أَوْ أَسْوَأَ مِنْهَا وَأُخْرَى لَا يَتَسْتَرُونَ فِيهَا وَلَا يَسْتَحْيُونَ مِنْهَا.

٦٦١ - وقال آخر يَهْجُو الْحَضْرِيَّ وَيَمْدَحُ

[السريع] البدوي:

١ - جَوَابُ بَيْدَاءَ بِهَا عَرُوفٌ^(١)

(١) التبريزي: «عزوف»: يقال: رجل عزوف وعزوفة وعزيف، أي عازف.

٢ - لا يَأْكُلُ الْبَقْلَ وَلَا يَرِيفُ

٣ - وَلَا يُرَى فِي بَيْتِهِ الْقَلِيفُ

٤ - إِلَّا الْحَمِيتُ الْمُفْعَمُ الْمَكْشُوفُ

٥ - لِلجَارِ وَالضَّيْفِ إِذَا يَضِيفُ

٦ - وَالْحَضْرِيُّ مُبْطِنٌ مَعْلُوفٌ^(١)

٧ - لِلْفَسْوِ فِي أَثْوَابِهِ شَفِيفُ

٨ - أَغْجَبُ بَيْتَيْنِهِ لَهُ الْكَنِيفُ

٩ - أَوْطَايَةَ مُبْقِلَةً وَسِيفُ^(٢)

قوله: «جَوَابُ بِيْدَاءٍ» يصف به البدوي، أي قطاع المفاوز بليغ المعرفة بها. ويقال: رجل عَرُوفٌ وَعَرُوفَةٌ وَعَرِيفٌ، أي عَارِفٌ. ويقال من العِرْفِ بكسر العين، وهو الصبر: عَارِفٌ وَعَرُوفٌ أي صَبُورٌ؛ فيجوز فيه الوجهان. وَيُرْوَى: «جَوَابُ بِيْدِ أَيْةٍ عَرُوفٌ»، والآية: الصَّبِيَّتُ المتيقظ الحي القلبِ والنفس: والبيد: جمع بيْداء.

وقوله: «لا يَأْكُلُ الْبَقْلَ»، أي هو قَوِيٌّ صُلْبُ العُرُوقِ، لأنَّ البقول تَرْخِي الأعصاب. و«لا يَرِيفُ» أي لا يدخل الحَضْرَ. والرِّيفُ: الحُضْرَة. وقال الدُّرَيْدِيُّ: الرِّيفُ: ما قَارَبَ السَّوَادَ من أرض العرب، والجميع أريافٌ ورُيُوف. وتَرِيفُ القَوْمُ ورافوا: دَنَوْا من الرِّيف.

وقوله: «وَلَا يُرَى فِي بَيْتِهِ الْقَلِيفُ» أي طعامه طعام البدويين: اللبنُ والتمر، لا الخُبْز. وَقَلَاةُ الخُبْزِ وَقَلِيفُهُ: الذي يَلْزَقُ منه بالتثور.

وقوله: «إِلَّا الْحَمِيتُ» بدلٌ من الْقَلِيفِ، وهو نَحْيُ السَّمْنِ. والمُفْعَمُ: المملوء. وَجَعَلَهُ مَكْشُوفًا لِلجَارِ وَالضَّيْفِ لِيَدُلَّ على سَخَائِهِ بما فيه، وَلَا سِتْرَ عَلَيْهِ وَلَا حِجَابَ دُونِهِ، فَالْلامُ مِنْ قَوْلِهِ لِلجَارِ يَتَعَلَّقُ بِالْمَكْشُوفِ.

وقوله: «وَالْحَضْرِيُّ مُبْطِنٌ مَعْلُوفٌ»، أي يُطِيعُهُ ما يَأْكُلُهُ، وَيَرْتَعُ فِيهِ فَيَنْهَمُ فِيهِ وَيَتَجَاوِزُ حَدُودَ أَكْلِ النَّاسِ حَتَّى يَصِيرَ مَعْلُوفًا كَمَا تُعْلَفُ الدَّوَابُّ لِلسَّمْنِ. وَالْمُبْطِنُ: الْمَوْسَعُ الْبَطْنُ. وَقَدْ بَطِنَ بَطْنًا، أي عَظُمَ بَطْنُهُ، وَأَصَابَتْهُ الْبِطْنَةُ. وَفِي الْمَثَلِ: «الْبِطْنَةُ

(١) التبريزي: «بطنه معلوف».

(٢) التبريزي: «أوطانه».

تُذْهِبُ الْفِطْنَةَ، أي كثرة الأكل تُحْدِثُ الْبَلَادَةَ، ورجلٌ بَطِينٌ وَمِبْطَانٌ: عظيم البطن.
والمُبْطَنُ: الخَمِيصُ البطن. قال: [الكامل]

فَأَتَتْ بِهِ حُوشَ الْفَوَادِ مَبْطُنًا^(١)

وقال مُتَمَّمٌ: [الطويل]

فَتَى غَيْرِ مِبْطَانِ الْعَشِيَّاتِ أَرْوَعًا^(٢)

والشَّيْفُ: بَرْدُ رِيحٍ فِي ثُدُوءٍ، وَاسْمُ تِلْكَ الرِّيحِ الشَّقَانُ.

وقوله: «أَعْجَبَ بَيْنِي» أي الذي يأكل فيه والذي يُخْدِثُ فِيهِ. وَالْكَنِيفُ جَعَلَهُ
أَعْجَبَ إِلَيْهِ لِكثَرَةِ أَطْيَافِهِ.

وَالطَّايَةُ: الْأَرْضُ الْفَضَاءُ الْوَاسِعَةُ. وَالسَّيْفُ: سَاحِلُ الْبَحْرِ. وَأَبْقَلَ الْمَكَانُ: كَثُرَ
بَقْلُهُ.

٦٦٢ - وَقَالَ رَبِيعَانُ: [الطويل]

١ - إِذَا كُنْتَ عَمِيًّا فَكُنْ فَقْعَ قَرْقَرٍ وَلَا فَكُنْ إِنْ شِئْتَ أَيْرَ حِمَارٍ^(٣)

٢ - فَمَا دَارَ عَمِّي بِدَارِ خَفَارَةٍ وَلَا عَقْدُ عَمِّي بِعَقْدِ جَوَارٍ

يعني بالفَقْعِ الْكَمَاءُ. وَيَضْرِبُ الْمَثْلُ بِهَذَا فِي الذَّلِّ فَيَقَالُ: «أَذَلُّ مِنْ فَقْعِ
بِقَاعٍ»^(٤)، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ يَجْتَنِيهَا مِنْ يَشَاءُ، وَأَضَافَهُ إِلَى قَرْقَرٍ مَنِيتِهِ. وَيَقَالُ: قَاعٌ قَرْقَرٌ،
أَي مَسْتَوٍ. وَآتَى بِالضَّفَةِ لِأَنَّ الْمَرَادَ مَفْهُومٌ، وَالْمَعْنَى: إِذَا كُنْتَ عَمِيًّا فَكُنْ ذَلِيلًا
كَالْفَقْعِ، أَوْ شَيْئًا يُتَحَامَى ذِكْرُهُ وَمَنْظَرُهُ كَذَلِكَ الْعُضْوِ. وَأَخْفَرْتُهُ، إِذَا نَقَضْتَ عَهْدَهُ.
وَالْمَعْنَى ظَاهِرٌ. وَجَعَلَ لَا مِنْ قَوْلِهِ: «وَلَا عَقْدُ» بَدَلًا مِنْ مَا، وَلِذَلِكَ أَدْخَلَ الْبَاءَ فِي
بَعْقَدٍ.

(١) لأبي كبير الهذلي في جمهرة اللغة ٣٦٠، وخزانة الأدب ٨: ١٩٤، وشرح أشعار الهذليين
١٠٧٣: ٣، والشعر والشعراء ٢: ٦٧٥. وعجزه:

«سَهْدًا إِذَا مَا نَامَ لَيْلُ الْهَوَجْلِ»

(٢) لمتمم بن نويرة في ديوانه ١٠٦، واللسان (بطن، ردى)، وجمهرة أشعار العرب ٧٤٨. وصدرة:
«لَقَدْ كَفَّنَ الْمَنْهَالَ تَحْتَ رِدَائِهِ»

(٣) الْعَمِيّ: نِسْبَةٌ إِلَى بَنِي الْعَمِّ، وَهَمُّ بَنُو مَرَّةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ حَنْظَلَةَ (اللسان عمم).

(٤) «الْفَقْعُ: ضَرْبٌ مِنْ أَرْدَا الْكَمَاءِ، وَيَشَبَّهُ بِهِ الرَّجُلُ الذَّلِيلُ فَيَقَالُ: هُوَ فَقْعٌ قَرْقَرٌ، وَيَقَالُ أَيْضًا: أَذَلُّ
مَنْ قَعَّ بِقَرْقَرٍ، لِأَنَّ الدَّوَابَّ تَنْجَلُهُ بِأَرْجُلِهَا» (اللسان فقع).

٦٦٣ - وقال آخر:

- ١ - أَرَانِي فِي بَنِي حَكَمٍ غَرِيبًا عَلَى قُتْرِ أُرُوزٍ وَلَا أَزَارُ
٢ - أَنَاسٌ يَأْكُلُونَ اللَّحْمَ دُونِي وَتَأْتِينِي الْمَعَاذِرُ وَالْقُتَارُ

قوله: «على قُتْرٍ» أي على حرف. ويقال: قُتِرَ وقُتِرَ. يقول: ليس فيهم تمكن، لغربتي. والقُتْرُ والقُطْرُ والحَرْفُ والجانب تتقارب. وقد استعمل الحرف استعمال القُتْرِ، بل هو أشهر في هذا المعنى، وأكثر تصرفًا، يقال: هو على حَرْفٍ من أمره، أي انحراف، وانحرفت بهم دُنياهم، وما لي عن كذا مَخْرَفٍ، أي مَصْرِفٍ وَمُنْتَحَى، وفي القرآن: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾ [الحج: الآية ١١]: وإنما وصفهم بأن من جاورهم يسيئون عِشرته ولا يرون له ما يراه لهم من قضاءٍ ذِمَامٍ، وإيجاب حق، بل يطرحونه ويُهملونه. وقوله: «وتأتيني المعاذِرُ»، أراد ربح عذراتهم وأفنيتهم، فحذف المضاف. «والقُتَارُ»، أي وتأتيني ريح اللحم المشوي. وقيل في المعاذِر: إنها جمع مَعَذِرَةٍ. والأوَّلُ أبلغ. والعاذر والعاذرة والعذرة: الحَدَث، وقد أَعَذَرَ، أي أحدث. ويرتفع أناسٌ على أنه خبر مبتدئ محذوف، كأنه أراد: هم أناس، وقد وُصفوا بجملتين. وقد كان يجب أن يقول: وتأتيني المعاذِرُ والقُتَارُ منهم، فحذف الضمير، ويجوز أن يكون «وتأتيني» على الاستئناف.

٦٦٤ - وقال آخر:

- ١ - مَا إِنْ فِي الْحَرِيشِ وَلَا عُقَيْلٍ وَلَا أَوْلَادٍ جَفْدَةٍ مِنْ كَرِيمٍ
٢ - وَلَا الْبُزْصِ الْفِقَاحِ بَنِي ثُمَيْرٍ وَلَا الْعَجْلَانَ زَائِدَةَ الظَّلِيمِ
٣ - أَوْلُوكَ مَعَشَرُ كِبَنَاتِ نَعَشٍ رَوَاكِدَ لَا تَسِيرُ مَعَ الثُّجُومِ

يعني بزائدة الظلِّيم الحُفَّ، لأنَّه لا يكون للطَّير. أي هم زيادةٌ في النَّاسِ بمنزلة تلك الزائدة في الظلِّيم.

وقوله: «أولئك معشرُ كِبَنَاتِ نَعَشٍ»، يريد أنَّهم لا ينهضون لاكتساب مَكْرَمَةٍ. ولا يقومون لاجتلاب مَنَقَبَةٍ، فهم لا خيرَ فيهم يلزِمون مضاجعتهم كَسَلًا وقِصَرِ هِمَّةٍ، وِرْضَى بأدنى الهِمَّتَيْنِ وأسقطِ العِشْتَيْنِ. والعرب تسمي مَنْ كان كذلك ضَاجِعًا وضُجْعِيًّا وضُجْعَةً. وبنات نَعَشٍ ليست من الثُّجُومِ السَّيَّارَةِ، فلذلك شَبَّهَ بها.

٦٦٥ - وقال رجلٌ من بني جَرم^(١): [الوافر]

١ - دَلَفْتُ إِلَى صَمِيمِكَ بِالْقَوَافِي عَشِيَّةً مَحْفِلٍ فَهَتَمْتُ فَاكِ

٢ - وَصَدَّقَ مَا أَقُولُ عَلَيْكَ قَوْمَ عَرَفْتُ أَبَاهُمْ وَنَفَوْا أَبَاكَ

الصَّمِيم: الخالص من النسب والفخر. وجعل له ذلك على طريق الهُزء، فهو كقول الله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [الدخان: الآية ٤٩]. يقول: ما كان من حسبك خالصاً، ومن نسبك صافياً لا شوب فيه ولا لبس دونه، أبطلته بقوافي، وزينته حين اختلفنا في المَجْمعة بمرامي، فهتمتُ أسنانك، وأخرستك في دعائك. والهِتَم: كسر الثنية من الأصل، وجعلَ الفم كنايةً عن الأسنان. أي جعلتك بحيث لا مَقْصُص لك، ومشهدنا مشهود، وأهل التمييز حضور، وصدقني من له القِدْمة والسابقة عليك، وأنت تعرفهم وتعرف أوليتهم، وهم ينكرون سلفك، ويطلبون دعائك.

٦٦٦ - وقال زيادُ الأعجم^(٢): [الطويل]

١ - وَمَنْ أَنْتُمْ إِنْنا نَسِينَا مَنْ أَنْتُمْ وَرِيحُكُمْ مِنْ أَيِّ رِيحِ الْأَعَاصِرِ

٢ - وَأَنْتُمْ أَوْلَى جِثْمٍ مَعَ الْبَقْلِ وَالذُّبَا فُطَارَ وَهَذَا شَخْصُكُمْ غَيْرُ طَائِرٍ

٣ - فَلَمْ تَسْمَعُوا إِلَّا بِمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ وَلَمْ تُدْرِكُوا إِلَّا مَدَقَّ الْحَوَافِرِ

قوله: «إنا نسينا من أنتم» يجوز أن تجعل من استفهاماً، وقد كرره، وعلّق نسينا قبله، وإن لم يكن من أفعال الشك واليقين، لأنه أجراه مجرى نقيضه، وهو عرفتُ ودكرتُ؛ وهم يجرون النظر مجرى التظير، والنقيض مجرى التقيض. وقد مرّ له نظائر. ويجوز أن نجعل من بمعنى الذي. وقد حذف صلته، كأنه قال: إنا نسينا الذين هم أنتم. والأول أوجه. ونظير الأول عند أصحابنا البصريين قوله تعالى: ﴿لِنَعْلَمَ أُنَّى لِلْحَيَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَيْسَ بِأَشْوَءَ﴾ [الكهف: الآية ١٢]. وفي باب الذي قوله تعالى:

(١) التبريزي: «... زياد الأعجم، وقيل إنه لزياد الأعجم».

(٢) زياد بن سليمان الأعجم، أبو أمانة العبدي مولى بني عبد القيس، من شعراء الدولة الأموية، جزل الشعر، فصيح الألفاظ كان في لسانه عجمة فلُقّب بالأعجم، وكان هجاء. (ت نحو ١٠٠ هـ / ٧١٨ م). ترجمته في الشعر والشعراء ١٦٥، وتاريخ الإسلام ١١٣: ٤، وطبقات فحول الشعراء ٥٥١.

﴿تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾ [الأنعام: الآية ١٥٤] لَأَنَّ المعنى مَنْ هو أحسن. وقوله: «مِنْ أَيِّ رِيحِ الْأَعَاصِرِ»، والأعاصر: جمع الإعصار، وهو الغبار الساطع المستدير، وفي المثل: «إِنْ كُنْتَ رِيحًا فَقَدْ لَاقَيْتَ إِعْصَارًا». وإِنَّمَا خَصَّهَا بِالذِّكْرِ لِأَنَّهَا تَسُوْقُ غَيْثًا، وَلَا تَدُرُّ سَحَابًا، وَلَا تُلْقِحُ شَجَرًا، فَضُرِبَ الْمَثَلُ بِهَا لِقَلَّةِ الْإِنْتِفَاعِ بِهِمْ. وهذا كما قال الآخر: [الطويل]

وَأَنْتَ عَلَى الْأَدْنَى شِمَالٌ عَرِيَّةٌ شَامِيَّةٌ تَزْوِي الْوُجُوهُ بَلِيلٌ^(١)

وهم يجعلون الريح كناية عن الدولة، فيقال: فَلَانْ هَبَّتْ لَهُ رِيحٌ، فكأنه جعل دولتهم لا تُجْدِي وَلَا تَرُدُّ نَفْعًا، بَلْ تُتَوِي وَتَجَرَّ شَرًّا، وقوله: «وَأَنْتُمْ أَوْلَى جِئْتُمْ»، يريد الذين جئتم مع البقل. والمعنى أَنْ شَرَفَكُمْ حَدِيثٌ.

ومثله قول الآخر: [الطويل]

تَمَوْتُونَ هَزَلَى فِي السَّنِينَ وَأَنْتُمْ أَسَارِيْعُ تَحِيَا كُلُّمَا نَبَتَ الْبَقْلُ

وقوله: «فَطَارَ وَهَذَا شَخْصُكُمْ غَيْرَ طَائٍ تَضْجُرُ بِهِمْ وَتَعْجُبُ مِنْ بَقَائِهِمْ، وَعَتَبَ عَلَى الزَّمَانِ فِي اسْتِبْقَائِهِمْ».

وقوله: «فَلَمْ تَسْمَعُوا إِلَّا بِمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ» يريد أَنَّ كُلَّ مَنْ يُذَكَّرُ لَكُمْ وَعِنْدَكُمْ فَهُوَ سَابِقٌ لَكُمْ، مَقْدَمٌ عَلَيْكُمْ بِالزَّمَانِ وَالْفَضْلِ، فَأَنْتُمْ عَلَى السَّاقَةِ لَمْ تُذَكِّرُوا مِمَّنْ أَخَّرَ قِصَبَاتِ السُّبْقِ إِلَّا مَدَقَّ الْحَوَافِرِ، وَمَوَاطِئَ الْأَقْدَامِ. جَعَلَهُمْ فَسَاكِيلَ، وَمَتَأَخَّرِينَ عِنْدَ الْفَضَائِلِ.

٦٦٧ - وَقَالَ عَمْرُو بْنُ الْهَذِيلِ^(٢):

١ - نَحْنُ أَقْمَنَا أَمَرَ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ وَأَنْتَ بِشَاجٍ مَا تُمِرُّ وَمَا تُخْلِي^(٣)

٢ - وَمَا تَسْتَوِي أَحْسَابُ قَوْمٍ تُورَثُ قَدِيمًا وَأَحْسَابُ نَبْتٍ مَعَ الْبَقْلِ

(١) لطرفة بن العبد في ديوانه ٨٠، واللسان (رزغ).

(٢) التبريزي: «... العبدي: وقال أبو رياش: هي لرجل من بني عجل».

(٣) قبله عند التبريزي:

«لَا تَرْجُ خَيْرًا عِنْدَ بَابِ ابْنِ يَسْمَعٍ إِذَا كُنْتَ مِنْ حَيْتِي حَنِيفَةً أَوْ عَجَلٍ يَخَاطَبُ مَالِكُ بْنُ مَسْمَعٍ حِينَ فَرَّ أَيَّامَ الْعَصِيَّةِ فَتَزَلُ نَاجًا حَتَّى انْجَلَّتِ الْعَصِيَّةُ».

تَأَجَّ: اسم ماءٍ. وما تُجِرُّ وما تُخْلِي، أي لا تأتي بخلوٍ ولا مُرٍّ. يصف عَجَزَهُ
وَضَعْفَهُ، وقَعُودَهُ عن المعونة أَوَّانَ الحاجة. وقول زُهَيْرٍ: [الطويل]

عَلَى صِيرٍ أَمِيرٍ مَا يُجِرُّ وَمَا يَخْلُو^(١)

فَأَمَرٌ فِيهِ بِمَعْنَى صَارَ مُرًّا. ويقال في هذا مُرٌّ أَيْضًا. وقولهم في المثل: «ما أَمَرٌ
فَلَانٌ وَمَا أَخْلَى» فهو مِثْلُ المعنى الذي في البيت. والمعنى: ما أَتَى بخلوٍ ولا مُرٍّ.
ومرأْدُ الشَّاعِرِ في هذا البيت ظاهر، وهو المعنى المتقدم.

وقوله: «وما تستوي أحساب قوم» تستوي بمعنى تُساوي وتُمَاثل، وقد يكون
اسْتَوَى بمعنى استعلَى. على ذلك قولهم: [الرجز]

قَدْ اسْتَوَى بِشَرِّ عَلَى الْعِرَاقِ^(٢)

٦٦٨ - وَقَالَتْ كَنْزَةُ فِي مِئَةٍ^(٣): [الطويل]

- ١ - أَلَا حَبْبًا أَهْلُ الْمَلَا غَيْرَ أَنَّهُ
 - ٢ - عَلَى وَجْهِ مَيِّ مَسْحَةٍ مِنْ مَلَاخَةٍ
 - ٣ - أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَاءَ يُخْلِفُ طَفْعُهُ
 - ٤ - إِذَا مَا أَتَاهُ وَارِدٌ مِنْ ضَرُورَةٍ
 - ٥ - كَذَلِكَ مَيِّ فِي الثِّيَابِ إِذَا بَدَتْ
 - ٦ - فَلَوْ أَنَّ غَيْلَانَ الشَّقِيَّ بَدَتْ لَهُ
 - ٧ - كَقَوْلٍ مَضَى مِنْهُ وَلَكِنْ لَرَدَّهُ
- إِذَا ذُكِرَتْ مَيِّ فَلَا حَبْبًا هِيَ
وَتَحْتَ الثِّيَابِ الْخِزْيِ لَوْ كَانَ بِأَدْيَا
وَإِنْ كَانَ لَوْنُ الْمَاءِ فِي الْعَيْنِ صَافِيًا^(٤)
تَوَلَّى بِأَضْعَافِ الَّذِي جَاءَ ظَامِيَا
وَأَثَوَابَهَا يُخْفِينَ مِنْهَا الْمَخَازِيَا
مُجَرَّدَةً يَوْمًا لَمَّا قَالَ ذَا لِيَا
إِلَى غَيْرِ مَيِّ أَوْ لِأَضْبَحَ سَالِيَا

(١) لزهير في ديوانه ٩٦، واللسان (صير)، وإصلاح المنطق ٢٧، وصدره:

«وقد كنت من ليلى سنين ثمانيا»

(٢) الرجز للأخطل في تاج العروس (سوا) وليس في ديوانه، وبلا نسبة في اللسان (سوا) ورصف
المباني ٣٧٢، ويَعْدُهُ:

«من غير سيف ودم مهراق»

(٣) التبريزي: «كنزة أم شملة المنقري في مئة صاحبة ذِي الرمة، وقيل: هي لذي الرمة، وذلك أنه
كان يشبب بمئة وكانت من أجمل الناس ولم تره قط، فجعلت لله عليها أن تنحر بدنة أول ما
تراه، فلما رآته رأت رجلاً دميماً أسود، فقالت: وإسأته، فقال ذو الرمة فيها الأبيات». وقد
سبق ترجمة كنزة في الحماسية (٢٤٠).

(٤) التبريزي: «لون الماء أبيض صافياً».

قوله ذا من لفظة «حبذا» أُشِيرَ به إلى الشيء، وهو مع حَبٍّ بمنزلة الرجل من نِعَم الرجل، إلا أنه أُجْرِي معه مَجْرَى الأمثال، لا يَغَيَّرُ ولا يُفَصِّلُ بينهما. والمعنى: محبوبٌ في الأشياء أهل الملا غَيْرَ مَيٍّ، فإنها إذا ذُكِرَتْ لا تستحقُّ مدحاً ولا اختصاصاً، ولا ثناءً ولا إطرأً، فلا تُعْطَى هذا القول، ولا تُذَكَّرُ عند الدعاء بالسُّقيا، ولا تَدْخُلُ عند الحمد أو الحُبِّ في الذِّكْرِ. وقولها: «فَلَا حَبْذا هي» جَعَلَ أَلِفَ ذا على انفصالها تأسيساً، لأنَّ الرُّويَّ من اسم مُضَمَّر وهو هي.

وقولها: «على وجهِ مَيٍّ مَسْحَةٌ» تريدُ أنْ ظاهِرَها حَسَنٌ، كأنَّ الله عزَّ وجلَّ قد مَسَحَها بالجمال مَسْحاً، ويكون أصله من المَسْح باليد، وقد اسْتَعْمِلَ في الدعاء فَعِيل للمريض: مَسَحَ الله ما بك من علَّة، وقيل أيضاً: هو ممسوح الوجه أي مستوي الخِلْقَة. وقولها: «وَتَحَتَّ الثَّيَابُ الخِزْي» تريدُ أنْ ما سِوَى المعاري منها ممَّا هو مُوَازٍ من بَدَنِها، ومَسْتُورٌ بثيابها، قبيح. وقولها: «لو كان بادياً» جواب لو مُقَدَّم عليه. أرادت: لو ظَهَرَ الخافي منها كان خِزياً. ثم شَبَّهَتْها بالماء يتناهى صفاؤه ولونه، ويَتَرَاءى للناظر زُرْقَتُهُ، وَيُخَسَّبُ عَذْباً سَلْسَالاً فإذا هو وَلِخٌ أَجَاجٌ، حتَّى إذا وَرَدَ الواردُ فنَظَرَ إليه صار كأنه يَعِدُّه من نفسه بظَاهِرِهِ عَذْبَةً، فإذا طَعَمَهُ يُخَلِّفُ ولا يَبْقَى، بل يُعْطِيهِ مرارةً. هذا إذا رُوي «يُخَلِّفُ» لأنَّه من الخُلْف في الوعد، وقد رُوي «يُخَلِّفُ» فيكون من الخُلُوف: التَّغْيِيرُ. وفي الحديث «خُلُوفُ قَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عند الله مِنْ رِيحِ الْمَسْكِ» والمراد أنْ ظاهِرَ هذه المرأة كظاهر هذا الماء، وباطنُها كباطنِه فكما أنْ وارد هذا الماء وقد اضطرَّه العَطَشُ وساقَهُ حرارةُ الجَوْفِ والغُلَّةُ يَصْدُرُ عنه وقد تضاعَفَ ظمؤُه وتزايدتْ جِرَّتُهُ، كذلك هذه المرأةُ للكاشفِ على أمرِها، والذَّائِقِ بعدَ الاغترارِ بها. وقولها: «بأضعافِ الذي جاء»، تريدُ جاء عليه، فحذفَ حَرْفَ الجَرِّ وَوَصَلَ الفِعْلُ بنفسه، فصار جاءءُ، ثم حَذَفَ الضَّمير من الصَّلَة استثقالاً واستطالةً لكون أربعة أشياء شيئاً واحداً: الموصول، والفعل، والفاعل، والمفعول. وَمَنْ جَوَّزَ حذفَ الجار والمجرور من الصَّلَة فالأمرُ عنده أقربُ. وانتصب «ظامناً» على الحال.

وقولها: «فلو أنَّ غيلانَ الشَّقِيَّ» تعني به ذا الرُّمَّة، لأنَّه كان ينسَبُ بميَّة، وكان يسمِّيها مَرَّةً مَيًّا ومَرَّةً مَيَّةً. فنقول: لو أنَّها تجرَّدَتْ له لتبرَّأَ منها وتندَمَ على ما سَيَّرَهُ من التَّسببِ فيها. وانتصب «مُجَرَّدَةٌ» على الحال. وأشارت بذا من قولها «لما قال ذالِيا» إلى مُجَرَّدِ مَيَّةً، أي ما حَدَّثَ نفسَه بأنَّه له. ويُرْوَى: «لما قال أليَّا» وهذا يتعلَّقُ بما

بعده. أرادت: لما قال كقوله فيما سَلَفَ ذالِيا. وآليا، أي مقصراً عند نفسه في دعواه، وَلَصَرَفَ تشبيهُه إلى غيرها، وَلَتَسَلَّى من النساء رأساً. وزهد فيهن استنشاعاً لها. وآليا، من قولك: لا آلو في كذا، أي لا أقصر، وينتصب على الحال. وقولها: «لَرَدَّة»، اللام جواب يمين مضمرة. وذكر بعضهم أن معنى آليا حالفاً، أي كان لا يُقسِمُ بها، وهذا خطأ، لأنه كان يجب أن يكون موليّاً. ألا تَرَى أَنَّهُ يُقال: أَلَيْتُ في اليمين إبلاء. وقيل: آا: توجّع فهو كأَوْه، والمعنى: لم يَقُلْ لما يَسْتَجِدُّ من الزهد فيها آلي، متأوفاً ومتوجّعاً. وهذا كما يُقال في الأمر وقد نكأ في متولّيه: شقاء لي، بكاء لي، وأشقى لي، وأبكى لي - وجداً بها، فعلى هذا يكون آلي حكاية صوت موضع رفعه رُفِعَ بالابتداء، ولي خبره، والأول أقرب عندي.

٦٦٩ - وقال أبو العتاهية^(١): [الكامل]

- ١ - جُرِّيَ الْبَخِيلُ عَلَيَّ صَالِحَةً عَنِّي بِخَفْتِهِ عَلَيَّ ظَهْرِي
- ٢ - أَعْلَى وَأَكْرَمَ عَن يَدِي فَعَلْتُ وَنَزَّةً قَدْرِي
- ٣ - وَرَزَقْتُ مِنْ جَدْوَاهُ عَافِيَةً أَلَا يَضِيقُ بِشُكْرِهِ صَدْرِي
- ٤ - وَعَنَيْتُ خِلْوًا مِنْ تَفْضُلِهِ أَخُو عَلَيْهِ بِأَحْسَنِ الْمَذَرِ
- ٥ - مَا فَاتَنِي خَيْرُ امْرِئٍ وَضَعَتْ عَنِّي يَدَاهُ مَوْؤَنَةَ الشُّكْرِ

يَقُول: جَزَى الله الْبَخِيلَ عَلَيَّ بِمَالِهِ خَصْلَةً صَالِحَةً، فَقَدْ خَفْتُ مَخْمَلَهُ عَلَى ظَهْرِي، لِسُقُوطِ مِثْتِهِ عَنِّي، وَذَاكَ أَنَّهُ أَجْلَنِي عَنْ صَنِيعَتِهِ، وَأَكْرَمَ مَحَلِّي إِذْ أَخْلَانِي مِنْ عَارِفَتِهِ، وَصَانَ قَدْرِي حِينَ لَمْ يَبْتَذِلْهُ لِعَطِيَّتِهِ، وَرَفَعَ يَدِي وَكَرَّمَهَا حِينَ لَمْ يَشْنُهَا بِمِرْزِيَّتِهِ، فَزَرَقَنِي اللهُ عَافِيَةً مِنْ ضِيقِ الدُّرْعِ بِشُكْرِهِ، وَالتَّطَوَّقُ بِأَفْضَالِهِ، وَاسْتَغْنِيَتْ عَنْهُ خَالِيًا مِنْ بَرِّهِ، مُنْصَرِفًا مِنْ تَفْضُلِهِ، مُتَعَطِّفًا عَلَيْهِ بِبَسْطِ غَدْرِهِ حِينَ لَمْ يَجِدْ عَلَيَّ، وَلَمْ يَتَلَقَّ إِقْبَالِي عَلَيْهِ بِقَبُولِهِ لِي.

ولما قال: أَعْلَى يَدِي فَعَلْتُ، كَانَ الْأَحْسَنُ فِي مُقَابَلَتِهِ أَنْ يَقُولَ: وَنَزَّةً قَدْرِي فَتَزَّةً. وَيُقَالُ: فَلَانٌ نَزِيَةٌ كَرِيمٌ، إِذَا كَانَ بَعِيدًا مِنَ اللَّؤْمِ. وَقَوْلُهُ: «أَلَا يَضِيقُ» لَكَ

(١) أبو العتاهية: إسماعيل بن القاسم بن سويد العيني العنزي، شاعر مكثر سريع الخاطر، في شعره إبداع، يُعَدُّ من مقدّمي المولّدين من طبقة بشار وأبي نواس. (ت ٢١١ هـ / ٨٢٦ م). ترجمته في: تاريخ بغداد ٦: ٢٥٠، والشعر والشعراء ص ٣٠٩.

أن ترفعه وأن تنصبه، فالنَّصْبُ على أن يكون أن الثَّاصِبَةُ للأفعال، والرفع على أن تكون أن مخففة من الثَّقِيلَةِ، ويكون اسمه مُضْمَرًا، كأنه قال: أنه لا يَضِيقُ، والجملة خبره. والعافية: مصدر كالعاقبة، ومثله ما أباليه باليَّة، وقم قائمًا؛ لأنه لا خِلَافَ أن اسم الفاعل يكون اسمًا للمصدر وإن اختلفوا في بناء المفعول. وموضع «ألا يضيّق» نَصَبٌ بكونه بدلًا من قوله عافية. وانتَصَبَ «خِلُوا» على الحال. وجملة المعنى: أنه لم يفتني إحسان رجلٍ لم يَلْزَمَنِي له شُكْرُ إفضالٍ، ولم يَجِبْ بفعله بي عَليَّ اعتداءً.

٦٧٠ - قال ابن عبدل الأسدي^(١): [الكامل]

١ - اضْحَى عُرَاجَةً قَدْ تَعَوَّجَ دِينُهُ بَعْدَ الْمَشِيبِ تَعَوَّجَ الْمِسْمَارِ
٢ - وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى عُرَاجَةِ خِلْتَهُ فَرِحْتَ قَوَائِمَهُ بِأَيْرِ حِمَارِ
أراد أن يُظْهِرَ أنه يَجْسُرُ على تشبيهه بالسَّوءَةِ. وَضَرَبَ الْخَنَّا وَالْفُخْشَ مَثَلًا لَهُ فِي هَجْوِهِ، فَأَمَّا الْمَعْنَى فَظَاهِرٌ، وَإِنَّمَا شَبَّهَ تَعَوَّجَ دِينِهِ عَلَى كِبَرَتِهِ وَسِنَّهُ بِتَعَوَّجِ الْمِسْمَارِ فِي الْعَمَلِ، وَقَدْ عَجَزَ عَمَّا حُمِلَ، فَإِنْ أَكْرَهَ عَلَى التَّفَاقُظِ انْكَسَرَ؛ وَإِنْ طَلِبَ نَزْعُهُ لِيُجْعَلَ أَقْوَى مِنْهُ بَدَلَهُ تَعَسَّرَ، فَكَذَلِكَ عُرَاجَةُ فِي اعْوِجَاجِ دِينِهِ وَالتَّوَاتُهِ، لَا صَرْفُهُ وَرَدْعُهُ مِمَّا، وَلَا احْتِمَالُهُ عَلَيْهِ مُسَوِّغٌ.

٦٧١ - وقالت أم عمرو بنت وقدان: [الكامل]

١ - إِنْ أَنْتُمْ لَمْ تَطْلُبُوا بِأَخِيكُمْ فَذَرُوا السَّلَاحَ وَوَحْشُوا بِالْأَبْرِقِ
٢ - وَخَلُّوا الْمَكَاحِلَ وَالْمَجَاسِدَ وَالْبَسُوا نُقَبَ النِّسَاءِ فَيُشْنَ رَهْطُ الْمُزْهَقِ
٣ - أَلْهَاكُمْ أَنْ تَطْلُبُوا بِأَخِيكُمْ أَكَلُ الْخَزِيرِ وَلَغْوُ أَجْرَدَ أَنْحَقِ
تقول: إِنْ ضَيَّعْتُمْ دَمَ أَخِيكُمْ، وَقَعَدْتُمْ عَنِ الْإِنْتِقَامِ لَهُ، لَتَقْصِيرَكُمْ فِي طَلَبِ ثَارِهِ، فَضَعُوا السَّلَاحَ وَأَطْرَحُوهُ بِالْأَبْرِقِ. وَيُقَالُ: وَحَّشَ بِثَوْبِهِ وَبَسِيفِهِ، إِذَا رَمَى بِهِ بَعِيدًا. وَفِي الْحَدِيثِ: «وَحَّشُوا بِرَمَاحِهِمْ»، أَي رَمَوْا بِهَا. وَيَجُوزُ أَنْ تَرِيدَ تَوَحَّشُوا، أَي صَيَّرُوا مَعَ الْوَحْشِ حَيَاءً مِنْ فَعْلِكُمْ، وَهَاجَرُوا النَّاسَ وَجَانَبُوهُمْ. وَالْعَرَبُ تَقُولُ:

(١) سبقت ترجمته في الحماسية (٤٥٠).

إذا أَظْلَمَ اللَّيْلُ تَأَنَسَ كُلُّ وَحْشِيٍّ، وَتَوَحَّشَ كُلُّ إِنْسِيٍّ. يَرِيدُونَ بِتَأَنَسَ اسْتَأْنَسَ، وَبِتَوَحَّشَ اسْتَوْحَّشَ. وَمِثْلُ وَحَّشَ بِمَعْنَى تَوَحَّشَ قَدْ مَ بِمَعْنَى تَقَدَّمَ، وَنَبَّهَ بِمَعْنَى تَنَبَّهَ. وَعَلَى هَذَا يُحْمَلُ قَوْلُ أَمْرِئِ الْقَيْسِ: [الكامل]

وَأَنَا الْمُتَنَبِّهُ بَعْدَ مَا قَدْ تَوَمَّوْا وَأَنَا الْمُعَالِئُ صَفْحَةَ الثَّوَامِ^(١)

لأنه إن لم يجعل منبه بمعنى متنبه يصير عجز البيت كصدره في أنهما بمعنى واحد. وقال بعضهم: وحشوا معناه اطلبوا صيد الوحش وتقوتوه. وهذا يرجع معناه إلى ما ذكرناه؛ لأن معناه فارقوا الناس والكون معهم.

وخصب الأبرق لأنه كان مما وليهم، وهو المكان فيه حجارة سود وبيض. ويقال: جبل أبرق، إذا كانت طاقاته سودا وبيضا.

وقولها: «وخذوا المكايل»، تريد: اجعلوا بدل السلاح آلات النساء: والمجاسد: جمع المجسد، وهو الثوب المشبع صبغا. والجسأد: الزعفران. والثقب: جمع ثقب، وهي إزار تجعل له حُجْزَةً كحُجْزَةِ السراويل تلبسه المرأة. قال: [الرجز]

بيضاء مثل القلب في ثقبه وإثب^(٢)

والإثب: القميص.

والمعنى: إن لم تثاروا لصاحبكم فتزوا بزئي النساء فإنكم إناث، وبشس رهط المُرَهَق: المضيق عليه أنتم. وحذف المذموم ببشس، وهو أنتم، لأن المراد مفهوم. وهذا الكلام بعث وتحضيض على طلب الدم، فهو كقول أخت عمرو حين بعثت عمرا على طلب دم أخيه عبد الله فقالت: [الطويل]

فإن أنتم لم تثاروا بأخيكُم فمشوا بأذانِ النعامِ المصلَمِ^(٣)

ولا تَرِدُوا إِلَّا فُضُولَ نِسَائِكُم إذا ارتملت أعقابهن من الدم

وقولها: «ألهاكم أن تطلبوا» تهيج وإغراء. والخزير: حساء يحسى. والأجرد: الأمحق، يراد به نخي أو زق ديس. والأمحق: القليل، كأنه يصير لكم مخقا لا يبارك

(١) ديوانه ١٨٦ (مؤسسة النور)، من قصيدة مطلعها:

«لمن الديار غشيتها بسمام فعمابتين فهضب ذي أقدام»

(٢) الرجز بلا نسبة في جمهرة اللغة ٣٧٤، والقلب: قلب النخلة.

(٣) البيان في الحماسية رقم (٥٢).

الله فيه، وأَمْحَقُّ من باب أَفْعَل الذي لا فَعْلَاءَ له واللَّعَقُ، هو لِمَا في التُّحِي لا لَهُ، فَنُوسَعَ فيه.

٦٧٢ - وقال امرأة من طيء^(١): [الطويل]

- ١ - فَلَوْ أَنَّ قَوْمِي قَتَلَتْهُمْ عِمَارَةً من السَّرَوَاتِ والرُّؤُوسِ الذَّوَائِبِ^(٢)
- ٢ - صَبَرْنَا لِمَا يَأْتِي بِهِ الذَّهْرُ عَامِدًا وَلَكِنَّمَا أَثَارُنَا فِي مُحَارِبٍ
- ٣ - قَبِيلَ لِنَامَ إِنْ ظَفَرْنَا عَلَيْهِمْ وَإِنْ يَغْلِبُونَا يُوجَدُوا شَرَّ غَالِبٍ^(٣)

العِمَارَةُ: الحي العظيم يُطَبَّقُ الانفراد، وقد يُفْتَحُ العين منه فيقال: العِمَارَةُ، لُغَةٌ. ومثله العَمِيرَةُ، وقيل: هما جميعًا البطن. والسَّرَوَاتُ: الرؤساء. والذَّوَائِبُ: الأعالِي، وهو جمعُ ذَوَابَةٍ، واستعملوا الذنائب في خلافه، وهو جمعُ ذُنَابَةٍ، وهما اسمان في الأصل وَصِفَ بهما. وَأَثَارٌ: جمع الثَّار. يقول: هم الذين أصابونا عن ذَلَّتْهُمْ وَخَسَّتْهُمْ، فَالْبَلَاءُ أعظم، وَقَرُحُ الْقَلْبِ أَوْجَع، ولو أصابنا غيرهم كان الخَطْبُ أَيْسَرَ، والصَبْرُ عليه أَوْسَع. وهذا كما يقال في المثل السائر: «لو ذَاتُ سِوَارٍ لَطَمَتْنِي»^(٤).

وقولها: «قَبِيلَ لِنَامَ»، هو تفصيلُ ما أجمَلَهُ. وقولها: «إِنْ ظَفَرْنَا عَلَيْهِمْ» عَدَى ظَفَرْنَا تعديةً عَلَوْنَا، لأنه في معناه، وهم يَحْمِلُونَ الضمير على الضمير. والمعنى: لا اشتفاء في الانتقام منهم إذا نِيلُوا، ولا يُنِيمُونَ طَلَابَ الأوتارِ إذا ثَارُوا. وجواب الشرط، وهو قوله إِنْ ظَفَرْنَا، متقدّم يشتمل عليه قوله: «قَبِيلَ لِنَامَ»، لأن فيه معنى الفعل.

ومثل قولها: «وَإِنْ يَغْلِبُونَا يُوجَدُوا شَرَّ غَالِبٍ» قولُ امرئ القيس: [الطويل]

وَلَمْ يَغْلِبْكَ مِثْلُ مَغْلَبٍ^(٥)

إلا أنه في التَّسْيِبِ.

(١) التبريزي: «... وهي عاصية البولانية».

(٢) قبله عند التبريزي:

«أعاصي جودي بالدموع السواكِبِ ويكفي لك الويلات قتلى محاربٍ»
(٣) التبريزي: «إِنْ ظَهَرْنَا».

(٤) المثل في مجمع الأمثال ١٦١: ٢، ومعناه: لو لطمتني حَزَّة، فجعل السوار علامة للحرية لأن العرب قلما تُلبس الإماء السوار فهو يقول: لو كانت اللاطمة حَزَّة لكان أخفَّ عليّ.

(٥) هذه قطعة من بائية امرئ القيس وهو بتمامه:

«فإنك لم يفخر عليك كفاخرٍ ضعيفٍ ولم يغلبك مثل مغلبٍ»

٦٧٣ - وقال آخر^(١): [الوافر]١ - إِذَا مَا الرُّزْقُ أَحْجَمَ عَنْ كَرِيمٍ فَالْجَاءُ الزَّمَانُ إِلَى زِيَادٍ^(٢)

٢ - تَلَقَّاهُ بِوَجْهِهِ مُكْفَهَرُ كَأَنَّ عَلَيْهِ أَرْزَاقَ الْعِبَادِ

الإحجام: النكوص عن القِزن هيبةً له. وقد تُوسَّعَ به هنا. وضده الإقدام. ويقال: نكص على عقبيه. والمكفهر: المستقبل بكرة وتغصن وجهه. ويقال: سحاب مكفهر، إذا تراكم، ووجه مكفهر، ويروى: «بوجهه مقشعر»، والأصل في الاقشعرار تقبض الجلد وانتصاب الشعر، ثم يتوسَّع فيه فيقال: اقشعرت الأرض والنبات والسنة. والمعنى ظاهر، وهو أن العافي إذا ورد عليه تلقاه بغبوس، كأنه اجتمع عليه لورود واحد من الناس أرزاق الخلق كلهم. وجواب إذا «تلقاه».

٦٧٤ - وقال أبو محمد اليزيدي^(٣): [الكامل]

١ - عَجَبًا لِأَحْمَدَ وَالْعَجَائِبُ جَمَّةٌ أَنَّى يَلُومُ عَلَى الزَّمَانِ تَبْدُلِي

٢ - إِنَّ الْعَجِيبَ لِمَا أَبْثُكَ أَمْرُهُ مِنْ كُلِّ مَثْلُوجِ الْفَوَادِ مُهَبِّلِ

٣ - وَغَدِ يَلُوكُ لِسَانَهُ بِلَهَائِهِ وَتَرَى ضَبَابَةً قَلْبَهُ لَا تَنْجَلِي

٤ - مُتَصَرِّفٍ لِلثُّوكِ فِي غُلَوَائِهِ زَمِيرِ الْمُرُوءَةِ جَامِحٍ فِي الْمَسْخَلِ

٥ - وَإِذَا شَهِدْتَ بِهِ مَجَالِسَ ذِي الثُّهَى وَبَلَّتْ سَحَابَتُهُ بَثُوكَ مُسْهِلِ

٦ - غَلَبَ الزَّمَانُ بِجَدِّهِ فَسَمَا بِهِ وَكَبَا الزَّمَانُ لَوَجْهِهِ وَالْكَلْكَلِ

قوله: «والعجائب جمّة» اعتراض بين أحمد وقصته التي عجب منها. ويقال: أمر عجب وعجائب وعجيب وعاجب. وأبلغ هذه الأبنية العُجاب. وانتصب «عجبا» على المصدر. يقول: أتعجب لأحمد كيف أنكر خلقي وطريقي، حتى لامني في تبديلي على تنكر الأيام وتغيرها، ومن أين استطرف ما رأى من

(١) التبريزي: «وقالت غيرها». والبيتان في الحماسة البصرية ٢: ٢٩١ لعميرة بنت مرة الحرشي أو

ليزيد بن مفرغ الحميري.

(٢) التبريزي: «والجاء».

(٣) هو يحيى بن المبارك بن المغيرة العدوي، المقرئ النحوي اللغوي، مولى بني عدي بن عبد

مناة، سكن بغداد، اتصل بالرشيد فعهد إليه بتأديب المأمون. من كتبه «النوادر» في اللغة والمقصود والممدود ومختصر في النحو» (ت ٢٠٢ هـ / ٨١٨ م) ترجمته في وفيات الأعيان

٢: ٢٣٠، والنجوم الزاهرة ٢: ١٧٣.

حالي وقصّتي، ومقتضى الوقت وموجب حكمه لا يدعوان إلى غيره. ثم أقبل يخاطب أحمد بعد الإخبار عنه فقال: إن العجب ما أطلعك عليه وأبأك فيه، وأكشفت لك مستوره وخافيه، من كل رجل بطيء الفهم، ميت الخاطر، مدعو عليه بالهبل لثقله وعجزه غبي، عبي، إن حدث أدار لسانه في فيه يمضغ كلامه، وإن ائتمن خان، وكان ذا لونين لِنفاقه، وكأن قلبه قد رين عليه لما يضميره من غل، فعليه لكل أحد ضبابة، فلا تصفو نيته، ولا تخلص طويته، متصرف في غلواء الحمق وارتفاعه وانتهاه، قليل المروءة، زمر الحمية، يركب رأسه فيما يعين، ويغفل عن القصد فيما يجد، ويمضي قدما في الشر فلا يرتدع، ويعلو على زاجره فلا يزعج، ولا يقف وإن كبح بلجام المنع، ولا يزعوي، وإن أوزن بالهلك؛ ثم إن حضرت به مجالس الفضل والعقل، سألت سحابة جهله بخمق تلتطم أمواجه، وتتدافع بصوبه أركانه؛ وعلى ما به من الندالة والجهالة رزق جدا فحظي، وغلب على أهل زمانه بما قسم له فعلي، وذلك له الدهر فكبا لصدرة ووجهه ضارعا، وانقاد لأمره ونهيه صاغرا، حتى أدرك ما شاء ممتدا في شأوه، مشترقا في شأيه، آخذا قصب السبق في ميدانه، فإن تعجبت فالعجيب هذا، وإن استكرت فالتكبير هذا.

ويروى:

غلب الزمان بجده وسما به فكبا الزمان

فيجعل الفعل للزمان ويكون معنى سما به رفعه. ثم أخذ يدعو على الزمان فقال: سقط لوجهه وكليله، حين اختار مثله لإحسانه، وهذا حسن جدا. والوغد: الدني، من قولك: وغدت القوم إذ خدمتهم. والثهي: العقول، والواحدة نهي. والثوك: الحُمق. والمسخلان: خلقنا شكيم اللجام، والجميع المساحل. ومعنى «على الزمان»، على تصارييف الزمان؛ فحذف المضاف.

وقوله: أثبتك أمره أي أجعل أمره مما ثبت وتخزن له. والمثلوج الفؤاد: البليد الخالي من الذكاء والحجة. واللوك: المضعف.

- ٧ - ولقد سموت بهمتي وسما بها طلبي المكاري بالفعالي الأفضل
٨ - لأنال مكرمة الحياة ورئما عثر الزمان بلي الدهاء الحول
٩ - فلئن غليت لتفضين ضريبتي كلب الزمان بمعفة وتجمل

رجع إلى صفة نفسه على تنكُّر الزمانِ له، فقال: إني وإن لم تساعدني الحال، ولا يقوم لما أنويه المال، فلي هِمَّةٌ رفيعةٌ، ونفسٌ أبيةٌ، يسمو بهما ارتقائي في درجاتِ الفضل، وطلبي المعالي بأحسن الفعل، لأعيش مكرِّمًا مَصُونًا، فلا يَفُوتُنِي سَلَامَةُ الدِّينِ والمروءة، وإن فَاتَتْني الزِّيَادَةُ في الحال والمَقْدَرَةُ؛ والدَّهْرُ قد يَعْثُرُ بِالرَّجْلِ التَّامِ التُّكْرَ، المَرِيرِ القُوَّةَ وَالْحَوْلَ، لَجْهَلِهِ بِمَوْضِعِ الصَّنِيعَةِ، فَإِنْ غَلَبَنِي عَلَى حَظِّي، وتَخَطَّأَنِي عِنْدَ الْقَسَمِ إِلَى غَيْرِي، فَطَبِيعَتِي تُسَلِّبُنِي وَتُزْضِيبُنِي، ومَعْرِفَتِي بِمَنْ عِنْدَهُ الْمَالُ وَالْعَتَاذُ تَصْرِفُ الْهَمَّ عَنِّي، فَتَنْمَحِي آثَارَ الْحَدَثَانِ، وَعَرَامَةُ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ، بِعَفَافٍ أَسْتَعْمِلُهُ، وَتَجْمُلُ التَّرِمُّهُ، لَثَلَا يَشْمَتَ عَدُوٌّ، أَوْ يَفْرَحَ حَسُودٌ.

تم باب الهجاء بحمد الله وعونه

والحمد لله على تظاھر آلائه، والصلاة على سيّدنا محمدٍ وآله

وبهذا يتمّ الجزء الثالث، ويليه الجزء الرابع

وأوله: باب الأضياف

شَرْحُ

دَوَائِلُ الْجَمَانِيَةِ لَأَبِي تَمَامٍ

تَأَلَّفَ

أَبُو عَلِيٍّ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ الْحَسَنِ الْمَرْزُوقِيِّ
المتوفى سنة ٤٢١ هـ

عَلَّقَهُ عَلَيْهِ وَكَتَبَ حَوَاشِيَهُ
يَعْقُوبُ بْنُ عَبْدِ الشَّيْخِ

وَضَعَ فَرَايَهُ الْعَاثَةَ
إِبْرَاهِيمُ شَمْسُ الدِّينِ

المجلد الرابع

مَنْشُورَاتُ

مَحْتَرَمَاتِ بَيْتِ

لِنَشْرُكِ كِتَابِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ

دَارُ الْكِتَابِ الْعِلْمِيَّةِ

بِكُرُوت - بَيْتَان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بَابُ الْأَضْيَافِ^(١)

٦٧٥ - قَالَ عُتْبَةُ بْنُ بُجَيْرٍ الْحَارِثِيُّ^(٢) : [الطويل]

١ - وَمُسْتَنْبِحَ بَاتِ الصَّدَى يَسْتَتِيهِهُ إِلَى كُلِّ صَوْتٍ فَهَوَ فِي الرَّحْلِ جَانِحُ
يَعْنِي بِالْمُسْتَنْبِحِ ضَيْقًا أَلْجَأَهُ الضَّلَالُ عَنِ الطَّرِيقِ لَيْلًا، أَوْ دَعَاهُ ضَيْقُ الْوَقْتِ
وَجَهْدُ الْمَسِيرِ مُنْفِضًا إِلَى أَنْ يَتَكَلَّفَ نُبَاحَ الْكَلْبِ وَحِكَايَتَهُ، لَتَجَاوِيَهُ كَلَابُ الْحَيِّ
الْمَتَوَهَّمِ نَزْوَلُهُمْ فِي سَمْتِهِ وَوَجْهَتِهِ فِيَهْتَدِي إِلَيْهِمْ بِصِيَاحِهَا، وَيَسْتَعِينَ بِهِمْ عَلَى
ضُرِّهِ وَخَيْرَتِهِ. وَهَكَذَا كَانَ يَفْعَلُهُ الضَّالُّ وَالْمَقْرُورُ فِي ظِلَامِ اللَّيْلِ. وَكَانُوا إِذَا
قَرَّبُوا مِنَ الْبُيُوتِ الْمَظْنُونِ دَنُوهَا، أَوْ الْمَعْلُومِ حُلُولُهَا، رِيْمًا حَمَلُوا رَوَاجِلَهُمْ عَلَى
الرُّغَاءِ أَوْ الْبُغَامِ، إِيْذَانًا بَأَنْفُسِهِمْ. وَلِذَلِكَ جَاءَ فِي الْأَمْثَالِ السَّائِرَةِ: «كَفَى بَرُغَائِهَا
مُنَادِيًا»^(٣). وَأَصْلُهُ أَنَّ بَعْضَ الْمُتَعَرِّضِينَ لِلْقِرَى أَرْغَى نَاقَتَهُ فَلَمْ يُتَلَقَّ بِالْإِسْتِنْزَالِ،
فَجَعَلَ يُذَمُّ، فَقِيلَ: لَوْ نَادَيْتَهُمْ لَيَعْلَمُوا بِكَ؟ فَقَالَ: «كَفَى بَرُغَائِهَا مُنَادِيًا». وَقَالَ
مَتَمُّ: [الطويل]

وَضَيْفٍ إِذَا أَرْغَى طُرُوقًا بَعِيرَهُ وَعَانَ نَوَى فِي الْقَدِّ حَتَّى تَكْتُعَا^(٤)

وَقَوْلُهُ: «بَاتِ الصَّدَى يَسْتَتِيهِهُ»، الصَّدَى: صَوْتُ يَرْجِعُ إِلَيْكَ مِنَ الْجَبَلِ أَوْ مِمَّا
يَجْرِي مَجْرَاهُ فِي رَدِّ الصَّوْتِ. يَرِيدُ: أَنَّهُ لَمَّا اسْتَنْبَحَ صَارَ الصَّوْتُ الرَّاجِعُ إِلَيْهِ يَحْمِلُهُ
عَلَى أَنْ يَتِيَهُ إِلَى كُلِّ صَوْتٍ يَدْرُكُهُ مَتَبِّيًا لِلصَّدَى مِنْ غَيْرِ الصَّدَى لَكِي يُؤَدِّيَهُ مَا يَبِينُ لَهُ

(١) التبريزي: «والمديح».

(٢) التبريزي: «قال عتبية بن بجير المازني، من بني الحارث بن كعب».

(٣) في اللسان (رغا): «أي إن رغاء بعيره يقوم مقام ندائه في التعرّض للضيافة والقِرَى».

(٤) لمتهم بن نورية في ديوانه ١٠٩، واللسان (كع) وشرح اختيارات المفضل ص ١١٧٣، وجمهرة
أشعار العرب ٧٥٠، والكامل ١٠٥٨.

إلى مطلوبه من حَيٍّ أو ما سبيلُه سبيلُهم. وجعله في الرَّحْلِ مائلاً لَغَلْبَةِ الثَّومِ عليه، أو لتَهَيُّئِهِ لإدراك الصوت. ويقال: جَنَّحَ يَجْنَحُ جُنُوحًا، إذا مال. ومعنى «يَسْتَيِّبُهُ» إلى كُلِّ صَوْتٍ جعل الفعل مضافًا إلى الصَّدَى لَغَلْبَتِهِ عليه، واعتقاده في كُلِّ صَوْتٍ أنه هو، فقد صار تائهاً إليه.

٢ - فَقُلْتُ لِأَهْلِي مَا بُغَامٌ مَطِيَّةٌ وَسَارِ أَضَافَتُهُ الْكَلَابُ النَّوَابِخُ
٣ - فَقَالُوا غَرِيبٌ طَارِقٌ طَرَّحَتْ بِهِ مُتُونُ الْقِيَافِي وَالْخُطُوبُ الطَّوَارِخُ

رجع إلى أهله في التعرف لِمَا غَشِيَهُ بُغَامٌ بعير الطارق، فقال سائلاً: ما بُغَامٌ مَطِيَّةٌ. و«ما» يُسْتَفْهَمُ بِهِ عَمَّا دُونَ النَّاظِقِينَ، وعن صفات الناطقين. فكأنه سأل عن صفات الساري وعمَّا أدركه من صوت المَطِيَّةِ. وجعل الكلاب مُضِيْفَةً للساري لاستنباحه وإلاجايتها إيَّاه.

وقوله: «غَرِيبٌ طَارِقٌ» هو بيان ما سأل عنه من صفة الساري، واكتفى بوصفه لأنَّ البُغَامَ وإن سُئِلَ عنه أيضًا فهو من توابع الساري. ومعنى «طَرَّحَتْ بِهِ» رَمَتْ بِهِ. ومُتُونُ الْقِيَافِي: جمع مَتْنٍ، وهو ما ارتفع وغلظ من الأرض. وكلُّ صلبٍ غليظٍ مَتْنٌ. ويقال: مَاتَتْ الرَّجُلُ، إذا فعلت من ذلك ما يفعله. ومَتْنٌ بِالْمَكَانِ: أَقَامَ بِهِ. وقوله: طَرَّحَتْ بِهِ الْمُتُونُ وَالْخُطُوبُ، فيه دلالةٌ قويةٌ على ضلاله وضُرِّهِ وإنفاضه. ويروى: «طَوَّحَتْ بِهِ» و: «الْخُطُوبُ الطَّوَارِخُ». وكان يجب أن يقول: والخطوبُ المطوَّحاتُ في الجمع بالألف والتاء، لأنَّ اسمَ الفاعل من طَوَّحَ مُطَوِّحٌ، ولكنه أخرج الطوائعَ على حذف الزيادة من الفعل. ومثله قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَّاحٍ﴾ [الحجر: الآية ٢٢]، لأنَّ أصله أن يجيء على مَلَايَحٍ أو مُلَفِّحاتٍ، لكونها مُلَفِّحَةً للأشجار والفعل منه أَلَفَّحَ، فأخرجَه على حذف الزوائد فصار لَفَّحَ ولَوَّاحٍ. وكذلك «الطوائع» قياسه أن يكون إذا عُذِلَ عن الجمع بالتاء: مَطَاوِخُ. وارتفع «غَرِيبٌ» على أنه خبر مبتدأ محذوف، كأنه قال: هو غَرِيبٌ طَارِقٌ. ومعنى طَوَّحَتْ بِهِ: حملته على ركوبِ المهالك. والطائِخُ: الهالك، والذاهِبُ الفاني. ويقال: تطاوَّخنا الأمرَ بيننا، كما يقال تطارَّخنا.

٤ - فَقُنْتُ وَلَمْ أَجِئْ مَكَانِي وَلَمْ تَقُمْ مَعَ النَّفْسِ عِلَاتِ الْبَخِيلِ الْفَوَاضِخُ
٥ - وَنَادَيْتُ شَيْبَلًا فَاسْتَجَابَ وَرُبَّمَا ضَمِيمًا قَرَى عَشْرٍ لِمَنْ لَا نَصَافِحُ^(١)

(١) التبريزي: «قَرَى عَشْرٍ» وقال: «قال أبو العلاء: أي ربما ضمنا قَرَى عَشْرَ أَمْوَالِنَا لِمَنْ لَا نَعْرِفُ، =

يقول: لَمَّا بَانَ لِي أَمْرُ الضَّيْفِ الطَّارِقِ قَمْتُ مِنْ مَكَانِي مُسْتَعِجِلًا غَيْرَ مُتَلَوِّمٍ، جَرِّصًا عَلَى إِصْلَاحِ أَمْرِهِ، وَتَوَطِيدِ مَحَلِّهِ. وَيُقَالُ: جِئْتُ مَكَانَهُ وَفِي مَكَانِهِ بِمَعْنَى. وَالْجُثُومُ، أَصْلُهُ إِصْطَاقُ الصَّدْرِ بِالْأَرْضِ وَلِزُومِهَا، وَيُسْتَعْمَلُ كَثِيرًا فِي الطَّيْرِ وَالسَّبَاعِ. وَالْجُثْمَانُ: الشَّخْصُ مِنْهُ اشْتَقَّ. وَمَعْنَى «لَمْ تَقُمْ مَعَ النَّفْسِ عِلَاتِ الْبَخِيلِ» يَرِيدُ أَنَّ نَفْسِي لَمَّا تَهَيَّأَتْ لِلْإِضَافَةِ وَتَشَمَّرَتْ لَمْ تَقُمْ مَعَهَا الْعِلَاتُ الَّتِي تَفْضَحُ أَرْبَابَهَا، وَالْمَعَاذِيرُ الَّتِي تَحْسُنُ التَّفْرِيطَ فِي اللُّوْازِمِ عِنْدَ مُسْتَعِدِّهَا. وَجَعَلَ الْعِلَاتِ تَفْضَحُ لِمَا يَتَعَقَّبُهَا مِنْ ذَمِيمِ الْقَالَةِ، وَتَضْيِيقِ الْمَعْذِرَةِ، وَتَجَاوُبِ النَّاسِ فِي الْإِنْكَارِ إِذَا كَانَتْ الْعِلَلُ كَاذِبَةً، وَوَجُوهُ التَّنْصُلِ مَسْوَدَّةً.

وقوله: «وَنَادَيْتُ شَبْلًا» يَعْنِي بِشَبْلِ ابْنِهِ، يَسْتَعِينُ بِهِ فِيمَا يَقَامُ مِنْ خِدْمَةِ الضَّيْفِ، فَذَكَرَ أَنَّهُ اسْتَجَابَ وَتَخَفَّفَ مَعَهُ. وَذَكَرَ اسْتِجَابَ هَلْهَذَا أَحْسَنُ مِنْ أَجَابَ، وَذَاكَ أَنَّ قَوْلَ الْقَائِلِ: دَعَوْتُ زَيْدًا فَأَجَابَنِي، كَقَوْلِهِ: أَمَرْتَهُ فَأَطَاعَنِي. وَقَوْلُهُ: دَعَوْتُهُ فَاسْتَجَابَ لِي، أَيْ تَقَبَّلَ مَا قُلْتُهُ وَطَاوَعَنِي فِيهِ. وَعَلَى هَذَا يَفْسُرُ أَصْحَابُ الْمَعَانِي قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي﴾ [البقرة: الآية ١٨٦]. وَكَذَلِكَ بَيْتُ كَعْبِ بْنِ سَعْدٍ: [الطويل]

وَدَاعٍ دَعَا يَا مَنْ يُجِيبُ إِلَى الثَّدْيِ فَلَمْ يَسْتَجِبْهُ عِنْدَ ذَاكَ مُجِيبٌ^(١)

أَي لَمْ يُدْعِنْ لِدَعَائِهِ أَحَدًا. وَيُقَالُ: اسْتَجِبْتُهُ وَاسْتَجِبْتُ لَهُ. وَقَوْلُهُ: «وَرَبِّمَا ضَمِنًا قَرَى عَشْرٍ» أَي التَّزَمْنَا قَرَى عَشْرٍ نَسْمَةً، وَلَا مَعْرِفَةً بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ سَابِقَةً، وَلَا مَا يَوْجِبُ عِنْدَ الْإِلْتِقَاءِ مَصَافَحَةً. وَالْقَصْدُ بِقَوْلِهِ: «ضَمِنًا» إِلَى تَوَطِينِهِمُ النَّفْسَ عَلَى تَوْسِيعِ الْقَرَى لِمَنْ لَا حُرْمَةَ لَهُ سِوَى حُرْمَةِ الضَّيَافَةِ. وَلَا يَمْتَنِعُ أَنْ يَرِيدَ بِقَوْلِهِ: «قَرَى عَشْرٍ» قَرَى عَشْرٍ لِيَالٍ، وَهُمْ إِنْ أَرَادُوهَا بِأَيَّامِهَا يَغْلِبُونَ التَّأْنِيثَ. قَالَ سَيَبَوِيهِ: «وَتَقُولُ: سَارَ خَمْسَ عَشْرَةٍ مِنْ بَيْنِ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، لِأَنَّكَ أَلْقَيْتَ عَلَى اللَّيَالِي، فَكَأَنَّكَ قُلْتَ خَمْسَ عَشْرَةِ لَيْلَةٍ. وَقَوْلُهُ: مِنْ بَيْنِ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، تَوْكِيدٌ بَعْدَ مَا وَقَعَ عَلَى اللَّيَالِي، لِأَنَّهُ قَدْ عَلِمَ أَنَّ الْأَيَّامَ دَاخِلَةٌ مَعَ اللَّيَالِي. وَعِنْدَهُمْ أَنَّ اللَّيْلَ قَبْلَ النَّهَارِ، فَلِهَذَا يُؤَزَّخُونَ بِهَا. وَتَقُولُ: أَعْطَاهُ خَمْسَةَ عَشَرَ مِنْ بَيْنِ عَبْدٍ وَجَارِيَةٍ، لَا غَيْرَ،

= وَقَدْ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ عَشْرُ جَمْعِ عَشِيرٍ، وَهُوَ الَّذِي يَعَاشِرُ مِنَ الْغُرَبَاءِ، أَوْ يَكُونُ مِنْ عَشِيرَتِهِ، وَمِنْ رَوَى: عُسْرُ بِالْسِينِ غَيْرُ مَعْجَمَةٍ فَالْمَعْنَى: إِنَّا نَقْرِي الضَّيْفَ وَإِنْ كُنَّا مَعْسِرِينَ.

(١) لَكَعْبِ بْنِ سَعْدِ الْغَنَوِيِّ فِي الْأَصْمَعِيَّاتِ ص ٩٦، وَاللَّسَانِ (جُوب)، وَجُمُوهُ أَشْعَارُ الْعَرَبِ ص

لاختلاطهما». قال سيبويه: «وقد يجوز في القياس خمسة عشر من بين يومٍ وليلةٍ، وليس على حدِّ كلام العرب».

وقوله: «لمن لا تُصافِح» يجوز أن يكون من المصافحة المعروفة، ويجوز أن يكون من صَفَحْتُ النَّاسَ، أي نظَرْتُ في أحوالهم.

٦ - فقام أبو ضيف كريم كانه وقد جد من فرط الفكاهة مازح

٧ - إلى جذم مالٍ قد نهكنا سوامه وأعراضنا فيه بواقٍ صحائح

يعني بأبي الضيف نفسه، وهذا كما يقال: هو أبو مثوأي، وهي أم مثوأي. وجعله كالمزاح المُفَاكِه لِمَا أظهره من التطلُّق والبشاشة، وإظهار السرور بما يأتي من توفير الضيافة والاحتفال فيه، وإيناس الضيف والبسط منه، مُحْتَفًا بالضيافة. وارتفع «مازح» على أنه خبر كأن. وموضع «وقد جد» موضع الحال، كانه قال: يُشَابِه المازح من فرط الفكاهة وهو جادٌ، لأنَّه قاضي ذمام، وباني مكارم. ويقال: فاكهته بملح الكلام، وهي الفكاهة والفكاهة.

وقوله: «إلى جذم مالٍ» تعلّق إلى بقام، ويريد بالقيام غير الذي هو ضدُّ القعود، وإنما يريد به الاشتغال له بما يؤنسه ويرحب منزله ويطيّب قلبه. على ذلك قوله تعالى: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ [المائدة: الآية ٦]، لأنَّه لم يرد القيام المضاد للقعود، بل أراد التهيؤ والتشمر له. والجذم: الأصل. ومعنى «نهكنا سوامه» أثّرنا في السائمة من المال بما عودناها من التَّحر والتفريق. ويقال: نهكه المرض، إذا أضرب به.

وقوله: «وأعراضنا فيه بواقٍ صحائح»، أي نفوسنا باقية على حدّها من الظلّف والصيانة، لم تشنّها الأفعال الذميمة، ولا كسرتها التكاليف المُبْحَلَّة، فهي سليمة لا آفة بها، ولا عار يكتنّفها، وإن كانت أموالنا مشفوهة مُفَرَّقة.

٨ - جعلناه ذون الذم حتى كانه إذا عد مال المكثرين المنائح

٩ - لنا حنذ أرباب الميثين ولا يرى إلى بيتنا مال مع الليل رائح

الضمير من قوله: «جعلناه»، للمال، أي وقينا به أنفسنا من لؤم اللاتم، ودَرَن العائب. وقوله: كانه المُنَائِح، يريد أن إبْلنا، وإن كانت ملْكنا لنا، فهي كالعواري عندنا، لِمَا يتسلط عليها بأفعالنا من الثقل والتغييرات. والمنائح: جمع المنيحة، وهي

الناقة تُدْفَع لِيُنتَفَعَ بلبنها ما دام بها لبَنٌ، فإذا انقطع لبُّها رُدَّتْ. و«إذا عُدَّ مالُ المكثِرِينَ»، أشار به إلى قِلَّةِ ماله. والمكثِرُ: صاحبُ الكثير من المال، أي مالنا في جَنبِ مال المكثِرِينَ كذلك.

وقوله: «جعلناه دُونَ الذَّمِّ»، يريدُ صَيَّرناه دُونَ الذَّمِّ، فعلى ذلك يحتمل أن يكون ظرفًا، ويجوز أن يكون مفعولًا ثانيًا، فيكون معنى دُونَ الذَّمِّ قاصرًا عن الذَّمِّ، فيبْعُدُ الذَّمُّ عَنَّا وَلَا يَلْحَقُنَا، لأنَّ مالنا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الذَّمِّ.

ومعنى «لنا حَمْدُ أربابِ المِثْنَيْنِ»، أي نكتسب بمالنا القليل حَمْدَ أربابِ المال الكثير، أي الحمد الذي يكسبه أولئك هذا ولا يُرَى مالٌ يَرُوحُ إلى بيتنا مع الليل لأنها على قلتها بركةٌ بالفناء، معدةٌ للنوائب والحقوق، ولم تبلغ ما يصير منها سارحةً ورائحةً، وباركةٌ بالفناء وسائمةٌ.

٦٧٦ - وقال مُرَّةُ بن مَحْكَانَ^(١):

- ١ - يا رَبَّةَ البَيْتِ قُومِي غَيْرَ صَاغِرَةٍ ضَمَمِي إِلَيْكَ رِحَالَ الْقَوْمِ وَالْقُرْبَا
٢ - فِي لَيْلَةٍ مِنْ جُمَادَى ذَاتِ الْأَنْدِيَةِ لَا يُبْصِرُ الْكَلْبُ مِنْ ظِلْمَائِهَا الطُّبَا
٣ - لَا يَنْبَحُ الْكَلْبُ فِيهَا غَيْرَ وَاحِدَةٍ حَتَّى يُلْفَ عَلَى خُرْطُومِهِ الذُّنْبَا^(٢)

خاطَبَ امرأته، وبعَثَهَا على القيام للاحتفاف بالنازلين من الأضياف. وقوله: «غير صاغرة»، يقال: صَغَرَ يَصْغُرُ صَغَارًا، إِذَا ذَلَّ وَهَانَ؛ وَصَغُرَ يَصْغُرُ صِغَرًا: ضَدَّ كَبُرَ. وَالْقُرْبُ: جَمْعُ قَرَابٍ، وَهُوَ جَرَابٌ وَاسِعٌ يُصَانُ فِيهِ السِّلَاحُ وَالثِّيَابُ.

وقوله: «في ليلة»، إن شئت جعلت الجارَ متعلقًا بضمي، وإن شئت جعلته متعلقًا بقومي. والأجود في الجمع بين الفعلين في باب الأمر أن يدخل الثاني حرف العطف، كقول الله عز وجل: ﴿قَرَأْ فَأَنْذِرْ ۖ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۖ﴾ [المدثر: الآيتان ٢، ٣]، واذن فاكْتُبْ، وما أشبه ذلك. وهذا قال: قومي غير صاغرة ضَمَمِي إِلَيْكَ، ولم يأت بالعاطف فيه، وهو جائز. وانتصب «غير» على الحال. وجعل الليلة من ليالي جُمَادَى لأنها من شهور البرد، والمراد في ليلة من ليالي جمادى ذاتِ أُنْدَاءٍ وأمطار. وكانوا

(١) التبريزي: «... التميمي» وهو أحد بني سعد بن زيد مناة بن تميم، شاعر مقلِّ إسلامي، من شعراء الدولة الإسلامية. ترجمته في المرزباني ٣٨٣، والشعر والشعراء ٦٦٧.

(٢) التبريزي: «على خيشومه».

يجعلون شهر البرد جُمَادَى وإن لم يكن جُمَادَى في الحقيقة، كأنَّ الأسماء وُضِعَتْ في الأصل مقسّمة على عوارض الزّمان، والحرّ والبرد، والرّيح والمطر، وتبدّل الفصول، ثم تغيّرت فصارت تُستعار.

وقوله: «ذاتِ أنديّة»، تكلمَ الناسُ فيه، لأنَّ جمع النّدى أنداء. قال الشاعر:

[الطويل]

إِذَا سَقَطَ الْأَنْدَاءُ صَبِيثٌ وَأَشْعِرَتْ حَبِيرًا وَلَمْ تُذَرِّجْ عَلَيْهَا الْمَعَاوِزُ^(١)

فكان أبو العباس المبرّد يقول: هو جَمْع نَدَى المجلس. وكان أمثالُ الناسِ وأغنياؤهم إذا اشتدَّ الزّمانُ وجدَّ القحطُ والجذب يجلسون مجالسَ يدبّرون أمرَ الضّعفاء، ويفرّقون فيها ما حصل عندهم من فضل الزّاد، وينصبّون الميسرَ، وينحرون الجُرّ مُتبارِين فيها ومُتباھين. فيريد: في ليلةٍ تُوجِبُ ذلك وتقضي به. وقال غيره: هو جمع ندى، كأنه جمع فعلاً على فعال، ثم جمع فعلاً على أَفْعَلَةٍ، كأنه ندى ونداء، ثم جمع النداء على الأنديّة، ككساء وأكسية، ورواق وأزوقة. وقيل أيضاً: هو شادُّ استعير ما للممدود للمقصور. وهم يفعلون ذلك في المباني كما يفعلون في الألفاظ. قالوا: ومثله قفاً وأقفيّة، ورّحى وأزجّية. وهذا مما حكاه الكوفيّون. وقال بعضهم: هو أَفْعَلَةٌ بضم العين، كأنه جمع فعلاً على أَفْعَلٍ، كما قيل زَمَنْ وَأَزْمَنْ، فجاء ندى وأندي، ثم ألحق الهاء لتأنيث الجمع، كما تقول بعولة وحجارة، فصار أنديّة، ويكون في هذا الوجه شاداً أيضاً.

وقوله: «لا يُبَصِّرُ الكلبُ من ظلماتها الطُّبّا»، فيه مبالغة في وصف الظلمة وتراكبها. والطُّبُّ: حبل البيت. والكلب قويُّ البصر، فإذا بلغ أمره إلى ما وصفه فذاك لتكامل الظلام وامتداده. لذلك قال الآخر: [الطويل]

أَنَاسٌ إِذَا مَا أَنْكَرَ الْكَلْبُ أَهْلَهُ حَمَوْا جَارَهُمْ مِنْ كُلِّ شَنْعَاءٍ مُغْضِلٍ^(٢)

وقد قيل في هذا البيت وجه آخر. وموضع الجملة على الصّفة لليلة، فهو جرّ، وساغ ذلك فيها لاحتمالها ضميرها، وكذلك قوله: «لا يَنْبَحُ الكلبُ فيها غير واحدة»، وانتصب «غير» على أنه مصدر، وأراد غير تَبَحّةٍ واحدة، ولما لم يجيء إلا مُضَافاً ولم

(١) للشماخ في ديوانه ١٩٣، واللسان (حبر)، وأساس البلاغة (عوز)، وبلا نسبة في جمهرة اللغة

(٢) البيت في الحيوان ٧٠: ٢، وأمالى القالي ٥٥: ١، وقد نُسب لطفي الغنوي.

يكن له معنى إلا مخالفة ما يضاف إليه جاز أن يجيء فاعلاً، ومفعولاً، وحالاً، وظرفاً، ووصفاً، واستثناءً، ومصدرًا.

وقوله: «حتَّى يَلْفٌ» انتصب الفعل بإضمار أن. وحتى بمعنى إلى، كأنه قال: إلى أن يلف الذنب على خرطوم، أي لا ينبج إلى أن يلف الذنب على خرطوم، أي لا ينبج إلى أن يلف الذنب إلا نبحة. ولو رفعت الفعل فقلت: «حتى يَلْفٌ» لجاز ذلك، ويُراد به الحال، والمعنى أن يكون الفعل الثاني متصلاً بالأول، أي لا ينبج إلا نبحة فهو يلف الذنب. وعلى هذا قولك: سيزت حتى أدخلها، فقرن السير بالدخول، ومعناه أنه خرج من السير إلى الدخول، إلا أنه يُخبر أنه في حال دخول، فمعناه كمعنى الفاء إذا قلت: سيزت فأنا أدخلها، أي هذا متصل بهذا.

٤ - ماذا تَرَيْنَ أَذْنِبُهُمْ لِأَرْحُلِنَا في جانبِ البيتِ أم تَنبِي لَهْم قُبَا

٥ - لِمُرْمِلِ الزَّادِ مَغْنِي بِحَاجَتِهِ مَنْ كَانَ يَكْرَهُ دُمًا أَوْ يَقِي حَسَبًا

أقبل يشاورها ويستقي الرأي من عندها، ويبعثها على تعرف الحال منهم فيما يوافقهم ولا يخرج من مرادهم ورضاهم.

وقد تقدم القول في لفظة «ماذا» مشروحًا.

وتَرَيْنَ: أصله تَرَأَيْنَ، لأنه تَفَعَّلِينَ، فحذِفَ الهمزة استخفافًا بعد أن أُلْقِيَ حركتها على الراء، فصار تَرَيْنَ ثم قُلِّيت الياء الأولى ألفًا لتحركها وانفتاح ما قبلها فاجتمع ساكنان، وحذفت الألف منهما فصار تَرَيْنَ.

والمعنى: أخبريني بعد رجوعك إليهم ماذا نأتيه في شأنهم، وما الذي يَرَوْنَهُ في إقامتهم وظغنهم، فإن أرادوا إطالة اللبث بنينا لهم قبابًا يتفردون فيها، فذاك أنس لهم، وأبقى لجسميهم؛ وإن أرادوا تخفيف اللبث خلطناهم بأنفسنا، وأدنيانهم من رحالنا في جوانب بيوتنا، لأن الصبر مع خفة التلوم منهم على ما يعترض من أحوالهم ممكن.

وقوله: «لِمُرْمِلِ الزَّادِ» تعلق اللام بقوله: ماذا ترين، كأنه أعاد الذكر فقال: وذا السؤال والاستشارة من أجلهم، ولمكانهم. والمُرْمِل: الذي قد انقطع زاده. ويجوز أن يكون «لِمُرْمِلِ الزَّادِ» بدلًا من المضمَرين في «نبني لهم»، وقد أعاد حرف الجزر معه.

وقوله: «مَنْ كَانَ يَكْرَهُ» موضعه رَفَعَ بِمَعْنِيٍّ، كَأَنَّهُ قَالَ: ذَاكَ مَنِّي لِمُنْقَطَعِ بِهِ،
يعني بحاجته، مَنْ كَانَ كَارِهًا لَذَمِ النَّاسِ، أَوْ صَائِنًا لَشَرْفِهِ. كَأَنَّهُ بَيَّنَّ الْعِلَّةَ فِي الْعَنَايَةِ
بِهِ.

- ٦ - وَقَمْتُ مُسْتَبْطِنًا سَيْفِي وَأَعْرَضَ لِي مِثْلُ الْمُجَادِلِ كَوْمَ بَرَكْتَ عَصَبًا^(١)
٧ - فَصَادَفَ السَّيْفُ مِنْهَا سَاقَ مُثْلِيَّةٍ جَلَسَ فَنَصَادَفَ مِنْهُ سَاقَهَا عَطْبًا
٨ - زَيْافَةُ بِنْتِ زَيْافٍ مُذَكَّرَةٌ لَمَّا نَعَوْهَا لِرَاعِي سَرَجِنَا انْتَحَبَا

انتصب «مستبطنًا» على الحال من قمتُ، والمعنى: شَعَلْتُ زَيْةً بَيْتِي بِمَا رَتَبْتُ
مِنْ أَمْرِهِمْ، وَقَمْتُ أَنَا حَامِلًا سَيْفِي وَمَتَقَلِّدًا لَهُ. وَيُقَالُ: اسْتَبْطَنْتُ فَلَانًا دُونَكَ، أَيِ
خَاصَصْتُهُ؛ وَتَبَطَّنْتُ كَذَا: دَخَلْتُ فِيهِ حَتَّى عَرَفْتُ بَاطِنَهُ.

وقوله: «وَأَعْرَضَ لِي» أَيِ أَبْدَى عُزْضَهَا لِي نَوْقَ كَأَنَّهَُا قَصُورٌ، كَمَا لَ جَسْمٍ
وَبُلُوغَ سِمَنْ. وَالْكَوْمُ: جَمْعُ أَكْوَمٍ وَكُومَاءٍ، وَهِيَ الْعِظَامُ الْأَسْنِمَةُ.

وقوله: «بَرَكْتَ» إِنَّمَا ضَعَّفَ عَيْنَ الْفِعْلِ عَلَى التَّكْثِيرِ أَوْ التَّكْرِيرِ. وَجَعَلَ إِبْلَهُ فِرْقًا
بَارَكَةً لَشِدَّةِ الْبَرْدِ، كَمَا قَالَ أَبُو ذُؤَيْبٍ الْهُذَلِيُّ: [البسيط]

وَاعْصَوْصَبَتْ بَكَرًا مِنْ حَرْجَفٍ وَلَهَا وَسَطَ الدِّيَارِ زِدِيَّاتُ مَرَايِجُ^(٢)

وَانْتَصَبَ «عَصَبًا» عَلَى الْحَالِ، وَهُوَ جَمْعُ عُصْبَةٍ.

وقوله: «فَصَادَفَ السَّيْفُ مِنْهَا سَاقَ مُثْلِيَّةٍ» أَرَادَ: عَزَقَبَ نَاقَةً مِنْهَا. وَالْمُثْلِيَّةُ هِيَ
الَّتِي لَهَا وَلَدٌ يَتْلُوهَا، وَقِيلَ: هِيَ الْحَامِلُ. وَالْجَلَسُ: الصُّلْبَةُ الْمَشْرِفَةُ وَقِيلَ: هِيَ
الْوَاسِعَةُ الْأَخْذِ مِنَ الْأَرْضِ. وَمَعْنَى: «صَادَفَ مِنْهُ»، أَيِ مِنَ السَّيْفِ. وَالْمَعْنَى أَنَّ
السَّيْفَ وَالسَّاقَ تَصَادَمَا، فَأَبَانَ السَّيْفُ السَّاقَ مِنْهَا.

وَالزَّيَافَةُ، هِيَ الَّتِي تَزِيْفُ فِي مِشْيَتِهَا وَتَتَبَخَّرُ. جَعَلَهَا بِنْتُ زَيْافٍ اسْتِكْرَامًا لِعِرْقِهَا
وَجَوْهَرِهَا. وَالْمُذَكَّرَةُ: الَّتِي تُشَبِّهُ الذَّكَورَةَ فِي خِلْقَتِهَا.

وقوله: «لَمَّا نَعَوْهَا»، الْفَاعِلُونَ هُمُ النَّاسُ وَلَمْ يَجْرِ لَهُمْ ذِكْرٌ، لَكِنْ الْمُرَادُ مَفْهُومٌ
فَاضْمِرُهُ. أَيِ لَمَّا ذَكَرَ النَّاسُ مَا جَرَى عَلَيْهَا لِرَاعِي سَرَجِنَا، أَيِ رَاعِي مَا لَنَا السَّارِحَةِ

(١) التبريزي: «فأعرض لي».

(٢) لأبي ذؤيب الهذلي في شرح أشعار الهذليين ١٢٣، وبلا نسبة في مقاييس اللغة ٤: ٣٣٩.

بكي بُكاءً فيه نحيبٌ وصوت، ضئلاً بمثلها، وتحزناً لما فات منها، ولأنَّ لَبَنَها كان يبقى على مُحارَدة الإبل، وشدة اللَّزْبة.

والعَطَبُ: الهلاك، ويقال: عَطِبَ البعيرُ، إذا انكسر.

٩ - اَمْطَيْتُ جازِرنا اَعلى سَنايِنا

١٠ - يُنْشِشُ اللّحمَ عنها وفي بَاركَة كما تُنْشِشُ كَفّا قاتِلِ سَلْبا

يقال: امتطيتُ البعيرَ، إذا ركبتَ مَطاءً، وهو الظَّهر، وأمطيتُه غيري. وإنما يَصِفُ إشرافَ الناقة التي وَصَفها، فيقول: ركبَها جازِرنا لَمّا نَحَرها، إذ كان أعلى سنامِها لم تصل إليه يَدُه فصار منها لَمّا علاها بمكان القَتَبِ حتى كأنَّها مَقْتَبَة. والسَّنايُنُ: أعالي السَّنام والخارجُ مِن قَغارِ الظَّهر، واحداً سَنايَة. ومعنى يُنْشِشُ يكشفُ ويفرِّق. وقيل: التَّنْشِشُ معاسرةُ الشَّيء حتى تأخُذَه كما تريد. يقول: رَكِبَ مَطاها لَمّا لم يبلغ سنامَها لِعَظَمها ولم يمكنه أن يَكْشِطَ الجِلْدَ عنها، فأقْبَلَ يَقطَعُ اللّحمَ عنها ويتزَعُه منها، فَعَلَ القاتِلُ السَّالبُ لِثيابَ المقتول وسلاحه. وهذا تشبیه حسنٌ جاء على حَقِّه. ورواه بعضهم: «كما تُنْشِشُ كَفّا قاتِلِ سَلْبا»، وقال: شَبَّهَ تَنْشِشَته بِتَنْشِشَةِ قاتِلِ الجبلِ مِنَ السَّلْبِ، وهو نباتٌ يخرُجُ على صورة السَّمْعِ وعلى قَدَره، فيَجْزُ وَيَقْتَلُ منه الجبل. وبائعها ومُتَّخِذها السَّلاب.

هكذا حكاها أبو حنيفة الدَّيْنُورِيُّ. والرَّواية الأولى أجودُ وأكثرُ مِشابَه.

١١ - وَقُلْتُ لَمّا عَدَوْا أَوْصِي قَعِيدَتَنَا

١٢ - أَدْعَى أَبائَهُمْ وَلَمْ أَقْرِفْ بِأَمِّهِمْ

١٣ - أنا ابنُ مَحْكَانَ أَخْوَالي بَنُو مَطَرٍ

قوله: «لَمّا عَدَوْا» أي هُمُوا بالارتحال عَدَوْا، لأنَّ «لَمّا» عَلَمٌ لِلظَّرْفِ. و«أَوْصِي» في موضع التَّنْصِبِ على الحال، وتقديره: موصياً قَعِيدَتَنَا. ومفعول قُلْتُ قوله: «عَدَيْ بَنِيكَ». والمعنى بِالْغِي في تفقد أَضيافِكَ في هذه الغداة، فإنَّ لِقائَهُم سَيَأْخُرُ زَمَاناً مَمْتَدّاً. وَالْحَقَبُ: السُّنُون، واحداً حَقْبَة. والمعنى عَدَيْ الإحسانَ إِلَيْهِمْ نُهْزَة تَفْتَرِصِينها، وزادَ مِنَ الإحسانِ تَذْخِرِينها، فَإِنَّه لا يَدْرِي متى تَظْفَرِين بِأَمْثالِهِمْ، وهل يَكُونُ فيما بَقِيَ مِنَ الزَّمانِ لَهُم عودَة إِلينا.

ولنما قال: «أدعى أباهم»، لأنه يقال للمُضيف: أبو المَثْوَى، وللمُضيف: أُم المَثْوَى.

«ولم أُعرف بأئهم» أي لم أُنهم. والقِرْفَة؛ التُّهمة. ومعنى «عَمِزْتُ»: بقيت حَيًّا. وقصدُ الشاعر أن يَنْبَه على أنه لا عواطفَ بينهم، ولا أواصرَ تَجْمَعُهُمْ، وقد التَزَم ما التَزَمَ لهم تَكْرُمًا واصطناعًا. ثم نَبَّه على طَرَفِهِ فقال: أخوالي بنو مطر أنتجي إليهم وهم مُنْجِبُونَ، وأعمامي بالفضل والإفضال معروفون، و«تَجَلُّ الجَوَادِ جَزِيَّةً يَتَقَلِّلُ»^(١).

٦٧٧ - آخر: [الطويل]

- ١ - وَمُسْتَنْبِحٌ قَالَ الصَّدَى مِثْلَ قَوْلِهِ حَضَاتٌ لَهُ نَارًا لَهَا حَطَبٌ جَزَلُ
- ٢ - فَقَمْتُ إِلَيْهِ مُسْرِعًا فَعَنِمْتُهُ مَخَافَةً قَوْمِي أَنْ يَفُوزُوا بِهِ قَبْلُ
- ٣ - فَأَوْسَعَنِي حَمْدًا وَأَوْسَعْتُهُ قِرَى وَأَرْخَضَ بِحَمْدٍ كَانَ كَاسِبَهُ الْأَكْلُ

قوله: «ومستنبح» يريد به رجلًا ناكده الزَّمانُ في سفره، أو لم تساعده الحال فيه على مُؤَنِّهِ، فاستنبح كلابَ الأحياء ليهتدي إليهم، فأقبلَ الصَّدَى يُحَاكِيه، ويؤدِّي إليه مِثْلَ صَوْتِهِ. ومعنى «حَضَاتٌ لَهُ نَارًا» فتحتُ عَيْنَهَا لترتفع وتلتهب وقد أوقدتُ بغلاظِ الحَطَبِ وكبارها، فقمتُ إلى الضَّيفِ متعجِّلًا، واستغنمتُ خدمته مُسَارِعًا لئلا أَبَادَرَ إِلَيْهِ فَيَغْتَنِمَهُ غَيْرِي، ويفوزَ به سابقًا لي. وقوله: «حَضَاتٌ لَهُ نَارًا» جواب رب.

وانتصب «مسرعًا» على الحال، و«مخافةً قومي» مفعول له، أي فعلتُ ما فعلتُ لهذه العلةِ فأكثرَ الضَّيفُ من إطرائي وتركيتي، وشكَّري وتقريظي، وأكثرُ القِرَى له محتفلاً ومتكثِّراً، ومتودِّداً ومتكرِّماً، وما أرخصَ حَمْدًا جالِيَهُ أَكْلُ، وكاسبُهُ إطعام. وقوله: «كان كاسبُهُ أكل» جعل النكرة اسمَ كان، والمعرفةً خبرًا. والإبهامُ الحاصل من التَّنْكِيرِ في هذا الموضع أبلغُ في المعنى المستفاد. ومثله قول النابغة: [الوافر]

كَأَنَّ مُدَامَةً مِنْ بَيْنِ رَأْسٍ يَكُونُ مَزَاجُهَا عَسَلٌ وَمَاءٌ^(٢)

وإن شئت رويت: «وأرخضَ بِحَمْدٍ كَانَ كَاسِبُهُ الْأَكْلُ»؛ وأمره ظاهر.

(١) تقيل فلان أباه: إذا نزع إليه في الشبه.

(٢) لحسان بن ثابت في ديوانه ٧١، وخزانة الأدب ٩: ٢٢٤، والدرر ٢: ٧٣، وشرح أبيات سيبويه

٦٧٨ - آخر : [البسيط]

١ - تَرَكْتُ ضَأْنِي تَوَدُّ الذَّنْبُ رَاعِيَهَا وَأَنْهَا لَا تَرَانِي آخِرَ الْأَبْدِ

٢ - الذَّنْبُ يَطْرُقُهَا فِي الدَّهْرِ وَاحِدَةً وَكُلَّ يَوْمٍ تَرَانِي مُدْبِئَةً بِبَيْدِي

قوله: «تَوَدُّ الذَّنْبُ رَاعِيَهَا»، لك أن تقول: عَدَي تَوَدُّ إِلَى مَفْعُولِينَ، وَيَسُوغُ ذَلِكَ فِيهِ أَنَّهُ عَطَفَ عَلَى مَفْعُولِهِ الْأَوَّلِ قَوْلَهُ: «وَأَنْهَا لَا تَرَانِي آخِرَ الْأَبْدِ»، وَيَكُونُ التَّقْدِيرُ لَكَشْفِهِ: وَتَوَدُّ أَنَّهَا لَا تَرَانِي أَبَدًا. وَيَشْهَدُ لِهَذَا قَوْلُ الْآخَرِ: [الطويل]

وَدِدْتُ وَمَا تُغْنِيهِ الْوَدَادَةُ أَتْسِي بِمَا فِي ضَمِيرِ الْحَاجِبِيَّةِ عَالِمٌ^(١)

أَلَا تَرَى أَنَّ وَقُوعَ «أَنَّ» بَعْدَهُ يَقْرَبُ الْأَمْرَ فِي تَعْدِيهِ إِلَى مَفْعُولِينَ، وَأَنَّ يُجْرَى مَجْرَى أفعال الشَّكِّ واليَقِينِ، كَمَا تَقُولُ ظَنَنْتُ أَنَّ زَيْدًا مُنْطَلِقًا، وَأَصْحَابُنَا النَحْوِيُّونَ بِمِثْلِ هَذَا الاسْتِدْلَالِ حَكَمُوا عَلَى زَعَمْتِ بِأَنَّهُ يَتَعَدَّى إِلَى مَفْعُولِينَ. وَلَا يَمْتَنِعُ أَنْ يَكُونَ «رَاعِيَهَا» فِي مَوْضِعِ الْحَالِ، وَالْمُرَادُ رَاعِيًا لَهَا، وَيَتَعَدَّى تَوَدُّ حِينَئِذٍ إِلَى مَفْعُولٍ وَاحِدٍ. وَالْمَعْنَى أَنَّ ضَأْنِي تَتَمَتَّى أَنْ يَكُونَ مَدْبَرُهَا فِي الرُّغِيَّةِ أَعْدَى عَدُوٍّ لَهَا، وَتَخْرُجُ مِنْ مِلْكِيَّتِي وَمِلْكِي، حَتَّى لَا أَرَاهَا آخِرَ الدَّهْرِ، وَذَلِكَ أَنَّ عَدُوَّهَا يَنْفَعُ مَعَهُ الْحَذَرُ، بَلْ لَا يَكَادُ يَتِمَكَّنُ مِنَ الْإِضْرَارِ بِهَا طُولَ الدَّهْرِ إِلَّا مَرَّةً وَاحِدَةً، وَذَلِكَ لِعَارِضِ إِهْمَالٍ أَوْ اتِّفَاقِ سَيِّئٍ وَإِغْفَالٍ، أَوْ لَمَّا هُوَ عَادَةُ الزَّمَانِ فِي انْتِهَاءِ الْأَمَادِ مِنَ الْإِرْصَادِ، وَهِيَ لَا تَحْتَرِزُ مَتَى إِذَا أَرَدْتُهَا وَإِنْ اجْتَهَدْتُ، وَلَا تَطِيقُ دَفْعَهَا لِي وَإِنْ احْتَفَلْتُ.

وقوله: «الذَّنْبُ يَطْرُقُهَا» هُوَ بَيَانُ سَبَبِ تَمَتِّيْهَا وَكَشْفِ الْعِلَّةِ فِي تَفَادِيْهَا مِنْ أَنْ تَكُونَ فِي ضِمْنِ سِيَاسَتِهِ لَهَا. وَانْتَصَبَ وَاحِدَةً عَلَى الظَّرْفِ، مَرَّةً وَاحِدَةً، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ صِفَةً لِمَصْدَرٍ مَحْذُوفٍ، كَأَنَّهُ أَرَادَ طَرْقَةً وَاحِدَةً. وَقَوْلُهُ: «وَكُلَّ يَوْمٍ» هُوَ ظَرْفٌ لِقَوْلِهِ: «تَرَانِي مُدْبِئَةً بِبَيْدِي»، وَمَوْضِعُ مُدْبِئَةٍ بِيَدِي نَصَبٌ عَلَى الْحَالِ، أَيِ تَرَانِي حَامِلًا مُدْبِئَةً لَهَا، وَمَتَمِّتًا بِأَلَّةٍ ذَبَحَهَا. وَإِنْ شِئْتَ رَوَيْتَ «مُدْبِئَةً»، وَيَكُونُ بَدَلًا مِنَ الْمَضْمَرِ فِي تَرَانِي، وَهَذَا الْبَدَلُ هُوَ بَدَلُ الْاِسْتِمَالِ، أَيِ تَرَى مُدْبِئَةً. فَأَمَّا وَجْهُ الرِّفْعِ، فَالضَّمِيرُ الَّذِي بِيَدِي اسْتَغْنَى عَنِ الْوَاوِ الْمَعْلُوقَةِ لِلْجُمْلِ بِمَا بَعْدَهَا وَهِيَ صِفَاتٌ أَوْ أَحْوَالٌ، لِأَنَّ الضَّمِيرَ يُعَلِّقُ كَمَا يُعَلِّقُ الْعَاطِفُ، وَفِي الْوَجْهِ الثَّانِي وَهُوَ الْبَدَلُ مِثْلُهُ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿يَسْتَوُونَكَ عَنِ الْأَشْهُرِ الْحَرَامِ فَقَاتِلْ فِيهِ﴾ [البَقَرَةُ: الْآيَةُ ٢١٧].

(١) لِكَثَرِ غَرَّةٍ فِي دِيَوَانِهِ ١٩٩، وَخَزَانَةِ الْأَدَبِ ٣٨٣: ٨، وَبَلَا نِسْبَةٍ فِي شَرْحِ الْحِمَاسَةِ لِلتَّبْرِيزِيِّ ص ٩٣٢.

٦٧٩ - آخر: [الطويل]

- ١ - ما أنا بالسَّاعِي إلى أمِّ عاصِمٍ لأضربَها إنِّي إذا لجَّهولُ
٢ - لك البيتُ إلا فَيِنَّةٌ تُحسِنُنيها إذا حَانَ من ضَيْفٍ عليّ نُزولُ

قوله: «لأضربها» اللام منها لام كي. فإن قيل: كيف يكون كذلك وفي صدر الكلام ما النافية، ولم لا يكون لام الجحود؟ قلت: لام الجحود تقع بعدما كان وما تصرف منه، كقول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ اللَّهُ يُعَذِّبُهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ [الأنفال: الآية ٣٣]. وكقولك: ما كنت لأشتمك، لأنه جواب قول قائل: كنت ستشتمني، فأجيب: ما كنت لأشتمك، ولهذا لم يظهر معه أن الناصبة للفعل وإن جاز ظهوره مع لام كي. و«إذا» وقع لغوا لافتقار ما قبلها إلى ما وَقَعَ بَعْدَهَا. والجهول: الكثير الجهل وبنائوه للمبالغة. وهذا الكلام خارج على سبب، كأنه رأى إنسانا يضرب امرأته ويحول بينها وبين تدبيرها دَارَهَا، فنفى عن نفسه مثل ذلك بعد أن اعتقد فيه أنه يقتدي به حتى كأنه أجاب من قال له: أكنت لتضرب أم عاصم؟ فقال: ما أنا بالسَّاعِي لذلك. ويَبَيَّنُ أَنَّ ذلك يفعله المتناهي في الجهل والعباوة.

وقوله: «لك البيت إلا فَيِنَّةٌ» حكى أبو زيد أن قولهم فَيِنَّةٌ مما يعتقب عليه تعريفاً: أحدهما بالوضع، والآخر بالآلف واللام. ومثله شَعُوبٌ والشُّعُوبُ، والمراد به المنيّة، كما أن المراد بالفَيِنَّة الوقت. كأنه أقبل على امرأته فقال: إليك تدبير البيت ولك الأمر فيه نافذاً إلا وقتاً تُحسِنين فيه، وهو وقت حين نزول الضيف فيه عليّ، لأنه من أجله يجب أن تُحسني إليه فيه، وتدبري له لا عليه، لأن البيت كأنه له ونحن من حَوْلِهِ. وقوله: «تحسينها» قدر الظرف تقدير المفعول الصحيح، كما قال: [الطويل]

ويوم شَهدناه^(١)

وما أشبهه. وروى بعضهم: «إلا فينة تُحسِنُنيها» أي تظنّين فيها أنه لغيرك لا لك، ويكون على هذا قد حُذِفَ مفعولاً يَحْسِبُ وشُغِلَ بضمير الفَيِنَّة. والمعنى في ذلك: تجعلين النُّظَرَ له والتجمل، والاحتفال بسببه. وانتصب «إلا فينة» على الاستثناء

(١) لرجل من بني عامر في الدرر ٩٦:٣، وبلا نسبة في خزانة الأدب ١٨١:٧، واللسان (جزى)، وتماه:

«ويوم شَهدناه سُلَيْمًا وعامراً قليل سوى الطعنِ النهالِ نوافلُهُ»

من واجب، كأنه قال: لك البيت كل وقت وساعة إلا ساعة كذا. وهذا الاستثناء من معنى لك البيت، ومما انطوى عليه فحوى الكلام. وقوله: «إذا حان من ضيف عليّ نُزول» موضعه نصب على أنه بدل من فيئة. وإنما قال إذا حان لأن الاستعداد والاحتشاد يتقدّمان النزول.

٦٨٠ - وقال بعض بني أسد: [الطويل]

١ - وسوداء لا تُكسى الرقاع نبيلة لها عند قرأت العشيّات أزمل
٢ - إذا ما قرئناها قراها تضمّنت قري من عرانا أو تزيد فتفضل
أراد بالسوداء قدرا، و«لا تُكسى الرقاع» في موضع الصفة لها.

وفي طريقته قول الآخر: [الوافر]

إذا النيران أليست القناعات^(١)

وجعلها مكسوة قناعا لأن الرقعة والرقعتين لا تكفي في سترها لعظمها. وإنما تُستر القدور لشدة الزمان، بل تُعطل وتُرقض لضيق الأحوال، وقصور الأيدي عن المراد، مع اتشاع الغاشية وتورّد الطلّاب.

ويشبه ما ذكره من جمع الرقاع لعظم القدر قول الأعشى، وقد وصف امرأة بعظم العجيزة: [المقارب]

تشدّ اللفّاق عليها إزارا^(٢)

أي تُلَفَّق بين ثوبين حتى يتسع إزارا لها. ويجوز أن يريد أنها كبيرة لا يمكن سترها بالرقاع، أو لا تستر، كما قال: [السريع]

ولا ترى الضبّ بها ينججر^(٣)

(١) هذا عجز بيت لأبي زيد الكلابي كما سيأتي في الحماسية رقم (٦٩١)، وصدّره:

«له نازّ تُشَبُّ على يفاع»

(٢) للأعشى في ديوانه ٩٩، وبلا نسبة في اللسان (لفق)، وتاج العروس (لفق)، وصدّره:

«ويا ربّ ناعية منهم»

(٣) هذا عجز بيت لابن أحمر في ديوانه ٦٧، وأمالى المرتضى ٢٢٩: ١، وخزانة الأدب ١٠: ١٩٢، وصدّره:

«لا تُفزع الأرنب أهوالها»

والمعنى لا ضَبَّ هناك فينجحر.

وقوله: «نبيلة» أي عظيمة الشأن، وَخَصَّ قِرَاتِ الْعَشِيَّاتِ لَأَنَّهَا وَقْتُ الْأَضْيَافِ. والمراد: لها عند العشيَّاتِ الْقِرَّةُ أَزْمَلٌ، وهو الصُّوت، والمراد غليانها. والقَرُّ والقَرُّ والقِرَّةُ: البرد.

وقوله: «إِذَا مَا قَرَيْنَاهَا قِرَاهَا»، يريد إذا ملأناها فِدْرًا وأوصالًا تَضَمَّنَتْ لَنَا الْكَفَايَةَ لِمَنْ نَابَتَا مِنْ حَقٍّ، وَأَتَانَا مِنْ ضَيْفٍ، أَوْ تَزِيدَ عَنِ الْمَطْلُوبِ فَتُفْضِلُ عَلَى غَيْرِهِمْ مِمَّنْ لَا يَعْدُ فِي الْوَقْتِ وَلَا يُذَكَّرُ. ويروى: «فَتُفْضِلُ» بفتح التاء، وهو ظاهر المعنى، والأوَّلُ أَحْسَنُ. وجعل المطبوعُ فِي الْقَدْرِ قِرَى لِيُطَابِقَ قَوْلُهُ: تَضَمَّنْتُ قِرَى مَنْ عَرَانَا. وعادتهم فِي طِبَاقِ الْأَلْفَاظِ وَوِفَاقِهَا فِي النُّظَامِ معروفة.

٦٨١ - وقال آخر^(١): [الطويل]

- ١ - سَلِي الطَّارِقِ الْمُعْتَرِّ يَا أُمَ مَالِكٍ إِذَا مَا أَتَانِي بَيْنَ قَدْرِي وَمَجْزَرِي
- ٢ - أَيْسِفِرُ وَجْهِي أَنَّهُ أَوَّلُ الْقِرَى وَأَبْذُلُ مَعْرُوفِي لَهُ دُونَ مُنْكَرِي

الطَّارِقُ: الْآتِي لَيْلًا. وَسَلِي أَصْلُهُ اسْأَلِي فَحَذَفَتِ الْهَمْزَةُ وَأُلْقِيَ حَرَكَتُهَا عَلَى السَّيْنِ ثُمَّ اسْتَغْنِيَ عَنِ الْهَمْزَةِ الْمَجْتَلِبَةِ، لِتَحْرُكَ السَّيْنِ بِالْفَتْحَةِ، فَحَذَفَتْ. وَالْمُعْتَرُّ: الْمُتَعَرِّضُ وَلَا يَسَالُ. يُقَالُ: عَرَّهْ وَاعْتَرَّهْ بِمَعْنَى. وَفُسِّرَ فِي التَّنْزِيلِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَكُلُّوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَلْفَاقَهُ وَالْمُعْتَرَّ﴾ [الْحَجَّ: آيَةُ ٣٦] عَلَى ذَلِكَ، لِأَنَّ الْقَانَعَ قَبِيلُ هُوَ السَّائِلُ، وَالْمُعْتَرُّ الَّذِي يَتَعَرَّضُ وَلَا يَتَكَلَّمُ. وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ: عَرَاهُ وَاعْتَرَاهُ وَعَرَّهْ وَاعْتَرَّهْ، إِذَا أَتَاهُ ظَالِمًا لِمَعْرُوفِهِ. وَقَوْلُهُ: «إِذَا مَا أَتَانِي بَيْنَ قَدْرِي وَمَجْزَرِي» يَرِيدُ إِذَا أَتَانِي فِي مَوْضِعِ الضِّيَافَةِ وَدَارِهَا بَيْنَ مَسْقِطِ الْجُزْرِ وَمُنْصِبِ الْقُدُورِ. وَالْمَعْنَى: سَلِي أَضْيَافِي عَنِ اخْتِلَاقِي مَعَهُمْ، وَكَيْفِيَّةِ إِكْرَامِي لَهُمْ فِي مَثْوَاهُمْ، وَهَلْ أُنْدَرِجُ فِي مَدَارِجِ الْخِدْمَةِ وَأَتَوَصَّلُ بِأَنْوَاعِ التَّوَدُّدِ وَالْقُرْبَةِ مِنْ ابْتِدَاءِ نَزْوِلِهِمْ، إِلَى انْتِهَاءِ ذَهَابِهِمْ عَنِّي وَخُفُوفِهِمْ. وَإِنَّمَا خَاطَبَ امْرَأَةً عَلَى عَادَتِهِمْ فِي نِسْبَةِ الْمَلَامَاتِ بِسَبَبِ التَّبْذِيرِ وَالْإِسْرَافِ وَالتَّوَسُّعِ فِي الْإِنْفَاقِ إِلَيْهِنَّ، وَإِقَامَةِ الْحِجَاجِ وَالْجِدَالِ فِي الْإِنْصَابِ إِلَى جَوَانِبِ الْخَسَارَاتِ مَعَهُنَّ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ التَّبَجُّحُ عِنْدَهَا بِمَا يُخَمِّدُ مِنْ خِصَالِهِ، فَلِذَلِكَ خَصَّهَا بِالْخُطَابِ.

(١) التبريزي: «عروة بن الورد». وقد سبقت ترجمته في الحماسية رقم (١٤٦).

وقوله: «أُتْسِفِرُ وجهي» في موضع المفعول الثاني لَسَلِي، وقد اكتفى به لأن في الكلام إضمارَ أم لا. وساغ حذفه لما يدلُّ عليه من قرائن اللفظ والحال. وقال سيبويه: «لو قلت علمتُ أزيد في الدار لاكتُفِيَ به من دون إضمار. ولو قلت: سواء عليّ، أو ما أبالي، لم يكن بُد من ذكر أم لا بعدهما».

ومعنى قوله: «أنه أولُ القري»، يريد أن إظهار البَشاشة للضيّف وتطلُّق الوجه معه، وإظهار السرور بقصده ومثواه من أوائل قراءه. ثم التَّرحيب به وإيناسه من بعدُ حتَّى كان يُنتظر كما ينتظر الغائب الآيب، ثم المبالغة في الإنزال وحطِّ الأثقال، وإظهار سعة الرُّحل والمكان إلى غير ذلك - ممَّا يَنسُطُّ منه، ويُزيل الحِشمة والانقباض عنه؛ لذلك قال:

وأبذل معروفٍ له دون منكري

لأن قوله: «معروفٍ» دخلَ تحته كلُّ محمودٍ من الأفعال والرُّسوم، كما أن قوله: «دون منكري» اشتمَلَ على نَفْيِ كلِّ مذمومٍ من الخصال والأُمور. وقيل: إنَّ المنكر هو أن يسأل عن حاله ونسبه، وقصده في سفره، وكيفية مأناه حين نزل به؛ لأنَّ جميع ذلك مما يجلب عليه حياء، ويوسعُه نفورًا وإمساكًا. والضمير من قوله: «أنه أولُ القري» لما يدلُّ عليه قوله: «أُتْسِفِرُ وجهي»؛ لأن الفعل يدلُّ على مصدره. والمراد أن الإسفار أولُ القري، وعلى هذا قولهم: مَنْ كَذَبَ كان شرًّا له، وما أشبهه.

٦٨٢ - آخر:

[الطويل]

- ١ - وإنا لمشاؤون بين رحالنا إلى الضيف منّا لاجف ومُنيم
- ٢ - فذؤا الجلم منّا جاهلٌ دون ضيفه وذو الجهل منّا عن أذاه حليم

قوله: «إنا لمشاؤون» إبانة عن حسن خدمتهم للضيف، وعن قرب مَحَطِّهِ من رحالهم ومقارهم. وقوله: «منّا لاجف ومُنيم» يريد: ومنّا مُنيم. فحذف لأنَّ المراد مفهوم. وفي القرآن: ﴿مِنْهَا قَائِدٌ وَحَصِيدٌ﴾ [هُود: الآية ١٠٠]. واللاجف والمُنيم إنما ينهضان بعد تَقْضِي الإطعام والإيناس. ألا تَرَى قولَ الآخر: [الطويل]

أَحْدَثُهُ إِنَّ الحديث من القري وتَغْلَمُ نفسي أنه سوف يَهْجَعُ^(١)

(١) لعروة بن الورد في ديوانه ١٠١، واللسان (بصبص)، ولعتبة بن بجير في الحماسية (٧٦١).

وقوله: «فذو الحلم منا جاهلٌ دون ضيفه» في هذا البيت بعضٌ ما في قول الآخر: [الطويل]

وأبذلٌ معروفٍ له دون مُنْكَرِي^(١)

وإنما يتجاهل الحليمٌ دون ضيفه إذا أُوذِيَ عند طلبٍ ثارٍ من جهته أو تحشينٍ جانبٍ له بكلامٍ أو فعّالٍ.

وقوله: «وذو الجهل منا عن أذاه حليمٌ»، يريد به وإن أخذ الضيفُ يؤذينا ترى الجهول يحتمله، ويغفر زلّته، ولا يطلب مؤاخذته ومكافأته.

٦٨٣ - وقال ابن هرمة^(٢): [الطويل]

١ - أغشى الطريقَ بقُبْنِي ورواقِها وأحلُّ في نَشْرِ الرُّبَى فأقِيمُ
٢ - إنَّ امرأَ جَعَلَ الطريقَ لِبَيْتِهِ طُنْبًا وأنْكَرَ حَقَّهُ لِلثَّيْمِ

يقارب ما قاله قولُ الآخر: [الكامل]

يَسِطُ البُيُوتَ لكي يَكُونَ مَظْنَةً من حيثُ تَوَضَّعُ جَفْنَةُ المُسْتَرْفِدِ^(٣)

وقول الآخر: [الوافر]

وَيَأْبَى الذَّمَّ لي أَنِّي كَرِيمٌ وَأَنْ مَحَلِّي القَبْلُ اليَفَاعُ^(٤)

وذلك أنَّ الكِرَامَ ينزلون الرُّوَابِي والإكَامَ، ويتوسَّطون النَّاسَ في أَيَّامِ الجَدْبِ، وعند اشتمالِ القَحَطِ، لكي تهتدي إليهم السَّابِلَةُ والمَاَرَةُ، ويشارك في خيرهم الدَّانِي والقَاصِي. واللُّثَامَ ينزلون الأَهْضَامَ وبطون الأودية، ويتفرَّدون عن النَّاسِ إبقاءً على زادهم، وضئًا بطعامهم، وتَفَادِيًا من أن تُعرفَ أماكنهم فيكثرَ قَصْدُ أبناءِ السَّبِيلِ لهم، ووطؤهم إِيَّاهم، وتنضمُّ الطوائفُ والفرقُ إليهم. لذلك قال المَرْقَشُ: [الطويل]

وعادَ الجميعُ نُجْعَةً لِلزُّعَانِفِ^(٥)

(١) عجز البيت الثاني من الحماسية (٦٨٠)، وصدره:

«أيسفر وجهي أنه أول القري»

(٢) سقت ترجمته في الحماسية رقم (٤٧٠).

(٣) بلا نسبة في تهذيب اللغة ١٤: ٣٦٤، واللسان (وسط)، والتبريزي ٩٣٦،

(٤) لربيعة بن مرقوم في المفضلية (٣٩).

(٥) البيت من المفضلية (٥٠) وصدره:

«وكان الرفاد كل قدح مكرم»

أي تأوي الفرق القليلة إلى الجَمْع، لتعيش بعيشهم. فيقول: إني أنزل على الطريق وأبني عليها قُبَّتِي، وقد مَدَّ رِوَاثُهَا وَرُفِعَ سَمْكُهَا لتمدُّ العيون إليها، ويغشاني دَوُو الحاجات فيها. وكذلك أحلُّ التَّلَاع والنَّشَارَ تَشْهِيرًا لمكاني، وتعرضًا لتعليق الآمال بي إذا اشتدَّ الزمان، وأوثر الخُمُولُ والاندِفَان. والقَبَابُ يتَّخذها الرؤساء، فلذلك خَصَّهَا بالذكر، ولم يرض بذلك حتَّى جعل لها رِوَاثًا ممدودًا، وموضِعًا له من الطريق مَغْشِيًا موطوءًا.

ولمثل ذلك قال أبو تمام: [الكامل]

لولا بنو جُشَمِ بن بكرٍ فيكُم رُفِعَتْ خِيَامُكُم بِغَيْرِ قَبَابٍ^(١)
والنَّشَرُ: ما ارتفع من الأرض. والرُّبَى: جمع رُبُوة. ولم يَرْضَ بالحلول حتَّى وَصَلَهُ بالإقامة.

وقوله: «إنَّ امرءًا جعلَ الطريقَ لبيته طُئْبًا»، أراد جَعَلَ الطريقَ موضعَ طُئْبِ بيته، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه. ويجوز أن يكون على القلب، أراد: جعل طُئْبَ بيته للطريق، أي مما يليه، ثم لم يقم بحقه ولم يلتزم ما يجب عليه فيه، لَلْتِيَم. وإنما أعاد هذا الذكر تأكيدًا لما يأتيه، واعترافًا بالواجب فيه. والأطْنَاب: حبال البيوت، قال الشاعر: [الطويل]

تُقَطِّعُ أَطْنَابَ البُيُوتِ بحاصب

وقد تسمَّى عروقُ الشَّجرِ أَطْنَابًا على التشبيه، وهذا كما سمَّيت أذنابًا وأشطانًا. قال: [الطويل]

..... تستقي بأذنابها قبل استقاء الحناجر^(٢)

وقال آخر: [البيسط]

أشطانها في عذاب البحرِ تسبِّقُ^(٣)

(١) ديوانه ١٨.

(٢) للناطقة الديباني في ديوانه ٩٩، واللسان (حنجر) وتهذيب اللغة ٣٠٩:٥، وتماه:

«من الوردات الماء بالقاع تستقي بأعجازها قبل استقاء الحناجر»

(٣) بلا نسبة في اللسان (كفأ، جلع)، وتهذيب اللغة ١٠:١٩٠ وصدرة:

«غُلْب، مجاليح، عند المحل كُفَاتُهَا»

[الطويل]

٦٨٤ - وقال آخر^(١):

- ١ - وَمُسْتَنْبِحٌ يَسْتَكْشِطُ الرِّيحَ ثَوْبَهُ لَيْسَقُطَ عَنْهُ وَهُوَ بِالثَّوبِ مُعَصِّمٌ^(٢)
 ٢ - عَوَى فِي سَوَادِ اللَّيْلِ بَعْدَ اعْتِسَافِهِ لَيْسَبَحَ كَلْبٌ أَوْ لَيْفَزَعَ نَوْمٌ

كَشَطَ واستكشط بمعنى، فهو كعجب واستعجب. والكشط يقارب الكشف. ويقال: كَشِطَ الجلدُ عن الجَزُورِ، ويُستعمل في الجزور خاصة كثيرا وإن أُجْرِىَ على غيره أيضا. والجلد يقال له الكِشَاطُ؛ يقال: ارفع عنه كِشَاطَهُ. والمُعَصِّم والمستعصم واحد، وهو المستمسك بالشيء، وإنما أراد أن يصور حال المستنبح وما هو ممنون به من البرد والريح.

وقوله: «عَوَى فِي سَوَادِ اللَّيْلِ» أي نبح وصاح. وفي المثل السائر: «لَوْلَكَ عَوَيْتُ لَمْ أَغُو»^(٣). وأصله المستنبح أجابه الذئب. ويقال: «فَلَانٌ مَا يُعَوِي وَلَا يُنْبِح» إذا استضعف. ويقال للداعي إلى الفتنة: عَوَى، تشبيها له بالكلب وإزاء به. فأما قولهم للحازم: «مَا يَنْهَى وَلَا يُعَوَّى»، فالمعنى لَا يَنْتَنِي وَلَا يُرْدُ. وعَوَيْتُ الشيء ولوئته بمعنى. والاعتساف: الأخذ في الطريق على غير هداية. وإنما قال: «أَوْ لَيْفَزَعَ نَوْمٌ» لأنهم إذا انتبهوا لصوته أجابه أو تلقوه أو رفعوا الثَّارَ له وذلك على حَسَبِ مكانه منهم في القُرب والبُعد. وجوابُ رُبَّ: عَوَى.

- ٣ - فَجَاوَبَهُ مُسْتَسْمِعُ الصَّوْتِ لِلْقَرَى لَهُ مَعَ إِيثَانِ الْمُهْبِئِينَ مَطْعَمٌ
 ٤ - يَكَادُ إِذَا مَا أَبْصَرَ الضَّيْفَ مُقْبِلًا يُكَلِّمُهُ مِنْ حُبِّهِ وَهُوَ أَعْجَمُ

يعني بمستسمع الصوت: الكلب. ويقال: استسمع بمعنى سمع، فهو كاستعجب وعجب. وإنما قال: «مَعَ إِيثَانِ الْمُهْبِئِينَ مَطْعَمٌ» لسعة عيش الكلب فيما يُنَحَرُ للضيف. والمُهْبُون: الأضياف. ويقال: هَبَّ من منامه، وأهبيته.

وقوله: «يَكَادُ إِذَا مَا أَبْصَرَ الضَّيْفَ مُقْبِلًا يَكَلِّمُهُ»، أي يكاد الكلب يكلم الضيف حُبًّا له إِذَا أَقْبَلَ، على عجمته. وانتصب «مُقْبِلًا» على الحال، والكلب مِمَّا يُوصَفُ به

(١) الأبيات لإبراهيم بن هرمة في البيان والتبيين ٣: ٢٠٥، وفي ديوان الحماسة برواية الجواليقي: «وقال أيضًا: يعني ابن هرمة»، والأبيات في الحيوان ١: ٣٧٧ بلا نسبة.

(٢) التبريزي: «تستكشط».

(٣) انظر كلام أكرم بن صيفي في المعمرين للسجستاني ١٤.

حُبُّهُ لِلضَّيْفِ، لذلك قال الآخر: [الطويل]

حَبِيبٌ إِلَى كَلْبِ الْكَرِيمِ مُنَاخُهُ بَغِيضٌ إِلَى الْكُومَاءِ وَالْكَلْبُ أَبْصَرُ^(١)

وحبُّهُ لِلظَّاعِنِ، لذلك قيل في المثل: «أحبُّ أهل الكلب إليه الظَّاعِن» وحبُّهُ لوقوع الآفات في المال، لذلك قيل في المثل: «نعيمُ كلبٍ في بُؤْسَى أهله». واللام من قوله: «للقرى» يجوز أن يتعلَّق بقوله جاوَّبه، أي لهذه العِلَّة جاوَّبه، ويجوز أن يتعلَّق بقوله مستسمع الصوت.

٦٨٥ - وقال سالم بن قُحْفَانَ^(٢): [الطويل]

- ١ - لَا تَغْذُلِينِي فِي الْعَطَاءِ وَيَسِّرِي لِكُلِّ بَعِيرٍ جَاءَ طَالِبُهُ حَبْلًا
- ٢ - فَإِنِّي لَا تَبْكِي عَلَيَّ إِفَالُهَا إِذَا شَبِعَتْ مِنْ رَوْضِ أوطَانِهَا بَقْلًا
- ٣ - فَلَمْ أَرِ مِثْلَ الْإِبِلِ مَالًا لِمُقْتَنٍ وَلَا مِثْلَ أَثَامِ الْعَطَاءِ لَهَا سُبُلًا^(٣)

كانت امرأته عاتبتَه وأنكرت منه تبذيرَ المال، وقلةَ الفكر في عواقب الأمور وحاضرِ العيال، وقال لها اطرَّحي اللُّومَ معي فيما تعودته وأجري عليه من البَذْلِ والسَّخَاءِ، وهَيِّئِي لِكُلِّ بَعِيرٍ جَاءَ طَالِبٌ لَهُ حَبْلًا يِقْتَادُهُ بِهِ، حَتَّى تَكُونِي شَرِيكًا لِي فِي الْعَطَاءِ وَمُعِينًا، وَعَلِّمِي أَنِّي إِنْ أَبْقَيْتُ عَلَى مَالِي وَسَعِيتُ فِي تَوْفِيرِهَا وَتَثْمِيرِهَا، وَأَهْنُتُ نَفْسِي بِإِعْزَازِهَا، فَإِنَّهَا لَا تَبْكِي عَلَيَّ إِفَالُهَا إِذَا مِتُّ وَقَدْ طَاعَ لَهَا الْمَرْتَعُ مِنْ قَبْلُ فَشَبِعَتْ مِنْ بُقُولِ الرِّيَاضِ، وَسَمَنْتُ بِالتَّوَدُّعِ وَحَسَنِ الْإِرْعَاءِ، وَلَا تَذْكُرْنِي بِجَمِيلٍ، وَإِنَّمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ مَنْ أَحْسَنْتُ إِلَيْهِ فِي حَيَاتِي وَاصْطَفَيْتُهُ بِإِسْدَائِي، وَأَثَرْتَهُ بِاتِّخَاذِ الْأَيَادِي إِلَيْهِ، وَإِكْمَالِ النِّعَمِ عَلَيْهِ.

(١) البيت الثالث من الحماسية رقم (٧٢٠).

(٢) التبريزي: «... العنبري». وذكر خبر الأبيات: «أن سالم بن قحطان أتاه أخو امرأته، فأعطاه بعيرًا من إبله وقال لامرأته: هاتي حبلًا يقرن به ما أعطيناك إلى بعيره ثم أعطاه بعيرًا آخر، وقال هاتي حبلًا، ثم أعطاه ثالثًا فقال هاتي حبلًا، فقالت: ما بقي عندي حبل، فقال: عليَّ الجمال» وعليك الحبال، فرمت إليه خمارها، وقالت: اجعله حبلًا لبعضها، فقال الأبيات».

(٣) التبريزي: «فأجابته امرأته: [الطويل]

حَلَفْتُ يَمِينًا يَا ابْنَ قَحْفَانَ بِالَّذِي تَكْفَلُ بِالْأَرْزَاقِ فِي السَّهْلِ وَالْجَبَلِ
تَزَالُ حَبَالٌ مُحْصَدَاتٌ أَعْدَهَا لَهَا مَا مَشَى مِنْهَا عَلَى خُفِّهِ جَمَلِ
فَاعْطُ وَلَا تَبْخُلْ لِمَنْ جَاءَ طَالِبًا فَعَنْدِي لَهَا خُطْمٌ وَقَدْ زَاحَتْ الْعِلَلُ

وقوله: «لم أر مثل الإبل مَالًا لِمُقْتَنٍ» فالمقتني: الذي يتخذها قِنِيَّةً للنسل، والمراد أنها إذا لم يوجد للاقتناء خيرٌ منها، فلا طريق تُصَرَفُ إليه أصلح من طُرُق الحقوق الرأبئة فيها. وانتصب «بَقْلًا» على التمييز. وإثما قال: «لا تبكي عليَّ إفاؤها» وهي الصغار منها، والواحد أفيلٌ، إزراء بها إذ صارت إزثًا، ولم تدخل تحت ما فَرَّقَهُ في النوائب الطارقة، والفروض الواجبة.

٦٨٦ - وقال آخر:

- ١ - أَلَا تَرَيْنَ وَقَدْ قَطَعْتَنِي عَدَلًا ماذا من البُغْدِ بين البُخْلِ والجُودِ
٢ - إَلَّا يَكُنْ وَرَقِي غَضًا أَرَاخُ بِهِ لِلْمُفْتَغِينَ فإِنِّي لِسُنُّ الْعُودِ

يخاطب امرأةً ويقررها على ما أنكرت عليه في السخاء والبذل، ويربها أن الصواب فيما يختاره ويجري عليه من اكتساب الحمد ببذل ما تملكه يده، وابتناء المكرمات بالتخرق في العطاء، فيقول: قد قَطَعْتَنِي لَوْمًا، وخرقتني توبيخًا وعدلًا، ومتى راجعت نفسك، وناجيت عقلك، وخايرت تجربتك عرفت التفاوت بين الإمساك والبذل، وبين التسخي والبخل، وبأن لك أن الصواب فيما أختاره، وعلى تغير الأحوال أراجعه وأعتاده، وأن الخطأ فيما تبعثين عليه، وتسوقين إليه. ثم قال: إن كان في مالي قصورٌ عن المراد، وعود عند حضور المرتاد، فإن نفسي سَمَحَةٌ مجيبة، وعلى ما تقصر الحال عنه متحسرة، وسيعود عودي وريقًا، فحينئذ أرتاح للعفاة بورقي غَضًا طريًا، وأزلُ معروفني موفورًا هنيا. ويقال: رَحْتُ له أَرَاخُ، أي: ارتحْتُ. وقيل: الأريحي أفعلي من هذا. وذكر الورق كناية عن المال الكثير في كلامهم. وقال زهير:

[البسيط]

وليسَ مانِعَ ذي قُرْبَى ولا رَجِمٍ يومًا ولا مُغْدِمًا من حَابِطٍ وَرَقًا^(١)

لما استعار الورق للمال وصله بالخابط تشبيعًا للفظه، وتحسينًا لكلامه، وكذلك هذا لما كَتَى عن معروفه بالورق وصله بالعود. وإذا لأن العود اهتز، وعن الاهتزاز للخير يحصل التندِّي ويكرم الطبع.

(١) لزهير في ديوانه ٥٣، واللسان (خط)، وتهذيب اللغة ٢: ٢٥١.

٦٨٧ - وقال قيس بن عاصم^(١): [الكامل]

- ١ - إني امرؤ لا يفترى خلقي دَسَّ يَفْنَدُهُ وَلَا أَفْنُ
٢ - مِنْ مَنَقَرٍ فِي بَيْتٍ مَكْرَمَةٍ وَالْفَرْعُ يَنْبُتُ حَوْلَهُ الْغُضْنُ^(٢)
٣ - خُطْبَاءُ حِينَ يَقُومُ قَائِلُهُمْ بِبِضِّ الْوُجُوهِ مَصَاقِعُ لُسْنُ
٤ - لَا يَفْطُنُونَ لَعِينٍ جَارِهِمْ وَهُمْ لِحِفْظِ جَوَارِهِ فُظُنُ

قوله: «يفنده» أي يفحشه، والفند: الفحش. ويقال: أفند الرجل، إذا أتى بالفحش. والأفن: أصله في استخراج اللبن من الضرع حتى يخلو منه، ثم قيل: أفن الرجل فهو مأفون، إذا زال عقله. والمعنى: إني رجل لا يتسلط على خلقي ما يدنس ويفحشه من تغير وتبدل، وتسرع إلى الشر وتلوث، وزوال عن السنن المعهود، وذهاب في طريق المأفون المغتوه، ولكنني أبقي على حالة واحدة محمودة، لا أحول ولا أزل. ثم إنني من بني منقر في بيت من الكرم قد فرغته، والفرع من شأنه أن يلتف بأغصانه الثابتة حوله. وهذا مثل ضربته للمحتفين به من أقاربه، والآخذين إichه في طبائعه ومداهبه. ثم وصفهم فقال: هم خطباء إذا قام قائلهم يبين عن نفسه وعن عشيرته، كرام لا يسود وجوههم عار في الأصل، ولا شين مكتسب على وجه الدهر. المصاقع: جمع مصقع، وأصل الصقع الضرب، وكما وصف به اللسان وصف بالسلق والصلق فقل: خطيب مصقع مضلق مضلق سلاق. وفي القرآن: ﴿سَلَفُكُمْ بِالسِّنِّ حَدَادٍ﴾ [الأحزاب: الآية ١٩]. واللسن: جمع اللسن. ويقال: لسن يلسن لسنًا، إذا تناهى في البلاغة والفصاحة. ويقال: لسن فلانًا، إذا ضايقته فيما يجاذبه من الكلام. على هذا قوله: [الرملة]

وَإِذَا تَلَسُّنُنِي أَلْسُنُهَا^(٣)

(١) قيس بن عاصم بن سنان المنقري السعدي التميمي: أحد أمراء العرب وعقلائهم والموصوفين بالحلم والشجاعة. وهو ممن حرّم على نفسه الخمر في الجاهلية. (ت نحو ٢٠ هـ/ نحو ٦٤٠ م). ترجمته في الإصابة تر (٧١٩٤)، والمزباني ٣٢٩، وحسن الصحابة ٣٢٩.

(٢) التبريزي:

«والغصن ينبت حوله الغصن»

(٣) لطرفة بن العبد في ديوانه ٥٣، واللسان (فقر، لسن، وهن)، وديوان الأدب ١٣٧: ٢، وعجزة:

«إنني لست بموهون فقير»

وقوله: «لا يَفْطُنُون لِعَيْبِ جَارِهِمْ»، يقول: هم يُلايِسُون الجار على ظاهر أمره، لا يَتَجَسَّسُون عليه، ولا يَتَطَلَّبُون مَشَائِئَهُ وَمَقَابِيحَهُ، وإن اتَّفَقَ له ما يوجب عليهم حِفْظَهُ لِعَقْدِ الْجَوَارِ فَطْنُوا لَهُ، وحَافَظُوا عَلَيْهِ. وإنما قال هذا لِمَا سَارَ فِي النَّاسِ وَجَرَى مَجْرَى الْأَمْثَالِ، من أَنَّ التَّكْرُمَ مِكْيَالٌ ثَلَاثُ حُسْنِ الْفِطْنَةِ وَجِدَّةُ الذِّكَاةِ فِي الْعَارِضَاتِ، وَأَنَّ اللَّؤْمَ مِكْيَالٌ ثَلَاثُ سُوءِ الْفِطْنَةِ وَاسْتِعْمَالُ التَّجَوُّزِ فِي الْوَاجِبَاتِ. وَالْفُطْنُ: جَمْعُ فُطْنٍ وَهُوَ كَخَشِينٍ وَخُشْنٍ.

٦٨٨ - وقال ابن عَنقَاءُ الْفَزَارِيُّ^(١): [الطويل]

- ١ - رَأَيْتُ عَلَى مَا بِي عُمَيْلَةً فَاشْتَكَيْتُ إِلَى مَالِهِ حَالِي أَسْرَّ كَمَا جَهَزَ
- ٢ - دَعَانِي فَآسَانِي وَلَوْ ضَنْ لَمْ أَلَمْ عَلَى حِينٍ لَا بَادٍ يُرْجَى وَلَا حَضَرَ^(٢)
- ٣ - فَقُلْتُ لَهُ خَيْرًا وَائْتَيْتُ فَعَلَهُ وَأَوْفَاكَ مَا أَسْدَيْتَ مَنْ دَمٍّ أَوْ شُكْرٍ^(٣)

يقول: رَأَيْتُ حَالِي عُمَيْلَةً وَتَأَمَّلَهَا عَلَى مَا بِهَا، فَأَنْهَى رِثَائَتَهَا وَاخْتِلَالَهَا إِلَى مَالِهِ، مُحْتَمِلًا الشُّكُوى مِنْهَا عَلَى قَلْبِهِ وَنَفْسِهِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، وَمُسِرًّا وَمُعْلِنًا، لَا يَشُوبُهُ مُدَاجَاةٌ وَلَا نِفَاقٌ، وَلَا يَتَخَلَّلُ فِعْلُهُ مَخَاتَلَةٌ وَلَا رِيَاءٌ، بَلْ اعْتَنَى بِهَا عَلَى خُلُوصِ نِيَّةٍ، وَاهْتِمَامٍ بِإِحْسَانٍ مَعَ نَقَاءِ طَوِيَّةٍ.

وقوله: «دَعَانِي فَآسَانِي»، يقول: ابْتَدَأَ فِي تَغْيِيرِ حَالِي، وَإِزَالَةِ مَا مَسَّنِي مِنْ فَقْرِي مِنْ ذَاتِ نَفْسِهِ، فَجَبَّرَنِي وَاتَّانَشَنِي، وَلَوْ سَعَى سَعْيِي غَيْرَهُ مِنَ الْبُخْلَاءِ لَمْ يَلْحَقْهُ مَنِّي عَيْبٌ فِي وَقْتٍ قَدْ تَسَاوَى النَّاسُ فِي الْمَنْعِ وَاطَّرَاحَ الْحَقُوقُ حَتَّى لَا دُوَّ الْبَدْوِ

- (١) التبريزي: «قال أبو رياش: مرَّ عميلة الفزاري على ابن عنقاء الفزاري وهو يحتش لغنمه، وقيل: يحفر عن البقل ويأكله، فقال: يا ابن عنقاء، ما أشاركك إلى هذه الحال؟ فقال له ابن عنقاء: تغير الزمان، وتعدَّر الإخوان وضنَّ أمثالك بما معهم، فقال عميلة: لا جرم والله، لا تطلع الشمس غدا إلا وأنت كأحدنا. ثم انصرف كل واحد إلى أهله، وكان عميلة غلامًا حين بقل وجهه، فبات ابن عنقاء يتململ على فراشه، فقالت له امرأته: ما شأنك؟ فأخبرها الخبر، فقالت: قد خرفت وذهب عقلك حتى تعلق نفسك بكلام غلام حديث السن لا يحفل بما يجري على لسانه. ويحكى أنه لما أصبح قالت له ابنته: لو أتيت عميلة فقد وعدك أن يقاسمك ماله، فقال: يا بنية إن الفتى سكرن ولا أدري لعله لم يعقل ما قال. فبينما هي تراجع أقبل عليهم كالليل من ليل وغنم وخيل، وإذا عميلة قد وقف عليه، فقال: يا ابن عنقاء، اخرج إليّ، فخرج إليه. فقال: هذا مالي أجمع، هلُمَّ نقتسمه فقاسمه إياه: بعيرًا وبعيرًا، وفرسًا وفرسًا، وشاة وشاة، وجارية وجارية، وغلامًا وغلامًا، ثم انصرف فقال ابن عنقاء الأبيات.
- (٢) التبريزي: «على حين لا بدو».
- (٣) هذا البيت الأخير عند التبريزي.

يُرْجَى ولا ذو الحَضَر. وقوله: «ولا حَضَر» حَذَفَ المضافَ وأقام المضاف إليه مقامه. وهذا كما يقال: الجُودُ حاتم، يراد جُود حاتم. وكان الوجه أن يقول: ولا حاضر، مع ذكر البادي، ليكون الكلام أشدَّ التثامًا، أو يقول: فلا بَدُوَّ يرْجَى، مع قوله ولا حضر.

وقوله: «فقلت له خيرًا»، يقول: شكرته على اصطناعه، وأثنيته على فعله، وكثرت في النَّاس ما تكلفه لي وتبرَّع به ونشَرته، وقد وفَّاكَ حَقَّكَ في الإِسداء مَنْ حَمَدَكَ، كما وفَّاكَ في المكافأة مَنْ أَسأتَ إليه إذا دَمَّكَ. وكان وجه الكلام أن يقول: وأوفاك ما أسديت أو أسأت من دَمٍّ أو شَكْرٍ، فاقْتَصَرَ على ذكر الإِسداء وإن كان يستعمل في الخير لا غَيْر. وأصله من السَّدَى وهو نَدَى اللَّيْلِ خاصَّة. يقال: سَدَيْتَ ليلتُنا، إذا كَثَرَ نداها، ولا يكاد يُستعمل في النَّهار. قَالَ:

فَأَنْتَ التَّدَى فِيمَا يَتُونُكَ وَالسَّدَى

وقيل: أصله من السَّدْوِ، وهو التَّذرُّع في المَشْيِ اتِّساعَ الخَطْوِ. يقال: سَدَى البعيرُ وأسدَيْته، والأوَّل هو الصَّواب.

ومثل قوله: «وَأَفَاكَ ما أسَدَيْتَ مَنْ دَمٍّ أو شَكَّرَ» قولُ الآخر: [الوافر]

فَمَا أَدْرِي إِذَا يَمُنْتُ أَرْضًا أَرِيدُ الْخَيْرَ أَيُّهُمَا يَلِينِي^(١)

لأنَّ المراد أريد الخير وأَجْتَنِبُ الشرَّ، فاكْتَفَى بِذِكْرِ أَحَدِهِمَا، أَلَّا تَرَى أَنَّهُ قَالَ مِنْ بَعْدُ:

أَلْخَيْرُ الَّذِي أَنَا أَبْتَغِيهِ أَمْ الشَّرُّ الَّذِي هُوَ يَبْتَغِينِي

وقوله: «وَأَثْنَيْتَ فِعْلَهُ» أَصْلُهُ عَلَى فِعْلِهِ، فَحَذَفَ الْجَارَ وَوَصَلَ الْفِعْلَ بِنَفْسِهِ.

٤ - غَلَامٌ رَمَاهُ اللَّهُ بِالْخَيْرِ مُقْبِلًا لَهُ سَيِّمِيَاءَ لَا تَشْقُ عَلَى الْبَصَرِ^(٢)

٥ - كَأَنَّ الثُّرَيَّا عُلِقَتْ فَوْقَ نَخْرِهِ وَفِي أَنْفِهِ الشُّغْرَى وَفِي خَدِّهِ الْقَمَرُ^(٣)

(١) البيت للمثقب العبدي في ديوانه ٢١٢، وخزانة الأدب ١١: ٨٠، وشرح اختيارات المفضل ١٢٦٧.

(٢) التبريزي: «بالخير يافعا».

(٣) التبريزي: «وفي خدِّه الشُّغْرَى وفي وجهه القمر».

٦ - إِذَا قِيلَتْ الْعَوْرَاءُ أَغْضَى كَأَنَّهُ ذَلِيلٌ بِلاَ ذُلٍّ وَلَوْ شَاءَ لَانْتَصَرَ^(١)

قوله: «رماه الله بالخير» معناه كساه الخير ومسحه به مُقْبِلًا فيه لا مُذْبِرًا. وقد كَشَفَ معنى الرَّمي بقوله: «له سيمياء لا تَشُقُّ على البصر»، يريد ما عليه من حسن القَبول والتمكُّن من النفوس والقلوب، حتَّى إِنَّ المبصرين له يجدون راحةً في النَّظَر إليه، فلا تملأها العيون، ولا تنطبق دونها الجُفون. ومثل قوله: رماه الله بالخير في باب الاستعارة، قوله تعالى: ﴿وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي﴾ [طه: الآية ٣٩].

والسِّيمَاء أصله العلامة، ومنه الخيل المُسَوِّمة. ويقال: سيمَاء وسيمياء جميعًا. وانتَصَبَ «مُقْبِلًا» على الحال. وتحقيق معنى سيمياء أي قد وسمه الله تعالى بسيمياء حسنة مقبولة، يلتذ الناظر بالنظر إليها.

وقوله: «كَأَنَّ الثُّرَيَّا غَلَقَتْ فوق نحره» يريد أَنَّهُ قد غَشِيَ من كل جانبٍ بما ينوره، فالثُّرَيَّا فوق نَحْرِهِ، والشُّعْرَى، يعني العبور، مُرَكَّزَةٌ في أنفه، والقمر متلألئٌ في خَدِّهِ، فهو نورٌ على نور.

وقوله: «إِذَا قِيلَتْ الْعَوْرَاءُ أَغْضَى»، كَأَنَّهُ يصف فيه اجتواءه للَحْنا والفُحش، وأطْرَاحَه لُفْجِ القول، ورفضه لأنواع الهُجر، فمتى دُكِرَتْ عنده فحشاء أطرق مغضياً، عاركًا بجنبه متحلماً، فكأنَّه ذَلِيلٌ لتغايبه، وتَرَكِ المحاسبة فيه، ولو شاء لانتقم. وهذا غاية ما يكون من حُسن الاحتمال، ومُصابرة الناس على أذاهم، مع التعرُّز والاعتدال.

٦٨٩ - آخر^(٢): [الطويل]

١ - سَأَشْكُرُ عَمْرًا إِنْ تَرَاخَتْ مَنِئِيَّتِي أَيَادِي لَمْ تُنْمَنَّ وَإِنْ هِيَ جَلَّتْ
٢ - فَتَى غَيْرُ مَحْجُوبٍ الْغِنَى عَنْ صَدِيقِهِ وَلَا مُظْهِرِ الشُّكُوى إِذَا الثُّعْلُ زَلَّتْ
٣ - رَأَى زَلَّتِي مِنْ حَيْثُ يَخْفَى مَكَائِهَا فَكَائَتْ قَدَى عَيْنَيْهِ حَتَّى تَجَلَّتْ

(١) بعده عند التبريزي:

«ولمَّا رَأَى المجدَّ استعيرت ثيابه ترذى رداءً واسعَ الذيلِ وانتعز»
(٢) في الحماسة البصرية ١: ١٣٥ لعبد الله بن الزبير، وثُروى لعمرو بن كميل يمدح عمرو بن ذكوان، وقيل: لأبي الأسود الدؤلي وكان عند عمرو بن سعيد بن العاص. وفي معجم الشعراء للمرزباني ٤٢١ لمحمد بن سعد الكاتب التميمي.

يقول: إِنِّي سَأَنْشُرُ آلَاءَ عُمْرِي وَنِعَمَهُ عِنْدِي إِنْ نَفْسٌ مِنْ عَمْرِي، وَتَرَاخَتْ غَايَةُ الْمِقْدَارِ مِنْ مَنِّي، فَإِنَّهَا صَافِيَةٌ مِنَ الْمَنِّ وَالْأَذَى عَلَى جَلَالَتِهَا وَفَخَامَتِهَا. وقوله: «لم تُمَنَّ» يجوز أن يكون المراد وَلَمْ تُقْطَعْ وَإِنْ عَظُمَتْ، وقال ذلك لِأَنَّ الْأَيَادِيَ السَّيِّئَةَ لَا تَكَادُ تَتَنَاسَقُ. ويقال: حَبْلٌ مَنِينٌ وممنون. وفي القرآن: ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [فُصِّلَتْ: الآية ٨]. ويجوز أن يكون المراد به لم يُخْلَطْ بِمَنْ.

وقوله: «فَتَى غَيْرِ مُحْجُوبِ الْغِنَى» أَخَذَ يَصِفُهُ. وارتفع فَتَى عَلَى أَنَّهُ خَبِرَ مَبْتَدَأَ مُحْذُوفٍ، والمعنى هُوَ فَتَى يُشْرِكُ صَدِيقَهُ فِي غِنَاهُ مَدَّةَ مُسَاعَدَةِ الزَّمَانِ لَهُ، فَإِنَّ تَوَلَّى الْأَمْرَ وَزَلَّتِ الثَّلْعُ تَرَاهُ لَا يَتَشَكَّى وَلَا يَتَأَلَّمُ. وهذا مثل قول الآخر: [المقارب]

أَبُو مَالِكٍ قَاصِرٌ فَقَرَّهُ عَلَى نَفْسِهِ وَمُشِيعٌ غِنَاهُ

ويقال في الكناية عن نزول الشر وامتحان المرء: زَلَّتِ الْقَدَمُ بِهِ، كَمَا يَقَالُ: زَلَّتِ الثَّلْعُ بِهِ.

وقوله: «رَأَى خَلَّتِي مِنْ حَيْثُ يَخْفَى مَكَانُهَا» زَائِدٌ عَلَى مَا تَقَدَّمَ مِنْ قَوْلِ ابْنِ عِنْقَاءَ الْفَزَارِيِّ، وَهُوَ: [الطويل]

رَأْنِي عَلَى مَا بِي عُمَيْلَةٌ فَاشْتَكَى إِلَى مَالِهِ حَالِي أَسْرَ كَمَا جَهَرَ^(١)

وَذَاكَ لِأَنَّ هَذَا قَالَ: «رَأَى خَلَّتِي مِنْ حَيْثُ يَخْفَى مَكَانُهَا»، فَكَأَنَّهُ أَدْرَكَ الْحَالَ، مِنْ طَرِيقِ الْاسْتِدْلَالِ، وَالْإِهْتِمَامِ الْمَبْعُوثِ مِنْ جُودَةِ التَّفَطُّنِ، وَإِنْ كَانَ صَاحِبُهُ يَتَعَقَّفُ عَنِ السُّؤَالِ وَيَتَجَمَّلُ، وَابْنُ عِنْقَاءَ شَاهِدَ الْحَالَ عِيَانًا، فَاشْتَكَى إِلَى مَالِهِ سِرًّا وَجَهْرًا، وَقَالَ هَذَا بِلِزَاءِ الْإِهْتِمَامِ: فَكَانَ قَدْ ذَى عَيْنِيهِ، أَيْ مِنْ حَسَنِ الْإِهْتِمَامِ مَا جَعَلَهُ كَالذَّاءِ الْمَلَازِمِ لَهُ، حَتَّى تَلَفَاهُ بِالْإِصْلَاحِ، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَمَوْضِعُ الزِّيَادَةِ فِي كَلَامِهِ وَقَصْدُهُ ظَاهِرٌ.

٦٩٠ - آخِرُ^(٢): [الكامل]

١ - إِنْ أَجَزَ عَلَقَمَةُ بْنُ سَيْفٍ سَعِيَهُ لَا أَجْزَهُ بِبَلَاءٍ يَوْمٍ وَاحِدٍ

(١) البيت الأول من الحماسية رقم (٦٨٧).

(٢) التبريزي: «وقال رجل من بهراء، واسمه فدكي». وذكر التبريزي خبر الأبيات فقال: «ومن خبر فدكي أنه كان مجاورًا في بني تغلب لبني عتاب بن سعد بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن =

٢ - لأَحَبَّنِي حُبَّ الصَّبِيِّ وَرَمَّنِي رَمَّ الْهَدْيِ إِلَى الْغَنِيِّ الْوَاجِدِ^(١)
 ٣ - وَلَقَدْ نَضَحْتُ مَلِيلَتِي فْتَمِيَّتَتْ عَنْ آلِ عَتَّابٍ بِمَاءٍ بَارِدٍ

يقول: إن رُمْتُ القيام بواجب سَغِي عُلْقَمَةَ لِي، وأَدَيْتُ المفروض لِحُسْنِ بلائه عندي، لم أقابلهُ على صَنِيعَةٍ واحدة، ولا جازيتُهُ لبلاءِ نِعْمَةٍ فاردة، لأنَّ أَيْادِيهِ عندي كثيرةٌ متظاهرة، وآلَاءُهُ لَدَيَّ متواترةٌ متناصرة، فوالله لقد أَحَبَّنِي كما يُحِبُّ الصَّبِيُّ، وأَصْلَحَ من أُمُورِي، ما يُضْلَحُ من شَأْنِ العُروسِ إِذَا رُفَّتْ إِلَى المُوسِرِ الغنيِّ، فَتَضَاعَفَ مُؤَنُّهَا، وتَزَايَدَ التَّكَالِيفُ فِي هِدَائِهَا وتَحْوِيلِهَا. فَقوله لأَحَبَّنِي، اللام جواب يمين مضمرة، وإنما قال: «حُبُّ الصَّبِيِّ» لأنه يَخْلُطُ بِمَحَبَّتِهِ زيادةَ الشَّفَقَةِ، وَكَفَالَةِ التَّرْفْرِفِ عليه والمَرَحَمَةِ.

وسئل بعضُ حُكَمَاءِ العربِ عن أَحَبِّ أولادِهِ إِلَيْهِ فقال: «الصَّغِيرُ حَتَّى يَكْبُرَ، والغَائِبُ حَتَّى يَقْدَمَ، والعليلُ حَتَّى يَبْرَأَ».

وَإِذَا تَامَلْتَ وَجَدْتَ حَالَ الغَائِبِ والعليلِ كحالِ الصَّغِيرِ فِيمَا ذَكَرْتُ، فَلِذَلِكَ جَمَعَهَا فِي قَرْنِ الذِّكْرِ.

وقوله: «وَلَقَدْ نَضَحْتُ مَلِيلَتِي» يريد. وَلَقَدْ رَشَشْتُ غَلِيلِي مِنْ آلِ عَتَّابٍ وَمَا امْتَلَأَ نَارُ وَجَدِي مِنْ أَحْشَائِي وَصَدْرِي بِمَاءٍ بَارِدٍ، فَسَكَنْتُ وَزَالَ حَمِيمُهَا، حَتَّى كَانَتْهَا لَمْ تَكُنْ. وَإِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ لِأَنَّ آلَ عَتَّابٍ كَانُوا وَتَرَوْهُ فَاشْتَدَّ بَرْحُ حَمِيَّتِهِ وَأَتَّسَعَ قَرْحُ وَثَرِهِ، فَأَعَانَهُ عَلَى إِدْرَاكِ الثَّأْرِ عُلْقَمَةُ بْنُ سَيْفٍ، وَشَفَاهُ مِنْ دَائِهِ. وَإِذَا تُؤْمَلُ مَا عَدَّهِ مِنْ أَيْادِيهِ لَدَيْهِ حَصَلَ فِيهِ الْمِيلُ وَالْإِكْرَامُ، وَالْبِرُّ وَالْإِنْعَامُ، وَإِصْلَاحُ الْحَالِ، وَالْمُؤَاسَاةُ بِالْمَالِ، وَالشِّفَاءُ مِنَ الدَّاءِ، وَالْإِنْتِقَامُ مِنَ الْأَعْدَاءِ، وَذَلِكَ مَا لَا مَزِيدَ عَلَيْهِ. وَمَعْنَى تَمِيَّتَتْ تَذَلَّلَتْ وَتَذَوَّبَتْ. وَيُقَالُ: مِيَّتَتْ الشَّيْءُ، إِذَا مَرَسَتْهُ. وَالنُّضْحُ بِالْخَاءِ الْمَعْجَمَةُ أَبْلَغُ مِنَ النُّضْحِ.

= عمرو بن غنم بن تغلب فأقام فيهم مدة، ثم إن علقمة بن سيف العتابي غزا في بعض مغازيه، فأغار حنش بن معبد أحد بني ثعلبة بن بكر بن حبيب فأخذ إبل البهراني، فكان إذا أورد بنو عتاب نعمهم حَوْضَ حَوْضًا واستقى فيه حتى يملأه ثم يغمس في ذكره، ويقول: اشرب فمالي مال غيرك، فلما قدم علقمة أخبروه شأن البهراني فسعى في استردادها فلم يوفق، لأن حنشًا حلف أن لا يرده منها بغيرًا، فلما رجعوا أخرج علقمة بن سيف من ماله مائة بعير فأعطاهما البهراني، فقال البهراني هذه الأبيات.

(١) بعده عند التبريزي:

«وأجابني يوم الصراخ بهجمة مائة تشق على عصي الزائد»

٦٩١ - وقال أبو زياد الأعرابي^(١) :

[الوافر]

١ - لَهُ نَارٌ تَشَبُّ بِكُلِّ وَادٍ إِذَا النَّيْرَانُ أَلْبَسَتِ الْقِنَاعَ^(٢)

٢ - وَلَمْ يَكْ أَكْثَرَ الْفُتَيَانِ مَالًا وَلَكِنْ كَانَ أَرْحَبَهُمْ ذِرَاعًا

قوله: «تَشَبُّ» أي تُوقَدُ، وموضع الجملة من الإعراب رفع على أن يكون صفة لنار، والمعنى أَنَّ نَارَ ضيافته تُوقَدُ بكلِّ وادٍ ينزل به إذا النيران في الآفاق سُتِرت وحُجبت عن الاستدلال بها، مخافة طُرُوق الأضياف. وجواب إذا مُقَدَّم عليه، كأنه قال: إذا النيران جُعِلت كذلك فله نَارٌ توقد بكلِّ وادٍ. ويجوز أن يكون أوقدت ناره في جوانب مَحَلِّه وفي كل وادٍ من أودية فَنائه وداره وإذا أُخِمِدَت نيرانُ النَّاسِ، فلذلك قال: تَشَبُّ بكلِّ وادٍ، وهذا يكون منه كِتَامُهُم الأيسار، ونيابتهم عن غيرهم إذا عُدِم الشُّركاء.

وقوله: «ولم يك أكثر الفتیان» قد تقدم الكلام في حذف النون من يك في غير موضع. وانتصب «مالًا» على التمييز، وكذلك «ذراعًا». والمعنى: أَنَّ ما تحمَّله وتكلَّفه لم يك السبب فيه اليسار، وكثرة المال. ولكن كرمه الفائض، وعِزُّه الرَّاخِر.

٦٩٢ - وقال العرنس أحد بني أبي بكر

[البسيط]

ابن كلاب^(٣) :

١ - هَيُّونَ لَيُّونَ أَيْسَارَ دَوُو كَرَمٍ سَوَاسَ مَكْرَمَةِ أَبْنَاءِ أَيْسَارِ

٢ - إِنْ يُسْأَلُوا الْخَيْرَ يُعْطَوْهُ وَإِنْ خُبِرُوا فِي الْجَهْدِ أَذْرَكَ مِنْهُمْ طَيْبُ أَخْبَارِ

٣ - وَإِنْ تَوَدَّدْتَهُمْ لَأَتُوا وَإِنْ شَهِمُوا كَشَفْتَ أَذْمَارَ شَرِّ غَيْرِ أَشْرَارِ

العرنس في اللغة: الأسد العظيم، وكذلك الجمل. ويقال: هو هَيْنٌ لَيْنٌ وهَيْنٌ لَيْنٌ، والتشديد الأصل، والتخفيف على عادتهم في الهرب من ثِقَلِ التضعيف وما

(١) التبريزي: «... الكلابي» وهو: يزيد بن عبد الله بن الحر بن همام الكلابي، عالم بالأدب، له شعر جيد وهو صاحب كتاب «النوادر»، وكتاب «الفروق» وكتاب «الإبل» (ت نحو ٢٠٠ هـ / ٨١٥ م)، ترجمته في فهرست ابن النديم ٤٤، وخزانة الأدب ٣: ١١٨.

(٢) التبريزي: «تَشَبُّ على يفاع».

(٣) التبريزي: «يمدح بني عمرو الغنوين، وكان أبو عبيدة إذا أنشدتها يقول: هذا والله محال، كلابي يمدح غنويًا».

يجري مجراه. والمعنى أنهم يلزمهم السكينة والوقار في مجالسهم. ويقال: جاء يمشي هَوْنًا، وهو المصدر. والأيسار: جمع اليسر، وهم الذين يجتمعون في الميسر على الجزور عند الجذب والقحط، فيجبلون القِداحَ عليها، ثم يفرقونه في الفقراء وأرباب الحاجة والضراء. ويقال: يسر الرجل إذا أجال قَدَحَه، فهو ياسر ويسر. قال: [الطويل]

إذا يَسَرُّوا لم يورث اليسر بينهم فَوَاحِشٌ يُنْعَى ذِكْرُهَا بالمصايف^(١)

وقال أبو ذؤيب: [الكامل]

فكَانَهُنَّ رِبَابَةً وَكَانَهُ يَسَرُّ يَفْقِضُ عَلَى الْقِدَاحِ وَيَضْدَعُ^(٢)

والمعنى أنهم يرجعون إلى سَجَاحَةِ خُلُقٍ^(٣)، وسلاسة طبع، موقرون في مجالسهم، متكرمون في عاداتهم وشؤونهم، متعطفون على الفقراء زمن الجذب بميسرهم، يسوسون المكارم ويعمرونها بعد ابتنائها، ولا يغفلون عنها؛ وأن هذه الخصال لم يرثوها عن كلاله وأن آباءهم على ذلك درجوا وتقصوا. ثم قال: «إن يسألوا الخير يعطوه»، يريد أنهم لا يتقاعدون عن البذل في الحقوق والثواب، ولا يحوجون إلى استخراج ذلك منهم بالعنف والاستقصاء بل يخرجون منها إلى أصحابها، والمطالبين بها؛ وإن جربوا عند جهد البلاء، واشتتال الشدة والبأساء، وحملوا أكثر مما يلزمهم، وأثقل مما ينهض به حالهم، طابت أفعالهم، وحسنت أنباؤهم، والأحاديث عنهم. ومن انتمى بتقرب إليهم، أو تودد لهم، لأنوا له، وانقادوا لما يريده من جهتهم. وإن أودوا وأخرجوا انكشفوا عن أذمار شر - وهو جمع الذم، وهو الشديد لا يطاق - وإن كانوا في أنفسهم وسجاياهم غير أشرار، إلا أنهم إذا جذبوا إلى الشر وألجئوا زادوا على الأشرار.

وقوله: «شهِمُوا» أي هَيَّجُوا، ويقال: فرس شهم، أي حديد نشيط ذكي؛ ومنه الشَّبهَم^(٤). ويقال: شهم الرجل، إذا دُعِرَ أيضًا، ويرجع في المعنى إلى الأول.

(١) للمرقش في المفضلية (٥٠)، وبلا نسبة في التبريزي ٩٤٣.

(٢) لأبي ذؤيب في شرح أشعار الهذليين ص ١٨، واللسان (رب، يسر، صدع، علا)، وديوان الأدب ٩٥:٣.

(٣) سجاجة الخلق: لينه وسهولته. (٤) الشيهم: الذكر من القنافذ.

- ٤ - فِيهِمْ وَمِنْهُمْ يُعَدُّ الْخَيْرُ مَثَلًا وَلَا يُعَدُّ نَفْسًا حَزِيًّا وَلَا عَارًا^(١)
 ٥ - لَا يَنْطَقُونَ عَلَى الْفَحْشَاءِ إِنْ نَطَقُوا وَلَا يَمَارُونَ إِنْ مَارَوْا بِإِكْثَارٍ^(٢)
 ٦ - مَنْ تَلَقَّ مِنْهُمْ تَقَلَّ لَأَقِيْتُ سَيِّدَهُمْ مِثْلَ النُّجُومِ الَّتِي يَسْرِي بِهَا السَّارِي

وصفهم بأن الخير مَرَجُؤٌ مِنْ جهتهم، ومعدودٌ في خصالهم قديمًا وحديثًا، وسَلَفًا وَخَلَفًا، وَلَا يُعَدُّ فِي أفعالهم مَا يُحْزِي ذِكْرُهُ، وَالتَّحَدُّثُ بِهِ، أَوْ يَجْلِبُ عَارًا عَلَيْهِمْ لَدَى الْكُشْفِ عَنْهُ وَالتَّأَمُّلِ لَهُ، وَذَلِكَ لَخُلُوصِ مَنَاقِبِهِمْ عَمَّا يَشِينُ وَلَا يَزِينُ، وَحُسْنِ قُصُودِهِمْ فِيمَا يَتَصَرَّفُونَ فِيهِ فَيَتَنَاولُونَهُ بِالْقُبْضِ وَالْإِبْرَامِ، ثُمَّ إِنْ تَكَلَّمُوا فَلَيْسَ عَنْ فَحْشَاءٍ يُضْمِرُونَهَا، وَلَا عَنْ نِكَرَاءٍ يَنْطَوُونَ عَلَيْهَا، فَكَانَتِ الْأَقْوَالُ تَوَافِقَ الضَّمَائِرِ وَتَقْفُوهَا، وَالظَّوَاهِرُ تَطَابِقَ السَّرَائِرِ وَتَتْلُوهَا، بَلْ يُؤَلُّونَ الْكَلِمَةَ الْعُورَاءَ إِذَا أَدْرَكُوهَا الْغُفُولَ عَنْهَا، وَالْإِعْضَاءَ عَلَى الْقَذَى فِيهَا، تَحَلُّمًا وَتَرْفُعًا. وَإِنْ جَازَبُوا غَيْرَهُمْ وَحُمِلُوا عَلَى لَجَاجٍ فِي نِزَاعِهِمْ عُرِفَتْ نِهَايَةُ جِدَالِهِمْ، وَنَكَّتُوا فِيمَا يُذَلُّونَ بِهِ مِنْ حِجَاجِهِمْ، فَقَوْلُهُمْ فَضْلٌ، وَإِمْسَاكُهُمْ قُضْدٌ وَعَدْلٌ، لَا إِكْثَارَ وَلَا إِسْرَافَ، إِذْ كَانَ مَنْ أَكْثَرَ أَهْجَرَ، وَمَنْ أَسْرَفَ أَفْحَشَ؛ وَلَئِنْ عَادَتْهُمْ الْاِقْتِصَادُ فِيمَا يَخَافُونَ آدَاءَهُ إِلَى الْقَبِيحِ، وَالْاِمْتِدَادُ إِلَى أَبْعَدِ الْغَايَاتِ فِيمَا يَحْسُنُ مَسْمَعُهُ عِنْدَ ذَوِي التَّحْصِيلِ.

وقوله: «مَنْ تَلَقَّ مِنْهُمْ»، يَرِيدُ أَنَّ النِّبَاهَةَ تَشْمَلُهُمْ، فَكُلُّ مِنْهُمْ يَنْتَسِبُ بِسَيِّمَةِ الرِّيَاسَةِ، وَيَتَصَوَّرُ بِصُورَةِ السِّيَادَةِ، وَهُمْ فِي الْأَشْتِهَارِ وَالتَّمْيِيزِ عَنْ طَوَائِفِ النَّاسِ كَالنُّجُومِ الْمَعْرُوفَةِ النِّيرَةِ، الَّتِي يَهْتَدِي بِهَا السَّابِلَةُ وَالْمَارَّةُ، وَيَتَفَقَّدُ الْمَعْرِفَةَ بِهَا فِي طُلُوعِهَا وَأُفُولِهَا أَوَّلُو النُّحُلِ وَالْمُمَارَسَاتِ.

وقوله: «فِيهِمْ وَمِنْهُمْ يُعَدُّ الْخَيْرُ مَثَلًا» يَرِيدُ مَا يَلْزَمُهُمْ مِنَ الْخِصَالِ وَمَا يَتَعَدَّاهُمْ. وَانْتَصَبَ «مَثَلًا» عَلَى الْحَالِ. وَيُقَالُ: تَلَدَ وَأَثَلَدَ بِمَعْنَى. وَالثَّنَا يَسْتَعْمَلُ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَالثَّنَاءُ يَسْتَعْمَلُ فِي الْخَيْرِ لَا غَيْرَ، وَيُقَالُ: ثَنَّا الْخَبَرَ يَنْشِوهُ نَثَوًا.

٦٩٣ - آخر^(٣): [الطويل]

- ١ - رَهْنَتْ يَدِي بِالْعَجْزِ عَنْ شُكْرِ بَرِّهِ وَمَا فَوْقَ شُكْرِي لِلشُّكُورِ مَزِيدٌ

(٢) التبريزي: «عن الفحشاء».

(١) التبريزي: «يعدُّ المجد».

(٣) التبريزي: «وقال آخر»، وفي الحماسة البصرية ١: ١٦٥ ليزيد بن المهلب بن المغيرة بن أبي صفرة.

٢ - وَلَوْ أَنَّ شَيْئًا يُسْتَطَاعُ اسْتَعْطَتْهُ وَلَكِنْ مَا لَا يُسْتَطَاعُ شَدِيدٌ

يقول: غَمَرَنِي بِرُّهُ وَعَجَزَ حَوَامِلِي نَعْمَهُ، فاعترفت بالقصور، والفعود عن الوفاء بأداء الفروض، وجعلت يدي مرتَهَنَةً بالعجز، ولساني معقولة عن التصرف في الشكر، وإن كان لا مَزِيدَ على ما أتولاه منه لمُبَالِغ في الحمد، ولا فَوْقَ اجتهادي غايةً يَرْتَقِي إليها في النُشْر والتَّنَاء مُرْتَقٍ؛ فَإِنِّي لَمْ أَوْتِ مِنْ تَقْصِيرٍ يَلْزُمُنِي، أو إقصاءٍ مع قُدْرَةٍ يدفعني، ولكن لكون مِنَنِهِ مُعْجِزَةً غَيْرَ دَاخِلَةٍ تحت استطاعتي؛ وما لَا يُطَاقُ تَحْمُلُهُ مَنِيْع، والنُّهُوضُ بِهِ عَسِرٌ شَدِيدٌ.

٦٩٤ - وَقَالَ الْحُسَيْنُ بْنُ مُطَيْرٍ^(١):

- ١ - لَهُ يَوْمٌ بَوْسٍ فِيهِ لِلنَّاسِ أَبُوسٌ وَيَوْمٌ نَعِيمٍ فِيهِ لِلنَّاسِ أَنْعَمٌ
٢ - فَيَمْطُرُ يَوْمَ الْجُودِ مِنْ كَفِّهِ الثَّدْيِ وَيَمْطُرُ يَوْمَ الْبَأْسِ مِنَ الْبَأْسِ كَفَّهُ الدَّمُ
٣ - وَلَوْ أَنَّ يَوْمَ الْبَأْسِ خَلَّى عِقَابَهُ عَلَى النَّاسِ لَمْ يَصْبِحْ عَلَى الْأَرْضِ مُجْرِمٌ عَلَى النَّاسِ لَمْ يَصْبِحْ عَلَى الْأَرْضِ مُغْدِمٌ
٤ - وَلَوْ أَنَّ يَوْمَ الْجُودِ خَلَّى يَمِينَهُ

يقول: أَيَّامُ هَذَا الْمَمْدُوحِ مُقْتَسَمَةٌ بَيْنَ إِنْعَامٍ وَانتِقَامٍ، مِنْ إِحْيَاءٍ وَإِهْلَاكٍ، وَإِفْضَالٍ وَإِعْدَامٍ، فَلهِ يَوْمٌ بَوْسٍ يَشْقَى بِهِ أَعْدَاؤُهُ، وَيَوْمٌ نَعِيمٍ يَحْيَا بِهِ وَيَسْعُدُ أَوْلِيَاؤُهُ، فَيَوْمُ جُودِهِ يَعْمُ نَدَاهُ مُؤْمِلِيهِ وَعُفَّاتِهِ، وَيَوْمُ بُؤْسِهِ يَعْمُ إِهْلَاكُهُ مُنَابِذِيهِ وَخُسَادَهُ، وَلَوْ أَرَادَ فِي الْيَوْمِ الْمَخْصُوصِ بِالْإِنْتِقَامِ أَنْ يَجْعَلَ عِقَابَهُ مُخْلَى يَتَنَاوَلُ طَبَقَاتِ النَّاسِ، لَمْ يَبْقَ فِي الْأَرْضِ مُجْرِمٌ وَلَا خَسَدٌ يُضْمِرُ سُوءًا لَهُ، وَلَكِنْ أَبَى عَفْوُهُ إِلَّا إِيقَاءً؛ كَمَا أَنَّهُ لَوْ خَلَّى يَوْمُ جُودِهِ مَنَافِعَ يَمِينِهِ تَعْمُ طَوَائِفَ الْخَلْقِ لَمْ يَبْقَ فِي الْأَرْضِ فَقِيرٌ، وَلَكِنْ أَبَى ذَلِكَ بُعْدُهُ عَنْهُمْ، وَقُصُورُ مَعْرِفَتِهِ بِهِمْ.

ويجوز أن يكون المراد بقوله: «لم يصبِح على الأرض مجرم»، أنه كان يُغْنِي الْخَلْقَ حَتَّى لَا يَبْقَى مُجْرِمٌ وَغَيْرُ مُجْرِمٍ.

٦٩٥ - وَقَالَ أَبُو الطَّمْحَانِ^(٢):

- ١ - إِذَا قِيلَ أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ قَبِيلَةٌ وَأَصْبَرُ يَوْمًا لَا تُوَارَى كَوَاكِبُهُ

(١) التبريزي: «الأسدي» وقد سبقت ترجمته في الحماسية (٣١٩).

(٢) التبريزي: «وقال أبو الطمحان القيني، واسمه شرقي بن حنظلة». وقد سبقت ترجمته في الحماسية (٤٧٨).

- ٢ - فَإِنَّ بَنِي لَامِ بْنِ عَمْرِو أَرْوَمَةً سَمَتْ فَوْقَ صَغْبٍ لَا تُنَالُ مَرَاقِبُهُ
٣ - أَضَاءَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ وَوُجُوهُهُمْ دُجَى اللَّيْلِ حَتَّى نَظَّمَ الْجَزْعُ ثَائِبُهُ

يقول: لم تُعَمَّ الناسُ بالسؤال عنهم فقليل أيُّهم خير أصلاً وسلماً وأيُّهم أصبر يوماً ومشهداً تُرى كواكبُه ظَهَرًا، لكان يَجِيءُ في جواب هذا السؤال: بنو لَامِ بن عمرو؛ ولأنَّ لهم مَنْصِبًا علا شرفًا باذِخًا، وعِزًّا شامخًا لا تُدرك مَرَاقِبُهُ، ولا تُنَالُ مَطَالِعُهُ. والعَرَضُ من الجملة تفضيلُهم على جميع الخَلْق. والأرومة: الأصل الثابت الراسي. وانتصب «قبيلة» على التمييز، وكذلك «يومًا». ويعني بذكر اليوم الوقعات والحروب. وعلى ذلك قولهم: يوم جبَلَّة، ويوم الكلاب وما أشبههما. وقوله: «لا تُوَارَى كواكبُه» إن شئت فتحت فرويت: «لا تُوَارَى كواكبُه»، والمعنى لا تتوارى كواكبُه، فحذف إحدى التاءين تخفيفًا. ومعنى «لا تُوَارَى» بضم التاء لا تُستَر، والأصل في هذا، وهو يجري مجرى الأمثال، يومٌ حليمة، وذلك أنه سُدَّتْ عين الشمس في ذلك الثَّبار الثَّائر في الجَوْ فَرُثِيت الكواكب ظَهَرًا، فقليل: «ما يومٌ حليمةٌ بِسِرٍّ»^(١)، وصار الأمر إلى أن قيل في التوعد: لأريئك الكواكبَ ظَهَرًا. وأصل الصبر حبسُ النفس على الشرِّ، لذلك قيل: قُتِلَ فلانٌ صبرًا.

وقوله: «سَمَتْ فوق صَغْبٍ»، يريد: فوق جبلٍ صعبٍ يَشُقُّ الارتقاء إليه. والمَرَاقِبُ هي المَحَارِس، واحداثها مَرْقَبَةٌ، وكلُّ ذلك أمثال.

وقوله: «أضَاءَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ وَوُجُوهُهُمْ»، يريد طهارة أنفسهم، وزكاء أصولهم وفروعهم، فهم يَبِضُّ الوُجُوهُ تَبَرُّو الأحساب، فَدُجَى ليلهم تَنَكِّشُفُ مِنْ نور أحساسهم، حَتَّى أَنْ ثَائِبُهُ يُسَهِّلُ نَظَّمَ الْجَزْعُ فِيهِ لَنَاظِمُهُ، وهذا مَثَلٌ أَيْضًا. والهَاءُ من «ثاقبُه» يعود إلى ما دَلَّ عليه قوله: «أضَاءَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ»، والثُّقُوبُ: الإضاءة، ويقال: نار ثاقبة، وكوكب ثاقب، وَحَسَبَ ثاقب، وقد ثَقَّبَ أَيِ اشْتَدَّ ضَوْؤُهُ وَتَلَأَلُوهُ. ومعنى نَظَّمَ حمل على النُّظْمِ وَأَقْدَرَ، فهو بمعنى أنظم. ومثله كَرَّمَ وأكرم. والضمير من «ثَائِبُهُ» يدل على ظاهره صدرُ البيت، فهو مثل قولهم: مَنْ كَذَّبَ كَانَ شَرًّا لَهُ، وَمَنْ صَدَّقَ كَانَ خَيْرًا لَهُ، يريد كان الكَذِبُ وكان الصُّدُق، فكَذَلِكَ هذا، كَأَنَّهُ قَالَ: حَتَّى نَظَّمَ ثاقِبُ حَسْبِهِمُ الْجَزْعُ لَنَاظِمِهِ.

(١) المثل في تمثال الأمثال رقم (٣٨٨) والمستقصى ٢: ٣٤٠، وأمثال الضبي ٧٩، والدرة الفاخرة ٣٠١: ١، ويضرب للمشهور المتعالم.

٦٩٦ - وقال آخر^(١): [البسيط]

١ - يا أيُّها المُتَمَنِّي أن يَكُونَ فتى مثل ابنِ زَيْدٍ لَقَدْ خَلَى لَكَ السُّبُلَا

٢ - اَعْدُدْ نَظَائِرَ أَخْلَاقٍ عُدِدَتْ لَهُ هَلْ سَبَّ مِنْ أَحَدٍ أَوْ سُبَّ أَوْ بَخَلًا^(٢)

يقول: يا من يَودُّ ويشتهي أن تكونَ فتوةً مثل فتوةِ عروة بن زَيْد الخيل، لقد خَلَى لك الطُّرُق في اكتساب مَنَاقِب الفتوةِ وأدْخار أسبابها ومُوجباتها، فاسعَ واطلب، لأنَّ مَبَاغِيكَ إن قَدَرْتَ مُغْرِضَةً لك، وغيرَ ممتنِّعة عليك، وسُبُلها غير مُنْسَدَّة ولا محجوبة عن ذهابك واختراقك، ثم قال: هاتِ خصالك واعدُدْ نظائرَ أخلاقه المعدودة له، وانظر هل أنت في احتمال الكرم والتحاف العزِّ بحيث لا تُسَبُّ أحدًا تَعَلُّيًا وارتفاع منزلة، وفي نقاء الجَنِب وطهارة الأصل والقرع بحيث لا يَسُبُّكَ أحد توقُّيًا وتَعَفُّفًا، وهل تَقِفُ موقفًا تبعد فيه وتتنزَّه عن أن يُقَالَ: ما بَخَلَ بما في يده، ولا مَنَعَ أحدًا على رجائه به، فإنَّه حيثُ يَبِينُ لك تفاوتُ ما بينك وبينه.

٦٩٧ - وقال آخر: [الوافر]

١ - لِمَ أَرَّ مَعَشَرًا كَبَنِي صَرِيمٍ تَلَفُّهُمُ التَّهَائِمُ والتُّجُودُ

٢ - أَجَلٌ جَلَالَةٌ وَأَعَزُّ فَقْدًا وَأَقْضَى لِلْحُقُوقِ وَهَمٌ قُعودُ

٣ - وَأَكْثَرُ نَاشِئًا مِخْرَاقَ حَرْبٍ يُعِينُ عَلَى السِّيَادَةِ أَوْ يَسُودُ

قوله: «تَلَفُّهُمُ التَّهَائِمُ» أي تجمعهم، وانتصب «جَلَالَةٌ» على التمييز، وكذلك قوله: «فَقْدًا»، ولا يجوز أن يكون مصدرًا، أعني قوله جَلَالَةٌ، لأنَّ أفعَلَ هذا لا يؤكِّد بالمصدر، فهو من باب شِعَرَ شَاعِرٌ ومَوْتُ مائت، لأنَّ أصله مأخوذ من جلالٍ جليل. وانتصب «أَجَلٌ» بفعل مضمر، كأنه قال: لم أرَ أَجَلٌ جَلَالَةً منهم، لكنه اختَصَرَ وَحَذَفَ. وقوله: «تَلَفُّهُمُ التَّهَائِمُ» موضعه نَصَبٌ لأنَّه صفة لقوله مَعَشَرًا، والتقدير: لم أرَ مَعَشَرًا تَلَفُّهُمُ الأَعْوَارَ والأنجاد كَبَنِي صَرِيمٍ، ولم أرَ أَجَلٌ جَلَالَةً منهم أيضًا. وتهامةٌ من العَوَرِ، بل هو أَعَمَّقُهَا. ثُمَّ بَيَّنَّ ما فَضَّلُهُمُ فيه بعد أن أبهم، وفَصَّلَ ما أَجْمَلَ،

(١) التبريزي: «وتروى لمحمد بن بشير الخارجي» وكذلك في الزهرة ٢: ٥٨١.

(٢) التبريزي: «وفيها»

«إن تُنْفِقَ المَالُ أو تَكْلِفَ مَسَاعِيَهُ يَصْغُبُ عَلَيْكَ وَتَفْعَلُ دُونَ مَا فَعَلَا
لَوْ يُبْعَثُ النَّاسُ أَدْنَاهُمْ وَأَبْعَدُهُمْ فِي سَاحَةِ الْأَرْضِ حَتَّى يَحْرَثُوا الْإِبِلَا
كِي يَطْلُبُوا فَوْقَ ظَهْرِ الْأَرْضِ لَمْ يَجِدُوا مِثْلَ الَّذِي غَيَّبُوا فِي بَطْنِهِ رَجُلَا»

فقال: هم أتمهم رياسةً وأفخمهم فخامةً، وأشدهم على الناس قفداً، وأحسنهم في قضاء الحقوق الواجبة عليهم أداءً، هذا وهم قعود. وإنما قال ذلك لأنَّ الرئيس ينقذ أمره في مطالبه وإن لم يبرح مكانه. و«أعزَّ قفداً»، يريد شدة حاجة الناس إلى حياتهم، لو فور فضائلهم وأفضالهم.

وقوله: «وأكثر ناشئاً» يريد به الشاب المبتدىء في اكتساب ما يغتلي به ويفوق أقرانه. وانتصاب «ناشئاً» على التمييز. والمخراق: بناء الآلة، فهو كالمفتاح، يريد أنه يتخرق في الحرب ويسعى سعيًا بليغاً. وأصل المخراق هو ما يتلاعب به الصبيان من منديل يفتلونه، أو زق ينفخونه، أو ما يجري مجراهما. وسُمي مخراقاً لأنه يخرق الهواء في استعمالهم إياه. لذلك قال: [الطويل]

كَأَنَّ يَدِي بِالسَّيْفِ مِخْرَاقٌ لِأَعْبٍ^(١)

وقوله: «يُعِينُ عَلَى السَّيَادَةِ أَوْ يَسُودُ» جمَعَ بين الأمرين، وذلك لأنَّ الفضلاء إذا قَسَمُوا وُدَّجُوا في مراتبهم فهم من بين سيِّدٍ يقوم بنفسه ويكمل بخصاله، ومن بين مُعِينٍ عَلَى السَّيَادَةِ يصلح لأن يكون تابِعاً لا متبوعاً، وَمَسُوداً لا سَيِّداً.

٦٩٨ - وَقَالَ شَقْرَانُ مَوْلَى سَلَامَانَ^(٢): [الطويل]

١ - لَوْ كُنْتُ مَوْلَى قَيْسٍ عَيْلَانَ لَمْ تَجِدْ عَلَيَّ لِلنَّاسِ مِنْ دِرْهَمًا
٢ - وَلَكِنْ نِي مَوْلَى قُضَاعَةَ كُلِّهَا فَلَسْتُ أَبَالِي أَنْ أَدِينَ وَتَغْرَمَا

يقول: لو كان ولائي في قيس عيلان لاقتديت بهم، واستننت بسنتهم في الكف عن الإنفاق، وحبس النفس على شرائط الانقباض والإمساك، فكنت أرى خفيف الظهر في جميع ما يعرض، فسيح الصدر بكل ما يعن ويسنح، لم يركبني دين فاستنزل، ولا عبء على قلبي من متقاض فأتضجر، لكن ولائي في قضاة كلها فأنبسط في أخذ القروض إذا استغرقت ملك يميني، وأتوسع في إضافة ما لغيري إلى

(١) لقيس بن الخطيم في ديوانه ٨٨، والأغاني ٣: ١٠٩، وديوان المعاني ٢: ٥٠، ومعجم البلدان (حديقة) وصدرة:

«أجالدهم يومَ الحديقة حاسراً»

(٢) شقران: شاعر كان معاصراً لابن ميادة وكان بينهما مهاجاة (الأغاني ٢: ٢٠٢). والآيات (١)، (٢، ٣) في الحماسة البصرية ١: ١٦٤ لمروان عبد بني قضاة.

مالي ثقةً بأنهم يتحملون عني الأثقال إذا استحملتهم، وأنهم يعدُّون الغرامة غنماً إذا أحلَّت عليهم، فلا أبا لي كيف تخرَّقتُ، وفي أي وجه من وجوه البر أنفقتُ، وإن كانت معلومةً من لازم حقِّ أوديه، وعارضِ مكرمةً أوفيه، إلى كلِّ ما يكون التبجح به مشتركاً، واكتسابُ الفخر والأجر فيه مُشتملاً.

وقوله: «فلست أبا لي» أصله من البلاء النعمة، وقد تقدَّم القولُ في شرحه وما حصل بالاستعمال عليه.

- ٣ - أولئك قومي بآرك الله فيهم على كلِّ حالٍ ما أصفَّ وأكرمَّا
 ٤ - يُقال الجفان والحلوم رَحَاهُم رَحَى الماءِ يكتالون كَيْلاً عَذَّ مَذَّماً
 ٥ - جُفَاءَ المَحَزِّ لا يُصِيبُونَ مَفْصِلاً ولا يَأْكُلُونَ اللَّحْمَ إِلَّا تَخَذُّماً

أشار بقوله: «أولئك قومي» إلى قُضاعة، ثم أخبر عنهم بأنهم كثروا وطابوا ونَمَوْا بما جعل الله من البركة فيهم، فازدادوا. وقوله: «على كلِّ حالٍ» تَعَلَّقَ بقوله: «بارك الله فيهم»، ومَوْضَعُهُ من الإعراب نصبٌ على الحال، أي بارك الله فيهم متحوِّلين في إبدال الذَّهر وتصاريفه من عُسرٍ ويُسرٍ، وسَعَةٍ وَضِيقٍ، وَقِلَّةٍ وكثرةٍ، وانحطاطٍ وارتفاع. ثُمَّ قال مستأنفاً: ما أعفَّهم وأكرمَّهم، أي تَمَّتْ عَفَّتُهُمْ، وكُمِلَتْ أَكْرَمَتُهُمْ في حَالَتِي الإعسار والإيسار، والإضاقة والإيساع، والإقلال والإكثار.

وقوله: «يُقال الجفان» أي هم مطاعيم في الخِضْب والجَدْب، فجفائهم ثقيلة، وأفانيتهم بالوَرَاد والطَّرَاق مأهولة معمورة، وحلومهم ثابتة قائمة، لا يستخفُّها جَزَع، ولا يُطغِبها فَرَحٌ؛ وَتَرَى رَحَاهُم لكثرة غاشيتهم وحشَمِ دُورِهِم، رَحَى الماءِ، إِذْ أُنِي الاكتفاء بيسير الزَّاد مع العدد الجَمِّ، والخير الدُّثْر، والتَّعَمُّ العُمَر، إِذْ كان سائرُ الأرحاء لا يُسْتَعْنَى بها، ولا يَبْقَى بالمطلوب منه دُورَانُهَا؛ ثُمَّ إِذَا كَالُوا اِكْتَالُوا واسعاً لا استقاء فيه ولا مضايقةً، فهو يَجْرِي مَجْرَى ما يُهَالُ هَيْلاً، أَوْ يُؤَخَذُ جُزْأً لا كَيْلاً. والعَذْمُ: الأكل بسرعة، ومنه العَذْمُذْمُ. وَإِنْ حَضَرُوا مَقْسِمَ الجُزْرِ وتكرَّمُوا بتولي قَسْمِهَا، وَجَدَّتْهُمْ يُوسِعُونَ الحَزَّ، وَيُخِطُّونَ المَفْصِلَ، إِذْ لم يكن فِعْلٌ ذَلِكَ مِنْ عَادَتِهِمْ وطبائعهم، لكونهم ملوكاً، ولأنَّهم متى تأخَّرَ الحَدَمُ عنهم لم يُحْسِنُوا التَّصَرُّفَ في شيءٍ من وجوه المِهْنِ، ولا دَرَوْا كيف تُسَلَّخُ الجُزْرُ وتُقْتَسَمُ الأبداء، وَإِذَا أَكَلُوا اللحم على موائدهم لم يَتَنَاوَلُوهُ إِلَّا قُطْعاً بالسَّكَاكِينِ، لا نَهْشاً بالأسنان، إقامةً للمروءات، وَذَهَاباً عن شنيع العادات.

وقوله: «إِلَّا تَخْدُمَا» انتصب تَخْدُمَا على أَنَّهُ مصدرٌ في موضع الحال. وَالْخَدْمُ: سرعة القطع، وفي التَخْدُمُ زيادةٌ تَكْلُف. ويقال: سيف خَدُومٌ ومُخْدَمٌ. وقوله: «يَكْتَالُونَ كَيْلًا» وضع كَيْلًا موضع الاكتيال، كما وضع الثَّبات موضع الإنبات، في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَتَبَتَكَ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاكَ﴾ (٧) [نوح: الآية ١٧].

٦٩٩ - وقال أبو دهب الجُمَحِي^(١): [الكامل]

- ١ - إِنَّ الْبُيُوتَ مَعَادِنٌ فَنِجَارُهُ ذَهَبٌ وَكُلُّ بُيُوتِهِ ضَخْمٌ
 - ٢ - عَقِمَ النِّسَاءَ فَمَا يِلْدَنُ شَبِيهَهُ إِنَّ النِّسَاءَ بِمِثْلِهِ عَقِمٌ
 - ٣ - مَتَهَلَّلَ بِنَعَمٍ، بِلَا مُتَبَاعِدَ سَيِّانٍ مِنْهُ الْوَفَرُ وَالْعُدْمُ
 - ٤ - نَزَرَ الْكَلَامَ مِنَ الْحَيَاءِ تَحَالَهُ ضَمِنًا وَلَيْسَ بِجِسْمِهِ سُقْمٌ
- المعادن: جمع المعدن، وهو مِنْ عَدَنَ بِالْمَكَانِ إِذَا أَقَامَ عَدَنًا وَعُدُونًا، وقيل: بل هو من قولهم عَدَنْتُ الْحَجَرَ، إِذَا قَلَعْتَهُ، لِأَنَّ الْمَعْدِنَ يُقْلَعُ مِنْهُ مَا ضُمِّنَ، وَيُرْتَجَعُ مِنْهُ مَا أودع. وفي القرآن: ﴿جَنَّتٍ عَتَقَتْ﴾ [التوبة: الآية ٧٢]، أي جنات إقامة. والمراد أَنَّ بِيُوتَ النَّاسِ وَأَصُولَهُمْ مَخْتَلِفَةٌ الْمَسْبَرِ، مَتَفَاوِةُ الْمَخْبَرِ، تَتَفَاضَلُ تَفَاضُلُ الْمَعَادِنِ، وَنِجَارُ هَذَا الرَّجُلِ أَفْضَلُ النَّجْرِ فَهُوَ كَالذَّهَبِ الْإِبْرِيْزِ. ويقال: هو من نَجَرَ كَرِيمٌ وَنِجَارٌ كَرِيمٌ، أَي أَصْلُ كَرِيمٍ. وقوله: «وَكُلُّ بُيُوتِهِ ضَخْمٌ» أَي هو من أطرافه: أَعْمَامِهِ وَأَخْوَالِهِ، عَظِيمُ الشَّانِ نَبِيَّةً. وَإِنَّمَا قَالَ ضَخْمٌ لِأَنَّ الْمُرَادَ بِكُلِّ الْإِتِّحَادِ، أَي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ بِيُوتِهِ. وَمِثْلُ كُلِّ «كَيْلًا» لِأَنَّ كُلًّا يَرَادُ بِهِ مَرَّةُ الْإِتِّحَادِ، وَكَذَلِكَ كَيْلًا يُرَادُ بِهِ مَرَّةُ الثَّنِيَّةِ وَمَرَّةُ الْإِتِّحَادِ. وَقَدْ ذَكَرْتُ أَمْرَهُمَا مَشْرُوحًا فِي غَيْرِ هَذَا الْكِتَابِ.

وقوله: «عَقِمَ النِّسَاءَ» أَصْلُ الْعَقْمِ الْمَنْعُ، وَيُقَالُ: عَقِمَتِ الْمَرْأَةُ وَعَقِمَتِ الرَّحْمُ عَقْمًا بِضَمِّ الْعَيْنِ فَعَقِمَتْ، وَهِيَ مَعْقُومَةٌ بِنَاءٍ عَلَى عَقِمْتُ، وَعَقِيمٌ بِنَاءٌ عَلَى عَقِمْتُ، وَلِهَذَا يَجْمَعُ عَقِيمٌ عَلَى عَقْمٍ، لِأَنَّهُ فَعِيلٌ بِمَعْنَى فَاعِلٍ، وَلَمْ يُلْحَقْ بِهِ الْهَاءُ لِلْمُؤَنَّثِ لِأَنَّ الْمُرَادَ بِهِ التَّسْبِيَةُ، فَهُوَ كَقَوْلِهِمْ طَالِقٌ وَحَائِضٌ. وَلَوْ كَانَ عَقِيمٌ كَجَرِيحٍ وَصَرِيحٍ فِي أَنَّهُ فَعِيلٌ بِمَعْنَى مَفْعُولَةٍ لَوَجَبَ أَنْ يُقَالَ فِي الْجَمْعِ عَقَمَى، كَمَا قِيلَ جَزَخَى وَصَرَعَى. وَيُقَالُ: رَجُلٌ عَقِيمٌ، وَرَيْحٌ عَقِيمٌ، وَالدُّنْيَا عَقِيمٌ، وَالْمُلْكُ عَقِيمٌ.

(١) التبريزي: «قالوا: يمدح النبي ﷺ». وقد سبقت ترجمته في الحماسية (٥٢١).

ومعنى البيت أن هذا الرجل لا شبيه له فضلاً وتفضلاً، وكمالاً وتبرعاً، لأن النساء مُغْنَنَ أن يأتين بمثله فعِقمَن، أي صرن كذلك.

وقوله: «متهلل بنعم»، يريد بلفظ نعم. وجعل نعم اسماً، أي هو بش طلق الوجه قريب المأخذ، مُجِيبٌ فيما يُسأل، وعند كل ما يُطلب منه ويُقترح عليه، بقوله نعم، وهو متهلل، أي ضاحك مستبشر. وقوله: «بلا متباعد» أي يتباعد عن كل أحد بأن يصك في وجهه فيما يُطلب نيله منه بأن يقول لا، و«لا» جعله كالاسم. فتعم كانه اسم الإسعاف، ولا كانه اسم المنع والدفاع. وقوله: «سيان منه والوفر والعدم» أي مثلاً عنده الغنى والفقر لا يخل بالمعهود منه، ولا يترك عادته فيه.

وقوله: «نزر الكلام من الحياء»، أي هو قليل الكلام حتى كانه مُلجَم لغلبة الحياء عليه، وحتى يظن من لا يعرفه أنه لاف يترك الكلام، ولا آفة ثم، إنما مانعه ما يمتلكه من حياء ممتزج بالكرم، ولقلة رضاه عن نفسه في كل ما يرتثيه أو يأتيه، إذ كانت طباعه لا ترضى عنه بشيء يبلغه، فالحياء يُمسكه، والكرم يُسكته، لا تحمد منه ولا تبجح، ولا تسحب ولا تعلّي.

ومثل هذا قول الآخر: [البسيط]

راحوا تخالهم مريض من الكرم^(١)

والضمين: الزمن، ومصدره الضمانة.

٧٠٠ - وقالت ليلي الأخيلية^(٢):

١ - يا أيها السديم الملوّى رأسه ليَقُودَ من أهل الحجاز بريماً

السديم والسّادم: اللّادم الحزين، وقيل: بل السادم مأخوذ من الميّه الأسدام، وهي المتغيرة لطول المُكث. والسديم أيضاً: الفحل العظيم الهائج. والسديم أيضاً: اللّهج بالشّيء. وحكى أبو حاتم قال: قلت للأصمعي يوماً: إنك تحفظ من الرّجز ما

(١) ليلي الأخيلية في اللسان (نضا)، وليس في ديوانها، وللشمردل في الحيوان ٣: ٩١، وصدره:

«إذا غدا المسك يجري في مفارقهم»

(٢) ليلي بن عبد الله بن الرحال الأخيلية: من بني عامر بن صعصعة شاعرة فصيحة ذكية جميلة، اشتهرت بأخبارها مع توبة بن الحمير (ت نحو ٨٠ هـ / ٧٠٠ م). ترجمتها في فوات الوفيات

١٤١: ٢، والنجوم الزاهرة ١: ١٩٣.

لم يحفظه أحد. فقال: «إِنَّه كَانَ هَمًّا وَسَدَمًا». والبيت يحتمل الوجوه الثلاثة فيه. و«المُلَوِّي رأسه» يجوز أن يكون مثل قول الآخر^(١): [السريع]

..... غَارِرًا رَأْسَهُ فِي سِنَّةٍ.....

والمراد: كأنه ملكه التحير فهو يُلَوِّي رأسه. وتلوية الرأس كما يكون من الفكر والتحير فقد يكون من الكبر والتجبر، وقلة الاحتفال بالمختصر كقوله تعالى: ﴿فَسَيَنْصُورُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ﴾ [الإسراء: الآية ٥١] فالتغص كالتلوية وإن كان التغص أقرب إلى الحقيقة.

وقولها: «ليَقُودَ مِنْ أَهْلِ الْحِجَازِ بَرِيمًا»، فأصل البريم خَيْطٌ يُقْتَلُ مِنْ قُوَى بِيضٍ وسود. ويقال: قُطِيعَ بَرِيمٍ، إذا كان فيه خِلْطَانِ ضَائِقٌ وَمِعْزَى. وقال الدُرَيْدِيُّ: كُلُّ لَوْنَيْنِ اجْتَمَعَا مِثْلَ السَّوَادِ وَالْبَيَاضِ فَهُوَ الْبَرِيمُ، وإنما يَتَّخِذُونَ الْبَرِيمَ مِنَ الْخِيوطِ لِيَشْدُو فِي أَحْقِي الصُّبْيَانِ فَيُدْفَعَ بِهِ الْعَيْنُ. والمراد به هنا جيشٌ متفاوتون أدنياء، كالبريم وهو الخيط المُبْرَمُ مِنْ عِدَّةِ أَلْوَانٍ. والقصدُ فيما ذَكَرْتَهُ إِلَى الْإِنْكَارِ عَلَى الْمُخَاطَبِ فِيمَا يَأْتِيهِ، وتوبيخه فيما حَدَّثَ بِهِ نَفْسَهُ مِنْ قُوْدِ جَيْشٍ إِلَى عُمُرِ بْنِ الْخَلِيعِ، كما وَصَفْتَهُ.

٢ - أَتَرِيدُ عُمُرَ بْنَ الْخَلِيعِ وَدُونَهُ كَغَبٍ إِذَا لَوَّجْتَهُ مَزُومًا
٣ - إِنَّ الْخَلِيعَ وَرَفِطَهُ فِي عَامِرٍ كَالْقَلْبِ أَلَيْسَ جُؤْجُؤًا وَحَزِيمًا

تقول مفرقة ومقبحة لما أنكرته من مخاطبتها وموبخة: أتقصِدُ بما هممت به من جَمْعِ الْجُمُوعِ الْحِجَازِيَّةِ عُمُرَ بْنَ الْخَلِيعِ وَحَوْلَهُ بَنُو كَعْبٍ، إِذَا لَوَّجْتَهُ مَعْطُوفًا عَلَيْهِ، مَحْرُوسًا مِنْكَ وَمِنْ لَفِيفِكَ. أما علمت أَنَّ الْخَلِيعَ وَعَشِيرَتَهُ مِنْ بَنِي عَامِرٍ بِمَكَانِ الْقَلْبِ مِنَ النَّفْسِ، قَدْ التَفَّ بِهِ الصَّدْرُ وَالْحَزِيمُ، وَحَمَاهُ الْحِشَاءُ وَالْجَوْفُ.

والحزيم والمخزيم: موضع الحزام من الصدر. يقال للرجل إذا أريد تشمُّره: شدَّ حَزِيمَكَ لِلْأَمْرِ، وَحِيَازِيمَكَ وَحَزِيمَكَ. وَالْحَزِيمُ: وَسَطُ الصَّدْرِ. وَالْمَعْنَى: أَنَّ مَكَانَهُ مِنَ الْحَيِّ مَكِينٌ، وَمَحَلُّهُ مِنْ جَانِبِ الْمَنْعِ مِنْهُ وَالِدَفَاعِ دُونَهُ عَزِيزٌ مَصُونٌ. ويقال: رَأَيْتُهُ أَرَأَمَهُ زَأْمًا وَرِثْمَانًا. والمعنى: كيف يَقَعُ فِي نَفْسِكَ نِزَاعُهُمْ، أَوْ يُتَصَوَّرُ فِي وَهْمِكَ غَلْبُهُمْ.

(١) هذه قطعة من بيت هو مطلع الحماسية (٢٢) لابن زبابة وتماه:

«نَبَّيْتُ عَمْرًا غَارِرًا رَأْسَهُ فِي سَنَةِ يَوْعَدُ أَخْوَالَهُ»

ثُمَّ أَخَذَتْ تَحْذَرُ فَقَالَتْ: لَا تَغْزَوْهُمْ وَلَا تَسْتَشْعِرَنَّ ذَلِكَ فِيهِمْ.

- ٤ - لَا تَغْزَوْنَ الدُّهْرَ آلَ مُطَرَفٍ لَا ظَالِمًا أَبَدًا وَلَا مَظْلُومًا
٥ - قَوْمَ رِبَاطِ الْخَيْلِ وَسَطَ بِيوتِهِمْ وَأَسِنَّةَ رُزْقٍ يُخَلَّنُ نُجُومًا^(١)
٦ - وَمُخَرَّقَ عَنَةِ الْقَمِيصِ تَخَالُهُ وَسَطَ الْبُيُوتِ مِنَ الْحَيَاءِ سَقِيمًا
٧ - حَتَّى إِذَا رَفَعَ اللَّوَاءَ رَأَيْتَهُ تَحْتَ اللَّوَاءِ عَلَى الْخَمِيسِ رَعِيمًا
- نَهَتْهُ عَنْ غَزْوِهِمْ عَلَى كُلِّ حَالٍ. وَانْتَصَبَ «ظَالِمًا» عَلَى الْحَالِ. فَيَقُولُ لَا تَقْصِدْهُمْ طَامِعًا فِيهِمْ وَمُحَارِبًا لَهُمْ، لَا مُنْتَقِمًا وَلَا مُبْتَدَأًا، فَإِنَّكَ لَا تُطِيقُهُمْ، إِذْ كَانَ هُمُّهُمْ الْغَزْوُ، وَمَرْبُطُ خِيولِهِمْ وَسَطَ بِيوتِهِمْ، يَضْمُرُونَهَا وَيَتَفَرَّسُونَ عَلَى ظُهورِهَا، وَلَا يَأْتَمِنُونَ عَلَيْهَا فِي سِيَاسَتِهَا وَصَنَعَتِهَا إِلَّا أَنْفُسَهُمْ، فَلَا تَرَى إِلَّا مَنْ يَهْدُبُ آلَتَهُ لِلْحَرْبِ وَيُصْلِحُهَا، فَمَرْكُوبُهُ صَنِيعٌ، وَسِنَانُ رِمَحِهِ مَجْلُوسٌ سَنِينَ، وَنَفْسُهُ مُبْتَدَلَةٌ فِيمَا يَحْصُلُ بِهِ أَكْرَوْمَةٌ، لَا يَهْمُهُ مَطْعُومٌ وَلَا مَلْبُوسٌ. ثُمَّ لَقِرَطَ حَيَاتِهِ وَتَنَاهَى كَرَمَهُ تَحْسَبُهُ وَسَطَ بِيوتِ الْحَيِّ سَقِيمًا، قِلَّةَ كَلَامٍ وَلِينَ جَانِبٍ، وَضَعْفَ مُجَادَبَةٍ، فَإِذَا نُصِبَ لَوَاءُ الْجَيْشِ مُجَهَّزًا لِيَطْلُبَ وَثْرًا، وَانْتَوَاءً غَزْوًا، أَوْ مُحَامَاةً عَلَى وَلِيٍّ، أَوْ سَدًّا ثَغْرًا، رَأَيْتَهُ مُهَيَّأً لِلرَّعَامَةِ، مُعْتَمِدًا لِلرِّيَاسَةِ وَالسِّيَاسَةِ، غَيْرَ مَزَاحِمٍ وَلَا مَدَافِعٍ.

٧٠١ - وَقَالَ آخِرُ^(٢): [الكامل]

- ١ - نَحْنُ الْأَخَايِلُ لَا يَزَالُ غُلَامَنَا حَتَّى يَدِبَّ عَلَى الْعَصَا مَذْكُورًا
٢ - تَبْكِي السُّيُوفُ إِذَا فَقَدْنَا أَكْفَنًا جَزَعًا وَتَعَلَّمْنَا الرِّفَاقَ بُحُورًا
وَلَنَحْنُ أَوْثَقُ فِي صُدُورِ نِسَائِكُمْ مِنْكُمْ إِذَا بَكَرَ الصُّرَاخُ بُكُورًا
- الأخايل جمع، وهي قبيلتها. ويقال للشَّاهِينِ الْأَخْيَلِ، وَالْجَمِيعِ الْأَخَايِلِ، فَأَمَّا قَوْلُ الشَّاعِرِ: [الطويل]

لَهُ بَغْدَ إِذْ لَاجِ مِرَاحٍ وَأَخْيَلُ^(٣)

(١) التبريزي: «تُخَالُ نُجُومًا».

(٢) التبريزي: «وقالت: ويقال: بل قالها أبوها».

(٣) للأخطل في ديوانه ١٥٤، وبلا نسبة في اللسان (خيل)، وتاج العروس (خيل)، وصدرة:

«فَلَدْتُ لِمِرْتَاحٍ، وَطَابَتْ لَشَارِبٍ»

فهو الخِيَلَاء، والفعل منه اختال. ومراد الشاعر: نحن المعروفون المشهورون، كما قال أبو النّجم: [الرجز]

أنا أبو النّجم وشِغْري شِغْري^(١)

أي أصحاب هذا الاسم التّيبه الخطير. ولا يزال غلامنا أي الغلام مِتًا وفينا، من وقتٍ ترعرعَهِ إلى وقت ديبه، معتمداً على عكّازِهِ، رفيع الذّكر عليّ الشّأن تقدماً وتكرّماً. والسّيوف إذا فَقَدَتْ أيدينا بَكَتْ حنينًا إليها، وجَزَعًا على ما يفوتها منها. والمرافقون في الأسفار لنا تَعَلَّمْنَا بحوزًا، لِمَا يُقَسِّمُ لهم من إفضالنا، وَيَعْمَهُم من تفضّلنا، ولِحُسْنِ توفّرنا على الرّؤاد والرّواد، ويُمْنِ صُحبتنا على الأداني والبُعْداء.

وقوله: «ولَنَحْنُ أَوْثَقُ في صدور نساءكم»، يريد أَنَّهُنَّ إذا صُبُخْنَ بالغارة فارتفعَ لما يتداخلهُنَّ من الرُّغْبِ الصُّرَاخُ، لَأَنَّهُنَّ خِفْنَ السِّبَاءَ وما يَلْحَقُ من العار، فقلن: واصْبَاحاه أو واسوء صباحنا! واسم ذلك الصّوت الصرخة والصُّرَاخ. وفي المَثَل: «لهم صَرْخَةُ الحُبْلَى».

ومعنى البيت أنا في ذلك الوقتِ أَوْثَقُ في اعتقاد النّساء، وفيما يشتمل عليه ظَنُّهُنَّ ويعتمده استقامتهنّ مِنكم، لما عَرَفْنَ من دَبْنَا وجِمَاتِنَا، واشتهرنا به من غَيْرتنا وحميتنا.

٧٠٢ - آخر^(٢):

[البسيط]

١ - يُشَبِّهُونَ سَيْوِفًا في صَرَائِمِهِمْ وطُولِ أَنْضِيَةِ الْأَعْنَاقِ وَالْأُمَمِ^(٣)

٢ - إِذَا عَدَا الْمِسْكُ يَجْرِي فِي مَفَارِقِهِمْ رَاحُوا تَخَالُهُمْ مَرَضَى مِنَ الْكَرَمِ

يقال: شَبَّهْتُ كذا وبكذا، كما يقال نصحتك ونصحت لك. والصّرائم: العزائم، والواحدة صريمة. وقال الخليل: الصّريمة إحكامك الأمر وعزمك عليه. وكان أصله من الصّرم: القَطْع. والأنضِيّة: جمع النّضِي؛ وهو مركّب النّصل في السّيف في

(١) لأبي النجم في أمالي المرتضى ١: ٣٥٠، وخزانة الأدب ١: ٤٣٩، والدرر ١: ١٨٥.

(٢) البيتان في الحيوان ٣: ٩١، وأمالي القالي ١: ٢٣٨ للشمردل بن شريك اليربوعي وهو من شعراء الدولة الأموية، وبدون نسبة في الكامل ٣٥.

(٣) التبريزي: «في صرامتهم».

الأصل، والمراد به هنا مركب الرأس في العنق. ونَضِي السَّهْم: قَذَحَهُ، وهو ما جاوز من السَّهْم الرِّيشَ إلى التَّصَل. وأنشد الخليل في ذلك: [الطويل]

فَمَرَّ نَضِي السَّهْمِ تَحْتَ لَبَانِهِ وَجَالَ عَلَى وَخْشِيهِ لَمْ يُعْتَمِ^(١)

والأُمَم: جمع أُمَّة وهي القامة؛ يقال: ما أَحَسَّنَ أُمَّتَهُ. وقوله: «راخُوا تَخَالَهُمْ مَرَضَى مِنَ الْكَرَمِ»، أي من الحياء. وَصَفَهُم بِالضَّرَامَةِ وَالتَّفَازِ فِي الْأُمُورِ، فكأنهم السُّيُوفُ؛ ويطول القَوَامُ وَحُسْنُ الشُّطَاطِ، وياستعمال العِطَرِ وَكَرَمُ النَّفْسِ وَثِدَّةُ الْحَيَاءِ بَعْدَ الشُّرْبِ، وَبَتَامِ الْأَبْهَةِ وَالْمُرُوءَةِ فِي مَجَالِسِ الْأَنْسِ. وهذا وإن لم يصرَّح به فهو مَتَبَيِّنٌ مِنْ فَحْوَى: إِذَا غَدَا الْمِسْكُ رَاخُوا وَكَانَهُمْ مَرْضَى. على ذلك رَسُمُ الْإِصْطِبَاحِ، وعادة كِرَامِ شُرَابِ الرِّيحِ.

٧٠٣ - وقال آخر^(٢): [الوافر]

- ١ - فَلِنْ تَكُنِ الْحَوَادِثُ حَرَقَتْ نِي فَلَمْ أَرِ هَالِكًا كَابِنِّي زِيَادٍ
- ٢ - هَمَّا زُمَحَانِ خَطِيَّانِ كَانَا مِنْ السُّمْرِ الْمُتَّقِفَةِ الصُّعَادِ
- ٣ - تُهَالِ الْأَرْضُ أَنْ يَطَأَ عَلَيْهَا بِمِثْلِهَا تُسَالِمُ أَوْ تُعَادِي

يقول: إن كانت نوائب الزمان أثرت في وأزالت تحملي بالصبر، وتجلدي لِرِزْبِ الدَّهْرِ، فإني لم أرَ فيمن شاهدتهم هالكًا كهذين الرَّجُلَيْنِ؛ وابناً زيادٍ لم يكونا منه بسبيل، لا قُرْبَى ولا قرابة، ولا أصرّة ولا وسيلة، فيكون الكلام تأييداً والشعر مرثية؛ وإنما كان من جملة مَنْ تَأَذَّى بِهِمْ، وسأفوا الشَّرَّ إِلَيْهِ بِسَعِيهِمْ، لكنَّهُ شَهِدَ لَهُمَا بِمَا شَهِدَ، مُورِداً الْحَقَّ، وَتَابِعاً الصَّدْقَ، فهو بالمدح أشبه منه بالمراثي، إذ كان الرثاء من شرطه التوجع والتَّحْزُنُ وَقَدْ عُدِمَا هُنَا، وَالتَّنَاءُ عَلَى الْعَدُوِّ ثَنَاءٌ عَلَى نَفْسِهِ. ويجوز أن يكون المراد: لي بهما على فضلهما ونفاذهما وتقدمهما، أسوة في الرضا بما قُدِّرَ لي، والصبر على ما حُكِمَ بِهِ عَلَيَّ، ولأنَّ الْأَرْضَ لَوْ هَابَتْ مَاشِيًا عَلَى ظَهْرِهَا، لَكَانَتْ تَهَابُ هَٰذَيْنِ لَمَّا أُوتِيَا مِنْ قُدْرَةٍ، وَأُبْلِغَا مِنْ عِزِّ وَقْوَةٍ.

وشبَّههما بِرُمَحَيْنِ اسْتَوَاءَ خَلْقَةٍ وَامْتِدَادِ قَامَةٍ، وَسُرْعَةِ نَفَازٍ وَحُسْنِ تَوْجِهِ. وَالسُّمْرَةُ فِي أَلْوَانِ الرَّمَاكِ مَحْمُودَةٌ. وَالصُّعْدَةُ: الْقَنَاةُ ثَبَتَتْ مُسْتَوِيَةً. وقوله: «من السمر

(١) للأعشى في ديوانه ١٧١، واللسان (نضا)، وأساس البلاغة (نضو).

(٢) التبريزي: «... من طييء، يرثي الربيع وعمارة ابني زياد العبسين».

المثقفة الصُّعَاد»، سَوَّى بينهما في التشبيه حتى لا مخالفة، وتنبهها على ما يُقصد من المبالغة وتناهي البراعة.

وقوله: «تُهَالُ الأرضُ أَنْ يَطَّأَ عليها» أي لَأَنْ يَطَّأَ عليها، فحذف حرف الجر. يريد: أَنْ قُوَّتَهُما بالغة، وَمَشِيَّتُهُما شديد، والأَرْضُ لشدَّةِ وَطْنُهُما لها في هَوْلٍ عظيم، وزَلْزَالٍ فظيع. ويجوز أن يريد بالأرض أهل الأرض فحذف المضاف. ثم قال: وبمثلهما تُسَالِمُ أو تُعَادِي، يريد أنَّهما أهلُ الصَّلاحِ والفَسَادِ والخير والشرِّ، والعداوة والصداقة. و«أو» من قوله: «أو تُعَادِي» أو الإباحة وقد نُقِلَ إلى الْخَبَرِ.

٧٠٤ - آخر^(١): [الطويل]

١ - كَرِيمٌ يَغْضُ الطَّرْفُ فَضْلَ حَيَاتِهِ وَيَدْنُو وَأَطْرَافُ الرِّمَاحِ دَوَانٍ
٢ - وَكَالسَّيْفِ إِنْ لَا يَنْتَهُ لَأَنْ مَسَّهُ وَحَدَّاهُ إِنْ خَاشَتْنَتْهُ خَشِينَانِ

يصفه بأن خصال الكرم قد اجتمعت فيه، فليتناهي حياته تراه يَكْسِرُ طَرَفَهُ عند النَّظَرِ، فَعَمِلَ مَنْ عَمِلَ مَا يُسْتَحْيَا مِنْهُ، أَوْ لَزِمَهُ مِثْلُهُ مُنْعِمٌ تَوَالَى نِعْمُهُ عَلَيْهِ، أَوْ قَصَرَ فِي أَدَاءِ وَاجِبٍ فَيَخَافُ عَثْبَهُ فِيهِ؛ وَلِكَمَالِ حَمِيَّتِهِ فِي الْحَرْبِ يَقْتَحِمُ عَلَى الشَّرِّ، فَلَا يَزْدَادُ وَالرِّمَاحُ شَارِعَةً نَحْوَهُ إِلَّا قُرْبًا مِنْهَا، وَتَهْجُمًا عَلَيْهَا، ثُمَّ هُوَ فِي طَبَاعِهِ كَأَنَّهُ السَّيْفُ مَتَى لَا يَنْتَهُ وَجَدَتْ اللَّيْنُ فِي صَفْحَتِهِ عِنْدَ مَلَمَسِهِ، وَمَتَى خَاشَتْنَتْهُ وَجَدَتْ الْقَطْعَ وَالْخَشُونَةَ فِي حَدِّهِ وَمَضْرِبِهِ.

ومثل هذا قول الآخر^(٢): [الرجز]

ضَرْبًا تَرَى مِنْهُ الْعُلَامَ الشُّطْبَا إِذَا أَحْسَّ وَجَعًا أَوْ كَرْبًا
دَنَا فَمَا يَزْدَادُ إِلَّا قُرْبًا تَحَكُّكَ الْجَرِيَاءِ لَاقَتْ جُرْبًا

وقد مرَّتْ مستقصى شرحها في باب الحماسة.

٧٠٥ - وقال المُجِير السُّلُولِي^(٣): [الطويل]

١ - إِنْ ابْنُ عَمِّي لِابْنِ زَيْدٍ وَإِنَّهُ لَبَلَالُ أَيْدِي جِلَّةِ الشُّؤْلِ بِالدِّمِ

(١) البيتان لأبي الشَّيْخِ الْخَزَاعِي ص ١١٢، وبلا نسبة في البيان والتبيين ١٧١:٢.

(٢) الرجز لعبد الرحمن المعني في الحماسة (١٩٧).

(٣) سبقَتْ ترجمته في الحماسة (٣١١).

٢ - طَلُوعُ الثَّنَايَا بِالْمَطَايَا وَسَابِقُ إِلَى غَايَةِ مَنْ يَنْتَدِرُهَا يُقَدِّمُ
افتخَرَ بَابِنِ عَمِّهِ، وَبِمَكَانِهِ مِنْ قَرَابَتِهِ، ذَاكِرًا اسْمَ أَبِيهِ، وَمُكْتَفِيًا بِهِ لَاشْتِهَارِهِ، ثُمَّ
وَصَفَهُ بِأَنَّهُ أَوَّانُ الْجَذْبِ وَالْقَحْطِ، وَعِنْدَ إِنْسَانَاتِ النَّاسِ، وَوَقْتُ طُرُوقِ الْأَضْيَافِ،
يُعْرِقُ الْإِبِلَ السَّمَانَ فَيَلُ أَيْدِيهَا مِنْ دِمَاءِ عِرَاقِيهَا.

وقد أحسن لبيدٌ كلَّ الإحسان في قوله لما سلكَ هذا المسلكَ: [الرمْل]

مُذِمِّنٌ يَجْلُو بِأَطْرَافِ الدَّرَى دَنَسَ الْأَسْوَقِ بِالْعَضْبِ الْأَقْلِ^(١)

وقوله: «طَلُوعُ الثَّنَايَا بِالْمَطَايَا» يريد أنه يعلو العقاب ويُسْرِفُ عليها مرتبًا فيها،
أو نافضًا طرق الضيد عليها. ومثله قولهم: طَلَّاعٌ مَرْقَبَةٌ، وَطَلَّاعٌ أَنْجَدَةٌ. إِلَّا أَنَّ هَذَا
زَادَ عَلَى مَا قَالُوا لِقَوْلِهِ: «بِالْمَطَايَا».

وقوله: «وَسَابِقُ إِلَى غَايَةٍ» مثله قولُ تَابُطٍ شَرًّا: [البسيط]

سَبَاقٍ غَايَاتٍ مَجْدٍ فِي عَشِيرَتِهِ^(٢)

وقوله: «مَنْ يَنْتَدِرُهَا يُقَدِّمُ» في موضع الصفة لغاية، والمعنى: مَنْ يَنْتَدِرُ مِثْلَ
تِلْكَ الْغَايَةِ قُدِّمَ فِي أَقْرَانِهِ وَنُظَرَائِهِ، وَسُلِّمَ السَّبْقُ لَهُ.

٣ - مِنَ الثَّقَرِ الْمُذْلِيْنَ فِي كُلِّ حُجَّةٍ بِمُسْتَخْصِدٍ فِي جَوْلَةِ الرَّأْيِ مُحْكَمٍ

٤ - جَدِيرُونَ إِلَّا يَذْكُرُونَ بِرَيْبَةٍ وَلَا يُغْرِمُونَكَ الدَّهْرَ مَا لَمْ تَغْرَمِ

يقال: أَدْلَى بِحُجَّتِهِ، إِذَا أَظْهَرَهَا وَقَامَ بِهَا؛ وَأَدْلَى رِءَاةً فِي الْبُشْرِ لِيَبْتَلَى، وَدَلَّاهُ
عَلَى كَذَا فَتَدَلَّى. وَقَالَ الْهَذَلِيُّ: [الطويل]

تَدَلَّى عَلَيْهَا بَيْنَ سَبَبٍ وَخَيْطَةٍ^(٣)

وَتَوَسَّعُوا فِيهِ فَقَالُوا: دَلَّاهُ بِغُرُورٍ. فيقول: هَذَا الرَّجُلُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ إِذَا أوردُوا
حُجَّةً قَوْمُوهَا بِرَأْيٍ مُحْكَمٍ الْفَتْلَ فِيمَا يَجُولُ مِنَ الرَّأْيِ مُخْصَفٍ. وَالثَّقَرُ يَقَعُ عَلَى مَا

(١) للبيد في ديوانه ١٩٨، وكتاب الجيم ٣: ٥٠.

(٢) لتابط شرًّا في ديوانه ١٣٦، وتاج العروس (رفق)، وشرح اختيارات المفضل ١١٨، وعجزه:

«مرجع الصوت هذا بين أرفاق»

(٣) لأبي ذؤيب الهذلي في شرح أشعار الهذليين ٥٣، واللسان (سبب، جرد، دمس، خيط،

وكف)، وديوان الأدب ٣: ٢٠٧، وعجزه:

«بجرداء مثل الوكف يكبر غرائبها»

بين الثلاثة إلى العشرة، ولذلك صَلَحَ أَنْ يُقالَ ثلاثة نَفَرٍ وأربعة نفر. ونافرة الرَّجُلُ: بنو أبيه الذين يَغْضَبُونَ لَغَضْبِهِ. قال: [الرجز]

لَوْ أَنَّ حَوْلِي مِنْ عُلَيْمٍ نَافِرَهُ مَا عَلَبْتَنِي هَذِهِ الضَّيَاطِرَةُ^(١)

وقوله: «جديرون أَلَا يَذْكُرُوكَ بَرِيَّةً»، يريد أنهم أَحَقُّاءُ بِأَلَا يَغْتَابُوكَ إِذَا غَبَّتْ عنهم، لسلامة صُدُورِهِمْ مِنَ الدَّغْلِ والغش والخيانة، وَلَا يَقْذِفُوكَ بِرِيَّةٍ تَشِينُكَ أَوْ يَقْبَحُ فِي الْأَحْدُوثَةِ بِهَا عَنكَ، وبأَلَا يُجَرُّوْا عَلَيْكَ أَبَدًا جَرِيرَةً يَثْقُلُ وَطْأَتُهَا عَلَيْكَ فَتَحْتَاجُ أَنْ تَغَرَّمَ لَهَا مَا لَا تَطْيِبُ نَفْسُكَ بِهِ، وَلَا تَسْمَحُ بِتَحْمِلِهَا فِي مَالِكَ.

٧٠٦ - وله أيضًا: [الطويل]

- ١ - أَقُولُ لِعَبْدِ اللَّهِ وَهَنًا وَدُونَنَا مُنَاحُ الْمَطَايَا مِنْ مَنَى فَالْمَحْضَبُ
- ٢ - لَكَ الْخَيْرُ عَلَلْنَا بِهَا عَلَّ سَاعَةً تَمُرُّ وَسَهْوَانٌ مِنَ اللَّيْلِ يَذْهَبُ^(٢)
- ٣ - فَنَقَامَ فَادَنَى مِنْ وَسَادِي وَسَادَةٍ طَوِي الْبَطْنِ مَمْشُوقُ الذَّرَاعَيْنِ شَرْحَبُ
- ٤ - بَعِيدٌ مِنَ الشَّيْءِ الْقَلِيلِ احْتِفَافُهُ عَلَيْكَ وَمَثْرُورُ الرِّضَا حِينَ يَغْضَبُ
- ٥ - هُوَ الظَّفِيرُ الْمَيِّمُونُ إِنْ رَاحَ أَوْ عَدَا بِهِ الرُّكْبُ وَالتَّلْقَايَةُ الْمَتَحَبُّبُ

وَهَنًا، أَيُّ بَعْدَ سَاعَةٍ مِنَ اللَّيْلِ؛ وَمِنْهُ الْمَوْهِنُ. وَمَفْعُولُ أَقُولُ أَوَّلُ الْبَيْتِ الثَّانِي، وَهُوَ «لَكَ الْخَيْرُ»؛ وَمَوْضِعُ «وَدُونَنَا مُنَاحُ الْمَطَايَا» مَوْضِعُ الْحَالِ. فَيَقُولُ: أَخَاطَبُ عَبْدَ اللَّهِ وَقَدْ تَقَضَّى مِنَ اللَّيْلِ بَعْضُهُ، وَمَبْرَكُ الْإِبِلِ مِنْ مَنَى فَمَوْضِعُ الْجَمَارِ مِنْهُ بِقَرَبٍ مَنَّا: مُلَكْتَ الْخَيْرِ وَلَقِيتَ السَّعَادَةَ، عَلَلْنَا فِي هَذِهِ الْأَرْضِ بِأَحَادِيثِكَ لَعَلَّ سَاعَةً تَمُرُّ تَرْجِعُ إِلَيْنَا نَفْسُنَا وَطَائِفَةً مِنَ اللَّيْلِ تَمْضِي نَطْوِيهَا عَلَى بَعْضِ مَرَادِنَا، وَلَأَنَّ التَّعَلُّلَ بِالْأَحَادِيثِ وَقَطَعَ الْأَوْقَاتَ بِهِ، لِلنَّفْسِ فِيهِ رَاحَةٌ، وَلَهَا بِهِ اعْتِبَارٌ. وَقَوْلُهُ: «وَسَهْوَانٌ» أَيُّ طَائِفَةٌ. وَيُرْوَى: «وَسَهْوَاءُ» وَيَقَالُ: لَقِيتَهُ بَعْدَ سَهْوَاءٍ مِنَ اللَّيْلِ، أَيُّ بَعْدَ مُضِيِّ صَدْرِهِ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فَعْلَاءً مِنَ السَّهْوِ، وَتَكُونُ هَمْزُهَا مَلْحَقَةً، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فَعْوَالًا وَيَكُونُ هَمْزُهَا مَبْدَلَةً مِنَ الْوَاوِ. فَأَمَّا سَهْوَانٌ فَكَأَنَّهُ أُريدَ بِهِ

(١) بلا نسبة في تاج العروس (نفر)، وأساس البلاغة (نفر)، وجمهرة اللغة ٧٨٨، وكتاب الجيم ١٩٤:٢.

(٢) التبريزي «تمرُّ وسهواء» وقال: «وسهواء»: يجوز أن تكون فعلاء من السهو، ويجوز أن تكون فعلالاً.

الوقت الذي يسهو فيه الناس عن مباحيهم، وعلى ذلك يُحْمَلُ السَّهْوَاءُ. وفي المثل: «لَنْ الْمُوصِيْنَ بَنُو سَهْوَانَ»، أي الذين يسهون عن الحاجة يُحتاج معهم إلى التَّوصِيَةِ. ولا يمتنع أن يكون السَّهْوَانُ في الوقت مأخوذاً من السَّاهِيَةِ، وهو ما استطال وأُتْسِعَ من الأرض من غير خَمَرٍ يردُّ العين؛ فَثَقُلَ من المكان إلى الزَّمان، أي طائفة من اللَّيْلِ ممتدَّةٌ واسعة.

وقوله: «فَقَامَ فَأَدْنَى مِنْ وَسَادِي وَسَادَهُ» جَمَعَ بين فِعْلَيْنِ قَامَ وَأَدْنَى. فيجوز أن يكون «طَوِيَّ البَطْنِ» يرتفع بالأول منهما، وهو قَامَ، ويجوز أن يرتفع بأدنى وقد أضمر في قام على شريطة التفسير فاعله. والمعنى: فقام به أو منه رجلٌ هكذا فَقَرَّبَ مجلسَه من مجلسي. الشرجب: الطويل. والطَوِيَّ البَطْنِ: الصغيره خلقَةً. والممشوق: الطويل القليل اللحم. وجاريةٌ ممشوقة: حَسَنَةُ القَوَامِ قَلِيلَةُ اللحم.

وقوله: «بعيد من الشيء القليل احتفاظه» أي غضبه، يريد أنه سهل الجانب لا يكاد يَحْتَمِي من الشيء القليل الخَطَرِ والموقع من النفوس، لكنه قليل الرضا إذا غَضِبَ، لا يكاد يرجع إذا ذَهَبَ عنك بالهُوَيْنَا. ويُذَكَّرُ البعد ههنا يريد الثَّغْيَ، وهذا كما يُسْتَعْمَلُ القليل والأقلُّ ويراد بهما الثَّغْيَ. والمعنى لا يحتفظ بالشيء القليل ولا يُؤَاخِذُ بصغائر الذنوب.

وقوله: «هو الظَّفِير الميمون» يصفُ إقباله في متصرفاته، وأنَّ المَنَاجِحَ والسَّعَادَاتِ في رِفَاقِ لَمَطَالِيهِ وَمَبَاغِيهِ، والمَيَّامِينَ تترفف على جوانب آرائه وأهوائه، ثم هو حَسَنُ البَشَرِ، لِيَنَّ العَرِيكَه، ضَحَّاكٌ لَعُوبٌ. والاحتفاظ: افتعالٌ من الحِفْظَةِ والحَفِيزَةِ: العَضْبِ. والتَّلْعَابَةُ على بنائه التَّقْوَالَةِ والتَّلْقَامَةِ والهَاءُ في آخره للمبالغة. ويقال: نَزَزْتُ الشيء نَزَزًا، ثم يقال للمنزور: هو نَزَزَ.

٧٠٧ - وقال أبو دَهَبٍ^(١) في الأزرق^(٢): [البسيط]

- ١ - ماذا رُزِينَا عِدَاةَ الخَلِّ من رِمَعٍ عند التَّفَرُّقِ مِن خِيَمٍ ومن كَرَمٍ
- ٢ - ظَلَّ لَنَا واقِفًا يَغْطِي فَاكْشَرُ مَا قُلْنَا وَقَالَ لَنَا فِي وَجْهِهِ نَعَمٍ

(١) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (٥٢١).

(٢) في الأغاني ٦: ١٥٧: «هو ابن الأزرق واسمه عبد الله بن عبد الرحمن بن الوليد بن شمس بن

المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم».

الْحَلَّ: الطَّرِيقُ فِي الرَّمْلِ. ورمع: موضع، وقيل هو جبل باليمن، يقول: أَصْبَبْنَا وَفُجِعْنَا غَدَاةَ اجْتِمَاعِنَا لِتَوْدِيعِ الْفِرَاقِ، بعظيم نبيه من الكرم والخيم، وهو سَعَةُ الخلق.

وقوله: «ظَلَّ لَنَا وَاقِفًا يُعْطِي» يعني الأزرق. أَي بَقِيَ نَهَارَهُ وَاقِفًا وَنَحْنُ مُحْتَفُونَ بِهِ وَمَجْتَمِعُونَ حَوْلَهُ، وَأَكْثَرُ مَا قَلَنَاهُ فِي وَجْهِهِ وَخَاطَبْنَاهُ بِهِ، وَقَالَ لَنَا فِي جَوَابِهِ «نَعَمْ». كَأَنَّ الْقَوْمَ الْمُعْتَرِّينَ اكْتَفَوْا بِعَرَضِ نُفُوسِهِمْ عَلَيْهِ مِنْ ذِكْرِ حَاجَاتِهِمْ لِتَمَامِ كَرَمِهِ، وَكَمَالِ فِطْنَتِهِ، وَهُوَ يَعِدُّهُمْ الْخَيْرَ وَيَقْرَبُ لَهُمُ الْإِسْعَافَ وَالْبَذْلَ، وَيَقُولُ لِكُلِّ مِنْهُمْ: نَعَمْ، عَالِمًا بِمَا يَقْتَرِحُهُ، وَضَامِنًا لِمَا يَطْلُبُهُ، وَمَاءُ الْوَجْهِ فِي مَوَاضِعِهَا لَمْ تُهْرَقَ.

وَنَعَمْ: حَرْفُ إِيْجَابٍ، «وَيُعْطِي» مَوْضِعُهُ نَصَبٌ عَلَى الْحَالِ.

٣ - ثُمَّ انْتَحَى غَيْرَ مَذْمُومٍ وَأَعْيَيْنَا لِمَا تَوَلَّى بَدَمْعٍ سَافِحٍ سُجُومٍ

٤ - تَحْمِلُهُ النَّاقَةُ الْأَدْمَاءَ مَعْتَجِرًا بِالْبُزْدِ كَالْبَدْرِ جَلَّى لَيْلَةَ الظُّلَمِ^(١)

٥ - وَكَيْفَ أَنْسَاكَ لَا نُعْمَاكَ وَاحِدَةً عِنْدِي وَلَا بِأَلْذِي أَسْدَيْتَ مِنْ قَدَمٍ^(٢)

يقول: اعْتَمَدَ، بَعْدَ الْوُقُوفِ لَنَا وَالنَّظَرِ فِي مَآرِبِنَا، لَوَجْهِتِهِ، وَهُوَ مُمَدِّحٌ بِاللَّسْنَةِ، مُحِبٌّ فِي الصُّدُورِ وَالْأَفْعَدَةِ، وَأَعْيَيْنَا لِتَوَازُعِ نُفُوسِنَا لَمَّا وَلَّى، سَيَالَةً بِدَمُوعِهَا. وَمَعْنَى سَافِحٍ: ذُو سَفْحٍ، أَي ذُو انْصِبَابٍ. وَالسُّجُومُ: جَمْعُ سَجُومٍ.

وقوله: «تَحْمِلُهُ النَّاقَةُ الْأَدْمَاءَ مَعْتَجِرًا»، يَرِيدُ مَلْتَقًا. وَالْإِعْتِجَارُ: لَفٌّ الْإِعْجَرُ، وَهُوَ الْعِمَامَةُ، فِي الرَّأْسِ مِنْ غَيْرِ إِدَارَةٍ تَحْتَ الْحَنَكِ. وَقِيلَ: بَلِ الْإِعْجَرُ ضَرْبٌ مِنْ ثِيَابِ الْيَمَنِ. وَشَبَّهَهَا بِالْبَذْرِ فِي تَلَاثِيهِ وَنُورِهِ. أَلَا تَرَى أَنَّهُ قَالَ: «جَلَّى لَيْلَةَ الظُّلَمِ».

وقوله: «وَكَيْفَ أَنْسَاكَ»، يَرِيدُ أَنَّ أَيَادِيَهُ عِنْدَهُ تَذْكُرُهُ لِأَنَّهَا كَثُرَتْ وَعَمَّتْ وَغَمَرَتْ فَلَا يَعْرِجُ عَلَى مُنْفَسَةٍ إِلَّا كَانَتْ مِنْهُ، وَلَا يَرُدُّ نَظْرَهُ فِي ذَخِيرَةٍ إِلَّا وَكَانَ السَّبَبُ فِيهَا، وَلَمْ تَأْتِ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامُ عَلَيْهَا فَتَقَادَمَ عَهْدُهَا، وَحَالَ النِّسيَانُ دُونَهَا، بَلْ هِيَ غَضَّةٌ طَرِيَّةٌ تُنَادِي عَلَى نُفُوسِهَا، وَتَلُوحُ الْجِدَّةُ عَلَى صَفْحَاتِهَا، وَتَحْيِي مِنَ الدُّرُوسِ ذِكْرَ مُوَلِّيِهَا.

وقوله: «لَا نُعْمَاكَ وَاحِدَةً» فِي مَوْضِعِ الْحَالِ مِنْ «لَا أَنْسَاكَ». وَقَدْ تَقَدَّمَ الْقَوْلُ فِي الْإِسْدَاءِ وَأَصْلِهِ.

(١) التبريزي: «جلى داجي الظلم».

(٢) التبريزي: «أوليت من قدم».

٧٠٨ - وقال أيضًا فيه : [المنسرح]

- ١ - ما زِلْتُ فِي الْعَفْوِ لِلذُّنُوبِ وَإِطْ لَلَّاقِي لَمَّانٍ بِجُزْمِهِ عَاقِلِي
٢ - حَتَّى تَمْنَى الْبُرَاءَةَ أَنَّهُمْ عِنْدَكَ أَمْسَوْا فِي الْقِدِّ وَالْحَلَقِ

قوله: «في العفو» في موضع النصب على أنه خبر ما زال، والجاء منه تعلق بمضمر، كأنه قال: ما زلت آخذًا في العفو وداخلًا فيه، إلى أن تمنى من لا جرم له أن يكون جارمًا عليك حتى يتوفر عليه نظرك وإحسانك.

والم أبو تمام بهذا المعنى فقال: [الكامل]

وَتَكْفُلُ الْإِيْتَامَ عَنْ آبَائِهِمْ حَتَّى وَدِدْنَا أَنَا إِيْتَامٌ^(١)

فعده كثير من أصحاب المعاني خطأ فيه، وقالوا: جعله لا يعرف مواضع الصنعة إذ صار الناس يتمنون منزلة الأيتام عنده وحرمتهم لديه حتى ينالهم إفضاله، ولو ساء هذا القول فيما قاله أبو دهب، وهو تمنى البراءة أن يكونوا أسراء مصقدين لديه حتى يلحقهم إحسانه، إذ لا فرق بين الموضعين. ولم ينكر أحد من المتقدمين والمتأخرين ما قاله أبو دهب ولا قدحوا فيه. وقد أحكمت القول في التسوية بينهما في «رسالة الانتصار، من ظلمة أبي تمام»، ويثبت أن المعنى الذي انتحاه سليمان من العيب صحيح.

والعاني: الأسير. والغلق: المتروك لا يقك.

٧٠٩ - وقال الفرزدق يمدح علي^(٢) بن الحسين

ابن علي بن أبي طالب كرم الله وجوهمهم: [البسيط]

- ١ - إِذَا رَأَتْهُ قُرَيْشٌ قَالَ قَائِلُهَا إِلَى مَكَارِمِ هَذَا يَنْتَهِي الْكَرَمُ
٢ - هَذَا الَّذِي تَعْرِفُ الْبَطْحَاءَ وَطَائِفَهُ وَالْبَيْتُ يَغْرِفُهُ وَالْحِلُّ وَالْحَرَمُ^(٣)

(١) ديوانه ٢٧٩.

(٢) التبريزي: «وقال الحزبن الليثي في علي بن أبي طالب: والحزبن الكنانني هو عمرو بن عبد بن وهيب بن مالك...»، ويقال: إنها للفرزدق، قالها حين قال الشامي لهشام بن عبد الملك: من هذا الذي أعظمه الناس وفرحوا له عند استلام الحجر؟ فقال: لا أدري، فقال الفرزدق: لكنني أعرفه، فقال الشامي: من هذا يا أبا فراس؟ فقال: الأبيات».

(٣) هذا البيت هو الأول عند التبريزي.

٣ - يَكَادُ يُمَسِّكُهُ عِزْفَانُ رَاحَتِهِ رُكْنُ الْحَطِيمِ إِذَا مَا جَاءَ يَسْتَلِمُ
فائدة إلى في قوله: «إلى مكارم هذا» الانتهاء، والجملة في موضع المفعول
لقال. والمعنى أَنَّ الكريم إذا انتهى إلى درجة مكارم هذا وَقَفَ، لأنها الغاية
السَّامِيَّة، والمرتبة التي لا مُتَجَاوَزَ منها إلى ما هو أعلى. ثم قال: «هذا»، يعني
عليَّ بن الحسين بن عليَّ صلوات الله عليه «الذي تَعَرَّفَ الْبَطْحَاءُ وَطَأَتَهُ» من بين
وَطَأَتِ النَّاسُ إِذَا مَشَوْا عَلَيْهَا وَفِيهَا. والبطحاء: أرض مَكَّة المنبطحه، وكذلك
الأبطح. وبيوت مَكَّة التي هي للأشراف بالأبطح، والتي هي في الزُّوَابِي والجبال
للغُرَبَاءِ وَأَوْسَاطِ النَّاسِ. والحطيم: الجدار الذي عليه مِيزَابُ الكعبة، فكأنَّه حُطِمَ
بعض حَجَرِهِ. والأبطح والبطحاء وإنَّ كانا صفتين فإنَّهما قد لحقا بالأسماء، لذلك
جُمِعَا على الأباطح والبطحوات. وانتصب «عرفان» على أَنَّهُ مفعول له أي يكاد
يمسكه رُكْنُ الحطيم لأن عَرَفَ راحته. ويسلم، بمعنى يَلْمَسُ الحجرَ الأسود.
يريد: أَنَّهُ ابْنُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الذي شَرُفَ به هذه المواضع، فهي عارفةٌ به، وإذا جاء
إلى المُسْتَلَمِ يَكَادُ يَتَمَسَّكُ به الرُّكْنُ تَمِييزًا لراحته عن راحة غيره. وأصل يستلِمُ تَنَاوَلَ
الحجرَ بِالْيَدِ أَوْ بِالْقُبْلَةِ أَوْ مَسَحَهُ بِالْكَفِّ، فكأنه من السَّلام: الحجارة. قال الخليل:
ولم نسبح أحدًا يفردھا.

٤ - أَيُّ الْقِبَائِلِ لَيْسَتْ فِي رِقَابِهِمْ
٥ - بِكَفِّهِ خَيْرُ رَأْيٍ رِيحُهُ عَبَقٌ مِنْ كَفِّ أَرْوَعٍ فِي عِزْنِيهِ شَمَمٌ^(١)
٦ - يُغْضِي حَيَاءً وَيُغْضِي مِنْ مَهَابَتِهِ فَمَا يُكَلِّمُ إِلَّا حِينَ يَنْتَسِمُ
يريد: أَنَّ طوائفَ النَّاسِ مغمورون بِنَعْمِهِ أَوْ نَعَمِ سلفه، يعني النبيِّ والوصيِّ
عليهما السلام، لأنَّهم اهْتَدَوْا بدعائهم، وفارقوا الْهُلُكَ والضلالةَ بإرشادهم ودلالتهم
فلا قبيلَ إِلَّا وِرْقَابُهُمْ قَدْ شَغِلَتْ بِمَا قُلْدَتْ مِنْ مَنْتَهُمْ، وَذِمَّتْهُمْ قَدْ رُهِتْ بِمَا حُمِلَتْ
مِنْ عَوَارِفِهِمْ.

وقوله: «بِكَفِّهِ خَيْرُ رَأْيٍ» يعني به الْمُخَصَّرَةَ التي يمسكها الملوك بأيديهم يتعَبَّونَ
بها. وقوله: «ريحه عبقٌ»، إذا فتح الباء فمخرجه مَخْرَجُ المِصْدَارِ، كأنَّه نفسُ الشيء،
أو على حذف المضاف، والأصل ذَاتُ عَبَقٍ. وإذا كسرت فهو اسمُ الفاعل، ومعناه

اللاصِقَ بالشيء لا يفارقه. يريد أن راحته تبقى فهي تُشَمُّ الدَّهْرَ من كَفَّ أروغ، وهو الجميل الوجه. والشَّمَم: الطُّول. والعِرْنين: الأنف وما ارتفع من الأرض، وأوّل الشيء، وتُجَعِّلُ العرانيُّ كنايةً عن الأشراف والسادة. وإذا قُرِنَ الشَّمَمُ بالعِرْنين أو الأنف، فالقصد إلى الكَرَم. لذلك قال حَسَنُ بن ثابت: [الكامل]

شَمُّ الأنوف من الطَّرَازِ الأوّل^(١)

وقوله: «يُغْضِي حياء»، أي لحيائه يَغْضُ طَرَفَهُ، فهو في مَلَكْتِهِ وكالْمَنْخَزِلِ له. «يُغْضِي من مهابة» أي ويغضّي معه مهابةً له، فيمنّ مهابته في موضع المفعول له، كما أن قوله: «حياء» انتصبَ لمثل ذلك، والمفعول له لا يقام مقام الفاعل، كما أن الحال والتمييز لا يُقام واحدٌ منهما مقام الفاعل.

فإن قيل: إذا كان الأمر على هذا فأين الذي يرتفع بيغضّي؟ قلت: يقوم مقام فاعله المصدر، كأنه قال: ويغضّي الإغضاء من مهابته. والدال على الإغضاء يغضّي، كما أنك إذا قلت سيرَ يزيد يومين، لك أن تجعل القائم مقام الفاعل المصدر، كأنه قيل: سيرَ السَّيرِ يزيد يومين، وهو أحدُ الوجوه التي فيه، فاعلمه.

٧١٠ - آخر: [البسيط]

١ - إذا انتدَى واختبى بالسيف دأَنَ لَهُ شَوْشُ الرِّجَالِ خُضُوعَ الجُرْبِ لِلطَّلَالِي

٢ - كَأَنَّمَا الطَّيْرُ مِنْهُمْ فَوْقَ هَامِهِمْ لَا خَوْفَ ظَلَمٍ وَلَكِنْ خَوْفَ إِجْلَالٍ

انتدى: جلسَ في نادي القوم، وهو مجمّعهم. وقوله: «اختبى بالسيف»، أي حَضَرَ لَعَقْدَ جَوَارٍ، أو فَصَلَ أَمْرَ حَرْبٍ، أو إيقاعَ حِلْفٍ، أو تَسْوِيدَ رِئِيسٍ أو ما يَجْرِي هذا المَجْرَى وذلك أن السيف في أمثال هذه الأحوال ربّما مَسَّتِ الحاجةُ إليه، لذلك قال جرير: [المقارب]

وَلَا يَخْتَبِي عِنْدَ عَقْدِ الْجَوَارِ بِغَيْرِ السُّيُوفِ وَلَا يَزْتَدِي

وفي غير هذه الأحوال إنما يَحْتَبُونَ بالأردية وأشباهاها. ودأَنَ له، أي خضع. وشَوْشُ الرِّجَالِ: جمع أشوس، وهو الذي ينظر بمؤخِرِ عينه عداوةً أو كِبَرًا. وانتصب

(١) لحسان بن ثابت في ديوانه ١٢٢، واللسان (طرز، أنف)، وتاج العروس (طرز، أنف).
وصدره:

«بيضُ الوجوه كريمةٌ أحسابهم»

«خَضُوعُ الْجُزْبِ» على أنه مصدرٌ من غير لفظه، لأنَّ معنى دان له، أي خَضَعَ له. ومثله: [الطويل]

وَرُضْتُ فَذَلَّتْ صَعْبَةً أَيَّ إِذْلالٍ^(١)

لأنَّ معنى رُضْتُ أَذَلَّتْ، وانتصب أَيَّ إِذْلال عنه.

وَحَصَّ الْجُزْبَ لَأَنَّهَا إِذَا هُنِثَتْ بِالطَّلَاءِ طَابَ لَهَا وَطَاعَتْ لَطَائِبُهَا، لذلك قال امرؤ القيس: [الطويل]

كَمَا شَغَفَ الْمَهْنُوءَةَ الرَّجُلُ الطَّالِي^(٢)

وقوله: «كأنما الطَّيْرُ منهم فوق هامهم»، أراد أنَّ مجالسهم مَهْيِيَّة، وأنَّ حاضِرِها لا يَموِجون ولا يَتَخَفُّون، بل يَتَوَقَّرُونَ وَيَسْكُتُونَ فَكأنَّ على رؤوسهم الطَّيْر، فإنَّ حَرَكُوا رؤوسهم طارت إعظامًا لها وتبجِيلًا لصاحبها. وقوله: «لا خوف ظلم»، أي يخافونه لا خوفَ ظلمٍ وانتقام، ولكن خوفَ جلالَةٍ واحتشام، وتوقيرٍ وإعظام. ودلَّ على يخافونه حتَّى انتصب عنه لا خوف، قوله كأنما الطَّيْر منهم فوق هامهم. ولما كانَ غيرُ هذا الشَّاعر أراد التَّهَكُّمَ والسُّخْرِيَّةَ قال في وصف قوم: [الطويل]

كَأَنَّ خُرُوءَ الطَّيْرِ فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ^(٣)

وقد مرَّ ذلك.

٧١١ - وَقَالَتْ لَيْلَى الْأَخِيلِيَّةُ^(٤):

١ - فَلَيْلَى لَمْ أَكْذِ أَتَيْكَ تَهْوِي بِرَخْلِي رَادَّةَ الْأَضْلَابِ نَابٌ

٢ - قَرِيبُ الظَّهْرِ يَفْرَحُ أَنْ يَرَاهَا إِذَا وُضِعَتْ وَلَيْسَتْهَا الْفُرَابُ

قولها: «لم أكذ أتيك»، من قولهم: أعطاني الأمير ما لم يكذ يُعْطِي، وَسَمَحَ بما لم يكذ يسمح. تقول: لم أكذ أزورك وقد زُرْتُكَ تطير برحلي راحلةً وثيقة الظَّهْرِ

(١) لامرؤ القيس في ديوانه ٣٢، وخزانة الأدب ٩: ١٨٧، واللسان (روض)، وصدرة:

«فصرنا إلى الحسنى ورقاً كلامنا»

(٢) لامرؤ القيس في ديوانه ٣٣، وشرح أبيات سيويه ٢: ٢٢٢، واللسان (قطر، شغف)، وصدرة:

«أنتقتلني وقد شغفت فؤادها»

(٣) البيت الخامس من الحماسية رقم (٦٠٩)، وعجزة:

«إذا اجتمعت قيس معاً وتميم»

(٤) سبقت ترجمتها في الحماسية رقم (٦٩٩).

لَيْنَتِه، قَدْ أَخَذَتْ مِنَ السِّنِّ وَالْقُوَّةِ بِالنُّصِيبِ الْأَوْفَرِ، دَبْرَةُ الظَّهْرِ يَفْرُحُ الْغُرَابُ إِذَا وُضِعَتْ عَنْهَا بَرْدَعَتُهَا فَتَنْظُرُ إِلَى ظَهَرِهَا، لِأَنَّهُ يَنْقُرُهُ وَيُذِمُّهُ إِنْ تَرَكَ.

وقولها: «رَادَّةٌ» مِنْ رَادٍ يَرُودُ، إِذَا جَاءَ وَذَهَبَ لِلْيَنَةِ؛ وَالْأَصْلُ رَائِدَةٌ، فَحَذَفَتْ الْهَمْزَةَ تَخْفِيفًا، كَمَا قِيلَ فِي شَائِكِ شَاكِ السَّلَاحِ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فَعْلَةً بُنِيَتْ مِنْهُ، وَعَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُمْ: رَجُلٌ مَالٌ، كَأَنَّهُ مَوْلٌ. وَرَوَاهُ بَعْضُهُمْ: «رَادَّةُ الْأَصْلَابِ». وَزَعَمَ أَنَّ عَيْنَهُ يَاءٌ، وَاحْتِجَّ لَهُ بِقَوْلِ الْآخَرِ: [مَشْطُورُ الرَّجَزِ]

وَالسَّاقُ مِئِّي بَادِيَاتِ الرَّيْرِ^(١)

وَالرَّازُ وَالرَّيْزُ: الْمَخ. وَلَيْسَ الصُّلْبُ بِمَوْضِعِ مَخٍّ، فَاعْلَمَهُ. وَمِثْلُهُ عَلَى الْوَجْهِ الْأَوَّلِ قَوْلُهُ: [مَشْطُورُ الرَّجَزِ]

فِي صَلَبٍ مِثْلِ الْعِنَانِ الْمُؤَدَمِ^(٢)

أَلَا تَرَى أَنَّهُ شَبَّهَ بِالْعِنَانِ لِلْيَنَةِ.

٧١٢ - وَقَالَ الْعُرْيَانُ^(٣): [الطويل]

١ - مَرَزْتُ عَلَى دَارِ امْرِئِ السَّوِّ حَوْلَهُ لَبُونٌ كَعِيدَانِ بِحَائِطِ بُسْتَانِ

٢ - فَقَالَ أَلَا أَضَحَّتْ لَبُونِي كَمَا تَرَى كَأَنَّ عَلَى لَبَاتِهَا طِينَ أَفْدَانِ

٣ - فَقُلْتُ عَسَى أَنْ يَخْوِي الْجَيْشُ سَرِبَهَا وَلَا وَاحِدٌ يَسْعَى عَلَيْهَا وَلَا اثْنَانِ

يَعْنِي بِامْرِئِ السَّوِّ الْمُبْخَلَّ الْمَلُومَ، الَّذِي لَا هَمَّ لَهُ إِلَّا تَشْمِيرُ مَالِهِ وَحِفْظُهَا وَمَنْعُهَا مِنَ الْحَقُوقِ الرَّاجِبَةِ فِيهَا. وَاللَّبُونُ، أَرَادَ بِهَا الْجِنْسَ، لِذَلِكَ قَالَ: «حَوْلَهُ لَبُونٌ». وَأَصْلُ اللَّبُونِ الْإِبِلُ ذَوَاتِ الْأَلْبَانِ. وَالْعِيدَانُ: الثَّخْلُ الطُّوَالُ، وَاحِدُهَا عِيدَانَةٌ، وَهُوَ فِعَالَةٌ مِنْ عَدَنَ بِالْمَكَانِ، إِذَا أَقَامَ. وَمِثْلُهُ غَيْدَاقٌ مِنْ عَدَقَ. وَيَعْنِي بِهَا الرَّاسِيَاتِ الثَّابِتَاتِ عَلَى مَرِّ السِّنِّينِ. وَعَنَى بِالْحَائِطِ مَوْضِعَ شَجَرٍ. وَالْبُسْتَانُ: الثَّخْلُ. وَالْأَصْلُ فِي الْحَائِطِ أَنَّهُ اسْمُ الْفَاعِلِ مِنْ حَاطَ، وَاسْتَعْمِلَ اسْتِعْمَالَ اسْمِ الْفَاعِلِ الَّذِي لَمْ يُشْتَقَّ مِنَ الْأَفْعَالِ، وَمِثْلُهُ مِنْ جِنْسِهِ قَوْلُهُمْ وَالِدٌ وَصَاحِبٌ، وَمِنْ الْمَصَادِرِ: اللَّهُ ذَرُوكَ. وَشَبَّهَ الْإِبِلَ

(١) بلا نسبة في اللسان (رير)، ديوان الأدب ٣: ٣٠١.

(٢) للعجاج في ديوانه ١: ٤٤٩، واللسان (صلب، آدم)، وديوان الأدب ١: ٢٠٤.

(٣) التبريزي: «وقال العريان لسهلة، وذم غيره ٢٢، وفي نوادر أبي زيد ص ٦٥، والخزانة ٢: ٥٢٢

لعريان بن سهلة الجرمي، وهو شاعر جاهلي.

بالعِيدان لَطُولها، ومثل هذا قول الآخر: [الرجز]

طَيِّبَةُ الْأَنْفُسِ بِالذَّرِّ تُعَسِّسُ كَأَنَّهَا حَائِطٌ نَخْلٍ مُلْتَبِسٌ

وقوله: «فقال ألا أضحت لبوني كما ترى» أخذ يتبجح عنده بوفور ماله وسميها، وتراكم اللحم والشحم على ظهورها، فأخذ يعجبها منها، ثم شبه اللحم للسمن على لباتها بطين قصور طينت به، فالإبل كالقصور، وما قُذِفَ به من زيادة اللحم كالطين. وهذا كقول القطامي: [الوافر]

كما بَطُنْتُ بِالْفَدَنِ السِّيَاعَا^(١)

وقوله: «فقلت عسى أن يحوي الجيش»، هذه أمنيّة تمنّاها. أراد كأيذنه وقلت عسى أن يقبض الله لها جيشا يحويها، ويحول بينك وبين التمتع بها، فلا يسعى عليها مالك واحد ولا اثنان، لكنّها تصير مقسّمة في المُغِيرين، موزّعة في السّالين. ويجوز أن يريد: لا يتفقدها مُصْلِحًا لها لا واحد ولا اثنان، لكنّها تُسَاق وتُدَال بالعارّة وتُهان.

- ٤ - وَرَحْتُ إِلَى دَارِ امْرِئِ الصَّدَقِ حَوْلَهُ مَرَابِطُ أَفْرَاسٍ وَمَلْعَبُ فِتْيَانٍ
٥ - وَمَنْحَرُ مِثْنَاتٍ يُجَرُّ حَوَارِهَا وَمَلْعَبُ إِخْوَانٍ إِلَى جَنْبِ إِخْوَانٍ^(٢)
٦ - فَقُلْتُ لَهُ إِنِّي أَتَيْتُكَ رَاغِبًا بِذُعْلِيَّةٍ تَذْمَى وَإِنِّي امْرُؤٌ عَانٍ
٧ - فَقَالَ أَلَا أَفْلاَ وَسَهْلاً وَمَرْحَبًا جَعَلْتَكِ مِنِّي حَيْثُ أَجَعَلُ أَشْجَانِي
٨ - فَقُلْتُ لَهُ جَادَتْ عَلَيْكَ سَحَابَةٌ بِئُوءُ يُنْذِي كُلَّ قَفْوٍ وَرِنَحَانٍ
٩ - وَقُلْتُ سَقَاكَ اللَّهُ خَمَرَ سُلَافَةٍ بِمَاءِ سَحَابٍ حَائِرٍ بَيْنَ مُضْدَانٍ

قوله: «دار امرئ الصدق» ضد قولهم: امرئ السوء، والمعنى فيهما نعم الرجل وبش الرجل. وإذا قُصِدَ إلى الوصف به فُتِحَ فقيل الصّدق. يقال: رَجُلٌ صَدَقَ ونساء صدقات. والسوء يُوصَف به فيقال الرّجل السوء. وقال الخليل: الصّدق بفتح الصاد: الكامل من كل شيء. فتقول: عَدَلْتُ رَائِحًا إِلَى دَارِ الرَّجُلِ الْكَرِيمِ الْمَمْدُوحِ بِاللُّسْنَةِ، الْمَرْضِيِّ الْمَحَبَّبِ إِلَى كُلِّ طَائِفَةٍ، الْمَرْزُوفِ فِي مَالِهِ، الْمِنْفَاقِ عَلَى أَضْيَافِهِ

(١) للقطامي في ديوانه ٤٠، وأساس البلاغة (فدن)، واللسان (تيز)، وصدرة:

«فلما أن جرى يسمن عليها»

(٢) التبريزي: «وموضع إخوان».

وَرُؤَاوَهُ وَحَوْلَهُ مَرَابِطُ الْخَيْلِ، وَفَنَازِهِ مَلْعَبُ الْفِتْيَانِ، إِذْ كَانَ هُمُ الْاِشْتِغَالُ بِالْفُرُوسِيَّةِ وَمَا يَكْتَسِبُ بِهِ فُنُونُ الذُّكْرِ الْجَمِيلِ وَضُرُوبُ الْمَحْمَدَةِ، وَتُدْمَاوُهُ الْفِتْيَانُ ذُؤُ الْكَرَمِ وَالْحَرِيَّةِ، وَالِافْتِنَانُ فِي اللَّعِبِ وَالشُّطْرَةِ، وَبِقُرْبِ دَارِهِ مَدَارِجُ الْكَرَامَاتِ، وَمُبَوَّأُ الضِّيَافَاتِ، وَمَجْزَرُ الثُّوقِ الْعِشَارِ الصَّحِيحَاتِ الرَّائِعَاتِ، فَتَجَرُّ حِيرَانَهَا إِذَا بُعِجَتْ عَنْهَا بَطُونُهَا لِكِبَرِهَا. يَرِيدُ أَنْ مَا يُضَنُّ بِأَمْثَالِهَا وَيُتَنَافَسَ فِيهَا، هُوَ يَتَبَذَّلُهَا وَيَسْتَهِينُ بِهَا، وَلَهُ دَارُ نِدَامَةٍ وَوَفَادَةٍ، تُنْصَبُ فِيهَا الْمَوَائِدُ، وَقَدْ رُتِبَ عَلَيْهَا الْإِخْوَانُ عَلَى سَنَنِ الدَّوَامِ، وَلَا يَقَعُ فِيهِ خَلَلٌ وَلَا تَجَوُّزٌ، وَلَا فُتُورٌ وَلَا تَخُونٌ.

وقوله: «فقلت له إني أتيتك راغباً» يريد تعرّضت له وأريته رغبتني في معرفته، وعرفته أنني قصدته على ناقة سريعة من مكان بعيد، فقد دميئت أخفافها وحفيت، وأني رجلٌ مضرور، أسيرٌ فاقية وفقر، محتاجٌ من جهته إلى تفقيد ومواساة. فقال في جوابي: أتيت أهلاً لا غرباء، ونزلت سهلاً من الجوانب لا خزاناً، واخترت رُخْباً لا ضيقاً، فأنت في قلبي وصدري بحيث أجعل مهمّاتي وحاجاتي، تشملك عنايتي، ويسعك إفضالي، فكُنْ كالشريك فيما لنا، لا تمايز ولا تباين، ولا تمناع ولا تضايق. فقلت له في مقابلة ما أوردته داعياً وشاكراً: هنّاك الله ما أعطاك، ومطر أرضك ومأواك، بجود من سحابة نشأت بنوءٍ يحبي كل نبت وزبحان، بكل أرضٍ ومكان. وقلت أيضاً: داعياً له بالسُّقيا: سقاك الله خُمرة صافية رقيقة، ممزوجة بماء مطرٍ حائرٍ بين المنافع والغدران، بعد أن تقاذفته المدافع والمُسلّان، وتقطع بأنضاد الحجر، وتغلغل في جوانب الخمر. والمُضدّان: جمع مَصَاد، وهي شقوق الجبال. وقال الخليل: المُضدّان: الهضاب، واحدها مَصَادٌ، وفي أدنى العدّد أمصدة، ومنه سُمي المَعْقِل مَصَادًا. والفُغُو: ما له رائحة طيبة من الثّبات، وكذلك الفاغية. والدُّغْلِيَّة يوصف بها الثّعامة والثّاقَةُ الشّديدة السريعة. ويقال: اذْلَعَبَ البعيرُ إذا أَسْرَعَ. وسَلَاةُ الْخُمَرِ: أول ما يخرج من عصيرها. وإضافة الْخُمَرِ إليها على طريق التّبيين. وهذا كما يفيد «من» من قوله: ﴿فَأَجْتَبُوا إِلَيْكَ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ [الحج: الآية ٣٠].

٧١٣ - وقال آخر^(١): [الطويل]

١ - لَمَسْتُ بِكَفِّي كَفَّهُ ابْتَغِي الْغِنَى وَلَمْ أَذِرْ أَنَّ الْجُودَ مِنْ كَفِّهِ يُغْدِي

(١) التبريزي: «قال أبو هلال: هذا الشعر لعبد الله بن سالم الخياط مولى هذيل، دخل على المهدي فأنشده هذين البيتين، فأمر له بخمسين ألف درهم، ففرّقه ولم يرجع إلى منزله منها بشيء».

٢ - فلا أنا مِنْهُ ما أَفَادَ ذَوُو الْغِنَى أَفَذْتُ وَأَعْدَانِي فَأَتَلَفْتُ ما عِنْدِي

قوله: «أبتغي الغنى» في موضع الحال، وأفذت بمعنى استفذت. يقول: لما زُرته صافحته واضعاً كفي في كفه، وملتمساً الغنى من عنده، وراجياً نيل الخير في قصده، ولم أعلم أن السخاء يُعْدي من يده، فلا أنا استفذت من جهته ما استفاده الأغنياء منه، وأعداني لمن كفه الجود فأهلك ما عندي أيضاً. وقوله: «ما أفاد» في موضع المفعول من قوله أفذت.

٧١٤ - وقال آخر^(١): [الوافر]

١ - إِذَا لَأَقَيْتَ قَوْمِي فَاسْأَلِيهِمْ كَفَى قَوْمًا بِصَاحِبِهِمْ خَبِيرًا^(٢)

٢ - هَلْ اغْفُو عَنْ أَصُولِ الْحَقِّ فِيهِمْ إِذَا عَسِرَتْ وَأَقْنَطَعَ الصُّدُورَا

يتبجح قائله عند المرأة التي خاطبها، بسهولة جانبه، وترك المناقشة في استخراج حقوقه، وسماحة نفسه بما يملكه، فيقول: إذا رأيت قومي فارجعي إليهم سائلة عني، ومستخبرة حالي ومعتمدة على ما تسمعيه من قصتي وأمري، فكفى بقومي عالماً بي وبأخلاقي. وقوله: «كفى قوماً بصاحبهم» مقلوب وكان الواجب أن يقول: كفى بقومي خبيراً بصاحبهم، ويعني بصاحبهم نفسه. والخبير: ذو الخبرة التامة والمعرفة الكاملة. وانتصابه على الحال إن شئت، وإن شئت على التمييز وقد وضع خبيراً موضع خبراً، ومثله في القرآن: ﴿وَحَسَنَ أَوْلَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: الآية ٦٩]. وفاعل كفى قبل القلب «بقومي» وهذا كقوله تعالى: ﴿كَفَى يَاللَّهُ شَهِيدًا﴾ [الرعد: الآية ٤٣] والباء زائدة.

وقوله: «هل أعفو عن أصول الحق فيهم» يريد سليلهم هل أسامح بما يجب لي من أصول حقّي، وهل أترك الاستقصاء في استخراجها، وهل أغنف بهم إذا تعسرت عندهم، وهل أجبي صذر ما يحل لي ويجب راضياً به، وغير معرج على أواخره وأعجازه، لئلا أكون مناقشاً في الاستقصاء مضيقاً، ويكون هذا مثل قول

(١) التبريزي: «قال أبو هلال: هو لجثامة بن قيس، وهو أخو بلعاء بن قيس».

(٢) التبريزي: «كفى قومي».

الآخر: [الرجز]

إِنَّا إِذَا شَارَبْنَا شَرِيبَ لَهُ ذُتُوبٌ وَلَنَا ذُنُوبٌ
فَإِنْ أَبِي كَانَتْ لَهُ الْقَلِيلُ^(١)

وقيل: معنى «أقتطع الصدور» أراد به مَوَدَّاتِ الصُّدُورِ، فحذف المضاف.
وقيل: بل أراد بالصدور الرؤساء. والمراد من البيت أني أسامح في مُعاملَةِ أوساط
قومي لأمتلئهم بذلك، وأجعل رؤساءهم منصبين إليّ ومائلين نحوي، لأنني أقتطعهم
عن غيري، وأعدل بهم عن سيواي.

٧١٥ - وقال عمرو ابن الإطنابة^(٢): [الكامل]

- ١ - إِنِّي مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ إِذَا انْتَدَوْا بَدَّوْا بِحَقِّ اللَّهِ ثُمَّ النَّائِلِ
- ٢ - الْمَانِعِينَ مِنَ الْخَنَّا جَارَاتِهِمْ وَالْحَاشِدِينَ عَلَى طَعَامِ النَّازِلِ
- ٣ - وَالْخَالِطِينَ فَقِيرَهُمْ بِغَنِيِّهِمْ وَالْبَازِلِينَ عَطَاءَهُمْ لِسَائِلِ
- ٤ - وَالضَّارِبِينَ الْكَبْشَ يَبْرُقُ بَيْضُهُ ضَرْبَ الْمُجْهَجِ عَنْ حِيَاضِ الْإِبْلِ^(٣)

يفتخر بأنه من القوم الذين إذا عَقَدُوا مجلساً للظُّر في أحوال الجيران لشِدَّةِ
الزَّمان، ولإصلاح الأمور في جوانب الحيِّ عند فسادها، وكان اليوم مشهوداً، والتوفُّر
على المصالح في الأبعاد بعد الأقارب شديداً، ابتدأوا بإخراج حقِّ الله تعالى جدُّه
الواجب عليهم في أموالهم، ثم كَرُّوا على النَّائِلِ مِنْ بَعْدُ. ويريد بالنَّائِلِ العطايا التي لا
تَجِبُ في فرائض الدِّين ونوافلها، وإنما يُقيمون بها المروءات، ويتطلَّبون بفعلها وجُوهَ
التَّحَمُّد والتَّشْكُر.

وقوله: «المانعين من الخنا جاراتهم» قَصَدَ فيه إلى تعداد خصالهم، ورواتبِ
سَيَرِهِمْ، مع الإفضال التام، والِبِرِّ العام، فقال: يمنعون جاراتهم من الفُحْشِ
ويصونونهنَّ من دَرَنِ الرِّبِّيةِ وقُبْحِ القالة، وإذا نَزَلَ بهم نازلٌ حَشَدُوا الطَّعامَ له -

(١) بلا نسبة في اللسان (ذنب)، وكتاب العين ٨: ١٩٠، وتاج العروس (ذنب).

(٢) عمرو ابن الإطنابة: عمرو بن عامر بن زيد مناة، الكعبي الخزرجي، شاعر جاهلي فارسي،
اشتهر بنسبته إلى أمه الإطنابة بنت شهاب من بني القين. كان على رأس الخزرج في حرب لها
مع الأوس ترجمته في المرباني ٢٠٣، والأغاني طبعة دار الكتب ١١: ١٢١.

(٣) التبريزي: «ضرب المهجع» والمهجع: الذي يطرد الإبل عن الحوض إذا رويت.

والْحَشْدُ: ما لا تكلف فيه - ذلك ليكون أدنى لانبساطه، وأدعى إلى إقامته. ولو قال بَدَل الحاشد محتشد أو مُتَحَشَّد لكان لا بدَّ من اقتران الكلفة بما يأتون به. وتعلق «على» من قوله: «على طعام النَّازل» بالحاشد، كأنهم يجتمعون على إعداد الطعام له، ويتعاونون في إزالة الوهم في أنه زيدَ على الحاضر منه، ليكون أهنأ، وعلى المجموع له أخفَّ.

وقوله: «والخَالِطِينَ فَقِيرَهُم بَغْنِيَهُم»، يريد أنهم يسؤون بين طوائف الأقارب فترى الفقير منهم لا يتميز عن الغني ولا ينحط في الإكرام عنه، فينقبض أو يمتعض، ثم يبذلون للأجانب والعُرباء قُرَاطِهِم وُزَادِهِم، لا يَذْخَرُونَ مقدورًا عليه، ولا يعتلون بما يكون سببًا في جرمانهم. والمعنى أن جرمانهم ليس بقصورٍ على من يُذلي بقربي وقربة، بل تشترك فيه الكافة.

وقوله: «والضَّارِبِينَ الْكَبْشَ»، وصَفَهُم بأنهم يُقَاتِلُونَ الرؤساء متدججين في السلاح، فيضربونهم ضَرْبَ الْمُدَافِعِ غرائب الإبلِ عن حياض الآبلِ. والآبلُ: صاحب الإبل الكثيرة. وقوله: «يَبْرُقُ بِيضُهُ» في موضع الحال. والمُجْهَجُ والمُجْهَجُ: الرَّاجِر بقوله: هَجَّ هَجْجًا، وَجَهَ جَهًا. وقد حذف مفعول قوله ضَرْبَ الْمُجْهَجِ.

ويقال: فلانٌ آبلٌ من فلانٍ، أي أحذق برغي الإبل وتثميرها.

٥ - وَالْقَاتِلِينَ لَدَى الْوَعَى أَقْرَانَهُم إِنَّ الْمَنِيَّةَ مِنْ وَرَاءِ الْوَائِلِ
٦ - خُزِرَ عُيُونُهُمْ إِلَى أَعْدَائِهِمْ يَمْشُونَ مَشْيَ الْأَسَدِ تَحْتَ الْوَابِلِ

قوله: «وَالْقَاتِلِينَ لَدَى الْوَعَى أَقْرَانَهُم»، أصل الوعى هو الجلبة والصوت، ثم كثر استعماله فصار كنايةً عن الحرب، فيريد أنهم يَقْتُلُونَ نُظَرَاءَهُمْ مِنَ الْكُفَّةِ وَالْأَبْطَالِ فِي الْوَعَى، وَمَنْ وَأَلَّ مِنْ أَعْدَائِهِمْ فِي حَالٍ مِنْ أحوالهم فالمنيَّةُ من ورائهم، لأنهم يُمْهِلُونَ ولا يُهْمِلُونَ، وَيَطْلُبُونَ أوتارَهُمْ ولا يضيِّعون.

وقوله: «خُزِرَ عُيُونُهُمْ إِلَى أَعْدَائِهِمْ»، يريد أنهم يتحارزون إذا نظروا إلى أعدائهم، فَعَلَ الْمُتَكَبِّرُ الْمُتَوَعَّدُ، فلا يَمْلُؤُونَ أعينهم منهم، ولا يُسَوُّونَ النَّظَرَ إليهم، بل يَتَبَيَّنُ فِي نَظَرِهِمْ ما تنطوي عليه قلوبهم، وإذا مشوا رأيتهم كالأسد تحت المطر الشديد وهي تُبادِرُ إلى مواضعها من العرين.

٧ - وَالْقَاتِلِينَ فَلَا يُعَابُ كَلَامُهُمْ يَوْمَ الْمَقَامَةِ بِالْقَضَاءِ الْفَاصِلِ

٨ - لَيْسُوا بِأَنْكَاسٍ وَلَا مِيلٍ إِذَا مَا الْحَزْبُ شَبَّتْ أَشْعَلُوا بِالشَّاعِلِ

أجرى قوله: «القائلين» مجرى قوله المتكلمين والناطقين، لذلك عداه بالباء فقال: «بالقضاء الفاصل». ومثله قول عمر بن أبي ربيعة: [الطويل]

بِحَاجَةِ نَفْسٍ لَمْ تَقُلْ فِي جَوَابِهَا فَتُبْلِغْ عُذْرًا وَالْمَقَالَةَ تُعْذِرُ

أي لم تتكلم. ومما يدل على ذلك قوله: «فلا يُعاب كلامهم» ولم يقل قولهم. ويقال: فلان يقول بالإمامة، أي يدين بها ويعتقدها مذهباً. فيجوز أن يكون قوله على هذه الطريقة. وإنما وصفهم بأنهم مفوهون خطباء يفصلون الأمور عند المجامع بالحكم العدل، والقضاء الفضل، ولا يتجاوز مرسومهم، ولا يُعاب مقضيهم؛ ثم إذا حضروا الحرب وأوقد نازها فليُسوا فيها بضعاف العقد.

والأنكاس: جمع النكس، والنكس أصله في السهام، تنكسر فيجعل أسفلها أعلاها فتضعف. والميل: جمع أميل، وهو الذي لا يستقيم على الدابة. وقوله: «أشعلوا بالشاعل» يقول: أوقدوا وهيجوا. والشاعل يجوز أن يراد به سير الإيقاد، والإشعال له تقويته، والباء مُفحمة، والمراد أشعلوا الشاعل وقوّه وزادوا فيه. ويجوز أن يراد بالشاعل ذا الشغل أو الإشعال أو الاشتعال، ويكون معناه المشعل، كما يقال: لابن وتامر، وحينئذ يكون الباء داخلاً على حده. والمعنى أشعلوها بالمشعل. ويقال: أشعلت الخيل في الغارة فشعلت وهي شاعلة، وأشعلت النار في الحطب فاشتعلت.

٧١٦ - وقالت حبيبة ابنة عبد العزى^(١):

- ١ - أَلِى الْفَتْنَى بَرَّ تَلَكَّا نَاقَتِي فَكَسَا مَنَاسِمَهَا الثَّجِيعُ الْأَسْوَدُ
- ٢ - إِنِّي وَرَبَّ الرَّاغِبَاتِ إِلَى مِنَى بِجُنُوبِ مَكَّةَ هَذِيهِنَّ مَقْلَدُ
- ٣ - أُولَى عَلَى هَٰذَا الطَّعَامِ إِلَيَّ أَبَدًا وَلَكِنِّي أُبِينُ وَأَنْشُدُ

تريد أنتلكتا نأقتي، أي أنتحبس وتبأطأ، فحذف إحدى التاءين تخفيفاً، لأن الإدغام ممتنع هنا. وبر: اسم الممدوح. والمعنى الإنكار والاستفهام، وإن كان اللفظ على الاستفهام. وانجز بر على البدل من الفتى، والمراد أن ذلك لا يكون، ثم دعت على ناقته بالعربة فقالت: إن تأخرت أو تلومت في المسير فعقرها الله حتى يسيل دم

(١) التبريزي: «حبيبة بنت عبد العزى العوراء».

أسودُ ثخينٌ على مناسِمها فيصير كاللباس لها. والتَّجِيعُ في الأصل دم الجوف، ويقال: تنَجَّعَ به، أي تَلَطَّخَ.

وقولها: إِنِّي وَرَبَّ الرَّاqِصَاتِ إِلَى مَنَى «أَقْسَمْتُ بالله مالِكِ رِواحِلِ الحَجِيجِ وهي تَسِيرُ إِلَى مَنَى مِنْ جِوَانِبِ الحَرَمِ وفيها الهَدْيُ المُقْلَدُ. والهدْي: ما يُهْدَى إِلَى البَيْتِ، وَكَانُوا يَقْلُدُونَهُ وَيَجْعَلُونَ فِي عُنُقِهِ لِحَاءَ الشَّجَرِ أَوْ الصُّوفَ المَفْتُولَ لِيَكُونَ عِلَامَةً لِإِهْدَائِهَا.

وقولها: «أُولِي عَلَى هُلْكَ الطَّعَامِ أَلِيَّةٌ» هو جواب القَسَمِ، أي لا أُولِي، فحُذِفَ حرفُ اللَّفْظِ وَلَمْ يُخَفِ الالتباسُ، لِأَنَّهُ لَوْ أُرِيدَ الإِجَابُ لَوَجِبَ أَنْ يُقَالَ: لِأُولِيَنَّ بِاللَّامِ وَإِحْدَى النُّونَيْنِ، وَالْمَعْنَى لَا أَحْلَفُ عَلَى أَنْ أَصُونَ طَعَامِي وَلَا أُطْعِمَ النَّاسَ، مَدْعِيَةً أَنَّهُ قَدْ نَفَذَ وَهَلَكَ، وَلَكِنِّي أَظْهَرُهُ وَأَنْشُدُ مَنْ أَطْعَمَهُ. وَيَجُوزُ أَنْ يُرِيدَ بِأَنْشُدَ: أَقُولُ لِلزَّائِرِ وَالْمَارِّ بِي: أَنْشُدُكَ اللَّهَ أَنْ تَفَارِقَ حَتَّى تَطْعَمَ. وَقَوْلُهَا: «هَذِيهِنَّ مَقْلَدٌ» فِي مَوْضِعِ الْحَالِ لِلرَّاqِصَاتِ، وَاكْتَفَى بِضَمِيرِهَا فِي الْجُمْلَةِ عَنْ إِدْخَالِ الْعَاطِفِ عَلَيْهِ، لِأَنَّ الضَّمِيرَ يَعْلُقُ الْحَالُ بِمَا قَبْلَهُ كَمَا يَعْلُقُ حَرْفُ الْعُطْفِ. وَمِثْلُهُ فِي الْقُرْآنِ: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةً رَابِعُهُمْ كَايُهُمْ﴾ [الكهف: ٢٢]، وَالْمُرَادُ بِهَذِيهِنَّ التَّكْثِيرُ لَا الْوَاحِدَ. وَ«أَبَدًا» فِي الْمُسْتَقْبَلِ بِإِزَاءِ قَطُ فِي الْمَضِيِّ.

- ٤ - وَصَّى بِهَا جَدِّي وَعَلَّمَنِي أَبِي نَفَضَ الْوِعَاءَ وَكُلُّ زَادٍ يَنْفَدُ
٥ - فَاخْفَظْ حِمِيَّتَكَ لَا أَبَا لَكَ وَاخْتَرِسْ لَا تَخْرِقْنَهُ قَارَةً أَوْ جُذْجُدُ

تَرِيدُ أَنَّ هَذِهِ الْأَفْعَالَ الَّتِي ذَكَرْتُهَا هِيَ مَرُورَةٌ عَنِ الْأَسْلَافِ، وَمَأْخُودَةٌ عَنْ عَادَاتِهِمْ، جَدِّي وَصَّى بِهَا أَبِي، وَأَبِي عَلَّمَنِيهَا فَهُمْ قِدَوْتِي، وَهَذِهِ دَائِي وَسَجِيَّتِي، أَصَبُ الزَّادِ صَبًّا، وَأَنْفَضَ وَِعَاءَهُ بَعْدَ أَنْ أُخْلِيَهُ نَفْضًا. وَالزَّادُ كُلُّهُ لَا يَبْقَى وَإِنْ بُخِلَ بِهِ، فَلِمَاذَا يُكْتَسَبُ الدَّمُ فِيهِ. ثُمَّ أَقْبَلْتُ عَلَى مَنْ تَذَمُّهُ وَتَبَخَّلَهُ فَقَالَتْ مَتَهَكِّمَةٌ وَسَاخِرَةٌ مِنْهُ: احْفَظْ نِخْيَ سَمْنِكَ لَا أَبَا لَكَ - وَهَذَا بَعْتُ وَتَحْضِيضُ - وَاحْذَرْ عَلَيْهِ الْفَارَ وَالْجُذْجُدَ لَا يَقْطَعُهُ.

وَقَدْ مَرَّ الْقَوْلُ فِي قَوْلِهِمْ «لَا أَبَا لَكَ» وَإِعْرَابِهِ. وَالْفَارُ مَهْمُوزٌ، وَيُقَالُ مَكَانَ قَيْرٍ، إِذَا كَثُرَ فَارُهُ.

٧١٧ - وقال مالك بن جَعْدَةَ^(١): [الوافر]

- ١ - وَأَبْلَغُ صَلَهِبًا عَنِّي وَسَفْدًا تَحِيَّاتٍ مَأْتِرُهَا سَفُورُ^(٢)
- ٢ - فَإِنَّكَ يَوْمَ تَأْتِينِي حَرِيبًا تَجِلُّ عَلَيَّ يَوْمَئِذٍ نُدُورُ
- ٣ - تَجِلُّ عَلَيَّ مُفْرِهَةً سِنَادُ عَلَى أَخْفَافِهَا عَلَقُ يَمُورُ
- ٤ - لِأَمِّكَ وَنَيْلَةٍ وَعَلَيْكَ أُخْرَى فَلَا شَأْنَ تُنِيلُ وَلَا بَعِيرُ

يقول على وجه الإزراء بالمخاطب والغض منه: أبلغ عني هذين الرجلين تحيات ما يؤثر منها وعنها، ويتحدث بها، تتسع لها وتستغرفها سفور إذا اكتثبت ونسخت. والسفور: جمع سيفر، وهو الكتاب. ويقال: سيفر وأسفار وسفور. وفي القرآن: ﴿يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ [الجمعة: الآية ٥]. والمآثر، واحداثها مأثرة، ويجوز أن يريد مكارمها التي تؤثر، أي تروى وتنسب، واضحة كسفور الصبح. ويقال: سفر الصبح وأسفر، وكان الأصمعي يابى إلا أسفر.

وقوله: «فإنك يوم تأتيني حريبًا، أي سليبًا، وانتصابه على الحال. و«يوم» مضاف إلى «تأتيني» على وجه التبيين، وهو ظرف لقوله: «تجلُّ عليَّ يومئذٍ نذور». وانتصب «يومئذٍ» على البدل من يوم يأتيني، وكأنَّ الشاعر عراه سائلًا فحرمه، ووعدّه بما لم يف به له فقال: إنك إن أتيتني حريبًا وجددتني لك بخلاف ما كنت لي، وعليّ نذور يلزمني الوفاء بها متى احتجت إليّ ورأيتك على الحالة الداعية إلى الإلمام بي، والقصد لي. ومعنى «تجلُّ عليّ» تجبّ محلاً. والمفريهة: الناقة التي تلد الفرّة من الأولاد. والسناد: القويّة. ويقال للمرتفع في قُبْل جبلٍ سَنَدٌ وسِنَاد. أي أعقر في جملة النذور لك ناقةً هكذا، فيمور أي يسيل العلق، وهو الدّم على أخفافها.

وقوله: «لأمّك ويلة» دُعاء عليه مُصْرَحًا بالذمّ وذاكرًا الحرمة منه بقوله: لأمّك ويلة. وقوله: «وعليك أخرى» أي ويلة أخرى. واللام وعلى هنا متقاربان في المعنى. وقوله: «فلا شاء تُنِيلُ» لك أن تنصب شاءة بثنيل، ويرتفع «ولا بعير» على الاستئناف، كأنه قال ولا بعير مطموع فيه منك ومثول. ولك أن ترفعهما جميعًا، ويكون مفعول

(١) التبريزي: «مالك بن جمعة الثعلبي» وفي معجم المرزباني ٣٦٤: «الثعلبي»، وهو من شعراء الدولة الأموية هجا المختار بن أبي عبيد فرّده عليه الطرماح.

(٢) التبريزي: «فأبلغ».

تُنِيلُ مَحْذُوقًا، والمراد لا يُزَجَى من جِهَتِكَ شَاءَ ولا ما فوقها. ويقال: نِلْتُ الشَّيْءَ فهو مَنِيْلٌ نَيْلًا، إذا كُنْتَ تَتَنَاوَلُهُ بِيَدِكَ، وليس هو من التَّنَاوُلِ، لأنَّ التَّنَاوُلَ من التَّوَالِ، ويقال منه نِلْتُ أَتَوَل. ومن الأوَّلِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَتَّكِلُونَ مِنْ عَذْوٍ نَيْلًا﴾ [التوبة: الآية ١٢٠]، ومن الثاني: تَوَلَّكَ أَنْ تَفْعَلَ كَذَلِكَ.

٧١٨ - وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ الْحَوَالِيُّ^(١): [الطويل]

١ - لَمَّا تَعَيَّا بِالْقُلُوصِ وَرَخِلَهَا كَفَى اللَّهَ كَغَبًا مَا تَعَيَّا بِهِ كَغَبُ

٢ - دَعَوْنَا لَهَا قَيْنًا رَفِيقًا بِمُذِيَةِ يُجَزُّهَا فِينَا كَمَا يُجَزُّ النَّهْبُ

يقال: عَيَّيْتُ الأَمْرَ وَعَيَّيْتُ بالأمر. والقُلُوصُ في الإبل، بمنزلة الجارية في الناس. يقول: لَمَّا أَعْيَا كَغَبًا مَزَاوِلَةَ الْقُلُوصِ وَشُدَّ الرِّحْلَ عَلَيْهَا كَفَاهُ اللَّهُ أَمْرَهَا، لَأَنَّا دَعَوْنَا لَهَا جَزَارًا حَاقِدًا بِسَكِّينَ لِيَنْحَرَهَا وَيَقْسِمَهَا فِينَا كَمَا يُقْسَمُ النَّهْبُ، أي المال المُتَنَهَب. والقَيْنُ: الحَدَادُ في الأصل، واستعاره، وهم في ذَوِي اليَمَنِ وأَسْمَاءُ الصُّنَّاعِ يفعلون هذا. أَلَا تَرَى قَوْلَ الْآخِرِ: [الرجز]

وَشُغِبَتَا مَيْنِسَ بَرَاهَا إِسْكَافُ^(٢)

والرَّحْلُ: مصدر رَحَلْتُ البعيرَ، وإنما أَعْيَا كَغَبًا ما أَعْيَاهُ مِنْهَا لِنَشَاطِهَا وَعِرَضَتِهَا فِي سِيرَتِهَا. والضمير من قوله: «ما تَعَيَّا بِهِ» راجع إلى ما. ويقال: تَعَيَّا عَلَيْهِ كَذَا، أي أَعْيَاهُ، قال أَوْس: [الطويل]

..... كَلِمَا تَعَيَّا عَلَيْهِ طُولُ مَرْقَى تَوَصَّلَا^(٣)

٣ - لَعَمْرِي لَقَدْ ضَيَّعْتُ يَا كَغَبُ نَاقَةً يَسِيرًا عَلَيْهَا أَنْ يُضِرَّ بِهَا الرُّكْبُ

٤ - مُوَكَّلَةٌ بِالْأَوَّلِينَ فَكَلِمَا رَأَتْ رُفْقَةً فَالْأَوَّلُونَ لَهَا نَضْبُ

أَقْبَلَ عَلَى كَعْبٍ يُوْبِّخُهُ فِي أَمْرَهَا، وَذَاكَ أَنَّهُ كَانَ كَثُرَ شَكْوُهُ مِنْهَا، فيقول: وبقائي لَقَدْ ضَيَّعْتُ نَاقَةً يَا كَعْبُ يَخْفُ عَلَيْهَا وَيَقِلُّ فِي قُوَّتِهَا إِضْرَارُ الْقَوْمِ بِهَا فِي الْحَمَلِ

(١) التبريزي: «عبد الله الحوالي من الأزدي، وبنو حوالة: حي من العرب».

(٢) للشماخ في ديوانه ٣٦٨، ومقاييس اللغة ٣: ٩٠، وديوان الأدب ١: ٢٧٧، وبلا نسبة في اللسان (ميس، سكف).

(٣) لأوس بن حجر في ديوانه ص ٨٧، وأساس البلاغة (أكل)، وسمط اللاكي ٤٩٢. وصدرة:

«وقد أكلت أظفاره الصخرُ كلمًا»

والركوب والاستحاث في السير، فلا تُبالي بما تُحْمَلُ أو تُكَلَّفُ، حتَّى أَتَهَا كانت كالموكلة بالسَّابِقِ الْمُتَقَدِّمِ، فَكَلَّمَا رَأَتْ رُقَّةً فَالْهُوَادِي مِنْهَا نَضَبُ عَيْنَيْهَا حَتَّى تَلْحَقَ بِهَا أو تَتَقَدَّمَهَا. ومعنى التَّضْيِيعِ أَنَّهَا لَمْ تَكُنْ سَمِينَةً وَلَا مُسْتَصْلِحَةً لِلنَّحْرِ، وَإِنَّمَا كَانَتْ لِلْعَمَلِ لَا غَيْرِ.

٧١٩ - وَقَالَ حُجْرُ بْنُ خَالِدٍ^(١): [الطويل]

- ١ - سَمِعْتُ بِفِعْلِ الْفَاعِلِينَ فَلَمْ أَجِدْ كَمِثْلِ أَبِي قَابُوسَ حَزْمًا وَنَائِلًا^(٢)
 ٢ - فَسَاقَ إِلَهِي الْغَيْثَ مِنْ كُلِّ بَلَدَةٍ إِلَيْكَ فَأَضْحَى حَوْلَ بَيْتِكَ نَازِلًا
 ٣ - فَأَضْبَحَ مِنْهُ كُلُّ وَادٍ حَلَلْتُهُ مِنْ الْأَرْضِ مَسْفُوحَ الْمَذَانِبِ سَائِلًا

يقول: بَلَّغْنِي سَعْيَ طَالِبِي الْحَمْدِ، وَمَذْخَرِي الشَّرَفِ وَالْمَجْدِ، وَمَا عَلَيْهِ مُلُوكُ الْأَرْضِ فِي مَصَارِفِهِمْ وَمَبَاغِيهِمْ، وَحَزْمِهِمْ وَمَسَاعِيهِمْ، فَقَسْتُ بَعْضَهُ بِبَعْضٍ، فَلَمْ أَجِدْ كَحَزْمِ أَبِي قَابُوسَ حَزْمًا، وَلَا كَنَائِلِهِ نَائِلًا. ثُمَّ دَعَا لَهُ بِالسَّقِيَا وَلِمَحَلِّهِ بِالْخَضْبِ وَالْحَيَا فَقَالَ: جَمَعَ اللَّهُ لَكَ وَفِي فَنَائِكَ مَا هُوَ مَفْرَقٌ فِي أَطْوَارِ الْأَرْضِ، وَجَوَانِبِ الْأَقْيِ، مِنْ سَوَاكِبِ الْغَيْثِ، فَصَارَ حَوَالِيكَ، فَأَيُّ وَادٍ نَزَلْتُهُ مِنَ الْأَرْضِ جَعَلَهُ مَمْطُورَ التَّلَاعِ وَالْمَذَانِبِ، مُخَصَّبَ الْمَسَائِلِ وَالْمَدَافِعِ، سَائِلًا بِصُوبِهِ، مَغْمُورًا بِنَدَاهِ وَبَرَكَتِهِ.

وَانْتَصَبَ «حَزْمًا» عَلَى التَّمْيِيزِ، وَالْكَافِ مِنْ «كَمِثْلِ أَبِي قَابُوسَ» زَائِدَةٌ، وَمِثْلُهُ:

[الرجز]

لَوَاحِقُ الْأَقْرَابِ فِيهَا كَالْمَقَّقِ^(٣)

أَرَادَ فِيهَا الْمَقَّقَ، كَمَا أَنَّ هَذَا يَرِيدُ: لَمْ أَرِ مِثْلَ أَبِي قَابُوسَ. وَفِي الْقُرْآنِ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشُّورَى: الْآيَةُ ١١]، وَيُرْوَى: «فَسَيِّقَ إِلَيْهِ الْغَيْثَ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ إِلَيْكَ». وَكَأَنَّهُ أَخْبَرَ فِي صَدْرِ الْبَيْتِ ثُمَّ خَاطَبَ عَلَى عَادَتِهِمْ. وَقَوْلُهُ: «مِنْ كُلِّ بَلَدَةٍ إِلَيْكَ» أَيُّ إِلَيْكَ أَمْرُهَا وَتَدْبِيرُهَا، فَصَرَتْ تَتَوَلَّاهَا. وَهَذَا كَمَا يَقَالُ: جُعِلَ بَلَدٌ كَذَا إِلَى فُلَانٍ. وَالْمُرَادُ مِنَ الْبَيْتِ عَلَى هَذِهِ الزَّوَايَا: جَعَلَ اللَّهُ الدُّنْيَا تَحْتَ أَمْرِكَ، وَمَثْوِيَّةٌ بِتَدْبِيرِكَ، ثُمَّ سَاقَ الْغَيْثَ مِنْ آفَاقِهَا وَأَطْوَارِهَا كُلِّهَا إِلَى مَا حَوْلَكَ فَصَارَ مُحِثًا بِبَيْتِكَ.

(١) التبريزي: «... يمدح النعمان بن المنذر». (٢) أبو قابوس: كنية النعمان.

(٣) لرؤية في ديوانه ١٠٦، وجواهر الأدب ١٢٩، وخزانة الأدب ٨٩: ١، وتاج العروس (كوف)، زهق، لحق، مقق، واللسان (كوف، مقق).

ومستميلاً على محلّك. فأين تنقّلت ونزلت صَحْبِكَ الخَيْرُ وانساق معك الغيث. وعلى هذا يكون قوله: «من كل بلدة» عامًا في أقطار الأرض وأبلادها. ورُوي أيضاً: «فسيق الغمامُ الغر من كلّ بلدة» وهو ظاهر المعنى. وقوله: «فأصبح منه»، أي من الغيث. وقوله: «كلّ وادٍ» وصفه بقوله: «حَلَلْتُهُ» وانتصب «مَسْفُوحَ المَذَانِبِ» عى أنّه خبر أصبح.

٤ - مَتَى تُنْعَ الْبَاسُ وَالْجُودُ وَالتَّدَى وَتُضَيِّحَ قُلُوصَ الْحَرْبِ جَزِيَاءَ حَائِلًا^(١)

٥ - فَلَا مَلِكَ مَا يَذْرِكُكَ سَفِيهٌ وَلَا سَوْقَةً مَا يَمْدَحُكَ بَاطِلًا

يقول: بقاء السخاء والمروءة وتقوى الإله والشدة، متّصل ببقائك، لأنها شيمك وطباعك، فأنت تُقيّمها وتزبّيها، وتحفظها عن الذهاب والدروس وتحرسها فإن هلكت فقد هلك جميعها، ويُضَيِّحُ الاستسلام والانقياد للهزيمة والشر شاملين للناس، فلا يكون بهم دونها دفاع، ولا إباء منها ولا امتناع، وتصير قُلُوصُ الحرب سيئة الحال يَفْتَتِطُهَا الحِجَالُ عن اللّقاح، ويمتلكها ما بنفسيها من الجرب والضعف عن التزو والجذاب. وهذا مثل لما يفارق الناس من العز والاعتدار، ويُلازمهم من الذل والاكتاب. وضدّ هذا قول زهير: [الطويل]

وَتَلَفَّحَ كِشَافًا ثُمَّ تَحْمِلُ فَتْنِيمَ^(٢)

فَتُنْتَجَ لَكُمْ غِلْمَانٌ أَشَامَ كُلُّهُمْ كَأَخْمَرٍ عَادٍ ثُمَّ تُرْضِعُ فَتَقْطِمَ

وقوله: «فلا ملك ما يدرئك سعيه» يصفه بأنه لا غاية وراء غايته لمزق ولا فَوْقَ نهايته نهاية لمُعْتَلٍ، فكلُّ ساع من الملوك يَقِفُ دونها، وينحط عن درجتها، وأن السَّوْقَ، وإن أسرفوا وأفرطوا في التقريظ والإطراء، يَقْصُرُونَ عن بلوغ حدّه بالوصف، وتصوير كُنْهه عند الثّعت، بل أحسن أحوالهم أن يقولوا بعض ما قيل من الحق.

وَأَدْخَلَ الثُّونَ الثَّقِيلَةَ فِي «يَمْدَحُكَ» و«يَذْرِكُكَ» لما في الكلام من معنى الثّقي، ولأن ما الزائدة للتأكيد لفظه لفظاً ما النافية. ومثله: [الطويل]

فِي عِضَّةٍ مَا يَنْبُتُنْ شَكِيرُهَا^(٣)

(١) التبريزي: «يُنْعَ الجود والبأس والتقى».

(٢) لزهير في ديوانه ١٩، واللسان (كشف، عرك، تغل)، وصدرة:

«فتعرككم عرك الرّحى بشفالها»

(٣) بلا نسبة في خزانة الأدب ٤: ٢٢، والكتاب ٣: ٥١٧، واللسان (شكر، عضه)، وصدرة: =

وبإلـم ما تَخَيَّنْتَهُ. وقوله: «ما يمدحـك باطلاً» أراد مدحاً باطلاً، فانتصب باطلاً على أنه صفة لمصدرٍ محذوف.

ومثل البيت الأول قولُ النابغة: [الوافر]

فإن يَهْلِك أبو قابوسَ يَهْلِك ربيعُ النَّاسِ والشَّهْرُ الحَرَامُ
ونأخذُ بعـده بذناب عيشٍ أَجَبَ الظَّهَرُ ليس له سَنَامُ
وقول الآخر: [المديد]

فلـإذا وَلَّى أبـو دُفٍ وَلَّتِ الدُّنْيَا على أثرِه^(١)

٧٢٠ - وقال آخر: [الطويل]

١ - وَمُسْتَنْبِحٍ بَعْدَ الْهُدُو دَعْوَتُهُ بِشَقْرَاءٍ مِثْلِ الْفَجْرِ ذَاكِ وَقُودُهَا
٢ - فَقُلْتُ لَهَا أَهلاً وَسَهلاً وَمَرْحَباً بِمُوقِدِ نَارِ مُخِمِدٍ مَن يَرُودُهَا
٣ - نَصَبْنَا لَهُ جَوْفَاءَ ذَاتِ ضَبَابَةٍ مِنَ الدُّهْمِ مَبْطَانًا طَوِيلًا رُكُودُهَا
٤ - فَإِنْ شِئْتَ أَتُونَاكَ فِي الْحَيِّ مُكْرَمًا وَإِنْ شِئْتَ بَلْغْنَاكَ أَرْضًا تُرِيدُهَا

يعني بالمستنجح طالب ضيافة، وقد تقدم الكلام فيه. ومعنى «دعوته بشقراء» أي رفعت له ناراً شقراء حتى اهتدى بها، فكأنني دعوته. وجعل النار شقراء، وربما قيل صفراء، لأنها أوقدت خالية من طَرَحِ اللُّحْمِ عليها فاشتعلت شقراء، ولو كُتِبَ عليها اللُّحْمُ لالتهبَّت كُمِيتِ اللَّوْنِ من أجل دُخَانِهَا. لذلك قال الأعشى: [الطويل]

وأوقدتها صَفْرَاءَ فِي رَأْسِ تَنْضُبٍ وَلَلْكَمْتُ أَرْوَى لِلنَّزِيلِ وَأَشْبَعُ^(٢)

وذاك وقودها، أي مُضيءٌ اتقادها. فقلت له أهلاً، انتصب «أهلاً» بفعل مضمر. والباء من قوله: «بموقد نار» تعلّق بفعل مضمر، كأنه قال: يُنالُ ذلك كُلُّهُ بِمُوقِدِ نَارٍ يُخِمِدُهَا مَن يَرُودُهَا. ومعنى «مُخِمِدٍ مَن يَرُودُهَا» أي مصادِفِ الحمد مَن يطلبها. ويقال: أحمدت فلاناً، كما يقال أجبته وأبخلته.

= [إذا مات منهم ميت سرق أبـه]

(١) البيت لعلي بن جبلة في الشعر والشعراء ٨٤٠، والأغانى ١٨: ١٠٣.

(٢) البيت ليس في ديوان الأعشى، ونسبه الجاحظ في البيان والتبيين ٥: ٦٣ إلى الأزرق الهمداني.

وقوله: «نصبنا له جوفاء» يعني به قَدْرًا كثيرةً الأخذ، واسعةً الجوف. والضَّبابَة: ما يَتَعَقَّبُ المطرُ من الظَّلْمة الرِّقِيقَة والسَّحاب الرِّكيك. وذِكْرُها ههنا مثل. ويُرْوَى: «ذاتُ ضبابَة»، وهي البَقِيَّة، أي يَفْضَلُ ما فيها عن الآكِلِينَ لِعَظَمِها. والدُّهْم: السُّود. والمِبْطَان: العَظِيم البَطْن. ومِفْعَالُ بناء المبالغة. وجعلها طويْلَة الرُّكود لأنها إذا نُصِبَتْ لم تُتَزَلْ إلا بعد لأيٍ لِكِبَرِها، ولأنه لا يَخْفُ مَحْمِلُها فَيَتَنَاوَلُ كُلَّ وَقْتٍ.

وقوله: «فإن شئت أثوبناك»، هذا تَخْيِيرٌ منهم للضيف بعد إطعامه، ويقال: ثَوَى بالمَكَان، إذا أقام؛ وأثَوَاهُ غيره. وانتصب «مُكْرَمًا» على الحال. والمعنى: إن أردتَ المقام أقمْتَ مُكْرَمًا مُعْظَمًا، وإن أردتَ التوجُّه في مَقْصِدِكَ، والارتحال لِطَيِّبَتِكَ، بَلِّغْنَاكَ مَقَرَّكَ مَحْمِيًا مُشِيْعًا.

٧٢١ - وقال آخر: [الطويل]

- ١ - وَمُسْتَنْبِحٌ تَهْوِي مَسَاقِطُ رَأْسِهِ إِلَى كُلِّ شَخْصٍ فَهُوَ لِلسَّمْعِ أَضْوَرُ
- ٢ - يُصَفِّقُهُ أَثْفُ مِنَ الرِّيحِ بَارِدٍ وَنَكْبَاءُ لَيْلٍ مِنْ جُمَادَى وَصَرَصَرُ
- ٣ - حَبِيبٌ إِلَى كَلْبِ الْكَرِيمِ مَنَاخُهُ بَغِيضٌ إِلَى الْكُؤْمَاءِ وَالْكَلْبُ أَبْصَرُ

يعني بالمستنبح ضَيِّفًا. ومَسَاقِطُ رأسه: جمع مَسْقِطٍ، ويعني به المصدر لا اسم المكان. ومعنى تَهْوِي تَقْصِدُ وتُسْرِعُ. ويقال في الفَرَس: إِنَّهُ يُسَاقِطُ العَدُوَّ سِقَاطًا. واسْقَطَ علينا، أي أَقْصَدْنَا. وقال: [الطويل]

يُسَاقِطُ عَنْهُ رَوْقُهُ ضَارِبَاتِهَا سِقَاطُ حَدِيدِ الْقَيْنِ أَخْوَلُ أَخْوَلًا^(١)

أي يُزِيلُها ويُبْعِدُها. ومعنى «تَهْوِي مَسَاقِطُ رأسه»، أي يُسَاقِطُ رأسه الشُّخُوصُ سِقَاطًا سَرِيعًا. وقوله: «فهُوَ لِلسَّمْعِ أَضْوَرُ» أي مائل. والسَّمْع: مصدر سَمِعَ. ومعنى البيت: رُبُّ مُسْتَضَيِّفٍ بِنَاجِهٍ يَتَسَرَّعُ مِثْلُ رَأْسِهِ وَمَهْوَاهُ إِلَى كُلِّ شَخْصٍ يَمْتَلُ لَهُ، فَهُوَ مَائِلٌ لِلسَّمْعِ، وَمَتَنَظَّرٌ مَتَى يُجِيبُهُ الْكَلَامُ أَوْ يَتَلَقَّاهُ مَنْ يُنْزِلُهُ.

وقوله: «يُصَفِّقُهُ» أي يَضْرِبُهُ. والأَثْفُ مِنَ الرِّيحِ: أوله. ومنه اسْتَأْنَفْتُ الأمر. وكَلَأَ أَثْفُ، إذا لم يُزْعَ. وقوله: «ونكبأ ليل» يريد: وَرِيحٌ تَنَكَّبُ عَنْ مَهَابِ الرِّيحِ الأَرِيعِ، فِي لَيْلَةٍ مِنْ لَيَالِي جُمَادَى. وَصَرَصَرُ، أي وَبَرَدٌ شَدِيدٌ. وَالصَّرُّ وَالصَّرَصَرُ

(١) لضابيء بن الحارث في الدرر ٤: ٣٤، والشعر والشعراء ٢١: ٣٥٩، واللسان (سقط، خول) ونوادر أبي زيد ١٤٥.

بمعنى، وليس من بناء واحد، لأنَّ صرصر رُباعيٌّ وذلك ثلثيٌّ. وجمادى، يريد به شهرًا من شهور الشتاء وإن لم يكن جمادى في الحقيقة. وإنما وصف ما قد أشرف عليه المستنبح من أذى الرِّيح والبرد والمطر، ليكون ذلك عُذرًا في الاستنباح وطلب الثُّزول.

وقوله: «حبيب إلى كلب الكريم مُناخه»، يجوز أن يرتفع حبيب على أنه خبرٌ مقدَّم، والمبتدأ مُناخه. ويجوز أن يكون صفةً للمستنبح. وقد جُعل خبر مبتدأ مضمَر، فيرتفع مُناخه على أنه مفعولٌ لم يسم فاعله من حبيب. ويقال: أنخْتُ البعير إناخته ومُنَاخًا فبرك. واستغنى برك عن ناخ. وإنا حُبُّ مُناخ الضيف إلى الكلب لأنه يسعدُ بنزوله ويشركه في القرى المهيأ له. وأضاف الكلب إلى الكريم، لأنَّ كلب اللثيم يعقر السابِلة والمارة، ولا يعرف الاستضافة والاستئزال.

وقوله: «بغىض إلى الكرماء» لأنها تُنحر. والكرماء: العظيمة السنام. وقوله: «والكلب أبصر» ممَّا وقَّع في أحسن موقعٍ وشرف المعنى به وجاد البيت.

- ٤ - حَضَاتُ لَهُ نَارِي فَأَبْصَرَ ضَوْءَهَا وَمَا كَادَ لَوْلَا حَضَاةُ النَّارِ يُبْصِرُ
٥ - دَعْنَهُ بِغَيْرِ اسْمٍ هَلُمَّ إِلَى الْقَرَى فَأَسْرَى يَبْوُعُ الْأَرْضَ وَالنَّارُ تَزْهَرُ
٦ - فَلَمَّا أَضَاءَتْ شَخْصَهُ قُلْتُ مَرْحَبًا هَلُمَّ وَلِلصَّالِينَ بِالنَّارِ أَبْشِرُوا

قوله: «حَضَاتُ لَهُ ناري» جواب ربِّ المضمرة في قوله ومستنبح. ومعنى حَضَاتُ النَّارِ رَفَعَتْهَا وَهَيَّجَتْهَا لَهُ فَأَبْصَرَهَا وَاسْتَدَلَّ بِهَا، وَلَوْلَا رَفْعِي النَّارِ وَتَهْيِيجِي إِيَّاهَا لَكَانَ لَا يُبْصِرُ الطَّرِيقَ وَلَا يَرَى مُسْتَدَلًّا بِهِ. وفصل بين كاد وخبره بقوله: «لَوْلَا حَضَاةُ النَّارِ»، وفي كاد ضمير المُستنبح، لَوْلَا ذَلِكَ لَمَّا جاز أن يقال: زيد كاد يخرج، لأنَّ الفعل لا يلي الفعل.

وقوله: «حَضَاةُ» ارتفع بالابتداء وخبره محذوف استغنيَ بجواب لولا عنه، وجواب لولا في قوله: وما كاد يُبْصِرُ لَوْلَا حَضَاةُ النَّارِ.

وقوله: «دَعْنَهُ بِغَيْرِ اسْمٍ» يريد: دعت الضيف النار، كَأَنَّهُ سَمَّى اسْتِدْلَالَهَ بِهَا وَتَصَوَّرَ النَّارَ لَهُ دُعَاءَ مِنْهَا وَإِجَابَةً مِنَ الضَّيْفِ. وقوله: «بغير اسم» إنما نكره ولم يقل بغير اسمه، لأنَّ المدعو قد يدعى باسمه، ويكنيته، ويلقب له، وباسم جنسه، وبصفة له، كقولك يا رجل، ويا فتى، ويا مُقْبِل، ويا راكب، ويا فلان، وياأبا فلان. والنَّارُ

لم تَدْعُ الضَّيْفَ بشيء من ذلك، فلذلك قال بغير اسم، أي بغير اسم يُدْعَى به مثله. ويجوز أن يكون قال ذلك لأنَّ دعوتها لم تكن بكلام، وإنما كان علامةً واستدلالاً، كما أنَّ الإجابة كانت قَضْدًا وإسراءً. وكذلك قوله: «هَلُمَّ إِلَى الْقِرَى» من ذلك، لأنَّ النَّارَ لم تتكلَّم بهذا الكلام. وهَلُمَّ يجوز أن يكون أصله هاء التنبيه وَلُمَّ فَعَلَ، وعلى هذا يَثْنَى ويجمع. ويجوز أن يكون اسمًا للفعل، وحينئذٍ لا يثْنَى ولا يُجْمَع ولا يُوْثَّن، وهذا أفصحُ اللَّغَتَيْنِ. وفي القرآن: ﴿وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾ [الأحزاب: الآية ١٨]. وقوله أسرى، يقال سَرَى وأسرى بمعنى. وَيَبُوعُ الْأَرْضَ أي يقطعها بِخَطْوِ واسع وحركة سريعة. يقال: بُعِثَ الشَّيْءُ أَبْوَعَ بَوْعًا في هذا. وفرسٌ بَيْعٌ: واسع الخَطْوِ. وكما استُعْمِلَ الْبَوْعُ في هذا استُعْمِلَ الدَّنْعُ أيضًا. ومنه قيل: ناقة دَرَعَةٌ، إذا كانت واسعة الخَطْوِ. وقوله: «وَالنَّارُ تَزْهَرُ» الواو واو الحال، وتَزْهَرُ أي تضيء في صعود.

وقوله: «فلما أضاءت شَخَصَهُ قَلْتُ مَرْحَبًا»، أي لَمَّا دَنَا مِنِّي وتراءى لي شَخَصَهُ بضوء النَّارِ تَلَقَّيْتُهُ بالترحيب والاستدناء، وقلت لَمَنْ حَوْلَ النَّارِ مِنَ الْمُضْطَّالِينَ ومن الْأَهْلِ وَالْخَوَلِ: اسْتَبْشِرُوا بِالضَّيْفِ فَقَدْ طَرَقَ، وبِمُرَادٍ فَإِنَّهُ حَصَلَ. ويقال صَلِيْتُ بِالنَّارِ، أي دنوتُ منها، أَضْلَى ضَلِيًّا. وقوله: مَرْحَبًا، هَلُمَّ: كلامان، ولم يتوسطهما العاطف، لأنَّ مرحبًا تسليم عليه، وهَلُمَّ أَمْرٌ بِالذُّنُورِ، فكأنَّه استأنف هذا الكلام بعد التسليم بهذا الكلام، ولم يَجْمَعْهُمَا اللَّفْظُ به في حالة واحدة.

٧ - فجاءَ وَمَحْمُودُ الْقِرَى يَسْتَفِرُّهُ إِلَيْهَا وَدَاعِي اللَّيْلِ بِالضَّبْحِ يَضْفِرُ^(١)

٨ - تَأَخَّرَتْ حَتَّى لَمْ تَكُذْ تَضْطَفِي الْقِرَى عَلَى أَهْلِهِ وَالْحَقُّ لَا يَتَأَخَّرُ

يقول: جاء الضَّيْفُ وما هَيَّءَ له من الْقِرَى المحمود يَجْتَذِبُهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى النَّارِ الموقدة والديكُ يَضْفِرُ مُؤَذِّنًا بِإِصْبَاحِ اللَّيْلِ. وإنما قال: «ومحمود القِرَى» لأنَّ طعامَ الْكِرَامِ لَا يُسْتَنَكَفُ منه، وَيَسْتِطِيبُهُ كُلُّ مُتَنَاوِلٍ ويستمرئه، كما يَسْتَكْرِمُ الْمُثَوَى عِنْدَهُمْ كُلُّ نَازِلٍ بِهِمْ.

وقوله: «تَأَخَّرَتْ» استبطاء من القارِى للضَّيْفِ. والمراد أَنَّكَ تَأَخَّرْتَ عَنْ أَوَّلِ اللَّيْلِ حَتَّى كَأَنَّكَ لَمْ تَكُذْ تَطْلُبُ اخْتِيَارَ صَفْوِ الْقِرَى عَلَى النَّازِلِينَ، وَنَحْنُ وَإِنْ فَعَلْتَ

(١) التبريزي: «ويروى: وداعي، فمن روى داعي بالبدال أراد ما يصوت سحرًا نحو الديك وغيره».

ذلك فلكَ الواجبُ من حقِّك، والمفروضُ من قسْطك، ولن يتأخَّر إن تأخرت. والمعنى أنا نستأنِفُ لك ونحتفل، ونُقيِّم الرِّسمَ ونتكلَّف، ونُفَرِّدُك بما يَجِبُ لك وإن تقدَّمك مَنْ تقدَّم. والهاء من قوله: «على أهله» يعود إلى القرى.

٩ - وَفُتُّ بِنَضْلِ السَّيْفِ وَالْبَرْكَ هَاجِدٌ بِهَازِرُهُ وَالْمَوْتُ فِي السَّيْفِ يَنْظُرُ

١٠ - فَأَعْضَضْتُهُ الطُّوْلَى سَنَامًا وَخَيْرَهَا بِلَاءَ وَخَيْرِ الْخَيْرِ مَا يُتَخَيَّرُ

يقول: فُتُّ مجرَّدًا السيفَ ومتجرَّدًا لعقرِ ناقةٍ، والإبلُ الباركة بفنائِي نائمة ساكنة، عِظَامُ سِمَانٍ، والموتُ ينظرُ في سيفي: أيها المُعدُّ والموعودُ به. وإنما قال: «والبَرْكُ هاجدٌ» ولم يقل هاجدة، ردًّا على لفظه، لأنَّ لفظه لفظُ الواحد وإن أريدَ به الكثرة. ورُدُّ «بهازرة» على المعنى لا على اللفظ. والهَجُود: الثَّوم، وقال الخليل: هَجَدُوا، أي نامُوا، هَجُودًا؛ وتهَجَّدُوا: استيقظوا، تهَجَّدًا. والبهازِرُ: السَّمان الصفايا، واحداً تهَازِرُ بهَازِرٍ في القياس. والواو من قوله: «والموتُ في السَّيْفِ ينظرُ» واو الحال. وقد حَسُنَ موقع هذا العَجْز من صدر البيت. ويجوز أن يكون المعنى: والموتُ المركَّب في السَّيْفِ يَنْتَظِرُ ماذا يكون مُتي.

وقوله: «أَعْضَضْتُهُ الطُّوْلَى سَنَامًا» أي عرَقْتُهَا به، وجعلته يَعْضُ عليها. وانتَصَب «سَنَامًا» على التمييز، وكان الواجب في مقابلة الطُّوْلَى أن يقول: والخَوْرَى بِلَاءَ، أو خَوْرَاهَا بِلَاءَ، فَعَدَّلَ به الوِزْنَ عن تخيُّرِ المقابلة. ومعنى «خَيْرَهَا بِلَاءَ» يعني في العمل والولادة وغزارة الدَّر. وقوله: «وخير الخير ما يُتَخَيَّرُ» يريد أن البَرْك كُلُّهَا خِيَارٌ، ثم إِنِّي اخترتُ مِنْ بينها خَيْرَهَا، إكرامًا للضيف، وخَيْرِ الخير ما يُتَخَيَّرُ من الخير.

١١ - فَأَوْفَضَ عَنْهَا وَهِيَ تَرْغُو حُشَّاشَةً بِذِي نَفْسِهَا وَالسَّيْفُ عُرْيَانٌ أَحْمَرٌ^(١)

١٢ - فَبَاتَتْ رُحَابٌ جَوْنَةٌ مِنْ لِحَامِهَا وَفُوهَا بِمَا فِي جَوْفِهَا يَتَفَرَّغَرُ

قوله: «أَوْفَضَ عَنْهَا» يريدُ أن البَرْكَ لَمَّا جرى مُتي على صاحبها التي اخترتها ما جَرَى من العَرْقِبة نَقْرَن وتَفَرَّقْنَ عَنْهَا، وهي، يعني المعقورة، تَرْغُو بِرُوحِهَا حُشَّاشَةً، وقال: «بذِي نفسها» يريد خالصة نفسها. والحُشَّاشَةُ: البَقِيَّةُ من ذِمَّاتِهَا، وقال الخليل: رُوحُ القلب، وهو رَمَقٌ من حياة النَّفْس. وانتصابه على الحال، ويجوز أن ينتصب على التمييز، فيكون ممَّا نُقِلَ الفعلُ عنه، كأنه كان وهي ترغو

(١) التبريزي: «فأوفض عنها» أي تفرَّقن بسرعة.

حُشَّاشَتَهَا، فَثَقُلَ الْفِعْلُ إِلَيْهَا، فَصَارَ تَمَيِّزًا كَقَوْلِكَ طَبْتُ نَفْسًا وَمَا أَشْبَهَهُ. وقوله: «وَالسَّيْفُ عُرْيَانٌ أَحْمَرٌ» يريد أنه متجرد من غِمدِهِ. ولم يصرف عُريَانُ ضرورةً، وجعله أَحْمَرٌ مِمَّا تَلَطَّخَ مِنْ دَمِهَا.

وقوله: «فَبَاتَتْ رُحَابٌ» يعني القِدر. ويقال: رَحِيبٌ وَرُحَابٌ، كما يقال: طَوِيلٌ وَطُوالٌ، وَعَجِيبٌ وَعُجَابٌ، وهي الواسعة. وَالْجَوْنَةُ: السُّوداءُ. وقوله: «مِنْ لِحَامِهَا» خبر باتت، كَقَوْلِكَ أَنْتَ مَنِي. والمعنى: باتت مملوءةً مِنْ لِحَامِهَا. وقوله: «وَفَوْهَا يَتَغَرَّغُ» أي يسيل ما في جوفها، يعني عِنْدَ غَلْيَانِهَا عَلَى النَّارِ. ومثله: [الكامل] إِذْ لَا تَزَالُ لَكُمْ مُعْزِرَةً تَغْلِي وَأَعْلَى لَوْنِهَا كَثُرُ^(١) وَالْكَثْرُ: السَّنامُ، ويكون أبيض اللون.

٧٢٢ - آخر: [الوافر]

١ - وَمَا يَكُ فِي مِنْ عَيْبٍ فِلَانِي جَبَانُ الْكَلْبِ مَهْزُولُ الْفَصِيلِ
إنما قال: «جَبَانُ الْكَلْبِ» لَأَنَّهُ عُوْدُ أَنْ يُسَالِمَ الطَّرَاقَ لثَلَا يَتَأَذَى بِهِ الضُّيُوفُ إِذَا وَرَدُوا، فَقَدْ أَذُبَ لَذْلَكَ وَدَرَّبَ عَلَيْهِ، وَلَأَنَّهُ يَطُولُ اعْتِيَادُهُ لِنُزُولِ السَّابِلَةِ بِهِمْ أَلْفَهُمْ، فَصَارَ لَا يَسْتَنْفِرُ مِنْهُمْ. وقال: «مَهْزُولُ الْفَصِيلِ» لَأَنَّهُ يُؤَثِّرُ بِلَبَنِ أُمِّهِ غَيْرُهُ أَوْ تُنَحَّرَ عَنْهُ. ومثله قول الآخر: [الوافر]

تَرَى فَضْلَانَهُمْ فِي الْوَرْدِ هَزَلِي وَتَسْمَنُ فِي الْمَقَارِي وَالْجِبَالِ^(٢)

٧٢٣ - وقال آخر: [الطويل]

١ - سَأَفْدَحُ مِنْ قِدْرِي نَصِيبًا لَجَارَتِي وَإِنْ كَانَ مَا فِيهَا كَفَافًا عَلَى أَهْلِي
٢ - إِذَا أَنْتَ لَمْ تُشْرِكْ رَفِيقَكَ فِي الَّذِي يَكُونُ قَلِيلًا لَمْ تُشَارِكْهُ فِي الْفَضْلِ
سَأَفْدَحُ، أي سأغرف من قِدْرِي نَصِيبَ الْجَارَةِ وَإِنْ كَانَ مَا فِيهَا كَفَافًا عَلَى أَهْلِي، أي لَا يَفْضُلُ عَنْهُمْ وَلَا يَنْقُصُ مِنْ حَاجَتِهِمْ. وفي طريقته قول الآخر: [الطويل] نُقَسِّمُ مَا فِيهَا فَإِنْ هِيَ قَسَمَتْ فَذَاكَ وَإِنْ أَكْثَرَتْ فَعَنْ أَهْلِهَا تُكْرِى^(٣)

(١) لعترة في اللسان (غر).

(٢) بلا نسبة في اللسان (قرا)، وتاج العروس (قري).

(٣) للأسود بن يعفر في ديوانه ٣٨، وبلا نسبة في اللسان (قسم، كرا)، وتهذيب اللغة ١٠: ٣٤٣.

قَسَمْتُ بمعنى تَقَسَّمْتُ، ومثله نَبَّهَ بمعنى تَنَبَّهَ، ووجهٌ بمعنى توجَّهَ. ومعنى أَكْرَثْتُ نقصْتُ، يريد أنه يوفِّر نصيبَ الغريب ولا ينقص منه، بل يجعل النقصان في نصيب العيال. وكذلك قول الآخر: [الكامل]

ليسَ العطاء من الفضولِ سَمَاحَةً حَتَّى تجودَ وما لَدَيْكَ قَلِيلٌ^(١)

يريد: والذي لديك قليلٌ، وقال الراعي: [البيسط]

إني أقسمُ قدري وهي بارزة إذ كلُّ قِذِرٍ عَرُوسٌ ذاتُ جلبابٍ
أي مستورة مغطاة، لشدَّة الزَّمان.

٧٢٤ - وقال عمرو بن الأهتم^(٢): [الطويل]

١ - ذَرِينِي فَإِنَّ الشُّعْخَ يَا أُمَّ هَيْثِمَ لِصَالِحِ أَخْلَاقِ الرُّجَالِ سَرُوقٌ^(٣)

٢ - ذَرِينِي وَحُطِّي فِي هَوَايَ فَإِنَّنِي عَلَى الْحَسَبِ الرَّاكِي الرَّفِيعِ شَفِيقُ

يقول: اتركيني على أخلاقي وإن أنكرتها فإن ما تَبَعَيْنِ عليه من الإمساك والإبقاء على المال هو البُخل، والبُخل مُزِرٌ بأخلاق الرُّجال الكريمة، ومستهلِكٌ متحيِّفٌ لها، وواضعٌ من عوالي رُتبتها.

«ذريني وحطي» أي اتركيني واخفضي من كلامك ووصاتك فيما أهواه وأوتره. وكُرِّر «ذريني» على طريق التأكيد ومظهرًا للتبرُّم بإفراطها. والمراد: انزلي عن مراكبك في اللوم واتبعي هوايَ، فإنني مُشْفِقٌ على الحسب الذي رفعتُ بناءً، إذ كانت الأحساب متى لم تُتَفَقَّدْ بالعمارة استمرَّ بناؤها وشيكا، وتهدَّمت وبارت أخيرًا.

٣ - ذَرِينِي فَإِنِّي ذُو فَعَالٍ تَهْمُنِي نَوَائِبُ يَغْشَى رُزْؤَهَا وَحُقُوقُ^(٤)

(١) للمقنع الكندي في الحماسية رقم (٧٧٣)، وخزانة الأدب ٣: ٣٧٠، والدرر ٤: ٧٥، وبلا نسبة في الجني الداني ٥٥٥.

(٢) عمرو بن سنان بن تميم المنقري أبو ريعي: أحد السادات الشعراء الخطباء في الجاهلية والإسلام، من أهل نجد، كان يدعى (المكحل) لجماله في شبابه، وفد على الرسول ﷺ فأسلم ولقي إكرامًا وحفاوةً، (ت ٥٧ هـ / ٦٧٧ م). ترجمته في الإصابة (٥٧٧٢)، والمرزباني ٢١٢، والشعر والشعراء ٢٤٠.

(٣) الأبيات من قصيدة طويلة في المفضليات وهي المفضلية (٢٣).

(٤) الشطر الأول في المفضليات:

«واني كريمٌ ذو عيال تهمني»

٤ - وكلُّ كريم يثقي الذمَّ بالقرى وللحق بين الصالحين طريق^(١)

يقول: اتركيني واختياري، فإنني قدّمت مساعي تقتضيني مراعاتها، وأسست مباني تدعو إلى استكمالها وتبعث على الزيادة فيها، وعودت الناس مني عادات توجب علي الصبر لها وعليها، وتغشاني نوائب تنوّنني، وحقوق يلزمني الخروج منها. ثم إن الكرام يتقون ببذل القرى وإقامته على أشرف وجوهه دمّ الثزال، وشكوى الطراق. ولقضاء واجبات الحقوق في الكرم والمروءة طريقة مسلوكة معروفة، متى أُخِلَّ بها ولم تُغمر باستطراقها والنظر في مصالحها والإنفاق في استبقائها، درست وحفيت. ويروى: «وللحمد بين الصالحين طريق»، والمعنى ولكسب الحمد. ومعنى «يغشى رزؤها» أي يغشاني رزؤها، فحذف المفعول، أي إصابة الناس وانتفاعهم بي. ويقال منه: هو مرزأ، إذا كان سخياً ينال الناس إفضاله.

٧٢٥ - وقال عروة بن الورد^(٢): [الطويل]

- ١ - إني امرؤ عافي إنائي شركةً وأنت امرؤ عافي إنائك واحد
 - ٢ - أتهزأ مني أن سميت وأن ترى بوجهي شحوب الحق والحق جاهد
 - ٣ - أقسم جسمي في جُسوم كثيرة وأخسو قراح الماء والماء بارد
- قوله: «عافي إنائي شركة» أي يأكل معي عِدَّة يشاركوني فيما في الإناء، وأنت رجل تأكل وحدك فعافي إنائك واحد. وأصل العافي من عفاه واعتفاه، إذا طلب معروفه، فأعفاه أي أعطاه، كما يقال: طلب منه فأطلبه، ومنه عافية الطير والسباع. وأنشد بعضهم فيه: [المتقارب]

لَعَزَّ علينا ونغم الفتى مصيرك يا عمرو للعافية^(٣)

أي السباع والطيور، وقيل: بل أراد العواد. ومثله قول حاتم: [البيسط]

يرى البخيل سبيل المال واحدة إن الجواد يرى في ماله سبلا

لأن قوله: «سبيل المال واحدة» يريد إنفاقه على نفسه دون غيره.

(١) بعده عند التبريزي:

«لعمرك ضاقت بلاد بأهلها ولكن أخلاق الرجال تضيئ»

(٢) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (١٤٥). (٣) بلا نسبة في اللسان (عفا).

وقوله: «أتهزأ مني أن سمئت» أي لأن سمئت ولأن ترى بوجهي شحوب الحق. وأضاف الشحوب إلى الحق لأن سببه كان توفّره على إقامة الحقوق وأدائها في وجوهها. وهم يضيفون الشيء إلى الشيء لأدنى مناسبة بينهما، فكأنه قال الشحوب الذي كان سببه توفّري على الحق، وتوفيري الأزواد على طلبها. وقوله: «والحق جاهد» يريد القيام بالحق في الشدائد وأدائه يجهد النفوس ويغيّر الألوان ويُنضي الأبدان.

وقوله: «أقسم» أراد قوت جسمي وطعمه، لأنني أوثر به الغير على نفسي وأجتزى بحسب الماء القراح، وهو البحث الذي لا يخالطه شيء من اللبّين وغيره، والماء بارد، أي والشتاء شات والبرد مُتناه. وقال بعضهم: المهزول يجد برّد الماء أكثر ممّا يجده السمين. وأنشد: [الخفيف]

عافيت الماء في الشتاء فقلنا بل رديه تُصادفيه سخينا^(١)

أي سمئت فريده تُصادفي حارًا ما صادفته باردًا. قال: ويدلّ على أنه كنى عن الهزال ببرّد الماء قوله:

أتهزأ مني أن سمئت وأن ترى بوجهي شحوب الحق والحق جاهد

٧٢٦ - وقال آخر: [الطويل]

١ - أجلك قوم حين صرت إلى الغنى وكل غني في القلوب جليل

٢ - وليس الغنى إلا غنى زين الفتى عشيّة يقري أو غداة ينيل

يقول: لما استغنيت عظمت في عيون الناس فأجلوا قدرك ورفعوا مكانتك، وكذا الأغنياء مواقعهم من النفوس عظيمة، ومحالهم في الأفتدة والقلوب جليلة رفيعة، وأقدارهم موقوفة على سعة أحوالهم، ومردودة إلى مقادير قدرهم، لكن الغنى المحمود المتفق على فضله عند التحصيل هو ما يزبن الفتى فلا يشينه، ويكسب له الحمد والذخر فلا يذيمه، عشيّة ينزل الأضياف فيكرم مثواهم، أو غداة ينيل العفاة ويوسع في فئانه مأواهم.

(١) بلا نسبة في اللسان (برد)، وتاج العروس (برد).

٧٢٧ - وقال المثلّم بن رياح^(١): [الكامل]

١ - بَكَرَ العَوَادِلُ بالسَّوَادِ يَلْمُنِي جَهْلًا يَقْلُنْ أَلَا تَرَى مَا تَصْنَعُ

٢ - أَفَنَيْتَ مَالَكَ فِي السَّفَاهِ وَإِنَّمَا أَمْرُ السَّفَاهَةِ مَا أَمْرُنَاكَ أَجْمَعُ

يقول: بَكَرَ اللواتم في سَوَادِ اللَّيْلِ، ولم تُضَيِّرْ إلى وقت الإصباح، حِرْصًا مِنْ نفوسهنَّ على تقريري وتوبيخي، لجهلهنَّ وضعفِ رأيهنَّ، وقُصورِ بصائرهنَّ عن معرفة ما لهنَّ وعليهنَّ، يَقْلُنْ لي مستعظمت لما آتته، ومُستنكرات لما أُنْفِقَه وأُفْرَقَه: أَلَا تَرَى ما تأتي وما تذر. وإنما صَلَحَ أن يقول بَكَزْنَ بالسَّوَادِ لِأَنَّ البُكَورَ الابتداء في الشيء، ومنه بأكورة الرَّبِيع، والبُكَرُ في النِّسَاء.

وهذا كما قال غيره: [الطويل]

أَلَا بَكَرَتْ عِزِّي بِلَيْلٍ تَلُومُنِي

وقوله: «أَهْلَكْتَ مَالَكَ» هو تفسِيرُ ما أَبْهَمَهُ قوله: «أَلَا تَرَى ما تَصْنَعُ» والمعنى: صرَفْتَ مَالَكَ فيما هو سَفَهٌ وضلال، وَعَبَاوَةٌ وَضِياع. ثم قال: وإذا تُؤْمَلُ الحالُ فيما يُراوِذُنَاكَ عليه فالأمرُ بالسَّفَاهَةِ ما أَمْرُنَاكَ كُلُّهُ. جعل يخاطبُ نفسه بذلك. ويقال: أَمْرَتَكَ كذا وبكذا. قال الشاعر: [البيسيط]

أَمْرَتُكَ الْخَيْرَ فَافْعَلْ ما أَمْرَتْ بِهِ^(٢)

فجمع بين الوجهين. وفي القرآن: ﴿فَأَصْنَعْ يٰمَا تُؤْمَرُ﴾ [الحجر: الآية ٩٤]. ويجوز أن يكون معنى أمر السَّفَاهَةِ الأمر الذي تولَّد عن السَّفَاهَةِ، ويكون الإضافة فيه إضافة المسبَّب إلى السبب، كأنه جعل السَّفَاهَةَ فيهنَّ ومنهنَّ. وقوله: «ما أَمْرُنَاكَ» ما مع الفعل في تقدير المصدر، وأَجْمَعُ تأكيد له. والسَّفَاهَةُ والسَّفَاهُ والسَّفَهَةُ: الخَفَّةُ والطَّيش. ويقال: زِمَامٌ سَفِيهِه كما يقال زِمَامٌ عَيَّار. وسَفَهَتِ الرِّيحُ الغصنَ: حَرَكْتَهُ. وتسَفَهَتِ الرِّياحُ: اضطربت. و«يلمني» في موضع الحال. و«جهلاً» يجوز أن تكون مفعولاً له، ويجوز أن تكون في موضع الحال. و«أَلَا تَرَى ما تَصْنَعُ» في موضع

(١) التبريزي: «... المزي». وقد سبقت ترجمته في الحماسية رقم (١٣١).

(٢) لعمرو بن معديكرب في ديوانه ٦٣، وخزانة الأدب ٩: ١٢٤، ولخفاف بن ندبة في ديوانه

١٢٦، وللعباس بن مرداس في ديوانه ١٣١، ولأعشى طرود في الموثلف والمختلف ١٧.

وعجزه:

«فقد تركتكَ ذا مالٍ وذا نَشَبٍ»

مفعول يُقْلَن. وما من قوله: «ما تَصْنَعُ» يجوز أن يكون بمعنى الذي، وقد حُذِفَ المفعول من صِلَتِه، يريد تصنعه. ويجوز أن يكون مفعولاً مُقَدِّماً لتصنع، والمعنى أي شيء تَصْنَعُ.

٣ - وَتُؤَدِّ نَاجِيَةً وَضَعْتَ بِقَفْرَةٍ وَالطَّيْرُ غَاشِيَةُ الْعَوَافِي وَقَعُ

٤ - بِمُهَنْدٍ ذِي حَلِيَّةٍ جَرَّدْتُهُ يَبْرِي الْأَصَمَّ مِنَ الْعِظَامِ وَيَقْطَعُ

قوله: «وتؤدِّ ناجية» انجز بإضمار رُبِّ، وجوابه وَضَعْتَ بِقَفْرَةٍ، والواو من قوله: والطير وار الحال. فيقول: ربِّ رَحَلِ ناقة سريعة وَضَعْتُهُ بِمَكَانٍ خَالٍ وتركته، لأنِّي عَزَقْتُهَا، والطير عوافيها تغشاها وتقع عليها. وأكثر ما يجيء المجرور بِرُبِّ يجيء موصوفاً ثم يجيء الجواب، وههنا لم يَصِفْهُ. وقوله: «غاشية العوافي» وجب أن يكونَ فيه ضميرٌ للناقة، حتَّى يكونَ بينَ ذي الحال وبينه تعلق، فحذف ذلك الضمير لأن المراد مفهوم، ولو أتى به لكان والطير غاشية العوافي إيّاها وَقَعُ عليها. والعوافي: جمع عافية، وهو من قولهم عَفَاهُ واعتفاه؛ وقد مرَّ ذكره.

وقوله: «بمهند» تعلق الباء منه بقوله: وَضَعْتَ بِقَفْرَةٍ، لأنه لم يحطِ الرَّحَلُ عن النَّاجِيَةِ ولم يَضَعْهَا بِالْقَفْرَةِ إِلَّا وقد عَزَقَهَا، فكأنه جَعَلَ وَضَعْتَ بِقَفْرَةٍ دلالةً على العَفْرِ والعَرْقَةِ.

وقوله: «ذِي حَلِيَّةٍ» يريد أنه كان ملطخاً بالدم، فجعل ذلك الدم كالحلية لها. وقوله: «يَبْرِي الْأَصَمَّ مِنَ الْعِظَامِ وَيَقْطَعُ» يعني بالأصم ما ليس بأجوف، وذلك أصلب، فإذا بَرَى الْأَصَمَّ فهو للمجوف أبرى.

٥ - لَتَنُوبَ نَائِيَةٌ فَتَعْلَمَ أَنِّي مَمَّنْ يُعَرِّ عَلَى الثَّنَاءِ فَيُخَدِّعُ

٦ - إني مُقَسِّمُ مَا مَلَكَتْ فِجَاعِلُ أَجْرًا لِآخِرَةِ وَذُنِيَا تَنْفَعُ

قوله: «لَتَنُوبَ» تعلق اللام بفعل مضمر دلُّ عليه ما تقدّم، كأنه قال: فعلت ذلك لكنّ إذا نابت نائبة عَلِمْتَ أَنِّي أَنَهَضُ فِيهَا، وَأَطْلُبُ الْأَحْدُوثةَ الْجَمِيلَةَ فِي دَفْعِهَا، وَأَنِّي أَحْمِلُ عَلَى الْغَرَرِ، وَأُخَدِّعُ عَنِ الْمَالِ بِالثَّنَاءِ وَالشُّكْرِ. ثم قال: إني أقسيم ما أملكه بين أمرين: مُدْخِرٍ لِلْآخِرَةِ، وَمُنْتَفِعٍ بِهِ فِي الدُّنْيَا. وجعل قوله لِآخِرَةٍ وَذُنِيَا نَكْرَتَيْنِ، وقد جاء في غير هذا المكان ذُنِيَا في صورة المعرفة،

قال: [الرجز]

فِي سَعْيِ دُنْيَا طَالَ مَا قَدْ مُدَّتْ^(١)

ووجه التنكير فيها وفي آخرة أَنْ يُرَادَ أَجْرٌ عَائِدٌ فِي أَمَدٍ مِنْ أَمَادِ الْآخِرَةِ، وَمَنْفَعَةٌ فِي مِثْلِهِ مِنَ الدُّنْيَا، وَكَانَ الْوَاجِبُ أَنْ يَقُولَ وَمَنْفَعَةٌ لِدُنْيَا، حَتَّى يَكُونَ لِفَقِّ الْأَوَّلِ فِيمَا سَاقَهُ مِنَ الْكَلَامِ، وَتَفْسِيرًا لِمَا قَسَمَهُ مِنْ مَصَارِفِ الْمَالِ، إِلَّا أَنَّهُ رَمَى بِالْكَلَامِ عَلَى مَا تَرَى لِمَا لَمْ يَلْتَمِسْ.

٧٢٨ - وَقَالَ أَبُو الْبُرْجِ الْقَاسِمُ بْنُ حَنْبَلٍ^(٢): [الوافر]

- ١ - أَرَى الْخُلَّانَ بَعْدَ أَبِي خُبَيْبٍ وَخَجِرَ فِي جَنَابِهِمْ جَفَاءً^(٣)
- ٢ - مِنْ الْبَيْضِ الْوُجُوهِ بَنِي سِنَانٍ لَوْ أَنَّكَ تَسْتَضِيءُ بِهِمْ أَضَاءُوا
- ٣ - لَهُمْ شَمْسُ النَّهَارِ إِذَا اسْتَقَلَّتْ وَنُورٌ مَا يُقَيِّبُهُ الْعَمَاءُ
- ٤ - هُمْ حَلُّوا مِنَ الشَّرَفِ الْمُعْلَى وَمِنْ حَسَبِ الْعَشِيرَةِ حَيْثُ شَاءُوا

الجناب: ناحية القوم. ويقال: فلان رَحِبَ الجناب، كأنه استجفى ثبؤهم فعَبَّ عليهم، ثم أَخَذَ يمدحهم ويستعطفهم، فيقول: أجدُّ الأصدقاء بعد هذين الرجلين يَجْفُو جَنَابُهُمْ عَنِّي وَيَتَّبِعُ جَانِبُهُمْ، وَهُمْ مِنَ الْقَوْمِ الْكَرَامِ الْغُرُّ الْوُجُوهِ، أَذْكَرُ بَنِي سِنَانٍ. فقولُه: «بني سنان» يجوز أن ينتصب على المدح والاختصاص، ويجوز أن يجعل مجرورًا على البدل من البيض الوجوه. وإثما وَصَفَهُمْ بِتَقَاءِ الْحَسَبِ وَانْتِفَاءِ الْعَارِ وَالْعَيْبِ مِنَ الذَّمِّ. قال فلو استضأت بثور وجوههم لأضاءوا في بُهْمِ الظُّلَمِ. فلهم من نُورِ الْكَرَمِ مِثْلُ شَمْسِ النَّهَارِ إِذَا ارْتَفَعَتْ وَعَلَتْ، وَمِثْلُ نُورِ اللَّيْلِ الَّذِي لَا يَسْتُرُهُ ظَلَامٌ، وَلَا يُخْفِيهِ عَمَاءٌ، وَهُوَ الْغَيْمُ الرَّقِيقُ، وَهُمْ حَلُّوا مِنَ الشَّرَفِ الَّذِي اكْتَسَبُوهُ، وَبَحْمِيدِ أفعالهم شَيْدُوهُ، الْمُعْلَى يَعْنِي الْمُرْفَعُ، إِلَى أَبْعَدِ الْغَايَاتِ، وَأَقْصَى النِّهَايَاتِ. ويجوز أن يكون أراد الْقِدْحَ الْمُعْلَى، لِأَنَّهُ أَشْرَفُ الْقِدَاحِ وَأَكْثَرُهَا أَنْصِبَاءً، فَجَعَلَهُ مِثْلًا لِأَزْفَعِ الْمَدَارِجِ وَأَسْنَى الْمَرَاتِبِ. وقوله: «ومن حَسَبِ الْعَشِيرَةِ» يريد به المتوارث، أي نزلوا منه حيثُ اختاروه وأحبُّوه. ومراده أَنَّهُ جَمَعَ لَهُمْ بَيْنَ الْمُكْتَسَبِ وَالْمِتَوَارَثِ مِنَ الشَّرَفِ وَالْحَسَبِ. وَأَضَافَ الْحَسَبَ إِلَى الْعَشِيرَةِ لِأَنَّهُمْ شُرَكَاءُ فِي التَّائِيدِ مِنْهُ.

(١) للعجاج في ديوانه ٤١٠:١، وخزانة الأدب ٢٩٦:٨، وشرح المفصل ١٠٠:٦.

(٢) التبريزي: «أبو البرج القاسم بن حنبل المري، في زفر بن أبي هاشم بن مسعود بن سنان».

(٣) التبريزي «أبي حبيب» بالحاء المهملة.

وَأَزِيدُ مِمَّا قَصَدَهُ فِي قَوْلِهِ مِنْ «الْبَيْضِ الْوَجُوهَ بَنِي سِنَانٍ» قَوْلُ الْآخِرِ^(١)

٥ - بُنَاءُ مَكَارِمٍ وَأَسَاءُ كَلِمٍ دِمَاؤُهُمْ مِنَ الْكَلْبِ الشِّفَاءُ

٦ - فَأَمَّا بَيْتُكُمْ إِنْ عُذُّ بَيْتٍ فَطَالَ السَّمُكُ وَاتَّسَعَ الْفِنَاءُ

٧ - وَأَمَّا أَسُهُ فَعَلَى قَدِيمٍ مِنَ الْعَادِي إِنْ ذَكَرَ الْبِنَاءُ

٨ - فَلَوْ أَنَّ السَّمَاءَ دَنَتْ لِمَجْدٍ وَمَكْرَمَةٍ دَنَتْ لَهُمُ السَّمَاءُ

الْبُنَاءُ: جَمْعُ بَانٍ. وَالْأَسَاءُ: جَمْعُ آسٍ، وَهَذَا الْجَمْعُ يَخْتَصُّ بِالْمَعْتَلِّ، كَمَا أَنَّ فَعْلَةً نَحْوَ كَفَرَةٍ وَظَلَمَةٍ يَخْتَصُّ بِالصَّحِيحِ. وَالْآسِيُّ: مُدَاوِي الْجِرَاحَاتِ. وَالْكَلْمُ: الْجَزْجُ. وَهَذَا مِثْلُ لَشْدَةِ الْأَهْوَالِ وَاضْطِرَابِ الْأَحْوَالِ. وَالْمَعْنَى: إِذَا تَفَاقَمَتِ الْأُمُورُ، وَحَرِجَتْ بِمَا اجْتَمَعَتْ فِيهَا الصُّدُورُ، فَإِنَّهُمْ يَتَلَفُؤْنَهَا بِعُنْفِهِمْ أَوْ لُطْفِهِمْ، وَهَمُّ مُلُوكٍ فِي دِمَائِهِمْ شِفَاءً مِنْ عَضِّ الْكَلْبِ الْكَلْبِ، وَهُوَ الَّذِي يَكَلِّبُ بِأَكْلِ لُحُومِ النَّاسِ، فَيَأْخُذُهُ مِنْ ذَلِكَ شِبْهُ الْجُنُونِ، فَلَا يَعْضُ إِنْسَانًا إِلَّا كَلْبٌ. وَيَقَالُ: إِنْ مَنَّ عَضُّهُ يَنْبُحُ نَبِيحِ الْكَلَابِ فَيَنْتَظِرُ بِهِ سَبْعَةَ أَيَّامٍ، فَإِنْ بَالَ هَنَاتٍ عَلَى خِلْقَةِ الْكَلَابِ بَرَأً وَإِلَّا مَاتَ بِزَعْمِهِمْ. وَيَقُولُونَ: إِنَّهُ لَا دَوَاءَ لَهُ أَنْجَعُ مِنْ شُرْبِ دَمِ مَلِكٍ. وَمِثْلُهُ قَوْلُ الْفَرَزْدَقِ: [الطويل]

لَوْ تَشَرَّبَ الْكَلْبِيُّ الْمَرَضُ دِمَاءَنَا شَفَتْهَا وَذُو الْخَبْلِ الَّذِي هُوَ أَذْنَفُ^(٢)

وقوله: «فَأَمَّا بَيْتُكُمْ إِنْ عُذُّ بَيْتٍ» فَإِنَّهُ يَرِيدُ: إِذَا عُذَّتِ الْبُيُوتُ فَبَيْتُكُمْ طَوِيلُ السَّمُكِ ثَابِتُ الْأُسِّ، فَسِيحُ السَّاحَةِ وَالْفِنَاءِ، وَاسِعُ الْأَقْطَارِ وَالْأَرْجَاءِ. وَالسَّمُكُ: أَعْلَى الْبَيْتِ الدَّخْلِ، فَأَمَّا أَعْلَاهُ الْخَارِجُ فَإِنَّهُ الصُّهُورَةُ. وَالْعَادِي: الْقَدِيمُ، نُسِبَ إِلَى عَادٍ. فَيَرِيدُ: بِنَاءُ شَرَفِكُمْ قَدِيمٌ، وَمَكَائِهِ وَسِيْعٌ، وَسُمُوقُهُ رَفِيعٌ، وَرَسُوخُهُ عَمِيقٌ.

وقوله: «فَلَوْ أَنَّ السَّمَاءَ دَنَتْ لِمَجْدٍ»، يَرِيدُ لَوْ مَلَكَتِ السَّمَاءُ الدُّنُورَ وَالْإِنْحِطَاطَ عَنْ مَوْضِعِهِ الَّذِي سُمِكَ فِيهِ لِيَرْتَقِيَ إِلَيْهَا مَجْدُهُمْ، أَوْ لِيَشَارَكَ الْأَرْضُ فِي إِقْلَالِهِمْ وَإِيْوَانِهِمْ، وَالْإِحْتَوَاءَ عَلَى مَكَارِمِهِمْ، لَفَعَلَتْ ذَلِكَ، وَلَكِنَّهَا عَاجِزَةٌ غَيْرُ مَالِكَةٍ.

(١) لَا يَدَّ أَنْهُ يَشِيرُ إِلَى بَيْتِ أَبِي الطَّمَحَانِ الْقِنِي فِي الْحِمَاسِيَةِ (٦٩٤):

أَضَاءَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ وَوُجُوهُهُمْ دَجَى اللَّيْلِ حَتَّى نَقَّمَ الْجَزْعُ ثَابِقَهُ

(٢) لِلْفَرَزْدَقِ فِي دِيَوَانِهِ ٣٠: ٢، وَكُتَابِ الْعَيْنِ ٣٧٦: ٥.

٧٢٩ - وقال أَرْطَاةُ بْنُ سُهَيْتَةَ^(١): [الطويل]

١ - لو أَنَّ ما نُعْطِي مِنَ المالِ نَبْتَغِي بهِ الحَمْدَ يُعْطِي مِثْلَهُ زَاخِرُ الْبَحْرِ

٢ - لَظَلْتُ قَرَايِيزَ صَيَّامًا بظَاهِرٍ مِنَ الضُّحْلِ كَانَتْ قَبْلُ فِي لُجَجِ خُضِرٍ

قوله: «نبتغي» موضعه نصب على الحال، وموضع «يُعْطِي مِثْلَهُ» الجملة رفع على أنه خبر أن، وقد حُذِفَ الضَّميرُ العائد إلى ما من قوله نُعْطِي، كأنه قال: لو أن الذي نُعْطِيهِ مِنَ المالِ مُبْتَغِينَ بِهِ الحَمْدَ يُعْطِي مِثْلَهُ طَامِي الْبَحْرِ ومرتفعه لَظَلْتُ سَفْرًا رَاكِدَةً وواقفةً بظَاهِرٍ مِنَ الْمَاءِ قَلِيلٍ، كانت مِن قَبْلُ فِي مَعَاظِمَ مِنَ الْبَحْرِ خُضِرٍ كثيرة. وقوله: «لَظَلْتُ» جواب لَوْ. وقوله: «كانت قبل» من صفة القراييز، وهي السفن، والواحد قُرْقُورٌ. وقد فَصَّلَ بَيْنَ الصِّفَةِ وَالْمَوْصُوفِ بخبر لَظَلْتُ وهو قوله: «صَيَّامًا». يريدُ أَنَّ السُّفْنَ الَّتِي كَانَتْ فِي الْمَاءِ فِي بَحْرِ تَعَوَّدُ بِمِثْلِ الْعَطَايَا مِنْهُ إِلَى أَنْ تَكُونَ وَاقِفَةً فِي ضُّحْلٍ، إِذْ كَانَ مَأْوَاهُ لَا يَقُومُ مَعَ الْإِعْتِرَافِ مِنْهُ لِمَا يَقُومُ لَهُ مَا لَنَا عَلَى الْإِسْرَافِ الْعَظِيمِ مِنْهُ. وَالضُّحْلُ: الْمَاءُ الْقَلِيلُ، وَالْجَمِيعُ الضُّحُولُ. وَأَتَانُ الضُّحْلِ: صَخْرَةٌ بَعْضُهَا فِي الْمَاءِ مَغْمُورٌ وَبَعْضُهَا ظَاهِرٌ مَكْشُوفٌ، فَيُضْلَبُ وَيَمْلَأُ. وَاللُّجَجُ: جَمْعُ لُجَّةٍ، وَهِيَ مُعْظَمُ الْمَاءِ. وَيَقَالُ: التَّجُّ الْبَحْرُ. وَالصِّيَامُ: الْقِيَامُ. وَالزَّاخِرُ مِنَ الْبُحُورِ: الطَّامِي الْمَاءِ، الْمَرْتَفَعُ الْمَوْجِ. وَإِذَا جَاشَ الْقَوْمُ لِتَغْيِيرِ أَوْ حَرْبٍ، قِيلَ: رَزَحُوا.

٣ - وَلَا نَكْسِرُ الْعَظْمَ الصَّحِيحَ تَعَذُّرًا وَنَغْنَى عَنِ الْمَوْلَى وَنَجْبَرُ ذَا الْكَسْرِ^(٢)

٤ - غَلَبْنَا بَنِي حَوْاءَ مَجْدًا وَسُودَدًا وَلَكِنَّا لَمْ نَسْتَطِعْ غَلَبَ الدَّهْرِ

يَصِفُ كَرَمَهُمْ فِي عَشِيرَتِهِمْ، وَأَنَّهُمْ يَتَعَطَّفُونَ عَلَى الضُّعَافِ الْفُقَرَاءِ مِنْهُمْ وَيَتَحَدَّبُونَ، فَيَجْبُرُونَ كَسْرَهُمْ، وَيَسُدُّونَ مَقَايِرَهُمْ، وَيُظْهِرُونَ الْغِنَى عَنِ مَوَالِيهِمْ، فَلَا يُضْلِحُونَ أَحْوَالَ أَنْفُسِهِمْ بَلْ يُوَفِّرُونَهُمْ عَلَى مَصَالِحِ أُمُورِهِمْ، وَيُخْلُونَهُمْ وَاخْتِيَارَاتِهِمْ فِي مَبَاغِيهِمْ وَمَكَايِسِهِمْ، وَمَنْ كَانَ مُسْتَقِيمَ الْأَمْرِ وَاسِعَ الْمَرَادِ يَقُومُ بِرَمِّ عَيْنِيهِ، وَيَنْهَضُ بِتَدْيِيرِ تَجْمُلِهِ، لَا يُلْحُونَ عَلَيْهِ فِي نَوَائِبِهِ، وَلَا يُضَاعِفُونَ الْمُؤَنَ فِي مَصَارِفِهِ، مُتَوَصِّلِينَ بِذَلِكَ إِلَى الْعَضِّ مِنْهُ وَالْحَطِّ مِنْ قَدْرِهِ، وَجَلَالِهِ وَمَكَانِهِ، لِحَسَدِهِمْ وَاسْتِعْلَانِهِمْ.

(١) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (١٣٥). (٢) التبريزي: «تعززا».

وقوله: «عَلَبْنَا بَنِي حَوَاءَ»، يريد أَنَا قَهَرْنَا النَّاسَ عَلَى طَبَقَاتِهِمْ وَتَبَائِنِ مَنَازِلِهِمْ رِيَاسَةً وَشَرْقًا، فَلَمَّا جَاءَ الدَّهْرُ يَغْلِبُنَا عَلَى مَا نُرِيدُهُ مِنْ اسْتِبْقَاءِ وَبِقَاءِ، وَاسْتِصْلَاحِ وَصْلَاحِ، لَمْ نَسْتَطِعْ دَفْعَهُ، وَلَمْ نَطُقْ غَلَبَتِهِ وَمَنْعَهُ. وَانْتَصَبَ قَوْلُهُ: «تَعَزُّزًا» عَلَى أَنَّهُ مُصَدَّرٌ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ، وَلَا يَمْتَنِعُ أَنْ يَكُونَ مَفْعُولًا لَهُ.

٧٣٠ - وَقَالَ حُجْرُ بْنُ حَيَّةَ^(١): [البسيط]

- ١ - لَا أَقُومُ قِذْرِي بَغْدَمَا نَضِجَتْ بُخْلًا لَنَمْنَعُ مَا فِيهَا أَثَافِيهَا
- ٢ - لَا أَحْرِمُ الْجَارَةَ الدُّنْيَا إِذَا اقْتَرَبَتْ وَلَا أَقُومُ بِهَا فِي الْحَيِّ أَخْزِيهَا
- ٣ - وَلَا أَكْلُمُهَا إِلَّا عَلَانِيَةً وَلَا أَخْبِرُهَا إِلَّا أَنْادِيَهَا

قوله: «لَا أَقُومُ» يريد لَا أَطِيلُ إِدَامَةَ قِذْرِي بَعْدَ إِدْرَاكِهَا عَلَى الْأَثَافِيِّ، بُخْلًا بِمَا فِيهَا، وَلَتَمْنَعَهَا عَنْ طَلَابِهَا أَثَافِيهَا. جَعَلَ الْمَنَعَ لِلْأَثَافِيِّ، لِأَنَّهُ لَمَّا لَمْ تُعْرِفْ مَا دَامَتْ مَنْصُوبَةً عَلَى الْأَثَافِيِّ جَعَلَ الْفِعْلَ لَهَا، كَأَنَّهَا هِيَ الْمَانِعَةُ. وَانْتَصَبَ «بُخْلًا» عَلَى التَّمْيِيزِ أَوْ عَلَى الْحَالِ إِنْ شِئْتَ. وَيُقَالُ: أَدَمْتُ الشَّيْءَ، إِذَا سَكَنْتَهُ وَدَوَّمْتَهُ أَيْضًا. وَالْمَاءُ الدَّائِمُ: السَّاكِنُ الَّذِي لَا يَجْرِي، وَكَأَنَّ الْبَخِيلَ مِنْهُمْ يَفْعَلُ ذَلِكَ لِيُرِي أَنَّ الْقِدْرَ لَمْ تُدْرِكْ، وَأَنْ مَا فِيهَا لَمْ يَنْضِجْ، انْتِظَارًا لِمَنْ تَأَخَّرَ عَنْهُ وَيُوجِبُ الْحَالَ حُضُورَهُ.

وقوله: «لَا أَحْرِمُ الْجَارَةَ الدُّنْيَا إِذَا اقْتَرَبَتْ»، يريد أَنَّهُ يُشْرِكُهَا فِي فَضْلِ نِعْمَتِهِ بَعْدَ دُنُوعِهَا مِنْ دَارِهِ، وَأَنَّهُ لَا يَطْلُبُ عَقَرَاتِهَا وَلَا يَقْبُحُ آثَارَهَا، فَلَا يَقُومُ بِذِكْرِهَا فِي الْحَيِّ مُخْزِيًا لَهَا. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: أَرَادَ لَا أَحْكِي عَلَيْهَا قَبِيحًا. يُقَالُ: قَامَ بِي فَلَانٌ وَقَعْدٌ، أَيْ نَثًا عَنِّي قَبِيحًا. وَقَوْلُهُ: «أَخْزِيهَا» يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَلْفُ الثَّقَلِ دَخَلَ عَلَى خَزَرِي خَزِيًا مِنَ الْهَوَانِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ دَخَلَ عَلَى خَزَرِي خَزَايَةً مِنَ الْاسْتِحْيَاءِ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ إِذَا ذُكِرَتْ بِالْقَبِيحِ أَوْ شَهَرَتْ بِمَا تَسْتُرُهُ وَكُشِفَتْ، فَقَدْ تَسْتَحْيِي كَمَا تَذِلُّ، أَوْ تَذِلُّ كَمَا تَسْتَحْيِي.

وقوله: «وَلَا أَكْلُمُهَا إِلَّا عَلَانِيَةً» انْتَصَبَ عَلَانِيَةً عَلَى أَنَّهُ مُصَدَّرٌ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: «إِلَّا أَنْادِيَهَا»، الْجُمْلَةُ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ، وَنِظَامُ الْكَلَامِ يَقْتَضِيهِ أَنْ يَقُولَ: وَلَا أَخْبِرُهَا، إِلَّا أَنَّهُ لَمَّا كَانَ الْغَرَضُ إِلَّا مَنَادِيًا لَهَا، نَابَ الْفِعْلُ عَنِ الْمَصْدَرِ. وَلَا يَجُوزُ فِي عَلَانِيَةٍ أَنْ يَكُونَ تَمْيِيزًا، بَدَلَالَةً أَنَّ الْمَصْدَرَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ

(١) التبريزي: «... العبسي».

حكمه حكم العجز، ومن الظاهر أنَّ أناديها في موضع الحال، والمعنى أنَّه لا يقف، لسلامة طريقته وتكامل عفته، الجارة في مواقف التهمة، فلا يخفي مكالمتها، ولا يخاطبها مخبراً لها إلا برفع صوت ونداء عال. كل ذلك هرباً من قِرفة تحصل، أو تُهمة تتوجه، وهذا هو الغاية في العفاف، والدرجة القصية في التوقي من العار.

٧٣١ - وقال المساور بن هند بن قيس

ابن زهير^(١): [الطويل]

١ - فِدَى لِبْنِي عَبْدَ غَدَاةٍ دَعَوْتُهُمْ بَجَوَّ وَبَالَ النَّفْسِ وَالْأَبْوَانِ^(٢)

٢ - إِذَا جَارَةٌ شُلْتُ لِسَعْدِ بْنِ مَالِكٍ لَهَا إِبْلٌ شُلْتُ بِهَا إِبْلَانِ

خبر المبتدأ الذي هو «فِدَى» قوله: «النفْس»، و«جَوَّ وَبَالَ» أضاف الجَوَّ إلى وبال، وهو اسم ماء. وإنما دعا لبني عَبدٍ بالتفدية لآئه وجَدَّهم عند الظَّنِّ بهم لَمَّا استنصرهم على أعدائه بجَوَّ وبال.

وقوله: «إذا جارة» ظرف لقوله: «شُلْتُ به إِبْلَانِ»، وهو جوابه. وتلخيص الكلام: إذا شُلْتُ بها إِبْلٌ لجارة لسعيد بن مالك شُلْتُ بسببها ولمكانها إِبْلَانِ، وذلك لكَرَمِ محافظتهم، وللعزَّز الألاحق في معاقدة جوارهم. ومعنى شُلْتُ: طُرِدَتْ، شَلَا. وقد فصل بين المرتفع به وهو إِبْل، وبينه بقوله: «لسعد بن مالك»، ولولا أنَّ حكمه حكم الظروف وقد توسعوا فيها، لكان ذلك غير جائز، لأنَّ الفصل بين الفعل وبين المبني عليه بأجنبي لا يجوز عندنا. ألا ترى أنَّهم امتنعوا من جواز قول القائل: كَانَتْ زَيْدَا الحِمَى تَأْخُذُ، وإنَّ جَوَزُوا: كان في الدار زيداً واقفاً، لكون الحائِلِ هنا ظَرْفاً وفي ذاك غَيْرَ ظرف. وأمَّا قوله: «لها إِبْلٌ» فموقع لها أنَّ يكون بعد إِبْل، لآئه صفةً لها، والصفة لا تتقدَّم على الموصوف، كما أنَّ الصلة لا تتقدَّم على الموصول، لكثرتها قُدِّمَتْ على أن تكون حالاً، والحال كما يتأخَّرُ يتقدَّم إذا لم يمنعه مانع، فهو كقول الآخر: [مجزوء الوافر]

لَمِيَّةٌ مُوحِشًا طَلَلُ كَأَنَّ رُسُومَهَا الْخِلَلُ^(٣)

وتقدَّم «لها» على «إِبْلٍ» كتقدَّم مُوحِشًا على طلل.

(١) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (١٥٥). (٢) التبريزي: «لبنى هند».

(٣) لكثير غزاة في ديوانه ٥٠٦، وخزانة الأدب ٣: ٢١١، واللسان (وحش).

وقوله: «إبل»، اسم صيغ للجمع، ويتناول الكثير دون القليل. وقد تُنِّي ههنا على معنى فِرْقَتان، ف قيل: إبلان. وهذا كما يقال قومان وعشيرتان وأهلان. وقوله: «شَلْتُ بها»، أي من أجلها ويسببها. ويروى: «شَلْتُ لها إبلان»، ويرجع معناه إلى معنى الباء، وذلك أنه في معنى المفعول له، أي شَلْتُ عَوْضًا عما شُلَّ منها، فيكون «لها» الأولى في موضع الحال كما قلت، لكونه صِفَةً متقدِّمة، وضميرها يرجع إلى الجارة لا غير، أي إبل متملِّكة لجارة لقبيلة سعد بن مالك. و«لها» الثانية تكون في موضع المفعول له، والضمير منها يعود إلى الإبل إن شئت، وإن شئت إلى الجارة. فاعرف الفضل بينهما إن شاء الله.

- ٣ - إذا عَقَدْتَ أَفْئَاءَ سَعْدِ بْنِ مَالِكٍ لَهَا ذِمَّةٌ عَزَتْ بِكُلِّ مَكَانٍ
٤ - إذا سَئَلُوا مَا لَيْسَ بِالْحَقِّ فِيهِمْ أَبَى كُلُّ مَجْنِيٍّ عَلَيْهِ وَجَانٍ
٥ - ودارِ جِفاظٍ قد حَلَلْتُمْ مُهَانَةً بها نَيْبُكُمْ وَالضَّيْفُ غَيْرُ مُهَانٍ

قوله: «إذا عَقَدْتَ أَفْئَاءَ سعد بن مالك»، يصفهم بحُسن التعاون والترأفد فيما بينهم، وانتفاء التخاذل والتباين عن سيرهم وأخلاقهم، فإنهم يدُّ واحدة على مَنْ سواهم، لا استبدادَ للكبير فيهم، ولا انحطاطَ للصغير منهم، بل كلُّ يَرْضَى فِعْلَ صاحبه، واختصاصُ الثَّغرِ منهم في الأمور كِفْعَلِ الجمهور، فمتى دخل واحدٌ من أفنائهم في الأمر العظيم وتكفَّلَ به، أعانته الرؤساء حتَّى يَخْرُجَ منه، لا يُهْمِلُونَ أمره، ولا يَسْتَهينون بشأنه. وإن عَقَدْتَ أوساطهم أو المتأخرون منهم ذِمَّةً لها عَزَتْ تلك الذِمَّةُ وَعَلَبَتْ في الأماكن كلها، وجب الوفاء فيها عليهم بأسرهم، لا اختلال منهم في دفعها، ولا انفكاكَ لهم من ملازمتها.

وقوله: «إذا سَئَلُوا ما لَيْسَ بِالْحَقِّ فيهم»، يريد أنهم إذا سِئِمُوا خُطَّةَ الضَّيْمِ اجتمعوا على اجتوائها والتسخط لها، وإبرين كانوا أو موتورين، وطالِبِينَ كانوا أو مطلوبين، لِمَا يَفْرِضُونَهُ على أنفُسهم من إباء الدَّنيَّةِ، والتشارك في طُروقِ البليَّةِ، إلى أن تَنْقُضِي بمدافعتهم لها، وبالاتِّقامِ من جالِبِها.

وقوله: «ودارِ جِفاظٍ قد حَلَلْتُمْ»، يعني أنهم إذا نَزَلُوا دارَ المحافظة على الشَّرَفِ رأوا مراغمةَ الأعداءِ لَدَى الصَّبْرِ على الكُلْفِ، وحَسَنَ ثباتهم، وكَرُمَ بلاؤهم، وطابت أخبارهم، وكثُرَت غاشيتهم، لأنهم يُهينون كرائمَ أموالهم، ويُعزُّون مقارَّ ضيوفهم.

وهذا كما قال الآخر^(١): [المقارب]

ودارِ حِفاظِ أَطْلُنَا المُقامَ بها فَحَلَّلْنَا مَحَلًّا كَرِيمَا
إِذَا كَانَ بَعْضُهُمْ لِلْهُوَانِ خَلِيطَ صَفَاءٍ وَأُمَّا رُؤُومَا

٧٣٢ - وقال^(٢): [الطويل]

١ - جَزَى اللهُ خَيْرًا غَالِبًا مِنْ عَشِيرَةٍ إِذَا حَدَّثَانِ الدَّهْرَ نَابَتْ نَوَائِبُهُ
٢ - فَكَمْ دَافَعُوا مِنْ كُرْبَةٍ قَدْ تَلَاخَمَتْ عَلَيَّ وَمَوْجٍ قَدْ عَلَثَنِي غَوَارِبُهُ

يقول متشكرًا وداعيًا: جَزَى اللهُ غَالِبًا مِنْ بَيْنِ الْعَشَائِرِ خَيْرًا أَشَدَّ مَا كَانَ حَاجَةً إِلَى مَنْ يَكْفِيهِ عَلَى مُسْتَحْدَثِ بِلَاثِهِ الْحَسَنَ فِي أَضْيَقِ أَوْقَاتِ التُّوْبِ، فَكَمْ مَرَّةً دَافَعُوا دُونِي وَاشْتَلَوْنِي مِنْ كُرْبٍ انْضَمَّتْ عَلَيَّ، وَأَطْبَقَتْ لَهَا الدُّنْيَا بَظْلَامَهَا لَدَيَّ، فَكَأَنِّي غَرِيقٌ تَتَلَاعَبُ الْأَمْوَاجُ بِي، وَتَقَامِسُنِي^(٣) فِي غِمَارِهَا، وَتُرَاذِنِي فِي لُجَجِهَا.

وقوله: «حَدَّثَانِ الدَّهْرَ»، مصدر حَدَّثَ. والكُرْبَةُ: الاسم من الكَرْبِ، وهو الغَمُّ الَّذِي يَأْخُذُ بِالنَّفْسِ. وَالمُتْلَاحِم: الملازم بعد أن كان متباينًا. وَيُقَالُ: التَّحَمَّ وَتَلَاخَمَ بِمَعْنَى. وَالْغَارِبُ: أَعْلَى الْمَوْجِ، وَأَعْلَى الظُّهْرِ. وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: حَبْلُكَ عَلَى غَارِبِكَ. وَكَمْ مَوْضِعُهُ مِنَ الْإِعْرَابِ نَضَبٌ عَلَى الظَّرْفِ، وَالْمَعْنَى فَمَرَّازًا كَثِيرَةً دَافَعُوا دُونِي.

٣ - إِذَا قُلْتَ عُودُوا عَادَ كُلُّ شَمَزْدَلٍ أَشَمُّ مِنَ الْفِثْيَانِ جَزَلٍ مَوَاهِبُهُ
٤ - إِذَا أَخَذْتَ بُزْلَ الْمَخَاضِ سِلَاحَهَا تَجَرَّدَ فِيهَا مُثْلِفُ الْمَالِ كَاسِبُهُ

يقول: إِذَا عُرِضَ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ بَنِي غَالِبٍ مُعَاوَدَةُ الْحُرُوبِ وَالْكُرُورِ فِيهَا عَادَ مِنْهُمْ كُلُّ رَجُلٍ تَامَ الْخَلْقَةَ مِمَّنْ تَقَامَةُ، كَرِيمِ النَّفْسِ، كَثِيرِ الْعَطِيَّةِ. وَأَصْلُ الشَّمَمِ ارْتِفَاعُ الْأَنْفِ، وَلَكَ أَنْ تَرُوي: أَشَمُّ جَزَلٌ، وَأَشَمُّ جَزَلٌ، فَالرَّفْعُ عَلَى كُلِّ الْجَرِّ عَلَى شَمَرْدَلٍ. وَالشَّمَرْدَلُ: الطَّوِيلُ. وَالشَّمَمُ كُنَايَةٌ عَنِ الْكَرَمِ.

(١) لربيعة بن مقروم في المفضلية (٣٩).

(٢) يدلُّ الكلام على أن القائل هو نفسه المساور بن هند، بينما قال التبريزي: «وقال آخر».

والآيات ما عدا الرابع في الزهرة ٧٥٥:٢ ونسبتها إلى المساور بن هند.

(٣) تقامسني: تغامسني.

وقوله: «إِذَا أَخَذْتُ بُزْلَ الْمَخَاضِ سِلَاحَهَا» فالمراد بسلاحها مَحَاسِنُهَا وأمارات عِتْقِهَا وَكَرَمِهَا، كأنها تتحلَّى بتلك المحاسن في عين أربابها حتَّى تَحَلَّى، فيصير ذلك سَبَبًا لِلضَّنِّ بِهَا. وقوله: «مُثْلِفُ الْمَالِ كَاسِبُهُ» هو كقولهم: مُفِيدٌ مُفِيْتُ، ومُخْلَفٌ مُثْلِفٌ. والبَزْلُ: جمع بَازِل، وهو الْمُتَنَاهِي قُوَّةً وَشَبَابًا. وأصل البَزْل الشَّقُّ. والمَخَاض: الثُّوقُ الحوامل، وهو اسمٌ مصوغٌ لِلجَمْعِ كالقوم والنسوة. ومعنى «تَجَرَّدَ فِيهَا» أي تَشَمَّرَ فِي عَقْرِهَا وَنَحْرِهَا، يريد أَنَّ تَحَسَّنَهَا بِسِلَاحِهَا فِي عَيْنِهِ لَا يُجْدِي عَلَيْهَا نَفْعًا، وَلَا يَدْفَعُ عَنْهَا مَكْرُوهًا، لِمَا بِهِ مِنْ إِكْرَامِ الضُّيُوفِ، وَيُوجِبُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَضَاءِ الْحَقُوقِ.

٧٣٣ - وقال آخر^(١): [الطويل]

- ١ - أَيَا ابْنَةَ عَبْدِ اللَّهِ وَابْنَةَ مَالِكٍ وَيَا ابْنَةَ ذِي الْبُرْدَيْنِ وَالْفَرَسِ الْوَزْدِ
- ٢ - إِذَا مَا صَنَعْتَ الزَّادَ فَالْتَمِسِي لَهُ أَكْبِلَا فِلَانِي لَسْتُ أَكَلَةً وَخِدِي
- ٣ - أَخَا طَارِقًا أَوْ جَارَ بَنِي فِلَانِي أَخَافُ مَذْمَاتِ الْأَحَادِيثِ مِنْ بَغْدِي
- ٤ - وَإِنِّي لَعَبْدُ الضُّعِيفِ مَا دَامَ نَازِلًا وَمَا فِيَّ إِلَّا تِلْكَ مِنْ شَيْمِ الْعَبْدِ

حَسَنَ تَكْرِيرِ ابْنَةٍ وَإِنْ كَانَ الْمَرَادُ وَاحِدَةً لِاخْتِلَافِ الْمُضَافِ إِلَيْهِ، وَالْقَصْدُ إِلَى تَفْخِيمِ أَمْرِهَا وَتَعْظِيمِ شَأْنِهَا. وَالَّذِي يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمَرَادَ وَاحِدَةً قَوْلُهُ: «إِذَا مَا صَنَعْتَ الزَّادَ فَالْتَمِسِي». وَيَعْنِي بِذِي الْبُرْدَيْنِ عَامِرَ بْنَ أَحْيِمِرَ بْنِ بَهْدَلَةَ. وَكَانَ مِنْ حَدِيثِ الْبُرْدَيْنِ حَتَّى لُقِّبَ بِهِ، أَنَّ وَفُودَ الْعَرَبِ اجْتَمَعَتْ عِنْدَ الْمُنْذِرِ بْنِ مَاءِ السَّمَاءِ - وَهُوَ الْمُنْذِرُ بْنُ أَمْرِئِ الْقَيْسِ، وَمَاءُ السَّمَاءِ أُمُّهُ نُسِبَ إِلَيْهَا لَشَرَفِهَا. وَقِيلَ: مَاءُ السَّمَاءِ لُقِّبَتْ بِهِ لَصَفَاءِ نَسَبِهَا، وَقِيلَ: لِقَاءِ لَوْنِهَا، يُرَادُ أَنَّهَا كَمَاءِ السَّمَاءِ لَمْ يَخْتَمِلْ كُدُورَةُ - فَأَخْرَجَ الْمُنْذِرُ بُرْدَيْنِ يَوْمًا يَتَلَوُّ الْوُفُودَ، وَقَالَ: لِيَقُمْ أَعَزُّ الْعَرَبِ قَبِيلَةً فَلْيَأْخُذْهُمَا. فَقَامَ عَامِرُ بْنُ أَحْيِمِرَ فَأَخْذَهُمَا وَاتَّزَرَ بِأَحَدِهِمَا وَارْتَدَّى بِالْآخَرِ، فَقَالَ لَهُ الْمُنْذِرُ: بِمَ أَنْتَ أَعَزُّ الْعَرَبِ قَبِيلَةً؟ قَالَ: الْعِزُّ وَالْعَدَدُ فِي مَعَدَّةٍ، ثُمَّ فِي زَرَارٍ، ثُمَّ فِي مُضَرٍّ، ثُمَّ فِي خَنْدِيفٍ، ثُمَّ فِي تَمِيمٍ، ثُمَّ فِي سَعْدٍ، ثُمَّ فِي كَعْبٍ، ثُمَّ فِي عَوْفٍ، ثُمَّ فِي بَهْدَلَةَ، فَمَنْ أَنْكَرَ هَذَا فَلْيُنَافِزْنِي! فَسَكَتَ النَّاسُ، فَقَالَ الْمُنْذِرُ: هَذِهِ عَشِيرَتُكَ كَمَا تَزْعُمُ،

(١) الأبيات في الحماسة البصرية ٢: ٢٣٨ لحاتم الطائي، وهي في ديوانه ٧٧، وتروى لقيس بن عاصم المنقري، وفي عيون الأخبار ٣: ٢٨٦ بدون نسبة، وفي ديوان الحماسة برواية الجواليقي: «وقال آخر، وهو الحواس الحارثي، وقيل لحاتم الطائي يخاطب امرأته».

فكَيْفَ أَنْتَ فِي أَهْلِ بَيْتِكَ وَفِي نَفْسِكَ؟ فَقَالَ: أَنَا أَبُو عَشْرَةٍ، وَخَالَ عَشْرَةٍ، وَعُمُّ عَشْرَةٍ؛ وَأَمَّا أَنَا فِي نَفْسِي فَشَاهِدُ الْعِزَّ شَاهِدِي. ثُمَّ وَضَعَ قَدَمَهُ عَلَى الْأَرْضِ فَقَالَ: مَنْ أزالَهَا عَنْ مَكَانِهَا فَلَهُ مِائَةٌ مِنَ الْإِبِلِ! فَلَمْ يَقُمْ إِلَيْهِ أَحَدٌ مِنَ الْحَاضِرِينَ، وَفَازَ بِالْبُرْدَيْنِ.

وقوله: «إِذَا مَا صَنَعْتَ الزَّادَ»، يَرِيدُ إِذَا فَرَّغْتَ مِنَ اتِّخَاذِ الزَّادِ وَإِعْدَادِهِ فَاطْلُبِي مِنْ أَجَلِهِ مِنْ يَؤَاكِلِنِي، فَإِنِّي لَمْ أَعُوذْ نَفْسِي التَّفَرُّدَ فِي الْأَكْلِ. وَهَذَا الَّذِي أَنْفَ مِنْهُ حَتَّى تَبَرَّأَ مِنَ الرِّضَا بِهِ قَدْ وَرَدَ فِي الْخَبَرِ مَا يَقْوِي اسْتِقْبَاحَ الْعَرَبِ لَهُ، وَتَرْيِيقَهُمْ إِلَيْهِ فِيمَا يَحْتَارُونَهُ مِنْ كَرَمِ الطَّبَاعِ، وَإِقَامَةِ الْمَرْوَاتِ. أَلَا تَرَى أَنَّهُ قَالَ ﷺ، فِيمَا رُوِيَ عَنْهُ: «أَلَا أَخْبَرَكُمْ بِشَرِّ النَّاسِ؟ مَنْ أَكَلَ وَحْدَهُ، وَمَنَعَ رِفْدَهُ، وَضَرَبَ عَبْدَهُ».

وموضع «وَحْدِي» مِنَ الْإِعْرَابِ نَصَبٌ عَلَى الْمَصْدَرِ، وَالتَّقْدِيرُ لَسْتُ آكِلُهُ وَقَدْ أَوْحَدْتُ نَفْسِي فِي أَكْلِهِ إِحْدَادًا، فَوَضَعَ وَحْدَهُ مَوْضِعَ الْإِحْدَادِ. وَالْكَوْفِيُّونَ يَجْعَلُونَ وَحْدِي فِي مَوْضِعِ الْحَالِ، وَإِنْ كَانَ لَفْظُهُ مَعْرِفَةً، يَجْعَلُونَهُ مِنْ بَابِ: جَاءُوا قَضَاهُمْ بِقَضِيضِهِمْ، وَكَلَّمْتَهُ فَأَهْ إِلَيَّ يَ، وَمَا أَشْبَهَهُ.

وجواب إذا قوله: «فَالْتِمِسِي لَهُ أَكِيلًا». وَأَكِيلُ الرَّجُلِ وَشَرِيْبُهُ وَنَدِيمُهُ وَجَلِيْسُهُ، يُقَالُ كُلُّ مِنْهَا فِيمَنْ عُرِفَ بِالْصُّفَةِ. لَا يُقَالُ لِمَنْ أَكَلَ مَعَ صَاحِبِهِ مَرَّةً وَاحِدَةً هُوَ أَكِيلُهُ، وَلَا لِمَنْ شَرِبَ مَعَهُ مَرَّةً وَاحِدَةً هُوَ شَرِيْبُهُ. وَعَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُمْ: هُوَ جَلِيْسُهُ، لَا يُطْلَقُ إِلَّا عَلَى مَنْ عُرِفَ بِهَذِهِ الصُّفَةِ فَتَكَرَّرَتْ مِنْهُ.

فإن قيل: كَيْفَ نَكْرَهُ وَقَالَ التَّمْسِي لَهُ أَكِيلًا؟ وَهَلَّا قَالَ أَكِيلِي؟ قُلْتُ: لَا يَمْتَنِعُ أَنْ يَكُونَ قَدْ عُرِفَ بِمَوَاكِلَتِهِ عِدَّةً، فَأَرَادَ التَّمْسِي مِنْ أَجَلِهِ بَعْدَ مَا هَيَّأَتْهُ وَاحِدًا مِنَ الْمَعْرُوفِينَ بِمَوَاكِلَتِي، أَلَا تَرَى أَنَّهُ قَالَ مَفْضَلًا لِمَا أَجْمَلَهُ، وَشَارَحًا لِمَا أَبْهَمَهُ: «أَخَا طَارِقًا أَوْ جَارَ بَيْتٍ»، فَأَبْدَلَ مِنَ الْأَوَّلِ وَهُوَ أَكِيلًا مَا أَبْدَلَ. وَالْمُرَادُ: التَّمْسِي أَكِيلًا مِنْ أَحَدِ هَذَيْنِ الثَّوْعَيْنِ طَارِقًا آخِيْنَاهُ، أَوْ جَارَ بَيْتٍ بِاسْطِنَاهُ. وَقَوْلُهُ: «فَأِنِّي أَخَافُ مَذْمَاتِ الْأَحَادِيثِ مِنْ بَعْدِي»، بَيَانٌ عِلَّةُ امْتِنَاعِهِ مِنَ التَّفَرُّدِ فِي الْأَكْلِ. يَرِيدُ: أَخْشَى مَا يَلْحَقُ مِنَ الْعَارِ فِي الْأَكْلِ مَنفَرْدًا إِذَا افْتَقِدَتْ أَوْ ذُكِرَتْ أَحْوَالُ النَّاسِ، وَاسْتَعْرَضَتْ عَادَاتُهُمْ، فَاسْتَهْجَنَ الْهَجِينَ مِنْهَا، وَاسْتَكْرَمَ الْكَرِيمَ. وَالْمَذْمَةُ بِالْفَتْحِ: الذَّمُّ، وَجَمْعُهَا مَذْمَاتٌ. وَالْمَذْمَةُ بِالْكَسْرِ: الذَّمَامُ. وَأَضَافَ الْمَذْمَاتُ إِلَى الْأَحَادِيثِ لِإِرْيَ أَنْ خَوْفَهُ مِمَّا يَبْقَى مِنَ الذَّمِّ فِيمَا يُتَحَدَّثُ بِهِ بَعْدَهُ.

وقوله: «وَأَتَى لَعَبْدُ الضَّيْفِ مَا دَامَ ثَاوِيًا»، يُروى: «نازلًا». ويقال: ثَوَى بِالْمَكَانِ وَاثْوَى بِمَعْنَى. يَرِيدُ أَنِّي أَتَكَلَّفُ مِنْ خِدْمَةِ الضَّيْفِ مَا يَتَكَلَّفُهُ الْعَبِيدُ، لَا أَسْتَكِفُّ وَلَا أَنْفُ، وَلَيْسَ لِي مِنْ أَخْلَاقِ الْعَبِيدِ وَطِبَائِعِهِمْ إِلَّا تِلْكَ، يَرِيدُ إِلَّا تِلْكَ الْخِدْمَةَ، أَوْ تِلْكَ الْخَلِيقَةَ. وَمَوْضِع «مَا دَامَ» نَصَبٌ عَلَى الظَّرْفِ أَيْ مَدَّةً دَوَامَ ثَوَائِهِ عِنْدِي. وَمَوْضِع «مِنْ شَيْمِ الْعَبْدِ» رَفْعٌ عَلَى أَنْ يَكُونَ اسْمُ مَا، وَخَبْرُهُ «فِي» وَإِلَّا تِلْكَ» اسْتِثْنَاءٌ مُقَدَّمٌ، وَفَائِدَةُ «مِنْ» التَّبْيِينُ فَهُوَ كَمَنْ الذِّي فِي قَوْلِهِ: ﴿فَأَجْتَبَيْنَاهُ آلَ يَتِيمٍ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾ [الْحَجَّ: الْآيَةُ ٣٠]، لِأَنَّ الْأَوْثَانَ كُلَّهَا رَجَسٌ، وَلَيْسَ يَرِيدُ التَّبْعِيضَ بِذِكْرِ مَنْ، لَكِنَّ الْمُرَادَ اجْتَنِبُوا الرَّجْسَ مِنَ الضَّرْبِ، إِذْ كَانَ الْأَهَمُّ فِيمَا يَجِبُ اجْتِنَابُهُ.

٧٣٤ - وَقَالَ آخِرُ^(١) :

١ - وَلَيْسَ فَتَى الْفِتْيَانِ مَنْ كُلُّ هَمِّهِ صُبُوحٌ وَإِنْ أَمْسَى فَفَضْلُ عُبُوقِ

٢ - وَلَكِنْ فَتَى الْفِتْيَانِ مَنْ رَاحَ أَوْ غَدَا لَضَرْ عَدُوٍّ أَوْ لِنَفْعِ صَدِيقِ

يقول: ليس المختار من الفتيان والكمال الفتوة فيهم من إذا أصبح كان معظم همّه ما يشربه صباحًا، وإذا أمسى كان معظم همّه ما يشربه مساءً. والصُّبُوح: ما يُضَطَّبُجُ بِهِ، اسْمًا لَهُ. وَالْعُبُوقُ: مَا يُعْتَبَقُ بِهِ. يَرِيدُ أَنَّ الْفَتَوَةَ لَيْسَ فِي إِعْدَادِ الْأَطْعَمَةِ وَالْأَشْرَبَةِ، وَإِعْطَاءِ النَّفْسِ مِنْهَا مِنْهُمَا، لَكِنَّ الْفَتَوَةَ هُوَ السَّعْيُ عُدُوًّا وَرَوَاحًا فِي جَرِّ ضَرَرٍ عَلَى مُنَازِدِ مُدَاجٍ، أَوْ جَلْبِ نَفْعٍ إِلَى نَاصِحٍ مُوَاحٍ.

٧٣٥ - وَقَالَ حَزَّازُ بْنُ عَمْرٍو، مِنْ بَنِي عَبْدِ

مَنَافٍ^(٢) :

١ - لَنَا إِبِلٌ لَمْ تُهِنْ رَبَّهَا كَرَامَتُهَا وَالْفَتَى ذَاهِبٌ

٢ - هِجَانٌ تَكَافَأَ فِيهَا الصَّدِيقُ وَيُذْرِكُ فِيهَا الْمُتَى الرَّاضِبُ^(٣)

٣ - وَنَطْعُنُ عَنْهَا نُحُورَ الْعَدَى وَيَشْرَبُ مِنَّا بِهَا الشَّارِبُ

قوله: «لَنَا إِبِلٌ لَمْ تُهِنْ رَبَّهَا كَرَامَتُهَا»، يَرِيدُ: أَنَّا نُؤْثِرُ إِكْرَامَ الثُّفُوسِ وَصِيَانَتَهَا عَلَى إِكْرَامِ الْمَالِ وَصِيَانَتِهِ، لِأَنَّ الْأَمْوَالَ إِذَا لَمْ تُجْعَلْ وَاقِيَةً لِلنَّفْسِ جَلِبَتِ الْعَارَ وَكَسَبَتْ

(١) فِي الْحِمَاسَةِ الْبَصْرِيَّةِ ٥٦: ٢ لَوْلَا بَنِي الْحَبَابِ.

(٢) سَبَقَتْ تَرْجُمَتُهُ فِي الْحِمَاسِيَّةِ رَقْمَ (٣٥٣). (٣) التَّبْرِيزِيُّ: «يُكَافَأُ مِنْهَا الصَّدِيقُ».

السَّار، فنحن نُهيئُها ونبتذلُها صَوْنًا لِلنَّفْسِ، ولثَلَا يكون المال كالمالك لنا، إذ كان عُمُرُ الفتى عارِيَّةً مسترَدَّةً، فهو هالكٌ وإنْ أمهلَ مدَّةً، وما يُقدِّمه يذكر به، فصيانةُ مروتنا من أن تَرِثَ أو تَهْوَن، أَجْدَى وأَوْجَبُ من صيانة المال وتثميرها والضَّنُّ بها. وقد اعترَضَ بقوله: «والفتى ذاهب» بين الصِّفة والموصوف، لأنَّ قوله هِجَانٌ من صِفَةِ الإبل، كما أنَّ «لم تُهِن رَبُّها» من صفتها أيضًا. ولولا تأكُّد الجملة به لكان يَفْبُح ما فَعَلَ، لكون الاعتراضِ أجنبيًّا مما قبله وبعده. والهيجان يَفْعُ على الواحد والجمع، وذلك أنَّ فِعَالًا كما يكون جمعًا لفعل، نحو ظريف وظِراف، وكريم وكِرام، وكبير وكِبَار، كَسَرُوا عليه فِعَالًا أيضًا، فقالوا: دِرْعٌ دِلَاصٌ وأذْرُعٌ دِلَاصٌ، وبعيرٌ هِجَانٌ وإبل هِجَانٌ، لأنَّ فِعِيْلًا وفِعَالًا مُتَوَاخِيَانِ في أنَّهما من الثلاثي، وفي موقع الزَّائد منهما، وفي عدد حُرُوفِهما، فيتشَارِكَانِ في أحكامهما، وإذا كان كذلك فهِجَانٌ وهو للواحد، كَضِنَاكِ وَكِتَارِ وما أشبههما، وهِجَانٌ وهو للجمع، كظِراف وكِبَار. قال: سيبويه: يدلُّك على أنَّ هِجَانًا ليس كالمصادر التي وُصِفَ بها نحو ضَيْفٍ وَجُنُبٍ وَزَوْرٍ وما أشبهها، أنَّك تقول هِجَانَانِ فَتَثْبِيه، وإذا كان مُرْصَدًا لِلثَّنِيَةِ فهو للجمع كذلك. ومعنى «تَكَافَا فِيهَا الصَّدِيقُ» تماثُلٌ، من الكُفء المِثْلُ في المال والحَسَبِ وغيرهما. والمراد بالصَّدِيقِ الجَنَسُ، يريد يتساوَوْنَ فيها، لا استئثار مَثًا بشيء منها دُونَهُمْ ولا تَفَرُّدٍ، بَلْ كُلُّ مِثًا ومن الأصدقاء يتَصَرَّفُ فيه على مرَادِهِ نافذًا أمرُهُ، وبِالْعَا حُكْمُهُ. وقوله: «وَيُذْرِكُ فِيهَا الْمُنَى الرَّاغِبِ»، أراد الرَّاغِبِينَ. أي إنَّ العِفَاءَ وَطُلَابَ الْخَيْرِ إذا نَزَلُوا بِسَاحَتِنَا نَالُوا أَمَانِيَهُمْ منها كاملة لا يتخلَّلُها خَزَمٌ، ولا يتسلَّطَ عليها ثَلَمٌ.

وقوله: «ونَطْعُنُ عنها نُحُورَ الْعِدَى»، لَمَّا عَدَّدَ الوجوه التي ذكر أنَّهم يَصْرِفُونَ أَمْوَالَهُمْ إِلَيْهَا، ويقتسمونها فيما ذَكَرَ في أَثْنَانِهِ أنَّهم يُدَافِعُونَ عنها الأعداء فعلِها حَافِظٌ من محافظتهم، ودُونُهَا دَافِعٌ مِّنْ مَدَافَعَتِهِمْ، لا يطمع الأعداءُ في الإغارة عليها، ولا في احتِجَانِ شيء منها، بل يَمْتَلِكُهَا وَجْهَانِ: مَثُوبَةٌ أو صَنِيعَةٌ وقوله: «وَيَشْرَبُ مِثًا بِهَا الشَّارِبُ»، أراد أنَّهم يَسْبِؤُونَ بِهَا الخمر ويجعلونها في أَمْنَانِهَا. فهو في هذا وفيما سَلَكَهُ كقول الآخر: [الطويل]

نَحَابِي بِهَا أَكْفَاءَنَا وَنُهيئُهَا وَنَشْرَبُ فِي أَمْنَانِهَا وَنُقَامِرُ^(١)

(١) لسيرة بن عمرو الفقعسي في خزانة الأدب ٩: ٥٠٣، واللسان (٢٣٩)، والحماسية رقم (٦٠).

- ٤ - وَنُؤْلِفَهَا فِي السَّنِينَ الْكُلُولَ إِذَا لَمْ يَجِدْ مَكْسَبًا كَاسِبُ
 ٥ - وَلَمْ تَكُ يَوْمًا إِذَا رُوِّحَتْ عَلَى الْحَيِّ يُلْقَى لَهَا جَادِبُ
 ٦ - حَبَانًا بِهَا جَدُنَا وَالْإِلَهَ وَضَرَبَ لَنَا خَدِمَ صَائِبُ

قوله: «ونؤلفها في السنين الكلول» يعني بالسنين الأعوام التي تقل الأمطار فيها وتشمل الناس الآفات لها. يقال: أصابتهم السنة. وقد أسنت الرجل، إذا أصابه القحط والجذب. وأراد بالكلول من كان كلاً على صاحبه وعيلاً لمعيه، لا يحرص التوجه لكسب، ولا يهتدي لارتزاء خير وترقيح عيش، كالأيتام والأرامل وذوي العاهة. وقوله: «إذا لم يجد مكسباً كاسب» بَدَل من قوله في السنين. أي إذا اشتد الزمان وتضايقت الخطوب بما يُعْم من القحط، وأغوز الكاسيين كسبهم فلزموا مقارهم آيسين من إقبال الزمان وأهله، جعلنا إبلنا يألفها كلول الناس فينالون منها، ويعيشون فيما يعود عليهم من ألبانها ومنافعها.

وقوله: «ولم يك يوماً إذا رُوِّحَتْ»، يريد رُدَّت في مراعيها رَوَّاحاً فورَدَتْ على الحي لم يوجد لها عائب يعيبها، أي لم يوجد لأربابها من يعيبهم فيرميهم بالبخل والإمساك. وإنما قال: «يلقى لها» لأنه يريد يلقي من أجلها. والجادِب: العائب. كان المراد اتفاق الناس على حمدهم، ونفي العيب على العلل كلها عن أخلاقهم، وتسليم الفضل والإفضال لهم.

وقوله: «حباناً بها جدنا والإله» أشار بالجد إلى استسعادهم بالزمان، فهم محظوظون فيه، وأن الله عز وجل خصهم بالغنى لما عرفه من استحقاقهم، ومن طولهم إذا مكثوا وملكوا. وقال: «والإله» فأتى به على الأصل، وقلما يعدلون عن لفظة الله تعالى إلى الإله، إذ كان جارياً مجرى الأعلام بعد لزوم الألف واللام له عوضاً من المحذوف منه.

وأشار بقوله: «وضرب لنا خديم صائب» إلى ما نالوا من الأعداء وإيقاع الغارات بهم. والخَدْم: القَطْع. ويقال: سيفٌ مَخْدَمٌ وخَدُوم. ومعنى صائب ذو صواب، وأخرجه مخرج النسب. ويجوز أن يكون من صاب المطر، إذا وقَّع، صَوَّباً. فإن جعلته من الصواب كان المعنى ضرب يقع على خده من الاستحقاق والقصد، وإذا جعلته من الصوب فالمعنى واقع موقَّع عند الحاجة إليه.

وهذه الأبيات يزيد تفاصيلها على جملها عند الفحص عنها. وقد وقع دُونَ غايتها قول الآخر وقد سلكَ مسلكه في تعداد مصاريف أموالهم: [الطويل]

ثلاثة أثلاث فائمانُ خيلنا وأقواتنا وما نُسوق إلى القتل^(١)
وإن اختلفت الطريقتان. وكلُّ يدعو إلى نفسه في حسنه وشُموله واستيفائه.

٧٣٦ - وقال منصور بن مسجع^(٢): [الطويل]

١ - ومُخْتَبِطٌ قَدْ جَاءَ أَوْ ذِي قَرَابَةٍ فما اعتذرتُ إِبْلِي عَلَيْهِ وَلَا نَفْسِي
٢ - حَبَسْنَا وَلَمْ نَسْرَحْ لَكِنِّي لَا يُلُومُنَا عَلَى حُكْمِهِ صَبْرًا مُعَوَّدَةَ الْحَبْسِ
٣ - فطافَ كما طافَ الْمُصَدِّقُ وَسَطَهَا يُخَيِّرُ مِنْهَا فِي الْبَوَازِلِ وَالسُّدُسِ

أصل الاختباط في الِوَرَق. يقال: خبطتُ الورقَ واختبطته، إذا نفضته من الشجر؛ والمنفوضُ خَبَطٌ ومُخْتَبَطٌ. وكما يستعار الِوَرَقُ فيُكْنَى به عن المال يستعارُ الخَبَطُ فيُكْنَى به عن طَلَبِهِ. على ذلك قولُ زهير: [البسيط]

وَلَيْسَ مانِعٌ ذِي قُرْبَى وَلَا رَجِمٍ يَوْمًا وَلَا مُعْدِمًا مِنْ خَابِطٍ وَرَقًا^(٣)

وكأنَّ الاختباط يختصُ بفعل من يسأل عن عُرضٍ، ولا يَقِفُ على تحريم أو توسل أو تذرُع، ولكن يكون به السؤالُ ويَذُلُّ الوجه كيف جاء. وفي الافتعال زيادةٌ تكلف، فلذلك اختصَّ هذا الاختصاص. وعلى هذا قولهم الاكتساب والكسبُ. وقوله: «أو ذي قرابة»، خصَّ من يمتُّ بالنسب أو السبب فيقول: رُبَّ سائلٍ تعرَّضَ لنا، أو ذي نسبٍ اعتمدنا، فلا نفسي احتجزت عنه بِمَنْعٍ، ولا إبلي اعتذرت عليه بعذر. كأنَّ عُدْرَ الإبلِ تأخرها عن مباءتها، أو ذِكرُ وقوعِ آفةٍ فيها أو تسلُّطِ جدبٍ عليها. واحتجاز النفس: بخلُّها بها، وإقامة المعاذير الكاذبة دونها، وما يجري هذا المجرى.

وقوله: «حَبَسْنَا وَلَمْ نَسْرَحْ» جواب رُبِّ مُخْتَبِطٍ، وبيان ما تلقاه به عند استقباله من القبول. ويقال: سَرَحْتُ الماشية بالغداة، إذا أخرجتها إلى مراعيها، وأزاحتها إذا رددتها رواحًا إلى أفنيتها. ومفعول «حَبَسْنَا» قوله: «مُعَوَّدَةَ الْحَبْسِ»، ومفعول «لَمْ نَسْرَحْ» محذوف، أي لم نَسْرَحْها.

(٢) سبقت ترجمته في الحماسية (٦٠٧).

(١) لعمرو بن كلثوم في الحماسية (١٦٠).

(٣) لزهير في ديوانه ٥٣، واللسان (خبط).

وقوله: «على حُكْمِهِ» تعلق بحبَسْنَا. وانتصب «صَبْرًا» على أنه مصدر من غير لفظه، لأنَّ معنى حبَسْنَا وصَبَرْنَا واحدٌ. وتقدير البيت: حَبَسْنَا على حُكْمِ هذا المختبِطِ العافي أو التَّسَيِّبِ إِبْلًا جُعِلَ من عادتها الحبسُ بالفناء صَبْرًا، ولم نُخْرِجْهَا إلى المرعى لثلا يَجِدَ طريقًا إلى لَوْمِنَا فيما يقدِّره عندنا. ويجوز أن ينتصب «صَبْرًا» على أنه مصدرٌ لِعَلَّةً، أي لَصَبَرْنَا على ما نَمُونُهُ ونتحمُّلُهُ للعفاة فعلنا ذلك. ويجوز أيضًا أن يكون انتصابه على الحال، لأنَّ المصادر تقع مَوَاقِعَ الأحوال، أي صابرين على ذلك لهم.

وقوله: «فطاف كما طاف المَصْدُقُ»، يريد أنَّ هذا الطالبَ مكَّثاه من إبلنا المحبوسة في الفناء فطاف فيها متخيرًا منها في خِيَارِها وكرائمها، وإذا كان متخيرًا في بوازلها وسُدسها وهي أكرمُ الإبل وأقواها، فما دونها أولى أن يكون متخيرًا فيها. وتشبيهه إياه بالمصدق وهو طالب الصدقة تحقيقًا لتحكمه وتبسطه وتسحبه. يريد أنَّ إِدْلَالَهُ إِدْلَالٌ مَنْ يستخرج حقًا واجبا لله تعالى.

وقوله: «يُخَيَّرُ منها»، إعرابه نصبٌ في موضع الحال من طاف الأول. ومعنى يُخَيَّرُ، يُجعل له الاختيار منها. وهذا تحكيمٌ ثانٍ سَوَى ما سَوَّغَتْ له نفسه بإدلاله.

٧٣٧ - وقال عامر بن حَوطٍ، من بني عامر^(١): [الكامل]

- ١ - وَلَقَدْ عَلِمْتُ لَتَاتِيَنَّ عَشِيَّةٌ مَا بَغَدَهَا خَوْفٌ عَلَيَّ وَلَا عَدَمٌ
- ٢ - وَأَزُورُ بَيْتَ الْحَقِّ زُورَةً مَا كِثَّ فَعَلَامٌ أَخْفِلُ مَا تَقْوَضُ وَانْهَدَمُ
- ٣ - فَلَا تُرْكُنُ السَّامِلِينَ حِيَاضَهُمْ وَلَا تُخْبِسَنَّ عَلَيَّ مَكَارِمِي النَّعَمِ^(٢)

قوله: «ولقد علمت» يَجْرِي على القَسَمِ، ولذلك أجابه بِلَتَاتِيَنَّ. ويعني بالعشية آخر النهار من يوم موته. فيقول: تَيَقَّنْتُ والله أنه يأتي عليَّ عَشِيَّةٌ من يوم قد تَخَلَّيْتُ فيه من الدُّنْيَا وانقطعت الأسبابُ بيني وبينها، فلا أكونُ من الْفَقْرِ على رِقْبَةٍ، ولا من حوادث الدَّهْرِ على خِيفَةٍ، وأزور القبرَ الذي هو «بيتُ الحقِّ». وأضاف البيت إلى الحقِّ لأنَّه لَا سَكْنَى بَعْدَهُ، فكأنَّه الموضع الذي يُؤْوِي إليه الحقُّ وَيُقْضِي إليه مَنْ أَنْزَلَهُ الموتُ نَاقِلًا من دارٍ إلى دارٍ. وقوله: «زُورَةً ماكث» أي أَزُورُهُ زيارَةَ الْمُقِيمِ المنتظر

(١) التبريزي: «... من بني عامر بن عبد مناة بن بكر بن سعد بن ضبة».

(٢) التبريزي: «ولا تُركن للساملين».

الذي لا عجلة به، فلماذا أبالي بما تقوِّض منه أو انهدم. والمعنى أن تدبِّر أمره يصير إلى غيره فلا يهتم لمأواه اهتمامه له أيَّام حياته. ويقال: لا أخفِل كذا، ولا أخفِلُ بكذا. و«عَلام» ما في الاستفهام إذا اتَّصل بحرف الجر يُحذف الألف من آخره. وقد مضى مثله مشروحاً أمره. وهذا الاستفهام هو على طريق الإنكار، أي لم أخفِل. والأحوال في كون البيت عامراً أو غامراً تتساوى عندي.

وقوله: «فَلَا تُرَكَّنُ السَّامِلِينَ حِيَاضَهُمُ» السَّامل: المُصلِح. والمعنى: إنِّي أرفضُ حالَ مَنْ هُمَّةٌ مقصورةٌ على تشمير ماله، وِعِمارة حياضه، والفِكر في مَواردٍ إليه ومصادرها. ومن سَمَلَ الحَوْض سُمِّي الماء الذي يبقى في أسفلِ الحَوْض السَّمْلَة. قال: [الرجز]

مَمْغُوثَةٌ أَغْرَضُوهُمْ مُمَرِّطَلَةٌ فِي كُلِّ مَاءٍ آجِنٍ وَسَمْلَةٌ^(١)

والمراد: أَهْجَرُ مَنْ هَذَا هُمَّةٌ مِنْ عَيْشِهِ، وَأَخْبِسُ نَعْمِي عَلَى عِمارة المكارم وتفقُّد ما تَشِيدُ لي من المعالي. والتَّعَمُّ يقع على الأزواج الثمانية، والغالب عليه الإبل، وهو مذكَّر، يقال: هذا نَعَم وارد. وَحَبْسُهُ على المكارم هو أن يَضْرِبَ منافعه إلى المستحقِّين من الوُرَاد والزَّوَار، مقصورةٌ عليهم ومشغولةٌ بهم.

٧٣٨ - وقال زيد بن حصين^(٢): [الطويل]

١ - أَقْلِي عَلَيَّ اللَّوْمَ يَا ابْنَةَ مُنْذِرٍ وَنَامِي فَإِنْ لَمْ تَشْتَهِي النَّوْمَ فَاسْهَرِي
٢ - أَلَمْ تَغْلَمِي أَنِّي إِذَا الدَّهْرُ مَسَّنِي بِنَائِبَةٍ زَلْتُ وَلَمْ أَتَزَرَّرِ

يخاطب لائمةً له تَبَرَّمَ بَلَوْمِهَا فقال: قَلَّلِي مِنْ لَوْمِكَ عَلَيَّ وَنَامِي عَنِّي، فَإِنْ تَعَذَّرَ النَّوْمُ عَلَيْكَ ضَجْرًا بِالحَالَةِ الَّتِي تَجْمَعُنَا فَاسْهَرِي، فَلَيْسَ لَكَ مِنْ عَنَبِكَ مَا يَرُدُّ نَفْعًا عَلَيَّ وَلَا عَلَيْكَ. ثُمَّ أَخَذَ يَقْرَئُهَا عَلَى قَلَّةِ احْتِفَالِهِ بِمَا يَأْتِي بِهِ الدَّهْرُ، فقال: أَمَّا عَلِمْتُ أَنَّ الزَّمانَ إِذَا مَسَّنِي بِحَدَّثَانِهِ ذَهَبَ عَنِّي وَلَمْ أَتَرُدَّدْ فِي حَيْرَتِهِ، وَلَمْ أَتَنَكَّسْ فِي لَوَاحِقِ شَرِّهِ وَنَوَائِبِهِ، بَلْ أَمْضِي قُدَمًا عَلَى مَا يَمْسُنِي مِنْهُ وَيُخْصُنِي، رَاضِيًا بِمَا يُقَسِّمُ لِي مِنْ عَفْوِهِ، وَمَلْتَزِمًا مَا يَعْرضُ مِنْهُ عِنْدَ جَهْدِهِ.

(١) لصخر بن عمير في اللسان (مغث، ثمل، مرطل)، وتاج العروس (مغث، مرطل) وبلا نسبة في ديوان الأدب ١: ٢٤١.

(٢) التبريزي: «وقال زيد الفوارس بن حصين بن ضرار» وقد سبقت ترجمته في الحماسية (١٨٠).

وقوله: «زَلَّتْ» استعارة حسنة. كأنَّ صبرَه على الشَّدة، وثباتَه في وجه المِحنة، تُزِلُّ الثُّوبَ عنه كما يُزِلُّ الماءُ الدَّنَسَ عن الصُّخور، ويقال: قَذَحَ زُلُول، كما يقال للشَّيء السريع الدُّوران: دَرُور، والتَّتَرَّتَرُ: العَجَلَة، فكأنَّ المراد: زَلَّتِ النَّائِبَةُ ولم تستخفني فكنتُ أعجَلُ أو أتحوَّلُ عَمَّا كنتُ عليه.

٣ - يَرَانِي الْعَدُوُّ بَعْدَ غَيْبِ لِقَائِهِ خَلِيًّا نَعِيمَ الْبَالِ لَمْ أَتَغَيَّرِ

يقول: وإذا قاسيتُ من العدوِّ مضارَّةً ومناكدةً فيما يتجاوزُه ومجاحشةً، يَرَانِي بعد يوم لقائه بيوم وكأَنَّهُ ما مَسَّنِي أذى، ولا نالني مكروه، لأنَّه يَجِدُنِي خَلِيًّا مَنْعَمَ الْبَالِ، لم أَتَغَيَّرْ عَمَّا عَهِدْتُ عليه قبلَ الامتحان به، ولم أَتَبَدَّلْ. وقوله: «نعيم البال» هو من الضَّوَالِ التي وُجِدَتْ الآن، وذلكَ لأنَّ فَعِيلًا في معنى مُفْعَلٍ محدود محصور، وقد ذَكَرْتُهُ في غير هذا الموضع وتقصَّيته. ونعيم البال من ذلك، يقال: أَنْعَمَ اللهُ بِأَلِّكَ، وبِأَلِّ مَنْعَمٍ ونعيم. ولا يمتنع أن يكون نعيمُ فَعِيلًا من نَعَمٍ أو نِعَمَ عَيْشُهُ، وأكثر ما يُستعمل مصدراً. يقول: هو في نعيم لا يزول، وإذا كان كذلك فهو غريبٌ إنَّ جعلته اسمَ الفاعل، كَقَدَّمُ فهو قديمٌ أو حَزَنٌ فهو حزين؛ أو فَعِيلًا في معنى مُفْعَلٍ، كقُفِرِسٍ حَبِيسٍ ومُخْبَسٍ، وبابِ تَرِيصٍ ومُتَرَصِّصٍ. وانتصب «خَلِيًّا» على الحال من يَرَانِي، وهو الذي لا هَمَّ له. وفي المثل: «وَيْلٌ لِلشَّجِيِّ مِنَ الْخَلِيِّ» وقد يكون في غير هذا المكان المُخْلَى.

٤ - وراكِدةٌ عَنَبَى طویلِ صیامُها قَسَمْتُ على ضوءٍ مِنَ النَّارِ مُبْصِرٌ^(١)

٥ - طُرُوقًا فلم أَفْجَحْشْ وَقَسَمْتُ لَحْمَها إذا اجْتَنَبَ الْعَافُونَ نَارَ الْعَدُورِ

يعني بالراكِدة قِدْرًا لانتصابها وبقائها على الأثافي. ويقال: ماء راكد، أي ساكن. وجعلها «عَنَبَى» لَعَلَّيَانِها كأنها تَغْتَبِ وتَشْكُو. وهذا مِنْ عَتَبَ عليه من المَوْجدة. يقال: عَتَبْتُ عليه فأَعْتَبَ. ويروى: «غَيْرَى» فيكون من الغَيْرَة، لأنَّ صاحبها يحتدُّ، فشَبَّ غليانُها بَغْلِيانَ الغَيْرَى. وفي الحديث: «رُدُّوني إلى أَهْلِي غَيْرَى نَغْرَةً^(٢)». والصَّيَام: القيام. ووصفه بالطول، فقال: «طویلِ صیامُها» لكبرها. كأنَّه لا تُنْزَلُ قَرِيبًا إذا نُصِبَتْ.

(١) التبريزي: «وراكدةٌ عندي».

(٢) انظر لسان العرب مادة (نغر).

وقوله: «قَسَمْتُ عَلَى ضَوْءٍ مِنَ النَّارِ مُبْصِرٍ»، جعل الضَّوءَ مُبْصِرًا لِمَا كَانَ الإِبْصَارُ فِيهِ، عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا آيَةً لِلنَّارِ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء: الآية ١٢]. وَجَعَلَ قَسَمَةَ الْقِدْرِ وَهُوَ يَرِيدُ قِسْمَةَ مَرْقَهَا وَمَا احْتَوَتْ عَلَيْهِ لَيْلًا، وَبِضْوَءٍ مِنَ النَّارِ، لَشِدَّةِ الزَّمَانِ، وَتَنَاهِيِ الْبَرْدِ، وَلِأَنَّهُ وَقْتُ طُرُوقِ الضَّيْفِ. وَقَوْلُهُ: «لَمْ أَفْجَشْ» أَيِ لَمْ آتِ بِفُحْشٍ لَا فِعْلًا وَلَا قَوْلًا، وَلَمْ أَقْتَرِفْ مَا يَقْبُحُ مِنَ الذِّكْرِ وَيُسْتَنْكَرُ فِي السَّمْعِ. وَقَوْلُهُ: «إِذَا اجْتَنَبَ الْعَاقُونَ» طَرَفٌ لِقَوْلِهِ: لَمْ أَفْجَشْ، وَ«طُرُوقًا» ظَرْفٌ لِقَسَمْتُ عَلَى ضَوْءٍ، وَيَكُونُ تَقْدِيرُ الْبَيْتَيْنِ: وَرَاكِدَةٌ طَوِيلَةُ الْقِيَامِ قَسَمْتُ مَرْقَهَا ظَلَامًا وَقَتِ طُرُوقِ الْعُقَاةِ وَالْأَضْيَافِ، وَبَدَدْتُ لَحْمَهَا، وَلَمْ آتِ بِفُحْشَاءٍ، فِي وَقْتٍ يَتَسَرَّعُ الضَّجَرُ مِنْ كَثَرَةِ الْوُزَادِ وَازْدِحَامِ الْأَشْغَالِ إِلَى مَنْ كَانَ سَيِّئَ الْخُلُقِ، سَرِيعَ التَّغْيِيرِ، حَتَّى اجْتَنَبَ نَارَهُ، وَزَهَّدَ فِي ضِيَافَتِهِ. وَجَعَلَ لِنَفْسِهِ قِسْمَيْنِ كَانَ أَحَدُهُمَا لِلْمَرْقِ عَلَى الثُّرْدِ، وَالثَّانِي لِإِقْدَارِ اللَّحْمِ. وَعَلَى الْأَوَّلِ قَوْلُ الْآخَرِ: [البسيط]

وَسَعِ بِمَدِّكَ مَاءَ اللَّحْمِ تَقْسِيمُهُ^(١)

٧٣٩ - وَقَالَ الْهُذَيْلُ بْنُ مَشْجَعَةَ الْبَوْلَانِيُّ: [الكامل]

١ - إِنِّي وَإِنْ كَانَ ابْنُ عَمِّي غَائِبًا لَمُقَافِذٍ مِنْ خَلْفِهِ وَوَرَائِهِ

٢ - وَمُفِيدُهُ نَضْرِي وَإِنْ كَانَ امْرَأً مُتَزَخِرِحًا فِي أَرْضِهِ وَسَمَائِهِ

يُصِفُ كَرَمَ مَحَافِظَتِهِ وَحُسْنَ نِيَابَتِهِ عَنْ غِيَابِ أَهْلِهِ وَدَوِيهِ، فَيَقُولُ: إِنِّي لَمُدَافِعُ مُرَامِ دُونَ ابْنِ عَمِّي إِذَا غَابَ عَنِّي، فَأَذُبُ مِنْ قُدَامِهِ وَخَلْفِهِ. وَالْمَعْنَى: أَنِّي أَقَاتِلُ دُونَهُ كَنْتُ هَادِيًا لَهُ وَقَدْ تَخَلَّفَ عَنِّي، أَوْ حَادِيًا لَهُ وَقَدْ تَقَدَّمَنِي. فَقَوْلُهُ: «مِنْ وَرَائِهِ»، مِنْ الْبَيِّنِ الظَّاهِرِ أَنَّهُ بِمَعْنَى الْقُدَامِ، وَقَدْ ذَكَرَ مَعَهُ خَلْفٌ. وَاشْتِقَاقُهُ مِنَ الْمُوَارَاةِ وَهِيَ الْمُسَاوَاةُ، وَلِذَلِكَ صَلَحَ وَقَوْعُهُ مَوْقِعَ الْخَلْفِ وَالْقُدَامِ. وَفِي الْقُرْآنِ: ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ [الكهف: الآية ٧٩]، وَمَوْضِعُ «مِنْ خَلْفِهِ» نَصَبٌ عَلَى الْحَالِ أَيِ مُتَخَلِّفًا أَوْ مُتَقَدِّمًا.

وقوله: «وَمُفِيدُهُ نَضْرِي» أَيِ لَا أُمْسِكُ عَنْ مَعُونَتِهِ وَإِنْ تَبَاعَدَ عَنِّي فِي أَرْضِهِ وَسَمَائِهِ. وَالْمَعْنَى: أَنِّي بظَهْرِ الْعَيْبِ لَا أَخْذُلُهُ وَإِنْ اشْتَغَلَ عَنِّي بِمَصَارِفِ حَيَاتِهِ فِي

(١) صدر البيت الأول من الحماسية رقم (٧٤٥) وعجزه:

«وأكثر الشوب إن لم يكشر اللبن»

بلاده وأوطانه. وَعَظَفَ عَلَى أَرْضِهِ السَّمَاءَ تَأْكِيدًا لَتَنَائِيهِ عَنْهُ، وَاشْتَغَالِهِ دُونَهُ بِمَبَاغِيهِ، كَأَنَّهُ لَمَّا جَعَلَ لَهُ أَرْضًا مُبَايِنَةً لَأَرْضِهِ، جَعَلَ لَأَرْضِهِ سَمَاءً مُبَايِنَةً لِسَمَاءِ أَرْضِهِ. وَلَا يَمْتَنِعُ أَنْ يَكُونَ جَعَلَ ذَلِكَ مَثَلًا لِاخْتِلَافِ أَحْوَالِهِ، كَمَا يَقَالُ نَقَضْتُ تَهَائِمَ فُلَانٍ وَتُجَوَّدَهُ. وَالْمَعْنَى: جَرَّبْتُهُ وَكَشَفْتُ عَنْ أَحْوَالِهِ. وَعَلَى هَذَا قَوْلُهُمْ: خَبِرْتُ ضَحَى فُلَانٍ وَدُجَاهُ، وَالْمَعْنَى سِرَّهُ وَإِعْلَانَهُ.

٣ - وَمَتَى أَجِئْتُهُ فِي الشَّدِيدَةِ مُزْمِلًا أَلْقَى الَّذِي فِي مِرْزَوْدِي لَوْعَائِهِ^(١)

٤ - وَإِذَا تَتَبَعْتَ الْجَلَائِفَ مَالَنَا خُلِطَتْ صَحِيحَتُنَا إِلَى جَرَبَائِهِ^(٢)

يقول: ومتى زرتُه في شدائد الزمان فوجدته مُنْقَطِعًا بِهِ لَمْ أَخْرِجْهُ إِلَى السَّوَالِ وَبَذَلَ الْوَجْهَ وَاسْتَحْمَالَ الْمَقَافِرِ عَنْهُ، لَكِنْ أَلْقَيْتُ فِي وَعَائِهِ مَا كَانَ فِي مِرْزَوْدِي. أَيِ أَرُمُ حَالَهُ فِي السَّرِّ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَلْحَقَهُ خَجَلٌ، أَوْ يَمْسَهُ تَعَبٌ.

وقوله: «وَإِذَا تَتَبَعْتَ الْجَلَائِفَ»، يقول: وَإِذَا تَعَاوَنْتِ الْآفَاتُ وَالسَّنُونَ عَلَى أَمْوَالِنَا، وَتَتَابَعَتِ الْأَزْمَاتُ مُعْتَرِضَةً فِي أَحْوَالِنَا، فَقَشَرَتْهَا وَلَحْنَتْهَا، وَأَثَرَتْ بِالسُّوءِ فِيهَا «خُلِطَ مَا سَلِمَ مِنْ مَالِنَا بِالْمَعِيبِ مِنْ مَالِهِ. وَذَكَرَ الصَّحِيحَةُ وَالْجَرَبَاءُ مَثَلٌ. وَالْمَعْنَى: أَصْلَحْنَا فَاسِدَ حَالِهِ بِصَالِحِ حَالِنَا: وَتَحَمَّلْنَا أَوْزَارَ الْأَيَّامِ السَّيِّئَةِ عَنْهُ بِمَا خَفَّ مِنْ ظُهُورِنَا. وَالْجَلَائِفُ: جَمْعُ جَلِيفَةٍ، وَهِيَ الْأَعْوَامُ الْمُجْدِبَةُ. وَأَصْلُ الْجَلْفِ الْقَشْرُ. يَقَالُ: جَلَفْتُ الدَّنَّ، إِذَا قَشَرْتَ الطَّيْنَ عَنْهُ.

٥ - وَإِذَا أَتَى مِنْ وَجْهَةٍ بِطَرِيفَةٍ لَمْ أَطْلُغْ مِمَّا وَرَاءَ خِبَائِهِ

يروي: «مِنْ وَجْهِهِ»، وَالْمَعْنَى مِنْ حَيْثُ مَا تَوَجَّهَ لَهُ كَاسِبًا لِلْمَالِ. وَقَوْلُهُ: «مِنْ وَجْهَةٍ» وَهُوَ اسْمٌ وَلَيْسَ بِمَصْدَرٍ، وَلِذَلِكَ سَلِمَ فَاوَهُ. وَالْمَصْدَرُ الْجِهَةُ، أَعْلَى كَمَا أَعْلَى فَعْلُهُ، عَلَى ذَلِكَ الْعِدَّةِ وَالزَّئِنَةِ، وَالْوَعْدَةُ وَالْوِزْنَةُ إِذَا بَنِيَتْ اسْمًا.

وَالطَّرِيفَةُ، أَرَادَ مَا اسْتَطَرَفَ مِنَ الْمَالِ وَاسْتَحْدِثَ، لَكِنَّ الْقَصْدَ هُنَا إِلَى مَا يُسْتَحْسَنُ مِنَ الْأَعْرَاضِ، لِكَوْنِهِ طُرْفَةً. وَقَوْلُهُ: «لَمْ أَطْلُغْ مِمَّا وَرَاءَ خِبَائِهِ» أَيِ لَمْ أَتَعَرَّضْ لَهُ تَعَرَّضَ الْمَتَّبِعِ لِحَالِهِ، الْمَتَطَّلِعُ عَلَى سَرَائِرِ أَمْرِهِ. وَوَرَاءَ هُنَا بِمَعْنَى خَلْفَ.

(١) التبريزي: «في الشدائد».

(٢) التبريزي: «يروي: الجلائف، والخلائف، قال أبو العلاء: إذا رويت الخلائف بالخاء فهي جمع خليفة».

ويجوز أن يكون المعنى: لم أعرض نفسي عليه متعزفاً ما جاء به ليُشركني في طُرفه،
ويجعلني إسوةً نفسه.

٦ - وإذا اكتسَى ثوباً جميلاً لم أقل يا ليت أن عليّ حُسنَ رداءه

يصف طيبَ نفسه بما يناله صاحبه من الخير، وينفرد به من زيادةٍ تجمل، أو
ظهور أثرِ نعمة، وقلةٍ حسده له، وأنه لا يشتمل صدره فيه على غلّ، ولا ينطوي قلبه
له على مكنونٍ حقدٍ لما يرى به من ظهورِ غنى، واتساعِ أمر، حتى يتمي مكانته،
ويختار الاستبدادَ بما أوتيّه، أو مشاركته فيه.

وقوله: «يا ليت» المنادى محذوف، وموضع يا ليت نصبٌ على أنه مفعول لم
أقل، كأنه قال: لم أقل يا ناس، ليت أن عليّ رداءه الحسن.

٧٤٠ - وقال حسان بن حنظلة^(١): [الكامل]

١ - تلك ابنة العدوي قالت باطلاً أزرى بقومك قلة الأموال

٢ - إنا لعمر أبيك يحمّد ضيفنا ويسود مُقترنا على الإقلال

انتصب «باطلاً» على أنه مفعول قالت. ومن شرط القول أن يحكى ما بعده إذا
كان جملة، تقول: قال زيدٌ عمرؤ خارج. فإن كان ما بعده معنى جملةً ولم يكن
جملةً كاملة انتصب على أن يكون مفعولُهُ، كقولك قال زيد حقاً وقال كذباً وصدقاً.
وموضع قوله: «أزرى بقومك قلة الأموال» نصبٌ على البدل من قوله باطلاً. ويجوز
أن ينتصب باطلاً على أنه صفةٌ لمصدر محذوف، كأنه قال قالت قولاً باطلاً، ويكون
أزرى بقومك في موضع المفعول لقالت وقد حكاها لكونه جملة. وقوله: «قالت باطلاً»
رَفَعَ على أنه خبر المبتدأ، وابنة العدوي ارتفع على أنه عطف البيان لتلك.

ومعنى البيت: قالت ابنة العدوي زوراً من القول وباطلاً: لقد قَصُرَ بقومك
فقرهم وقلة مالهم، وإعراض الدنيا عنهم! فأجبتها بقولي: إنا لعمر أبيك يحمّدنا
الضيف، ويشكرنا الزائر والمجتاز. والمعنى: ليس الاعتبارُ بكثرة المال واتساع
الحال، فإننا وحقّ أبيك يحمّدنا ضيوفنا إذا نزلوا بنا، فينصرفون ماديحين لنا، وترى
مُقِلنا ينال السيادة على إقلاله، ولا يؤخره ذلك عن رتبة أمثاله. وحذف من قوله: «إنا

(١) التبريزي: «... بن أبي رهم بن حسان بن حية بن شعبة الطائي».

لعمر أبيك» فأجبتها أو قلت لها. ومثل هذا يُحذف في الكلام كثيراً. على ذلك قول الله عز وجل: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ أَسْوَدَتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [آل عمران: الآية ١٠٦]، أي يقال لهم: أكفرتُم بعد إيمانكم.

٣ - غَضِبْتُ عَلَيَّ إِنْ اتَّصَلْتُ بِطَيِّءٍ وَأَنَا امْرُؤٌ مِنْ طَيِّءِ الْأَجْبَالِ
٤ - وَأَنَا امْرُؤٌ مِنْ آلِ حَيَّةٍ مَنْصِبِي وَبَنُو جُونَيْنِ، فَاسْأَلِي، أَخْوَالِي

يقول: أنكرت مني هذه المرأة انتسابي إلى طييء، وتأثلي فيهم، واعتزائي إليهم، وتغضبت لتجرتي إلى تميم وتحوّلتي فيهم، وذلك بعيد لا يقع في الزهم كونه، ولا يستجاز حصوله، وذلك أنني رجلٌ من طييء خرجت، وفي عَشْها درجت، وعلى طرائقهم وشيمهم تخرّجت، إذ كانوا الأصل الذي منه تفرّعت، وعليهم إذا ذُكرت المناسب نسبي أدزت، وقوله: «وأنا امرؤٌ من آلِ حَيَّةٍ مَنْصِبِي»، ذكر طرفيه فزعم أن آل حَيَّةٍ عمومته التي تُؤويه، وأن بني جُونَيْنِ خُؤولته التي تُذنيه، والفصد إلى مُراغمة تلك وتشهير نفسه بما تُنكره منه. وقوله: «من طييءِ الأَجبالِ» يعني سَلَمَى وأجاً. وهذه الإضافة على طريق التخصيص والتبيين، وذلك لأن طيئاً فرقتان: فرقة تنزل السفّل من جبالهم، وفرقة تنزل العلو. وقوله: «منصبي» يجوز أن يكون مبتدأً ومن آل حَيَّةٍ خبره، والجملة في موضع الصفة لامرئ، ويجوز أن يكون «من آل حَيَّةٍ» في موضع الصفة، ومنصبي في موضع الرفع على البدل من امرؤ، كأنه قال: أنا مَنْصِبِي من آل حَيَّةٍ. وقوله: فاسألِي اعتراض، وقد توسط المبتدأ والخبر، ومفعوله محذوف.

٥ - وَإِذَا دَعَوْتُ بُنَيَّ جَدِيدَةً جَاءَنِي مُرَّدٌ عَلَى جُرْدِ الْمُثُونِ طَوَالِ
٦ - أَحْلَامُنَا تَرْنُ الْجِبَالِ رَزَانَةً وَيَزِيدُ جَاهِلُنَا عَلَى الْجُهَالِ

بنو جديدة: من طييء. أراد أن يبين أنه كما يعتزّي إليهم يقبلونه ويتجّحون بكونه منهم وينصرونه، فمتى استغاث بهم واستعانهم على دهره أو عدوّه أعانته رجالٌ مُرَّدٌ، على خيلٍ جُرْدٍ، وانتقموا له وانتصفوا من أعدائه.

وقوله: «أحلامنا ترن الجبال»، مدّح نفسه وقبيلته، والمراد أنهم من الوُقار والسكون والرّزانة والهدوء في المنزل الأعلى، والمكان الأقصى، لا يتحلحلون للثواب، ولا يتضعضون للشدائد. هذا ما لم يُخرجوا أو يُخوجوا، فإن استجّلوا من بُعد، واستجّروا إلى الشرّ، وجَدَ جاهلهم يزيد على الجهال قهراً وتأثيماً، واشتطاطاً في

الحكم وتصعبًا. وإنما افتخر بأن جلمهم موجود ثابت ما لم يُساموا خسفًا، فإنَّ عُدِلَ بهم عن طريق النُصْفَةِ، وأزوا في معاملتهم عسفًا، كان جهلهم مُعدًا، وزائدًا على كلِّ ما يُقدَّر فيعدُّ عدًا.

وقوله: «تَزِنُ الجِبَالَ رِزَانَةً» الوزنُ: مثقالُ كلِّ شيء، ثُمَّ كَثُرَ حَتَّى قِيلَ: هو راجحُ الوزنِ، أي راجحُ الرأْيِ والعقل؛ وهو يَزِنُ كذا، أي هو على وَزْنِهِ؛ وهو أَوْزَنُ قومه، أي هو أَرْجَحُهُمْ وَأَوْجَهُهُمْ.

٧٤١ - وقال إياس بن الأرت^(١): [الطويل]

١ - إِنِّي لَقَوْلٍ لِمَافِي مَرْحَبَا وَلِلطَّالِبِ الْمَعْرُوفِ إِنَّكَ وَاجِدُهُ^(٢)

٢ - وَإِنِّي لِمِمَّا أَبْسُطُ الْكَفَّ بِالنَّدَى إِذَا شَنِجَتْ كَفَّ الْبَخِيلِ وَسَاعِدُهُ^(٣)

قوله: «عافِي» أصله عافوني، لكن الواو والياء إذا اجتمعا فأيهما سَبَقَ الآخر بالسكون يُقْلَبُ الواو ياءً، ثم يدغم الأول في الثاني، وكُسِرَ الفاء لمجاورته للياء. وانتصب «مرحبًا» على المصدر، وقد وقع وهو يَجْرِي مجرى الجُمْلِ لمكان العاِملِ فيه معه مَوْقِعَ المفعول من قوله قَوْل. وانعطف عليه قوله: «وللطالِبِ المعروف إنك واجدُهُ» كأنه قال: وقَوْلٌ للطَّالِبِ المعروف إنك واجدُهُ. فقوله: «إنك واجدُهُ واقعٌ في مثل قوله مَرْحَبَا. والمعنى أَنَّ العُفَاةَ وَطُلَّابَ العُرْفِ إِذَا نَزَلُوا بي تَلْقَيْتُهُمْ بالترحيب والإكرام، وتلطيف القول في الإنزال، وأقول: إنَّكُمْ تَجِدُون ما تطلبون، لا مَنَعَ ولا حِزْمَان، ولا دِفَاعَ ولا مِطَال؛ لأنِّي إِذَا تَقَبَّضْتُ أَكْفُ الْبُخْلَاءِ فلم تنبسط، وقصرت سواعدهم عن الامتداد في البذل فلم تَطُل، تَنْدَيْتُ وَعَلْتُ على أَكْفِ السُّؤَالِ كَفِّي فَبَسِطْتُ، لأنَّ معروفِي دارٌ وخيري مبذول. وقوله: «لِمِمَّا أَبْسُطُ الْكَفَّ» أي لِمَن الأمر أَنِّي أَبْسُطُ الْكَفَّ بِالنَّدَى، فـ«أَبْسُطُ» شَرَحَ الْمَبْهَمَ بلفظة ما. و«إِذَا شَنِجَتْ» ظَرْفٌ لَأَبْسُطُ، ويشير إلى زمان السَّوءِ، وشمول المَحَلِّ، وظهور البُخْلِ.

٣ - لَعَمْرُكَ مَا تَذِرِي أَمَامَهُ أَتَهَا ثِنْيًى مِنْ خَيَالٍ مَا أَرَا أَعَاوِدُهُ

٤ - فَشَقَّقْتُ عَلَى صَخْبِي وَعَنْتُ رَكَائِبِي وَرَدَّتْ عَلَيَّ اللَّيْلُ قِرْنًا أَكَابِدُهُ^(٤)

(١) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (٣٥٧). (٢) التبريزي: «وإني».

(٣) التبريزي: «وإني لممن يبسط». (٤) التبريزي: «فشقت على ركبتي».

لعمرك: مبتدأ وخبره محذوف، وقد مضى القول فيه فيما تقدم. فيقول: وبقائك، ما تعلم هذه المرأة أنَّ خيالها يأتيني ثنى، أي مرة بعد أخرى. وفي الحديث: «لا ثنى في الصدقة»^(١)، أي لا تؤخذ في السنة مرتين. وقوله: «ما أزال أعاوده» يريد أنني ممتحنٌ بمجيئها، لأنها تُراجعني فتصرِّفني عن أسبابي، وتُعوقني عن مُهمَّاتي. والمعنى أنها غافلة عما أكابده من خيالها في المنام، ومن مُلَازمة ذكرها لي عند الانتباه، لأنها لا تجدُ مثلَ وجدي، فلا الذَّكرُ يهيجُ الشَّوقَ، ولا الفكرُ يجددُ الطَّيفَ. وهذا الكلامُ تشكُّكٌ منه وتعثُّبٌ على صاحبه، يدلُّ عليه قوله: «فَشَقَّتْ على صَخي»، يعني الخيال؛ وذلكَ لأنَّه لما سَهَرَ بَعَثَ أصحابه على التَّهَوُّضِ مَعَهُ والانبعاثِ في السَّيرِ مساعدينَ له، فهذا معنى الشُّقَّةِ عليه. وقوله: «وعثتُ ركائبي» جمع رَكُوبَةٍ، وهي تجري مَجْرَى الأسماء في انفرادها عن الموصوف، لا يقال ناقة رَكُوبَةٍ. والمعنى: اتَّعَبْتُ رواجلي، لأنِّي أزعجُها للسَّير، وبعثُها من القَرَارِ، وحُلَّتْ بينها وبين الرَّاخَةِ. وقوله: «وَرَدَّتْ على اللَّيْلِ قَرْنًا أكابده» أي جعلتني ممتطياً لِلَّيْلِ، ومُتَّخِذاً قَرْنًا لي أزاوِلَه وأجاذبه، أي أشاقُه وأُنَاصِبُه. وأصله من الكَبَدِ، في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ [البَلَد: الآية ٤]، أي في شِدَّةٍ ومشاقَّةٍ. وقال الخليل: يقال: كابدت ظلمة الليل بِكَايدٍ شديد أي مُكَايَدةً شديدة. وكلُّ هذا الكلامُ تبجُّجٌ منه عندها بأنَّها تَمْلِكُه على غَفْلَتِها عنه، وانفرادِه بالبتِّ فيها، فخيالُها يصرفُه التَّصْرِيفَ الذي وصف. وانتصب «قرناً» على الحال.

٧٤٢ - وقال آخر^(٢): [البسيط]

- ١ - أَثْنِي عَلَيَّ بِمَا لَا تُكَذِّبِينَ بِهِ يَا بَكْرُ أَيُّ فَتَى لِلضَّيْفِ وَالْجَارِ^(٣)
٢ - إِنِّي أَجَاوِرُ مَا جَاوَزْتُ فِي حَسْبِي وَلَا أَفَارِقُ إِلَّا طَلِيبَ الدَّارِ

قوله: «بما لا تُكذِّبِينَ به» أي لا تُضادِّفين بذكره كاذبة. يقال: حَبَّرَنِي فلانٌ فأكذَّبْتُهُ، أي وجدته كاذباً. والمعنى: ليكن ثناؤك عليَّ حقاً، وبما لا يَسْتَسْرِفُه سامعُه ولا يَسْتَنكِرُه مُخْبِرُه. ثم علَّمها فقال: قُولِي يَا بَكْرُ، أَيُّ فَتَى كُنْتَ لِلْجَارِ إِذَا اسْتَجَارَ، والضَّيْفُ إِذَا اسْتَضَافَ.

(١) ذكره المتقي الهندي في كنز العمال رقم (١٥٩٠٢).

(٢) في ديوان الحماسة برواية الجواليقي: «وقال أيضاً» يعني إياس بن الأرت، وقد جاء البيتان مع البيتين في الحماسة التالية كحماسية واحدة.

(٣) التبريزي: «يا طَلِيبُ أَيُّ».

وقوله: «إني أجاورُ ما جاوزتُ في حسبي»، يريدُ أن من صاحِبته مجاورًا له يَجِدُنِي حَسِبًا فِي فَعَالِي، كَرِيمًا عِنْد مَقَالِي. هذا مَدَّة الجوار، ثم إن فارقته فارقته والدَّار تَنْطِقُ بِالثَّنَاءِ عَلَيَّ، فأخباري تُستطاب في السَّماع إذا غَبْتُ، كما أن أخلاقي تُسَمَّح إذا شَهِدْتُ. وفي هذه الطريقة قولُ الآخر: [الطويل]

إِذَا كُنْتُ فِي دَارٍ فَحَاوَلْتُ تَرْكَهَا فَدَغَّهَا وَفِيهَا إِنْ رَجَعْتُ مَعَادُ

وقوله: «فِي حَسْبِي» أي معي حسبي، فموضعه نصبٌ على الحال. وإذا جاورَ ومعه حَسْبُهُ مَنَعَهُ مِمَّا لَا يَحْسُن. ألا ترى قوله تعالى في صِفَةِ الْمُؤْمِنِينَ: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان: الآية ٧٢]، أي الكرمُ مَنَعَهُمْ مِنَ التَّعْرِيجِ عَلَى اللَّغْوِ. ويقال: جاءنا فلانٌ في دِزَعٍ، أي عليه دِزَعٌ، والعامل في موضع «في حسبي» أجاور، وكذلك قوله: «إِلَّا طَيِّبَ الدَّارِ» انتَصَبَ على الحال، والعامل فيه لا أفارق. وقوله: «أَيُّ فِتْنَى» مبتدأ وخبره مضمَر، كأنه قال: أَيُّ فِتْنَى أَنْتَ؟ وقد جعل الطيِّبَ كنايةً عن الكريم؛ على ذلك قوله تعالى: ﴿سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ يُنَبِّئُكُمْ اللَّهُ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الزُّمَر: الآية ٧٣]، أي كَرَمْتُمْ.

٧٤٣ - وقال آخر: [البسيط]

١ - كَمْ مِنْ لَيْسٍ رَأَيْنَا كَانَ ذَا إِبِلٍ فَأَضْبَحَ الْيَوْمَ لَا مُغْطٍ وَلَا قَارٍ

٢ - وَلَوْ يَكُونُ عَلَى الْحُدَادِ يَمْلِكُهُ لَمْ يَسْقِ ذَا غُلَّةٍ مِنْ مَائِهِ الْجَارِي^(١)

كم موضعه نصبٌ على المفعول من رأينا. يريد: رأينا كثيرًا من اللثام يملكون نفائس الأموال وكرامها، ثم ماتوا عنها أو أُزِيلَتْ نِعْمَتُهُمْ وَجِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهَا، فصاروا مِنْ بَعْدُ لَا هُمْ مُعْطُونَ وَلَا قَارُونَ، أي عادوا وقد تَغَيَّرَتْ حَالُهُمْ، فلا يُزَجَّى ذلك من جهتهم. وقوله: «فأصبح اليوم» و«كان ذا إبل»، كل ذلك مردودٌ على لفظ لئيم، وإن كان من حيث المعنى يُفيد الكثرة.

وقوله: «ولو يكون على الحُدَادِ»، يريد: ولو وُلِّيَ فَيَضَ الحُدَادِ، وهو اسم بحر، ممتلكًا له أَيَّامَ غِنَاهُ لَمَّا بَرَدَ غَلِيلَ رَجُلٍ حَرَّانٍ، ولا سقاه ماءً لِفِيهِ، لُبْخِلِهِ وَقَسْوَةِ قَلْبِهِ. ومعنى «على الحُدَادِ» أي متوليًا له ومدبرًا أمره، يقال: مَنْ عَلَيْكُمْ؟ أي مَنْ يَأْمُرُ عَلَيْكُمْ وَيَلِيكُمْ. وإذا كان كذلك فقوله على الحُدَادِ يَتِمُّ الكلامُ به، لأنَّه خبر يكون،

(١) هذا البيت في اللسان (حدد) وقد نُسب لإياس بن الأرت.

ويملكه في موضع النَّصَب على الحال. وقوله: «لا مُعْطٍ» مُعْطٍ في موضع خبر المبتدأ كأنه قال: لا هو مُعْطٍ. والكلامُ بعثٌ على البذل والسَّخاء، وأنَّ المالَ في الدنيا بَعَرَضِ الحوادث مُلْقَى، وعلى طريقِ الثَّواب، فلا يَبْقَى لمالكه، كما أنَّ مالكه لا يبقى له، فما يقدِّمه في اجتلابِ شُكْرِ واكتسابِ أَجْرٍ هو الباقي له، دونَ ما يخلِّفه فيقتسمه الوُراثُ بعده فائِزِينَ به، وذامِّينَ له.

٧٤٤ - وقال حسانُ بن ثابت^(١): [البسيط]

- ١ - الْمَالُ يَغْشَى رِجَالًا لَا طَبَاخَ لَهُمْ كَالسَّيْلِ يَغْشَى أَصُولَ الدُّنْدِينِ الْبَالِي^(٢)
- ٢ - أَصُونُ هِرْزِي بِمَالِي لَا أَدْنَسُهُ لَا بَارَكَ اللَّهُ بَغْدَ الْعِرْضِ فِي الْمَالِ
- ٣ - أَحْتَالُ لِلْمَالِ إِنْ أَوْدَى فَأَجْمَعُهُ وَلَسْتُ لِلْعِرْضِ إِنْ أَوْدَى بِمَحْتَالِ

قوله: «لا طَبَاخَ لَهُمْ»، أي لا خير عندهم. ويقال: هذا لحمٌ لا طَبَاخَ له، أي لا دَسَمَ له. وشابُّ مُطْبَخٌ، أملأ ما يكون شبابًا وأرواه. وطَبَخَ الغُلامُ، إذا تَرَعَرَغَ وعَمِلَ. والدُّنْدِينُ: المسوَّدُ من الكلامِ لِقَدَمِهِ وَيُسَبِّه. والمعنى أنَّ المَرْءَ لا يُؤْتَى الغِنَى لفضلٍ فيه وِعَناءٍ لديه، وإنما ذلك لمقاديرٍ قُدِّرَتْ على حَسَبِ ما عَرَفَهُ اللهُ تعالى جَدُّه، وهو الذي يُغْنِي ويُقْنِي مِنْ مَصَالِحِ خلقه. وإذا كَانَ كذلك فقد يَتَّفِقُ حصولُ المالِ عندَ مَنْ لا يَسْتَحِقُّه بفضْلٍ أُوتِيَهُ، أو ذِمَامٍ وَجَبَ له، بل يكون كالسَّيْلِ يمتدُّ من المَدَانِبِ والثَّلَاحِ حَتَّى يَقِفَ حَاصِلًا في أَصُولِ يَابِسِ الكلامِ ومُسَوَّدَه، في أَنَّهُ لا يُنْتَفَعُ به ولا يَرُدُّ خَيْرًا على جَامِعِهِ، كما لا يَنْتَفِعُ الدُّنْدِينُ الْبَالِي بما يَغْشَى أَصُولَهُ من ماءِ المَطَرِ. وفي مثل هذا قولُ الرَّاعِي: [البسيط]

وَحَادَعَ الْمَجْدَ أَقْوَامَ لَهُمْ وَرَقَّ رَاخَ الْعِضَاءِ بِهِ وَالْعِرْقُ مَذْخُولُ^(٣)

وقد أخذ أبو تمام هذا المعنى فقالَ وأَحْسَنَ: [الكامل]

لَا تُنْكَرِي عَطَلَ الْكَرِيمِ مِنَ الْغِنَى فَالسَّيْلُ حَزْبٌ لِلْمَكَانِ الْعَالِي^(٤)

(١) حسان بن ثابت الأنصاري: صحابي، شاعر النبي ﷺ، وأحد المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام (ت ٥٤ هـ / ٦٧٤ م). ترجمته في تهذيب التهذيب ٢: ٢٤٧، والإصابة ١: ٣٢٦، والشعر والشعراء ١٠٤.

(٢) التبريزي: «لا طباخ بهم».

(٣) للراعي النميري في ديوانه ١٩٤، واللسان (روح، خدع)، وتهذيب اللغة ٥: ٢١٦.

(٤) لأبي تمام في أساس البلاغة (حرب).

وقوله: «أصون عِرْضي بمالي»، يريد أنني أجعل المالَ واقيةً لحسبي ونسبي، فأصونه ولا أدنسه بتثميّره وتوفيره، وإن تقلّدت العارَ له واكتسبتُ الإثمَ الفاحشَ فيه، فلا بَارَكَ الله في المالِ بعد النَّفسِ، لأنَّ المالَ يُحْتَاجُ إليه لِنَتَفَعُ به النَّفسُ، ولتَنْزَعُ عن المعايِبِ والمَقَاذِرِ بِإِنْفَاقِهِ. فأما قوله: «بَارَكَ» فأصله من اللزوم، ومنه بَرَكَ البعيرُ، إذا لَزِمَ مكانه. فمعنى بَارَكَ الله فيه: بَقَّاه الله. وعلى ذلك قولُ المسلمين: تبارك الله: أي بَقِيَ ودام، فهو تفاعلٌ في معنى فَعَلَ ولا تكلّف فيه، تعالى الله عن ذلك.

وقوله: «أَحْتَالُ للمال إن أودى فأجمعه»، يريد أن المالَ إذا استهلكه مُنْفِقُهُ أمَكَنَ الاعتياضَ منه، ونفَذَ الاحتياضَ في جَمْعِهِ وتثميّره، وإذا هَلَكَ العِرْضُ فلا طريقَ إلى رَدِّهِ إلى ما كان عليه، ولا استطاعةً في تَنْقِيَّتِهِ مِنْ دَرَنِ العارِ وقد جُعِلَ وقايةً للمال.

٧٤٥ - وقال عبد العزيز بن زُرَّارة الكلابي^(١): [الطويل]

- ١ - دَعَوْتُ إِلَيْهَا فَنِيَّةً بِأَكْفِهِمْ من الْجَزْرِ فِي بَرْدِ الشِّتَاءِ كُلُّومُ
- ٢ - إِذَا مَا اسْتَهْوَا مِنْهَا شِوَاءَ سَعَى لَهُمْ بِهِ هَذِرِيَّانَ لِلْكَرَامِ خَدُومُ^(٢)
- ٣ - فإِلَّا أَكُنْ عَيْنَ الْجَوَادِ فَلِئَنِّي على الرِّادِ فِي الظُّلُمَاءِ غَيْرُ شَتِيمِ
- ٤ - وَإِلَّا أَكُنْ عَيْنَ الشُّجَاعِ فَلِئَنِّي أَرْدُ سِنَانَ الرُّنْمِ غَيْرَ سَلِيمِ

«إليها»، يعني إلى راحلته. وجعل الفِتيّة مَكْلُومِي الأكْفِ عِنْدَمَا يَتَوَلَّوْنَهُ مِنْ قِسْمَةِ الْجَزُورِ وَتَفْصِيلِ أَوْصَالِهَا، لِأَنَّهُمْ لَا يَهْتَدُونَ إِلَى الْمَفَاصِلِ، وَلَمْ يُزَاوِلُوا نَخَرَ الْإِبِلِ وَجَزَرَهَا قَبْلَ ذَلِكَ. فيقول: جَمَعْتُ عَلَى قِسْمَةِ نَاقَتِي فَنِيَّانَا قَدْ تَكَلَّفُوا مَا دَعَوْتُهُمْ إِلَيْهِ تَكْرُمًا، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مِنْ شَأْنِهِمْ، وَلَا صَارَ مِنْهُمْ بِيَالٍ، لَكُنْ شِدَّةَ الزَّمَانِ، وَتَنَاهِي الضَّرِّ فِي الْجِيرَانِ وَطَوَائِفِ النَّاسِ قَرَضَ عَلَى أَمْثَالِهِمْ تَجَشُّسٍ فَعَلَهُ لَهُمْ، وَحُسْنَ تَوَلِّيهِ فِيهِمْ.

(١) عبد العزيز بن زرارة الكلابي: قائد من الشجعان المقدّمين في زمن معاوية، أبلى في قتال الروم بلاءً عجيبًا، وقتل في إحدى الوقائع (ت ٥٠ هـ / ٦٧٠ م) ترجمته في الكامل في التاريخ، حوادث سنة ٤٩، والبيان ٢: ٧٥.

(٢) إلى هنا تنتهي المقطوعة عند التبريزي، وفصل بين هذين البيتين وبين تاليهما بقوله: وقال آخر. والبيان التاليان لعبد العزيز بن زرارة في الزهرة ٢: ٦٥٥.

وقوله: «إِذَا مَا اسْتَهَوْا مِنْهَا شِوَاءً»، يريد: وإذا انبسطوا للتناول وتواضعوا وأظهروا في المعاونة اهتزازهم فنشيطوا، سعى في اتخاذ الشواء لهم وتهيئته رجلٌ خفيف السَّغْي، كثير الألفاف، حسن الخدمة للكرام، عارف برُسومهم في اكتساب المكرمات. ويعني به نفسه.

وقوله: «فَلَا أَكُنْ عَيْنَ الْجَوَادِ»، يريد إن لم أكن كُُلَّ الْجَوَادِ والجامع لأسباب السَّخَاء، فإنني لا أَشْتَمُ في الظلماء بعلَّة الزاد وحبسه عن مريده؛ وإن لم أَكُنْ حَقَّ الشُّجَاع، والثَّام الآلات في المصاع، فإنني أَجِرُ الرُّمَحَ في المطعون وأرُدُّ سِنَانَهُ كسيرا. وليس الجود ولا الشجاعة إلَّا ما ذكره، ولكنه أراد أن تكون دعواه قاصرة عن الغاية المرموقة، ليكون أحسن في الأحداث، وأدخل في العقل، وأقرب في الذِّكْر. وقد مرَّ القول في مثله في باب الحماسة أشبع من هذا.

والهذريان والهذائر: الكثير الكلام فيما يُحمد. والهذير والهذائر: الكثير الكلام في كلِّ باب.

[البسيط]

٧٤٦ - وقال آخر:

- ١ - وَسُغِ بِمَدِّكَ مَاءَ اللَّخْمِ تَفْسِيمُهُ وَأَكْثِرِ الشُّوبَ إِنْ لَمْ يَكْثُرِ اللَّبْنُ
- ٢ - وَسُغِ بِهِ وَتَلَقَّتْ حَوْلَ حَاضِرِهِ إِنْ الْكَرِيمَ الَّذِي لَمْ يُخْلِهِ الْفِطْنُ

قوله: «بِمَدِّكَ» مصدر مددت القدر، إذا أكثرت مرقها. ويقال: مددت الدواء أيضا، إذا أكثرت ماءها. وأمددت الجيش، إذا أتبعته بمددٍ يكثره ويقويه. فيقول: كثر مرق قدرك ليتسع لغاشيتها، وأكثر خلط اللبن إن لم يكثر في نفسه ولم يتسع لوزاده. والشوب: مصدر شاب يشوب، إذا خلط وهذا مثل ما سار به المثل، وهو «مثل الماء خير من الماء». وأصله أن رجلا استسقى غيرة لبنا، فقال: إنه مثل الماء، أي فضلة بقيت من لبن مشوب. فقال المستسقي: مثل الماء خير من الماء. يريد أن المشوب من اللبن خير من الماء القراح. ومثله قول الآخر: [الطويل]

نَمُدُّ لَهُمْ بِالْمَاءِ مِنْ غَيْرِ هَوْنِهِمْ وَلَكِنْ إِذَا مَا ضَاقَ شَيْءٌ يُوسَّعُ^(١)

وقوله: «وسغ له وتلقَّتْ حَوْلَ حَاضِرِهِ» يريد كثرة التفيت فيمن حولك من جارٍ ومحتاج، ولا تنتظر بما تفرقه السؤال والطلب، ولكن ليكن من نفسك باعث على

(١) بلا نسبة في اللسان (مدد).

تمييز المحتاج، والنظر له، والإفضال عليه؛ لأن الكريم هو الذي لا يُخْلِيه فِطْنُهُ،
والتفاته ونظره. واللؤم: سوء التغافل.

وهذا كما قال الآخر: [الطويل]

إِنَّ الْكَرِيمَ مَنْ تَلَفَّتْ حَوْلَهُ وَإِنَّ اللَّئِيمَ دَائِمُ الطَّرْفِ أَفْوَدُ^(١)

٧٤٧ - وقال آخر^(٢): [الطويل]

- ١ - إِذَا هِيَ لَمْ تَمْنَعْ بِرِسْلِ لُحُومِهَا مِنْ السَّيْفِ لَأَتَتْ حَدَّهُ وَهُوَ قَاطِعُ
- ٢ - تُدَافِعُ عَنْ أَحْسَابِنَا بِلُحُومِهَا وَالْبَانِهَا إِنَّ الْكَرِيمَ يُدَافِعُ
- ٣ - وَمَنْ يَقْتَرِفُ خُلُقًا سِوَى خُلُقِ نَفْسِهِ يَدَعُهُ وَتَرْجِفُهُ إِلَيْهِ الرُّوَاجِعُ

قوله: «إذا هي لم تمنع»، يعني الإبل. فيقول: إذا لم يكن في الثوق لبنٌ تحمي نفوسها به من العقر عند نزول الضيفان لآقت حد السيف وهو يَجْزُرُهَا وَيُقَطِّعُهَا. ومثله قول الآخر: [الطويل]

وإن تعتذِرَ بِالْمَخْلِ مِنْ ذِي ضُرُوعِهَا عَلَى الضَّيْفِ يَجْرَحُ فِي عَرَاقِيهَا نَضْلِي^(٣)
وأبلغُ منهما قولُ الآخر: [الطويل]

فَتَى لَا يَعُدُّ الرُّسْلَ يَقْضِي ذِمَامَهُ إِذَا نَزَلَ الْأَضْيَافُ أَوْ تُنَحَّرَ الْجُزُرُ^(٤)

وقوله: «تُدافع عن أحسابنا بلحومها»، يريد بإطعام لحومها، وسقي ألبانها لأنَّ عَادَتَنَا تَفْرِضُ عَلَيْنَا الْمَدَافِعَةَ عَنِ الْكَرَمِ، وَالْمَحَامَاةَ عَلَى الشَّرَفِ، وَذَلِكَ خُلُقُنَا الَّذِي نَنْشَأُ عَلَيْهِ، وَنَبَتْ فِيهِ، وَمَنْ يَتَعَاطَى خُلُقًا مُسْتَجَدًّا مَخَالِفًا لِمَا أَلْفَهُ وَتَعَوَّدَهُ يَفَارِقُهُ وَيَرْجِعُ إِلَيْهِ الْخُلُقُ الْأَوَّلُ. ومثله قول الآخر: [البسيط]

كُلُّ امْرِئٍ رَاجِعٌ يَوْمًا لِشِيَمَتِهِ وَإِنْ تَخَلَّقَ أَخْلَاقًا إِلَى حِينٍ^(٥)

والقَرْفُ يكون من الذَّنْبِ والجُرْمِ، يقال: هو يَقْتَرِفُ ذَنْبًا، أي يَأْتِيهِ وَيَفْعَلُهُ، ويقال أيضًا: هو يَقْتَرِفُ لِعِيَالِهِ، أي يَكْتَسِبُ. واقتَرَفَ حَسَنَةً، أي اِكْتَسَبَهَا. وقوله:

(١) بلا نسبة في اللسان (قود)، وكتاب العين ١٩٧: ٥، وأساس البلاغة (قود).

(٢) هو المخضع القيسي كما في معجم المزياني ٤٧٥.

(٣) للذي الرمة في ديوانه ١٥٦، وأساس البلاغة (عذر)، وخزانة الأدب ١٢٨: ٢.

(٤) للأبيرد اليربوعي في الحماسية (٣٨٣). (٥) للذي الإصبع العدواني من المفضلية (٣١).

«وَتَرَجَّعَهُ إِلَيَّ الرَّوَاجِعُ»، يقال: رَجَعَ فلانٌ مِنْ كذا رُجوعًا، وَرَجَعْتُهُ أَنَا رَجْعًا، ومثله صَدَّ وصددته، وَكَسَبَ وكسبته.

٧٤٨ - وقال مُضَرَّرُسُ بْنُ رَبِيعٍ^(١): [الطويل]

- ١ - وَإِنِّي لَأَدْعُو الضَّيْفَ بِالضُّوْءِ بَعْدَمَا كَسَا الْأَرْضَ نَضَاحَ الْجَلِيدِ وَجَامِدُهُ
٢ - لَأَكْرِمَهُ إِنْ الْكَرَامَةَ حَقُّهُ وَمِثْلَانِ عِنْدِي قُرْبُهُ وَتَبَاعُودُهُ
٣ - أَيْبْتُ أَحَشِيهِ السُّدَيْفَ وَإِنِّي بِمَا قَالَ حَتَّى يَتْرَكَ الْحَيَّ حَامِدُهُ^(٢)

يقول: إِنِّي أَدْعُو الضَّيْفَ بِإِيقَادِ النَّارِ وَإِعْلَاءِ ضَوْئِهَا، عِنْدَ اشْتِدَادِ الْبَرْدِ، وَاكْتِسَاءِ الْأَرْضِ مِنْ جَامِدِ الْمَاءِ، وَمَنْتَضِحِ الْجَلِيدِ، أَيْ نَدَاهُ الَّذِي يَبْسُهُ الْبَرْدُ، لَأَقْضِيَ حَقَّهُ بِإِكْرَامِهِ وَالْطَّافَةِ. وَالنُّضْحُ كَالنُّضْحِ، إِلَّا أَنَّ النُّضْحَ لَهُ أَثَرٌ. وَالْعَيْنُ تَنْضَحُ بِالْمَاءِ، وَكَذَلِكَ الْكُورُ. وَالنُّضْحُ: الْعَرَقُ، لِأَنَّ جِزْمَ الْإِنْسَانَ يَنْضَحُ بِهِ. وَسُمِّيَ أَبُو ذُوَيْبٍ الْهَذَلِيُّ سَاقِي النَّخْلِ نَضَاحًا، كَمَا سُمِّيَ الْبَعِيرُ الَّذِي يُسْقَى عَلَيْهِ الْمَاءُ: النَّاضِحُ، فَقَالَ: [البسيط]

..... كَمَا يَسْقِي الْجُدُوعَ خِلَالَ الدُّورِ نَضَاحُ^(٣)

وقوله: «وَمِثْلَانِ عِنْدِي قُرْبُهُ وَتَبَاعُودُهُ»، يريد في النِّسْبِ. أَيْ يَتَسَاوَى عِنْدِي تَمَارُجُهُ وَتَوَاشُّجُهُ، وَتَنَاقِيهِ وَتَبَاقِيهِ؛ لِأَنَّ الْوَاجِبَ لَهُ عَلَيَّ أَقِيمُهُ لَا أَتَحَمَدُ بِذَلِكَ عَلَيْهِ، لِأَنَّ إِكْرَامَ الضَّيْفِ فَرَضٌ عَلَى ذِي الْمَرْوَةِ، وَمُسْقِطُ الْفَرَضِ عَنْ نَفْسِهِ لَا يَسْتَحِقُّ مِنَ النَّاسِ اعْتِدَادًا.

وقوله: «أَيْبْتُ أَحَشِيهِ السُّدَيْفَ» فَالسُّدَيْفُ: شَحْمُ السَّنَامِ. وَالْمُرَادُ: أَبْقَى لَيْلَتِي مُطْعِمًا لَهُ خِيَارَ مَا عِنْدِي وَيَحْضُرُنِي مِنْ شُطْبِ السَّنَامِ، ثُمَّ إِنْ اقْتَرَحَ عَلَيَّ شَيْئًا أَعَدُّهُ نِعْمَةً تَتَجَدَّدُ لَهُ يَتَسَوَّجُ مِنِّي حَمْدًا وَشُكْرًا عَلَيْهَا، وَذَلِكَ لَهُ طَوْلٌ مُقَامِهِ إِلَى أَنْ يُفَارِقَنِي، وَيَتْرَكَ عَشِيرَتِي.

٧٤٩ - وقال حِمَاسُ بْنُ ثَامِلٍ: [الطويل]

- ١ - وَمُسْتَنْبِحٍ فِي لَيْلٍ دَعْوَتُهُ بِمَشْبُوبَةٍ فِي رَأْسِ صَمْدٍ مُقَابِلِ

(١) سبقَت ترجمته في الحماسة (٤٤١).

(٢) التبريزي: «بما نال».

(٣) لأبي ذؤيب الهذلي في شرح أشعار الهذليين ١٦٥، واللسان (عصب، نضح، رهط). وصدرة:

«هبطن بطن رهاط واعتصبين كما»

٢ - فَقُلْتُ لَهُ أَقْبِلْ فَإِنَّكَ رَاشِدٌ وَإِنَّ عَلَى النَّارِ النَّدَى وَابْنَ ثَامِلٍ^(١)

المشوبة: النَّار، وتوسعوا فقل: شَبَّتُ الحرب، كما قيل: شَبَّتُ النَّار. وَجُعَّ اللِّيل: مُعْظَم ظُلُمَتِهِ، وكذلك لُجَّ البحر. وَالصَّمْدُ: الْجَبَلُ أو الْأَرْضُ الْمَرْتَفِعَةُ. جَعَلَ نَارَهُ فِي يَفَاعٍ مُقَابِلٍ لَسَمَتِ الضَّيْفِ، فَدَعَا بِهَا لِمَا أَعْلَاهَا وَرَفَعَهَا حَتَّى اهْتَدَى لَهَا. وَهَذَا مِثْلُ مَا قَدْ شَرَحْتُهُ.

وقوله: «فَقُلْتُ لَهُ أَقْبِلْ فَإِنَّكَ رَاشِدٌ» أَي قَوَّيْتُ نَفْسَهُ فِي التَّزْوِلِ، وَأَزَيْتُهُ اسْتِشَارِي لَهُ وَانْتِظَارِي إِيَّاهُ. أَلَا تَرَى أَنَّهُ قَالَ: «وَإِنَّ عَلَى النَّارِ النَّدَى وَابْنَ ثَامِلٍ». وَلَوْلَا اشْتِهَارُهُ بِالطُّوْلِ وَالْإِفْضَالِ لَمَا قَالَ ذَلِكَ. وَهَذَا مِثْلُ قَوْلِ الْأَعَشَى: [الطويل]

وَبَاتَ عَلَى النَّارِ النَّدَى وَالْمُحَلَّقُ^(٢)

٧٥٠ - وَقَالَ الثَّمَرِيُّ^(٣)، وَيُقَالُ إِنَّهَا لِرَجُلٍ مِنْ

بَاهِلَةٍ: [الطويل]

١ - وَدَاعٍ دَعَا بَعْدَ الْهُدُوِّ كَأَنَّمَا يُقَاتِلُ أَهْوَالَ السَّرَى وَتُقَاتِلُهُ

٢ - دَعَا بِأَيْسَا شِبْنَةَ الْجُنُونِ وَمَا بِهِ جُنُونٌ وَلَكِنْ كَيْدُ أَمْرِ يُحَاوِلُهُ

يَعْنِي بِالذَّاعِي مُسْتَنْبِحًا طَلَبَ بَعْدَ أَنْ مَضَى مِنَ اللَّيْلِ قِطْعَةً مِّنْ يُغِيثُهُ وَيَسْتَنْقِذُهُ مِنْ هَوْلِ اللَّيْلِ، وَبَلَاءِ الضَّرِّ، حَتَّى كَأَنَّمَا كَانَ يُقَاتِلُ أَسْبَابَ السَّرَى لِشِدَّةِ الْأَمْرِ عَلَيْهِ، وَتَقَاتِلُهُ، أَي بَلَغَ الْحَالَ بِهِ حَدًّا رَأَى السَّرَى تَغَالِيَهُ عَنْ نَفْسِهِ، وَتَضَارِعَهُ عَنْهَا.

وقوله: «دَعَا بِأَيْسَا» يَعْنِي كَلْبًا ذَا بُؤْسٍ لَضَرَرَ الْقَحْطُ، وَيَكُونُ عَلَى هَذَا مَفْعُولًا. وَيَجُوزُ أَنْ يَنْتَصِبَ عَلَى الْحَالِ لِلذَّاعِي، أَي دَعَا وَهُوَ ذُو بُؤْسٍ. وَيَجُوزُ أَنْ يَرِيدَ دَعَا دُعَاءً عَنِ بُؤْسٍ يُشَبِّهُ الْجُنُونَ. فَأَمَّا تَكْرِيرُهُ لِلدُّعَاءِ فَهُوَ لِتَهْوِيلِ الْأَمْرِ وَتَفْظِيحِ الشَّانِ. وَانْتَصَبَ «شِبْنَةَ الْجُنُونِ» أَي دُعَاءً يُشَبِّهُ الْجُنُونَ، فَهُوَ صِفَةٌ لِلْمَصْدَرِ الْمَحْذُوفِ. قَالَ: وَلَيْسَ بِهِ جُنُونٌ، لَكِنَّهُ يُكَابِدُ أَمْرًا، وَيَعَانِي مَشَقَّةً وَضَرًّا، فَهُوَ يَطْلُبُ الْخِلَاصَ مِنْ مِخْنَةٍ

(١) التبريزي: «وقلت له».

(٢) للأعشى في ديوانه ٢٧٥، والأغاني ٩: ١١١، وخزانة الأدب ٧: ١٤٤، وصدرة:

«تَشَبَّ لِمَقْرُورِينَ يَصْطَلِيَانَهَا»

(٣) لعله منصور بن الزبرقان أحد بني النمر بن قاسط، وهو شاعر من شعراء الدولة العباسية وكان

مقدمًا عند الرشيد. ترجمته في الشعر والشعراء ٨٣٥، وتاريخ بغداد ١٣: ٦٥.

لا طريقَ لَلْمَخْلَصِ مِنْهَا إِلَّا عَلَى ذَلِكَ الْوَجْهِ . وتحقيق الكلام : ليس به جنون ، ولكن به كَيْدُ أَمْرٍ يَطْلُبُ دَفْعَهُ وَالسَّلَامَةَ مِنْهُ .

٣ - فَلَمَّا سَمِعْتُ الصَّوْتَ نَادَيْتُ نَحْوَهُ بِصَوْتِ كَرِيمِ الْجَدِّ حُلُوِّ شَمَائِلُهُ

٤ - فَأَبْرَزْتُ نَارِي ثُمَّ أَتَقَبْتُ ضَوْءَهَا وَأَخْرَجْتُ كَلْبِي وَهُوَ فِي الْبَيْتِ دَاخِلُهُ

يقول : جَمَعْتُ فِي تَلْقِيهِ وَإِغَاثِهِ بَيْنَ الْأَسْبَابِ الَّتِي يُسْتَنْزَلُ بِهَا الضَّيْفُ ، وَيُسْتَقْبَلُ بِهَا الْجِيرَانُ ؛ لِإِشَالَتِهِ مِنْ صَرْعَتِهِ ، وَاشْتِلَاثِهِ مِنْ مِخْنَتِهِ ، فَنَادَيْتُهُ بِنَفْسِي عَلَى رَفْعٍ مِنْ صَوْتِي ، وَهُوَ صَوْتُ رَجُلٍ كَرِيمِ الْأَصْلِ ، حُلُوِّ الطَّبَائِعِ ، سَهْلِ الْجَانِبِ ، حَسَنِ الْإِسْتِمَالِ عَلَى الضَّيْفِ ، وَجَعَلْتُ نَارِي فِي بَرَّازٍ ، وَهُوَ الْمَرْتَفِعُ مِنَ الْأَرْضِ . وَمِثْلُ الْبَرَّازِ الْبَرَزِ . قَالَ :

يَظَلُّ عَلَى الْبَرَزِ الْيَفَاعِ كَأَنَّهُ

قال : ثُمَّ أَثْبَتَهَا بِثُقُوبٍ يَرْتَفِعُ الضُّوءُ لَهُ ، وَيَقْوَى بِهِ ، وَأَخْرَجْتُ كَلْبِي مِنْ مَقَرِّهِ ، وَهُوَ لَشِدَّةِ الْبَرْدِ مَلَاظِمٌ لِلْبَيْتِ لَا يَخْرُجُ ، كُلُّ ذَلِكَ فَعَلْتُهُ تَقْرِيْبًا لِلأَمْرِ عَلَى الضَّيْفِ ، وَتَسْهِيْلًا لِهِدَايَتِهِ . وَقَوْلُهُ : « وَهُوَ فِي الْبَيْتِ دَاخِلُهُ » فِي الْبَيْتِ مَوْضِعُهُ خَبَرُ الْإِبْتِدَاءِ وَلَيْسَ بِلُغْوٍ ، وَدَاخِلُهُ خَبَرُ ثَانٍ ، وَالْهَاءُ مِنْ دَاخِلِهِ يَعُودُ إِلَى الْبَيْتِ كَأَنَّهُ قَالَ : وَهُوَ مُسْتَقَرٌّ فِي الْبَيْتِ دَاخِلٌ فِيهِ ، وَلَا يَمْتَنِعُ أَنْ يَكُونَ دَاخِلُهُ فِي مَوْضِعِ الْبَدَلِ مِنْ قَوْلِهِ فِي الْبَيْتِ ، وَيَكُونُ كَقَوْلِكَ زَيْدٌ دَاخِلُ الْبَيْتِ وَخَارِجُهُ .

٥ - فَلَمَّا رَأَيْتِي كَبِيرَ اللَّهِ وَخَدَهُ وَيَشْرَ قَلْبًا كَانَ جَمًّا بَلَابِلُهُ

٦ - فَقُلْتُ لَهُ أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْحَبًا رَشَدْتُ وَلَمْ أَقْعُدْ إِلَيْهِ أَسَائِلُهُ

يقول : لَمَّا رَأَيْتِي هَذَا الضَّيْفَ قَالَ : اللَّهُ أَكْبَرُ ! اسْتَبْشَارًا وَاعْتِبَاطًا بِمَا تَعَجَّلَ لَهُ مِنَ الْفَرَحِ ، وَفَرَحَ قَلْبًا كَانَتْ غَمُومُهُ مَجْتَمِعَةً عَلَيْهِ يَأْسًا مِنَ الْخَيْرِ فِي مِثْلِ مَكَانِهِ ، وَطَمَعًا فِيمَا يَسْتَبْقِيهِ مِنْ حَيَاتِهِ ؛ فَقُلْتُ لَهُ : أَتَيْتُ أَهْلًا لَا غُرَبَاءَ ، وَوَرَدْتُ سَهْلًا مِنَ الْأَفْنِيَةِ لَا حَزَنًا ، وَتَعَمَّدْتُ رُحْبًا مِنَ الْأَمَاكِنِ لَا ضَيْقًا ، وَصَحِبْتُ الرُّشَادَ فِي عُدُولِكَ إِلَيَّ لَا الضَّلَالِ ، وَرَافَقْتُ السَّعَادَةَ لَا الشَّقَاءَ وَالْهَلَكَةَ ، وَلَمْ أَقْعُدْ إِلَيْهِ مَسَائِلًا عَنْ أَخْبَارِهِ وَعَمَّا أَذَاهُ إِلَى أَرْضِي فِي انْتِقَالَاتِهِ ، بَلْ عَمَدْتُ إِلَى الْإِحْتِفَالِ لَهُ ، وَقَصَّرْتُ سَعِيْبِي عَلَى مَا يَقْتَضِي إِنْزَالَهُ ، وَعَلَى تَهْيِئَةِ الْقِرَى وَالْأَنْزَالِ لَهُ . وَانْتَصَبَ « وَحْدَهُ » عَلَى الْمَصْدَرِ ، لِأَنَّهُ مَوْضُوعٌ مَوْضِعُ الْإِيْحَادِ ، أَيِ أَوْحَدَ اللَّهُ إِيْحَادًا .

٧ - فَمَقُمْتُ إِلَى بَرْكَ هِجَانٍ أَعِدَّهُ لَوْجِبَةِ حَقٍّ نَازِلٍ أَنَا فَاعِلُهُ^(١)

٨ - بِأَبْيَضٍ خَطَّتْ نَفْلُهُ حَيْثُ أَدْرَكَتْ مِنْ الْأَرْضِ لَمْ تَخْطُلْ عَلَيَّ حَمَائِلُهُ

يقول: وقمتُ إلى إبلٍ باركة بالفناء، كريمةٍ بيض، أعدتُ لواجبٍ حقٍّ يترلُّ بي. وزاد الهاء في «وجبة» للمرّة الواحدة، ويجوز دخولها لهذا المعنى في المصادر كلها، وقد شرحتُ القولَ في لفظة هجان ووقوعه بلفظه للواحد والجمع^(٢).

وقوله: «بأبيض» تعلق الباء منه بقوله: قمت. واللام من قوله: «لوجبة حق» متعلقٌ بقوله: أعدّه، وموضع الجملة صفةٌ للبرك، كما أنَّ قوله: «أنا فاعله» صفةٌ للحق. والمعنى: قمت وقد تقلدت سيفًا مصقولًا، تخطُّ حديدُهُ جَفْنِهِ في الأرض إذا أدركتها خطًّا؛ وليس ذلك لأنَّ حمائله اضطربت عليَّ أو قصُرت قامتي عن ارتدائها لطولها، ولكن تَخَطَّتْ حيث تُدْرِك، لارتفاعِ أرضٍ أو عارضٍ حَالٍ. والحمائل: جمع الجمالة. وإذا طَالَ النَّجَادُ خَطَلَ على لابسِه واضطرب. وافتخاؤهم بامتداد القامة وطُولِ الجمالة معروف. والثَّغْلُ: الحديدَةُ التي يُعْشَى بها أسفلُ الجَفْنِ. وعلى ذلك قوله: [الطويل]

طويل نِجَادِ السَّيْفِ لَيْسَ بِجَيْدَرٍ

٩ - فَجَالَ قَلِيلًا وَاتَّقَانِي بِخَيْرِهِ سَنَامًا وَأَمْلَاهُ مِنَ النَّيِّ كَاهِلُهُ

١٠ - بِقَرَمٍ هِجَانٍ مُضْعَبٍ كَانَ فَحَلَّهَا طَوِيلُ الْقَرَى لَمْ يَغْدُ أَنْ شَقَّ بَارِلُهُ

قوله: «جال قليلًا» انتصب قليلًا على الظرف، أي زمنًا قليلًا. وفاعل جال هو البرك. ويجوز أن ينتصب قليلًا على أنه صفةٌ لمصدر محذوف، كأنه قال: جال جَوْلًا قليلًا؛ فأقامَ الصِّفَةَ مقامَ الموصوف، لأنَّ المراد مفهوم. والمعنى: لَمَّا بَصُرَ البركُ بي ثارت مِن مَبَارِكِهَا، لَمْ يَغْشَاهَا مِنَ الْخَوْفِ المَعْتَاد لها واضطربت، ثُمَّ اتَّقَتْنِي - أي جعلتُ بيني وبينها - بِأَتَمِّكِيهَا سَنَامًا، وَأَمْلَاهَا مِنَ النَّيِّ كَاهِلًا. والنَّيُّ: الشَّحْمُ واللَّحْم. وانتصب «سناما» على التمييز. وارتفع قوله: «كاهله» بفعلٍ مضمرٌ دلٌّ عليه وأملاه، كأنه لَمَّا قَالَ وَأَمْلَاهُ مِنَ النَّيِّ قَالَ: امْتَلَأ كَاهِلُهُ. ويشبه هذا قولَ الآخر في إضممار الفعل، وإن كان هذا ناصبًا وذاك رافعًا،

(١) التبريزي: «وقمت».

(٢) انظر شرح البيت الثالث من الحماسية (٧٣٤).

وهو: [الطويل]

وأضْرَبَ مِنَّا بِالسُّيُوفِ الْقَوَائِمَا^(١)

وانتصاب القوائس بفعلٍ مضمر دلّ عليه وأضْرَبَ منا، كما أنَّ ارتفاع الكاهل بفعلٍ دلّ عليه: وأملاه.

وقوله: «يَقْرَمُ هِجَان» أعاد حرفَ الجرّ فيه، وهو بدل من قوله: «بخيره سَنَامًا». ومثله في إعادة حرف الجرّ في المبدل قوله تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضِفُوا لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ﴾ [الأعراف: الآية ٧٥]. والهجَان، وُصِفَ به الواحد ههنا، فهو في زنة قولهم: ناقة دِلَاثٌ، وإزَارٌ وخِمَارٌ. وفي قوله: بَرَكْ هِجَان وُصِفَ الجمع به، فهو كظُرَافٍ وحِسان. والمُضْعَبُ: الفحل الكريم الذي لا يَنْتَدِلُ في العوَارِضِ، بل يُقَصِّرُ على الفِخْلَةِ. وقال الخليل: هو الذي لم يُرْكَبْ قط ولم يَمْسَسْه حَبْلٌ. ويقال أَضْعَبَ الفحلُ فهو مُضْعَبٌ، وبه سُمِّيَ الرَّجُلُ إذا كان مسودًا مُضْعَبًا. وقوله: «كان فحلها» رجع الضمير إلى البَرَكِ، أي كان هذا القَرَمُ فَحْلَ هذه البَرَكِ، وهو طَوِيلُ الظَّهْرِ لم يتجاوزَ بازِلَهُ أن انشَقَّ اللحم عنه. يعني أنّه كان في غاية ما يُرَاعَى من شَبَابِهِ وقُوَّتِهِ. والبُزُولُ: في السنة التاسعة. والمعنى أنّه لم يَغْدُ هذه الحالة إلى ما وراها، فكان يَضْعَفُ.

١١ - فَحَزَّ وَظِيفَ الْقَرَمِ فِي نِصْفِ سَاقِهِ وَذَاكَ عِقَالٌ لَا يُنْشِطُ عَاقِلُهُ

١٢ - بِذَلِكَ أَوْصَانِي أَبِي وَبِمِثْلِهِ كَذَلِكَ أَوْصَاهُ قَدِيمًا أَوَائِلُهُ

حَزَّ: سَقَطَ، يَحْزُ خُرُورًا. وَحَزَّ الْمَاءُ يَحْزُ خَرِيرًا. في الكلام إضمارٌ، كأنه قال اتقاني بخيره فعرقبته فَحَزَّ وظيفه. وَيُرَوَّى: «فَحَزَّ وظِيفَ الْقَرَمِ فِي نِصْفِ سَاقِهِ»، وفاعل حَزَّ يكون السَّيْفُ، أي عَقَرْتُهَا فَعَمِلَ السَّيْفُ فِي وَظِيفِهِ وَأَنْدَرَهُ مِنْ نِصْفِ سَاقِهِ، وذلك شَدُّ عَاقِلُهُ لَا يَنْشِطُ، أي لَا يَحْتَاجُ إِلَى إِحْكَامِهِ وَإِبْرَامِهِ لِأَنَّهُ لَا يَقَعُ إِلَّا مُبْرَمًا. ويقال: نَشَطْتُ الْعَقْدَ تَشْيِيطًا، إِذَا أَحْكَمْتَهُ؛ وَأَنْشَطْتُهُ، إِذَا حَلَلْتَهُ. وَعَقَدَ عَلَيْهِ بِأَنْشُوطَةٍ، إِذَا جَعَلَهُ مَهِيئًا لِلْحَلِّ مَقْرَبًا أَمْرُهُ فِيهِ. وَمِمَّا يَجْرِي مَجْرَى الْمَثَلِ: «كَأَنَّمَا أَنْشِطَ مِنْ عِقَالٍ». وذكر بعضهم أَنَّ الشَّاعِرَ سَهَا فَوْضِعَ نَشَطَ مَوْضِعَ أَنْشَطَ؛ لِأَنَّ الْمُرَادَ ذَاكَ عِقَالٌ

(١) البيت الثاني من الحماسية (١٥١) للعباس بن مرداس وصدره:

«أَكْرَ وَأَحْمِي لِلْحَقِيقَةِ مِنْهُمْ»

عَاقِلُهُ لَا يَحُلُّهُ وَلَا يَنْقُضُ مَا يُبْرَمُ مِنْهُ. وكلام الشاعر سليم من العيب قويم. والمعنى فيه ما ذكرت.

وقوله: «بذلك أوصاني أبي وبمثلته»، يعني في أمر الضيف أتى، بهذا الفعل الذي وصفته وصّاني أبي وبما يماثله. ثم قال: كذلك أسلافه أوصوه قديماً. وموضع «كذلك» نصب على الحال وانتصب «قديماً» على الظرف، والمعنى أنني لم أرت ذلك عن كلاله، وإنما ورثناه أباً عن أب وخلفاً عن سلف.

٧٥١ - وقال النابغة الذبياني:

- ١ - لَهُ بِفَنَاءِ الْبَيْتِ سَوْدَاءٌ فَخْمَةٌ تَلَقَّمُ أَوْصَالَ الْجَزُورِ الْغُرَاعِرِ^(١)
٢ - بِقِيَّةٍ قَدَرٍ مِنْ قُدُورٍ تُورَثُ لآلِ الْجَلَّاحِ كَابِرًا بَعْدَ كَابِرِ
٣ - تَظَلُّ الْإِمَاءُ يَبْتَدِرْنَ قَدِيحَهَا كَمَا ابْتَدَرَتْ سَعْدٌ مِیَاةَ قُرَاقِرِ

أراد بالسوداء قدراً. والفخمة: الضخمة. تَلَقَّمُ: تحتوي وتبتلع لعظمها أعضاء الجزور مؤقّرة. والغُرَاعِر: الضخم السمين، وجمعه غُرَاعِر، بفتح العين. ومثله جُوالق وجُوالق. وعزُرةُ الجبل: مُعْظَمه. فيقول: لهذا الرجلِ إزاء القوم وفناء الدار منهم، قدَر هذه صفتها من العظم، وتضمّن أعضاء الجزور موزبة لم تنتقص، وهي بقية قدر من قدور تُورث من أسلافهم آل الجلاح كبيراً بعد كبير، ورئيساً بعد رئيس، ولم يوجد كابر في معنى كبير إلا في هذا المكان. وقد بيّن بذكر لفظة «بعد» أن «عن» في قوله: «كابرًا عن كابر» بمعنى بعد. وكان أبو علي رحمه الله يقول قولهم كابرًا ليس باسم الفاعل، كالقاعد والقائم والجالس، وإنما هو اسم صيغ للجمع، كالباقر والجامل. والمراد كبراء بعد كبراء.

وقوله: «تظلُّ الإماء يبتدِرْنَ قديحها»، يريد وقت القسمة، أي يستيقن طول النهار إليها، وإلى تناول العُرفات منها، استيقاق بني سعد مِیَاة هذا المكان. وقُرَاقِر: موضع فيه ماء لقضاة، وهو فِرَاطة بين أحيائهم، أي شرع لا تناوب فيه، بل يفوز السابق إليه. فشبه تبادر الإماء نحو القدر بتبادر بطون سعد إلى تلك المِیَاة. والقديح: فاعل بمعنى مفعول، وهو المرق المقدوح.

(١) التبريزي: «ويروي: دهماء جونة: يعني قدراً».

٧٥٢ - وقال الفرزدق^(١): [الطويل]

- ١ - وَدَاعٍ بِلَحْنِ الْكَلْبِ يَذْعُو وَدُونَهُ مِنْ اللَّيْلِ سِجْفًا ظُلْمَةً وَغُيُومَهَا
 ٢ - دَعَا وَهُوَ يَرْجُو أَنْ يُنْبئه إِذْ دَعَا فَتَى كَابِنٍ لَيْلَى حِينَ غَارَتْ نُجُومُهَا
 ٣ - بَعَثْتُ لَهُ دَهْمَاءَ لَيْسَتْ بِلِفْحَةٍ تَذُرُ إِذَا مَا هَبَّ نَحْسًا عَقِيمُهَا
- قوله: «داع بلحن الكلب»، يعني مستنبحًا تكلف نبيح الكلب في صوته، ولحن لحنه، وفعل ذلك إذ حال بينه وبين المناظر من الليل ستران من الظلم، والتباس الغيوم. وإنما قال: «سجفًا ظلمةً وغيومها» تأكيدًا، كما قيل: ﴿ظُلُمْتُ بَعْضًا فَوْقَ بَعْضٍ﴾ [الثور: الآية ٤٠] ولهذا لم يرض بذلك حتى أضاف إليه ظلمة السحاب أيضًا المعطية للكواكب.

وقوله: «دعا وهو يرجو أن ينبئه إذ دعا»، يقول: استنبح، وهو يؤمل أن ينبئه لدعائه وينبعث فتى كغالب، حين غارت النجوم بالليل، والأحوال متراكمة، وظلم الليل والسحاب متراكبة، واستبدت فرج السماء وأفاق الجو. كأن الضيف تمئى أن يتفق له إجابة كإجابة غالب، وهو ابن ليلى، فاتفق أن هبى له إجابة الفرزدق. يشهد لذلك قوله: «بعثت له دهماء»، يعني بها قدرًا. وكشف عن مراده بقوله: «ليست بليفحة»، أي ليست هي بناقة، وإنما هي قدر تدر مرققتها إذا هب عقيم الرياح بالنحس. ويعني به الدبور، لأنها لا تلقح، وبها هلك الأمم السالفة. وجواب رب المضمرة في قوله: «داع» قوله: «بعثت له دهماء». وقد اعترض بينهما بيت.

- ٤ - كَأَنَّ الْمَحَالَ الْغُرَّ فِي حَجَرَاتِهَا عَذَارَى بَدَتْ لَمَّا أُصِيبَ حَمِيمُهَا
 ٥ - غَضُوبٌ كَحَيَزُومِ النَّعَامَةِ أَخْمِشَتْ بِأَنْجَوَازِ خُشْبٍ زَالَ عَنْهَا هَشِيمُهَا^(٢)
 ٦ - مُحَضَّرَةٌ لَا يُجْعَلُ السُّنَرُ دُونَهَا إِذَا الْمُرْضِعُ الْعَوْجَاءُ جَالَ بِرِيمُهَا

جعل المحال، وهي فقر الظهر، والواحدة محالة، في نواحي القدر وجوانبها لسمتها وبياضها مع تضمّن القدر السوداء لها، وإحاطتها بها، كأبكار النساء، وقد لبسن ثياب السلاب لما أصبن بحميمهن، فيبدون بيض الوجوه، سود الثياب. وقد أحكم القول في أصل «عذارى» في غير هذا الموضع.

(١) الأبيات ما عدا الخامس في ديوانه ٨٠٣.

(٢) التبريزي: «غضوبًا» ونصب غضوبًا ردًا إلى دهماء.

وقوله: «غَضُوب»، يريد غليانها وهزتها، ثم شبه إشرافها بحيزوم النعامة، كما قال الآخر: [الطويل]

نَعَامَةٌ حِزْبَاءٍ تَقَاصَرَ حِيدُهَا^(١)

وجعلها قد أوقد تحتها النار بحطب جزل أفردها دقائها وما تهشم من ورقها، والقصد في هذا إلى تعظيم النار الموقدة تحتها لكبرها.

وقوله: «مُحَضَّرَةٌ» أي لا يمتنع منها أحد ولا تفتن بما يسترّها عن الميؤن إذا أمحل الزمان، واشتد القحط، وصارت المرأة المريض قد اعوجج خلقها فجال عليها وشاخها، لانحسار اللحم عنها، وتأثير الهزال فيها. والبريم: خيط يقتل من صوف أبيض وأسود يشد في أخقي الصبيان لتدفع العين به عنها. ومثل ما وصف قول الراعي: [البيسط]

إِنِّي أَقْسَمُ قِدْرِي وَهِيَ بَارِزَةٌ إِذْ كُلُّ قِدْرٍ عُرُوسٌ ذَاتُ جِلْبَابٍ

وقوله: «إذا الموضع العوجاء جال بريمها» طرف لقوله مُحَضَّرَةٌ، أو لقوله: «لا يُجَعَلُ السُّتْرُ دُونَهَا» وفيهما جواب إذا. والحجرات: التواحي، واحدها حجرة، ويقال: قعد حجرة، فيجعل ظرفاً. وإحماش النار: إلهاؤها. وأخمشت القدر، إذا أشبنت وقود النار تحتها حتى تغلي، ومنه حمش الشر والعصب، إذا اشتد. وقوله: «بأجواز خُشْب»، جَوَزَ كُلُّ شَيْءٍ: وَسَطَهُ. وإنما أراد الغلاظ من الحطب.

٧٥٣ - وقال شريح بن الأحوص^(٢): [الطويل]

- ١ - وَمُسْتَنْبِحٍ يَبْغِي الْمَبِيتَ وَدُونَهُ مِنْ اللَّيْلِ سَجْفًا ظَلَمَةً وَكُسُورَهَا
- ٢ - رَفَعْتُ لَهُ نَارِي فَلَمَّا اهْتَدَى بِهَا رَجَزْتُ كِلَابِي أَنْ يَهْرَ عَقُورَهَا
- ٣ - فَبَاتَ وَإِنْ أَسْرَى مِنَ اللَّيْلِ عَقَبَةً بِلَيْلَةٍ صِدْقٍ غَابَ عَنْهَا سُرُورَهَا

(١) البيت السادس من الحماسة (٦٣٩) للراعي النميري، وصدره:

«إِذَا تُصِيبَتْ لِلطَّارِقِينَ حَسِبْتَهَا»

(٢) التبريزي: «شريح بن الأحوص بن جعفر بن كلاب» وشريح بن الأحوص: شاعر من شعراء الجاهلية وأمير من أمرائها، وكان والده الأحوص رئيس بني عامر يوم رححان الثاني، وهو يوم لبني عامر بن صعصعة على بني تميم، وكان شريح رئيس النحيل التي خرجت في طلب الحارث بن ظالم. ترجمته في الأغاني ١٠: ٣٢.

يريد: ربُّ مُسْتَظْفٍ بِالْثُبَّاحِ يَطْلُبُ لِنَفْسِهِ مَكَانًا يَبِيتُ فِيهِ، وَقَدْ سَقَطَ عَنْهُ كُلُّ السَّيْرِ، وَأَسْبَابُ الْجَهْدِ، وَحَجَزَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّيْلِ سِجْفًا ظُلْمَةً وَكُسُورُهَا. وَالسَّجْفُ: السُّتْرُ، وَتَكْسَرُ السِّينُ مِنْهُ وَتَفْتَحُ. وَالْكُسُورُ: جَمْعُ الْكِسْرِ، وَهُوَ جَانِبُ الْبَيْتِ. قَالَ الْخَلِيلُ: الْكُسْرُ وَالْكِسْرُ: الشُّقَّةُ السُّفْلَى مِنَ الْخَبَاءِ، يُرْفَعُ أَحْيَانًا وَيُرْخَى أَحْيَانًا، وَكَذَلِكَ مِنْ كُلِّ قُبَّةٍ وَغِشَاءٍ، حَتَّى يَقَالَ لَنَا لِنَا حِيتِي الصُّحْرَاءُ كِسْرَاهَا. وَلَمَّا اسْتَعَارَ السَّجْفَ لَتَرَأَى الظُّلْمَةَ اسْتَعَارَ الْكُسُورَ لَهَا أَيْضًا، كَأَنَّهُ جَعَلَ اللَّيْلَةَ كَالْبَيْتِ لِظُلَامِهَا وَقَدْ أَرْخَى سِجْفَاهُ وَأَلْبَسَ كِسْرَاهُ، فَاطْلَمَ دَاخِلَهُ. وَجَوَابُ رَبِّ قَوْلِهِ: «رَفَعْتُ لَهُ نَارِي»، وَالْوَاوُ مِنْ قَوْلِهِ: «وَدُونَهُ» وَوَالْحَالُ. وَقَوْلُهُ: «فَلَمَّا اهْتَدَى بِهَا» يَرِيدُ لَمَّا رَفَعْتُ النَّارَ فَأَبْصَرَهَا وَأَقْبَلَ نَحْوِي نَمْنَعُ كِلَابِي مِنْ أَنْ يَهْرَ فِي وَجْهِهِ عَقُورُهَا. وَالْعَقُورُ، يَرِيدُ بِهِ السَّيِّئَةُ الْخُلُقُ مِنْهَا، الْمَوْلَعَةُ بِالْعَقْرِ.

فَإِنْ قِيلَ: وَلِمَ جَعَلَ فِي كِلَابِهِ الْعَقُورَ حَتَّى احْتَاجَ إِلَى زَجْرِهِ عَنْ ضَيْفِهِ؟ قُلْتُ: كَأَنَّهُ كَانَ فِي الْكِلابِ مَا لَمْ يَكُنْ يَلْزَمُ الْفِنَاءَ، وَإِنَّمَا يَكُونُ مَعَ الرَّاعِي فِي السَّرْحِ لِلْحِفْظِ، فَاتَّفَقَ أَنْ حَضَرَ مَعَ كِلَابِ الْحَيِّ، فَلِذَلِكَ احْتَاجَ إِلَى زَجْرِهِ.

وقوله: «فَبَاتَ وَإِنْ أَسْرَى مِنَ اللَّيْلِ عُقْبَةً» خَبَرُ بَاتٍ «بَلِيلَةَ صَدَقَ» وَجَوَابُ إِنْ الْجَزَاءِ مَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ الْبَيْتُ. فَيَقُولُ: مَكَّتَ الضَّيْفُ عِنْدِي فِي لَيْلَةٍ صَدَقَ لَا نَحْسَ فِيهِ وَلَا شَرَّ، وَالرَّاحَةُ تَعَاوَدُهُ، وَالسَّلَامَةُ تَلْزَمُهُ وَتَتَلَقَّاهُ، وَإِنْ كَانَ قَدْ سَرَى عُقْبَةً مِنْهَا، أَيْ طَائِفَةً. وَانْتَصَبَ «عُقْبَةً» عَلَى الظَّرْفِ، وَأَصْلُهَا أَنْ يَتَعَاقَبَ اثْنَانِ عَلَى الْبَعِيرِ، فَإِذَا رَكِبَ أَحَدُهُمَا مَشَى صَاحِبُهُ، ثُمَّ كَثُرَ اسْتِعْمَالُهُ فَأُجْرِيَ مَجْرَى الثُّوبَةِ وَالْفُرْصَةِ، فَيَقَالُ: سَارَ عُقْبَةً كَمَا يَقَالُ: سَارَ ثُوبَةً. وَقَالَ الْخَلِيلُ: الْعُقْبَةُ فَرَسُخَانٌ؛ وَهُمَا يَتَعَاقَبَانِ الرُّكُوبَ بَيْنَهُمَا. وَقَوْلُهُ: «أَنْ يَهْرَ» فِي مَوْضِعِ التُّصْبِ عَلَى الْبَلَدِ مِنْ كِلَابِي. وَقَدْ تَقَدَّمَ الْقَوْلُ فِي لَيْلَةِ صِدْقٍ وَمَا أَشْبَهَهُ.

٧٥٤ - وَقَالَ مِسْكِينُ الدَّارِمِيِّ^(١): [الوافر]

- ١ - كَأَنَّ قُدُورَ قَوْمِي كُلِّ يَوْمٍ قِبَابُ الثُّرُكِ مُلْبَسَةَ الْجِلَالِ
- ٢ - كَأَنَّ الْمُؤَفِدِينَ لَهَا جِمَالَ طَلَامَا الزُّفْتُ وَالْقَطِيرَانُ طَالِ
- ٣ - بِأَيْدِيهِمْ مَنَارِفٌ مِنْ حَدِيدٍ أَشْبَهَهَا مُقْبِرَةَ الدَّوَالِي

جعل قدورَ قومِه متبجِّجًا بها، منصوبةً في كلِّ وقت. وجعلها لكبرها مشبَّهةً بخَرَكَاهاتٍ^(١) الثُّرك وقد جُلَّتْ وألْبِسَتْ أَعْطِيَةَ سَوْدَاءَ.

وقوله: «كَأَنَّ الْمُؤَفِّدِينَ لَهَا»، يريد المَزاولين لها في نَضْبِها وإنزالها، وطَبْخِها وتهيئتها. والمُؤَفِّد: المَشْرِفُ على الشَّيْءِ العالِي له. وانتَصَب «مُلْبَسَةَ الْجَلَالِ» على الحال. وشبَّه المُؤَفِّدِينَ في سَوَادِ ثِيَابِهِمْ وتَدْنُسِها بِالْعَمَرِ وتَلَطُّخِها بِالذَّرَنِ بِجَمَالِ مَطْلِيَّةٍ بِالْقَطِرَانِ. وَالزَّفْتُ، هو القار، وقال الدُّرَيْدِيُّ: أَصْلُهُ مَعْرَبٌ، وقد تكلمت العرب به كثيرًا، وفي الحديث: «نَهَى عَنِ الدُّبَاءِ وَالْمَرْقَتِ». ويقال: طلاه كذا وبكذا، فهو مطليٌّ.

وقوله: «بأيديهم مَغَارِفُ مِنْ حَدِيدٍ» جَعَلَ الْقُدُورَ كَالْأَنْهَارِ أَوِ الْبُحُورِ، وَالْمَغَارِفَ لَهَا كَالِدُّوَالِي الْمَقِيرَةِ، لاحتِمَالِهَا الْمَاءَ مِنَ الْأَنْهَارِ وَصَبَّهَا إِلَى أَعَالِيهَا. وَجَعَلَ الْمَغَارِفَ سَوْدًا لِمَا عَلِقَ بِهَا فِي الْمِمَارَسَةِ مِنَ سَوَادِ الْقُدُورِ وَالثَّارِ، وَمِنْ زُهُومَةِ اللَّحْمِ وَالشَّحْمِ. وقوله: «أَشْبَهُهَا مَقِيرَةُ الدُّوَالِي»، يقال: شَبَّهْتَهُ كَذَا وَبِكَذَا وَمَوْضِعَ الْجَمَلَةِ رَفَعَ عَلَى الصِّفَةِ لِلْمَغَارِفِ.

٧٥٥ - وقال آخر^(٢): [الطويل]

١ - أَعَاذِلْ بِكُيْنِي لِأَضْيَافٍ لَيْلَةٍ نَزُورِ الْقِرَى أَمْسَتْ بَلِيلًا شَمَالُهَا
٢ - أَعَامِرُ مَهْلًا لَا تَلْمَنِي وَلَا تَكُنْ خَفِيًّا إِذَا الْخَيْرَاتُ عُدَّتْ رِجَالُهَا

بَكُيْنِي، أَي أَكْثَرِي الْبُكَاءَ لِي وَكَرَّرِيهِ، مِنْ أَجْلِ أَضْيَافٍ لَيْلَةٍ قَلِيلَةٍ الْقِرَى، لِامْسَاكِ النَّاسِ عَنِ الْإِنْفَاقِ، وَإِعْوَاذِهِمُ الزَّادَ، وَقَدْ أَمْسَتْ رِيحُ الشَّمَالِ فِيهَا ذَاتُ بَلَلٍ وَشَفَاقٍ لِلذِّى وَالْبَرْدِ، فَإِذَا وَرَدُوا فَقَدُوا حُسْنَ تَفْقِيدِي لَهُمْ، وَتَوَفَّرِي عَلَيْهِمْ.

وقوله: «أَعَامِرُ مَهْلًا» جَمَعَ عَلَى نَفْسِهِ لائِمَةً وَلَائِمًا، فيقول: يَا عَامِرُ رَفَقًا فِي عَثْبِكَ عَلَيَّ، وَلَوْ مَكَ إِيَّايَ، وَاقْتَدِ بِي فِي طَلَبِ السُّمُوِّ وَالِاسْتِعْلَاءِ عَلَى الْأَقْرَانِ. فَأَمَّا انْتِقَالُهُ عَنْ ذِكْرِ اللَّائِمَةِ إِلَى مَذْكَرٍ، فَمِثْلُهُ قَوْلُ تَابُطٍ شُرًّا: [البسيط]

يَا مَنْ لِعَذَالَةِ خَذَالَةِ أَشِيبٍ حَرَّقَ بِاللُّومِ جِلْدِي أَيْ تَحْرَاقَ^(٣)

(١) الخَرَكَاهات: جمع خَرَكَاه: لفظة فارسية. وهي بيت من خشب مصنوع على هيئة مخصوصة ويفشى بالجوخ ونحوه، تحمل في السفر لتكون في الخيمة للمبيت في الشتاء لوقاية البرد (صبح الأعشى ١٤٦: ٢ طبعة دار الكتب العلمية).

(٢) التبريزي: «وقال العكلي».

(٣) هو البيت العشرون من المفضلية الأولى. وصدده:

«بَلْ مِنْ لَمَذَالَةٍ»

ثم قال:

عَاذَلْتَا إِنْ بَعْضَ اللَّوْمِ مَغْنَفَةٌ وهل مَسَاغٌ وَإِنْ أَبْقَيْتُهُ بَاقٍ

والمراد ببيان تعاون العشيرة في اللوم والإنكار، وتَسَاعِدُ رجالهم ونسائهم على الوَعظ والإنذار. وقوله: «ولا تكن خفيًا»، يريد اتَّخِذْنِي إِسْوَةً وَاَعْمَلْ عَلَى أَنْ تَكُونَ سَامِيَّ الذِّكْرِ، عَالِي الصَّبِيَّة، حَتَّى لَا يَخْفَى إِذَا عُدَّتْ رِجَالُ الْخَيْرَاتِ أَمْرُكَ، وَلَا يَنْمُجِي إِذَا بَانَ أثار الصالحين أثرك. وَأَشَارَ بِالْخَيْرَاتِ إِلَى الْخِصَالِ الصَّالِحَةِ وَالْخِلَالِ الشَّرِيفَةِ. وواحدتها خَيْرَةٌ. وليست هذه التي تكون في موضع أَفْعَلَ من كَذَا ومعناه، كقولك فلانٌ خيرٌ من فلان، بل هي الواردة في قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فِيهِنَّ خَيْرٌ حَسَنٌ ۖ﴾ [الرَّحْمَنُ: الآية ٧٠]، وفي قول الشاعر: [المنسرح]

وَأُمُّهَا خَيْرَةُ النِّسَاءِ عَلَى مَا خَانَ مِنْهَا الدُّخَانُ وَالْأَثَمُ^(١)

٣ - أَرَى إِلَيَّ تَجْزِي مَجَازِي هَجْمَةٍ كَثِيرٍ وَإِنْ كَانَتْ قَلِيلًا إِفَالُهَا

٤ - مَثَاكِيلُ مَا تَنْفَكُ أَرْحُلَ جُمَّةٍ تُرَدُّ عَلَيْهِمْ نُوقُهَا وَجَمَالُهَا

قوله: «أرى إليَّ تجزي مجازي هجمة» يقول: أجد إليَّ تقضي عني وتحصل في الثيل منها وتورد الحقوق إياها محاصل هجمة، وهي القطعة من الإبل بين الستين إلى المائة. والجزية من هذا، وهي الخراج الموضوع، لأنها قضاء لما عليه أخذ. وفي القرآن: ﴿وَأَتَقُوا يَوْمًا لَا تَجْرَى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ [البقرة: الآية ٤٨]، أي لا تقضي ولا تغني. وفي الحديث: «كان رجلٌ يداينُ الناسَ، وله كاتبٌ ومُتَجَازٍ». وقوله: «وإن كانت قليلًا إفالها»، يريد وإن كانت ضعيفة النسل، قليلة العدد. والإفال: صغار الإبل واحدا أفيْل، وإثما قلت إفالها لذهاب الثمير والزكاء عنها، ولكونها محبسةً بالأفنية، مقصورةً على الحقوق، مصروفةً إلى أرزاق العفاة. يشهد لذلك قوله: «مساكيل»، وهي جمع ميثكال: التي تتكل أولادها كثيرًا؛ لأنَّ رُبَّهَا يَفْصِلُ دَائِمًا بَيْنَهَا وَبَيْنَ أَوْلَادِهَا بِالنَّحْرِ تَارَةً وَبِالْهَبَةِ أُخْرَى. وقوله: «ما تنفك أرحل جمة»، أي لا تزال أرحل جماعة من الناس، وهو جمع الرُّحْل، أي مَنَوَاهُمْ وَمَقِيلُهُمْ. ويقال: عادَ إِلَى رَحْلِهِ أَي مَنَزَلِهِ. وفي الحديث: «إِذَا ابْتَلَّتِ النَّعَالُ فَالْصَّلَاةُ فِي الرَّحَالِ». أي لا يزال مأوى جماعة تُصَرَّفُ إِلَيْهِمْ إِذَا وَرَدُوا ذِكْرُهَا وَإِنَائُهَا. أَمَا إِنَائُهَا فَلِلْحَلْبِ، وَأَمَا ذِكْرُهَا فَلِلنَّحْرِ.

(١) بلا نسبة في مقاييس اللغة ٣٢٢:٢ (دحق).

وأصل الجُمّة الجماعة تَرُدُّ في سُؤالٍ تحمِلُ الدِّيات عنهم إذا ثَقُلَتْ، أو السَّعي في صُلحٍ أو الدَّم بين عشائري. قال: [الرجز]

وَجُمّةٌ تَسألُنِي أعطيتُ^(١)

وجعلته اسم الجماعة من الناس وإن وردوا لغير ذلك القصد.

٧٥٦ - وقال جابر بن حُباب^(٢): [الطويل]

١ - وإن يفتنم مالي بني ونسوتي فلن يفتنموا خلقي الجميل ولا فغلي
٢ - أهين لهم مالي وأعلم أنني سأورثه الأحياء، سيرة من قبلي
٣ - وما وجد الأضياف فيما ينوبهم لهم عند علّات الزمان أبا مثلي

يقول: إن اقتسم مالي أولادي وأزواجي وبناتي، وفازوا بما أخلفه فيهم فلن يفتنموا ما تفرّدت به من خلق كريم أعده لزواري، وفعل شريف أقيم لعفاتي، وأدبهم لمن يعتلق حلي، أو يتصل سببه ونسبه بسبي ونسبي.

وقوله: «أهين لهم مالي»، يريد أنني أبذله وأبتذله، لعلمي بأن ما أنقيه للأحياء سيرة من تقدمني فليس بمال لي، وأن الذي يختص بملكي هو ما أتولّى تفرقه وإنفاقه في الوجوه المحموده عندي. وانتصب «سيرة» على المصدر ممّا دلّ عليه قوله: «سأورثه الأحياء»، كأنه قال: أسير فيما أتركه من مالي سيرة أسلافي والناس قبلي. يقال: سار سيرة حسنة؛ يشار بها إلى الحال في السيرة المعتادة. ثم أجري مجرى الشيم والعادات. وقال القطامي: [الوافر]

وسارت سيرة ترضيك منها يكاد وسيجها يشفي الصّدا^(٣)

وقوله: «وما وجد الأضياف فيما ينوبهم»، يريد بيان مكانه من مآرب أضيافه، وأنهم لا يعتاضون فيما ينوبهم عند الزمان وتغيّره وإمكان العلّات في البخل وأهله أبا مثله إذا فقدوه. وجعل نفسه أبا على عادتهم في تسمية المضيف أبا المثوى. على

(١) لأبي محمد الفقعسي في اللسان (جسم)، وتاج العروس (جسم)، وبلا نسبة في جمهرة اللغة ٩٢، وكتاب العين ٣٦٤: ٨، وبعده

«وسائل عن خبر لويث فقلت: لا أدري، وقد دريت»

(٢) التبريزي: «جابر بن حيان».

(٣) للقطامي في ديوانه ٤١، وتاج العروس (صدع).

ذلك قال أبو العيال الهذلي: [الوافر]

أبو الأضياف والأيتا م ساعة لا يُعَدُّ أب^(١)
ويجوز أن يكون المراد بَعَلَات الزَّمان تَحَوُّله وتبدُّله.

٧٥٧ - وقال حاتم^(٢): [الطويل]

١ - وعاذلة قامت عليّ تلومني كأنني إذا أعطيت مالي أضيئها^(٣)

٢ - أعاذل إن الجود ليس بمهلكي ولا يخلد النفس الشحيحة لومها^(٤)

قوله: «وعاذلة» انجز بإضمار رب، وجوابه يجوز أن يكون قامت عليّ وتلومني في موضع الحال، ويجوز أن يكون الجواب محذوفاً، كأنه قال: قلت لها: أعاذل إن الجود ليس بمهلكي، لأن «قامت عليّ» من صفة العاذلة. وقوله: «كأنني إذا أعطيت مالي أضيئها» اعتراض وقع بين رب وجوابه. والمجرور برُب أكثر ما يجيء موصوفاً. ويجوز أن يكون قوله: «كأنني إذا أعطيت مالي أضيئها» الجواب.

ثم أقبل عليها يخاطبها، وهذا تشبيه يجري مجرى تصوير الحال في إخراج الخافي إلى البيان، فيقول: رب لائمة قامت عليّ تعتب وتوبخ، كأنني أبخس حظاً لها إذا بذلت مالي، أو أغصبها حقاً من حقوقها، لتأهي ظلامتها - قلت لها: إن ما أعتده من البذل والسخاء لا يقرب منيتي عن أمدها، ولؤم النفس البخيلة، لا يديم بقاءها في دنياها، فإذا كان الجود يُفني والبخل لا يُقيي ولا يُقني وكان في السخاء إقامة المروءة واكتساب الأكرامة، وأذخار الشكر واقتناء الأجر، فالعقل يوجب الأخذ به، والحزم يقتضي الزهد في غيره.

٣ - وتذكر أخلاق الفتى وعظامه مُغَيَّبَةً في اللحدِ بالِ رَمِيمِها

٤ - ومن يبتدغ ما ليس من خيم نفسه يدعه ويغلبه على النفس خيمها

يقول: إن أخلاق الفتى مذكورة بعد موته، ومرتدة في المجالس مع اسمه، فإن حسنت عند الفحص حمدت، وإن قبحت في السمع دُمت. هذا وعظامه بالية قد صارت رمة في لحده، ومغيبة عن المشاهدة ضمن قبره. ومن تكلف ما ليس من

(٢) سبقت ترجمته في الحماسية (٤٢٧).

(١) ديوان الهذليين ٢: ٢٤٤.

(٣) التبريزي: «ويروى: وعاذلة هبت بليل أي قامت من نومها».

(٤) للتبريزي: «ولا فحله النفس الشحيحة».

خُلِقِهِ، أو استَبَدَعَ خِيَمًا ليس من شأنه، فَارَقَهُ المُسْتَحَدَّث، وعَاوَدَهُ المُسْتَقْدَم. ومثله: [الطويل]

ومن يَبْتَدِعُ خُلُقًا سِوَى خُلُقِي نَفْسِيهِ يَدْعُهُ فترجِعُهُ إِلَيْهِ الزَّوْاجُ^(١)
ويقال: فلانٌ كريم الخِيم، أي الطَّيِّعَة، وقال أبو عبيدة: هو فارسيَّةٌ معرَّبة.

٧٥٨ - وقال آخر^(٢): [الطويل]

١ - أَكْفُ يَدِي عَن أَنْ يَنَالَ التَّمَاشُهَا أَكْفُ صِحَابِي حِينَ حَاجَتُنَا مَعًا^(٣)

٢ - أَيْتُ هَضِيمَ الكَشْحِ مُضْطَمِّرَ الحَشَا مِنْ الْجُوعِ أَخْشَى الدَّمَّ أَنْ أَتَضَّلَعَا

يقول: إذا اجتمعت مع أصحابي على طعام لم تُزاحم كَفِّي أَكْفَهُمْ، بل آثَرْتُهُمْ بما يروُّق من الزَّادِ فَقَبِلْتَهُ العَيْن، واصطفاه الْقَصْدُ، وانقبضْتُ لِيَسْتَأْثِرُوا به دوني إذا كانت حَاجَتُنَا مُتَوَافِقَةً، وأيدي الآكِلِينَ مُتَوَارِدَةً؛ وَأَبْقَى لِيَلْتِي صَغِيرَ البَطْنِ، ضَامَرَ الْجَنْبِ، وَالزَّادُ مَمْكِنٌ، وَالْمُسْتَهْيُ مُسَاعِدٌ، فلا أَتَضَّلَعُ شَيْعًا خَشِيَّةً مِنْ دَمٍ يَلْحَقُ، أو عَارٍ يَلْزَمُ. وقوله: «أَنْ أَتَضَّلَعَا»، أي مخافةً أَنْ أَتَضَّلَعَ. ويقولون: «هو الحِضْنُ أَنْ يُرَامَ» ويراد: هو الذي يَحْضُنُ مَنْ أَنْ يُرَامَ. قال لبيد: [الكامل]

وَهُمُ الْعَشِيرَةُ أَنْ يُبْطِئَ حَاسِدٌ^(٤)

أي تعاشرُوا وتعاوَنُوا مخافةً أَنْ يَبْطِئَهُمْ حَاسِدٌ.

وحذَفَ حَرْفَ الْجَرِّ يَكْثُرُ مع أَنْ.

وقوله: «حِينَ حَاجَتُنَا مَعًا» حَاجَتُنَا مُبْتَدَأٌ، وَمَعًا سَدُّ مَسَدٍ الْخَبَرِ، وَإِنْ كَانَ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ، لِأَنَّ الْمَصَادِرَ إِذَا ابْتَدِئَ بِهَا وَقَعَتِ الْأَحْوَالُ أَخْبَارًا لَهَا، كَقَوْلِكَ: ضَرْبِي زَيْدًا قَائِمًا. وكذلك المضافُ إِلَى الْمَصْدَرِ تَقُولُ: أَكْثَرُ ضَرْبِي زَيْدًا قَائِمًا. وانتصب «حِينَ» عَلَى الظَّرْفِ وَقَدْ أَضِيفَ إِلَى الْجُمْلَةِ بَعْدَهُ، وَالْعَامِلُ فِيهِ أَكْفُ يَدِي.

(١) البيت للمخضع القيسي كما في حواشي الحماسية (٧٤٦)، وفي حماسة البحري ٣٥٨ نسب للمخضع النبهاني.

(٢) التبريزي: «وقال:» أي حاتم. وهي في ديوانه ٦٨ (صادر).

(٣) في الديوان:

«أَقْصَرُ كَفِّي أَنْ تَنَالَ أَكْفَهُمْ إِذَا نَحْنُ أَهْوِنَا، وَحَاجَاتُنَا مَعًا»

(٤) البيت الأخير من معلقته وعجزه:

«أَوْ أَنْ يَمِيلَ مَعَ الْعَدُوِّ لِنَامِهَا»

- ٣ - وَإِنِّي لَأَسْتَحْيِي رَفِيقِي أَنْ يَرَى مَكَانَ يَدَيَّ مِنْ جَانِبِ الزَّادِ أَقْرَعًا
٤ - وَإِنَّكَ مَهْمَا تُعْطِ بَطْنَكَ سُؤْلَهُ وَفَرَجَكَ نَالًا مُنْتَهَى الدَّمِّ أَجْمَعًا

وصَفَ حُسْنَ أدبِهِ فِي مُوَاطَاةِ رَفِيقِهِ وَلَفَّهُ، وَأَنَّهُ لَا يَسْتَأْثِرُ بِمَا يُعْجِبُ مِنَ الزَّادِ، وَلَا تَظْهَرُ مِنْهُ نَهْمَةٌ وَجَرَضٌ، بَلْ يَسْتَحْيِي مِنْ أَنْ يَرَى مَا يَلِي يَدَهُ مِنَ الزَّادِ خَالِي الْمَكَانِ. وَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَقُولَ إِنَّ انْقِبَاضَهُ يُوْدِّي إِلَى انْقِبَاضِ أَكِيلِهِ، وَذَلِكَ مَذْمُومٌ، وَإِنَّمَا الْمَحْمُودُ أَنْ يَنْبَسِطَ فِي الْأَكْلِ وَيَبْسُطَ مِنْ أَكِيلِهِ وَذَلِكَ أَنَّهُ قَدْ بَيَّنَّ الْغَرَضُ فِي الْبَيْتِ الَّذِي بَعْدَهُ، لِأَنَّهُ قَالَ:

وَإِنَّكَ مَهْمَا تُعْطِ بَطْنَكَ سُؤْلَهُ وَفَرَجَكَ نَالًا مُنْتَهَى الدَّمِّ...

فَبَيَّنَ أَنَّ إِيقَاءَهُ جَانِبَهُ مِنَ الزَّادِ مَشْغُولًا لَيْسَ مَعَ حَاجَةٍ إِلَيْهِ، وَلَا عَنْ إِمْسَاكِ يُوْدِّي إِلَى مَا ذَكَرْتُهُ، فَيَصِيرُ ذَلِكَ سَبَبًا فِي انْقِبَاضِ مَنْ يُوَاطَاةُ، وَإِنَّمَا يُرِيدُ مَا يَجْرِي بِهِ عَادَةُ النَّاسِ مِنْ إِظْهَارِ الشَّرِّهِ وَالذُّهَابِ فِيهِ إِلَى حَدِّ السَّرَفِ، حَتَّى يَمْدَّ يَدَهُ إِلَى مَا يَلِي غَيْرَهُ، وَيَتَخَطَّى أَيْدِي النَّاسِ، وَهَذَا ظَاهِرٌ. وَمَوْضِعُ «أَجْمَعُ» مِنَ الْإِعْرَابِ جَرٌّ عَلَى أَنْ يَكُونَ تَأْكِيدًا لِلدَّمِّ، وَهُوَ إِلَى التَّأْكِيدِ أَحْوَجُ مِنْ قَوْلِهِ: «مُنْتَهَى»، لِأَنَّهُ مُتَنَاوِلٌ لِلْجِنْسِ وَالْعُمُومِ، وَمَا يَفِيدُهُ فِي الْجِنْسِ أَوْلَى. وَقَوْلُهُ: «نَالًا مُنْتَهَى الدَّمِّ»، كَانَ الْأَجُودُ أَنْ يَأْتِيَ الْمَضَارِعُ فِي جَوَابِ الشَّرْطِ، وَقَدْ حَصَلَ مَضَارِعًا وَظَهَرَتْ الْجَزْمِيَّةُ فِيهِ، لَكِنَّهُ أَتَى بِهِ مَاضِيًا لِلضَّرُورَةِ.

وقد ألمَّ بهذه الطريقة المرقش فقال في الغزل: [الطويل]

وَإِنِّي لَأَسْتَحْيِي فُطَيْمَةً جَائِعًا خَمِيضًا وَأَسْتَحْيِي فُطَيْمَةً طَاعِمًا
وَإِنِّي لَأَسْتَحْيِيكَ وَالْحَرْقُ بَيْنَنَا مَخَافَةٌ أَنْ تَلْقَى أَخَا لِي لَانِمَا

أَلَا تَرَى أَنَّهُ أَجْمَلُ مَا فَضَّلَهُ هَذَا الشَّاعِرُ فِي قَوْلِهِ: أَسْتَحْيِي طَاعِمًا، وَجَائِعًا. هَذَا مَعَ الْبُعْدِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ صَاحِبَتِهِ. وَيَجُوزُ أَنْ يُرِيدَ بِقَوْلِهِ: «مَكَانَ يَدَيَّ مِنْ جَانِبِ الزَّادِ أَقْرَعًا»، أَنَّهُ يَكْثُرُ الزَّادُ حَتَّى يَسَعَهُ وَجَمَاعَتُهُمْ وَيَفْضُلُ أَيْضًا، وَالْأَوَّلُ أَحْسَنُ. وَأَصْلُ الْقَرَعِ ذَهَابُ شَعْرِ الرَّأْسِ مِنْ دَاءٍ. وَحُكِّي أَنَّهُ قَلَّ نِعَامَةٌ تُسَيَّنُ إِلَّا قَرَعَتْ؛ لِذَلِكَ قِيلَ: نِعَامٌ قُرْعٌ. وَالسُّوْلُ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنْ سَيْلَتِ أَسَالٍ، لُغَةٌ هَذِيلٌ فِي سَالٍ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ لَيْنٌ عَمَزَتُهُ وَأَصْلُهُ الهمزة. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنْ سَوَّلَتْ لَهُ نَفْسُهُ كَذَا، إِذَا زَيَّنَتْ لَهُ. وَسَوَّلَ لَهُ الشَّيْطَانُ كَذَا، إِذَا أَرْخَى حَبْلَهُ فِيهِ وَفِي الْقُرْآنِ: ﴿الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ﴾ [مَحَمَّدٌ: الْآيَةُ ٢٥].

وقال الهذلي: [السريع]

سَحَّ نَجَاءِ الْحَمَلِ الْأَسْوَلِ^(١)

فوصف السحاب بالسؤل لتدليه واسترخائه، لكثرة مائه.

٧٥٩ - وقال آخر^(٢): [الطويل]

- ١ - أما والذي لا يعلم السرَّ غيره ويحيي العظام البيض وهي رميم
 - ٢ - لقد كنت أختار القرى طاوي الحشا محافضة من أن يقال لييم
 - ٣ - وإنني لأستحيي يميني وبينها وبين فمي داجي الظلام بهيم
- أقسم بالله تعالى المطلع على الضمائر، العالم بخفيات الأمور، والمحيي للأموات بعد أن رمت عظامها وبلّيت يوم الثشور، بأنه يختار إ طعام الضيف وإثاره بالزاد وهو محتاج إليه قد اضطمر حشاه من الجوع، لئلا ينسب إلى اللؤم، وليحافظ على الشرف القديم. ويروى: «لقد كنت أختار الخوى». والخوى: خلاء الجوف من الطعام، وخلاء الدار من السكان. فأما من روى: «أختار القرى» فمعناه ظاهر، يريد أختار إقامة القرى، فحذف المضاف. وبعضهم رواه: «لقد كنت أختار القوى» وزعم أنه مقصور من القواء؛ وليس بشيء.

وقوله: «وإنني لأستحيي يميني وبينها وبين فمي داجي الظلام»، فقد زاد فيه على ما تقدّم في المقطوعة قبله، لأنه ذكر أنه يستحيي من نفسه ويده وهو لا ثاني له، في الليلة الظلماء، وإنما يريد تعوذه ما يستحسن في الأكل، ويختار في الإطعام، فإذا تفرّد جرى على عادته إذا تجمّع. وانتصب «محافظة» على أنه مفعول له. و«طاوي الحشا»، انتصب على الحال، ويجوز أن يريد إن لم يرني الضيف فيما أتته عند الأكل للظلام الشامل، ولم يبين له ما أترك، فإني أستحيي من يدي فلا أحتجّن ولا أستأثر. والأوّل أحسن. والبييم: المظلم، وأصله الذي لا شبة فيه ولا وضح، أي لون كان، وأراد به هنا تأكيد السواد، لأنّ قوله: «داجي الظلام» أفاد الإظلام.

(١) للمتنخل الهذلي في شرح أشعار الهذليين ١٢٥٨، واللسان (حمل، سحل، سول، جنن)، وللهمذلي في جمهرة اللغة ٥٦٦، ومقاييس اللغة ١٠٨:٢، وصدرة:

«كالسحل البيض جلا لونها»

(٢) التبريزي: «وقال أيضا» أي حاتم، والأيات في ديوانه ٨٦.

٧٦٠ - وقال رجل من آل حَرْب^(١) :

- ١ - بَاتَتْ تَلُومٌ وَتَلَحَّانِي عَلَى خُلُقِي عُوذُتُهُ عَادَةٌ وَالْجُودُ تَعْوِيدُ
 ٢ - قَالَتْ أَرَاكَ بِمَا أَنْفَقْتَ ذَا سَرَفٍ فِيمَا فَعَلْتَ فَهَلَّا فِيكَ تَضَرِيدُ
 ٣ - قُلْتُ اتْرَكْنِي أَبِغْ مَالِي بِمَكْرُمَةٍ يَبْقَى ثَنَائِي بِهَا مَا أَوْرَقَ الْعُودُ
 ٤ - إِنَّا إِذَا مَا أَتَيْنَا أَمْرَ مَكْرُمَةٍ قَالَتْ لَنَا أَنْفُسُ حَرْبِيَّةٌ عُوْدُوا

يقول: بَقِيَتْ هذه المرأة لِيلَتَهَا تَعْتَبُ عَلَيَّ وَتَذُمُّنِي فِي عَادَةِ نَشَأَتِ عَلَيْهَا، وَخَلِيقَةِ تَخَلَّفَتْ بِهَا، وَالْجُودُ عَادَةٌ وَالْف. وقوله: «وَالْجُودُ تَعْوِيدُ» اعتراض دَخَلَ فِي أَثْنَاءِ الْحِكَايَةِ عَنْهَا، فَقَالَتْ لِي: أَرَاكَ تُسْرِفُ فِي الْإِنْفَاقِ، وَتَجْرِي إِلَى مَا لَا يَقُومُ لَهُ مَالُكَ فِي التَّقْدِيرِ، وَلَا يَبْقَى بِهِ وَجْدُكَ عِنْدَ التَّحْصِيلِ، فَهَلَّا فَطَمَنْتَ نَفْسَكَ عَنْهَا، وَجَرَيْتَ عَلَى سَنَنِ يُسَاعِدُكَ عَلَيْهِ حَالُكَ، وَلَا تَعْجُزُ عَنْهُ مَقْدَرَتُكَ. وَالْأَصْلُ فِي التَّضَرِيدِ تَقْلِيلُ الشُّرْبِ. يُقَالُ: سَقَاهُ سَقِيَّةً مُصَرَّدَةً.

وقوله: «قُلْتُ اتْرَكْنِي»، أَيِ أَجَبْتُهَا بِأَنْ خَلِّينِي وَابْتِيَاعَ الْمَكَارِمِ بِمَالِي، لِيَبْقَى ثَنَاءُ النَّاسِ عَلَى أَبَدًا بِهَا، وَمُدَّةُ إِيْرَاقِ الشَّجَرِ. فَمَا أَوْرَقَ الْعُودُ، فِي مَوْضِعِ الظَّرْفِ. وقوله: «ثَنَائِي بِهَا» أَضَافَ الْمَصْدَرَ إِلَى الْمَفْعُولِ، وَالْمَرَادُ ثَنَاءُ النَّاسِ عَلَيَّ. وَقَالَ: «أَبِغْ مَالِي»، وَالْمَالُ ثَمَنُ الْمَبِيعَاتِ، لِأَنَّ الْمُتَبَايِعِينَ كُلَّ مِنْهُمَا يَبِيعُ وَيَشْتَرِي.

وقوله: «إِنَّا إِذَا مَا أَتَيْنَا أَمْرَ مَكْرُمَةٍ»، يَقُولُ: مِنْ شَأْنِنَا أَنْ لَا نَرْضَى فِي ابْتِنَاءِ الْمَكَارِمِ، وَإِسْدَاءِ الْمَعْرُوفِ وَالصَّنَائِعِ بِالْإِيحَادِ فِيهَا، وَالْإِكْتِفَاءِ بِالْوَثْرِ عِنْدَ فِعْلِهَا، وَلَكِنَّا نَشْفَعُ وَنَعَاوِدُ، وَنُتَبِّعُ الْأَكْرُومَةَ بِأَخْتِهَا فَنُطَاقُ.

وقوله: «عُوذُتُهُ عَادَةٌ» انْتَصَبَ «عَادَةٌ» عَلَى الْمَصْدَرِ، لِأَنَّهَا وُضِعَتْ مَوْضِعَ التَّعْوِيدِ، كَمَا يَوْضَعُ الطَّاعَةُ مَوْضِعَ الْإِطَاعَةِ، يَدُلُّ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ هُوَ الْمَرَادُ قَوْلُهُ: «وَالْجُودُ تَعْوِيدُ». وَيُقَالُ: تَعَوَّدْتُ كَذَا وَاعْتَدْتُهُ وَاسْتَعَدْتُهُ وَأَعَدْتُهُ بِمَعْنَى، وَفَعَلْتُ مُعِيدًا وَمَعَاوِدًا، أَيِ مَعْتَادٍ لِلضَّرَبِ، وَإِنَّمَا قَالَ: «أَنْفُسُ حَرْبِيَّةٌ» تَبْجُحًا بِأَسْلَافِهِ، وَإِظْهَارًا بِأَنَّ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ لَا يَأْتِي عِزُّهُ وَنَجْوَاهُ إِلَّا الْكَرَمُ.

(١) التبريزي: «ذكر المدائني أن السقاح أمر بقتل رجل من بني أمية فتبعته امرأته وابنه الصغير، فجعل يفرق أمواله وامرأته تقول: ولدك ولدك، فقال هذه الأبيات».

٧٦١ - وقال أبو كدراء العجلي^(١): [البسيط]

- ١ - يا أم كدراء مهلاً لا تلوميني إنني كريمة وإن اللوم يؤذيني
٢ - فإن بخلت فإن البخل مشترك وإن أجد أعط عفواً غير ممنون

يخاطب امرأته وقد تضجّر بملامتها ولذعة إنكارها وعتابها، فيقول: رفقا فيما تسلكينه، وكفا عما أولعت به، فأني نشأت على الكرم فلؤمك يؤذيني ولا يغني عنك شيئا؛ لأنني لا أقبله بالقبول، وقد يؤذي الإفراط في القول إلى الزيادة في اللوع، ولأنني إن بخلت فالمبخل به مشترك بيني وبين ورثتي، وإن أجد أعط مالي عفواً، أي تسمع نفسي به فلا أكون مجهوداً، ولا أمتن على من يأخذه، لأنني أقضي بالبذل لذّة ومأزبة، وأمضي هوى لي في مصارفي ومثنية، مستخلصاً من شركة غيري، ومقتسماً في وجوه إرادتي وبذلي.

وقوله: «فإن البخل مشترك» إن شئت جعلته على حذف المضاف، ويكون المراد: فإن ذا البخل. وإن شئت جعلته المفعول، كما يقال: الخلق والمراد المخلوق، ودرهم ضرب والمراد مضروب.

والممنون يجوز أن يكون من المَن، وهو القطع، أي أديم ذلك إدامة من يتصرف في ملكه لا من يتصرف في مشتركه. ويجوز أن يكون من المَن والأذى. وقال بعضهم: أراد بقوله إن البخل مشترك، أن الناس أكثرهم بخال، فيكون لي شركاء. وهذا كلام معتذر من البخل لا كلام دأماً له. ومع ذلك فعجز البيت يتعد عنه ولا يلائمه، وقد أبان عما ذكرته فيما يليه، لأنه قال:

- ٣ - ليست بباكية إيلي إذا فقت صوتي ولا وارثي في الحي بينكيني
٤ - بنى البناء لنا مجداً ومكرمة لا كالبناء من الأجر والطين

يقول: إني لا أبقي على إيلي ولا أبقي منها ما يفضل عن إفضالي، فإذا مث عنها وفقت صوتي في زجرها والأمر بتفريقها، فإنها لا تبكيني؛ وكذا وارثي لا يحصل شيئاً من إرثي فلا تراه يندبني. ثم قال: إن أسلافي بنوا لي مجداً وكرماً، فأحتاج أن أقتدي بهم وأعمر خططهم، وإن لم يكن كالبناء المبنى من الطين والأجر، لأن المكارم تسترمت فتدعو إلى تفقدها، بخلاف ما تفقد به المصانع إذا استرمت.

(١) أبو كدراء: هو زيد بن ظالم، أحد بني مالك بن ربيعة بن لجم (المؤتلف للآمدني ١٧١).

٧٦٢ - وقال عُبْتَةُ بن بُجَيْر^(١): [الطويل]

١ - لِحَافِي لِحَافِ الضَّيْفِ وَالْبَيْتِ بَيْتُهُ وَلَمْ يُلْهِنِي عَنْهُ غَزَالٌ مَقْنَعُ

٢ - أَحَدُهُ إِنْ الْحَدِيثَ مِنَ الْقَرَى وَتَعْلَمُ نَفْسِي أَنَّهُ سَوْفَ يَهْجَعُ^(٢)

يقول: إذا نَزَلَ الضَّيْفُ بِي فَإِنِّي أُوَثِّرُهُ بِأَشْرَفِ مَكَانٍ مِنْ بَيْتِي، وَأَعِزُّ فِرَاشِي لِي، وَلَمْ يَشْغَلْنِي عَنْهُ لَا الْأَهْلُ وَلَا الْوَلَدُ، فَأَخَذْتُهُ وَأَوْتُسُهُ، وَأَبْسُطُ مِنْهُ وَأَخْرِفُهُ، وَكُلُّ ذَلِكَ مِنْ شَرْطِ الْقَرَى وَإِنْ لَمْ يَكُنْ طَعَامًا؛ وَمَعَ ذَلِكَ تَعْلَمُ نَفْسِي وَقْتُ هُجُوعِهِ فَلَا أُمِلُّهُ وَلَا أَتَعِيبُهُ، وَلَا أَشْغَلُهُ عَنْ رَاحَتِهِ وَلَا أَضْجِرُهُ.

فإن قيل: كيف تَحْمَدُ بقوله: «أَحَدُهُ إِنْ الْحَدِيثَ مِنَ الْقَرَى»، وقد قال غيره في إنزال الضيف: «ولم أفعُدْ إليه أسائله»؟ قلت: ليس قوله أَحَدُهُ مِمَّا انْتَفَى مِنْهُ ذَاكَ فِي قَوْلِهِ: وَلَمْ أَعُدْ إِلَيْهِ أَسَائِلُهُ؛ لِأَن ذَاكَ أَشَارَ إِلَى ابْتِدَاءِ النِّزُولِ، وَذَلِكَ وَقْتُ الْإِشْتَغَالِ بِالْإِحْتِفَالِ لَهُ أَوَّلَى. وَهَذَا يُرِيدُ أَنَّهُ يَحْدُثُهُ بَعْدَ الْإِطْعَامِ، كَأَنَّهُ يَسَامِرُهُ حَتَّى تَطْيِبَ نَفْسُهُ، فإِذَا رَأَاهُ يَجِئُ إِلَى الثَّوْمِ يَخْلِيهِ.

قال الأصمعي: مِنْ سِتَّةِ الْعَرَبِ أَنَّ الْغَرِيبَ مِنْهُمْ إِذَا نَزَلَ فَصَادَفَ هَشَاشَةً وَفَكَاهَةً أَيْقَنَ بِالْتَّكْرُمِ وَحُسْنِ التَّفَقُّدِ، وَإِنْ رَأَى إِعْرَاضًا وَالتَّوَاءَ عَرَفَ ابْتِدَآلًا وَجِزْمَانًا. فَلِذَلِكَ قَالَ: «إِنَّ الْحَدِيثَ مِنَ الْقَرَى».

٧٦٣ - وقال عَمْرُو بن أَحْمَرَ الْبَاهِلِيِّ^(٣): [الطويل]

١ - وَدُفِمْ تُصَادِيهَا الْوَلَايِدُ جِلَّةً إِذَا جَهَلْتُ أَجَوَائِهَا لَمْ تَحْلَمْ

٢ - تَرَى كُلَّ هِرْجَابٍ لَجُوجٍ لِهَمَّةٍ زُقُوفٍ بِشِلْوِ الثَّابِ هَوْجَاءَ عَيْنَلَمْ

أَرَادَ بِالْهُمِّ قُدُورًا سَوْدَا. وَمَعْنَى «تُصَادِيهَا» تَدَارِيهَا وَتُمَارِسُهَا فِي التُّضْبِ وَالْإِنْزَالِ وَإِعْدَادِ الْآلَاتِ لَهَا. وَالْوَلَايِدُ: الْجَوَارِي. وَالْجِلَّةُ: الْكِبَارُ الْعِظَامُ. وَقَوْلُهُ: «إِذَا جَهَلْتُ أَجَوَائِهَا»، يُرِيدُ إِذَا غَلَّتْ وَأَرْزَمَتْ. فَعَدَّ ذَلِكَ جَهْلًا مِنْهَا. وَقَالَ:

(١) التبريزي: «وقيل: إنه لمسكين الدارمي».

(٢) هذا البيت لعروة بن الورد في ديوانه (١٠١)، واللسان (بصص).

(٣) عمرو بن أحمر بن العَمَرْدُ الباهلي، أبو الخطاب: شاعر مخضرم، كان من شعراء الجاهلية وأسلم، غزا مغازي في الروم، وأصيبت إحدى عينيه. عدّه ابن سلام في الطبقة الثالثة من الإسلاميين (ت نحو ٦٥ هـ / نحو ٦٨٥ م). ترجمته في: الإصابة ٦٤٦٨، والمرزباني ٢١٤، والأغاني ٢٣٤: ٨.

«أجوافها» جَمْعًا على ما حَوَّلَهُ. وقوله: «لَمْ تَحْلَمْ» أراد لَمْ تَسْكُنْ بِالْهُوَيْنَى لِعَظَمِهَا.

وقوله: «تَرَى كُلَّ هِرْجَابٍ»، فالهِرْجَاب: الضَّخْمُ الثَقِيلُ. وَالْجَوَجُ هي التي إذا اسْتَعْرَتِ النَّارُ تَحْتَهَا لَجَّتْ. وَاللَّهْمَةُ: الكبيرة التي تلتهم الأوصالَ الموقرة، والأعضاء الموزية. وقوله: «زَفُوفٌ بِشِلْوِ الثَّابِ» أي لَسَعَتْهَا تَرْمِي جَوَانِبُهَا بِأَشْلَاءِ الثَّابِ وَتَزِفُ بِهَا. وَالزَّفِيفُ: ضَرَبٌ مِنَ السَّيْرِ. وَالْهَوْجَاءُ: التي كَأَنَّ بِهَا هَوَجًا وَجُنُونًا. وَالْعَيْلَمُ: الواسعة الكثيرة الأخذ من المَرْقِ، كالْعَيْلَمِ مِنَ الْآبَارِ.

٣ - لَهَا لَغَطٌ جَنَحَ الظَّلَامِ كَأَنَّهَا عَجَارِفُ غَيْثٍ رَائِحِ مُنْتَهَزِمٍ^(١)
٤ - إِذَا رَكَدَتْ حَوْلَ الْبُيُوتِ كَأَنَّمَا تَرَى الْآلَ يَجْرِي عَنْ قَنَابِلِ ضَيْمٍ

اللَّغَطُ: الصُّوتُ، يعني هِرْجَانًا فِي الْغَلِيَانِ. وَانْتَصَبَ «جَنَحَ الظَّلَامِ» عَلَى الظَّرْفِ، يَرِيدُ أَنَّهَا تَغْلِي إِذَا جَنَحَ الظَّلَامُ بِالْعَشِيِّ، وَذَاكَ وَقْتُ الضِّيَافَةِ، وَكَأَنَّ لَغَطَهُ صَوْتُ رَعْدٍ مِنْ غَيْثٍ ذِي تَعْجُزٍ. وَالْعَجَارِفُ: شِدَّةُ وَقْعِ الْمَطَرِ وَتَتَابَعُهُ، يَرِيدُ أَنَّهُ هَبَّتِ الرِّيحُ فِيهِ وَصَارَ لَهُ هَزْمَةٌ أَيْ صَوْتُ. شَبَّهَ صَوْتَ الْقَدْرِ فِي غَلْيَانِهَا بِصَوْتِ الرَّعْدِ مِنْ سَحَابٍ هَكَذَا.

وقوله: «إِذَا رَكَدَتْ حَوْلَ الْبُيُوتِ» رَجَعَ إِلَى صِفَةِ الْقُدُورِ كُلِّهَا، فَيَقُولُ: إِذَا نُصِبَتْ فُتِّتَتْ عَلَى الْإِنْفَاقِ حَوْلَ الْبُيُوتِ وَقَدْ أَشْبَعَتْ وَخُفِلَتْ بِاللُّحُومِ وَالْدُّسُومِ، تَرَاهَا تَبْرُقُ إِهَالَتُهَا، وَتَتَلَأَلَّى تَلَأُلُو الْآلِ، وَقَدْ جَرَى عَلَى مُتُونِ خُيُولٍ وَاقِفَةٍ، فَسَاعَدَهُ بَرِيقُ السَّلَاحِ. وَالْقَنَابِلُ: الْجَمَاعَاتُ مِنَ الْخَيْلِ، وَاحِدُهَا قَنْبَلَةٌ. وَالضَّيْمُ: جَمْعُ صَائِمٍ، وَهُوَ الْقَائِمُ. وَالصُّومُ قِيَامٌ بِلا عَمَلٍ. وَصَامَ الْفَرَسُ عَلَى الْمِغْلَفِ، إِذَا لَمْ يَتَعَلَّفَ.

٧٦٤ - وَقَالَ الْمَرَّازُ الْفَقْعِيُّ^(٢): [الطويل]

١ - أَلَيْتُ لَا أَخْفِي إِذَا اللَّيْلُ جَنَّنِي سَنَا النَّارِ عَنْ سَارٍ وَلَا مُتَنَوِّرٍ
٢ - فَيَا مُوقِدِي نَارِي ازْفَعَاها لَعَلَّهَا تُضِيءُ لِسَارٍ آخِرَ اللَّيْلِ مُقْتَرِرٍ
يقول: أَخَذْتُ عَلَى نَفْسِي مُوَلِّيًا وَمُقْسِمًا، أَنِّي لَا أَخْفِي إِذَا اللَّيْلُ سَتَرَنِي بِظِلَامِهِ ضَوْءَ نَارِي عَنْ سَارٍ يَبْغِي مَبِيتًا، وَلَا نَاطِرٍ إِلَى نَارٍ لِيَهْتَدِي بِهَا.

(٢) سبقت ترجمته في الحماسية (٦٦٦).

(١) التبريزي: «كأنه».

ثُمَّ تَرَكَ الإِخْبَارَ عَنْ نَفْسِهِ، وَأَقْبَلَ يَخَاطِبُ مَوْقِدِي نَارِهِ فَقَالَ ارْفَعَاهَا، أَيْ اجْعَلَاهَا فِي يَفَاعٍ وَمَكَانٍ مُشْرِفٍ، فَعَسَى أَنْ تُضَيَّءَ لِسَارٍ مُزْمِلٍ فَقِيرٍ فِي آخِرِ اللَّيْلِ، وَقَدْ كَابَدَ مَا كَابَدَ مِنْ أَوَّلِهِ، فَخَلَّصَ إِلَيْنَا، وَاهْتَدَى بِنَارِنَا. وَالْمَتَنُورُ: النَّاطِرُ إِلَى النَّارِ. وَإِنَّمَا قَالَ: «فِيَا مَوْقِدِي نَارِي» عَلَى عَادَتِهِمْ فِي جَعْلِ مُزَاوِلِي الْأُمُورِ اثْنَيْنِ اثْنَيْنِ. عَلَى ذَلِكَ قَوْلُ الْآخَرِ: [الطويل]

تَسْرَى جَازِرِيهِ يُرْعَدَانِ^(١)

وكما قالوا فِي الْحَلَبِ الْبَائِنِ وَالْمُسْتَعْلِي، وَفِي الْاسْتِقَاءِ الْقَابِلِ وَالْمُسْتَقِي.

و«لعل» يَعدُّ مَعَ أَفْعَالِ الْمَقَارِبَةِ وَإِنْ كَانَ حَرْفًا. وَالْمُقْتَرِ: الْفَقِيرُ. وَيُقَالُ: قَتَرَ وَأَقْتَرَ بِمَعْنَى. وَقَدْ يُجْعَلُ الْمُقْتَرُ نَقِيضَ الْمَكْثَرِ.

- ٣ - وَمَاذَا عَلَيْنَا أَنْ يُوَاجِهَ نَارِنَا كَرِيمُ الْمُحَيَّا شَاحِبُ الْمُتَحَسَّرِ
٤ - إِذَا قَالَ مَنْ أَنْتُمْ لِيُغْرِفَ أَهْلَهَا رَفَعْتُ لَهُ بِاسْمِي وَلَمْ أَتَنَكَّرِ
٥ - فَبَشْنَا بِخَيْرٍ مِنْ كَرَامَةِ ضَيْفِنَا وَبَشْنَا نُهْدِي طُعْمَةً غَيْرَ مَنِيسِرٍ^(٢)

قوله: «وماذا علينا»، أَي أَيُّ ضَرَرٍ يَلْحَقُنَا فِي أَنْ يَتَوَجَّهَ إِلَى نَارِنَا رَجُلٌ كَرِيمٌ الْوَجْهَ، هَزِيلُ الْمَعْرَى، قَدْ ظَهَرَ أَثَرُ الضَّرِّ عَلَى مُتَحَسَّرِهِ، أَي حَيْثُ يَتَحَسَّرُ الثُّوبُ عَنْهُ، كَالْوَجْهِ وَسَائِرِ مَا لَا يَغْطِيهِ. وَقوله: «كريم المحيا» ضِدُّ قَوْلِهِمْ: لَثِيمُ الْمَقْدُ، لِأَنَّ الْمُحَيَّا هُوَ الْوَجْهَ، فَأَضْيَفَ الْكُرْمَ إِلَيْهِ. وَالْمَقْدُ: مَتْنَهُ الشَّعْرُ مِنَ الْقَفَا، فَأَضْيَفَ اللَّؤْمَ إِلَيْهِ، وَقَدْ قِيلَ: حُرُّ الْوَجْهِ، وَعَبْدُ الْمَقْدُ، وَعَبْدُ الْقَفَا.

وقوله: «إذا قال من أنتم»، يَرِيدُ أَنَّهُ يَتَعَرَّفُ لِيَنْظُرَ هَلْ عَلَى النَّارِ مِنْ يَكْرُمٍ قَرَاهُ وَيَطِيبُ الثَّرْوُ عَلَيْهِ. وَقوله: «رفعت له باسمي» جَوَابُ إِذَا، أَي عَرَفْتَهُ اسْمِي إِذَا سَأَلَ، وَلَمْ أَلْبَسْ نَفْسِي خُمُولًا، ثِقَّةً بَأَنَّهُ يَرْضَانِي لِنَزْوَلِهِ، وَلَأَنَّهُمْ كَانُوا يَرْوِزُونَ الْمُسْتَضَافَ بِالْكَلَامِ، لِيَنْظُرُوا مَاذَا يَكُونُ مِنْهُ مِنْ اسْتِهْلَالٍ وَاهْتِزَازٍ، أَوْ ازْوَرَارٍ وَانْقِبَاضٍ.

(١) لَزِينُ بِنْتُ الطَّرِيَّةِ فِي اللِّسَانِ (عَدَمِلْ)، وَتَاجُ الْعُرُوسِ (صَمَلْ)، وَلِلْعَجِيرِ السَّلُولِيِّ فِي اللِّسَانِ (صَمَلْ). وَتَمَامُهُ:

«تَسْرَى جَازِرِيهِ يُرْعَدَانِ وَنَارُهُ عَلَيْهَا عَدَامِيلُ وَالْهَشِيمُ وَصَامَلُهُ»

(٢) التَّبْرِيزِيُّ: «نُهْدِي طُعْمَةً».

وقوله: «فَبِتْنَا بخير من كرامةِ صَيِّفِنَا»، يريد: احتَقَلْنَا لضيْفِنَا فشرِكْنَاهُ فِي الْخَيْرِ المعدَّل له، وَبِقِيَّتِنَا لَيْلَتَنَا نُهْدِي إِلَى الْجِيرَانِ مِنْ قَوَاضِلِ الطَّعَامِ وَالزَّادِ عَنَّا وَعَنْ ضَيْفِنَا، وَذَلِكَ «غَيْرِ مَنَسِيرٍ»، أَي لَمْ يَكُنْ مِمَّا ضُرِبَ عَلَيْهِ بِالْقِدَاحِ وَتَيَاسَرَنَاهُ أَيِ اقْتَسَمْنَاهُ، بَلْ كَانَ مِمَّا نَجْتَسِمُ لِلضَّيْفِ لَا يَشْرَكُنَا أَحَدٌ فِيهِ.

٧٦٥ - وَقَالَ عُرْوَةُ بْنُ الْوَرْدِ^(١): [الطويل]

١ - أَرَى أُمَّ حَسَّانَ الْغَدَاةَ تَلُومُنِي تُخَوِّفُنِي الْأَعْدَاءَ وَالنَّفْسُ أَخَوْفُ^(٢)

٢ - لَعَلَّ الَّذِي خَوَّفَتِنَا مِنْ أَمَانِنَا يُصَادِفُهُ فِي أَهْلِهِ الْمُتَخَلِّفُ

يقول: لَمَّا هَمَمْتُ بِالسَّفَرِ وَجَعَلْتُهُ مَنِي بِيَالٍ اعْتَرَضَتْ هَذِهِ الْمَرْأَةُ عَلَيَّ وَأَقْبَلَتْ تَلُومُنِي وَتَحَذِّرُنِي الْأَعْدَاءَ فِي الْوَجْهِ الَّذِي أَرَدْتُ تَنِمِيمَهُ، وَنَفْسِي أَشَدُّ خَوْفًا لِأَنِّي حَسَّاسَةٌ حَذِرَةٌ، لَكُنِّي تَجَلَّدْتُ لَهَا وَأَجَبْتُهَا بِأَنَّ الَّذِي أُنذَرْتِنَاهُ مِنْ قُدَّامِنَا، وَالسَّنْبِ الَّذِي هُوَ نَيْتُنَا وَطَيْتُنَا، لَعَلَّهُ يَلْقَاهُ الْمُتَخَلِّفُ عَنِ السَّعْيِ فِي طَلَبِ الرِّزْقِ الْمَقِيمُ فِي أَهْلِهِ رَاضِيًا بِأَذَوْنِ الْعَيْشِ؛ لِأَنَّ الْحَذَرَ لَا يُغْنِي عَنِ الْقَدَرِ، وَقَدْ يُؤْتَى الْإِنْسَانُ مِنْ نَاحِيَةِ أَمْنِهِ، وَيَصَادَفُ فِيهِ مَا لَا يَصَادَفُهُ الْخَائِفُ مِنْ نَاحِيَةِ خَوْفِهِ. وَقوله: «خَوَّفَتِنَا» حَذَفَ الضَّمِيرَ الْعَائِدَ إِلَى الَّذِي مِنْهُ، اسْتَطَالَتْ لِلْأَسْمِ بِصِلَتِهِ. وَقوله: «مِنْ أَمَانِنَا»، يريد من حيث نَأْتِيهِ، وَالْوَجْهِ الَّذِي نَتَوَجَّهُ إِلَيْهِ، وَذَلِكَ قُدَّامَهُ لَا شَكَّ. وَمَوْضِعُ «يَصَادَفُهُ» رَفَعَ عَلَى أَنْ يَكُونَ خَبَرٌ لَعَلَّ، وَ«فِي أَهْلِهِ» تَعَلَّقَ الْجَارُ مِنْهُ بِفَعْلٍ مُضْمَرٍ، وَمَوْضِعُهُ نَصَبٌ عَلَى الْحَالِ، أَيِ يَصَادَفُهُ الْمُتَخَلِّفُ مَقِيمًا فِي أَهْلِهِ وَمُسْتَقَرًّا.

٣ - إِذَا قُلْتُ قَدْ جَاءَ الْغِنَى حَالُ دُونِهِ أَبُو صَبِيئَةٍ يَشْكُو الْمَفَاقِرَ أَهْجَفُ

٤ - لَهُ خَلَّةٌ لَا يَدْخُلُ الْحَقُّ دُونَهَا كَرِيمٌ أَصَابَتْهُ حَوَادِثُ تَجَرُّفُ

يقول: إِذَا اتَّفَقَ لِي فِي مَقْصِدٍ مِنْ مَقَاصِدِي مَا أَقْدَرُ فِيهِ حَصُولَ الْغِنَى وَجَوَازَ الْاعْتِمَادِ عَلَيْهِ فِي مَبَاغِي الدُّنْيَا، وَوَعَدْتُ نَفْسِي لَهُ وَمِنْ أَجْلِهِ بِالْاِكْتِفَاءِ عِنْدَ الْفِكْرِ فِي مَوْنِ الْعِيَالِ، حَالِ بَيْنِي وَبَيْنِهِ اجْتِدَاءُ صَاحِبِ عَيْلَةٍ، وَوَالِدِ صَبِيئَةٍ، ظَاهِرِ الْفَقْرِ، سَيِّءِ الْحَالِ، يَشْكُو زَمَانَهُ وَتَأْثِيرَ الضَّرِّ فِيهِ، وَعَلَيْهِ مِمَّا يَتَأَلَّمُ مِنْهُ شَوَاهِدُ تَمْنَعِ دَخُولِ حَقِّ دُونِ خَلَّتِهِ، وَتَأْبَى أَنْ يَقَالَ فِي شَيْءٍ مِنَ الْمَفَاقِرِ هُوَ أَوْلَى مِنْهُ. فَكَأَنَّهُ يَعْنِي بِالْحَقِّ نَسِيبًا

(١) سبقت ترجمته في الحماسية (١٤٥).

(٢) أُمُّ حَسَّانَ: هِيَ زَوْجَتُهُ وَكَانَتْ تَخَوْفُهُ وَتَنْتَاهُ عَنِ الْغَزْوِ.

أو جازًا أو متحرّمًا بحرمة، لأنّه متى قُوِّلَ حاله بحالٍ مَنْ ذَكَرَهُ لم يوجِبْ تقديمه عليه، ولم يستحقّ العدولُ عنه إليه. هذا من طريق الوجوب له، ثمّ هو في نفسه يرجعُ إلى كرم ومروءة، وَيَسْتَظْهِرُ بِعُنْوَانِ نَعْمَةٍ وَتُرْقَةِ، وقد نابتة نوائِبُ تجرّفُ المال، أي تُتَوِيهِ جملةً لا تُزِيلُهُ شيئًا بعد شيءٍ، كما يُكَالُ الشيءُ، أو يُوزَنُ، فعهدُهُ به قريب، والتوفّرُ عليه متعيّنٌ مفروض. فإذا التزمْتُ له واجبه، وآثرتُه بصرفٍ ما في يدي إليه، عُدتُ محتاجًا كما كنتُ، وساعيًا في الطَلَبِ كما ابتدأت. وقوله: «كريم» من صفة أبو صبيّة، وقد تَابَعَ بينَ صفاتٍ من مُفَرَّدٍ وجملة.

٧٦٦ - وقال يزيد بن الطثرية^(١): [الطويل]

- ١ - إِذَا أَرْسَلُونِي هِنْدَ تَقْدِيرِ حَاجَةٍ أُمَارِسُ فِيهَا كُنْتُ عَيْنَ الْمُمَارِسِ^(٢)
٢ - وَنَفْعِي نَفْعُ الْمُوسِرِينَ وَإِنَّمَا سَوَامِي سَوَامِ الْمَفْتِيرِينَ الْمَقَالِسِ

يقول: إذا أرسلني عشيرتي في مهمٍّ لهم يُقَدِّرُونَ ارتفاعه بي وبسعيي، ويؤملون انتفاعهم به عند اجتهادي، فاعتمدوا مُزَاوَلَتِي، وَوَثِقُوا بِالتُّجَّاحِ لدى ممارستي، كنتُ فيه حقَّ الممارِسِ، لا أضجع فيه ولا أفرط ولا أقصر، بل زدتُ على ظَنِّهم بي، وتجاوزتُ الغايةَ التي يَقِفُونَ فيها من رجائي، فنفعي نفعُ المكثرين وإن كان مالي الراعيةَ مالَ المُفلسين المُفتَرين. وقوله: «المَقَالِسِ»، الإفلاس: لفظةٌ عربيّة وإن كثر التداولُ لها في ألسنة العامة. وكان الأصلُ في أَفْلَسَ الرَّجُلُ أن يصيرَ صاحبَ فُلوسٍ بعد أن كان صاحبَ أموال. وتُفْلِسُ الحاكمُ معروف، وهو من هذا، كأنّه ينسُبُهُ إلى ذلك، فهو كالتعديل والتنسيق. والسَّوَامِ من قولهم: سَامَتِ الماشيةُ تسوم، وهي سائمة. والمِرَاسُ: مُزَاوَلَةُ الشَّيْءِ، ويقال: مَرَسَ الحبلُ، إذا نَشِبَ في البَكْرَةِ عند الاستقاء. ويقال لمن يردّه إلى موضعه أَمَرَسَ فهو مُمَرَس. على ذلك قوله: [الرجز]

بئسَ مَقَامُ الشَّيْخِ أَمَرَسَ أَمَرَسِ^(٣)

ثمّ يقال في الصُّبُورِ على طَلَبِ الشَّيْءِ القوي: هو مَرَسٌ، وشديدُ الممارَسةِ والمِرَاسِ. وقوله: «أمارس فيها» في موضع الجرّ على أن يكون وصفًا لحاجة.

(١) سبقَت ترجمته في الحماسية (٥٤١). (٢) التبريزي: «كنت نعم الممارس».

(٣) بلا نسبة في إصلاح المنطق ٨٢، والدرر ٢١٩:٥، ومجالس ثعلب ٢٥٦:١، وديوان الأدب ٣٠٤:٢، واللسان (مقس، مرس)، ويعده:

«إما على قعرٍ وإما اقعنس»

٧٦٧ - وقال سالم بن قُحْفَانَ^(١)، وقد عاتبته

[الطويل] امرأته:

- ١ - لَقَدْ بَكَرَتْ أُمُّ الْوَلِيدِ تَلُومُنِي ولم أَجْتَرِمَ جُزْماً فَقُلْتُ لَهَا مَهْلاً
٢ - فلا تُحْرِقْنِي بِالْمَلَامَةِ واجْعَلِي لكلِّ بَعِيرٍ جَاءَ طَالِبُهُ حَبْلاً^(٢)
٣ - فَلَمْ أَرِ مِثْلَ الْإِبِلِ مَالاً لِمُقْتَنٍ ولا مِثْلَ أَيَّامِ الْعَطَاءِ لَهَا سُبْلاً^(٣)

يقول: ابتكرت هذه المرأة لائمةً لي وعاتبةً عليّ من غير جنايةٍ جنيئتها واكسبتها، ولا جريمةٍ اجترمتها وقدمتها، فقلت لها: رفقاً في قولك لا خرقاً، وصبراً على مضضك واقتصاداً؛ ولا تحرقيني بنار عثبك، وسلطان غيظك، ولكن اتبعي مرادي، واهدي بهديي، واثقة بأن الصواب في فعلي وقولي، وجوامع الخير مقرونة بعقوبٍ وجهدي، واجعلي لكلِّ بعيرٍ نصصت عليه لسائلٍ حبلاً، ليقفاه به، مشاركةً لي في الكرم وابتغاء الصلاح، وموافقةً فيما أوتره من وجوه الاصطناع، لا يظهر منك تكرهه، ولا اشتطاط وتسخط. واعلمي أنني لم أر مالاً مثل الإبل لمن يقتني خيراً، ويدخر أجراً، ولا مثل أوقات العطاء سبلاً لها وممراً. ويجوز أن يريد بقوله: «مالاً لمقتنٍ» أي لمن يجمع ما يقتنيه ويجعله الأصل في يساره وغناه. ويغذ ذلك فتحويلها إلى العفاة برؤيتها أغود عليهم وأردد، وأبقى في حالهم وأغنى. والاقتناء: اتخاذ الشيء للنفس لا للبيع. ويقال: هذه إبلٌ قتيّة، وهذه مالٌ قتيان، لما يتخذ للنسل لا للتجارة. ويقال: قَتَا يَفْتُو، وقني يَفْتِي، لغتان، ومن الثانية قولهم: أفنى حياءك. ومن الأولى قوله: [الطويل]

كَذَلِكَ أَفْنُو كُلَّ قِطٍّ مُضَلِّلٍ^(٤)

٧٦٨ - فرمت إليه امرأته بخمارها وقالت:

[الطويل] صيَّره حبلاً لبعضها وأنشأت تقول:

- ١ - حَلَفْتُ يَمِينًا يَا ابْنَ قُحْفَانَ بِالَّذِي تكفّل بالأرزاق في السهل والجبل

(١) سبقت ترجمته في الحماسية (٦٨٤).

(٢) التبريزي: «جاء سائله حبلاً».

(٣) التبريزي: «مالاً لمقتنٍ».

(٤) للمتلمس في ديوانه ٦٥، واللسان (قنا)، وتاج العروس (كفر، قنا). وصدره:

«فألقيتها في الشني من جنب كافٍ»

- ٢ - تَرَاْلُ جِبَالٍ مُبْرِمَاتٍ أُعِدُّهَا لَهَا مَا مَشَى يَوْمًا عَلَى خُفِّهِ جَمَلٌ
٣ - فَأَعْطِ وَلَا تَبْخُلْ إِذَا جَاءَ سَائِلٌ فَعِنْدِي لَهَا عُقْلٌ وَقَدْ زَاخَتْ الْعِلَانُ

يقول: أقسمتُ يمينًا بالله الذي تضمّن الأرزاقَ لمرتزقيها، وفطر الخلق الذي اخترعهم في سهل الأرض وخزنها، لا ترأل من جهتي جبالٌ مستحصدةٌ معدةٌ لإبلِك التي صرّفتها في مصارفٍ بذلِكَ مدّة الدهر، اقتداءً بك، ودخولاً تحت طاعتك. فالمتكفل بالأرزاق هو الله تعالى في أقطار الأرض، وقد وثّقنا بتفضله والتعيش من فضله.

وقولها: «ترأل» حذف حرف التثني منه لأنها من الالتباس، وقد مرّ القول فيه في غير موضع.

وقولها: «فأعط» ترغيبٌ منها وتحضيض، أي توسّع في البذل منها، ودع لبخل بها، فلا اعتراض عليك، ولا مرادةً معك، والعقل من جهتي معدّة، والعلل معي مرتفعة. ويقال: أرخت العلة في كذا فزاحت، أي أزلتها فزال. وحكى الدردي: زاح الشيء يزيح ويروح زيحًا وزيحانًا، أي تحرّك عن مكانه. وزخته فانزاح، وأزحته فزاح، وهو مروح ومزاح. وقولها: «ما مشى يومًا» في موضع الظرف، والعامل فيه لا ترأل جبال.

٧٦٩ - وقال الأقرع بن معاذ^(١): [البسيط]

- ١ - إِنْ لَنَا صِرْمَةٌ تُلْقَى مُحَبَّسَةً فِيهَا مَعَادٌ وَفِي أَرْبَابِهَا كَرَمٌ
٢ - نُسَلِّفُ الْجَارَ شَرِيًّا وَهِيَ حَائِمَةٌ وَلَا تَبِيْتُ عَلَى أَغْنَاهَا قَسَمٌ^(٢)
٣ - وَلَا تُسَفِّهُ عِنْدَ الْحَوْضِ عَطَشْتُهَا أَخْلَامَنَا وَشَرِيبَ السَّوءِ يَحْتَدِمُ

الصّرمة: القليل من المال، ويريد بالمحبسة أنها مناعة بالفناء لا تسام في المراعي. وقوله: «فيها معاد» أي أنها تحتل ما تحمّل من مؤن العفاة عودًا على بدء. وقوله: «في أربابها كرم» أي في ملاكها سعة صدرٍ وحسن صبرٍ على ما يعترهم من حقوق السؤال والمُجْتَدِينَ.

(١) الأقرع بن معاذ: اسمه الأشيم بن معاذ بن سنان بن عبد الله بن حزن... بن قشير، كان في أيام هشام بن عبد الملك (المرزباني ٣٨٠).

(٢) التبريزي: «نُسَلِّفُ»، و«ولا يبيت».

وقوله: «نَسَلْتُ الجارَ شِرْزًا وهي حائمة» الحائمة: العِطاش؛ يقال: هو يَحُوم حولَ الماء، إذا دارَ حوله. وهو حائم لائب، إذا اشتدَّ عطشُه وحامَ حولَ الماء. فيقول: نَقَدِمَ الجارَ على أنفُسنا عند سَقْيِ الإبل وإن كانت إبلنا عطاشًا، كأننا نجعل الزيادةَ على نصيبه كالسَّلَفِ عنده. ويقال: أسَلَفْتُ كذا وسَلَفْتُ جميعًا.

وقوله: «ولا تَبَيِّتْ على أعناقها قَسَمٌ» يعني الأيمان التي يؤكِّد بها المعاذير والعِللُ عند المنع والبُخل. فيقول: لا تَبَيِّتْ صِرْمَتُنَا وقد لَزِمَها كَفَّارَةُ يمين احتجَزَتْ بها عن البَذْلِ. ولك أن تروي: «تُسَلَّفُ الجار» بالتاء، حتى يكون الإخبار في العَجَز والصُّدر عن الإبل، والحال لا تلبس في أنَّ ذلك كلُّه لإربابها.

وقوله: «ولا تُسَقِّه عند الحوض عَطَشُهَا»، أي لا تستخفَّ حاجتُها إلى الماء أحلامنا فتَبْطِشَ بشركائنا في الورد، ونفعل ما يفعله المتعزِّز والمقتدر من الهَضِيمَةِ في الشُّرب، لأنَّ شَرِيبَ السَّوءِ هو الذي يتحفَّظ ويغضَّب فيحتدم. والاحتدام: شدة الإحماء. قال الأعشى: [المقارب]

وهاجِرَةٌ حَرُّها مُخْتَدِمٌ^(١)

٧٧٠ - وقال يزيد بن الجهم الهلالي^(٢): [الطويل]

١ - لَقَدْ أَمَرْتُ بالبُخْلِ أُمَّ مُحَمَّدٍ فَقُلْتُ لَهَا حُثِّي عَلَى البُخْلِ أَحْمَدًا

٢ - فَلِئَنِّي امْرُؤٌ عَوِذْتُ نَفْسِي عَادَةً وَكُلُّ امْرِئٍ جَارٍ عَلَى مَا تَعَوَّدَا

يقول: أَمَرْتُني هذه المرأة بالإمساك عند البَذْلِ. والإبقاء على المال، فَقُلْتُ لَهَا حُثِّي عَلَى البُخْلِ وابعثي عليه إنسانًا أَحْمَدَ لَكَ وأرضي بوعظِكَ مِنِّي، فيكون أحمد مفعولًا، وقد نابت الصِّفَةُ عن الموصوف. ويُرَوَّى: «حُثِّي عَلَى الجُودِ أَحْمَدًا» ويكون قوله: «أحمد» منتصبًا بإضمار فعل، كأنه لما قال حُثِّي عَلَى الجود نَوَى اثني ما هو أَحْمَدُ لَكَ. وهذا كما يقال: وراءك أوسَعُ لَكَ، وَاثَّقِ الله أَعْوَدَ لَكَ. وفي القرآن: ﴿أَنْتَهُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [النساء: الآية ١٧١] وَمَنْ رَوَى: «حُثِّي عَلَى البُخْلِ»، يجوز أن يكون أحمدُ اسمًا علمًا لولدٍ لها أو قريبٍ منها، فقال: ابعثي ذلك عَلَى البُخْلِ من

(١) للأعشى في ديوانه ٨٧، واللسان (حدم)، وكتاب العين ٣: ١٨٨، وصدره:

«وإدلاجٌ ليل على غِرَّةٍ»

(٢) التبريزي: «ويروى لحميد بن ثور»، والأبيات في معجم الأدباء ١١: ١١ لحميد بن ثور أيضًا وهي في ديوانه ٧٦ (طبعة دار الكتب المصرية)، وفي اللسان (سقط) ليزيد بن الجهم.

دُونِي، لَأَتِي لَا أَصْغِي إِلَيْكَ وَلَا أَتَمِرُ لَكَ، فَقَدْ تَعَوَّدْتُ مِنْذُ كُنْتُ عَادَةً فَطَمِي عَنْهَا وَمَنْعِي مِنْهَا يَتَعَدَّرُ وَيَبْعُدُ، وَكُلُّ رَجُلٍ سَيَجْرِي عَلَى عَادَتِهِ، وَمَا هُوَ مِنْ هَجِيرَاهُ وَسَمْتِهِ.

٣ - أَجِينْ بَدَا فِي الرَّأْسِ شَيْبٌ وَأَقْبَلْتُ إِلَيَّ بَنُو غَيْلَانَ مَثْنَى وَمَوْحَدًا

٤ - رَجَوْتُ سِقَاطِي وَاعْتِلَالِي وَنَبَوْتِي وَرَاءَكَ عَنِّي طَالِقًا وَارْحَلِي عَدَا

ألف الاستفهام وإن كان المراد بها التوبيخ والتقريع، يَطْلُبُ الفعل وهو رجوت. فيقول: أَرَجَوْتُ مَنِيْ بعد اشتعال الشَّيب في رأسي أَتْبَاعِي لَكَ، وَقَبُولِي مِنْكَ، وَبَعْدَ أَنْ أَلِفَ النَّاسُ مَنِيْ طَرِيقَةً أَجْرِي عَلَيْهَا وَقَدْ أَقْبَلْتُ بَنُو غَيْلَانَ شُرْعًا نَحْوِي اثْنَيْنِ اثْنَيْنِ، وَوَاحِدًا وَاحِدًا، مِنْ طُرُقٍ مُخْتَلَفَةٍ، وَوُجُوهُ مُفْتَرِقَةٍ، وَقَدْ عَلَّقُوا آمَالَهُمْ بِي، يَكُونُ مَنِيْ ثُبُّ عَنْهُمْ، وَاعْتِلَالٌ عَلَيْهِمْ، وَزَوَالٌ عَنِ السُّنَّةِ الْمَعْرُوفَةِ فِيهِمْ وَمَعَهُمْ، إِلَى غَيْرِهَا. وَقَوْلُهُ: «سِقَاطِي»، يَقَالُ لِمَنْ لَمْ يَأْتِ مَأْتَى الْكِرَامِ: هُوَ يُسَاقِطُ. قَالَ الشَّاعِرُ: [الرمل]

كَيْفَ يَزْجُونَ سِقَاطِي بَعْدَ مَا جَلَّلَ الرَّأْسَ مَشَيْبٌ وَصَلَّغَ^(١)

والمعنى: كَيْفَ أُمْلِتِ مُسَاقِطِي عَنْ هَذَا الدَّأْبِ مَعَ اجْتِمَاعِ هَذِهِ الْأَحْوَالِ، وَمَعَ تَجْرِبَتِي وَكِمَالِي، أَذْقَبِي عَنِّي بَائِثَةً مَنِيْ وَارْحَلِي عَدَا. وَقَوْلُهُ: «وَرَاءَكَ» ظَرَفٌ فِي الْأَصْلِ، وَقَدْ جَعَلَهُ اسْمًا لِلْفِعْلِ. وَالْمُرَادُ: ابْعُدِي عَنِّي. وَعَطَفَ عَلَيْهِ «وَارْحَلِي» وَهُوَ فِعْلٌ، وَهَذَا بَيِّنُ قُوَّةِ الظُّرُوفِ إِذَا جُعِلَتْ أَسْمَاءٌ لِلأَفْعَالِ، لِأَنَّهُ لَوْلَا ثَبَاتُهَا فِي النَّيَابَةِ عَنِ الْأَفْعَالِ وَالِاسْتِغْنَاءِ بِهَا عَنْهَا، لَمَّا جَازَ عَطَفُ الْفِعْلِ عَلَيْهَا؛ وَذَلِكَ أَنَّ الْمَعْطُوفَ وَالْمَعْطُوفَ عَلَيْهِ فِي حَكْمِ الْمَثْنَى، وَالتَّثْنِيَةِ لَا تَحْسُنُ إِلَّا بَيْنَ مُتَوَافِقَيْنِ، فَكَذَلِكَ الْعَطْفُ. وَمَثْنَى وَمَوْحَدٌ مِمَّا عُدِلَ فِي التَّكْرَةِ، فَلَا يَنْصَرَفُ فِي الْمَعْرِفَةِ وَالتَّكْرَةِ جَمِيعًا، لِكُونِهِ مَعْدُولًا عَنْ أَسْمَاءِ الْأَعْدَادِ وَعَنِ الْإِفْرَادِ إِلَى التَّكْرِيرِ. وَ«طَالِقًا» انْتَصَبَ عَلَى الْحَالِ مِنْ قَوْلِهِ: «وَرَاءَكَ عَنِّي»، وَلَمْ يَقُلْ طَالِقَةً لِأَنَّهُ أَخْرَجَهُ مَخْرَجَ النِّسْبِ.

٧٧١ - وَقَالَ آخِرُ: [البسيط]

١ - إِنِّي وَإِنْ لَمْ يَنْلِ مَالِي مَدَى خُلُقِي فَبِأَضْ مَا مَلَكَتْ كَفَّايَ مِنْ مَالٍ

(١) لسويد بن أبي كاهل في ديوانه ٣٢، واللسان (سقط)، ومقاييس اللغة ٨٦:٣، وشرح اختيارات المفضل ٩٠٧.

٢ - لا أَحْبِسُ الْمَالَ إِلَّا رَيْثَ أَثْلِفُهُ وَلَا تُغَيِّرُنِي حَالٌ إِلَى حَالٍ
يقول: أنا وإن كان مالي لا يقوم بمؤني، وكان عاجزاً عن غاية خُلقي، وقاصراً
دون مدى بذلي وأفضالي، فإني أَصُبُّ ما تملكه يداي فيفيض فيضاً لا أمنعه طالباً له
كيف يتوسَّل، وبماذا يتوصَّل، إذ كنت لا أَحْبِسُ المال ولا أَخْزَنُهُ إبطاءً إلا قَدَّرَ
الوقت في إتلافه وتفرقه، ولا تُثْقِلُنِي حَلَّةٌ تعرض عن حالي الأولى فيما أعتاده وآلفه.
يريد أنه مستمرٌ فيما يجري عليه كف واثاء الزمان، وأداره الأحوال. وقوله: «إِلَّا
رَيْثَ» في موضع الظرف من لا أَحْبِسُ.

٧٧٢ - وقال سَوَادَةُ الْيَزْبُوعِي: [الطويل]

١ - لَقَدْ بَكَرَتْ مَيِّ صَلِّيْ تَلُومُنِي تَقُولُ أَلَا أَهْلَكْتَ مَنْ أَنْتَ عَائِلَةٌ^(١)
٢ - ذَرِينِي فَإِنَّ الْبُخْلَ لَا يُخْلِدُ الْفَتَى وَلَا يُهْلِكُ الْمَعْرُوفَ مَنْ هُوَ فَاعِلُهُ
يقول: اغتذت هذه المرأة إليّ لائمةً وقائلةً: لقد أَهْلَكْتَ من تكفله وتُمونه، إذ
كنت بَعَرَضَ الْفَقْرِ، لتضييعك ما تملكه، وسَرَفِكَ فيما تبذله. فأجبتها وقلت: اتركيني
على عادتي، فَإِنَّ الْبُخْلَ بِالْمَالِ لَا يُبْقِي صَاحِبَهُ، وَالْبَذْلَ لَا يُمِيتُ مُعْتَادَهُ، وقد مضى
مثل هذا.

٧٧٣ - وقال حُطَائِطُ بْنُ يَعْفَرٍ أَخُو الْأَسْوَدِ^(٢): [الطويل]

١ - تَقُولُ ابْنَةُ الْعَتَابِ رَهْمٌ حَزَنَتْنَا حُطَائِطُ لَمْ تَتْرِكْ لِنَفْسِكَ مَقْعَدًا^(٣)
٢ - إِذَا مَا أَقْدَنَا صِرْمَةً بَعْدَ هَجْمَةٍ تَكُونُ عَلَيْهَا كَابِنِ أُمِّكَ أَسْوَدًا
رَهْمٌ ارتفع على البذل من ابنة العتاب، وحُطَائِطُ منادى مفرد. ويقولون: ما تَرَكَ
فَلَانٌ لَكَ مَقَامًا وَلَا مَقْعَدًا، أي لَمْ يُبَقِّ لَكَ مَا يُمَكِّنُكَ الْإِقَامَةَ وَالْقَعُودَ لَهُ بِهِ.
وَالصِّرْمَةُ: القليل من الإبل. وَالْهَجْمَةُ أَكْثَرُ مِنْهَا، لَأَنَّهَا تَقَعُ عَلَى الثَّلَاثِينَ أَوْ الْأَرْبَعِينَ.
فيقول: عَاتَبْتَنِي هذه المرأة في إنفاقي وإفضالي، وقالت: أَفْقَرْتَنَا يَا حُطَائِطُ، وَأَزَلَّتْ
تَجْمُلُنَا، وَجَنَيْتْ عَلَى نَفْسِكَ أَيْضًا، إِذْ لَمْ تَتْرِكْ مِنَ الْمَالِ مَا تَكْتَفِي بِهِ، وَتَسْتَغْنِي عَنْ

(١) التبريزي: «ألا بكرت مي».

(٢) أخوه الأسود بن يعفر من شعراء الجاهلية المشهورين (انظر الشعر والشعراء (١١)).

(٣) التبريزي: «العتاب».

السعي والتجول معه، فترى نفسه من الحَلِّ والترحال في طليهِ، وتقعدُ عن التصرف وتحمل المشاق في حوزِهِ واحتجانه، لأنَّنا متى استفدنا قليلاً من الإبل بعدما تُفَيْتُنَا الكثير منها تعودُ عليها سالكاً طريق أخيك الأسود بن يعفر، فتُفْنِيهِ وتُخْلِينَا منه. وإنَّما قال: «تكون عليها» لأنَّه لما لم يسع في تسميرها كان عليها لا لها. وقد جمع الشاعر بين سَيْرَيْنِ في خَزَزَةٍ في قوله: «تكون عليها كابن أمك».

٣ - فَقُلْتُ وَلَمْ أَهَيِّ الْجَوَابَ تَبَيَّنِي أَكَاكَ الْهَزَالُ حَتَفَ زَيْدٍ وَأَزِيدَا^(١)

٤ - أَرِينِي جَوَادًا مَاتَ هَزَلًا لَعَلَّنِي أَرَى مَا تَرَيْنَ أَوْ بِخِيَلًا مُخَلَّدَا

قوله: «ولم أهَيِّ الجواب»، يقال: عَيَّيْتُ الأمرَ وعَيَّيْتُ به عيًّا، ورجلٌ عَيَّيٌّ وعَيٌّ، وعَيَّيَ عن حجه عيًّا. يريد: أجبتها ولم أعجز عن حاجتها: تأملي وانظري، هل كان القفر والهزال سبب موت من مات من عشيرتنا، وأريني سخيًّا أماته الضرُّ، مثًا أو من غيرنا، لعلني أهتدي بهديك واعتقد مذهبك، وأثمر لك فيما ترئنه رشادًا، أو بخيالًا بقي في الدنيا وعاش ما أراد ليطلب بموافقة ما حصل له من الدوام، وانصرف عنه من الشقاء والفناء.

وقوله: «أريني جوادًا» أي دُلِّني عليه وعرفني مكانه. وقال أبو عبيدة في قوله: ﴿وَأَرَانَا مَنَاسِكًا﴾ [البقرة: الآية ١٢٨] المراد علمنا، ويروى: «لأنني أرى ما ترين»، وهو بمعنى لعلني. يقال: ائب السوق لأنك تشتري لنا شيئًا، أي لعلك. ويقال أيضًا: أنك تشتري، وهذا كما تقول: علَّك ولعلَّك. ويقال في هذا المعنى: لَعَنَّكَ. ويُشَدُّ بيتُ أبي النجم: [الرجز]

وَاعْدُ لَعْنَا فِي الرَّهَانِ نُزْسِلُهُ^(٢)

وبعضهم ينشده: «لأنَّا» أي لعلنا. وإبدالُ الهمزة من العين والعين من الهمزة كثير لا يُنْكَرُ.

٧٧٤ - وقال المقنع الكندي^(٣):

١ - نَزَلَ الْمَشِيبُ فَايْنٌ تَذْهَبُ بَعْدَهُ وَقَدْ اِزْعَوَيْتَ وَحَانَ مِنْكَ رَحِيلُ

(١) التبريزي: ويروى: «حذف نهدي وأريدا».

(٢) لأبي النجم في الدرر ٢: ١٦٦، واللسان (علل)، وسمط اللاكي ٣٢٨.

(٣) سبقت ترجمته في الحماسية (٤٣٨).

- ٢ - كَانَ الشَّبَابُ خَفِيفَةً إِيَّامَهُ وَالشَّيْبُ مَحْمَلُهُ عَلَيْكَ ثَقِيلٌ
٣ - لَيْسَ الْعِطَاءُ مِنَ الْفُضُولِ سَمَاحَةً حَتَّى تَجُودَ وَمَا لَدَيْكَ قَلِيلٌ

يَعِظُ نَفْسَهُ وَيَذَكِّرُهُ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ حَالُهُ فِي عَيْشِهِ وَتَصَرُّفِهِ، فيقول: قد مَسَكَ الْكِبَرُ، فَأَيُّ طَرِيقٍ تَسْلُكُ، وَأَيُّ مَذْهَبٍ تَذْهَبُ، وقد رَجَعْتَ عَنْ جَهَالَتِكَ، وَارْتَدَعْتَ عَنْ كَثِيرٍ مِمَّا كُنْتَ تُلَاقِيهِ بِغَاوَتِكَ، وَقُرْبَ مِنْكَ التَّحَوُّلِ مِنْ دَارِ الْفَنَاءِ إِلَى دَارِ الْبَقَاءِ، وَقَدْ كَانَ أَيَّامُ الشَّبَابِ طَيِّبَةً الْمَمَرُ، خَفِيفَةً الْمَسْتَقَرَّ، وَأَيَّامُ الشَّيْبِ الْبَادِي كَرِيهَةً الظُّهُورِ، ثَقِيلَةً الْأَعْيَاءِ وَالْحُمُولِ؛ فَعَلَيْكَ بِمَا يَجْمَعُ لَكَ إِلَى الْحَمْدِ دُخْرًا، وَإِلَى ثَنَاءِ النَّاسِ وَشُكْرِهِمْ أَجْرًا. وَاعْلَمْ أَنَّ الْبَذْلَ مِمَّا يُفْضَلُ عَنْكَ لَيْسَ بِسَمَاحَةٍ، إِنَّمَا الْجُودُ أَنْ تُعْطِيَ مِنْ قَلِيلِكَ، وَتُنْفَقَ مِنْ كِفَايَتِكَ. وقوله: «وما لديك قليل»، يجوز أن يريد والذي لديك، ويكون ما مبتدأ ولديك صلته وقليل خبره؛ ويجوز أن يكون ما نافيةً وقليل اسمه، وَلَدَيْكَ خَيْرُهُ. والمعنى حَتَّى تَجُودَ بِكُلِّ شَيْءٍ لَكَ فَلَا يَبْقَى قَلِيلُهُ أَيْضًا.

٧٧٥ - وَقَالَ جُؤَيْثَةُ بْنُ النَّضْرِ: [البسيط]

- ١ - قَالَتْ طَرِيفَةُ مَا تَبَقَّى دَرَاهِمُنَا وَمَا بِنَا سَرَفٌ فِيهَا وَلَا خُرْقٌ
٢ - إِنَّا إِذَا اجْتَمَعَتْ يَوْمًا دَرَاهِمُنَا ظَلَّتْ إِلَى طُرُقِ الْمَعْرُوفِ تَسْتَبِقُ^(١)

يقول: اشتكت هذه المرأة الحال في سُرْعَةِ نَفَادِ مَا يَحْصُلُ عَنْدهم مِنَ الْوَرَقِ وَالْمَالِ، وَهِيَ لَا يُسْرِفُونَ فِي الْإِنْفَاقِ، وَلَا يَخْرُقُونَ فِي الْإِتْلَافِ، فَقَالَتْ: لَا بَرَكَتَ مَعَ سُوءِ التَّدْبِيرِ، وَلِزُومِ التَّضْيِيعِ وَالتَّفْرِيقِ. وَتَنْسُبُ قَلَّةَ تَلَوُّمِهِ وَخِفَةَ بَقَائِهِ إِلَى ضَعْفِ النَّظَرِ وَعَجْزِ التَّدْبِيرِ، وَإِرْهَاقِ التَّعَجُّلِ وَنَقْصِ التَّقْصِيرِ. فَقُلْتُ لَهَا: إِنَّ دَرَاهِمَنَا إِذَا اجْتَمَعَتْ تَسَابَقَتْ إِلَى مَنَافِذِ الْمَعْرُوفِ، وَتَلَاَحَقَتْ فِي مَصَارِفِ الْإِحْسَانِ الْمَأْلُوفِ، فَذَلِكَ سَبَبُ سُرْعَةِ فَنَائِهَا، وَعَجَلَةِ ذَهَابِهَا لَا غَيْرَ. فَقَوْلُهُ: «إِذَا اجْتَمَعَتْ» ظَرْفٌ لِقَوْلِهِ: «ظَلَّتْ إِلَى طُرُقِ الْمَعْرُوفِ تَسْتَبِقُ». وَيَوْمًا ظَرْفٌ لِاجْتَمَعَتْ.

٧٧٦ - وَقَالَ زُرْعَةُ بْنُ عَمْرِو^(٢): [الوافر]

- ١ - وَأَزْمَلَةٌ تَأْوُ عَلَى يَدَيْهَا مِنْ الضَّرَاءِ أَوْ قَصَصِ الْهَزَالِ

(١) بعده عند التبريزي:

«مَا يَأْلَفُ الدَّرْهَمُ الصِّيَاخَ صَرْتَنَا لَكِنْ يَمُرُّ عَلَيْهَا وَهُوَ مَنْطَلِقٌ
حَتَّى يَصِيرَ إِلَى نَذَالٍ يُخْلِدُهُ يَكَاذُ مَنْ صَرَّهُ إِثَاءَ يَنْمِرُقُ»

(٢) زرعة بن عمرو بن خويلد بن نفيل: كان فارسًا شجاعًا وممن شهد يوم رحران مع أبيه عمرو=

٢ - خَلَطْتُ بِغَنَّتْهَا سِمَنِي فَأَضَحَتْ شَرِيكَةً مَن يُعَدُّ مِنَ الْعِيَالِ

يقول: رُبَّ امرأةٍ منقطع بها سيئة الحال ضعيفة الحرالك، إذا أرادت النهوض تعتمد على يديها، لتأثير الضَّرِّ فيها، أو لإفصاف الهزال إياها، وهو دُور الموت منها - ويقال: أَقْصَهُ كَذَا من الموت، أي أدناه - أنا خَلَطْتُ بفقرها غِنائي، وبما رَقَّ من حالها كثافة حالي، فصارت تُعَدُّ في جملة العيال، ومشاركة فيما أقتنيه من المال، لا تمايز يظهر لها، ولا تباين يوجب انقباضها. وقوله: «تنوء على يديها»، أي تنهض، وهو في موضع الصفة لأزملة. وجواب رُبَّ «خلطت بغنَّتْها سِمَنِي». ويقال: لَحَمٌ غَتٌّ بَيْنَ الْعَثَاةِ وَالْعُثُوَّةِ، إذا كان مهزولاً. وقيل: كلام غَتٌّ، على التشبيه، أي لا طلاوة عليه.

٣ - وَأَفَنَّنِي اللَّيَالِي، أَمْ عَمِرُوا وَحَلِّي فِي التَّنَائِفِ وَارْتِحَالِي

٤ - وَتَرْبِيَّتِي الصَّغِيرَ إِلَى مَدَاهُ وَتَأْمِيلِي هَلَالًا عَنْ هَلَالِ

يقول: أفنى قَوَائِي نوائب الزَّمان، وتصاريف الليالي والأيام، وتنزلي في المَقَاوِزِ والقفار، وتنقلي في مختلفات الأسفار، وتربيتي الطُّفْلَ الرضيع إلى أن يبلُغَ ويجتمع، والياقَ الكبير إلى أن يعلو ويستكمل، وتعليقي الأملَ بشهرٍ مُسْتَهْلٍ بعد شهرٍ، وحولٍ مُؤْتَنَفٍ بعد حَوْلٍ، وإنما يصف ما عاناه، وامْتَحَنَ به حالاً بعد حال، وتردَّدَ فيه فقاساه وقتاً بعد وقت، إلى أن تَقْضَى عمره، ونَفِذَتْ قُوَّتُهُ.

ويشبه هذه الأبيات قول الآخر^(١): [الوافر]

لَقَدْ طَوَّفْتُ فِي الْأَفَاقِ حَتَّى بَلَيْتُ وَقَدْ أَتَى لِي لَوْ أَبِيدُ
وَأَفَنَّنِي وَلَا يَفْنَى نَهَارٌ وَلَيْلٌ كُلَّمَا يَمْضِي يَعُودُ
وَشَهْرٌ مُسْتَهْلٌ بَعْدَ شَهْرٍ وَحَوْلٌ بَعْدَهُ حَوْلٌ جَدِيدُ
وَمَفْقُودٌ عَزِيزُ الْفَقْدِ تَأْتِي مِنْيئُهُ وَمَأْمُولٌ وَلِيدُ

وإن كان هذا أحسن استيفاء.

= وأخيه يزيد (الأغاني ١١: ١٠٥، ١٣٣ دار الكتب العلمية).

(١) هذه الأبيات لمسجاح بن سباع في الحماسية (٣٥٢).

وقوله: «وتأَمِّلِي هَلَالًا عَنْ هَلَالٍ»، أي بعد هَلَالٍ. ومما جاء فيه «عَنْ» بمعنى بَعْدَ قَوْلِهِمْ: «سَادُوكَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ»، لأنَّ معناه كبيرًا بعد كبير. والمراد: شَغْلُهُ أَمْلَهُ بما يُتَاح له في مُؤْتَفِّ الأَيَّام من الخير، والتَّمَكُّن من المراد.

٧٧٧ - وقال عبد الله بن الحشرج^(١): [الوافر]

- ١ - أَلَا كَتَبْتَ تَلُومَكَ أُمِّ سَلَمٍ وَغَيْرُ اللَّوْمِ أَذْنَى لِلْسَّدَادِ^(٢)
٢ - وَمَا بَذَلِي تِلَادِي دُونَ عِرْضِي بِإِسْرَافٍ، أَمِيمٍ، وَلَا فَسَادٍ

يقول: خاطبتني هذه المرأة تَعَبْتُ عَلَيَّ، واستعمالُ غَيْرِ اللَّوْمِ أَقْرَبُ في تسديدي وإرشادي، إذ كان اللَّوْمُ ربِّمَا يعودُ إغراءً، ولا سِيْمًا إذا تُكْلَفُ فيما لا يُسْتَحَقُّ فيه، فما إعطائي مالي القديم في وقاية نَفْسِي بِإِسْرَافٍ فَيُنْكَرُ، ولا بِإِفْسَادٍ فَأُغْتَبَ. وقوله: «تَلُومَكَ» في موضع الحال، أي لائمة لك. وخاطَبَ نَفْسَهُ في البيت الأول، ثُمَّ نَقَلَ الْخِطَابَ إِلَى الْإِخْبَارِ، على عادتهم في كلامهم.

- ٣ - فَلَا وَأَبِيكَ لَا أُعْطِي صَدِيقِي مُكَاشَرَتِي وَأَمْنَعُهُ تِلَادِي
٤ - وَلَكِنِّي امْرُؤٌ عَوِذْتُ نَفْسِي عَلَى عِلَاتِهَا جَزِي الْجِيَادِ
٥ - مُحَافِظَةٌ عَلَى حَسْبِي وَأَزْعَى مَسَاعِي آلٍ وَزِدِ الرَّقَادِ

أَخَذَ يَخَاطِبُهَا مَجِيبًا عَنْ كِتَابِهَا، ومخبرًا عن طرائقه وأخلاقه، فيقول: أنا وحقُّ أَبِيكَ لَا أَرْضِي صَدِيقِي بِأَنْ أَكْثِرَ فِي وَجْهِهِ إِذَا لَقِيْتُهُ - والكُثْرُ: إِبْدَاءُ الْأَسْنَانِ بِالضُّحْكِ - ثُمَّ أَمْنَعُهُ مَالِي وَأَحْرِمُهُ خَيْرِي. وقوله: «وَأَمْنَعُهُ» عَطَفَ عَلَى أُعْطِي، فَرَفَعَهُ. والمعنى: لَا أَكْثِرُ لِلصَّدِيقِ وَلَا أَمْنَعُهُ تِلَادِي، يريد لَا أَضَاحِكُهُ بِأَسْطًا مِنْ أَمْلِهِ، وَقَابِضًا يَدِي عَنْ بَذْلِهِ. ومثله في القرآن: ﴿وَلَا يُؤْذُنُ لَكُمْ فَعَنْزُونُ﴾ [المُرْسَلَات: الآية ٣٦]، لأنَّ المعنى لَا يُؤْذِنُ لَهُمْ وَلَا يَعْتَذِرُونَ. ولو رُوِيَ «وَأَمْنَعُهُ» بِالنُّصْبِ كَانَ جَائِزًا، وَيَكُونُ انتِصَابُهُ بِأَنْ مَضْمُومَةً، وَيَكُونُ كَقَوْلِهِمْ: لَا يَسْغُنِي شَيْءٌ وَيَعْجِزُ عَنْكَ. والمعنى: لَا يَسْغُنِي شَيْءٌ عَاجِزًا عَنْكَ، فَكَذَلِكَ هَذَا، وَتَقْدِيرُهُ: مَا

(١) عبد الله بن الحشرج: من سادات قيس وشعرائها، وأحد الأجواد المعدودين وَلِيَّ أَكْثَرِ أَعْمَالِ خُرَاسَانَ فِي أَيَّامِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ (ت نحو ٩٠ هـ / ٧٠٨ م) ترجمته في الأغاني ١٠: ١٤٤.

(٢) التبريزي: «ألا بكرت».

أعطي صديقي مكاشرتي مانعاً له تلامي، أي لا يجتمع هذان في شيء: العجز لك والسعة لي، فكَذلك لا يجتمع على صديقي مَنِي الكُشر والمنع. ويجوز في رفع «أمنعه» وجه آخر، وهو أن يكون على الاستئناف والانقطاع مما قبله، ويكون المعنى: لا أعطي صديقي مكاشرتي وأنا أمنعه تلامي، ومثله قول القائل: ما تأتيني وتحذني، والمراد: ما تأتيني وأنت الآن تحذني. والرفع أجود، ألا ترى أن القائل إذا قال: ما جاءني زيد وعمرو، كان دون قوله: ما جاءني زيد ولا عمرو، لأنَّ الأوَّل يجوز أن يريد أنَّهما لم يجتمعا في المجيء، ولكنَّ تفرَّد كلُّ واحدٍ منهما عن صاحبه فيه، وفي الثاني إذا قال: «ولا» جمعهُما التقي، فلا يجيء على حالٍ من الأحوال. وكذلك البيت، لو كان فيه حرفُ التقي لكان يمتنع حصولُ الكُشر والمنع جميعاً على كلِّ وجه، ووجهُ الرفع عليه يدور.

وقوله: «ولكنِّي امرؤٌ عَوِذْتُ نفسي»، يريد أنَّي جعلْتُ من عاداتها على ما يعرضُ لها من حوادث الدهر أن تجري في مكرُماتها، أي في اكتساب مكرماتها، جَزِيَّ الجياد السُّبْق، لا الكَوَادِن البِطَاء. وقوله: «محافظة» انتصبَ على أنَّه مفعول له. فيقول: أفعلُ ذلك لأحفظُ شرفي، وأرعى مكارمَ آبائي وأسلافي.

وقوله: «أرعى» حمَّله على المعنى فعطف على ما قبله وإن اختلفا، أي أفعلُ ذلك لأحافظ وأرعى، محافظةً على الشرف ورعيًا لمساعي آلِي وَرِد. «والمساعي» واحداً منساعةً، وهي السَّعي في تحصيل الكرم والجود. ويقال: وهو يسعى لِعِياله، أي يكسب لهم. وقيل: السَّعي العَمَل في الكسب.

٧٧٨ - وقال رجلٌ من بني سعد: [الطويل]

١ - أَلَا بَكَرَتْ أُمُّ الْكِلاِبِ تَلُوْمُنِي نَقُولُ أَلَا قَدْ أَبْكَأَ الدَّرُّ حَالِيْه
٢ - نَقُولُ: أَلَا أَهْلَكْتَ مَالَكَ ضَلَّةً وَهَلْ ضَلَّةٌ أَنْ يُنْفِقَ الْمَالُ كَاسِبُهُ

يقول: لامتنى هذه المرأة وقالت: قد قَلَّلَ اللَّبَنَ مَنْ يَحْلُبُ الإبل - ومعنى أبكأَ الدَّرُّ: أتى به بَكِئًا. ويجوز أن يريد صادقه بَكِئًا، كما يقال: أَحَمَدْتُ فلانًا. والبَكُّ: قِلَّةُ اللَّبَنِ. يقال: ناقةٌ بَكِئَةٌ، وهي ضدُّ الغزيرة - فأنت في ضلالٍ ما دام تضييعُ المال منك ببالٍ. فأجبتها وقلت منكراً عليها، وراؤا لكلامها: وهل يُسَمَّى جامعُ المال إذا فرَّقه ضالاً، وكاسبُهُ إذا أنفقَه فيما يريدُه ويهواه مضيعاً. وانتصبَ «ضَلَّةً» على المصدر، وهو في موضع الحال، ويجوز أن يكون مصدرًا لِعِلَّة، فيكون مفعولاً له.

وإنما أعاد قوله: «تقول» إيداناً بتفتنّها في المَلَام، وتوسّع مَجَالها في الكلام. وقوله: «هل ضَلَّه» خبر مقدم، وأن ينفق المال في موضع المبتدأ. والتقدير: وهل إنفاقُ كاسبِ المال له ضلالٌ.

٧٧٩ - وقال مُزْعَفَرُ: [الطويل]

١ - وإني لأُسدي نِعْمتي ثم ابتغي لها أختها حتى أعلّ فأشفعاً^(١)

٢ - وأجعلُ نُعمي ما فعلتُ دَمَامَةً عليّ وآتي صاحبي حيثُ ودّعا

قوله: «وإني لأُسدي نِعْمتي»، يقول: إذا اصطنعتُ عند إنسانِ صنِعة، وأوليته لاتصال رجائه بي عارفة، لم أرضَ بفرادها، لكنني أطلبُ لها توابِعَ ولواحق، حتى تصيرَ النعمةُ عنده شفعاً لا وثراً، والإحسانُ إليه مكرراً لا يدّعا، كلُّ ذلك تلذّذاً بالإفضال، وشهوةٌ في إسداء العُرفِ والإجمال. ويقال: شاةٌ شافعٌ، إذا كان معها ولدها. والعللُ: الشربُ الثاني. والنهلُ: الشربُ الأوّل، فاستعاره لإتباع الصنِعة بمثلها.

«وأجعلُ نُعمي ما فعلتُ دَمَامَةً»، أ جعلُ: أسمي، من قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِنْدَ الرَّحْمَنِ إِنثَاءً﴾ [الزخرف: الآية ١٩]. ويجوز أن يكون بمعنى أصير، كأنه يعتقد في الإحسان أنه إساءة. والدَمَامَةُ: الدُّم. والذَّمَام، بكسر الذال: الحُرمة. والمعنى: أتدّم من نُعماي عند غيري، لأثي بالغاً ما بلّغتُ أكونُ لنفسي مُستقَصِراً، ولفعلي مُستزِيداً، فلا أعتدُ بما أسديّه، ولا أتحمّد بالإنعام فيه، ولكنه أعده كالوَضْمَةِ التي يتدّم منها.

وقوله: «وآتي صاحبي حيثُ ودّعا»، يريد أن من يستغيث بي أجيبه وأغيثه أشدّ ما كان حاجةً إليّ حين ودّع أهله وعشيرته، ليأسه من الدنيا وتوطينه النَّفس على الهلّك والرّدى، فاتّيه مُستنقِذاً ومُحايِياً، ومتنعِشاً ومُرامِياً. وقوله: «حيثُ ودّعا»، يجوز أن يكون للزّمان والمكان جميعاً. وقد تقدّم القول فيه. وقد جعل «ودّع» بمعنى مات، وبيت مُتَمِّم يشهد له، وهو: [الطويل]

فقد بانَ محموداً أخي حينَ ودّعا^(٢)

(١) التبريزي: «وأشفعاً».

(٢) لمتهم بن نورة في ديوانه ١١٢، وشرح اختيارات المفضل ١١٧٨، وصدّره:

«وإن تكن الأيامَ قَرَقَنَ بيننا»

٣ - وإني بما يكفي من الزاد أهله أقابل بذل المال جلساءه أجمعاً^(١)

يقول: إني أقابل بما يكون فيه كفاية الأهل من الزاد بذل جلسي المال كله. فقوله: «جلساء» في موضع الجر على أن يكون بدلاً من المال، ويكون على لغة من يجعل المثنى بالالف في موضع النصب والجر. و«أجمعاً» في موضع الجر، ويكون تأكيداً للمضمر المتصل بجلساءه. ولك أن تجعله تأكيداً للمال. وأجود من هذا أن يجعل جلساءه مرتفعاً بقوله: بذل، فيكون فاعلاً. وقد أضاف المصدر إلى المفعول، كقولك: أعجني ضرب زيد عمرو. وجعل المجلس باذلاً وإن كان الفعل لصاحبه، على السعة، ويكون التقدير: أي أقابل بما يكفي به من الزاد أن يبدل جلساء المال جميع ما يحويانه، ويكون على هذا أجمع تأكيداً للمضمر المتصل بجلساءه لا غير. والمعنى: إذا حصلت الكفاية لأهل الزاد فإني أنقض البعاء الجامع للمال، وأفرق كل ما فيه، أي أقتصر على الكفاية، وما تعداه أعده فضلاً. والمجلس: الواحد من أخلاس البيت. قال الخليل: وهو ما يبسط تحت خر المتاع من مسح وجوالي ونحوهما.

٧٨٠ - وقال عارق الطائي^(٢): [الطويل]

١ - ألا حي قبل البين من أنت عاشقته ومن أنت مشتاق إليه وشائقة

٢ - ومن لا ثواتي دارة غير فينة ومن أنت تبكي كل يوم تفارقة

افتتح كلامه بالآ، ثم قال: جدد عهدك بصاحبك وسلم عليه، قبل أن تحول الثوى بينكما فيهيح شوقك تعشقك له، ويغد الدار منه، وتهيح شوقه لمثل ذلك، لأن جميع ما أقوله من مقتضيات صفاء المقة، واستحكام المحبة.

وقوله: «ومن لا ثواتي دارة غير فينة» الأحسن أن ترفع الدار بثواتي، يريد من لا تقاربك دارة إلا ساعة لا تطوعك الزيارة إلا فيها. والفينة: الوقت، ويكون معرفة ونكرة، وقد مر القول فيه، وأنه يجري مجرى الصفات في ذلك إذا جعلت أعلاماً كالحارث والعباس. ولك أن تنصب «داره». والمعنى تبكيه أو تبكي عليه، وكذلك قوله: «تفارقة» أريد تفارقت فيه فحذف مفعول الفعلين، ولا يمتنع أن يجعل «كل يوم» مفعول تبكي. والمعنى تتأسف على كل يوم تفارقه فيه، فتبكيه شوقاً إليه، إذ كان

(٢) سبقت ترجمته في الحماسية (٦٠٤).

(١) هذا البيت لم يروه التبريزي.

التوديعُ جَمَعَكَ وإِيَّاهُ فيه . وَيُكْتَفَى في هذا الوجه بالضَّمير العائد من تفارقه، فأَمَّا إضمار «فيه» في «تفارقه» فلا بدُّ منه . وقوله: «مَنْ» وقد كَوَّرَه في البيتين جميعًا مِرَازًا، يجوز أن يكون بمعنى الذي، والجُمْلُ بعده في صِلَتِهِ، كأنه قال: حَيُّ الذي أنت عَاشِقُهُ والذي أنتَ مُشْتاقٌ إليه وشائقه والذي أنتَ كذا . ويجوز أن يكون نكرةً في معنى إنسان، ويكون الجُمْلُ بعده صفاتٍ له . يريد: حَيُّ إنسانًا هذه صفاته . فأَمَّا تكريره له فهو على طريق التَّعْظِيم والتَّفْخِيم . وهكذا العادةُ فيما يُهَوَّلُ أمرُهُ من مَرْجُوٍّ أو مَخُوفٍ .

٣ - تَخْبُ بِصُخْرَاءِ الثَّوِيَّةِ نَاقَتِي كَعَدُو رِبَاعٍ قَدْ أَمَحَّتْ نَوَاهِقَهُ^(١)

٤ - إِلَى الْمُنْذِرِ الْخَيْرِ بْنِ هِنْدٍ نَزْوَرُهُ وَلَيْسَ مِنَ الْقَوْتِ الَّذِي هُوَ سَابِقُهُ^(٢)

يقول: تَسِيرُ نَاقَتِي الْخَبَبُ - وهو ضَرْبٌ مِنَ الْعَدُو - في هذه الصُّحْرَاءِ تَحْتِي، عَدُوٌّ فَرَسٍ، أو غَيْرِ قَدْ أَرْبَعَ . والإِربَاعُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقُرُوحِ سَنَةٌ، فكأنه أراد استحكامَ شِبَابِهِ وَقُوَّتِهِ، إذْ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النُّهَايَةِ وَهِيَ الْقُرُوحُ إِلَّا سَنَةٌ . ومعنى «أَمَحَّتْ نَوَاهِقَهُ» أي قد أَطَاعَهُ الْعَلْفُ أو الْمَرْتَعُ فَصَارَ لِعِظَامِهِ مُخٌ، وَالتَّوَاهِقُ: عَظْمَانِ فِي السَّاقِ، وَفِي غَيْرِ هَذَا الْمَكَانِ مَا يَكْتَفِ الْخِيَاشِيمُ مِنَ الدَّابَّةِ، وَالوَاحِدَةُ نَاهِقَةٌ .

وقوله: «إِلَى الْمُنْذِرِ» تَعَلَّقَ بِتَخْبُ وَالْخَيْرِ مِنْ صِفَتِهِ، وَهُوَ الَّذِي تَأْنِيثُهُ خَيْرَةٌ . وَلَا يَمْتَنِعُ أَنْ يَكُونَ مَخْفُفًا مِنَ الْخَيْرِ، كَمَا يَقَالُ: لَيْنٌ وَلَيْنٌ، وَهَيْنٌ وَهَيْنٌ . و«نَزْوَرُهُ» فِي مَوْضِعِ الْحَالِ، وَيُرِيدُ الْمُنْذِرُ بْنُ مَاءِ السَّمَاءِ . وَقَوْلُهُ: «لَيْسَ مِنَ الْقَوْتِ الَّذِي هُوَ سَابِقُهُ» أَرَادَ سَابِقُ بِهِ، وَفِي الْكَلَامِ وَعِيدٌ .

ولهذا الشَّعْرُ قِصَّةٌ، وَهُوَ أَنَّ الْمَلِكَ كَانَ غَزَا أَرْضًا فَأَخْفَقَ، وَفِي مُنْصَرَفِهِ عَثَرَ بِطَائِفَةٍ مِنْ طَيِّئٍ كَانُوا فِي ذِمَّتِهِ وَعَهْدِهِ، فَأَرَادَ تَجَاوُزَهُمْ فَقَالَ بَعْضُ نُدَمَائِهِ لَهُ: اسْتَغْنِهِمْ وَأَرْقِعْ بِهِمْ . فَقَالَ: إِنَّهُمْ فِي ذِمَّتِي! فَلَمْ يَزَلْ يَقْرُبُ الْأَمْرَ فِيهِ مَعَهُ حَتَّى اسْتَبَاحَهُمْ . لِذَلِكَ تَوَعَّدَ فَقَالَ: مَا سَبَقَ بِهِ لَا يَقُوتُ تَدَارُكُهُ .

٥ - فَإِنَّ نِسَاءَ غَيْرِ مَا قَالَ قَائِلٌ غَنِيمَةُ سَوْءٍ وَسَطَهُنَّ مَهَارِقُهُ

٦ - وَلَوْ نِيلَ فِي عَهْدٍ لَنَا لَحُمٍ أَرْزَبٍ وَفِينَا وَهَذَا الْعَهْدُ أَنْتَ مُغَالِقُهُ

(١) الثوية: موضع قريب من الكوفة (معجم البلدان ٢: ٨٧).

(٢) التبريزي: «نزوره».

٧ - أَكُلْ خَمِيسٍ أَخْطَأَ الْغَنَمَ مَرَّةً وَصَادَفَ حَيًّا دَائِنًا هُوَ سَائِقُهُ

قوله: «غير ما قال قائل»، يجوز أن يكون صفة لنساء. وقوله: «غَنِيمةٌ سَوَاءٌ» يرتفع على أن يكون خبر مبتدأ، كأنه قال: هُنَّ غَنِيمةٌ سَوَاءٌ، حكايةً لكلام القائل الذي ذكره. وإضافة الغنيمة إلى السوء يكون على طريق الإزراء والاستحقار. وقوله: «وَسَطَهُنَّ مَهَارِقُهُ»، الجملة في موضع خبر إن، فيكون المعنى إن نساء مخالفةً صفتها لما قاله قائل، يعني مَنْ حَسَنَ فِي عَيْنِ الْمَلِكِ الْإِيقَاعَ بِهِنَّ هُنَّ غَنِيمةٌ سَوَاءٌ مَعَهُنَّ كُتِبَ الْعَهْدُ وَالذَّمَّةُ اللَّذِينَ يَخْرُجْنَ بِهِمَا عَنْ كَوْنِهِنَّ غَنِيمةً. فهذا وجه، ويجوز أن يكون «غَنِيمةٌ سَوَاءٌ» خبر إن، و«وسطهنَّ مهارقُهُ» من صفة النساء، وقد فصل بين الصفة والموصوف بخبر إن، وغير ما قال قائل ينتصب على المصدر، فيكون مؤكِّداً للقصة، والتقدير: إن نساءً وسطهنَّ مهارقُهُ غَنِيمةٌ سَوَاءٌ، غير قول القائل المحسن الإيقاع بهن. ويجري هذا مجرى قولهم: هذا ولا زَعَمَاتِكَ. أي هذا هو الحق لا ما تزعمه. ويكون المعنى: إن نساءً مَعَهُنَّ عَهْدُكَ، ولا أقول ما قاله قائل حَسَنَ الْإِيقَاعَ بِهِنَّ، غَنِيمةٌ سَوَاءٌ لَا غَنِيمةٌ صِدْقٍ. والمهارق: جمع المَهْرَقِ، وهو فارسيَّةٌ معرَّبةٌ. وكانت العرب تَصْفُلُ الثِيَابَ الْبَيْضَ وَتَكْتُبُ فِيهَا كُتُبَ الْعَهْدِ وَمَا أَرَادُوا إِبْقَاءَهُ عَلَى الدَّهْرِ.

وقوله: «ولو نِيلَ فِي عَهْدٍ لَنَا لَحْمُ أَرْنَبٍ وَفَيْنَا» يَقْبَحُ عِنْدَهُ مَا ارْتَكَبَهُ مِنْهُنَّ. فيقول: ولو أَصِيبَ لَحْمُ أَرْنَبٍ فِيمَا تَشْمَلُهُ أَذْمَتُنَا لَوْفَيْنَا بِهِ. ثم أنت أَيُّهَا الْمَلِكُ تُغَالِقُ هَذَا الْعَهْدَ. وَتَسْتَجِيزُ تَخْطِيئَهُ، وَتَسْتَحْسِنُ نَقْضَهُ وَتَرْكُ الْوَفَاءَ بِهِ. وقوله: «لَحْمُ أَرْنَبٍ» ذَكَرَهُ تَحْقِيرًا وَأَنَّهُ صَيْدٌ مُسْتَبَاحٌ.

وقوله: «أَنْتَ مُغَالِقُهُ» لك أن تروي «مُغَالِقُهُ»^(١) بالعين. والمعنى: وهذا العهد الذي مَعَهُنَّ مُتَعَلِّقٌ بِذِمَّتِكَ وَفِي رَقَبَتِكَ حَتَّى تَخْرُجَ مِنْهُ. وَمَنْ رَوَى «مُغَالِقُهُ» بِالْغَيْنِ مُعْجَمَةً، يَكُونُ مِنْ غَلَقِ الرَّهْنِ، أَي أَنْتَ مُفْسِدُهُ وَمُخْتَبِسُهُ تَارِكًا لِلْوَفَاءِ بِهِ.

وقوله: «أَكُلْ خَمِيسٍ» لَفْظُهُ اسْتِفْهَامٌ وَمَعْنَاهُ تَقْرِيعٌ. فيقول: أَكُلْ جَيْشٍ أَخْفَقَ فِي وَجْهِ قَدَرِ الْغَنَمِ فِيهِ، وَصَادَفَ فِي مُنْصَرَفِهِ حَيًّا فِي طَاعَتِهِ يَسُوقُهُ وَيُوقِعُ بِهِ. أَيِ إِنْ ذَلِكَ غَيْرُ مُسْتَجَازٍ فِي السِّيَاسَةِ وَالْذِّيَانَةِ، وَلَا مُسْتَحْسَنٍ فِي الْمَرْوَةِ؛ وَالْعَدْرُ مَغْبِئَةٌ ذَمِيمَةٌ، وَعَاقِبَتُهُ قَبِيحَةٌ ذَمِيمَةٌ.

(١) هذه رواية التبريزي.

- ٨ - وَكُنَّا أَنَسَا دَانِنِينَ بِغِبْطَةٍ يَسِيلُ بِنَا تَلْعُ الْمَلَا وَأَبَارِقُهُ
٩ - فَأَقْسَمْتُ لَا أُحْتَلُّ إِلَّا بِصَهْوَةٍ حَرَامٍ عَلَيْكَ زَمْلُهُ وَشَقَائِقُهُ

قوله: «دائنين»، أي آخذين بالطاعة، مغتبطين بما لنا من الذمة. ويكون «بغبطة» في موضع الحال. وزوي: «دائنين»، وهو أقرب، ويكون من الذؤوب. والمعنى إنا كنا نسير مغتبطين آمنين فرحين حيث شئنا. ويدل على هذا قوله: «يسيل بنا تلغ الملا وأبارقه». وإنما يقتض حالهم قبل معاهدته لهم، ومعاقبته الذمة بينه وبينهم. والملا الصّخراء. والثلعة: مسيل ماء، وجمعها تلغ، كجوزة وجوز. والأبارق: جمع الأبرق، وهي المواضع التي قد ألبست حجارة سودا. ومنه حبل أبرق، إذا كان ذا لونين سواد وبياض.

وقوله: «لا أحتل إلا بصهوة»، يقول: خلقت لا أنزل إلا بعيدا من أرضك، وخارجا من ملكتك، في صهوة أو في مكان عال تحرم عليك جوانبه وآفاقه. والشقائق: جمع شقيقة، وهي زملة بين أرضين. و«زملة» ترتفع بحرام، أي يحرم عليك. ولك أن تروي «حرام عليك زملة» فيكون خبرا مقدما، وزملة مبتدا، والجملة في موضع الصفة للصهوة.

- ١٠ - خَلَفْتُ بِهَذِي مَشْعَرٍ بَكَرَاتُهُ تَحُبُّ بِصَخْرَاءِ الْعَيْبِطِ دَرَادِقُهُ
١١ - لَئِنْ لَمْ تَغْيِرْ بَغْضَ مَا قَدْ صَنَعْتُمْ لَأَنْتَجِينَ لِلْعَظْمِ ذُو أَنَا عَارِقُهُ^(١)

يقول: أقسمت بقرابين الحرم وقد أغلّمت بكراته بعلامات الإهداء. والإشعار، هو أن يطعن في أسنمتها فيسيل الدم عليها، فيستدل بذلك على كونه هديا. وجعل الهذي دالا على الجنس وما بعده صفتة. وقوله: «تحب بصخراء العيبط درادقه»، يريد سؤفها نحو البيت. والدرايق: صغار الإبل. والخبب: ضرب من السير. وجواب القسم «لأنتجين للعظم»، ولئن فيما بين القسم والمقسم له موطنة للقسم. فيقول: آليت إن لم تغير أيها الملك بعض صنيعك، ولم تندارك ما فاتنا من عذلك وفائلك. لأقصدا في مقاتلتك كسر العظم الذي صرت أعرقه فينتزع العظم منه. جعل تقييحه لما أتاه وشكواه كالعرق، وهو انتزاع اللحم وما بعده. إن لم يغير معاملته، تأثيرا في العظم نفسه. وقد أحسن في التوعيد، وفي الكناية عن فعله وعمّا يهّم به بعده. وقوله:

(١) التبريزي: «بعد ما قد صنعت».

«ذو أنا» لَقْتُهُمْ وهو في معنى الذي، وأنا عارقُه من صلته، وقد مضى الكلام في مثله.

٧٨١ - وقال بُرْجُ بن مُسْهِرٍ^(١): [الطويل]

- ١ - سَرَتْ مِنْ لَوَى الْمَرَوْتِ حَتَّى تَجَاوَزَتْ إِلَى وَدُونِي مِنْ قَنَاءَ شُجُونُهَا
- ٢ - إِلَى رَجُلٍ يُزْجِي الْمَطِيَّ عَلَى الْوَجَى دِقَاقًا وَيَشْقَى بِالسَّنَانِ سَمِيئُهَا
- ٣ - فَلِلْقَوْمِ مِنْهَا بِالْمَرَا جِلْ طَبْخَةٌ وَلِلطَّيْرِ مِنْهَا فَرْثُهَا وَجَنِيئُهَا

اللَوَى: مستَرْقُ الرَّمْل. والمَرَوْت: فَعُولٌ من المَرْت، وهو الأرض التي لا تُثْبِت شيئًا. وقال الدُّرَيْدِيُّ: هو المكان القَفْر. وقناة: موضع. وشُجونها: جوانبها المتقاربة ونواحيها. والشُّجون أيضًا: الأشجار الملتفة المتداخلة. والشواجن، واحدها شاجنة، وهي المواضع التي فيها الشُّجون. ومن التَّدَاخُل والالتفاف قولهم: «الحديث ذو شجون». وإنما يُخْبِر عن خَيَالِ زَاوَةٍ.

وقوله: «إلى رَجُلٍ»، تَعَلَّقَ إلى بَسَرَتْ. ويعني بالرَّجُل نفسه، ويُزْجِي المَطِيَّ، أي يسوقُها. والْوَجَى: الحَفَا؛ أي لا يُبْقِي عليها ولا يرفُق بها، لَكِنَّهُ يُدِيم السَّيْرَ عليها ولا يَقْبِيها مع الحفا ولا يُبْقِي عليها مما يُهْلِكُهَا. و«دِقَاقًا» انتصبَ على الحال، أي ضوامِرَ مهازيلَ. وَيَشْقَى بالسَّنَانِ سَمِيئُهَا، أي بالسَّنَانِ له، فحذف الضمير لأنَّه لا يُخَيَّلُ. والمعنى أنَّه لا ينحر سِمَانُ الإبل للعفاة والضِّيوف. وقوله: «فللقوم منها بِالْمَرَا جِلْ طَبْخَةٌ» منها رَجَعَ الضمير إلى قوله: سَمِيئُهَا، لأنَّه أراد بها الجنس، وهذا إخبارٌ عن حالتها وقد جُزِرَتْ. فيقول: للوَرَادِ منها طَبْخَةٌ في المراجِل، وللطَّيْرِ فَرْثُهَا والولدُ الذي في بَطْنِهَا.

٧٨٢ - وقال مُلْحَةُ الْجَزْمِيِّ^(٢): [الطويل]

- ١ - فَتَى عَزَلَتْ عَنْهُ الْفَوَاحِشُ كُلُّهَا فَلَمْ تَخْتَلِطْ مِنْهُ بِلَحْمٍ وَلَا دَمٍ
- ٢ - كَأَنَّ زُرُورَ الْقُبْطَرِيَّةِ عُلِقَتْ عِلَاقَتُهَا مِنْهُ بِجَذَعٍ مُقَوِّمٍ

(١) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (١٢٢).

(٢) ذكره المرزباني في معجمه ٤٧٣ وأنشد له البيتين الأول والرابع، والأبيات (٢، ٣، ٥) لعدي بن الرقاع في ديوانه، وأنشد الأزهري البيت الخامس ونسبه لابن ميادة.

يمدحه بالرزانة والعقل، ونقاء الجسم من العيب، وصفاء السبب والنسب من الفحش ومعنى عَزَلْتُ نُحَيْتُ منه في جانب. ويقال: هو بمَعَزَلٍ عن هذا الأمر والأصحاب، فيقول: بُعِدْتُ عنه الفواجش كُلُّها وصُرِفْتُ، وجُعِلَ بينه وبينها حاجزٌ حتى لا تمازجَ ولا تَخَالُطَ، ولا تَدَانِي ولا تشابك. والقُبْطُريَّة: جنسٌ من الثياب رفيع. ومعنى البيت أنه طويلُ القامة مديد الجسم، فكان زُرُورُ القُمُصِ من هذا الجنس من الثياب عُلِّقَتْ منه على جِذْعٍ مقوّم. أراد أن طوله طول جِذْعٍ هكذا. وهم يتمدّحون بامتداد القوام، والبسطة في الأجسام.

- ٣ - عَمَلَسُ أَسْفَارٍ إِذَا اسْتَقْبَلَتْ لَهُ سَمُومٌ كَحَرِّ النَّارِ لَمْ يَتَلَثَّمِ
٤ - إِذَا مَا رَمَى أَصْحَابُهُ بِجَبِينِهِ سُرَى لَيْلَةِ الظُّلُمَاءِ لَمْ يَتَهَكَّمِ
٥ - كَانَ قُرَادِي زَوْرَهُ طَبَعَتْهُمَا بِطِينٍ مِنَ الْجَوْلَانِ كُتَابٌ أَعْجَمِ

العَمَلَسُ: الجريء المقدام، ويوصف به الذئاب، وكذلك السَّلَمْعُ ويوصفُ به الخبيث من الذئاب والكلاب. ويقال: هو عَمَلَسٌ دَلَجَاتٍ، أي قَوِيٌّ على السَّيْرِ. وزاد اللام في قوله: «إِذَا اسْتَقْبَلَتْ لَهُ» تأكيداً، والأصل اسْتَقْبَلَتْهُ. وجواب إذا «لَمْ يَتَلَثَّمِ» وهو العَامِلُ فيه. فيقول: هو في السَّفَرِ بهذه الصفة مبتدلاً بنفسه لا يَتَوَقَّى من السَّمائِمِ، ولا يتخشى من أنواع المِهَالِكِ، فإذا قَابَلَتْهُ السُّمُومُ الْمُخْرِقَةُ إِحْرَاقَ النَّارِ لَمْ يَصْنُ وَجْهَهُ مِنْهَا، وَلَا جَعَلَ عَلَى مَحْيَاةٍ لِثَامًا. واللَّثَامُ: رَدُّ الْمَرْأَةِ قِنَاعَهَا عَلَى أَنْفِهَا، وَقَدْ تَلَثَّمَتْ، وَتَلَثَّمَتِ الرَّجُلُ بِعِمَامَتِهِ. وَالْمَلَثَّمُ مَا حَوْلَ الْقَمِّ، وَقِيلَ: الْأَنْفُ وَمَا حَوْلَهُ وَالْقِنَاعُ: رَدُّ الْقِنَاعِ عَلَى الْقَمِّ، وَقِيلَ أَيْضًا: هُوَ مِثْلُ اللَّثَامِ لَا فَرْقَ بَيْنَهُمَا.

وقوله: «إِذَا مَا رَمَى أَصْحَابُهُ بِجَبِينِهِ» أراد أنهم إِذَا قَدَّمُوهُ لِيَهْتَدُوا بِهِ وَهُمْ يَسْرُونَ فِي لَيْلَةٍ شَدِيدَةِ الظَّلَامِ هَائِلَةٍ لَمْ يَجْبُنْ وَلَمْ يَتَكَذَّبْ، وَلَكِنْ تَقَدَّمَهُمْ وَقَادَهُمْ عَلَى عَادَتِهِ.

وقوله: «كَانَ قُرَادِي زَوْرَهُ طَبَعَتْهُمَا» وَصَفَهُمَا بِالصَّغَرِ، ثُمَّ شَبَّهَهُمَا بِطَابَعَيْنِ مِنْ طِينِ الْجَوْلَانِ، وَيُقَالُ: إِنَّهُ أَسْوَدُ، تَوَلَّى طَبَعَهُمَا كَاتِبٌ مِنْ كُتَّابِ الْعَجَمِ. وَخَصَّصَهُمْ لِأَنَّهُمْ حِينَئِذٍ كَانُوا أَخَذَقَ بِالْكِتَابَةِ وَأَسْبَابِهَا. وَهُمْ يَتَمَدَّحُونَ بِالْهَزَالِ وَقِلَّةِ اللَّحْمِ. وَالطَّبِيعُ: الْخَتْمُ. وَالطَّابَعُ: الْخَاتَمُ. وَحُكِّيَ: هَذَا طَبْعَانُ الْأَمِيرِ، أَيِ طِينِهِ الَّذِي يَخْتِمُ بِهِ.

٧٨٣ - وقال بعضهم^(١): [مشطور الرجز]

- ١ - إِنَّكَ يَا ابْنَ جَعْفَرٍ نِغَمَ الْفَتَى
- ٢ - وَنِغَمَ مَأْوَى طَارِقٍ إِذَا أَتَى
- ٣ - وَرَبُّ ضَيْفٍ طَرَقَ الْحَيِّ سُرَى
- ٤ - صَادَفَ زَادًا وَحَدِيثًا مَا اشْتَهَى
- ٥ - إِنَّ الْحَدِيثَ جَانِبَ مِنَ الْقِرَى
- ٦ - ثُمَّ اللَّحَافُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الدَّرَى

يخاطب بهذا الكلام عبد الله بن جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنهم، فيقول: نِغَمَ الفتى أنت، أي محمود في الفتيان أنت ومحمود دارك وفناؤك، مأوى الطُّرَّاقِ إذا وَرَدُوا. وقوله: «مأوى طَارِقٍ» أضافه إلى التَّكْرَةِ لأنَّ الْقَصْدَ بطاريق إلى الجنس. واسم الجنس في مثل هذا المكان وأن تنكر فائدته فائدة المعارف، وإذا كان كذلك كان قولك: «مأوى طَارِقٍ» بمنزلة مأوى الطُّرَّاقِ. والمحمود هو الْمُخَاطَبُ. ويجب أن يكون في نِغَمَ ضمير يعود إلى المخاطب، وقد اشتمل عليه قوله نِغَمَ الْفَتَى ونِغَمَ مأوى طَارِقٍ، لأنَّ فائدة نِغَمَ الرَّجُلِ، محمود في الرجال. فكأنه قال: إِنَّكَ محمود في الفتيان يا ابن جعفر. وقد قيل في قول القائل: زيد نعم الرجل: إنه لما كان القصد بالرجل إلى الجنس، وكان زيد منهم، اكتفى بكونه منهم من ضمير يعود إليه.

وقوله: «وَرَبُّ ضَيْفٍ طَرَقَ الْحَيِّ سُرَى»، يريد ليلاً؛ لأنَّ السُّرَى لا يكون إلا بالليل فالسُّرَى في موضع ظرف، واسم الزَّمانِ محذوف معه، وهو كقولك: جِئْتُكَ مَقْدَمَ الْحَاجِّ وما أشبهه. فيقول: ربُّ ضَيْفٍ أَتَى الْحَيِّ رَاجِعًا وَجُودَ الْقِرَى عِنْدَهُ، أَنْزَلَتْهُ فَصَادَفَ فِي فَنَائِكَ زَادًا عَتِيدًا، وَحَدِيثًا مُؤْنَسًا، وَإِكْرَامًا مُبْرَأً. وقوله: «ما اشتهى» في موضع الظَّرْفِ، فهو كقوله: [الطويل]

أَحْدَثُهُ إِنَّ الْحَدِيثَ مِنَ الْقِرَى وَتَعْلَمُ نَفْسِي أَنَّهُ سَوْفَ يَهْجَعُ^(٢)

(١) الأبيات للشماخ بن ضرار في ديوانه ٤٦٤، وفي خزانة الأدب ٤: ٢٥٤، وأمالى المرتضى ٤٩٣: ١.

(٢) البيت لعنبة بن بجير أو مسكين الدارمي كما في الحماسية رقم (٧٦١)، وهو لعروة بن الورد في ديوانه ١٠١، ولسان العرب (بصص).

لأنَّ في قوله: «ما اشْتَهَى» المعنى الذي اشتمل عليه قوله: «تَعْلَمَ نَفْسِي أَنَّهُ سوف يهجع».

وقوله: «إِنَّ الحديثَ جانبٌ من القِرَى»، يقول: تأنِسُ الضَّيْفُ بِمُلْحٍ من الحديث من أسباب القِرَى وشرائطه، وَخِصَالِهِ التي تَكْمُلُهُ وتفضله.

وقوله: «ثُمَّ اللَّحَافُ بعد ذاك في الدَّرَى»، إشارة إلى إكرامه بما يُفْتَرَش له ويمهَّد به موضعه. والدَّرَى: الكَنَف.

٧٨٤ - وقال الشَّمَاخ^(١): [الطويل]

١ - وَأَشَعْتُ قَدْ قَدَّ السَّفَارُ قَمِيصَهُ وَجَرُّ شِوَاءٍ بِالْعَصَا غَيْرَ مُنْضَجٍ

٢ - دَعَوْتُ إِلَى مَا نَابَنِي فَأَجَابَنِي كَرِيمٌ مِنَ الْفِتْيَانِ غَيْرُ مُزَلِّجٍ

يصف مُضِيقًا. والأشعث: الذي يتذلل نفسه ولا يصونها عن العمل، فيصير مقطوعَ القميص في السَّفَر، لتحمله عن أصحابه أثقالَ الجهن، حتَّى يتشعث ظواهره، ويغبرَّ شعره، وترتَّ ثيابه، ويختلُّ أمره. وقوله: «وَجَرُّ شِوَاءٍ» إشارة إلى تَوَلَّيه من خدمة الرفقاء والأصحاب ما لا يكون من عمله. وجعل الشَّوَاءَ غير مدركٍ لتعجله وحرصه على تقديم أمرهم والتَّسْرُع في إطعامهم. ويجوز أن ينتصب «غير» على أن يكون حالًا للنكرة - وهو أجود الروایتين - حتَّى لا يكون قد فصل بين الصِّفة والموصوف بالأجنبيَّ منهما، وهو قوله بالعَصَا، لأنَّ التعلُّق بينهما يقارب التعلُّق بين الصِّلة والموصول.

وقوله: «دَعَوْتُ إِلَى مَا نَابَنِي»، أي استغثت به وطلبت منه الإغاثة على ما نابني من حَدَثَانِ الدَّهْرِ فَأَجَابَنِي مِنْهُ كَرِيمٌ مِنَ الْفِتْيَانِ غَيْرُ ضَعِيفِ الْمُنَّةِ، ولا مؤخَّرٍ عن الغاية البعيدة. وأصل التَّزْلِيجِ من قولهم قَذَحَ زَلْجٌ، أي سريع في الإجابة. أي إذا وَقَفَ على حَدِّ مَكْرُمَةٍ وأشرف على الفَوْزِ بِمَنْقَبَةٍ لم يُزَلِّجْ عنه ولم يُدْفَعْ مِنْهُ، لأنَّ الزَّلْجَ السرعةُ في المشي وغيره. وكلُّ زالِجٍ سريع، ومنه مزلاجُ البابِ لِلخَشْبَةِ التي يُغْلَقُ بها.

٣ - فَتَى يَمَلَأُ الشُّبْرَى وَيُزَوِّي سِنَانَهُ وَيَضْرِبُ فِي رَأْسِ الْكَمِيِّ الْمَدَجَّجِ

٤ - فَتَى لَيْسَ بِالرَّاضِي بِأَدْنَى مَعِيشَةٍ وَلَا فِي بَيْوتِ الْحَيِّ بِالْمُتَوَلِّجِ

(١) سبقت ترجمته في الحماسية (٣٨٨).

يقول: هذا المدعو المستغاث به فتى يملأ الجفان المتخذة من الشيزى للضيوف والرُفقاء، ويُروي سنانَ رمحه من دماء الأعداء، وإذا بارزه في الحرب القرنُ التامُ السلاح، الكمي بين الصُحاب، غلبه وركبه، وأتى عليه فأسقطه، وهو فتى لا يرضى لنفسه في دنياه بأقرب الهمتين، وأذون المعشتين، ولكن يطلبُ غاياتِ الكرمِ ونهاياتِ الفضل، ولا يُداخل بيوتَ الحيّ والمجاورة، ولا يخالط النساءَ للرّية والمغازلة. يصفه بالعفة والجِدّ، وصيانة النّفس، وارتفاع الهمة والهَمّ عما يُزيل الحِشمة، ويدنّس المروءة.

وقوله: «ولا في بيوت الحيّ»، جعلَ في بيوت تبيننا، وقد حصل الاكتفاء بقوله: المتولّج، فيكون موقعه منه كموقع بك بعد مَرَجًا، لئلا يحصل تقديم الصلة على الموصول، وإن شئت جعلت الألف واللام في قوله: «المتولّج» للتعريف، لا بمعنى الذي، فلا يحتاج إلى تقدير الصلة في الكلام. وقد مرّ نظائره.

باب المدح^(١)

٧٨٥ - وقال يزيد الحارثي^(٢) : [الكامل]

- ١ - وإذا الفتى لاقى الجَمَامَ رأيتَه لولا الشناء كأنه لم يولدِ
٢ - وأتيتُ أبيضَ سابقًا سربالَه يكفي المشاهدَ غيبَ مَنْ لم يشهدِ

يقول: إذا أخلّى الفتى مكانه من الدنيا وانقضى عمره، فانتقل من الأولى إلى الأخرى، فلولا ثناء الناس عليه، وذكره بالجميل الذي يقدمه ويسديه، لنسي وقته وأمهده، وصار حكمه حكم مَنْ لم يولد فيعرف يومه وغده، لكن باقي الذكر ونامي العهد والرسم، بما يُنشر من حديث حسن وقصة، ويُحمد من عادة وسنة، هو الذي يصير به في حكم الحي الذي لم يمت، والمشهود الذي لم يفت. وقد توصل بهذا الكلام إلى إطرائه مَنْ يتشكره والثناء عليه، وهو قوله: «أتيتُ أبيضَ سابقًا سربالَه»، يريد: وزرت رجلاً كريماً حُرّاً، نقى الحسب من العيوب، واسع العطف والقميص، لباسه لباس الرؤساء والسادة.

وقوله: «يكفي المشاهد» يريد أنه ينوب في مجالس الكبار عمن لا يحضرها، فيحسن المحضر، ويقصر لسان المغتاب. ومثله قوله الآخر: [الكامل]

إنّا لنذكُرُ والرّماحُ تَنُوشُنَا تحتَ العجاجةِ ما يقال ضحَى العَدِ

(١) التبريزي جعل «باب الأضياف والمديح» باباً واحداً.

(٢) يزيد بن المخزوم بن حزن بن زياد الحارثي: من سادات الجاهلية وشعرائها، شهد يوم الكلاب الثاني. ترجمته في النقائق طبعة ليدن ص ١٥٠، واللباب ٣: ١٠٩، ومعجم المرزباني ٤٩٤.

٧٨٦ - وقال دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ^(١): [الطويل]

١ - تَرَاهُ حَمِيصَ الْبَطْنِ وَالزَّادَ حَاضِرَ عَتِيدٍ وَيَغْدُو فِي الْقَمِيصِ الْمُقَدِّدِ
وقد مرّت هذه الأبيات مشروحة^(٢).

٧٨٧ - وقال آخر^(٣): [الطويل]

١ - كَرِيمٌ رَأَى الْإِقْتَارَ عَارَ فَلَمْ يَزَلْ أَحَا طَلَبَ لِلْمَالِ حَتَّى تَمَوَّلَا
٢ - فَلَمَّا أَفَادَ الْمَالَ عَادَ بِفَضْلِهِ عَلَى كُلِّ مَنْ يَرْجُو جَدَاهُ مُؤَمَّلَا

الإقتار: نقيض الإكثار. يقال: فلان مُكثِرٌ، وفلان مُقْتِرٌ. وكذلك التقتير عقيب التكثر. ويقال: قَتَرَ عَلَى أَهْلِهِ وَأَقْتَرَ، إِذَا ضَيَّقَ عَلَيْهِمْ فِي الْإِنْفَاقِ، وَفِي الْقُرْآنِ: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾ [الفرقان: الآية ٦٧]، قُرِءَ بِضَمِّ الْيَاءِ وَفَتْحِهَا عَلَى اللَّغَتَيْنِ. يقول: لَمَّا رَأَى فِي مَالِهِ الْقُصُورَ وَالْعَجْزَ عَنْ مَدَى هَمِّهِ، رَأَى ذَلِكَ عَارًا وَمُنْقَصَةً، فَلَمْ يَزَلْ يَمْتَطِي الْمَرَكَبَ الشَّاقَّةَ طَالِبًا لِلْمَالِ، وَيَدِيمُ الْحُلَّ وَالتَّرْحَالَ فِي كَسْبِهِ وَجَمْعِهِ، حَتَّى إِذَا اسْتَغْنَى وَنَالَ مُنَاهُ، لَمْ يَنْفِرْ بِهِ دُونَ مُؤَمِّلِيهِ، وَلَمْ يَجْعَلْهُ مَقْصُورًا عَلَى لَذَاتِهِ وَمَبَاغِيهِ، وَلَكِنْ عَادَ يُفْضِلُ عَلَيْهِمْ، وَأَقْبَلَ يُشْرِكُهُمْ فِيهِ وَيُعْطِيهِمْ. ويقال: أَفَادَ بِمَعْنَى اسْتَفَادَ. وَالْجَدَا وَالْجَدَوَى: الْعَطِيَّةُ.

٧٨٨ - لَمَّا أَتَى يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بَالَ الْمُهَلَّبِ

قَامَ (كَثِيرٌ) بَيْنَ يَدَيْهِ فَقَالَ^(٤): [الطويل]

١ - حَلِيمٌ إِذَا مَا نَالَ عَاقِبَ مُجْمِلًا أَشَدَّ الْعِقَابِ أَوْ عَفَا لَمْ يُثْرِبْ
٢ - فَعَفَوْا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَحِسْبَةَ فَمَا تَحْتَسِبُ مِنْ صَالِحٍ لَكَ يُكْتَبُ^(٥)
٣ - أَسَاءُوا فَإِنْ تَغْفِرَ فَإِنَّكَ أَهْلُهُ وَأَفْضَلُ حِلْمٍ حِسْبَةَ حِلْمٍ مُغْضَبٍ

(١) بعده عند التبريزي:

«وإن مسه الإقواء والجهد زاده
قصير الإزار خارج نصف ساقه
قليل التشكي للمصيبات حافظ
من اليوم أعقاب الأحاديث في غدي»

(٢) انظر الحماسية (٢٧١).

(٣) في الحماسة البصرية ١: ١١٣ لأحمر بن سالم المزني.

(٤) الأبيات في ديوانه ٤٧. (٥) في التبريزي والديوان «فما تكتسب».

يَصِفُهُ بِكَرَمِ النَّفْسِ وَكَظْمِ الْغَيْظِ، وَاسْتِعْمَالِ الْحِلْمِ فِي وَقْتِهِ، وَالِانْتِقَامِ مِنَ الْأَعْدَاءِ بِأَشَدِّهِ فِي إِيَابِهِ وَجِينِهِ. فيقول: إِذَا نَالَ الْجَانِيَّ عَلَيْهِ، أَوْ الْعَدُوَّ الْمَكَاشِيحَ لَهُ، عَاقِبَهُ وَهُوَ مُجْمِلٌ، أَيْ لَا يَسْتَبْطِئُ وَلَا يُسْرِفُ، وَلَكِنْ يَنْتَهِجُ طُرُقَ الْعَدْلِ فِي الْإِنْتِقَامِ، وَيَقْصِدُ الْحَقَّ فِي إِقَامَةِ الْحَدِّ عِنْدَ التَّمَكُّنِ وَاللِّزَامِ، وَذَلِكَ أَشَدُّ مَا يُعَاقِبُ بِهِ مِثْلَهُ، أَوْ عَفَا عَنْهُ غَيْرَ مُؤَيَّخٍ عَلَى ذَنْبِهِ، وَلَا مَكْدَرٍ نِعْمَتِهِ فِي عَفْوِهِ. وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمْ﴾ [يُوسُفُ: الْآيَةُ ٩٢]: لَا تَخْلِيطًا وَلَا إِفْسَادًا. وَقَالَ غَيْرُهُ: لَا تَعْيِيرَ وَلَا تَوْبِيخَ.

وقوله: «فَعَفُوا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ» طَلَبَ وَسُئِلَ، وَانْتِصَابَ عَفْوًا عَلَى الْمَصْدَرِ. فيقول: اغْفُ وَقَدْ قَدَّرْتَ، وَاخْتَسِبَ عِنْدَ اللَّهِ بِمَا تَأْتِيهِ، فَهُوَ مَكْتُوبٌ لَكَ إِلَى يَوْمِ فَاقَتِكَ، وَمُدْخَرٌ إِلَى وَقْتِ مَجَازَاتِكَ، فَكَمَا تَعْفُو يُعْفَى عَنْكَ.

وقوله: «أَسَاؤُوا فَإِنْ تَغْفِرَ»، اعْتِرَافٌ بِالذَّنْبِ، وَاسْتِعْطَافٌ بِالْعَفْرِ. فيقول: إِنْ تَجَافَيْتَ عَنْ إِسَاءَتِهِمْ وَاسْتَعْمَلْتَ مَا أَنْتَ أَهْلُهُ مِنَ الْعَفْوِ عَنْهُمْ، فَإِنَّ ذَاكَ هُوَ الْمَرْجُوُّ مِنْكَ، وَالْمَعْتَادُ مِنْ نَظَرِكَ، وَأَفْضَلُ الْحِلْمِ احْتِسَابًا وَأَجْرًا حِلْمُ الْمَغِيطِ، وَالْمُضْجَرِّ الْمَمْتَلِكِ.

فَرُوِي أَنَّ يَزِيدَ لَمَّا قَرَعَ سَمْعَهُ هَذِهِ الْأَبْيَاتُ قَالَ: لَوْلَا أَنَّهُمْ قَدَحُوا فِي الْمُلْكِ لَعَفُوتَ عَنْهُمْ^(١).

٧٨٩ - وَقَالَ يَزِيدُ بْنُ الْجَهْمِ^(٢):

- ١ - تَسَائِلُنِي هَوَازِنُ أَيْنَ مَالِي وَهَلْ لِي غَيْرَ مَا أَنْفَقْتُ مَالًا
٢ - فَقُلْتُ لَهَا هَوَازِنُ إِنَّ مَالِي أَضُرُّ بِهِ الْمُؤَلِمَاتُ الثُّقَالُ
٣ - أَضُرُّ بِهِ نَعَمَ وَنَعَمَ قَدِيمًا عَلَى مَا كَانَ مِنْ مَالٍ وَبَالٍ

يقول: تَبَاجِثُنِي هَذِهِ الْقَبِيلَةُ عَنْ حَالِي، وَتَسَائِلُنِي عَنْ وَجْهِ غِنَايَ، وَمَصَارِفِ مَالِي. وَهَذَا إِخْبَارٌ عَنْهُمْ وَهَنْ مَبَاحَثَتِهِمْ وَاسْتِكْشَافِهِمْ فِي إِنْكَارِهِمْ. وَقَوْلُهُ: «وَهَلْ لِي» اسْتِفْهَامٌ عَلَى طَرِيقِ التَّنْفِي، كَأَنَّهُ قَالَ: وَمَالِي مَالٌ إِلَّا مَا أَنْفَقْتُهُ وَوَضَعْتُهُ حَيْثُ اخْتَرْتُهُ. وَهَذَا اعْتِرَاضٌ بَيْنَ الْإِبْتِدَاءِ مِنْ هَوَازِنَ فِي السُّؤَالِ وَبَيْنَ مَا أَتَى بِهِ فِي الْجَوَابِ، وَهُوَ

(١) التبريزي: «فَقَالَ لَهُ يَزِيدُ: أَطُتْ بِكَ الرَّحِمُ، أَيْ عَطَفْتَكَ عَلَيْهِمُ الرَّحِمُ».

(٢) فِي دِيَوَانِ الْحَمَاسَةِ بِرَوَايَةِ الْجَوَالِيْقِي: «وَقَالَ يَزِيدُ بْنُ الْحَكَمِ الْهَلَالِي».

قوله: «فقلت لها هوازن». وانتصب غيرَ على أنه استثناء مُقدَّم، كأنه لم يعتدَّ بما فَضَّلَ له عن مآربه، وبقي عنده في جواب مطالبيهِ. والمعنى أنه لا مالَ له إلا ما أنفقَه وقَدَّمه لا ما يُسأل عنه.

وقوله: «فقلت لها هوازن»، يريدُ أجبتهم وقلت: ما لي أفناء ما نزلَ بي من المِلِمَاتِ الفادحة، والثواب المجحفة، وأضُرُّ به قولي في جواب السُّؤال والوَرَاد: نَعَمْ، إيجابًا لهم، وإسعافًا بمقترحاتهم. وهذه اللفظة وَبَالَ على الأموال معروفٌ فيما تقادم من الأزمان. وانتَصَبَ «قديمًا» على الظُّرف، والعمل فيه ما اشتمل عليه قوله: «عليه ما كان من مالٍ وَبَالَ».

ونعم: حرفٌ وضع للإيجاب، ونقيضه لا. وقد جعله الشاعر على هيئته منقولًا إلى باب الأسماء، فهو فاعلٌ لأضُرُّ، ومبتدأ في قوله: «ونعم قديمًا» والخبر وبال.

فأما قول أبي تمام: [الكامل]

تقولُ إن قُلْتُم لا لا مسلِّمةً لاُمِرِكُمْ ونَعَمْ إن قُلْتُم نَعْمًا^(١)

فقد عيبَ عليه قوله نعمًا، وليس كما ظُنَّ، لأنه لما نقلَها وجعلها اسمًا نصبها بقُلْتُم، على حدِّ قولك: قلتُ خيرًا وقلتُ شرًا.

ويجوز أن يكون «قديمًا» انتصب على الصِّفة المتقدمة، أي نعم وبال قديم على الأموال، فلما قدَّمه نصبه. ومثله: [مجزوء الرمل]

لَمِيَّةٌ مُوجِشًا طَلَلٌ^(٢)

٧٩٠ - وقال أعرابي: [مشطور الرجز]

١ - أَلَا فَتَى نَالَ الْعُلَا بِهِمَّهِ

٢ - لَيْسَ أَبُوهُ بَابِنِ عَمِّ أُمِّهِ

٣ - تَرَى الرَّجَالَ تَهْتَدِي بِأُمِّهِ

(١) ديوانه ٣٠٥.

(٢) لكثير غزوة في ديوانه ٥٠٦، وخزانة الأدب ٣: ٢١١، واللسان (وحش) وعجزه:

«كان رسومها الخلل»

قوله: «أَلَا فَتَى» تمنّ، وألف الاستفهام دخل على لا النافية لهذا المعنى، ولذلك حذف التثني من فتى. ومعنى «نال الغُلا بهمّه» أي صرفَ همّه، وشغَلَ نفسه بما ابتنى به الغُلا، وعَمَرَ به مكارمَ قومه وذَوِيه.

وقوله: «ليس أبوه بابن عمّ أمّه»، هو المعنى الذي ورد به الخبر: «اغترَبُوا لا تُضَوُّوا»، لأنهم كانوا يعتقدون أن الولد إذا حصلَ بين متشاركين في النسب متقاربين، جاء ضاربًا.

وقوله: «تَرَى الرُّجَالَ تهتدي بأُمّه»، أي تراهم يَطْؤُونَ عقبه ويقدمونه فيهدون بقصده، ويقعدون برسمه، لرياسته وقُضله.

٧٩١ - وقال ابنُ المولى^(١)، ليزيد بن حاتم^(٢): [الكامل]

١ - وإذا تُباعَ كَرِيمَةٌ أو تُشْتَرَى فِسْوَكَ بَائِعُهَا وَأَنْتَ الْمُشْتَرِي
٢ - وإذا تَوَعَّرَتِ الْمَسَالِكُ لَمْ يَكُنْ مِنْهَا السَّبِيلُ إِلَى تَذَاكَ بِأَوْعَرِ
يقول: إذا قامت سوقُ المكارم، وثارَ رهجُ المغانم بين طُلّاب المعالي وتُجّار المَحامد، فغيرُك مِن حاضريها يزهد في حَوْزِ المَكْرُمات، ويرفعُ يَدَه عنها، فكأنّه يبيعها؛ وَأَنْتَ تَحْصُلُهَا وتجمع يدُك عليها، وتفوز بابتياعها وإن كانَ بأعلى الأثمان، وأثقل السَّيَم، فلا رغبةَ إذا نَظَرْنَا في مَجَامِعِ المجد، واعتبرنا فيها دَوَاعِي طُلّابِ الثَّناء والحمد، كَرِغبتِكَ. وقوله: تُباعُ أو تُشْتَرَى، أو بمعنى الواو، فهو كما يكتب في العقود: «وكلُّ حقٍّ له داخلٍ أو خارجٍ».

وقوله: «وإذا تَوَعَّرَتِ المسالكُ»، يريد وإذا اشتدَّ الزَّمانُ وانسَدَّت الطُّرُقُ إلى من يتندَّى وَيَشْتَهَرُ بفعل المعروف، لشمول القَحْط وإمحال الناس، فعادَتْ مسالكُ الجُود وَغَرَةً لا يُمكن قطعُها، ولا الوصولُ إلى أسباب الخير منها، كُنْتَ قَرِيبَ المَأْخَذِ، سهلِ الْفِئاءِ، حَسَنَ الإقبالِ على مُجْتَدِيكَ، جميلَ الاشماتِ على قُصَادِكَ وزائريك، فلا تُسْتَحْزَنُ أرضُكَ، ولا يُسْتَوَعَرُ جنابُكَ. وتَوَعَّرَت، من قولهم: طريق وَغَرٌ، أي غليظ. وقد وَعَرَ يَوْعَرُ. وطريق أَوْعَرٌ، من هذه اللُّغة.

(١) ابن المولى: محمد بن عبد الله بن مسلم مولى بني عمرو بن عوف من الأنصار: شاعر متقدم مجيد، من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية. كان ظريفاً عفيفاً حسن الهيئة (ت نحو ١٧٠ هـ/ نحو ٧٨٦ م). ترجمته في الأغاني ١٢: ١٦١، دار الكتب العلمية، والمرزباني ٤١١.

(٢) التبريزي: «يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب».

- ٣ - وإذا صَنَعْتَ صَنِيعَةً أَتَمَمْتَهَا بِيَدَيْنِ لَيْسَ نَدَاهُمَا بِمَكْدَرٍ
٤ - وَإِذَا هَمَمْتَ لِمُغْتَفِيكَ بَنَائِلٍ قَالَ الثَّدْيِ فَاطْعَمْتَهُ لَكَ أَكْثَرَ
٥ - يَا وَاحِدَ الْعَرَبِ الَّذِي مَا لَنْ لَهُمْ مِنْ مَذْهَبٍ عَنْهُ وَلَا مِنْ مَقْصِرٍ

قوله: «وإذا صنعت صنيعة»، يقول: وإذا اتخذت عند إنسان يداً وأزلت إليه نعمة، فإنك لا تُخدجها ولا تترك تربيتها، لكثك تكملها وتقوم بعمارتها، مضمونة من المَن والتكدير، صافية من الشوائب والتعذير؛ ومتى نويت لمجتديك الإفضال عليه اقتضاك كرمك والثدى الذي هو همك وسدّمك، وقالا وأنت تُطيعهما وتوجب مرسومهما: أكثّر له ليستغني عن غيرك، ويخلص المَن لك.

وقوله: «يا واحد العرب»، يجوز أن يتصل بقول الثدى ويكون الشاعر حاكياً، ويجوز أن يتصل بمخاطبة الشاعر، والقصد في الدعاء التخصيص والإطراء. والمعنى أنه واحد العرب لا نظير له فيهم، فهو المنظور إليه من بينهم، فلا مغدّل عنه في المهمات، ولا مقصر دونه في الملمات. والمقصر: الكف والإمساك.

٧٩٢ - وقال المعذل^(١): [الطويل]

- ١ - جَزَى اللَّهُ فِتْيَانَ الْعَتِيكِ وَإِنْ نَأَتْ بِمِي الدَّارِ عَنْهُمْ خَيْرَ مَا كَانَ جَارِيَا
٢ - هُمْ خَلَطُونِي بِالْأَنْفُسِ وَأَكْرَمُوا أَلِ صَحَابَةَ لَمَّا حُمَّ مَا كُنْتُ لَأَقِيَا

كان المعذل أخذ يجرم، فكفل عليه الثّمس بن ربيعة العتكي، وكان حيث كفل عليه: دُفِعَ إليه فحملَه على فرسٍ وبغلٍ، وأمره أن ينجو بدمه، وأسلم نفسه مكانه، فقال المعذل: اختر أن أمتدحك أو أمتدح قومك. فاختار امتداح قومه، فقال: تولّى الله عني جزاء فتيان العتيك، فقابلهم بخير ما يجازي به مستحقاً لجزاء، وإن بعدت عنهم، وتناءت داري عن دارهم.

ثم أخذ يقتص ما عومل به فدكرهم وقال: هم الذين خلطوني بأنفسهم، وأسقطوا الحشمة بيني وبينهم، فجعلوني أشاركهم في خيرهم، ولا أتفرد بالضير فيهم؛ ثم إنهم صاحبوني مصاحبة كريمة لما قدّر لي ما كنت أكابده، فضموني إلى أنفسهم متكفلين بي، وصابرين على المكروه دوني، ثم فكوا أسري وأبلغوني مأمني.

(١) التبريزي: «المعذل بن عبد الله الليثي».

فإن قيل: ما فائدة قوله: «وإن نأت بي الدار عنهم»؟ قلت: أراد أنه لا يشكرهم مقارضا ولا طامعا فيؤثر فيما هو الغرض فيه قرب الدار وبُعدها، بل يؤدي حق نعمة، ويقضي لازم فريضة وقوله: «لما حُم» يجوز أن يكون ظرفا لأكرموا. ومعنى حُم قُدر.

- ٣ - هُم يُفْرِسُونَ اللَّبْدَ كُلَّ طِمْرَةٍ وَأَجْرَدَ سَبَّاحٍ يَبْدُ الْمُغَالِيَا
٤ - طَعَامُهُمْ فَوْضَى فَضًا فِي رِحَالِهِمْ وَلَا يُحْسِنُونَ السَّرَّ إِلَّا تَنَادِيَا
٥ - كَانَ دَنَانِيرًا عَلَى قَسِمَاتِهِمْ إِذَا الْمَوْتُ لِلْإِبْطَالِ كَانَ تَحَاسِيَا

ذكر ما شاهدتهم عليه في مجاورتهم، ويَجْرُونَ عليه في عاداتهم ومصارفهم، وَيَنْتَقِلُونَ فيه أوقات حَفْلِهِمْ، وعند خَلْوَتِهِمْ، وفيما ينوبهم من نائبة تخصُّهم أو تعمُّهم. فقوله: «يفرسون اللَّبْدَ» بضم الياء، أي يجعلون اللَّبْدَ فراشا لظهر كل رَمَكَةٍ وثَّابة، وكلَّ فحل كريم سَبَّاحٍ في عذوه، غَلَابٍ لِمُبَارِيهِ في العُلُوِّ، سَبَّاقٍ في الرِّهَانِ يَحُوزُ قَصَبَ التَّقْدُمِ والعلو.

ويقال: قَرَشْتُ الْفِرَاشَ وأفرشنيهِ فلان، وافترشت الأرض والمرأة. وروى بعضهم: «هم يَفْرِشُونَ» بفتح الياء، وقال: أراد يَفْرِشُ اللَّبْدَ على كلِّ طِمْرَةٍ، فحذف الجار، قال: ويقال: فرشتُ ساحتِي الْأَجْرَ وبِالْأَجْرِ.

وقوله: «يَبْدُ الْمُغَالِيَا» إن ضمنت الميم جاز أن يُراد به السَّهْمُ نفسه أو قَرَسُ يُغَالِيهِ. وجاز أن يراد به الرَّافِعُ يَدَهُ بِالسَّهْمِ يريدُ به أقصى الغاية. ويقال: بيني وبينه غَلَوَةُ سَهْمٍ، كما يقال قِيدُ رُمَحٍ وَقَابُ قَوْسٍ. وإن فتحت الميم يكون جَمْعًا لِلْمِغْلَاةِ، وهي السَّهْمُ يَتَّخِذُ لِلْمِغْلَاةِ. والمعنى: يسبق السَّهْمُ في غَلَوَتِهِ.

ومُرَادُ الشَّاعِرِ أَنَّ سَعِيَهُمْ مَقْصُورٌ عَلَى تَفْقُدِ الْخَيْلِ وَخِذْمَتِهَا، وَالتَّفَرُّسِ عَلَى ظَهْرِهَا.

وقوله: «طَعَامُهُمْ فَوْضَى فَضًا» فَوْضَى من فَوْضْتُ الْأَمْرَ إِلَيْكَ. وَالْفَضَا من فَضَّتِ الْأَرْضُ، إِذَا اتَّسَعَتْ؛ وَمِنْهُ الْفَضَاءُ، وَأَفْضَيْتُ إِلَيْهِ بِكَذَا. وَالْمَعْنَى أَنَّ الطَّعَامَ عِنْدَهُمْ وَفِيهِمْ لَا يُكَالُ وَلَا يُوزَنُ، وَلَا يُقْتَسَمُ وَلَا يُفَرَزُ، بَلْ يَأْكُلُهُ فِي رِحَالِهِمْ كُلُّ مَنْ أَحْتَاجَ إِلَيْهِ، غَيْرَ مَمْنُوعٍ عَنْهُ. وَقَوْلُهُ: «وَلَا يُحْسِنُونَ السَّرَّ إِلَّا تَنَادِيَا»، أَيْ لَا رِيْبَةَ فِي أَقْوَالِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ فَيَخْفِضُوا الصَّوْتَ بِمَا يَتَخَاطَبُونَ بِهِ، فَعَلَى هَذَا يَكُونُ تَنَادِيًا مُسْتَثْنَى، وَيَكُونُ التَّقْدِيرُ: لَا يُحْسِنُونَ السَّرَّ لَكُنْهُمْ يَتَنَادُونَ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ «تَنَادِيَا» فِي مَوْضِعٍ

الحال، ويكون من باب: [الوافر]

تحيةً بينهم ضَرَبَ وَجِيعٌ^(١)

و:

أَغْيَبُوا بِالضَّيْلِ^(٢)

وما أشبههما.

وقوله: «كَأَنَّ دَنَانِيرًا عَلَى قِسِمَاتِهِمْ» فالْقِسِمَةُ: الوجه. ويقال: وَجْهٌ مَقْسَمٌ، إذا وَفَّى كُلُّ جُزْءٍ مِنْهُ حَقَّهُ من الحسن يريد أَنَّ الشَّدَائِدَ لَا تَكْسِرُ شَوْكَتَهُمْ وَلَا تَغْضُ أَبْصَارَهُمْ وَلَا تُغَيِّضُ مِيَاهَ وَجُوهِهِمْ، بل يزدادون على طول المِرَاس والجَذَاب حُسْنًا ونشاطًا. فَكَأَنَّ سَحَنَاتِهِمْ غُشِيَتْ بِالدَّنَانِيرِ إِشْرَاقًا وَنُورًا، في وقتٍ تتحامى الأبطالُ فيه الموت. وهذا مَثَلٌ لِلشَّدةِ وَقَدْ وَطُنَتِ الثُّقُوسُ عَلَيْهَا، وَذُلَّتْ لَهَا. أي تشرب الشُّجْعَانُ كُؤُوسَ الْمَوْتِ حَسَوَاتٍ.

٧٩٣ - وقال بعضهم^(٣): [الطويل]

- ١ - وَزَادَ وَضَعْتُ الْكَفَّ فِيهِ نَائِسًا وما بِي لولا أَنَسَةُ الضَّيْفِ مِنْ أَكْلِ
- ٢ - وَزَادَ رَفَعْتُ الْكَفَّ عَنْهُ تَكْرُمًا إذا ابْتَدَرَ الْقَوْمُ الْقَلِيلَ مِنَ الثُّفْلِ
- ٣ - وَزَادَ أَكَلْنَاهُ وَلَمْ نَنْتَظِرْ بِهِ هَذَا إِنَّ بُخْلَ الْمَرْءِ مِنْ أَسْوَأِ الْفِعْلِ

يصف وَفُورَ عقله وحُسْنَ تَأْتِيهِ في تَقَلُّبِ الأحوال به، ودهابه مع الكرم أُنَى اعْتِمَادَ، وَمَعَ مَنْ تَصَرَّفَ. فيقول: رَبُّ زَادَ وَضَعْتُ كَفِّي فِيهِ إِيْنَاسًا لِلْمَجْتَمِعِينَ عَلَيْهِ، وَتَأْنَسًا بِمُؤَاكَلَتِهِمْ، وَلَكِي يَنْشَطُوا بِكَوْنِي مَعَهُمْ، وَيَطْرَحُوا الْحَشِمَةَ لِانْضِمَامِي إِلَيْهِمْ، لولا ذلك لَكُنْتُ غَيْرَ مُحْتَاجٍ إِلَيْهِ، وَلَزِهَدْتُ فِي التَّنَاولِ مِنْهُ. وقوله: «أَنَسَةُ الضَّيْفِ»، يقال: أَنَسَ وَأَنَسَ كَمَا يُقَالُ بُغِدَ وَبُغْدَةٌ، وَشَقَاءٌ وَشَقَاوَةٌ، وَمَنْزِلٌ وَمَنْزِلَةٌ، وَدَارٌ وَدَارَةٌ.

وَرَبُّ زَادَ أَمْسَكْتُ عَنْ أَكْلِهِ، وَانْقَبَضْتُ عَنْ الْجَمْعِ مَعَ أَكْلِيهِ مُؤَثِّرًا لِغَيْرِي بِهِ، وَتَوْسِيْعًا عَلَى مَتَنَولِيهِ، فِي وَقْتٍ مِنَ الزَّمَانِ يُرَى الْقَوْمُ يَسْتَيْقِنُونَ إِلَى الْقَلِيلِ مِنْ سَقَطِ

(١) البيت لعمر بن معديكرب وصدرة:

«وخيل دلفت لها بخيل»

(٢) هذه قطعة من بيت لبشر بن أبي خازم في اللسان (صلم)، وهو بتمامه:

غضبت تميم أن تقتل عامر يوم النار فأعتبوا بالصلم

(٣) التبريزي: «وقال أعرابي».

الزاد، لعزته وشدة حاجتهم إليه، وبعد عهدهم بأطاييه، ورب زاد أفنيائه وتوسعنا فيه، غير مفكر في مستأنف الزمان، ولا خائف من عواصف الحداث، ولو بقينا لغد ذلك من فعلنا بخلا به، والبخل من أسوأ أفعال المرء وأقبحها. وانتصب «تأنسا» على أنه مصدر في موضع الحال. وقوله: «من أكل» في موضع الرفع لأنه اسم ما، والنفي بما تناوله من حديث لولا. وكذلك قوله: «تكرما» في موضع الحال، «إذا ابتدر» ظرف لرفعت، وهو جوابه. وهو قوله: «لم ننتظر به غدا» أي لم ننتظر باستيفائه غدا، أي مجيء الوقت الذي نسميه غدا.

٧٩٤ - وقال بعضهم: [البسيط]

١ - لَقُلْ عَارًا إِذَا ضَيَّفَ تَضِيْفَنِي مَا كَانَ عِنْدِي إِذَا أُعْطِيتُ مَجْهُودِي

٢ - جَهْدُ الْمُقِلِّ إِذَا أَعْطَاكَ نَائِلُهُ وَكَثِيرٌ فِي الْغِنَى سَيِّئَانِ فِي الْجُودِ

اللام من «لَقُلْ» جواب يمين مضمرة، وفاعل قل ما كان عندي. و«عارًا» انتصب على التمييز، وهو مما نُقِلَ الفعلُ عنه، كأنه كان لَقُلْ ما كان عندي، فنقل قل وجعله لقوله ما كان، وأشبهه عارًا المفعولُ فنصبه. وقوله: «إذا أعطيت» ظرف لقوله: «قل ما كان عندي». وإذا ضيَّفَ تضيِّفَنِي، ظرف لقوله: «إذا أعطيت مجهودي». وتلخيص الكلام: لقد قل عار ما كان عندي إذا أعطيتُ منه مجهودي إذا ضيَّفَ تضيِّفَنِي. والمعنى: لا عار في القليل الذي عندي إذا أعطيتُ مجهودي في الوقت الذي يتضيِّفَنِي الضَّيْفُ. ومثل هذا البيت فيما اجتمع فيه من الظرفين قول الآخر: [الطويل]

عَلَامَ تَقُولُ الرَّمْحُ يُثْقِلُ سَاعِدِي إِذَا أَنَا لَمْ أُطْعَمَ إِذَا الْخَيْلُ كَرَّتْ^(١)

وقوله: «جهدُ المُقِلِّ» مبتدأ، وعطف مُكثِرٌ على المُقِلِّ، وقد حذف المضاف منه، والمراد وجهدُ مُكثِرٍ في الغنى، فاكْتَفَى بالأول عن الثاني، وسَيِّئَانِ خبر المبتدأ، كأنه قال: جهدُ المُقِلِّ إذا أعطاك ما عنده وجهدُ مُكثِرٍ في الغنى مثْلَانِ في أحكام الجود وشرائطه، لأن كلا منها فَعَلَ مجهودَه. وإنما قلنا هذا لأنك إن لم تضم في قوله: «ومكثِر» المضاف تكون قد جمعت بين الحدث وهو جهدُ المُقِلِّ، وبين الذات وهو مُكثِر فجعلتهما سَيِّئَيْنِ. والشرط أن يُضَمَّ الحدثُ إلى الحدث، والذاتُ إلى الذات. وقوله: «في الغنى» في موضع الصفة لمكثِر، كأنه قال ومكثِرٌ غِنِي.

(١) لعمرو بن معديكرب في ديوانه ٧٢، وخزانة الأدب ٤٣٦: ٢، والدرر ٢٧٤: ٢.

وهذا كما تقول: جاءني رجل في جُبَّة، تريد وعليه جُبَّة، وتحقيقه: جاءني رجلٌ لابَسَ جبة.

وقد ثَبَّنَ من البيت الثاني معنى البيت الأول، واعتذاره من القليل الذي يُعطيه إذا ضاف ضَيْفٌ.

٧٩٥ - وقال خَلَفُ بْنُ خَلِيفَةَ^(١): [الطويل]

- | | |
|--|--|
| ١ - عَدَلْتُ إِلَى فَخْرِ الْعَشِيرَةِ وَالْهَوَى | إِلَيْهِمْ وَفِي تَعْدَادِ مَجْدِهِمْ سُفْلُ |
| ٢ - إِلَى هَضْبَةٍ مِنْ آلِ شَيْبَانَ أَشْرَفْتُ | لَهَا الذَّرْوَةُ الْعَلِيَاءُ وَالكَاهِلُ الْعَبْلُ |
| ٣ - إِلَى الثَّنْفَرِ الْبَيْضِ الْأَوْلَاءِ كَأَنَّهُمْ | صَفَائِحُ يَوْمِ الرُّوعِ أَخْلَصَهَا الصَّفْلُ |
| ٤ - إِلَى مَعِينِ الْعِزِّ الْمُؤَيَّدِ وَالْتِنْدَى | هُنَاكَ هُنَاكَ الْفَضْلُ وَالْخُلُقُ الْجَزْلُ |

قوله: «والهوى إليهم» مبتدأ وخبره قد اعترضَ بَيْنَ صدر البيت وعجزه، والواو واو الحال. والمعنى: وهوائي معهم؛ لأنَّ إلى بمعنى مع، كما يقال هذا إلى ذاك. ويجوز أن يُعطف والهوى على فخر العشيرة، فيكون المراد عَدَلْتُ إلى الافتخار بهم، وإلى الهوى معهم. فيقول: صرفتُ همِّي إلى ذكر مفاخر العشيرة، وهوائي معهم، وتركتُ غَيْرَهُ لأنَّ في عَدُّ مجديهم وإحصائه ما يَشْغَلُنِي عن غَيْرِهِ. ثم كَرَّرَ «إلى» مفخِّمًا ومعظِّمًا، فقال: إلى هضبةٍ مِن شأنها كذا، وإلى الثَّنْفَرِ الذين من شأنهم كذا، وإلى معدن العزِّ الذي من أمره كذا. والمراد بجميع ما ذكر العشيرة وإن اختلفت العبارات عنها.

وقوله: «أشرفْتُ لها الذَّرْوَةُ العلياء»، يعني هضبةَ العزِّ. فيقول: عَلَتْ لهذه الهَضْبَةِ ذِرْوَةٌ شامخةٌ وكاهلٌ ضخم، يريد عِظَمَ الهَضْبَةِ وَسُمُوْقَهَا واتِّسَاعَ جوانبها.

وقوله: «إلى الثَّنْفَرِ الْبَيْضِ» يعني آلَ شَيْبَانَ. ذكر عِزَّهُمْ وَكُنَى عنه بالهَضْبَةِ، والقصدُ إلى أَنَّهُم المُلْجَأُ والمَعْقِلُ. «والأولاء» في معنى الذين، وما بعده من صِلَتِهِ، وَيُمَدُّ وَيُقَصَّرُ، فيقال: الأولاء والأولى. وأراد بِالْبَيْضِ الكرامَ الْمُتَّقَى الأحساب. وقوله: «كَأَنَّهُمْ صَفَائِحُ يَوْمِ الرُّوعِ»، يجوز أن يضيف صفائح إلى يومِ الرُّوعِ، ويريد تشبيهَهُمْ في نفاذهم وقُدُودِهِم بالسُّيُوفِ المَعْدَّةِ لِيَوْمِ الرُّوعِ، لا الْمَاعِضِ وما يُبْتَدَلُ في العوارضِ سِوَى الْحَزْبِ. ولك أن تنصب «يوم» على الظُّرْفِ. يريد صفائح مصقولة

(١) سبقت ترجمته في الحماسية (٢٩٦).

جُرِّدَتْ يَوْمَ الرُّوعِ، وَأُعْمِلَتْ وَأُنْفَذَتْ. وعلى الوجهين جميعًا يكون «أَخْلَصَهَا الصُّقْلُ» من صفة الصفائح.

وقوله: «إِلَى مَعْدِنِ الْعَزِّ الْمُؤَيَّدِ» معنى المؤيَّد المقوَّى بمواده التي تُصَرَّفُ إليه، لحسن مراعاتهم ومحافظةهم على المجد. ولك أن تروي «المؤيَّد» بالباء، ويكون المعنى العزَّ الدائم الثابت على مَرِّ الأيام. وقوله: «والندى» لك أن تجرَّه معطوفًا على العزِّ وتصير هناك مكرَّرًا، والفضل مبتدأ وهناك خبره، وقد كرر الخبرَ تفخيماً وتعظيماً. وكما يكرَّرُ الخبر يكرَّرُ المبتدأ، تقول: زيدٌ زيدٌ عاقل، وزيد عاقل عاقل. ولك أن تجعل «والندى» مبتدأ ويكون هناك الأول خبره، والواو واو الحال، ويكون «هناك الفضل» مستأنفاً.

وقوله: «الْخُلُقُ الْجَزَلُ» الْجَزَالَةُ مستعملة في الرَّأي والخُلُقِ، وفي القرآن: ﴿وَأَنَّكَ لَآتَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝﴾ [القلم: الآية ٤]، فاستعمل العِظَمَ أيضًا.

- ٥ - أَحِبُّ بَقَاءَ الْقَوْمِ بِالْمِصْرِ إِنَّهُمْ مَتَى يَظْعَنُوا عَنْ مِصْرِهِمْ سَاعَةً يَخْلُو^(١)
٦ - عِذَابٌ عَلَى الْأَنْوَاءِ مَا لَمْ يَذُقْهُمْ
٧ - عَلَيْهِمْ وَقَارُ الْجِلْمِ حَتَّى كَانُوا وَلِيذُفْهُمْ مِنْ أَجْلِ هَيْبَتِهِ كَهْلُ
٨ - إِذَا اسْتَجْهَلُوا لَمْ يَغْرُبِ الْجِلْمُ عَنْهُمْ وَإِنْ آثَرُوا أَنْ يَجْهَلُوا عَظُمَ الْجَهْلُ

قوله: «أَحِبُّ بَقَاءَ الْقَوْمِ بِالْمِصْرِ» يصف به كثرة خيرهم وعموم النفع بمكانهم في مقامهم، وسكون الناس إليهم، وقيام مرواتهم وسياساتهم في أوطانهم ومظانهم، فيقول: أَحِبُّ لَبَنَتِهِمْ فِي دُورِهِمْ وَمَوَاضِعِهِمْ، فَإِنَّهُمْ مَتَى ارْتَحَلُوا عَنْ مِصْرِهِمْ سَاعَةً خَلَا وَصَارَ فِي حُكْمِ مَا لَمْ يُخْتَضَ مِنَ الْبِلَادِ وَلَمْ يُؤْهَلْ بِالْقُطَانِ وَالسُّكَّانِ، لِأَنَّ عِمَارَتَهُ كَانَتْ بِهِمْ، وَدَخَلَ فِي عِدَادِ الْأَمْصَارِ بِسُكْنَانِهِمْ. وانجزم «يخلو» لأنه جواب الشرط، وهو متى يظعنوا، لكنه أطلق فزاد ما يلحق للإطلاق في قوله: تخلو. قالوا: وهلنا ليست التي كانت لآم الفعل، وإنما هي كالواو التي في قولك:

..... أَيْتَهَا الْخِيَامُ^(٢)

(١) التبريزي: «من مصرهم».

(٢) قطعة من بيت لجبر في ديوانه ٥١٢، وتماه:

«مَتَى كَانَ الْخِيَامُ بِذِي طُلُوحٍ سَقَيْتِ الْغَيْثَ أَيْتَهَا الْخِيَامُ»

وبمثل هذا تقول في لم نرِمي، ولم يَخْشَى، إذا وَقَعَتْ في القافية، فيصير الألف كآلف «الجِرعَا» والياء كياء «الأيامي». وعلى هذا القول في: [الطويل]

ألا أيها اللّيل الطّويل ألا انجلي^(١)

الياء فيه للإطلاق، فأما مَنْ قال: [الطويل]

ألم يأتَيْكَ والأنباء تَنْمي^(٢)

[الرجز]

ولا تَرْضَاهَا ولا تَمَلِّقِ^(٣)

[البسيط]

مَنْ هَجُوَ زَبَانٌ لم يَهْجُو ولم يدَعِ^(٤)

فالياء والواو والألف لاماتٌ بَقِيَتْ في موضع الجَزْم، لأنَّ المحذوف للجزم عنده من هذ الأفعال وأشباهها حركاتٌ كانت في الثَّيَّة اسْتَقْبَل اللَّفْظُ بها في موضع الرِّفْع مع حروف المدِّ، ثم حُذِفَتْ حروف المد ليكونَ الفعل مجزوماً أُنْقَصَ لَفْظاً منه وهو غير مجزوم، فعند الضرورة أثبتَّها ولم يكن مخطئاً، إذ لم يكن سقوطُها إعراباً، ويكون الياء على هذا القول في قوله: «ألا انجلي» لام الفعل أيضاً.

وقوله: «عَذَابٌ على الأفواه ما لم يَذُقْهُمْ» ما في موضع الظَّرْف. أراد أنَّ طَعْمَهُمْ خُلُوٌّ إلَّا على أفواه العُدَاة، لأنَّ أخلاقَهُمْ تَشْمُسُ عند الأعداء فَيَخْشَن جانبُهُم لهم، ويمُرُّ مذاقُهُم على أفواههم إذا ذاقوهم. وقد جمع بين الطَّعم والذَّكر، لذلك أعاد ذِكرَ الأفواه فقال: وبالأفواه، كأنَّه قصد في الأوَّل الإنباء عن كرم طبعِهِم ولين أخلاقِهِم عند التَّجربة، وفي الثاني أَنَّهُ يُسْتَخْلَى ذِكْرُهُم فيطيب في المَسْمَعَة، لشُمول إحسانِهِم، وكثرة محاسِنِهِم، فتقوم الشَّهادتُ بفضْلِهِم في الحاليتين.

(١) البيت لامرئ القيس في معلقته وعجزه:

«بصبح وما الإصباح فيك بأمثل»

(٢) لقيس بن زهير في الأغاني ١٧: ١٣١، وخزانة الأدب ٨: ٣٥٩، وعجزه:

«بما لاقت لبون بني زياد»

(٣) لرؤبة في ملحق ديوانه ١٧٩، وخزانة الأدب ٨: ٣٥٩، والدرر ١: ١٦١.

(٤) لزبان بن العلاء في معجم الأدباء ١١: ١٥٨، وبلا نسبة في تاج العروس (زيب، زين)، والإنصاف ١: ٢٤٤. وصدرة:

«هجوَت زَبَانٌ ثم جثَّت معتذراً»

وقوله: «عليهم وَقَارَ الْجِلْمِ»، أراد أنهم يحلمون في المعاملة، ويتوقرون مع من يجزّ الجرائر عليهم، فصغارهم لهيبتهم في النفوس كالكُهل من غيرهم؛ وإن حُمِلوا على جهلٍ في وقتٍ، بأن يصير مُجاذبهم عاديًا طَوْرَه، لم يفارقهم الجِلْمُ أيضًا، بل يكافئون المسيء على قدر إساءته. ثم إن آثروا استعمال الجهلِ لأمرٍ يُوجب ذلك فاستمروا فيه واشتطوا عَظُمُ البلاء بهم فلم يُطاقوا.

ويقال أَيْزَتْ الشيء وأَثَرَتْ بمعنى.

- ٩ - هُمُ الْجِبَلُ الْأَعْلَى إِذَا مَا تَنَاقَرَتْ مَلُوكُ الرُّجَالِ أَوْ تَخَاطَرَتْ الْبُزُلُ
 ١٠ - أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْقَتْلَ غَالٍ إِذَا رَضُوا وَإِنْ غَضِبُوا فِي مَوْطِنٍ رَخِصَ الْقَتْلُ
 ١١ - لَنَا فِيهِمْ حِصْنٌ حَصِينٌ وَمَغْقِلٌ إِذَا حَرَّكَ النَّاسَ الْمَخَافُ وَالْأَزْلُ
 ١٢ - لَعَنَرِي لِنَعَمِ الْحَيِّ يَذْعُو صَرِيحُهُمْ إِذَا الْجَارُ وَالْمَاكُولُ أَرْهَقَهُ الْأَكْلُ

وصفهم بعلو الشأن وارتفاع المكان، فقال: هم الرُّكن الأرفع، والطود الأرفع، وقت مدهاة الرجال بعضهم بعضًا، ومناكدة الأملاك حالًا فحالًا، فلا يُغالب رأيهم، ولا يُحلل عقدهم، ولا يُبلغ غورهم، ولا يُستقصر مكرهم. فقوله: «تَنَاقَرَتْ» تفاعل من التكر الداهية؛ وهو حسن. ويجوز أن يكون تفاعل من الإنكار، فيكون تَنَاقَرَتْ ضدَّ تعارفت، أي ينكر بعضهم بعضًا، لِمَا يَنْطَوِي عليه كلُّ لصاحبه من سوء الرأي وإضمار الشر.

وقوله: «أو تخاطرت البُزُل» هو تفاعل من الحَطْران، وهو إشالة الأذنب وإدارتها عند الهياج. وهذا إشارة إلى المتحاربين المتجاذبين إذا تدافعوا بأركانهم، كما أن قوله: «تَنَاقَرَتْ ملوك الرجال»، يريد إذا تداهاوا بمكايدهم. فيريد أنهم يعلون رؤساء الناس قولًا وفعلًا، ومكرًا ودَهْيًا.

وقوله: «ألم تر أن القتلَ غَالٍ إِذَا رَضُوا»، يريد أن من أوى إليهم واستنأى إلى جانبهم، فاستعطف هواهم وحصل رضاهم، أَمِنَ وَعَزَّ فلا يلحقه قَصْدٌ، وسَلِمَ على الدهر فلا يجري عليه جَوْرٌ؛ وَمَنْ عَدَلَ عنهم واستتر في سَنَنِ غَضَبِهِم، عَرَضَ بنفسه وتَعَجَّلَ الطمع من كل أحدٍ فيه، فقتله يَسْهُلُ وَيَرْخُصُ إِذَا قَتْلُ الْمُتَعَزِّزِ بِهِمْ يَصْعَبُ أَوْ يَغْلُو. ثم قال: «لنا فيهم حصنٌ حصينٌ»، يصف ما عَمَّهُم من الأَمَنَةِ فيهم وبمكانهم. فيقول: هم لنا معقلٌ حريزٌ وحصنٌ حصينٌ، في وقتٍ يَقْلُقُ النَّاسُ فيه، لاستيلاء الخوفِ عليهم، واستعلاء القحط والبلاد فيهم. والأزل: الضيق.

وقوله: «لعمري لنعم الحي»، المحمود بنعم محذوف، كأنه قال: إذا استغاث بهم الصريخ وهو المستغيث فاستصرخهم أجابوه ونصروه، فنعم الحي هم وقد دُعوا، إذا الجارُ مأكولٌ ومطموع فيه، وإذا اشتد الزمانُ فقني الزاد وعزُّ الطعام. وقوله: «الجار» مبتدأ وأرهقه الأكل في موضع الخبر. واكتفى بالإخبار عنه وإن كان عطف المأكول عليه، كأنه قال: إذا الجار أهرقه الأكل والمأكول كذلك.

ويشبهه قول الآخر في الإخبار عن المعطوف عليه دون المعطوف: [الطويل]

فلاني وقيارًا بها لغريب^(١)

وقد مر مثله.

ومعنى أهرقه الأكل ضيق عليه وغشيه. وقد قيل: أكلت فلانًا، إذا غلبته وقهرته. وكُنِيَ عن المستضعف باللحم والشحم فليل: ترك فلان لحمًا على وضيم، وفلان شحمةً للمتبلغ. قال الشاعر: [الطويل]

فلا تحسبني يا ابن أزنم شحمةً تزردها طاهي شواءٍ ملهوج

١٣ - سعاة على أفناء بكر بن وائل وتبل أقاصي قومهم لهم تبل

١٤ - إذا طلبوا دخلًا فلا الدخل فائت وإن ظلموا أكفاءهم بطل الدخل

١٥ - مواعيدهم فعل إذا ما تكلموا بتلك التي إن سميت وجب الفعل

١٦ - بحور ثلاثيها بحور عزيزة إذا زخرت قيس وإخوتها ذهل

قوله: «سعاة على أفناء بكر»، السعي يستعمل على وجوه، وكذلك السعاية. ويقال للمصدق الساعي، والمصدر السعاية. وهو يسعى على قومه، إذا قام بأمورهم. والمسعاة في الكرم والجود. والشاعر يريد أنهم يذّبون عنها ويسعون في مصالحهم وحفظ ذممهم. وقوله: «وتبل أقاصي قومهم» تبل يؤكد ما قبله. والمعنى دخل الأبعد من قومهم كدخل المختص بهم، لأنهم يتشمرون في الانتقام والانتصار فيهما على حد واحد.

(١) هذا عجز بيت لضابي بن الحارث البرجمي وصدره:

«فمن يك أمسى بالمدينة رحله»

وقوله: «إِذَا طَلَبُوا ذَخْلًا فَلَيْسَ بِفَائِتٍ»، يقال: طلبت عند فلانٍ دَحْلًا، إِذَا رُمِتْ مكافأته على عداوةٍ منه أو جِنَايةٍ. وأراد أَنَّهُمْ إِنْ وُتِرُوا لَا يَفُوتُهُمْ إدْرَاكُ الْوِتْرِ، وَإِنْ وُتِرُوا غَيْرَهُمْ مِنْ أَكْفَائِهِمْ وَظَلَمُوهُمْ لَمْ يَنْتَصِفْ مِنْهُمْ، وَلَمْ يُدْرِكِ الثَّأْرُ مِنْ جِهَتِهِمْ.

وقوله: «مواعيدهم فعل»، أراد أَنَّهُمْ يَنْجُزُونَ الْوَعْدَ وَيَصْدُقُونَ الْأَقْوَالَ بِالْفِعْلِ، وَأَنَّ هَذَا دَائِبُهُمْ فِي الْخِصَالِ الَّتِي إِذَا سَمِيَتْ مَوْعِدًا بِهَا وَذِكِرَتْ، قَالَ النَّاسُ يَجِبُ مَعَ الْقَوْلِ فِعْلُهَا، اسْتِعْبَادًا لِلْوَفَاءِ.

وقوله: «بحور تُلَاقِيهَا بُحُورُ غَزِيرَةٍ»، يريد أَنَّهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ كَالْبُحُورِ كَثْرَةً وَسِمَاحًا، وَاتِّسَاعًا وَعِزَّةً، فَإِذَا لَاقَتْهَا بُحُورُ قَيْسٍ وَذَهَلِ زَاخِرَةٌ فَقَدْ كَمُلَ الْأَمْرُ وَتَنَاضَى الْعِزُّ، وَاطَّرَدَ الْمَاءُ، وَطَمَا التَّيَّارُ حَتَّى لَا يُطَاقَ.

٧٩٦ - وقال آخر:

- ١ - عَادُوا مُرُوءَةً نَا وَضُلِّلَ سَفِيهِمُ وَلِكُلِّ بَيْتٍ مُرُوءَةٌ أَغْدَاءُ^(١)
٢ - لَسْنَا إِذَا ذُكِرَ الْفَعَالُ كَمَعَشَرٍ أَزْرَى بِفِعْلِ أَبِيهِمِ الْأَبْنَاءُ

يشبهه قولُ الآخر: [الكامل]

لَا يَمْلِكُونَ عَدَاوَةً مِنْ حَاسِدٍ وَجِدَاءُ كُلِّ مُرُوءَةٍ حُسَاذُهَا
وقول الآخر: [البسيط]

إِنَّ الْعَرَانِينَ تَلَقَاهَا مُحَسَّدَةٌ وَلَا تَرَى لِلثَّامِ النَّاسِ حُسَادًا^(٢)

وقوله: «وَضُلِّلَ سَعِيهِمْ» أَي نُسِبَ إِلَى الضَّلَالِ لَمَّا لَمْ يَلْحَقُوا شَأْوَهُمْ.

وقوله: «لَسْنَا إِذَا ذُكِرَ الْفَعَالُ كَمَعَشَرٍ» يريد: لَا نَعْتَمِدُ عَلَى مَنَاسِبِنَا، وَعَلَى مَا قَدَّمَهُ أَسْلَافُنَا مِنَ الْمَفَاخِرِ وَالْمَسَاعِي، لَكُنَّا نَعْمُرُ مَا شَيْدُوهُ، وَنَسْتَحْدِثُ بِأَفْعَالِنَا مَا يَقْوِيهِ وَيَكْثُرُهُ، وَلَا يَصِيرُ مُزِرِيًا بِهِ.

(١) التبريزي: «فَضِّلَ».

(٢) بلا نسبة في أساس البلاغة (حسد)، والتبريزي ١٠٣٤.

٧٩٧ - وقال أعشى ربيعة^(١) يمدح عبد الملك

ابن مزوان:

[الطويل]

ويقال إنه دخل عليه فقال: يا أبا المغيرة، ما بقي من شعرك؟ فقال: لقد بقي منه ودَّهَب. عَلَى أَنِّي أَنَا الَّذِي أَقُول. ثُمَّ أَنشَدَ هَذِهِ الْآيَات:

- ١ - وما أَنَا فِي حَقِّي وَلَا فِي خُصُومَتِي بِمَهْتَضَمِ حَقِّي وَلَا قَارِعِ قِرْنِي
٢ - وَلَا مُسْلِمِ مَوْلَايَ عِنْدَ جَنَائِي وَلَا خَائِفِ مَوْلَايَ مِنْ شَرِّ مَا أَجْنِي

قوله: «ففي حقي» أي فيما استحقه من الناس كافة، من الصيانة والتمييز، لما تُؤخِّدُ به من فضلٍ ومزية. وقوله: «بمهتضم حقي»، يريد به حقوقه عند الناس. فيقول: إني فيما أجادب فيه الغير وأنازعُه، وفي طلب حقوقي إذا حَلَّتْ لي عندهم، وفيما يجب لي عند المزاوَلات والمحاکمات من التَّجِيلِ عليهم، لا أُبَخْسُ وَلَا أَظْلَمُ، وَلَا أَدْفَعُ وَلَا أَهَان. وقوله: وقوله: «ولا قارع قرني»، يريد أنه لا يَأْمَنِي فيشتغل عني بأسبابه ومصارفه، ولكن يكون أبداً خائفاً مني، ومشغولاً بي وحِذراً من الإيقاع به.

وقوله: «ولا مُسلم مولايَ عِنْدَ جَنَائِي» يزيد بقوله: مولايَ أَجَنَاسَ ما يَسْمَى مولى من حليفٍ ونسبٍ، ومثَّم بولاءٍ بعيدٍ أو قريب. فيقول: إِنِّي لَا أَخْذُلُ أَحَدًا منهم عند جنائيه يجتنيها، أو جريمة يجترمُها، بل أنصُرُه وأستنقذه كيف ما أمكن، سَهْلٌ أو تَعَدَّر، ثم إِنِّي لَا أَجْزُ الجرائرَ عليهم فيؤاخذُوا بي وبما تكتسبه يدي، لأنَّ ما يرجع إليَّ من الثَّوَابِ أقومُ في وجهه، وأحتال في نَقْضِهِ ودفعه، سواءً عليَّ حقُّ ذلك في مالي أو في نَفْسِي.

- ٣ - وَإِنْ فَوَإِذَا بَيْنَ جَنْبَيَّ عَالِمٌ بما أَبْصَرْتُ عَيْنِي وما سَمِعْتُ أُذُنِي
٤ - وَفَضَّلَنِي فِي الشَّغْرِ وَاللُّبِّ أَتْنِي أَقُولُ عَلَى عِلْمٍ وَأَعْرِفُ مَنْ أَغْنِي
٥ - وَأَصْبَحْتُ إِذْ فَضَّلْتُ مَزَوَانَ وَابْنَهُ عَلَى النَّاسِ قَدْ فَضَّلْتَ خَيْرَ أَبٍ وَابْنٍ

يقول: إني اكتسبت من مشاهداتي والأخبار الواقعة إليَّ، الصَّادقة في مواردها، المتواترة على أَلْسِنِ حَمَلَتِهَا ما صار قلبي به عَالِمًا ومتميِّزًا، فلا يلتبس عليَّ وجوه

(١) أعشى ربيعة: هو عبد الله بن خارجة بن حبيب... بن شيبان، شاعر إسلامي من ساكني الكوفة، وكان مرواني المذهب شديد التعصب لبني أمية (ت نحو ١٠٠ هـ / ٧١٨ م). ترجمته في: الأغاني ١٦: ١٥٥، والمؤتلف والمختلف ١٢.

الحقَّ وحدوده، ولا صنوف الصدق وفنونه، فإذا قلت الشعر قلته على علم بِمَرافيقه وأساليبه، ومعرفة المَقُول فيه ومستَحَقّه، فلا أكذب في الأخبار ولا أنزِد في الأوصاف، ولكن أعطي كلَّ منعوٍ حقّه من القول والوصف، وأقسِم لكلِّ مُنَوٍّ به قِسْطه من التَّقْرِيز والمدح، فمن أجل ذلك أصبحتُ إذْ فضلتُ مروانَ وابنه عبدَ الملك على النَّاس قد فضلتُ خيرَ والدٍ وولد، فلا يقال كذب أو خطأ، أو اشتبه عليه أو شبه له، فلم يأتِ بالحق، ولم يقتصر على الصدق.

وقوله: «وإنْ فَوَازَا» جعله نكرةً لأنّه باتّصال قوله: «بين جنبي» به اختَصَر، حتّى علم أنّه قلبه من بين القلوب.

٧٩٨ - وقال في سليمان بن عبد الملك: [الطويل]

١ - أتينا سليمانَ الأميرَ نزوؤه وكان امرءًا يُخْبِي ويُكْرِمُ زائرُه

٢ - إذا كنتَ في التَّجْوَى به مُتَفَرِّدًا فلا الجُودُ يُخْلِيهِ ولا البُخْلُ حاضِرُه^(١)

٣ - كلا شافِعني سُؤاله من ضميره عن الجَهِلِ ناهيه وبالجَهِلِ آمرُه

يقول: قصدتُ هذا الرجل، وكان لحسن تعطفه وكرم تأليفه، وكمال احتفافه بزازريه، وجمال إقباله على عُفاته ومُجتديهِ، يُنبِلُ الجَبَاءَ مؤمّليه على أبلغ ما تعلق الرُّجاء به وفيه.

وقوله: «إذا كنتَ في التَّجْوَى به متفرِّدًا» فالنجوى: المُسَارَّة. فيقول: إذا وقعتَ في خاطره، وتفرَّدتَ بمناجاته، فالجود نُضْبُ عينيه، والبخل غائبٌ عن همّته، لا يحتاج إلى باعث ولا شافع، ولا مذكر ولا عاطف.

وقوله: «كلا شافِعني سُؤاله من ضميره» جعل السُّؤال من سانح فكره وجائل صدره شافِعَيْن، وزعم أنَّ كلاَ منهما ينهأ عن البُخل، ويأمره بالإفضال والبذل. وهذا على طريقتهم في أنَّ الإنسان له نفسانِ عندما يحضره من الفَعَال والمَقَال، فأحدهما يأمره بالفعل، والآخر ينهأه ويبعثه على التُّرك، فقال هذا الشاعر: إنَّ نفسني هذا الممدوح هما يشفعانِ لورّادِ حضرته، ورؤُودِ سَيْله ومَطَره، فكلٌّ يدعو إلى الإساءة

(١) التبريزي: «فلا الجود مُخْلِيه».

إليه، ويبعث على الإفضال عليه. ومثله:

إذا ائتمرت نفسك في السرّ خالياً^(١)

والثجوى مصدر، ويستعمل وصفاً فيقع على الواحد والجمع، وقد مضى القول فيه.

٧٩٩ - وقال المتوكل اللبني^(٢): [الطويل]

١ - مَدَحْتُ سَعِيدًا وَاصْطَفَيْتُ ابْنَ خَالِدٍ وَلِلْخَيْرِ أَسْبَابُ بِهَا يُتَوَسَّمُ

٢ - فَكُنْتُ كَمَجْتَسٍ بِمِخْفَارِهِ الْقَرَى فَصَادَفَ عَيْنَ الْمَاءِ إِذْ يَتَرَسَّمُ

يقول: اخترت من بين الناس ابن خالد، وقَرَّظْتُ في شعري سعيداً، وللخير حدودٌ ووجوهٌ بها يُتَبَيَّنُ رسمُه وعلامته، فكنت في اصطفاي إياهما، وصرفي ثنائي إليهما، كرجلٍ يتطلَّب الماء بمِخْفَارِهِ مِنْ تَرَى الْأَرْضِ، فَصَادَفَ عَيْنَهُ وَمَنْبَعَهُ، إِذْ تَتَبَّعَ أَثَرَهُ وَرَسْمَهُ. والمعنى: أصبْتُ في القصد والاختيار، ووضعت الثناء موضعه من الإيثار، فسيقَّ الخيرُ إليَّ من مطلبي، وَحُصِّلَ التوفُّرُ عليَّ من مَقْصَدي. فأما مَنْ رَوَى «مُحْتَسٌّ» فهو مُفْتَعِلٌ مِنَ الْحَسِّ. والمِخْفَارُ: اسمُ الآلة التي يُحَفَّرُ بِهَا، كَالْمِغُولِ وَمَا أَشْبَهَهُ. وهذا مَثَلٌ وَاسْتِعَارَةٌ. وَمَنْ رَوَى «كَمَجْتَسٍّ» بِالْجِيمِ، فَهُوَ مُفْتَعِلٌ مِنَ الْجَسِّ. وَالتَّحْسُّسُ وَالتَّجَسُّسُ يَتَقَارِبَانِ. وَمَعْنَى يَتَرَسَّمُ: يَتَبَّعُ رَسْمَهُ.

٣ - فَلِإِنْ يَسْأَلِ اللَّهُ الشُّهُورَ شَهَادَةً تُنْبِئُ جُمَادَى عَنْكُمْ وَالْمُحَرَّمُ

٤ - بِأَنْكُمَا خَيْرُ الْحِجَازِ وَأَهْلِهِ إِذَا جَعَلَ الْمُغْطِي يَمَلُّ وَيَسْأَمُ

يصف دوامَ بذلهم في فصول السنة، واتصالَ جَدَوَاهُم في شهور الضيق والسَّعة، وفي الجَدْبِ وَالْخِصْبِ، وعند شمول الحرِّ والبرد. وجمادى من أزمان القَحْطِ وَالضَّرِّ، وَالْمُحَرَّمُ مِنَ الْأَشْهُرِ الْحَرُمِ. فيقول: إِنْ اسْتَشْهَدَ اللَّهُ تَعَالَى أَوْقَاتَ السَّنَةِ وَأَهْلَةَ الشُّهُورِ شَهِدَتْ لَكُمْ، وَأَخْبَرَتْ عَنْكُمْ بِأَنْكُمْ خَيْرُ أَهْلِ الْحِجَازِ بَذَلًا وَإِفْضَالًا، وَحُسْنُ تَفَقُّدٍ وَإِحْسَانًا، فِي الْوَقْتِ الَّذِي تَرَى الْمُغْطَى يَمَلُّ الْإِعْطَاءَ، وَيَتَبَرَّمُ بِالسُّؤَالِ، فَيَصِيرُ ذَلِكَ دَاعِيَةً لَهُ إِلَى الْإِمْسَاكِ وَالْكَفِّ.

(١) عجز البيت الثاني من الحماسية (٣٨٣) وصدوره:

«فتى كان لا يطوي على البخل نفسه»

(٢) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (٤٤٢).

وقوله: «إذا جعل المعطى» إذا ظرف لما دلَّ عليه قوله: «خير الحجاز». وجعل بمعنى طَفِقَ وأَقْبَلَ، فلا يتعدى. والسامة فوق المَلال.

٨٠٠ - وقال نُصِيب^(١) في عُمَر بن عُبَيْدِ الله

ابن مَعْمَرٍ: [الطويل]

١ - والله ما يدري امرؤ ذو جَنَابَةٍ ولا جازُ بيتٍ أيُّ يومينِكَ أجودُ

٢ - أيومٌ إذا أَلْقَيْتَهُ ذَا يَسَارَةٍ فأعطيتَ عَفْوَاً منك أم يومٌ تُجْهَدُ

أَقَسَمَ بالله عز وجل أنه لا الغريب المُجانب ولا القريب المجاور يعلم أيُّ يومَي هذا الممدوح أكثرُ سخاءً وأتمُّ إفضالاً. وجعل الجود لليوم على طريقة قوله تعالى: ﴿بَلْ مَكْرٌ أَلِيلٍ وَالنَّهَارِ﴾ [سَبَأ: الآية ٣٣] لما كان فيهما. وعلى حد قول الناس: نهازه صائمه، وليله قائمه.

وقوله: «أيومٌ إذا أَلْقَيْتَهُ» تفصيل لما أجمله. ومعنى أَلْفَيْتَهُ أَلْفَيْتَ فيه، فحذف الجاز وجعل اليوم مفعولاً على السعة.

وقوله: «ذا يَسَارَةٍ»، يقال: يَسَارَ ويسارة، كما يقال: ذُكِرَ وذكرى، ومكان ومكانة.

وقوله: «أم يوم تُجْهَدُ»، يريد أم يوم تُجْهَدُ فيه، فأضاف اليوم إلى الفعل وأوصل الفعل بنفسه. والمعنى: لا يعلم الغريب المتناهي عنك، ولا القريب المتداني منك، أي وقتيك أكثرُ سخاءً وخيراً، أيومٌ نلقى فيه مُوسِراً فتُعْطِي ما تُعْطِيه عَفْوَاً، أم يوم توجد فيه مُعْسِراً فتُعْطِي ما تُعْطِيه مجهوداً متعباً. يريد: أنه لا يبين أحدٌ وقتيه من الآخر، كما لا يبين إحدى حالتيه من الأخرى. ويروى: «أيوماً إذا أَلْفَيْتَهُ ذَا يَسَارَةٍ...» أم يومٌ تُجْهَدُ ويكون هذا مردوداً على المعنى، لأنه لما أراد بقوله: «أيُّ يوميك أجودُ» أيُّ جوديك أفضل، قال: «أيوماً»، أي أجودك في يومٍ إذا أَلْفَيْتَ فيه مُوسِراً أم جودك في يومٍ تكون فيه مجهوداً مُعْسِراً.

٣ - وإن خَلِيلَيْنِكَ السَّمَاةَ وَالْأَرْضَ مُقيمانِ بالمعروف ما دُمْتَ توجَدُ

٤ - مُقيمانِ لَيْسَا تَارِكَيْنِكَ لِخَلَّةٍ من الدهرِ حتى يُفْقَدَا حِينَ تُفْقَدُ

(١) سبقت ترجمته في الحماسية (٤٩٥).

جَمَعَ بَيْنَ السَّمَاحَةِ وَالْثَدَى، لِأَنَّ السَّمَاحَةَ هُوَ سَهْوَةُ الْجَانِبِ فِي الْإِعْطَاءِ، وَطِيبُ النَّفْسِ بِهِ.

وقوله: «مقيمان» أي ثابتان، من قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا دُمَّتْ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾ [آلِ عِمْرَانَ: الآية ٧٥]. ومنه أقام بالمكان، أي جعلَ لنفسه ثباتًا. ومنه قوام الأمر، أي دوامه. وما دُمَّتْ ظَرْفٌ. فيقول: السَّمَاحَةُ وَالْثَدَى يَقِيمَانِ بِسَبَبِ مَعْرُوفِكَ وَلَهُ، وَيَدُومَانِ مَا دُمَّتْ ثَابِتًا وَقَائِمًا. وإنما قال بالمعروف كما يُقال: فَلَانٌ مَقِيمٌ بِمَكَانٍ كَذَا، أَيْ يَجْعَلُ قِيَامَهُ بِهِ وَثْبَاتَهُ. فكَذَلِكَ جَعَلَ قِيَامَهُ بِالْمَعْرُوفِ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ.

وقوله: «مقيمان ليسا تاركيك لَحَلَّةٍ»، يريد: هما مقيمان بسبب معروفك، وثابتان لك ولمكانك، لا يفارقانك لِحَلَّةٍ مِنْ خَلَاتِ الدَّهْرِ تَعْرِضُ، وَلَا لِفَقْرٍ يَحْصُلُ، إِلَى أَنْ يُفْقِدَا وَقْتَ فَقْدِكَ.

٨٠١ - وَقَالَ أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ^(١):

١ - أَأَذْكَرُ حَاجَتِي أَمْ قَدْ كَفَّانِي حَيَاؤُكَ إِنَّ شَيْمَتَكَ الْحَيَاءُ

٢ - وَعِلْمُكَ بِالْحُقُوقِ وَأَنْتَ فَرْعٌ لَكَ الْحَسَبُ الْمَهْدُبُ وَالسَّنَاءُ

٣ - خَلِيلٌ لَا يَغْيِرُهُ صَبَاحٌ عَنِ الْخُلُقِ الْجَمِيلِ وَلَا مَسَاءُ

قوله: «أأذكر حاجتي أم قد كفاني». يقول: أي الأمرين أعتد منك؟ لأنَّ أَمْ هَذِهِ الْمَعَادِلَةُ لِأَلْفِ الْإِسْتِفْهَامِ وَالْمُفَسَّرَةِ بِأَيٍّ. فيقول: أَلْقِي حَاجَتِي قِبَلَكَ إِلَيْكَ، وَأَنْتَ هِيَ قِصَّتِي الْمَرْفُوعَةُ إِلَيْكَ، أَمْ أَعْتَمِدُ اِكْتِفَائِي بِكَرَمِ فِطْنَتِكَ، وَذَكَاءِ مَعْرِفَتِكَ، وَحُسْنِ التَّفَاتِكِ إِلَى الْمُتَعَلِّقِينَ بِحَبْلِكَ، وَالرَّاجِينَ لَخَيْرِكَ وَقُضْلِكَ، لِأَنَّ مِلَّأَكَ خُلُقِكَ الْحَيَاءُ، فَإِذَا تَوَصَّلَ تَابِعُكَ بَعَرَضٍ وَجْهَهُ عَلَيْكَ، صَارَ ذَلِكَ مَهْيَبًا لِحَيَاتِكَ، وَدَاعِيًا إِلَى الْفِكْرِ فِيمَا أَحْوَجَهُ إِلَيْكَ، وَسَائِقًا إِلَى قَضَاءِ مَا رُبَّتْهُ لَدَيْكَ؛ وَلِأَنَّ مُحَافَظَتَكَ عَلَى أَوْلِي الْمَوَاتِ وَالْحَرَمِ، تَبْعَثُكَ عَلَى صِيَانَتِهِمْ، وَتَحْمِيهِمْ مِنْ ابْتِدَالِ يَلْحَقِهِمْ، إِذْ كُنْتَ الْفَرْعَ لِأَصْلِ يَجْمَعُ إِلَى الْحَسَبِ الْمُتَّقَى، وَالْمَجْدِ الْمَزْكَى، عَلُوُّ هِمَّةٍ وَارْتِفَاعٌ مَزِيدٌ.

وقوله: «خليل» ارتفع بآئه خبر مبتدئ مضمَر، كأنه قال: أنت خليل لا تغيِّره الأوقات عما أَلِفَ مِنْ بَرِّهِ، وَعُهِدَ مِنْ كَرَمِهِ. وأشار في قوله: الصَّبَاحِ وَالْمَسَاءِ، وَهُمَا

(١) سبقت ترجمته في الحماسية (٢٥٤).

طرفا النهار ووقتا الغارة والضيفا، إلى أنه لا يتغير على علات الزمان ولما يتغير الإنسان من عارض ملال حادث، أو تضجر بمصارف أمر سانح.

٤ - وأرضك كل مكرمة بنئها بنو تميم وأنت لها سماء

٥ - إذا أثنى عليك المزمع يوما كفاه من تعرضه الثناء

قوله: «وأرضك»، يريد ما توطد له من مباني المجد والشرف بقومه وفصيلته، فجعله كالأرض له، وجعل مراعاته له من بغد وتوفره على ما يشيده بنفسه كالسماء له، وقد علم أن حياة الأرض وإضاءتها بما يأتي عليها من حيا السماء ويورها. فيريد أن عمارة مكارم آباءه كانت برمه لها، وبالمواد الذي يمدّها بها، فلذلك زكت وربت، وثبتت على مر الأيام وعلت.

وقوله: «إذا أثنى عليك المرء يوما»، يقول: إن المثني عليك لا يحتاج إلى قصدك به، لأنه متى تادى إليك ثناؤه أنلته إحسانك، وأغنيته عن التعرض والقصد، وقطع المسافة دونك وحمل المشاق والجهد.

٦ - ثباري الريح مكرمة ومجدا إذا ما الكلب أجحزه الشتاء

يقول: يدوم عطاؤك ويتصل، فكأنك ثباري الريح في هبوبها أو أن الجذب والقحط، وحين يقل صبر الكلب على الاعتساف والطوف، حتى يصير رابضا في البيوت، ومستديفا بجوانب الأخبية والكسور. وقوله: «إذا ما الكلب» ظرف لثباري أي تفعل ذلك في مثل هذا الوقت. و«مكرمة»، انتصب على أنه مفعول له، ويجوز أن يكون في موضع الحال.

٨٠٢ - وقال ابن عبد الأسد^(١): [الكامل]

١ - بينا هم بالظهر قد جلسوا يوما بحيث ينزع الذبح

٢ - فإذا ابن بشر في مواكبِه تهوي به خطارة سرخ

٣ - فكأنما نظروا إلى قمر أو حيث علّق قوسه قرخ

بيننا يستعمل في المفاجأة، وكذلك بينما. وكان شيخنا أبو علي - رحمه الله - يقول: هو ظرف زمان، كأن الأصل كان: بين أوقات، فحذف المضاف إليه.

والظَّهْر: موضع. ويومًا انتصب على البدل من بيناهم، ويريد به المتَّصِل من الأوقات، كما يقال: فلانٌ يفعلُ كذا وكذا، وكان بالأمس يفعل كذا. والدُّبَح: نبت له أصل يُقْتَش منه ويُخْرَج كالجَزَر، ويُقَشَّر عنه جِلْد أسود، وهو حُلُو يؤكل. وهذا أعني قوله: «بحيثُ يَنْزَع الدُّبَح»، بيانٌ للميقات المشار إليه.

وقوله: «فإِذَا ابنُ بشرٍ في مواكبه»، الفاء زائدة، لأنَّ بينا وبينما يجيئان ولا فاء فيما يقع فيهما. على ذلك قوله: [الوافر]

فَبَيْنَا يَمْشِيَانِ جَرَتْ عُقَابٌ مِنْ الْعِقْبَانِ خَائِثَةٌ طُلُوبٌ^(١)

فأما «إِذَا» فقد ذكر سيبويه خاصَّةً أنَّ إِذْ تقع بعدهما ولم يذكر إِذَا. تقول: بينما نحنُ نسيرُ إِذْ أَقْبَلَ زيد. وكثيرٌ من النحويِّين والأصمعيِّ يُنْكِرُونَ هذا ويقولون: لا حاجة إلى إِذْ وإِذَا، ويستشهدون بقول أبي ذؤيب: [الكامل]

بَيْنَا تَعْتُقُهُ الْكُمَاءَ وَرَوْغِهِ يَوْمًا أُتِيحَ لَهُ جَرِيٌّ سَلْفَعُ^(٢)

وإِذَا رَجَعْنَا إِلَى الْمَوْجُودِ فِيمَا يَخْتَارُونَهُ هُوَ الْأَكْثَرُ. واستشهد سيبويه بقوله: [الخفيف]

بَيْنَمَا نَحْنُ بِالْكَثِيبِ ضَحَى إِذَا أَتَى رَاكِبٌ عَلَى جَمَلِهِ^(٣)

والبيت الذي نحن فيه جاء بإِذَا، فهو أغرب.

ومعنى تهوي به: تُسْرِع. وَالْخَطَّارَةُ: النَّاقَةُ تَخْطُرُ بِذَنْبِهَا نَشَاطًا فَعَلَ الْفُحُولَةُ، أو تَخْطُرُ فِي مَشْيِهَا. وَالسُّرْحُ: السَّهْلَةُ الْيَدِين. فيقول: بَيْنَ أَوَاقَاتِ النَّاسِ جَالِسُونَ بِهَذَا الْمَكَانِ، حَيْثُ يُقْتَلَعُ هَذَا الثَّنْبُ، إِذَا ابْنُ بَشَرٍ وَخَلَفَهُ مَوَاكِبُهُ، تُسْرِعُ بِهِ نَجِيَّةٌ هَكَذَا، فَكَأَنَّمَا نَظَرُوا إِلَى قَمَرٍ، أَيْ لَمَّا اجْتَاَزَ بِهِمْ شَبْهُهُ فِي إِشْرَاقِهِ وَثَوْرِهِ، وَبِهَاءِ مَوَكِبِهِ، بِالْقَمَرِ، أَوْ نَظَرُوا إِلَى حَيْثُ يَتَرَاءَى لِلنَّاظِرِينَ قَوْسٌ قُزَح. فقوله: «أو حيث» يجوز أن يكون معطوفاً على قمر، فيكون المعنى: نَظَرُوا إِلَى قَمَرٍ أَوْ إِلَى مَكَانٍ قَوْسٍ قُزَح. وَنَكَّرَ قَمَرًا لِأَن فائِدةَ المَعْرِفَةِ والنَّكْرَةَ إِذَا وَقَعَ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَكَانِ لَا تَتَغَيَّرُ. ويجوز أن

(١) في التبريزي: «طلوبًا» وهو لأبي ذؤيب في شرح أشعار الهذليين ١٠٨، وبلا نسبة في مقاييس اللغة ٢: ٢٢٦.

(٢) لأبي ذؤيب في خزانة الأدب ٥: ٢٥٨، والدرر ٣: ١٢٠، وشرح أشعار الهذليين ١: ٣٧.

(٣) البيت لجميل في ديوانه ١٨٨، وشرح شواهد المغني ١: ٣٦٦.

يكون «حيث» في موضع الظرف، كأنه قال: نَظَرُوا إِلَى قَمَرٍ، أَوْ نَظَرُوا حَيْثُ عَلِقَ قَوْسَهُ قُزَح. وجعل قُزَحَ فاعلاً على اعتقاد مَنْ يَعْتَقِدُ أَنَّ قُزَحَ اسْمُ شَيْطَانٍ، لهذا أَخْبَرَ عن المضاف إليه من قولهم قَوْسُ قَزَح. وقد ورد في الخبر النَّهْيُ عَنْ هَذَا، وهو مشهور، وقال الخليل حكايةً عن أَبِي الدُّقَيْش: تَقْزِيحُهُ: طَرَائِقُهُ، واحده قُزَحَةٌ، والجمع قُزَح. وَذَكَرَ فِي الْخَبَرِ أَنَّ فِيهِ أَمَانًا مِنَ الْعَرَقِ. وَيُرْوَى: «عَلَيَّ قَوْسَهُ قُزَح» مِنَ الْعَلَوِ. وَعِنْدَ النَحْوِيِّينَ أَنَّ قَوْلَهُمْ قَوْسُ قُزَحَ كَحَمَارٍ قَبَانٍ وَمَا أَشَبَّهُهُ. وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ لَمْ يَصْلُحِ الْإِخْبَارُ عَنِ الْمِضَافِ إِلَيْهِ. وَذَكَرَ بَعْضُهُمْ أَنَّهُ يُقَالُ لِقَوْسِ قُزَحَ: قَوْسُ قَزِيحٍ، وَهُوَ مِنْ تَقْزَعِ الْفَرَسِ، إِذَا تَشَمَّرَ لِلْعُدُوِّ وَخَفَّ.

٨٠٣ - وَقَالَ حَاتِمُ طَيْءٍ^(١): [الطويل]

- ١ - مَتَى مَا يَجِيءُ يَوْمًا إِلَى الْمَالِ وَارِثِي يَجِدُ جُمْعَ كَفٍّ غَيْرَ مَلَأَى وَلَا صِفْرِ
- ٢ - يَجِدُ فَرَسًا مِثْلَ الْعِنَانِ وَصَارِمًا حُسَامًا إِذَا مَا هَزَّ لَمْ يَرْضَ بِالْهَبْرِ
- ٣ - وَأَسْمَرَ خَطِيًّا كَأَنَّ كُعُوبَهُ نَوَى الْقَسْبَ قَدْ أَزْبَى ذِرَاعًا عَلَى الْعَشْرِ

قوله: «جمع كف» هو الْقَدْرُ الَّذِي يُجْمَعُ عَلَيْهِ الْكَفُّ مِنَ الْمَالِ وَغَيْرِهِ. وَيُقَالُ لِلْمَرْأَةِ الْحَامِلِ: هِيَ بِجُمْعٍ، وَكَذَلِكَ لِلْبِكْرِ مِنْهَنٍ. وَالصُّفْرُ: الْخَالِي مِنَ الشَّيْءِ. فيقول: متى جاء وارثي بَعْدَ مَوْتِي يَجِدُ قَدْرًا مِنَ الْمَالِ لَا يُوصَفُ بِالْكَثَرَةِ وَلَا بِالْقِلَّةِ، يَجِدُ فَرَسًا ضَامِرًا كَالْعِنَانِ فِي إِدْمَاجِهِ وَضَمْرِهِ، وَسَيِّفًا قَاطِعًا إِذَا حُرِّكَ فِي الضَّرْبَةِ لَمْ يَرْضَ بِالْقَطْعِ، وَلَكِنْ يَتَجَاوَزُهُ وَيَخْرُجُ إِلَى مَا وَرَاءَهُ، وَرُمَحًا أَسْمَرَ فِي لَوْنِهِ، وَذَلِكَ أَصْلَبُ، مَحْمُولًا مِنَ الْخَطِّ، وَهُوَ اسْمُ جَزِيرَةٍ يُجْلَبُ مِنْهَا الرُّمَاحُ. وَالْكَعُوبُ: الْعُقْدُ شَبَّهَهَا فِي صَلَابَتِهَا بِنَوَى الْقَسْبِ. وَالْقَسْبُ: ضَرْبٌ مِنَ الثَّمَرِ رَدِيءٌ غَلِيظُ النَّوَى صَلْبُهَا. وقوله: «قد أزبى ذراعًا على العشر»، وصفه بأنه لم يكن طويلًا ولا قصيرًا حَتَّى لَا يَكُونَ مُضْطَرَبًا وَلَا قَاصِرًا، بَلْ يَجْرِي مَعَ الْإِعْتِدَالِ. وَقَالَ الدُّرَيْدِيُّ: الْقَسْبُ الْبُسْرُ الْيَابِسُ. وَنَوَى الْقَسْبِ يَشْبُهُ بِهِ أَيْضًا مَا فِي جَوْفِ الْحَافِرِ مِنَ الثُّسُورِ. قَالَ: [الهزج]

لَهُ بَيْنَ حَوَامِيهِ تُسَوِّرُ كَنَوَى الْقَسْبِ^(٢)

(١) سبقت ترجمته في الحماسية (٤٢٧).

(٢) لأبي دؤاد الإيادي في ديوانه ٢٨٩، واللسان (صلف، حما)، ولعقبة بن سابق في الأصمعيات

٤١، وتاج العروس (صمي).

وَقَصِدَ الشَّاعِرُ إِلَى أَنَّ مَا يَحْصُلُ لَهُ يَجُودُ بِهِ، فَإِذَا مَاتَ لَمْ يَبْقَ لَهُ إِلَّا مَا ذَكَرَهُ
مِنْ آلَاتِ الْحَرْبِ وَالْعَزْوِ.

٨٠٤ - وَقَالَ آخِرُ^(١): [البسيط]

١ - أَلِ الْمَهْلَبِ قَوْمٌ خُوِلُوا شَرْفًا مَا نَالَهُ عَرَبِيٌّ لَا وَلَا كَادًا

٢ - لَوْ قِيلَ لِلْمَجْدِ جِذٌّ عَنْهُمْ وَخَالِهِمْ بِمَا احْتَكَمْتَ مِنَ الدُّنْيَا لَمَا حَادَا

٣ - إِنَّ الْمَكَارِمَ أَرْوَاحٌ يَكُونُ لَهَا أَلِ الْمَهْلَبِ دُونَ النَّاسِ أَجْسَادًا

وَصَفَّهِمْ بِأَنَّهُمْ أَعْطَوْا مَجْدًا لَمْ يَنْلَهُ قَبْلَهُمْ عَرَبِيٌّ، وَلَا قَرُبَ مِنْ أَنْ يَنَالَهُ، فَهُمْ
مُتَفَرِّدُونَ بِهِ، لَا يَنْبَغِي لغيرِهِمْ. ثُمَّ قَالَ: لَوْ قِيلَ لِلْمَجْدِ جِذٌّ عَنْهُمْ. يَرِيدُ أَنَّهُمْ لِلْمَجْدِ
مَوْضِعٌ وَمَقَرٌّ حَتَّى لَوْ كَانَ يَعْقِلُ ثُمَّ سِيمَ تَرْكُهُ إِيَاهُمْ، وَإِخْلَالَهُ بِهِمْ بِمَا يَحْتَكِمُ مِنَ
الدُّنْيَا، وَيَقْتَرِحُهُ مِنْ أَعْرَاضِهَا، لَمَا تَجَنَّبَهُمْ، وَلَا عَدَلَ عَنْهُمْ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْمَجْدَ رُضِيَهُمْ
مَحَلًّا، وَرَضُوا هُمْ بِسُكْنَاهِ أَهْلًا. وَالْقَدْرُ يَجْرِي إِلَى الْقَدْرِ. وَقَدْ أَلَمَ بِهَذَا الْمَعْنَى
الْبُخْتَرِيُّ فِي قَوْلِهِ: [الكامل]

أَوْ مَا رَأَيْتَ الْمَجْدَ أَلَقَى رَحْلَهُ فِي آلِ طَلْحَةَ ثُمَّ لَمْ يَتَحَوَّلْ

وَيُقَالُ: خَالَى فَلَانٌ قَبِيلَتَهُ، إِذَا تَرَكَهُمْ وَتَحَوَّلَ عَنْهُمْ. قَالَ النَّابِغَةُ: [البسيط]

قَالَتْ بَنُو عَامِرٍ خَالُوا بَنِي أَسَدٍ يَا بُوسَ لِلْجَهْلِ ضَرَّازًا لِأَقْوَامٍ^(٢)

مَعْنَاهُ تَارَكُوهُمْ وَفَارَقُوهُمْ.

وقوله: «إِنَّ الْمَكَارِمَ أَرْوَاحٌ» جَعَلَ أَلِ الْمَهْلَبِ كَالْأَجْسَادِ، وَالْمَكَارِمُ لَهَا

كَالْأَرْوَاحِ، كَمَا جَعَلَهُمْ فِي الْأَوَّلِ دَارًا، وَالْمَجْدُ سُكَّانًا، وَالرُّوحُ لَا يَثْبُتُ إِلَّا فِي جِسْمٍ
عَلَى صِفَةٍ، كَمَا أَنَّ الْجِسْمَ لَا يَتَصَرَّفُ إِلَّا بِالرُّوحِ الْحَاصِلِ فِيهِ مَعَ الْقُدْرَةِ. فَيَرِيدُ أَنَّهُمْ
مَقَارَ الْمَكَارِمِ، مُصَرَّفُونَ فِي اكْتِسَابِ الْمَعَالِي، فَالْمَكَارِمُ بِهِمْ تَثَبَّتْ وَتَبْقَى، كَمَا أَنَّ
تَصَرُّفَهُمْ وَاقْتِدَارَهُمْ مِنْ بَيْنِ الْأَجْسَامِ بِهَا وَلَهَا.

(١) فِي دِيْوَانِ الْحَمَاسَةِ بِرَوَايَةِ الْجَوَالِيقِيِّ ص ٣٧٣: «وَقَالَ نَهَارُ بْنُ تَوْسَعَةَ الْيَشْكُرِيُّ» وَفِي الْحَمَاسَةِ
الْبَصْرِيَّةِ ١٤١:١ لَعَمْرُو بْنُ لَجَأِ التَّمِيمِيِّ.

(٢) لِلنَّابِغَةِ الذُّبْيَانِيِّ فِي دِيْوَانِهِ ٨٢، وَخَزَانَةُ الْأَدَبِ ١٣٠:٢، وَالْدُرَرُ ١٩:٣.

٨٠٥ - وقالت أخت النضر بن الحارث^(١): [البسيط]

١ - الواهب الألف لا يبنني به بدلاً إلا الإله ومغروفاً بما اضطعنا

تقول: إنه يفرق ما يفرق من ماله لا لطلب عوَضٍ، ولا اجتذاب نفع واجتلاب مَحْمَدة، ولكن يريد به التقرب إلى الله تعالى، وأن يفعل المعروف بما يصنعه، فهو يتلذذ بفعل المعروف، وباحتساب الأجر عند الله.

٨٠٦ - وقالت صفية بنت عبد المطلب^(٢)

١ - ألا من مبلغ عني قريشاً ففيم الأمر فينا والإمار

٢ - لنا السلف المقدم قد علمتم ولم توقد لنا بالعذر نار

٣ - وكل مناقب الخيرات فينا وبعض الأمر منقصة وعار

الرسالة التي تطلب إبلاغها، وترتاد من تضعها على لسانه فيحملها، قولها «ففيم الأمر فينا»، وما في الاستفهام إذا اتصل بحرف الجز يحذف الألف من آخره، تقول: ففيم وبم. وقد تُقْصِي القول فيه من قبل. كأن هذه المرأة تستبطن قبيلتها قريشاً. فتقول: من يبلغهم عني لماذا كان الأمر فيهم والتشاور، والافتداء والترافع، حتى صار الناس تبعاً، وما لكم تنقبضون فيما يجب عليكم السعي فيه، ولنا الشرف الرفيع والسلف القديم، وقد علمتموه علماً خالياً من الشك، بريئاً من الشبهة، ولم يعرف عذر لنا بجارٍ أو ذي محرم، وقدت من أجله لنا نار. وكانت العرب إذا أرادت تشهير عذرٍ غادرٍ حتى يتجنبه الناس أوقدت ناراً في يفاع هضبة، ونصبت لواء عند مجمع لهم أو سوقٍ عظيمة، وينادون: هذه نارُ فلان الغادر ولوأوه!! يشهرون أمره، ويقبحون صورته على هذا يحمل قول زهير: [الوافر]

وتوقد ناركم شزراً ويرقع لكم في كل مجمعة لواء^(٣)

ولا يمتنع أن يراد بإيقاد النار قيام الناس وقعودهم، وتفاوضهم للعدرة إذا ظهرت من الغادر، وما يشور من الفضيحة والذكر القبيح، فيكون هذا مثل قول أبي

(١) في نسخة ثانية: قالت فتيلة أخت النضر بن الحارث.

(٢) صفية بنت عبد المطلب بن هاشم: عمّة النبي ﷺ، شاعرة باسلة، أسلمت قبل الهجرة وهاجرت إلى المدينة (ت ٢٠ هـ / ٦٤١ م). ترجمتها في الإصابة كتاب النساء ص ٦٥١، وطبقات ابن سعد ٨: ٢٧.

(٣) زهير في ديوانه ٨٥ (شزراً)، واللسان (جمع)، وتاج العروس (جمع).

ذؤيب: [الطويل]

تُحَرِّقُ نَارِي بِالشُّكَاةِ وَنَارُهَا^(١)

والأوّل أشهر.

وقوله: «وكلُّ مَنَاقِبِ الْخَيْرَاتِ فِينَا»، تريد أنْ مَعَالِمِ الْخَيْرِ وَمَوَاسِمِ الْفَضْلِ فِيهِمْ، لَا يَدْفَعُهَا دَافِعٌ، وَلَا يَخْتَلِطُ بِهَا تَنْقُصٌ مِنْ عَائِبٍ. وَمُنْقَبَةٌ: مَفْعَلَةٌ مِنَ النُّقَابَةِ وَهِيَ الْمَعْرِفَةُ. فَتَقُولُ: فِينَا أَنْوَاعُ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، مَعْلُومَةٌ لِلنَّاسِ، وَبَعْضُ مَا يُذَكَّرُ مِنَ الْأُمُورِ عَارٌّ عَلَى صَاحِبِهِ وَتَنْقُصُ فِي شَأْنِهِ، إِذْ كَانَ لَا يَسْلَمُ عَلَى الْمَجَازِبِينَ.

٨٠٧ - وَقَالَ الْمُتَوَكِّلُ اللَّيْثِيُّ^(٢): [الكامل]١ - لَسْنَا وَإِنْ أَحْسَابُنَا كَرَمَتْ مِمَّنْ عَلَى الْأَحْسَابِ يَتَّكِلُ^(٣)

٢ - نَبْنِي كَمَا كَانَتْ أَوَائِلُنَا تَبْنِي وَتَفْعَلُ مِثْلَ مَا فَعَلُوا

يقاربه قول الآخر: [الكامل]

لَسْنَا إِذَا ذُكِرَ الْفَعَالُ كَمَعْشَرٍ أَزْرَى بِفِعْلِ أَبِيهِمِ الْأَبْنَاءُ

وقد مضى القول فيه مشروحاً.

٨٠٨ - وَقَالَ طَرِيحُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ^(٤): [الطويل]١ - طَلَبْتُ ابْتِغَاءَ الشُّكْرِ فِيمَا فَعَلْتَ بِي فَقَصَّزْتُ مَغْلُوبًا وَإِنِّي لَشَاكِرٌ^(٥)

٢ - وَقَدْ كُنْتُ تُعْطِينِي الْجَزِيلَ بِدِيهَةٍ وَأَنْتَ لِمَا اسْتَكْفَزْتُ مِنْ ذَاكَ حَاقِرٌ

٣ - فَأَرْجِعْ مَغْبُوطًا وَتَرْجِعْ بِالنِّي لَهَا أَوَّلُ فِي الْمَكْرُمَاتِ وَآخِرُ

(١) لأبي ذؤيب في شرح أشعار الهذليين ص ٧٠، واللسان (ظهر)، وتاج العروس (ظهر)، وصدرة:

«أبَى الْقَلْبُ إِلَّا أُمَّ عَمْرٍو فَأَصْبَحَتْ

(٢) سبقت ترجمته في الحماسية (٤٤٢). (٣) التبريزي: «تَكَلُّ».

(٤) طريح بن إسماعيل بن عبيد الثقفي، أبو الصلت: شاعر الوليد بن يزيد الأموي وخليه، وأكثر شعره في مدحه. (ت ١٦٥ هـ / ٧٨١ م). ترجمته في الأغاني ١٢٧:٧، وتهذيب ابن عساكر ٥٣:٧.

(٥) التبريزي: «صنعت بي».

يقول: غَمَرَنِي إِحْسَانُكَ، وَعَلَّبَنِي بِرُكِّ وَاعْتِنَاؤِكَ، لَا جَرَمَ أَنِّي لَمَّا طَلَبْتُ مُقَابَلَتَكَ بِالشُّكْرِ عَلَى صَنِيعِكَ بِي، صِرْتُ كَالْمَفْرُطِ مَغْلُوبًا وَأَنَا مُجْتَهِدٌ فِي الشُّكْرِ، بِالْعِ إِلَى أَقْصَى الْغَايَاتِ فِي الشُّكْرِ، لَكِنَّ إِحْسَانَكَ كَثُرَنِي وَخَلَقَنِي بِالْبُعْدِ مِنْ غَايَتِهِ، لِأَنَّكَ كُنْتَ تُعْطِينِي الْكَثِيرَ مِنَ الْمَالِ مُبْتَدَأًا لَا عَنْ سَوَالِ تَقَدُّمٍ، وَلَا عَنْ ذِكْرِ فِي نَفْسِكَ تَرَدُّدٍ، وَمَعَ ذَلِكَ كُنْتَ تَسْتَحْقِرُ عَطَايَاكَ وَتُزْدِرِيهَا، وَأَنَا أَسْتَكْثِرُهَا وَأَعِجُّزُ نَفْسِي عَنْ ضَبْطِهَا وَإِحْصَائِهَا، وَأَبْلُغُ بِهَا مَبَالِغَ الْمُكْثَرِينَ وَالْمُتَكَلِّفِينَ، ثُمَّ أَرْجِعُ مَغْبُوطًا عَنْكَ مَرْمُوقًا، وَمُحْسَدًا فِي النَّاسِ مَذْكُورًا، وَتَرْجِعُ بِخَصْلِ الْكَرَمِ وَالسُّبْقِ إِلَى الْغَايَةِ الْمَطْلُوبَةِ، الَّتِي لَهَا عِنْدَ طُلَّابِ الْمَكَارِمِ أَوَّلٌ يُبْتَدَأُ بِهِ، وَآخِرٌ يُنْتَهَى إِلَيْهِ.

٨٠٩ - وقال حبيب بن عوف^(١):

١ - فَنَى زَادَهُ السُّلْطَانُ فِي الْحَمْدِ رَغْبَةً إِذَا غَيَّرَ السُّلْطَانُ كُلَّ خَلِيلٍ

يقول: لَمْ يُبْطِرْكَ الْغِنَى وَلَا أَطْعَمَتْكَ السُّلْطَنَةُ وَنِيلُ أَسْبَابِ الْعُلَى فِي الدُّنْيَا، لَكِنَّمَا زَادَتْكَ رَغْبَةً فِي الْخَيْرِ وَاکْتِسَابَ الْحَمْدِ بَيْنَ النَّاسِ إِذَا غَيَّرَ مُسَاعِدَةُ الْقَدَرِ، وَمُطَاوَعَةُ الْجَدِّ وَالْجِدَّةِ كُلَّ خَلِيلٍ لِصَاحِبِهِ.

والسلطان في غير هذه: الْحُجَّةُ، وَقِيلَ اشْتَقَّاقُهُ مِنَ السَّلِيطِ: الزَّيْتُ.

٨١٠ - وقال ابن الزبير^(٢)، يمدح محمد

ابن مَرْوَانَ:

١ - لَا تَجْمَعَنَّ مُبَدَّنًا ذَا سُرَّةٍ ضَخْمًا سُرَادِقُهُ وَطِيءَ الْمَرْكَبِ^(٣)

٢ - كَأَعَزُّ يَتَّخِذُ السُّيُوفَ سُرَادِقًا يَمْشِي بِرَأْيَتِهِ كَمْشِي الْأَنْكَبِ

قوله: «مُبَدَّنًا»، أَي سَمِينًا عَظِيمَ الْبَدَنِ، وَيُرْوَى «مُتَدَّنًا»، وَهُوَ الْعَظِيمُ الثَّنَدُوهَ وَعَلَى مَا يَقْتَضِيهِ بِنَاءُ الْفِعْلِ يَكُونُ ثُنْدُوهٌ مَقْلُوبَةٌ وَالْأَصْلُ ثُنْدُوهٌ، فَعْلُوهٌ، فَأَمَّا ثُنْدُوهٌ بِضَمِّ الْأَوَّلِ وَالْهَمْزِ فَهُوَ بِنَاءٌ آخَرٌ. فَكَأَنَّهُ يَخَاطَبُ إِنْسَانًا فَقَالَ: لَا تَجْعَلَنَّ صَاحِبًا لَكَ هِمَّتَهُ فِي الْأَكْلِ وَتَسْمِينَ الْبَدَنِ، وَتَحْسِينَ الْهَيْئَةِ وَالسُّخْنَةِ، فَتَرَى مَرْكَبَهُ وَطِيئًا، وَسُرَادِقَهُ

(١) نسبة في الحيوان ٧: ١٥١ إلى زياد الأعجم.

(٢) هو عبد الله بن الزبير الأسدي، وقد سبقت ترجمته في الحماسية (٣٢٢).

(٣) التبريزي: «مُتَدَّنًا» وعظيم الموكب» وقال: «المُتَدَّن: الثقل الجسم الكثير اللحم».

صُخِّمًا، وجماله باهرًا ومنظره رائعًا، كرجلٍ كريمٍ سُرَادِقُهُ ظِلَالُ السُّيُوفِ، وقد عُشِّيتَ بما تُقِيءُ عليه، ثُمَّ يَمْشِي قُدَّامَ أَتْبَاعِهِ وَأَصْحَابِهِ بِرَايَتِهِ مَشْيَ الْأَنْكَبِ، وَالْأَنْكَبُ: الذي أَحَدُ مَنَكِبَيْهِ أَشْرَفُ مِنَ الْآخَرِ. وهذا تصويرٌ في التشبيه. وإنَّما يتحمَّلُ الرَّاْيَةُ بنفسه إذا لم يَأْمَنْ عِثْرَةً حَامِلِهِ وَإِسْقَاطَهُ إِيَّاهَا عِنْدَ مَا يَغْشَاهُ مِنَ الدُّعْرِ، فهو يَمْشِي بِهَا لِيَنْظُرَ أَصْحَابَهُ إِلَيْهَا فَيَتَّبِعُونَ مَعَهُ، ويحاربون على مُرَادِهِ وهواه.

٣ - فَتَعَ الْإِلَهُ بِشِدَّةٍ قَدْ شَدَّهَا مَا بَيْنَ مَشْرِقِ أَهْلِهَا وَالْمَغْرِبِ^(١)

٤ - جَمَعَ ابْنُ مَرْوَانَ الْأَعْرُ مُحَمَّدٌ بَيْنَ ابْنِ الْأَشْتَرِ وَبَيْنَ الْمُضْعَبِ

يقول: فتح الله تعالى على يده بما تَوَحَّدَهُ بِهِ مِنْ فَضْلِهِ، وسعيه وجِدُّه، ما بَيْنَ أَقَاصِي الشَّرْقِ وَالْمَغْرِبِ، بِحِمْلَةٍ حَمَلَهَا فِي جَوَانِبِهَا، ثُمَّ جَمَعَ بَيْنَ قَتْلِ الْأَشْتَرِ وَمُضْعَبِ بْنِ الزُّبَيْرِ، فَأَرَاخَ الْعِبَادَ وَالْبِلَادَ مِنْهُمَا، وَأَزَاخَ عَنِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ شَرَّهُمَا وَفَتَنَتَهُمَا. وإنَّما قال: «بَشِدَّةٌ» لِمَا تَعَجَّلَ وَتَرَادَفَ مِنَ الْأُمُورِ فِي نَهْضَاتِهِ، وَتَسَرَّعَ وَتَرَاوَدَّ مِنْ كَسْرِ الْجُمْهُورِ عِنْدَمَا تَكَلَّفَ مِنْ مَدَارَاتِهِ.

وقوله: «أَشْرَهُم» أَضَافَهُ إِلَى مَنْ كَانَ يَدِينُ لَهُ، وَيَدْخُلُ تَحْتَ طَاعَتِهِ وهواه.

٨١١ - وقال الكميت^(٢) في مَسْلَمَةٍ

ابن عبد الملك: [الطويل]

١ - فَمَا غَابَ عَنْ جِلْمٍ وَلَا شَهِدَ الْخَنَاءَ وَلَا اسْتَعَذَّبَ الْعَوْرَاءَ يَوْمًا فَقَالَهَا

٢ - يَدُومُ عَلَى جَحِيرِ الْخِلَالِ وَيَتَّقِي تَصَرُّفَهَا مِنْ شِيمَةٍ وَأَنْفَتَالَهَا^(٣)

٣ - وَتَفْضُلُ أَيْمَانِ الرِّجَالِ شِمَالَهُ كَمَا فَضَلَتْ يُمْنِي يَدَيْهِ شِمَالَهَا

يقول: ما أَخَلَّ هَذَا الْمَمْدُوحُ بِالْأَخْذِ بِالْجِلْمِ، وَتَرَكَ السَّفَهَ وَالْجَهْلَ فِي مَشْهَدٍ مِنَ الْمَشَاهِدِ، وَعِنْدَ حُضُورِ أَمِيرٍ مِنَ الْأُمُورِ، وَلَا اسْتَحْسَنَ الْفَاحِشَةَ فَرَضِيَّ بِهَا أَوْ تَوَلَّاهَا، وَلَا اسْتَطَابَ اللَّفْظَ بِالْكَلِمَةِ الْقَبِيحَةِ فَتَفَوَّهَ بِهَا يَوْمًا أَوْ تَوَخَّاهَا، لَكِنَّهُ يَدُومُ عَلَى

(١) التبريزي: «لَكَ شَدَّهَا» و«ما بين مشرقها وبين المغرب».

(٢) الكميت بن زيد الأسدي: شاعر الهاشميين من أهل الكوفة، اشتهر في العصر الأموي، وكان عالمًا بأدب العرب ولغاتها وأنسابها، ثقة في علمه، وهو من أصحاب الملحمة (ت ١٢٦ هـ/ ٧٤٤ م). ترجمته في الأغاني ١٥: ١٠٨، والمرزباني ٣٤٧، والشعر والشعراء ٥٦٢.

(٣) التبريزي: «تَصَرَّعَهَا»، و«وَأَنْفَتَالَهَا».

الخِصال المحموده، والأخلاق الشريفة، ويتقي انصرافه عن شيمه زكيه عُرِفَ بها،
وذهابه عن طبيعه رضيّة فيقال تسخطها أو رقصها، فهو في درجات المجدد يسمو
ويصعد، وعلى مطالع الشرف يعلو ويغلب.

والانفتال: مطاوعة قتلته قتلًا، وهو الانصراف والالتواء. والعوراء: الكلمة
القيحة. والعورة: السوءة وكل ما يستحيا منه.

وقوله: «وتفضل أيمان الرجال شماله»، يقول: تزيد في الفضل والإفضال شمال
هذا الرجل على أيمان الرجال كلهم وتعلو عليها، كما غلبت اليمنى من يديه الشمال.
والضمير من «شمالها» يرجع إلى اليمنى، أي كما غلبت يمينه شماله غلبت شماله
أيمان الرجال كلهم. ويكون هذا كقول الآخر: [الوافر]

وما فضل الجواد على أخيه إذا اجتهدًا وكل غير آل
فبرز سابقًا إلا كفضل اليمين من اليمين على الشمال

فهذا وجه، والأجود أن يجعل الضمير من الشمال عائداً إلى الرجال، فيكون
المعنى: كما فضلت يمينه شمال الرجال كلهم. يريد أن زيادة شماله على أيمانهم في
الظهور مثل زيادة يمينه على شمائلهم في الظهور.

٤ - وما أجَمَ المعروف من طول كرهه وأمرًا بأفعال الندى وافتعالها

٥ - وابتذل النفس المصونة نفسه إذا ما رأى حقًا عليه ابتذالها

قوله: «ما أجَمَ»، أي ما كرهه فعل المعروف حتى كان ينصرف عنه وإن طال
تكرره على يده، ودام اكتسابه له، بل يزداد على مر الأيام رغبة فيه، وولوعاً به.
ويقال: فلان أجَمَ من الطعام، إذا عافه وانصرفت نفسه عنه. وقوله: «وأمرًا بأفعال
الندى» عطفه على المعروف، ويريد: ولم يأجم الأمر بفعل الندى واكتسابه له، كأنه
كان يبعث الغير عليه، ويتولى فعله بنفسه.

وقوله: «ويبتذل النفس المصونة نفسه». نصب «نفسه» على البدل من النفس.
ويكون المعنى أنه إذا رأى ابتذال نفسه المصونة واجبا عليه، وحقًا ملازمًا له، يبتذلها
ولا يصونها. وإنما يريد أنه يفعل ذلك في الشدائد وعند احتمائ البأس. وهذا كما
روى في الخبر: «كُنَّا إِذَا اشْتَدَّ الْبَأْسُ اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ». ويروى «نفسه» بالرفع،
ويكون فاعل تبتذل. ويريد بالنفس المصونة كرائم أصحابه وأمواله، فالمعنى أنه لا

يُبْقِي ذخيرةً من ذخائره إذا وَجَبَ إنفاقُها، ولا يَصُون نفسًا غريزةً عليه من كرائمه إذا وَجَبَ ابتدائها.

٦ - بَلُونَاكَ فِي أَهْلِ النَّدَى فَفَضَّلْتَهُمْ وَبَاعَكَ فِي الْأَبْوَاعِ قَدَمًا فَطَالَهَا

٧ - فَأَنْتَ النَّدَى فِيمَا يَتُوبُكَ وَالسَّدَى إِذَا الْحَوْدُ عَدَّتْ عُقْبَةَ الْقَدْرِ مَالَهَا

يقول: حَبَرْنَاكَ فِي جَمَلَةٍ مِنْ يَدْعِي النَّدَى وَزُمَرْتَهُمْ، فغَلَبْتَهُمْ وَسَبَقْتَهُمْ، كَمَا بَلُونَا بَسْطَ يَدِكَ، وَاتَّسَعَ بِاعُكَ عِنْدَ الْبَذْلِ فِي الْأَبْوَاعِ كُلِّهَا قَدِيمًا، فَغَلَبَهَا فِي الطُّولِ. وقوله: «فَضَّلْتَهُمْ»، هُوَ لِلْمَبَالِغَةِ؛ يُقَالُ: فَاضَلْتُهُ فَفَضَّلْتُهُ أَفْضَلَهُ. وَلِذَلِكَ تَعَدَّى وَإِنْ كَانَ فَضْلُ الشَّيْءِ إِذَا زَادَ لَا يَتَعَدَّى. وَمِنْ شَرْطِ فَعَلٍ فِي الْمَبَالِغَةِ أَنْ يُجْعَلَ مُسْتَقْبَلُهُ عَلَى يَفْعَلُ إِذَا كَانَ صَحِيحًا، وَإِنْ كَانَ فِي الْأَصْلِ يَجِيءُ مُفْتَوِّحَ الْعَيْنِ أَوْ مَضْمُومَةً أَوْ مَكْسُورَةً. وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: «فَطَالَهَا» إِنَّمَا تَعَدَّى وَطَالَ الَّذِي هُوَ ضِدُّ قَصْرٍ لَا يَتَعَدَّى لِأَنَّهُ مِنْ طَاوَلْتُهُ فَطُلْتُهُ أَطْوَلَهُ. وَالْمَعْتَلُّ فِي هَذَا الْمَعْنَى يَجْرِي عَلَى أَصْلِهِ، يُقَالُ: بَاكِيتُهُ فَبَاكِيتُهُ، إِذَا غَلَبَتْهُ فِي الْبُكَاءِ، وَطَاوَلْتُهُ فَطُلْتُهُ، إِذَا غَلَبَتْهُ فِي الطُّولِ. وَإِنَّمَا لَمْ يَغَيِّرُوا الْمَعْتَلَّ لِثَلَا يَلْتَبَسُ بِنَاتِ الْوَاوِ بَيْنَاتِ الْيَاءِ. وَلَا يَجِيءُ هَذَا فِي كُلِّ فَعْلٍ.

وقوله: «فَأَنْتَ النَّدَى فِيمَا يَتُوبُكَ وَالسَّدَى»، يَرِيدُ تَرْطُوبَهُ لِلْمَعْرُوفِ وَتَنْدِي كَفَّهُ فِي الْعَطَاءِ عِنْدَ يُبُوسِ الْمَخْلُ، وَاشْتِدَادِ الْجَذْبِ. وَالنَّدَى وَالسَّدَى هُمَا بِمَعْنَى وَاحِدٍ. وَقَدْ قِيلَ النَّدَى بِالْثَّهَارِ وَالسَّدَى بِاللَّيْلِ.

وقوله: «إِذَا الْحَوْدُ عَدَّتْ»، يَرِيدُ أَنَّهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ فِي الْوَقْتِ الَّذِي تَعُدُّ عَقِيلَتُهُ الْحَيَّ وَكَرِيمَتُهُ الْقَوْمَ مَالَهَا الَّذِي تَعِيشُ مِنْهُ وَتَعْتَمِدُهُ، مَا يُرَدُّ عَلَيْهَا مِنَ الْمَرْقِ فِي الْقَدْرِ إِذَا اسْتَعِيرَتْ. وَهَذَا كَانُوا يَفْعَلُونَهُ فِي تَنَاهِي الْقَحْطِ، وَفِي شِدَّةِ الزَّمَانِ، وَعِنْدَ إِسْنَاتِ النَّاسِ. وَكَمَا يَسْمَى الْمَرْدُودُ فِي الْقَدْرِ عُقْبَةً سَمِيَ عَافِيَا قَالَ الْكُمَيْتُ:

[البسيط]

وَجَالَتْ الرِّيحُ مِنْ تِلْقَاءِ مَغْرِبِهَا وَضَنَّ مِنْ قَدْرِهِ ذُو الْقَدْرِ بِالْعُقْبِ

وقال آخر: [الطويل]

فَلَا تَسْأَلِينِي وَاسْأَلِي مَا خَلِيقَتِي إِذَا رَدَّ عَافِي الْقَدْرِ مَنْ يَسْتَعِيرُهَا^(١)

(١) لمضرس الأسدي في اللسان (عفا)، وللكميت في أساس البلاغة (عفو)، وليس في ديوانه، وبلا نسبة في اللسان (فور).

وَحَصَّ الْخَوْدَ لَكَرَمِهَا وَنَعْمَتِهَا وَكَرَامَتِهَا فِي ذَوِيهَا وَقَالَ الْخَلِيلُ: الْخَوْدُ: الْمَرْأَةُ الشَّابَّةُ مَا لَمْ تَصِرْ نَصْفًا. وَقَالَ الدُّرَيْدِيُّ: الْخَوْدُ: الْفَتَاةُ الثَّامِنَةُ؛ وَلَمْ يُبَيَّنْ مِنْهُ فِعْلٌ.

٨١٢ - وقال الأعجم^(١)، يمدح عُمَرَ

ابن عبيد الله^(٢): [الوافر]

- ١ - أَخْ لَكَ لَيْسَ خُلَّتْهُ بِمَذْقٍ إِذَا مَا عَادَ فَقَرُّ أَخِيهِ عَادَا
 - ٢ - أَخْ لَكَ لَا تَرَاهُ الدَّهْرَ إِلَّا عَلَى الْعِمْلَاتِ بَسَامًا جَوَادَا
- الْمَذْقُ: اللَّبَنُ وَقَدْ خُلِطَ بِهِ الْمَاءُ، فَاسْتَعَارَهُ لِلْمَوَدَّةِ. وَيُقَالُ: فَلَانٌ يَمَذَّقُ الْوَدَّ، وَهُوَ يُمَاذِقُنِي. فيقول: صداقةُ هذا الأخ صافيةٌ من الشوائبِ، لأنَّه لَا يَنْطَوِي لَكَ عَلَى غِلٍّ وَلَا حَقْدٍ، وَلَا سَوْءِ دِخْلَةٍ، وَلَا فَسَادِ طَوِيَّةٍ، وَإِذَا أُعْطِيَ رَاجِيَهُ أَغْنَاهُ، فَإِنْ رَاجَعَهُ الْفَقْرُ لكَثْرَةِ مُؤْنِهِ، وَتَرَائِدِ غَاشِيَتِهِ، أَوْ لِحَاوُلِ نَوَائِبِ الزَّمَانِ عَلَيْهِ، وَجَدَ عَلَى خُلُقِهِ وَمَالِهِ مَخْمَلًا، فَعَادَ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ. ثُمَّ لَا تَرَاهُ عَلَى تَغْيِيرِ الزَّمَانِ، وَاخْتِلَافِ الْأَحْوَالِ، إِلَّا ضَحُوكًا طَلَقَ الْوَجْهَ، جَوَادًا طَيِّبَ النَّفْسِ. وَبَسَامٌ: بِنَاءُ الْمُبَالِغَةِ، وَلَمْ يُبَيَّنْ عَلَى بَسَمٍ، لِأَنِّ الْبِنَاءَ عَلَى بَسَمٍ بِاسْمٍ. وَيُقَالُ: بَسَمٌ، وَابْتَسَمَ، وَتَبَسَّمَ.

٨١٣ - وقالت امرأة من بني مخزوم: [السرّيع]

- ١ - إِنْ تَسَالِي فَالْمَجْدُ غَيْرُ الْبَدِيعِ قَدْ حَلَّ فِي نَيْمٍ وَمَخْزُومٍ^(٣)
 - ٢ - قَوْمٌ إِذَا صَوْتُ يَوْمِ النَّزَالِ قَامُوا إِلَى الْجُرْدِ اللَّهَامِيمِ
 - ٣ - مِنْ كُلِّ مَحْبُوكٍ طَوَالِ الْقَرَى مِثْلَ سِنَانِ الرُّمَحِ مَشْهُومِ
- قَوْلُهَا: «غَيْرُ الْبَدِيعِ» انْتَصَبَ عَلَى الْحَالِ، وَإِنَّمَا تُخَاطَبُ امْرَأَةً. فَتَقُولُ: إِنْ سَأَلَتِ النَّاسَ عَنْ مَقَرِّ الْمَجْدِ وَمَسْكَنِهِ، فَقَدْ حَلَّ غَيْرُ مُسْتَبَدِّعٍ وَلَا مُسْتَنْكَرٍ، فِي بَنِي نَيْمٍ وَمَخْزُومٍ، وَهُمْ قَوْمٌ إِذَا تَدَاعَى الْأَبْطَالُ يَوْمَ النَّزَالِ، وَصَاحَ الْمُسْتَغِيثُ بِنَاصِرِهِ عِنْدَ

(١) التبريزي: «وقال زياد الأعجم» وقد سبقت ترجمته في الحماسية (٦٦٥).

(٢) التبريزي: «عمر بن عبيد الله بن معمر».

(٣) التبريزي: «هذه من السرّيع، والبيتان شاذان، وذلك أن في وزنهما شيئاً لم تجر العادة باستعمال مثله، وهما يزيدان على البيت الثالث فالبيت الأول يزيد بالعين من (البديع) والبيت الثاني يزيد باللام من (النزال) على ما جرت به العادة وهو في ذلك مثل البيت الأول».

الْقِرَاع، قَامُوا إِلَى خَيْلِ قِصَارِ الشُّعُورِ عِرَابٍ، كِرَامٍ سِرَاجٍ. وَلِهَامِيمِ الْإِبِلِ: غَزَاؤُهَا. وَلِهَامِيمِ النَّاسِ: أَسْخَاؤُهُمْ.

وقولها: «مِنْ كُلِّ مَحْبُوكٍ طَوَالَ الْقَرَى»، تريد: مِنْ كُلِّ فَرَسٍ مُخَكَّمِ الْخَلْقِ، مُشْرِفٍ طَوِيلِ الظَّهْرِ، خَفِيفٍ نَافِذٍ فِي الْعَذْوِ، كَأَنَّهُ سِنَانٌ رُمُحٍ. وَالْمَسْهُومُ: الَّذِي قَدْ أَثَرِ الْعَزْوِ فِيهِ وَلَوْحُهُ سَمُومُ الْحَرْبِ وَالْحَزَرِ. هَذَا إِذَا رَوَيْتَهُ «مَسْهُومٌ» بِالسَّيْنِ غَيْرِ مَعْجَمَةٍ، وَمَنْ رَوَاهُ «مَشْهُومٌ» بِالشَّيْنِ مَعْجَمَةٌ فَمَعْنَاهُ حَدِيدُ الْقَلْبِ؛ وَمِنْهُ الشَّيْهُمُ: اسْمُ الْقَتْفُذِ، لِلشُّوكِ الَّذِي فِي ظَهْرِهِ.

٨١٤ - وَقَالَتْ أُخْرَى: [الطويل]

١ - أَلَا إِنَّ عَبْدَ الْوَاحِدِ الرَّجُلِ الَّذِي يُنِيلُكَ مَا طَالَبْتَ وَالْوَجْهَ وَافِرٌ^(١)

تقول: يُعْطِي قَبْلَ أَنْ يُسَالَ وَيُنْذَلَ الْوَجْهَ لَهُ. وَيَشْبَهُهُ قَوْلُ الْآخَرِ: [الرمل]

أَهْنَأُ الْمَعْرُوفِ مَا لَمْ يُبْتَذَلَ فِيهِ الْوُجُوهُ

ويقال: نِلْتُ الشَّيْءَ أَنَا لَهُ نَيْلًا، وَأَنَا لَيْتِيهِ فَلَان. وَالنَّيْلُ وَالتَّوَلُّ يُتَقَارَبَانِ فِي الْمَعْنَى وَإِنْ كَانَ بِنَاءَهُمَا مُخْتَلِفَيْنِ، يُقَالُ: نِلْتُهُ أَنْوَلُهُ تَوَلًّا، فَهَذَا مِنَ التَّوَلُّ، وَنَوَّلْتُهُ وَتَنَاوَلْتُ الشَّيْءَ، وَمَا كَانَ تَوَلُّكَ أَنْ تَفْعَلَ كَذَا، أَيْ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَكَ.

٨١٥ - وَقَالَتْ الْخَنْسَاءُ^(٢): [السريع]

١ - دَلَّ عَلَى مَعْرُوفِهِ وَجْهُهُ بُورِكَ هَذَا هَادِيًا مِنْ دَلِيلِ

٢ - تَخِيبُهُ غَضَبَانٍ مِنْ عِزِّهِ ذَلِكَ مِنْهُ خُلُقٌ لَا يَحُولُ

٣ - وَنِلُ أُمِّهِ مِسْعَرٌ حَزْبٌ إِذَا أُلْقِيَ فِيهَا وَعَلَيْهِ الشَّلِيلُ

قولها: «دَلَّ عَلَى مَعْرُوفِهِ وَجْهَهُ»، تَرِيدُ طَلَاقَةَ وَجْهِهِ وَتَهْلُلُهُ عِنْدَ تَعَرُّضِ السَّائِلِ لَهُ، وَفَرَحَهُ وَبِشَاشَتَهُ بِهِ إِذَا حَصَلَ عِنْدَهُ، ثُمَّ قَالَ: بَارَكَ اللَّهُ فِي هَذَا الدَّلِيلِ مِنْ بَيْنِ

(١) التبريزي:

«ينيلك ما تبغيه والعرض وافر»

(٢) الخنساء: هي ثُمَامُ بنت عمرو بن الحارث بن الشريد الرياحية السلمية، من قيس عيلان، أشهر شواعر العرب وأشعرهن، عاشت أكثر عمرها في الجاهلية وأدركت الإسلام فأسلمت ووفدت على الرسول ﷺ وأنشدته من شعرها (ت ٢٤ هـ / ٦٤٥ م) ترجمتها في الشعر والشعراء ص ١٢٣، وأعلام النساء ١: ٣٠٥.

الأدلاء، يعني وجهه. وأصل البركة الثماء والزيادة، وقيل: هو من اللزوم والثبات، ومنه بَرَكَ البعير. وانتصب «هاديًا» على الحال.

وقولها: «تَحَسَّبْهُ غَضْبَانٌ مِنْ عِزِّهِ»، هم - أعني العرب - يشبهون الحيَّ الكريم بالمتشكِّي من عِلَّة، والعزير المنيع بالمتغضب من عِزَّة. ولا غضب في هذا كما أنه لا عِلَّة ثُمَّ، وإنما يراد في العزيز إباء النفس وأبهة الثبل، كما أنه يُراد في الحيَّ لين الجانب، والانخزال من الكرم. وقولها: «ذَلِكَ مِنْهُ خُلُقٌ لَا يَحُولُ»، يريد أنه طبع على ذلك، فلا يزول عنه ولا يتحول منه.

وقولها: «وَيْلُ أُمِّهِ مِسْعَرُ حَرْبٍ» انتصب مسعر على التمييز، وقد مرَّ القول في وِيلُ أُمِّهِ. والكلام تعجب وتعظيم. والمِسْعَر من أبنية الآلات، يراد أنه كالألة في إيقاد نار الحرب إذا أُلْقِيَ فيها وقد تَدَجَّج في السلاح. والشَّيْل: الدُّنْع.

٨١٦ - وقالت امرأة من إباد: [البسيط]

١ - الْخَيْلُ تَعْلَمُ يَوْمَ الرُّوْعِ إِذْ هَزِمَتْ أَنَّ ابْنَ عَمْرِو لَدَى الْهَيْجَاءِ يَخْمِيهَا^(١)

٢ - لَمْ يُبْدِ فُحْشًا وَلَمْ يَهْدَ لِمُغْظَمَةٍ وَكُلُّ مَكْرُمَةٍ يُلْقَى يُسَامِيهَا

تعني بالخيال الفرسان. تريد: قد تيقنوا أنه إذا اتفق عليهم كسر، وأثر فيهم رذع في يوم حرب، لا يدفع عنهم ولا يدب دونهم إلا ابن عمرو، فهم ساكنون إليه، ومُعْتَمِدُونَ عليه عند استعار نار الرُّوْع والاصطلاء بحرَّها، لأنه جابر كَسَرَهُمْ، ومُخِمِّدٌ جَمَرَهُمْ.

وقولها: «لَمْ يُبْدِ فُحْشًا» تريد أنه لا يعرف القبيح، فلا يظهر في أفعاله وأقواله ما يُسْتَهْجَن أو يُسْتَفْحَش، ثم إذا مُنِيَ بِخُصْلَةٍ فظيعة لا يُهْدُ لها، ولا يَحَارُ فيها، بل يَصْبِرُ وَيَثْبِتُ، وَيَحْسُنُ حَدِيثَهُ فِي أَفْوَاهِ النَّاسِ لَخُرُوجِهِ مِنْهَا وَيَغْذُبُ؛ وَكُلُّ مَكْرُمَةٍ تَسْنَحُ، ومأثرة على القرب والبعد تَتَّفِقُ وتَغْرِضُ، تَرَاهُ تَطْمَحُ عَيْنُهُ إِلَيْهَا، وَتَحْرِصُ نَفْسُهُ عَلَى جَمْعِ يَدِهِ عَلَيْهَا، لَعَلَّوْهُمَّتْهُ، وَكَمَالِ خِصَالِهِ. وقولها: «يُسَامِيهَا» في موضع الحال أي مُسَامِيًا لها، ولك أن تروي «يُلْقَى» بالقاف، و«يُلْقَى» بالفاء، ومعناها قريب.

(١) التبريزي: «إن هزمت».

- ٣ - الْمَسْتَشَارَ لِأَمْرِ الْقَوْمِ يَخْزُبُهُمْ إِذَا الْهَنَاتُ أَهَمَّ الْقَوْمَ مَا فِيهَا
٤ - لَا يَزْهَبُ الْجَارُ مِنْهُ غَذْرَةٌ أَبَدًا وَإِنْ أَلَمَّتْ أُمُورٌ فَهُوَ كَافِيهَا

وصفته بجزالة الرأي، وبراعة النفس والعقل، وأن المرجع فيما يذهبهم القوم إليه، والمعتدّ عندما يهجم فيهمهم عليه، فهم يستضيئون بتدبيره في ظلم الخطوب ويستكشفونه ما يتغشاهم من دواهي الأمور. والهنات: جمع هنة، وهي الكناية عن المنكرات، ولا تستعمل في الخير البتة. وقولها: «أهم القوم»، أي جعل من همهم، وموضع يخزبهم نصب على الحال.

وقولها: «لا يزهب الجار منه غذرة» تصفه بحسن الوفاء فيما يعقد للجار من ذمة، ويعطيه من عهد وموثقة. فيقول: جاره آمن لا يخاف ختلا ولا مكرا وإن نزلت به أمور خارجة من الجوار فهو يقوم بها ويتكفل بالكفاية فيها. وانتصب «أبدا» على الظرف، وهو في المستقبل بمنزلة قط في الماضي.

تم الباب بعون الله وحسن توفيقه، والصلاة على نبيه محمد وآله من بعده

بَابُ الصِّفَاتِ

٨١٧ - قال بعضهم^(١): [الطويل]

- ١ - وَهَاجِرَةٌ تَشْوِي مَهَاهَا سَمُومَهَا طَبَخْتُ بِهَا عَيْرَانَةً وَاشْتَوَيْتُهَا
٢ - مُفَرَّجَةٌ مَنفُوجَةٌ حَضْرَمِيَّةٌ مُسَانِدَةٌ سِرُّ الْمَهَارَى انْتَقِيَتْهَا

أراد بالهاجرة الوقت الذي يهجر السير له إذا قام قائم الظهيرة وغلب الحر فيه، وهي فاعلة بمعنى مفعولة. والمَهَا: بقر الوحش. فيريد أن حرها يشوي الوحش ويطبُخها. وقوله: «طَبَخْتُ بِهَا عَيْرَانَةً» يعني بتلك الهاجرة. والعَيْرَانَةُ: الناقة تُشَبِّه العَيْر. و«شويتها» أي سرت عليها حتى أنصاها الهواجر وحسرها وأذهب لحمها، فصارت كالمنفوجة. والمُفَرَّجَةُ: هي التي بُعدت مرافقها عن زورها واتسعت أباطها وفرجت ما بين قوائمها، فهي فتلاء المرفق لا يصير حازًا ولا ناكثًا ولا ضاغِطًا. والمنفوجة: الواسعة الجنبين. والحضرمية هي التي حصلت من نسل إبلِ حَضْرَمَوْت، وهي قرية بالشَّام. والمُسَانِدَةُ: القوية الظهر. وسِرُّ الْمَهَارَى، أي خيارها. والمهاري: جمع مَهْرِيَّة وهي المنسوبة إلى مَهْرَةَ بن حَيْدَانَ، أي من نتاجه. وانتقيتها: أي اخترتها. والمراد أنه قَطَاعٌ لِلْمَقَاوِزِ فِي الْهَوَاجِرِ، مَبْدَلٌ لِنَفْسِهِ وَرَاجِلَتَهُ لَا يُبْقَى عَلَيْهِمَا فِي حَرٍّ، وَلَا يَقِيهِمَا مِنْ سَمُومٍ وَتَعَبٍ. وقوله: «تَشْوِي مَهَاهَا سَمُومَهَا» في موضع الصفة للهاجرة. وقوله: «طَبَخْتُ» جواب رُبُّ.

- ٣ - فَطَرْتُ بِهَا شَجْعَاءَ قَرَوَاءَ جُرْشَعَا إِذَا عُدَّ مَجْدُ الْعَيْسِ قُدِّمَ بَيْتُهَا
٤ - وَجَدْتُ أَبَاهَا رَائِضِيهَا وَأُمَّهَا فَأَعْطَيْتُ فِيهَا الْحُكْمَ حَتَّى حَوْنَتْهَا

(١) التبريزي: «قال البعيث الحنفي» وقد سبقت ترجمته في الحماسية (١٣٠).

قوله: «فَطَرْتُ بِهَا» قيل: أراد به حَشَّهَا واستَعَجَلْتُهَا في السَّير، فيكون طَرْتُ بِهَا بمعنى أطرْتُهَا على هذا، كما يقال ذَهَبْتُ بِزَيْدٍ وَأَذْهَبْتَهُ بِمَعْنَى، ويجوز أن يكون المراد أَنِّي انْتَزَعْتُهَا مِنْ عِيُونِ الْبَاعَةِ وَالْمَشْتَرِينَ، واختَلَسْتُهَا وَفُزْتُ بِهَا، بدلالة أَنَّهُ قَالَ: «وَأَعْطَيْتُ فِيهَا الْحَكَمَ حَتَّى حَوَيْتُهَا». وَالشَّجَعَاءُ: الْجَرِيئَةُ الْقَلْبُ، وانتصب على الحال. وَالْقَرْوَاءُ: الطَّوِيلَةُ الظَّهْرِ. وَالْجَرْشُوعُ: الْمُسْتَفِخَةُ الْجَنِينِ.

وقوله: «إِذَا عُدَّ مَجْدُ الْعِيسِ» يريد إذا ذُكِرَتْ مَفَاخِرُ الْعِيسِ وَمُنَاسِبُهَا قُدِّمَ نَسْلُهَا وَقَبِيلُهَا الَّذِي يُؤْوِيهَا.

وقوله: «وَجَدْتُ أَبَاهَا رَائِضِيْنَهَا وَأُمُّهَا» فَصَلَ بَيْنَ الْمَعْطُوفِ وَالْمَعْطُوفِ عَلَيْهِ بِمَفْعُولٍ وَجَدْتُ الثَّانِي، وَالْمَعْنَى: وَجَدْتُ أَبَاهَا وَأُمُّهَا رَائِضِيْن لَهَا، كَأَنَّهَا تُتَبَّجَتْ مَرْوُضَةً مُؤَدَّبَةً، فَمَا حَمِدَ مِنْهَا حَصَلَ لَهَا وَرَائَةً لَا تَعْلَمُ.

وقوله: «أَعْطَيْتُ فِيهَا» أَي بَذَلْتُ فِي تَمْلِكِهَا مَا احْتَكَمَ بِائِعُهَا وَاقْتَرَحَهُ وَاسْتَأْمَرَ بِهَا، حَتَّى حَصَلَتْهَا.

٨١٨ - وَقَالَ عَتْرَةُ بْنُ الْأَخْرَسِ ^(١):

١ - لَعَلَّكَ تُنْمَى مِنْ أَرَاقِمِ أَرْضِنَا بِأَرْقَمِ يَسْقِي السَّمَّ مِنْ كُلِّ مَنْظَفٍ

٢ - تَرَاهُ بِأَجْوَاكِ الْهَشِيمِ كَأَنَّمَا عَلَى مَنِيهِ أَخْلَاقُ بُزْدٍ مُقَوِّفٍ

الْأَرَاقِمُ: الْحَيَّاتُ. وَالْكَلَامُ دَعَاءٌ عَلَى الْمَخَاطَبِ وَإِنْ كَانَ لَفْظُهُ تَرْجِيًّا وَتَأْمِيلًا. وَمَعْنَى تُنْمَى تُمْتَحَنُ. يُقَالُ: مُنِيَ بِكَذَا، أَي بُلِيَ بِهِ وَقَاسَى شَرَّهُ. وَمَعْنَى «يَسْقِي السَّمَّ» مِنْ كُلِّ مَنْظَفٍ يَرِيدُ مِنْ كُلِّ مَقْطَرٍ، لِأَنَّ نَطْفَ الْمَاءِ مَعْنَاهُ قَطَرٌ. وَسُمِّيَ الْمَاءُ نُظْفَةً لِذَلِكَ. يَرِيدُ أَنَّهُ يَزْشَعُ بِالسَّمِّ، فَسُمُومٌ جِلْدُهُ تَقْطُرُ بِهِ. وَلَعَلَّ: طَمَعٌ وَإِشْفَاقٌ. كَذَا قَالَ سِيبَوَيْهِ: وَيُسْتَعْمَلُ بِأَنْ وَبِغَيْرِ أَنْ. يُقَالُ: لَعَلَّكَ أَنْ تَفْعَلَ كَذَا، كَمَا تَقُولُ لَعَلَّكَ تَفْعَلُ كَذَا.

وقوله: «تَرَاهُ بِأَجْوَاكِ الْهَشِيمِ» فَالْهَشِيمُ: الْيَابِسُ مِنَ الْأَشْجَارِ وَالنَّبَاتِ، وَالْقَصْدُ إِلَى النَّبَاتِ هُنَا. يَقُولُ: تَرَاهُ يَتَخَلَّلُ الْهَشِيمَ وَيَتَوَسَّطُ أَثْنَاءَهُ، فَكَأَنَّ عَلَى مَتْنِهِ بِجِلْدِهِ الَّذِي سَلَخَهُ قِطْعَ بُزْدٍ وَشَيْءٍ كَالْقَوْفِ، وَهُوَ الْبَيَاضُ الَّذِي يَظْهَرُ فِي أَظْفَارِ الْأَحْدَاثِ. وَجَعَلَهُ سَالِحًا لِيَكُونَ أَخْبَثَ.

(١) سَبَقَتْ تَرْجُمَتُهُ فِي الْحَمَاسِيَةِ (٥٣).

٣ - كَانَ بِضَاحِي جِلْدِهِ وَسَرَائِهِ وَمَجْمَعِ لَيْتِيهِ تَهَاوِيلَ زُخْرُفٍ

أراد أنه ملون الجلد. والضاحي: البارز للشمس في الأصل، والمراد به هنا ظاهر الجلد. والتهاويل: ما يُعلق من العُهون على الإبل. ولا واحد له من لفظه، والقياس تَهْوَالٌ، كما يقال تَجَفَّافٌ وتَجَافِيفٌ. والزُخْرُف: كلُّ ما حُسِّنَ به شيء، وأصله الذهب. فشبّه بارزَ جلد الحيّة وظهره ومجمع صفحتي عنقه باختلاف ألوانها بالتهاويل التي تُزخرف بها الإبل.

٤ - كَانَ مُثْنَى نِسْعَةٍ تَحْتَ حَلْقِهِ بِمَا قَدْ طَوَى مِنْ جِلْدِهِ الْمُتَعَضِّفِ

٥ - إِذَا نَسَلَ الْحَيَّاتُ بِالصَّيْفِ لَمْ يَزَلْ يُشَاعِرُ بَاقِي جُلْبَتِهِ لَمْ تُقْرِفِ^(١)

شبه غُضُونٌ حلقه لما انطوى من جلده المتكسر لكونه فاضلاً عن لحمه، وذلك لكثرة سمّه بنسعةٍ مثنّيةٍ جُعِلَتْ تحت حلقه، ويقال: إِنَّ الْحَيَّاتِ إِذَا اجْتَمَعَتْ سَمُومُهَا وَكَثُرَتْ دَقَّتْ وَهَزِلَتْ، لَأَنَّ سَمَهَا يَنْقُصُ لِحْمَهَا، فَلِذَلِكَ يُفْضَلُ جِلْدُهَا عَنْ حَجْمِهَا فَيَتَغَضَّفُ، أَيِ يَثْنَى، وَالْعَضْفُ: انكسارٌ فِي الْأُذُنِ.

وقوله: «إِذَا نَسَلَ الْحَيَّاتُ» يريد أنه يُخْبِئُهُ يقاتل سائرَ الحياتِ، سُوءَ خَلْقٍ مِنْهُ وَعِزَامَةٌ، فَإِذَا انْتَشَرَتِ الْحَيَّاتُ فِي الصَّيْفِ لَا يَزَالُ يَمَارِسُ وَيُطَاوِلُ بَوَاقِي جُلْبٍ مِنْهُ لَمْ تُقْشَرْ عَنْهُ، لِأَنَّهُ فِي مُقَاتَلَةِ الْحَيَّاتِ يَحْصِلُ عَلَى جُروح طَوِيلِ الصَّيْفِ وَتَيَبَّسَ عَلَيْهِ جُلْبُهَا. وقوله: «يُشَاعِرُ بَاقِي جُلْبَتِهِ»، وَيُرْوَى «يَسَاعِرُ» بِالسَّيْنِ، مِنْ قَوْلِهِمْ كَلَبَ سَعَرَ، أَيِ كَلَبَ. وَفِي الْقُرْآنِ قُسِّرَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فِي صَلَافٍ وَسُعُرٍ﴾ [القَمَرُ: ٤٧]، أَيِ جُنُونٍ. وَمِنْهُ نَاقَةٌ مَسْعُورَةٌ: لَا تَسْتَقِرُّ قَلْقًا، وَمِنْ قَوْلِهِمْ: عُتِقَ مِسْعَرٌ، أَيِ طَوِيلٌ. وَأَنْ تَرَوِي «يَسَاعِرُ» بِالسَّيْنِ الْمَعْجَمَةُ أَحْسَنُ، تَجْعَلُهُ مِنَ الشُّعَارِ الَّذِي هُوَ خِلَافُ الدُّنَارِ. وَيُقَالُ: جَلَبَ الْجُرْحُ وَأَجْلَبَ، إِذَا يَسَّ الدَّمُ عَلَيْهِ.

٨١٩ - وَقَالَ مُلْحَةُ الْجَرْمِيِّ^(٢):

[الطويل]

١ - أَرِفْتُ وَطَالَ اللَّيْلُ لِلْبَارِقِ الْوَمَضِ حَبِيبًا سَرَى مُجْتَابَ أَرْضٍ إِلَى أَرْضٍ

٢ - نَشَاوَى مِنَ الْإِدْلَاجِ كُذْرِي مُزْنِهِ يُقْضِي بِجَذْبِ الْأَرْضِ مَا لَمْ يَكْذُ يَقْضِي

٣ - نَحْنُ بِأَجْوَاذِ الْفَلَاقِ طَرَاتِهِ كَمَا حَرَّ نَيْبٍ بَغْضُهُنَّ إِلَى بَغْضِ

(٢) سبقت ترجمته في الحماسية (٧٨١).

(١) التبريزي: «إِذَا نَسَلَ».

قوله: «أَرِقْتُ»، يريد سهرت، ولا يكون الأرق إلا بالليل. فيقول: فارقني الثوم وطال ليالي من أجل سحاب فيه بَرَقَ يومض، أَسْرَى ليلاً وقد قَطَعَ أرضاً إلى أرض. والوَمَضُ: مصدر كالوميض، وهو لَمَعَانُ البرق. وقد وَصَفَ به. ويقال: وَمَضَ وأومَضَ. وانتصب «حَبِيئاً» على الحال، وهو المشرف. والعامل فيه إن شئت البارق، وإن شئت الوَمَضُ. و«مُجْتَابَ أرضٍ»، أي قاطعها، وانتصابه على الحال، والعامل سَرَى.

وقوله: «نَشَاوَى من الإدلاج» رَدَّه على قِطْع السَّحَاب. أَلَا تَرَى أَنَّهُ قَالَ فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ «لِلْبَارِقِ الْوَمَضُ»، ثم قال: «نَشَاوَى من الإدلاج». وهو جمع نَشَوَان. يريد أنْ أَقْطَاعَهُ لَسْرَاءُ صَارَتْ كَالسُّكَارَى تَمِيلُ من جانبٍ إلى جانب، وتَنْعَطِفُ من أرضٍ إلى أرض. كَأَنَّهُ جَعَلَ حَالَ السَّارِي من السَّحَابِ كَحَالِ السَّارِي من الْإِنْسَانِ. وقوله: «كُذِّرِي مُزْنِهِ» مبتدأ، و«يَقْضِي بِجَذْبِ الْأَرْضِ» في موضع الخبر، و«ما لم يكْد» مفعول يَقْضِي. وجَعَلَ في لونه كُذْرَةً لَكثْرَةِ مائه وارتوائه. والمعنى أَنَّ الْكُذْرِيَّ مِنْهُ يَحْكُمُ لِلْمُجْدِبِ من الأرض، وَيُقَسِّمُ من الْمَطَرِ له ما لم يكْد يَقْضِي به لنفسه، ولم يَقْرُبْ من قَسْمِهِ له كَأَنَّهُ يَصُبُّ لَجَدْبِ الْأَرْضِ أَكْثَرَ مِمَّا يَحْتَكِمُ به لو حُكِّمَ، ويختاره لو خُيِّرَ. ولك أن تروي «ما لم تكْد تقضي» بالتاء؛ تردُّه على الأرض. وقال بعضهم: هذا كما يقال: أعطاني الأمير ما لم يكْد يعطيه لأحدٍ، وسمح لي بما لم يكْد يسمح به لأحد. والأوَّل أحسن وأغرب. وقال بعضهم: أَخْبَرَ أَنَّ هَذَا السَّحَابَ إِذَا أَتَى على أرض مُجْدِبَةٍ لم يفارقها مطرها حتَّى يُهْرِيقَ بها من الماء ما يكون فيه عَهْدٌ وَوَلِيٌّ في دَفْعَةٍ واحدة وفراغه من هذا لا يكون سريعاً هيئاً. كأنَّ حَاجَةَ السَّحَابِ فِي الْأَرْضِ الْمُجْدِبَةِ إَحْيَاؤَهَا وإِخْصَابُهَا من مَطَرَةٍ واحدة، فَلَمَّا فَعَلَ قَضَى وَطَرَهُ، ولم يكْد يَقْضِيهِ إِلَّا بعد بَطْءٍ.

وقوله: «تَحْنُ بِأَجَوَازِ الْفَلَا قُطْرَاتُهُ» أي نواحيه. والقُطْرُ: الجَنَب. ويقال: قُطْرُهُ، إِذَا أَلْقَاهُ على قُطْرِهِ. ويقال في معناه: قُتِّرَ أَيضاً بالتاء. يريد أَنَّ جَوَانِبَهُ تَتَجَاوَبُ بِالرَّعْدِ، فَكَأَنَّهَا تَحْنُ إِلَى مَوَاضِعَ لَهَا قد أَلْفَتْهَا، فهي تَشْتَاقُهَا وتَشْوَفُ. ثُمَّ شَبَّهَ حَيْنَهَا بِحَيْنِ الْإِبِلِ وقد قُرَّتْ بعد اجتماع، فتحاتت وتهادرت.

ويقرب من هذا قولُ الْهَذَلِيِّ: [البسيط]

يَجْشُ رَغْدًا كَهَذَا الْفَحْلِ يَتَّبِعُهُ أَذْمٌ تَعَطَّفُ حَوْلَ الْفَحْلِ ضَخْضَاخٌ^(١)

(١) لأبي ذؤيب الهذلي في شرح أشعار الهذليين ١٦٧، واللسان (ضمح)، وللهمذلي في جمهرة =

- ٤ - كأنَّ الشَّمارِيخَ الأوَّلَى من صَبِيرِهِ شَمَارِيخُ من لُبْنَانٍ بِالطُّولِ وَالْعَرْضِ
٥ - تُبَارِي الرِّيحَ الحَضْرَمِيَّاتِ مُزْنَهُ بِمُثْمَرِ الأرواقِ ذِي قَرَعٍ رَفَضٍ^(١)

الشماريخ: الأعالي. والصَّبِير: السَّحاب الأبيض. ولُبْنَان: جبل. شَبَّهَ أعالي السَّحاب بأعالي هذا الجبل وأثوفه التي تتقدَّم منه، وقال: «الأوَّلَى» تخصيصة لما كان من صَبِيرِهِ خاصَّة، وقال: «بالطُّول والعرض» ليبين وجه التشبيه.

وقوله: «تُبَارِي» أي تُحَاكِي وتُساوِي الرِّيحَ الشَّامِيَّةَ سُحْبُهُ بمطرٍ سامي الأعالي. ويقال للسَّحابة إذا ألحَّت بالمطر في موضع: أَلَقَتْ عليه أوراقها. ويقال للرجل إذا ألقى همُّهُ على الشيءِ ونَفَسَهُ: ألقى عليه أوراقه. لذلك قال تَابَّطُ شَرًّا: [البسيط] أَلَقِيْتُ لَيْلَةً خَبِتَ الرِّهْطُ أَوْرَاقِي^(٢)

وَالْقَرَعُ: قَطْعٌ من السَّحاب متفرقة، والواحدة قَرَعَةٌ. وقال الخليل: الْقَرَعُ قَطْعٌ من السَّحاب رقيقة كالظِّلِّ. وعلى ما قاله يكون الإشارةُ من الشاعر إلى السَّحاب إلى وَصْفِهِ وقد هَرَأَقَ ماءهُ فَرَقًا. قال الخليل: ولذلك قيل: شَعَرَ مُقَرَّعٌ، أي خفيف. والرَّفَضُ: المَرْفُضُ المتفرق، وكأنَّ الأصل فيه الرَّفَضُ، مُحَرَّكُ الفاء، والجميع الأرفاض، فسكَّن. ويجوز أن يكون وصف بالمصدر، لأنه يقال رَفَضْتُ الشيءَ رَفَضًا، والمرفض رَفَضٌ. والمعنى أنَّ مُزْنَهُ وهو السَّحاب، تُحَاكِي الرِّيحَ الهابَّةَ من ناحية الشَّام - يشير إلى الشَّمال - بمطرٍ ذا صِفَتِهِ من سحاب كذلك.

- ٦ - يُغَادِرُ مَخْضَ المَاءِ ذُوهُ مَخْضُهُ على إثرِهِ إن كان للماء مِنْ مَخْضٍ
٧ - يَرَوِّي المَرْوَقَ الهامِدَاتِ من البَلَى مِنَ العَرَفِجِ التَّجْدِي دُوبَادَ والحَمْضِ

أصل المَخْض اللَّبَنُ الحامض بلا رَغْوَةٍ، ثم استعمل في الحسب وغيره، يقول: يترك خالصة الماء الذي هو خالصة السَّحابِ وصافيته، ويخلِّفُهُ في مسابيل الأودية على إثرِهِ. وإنما يُشِيرُ إلى ما تَقَطَّعَ ورقٌ من ماء المطر بَنَصْدِ الأحجار، وأصولِ الأشجار، حتَّى صفا من شوائب الكدورة، وقَرَّ في المنافع وقرارات الأودية.

= اللغة ١٣٠٥.

(١) التبريزي: «يباري».

(٢) لتأبط شراً في ديوانه ١٢٩، واللسان (روق) وكتاب الجيم ٢٢: ٢٢، وشرح اختيارات المفضل ص

وقوله: «إن كان للماء من مَحْضٍ»، لأنَّ ماء المطر جنسٌ واحدٌ إذا لم يختلط به غيره لا يختلف. وقد مرَّ القولُ في ذو وآئه بمعنى الذي في لغة طيِّء، فقوله: «ذو باد»، أي الذي باد، وهو في موضع الجرِّ، لكنه لا يغيّر عن بَنِيَّتِهِ.

وقوله: «ويروي العروق الهامِدات من البلى»، يريد أنّه أحيا ما أشرَفَ على اليُس من عُروق الشجر البالية خُلَّتْها وَحْمَضُها، وأعادها غَضَّةً مرتوية. والهُمُودُ أبلغ من الخُمُود.

٨ - وبات الحبيّ الجَونُ يَنْهَضُ مُقَدِّمًا كَنَهَضِ المُدائِي قَيْدُهُ المَوْعِثِ النَّقْضِ

الحبيّ من السحاب: المشرف المتراكم. والجَون: الأسود هنا، وجعلَه كذلك لارتوائه وكثرة مائه. وقوله: «ينهض مُقَدِّمًا» انتصب مُقَدِّمًا على الحال، يريد أن سير السحاب لِثِقَلِهِ وحركاته مثل سير هذا البعير وحركته؛ ثُمَّ وَصَفَهُ. والمُدائِي قَيْدُهُ: الذي قُصِرَ عِقَالُهُ وَضُبِّيَ عليه قَيْدُهُ. ولم يَرْضَ بذلك حتّى جعله سائرًا في الوَغِثِ، وهي الأرض اللَّيْنَةُ الكثيرة الثُّراب والرَّمْل، والسَّير فيها يَضْعُب. ويقال في الدُّعاء: «اللهم إني أعوذ بك من وَغْثِ السَّفر»، يُراد شِدَّتُهُ وصُعوبته. ويقال: أَوْعَثَ، إذا صارَ في الوَغْثاء، كما يقال أسَهَلَ إذا صارَ في السهل. ثُمَّ لم يَرْضَ بعد ذلك أيضًا حتّى جعله يَنْقُضًا، وهو المهزول الضَّعيف. ويقال: نَقَضَتِ البعير نَقْضًا، والمنقوض يَنْقُضُ.

وقد زاد في هذا الوصف على الأعشى لما قال - وإن كان الأعشى يصف امرأةً بالنعمة والثَّرفَة، وهذا يصف سحابةً ثَقِيلَةً -: [البسيط]

تَمْشِي الهَوَيْتِي كما يَمْشِي الوَجِي الوَجِلُ^(١)

لأن هذا جعل البعير مُدائِي القَيْد أيضًا.

تم الباب بحمد الله تعالى ومَنه، وحسن توفيقه وعونه

(١) للأعشى في ديوانه ١٠٥، وتاج العروس (عرض، وجي)، وصدره:

«غَزَاءُ فرعاء مصقول عوارضها»

بَابُ السَّيْرِ وَالنُّعَاسِ

٨٢٠ - وقال حَظِيم^(١): [الطويل]

- ١ - وقال وَقَدْ مَالَتْ بِهِ نَشْوَةُ الْكَرَى نُعَاسًا وَمَنْ يَغْلَقُ سُرَى اللَّيْلِ يَحْسَلِ
- ٢ - أَيْخُ نُغْطِ أَنْضَاءَ النُّعَاسِ دَوَاءَهَا قَلِيلًا وَرَقْنَهُ عَنْ قَلَانَصِ ذُبُلِ
- ٣ - فَقُلْتُ لَهُ كَيْفَ الْإِنَاخَةُ بَعْدَمَا حَدَا اللَّيْلُ عُزَيَّانَ الطَّرِيقَةَ مُنْجَلِي

مفعول قال أول البيت الثاني، وهو «أَيْخُ نُغْطِ». وقوله: «وقد مَالَتْ بِهِ نَشْوَةُ الْكَرَى»، الواو واو الحال. والنشوة: السُّكْر. والكَرَى: التَّوَم. وانتصب «نُعَاسًا» على أنه مصدر في موضع الحال.

وقوله: «وَمَنْ يَغْلَقُ سُرَى اللَّيْلِ يَحْسَلِ» اعتراضٌ بَيْنَ الْفِعْلِ وَمَفْعُولِهِ. وَيَغْلَقُ فِي مَعْنَى يَتَعَلَّقُ. وَالسُّرَى: سَيْر اللَّيْلِ خَاصَّةً، وَأَضَافَهُ إِلَى اللَّيْلِ فَقَالَ: سُرَى اللَّيْلِ، تَأْكِيدًا. وَمَعْنَى الْبَيْتِ: وَقَالَ رَفِيقِي وَقَدْ انْتَشَى مِنَ الْكَرَى وَصَارَ يَتَمَيَّلُ وَلَا يَسْتَقِيمُ وَهُوَ نَاعَسٌ، وَمَنْ يُمَارِسُ السَّيْرَ وَيُهَاجِرُ التَّوَمَ يَتَسَلَّطُ عَلَيْهِ الْكَسَلُ: أَيْخُ رَاحَلَتِكَ نُدَاوِ الْمَطَايَا الَّتِي أَنْضَاها النُّعَاسُ وَهَزَلَهَا الْجَهْدُ، دَوَاءُهَا مِنَ الرَّاحَةِ وَالتَّوَمِ، وَسَكُنَ مِنْ قَلَانَصٍ مَهَازِلٍ، وَوَسَّخَ مَا ضَيَّقَتْ عَلَيْهَا مِنْ أَوَقَاتِهَا. وَالْقَلْوَصُ فِي الْإِبِلِ بِمَنْزِلَةِ الْجَارِيَةِ فِي النَّاسِ. وَالدُّبُلُ: جَمْعُ ذَابِلٍ. وَالتَّرْفِيَةُ: التَّوَسُّعُ وَالتَّنْفِيسُ. وَيُقَالُ: رَفَّهْتُ الْبَعِيرَ، إِذَا تَرَكْتُ الْحَمْلَ عَلَيْهِ، وَعَيْشَ رَافَةً وَرَفِيَةً: فِيهِ رَفَاهَةٌ وَخَضْبٌ. وَانْتَصَبَ قَلِيلًا عَلَى الظَّرْفِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ صِفَةً لِمَصْدَرٍ مَحذُوفٍ، كَأَنَّهُ قَالَ نُغْطِهَا دَوَاءَهَا إِعْطَاءَ قَلِيلًا، أَوْ وَقْتًا قَلِيلًا. وَالْأَنْضَاءُ: جَمْعُ النُّضْوِ، وَهُوَ الْمَهْزُولُ.

(١) التبريزي: «الخطيم».

وقوله: «فقلت له كيف الإناخة»، يريد كيف الوصول إلى التزول وقد أصبحنا وساق الليل صُبَحَ واضح الطَّريقة، متكشف الشريعة، يجلي الظلام فيه ويفرق. يريد أن الرأي وقد انصرم الليل أن نتبلغ إلى الماء الذي نقصده ثم نزل.

٨٢١ - آخر: [الوافر]

- ١ - وَفَتَيَانِ بَنَيْتُ لَهُمْ رِدَائِي عَلَى أَسْيَافِنَا وَعَلَى الْقِسِيِّ
- ٢ - فَظَلُّوا لَا يَبْقِيَنَّ بِهِ وَظَلْتُ مَطَايَاهُمْ ضَوَارِبَ بِالْحُجِيِّ
- ٣ - فَلَمَّا صَارَ نِصْفُ الظَّلِّ هُنَا وَهَنَا نِصْفُهُ قَسَمَ السَّوِيَّ

يقول: رب فتيان أثر فيهم الحر، ومالوا إلى التزول، فبنيت لهم ما أظلمهم على الأسياف والقسي، وقد غشيت بردائي فظلوا من نهارهم ملجئين إليه ولائذين من الحر به، وبقيت مطاياهم لتأثير أواره فيها، وإحراقها بتوقد الهاجرة عليها، تضرب بلحجها على الأرض، فلما زال قائم الظهيرة، وصار الظل نصفين لا شطط في انقسامه، ولا اعوجاج في سويته. وجواب لما متتظر. وقوله: «هنا» انتصب على الطرف، وقد وقع موقع خبر صار.

وسمعت شيخنا أبا علي الفارسي رحمه الله يقول: ليس هنا من لفظ هنا في شيء، ووزنه فَعَلَل مثل جعفر، فهو رباعي، وهنا ثلاثي. كأن أصله هَنُنْ، فأبدلوا من إحدى نوناته الألف هرباً من التضعيف.

وقوله: «قَسَمَ السَّوِيَّ» انتصب على المصدر، والمراد وقد قَسَمَ قَسَمَ الإنصاف. ودل على الفعل قوله: «نِصْفُ الظَّلِّ هُنَا».

والسوي أكثر ما يجيء في آخره هاء التانيث: السوية، قال الشاعر: [الوافر]

أَلَا إِنَّ السَّوِيَّةَ أَنْ تُضَامُوا^(١)

ويجوز أن يريد بالسوي المسمى، كما جاء في الخبر: «لا تحل الصدقة لغني، ولا لذي مرة سوي»^(٢).

- ٤ - دَعَوْتُ فَتَى أَجَابَ فَتَى دَعَاهُ بَلْبِيهِ أَشَمَّ شَمْرَدَلِي

(١) للبراء بن عازب الضبي في اللسان (سوا) وصدرة:

«أَسَالَنِي السَّوِيَّةَ وَسَطَ زَيْدٍ»

(٢) أخرجه أبو داود في الزكاة باب ٢٤، والترمذي في الزكاة باب ٢٣، وأحمد في المسند ٢: ١٦٤.

- ٥ - فَقَامَ يُصَارِعُ الْبُزْدَيْنِ لَذْنَا يَقُوتُ الْعَيْنَ مِنْ نَوْمٍ شَهِيٍّ
٦ - فَقَامُوا يَزْحَلُونَ مُنْقَفَهَاتٍ كَأَنَّ عُيُونَهَا نُزْحُ الرُّكْبِي

قوله: «دعوت» جواب لما من قوله: «فلما صار نصف الظل»، وهو العامل فيه، لكونه علماً للظرف. وقوله: «أجاب فتى دَعَاهُ» يريد أجبني، لأنه هو الداعي له. وقوله: «بلبيته» أراد أجاب بالثلية، أضاف لبني إلى ضمير المجيب، وحكى ما لُفِظ به. ولبيك، من قولهم: أَلَبَّ بالمكان، إذا أقام به، وهذه اللفظة مثني، والثنية فيها إيذان بأن المراد إلباب بعد إلباب، لأن قد تفيد التكثير، فكأن المراد: دوام على طاعتك، وإقامة عليها مرة بعد أخرى. قال سيبويه: انتصابه على المصدر كانتصاب سبحان الله، ولا ينصرف كما لا ينصرف سبحان. وقال يونس: إنه واحد غير مثني، والياء فيه كالياء في عليك ولديك، وأنشد الخليل وسيبويه عن العرب، قول القائل: [المتقارب]

قَلْبِي قَلْبِي يَدَيَّ مِسُورٍ^(١)

وموضع الحجة أنه لو كان كلدي وعلى لكان يجيء بالألف إذا أضيف إلى الظاهر، كما تقول لذي زَيْدٍ وعلى عمرو، والشاعر قال: لبني يَدَيَّ.

وقوله: «أشَم» في موضع الجر على أن يكون بدلاً من الضمير المتصل بلبينه. وأصل الشَّم الطُّول في الأنف، لكثته جعل لفظة أشَم كناية عن الكريم. والشمردل: الطويل. وزاد ياء النسبة في آخره توكيداً للوصفية، فهو كقول رؤبة: [الرجز]

أَطْرَبَا وَأَنْتَ قِئْسَرِي وَالذَّهْرُ بِالْإِنْسَانِ دَوَارِي^(٢)

يريد قِئْسَرَا، ودَوَارَا، فزاد الياء لمثل ذلك.

ومراد الشاعر: لما انقسم الظلُّ هذا الانقسام، وخفَّ احتدامُ الوقت واشتدَّ أمرُ الحرِّ على مواصلِ السَّيرِ والسَّرى، دعوتُ فتى أجباني بلبيك، كريم مديد القامة، تام

(١) لرجل من بني أسد في الدرر ٣: ٦٨، واللسان (لبي)، وبلا نسبة في خزنة الأدب ٢: ٩٢، وشرح أبيات سيبويه ١: ٣٧٩. وصدريه:

«دعوتُ لَمَّا نابني مسورا»

(٢) للعجاج في ديوانه ١: ٤٨٠، واللسان (دور، قسر، قعسر، قنسر)، وخزنة الأدب ١١: ٢٧٤، والدرر ٣: ٧٤.

الخلقة، فقام ولَمَّا لَحِقَهُ مِنَ الثَّعْبِ وَالْكَلالِ وَتَرَكَ الثَّوْمَ يَتِمَّائِلُ، فَكَأَنَّهُ يَصَارِعُ بُرْدِيَه. وهو لَيْنُ الْأَعْطَافِ، يَهْتَزُّ اهْتِزَّازَ الرَّمْحِ اللَّذَنَ، وَهُوَ يَنْفِي عَنْ عَيْنِهِ نَوْمًا لَذِيذًا تَمَكَّنَ مِنْهَا، فَهُوَ لَهَا قَوْتُ وَقِيَامٌ وَيَنْفُضُهَا مِنْ شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ. وَإِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ اسْتَوْفَى مِنَ الرَّاحَةِ وَالنَّوْمِ مَا يَكْتَفِي وَيَتِمَّاسُكَ لَهُ إِذْ كَانَ هَيَّجَهُ وَيَعِثُهُ لِلارْتِحَالِ قَبْلَ ذَلِكَ. وَقَوْلُهُ: «وَقَامُوا يَرْحَلُونَ» يَرِيدُ: قَامَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ يَرْحَلُونَ رَوَاحِلَ لَهُمْ قَدْ أَسْقَطَهَا وَاسْتَنْقَذَ قُوَاهَا السَّيْرَ الْمُتَمَصِّلَ الْحَثِيثَ، فَهِيَ غَائِرَةُ الْعَيُونِ، سَاقِطَةُ الْقُوَى، قَدْ دَخَلَتْ مُقْلَهَا فِي أَقْفَائِهَا، فَكَأَنَّ عَيُونَهَا أَبَارُ تُرَحَّتْ مِيَاهُهَا. وَيُقَالُ: نَفَيْتَ نَفْسَهُ وَنَفَيْتُهَا أَنَا. وَالتُّرْحُ: جَمْعُ تَرْيَحٍ.

٨٢٢ - آخر^(١): [الكامل]

- ١ - وَلَقَدْ هَدَيْتُ الرُّكْبَ فِي دَيْمُومَةٍ فِيهَا الدَّلِيلُ يَعْضُ بِالْخَمْسِ
٢ - مُسْتَنْفَجِلِينَ إِلَى رَكْبِي آجِنٍ هَيْهَاتَ عَهْدِ الْمَاءِ بِالْإِنْسِ

يَرِيدُ أَنَّهُ يَتَعَسَّفُ الْبَلَادَ، وَيَرْكَبُهَا بِأَصْحَابِهِ، وَهُوَ هَادِيهِمْ، وَأَنَّهُ وَرَّادٌ لِلْمِيَاءِ الَّتِي انْقَطَعَ النَّاسُ عَنْهَا فَلَا يَرُدُّهَا إِلَّا السَّبَاعُ وَالطَّيْرُ. وَلَا خِلَافَ بَيْنَهُمْ أَنَّ الْقَطَا أَهْدَى الطَّيْرِ، وَأَنَّ الذَّنْبَ أَهْدَى السَّبَاعِ، وَهُمَا السَّابِقَانِ إِلَى الْمِيَاءِ؛ لِذَلِكَ وَصَفَهُمَا الشُّعْرَاءُ وَضَرَبُوا الْأَمْثَالَ بِهِمَا. وَالرُّكْبُ: رُكْبَانُ الْإِبِلِ. وَالدَّيْمُومَةُ: الْمَفَازَةُ، وَاسْتِثْقَاةُ مَنْ دَمَهُ، أَيْ أَهْلَكَهُ، وَهُوَ يَجْرِي مَجْرَى مَهْلَكَةِ وَمَفَازَةٍ، وَالْيَاءُ فِيهِ زَائِدَةٌ. وَقَوْلُهُ: «يَعْضُ بِالْخَمْسِ»، يُقَالُ عَضَّ كَذَا، وَعَضَّ عَلَى كَذَا، وَعَضَّ بِكَذَا، قَالَ:

فَعْضُ بِإِبْهَامِ الْيَمِينِ نَدَامَةً

وَقَالَ غَيْرُهُ: [الرجز]

عَضَّ عَلَى شِبْدَعِهِ الْأَرِيْبِ^(٢)

وَفِي الْقُرْآنِ: ﴿عَصُوا عَلَيْكُمُ الْأَنْبَاءَ مِنَ الْقَبِيلِ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ ١١٩]. وَإِنَّمَا جَعَلَ الدَّلِيلَ يَفْعَلُ ذَلِكَ لَخَوْفِهِ الْهَلَاكَ وَالضَّلَالَ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ مَعَهُ. وَيَرِيدُ بِالْخَمْسِ، الْأَصَابِعَ، وَهِيَ مُؤَنَّثَةٌ، لِذَلِكَ قِيلَ: السَّبَابَةُ، وَالِدَعَاءَةُ، وَالْوُسْطَى.

(١) التبريزي: «وقال رجل من بني بكر».

(٢) بلا نسبة في تاج العروس (عضض)، وبعده:

«فأض لا يلحى ولا يحوب»

وقوله: «مُسْتَعَجِلِينَ إِلَى رَكْبِي آجِنٍ»، أراد: مُبَادِرِينَ إِلَى بَثْرِ مَتَغَيِّرَةِ الْمَاءِ، فَلَمَّا وَرَدُوهَا بَعِيدَةُ الْعَهْدِ بِالْإِنْسِ، لِأَنَّ الْمَفَازَةَ الَّتِي يَقْعِدُهَا بِالْوَصْفِ كَانَتْ غَيْرَ مَسْلُوكَةٍ لَهُمْ إِلَّا فِي النَّادِرِ، وَإِنَّمَا يَرِدُ الْمَاءُ بِهَا الطَّيْرُ وَالْوَحْشُ. وَارْتَفَعَ «عَهْدُ الْمَاءِ» بِقَوْلِهِ: هِيَهَاتَ، وَهُوَ اسْمٌ لِيَعْدُ. وَالْمَرَادُ رَكْبِي مَتَغَيِّرٌ بَعْدَ عَهْدِ مَائِهِ بِالْإِنْسِ. وَقَدْ زُوِيَ عَهْدُ الْمَاءِ بِالْأَمْسِ وَيَكُونُ عَلَى هَذَا عَهْدُ الْمَاءِ مَرْتَفَعًا بِالْإِبْتِدَاءِ، وَبِالْأَمْسِ خَبْرُهُ. وَأَتَى بِلَفْظَةِ «هِيَهَاتَ» عَلَى طَرِيقِ الْإِسْتِعْدَادِ، كَأَنَّهُ قَالَ: إِلَى رَكْبِي آجِنٍ بَعْدَ الْمَطْلُوبِ وَالْمُبْتَغَى. ثُمَّ قَالَ: «عَهْدُ الْمَاءِ بِالْأَمْسِ»، أَيِ كَانَ الْمَاءُ فِي وَقْتِ مُتَقَادِمٍ. وَالرَّوَايَةُ الْأُولَى أَصَحُّ وَأَجُودُ وَأَحْسَنُ. وَفِي طَرِيقَتِهِ قَوْلُ الشَّامِخِ: [الوافر]

وَمَاءٍ قَدْ وَرَدَتْ لَوْضَلِ أَرْوَى عَلَيْهِ الطَّيْرُ كَالْوَرَقِ اللَّجِينِ
دَعَرْتُ بِهِ الْقَطَا وَتَفَيْتُ عَنْهُ مَقَامَ الذَّنْبِ كَالرَّجُلِ اللَّعِينِ
وَقَالَ ذُو الرُّمَّةِ: [الطويل]

وَمَاءٍ بَعِيدِ الْعَهْدِ بِالنَّاسِ آجِنِ كَأَنَّ الذَّبَابَ مَاءَ الْعَضَا فِيهِ يَبْصُقُ
وَرَدْتُ اعْتِسَافًا وَالثَّرِيًّا كَأَنَّهَُا عَلَى قِمَّةِ الرَّأْسِ ابْنُ مَاءٍ مُحَلَّقُ

٣ - مُسْتَعَجِلِينَ فَمَشَتْوِ وَمَعَالِجِ نَقَبًا بِخُفِّ جُلَالَةٍ عَنِسِ

٤ - وَمُهُومٌ رَكِبَ الشُّمَالُ كَأَنَّمَا بِفُؤَادِهِ عَرَضَ مِنَ الْمَسِ

أَعَادَ لَفْظَ «مُسْتَعَجِلِينَ» تَأْكِيدًا، وَالْأَوَّلُ مِنْهُمَا حَالٌ لِلرُّكْبِ. وَقَوْلُهُ: «فَمَشَتْوِ» مُبْتَدَأٌ وَخَبْرُهُ مُضْمَرٌ. كَأَنَّهُ قَالَ عَلَى الْإِسْتِثْنَاءِ: فَمِنْهُمْ مَشَتْوِ وَمِنْهُمْ مَعَالِجُ نَقَبًا، وَمِنْهُمْ مُهُومٌ. وَذَكَرَهُ لِلْمَشْتَوِي وَغَيْرِهِ لِيُرِيَّ ضَيْقَ الْوَقْتِ، وَأَنَّ آرَاءَهُمْ لَمْ تُقَضَّ فِيهِ عِنْدَ نَزُولِهِمْ: مِنَ الْأَكْلِ وَإِصْلَاحِ عَوَاضِ السَّفَرِ، إِلَى سَائِرِ مَا أَحَاطَ التَّعْدَادُ بِهِ وَدَلَّ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ أَزْعَجَهُمْ وَهَيَّجَهُمْ لِلارْتِحَالِ. وَالتَّقَبُّ: الْحَقَى. وَالْجُلَالَةُ: الثَّاقَةُ الْعَظِيمَةُ الْجِسْمِ. وَالْعَنِسُ: الصُّلْبَةُ.

وقوله: «وَمُهُومٌ» أراد: وَرَبُّ رَجُلٍ نَائِمٍ لَمَّا نَبَّهَهُ رَكْبُ شِمَالِهِ لَغَلْبَةِ النَّوْمِ عَلَيْهِ، وَكَأَنَّمَا بَقَلْبِهِ عَرَضَ مِنَ الْجَنُونِ. وَالْمَرَادُ بِقَوْلِهِ: «رَكْبُ الشُّمَالِ» أَنَّهُ أَخْطَأَ فِي الْقَضْدِ. مِنْ قَوْلِهِمْ رَكِبَ شَوْمَهُ وَرَكِبَ الشَّقَّ الْأَشْأَمَ، لِلْعَادِلِ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ، وَلِلْمُنْهَزِمِ وَالْمَخْطِئِ. وَيَجُوزُ أَنْ يُرِيدَ بِقَوْلِهِ: «رَكِبَ الشُّمَالِ» شِمَالَ نَفْسِهِ، وَالرَّاكِبُ إِذَا لَمْ يَزِغْ مِنْ شَرْطِهِ أَنْ يَرْكَبَ مِنْ يَمِينٍ نَفْسَهُ وَشِمَالَ مَرْكُوبِهِ، وَمَتَى رَكِبَ مِنْ شِمَالِ نَفْسِهِ

ويمين مركوبه كان معكوسَ الرُّكُوبِ. ويجوز أن يريد: ركب الشمال مرّةً واليمينَ أخرى، فاكفى بذكر أحدهما. والمعنى: لا يُبالي على أيّ جنبيه سَقَطَ، لَغَلَبَةِ النَّعَاسِ عليه.

وفي هذه الطريقة قولٌ لبيد: [الرمل]

قَلَمَا عَرَسَ حَتَّى هَجَثُهُ بالتبشيرِ من الصبح الأول
يَلْمُسُ الْأَحْلَاسَ فِي مَنْزِلِهِ بيديه كاليهودي المصلِّ
يَتَمَارَى فِي الَّذِي قُلْتُ لَهُ ولقد يَسْمَعُ قَوْلِي حَيَّ هَلْ

٨٢٣ - آخر: [الطويل]

١ - وَهَنْ مُنَاخَاتٍ يَحَاذِرْنَ قَوْلَهُ من القومِ أَنْ شُدُّوا قُتُودَ الرِّكَائِبِ
٢ - تَكَادُ إِذَا قَمْنَا يُطِيرُ قُلُوبَهَا تَسْرُبُنَا وَلَوْ نَا بِالْعَصَائِبِ

قوله: «هَنْ مُنَاخَاتٍ»، يريد الإبل، و«يحاذرن» في موضع الصفة أي خائفة محاذرة. وقوله: «من القوم» اتصل بقوله. و«أَنْ شُدُّوا» في موضع المفعول لقوله. وَأَنْ مَخْفَفَةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ واسمُه مَضْمَر. والمراد أَنَّ الْأَمْرَ وَالشَّأْنَ شُدُّوا قُتُودَ رِكَائِبِكُمْ. و«شُدُّوا» بما بعده في موضع الخبر. ويريد أَنَّ مَطَايَاهُمْ وَهِيَ مُنَاخَةٌ فِي رِكَائِبِهَا خَائِفَاتٌ قَوْلَ مُنَادِي الْقَوْمِ تَهَيَّئُوا لِلانْفِصَالِ وَشُدُّوا عَلَى رَوَاحِلِكُمُ الرِّحَالِ.

ثم قال: «تَكَادُ إِذَا قَمْنَا يُطِيرُ قُلُوبَهَا» أي قلوبُ الإبل، أي إنها لما استشعرت من هَوْلِ السَّيْرِ وَلَبَا تَخَوَّنَهَا وَأَثَّرَ فِي قُؤَاهَا مِنَ الْكَلَالِ وَالتَّعَبِ، إِذَا رَأَتْهَا تَسْرِبُلُ وَتَلْفُ عَمَائِمَنَا عَلَى رُؤُوسِنَا، تَكَادُ تُطِيرُ قُلُوبَهَا انزعاجًا وخوفًا، لعلمها بما تُكَابِدُهُ وَتَعَانِيهِ.

٨٢٤ - آخر: [الرجز]

١ - حُبِسْنَ فِي قُرَحٍ وَفِي دَارَاتِهَا
٢ - سَبَعٌ لِبَالٍ غَيْرَ مَعْلُوفَاتِهَا
٣ - حَتَّى إِذَا قَضِيَتْ مِنْ بَنَاتِهَا
٤ - وَمَا نَقَضِي النَّفْسُ مِنْ حَاجَاتِهَا
٥ - حَمَلْتُ أَثْقَالِي مُصَمَّمَاتِهَا
٦ - غُلِبَ الدَّفَارَى وَعَفَزْنِيَّاتِهَا

فُزَّح: موضع. ويريد بالداراتِ داراتِ الرَّمْلِ. وداراتِ العربِ نَيْفٌ وعشرون، قد ذكرناها في موضعٍ آخر. وانتصب «سبع ليالٍ» على الظُّرف. و«غير معلوفاتها» في موضع الحال، والمراد: غير معلوفاتٍ فيها، لكِنَّه قَدَّرَ الظُّرفَ تقدِيرَ المفعول الصحيح، وحذَفَ في. والبَنَات: المَتَاع. والمصمَّمات هي التي لا تَرُغُو. والغُلْب: الغِلَظ الأعناق. والدُّفَارَى: جمع الدُّفَرَى، وهي الحَيْدُ النَّاتِيءُ عن يمين الثَّقَرَةِ وشمالها. والعَفْرَنِيَّات: الصُّلْبَةُ السريعة، والواحدة عَفْرَنَاءُ. فيقول: حُبِسَتْ هذه الإبلُ في هذا الموضع، وفي داراتِ رمالِها لِيَالِي سَبْعًا غير مستوفيةٍ من عَلفِها حظوظِها وكفايَتِها، حتى إذا أَصْلَحَتْ أحوالُها، وفَرَّغَتْ من قضاء حاجاتِ نفسِها فيها وفي غيرها، من رفيقٍ وصاحب، حَمَلْتُ أثقالِي صابِرَاتِها في السَّير، وهي التي لا تَرُغُو ولا تَشْكُو، وقد عَظُمَتْ أعناقُها، وعادَتْها أن تخفَّ في السَّير وتُسرع.

والبَنَات: المَتَاع. والبَنَات، بكسر الباء: جمع البَتِّ، وهو الكساء. وانعطف «وما تُقْضِي النَّفْسُ» على بنات، يريد: وما تُقْضِيه النَّفْسُ من مُهْمَاتِها.

وقوله: «حَمَلْتُ أثقالِي» جواب إذا، والمصمَّمات: الصَّابِرَات على السَّير الماضيات، وهي لا تَرُغُو.

وَعُلِبَ الدُّفَارَى، انتصبَ على البذل من مصمَّماتها.

٧ - فَاثْصَلْتِ تَغَجِبُ لَانْصِلَاتِها

٨ - كَأَنَّمَا أَغْنَاكَ سَامِيَاتِها

٩ - بَيْنَ قَرَوَرَى وَمَرَوَرِيَّاتِها

١٠ - قِسِي نَبْعَ رُدٍّ مِنْ سِيَّاتِها

١١ - كَيْفَ تَرَى مَرَّ طُلَاحِيَّاتِها

١٢ - وَالْحَمَضِيَّاتِ عَلَى عِلَاتِها

١٣ - يَبِثْنُ يَنْقُلْنَ بِأَجْهَرَاتِها

١٤ - وَالْحَادِي اللَّاعِبِ مِنْ حُدَاتِها

قوله: «فانصلت» أي مضت جادةً حتَّى تَعَجِبَ لِمُضِيِّها، وكأنَّ أعناقَ اللَّاتِي تَسْمُو بِأَعْيُنِها، وترفع رؤوسَها، وتمدُّ في المَسِيرِ أضعافَها، بين هذه المواضعِ قَرَوَرَى

وما حولها، من الأرضين التي لا نبات فيها، في طولها وتجردها - قسيَّ نَبْعِيَّةٍ رُدُّ ما عَطَفَ من أطرافها.

ثم قال: «كيف تَرَى مَرَّ طَلَحِيَّاتِها» على طريق التعجُّب منها، والإعجاب بها. وطَلَّاحٌ بكسر الحاء: جمع طَلَحَةٍ، ويقال إبل طَلَّاحِيَّةٌ، إذا أَلَفَتْ الطَّلَحَ وأكَلَتْهُ، وقياسه إذا كَسَرَتِ الطَّاءَ طَلَحِيَّةٌ، لأنَّ الجمع يُرَدُّ إلى واحدِهِ، وهو صِفَةٌ في النَّسَبِ، قال الفراءُ في طَلَّاحِيٍّ إذا نُسِبَ إلى الطَّلَحِ: هو بمنزلة أذانيَّ ورؤاسيَّ، وأنافيَّ، وإنَّما هذه النسبة تكون للأعضاء، فشَبَّهُ طَلَّاحِيٍّ به إذ كان ملازمًا له، فصار كأنَّه منه. وقال غيره: قيل طَلَّاحِيٍّ كما قيل نُبَّاطِيٍّ، وهو منسوب إلى النُّبَطِ، وكيفما كان فإنَّه لم يَجِءْ على القياس الأكثر، وما هو الأصل. وقال الكسائي: إذا اشتكت الإبلُ بطونَها عن أكل الأراك قيل: إبلٌ أَرَاكِي، وإن كان من الطَّلَحِ قيل: طَلَّاحِيٌّ بفتح الحاء مقصورًا.

وقوله: «والْحَمَضِيَّاتِ»، أراد ومَرَّ الْحَمَضِيَّاتِ على عِلَّاتِها، أي على ما يعترض لها من الأسباب الباعثة والممانعة، والأحوال المهيِّجة والمبطِّنة. وحَرَّكَ الميم من الْحَمَضِيَّاتِ لأنَّ هذا ممَّا غَيَّرَ في النَّسَبِ. وقال أبو العباس المبرد: يقال: حَمَضُ وَحَمَضٌ، وإذا صَحَّ هذا فقد جاء على وجهه.

وقوله: «يَتَشَنُّ يَنْقَلَنُ بأجهزاتها» أي يَنْقَلَنُ أجهزاتها، فزاد الباء تأكيدًا، وهو جَمْعُ الجمع، يقال جَهَّازٌ وأجهزة وأجهزات، وهي الأمتعة.

وقوله: «والْحَادِي اللَّاعِبِ» عَطَفَ الحادي على موضع «بأجهزاتها»، أي وَيَنْقَلَنُ الحادي والمُنْعِي لِدوامِ حُدَّائها. ويروى «بالْعَصَوِيَّاتِ»، وهي التي تَرْعَى الغَضَا. قال: [الطويل]

فَمَا وَجَدُ مِلْيَاحِ الْهَرَى غَضَوِيَّةٍ يَلْوِذِ الشَّرَى فِي غُلَّةٍ وَهِيَامِ

٨٢٥ - وقال حَكِيمُ بْنُ قَبِيصَةَ^(١): [الطويل]

١ - لَعَمْرُ أَبِي بِشْرِ لَقَدْ خَانَهُ بِشْرُ على سَاعَةٍ فِيهَا إِلَى صَاحِبِ فَقْرُ

٢ - فَمَا جَنَّةُ الْفِرْدَوْسِ هَاجَزَتْ تَبَنِّي وَلَكِنْ دَعَاكَ الْخُبْرُ أَحْسِبُ وَالْتَمُرُ

(١) التبريزي: (وحكيم بن قبيصة بن ضرار لابنه بشر وقد هاجر).

ذكر المدائني (في كتاب العققة)، أن هذا الشعر لحكيم بن ضرار الضبي، قاله لابنه وكان غزا وترك أباه. وذكر غيره أنه حكيم بن قبيصة، وأن ابنه كان فارقه مهاجراً البدو إلى الأمصار. يقول: وبقاء أبي بشر - يعني نفسه - لقد خانته بشر، يعني ابنه، في وقت كان يشتد فقره إليه. يشير إلى أوان كبرته وضعفه، وتعليقه الرجاء بالانتفاع به وتحمله أعباء المؤمن عنه في ظننه وإقامته. فقوله: «على ساعة» في موضع الحال، وتعلق على بفعل مضمر، كأنه قال: مُشْرِقاً على وقت هكذا. وقوله: «إلى صاحب» في موضع النصب على الصفة المتقدمة، لأن المراد: فيها فقر إلى صاحب، وصفة الثكرة إذا قُدمت عليه صارت حالاً. على هذا قوله: [مجزوء الوافر]

لَمَيَّةٌ مُوجِشًا طَلَلٌ^(١)

وقوله: «فما جئة الفردوس» جئة انتصب على أنه مفعول تبتغي، وتبتغي في موضع الحال، والتقدير: ما هاجرت مبتغياً جئة الفردوس. ووجه هذا الكلام نحو الابن معييراً. يريد أن الذي دعاك إلى الهجرة نهمته بطنك، وزغبك في أطعمة الحضر، لا الدين وطلب الآخرة، إذ كان ذلك يفرض عليك طاعة أبويك، وطلب رضاها. وقوله: «أحسب» قد حذف فيه مفعولاه، فهو كقول الآخر: [الطويل]

تَرَى حُبَّهُمْ عَارًا عَلَيَّ وَتَحْسِبُ^(٢)

وفي الكلام مع التعبير تقرير وتهكم وسخرى.

٣ - أَفَرَضَ تُصَلِّيَ ظَهْرَهُ نَبْطِيَّةً بَتَثُورِهَا حَتَّى يَطِيرَ لَهُ قِشْرُ

٤ - أَحَبُّ إِلَيْكَ أَمْ لِقَاحُ كَثِيرَةٍ مُعْطَفَةٌ فِيهَا الْجَلِيلَةُ وَالْبَكْرُ

هذا الاستفهام أتى به على طريق التبكيت، وليريه الخطأ فيما اختاره من الحضر على البدو، ومن ترك والده والعصيان له أشد ما كان حاجة إليه. فقال: أَفَرَضَ تُنْصِجُهُ فِي الثُّورِ امْرَأَةٌ خَبَازَةٌ نَبْطِيَّةٌ حَتَّى يَصِيرَ لَهُ قُرَافَةٌ تَنْقَشُرُ عَنْهُ، أَحَبُّ إِلَيْكَ أَمْ نُوقُ حَوَامِلُ كَثِيرَةٍ قَدْ عَطِفَتْ عَلَى أَوْلَادِهَا، وَفِيهَا الْجَلَالَةُ الْكَبِيرَةُ وَالْأَفْتَاءُ الْقَوِيَّةُ. يريد أن فعله فعلٌ مَنْ لَا يَفْرُقُ بَيْنَ هَاتَيْنِ الْخَصْلَتَيْنِ، وَلَا يَمَيِّزُ الرُّجْحَانِ فِي أَيِّ جَانِبَيْهِمَا يَكُونُ

(١) لَكُثِيرِ غَزَّةٍ فِي دِيَوَانِهِ ٥٠٦، وعجزه:

«كَأَنَّ رَسُومَهَا الْخَلَلُ»

(٢) للكُميت في خزانة الأدب ٩: ١٣٧، والدرر ١: ٢٧٢، وصدرة:

«بِأَيِّ كِتَابٍ، أَمْ بِأَيِّ سَنَةٍ»

فيختاره. ويقال: صَلَّيْتُ الشَّوَاءَ، إِذَا شَوَيْتَهُ. وَأَصْلِيئُهُ وَصَلَّيْتَهُ، إِذَا أَلْقَيْتَهُ فِي النَّارِ. ويقال أيضًا صَلَّى عَصَاهُ، إِذَا أَدَارَهَا عَلَى النَّارِ، فَهُوَ مِثْلُ أَكْرَمْتُهُ وَكَرَّمْتَهُ، وَأَفْرَحْتَهُ وَفَرَّحْتَهُ. وفي القرآن: ﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ الْجَحِيمِ﴾ [الصَّافَات: الآية ١٦٣]. ويقال: تَصَلَّيْتُ حَرَّ النَّارِ وَاصْطَلَيْتُهُ.

٥ - كَانَ أَذَاوَى بِالْمَدِينَةِ عُلِّقَتْ مِلَاءً بِأَحْقِيهَا إِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ
٦ - كَانَ قُرَى نَمَلٍ عَلَى سَرَوَاتِهَا يُلْبِدُهَا فِي لَيْلٍ سَارِيَةٍ قَطْرُ

استمرَّ في وصف اللَّقَاحِ، لِأَنَّ تَفْخِيمَ أَمْرِهَا يَزِيدُ فِي بَيَانِ الْخَطَأِ فِيمَا اخْتَارَهُ. وَشَبَّهَ ضُرُوعَهَا بِمَزَادٍ مَمْلُوءٍ. وَالْأَحْقِي: جَمْعُ حَقْوٍ، وَهُوَ مِنَ الْإِنْسَانِ مَغْفِدُ الْإِزَارِ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ، وَمِنْ غَيْرِهِ مِمَّا يُخَلَّبُ مَوَاضِعَ الضَّرْعِ. وَالْمَعْنَى أَنَّهَا بِالْغُدُودَاتِ وَقَدْ حَفَلَتْ مِنَ اللَّيْلِ، كَأَنَّمَا عُلِّقَتْ بِمَوَاضِعِ ضُرُوعِهَا أَذَاوَى مَمْلُوءَةٌ مَاءً. وَانْتَصَبَ «مِلَاءً» عَلَى الْحَالِ.

وقوله: «كَانَ قُرَى نَمَلٍ عَلَى سَرَوَاتِهَا» يَشْبَهُهُ قَوْلُ الْآخَرِ: [الرجز]

إِلَى سَرَاةٍ مِثْلِ بَيْتِ النَّمْلِ غَنِيَّةٌ مِنْ وَبَرٍ وَخَمَلٍ

وَالسَّرَوَاتُ: الْأَعَالِي. وَقُرْيَةُ النَّمْلِ رُبَّمَا تُرَى كَأَعْظَمِ جُفْوَةٍ، وَلِذَلِكَ شَبَّهَ ارْتِفَاعَ أَسْنَمَتِهَا وَكَثْرَةَ اللَّحْمِ وَالشَّحْمِ عَلَيْهَا بِهَا. وَمَعْنَى يُلْبِدُهَا: يَصْلُبُهَا. وَالسَّارِيَةُ: السَّحَابَةُ تَسْرِي لَيْلًا.

٨٢٦ - وَقَالَ وَاقِدُ بْنُ الْغَطْرِيفِ^(١) وَكَانَ مَرِيضًا

فَحُمِيَ الْمَاءُ وَاللَّبَنُ: [الطويل]

١ - يَقُولُونَ لَا تَشْرَبْ نَسِيئًا فَإِنَّهُ وَإِنْ كُنْتُ حَرًّا نَا عَلِيكَ وَخِيمُ
٢ - لَيْتَن لَبَنُ الْمَغْرَى بِمَاءٍ مُؤَسَّلٍ بَغَائِي دَاءً إِنَّنِي لَسَقِيمُ

النَّسِيءُ: الرَّثِيئَةُ. وَالْحَرَّانُ: الشَّدِيدُ الْعَطَشِ. وَعَلَيْكَ مِنْ صِفَةِ وَخِيمٍ، وَقَدْ قَدَّمَهُ فَاَنْتَصَبَ عَلَى الْحَالِ. وَمُؤَسَّلٌ: تَصْغِيرُ مَأْسَلٍ الَّذِي ذَكَرَهُ اَمْرُو الْقَيْسِ فِي قَوْلِهِ: [الطويل]

وَجَارَتْهَا أُمُّ الرَّيَّابِ بِمَأْسَلٍ^(٢)

(١) التبريزي: «واقد بن الغطريف بن طريف بن مالك بن طيء».

(٢) لامرؤ القيس في ديوانه ٩، وخزانة الأدب ٣: ٢٢٣، وتاج العروس (أسل) وصدرة:

فيما أظُنُّ. يريد: قال النَّاسُ وهم يَخْمُونِي الماءَ واللَّبَنَ: لا تَشْرَبْهُمَا وَإِنْ اشْتَدَّ حَمِيَّ كَبِدِكَ، وَغَلِيلُ جَوْفِكَ، فَإِنَّهُ يَثْقُلُ عَلَيْكَ، وَيَزِيدُ فِي أَلَمِكَ مِنَ الْعَارِضِ لَكَ. فَقُلْتُ مَجِيئًا لَهُمْ: إِنْ كَانَ اللَّبَنُ مَمزُوجًا بِمَاءِ هَذِهِ الْعَيْنِ يُورِثُنِي خَبَالًا، وَيَكْسِبُنِي إِتْخَامًا، وَهُوَ غَذَائِي وَمِسَاكُ قُوَّتِي مِنْذُ كُنْتُ، إِنِّنِي لِمَتْنَاهِي السُّقْمَ وَاللَّهُ. فَأَطْلُقَ لَفْظَةَ سَقِيمٍ، وَالْمَرَادُ الْمُبَالَغَةُ، وَفَعِيلٌ مِنْ أَبْنَيْتِهَا.

ومثل هذا ممَّا رُمِيَ بِهِ هَذَا الْمَرْمَى قَوْلُ الْآخَرِ، وَقَدْ مَرَّ فِي بَابِ التَّسْيِبِ: [الطويل]

لَئِنْ كَانَ يُهْدَى بَرْدُ أَنْيَابِهَا الْعُلَى لَأَقْفَرَ مِنِّي إِنْسِي لَفَقِيرٌ^(١)
فهذا بلزاء ذاك، وهو على منهاجه. ومعنى «بَغَائِي دَاءٌ» كَسْبُنِي وَأَنْزَلَ بِي.
وقوله: «بِمَاءِ مُوَيْسَلٍ»، البَاءُ أَفَادَ الْجَمْعَ وَالِاخْتِلَاطَ. وَيَقُولُونَ: خُذْ كَذَا بِكَذَا، وَالْمَعْنَى مَجْمُوعًا إِلَيْهِ وَمَخْلُوطًا بِهِ.

٨٢٧ - وَقَالَ حُنْدَجُ بْنُ حَنْدَجٍ^(٢): [البسيط]

١ - فِي لَيْلِ ضُورٍ تَنَاهَى الْعَرَضُ وَالطُّورُ كَأَنَّمَا لَيْلُهُ بِاللَّيْلِ مَوْصُولٌ^(٣)
٢ - لَا فَارِقَ الصُّبْحِ كَفِّي إِنْ ظَفِرْتُ بِهِ وَإِنْ بَدَتْ غُرَّةٌ مِنْهُ وَتَخَجَّلُ
٣ - لِسَاهِرٍ طَالَ فِي ضُورٍ تَمَلَّمْلُهُ كَأَنَّهُ حَيَّةٌ بِالسُّوْطِ مَقْتُولُ

جَعَلَ اللَّيْلَ كَالْمُجَسَّمَاتِ حَتَّى صَارَ ذَا طُولٍ وَعَرَضٍ عِنْدَهُ. وَقَالَ: «تَنَاهَى الْعَرَضُ وَالطُّورُ» لِأَنَّهُ قَدْ عَلِمَ أَنَّهُمَا لِلَّيْلِ، كَمَا أَنَّكَ تَقُولُ: زَيْدٌ حَسَنُ الْوَجْهِ، لِأَنَّهُ عَلِمَ أَنَّهُ لَمْ يُرَدْ إِلَّا وَجْهُهُ. وَالْمَعْنَى أَنَّ فِي لَيْلٍ هَذَا الْمَكَانِ بَلْغَ الطُّولِ وَالْعَرَضِ نَهَايَتَهُمَا وَغَايَتَهُمَا، حَتَّى وَقَفَا لَا مُسْتَزَادَ فِيهِمَا، فَكَأَنَّمَا لَيْلُ صَوْلٍ مَوْصُولٌ بِجَنْسِهِ كُلُّهُ، فَلَيْسَ يَنْقَطِعُ وَلَا يَنْكَشِفُ.

وَقَدْ قَالَ أَبُو تَمَامٍ الطَّائِيُّ مُسْتَطِيلًا لِيَوْمٍ: [الطويل]

بِیَوْمِ كَطُولِ الدَّهْرِ فِي عَرَضٍ مِثْلِهِ^(٤)

= «كَدَابِكَ مِنْ أَمِّ الْحَوِیْثِ قَبْلِهَا»

(٢) التبریزی: «المری».

(١) لعبد الله بن الدمينه.

(٣) الأبیات فی معجم البلدان (صول).

(٤) دیوانه ص ٢٤٤ وعجزه:

«ووجدی من هذا وهذا اُطُورُ»

ومن كلام الناس: عَشْنَا زَمَنًا طَوِيلًا عَرِيضًا، وَالذَّهْرَ الطَّوِيلَ الْعَرِيضَ. وكلُّ ذلك تشبيه بالأجسام. وعلى ما فسّرناه يتعلّق الجاز من قوله: في ليل ضولٍ بَتَّاهِي. وقد استعمل العَرَضُ منفردًا عن الطُّول والمراد به السَّعة؛ على ذلك قوله تعالى: ﴿فَذُوْ دُعَاةٍ عَرِيضٍ﴾ [فُضِّلَتْ: الآية ٥١]، وقوله عز وجل: ﴿وَجَعَلْنَا عَرِيشَهَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [آل عمران: الآية ١٣٣].

وقوله: «لا فارق الصُّبح كَفَي»، يجوز أن يكون دعاء، يريد: إن ظفرت بالصُّبح فلا فُرق الله بيني وبينه، كما يقال: لا بارك الله في الكُفَّار، ويجوز أن يكون إخبارًا. والمعنى أنه يتشبَّه به فلا يُخلّيه للزوال. وهذا على التَّشْوُق له والتَّيَرُّم بليّله. واللَّيل في الاستعمال بإزاء النهار على الإطلاق، واللَّيلة بإزاء اليوم. وهذا يدلُّ على أنه لم يقصِد إلى ليلة واحدة، وإنما أراد: اللَّيْلُ في ضولٍ هكذا عَلَيَّ.

وقوله: «إن بدت غرّة منه وتحجيل»، يريد تباشيره ممتزجة بالظلام. كأنه جرى على عادة النَّاس في قولهم للمتشوّف المتوقّع: إن ظفرت بزيد أو رأيت وجهه فعلت كذا، والمراد إظهار الفاقة إليه وشدة التشوّف له، وطول الملازمة له إذا ظفّر به. والغرّة والتَّحجيل معروفان. وقد قيل: صُبْحُ أَقْرَحُ، مأخوذ من القُرْحَة، لأنه يابض في سواد. وقوله: «الساهر»، اللام تعلّق بقوله: «وإن بدت». ويعني بالساهر نفسه، كما أراد بذكر الغرّة والتَّحجيل نفْس الصُّبح. والتَّمْلِل: القلق والانزعاج. وإنما تَقَلَّلَ على فراشه لأرقّه واستطالته للَّيل، ثم شبه نفسه في التوائه واضطرابه بحية قُتِل بالسُّوط فطال اضطرابه لطول ذمائه.

- ٤ - مَتَى أَرَى الصُّبْحَ قَدْ لَاحَتْ مَخَايِلُهُ وَاللَّيْلُ قَدْ مَزَّقَتْ عَنْهُ السَّرَابِيلُ
٥ - لَيْلٌ تَحِيرُ مَا يَنْحَطُّ فِي جِهَةٍ كَأَنَّهُ فَوْقَ مَنَنِ الْأَرْضِ مَشْكُورُ
٦ - نُجُومُهُ زُكُودٌ لَيْسَتْ بِزَائِلَةٍ كَأَنَّمَا هُنَّ فِي الْجَوِّ الْقَنَادِيلُ

قوله: «متى أرى الصُّبح» لفظه استفهام ومعناه التَّمَنِّي والتَّطَلُّع، واستبعاد المنتظر المترقّب. ومَخَايِلُهُ: ما يَتَّبِعُ به دُئُوه. كأنه أظهر ما عليه النَّفْس من ضَجَره باللَّيل واستراحته للصُّبح. ولك أن تروي «واللَّيل» بالنَّصب، ويكون مردودًا على الصُّبح وداخلًا تحت متى أرى. ولك أن تروي «واللَّيل» بالرفع ويكون الواو للحال، ويرتفع اللَّيْل بالابتداء. و«قد مَزَّقَتْ» في موضع الخبر، ويعني بالسَّرَابِيل الظُّلَام.

ثُمَّ جَعَلَ اللَّيْلَ لَامْتَدَادَهُ وَأَتَّصَالَ دَوَامِهِ كَالْمَتَحَيَّرِ الْوَاقِفِ كَوَاكِبُهُ عَنِ الْمَسِيرِ،
الْقَائِمِ عَلَى حَدٍّ لَا يَزُولُ عَنْهُ وَلَا يَحُولُ، وَلَا يَجْنَحُ وَلَا يَبِيلُ.

وَالْمَشْكُولُ: الْمَقِيدُ. وَهَذَا الْمَعْنَى هُوَ الَّذِي يُؤْمُهُ امْرُؤُ الْقَيْسِ فِي قَوْلِهِ:

[الطويل]

كَأَنَّ الثُّرَيَّا عُلِقَتْ فِي مَصَامِيهَا بِأَمْزَاسٍ كَثَانٍ إِلَى صُمِّ جَنْدَلٍ^(١)

وَشَبَّهَ النُّجُومَ فِي إِضَاءَتِهَا بِالْقَنَادِيلِ، وَإِنَّمَا يعلو ضوءُ الكواكبِ وَيَزْهَرُ عِنْدَ تَرَاقُمِ
الظُّلَامِ وَاسْتِحْكَامِهِ. وَالرُّكُودُ: جَمْعُ الرَّاكِدِ. وَجَعَلَ الْكَوَاكِبَ فِي الْجَوِّ لِأَنَّهُ تَوَهَّمَهَا
كَالْقَنَادِيلِ الْمُعْلَقَةِ.

٧ - مَا أَقْدَرَ اللَّهَ أَنْ يُذْنِبِي عَلَى شَحْطِ مَنْ دَارَهُ الْحَزْنُ مِمَّنْ دَارَهُ صَوْلُ

٨ - اللَّهُ يَطْوِي بَسَاطَ الْأَرْضِ بَيْنَهُمَا حَتَّى يُرَى الرَّبْعُ مِنْهُ وَهُوَ مَأْمُولُ

قَوْلُهُ: «مَا أَقْدَرَ اللَّهَ» لَفْظُهُ تَعْجُبٌ وَمَعْنَاهُ الطَّلَبُ وَالتَّمَنِّي. وَكَانَ الْوَاجِبُ أَنْ
يَقُولَ: مَا أَقْدَرَ اللَّهَ عَلَى أَنْ يُذْنِبِي، فَحَذَفَ الْجَارَ، وَمِثْلُ هَذَا الْحَذْفِ يَكْثُرُ مَعَ أَنْ لَطْوِيهِ
بِصَلَّتِهِ. وَالشُّحْطُ: الْبُعْدُ، شَحَطَ شَحْطًا وَشُحُوطًا. قَالَ: [الرجز]

وَالشُّحْطُ قَطَاعٌ رَجَاءٌ مِّنْ رَّجَا^(٢)

لَكِنَّهُ حَرَّكَ الْحَاءَ. وَيُقَالُ: مَنْزَلٌ شَاحِطٌ وَشَحِيطٌ. وَمَوْضِعُ «عَلَى شَحْطِ» نَصَبٌ
عَلَى الْحَالِ.

وَقَوْلُهُ: «اللَّهُ يَطْوِي بَسَاطَ الْأَرْضِ بَيْنَهُمَا» الْبَسَاطُ: الْأَرْضُ الْوَاسِعَةُ. وَجَعَلَ
الْكَلَامَ لِمَا يَتِمُّنَاهُ، وَيَطْلُبُ قُرْبَهُ وَيَتَشَبَّهُ، عَلَى أَنَّهُ إِخْبَارٌ عَنِ الشَّيْءِ وَقَدْ وَقَعَ. وَكُلُّ
ذَلِكَ تَحْقِيقٌ لِمَا يُؤْمَلُهُ وَيَسْأَلُهُ. وَهَذَا كَمَا يُجَعَلُ الدُّعَاءُ عَلَى لَفْظِ الْخَبَرِ، كَأَنَّهُ لِقُوَّةِ
الْأَمَلِ يَجْعَلُ الْمَطْلُوبَ فِي حُكْمِ مَا قَدْ حَصَلَ. وَقَوْلُهُ: «حَتَّى يُرَى الرَّبْعُ مِنْهُ»، يَعْنِي
الرَّبْعَ بِالْحَزْنِ مِمَّنْ هُوَ مُقِيمٌ بِصَوْلِ.

(١) لَامْرِءِ الْقَيْسِ فِي دِيْوَانِهِ ١٩، وَاللِّسَانُ (حَبِلٌ، صَوْم).

(٢) لِلْعَجَاجِ فِي دِيْوَانِهِ ٢٧: ٢، وَاللِّسَانُ (حُوج) وَكُتَابُ الْعَيْنِ ٣: ٢٥٩ وَبَعْدَهُ:

«إِلَّا احْتَضَارَ الْحَاجَّ مِمَّنْ تَحَوَّجَا»

٨٢٨ - وقال حُمَيْدُ الْأَرْقُطِ^(١): [المشطور الرجز]

- ١ - قَدْ أَغْتَدِي والصُّبْحُ مُحَمَّرُ الطَّرَزِ
- ٢ - وَاللَّيْلُ يَحْدُوهُ تَبَاشِيرُ السَّحَرِ
- ٣ - وَفِي تَوَالِيهِ نُجُومٌ كَالشُّرَزِ
- ٤ - بِسُحْقِ الْمَيْعَةِ مَيَالِ الْعُذْرِ

الطَّرَزُ: جمع الطَّرَّة، وهي النَّاحِيَّة والحرف، ومنه أطرار الوادي. وفي المثل: «أَطْرِي فَإِنَّكَ نَاعِلَةٌ»^(٢)، أي اركبي أطرارَ الطريق. والبَغْدَادِيُّونَ يروونه: «أَطْرِي» بالظاء معجمة، والمعنى اركبي الطَّرَز، وهي حجارةٌ محدَّدة يصعب المشي عليها. فيقول: أَبْتَكُرُ - والصَّبحُ محمَّرُ الأرجاء والنُّواحي، واللَّيْلُ قد تجلَّى بما يطرده مقدَّماتُ السَّحَرِ وعلاماته، وفي مآخِيره ومدارس آثاره من الظَّلام نُجُومٌ تتوقَّد كأنَّها شَرَر النَّار - بقرس بعيد غور النَّشاط، يضطرب عُذْرُهُ على خَدْيِهِ وجَبْهَتِهِ. والمَيْعَةُ: النَّشاط. وجعلَهُ سُحْقًا لانتِصاله ودَوَامِهِ. والسُّحْقُ: البُعد. ونَخْلَةُ سَحُوقٍ، منه، أي طويلة. والعُذْرُ: الخُصْل من الشَّعر. والعُذْرُ أيضًا: علامة تُعَقَّد في ناصية الفَرَس السابق من العَهن، والواحدة عُذْرَةٌ. وقال الخليل: المَيْعَةُ: مَيْعَةُ الشَّبَاب والحُضُر أولهما. وروى السُّكْرِيُّ: «بُمُشْعَلِ الْمَيْعَةِ» وهو من إشعال النَّار والقصب.

- ٥ - كَأَنَّهُ يَوْمَ الرِّهَانِ الْمُخْتَضَرِ
- ٦ - وَقَدْ بَدَأَ أَوَّلَ شَخْصٍ يُنْتَظَرُ
- ٧ - دُونَ أَثَابِيٍّ مِنَ الْحَايِلِ رُمَزَ
- ٨ - ضَارٍ عَدَا يَنْفُضُ صِثْبَانَ الْمَطَرِ

قوله: «كَأَنَّهُ يَوْمَ الرِّهَانِ»، يريد: كأنَّ هذا الفَرَسَ يَوْمَ السِّبَاق وقد حَضَرَهُ النَّاسُ فصار يومًا مشهودًا. والمُخْتَضَرُ: الذي يَحْضُرُهُ النَّاس. ويروى «يَوْمَ الرِّهَانِ الْمُبْتَدَرِ».

(١) حميد الأرقط: حميد بن مالك، شاعر إسلامي مجيد محسن، لُقِّبَ بالأرقط لآثار كانت بوجهه، عده أبو عبيدة من نجلاء العرب الأربعة وهم: الحطيثة وحميد الأرقط وأبو الأسود الدؤلي، وخالد بن صفوان (ترجمته في الأغاني ٢: ٤٤).

(٢) المثل في اللسان (طرر)، «وقيل: معناه أدلِّي فإن عليك نعلين، يضرب للمذكر والمؤنث والاثنتين والجمع على لفظ التانيث، والتهديب: هذا المثل يقال في جلادة الرجل، قال: ومعناه: أي اركب الأمر الشديد فإنك قوتي عليه».

والأَثَابِيُّ: الجماعات، وليس لها واحد، وقيل: واحدها أَثَبِيَّةٌ، أفعولة من الثَّبة، وهي الجماعةُ الكثيرة؛ ومنه تَبَيَّنَتِ الثَّنَاءُ، إذا أَكثَرْتَهُ. والمعنى: كأنَّه وقد جاءَ في هذا اليومَ سابقًا وأوَّلَ طالعٍ يُنتَظَرُ دُونَ جماعاتٍ من الخيلِ جاءت زُمرَةٌ بعد زُمرَةٍ، صَقَرٌ قد ضَرَبَ بالصَّيدِ، ابْتَكَرَ وقد مُطِرَ اللَّيْلُ، فهو يَنْقُضُ صِغَارَ القَطَرِ وَكِبَارَهُ عَن رِيشِهِ، وهو شديد الإلحاح في طَلَبِ الصَّيدِ بعد الانقضاءِ عليه.

٩ - عَن زَفٍّ مِلْحَاحٍ بَعِيدٍ الْمُنْكَدَرِ

١٠ - أَقْنَى يَظَلُّ طَيْرُهُ عَلَى حَدَزٍ

١١ - يَلْدُنْ مِنْهُ تَحْتَ أَفْنَانِ الشَّجَرِ

١٢ - مِنْ صَادِقِ الْوَقْعِ طُرُوجِ الْبَصَرِ^(١)

١٣ - بَعِيدِ تَوْهِيمِ الْوِقَاعِ وَالنُّظَرِ

١٤ - كَأَنَّمَا عَيْنَاهُ فِي حَزْفِي حَجَزِ

١٥ - بَيْنَ مَاقٍ لَمْ تُخَرِّقْ بِالْإِبْرِ

قال الدَّريدي: الزَّفُّ صِغَارُ الرِّيشِ كَالزَّرْعِ، وقال قومٌ: لا يكون الزَّفُّ إِلَّا لِلنَّعَامِ إِلَّا عَلَى وَجْهِ التَّشْبِيهِ. والمِلْحَاحُ: بناء المبالغة من أَلَحَّ. أي يُلِحُّ فِي الصَّيْدِ عَلَى نَفْسِهِ. ويجوز أن يكون من لَحَثَ عَيْنَهُ وَلَحِثَتْ؛ إِذَا التَّصَقَّتْ أَجْفَانُهَا بِالرَّمَصِ، كأنَّه يَلْتَصِقُ بِالصَّيْدِ التَّصَاقًا شَدِيدًا. ومن هذا قولهم: هو ابنُ عَمِّي لَحَا، أي لاصقُ النَّسَبِ. وقوله: «بَعِيدِ الْمُنْكَدَرِ» يقال: انْكَدَرَ، وانْصَلَتْ، وخَاتٌ، وانْقَضَ بِمعْنَى. وهذا كما قال^(٢) الآخر: [الرجز]

ضَارٍ يُضَرِّي بِطَرِي اللَّحْمِ أَكْدَرُ كَالْجُلْمُودِ يَوْمَ الرَّجْمِ

إِذَا تَقَضَّى مِنْ أَعَالِي النَّجْمِ ضَمَّ جَنَاحِيهِ انْخِرَاطَ السَّهْمِ

وقوله: «أَقْنَى» الْقَنَّا يُسْتَحَبُّ فِي الصُّقُورَةِ وَالشَّوَاهِينِ، وكذلك طولُ المِنْسَرِ، وقَصَرُ الذَّنْبِ، وغُورُ العَيْنَيْنِ، ويُعَدُّ ما بين المنكبين. وقال: «يَظَلُّ طَيْرُهُ عَلَى حَدَزٍ»، أراد ما عَرَفَهُ مِنَ الطَّيْرِ أَوْ رَأَاهُ، فلذلك أَضَافَ إِلَيْهِ. والمعنى يَخَافُهُ فَيَحْذَرُهُ، وَيَلُودُ مِنْهُ بِغُصُونِ الْأَشْجَارِ فَيَسْتَخْفِي فِيهِ، وهو صادق الْوَقْعِ، أي لا يَكْذِبُ فِيهِ، بَعِيدُ الْمَطْلَبِ

(٢) لرؤية في ديوانه ١٤١.

(١) التبريزي: «من صادق الودق».

وَالنَّظَرِ، شَدِيدُ الْمَوَاقِعَةِ وَالْبَغْتِ. وَيُقَالُ: طَرَفٌ مِطْرَحٌ، أَيُ بَعِيدُ النَّظَرِ، وَزُمْنَحٌ مِطْرَحٌ، أَيُ طَوِيلٌ، وَقَفْلٌ مِطْرَحٌ: بَعِيدُ مَوْقِعِ الْمَاءِ فِي الرَّحْمِ.

ومثل قوله: «يَلْدُنْ مِنْهُ تَحْتَ أَفْنَانِ الشَّجَرِ» قَوْلُ الْآخَرِ: [الْمُقَارِبِ]

رَأَى أَرْنَبًا سَنَحَتْ بِالْفَضَاءِ فَبَادَرَهَا وَلَجَاتِ الْخَمَزِ

وقوله: «كَأَنَّمَا عَيْنَاهُ فِي حَرْفِي حَجَزٍ»، أَيُ فِي جَانِبِي حَجَرٍ، يَعْنِي رَأْسَهُ، وَنَفْسَهُ بَيْنَ مَاقِي وَلَمْ تُحَظْ، أَيُ لَمْ يُضْطَدَّ فَكَانَ فِي التَّعْلِيمِ تُخَاطُ عَيْنَاهُ. وَالْمَاقِي جَمْعُ مُوقٍ مِثْلُ مُغَقٍّ، وَبَعْدَ الْقَافِ يَاءُ زَائِدَةٌ، فَهُوَ مِنَ الْفِعْلِ فَعَّلَوْ، نُقِلَتْ إِلَى فَعَّلَ. وَفِي هَذِهِ اللَّفْظَةِ لُغَاتٌ كَثِيرَةٌ، وَقَدْ عَمِلْتُهَا مَسْأَلَةً وَشَرَحْتُهَا.

تَمَّ الْبَابُ بِحَمْدِ اللَّهِ وَمَنِّهِ وَحَسَنِ تَوْفِيقِهِ وَعَوْنِهِ
وَالصَّلَاةِ عَلَى خَيْرَتِهِ مِنْ خَلْقِهِ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ مِنْ بَعْدِهِ

بَابُ الْمُلْح

٨٢٩ - لبعضهم^(١): [الوافر]

- ١ - يَقُولُ لِي الْأَمِيرُ بَغِيرُ نُضْحٍ نَقَدَمَ حِينَ جَدُّ بَنَا الْمِرَاسُ
- ٢ - وَمَا لِي إِنْ أَطْنُتُكَ مِنْ حَيَاةٍ وَمَا لِي بَعْدَ هَذَا الرَّاسِ رَأْسُ^(٢)

ذكر أبو العباس المبرّد أنّ المهلب بن أبي صفرة قال يوماً وقد حميت نائرة الحزب بينه وبين الخوارج، لأبي علقمة اليمامي: أمدنا بخيل اليمام قتل لهم: أعيرونا جماعكم ساعة. فقال: أيها الأمير، إنّ جماعهم ليست بفخار فتعار، وأعانقهم ليست بكرّاث فتنبّت. وقال لحبيب: كُرْ عَلَى الْقَوْمِ!! فقال: «يقول لي الأمير بغير نُضْح».

وقوله: «جَدُّ بَنَا الْمِرَاس» أي اشتدّ. والمِرَاس: المجاذبة والمُدافعة.

٨٣٠ - وقالت امرأة^(٣): [المنقارب]

- ١ - فَقَدْتُ الشُّبُوحَ وَأَشْيَاعَهُمْ وَذَلِكَ مِنْ بَغْضِ أَقْوَالِيْهِ
- ٢ - تَرَى زَوْجَةَ الشُّبُوحِ مَغْمُومَةً وَتُنْسِي لَصُخْبَتِهِ قَالِيْهِ

(١) في ديوان الحماسة برواية الجواليقي ٣٨٤: «قال أبو دلامة، وتروى للأعور الشّبيّ» وفي الحماسة البصرية ٣٦٥:٢ للأعور وقيل لحبيب بن عوف، وأبو دلامة هو زيد بن الجون الأسدي (ت ١٦١ هـ).

(٢) التبريزي: «فما لي».

(٣) هي حميدة بنت النعمان بن ثبير الأنصاري: شاعرة ابنة شاعر، كانت تحت خالد بن المهاجر بن خالد بن الوليد تزوّج بها لما قدم على عبد الملك بن مروان بدمشق فقالت فيه هذه الأبيات والأبيات (٤، ٥، ٦) مع ترجمتها في معجم الأدباء ٢٦٩:٣.

- ٣ - فَلَا بَارَكَ اللَّهُ فِي عَزْدِهِ وَلَا فِي غُضُونِ اسْتِهِ الْبَالِيَةِ
 ٤ - وَإِنَّ دِمَشْقَ وَفَتْيَانَهَا أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنَ الْجَالِيَةِ^(١)
 ٥ - نَكَحْتُ الْمَدِينِي إِذْ جَاءَنِي فَيَا لَكَ مِنْ نَكْحَةٍ غَالِيَةٍ
 ٦ - لَهُ ذَفَرٌ كَصُنَانِ الثِّيُوسِ أَعْيَا عَلَى الْمِسْكِ وَالْغَالِيَةِ

الكلامُ دعاءٌ على الشيوخ وإظهارُ القِلَى لصحبَتهم والكونِ معهم. وأرادت بالأشباع مَنْ يرضى مُناكَحتهم، أو يتعصَّبُ لهم، أو يَهْوَى هَوَاهِمَهم. وقولها: «وذلك من بعض أقواله» إيدانٌ منها بأن لها في الشيوخ وذَمُّهم طرائقٌ من القول، وألواناً من الوصف. وما أظهرته جزءٌ من تلك الجملة. والعَرْدُ: القَرْج. وقال الخليل: هو الشَّدِيدُ المنتصب من كل شيء، ومنه وَتَرَّ عَرْدٌ.

وقولها: «تَرَى زَوْجَةَ الشَّيْخِ مَغْمُومَةً» بيانٌ للعلة في الدُّعاء والذَّم. والغُضُونُ: جمع غَضَنٍ، وهو تَكْسُرُ الجِلْد وتثني فُضُوله على الشَّيْخ لِبَلَاه.

وقولها: «وَإِنَّ دِمَشْقَ»، كَانَ هَوَاهَا تَمَّ. وكان يجب أن تقول: أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنَ الْجَالِيَةِ وَفَتْيَانَهَا، فَاكْتَفَتْ بما ذكرَتْ، إِذْ كَانَ مَرَادُهَا مَفْهُومًا.

وقولها: «يَا لَكَ مِنْ نَكْحَةٍ غَالِيَةٍ» لفظها لَفْظُ النَّدَاءِ، والمعنى التَعْجُّب. وإنَّما قالت من نَكْحَةٍ غَالِيَةٍ، لَتَبَيَّنَ أَنَّهَا مَكْرُوهَةٌ كَمَا يُكْرَهُ مَا يُشْتَرَى بَعْلَاءً. والذَّفَرُ: شِدَّةُ النَّثْنِ هُنَا، وَيَكُونُ الطَّيِّبُ أَيْضًا. والذَّفَرُ، بِالْدَالِ غَيْرِ مَعْجَمَةٍ، لَا يَكُونُ إِلَّا لِلنَّثْنِ. والصُّنَانُ: رِيحُ الْإِبْطِ، وَمِنْهُ الصُّنُّ: بَوْلُ الْوَبْرِ. قال^(٢) جرير: [الوافر]

يَصِينُ الْوَبْرَ تَخْسِبُهُ الْمَلَابَا

وقولها: «أَعْيَا عَلَى الْمِسْكِ» موضعه من الإعراب نصبٌ على الحال للمضمر في أعياء. ومفعول أعياء محذوفٌ، أي أعجز ذلك الذَّفَرُ ما يُسْتَعْمَلُ مِنَ الطَّيِّبِ.

٨٣١ - وقال آخر:

[السريع]

١ - مِنْ أَيْنَا تَضَحَكُ ذَاتُ الْحِجْلَيْنِ

(١) في معجم الأدباء «كهول دمشق وشبانها».

(٢) ديوانه ص ٧٣، وصدرة:

«تطلى وهي سيئة المعرى»

٢ - أَبَدَلَهَا اللَّهُ بِلَوْنٍ لَوْنَيْنِ

٣ - سَوَادَ وَجْهِ وَبَيَاضَ عَيْنَيْنِ

الجِخْل: الخلل. وفي الكلام هزؤ وإزاء، ثُمَّ دَعَا عَلَيْهَا بِأَنْ يَغَيِّرَ اللَّهُ لَوْنَهَا وَيَبْدِلَهَا مِنْهُ لَوْنَيْنِ. وقال بعضهم: «بلونٍ لَوْنَيْنِ» هو كقولك بُدِّلْتُ بِالشَّبابِ هَرَمًا وَضَعْفًا، وبالعِزِّ خُضُوعًا وَقِلَّةِ نَاصِر. وشَرَحَ هَذَا أَنَّهُ جَعَلَ اللَّوْنَ مُنْتَظِمًا لِلْأَلْوَانِ، ثُمَّ أَبَدَلَ مِنْهَا السَّوَادَ وَالْبَيَاضَ. ويجوز أن يريد بقوله: «بلونٍ» لَوْنَهَا المعروف، أي أَبَدَلَهَا مِمَّا خُلِقَتْ عَلَيْهِ مِنْ لَوْنٍ لَوْنَيْنِ آخَرَيْنِ، ثُمَّ فَسَّرَهَا.

٨٣٢ - آخر^(١): [البسيط]

١ - أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ لَيْلٍ يَقْرُبُنِي إِلَى مُضَاجِعَةٍ كَالذَّلِكِ بِالْمَسَدِ
٢ - لَقَدْ لَمَسْتُ مُعْرَاهَا فَمَا وَقَعَتْ مِمَّا لَمَسْتُ يَدِي إِلَّا عَلَى وَتَدِ
٣ - فِي كُلِّ عُضْوٍ لَهَا قَرْنٌ تَصُكُّ بِهِ جَنْبَ الضَّجِيعِ فَيُضْحِي وَاهِي الْجَسَدِ

الذَّلِك: العَمَز والفَرْك. يقال: ذَلَكْتَ السُّنْبُلَ فَانْفَرَكَ قِشْرُهُ عَنْ حَبِّهِ. وَالْمَسَدُ: الْحَبْلُ، وَأَصْلُهُ مِنَ الْقَتْلِ. وَيُقَالُ: مَسَدَتِ الْحَبْلُ مَسَدًا، وَالْحَبْلُ مَمْسُودٌ وَمَسَدٌ، كَمَا يُقَالُ نَفَضْتُ الشَّيْءَ نَفْضًا، وَالشَّيْءُ مَنْفُوضٌ وَنَفَضٌ. قَالَ: [الرجز]

وَمَسَدٍ أَمِيرٌ مِنْ أَيْانِقٍ^(٢)

أَي حَبْلٍ قُتِلَ مِنْ جُلُودِ الثَّوْقِ. فَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ [المَسَد: الآية ٥]. فَقِيلَ: الْمَسَدُ: لَيْفُ الْمُقْل. وَلَا يَمْتَنِعُ أَنْ يَكُونَ اللَّيْفُ مَسَدًا بِمَا يُؤُولُ إِلَيْهِ مِنَ الْقَتْلِ عِنْدَ اتِّخَاذِ الْحَبْلِ، ثُمَّ اسْتَمَرَّ الاسْتِعْمَالُ بِهِ فَقِيلَ لَهُ الْمَسَدُ وَإِنْ لَمْ يُمَسَد.

وقوله: «لَقَدْ لَمَسْتُ مُعْرَاهَا» يَرِيدُ مَسَحْتُ ظَاهِرَ بَدَنِهَا فَمَا وَقَعَتْ يَدِي مِمَّا مَسَحْتُهُ عَنْهَا إِلَّا عَلَى الْأَوْتَادِ. يَصِفُهَا بِالْهَزَالِ وَتَعْرِِي الْعِظَامِ مِنَ اللَّحْمِ، حَتَّى صَارَ لَهَا حُجُومٌ فَاشْبَهَتْ الْأَوْتَادَ. وقوله: «فِي كُلِّ عُضْوٍ لَهَا قَرْنٌ» الْعِضْوُ وَالْعُضْوُ لُغَتَانِ،

(١) التبريزي: «وقال أبو الخندق الأسدي، وقيل: إنه لدعبل». والأبيات في ديوان دعبل ٣٢٩.

(٢) لعمارة بن طارق في اللسان (حقق) ولعثمان بن طارق في اللسان (زهق) ولعمارة بن طارق أو لعقبة الهجيمي في اللسان (مسد)، وقبله:

«فاعجل بغرب مثل غرب طارق»

والمراد بالقرن ثنؤ عظاميها. والصك: الدفع. يقال: صكّه، إذا ضربته بحجرٍ أو غيره.
وصكّ البازي صينده، إذا ضربته بكفه يحطه. قال: [الوافر]

إذا اجتمعوا عليّ فحلّ عني وعن بازٍ يصكّ حَبَارِيَات^(١)

٨٣٣ - آخر^(٢): [الكامل]

- ١ - وإذا مرّرت به مرّرت بِقَانِصٍ مُتَشَمِّسٍ فِي شَرْقَةِ مَفْرُورٍ
 - ٢ - لِلْقَمَلِ حَوْلَ أَبِي الْعَلَاءِ مَصَارِعُ مِنْ بَيْنِ مَفْثُولٍ وَبَيْنِ عَقِيرٍ
 - ٣ - وَكَأَنَّهُمْ لَدَى فُرُوزٍ قَمِيصِهِ قَدْ وَتَوْءَمُ سِمْسِمَ مَفْشُورٍ
 - ٤ - ضَرَجَ الْأَنَابِلِ مِنْ دِمَاءٍ قَتِيلِهَا حَنِقَ عَلَى أُخْرَى الْعَدُوِّ مُغِيرٍ
- تَشَمَّسَ: جَلَسَ فِي الشَّمْسِ. وَيُقَالُ: شَمَسَ يَوْمُنَا وَأَشْمَسَ، إِذَا اشْتَدَّتْ شَمْسُهُ. وَالشَّرْقَةُ وَالْمَشْرِقَةُ بِمَعْنَى، وَهُمَا الْمَكَانَ الَّذِي يُتَشَرَّقُ فِيهِ. وَالْقَدْ الْفَرْدُ. وَالتَّوْءَمُ: اثْنَانِ. وَقَدْ بَسَطْنَا الْقَوْلَ فِيهِ فِي شَرْحِ الْفَصِيحِ.

ويقال: ضَرَجْتُ الثُّوبَ، إِذَا صَبَغْتَهُ بِالْحُمْرَةِ خَاصَّةً، فَضَرَجَ وَانْضَرَجَ. وَمِنْهُ قِيلَ: تَضَرَّجَ الْخَدُّ عِنْدَ الْخَجَلِ، إِذَا اخْمَرَ. وَالْحَنِقُ: الْمَغْتَازُ الشَّدِيدُ الْعَيْظُ.

٨٣٤ - آخر^(٣): [الخفيف]

- ١ - خَبَّرُوها بِأَنِّي قَدْ تَزَوَّجْتُ فَظَلَّتْ تُكَاتِمُ الْعَيْظَ سِرًّا
- ٢ - ثُمَّ قَالَتْ لِأَخْتِهَا وَلِأُخْرَى جَرَعًا لَيْتَهُ تَزَوَّجَ عَشْرًا
- ٣ - وَأَشَارَتْ إِلَى نِسَاءٍ لَدَيْهَا مَا تَرَى دُونَهُنَّ لَلْسُرِ سِتْرًا
- ٤ - مَا لِقَلْبِي كَأَنَّهُ لَيْسَ مِنِّي وَعِظَامِي أَحَالُ فِيهِنَّ فَتْرًا^(٤)

يُقَالُ: خَبَّرْتُهُ كَذَا وَبِكَذَا. وَالْكُتْمُ: نَقِيضُ الْإِعْلَانِ. وَيُقَالُ: كَاتَمْتُ، إِذَا كَانَ الْكُتْمَانُ مِنْ اثْنَيْنِ. وَقَدْ حَذَفَ الْمَفْعُولُ الْأَوَّلُ مِنْ تُكَاتِمُ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ تُكَاتِمُ

(١) لجرير في ديوانه ٨٢٧، والخصائص ١: ٧.

(٢) التبريزي: «وقال آخر، ومرّ بأبي العلاء العقيلي يفلي ثيابه». والأبيات في الحيوان ٥: ٣٧٨، وفي فوات الراغب ٢: ١٣٣.

(٣) التبريزي: «هو لبعض الحجازيين». والأبيات لعمر بن أبي ربيعة في ديوانه ٣٨٤.

(٤) التبريزي: «كَأَن فِيهِنَّ فَتْرًا».

بمعنى تَكْتُمُ، فلا يكون من اثنين، ولكن كما يقال: قَاتَلَهُ الله. والكُتُوم في الثَّاقَةِ: التي لا تَزْعُو، وفي القَوس التي لا شَق في نَبْعِهَا. و«سُرًا» يجوز أن يكون مصدرًا من غير لفظه، لأنْ تُكَاتِمُ بمعنى تَسْتُرُ، ويكون كقوله: [الطويل]

وَرُضْتُ قَدْ لُتْ صَغْبَةً أَيِ إِذْ لَالٍ^(١)

ويجوز أن يكون مصدرًا في موضع الحال. وَجَزَعًا انتَصَبَ على أنه مفعول له. وموضع قوله: «لَيْتَهُ تَزَوَّجَ عَشْرًا» نَضَبَ على أنه مفعول ثالث، وقوله: «لِلسَّرِ سِتْرًا»، يجوز أن يُرَوَى «سِتْرًا» بفتح السين، فيكون مصدر سَتَرْتُ، ويجوز أن يُرَوَى «سِتْرًا» بكسر السين فيكون وَاحِدَ السُّتُورِ، والمعنى في الوجهين ظاهر. وقوله: «فِيَهْنَ قَتْرًا»، يقال: قَتَرَ الإنسانُ، إذا لَانَتْ مَفَاصِلُهُ وَضَعُفَتْ قَتْرًا وَقَتُورًا، وَإِخَالَ كَسَرُ الْهَمْزِ مِنْهُ لُغَةٌ هَذَلٌ، ثُمَّ قَسَتْ فِي غَيْرِهَا.

٨٣٥ - آخر: [الطويل]

- ١ - جَزَى اللهُ عَنَا ذَاتَ بَغْلٍ تَصَدَّقَتْ عَلَى عَزَبٍ حَتَّى يَكُونُ لَهُ أَهْلٌ
- ٢ - فَإِنَّا سَتَجَزِيهَا بِمَا فَعَلْتَ بِنَا إِذَا مَا تَزَوَّجْنَا وَلَيْسَ لَهَا بَغْلٌ
- ٣ - أَفِيضُوا عَلَى عُرَابِكُمْ بِنَسَائِكُمْ فَمَا فِي كِتَابِ اللهِ أَنْ يُحَرَّمَ الْفَضْلُ

روى محمد بن حبيب أن هذا الشاعر صَعِدَ إِلَى مِثْدَنَةٍ وَسَطَ الْحَيِّ وَأَنشَدَ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ، فَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ غِيَارَى الْحَيِّ وَقَتَاكَ فَقَتَلُوهُ.

وقوله: «عُرَابِكُمْ»، هو جمع العازبِ، وَقَضْدُهُ إِلَى جَمْعِ الْعَزَبِ، وَهُوَ الْأَعْزَابُ، لَكِنَّهُ تَصَوَّرَ بُعْدَهُمَا عَنِ الْأَهْلِ وَتَسَاوَيْهِمَا فِيهِ، فَجَعَلَ الْعَزَبَ وَالْعَازِبَ بِمَعْنَى وَاحِدٍ، ثُمَّ اسْتَعَارَ بِنَاءَ جَمْعِ الْعَازِبِ لِلْعَزَبِ. وَهَذَا كَمَا قِيلَ: نَمِرٌ وَنَمْرٌ، لِأَنَّهُ لَمَّا تَصَوَّرَ أَنَّهُ أَتَمَرٌ فِي لَوْنِهِ جَمَعُوهُ جَمْعَ أَتَمَرٍ، فَأَجَزُوهُ مَجْرَى أَخَمَرٍ وَخُمِرٍ.

وقوله: «أَفِيضُوا عَلَى عُرَابِكُمْ بِنَسَائِكُمْ» تَوْهَمٌ فِي أَفِيضُوا مَعْنَى تَصَدَّقُوا، فَعَدَّاهُ تَعْدِيَّتَهُ، فَلِذَلِكَ زَادَ الْبَاءَ فِي «بِنَسَائِكُمْ». وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنْ قَوْلِهِمْ أَفَاضَ الْإِنَاءَ بِمَآئِهِ عَلَيْنَا، وَيَكُونُ التَّقْدِيرُ: أَفِيضُوا الْعَطَاءَ بِنَسَائِكُمْ. وَقَوْلُهُ: «فَمَا فِي كِتَابِ اللهِ» يَجُوزُ أَنْ يُرِيدَ بِالْكِتَابِ الْمَصْدَرَ، وَالْمَعْنَى فِيمَا كَتَبَهُ وَفَرَضَهُ. وَيَجُوزُ أَنْ يُرِيدَ بِهِ الْقُرْآنَ.

(١) لا مراء القيس في ديوانه ٣٢، وخزانة الأدب ٩: ١٨٧ واللسان (روض) وصدرة: «فصرنا إلى الحسنی ورق كلاً منّا»

٨٣٦ - آخر:

[مشطور الرجز]

١ - أَنشُدُ بِاللّٰهِ وَبِالدَّلْوِ الْخَلْقَ

٢ - يَا رَبِّ مَنْ أَحْسَهَا مِمَّنْ صَدَقَ

٣ - فَهَبْ لَهُ بَيضَاءَ بَلْهَاءِ الْخَلْقِ

٤ - وَمَنْ نَوَى كِتْمَانَ دَلْوِي فَاخْتَرَقَ

٥ - فَابْعَثْ عَلَيْهِ عَلَقًا مِنَ الْعَلَقِ

أنشد بالله، أي مستعينًا بالله أو مذكّرًا بالله. وقوله: «وبالدلو الخلق»، يريد ويسبب الدلو نشداني وطلبي. ففصل بين دخول الباءين.

وقوله: «مَنْ أَحْسَهَا» أي من رآها وأدركها بعلمه، ثم صدّقني عند السؤال عنها. فقوله: «ممن صدق» يجوز أن يكون «مِنْ» نكرة، والمراد من إنسان يصدق أو عادته الصدق. ويجوز أن يكون «مِنْ» معرفة، والمراد من الذين يصدقون في المقال.

وقوله: «فهَبْ لَهُ بَيضَاءَ بَلْهَاءَ» دعاء له بأن يملكه الله تعالى امرأة كريمة مستقيمة الطريقة، سليمة الصدر، لا غائل لها ولا غُلُولَ لديها.

ومثل هذا قول الآخر: [الرجز]

بَلْهَاءَ لَمْ تَحْفَظْ وَلَمْ تُضَيِّعْ^(١)

وقوله: «وَمَنْ نَوَى كِتْمَانَ دَلْوِي فَاخْتَرَقَ» يريد فأحرقه الله ولا تهنأ بعيش. والعلق: دويبة حمراء تكون في الماء وتأخذ بالخلق. ويجوز أن يكون العلق مصدر علقْتُ به العلوق الداهية. وسُمِّي الأذى نفسه العلق، واسم الحديث قد يجعل صفة للفاعل، ويكون على هذا علقًا يتناول واحدًا من الجنس. والعلق يتناول الجنس كله.

٦ - إِنْ لَمْ يُصَبِّخْهُ بِمَا سَاءَ طَرَفِ

٧ - وَبَاتَ فِي جَهْدِ بَلَاءٍ وَأَرْقِ

٨ - وَهَبْ لَهُ ذَاتَ صِدَارٍ مَنَحَرِقِ

٩ - مَشْوُومَةٌ تَخْلِطُ شُومًا بِخُرْقِ

(١) لأبي النجم في تاج العروس (برقع)، وبلا نسبة في اللسان (سقط، بله).

فاعل يصبّحه العَلَقُ المذكور. والطُّرُوق يكون بالليل. وقوله: «في جَهْدِ بَلَاءٍ»، أي فيما يجهدده ويشقُّ عليه من مقاساة البَلَاء. والأزق: السهر بالليل. والصَّدَاؤ: الثوب الذي يبلغ الصدر. وجعله منحرفًا لجنون صاحبه، لأنه دعا على مَنْ يكتُم دلوّه بأن يَهَبَ له امرأة مجنونة تُخْرِجُ يدها من جيب صِدَارِها فتَمزُقُ على نفسها.

وفي هذه الطريقة قول الآخر: [مجزوء الوافر]

كجَنِبِ الدَّفْنِسِ الوَزهَا رِيعَتْ بَعْدَ إِجْفَالٍ^(١)

وإنما وصف طَعْنَةً، فشَبَّهَ سَعَتَهَا بِسَعَةِ جَيْبِ الوَزهَاء. ويقال: رجلٌ مشؤوم، وقد شُئِمَ، وشَأَمَ فلانٌ أصحابه إذا أصابهم شؤمٌ من قِبَلِهِ. وتقول: هذا طائرٌ أَشَأَمٌ، وطَيْرٌ أَشَأَمٌ، أي جاريةٌ بالشؤم. والخُزُق: ضدُّ الرُّفُق.

٨٣٧ - وقال أعرابيٌّ: [الرجز]

١ - كَأَنَّ خُضَيَّيْهِ مِنَ التَّدَلْدَلِ

٢ - سَخَقُ جَرَابٍ فِيهِ ثِنْتَا حَنْظَلٍ

التَّدَلْدَل: الاضطراب. ويقال: ثوبٌ سَخَقَ وَجَزَدَ، وقد انسَخَقَ وانجَرَدَ. وإنما قال: «ثِنْتَا حَنْظَلٍ» لأنَّ مراده ثنتان من الحنظل. ولو أراد تشبيه حنظلة لم يَجُزْ إلا حنظلتان. وقد أَحْكِمَ القول فيه وفي أمثاله في غير هذا الموضع.

٨٣٨ - آخر: [الرجز]

١ - كَأَنَّ خُضَيَّيْهِ إِذَا تَدَلَّدَا

٢ - أَثْفَيْتَانِ تَخْمِلَانِ المِرْجَلَا^(٢)

قوله: «أَثْفَيْتَ» يجوز أن يكون أفعولةً بدلالة قولهم: أَثْفَيْتُ القِدْرَ وَثَفَيْتُهَا. ويجوز أن يكون فُعْلِيَّةً، بدلالة قولهم أَثْفَتِ القِدْرَ. أَلَا تَرَى النابغة يقول: [البسيط]

وإن تَأَثَّفَكَ الأعداءُ بالرَّقْدِ^(٣)

(١) للفند الزماني في الحماسية (١٧٦)، وكتاب الجيم ١: ٢٧٥.

(٢) التبريزي: «مرجلاً».

(٣) البيت في ديوانه ٣٨ (مؤسسة النور)، من معلقته: وصدرة:

«لا تقذفني بركن لا كفاء له»

فتَأَنَّفَ تَفَعَّلَ . والهمزة أصليّة . وإنما يَتَّفَقُ مثلُ هذينِ التقديرينِ في الكلمة الواحدة من لغتين . ويقتضي كَيْفِيَّةً وَقَوْعَ الاختلافِ في مثلها كلامًا ليس هذا مَوْضَعُهُ ، فاعْلَمُهُ إن شاء الله .

٨٣٩ - آخر^(١) : [السريع]

١ - كَأَنَّ خُضْيِيهِ إِذَا مَا جَبَى

٢ - دَجَاجَتَانِ تَلْقَطَانِ حَبًّا

جَبَى : قام منحنيًا للاحتراش ، وهو إثارة الضَّبِّ . ويقال : جَبَى تَجْبِيَّةً ، إذا سَقَطَ لركبته وطأ مَنْ بَدَنَهُ ويديه .

٨٤٠ - وقال آخر : [الرجز]

١ - وَفَيْشَةُ زَيْنٍ وَلَيْسَتْ فَاضِحَةً

٢ - نَابِلَةٌ طَوْرًا وَطَوْرًا رَامِحَةً

٣ - عَلَى الْعَدُوِّ وَالصُّدِيقِ جَامِحَةً

٤ - مَنْ لَقِيَتْ فَهِيَ لَهُ مُصَافِحَةٌ

٥ - تَسُدُّ فَرْجَ الْقَحْبَةِ الْمُسَافِحَةَ

٦ - مُفْسِدَةٌ لَابِنِ الْعَجُوزِ الصَّالِحَةِ

٧ - كَأَنَّهَا صَنْجَةٌ أَلْفٍ رَاجِحَةٌ^(٢)

الْفَيْشَةُ : رأس القَضِيبِ ، وَالْفَيْشَلَةُ في معناه ، وليس من بنائه ، لكنّه من باب سَبَطِ وَسَبَطَ وما أشبهه . والرامح : صاحب الرُمح . والنابل : صاحب الثَّيْلِ . وَرَمَحَتِ الدَّابَّةُ رَمَحًا : ضربَتْ برجلها . ويقولون : برئت إليك من الجِمَاحِ والرِّمَاحِ ؛ لأنَّ الجموحَ صلابَةُ الرَّأْسِ وأن يَمْضِيَ الشَّيْءُ لوجهه فلا يُضَبِّطُ . وَفَرَسَ جَمُوحٌ وَجَامَحَ . وَالْمُصَافِحَةُ أصله في الالتقاء والتسليم ووضع اليد في اليد . ويقال : لقيته صِفَاحًا ، أي مُفَاجَأَةً . وَالْقَحْبَةُ : الفاجرة . وأهل اللُّغَةِ يقولون : هو من الْقَحَابِ : السُّعال ، لأنَّ مُرَاوِدَهَا إِذَا مَشَى في إثرها تَقَحَّبَ لتلتفت إليه ، فيُشير إليها بما يريد . وَالْمُسَافِحَةُ :

(١) التبريزي : «وقال امرأة تهجو زوجها» . وفي الحماسة البصرية ٢ : ٤٠٣ لهند بنت أبي سفيان في أبيها ، وفي أشعار النساء ٥٩ لرتا بنت الأعرف من بني عقيل .

(٢) الصبيخة : حديدة الميزان التي في وسطه من فوق .

الزَّانِيَّة، أصله من سَفَح الماءِ عِنْدَ الْجَمَاع. وهذا كما يقال مِنَ الْمَذْي: مَذَيْتُهُ. واشتهر السَّفاح بمضادَةِ النِّكَاح.

٨٤١ - آخر^(١): [السريع]

١ - وَفَيْشَةَ لَيْسَتْ كَهَلْزِي الْفَيْشِ

٢ - قَدْ مُلِئْتُ مِنْ خُرْقٍ وَطَيْشٍ

٣ - إِذَا بَدَتْ قُلْتُ أَمِيرُ الْجَيْشِ

٤ - مَنْ ذَاقَهَا يَعْرِفُ طَعْمَ الْعَيْشِ

٨٤٢ - آخر^(٢): [الطويل]

١ - لَا أَكْثُمُ الْأَسْرَارَ لَكِنْ أَتَمُّهَا وَلَا أَتْرُكُ الْأَسْرَارَ تَغْلِي عَلَى قَلْبِي

٢ - وَإِنْ قَلِيلَ الْعَقْلِ مَنْ بَاتَ لَيْلَةً تُقَلِّبُهُ الْأَسْرَارُ جَنْبًا إِلَى جَنْبٍ

أَتَمُّهَا: أَقْشَبُهَا وَأَظْهَرُهَا. وقوله: «جَنْبًا إِلَى جَنْبٍ» في موضع الحال. والمعنى: يَقْلُقُ فِي مَضْجَعِهِ مَحَافِظَةً عَلَى السَّرِّ، وَلَا يَغْرُكُهَا بِجَنْبِهِ. ويجوز أن يكون بدلًا من الهاء فِي تُقَلِّبُهُ.

٨٤٣ - آخر: [الطويل]

١ - فَجَاؤُوا بِشَيْخٍ كَدَحَ الشَّرَّ وَجْهَهُ جَهُولٍ مَتَى مَا يَنْقَدِ السَّبُّ يَلْطِمُ

الكَذْحَ وَالْخَذَشَ وَالْخَمَشَ، تتقاربُ في المعنى. ويقال: نَقَدَ الشَّيْءَ إِذَا فَنِيَ، وَأَنْفَدْتُهُ أَنَا.

٨٤٤ - وقالت قابلة لامرأة أخذها الطَّلُق

واسمها سَحَابَة: [الرجز]

١ - أَيَا سَحَابَ طَرَّقِي بِسَخِيرِ

٢ - وَطَرَّقِي بِخُضْيَةٍ وَأَيْرِ

٣ - وَلَا تُرِينِي طَرَفَ الْبُظَيْرِ

(١) الأبيات في اللسان (فيش)، وسر صناعة الإعراب ١: ٣٢٢.

(٢) هو سحيم الفقعسي كما في الحيوان ٥: ١٨٤.

التطريق: أن يظهر عند الولادة طَرَقَة الولد، وهي أطرافه: رأسه ويداه. ولك أن تروي «يا سحاب» بفتح الباء على أصل الترخيم، ولك أن تضمّها تَوَيْتَ تمام الاسم بعد ذهاب الهاء ثم بنيت على الضمّ للنداء.

٨٤٥ - آخر: [الوافر]

- ١ - فإِنَّكَ إِذْ تَرَى عَرَصَاتٍ جُمْلٍ بِعَاقِبَةٍ فَأَنْتَ إِذَا سَمِعِدُ
٢ - لَهَا عَيْنَانِ مِنْ أَقْطٍ وَتَمْرِ وَسَائِرُ خَلْقِهَا بَغْدُ الثَّرِيدِ
قوله: «إِنْ تَرَى» أُنِي بَتَرَى تَامًا وَإِنْ كَانَ فِي مَوْضِعِ الْجَزْمِ. فهو كقول الآخر:
[الرجز]

وَلَا تَرْضَاهَا وَلَا تَمَلِّقُ^(١)

وكقول الآخر: [الوافر]

أَلَمْ يَأْتِيكَ وَالْأَنْبَاءُ تَنْمِي بِمَا لَأَقْتُ لَبُونُ بَنِي زِيَادٍ^(٢)

وجُمْل: اسمُ امرأة. وَعَرَصَةُ الدَّارِ وَخَرَصَتْهَا بِمَعْنَى. ويكون الذي حَذَفَهُ لِلْجَزْمِ فِي تَرَى حَرَكَةً كَانَتْ فِي النَّيَّةِ فِي مَوْضِعِ الرَّفْعِ. وحروفُ المَدِّ تُحذف من الأواخر، ليكون بين الأفعال وهي في مَوْضِعِ الرَّفْعِ وبينها وهي في مَوْضِعِ الْجَزْمِ فَضْلٌ، فلذلك جاز أن تأتي بها تَامَةً، ولولا ذلك لكان لَحْنًا. وقوله: «فَأَنْتَ إِذَا سَمِعِدُ» جَمَعَ بَيْنَ الْفَاءِ وَبَيْنَ إِذَا فِي جَوَابِ الشَّرْطِ تَأْكِيدًا لِلْجَزَاءِ، وَلَوْ قَالَ فَأَنْتَ سَمِعِدُ، لَكَفَى وَأَعْنَى، ويكون إِذَا لِلْحَالِ، كَأَنَّهُ يَحْكِي الْكَائِنَ مِنَ الْأَمْرِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، وكذلك لو قال فَأَنْتَ إِذْ سَمِعِدُ، لجاز كما قال الهذلي: [الوافر]

بِعَاقِبَةٍ وَأَنْتَ إِذْ صَحِيحٌ^(٣)

وقوله: «سَمِعِدُ» يجوز أن يكون اسمُ الْفَاعِلِ مِنْ سَعِدَ، ويجوز أن يكون فَعِيلًا بِمَعْنَى مَفْعُولٍ، وَيُقَالُ: سَعَدَهُ اللَّهُ بِمَعْنَى أَسْعَدَهُ اللَّهُ. وقوله: «بِعَاقِبَةٍ» أَي بَعَقِبَ مَا

(١) لرؤية بن العجاج في الخزانة ٣: ٥٣٤، وملحق ديوانه ١٧٩.

(٢) لقيس بن زهير العبسي في الخزانة ٣: ٥٣٦.

(٣) لأبي ذؤيب في خزانة الأدب ٦: ٥٣٩، وشرح أشعار الهذليين ١: ١٧١، واللسان (أذذ، إذ، شلل)، وصدرة:

عَرَفَتْهَا وَدُفِعَتْ إِلَيْهَا. وَمَنْ رَوَى «فَأَنْتَ إِذْ» يَرِيدُ فَأَنْتَ إِذِ الْأَمْرِ ذَلِكَ وَفِي ذَلِكَ الْوَقْتُ. وَنَوْنٌ إِذْ لِيَكُونَ التَّنْوِينُ فِيهِ عَوْضًا مِمَّا كَانَ يُضَافُ إِلَيْهِ مِنَ الْجُمْلِ، وَعَلَى هَذَا حَيْثُذِ، وَيَوْمَئِذِ.

٨٤٦ - آخر^(١): [الطويل]

١ - أَيْغُ فَاصْطِنِعْ قُرْصًا إِذَا اعْتَادَكَ الْهَوَى
بَرَزْتِ كَمَا يَكْفِيكَ فَقَدْ الْحَبَائِبِ
٢ - إِذَا اجْتَمَعَ الْجَوْعُ الْمَبْرُحُ وَالْهَوَى
نَسِيتَ وَصَالَ الْآنَسَاتِ الْكَوَاعِبِ

رواه بعضهم: «فاصطنع» كأنه يجعله من الصُّنْع، كما قال الآخر: [الطويل]

إِذَا مَا صَنَعْتَ الزَّادَ فَالْتَمِسِي لَهُ أَكِيَلًا فَلِئَنِّي لَسْتُ أَكِلُهُ وَخِدي^(٢)

وليس هذا بشيء، وإنَّما الرُّوَايةُ «فاصطنع» من الصُّبَاغ وهو الأذَم، يدلُّ على صِحَّةِ هَذِهِ الرُّوَايةِ قَوْلُهُ: «بَزَيْت». ومثل هذا قولُ الآخر: [مجزوء الخفيف]

كُلْ إِذَا كُنْتَ عَاشِقًا مَا تَهَيَّأ مِنَ الدُّسَمِ
وَادْفَعْ الشُّوقَ وَالضُّدُو لَيْسَ يَخْشَى مِنَ الْيَسَمِ
وَصَاحِبُ الْأَكْلِ فِي الْهَوَى دَعْنِ الْقَلْبِ بِالتُّخَمِ

وقوله: «كما يكفيك» رواه الكوفيون، ويقولون كما في معنى كَيْمَا. ورووا أيضًا حَجَّةً فِيهِ قَوْلَ الْآخَرِ: [الطويل]

إِذَا جِئْتَ فَاْمَنْحْ طَرْفَ عَيْنِكَ غَيْرَنَا كَمَا يَخْسِبُوا أَنَّ الْهَوَى حَيْثُ تَنْظُرُ^(٣)

وأصحابنا البصريُّون يروونه «لكي يحسبوا». وكذلك رَوَا الْبَيْتَ الْأَوَّلَ «لَكِنِّي يَكْفِيكَ»، وَلَا يَعْرِفُونَ مَا ذَكَرُوهُ. وَالْآنَسَاتُ: ذَوَاتُ الْأُنْسِ. وَالْكَوَاعِبُ: اللَّاتِي تَهْدَتِ تُدِيُّهَا.

٨٤٧ - وقال آخر: [الطويل]

١ - كَأَنَّ ثَنَابَاهَا وَمَا دَفَعْتُ طَغَمَهَا لِيَا نَفْجَةٍ سَوَّطَتْهُ بِدَقِيقِ

(١) البيتان في الحيوان ٤: ٨٣ بدون عزو، والأول في الإنصاف ٢: ٥٩٢.

(٢) لحاتم الطائي في الحماسية (٧٣٢).

(٣) لعمر بن أبي ربيعة في ديوانه ١٠١، وخزانة الأدب ٥: ٣٢، والدرر ٤: ٧٠، ولجميل في ديوانه ٩٠.

يقال: سَطَّ الشَّيْءُ، إذا جمَعْتَهُ مع غيره في الإِناء وضربتَهما حتَّى يختلطا. قال الدُّرَيْدِي: وبه سَمِيَ السَّوْطُ الَّذِي يُضْرَبُ بِهِ لِأَنَّهُ يَسُوْطُ اللَّحْمَ بِالدَّمِ.

٨٤٨ - آخر: [الطويل]

١ - رَمَثْنِي بِسَهْمِ الْحُبِّ أَمَا قَدْ أَذَاهُ فَنَمَرَ وَأَمَا رِيشُهُ فَسَوِيْقُ
يريد أنها كانت تُطْعِمُهُ التَّمَرَ والسَّوِيْقَ، فلذلك أَحَبَّهَا. والقِدَاذُ: جمع القُدَّةِ،
وهي الرِّيشُ، ويقال: قَدَذْتُ السَّهْمَ، إذا جعلتَ له قُدَاذًا. وكان أبو زيد يُجيز: أَقْدَذْتُ
أَيْضًا، وأباه الأصمعيُّ. وكل شيء سَوِيْتَهُ وأصلحته فقد قَذَذْتَهُ. والسهم الأَقْدُ، الذي
لا ريش له. ومن أمثالهم: ما أَصَبْتُ مِنْهُ أَقْدٌ وَلَا مَرِيْشًا^(١).

٨٤٩ - آخر: [الطويل]

١ - أَلَا رُبَّ خَوْذٍ عَيْنُهَا مِنْ خَزِيرَةٍ وَأَنْيَابُهَا الْغُرُ الْجِسَانُ سَوِيْقُ
الْخَوْذُ: المرأة الناعمة الجسم. والخزيرة: دَقِيقٌ يُلَبِّكُ بِشَحْمٍ. وكانت العرب
تُعَيِّرُ بِأَكْلِهِ. وقيل: إِنَّ الْمَقْصُودَ بِذَلِكَ بَنُو مُجَاشِعٍ وَفَرِيْشٍ، وَهِيَ السَّخِينَةُ.

٨٥٠ - آخر: [الطويل]

١ - وَمَا الْعَيْشُ إِلَّا نَوْمَةٌ وَتَشْرِقُ وَتَمَرُ كَأَكْبَادِ الْجَرَادِ وَمَاءُ

٨٥١ - آخر: [مشطور الرجز]

١ - قَامَتْ تَمَطَّى وَالْقَمِيصُ مُنْخَرِقُ

٢ - فَصَادَفَ الْخَرْقُ مَكَانًا قَدْ حُلِقُ

٣ - كَأَنَّهُ قَنْبُ نُضَارٍ مُنْفَلِقُ

تَمَطَّى، أَرَادَ تَمَطَّيَ، أَي تَمَدَّدَ، فَحَذَفَ إِحْدَى التَّاءَيْنِ. وَالنُّضَارُ: شَجَرٌ يُتَّخَذُ
مِنْ حَشَبِهِ الْقِصَاعُ. وَمِثْلُ هَذَا قَوْلُ الْآخَرِ: [الرجز]

إِذَا قَعَدْتُ مَقْعَدًا نَبَا بَيْنَهُ كَالْقَدَحِ الْمَكْبُوبِ فَوْقَ الرَّائِبَةِ

(١) المثل في اللسان (قذذ): «الأقْدُ: السهم الذي قد تمرطت قذذه وهي آذانه، والمريش: السهم الذي عليه ريش، أي لم أصب منه شيئاً».

٨٥٢ - آخر:

[الطويل]

١ - إذا اجتمع الجُوع المبرُحُ والهوى على الرَّجُلِ المِسْكِينِ كَادَ يَمُوتُ

٨٥٣ - آخر:

[الرجز]

١ - يَا رَبِّ إِن قَتَلْتَهَا فَعُذْ لَهَا

٢ - فَلَنْ تَمُوتَ أَوْ تَشُدَّ قَتْلَهَا^(١)

أراد إلّا أن تشدّ قتلها وتبالغ فيه.

٨٥٤ - آخر^(٢):

[البسيط]

١ - وَأَبْغَضُ الضَّيْفِ مَا بِي جُلُّ مَاكِلِهِ إِلَّا تَنَفَّجَهُ حَوْلِي إِذَا قَعَدَا

٢ - مَا زَالَ يَنْفُجُ جَنْبِيهِ وَحُبُوتَهُ حَتَّى أَقُولَ لَعَلَّ الضَّيْفَ قَدْ وَلَدَا^(٣)

قوله: «إلّا تنفّجه» استثناء خارج. والتنفّج قيل هو التجشؤ. ويقال: تنفّج فلان، أي توسّع في جلوسه. ومنه: هو مُتَنَفِّجُ الجنين. وهذا غرضُ الشاعر، بدلالة قوله: ما زال ينفّج جنبه وحُبُوتَه. والنّفْجُ: الكِبَرُ، وفي التنفّج زيادة تكلف.

٨٥٥ - آخر:

[الطويل]

١ - وَإِنَّا لَنَجْفُو الضَّيْفَ مِنْ غَيْرِ غُسْرَةٍ مَخَافَةَ أَنْ يَضْرَى بِنَا فَيَعُودُ^(٤)

قوله: «فيعود» لم يعطفه على أَنْ يَضْرَى بِنَا، لكنه قصّد به إلى الاستئناف، والمراد فهو يعود، ويقال: إنّ بعض المتحدّلقين في زمن الأصمعيّ خالفه في هذا وزعم أنّ الشاعر تمدّح بهذا ولم يتملّح، وزعم أنّ المراد إنّنا لا نتكلّف للضيف ولا نحشّد له، بل نُقدّم إليه ما يحضّرنا لئلاّ ينفّر من احتشامنا له، فينقبض عتًا، ولا يعود إلينا. قال: ومعنى «مخافة أن يضرّ» أن لا يضرّ بنا، ولا مضمرة، كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَقُولُوا﴾ [النساء: الآية ١٧٦]. وهذا كما تكلف

(١) التبريزي: «أو تجيّد قتلها».

(٢) في العقد الفريد ٦: ٣٠٢ لحميد الأرقط.

(٣) روى التبريزي بعده مقطوعة: «وقال بلال بن جرير: [الطويل]

وعكليّة قالت لجارة بيتها إذا العَيْرُ أدلى: حبّذا مثلُ ذا عِلْقَا»

(٤) بعده عند التبريزي:

«وئشلي عليه الكلب عند محله ونبيدي له الحرمان ثم نزيّد»

بعضهم القول في قوله: [البسيط]

قومٌ إذا استنبح الأضيافُ كلبهم قالوا لأئهم بُولي على النار^(١)
وزعم أنه مدح مع اتفاق الناس على أنه أفجى بيت.

[مشطور الرجز]

٨٥٦ - آخر:

ونَظَرَ إلى جاريةٍ سوداءٍ تَخْضِبُ كَفَّها فقال:

١ - تَخْضِبُ كَفَّا بُتِكَتْ مِنْ رَنْدِها

٢ - فَتَخْضِبُ الْجَنَاءَ مِنْ مُسَوِّدِها

٣ - كَأَنَّها وَالْكُخْلُ فِي مِزْوَدِها

٤ - تَكْحُلُ عَيْنَيْها بِبَغْضِ جِلْدِها

وقوله: «بُتِكَتْ مِنْ رَنْدِها» منقطعٌ مما قبله، كأنه خبرٌ عنها، ثم دعا على كَفَّها. ولا يجوز أن يتصل بما قبله، لأنه حينئذ يكون واقعاً موقعَ الصِّفَةِ للكفِّ، والأمرُ والنَّهْيُ والدعاء لا تكون صفاتٍ ولا صلاتٍ ولا أخباراً إلا بتأويل.

وقوله: «فَتَخْضِبُ الْجَنَاءَ مِنْ مُسَوِّدِها»، يريد أن سواد لونِها يغيّر من الجناء فيخضبه. والجناء وزنه فَعَالٌ، والهمزة منه أصلية، بدلالة قولهم: حتّأته بالجناء.

وقوله: «فِي مِزْوَدِها» استتبع الزحاف فشدد الدال، ومثله: [الرجز]

تَعْرِضُ الْمُهْرَةَ فِي الطَّوْلِ^(٢)

[الطويل]

٨٥٧ - آخر^(٣):

١ - لَعَمْرِي لَقَدْ حَدَرْتُ قُرْطًا وَجَارَه

٢ - نَهَيْتُهُمَا عَنْ نُورَةٍ أَخْرَقَتْهُمَا

٣ - فَمَا مِنْهُمَا إِلَّا أَنَانِي مُوقِّعًا

(١) للأخطل في ديوانه ٢٣٤، واللسان (ردب)، وتاج العروس (ردب، نج).

(٢) لمنظور بن مرثد الأسدي في اللسان (طول، قتل) وتاج العروس (عرض، طول) وبلا نسبة في اللسان (عرض، أنن).

(٣) التبريزي: «وقال أعرابي لابنه، وكان قد دخل الحمام فأحرقته النورة».

٤ - أَجِدُّكُمْ لَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ جَارَنَا أَبَا الْجَسَلِ بِالصُّخْرَاءِ لَا يَتَنَوَّرُ
٥ - وَلَمْ تَعْلَمُوا حَمَامَنَا بِبِلَادِنَا إِذَا جَعَلَ الْحِزْبَاءُ بِالْجِدْلِ يَخْطُرُ

قوله: «أَتَانِي مُوقَعًا»، انتصب على الحال. ويقال: بعيرٌ موقّع الظهر، إذا كان به آثار الجرب. ورجلٌ موقّع، إذا كان به آثار الجراح. قال: [المنسرح]

مِثْلَ الْحَمَارِ الْمَوْقَعِ السَّوِّءِ لَا يُخْسِنُ مَشْيًا إِلَّا إِذَا ضُرِبَ^(١)

وقوله: «لَا يَتَنَوَّرُ» الأجود في هذا أن يقال: لا يتنار، وقد قيل: تنور أيضًا.

وقوله: «أَجِدُّكُمْ» انتصب على المصدر من فعلٍ مُضَمَّر، كأنه قال: أوجدان جدُّكما.

وذكره سيبويه في باب ما ينتصب من المصادر توكيدًا لما قبله، كقولك هذا زيدٌ حقًا لا باطلًا، وهذا القول لا قولك، وهذا زيدٌ غير ما تقول، والتقدير: هذا القول لا أقول قولك. قال سيبويه: ومثله في الاستفهام أَجِدُّكَ لَا تَفْعَلُ كَذَا، وَلَا يُسْتَعْمَلُ إِلَّا مضافًا، والتقدير أَجِدُّكَ مِنْكَ. وَجَرَى هَذَا مَجْرَى مَا لَزِمَتْهُ الْإِضَافَةُ نَحْوَ لَبَّيْكَ وَمَا أَشْبَهَهُ، وَمَعَاذَ اللَّهِ. والمعنى أعلى جدُّ لما تعلم ما ذكرت. والحزباء أعظم من العطاءة، وهو أغبر ما دام صغيرًا، ثم يصفر إذا كبر، فإذا حميت الشمس عليه أخذ جلده يخضر. ولذلك قال ذو الرُّمَّة لَمَّا وصفه: [الطويل]

وَيَخْضَرُ مِنْ لَفْحِ الْهَجِيرِ غِبَاغِبَةً^(٢)

وقال الطُّرُمَاح: [الخفيف]

وَاتَّخَمَ ابْنُ الْفَلَاةِ فِي طَرَفِ الْجِدِّ لِ وَأَغْيَا عَلَيْهِ مُلْتَحَذُهُ^(٣)

وابنُ الفلاة: الحزباء. والجذل: العود وأصل الشجرة. وقال آخر: [البيسط]

أَتَى أُتِيحَ لَهُ حِزْبَاءٌ تَنْضَبَةُ لَا يُزِيلُ السَّاقَ إِلَّا مُمَسِّكًا سَاقًا^(٤)

(١) للحكم بن عبدل في الحماسية ٤٥٠، وتاج العروس (وقع)، واللسان (وقع).

(٢) لذي الرمة في ديوانه ٤٧، وبلا نسبة في اللسان (غيب)، والمخصص (غيب)، وصدرة:

«إِذَا جَعَلَ الْحِرْبَاءُ يَبِيضُ رَأْسُهُ»

(٣) للطرماح في ديوانه ٢٠٨، والمخصص ١٣: ٢٠٠.

(٤) لأبي دؤاد الإيادي في ديوانه ص ٢٣٦ واللسان (حرب)، وللحارث بن دوسر في المستقصى

تَنْضُبَّةٌ: شجرة. والجِزْءُ يَسْتَقْبِلُ الشَّمْسَ فَيَدُورُ مَعَهَا فِي سُوقِ الْأَشْجَارِ.

وقوله: «جَعَلَ الْجِزْءُ» بِمَعْنَى طِفْقٍ.

وقوله: «لَا يُزِيلُ السَّاقَ» مَثَلٌ لِلْمُلْجِفِ الَّذِي لَا يَقْضِي حَاجَةً إِلَّا سَأَلَ أُخْرَى.

٨٥٨ - آخر: [البسيط]

١ - أَلَا فَتَى عِنْدَهُ خُفَّانٍ يَخْمِلَانِي عَلَيْهِمَا إِنَّنِي شَيْخٌ عَلَى سَفَرٍ

٢ - أَشْكُو إِلَى اللَّهِ أَخْوَالَ أُمَارِسُهَا مِنْ الْجِبَالِ وَأَنِّي سَيِّءُ النَّظَرِ

٣ - إِذَا سَرَى الْقَوْمُ لَمْ أَبْصِرْ طَرِيقَهُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ ضَوْءٌ مِنَ الْقَمَرِ

يُرَوَّى «إِنِّي شَيْخٌ عَلَى سَفَرٍ» بِكسر الهمزة على الاستئناف، وَيُرَوَّى «أَنِّي» بِفَتْحِ الهمزة، وَالْمَعْنَى لِأَنِّي شَيْخٌ.

وقوله: «لَمْ أَبْصِرْ طَرِيقَهُمْ»، يَرِيدُ أَنَّهُ لَا جَادَّةَ فِي بِلَادِهِمْ. وَهَذَا خِلَافُ قَوْلِ الْآخَرِ: [البسيط]

..... تَرَى لِلسَّائِلِينَ إِلَى أَبْوَابِهِ طُرُقًا^(١)

كَأَنَّهُ عَيَّرَهُمْ مَتَمَلِّحًا.

٨٥٩ - وَقَالَتْ جَارِيَةٌ فِي جَارِيَةٍ تَسُبُّهَا^(٢): [السريع]

١ - سُبِّي أَبِي سَبَّكَ لَنْ يَضِيرَ

٢ - إِنْ مِمِّي قَوَافِيَا كَثِيرَ

٣ - يَنْفَخُ مِنْهَا الْمِسْكُ وَالذَّرِيرَةُ

يُرَوَّى: «سَبَّكَ لِي بَصِيرَ». وَإِذَا رُوِيَ «سَبَّكَ لِي بَصِيرَةَ» يَرْتَفِعُ سَبَّكَ بِالْإِبْتِدَاءِ. وَتَنْصَبُ سَبَّكَ عَلَى الْمَصْدَرِ، أَيِ كَمَا تَسْبِيئُنِي، فَسُبِّي أَبِي أَيْضًا، وَ«بَصِيرَةَ» عَلَى النَّدَاءِ.

(١) روى التبريزي البيت كاملاً:

«قد جعل المبتغون الخير في هرم
وهذا البيت لزهير.

(٢) التبريزي: «وقالت جارية في نساء يتسابين».

٨٦٠ - وقالت أخرى:

[السريع]

١ - إِنَّ أَبَاكَ زَهْرَقَ دَقِيْقُ

٢ - لَا حَسَنَ الْوَجْهِ وَلَا عَتِيْقُ

٣ - تَضْحَكُ مِنْ طُرْطُبِهِ الْعُنُقُ

الزُّهْرَعَقُ: اللَّثِيمُ الدَّقِيْقُ الْحَسَبُ. والعَتِيقُ: الكريم الرائع مِنْ كُلِّ شَيْءٍ. والفعل منه عَتَقَ عِتْقًا. والطُّرْطُبُ: صوت الرّاعي إِذَا سَكَنَ مِعْرَاهُ. والعُنُقُ: إِنَاثُ أَوْلَادِ المعزى، أَي كَأَنَّهَا تُسَرُّ لِفَعْلَتِهِ تِلْكَ. وَيُرْوَى: «تَضْحَكُ مِنْ طُرْطُبِهِ الْعَبُوقُ»، وذكر أَنَّ المخاطَبَ كَانَ لِنَدِيهِ حَلْمَةٌ طَوِيلَةٌ - وَالضَّرْعُ الطَّوِيلُ يُقَالُ لَهُ الطُّرْطُبُ - وَأَنَّ الْعَبُوقَ امْرَأَةٌ، يَرِيدُ أَنَّهَا تَسْخَرُ مِنْهُ وَتُعْجِبُهَا خِلْقَتُهُ.

٨٦١ - وقالت أخرى:

[مشطور الرجز]

١ - يَا رَبِّ مَنْ عَادَى أَبِي فَعَادِهِ

٢ - وَازِمٍ بِسَهْمَيْنِ عَلَى فُؤَادِهِ

٣ - وَاجْعَلْ جِمَامَ نَفْسِهِ فِي زَادِهِ

٨٦٢ - وقالت أم النخيف^(١):

[الطويل]

- | | |
|---|--|
| ١ - لَعَمْرِي لَقَدْ أَخْلَفْتَ ظَنِّي وَسُؤْتَنِي | فَحَزَنَتْ بِعِضْيَانِي التَّدَامَةَ فَاضْبِرِ |
| ٢ - وَلَا تَكْ مِطْلَاقًا مَلُومًا وَسَامِحِ الْ- | قَرِينَةَ وَافْعَلْ فِعْلَ خُرٍّ مُشْهَرِ |
| ٣ - فَقَدْ حُزْتُ بِالْوِزْهَاءِ أَخْبَتَ خِبْنَةَ | فَدَغَ عَنَّا مَا قَدْ قُلْتَ يَا سَعْدُ وَاخْذِرِ |
| ٤ - تَرَبُّصَ بِهَا الْأَيَّامِ عَلَّ صُرُوفَهَا | سَتَرَمِي بِهَا فِي جَاوِحٍ مُتَسَعِّرِ |
| ٥ - فَكَمْ مِنْ كَرِيمٍ قَدْ مَنَاهُ إِلَهُهُ | بِمَذْمُومَةِ الْأَخْلَاقِ وَاسِعَةِ الْحَرِ |
| ٦ - فَطَاوَلَهَا حَتَّى أَتْنَهَا مَنِيَّةُ | فَصَارَتْ سَفَاةَ جُثْوَةٍ بَيْنَ أَقْبَرِ |
| ٧ - فَأَعْقَبَ لَمَّا كَانَ بِالصَّبْرِ مُغْصِمًا | فَنَاءَ تَمَشَّى بَيْنَ إِنْثَى وَمِثْرٍ |
| ٨ - مُهْفَهْفَةً الْكَشْحَيْنِ مَخْطُوطَةَ الْحَشَا | كَهَمَّ الْفَتَى فِي كُلِّ مَبْدَى وَمَخْضَرٍ ^(٢) |

(١) التبريزي: «وهو سعد بن قرط أحد بني جذيمة، وكان تزوج امرأة نهته أمه عنها».

(٢) التبريزي: «مخطومة المطا».

٩ - لَهَا كَفَلٌ كَالدَّغَصِ لَبْدُهُ الشَّرَى وَتَغَرَّ نَقِيٌّ كَالْأَفَاحِي الْمُنُورِ^(١)

كَأَنَّ الْمُخَاطَبَ كَانَ تَزَوَّجَ بِامْرَأَةٍ لَمْ تَرْضَها لَهُ، فَلَمْ تَحْمَدِ الْعَاقِبَةَ، فَأَخَذَتْ تَوْبُخَهُ فِي الْخِلَافِ عَلَيْهَا، وَالْعَصِيانِ لَهَا، وَتَشِيرَ عَلَيْهِ بِمَصَابِرَتِهَا وَإِنْ لَمْ يَسْتَوْقِفْهَا مَتَنَظِّرًا رُزْبَ الزَّمَانِ وَأَحْدَاثِهِ فِيهَا. فَقَالَتْ: عَامِلُهَا مَعَامِلَةُ الْأَحْرَارِ الْكَرَامِ، فَلَا تَطْلُقْهَا وَإِنْ تَكُ قَدْ حُزَّتْ بِهَا وَرَهَاءَ، وَهِيَ الْحَمَقَاءُ. وَأَصْلُ الْوَرَةِ الْخُزْقُ فِي كُلِّ عَمَلٍ. وَيُقَالُ: تَوَرَّهَ الرَّجُلُ فِي عَمَلِهِ. وَقَوْلُهَا: «أَخْبَثَ خِبْنَةً» فَالْخَبِيثُ نَعْتٌ كُلُّ فَاسِدٍ، وَكَذَلِكَ الْخَابِثُ. وَقَدْ اسْتَعْمِلَ الْخِبْنَةَ فِي الْعَجُوزِ أَيْضًا. وَالْأَخْبَثَانِ: الْبَخْرُ وَالسَّهَرُ، وَقِيلَ: الرُّجُوعُ وَالْبَوْلُ.

وقولها: «دَع عَنْكَ مَا قَدْ قُلْتَ»، كَأَنَّهُ كَانَ هَمٌّ بِمُبَايِنَتِهَا فَأَنْكَرَتْ ذَلِكَ وَقَالَتْ: تَرْتَبِضُ بِهَا. وَالْجَاحِمُ: النَّارُ الشَّدِيدَةُ التَّأْجُجِ. وَمِنْهُ جَاحِمُ الْحَرْبِ، وَجَحِمَتِ النَّارُ وَالْحَرْبُ جَحْمَةً: اشْتَدَّتْ. وَالسَّفَاةُ: الثَّرَابُ. وَالْجُثُوءَةُ: الْكُبَّةُ مِنْهُ. وَالْإِثْبُ: الدُّزْعُ. وَأَعْصَمَ مِنَ الشَّرِّ وَاعْتَصَمَ: التَّجَأَ وَامْتَنَعَ. مَحْطُوطَةُ الْحَشَا، أَيْ أَنَّهُ قَدْ صُقِلَتْ بِالْمِحْطِ، وَهُوَ مَا يُحِطُ بِهِ السِّيفُ وَالْجِلْدُ. وَالْمُهْفَهْفَةُ: الْخَمِيصَةُ الْبَطْنِ الدَّقِيقَةُ الْخَضِرُ.

وقولها: «كَهَمُّ الْفَتَى» أَيْ كَمَا يَهْوَاهُ وَيَهْمُ بِهِ حَيْثَمَا تَصَرَّفَ. وَالذَّغَصُ: الْمَجْتَمِعُ مِنَ الرَّمْلِ. وَلَبْدُهُ: صُلْبُهُ. يَعْنِي أَنَّ لَحْمَهَا فِي تَرَاقِيهِ وَاسْتَنَازِهِ كَذَلِكَ.

٨٦٣ - وَقَالَ أَبُو الطَّمْحَانِ الْأَسَدِيُّ^(٢): [الطويل]

- ١ - وَبِالْجَبْرِ الْبَيْضَاءِ شَنِخٌ مُسَلِّطٌ إِذَا حَلَفَ الْإِيمَانُ بِاللَّهِ بَرَّتْ
- ٢ - لَقَدْ حَلَقُوا مِنْهَا غُدَاقًا كَأَنَّهُ عَنَاقِيدُ كَرْمٍ أَيْنَعَتْ فَاسْبَكْرَتْ
- ٣ - فَظَلَّ الْعَذَارَى يَوْمَ تَخْلُقُ لِمَنِي عَلَى عَجَلٍ يَلْقُظْنَهَا حَيْثُ خَرَّتْ

(١) التبريزي: «لَبْدُهُ الندي». وبعده عند التبريزي: «وقال سعد، وليس من الكتاب: [البسيط]

يا ليت ما أمتنا شالت نعماتها
تلتهم الوَسَقَ مشدودًا أشظته
كانما وجهها قد طلي بالقار
لا بربيا ولو قاطط بذى قار

(٢) التبريزي: «وحلقه صاحبه شرطة يوسف بن عمر» وقد سبقت ترجمته في الحماسية (٤٧٨).

بَرَّتَ اليمِينُ بَرًّا، وهي بازّة وبَرَّةٌ، وأبررتها أنا. قال:

إِنِّي حَلَفْتُ عَلَى يَمِينِ بَرَّةٍ^(١)

ويقال: يَنَعَتِ الثمرة، إِذَا نَضِجَتْ، وَأَيْنَعَتْ أَيضًا. واسبكرت: استرخت ولانت. وخَزَّت: سَقَطَتْ خُرُورًا. وخَزَّ الماءُ خَرِيرًا. شَبَّهَ الشَّعْرَ فِي طُولِهِ وَلِينِهِ وَلَوْنِهِ بِعِنَاقِيدِ مِنَ الْكَزْمِ اسْتَرْسَلَتْ.

وقوله: «لقد حلَّقُوا منها»، أي من الهامة. والغُذاف: الأسود، ووُصِفَ به الغُرَابُ لذلك. وظَلَّ العذارى، بمعنى صار. وإنما التقطن لِمَتَّهَا لحسنها ولَوَلوعِها بها من قَبْلِ.

(١) للراعي في جمهرة أشعار العرب ١٧٢، وعجزة:
«لا أكذب اليوم الخليفة قبيلا»

بَابُ مَذَمَّةِ النِّسَاءِ

٨٦٤ - قال بعضهم: [الطويل]

- ١ - دِمَشْقُ خُذِيهَا وَاعْلَمِي أَنَّ لَيْلَةَ تَمُرُّ بِعُودِي نَعِشِهَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ^(١)
٢ - أَكَلْتُ دَمًا إِنْ لَمْ أَرْغِكِ بِضُرَّةٍ بَعِيدَةٍ مَهْوَى الْقَرْطِ طَيِّبَةِ النَّشْرِ^(٢)

أظهر التضجر بها وبالكون معها، وطلب الخلاص منها، وبعث البلدة على أخذها وقبضها إلى نفسها. وقوله: «تَمُرُّ بِعُودِي نَعِشِهَا» إِنْ جَعَلْتَ الْفِعْلَ لِدِمَشْقٍ اقتضى أن يكون في قوله تَمُرُّ بِعُودِي نَعِشِهَا ضمير يرجع إلى ليلة، والمراد تمرُّ بِعُودِي نَعِشِهَا فِيهَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ. فَإِنْ جَعَلْتَ الْفِعْلَ لِلَّيْلَةِ يَكُونُ الْمَعْنَى أَنَّ اللَّيْلَةَ الَّتِي تَمُوتُ فِيهَا أَوْ تُمِيتُهَا تَحُلُّ مِنْهَا فِي عِظَمِ مَوْقِعِهَا مُحَلُّ لَيْلَةِ الْقَدْرِ الَّتِي هِيَ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرِ لَيْسَ فِيهَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ. وجاء في الخبر أنه إِنَّمَا عَظُمَ مَوْقِعُهَا لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَنْزَلَ فِيهَا جَمْلَةَ الْقُرْآنِ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا، ثُمَّ أَنْزَلَ مِنْهَا نَجُومًا شَيْءٌ بَعْدَ شَيْءٍ عَلَى مَا عَرَفَ مِنَ الْمَصْلُحَةِ فِيهِ.

وقوله: «أَكَلْتُ دَمًا» يَجْرِي مَجْرَى الْيَمِينِ، وَإِنْ كَانَ لَفْظُهُ لَفْظَ الدُّعَاءِ. وَأَكَلُ الدَّمِ يَسُوغُ عِنْدَ الْإِسْفَاءِ عَلَى الْهَلَكَةِ وَجَهْدِ الْبَلَاءِ فِي الْإِعْوَاظِ. وَالْمَعْنَى: إِنْ لَمْ أَفْزَعْكَ

(١) البيت في الحماسة البصرية ٢: ٣٠٨ بلا نسبة.

(٢) التبريزي: «وأنشد أبو ريش:

«أَمَّا لَكَ عَمْرٌ إِنَّمَا أَنْتَ حَيَّةٌ إِذَا هِيَ لَمْ تُقْتَلْ تَعِشْ آخِرَ الدَّهْرِ
ثَلَاثِينَ حَوْلًا لَا أَرَى مِنْكَ رَاحَةً لَهْئِكَ فِي الدُّنْيَا لَبَاقِيَةُ الْعَمْرِ
دِمَشْقُ خُذِيهَا لَا تَفْشُكِ فَلَيلَةٌ يُرَاحُ بِفُودِي نَعِشِهَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ
فَإِنْ أَنْفَلْتُ مِنْ عَمْرٍ صَعِبَةً سَالِمًا تَكُنْ مِنْ نِسَاءِ النِّسَاءِ لِي بِيضَةُ الْعَمْرِ

هذه الهاء من (لَهْئِكَ) بدل من همزة إِنْ في قول البصريين، وقال غيرهم: هي في معنى إِنْكَ.

بأن أتزوج بامرأة حسنة السَّالفة، طيبة الرائحة، فابتلاني الله تعالى بما يحلُّ معه أكلُ الدَّم.

٨٦٥ - آخر: [الطويل]

١ - سَقَى اللهُ دَارًا فَرَّقَ الدَّهْرُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ فِيهَا وَابِلًا سَائِلُ الْقَطْرِ
٢ - وَلَا ذَكَرَ الرَّحْمَنُ يَوْمًا وَلَيْلَةً مَلَكْنَاكِ فِيهَا لَمْ تَكُنْ لَيْلَةَ الْبَدْرِ

دعا للدار المفرقة بينهما بالسُّقيا الغزيرة وعلى ما جمَعَ بينهما من أيام الدهر ولياليها بمنعها الخير، وجرمانها الحيا والقطر، ثم قال: «فيها» فردَّ الضمير على أحدهما واختار الأقرب، إذ عُلِمَ أنَّ المعطوف والمعطوف عليه يستويان في الإخبار. ومثله قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبة: الآية ٣٤]. وقوله: «لم تكن ليلة البدر» من صفة الليل، أي كانت تلك الليلة مظلمة لا نور فيها ولا سُعود. ومعنى «ولا ذكر الرحمن»، أي لا تعطف عليها، ولا قَسَم لها خيرًا.

٨٦٦ - وقال آخر في امرأتين تزوج بهما^(١): [مرقل الكامل]

١ - رَحَلْتُ أَنْيَسَةً بِالطَّلَاقِ وَعَتَقْتُ مِنْ رِقِّ الْوَثَاقِ
٢ - بَائِثٌ فَلَمْ يَأْلَمْ لَهَا قَلْبِي وَلَمْ تَبْكِ الْمَاقِي
٣ - وَدَوَاءٌ مَا لَا تَشْتَهِيهِ الْخُفْسُ تَعَجِيلُ الْفِرَاقِ
٤ - لَوْ لَمْ أُرَخْ بِفِرَاقِهَا لَأَرَحْتُ نَفْسِي بِالْإِبَاقِ
٥ - وَخَصَيْتُ نَفْسِي لَا أَرِي دُحْلِيلَةً حَتَّى التَّلَاقِ

يريد: طَلَّقْتُهَا فَبَانَتْ مِنِّي وَفَارَقْتَنِي، فَصِرْتُ حُرًّا عَتِيقًا. ومعنى «رِقِّ الْوَثَاقِ»، يريد أنني كُنْتُ كَالْمَوْثُقِ الْأَسِي فَفَكَكْتُ وَثَاقِي، وَجَعَلْتُ الْبِكَاءَ لِلْمَاقِي مَجَازًا، وَهُوَ جَمْعُ الْمُوقِي عَلَى وَزْنِ الْمُغْفِي، وَهُوَ طَرَفُ الْعَيْنِ الَّذِي يَلِي الْأَنْفَ، وَهُوَ مَخْرَجُ الدَّمْعِ، فَلِذَلِكَ جَعَلَ الْفِعْلَ لَهَا. وَفِي هَذِهِ اللَّفْظَةِ عِدَّةُ لُغَاتٍ: مَاقٍ عَلَى وَزْنِ الْمَغَقِّ وَجَمْعُهُ آمَاقٌ، وَمَاقٍ عَلَى زَنْةٍ قَاضٍ وَالْجَمِيعُ مَوَاقٍ. وَحَكَى أَبُو زَيْدٍ مَاقِيَّ وَالْجَمْعُ

(١) التبريزي: «في امرأة طَلَّقَهَا».

مواقىء. وقال امرؤ القيس في المآقي: [المتقارب]

شُقَّتْ مَاقِيهِمَا مِنْ أَخَرِ^(١)

وحكى يعقوب (في المنطق^(٢)) عن الفراء، أنه ليس في كلام العرب مَفْعِلٌ بكسر العين إلا حرفان: مَاقِي العَيْن، وَمَأْوِي الإِبِل، وهذه اللَّفْظَةُ على اختلاف اللُّغات قد عَمِلَتْهَا مَسْأَلَةٌ، وَتَكَلَّمْتُ فِي وُجُوهِهَا، وَبَيَّنْتُ خَطَأَ مَنْ وَزَنَ مَاقِي العَيْنَ بِمَفْعِلٍ بكسر العين. وقوله: «تَعْجِيلُ الْفِرَاقِ»، يريد تَعْجِيلَ فِرَاقِهِ، فَجَعَلَ اللَّفْظَ عَامًّا، وَالْمُرَادُ الْخَاصُّ، وَعَلَى هَذَا قَوْلُهُ: «مَنْ رَقَّ الْوَثَاقِ»، يَرِيدُ وَثَاقِهَا. وَالْإِبَاقُ: الْهَرَبُ. وَالرَّاحَةُ: وَجْدَانُكَ الرُّوحَ بَعْدَ مَشَقَّةٍ. وَمَا لَكَ رَوَاحٍ، أَي رَاحَةٍ. وَالتَّرَاوِيحُ فِي رَمَضَانَ مِنْهُ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُمْ: تَرَاوَحْتُهُ الْأَمْطَارُ، وَأَفْعَلْتُ ذَلِكَ فِي سَرَاحٍ وَرَوَاحٍ. وَالْحَلِيلَةُ: الزَّوْجَةُ، سَمِيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا تُحَالُ بَعْلَهَا، أَي تُنَازِلُهُ وَتِنَازِلُهَا. وَقَوْلُهُ: «حَتَّى الثَّلَاثِي»، أَي إِلَى وَقْتِ ثَلَاثِي الْخَلْقِ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

وَانْعَظْ «وَحْصَيْتُ» عَلَى قَوْلِهِ: «لَأَرْحُتُ نَفْسِي». وَمَوْضِعٌ لَا أَرِيدُ نَصَبَ عَلَى الْحَالِ، وَالْعَامِلُ فِيهِ خَصَيْتُ.

٨٦٧ - وقال آخر:

- ١ - أَلَيْمٌ بِجَوْهَرٍ بِالْقُضْبَانِ وَالْمَدْرِ وَبِالْعِصِيّ التِّي فِي رُوسِهَا عُجْرُ
٢ - أَلَيْمٌ بِهَا لَا لِتَسْلِيمٍ وَلَا مِقَّةٍ إِلَّا لِيَكْسَرَ مِنْهَا أَنْفَهَا الْحَجَرُ
٣ - أَلَيْمٌ بِوُطْبَاءٍ فِي أَشْدَاقِهَا سَعَةٍ فِي صُورَةِ الْكَلْبِ إِلَّا أَنَّهَا بَشَرُ
٤ - حَذْبَاءُ وَفَصَاءُ صِبْغَتُ صِبْغَةٍ عَجَبًا وَفِي تَرَائِبِهَا عَنْ صَدْرِهَا زَوْرُ

الإلمام: الزُّبَارَةُ الْخَفِيفَةُ، وَالْبَاءُ مِنْ قَوْلِهِ: «بِجَوْهَرٍ» تَعَلَّقَ بِهِ. وَقَوْلُهُ: «بِالْقُضْبَانِ» أَيِ الْقُضْبَانِ مَعَكَ، وَهَذَا كَمَا يُقَالُ: خَرَجَ بِسِلَاحِهِ، أَيِ وَالسِّلَاحَ عَلَيْهِ، وَالْعُجْرُ: جَمْعُ عُجْرَةٍ، وَهِيَ الْعُقْدَةُ، وَخَيْطُ عُجْرٍ وَعَصَا عُجْرَاءَ: فِيهِمَا عُقْدٌ. وَقَالُوا فِي رُوسِ جَمْعِ رَأْسٍ، لِأَنَّهُ جَمْعُ فَعْلًا عَلَى فَعُلَ، كَقَوْلِهِمْ سَفَفٌ وَسُقْفٌ، وَرَهْنٌ وَرَهْنٌ.

(١) لَامِرُ الْقَيْسِ فِي دِيْوَانِهِ ١٦٦، وَاللِّسَانُ (أَخْرَجَ، بَدَرَ، حَدَرَ)، وَدِيْوَانُ الْأَدَبِ ١: ١٣٨ وَصَدْرُهُ: «وَعَبَّرَ لَهَا حَذْرَةً بِدَرَةٍ»

(٢) يَرِيدُ كِتَابَهُ «إِصْلَاحُ الْمَنْطِقِ» انْظُرْ ص ١٣٧.

وقد أَقْوَى فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ، فَهُوَ أَقْبَحُ.

وقال: «في أشداقها» جمعًا على ما حواليه، كما يقال هو ضَخَمَ الْعَثَانِينَ. وَالْوُطْبَاءُ: الْعَظِيمَةُ الثَّدْيَيْنِ، وَهِيَ فَعْلَاءٌ وَلَا أَفْعَلٌ لَهَا. وَمِثْلُهُ دِيمَةٌ هَطْلَاءٌ، وَالْحَلَوَاءُ. وَقَدْ مَرَّ نَظِيرُهُ. وَقَوْلُهُ: «إِلَّا أَنَّهَا بَشَرٌ»، الْبَشَرُ يَقَعُ عَلَى الْوَاحِدِ وَالْجَمْعِ، وَيتناول الْإِنْسَ دُونَ سَائِرِهِ. وَالْوَقْصَاءُ: الْقَصِيرَةُ الْعُنُقُ. وَالتَّرَاتِبُ: جَمْعُ التَّرِييَةِ، وَهِيَ مَوْضِعُ الْفِلَادَةِ. وَإِنَّمَا يَصِفُ اعْوَجَاجَهَا فِي خِلْقَتِهَا وَهَزَالِهَا.

٨٦٨ - آخر: [البسيط]

- ١ - تَمَثَّتْ عُبَيْدَةُ إِلَّا فِي مَحَاسِنِهَا وَالْمِلْحُ مِنْهَا مَكَانُ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ^(١)
٢ - قُلْ لِلَّذِي عَابَهَا مِنْ عَائِبٍ حَقِي أَقْصِرْ فَرَأْسُ الَّذِي قَدْ عِيبَ وَالْحَجَرُ^(٢)

قوله: «تَمَثَّتْ عُبَيْدَةُ إِلَّا فِي مَحَاسِنِهَا»، أَطْلَقَ الْقَوْلَ بِتَمَامِهَا، ثُمَّ اسْتَنَى الْمَحَاسِنَ مِنْ خِصَالِهَا، فَخَلَصَ التَّمَامُ فِي الْمَقَابِحِ لَا غَيْرَ. وَقَوْلُهُ: «وَالْمِلْحُ مِنْهَا مَكَانُ الشَّمْسِ»، لِكَ أَنْ تَنْصَبَ مَكَانَ عَلَى الظَّرْفِ، يَرِيدُ أَنَّ الْمِلْحَ بَعِيدٌ، فَهُوَ فِي السَّمَاءِ، وَلِئِنْ أَنْ تَرْفَعَهُ كَمَا تَقُولُ: هُوَ مِثْلُ فَرَسَخَانٍ، فَتَجْعَلَ الْمِلْحَ مِنْهَا نَفْسَ السَّمَاءِ، كَمَا تَجْعَلُ الْمُخْبَرِ عَنْهُ فِي قَوْلِكَ: هُوَ مِثْلُ نَفْسِ الْفَرَسَخَيْنِ، وَعَلَى هَذَا يَنْعُطُ قَوْلُهُ: «وَالْقَمَرُ»، فَإِنَّمَا أَنْ تُجَرِّيَ عَلَى مَوْضِعِ مَكَانٍ وَقَدْ نُصِبَ لِأَنَّهُ وَهُوَ ظَرْفٌ فِي مَوْضِعِ الرُّفْعِ، وَإِنَّمَا أَنْ تُجَرِّيَ عَلَى لَفْظِ مَكَانٍ وَقَدْ رُفِعَ لِأَنَّهُ يَصِحُّ أَنْ يُقَالَ الْمِلْحُ مِنْهَا الْقَمَرُ كَمَا يَصِحُّ أَنْ يُقَالَ الْمِلْحُ مِنْهَا مَكَانُ الْقَمَرِ. وَإِذَا جَرَرْتَ «وَالْقَمَرُ» كَانَ مَعْطُوفًا عَلَى الشَّمْسِ، وَيَكُونُ الشَّاعِرُ مُقْوِيًا فِي الْبَيْتِ الَّذِي بَعْدَهُ.

وقوله: «فَرَأْسُ الَّذِي قَدْ عِيبَ»، أَيِ رَأْسِ الْإِنْسَانِ الَّذِي قَدْ عِيبَ، لِذَلِكَ لَمْ يَقُلْ فَرَأْسَ التِّي. وَعُطِفَ الْحَجَرُ عَلَى الرُّأْسِ عَلَى أَحَدٍ وَجْهَيْنِ: إِمَّا أَنْ يَرِيدَ رَأْسَهُ وَالْحَجَرُ مَقْرُونَانِ عَلَى طَرِيقِ الدُّعَاءِ لَا عَلَى طَرِيقِ الْإِخْبَارِ، فَحَذَفَ الْخَبَرَ لِأَنَّ الْمُرَادَ مَفْهُومٌ. وَهَذَا كَمَا يُقَالُ: كُلُّ أَمْرٍ شَأْنُهُ. وَإِنَّمَا أَنْ يَرِيدَ بِالْوَاوِ مَعْنَى مَعٍ، كَأَنَّهُ قَالَ رَأْسَهُ مَعَ الْحَجَرِ، وَحَيْثُ نَذَرَ يَكُونُ الْخَبَرُ فِي الْوَاوِ، وَهَذَا يَكُونُ كَقَوْلِهِمُ: الرِّجَالُ وَأَعْضَادُهَا، وَالنِّسَاءُ وَأَعْجَازُهَا، لِأَنَّ الْمُرَادَ الرِّجَالُ بِأَعْضَادِهَا وَالنِّسَاءُ بِأَعْجَازِهَا. وَإِنَّمَا

(٢) التبريزي: «قد عبت».

(١) التبريزي: «إلا من محاسنها».

قال: «قُلْ لِلَّذِي عَابَهَا مِنْ عَائِبٍ حَقٌّ» تخفيفًا لِقُبْحِهَا وتسليةً لانتهاه عَيْبِهَا. وَالْحَقُّ: أَشَدُّ الْعَيْظِ.

٨٦٩ - وقال آخر:

- ١ - لَا تَتَكَبَّرَنَّ الدَّهْرَ مَا عِشْتَ أَيَّامًا مُجَرَّبَةً قَدْ مَلَّ مِنْهَا وَمَلَّتِ^(١)
 - ٢ - تَحْكُ قَفَاهَا مِنْ وَرَاءِ خِمَارِهَا إِذَا فَقَدْتَ شَيْئًا مِنَ الْبَيْتِ جُنَّتِ
 - ٣ - تَجُودُ بِرَجُلَيْهَا وَتَمْنَعُ دَرَّهَا وَإِنْ طَلَيْتَ مِنْهَا الْمَوْدَةَ هَرَّتِ
- قوله: «لَا تَتَكَبَّرَنَّ» أراد بالنكاح العقد لا الجماع. والأيم: التي قد مات عنها زوجها. وقد آمت تميم أيمَةً.

وقوله: «قَدْ مَلَّ مِنْهَا وَمَلَّتِ» يريد أنها طَعَنَتْ فِي السِّنِّ، فَقَضَّتْ مَارَبَ الشَّهَوَاتِ وَقَضِيَّتْ مِنْهَا.

وقوله: «تَحْكُ قَفَاهَا مِنْ وَرَاءِ خِمَارِهَا»، أَي تَرَكَّتِ التَّنْظُفَ وَالتَّنَطُّسَ، وَنَسِيَتْ الْحَيَاءَ وَالْأَتْفَةَ، فَرَأَسُهَا تَحْكُهَا دَائِبًا، وَمَحَبَّتُهَا لِلْحَقِيرِ تُجَنِّئُهَا، حَتَّى إِذَا فَقَدْتَ مَا لَا خَطَرَ لَهُ، كَانَ عِنْدَهَا كَالْكَبِيرِ الَّذِي لَا عَوَظَ مِنْهُ.

وقوله: «تَجُودُ بِرَجُلَيْهَا وَتَمْنَعُ دَرَّهَا»، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَثَلًا لِقَلَّةِ خَيْرِهَا، فَشَبَّهَهَا بِالشَّاةِ الَّتِي تُفَاجُ رَجُلَيْهَا، فَإِذَا أُرِيدَ حَلْبُهَا مَنَعَتْ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ أَنَّهَا قَعْدَتْ عَنِ الْوِلَادِ فِيهِ تُسَاعِدُ فِي الْجَمَاعِ وَلَا تُحِيلُ وَلَا تَلِدُ.

وقوله: «وَإِنْ طَلَيْتَ مِنْهَا الْمَوْدَةَ هَرَّتِ» يريد أنها لَا يُتَغْنَى عِنْدَهَا مِنْ نَتَائِجِ الْوُدِّ وَأَسْبَابِ الشَّقَقَةِ وَالْحُبِّ شَيْءٌ إِلَّا تَبَحَثَ نَبِيحُ الْكِلَابِ. وَيَجُوزُ أَنْ يَرِيدَ بِهِرَّتِ كَرِهَتْ وَتَقَبَّضَتْ.

٨٧٠ - آخر:

- ١ - لِأَسْمَاءَ وَجْهَ بِذَعَةٍ مِنْ سَمَاجَةٍ يُرْعَبُنِي فِي نَيْكِ كُلِّ أَنْانٍ
- ٢ - بَدَا فَبَدَتْ لِي شُقَّةٌ مِنْ جَهَنَّمَ فَقُمْتُ وَمَالِي بِالْجَحِيمِ يَدَانِ
- ٣ - وَغَادَزْتُ أَصْحَابِي الَّذِينَ تَخَلَّفُوا بِمَا شِيتَ مِنْ خِزْيٍ وَطُولِ هَوَانِ
- ٤ - وَمَا كُنْتُ أَدْرِي قَبْلَهَا أَنَّ فِي النَّسَاءِ جَحِيمًا أَرَاهَا جَهْرَةً وَتَرَانِي

(١) التبريزي: «مُخَرَّمَةٌ».

قوله: «بدا» الفعل للوجه، وشُقَّة، أي قِطعة. ولك أن ترويه بكسر الشين، فيكون كصِرْمَة وكِسرة وجذوة وقِطعة وفِذرة، ولك أن تضمَّ الشين فيكون كالشُعْبَة والعُجْرة والعُقْدة؛ فاروِه كيف شئت. وقوله: «فَقمت ومالي بالجحيم يدان» أي تهيأت للهَرَب منها، إذ لم يكن لي طاقة بالصُّبر عليها، ولا قُوَّة في ملاقاتها.

وقوله: «وغادرتُ أصحابي» كأنه شايعه في التَّهَضُّة قَوْمٌ وتخلَّف عنه قوم، فقال: مَنْ تَخَلَّف عَنِّي كانت حاله على ذلك.

٨٧١ - آخر: [البسيط]

- ١ - لَا تَنْكِحَنَّ عَجُوزًا إِنْ أَتَيْتَ بِهَا وَاخْلَعْ ثِيَابَكَ مِنْهَا مُمِيعًا هَرَبًا
 - ٢ - فَإِنْ أَتَوْكَ وَقَالُوا إِنَّهَا نَصَفُ فَإِنْ أَمَثَلَ نِصْفَيْهَا الَّذِي ذَهَبَا^(١)
- المراد بالنِّكاح العَقْد ههنا، وفي القرآن: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنٍ وَتِلْكَ وَرِثَةُ﴾ [النساء: الآية ٣]. وقوله: «واخلع ثيابك» يجوز أن يكونَ مثل قول امرئ القيس: [الطويل]

فَسَلِّي ثِيَابِي مِنْ ثِيَابِكَ تَنْسُلِ^(٢)

وكما يقال ضَمَّ إليك من كذا جَنَاحَكَ. ويجوز أن يريد به تَشَمَّرُ وتَخَفَّفُ واخرج من مَسْكِكَ. ومعنى «منها» أي من أجلها. ونَصَب «ممِيعًا» على الحال. ويقال: أَمَعَنَ في السَّير، إِذَا أَبْعَدَ. وَ«هَرَبًا» يريد هَارِبًا. وَإِنَّمَا سَامَهُ مَا سَامَهُ لِيَكُونَ أَخْفَ سِيرًا وَأَسْرَعَ حَرَكًَا.

وقوله: «فإنَّ أَمَثَلَ نِصْفَيْهَا» أي أصلحهما، ويقال: فلانُ أَمَثَلُ من فلان، أي هو أدنى منه إلى الخَيْر. وأماثل القوم: خيارهم.

٨٧٢ - آخر^(٣): [البسيط]

- ١ - رَقْطَاءُ حَذْبَاءُ يُبْدِي الْكِبْدَ مَضْحَكُهَا قَنَوءٌ بِالْعَرَضِ وَالْعَيْنَانِ بِالطُّولِ

(١) التبريزي: «وان أتوك فقالوا».

(٢) هذا عجز بيت من معلقته وصدرة:

«وان تَكُ قد ساءتلك في خَلِيقَةً»

(٣) لدعبل الخزاعي في ديوانه ٢٦٩.

- ٢ - لَهَا قَمٌّ مُلْتَقَى شَذَقِيهِ نُقِرْتُهَا كَأَنَّ مِشْفَرَهَا قَدْ طُرَّ مِنْ فِيلٍ
 ٣ - أَسْنَانُهَا أَضْعِفَتْ فِي خَلْقِهَا عَدَدًا مُظْهِرَاتٍ جَمِيعًا بِالرَّوَاوِيلِ
 الرُّقْطَاءُ: المنقُشة بالبرش. والقَنَا: طول الأنف، وإذا كَانَ بِالْعَرَضِ كَانَ كَأَنفِ
 الْخِزِيرِ.

وقوله: «ملتقى شذقيه نُقِرْتُهَا»، أراد أنها لسعةٍ فيها يلتقيان عند نُقْرة القفا.
 ومعنى طُرَّ قُطِعَ. وقوله: «مُظْهِرَاتٍ جَمِيعًا بِالرَّوَاوِيلِ» أي جعل لها ظهارةً كما يُجَعَلُ للفرش ظهارة،
 وكما قيل من الظهارة ظُهِرَ قِيلَ مِنَ الْبِطَانَةِ بُطْنٌ، ويجوز أن يكون من قولك هو
 ظَهِيرُكَ أَي مُعِينُكَ. ويقال: بعير مظهرٌ، أي شديد الظهر قويٌّ. والظُّهْرُ: ما غُلِظَ من
 الأرض وارتفع. والظاهرة مثله، وهما ممَّا تقدَّم. والرَّوَاوِيلُ: زوائد على عدد
 الأسنان، والواحد رَاوُولٌ.

٨٧٣ - آخر^(١): [الخفيف]

- ١ - اضْرِمْنِي يَا خِلْقَةَ الْمِجْدَارِ وَصِلْنِي بِطُولِ بُغْدِ الْمَزَارِ
 ٢ - فَلَقَدْ سُمِّنِي بِوَجْهِكَ وَالْوَضِ لِي قُرُوحًا أَغَيْتَ عَلَى الْمِسْبَارِ
 ٣ - ذَقَنْ نَاقِصَ وَأَنْفٍ غَلِيظَ وَجِبِينَ كَسَاجَةِ الْقُسْطَارِ
 ٤ - طَالَ لَيْلِي بِهَا فَبِتُّ أَنَادِي بِالْأَثَارِ مُسْتَضَاءِ النَّهَارِ
 ٥ - قَامَةُ الْقُضْعِلِ الضَّعِيفِ وَكَفَّ خِنْصَرَاهَا كُذَيْنَقَا الْقِصَارِ
 قوله: «يا خِلْقَةَ الْمِجْدَارِ» يريد أنتِ غليظةٌ ثقيلة، فكأنك في غِلَظِ الجدار وثقله،
 وكما قيل من الجدار مجدَّارٌ قيل في الغليظ الثَّقِيل من الجبل مجبال. وقال امرؤ
 القيس: [الطويل]

إِذَا مَا الضُّجِيعُ ابْتَزَّهَا مِنْ ثِيَابِهَا تَمِيلُ عَلَيْهِ هَوْنَةً غَيْرَ مِجْبَالٍ^(٢)

ومِفْعَال من أبنية الآلات، فهو كالمفتاح والمقياس والمذراك، وكان الأصل في
 الجَدْرِ الارتفاع والثَّوُّ. ويقال: جَدَرْتُ الْجِدَارَ. وقال بعضهم: الجُدْرِي منه اشتق.
 والقُرُوح: الجراح. والمِسْبَار: المُلْمُول الذي يَقْدُرُ به الجُرْحُ وَغَوْزُهُ، وهو من
 سَبَرْتُ، وَتَوَسَّعَ فِي اسْتِعْمَالِهِ حَتَّى وُضِعَ مَوْضِعَ جَرَبْتُ. والقُسْطَار: الصَّيْرَفِيُّ،
 وساجته: لَوْحُهُ الَّذِي يَقُومُ عَلَيْهِ كِفَتَا الشَّاهِينَ إِذَا وُزِنَ بِهِ.

وقوله: «يا لثارات» يا حرف النداء، واللام لام الاستغاثة. وإنما يستغيث بمن يَرُدُّ عليه الثَّار.

والفُضْلُ: القصير، والخليلُ أهمله وكذلك الخارَزَنْجِيُّ والدُرَيْدِيُّ. والضَّئِيلُ: الدَّقِيقُ. ورواه بعضهم: «قامة الفضل»، بالفاء، وهو العقرب الصغير، والرجل اللثيم. والمراد أنَّ في أعضائها تفاوُتًا فلا يتلاءم خَلْقُها.

٨٧٤ - آخر^(١): [الطويل]

- ١ - أَلَامٌ عَلَى بُغْضِي لَمَّا بَيْنَ حَيَّةٍ وَضَبُعٍ وَتَمْسَاحٍ تَغْشَاكَ مِنْ بَخْرِ
- ٢ - تُحَاكِي نَعِيمًا زَالَ فِي قُبْحٍ وَجْهَهَا
- ٣ - هِيَ الضَّرْبَانُ فِي الْمَفَاصِلِ خَالِيَا
- ٤ - إِذَا سَفَرَتْ كَانَتْ بَعَيْنِيكَ سُخْنَةً
- ٥ - وَإِنْ حَدَّثَتْ كَانَتْ جَمِيعَ مَصَائِبِ
- ٦ - حَدِيثٌ كَقَلْعِ الضَّرْسِ أَوْ تَنْفٍ شَارِبِ
- ٧ - وَتَفْتَرُ عَنْ قُلُوبٍ عَدِنَتْ حَدِيثَهَا

جَمَعَ بَيْنَ الْحَيَّةِ وَالضَّبُعِ وَالتَّمْسَاحِ، لِأَنَّهُ لَيْسَ يَقْصِدُ التَّشْبِيهَ مِنْ وَجْهِ وَاحِدٍ، وَإِنَّمَا يَرِيدُ التَّشْبِيهَ مِنْ وَجْهِ كَثِيرَةٍ مِنَ الْخَلْقِ وَالْخُلُقِ. وَالتَّمْسَاحُ: الدَّابَّةُ الْمَعْرُوفَةُ، وَالرَّجُلُ الْكَذَّابُ. وَجَاءَ عَلَى هَذَا الْبِنَاءِ شَيْءٌ مِنَ الْأَسْمَاءِ قَلِيلٌ لِأَنَّ الْمَصَادِرَ كُلَّهَا عَلَى تَفْعَالٍ بَفَتْحِ التَّاءِ، إِلَّا حَرْفَيْنِ وَهُمَا تَبَيَّانِ وَتَلْقَاءُ، وَقَدْ حَصَرْتُهَا فِي كِتَابِي الْمُسَمَّى بِـ «عُنْوَانِ الْأَدِيبِ».

وقوله: «تُحَاكِي نَعِيمًا زَالَ»، يَرِيدُ بِهِ الْمَثَلَ السَّائِرَ: «أَقْبَحُ مِنْ زَوَالِ النُّعْمَةِ». يَرِيدُ: تُحَاكِي فِي قُبْحٍ وَجْهَهَا قُبْحُ زَوَالِ النُّعْمَةِ، فَجَعَلَ اللَّفْظَ تَوْشَعًا عَلَى مَا تَرَى، ثُمَّ جَعَلَ جَانِبَهَا وَمَا تُصَافِحُ بِهِ مُلَاقِيَهَا كَسَطْوَةِ الدَّهْرِ. وَالسَّطْوَةُ: الْبَسْطُ عَلَى الْإِنْسَانِ تَقْهَرُهُ مِنْ قَوْقٍ، وَتَقُولُ: سَطَوْتُ بِهِ، وَفِي الْقُرْآنِ: ﴿بِكَادُوتٍ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتَلَوْنَ﴾ [الْحَجَّ: الْآيَةُ ٧٢]. قَالَ الْخَلِيلُ: سُمِّيَ الْفَرَسُ سَاطِيًا لِأَنَّهُ يَسْطُو عَلَى غَيْرِهِ فَيَقُومُ عَلَى رِجْلَيْهِ وَيَسْطُو عَلَى يَدَيْهِ. وَقَوْلُهُ: «هِيَ الضَّرْبَانُ فِي الْمَفَاصِلِ خَالِيَا»، أَيِ

(٢) التبريزي: «كانت لعينك».

(١) لدعلبل في ديوانه ٣٣٧.

إذا خلوث بها كانت خلوثها كمَوَجانِ العُروقِ بالألم في مفاصل المُنْقَرَسِ، وإنْ جذبَها إلى نفسِكَ مرتدياً بها قاسيتَ منها ما يُقاسِي المُبْرَسَمُ من عارضِهِ، وإنْ أَلَقْتَ قِنَاعَهَا سَخِنَتِ العَيْنُ بالنَّظَرِ إليها. كأنَّها إذا تبرَّقَعَتْ تنَاهَى افتقارُكَ من كلِّ منظرٍ يروق، ومَطْلَعُ يُعْجِبُ ويَرُوعُ، في رَدِّ الطَّرْفِ إليها. وقوله: «فالفقرُ في غايَةِ الفقرِ»، أي إذا تنَاهَى الفقرُ، حتَّى لا يكونَ وراءَهُ شيءٌ منه.

والمصائبُ: جمع مُصِيبَةٍ، وهي مُفْعِلَةٌ، وشُبِّهَ مدَّتُها بِمدَّةِ فَعِيلَةٍ، وجمعت جَمَعَهَا، والقياس مصابٍ وقد جاءَ ولكِنَّه في الاستعمالِ دونَ مصائبٍ. وهذا مما شَذَّ في القياسِ، أعني مصائبٍ. ومصابٍ شاذٌّ في الاستعمالِ مُطَرِّدٌ في القياسِ. ومُؤَفَّرَةٌ، أي مكْمَلَةٌ. وقاصمةٌ: كاسرةٌ، أي رَزِيَّةٌ هكذا وداهيةٌ هكذا.

وقوله: «كَحَطَمَ الأنفَ»، الكسرُ للشيءِ اليابسِ. والحُطَامُ، ما تَحَطَّمَ، من ذلك. ورجلٌ حُطِمَ. وعِيلَ به صَبِرِي، أي غَلِبَ. وفي المثل: «عِيلَ ما هو عَائِلُهُ».

وقوله: «عَدِمْتُ حَديقَتَهَا» دعاءٌ لنفسه وعليها، وهو من الحَشْوِ الحَسَنِ. ومثله في الدُّعَاءِ وَحُسْنِ المَوْقِعِ قولُ الآخرِ: [السريع]

إِنَّ الثَّمَانِينَ وَبُلُغَتْهَا قد أَخَوَجَتْ سَمْعِي إِلَى تَرْجُمَانٍ^(١)

وَتَفَتَّرُ، أي تضحك، ومنه فَرَزْتُ الدابةَ. وقوله: «جَبَلَنِي طَيٌّ» يعني أجأً وسَلَمَى، وإنَّما يعني اختلافَ أسنانِها وعِظَمَها.

٨٧٥ - آخر: [الخفيف]

- ١ - لو تَسَمَّيْتَ صَوْتَهُ قُلْتَ هذا صَوْتُ فَرْخٍ فِي عُشِّهِ مَزْزُوقٍ
- ٢ - أَوْ تَأَمَّلْتَ رَأْسَهُ قُلْتَ هذا حَجَرٌ مِنْ حِجَارَةِ المَنْجَنِيْقِ
- ٣ - مُغْمِلٌ قَرَضَ لِخِيَةِ لو تَرَاهَا قُلْتَ عُفْثُونُ هِرَبِذٍ مَخْلُوقٍ^(٢)
- ٤ - لَمْ أَحِبَّهُ أَلَّا يَكُونَ تَقِيًّا مُؤْمِنًا مُبْغِضًا لِأَهْلِ الفُسُوقِ
- ٥ - غَيْرَ أَنِّي أَرَدْتُ أَنْ يَنْظُرَ النَّاسُ سَإِلِي خَلْقِ رَبِّنَا المَخْلُوقِ

(١) لعوف بن محلم في الدرر ٣١: ٤، وطبقات الشعراء ١٨٧، ومعاهد التنصيص ١: ٣٦٩.

(٢) الهربذ: الذي يصلِّي بالمجوس.

مزقوق أي يزقه أبواه زَقًا. قال:

نَسَاقِي الرِّيقِ فِيمَا بَيْنَنَا زَقُ أُمَاتِ الْقَطَا زُغَبِ الْقَطَا

وقوله: «قَلْتُ هَذَا حَجَرٍ»، يريد شَبْهَتَهُ فَقُلْتُ مِنْ كِبَرِهِ: هو حجر المِنْجَنِيْقِ.

والمِنْجَنِيْقِ معرَّبة، وقد اختلف في الفعل منه، فقال بعضهم: الميم زائدة، واحتجَّ بما حكاه التَّوْزِيُّ عن أبي عبيدة، قال: سألت أعرابيًا عن حروبٍ كانت بينهم، فقال: «كانت بيننا حروبٌ عَوْنٌ، تُفَعُّ فِيهَا الْعُيُونُ، مَرَّةً نُمَجِّنُ، وَمَرَّةً نُرْشَقُ». قال: فقولهُ: نُمَجِّنُ دَالٌّ عَلَى أَنَّ الْمِيمَ زَائِدَةٌ، وَلَوْ كَانَتْ أَصْلِيَّةً لَقَالَ نُمَجَّنْتُ. وَإِلَى هَذَا ذَهَبَ الدُّرَيْدِيُّ.

وكان أبو عُثْمَانَ المازني يقول: الميم من نفس الكلمة، والنون زائدة، لقولهم مَجَانِيْقُ، فَسُقُوطُ الثَّوْنِ فِي الْجَمْعِ كَسُقُوطِ الْبَاءِ فِي جَمْعِ عَيْنَضُمُوزِ إِذَا قُلْتَ عَصَائِمِيزَ. وَحَكَى الْقُرَاءُ: جَنَقُوكُم بِالْمَجَانِيْقِ أَيْضًا. فَهَذَا عَلَى الْوَجْهِ الْأَوَّلِ.

وقوله: «مُعْمِلٌ قَرَضَ لَحِيَةً» أَي قَطَعَ لَحِيَةً. «وَلَوْ تَرَاهَا» حَمَلَ اللَّفْظَ عَلَى اللَّحِيَةِ وَالْمُرَادُ مَنِيَّتُهَا. وَالْعُثْنُونُ: أَصْلُ الْلُخِيِّ، وَأَوَائِلُ الرِّيحِ وَالسَّحَابِ.

وقوله: «خَلَقَ رَبُّنَا الْمَخْلُوقَ»، وَصَفَ الْخَلْقَ بِالْمَخْلُوقِ تَأْكِيدًا، وَبِجُوزِ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ خَلَقَ رَبُّنَا الْمَقْدَرُ، لِأَنَّ الْأَصْلَ فِي الْخَلْقِ التَّقْدِيرُ. أَلَا تَرَى قَوْلَهُ: [مَجْزُوءَ الْكَامِلِ]

وَلَأَنْتَ تَفْرِي مَا خَلَقْتَ وَبِعَدَضِ الْقَوْمِ يَخْلُقُ ثُمَّ لَا يَفْرِي^(١)

٨٧٦ - آخر^(٢): [الطويل]

١ - وَأَقْسِمُ لَوْ خَرَّتْ مِنْ اسْتِكَ بَيْضَةٌ لَمَا انْكَسَرَتْ لِقُرْبِ بَغْضِكَ مِنْ بَغْضِ^(٣)

الْخُرُورِ: السَّقُوطُ لِلْوَجْهِ. وَخَرَّ الْمَاءُ الْمَكَانَ: جَعَلَ فِيهِ أَخَادِيدَ.

وَالْخَرْخَارُ: الْمَاءُ الْكَثِيرُ الْجَارِي.

(١) البيت لزهير في ديوانه ٩٤، واللسان (خلق، فرا) وديوان الأدب ٢: ١٢٣.

(٢) التبريزي: «وقال آخر في القصر».

(٣) قبله عند التبريزي:

«ألا يا شبيهة الذب مالِك معرُضًا وقد جعل الرحمن طولك في العرض»

٨٧٧ - آخر^(١): [الطویل]

١ - أَظُنُّ خَلِيلِي مِنْ تَقَارُبِ شَخْصِهِ يَعْصُ الْقِرَادُ بِأَسْتِهِ وَهُوَ قَائِمٌ

٨٧٨ - آخر^(٢): [الکامل]

١ - وَلَقَدْ عَدَوْتُ بِمُشْرِفٍ بِأَفْوَحِهِ عَسِرِ الْمَكْرَةِ مَاؤُهُ يَتَدَفَّقُ

٢ - أَرِنِ بِسَبِيلِ مِنَ النَّشَاطِ لِعَابِهِ وَيَكَادِ جِلْدُ إِهَابِهِ يَتَمَرِّقُ

كَانَهُ أَلْفَرَّ فِي هَذَا، وَأَرَادَ بِمُشْرِفٍ الْيَا فَوْخِ ذَلِكَ الْعَضْوِ.

وَرَوِي أَنَّ أَعْرَابِيًّا حَضَرَ مَجْلَسَ أَبِي عُبَيْدَةَ، فَأَلْقَى الْبَيْتَيْنِ عَلَيْهِ، فَذَهَبَ أَبُو عُبَيْدَةَ إِلَى أَنَّ الشَّاعِرَ يَصِفُ بِهِ فَرَسًا، وَأَخَذَ يَفْسِرُهُ، فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ: حَمَلَكَ اللَّهُ يَا شَيْخُ عَلَى مِثْلِهِ! فَقَطَّنَ أَبُو عُبَيْدَةَ وَخَجَلَ. وَمَعْنَى يَتَدَفَّقُ يَتَصَبَّبُ شَيْئًا فَشَيْئًا. وَالْأَرِنِ النَّشِيطُ، وَيُقَالُ لِلْمُسْتَنْتَنِّ مِنَ النَّشَاطِ: أَرِنِ يَأْرُنُ أَرْنًا. وَقِيلَ: إِنَّ الْأَرْنَ نَشَاطُ الْحَيْلِ، كَمَا أَنَّ الْهَبَصَ نَشَاطُ الظُّبَاءِ. وَالسَّنَنُ: نَشَاطُ الْإِبِلِ، وَمِنْهُ جَاءَ فِي الْمَثَلِ: «اسْتَنَّتَ الْفِصَالُ حَتَّى الْقَرَعَى». وَالْأَشْرُ: نَشَاطُ الْإِنْسَانِ. وَالْإِهَابُ: الْجِلْدُ الَّذِي هُوَ أَهْبَةُ مَا وَرَاءَهُ مِنَ اللَّحْمِ. كَمَا أَنَّهُ سُمِّيَ مَا يُمَسِّكُهُ الْمَسْكُ. وَلِذَلِكَ قَالَ: «جِلْدُ إِهَابِهِ» فَأُضَافَ الْجِلْدُ إِلَيْهِ.

٨٧٩ - آخر^(٣): [الخفيف]

١ - لَوْ نَأْتَى لَكَ التَّحَوُّلُ حَتَّى تَجْعَلِي خَلْفَكَ اللَّطِيفَ أَمَامَا

٢ - وَيَكُونُ الْأَمَامُ ذُو الْخِلْقَةِ الْجَبِّ لَعَلَّ خَلْفًا مُرَكَّنًا مُسْتَكَامَا

٣ - لِإِذَا كُنْتَ يَا عَبِيدَةُ خَيْرَ النَّاسِ خَلْفًا وَخَيْرَهُمْ قُدَامَا

يَصِفُهَا بِأَنَّهَا قَلِيلَةُ اللَّحْمِ عَلَى الْعَجِيزَةِ، عَظِيمَةُ الْبَطْنِ. فَيَقُولُ لَوْ قُدَّمَ مُؤَخَّرُكَ وَأَخَّرَ مُقَدَّمُكَ لَا رَتْصِي خَلْفَكَ وَقُدَّامَكَ، لِالْتِمَامِ أَعْضَائِكَ، وَاعْتِدَالِ مَقَاسِمِكَ. وَاسْتَعْمَلَ الْخَلْفُ وَالْأَمَامُ اسْتَعْمَالَ الْمُقَدَّمِ وَالْمُؤَخَّرِ فَجُعِلَا اسْمَيْنِ. وَالْمُرَكَّنُ: الَّذِي لَهُ أَرْكَانٌ. وَالْجَبَلَةُ: الْغَلِيظَةُ. وَالْمُسْتَكَامُ، مِنَ الْكُوزِ، وَهُوَ الْجِمَاعُ. وَانْتَصَبَ خَلْفًا وَقُدَامَا عَلَى التَّمْيِيزِ.

(١) هُوَ الْحَزِينُ الْكَنَانِيُّ يَهْجُو كَثِيرًا الشَّاعِرَ، وَقِصَّةُ الْبَيْتِ فِي الْأَغَانِي ٢٨:٨، وَالْحَيَوَانُ ٥:٣٤٩.

(٢) هَذِهِ الْحِمَاسِيَّةُ رَوَاهَا التَّبْرِيزِيُّ فِي بَابِ الْمَلْحِ.

(٣) التَّبْرِيزِيُّ: «وَقَالَ بَعْضُ الْمَدِينِيِّينَ».

٨٨٠ - وَأَنْشَدَ لِأَبِي الْغَطْمَشِ^(١) أَبُو عُبَيْدَةَ: [المتقارب]

- ١ - مُنِيْتُ بِزَنْمِرْدَةٍ كَالْعَصَا أَلَصَّ وَأَخْبَتَ مِنْ كُنْدَشِ
- ٢ - تُحِبُّ النِّسَاءَ وَتَأْبَى الرِّجَالَ وَتَمْشِي مَعَ الْأَخْبَتِ الْأَطْيَشِ
- ٣ - لَهَا شَفَرُ قَرْدٍ إِذَا ارْتِيَتْ وَوَجْهٌ كَبِيضُ الْقَطَا الْأُبْرَشِ^(٢)
- ٤ - وَتَذِي بِجَوْلٍ عَلَى نَحْرِهَا كَقِرْنَةِ ذِي الثَّلَّةِ الْمُغَطِّشِ

يُروى «زَنْمِرْدَةٌ» بفتح الزاي وكسر الميم، ويكون مما عُرِّبَ ولا نظير له في أبنية العرب. وَيُروى بفتح الزاي وفتح الميم ويكون على مثال قَهْقَرٌ، وهو حَجَرٌ يملأ الكف. وَيُروى «زَنْمِرْدَةٌ» بكسر الزاي وفتح الميم فيكون على وزن فِعْلَةٍ من الرباعي نحو عَلَكِدٍ، وهو الغليظ الشديد، أو يكون فِعْلٌ من الخماسي نحن خَنْزَقِرٌ، وهو القصير، وَقِرْطَعِبٌ دَابَّةٌ. والمراد بها المرأة التي خَلَقَهَا وَخَلَقَهَا كما يكون للرجال. وشَبَّهَا بِالْعَصَا لِقَلَّةِ لَحْمِهَا وَهَزَالِهَا، واستواء صَدْرِهَا وَظَهْرِهَا. وَكُنْدَشٌ: لَقَبٌ لَصٍّ كَانَ مَعْرُوفًا عَنْهُمْ. وقوله: «إِذَا ارْتِيَتْ» أراد تَزَيَّنَتْ، فأراد الإدغام فيها وأبدلَ من النَّاءِ زاءً فَسَكَّنَ أَوَّلَهَا، فَجَلِبَ أَلْفُ الْوَصْلِ لِيَتَوَصَّلَ إِلَى النُّطْقِ بِسَاكِنٍ، فَصَارَ كَمَا تَرَى. وَالثَّلَّةُ: الْفِرْقَةُ وَالطَّائِفَةُ مِنَ الضَّانِّ. وَالْمُغَطِّشُ: الرَّاعِي الَّذِي قَدْ غَطَّشَتْ رَعِيَّتُهُ.

- ٥ - لَهَا رَكْبٌ مِثْلَ ظَلْفِ الْقَزَالِ أَشَدُّ أَصْفَرًا مِنَ الْمِشْمِشِ
- ٦ - وَأَبْرَدُ مِنْ ثُلُجٍ سَاتِيْدَمَا وَأَكْثَرُ مَاءٍ مِنَ الْعِكْرِشِ^(٣)
- ٧ - وَفَخَذَانِ بَيْنَهُمَا نَفْنَفٌ تُجِيرُ الْمَحَامِلَ لَا تَخْدِشِ^(٤)
- ٨ - وَسَاقٌ مَخْلَخَلُهَا حَمَشَةٌ كَسَاقِ الْجَرَادَةِ أَوْ أَخْمَشِ
- ٩ - كَأَنَّ الثَّالِيلَ فِي وَجْهِهَا إِذَا سَفَرَتْ بِدَدِ الْقَشْمِشِ^(٥)
- ١٠ - لَهَا جُمَّةٌ فَرَزُهَا جَنَلَةٌ كِمِثْلِ الْخَوَافِي مِنَ الْمُرْعَشِ

(١) كَذَا جَاءَتْ نِسْبَةُ الْأَبْيَاتِ فِي اللِّسَانِ (كَنْدَشِ)، وَفِي الْأَغَانِي ١٠: ١٣١ جَاءَتْ مَنْسُوبَةً إِلَى

إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَامِرٍ وَهُوَ شَاعِرٌ مَخْضَرٌ مِنْ شُعْرَاءِ الدَّوْلَتَيْنِ يَقُولُهَا فِي هِجَاؤِ أُمِّ وَلَدٍ لَهُ.

(٢) التَّبْرِيزِيُّ: «لَهَا وَجْهٌ قَرْدٌ»، «لَوْنٌ كَبِيضُ الْقَطَا الْأُبْرَشِ».

(٣) هَذَا الْبَيْتُ لَيْسَ عِنْدَ التَّبْرِيزِيِّ. وَسَاتِيْدَمَا: جَبَلٌ بَيْنَ مِيَاقَرَيْنِ وَسَعَرَتْ. وَالْعِكْرِشُ: مَاءُ لَبْنِي عَدِي بِالْإِمَامَةِ.

(٤) التَّبْرِيزِيُّ: «تُجِيرُ الْمَحَامِلَ لَا تَخْدِشِ». (٥) التَّبْرِيزِيُّ: «الْكَشْمِشِ».

الرَّكْبُ: أصل الفَخِذ الذي عليه لَحْمُ الفَرْج من المرأة ومُعلَق الذَّكَر من الرَّجُل. والثَّفْنَف: المَهْوَاة بين الجَبَلَيْن. والحَذَش والحَمَش والكَذَح نظائر. والحَمَشَةُ: الدَّقِيقَة. وإنما أَنْت والمُخَلَّخَلْ مذَكَّر لأنَّ المخلخلَ من السَّاق، والسَّاق مؤنَّثَة، وبعضُ الشَّيْء إذا أُطْلِقَ عيه اسمُ الكلِّ أَجْرِي في الأخوال مجراه إلا أن يمنع مانع. وهذا كما قال الآخر: [الطويل]

كما شَرِقَتْ صَدْرُ القَنَاةِ من الدَّمِ^(١)

لأنَّ صدر القَنَاة قَنَاة، كما أنَّ المخلخلَ يقال له السَّاق. فاليدُد: جمع يدَّة، وهي القِطْعَة المتفرقة. وتبادُ القَوْمُ: تباعدوا. والجُمَّة من الشعر: دون اللَّمَّة في الطُّول. والجَنَلَة: الكثيرة الأصول. والمُرْعَش: الحَمَام الأبيض. والخوافي: ما دُون الرِّيشات العُشْر.

٨٨١ - وقال آخر^(٢): [البسيط]

١ - ماذا يُورِّقُنِي قَدَمًا وَيُسَهِّرُنِي مِنْ صَوْتِ ذِي رَعَثَاتٍ سَاكِنِ الدَّارِ
٢ - كَأَنَّ حُمَاضَةً فِي رَأْسِهِ نَبَتْتَ فِي أَوَّلِ الصَّبِيفِ قَدْ هَمَّتْ بِإِثْمَارِ
قوله: «ماذا يُورِّقُنِي» لفظه استفهامٌ ومعناه تعجُّب. وقد مرَّ القول في لفظة ماذا. وقوله: «مِنْ صَوْتِ ذِي رَعَثَاتٍ» أي من انتظارِ صَوْتِهِ، فحذف المضاف. ورَعَثَات: جمع رَعَثَة وهي من الدَّيْكَ عُثُونُهُ. ورَعَثَة الشَّاة: رَنَمَتُهَا. والرَّعَاثُ: كلُّ مَغْلَاقٍ من قُرْطٍ أو قِلَادَة أو غيرهما، وربما عُلقَ من الرُّخْل والهُودَج رَعَثٌ من الصُّوف. والحُمَاضُ، من دُكُور البَقْلِ، له زَهْرَة حمراء كَأَنَّهَا الدَّم. والإثمار: إخراج الثَّمَر. وشَبَّة عُرِفَ الدَّيْكَ بِهِ.

٨٨٢ - وقال آخر^(٣): [البسيط]

١ - صَوْتُ النُّوَاقِيسِ بِالْأَسْحَارِ هَيَّجَنِي بَلِ الدُّيُوكُ الَّتِي قَدْ هَجَنَ تَشْوِيقِي

(١) للأعشى في ديوانه ٧٣، وخزانة الأدب ١٠٦:٥، والدرر ١٩:٥، وصدرة:

«وَتَشَرَّقُ بِالْقَوْلِ الَّذِي قَدْ أَدْعَتْهُ»

(٢) البيت الأول في اللسان (رعت) للأخطل والبيتان في اللسان (حمض)، والحيوان ٣٤٦:٢، ومحاضرات الراغب ٣٠١:٢.

(٣) البيت الأول في الحماسة البصرية ٢٤١:٢ ليحيى بن ثابت يصف ديكًا، والبيت الرابع في اللسان (فتك) بلا عزو.

- ٢ - كَأَنَّ أَصْرَافَهَا مِنْ فَوْقِهَا شُرِفَ حُمْرَ بُنَيْنٍ عَلَى بَغْضِ الْجَوَاسِقِ
 ٣ - عَلَى نَعَانِعٍ سَالَتْ فِي بِلَاحِهَا كَثِيرَةُ الْوُشْيِ فِي لَيْسٍ وَتَرْقِيقِ
 ٤ - كَأَنَّمَا لَبِسَتْ أَوْ أَلْبَسَتْ فَنَكَا فَقَلَّصَتْ مِنْ حَوَاشِيهِ عَنِ السُّوقِ

قوله: «صوت الثواقيس» أي انتظار صوت الثواقيس هيّجني، فحذف المضاف.
 وهذا كما قال الآخر: [البسيط]

لَمَّا تَذَكَّرْتُ بِالْدُّيْرَيْنِ هَيَّجَنِي صَوْتُ الدُّجَاجِ وَقَزَعُ بِالنَّوَاقِيسِ^(١)
 وقال غيرهما: [المقتارب]

وصوت نواقيس لم تُضْرَبِ

فَتَبَّهَ بقوله: «لم تُضْرَبِ» على أنه كان منتظرًا لا واقعًا. والجواسيق: جمع
 الجَوْسَقِ، وهي قريبة من القُصُور. وأشيع الكسرة في السُّين فتولّد منها ياء. ومثله:
 [البسيط]

نَفَى الدَّرَاهِيمِ تَنَقَّادُ الصِّيَارِفِ^(٢)

والتَّعَانِيعُ: أعراف الدِّيَكَةِ. وأصل التَّنْعِنَعِ الاضطراب. لذلك قيل للطويل
 المضطرب الثُّغْنُ. وَتَعَانِيعُ الْمِنْطَقَةِ: ذُنَابُهَا. وَالْبُلْغُومُ وَالْبُلْغَمُ: مَجْرَى الطَّعَامِ، وباطنُ
 العُنُقِ.

وهذه المقطوعة وما قبلها، باب الصفات أولى بهما، فاتفق وقوعهما هنا.

وهذا آخر الاختيار. والحمد لله رب العالمين
 وصلواته على النبي محمدٍ وإله أجمعين

قد سَهَّلَ الله وله الحمد، تعالى جَدُّه، بلوغَ المنتظر من تتميم شرح هذا
 الاختيار، والله بَمَنِّهِ وطَوْلِهِ يَنْفَعُكُ وَإِيَّانَا بِهِ، وَيُعِينُكَ عَلَى تَفْهَمِهِ.

وهذا الكتاب وإن عَظُمَ حَجْمُهُ، وَكَثُرَ وَرْقُهُ، فَإِنَّهُ لَا يُمْلِكُ تَصَفُّحَهُ وَقِرَاءَتَهُ، إِذْ
 كَانَ كُلُّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِهِ ذَا فَنُونٍ مِنْ آثَارِ الْعُقُولِ الصَّحِيحَةِ، وَالْقِرَائِحِ السَّلِيمَةِ، فَكُلُّ

(١) لجبرير في ديوانه ١٢٦، والحيوان ٣٤٢:٢، وخزانة الأدب ٣:١٠٧.

(٢) هذا عجز بيت للفرزدق في ديوانه ٥٧٠، والخزانة ٢:٢٥٦، وصدرة:

«تنفي يداها الحصى في كل هاجرة»

نوع من أنواعه جَمَامَ لما يليه، وجِلَاءَ لما يعيه، ولأنَّ غوامِضَ المَقَاصِدِ إذا تَبَرَّجَتْ لك في روائع المعارض، وأَقْبَلَ فهُمُك راثداً لقلبك، يتشَمُّم نوادر الزَّهَر في مَعَارِس الفِطْن، ويتخَيَّر فرائد الدُّرَر من قلائد الحِكَم، فكلُّما ازداد التقاطاً زادك نشاطاً، كما أنَّ مَنْ عَرَفَ الفَرْق بين الإطناب والإيجاز، وبين التَّطويل والتَّقْصير، وعَلِمَ أنَّ الإطناب تفخيمٌ وتكميل، كما أنَّ الإيجاز تخليصٌ وتهذيب، وأنَّ التَّطويل زيادةٌ على الكفاية، وذَهَابٌ عن غاية الحاجة، كما أنَّ التَّقْصير قُصُورٌ عن الحدِّ المرتاد، ووقوفٌ دونَ مَدَى المراد، حَمِدَ الإطنابَ والإيجازَ لما نالهما من سهامِ البلاغة، ودَمَّ التَّطويلَ والتَّقْصيرَ بما فاتهما من أقسامِ الفصاحة.

واعلَمَ صَحْبِكَ التَّوفِيقَ في مِباغِيكَ، أنَّ ما جَمَعْتُ منتَشِرُهُ، وأَقْرَئْتُ مُكْتَمِنُهُ، وَحَلَلْتُ مَعْقُودَهُ، وأَعَدْتُ مَحْذُوفَهُ، وَنَشَرْتُ مَطْوِيَهُ، وَمَدَدْتُ مَقْصُورَهُ من بُيُوتِ هذا الاختيار وفصوله، فَإِنِّي لَمْ أَذْرِكُهُ إِلَّا فِي مَدَّةٍ طَوِيلَةٍ لَا أَذْكَرُ طَرَفِيهَا، وبِمَجَاهِدَاتِ لَشُيُوخِ الصَّنَاعَةِ عَجِيبَةٍ لَا أَنْسَى مُجَادِبَاتِي فِيهَا، حِينَ كَانَ فِي الْقَوْلِ إِمْكَانٌ، وَلِلتَّحْصِيلِ إِرْصَادٌ، وَلِسَهْمِ التَّضَالِ تَسْديدٌ، وَفِي قَوْسِ الرَّمَاءِ مَنَزَعٌ وَتَوْتِيرٌ، وَكَانَ الرُّأْيُ وَلُودًا، وَالْخَاطِرُ عَمُولًا، وَالْحَدُّ حَدِيدًا، وَالْجِرْضُ عَتِيدًا، مَعَ تَمَامِ الْبَرَاعَةِ، واجتماعِ المَادَّةِ وَالْآلَةِ.

فَلَا تَظُنَّنَّ فِيهِ مَا يَظُنُّهُ الْوَادِعُ فِي جَهْدِ الْمَكْدُودِ، فَإِنَّ أَهْوَنَ السَّفْيِ التَّشْرِيعَ، وَلَنْ تَنَالَهُ إِلَّا بِتَعَبٍ شَدِيدٍ. وَتَيَقَّنُنَّ أَنِّي أَمْلَيْتُ هَذَا الشَّرْحَ مُسْتَعْمِلًا أَرْفَقَ الْآلَاتِ فِي اخْتِرَاعِهِ، وَأَوْفَقَ الْأَلْفَاظِ فِي تَصْوِيرِهِ وَبَيَانِهِ، وَمُسْتَحْضِرًا مِنَ الشُّوَاهِدِ وَالْمَثَلِ مَا لَمْ يَكْمُلْ إِلَّا بِتَعَاوُنِهِ وَحُضُورِهِ، وَلَوْ عَدَلْتُ عَنْ نَهْجِ التَّقْرِيبِ مُشْتَغَلًا بِأَبْوَابِ الْإِعْرَابِ وَالْغَرِيبِ إِلَى غَيْرِهِمَا مِمَّا يُعَدُّ فِي الْفَضُولِ، لَتَضَاعَفَتِ الْمُؤَنُ، وَضَاعَتِ فِي عُمَارِهَا الثُّكْتُ. عَلَى أَنِّي أَرْجُو أَنْ يَكُونَ ضِئْتًا فِي تَحْصِيلِهِ وَحَصْرِهِ، وَسَمَاحَتُنَا بَعْدَهُ بِتَصْنِيفِهِ وَبِذَلِّهِ، يُكْسِبُنَا مِنَ الْقُلُوبِ اسْتِحْلَاءً، وَمِنَ الثُّفُوسِ مَيْلًا وَاسْتِحْبَابًا، وَأَنَّهُ لَا تَرَالِ تِلْكَ الْمَحَبَّةُ زَائِدَةٌ نَامِيَّةٌ، مَا دَامَتْ فَوَائِدُهُ ثَائِمَةً بَاقِيَةً. وَعَلَى اللَّهِ تَعَالَى جَدُّهُ مُعَوَّلُنَا فِي أَنْ يَوْفِقَنَا لِمَرْضَاتِهِ، وَأَنْ يَجْعَلَ سَعِينًا لَهُ وَفِيهِ، وَحَسْبُنَا هُوَ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ، وَصَلَوَاتُهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ الْأَخْيَارِ.

تَمَّ الْكِتَابُ، وَيْلِيهِ
الْفَهَارِسُ الْعَامَّةُ

الفهارس العامة

- ١ - فهرس الآيات القرآنية
- ٢ - فهرس الأحاديث النبوية
- ٣ - فهرس القوافي في متن الحماسة
- ٤ - فهرس الأرجاز في متن الحماسة
- ٥ - فهرس شعراء الحماسة
- ٦ - فهرس القوافي في الشرح
- ٧ - فهرس الأرجاز في الشرح
- ٨ - فهرس أنصاف وأجزاء الأبيات في الشرح
- ٩ - فهرس الأعلام
- ١٠ - فهرس القبائل والبطون . . .
- ١١ - فهرس الأماكن والبلدان
- ١٢ - فهرس الأيام والوقائع والحروب
- ١٣ - فهرس الأمثال
- ١٤ - فهرس المحتويات

١ - فهرس الآيات القرآنية

رقم الآية	الآية	رقم الصفحة
سورة البقرة		
٦	﴿سَوَاءٌ﴾	٩٢
١٠	﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾	٢٤٣
١٠	﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾	١٦٨
١٤	﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤْنَ﴾	٢٢٥
١٥	﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾	٢٢٥
٢٦	﴿مَثَلًا مَّا بَيَّضَةً﴾	٢١٥
٤٦	﴿الَّذِينَ يَطْلُؤْنَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ﴾	٩٣٣ ، ٥٧٥
٤٨	﴿وَأَنفَعُوا يَوْمًا لَا يُغْنِي عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾	٢٨
٦٥	﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنْكُمُ فِي السَّبْتِ﴾	٦١٩
٨٣	﴿وَأَذًا أَخَذْنَا مِنَ النَّارِ لَكَ لَوْلَا أَنَّا بِإِثْمِكَ كَافُونَ﴾	١٠٢٩
	﴿إِلَّا اللَّهُ﴾	
٨٨	﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾	٥٨٠
٩٨	﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ﴾	١١٥
	﴿وَمِيكَائِيلَ﴾	
١٧٥	﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾	١١٦
١٨٦	﴿تَلْبَسَ جَبْرًا لِي وَلِيُؤْمِنُوا بِي﴾	١٠٩١

رقم الآية	الآية	رقم الصفحة
١٩٤	﴿مَنْ أَعَدَّ عَلَىٰكُمْ فَاَعِدُوا عَلَيْهِ﴾	٢٢٥ ، ٥٥١
٢١٦	﴿وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ﴾	٤٨١
٢١٧	﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْفَرَارِ الْهَارِ فَتَالِ فِيهِ﴾	١٠٩٩
٢٢٨	﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَرْتَضُونَ﴾	٤٤٧
٢٣٨	﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ﴾	١٠٢٩
٢٥٥	﴿لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾	١٠٦

سورة آل عمران

١٤	﴿وَالْغَيْلِ الْمُسَوِّمَةِ﴾	١٠٤
١٨	﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾	٤٨
٢١	﴿فَيُنَزِّلُهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾	٤٦٤
٤٣	﴿وَأَسْمٰجِي وَآزَكِي﴾	٨٨٨
٦٤	﴿إِلَّا كَلِمَةً سَلَوٰمٌ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾	٢٣٧
٧٥	﴿إِلَّا مَا دُمَّتْ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾	٢٣ ، ١٨٧ ، ١٢٥٠
١١٨	﴿فَدَبَدَبَتِ الْبَقَعَةُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾	٤٤١
١١٩	﴿عَصُوا عَلَيْكُمُ الْأَنْبِيَاءُ مِنَ النَّبِيِّ﴾	١٢٧٤
١٣٣	﴿وَجَعَلَتْهُمَا لِسَنَوَاتٍ وَالْأَرْضِ﴾	٥٢٨ ، ١٢٨٢
١٤٠	﴿وَذَٰلِكَ الْآيَاتُ نُنَادِيهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾	٦٠٩ ، ٨٠٩
١٧٣	﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ﴾	٦٣٧
١٨٠	﴿سَيَبْطُلُونَ مَا يَمْطُلُونَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾	١٩١
١٨٠	﴿وَلِلَّهِ يَبِذُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾	٥٤

رقم الآية	الآية	رقم الصفحة
سورة النساء		
٣	﴿أَو مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾	٣٢
٣	﴿فَانْكُرُوا مَا غَابَ لَكُمْ مِنَ النَّسَاءِ مَثْنٍ وَفُلَّتْ وَرَيْحٌ﴾	١٣١١
٢١	﴿وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾	٥٢٤
٢٦	﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُخَيِّنَ لَكُمْ﴾	١٠٠٤
٦٩	﴿وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾	١١٤١
٧٩	﴿وَكُنْ بِأَهْلٍ شَبِيحًا﴾	٧٢٣
٨١	﴿يَبْتَغِي طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ﴾	١٩٥
١٠٠	﴿يُحَدِّثُ فِي الْأَرْضِ مَرْغَمًا كَثِيرًا﴾	٥٤١
١٣٦	﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِأَمْنٍ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾	٦٨٧ ، ١٨٩
١٤٠	﴿إِنَّكُمْ إِذَا تَنَافَعْتُمْ﴾	٣٢٣
١٤٢	﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ﴾	٢٩
١٤٣	﴿مُتَدَبِّينَ بَيْنَ ذَلِكَ﴾	٢٧٣
١٧١	﴿أَنَّهُمْ خَيْرٌ لَكُمْ﴾	١٢١٣
١٧٦	﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا﴾	١٢٩٩ ، ٨٢

سورة المائدة

٣	﴿وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْوَاجِ ذَلِكَمْ فَسَقٌ﴾	٢٥٧
٦	﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾	١٠٩٢ ، ٥٩٨ ، ٥٦٦
٣٥	﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾	١٢٩
٩٥	﴿هَذَا بَلَغَ الْكُمُورِ﴾	٣٣٢
١٠٣	﴿وَلَا سَائِبُوتَ﴾	٩٠٠
١١٨	﴿إِنْ تَعْلَمِيهِمْ فَلَتَنَّهُمْ عِبَادَةً﴾	٢٥١

رقم الآية	الآية	رقم الصفحة
سورة الأنعام		
١	﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾	٥٣
٢٥	﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾	٦٥
٣٨	﴿وَلَا ظَلِيمٌ يَطِيرُ بِمَنَاجِدٍ﴾	٩٩١
٩٤	﴿لَقَدْ نَقَعْنَا بَيْنَكُمْ﴾	٢٨٩ ، ٤٣٥ ، ٧٦٨ ، ٩٠٧
١٥٤	﴿تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾	١٠٧٧
سورة الأعراف		
٣	﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾	٣٥٢
٣٤	﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ﴾	٥٣٨
٥٦	﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾	٤٦٤
٧٥	﴿الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنَ قَوَاهِ لِلَّذِينَ اسْتَضِعُوا لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ﴾	٥٩٩
٧٧	﴿فَقَعَرُوا النَّاقَةَ﴾	٤٠٤
١١٦	﴿سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ﴾	٤٥
١٥٥	﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا﴾	٤٠٦
١٥٦	﴿وَالَّذِينَ هُمْ﴾	٥١٨
١٧٢	﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾	٩٣٨
١٧٢	﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾	٩٠٩
١٩٣	﴿سُوءًا عَلَيْكَ ادْعُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ مُنْجَرُونَ﴾	٦٣٥ ، ٨٣٩
سورة الأنفال		
١	﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾	٧١٩

رقم الآية	الآية	رقم الصفحة
٦	﴿يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾	٣٧١ ، ٦٣
١١	﴿إِذْ يُغِيثُكُمُ الثَّعَاسُ أَمْنَةً مِنْهُ﴾	٤٦
٣٣	﴿وَمَا كَانِ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ﴾	٩٥
٣٣	﴿وَمَا كَانِ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾	١١٠٠
٦٠	﴿لَا تَطْمَئِنُّوهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾	٦٩٢

سورة التوبة

١٠	﴿لَا يَرْجُونَ فِي مَوْتِهِمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً﴾	٤٤٦
٣٣	﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾	٦٤٣ ، ٤٣٥
٣٤	﴿وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُفْقَرُوهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾	١٣٠٧
٦٢	﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ﴾	٤٦١
٧٢	﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ﴾	١١٢٣
١٠٨	﴿لَتَسْجُدَ أُنْثَى عَلَى الْشَّقَوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ﴾	٢٨٧
١٢٠	﴿وَلَا يَتَأَلَوْنَ مِنْ عَذْرِ بَيْلَا﴾	١١٤٧
١٢٨	﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾	٢٢٠

سورة يونس

١٠	﴿وَمَا اخِرَ دَعْوَانَهُ أَنْ لِمَسَدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾	١٠٠٧ ، ٤٨
١٦	﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا﴾	٣٩
٤٢	﴿وَمَنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾	٦٥
٥٨	﴿فَبَدَّلَ فَلْيَفْرَحُوا﴾	٩٨٤
٧١	﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ﴾	٨٠٥ ، ٤٣٢

سورة هود

٤٤	﴿وَيُغِيضُ الْمَاءَ﴾	٤٣٨
----	----------------------	-----

رقم الآية	الآية	رقم الصفحة
١٠٠	﴿بَيْنَا قَائِدٌ وَحَصِيدٌ﴾	٢٦٣ ، ١١٠٣
	سورة يوسف	
٢٩	﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ إِتَّيْتِ مِنَ الْفَاطِطِينَ﴾	٣٤٨
٢٩	﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ﴾	٣٢٧
٣٦	﴿إِنِّي أَرِنِّي أَصْعُرُ حَمْرًا﴾	٢٦٣
٨٠	﴿خَلَصُوا بِحَبَا﴾	٧٨٤ ، ٤٦٦
٩٢	﴿لَا تَقْرَبْ عَلَيْهِمْ﴾	١٢٣٣
٩٤	﴿لَوْلَا أَنْ تَفْعَلُوا﴾	٤٧١
	سورة الرعد	
٤٣	﴿كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾	٢١٣ ، ١١٤١
	سورة إبراهيم	
٤	﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ فَزِيزٍ﴾	٧٤٢
٢٢	﴿وَمَا أَنَا بِمُفْرِخِكُمْ﴾	٢٨١
٣١	﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾	٤٥١
	سورة الحجر	
٢	﴿رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾	٦١٦
٢	﴿رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾	٢٠٨
٢٢	﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوْفِجَ﴾	١٠٩٠ ، ٥٦٥
٩٤	﴿فَأَمْدَحَ بِمَا تَوَمَّرَ﴾	١١٥٩
	سورة النحل	
٣٠	﴿وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾	١٠٦٣

رقم الآية	الآية	رقم الصفحة
٥٨	﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا﴾	٢٨ ، ٧٤٦
٥٩	﴿أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ﴾	٣٢٠ ، ١٠٢١

سورة الإسراء

١	﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾	٦٤
١	﴿أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾	٦٤
١٢	﴿وَجَعَلْنَا آيَةً النَّهَارِ مَبِيعَةً﴾	١١٧٧
٥١	﴿فَسَيَنْفِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ﴾	١١٢٥
٦٤	﴿وَأَتْلِبَ عَلَيْهِم بِخَبْرِكَ وَحِيلِكَ﴾	٩٦
٧٦	﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا﴾	٧٧٥
١٠٠	﴿ثَل لَّوِ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَرَانٍ رَحِمَهُ رَبِّي إِذَا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ﴾	٨٥٥

سورة الكهف

١٢	﴿لَتَعْلَمَنَّ أَنِّي لِلْعَزِيزِ أَحَقُّ لِمَا لَسْتُ بِأَ﴾	١٠٧٦
١٨	﴿وَكَلْبُهُمْ بَسِيطٌ ذِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ﴾	٦٥
١٨	﴿وَتَقْلِبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَسِيطٌ ذِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ﴾	٣٥
٢٢	﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾	١١٤٥
٥١	﴿مَّا أَشْهَدُكُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾	٤٨
٦٠	﴿لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَتِلَّ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ﴾	٢٤٢
٧٩	﴿فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا﴾	٥٥٠
٧٩	﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِيَةٍ غَصْبًا﴾	١١٧٧
٧٩	﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ﴾	٢٣٦ ، ١٠٢٧

رقم الآيةالآيةرقم الصفحة

سورة مريم

٤	﴿وَأَسْمَعْ الرَّأْسَ مَئِينًا﴾	٧٥٦ ، ٣٢٠
٦ ، ٥	﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرْثُنِي وَيَرْثِ﴾	١٠٣٥
٦٨	﴿حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾	٥٨٣
٦٩	﴿ثُمَّ لَنَزَعُنَّ مِنْ كُلِّ فِئَةٍ آئِهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِثًّا﴾	٦١
٨٩	﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا﴾	٣٦٧

سورة طه

٣٩	﴿وَالْقَبْتُ عَلَيْكَ حَبَّةً مِنِّي﴾	١١١٢
٨٣	﴿وَمَا أَصْغَلَاكَ عَنْ قَوْمِكَ يَمْوَسَّى﴾	٣٤٥
٨٩	﴿أَفَلَا يَرْؤْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾	٤٣٨
١١١	﴿وَعَنْتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾	٧٣٠
١٢١	﴿فَبَدَّتْ كَلِمَاتُ سَوَاءٍ تَهُمَا﴾	٨٠٦

سورة الأنبياء

١٨	﴿فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾	٤٢
٩٦	﴿وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾	٤٣٧

سورة الحج

١١	﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾	١٠٧٥
٣٠	﴿فَلْيَجْتَنِبُوا الْفَحْشَ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾	١٤٤ ، ٧٥٧
٣٦	﴿تَكْلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ﴾	١١٤٠ ، ١١٧٠
		١١٠٢

رقم الآية	الآية	رقم الصفحة
٧٢	﴿مَكَادُورٌ يَسْطُورُ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ﴾	١٣١٣

سورة المؤمنون

٣-١	﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ٥١٨ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾﴾
٢٠	﴿تَنْهَتْ بِاللَّهْوِ وَصَنِعَ الْإِلَاحِينَ﴾
٤٣١	

سورة النور

٢	﴿وَلْيَشْهَدْ عَمَلُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾	٤٨
٤٠	﴿ظَلَمْتُمْ بَعْضَهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾	١١٩٤

سورة الفرقان

١٣	﴿دَعَا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾	٤٩
١٤	﴿لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا﴾	٤٩
٢٤	﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾	٦٦٥ ، ٥٥٧
٢٤	﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾	٩٩٦
٢٤	﴿يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾	٩٩٦
٦٧	﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾	١٢٣٢
٧٢	﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾	١٩٠
٧٢	﴿وَلِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾	١١٨٣ ، ٥٤

سورة الشعراء

٤	﴿فَنُفِثَ عَنْقُوتُهُمْ لَمَّا خَضِبُوا﴾	٣٢
٧٧	﴿وَلَمَّا نَسَبُوا عَذُوًّا لِّهِ إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾	٣٧

رقم الآية	الآية	رقم الصفحة
١٨	﴿وَالْقَالِيلِينَ لِإِخْرَاجِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾	٤٥٥
١٩	﴿سَلَفُوكُمْ بِالْأَسْنَةِ جِدَادٍ﴾	١١٠٩
٢٧	﴿وَأَوْزَنَكُمْ أَرْضَهُمْ وَيُدْرَهُمْ وَأَتَوَلَّوْكُمْ﴾	٥٤
٥١	﴿تُرْجَىٰ مَن نَّشَاءُ مِنْهُمْ﴾	٥٠

سورة سبأ

١١	﴿وَقَدْزِ فِي التَّرَدِّ﴾	٥٧٦
١٩	﴿بَلْعَدَ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾	٨٥١
١٩	﴿وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مَرْجَفٍ﴾	٤٠٩
٢٤	﴿وَلَوْ أَنَّ أَوْ لِيَاكُم لَمَلَىٰ هُدَىٰ أَوْ فِي ضَلَالٍ﴾	٢٠٢
٣٣	﴿بَلْ مَكْرٌ آلِيلٍ وَالنَّهَارِ﴾	١٢٤٩
٣٧	﴿وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ مَائِمُونَ﴾	٥٨٠
٥٢	﴿وَأَنَّىٰ لَهُمُ اتِّسَاعُؤُنَّ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾	٥٧٨

سورة فاطر

١٠	﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾	٥٦٣
٤٥	﴿مَا تَرَكْنَا عَلَىٰ ظَهْرِكَا مِنْ دَابَّةٍ﴾	٤٣٤

سورة يس

٣٠	﴿يَحْضَرُهُ عَلَى الْعِبَادِ﴾	١٠٧١
٥١	﴿فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾	٦٩٣ ، ٥٨٣
٦٩	﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَلْبِغِي لَهْوَ﴾	١٦

سورة الصافات

٥٥	﴿فِي سَوَاءٍ الْجَحِيمِ﴾	٤٦
----	--------------------------	----

رقم الآية	الآية	رقم الصفحة
١٤١	﴿تَسَاءَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُنْحِنِينَ﴾	٩٢٢
١٦٣	﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ الْجَنِّيمَ﴾	١٢٨٠

سورة ص

٦	﴿وَأَنطَلَقَ اللَّأُ مِنْهُمْ أَنِ أَنشُوا وَأَصِيرُوا عَلَىٰ إِلَهَيْكُمْ﴾	٣٧٥
٣٠	﴿يَعْمَ الْمَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾	٩٨٧ ، ٩٢٢ ، ٥٧٣

سورة الزمر

٣٣	﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ﴾	٢٨
٣٣	﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾	٢٨
٧٣	﴿حَقَّ إِذَا جَاءَهُمَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهُمَا﴾	٢٤٧ ، ١١٨
٧٣	﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا﴾	١١٨٣

سورة غافر

١٦	﴿لَمِنَ الْمَلِكِ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾	٦٢٣
٦٠	﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾	٩٣١ ، ٩٢١

سورة فصلت

٥	﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكْثَرٍ﴾	٢٢٧
٨	﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾	١١١٣
١٠	﴿فِي أَرْبَعَةِ آيَاتٍ سَوَاءٌ لِلسَّالِبِينَ﴾	٩٢
١٠	﴿سَوَاءٌ لِلسَّالِبِينَ﴾	٤٦
١٢	﴿فَقَضَّاهُنَّ سَبْعَ سَنَواتٍ﴾	٥٢
١٦	﴿فِي آيَاتٍ خِيَامَاتٍ﴾	٨٤٨
٤٩	﴿مِنْ دُعَاؤِ الْغَيْرِ﴾	٤٦٣

رقم الآية	الآية	رقم الصفحة
٥١	﴿فَذُرُوهُ دُخَانًا عَرِيسًا﴾	١٢٨٢ ، ٥٢٨

سورة الشورى

١١	﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾	١١٤٨ ، ٦٥١
١٦	﴿جَهَنَّمَ دَاحِضَةً﴾	٨١٩
٤١	﴿وَلَمَّا أَنْصَرَفَ بَدَّ عَلَيْهِ﴾	٥٠١
٥١	﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكْلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ بِرِسْلٍ رَسُولًا﴾	٣٥١

سورة الزخرف

٥	﴿أَفَنْضِيبٌ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا﴾	٢٧
١٣	﴿وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾	٣٠
١٩	﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِنْدَ الرَّحْمَنِ إِنثًا﴾	١٢٢١ ، ٥٣
٣٩	﴿وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنتُمْ فِي الْمَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾	٦٠٣

سورة الدخان

٢٣	﴿فَأَنزِلْ بِمَادِي لَيْلًا﴾	٦٤
٤٩	﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْمَذْمُومُ الْكَرِيمُ﴾	١٠٧٦

سورة الأحقاف

٢٤	﴿عَارِضٌ مُّطِرًا﴾	٣٣٢
----	--------------------	-----

سورة محمد

١١	﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾	٢٨٠
----	---	-----

رقم الآية	الآية	رقم الصفحة
٢١	﴿إِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ﴾	٢٨٤
٢٥	﴿الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ﴾	١٢٠٢
٣٠	﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾	٤٥٠
٣٨	﴿ثُمَّ لَا يَكُونُوا امْتَسِكُمْ﴾	٣٢٣

سورة الفتح

٢٩	﴿سَيِّمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ﴾	٢٨١
٢٩	﴿سَيِّمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾	١٠٤

سورة الحجرات

١١	﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾	٨٠٦
١٢	﴿أُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾	٥٢٩

سورة الذاريات

٧	﴿وَالسَّمَاءَ ذَاتِ الْمُبَارَكِ﴾	٦٥
٥٩	﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِثْلَ ذُنُوبِ أَهْلِيهِمْ﴾	٦٤٠

سورة النجم

٣٤	﴿وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْثَى﴾	٢٢٣
٦١	﴿وَأَنْتُمْ سَوِيدُونَ﴾	٦٦٤

سورة القمر

٤٧	﴿فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾	١٢٦٧
----	------------------------	------

سورة الرحمن

٧٠	﴿فَبِئْسَ خَيْرَاتُ حَسَانٍ﴾	١١٩٨
----	------------------------------	------

رقم الآية	الآية	رقم الصفحة
-----------	-------	------------

سورة الواقعة

٦٤	﴿أَنشُرْ نَزْعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾	٦٢٢
٦٥	﴿فَنُفِثَتْ نَفْسُكَهُمْ﴾	٢٠
٧٧-٧٥	﴿فَلَا أُفْسِدُ بِمَوْجِ الْثُجْرِ ۝٧٥ وَلَئِنْ لَّفَسَدْتُ لَأُو۟تِيَنَّ تَلَمُّونَ عَظِيمٌ ۝٧٦ إِنَّهُ لَفَرَادٌ كَرِيمٌ﴾	١٢٩
٧٩	﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾	١٧٠
٨٤	﴿وَأَنتُمْ حِينٌ تَنْظُرُونَ﴾	٦٣

سورة المجادلة

٧	﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ﴾	٧٨٤
---	--------------------------------------	-----

سورة الصف

٨	﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾	١٧٦ ، ٣٩٨
---	---	-----------

سورة الجمعة

٥	﴿يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾	١١٤٦
---	-----------------------	------

سورة التَّحْرِيمِ

٤	﴿فَقَدْ صَفَّتْ قُلُوبُكُمَا﴾	٦٢٦
٤	﴿وَأَن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ﴾	١٩١

سورة القَلَمِ

٢	﴿مَا أَنتَ بِمُعْجِزٍ مِّمَّنْ يَبْجُثُونَ﴾	١٦٥
٤	﴿وَأَنَّكَ لَمَلَكٌ خَلْقٍ عَظِيمٍ﴾	١٢٤١
١١	﴿مُسْلِمٌ بِبَيِّبٍ﴾	٢٩٢ ، ٥٢٩

رقم الآية	الآية	رقم الصفحة
١٦	﴿سَنَسُخِّرْ عَلَى الْفُلُوفِ﴾	٥١
٢٥	﴿عَلَى حَرِّ قَدِيدٍ﴾	٤٤٤
٤٢	﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾	٣٥٨

سورة الحاقة

٧	﴿كَأَنَّهُمْ أَشْجَارٌ تُغَلَىٰ خَاوِيَةً﴾	٤٩٠ ، ٦٧٤
٤١	﴿قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾	٣٥٢

سورة المعارج

٦	﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا﴾	٤٦٤
٧	﴿وَرَوْنَهُ قَرِيبًا﴾	٤٦٤
١٩-٢٢	﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾﴾	١٣٣

سورة نوح

١٤	﴿وَقَدْ خَلَقْنَا أَدَمًا﴾	٤٧٤
١٧	﴿وَاللَّهُ أَتَبَّكَرُ مِنَ الْأَرْضِ بَنَاتًا﴾	٧٩٨ ، ١١٢٣

سورة الجن

٨	﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَهَا مِثْلَ حَرِّ شَدِيدٍ﴾	٦٣٦
	﴿وَشَهَبًا﴾	
	﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَهَا مِثْلَ حَرِّ شَدِيدٍ﴾	١٢٥

سورة المزمل

١٧	﴿يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾	٧٩
----	--	----

رقم الآية	الآية	رقم الصفحة
سورة المدثر		
٣-٢	﴿قُرْ مَآئِذٍ ۝ وَرَبِّكَ تَكْذِبُ ۝﴾	٢٧٧
٤	﴿وَرَبَّكَ فَطَفِزْ﴾	٣١٢
٩-٨	﴿إِنَّمَا يُفِزُ فِي النَّافِرِ ۝ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ عَسِيرٌ ۝﴾	٢٤٠
٩	﴿يَوْمَ عَسِيرٌ﴾	٢٤٠
سورة القيامة		
٣١	﴿فَلَا صَلَفٌ وَلَا مَلْ﴾	٢٤٧
سورة الإنسان		
١	﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ﴾	٨٩٦
سورة المرسلات		
٢٥	﴿أَلَمْ تَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا﴾	٥٠٢
٢٦	﴿أَتَحْيَا وَأَمُوتَا﴾	٥٠٢
٣٦	﴿وَلَا يُؤْنَسُ لَكُمْ فَيْتَنُنَا﴾	١٢١٩ ، ٦٣٤
سورة النبأ		
٢٧	﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾	٧٨٥
سورة التازعات		
١٨	﴿هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَرْجَى﴾	٢٢٩
٣٤	﴿إِنَّمَا جَاءَكَ الْكَافَّةُ الْكُفَى﴾	٥٥١
سورة عبس		
٦	﴿فَأَن تَلَمْ تَصْنَعْ﴾	٧٠٦

رقم الآية	الآية	رقم الصفحة
٢١	﴿ثُمَّ أَنَا إِلَهُكَ فَاعْبُدْنِي﴾	٣٤٧
سورة الانفطار		
٦	﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَبِيرِ﴾	٧٠٦
سورة المطففين		
٣	﴿وَإِذَا كَالُهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ﴾	٢٥٠
سورة الغاشية		
١٥	﴿وَنَارُكَ مَصْفُوفَةً﴾	٢٨٧
١٦	﴿وَزَلَّاتُ الْمُبْتُوتَةِ﴾	٢٨٧
سورة البلد		
٤	﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾	١١٨٢
١٧-١٢	﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعُقْبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُ رَقَبَةٌ ﴿١٣﴾ أَوْ إِبْطَمَةٌ فِي بُيُوتِ ذِي مَسْجَرٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقَرٍ ﴿١٥﴾ أَوْ سَكِينًا ذَا مَفْرَقٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾	٤٠
سورة الشمس		
١٤	﴿فَدَمَدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ﴾	٧٢٢
سورة الليل		
٤-١	﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ﴿١﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى ﴿٢﴾ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ﴿٣﴾ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى ﴿٤﴾﴾	٨٦٢
١٠	﴿فَسَنِّيَرُهُ لِلْعَمَى﴾	٢٥٥
سورة القارعة		
٩	﴿فَنُفِثُ مَكَارِبَهُ﴾	٦٥٨

رقم الآية	الآية	رقم الصفحة
سورة الهُمزة		
٨	﴿إِنَّا عَلَيْهِمْ مُّؤَصَّدَةٌ﴾	٥٧١
سورة الفيل		
١	﴿أَلَمْ نَرِ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾	٧١٥
سورة قُرَيْش		
٢-١	﴿لَا يَلْفُ قُرَيْشٍ ۝ إِلَيْنِهِمْ رِحْلَةَ الْشِتَاءِ ۝ ١٠١٣ وَالصَّيْفِ ۝﴾	
سورة المَسَد		
٥	﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾	١٢٨٩
سورة الفَلَق		
٣	﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾	٣٤

٢ - فهرس الأحاديث النبوية

(أ)

أتكيلون أم تهيلون: ٦٥٧.

إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه: ١٩٢.

إذا أتاكم كريمة قوم فأكرموه: ٧٦٧.

إذا جاءكم كريم قوم فأكرموه: ١٩٢.

إذا ظهرت الفتن فكن حلس بيتك: ٣٧٢.

ألا أخبركم بشر الناس: ١١٦٩.

الله أكبر وأجل: ٥٥٧.

الله أعلى وأجل: ٥٥٧.

انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً: ٤٧٦، ٨١٣.

إن الله يحب معالي الأمور ويبغض

سفاسفها: ٣٣٨.

إن للخصومة قحماً: ٩٧٦.

أنه ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه: ١٠٦١.

أي مال أدت زكاته فقد ذهب أبنته: ٩٥٧.

الإيمان قيد الفتك: ٧٣.

الإيمان هبوب: ٥٥.

(ت)

تغدو الطير خماصاً وتروح بطائناً: ٥٦٠.

تلتلوه ومزمزوه: ٢٦٥.

(ر)

ردوني إلى أهلي غيرى نغرة: ١١٧٦.

(ز)

زر غباً تزدد حباً: ٣٦٨.

(ض)

ضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه: ٢٤.

(ف)

فكيلوا ولا تهيلوا: ٦٥٧.

(ق)

قوله اللهم صل على محمد وعلى آل

محمد: ٦٧٨.

قرأ ﷺ ﴿فَإِنَّكَ لَتَفِرَحْنَ﴾ [يونس: الآية

٥٨]: ٩٨٤.

(ك)

كنا إذا احمر البأس اتقينا برسول الله ﷺ:

٤٠٠.

كنا إذا اشتد البأس اتقينا برسول الله ﷺ:

١٢٥٩.

(ل)

لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوي:

١٢٧٢.

لا تقتل قريش صبراً بعد هذا: ٦٨٠.

لا تئى في الصدقة: ٣٦٤، ١١٨٢.

لا خلاط ولا وراط: ٦٢.

لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر:
٧٠٩.

لا يقتل قرشي بعد هذا صبرًا: ٦٨٠.

لو جتني من قبل لعفوت عنه: ٦٨٠.

(م)

ما أذن الله لشيء...: ٣٢٥.

ما ظنك برجل جمع بين هذين الغارين:
٤٣٧.

المرء بأصغريه قلبه ولسانه: ٥٣٠.

مزية وجهينة وأسلم وغفار موالى الله
ورسوله: ٢٨٠.

من كنت مولاه فعلي مولاه: ٢٨٠.

(ن)

نهى أن يخضع الرجل لغير امرأته: ٣٠.

(هـ)

هدنة على دخن: ٣٦.

هممت أن لا أذهب إلا من قرشي أو
أنصاري: ١٦٠.

هو لكثرة علمه: ٤٤٨.

(و)

وحشوا برماهم: ١٠٨١.

(ي)

يا خيل الله اركبي: ٤٨ ، ٤٣٤.

يمضيه الداعي وينفذهم البصر: ٣٠٧.

٣ - فهرس القوافي في متن الحماسة (*)

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
قافية الألف					
عجبت	فالرّحاً	الطويل	الراعي النميري	١٣	١٠٥٢ ، ١٠٤٩
يعقوب	الثّرى	الكامل	أبو حنش الهلالي	٤	٦٦٨ ، ٦٦٧
لعمرى	هَوَى	الطويل	سويد المرائد الحارثي	٥	٥٩٧ ، ٥٩٥
صبغت	دنياها	الكامل	جوّاس بن القعطل الكلبي	٦	١٠٤٣
قافية الهمزة					
الهمزة المفتوحة					
طعنْتُ	أضاءها	الطويل	قيس بن الخطيم	٧	١٣٩ ، ١٣٦
الهمزة المضمومة					
عادوا	أعداء	الكامل	-	٢	١٢٤٥
أرى	جفاء	الوافر	أبو البرج القاسم بن حنبل المري	٨	١١٦٢ ، ١١٦١
وما بعض	بلاء	الوافر	قيس بن الخطيم	٨	٨٣٥ ، ٨٣٤
وما العيش	وماء	الطويل	-	١	١٢٩٨
أبلغ	فناء	الطويل	محرز بن المكبر الضبّي	٨	١٠١٨ ، ١٠١٧
لا تعذلي	سواء	الطويل	-	٣	١٩٦ ، ١٩٥

(*) هذا الفهرس خاص بالقوافي التي وردت في متن الحماسة فقط، وقد أفردنا فهرساً آخر للقوافي الواردة في شرح المرزوقي، وقد رتبنا القوافي ترتيباً ألفبائياً عكسياً بدءاً بحرف القافية ثم بعده بالأحرف التي تسبقه. وبدأنا بالقوافي الساكنة ثم المفتوحة ثم المضمومة ثم المكسورة. ولم نأخذ بعين الاعتبار الضمائر المُلحَقَة بحرف الزّوي.

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
وأعرضُ	انطواء	الوافر	[جميل بن المعلى الفزاري]	٢	٨١٦
ألا بآيينا	لواؤها	الطويل	[ابن المولى]	٢	٩٩١
أأذكر	الحياء	الوافر	أمية بن أبي الصلت	٦	١٢٥٠ ، ١٢٥١
الهمزة المكسورة					
أتهجونا	براء	الوافر	أبو صعتره البولاني	٣	١٠٣٩
ألا أيها	ورائها	الطويل	الأخضر بن هبيرة الضبي	٣	٤١٩
إني وإنْ	وورائه	الكامل	الهذيل بن مسجعة البولاني	٦	١١٧٧ ، ١١٧٩
قضى	تناثيا	الطويل	شبيب بن عوانة الطائي	٢	٢٣٥
قافية الباء					
الباء الساكنة					
يذَّبْ	خشْبْ	المتقارب	عترة بن شداد	٤	٣٠٢ ، ٣٠٤
رددْتُ	تُستَلْبْ	المتقارب	أبو ثمامة بن عارم الضبي	٥	٤١٠ ، ٤١٢
الباء المفتوحة					
أخوك	استجابا	الوافر	ربيعة بن مكرم	٥	٣٨٤ ، ٣٨٥
كَانَ	حَبَا	السريع	[هند بنت أبي سفيان أو ربا بنت الأعرف]	١	١٢٩٤
ولما رأيتُ	مرحبا	الطويل	يحيى بن زياد	٣	٧٨٤
يا ربة	والقربا	البيسط	مزة بن محكان التميمي	١٣	١٠٩٣ ، ١٠٩٧
لا تنكحَنَ	هربا	البيسط	—	٢	١٣١١
ألا أيها	المقشبا	الطويل	قطري بن الفُجاءة	٢	٤٨٤
رَبَّيْتِه	زغبا	البيسط	أُم ثواب	٦	٥٣٧ ، ٥٣٩
أَكْثَيْتِه	اللقبا	البيسط	بعض الفزاريين	٢	٨٠٥
سأغسل	جالبا	الطويل	سعد بن ناشب	٩	٥٢ ، ٥٧
أطلبُ	الطلبا	السريع	الحكم بن عبدل	٨	٨٤٦ ، ٨٤٧
الباء المضمومة					
جزء	نوائبة	الطويل	[المساور بن هند]	٤	١١٦٧

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
أرى	تراثها	الطويل	-	٤	٩٣٠ ، ٩٣١
فأني	ناب	الوافر	ليلي الأخيلية	٢	١١٣٧
تأوب	إياها	الطويل	امراة من طيء	٥	٦٧٢
رأيت	عتب	الطويل	[أبو الشغب العبسي أو الأقرع بن معاذ]	٣	١٩٧ ، ١٩٨
إذا	العذب	الطويل	-	٣	١٩٧
تمت	محارب	الطويل	أرطاة بن سهية	٢	١٠٠٣
إذا المرء	أقاربه	الطويل	أبو النشاش	٥	٢٣٠ ، ٢٣٣
أعرك	أجرب	الطويل	شماس بن أسود الطهوي	٤	٣٦٢ ، ٣٦٣
ومولى	أجرب	الطويل	-	٢	٨٢١
وما أنا	أحرب	الطويل	رجل من بني أسد	٣	٢١٦ ، ٢١٧
ألا رُب	وينسب	الطويل	الغطمش	٥	٧٢٤ ، ٧٢٥
بشنة	أشب	الطويل	[جميل بشنة]	٣	٩٩٧
أقول	فالمحصب	الطويل	المعير السلولي	٥	١١٣١
كان	قاضبة	الطويل	ابن ميادة	٤	٩٣٣
لما تعيا	كعب	الطويل	عبد الله الحوالي	٤	١١٤٧
إذا هم	المراكب	الطويل	القتال الكلابي	٥	٤٦٢ ، ٤٦٣
إذا قيل	كواكبه	الطويل	أبو الطمحان القيني	٣	١١١٨ ، ١١١٩
إذا المرء	يركبوا	الطويل	قراذ بن عبّاد	٦	٤٧٥ ، ٤٧٦
ألا بكرث	حالبه	الطويل	رجل من بني سعد	٢	١٢٢٠
جزث	طالبه	الطويل	فرعان بن الأعرف	٣	١٠١٠
ألا طرقتنا	مطلب	الطويل	-	٤	٩١٠ ، ٩١١
رأيت	يتقلب	الطويل	بعض بني قيس	٥	١٥٦ ، ١٥٨
جفاني	جانبه	الطويل	بشر بن المغيرة	٤	١٩٢ ، ١٩٣
لنا إيل	ذاهب	المتقارب	حزاز بن عمرو	٦	١١٧٠ ، ١١٧٢
إلى الله	تذهب	الطويل	الغطمش الضبي	٢	٦٣١
فمن يك	تجاوب	الطويل	الأخنس بن شهاب	١٤	٥١٠ ، ٥١٧
أحب	الجدوب	الوافر	-	٤	٨٩٧
فلست	الكذوب	الوافر	[رجل من بحر]	٣	٢٢٦
ما إن	ومرهوب	البسيط	عبد الله بن عنمة الضبي	٦	٤١٦ ، ٤١٨

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
لمعرك	جنوب	الطويل	—	٣	٩٣٢
أغر	أطائية	الطويل	نهشل بن حري	٣	٦١٥ ، ٦١٦
أهابك	حيبها	الطويل	[نصيب]	٢	٩٥٣
وفي الجيرة	ريب	الطويل	—	٢	٩٢٩
أتاني	عجيب	الطويل	جزء بن ضرار	٨	٢٤٩ ، ٢٥٢
بنفسى	يجيب	الطويل	[ابن الدمينه]	٢	٩٢٩
ألا لا	تعيب	الطويل	ابن الدمينه	٩	٩٥٤ ، ٩٥٦
إذا ما	مهب	الطويل	امراه	٢	٧٥١
الباء المكسورة					
أنخ	الحباب	الطويل	—	٢	١٢٩٧
طلبت	سائب	الطويل	محمد بن بشير الخارجي	٤	٥٧٣ ، ٥٧٥
وما أنا	الركائب	الطويل	حاتم الطائي	٢	٨١٩
وهن	الركائب	الطويل	—	٢	١٢٧٦
سائل	سباب	الكامل	مساور بن هند	٦	٣١٠ ، ٣١٢
يا طول	بحجاب	الكامل	أخت المقصص الباهلية	٦	٧٦٨ ، ٧٧٠
أبلغ	كلاب	الكامل	رجل من بني نصر بن قعين	٥	٥٩٧ ، ٥٩٧
أنا ابن	جنا	الوافر	رجل من بني نمير	٣	٤٩٣
قولا	عنا	البسيط	حريث بن عنا	٥	١٠٣٥ ، ١٠٣٦
لا أستهي	الحاج	الكامل	موسى بن جابر الحنفي	٣	٢٦٣ ، ٢٦٤
صفا	صاحب	الطويل	معدان بن المضرب الكندي	٣	٩٢٦
هويتك	صاحب	الطويل	مرداس بن هماس الطائي	٤	٩٨٦
خيال	المذبذب	الطويل	البعيث بن حريث	١٠	٢٧٣ ، ٢٧٦
أقول	المشذب	الطويل	—	٩	٤٩٠ ، ٤٩٢
أعاصي	محارب	الطويل	عاصية البولانية	٤	١٠٨٣
حليم	يثرب	الطويل	كثير عزة	٣	١٢٣٢
هلم	الشر	الطويل	إياس بن الأرت	٤	٨٩٥ ، ٨٩٦
لقد مات	والشر	الطويل	—	٣	٦٥٦

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
أيا ابن	العازب	السريع	الحارث بن همام الشيباني	٢	١٠٩
أرق	وراسب	الطويل	بعض بني عبس	٣	٢٣٩
وكل	الخطب	الطويل	[قيس بن ذريح]	٣	٨٧٧
أعاذل	العواقب	الطويل	أبو الحجناء مولى بني أسد	٦	٦٥٣ ، ٦٥١
لججنا	والتنقب	الطويل	حجبة بن المضرب	٧	٨٢٧ ، ٨٢٦
لعمري	مركب	الطويل	[نهشل بن حري]	٣	٢٦٠
إن كنت	ومنكبي	الطويل	-	٤	٢٢٨ ، ٢٢٧
لا تجعلن	الموكب	الكامل	ابن الزبير الأسدي	٤	١٢٥٧
بكت	غالب	الطويل	إسماعيل بن عمار الأسدي	٢	١٠٥٨
وعاذلة	قلبي	الطويل	وجيه بنت أوس الضبية	٥	٩٨٥ ، ٩٨٤
لا أكرم	قلبي	الطويل	[سحيم الفقيسي]	٢	١٢٩٥
بني	جانب	الطويل	عمارة بن عقيل	٣	١٠٠٦
آخر	هوبوي	الطويل	-	٢	٩٢٤
لا يبعدن	بذنوب	الكامل	حفص بن الأحنف الكناني	٤	٦٤٠ ، ٦٣٩
يا لهف	فالآيب	السريع	ابن زبابة التيمي	٣	١١١ ، ١٠٩
ردي	ذيب	الوافر	-	٢	١٠٧١

قافية التاء

التاء المضمومة

يا أيها	الصوت	البسيط	رويشد بن كثير الطائي	٣	١٢٥ ، ١٢٤
إذا اجتمع	يموت	الطويل	-	١	١٢٩٩
وقالوا	انتشيت	الوافر	سنان بن الفحل	٥	٤٢١ ، ٤٢٠
وهاجرة	واشتويتها	الطويل	البعيث الحنفي	٤	١٢٦٥

التاء المكسورة

وحرب	الدبرات	الطويل	امراة من بني عامر	٤	٥٣٢ ، ٥٣١
فنعّم	هنات	الوافر	البرج بن مسهر الطائي	٦	٢٦٣ ، ٢٦١
وبالحيرة	برت	الطويل	أبو الطمحان القيني	٣	١٣٠٤

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
ولمّا رأيتُ	فاسبطرتُ	الطويل	عمرو بن معديكرب	٧	١١٧ ، ١٢١
سأشكر	جلّت	الطويل	-	٣	١١١٢
مررتُ	خُلّت	الطويل	سليمان بن قتّة العدوي	٤	٦٧٨ ، ٦٧٩
حلّت	فالحلّت	الكمال	سلمي بن ربيعة	١١	٣٨٦ ، ٣٩٠
لا تنكحنّ	وملّت	الطويل	-	٣	١٣١٠
لحا الله	وولّت	الطويل	عبد الرحمن بن الحكم	٢	١٠٤٨
ألا ليت	هامني	الطويل	قراد بن غوية	٦	٧٠٩ ، ٧١١
زعم	وأجمّت	الكمال	[جندب بن عمّار الطائي]	٢	٢٢٤
لو شهدت	أرنت	الطويل	سيار بن قصير الطائي	٣	١٢١ ، ١٢٢

قافية الجيم

الجيم المفتوحة

ماذا يكلفك	اللدجا	البسيط	محمد بن بشير	٦	٨٢٤ ، ٨٢٥
لا أحسبُ	الودجا	البسيط	عبد الله بن الزبير الأسدي	٢	٨٢٢

الجيم المكسورة

فلو يأتي	حاجي	الوافر	جارية ماتت أمّها	٣	٦٥٧
وأشعث	منضج	الطويل	الشماخ بن ضرار	٤	١٢٢٩

قافية الحاء

الحاء المفتوحة

هجوّ	صحاحا	الوافر	[ابن هرمة]	٥	١٠٦٥
------	-------	--------	------------	---	------

الحاء المضمومة

ولو أنّ	وصفائح	الطويل	توبة بن الحمير	٣	٩١٨
لتبك	النوائح	الطويل	شبيب بن عوانة	٣	٦٨٦
يا بؤس	فاستراحوا	الكمال	سعد بن مالك بن ضبيعة	١٠	٣٥٥ ، ٣٦٠
كانّ	يرأح	الوافر	نصيب	٢	٩١٩
بيننا هم	الذبيح	الكمال	الحكم بن عبدل الأسدي	٣	١٢٥١
مضى	مادح	الطويل	أشجع بن عمرو السلمي	٧	٦٠٦ ، ٦٠٨
ومستبح	جانح	الطويل	عتيبة بن بجير المازني	٩	١٠٨٩ ، ١٠٩٢

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
الحاء المكسورة					
يا عين	الجزّاح	الكامل	فاطمة بن الأحجم	٦	٦٤٤ ، ٦٤٢
			الخزاعية		
ألا أبلغ	النطاح	الوافر	رجل من بني يشكر	٤	٥٤٩
رايتُ	بالرمّاح	الوافر	أبو صخر الهذلي	٢	٢٣٨
قلتُ	رُزّح	الطويل	عروة بن الورد	٣	٣٣٤ ، ٣٣٣
لبس	النواضح	الطويل	قسام بن رواحة السنبسي	٤	٦٧٧ ، ٦٧٥
وأدنيّتي	الأباطح	الطويل	كثير عزة	٢	٩١٢ ، ٩١١
يا أهل	السفّح	المنسرح	مطيع بن إياس	٤	٦٠٤ ، ٦٠٣
ألا علّاني	الجوانح	الطويل	أبو الطمحان القيني	٢	٨٨٧
قلتُ	سحوح	البسيط	مطيع بن إياس	٣	٦٠٤
عجبتُ	صحيح	الطويل	كثير عزة	٣	٩٠٦ ، ٩٠٥

قافية الدال

الدال الساكنة

من لنفس	السهذ	الرمّل	عاتكة بنت زيد	٣	٧٧٦
---------	-------	--------	---------------	---	-----

الدال المفتوحة

أخ	عادا	الوافر	زيد الأعجم	٢	١٢٦١
آل المهلب	كادا	البسيط	[نهار بن توسعة أو عمرو بن لجأ]	٣	١٢٥٤
وُبُثْتُ	فصرخدا	الطويل	—	٢	١٠٧٠
ليس	بردا	الكامل	عمرو بن معديكرب	١١	١٣٥ ، ١٢٩
لله	أمردا	الطويل	—	٢	٧٣١
خليليّ	قصدا	الطويل	ورد الجعدي	٢	٩٣٦
وأبغض	قعدا	البسيط	[حميد الأرقط]	٢	١٢٩٩
تقول	مقعدا	الطويل	حطائط بن يعفر	٤	١٢١٦ ، ١٢١٥
دعا	غدا	الطويل	كلثوم بن صعب	٣	٩٧١
مُنَى	رغدا	الطويل	رجل من بني الحارث	٢	٩٨٩
اللؤم	ولدا	البسيط	—	٣	١٨٢

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
يعاتبني	حمدا	الطويل	المقنع الكندي	١١	٨٢٨ ، ٨٢٩
لقد أمرت	أحمدا	الطويل	يزيد بن الجهم أو		
			حميد بن ثور	٤	١٢١٣ ، ١٢١٤
مُرا	رمدا	الطويل	—	٤	٩٩٢ ، ٩٩٣
رمى	سمودا	الوافر	عبد الله بن الزبير الأسدي	٢	٦٦٣ ، ٦٦٤
الدال المضمومة					
تألى	مفائذ	الطويل	زيد الفوارس بن حصين	٤	٣٩٧ ، ٣٩٩
وياكية	بعادها	الطويل	جرير	٣	٧٧٨
ذهب	العواذ	الكامل	عوف القوافي	٥	١٩١ ، ١٩٢
أتشخذ	تكابد	الطويل	العباس بن مرداس	٥	٣١٥ ، ٣١٧
لا يُبعد	والأبد	البيسط	—	٢	٦٣٠
ولائي	واجدة	الطويل	إياس بن الأرت	٤	١١٨١
إني امرؤ	واحد	الطويل	عروة بن الورد	٣	١١٥٧
قليلة	بارد	الطويل	[عتيبة بن مرداس]	٣	٩٣٢
ونار	الصوارد	الطويل	—	٢	٩٥٠
هل الحب	برد	الطويل	[قيس بن زريح أو ابن الدمينة]	٢	٩٣٢
تمنى	حاسده	الطويل	أبي بن حمام العبسي	٢	٣٠٠
إن يحسدوني	حُسدوا	البيسط	—	٣	٢٩٣ ، ٢٩٤
خليلي	الرواعد	الطويل	امراة من بني أسد	٣	٦٨٩ ، ٦٩٠
إخوتي	بعدوا	المديد	فاطمة بنت الأجم		
			الخراعية	٤	٦٤٤
ولأنك	أسعد	الطويل	[عدي بن زيد]	٣	٨٠٨
هوى	صَعَدَ	الوافر	—	٦	٦٣٤ ، ٦٣٥
على مثل	الفواقذ	الطويل	ابن أهبان الفقعسي	٤	٧٤٥ ، ٧٤٦
ولائي	وجامدة	الطويل	مضر بن ربيعي	٣	١١٨٨
إذا أنت	حامد	الطويل	محمد بن أبي شحاذ		
			الضبي	٦	٨٤٣ ، ٨٤٤
أضحث	يتعمد	الطويل	—	٢	٨٠٧
تبعث	قوؤد	الطويل	بعض بني أسد	٩	٩٨٧ ، ٩٨٩

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
بني	قتودها	الطويل	خنزر بن أرقم	٦	١٠٥٣ ، ١٠٥٤
والله	أجود	الطويل	نصيب	٤	١٢٤٩
لم أرَ	والنجد	الوافر	—	٣	١١٢٠
وكنث	أذودها	الطويل	الحسين بن مطير	٢	٩٥١ ، ٩٥٢
لقد كنث	شرودها	الطويل	مدرک، أو مغلس بن حصن الفقعي	٧	١٠٦٦ ، ١٠٦٧
إلى	الأسود	الكامل	حبيلة بنت عبد العزى العوراء	٥	١١٤٤ ، ١١٤٥
لقومي	تسودها	الطويل	قراد بن حنش	٤	١٠٠٠ ، ١٠٠١
القائلين	عودوا	البيسط	عمرو القنا	٣	٤٧٩
وخبرث	أعودها	الطويل	[العوام بن عقبه]	٢	٩٩٠
تركت	تعوذ	الوافر	عترة بن شداد	٤	٣٠٧ ، ٣٠٩
ولنا لنجفو	فيعوذ	الطويل	—	٢	١٢٩٩
ومستنج	وقودها	الطويل	—	٤	١١٥٠
ألا إن	لجمود	الطويل	أبو عطاء السندي	٤	٥٦٦ ، ٥٦٨
لقد كنث	خمودها	الطويل	الحسين بن مطير الأسدي	٦	٨٦٠ ، ٨٦١
أتبكي	السهود	الوافر	الأسود بن زمعة بن المطلب	٣	٦١٧
ماذا	شهودها	الطويل	الراعي النميري	٩	١٠٥٤ ، ١٠٥٦
أتشخذ	نكايد	الطويل	العباس بن مرداس	٥	٣١٥
لقد طوفت	أبيد	الوافر	المسجاح بن سباع الضبي	٤	٧١٢
تناهوا	النجد	الوافر	عقيل بن علفة المري	٦	٢٨٩ ، ٢٩١
لقد علم	الحديد	الوافر	حيان بن ربيعة الطائي	٣	٢٠٩ ، ٢١٠
أيا لهقى	الشديد	الوافر	شبل الفزاري	٤	٤٨٢ ، ٤٨٣
لكل	تزيد	الطويل	عبد الله بن ثعلبة الحنفي	٣	٦٢٩
رهنت	مزيد	الطويل	[يزيد بن محمد بن المهلب]	٢	١١١٧
أبي	بعيد	الكامل	الضبي	٦	٧٢٩
فإنك	سعيد	الوافر	—	٢	١٢٩٦
ألا إن	أكيد	المتقارب	الأخرم السبسي	٧	٤٢٧ ، ٤٢٨

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
ألا هلك	التليدُ	الوافر	كبد الحصاة العجلي	٢	٧٤٤
متى ما	وجليدُ	الطويل	رجل من بني قريع	٤	٨٠٧ ، ٨٠٦
ولي	وليدها	الطويل	—	٢	٩٥٢
باتت	تعويذُ	البسيط	رجل من آل حرب	٤	١٢٠٤
الدال المكسورة					
ألا بكرث	للسدادِ	الوافر	عبد الله بن الحشرج	٥	١٢١٩
إن تنصفونا	بيعادِ	الطويل	الجعدي	٧	٤٨٢ ، ٤٨٠
الله	جلادِ	الكامل	زاهر أبو كزّام التميمي	٨	٤٧٨ ، ٤٧٦
وذوي	الأفنادِ	الكامل	بعض بني فقعس	٣	١٦٩ ، ١٦٨
صلّى	الأشهادِ	الكامل	—	٥	٧٦٤ ، ٧٦٢
إذا ما	زيادِ	الوافر	[عميرة بن مرة الحرشي أو يزيد بن مفرغ الحميري]	٢	١٠٨٤
فإن تكن	زيادِ	الوافر	—	٣	١١٢٨
تركّت	الأبدِ	البسيط	—	٢	١٠٩٩
الله يعلم	مزيدِ	الكامل	الحارث بن هشام بن المغيرة	٣	١٤١ ، ١٣٩
لحا الله	معبدِ	الطويل	رجل من كلب	٤	٧٥٢
قلتُ	ييدي	الطويل	شبيب بن البرصاء	٣	٨٠١
نعمي	نجدِ	الوافر	—	٢	٦٩٣
ألا يا	وجدِ	الطويل	عبد الله بن الدمينّة	٦	٩١٠ ، ٩٠٩
إن أجز	واحدِ	الكامل	رجل من بهراء اسمه فذكي	٣	١١١٤ ، ١١١٣
تشكّي	وحدِ	الطويل	[ابن قمّ الزبيدي]	٢	٨٨٩
تحمل	وحدِ	الطويل	—	٢	٩٥٦
تراه	المقددِ	الطويل	دريد بن الصّمة	١	١٢٣٢
بيضاء	مبردِ	الكامل	[محمد بن بشير]	٤	٩٤٨
أقول	تردِ	البسيط	أعرابي	٢	١٥٢
أيا ابنة	الوردِ	الطويل	[حاتم الطائي أو قيس بن عاصم المنقري]	٤	١١٦٨
هاجرتي	للوردِ	السريع	قيصة بن النصراني	٣	٤٤٣

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
أعوذ	بالمسد	البسيط	أبو الخندق الأسدي أو دعبل الخزاعي	٣	١٢٨٩
دعوت	السواعد	الطويل	بعض بني ققمس	٢	٣٥٥ ، ٣٥٤
مَن مبلغ	البعدي	الطويل	عارق الطائي	٥	١٠٢٤
ألا يا	الجعدي	الطويل	العديل بن الفرخ	٢١	٥٢٦ ، ٥١٧
إذا كنت	سعد	الطويل	حسان بن علبة	٢	٣٦٩ ، ٣٦٨
لمست	يعدي	الطويل	—	٢	١١٤٠
كأنني	أوقد	الطويل	—	٣	٦٣٣
وإذا الفتى	يولد	الكامل	يزيد الحارثي	٢	١٢٣١
إني على	عندي	الطويل	ابن هرم الكلابي	٤	٩٩٥ ، ٩٩٤
أبي	يفند	الطويل	[أبو الأسود الدؤلي]	٢	٩٤١
ويل	الندي	الطويل	—	٢	٨٤٤
نصحت	شهدي	الطويل	دريد بن الصمة	١٧	٥٨٢ ، ٥٧٥
ألا ترين	والجود	البسيط	—	٢	١١٠٨
أنعى	بموجود	السريع	أشجع بن عمرو السلمي	٢	٦٦٣
نهل	الأسود	الكامل	رجل من خثعم	٤	٥٧٢ ، ٥٧١
مَن للخصوم	الغود	البسيط	أم قيس الضبية	٣	٧٤١
لقل	مجهودي	البسيط	—	٢	١٢٣٩
وكتيبة	يدي	الكامل	الفرار السلمي	٣	١٤٢ ، ١٤١
إنّا لنصفح	الأصيد	الكامل	مضر بن ربيعي	٧	٨٣٢ ، ٨٣١

قافية الراء

الراء الساكنة

وخيل	المذخر	المتقارب	أبي بن سلمي بن ربيعة	٨	٣٩٣ ، ٣٩٠
رآني	جهز	الطويل	ابن عتقاء الفزاري	٦	١١١٢ ، ١١١٠

الراء المفتوحة

قد كان	وأبصارا	البسيط	—	٢	٦١٣
ويوم	قصارا	الوافر	شمعلة بن الأخضر الضبي	٣	٤٠٤ ، ٤٠٣
ألا لا	فأدبرا	الطويل	—	٣	٦٩٥
أعيني	أتصبرا	الطويل	عمرة بنت مرداس	٣	٧٧١

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
تولّت	أغبرا	الطويل	-	٢	١٠٥٩
أليث	أغبرا	الطويل	عاتكة بنت زيد	٣	٧٧٣
ضربنا	منبرا	الطويل	عمرو بن مخلدة الحمار الكليبي	٧	١٠٤٣
لم أرَ	فخرا	الطويل	زياد الحارثي	٢	١٧٩ ، ١٧٨
دبيت	الأزرا	البيسط	رجل من بني أسد	٣	١٠٥٦
ولما رأيت	شزرا	الطويل	-	٢	٨٧٢
خبروها	سرا	الخفيف	[عمر بن أبي ربيعة]	٥	١٢٩٠
كاثّر	نصرا	الطويل	-	٣	١٠٦٣
أخالد	يتدعرا	الطويل	خارجة بن ضرار المري	٣	١٠٠٥
ولقد أرانا	فالأصفرا	الكامل	جابر بن حريش	٥	٤٢٢
أحب	وقرا	الطويل	سالم بن وابصة الأسدي	٤	٨٠٢
أبوك	شَمَرَا	الطويل	جميل بثينة	٣	٢٣٠ ، ٢٢٩
لَهْفَى	عَمْرَا	الطويل	كنزة أم شملة بن برد	٢	٤٩٨
نحن	مذكورا	الكامل	ليلى الأخيلية	٣	١١٢٦
أبت	ظهورا	الكامل	-	٢	٩٠٠
إذا لاقيت	خبيرا	الوافر	[جثامة بن قيس]	٢	١١٤١
سُئِي	كثيرة	السريع	جارية	١	١٣٠٢
وكتنا	وحميرا	الطويل	زفر بن الحارث	٤	١١٦ ، ١١٥
إني وإن	وحميرا	الطويل	حسان بن نشبة العدوي	٤	٢٤٦ ، ٢٤٥

الراء المضمومة

نارث	ثائر	الطويل	منصور بن مسجاح الضبي	٤	١٠١٤
ومما	حائر	الطويل	-	٢	٨٧١
أتينا	زائرة	الطويل	أعشى ربيعة	٣	١٢٤٧
أترجو	كبارها	الطويل	شعيت بن عبد الله	٢	١٠٣٣
لا توعدنا	أحرار	الطويل	سعد بن ناشب	٥	٤٧٥ ، ٤٧٣
أجنوب	الأشرار	الكامل	سوار بن المضرب	٣	٤٨٩ ، ٤٨٧
أراني	أزار	الوافر	-	٢	١٠٧٥
متى	قصار	الوافر	امراة	٤	١٠٥٨

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
قبر	الأخطارُ	الكامل	مسلم بن الوليد	٤	٦٦٦ ، ٦٦٧
ألا من	والإمارُ	الوافر	صفية بنت عبد المطلب	٣	١٢٥٥
أبكي	نارُهُ	الكامل	العوراء بنت سبيع	٣	٧٧٦
إنني حمدتُ	النارُ	البسيط	يزيد بن حمان السكوني	٤	٢١٩ ، ٢٢٠
لقد بلاني	سيتارُ	البسيط	أبو حنبل الطائي	٣	٢١٧ ، ٢١٨
إذا شالت	معايرُ	الطويل	عبد الله بن سبرة الحرشي	٢	٣٤٣
إذا المرء	مدبرُ	الطويل	تأبط شراً	٩	٥٧ ، ٦٤
إذا ما	الصبرُ	الطويل	[العباس بن الأحنف]	٢	٦٣٦
أقول	والصبرُ	الطويل	سلمة الجعفي	٦	٧٥٦ ، ٧٥٨
أودي	المغبرُ	الكامل	المساور بن هند	٨	٣٣٠ ، ٣٣٣
سمونا	والمهاجرُ	الطويل	إياس بن مالك الطائي	٨	٤٢٤ ، ٤٢٦
كتنا كغصنين	الشجرُ	البسيط	صفية الباهلية	٤	٦٦٩
ألممُ	عجرُ	البسيط	—	٤	١٣٠٨
إذا ذكر	أفاخرُ	الطويل	موسى بن جابر الحنفي	٢	٢٦٧
ألا فاقصري	المفاخرُ	الطويل	امراة	٢	٧٢٦
إيّاك	المصادرُ	الطويل	—	٢	٨٠٩
أبعدت	القدرُ	المنسرح	رجل من بني أسد	٤	٧٤٠
قضى	يحاذرُ	الطويل	عامر بن الطفيل	٢	٥٠٤ ، ٥٠٥
لعمري	يحذرُ	الطويل	أعرابي	٥	١٣٠٠ ، ١٣٠١
وقفتُ	الحواسرُ	الطويل	ريطة بنت عاصم	٤	٧٧٢
إذا المرء	أواصرُهُ	الطويل	أوس بن حبناء	٣	٤٦٤ ، ٤٦٥
سلبتُ	وتخصرُ	الطويل	الحارثي	٤	٩٩٨
قد كان	مضرُ	البسيط	عكرشة أبو الشغب	٢	٧٣٠
لما رأيتُ	تخطرُ	الطويل	حريث بن عتاب	٦	٤٤٨ ، ٤٥٠
وكنتُ	المناظرُ	الطويل	—	٢	٨٦٨
نظرتُ	أنظرُ	الطويل	[مجنون ليلي]	٢	٩٥٩
ومستعجل	محافرةُ	الطويل	—	٣	١٠٥٧
ألا إنَّ	وافرُ	الطويل	امراة	١	١٢٦٢
بني	وحوافرُ	الطويل	[حريث بن عتاب]	٧	١٠٣٧ ، ١٠٣٨
لعمري	جعفرُ	الطويل	لييد	٢	٧٣٢

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
أتنسئ	قراقرز	الطويل	سبرة بن عمرو الفقعسي	٤	١٧٣ ، ١٧٥
لعمز	فقر	الطويل	حكيم بن قبيصة بن ضرار	٦	١٢٧٨ ، ١٢٨٠
فتئ	الفقر	الطويل	النابعة الجعدي	١	٦٨٣
طلبئ	لشاكز	الطويل	طريح بن إسماعيل الثقفي	٣	١٢٥٦
جذام	تعتكرز	البسيط	أوس بن ثعلبة	٢	٤٨٩
أما والذي	الأمر	الطويل	أبو صخر الهذلي	٤	٨٦٢ ، ٨٦٣
هل الوجد	الجمز	الطويل	[قائد بن المنذر القشيري]	٣	٨٨٨
ذكرتك	السمز	الطويل	أبو عطاء السندي	٣	٤٤ ، ٤٥
الدهر	الدهز	الكامل	منقذ الهلالي	٤	٧٣٦ ، ٧٣٧
أقول	السهر	البسيط	أبو دهب الجمحي	٤	٩٤٥
ولما نعي	الظهز	الطويل	الأبيرد اليربوعي	٤	٧٥٤ ، ٧٥٦
أترك	لصبورز	الطويل	أبو دهب الجمحي	٤	٩٢٣
ومستنبج	وستورزها	الطويل	شريح بن الأحوص بن جعفر	٣	١٠٠٠ ، ١٠٠١
وبالبيداء	النذوز	الوافر	هلال بن رزين	٥	٢٤٧ ، ٢٤٩
ولقد	لفروز	الرمز	عمرو بن معديكرب	٤	١٣٥ ، ١٣٦
لا يكشف	يزورزها	الطويل	جعفر بن علبة الكلبي	٢	٣٩ ، ٤٠
ومستنبج	وكسوزها	الطويل	شريح بن الأحوص	٣	١١٩٥
ومستنبج	أصورز	الطويل	—	١٢	١١٥١ ، ١١٥٤
شققئ	الفطورز	الوافر	عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود	٢	٩٤٧
فأبلغ	سفوز	الوافر	مالك بن جعدة الثعلبي	٤	١١٤٦
ألا قالت	الدهورز	الوافر	نفر بن قيس	٢	٨٩١
واني لتراك	أسشيرزها	الطويل	شبيب بن البرصاء	٦	٧٨٩ ، ٧٩٠
لَهْمًا	مجيرز	الكامل	الثيمي	٧	٦٧٠ ، ٦٧١
ترئ	مزيرز	الوافر	العباس بن مرداس	٩	٨١٠ ، ٨١٢
يطول	قصيرز	الوافر	ابن أبي دباكل الخزاعي	٢	٩٤٦ ، ٩٤٧
أطلن	تضيرز	الوافر	عترة بن الأخرس المعني	٤	١٦١ ، ١٦٢
يقول	يضيئزها	الطويل	توبة بن الحمير	٢	٩٤٦
لئن كان	لفقيز	الطويل	[ابن الدمينة]	٢	٩١٣ ، ٩١٤

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
الراء المكسورة					
أثني	والجارِ	البيسط	[إياس بن الأرت]	٢	١١٨٢
ماذا	الدارِ	البيسط	[الأخطل]	٢	١٣١٨
لو كنتُ	الدارِ	البيسط	مالك بن أسماء	٣	١٠٦٤
قوم	والدارِ	البيسط	بعض آل المهلب	٢	١٠٦٣
فما	بأشرارِ	البيسط	—	١	١٠٣٤
اصرميني	المزارِ	الخفيف	[دعبل الخزاعي]	٥	١٣١٢
إني أرقُ	الساري	الكامل	الربيع بن زياد العبسي	١٠	٧٠٤ ، ٧٠٠
هينون	أيسارِ	البيسط	المرندس	٦	١١١٧ ، ١١١٥
يا قبح	والعارِ	البيسط	—	٢	١٠٧٢
كم من	قاري	البيسط	—	٢	١١٨٣
إذا كنت	حمارِ	الطويل	ربعان	٢	١٠٧٤
أضحى	المسمارِ	الكامل	ابن عبد الأسد	٢	١٠٨١
أقول	فالضمارِ	الوافر	[الصّمة القشيري]	٥	٨٧٠ ، ٨٦٩
إني لأرباب	المقابرِ	الطويل	عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي	٧	٦٢٢ ، ٦٢١
أبعدَ	مدبرِ	الطويل	مسافع بن حذيفة العبسي	٤	٦٩٩ ، ٦٩٨
لعمري	فاصبرِ	الطويل	أم النحيف	٩	١٣٠٤ ، ١٣٠٣
تقول	الصبرِ	الطويل	دريد بن الصّمة	٨	٥٨٥ ، ٥٨٢
تضيّقُ	والصبرِ	الطويل	عمرو بن ضبيعة الرقاشي	٤	٩٨٤
فيا ربّ	قبري	الطويل	—	٣	٨٥٨
وإذا تُباع	المشتري	الكامل	ابن المولى	٥	١٢٣٦ ، ١٢٣٥
وضعنا	هاجرِ	الطويل	شمعلة بن الأخضر	٣	١٠١٩
إن كان	بالهجرِ	الطويل	—	٢	٩٢٨
الأمّ	بحرِ	الطويل	[دعبل الخزاعي]	٧	١٣١٣
فلو أنّ	البحرِ	الطويل	أرطاة بن سهية المري	٤	١١٦٣
تفتّديني	تدري	الطويل	سعد بن ناشب	٧	٤٧٣ ، ٤٧١
يا راكبًا	الصدرِ	الطويل	طرفة الجذيمي	٥	٢٩٩ ، ٢٩٧
دمشق	القدرِ	الطويل	—	٢	١٣٠٦

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
تثاقلت	أزري	الطويل	—	١	٨٢٢
لحا الله	مجزر	الطويل	عروة بن الورد	٧	٣٠٤ ، ٣٠٧
سلي	ومجزري	الطويل	[عروة بن الورد]	٢	١١٠٢
فلأنظرن	أخزر	الكامل	أبو الأسد	٢	١٠٤٨
وجدنا	والفزر	الطويل	يحيى بن منصور الحنفي	٣	٢٣٧
ألا ليت	يسري	الطويل	—	٢	٩٢٨
ومن أنتم	الأعاصير	الطويل	زياد الأعجم	٣	١٠٧٦
وقاسمني	شطري	الطويل	العتبي	٤	٧٥١ ، ٧٥٠
سقى	القطر	الطويل	—	٢	١٣٠٧
سقى	القطر	الطويل	عكرشة العبسي	٥	٧٣٩ ، ٧٣٨
ولقد شهدت	التمطر	الكامل	بعض بني تميم الله بن ثعلبة	٣	١٠١ ، ٩٩
له بفناء	العراعر	الطويل	النابعة الذبياني	٣	١١٩٣
ألا فتى	سفر	البيسيط	—	٣	١٣٠٢
متى	صفر	الطويل	حاتم الطائي	٣	١٢٥٣
تبكي	بكر	الكامل	خزان بن عمرو	٦	٧١٤ ، ٧١٣
لما رأيت	معكر	الطويل	شريح بن قرواش العبسي	٤	٢٩٧ ، ٢٩٦
لا تقبروني	عامر	الطويل	الشنفرى	٣	٣٤٩ ، ٣٤٧
لينغم	السمر	الطويل	—	٣	٦٢٧
أعاذل	عمري	الطويل	—	٣	٨١٢
تمت	والقمر	البيسيط	—	٢	١٣٠٩
ويوم	المزاهر	الطويل	شبرمة بن الطفيل	٣	٨٩٠
وما أمتكم	زهر	الطويل	عوف القوافي	٢	١٠٦٩
أقلي	فاسهري	الطويل	زيد الفوارس	٥	١١٧٦ ، ١١٧٥
لم أر	ظهر	الطويل	قيصة بن النصراني	٤	٤٣٦ ، ٤٣٤
جزي	ظهري	الكامل	أبو العتاهية	٥	١٠٨٠
إن كنت	تحوري	الكامل	المنخل بن الحارث		
			اليشكري	١٥	٣٧٥ ، ٣٧١
ولإذا مررت	مقرور	الكامل	—	٤	١٢٩٠
أليث	متنور	الطويل	المرار الفقعسي	٥	١٢٠٨ ، ١٢٠٧

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
قافية السين					
السين الساكنة					
شَدِي	وَأَرْوُسُ	السريع	دِرَاج	٢	٤٨٤
السين المفتوحة					
فلم أَر	فوارسا	الطويل	العباس بن مرداس	٤	٣١٩ ، ٣١٧
لقد علم	الأحامسا	الطويل	حسيل بن سجيح الضبي	٨	٤٠٧ ، ٤٠٤
السين المضمومة					
يقول	المراشُ	الوافر	[أبو دلالة أو الأعور الشني أو حبيب بن عوف]	٢	١٢٨٧
زكيرة	هاجسُ	الطويل	أبو صعتره البولاني	٣	٧٢٤
إذا أرسلوني	الممارسُ	الطويل	يزيد بن الطثرية	٢	١٢١٠
تقول	المتقاعسُ	الطويل	الهدول بن كعب العنبري	٨	٤٩٧ ، ٤٩٤
ونحن	وتنافسُ	الطويل	أرطاة بن سهية	٣	٢٨٨ ، ٢٨٧
تُبَيِّتُ	المجلسُ	الكامل	مهلهل	٢	٦٥٥
فما نطفة	دامسُ	الطويل	أبو صعتره البولاني	٣	٨٩٨
ألم ترَ	يرمسُ	الطويل	المتلمس	١٣	٤٧١ ، ٤٦٦
السين المكسورة					
إذا	الممارسِ	الطويل	يزيد بن الطثرية	٢	١٢١٠
ومختبط	نفسِي	الطويل	منصور بن مسجاح	٣	١١٧٣
ولقد	بالخمسِ	الكامل	رجل من بني بكر	٤	١٢٧٤
بَقِيْتُ	عبوسِ	الكامل	الأشتر النخعي	٤	١١٣ ، ١١١
قافية الشين					
الشين المكسورة					
مُنِيْتُ	كندشِ	المتقارب	أبو الغطمش الحنفي	١٠	١٣١٧
وفيشة	وطيشِ	السريع	—	٢	١٢٩٥

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
قافية الصاد					
الصاد المفتوحة					
لا تبعدن	قيصا	الكامل	مية بنت ضرار	٢	٧٣٨ ، ٧٣٧
قافية الضاد					
الضاد المضمومة					
قولا	الفرائض	الطويل	قوال الطائي	٣	٤٥٥
إلى الله	غائض	الطويل	البرج بن مسهر الطائي	٨	٤٤١ ، ٤٣٨
الضاد المكسورة					
أرقت	أرض	الطويل	ملحة الجرمي	٨	١٢٧٠ ، ١٢٦٧
ألا يا	العرض	الطويل	—	٢	١٣١٥
إني لأستغني	قرضي	الطويل	بعض بني أسد	٦	٨١٩ ، ٨١٧
وأقسم	بعض	الطويل	—	١	١٣١٥
حمدت	بعض	الطويل	أبو خراش الهذلي	٦	٥٦٠ ، ٥٥٥
أنزلني	خفض	السريع	حطان بن المعلّى	٦	٢٠٩ ، ٢٠٧
قافية العين					
العين الساكنة					
رزتنا	وقع	الطويل	ابن المقفع	٣	٦١١ ، ٦١٠
العين المفتوحة					
له نار	القنعا	الوافر	أبو زياد الأعرابي	٢	١١١٥
أليما	مربعا	الطويل	الحسين بن مطير الأسدي	٦	٦٦١ ، ٦٥٩
من مبلغ	دعا	الطويل	المثلث بن رياح المري	٤	٢٧٨ ، ٢٧٦
ألا قالت	أفرعا	الطويل	—	٣	٢٣٥ ، ٢٣٤
ذهبت	موضعا	الطويل	موسى بن جابر الحنفي	٣	٢٧٠
إني إذا	قطعا	المنسرح	المتوكل الليثي	٤	٨٣٣
مريضات	تقطعا	الطويل	[مسلم بن الوليد]	٢	٨٩٩
وإني	وأشفعا	الطويل	مزعفر	٢	١٢٢١
أبعد	منقعا	الطويل	—	٤	٩٤٠

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
تأملتها	مطلعا	الطويل	—	٢	٩٠١
حننت	معا	الطويل	الضمة بن عبد الله		
			القشيري	٨	٨٥٥ ، ٨٥١
أكف	معا	الطويل	حاتم الطائي	٤	١٢٠١
إلفان	اجتمعا	البسيط	عروة بن أذينة	٣	٩٠٦
وقالوا	مجعما	الطويل	تأبط شراً	١١	٣٥٤ ، ٣٤٩
لا تخبروا	امتعا	البسيط	امراة من كندة	٢	٦٨٨
الواهب	اصطنعا	الطويل	أخت النضر بن الحارث	١	١٢٥٥
ولما تفاوضنا	تقنما	الطويل	عمر بن أبي ربيعة	٢	٨٧٩
نعي	مروعا	الطويل	يحيى بن زياد الحارثي	٥	٦١٠ ، ٦٠٨
العين المضمومة					
أبيت	تباغ	الوافر	رجل من بني تميم	٤	١٥٥ ، ١٥٣
وفتيان	جماعها	الطويل	مسكين الدارمي	٣	٧٨٤ ، ٧٨٣
سائلن	سماغة	الكامل	عاتكة بنت عبد المطلب	٦	٥٢٨ ، ٥٢٦
أعباس	أربع	المتقارب	خفاف بن ندبة	٤	٤٤٧ ، ٤٤٥
لا قوتي	والربع	البسيط	[وضاح اليمن]	٤	٤٥٩ ، ٤٥٨
وما أنا	مفجع	الطويل	طفيل الغنوي	٢	٢٠٠ ، ١٩٩
أرى	توجع	الطويل	الأعرج المعني	٤	٢٥٥ ، ٢٥٣
لا أدفع	الجنادع	الطويل	محمد بن عبد الله الأزدي	٣	٢٩٢ ، ٢٩١
أيا كبدا	تصدع	الطويل	جران العود	٢	٨٦٠
تعزيت	مترع	الطويل	هشام بن عقبة العدوي	٥	٥٦٥ ، ٥٦٢
أبعد	أجزع	الطويل	البراء بن ربيعي الفقعسي	٥	٦٠٢ ، ٦٠١
رعاك	وأوسع	الطويل	—	٢	٩٢١
عتبان	تضعض	الكامل	نهار بن توسعة	٥	٦٧٣ ، ٦٧١
إذا هي	قاطع	الطويل	[المخضغ القيسي]	٣	١١٨٧
إن أک	ينفع	الطويل	مجمع بن هلال	١٠	٥١٠ ، ٥٠٥
ويوم	وواقع	الطويل	عمرو بن مخلدة الحمار	٥	٤٦٠ ، ٤٥٩
وموقع	موقع	المتقارب	رويشد الطائي	٢	١٠٢٧
وجدنا	مطالعة	الطويل	حجر بن خالد بن محمود	٧	٣٦٧ ، ٣٦٣

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
نُعي	المسامعُ	الطويل	—	٢	٦١٣
وقفتُ	تدمعُ	الطويل	—	٣	٩٣٦
امرؤ	تسمعُ	الكامل	مويلك المزموم	٦	٦٣٩ ، ٦٣٨
ألا ليت	صانعُ	الطويل	الكروّس بن زيد بن حصن	٣	١٠٤٠
بَكَرَ	تصنعُ	الكامل	المثلث بن رياح المري	٦	١١٦٠ ، ١١٥٩
لحافي	مقنّعُ	الطويل	عتبة بن بَجِير أو مسكين الدارمي	٢	١٢٠٦
ولاني	جوعُها	الطويل	—	١	٨٢٠
خليلي	وصدوعُ	الطويل	عمرو بن حكيم	٢	٩٩٥
لعمرك	يضيّعُ	الوافر	قيس بن زهير	٣	٣٣٨ ، ٣٣٧
وئبئتُ	شفيغُها	الطويل	—	٢	٨٥٥

العين المكسورة

ما ولدني	لا تباغها	الطويل	إياس بن قبيصة الطائي	٤	١٥٣ ، ١٥٢
أقول	تراعي	الوافر	قطريّ بن النُجاعة	٧	٧٨ ، ٧٧
دفعناكم	الأصابعِ	الطويل	يزيد بن الحكم الكلابي	٤	١٧١ ، ١٦٩
أما يستفيقُ	ومربعِ	الطويل	ابن الدمينية	٣	٨٥٧ ، ٨٥٦
فإن ترجع	ومربعي	الطويل	—	٢	٩٧١
وكم دهمتني	أنخسُعِ	الطويل	—	٢	١٩٠
نكحتُ	تنفعِ	المتقارب	عبد الله بن أوفى الخزاعي	٩	١٠٦٢ ، ١٠٦١
هل أنت	معي	الطويل	أرطاة بن سهية	٣	٦٣٢

قافية الفاء

الفاء المفتوحة

إني وإِيَّاكَ	التلفا	البسيط	—	٢	٩٩١
---------------	--------	--------	---	---	-----

الفاء المضمومة

زعمتم	إلافُ	الوافر	مساور بن هند	٢	١٠١٣
وما برح	صوادفُ	الطويل	[مُزاحم العقيلي]	٢	٩٧٠
بيننا	تتنصّفُ	الطويل	حرقة بنت النعمان	٢	٨٤٥

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
أرى	أخوفُ	الطويل	عروة بن الورد	٤	١٢٠٩
لعمرى	مشوفُ	الطويل	شبرمة بن الطفيل	٤	٤٩٩ ، ٤٩٨
جواب	يريفُ	السريع	—	٤	١٠٧٣ ، ١٠٧٢

الفاء المكسورة

ألا يا	كاف	الوافر	قبيصة بن النصراني	٤	٧٢٢
تمرّضن	الخواطف	الطويل	[عمارة بن عقيل بن بلال]	٣	٩١٣ ، ٩١٢
لعلك	منطفٍ	الطويل	عترة بن الأخرس	٥	١٢٦٧ ، ١٢٦٦

قافية القاف

القاف المفتوحة

وفارسٍ	صدقًا	البسيط	بلعاء بن قيس الكنانى	٣	٤٧ ، ٤٦
أعددتُ	الحلقا	المنسرح	—	٤	٥٤٢
وللدهر	وأخلقا	الطويل	عقيل بن علفة المري	٢	٨٠٤

القاف المضمومة

ألا حيّ	وشائقة	الطويل	عارق الطائي	١١	١٢٢٢ ، ١٢٢٥
استنقِ	تستبقُ	البسيط	ابن هرمة	٢	٨٧٤
ولمّا لحقنا	عواتقة	الطويل	عبد الله بن الدمينه	٧	٨٨٦ ، ٨٨٥
هواي	موثقُ	الطويل	جعفر بن علبة الحارثي	٦	٤٤ ، ٤٠
قالت	خُرُقُ	البسيط	جؤية بن النضر	٤	١٢١٧
وماذا	عاشقُ	الطويل	جميل بثينة	٢	٩٦٨
بني	منطقُ	الطويل	حريث بن عتاب النهاني	٣	١٠٣٢
ولقد	يتدفقُ	الكامل	—	٢	١٣١٦
يا راكبًا	موقفُ	الكامل	قتيلة بنت النضر	٨	٦٨٣ ، ٦٧٩
عليك	الخلقُ	البسيط	سالم بن وابصة	٣	٥٠٤ ، ٥٠٣
وماذا	وامقُ	الطويل	جميل بثينة	٢	٩٦٨
كفاني	معانقة	الطويل	الراعي النميري	٢	٢٢٥
ذريني	سروقُ	الطويل	عمرو بن الأهم	٢	١١٥٦
ما أنصفتُ	فيشوقُ	الطويل	—	٢	٩٢٥

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
إنَّ أبالكِ	عتيقُ	السرير	امراة	١	١٣٠٣
تفرق	فريقُ	الطويل	جميل بثينة	٣	٩٤٣
ألا رُبَّ	سويقُ	الطويل	—	١	١٢٩٨
رمتي	فسويقُ	الطويل	—	١	١٢٩٨
القاف المكسورة					
رحلتُ	الوثاقِ	الكامل	—	٥	١٣٠٧
وما في	المذاقِ	الوافر	—	٤	٩٣٧
إذا كنتُ	تلاقِ	الطويل	[علية بنت المهدي أو العباس بن الأحنف]	٢	٩٠٩
يا زمل	تسبي	الكامل	سالم بن دارة	٢	٢٧٨
ألم ترَ	البوارقِ	الطويل	قيصة بن النصراني	٥	٤٤٢ ، ٤٤١
إن أنتم	بالأبرقِ	الكامل	أم عمرو بنت وقدان	٣	١٠٨١
جزى	الممزقِ	الطويل	الشماخ بن ضرار	٦	٦٧٧ ، ٦٧٦
أقول	مشفقِ	الطويل	رجل من بني أسد	٢	٢٦٥ ، ٢٦٤
لأن أزجي	بالعلقي	البيسط	محمد بن بشير	٤	٨٢٤ ، ٨٢٣
ما زلتُ	غلقي	المنسرح	أبو دهبل الجمحي	٢	١١٣٤
وليس	غبوقِ	الطويل	[والبة بن الحباب]	٢	١١٧٠
لو تسمعتُ	مزقوقِ	الخفيف	—	٥	١٣١٤
كانَ	بدقيقِ	الطويل	—	١	١٢٩٧
صوت	تشويقي	البيسط	[جرير]	٤	١٣١٨ ، ١٣١٩

قافية الكاف

الكاف الساكنة

طاف	فهلكُ	المديد	امراة	٩	٦٤٨ ، ٦٤٥
-----	-------	--------	-------	---	-----------

الكاف المفتوحة

دلفُ	فاكا	الوافر	رجل من جرم، وقيل لزياد الأعجم	٢	١٠٧٦
------	------	--------	----------------------------------	---	------

الكاف المضمومة

خليلي	كراكما	الطويل	رجل من بني أسد	٥	٦٢٠ ، ٦١٨
-------	--------	--------	----------------	---	-----------

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
ماذا	وباي	الكامل	-	٢	٦٦٢
أما والراقصات الأراك	الوافر	خليد مولى العباس بن			
سلي	دارك	الطويل	محمد بن علي	٤	٩٦٣
لقد لامني	السوافك	الطويل	[ابن الدمينه]	٣	٩١٥
إني لمهد	مالك	الطويل	متهم بن نورة	٣	٥٦٥
وإنا لتصبح	سفوك	المتقارب	تأبط شراً	٩	٧٥ ، ٧٠
				٢	٢٠١

قافية اللام

اللام الساكنة

حلفت	والجبل	الطويل	امراة سالم بن قحفان	٣	١٢١١
ألم تر	قتل	الطويل	زويفر بن الحارث	٣	٧١٥
ألا أبلغا	اتصلن	المتقارب	-	٤	١٨٤ ، ١٨٣
فارس	وكلن	الرملي	امراة من بني الحارث	٣	٧٧٧
دل	دليل	السرير	الخنساء	٣	١٢٦٢

اللام المفتوحة

سمعت	ونائلا	الطويل	حجر بن خالد	٥	١١٤٩ ، ١١٤٨
ألا حي	وأجبالها	المتقارب	عبيد بن ماوية الطائي	٦	٤٣٢ ، ٤٣٠
أبلغ	الحالا	البسيط	عبد الله بن عنة الضبي	٤	٤١٦ ، ٤١٤
أصاب	فأطالها	الطويل	يزيد بن عمرو الطائي	٤	٦٧٤
فما غاب	فقالها	الطويل	الكميث	٧	١٢٦٠ ، ١٢٥٨
ألم	جمالها	الكامل	[أعشى بني تغلب أو عمرو بن الأصم]	٣	٩٦٩
إخالك	هالا	الوافر	بعض بني جرم	٣	١٨١
تُبئت	أحواله	السرير	ابن زبابة التيمي	٥	١٠٩ ، ١٠٦
كلية	أهوالا	الكامل	حجر بن خالد بن محمود	٥	٢٥٧ ، ٢٥٥
لا تعذليني	حبلا	الطويل	سالم بن قحفان العنبري	٣	١١٠٧

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
يا أيها	السبلا	البسيط	[محمد بن بشير الخارجي]	٢	١١٢٠
لما رأت	بجلا	البسيط	جابر بن رالان السنيسي	٤	٤٣٢ ، ٤٣٤
أبوك	خَلَا	الوافر	[جميل بثينة]	٢	٢٢٨ ، ٢٢٩
وقام	مرحلا	الطويل	جابر بن الثعلب الطائي	٥	٢٢١ ، ٢٢٣
إن يك	أزلا	الطويل	كنزة أم شملة بن برد	٢	٤٩٧
من مبلغ	السلا	الطويل	وضاح اليمن	٤	١٠٤١
إن امرأة	عقلا	الطويل	رجل من طيء	٢	١٠٢٧
وما شئت	يتبلا	الطويل	[ذو الرمة]	٢	٩٦٠
لقد بكرت	مهلا	الطويل	سالم بن قحطان	٣	١٢١١
يا أيها	أولا	الكامل	-	٢	٨٤٨
كريم	تمولا	الطويل	[أحمر بن سالم المري]	٢	١٢٣٢
صبا	أثيلا	الوافر	وضاح اليمن	٦	٤٥٦
صحوت	طويلا	المتقارب	عبد القيس بن خفاف		
			البرجمي	٧	٥٢٨ ، ٥٣١

اللام المضمومة

يقول	وسائلة	الطويل	-	٢	٩٣٤
ألا بكرت	عائلة	الطويل	سودة اليربوعي	٢	١٢١٥
أرى	غوائلها	الطويل	زينب بنت الطرية	٩	٧٣٢ ، ٧٣٥
ولقد غضبت	خُذْلُهَا	الكامل	بشامة بن الغدير	٦	٢٨٤ ، ٢٨٧
جمعنا	نكأها	الطويل	أنيف بن حكم النبهاني	٤	٤٥٢
جمعنا	نكأها	الطويل	أنيف بن حكم النبهاني	١٠	١٢٦ ، ١٢٩
يقر	قلأها	الطويل	-	٢	٩١٥
تسائلني	مال	الوافر	يزيد بن الجهم	٣	١٠٢٧
أعاذل	شمالها	الطويل	العكلي	٤	١١٩٧ ، ١١٩٨
لا تعترض	قابله	الطويل	[عبيد بن أيوب العنبري]	٢	٨١٣
سقى	وابله	الطويل	القلاخ	٧	٧٢٧ ، ٧٢٨
إني أبي	جبل	المنسرح	المثلث بن عمرو التلوخي	٥	٣٤٢ ، ٣٤٣
تساهم	عبل	الطويل	الحكم الخضري	٢	٩٢١

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
هل تبليغي	أقاتلُ	الطويل	أبو الرئيس الثعلبي	٥	٨٨٠ ، ٨٨٢
وداع	وتقاتلُ	الطويل	النمري	١٢	١١٨٩ ، ١١٩٢
أفي الله	فيقتلُ	الطويل	زفر بن الحارث	٣	٤٦١ ، ٤٦٢
تركنا	يجادلُ	الطويل	العجير السلولي	٥	٦٤٩ ، ٦٥١
ومستنجح	جزلُ	الطويل	—	٣	١٠٩٨
ألها	المباسلُ	الطويل	جعفر بن علة الحارثي	٦	٣٦ ، ٣٩
قاتلي	فشلُ	المنسرح	الشداخ بن يعمر الكناني	٣	١٤٤ ، ١٤٥
إن بالشعب	يطلُ	المديد	تأبط شراً	٢٤	٥٨٦ ، ٥٩٥
عدلتُ	شغلُ	الطويل	خلف بن خليفة	١٦	١٢٤٠ ، ١٢٤٤
لئي وما	العقلُ	الكامل	الحارث بن خالد المخزومي	٣	٨٩٩
أعبد	أكلُ	الطويل	جواس بن القعطل الكلبي	٦	١٠٤٤ ، ١٠٤٥
لسنا	يتكلُ	الكامل	المتوكل الليثي	٢	١٢٥٦
كانت	تنكلُ	الكامل	موسى بن جابر الحنفي	٢	١٠٠٠
لني امرؤ	الأناملُ	الطويل	زميل بن أبيير	٥	١٠٠٤ ، ١٠٠٥
إن كان	الأناملُ	الطويل	معدان بن جواس الكندي	٢	١١٣ ، ١١٤
					٩٢٦
دعيني	محملُ	الطويل	عروة بن الورد	٢	٨٢١
وسوداء	أزملُ	الطويل	بعض بني أسد	٢	١١٠١
جزى	أهلُ	الطويل	—	٣	١٢٩١
غذوتك	وتنهلُ	الطويل	أمية بن أبي الصلت	٧	٥٣٥ ، ٥٣٧
لعمرك	أولُ	الطويل	معن بن أوس	١٢	٧٩١ ، ٧٩٤
أجدوا	جرولُ	المتقارب	جابر	٦	١٠٢٨ ، ١٠٢٩
إلا يكن	وصولُ	الطويل	رجل من الفزارين	٥	٨٣٠ ، ٨٣١
في ليل	موصولُ	البسيط	خندج بن خندج المري	٨	١٢٨١ ، ١٢٨٣
تعزُّ	معولُ	الطويل	إبراهيم بن كنيف النبهاني	٤	١٨٨ ، ١٨٩
يوم	مشغولُ	البسيط	—	٢	٨٥٩
ألا ليت	قفولُ	الطويل	أبو الأبيض العبسي	٦	٣٣٥ ، ٣٣٦
فرق	وتقولُ	الطويل	طرفة بن العبد	٤	١٠٠٧

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
وحقة	شموؤها	الطويل	عبد الله بن عجلان النهدي	٤	٨٨٤ ، ٨٨٣
وما أنا	لجهول	الطويل	—	٢	١١٠٠
لأُم	السييل	الوافر	ابن عنمة الضبي	٨	٧١٩ ، ٧١٦
عقيلة	فبتيل	الطويل	ابن الطثرية	٩	٩٤٠ ، ٩٣٧
نزل	رحيل	الكامل	المقنع الكندي	٣	١٢١٦
أحبًا	بخيل	الطويل	—	٣	٩٠٨
ولما بدا	بديل	الطويل	[عروة بن أذينة]	٢	٩٠٨ ، ٩٠٧
أيغي	فصيل	الوافر	رجل من بني فقعس	٢	١٧٥
عجبت	وتقيلوا	الطويل	معدان بن عبيد بن عدي	٣	١٠٢٢
ألمًا	مقيلها	الطويل	—	٢	٩٩٦
أجلك	جليل	الطويل	—	٢	١١٥٨
إذا المرء	جميل	الطويل	السموأل بن عادياء	٢٢	٩٣ ، ٨٢
أربع	جميل	الطويل	طريف بن أبي وهب العبيسي	٩	٧٤٩ ، ٧٤٧ -
كأني	ذميل	الطويل	عتي بن مالك العقيلي	٢	٦٢٥
أما والذي	ذميلها	الطويل	—	٢	٨٦٧

اللام المكسورة

إذا المهرة	القبائل	الطويل	الوقاد بن المنذر الضبي	٤	٤٠٣ ، ٤٠١
لقد زادني	طائل	الطويل	الطرماح بن حكيم	٤	١٦٨ ، ١٦٦
إنني من	النائل	الكامل	عمرو بن الإطنابة	٨	١١٤٤ ، ١١٤٢
أيا طعنة	بال	الهجج	الفند الزماني	٨	٣٨٤ ، ٣٨٠
ألا نادى	أبالي	الوافر	غوية بن سلمى	٦	٧٠٨ ، ٧٠٧
العال	البالي	البسيط	حسان بن ثابت	٣	١١٨٤
سائل	بلبالها	الكامل	باعث بن صريم	٨	٣٨٠ ، ٣٧٥
وأرملة	الهزالي	الوافر	زرعة بن عمرو	٤	١٢١٧
نفسى	أبطال	السريع	وذاك بن ثميل	٣	٤٨٦
إذا انتدى	للطالي	البسيط	—	٢	١١٣٦
لعمرك	الفعال	الوافر	حجر بن خالد بن محمود	٥	٣٦٨ ، ٣٦٧

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
بَكَرُو	صقالي	الوافر	رجل من بني عقيل	٤	١٤٦ ، ١٤٨
أعارب	المقال	الوافر	—	٢	١٠٦٤
كَانَ	الجلال	الوافر	مسكين الدارمي	٣	١١٩٦
لا يهنىء	مال	البسيط	النابعة	٤	٦٣٧ ، ٦٣٦
إني وإن	مال	البسيط	—	٢	١٢١٤
أرى	مالي	الكامل	عبد الله بن معاوية بن عبد الله	٢	٨٣١
وقد قادني تلك	جماليا الأموال	الطويل الكامل	الراعي النميري حسان بن حنظلة بن أبي رهم	٢	٢٠٠
بُتِّي	احتيالي	الوافر	قيصة بن جابر	٦	١١٧٩ ، ١١٨٠
إذا ما	الليالي	الوافر	[زهير بن جناب]	٢	٩١٠
ومستنبح	مقابل	الطويل	حماس بن ثامل	٢	١١٨٨
فيا عجباً	قبلي	الطويل	الحسين بن مطير	٤	٨٧٧ ، ٨٧٩
قلتُ	قتلي	الطويل	موسى بن جابر الحنفي	٣	٢٦٥ ، ٢٦٧
معاذ	القتل	الطويل	عمرو بن كلثوم	٤	٣٣٩ ، ٣٤١
أبلغ	بعسجل	الطويل	العباس بن مرداس	٧	٣١٢ ، ٣١٥
لا ترج	عجل	الطويل	عمرو بن الهذيل العبدى	٣	١٠٧٧
وما أنس	المكاحل	الطويل	ابن ميادة	٢	٩٤٨
نزلتُ	مخل	الطويل	[الأخنس الطائي]	٢	٢٢١
ألا بَكَرَ	المحل	الطويل	الحريث بن زيد الخيل	٥	٥٩٩ ، ٦٠٠
ألكني	جندل	الطويل	الهذلول بن هبيرة	٤	٧٢٠
أبعد	وجندل	الطويل	مسور بن زياد الحارثي	٥	١٧٩ ، ١٨٠
عجباً	تبذلي	الكامل	أبو محمد الزبيدي	٩	١٠٨٤
ألا إن	السلاسل	الطويل	أبو الشغب العبيسي	٢	٦٥٤ ، ٦٥٥
وقال	يكسل	الطويل	الخطيم	٣	١٢٧١
أما حكيم	المنصل	الكامل	بغثر بن لقيط الأسدي	٢	٤٩٢
أروح	والوصل	الطويل	—	٢	٩٢٢
إن أدع	الباطل	السريع	بعض بني طيء	٢	٢٢٣ ، ٢٢٤
فإن يقتسم	فعلي	الطويل	جابر بن حباب	٣	١١٩٩

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
ولقد سريث بنفسى	مَثَقَلٍ عَقْلِي	الكامل الطويل	أبو كبير الهذلي الشمردل بن شريك أو	١٠	٦٤ ، ٦٩
وزاد	أَكَلٍ	الطويل	نهشل بن حري	٢	٦١٤
ولقد شهدث رأتي	هَيْكَلٍ أَمَلٍ	الكامل الطويل	أعرابي ربيعة بن مقروم الضبي الكرؤس بن زيد بن	٣ ٤	١٢٣٨ ٥٢ ، ٤٨
ولما أبى	أَهْلٍ	الطويل	حصن	٣	٤٥٤
سأقدح	أَهْلِي	الطويل	-	٢	٩٠٥
واني على	بِناهِلٍ	الطويل	-	٢	١١٥٥
أعداء	لنزولٍ	الطويل	-	٢	٩٩٢
رقطاع	بالطويل	الطويل	عتي بن مالك العقيلي	٣	٦٢٤
أُبغَدَ	سَبِيلٍ	الطويل	[دعبل الخزاعي]	٣	١٣١١
دعي	لَسَبِيلٍ	الطويل	رجل من بني هلال	٣	٧٤٣
أبي عيش	رحيلٍ	الطويل	سويد بن مشنوء	٢	١٠٢١
وما يكُ	الفصيل	الخفيف	منقذ الهلالي	٤	٨٤٢
لتغد	عَقِيلٍ	الطويل	-	١	١١٥٥
فتى	خَلِيلٍ	الطويل	عقيل بن علفة حبيب بن عوف	٣ ١	٦٩٧ ١٢٥٧

قافية الميم

الميم الساكنة

ولقد	عدم	الكامل	عامر بن حوط	٣	١١٧٤
فدى	وعَمَ	المتقارب	جربة بن الأشيم الفقمسي	٧	٥٥٢ ، ٥٤٩
أرادت	ظلمَ	الطويل	عمرو بن شأس	٦	٢٠٥ ، ٢٠٣

الميم المفتوحة

لو تأتى	أَمَا	الخفيف	بعض المدنيين	٣	١٣١٦
في بعض	جَمَامَة	الكامل	-	٤	٧٠٥
عليك	يترخما	الطويل	عبدة بن الطيب	٣	٥٦١ ، ٥٦٠
تأخرت	أتقدما	الطويل	الحُصَيْن بن الحمام		
			المري	٣	١٤٦ ، ١٤٥

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
فقلتُ	مقدّما	الطويل	خُصّين بن حمام المري	١١	٢٧٩ ، ٢٨٤
حرّقتُ	أجذما	المتقارب	الربيع بن زياد العبسي	٦	٣٤٤ ، ٣٤٧
هم قطعوا	المحارما	الطويل	غَلّاق بن مروان	٦	٣٢٧ ، ٣٣٠
هوئُ	تصرّما	الطويل	أُم الصريح الكندية	٣	٦٥٨
ألم تعلّمي	أتكرّما	الطويل	نافع بن سعد الطائي	٢	٨١٧
أقول	وسّما	الطويل	رقية الجرمي	٤	٦٩٣ ، ٦٩٥
ألا قالت	أهضما	الطويل	—	٢	٢٣٣
طلّقتُ	وخنعما	الطويل	عامر بن الطُفَيْل	٢	١١٤ ، ١١٥
فلو أنّ	مفعما	الطويل	—	٢	١٥٨
خليلي	كراكمّا	الطويل	رجل من بني أسد	٥	٦١٨ ، ٦٢٠
وأيّ فتى	وسلّما	الطويل	—	٣	٦٨٥
نُبئتُ	الأعلما	الكامل	قرواش بن حوط الضبي	٥	١٠٢٠
ولمّا	تكلّما	الطويل	إياس بن الأرت	٤	٧٢٠ ، ٧٢١
يا لهف	أما	المنسرح	عمرو بن قميّة	٤	٧٩٥
لقد علمتُ	مغنما	الطويل	الوقاد بن المنذر الضبي	٥	٣٩٩ ، ٤٠١
لقد زعموا	وابأبأهما	الطويل	عمرة الخثعمية	٩	٧٥٨
وانتِ	سواهما	الطويل	كُثَيّر عَزّة	٢	٩٠٢
إذا ما	أدهما	الطويل	—	٤	٦٥٣
لو كنتُ	درهما	الطويل	شقران مولى سلامان	٥	١١٢١ ، ١١٢٢
نحن أجرنا	المقوّمَا	الطويل	حسان بن نشبة العدوي	٥	٢٤٤
يا أيّها	بريما	الكامل	ليلى الأخيلية	٧	١١٢٤ ، ١١٢٦
الميم المضمومة					
أظنّ	قائمُ	الطويل	[الحزين الكنانيّ]	١	١٣١٦
لقد هتفتُ	لثائمُ	الطويل	نصيب	٢	٩٠٣
قلتُ	الزحامُ	الوافر	أبو ثمامة بن عارم الضبي	٣	٤١٢ ، ٤١٤
وفارقتُ	كرامُ	الطويل	[عبد الصمد بن المعذل]		
			أو الحسين بن مطير	٢	١٩٨
لعمري	حاتمُ	الطويل	—	٤	١٠٢٦
لعمري	حاتمُ	الطويل	يزيد بن قنافة	٤	١٠٢٣

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
بيضاء	أسحُم	الكامل	بكر بن النطّاح	٢	٩٠١
إنّ البيوت	ضخُم	الكامل	أبو دهب الجمحي	٤	١١٢٣
إذا الدين	تصادمُهُ	الطويل	أبان بن عبدة	٥	٤٥٢ ، ٤٥٠
هجرتك	نادُم	الطويل	[ابن الدمينة]	٢	٩٤١
وقف	متقدّم	الكامل	أبو الشيص الخزاعي	٤	٩٦١
نجى	الجدُم	البسيط	محرز بن المكبر الضبي	٣	٤٠٨ ، ٤٠٧
إنّ لنا	كرُم	البسيط	الأقرع بن معاذ	٣	١٢١٢
إذا رآته	الكرُم	البسيط	الفرزدق	٦	١١٣٥ ، ١١٣٤
مدحت	يتوسّم	الطويل	المتوكل الليثي	٤	١٢٤٨
ومستنج	معصُم	الطويل	[ابن هرمة]	٤	١١٠٦
له يوم	أنعم	الطويل	الحسين بن مطير الأسدي	٤	١١١٨
وكم من	وعلقُم	الطويل	المؤمل بن أميل المحاربي	٢	٨٠٣
لا حبّدا	نُقُم	البسيط	زياد بن حمل بن سعد	٤٣	٩٨٣ ، ٩٧٢
وددت	عالم	الطويل	كثير عزة	٣	٩٠٢
أنبثت	تعلم	الطويل	مالك بن حزم الهمداني	٤	٨٢٣ ، ٨٢٢
وأنت	جثوم	الطويل	ابن الدمينة	٣	٩٦٥
وندمان	النجوم	الوافر	برج بن مسهر الطائي	١٤	٨٩٥ ، ٨٩١
لعمرك	التلوم	الطويل	ابن السلماني	٧	٥٤٢ ، ٥٣٩
بكرت	وتلوم	الكامل	قتادة بن مسلمة الحنفي	١٢	٥٤٨ ، ٥٤٣
دعوت	كلوم	الطويل	عبد العزيز بن زرار		
			الكلابي	٤	١١٨٥
وأنت	يلوم	الطويل	أمامة	٣	٩٦٦
وداع	وغيومها	الطويل	الفرزدق	٦	١١٩٤
يقولون	وخيم	الطويل	واقد بن الغطريف بن طريف	٢	١٢٨٠
من مبلغ	كريم	الطويل	عمّس بن عقيل بن علفة	٦	١٠٠٢
أناخ	يريم	الوافر	-	٢	١٠٧٠
تعلم	يريم	الوافر	قيس بن زهر	٤	٣١٠ ، ٣٠٩
إنّ أك	لجسيم	الطويل	-	١	٥٠٤
وعاذلة	أضيّمها	الطويل	حاتم الطائي	٤	١٢٠٠

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
أُسجَنَّا	لعظيمُ	الطويل	-	٢	٩٢٠
أعشى	فأقيمُ	الطويل	ابن هرمة	٢	١١٠٤
والله	حكيمُ	الطويل	حواس الضبي	٦	١٠١٥ ، ١٠١٦
يا بدر	الحكيمُ	الكامل	يزيد بن الحكم الثقفى	٢٣	٨٤١ ، ٨٣٦
وإذا عتبتِ	سليمُ	الكامل	[ابن الدمينة]	٣	٩٦٩
اقرأ	ذميمُ	الكامل	أبو القمقام الأسدي	٣	٩٦٤
رمتني	ريمُ	الطويل	أبو حية النميري	٢	٩١٩
أما والذي	ريمُ	الطويل	حاتم الطائي	٣	١٢٠٣
وإنّا	ومنيّمُ	الطويل	-	٢	١١٠٣
الميم المكسورة					
بكي	برامِ	الكامل	بعض بني أسد	٣	٦١٢ ، ٦١١
إذ بكريّة	غلامِ	الوافر	-	٢	١٠٧١
لا يركنُ	لحمامِ	الكامل	قطري بن الفجاءة المازني	٤	١٠٣ ، ١٠١
شهدن	الحوامي	الوافر	الحريش بن هلال القريعي	٥	١٠٦ ، ١٠٤
أبلغ	أقوامِ	البسيط	عصام بن عبيد الزماني	٤	٧٨٨ ، ٧٨٧
يغمُ	الأيّامِ	الكامل	محمد بن بشير الخارجي	٣	٥٧٣ ، ٥٧٢
رمته	ماتمِ	الطويل	أبو حية النميري	٦	٩٥٩ ، ٩٥٧
تعالوا	حاتمِ	الطويل	حريث بن عتاب النبهاني	٥	١٨٨ ، ١٨٦
إذا شئت	والشتمِ	الطويل	المرار بن سعيد الفقعسي	٢	٧٨٦
نشدتُ	وهيشمِ	الطويل	القتال الكلابي	٣	١٤٨
مَن كان	القحمِ	البسيط	أبو حزابة	٥	٤٨٩ ، ٤٨٧
فتى	دمِ	الطويل	ملحة الجرمي	٥	١٢٢٦
أرسل	دمي	الطويل	كبشة أخت عمرو بن معديكرب	٥	١٦٠ ، ١٥٩
ولا غرو	دمي	الطويل	-	٣	٩٦٢
مَن رأى	بدمية	المنسرح	رجل من حمير	٨	٢٤٣ ، ٢٤٠
عُيِّتُ	بالدمِ	الطويل	معبد بن علقمة	٧	٥٣٥ ، ٥٣٣
إنّ ابن	بالدمِ	الطويل	المعجير السلولي	٤	١١٣٠ ، ١١٢٩

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
إنَّ بمعن	المكاري	الطويل	الطرماح بن جهم السننسي	٤	١٠٣٩ ، ١٠٤٠
نحن	الضرم	المنسرح	بعض بني بولان	٢	١٢٣
ونيرب	قرم	البيسط	سالم بن وابصة	٥	٨١٥
ماذا	كرم	البيسط	أبو دهبل الجمحي	٥	١١٣٢
كلا أخوينا	عرمم	الطويل	بعض بني أسد	٣	١٨٥
أتاني	جسمي	الوافر	شقيق بن سليك الأسدي	٦	٥٥٣ ، ٥٥٢
ودهم	تحلم	الطويل	عمرو بن أحمر الباهلي	٤	١٢٠٧ ، ١٢٠٦
لولا أميمة	الظلم	البيسط	إسحق بن خلف	٥	٢٠٦ ، ٢٠٥
وأنت	علم	الطويل	[عبد الله بن همام السلولي]	٢	٨٠٠
دعا	يُكلم	الطويل	امراة من طيء	٤	١٥٦ ، ١٥٥
يشبهون	والأمم	البيسط	[الشمردل بن شريك]	٢	١١٢٧
قومي	سهمي	الكامل	الحارث بن وعلة الذهلي	٧	١٥٢ ، ١٤٩
بيد	الهمم	الكامل	أبو صخر الهذلي	٩	٨٦٩ ، ٨٦٣
إن تسالي	ومخزوم	السريع	امراة من بني مخزوم	٣	١٢٦١
فإلا أكن	شتيم	الطويل	[عبد العزيز بن زراراة]	٢	١١٨٥
صفراء	سقيم	الكامل	[مجنون ليلي]	٣	٩٤٩
ما إنَّ	كريم	الوافر	[كعب بن سعد الغنوي أو المخيل السعدي]	٣	١٠٧٥
إلا أكن	كريم	الطويل	بعض بني أسد	٣	٢٠٣ ، ٢٠٢
يديث	الكريم	الوافر	بعض بني أسد	٥	١٤٤ ، ١٤٢
وقالوا	بالكريم	الوافر	امراة من بني شيان	٢	٦٢٣

قافية النون

النون الساكنة

كان	عقربان	السريع	إياس بن الأرت	٣	١٠٣٠
-----	--------	--------	---------------	---	------

النون المفتوحة

لو كنت	شيبانا	البيسط	قريط بن أنيف	٧	٢٠ ، ٢٦
من تكن	ترانا	الوافر	القطامي	٥	٢٥٣ ، ٢٥٢

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
والله	وهوانا	الكامل	عارق الطائي	٣	١٠١١
يا أيها	نسيانا	البسيط	سوار بن المضرب	٤	٩٥٣ ، ٩٥٢
مهلاً	مدفونا	البسيط	الفضل بن العباس بن عتبة	٥	١٦٦ ، ١٦٤
إن تبغضوني	تظنوننا	البسيط	—	٢	١٠٧٢
إنّ الظعائن	عيونا	الكامل	المعلوط بن بدل السعدي	٣	٩٦٧
ألا حلّت	فالعيونا	الوافر	عامر بن شقيق	٣	٤١٠ ، ٤٠٩
ماذا عليك	تعودينا	البسيط	—	٢	٩٩٧
إذا ما	بآخرينا	الوافر	الفرزدق	٢	٨٤٨
إنّا محيوك	فاسقيننا	البسيط	بعض بني قيس بن ثعلبة، ويقال بشامة بن حزن	١٢	٨٢ ، ٧٥
ألا حُيِّيت	علينا	الوافر	عبد الشارق بن عبد العزى الجهني	١٥	٣٢٤ ، ٢١٩
أرار	تعولينا	الوافر	[الشماميط الغطفاني]	٣	٩٠٤
لعمرك	وميتنا	الطويل	جابر بن رالان السنبي	٥	١٧٣ ، ١٧١
فإنك	بالقينا	الوافر	عامر بن شقيق	٣	٤١٠ ، ٤٠٩
النون المضمومة					
صفحتنا	إخولن	الهمزج	الفند الزماني	٩	٢٩ ، ٢٧
وسخ	اللبن	البسيط	—	٢	١١٨٦
إني امرؤ	أقن	الكامل	قيس بن عاصم المنقري	٤	١١٠٩
إن يسمعوا	دفنوا	البسيط	قنعب ابن أم صاحب	٣	١٠١٣
بني	شؤونها	الطويل	أدهم بن أبي الزعراء	٥	١٠٣٢ ، ١٠٣١
سرت	شجونها	الطويل	برج بن مسهر الطائي	٣	١٢٢٦
ألم تريا	دوئها	الطويل	موسى بن جابر الحنفي	٣	٢٦٩
شيب	تكون	الطويل	—	٤	٩٤٤
ألا هل	عيونها	الطويل	بعض بني جُهينة	٤	٣٧٠
تمتّع	تبيّن	الطويل	[قيس بن ذريح]	٣	٩١٦
لعمر	متيّن	الوافر	قبيصة بن النصراني	٣	٤٤٤ - ٤٤٥

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
أعاتبُ	حزِينُ	الطويل	خلف بن خليفة	٤	٦٢٨
ظَلْتُ	معِينُ	الوافر	ابن عَمَّار الأسدي	٢	٧٤٦
التون المكسورة					
وَأَنِّي لَأَنسَى	الضغائنِ	الطويل	—	٢	٨٢٠
إِنِّي عَلَى	والشنانِ	الكامل	الأحوص بن محمد	٤	١٦٢ ، ١٦٤
لأسماء	أَتَان	الطويل	—	٤	١٣١٠
مررتُ	بستانِ	الطويل	العريان	٩	١١٣٨ ، ١١٣٩
أَتَخْطُرُ	لِلخَطَرَانِ	الطويل	بشير بن أبي جذيمة	٣	١٠٠٩
رُوعْتُ	وجيراني	البيسط	[مُؤَزَّج السدوسي]	٢	١٩٩
وكم من	اللسانِ	الوافر	ربيعة بن مقروم	٥	٧٩٧
لا يَمْنَعُكَ	وأوطانِ	البيسط	—	٢	٢٠١ ، ٢٠٢
شفيتُ	شفاني	الوافر	قيس بن زهير العبسي	٢	١٤٩
حنين	مختلفانِ	الطويل	مسلم بن الوليد	٣	٦٦٤
إِنِّي من	أَمَانِ	الوافر	هدبة بن الخشرم	٣	٣٣٨ ، ٣٣٩
فلو سألتُ	زماني	الوافر	سَوَّار بن المضرب	٤	٩٧ ، ٩٩
إِن الرباط	رهانِ	الطويل	بشر بن أَبِي بن حمام	٤	٣٢٤ ، ٣٢٦
فَدَا	والأبوانِ	الطويل	المساور بن هند	٥	١١٦٥ ، ١١٦٦
كريم	دواني	الطويل	[أبو الشيص الخزاعي]	٢	١١٢٩
رويدُ	سفوانِ	الطويل	وَدَاكُ بن ثُمَيْل المازني	٥	٩٥ ، ٩٧
إِنِّي وَنَجَمًا	لمؤتسيانِ	الطويل	الأرقط بن دعبل	٣	٤٨٥
وما أَنَا	قرني	الطويل	أعشى ربيعة	٥	١٢٤٦
وما أَنَا	سَتِي	الطويل	أعشى ربيعة	٥	١٢٤٦
أُصْحَتُ	ثَمَنِ	البيسط	أبو الحجناء	٢	٦٢٦
ولمَّا أَن	دونِي	الوافر	بعض لصوص طيء	٤	٤٤٧ ، ٤٤٨
فليت	لقوني	الطويل	جميل بثينة	٤	٢٣٦
إِنَّ شِوَاءَ	الأمونِ	البيسط	سلمي بن ربيعة	٦	٧٩٨

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
فدث	ظنونى	الوافر	أبو الغول الطهوي	٧	٣٦ ، ٣٢
أبلغ	بيني	البسيط	حسان بن الجعد	٢	٤٦٢
أقول	وستين	البسيط	—	٢	١٠٦٨
يا أم	يؤذيني	البسيط	أبو كدراء العجلي	٤	١٢٠٥
وحتت	تشوقيني	الوافر	رجل من بني كليب	٤	٢١٦ ، ٢١٤
ومستخبر	يقين	الطويل	جابر بن الثعلب الجرمي	٢	٨٩٠
من	الحجلين	السريع	—	٣	١٢٨٨

قافية الهاء

الهاء المفتوحة

صبغت	دنياها	الكامل	جؤاس الكلبي	٦	١٠٤٦
إن التي	هوى لها	الكامل	[عروة بن أذينة]	٤	٨٦٦ ، ٨٦٥
لقد ولّى	أخوها	الوافر	كعب بن زهير	٥	٦٩٢ ، ٦٩٠
كانت	حواشيها	البسيط	[دعبل الخزاعي]	٤	٦٩٧ ، ٦٩٦
ولا أدوم	أثافيا	البسيط	حجر بن حية العبسي	٣	١١٦٤
أضحى	سوافيها	البسيط	—	٣	٦٩٦
يا أيها	قوافيها	البسيط	بعض بني عبد شمس	٤	١٩٥ ، ١٩٤
الخيّل	يحميها	البسيط	امرأة من إياد	٤	١٢٦٤ ، ١٢٦٣
الشرّ	جانيها	البسيط	—	٣	٢٩٦ ، ٢٩٥

قافية الواو

الواو الساكنة

لقد ولّى	أخوها	الوافر	كعب بن زهير	٩	٦٩٠
----------	-------	--------	-------------	---	-----

قافية الياء

الياء الساكنة

أشأب	العشني	المتقارب	الصلتان العيدي	٨	٨٥٠ ، ٨٤٩
ولا أدوم	أثافنيها	البسيط	حجر بن حية العبسي	٤	١١٦٤
يا أيه	قوافنيها	البسيط	بعض بني عبد شمس	٤	١٩٤
الخيّل	يحميها	البسيط	امرأة من إياد	٤	١٢٦٣

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
الباء المفتوحة					
قضى	تنائيا	الطويل	شبيب بن عوانة الطائي	٢	٢٣٥ ، ٢٣٦
أجاري	تنائيا	الطويل	—	٤	٦٤١
فتى	الأعادي	الطويل	النابعة الجعدي	٢	٦٨٤
جزى	جازيا	الطويل	المعدل بن عبد الله الليثي	٥	١٢٣٦ ، ١٢٣٧
لحا الله	التقاضيا	الطويل	أعرابي	٢	٧٥٤
حلفت	حافية	الطويل	امراة	٤	١٠٦٠
بني عمنا	القوافيا	الطويل	الشميذر الحارثي	٥	٩٣ ، ٩٥
فإن تمنعوا	والقوافيا	الطويل	—	٢	٩١٨
ولست	البواكيا	الطويل	منظور بن سحيم	٤	٨١٣ ، ٨١٤
ولما نزلنا	حاليا	الطويل	أبو بكر بن عبد الرحمن الزهري	٢	٩٢٥
ما أحدث	تقاليا	الطويل	[جميل بثينة]	٣	٩٤٢
ألم تعلمي	ولا ليا	الطويل	النابعة الجعدي	٤	٧٤٣
وقالوا	ما ليا	الطويل	صخر بن عمرو بن الحارث	٦	٧٦٦ ، ٧٦٨
خليلي	قلتما ليا	الطويل	[قتادة بن خرجة الثعلبي]	٢	٨٣٤
وقد قادني	جماليا	الطويل	الراعي النميري	٢	٢٠٠
فيا أهل	بها ليا	الطويل	—	٢	٩٣٤
فقدت	أقوالية	المتقارب	[حميدة بنت النعمان بن بشير]	٦	١٢٨٧ ، ١٢٨٨
لست	مواليا	الطويل	أبي بن حمام العبيسي	٦	٣٠٠ ، ٣٠٢
لعمرك	هوى ليا	الطويل	حريث بن جابر بن سري	٢	٢٧١ ، ٢٧٢
تبئى	لياليا	الطويل	جزء بن كليب الفقعسي	٥	١٧٦ ، ١٧٨
تقيم	المراميا	الطويل	إياس بن القائف	٣	٧٩٦ ، ٧٩٧
ألا لا	جماميا	الطويل	جعفر بن علبة الحارثي	٤	٢٥٨ ، ٢٥٩
وكنث	ارتدانيا	الطويل	أبو حكيم المري	٢	٧٣٦
قد كنث	علانيا	الطويل	—	٣	٨٧٥
أقول	الغوانيا	الطويل	حفص العليمي	٤	٩٣٥

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
أي حبذا	هيا	الطويل	كتزة أم شملة	٧	١٠٧٨
أبا خالد	ثاويًا	الطويل	[منصور النمري]	٣	٦٨٧
داو	مداويًا	الطويل	رجل من بني أسد	٤	٢١٢ ، ٢١٣
بينما	هويًا	الخفيف	بعض القرشيين	٣	٨٧٣
الياء المكسورة					
وفتيان	القسى	الوافر	—	٦	١٢٧٢ ، ١٢٧٣
لعمرك	فالسلي	الوافر	كعب بن زهير	٤	٧٠٤

٤ - فهرس الأرجاز في متن الحماسة(*)

<u>الرجز</u>	<u>الراجز</u>	<u>الصفحة</u>
قافية الألف		
ونغم مأوى طارق إذا أتى	[الشمخ بن ضرار]	١٢٢٨
إنك يا ابن جعفر نعم الفتى	[الشمخ بن ضرار]	١٢٢٨
ثم اللحاف بعد ذاك في الذرى	[الشمخ بن ضرار]	١٢٢٨
وربّ ضيف طرق الحيّ سرى	[الشمخ بن ضرار]	١٢٢٨
إنّ الحديث طرف من القرى	[الشمخ بن ضرار]	١٢٢٨
صادف زادًا وحديثًا ما انتهى	[الشمخ بن ضرار]	١٢٢٨
قافية الباء		
الباء الساكنة		
من ثغر اللبّات يومًا والحجب	أدهم بن أبي الزعراء	٤٣٦
قد صبّحت معن بجمع ذي لجب	أدهم بن أبي الزعراء	٤٣٦
وأسدًا بغارة ذات حذب	أدهم بن أبي الزعراء	٤٣٦
إلا صميًا عربًا إلى عرب	أدهم بن أبي الزعراء	٤٣٦
رجاجة لم تكُ مما يؤتشب	أدهم بن أبي الزعراء	٤٣٦
تبكي عواليهم إذا لم تختضب	أدهم بن أبي الزعراء	٤٣٦
قيسًا وعبدانهم بالمتهب	أدهم بن أبي الزعراء	٤٣٦

(*) هذا الفهرس خاص بالأرجاز التي وردت في متن الحماسة فقط، وقد أفردنا فهرسًا آخر للأرجاز الواردة في شرح المرزوقي.

الرجز	الراجز	الصفحة
	الباء المفتوحة	
تمرس الجرباء لاقت جُربا	عبد الرحمن المعني	٤٢٩
قراع قوم يُحسينون الضربا	عبد الرحمن المعني	٤٢٩
دَنَّا فما يزداد إلا قربا	عبد الرحمن المعني	٤٢٩
إذا أحسَّ وجعًا أو كربا	عبد الرحمن المعني	٤٢٩
ترى مع الروح الغلام الشطبا	عبد الرحمن المعني	٤٢٩
قد قارعت معن قراعا صلبا	عبد الرحمن المعني	٤٢٩

قافية التاء

التاء المكسورة

إذا الكماة بالكماة التفت	جحدر بن ضبيعة	٣٦٠
وشعث بعد الرهان جمتي	جحدر بن ضبيعة	٣٦٠
ما لفتت في خرق وشميت	جحدر بن ضبيعة	٣٦٠
قد علمت والدة ما ضمت	جحدر بن ضبيعة	٣٦٠
إن لم يناجزها فجزوا لمتي	جحدر بن ضبيعة	٣٦٠
ردوا علي الخيل إن ألمت	جحدر بن ضبيعة	٣٦٠
قد يمت بتي وأمت كنتي	جحدر بن ضبيعة	٣٦٠
حتى إذا قضيت من بتايتها	—	١٢٧٦
وما تقضي النفس من حاجاتها	—	١٢٧٦
والحادي اللأغب من خداتها	—	١٢٧٧
حُسن في قرح وفي داراتها	—	١٢٧٦
يبتن ينقلن بأجهزاتها	—	١٢٧٧
سبع ليالٍ غير معلوفاتها	—	١٢٧٦
فانصلت تعجب لانصلاتها	—	١٢٧٧
والحمضيات على علايتها	—	١٢٧٧
حملت أثقالها مصممايتها	—	١٢٧٦
كيف ترى مُرّ طلاحياتها	—	١٢٧٧
بين قروري ومرورياتها	—	١٢٧٧
قسي نبع رَد من سيايتها	—	١٢٧٧

الرجز	الراجز	الصفحة
كانما أعناق سامياتها	—	١٢٧٧
عُلِبَ الذفاري وعفرنياتها	—	١٢٧٦

قافية الحاء

الحاء المفتوحة

كانها صنجة ألف راجحة	—	١٢٩٤
وفيشة زين وليست فاضحة	—	١٢٩٤
تسد فرج القحبة المسافحة	—	١٢٩٤
من لقيت فهي له مصافحة	—	١٢٩٤
مفسدة لابن العجوز الصالحة	—	١٢٩٤
على العدو والصديق جامحة	—	١٢٩٤
نابلة طورًا وطورًا رامحة	—	١٢٩٤

قافية الدال

الدال المكسورة

وارم بسهمين على فؤادة	امراة	١٣٠٣
واجعل جمام نفسه في زادة	امراة	١٣٠٣
يا رب من عادى أبي فعاده	امراة	١٣٠٣
تكحل عينها ببعض جلدها	—	١٣٠٠
تخضب كفا بتكت من زندها	—	١٣٠٠
كانها والكحل في مرودها	—	١٣٠٠
فتخضب الحناء من مسودها	—	١٣٠٠

قافية الراء

الراء الساكنة

بين ماتي لم تخرق بالإبز	حميد الأرقط	١٢٨٥
كانما عيناه في حرفي حجر	حميد الأرقط	١٢٨٥
يلذن منه تحت أفنان الشجر	حميد الأرقط	١٢٨٥
والليل يحدوه تباشير السحر	حميد الأرقط	١٢٨٤
عن زف ملحاح بعيد المنكدز	حميد الأرقط	١٢٨٥

الرجز	الراجز	الصفحة
أقنى تظَلَّ طيره على حذر	حميد الأرقط	١٢٨٥
بُسْحَق الميعة مَيَّال العذر	حميد الأرقط	١٢٨٤
وفي تواليه نجوم كالشرز	حميد الأرقط	١٢٨٤
قد أغتدي والصبح محمَّر الطرز	حميد الأرقط	١٢٨٤
كأنه يوم الرهان المحتضر	حميد الأرقط	١٢٨٤
ضار غدا ينفذ صبيان المطر	حميد الأرقط	١٢٨٤
وقد بدأ أول شخص يتنظر	حميد الأرقط	١٢٨٤
بعيد توهيم الوقاع والنظر	حميد الأرقط	١٢٨٥
دون أنابي من الخيل زمر	حميد الأرقط	١٢٨٤

الراء المكسورة

وطرقي بخصية وأير	امراة	١٢٩٥
أيا سحاب طرقي بخير	امراة	١٢٩٥
ولا تريني طرف البُطير	امراة	١٢٩٥

قافية القاف

القاف الساكنة

يا رَبِّ مَنْ أَحْسَهَا مَن صدق	—	١٢٩٢
وبات في جهد بلاء وأرق	—	١٢٩٢
وَمَنْ نوى كتمان دلوي فاحترق	—	١٢٩٢
مشومة تخلط شوماً بخرق	—	١٢٩٢
وهب له ذات صدار منخرق	—	١٢٩٢
قامت تمطى والقميمص منخرق	—	١٢٩٨
إن لم يصبحه بما ساء طرق	—	١٢٩٢
فصادف الخرق مكانًا قد حلق	—	١٢٩٨
فهب له بيضاء بلهاء الخلق	—	١٢٩٢
أنشد بالله وبالذلو الخلق	—	١٢٩٢
وابعث عليه علقًا من العلق	—	١٢٩٢
كأنه قعب نضار منفلق	—	١٢٩٨

الرجز	الراجز	الصفحة
-------	--------	--------

قافية اللام

اللام الساكنة

٢١١	الأعرج المعني	ذا قوة وذا شباب مقتبل
٢١١	الأعرج المعني	لا جزع اليوم على قرب الأجل
٤٨٢	—	أنّ الفرار لا يزيد في الأجل
٢١١	الأعرج المعني	ردّوا علينا شيخنا ثم بجلّ
٢١١	الأعرج المعني	نحن بنو الموت إذا الموت نزل
٢١١	الأعرج المعني	ننعي ابن عفّان بأطراف الأسن
٢١١	الأعرج المعني	الموت أحلى عندنا من العسل
٢١٠	الأعرج المعني	خُلِقْتُ غير زُمِّل ولا وكلّ
٤٨٢	—	إذا السيوف عُرِّيت من الخلّ
٢١١	الأعرج المعني	نحن بني ضبة أصحاب الجمل
٢١٠	الأعرج المعني	أنا أبو برزة إذ جدّ الوهل
٤٨٢	—	قد علم المستأخرون في الوهل

اللام المفتوحة

١٢٩٣	—	أنفيتان تحملان المرجلا
١٢٩٣	—	كانّ خصيه إذا تدلّلا
١٢٩٩	—	فلن تموت أو تجيد قتلها
١٢٩٩	—	يا ربّ إن قتلتها فعُدّ لها

اللام المكسورة

١٢٩٣	—	كان خصيه من التدلّل
١٢٩٣	—	سحق جراب فيه ثنتا حنظل

قافية الميم

الميم الساكنة

٢٥٧	رشيد بن رميض	خدلّج الساقين خفّاق القدم
٢٥٨	رشيد بن رميض	ولا بجزار على ظهر وضم

الرجز	الراجز	الصفحة
قد لَقَّها الليل لسَوَّاق حطَمَ	رشيد بن رميض	٢٥٧
بات يقاسيها غلام كالزلَمَ	رشيد بن رميض	٢٥٧
ليس براعي إبل ولا غنمَ	رشيد بن رميض	٢٥٨
باتوا نيامًا وابن هند لم ينمَ	رشيد بن رميض	٢٥٧

الميم المكسورة

ترى الرجال تهتدي بأَمه	أعرابي	١٢٣٤
ليس أبوه بابن عم أَمه	أعرابي	١٢٣٤
ألا فتى نال العلى بهمه	أعرابي	١٢٣٤

قافية الباء

الباء المفتوحة

هناك أوصيني ولا توصي بِيه	[سحيم بن وثيل]	٤٦٥
إني إذا القوم كانوا أنجِيه	[سحيم بن وثيل]	٤٦٥
واضطرب القوم اضطراب الأرشِيه	[سحيم بن وثيل]	٤٦٥
وشُدَّ فوق بعضهم بالأروِيه	[سحيم بن وثيل]	٤٦٥

٥ - فهرس شعراء الحماسة(*)

الصفحة	رقم الحماسة	اسم الشاعر
(أ)		
٤٥٠	[٢٠٨]	أبان بن عبدة
١٨٨	[٧٠]	إبراهيم بن كنيف النبهاني
٣٠٠	[١٤٣ ، ١٤٢]	أبي بن حمام العبسي
٣٩٠	[١٧٩]	أبي بن سلمى بن ربيعة الضبي
٧٥٤	[٣٨٤]	الأبيرد بن المعذر اليربوعي
٣٣٥	[١٥٧]	أبو الأبيض العبسي
		الأحوص بن محمد بن عاصم
١٦٢	[٥٤]	الأنصاري
٤٢٧	[١٩٥]	الأخرم السنبسي
٤١٩	[١٩١]	الأخضر بن هيرة
٥١٠	[٢٤٨]	الأخنس بن شهاب
١٠٣١ ، ٤٣٦	[٦٢٢ ، ٢٠٠]	أدهم بن أبي الزعراء
	[١٣٥ ، ٣٠٠ ، ٥٩٨]	أرطاة بن سهية المري
٢٨٧ ، ٦٣٢ ، ١٠٠٣	[٧٢٩]	
١١٦٣		
٤٨٥	[٢٣١]	الأرقط بن دعلب العبيري

(*) لم نأخذ بعين الاعتبار عند الترتيب الألفبائي ألفاظ «ابن»، «ابن أبي»، «أبو»، «بنت»، «أم»، «أخت»... الخ. ونشير إلى أننا وضعنا المجاهيل في هذا الفهرس بعد حرف الياء تحت عنوان «المجاهيل من شعراء الحماسة».

الصفحة	رقم الحماسية	اسم الشاعر
٢٠٥	[٨٥]	إسحق بن خلف (ابن الطبيب)
١٠٤٨	[٦٣٦]	أبو الأسد
١٠٥٨	[٦٤٢]	إسماعيل بن عمار الأسدي
٦١٧	[٢٨٨]	الأسود بن زمعة بن المطلب
		الأشتر النخعي (مالك بن
١١١	[٢٥]	الحارث بن عبد يغوث)
٦٦٣ ، ٦٠٦	[٣٢١ ، ٢٨٠]	أشجع بن عمرو السلمي
		الأعرج المعني (عدي بن عمرو بن
٢٥٣ ، ٢١٠	[١١٧ ، ٨٨]	سويد)
١٢٤٧ ، ١٢٤٦	[٧٩٨ ، ٧٩٧]	أعشى ربيعة
١٢١٢	[٧٦٩]	الأقرع بن معاذ
٩٦٦	[٥٧٠]	أمامة
١٢٥٠ ، ٥٣٥	[٨٠١ ، ٢٥٤]	أمية بن أبي الصلت
٤٥٢ ، ١٢٦	[٢٠٩ ، ٣٣]	أنيف بن حكم النبهاني
١٢٦	[٣٣]	أنيف بن زبّان النبهاني
٧٤٥	[٣٧٧]	ابن أهبان الفقعي
٤٨٩	[٢٣٥]	أوس بن ثعلبة
٤٦٤	[٢١٨]	أوس بن حبناء
	[٣٥٦ ، ٤٨٥ ، ٦٢١]	إياس بن الأرت الطائي
١٠٣٠ ، ٨٩٥ ، ٧٢٠	[٧٤١]	
١١٨١		
٧٩٦	[٤٠٦]	إياس بن القائف
١٥٢	[٤٧]	إياس بن قبيصة الطائي
٤٢٤	[١٩٤]	إياس بن مالك الطائي
(ب)		
٣٧٥	[١٧٥]	باعث بن صريم بن أسد
٦٠١	[٢٧٧]	البراء بن ربيعي الفقعي

الصفحة	رقم الحماسية	اسم الشاعر
٢٦١ ، ٤٣٨ ، ٨٩١	١٢٢ ، ٢٠١ ، ٤٨٤	البرج بن مسهر الطائي
١٢٢٦	[٧٨١]	
٧٥	[١٤]	بشامة بن حزن النهشلي
٢٨٤	[١٣٤]	بشامة بن العذير
٣٢٤	[١٥٣]	بشر بن أبي بن حمام العبسي
١٩٢	[٧٣]	بشر بن المغيرة
١٠٠٩	[٦٠٣]	بشير بن أبي بن جذيمة
١٢٦٥ ، ٢٧٣	[٨١٧ ، ١٣٠]	البُعِيث بن حُرَيْث الحنفي
٤٩٢	[٢٣٧]	بغثر بن لقيط الأسدي
٩٢٥	[٩٢٥]	أبو بكر بن عبد الرحمن الزهري
٩٠١	[٤٩١]	بكر بن النطاح
٤٦	[٨]	بلعاء بن قيس الكناني

(ت)

٥٧ ، ٧٠ ، ٣٤٩ ، ٥٨٦	١١ ، ١٣ ، ١٦٥	تَابُطُ شُرَا (ثابت بن جابر بن سفيان)
	[٢٧٣]	
٩٤٦ ، ١٩٨	[٥٤٩ ، ٥١٣]	توبة بن الحمير
٩٤٦	[٥٤٩]	توبة بن المضرس
٦٧٠	[٣٢٧]	التيمي (عبد الله بن أيوب)

(ث)

٤١٢ ، ٤١٠	[١٨٨ ، ١٨٧]	أبو ثمامة بن عارم الضبي
٥٣٧	[٢٥٥]	أُمُّ ثَوَاب (امراة من بني هَزَان)

(ج)

١٠٢٨	[٦٢٠]	جابر
٨٩٠ ، ٢٢١	[٤٨٢ ، ٩٥]	جابر بن الثعلب الطائي
٤٢٢	[١٩٣]	جابر بن حريش
١١٩٩	[٧٥٦]	جابر بن حَبَاب
٤٣٢ ، ١٧١	[١٩٨ ، ٥٩]	جابر بن رَأْلَان السنبسي

اسم الشاعر	رقم الحماسة	الصفحة
جؤية بن النضر	[٧٧٥]	١٢٧
جحدر بن ضبيعة بن قيس	[١٦٨]	٣٦٠
جران العود	[٤٥٩]	٨٦٠
جُرية بن الأشيم الفقعسي	[٢٦٠]	٥٤٩
جرير	[٣٩٨]	٧٧٨
جزء بن ضرار	[١١٥]	٢٤٩
جزء بن كليب الفقعسي	[٦٢]	١٧٦
جعفر بن علة الحارثي	[١٢٠ ، ٦ ، ٥ ، ٤]	٢٥٨ ، ٤٠ ، ٣٩ ، ٣٦
جميل بن عبد الله بن معمر العذري (جميل بثينة)	[١٠١ ، ١٠٧ ، ٥٤٦]	
	[٥٩٣ ، ٥٧٢]	٢٢٨ ، ٢٣٦ ، ٩٤٣ ، ٩٩٧ ، ٩٦٨
جؤاس بن قعطل الكلبي	[٦٣٢ ، ٦٣٣ ، ٦٣٤]	١٠٤٣ ، ١٠٤٤ ، ١٠٤٦
جؤاس بن نعيم	[٦٠٩]	١٠١٥
(ح)		
حاتم الطائي	[٤٢٧ ، ٧٥٧ ، ٧٥٨]	
	[٨٠٣ ، ٧٥٩]	٨١٩ ، ١٢٠٠ ، ١٢٠١
		١٢٥٣ ، ١٢٠٣
الحارث بن خالد المخزومي	[٤٨٨]	٨٩٩
الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي	[٣٧]	١٣٩
الحارث بن همّام الشيباني	[٢٣]	١٠٩
الحارث بن ولة الذهلي	[٤٥]	١٤٩
الحارثي	[٥٩٤]	٩٩٨
أبو حبال البراء بن ربيعي الفقعسي	[٢٧٧]	٦٠١
حبيب بن عوف	[٨٠٩]	١٢٥٧
حبيبة بنت عبد العزى العوراء	[٧١٦]	١١٤٤
حجر بن حية العبسي	[٧٣٠]	١١٦٤

اسم الشاعر	رقم الحماسية	الصفحة
حجر بن خالد بن محمود	[١١٨، ١٧٠، ١٧١]	٢٥٥، ٣٦٣، ٣٦٧
	[٧١٩]	١١٤٨
أبو الحجناء	[٢٩٤]	٦٢٦
أبو الحجناء (مولى بني أسد)	[٣١٢]	٦٥١
حجية بن المضرب	[٤٣٧]	٨٢٦
حرقة بنت النعمان	[٤٤٩]	٨٤٥
حريث بن جابر بن سري	[١٢٩]	٢٧١
الحريث بن زيد الخيل	[٢٧٦]	٥٩٩
حريث بن عتاب بن مطر	[٢٠٧]	٤٤٨
حريث بن عتاب النهاني	[٦٢٦، ٦٢٣، ٦٩]	١٨٦، ١٠٣٢، ١٠٣٥
الحريش بن هلال القريني	[٢١]	١٠٤
أبو حزاب (أو ابن حزاب)	[٢٣٤]	٤٨٧
حران بن عمرو	[٧٣٥، ٣٥٣]	١١٧٠، ٧١٣
حسان بن ثابت الأنصاري	[٧٤٤]	١١٨٤
حسان بن الجعد	[٢١٦]	٤٦٢
حسان بن حنظلة بن أبي رهم	[٧٤٠]	١١٧٩
حسان بن علبة	[١٧٢]	٣٦٨
حسان بن نشبة العدوي	[١١٣، ١١٢]	٢٤٥، ٢٤٤
حُسيل بن سُجيع الضبي	[١٨٤]	٤٠٤
الحسين بن مطير الأسدي	[٣١٩، ٤٦٠، ٤٧٣]	٦٥٩، ٨٦٠، ٨٧٧
	[٦٩٤، ٥٥٦]	١١١٨، ٩٥١
الحصين بن الحمام المري	[٤١، ١٣٣]	٢٧٩، ١٤٥
حطائط بن يعفر	[٧٧٣]	١٢١٥
حطّان بن المعلّى	[٨٦]	٢٠٧
حطيم	[٨٢٠]	١٢٧١
حفص بن الأحنف الكنانى	[٣٠٦]	٦٣٩
حفص العليمي	[٥٣٧]	٩٣٥
الحكم الخضري	[٥١٩]	٩٢١

الصفحة	رقم الحماسة	اسم الشاعر
١٢٥١ ، ١٠٨١ ، ٨٤٦	[٨٠٢ ، ٦٧٠ ، ٤٥٠]	الحكم بن عبدل الأسدي
١٢٧٨	[٨٢٥]	حكيم بن قبيصة بن ضرار
٧٣٦	[٣٦٨]	أبو حكيم المري
١١٨٨	[٧٤٩]	حماس بن ثامل
١٢٨٤	[٨٢٨]	حميد الأرقط
٢١٧	[٩٢]	أبو حنبل الطائي (جارية بن مرّ)
٦٦٧	[٣٢٥]	أبو حنش الهلالي
١٢٨١	[٨٢٧]	حنديج بن حنديج المري
١٠١٥	[٦٠٩]	حواس الظبي
٢٠٩	[٨٧]	حيان بن ربيعة الطائي
٩٥٧ ، ٩١٩	[٥٦٢ ، ٥١٦]	أبو حية النميري
١٠٠٥	[٦٠٠]	خارجة بن ضرار المري
٥٥٥	[٢٦٢]	أبو خراش الهذلي
٢٠٧	[٨٦]	خطاب بن المعلّى
١٢٧١	[٨٢٠]	الخطيم
٤٤٥	[٢٠٥]	خفاف بن ندبة
١٢٤٠ ، ٦٢٨	[٧٩٥ ، ٢٩٦]	خلف بن خليفة
		خليد (مولى العباس بن محمد بن علي)
٩٦٣	[٥٦٧]	أبو الخندق الأسدي
١٢٨٩	[٨٣٢]	خنزر بن أرقم
١٠٥٣	[٦٣٨]	الخنساء
١٢٦٢	[٨١٥]	

(د)

٩٤٦	[٥٥٠]	ابن أبي دباكل الخزاعي
٤٨٤	[٢٣٠]	دزاج
١٢٣٢ ، ٥٨٢ ، ٥٧٥	[٧٨٦ ، ٢٧٢ ، ٢٧١]	دريد بن الصمة
١٠٦٨	[٨٣٢]	دعبل الخزاعي

الصفحة	رقم الحماسية	اسم الشاعر
١١٢٣ ، ٩٤٥ ، ٩٢٣	٥٢١ ، ٥٤٨ ، ٦٩٩	أبو دهبل الجمحي
١١٣٢ ، ١١٣٤	[٧٠٨ ، ٧٠٧]	

(ر)

٢٠٠ ، ٢٢٥ ، ١٠٤٩	٨٠ ، ٩٨ ، ٦٣٧	الراعي النميري (عبيد بن حصين)
١٠٥٤	[٦٣٩]	
١٠٧٤	[٦٦٢]	ربعان
٨٨٠	[٤٧٥]	أبو الرئيس الثعلبي
٧٠٠ ، ٣٤٤	[٣٤٧ ، ١٦٣]	الربيع بن زياد العبسي
٧٩٧ ، ٣٨٤ ، ٤٨	[٤٠٧ ، ١٧٧ ، ٩]	ربيع بن مقروم الضبي
٢٥٧	[١١٩]	رُشيد بن رميض
٤٠١ ، ٣٩٩	[١٨٢ ، ١٨١]	الرقاد بن المنذر بن ضرار الضبي
٦٩٣	[٣٤٢]	رقية الجرمي
١٠٢٧ ، ١٢٤	[٦١٩ ، ٣٢]	رويشد بن كثير الطائي
٧٧٢	[٣٩٢]	ريطة بنت عاصم

(ز)

٤٧٦	[٢٢٤]	زاهر أبو كزّام التميمي
١٢١٧	[٧٧٦]	زرعة بن عمرو
٤٦١ ، ١١٥	[٢١٥ ، ٢٨]	زفر بن الحارث الكلابي
١٠٠٤	[٥٩٩]	زميل بن أبيير
٧١٥	[٣٥٤]	زوفير بن الحارث بن ضرار
١٠٩ ، ١٠٦	[٢٤ ، ٢٢]	ابن زبابة (سلمة بن ذهل بن مالك)
١٢٦١ ، ١٠٧٦	[٨١٢ ، ٦٦٦ ، ٦٦٥]	زياد الأعجم
١١١٥	[٦٩١]	أبو زياد الأعرابي
٩٧٢	[٥٧٨]	زياد بن حمل بن سعد
١٧٨	[٦٣]	زيادة بن زيد الحارثي
١١٧٥ ، ٣٩٧	[٧٣٨ ، ١٨٠]	زيد الفوارس بن حصين بن ضرار الضبي

الصفحة	رقم الحماسية	اسم الشاعر
٧٣٢	[٣٦٧]	زينب بنت الطثرية
(س)		
٢٧٨	[١٣٢]	سالم ابن دارة
١٢١١ ، ١١٠٧	[٧٦٧ ، ٦٨٥]	سالم بن قحطان العنبري
١٢١١	[٧٦٨]	امراة سالم بن قحطان العنبري
٨١٥ ، ٨٠٢ ، ٥٠٣	[٤٢٣ ، ٤١١ ، ٢٤٤]	سالم بن وابصة الأسدي
١٧٣	[٦٠]	سبرة بن عمرو الفقسي
٣٥٥	[١٦٧]	سعد بن مالك بن ضبيعة
٤٧٣ ، ٤٧١ ، ٥٢	[٢٢٢ ، ٢٢١ ، ١٠]	سعد بن ناشب
٧٩٨	[٤٠٨]	سلم بن ربيعة
٧٥٦	[٣٨٥]	سلمة الجعفي
٧٩٨ ، ٣٨٦	[٤٠٨ ، ١٧٨]	سلمي بن ربيعة
٦٧٨	[٣٣١]	سليمان بن قته العدوي
٥٣٩	[٢٥٦]	ابن السلماني
٨٢	[١٥]	السموأل بن عادياء
٤٢٠	[١٩٢]	سنان بن الفحل
١٢١٥	[٧٧٢]	سودة اليربوعي
٩٥٢ ، ٤٨٧ ، ٩٧	[٥٥٨ ، ٢٣٣ ، ١٨]	سوار بن المضرب السعدي
٥٩٥	[٢٧٤]	سويد المرثد الحارثي
١٠٢١	[٦١٣]	سويد بن مشنوء
١٢١	[٣٠]	سيتار بن قصير الطائي

(ش)

٨٩٠ ، ٤٩٨	[٤٨١ ، ٢٤٢]	شبرمة بن الطفيل
٨٠١ ، ٧٨٩	[٤١٠ ، ٤٠٣]	شبيب بن البرصاء المري
٦٨٦ ، ٢٣٥	[٣٣٦ ، ١٠]	شبيب بن عوانة الطائي
٤٨٢	[٢٢٨]	شبل الفزاري
١٤٤	[٤٠]	الشداخ بن يعمر الكتاني
١١٩٥	[٧٥٣]	شريح بن الأحوص
٢٩٦	[١٤٠]	شريح بن قرواش العبسي

الصفحة	رقم الحماسية	اسم الشاعر
١٠٣٣	[٦٢٤]	شعيث بن عبد الله
٧٣٨ ، ٧٣٠ ، ٦٥٤	[٣٧١ ، ٣٦٤ ، ٣١٤]	أبو الشغب العبسي (عكرشة)
١١٢١	[٦٩٨]	شقران (مولى سلامان)
٥٥٢	[٢٦١]	شقيق بن سليك الأسدي
١٢٢٩ ، ٧٦٤	[٣٨٤ ، ٣٨٨]	الشمّاخ بن ضرار
٣٦٢	[١٦٩]	شمّاس بن أسود الطهوي
٩٠٤	[٤٩٦]	الشماطيط الغطفاني
		الشمردل بن شريك (أو نهشل بن حري)
٦١٤	[٢٨٦]	
١٠١٩ ، ٤٠٣	[٦١١ ، ١٨٣]	شمعلة بن الأخضر
٩٣	[١٦]	الشميذر الحارثي
٣٤٧	[١٦٤]	الشنفري الأزدي
٩٦١	[٥٦٥]	أبو الشيص الخزاعي

(ص)

٧٦٦	[٣٨٩]	صخر بن عمرو بن الحارث
		أبو صخر الهذلي (عبد الله بن سلمة بن هذيل)
٨٦٣ ، ٨٦٢ ، ٢٣٨	[٤٦٢ ، ٤٦١ ، ١٠٩]	
٦٥٨	[٣١٨]	أم الصريح الكندية
١٠٣٩ ، ٨٩٨ ، ٧٢٤	[٦٢٨ ، ٤٨٧ ، ٣٥٩]	أبو صعتر البولاني
٦٦٩	[٣٢٦]	صفية الباهلية
١٢٥٥	[٨٠٦]	صفية بنت عبد المطلب
٨٤٩	[٤٥٣]	الصلتان العبدي
٨٦٩ ، ٨٥١	[٤٦٦ ، ٤٥٤]	الصمة بن عبد الله القشيري

(ض)

٧٢٩	[٣٦٣]	الضبي
-----	-------	-------

(ط)

٢٩٧	[١٤١]	طرفة الجذيمي
١٠٠٧	[٦٠٢]	طرفة بن العبد

الصفحة	رقم الحماسة	اسم الشاعر
١٠٣٩	[٦٢٩]	الطرمّاح بن جهم السبسي
١٦٦	[٥٦]	الطرمّاح بن حكيم
١٢٥٦	[٨٠٨]	طريح بن إسماعيل الثقفي
٧٤٧	[٣٧٩]	طريف بن أبي وهب العبسي
١٩٩	[٧٩]	طفيل الغنوي
١٣٠٤ ، ١١١٨ ، ٨٨٧	[٨٦٣ ، ٦٩٥ ، ٤٧٨]	أبو الطمّاحان القيني
(ع)		
٧٧٦ ، ٧٧٣	[٣٩٦ ، ٣٩٣]	عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل
٥٢٦	[٢٥٠]	عاتكة بنت عبد المطلب
١٢٢٢ ، ١٠٢٤ ، ١٠١١	[٧٨٠ ، ٦١٦ ، ٦٠٥]	عارق الطائي
١٠٨٣	[٦٧٢]	عاصية البولانية
١١٧٤	[٧٣٧]	عامر بن حوط
٤٠٩	[١٨٦]	عامر بن شقيق
٥٠٤ ، ١١٤	[٢٤٦ ، ٢٧]	عامر بن الطفيل الكلابي
٣١٢ ، ٣١٥ ، ٣١٧	[١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥١]	العباس بن مرداس السلمي
٩١٧ ، ٨١٠	[٥١٢ ، ٤١٩]	
١٠٦١	[٦٤٦]	عبد الله بن أوفى الخزاعي
٦٢٩	[٢٩٧]	عبد الله بن ثعلبة الحنفي
١١٤٧	[٧٧٧]	عبد الله بن الحشر الجعدي
٥٠٣ ، ٤٧٧ ، ٤٥٦	[٥٦٩ ، ٥٦٠]	عبد الله ابن الدمينية
٩٠٩ ، ٨٨٥ ، ٨٥٦	[٣٢٢ ، ٤٣٣ ، ٨١٠]	عبد الله بن الزبير الأسدي
٩٦٥ ، ٩٥٤	[١٦٢]	عبد الله بن سبرة الحرشي
١٢٥٧ ، ٨٢٢ ، ٦٦٣	[٤٧٦]	عبد الله بن عجلان النهدي
٣٤٣	[٣٥٥ ، ١٩٠ ، ١٨٩]	عبد الله بن عنمة الضبي
٨٨٣	[٤٤٠]	عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر
٧١٦ ، ٤١٦ ، ٤١٤		
٨٣١		

الصفحة	رقم الحماسية	اسم الشاعر
١٠٤٨	[٦٣٥]	عبد الرحمن بن الحكم
٩٢٥	[٥٢٤]	عبد الرحمن الزهري
٤٢٩	[١٩٦]	عبد الرحمن المعنّي
٣١٩	[١٥٢]	عبد الشارق بن عبد العزّي الجهنّي
١١٨٥	[٧٤٥]	عبد العزيز بن زرارة الكلابي
٥٢٨	[٢٥١]	عبد القيس بن خفاف البرجمي
٦٢١ ، ٨٢	[٢٩٠ ، ١٥]	عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي
٥٦٠	[٢٦٣]	عبدة بن الطبيب
٤٣٠	[١٩٧]	عبيد بن ماوية الطائي
		عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود
٩٤٧	[٥٥١]	أبو العتاهية
١٠٨٠	[٦٦٩]	عتبة بن بجير
١٢٠٦	[٧٦٢]	العتبيّ (محمد بن عبيد الله)
٧٥٠	[٣٨٠]	عتي بن مالك العقيلي
٦٢٥٠ ، ٦٢٤	[٢٩٣ ، ٢٩٢]	عتيبة بن بجير المازني
١٠٨٩	[٦٧٥]	العجير السلولي
١١٣١ ، ١١٢٩ ، ٦٤٩	[٧٠٦ ، ٧٠٥ ، ٣١١]	العديل بن الفرخ العجلي
٥١٧	[٢٤٩]	العرندس
١١١٥	[٦٩٢]	عروة بن أذينة
٩٠٦	[٤٩٩]	عروة بن الورد العبسي
	[١٤٥ ، ١٥٦ ، ٤٣١]	
٨٢١ ، ٣٣٣ ، ٣٠٤	[٧٦٥ ، ٧٢٥ ، ٦٨١]	
١٢٠٩ ، ١١٥٧ ، ١١٠٢		
١١٣٨	[٧١٢]	العريان
٧٨٧	[٤٠٢]	عصام بن عبيد الزماني
		أبو عطاء السندي (أفلح مولى
٥٦٦ ، ٤٤	[٢٦٦ ، ٧]	عنبر بن سماك)
٨٠٤ ، ٦٩٧ ، ٢٨٩	[٤١٣ ، ٣٤٥ ، ١٣٦]	عقيل بن علفّة المري
١١٩٧	[٧٥٥]	العكلي
٧٤٦	[٣٧٨]	ابن عمار الأسدي

الصفحة	رقم الحماسية	اسم الشاعر
١٠٠٦ ، ١٠٠٢	[٥٩٧ ، ٦٠١]	عمارة بن عقيل
٨٧٩	[٤٧٤]	عمر بن أبي ربيعة
٧٥٨	[٣٨٦]	عمرة الخثعمية
٧٧١	[٣٩١]	عمرة بنت مرداس
١٢٠٦	[٧٦٣]	عمرو بن أحمر الباهلي
١١٤٢	[٧١٥]	عمرو ابن الإطانة
١١٥٦	[٧٢٤]	عمرو بن الأهم
٩٩٥	[٥٩٠]	عمرو بن حكيم
٢٠٣	[٨٤]	عمرو بن شأس
٩٨٤	[٥٧٩]	عمرو بن ضبيعة الرقاشي
٧٩٥	[٤٠٥]	عمرو بن قمينة
٤٧٩	[٢٢٥]	عمرو القنا
٣٣٩	[١٦٠]	عمرو بن كلثوم التغلبي
٤٥٩	[٢١٤]	عمرو بن مخلاة الحمار الكلابي
١٣٥ ، ١٢٩ ، ١١٧	[٢٩ ، ٣٤ ، ٣٥]	عمرو بن معديكرب الزبيدي
١٠٧٧	[٦٦٧]	عمرو بن الهذيل العبدي
١٠٨١	[٦٧١]	أم عمرو بنت وقدان
١٠٠٢	[٥٩٧]	عملس بن عقيل بن علفة
١٢٦٦ ، ١٦١	[٥٣ ، ٨١٨]	عترة بن الأخرس المعني
٣٠٧ ، ٣٠٢	[١٤٤ ، ١٤٦]	عترة بن شداد العبسي
١١١٠	[٦٨٨]	ابن عنقاء الفزاري
٧٧٦	[٣٩٥]	العوراء بنت سبيع
١٠٦٩ ، ١٩١	[٧٢ ، ٦٥٤]	عوف القوافي ابن معاوية الفزاري

(غ)

٣٦٨	[١٧٢]	غسان بن ولة
١٣١٧	[٨٨٠]	أبو الغطمش
٧٢٤ ، ٦٣١	[٢٩٩ ، ٣٦٠]	الغطمش الضبي
٣٢٧	[١٥٤]	غلاق بن مروان بن الحكم
٣٢	[٣]	أبو الغول الطهوي

الصفحة	رقم الحماسية	اسم الشاعر
٧٠٧	[٣٥٠]	غوية بن سلمي بن ربيعة
(ف)		
٦٤٢	[٣٠٨]	فاطمة بنت الأحجم الخزاعية
١١١٣	[٦٩٠]	فدكي (رجل من بهراء)
١٤١	[٣٨]	الفرار السلمي (حيان بن الحكم)
١١٦١	[٧٢٨]	أبو الفرج القاسم بن حنبل المري
٧٠٩ ، ٤٥٢ ، ٢٢٦		الفرزدق
١١٣٤ ، ٨٤٨ ، ٤٨٠	[٧٥٢]	
١١٩٤		
١٠١٠	[٦٠٤]	فرعان بن الأعرق
٤١٩	[١٩١]	الفضل بن الأخصر
١٦٤	[٥٥]	الفضل بن العباس بن عتبة
٣٨٠ ، ٢٧	[١٧٦ ، ٢]	الفند الزماني
(ق)		
٥٠٠	[٢٤٣]	قيصة بن جابر
٢٠٣ ، ٢٠٢ ، ١٩٩		قيصة بن النصراني الجرمي
٤٣٤ ، ٤٤١ ، ٤٤٣	[٣٥٨]	
٧٢٢		
٥٤٣	[٢٥٨]	قتادة بن مسلمة الحنفي
٤٦٢ ، ١٤٨	[٢١٧ ، ٤٣]	القتال الكلابي
٦٧٩	[٣٣٢]	قتيلة بنت النضر بن الحارث
١٠٠٠	[٥٩٦]	قراد بن حنش الصاردي
٤٧٥	[٢٢٣]	قراد بن عباد
٧٠٩	[٣٥١]	قراد بن غوية بن سلمي
١٠٢٠	[٦١٢]	قرواش بن حوط الضبي
١٩	[١]	قريط بن أنيف
٦٧٥	[٣٣٠]	قسام بن رواحة السنبسي
٢٥٢	[١١٦]	القطامي
٤٨٤ ، ١٠١	[٢٢٩ ، ٢٠]	قطري بن الفجاءة

الصفحة	رقم الحماسة	اسم الشاعر
١٠١٣	[٦٠٧]	قعنبن بن ضمرة (ابن أم صاحب)
٧٢٧	[٣٦٢]	القلاخ بن حزن
٩٦٤	[٥٦٨]	أبو القمقام الأسدي
٤٥٥	[٢١١]	قوال الطائي
٨٣٤ ، ١٣٦	[٤٤٤ ، ٣٦]	قيس بن الخطيم
٣٣٧ ، ٣٠٩ ، ١٤٩	[١٥٨ ، ١٤٧ ، ٤٤]	قيس بن زهير بن جذيمة
٧٤١	[٣٧٣]	أم قيس الضبية
١١٠٩	[٦٨٧]	قيس بن عاصم المنفري
(ك)		
٧٤٤	[٣٧٦]	كبد الحصة العجلي
١٥٩	[٥٢]	كبشة (أخت عمرو بن معديكرب)
٦٤	[١٢]	أبو كبير الهذلي
٥٠٦ ، ٤٩٤ ، ٤٩٣	[٧٨٨]	كُثَيْر غَزَّة
٩١١ ، ٩٠٣ ، ٩٠٢		
١٢٣٢		
١٢٠٥	[٧٦١]	أبو كوراء العجلي
١٠٤٠ ، ٤٥٤	[٦٣٠ ، ٢١٠]	الكروس بن زيد
٧٠٤ ، ٦٩٠	[٣٤٨ ، ٣٤٠]	كعب بن زهير
٩٧١	[٥٧٧]	كلثوم بن صعب
١٢٥٨	[٨١١]	الكميت بن زيد الأسدي
١٠٧٨ ، ٤٩٨ ، ٤٩٧	[٦٦٨ ، ٢٤١ ، ٢٤٠]	كنزة أم شملة
(ل)		
٧٣٢	[٣٦٦]	ليد بن ربيعة
١١٣٧ ، ١١٢٦ ، ١١٢٤	[٧١١ ، ٧٠١ ، ٧٠٠]	ليلى الأخيلية
(م)		
١٠٦٤	[٦٥٠]	مالك بن أسماء
١١٤٦	[٧١٧]	مالك بن جعدة الثعلبي
٨٢٢	[٤٣٤]	مالك بن حزم الهمداني

اسم الشاعر	رقم الحماسة	الصفحة
المؤمل بن أميل المحاربي	[٤١٢]	٨٠٣
المتلمس	[٢٢٠]	٤٦٦
منم بن نوية	[٢٦٥]	٥٦٥
المنوكل الليثي	[٨٠٧، ٧٩٩، ٤٤٢]	١٢٥٦، ١٢٤٨، ٨٣٣
المثلّم بن رياح بن ظالم المري	[٧٢٧، ١٣١]	١١٥٩، ٢٧٦
المثلّم بن عمرو التتوخي	[١٦١]	٣٤٢
مجتمّع بن هلال بن خالد	[٢٤٧]	٥٠٥
محرز بن المكعبر الضبي	[٦١٠، ١٨٥]	١٠١٧، ٤٠٧
محمد بن بشير الخارجي	[٢٦٩، ٢٧٠، ٤٣٥]	٥٧٢، ٥٧٣، ٨٢٣
	[٥٥٣، ٤٣٦]	٩٤٨، ٨٢٤
محمد بن أبي شحاذ الضبي	[٤٤٧]	٨٤٣
محمد بن عبد الله الأزدي	[١٣٧]	٢٩١
أبو محمد اليزيدي	[٦٧٤]	١٠٨٤
مدرك (أو مغلس) بن حصن		
الفقعسي	[٦٥٢]	١٠٦٦
المرار بن سعيد الفقعسي	[٧٦٤، ٤٠١]	١٢٠٧، ٧٨٦
مرداس بن هماس الطائي	[٥٨١]	٩٨٦
مرة بن محكان التميمي	[٦٧٦]	١٠٩٣
مزعفر	[٧٧٩]	١٢٢١
مسافع بن حذيفة العبسي	[٣٤٦]	٦٩٨
المساور بن هند	[١٤٨، ١٥٥، ٦٠٦]	٣١٠، ٣٣٠، ١٠١٣
	[٧٣١]	١١٦٥
المسجاح بن سباع الضبي	[٣٥٢]	٧١٢
مسكين الدارمي	[٧٥٤، ٣٩٩]	١١٩٦، ٧٨٣
مسلم بن الوليد	[٣٢٤، ٣٢٣]	٦٦٦، ٦٦٤
مسور بن زيادة الحارثي	[٦٤]	١٧٩
مضرّس بن ربيعي الأسدي	[٧٤٨، ٤٤١]	١١٨٨، ٨٣١
مطيع بن إياس	[٢٧٩، ٢٧٨]	٦٠٤، ٦٠٣

الصفحة	رقم الحماسة	اسم الشاعر
٥٣٣	[٢٥٣]	معبد بن علقمة
١١٣	[٢٦]	معدان بن جواس الكندي
١٠٢٢	[٦١٤]	معدان بن عبيد بن عدي
٩٢٦	[٥٢٥]	معدان بن المضرب الكندي
١٢٣٦	[٧٩٢]	المعذل بن عبد الله الليثي
٩٦٧	[٥٧١]	المعلوط بن بدل السعدي
٧٩١	[٤٠٤]	معن بن أوس
		مفلّس (أو مدرك) بن حصن
١٠٦٦	[٦٥١]	الفقعسي
٧٦٨	[٣٩٠]	أخت المقصص الباهلية
٦١٠	[٢٨٢]	ابن المقفع
١٢١٦ ، ٨٢٨	[٧٧٤ ، ٤٣٨]	المقفع الكندي
١٢٦٧ ، ١٢٢٦	[٨١٩ ، ٧٨٢]	ملحة الجرمي
١٠١٠	[٦٠٤]	أبو منازل
٣٧١	[١٧٤]	المنخل بن الحارث الإشكري
١١٧٣ ، ١٠١٤	[٧٣٦ ، ٦٠٨]	منصور بن مسجاح الضبي
٨١٣	[٤٢٢]	منظور بن سحيم
٨٤٢ ، ٧٣٦	[٤٤٦ ، ٣٦٩]	منقذ بن عبد الرحمن الهلالي
٦٥٥	[٣١٥]	مهلهل بن ربيعة
	[١٢٣ ، ١٢٥ ، ١٢٦]	موسى بن جابر الحنفي
٢٦٧ ، ٢٦٥ ، ٢٦٣	[١٢٨ ، ١٢٧ ، ٥٩٥]	
١٠٠٠ ، ٢٧٠ ، ٢٦٩		
١٢٣٥	[٧٩١]	ابن المولى
٦٣٨	[٣٠٥]	مويلك المزموم
٩٤٨ ، ٩٣٣	[٥٥٢ ، ٥٣٤]	ابن ميادة
٧٣٧	[٣٧٠]	مئة بنت ضرار الضبية

(ن)

٧٤٣ ، ٦٨٤ ، ٦٨٣	[٣٧٤ ، ٣٣٤ ، ٣٣٣]	النابعة الجعدي
١١٩٣ ، ٦٣٦	[٧٥١ ، ٣٠٤]	النابعة الذبياني

الصفحة	رقم الحماسية	اسم الشاعر
٨١٧	[٤٢٥]	نافع بن سعد الطائي
١٣٠٣	[٨٦٢]	أُمّ التَّحِيف
٢٣٠	[١٠٣]	أبر النشاش
		نصيب الأكبر (مولى عبد العزيز بن مروان)
١٢٤٩ ، ٩١٩ ، ٩٠٣	[٨٠٠ ، ٥١٥ ، ٤٩٥]	
١٢٥٥	[٨٠٥]	أخت النضر بن الحارث
٨٩١	[٤٨٣]	نفر بن قيس
٦٧١	[٣٢٨]	نهار بن توسعة
٦١٥ ، ٦١٤	[٢٨٧ ، ٢٨٦]	نهشل بن حري
		نهشل بن حري (أو الشمردل بن شريك)
٦١٤	[٢٨٦]	
١١٨٩	[٧٥٠]	النمري

(ه)

٣٣٨	[١٥٩]	هدبة بن خشرم
٤٩٣	[٢٣٩]	الهذلول بن كعب العبدي
١١٧٧	[٧٣٩]	الهذيل بن مشجعة البولاني
٧٢٠	[٣٥٦]	الهذلول بن هبيرة
٩٩٤	[٥٨٩]	ابن هرم الطائي
١١٠٤ ، ٨٧٤	[٦٨٣ ، ٤٧٠]	ابن هرمة
٥٦٢	[٢٦٤]	هشام بن عقبة العدوي
٢٤٧	[١١٤]	هلال بن رزين

(و)

١٢٨٠	[٨٢٦]	واقد بن الفطريف بن طريف
٩٨٤	[٥٨٠]	وجيهة بنت أوس الضبية
٤٨٦ ، ٩٥	[٢٣٢ ، ١٧]	وذلك بن نميل المازني
٩٣٦	[٥٣٩]	ورد بن عمرو الجعدي
١٠٤١ ، ٤٥٦	[٦٣١ ، ٢١٢]	وضاح بن إسماعيل
٣٩٩	[١٨١]	الوقاد بن المنذر
٧٤٧	[٣٧٩]	أبو وهب العبسي

الصفحة	رقم الحماسية	اسم الشاعر
(ي)		
٧٨٤ ، ٦٠٨	[٤٠٠ ، ٢٨١]	يحيى بن زياد الحارثي
٢٣٧	[١٠٨]	يحيى بن منصور الحنفي
١٢٣٣ ، ١٢١٣	[٧٨٩ ، ٧٧٠]	يزيد بن الجهم الهلالي
٨٣٦	[٤٤٥]	يزيد بن الحكم الثقيفي
١٦٩	[٥٨]	يزيد بن الحكم الكلبي
٢١٩	[٩٣]	يزيد بن حمان السكوني
١٢١٠ ، ٩٣٧	[٧٦٦ ، ٥٤١]	يزيد ابن الطثرية
٦٧٤	[٣٢٩]	يزيد بن عمرو الطائي
		يزيد بن قنافة بن عبد شمس
١٠٢٣	[٦١٥]	العدوي
١٢٣١	[٧٨٥]	يزيد بن المخرم الحارثي

(المجاهيل) (*)

١٨٢ ، ١٥٨ ، ٩٩ ، ٤٦	٨ ، ٩ ، ٥١ ، ٦٦	آخر
١٩٥ ، ١٩٠ ، ١٨٣	٦٧ ، ٧١ ، ٧٥ ، ٧٦	
١٩٩ ، ١٩٨ ، ١٩٧	٧٧ ، ٧٨ ، ٨١ ، ٨٢	
٢١٢ ، ٢٠٥ ، ٢٠١	٨٥ ، ٨٩ ، ٩٤ ، ٩٧	
٢٢٦ ، ٢٢٤ ، ٢٢١	٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠٢	
٢٣٣ ، ٢٢٩ ، ٢٢٧	١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٢١	
٢٦٤ ، ٢٦٠ ، ٢٣٤	١٢٤ ، ١٣٢ ، ١٣٨	
٢٩٥ ، ٢٩٣ ، ٢٧٨	١٣٩ ، ٢٠٤ ، ٢١٣	
٤٦٥ ، ٤٥٨ ، ٤٤٤	٢١٩ ، ٢٢٧ ، ٢٣٦	
٥٠٤ ، ٤٩٠ ، ٤٨٢	٢٤٥ ، ٢٥٧ ، ٢٦١	
٥٦٨ ، ٥٥٢ ، ٥٤٢	٢٦٧ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥	
٦٣٠ ، ٦٢٧ ، ٦١٣	٢٩٥ ، ٢٩٨ ، ٣٠١	
٦٣٦ ، ٦٣٤ ، ٦٣٣	٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣٠٧	
٦٥٣ ، ٦٤٤ ، ٦٤١	٣٠٩ ، ٣١٣ ، ٣١٦	
٦٨٥ ، ٦٦٢ ، ٦٥٦	٣٢٠ ، ٣٣٥ ، ٣٣٧	

الصفحة			رقم الحماسية			اسم الشاعر
٦٩٥	٦٩٣	٦٨٧	٣٤٤	٣٤٣	٣٤١	
٧٢٧	٧٠٥	٦٩٦	٣٦٥	٣٦٢	٣٤٩	
٨٠٠	٧٦٢	٧٣١	٤١٦	٤٠٩	٣٨٧	
٨٠٩	٨٠٨	٨٠٧	٤٢٤	٤١٨	٤١٧	
٨٢١	٨٢٠	٨١٦	٤٣٠	٤٢٩	٤٢٨	
٨٤٤	٨٢٦	٨٢٢	٤٤٨	٤٣٧	٤٣٢	
٨٥٦	٨٥٥	٨٤٨	٤٥٦	٤٥٥	٤٥١	
٨٦٥	٨٥٩	٨٥٨	٤٦٣	٤٥٨	٤٥٧	
٨٧١	٨٦٨	٨٦٧	٤٦٧	٤٦٥	٤٦٤	
٨٧٥	٨٧٤	٨٧٢	٤٧١	٤٧٠	٤٦٨	
٨٨٩	٨٨٨	٨٧٧	٤٨٠	٤٧٩	٤٧٢	
٩٠٠	٨٩٩	٨٩٧	٤٩٠	٤٨٩	٤٨٦	
٩٠٧	٩٠٥	٩٠١	٤٩٨	٤٩٧	٤٩٢	
٩١٠	٩٠٩	٩٠٨	٥٠٢	٥٠١	٥٠٠	
٩١٥	٩١٣	٩١٢	٥٠٧	٥٠٥	٥٠٤	
٩٢٠	٩١٨	٩١٦	٥١٠	٥٠٩	٥٠٨	
٩٢٤	٩٢٢	٩٢١	٥١٤	٥١٣	٥١١	
٩٢٨	٩٢٦	٩٢٥	٥٢٠	٥١٨	٥١٧	
٩٣٢	٩٣٠	٩٢٩	٥٢٦	٥٢٣	٥٢٢	
٩٣٧	٩٣٦	٩٣٤	٥٢٩	٥٢٨	٥٢٧	
٩٤٢	٩٤١	٩٤٠	٥٣٢	٥٣١	٥٣٠	
٩٥٠	٩٤٩	٩٤٤	٥٣٦	٥٣٥	٥٣٣	
٩٥٩	٩٥٣	٩٥٢	٥٤٢	٥٤٠	٥٣٨	
٩٦٩	٩٦٢	٩٦٠	٥٤٥	٥٤٤	٥٤٣	
٩٩٠	٩٧١	٩٧٠	٥٥٥	٥٥٤	٥٤٧	
٩٩٦	٩٩٢	٩٩١	٥٦١	٥٥٩	٥٥٧	
١٠٢٦	١٠١٣	٩٩٧	٥٦٦	٥٦٤	٥٦٣	
١٠٤٩	١٠٣٧	١٠٣٤	٥٧٥	٥٧٤	٥٧٣	
١٠٦٣	١٠٥٩	١٠٥٧	٥٨٥	٥٨٤	٥٧٦	
١٠٦٨	١٠٦٥	١٠٦٤	٥٨٨	٥٨٧	٥٨٦	
١٠٧٢	١٠٧١	١٠٧٠	٦٠٦	٥٩٢	٥٩١	

الصفحة	رقم الحماسية	اسم الشاعر
١٠٩٨ ، ١٠٨٤ ، ١٠٧٥	٦٢٥ ، ٦١٧ ، ٦٠٧	
١١٠٢ ، ١١٠٠ ، ١٠٩٩	٦٤١ ، ٦٣٧ ، ٦٢٧	
١١٠٨ ، ١١٠٦ ، ١١٠٣	٦٤٩ ، ٦٤٨ ، ٦٤٤	
١١١٧ ، ١١١٣ ، ١١١٢	٦٥٥ ، ٦٥٣ ، ٦٥١	
١١٢٧ ، ١١٢٦ ، ١١٢٠	٦٥٨ ، ٦٥٧ ، ٦٥٦	
١١٣٦ ، ١١٢٩ ، ١١٢٨	٦٦١ ، ٦٦٠ ، ٦٥٩	
١١٥٠ ، ١١٤١ ، ١١٤٠	٦٧٣ ، ٦٦٤ ، ٦٦٣	
١١٥٨ ، ١١٥٥ ، ١١٥١	٦٧٩ ، ٦٧٨ ، ٦٧٧	
١١٧٠ ، ١١٦٨ ، ١١٦٧	٦٨٤ ، ٦٨٢ ، ٦٨١	
١١٨٦ ، ١١٨٣ ، ١١٨٢	٦٩٠ ، ٦٨٩ ، ٦٨٦	
١٢٠١ ، ١١٩٧ ، ١١٨٧	٦٩٧ ، ٦٩٦ ، ٦٩٣	
١٢٣٢ ، ١٢١٤ ، ١٢٠٣	٧٠٣ ، ٧٠٢ ، ٧٠١	
١٢٧٢ ، ١٢٥٤ ، ١٢٤٥	٧١٣ ، ٧١٠ ، ٧٠٤	
١٢٨٨ ، ١٢٧٦ ، ١٢٧٤	٧٢١ ، ٧٢٠ ، ٧١٤	
١٢٩١ ، ١٢٩٠ ، ١٢٨٩	٧٢٦ ، ٧٢٣ ، ٧٢٢	
١٢٩٨ ، ١٢٩٥ ، ١٢٩٤	٧٣٤ ، ٧٣٣ ، ٧٣٢	
١٣٠٧ ، ١٣٠٢ ، ١٢٩٩	٧٤٦ ، ٧٤٣ ، ٧٤٢	
١٣١٠ ، ١٣٠٩ ، ١٣٠٨	٧٥٨ ، ٧٥٥ ، ٧٤٧	
١٣١٣ ، ١٣١٢ ، ١٣١١	٧٨٧ ، ٧٧١ ، ٧٥٩	
١٣١٦ ، ١٣١٥ ، ١٣١٤	٨٢١ ، ٨٠٤ ، ٧٩٦	
١٣١٨	٨٣١ ، ٨٢٣ ، ٨٢٢	
	٨٣٤ ، ٨٣٣ ، ٨٣٢	
	٨٣٨ ، ٨٣٦ ، ٨٣٥	
	٨٤١ ، ٨٤٠ ، ٨٣٩	
	٨٤٥ ، ٨٤٣ ، ٨٤٢	
	٨٤٨ ، ٨٤٧ ، ٨٤٦	
	٨٥١ ، ٨٥٠ ، ٨٤٩	
	٨٥٤ ، ٨٥٣ ، ٨٥٢	
	٨٥٧ ، ٨٥٦ ، ٨٥٥	
	٨٦٦ ، ٨٦٥ ، ٨٥٨	
	٨٦٩ ، ٨٦٨ ، ٨٦٧	

الصفحة	رقم الحماسية	اسم الشاعر
	٨٧٠ ، ٨٧١ ، ٨٧٢	
	٨٧٣ ، ٨٧٤ ، ٨٧٥	
	٨٧٦ ، ٨٧٧ ، ٨٧٨	
	[٨٨٢ ، ٨٨١ ، ٨٧٩]	
١٣٠٣ ، ١٢٦٢	[٨٦١ ، ٨٦٠ ، ٨١٤]	أخرى
	[٤٦ ، ٣٨٣ ، ٧٩٠ ، ٧٩٣]	أعرابي
١٥٢ ، ٧٥٤ ، ١٢٣٤	[٨٣٧]	
١٢٩٣ ، ١٢٣٨		
	[٣١٠ ، ٣٦١ ، ٣٨١ ، ٦٤٣]	امراة
٧٥١ ، ٧٢٦ ، ٦٤٥	[٦٤٥ ، ٨٣٠ ، ٨٣٩]	
١٠٥٨ ، ١٠٦٠ ، ١٢٨٧		
١٢٩٤		
٦٨٩	[٣٣٩]	امراة من بني أسد
١٢٦٣	[٨١٦]	امراة من إباد
٧٧٧	[٣٩٧]	امراة من بني الحارث
٦٢٣	[٢٩١]	امراة من بني شيبان
١٠٨٣ ، ٧٧٤ ، ١٥٥	[٤٩ ، ٣٩٤ ، ٦٧٢]	امراة من طيء
٥٣١	[٢٥٢]	امراة من بني عامر
٦٨٨	[٣٣٨]	امراة من كندة
١٢٦١	[٨١٣]	امراة من بني مخزوم
	[٣٩ ، ٦٨ ، ٨٣ ، ٩١]	بعض بني أسد
١٤٢ ، ١٨٥ ، ٢٠٢	[٢٨٣ ، ٥٨٢ ، ٦٨٠]	
٢١٦ ، ٦١١ ، ٩٨٧		
١١٠١		
١٢٣	[٣١]	بعض بني بولان من طيء
١٠٧٦ ، ١٨١	[٦٥ ، ٦٦٥]	بعض بني جرم
٣٧٠	[١٧٣]	بعض بني جهينة
٢٢٣	[٩٦]	بعض بني طيء
١٩٤	[٧٤]	بعض بني عبد شمس من فقعس
٢٣٩	[١١٠]	بعض بني عبس

الصفحة	رقم الحماسية	اسم الشاعر
٨٠٥	[٤١٤]	بعض بني فزارة
١٧٥ ، ١٦٨ ، ١٥٦	[١٦٦]	بعض بني فقعس
٣٥٤ ، ١٩٤		
٨٧٣	[٤٦٩]	بعض القرشيين
٣٥٤	[١٦٦]	بعض بني قيس بن ثعلبة
٤٤٧	[٢٠٦]	بعض لصوص طيء
١٠٦٣	[٦٤٧]	بعض آل المهلب
٤٢٦ ، ٤٢١ ، ٤٢٠		بعضهم
٧٩٣ ، ٧٨٣ ، ٧٩٤		
٨٢٩ ، ٨١٧ ، ٨١٢	[٨٦٤]	
١٢٣٩ ، ١٢٣٨ ، ١٢٢٨		
١٣٠٦ ، ١٢٨٧ ، ١٢٦٥		
١٣٠٢ ، ٦٥٧	[٨٥٩ ، ٣١٧]	جارية
١٠٥٦ ، ٧٤٠ ، ٦١٨	[٦٤٠ ، ٣٧٢ ، ٢٨٩]	رجل من بني أسد
١٢٧٤	[٨٢٢]	رجل من بني بكر
١٥٣	[٤٨]	رجل من بني تميم
٩٨٩	[٥٨٣]	رجل من بني الحارث
١٢٠٤	[٧٦٠]	رجل من آل حرب
٢٤٠	[١١١]	رجل من حمير
٥٧١	[٢٦٨]	رجل من خثعم
١٢٢٠	[٧٧٨]	رجل من بني سعد
١٠٢٧	[٦١٨]	رجل من طيء
١٤٦	[٤٢]	رجل من بني عقيل
٨٣٠	[٤٣٩]	رجل من بني فزارة
٨٠٦	[٤١٥]	رجل من بني قريع
٧٥٢ ، ٢١٤	[٣٨٢ ، ٩٠]	رجل من كليب

<u>الصفحة</u>	<u>رقم الحماسية</u>	<u>اسم الشاعر</u>
٥٩٧	[٢٧٥]	رجل من بني نصر بن قعين
٤٩٣	[٢٣٨]	رجل من بني نمير
٧٤٣	[٣٧٥]	رجل من بني هلال
٥٤٩	[٢٥٩]	رجل من بني يشكر

٦ - فهرس القوافي في الشرح (*)

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
قافية الألف المقصورة					
أشارت	أتى	الطويل	-	١	٢٧٢
إذا	الفتى	الطويل	-	١	٨١
يرفع	اليسرى	السريع	-	١	٩١٦
شاور	بلى	الرمل	-	٢	٧٠٦
ولم	جئى	الطويل	-	١	٩٩
قافية الهمزة					
الهمزة المفتوحة					
طلع	كساء	الرمل	-		١٠٣٤
الهمزة المضمومة					
واني	رجاء	الطويل	-	١	٦٧٧
فدعوت	داء	الكامل	-	١	٧٩٥
ودعوت	داء	الكامل	[النمر بن تولب]	١	٦٣٠
كانت	والإمساء	الكامل	-	١	٣٣٣
كانت	والإمساء	الكامل	[النمر بن تولب]	١	١٨٩
وحملناهم	الأنساء	الخفيف	[الحارث بن حلزة]	١	٥٩٢
جسور	اتقاء	الوافر	-	١	٥٥

(*) رتبنا القوافي ترتيباً ألفبائياً عكسياً بدءاً بحرف القافية ثم بعده بالأحرف التي تسبقه، وبدأنا بالقوافي الساكنة ثم المفتوحة ثم المضمومة ثم المكسورة ولم نأخذ بعين الاعتبار الضمائر الملحقة بحرف الروي.

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
فأبقوا	شقاء	الوافر	الحطينة	١	٢٩٣
يفضله	والذكاء	الوافر	زهير بن أبي سلمى	١	٣١٩
فإنكم	الألاء	الوافر	[بشر بن أبي خازم]	٢	٤٠٤
زعموا	الولاء	الخفيف	[الحارث بن حلزة]	١	١٠١٥
فجبهناهم	الماء	الخفيف	الحارث بن حلزة	١	٣١
كأن	وماء	الوافر	الناطقة الذبياني	١	١٠٩٨
ضمنا	النماء	الوافر	زهير	٤	٢٢٠
لسنا	الأبناء	الكامل	-	١	١٢٥٦
للثرى	غناء	الخفيف	-	١	٩١٦
فهلأ	سواء	الطويل	[محرز بن مكعب]	٢	٢٥ ، ٢١
وتوقد	لواء	الوافر	زهير	١	١٢٥٥

الهمزة المكسورة

وإذا	خبائه	الكامل	-	١	٢٩٠
فلا	سلائي	الوافر	[النمر بن تولب]	١	٢٥٧ ، ١٧٥
سخنة	الظلماء	الخفيف	ابن قيس الرقيات	١	٥٨٨
عيل	قرنائي	الخفيف	-	٢	٨٥٣
لم	غلوائها	مجزوء الكامل	[ابن قيس الرقيات]	١	٨٨٤

قافية الباء

الباء الساكنة

كم	النائب	مجزوء الرجز	-	٢	٥٠٥
أفر	اقترب	المتقارب	-	١	٢٢

الباء المفتوحة

إذا	اقترابا	الوافر	[ربيعة بن مقروم]	١	٦٥٣
مخضت	قربا	الوافر	-	١	٣٧٦
إذا	غضابا	الوافر	[معود الحكماء]	١	١٠٠١
فأمسى	كعابا	الوافر	-	١	٢٧٨
مثل	ضربا	المنسرح	[الحكم بن عبدل]	١	١٣٠١

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
يا	والقربا	البيسط	[مرة بن محكان]	١	٤١٧
قوم	الذنبا	البيسط	[الحطينة]	١	٣٥٨
الباء المضمومة					
أبو	أب	الوافر	أبو العيال الهذلي	١	١٢٠٠
وأقسم	ذئابها	الطويل	—	١	٨٧٩
إذا	بأبها	الطويل	—	١	٢٨٤
ولا	كلابها	الطويل	—	١	٤١٩
ولا	كلابها	الطويل	الهذلي	١	٢٧٢
إذا	صاحبة	الطويل	المرار	١	٤٧٣
واني	صاحبه	الطويل	[لقيط بن زرارة]	١	٧٨
جاري	مصطحب	البيسط	—	١	٧٩١
لم	تغرب	الكمال	أبو تمام	٢	٨٦٨
بأي	وتحسب	الطويل	الكميت	١	٤٩١
باتت	العطب	البيسط	—	٤	٥٥٣ ، ٥٥٢
عصاني	عواقبه	الطويل	المتلمس	١	٥٧٧
لأمر	عواقبه	الطويل	أبو تمام	١	٣٣٤
دثى	مناكبة	الطويل	—	١	٨٨٥
وحوافز	صلب	الكمال	الهذلي	١	٣٠٣
هوت	يؤوب	الطويل	[كعب بن سعد]	١	٦٥٨
فينا	طلوب	الوافر	—	١	١٢٥٢
فإن	ذنوب	الطويل	[كعب بن سعد]	١	٢٠٨
فإن	طبيب	الطويل	علقمة بن عبدة	٣	٤٥٦
فما	أجيب	الطويل	[كثير عزة]	١	٦٣٩
وداع	مجيئ	الطويل	كعب بن سعد	١	١٠٩١
وكنت	تذبيها	الطويل	[بشر بن أبي خازم]	١	٢٩٩
الباء المكسورة					
ولا	الكتائب	الطويل	النابعة الذبياني	١	٦٨٤ ، ٢٠٧ ، ٩١
نعرض	للسباب	الوافر	[القتال الكلبي]	١	٧٨
فما	ضبابي	الوافر	[كثير]	١	٧٩٧

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
لولا	قبا ب	الكامل	أبو تمام	١	١١٠٥
إنني	جلبا ب	البسيط	الراعي	١	١١٩٥ ، ١١٥٦
أما	بأصحا بي	البسيط	-	١	٣٣٣
أنهرت	الأثواب	الكامل	عترة	١	١٣٧
ما	هيا ب	الكامل	عترة	١	١٢٢
يحتون	الحواجب	الطويل	نصيب	١	٤٥٠
إذا	تؤدب	الطويل	-	١	٨٨٢
لئن	حارب	الطويل	[النابعة الذبياني]	١	٢٣٠
إذا	للتضارب	الطويل	-	١	٩٧ ، ٨١
مخافة	الأفار ب	الطويل	-	١	٣٧
وما نحني	تضرب	المقتارب	[النابعة الجعدي]	١	٣٠٢
لبيت	العرب	البسيط	أبو تمام	١	٧٠١
هيهات	غريه	المنسرح	-	١	١١٦
له	القسب	الهزج	[أبو دؤاد الإيادي]	١	١٢٥٣
أخوك	يغضب	الطويل	-	١	٤٧٦
ورحنا	مشرع ب	الطويل	امرؤ القيس	٢	٤٩٩
سقاء	مرقب	الطويل	-	١	٧٤
وجالت	بالعقب	البسيط	الكميت	١	١٢٦٠
الحصن	الراكب	السريع	-	١	٧٤٨
وما	المراكب	الطويل	-	١	٩٩
ولا	أركب	الطويل	هذبة بن الخشرم	١	٤١٢
يزين	الركب	الهزج	[أبو دؤاد الإيادي]	١	٥٤٣
كان	جانب	الطويل	أبو تمام	١	٨٤٢
لولا	العرقوب	الكامل	[حفص بن الأحنف]	١	٧٨٠
يقال	محلوب	البسيط	-	١	٥٣
كنا	الظنايب	البسيط	[سلامة بن جندل]	١	٩٧
فيخفق	بالأريب	الوافر	عترة	١	٢٣٣
إن	نصيبي	الخفيف	-	١	٢٠٥

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
قافية التاء					
التاء المضمومة					
ألا	أَتَيْتُ	الوافر	[عمرو بن قعاس]	١	٨٩٧
التاء المكسورة					
تَضَوَّعَ	خَفَرَاتِ	الطويل	[عبد الله بن نمير]	١	٩٠٣
إذا	حَبَارِيَاتِ	الوافر	جرير	١	١٢٩٠
وهْنِيءٌ	بِمَنْبَتِي	الطويل	[الشنفرى]	١	٤٥٤
فلو	أَجَزَتْ	الطويل	[عمرو بن معديكرب]	١	٤٣٦
أَبِي	مَسْرَتِي	الطويل	[الشنفرى]	١	٤٧٢
وإني	أَقْشَعَرْتُ	الطويل	—	١	٤٧١
علام	كَرَّتْ	الطويل	—	١	٤٩
علام	كَزَّتْ	الطويل	[عمرو بن معديكرب]	١	١٢٣٩
أَلَمْ	حَلَّتْ	الطويل	—	١	٧٨٠
فَحَلَّتْ	وَذَلَّتْ	الطويل	عبد الله بن الصَّمَّة	١	٧٧٩
كَأَنَّ	تَبَلَّتْ	الطويل	[الشنفرى]	١	٩٥٠ ، ٩٧٨
أَبَاحَتْ	حَلَّتْ	الطويل	كُثَيِّر	١	٧٧٩
بأيدي	سَلَّتْ	الطويل	الفرزدق	١	٩٢
فإنَّ	وَعَلَّتْ	الطويل	—	١	٧٨٠
ولم	وَأَقَلَّتْ	الطويل	الشنفرى	١	٥٣٧
إذا	وَعَمَتِي	الطويل	[الشنفرى]	١	٣٤٠
فَدَقَّتْ	جَتَّتْ	الطويل	[الشنفرى]	١	٨٦٦

قافية الجيم**الجيم المفتوحة**

ماذا	اللججا	البسيط	[محمد بن بشير]	١	٨٤٧
------	--------	--------	----------------	---	-----

الجيم المكسورة

قلن	ناج	الكامل	جرير	١	٣٤٦
طرق	يتعرج	الكامل	[المحارث بن حلزة]	١	٤٢

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
فلا	ملهوج	الطويل	—	١	١٢٤٤ ، ٤١٤
كان	الفرايح	البسيط	[ذو الرمة]	١	٧٥٩

قافية الحاء

الحاء الساكنة

جاء	رماخ	السريع	حجل بن نضلة	١	٤١٣
-----	------	--------	-------------	---	-----

الحاء المفتوحة

فإني	شحاها	المتقارب	[ابن هرمة]	٢	٥٢٣
كتاركة	جناحا	المتقارب	[ابن هرمة]	١	٥٦٩
لا	جرحا	الكامل	بشار بن برد	٢	٩١٧
قد	صحا	البسيط	—	١	٥٨١
قد	صحا	البسيط	أبو نواس	١	٩٠٧
كل	واضحة	السريع	طرفة	١	٨٠١
يا ليث	ورمحا	مجزوء الكامل	—	١	١٠١٢ ، ٨٠٥
سقيت	الأنوحا	المتقارب	أبو ذؤيب	١	٧٥
وشيك	مشيحا	المتقارب	أبو ذؤيب الهذلي	١	٨٧

الحاء المضمومة

كان	النوائح	الطويل	[أشجع السلمي]	١	٦٦٠
هبطن	نضاح	البسيط	الهذلي	١	٦٧٦ ، ٥١١
قد	أرماع	البسيط	الهذلي	١	٤٧٩
وأكرم	تروخ	الطويل	—	١	٨٠٨
في	المصاييح	البسيط	ابن الرقيات	١	٥٤٠
واعصوبت مرازيح		البسيط	أبو ذؤيب الهذلي	١	١٠٩٦

الحاء المكسورة

يجش	ضحضاح	البسيط	الهذلي	١	١٢٦٨
فمن	بقرواح	البسيط	[عبيد بن الأبرص]	١	٦٤٦
يا خير	للمدح	المنسرح	[مطيع بن إياس]	١	٦٠٨
قلت	رزح	الطويل	أبو تمام	٢	٧٠٣
فيا	الموشح	الطويل	[الطرماح]	١	٨٣٣

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
قافية الدال					
الدال المفتوحة					
إنَّ	حَسَادَا	البسيط	—	١	١٢٤٥
عرف	أَبْلَاذَهَا	الكامل	[عدي بن الرقاع]	١	٥١٠
ذاك	الجددا	البسيط	أبو وجزة	١	١٠٧٠
ليس	يردا	الكامل	عمرو بن معديكرب	١	٨٣
وإذا	وحسودا	الكامل	—	١	٢٩٣
الدال المضمومة					
لا	حَسَادُهَا	الكامل	—	١	١٢٤٥
إذا	معَاذُ	الطويل	—	١	١١٨٣
أَلَا	أَجْدَةُ	الهمزج	—	١	١٢٥
وانتمى	ملتَحِدَةُ	الخفيف	الطرماح	١	١٣٠١
وأنت	الفرْدُ	الطويل	[حسان بن ثابت]	١	٣٥٨
إنَّ	حُسْدُوا	البسيط	—	١	٣٠٠
طللان	نَضْدُ	الكامل	محمد بن وهيب	٢	٦٧٨
فإن	الأَبَاعُدُ	الطويل	—	١	٢٢٨
ترديت	الروَاعِدُ	الطويل	ذو الرمة	١	٢٨٧
تسمنتها	المسَهَّدُ	الطويل	—	١	٦٥
ألا	هَجُودُ	الوافر	—	٢	٢٦٨
إنَّ	أَقُودُ	الطويل	—	١	١١٨٧
وعمرت	خَلُودُ	الكامل	[لبيد]	١	٥٠٦
لا شيء	اليدُ	الكامل	سبرة بن عمرو	١	٤١٣
لقد	أَبِيدُ	الوافر	[مسحاج بن سباع]	٤	١٢١٨
قومنا	الحديدُ	الخفيف	—	١	٤٨٣
إذا	سِيدُ	الطويل	عروة بن الورد	١	٩١
الدال المكسورة					
ما بعد	تَادِ	الكامل	الأسود بن يعفر	١	٥٩٧

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
يطول	نجايد	الطويل	مسلم بن الوليد	١	٧٤٦
يقوم	نجايد	الطويل	-	١	١٩٧
والصبر	بالأجساد	الكامل	أبو تمام	١	٤٥٨
ليست	أبلاد	البسيط	القطامي	١	١٤٦
ألم	زياد	الوافر	[قيس بن زهير]	١	١٢٩٦ ، ١٠٣٥
ولا	يرتدي	المتقارب	جرير	١	١١٣٦
وأنى	يهتدي	الطويل	[الحطيئة]	١	٤٢
مطأطأة	واحد	الطويل	-	١	٥٦٢
إذا	وحدى	الطويل	[حاتم الطائي]	١	١٢٩٧
أرى	المتشدد	الطويل	طرفة	١	٥٨٤ ، ٢٥٠ ، ٨٧
					٦٦٨ ، ٦٢٣
تراه	المقعد	الطويل	-	١	٥٨٩
وبرك	مجرد	الطويل	طرفة	٦	٨٩٣
وإني	والحد	الطويل	-	١	٣٩٩
يا ابنة	الورد	الطويل	-	١	١٢٩
إنني	أسد	البسيط	[أبو دلامة]	٣	٥٥٢
لو كان	جسدي	البسيط	أخت عمرو بن عبد ود	٢	٥٦٩
وقتيل	يقصد	الكامل	[عامر بن الطفيل]	١	٣٩٧
بنونا	الأبعاد	الطويل	[الفرزدق]	١	٣٦٩
أهيم	بعدي	الطويل	[النمر بن تولب]	١	٩٥٧
من	البعدي	الطويل	عارق الطائي	١	١٠١٢
إذا	فابعد	الطويل	عدي	١	٦٨٩
أنا	الغدي	الكامل	-	١	١٢٣١
يسط	المسترفد	الكامل	-	١	١١٠٤ ، ٦٨٠
ما زلت	واقدي	الطويل	-	١	١٢٢
فلتركتهم	بالفرقدي	الكامل	المتلمس	١	٤٥٨
إن	خالد	الطويل	-	١	٢٨
ها	البلدي	البسيط	النابعة الذبياني	١	٦٨٢
إذا	أبتلدي	الطويل	طرفة	١	٨١
ألا	مخلدي	الطويل	[طرفة]	١	٦٨٣ ، ٣٥١

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
وخيس	والعمد	البسيط	النابعة الذبياني	١	٤٤٨
ومن	وفهد	الطويل	—	١	٣١٧
ومن	وفهد	الطويل	[عدي بن زيد]	٢	٤٧٦
وإذا	حسود	الكامل	أبو تمام	٢	٢٩٤
فمزم	القيود	الوافر	أبو تمام	١	٧٢

قافية الراء

الراء الساكنة

فهو	يزبئر	الرمل	[المرار بن منقذ]	١	١١٩
ولي	المؤتبر	الرمل	[طرفة]	١	١٥٠
وعين	أخز	المقارب	امرؤ القيس	١	٣٨٦
أو	حذز	السريع	ابن أحمر	١	٥٩
ما بال	قيصر	الكامل	أبو العتاهية	٢	١٠٦٥
بحسبك	مضر	المقارب	[الأشعر الرقبان]	١	١٠٢٦
وابن	أشقر	الكامل	أبو نواس	١	١٠٦٥
تحسب	المسبكر	الرمل	طرفة	١	٣٧٤
رأى	الخمز	المقارب	—	١	١٢٨٦
لها	النمز	المقارب	[امرؤ القيس]	١	٦١
وفي	تهز	المقارب	أوس بن حجر	١	٣٨٣
رآني	جهز	الطويل	ابن عتقاء الفزاري	١	١١١٣

الراء المفتوحة

ولا	بالحجزة	الكامل	الأعشى	٢	٨٩
بيضاء	كالعرازة	مجزوء الكامل	الأعشى	١	٨٧٠
بيضاء	كالعرازة	الكامل	الأعشى	١	٩٥٠
إلا	الحجزة	مجزوء الكامل	الأعشى	١	٢٣٥
فكيف	عارا	المقارب	الأعشى	١	٥٠٣
وما	فتزبرا	الطويل	—	١	٤٦١
وما	فتزبرا	الطويل	عبد الرحمن بن الحكم	١	١٠٤٦
دماؤهم	العذرة	السريع	—	١	٦٩١

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
فلما	تكسراً	الطويل	[زفر بن الحارث]	١	٥٢٠
ولما	منظراً	الطويل	[امرؤ القيس]	١	٩٩٣
هو	أوعراً	الطويل	امرؤ القيس	١	٣١٣
بعينَيَّ	يتمراً	الطويل	[امرؤ القيس]	١	٩٩٣
جعلت	شهرأ	الطويل	—	١	٥٣
كانَ	مصورأ	الطويل	امرؤ القيس	٢	٢٧٤
وتبرد	العبيراً	المتقارب	الأعشى	٢	٥٨٩
لا أرى	والفقيراً	الخفيف	عدي بن زيد	١	٥٦٩ ، ٨٨ ، ٢٩
الراء المضمومة					
ونسوتكم	حرائرُ	الطويل	سبرة بن عمرو	١	١٣٢
حتى	مختارُ	البسيط	—	١	٥٧٤
ولسنا	الدارُ	الطويل	—	١	٥٣
سقيأ	أحراؤ	البسيط	—	١	٥٥٦
تبرأ	إزارها	الطويل	الهللي	١	٣١٢
يا صخر	عارُ	البسيط	[الخنساء]	١	٩٨٨
وعيرها	عارها	الطويل	أبو ذؤيب	١	١٧٤
ولا	دوابره	الطويل	القطامي	١	٧٩٠
يا جفنة	الْقَتْرُ	البسيط	أبو زيد الطائي	١	٣٦٩ ، ٦٠
إذْ لا	كَيْثَرُ	الكامل	[عنترة]	١	١١٥٥
ماذا	شجرُ	البسيط	الحطينة	١	٢٠٩
وكيف	البحرُ	الطويل	أبو تمام	١	٦٠٥
أحب	حادرُ	الطويل	—	١	٢٩١
أماويّ	العذرُ	الطويل	حاتم الطائي	١	١٢٤
بحاجة	تعذرُ	الطويل	عمر بن أبي ربيعة	١	١١٤٤
بحاجة	تعذرُ	الطويل	[عمر بن أبي ربيعة]	١	٩٤٠
فتى	الجزرُ	الطويل	[الأبيرد اليربوعي]	١	١١٨٧
ووصل	قاصرُ	الطويل	حميد بن ثور	١	٩٧
وكنت	الحشرُ	الطويل	[سلمة الجعفي]	١	٧٧٨
حبيب	أبصرُ	الطويل	—	١	١١٠٧

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
وكان	ومعصرُ	الطويل	[عمر بن أبي ربيعة]	١	١٢٤
إذا	تنظرُ	الطويل	[عمر بن أبي ربيعة]	١	١٢٩٧
فما	الأباعرُ	الطويل	—	١	٩٨٥
فيا	الزوافرُ	الطويل	ذو الرمة	١	٩٢٦
تراها	أوقرُ	المتقارب	الراعي النميري	١	٨٨١
أما	الأمُرُ	الطويل	[أبو صخر الهذلي]	١	٥١٨
لا	الأمُرُ	الكامِل	[مسكين الدارمي]	١	٢٩١
نحابي	ونقامرُ	الطويل	[سيرة بن عمرو]	١	١١٧١
أفي	خمرُ	الطويل	[فائد بن المنذر]	١	٦٩٤
تكفيه	الغمرُ	البسيط	[أعشى باهلة]	١	٢٩١
غنينا	الدهرُ	الطويل	حاتم الطائي	٢	٤٦٣
ولنا	أزورُ	الكامِل	—	١	٧٤٣
إذُ	عورُ	البسيط	أوس	١	٨٧٣ ، ١٦٢
أيها	الموفورُ	الخفيف	عدي بن زيد	١	١٧٤ ، ٨٣
عجبا	كبيرُ	الكامِل	[عبد الله بن أيوب]	١	٦٦٠
نكبتها	يبازيرُ	البسيط	أوس بن حجر	١	٣٥
ألم	يسيرُ	الوافر	—	١	١٦٢
فلا	يستعيرُها	الطويل	[مضرس الأسدي]	١	١٢٦٠
لئن	لفقيرُ	الطويل	[عبد الله بن الدمينه]	١	١٢٨١
الراء المكسورة					
انظر	ضائري	السريع	[الأعشى]	١	٦٩
كم	عشاري	الكامِل	[الفرزدق]	١	٤٠١
وإذا	الأبصارِ	الكامِل	الفرزدق	١	٣٢
ومعلقين	بقطارِ	الكامِل	النابعة الذبياني	١	٢٤٨
إذا	عمارِ	البسيط	[النابعة الذبياني]	١	٥٨٨ ، ٢٢٩
١٠٢٢					
قوم	النارِ	البسيط	[الأخطل]	١	١٣٠٠
أفبعد	الأطهارِ	الكامِل	[الربيع بن زياد]	١	٦٥١
قوم	بأطهارِ	البسيط	الأخطل	١	٧٠١

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
نيتت	محبّر	الكامل	[أوس بن حجر]	١	٣١٢ ، ١٠٠٧
أشبه	التدبّر	الطويل	حميد بن ثور	١	٧٩٠
كانوا	أقبر	الكامل	البحثري	١	٦٠٧
فإذا	أثره	المديد	[علي بن جبلة]	١	١١٥٠
وأمسوا	وساجر	الطويل	سلمة بن الخرشب	١	٥١٥
يصيحون	حادر	المتقارب	خداش بن زهير	١	٥٥٠
أبى	القدر	الطويل	دريد بن الصمة	١	٨٧
ألستم	والقدر	الطويل	عوف القوافي	١	١٠٧١
هرقن	وحادر	الطويل	[سلمة بن الخرشب]	١	٦٠
وكنت	متزري	الطويل	-	١	٢٥
وكنت	متزري	الطويل	[أبو جندب]	١	٤٨٨
يسدون	الأواصر	الطويل	سلمة بن الخرشب	١	٥١٤
وهل	المقطر	الطويل	[شريح بن قرواش]	١	٤٣٤
قد	عفر	البسيط	أبو تمام	١	٦٧٨
ولانت	يفري	مجزوء الكامل	[زهير]	١	١٣١٥
إذا	الفقر	الطويل	-	١	٤٧٣ ، ٦٨٣
نقسم	تكري	الطويل	[الأسود بن يعفر]	١	١١٥٥
هذي	الذكر	البسيط	جرير	١	٧٠٥
ولنا	نكر	الطويل	-	١	٦٩٧
أتيناه	المخامر	الطويل	-	١	٦٢٩ ، ٦٣٢
على	عامر	الطويل	الأخطل	١	٣٤٨
مباحة	التمر	المنسرح	أبو نواس	١	٧٧٩
ويوم	جمر	الطويل	نهشل بن حري	٢	٢٨٣
فدع	غمر	الوافر	-	١	٤١٣
ومن	الغمر	الكامل	-	١	٢٨٨
فلم	بمغمّر	الطويل	-	١	٣٠٨
فلما	الدهر	الطويل	[يحيى بن منصور]	٢	٥٣٠
لقد	الظهر	الطويل	[الأخطل]	١	٢٩٩ ، ٥٩٢
كان	جرور	الوافر	[المهل]	١	٢٨٩

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
دعوت	مسور	الطويل	-	١	٨٧٤
إن	مكفور	البسيط	-	١	٤٤٣ ، ٣٢٥
فلولا	بالذکور	الوافر	المهلل	١	١٣٧
قافية الزاي					
الزاي المضمومة					
لنا	عتر	الطويل	[الأخل]	١	٦١
إذا	المعاور	الطويل	[الشمخ]	١	١٠٩٤
قافية السين					
السين المفتوحة					
ولا	يمارسا	الطويل	-	١	٤٩
فلو	أنفسا	الطويل	امرؤ القيس	١	٥٦٢
السين المضمومة					
خضنا	الأرؤس	الكامل	-	١	٤٨٩
ودار	ودارس	الطويل	أبو نواس	٣	٥٥٦
علام	يأنس	الطويل	-	٢	٣٥٢
أفي	السريس	الوافر	[أبو زييد الطائي]	١	٦٩٤
ولما	جليس	الوافر	-	٢	٥١٦
السين المكسورة					
بصحن	الناس	السريع	-	١	٧٧٩
فطاطات	بهجسي	الوافر	-	١	٤٨٩
يعز	وهجرس	الطويل	-	١	٨٥٨
ولولا	نفسى	الوافر	الخنساء	١	٦١٥ ، ٦٠١
لما	بالتواقيس	البسيط	[جرير]	١	١٣١٩ ، ٢٢٥
قافية الضاد					
الضاد المضمومة					
بتيها	بيوضها	الطويل	ابن أحرر	١	٥٢

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
الضاد المكسورة					
ومنهم	يقضي	الوافر	ذو الإصبع العدواني	١	١٥١
قافية الطاء					
الطاء المكسورة					
أبيت	العباط	الوافر	المتنخل الهذلي	١	٧٠١
قافية العين					
العين الساكنة					
ولساناً	قطع	الرمل	[سويد بن أبي كاهل]	١	٥٣٠
كيف	وصلغ	الرمل	[سويد بن أبي كاهل]	١	١٢١٤
العين المفتوحة					
وخير	اتباعا	الوافر	القطامي	١	١٠١
وسارت	الصداعا	الوافر	القطامي	١	١١٩٩
كما	انصداعا	الطويل	[القطامي]	١	٦١٦
قوارش	انتزعا	الوافر	القطامي	١	٥٤٦
فأدرك	إصبعا	الطويل	كلجة اليربوعي	١	٣٩١
بلى	تصدعا	الطويل	[الحسين بن مطير]	١	٦٧١
فكذبوها	والشرعا	البسيط	الأعشى	١	٨١٤
فما	ومصرعا	الطويل	[متّم بن نويرة]	٣	٧٥٢
لا	رفعة	المنسرح	[الأضبط بن قريع]	١	٨٠٨
أيتها	وقعا	المنسرح	أوس بن حجر	١	٧٤٧
إذا	أجمعا	الطويل	[حريث بن عئاب]	١	٣٩٨
كمرضعة	مرقعا	الطويل	[ابن جذل الطعان]	١	٥٢٣
جرّت	طمعا	البسيط	[لقيط بن يعمر]	٨	٤٨٦
تعدّون	المقنعا	الطويل	[جرير]	١	٨٥٥
وضيف	تكنعا	الطويل	متّم بن نويرة	١	١٠٨٩
أيّا	جوّعا	الطويل	—	١	١٩٨

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
العين المضمومة					
وما	الودائع	الطويل	—	١	١٠٨
فويلم	ضائع	الطويل	تأبط شراً	١	٦٩٨
ويأبى	اليفاع	الوافر	—	١	١١٠٤
فغبرت	مستيع	الكامل	[أبو ذؤيب الهذلي]	١	٦١٠
وأوقدتها	وأشبع	الطويل	الأعشى	١	١١٥٠
أبا خراشة	الضبع	البسيط	[العباس بن مرداس]	١	٥٥٥
ومن	الرواجع	الطويل	—	١	١٢٠١
أحدته	يهجع	الطويل	—	١	١٢٢٨
أحدته	يهجع	الطويل	[عروة بن الورد]	١	١١٠٣
فلم	أوجع	الطويل	—	١	٥٥٩
ولاني	لموجع	الطويل	الخريمي	٢	٧٣٧
إن	فينصدع	البسيط	[العباس بن مرداس]	١	٤٦٨
فكانهن	ويصدع	الكامل	أبو ذؤيب الهذلي	١	١١١٦
إذا	الذرع	البسيط	—	١	١٢٠
سبقوا	مصرع	الكامل	أبو ذؤيب	١	٤١
قوم	تمرع	الكامل	[عبدة بن الطبيب]	١	١٠٦١
أمن	يجزع	الكامل	[أبو ذؤيب الهذلي]	١	٦٣١
عبوس	أنزع	الطويل	أبو تمام	١	٥٤٨
فإنك	واسع	الطويل	النابعة الذبياني	١	٢٧٩
ولو	أوسع	الطويل	[إسحق بن حسان]	١	٥٨٢
نمد	يوسع	الطويل	—	١	١١٨٦
ألم	أنخشع	الطويل	—	٣	٧٤٨
فيا	تواضع	الطويل	[السلطان العبيدي]	١	١٠٧١، ٣٨٠
يسود	تدافعة	الطويل	[حجر بن خالد]	١	٢٥٢
بيننا	سلفع	الكامل	أبو ذؤيب	١	١٢٥٢
صلى	البلقع	الكامل	[مويك المزموم]	١	٦٦٥
فوردن	يتلّع	الكامل	—	١	٣٤٤
وثنية	المطلّع	الكامل	—	١	١٧٣

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
--------	---------	-------	--------	-------------	--------

العين المكسورة

من	بجمعج	السريع	[أبو قيس بن الأسلت]	١	٥٩٢
قد	تهجج	السريع	—	١	٧٩
قد	تهجج	السريع	[أبو قيس بن الأسلت]	١	٥٤٨
وكوني	صناع	الوافر	—	١	٤٦٥
ولما	بالأصابع	الطويل	ذو الرمة	٢	٩٦٨
واحدة	أربع	السريع	[ذو الإصبع العدواني]	١	١٠٦٣
وتحل	بالأمرع	الكامل	[الحادرة الذبياني]	١	٣٤٠
وتحل	للأمرع	الكامل	[الحادرة الذبياني]	١	٧٧٣
ونحل	للأمرع	الكامل	[الحادرة الذبياني]	١	٨٣٣
وتقيم	للأمرع	الكامل	[الحادرة الذبياني]	١	٥٣
مسنا	واضح	الطويل	[يزيد بن الحكم]	١	٦٣٦
فقد	المتضعع	الطويل	—	١	٥٦٧
قوم	سافع	الكامل	[عمرو بن معديكرب]	١	٢٥
إذا	بشافع	الطويل	—	١	٢١٧
لا نسب	الراقع	السريع	[أنس بن العباس]	١	٦٨٢
ووراءهم	الأضلع	الكامل	أبو عبادة	١	٦١٣

قافية الفاء

الفاء المفتوحة

كهل	الغطريفا	الكامل	أبو تمام	١	١٠٣
-----	----------	--------	----------	---	-----

الفاء المضمومة

وما	وزائف	الطويل	[مزد بن ضرار]	١	٢٦٤
بكي	المطارف	الطويل	[حميدة بنت النعمان]	١	١٠٦٧
وما	أعرف	الطويل	الفرزدق	١	٣٧٨
إذ	مساعف	الطويل	[أوس بن حجر]	١	٩٤٤
ألا	يألف	الطويل	—	١	٨٦٨
إذا	ويخلف	الطويل	حاتم الطائي	١	٩١

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
إنّ	الأنفُ	البسيط	الأحوص	١	٥٥٨
ولو	أدنفُ	الطويل	الفرزدق	١	١١٦٢
الفاء المكسورة					
لقد	الضعافُ	الوافر	—	٣	٢٠٦
مستنة	معرووف	الكامل	—	١	٣٨٣
حتى	كالمخصب	الكامل	الهذلي	١	٢٢٠
إذا	بالمصاييف	الطويل	—	١	١١٦
أيا	طريفُ	الطويل	[ليلي بنت طريف]	١	٧٦٥ ، ٧٣١
قافية القاف					
القاف المفتوحة					
أنى	ساقا	البسيط	[أبو دؤاد الإيادي]	١	١٣٠١
قد	طرقا	البسيط	[زهير]	١	١٣٠٢
وليس	ورقا	البسيط	زهير	١	١١٠٨ ، ٢٥١
					١١٧٣
يطعنهم	اعتنقا	البسيط	زهير بن أبي سلمى	١	٣٢٣
قد يضيقا	مخلع	البسيط	—	١	٥٨١
القاف المضمومة					
ألا حيّ	وشائقه	الطويل	قيس بن جروة	١	١٠١١
يضمّ	البنائقُ	الطويل	[قيس بن معاذ]	١	٨٥٣
لنا	أعرافها	المتقارب	أبو تمام	١	٨٦
ولا	تحترقُ	المنسرح	—	١	١٠٢٩
وماءٍ	ييصقُ	الطويل	ذو الرمة	٢	١٢٧٥
ولا	توافقهُ	الطويل	—	١	٢١٧
ألا	الفرانقُ	الطويل	—	١	٩٧٢
فلا	ندوقُ	الطويل	[حميد بن ثور]	١	٩٦٤
إذا	طروقُ	الطويل	—	١	٩٩٤
خليلي	لحقيقُ	الطويل	بشار	٢	٤٦٤

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
--------	---------	-------	--------	-------------	--------

القاف المكسورة

يا	تحراقي	البسيط	تأبط شراً	٢	١١٩٧
ولا	وإشفاقي	البسيط	[تأبط شراً]	١	٢١٦
يا قز	الأحمافي	الكامل	[جبار بن سلمى]	١	٣٢٦
وشبت	المفاري	الطويل	-	١	٨٠
أقول	مشفقي	الطويل	موسى بن جابر	١	٢٦٩
أبعد	بأسوقي	الطويل	[الشماخ]	١	٧٣١

قافية الكاف

الكاف المفتوحة

وكنت	حالكا	الطويل	-	١	٦٦٤
حيازيمك	لاقيكا	الهزج	علي بن أبي طالب	١	٢٤١

الكاف المكسورة

وقوم	السنايك	الطويل	طرفة	١	٥٠
إذا	الضواحك	الطويل	تأبط شراً	١	٤٩١
قفي	لك	الطويل	ابن الدمينه	١	٩٩٠
قليل	والمسالك	الطويل	[تأبط شراً]	١	٤٤٨
فقلت	مالك	الطويل	[متمم بن نويرة]	١	٦٢٩
قفي	جمالك	الطويل	طرفة	٢	٦٨٥
يظن	المهالك	الطويل	[تأبط شراً]	١	٥٩٠
يا أطيب	المساويك	البسيط	[بشار بن برد]	١	٨٩٩

قافية اللام

اللام الساكنة

فانتضلنا	ويجل	الرمل	لييد	٢	٦٩٠ ، ٥٢٤
أكان	الأجل	المقارب	-	٢	١٤٥
فإن	فخل	المقارب	-	١	٧٨٦
وضع	فل	الرمل	[النابعة الجعدي]	١	٥٧٢
مدمن	الأفلن	الرمل	لييد	١	١١٣٠

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
تسلب	عقل	الرمل	ليبد	١	٣٥٢
سألتني	وأكل	الرمل	الجعدي	١	٥٧١
واكذب	بالأمل	الرمل	ليبد	١	١١١
فإذا	الجمال	الرمل	ليبد	١	٢٦٨
قل	الأول	الرمل	ليبد	١	٢٣٤
قلما	الأول	الرمل	ليبد	٣	١٢٧٦
وإن	طويل	الوافر	[الأعلم الهذلي]	١	١٨٤
اللام المفتوحة					
إن	ومجالا	الكامل	—	١	٨٥٥
على	وأذالها	الطويل	كثير	١	٥٣١
ويتنزل	ابتذالها	الطويل	—	١	٢٧٠ ، ١٠٥
ويتنزل	ابتذالها	الطويل	الراعي النميري	١	٤٩٣
ومية	فذالا	الوافر	ذو الرمة	١	٥٠٧
وخيل	أبطالها	المتقارب	[الخنساء]	١	٤٦٩
لم أرم	نعالا	الخفيف	المهلل	١	١٤٠
وقافية	قالها	المتقارب	الخنساء	١	٩٣
أبني	الأغلا	الكامل	[الأخطل]	١	٥٢٥ ، ٦١
لا	مالا	البسيط	—	١	٣٤٦
وإذا	نهالها	الكامل	الأعشى	٢	٥٣١
وكان	الخيالا	الوافر	—	١	٩١٩
يرى	سبلا	البسيط	حاتم	١	١١٥٧
تفور	غلا	الطويل	—	١	٧٩
إذا	تأكلها	الطويل	[أوس بن حجر]	١	٧٤
إن	مهلا	المنسرح	الأعشى	١	٦٩١
يساقط	أخولا	الطويل	[ضابئ بن الحارث]	١	١١٥١
وكان	ذلولا	الكامل	الراعي	١	٨٨٢
كان	تمولا	الطويل	[جابر بن الثعلب]	١	١٥٨
وإن	مزبلا	الطويل	أوس بن حجر	١	٧٩٣
يمانية	غبلا	الوافر	[وضاح اليمن]	١	٨٦٦

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
اللام المضمومة					
هوى	جائلُ	الطويل	أبو تمام	١	٨٧٦
وصولُ	مسائلُة	الطويل	الشمردل	١	٤٧٢
من	وقتاؤها	الكامل	—	١	٣٠٩ ، ٢٠١
					٣٨١
من عهد	وقتاؤها	الكامل	[بشامة بن الغدير]	١	٥١٦
أو	الغزالُ	مخلع البسيط	امرؤ القيس	١	٣٨٣
كانهم	النعالُ	مخلع البسيط	امرؤ القيس	١	١٢٧
ما لامرئٍ	والجيلُ	البسيط	أبو تمام	١	٥٠٦
فلما	مقاتلُة	الطويل	—	١	٩٦٧
أنتتهون	والفتكُ	البسيط	[الأعشى]	١	٧٥٧
ثلاثة	القتلُ	الطويل	—	١	٨٧٦
يستعذبون	قتلوا	البسيط	—	١	٣٢٠
ويركب	مزحلُ	الطويل	[معن بن أوس]	١	٤٧٨
ترى	الدخلُ	الهزج	[ابن الخس]	١	٦٥٢
يهذُ	زلازلُة	الطويل	زهير	١	٤٥٢
ولكن	أعزلُ	الطويل	—	١	٥٨
فليس	السلاسلُ	الطويل	الهدلي	٢	٩٢٠
فيا ليل	الغسلُ	الطويل	[ابن دارة]	١	٥٩٤
فهيهات	تواصلُة	الطويل	[جرير]	١	٧٠٧
برزن	باطلُ	الطويل	—	٣	٩١٢
إذا	عواطلُة	الطويل	جرير	١	٩٩٨
إن	يحفلوا	الكامل	—	٢	٣٦٥
أبى	معاقلُة	الطويل	[زهير]	١	٤١٠
تموتون	البقلُ	الطويل	—	١	١٠٧٧
يا بيت	موكلُ	الكامل	[الأحوص]	١	٩٥١
لمية	المخللُ	مجزوء الوافر	[كثير عزة]	١	١١٦٥
إن	الطللُ	البسيط	أبو تمام	١	٩٤٥
فمن	خاملُ	الطويل	—	١	٢٤

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
كانما	تنهملُ	البيسط	أبو تمام	١	٢٧٤
جهول	الجهلُ	الطويل	—	١	٨١٦
هممت	متمهلُ	الطويل	الشنفرى	١	٥٨٧
طريد	أولُ	الطويل	[الشنفرى]	١	٥١٣، ٣٤٩
فقال	نصاولةُ	الطويل	زهر	١	٦٧٣
وخادع	مدخولُ	البيسط	الراعي	١	١١٨٤
فإنُ	يصولُ	الوافر	—	١	٢٤٥
سقى	هطولها	الطويل	ابن هرمة	١	٩٦٣
بطاحي	وطولُ	الوافر	كثيرُ	١	٥٢٩
وما	غولها	الطويل	[الأعشى]	١	٧٤٧
وخبرتني	تقولُ	الطويل	—	٢	٧٠٧
إذا	يستقيها	الطويل	—	١	٤٧٥
وأنت	بليلُ	الطويل	—	١	١٠٧٧
أما	جليلُ	الكامل	أبو تمام	٢	١٨٢
واني	خليها	الطويل	[الفرزدق]	١	٣٣٧
وأعلم	ذليلُ	الطويل	[طرفة]	١	٤٦٤
هل	الغليلُ	الخفيف	—	٢	٩٣٩
ليس	قليلُ	الكامل	[المقنع الكندي]	١	١١٥٦
إنَّ	القليلُ	الخفيف	—	١	٨٦٧
يقاتل	الجميلُ	الوافر	[أبو خراش الهذلي]	١	٦٤٩
إذا	طويلُ	الطويل	—	١	٥٠٤

اللام المكسورة

وما	آلُ	الوافر	—	٢	١٢٥٩
فإن	القبائلُ	الطويل	[أبو الشغب العبسي]	١	٦٨٨
إذا	مجبالي	الطويل	امرؤ القيس	١	١٣١٢
ترى	والحبالي	الوافر	—	١	١١٥٥
بمحمدٍ	مثالي	الوافر	—	١	٨٨
ألا	الرجالي	الوافر	—	١	٢٤١
ألا	الخالي	الطويل	امرؤ القيس	٣	٧١٣

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
نفسى	أبطالٍ	السريع	-	١	٢٥
تنورتها	عالٍ	الطويل	امرؤ القيس	١	٩٥١ ، ٢٢٦
لا	العالي	الكامل	أبو تمام	١	١١٨٤
رضوا	الفعالٍ	الوافر	-	١	٢٧٠
كجيب	إجفالٍ	مجزوء الوافر	[الفند الزماني]	١	١٢٩٣
صرفت	قالٍ	الطويل	امرؤ القيس	١	٩٢٥
فلسنا	النعالٍ	الوافر	-	١	٢٨٦
سقى	هلالٍ	الوافر	ليد	١	٧٥
خيال	اندمالٍ	المتقارب	-	١	٢٧٣
هم	شمالي	الوافر	[ليبد]	١	٦٣٩
وخمار	بشمالها	الكامل	-	١	١٧٤
كانَ	طوالٍ	الوافر	[الأعلم الهذلي]	٢	٦٩
نم	الخيالٍ	الخفيف	أبو تمام	١	٩٢٨
ييكى	الإبل	البسيط	المهلل	١	٤٢٠
ثلاثة	القتل	الطويل	[عمرو بن كلثوم]	١	١١٧٣
معاذ	القتل	الطويل	عمرو بن كلثوم	١	٨٢
مقرنة	المراجل	الطويل	النابعة الذبياني	٢	٧٠٢
فأصبح	ترجلٍ	الطويل	مزرد	١	٤٦٢
فظلَ	معجلٍ	الطويل	امرؤ القيس	١	٩٥٣
دار	يرحلٍ	الكامل	-	١	٥٣
كانَ	جندلٍ	الطويل	امرؤ القيس	١	١٢٨٣
وتيماء	بجندلٍ	الطويل	امرؤ القيس	١	٥٠٣
سجراء	عذلٍ	الكامل	-	١	١٧١
قولا	الباسلٍ	السريع	-	١	٤٧
وإنْ	نصلي	الطويل	[ذو الرمة]	١	١١٨٧
وقد	نصلي	الهمزج	-	١	٤٧
إنى	بالمنصلٍ	الكامل	عترة	١	١٠٦٨ ، ١٢٦
أناس	معضلٍ	الطويل	-	١	١٠٩٤
لما	الأخطلٍ	الكامل	جرير	١	٥١
تنورتها	علي	الطويل	امرؤ القيس	١	٣٠٦

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
حَلَّتْ	شاغلٍ	السريع	امرؤ القيس	١	٥٩٤
حَلَّتْ	شاغلٍ	السريع	امرؤ القيس	٢	٤٣٥
فالיום	واغلٍ	السريع	[امرؤ القيس]	١	٨٢٠
كجيب	تستغلي	الهمز	—	١	٣٨٣
ومعي	مجفلٍ	الكامل	الهذلي	١	١٨٥
فلما	عقتلٍ	الطويل	امرؤ القيس	١	١١٨
إذ لا	جملٍ	البيسط	—	١	٦٢٤
بينما	جملةٍ	الخفيف	[جميل بثينة]	١	١٢٥٢
فما	أهلي	الطويل	[بكير بن الأحنس]	١	٥٧٣
ومن	أهلي	الطويل	[الحسين بن مطير]	١	٩٣١
فلو	جهلي	الطويل	جرير	١	٢٩٠
ولو	جهلي	الطويل	—	١	٣٩٠
غالي	تسهلٍ	الكامل	أبو تمام	١	٩٨٧
يقولون	مهلي	الطويل	[جميل]	١	١٦٤
أوما	يتحولٍ	الكامل	البحثري	١	١٢٥٤ ، ١٠٧١
الحرب	جهولي	الكامل	[عمرو بن معديكرب]	١	٢٩٥ ، ٢٦٧
تلکم	بالمطلول	الكامل	—	١	٦٩١
كتب	الذيول	الخفيف	[عمر بن أبي ربيعة]	١	٨٨
أريد	سبيلٍ	الطويل	كُثَيِّر	١	٨٦٧
ولست	بقليلٍ	الطويل	كُثَيِّر	١	٩٢٦

قافية الميم

الميم الساكنة

تطوف	المرتجم	المتقارب	الأعشى	١	٣٠٧
ترانا	الرحم	المتقارب	الأعشى	١	٨٦٩
نرانا	الرحم	المتقارب	الأعشى	١	١٠٥٩
كل	الدهن	مجزوء الخفيف	—	٣	١٢٩٧
فاظعننت	يقم	المتقارب	الأعشى	١	٥٨٥ ، ٤٣٥
فأرضك	حلم	المتقارب	—	١	٤١٣
النشُر	عنم	السريع	[المرقس الأكبر]	١	١٠١٩

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
الميم المفتوحة					
وكنا	فاستقدا	المقارِب	[الربيع بن زياد]	١	٤١٦
جفاة	تخذما	الطويل	[شقران]	١	٣٦٦
وما	مبرما	الطويل	—	١	٩٠
ولو	ميسما	الطويل	—	١	٥١
لنا	ليعضما	الطويل	—	١	٨٥
رجوا	قضمما	الطويل	[أيمن بن خريم]	١	٤٧٣
ولاني	طاعما	الطويل	[المرقش الأصغر]	٢	١٢٠٢ ، ٩٥٦
تقول	نعما	الكامل	أبو تمام	١	١٢٣٤
أمرتكَ	سالما	الطويل	حصين بن المنذر	٢	٥٧٦
وأما	سالما	الطويل	—	١	١٠٧
أصمّني	الصمما	البسيط	أبو تمام	٣	٨٥٩
فأطرق	لصمما	الطويل	—	١	٤٧٣
وليست	وانما	الطويل	[حميد بن ثور]	١	١٠٦٢
يطآن	توهما	الطويل	—	١	٢٩٧
فطاردهم	المقوما	الطويل	[الحصين بن الحمام]	١	٣٢٣
ودار	كرىما	المقارِب	[ربيعة بن مرقوم]	٢	١١٦٧
الميم المضمومة					
وتكفل	أيتامُ	الكامل	أبو تمام	١	١١٣٤
رموني	فخاموا	الوافر	—	١	٢٤٢
ألقوا	والأوذامُ	الكامل	أبو تمام	١	٣٨٥
فإن	الحرامُ	الوافر	النابعة الذبياني	٢	١١٥٠
فاقطع	صرامها	الكامل	ليبد	١	٢١٧
لا	استغرامُ	الكامل	أبو تمام	١	٩٠٣
فجارك	يرامُ	الوافر	—	١	٨٥
أسرّت	مقامُ	الكامل	أبو تمام	١	٧٦٩
وإذُ	ذمامُ	الوافر	بشر بن أبي خازم	١	٣١٩ ، ٥٩
فقد	تنامُ	الطويل	—	١	٥٨٣
وأحب	قوامها	الكامل	ليبد	١	٧٩٣

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
متى	الخيام	الوافر	جرير	١	٤٣٨ ، ٥٢٣
سبط	قيام	الكمال	أبو نواس	١	٦٩٨
وأما	والأنث	المنسرح	—	١	١١٩٨
هي	حمو	مجزوء الخفيف	—	١	٣٦١
ولقد	عدم	الكمال	[عامر بن حوط]	١	٦١٩
للفتى	قدمه	المديد	[طرفة]	١	٦٢٦
إذا سقى	تضطرم	البيسط	[زياد بن منقذ]	١	٧٦
بردية	عظم	الكمال	[المخبل السعدي]	١	٨٨٤
فدى	دسموا	المنسرح	[الجميع الأسدي]	١	٢٦١
وددت	عالم	الطويل	[كثير عزة]	١	١٠٩٩
وأن	مذمم	الطويل	[مالك بن خريم]	١	٨٥٠
صدت	يدوم	الطويل	[المرار]	١	٢٣٤
ولقد	محروم	الكمال	الأخطل	١	٣٤٨
بكت	ألوم	الطويل	—	٢	٦٧٨
إذا	قسيمها	الطويل	—	٢	٦٢٤
فلا	الخصيم	الوافر	—	١	٤١٢
لا تنه	عظيم	البيسط	[أبو الأسود الدؤلي]	١	٣٧٨
لئن	لسقيم	الطويل	[واقد بن الغطريف]	١	٩١٤
الميم المكسورة					
وسنان	بنائم	الكمال	[عدي بن الرقاع]	١	١٠٦
تمام	اللاثم	الوافر	ذو الرمة	١	٩٥٧
إنسا	القدام	الكمال	[المهلل]	١	٧١٨
رمتي	برام	الطويل	[عمرو بن قميئة]	١	٣٨١
أقصر	حزامي	الكمال	امرؤ القيس	١	٣٤٦
والصبر	بالأجسام	الكمال	أبو تمام	١	٢٦٩
نعرض	للطام	الوافر	[الحريش بن هلال]	١	٤٩٣
والأساة	للأوغام	—	—	١	٨٠
ومرقصة	الزمام	الوافر	عترة	١	٢٧٩

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
فقد	بأقوام	البسيط	[همام الرقاشي]	١	٣٨٥
قالت	لأقوام	البسيط	الناطقة الذبياني	١	١٢٥٤
وأنا	النوام	الكامل	امروء القيس	١	١٠٨٢
فما	وهيام	الطويل	-	١	١٢٧٨
فمرّ	يعتم	الطويل	[الأعشى]	١	١١٢٨
فلا	الجماجم	الطويل	أبو تمام	١	٣٠٩
فازورّ	وتحمحم	الكامل	عترة	١	١١٥
وكانما	الخمخم	الكامل	ابن هرمة	١	٣٨٦
أرسل	دمي	الطويل	كبشة	١	٢١
لو	بدم	المنسرح	[المهلهل]	١	٨٩
استودعت	القدم	المنسرح	-	١	٩٠٣
إذ	مقدمي	الكامل	عترة	١	١١٧
فلو	التنم	الطويل	عدي بن الرقاع	٢	٩٠٤
ومن	لهزم	الطويل	زهير	١	٣١
هلموا	الأكارم	الطويل	جرير	١	١٨٦
إذا	مقرم	الطويل	-	١	٧١٠
وإن	مقرم	الطويل	[أوس بن حجر]	١	٤٢٨
جلاميد	المواسم	الطويل	-	١	٨٩
فتتج	فتعظم	الطويل	زهر	١	١١٤٩
يا دهر	العظم	الكامل	[الأعشى]	١	٥٤٤
عُلّقَتها	بمزعم	الكامل	عترة	١	٨٧٩ ، ٨٥٤
ولقد	المطعم	الكامل	[عترة]	١	٨١٦
تمسّ	سالم	الطويل	الفرزدق	١	١٠٠٧
فإن	المصلّم	الطويل	أخت عمرو بن معديكرب	٢	١٠٨٢
إناس	مظلم	الطويل	[طفيل الغنوي]	١	٢٧٢
ولا	مظلم	الطويل	كبشة	١	٦٠٠
ومن	يظلم	الطويل	زهير بن أبي سلمى	١	٣٦٩
وإذا	يُكَلِّم	الكامل	عترة	٢	١٣٩

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
غضبت	بالصليم	الكامل	بشر بن أبي خازم	١	٢٨٩
يعدو	اللّم	المنسرح	[الجميع الأسدي]	١	١٠٤٤
يخبرك	المغنم	الكامل	عترة	١	٣٩٩ ، ١٠٨
فإننا	مسهم	الطويل	[أوس بن حجر]	١	٧٨٥
أولئك	النجوم	الوافر	—	١	٧٦١
كيف	الكريم	الخفيف	—	١	٩٨١
أقول	نميم	الوافر	[أبو زنباع الجذامي]	١	٥٠٠
وليس	كالصميم	الوافر	—	١	٢٨٠

قافية النون

النون الساكنة

إنّ	ترجمان	المنسرح	[عوف بن المحلم]	١	٩٨٥ ، ٢٨٠
وما	يفنّ	المتقارب	الأعشى	١	٣٨٠

النون المفتوحة

قوم	ووحدا	البيسيط	قريط بن أنيف	١	٥٩٦
لا يسألون	برهانا	البيسيط	—	١	٩٧
عقدت	أمكنا	الكامل	المتنبي	١	٢٤٦
أليس	يختبزونا	الطويل	—	١	٢٢٦
فإما	تكونا	الوافر	ابن أحمر	١	٤١٦
فإما	تكونا	الوافر	ابن أحمر	٣	٢٥٦
لعمرك	الظنوننا	الوافر	—	١	٦١٤
عشوزنة	والجبينا	الوافر	عمرو بن كلثوم	١	٧٤٢ ، ٣٣٣
عافت	سخينا	الخفيف	—	١	١١٥٨
مشعشة	سخينا	الوافر	عمرو بن معديكرب	١	٨٩٥ ، ١٣٩
إذا	بأيدينا	البيسيط	[بشامة بن حزن]	١	٥١٦
متى	القرينا	الوافر	عمرو بن كلثوم	١	٣٨٤
وإنّ	تلينا	الوافر	عمرو بن كلثوم	١	٧٤٢
ولقد	ضنينا	الكامل	جرير	١	٨٩١
إذا	عنينا	الوافر	الفرزدق	١	٨١

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
نهلنا	روينا	الوافر	-	١	٢٨٦
النون المضمومة					
جهلاً	والجبنُ	البسيط	[قنعب ابن أم صاحب]	١	٥٤١
إذا	قمينُ	الطويل	[قيس بن الخطيم]	١	٨٥٠ ، ٥٢٥
النون المكسورة					
لاودعتك	الثاني	الكامل	أبو تمام	١	٨٧١
واني	الحدثان	الطويل	عبد الرحمن بن حسان	١	٤٨٦
واني	جان	الوافر	[سوار بن المضرب]	١	٥٩٧
فتى	والناظران	المقتارب	محمد بن غالب	٢	١٠٤٥
لقد	الخفقان	الطويل	[عروة بن حزام]	١	٦٦٦
رماني	رماني	الطويل	[ابن أحمر]	١	٦٦١
فلنُ	بناني	الوافر	[قيس بن زهير]	١	٥٢١
أيها	يلتقيان	الخفيف	عمر بن أبي ربيعة	٢	٤٥٧
فليت	الطهيان	الطويل	[الأحول الأزدي]	١	٤٣٠
فليت	الطهيان	الطويل	[الأحول الكندي]	١	٢١٨
أم	باللبن	البسيط	[أفنون التغلبي]	١	٣٠٢
إذا	مني	الوافر	النابعة الذبياني	١	٣٣٩
شديد	الشؤون	الوافر	-	١	٧١
فلاني	قروني	الوافر	-	١	٢٠٠
ألحق	فيطفوني	البسيط	-	١	٣٤٠
وماء	اللجين	الوافر	الشماخ	٢	١٢٧٥
كل	حين	البسيط	[ذو الإصبع العدواني]	١	١١٨٧
ولا	حين	الوافر	أبو الغول الطهوي	١	١٠٣
وإن	القرين	الوافر	سحيم بن وثيل	١	٧٤٢
إذا	عين	الوافر	[الشماخ]	١	٩٤٩
أبالموت	تخوفيني	الوافر	[أبو حية النميري]	١	٣٥٦
لا يخرج	ليني	البسيط	[الإصبع العدواني]	١	٢٣٩

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
فما	يليني	الوافر	[المثقب العبدى]	١	٤٢٠
فما	يليني	الوافر	[المثقب العبدى]	٢	١١١١
ولقد	يعينيني	الكامل	—	١	٤٢٢

قافية الهاء

الهاء الساكنة

أبو	غناه	المتقارب	[المتنخل الهذلي]	١	٣٩٠
-----	------	----------	------------------	---	-----

الهاء المفتوحة

إذا	رضاه	الوافر	[القحيف العقيلي]	١	١٠٢٢
أشدّ	سواها	الوافر	العباس بن مرداس	١	١١٨
نهين	لها	المتقارب	—	١	١٠٥
نهين	لها	المتقارب	[الخنساء]	١	١٤٥
لاني	أجازيها	البسيط	—	١	٢٢٤

الهاء المضمومة

أبو	غناه	المتقارب	—	١	١١١٣
أبو مالك	غناه	المتقارب	الهذلي	١	٧٥٦ ، ٦٨٣ ، ٧٦١
أهنا	الوجوه	الرمل	—	١	١٢٦٢

قافية الياء

الياء الساكنة

راحوا	وأني	الكامل	—	١	١٠٠
-------	------	--------	---	---	-----

الياء المفتوحة

لعمرك	ورائيا	الطويل	—	١	٣٠١
فما	وزرايا	الطويل	—	١	١٠٣٢
وكانت	حيّا	الوافر	[أبو العتاهية]	١	٦٢٣
ولكلّ	التحيّة	الكامل	[زهير بن جناب]	١	٧٥
ولكل	التحيّة	مجزوء الكامل	[زهير بن جناب]	١	٤٣٠ ، ١٥٤

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
وإن	التأسيا	الطويل	[سليمان بن قتة]	١	٨٠
لعز	للعاقيّة	المتقارب	—	١	١١٥٧
ليست	خاليا	الطويل	[ابن أحمر]	١	٨٨٣ ، ٧٦٠
فقلت	تلاقيا	الطويل	—	١	٨٥٢
أقول	لسانيا	الطويل	[عبد يغوث الحارثي]	١	١٢١
وليس	لسانيا	الطويل	—	١	١٩٤
يقولون	مكانيا	الطويل	[مالك بن الرب]	١	٦٣٠
تجمعن	ثمانيا	الطويل	—	١	٢٠٨
حبيب	الغوانيا	الطويل	جميل بثينة	١	٣٣٠
الياء المضمومة					
كعود	رذئي	المتقارب	أبو ذؤيب الهذلي	١	٦٥٨
الياء المكسورة					
وما	سخي	الوافر	أبو تمام	١	٦١٣
فإياكم	بسي	الوافر	[الحطيئة]	١	٣٠١

٧ - فهرس الأرجاز في الشرح

<u>الرجز</u>	<u>الراجز</u>	<u>الصفحة</u>
	قافية الباء	
	الباء الساكنة	
بل بلد ذي عقد وإحباب	-	٢٣٢
أزل إن قيد وإن قاد نصب	-	٨١٠
	الباء المفتوحة	
تحكك الجرباء لاقت جربا	[عبد الرحمن المعني]	١١٢٩
دنا فما يزداد إلا قربا	[عبد الرحمن المعني]	١١٢٩
إذا أحسن وجعا أو كريا	[عبد الرحمن المعني]	١١٢٩
ضربا منه الغلام الشطبا	[عبد الرحمن المعني]	١١٢٩
إذا حبا قفّ له تعرقبا	-	٤١٢
	الباء المضمومة	
له ذنوب ولنا ذنوب	-	١١٤٢ ، ٦٤٠
عضّ على شبدعه الأريب	-	١٢٧٤
إنّا إذا شاربنا شريب	-	١١٤٢
فإن أبي كان له القلب	-	١١٤٢
	الباء المكسورة	
في نقبة وإتب	-	١٠٨٢
بيضاء مثل القلب	-	١٠٨٢

الرجز	الراجز	الصفحة
	قافية التاء	
	التاء المضمومة	
وجمة تسألني أعطيت	[أبو محمد الفقعسي]	١١٩٩
لو أشرب السلوان ما سليت	[رؤية]	٩١٠
	التاء المكسورة	
في سعي دنيا طال ما قد مدّت	[العجاج]	١١٦١
قد يتمت بتي وآمت كنتي	—	٢٥٦
	قافية الجيم	
	الجيم الساكنة	
يا حبذا القمرأ والليل الساخ	—	٢٢٣
	الجيم المفتوحة	
وأغشت الناس الفجاج الأضججا	[العجاج]	٧٤١ ، ٥٣٢
والشحط قطاع رجاء من رجا	[العجاج]	١٢٨٣
ومهمه هالك من تعرجا	[العجاج]	٥٦٥
وصاح خاشي شرها وهجهجا	[العجاج]	٧٤١ ، ٥٣٢
كالجمعين ركبا دحروجا	—	١٠٣٠
دمامة ومنظرأ سميجا	—	١٠٣٠
	الجيم المكسورة	
والله للنوم على الديباج	—	٤٩٩
أهون يا عمرو من الإدلاج	—	٤٩٩
مع الفتاة الطفلة المغنجان	—	٤٩٩
على الحشايأ وسرير العاج	—	٤٩٩
وزفروات البازل المعجاج	—	٤٩٩
فخيرت بين حمى وبهرج	—	٨٥٢
ما بين أجزأ إلى وادي الشجي	—	٨٥٢

الرجز	الراجز	الصفحة
	قافية الخاء	
	الخاء المضمومة	
بي الجحيم حين لا مستصرحُ	العجاج	٣٦٠
	قافية الدال	
	الدال الساكنة	
إنَّ أبا نظلة ليس من أحد	-	٥٧٠
ضل أباه فهو بيضة البلد	-	٥٧٠
	الدال المفتوحة	
اثنان منا يغلبان واحدًا	-	٥٥٣
علفتها تبتًا وماء باردًا	-	٨٠٥
إذا تعاونوا وكان راقدا	-	٥٥٣
قد ترك البرنيُّ فاه بلدا	-	٥١٠
من الكلال لا يذقن عودا	-	٢٢٦
لا عُقْلًا تبغي ولا قيودا	-	٢٢٦
	الدال المكسورة	
هاك عيالي فاذهبي وجدي	-	٥١٢
وباكري بصالب وورد	-	٥١٢
ويحك حمى خير استعدي	-	٥١٢
قدني من نصر الخبيسين قدي	[حميد الأرقط]	٧٥٣ ، ٦٣٣ ، ٤٣٣
أعانك الله على ذا الجند	-	٥١٢
وهي صناع الرجل خرقاء اليد	-	٤٤
أما بكل كوكب حريد	[ذو الرمة]	٧٤٥
	قافية الراء	
	الراء الساكنة	
في وهبها كمثلها الفخاز	اللاحقي	٢٨٨
يا سارق الليلة أهل الداز	-	٤٦٥
ولنما مودة الأشرار	اللاحقي	٢٨٨

الرجز	الراجز	الصفحة
وليس يرجى شعبه إذا جبر	اللاحقي	٢٨٨
وأنزف العبرة من لاقى العبر	العجاج	٦٦٥
نطعمها اللحم إذا عزّ الشجر	-	٥١٥
يصيبه أدنى يد فينكسر	اللاحقي	٢٨٨
الراء المفتوحة		
أنا الهجين عترة	عترة	١٠٦٨
ركبت من قصد الطريق منجرة	-	٥١
كل امرئ يحمي حره	عترة	١٠٦٨
ولا ترى الضب فيها ينحجر	-	٤٢٦
إني إذا حار الجبان الهدرة	-	٥١
أنا الذي سمّتي أُمي حيدرَة	[علي بن أبي طالب]	٢٩٤ ، ٢١٧ ، ٨٦
		٧٥٥ ، ٤٥٦
ما غلبتني هذه الضاطرة	-	١١٣١
لو أنّ حولي من عليم نافرّه	-	١١٣١
أسودّه وأحمرة	عترة	١٠٦٨
الراء المضمومة		
قد أعصرت أو قد دنا إعصارها	[منظور بن مرثد]	١٠١٥
الراء المكسورة		
نحن صبحنا عامراً في دارها	-	٣٧٧
عشية الهلال أو سراجها	-	٣٧٧
وعينه كالكالء الضمار	-	٨٦٩
قد رفع الفخ فماذا تحذري	-	١٦٦
أنا أبو النجم وشعري شعري	أبو النجم	٢١٠ ، ٧٧
أنخنا فحالفنا السيوف على الدهر	-	٣١٧
كالشمس لم تعد سوى ذورِها	-	١٢٠
والساق مئي باديات الرير	-	١١٣٨
وحفظة أكتها ضميري	[العجاج]	١٥٥

الرجز	الراجز	الصفحة
	قافية السين	
	السين الساكنة	
كانها حائط نخل ملتبس	-	١١٣٩
طيبة الأنفس بالدر نعن	-	١١٣٩
	السين المفتوحة	
نومت عنهن غلاماً جبسا	-	٣٧٢
بالأفق الغربي تطلّى ورسا	-	٢٨٧
وقد تغطّى فروةً وحلسا	-	٣٧٢
من غدوة حتى كأنّ الشمسا	-	٢٨٧
إما نعيمها وإما بوسها	بيهس الفزاري	٤٦٧
أليس لكل عشية لبوسها	بيهس الفزاري	٤٦٧
	السين المكسورة	
بش مقام الشيخ أمرس أمرس	-	١٢١٠
	قافية الضاد	
	الضاد المفتوحة	
مَن ذا يعض الكلب إن عضاً	-	١٨٢
	الضاد المكسورة	
يا رب ذي ضغن وضبّ فارض	-	١٦٨
	قافية الطاء	
	الطاء الساكنة	
جاؤوا بمذق هل رأيت المذق قط	العجاج	١٥٧
	قافية العين	
	العين المفتوحة	
الضاريين الهام تحت الخيضة	[ليد]	٣٠

الرجز	الراجز	الصفحة
	العين المضمومة	
أصم عما ساءه سميع	-	١٠١٤
	العين المكسورة	
بلهاء لم تحفظ ولم تَضِع	[أبو النجم]	١٢٩٢
	قافية الغين	
	الغين المفتوحة	
وقد كسا فيهن صبغًا برزغا	رؤية	٢٨٢
	قافية الفاء	
	الفاء الساكنة	
وشعبتا ميس براها إسكاف	[الشماخ]	١١٤٧
	الفاء المكسورة	
ملآن والطفاف بالطفاف	-	٣٣
تجازي الوافي بكل وافي	-	٣٣
	قافية القاف	
	القاف الساكنة	
مقدودة الأذان صدقات الحدق	[رؤية]	٢٣٠
كأن أيديهن بالقاع القرقي	-	٧٢٣ ، ٢١٤
كأن أيديهن بالقاع القرقي	[رؤية]	٦٨٥
لواحق الأقارب فيها كالمقق	[رؤية]	١١٤٨
من باكر الوسمي نضاح البوق	رؤية	٨٨٦
يتركن ترب الأرض مجنون الصيق	رؤية	٢٤٠
	القاف المكسورة	
قد استوى بشر على العراق	[الأخطل]	١٠٧٨
ولا ترضاها ولا تملق	[رؤية]	١٢٩٦ ، ١٢٤٢
ومسد أمر من أياق	[عمارة بن طارق]	١٢٨٩

الرجز	الراجز	الصفحة
	قافية الكاف	
	الكاف المفتوحة	
يا أيها المائح دلوي دونكا	-	٣٧٦
	قافية اللام	
	اللام الساكنة	
طبّاخ ساعات الكرى زاد الكسل	[الشماخ]	٦٩٣ ، ٤٦٥
	اللام المفتوحة	
أجزه الرمح ولا تهالّ	-	٣٠٤ ، ١٢١
ممغوثة أعراضهم ممرطلة	[صخر بن عمير]	١١٧٥
وقد وسطت مالكا وحنظلا	[غيلان بن الحارث]	٢٢٢
كما يلاث في الهناء الثملة	-	٣١٤
في كل ماء آجن وسملة	[صخر بن عمير]	١١٧٥
	اللام المضمومة	
واغد لعنا في الرهان نرسلة	أبو النجم	١٢١٦
ثقف أعاليه وقار أسفله	أبو النجم	١٠٧
أدرك عقلا والرهان عمله	أبو النجم	١٠٧
	اللام المكسورة	
ما لي أراك قائما تبالي	-	٥٤
يكشف عن جمامه دلو الدال	[العجاج]	٥٦٤
وأنت قدمت من الهزال	-	٥٤
هيفا دبورًا بالصبا والشمال	أبو النجم	٤١٥
يذري بأرعاش يمين المؤتلي	[العجاج]	٥٢١ ، ٣٨١
يذري بإرعاش يمين المؤتلي	[العجاج]	٥٢١
خضمة الذراع هذ المختلي	[العجاج]	٥٢١ ، ٣٨١
ويذلت والدهر ذو تبدل	أبو النجم	٤١٥
غنية من وير وخملي	-	١٢٨٠

الرجز	الراجز	الصفحة
إلى سراة مثل بيت النمل	-	١٢٨٠
تعرض المهرة في الطول	-	١٣٠٠
قافية الميم		
الميم الساكنة		
وكلهم يجمعهم بيت الأدم	-	٢٦٤
نظرت والعين مبينة التهم	[شيطان بن مدلج]	١٠٤٧
الميم المفتوحة		
أكثر في العذل ملحا دائما	[رؤية]	٦٣
لا تكثرن إني عسيت صائما	[رؤية]	٦٣
الميم المضمومة		
قالت لنا ودمعها تؤام	[حدير]	٤٠٠
تعليقها الإسراج والإلجام	-	٢٢٤
تعليقها الإسراج والإلجام	أبو تمام	١٠٣٨
كالدرّ إذ أسلمه النظام	[حدير]	٤٠٠
بات يقاسي أمره أمبرمه	[العجاج]	٨٠٨
أعصمه السحيل أعصمه	[العجاج]	٨٠٨
ورأس أعداء شديد أضمه	[العجاج]	٤٥١
سرنا إليه إذ غزانا أعظمه	[العجاج]	٤٥١
الميم المكسورة		
أكدر كالجلمود يوم الرجم	[رؤية]	١٢٨٥
إذا تقضى من أعالي النجم	[رؤية]	١٢٨٥
ضار يضري بطري اللحم	[رؤية]	١٢٨٥
في صلب مثل العنان المؤدم	[العجاج]	١١٣٨
إن بني رملوني بالدم	[أبو أخزم الطائي]	١٦٠
أوعدني بالسجن والأداهم	[العديل بن الفرخ]	١٩
ضم جناحيه انخرط السهم	[رؤية]	١٢٨٥
تعرض الجوزاء للنجوم	-	٨٩٢
تعرضي مدارجا وسومي	-	٨٩٢

الرجز	الراجز	الصفحة
قافية النون		
النون الساكنة		
أفلح مَنْ كان له ربيعون	—	٩٧٧
لَبَثَ قَلِيلًا يلحق الداريون	—	٤٢٣
ما دام مَخٌ في السلامى أو عين	—	٩٠٤
ما دام مَخٌ في سلامى أو عين	[النضر بن سلمة]	١٠٥٢
لا يشكين أَلَمًا ما أنقين	—	٩٠٤
لا يشكين أَلَمًا ما أنقين	[النضر بن سلمة]	١٠٥٢
النون المفتوحة		
والناس في جنب وكنا جنبا	[رؤية]	٨٩٨
النون المكسورة		
حمراء منها ضخمة المكان	—	٧٧٩
قد قتل الله زيادا عني	—	١٠٢٢
قد قتل الله زيادا عني	الفرزدق	٢٢٩
قافية الياء		
الياء المفتوحة		
كالقدح المكبوب فوق الراية	—	١٢٩٨
إذا قعدت مقعدًا نبا يبة	—	١٢٩٨
طلع النجم غدبة	—	١٠٣٤
وابتغى الراعي شكية	—	١٠٣٤
الياء المضمومة		
والدهر بالإنسان دوارى	رؤية	١٢٧٣
والدهر بالإنسان دوارى	[العجاج]	٥٤١
ومحرمات هتكها بجري	[العجاج]	٧٧٢
أطربا وأنت قتسرى	رؤية	١٢٧٣

٨ - فهرس أنصاف

وأجزاء الأبيات في الشرح (*)

نصف أو جزء البيت	البحر	اسم الشاعر	الصفحة
باب الألف			
أبرحت ربًا وأبرحت جارا	المقارب	[الأعشى]	٢٤٢ ، ٣٣٤ ، ٨٨٦
اتسع الخرق على الراقع	السريع	[شقران السلامي]	٥٨
أتيت مده صحر ولوب	الوافر	[أبو ذؤيب]	٩٣
أحدثه إن الحديث من القرى	الطويل	[عروة بن الورد]	٧٧٠
أحيا أباك يا ليلي الأماديع	البيسيط	الهذلي	١٠٢٨ ، ١٨١
أخ قد طوى كشحا وأب ليدها	الطويل	[الأعشى]	٧٧٦
إذ تقلص الشفتان عن وضح الفم	الكامل	[عترة]	٣٤٦ ، ٢٤
إذ نجلاه فنعم ما نجلا	المنسرح	[الأعشى]	١٥٤
إذا الآل مصح	الرمل	الأعشى	٦٧٦
إذا تجرد لا خال ولا نجل	البيسيط	-	١٨٤
إذا زار عن شحط بلادك سلما	الطويل	عبدة بن الطبيب	٦٢٢
إذا زجر السفية جرى إليه	الوافر	-	١٧٨
إذا لم أجن كنت مجن جان	الوافر	[سوار بن المضرب]	٧٥٩
إذا ماشيت نالك هاجراتي	الوافر	[بشر بن أبي خازم]	٨٠٣
إذا المرء لم يحمل على النفس ضيمها	الطويل	[السموأل بن عاديا]	٣٩٠
إذا النيران ألست القناعا	الوافر	[أبو زيد الكلابي]	١١٠١
إذا فلا رفعت سوطي إلي يدي	البيسيط	النابعة الذبياني	١١١
أذهب كما ذهب غوادي مزنة	الكامل	[مسلم بن الوليد]	٦٦٨

نصف أو جزء البيت	البحر	اسم الشاعر	الصفحة
أرادت لتنتاش الرواق فلم تقم	الطويل	-	١٧٦
أرث جديد الوصل من أم معبد	الطويل	عدي بن زيد	٧٩٣
أريد لأنسى ذكرها	الطويل	[كثير عزة]	١٠٠٤
أرى الموت طلاعاً على من ترقعا	الطويل	متمم بن نيرة	٨٧
أزمان ليلى كعاب غير غانية	البيسيط	[نصيب]	٣٣٠
أزهير ليس أبوك بالمطلول	الكامل	-	٥٨٦
أستغفر الله ذنباً لست مُحصيه	البيسيط	-	٢٧٩
أشطانها في عذاب البحر تستبق	البيسيط	-	١١٠٥
أغشى الوغى وأعف عند المغنم	الكامل	عترة	٣٠٣
أغلت الشتوة أبداء الجزز	الرملي	[طرفة]	٣٦٥
أفر من الشر في رخوه	المتقارب	[أبو ثمامة بن عارم]	٦٥٣
إقدام غر واعتزام مجزب	الكامل	البحثري	١٠٣
أقلت مساماة الرجال عديدا	الطويل	الخنساء	٨٠
أقول لنفسي حين خوّد رألها	الطويل	-	٢٦٦
أقوين من حجج ومن دهر	الكامل	زهير	٢٨١، ٢٦٢
ألا إن السوية أن تضاموا	الوافر	[البراء بن عازب]	١٢٧٢
ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي	الطويل	[امرؤ القيس]	١٢٤٢
ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى	الطويل	طرفة	٣٥١
إلا بكرت عرسي بليل تلومني	الطويل	-	١١٥٩
ألقيت ليلة خبت الرهط أوراقي	البيسيط	تأبط شراً	١٢٦٩
ألم يأتك والأنباء تنمي	الطويل	[قيس بن زهير]	١٢٤٢
ألوم وما لومي أخي من شماليا	الطويل	-	١٦٧
إلى من بالحنين تشوقيني	الوافر	-	١٦٦
إليكم ذوي آل النبي تطلعت	الطويل	الكميت	٨١٤
أمرتك الخير فافعل ما أمرت به	البيسيط	[عمرو بن معديكرب]	١١٥٩
أملك بيضاء من قضاعه	المنسرح	[زهير]	١١٢
أملك بيضاء من قضاعه	المنسرح	[ابن قيس الرقيات]	١٠٦٩
أنا على كل الرزايا من الجزع	الطويل	-	٦٤٢
أموف بأدراع ابن طيبة أم تدم	الطويل	-	٦٣٥

نصف أو جزء البيت	البحر	اسم الشاعر	الصفحة
أموف بأدراع ابن ظبية أم تدم	الطويل	[راشد بن شهاب]	٨٣٩
إنّ تنفّلت وأنوف الموت راغمة	-	أبو تمام	٦٣
إنّ ذو لوثّة لانا	البسيط	[قريط بن أنيف]	٨٥٦
أنحنا فحالنا السيوف على الدهر	الطويل	-	٣٤٠
أنف من أنت واسم	الطويل	الأعشى	٥١
إنّ الدم المغتّر يحرسه الدّم	الكامل	أبو تمام	٧٨٧
أنورًا سرع ماذا يا فروق	الوافر	[مالك بن زعبة]	٤٣
إنّ الرياضة لا تنصبك للشيب	البسيط	[الجميح الأسدي]	٣٦٩
إنّ العزاء وإن الصبر قد غلبا	البسيط	الحطيئة	١٠٢٠
إنك والله لذو ملّة	السريع	[عمر بن أبي ربيعة]	٣٣
أتى ومن أين أبك الطرب	المنسرح	الكميت	٤٢
إني أتنتي لسان لا أسرّ بها	البسيط	[أعشى باهلة]	٧٤٢
إني إذا الشاعر المغرور حزّني	البسيط	جرير	٢١٦
أو الدّر رقراقه المنحدر	المتقارب	امرؤ القيس	٩٤٩ ، ٥٢٢
أوردها التقريب والشّدّ منها	الطويل	-	٤٠٨
أو يرتبط بعض النفوس حمامها	الكامل	ليد	٥٤٨

باب الباء

باكرت حاجتها الدجاج بسحرة	الكامل	ليد	٢٩٦
بجلي الآن من العش بجلّ	الرمل	-	٤٣٣
بجلي الآن من العيش بجلّ	الرمل	ليد	٢١٢
بزّ امرئ مستسلم حازم	السريع	-	١٠٥
بسقط اللّوى بين الدّخول فحوملي	الطويل	امرؤ القيس	١٠٤٩
بسماع يأذن الشيخ له	الرمل	[عدي بن زيد]	١٠١٤
بصنّ الوبر تحسبه الملابا	الوافر	جرير	١٢٨٨
بعاقبة وأنت إذ صحيح	الوافر	الهذلي	١٢٩٦
بنو أم ذي المال الكثير	الطويل	أوس بن حجر	٢١٥
به طائف من جتّه غير معقب	الطويل	امرؤ القيس	٢٧١
بيشرب أخراه وبالشام قادمه	الطويل	أبان بن عبدة	٤٥٣

نصف أو جزء البيت	البحر	اسم الشاعر	الصفحة
بين الدُخول فحومل	الطويل	امرؤ القيس	٨٧٠
يوم كطول الدهر في عرض مثله	الطويل	أبو تمام	١٢٨١ ، ٥٢٩

باب التاء

تحرّق ناري بالشكاة وناؤها	الطويل	أبو ذؤيب الهذلي	١٢٥٦
تحسب الطرف عليها نجدة	الرملي	[طرفة]	١٦٧
تحية بينهم ضرب وجيع	الوافر	[عمرو بن معديكرب]	٤١٣ ، ١٧٩
تدلّى عليها بين سبّ وخيطة	الطويل	الهذلي	١١٣٠
ترى الأكم منه سجدًا للحوافر	الطويل	-	٤٢٤
ترى جازريه يرعدان	الطويل	[زينب بنت الطثرية]	١٢٠٨
ترى جهم عازًا عليّ وتحسب	الطويل	[الكميّة]	١٢٧٩
تريك القذى من دونها وهي دونه	الطويل	الأعشى	١٣٧
تستقي بأذناها قبل استقاء الحناجر	الطويل	[النابعة الذبياني]	١١٠٥
تشاوس يزيد إنني من تأمل	الطويل	[أوس بن حجر]	٦٧٢ ، ١٦٧
تشذّ اللفاق عليها إزارا	المتقارب	[الأعشى]	١١٠١
تعليقها الإسراج والإلجام	الكاملي	أبو تمام	٥١٥
تعنّاك نصب من أميمة منصب	الطويل	-	٧٧٤
تغشي بنان المرء والكفّ والقدم	الطويل	-	٥٣١
تقطع أطناب البيوت بحاصب	الطويل	-	١١٠٥
تمشي الهوينى كما يمشي الوجي الوجل	البسيط	الأعشى	١٢٧٠
تمهل في الحرب حتى امتهن	المتقارب	الأعشى	١٠٣

باب الجيم

جديرون يومًا أن ينالوا ويستعلوا	الطويل	[زهير]	١٣٦
جذب القرينة للنجاء الأجرد	الكاملي	-	٩٩٤
جعلت لهم فوق العرائن ميسما	الطويل	[المتلمس]	٢٨٥
جلا الأذفر الأحرى من المسك فرقه	الطويل	-	٨٠

باب الحاء

حتى إذا ما استوى في غرزها كتب	البسيط	ذو الرمة	٨٨١
حتى استدقّ نحوّلها	الطويل	أبو ذؤيب الهذلي	٥٧

نصف أو جزء البيت	البحر	اسم الشاعر	الصفحة
حتى أنت أشمط عانس	الطويل	[أبو ذؤيب الهذلي]	٧٦٢
حتى تخط بالبياض قروني	الكامل	[بدر بن عامر الهذلي]	٧٢
الحرب أول ما تكون فتية	الكامل	[عمرو بن معديكرب]	١٨٣
حرير المحل غويًا غيورًا	المتقارب	[الأعشى]	٧٤٥
حللنا الكثيب من زرود لنفزعًا	الطويل	[الكحلبة اليربوعي]	٢٧٢
حين لاحت للصباح الجوزاء	الخفيف	أبو زبيد الطائي	١١٠

باب الخاء

خصفن بآثار المطي الحوافرا	الطويل	[مقاس العائذي]	٧١٨
خمت التيار يرمي بالقلع	الرمل	[سويد بن أبي كاهل]	١٦٣

باب الدال

دار الهوان لمن رآها داره	الكامل	[عبد قيس بن خفاف]	٧٩٤
داني الجناية مونغ الأثمار	الكامل	الأخطل	٥٣٦
دعيت نزال ولج في الذعر	الكامل	[زهير]	٤٨
دناهم كما دانوا	الهمزج	—	٢٢٥
دون النساء ولو باتت بأطهار	البيسط	[الأخطل]	١٩٦

باب الراء

راحوا تخالهم مرضى من الكرم	البيسط	[ليلي الأخيلية]	١١٢٤
رأيت الكريم الحرّ ليس له عمر	الطويل	—	٨٦
رقاق النعال طيب حجاتهم	الطويل	الناطقة الذبياني	٣١٢

باب السين

سباق غايات مجد في عشيرته	البيسط	تأبط شراً	١١٣٠
ستضحك مسرورًا وتبكي بواكيا	الطويل	[مالك بن الريب]	٢٦٢
سحّ نجا الحمل الأسول	السريع	[المتنخل الهذلي]	١٢٠٣
سعة الشدق عن الناب كلح	الرمل	الأعشى	٢٤
سود المحاجر لا يقرآن بالسور	البيسط	[الراعي النميري]	٣٥٥، ٢٧٧، ٥٨٨، ٤٣١
			٨٧٢

نصف أو جزء البيت	البحر	اسم الشاعر	الصفحة
باب الشين			
شديد الرجام باللسان وباليـد	الطويل	-	٢٣٣
شقت مآقيهما من أخز	المتقارب	[امرؤ القيس]	١٣٠٨
شم الأنوف من الطراز الأول	الكامل	حسان بن ثابت	١١٣٦
شميط الذنابي جوفت فهي جونة	الطويل	طفيل الغنوي	٩١
باب الصاد			
صاروا إليه زرافات ووحدا	البيـط	-	٣٢٨
صبوت أبا ذيب وأنت كبير	الطويل	[أبو ذؤيب الهذلي]	٥٧٨
صفر الوشاح وملء الدرع بهكتـة	البيـط	الأعشى	٨٨٤
صكّاء ذعلبة إذا استدبرتها	الكامل	[المسيب بن علس]	٨١٠
باب الضاد			
ضوء برق ووابله	مجزوء الخفيف	-	٣٧٧
باب الطاء			
طلاع أنجدة في كشحه هضم	البيـط	[زياد بن منقذ]	٥٨٠
طويل نجاد السيف ليس بجيدر	الطويل	-	١١٩١
باب الظاء			
ظلّ في عسكرة من حبّها	الرمـل	[طرفة]	٧٥٥
باب العين			
عاري الظنائب ممتد نواشره	البيـط	[تأبط شراً]	٥٨٠
عاود هراة وابن معمورها خربا	البيـط	-	١٣٠
عسى الله يغني عن تلاد ابن قادر	الطويل	-	٤٨١
علق الأحشاء من هند علق	الرمـل	-	٢٥٥
علقتها عرضا	البيـط	الأعشى	٨٧٦
على صير أمر ما يمرّ وما يحلو	الطويل	زهير	١٠٧٨
على عارفات للقاء عوايس	الطويل	[الناطقة الذبياني]	٦٦٥
على محمر توتموه وما رضى	الطويل	[زيد الخيل]	١٢٣
عليك ورحمة الله السلام	الوافر	[الأحوص]	٥٧٠

نصف أو جزء البيت	البحر	اسم الشاعر	الصفحة
عليهن فتیان كجنة عبقر	الطويل	-	٢٧١
عليهن فتیان كساهم محزق	الطويل	[الحصين بن الحمام]	٦١٢
عنا طعان وضرب غير تذييب	البيسط	[سلامة بن جندل]	٤٨٦
باب الغين			
غضوب كحيزوم النعامة أحمشت	الطويل	[الفرزدق]	١٠٥٥
باب الفاء			
فأليت لا آسى على إثر هالك	الطويل	-	٦٤٢
فأبيت لا حرج ولا محروم	الكامل	[الأخطل]	٦١
فأنت به حوش الفواد مبطنا	الكامل	[أبو كبير الهذلي]	١٠٧٤
فأدمج دمج ذي شطن بديع	الوافر	الشماخ	٣٢٦
فاذهب فما بك والأيام من عجب	البيسط	-	١٨٤
فأرسلها العراك	الوافر	[ليبد]	٤٠٧
فإن المندى رحلة وركوب	الطويل	[علقمة الفحل]	٥١٥ ، ٢٢٤ ، ١٠٣٧
فإني لست منك ولست مني	الوافر	[النابعة الذبياني]	٥٧٦
فإني وقيار بها لغريب	الطويل	[ضابىء بن الحارث]	٦٦١
فترب لأفواه الرشاة وجندل	الطويل	-	٩٢٢
فتلك سبيل لست فيها بأوحد	الطويل	[الشافعي]	٦٨٦ ، ٧٦
فتنتج لكم غلمان أشام	الطويل	زهير بن أبي سلمى	٣٢٩
فتى غير مبطان العشيات أروعا	الطويل	متمم بن نويرة	١٠٧٤
فجاء بمزج لم ير الناس مثله	الطويل	أبو ذؤيب الهذلي	٣٤٢
فجئت وقد نضت لنوم ثيابها	الطويل	امرؤ القيس	٥٠٧
فحالفتا السيوف على الدهر	الطويل	-	٨٢
فُرط وشاحي إذ غدوت لجامها	الكامل	ليبد	٩٨٢
فسلي ثيابي من ثيابك تنسل	الطويل	امرؤ القيس	١٣١١
فصيرني ربي إذا من محارب	الطويل	-	١٠٥٨
فالطعن شغشة والضرب هيعة	البيسط	الهذلي	٣١
فطعنة لا غس ولا بمغمر	الطويل	[زهير بن مسعود]	٢٥٦

نصف أو جزء البيت	البحر	اسم الشاعر	الصفحة
ففي السيف مولى نصره لا يحارذ	الطويل	-	٥٧
فقد بان محموداً أخي حين ودعا	الطويل	متّم بن نويرة	١٢٢١
فقد رأى الراؤون غير البطلي	السريع	-	٥٤٦
فقلت يمين الله أبرح قاعدًا	الطويل	[امرؤ القيس]	٣٧٧
فكبا كما يكبو فنيق تارز	الكامل	[أبو ذؤيب الهذلي]	٣٢٤
فلا راكد يجري ولا هو غائض	الطويل	-	٤٣٨
فلا ريب أن قد كان ثم لحيم	الطويل	الهذلي	١٨٧
فلا سقامن إلا النار تضطرم	البيسط	[زياد بن منقذ]	٧٣٨
فلأيا بلأي ما حملنا غلامنا	الطويل	امرؤ القيس	٥٩٤
فلأيا عرفت الدار بعد توهم	الطويل	زهير	٨٥٧
فلبي فلبني يدي مسور	المتقارب	-	١٢٧٣
فلما أجزنا ساحة الحي وانتحى	الطويل	امرؤ القيس	٢٤٧
فمتى تقول الدار تجمعنا	الكامل	[عمر بن أبي ربيعة]	١١٩
فمثلك حبلى قد طرقت	الطويل	[امرؤ القيس]	٢٣٢
فمشوا بأذان النعام المعلم	الطويل	[كيشة]	٦٦٢
فمن للقوافي بعد كعب يحوكها	الطويل	[كعب بن زهير]	٩٣
فهم ينقصون والقبور تزيد	الطويل	-	٦٣١
فوقر بز ما هنالك ضائع	الطويل	الهذلي	١٠٥ ، ٢٨٢ ، ٩٩٥ ، ٦٩٢
في عضة ما ينتن شكيرها	الطويل	-	١١٤٩
فيها وطلقت السرور ثلاثا	الكامل	أبو تمام	٨٨٢

باب القاف

قالوا الطراق فقلنا تلك عادتنا	البيسط	الأعشى	٤٨
قتلت قتيلًا لم ير الناس مثله	الطويل	الفرزدق	٢٥٩
قتلوا ابن عفان الخليفة محرماً	الكامل	الراعي النميري	٥٣٤
قد ألحمتني المنايا السبع والرخما	البيسط	-	٧٧٧
قرى لهم إذا ضاف الزماع	الوافر	-	٤٣٢
قليل ادخار الماله إلا تعلقة	الطويل	-	٣٨٧

نصف أو جزء البيت البحر اسم الشاعر الصفحة

باب الكاف

١١٣٧	-	الطويل	كأن خروء الطير فوق رؤوسهم
٩٦	[المتنخل الهذلي]	الوافر	كأنّ وغى الخموش بجانيها
١١٢١	[قيس بن الخطيم]	الطويل	كأن يدي بالسيف مخراق لاعب
٥٤	-	البيسط	كأنه هدم في الجفر منقاض
٩٣٨	[أبو ذؤيب الهذلي]	البيسط	كانوا ملاويث فاحتاج الصديق لهم
١٢١١ ، ٢٥٦	المتلمس	الطويل	كذلك أقنو كلّ قط مضللّ
٦٨٥ ، ٢١٤	بشر بن أبي خازم	الوافر	كفى بالنأي من أسماء كاف
٧٢٣			
٣٦٤ ، ٩٠	الأعشى	البيسط	كلّ سيرضى بأن يلقى له تبعا
٦٥٦ ، ٣٨٢			
٢٩٥ ، ١٨٤	أبو تمام	مخلع البيسط	كم مطر بدؤه مطير
١١٤٧	[أوس بن حجر]	الطويل	كلما تعايا عليه طول مرقى توصلا
٤٤٦ ، ٣٣١	-	المديد	كما أسلمت وحشية وهقا
١١٣٩	[القطامي]	الوافر	كما بطّنت بالفدن السياعا
٣٢	-	البيسط	كما تلّون في أثوابها الغول
٣٣١	امرؤ القيس	الطويل	كما زلّت الصفواء بالمتنزل
١٣١٨	[الأعشى]	الطويل	كما شرقت صدر القناة من الدم
١١٣٧	امرؤ القيس	الطويل	كما شغف المهنوءة الرجل الطالي
٧١١	[دريد بن الصمة]	الطويل	كما مهّدت للبلع حسناء عاقز
١١٨٨	[أبو ذؤيب الهذلي]	البيسط	كما يسقي الجدوع خلال الدور نضاج
٦٥٩	[عمرو بن ملقط]	السريع	كنت كمن تهوي به الهاويه

باب اللام

١١٧	[النابعة الجعدي]	الطويل	لأعدائنا نكبّ إذا الطعن أفقرا
٢٩٩	النابعة الذبياني	الطويل	لئن كان للقبرين قبر بجلق
٧٠٤	[الطرواح]	الطويل	لئن مرّ كرمان ليلي لطالما
١٠٧	[عبد يغوث بن وقاص]	الطويل	ليبقا بتصرف القناة بنانيا
٩٥٩	عمر بن أبي ربيعة	الطويل	لحاجة نفس لم تقل في جوابها

نصف أو جزء البيت	البحر	اسم الشاعر	الصفحة
لشانتك الضراعة والكلولُ	الوافر	الهللي	٥٠٩
لقاء أعاد أم لقاء حبابٍ	الطويل	-	٣٢٠
لقد شان حرّ الوجه طعنة مسهر	الطويل	[عامر بن الطفيل]	١٨٨
لكالطول المرخى وثنياء باليد	الطويل	طرفة	٥٠١
لمن كنت فيه شحمه وأطاييه	الطويل	-	٤١٤
لمية موحشاً طللُ	مجزوء الرمل	[كثير عزة]	١٢٧٩، ١٢٣٤
له بعد إدلاج مراح وأخيل	الطويل	[الأخطل]	١١٢٦
لو أطيع النفس لم أرمه	المديد	طرفة	٨٨١
لو يشزّون مقتلي	الطويل	امرؤ القيس	٥٥١
لولا الأسى لقضاني	الطويل	-	٨١٦
ليس الكريم على القنا بمحرم	الكامل	عترة	٨٧
ليلة صاحوا وأغروا بي كلابهم	البسيط	[تأبط شراً]	٢٧٢

باب الميم

ما أمسك الحبل حافزة	الطويل	-	٣٩٣
ما بال عينك منها الماء ينسكبُ	البسيط	[ذو الرمة]	٨٨١
ما سدّ كفي خليلها	الطويل	-	٦٠٢
ما غرّكم بالأسد الباسلِ	السريع	امرؤ القيس	٣٤
ما لكم تفاقدتم لا تقدمون مقدما	الطويل	[الحصين بن الحمام]	٣٢٥
ما ينام سوافزة	الطويل	القطامي	٥٤٦
مشيح فوق شبحان	مجزوء الوافر	[أبو العيال الهللي]	٤٠٢
من بين جمع غير جتماع	السريع	[أبو قيس بن الأسلت]	٧٦١
من عن يمين الحبّا نظرة قبل	البسيط	الأعشى	١٠٢
من عن يمين الدار والحائط	السريع	-	١٠٢
من هجو زيان لم يهجو ولم يدع	البسيط	[زيان بن العلاء]	١٢٤٢
مواعيد عرقوب أخاه يثرب	الطويل	[ابن عبيد الأشجعي]	٩١٤

باب النون

نأسو بأموالنا آثار أيدينا	البسيط	[بشامة النهشلي]	٣٤١
نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضّل	الطويل	امرؤ القيس	٩٥٨

نصف أو جزء البيت	البحر	اسم الشاعر	الصفحة
نصل السيوف إذا قصرن بخطونا	الكامل	[كعب بن مالك]	٥١٦ ، ٩٧
نظرٌ يزل موطىء الأقدام	الكامل	—	١٦٢
نعامة حزباء تقاصر جيدها	الطويل	—	١١٩٥
نفي الدراهم تنقاد الصياريف	البسيط	—	١٣١٩
نفي الدراهم تنقاد الصياريف	البسيط	[الفرزدق]	١٠٣٣
نقاتل الأبطال عن بنينا	السريع	—	١٠٠
نوكل بالأدنى وإن جلّ ما يمضي	الطويل	[أبو خراش]	٧٥٣
باب الهاء			
هوي الدلو أسلمه الرشاء	الوافر	[زهير]	٦٩
باب الواو			
وأبذل معروفى له دون منكري	الطويل	—	١١٠٤
وابن أبي أبي من أبين	البسيط	[ذو الإصبع العدواني]	١٠٦٩
وأتقي بهاديه إنى للخليل وصول	الطويل	—	٦٠٢
وإخال أنى لاحق مستتبُع	الكامل	[أبو ذؤيب]	٦٧٣
واخزها بالبرّ الله الأجلّ	الرملي	ليد	٣٦٢
وأخفي الذي لولا الأسى لقضاني	الطويل	[عروة بن حزام]	٢٤٩
وإذا تلسنتي السنّها	الرملي	[طرفة]	١١٠٩
وإذا نبا بك منزل فتحول	الكامل	[عنتر]	٥٣
وارخاء سرحان وتقريب تتفلّ	الطويل	[امرؤ القيس]	٢٣٥
وأسأل عنها الركب عهدهم عهدي	الطويل	[ابن هرم الكلابي]	٩٦١
وأضرب مثا بالسيوف القوانسا	الطويل	[العباس بن مرداس]	١١٩٢
الواطين على صدور نعالهم	الكامل	—	٣٧
الواطين على صدور نعالهم	الكامل	[الأعشى]	٢١٨
وألحقنا الموالى بالصميم	الوافر	—	٦١٨
وأمنع عرسي أن يزّن بها الخالي	الطويل	امرؤ القيس	١٩٦
وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدي	الطويل	[طرفة]	٣٥١
وإن تأفك الأعداء بالرّفد	البسيط	النابعة الذبياني	١٢٩٣ ، ٧٢٣
وإن تكلمك تبّلت	الطويل	[الشفري]	٢٥٠

نصف أو جزء البيت	البحر	اسم الشاعر	الصفحة
وأنبأته أن الفرار خزاية	الطويل	—	٤٤٢
وبات على النار الندى والمخلق	الطويل	الأعشى	١١٨٩
والبرّ خير حقيية الرحل	الكامل	[امرؤ القيس]	٨٢٠
وبعد عطائك المائه الرتاعا	الوافر	القطامي	٧٠٥
وتلقح كشافاً ثم تحمل فتتم	الطويل	زهير	١١٤٩
وجارتها أم الرباب بماسل	الطويل	[امرؤ القيس]	١٢٨٠
وحتى أشزت بالأكف المصاحف	الطويل	[كعب بن جعيل]	٥٥١
وحدث كما حاد البعير عن الدحض	الطويل	[طرفة]	٨١٩
وحسبك داء أن تصخ وتسما	الطويل	[حميد بن ثور]	٧٩٥
وحق لشأس من نذاك ذنوب	الطويل	[علقمة الفحل]	٦٤٠
وحلّت بيوتي في يفاع ممتع	الطويل	—	٣٦٣
وخناديد خصية وفحولاً	الخفيف	[النابعة الذبياني]	٣٥٤
وختس الجن إنني قد أذنت لهم	البسيط	النابعة الذبياني	٤٨٠
وددت وأين ما مني ودادي	الوافر	[عمرو بن معديكرب]	١٤٨
وذكرك من بين الحديث أريد	الطويل	—	٩٩٥
ورضت فذلّت صعبة أيّ إذلال	الطويل	[امرؤ القيس]	١٢٩١ ، ١١٣٧
وزرق كستها ريشها مضرحة	الطويل	—	٢٨٢
وسالت بأعناق المطي الأباطح	الطويل	[كثير عزة]	٤١٦
وسّع بمذك ماء اللحم تقسمه	البسيط	—	١١٧٧
وشايحت قبل اليوم أنك شيخ	الطويل	الهذلي	٧٣
وشايحت قبل القوم إنك شيخ	الطويل	[أبو ذؤيب الهذلي]	٤٠٢
وشحم كهذاب الدمقس المفتل	الطويل	امرؤ القيس	٣٧٤
وصوت نواقيس لم تضرب	المتقارب	—	١٣١٩
والطنن شغشغة والضرب هيقة	البسيط	—	٢٧٨
وطعن كإيزاع المخاض الضوارب	الطويل	النابعة	٣٠
وطعنة خلّس قد طعنت مرثة	الطويل	الهذلي	٤٧
وعاد الجميع نجعة للزعانف	الطويل	[المرقش]	١١٠٤
وعاش صافية لله وخلصانا	البسيط	—	٥١٣
وعالين مضعوقاً وفرذا سموطه	الطويل	ليد	٣٦٤

نصف أو جزء البيت	البحر	اسم الشاعر	الصفحة
وعظتكَ أجداتٌ صُمْتُ	مجزوء الكامل	[أبو العتاهية]	٦٢٢
وفي الصدر حَزَّاز من اللوم حامزٌ	الطويل	الشمّاخ	١٩٧
وفيمَن أقام من الحيّ هزّ	المتقارب	امرؤ القيس	٤٩٩
وقاسمني دهرِي بنيّ بشره	الطويل	—	٦٢٣
وقد أسلم الشفتان الفما	المتقارب	—	٢٤
وقد تلّ عرشيه الحسام المذكّر	الطويل	ذو الرمة	٥٩٨
وقد جاوزت حدّ الأربعين	الوافر	[سحيم بن وثيل]	١٠٦٨
وقديماً كان في الناس الحسد	الرمّل	عمر بن أبي ربيعة	٢٩٣
والقلب من خشية مقشعر	المتقارب	امرؤ القيس	١٢٢
وقلدها طوق الحمامة جعفرُ	الطويل	بشر بن أبي خازم	١٩٠
وقومت عنه دراه فتتكبا	الطويل	—	٣٥
وكل عام عليها عام تجنّب	البسيط	[الجميح الأسدي]	٣٠٥
وكنت أدعو قذاها الإثمّد القردا	البسيط	ابن أحمر	٣٢٩
ولا بغزارة الشعر الرقابا	الوافر	[الحارث بن ظالم]	١٤٦
ولا تأخذوا منهم إفالاً وأبكرا	الطويل	كبشة	٦٧٦
ولا ترى الضبّ بها ينجحز	السريع	[ابن أحمر]	٩٠ ، ١٧٥
			١١٠١
ولا ناظرًا عند الوغى في العواقبِ	الطويل	—	٥٦
ولا نال قطّ الصيد حتى تعفرا	الطويل	[حسان بن نشبة]	١٩٥
ولا يتتجي الأذنين فيما يحاول	الطويل	ابن هرمة	٥٧
ولست خلاّة لمن أوعدنّ	المتقارب	[الأعشى]	٤١٤
ولكن خَبَرُوا قومي بلاني	الوافر	الهذلي	٤٤٢
ولم أمدح لأرضيه بشعري لثيماً	الوافر	[ذو الرمة]	٢٤٩
ولم يرضَ إلا قائم السيف صاحبا	الطويل	[سعد بن ناشب]	٧٦٠
ولم يغلبك مثل مغلب	الطويل	[امرؤ القيس]	١٠٨٣ ، ١٥١
ولو أدركته صفر الوطاب	الوافر	[امرؤ القيس]	٦٠
ولو نبحتني بالشكاة كلائها	الطويل	الهذلي	١٠٦٦
وليس الذي يتلو النجوم بأيّ	الطويل	النابعة الذبياني	٧٧٤
وليس من الفوت الذي هو سابقه	الطويل	عارق الطائي	٧٢٧

نصف أو جزء البيت	البحر	اسم الشاعر	الصفحة
وما قطر الفارس إلا أنا	السريع	عمرو بن معديكرب	٢٩٧
وما كان زادي بالخبث كما زعم	الطويل	-	٦١٦
وما كان نفساً بالفراق تطيب	الطويل	[المخبل السعدي]	٩٣٠
وما مات منا ميت حتف أنفه	الطويل	[السموأل بن عاديا]	٥٨٤
ومثلي في غوائكم قليل	الوافر	عتيبة بن الحارث	٣٣
وموجود من صبابات الكرى	الرملي	[ليبد]	١٠٢٨
ومن الأرزاء رزة ذو جلن	الرملي	[ليبد]	١٥٠
ومن دون ليلى ذو بحار ومنور	الطويل	بشر	٢٦٦
ومن عضه ما يبتن شكرها	الطويل	-	٧٦٥
ومن يسوي بأنف الناقة الذنبا	البسيط	[الحطينة]	٣٨١
ومنعها بشيء يستطاع	الوافر	[عبيدة بن ربيعة]	١٠٢٦
ومولاك الأصم له سعار	الوافر	-	٣٩٠
ونجذني مداورة الشؤون	الوافر	-	٢٤
ونجذني مداورة الشؤون	الوافر	[سحيم بن وثيل]	١٠٦١
ونسج سليم كل قضاء ذائل	الطويل	[النابعة الذبياني]	٤٠٦
ونشتم بالأفعال لا بالتكلم	الطويل	-	٩٤
ونصطاد نفوساً بنت على كرم	المنسرح	-	٣٠٩
ونعم إن قلتم نعماً	البسيط	-	٤٣٣
والنفس شتى شجونها	الطويل	-	٩٥٦
وهاجرة حرها محتدم	المتقارب	الأعشى	١٢١٣
وهل جزع إن قلت وأبأهما	الطويل	-	٣٦
وهم العشيرة أن ييطء حاسد	الكامل	ليبد	١٢٠١
وهم لمقل المال أولاد علة	الطويل	أوس بن حجر	٢١٥
وهم يمنعون جارهم أن يقردا	الطويل	-	٨٥
وهند أتى من دونها النأي والبعء	الطويل	[الحطينة]	١٦٣
ويخضر من لفتح الهجير غباغة	الطويل	ذو الرمة	١٣٠١
ويسبق مطروداً ويلحق طارداً	الطويل	-	٢٧٣
ويعدو على المرء ما يأتز	المتقارب	[امرؤ القيس]	٧٥٤
ويوم شهدناه سليماً	الطويل	-	٦٦

نصف أو جزء البيت	البحر	اسم الشاعر	الصفحة
باب الياء			
يابس الجنين من غير بوس	المديد	[تأبط شراً]	٥٨١
يا بوس للجهل ضراراً لأقوام	البسيط	[النابعة الذبياني]	١٠٣٦
يا بوس للحرب	مجزوء الكامل	—	٧٥٩
يحجّون سبّ الزبرقان المزعفرا	الطويل	[المخبل السعدي]	٥٧٥
يُداوى بها الصاد الذي في التواظر	الطويل	[الراعي النميري]	٢٤٣ ، ١٧٨
يدعون حمساً ولم يرتع لهم فزع	البسيط	الهللي	٥٧
يركضن قد قلقت عقد الأطناب	البسيط	[سلامة بن جندل]	٧٧١
يسوء الغاليات إذا فليني	الوافر	[عمرو بن معديكرب]	٢١٤
يعطي دواء قفي السكن مربوب	البسيط	[سلامة بن جندل]	٥١٥ ، ٢٢١
يقمص بالبوصي معرورف ورد	الطويل	[الحطيثة]	٣٩٣
يقولون حصن ثم تأبى نفوسهم	الطويل	النابعة الذبياني	٧١٧ ، ٦٩٤
			٧٣٢
يكاد يساوي غارب الفحل غاربُه	الطويل	—	١٩٧
يكون جفيرها البطل النجيد	الوافر	—	٢٠١
ينوء ب صدره والرمح فيه	الوافر	—	٣٨

٩ - فهرس الأعلام (*)

أريد (في شعر): ٢٢٨.	(١)
أريد بن ربيعة: ٧٣٢.	إبراهيم بن المهدي: ٢٠٥.
أريد بن شيان: ٣٥.	أُبَيّ (في الشعر): ٧٠٤، ٧٢٩.
أريب بن عسّس: ٧٢٧.	الأثرم: ٦٧٥.
الأزرق المخزومي: ١١٣٢.	أحمد (في شعر): ١٠٨٤.
ابن أزنم: ٤٠٠، ١٢٤٤.	أحمد بن يحيى = ثعلب.
أبو إسحق الزجاج: ٣٢٩، ٦٤٥.	ابن أحمر: ٥٩، ٢٥٦، ٣٢٩، ٤١٦، ٨٨٣.
أبو الأسد الحماني: ١٠٤٨.	الأحوص: ٥٥٨.
الأسد الرهيص = جبار بن عمرو بن عميرة.	الأحوص (من بني كلاب): ٣٧.
الأسدي: ٦٧.	الأحوص الأنصاري: ٣٨، ١٦٨.
أسماء (في شعر): ١٣١٠.	الأحوص بن عبد الله: ٣٢، ٣٣، ٣٤.
أسماء بنت أبي بكر: ٦٧.	الأخضر بن هيرة: ٤١٩.
أبو الأسود الدؤلي: ٩٤١.	الأخطل: ٣٤٨، ٥٣٦، ٧٠١.
الأسود بن زمعة: ٥٥٨.	الأخفش (أبو الحسن): ٩٢، ٩٣، ١١٨، ١٢٠، ١٥٧، ١٩٠، ٢١٢، ٢٣٧.
الأسود بن يعفر: ٥٩٧، ١٢١٥.	٤٤٣، ٦٢٦، ٧٥٧.
أسيد بن جابر السلامي: ٣٥١.	الأخس الطائي: ٢٢١.
ابن الأشتر: ١٢٥٨.	أبو الأخيل العجلي: ٥١٧.
أشجع بن ريث بن سنان: ٢٧٧.	ابن أذينة = عروة بن أذينة.

(*) لم نأخذ بعين الاعتبار عند الترتيب الأبجائي ألفاظ «ابن»، «أبو»، «ابن أبي»... الخ. ونشير إلى أننا أفردنا أسماء أعلام شعراء الحماسة بفهرس خاص ولم نذكر أسماءهم هنا إلا إذا وردت ضمن الشرح.

- الأصمعي: ٣٠، ٤١، ٦٧، ١١٥، ١٣٦،
 ١٣٩، ١٥٧، ١٩٥، ٢٢٦، ٢٦٤،
 ٢٧٢، ٢٨١، ٣٠٦، ٣٣٧، ٣٤٢،
 ٤٠٦، ٤١٣، ٤٣٨، ٤٦٨، ٤٦٩،
 ٥١٢، ٥٥٦، ٥٩٧، ٦٧٥، ٨٧٠،
 ٨٨٢، ٨٩٨، ٩١٢، ٩٨٠، ١٠٤٩،
 ١٠٦٣، ١١٢٤، ١٢٠٦، ١٢٩٨.
- ابن الأعرابي: ٨٠، ١١٧، ١٣٩، ٣٣٠،
 ٣٧٢، ٤٤٣، ٤٦٢، ٤٦٩، ٤٧٠،
 ٦٢٤، ٧١٥، ٧٧٤، ٧٨٠، ٨٥٢،
 ٨٩٥، ٨٩٦، ٩٨٦.
- الأعشى: ٤٨، ٥١، ٩٠، ١٠٢، ١٠٣،
 ١٣٧، ٣٠٧، ٣٣٤، ٣٦٤، ٣٨٠،
 ٣٨٢، ٤٣٥، ٥٠٣، ٥٣١، ٥٨٥،
 ٥٨٩، ٦٥٦، ٦٧٦، ٦٩١، ٨١٤،
 ٨٦٩، ٨٧٦، ٨٨٤، ٨٨٦، ٩٥٠،
 ١٠٥٩، ١١٥٠، ١١٨٩، ١٢١٣،
 ١٢٧٠.
- أعشى بني ربيعة: ١٢٤٦.
- الأعلم (في شعر): ١٠٢٠.
- الأقرع بن معاذ القشيري: ١٩٧.
- الأقطع = خلف بن خليفة.
- إلياس بن مضر: ٢٨٥.
- أمامة (في شعر): ٧٠٧، ٩٦٥.
- امرؤ القيس: ٣٤، ٨٩، ١١٨، ١٢٢،
 ١٢٧، ١٩٦، ٢٢٦، ٢٤٧، ٢٧١،
 ٢٧٤، ٣٠٦، ٣١٣، ٣٣١، ٣٤٦،
 ٣٧٤، ٣٨٣، ٣٨٦، ٤٣٥، ٤٩٩،
 ٥٠٣، ٥٠٧، ٥٢٢، ٥٥١، ٥٦٢،
 ٥٩٤، ٧١٣، ٨٧٠، ٩٢٥، ٩٥٣،
 ٩٥٨، ١٠٤٩، ١٠٨٢، ١٠٨٣،
 ١١٣٧، ١٢٨٣، ١٣١١، ١٣١٢.
- أميمة (في شعر): ١٤٩، ٢٠٥، ٩٩٠.
- أبو أنس ضحّاك = ضحّاك (أبو أنس).
- أنس الفوارس (ابن زياد): ٣٣٧.
- أنيسة (في شعر): ١٣٠٧.
- أهبان (رجل من بني فقعس): ٦٨٩.
- أبو أوس (في شعر): ٧٢٠، ٧٢١.
- أمّ أوس (في شعر): ٥٩٩.
- أوس بن حجر: ٣٥، ١٦٢، ٢١٥، ٣٨٣،
 ٦٧٢، ٧٤٧، ٧٩٣، ٨٧٣، ١٠٠٧.
- أوس بن خالد بن عمرو: ٥٩٩.
- أوفى (أخو ذي الرّمة): ٥٦٢.
- أوفى بن دلهم: ٥٦٢، ٥٦٣.
- (ب)
- الباهلي: ٦٥.
- بثينة (صاحبة جميل): ١٦٤، ٢٣٦، ٩٤٣،
 ٩٩٧.
- بجير (في شعر): ١٠٢٩.
- بحتر بن عتود: ٤٥٠.
- البحثري: ١٠٣، ٦٠٧، ١٠٧١، ١٢٤٥.
- ابن بحدل = حميد بن بحدل.
- بدر بن يزيد بن الحكم: ٨٣٦.
- بُدين (رجل من طيء): ١٧٢.
- البرصاء (أم شبيب ابن البرصاء المري):
 ٦٩٤.
- البرقي: ٩٣، ٩٥، ٩٧، ٦٧٨، ٨٩٨،
 ١٠٥٢.
- بسطام بن قيس الشيباني: ١٥١، ٤٠٣،
 ٤٠٤، ٧١٦.
- بشار بن برد: ٤٦٤، ٩١٧.
- بشامة بن حزن النهشلي: ٢٨٤.
- بشامة بن الغدير: ٢٨٤.

أبو تمام: ٦٣، ٧٢، ٨٦، ١٠٣، ١٨٢،
 ٢٠٢، ٢٠٦، ٢٦٨، ٢٧٤، ٢٩٤،
 ٣٠٩، ٣٣٤، ٣٨٥، ٤٥٨، ٥٠٢،
 ٥٠٦، ٥١٥، ٥٢٩، ٥٤٨، ٦٠٥،
 ٦١٣، ٦٧٥، ٦٧٨، ٧٠١، ٧٠٣،
 ٧٦٩، ٧٨٧، ٨٤٢، ٨٥٩، ٨٦٨،
 ٨٧١، ٨٧٦، ٩٠٣، ٩٢٨، ٩٤٥،
 ٩٨٧، ١٠٣٨، ١١٠٥، ١١٣٤،
 ١١٨٤، ١٢٣٤، ١٢٨١.

التوزي: ١٣١٥.

تيم (رجل من بني يشكر): ٤٧٦.
 التيمي = عبد الله بن أيوب التيمي.

(ث)

ثابت بن جابر = تأبط شراً.
 ثابت بن خويلد البجلي: ٤٦٠.
 ثرملة بن شعث الأجنبي: ١٠١١.
 ثعلب (أحمد بن يحيى): ٣٢٥، ٣٧٢،
 ٦٧٨.

ثور بن يزيد السلمي: ٤٦٠.

(ج)

جابر بن حباب: ١١٩٩.
 جارية بن مرّ الثعلبي = أبو حنبل الطائي.
 جثامة بن قيس: ١١٤١.
 جذيمة بن الأبرش: ٤٦٧.
 جران العود: ٨٦٠.
 جرول بن مجاشع: ١٠٢٨.
 جرية بن الأشيم الفقعي: ٥٠٧، ٥٠٩.
 جرير: ٥١، ١٨٦، ١٩٤، ٢٩٠، ٣٤٥،
 ٤٣٩، ٥٢٣، ٧٠٥، ٨٥٥، ٨٩١،
 ٩١٢، ٩٩٨، ١١٣٦، ١٢٨٨.
 جرير بن كليب: ١٧٦.

ابن بشر (في شعر): ١٢٥١.
 بشر بن حزن بن كهف: ١٠٧٨.
 بشر بن حكيم بن قبيصة: ١٢٧٨.
 بشر بن أبي خازم: ٥٩، ١٩٠، ٢١٤،
 ٢٦٦، ٢٨٩.

بشر بن غالب: ١٠٥٨.

بشر بن مروان: ١٠٧٨.

بشر بن يزيد المري: ٤٦٠.

البعيث بن حريث الحنفي: ١٢٦٥.

أبو بكر الصديق: ٥٦٦، ٧١٦.

أبو بكر بن عبد الرحمن بن المسور:
 ٨٧٣.

أبو بكر بن كلاب: ٥٨٢.

بلال الخارجي: ٤٧٣.

بلعاء بن قيس: ١١٤١.

البهراني = فدكي (رجل من بهراء).

بهدل بن قرفة: ١٥٦، ١٥٧، ١٥٨.

بهيشة (في شعر): ٨٩١.

أبو بيان (أحد أعمام ربيعة بن مقروم):
 ٧٩٧.

بيهس: ٤٦٧، ٤٦٨.

بيهس (رجل من بني فزارة): ٤٦٧، ٤٦٨.

(ت)

تأبط شراً: ٦٤، ٢٧٢، ٣٥٠، ٤٩١،
 ٥٣٧، ٦٩٨، ١١٣٠، ١١٩٧، ١٢٦٩.
 أم تأبط شراً: ٦٦، ٦٤٥.
 ابن أخت تأبط شراً: ٥٨٦.
 تئج: ٤٦٩.

أبو تراب = علي بن أبي طالب.

تماضر (في شعر): ٣٨٦.

- جزء بن ضرار: ٧٦٤.
- جساس بن نشبة: ٢٤٤.
- جعدة بن عبد الله: ٧٦٨.
- ابن جعدة المخزومي: ١٥٦.
- الجعدي = النابغة الجعدي.
- جعفر (في شعر): ٧٣٢، ٩٩١.
- ابن جعفر: ١٢٢٨.
- أم جعفر: ٩٩٤.
- جعفر بن كلاب: ٥٩٧.
- أبو جعفر المنصور: ٥٦٦.
- ابن جفنة = عمرو بن الحارث.
- أبو الجلاح (في شعر): ٥٤٩.
- الجمحي: ٣٠٣.
- جميل بثينة: ١٦٤، ٣٣٠.
- جميل بن عبد الله بن معمر = جميل بثينة.
- جميل بن معمر = جميل بثينة.
- جندب (في شعر): ٢٢٤.
- جنوب: ٤٨٧.
- أبو جهل: ١٣٩.
- جواس بن قطبة العذري: ١٠٤٣.
- جواس بن القعطل الكلبي: ١٠٤٣.
- جوي (في شعر): ٦٩٠، ٦٩١، ٦٩٢.
- جويرية بنت الحارث: ٧١٨.
- أبو الجويرية = حطان بن خفاف بن زهير.
- جوين (في شعر): ٣٢٢، ٣٢٣.
- (ح)
- حاتم (في شعر): ١٠٢٣.
- أبو حاتم: ٩١٢، ١١٢٤.
- حاتم الطائي: ٩١، ١٢٤، ١٨٦، ٤٦٣، ١١٥٧، ١٠٢٦، ١٠٢٥.
- حاتم بن عبد الله = حاتم الطائي.
- الحارث بن الأسود: ٧٤٧.
- الحارث بن أبي شمر الغساني: ٦٢٣.
- حارث بن عمرو: ١٠٠٠، ١٠٠١.
- الحارث بن كعب: ٢٣٩.
- الحارث بن كعب = المثلث الغساني.
- الحارث بن كعب بن ضبة: ٢٣٨.
- الحارث بن همام: ١٠٩.
- حبر (في شعر): ١٠٥٠، ١٠٥١.
- حبيب بن حبر: ٣١٦.
- حبيب بن عوف: ١٢٨٧.
- حبيب بن كعب بن يشكر: ٤٧١.
- حجاج (في شعر): ٢٢٩.
- الحجاج (في شعر): ١٠٤١.
- الحجاج بن يوسف: ١٧٦، ٢٠٥، ٤٨١، ٥٠١، ٧٦٨، ١٠٤١.
- حجر (أبو امرئ القيس): ٨٩.
- حجل بن نضلة: ٤١٣.
- الحجناء: ٦٤٩، ٦٥١.
- حجية بن مضرب السكوني: ٨٢٦، ٨٢٧.
- حذيفة بن بدر الفزاري: ١٤٩.
- أم حرب (في شعر): ٨٨٠.
- حزّي بن ضمرة: ٣٦٢ - ٣٦٥.
- حريث بن عتاب: ١٨٧.
- الحريش: ١٠٧٥.
- حزاق (في شعر): ٧٢٢.
- الحزين الكناني: ١١٣٤.
- الحزين الليثي: ١١٣٤.
- أم حسان (في شعر): ١٢٠٩.
- حسان بن ثابت: ٦٣٩، ١١٣٦.
- حسان بن مالك بن بحدل: ٤٦١، ٤٦٢.
- ابن الحسحاس بن وهب: ١٤٢.

أبو الحسن (الأخفش) = الأخفش .

الحسن بن الأسود: ٧٦٨ .

الحسن البصري: ١٤٧ ، ٥٩٩ .

الحسن بن رجاء بن أبي الضحاك: ١٠٤٨ .

الحسين بن علي بن أبي طالب: ٢٨٤ ، ٦٧٩ .

حصن بن حذيفة: ٦٧٥ .

حصين بن منذر الرقاشي: ٥٧٦ ، ١٠٦٨ .

حطائط بن يعفر: ١٢١٥ .

حطّان بن خفاف بن زهير: ٥١١ .

ابنة حطّان بن قيس: ٥١١ .

حطّان بن قيس بن عمرو: ٥٦٨ .

الحطيطية: ٢٠٨ ، ٢٩٣ ، ١٠٢٠ .

الحَكَم بن زهرة: ١٨٢ .

الحَكَم بن المقداد بن الحَكَم = الحَكَم بن زهرة .

حكيم: ١٠١٥ ، ١٠١٦ .

حكيم بن ضرار الضبي: ١٢٧٩ .

حكيم بن قبيصة بن ضرار: ١٢٧٩ .

حكيم المري: ٧٣٦ .

حمار = علقمة بن النعمان بن قيس .

حمزة بن الحسن: ١٢٠ ، ٢٩٤ .

حمل بن بدر الفزاري: ١٤٩ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ .

حميد بن بحدل: ٣٧٠ ، ١٠٤٥ .

حميد بن ثور: ٩٧ ، ٧٩٠ ، ١٢١٣ .

حندج: ١٩٥ .

حنش بن معبد: ١١١٤ .

أبو حنش الهلالي: ٦٦٧ .

حنظل (في رجز): ٨٨٤ .

حنظلة بن الشرقي = أبو الطمحان القيني .

أبو حنيفة الدينوري: ٧٤ ، ١٠٩٧ .

حوط (في شعر): ٧٢٢ ، ٧٢٣ .

حيّان الطائي: ١٥٧ .

حيّان بن علي بن ربيعة الطائي: ٢٠٩ .

(خ)

خارجة بن ضرار المري: ١٠٠٥ .

الخارزنجي: ٢٢٨ .

خازم النقي: ٣٥١ .

خالد: ٣٠٠ .

ابن خالد (في شعر): ١٢٤٨ .

خالد بن عبد الله القسري: ٦٥٤ .

خالد بن الوليد: ١٠٤ .

ابن خباب (في شعر): ١٠٣٥ .

خدّاش بن بشر = البعث المجاشعي .

خدّاش بن زهير: ٥٥٠ .

خراش بن أبي خراش: ٥٥٥ ، ٥٥٦ .

أبو خراش الهذلي: ٥٥٥ ، ٥٥٦ .

أبو خراشة: ٥٥٥ .

خرقاء (في شعر): ٩٩٥ .

الخريمي: ٧٣٧ .

خسر (ملك فارسي): ٧٤٦ .

خضير بن قيس النميري = أبو حنش

الهلالي .

أبو الخطاب الأزدي: ٨٧٤ .

الخطيم (والد قيس): ١٢٧١ .

خفاف بن حزن: ٣٥ .

خلف الأحمر: ٥٨٦ .

الخليل بن أحمد: ٢٣ ، ٦١ ، ٦٩ ، ٩٨ ،

١٠٦ ، ١٢٠ ، ١٢٣ ، ١٣٠ ، ١٤٠ ،

١٤٤ ، ١٥٠ ، ١٥٣ ، ١٦٨ ، ١٧٣ ،

١٩٥ ، ١٩٧ ، ٢٤٢ ، ٢٥٧ ، ٢٥٩ ،

٢٦٧ ، ٢٦٩ ، ٢٨٧ ، ٢٨٩ ، ٢٩١ ،

(ذ)

ذؤاب الأسدي: ٥٩٧.
أبو ذؤاب الأسدي = رُبَيْعَة بن عبید بن سعد.
ذات النطاقين = أسماء بنت أبي بكر.
أبو ذؤيب الهذلي: ٧٣، ٧٥، ٨٧، ١٧٤، ٣٤٢، ٥٧٨، ٦٥٨، ١٠٩٦، ١١٨٨، ١٢٥٢، ١٢٥٥، ١٢٥٦.
ذفاف (في شعر): ٧٢٢.
ذهل بن ثعلبة: ١٨٧.
ذهل بن شيبان: ١٨٧.
ذو الإصبع العدواني: ١٥١.
ذو البردين = عامر بن أحيمر بن بهدلة.
ابنة ذي البردين: ١١٦٨.
ذو ثات (من ملوك حمير): ٢٤٢.
ذو الرّمة: ٢٨٧، ٥٠٧، ٥٦٢، ٥٩٨، ٨٦٠، ٩٢٦، ٩٥٧، ٩٦٨، ١٠٧٨، ١٢٧٥، ١٣٠١.
(ر)
رؤبة بن العجاج: ٢٤٠، ٢٨٢، ٨٨٦، ١٢٧٣.
الراعي النميري: ٤٩٣، ٥٣٤، ٨٨١، ٨٨٢، ١٠٤٩، ١١٥٦، ١١٨٤، ١١٩٥.
ربيع بن أبي الحقيق: ٨٣٤.
الربيع بن زياد: ٣٣٧، ١١٢٨.
أبو ربيعة عبد عمرو: ٧٠٨.
رُبَيْعَة بن عبيد بن سعد: ٥٩٧.
ربيعة بن عوف = أبو الطمحان القيني.
ربيعة بن مكرم: ٦٣٩، ٦٤٠، ٦٤١.
ردينة: ٣١٩، ٣٢٣.

٢٩٢، ٣٠٦، ٣٣٦، ٣٤٣، ٣٤٧، ٣٧١، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤٣٧، ٤٧٣، ٤٩٣، ٥٠٦، ٥٠٨، ٥١٨، ٥٣٨، ٥٤٨، ٥٨٧، ٦١٥، ٦٢٤، ٦٤٢، ٦٤٧، ٦٧٦، ٦٩٣، ٧٠٢، ٧٧٢، ٧٧٥، ٧٨٧، ٧٨٩، ٧٩٢، ٧٩٩، ٨٠٨، ٨٤١، ٨٦٩، ٨٩٦، ٩٤٣، ١٠٠٥، ١١٢٨، ١١٣٥، ١٢٧٣.
خندف (ليلي امرأة إلياس بن مضر): ٢٨٥.
أبو الخندق الأسدي: ٢٨٩.
خنزر بن أرقم: ١٠٥٣، ١٠٥٥.
الخنساء: ٨٠، ٢٣٣، ٦٠١، ٧٦٦.
خُوَيْلد بن مَرّة = أبو خراش الهذلي.
(د)
ابن دارم: ٣٦٢.
ابن دارة = سالم بن دارة.
داود (عليه السلام): ٢٨٢، ٤٥١، ٥٢٠.
درماء بنت سَيّار بن عبيدة: ٧٥٨.
ابن دريد: ١٩، ٢٧، ٧٨، ٩٣، ١٢٣، ١٣٦، ٢٢٧، ٢٦٥، ٣٦١، ٥٧٠، ٦٩٢، ٧٦٦، ٧٨٧، ٨٠٨، ١٢٢٦.
دريد بن الصمة: ٨٧، ١٠٤، ٥٩٥.
أبو دريد = الصمة الأصغر.
الدريدي = ابن دريد.
دعامة بن طعمة: ٧٠٥، ٧٠٦.
دعبل الخزاعي: ٦٦٧، ٦٩٦، ١٠٦٣، ١٢٨٩.
دعد (في شعر): ٩٥٧.
دغفل النسابة: ١٨٧.
أبو الدقيش: ١٠٠٥.
ابن الدمينية: ٨٥٦، ٩٦٥، ٩٦٩، ٩٩٠.

زميل بن أبير: ١٠٠٤، ١٠٠٥.
 زهير (في شعر): ٥٣٤.
 زهير بن جذيمة العبسي: ٣٢٩، ٣٣٢.
 زهير بن أبي سلمى: ٣١، ٤٩، ٢٢٠،
 ٢٥١، ٢٦٢، ٢٨١، ٣١٨، ٣٢٣،
 ٣٢٩، ٣٦٣، ٣٦٩، ٤٥٢، ٦٧٣،
 ٨٥٧، ١٠٧٨، ١١٠٨، ١١٤٩،
 ١١٧٣، ١٢٥٥.
 زهير بن عمرو: ١٣٨.
 ابن زبابة (سلمة بن ذهل): ١٠٩.
 زياد (في رجز): ١٤٨.
 زياد (في شعر): ١٤٨، ١٠٨٤.
 زياد ابن أبيه: ٤٨١.
 زياد الأعجم: ١٠٧٦، ١٢٦١.
 زياد بن أبي سفيان: ٨٠٠.
 زياد بن عبد الله: ٣٣٧.
 زياد بن عمرو العقيلي: ٤٦٠.
 زياد بن عمرو بن محرز: ٤٦٠.
 زياد بن منقذ: ٩٧٢.
 زيد (في شعر): ٢٦٥، ٧٢٢.
 أبو زيد: ١٢٠، ١٣٤، ٣٠٤، ٣٢١،
 ٣٢٦، ٣٢٨، ٣٣٣، ٤٣٠، ٤٦٥،
 ٤٨١، ٥٥٨، ٧٥٠، ٩٥٤، ٩٥٧،
 ٩٧٩، ١٢٩٨، ١٣٠٧.
 ابن زيد (في شعر): ١١٢٩، ١١٣٠.
 زيد بن ثابت (رجل من بني السَّيِّد بن
 مالك): ١٠٢٣.
 زيد بن حصين: ١١٧٥.
 زيد بن الخطاب: ١٣٥.
 زيد الخيل: ٧٤٤.
 زيد بن عمرو: ٥٩٥.
 زيد الفوارس: ٧١٣، ١١٧٥.

رسول الله ﷺ = محمد بن عبد الله.
 الرشيد = هارون الرشيد.
 الرماح بن أبرد = ابن ميادة.
 الرماح بن يزيد = ابن ميادة.
 أبو رمح الخزاعي: ٢٧٨.
 رملة (في شعر): ٤٣٠، ٩١٥.
 رميم: ٩١٩.
 رُهم (في شعر): ١٢١٥.
 ريثا (ابنة عم الضمة بن عبد الله): ٨٥١.
 أبو رياش: ١٩٧، ٢٣٧، ٢٤٨، ٢٩١،
 ٣٤٣، ٥١٧، ٥٣١، ٥٦٨، ٧٢٦،
 ٧٥٨، ٧٦٤، ٧٦٨، ٧٧٣، ٨٣٤،
 ٨٦٠، ٨٦٥، ٩٦٩، ١٠٢٣، ١١١٠.

(ز)

الزبَاء: ٤٦٧.
 زبآن بن العلاء: ١٢٤٢.
 الزبرقان: ٥٧٥، ٧٤٧.
 الزبرقان بن بدر: ١٠٥٨، ١٠٥٩.
 أبو زبيد: ١٧٢.
 الزبير: ١٩٣.
 ابن الزبير = عبد الله بن الزبير.
 الزبير بن العوام: ٢٨٥، ٦٩٣.
 الزجاج = أبو إسحق الزجاج.
 زرارة (في شعر): ١٠٦٢.
 زرارة بن عدس: ١٠١١، ١٠٢٥.
 أم زرع: ٧٦.
 زفر بن الحارث: ٤٦٠.
 زفر بن أبي هاشم بن مسعود: ١١٦١.
 أبو زكريا: ١٦١.
 زكيرة (في شعر): ٧٢٤.
 زمعة بن الأسود: ٦١٧.

زيد مناة (في شعر): ٧٢٢، ٧٢٣.

زينب (في شعر): ٩١٠.

زينب بنت الطثرية: ٨٠٦.

(س)

سابور (ملك فارسي): ٧٤٦.

ساعدة الهذلي: ٣٠٣.

سالم بن دارة: ٢٧٨.

سالم بن قحطان: ١٢١١.

سالم بن مسافع بن يربوع = سالم بن دارة.

سبرة بن عمرو: ٤١٣.

سحابة (في شعر): ١٢٩٥.

سحيم بن وثيل الرياحي: ٧٤٢.

سعاد: ٤٣٢.

سعد (في شعر): ١١٤٦.

ابن سعد (في شعر): ٧٤١.

أُم سعد (في شعر): ٤٧١، ٦٥٧.

سعد الطلائع (رجل من الروم): ٣٤٣.

سعد بن قرط: ١٣٠٣.

سعد بن مالك بن ضبيعة: ١٠٠٧.

سُعدى (في شعر): ٩٩٠.

سعيد (في شعر): ١٢٤٨.

ابن سعيد: ٦٠٦.

سعيد بن سلم: ٨٨٢.

أبو سعيد الضيرير: ٣٥.

سعيد بن العاصي: ١٧٩.

سعيد بن مسعدة: ٦٤٥.

السَّقَّاح (أبو العباس): ١٢٠٤.

أبو سفيان (في شعر): ٥٩٩.

السَّكْرِي: ٦٤٢.

ابن السَّكَيْت: ٧٠، ٣٠١، ٣٢١.

سلامة بن جندل: ٢٠، ٩٦٣.

سلامان القضاعي: ١١٢١.

أبو سلمى: ٣١٢.

أُم سلم (في شعر): ١٢١٩.

سلمى (في شعر): ٧٥، ١٠٦٦.

سلمى بنت خشرم: ٣٣٣.

سلمة بن الخرشب: ٥١٤، ٥١٥.

سلمة بن ذهل = ابن زِيَابَة.

سلول بنت ذهل بن شيان: ٨٠٠.

السليك بن السليكة: ٦٤٥.

أُم السَّليك بن السليكة: ٦٤٥.

سليمى (في شعر): ٨٩٧.

سليمى أُم متشر: ١٠٣٥.

سليمان بن عبد الملك: ١٠٦٧، ١٢٤٧.

السمهري: ٣٢٥.

سمية: ٤٢٢، ٤٢٣.

سنان (اسم رجل في شعر): ٢٧٦.

سهلة: ١١٣٨.

سواد بن عمرو: ٥٩٣.

سويد بن صميص المرثدي: ٩٣.

سيار (في شعر): ٢١٨، ٢١٩.

سيويه: ٢٢، ٣٢، ٤٢، ٦٨، ٩٩، ١٤٨.

١٦٦، ٢٥٨، ٢٧٤، ٣٤٧، ٤١٦.

٤٢٠، ٥٠٥، ٥٢٩، ٥٨٧، ٦٩٤.

٧٥٧، ٧٨٧، ٧٨٨، ٨٧٤، ٨٨٣.

٨٩٦، ٩٠٨، ٩٣٠، ١٠٥٠، ١٠٩٢.

١٢٥٢، ١٢٧٣، ١٣٠١.

(ش)

شبل بن عتيبة بن بجير: ١٠٩٠، ١٠٩١.

شبيب بن عمرو بن كريب: ٤٤٧.

صريع الغواني = مسلم بن الوليد.

ابن صفوة: ١٠٢٢.

صفية بنت حيي: ٧١٨.

صفية بنت عبد المطلب: ٣١١.

صلهب (في شعر): ١١٤٦.

صنان بن عباد الشكري: ٥٦٨.

(ض)

ضحاك (أبو أنس): ٥٥٢.

الضحاك بن سفيان: ١٠٤٤.

الضحاك بن قيس الفهري: ٤٦٠، ١٠٤٤.

ضرية بنت ربيعة بن نزار: ٦٠٧.

ضمرة (في شعر): ٧٩٧.

ضمرة بن ضمرة: ١٧٣، ١٧٤.

(ط)

ابن الطثرية = يزيد ابن الطثرية.

طرفة بن العبد: ٥٠، ٨١، ٨٧، ١٥٠،

٣٥٥، ٣٧٤، ٥٠١، ٦٢٣، ٦٨٥،

٨٩٣، ٨٨١، ٨٠١.

الطرماح = الطرماح بن حكيم.

الطرماح بن جهم السنيسي: ١٠٣٩.

الطرماح بن حكيم: ٨٩١، ١٠٣٩، ١٣٠١.

ابن طريف (في شعر): ٦٤٩.

طريفة (في شعر): ١٢١٧.

طفيل الغنوي: ٩١.

الطفيل بن مالك: ١٠٤٤.

(ع)

عائشة بنت أبي بكر: ٢١٢.

عاتكة بنت أنيس الأشجعي: ٦٣٦.

عاتكة بنت زيد بن عمرو: ٩٥١.

شجنة (اسم رجل في شعر): ٢٧٦.

شريح بن شرحبيل بن عمرو = الحُطَم.

شريح بن مسهر: ٢٩٦، ٢٩٧.

شريك بن حذيفة: ١٥.

الشعبي: ١٥١.

أبو الشغب العبسي: ١٩٧.

شغب بن عكرشة: ٧٣٠.

شقران مولى سلامان: ١١٢١.

الشمخ بن ضرار: ١٩٧، ٢٤٩، ٣٢٦،

١٢٧٥.

شماس بن أسود: ٣٦٨.

شمر بن عمرو الحنفي: ٦٢٣.

الشمردل بن شريك: ٤٧٢، ٦١٤.

شمس بن مالك: ٧٠.

شمط = حطان بن قيس بن عمرو.

شمط بن عبد الله الشكري: ٥٦٨.

شملة بن برد المنقري: ٤٩٧، ٤٩٨.

شملة المنقري = شملة بن برد المنقري.

الشنفرى: ٥١٣، ٥٣٧، ٥٨٧.

شهل بن شيان = الفند الزماني.

الشياني: ٦٧٥.

أبو الشيص الخزاعي: ٩٦١.

(ص)

صاحب العين = الخليل بن أحمد.

صالحة بنت أبي عبيدة: ٨٧٣.

صخر (أخو الخنساء) = صخر بن عمرو بن

الحارث.

صخر بن عمرو بن الحارث (أخو الخنساء):

٩٨٨.

صخرة (في شعر): ١٠٣٥.

- عارض بن الصمة: ٥٧٥.
 عارق الطائي: ٧٢٧، ١٠١١.
 أم عاصم (في شعر): ١١٠٠.
 عاصم بن خليفة: ٧١٦.
 عاصم بن خليفة الضبي: ٤٠٤.
 عامر (في شعر): ٧٢١.
 أم عامر: ٣٤٧.
 عامر بن أخيمر بن بهدلة: ١١٦٨.
 عامر بن تيم اللات: ٣٦٣.
 عامر بن الحارث = جران العود.
 عامر بن الظرب: ١٥١، ١٥٢، ١٨٧.
 أبو عبادة: ٦١٣.
 العباس بن الأحنف: ٦٣٦.
 أبو العباس الأعمى: ٤٩٨.
 أبو العباس = ثعلب.
 ابن عباس = عبد الله بن عباس.
 أبو العباس = المبرّد.
 أبو العباس المبرّد = المبرّد.
 العباس بن مرداس السلمى: ١٠٤، ١١٨،
 ٤٤٥، ٧٧١.
 العباس بن محمد بن علي: ٩٦٣.
 عبد بن حنتر: ٣١٦.
 عبد الله (في شعر): ٥٧٩، ٧٢٢، ١١٣١.
 ابنة عبد الله (في شعر): ١١٦٨.
 عبد الله بن أيوب التيمي: ٦٧٠.
 عبد الله بن أبي بكر: ٧٧٣.
 عبد الله بن جعفر بن محمد الصادق: ١٢٢٨.
 عبد الله بن خازم: ٤٦٢.
 عبد الله بن الزبير: ٣٣٢، ٤٦٠، ٤٦١،
 ٧٦٨، ١٠٤٤، ١٠٤٥، ١٠٤٦،
 ١٢٥٧.
 عبد الله بن سالم الخياط: ١١٤٠.
 عبد الله بن الصمة القشيري: ٥٨٢،
 ٧٧٩.
 عبد الله بن عباس: ١٥١، ٥٣٨، ٦٨٠.
 عبد الله بن عبد الرحمن: ١٠٦٣.
 عبد الله بن معديكرب: ١٥٩، ١٠٨.
 أبو عبد الله المفجع = المفجع.
 أبو عبد الله = النمري.
 عبد الله بن همام السلولي: ٨٠٠.
 عبد الرحمن بن حسان بن ثابت: ٤٨٦.
 عبد الرحمن بن الحكم: ١٠٤٦.
 عبد الرحمن بن قطبة = المثلم البلوي.
 عبد الصمد بن المعتدل: ١٩٨.
 عبد العزيز بن زرارّة: ٢٠٢.
 عبد الملك بن مروان: ٣٣٢، ٤٦١، ٥٣١،
 ٦٦٤، ١٠٤٥، ١٢٤٦.
 عبد الواحد (في شعر): ١٢٦٢.
 عبد يغوث الحارثي: ٥٨٣.
 عبدة بن الطيب: ٦٢٢.
 عبيد بن حصين بن جندل = الراعي
 النميري.
 عبيد الله: ٧٤٩.
 عبيد الله بن زياد: ٨٠٠.
 عبيد الله بن قيس الرقيات: ٥٤٠، ٥٨٨.
 عبيدة (في شعر): ٥٤٩.
 عبيدة (في شعر): ١٣٠٩.
 أبو عبيدة: ١٣٨، ١٩٧، ٢٨٧، ٣٣٠،
 ٤٠٦، ٥٥٦، ٦٠٩، ٦٧٥، ٧١٨،
 ٨٤٠، ١٢٠١، ١٣١٥، ١٣١٧.
 أبو عبيدة بن عبد الله بن زمعة: ٧٢٦.

- أبو عبيدة (معمربن المثنى): ٢٢، ١٦١.
أبو العتاهية: ١٠٦٥.
عتبان بن توسعة: ٦٧١، ٦٧٢.
عتيبة بن الحارث: ٣٣.
عتيبة بن الحارث بن شهاب: ٥٩٧، ٥٩٨.
عتيبة بن مرداس: ٩١٧.
ابن أبي عتيق: ٩٢٦.
عثمان بن عفان: ٢١١، ٢١٢، ٥٣٤.
أبو عثمان الحارثي: ٨٦، ٢١٦، ١٣١٥.
العجاج: ٦٦٥، ٧٤١.
العجلي = أبو النجم العجلي.
عذاء (في شعر): ٦٢٥.
العدان (من بني أسد): ٦١٥.
ابنة العدوي: ١١٧٩.
عدي بن ربيعة = مهلهل.
عدي بن الرقاع: ٩٠٤.
عدي بن زيد: ٨٣، ٨٨، ١٧٤، ٦٨٩، ٧٩٣.
عدي بن عمرو: ٢١٠.
عراجة (في شعر): ١٠٨١.
عرار (في شعر): ٢٠٣، ٢٠٤.
العرجي: ٧٥٤.
عرفان: ٢٢٥.
عرقوب (في شعر): ٩١٤.
عروة بن أذينة: ٨٦٥.
عروة الصعاليك = عروة بن الورد.
عروة بن مرة: ٥٥٥.
عروة بن الورد: ٩١، ١١٠٢.
عزة: ٩٥٧.
الريان بن الهيثم: ٦٦٤.
العصماء: ٢٣٤.
- عصيمة بن عاصم بن جويرية: ٣٥.
عقال بن خويلد: ١٠٢٠.
عقال بن هاشم: ١٠٣٣، ١٠٣٤.
عقبة بن زهير: ٤٨٧.
عقيل (في شعر): ١٠٠٢.
ابن عقيل (في شعر): ٦٩٧.
عكب (صاحب سجن النعمان) = عكب بن عكب التغلبي.
العكلي: ١١٩٧.
أبو العلاء: ١٩٩، ٦٤٥.
أبو العلاء العقيلي: ١٢٩٠.
أم العلاء (امراة مويك المزموم): ٦٣٨.
علقة: ٧٠٦.
علقمة بن ذي يزن الحميري: ٢٤٠.
علقمة بن سيف العتابي: ١١١٣، ١١١٤.
علقمة بن شيان بن عدي: ٩٨.
علقمة بن عبدة: ٤٥٦.
علقمة بن النعمان بن قيس: ٥٦٨، ٥٦٩.
أبو علقمة اليعمري: ١٢٨٧.
أبو علي: ١٠١٢، ١١٩٣.
علي (في شعر): ٧٥١.
علي بن الحسين بن علي: ١١٣٤.
علي بن أبي طالب: ٢٤١، ٢٩٤، ٤٤٧، ٤٤٨، ٥٦٩، ٦١٥، ٦٧٨، ٧٧٣، ١١٣٤.
أبو علي الفارسي: ٢٦٣، ٢٨٨، ٥٤٦، ٩٨١.
علي بن مهدي الكسروي: ٢٩٤، ٨٨١.
عمارة بن زياد: ٣٣٧، ١١٢٨.
عمارة بن عقيل: ٩١٢.

عمرو بن المنذر ابن ماء السماء: ١٠١١.
 عمرو بن هند: ٢٨٢، ٣٧٦، ٦١٢، ٧٠٢، ١٠١٢، ١٠٢٤.
 عمرو بن يثربي: ٢١٠.
 عمير بن شسيم = القطامي.
 عميلة الفزاري: ١١١٠.
 العنبر بن مازن: ٢٢٩.
 عترة بن الأخرس = عترة بن عكبرة.
 عترة بن شداد: ٨٧، ١٠٨، ١١٥، ١١٧، ١٢٢، ١٢٦، ١٣٧، ٢٣٣، ٣٤٦، ٣٧٩، ٣٩٩، ٨٥٤، ٨٧٩، ١٠٦٨.
 ابن عتقاء الفزاري: ١١١٣.
 ابن أبي العوجاء عبد الكريم: ٦١٠.
 عوف بن بدر: ٤٠٧.
 عوف بن سعد: ٥٢٢.
 عوف بن كعب: ١٠٥٨.
 عوف بن مالك بن ضبيعة = البرك.
 عويج (في شعر): ١٠٣٥.
 عويف القوافي: ١٨٢، ١٠٧.
 أبو العيال الهذلي: ١٢٠٠.
 عيسى بن عمر الثقفي: ٦١١.
 عينة بن أسماء: ١٩١.
 (غ)
 أبو الغول: ١٠٣.
 غيث (رجل من طيء): ١٧٢.
 غيلان = ذو الرمة.
 (ف)
 فاطمة بنت الخرشب: ٣٣٧.
 فذكتي (رجل من بهراء): ١١١٣.
 الفزاء: ٦٧٨، ١٣٠٨.

عمر بن الخطاب: ١٨٧، ٣٢٢، ٤٠٤، ٦١٦، ٧٦٤، ٧٧٣، ٧٧٦.
 عمر بن أبي ربيعة: ٢٩٣، ٤٥٧، ٩٥٩، ١١٤٤.
 أبو عمر الزاهد: ٦٧٨.
 عمر بن عبد العزيز: ٢٨٢.
 عمر بن عبيد الله بن معمر التيمي: ١٢٤٩، ١٢٦١.
 عمر بن هيرة الفزاري: ٥١٧.
 أبو عمرو: ٣٢٠، ٥٩٢، ٦١٠.
 عمرو (في شعر): ١٠٦، ٦٠٨، ١١١٢.
 ابن عمرو (في شعر): ١٢٦٣.
 أم عمرو (في شعر): ٨٦٧، ٩٤١.
 عمرو بن الأيهم: ٩٦٩.
 عمرو بن الحارث (ابن جفنة): ١٠١١، ١٠١٢.
 عمرو بن حمزة الدوسي: ١٥١.
 عمرو بن الخليل: ١١٢٥.
 عمرو بن الصلتان: ٨٥٠.
 عمرو بن عبد وُد: ٥٦٩.
 أخت عمرو بن عبد وُد: ٥٦٩.
 أبو عمرو بن العلاء: ١٢٤، ٢٤٩، ٣٠٦، ٩١٢.
 عمرو بن كلثوم: ٨٢، ٣٣٣، ٣٨٤، ٧٤٢، ٨٩٥.
 عمرو بن مالك بن ضبيعة: ١٥٤.
 عمرو بن محرز: ٤٦٠.
 ابن عمرو بن مرثد: ٣٦٣.
 عمرو بن مسعود بن عبد مرارة: ١٧٥.
 عمرو بن معديكرب: ٢١، ٨٣، ١٢٩، ١٣٩، ١٥٩، ٢٩٧، ٣٢٢، ٦١٦، ١٠٨٢.

قيس بن زهير: ٣٢٥، ٣٢٨، ٣٣٢، ٣٤٤، ٣٤٥.

قيس بن زهير بن جذيمة: ١٤٩، ٣٣٢.

قيس بن ضرار بن القعقاع: ٧٧٨.

قيس بن عاصم: ٥٦٠، ٥٦١.

قيس بن مالك بن منقذ بن طريف: ١٧٩.

قيس بن مسعود بن عامر: ٦٢٣.

قيس بن معديكرب: ٥٣١.

قين (اسم رجل في شعر): ٣٢٣.

(ك)

كبشة (أخت عمرو بن معديكرب): ٢١، ٢٢، ٦٧٦.

كُثَيْر عَزَّة: ٥٢٩، ٥٣١، ٧٧٩، ٨٦٧، ٨٨١، ٩٢٦.

أبو كدراء العجل: ١٢٠٥.

أُم كدراء (في شعر): ١٢٠٥.

أبو كرام التميمي: ٤٧٧.

الكرووس بن زيد بن الأخزم = الكرووس الطائي.

الكرووس الطائي: ٢٣٥.

الكسائي: ٣٢٥، ٦٧٨.

الكسروي: ٨٨١.

كعب (في شعر): ٩٣، ١٠٦٨.

كعب: ١١٤٧.

كعب بن سعد: ١٠٩١.

أُم الكلاب (في شعر): ١٢٢٠.

الكلابي: ٢٨٨.

الكلبي: ٦٧٥.

كلجة اليربوعي: ٣٩١.

كليب وائل: ٦٥٥، ٦٥٦.

الكُميت: ٤٢، ٤٩١، ٨١٤، ١٢٦٠.

الفرزدق: ٣٢، ٨١، ٢٢٩، ٢٥٩، ٣٧٨، ١٠٠٧، ١١٣٤، ١١٦٢.

فروة بن مسعود: ٦٢٣.

بنت فروة بن مسعود: ٦٢٣.

الفزر (سعد بن زيد): ٢٣٧.

الفضل بن الأخضر: ٤١٩.

أبو الفضل ابن العميد: ٧٠٣.

الفند الزماني: ٢٧.

(ق)

أبو قابوس (في شعر): ١١٤٨.

أبو قابوس = النعمان بن المنذر.

أبو القاسم (في شعر): ٦٩٦.

قيصة بن ضرار: ٧٣٧، ٧٣٨.

قتادة بن مغرب الشكري: ١٠٦٠.

ابن قَتَّة = سليمان بن قَتَّة.

قتيلة بنت الحارث بن النضر: ١٢٥٥.

أُم القديد: ١٢١.

قراد بن العيار بن محرز: ٤٧٥.

قرط (في شعر): ٤٢٧.

قرط (رجل من سنس): ٤٢١.

قرواش ابن ليلي: ٧٢١.

قصير: ٤٦٧.

القطامي: ١٠١، ١٤٦، ٥٤٦، ٧٠٥، ٧٩٠، ١١٩٩.

قطرب: ٢٤١، ٤٠٩.

أبو قطيفة عمرو بن الوليد بن عقبة: ٨٨٩.

ابن قعقاع (في شعر): ٦٢٦.

قيس بن جروة = عارق الطائي.

قيس الحافظ (ابن زياد): ٣٣١.

قيس بن حسان بن عمرو: ٣٦٣.

قيس بن خالد الشيباني: ١٥١.

ابن كناسة: ٧٤٠، ٨٢٦.

ابن كوز (يزيد بن حذيفة بن كوز): ١٧٦.

(ل)

لا بواكي له (أخو تأبط شراً): ٥٧.

اللاحقي: ٢٨٨.

أبو لؤلؤة (فتى المغيرة بن شعبه): ٧٦٤، ٧٦٥.

ليبد: ١٠٥٨.

ابن أبي ليبد: ٢٨٩.

ليبد بن ربيعة: ٧٥، ١١١، ٢١٢، ٢١٧، ٢٣٤، ٢٦٨، ٢٩٦، ٣٥٢، ٣٦٢، ٣٦٤، ٥٢٤، ٥٤٨، ٦٩٠، ٧٩٣، ٩٨٢، ١١٣٠، ١٢٠١، ١٢٧٦.

لقمان الحكيم: ٨٥٠.

ليلي (في شعر): ١٨١، ٣٣٠، ٤٣٠، ٨٥٥، ٨٥٨، ٩٠٥، ٩١٨، ٩٢٢، ٩٢٣، ٩٢٦، ٩٣٤، ٩٣٦، ٩٥٧.

ابن ليلي (في شعر): ٦٣٢، ١١٩٤.

أبو ليلي (في شعر): ٩٣١.

ليلي الأخيلية: ٩١٩.

ليلي العامرية: ٩١٩.

(م)

ماء السماء (أم المنذر بن امرئ القيس): ١١٦٨، ٦٢٣.

ماء السماء النمرية: ٦٢٣.

مؤثر (ابن أخي زويفر بن الحارث): ٧١٥.

مؤرج السدوسي: ١٩٩.

مازن بن مالك بن عمرو: ٢٠.

ابنة مالك (في شعر): ١١٦٨.

أم مالك (في شعر): ٩٢١.

مالك بن حذيفة: ١٥.

مالك بن حزي: ٦١٥.

مالك بن الرب: ٢٥٩.

مالك بن زهير: ١٤٩، ٣٢٥.

مالك بن زهير العبسي: ٧٠٠، ٧٠١، ٧٠٢.

مالك بن عمير بن أبي زراع: ٥٨١.

مالك بن عوف النصري: ١٠٤.

مالك بن مسمع: ١٠٧٧.

مالك بن نويرة: ٥٦٥، ٥٦٦.

المأمون العباسي: ٢٠٥، ٦٧٨.

مأوى الصعاليك = أشيم بن شراحيل.

المبرّد: ٣٣، ٦٨، ١٢٠، ٣٣٦، ٤٩٣، ٤٩٥، ٥٥٦، ٧٥٧، ١٠٩٤، ١٢٨٧.

الملتقى: ٢٥٦، ٤٥٨، ٤٦٩، ٥٧٧.

المتمطر (أخو المنذر جد النعمان): ١٠١.

متمم بن نويرة: ٨٧، ١٠٧٤، ١٠٨٩، ١٢٢١.

المتنبي: ٢٤٦.

المتنخل الهذلي: ٧٠١.

المتش (في شعر): ٥٤٩.

أم محارب (صاحبة النابغة الجعدي): ٧٤٣.

محارب ابن النابغة الجعدي: ٧٤٣.

أبو محجن الثقفي: ٧٧٣.

أبو محذورة: ٧٤٩.

ابن محرز: ٤٩٨.

محرز بن المكعب الضبي: ٤١٢.

محرق (أحد ملوك لخم): ٢٨٢.

محرق (عمرو بن هند) = عمرو بن هند.

محصن (في شعر): ٢١٣.

أم محمد (في شعر): ١٢١٣.

أبو محمد الأعرابي: ١٧٦، ١٨٧، ٢٤٤، ٥٩٧، ٧٦٤.

محمد بن بشير الخارجي: ٧٢٦، ١١٢٠.
محمد بن حبيب: ١٢٩١.

محمد بن عبد الله ﷺ: ١٠٤، ١٣٩، ١٧٧، ٢٨٠، ٣٦٤، ٤٠٠، ٤٤٨، ٥٥٧، ٦١٧، ٦٧٨، ٦٧٩، ٦٨٠، ٦٨١، ٦٨٢، ٦٨٣، ٧٠٩، ٧١٥، ٧١٦، ٧١٨، ٧١٩، ٧٦٧، ٧٧٣، ٩٨٤، ٩٩٦، ١٠٦١، ١١٢٣، ١١٣٥، ١٢٥٩، ١١٦٩.

محمد بن عبد الله بن رزين = أبو الشيص الخزاعي.

محمد بن عميرة = المقنق الكندي.
محمد بن مروان: ١٢٥٧.

محمد بن وهيب: ٦٧٨.
مخارق: ٧٠٩.

المدائني: ١٢٠٤، ١٢٧٩.

مدرك (في شعر): ٧٦٢، ٧٦٣.
المزار: ٤٧٣.

المرزوقي: ٥١٩.

المرقش: ١١٠٤، ١٢٠٢.

مرة بن عذاء الفقعي: ١٥٦.
ابن مرهوب: ٣٩٨.

مروان بن الحكم: ٤٦٠، ٤٦١، ١٠٤٣، ١٠٤٦.

مزرد بن ضرار: ٤٦٢، ٧٦٤.

مساور بن هند: ١٠١٣.

المستوضح (رجل من بني قنفذ): ٧٦٨.
مسعود: ١٠٢١.

مسعود (في شعر): ٧٠٨، ١٠٢١.

مسكين الدارمي: ١٢٠٦.

مسلم بن الوليد: ٧٤٦.

مسلمة بن عبد الملك: ١٢٥٨.

أبو مسمع (في شعر): ٧٨٧.

مسيلم الكذاب: ١٠١.

مصعب بن الزبير: ٨٠، ١٢٥٨.

معاوية بن أبي سفيان: ١١١، ١١٢، ١٨٧، ٢٠٢، ٤٦١، ٥٣٨، ١٠٤٣.

معاوية بن عمرو بن الحارث: ٧٦٦، ٧٦٧.

معاوية بن مالك = معوذ الحكماء.

معاوية بن يزيد: ٤٦١.

معبد (في شعر): ٧٥٢.

معن (في شعر): ٤٣٦، ٦٥٩.

معين الأسدي: ٧٤٦.

ابن مغرب = قتادة بن مغرب اليشكري.

مغلّس بن حصن الفقعي: ١٠٦٦.

المغيرة بن شعبة: ٧٦٤.

المغيرة بن أبي صفرة: ١٩٣.

المفجع: ٨٥٤.

المفجع (أبو عبد الله): ٨٥٤.

أبو المقدام (في شعر): ٦١٣.

مقروم بن جابر بن خالد: ٧٩٧.

المقضي الباهلي: ٧٦٨.

المقنق الكندي: ٧٢٣.

المكسر بن حنظلة: ٧٤٤، ٧٤٥.

ابن المكفف (في شعر): ١٠٣٥.

منازل بن فرعان بن الأعرف: ١٠١٠.

منبه بن الحجاج: ٧١٨.

المنخل بن مسعود بن عامر = المنخل اليشكري.

المنخل اليشكري: ٣٧١.

المنذر بن امرئ القيس (ابن ماء السماء):
١١٣، ٦٢٣، ١١٦٨، ١٢٢٣.

المنذر ذو القرنين = المنذر بن امرئ القيس (ابن ماء السماء).

المنذر ابن ماء السماء = المنذر بن امرئ القيس.

المنصور = أبو جعفر المنصور.

منصور بن زياد: ٦٧٠.

المهدي العباسي: ٦٦٧، ١١٤٠.

المهلب بن أبي صفرة: ١٩٣، ٢٠٥، ١٢٨٧، ٢٢١.

نهلهل: ٤٢٠.

مهلهل بن ربيعة: ١٣٧، ١٤٠، ٤٢٠.

موسى (عليه السلام): ٤٠٦.

موسى بن جابر الحنفي: ٢٣٧.

مي (في شعر): ٩٢٦، ٩٣٢، ١٢١٥.

ميسون (أخت المقصص الباهلي): ٧٦٨.

ميسون بنت مالك بن بحدل: ٤٦١.

ابن ميصه: ١٠٥٨.

ابن مية: ١٠٥٨.

مية (صاحبة ذي الرمة): ٩٥٧، ١٠٧٨.

(ن)

نائلة (في شعر): ١٠٠٦.

النايفة الجعدي: ٥٧١.

النايفة الذبياني: ٣٠، ٩١، ١١١، ٢٤٨،

٢٧٨، ٢٩٩، ٣١٢، ٣٣٩، ٤٤٨،

٤٨٠، ٦٧٥، ٦٨٢، ٦٩٤، ٧٠٢،

٧١٧، ٧٧٤، ١٠٩٨، ١١٥٠، ١٢٥٤،

١٢٩٣.

ابن ناشرة (في شعر): ٦٩٥.

نيهان بن عمرو بن الغوث: ٤٤٨.

النبي ﷺ = محمد بن عبد الله.

نجم بن الأرقط: ٤٨٥.

أبو النجم العجلي الراجز: ١٠٧، ٤١٥، ١١٢٧، ١٢١٦.

أبو الندى: ٥٨٦.

نذير بن بهثة بن وهب: ٤٧٠.

نُصيب: ٤٥٠، ٩٠٤.

نُصيب بن رياح: ٤٥٠.

النضر بن الحارث بن كلدة: ٦٧٩، ٦٨٠، ٦٨١.

نضلة الأسدي: ٣٠٢، ٣٠٣.

نعامة = ييهس (رجل من بني فزارة).

ابن نعمان: ٤٠٧.

النعمان بن المنذر: ٤٦٩، ١١٤٨.

النمري: ٥٨٦.

أبو نمير (عم هذبة بن الخشرم): ٣٣٧.

ابن أبي نمير القتالي: ٢٩١.

ابن أم نهار = جواس بن نعيم (من بني الهجيم).

النهس بن ربيعة العتكي: ١٢٣٦.

نهل بن حرّ: ٢٦٠، ٢٨٣.

أبو نواس: ٥٥٦، ٦٩٨، ٧٧٩، ٩٠٧، ١٠٦٥.

نُوس (اسم رجل): ٣٦٢.

(ه)

ابن هبيرة: ٥٦٦.

هذبة بن خشرم: ٤١٢.

الهذلي: ٣١، ٤٧، ٥٧، ٧٣، ١٠٥،

١٨١، ١٨٥، ١٨٧، ٢٢٠، ٣٠٣،

٣١٢، ٣٤٤، ٤٤٢، ٤٧٩، ٥٠٩،

٦٨٣، ٩٢٠، ١٢٠٣، ١٢٦٨.

الهذيل بن هبيرة: ٧٢٠.

هرم بن قطبة بن سيار: ١٨٧.

ابن هرمة: ٥٧، ٣٨٦، ٨٧٤، ٩٦٣.

هشام بن عبد الملك: ٣٣٥، ٩١٢، ١١٣٤.

هشام بن محمد بن السائب الكلبي: ١٠١١.

أبو هلال (في شعر): ٧٠٨.

هلال (رجل من بني سمال بن عوف):

٧٦٨.

أبو هلال العسكري: ١٨٢، ٢٠٩، ٢٣٥،

٣٣٥، ٤٤٧، ٤٧٥، ٦٧٠، ١١٤٠.

هلال بن مرزوق: ١٠٥٨.

هقام بن أهبان: ٧٤٥.

هقام بن غالب = الفرزدق.

هقام بن قبيصة النميري: ٤٦٠.

هند (في شعر): ٢٥٥، ٩٣٦.

هند (أم عمرو ابن هند): ١٠١١.

هند (أم محمد بن عبد الله بن الحسن):

٦٤٥.

هند بنت المنذر ابن ماء السماء: ١٠١١.

(و)

وائل بن صريم: ٣٧٦.

ابن واقع = مزة بن واقع.

والبة بن الحباب: ١٠٦٥.

وتيرة بن سماك: ٦٦٢.

أبو وجة: ١٠٧٠.

وحوح: ٧٤٣.

وذاك بن سنان بن ثميل: ٩٥.

ورد بن حابس: ٣٠٢.

وضاح اليمن: ٤٥٦.

أم الوليد (في شعر): ١٢١١.

الوليد بن أدهم: ٦٥٣.

الوليد بن عبد الملك: ١٠٦٧، ١٠٦٨.

الوليد بن عتبة بن أبي سفيان: ٣٣٩.

وهب بن أعيا بن طريف الأسدي: ١٨٦.

(ي)

يحيى بن زياد: ٦٠٣، ٦١٠.

اليربوعي: ٦٧٥.

يزيد (في شعر): ٢٧٥.

يزيد بن حاتم بن قبيصة: ١٢٣٥.

يزيد بن حذيفة: ٧٥٤.

يزيد بن حنظلة = المكسر بن حنظلة.

يزيد ابن الطثرية: ٧٣٢، ٧٣٣.

يزيد بن عبد الملك: ١٢٣٢، ١٢٣٣.

يزيد بن عمرو الطائي: ٦٧٥.

يزيد بن قنافة: ١٠٢٣.

يزيد بن معاوية: ٢٨٤، ٤٦١، ١٠٤٣،

١٠٤٤.

يزيد بن المتشر = يزيد ابن الطثرية.

يزيد بن المهلب: ١٩٣، ١٩٤.

يعقوب بن داود: ٦٦٧.

يعقوب بن سلامة: ١٣٠٨.

يوسف (عليه السلام): ٣٢٩.

يوسف بن عمر: ٦٥٤، ١٣٠٤.

يونس (النحوي): ١٠٠٦.

١٠ - فهرس القبائل والبطون... الخ (*)

(أ)

بنو أبي سود بن مالك : ٢٨.

بنو أئانة بن مازن : ٣٥.

الأحامس : ١٣.

الأحامس = بنو عامر بن صعصعة.

أحمس (من ضبيعة بن ربيعة) : ٤٧٠.

بنو أخزم : ٢٠٩ ، ١٠٢٦.

الأزد : ١١٤٧.

بنو أسد : ٨٩ ، ١٢٤ ، ١٤٢ ، ١٤٤ ، ١٨٥ ،

١٨٦ ، ٢٠٢ ، ٢١٦ ، ٢٦٤ ، ٣١٣ ،

٣١٨ ، ٤٣٥ ، ٤٣٦ ، ٦١١ ، ٦١٨ ،

٦٥١ ، ٦٨٩ ، ٧٤٠ ، ٨١٧ ، ٩٨٧ ،

١٠١٣ ، ١٠٣٧ ، ١٠٥٦ ، ١١٠١.

أسلم : ٢٨٠.

آل الأسود : ٥٧١.

بنو أَسَيْد : ٣٧٥ ، ٣٧٦.

بنو أشجع : ٤٦٠.

بنو أعيا بن طريف : ١٨٦.

الأكاسرة : ٦٨٠.

بنو أمية : ٤٦١ ، ٥١٧ ، ٩٥٧ ، ١٠٤٦ ،

١٠٤٧ ، ١٢٠٤.

بنو أنس الفوارس : ٣٣٧.

بنو إياد : ٤٨٢ ، ١٢٦٣.

(ب)

بنو باهلة : ١٠٢٢ ، ١١٨٩.

بنو بجاد : ١٠٢٢.

البحالية : ١٠٤٦.

بنو بدر بن ربيعة بن عبد الله : ١٠٥٣.

بدين : ١٧٢.

بنو براء : ١٠٣٩.

البربر : ٢٦٦.

آل برثن : ٥٧٩.

بنو البطاح : ٥٤٩.

بنو بكر : ٢٥٣ ، ٧١٣ ، ١٢٧٤.

بنو بكر بن كلاب : ٥٨٢ ، ١١١٥.

بنو بكر بن وائل : ٣٦١ ، ٤٦٧ ، ٦٧١ ،

٧١٣ ، ٧٤٤ ، ١٠٧٧ ، ١٢٤٤.

بنو بلال : ٥٥٥.

بلحارث بن كعب = بنو الحارث بن

كعب.

بلعجلان = بنو العجلان.

بلعدوية = بنو العدوية.

بلعنبر = بنو العنبر.

بلقين = بنو القين.

بنو بُهثة : ٣٢١ ، ٣٩٩.

(*) لم نأخذ بعين الاعتبار عند الترتيب الألفبائي لفظتي «آل» و«بنو».

بنو بهدلة: ١١٦٨.

بنو بهراء: ١١١٣.

بنو بولان: ١٢٣.

(ت)

الترك: ١١٩٦، ١١٩٧.

بنو تغلب: ١١٦، ٣٦١، ٥١٥، ١١١٣.

بنو تميم: ٦٧، ١٥٣، ٢٨٢، ٣١٠،

٣٥٧، ٣٧٦، ٤٠٣، ٤٠٨، ٥٠٥،

٥١٩، ٥٤٥، ٩٨٢، ١٠١٦، ١٠٣٧،

١١٦٨، ١١٨٠.

تنوخ: ٣٤٣.

بنو التميم: ٢٤٠، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٥،

٢٤٩، ١٢٦١.

بنو تيم الله بن أسد بن وبرة: ٣٤١.

بنو تيم الله بن ثعلبة: ٩٩، ٧٤٤.

(ث)

بنو ثعل: ٢١٦، ٤٣٦، ١٠٣٢.

بنو ثعل بن عمرو بن الغوث: ١٠٣٣.

بنو ثعلبة بن بكر بن حبيب: ١١٤.

بنو ثعلبة بن سعد بن ذبيان: ٨٨٠.

بنو ثقيف: ٦٥٤.

بنو ثماله: ٥٥٥.

ثمود: ٦٨٠.

بنو ثور بن عبد مناة: ٢٤٧.

بنو ثور بن واذ: ١٠٢٣.

(ج)

بنو جد: ٨٨٧.

جديس: ١٢٦، ٤٥٢، ٤٦٨.

بنو جديلة: ١٢٣، ١١٨٠.

بنو جذام: ١١٥، ١٠٦٧.

بنو جذيمة: ٢٩٧، ٣١١، ١٣٠٣.

بنو جرم: ١١٩، ١٢٠، ١٨١، ٢٣٩،

٥٥٣، ١٠٧٦.

بنو جشم بن بكر: ١١٠٥.

بنو جعدة: ١٠٧٥.

بنو جعفر بن ثعلبة بن يربوع: ٥٩٧.

بنو جفيف: ١٨١.

آل الجلاح: ١١٩٣.

بنو جُلَيّ: ٤٧٠.

بنو جناب: ٢٤٨، ٢٥٣، ٤٩٣، ٩٣٥.

بنو جندل بن نهشل: ٧٢٠.

جهينة: ٣٢٠، ٣٢١، ٣٧٠.

بنو جوين: ٥١٦، ١١٨٠.

(ح)

بنو الحارث: ٩٣، ٤١٤، ٧٧٧، ٩٨٩.

بنو الحارث بن كعب: ٢٣٩.

بنو حارثة بن لأم: ٢٥٩.

بنو حبيب: ٤١٠، ٤٧١.

آل حذيم: ١٠٠٩.

بنو حذيم: ١٠٠٩.

آل حرب: ٦٦٣، ١٢٠٤.

بنو حرب: ١٠٠٢.

بنو حرقة بن ثعلبة: ٧٢٠.

الحرورية: ٤٢٤.

بنو حزن: ٢٢٧.

آل حسان: ٨١٤.

بنو حصن: ١٥٦، ١٠٣٦.

بنو حكم: ١٠٧٥.

بنو حماس: ١٩.

بنو حمامة: ١١٢.

جَمِير: ١١٥، ٢٤٠، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٧.

بنو حميس: ١٩.

بنو حنظلة بن مالك: ٥٢٨.

بنو حنيفة: ١٠١، ٥٤٧، ١٠٠٠، ١٠٧٧.

بنو حوالة: ١١٤٧.

آل حَيَّة: ١١٨٠.

(خ)

بنو الخارجية: ٧٢٦.

بنو خازم: ٤٦٢.

بنو خالد: ٧٢٠.

بنو خثعم: ١١٤، ٥٧١.

خزاعة: ١٩، ١٤٤، ١٤٥، ٦٩٦.

خندف: ٢٨٤، ١١٦٨.

الخوارج: ٤٢٤، ٤٧٣.

بنو خيرى بن عمرو: ١٠٣١.

(د)

آل داحس: ٣٢٤.

بنو دارم: ٥٢٢، ٧٢٠.

بنو الديان: ٩٣.

(ذ)

آل ذبيان: ٢٧٩.

بنو ذبيان: ٣٠٠، ٣٠٩، ٣٢٤، ٣٢٨، ٣٣٢.

بنو ذهل: ٢٧، ٤١٨، ٥٤٩.

بنو ذهل بن ثعلبة: ٤٧١.

بنو ذهل بن شيان: ٢٠.

(ر)

راسب: ٢٣٩.

الرباب: ٣٤٥، ٤١٦، ٥٢٢.

بنو ربيع الحفاظ: ٣٣٧.

ربيعة: ١٥١، ١٥٢، ١٨٦، ٢٣٧، ٥٢٤، ١٢٤٦.

بنو ربيعة بن عامر بن جُهَيْل: ٩٥٧، ٩٨٦.

بنو رزاح: ٦٧٦.

بنو رزام: ٥٥٥.

بنو رياح: ١٠٧٠، ١٠٧١.

بنو ريسان: ١٠٢٢.

(ز)

بنو زبيد: ١٢٣.

الزبيرية: ٤٦٠، ١٠٤٦.

بنو زهرة بن قيس: ١٨٢.

بنو زياد بن عبد الله بن عبيس: ٣٣٧، ١٢٩٦، ١٠٣٥.

بنو زيد بن عمرو: ٧١٩.

(س)

بنو سعد: ٣٥٤، ٣٧٨، ٤٤٣، ٥٢٢، ٧٩٠، ٨٩٨، ١٠١٥، ١٠٦٣، ١١٦٨، ١٢٢٠.

بنو سعد بن تميم: ٩٧.

بنو سعد بن ثعلبة بن دودان: ١٦٨.

بنو سعد بن ذبيان: ٧٩٠.

بنو سعد بن زيد مناة: ٢٣٧، ٥٠٥، ١٠٩٣.

بنو سعد بن عمرو: ١٠٦٣.

بنو سعد بن قيس: ١٨٦.

بنو سعد بن كلاب: ٩٧.

بنو سعد بن مالك: ١٠٠٨، ١١٦٦.

بنو سعد بن هذيل: ٥٩.

بنو ضبّة: ٢١١، ٢٣٩، ٢٥٣، ٣٨٦،
٤٠٣، ٤١٠.

بنو ضبيعة: ٤٦٧.

بنو ضبيعة بن ربيعة: ٤٦٧، ٤٧٠، ٤٧١.

(ط)

طسم: ١٢٦، ٤٥٣، ٤٦٨.

طيّء: ١٢٣، ١٢٧، ١٥٥، ١٦١، ١٧٢،

١٨١، ٢٢٣، ٣١١، ٤٢٠، ٤٣٤،

٤٤٧، ٤٥١، ٦٧٧، ٦٩٣، ٧٤٤،

٧٧٤، ١٠١١، ١٠٢٣، ١٠٢٤،

١٠٢٧، ١٠٤٠، ١٠٨٣، ١١٢٨،

١١٨٠.

(ظ)

بنو ظفر: ١٣٨.

(ع)

بنو عائذة بن مالك: ١٠١٥.

عاد: ٢٨٧، ٥٠٢، ٦٨٠، ١١٦٢.

بنو عامر: ١٩، ٨٦، ٢٤٨، ٥٣١، ٩٥٧،

١٠٣٧، ١١٧٤.

بنو عامر بن صعصعة: ١٤٨، ٤٠٤.

بنو عامر بن عبد الله بن ذبيان: ٣٣٣.

بنو عامر بن عبد مناة بن بكر: ١١٧٤.

بنو عبد الله بن كلاب بن ربيعة: ٧٦٨.

بنو عبد شمس: ١٩٤.

بنو عبد العزى = بنو عبد الله بن غطفان.

بنو عبد مناة: ٢٤٠.

بنو عبد مناة بن أذ: ١١٧٠.

بنو عبس: ١٢٦، ١٤٩، ٢٣٩، ٢٧٥،

٣٠٠، ٣٠٩، ٣٢٤، ٣٢٦، ٣٢٨،

٤٦٠، ١٠٦٧.

السغد: ٥٢٠.

بنو سلامان: ١٠٢٨.

بنو سلامة: ٣١١.

آل سملى بن جندل: ٧٢٠.

بنو سلول: ٨٦، ٨٠٠.

بنو سليم: ٣١٣، ٣٩٩، ٤٠٦، ٧٦٨.

بنو شمال بن حوف: ٧٦٨.

بنو سنان: ١١٦١.

سنيس: ١٩٤.

بنو سهم: ٨٦٤.

بنو السوداء: ٥٧٥.

بنو سهوان: ١١٣٢.

بنو السّيد بن مالك بن بكر: ٤١٦، ٧١٦،

١٠٢٣.

(ش)

آل شدّاد: ١٧٥.

بنو شقرة بن ثعلبة: ٧٢٤.

بنو شقرة بن كعب: ٧٢٤.

بنو شمجي: ٤٢٤، ٤٣٥.

بنو شمش: ٣٧٨.

آل شيان: ١٢٤٠.

بنو شيان: ٩٥، ٢١٩، ٤٠٣، ٧١٦.

(ص)

صداء: ١١٤، ١١٦.

بنو صُريم: ١١٢٠.

آل صمة: ٥٨٤.

بنو الصموت: ٧٦٨.

(ض)

الضباب: ٢٥٣.

بنو ضباعة: ٤٢٢.

آل عبيد: ٥٥٥.

آل عتاب: ٥٧١، ١١١٤.

بنو عتاب بن سعد بن زهير: ١١١٣، ١١١٤.

بنو عجل: ٤٩٠، ١٠٧٧.

بنو عدي: ١٠٤٣.

بنو عدي بن أخزم: ٢٠٩.

بنو عدي بن خباب: ١٠٤٣.

بنو عدي بن جندب بن العنبر: ١٠١٧.

بنو عدي بن عبد مناة: ٢٤٤.

بنو عقيل: ١٤٦، ٢٥٨، ١٠٧٥.

بنو عقيل بن كعب: ٤٦.

بنو عمارة: ٣٣٧.

آل عمرو: ١٤٦، ٤٩٣.

بنو عمرو: ٤٦٠، ٥٢٢، ٦٩٨، ١٠٠٨.

بنو عمرو بن عوف: ٤٥٠.

بنو عمرو الغنويون: ١١١٥.

بنو عميرة: ١٠٧٢.

بنو عميرة بن جؤية: ١٠٧٢.

بنو العنبر: ٢٠، ٣١١.

بنو عنس: ٩٧٢.

بنو عوذ بن غالب: ٣٩٩.

بنو عوف: ٤٥٢، ١٠٠٨، ١١٦٨.

بنو عوف بن مالك: ١٢٦، ١٠٥٩.

بنو عون: ١٠٢٢.

(غ)

بنو غالب: ٣٣٨، ١٠٢٢.

بنو غير: ٣٧٦.

بنو غراب: ٤٦٧.

بنو غطفان: ٤١٨.

غفار: ٢٨٠.

الغوث: ١٧٢.

غيث: ١٣٢.

بنو غيظ بن مالك: ٧٦٨.

بنو غيلان: ١٢١٤.

(ف)

بنو فزارة: ١٤٦، ١٤٩، ٨٠٥، ٨٣٠.

بنو فقعس: ١٥٦، ١٦٨، ١٧٥، ١٨٦.

١٩٤، ٢٩٧، ٢٩٨، ٣٥٤.

بنو فهر: ١٠٢٢.

بنو فهم: ٦٣.

(ق)

بنو قُدم: ٩٧٢.

بنو قران: ٤٧٠.

بنو قرد: ١٠٠٩.

قريش: ١٩، ٢٥، ١٠٤، ١٤٤، ١٦٩.

٦١٧، ٨٧٣، ٩٩٦، ١٠٢٣، ١٠٢٧.

١٠٥٩، ١١٣٤، ١٢٥٥، ١٢٩٨.

قريش كلاب: ٩٣٥.

بنو قريع: ٨٠٦.

بنو قشير: ٥٣١، ١٠٢٢.

بنو قشير بن كعب: ٧١٠.

قضاع: ١١٢، ٢٣٩، ٣٣٨، ٤٦٠.

١١٢١.

بنو قطن بن ربيعة: ١٠٥٣، ١٠٥٤.

بنو قنفذ: ٧٦٨.

بنو قيس: ٢٨٤، ٣٥٤، ٣٧٠، ٤٣٦.

٤٦٠، ٤٦١، ٥٢٢، ٥٢٦، ١٠١٦.

١٠٤٣، ١٠٤٥، ١٠٤٧.

بنو قيس بن ثعلبة: ٧٥، ٣٥٤.

بنو قيس بن زهير: ٣٠٥.

- قيس عيلان: ١٨٦، ٢٣٧، ٢٨٥، ١٠٤٤، ١١٢١، ١٠٤٨.
القيسية: ١٠٤٦.
بنو القين: ١٠٣٣.
(ك)
بنو كعب: ١١٦٨.
بنو كلاب: ٤٩٣، ١٠٤٩.
بنو كلب: ٢١٤، ٢٤٠، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٦١، ٣٧٠، ٤٦٠، ٧٥٢، ٩٣٥، ١٠٤٥.
بنو كليب: ٢١٤.
بنو كنانة: ١٩، ١٠٣٤.
بنو كنانة بن القين: ١٠٣٣.
بنو كنانة بن خزيمة: ١٤٤.
كندة: ٦٨٨.
بنو كوز: ٤١٦، ١٠١٩.
بنو كوز بن كعب: ٤٠٩.
(ل)
بنو لام بن عمرو: ١١١٩.
لحيان: ٥٩، ٦٢.
بنو اللقيطة: ٢٠.
لهب: ١٦٢.
(م)
بنو مازن: ٢٠، ٢٢، ٢٥، ٤٨٦، ٤٩٠، ١٠٤٣.
مازن تميم: ٢١.
مازن ربيعة: ٢١.
مازن قيس: ٢١.
بنو مازن بن مالك بن عمرو بن تميم: ٢٠.
آل ماعز: ٧٤٣.
آل مالك (في شعر): ٧٤٣.
بنو مالك: ٤٥٢، ٧٢٠.
بنو مجاشع: ٥٠٥، ٥٠٦، ١٢٩٨.
بنو محارب: ١٠٠٣، ١٠٥٨.
بنو محارب بن خصفة: ١٠٨٣.
آل محمد ﷺ: ٦٧٨.
بنو محولة = بنو عبد الله بن غطفان.
بنو مخزوم: ١٢٦١.
بنو المدل: ٣٠٥.
بنو مرة: ٢٩١.
بنو مرة بن صعصعة: ٨٠٠.
بنو مرهوب: ٤١٦.
آل مروان: ٤٨٠.
بنو مروان: ٤٦٠، ٤٨٢.
المروانية: ١٠٤٦.
مزينة: ٢٨٠.
بنو المصطلق: ٧١٨.
مضر: ١٥١، ٢٣٧، ٢٨٥، ٥٢٤، ٧٣٠، ١١٦٨، ١٠٢٦.
بنو مطر بن شيبان: ١٠٩٧.
آل مطرف: ١١٢٦.
بنو معاوية: ٢٤٢.
بنو معد: ٦٨٧، ٦٨٨، ١١٦٨.
بنو معدان: ٧٢٣.
بنو معقل: ٤٥٤.
بنو معن: ٤٢٩، ٤٣٦، ١٠٢٣، ١٠٣٩.
المغاربة: ٢٦٦.
آل مقاعس: ٥٤٥.
بنو مليح: ٩١٢.
المناذرة: ١٠١١.
بنو منقذ: ١٠٠٦.

بنو منقر: ٤٩٧.

بنو نفر: ١٢٣٢، ١٢٤٥، ٨٩١.

آل المهلب: ١٠٦٣، ٢٢١.

بنو موقع: ١٠٢٧.

(ن)

بنو نيهان: ١٥٦، ٤٤٨، ٤٤٩.

بنو التجار: ٢٠.

نزار: ١٢٧، ٢٣٩، ٥١٩، ١١٦٨.

بنو نصر: ٧١٣.

بنو نصر بن قعين: ٥٩٧.

بنو النطاح: ٥٤٩.

بنو نمير: ١٠٧٥، ٧٥.

نهد: ١٢٠.

بنو نهشل: ٧٧، ٧٢٠.

بنو نهشل بن دارم: ٧٢٠.

(هـ)

بنو هاجر: ١٠١٩.

آل هاشم: ٦٧٩.

بنو هاشم: ٧٧، ٥٣٨، ٧٦٦، ١٠٤٣،

١٠٥٨، ١٠٦٧.

بنو الهجيم: ٣٠٧.

بنو هدم: ١٠٢٢.

هذيل: ٤١، ٥٩، ٥٨٦، ٥٩٢، ١١٤٠.

بنو هرّان: ٥٣٧.

بنو هلال: ٧٥.

همدان = همدان.

هوازن: ١٢٣٣، ١٢٣٤.

(و)

بنو وائل: ٢٧٦، ٣٧٥، ٣٧٦، ٤٠٢.

بنو ودة: ٥٢٢.

آل ورد: ١٢١٩.

(ي)

بنو يربوع بن حنظلة: ٣٥.

بنو يشكر: ٣٥٩، ٤٧٧، ٥٤٩.

١١ - فهرس الأماكن والبلدان

(أ)

- أبضة (اسم ماء): ٣١١.
الأبطح: ١١٣٥، ٣٩.
أبوي: ٦٣٧.
الأثيل: ٦٧٩، ٦٨٠.
أجأ (جبل): ١٧٢، ٢٦٣، ٥٠٢، ١٠٢٤، ١١٨٠.
إراب (ماء لبني العنبر): ٣١١.
أرض العرب: ٣٢٥، ٣٤٥.
أرض فارس: ٢٥٥.
أرمينية: ١٢١.
أصبهان: ٦١٨.

- الأصفر (اسم جبل): ٤٢٢.
الأميلح (اسم ماء): ٩٨٢.

(ب)

- باب جيرون: ١٠٤٣.
البحرين: ٤٤.
بدا: ٩٠٢، ٩٠٣.
بدر (نهر): ٦١٧.
بشر (جبل): ٨٥٢، ٨٥٣.
بُضْرَى: ٢٨٢، ٨٨٢.
البصرة: ٩٦، ٣٨٦.

البطحاء: ١١٣٥.

- بطن برام: ٦١١، ٦١٢.
بطن نخل: ٩٧٩.
بلاد بني تميم: ٤٠٣.
بلاد ضبة: ٣٨٦.
بلاد العجم: ٣٢٨.
بلاد جديس: ١٢٦.
بلاد طسم: ١٢٦.
بلاد هنديل: ٥٨٦.
البلادكش: ٨٧٣.
البيضاء: ٦٥٦.

(ت)

- تهامة: ١٤٤.
تيماء: ٥٠٢.

(ث)

- ثاج (اسم ماء): ١٠٧٧، ١٠٧٨.

(ج)

- الجابية: ١٠٤٥.
جبال خوارزم: ٥٥٣.
جبال السغد: ٥٥٣.
جبال طيء: ٧٧٣.

الجزع: ٤٢٢.

جسر سابور: ٧٤٦.

جفر الهياة (اسم بئر): ٣٠٩.

جلّق: ٢٩٩.

الجودي (جبل): ٨٩٨.

الجوف: (اسم واد): ٤٠٨.

الجولان: ١٠٤٥.

الجون: ٤٦٨.

جيرون: ١٠٤٣.

جيشان: ٦٥٨.

(ح)

حائل: ١٢٧، ٤٢٢، ٦٢٧.

الحجاز: ٤٥٥، ٥١٣، ٥١٤، ٦٩٣،

٩١٩، ١٠٤٧، ١١٢٤.

حرة بني سليم: ٣١٣.

الحسان (رملتان ببلاد بني تميم): ٤٠٣.

حسن (اسم موضع): ٨٩٨.

الحطيم: ١١٣٥.

الحلة: ٣٨٦.

حلوان: ٦٦٦.

الحمى: ٦٥٦.

حنين: ١٠٤.

حومل: ٨٧٠، ١٠٤٩.

الحيرة: ٦٨٠، ١٣٠٤.

(خ)

خبث: ٢٦١، ٢٦٢.

خراسان: ٦٧١، ١٠٥٩.

خسر سابور: ٧٤٦.

الخط: ٥٢٠، ١٢٥٣.

الخدمة: ١٠٤.

خير: ٥١٢، ١٠٠٦.

(د)

الدخول: ٨٧٠، ١٠٤٩.

الدكادك: ٥٦٥.

دمشق: ١٠٤٣، ١٢٨٨، ١٣٠٦.

الدنهان: ٤٠٨.

الدوانك: ٥٦٥.

دياف: ١٠٣٣.

(ذ)

ذات عرق: ٩٦٣.

الذئاب: ١٠٧٠.

ذو سدر: ٣١٢، ٣١٣.

ذو شمر: ٣٩٢.

ذو الغمر: ٩٤١.

ذو فرقين (اسم هضبة): ٤١٠.

ذوقار: ٩٥٧.

(ر)

رامة: ١٠٤٥.

راوند: ٦١٨، ٦١٩.

الرحا: ١٠٤٩.

رخمان (اسم غار): ٥٨٦.

رُصافة (اسم جبل): ٤٢٢.

رمل عاليج: ٦٧٦.

رمع: ١١٣٢، ١١٣٣.

(ز)

زمزم (ماء): ٤٣٠.

(س)

سحبل (اسم واد): ٣٩، ٢٥٨، ٢٥٩.

(ض)

- ضارج (ماء لبني عبس): ٢٨١.
ضُبَاعَة (اسم جبل): ٤٢٢.
ضريّة: ٦٧٧.
الضمّار: ٨٦٩.

(ط)

- الطفّ: ٦٧٩.

(ع)

- العدان: ٦١١، ٦١٢.
عَدَوْلَى: ٦٥٣.
عرار: ٨٦٩.
العراق: ٣٧١، ١٠٧٨.
العرض (وادي في اليمامة): ٤٦٩.
عرنان (وادي): ٨٠١.
عسجل: ٣١٢، ٣١٣.
عقيق (اسم وادي): ٧٣٢، ٧٣٣.
العقيق: ٧٣٢.
عكاظ: ٥٢٧، ١٠٥٨.
عُمان: ٤٤، ٣٢٥، ٣٢٨، ٣٤٥، ٥٢٠.
عنيزة: ٧٨٩، ٧٩٠.
عَوَارِض (اسم جبل): ٤٢٢، ٤٣٩.
عين أباغ: ٦٢٣.

(غ)

- الغور: ١٠٤٧.

(ف)

- فرده: ١٠٤٩.
فَلَج: ٣٨٦.
فَلَج (اسم ماء): ٣٨٦.
فَلَج (اسم وادي): ٣٨٦.

- سحنة (اسم ماء): ٣٣٨.

- سَدْ يَأْجُوج: ٥٢٥.
السدير: ٣٨٢.
سفوان: ٩٥.
سلع: ٥٨٦، ٥٣٩.
سلمى (جبل): ١٧٢، ٢٦٣، ٤٢٤، ٥٠٢، ٧٧٣، ١١٨٠.
السلّي: ٧٠٤.
سمنان: ٩٨٢.
سنجار: ٥٧٠.
سوق عكاظ: ٥٩٧.

(ش)

- الشام: ٢٨٢، ٤٥١، ٤٥٣، ٤٥٨، ٨٧٣، ٨٨٢، ٩١٢، ١٠٣٣، ١٠٤٣، ١٠٤٥.
١٠٤٧، ١٢٦٩.
شراف: ٦٧٥.
الشرى: ١٥٥.
الشرف (موضع بنجد): ٤٠٤.
الشُرَيْف: ٤٠٤.
شعب الحيس: ٣٢٦.
شُعُوب: ٩٧٢.
شغب: ٩٠٢، ٩٠٣.

(ص)

- صحراء الثُمير: ٩٣.
صحراء المريط: ١٠٢٣.
صرخد: ١٠٧٠.
صعدة: ١٥٩.
صَقِين: ٦١٥.
صنعاء: ٩٧٢.
صول: ١٢٨٣.

(ق)

القادسية: ٢٢٤.

قارة شيان: ٣٥.

القاع: ٨٧٣.

قراقر (اسم ماء): ١٧٣.

القليب: ٧٦٨.

قتسرين: ٧٣٨.

قو: ٧٩٠، ٧٠٤.

(ك)

كامس (اسم جبل): ٤٢٢.

الكعبة: ٢٢، ٣٤٥، ١١٣٥.

الكوفة: ٤٤٧.

(ل)

لُهم (اسم جبل): ٤٣٤.

اللوى: ١٢٦، ٣٨٦، ٤٥٢، ٥٦٥، ٩٤٤.

(م)

ماوان (اسم ماء): ٣٣٣.

المحصب: ٨٩٩، ١١٣١.

مخيس (اسم سجن): ٤٤٧.

المدينة المنورة: ١٥٦، ٤٥٣، ٥٠٣.

٥٨٦، ٧٦٥، ٨٧٣، ٩١٤، ٩٧٩.

مز: ٦٤٩.

مزان: ٧٤٣، ٧٤٤.

المرج = مرج راهط.

مرج راهط: ٤٦٠.

مرعش: ١٢١.

المات: ٢٦١، ٢٦٢.

المسجد الحرام: ٥٦٤.

مصر: ٩٩٠.

مكة المكرمة: ٣٩، ٤٠، ٢٠٤، ١٤٤،

٦٨٠، ١١٣٥، ١١٤٤.

مِني: ٨٩٩، ١١٣١.

المتهب: ٤٣٦، ٤٣٧، ١١٤٤.

المنيفة: ٨٦٩.

ميسم: ٩٥٧.

(ن)

نجد: ١٤٤، ٤٠٤، ٦٩٣، ٨٥٢، ٨٦٩،

٨٨٢، ٩٠٩، ٩٣٢.

نخلة: ٩٧٨، ٩٧٩.

النعف: ١٧٩.

نَعمان: ٩٣٨، ٩٦٣.

نُقْم: ٩٧٢.

نهي: ٢٨١.

النيل (نهر): ٩٥٤.

(هـ)

هضب القليب: ٧٦٨.

الهند: ٥١٩، ٥٢٠، ٧٧٢، ١٠٦٤.

(و)

وادي الأراك: ٩٣٨.

وادي أشي: ٩٧٣.

وادي حنين: ١٠٤.

وادي عرفة: ٩٦٣.

وادي القرى: ٩٣١.

واسط: ٢٨١، ٥٦٦.

وجرة: ٩٢٩.

الوشل: ٩٦٤.

وشم: ٨٣٣.

الوقى: ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٤.

وهين: ٢٠٠، ٢٠١.

(ي)

يشرب = المدينة المنورة.

يرمرم: ١٠٢٠.

يللمم: ١٠٢٠.

اليمامة: ١٥٥ ، ٤٦٨ ، ٦٧٠ ، ٧٩٨ ،

١٠١١ ، ١٠٢٤ .

اليمن: ٤١ ، ١٥٩ ، ١٩٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٥ ،

٤٦٠ ، ٤٦٩ ، ٥٩٨ ، ٧٩٨ ، ٩٧٢ ،

١١٣٣ .

١٢ - فهرس الأيام والوقائع والحروب (*)

(س)

- يوم سحبل: ٢٥٨.
- يوم سلح: ٥٣٩.
- يوم سويقة: ٢٣٣.
- أيام سيل العرم: ١٤٤.

(ش)

- يوم شراق: ٦٧٥.
- يوم الشرى: ١٥٥.

(ص)

- يوم صقن: ٦١٥.

(ط)

- يوم الطائف: ٧٧٣.
- وقعة طيء: ٦٧٥.

(ع)

- وقعة عبس وذبيان: ٣٠٩.
- يوم عين أباغ: ٦٢٣.

(ف)

- يوم فتح مكة: ١٠٤.
- فتنة ابن الزبير: ٧٦٨.

(ب)

- يوم بدر: ١٣٩، ٦١٧، ٧١٨.
- يوم بطنان: ١٠٤٥.
- يوم البقيع: ٥٧٢.

(ت)

- يوم التحالق: ٣٦٠.
- يوم تحلاق اللحم: ٣٦٠، ٣٦١.

(ج)

- يوم جبلة: ١٤٢، ١١١٩.
- يوم جفر الهباءة: ١٤٨.
- يوم الجمل: ٢١١.

(ح)

- يوم حليلة: ١١١٩.
- يوم حنين: ١٠٤.

(خ)

- وقعة خالد: ١٠٤.

(د)

- حرب داحس والغبراء: ١٤٩، ٣١٠، ٣٢٤، ٣٢٧.

(*) عبارات «يوم» و«حرب» و«وقعة» و«ليلة» لم تؤخذ بالاعتبار عند الترتيب الأبجدي.

يوم المريسيع: ٧١٨.

(هـ)

ليلة الهرير (من ليالي صفين): ٣٤٥.

يوم الهيمى: ٥١٠.

(و)

يوم واسط: ٥٦٦.

(ي)

يوم اليمامة: ٢٦٤.

(ق)

حرب قيس وتغلب: ٤٦١.

(ك)

يوم كلب وحمير: ٢٤٥.

وقعة كلب وفزارة: ٣٧٠.

يوم الكلاب: ١١١٩.

(م)

يوم مرج راهط: ٤٦٠.

١٣ - فهرس الأمثال

(أ)

- ابنك ابن بوحك : ٦٥٨ .
 ابنك من دمي عقيق : ٦٥٨ .
 أجبن من المتزوف شرطاً : ٦٦٥ .
 اختلط الخائر بالزباد : ٢٩٩ .
 أذل من فقع بقاع : ٥٦٩ .
 أسد حطوم خير من سلطان غشوم : ٦٥ .
 أطزي فإنك ناعلة : ١٢٨٤ .
 أعط القوس باريها : ٢١٤ .
 أكذب من يلمع : ٥٢٧ .
 التقى الشريان : ٥٢٥ .

- إلى أمه يلهف اللفهان : ٣٦ .
 إن كنت ريحاً فقد لاقيت إعصاراً : ١٠٧٧ .
 إن الموضين بنو سهوان : ١١٣٢ .
 أهل الحفائظ أهل الحفاظ : ٢٣ ، ٨٢٠ .
 أهون الورد التشريع : ٣٧ .

(ب)

- بالساعد تبطش الكف : ١٤٩ .
 بلغ الحزام الطيبين : ٢٤٢ .

(ت)

- تمرد مارد وعز الأبلق : ٤٦٩ .
 تهم ويهم بك : ٥٥ .

(ج)

- جاء بالهيل والهيلمان : ٧٤٨ .
 جاءت جنادع الشر : ٢٩٢ .
 جري المذكيات غلاب : ٣١٨ .

(ح)

- الحديث ذو شجون : ١٢٢٦ .
 الحفائظ تحل الأحقاد : ٢٣ .

(خ)

- خذ ما صفا ودع ما كدر : ٨٩ .
 خوذ رأيه : ٢٦٥ .

(د)

- دمت لجنبك قبل الليل مضطجعاً : ١٩٨ .
 دون هذا الأمر خرط القتاد : ٢٦٦ .

(ذ)

- ذهبت النعامة تطلب قرنين فجذعت آذانها :
 ١٦٠ .

(ر)

- الرائد لا يكذب أهله : ٥١٤ .
 رويد يعلون الجدد : ٩٥ .
 رويدك الشعر يغب : ٩٥ .

(ز)

- زال السرج عن المعدين : ٢٤٢ .

(ل)

- لا أفعل كذا ما أبس عبد بناقة : ٨٢١.
لا يفل الحديد إلّا الحديد : ٣٥.
له صرقة الحبلى : ٢٨١.
لو ذات سوار لطمتني : ١٠٨٣.
لو كان ذا حيلة تحول : ٥٩.
لو لك عويت لم أعو : ١١٠٦.
ليس أوان يكره الخلاط : ٦٣.

(م)

- ما أصبت منه أقدّ ولا مريشًا : ١٢٩٨.
ما كل بيضاء شحمة وما كل سوداء تمرّة : ١١٥.

- ما كل سوداء تمرّة : ١١٥.
ما يوم حليلة بسرّ : ١١١٩.
محسنة فهيلي : ٧٤٨.
من عزّ بزّ : ٩٦٢.
من العناء رياضة الهرم : ٥٣٨.
من يزّ يومًا ير به : ٣٥٣.

(ن)

- النبي يقرع بعضه بعضًا : ٤٨٣.
النساء لحم على وضم : ١٥٢.

(هـ)

- هذا أجلّ من الحرش : ١٠٢.
هما ساقا غاد شرّ : ٢١٧.
هو أضرب من مشي بشقة : ٢٩٢.

(و)

- ويل للشجي من الخلي : ١١٧٦.

(ي)

- يدع العين ويتبع الأثر : ١٠٥٩.
يربض حجرّة ويرتع وسطًا : ٦٠ ، ٤٥٢.

زر غبّا تزدد حبّا : ٣٦٨.

زندان في مرقعة : ١٣٤ ، ٢٦٣.

(س)

- السراح من النجاح : ٩٠٦.
سليّ هذا من استك أولًا : ٥٢٨.

(ص)

- صالبي أشدّ من نافضك : ٥١٢.
صبحناهم فغدوا شامة : ١١٠ ، ٢٤٤ ، ٤٠٤.

(ط)

الطعن يظّار : ٣٦٣.

(ع)

- عاد السهم إلى النزعة : ٣٩٣.
عسى الغوير أبوسًا : ٦٤.

(غ)

غادر وهية لا ترقع : ٨٩٣.

(ف)

فرّق بين معدّ تحاب : ٢١٣.

(ق)

- قبل الرماء تملأ الكنائن : ٥٨ ، ١٣١.
قد بين الصبح لذي عينين : ٢٩.

(ك)

- كل أزب نفور : ٣٦٨.
كلب عسّ خير من أسد ربض : ٤٦٣.
كما تدين ثدان : ٢٩.
كمستبضع تمر إلى أرض خير : ١٠٠٦.
كمستبضع تمر إلى هجر : ١٠٠٦.
كمستبضع الملح إلى بارق : ١٠٠٦.

١٤ - فهرس المحتويات

٣	المقدمة
٧	مقدمة الشارح
١٩	باب الحماسة
٥٥٥	باب المَرَائِي
٧٨٣	باب الأدب
٨٥١	باب التَّسْيِب
١٠٠٠	باب الهَجَاء
١٠٨٩	باب الأضياف
١٢٣١	باب المدح
١٢٦٥	باب الصُّفَات
١٢٧١	باب السَّير والتَّعَاس
١٢٨٧	باب المُلَح
١٣٠٦	باب مَدَمَّة النَّسَاء

الفهارس العامة

١٣٢٣	١ - فهرس الآيات القرآنية
١٣٤٢	٢ - فهرس الأحاديث النبوية
١٣٤٤	٣ - فهرس القوافي في متن الحماسة
١٣٨١	٤ - فهرس الأرجاز في متن الحماسة
١٣٨٧	٥ - فهرس شعراء الحماسة
١٤١٠	٦ - فهرس القوافي في الشرح
١٤٤٠	٧ - فهرس الأرجاز في الشرح
١٤٤٩	٨ - فهرس أنصاف وأجزاء الأبيات في الشرح

- ٩ - فهرس الأعلام ١٤٦٤
- ١٠ - فهرس القبائل والبطون... الخ ١٤٨١
- ١١ - فهرس الأماكن والبلدان ١٤٨٨
- ١٢ - فهرس الأيام والوقائع والحروب ١٤٩٣
- ١٣ - فهرس الأمثال ١٤٩٥
- ١٤ - فهرس المحتويات ١٤٩٧